



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عشر  
عليه  
ص

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

# النَّائِلُ الْمَعْرُوفُ

بِكَلِمَةٍ وَبَيْتِ اللَّهِ الْكَرِيمِ

تأليف

محمَّد طاهر الكردي الحكيم

المجلد ٣ - ١

كلية دارالعلوم  
مطابق المصنفين في تاريخ الإسلام



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم

كاتب:

محمد طاهر الكردي المكي

نشرت في الطباعة:

دار خضر

رقم الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
٧٠	التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم
٧٠	اشارة
٧٠	المجلد الأول
٧٠	[الجزء الاول]
٧٠	مقدمة الطبعة الثانية
٧١	التعريف بالمؤلف
٧١	اشارة
٧١	[١] الشيخ محمد طاهر الكردي
٧١	اشارة
٧٢	مصحف مكة المكرمة
٧٥	طاهر كردي الخطاط
٧٦	تاريخ الخط العربي و آدابه
٧٧	طاهر كردي المؤلف
٧٨	طاهر كردي المؤرخ
٧٩	التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم
٧٩	مؤلفاته الأخرى
٨٠	بقية التاريخ القويم
٨٠	[٢] رسالة إلى الراحل الشيخ محمد طاهر الكردي بقلم الأديب السعودي الكبير الأستاذ عبد العزيز الرفاعي
٨٣	[٣] محمد طاهر الكردي المكي الخطاط بقلم الأستاذ الأديب يوسف ذنون
٨٧	[٤] مؤرخ مكة الكبير و كاتب مصحفها إلى رحمة الله بقلم الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان
٨٩	[٥] ملحق التراث يشاطر العالم الإسلامي في مصابه بالخطاط المكي محمد طاهر الكردي - كاتب مصحف مكة المكرمة
٩٣	تقديم الكتاب

- ٩٣ ..... خطبة الكتاب
- ٩٣ ..... اشارة
- ٩٨ ..... بعض أسماء الكتب التي ألفت في تاريخ مكة المشرفة و وقفنا عليها و ربما هناك غيرها في بعض البلدان لم نطلع عليها
- ٩٩ ..... تراجم مؤرخي مكة المشرفة في عصرنا الحاضر و كلهم من أهل مكة المكرمة
- ٩٩ ..... اشارة
- ١٠٠ ..... ترجمة الإمام الأزرقى المكى من أهل القرن الثانى للهجرة و هو عربى صميم
- ١٠١ ..... ترجمة حسين بن عبد الله باسلامة المكى الحضرمى
- ١٠٢ ..... ترجمة الشيخ عبد الله الغازى المكى
- ١٠٣ ..... ترجمة الأستاذ أحمد السباعى المكى
- ١٠٥ ..... ترجمة محمد طاهر الكردى المكى الخطاط
- ١٠٥ ..... ذكر أسماء مكة المكرمة
- ١٠٦ ..... جدول بيان قياسات بعض جبال مكة و بعض أماكنها
- ١٠٦ ..... قياسات بعض الأماكن بمكة
- ١٠٦ ..... المسافات بين بعض المساجد
- ١٠٧ ..... مقدمة الكتاب
- ١٠٧ ..... بلاد الحجاز
- ١٠٧ ..... طبيعة الحجاز
- ١٠٨ ..... جو الحجاز
- ١٠٨ ..... اشارة
- ١٠٨ ..... الأقاليم الشمالية
- ١٠٨ ..... المنطقة الوسطى
- ١٠٨ ..... القسم الجنوبى
- ١٠٨ ..... أهم مدن الحجاز
- ١٠٩ ..... [١] مكة المكرمة

- ١٠٩ ..... [٢] لمدينة المنورة
- ١١٠ ..... [٣] جدة
- ١١٠ ..... [٤] الطائف
- ١١١ ..... [٥] عسير
- ١١١ ..... فضل الحجاز
- ١١٢ ..... جغرافية بلاد العرب
- ١١٣ ..... منظومة فريدة في علم الجغرافيا
- ١١٥ ..... تاريخ الاكتشاف الجغرافي لبلاد العرب
- ١١٦ ..... اشارة
- ١١٦ ..... العصر القديم أى ما قبل الإسلام
- ١١٦ ..... العصر الإسلامى
- ١١٧ ..... العصر الأوروبى
- ١١٧ ..... تقسيم بلاد العرب من حيث الأخلاق و العادات
- ١١٩ ..... تاريخ العرب قبل الإسلام
- ١١٩ ..... تقسيم العرب إلى عاربة و مستعربة
- ١١٩ ..... اشارة
- ١١٩ ..... العرب العاربة
- ١٢٠ ..... العرب المستعربة
- ١٢٠ ..... أول تسمية للبلاد العربية السعودية
- ١٢١ ..... فضل العرب على سائر الأجناس
- ١٢١ ..... مكانة العرب بين الأمم الإسلاميه
- ١٢٤ ..... مناظرة بين النعمان بن المنذر و كسرى أنوشروان فى شأن العرب
- ١٢٧ ..... نبذة من سيرة النبي صلى الله عليه و سلم
- ١٢٧ ..... اشارة

- ١٢٩ ..... نسب رسول الله صلى الله عليه و سلم
- ١٣١ ..... [توحيد آبائه صلى الله عليه و سلم]
- ١٣٢ ..... ترجمة عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه و سلم
- ١٣٤ ..... نبذة يسيرة عن أحوال رسول الله صلى الله عليه و سلم من ولادته إلى وفاته
- ١٣٥ ..... وفاة والده صلى الله عليه و سلم
- ١٣٥ ..... تاريخ ولادته صلى الله عليه و سلم
- ١٣٥ ..... نجاة عبد الله أب النبي صلى الله عليه و سلم من الذبح
- ١٣٧ ..... تزوج عبد الله بن عبد المطلب
- ١٣٨ ..... موت عبد الله بن عبد المطلب أب النبي صلى الله عليه و سلم
- ١٣٨ ..... ولادة النبي صلى الله عليه و سلم
- ١٣٨ ..... اشارة
- ١٤٠ ..... محل ولادته صلى الله عليه و سلم و تسميته يوم السابع
- ١٤١ ..... رضاعته صلى الله عليه و سلم و مرضعته
- ١٤١ ..... اشارة
- ١٤٢ ..... قصة رضاعة حليلة السعدية له صلى الله عليه و سلم
- ١٤٣ ..... قصة شق صدره صلى الله عليه و سلم
- ١٤٤ ..... موت أمه صلى الله عليه و سلم بالأبواء
- ١٤٤ ..... اشارة
- ١٤٦ ..... محل مدفن أم النبي صلى الله عليه و سلم
- ١٤٧ ..... نجاة أبوي النبي صلى الله عليه و سلم
- ١٤٧ ..... اشارة
- ١٤٨ ..... الاستدلال على نجاتهما
- ١٥١ ..... الحديث الصحيح الوارد في زيارته صلى الله عليه و سلم لأمه
- ١٥٢ ..... و يعجبنا ما قاله بعضهم عن زيارة أمه صلى الله عليه و سلم



- ١٥٣ ..... الكلام على قرية الأبواء و قرية مستورة
- ١٥٧ ..... كفالته عمه له صلى الله عليه و سلم
- ١٥٨ ..... رحلته مع عمه صلى الله عليه و سلم إلى الشام للمرة الأولى
- ١٥٨ ..... سفره صلى الله عليه و سلم إلى الشام للمرة الثانية
- ١٥٩ ..... تزوجه صلى الله عليه و سلم بخديجة
- ١٦٠ ..... محبة خديجة لرسول الله صلى الله عليه و سلم و محبته لها
- ١٦٠ ..... عدد أزواجه و سراريه صلى الله عليه و سلم
- ١٦١ ..... عدد أولاده صلى الله عليه و سلم
- ١٦١ ..... كيفية بدء الوحي
- ١٦٢ ..... كيفية نزول الوحي و نزول القرآن
- ١٦٤ ..... دعوة النبي صلى الله عليه و سلم لعبادة الله تعالى سرا
- ١٦٥ ..... الجهر بالدعوة
- ١٦٦ ..... حصار النبي صلى الله عليه و سلم بشعب على بسوق الليل بمكة
- ١٦٧ ..... نقض الصحيفة التي كتبها كفار قريش
- ١٦٧ ..... بعض ما لقيه رسول الله صلى الله عليه و سلم من التعب و المشقة في سبيل الدعوة إلى الله تعالى
- ١٦٩ ..... القصيدة الشعبية
- ١٧١ ..... جدول الحوادث الواقعة في سنوات الهجرة
- ١٧٢ ..... ابتداء مرضه صلى الله عليه و سلم
- ١٧٣ ..... وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم
- ١٧٤ ..... سورة النصر و نزولها بمنى في حجة الوداع
- ١٧٥ ..... فصل في وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم
- ١٧٦ ..... ابتداء مرضه صلى الله عليه و سلم الذي قبض فيه
- ١٨١ ..... [حالة الصحابة حينما سمعوا بموت رسول الله صلى الله عليه و سلم]
- ١٨٣ ..... [اشتغال الناس بإقامة خليفة ثم بغسل رسول الله صلى الله عليه و سلم و دفنه]

- ١٨٦ ..... حكممة دفنه صلى الله عليه و سلم فى اللحد
- ١٨٨ ..... [بعض ما قاله الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى رثائه صلى الله عليه و سلم]
- ١٨٩ ..... رثاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه و سلم
- ١٩٠ ..... حزن الصحابة رضى الله تعالى عنهم و بكائهم من غير صوت و لا نواح على رسول الله صلى الله عليه و سلم حين موته
- ١٩٤ ..... ما يؤخذ من مرضه و وفاته صلى الله عليه و سلم من الأمور
- ١٩٦ ..... حكممة تأخير دفنه صلى الله عليه و سلم
- ١٩٦ ..... نبذة عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه و سلم العظيمة و سيرته العطرة
- ١٩٨ ..... ما يمتاز به نبينا محمد صلى الله عليه و سلم عن باقى الأنبياء عليهم الصلاة و السلام
- ٢٠١ ..... معجزاته صلى الله عليه و سلم
- ٢٠٢ ..... نبذة من أخلاقه صلى الله عليه و سلم
- ٢٠٤ ..... ذكر شىء مما اختص به رسول الله صلى الله عليه و سلم
- ٢٠٦ ..... نبذة من صفاته و شمائله صلى الله عليه و سلم
- ٢٠٨ ..... معنى بعض الألفاظ الواردة هنا:
- ٢٠٨ ..... اشارة
- ٢٠٩ ..... ما قاله الأستاذ الرافعى فى صفته صلى الله عليه و سلم
- ٢٠٩ ..... ما قاله الأستاذ الرافعى فى بلاغته صلى الله عليه و سلم
- ٢١٠ ..... تواضع النبى صلى الله عليه و سلم فى مزاحه مع أصحابه
- ٢١٤ ..... حسن معاشره النبى صلى الله عليه و سلم لأهله (و فيه حديث أم زرع)
- ٢١٧ ..... مقصورة قبر النبى صلى الله عليه و سلم
- ٢١٩ ..... الروضة الشريفة
- ٢٢٠ ..... صفة بيته صلى الله عليه و سلم
- ٢٢١ ..... إشراق الدنيا بولادته صلى الله عليه و سلم
- ٢٢٤ ..... تحقيق ميلاد النبى صلى الله عليه و سلم
- ٢٣٠ ..... وصف رضاعته صلى الله عليه و سلم

- ٢٣٥ ..... محمد صلى الله عليه و سلم المثل الأعلى فى الأنبياء
- ٢٤٠ ..... تعبد النبى صلى الله عليه و سلم قبل البعث
- ٢٤٢ ..... موضع ولادة النبى صلى الله عليه و سلم
- ٢٤٣ ..... ترجمة الشيخ عباس القطان
- ٢٤٤ ..... موضع ولادة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم بمكة
- ٢٤٥ ..... تكية السيدة فاطمة رضى الله عنها
- ٢٤٥ ..... موضع ولادة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه
- ٢٤٥ ..... انشقاق القمر
- ٢٤٨ ..... قصة أصحاب الفيل
- ٢٤٨ ..... صفة بناء كنيسة القليس
- ٢٥٠ ..... خروج أبرهة بالفيل لهدم الكعبة
- ٢٥٦ ..... بيت برمك
- ٢٥٦ ..... بيت غطفان
- ٢٥٦ ..... وصف قصة الفيل
- ٢٥٩ ..... نطق فيل أبرهة لعبد المطلب
- ٢٦١ ..... مسرحية شعريه فى هلاك أصحاب الفيل
- ٢٦١ ..... اشارة
- ٢٦١ ..... المشهد الأول
- ٢٦٣ ..... المشهد الثانى
- ٢٦٣ ..... تراجم بعض من تقدم ذكرهم فى السيرة النبوية
- ٢٦٣ ..... اشارة
- ٢٦٣ ..... وفاة عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه و سلم
- ٢٦٤ ..... ترجمة أبى طالب و أولاده
- ٢٦٤ ..... اشارة

- ٢٦٤ ..... كفالة أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه و سلم
- ٢٦٥ ..... وفاة أبي طالب
- ٢٦٦ ..... ترجمة أم هانئ بنت أبي طالب
- ٢٦٦ ..... ترجمة عقيل بن أبي طالب
- ٢٦٦ ..... ترجمة العباس بن عبد المطلب
- ٢٧٠ ..... ترجمة أبي جهم بن حذيفة القرشي
- ٢٧١ ..... ترجمة حكيم بن حزام
- ٢٧٢ ..... الإسراء و المعراج
- ٢٧٢ ..... اشارة
- ٢٧٦ ..... قصة الإسراء و المعراج "نقلا من تاريخ الخميس"
- ٢٧٦ ..... عام الإسراء
- ٢٧٧ ..... شهر الإسراء و يومه و ليلته
- ٢٧٧ ..... الموضوع الذي كان منه الإسراء
- ٢٧٨ ..... الاختلاف في الإسراء هل كان بالروح أو بالجسد
- ٢٧٩ ..... شق صدر النبي صلى الله عليه و سلم
- ٢٨٠ ..... وصف البراق الذي ركبته صلى الله عليه و سلم ليلة الإسراء
- ٢٨٠ ..... ركوب النبي صلى الله عليه و سلم البراق و وصوله بيت المقدس
- ٢٨١ ..... عروج النبي صلى الله عليه و سلم إلى السماء
- ٢٨٢ ..... وصول النبي صلى الله عليه و سلم إلى البيت المعمور
- ٢٨٣ ..... وصول النبي صلى الله عليه و سلم إلى الحجاب
- ٢٨٣ ..... [عدد مراكزه صلى الله عليه و سلم ليلة الإسراء]
- ٢٨٤ ..... مناجاة الله تعالى مع عبده و رسوله
- ٢٨٤ ..... رؤية النبي صلى الله عليه و سلم ربه تعالى عز و جل
- ٢٨٥ ..... مراجعة موسى لنبينا محمد عليهما الصلاة و السلام بشأن الصلوات التي فرضت

- ٢٨٦ ..... مقدار مدة غيابه صلى الله عليه و سلم فى الإسراء و المعراج
- ٢٨٧ ..... إنكار المشركين للإسراء و المعراج
- ٢٨٧ ..... سؤال قريش النبى صلى الله عليه و سلم عما رآه فى طريق الإسراء
- ٢٨٨ ..... تحقيق موضع دار أم هانئ بمكة
- ٢٩١ ..... فضل سيدنا إبراهيم و سيدنا موسى على الأمة المحمدية
- ٢٩٢ ..... ترجمة خليل الله إبراهيم عليه الصلاة و السلام
- ٢٩٢ ..... ترجمة موسى عليه الصلاة و السلام
- ٢٩٣ ..... ما بين موسى عليه السلام و فرعون
- ٢٩٤ ..... ذكر حج موسى عليه الصلاة و السلام
- ٢٩٥ ..... معرفة كيفية الصلوات الخمس
- ٢٩٦ ..... الاستنتاج من قصة الإسراء و المعراج
- ٣٠٢ ..... الكلام على رؤية النبى صلى الله عليه و سلم ربه عز و جل
- ٣٠٥ ..... خلاصة ما ورد فى كتاب الشفاء من الأقوال فى الرؤية
- ٣٠٥ ..... هجرة النبى صلى الله عليه و سلم من مكة إلى المدينة
- ٣٠٩ ..... ترجمة أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها
- ٣١٠ ..... عود إلى هجرة النبى صلى الله عليه و سلم
- ٣١٣ ..... ما لقيه رسول الله صلى الله عليه و سلم من التعب فى طريقه إلى الغار
- ٣١٤ ..... وقت الخروج من الغار و السفر إلى المدينة
- ٣١٥ ..... خروج النبى صلى الله عليه و سلم و أبى بكر من الغار
- ٣١٨ ..... [قصتهما مع أم معبد]
- ٣٢١ ..... استقبال أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم
- ٣٢٢ ..... تاريخ الهجرة
- ٣٢٥ ..... انتقاله صلى الله عليه و سلم من قباء إلى داخل المدينة
- ٣٢٨ ..... [نزوله صلى الله عليه و سلم فى دار أبى أيوب الأنصارى] رضى الله تعالى عنه

- ٣٢٩ ..... ترجمة أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه
- ٣٣٠ ..... إتيان رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى مسجد قباء و فضل الصلاة فيه
- ٣٣٢ ..... أحكام الهجرة
- ٣٣٢ ..... اشارة
- ٣٣٨ ..... حكم إقامة المهاجر بمكة بعد انقضاء النسك
- ٣٤١ ..... ترجمة أبي بكر الصديق رضى الله عنه
- ٣٤٣ ..... فضل أبي بكر رضى الله عنه
- ٣٤٤ ..... فتح مكة المكرمة و هو الفتح الأعظم
- ٣٤١ ..... ترجمة عتاب بن أسيد رضى الله عنه
- ٣٤١ ..... ذكر من أهدر النبي صلى الله عليه و سلم دمهم يوم الفتح
- ٣٤١ ..... جدول أسماء الرجال الذين أهدر النبي صلى الله عليه و سلم دمهم يوم الفتح
- ٣٤٤ ..... ذكر النساء الست اللاتي أهدر دمهن
- ٣٤٤ ..... منزل النبي صلى الله عليه و سلم بمكة عام الفتح بعد الهجرة
- ٣٤٥ ..... موضع نزول النبي صلى الله عليه و سلم بمكة و منى و مزدلفة و عرفات
- ٣٤٩ ..... معنى حديث: «و هل ترك لنا عقيل منزلا»
- ٣٧١ ..... ترجمة عقيل بن أبي طالب
- ٣٧٢ ..... فضل مكة المشرفة
- ٣٧٣ ..... امتياز مكة عن سائر البلدان
- ٣٧٤ ..... الآيات و الأخبار الواردة في فضل مكة
- ٣٧٨ ..... أهل مكة أدرى بشعابها
- ٣٧٩ ..... أهل مكة أهل الله عز شأنه
- ٣٨١ ..... فضل مكة المكرمة على المدينة المنورة
- ٣٨٢ ..... فضل مكة لمؤلف هذا الكتاب
- ٣٨٤ ..... مكانة أهل مكة بين جميع الأمم

- ٣٨٤ ..... مكانة المساجد الثلاثة لدى المسلمين
- ٣٨٥ ..... بعض ما قيل في المساجد الثلاثة
- ٣٨٥ ..... أول من لقب بخادم الحرمين
- ٣٨٦ ..... عادة العرب في إصلاح ذات البين في الحجاز
- ٣٨٧ ..... أول من عمل مواسير المياه من العرب بمكة المكرمة
- ٣٨٧ ..... معنى مكة و معنى بكة
- ٣٨٨ ..... المراد بوادي إبراهيم
- ٣٨٨ ..... الكلام على قوله تعالى: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ... الآية
- ٣٩١ ..... بيان فضل أهل مكة من الآية الآتية
- ٣٩٢ ..... حكمة جعل مكة كثيرة الألبان و اللحوم
- ٣٩٤ ..... دعاء إبراهيم عليه الصلاة و السلام لأهل مكة بالرزق
- ٣٩٦ ..... مكة و ما فيها من الخيرات
- ٣٩٨ ..... ما يزرع في الحجاز
- ٣٩٩ ..... لماذا لم تكن مكة من أجل البلدان و أغناها
- ٤٠٠ ..... نشأة عبادة الأصنام بمكة
- ٤٠٣ ..... مسح إساف و نائلة في الكعبة و عبادتهما
- ٤٠٥ ..... أول من نصب الأصنام في الكعبة
- ٤٠٦ ..... الكلام على أصنام قريش التي كانت حول الكعبة
- ٤١٣ ..... عبادة الأصنام و بيوتها لدى بعض الأمم
- ٤١٦ ..... المحتويات
- ٤٢٣ ..... [الجزء الثاني]
- ٤٢٣ ..... اشارة
- ٤٢٣ ..... مكة في عهد إبراهيم عليه الصلاة و السلام
- ٤٢٤ ..... مكة في الجاهلية و الإسلام

- ٤٢٥ ..... مكة في عهد قريش
- ٤٢٥ ..... اشارة
- ٤٢٦ ..... بناء البيوت و تبويبها:
- ٤٣٣ ..... مكة في عهد النبي صلى الله عليه و سلم
- ٤٣٣ ..... اشارة
- ٤٣٤ ..... النواحي العامة بمكة في العهد النبوى
- ٤٣٦ ..... بعض ما قيل في حق مكة و المشاعر
- ٤٤٨ ..... تذكرو النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه مكة بعد الهجرة
- ٤٤٨ ..... الوطن، لشوقى بك
- ٤٥٣ ..... مدخل مكة المشرفة
- ٤٥٨ ..... سور مكة قديما
- ٤٦٠ ..... تقسيم قصى أمور مكة
- ٤٦٣ ..... دار الندوة
- ٤٦٣ ..... اشارة
- ٤٦٣ ..... بناء دار الندوة
- ٤٦٦ ..... التحقيق عن موضع دار الندوة
- ٤٦٧ ..... أول دار بنيت بمكة
- ٤٦٨ ..... بدء بناء البيوت بمكة
- ٤٦٨ ..... اشارة
- ٤٧٠ ..... دار العباس بن عبد المطلب
- ٤٧٠ ..... دار أبى سفيان بمكة
- ٤٧١ ..... اتخاذ دار أبى سفيان مستشفى
- ٤٧٢ ..... دار الأرقم
- ٤٧٥ ..... [قصة إسلام عمر]



- ٤٧٧ ..... ترجمة الخيزران أم الرشيد
- ٤٧٨ ..... حرم مكة و أنصابه
- ٤٨٠ ..... وضع أنصاب الحرم
- ٤٨١ ..... أسماء من وضع أنصاب الحرم و أعلامها
- ٤٨٣ ..... جدول بأسماء من جدد أنصاب الحرم
- ٤٨٤ ..... أعلام حدود الحرم
- ٤٨٤ ..... المسافات بين المسجد الحرام و أنصاب الحرم
- ٤٨٨ ..... فضل الحرم و خصائصه و تعظيمه
- ٤٩١ ..... تعظيم الحرم الشريف
- ٤٩٥ ..... بعض ما ورد فى القرآن الكريم فى فضل المسجد الحرام
- ٤٩٥ ..... اشارة
- ٤٩٧ ..... الكلام على قوله تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ... الآية
- ٤٩٩ ..... زيادة التأمل
- ٥٠٠ ..... فائدة مهمة
- ٥٠٠ ..... حساب أوائل الشهور العربية
- ٥٠١ ..... مواقيت الصلاة و ارتباطها باليوم العربى و اليوم الإفرنجى
- ٥٠١ ..... (مثال اليوم العربى): يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٤ هجرية
- ٥٠١ ..... اشارة
- ٥٠٢ ..... (مثال اليوم الإفرنجى): يوم الاثنين ٨ نوفمبر سنة ١٩٥٤ ميلادية
- ٥٠٢ ..... علة تسمية الجهات الأربعة
- ٥٠٤ ..... جهات المصلين إلى القبلة فى جميع البلدان
- ٥٠٥ ..... أول ظهور بعض الأشياء بمكة المكرمة
- ٥٠٧ ..... تجارة قريش فى الجاهلية و صدر الإسلام
- ٥٠٧ ..... النهوض بالصناعات بمكة المكرمة

- ٥٠٨ ..... اشارة
- ٥٠٨ ..... الحياة الاقتصادية لمكة المكرمة
- ٥١٠ ..... مصانع الحجاز للصاج
- ٥١٠ ..... مصنع البوقرى للبلستيك
- ٥١٠ ..... صناعات أخرى
- ٥١١ ..... الغرفة التجارية
- ٥١١ ..... الحرف و الصناعات بمكة المكرمة
- ٥١٤ ..... صناعة النجارة الفنية بمكة
- ٥١٤ ..... صناعة التنجيد بمكة
- ٥١٥ ..... صناعة الحصر و الزنابيل و المراوح الخوص بمكة
- ٥١٥ ..... صناعة الشراب أى القلل
- ٥١٥ ..... صناعة الحلاوة الطحينية بمكة
- ٥١٦ ..... استخراج زيت السمسم بمكة
- ٥١٦ ..... طحن الحبوب بالرحى بمكة
- ٥١٦ ..... وجود الأفران لعمل الخبز بمكة
- ٥١٧ ..... صناعة القدور و الأواني النحاسية بمكة
- ٥١٧ ..... تجار الساعات بمكة المكرمة
- ٥١٩ ..... الكتيبة بمكة المكرمة
- ٥١٩ ..... منجر الأخشاب بمكة المكرمة
- ٥٢١ ..... المصوراتية بمكة المكرمة
- ٥٢٢ ..... الآلات الكاتبة بمكة المكرمة
- ٥٢٢ ..... مصانع الثلج بمكة المكرمة
- ٥٢٣ ..... الكاكولا بمكة المكرمة و غيرها من المشروبات الحلوة اللذيذة
- ٥٢٤ ..... مصنع الحلويات بمكة المكرمة

- ٥٢٤ ..... الصياغة بمكة المكرمة
- ٥٢٥ ..... مزارع الدواجن بمكة المكرمة
- ٥٢٥ ..... زيت المازولا بمكة المكرمة
- ٥٢٦ ..... صالونات الحلاقة بمكة المكرمة
- ٥٢٦ ..... الدجاج الخارجى بمكة المكرمة
- ٥٢٧ ..... الحوت و السمك الطرى بمكة المكرمة
- ٥٢٨ ..... كثرة الأسفار إلى خارج بلادنا
- ٥٢٩ ..... المكتبات العامة بمكة المكرمة
- ٥٢٩ ..... الأربطة بمكة المكرمة
- ٥٣٠ ..... الحمامات بمكة المكرمة
- ٥٣٠ ..... القهاوى التى بمكة
- ٥٣٢ ..... نقل الحلقة التى بالمعلا إلى جهة جرول
- ٥٣٣ ..... بدء ظهور المطابع و وجودها بمكة المكرمة
- ٥٣٥ ..... الجرائد و المجلات بمكة المكرمة
- ٥٣٩ ..... إنارة مكة المكرمة بالكهرباء
- ٥٣٩ ..... ظهور بوليس النجدة بمكة المكرمة
- ٥٣٩ ..... الإطفاء بمكة المكرمة
- ٥٤٠ ..... البريد و التلغراف و التليفون بمكة المكرمة
- ٥٤٠ ..... البريد و تطوره بمكة المكرمة
- ٥٤٣ ..... البريد فى مكة
- ٥٤٤ ..... التلغراف بمكة المكرمة
- ٥٤٥ ..... التليفونات بمكة المكرمة
- ٥٤٦ ..... عدد التليفونات بمكة المكرمة
- ٥٤٦ ..... البنوك بمكة المكرمة

- ٥٤٧ ..... اشارة
- ٥٤٧ ..... عدد البنوك
- ٥٤٧ ..... أعمال هذا البنك:
- ٥٤٨ ..... عدد نزول المطر فى سنة ١٣٨٥ بمكة
- ٥٤٩ ..... الأمطار بمكة فى سنة ١٣٨٦ هجرية
- ٥٤٩ ..... جوازات السفر و رخص الإقامات و إحصاء النفوس بمكة المكرمة
- ٥٥١ ..... استعمال الحطب و الفحم و غيرهما بمكة
- ٥٥١ ..... أول مصحف يطبع بمكة المكرمة
- ٥٥٢ ..... الفنادق فى الحجاز
- ٥٥٢ ..... الفنادق بمكة المكرمة
- ٥٥٤ ..... أسماء الحارات و المحلات بمكة قديما و حديثا
- ٥٥٥ ..... استعمال أقلام الجيب فى الحجاز
- ٥٥٥ ..... استعمال الآلات الكاتبة فى الحجاز
- ٥٥٦ ..... أول من فرض العشور بمكة
- ٥٥٦ ..... ذكر المكوس و العشور و إبطالها
- ٥٦١ ..... إحصاء الحجاج القادمين إلى مكة المشرفة فى بعض الأعوام
- ٥٦١ ..... اشارة
- ٥٦٢ ..... إحصاء الحجاج لعام ١٣١٥ هـ
- ٥٦٣ ..... إحصاء الحجاج لعام ١٣١٦ هـ
- ٥٦٧ ..... إحصاء الحجاج فى سنة (١٣٧٣) هجرية
- ٥٦٩ ..... أسباب قلة الحجاج و كثرتهم
- ٥٧١ ..... إقامة المظلات و القهاوى فى طريق الحج
- ٥٧١ ..... سيول مكة العظيمة
- ٥٧١ ..... اشارة

- ٥٧٢ ..... جدول سيول مكة
- ٥٧٧ ..... مجرى السيل بمكة
- ٥٧٨ ..... عمل السدود بمكة
- ٥٧٨ ..... اشارة
- ٥٧٩ ..... ١- سد خزاعة
- ٥٧٩ ..... ٢- سد عمر رضى الله عنه
- ٥٨٠ ..... ٣- سد ابن الزبير
- ٥٨٠ ..... ٤- سد معاوية بن أبى سفيان
- ٥٨٠ ..... ٥- سد عبد الملك بن مروان
- ٥٨١ ..... ٦- سد الحجاج بن يوسف
- ٥٨١ ..... ٧- سد خالد بن عبد الله القسرى
- ٥٨٢ ..... ٨- سد أجياد
- ٥٨٢ ..... المدغا و فيه ردم عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمنع السيول عن المسجد الحرام
- ٥٨٤ ..... ذكر بعض البساتين الموجودة بمكة المكرمة
- ٥٨٥ ..... وصف بستان الشريف عون بمكة
- ٥٨٧ ..... الحجارات الطوال التى كانت بباب السلام سابقا
- ٥٨٨ ..... حمام الحرم
- ٥٨٨ ..... اشارة
- ٥٩٠ ..... ما جاء فى كتاب الرحلة الحجازية عن حمام الحرم أيضا
- ٥٩٢ ..... وقوع الحمام على الكعبة المعظمة
- ٥٩٣ ..... تنظيف المسجد الحرام من الحمام
- ٥٩٥ ..... رمز الحمام
- ٥٩٦ ..... عدد المستشفيات بمكة المكرمة
- ٥٩٧ ..... جمعية الإسعاف بمكة المكرمة

- ٥٩٧ ..... اشارة
- ٥٩٧ ..... نبذة تاريخية
- ٥٩٨ ..... المحجر الصحى و الكورنتينات
- ٦٠٤ ..... أول ظهور الجدرى و الحصبة بأرض الحجاز
- ٦٠٤ ..... التقارير الصحية بنظافة الحج
- ٦٠٥ ..... الجمال و السيارات بمكة المكرمة
- ٦٠٨ ..... المشقات التى كانت تعترض الحجاج سابقا و بيان مسافات الطرق
- ٦٠٩ ..... الطريق من مكة إلى المدينة سابقا
- ٦٠٩ ..... اشارة
- ٦١٠ ..... الطريق الفرعى
- ٦١١ ..... طريق الغاير
- ٦١١ ..... الطريق الشرقى
- ٦١٢ ..... نظام القوافل
- ٦١٣ ..... الطريق المسلوک من مصر إلى مكة
- ٦١٤ ..... معرفة مراحل الحجاز الموصلة إلى مكة المشرفة و المدينة النبوية
- ٦١٦ ..... الطريق من مصر إلى الحرمين قديما و حديثا
- ٦٢٤ ..... كيفية مسير الحجاج من الشام إلى مكة قبل إنشاء الخط الحديدى
- ٦٢٥ ..... سفر الحجيج من المدينة المنورة إلى مصر
- ٦٢٩ ..... المسافات بين مكة و المدن الإسلامية الكبرى
- ٦٢٩ ..... اشارة
- ٦٢٩ ..... جدول المسافات بين مكة و أمهات المدن الإسلامية
- ٦٣٢ ..... بناء البيوت و المقاولات عليها بمكة
- ٦٣٤ ..... بناء الصنادق و العشاش بمكة
- ٦٣٤ ..... من علامات الساعة ظهور بناء البيوت على الجبال المحيطة بالكعبة المعظمة و كثرة وجود المياه بمكة المشرفة

- ٦٣٥ ..... نحت الحجارات من جبال مكة لبناء المنازل
- ٦٣٦ ..... منجم النورة البلدية بمكة المكرمة
- ٦٣٦ ..... صناعة الآجر و مراكن الزرع بمكة
- ٦٣٦ ..... إنارة شوارع مكة بالكهرباء
- ٦٣٧ ..... عدم مرور الطائرات من هواء مكة
- ٦٣٧ ..... مكة المكرمة و ما فيها من النعم و البضائع
- ٦٣٨ ..... صلاة الجمعة في المسجد الحرام
- ٦٤٠ ..... الصلاة في الطابق الأعلى من المسجد الحرام
- ٦٤١ ..... افتتاح طريق الطائف من جبل كرا بعد إصلاحه و سفلته لأول مرة في التاريخ
- ٦٤٢ ..... تاريخ الإذاعة السعودية
- ٦٤٢ ..... اشارة
- ٦٤٤ ..... قصيدة في تحية دار الإذاعة
- ٦٤٥ ..... وصف الحاكي أي "الفنوغراف"
- ٦٤٦ ..... ظهور التلفزيون
- ٦٤٦ ..... الميكرفون في المسجد الحرام
- ٦٤٧ ..... الجبال و فوائدها و ألوانها
- ٦٤٨ ..... وصف الصحراء
- ٦٥٠ ..... ذكر بعض أشهر جبال مكة
- ٦٥٠ ..... اشارة
- ٦٥٢ ..... جبل أبي قبيس و ارتفاعه ٤٢٠ مترا
- ٦٥٤ ..... جبل قعيقعان (أى جبل هندي)
- ٦٥٥ ..... الدور التي بقعيقعان لابن الزبير
- ٦٥٦ ..... جبل عمر
- ٦٥٦ ..... جبل ثور

- ٦٥٦ ..... اشارة
- ٦٦٢ ..... باب غار ثور و توسيعه
- ٦٦٦ ..... جبل ثبير
- ٦٦٨ ..... جبل خندمة
- ٦٦٩ ..... ثنية كداء
- ٦٧٠ ..... ثنية كدى
- ٦٧٢ ..... جبل حراء
- ٦٧٦ ..... عدد السماوات و الأرضين
- ٦٨٠ ..... خلق موضع الكعبة
- ٦٨١ ..... بنايات الكعبة المعظمة
- ٦٨١ ..... الدليل على بناء الكعبة قبل إبراهيم عليه الصلاة و السلام
- ٦٨١ ..... اشارة
- ٦٨٣ ..... البناءة الأولى: بناء الملائكة عليهم السلام الكعبة
- ٦٨٤ ..... البناءة الثانية: بناء آدم عليه السلام الكعبة
- ٦٨٤ ..... اشارة
- ٦٨٧ ..... ما جاء فى حج آدم عليه الصلاة و السلام
- ٦٨٨ ..... مقدار طول آدم عليه السلام
- ٦٩٠ ..... قبر أمنا حواء بجدة
- ٦٩١ ..... أمر الكعبة بين نوح و إبراهيم عليهما الصلاة و السلام
- ٦٩٢ ..... نبذة عن ترجمة إبراهيم خليل الله عليه الصلاة و السلام
- ٦٩٣ ..... فضل إبراهيم الخليل على الأمة المحمدية
- ٦٩٣ ..... نسب إبراهيم عليه السلام و موطنه
- ٧٠٣ ..... البناءة الثالثة: بناء شيث عليه الصلاة و السلام الكعبة
- ٧٠٣ ..... البناءة الرابعة: بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة



- ٧٠٣ ..... اشارة
- ٧٠٤ ..... هجرة إبراهيم إلى مكة لأول مرة
- ٧٠٥ ..... إكرام إبراهيم عليه السلام لزوجته سارة
- ٧٠٨ ..... قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام و بناء الكعبة
- ٧١٤ ..... دعاء إبراهيم لأهل مكة بالأمن و الرزق
- ٧١٥ ..... ذكر حج إبراهيم عليه الصلاة والسلام
- ٧١٦ ..... الخلاصة في كيفية بناء إبراهيم عليه السلام
- ٧١٧ ..... ارتفاع أرض مكة عما كانت عليه قديما
- ٧١٨ ..... مميزات بناء إبراهيم الكعبة
- ٧١٨ ..... ذكر الأنبياء الذين ربتهم أمهاتهم
- ٧٢١ ..... الكلام على زمزم و خروجه لإسماعيل و أمه عليهما الصلاة والسلام
- ٧٢١ ..... اشارة
- ٧٢٣ ..... الكلام على بئر زمزم
- ٧٢٤ ..... حفر عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه و سلم زمزم
- ٧٢٩ ..... أن لا تواليها مع الأقوام
- ٧٢٩ ..... مسرحية شعريّة تمثيلية في قصة عبد المطلب عند إرادته لذبح ولده
- ٧٣٠ ..... اشارة
- ٧٣٠ ..... المشهد الثالث
- ٧٣١ ..... المشهد الرابع
- ٧٣٢ ..... المشهد الخامس
- ٧٣٢ ..... العيون التي في قعر زمزم
- ٧٣٣ ..... فضل ماء زمزم و ميزته
- ٧٣٤ ..... ما جاء في تاريخ الأزرقي عن زمزم
- ٧٣٤ ..... ماء زمزم لا تؤثر فيه الجراثيم و الميكروبات

- ٧٣٨ ..... التطلع من ماء زمزم
- ٧٤١ ..... بقاء ماء زمزم إلى يوم القيامة
- ٧٤١ ..... تحريم العباس رضى الله تعالى عنه الاغتسال بماء زمزم
- ٧٤٢ ..... سقاية العباس
- ٧٤٤ ..... أول من عمل بابا لزمزم و أعطى مفتاحه لبيت الريس
- ٧٤٥ ..... خلاصة أمر السقاية
- ٧٤٥ ..... تعمير فم بئر زمزم و وضع الشباك فى داخلها بناء تنور بئر زمزم
- ٧٤٧ ..... تعمير فم البئر و وضع شباك فى داخلها
- ٧٤٨ ..... أول من عمل الرخام فى زمزم
- ٧٤٨ ..... قبة بئر زمزم
- ٧٤٩ ..... الغرفة التى بجوار زمزم
- ٧٥٠ ..... وصف بئر زمزم فى عصرنا
- ٧٥١ ..... ما جاء من الأحاديث فى زمزم
- ٧٥٣ ..... طعم ماء زمزم
- ٧٥٤ ..... كيفية شرب النبى صلى الله عليه و سلم من ماء زمزم
- ٧٥٦ ..... ميزة ماء زمزم
- ٧٥٦ ..... الحكايات الواردة عن بعض الناس عن شربهم لماء زمزم
- ٧٥٨ ..... إهداء ماء زمزم
- ٧٥٨ ..... أسماء زمزم
- ٧٥٩ ..... غور زمزم و قياس ذرعه
- ٧٦٠ ..... ذرع بئر زمزم
- ٧٦١ ..... الحفر فى قعر زمزم إذا قل ماؤها
- ٧٦٢ ..... حوض زمزم فى عهد ابن عباس
- ٧٦٢ ..... حلاوة زمزم

- ٧٦٤ ..... عدم فيض زمزم ليلة نصف شعبان
- ٧٦٥ ..... حكم بئر زمزم و حريمها هل هي من المسجد الحرام أم لا
- ٧٦٥ ..... اشارة
- ٧٦٥ ..... جواب الشيخ محمد بن عبد الله الطبرى الشافعى
- ٧٦٥ ..... جواب الشيخ عبد العزيز الزمزمى الشافعى
- ٧٦٦ ..... جواب الشيخ عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد الحنفى
- ٧٦٦ ..... جواب الشيخ أبى السعود بن على الزمزمى المالكى
- ٧٦٦ ..... جواب مفتى الأحناف الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن سراج
- ٧٦٧ ..... جواب مفتى الشافعية السيد عبد الله بن السيد محمد صالح الزواوى
- ٧٦٨ ..... جواب مفتى المالكية الشيخ عابد بن حسين المالكى
- ٧٦٩ ..... حجر إسماعيل عليه الصلاة و السلام
- ٧٦٩ ..... اشارة
- ٧٧٢ ..... حكم حجر إسماعيل فى الطواف
- ٧٧٣ ..... الجلوس فى الحجر و فى المطاف
- ٧٧٣ ..... قياس حجر إسماعيل بالأمتار
- ٧٧٤ ..... قياس حجر إسماعيل بالأذرع
- ٧٧٤ ..... كسوة حجر إسماعيل
- ٧٧٥ ..... فرش حجر إسماعيل بالبلاط
- ٧٧٥ ..... المدفونون فى حجر إسماعيل
- ٧٧٧ ..... مكان الدفن فى الحجر
- ٧٧٨ ..... قبر إسماعيل عليه الصلاة و السلام فى الحجر
- ٧٧٩ ..... المحتويات
- ٧٨٧ ..... ملحق الصور
- ٧٨٧ ..... المجلد الثانى

- ٧٨٧ ..... [الجزء الثالث]
- ٧٨٧ ..... عمارات حجر إسماعيل
- ٧٨٧ ..... اشارة
- ٧٨٩ ..... الرخامة الخضراء التي بالحجر
- ٧٩١ ..... نقش أرضية حجر إسماعيل
- ٧٩٢ ..... الكتابة التي في أعلى جدار الحجر
- ٧٩٣ ..... الحطيم و حجر إسماعيل و ما كتب عليه
- ٧٩٤ ..... بيان جبهة بيت المقدس
- ٧٩٥ ..... الرخامات الصفر التي على الشاذروان
- ٧٩٥ ..... البناية الخامسة و السادسة: بناء جرهم و العمالقة الكعبة
- ٧٩٦ ..... اشارة
- ٧٩٦ ..... الكعبة في عهد خزاعة
- ٧٩٧ ..... البناية السابعة: بناء قصي بن كلاب الكعبة
- ٧٩٧ ..... ترجمة قصي بن كلاب
- ٧٩٩ ..... البناية الثامنة: بناء قريش الكعبة
- ٧٩٩ ..... اشارة
- ٨٠٤ ..... وضع رسول الله صلى الله عليه و سلم الحجر الأسود بيده في محلة الكعبة
- ٨٠٨ ..... الخلاصة في كيفية بناء قريش
- ٨٠٩ ..... مميزات بناء قريش
- ٨٠٩ ..... ترجمة الوليد بن المغيرة المخزومي
- ٨١٠ ..... ترجمة قريش
- ٨١١ ..... ترجمة باقوم الرومي
- ٨١٧ ..... البناية التاسعة: بناء عبد الله بن الزبير الكعبة
- ٨١٧ ..... اشارة

- ٨١٧ ..... حرب ابن الزبير رضى الله عنه
- ٨١٨ ..... حرب ابن الزبير و قتله
- ٨١٩ ..... الحرب بالمنجنيق
- ٨٢٠ ..... الحرب بالدبابات
- ٨٢٠ ..... بناء ابن الزبير الكعبة
- ٨٢٣ ..... بكاء عبد الله بن عمرو بن العاص على احتراق الكعبة
- ٨٢٨ ..... سبب بناء ابن الزبير الكعبة على قواعد إبراهيم
- ٨٢٨ ..... ما جاء فى صحيح مسلم عن بناء ابن الزبير و الحجاج الكعبة
- ٨٢٩ ..... ابتداء هدم الكعبة و انتهاء بنائها فى عهد ابن الزبير
- ٨٣٠ ..... باب الكعبة الغربى
- ٨٣٢ ..... حكم استقبال القبلة عند هدم الكعبة المشرفة
- ٨٣٢ ..... الخلاصة فى كيفية بناء ابن الزبير
- ٨٣٤ ..... مميزات بناء ابن الزبير
- ٨٣٤ ..... أنين الكعبة من ضرب المنجنيق فى عهد ابن الزبير رضى الله تعالى عنه
- ٨٤١ ..... ترجمة عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما
- ٨٤٦ ..... اختلاف العلماء فى بعض المسائل الدينية
- ٨٤٨ ..... اختلاف الناس فى بعض الأمور الحيوية
- ٨٤٩ ..... الاختلاف فى استعمال السكة الحديدية
- ٨٤٩ ..... الاختلاف فى استعمال البخار فى الأسطول
- ٨٤٩ ..... الاختلاف فى استعمال التدفئة و أنابيب الماء و تشييد المنازل العالية
- ٨٤٩ ..... الاختلاف فى استعمال الشوكه و السكين فى الأكل
- ٨٥٠ ..... الاختلاف فى لبس البنطلونات
- ٨٥٠ ..... الاختلاف فى استعمال النظارات
- ٨٥٠ ..... الاختلاف فى استعمال أحواض الاغتسال

- الاختلاف فى استعمال المطابع ..... ٨٥٠
- الاختلاف فى أكل الملح و الموز و البطاطس و الطماطم ..... ٨٥١
- الاختلاف فى قبول البنات فى المدارس ..... ٨٥١
- الاختلاف فى استعمال الكهرباء ..... ٨٥١
- الاختلاف فى استعمال السيارات و العربات ..... ٨٥١
- الاختلاف فى استعمال الشمسية ..... ٨٥٢
- الاختلاف فى استعمال الصابون ..... ٨٥٢
- الاختلاف فى بناء برج إيفل بباريس ..... ٨٥٢
- الاختلاف فى الانتقال من الأحياء القديمة ..... ٨٥٣
- الاختلاف فى تعليم البنات ..... ٨٥٣
- البنائة العاشرة: بناء الحجاج الثقفى الكعبة ..... ٨٥٣
- اشارة ..... ٨٥٣
- سبب بناء الحجاج الكعبة ..... ٨٥٤
- الخلاصة فى كيفية بناء الحجاج الثقفى ..... ٨٥٥
- ما كان من العمارة فى الجدار الذى بناه الحجاج ..... ٨٥٥
- وجوب الطواف من وراء جدار الحجر ..... ٨٥٦
- مميزات بناء الحجاج ..... ٨٥٦
- ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفى ..... ٨٥٦
- حكاية الحجاج مع الأعرابى ..... ٨٥٨
- نقل الحجاج إلى العراق ..... ٨٥٨
- حكاية الحجاج مع الغضبان ..... ٨٦٠
- البنائة الحادية عشرة: بناء السلطان مراد الرابع الكعبة ..... ٨٦١
- اشارة ..... ٨٦١
- الخلاصة فى كيفية بناء السلطان مراد الرابع ..... ٨٦٢

- ٨٦٢ ..... مميزات بناء السلطان مراد
- ٨٦٣ ..... التفصيلات الوافية عن بناء السلطان مراد الرابع للكعبة
- ٨٦٤ ..... حزام الكعبة الذى أرسله السلطان أحمد خان
- ٨٦٧ ..... صورة الاستفتاء الذى قدمه رضوان آغا لعلماء مكة الأعلام
- ٨٦٧ ..... جواب الشيخ أحمد بن محمد آق شمس الدين المدرس الحنفى
- ٨٦٧ ..... جواب الشيخ خالد بن أحمد المالكى
- ٨٦٧ ..... جواب السيد زين العابدين بن عبد القادر الطبرى الشافعى
- ٨٦٨ ..... صورة الاستفتاء الذى قدمه رضوان آغا لعلماء مكة
- ٨٦٨ ..... بخصوص هدم الجدار اليمانى كما ذكره العلامة أيوب صبرى فى مرآة الحرمين
- ٨٦٩ ..... جواب الشيخ خالد بن أحمد المالكى
- ٨٦٩ ..... جواب الشيخ عبد العزيز بن محمد الزمزمى الشافعى
- ٨٦٩ ..... جواب الشيخ أحمد بن محمد آق المدرس
- ٨٧٠ ..... جواب الشيخ عبد الله بن أبى بكر بن ظهيرة القرشى
- ٨٩١ ..... فوائد تتعلق بهذا الباب:
- ٨٩٢ ..... عدد حجرات الكعبة الظاهرة فى هذا البناء
- ٨٩٣ ..... قوة بناية السلطان مراد الرابع للكعبة
- ٨٩٣ ..... ترجمة السلطان مراد الرابع
- ٨٩٤ ..... بيان بأسماء السلاطين من آل عثمان الذين قاموا بتعمير الحرمين الشريفين
- ٨٩٥ ..... رفع الرابطة على قلاع الحرمين
- ٨٩٦ ..... الزمن الذى بين بنايات الكعبة
- ٨٩٦ ..... الجبال التى أخذت منها الحجارة لبناء الكعبة
- ٨٩٨ ..... بقاء الكعبة إلى قيام الساعة
- ٩٠٠ ..... الحجارات الرخام المكتوبة داخل الكعبة
- ٩٠٣ ..... الكتابة الموجودة على عقد باب الكعبة

- ٩٠٣ ..... تحلية الكعبة
- ٩٠٧ ..... الكراسى التى كانت موجودة فى الكعبة
- ٩٠٨ ..... الكعبة المشرفة و هندستها
- ٩١٠ ..... اختلاف بنايات الكعبة و تعميرها
- ٩١٢ ..... صفة أشهر بنايات الكعبة المعظمة كيفية بناء إبراهيم عليه السلام
- ٩١٣ ..... كيفية بناء قريش
- ٩١٤ ..... كيفية بناء ابن الزبير
- ٩١٥ ..... كيفية بناء الحجاج الثقفى
- ٩١٥ ..... اشارة
- ٩١٦ ..... سبب بناء الحجاج الكعبة
- ٩١٦ ..... كيفية عمارة السلطان مراد الرابع
- ٩١٨ ..... منظومة فى صفة أشهر بنايات الكعبة
- ٩١٩ ..... \*\*\* أسماء من بنى الكعبة
- ٩٢٠ ..... صفة بناء إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام الكعبة
- ٩٢٣ ..... صفة بناء قريش الكعبة قبل بعثة النبى صلى الله عليه و سلم بخمس سنين
- ٩٢٤ ..... صفة بناء الحجاج بن يوسف الثقفى الكعبة
- ٩٢٤ ..... صفة بناء السلطان مراد خان الرابع الكعبة و هو البناء الحالى الموجود اليوم
- ٩٢٦ ..... بيان ما وقع من العمارة فى الكعبة المشرفة فى عصرنا الحاضر و ذلك فى عام (١٣٧٧) من الهجرة
- ٩٢٩ ..... (ختام المنظومة بالدعاء)
- ٩٢٩ ..... (ناظم هذه القصيدة)
- ٩٣٠ ..... الحجر الأسود
- ٩٣١ ..... اشارة
- ٩٣٢ ..... أصل الحجر الأسود من الجنة
- ٩٣٤ ..... لون الحجر الأسود



- ٩٣٦ ..... علّة تسمية الركن ب الحجر الأسود
- ٩٣٦ ..... تقبيل الأبدى عند استلام الركن
- ٩٣٨ ..... بقاء الحجر الأسود إلى يوم القيامة
- ٩٣٨ ..... الرد على من يقول بأن الحجر الأسود من النيازك
- ٩٤١ ..... الزحام على تقبيل الحجر الأسود
- ٩٤٢ ..... الترغيب فى استلام الركنين
- ٩٤٣ ..... ما يقال عند استلام الحجر الأسود
- ٩٤٥ ..... فضل الملتزم و الدعاء فيه
- ٩٤٥ ..... الحوادث التى مرت على الحجر الأسود
- ٩٤٨ ..... الرد على من يقول أن القرامطة استبدلوا الحجر الأسود
- ٩٥٠ ..... أصل القرامطة و مذهبهم
- ٩٥٧ ..... المقالة فى أصل هذه الدعوة الملعونة و مبدئها
- ٩٥٩ ..... وضع الأطواق على الحجر الأسود
- ٩٦٠ ..... تطويق الحجر الأسود بالذهب و الفضة
- ٩٦١ ..... المحافظة التامة على قطع الحجر الأسود إن كسر منه شىء
- ٩٦١ ..... شاذروان الكعبة
- ٩٦١ ..... اشارة
- ٩٦٤ ..... حكم الشاذروان بالنسبة للطواف
- ٩٦٥ ..... عدد مرات بناء الشاذروان و إصلاحه
- ٩٦٦ ..... مقياس الشاذروان و عدد حجراته و عدد الحلقات به
- ٩٦٧ ..... الرخامات الصفر التى ب الشذروان
- ٩٧٠ ..... منظومة السيوطى فى موافقات عمر رضى الله عنه
- ٩٧١ ..... ذرع ما بين مقام إبراهيم و بين الكعبة و ما حولها
- ٩٧١ ..... اشارة

- ٩٧٢ ..... صفة المقام
- ٩٧٣ ..... وصفنا ل مقام إبراهيم
- ٩٧٤ ..... موضع المقام
- ٩٧٧ ..... أرجح الأقوال فى موضع المقام
- ٩٧٨ ..... ما ورد فى كتاب شفاء الغرام عن موضع المقام فى الجاهلية و الإسلام
- ٩٨١ ..... وضع المقام فى مكانه الحالى
- ٩٨٢ ..... ترجمة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
- ٩٨٢ ..... اشارة
- ٩٨٤ ..... فضل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
- ٩٨٥ ..... عمر بن الخطاب و بعض أعماله
- ٩٨٦ ..... قتل عمر رضى الله عنه و ما قاله عند موته
- ٩٨٧ ..... ترجمة المطلب بن أبى وداعة السهمى رضى الله تعالى عنه
- ٩٨٨ ..... اهتمام عمر رضى الله عنه بأمر المقام
- ٩٩١ ..... ترجمة عبد الله بن السائب العابدى رضى الله عنه
- ٩٩٢ ..... ذرع مقام إبراهيم
- ٩٩٢ ..... الذهب الذى على مقام إبراهيم
- ٩٩٣ ..... تطويق المقام بالذهب و الفضة
- ٩٩٣ ..... ما ذكره إبراهيم رفعت باشا فى كتابه مرآة الحرمين عن مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام و ما كتب عليه
- ٩٩٥ ..... الأحجار الأثرية المفروشة خلف مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام
- ٩٩٥ ..... التحقيق التام عن موضع المقام
- ٩٩٩ ..... كسوة المقام
- ١٠٠٠ ..... الكسوة العراقية للكعبة
- ١٠٠٠ ..... وجوب صون المقام
- ١٠٠٠ ..... وضع المقام فى مقصورة

- ١٠٠٢----- فواند وضع المقام فى مقصورة .....
- ١٠٠٣----- الرد على من يقول: أن المقام كان مدفونا .....
- ١٠٠٣----- اقتراح المؤلف فى مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام .....
- ١٠٠٤----- الأحجار الثلاثة التى صارت معجزة لرسل الله الثلاثة .....
- ١٠٠٥----- أول تفكير فى تاريخ الإسلام لنقل مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام عن موضعه الأصى .....
- ١٠٠٦----- وضع زجاج على مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام و رفع المقصورة الحديدية التى كانت عليه .....
- ١٠٠٨----- تجديد مقصورة مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام .....
- ١٠١٦----- المصلى الجديد بالمسجد الحرام .....
- ١٠١٦----- قدم أبينا آدم عليه السلام .....
- ١٠١٧----- أقدام إدريس و عيسى عليهما الصلاة و السلام .....
- ١٠١٨----- تغيير سقف الكعبة و ترميمها فى العهد السعودى فى وقتنا الحاضر .....
- ١٠١٨----- اشارة .....
- ١٠١٩----- خلاصة الأمر الملكى للإصلاح .....
- ١٠١٩----- الأخذ فى الأسباب لإصلاح الكعبة .....
- ١٠٢٠----- فتح الكعبة لأخذ القياسات .....
- ١٠٢٠----- البدء فى تجديد السقف الأعلى ل لكعبة .....
- ١٠٢٣----- استبدال المرابيع الخشبية التى بسطح الكعبة بالحديد .....
- ١٠٢٤----- وضع الرخام على سطح الكعبة .....
- ١٠٢٤----- صب الرصاص بين رخام سطح الكعبة .....
- ١٠٢٥----- وضع الرخام فى طنف السطح .....
- ١٠٢٥----- إصلاح فتحة باب الدرج الذى بالسطح .....
- ١٠٢٦----- تجديد السقف الثانى للكعبة مما يلى الأرض .....
- ١٠٢٦----- دهن ما بين السقف بالبوية .....
- ١٠٢٧----- تنقيل جدران الكعبة من الخارج .....

- ١٠٢٨ ..... العمل فى داخل الكعبة و ترميمها
- ١٠٢٩ ..... حضور جلاله الملك السابق سعود إلى الكعبة المشرفة
- ١٠٣١ ..... إصلاح ميزاب الكعبة
- ١٠٣٢ ..... إصلاح جانبى جدار باب الكعبة و عتبتها
- ١٠٣٢ ..... إصلاح درج الكعبة التى فى داخلها
- ١٠٣٢ ..... دهن أعمدة ابن الزبير التى بجوف الكعبة و وصفها
- ١٠٣٤ ..... فرش أرض الكعبة بالرخام
- ١٠٣٤ ..... الانتهاء التام من عمارة الكعبة
- ١٠٣٤ ..... نقل ما فى حجر إسماعيل من الأحجار و الأثرية و الأخشاب
- ١٠٣٥ ..... أسماء المشرفين على العمل و حضورهم يوميا فى الكعبة
- ١٠٣٦ ..... العمال الذين اشتغلوا فى عمارة الكعبة
- ١٠٣٦ ..... كلمة ختام
- ١٠٣٦ ..... الإذاعة تؤدى واجبها من فوق سطح الكعبة المشرفة
- ١٠٣٧ ..... الإذاعة السعودية تسأل مؤلف هذا الكتاب
- ١٠٣٨ ..... دعاء مؤلف هذا الكتاب المذاع من فوق سطح الكعبة
- ١٠٤١ ..... بعض الآيات و التكبيرات التى أذاعها مؤلف هذا الكتاب
- ١٠٤٢ ..... قراءة القرآن و الحديث فى جوف الكعبة (بعد الانتهاء من عمارتها)
- ١٠٤٤ ..... مقاييس الكعبة المشرفة و حدود المطاف قبل التوسعة السعودية و ما يتعلق بهما "مع بيان ارتفاعات بعض جبال مكة"
- ١٠٤٤ ..... إشارة
- ١٠٤٤ ..... قياسات الكعبة المعظمة
- ١٠٤٦ ..... المسافة بين الركن الأسود و اليمانى مثلا:
- ١٠٤٦ ..... طول المسافة بالسلم بالدرج
- ١٠٥١ ..... مقدار الذراع و الميل و الفرسخ و نحوها
- ١٠٥٢ ..... سبب تسمية الميل بالميل

- ١٠٥٣ ..... ابتكارات الرسوم الأربع للكعبة
- ١٠٥٣ ..... شكل الكعبة من الخارج و الداخل
- ١٠٥٥ ..... وصف الكعبة و المسجد الحرام
- ١٠٥٦ ..... و للأديب المكي الشهير الأستاذ سراج الخراز فى الكعبة المشرفة:
- ١٠٥٧ ..... قصيدة أمير الشعراء فى البيت الحرام
- ١٠٥٧ ..... موضع الحطيم
- ١٠٥٨ ..... موضع خزانه الكعبة
- ١٠٥٩ ..... أركان الكعبة المعظمة
- ١٠٦٠ ..... أركان الكعبة الأربعة
- ١٠٦١ ..... الحفرة التى عند باب الكعبة المشرفة
- ١٠٦٥ ..... سد الحفرة و ردمها
- ١٠٦٥ ..... الحجر المكتوب الذى فى داخل الحفرة
- ١٠٦٦ ..... لماذا لم تكن الكعبة قطعة من الجوهر
- ١٠٦٦ ..... تسمية البيت الحرام بالكعبة
- ١٠٦٧ ..... الشمسيات التى كانت توضع على الكعبة
- ١٠٧٠ ..... هدايا الكعبة و معاليقها و أموالها
- ١٠٧٤ ..... ما علق من الصحائف فى الكعبة
- ١٠٧٤ ..... اشارة
- ١٠٧٨ ..... نص الكتاب الذى كتبه محمد بن أمير المؤمنين هارون الرشيد المعلق فى جوف الكعبة
- ١٠٨٠ ..... نص الكتاب الذى كتبه عبد الله بن أمير المؤمنين هارون الرشيد
- ١٠٨١ ..... عقاب المعتدى على مال الكعبة
- ١٠٨٢ ..... حكم التصرف فى مال الكعبة
- ١٠٨٤ ..... التعدى على أموال الكعبة و هداياها
- ١٠٨٧ ..... فضل النظر إلى الكعبة

- ١٠٨٧ ----- فضل الطواف بالبيت الحرام
- ١٠٨٨ ----- هيبة الكعبة و ما يقال عند النظر إليها
- ١٠٨٩ ----- تعظيم الكعبة في الجاهلية
- ١٠٩٣ ----- تطيب الكعبة
- ١٠٩٥ ----- عدم خلو الكعبة من الطائفين
- ١٠٩٧ ----- الطواف في الجاهلية
- ١٠٩٨ ----- الجلوس في الحجر و المطاف في الجاهلية
- ١٠٩٩ ----- استحباب الدخول في الكعبة
- ١١٠١ ----- فضل دخول الكعبة المعظمة
- ١١٠١ ----- آداب دخول الكعبة
- ١١٠٤ ----- الصلاة في داخل الكعبة
- ١١٠٥ ----- صلاة النبي صلى الله عليه و سلم في الكعبة
- ١١٠٦ ----- عدد دخول النبي صلى الله عليه و سلم الكعبة بعد الهجرة
- ١١٠٨ ----- منع بعض الناس عن دخول الكعبة
- ١١٠٩ ----- أخذ الأجرة على دخول الكعبة
- ١١١٠ ----- المواضع التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم حول الكعبة
- ١١١٢ ----- أول من أدار الصفوف حول الكعبة
- ١١١٣ ----- مدة صلاة النبي صلى الله عليه و سلم إلى بيت المقدس
- ١١١٤ ----- أمر الكسوة الخارجية للكعبة المعظمة
- ١١١٤ ----- اشارة
- ١١١٤ ----- القسم الأول: كسوة الكعبة في العصر الجاهلي
- ١١١٤ ----- اشارة
- ١١١٥ ----- ترجمة تبع و هو أسعد الحميري
- ١١١٩ ----- القسم الثاني: كسوة الكعبة في الإسلام

- ١١١٩ ..... القسم الثالث: كسوة الكعبة فى عصر بنى أمية
- ١١٢٠ ..... القسم الرابع: كسوة الكعبة فى عصر العباسيين
- ١١٢٤ ..... القسم الخامس: كسوة الكعبة فى عصر المماليك البحرية و الشراكسة
- ١١٢٤ ..... القسم السادس: كسوة الكعبة فى عهد الدولة العثمانية
- ١١٢٤ ..... اشارة
- ١١٢٩ ..... كسوة الشريف الحسين بن على
- ١١٣١ ..... جدول بيان الأيام التى كانت تكسى فيها الكعبة المعظمة
- ١١٣١ ..... خاتمة مسألة الكسوة
- ١١٣٢ ..... وصف ابن جبير كسوة الكعبة و عدد قطعها
- ١١٣٤ ..... وصف صاحب كتاب "المحمل و الحج" كسوة الكعبة المشرفة
- ١١٣٤ ..... الاحتفال بوصول كسوة الكعبة من الآستانة إلى مصر القاهرة
- ١١٣٤ ..... وصف صاحب كتاب (المحمل و الحج) للاحتفال بمرور الكسوة فى شوارع القاهرة
- ١١٣٥ ..... وصف صاحب كتاب (مرأة الحرمين) للاحتفال بالكسوة فى شوارع القاهرة
- ١١٣٤ ..... إعداد قطر السكة الحديدية للمحمل و ركبته و أمتعته:
- ١١٣٤ ..... اشارة
- ١١٣٧ ..... الاحتفال بخروج المحمل و سفره:
- ١١٣٧ ..... الاحتفال بدخول كسوة الكعبة إلى مكة المشرفة
- ١١٣٧ ..... (الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة)
- ١١٣٩ ..... المحتويات
- ١١٤٨ ..... [الجزء الرابع]
- ١١٤٨ ..... الآيات المكتوبة على حزام الكعبة المشرفة
- ١١٤٩ ..... كتابة أسماء الملوك فى كسوة الكعبة
- ١١٥١ ..... الإسهاد الشرعى بتسليم كسوة الكعبة
- ١١٥٣ ..... حكم التصرف فى كسوة الكعبة

- ١١٥٥ ..... صورة وقفية السلطان خان على كسوة الكعبة
- ١١٥٨ ..... كيفية تركيب كسوة الكعبة عليها
- ١١٥٩ ..... برقع الكعبة المعظمة أى ستارة بابها
- ١١٦٠ ..... خدم الكعبة و أغوات المسجد الحرام
- ١١٦٩ ..... أغوات المسجد الحرام فى عصرنا هذا
- ١١٧٠ ..... مبدأ الرق و الاسترقاق
- ١١٧١ ..... صورة عقد عتق أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم
- ١١٧١ ..... اقتناء الجوارى
- ١١٧٣ ..... بيع الرقيق فى الآستانة
- ١١٧٦ ..... الاسترقاق
- ١١٧٧ ..... إحرام الكعبة فى موسم الحج
- ١١٧٨ ..... تجريد الكعبة من كسوتها عند تجديدها
- ١١٨١ ..... الكلام على من يهدم الكعبة فى آخر الزمان
- ١١٨٢ ..... ستر الكعبة المشرفة بالأخشاب
- ١١٨٣ ..... مقدار ما استعمل من الأخشاب و العواميد لستر الكعبة
- ١١٨٤ ..... عمد نطاق للكعبة المشرفة
- ١١٨٥ ..... ستر الكعبة فى حرب ابن الزبير
- ١١٨٦ ..... ما وجد فى الكعبة من الكتابات القديمة
- ١١٨٧ ..... فرش أرض الكعبة بالرخام
- ١١٨٧ ..... صفة المسامير التى كانت فى مال كعبة
- ١١٨٧ ..... صفة باب الكعبة فى عهد الأزرقى
- ١١٨٨ ..... وجود سقفين للكعبة
- ١١٩٠ ..... كيفية وضع الكسوة على الكعبة الشريفة
- ١١٩٠ ..... تفرقة الرجال عن النساء فى الطواف و فى المسجد الحرام



- ١١٩١ ..... الترغيب فى الحج و العمرة
- ١١٩١ ..... اشارة
- ١١٩٢ ..... أسرار الحج و مزاياه
- ١١٩٤ ..... فضل العمرة
- ١١٩٥ ..... إتيان العمرة فى شهر رجب
- ١١٩٦ ..... العمرة الرجبية
- ١١٩٨ ..... الزيارة الرجبية
- ١١٩٩ ..... وجوب الحج و العمرة
- ١١٩٩ ..... سنن الحج و العمرة فى المذهب الشافعى
- ١٢٠٠ ..... قصيدة أبى نواس فى التلبية
- ١٢٠١ ..... [الميقات الزمانى و المكانى]
- ١٢٠٢ ..... خطب الحج
- ١٢٠٣ ..... دعاء عرفة
- ١٢٠٥ ..... أنواع النسك
- ١٢٠٦ ..... بعض فوائد فى المناسك على المذهب الشافعى
- ١٢٠٧ ..... اقتراح لمؤلف هذا التاريخ
- ١٢٠٨ ..... بعض أحكام الحج و العمرة على المذهب الشافعى
- ١٢١٢ ..... معنى الحج لدى الطوائف المختلفة
- ١٢١٣ ..... لباس الإحرام فى الحج و العمرة
- ١٢١٣ ..... اشارة
- ١٢١٤ ..... الحكمة فى لباس الإحرام بالحج أو بالعمرة
- ١٢١٦ ..... الأصنام التى كانت فى الكعبة أيام الجاهلية
- ١٢١٨ ..... مشروعية الأذان و كيفيته
- ١٢١٨ ..... اشارة

- أذان بلال فوق الكعبة يوم فتح مكة ..... ١٢١٩
- أذان بلال بعد موت النبي صلى الله عليه و سلم ..... ١٢١٩
- عدد المؤذنين لرسول الله صلى الله عليه و سلم ..... ١٢٢٠
- تحسين الصوت بالأذان ..... ١٢٢٣
- الأذان الشرعى ..... ١٢٢٥
- قصة الأذان ..... ١٢٢٦
- المؤذنون و المؤقتون فى المسجد الحرام اليوم ..... ١٢٢٨
- الكعبة المشرفة ..... ١٢٢٨
- درج الكعبة الخارجية الموصلة إلى بطنها ..... ١٢٢٨
- درج الكعبة الداخلية الموصلة إلى سطحها ..... ١٢٣٠
- عدد درج الكعبة التى بداخلها ..... ١٢٣١
- وصف درج الكعبة فى عصرنا ..... ١٢٣٢
- روازن الضوء فى سطح الكعبة ..... ١٢٣٣
- الأعمدة الثلاثة التى بداخل الكعبة ..... ١٢٣٣
- عدد أعواد سقف الكعبة ..... ١٢٣٦
- الإصلاحات و الترميمات فى الكعبة المشرفة ..... ١٢٣٦
- سطح الكعبة و أرضها من الداخل ..... ١٢٣٩
- وصف رخام الكعبة فى عصر ابن جبير ..... ١٢٤٠
- غسل الكعبة المشرفة ..... ١٢٤١
- تلقى الناس لماء المطر تحت ميزاب الكعبة ..... ١٢٤٣
- ميزاب الكعبة و عدده ..... ١٢٤٤
- عمل باب الكعبة المشرفة ..... ١٢٤٧
- عمل قفل و مفتاح لباب الكعبة ..... ١٢٤٩
- و من الحكايات المناسبة لقفل الكعبة و مفتاحه ما يأتى: ..... ١٢٥٠

- ١٢٥٢ ..... الكتابة التي بأعلى باب الكعبة
- ١٢٥٤ ..... انتقال مفتاح الكعبة من شخص لآخر قبل الإسلام
- ١٢٥٧ ..... ترجمة شيبه بن عثمان و عثمان بن طلحه
- ١٢٥٩ ..... تاريخ سدانة الكعبة المشرفة
- ١٢٥٩ ..... اشارة
- ١٢٦٠ ..... السدانة قبل الإسلام
- ١٢٦٠ ..... قصي بن كلاب
- ١٢٦٠ ..... عبد الدار
- ١٢٦١ ..... السدانة في الإسلام
- ١٢٦١ ..... عثمان بن طلحه
- ١٢٦٢ ..... شيبه بن عثمان بن أبي طلحه
- ١٢٦٢ ..... عبد الله بن شيبه الأعجم
- ١٢٦٣ ..... شجرة النسب
- ١٢٦٣ ..... محمد بن زين العابدين
- ١٢٦٤ ..... الطبقة الثانية
- ١٢٦٧ ..... عاداتهم
- ١٢٦٧ ..... ترجمة خالد بن عبد الله القسرى المتقدم ذكره
- ١٢٦٩ ..... كيس مفتاح الكعبة و الكراسى التي كانت في داخلها
- ١٢٧٠ ..... وصف الكرسي الذي في الكعبة في وقتنا الحاضر
- ١٢٧١ ..... مواعيد فتح الكعبة في الجاهلية و الإسلام
- ١٢٧٣ ..... وصف فتح الكعبة و دخول الناس فيها
- ١٢٧٤ ..... الطواف و آدابه و شروطه
- ١٢٧٤ ..... الأذكار المأثورة في الطواف و آدابها
- ١٢٧٧ ..... إباحة بعض الأمور في الطواف

- ١٢٧٨ ..... ذكر الله و قراءة القرآن فى الطواف
- ١٢٧٩ ..... الدعاء و آدابه
- ١٢٨٢ ..... بعض القصائد فى التضرع
- ١٢٨٧ ..... الطواف راكبا و دخول المواشى و الدواب المسجد الحرام
- ١٢٨٩ ..... قياس طوفة واحدة حول الكعبة
- ١٢٩١ ..... عمارة المطاف و فرشاه
- ١٢٩٣ ..... حدود المطاف بالأعمدة و الأساطين ثم إزالتها بتاتا فى عصرنا
- ١٢٩٥ ..... توسعة المطاف لأول مرة فى التاريخ
- ١٢٩٥ ..... مقدار المطافين القديم و الجديد و شكلهما
- ١٢٩٦ ..... الحج
- ١٢٩٦ ..... الحج فى الجاهلية و بعض عادات العرب فيه
- ١٣٠١ ..... إنساء الشهور
- ١٣٠٢ ..... معنى النسيء
- ١٣٠٤ ..... ذكر السنين التى يضرب بها المثل
- ١٣٠٥ ..... أمر الإفاضة فى الجاهلية و الإسلام
- ١٣٠٥ ..... ذكر من حج من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام
- ١٣٠٩ ..... ذكر من حج بالناس من عام فتح مكة إلى عام ثلاثمائة و خمس و ثلاثين من الهجرة
- ١٣١٦ ..... ذكر بعض من حج من الخلفاء و الملوك
- ١٣١٨ ..... حجة الوداع نقلا عن تاريخ الخميس
- ١٣٢٢ ..... حجة الوداع نقلا عن كتاب مرآة الحرمين
- ١٣٣٣ ..... ما فى حجة الوداع من المعانى الجليلة
- ١٣٣٤ ..... خطبة حجة الوداع
- ١٣٣٦ ..... وقفة الجمعة بعرفات
- ١٣٣٧ ..... ذهاب النبى صلى الله عليه و سلم من منى إلى عرفات عن طريق ضب ثم رجوعه منها من طريق المأزمين

- ١٣٣٧ ..... نزول النبي صلى الله عليه و سلم في غار جبل نمره في الحج
- ١٣٣٩ ..... فائده مهمه
- ١٣٤١ ..... تنظيف طريق الحج من اشجار الشوك
- ١٣٤٢ ..... حكم قطع شجر الحرم و نباته
- ١٣٤٥ ..... حكم نقل تراب الحرم و احجاره
- ١٣٤٦ ..... الحوادث الواقعه في الكعبه و المطاف
- ١٣٤٧ ..... الطواف بالبيت عراه
- ١٣٤٩ ..... دخول السيارات إلى المسجد الحرام في زماننا
- ١٣٤٩ ..... ذكر بعض الحوادث المتفرقه
- ١٣٥١ ..... بعض ما حصل بمكه و ما حولها من القتال و النهب
- ١٣٥٧ ..... الأمن و الأمان في العهد السعودي
- ١٣٥٨ ..... بعض الأمور العجيبه التي وقعت بمكه
- ١٣٦٣ ..... ما وقع بمكه من الرخاء و الغلاء و القحط و الوباء
- ١٣٦٦ ..... و مما شاهدناه و رأيناه من الأحوال في مكه المكرمه
- ١٣٦٧ ..... و مما شاهدناه و رأيناه أيضا من الأحوال في مكه المكرمه
- ١٣٦٧ ..... التسعيره و مقاومه الاحتكار
- ١٣٧٠ ..... إبطال المكوس و الجمارك
- ١٣٧٠ ..... المراد بالمسجد الحرام و فضل الصلاة فيه
- ١٣٧٢ ..... مقدار فضل الصلاة في المسجد الحرام بالحساب
- ١٣٧٢ ..... هل تتضاعف السيئات بالحرم أم لا؟
- ١٣٧٣ ..... باب بنى شيبه
- ١٣٧٣ ..... المسافه بين باب بنى شيبه و جبل الرحمه بعرفات
- ١٣٧٤ ..... صلاة الجمعة في المسجد الحرام
- ١٣٧٥ ..... وحى صلاة الجمعة في المسجد الحرام

- ١٣٧٨ ..... كيفية الخطبة في المسجد الحرام
- ١٣٨١ ..... منبر المسجد الحرام
- ١٣٨٣ ..... اتخاذ المنبر لرسول الله صلى الله عليه و سلم
- ١٣٨٥ ..... حنين الجذع
- ١٣٨٦ ..... ترجمة معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه
- ١٣٨٦ ..... اشارة
- ١٣٨٩ ..... نبذة عن عادات معاوية رضى الله تعالى عنه و هو خليفة
- ١٣٩٠ ..... بعض أعمال معاوية رضى الله تعالى عنه بمكة
- ١٣٩١ ..... عدل معاوية و قوة سلطانه
- ١٣٩٢ ..... أبواب المسجد الحرام قبل توسعته في زماننا
- ١٣٩٤ ..... بوابو المسجد الحرام
- ١٣٩٥ ..... نصب الخيام في المسجد الحرام
- ١٣٩٧ ..... وجود المظلات في المسجد الحرام
- ١٣٩٨ ..... مكتب توسعة المسجد الحرام
- ١٣٩٨ ..... توسعة المسجد الحرام في العهد السعودي
- ١٣٩٨ ..... اشارة
- ١٣٩٩ ..... الزيادة الأولى: زيادة عمر في المسجد الحرام
- ١٣٩٩ ..... الزيادة الثانية: زيادة عثمان في المسجد الحرام
- ١٤٠٠ ..... الزيادة الخامسة: زيادة أبي جعفر المنصور
- ١٤٠١ ..... الزيادة السادسة: زيادة محمد المهدي العباسي
- ١٤٠٢ ..... سبب وجود سقفين للمسجد الحرام في عمارة المهدي
- ١٤٠٣ ..... المسجد الحرام و ما أجرى فيه من زيادات في العهود الماضية و العصر السعودي الزاهر
- ١٤٠٤ ..... البناء حول البيت
- ١٤٠٤ ..... بيت الله بعد ظهور الإسلام و توالى الزيادات

- ١٤٠٤ ..... (زيادة الخلفاء الراشدين و السلف)
- ١٤٠٤ ..... (الزيادة و العمارة في العصر الأموي)
- ١٤٠٤ ..... (الزيادة و العمارة في العصر العباسي)
- ١٤٠٤ ..... (عمارة ملوك الشراكسة)
- ١٤٠٥ ..... (عمارة سلاطين آل عثمان)
- ١٤٠٥ ..... تكسية جدار العمارة بالمرمر و الحجر الصناعي
- ١٤٠٥ ..... المتبقى من المبنى القديم
- ١٤٠٥ ..... مساحة المسجد الحرام بعد التوسعة و ما صرف عليه
- ١٤٠٥ ..... المطاف
- ١٤٠٦ ..... مقام سيدنا إبراهيم الخليل
- ١٤٠٦ ..... الميادين حول الحرم الشريف
- ١٤٠٦ ..... اشارة
- ١٤٠٦ ..... الزيادة التاسعة: زيادة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود
- ١٤٠٧ ..... خلاصة ما تقدم من الزيادات في المسجد الحرام
- ١٤٠٩ ..... بيان مساحة الزيادات في المسجد الحرام
- ١٤١١ ..... ترجمة الوليد بن عبد الملك
- ١٤١٣ ..... ترجمة المعتض بالله
- ١٤١٣ ..... سياسة المعتض بالله العباسي في الحكم
- ١٤١٦ ..... وصف قصر الخليفة المقتدر بالله العباسي
- ١٤١٧ ..... ترجمة المقتدر بالله
- ١٤١٨ ..... ترجمة أبي جعفر المنصور
- ١٤١٨ ..... تقدير المنصور للعلماء العاملين و الوعاظ
- ١٤٢٠ ..... اقتصاد المنصور
- ١٤٢١ ..... اهتمام المنصور بعماله

- ١٤٢١ ..... حاضرة الخلافة
- ١٤٢٣ ..... حكاية المنصور مع معن بن زائدة
- ١٤٢٤ ..... صفات المنصور و أخلاقه
- ١٤٢٤ ..... كيف كان يقضى وقته
- ١٤٢٤ ..... وفاة المنصور
- ١٤٢٥ ..... ترجمة أمير المؤمنين محمد المهدي
- ١٤٢٥ ..... اشارة
- ١٤٢٦ ..... بيعه المهدي
- ١٤٢٨ ..... بين المهدي و معن بن زائدة
- ١٤٢٩ ..... شيء من خطب المهدي
- ١٤٣٠ ..... من كرم المهدي
- ١٤٣١ ..... شيء من مروءة المهدي و فضله
- ١٤٣١ ..... أول صندوق للبريد
- ١٤٣٣ ..... وفاة المهدي
- ١٤٣٣ ..... ترجمة هارون الرشيد
- ١٤٣٣ ..... اشارة
- ١٤٣٦ ..... حضارة بغداد في عهد الرشيد
- ١٤٣٧ ..... حج الرشيد و حبه للوعظ
- ١٤٣٩ ..... حكاية
- ١٤٤٠ ..... عهد الرشيد بالولاية لابنه المأمون
- ١٤٤١ ..... حكاية هارون الرشيد مع الأعرابي
- ١٤٤٣ ..... وفاة هارون الرشيد
- ١٤٤٣ ..... ترجمة السلطان سليمان خان
- ١٤٤٤ ..... حكاية سليمان بن عبد الملك مع أبي حازم



- ١٤٤٧ ..... ترجمة الأمير سودون المحمدى
- ١٤٤٧ ..... فرش و تعمير المسجد الحرام
- ١٤٤٧ ..... فرش المسجد الحرام بالطحاء و غيرها
- ١٤٤٨ ..... وضع الحصى و البطحاء فى المسجد الحرام
- ١٤٤٩ ..... فرش المسجد الحرام بالطبطاب و الحجارة و الرخام
- ١٤٤٩ ..... دكة باب الزيادة
- ١٤٤٩ ..... المماشى التى بالمسجد الحرام
- ١٤٥٠ ..... تعمير المسجد الحرام فى الدولة العثمانية
- ١٤٥٣ ..... ذكر أساطين المسجد الحرام و قببه و شرفاته و أبوابه و منائره
- ١٤٥٥ ..... جدول عام فى ذكر أسماء من عمر المسجد الحرام من الخلفاء و السلاطين و الملوك و الكبراء
- ١٤٥٧ ..... ترجمة عبد الملك بن مروان
- ١٤٦٠ ..... ترجمة المتوكل على الله
- ١٤٦٢ ..... ترجمة الأمير مقل القديدى
- ١٤٦٢ ..... ترجمة قايتباى ملك مصر
- ١٤٦٣ ..... ترجمة الأمير إبراهيم المهمندار
- ١٤٦٤ ..... وجود سقفين للمسجد الحرام قديما
- ١٤٦٤ ..... التعميرات و الترميمات الواقعة فى المسجد الحرام
- ١٤٧٤ ..... التعميرات الواقعة فى نفس المطاف
- ١٤٧٥ ..... المحتويات
- ١٤٨٣ ..... ملحق الصور
- ١٤٨٧ ..... المجلد الثالث
- ١٤٨٧ ..... [الجزء الخامس]
- ١٤٨٧ ..... صيغة الدعاء بالمسجد الحرام لملك الحجاز سابقا
- ١٤٨٨ ..... النوم فى المسجد الحرام

- ١٤٨٨ ..... الشحاذة فى المسجد الحرام
- ١٤٩٠ ..... الإيقاد فى المسجدين الحرمين
- ١٤٩٠ ..... اشارة
- ١٤٩١ ..... إيقاد الشموع فى المدينة على عهدہ صلی اللہ علیہ و سلم
- ١٤٩١ ..... إيقاد المساجد بالزيت فى عهد النبي صلی اللہ علیہ و سلم
- ١٤٩٢ ..... المصابيح فى المسجد الحرام و إضاءتها بالزيت
- ١٤٩٤ ..... تدرج الإنسان فى الإضاءة
- ١٤٩٧ ..... استعمال غاز الاستصباح
- ١٤٩٨ ..... بعض ما جاء من الوصف فى آلات السرج و الإيقاد
- ١٤٩٩ ..... مما قيل فى السراج
- ١٤٩٩ ..... و مما جاء فى الشمعة
- ١٥٠٢ ..... مفاخرة بين القنديل و الشمعدان
- ١٥٠٤ ..... إضاءة المسجد الحرام بالقناديل الزيتية
- ١٥٠٦ ..... إضاءة المسجد الحرام بالأتاريك و الكهرباء
- ١٥٠٧ ..... الحرائق فى المسجد الحرام الحريق الأول للمسجد الحرام
- ١٥٠٧ ..... اشارة
- ١٥١٠ ..... عمارة المسجد الحرام بالقباب بشكله الحاضر فى زماننا
- ١٥١٦ ..... ما كتب على جدار المسجد الحرام من الخارج من جهة المسعى
- ١٥١٧ ..... مقدار ما صرف فى تجديد عمارة المسجد الحرام بالقباب بأمر السلطان سليم و ابنه السلطان مراد
- ١٥١٨ ..... عدد أساطين المسجد الحرام و قبابه و عقودہ
- ١٥١٨ ..... الحريق الثانى بقرب المسجد الحرام
- ١٥٢٠ ..... الحريق الثالث
- ١٥٢٠ ..... إطفاء الحرائق قديما و حديثا
- ١٥٢٢ ..... تحية المسجد الحرام: الطواف

- ١٥٢٢ ..... تحية المسجد الحرام و ما يطلب فى دخوله
- ١٥٢٣ ..... إدارة المسجد الحرام
- ١٥٢٤ ..... مراقبة المسجد الحرام
- ١٥٢٤ ..... شرطه المسجد الحرام
- ١٥٢٤ ..... صورة بعض ما كتب على جدران أروقة المسجد الحرام من الداخل من جهة الحصوة
- ١٥٢٧ ..... بناء درج أبواب المسجد الحرام قبل عصرنا الحاضر
- ١٥٣٠ ..... المساجد التى بمكة
- ١٥٣٠ ..... اشارة
- ١٥٣١ ..... مسجد الراية
- ١٥٣٣ ..... مسجد خالد بن الوليد رضى الله عنه
- ١٥٣٣ ..... مسجد الجن
- ١٥٣٤ ..... مسجد أبى قبيس
- ١٥٣٤ ..... بيان بمساجد مكة المكرمة
- ١٥٤١ ..... المقامات الأربع التى كانت فى المسجد الحرام
- ١٥٤١ ..... اشارة
- ١٥٤٣ ..... كيفية صلاة الأئمة فى المقامات الأربعة التى كانت سابقا
- ١٥٤٤ ..... حكم صلاة الأئمة المتعددة فى المقامات
- ١٥٤٥ ..... هدم المقامات الأربعة التى كانت بالمسجد الحرام
- ١٥٤٥ ..... المزاول و الساعات فى المسجد الحرام
- ١٥٤٥ ..... اشارة
- ١٥٤٩ ..... الساعات الكبيرة و ساعة الجيب
- ١٥٥٣ ..... وضع المزولة فى مكانها الجديد
- ١٥٥٣ ..... ما قيل فى وصف آلات التوقيت
- ١٥٥٥ ..... المسعى و ما يتعلق به

- ١٥٥٥ ..... اشارة
- ١٥٥٨ ..... أصل السعى و حكمته
- ١٥٥٩ ..... بناء العقدين بالصفاء و المروة
- ١٥٦٠ ..... هدم درج الصفا القديمة و ما كتب على عقده
- ١٥٦٠ ..... درج الصفا و المروة
- ١٥٦١ ..... ترجمة عبد الصمد بن على
- ١٥٦٤ ..... الميلان الأخضران بالمسعى
- ١٥٦٦ ..... تسوية أرض المسعى و تعبيدها
- ١٥٦٧ ..... عزم الوالى التركى سابقا على توسعة المسعى
- ١٥٦٧ ..... وصف الصفا و المروة
- ١٥٦٩ ..... ذرع ما بين الصفا و المروة
- ١٥٧١ ..... تسقيف المسعى و فرشها بالحجارة أو تبليطها بالحجارة
- ١٥٧٢ ..... عرض المسعى
- ١٥٧٣ ..... حالة المسعى قبل التوسعة السعودية
- ١٥٧٤ ..... الحلاقون بالمروة
- ١٥٧٥ ..... موضع الشنق بالمسعى
- ١٥٧٥ ..... حالة المسعى
- ١٥٧٧ ..... تقسيم المسعى طولاً إلى قسمين
- ١٥٧٨ ..... المساجد التى فى حدود الحرم
- ١٥٧٨ ..... اشارة
- ١٥٧٨ ..... مسجد عائشة بالتنعيم
- ١٥٨٠ ..... الشميسى و مسجده
- ١٥٨١ ..... بحرة و مسجدها
- ١٥٨٣ ..... الجعرانة و مسجدها

- ١٥٨٥ ..... مسجد نمرة بعرفات
- ١٥٨٥ ..... بدء بناء المساجد و الجوامع فى البلاد الإسلامية
- ١٥٨٥ ..... اشارة
- ١٥٨٩ ..... الفسطاط
- ١٥٩٠ ..... بدء بناء مأذن المساجد
- ١٥٩٥ ..... مبدأ عمل محاريب المساجد
- ١٥٩٦ ..... وصف مسجد قرطبة و منارته و محرابه
- ١٥٩٧ ..... عدد منارات المسجد الحرام سابقا
- ١٦٠٠ ..... ابتداء ظهور المحمل
- ١٦٠٠ ..... اشارة
- ١٦٠٣ ..... المحمل العراقى
- ١٦٠٣ ..... المحمل اليمنى
- ١٦٠٣ ..... المحمل الرومى
- ١٦٠٤ ..... المحمل الشامى
- ١٦٠٤ ..... المحمل المصرى
- ١٦٠٥ ..... مراتب الأشراف و العربان و الأهالى من الحكومه المصرىة
- ١٦٠٦ ..... سكان مكة المكرمة و عدد بيوتها و دكاكينها
- ١٦٠٦ ..... الأعراب فى مكة المشرفة
- ١٦٠٧ ..... الحكمة فى جعل سكان مكة خليطا من جميع الأجناس
- ١٦٠٧ ..... بناء مراكز الشرطة بمكة
- ١٦٠٨ ..... بناء القلاع و الأبراج و بعض القصور المهمة سابقا بمكة
- ١٦٠٨ ..... اشارة
- ١٦٠٨ ..... قلعة جبل أجياد
- ١٦٠٨ ..... قلعة جبل هندى

- ١٦٠٩ ..... قلعة جبل لعلع بالفلق
- ١٦٠٩ ..... قشلة جرول
- ١٦١٠ ..... قشلة أجياد
- ١٦١٠ ..... قلعة المعابدة
- ١٦١٠ ..... بناء الحصون على جبل أبي قبيس
- ١٦١١ ..... القلاع التي كانت بين مكة وجدة
- ١٦١١ ..... بناء المطبعة الأميرية
- ١٦١١ ..... بناء الحميدية
- ١٦١٢ ..... بيت الحكم بالغة
- ١٦١٢ ..... بناء دار باناجه بالمسعى
- ١٦١٢ ..... بيت الجيلاني بالشامية
- ١٦١٢ ..... بيت الشريف ناصر باشا بالقرارة
- ١٦١٣ ..... الدار التي كانت بعرفات
- ١٦١٤ ..... بناء درج الحجون و درج أبي لهب و المحك بطريق العمرة و مدرج منى
- ١٦١٤ ..... بناء التكية المصرية «أو المبرة المصرية»
- ١٦١٥ ..... بيت الشريف عبد الله بن محمد بالحلقة
- ١٦١٦ ..... القصور الملكية السعودية
- ١٦١٦ ..... اشارة
- ١٦١٦ ..... القصر السعودي بمنى
- ١٦١٦ ..... القصر السعودي بمزدلفة
- ١٦١٦ ..... المسحراتية بمكة المكرمة
- ١٦١٩ ..... الثلج بمكة المكرمة
- ١٦١٩ ..... اشارة
- ١٦٢٠ ..... «الفصل الأول في نقل الثلج»:

- ١٦٢٠ ..... «الفصل الثاني»: «من الباب الثالث من الخاتمة، في المراكب المعدة لنقل الثلج من الشام»
- ١٦٢١ ..... «الفصل الثالث»: «من الباب الثالث من الخاتمة في الهجن المعدة لنقل ذلك».
- ١٦٢١ ..... تأسيس أمانة العاصمة
- ١٦٢١ ..... اشارة
- ١٦٢٣ ..... ترجمة سعادة الأستاذ عبد الله عريف «أمين العاصمة»
- ١٦٢٣ ..... ترجمة الشيخ عبد الله بن صديق وكيل أمانة العاصمة
- ١٦٢٤ ..... معرفة أهل الصدر الأول بأمور البناء و إصلاح الطرقات
- ١٦٢٥ ..... بدء بناء البيوت بمكة
- ١٦٢٧ ..... امتداد البيوت و العمارات بمكة
- ١٦٢٩ ..... تنظيف الشوارع و إصلاحها
- ١٦٣٠ ..... العلم الحجازى
- ١٦٣٢ ..... ترجمة خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه
- ١٦٣٤ ..... بعض ما قيل فى العلم:
- ١٦٣٥ ..... ما قيل فى الراية:
- ١٦٣٥ ..... إستعمال الطوابع البريدية فى الحجاز
- ١٦٣٧ ..... طوابع البريد التى تحمل صورة الكعبة المعظمة
- ١٦٣٧ ..... بدء استعمال طوابع البريد فى العالم
- ١٦٣٩ ..... جمع خطوط التوقيعات و الإمضاءات
- ١٦٤٠ ..... تاريخ النقود منذ صدر الإسلام
- ١٦٤٥ ..... النقود المتداولة فى الحجاز
- ١٦٤٦ ..... أسعار المبيعات بالجملة بالنقود الهاشمية
- ١٦٤٧ ..... أسعار المبيعات بالفرقة
- ١٦٤٨ ..... ظهور النقود العربية السعودية
- ١٦٥٠ ..... استعمال الأوراق النقدية فى المملكة السعودية

- ١٦٥٣ ..... أول استعمال عملة النقد و عملة الورق
- ١٦٥٣ ..... التعامل بالفلوس الورق
- ١٦٥٣ ..... النقود
- ١٦٥٤ ..... كلام ابن خلدون عن النقود
- ١٦٥٤ ..... مقدار الدينار و الدرهم الشرعيين
- ١٦٥٧ ..... بعض آبار مكة المكرمة
- ١٦٥٧ ..... اشارة
- ١٦٥٨ ..... الآبار التي كانت بمكة
- ١٦٥٨ ..... اشارة
- ١٦٥٨ ..... بئر زمزم
- ١٦٥٩ ..... بئر ذى طوى
- ١٦٥٩ ..... بركة الماجن
- ١٦٦٠ ..... منى
- ١٦٦٠ ..... اشارة
- ١٦٦١ ..... ذبح الهدايا بمنى
- ١٦٦٣ ..... رجم الجمرات الثلاث بمنى
- ١٦٦٤ ..... إزالة الجبل الذى بظهر جمرة العقبة
- ١٦٦٦ ..... عمل مراحيض بمنى
- ١٦٦٧ ..... المفجر وراء منى
- ١٦٦٨ ..... بناء المدرجات بمنى و العمرة و غيرهما سابقا
- ١٦٦٨ ..... مسجد الخيف فى منى
- ١٦٧٢ ..... موضع صلى النبي صلى الله عليه و سلم بمسجد الخيف بمنى
- ١٦٧٣ ..... مسجد المرسلات
- ١٦٧٣ ..... مسجد الكبش بمنى



- ١٦٧٣ ..... مسجد البيعة بقرب منى
- ١٦٧٧ ..... مزدلفة
- ١٦٧٧ ..... اشارة
- ١٦٧٧ ..... المشعر الحرام " مزدلفة "
- ١٦٧٩ ..... البناء الذى كان على قزح
- ١٦٨٠ ..... الإيقاد بمزدلفة
- ١٦٨١ ..... مسجد مزدلفة
- ١٦٨٢ ..... اقتراحنا بشأن مسجد مزدلفة
- ١٦٨٢ ..... عرفات
- ١٦٨٢ ..... اشارة
- ١٦٨٢ ..... عرفه و الوقوف بها
- ١٦٨٤ ..... حدود عرفات
- ١٦٨٦ ..... وصف وقوف الحجاج بعرفات
- ١٦٨٨ ..... الوقوف بعرفات
- ١٦٨٩ ..... الحج و وصف الوقوف بعرفات
- ١٦٩٠ ..... مسجد نمرة بعرفات
- ١٦٩٣ ..... مسجد الصخرات بعرفة
- ١٦٩٥ ..... كيفية الطلوع من مكة إلى عرفات
- ١٦٩٦ ..... اختراع السيارات و استعمالها
- ١٦٩٧ ..... درج جبل الرحمة بعرفات
- ١٦٩٧ ..... العثور على بئر قديمة بعرفات
- ١٦٩٧ ..... عين زبيدة
- ١٦٩٧ ..... ماء مكة و عين زبيدة
- ١٦٩٩ ..... البرك التى أمر ببنائها أمير المؤمنين المأمون العباسى

- ١٦٩٩ ..... أول من اتخذ الحياض بعرفات و أجرى إليها الماء
- ١٦٩٩ ..... إيصال زبيدة رحمها الله تعالى عين حنين إلى مكة
- ١٧٠٠ ..... إيصال زبيدة رحمها الله تعالى عين نعمان إلى عرفات
- ١٧٠١ ..... إجراء أمير المؤمنين المتوكل على الله جعفر عين عرفات إلى مكة
- ١٧٠١ ..... تعمير مظفر الدين صاحب إربل عين عرفات
- ١٧٠٢ ..... تعمير المستنصر العباسي عين عرفات
- ١٧٠٢ ..... تعمير الأمير جوبان عين عرفات
- ١٧٠٢ ..... إجراء الملك الناصر محمد بن قلاوون عين ثقبه إلى مكة
- ١٧٠٣ ..... تعمير عين بازان سنة ٨١١
- ١٧٠٣ ..... تعمير عين حنين سنة ٨٣٥
- ١٧٠٤ ..... تعمير عين حنين و عين عرفات سنة ٨٧٥
- ١٧٠٤ ..... صورة الكتابة التي على الحجر
- ١٧٠٥ ..... تعمير عين حنين و عين عرفه سنة ٨٩٣
- ١٧٠٧ ..... انقطاع عين حنين و العيون عن مكة المشرفة
- ١٧٠٧ ..... صدور الأوامر السلطانية بإصلاح عين حنين و عين عرفات
- ١٧٠٨ ..... صدور الأوامر السلطانية بإصلاح العيون
- ١٧١٠ ..... وصول عين عرفات إلى مكة سنة ٩٧٩
- ١٧١٠ ..... بناء بقية دبول عرفات من الأبطح إلى آخر المسفلة
- ١٧١١ ..... تعمير عيون مكة و آبارها سنة ٩٨٢
- ١٧١١ ..... تعمير عين عرفات سنة ١٠٢٥
- ١٧١١ ..... انقطاع عين عرفات عن مكة سنة ١٠٦٦
- ١٧١٢ ..... تعمير عين عرفات سنة ١٠٨٤
- ١٧١٢ ..... تعمير العين سنة ١٠٩١
- ١٧١٣ ..... ما كسر من قناة العين سنة ١١٠٤

- ١٧١٣----- تعمير عين عرفات سنة ١١٢٤
- ١٧١٤----- صورة ما كتبه الشيخ عبد القادر مفتي مكة
- ١٧١٦----- انقطاع الماء عن مكة و تعمير العين سنة ١٢٤٢
- ١٧١٧----- أول جمعياً لجمع الإعانات لتعمير عين مكة سنة ١٢٩٥
- ١٧١٨----- صفة جريان عين زبيدة في الأرض
- ١٧١٩----- تشكيل لجنة ثانية للعين
- ١٧١٩----- جمع إعانات جبرية للعين
- ١٧٢٠----- أحوال العين أيام تولية الشريف الحسين بن علي ملك الحجاز الأسبق
- ١٧٢٠----- تشكيل لجنة ثالثة للعين
- ١٧٢١----- خراب العين و انقطاع الماء عن مكة سنة ١٣٢٨
- ١٧٢٣----- اكتشاف دبول بعض العيون و مساحة ما بين بعضها
- ١٧٢٣----- استعمال العرب لمواسير المياه
- ١٧٢٤----- استعمال أنابيب المياه بمكة المشرفة
- ١٧٢٥----- أنابيب الماء و التدفئة
- ١٧٢٥----- الاستقاء بالقرب و بصفائح التنك
- ١٧٢٥----- بازان القاضي
- ١٧٢٦----- بازان حبس الجن
- ١٧٢٦----- ما عملته هيئة عين زبيدة سنة ١٣٣٥ بمكة المكرمة
- ١٧٢٦----- صدور أمر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بتعمير العين سنة ١٣٤٤
- ١٧٢٧----- البرك الواقعة بمكة و ما حولها
- ١٧٢٨----- الآبار التي بمكة و ما حولها
- ١٧٣١----- العيون التي بأطراف مكة
- ١٧٣١----- الخلاصة المفيدة عن عين زبيدة
- ١٧٣١----- اشارة

- ١٧٣٦ ..... ترجمة زبيدة
- ١٧٣٧ ..... وصف الخراساني لزبيدة رحمها الله تعالى
- ١٧٣٨ ..... ترجمة الوزير الجواد الأصفهاني
- ١٧٣٨ ..... إيصال عين العزيزية بعين زبيدة
- ١٧٣٨ ..... عين العزيزية بمكة
- ١٧٣٩ ..... نبذة حول عين العزيزية بمكة المكرمة
- ١٧٤٠ ..... مسافة عين حنين، العين الأصلية لمكة من منبعها إلى درجة الصفا:
- ١٧٤٠ ..... مسافة عين نعمان من منبعها بذيل جبل كرا من جهة شعب العشرة إلى درجة الصفا:
- ١٧٤٠ ..... القضاء و الإفتاء بمكة
- ١٧٤٠ ..... اشارة
- ١٧٤٤ ..... القاضي يحكم بحسب الظاهر
- ١٧٤٥ ..... إنشاء المحكمة الشرعية الكبرى
- ١٧٤٥ ..... رؤساء المحكمة الشرعية الكبرى بمكة
- ١٧٤٩ ..... إنشاء المحاكم المستعجلة
- ١٧٥٠ ..... أهمية وظيفة الإفتاء:
- ١٧٥١ ..... القضاء في عهد الخلفاء الراشدين
- ١٧٥٣ ..... القضاء في عهد الأمويين
- ١٧٥٤ ..... القضاء في العهد العباسي
- ١٧٥٦ ..... تقسيم سحنون القضاء إلى درجات
- ١٧٥٩ ..... صور ما كتبه الخلفاء و السلاطين لمن يولونه القضاء
- ١٧٥٩ ..... صورة ما كتبه عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في القضاء
- ١٧٥٩ ..... ما كان يكتبه ولاء الأمور عند تولية أحد القضاء
- ١٧٦٠ ..... صورة ما كتبه الملك الأفضل على ابن السلطان صلاح الدين بن أيوب ملك مصر
- ١٧٦٤ ..... صورة ما كتبه ملك الأندلس للعلامة محمد بن سليم بولاية القضاء

- ١٧٦٥ ..... نبذة عن بعض قضاء المسلمين في العصور المتقدمة
- ١٧٦٥ ..... سيرة القاضي حماس بن مروان رحمه الله تعالى
- ١٧٦٧ ..... سيرة القاضي سحنون رحمه الله تعالى
- ١٧٦٩ ..... سيرة القاضي عيسى بن مسكين رحمه الله تعالى
- ١٧٧١ ..... سيرة القاضي أحمد بن القاضي أبي محرز
- ١٧٧٢ ..... سيرة القاضي سليمان الغافقي رحمه الله تعالى
- ١٧٧٣ ..... سيرة القاضي محمد بن السليم رحمه الله تعالى
- ١٧٧٥ ..... تاريخ الفرمانات السلطانية و صورها
- ١٧٧٥ ..... اشارة
- ١٧٧٦ ..... صورة فرمان الإمارة من الدولة العثمانية للشريف حسين بن علي أمير مكة
- ١٧٧٧ ..... صورة الفرمان السلطاني للشريف عون
- ١٧٧٩ ..... بعض ما كان يكتبه السلاطين في تقليد إمارة مكة
- ١٧٨١ ..... الاحتفال بتلاوة الأمر السلطاني بتقليد إمارة مكة
- ١٧٨٢ ..... ترجمة الفرمان السلطاني لتولي المشير كاظم باشا على الحجاز
- ١٧٨٣ ..... أمراء مكة قبل الإسلام و بعده إلى اليوم
- ١٧٨٣ ..... اشارة
- ١٧٨٤ ..... أمراء مكة قبل الإسلام و بعده إلى اليوم
- ١٧٩١ ..... ولاء مكة من الأتراك
- ١٧٩٦ ..... جدول بأسماء ولاء مكة و جدة من الأتراك
- ١٧٩٨ ..... التعليم في مكة المكرمة
- ١٧٩٩ ..... اشارة
- ١٨٠٠ ..... أسباب انتشار الكتاب في الزمن السابق
- ١٨٠١ ..... التعليم في المسجد الحرام و علماءه
- ١٨٠٣ ..... أول بعثة تعليمية حكومية بمكة

- ١٨٠٥ ..... أول بعثة تعليمية أهلية بمكة
- ١٨٠٥ ..... ذكر الأطباء من أبناء مكة المكرمة
- ١٨٠٩ ..... الدكتور عبد القادر عبد المجيد
- ١٨١٠ ..... أسماء بعض مؤلفات علماء مكة المكرمة و أدبائها في وقتنا الحاضر
- ١٨١٧ ..... المحتويات
- ١٨٢٥ ..... [الجزء السادس]
- ١٨٢٥ ..... اشارة
- ١٨٢٦ ..... بعض الأدباء و الشعراء بمكة في عصرنا الحاضر
- ١٨٣١ ..... أسماء بعض مؤلفات علماء مكة المكرمة و أدبائها في وقتنا الحاضر
- ١٨٣٧ ..... خاتمة ما تقدم
- ١٨٣٨ ..... كتاتيب الصبيان في صدر الإسلام
- ١٨٣٩ ..... خلاصة الكلام على التعليم بمكة المكرمة
- ١٨٤٠ ..... عدد كتاب رسول الله صلى الله عليه و سلم
- ١٨٤١ ..... الخط العربي و مكانته
- ١٨٤٢ ..... التعليم في الحجاز قبل سنة ١٢٤٤ هجرية
- ١٨٤٣ ..... أول من جمع الصبيان في المكاتب
- ١٨٤٤ ..... التعليم بالحجاز من بعد سنة ١٣٠٠
- ١٨٤٥ ..... بعض العادات في المدارس سابقا
- ١٨٤٦ ..... مدارس البنات بمكة المشرفة
- ١٨٤٦ ..... التربية و التأديب في المدارس
- ١٨٤٧ ..... الكلام على مدارس الفلاح و تأسيسها بالحجاز
- ١٨٥١ ..... نظرة تأمل في مدارس الفلاح
- ١٨٥٢ ..... نظرة تأمل في المؤلفات المدرسية قديما و حديثا
- ١٨٥٣ ..... أول من أرسل المساعدات النقدية للحرمين

- ١٨٥٤ ..... مقدار ما كان يحمل إلى بيت المال أيام المأمون
- ١٨٥٦ ..... كيف كان القدماء يؤرخون الحوادث و الأزمان
- ١٨٥٧ ..... مبدأ وضع التاريخ الهجرى و غيره
- ١٨٦١ ..... كيفية ثبوت هلال ذى الحجة فى عصر ابن جبير
- ١٨٦٢ ..... بدء ظهور المطابع
- ١٨٦٤ ..... منع دخول الكفار الحرمين الشريفين
- ١٨٦٥ ..... أسماء من دخل مكة المشرفة من الإفرنج
- ١٨٧٠ ..... بعض الكفار الذين دخلوا مكة للعمل بها بإذن الحاكم الشرعى
- ١٨٧٢ ..... كيفية استقاء الماء قديما و حديثا
- ١٨٧٣ ..... تنظيف طريق الحج من مكة إلى عرفات
- ١٨٧٥ ..... دخول الفيل إلى مكة
- ١٨٧٨ ..... ما ذكره بعض المفسرين عن وجود صور الأنبياء عليهم الصلاة و السلام فى التابوت
- ١٨٧٩ ..... صور الأنبياء التى كانت عند ملك الروم
- ١٨٨٠ ..... صور العرب التى كانت فى بيت الملوك بالأندلس
- ١٨٨١ ..... مجزرة مكة
- ١٨٨٢ ..... تجارة العرب
- ١٨٨٢ ..... اشارة
- ١٨٨٤ ..... أسواق مكة فى الجاهلية و الإسلام
- ١٨٨٥ ..... تاريخ إبطال أسواق العرب
- ١٨٨٦ ..... ما جاء عن أسواق العرب فى كتاب حياة سيد العرب
- ١٨٨٧ ..... حضور النبى صلى الله عليه و سلم إلى سوق عكاظ
- ١٨٨٨ ..... أسماء بعض الأسواق
- ١٨٨٩ ..... مباسط الحراج بمكة فى الجاهلية
- ١٨٩٠ ..... موضع الحراج أى المزداد

- ١٨٩١ ..... سوق المسعى قبل التوسعة السعودية
- ١٨٩١ ..... معرفة حكم البيع و الشراء
- ١٨٩٣ ..... ما يوجد من المهن و السماسرة و الصيارفة في زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم
- ١٨٩٤ ..... حكم بيع بيوت مكة و أجاتها
- ١٨٩٤ ..... ما جاء في تاريخ الأزرقى عن بيع و إيجار دور مكة
- ١٨٩٤ ..... ما جاء في تاريخ الغازى عن حكم بيع و إيجار بيوت مكة
- ١٨٩٨ ..... تشكيل هيئة خاصة للنظر في مشاكل الإيجارات و سن قانون لها
- ١٨٩٨ ..... هيئة المعاملات العمومية
- ١٨٩٨ ..... اشارة
- ١٨٩٨ ..... وظائف الرئيس
- ١٨٩٩ ..... وظائف الهيئة
- ١٩٠٢ ..... قرار الحكومة الهاشمية بشأن إيجار العقارات
- ١٩٠٢ ..... قرار الحكومة السعودية بشأن إيجار العقارات
- ١٩٠٣ ..... أجور العقار لعام (١٣٤٨ هـ)
- ١٩٠٣ ..... أجور العقار لعام ١٣٧٤ هـ
- ١٩٠٤ ..... خلاصة ما تقدم عن دور مكة و إيجاراتها
- ١٩٠٤ ..... أول هيئة للأمر بالمعروف بمكة
- ١٩٠٤ ..... اشارة
- ١٩٠٤ ..... نظام و تعليمات لهيئة الأمر بالمعروف بمكة
- ١٩٠٧ ..... حكم الدولة التركية العثمانية في الحجاز
- ١٩٠٧ ..... خدمة الأتراك للخط العربى و محافظتهم على الآثار الإسلامية
- ١٩٠٨ ..... تأليف أول وزارة حجازية بعد عهد الأتراك
- ١٩٠٩ ..... تأليف مجلس الشورى لأول مرة في الحجاز في عهد الحكومة السعودية
- ١٩٠٩ ..... اشارة



- ١٩٠٩ ..... مجلس الشورى
- ١٩١٠ ..... تأليف أول وزارة سعودية
- ١٩١١ ..... أول وزارة للحج و الأوقاف
- ١٩١٢ ..... نبذة عن أعمال الحج و الأوقاف
- ١٩١٣ ..... أول رابطة للعالم الإسلامى بمكة المكرمة
- ١٩١٤ ..... التطويف أو الطواف
- ١٩١٨ ..... اقتراحنا فى الطوافه
- ١٩١٨ ..... نبذة عن أعمال المطوفين فى خدمة الحجاج
- ١٩١٩ ..... تطوير حالة الطوافه و المطوفين
- ١٩٢١ ..... إحصاء البلدان التى يحضر منها الحجاج فى كل عام
- ١٩٢٥ ..... المقابر الشهيرة بمكة
- ١٩٢٨ ..... عدم معرفة مقابر من دفن بمكة من الصحابة و التابعين
- ١٩٣٠ ..... فضل الموت بالأراضى المقدسه
- ١٩٣١ ..... بعض عادات أهل مكة و الأجناس التى فيها
- ١٩٣٥ ..... بعض الأمور المستحسنه التى كانت بمكة المشرفة
- ١٩٤٤ ..... لبس العمامه و العقال فى الحجاز
- ١٩٤٠ ..... الألعاب التى كانت شائعة لدى الأطفال بمكة
- ١٩٤٣ ..... عادات الجاهلية
- ١٩٤٤ ..... تغير الأحوال المعنوية فى الحجاز
- ١٩٤٧ ..... جو مكة و هوائها
- ١٩٧١ ..... حدوث الفصول الأربعة من دوران الأرض
- ١٩٧٢ ..... سبب زيادة حرارة الجو
- ١٩٧٣ ..... تراجم مختلفة
- ١٩٧٣ ..... ترجمة أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها

- ١٩٧٤----- ترجمة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه
- ١٩٧٥----- ترجمة و فضل عثمان بن عفان رضى الله عنه
- ١٩٧٦----- ترجمة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه
- ١٩٧٧----- ترجمة و فضل على بن أبى طالب رضى الله عنه
- ١٩٧٩----- ترجمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما
- ١٩٧٩----- ترجمة عبد الله بن عمر رضى الله عنهما
- ١٩٨٣----- ترجمة أبى هريرة رضى الله عنه
- ١٩٨٦----- ترجمة أبى ذر الغفارى رضى الله عنه
- ١٩٨٧----- ترجمة أنس بن مالك رضى الله عنه
- ١٩٨٨----- عمر بن عبد العزيز فى أول توليته
- ١٩٨٨----- اشارة
- ١٩٩٠----- بعض شمائل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
- ١٩٩٤----- ترجمة عطاء ابن أبى رباح
- ١٩٩٤----- ترجمة جبیر بن مطعم رضى الله تعالى عنه
- ١٩٩٥----- ترجمة عبد الله ابن عامر بن كریز
- ١٩٩٦----- قصة ثروة عبد الله بن جدعان
- ١٩٩٧----- ترجمة شيخنا الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى
- ١٩٩٩----- ترجمة صاحب كتاب تاريخ الخميس
- ١٩٩٩----- ترجمة العلامة تقى الدين الفاسى المكى صاحب شفاء الغرام
- ٢٠٠٠----- ترجمة العلامة قطب الدين الحنفى
- ٢٠٠٢----- ترجمة أيوب صبرى باشا صاحب كتاب مرآة الحرمين الذى باللغة التركية
- ٢٠٠٤----- ترجمة مؤلف كتاب مرآة الحرمين إبراهيم رفعت باشا
- ٢٠٠٤----- ترجمة الأستاذ محمد لبيب البتتونى
- ٢٠٠٥----- ترجمة ابن جبیر صاحب الرحلة الشهيرة

- ٢٠٠٧ ..... ترجمة ابن بطوطه صاحب الرحلة الشهيرة
- ٢٠٠٧ ..... ترجمة الوزير عثمان باشا نوري
- ٢٠٠٩ ..... نبذة عن تاريخ جدة
- ٢٠٠٩ ..... اشارة
- ٢٠٠٩ ..... الكلام على مدينة جدة
- ٢٠١٠ ..... ما قاله الرحالة ابن جبير عن جدة
- ٢٠١٢ ..... الطائرات العربية السعودية بجدة
- ٢٠١٣ ..... وصول الطائرات العربية إلى الطائف
- ٢٠١٣ ..... أول قنصل إنجليزي بجدة
- ٢٠١٣ ..... ذكر سبب قتل القنصل الإنجليزي بجدة سنة ١٢٧٤ هـ
- ٢٠١٦ ..... قتال الشريف أبي ندى الإفرنج حين قصدوا جدة
- ٢٠١٦ ..... بناء سور جدة
- ٢٠١٨ ..... هدم سور جدة
- ٢٠١٨ ..... عدد منازل جدة و سكانها قديما و مأوها و تجارتها و قبر أمنا حواء
- ٢٠٢٠ ..... عمران جدة بعد سنة ١٣٣٤ هجرية
- ٢٠٢١ ..... ازدياد العمران و السكان بجدة
- ٢٠٢١ ..... ضواحي جدة قديما و حديثا
- ٢٠٢٢ ..... أنواع المياه التي كانت بجدة
- ٢٠٢٢ ..... الكنداسة
- ٢٠٢٣ ..... تشكيل هيئة من أهالي جدة للبحث عن منابع الماء سنة (١٣٢٧)
- ٢٠٢٤ ..... وصول عين الوزيرية إلى جدة
- ٢٠٢٤ ..... وصول العين العزيزية إلى جدة
- ٢٠٢٥ ..... ميناء جدة قديما و حديثا
- ٢٠٢٥ ..... بناء جرك جدة في الزمن القديم

- ٢٠٢٦ ..... أهل جدّة و عاداتهم
- ٢٠٣٠ ..... وفاة الحاج محمد على زينل "مؤسس مدارس الفلاح"
- ٢٠٣٠ ..... الشيخ حسين أبو زيد
- ٢٠٣١ ..... "قبر أمنا حواء" بجدّة
- ٢٠٣٢ ..... نبذة عن تاريخ المدينة المنورة
- ٢٠٣٢ ..... اشارة
- ٢٠٣٤ ..... حدود حرم المدينة المنورة
- ٢٠٣٥ ..... بناء بيوت أزواج النبي صلى الله عليه و سلم
- ٢٠٣٧ ..... المزارات بالمسجد النبوي:
- ٢٠٣٧ ..... مزارات البقيع:
- ٢٠٣٧ ..... اشارة
- ٢٠٣٧ ..... شهداء البقيع رضى الله عنهم:
- ٢٠٣٧ ..... أزواج النبي صلى الله عليه و سلم:
- ٢٠٣٨ ..... بنات المصطفى:
- ٢٠٣٨ ..... عماته صلى الله عليه و سلم:
- ٢٠٣٨ ..... الروضة النبوية المطهرة و فضلها
- ٢٠٣٩ ..... ما جاء في شرح زاد المسلم عن الروضة
- ٢٠٤١ ..... خلاصة الأقوال في الروضة المطهرة
- ٢٠٤٤ ..... وحى صلاة الجمعة في المسجد النبوي
- ٢٠٤٥ ..... زيارة رسول الله صلى الله عليه و سلم
- ٢٠٤٧ ..... فضل المدينة المنورة
- ٢٠٤٧ ..... يهود المدينة
- ٢٠٤٨ ..... المنافقون
- ٢٠٤٨ ..... سكنى اليهود في الحجاز

- ٢٠٤٩ ..... سبب هجرة اليهود من فلسطين إلى الحجاز
- ٢٠٥٠ ..... نزول أحياء من العرب على اليهود
- ٢٠٥٠ ..... نزول الأوس و الخزرج بالمدينة
- ٢٠٥١ ..... استيلاء الأوس و الخزرج على المدينة
- ٢٠٥٢ ..... نبذة عن تاريخ المسجد الأقصى
- ٢٠٥٢ ..... اشارة
- ٢٠٥٢ ..... بيت المقدس
- ٢٠٥٤ ..... المسجد الأقصى
- ٢٠٥٩ ..... الفهارس العامة
- ٢٠٥٩ ..... اشارة
- ٢٠٥٩ ..... فهرس لأعلام الناس و الأمكنة و ما سواها
- ٢٢٧٤ ..... فهرس الموضوعات لكامل الكتاب
- ٢٣٢٠ ..... المحتويات
- ٢٣٢٥ ..... ملحق الصور
- ٢٣٣٨ ..... تعريف مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم

### إشارة

سرشناسه : كردى، محمدطاهر، ١٩٠٣ - ١٩٧٩م.

عنوان و نام پديد آور : التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم / تاليف محمدطاهر الكردى المكى.

تاريخ وفات مؤلف: ١٤٠٠ هـ. ق

مشخصات نشر : بيروت : دارخضر، ٢٠٠٠م. ١٣٧٩ =

مشخصات ظاهري : ج ٦ (در سه مجلد).

يادداشت : كتابنامه.

موضوع : كعبه -- تاريخ.

موضوع : مسجدالحرام، مكة -- تاريخ.

موضوع : حج.

موضوع : مكة -- تاريخ.

رده بندي كنگره : DS٢٤٨/م٧ك٤٣

رده بندي ديويي : ٩٥٣/٨

شماره كتابشناسي ملي : م٨١-٣٠٩٨٥

نام كتاب: التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم

نويسنده: كردى، محمد طاهر

زبان: عربى

تعداد جلد: ٣

سال چاپ: ١٤٢٠ هـ. ق

نوبت چاپ: اول

### المجلد الأول

#### [الجزء الاول]

#### مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، و صلوات الله و سلامه على أشرف الأنبياء و المرسلين سيدنا و نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن مكة المكرمة في نفوس المسلمين مكانة بارزة، فإليها تتجه أفئدة الناس، و يقصدونها للحج و العمرة بشكل دقيق و مرسوم وفق

مواقيت معيَّنة و محدَّدة لأداء شعائر مفروضة.

وقد سعى كثير من علماء المسلمين إلى التأليف في تاريخ البلد الأمين، و ممن أُلّف في تاريخ مكة المكرمة الشيخ محمد طاهر الكردي المكي - رحمه الله - الذي أُلّف كتابا أسماه: «التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم» و قد ضمنه مباحث و مسائل شتى و مواضيع مهمة و تراجع لأهم الشخصيات و العلماء بمكة مؤيدا ذلك بصور فوتوغرافية و رسومات و لوحات من خطه، حيث كان - رحمه الله - خطاطا.

وقد يسر الله لى إعادة طبع هذا الكتاب محبة و إجلالا لمكة المكرمة، و ذلك بعد نفاذ طبعته الأولى التي طبعت عام ١٣٨٥ هـ. و قد رأيت أنه من الأفضل و الأيسر إعادة صف هذا الكتاب ليكون قطعه من المقاس المعتاد بدلا من القطع الكبير الذي كانت عليه الطبعة الأولى.

وقد جمعت صور و رسومات و لوحات هذا الكتاب في ملحق خاص بآخر الكتاب مشيرا إلى أماكنها بثنايا الكتاب، كما ذيلت هذا الكتاب بكشافين مهمين أحدهما للاعلام و الثاني للأماكن.

و أحمد الله كثيرا و أثنى عليه أن وفقني إلى إتمام هذا العمل الذي أرجو أن ينفعنا به و يتقبل منا صالح الأعمال، إنه سميع مجيب. و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش غرة رمضان ١٤٢٠ هـ

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥

## التعريف بالمؤلف

### إشارة

إعداد الأستاذ الدكتور: عبد الوهاب أبو سليمان عضو هيئة كبار العلماء

## [١] الشيخ محمد طاهر الكردي

### إشارة

بقلم الأديب السعودي الكبير الأستاذ محمد على مغربي

قصير القامة معتدل الجسم، ناتى الجبهة تشوب بياضه صفرة خفيفة، تزين وجهه لحيه سوداء حليق شعر العارضين، فى عينيه حول خفيف تستره نظارة للقراءة، يرتدى الجبة الحجازية و يعتّم بعمامة تستر الرأس و الأذنين و هو بهذا يتخذ سيماء العلماء المكيين.

ولد بمكة المكرمة فى عام ١٣٢١ للهجرة و تلقى تعليمه بمدرسة الفلاح بمكة و تخرج منها فى عام ١٣٣٩ هـ و سافر بصحبة والده الشيخ عبد القادر الكردي إلى القاهرة حيث التحق بالأزهر الشريف و يقول الشيخ طاهر فى ترجمته التى كتبها عن نفسه فاشتغل هناك بالعلوم الدينية و العربية كما اشتغل بتعلم الخطوط العربية بأنواعها و ما يتعلق بها من الرسم و الزخرفة و التذهيب بعد أن التحق بمدرسة تحسين الخطوط العربية الملكية، و لما عاد من القاهرة اشتغل بتعليم الخط العربى بالمدارس و لذلك يعرف بالخطاط. انتهى ما كتبه

الشيخ طاهر عن نفسه نقلا عن كتابه "التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم."

عرفت الشيخ طاهر الكردي فى النصف الثانى من الخمسينات بمكة المكرمة، و كان صديقا حميما لعمى الشيخ عبد الله مغربى - رحمه الله - و كنت أعرف أنه اشتهر بجمال الخط، و كان يحضر إلى متجر عمى و إلى داره بصورة يومية تقريبا، كما كان يصاحبه

إلى الحج كل عام، و كان مظهر الشيخ طاهر مترمما متوقرا و لكنه إذا خلا بأصحابه تحول إلى شخص آخر كثير الدعابة و المرح.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٦

و كان الشيخ طاهر قد عاد من القاهرة بعد أن أكمل دراسته في الأزهر الشريف و لكنه لم يعمل فقد كانت الأعمال شحيحة و الوظائف محدودة و الركود يسود الحالة الاقتصادية.

### مصحف مكة المكرمة

و في أواخر الخمسينات أو أوائل الستينات حضر الشيخ محمد طاهر الكردي إلى مكتب المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان بالطائف و طلب مقابلة الشيخ محمد سرور ليتحدث إليه في أمر ما، فطلبت منه الانتظار قليلا حتى حضر الشيخ فقدمته إليه، و قلت فيما قلته أنه بارع في الخط براعة فائقة.

قال الشيخ طاهر للشيخ محمد سرور: إنني عزمت على كتابة القرآن الكريم بخط يدي، و أريد أن أقدم هذا المصحف إذا انتهيت منه إلى جلاله الملك عبد العزيز.

قال الشيخ محمد سرور: إنها فكرة حسنة و لكن لي رأيا في الموضوع أقوله لك. إنك لو قدمت هذا المصحف المخطوط بعد إتمامه إلى جلاله الملك عبد العزيز فسيكون له الوقع الحسن لدى جلالته و سيكافئك عليه مكافأة حسنة، و لكن الفكرة أن هذا المصحف سيبقى مخطوطا في خزنة الملك عبد العزيز أمدًا طويلا، و لديك هنا شركة تأسست حديثا لتقوم بشئون الطباعة و النشر و أشار الشيخ محمد سرور إلى كاتب هذه الترجمة، فلماذا لا تتفق مع هذه الشركة على شراء هذا المصحف الذي تنوي كتابته لتقوم هذه الشركة بطبعه و نشره بين الناس؟.

و أبديت موافقتي على الفكرة كما أبدى الشيخ طاهر- رحمه الله- ترحيبه بها و واعدته الاجتماع في داري بعد الغروب. و كنت أنا و المرحوم الصديق عبد الله باحمدين قد اشترينا مطبعة الشركة العربية للطبع و النشر و موجودات الشركة من الورق و ما إليه بعد أن تعرضت للخسارة شهورا عديدة، و بحثت الموضوع مع المرحوم الشيخ عبد الله باحمدين و اتفق الرأي على أن كتابة المصحف ستكون بداية لعمل عظيم فهو أول مصحف يكتب في مكة المكرمة، و يطبع فيها و ينشر فيها، حيث نزل القرآن أول ما نزل في مهبط الوحي في مكة المكرمة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٧

و حضر الشيخ طاهر إلّي بعد الغروب و تم الاتفاق بينه و بيني على كتابة المصحف الشريف، و كان الاختلاف الوحيد بيننا هو أنه حدّد المدّة اللازمة لإتمام كتابة المصحف في حدود عامين، و كنت أنا متعجلا أرغب إتمام هذا العمل خلال عام واحد، و لما رأى الشيخ طاهر- رحمه الله- إلحاحي قال لي إن هذا عمل بالغ الدقة، و إنني لا أستطيع الإقدام عليه إلا و أنا في حالة نفسية متهيئة له التهيأ الكامل ثم أردف قد أبدأ بالكتابة و أستمر فيها أياما أو أسابيع و لكن قد يطرأ ما يمنعني عن الإمساك بالقلم أياما و أسابيع أخرى، فدعني أتصرف بما يمليه عليّ مزاجي و لا تنس أن الخط عمل فني، مثل الرسم، و الشعر و الكتابة، و الفنان لا يقدم على ممارسة فنه إلا إذا تهيأت له الأسباب النفسية أولا، و كنت أعرف أن ما يقوله الأستاذ طاهر صحيح كل الصحة فوافقت عليه.

هذا و قد طلب الشيخ طاهر و رقا معينا و أقلاما و أحبارا معينة، و كان الزمان زمن حرب و لكن الله تعالى يسر الأمر فوجدنا كل ما طلبه في مكة المكرمة.

و بدأ العمل و اتفقنا أن يكون المصحف موافقا للرسم العثماني، و مضت الشهور و كنت كلما رأيت الشيخ طاهر سألته ماذا فعل؟ فيجيب أنه مستمر في عمله، و كان قد أحضر لي بعض الصفحات من أوائل ما كتب و أطلعني عليها، ثم عاد بعد أسابيع و أطلعني على



نفس هذه الصفحات و قد كتبت مرة أخرى بخط أحسن و قال: إن هذا هو الفارق بالنسبة لمزاج الخطاط حينما يكتب. و لا- أريد الإطالة على القارئ فقد انتهى الشيخ طاهر من كتابة القرآن الكريم بعد ما يقرب من ثلاثة أعوام، و قبل الانتهاء كنا قد تقدمنا إلى الحكومة نطلب تأليف لجنة لتصحيح المصحف الذي قام بكتابته الشيخ طاهر- رحمه الله- فألفت الحكومة لجنة كبيرة مكونة من الشيخ عبد الظاهر أبو السمح إمام المسجد الحرام في ذلك الوقت و الشيخ صالح حجازي شيخ القراء بمكة المكرمة، و المرحومين السيد محمد شطا و السيد إبراهيم النوري من وزارة المعارف، و قد باشرت اللجنة عملها، و للتاريخ فإن الشخص الوحيد من بين أعضاء هذه اللجنة الذي تفرغ للمراجعة و التصحيح و أعطى هذا العمل جهده و كامل اهتمامه هو المرحوم السيد إبراهيم النوري من وزارة المعارف، و حينما عرضنا عليه مكافأة مقابل هذا الجهد اعتذر عن قبولها فاعتبرناه مساهما في الشركة التي تألفت لهذا الغرض بنسبة معينة و قد ألفتنا شركة خاصة لطبع القرآن و نشره في مكة المكرمة أسميناها شركة مصحف التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٨

مكة المكرمة و استوردنا لها مطبعة خاصة من أمريكا و لا تزال الشركة تحمل هذا الاسم حتى اليوم. أوشك العمل في كتابة المصحف على الانتهاء كما أوشك التصحيح أن ينتهي و ذات يوم اتصل بي المرحوم الشيخ عبد الله باحمدين تلفونيا و طلب مني الحضور إلى مكة المكرمة حيث يجري عرض المصحف على صاحب السمو الملكي الأمير فيصل النائب العام لجلالة الملك المعظم لأول مرة، و ذهبا لمقابلة سموه في قصره بالمعابدة في ظاهر مكة و تقدم السيد إبراهيم النوري- رحمه الله- بتقديم نسخة المصحف إلى سمو الأمير فيصل و كان المرحوم عبد الله باحمدين و أنا نقف معه، و أبدى سموه إعجابه و قال: إنه عمل عظيم، ثم اقترح سموه أن يعرض هذا المصحف على جلالته المغفور له الملك عبد العزيز و قال: إنني سأحدث إلى رئيس الحرس الملكي و أظن أن اسمه كان إبراهيم جودت ليدخلكم على جلالته الملك عبد العزيز. عدت إلى جدة و بعد عدة أيام أبلغني المرحوم الشيخ عبد الله باحمدين أنهم دعوا على عجل للحضور إلى القصر و أنهم عرضوا المصحف على جلالته الملك عبد العزيز فسرّ جلالته به كثيرا، و أثنى على القائمين بالأمر، و نفح كلا منهم مبلغا من المال تعبيرا عن تقدير جلالته.

كانت الحرب العالمية الثانية تقترب من نهايتها، و كنت مضطرا لظروف صحية عائلية أن أسافر إلى مصر و أبقى بها بضعة شهور، و كنت حريصا أن أصطحب المصحف معي لعمل إكليشيات له من النحاس و الزنك توطئة لطبعه، و لم يكن عمل الإكليشيات متوفرا في البلاد في ذلك الزمان، و وضعت المسودة المخطوطة للمصحف في حقيبة خاصة حملتها معي إلى مصر، و كان لابد من أخذ رخصة من الأزهر الشريف بطبع المصحف ليكون معتمدا في جميع البلاد الإسلامية في ذلك الوقت. اتصلت في مصر بصديقنا الأستاذ صادق سعيد بازرع و أسرته من كبار التجار الحضارمة الذين أقاموا السنوات الطوال في مصر و أصبحوا مصريين بحكم الإقامة الطويلة لأبائهم و بحكم الميلاد لهم و لأبنائهم و كانت الأسرة تعمل في تجارة الصابون و البن و البهارات التي يستوردونها من فلسطين و عدن و إفريقيا و الهند و كانت لهم وكالة كبيرة في الجمالية كما كانوا يتمتعون بسمعة عالية في الوسط

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٩

التجاري في مصر. قال صديقنا الأستاذ صادق بازرع: هذه المسألة لا يصلح لها إلا السيد محمد عرفه شيخ المسجد الحسيني، كان ذلك في رمضان و جامع سيدنا الحسين قريب من وكالة بازرع فذهبنا و أدينا صلاة العصر و شرحنا الموضوع للسيد محمد عرفه، و كان يحضر للحج و كنت أراه في مكة المكرمة، و هو رجل يجمع بين وقار العلم و حدة الذكاء و كانت صلواته بطبقات المجتمع المختلفة قوية و متينة، فتجد في غرفته الملحقة بالجامع الحسيني العلية من الناس من الباشوات و البكوات إلى عامة الناس و أوساطهم، استدعى السيد محمد عرفه ابنه و كان موظفا بوزارة الأوقاف و قال له: أريدك أن تحضر لي غدا الشيخ محمد علي الضباع شيخ

المقارئ المصرية ليصلى العصر هنا، و التفت إلى قائلا و ستصلى العصر معنا هنا يا حاج .. فشكرته و اجتمعنا فى صلاة العصر فى اليوم الثانى، الشيخ الضباع و أنا و صادق سعيد بازرعة، و أخير السيد عرفه الشيخ الضباع بالعرض الذى دعاه من أجله، و أوصاه بنا خيرا، و اتفقنا مع الشيخ الضباع على الأجر الخاص بالتصحيح كما جرى الاتفاق مع المصنع الذى يعمل الإكليسيهات حيث ترسل الصفحات التى يتم تصحيحها من الشيخ الضباع إلى المصنع فإذا تم عمل الزنكات طبعت عليها نماذج و أرسلت للشيخ مرة أخرى ليعيد تصحيحها، و تستمر هذه العملية إلى أن يتم عليها التصحيح النهائى للمصحف مع إتمام صنع الإكليسيهات، ثم تصدر الرخصة من مشيخة المقارئ المصرية بالطبع. مكثت بضعة شهور فى مصر و أنا أتردد أسبوعيا و بعض الأحيان فى كل ثلاثة أيام على الشيخ الضباع فى بيته بالجيزة و على المصنع الذى يصنع الإكليسيهات فى شارع عبد العزيز و كان صاحب المصنع أرمينيا شهيرا بصناعة الحفر و قد جعلنا الإكليسيهات بحجمين أحدهما المقاس المتوسط العادى و الثانى المقاس الصغير و تم التصحيح النهائى أخيرا بعد أن كادت إطارات السيارة الصغيرة الهيلمان التى تقلنى إلى الجيزة و تعيدنى منها كادت إطاراتها تذوب من كثرة الغدو و الرواح، و كانت السيارات كما كانت الإطارات عزيزة فى أيام الحرب العالمية الثانية و غالبية الأثمان. انتهت الإكليسيهات و بدأت أفكر فى الطريقة التى يمكن بها تصديرها من القاهرة إلى الحجاز و كانت القيود على التصدير بالغه الشدة و أدركت أنى لو اتبعت الطرق المعتادة لتعبت بالغ التعب دون نتائج مفيدة.

و فى ذلك الوقت بالذات وصل جلاله المغفور له الملك عبد العزيز فى زيارته الرسمية إلى مصر و كان بصحبته معالى الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية الأسبق،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٠

و كذلك المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان و رأيت أن الله تعالى قد هيا الأسباب بهذه الزيارة الملكية لتصدير إكليسيهات المصحف دون عناء شرحت الأمر لمعالى الشيخ محمد سرور - رحمه الله - فقال لى: اكتب ما تريد من الكتب بالتوصية على هذا الأمر و هاتها لتوقيعها، كان الشيخ محمد سرور الصبان تربطه صلة صداقة عظيمة بالسياسى المصرى المعروف إبراهيم عبد الهادى باشا و كان وزيرا من أبرز وزراء الوفد فى ذلك العهد، و كتبت الكتاب المطلوب لإبراهيم باشا بلسان الشيخ محمد سرور أشرح له الوضعية، كما كتبت كتابا آخر بنفس المعنى إلى مكرم عبيد باشا وزير المالية، و كان هو الوزير المختص الذى تتبعه الجمارك و التراخيص الخاصة بالتصدير، و ذهبت أولا إلى إبراهيم عبد الهادى باشا و أخذ سكرتيره الرسالة و دخل بها إلى الوزير.

و عاد ليتصل أمامى تلفونيا بسكرتير وزير المالية و كان اسمه الأستاذ حسن الأعور و يوصيه بلسان الباشا بالاهتمام بالأمر، و قابلت الأستاذ حسن الأعور فى وزارة المالية و سلمته كتاب الشيخ محمد سرور، فعاد ليتصل أمامى بصندوق النقد الذى كان يقع فى ميدان الأوبرا و يبلغهم توصية مكرم باشا وزير المالية بعمل كل التسهيلات لتصدير الإكليسيهات الخاصة بالقرآن الكريم.

حصلت على الترخيص المطلوب فى مدى ثلاثة أيام و لو لم يهئ الله الأسباب بزيارة المغفور له جلاله الملك عبد العزيز و حضور معالى الشيخ محمد سرور لربما استغرق الحصول على الترخيص الشهور الطوال.

إنه القرآن الكريم، و إنه تيسير الله تعالى للقائمين على نشره بين الناس، و حينما كنت أفكر فى إجراءات التصدير خطر لى أن أختصر الوقت، وضعت الإكليسيهات فى حقيبة خاصة و أرسلت هذه الحقيبة ضمن حقائب الشيخ محمد سرور الذى كان من القائمين على ترتيب شؤون الرحلة الملكية إلى مصر، و وصلت الحقيبة إلى مكة بسلام و أصبحت الإكليسيهات جاهزة للطبع، و كان المرحوم عبد الله باحمدين قد سافر إلى أمريكا و تعاقد لشركة المصحف على شراء المطبعة الأولى التى سيطبع عليها القرآن الكريم فى مكة المكرمة.

و وصلت المطبعة، و حدث أن السيد إبراهيم النورى - رحمه الله - أحيل إلى المعاش بناء على طلبه فوجدنا أنه أصلح الناس للقيام على إدارة شركة مصحف

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١١

مكة المكرمة و هو الذى بذل جهدا مشكورا فى تصحيح النسخة الخطية التى كتبها الشيخ طاهر كردى.

وهكذا سلمت مقاليد الشركة إلى السيد إبراهيم النورى - رحمه الله - بعد أن تم تأسيس الشركة بصورة قانونية، و كانت باكورة أعمالها طبع القرآن الكريم و نشره لأول مره فى مكة المكرمة بعد أن تمت كتابته فيها، و هذه السابقة التاريخية العظيمة هى التى اختص بها الله الشيخ محمد طاهر الكردى لأنه كان الخطاط الذى كتب القرآن الكريم فى مكة المكرمة و هيا الله تعالى لهذه النسخة التى كتبها أن تطبع فى مكة المكرمة و تنشر منها لا فى مكة وحدها و لا فى المملكة العربية السعودية فحسب، و إنما فى سائر بلاد الإسلام، فمصحف مكة المكرمة أصبح يطلب فى جميع البلاد الإسلامية من إندونيسيا و باكستان و الشرق الأقصى كله، إلى إفريقيا كلها.

إن الشيخ طاهر كردى رجل محظوظ فالمصاحف التى كتبت فى مكة المكرمة كثيرة و بعضها محفوظ فى مكتبات مكة المكرمة و المدينة المنورة، و كثير منها أجمل خطأ من المصحف الذى كتبه الشيخ طاهر الكردى و لكن الله تعالى إذا أراد أمرا هيا له الأسباب ... و قد هيا الله للمصحف الذى خطه الشيخ طاهر الكردى أسباب الذيوع و الانتشار فتأسست له شركة خاصة قام أصحابها على إعداده للنشر و اتخذوا الأسباب الكفيلة بهذا النشر حتى تم لهم الأمر بعد الجهد و النصب.

و لقد مضى على تأسيس شركة مصحف مكة المكرمة ما يقرب من أربعين عاما و هى توالى نشر الكتاب الكريم من مكة المكرمة و تستورد له المطابع الواحدة تلو الأخرى مسaire تطور الطباعة فى العصر الحديث، و لعل لا أذيع سرا حينما أذكر أن شركة مصحف مكة المكرمة، لم تكتف بالمصحف الذى كتبه الشيخ طاهر الكردى و إنما عمدت إلى طبع مصاحف أخرى بخط أجمل كثيرا من خط الشيخ طاهر - رحمه الله - كما استكتبت خطا شهيرا بجمال الخط و إتقانه لكتابة مصحف لها، و لكن المصحف الذى كتبه الشيخ طاهر لا يزال يحتل مكانة فى قلوب الناس، و يكفى أن نذكر أن شركة مصحف مكة قد قامت بطبع كمية من المصحف الذى كتبه الشيخ طاهر فى حجم كبير جدا و جلدته تجليدا فاخرا و كانت هذه الطبعة و لا تزال تقدم هدية لجميع الملوك و الرؤساء و كبار الزوار المسلمين

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٢

القادمين إلى المملكة كما أنه يقدم من ضمن الهدايا الممتازة لكبار المسئولين السعوديين فى زيارتهم للبلاد الإسلامية.

### طاهر كردى الخطاط

و ما دنا بصدد الحديث عن حسن كتابة الشيخ طاهر الكردى وجوده خطه فلا بد أن نتحدث عن جانب آخر من جوانب شخصيته الكثيرة الجوانب فالرجل كان ممن تلقوا تعليمهم فى الأزهر الشريف، ثم التحق بمدرسة تحسين الخطوط العربية الملكية و تتلمذ على كبار الخطاطين فيها، حتى أتقن الخط بأنواعه المختلفة و حينما عاد إلى المملكة كان مدرسا للخط بمدارسها، بل الأستاذ الأول للخط فيها، و له كراريس مطبوعة كما يظهر ذلك من ثبت مولفاته التى كانت توزع على التلاميذ من ضمن الكتب المدرسية لينسجوا على منوالها فى تعلمهم لفن الخط، و لقد بلغ من إتقان الشيخ طاهر لفنون الخط أنه كان يكتب بعض قصار السور مثل سورة الإخلاص على حبة من الأرز و قد أهدانى بعض هذه الحبات من الأرز المكتوب عليها بعض قصار السور، و قد فقدت ضمن ما فقد من أوراقى و لكن صديقنا الشيخ محمد نور مجموع رجل الأعمال المعروف لا يزال يحتفظ بحبة من الأرز بكتابة طاهر الكردى - رحمه الله - و قد أطلعنى عليها فى هذه الأيام و لعل عمرها يزيد عن الأربعين عاما.

و للشيخ طاهر - رحمه الله - لوحات فنية من كتاباته و لحسن الحظ أنه صورها فى كتابه الكبير خ التاريخ القويم لمكة وبيت الله

الكريم، و الذى سنتحدث عنه بعد و أكتفى هنا بذكر ما نشر من مؤلفاته فى فن الخط نقلا عن ثبت مؤلفاته المنشورة فى كتابه خ أدبيات الشاى و القهوة:

- ١- تاريخ الخط العربى و آدابه.
  - ٢- الهندسة المدرسية- و يقول الشيخ طاهر إنه كان مقررا فى مدارس المملكة.
  - ٣- رساله فى الدفاع عن الكتابة العربيه فى الحروف و الحركات.
  - ٤- كراسه الحرمين فى تعليم خط الرقعة (سبعة أجزاء).
  - ٥- حسن الدعابة فيما ورد فى الخط و أدوات الكتابة.
  - ٦- مجموعة الحرمين فى تعليم النسخ (جزء واحد).
  - ٧- لوحة فنية جميلة فيها صور الكعبة المشرفة لأشهر بناياتها.
  - التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٣
  - ٨- لوحات فى الخطوط العربيه.
  - ٩- نفحة الحرمين فى تعليم النسخ و الثلث.
- و إذا تأملنا فى أسماء هذه المؤلفات وجدنا أن الرجل عالم خط إذا صح هذا التعبير.

### تاريخ الخط العربى و آدابه

و سنتحدث هنا قليلا عن كتابه خ تاريخ الخط العربى و آدابه و هو أهم مؤلفات الشيخ طاهر الكردى فى فن الخط و قد طبع الطبعة الأولى فى شهر محرم من سنة سبع و خمسين و ثلاثمائة و ألف ثم أعادت الجمعية العربيه السعوديه للثقافة و الفنون طبعة مرة أخرى فى هذا العام ١٤٠٢ هـ و حسنا فعلت فإن الكتاب يكاد أن يكون موسوعه عن الخط العربى و كل ما يتعلق به.

تحدث فيه المؤلف عن نشأة الخط و تطوره مدعما ذلك بالصور و المراجع التى استقى منها المعلومات التى توصل إليها، و من أطرف ما أورده المؤلف فى هذا الشأن أن التعبير بالكتابة بدأ بطريقه التصوير قبل الكتابة بالحروف المعروفة و كانت الكتابة الصوريه تقوم على الرمز و يقوم المؤلف فى شرح ذلك، و مثال الكتابة الصوريه أنك إذا أردت تدوين واقعه حرب مثلا فترسم أرضا ذات أغراس و إلى جانبها صور النقود و ما أشبه ذلك و هذا ما جرى عليه أكثر الأمم التى كانت قديما فى مصر و آشور و غيرها، و لما اتسعت عمارتهم اصطلحوا على بعض الرسوم للدلالة على معان كليه ليس لها صورة فى الخارج.

وقد أثبت المؤلف صور هذه الرسومات التى اصطلح عليها و قد تحدث المؤلف عن الخطوط فى اللغات الهندية و ما تفرع عنها من الخط الآرامى و السنسكريتى و السريانى كما تحدث عن الخط الهير و غلوفى موضحا كل ما يكتبه فى هذا المجال بصور لهذه الخطوط و ترجمه للحروف و الكلمات إلى اللغة العربيه.

كما تحدث عن الخط الأشورى و الكلدانى و أول المكتشفين لهذه الخطوط و أثبت صوراً للصخور التى تحمل هذه الخطوط من المسند الآرامى و أنواع الخطوط المختلفه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٤

كما وضع سلسله تبين تطور الخط العربى من بدء ظهوره حتى وصوله إلينا بشكله الحاضر و هو يبدأ كالتالى:

الخط المصرى- الفينيقى- الآرامى- المسند- الصفوى- الثمودى- اللحيانى- الحميرى- الكندى- النبطى- الحيرى- الأنبارى- الحجازى .

ثم يتحدث المؤلف عن اللغات التي تكتب في الوقت الحاضر بالخط العربي وقد عدّ اثنتي عشرة لغةً تدرج كلها تحت اسم اللغات التركية و سبع لغات تدرج تحت اسم اللغات الهندية و أربع لغات تدرج تحت اسم اللغات الفارسية، و سبع لغات تدرج تحت اسم اللغات الإفريقية.

و لا شك أن بعض هذه اللغات التي أشار إليها المؤلف و خاصة في تركيا الحديثة قد غيروا كتابتهم إلى الحروف اللاتينية منذ عهد مصطفى كمال بعد انتهاء دولة الخلافة العثمانية في أعقاب الحرب العالمية الأولى و إعلان الجمهورية التركية الأولى و لكن يبقى بعد ذلك أن عدد من يكتبون بالحروف العربية في العالم كبير.

و قد قدّر المؤلف في كتابه المطبوع قبل ما يقرب من نصف قرن عدد من يكتبون من غير العرب بالحروف العربية بأكثر من مائتين و خمسين مليوناً من البشر فليت شعري ما هو مقدار من يكتبون بها في الوقت الحاضر من العرب و غيرهم، إن التعداد يصل فيما أظن إلى خمسمائة مليون من البشر.

ثم تحدث المؤلف عن كتابة الرسائل في عهد النبي صلوات الله و سلامه عليه و أورد أسماء كتابه و نقش خاتمه الذي كانت تختتم به رسائله كما تحدث بمثل ذلك عن الخلفاء الأربعة و غيرهم من خلفاء المسلمين، و تحدث كذلك عن المشهورين من الخطاطين في أيام الأمويين و العباسيين ثم تحدث عن بدء ظهور التشكيل في الخط و تطوره، كما تحدث عن المواد التي كانت تستعمل في الكتابة من الجلد و القراطيس و أنواع الأقلام و أسمائها، و أنواع الخطوط المعروفة من النسخ و الرقعة و الثلث الكوفي و الديواني و ما إلى ذلك، و أثبت نماذج جميلة لكل هذه الخطوط بعضها بقلم المؤلف و الكثير منها بقلم الخطاطين المشهورين الذين ينسب إليهم هذا الفن.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٥

ثم تحدث المؤلف عن اشتهر بالكتابة على الجوب و البيض و لقد ذكرت أن الشيخ طاهر الكردي كان ممن يتقن الكتابة على الجوب في صدر هذا البحث، ثم تحدث عن الآثار و الكتابات التي عليها و النقود و العملات التي ظهرت في عهود الخلفاء الراشدين و ما تلاهم و أورد صوراً فوتوغرافية للنقود في عهد الخلفاء الراشدين و عهد صلاح الدين و عهد هارون الرشيد و في عهد الدولة الفاطمية، كما أورد جداول بأسماء الخطاطين المشهورين مرتبة على الحروف الهجائية.

و من أمتع فصول الكتابة الفصل الخاص بتراجم السلاطين الخطاطين و قد ذكر من بينهم الخليفة المستظهر بالله و الخليفة المسترشد بالله و هما من خلفاء الدولة العباسية ثم سلاطين آل عثمان ثم سلاطين المسلمين الآخرين في شتى بقاع العالم الإسلامي، و أورد ذلك بتراجم الوزراء و الباشوات من الخطاطين ثم بتراجم العلماء الخطاطين.

ثم تحدث عن النساء اللواتي اشتهرن بجودة الخط و إتقانه. و ذكر فيما ذكره أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب تعلمت الكتابة من الشفاء بنت عبد الله العدوية التي تعلمت الكتابة من معاوية و يزيد ابنا أبي سفيان، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

كما أورد المؤلف تراجم للخطاطين القدماء و المحدثين و سجلاً بأسمائهم و الكتاب مزين بكثير من لوحات الخطوط الجميلة للخطاطين المختلفين و هو يقع في أكثر من خمسمائة و خمسين صفحة و تزيد تعداد اللوحات و الصور المثبتة فيه على مائة و خمسين لوحة و صورة.

إنه ليس كتاباً عن الخط العربي و آدابه و لكنه يكاد أن يكون موسوعة تختص بالخط و الكتابة و ما يتفرع عنهما و هو عمل عظيم جاء نتيجةً لجهود متواصلة و أبحاث تتصف بالدأب و المثابرة و هو مرجع من أهم المراجع في هذا الفن العظيم.

نعود لتحدث عن جانب آخر من جوانب شخصيته المتعددة الجوانب فلقد كان الرجل مؤلفا مكثرا و قد أثبت في كتابه خ خ أدبيات الشاي و القهوة أسماء اثنين و عشرين كتابا مطبوعا عدا الكتب المخطوطة و أهمها التفسير المكي و هو في أربع مجلدات و غيرها مما لم يذكر شيئا عنه، و قد أوردنا أسماء مؤلفاته الخاصة بالخط

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٦

و ثبت هنا أسماء المؤلفات الأخرى التي وردت في هذا الثبت و هي المؤلفات المطبوعه:

١- تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه.

٢- إرشاد الزمرة لمناسك الحج و العمرة.

٣- مقام إبراهيم عليه السلام.

٤- منظومة في صفة أشهر بنايات الكعبة المشرفة.

٥- تحفة العباد في حقوق الزوجين و الوالد و الأولاد.

٦- دعاء عرفه.

٧- تعليق مختصر على تاريخ مكة للقطبي.

٨- صورة حجر مقام إبراهيم عليه السلام.

٩- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم.

١٠- النسب الطاهر الشريف.

١١- الأدعية المختارة.

١٢- تبرك الصحابة بآثار رسول الله صلى الله عليه و سلم.

١٣- أدبيات الشاي و القهوة.

و لقد ذكر الشيخ طاهر أن مؤلفاته تبلغ اثنين و أربعين مؤلفا طبع نصفها تقريبا و نستطيع أن نقسم هذه المؤلفات حسب أسمائها إلى الأقسام الآتية:

(أ) كتب تاريخية و هي الصفة الغالبة على المؤلف.

(ب) كتب دينية.

(ج) كتب فنية و هي التي تتعلق بالخط و فنونه.

(د) كتب أدبية طريفة.

و لقد تحدثنا عن الخط و ما يتعلق به بما يكفي للتعريف بشخصية الشيخ طاهر- رحمه الله- في هذه الناحية.

## طاهر كردى المؤرخ

و نتحدث الآن عن طاهر كردى المؤرخ فإن المستعرض لأسماء كتبه يجد أن المؤلفات التاريخية هي الصفة الغالبة على الرجل، و لعل تعمقه في هذه الناحية هو

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٧

الذى ساعده على تأليف الكتب الدينية و طالما أن أهم كتبه الدينية و هو التفسير المكي لم يظهر إلى النور بعد فإن الحديث عن هذه الناحية من شخصية المؤلف لا يعتبر كاملا و حسبنا الإشارة إليها.

لقد تفضل الصديق أحمد مجاهد فبعث إليّ الأربعة أجزاء التي ظهرت على نفقته من أهم كتب الشيخ طاهر التاريخي و هو كتابه المسمى:

### التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم

و الكتاب موسوعه ضخمة عن مكة المكرمة و هو في أربعة أجزاء كل جزء يزيد عن الثلاثمائة صفحة من القطع الكبير الذي يساوي ضعفى حجم الكتب الكبيرة المعتادة، و هو يحتوى على صور كثيرة كما تتسم المعلومات التي أوردها المؤلف عن كل المواضيع التي عالجه بالشمول و الإحاطة مستعينا في ذلك بما ورد في مؤلفات المؤرخين السابقين الذين ذكر أسماءهم و تراجمهم و تحدث عنهم و مدعما ما يصل إليه من آراء بالكتب الكثيرة التي رجع إليها و التي ذكر أسماءها و مواضع الاستشهاد منها.

و أهم من هذا و ذاك أن المؤلف أتيح له ما لم يتح لغيره من المؤلفين فلقد عاصر الإصلاح الذي تم للكعبة المعظمة في عام ١٣٧٧ هـ كما عاصر التوسعة العظيمة للمسجد الحرام في العهد السعودي و التي بدأت في عام ١٣٧٥ هـ و لم يكن المؤلف معاصرا لهذه الأحداث التاريخية فحسب فما أكثر من عاصرها و إنما كان عضوا في اللجان الرسمية التي تألفت لهذه الإصلاحات و ذلك لسابق اهتمامه بالمباحث التاريخية المتعلقة بالمسجد الحرام فلقد ألفت قبل هذه الأحداث كتابا عن تاريخ مقام إبراهيم - عليه السلام - و حصل على إذن بفتح مقام إبراهيم ليطلع بنفسه على المقام من الداخل و ألفت رسالة وافية في صفة المقام و ذرعه و أقوال المؤرخين عنه و موضعه و كل ما يتعلق به.

هذه الاهتمامات للمؤلف كما ذكرنا هيأت الفرصة لاختياره عضوا في الهيئات الرسمية الخاصة أولا بإصلاح الخراب الذي حدث في الكعبة المشرفة كما ذكرنا ثم في الهيئة التي ألفت للتوسعة العظيمة للمسجد الحرام فيما بعد، و قد أتاح له هذا الاختيار أن يطلع على الكثير من المعلومات الدقيقة التي لم تتح لغيره من المؤرخين، فهو يقدم لنا وصفا دقيقا للآثار الدينية و المعمارية في المسجد الحرام التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٨

مزودة بالمقاسات الدقيقة و الصور الشمسية و ذلك بعد استعراض المراحل التاريخية التي مر بها الأثر المذكور إذا صح هذا التعبير، بل إننا نجده بالنسبة لمقام الخليل إبراهيم على سبيل المثال يقدم لنا وصفا يوميا دقيقا للكيفية التي سار عليها العمل في نقل المقام من موضعه السابق إلى الموضع الحالي بعد أن وضع في الصندوق الزجاجي الحالي و يتحدث عن الموضوع بتفصيل يشمل جميع التطورات التي صاحبت الفكرة من بدء تنفيذها إلى حين إتمامها.

إن كتاب التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم هو موسوعة تاريخية و هامة لمكة المكرمة و للمسجد الحرام بما حواه من الكعبة المعظمة و مقام إبراهيم و كل ما يتعلق بالمسجد الحرام و أماكن المناسك و هو يضم كل ما أورده المؤرخين السابقون ثم يضيف إليه الجديد في عصر المؤلف و هو بهذه المثابة مرجع شامل عظيم القيمة لمن أراد التحقيق و البحث.

و بعد فإن الكتاب كما ذكرت يحتل مكانة قيمة بين الكتب التي تؤرخ للبلد الكريم و للبيت الحرام و هو مرجع هام لهذه الآثار المقدسة و تطوراتها التاريخية و هو يمتاز بالإحاطة و الشمول و الدقة المبنية على المشاهدة و البحث و هو جهد مشكور للمؤلف - رحمه الله تعالى - يسلكه في عداد المؤرخين لآثار مكة المكرمة و البيت الحرام فجزاه الله عن ذلك خير الجزاء.

### مؤلفاته الأخرى

إن الشيخ طاهر كردى رجل متعدد الجوانب و قد تحدثنا عن أهم جوانبه في هذه الصفحات و لقد اطلعت على كتاب مطبوع له اسمه

خ خ أدبيات الشاي و القهوة و عجبت كيف يتفرغ الرجل للتأليف في هذه الأمور فالكتاب يذكر تاريخ الشاي و القهوة و ما قيل فيهما من الشعر و كيف يصنع الشاي و أدواته و ما إلى ذلك، و لا شك أن جمع هذه الطرائف فيه كثير من الجهد و لكن الشيخ طاهر الكردي هو الشيخ طاهر الكردي الذي استطاع أن يعبر عن جانب آخر من جوانب شخصيته الاجتماعية التي ذكرتها في صدر هذه الصفحات.

و هناك ناحية أخرى في الرجل هي الناحية الشعرية فكتابه التاريخ القويم يتضمن أرجوزة نظمها في تاريخ بناء الكعبة المعظمة و أراجيز أخرى في مواضيع تتعلق بكتابه هذا، و إذا كان لا بد من التعليق عليها فأقول أن هذه الأراجيز تشبه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٩

أراجيز المتون التي كنا نحفظها كأرجوزة ابن مالك في النحو و الخريفة في التوحيد، و التي كانت تفرض علينا في المدارس و هي كلام منظوم لا يمت إلى الشعر بأدنى صلة و الشيخ طاهر - رحمه الله - إنما يعبر عن ناحية أخرى من نواحي شخصيته المتعددة الجوانب كما سبق أن ذكرنا، فلنأخذ كما أراد الله له أن يكون، هناك الكتب الدينية التي ألفها الشيخ طاهر الكردي و أهمها كما ذكرت هو كتاب التفسير المكي في أربعة أجزاء و هذا الكتاب لا يزال مخطوطا و لم يتح لي الاطلاع عليه و لهذا لا أستطيع الحديث عنه، و هذا لو عنت بالبحث عنه و عن مؤلفات الشيخ طاهر الأخرى إحدى الجهات المعنية في بلادنا بنشر الكتب كالنوادى الأدبية و غيرها و عهدت إلى المختصين بالموضوعات التي تعالجها هذه المؤلفات بدراستها و نشر ما يستحق النشر منها إفادة للناس و إحياء لذكرى الرجل الذي قضى حياته منكبا على التأليف.

### بقية التاريخ القويم

لقد ذكرت أنني اطلعت على أربعة أجزاء من كتابه القيم الجامع خ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم و الذي تحدثت عنه بما فيه الكفاية في الصفحات السابقة و الكتاب كما يظهر لم يتم و لقد ذكر المؤلف أن الجزء الخامس يتحدث عن الحج و هذا الجزء لم يطبع بعد و لست أدري إن كان لدى صديقنا الشيخ أحمد مجاهد الذي طبع الأجزاء الأربعة على نفقته جزاءه الله عن العلم و أهله خير الجزاء، لست أدري إن كان هذا الجزء الخامس و ربما غيره مما يكمل به الكتاب موجودا لدى صديقنا الشيخ أحمد مجاهد و هو يعترم إصدار هذه البقية إكمالاً للمكرمة العظيمة التي قام بها أم أن هذه الكتب لا تزال ضمن مخطوطات الشيخ طاهر - رحمه الله - و على أي حال فإن نشر ما بقي من كتاب التاريخ القويم فيه من الفائدة ما يكمل العمل الطيب الذي بدأ به الرجل و الذي يعتبر مع كتابته للمصحف الكريم من أجل الأعمال التي أداها و التي تسلكه في عداد الأعلام من الرجال.

و قد توفي الشيخ طاهر الكردي في ليلة الاثنين بتاريخ ٢٣ ربيع الثاني من عام ١٤٠٠ هـ بمستشفى بخش بجدة، و نقل في اليوم التالي إلى مكة المكرمة، رحمه الله

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٠

و أحسن جزاءه لقاء ما بذل من الجهد في كتابة كتابه الكريم و العناية بتاريخ البلد الأمين و بيت الله الحرام إنه لا يضيع أجر من أحسن عملا.

### [٢] رسالة إلى الراحل الشيخ محمد طاهر الكردي بقلم الأديب السعودي الكبير الأستاذ عبد العزيز الرفاعي

لم أضع اسمك مسبقاً بألقاب ... فلا زلت أذكر احتجاجك عليّ، و اعتراضك بشدة و حزم على بعض ما كنت أحرص على أن أنتعك به من نعوت و ألقاب، كلما كتبت إليك، معتقداً في قرارة نفسي صحة إضفائها عليك ...



لأنك أهل لها فعلا ...

لم أفعل الآن .. احتراما لذلك الشعور الذى كنت أحرص عليه تجاهك، و أنت تدب مع من نسميهم الأحياء على هذه (البسيطة) ... و لقد كنت قبل أن أخط هذه الرسالة .. أعد نفسي لأكتب شيئا آخر، أردته أنت لى و لم أرده- أنا- لنفسى ... كنت بسبيل أن أكتب الكلمة التى أتقمص فيها شخصيتك لأتحدث بالنيابة عنك، إلى أولئك الذين فكروا جديا أن يحتفلوا بتكريمك و كان اسمك أول الأسماء العديدة التى ازدحمت على ذاكرتهم ... فاختاروا أن يبدأوا بك، لأنك تجمع فى شخصيتك المتواضعة سمه الفنان، و سمه العالم، و سمه الأديب، و هى سمات قلما تجتمع فى رجل. فحسبوا أنهم إذ يبدأون بك إنما يكرمون فى شخصك، شخصيات متعددة تتميز كل منها بميزة خاصة ... و كنت أنا أوشك أن أكتب كلمتك .. فى حفل تكريمك الذى كان معتزما ... أدير فى نفسى ... كيف يا ترى يسعنى أن أعتبر عن أحاسيسك فى مناسبة كتلك. و لا أقول (كهذه)؟ فكيف أروض قلدى، لكى يلتزم حدود ما أخذت نفسك به من تواضع جم، و من نكران كبير للذات. إلا من ذلك الاعتداد الذى يحرص عليه الفنانون ... و يأباه العلماء؟

فلقد كنت تجمع فى نفسك بين طموح الفنان، و بين تواضع العلماء ... و هو صراع بين طرفى نقيض التأمنا فى ذاتك ... ثم اصطلحا بحكم المعاشرة و المزامنة و انحناء السنين ... أما لو تركتني آخذ من الاختيار ما أريد، لكنت أفضل أن أتكلم معرفا بك. أو محاولا أن أعرف بك بل بالحرى متحدثا من خلال علاقتى بك منذ عرفتك فى أوائل الستينات الهجرية ...

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢١

كان بودى- حقا- أن أفعل ذلك، و أنت حى، تعبيرا عن عمق مودتى، و صادق صحبتي و لكن الله تعالى أراد أن لا أفعل ذلك إلا بعد أن تطوى صحيفتك من دنيانا الفانية ... إلى العالم الآخر.

أذكر جيدا آخر رسائلك إلى و أنت تستعجل الأيام، و تضيف قائمة أحبابك الذين تحرص على مشاركتهم بالحضور فى حفل تكريمك- تضيف أسماء جديدة يملها عليك و فائك المعهود، كلما تذكرت منهم أحدا و تستعجل أيضا- العمل على نشر مؤلفاتك لتراها ماثلة بين أيدى القراء، لتكون عاملا- فى إسعادك تقر به عينك. و تقول لى فى إحدى رسائلك تلك: (قبل أن أموت). و برغم أن الموت أكبر ما نواجه من حقائق الحياة الدنيا، إلا أن البشر اعتادوا أن يغفلوه من حياتهم ... أو تراهم ينسون هذه الحقيقة العظمى، أو أنهم يتناسونها، كنت- من جانبى- أشعر بشعورك، و أحس عمق أحاسيسك ... و لكن الأيام- كعادتها- كانت تجرى مهرولة متسارعة متتابعة. لنصل من خلالها جميعا ذات يوم إلى ذلك الشاطئ العجيب المجهول.

لا عليك أحسب أن الإخوة، الذين اهتموا بالإعداد لتكريمك ... سيلتمسون الوسائل لتكريم ذكراك. كما اعتاد الناس أن يفعلوا كلما فقدوا علما من أعلامهم، فاتهم أن يدخلوا السعادة إلى قلبه بتكريمه و هو حى ... و لم أكن لأرشح نفسى للحديث عنك لولا أننى عرفتك عن كتب، و وقفت على بعض أمرك و لا- أقول كله ... فإن تعارفنا لم يزد عمره عن ثلاثين عاما بينما أعرف من أصدقائك الأحياء من هم أكثر صحبة و أعمق معرفة و ألصق بك. و إننى لأمل أن يتفضلوا بالكتابة عنك، ليجمع من تاريخ حياتك ما هو جدير أن يظل فى ذاكرة التاريخ.

و إن لك من أمجادك ما هو حرى أن تعيه حقا ذاكرة التاريخ. و إننى لأعلم علم اليقين أنهم جميعا يكتون لك الحب كله و الإعزاز كله ... و الإعجاب كله ..

أحاول أن أستذكر لقاءنا الأول .. أو الذى أجزم أنه التعارف الأول ... كان ذلك فى مبنى المدرسة العزيزة الابتدائية بمكة المكرمة فقد عدت أنا إليها مدرسا بها بعد غيبة سنوات ثلاث كنت قبلها طالبا فيها فقد كنت أنت بها مدرس الخط.

أما أنا فقد كنت، مدرس الرياضيات ... و لم نكد نتعارف حتى اتصلت بيننا أسباب المودة التى ظلت عامرة و وثيقة حتى الأيام الأخيرة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٢

و عبر هذه السنوات الطويلة، عرفت جوانب من حياتك هي التي أحاول أن أستذكر الآن أطرافاً منها. كنت يا صديقي إبانها تشارف الأربعين ... ناصر المنظر أنيق الملبس، تعتمر عمه حجازية كان يحتفظ بمثلها بعض من كان من جيلك. أميل إلى القصر لطيف المعشر، فكه الحديث حلو النادرة، يجمع على حبك تلامذتك و زملاؤك تعامل الجميع - كلهم - أصدقاء حميمون.

كانوا - جميعهم - مع جهم لك، يتقون غضبك، فقد كنت متى غضبت، تبدو كالبركان يتقى الناس حممه و لكن البركان متى همد أعطى الخصب و النضارة و النماء. و كذلك أنت، فسرعان ما تهمد تأثرتك، و يذهب غضبك خاصة إذا اعتذر الطرف الآخر عن خطأه أو ما ينبغي عليه أن يعترف به من خطأ، مهما كان الأمر و إلا فالقطيعة. و كان أولئك الذين عرفوا حقيقة قلبك الأبيض ... يعرفون كيف يحتفظون بصداقتهم لك ليظل ما بينك و بينهم من بيت الودّ عامراً.

لا - تزعزع الرياح، أو صخب البراكين. و إذا فاء إليك حلمك بالغت في الكرم، و اللطف، و أغدقت من برك ما يزيل سخط الساخطين ...

كنت آنذاك تعيش أعزب لم تتزوج بعد، فقد كنت شديد الحذر من الزواج تخشى أن يضطرب به ما تعودت من هدوء و ركون إلى الكتب و الفن ... أعنى فن الخط ... الذي أولعت به و كنت تسكن في دار مستقلة، في مصعد جبل هندي (قعيقعان) في الطريق إلى القلعة ... و كنت تدعو إلى هذه الدار من مصطفى من أصدقائك و أودائك ... و قلما كان يمر عليك يوم دون أن تدعو أحدا ... على ما تيسر من طعامك غداء أو عشاء. و كانت شهرتك في إجادة الطبخ مستفيضة ..

حتى ليروى الرواة، أنك طبخت في دارك بالطائف مرة طبخة لذيذة دعوت إليها نفراً من كبار رجال مديرية المعارف أيام كانت مديرية. فأكلوا و استزادوك ثم استزادوك لطعامتها و جودتها ... ثم اتضح بعد أن امتلأت الحقائق أنها كانت أكلة برسيم أخضر ... و كانت نادرة طريفة من نوادرك، ظل الوسط التعليمي في مكة المكرمة يضحك منها أياماً.

و لقد كنت أحظى بشيء من دعواتك المنزلية غير البرسيمية. و كنت أشهد عن كذب ما تعانیه في وحدتك، إلا من خادم أسود صغير يرعى بعض شؤونك و يؤمن لك حاجيات السوق ... و كنت أرتاح إلى غذائك ... غذاء الجسم من طعامك الشهى اللذيذ ... و غذاء الفكر فيما تحدثني عن فنك و علمك و مؤلفاتك.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٣

و لقد شهدت مولد بعض أعمالك الفنية و العلمية. و كان أعظمها في نظري من ناحية فنك الأول أعنى الخط كتابة المصحف الشريف (مصحف مكة) فقد كنت تطلعني على النماذج الأولى منه و على التصحيحات و التصويبات التي كان يهتم بها كل من الأستاذ السيد إبراهيم النوري - رحمه الله - و الأستاذ السيد محمد شطا - شافاه الله - و غيرهما ممن كان يهتم بهذا الأمر الجليل ... الذي هياً الله له الإنجاز في حياتك.

شهدت ما كتبت من كراريس الخط و بعض تشكيلاتك الفنية و أطلعنتي على بعض لوحاتك البارعة في الخط و منها ما يعتمد على خداع البصر و الحركة ...

و اهتمامك بالكتابة، على البيضة و الرزة الأمر الذي كان يتطلب دقة متناهية و براعة بالغة ... و لم تكن تعوزك الدقة و لا البراعة و لا الإبداع.

كان كتابك في تاريخ الخط العربي من مفاخرك، و كنت به شديد الاعتزاز و لك الحق في ذلك لأولويته و جمال لوحاته و لاهتمام دار الهلال منذ زمن بعيد بطبعه و إخراجه و الحفاوة به.

كما كنت تعد كتابك في خ خ تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه من الأولويات في هذا الميدان في العربية إلا كتاب خ خ نولديه المستشرق و كنت تعترف بريادته و لكن ريادتك لهذا الجانب كانت ريادة المختصّ المطلع المتصلع من لغته و تراثه

المتخصص في فنه.

وقد اطلعت على شىء من نظمك و نثرك و كنت تركز فيهما على الحكمة و الزهد ... فقد كنت و ثيق الصلة بالله عميق الإيمان إن لم أر من حياتك إلا ما يدل على حب نقاء السريرة و السيرة.

و لا زلت أذكر كيف فاجأتني بعد أن عدت من إحدى زيارتك للمدينة المنورة ... فوجدت في حياتك بعض الاختلاف ... و إذا بك تعلمنى أنك قد تزوجت من المدينة و أتيت بعروسك إلى دارك. هكذا في هدوء كبير ... كما هي عادتك. ثم أخذت الحياة الزوجية تجرّك رويدا رويدا إلى شواغلها، فإذا أنت أب لعبد الرحمن و لعدد من البنات، أصهر بهن إليك عددا من خيرة الناس.

و باعدت ظروف الحياة بيننا، فانتقلت أنا إلى جدة ثم إلى الرياض ..

و تباعدت الزيارات و لكنها ظلت. و ظلت الرسائل تتصل. تقاعدت عن عملك بوزارة المعارف ثم تخليت عن صلتك بلجنه بناء الحرم المكي و كانت لك فيها آراء

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٤

و جهود .. كان بعضها محل الارتياح و الترحيب ثم أقعدك المرض لفترة كنت بعدها و إن تم لك فيها الشفاء على و هن و ضعف و لكنك حمدت الله كثيرا أن استعدت قدرتك على الكلام و المشى و الحركة و إن كان ذلك على و هن شديد.

حجبت عن الناس إلا من زائرين قليلين و حال بينك و بين الخروج من صومعتك إلا لأمر شديد شديد ... حتى لقد اشترطت على ... بعد أن فاتحتك في حرص الرئاسة العامة لرعاية الشباب على إقامة حفل تكريم لك عن طريق جمعية الثقافة و الفنون - اشترطت أن لا تحضر إلا ساعة أو بعض ساعة من حفلة الافتتاح ..

معتذرا بأن ذلك يتطلب منك جهدا غير يسير. و حتى هذه الساعة التي كنا نتطلع إليها في شوق، لم تتح لنا فكان الأجل أسبق. أذكر المرات القليلة التي قدر لي أن أراك فيها بعد علتك ... و قد شهدت مدى و هنك و لكن المرض لم يغيّر من خلقك شيئا و لا من لطفك و بشاشه استقبالك.

و بعد، فإن من حقك على التاريخ أن يذكرك عالما درس في الأزهر (في الرواق العباسي كما حدثتني) و فنانا خطاطا، من مدرسه الفنون بالقاهرة، و معنيّ بالتاريخ كما تدل على ذلك مؤلفاتك فيه، و أديبا شاعرا، تكتب في طرائف الأدب و تنظم في الحكمة و تجارب الدهر.

و لقد كانت لك اهتمامات تدخل في باب الاختراعات و لا يبعد عن الخاطر تفكيرك في حل مشكلة ازدحام المطاف، بمطاف علوى، (دور ثان) يجرى تركيبه أيام الموسم، ثم يزال ليعاد استعماله كلما حلّ موسم جديد ... و قد جعلت لهذا الأمر تصميمًا بارعا اطلع عليه - فيما أعلم - بعض المسئولين ... و لك في هذا الباب أكثر من بادرة، منها بلورة مقام إبراهيم .. و أحسب أن الحديث معك و عنك يطول بي، لو أردت أن أستعرض تلك الجوانب الكثيرة التي أعلمها من خلالك الخيرة - و كلها خيرة - و لكنني أجتزئ اليوم من الحديث ما أستطيعه عسى أن أتحدث عنك في يوم آخر قريب، حديثا مستفيضا.

و سلام عليك في جنات واسعة إن شاء الله، و في نعيم مقيم مع الصالحين و الصديقين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٥

### [٣] محمد طاهر الكردي المكي الخطاط بقلم الأستاذ الأديب يوسف ذنون

شهدت ربوع الحجاز تطور حركة الخط العربي في المراحل المبكرة قبل النضوج و الانتشار الذي تحقق بعد ظهور الإسلام و قد عرف الأقدمون الأساليب المكية و المدنية، و شخصوا بعض الظواهر التي تميزها فكانت شهادة حيه عاشت في المكاتبات و الخطوط التي أعقبتها، بالرغم من التحوّل الذي طرأ على ميدان التطورات التي حصلت في الخط و انتقاله إلى بلاد الشام ثم العراق و بعده إلى البلاد

الأخرى.

و لم يتخلف الحجاز عن مواكبة هذه التطورات و المشاركة الفردية فيها بفاعلية ملفتة للنظر، فنرى مباركا المكي يفرض نفسه في القرن الثالث الهجري كعلم فرد يذكره دارسو النقوش بأساليبه المبتكرة، كما يبرز عبد الرحمن بن حرمي المكي في القرن السادس الهجري ليعطي طريقة ابن البواب نموذجها الحجازي.

و أما ما تلى ذلك من قرون فإن كتب الإخباريين لم تغفل البارزين من خطاطي الحجاز، و قد تتبع بعضا منهم مستقيم زاده في كتابه خ خ تحفة الخطاطين نذكر منهم على سبيل المثال الصاحب بهاء الدين زهير بن محمد بن علي المكي في القرن السابع الهجري و أحمد بن محمد بن سليمان بن حمائل المكي في القرن الثامن الهجري، و شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن صدقة المكي في القرن التاسع الهجري و محمد بن إسماعيل المكي في القرن الثاني عشر الهجري.

و يبرز في هذا العصر الخطاط محمد طاهر الكردي المكي ليؤكد أن الحجاز بقدسيته الإسلامية شكّل نقطة تجتمع لمختلف الأفراد من الشعوب المسلمة، و لذلك من الأمور الطبيعية أن نرى بعض الأشخاص فيه، عندهم أكثر من انتساب و منهم الخطاطون مثل الخطاط أحمد النابلسي المكي (ت ١٠١٤ هـ) و المترجم له أبو عبد الرحمن محمد طاهر بن عبد القادر بن محمود الكردي المكي الخطاط، الذي يشكّل توأصلا حضاريا بين الحجاز و العراق يعيد إلى الأذهان الصلة الخطية بينهما قبل الإسلام بانتقال الكتابة من الحيرة و الأنبار و استمرارها بعده مما يؤكد عمق

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٦

العلاقات و تواترها على مرّ العصور، و ما الخط إلا أحد المظاهر الحضارية المتأصلة في النفوس و الوجدان.

و حينما تتواصل المسيرة و تنهت الأداة و تتحكم القدوة الصالحة و تتحفز الاستعدادات الفنية بأصاله و اقتدار، تتحرك النفوس الطموحة لتجسد ذلك نماذج تظهر و كأنها شعله من الحيوية و النشاط، فترقد المجال بدفق غزير من النتاجات المنوعة على الأصعدة المختلفة في الاتجاهات المتعلقة بالخط - على كثرتها - باعتباره عنصرا فاعلا في صلب الحياة الحضارية لهذه الأمة، يبرز بخصوصية في اللغة و الفن و التاريخ و الآثار.

و من هذا المنطلق يقيم المرحوم العلامة محمد طاهر الكردي المكي الخطاط الذي يشكّل لبنة وهاجئة في صرح الثقافة و الفن و الآداب و التاريخ في السعودية و في العراق و قد تخطى ذلك إلى آفاق أرحب، فكان له فضل الريادة و لا نستطيع بهذه العجالة تغطية فضل الرجل الذي كان غزيرا في إنتاجاته إلى أن داهمه مرض عضال عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) أقعده عن نشاطاته المختلفة حتى وفاته في ٢٣ ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ (آذار ١٩٨٠ م) إلا من تحركات محدودة في المتابعات الثقافية و اللقاءات الشخصية و بعض المراجعات لمؤلفاته و خاصة في تاريخ الخط.

إن ما سنعرضه هنا - للقارئ الكريم - من جوانب حياته الجمية النشاط لا يتجاوز التعريف بمشاركاته في المجالات المختلفة بالقدر الذي يسمح به المقام و التركيز على نشاطاته في مجال الخط استقيناها من ثنايا بعض مؤلفاته و المراسلات المتبادلة بيننا نتيجة العلاقة الحميمة التي ربطتني به خلال العقد الأخير من حياته.

ولد الشيخ محمد طاهر سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) في وسط ديني فقد كان أبوه عبد القادر بن محمود الكردي قد ترك أربيل في شمال العراق ليسكن في مكة المكرمة و يجاور فيها، و تلك سنّه درج عليها الناس منذ القديم، تقربا إلى الله و اجتهادا في العبادة، و قد اهتم الوالد بتربيته و ولده بشكل يحقق طموحه الديني، فرعاه بحنان، خاصة بعد أن فقد والدته أوائل سنة ١٣٣٤ هـ.

نشأ الطفل النجيب في مكة المكرمة و دخل مدرسة الفلاح فيها و قد تخرج منها سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) عندها صحبه والده إلى مصر و أدخله الأزهر لمواصلة طلب العلم سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) و هكذا استمر اهتمام الوالد به

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٧

و رعايته له حتى وفاته في ٩ رجب ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) عن عمر بلغ تسعين سنة و دفن في الطائف.

تبلورت شخصية المترجم أثناء تواجده في مصر، فواصل دراسته في الأزهر و استغل أوقات الفترة المسائية لتعلم الخط العربي بمدرسة تحسين الخطوط العربية الملكية سنة افتتاحها ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) و قد قضى فيها ست سنوات. أربع منها لدراسة الخط تخرج منها سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) و سنتان في قسم التخصيص و التذهيب، و قد كان أساتذتها من أساطين الخط في تركيا و مصر و على رأسهم الشيخ عبد العزيز الرفاعي التركي و محمد إبراهيم الأندى و الشيخ علي بدرى و الشيخ محمد غريب العربي و الأستاذ محمد رضوان من المصريين.

و تعتبر هذه المدرسة من الركائز الأساسية التي بعثت الحياة في فنون الخط و الزخرفة في البلاد العربية في أوائل هذا القرن، بعد أن أصابها ركود في القرون السابقة، و قد استفاد المرحوم محمد طاهر من هذه الدراسة فائدة جعلت منه الخطاط الأول في الحجاز حينما عاد إليها سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م).

في الحجاز دخل المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة موظفا، ولكنه لم يبق فيها طويلا فطلبتة مدرسة الفلاح بجدة أول عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) لتدريس مادة الخط العربي، فاستمر فيها أربع سنوات بلورت خلالها مسيرته الحياتية نحو الخط و التأليف فدفعته هو لحسنه و تطلعاته و قلق الفن الأبدى للعودة إلى مصر سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) لطبع نتاجاته في الخط و خاصة خ خ كراسه الحرمين في خط الرقعة بأجزائها السبعة، و العمل على تأليف كتاب عن الخط أتمه في سنوات ثلاث قضاها في القاهرة و الإسكندرية، فكان كتاب خ خ تاريخ الخط العربي و آدابه و قد صدر في مصر سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) و يعتبر من الكتب الفريدة في حينها في مادته الخاصة و المترجمة عن المصادر التركية.

إن السنين التي تلت كانت مفعمة بالنشاط في مجال الخط و الزخرفة و التذهيب و الرسم و النظم و التأليف و التنقل. فقدم إلى العراق في منتصف سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) فمر ببغداد و التقى بخطاطيها، و قد دون ذلك في متن إجازته للخطاط محمد صالح الشيخ علي الموصلى (١٨٩٤ هـ - ١٩٧٥ م) المؤرخة في صفر ١٣٦٦ هـ و الساكن آنذاك في بغداد، و قد كتبها في الحجاز بعد عودته و أرسلها بريديا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٨

إن نشاطه الواضح قد أكسبه تجارب واسعة و خبرة جمعة و شهرة مميزة و مكانة في بلده أهلتة لكي ينتخب عضوا في اللجنة التنفيذية لتوسعة و عمارة المسجد الحرام التي بدأت العمل سنة ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) و صار أيضا رئيس قسم التأليف و الآثار التاريخية لمكتب مشروع التوسعة و قد استمر فيها حتى إحالته على التقاعد حسب رغبته لكي يتفرغ لإتمام مؤلفاته التي تربو على الأربعين مؤلفا بين مطبوع و مخطوط، و قد قررت الحكومة السعودية طبع جميع مؤلفاته سنة ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) فأحالتها إلى لجنة خاصة لدراساتها و لكنها لم تطبع لكثيرتها و قد عوض عن ذلك بمكافأة نقدية، و قد تأثر من ذلك و انتابه شعور بالإحباط، خاصة و أنه لم يكن في عمر و لا حالة صحية تمكنه من الاهتمام بها، و أن نشاطه المعتاد قد تحدد فترك مواصلة الخط بشكل نهائي و أهدى جميع أدواته و مواده إلى أصدقائه في مصر، انقطع بعدها للعبادة و بعض المراجعات لما ألفه و خاصة كتابه تاريخ الخط الذي توفرت له مادة جديدة فيه، و لقاءات الخطاطين الذين يفدون حجاجا أو معتمرين إلى مكة المكرمة من كافة أرجاء العالم الإسلامي و محبيه ممن جذبتهم كتاباته، يتبادل معهم المخطوط و المعلومات و الهدايا.

و هكذا عاش سنواته الأخيرة في دفء العلاقات الحميمة مع الأفراد الذين تعرف عليهم و استمرت صلته بهم بإخلاص و محبة متبادلة عن طريق اللقاءات في المناسبات و مواصلة ذلك بالمراسلات، و قد كانت طبيته و بساطته المحببة و وفاؤه النادر و طبيعته الودودة و نوازعه الخيرة تعطى الديمومة لهذه العلاقات حتى وفاته.

و قد جرى اقتراح بإقامة حفل تكريمي له قبيل وفاته عن طريق الجمعية العربية السعودية للثقافة و الفنون باعتباره أول مفكر سعودي و

أول خطاط في المملكة و أنه قام بتأليف عدد كبير من الكتب في مختلف ألوان الأدب و الفنون، و هذه لا شك التفاتة كريمة، و إن جاءت متأخرة، فقد كان - رحمه الله - متعدد الآفاق متنوع الاتجاهات، و قد ترك في الخط نتاجات تخلده، في مقدمتها خطه المصحف الكريم الذي أطلق عليه خ خ مصحف مكة المكرمة و هو أول مصحف طبع في مكة المشرفة، و كتب بيده كثيرا على حبوب القمح و الرز كتابات دقيقة من سور القرآن الكريم و بعض الأشعار، و كذلك رسم خريطة مفصلة للأقطار العربية بحجم طابع البريد و قد أهدى من كل ذلك للمتاحف و دور الكتب في مختلف الأقطار. و أصدر كراريس لتعليم الخط بدأ بإعدادها حينما كان يدرس هذه المادة في مدرسة الفلاح

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٩

بجدة و هي خ خ كراسه الحرمين في تعليم خط الرقعة في سبعة أجزاء، خ خ نفحة الحرمين في تعليم خطي النسخ و الثلث، خ خ مجموعة الحرمين في تعليم خط النسخ و اشتغل بإعداد اللوحات الخطية الفنية منها خ خ تحفة الحرمين في بدائع الخطوط العربية و خ خ لوحة أخرى في الخطوط العربية و جميعها مطبوعه.

أما آثاره في تاريخ الخط و الدفاع عنه فقد طبع منها خ خ تاريخ الخط العربي و آدابه و خ خ حسن الدعاية فيما ورد في الخط و أدوات الكتابة و خ خ رسالة في الدفاع عن الكتابة العربية في الحروف و الحركات.

و لم يقتصر نشاطه التأليف على الخط و تاريخه بل طرق مجالات أخرى كالتاريخ و الآثار فطبع له خ خ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم في خمسة أجزاء و خ خ مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام و خ خ منظومة في أشهر بنايات الكعبة المعظمة و خ خ تعليق مختصر على تاريخ مكة للقطبي و خ خ النسب الطاهر الشريف و خ خ تبرك الصحابة بآثار رسول الله صلى الله عليه و سلم و خ خ رسالة انتقال رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الرفيق الأعلى و خ خ كتاب عيش رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه الكرام و خ خ صورة حجر مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام.

و في تفسير صدر له خ خ التفسير المكي في أربعة مجلدات و خ خ زهرة التفاسير في ثلاثة أجزاء، و في العلوم القرآنية صدر له خ خ تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه و معه خ خ رسالة حفظ التنزيل من التغيير و التبديل.

و في أغراض مختلفه طبعت له عدة كتب تلقى الضوء على جوانب لشخصية متعددة المواهب و الاهتمامات تحتاج وقفه متأنية للتعريف بها و هي: خ خ بدائع الشعر و لطائف الفن، خ خ تحفة العباد في حقوق الزوجين و الوالدين و الأولاد و خ خ الأحاديث النبوية في الآداب الدينية و التربية الإسلامية و خ خ ثلاث رسائل في المناسك و دعاء عرفه و الأدعية المكية و خ خ إرشاد الزمره لمناسك الحج و العمرة و خ خ دعاء عرفه و خ خ الأدعية المختارة و خ خ أدبيات الشاي و القهوة و خ خ الهندسة المدرسية و خ خ استحالة الإقامة في القمر و الكواكب و خ خ لوحة فنية فيها صور الكعبة المشرفة لأشهر بناياتها، و خ خ لوحة قدمي سيدنا إبراهيم عليه السلام.

و قد طبع بعضها أكثر من طبعة مثل خ خ تاريخ القرآن و خ خ أدبيات الشاي و القهوة و خ خ تبرك الصحابة بآثار رسول الله صلى الله عليه و سلم و تداخل البعض منها في أكثر من كتاب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٠

و على الرغم من كثرة ما طبع من نتاجاته - كما مر - إلا أنه لا زالت هناك مجموعة من النتاجات لا زالت مخطوطة و هي:

خ خ مختصر المصباح و المختار في اللغة خ خ المقارنة بين خط المصحف العثماني و اصطلاحنا في الإملاء خ خ الاستحسان في وضع علامات الترقيم في القرآن خ خ حسن البساط في ديوان محمد طاهر الكردي الخطاط خ خ منظومة في التعاريف الفقهية خ خ عجائب ما رواه التاريخ خ خ تراجم من له قوة الحافظة خ خ الموعظة الحسنة في عدم اليأس و في الصبر و التفويض خ خ المحفوظات الأدبية المختارة خ خ البحث و التحقيق في معرفة معنى الصديق و خ خ الشوق و الرغبة في معرفة ما حصل في الكعبة في العهد

السعودي.

إن مؤلفاته المتقدمة قد ثبتها في الصفحات الأخيرة من الطبعة الثانية في كتاب خ خ تيرك الصحافة وهو آخر كتاب طبع له سنة ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) وقد كان الشيخ محمد طاهر يؤمل أن يعيد طبع كتبه أو إعادة بعضها مع ما هو مخطوط ولكن ذلك لم يتحقق. ترجم الشيخ لنفسه في كتابه خ خ تاريخ الخط العربي و آدابه و في الجزء الأول أيضا من كتابه خ خ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم و مع ذلك فإن جوانب كثيرة من حياته لم تتضح، و ترجم له حبيب الله فضائلي في كتابه خ خ أطلس خط (١٩٧١ م) ص ٣٨٢ و الأستاذ فوزى سالم عفيفي - الذي صحبه فترة من الزمن و كانت صلته به وثيقة - في كتابه خ خ نشأة و تطوير الكتابة الخطية العربية ١٩٨٠ م ص ٢٧٧، و كتب عنه الشاعر الخطاط وليد الأعظمي في نشرة المصلحة (حزيران ١٩٦٣ م) و غيرها، و قد حاول السيد إبراهيم باجلان التعريف به من خلال كتابه خ خ تاريخ الخط العربي و آدابه في جريدة خ خ العراق في العدين ١٣٥١ و ١٣٦٨ لسنة ١٩٨٠ م.

يضاف إلى ذلك كتابات أخرى من بعض معارفه لم تطبع، و مع ذلك فإن مجال الكتابة عنه لا زال بحاجة إلى مزيد من تسليط الضوء على جوانب نشاطاته المتعددة، و خاصة من تلامذته و محبيه و من اتصل بهم و هم كثير - لا يسع المقام لذكر من أعرفه منهم - فقد كان بيته - رحمه الله - في محلة السليمانية في مكة المكرمة محفلا لمعارفه من الخطاطين و المثقفين من مختلف أنحاء الوطن العربي و العالم الإسلامي.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣١

#### [٤] مؤرخ مكة الكبير و كاتب مصحفها إلى رحمة الله بقلم الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان

في الساعة الثالثة و النصف صباحا، التوقيت الزوالي من يوم الاثنين الموافق ٢٣ ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ الموافق ١٠ مارس سنة ١٩٨٠ م - انتقل المؤرخ الكبير العلامة الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر الكردي إلى رحمة الله، بعد مرض أسلمه الفراش لمدة عشرين يوما. و بوفاته تفقد البلد رائدا من رواد التعليم و الفكر في العصر الحاضر، الذي قامت على أكتافهم، و بجهودهم، النهضة العلمية الحديثة في المملكة العربية السعودية، فخرجوا أفواجا و أجيالا، من المتعلمين، أصبحت بأيديهم قيادة البلاد. و قد كان الفقيد - رحمه الله تعالى - إلى جانب اشتغاله بالتعليم ذا اهتمامات و تخصصات متعددة، أبرزها و أهمها: اهتمامه بتاريخ مكة المكرمة، و تحقيق كل ما يتصل بها من آثار و أولى الحرم المكي من إنتاجه العلمي و الفكري عناية خاصة - ندر أن يكون لها مثل - فوثق كل ما يتصل به من دراسات، سواء بطريق الرواية، أو الصورة الفوتوغرافية.

و لم يغب عنه الاهتمام و التوثيق التاريخي لمكة المكرمة حتى في أخرج الظروف و الأوقات.

و بعد أن نخر مرض السكر عظامه الذي تمكّن منه ما يقارب العشرين عاما، فأصاب جسمه بشلل نصفي، كان - رحمه الله - يطلب من أولاده تدوين ما يحدث - مما يروى له أو يقرأ - حتى الأمور البسيطة، بحاسة المؤرخ، و فحص الخير.

عاصر حادث الحرم، و ما فعلته الفئة الخارجة، في بداية عامنا هذا، و كان يتمنى أن تساعد قواه على تدوينه، و يأمل - و قد أصبح عاجزا - أن تهتم الحكومة السنوية بإصدار كتاب مفصل، توضح فيه كافة الجوانب، و الملابس، و الأحداث لهذا الحادث الذي يعدّ من بين الأحداث التاريخية المعدودة فيما يتصل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٢

بالمسجد الحرام، فيكون وثيقة تاريخية صادقة أمينه، تقف عليها الأجيال، بدلا من الروايات المتعددة و الإشاعات الرائجة التي قد لا يكون لها جانب من الصدق.

و كتابه خ خ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم موسوعة تاريخية و اجتماعية و أدبية عن مكة المكرمة، جمع فيه معارف شتى،

يقع في ستة أجزاء، طبع منه أربعة أجزاء، على نفقة السيد أحمد هاشم مجاهد، وكيل وزارة الحج والأوقاف سابقاً، والجزءان الآخران يقوم مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، بدراسته، لإعداده للطبع.

وهذه المدونة التاريخية، بالطريقة التي سلكها المؤلف - رحمه الله - هي مادة علمية جيدة، أرخ فيها ما أغفله التاريخ، وهي صالحة لأن يستخرج منها رسائل علمية متعددة الجوانب، خصوصاً في النواحي الاجتماعية، في هذا البلد الكريم. ذكر في تقديم الكتاب هذه العبارة:

خ خ هذا الكتاب أعظم تاريخ ظهر إلى اليوم، في الوجود، لبلد الله الأمين، مكة المكرمة، وبيته المطهر الشريف، ولكل ما له تعلق بالمشاعر العظام وغيرها، منذ عهد إبراهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام - إلى اليوم، وهو كتاب مزين بالخرايط المهمة، والصور الفوتوغرافية، والرسوم اللطيفة، للأماكن المقدسة، والمواضع الأثرية، والرجال البارزين، والعلماء المؤرخين، وتراجم كل منهم، وفيه من المباحث والمسائل ما لم يذكر في أي تاريخ، وفيه من مسائل الحج، والمواضيع المتنوعة الشيقة... وفيه من التحقيقات والتدقيقات... ولم نترك شيئاً من المسائل إلا ما يتعلق بالحروب والفتن التي وقعت فيما مضى من الأزمان، وسيصبح هذا الكتاب - إن شاء الله - قاموس التواريخ، يرجع إليه العلماء والفضلاء، في كل ما يتعلق ببلد الله الأمين وبيته المقدس، وجوهرة عزيزة فاخرة، فالحمد لله على إتمامه، والشكر له على إنعامه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وقد زخر كتابه بنماذج فنية رائعة لبعض الأشكال، والخطوط، وصور بعض العلماء والأعيان والحكام المعاصرين.

ومن آثار اهتمامه الخاص بالحرم المكي الشريف قيامه برسم سطح حجر مقام إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وفيه أثر القدمين.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٣

يتحدث الدكتور عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش في بحثه خ خ الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر الكردي - حياته ومؤلفاته عن أعماله في مجال الخط العربي، والزخرفة الإسلامية، عن رسمه سطح حجر المقام.

لوحة فنية نادرة لمقام إبراهيم - عليه السلام - ومقاس اللوحة الأصلية هو ٥، ٢٢\* ٢، ١٦ سم، وهذا العمل لم يسبق لأحد أن قام به، في العالم الإسلامي قاطبة، وعلى مَرَّ عصور التاريخ الإسلامي المجيد، ويظهر لنا من هذه اللوحة الدقة، وحسن التصميم، مما يدل على براعة الشيخ محمد طاهر الكردي، وحسن اختياره. ولقد طبعت هذه اللوحة في عام ١٣٨٢ هـ الموافق ١٩٦٢ م.

وأخرج رسوماً خاصة لأشكال بناية الكعبة المشرفة، على مر العصور، ومنظومة في صفة أشهر بنايات الكعبة، وألف كتاباً في مناسك الحج بعنوان خ خ إرشاد الزمرة لمناسك الحج والعمرة.

فكانت مكة المكرمة بلدة تعيش في روحه ودمه، وكان من بين الذين شاركوا في وضع الحجر الأساسي لتوسعة الحرم الشريف، وكان أحد المسؤولين عنها، كما كان له شرف وضع الإطار الفضي للحجر الأسود، والإشراف والمشاركة في ترميم الكعبة، وتحديد سقفها في التسعينات.

كما كان من أبرز اهتماماته العلمية فن الخط والزخرفة الإسلامية، فله - في هذا المجال - آثار هامة متعددة، توجهها بكتابته للقرآن الكريم، ويعتبر هذا الأثر مفخرة البلاد، ولقى انتشاراً وإقبالا، وأطلق عليه خ خ مصحف مكة وهو يشهد له بالدقة والكفاءة العالية، في هذا المجال، حتى أصبحت نسخ هذا المصحف نادرة، بل معدومة من الأسواق.

ومن أهم ما قام به، في هذا المجال، كتاب خ خ تاريخ الخط العربي وآدابه وهو كتاب ذو قيمة علمية كبيرة جمعه من أهم المصادر، وحلّه بأنواع الخطوط العربية، وضم فيه تراجم أشهر الخطاطين.

وليس هذا مجال عرض أعماله العلمية، وإنما أحيل القارئ الكريم إلى البحث العلمي الذي قام بدراسة أعماله عميد شؤون المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز بمكة الدكتور عبد اللطيف بن دهيش.



التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٤

أما حياته العلمية و الوظيفية، فقد ولد- رحمه الله- عام ١٣٢١ هـ الموافق ١٩٠٣ م بمكة المكرمة، و تخرّج من مدرسة الفلاح بمكة المكرمة، ثم سافر إلى مصر سنة ١٣٤٠ هـ، لطلب العلم بالأزهر الشريف، ثم التحق بمدرسة تحسين الخطوط العربية الملكية، في سنة افتتاحها، عام ١٣٤١ هـ.

و يتحدث الفقيه- رحمه الله- عن تعلمه فن الخط بقوله: خ خ و لم يخطر ببالي أن أكون يوماً ما معدوداً في مصاف الخطاطين، و لكن كان ذلك في الكتاب مسطوراً، فأخذت في المدرسة المذكورة خط الثلث، و النسخ، و الرقعة، و جلي ... و كذلك أخذت الخطوط المذكورة مع الخط الفارسي، و الخط الديواني، و فن التذهيب، و الرسم، و الزخرفة ...

ثم عاد إلى البلاد فعين موظفاً بالمحكمة الشرعية الكبرى عام ١٣٤٨ هـ، و في بداية عام ١٣٤٩ هـ انتقل إلى حقل التعليم، فعين مدرساً بمدرسة الفلاح بجدة.

و في سنة ١٣٥٣ هـ سافر إلى مصر، ثانياً، فأقام بالقاهرة عاماً كاملاً، و بالإسكندرية عاماً آخر، و كانت فترة حافلة بالنشاط العلمي و التأليف و الاتصال بالعلماء.

و في سنة ١٣٥٥ هـ عاد إلى المملكة، و عمل بمدرسة الفلاح بجدة، لفترة قصيرة، ثم اختارته مديرية المعارف- آنذاك- للتدريس بمدارسها، فدرس في المدرسة السعودية، أولاً، ثم العزيرية الابتدائية، ثانياً.

و عندما قامت مديرية المعارف بفتح مدرسة لتحسين الخط و تعليم الآلة الكاتبة- عين مديراً لها- و علاوة على ذلك فإنه كان يعمل خطاطاً بمديرية المعارف، ثم اختير مستشاراً في الجهاز الإداري لمشروع توسعة الحرم المكي الشريف، فكان نعم المعين، لمعرفته بتاريخ مكة المكرمة و الحرم الشريف.

و في عام ١٣٨٣ هـ أصيب بمرض ألزيمه الفراش، فأثر على حواسه، و ظلّ معه سنين، ثم منّ الله عليه بالشفاء منه، و لكن مع اعتلال و ملازمة للعلاج، و كان مصاباً بمرض السكر الذي لازمه حتى الموت.

و لم ينقطع المرحوم عن القراءة و التأليف، خلال فترة مرضه، ما استطاع و قد فقد بصر إحدى عينيه- عاماً- قبل وفاته.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٥

اشتهر- رحمه الله- بعقّة النفس، و الاعتزاز و كرم الطبع و السخاء، مع حدة في الطبع.

غادر الفقيه الحياة، و قد عاشها عيشة الزاهدين المتقشفين، مثله مثل جيله من علماء هذه البلاد الذين انصرفوا عن الدنيا، رغم الفرص الكثيرة التي أتاحت لهم، فتركوا الحياة، و لم يملكو شبراً من أرض.

و يذكر في هذا بقول الشاعر:

كم عالم يسكن بيتاً بالكري و جاهل له قصور و قري

رحمهم الله رحمة الأبرار، و عوّض عنهم من يخلفهم من أبناء هذه البلاد، و يملأ- مراكزهم العلمية، يقتفون آثارهم، و يخلدون ذكراهم، و يحملون رسالتهم في أمانة و وفاء.

##### [٥] ملحق التراث يشاطر العالم الإسلامي في مصابه بالخطاط المكي محمد طاهر الكردي - كاتب مصحف مكة المكرمة

كان علماً من علماء العهد الماضي، و رائداً من رواد العلم، و حملة القرآن الكريم، و داعياً من دعاة الشريعة و الحق و الخير، قضى حياته- راضياً مطمئناً- في النفع، و الثقيف، و نشر العلم، و بذل وقته و جهده و ماله- بلا- نصب و لا- تعب- قارئاً مستقراً، كاتباً مستكتباً، لا يريد مالا و جاهاً و لا رياءً و لا سمعةً، كفاء ما يقرأ، أو يكتب، أو ينشر من العلم و التقوى و القدوة الصالحة، و إنما يتبغى وجه الله تعالى، و يطلب أن ينفع الله بما يعمل، و يكتبه به من العلماء المخلصين المقبولين، و يحشره مع الذين أنعم عليهم من النبيين

و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا.

و لم يزل على هذه الحال موردا عذبا للظالمين من طلبه العلم، و معينا لا ينضب بعلمه الغزير و سلوكه القويم، و نبراسا لشباب هذا الجيل الصاعد و ما يليه في الصمود على الحق، و الجدل في طلب العلم، و الصبر على مشكلات الحياة و صحة العزيمة على فعل الخير، و إسداء النفع للآخرين، حتى لقي وجه الله تعالى،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٦

في جده، مساء يوم الأحد، قبل الفات، و دفن- في مكة المكرمة- بعد صلاة العصر من اليوم التالي.

إنه المرحوم الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط، كاتب مصحف مكة المكرمة، و الخطاط بمديرية المعارف العامة بمكة المكرمة- سابقا- و الشاعر المبدع صانع المنظومة المشهورة للكعبة الشريفة، و وصفها، في مائة و تسعة و ثلاثين بيتا، و المؤلف الفذ صاحب التصانيف الكثيرة في فنون متعددة، من أظهرها فن الخط، و رسم القرآن الكريم، و تاريخه، و حكمه، و جمعه، و كتابته، و ترتيب آياته، و سوره، و ضبطه و تصحيحه، و هي فنون دقيقة فتح الله- سبحانه و تعالى- بها عليه، بعدما تجرد لكتابة المصحف الشريف، فكانت هذه الفنون جميعها- بحق- من بركة هذه الكتابة.

من أعماله المشهورة- رحمه الله- أن وفقه الله تعالى لكتابة القرآن الكريم، بخط يده، كاملا كتبه على وفاق رسم المصحف العثماني، نقلا عن المصحف الذي طبعته الحكومة المصرية، سنة ألف و ثلاثمائة و اثنتين و أربعين للهجرة، تحت إشراف مشيخة الأزهر و مشيخة المقارئ العمومية.

و قد انتهى- رحمه الله- من كتابة هذا المصحف الشريف، في ختام عام ألف و ثلاثمائة و اثنين و ستين للهجرة، فتألفت لجنة من العلماء، في المملكة، للعناية بتصحيحه، و هم السيد أحمد حامد التيجي، و الشيخ عبد الظاهر أبو السمح، و السيد محمد أحمد شطا، و السيد إبراهيم سليمان النوري، و الشيخ علي محمد الضباع، فطبع باسم خ خ مصحف مكة المكرمة، فكان أول مصحف يكتب، في مكة المكرمة، في العصر الحديث، و أول مصحف يطبع- أيضا- في مكة المكرمة، أوائل سنة ١٣٦٩ هـ. و من مؤلفاته:

تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه، و هو يبحث في التعريف بالقرآن الكريم، و ما يتضمنه من الإعجاز و الشمول في الأحكام و الآيات، و في جمعه، و كتابته، و ترتيب آياته و سوره، و ضبطه، و تصحيحه، و في غرائب رسم كلماته، و حكم اتباع رسمه، و سبب نقط حروفه و تشكيلها، و هل رسمه توقيفي أم لا؟

و قد طبع هذا الكتاب طبعين، في شركة مصطفى البابي الحلبي للطباعة في مصر، غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ هـ و صيف عام ١٣٧٢ هـ.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٧

مقام إبراهيم- عليه السلام- و يتناول بناء البيت الحرام، في أدواره الأربعة:

بناء إبراهيم الخليل- عليه السلام- و بناء قريش، و بناء عبد الله بن الزبير- رضى الله عنهما- و بناء الحجاج بن يوسف الثقفي، مزدانا بصور مبتكرة للكعبة المشرفة، في هذه البناءات الأربعة وفق ما ورد في كتب التاريخ المعتمدة.

و قد طبع الكتاب، في القاهرة، طبعة واحدة، سنة ١٣٦٧ هـ.

منظومة في بناء الكعبة المشرفة، و هي منظومة لطيفة في وصف بناء البيت الحرام، في أدواره الأربعة: بناء إبراهيم الخليل- عليه السلام- و بناء قريش، و بناء عبد الله بن الزبير- رضى الله عنهما- و بناء الحجاج بن يوسف الثقفي، وضعها المؤلف لاعتقاده بأن النفوس المهذبة تستحلى سماع الشعر و إنشاد القريض، و أن الطلاب الأذكياء ترسخ- في عقولهم- الأبيات الشعرية أكثر من الثريات، و بخاصة ما كان منها سهل الوزن لطيف المعنى.

و قد نشر المؤلف هذه المنظومة مرتين، مرة في الهند أوائل سنة ١٣٦٧ هـ، و مرة في القاهرة سنة ١٣٧١ هـ. حسن الدعاية فيما ورد في الخط و أدوات الكتابة، و هو تأليف مستقل في الخط و أدوات الكتابة، يأتي على أنواع الخط، و أشكاله، و ما ورد فيها من أقوال للسلف الصالح، و في وصفها، و ذكر محاسنها، نثر و شعرا، و يأتي على أدوات الكتابة المختلفة، ظهورها، و تطورها و ما جاء فيها، من شعر و نثر، في أقوال السابقين. و قد طبع الكتاب في مصر، سنة ١٣٧٠ هـ. مجموعة الحرمين - كراسات في تعليم خط النسخ، كان المرحوم الشيخ محمد طاهر الكردي قد وضعها للناشئين و الراغبين في تعلم الخط النسخي، استجابة لرغبة المعارف العامة بمكة المكرمة. و قد طبعت هذه الكراسات في مصر، غير مرة.

و له - رحمه الله - عدد آخر من المؤلفات المخطوطة، التي ما تزال رهن مخاطرها في انتظار دورها في الطبع و النشر، منها: الموعظة الحسنه في عدم اليأس و الصبر و التفويض. إرشاد الزمرة لمناسك الحج و العمرة. تحفة العباد في حقوق الزوجين و الوالدين و الأولاد. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٨ و من شعره، قوله:

كم عاقل فاضل تلقاه مضطربا و جاهل خامل تلقى به طربا  
هذا له الحظ في الدنيا و ذاك له عز من الله في أخراه قد وجبا  
و قوله:

لقد استراح من الحياة و كدها من الهموم و رؤية الأهوال  
من مات أو من جن أو متبتل لزم القناعة صادق الأحوال  
و قوله:

دع الأمر تحت القضا و القدر فما ينفع العقل لا و الحذر  
فمنه رام سخطا على ما جرى فذاك الكفور و شرّ البشر  
و من سلم الأمر نال المنى و ما يبتغيه و نال الظفر  
فصبرا جميلا على ما قضاة الإله عساه يزيل الضرر  
و لا تترك الدعاء و الطلب فإن اللطيف به قد أمر  
و لا تركن بحار الهوى فإن المعاصي قرين الخطر  
و قوله:

زدني بفرط الابتلاء تصبرا و الطف بما قدرته فيما جرى  
يا من له عنت الوجوه جميعها حماك فالعبد الذليل تحيرا  
إن لم يكن لم منك لطف شامل أو فضل إحسان عليّ مكررا  
فمن الذي أرجو لكشف بليتي أو من إليه أميل من بين الوري  
و الكل مفتقر إليك و سائل من فيض جودك نقطة أن تقطرا  
لا أرتجى أحدا سواك و أنت لي نعم الملاذ و من رجاك استبشرا  
إني سألتك و الهموم تراكمت و الدهر عاند و الزمان تنكرا

حاشا تخيب من رجاك مؤملاهما جنى أو كان فيك مقصرا  
 و له - رحمه الله - فى باب النثر، حكم و أمثال مبتكرة، منها:  
 \* حركات المرء تدل على عقله.  
 \* حفظ المعروف من المروءة.  
 \* لا تهد شيئا لمن لا يقدره.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٩

\* تقدير الأعمال يزيد نشاط العمال.  
 \* مراعاة إحساس الأصدقاء تقوى حبل الصداقة.  
 \* العزيز إذا افتقر هان.

\* دوام العزلة يميم النشاط و الهمة.

\* الاعتراف بالإحسان من كمال الإنسان.

\* إذا افتقر العاقل تعرض للزلل.

\* الاستبداد و القسوة يورثان البلادة و الجفوة.

\* هضم الحقوق موجب للعقوق.

\* لا ينهض المرء بفقره.

\* الكريم إذا ضاقت به الأحوال لم يختلط بالناس.

\* المال أساس النجاح.

\* المال يستر العيوب.

\* الكريم بلا مال كالشجاع بلا سلاح.

\* الأحمق و اللئيم يضيع معهما المعروف.

\* كثرة الخضوع نفاق.

\* لا يشقى من حالفه الحظ.

\* لا تحقر ضعيف اليوم فقد يصبح غدا عظيما.

\* لا تتودد إلى من لا يعتبرك.

\* الفوضى عاقبتها الفشل.

\* الصبور إذا انتقم بطش.

\* الانهماك فى العمل يؤدي إلى الملل.

\* من احترم غيره فقد احترم نفسه.

\* الوظائف تكيف الرجال، و الرجال تنهض بها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٠

فله هذه النفس العالية، و فضائلها الجليلة، و لله هذا التكوين الموسوعى المحبب فى ثقافة الرجل، و لله هذه الهمة الأدبية، و الجلد العجيب فى خدمة كتاب الله الكريم، و لغته، فرحمه الله تعالى، رحمة واسعة، و تغمده بفضله و إحسانه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤١

## تقديم الكتاب

هذا الكتاب هو تاريخ لبلد الله الأمين مكة المكرمة وبيته المطهر الشريف و لكل ما له تعلق بالمشاعر العظام و غيرها منذ عهد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام إلى اليوم، و هو كتاب مزين بالخرائط و الصور الفوتوغرافية و الرسوم للأماكن المقدسة و الرجال البارزين و العلماء المؤرخين و تراجم كل منهم و فيه من المباحث و المسائل ما لم يذكر في أى تاريخ و فيه من مسائل الحج و المواضيع المتنوعة الشيقة ما يجذب الفؤاد. و الحاصل أن هذا الكتاب يحتوى على المسائل التى وقعت فيما مضى من الأزمان و هو قاموس التواريخ يرجع إليه العلماء و الفضلاء فى كل ما يتعلق ببلد الله الأمين و بيته المقدس، إنه لدره ثمينه نادره فالحمد لله على إتمامه و الشكر له على إنعامه و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم.

و رحم الله تعالى من يقول:

فالبلد الأمين أعنى "مكة" أم القرى و قد يقال "بكة"

أجدر ما يخدم من بلاد لأنها شريفه التلاد

قد اعتنى بها كثير الناس من خلفا و من ملوك الناس

و كيف لا و من أتاها أمانا و من أقام مخلصا له الهنا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٢

## خطبة الكتاب

## إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، العزيز الحكيم و الحليم الكريم. ربنا و رب السموات و الأرض و رب العرش العظيم، القائل فى كتابه المبين: وَ التَّيْنِ وَ الزَّيْتُونِ\* وَ طُورِ سَيْنِينَ\* وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ - يقسم الله تعالى عز و جل ببعض الأشياء المخلوقة القيمة، و من ضمنها هذا البلد الأمين، و المراد به مكة المكرمة شرفها الله تعالى و أدام أمنها و أمانها و خيرها و رخاءها آمين، لما فيها من بيت الله الحرام، و من الآيات البينات و المشاعر العظام.

و الصلاة و السلام المباركان الدائمان إلى يوم الدين، على شفيح الأمة و نبى الرحمة الذى أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، سيدنا و نبينا "محمد" خاتم الأنبياء و المرسلين، الذى سعدت الحجاز كلها بوطء أقدامه الشريفة عليها فى سهولها و جبالها و براريها، و استأنست دوابها و وحوشها إلى شفقتة و إحسانه و مراعاته، و اطمأن أهلها و سكانها إلى لطفه و حلمه و حكمه و عدله و وفائه و دعائه، و استظلوا بظل فضله و كرمه و عظيم أخلاقه، و على آله و أمته و أصحابه الذين اختارهم الله تعالى و اصطفاهم من الخلق و زكاهم و طهرهم و رضى عنهم و وفقهم لاتباع الحق.

أما بعد، فيقول مؤلف هذا الكتاب محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط عفا الله تعالى عنه و غفر له و لوالديه و للمسلمين آمين - اعلم أن التاريخ علم عظيم الفائدة كبير النفع، يطلع الإنسان على أحوال السابقين، من الأمم و الأفراد المعبرين، فيقف على حقائق الحوادث و الأمور، و يزداد فهما و علما كلما تأمل فيما بين السطور، و إلى هذا المعنى يشير بعض العلماء بقوله:

و بعد فالتاريخ علم شرفه عالية بين الأنام غرفه

و فيه ما فيه من المنافع حتى لقد قال الإمام الشافعى

فى خبر قد صح عنه نقله من حفظ التاريخ زاد عقله

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٣ و هو كلام ظاهر لا شك فى صحته و سره غير خفى

فالتاريخ هو ترجمان العصور، ولسان الدهور، فالأمة التي لا تاريخ لها لا قيمة لها، ولا شك أن خير أجناس الأمم العرب، وأفضل العرب عرب الحجاز، وأفضل الحجاز الحريمين الشريفين، لأن فيهما وفي أطرافهما قریش، فليس على وجه الأرض بلدة مستقلة بدين واحد، إلا مكة والمدينة، فمنهما انتشر الإسلام وإليهما يارز الإيمان، فمكة محل ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم والمدينة موضع موته، وهما يمتازان على جميع البلدان والأقطار بما سنذكره إن شاء الله، ولا شك أن لهما من التاريخ المجيد ما هو حافل بكل طارف وتليد، وما من مسلم إلا وهو يفضلهما معترف وعارف، فكم أُلّف في تاريخ هاتين البلديتين الطاهرتين من العلماء الأجلاء كتباً وأسفاراً، وكم وضعوا في فضلهما ومكانتهما مؤلفات شتى حازت قبولاً وإكباراً، من سابق الأعوام والأزمان، إلى هذا العصر والأوان.

ولقد كان من أجل نعم الله عليّ، وكل نعمائه عظيمة وجليلة، أن وفقني سبحانه وتعالى لتأليف تاريخ قيم ثمين لهذه البلدة الطاهرة مهبط الوحي الأمين، مكة المكرمة شرفها الله تعالى وحماها، بعد أن جعلني من أهلها وأدخلني في حماها، وقد سميت هذا التاريخ المبارك "التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم" وقد ابتدأت في تأليف هذا التاريخ من شهر شعبان سنة ١٣٧٥ خمس وسبعين و ثلاثمائة وألف من الهجرة، وهي السنة التي ابتدأوا فيها بتوسعة المسجد الحرام في زماننا هذا وهي التوسعة السعودية.

ومن عجيب الأمور والإشارات، ما كنت أراه في المنام مراراً عديدة، وذلك قبل تألّفي لهذا التاريخ بأكثر من عشر سنوات، بأني دخلت الكعبة المشرفة، أو طفت بها، أو وقفت أمام نفس حجر مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام أو أنني أنظر إلى ما في الكعبة من كتابات ونقوش، أو أراني أنزل إلى جوفها تحت الأرض، وأحياناً أرى أنني بعد طوافي بالكعبة أرجع إلى ما بين زمزم والمقام أتأمل الكعبة وما حولها، و ليلة أرى على الكعبة المعظمة كسوة جديدة طريفة من داخلها وخارجها، وأرى بابها قد جدد بالذهب والفضة وقد زيد في عرضها كثيراً.

وهكذا كانت رؤياي في مدة السنوات المذكورة عن المسجد الحرام وعن الكعبة المشرفة والمطاف وزمزم والمقام على هيئات مختلفة وصور وأشكال متنوعة، و كنت أتأولها خيراً وأخذ منها الفأل الحسن برضاء الله تعالى وتوفيقاته المتواليه، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٤

وبالفعل فقد وفقني الله تعالى لتأليف كتابي المطبوع بمصر المسمى "مقام إبراهيم عليه السلام" وذلك سنة (١٣٦٧) سبع وستين و ثلاثمائة وألف هجرية، وأعتقد أنه هو الكتاب الأول الذي أُلّف عن المقام الكريم الذي هو أمام الكعبة المعظمة. ولم يكن يطرأ ببالي قط أنني أشتغل بتأليف تاريخ عن مكة المشرفة وخدمة بيت الله المطهر، وإذا هجس بقلبي ذلك كنت أستبعد وقوعه لما في ذلك من المشقة الكبرى والتعب العظيم؛ لأنه ليس من السهل وضع تاريخ مفصل عن هذه البلدة المقدسة الطاهرة العريقة في المجد والشرف والخير والبركة.

فلما مضت ثمان سنوات على تألّفي كتاب "مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام" إذا بنا نسمع أن حكومتنا السعودية قد عزمّت على توسعة المسجد الحرام بمكة المشرفة، وإذا أنا قد انتخبت رسمياً أن أكون عضواً في اللجنة التنفيذية لتوسعة وعمارّة المسجد الحرام، فقلت الحمد لله وعلى بركة الله ولا بد أن يكون لي في هذا الأمر شأن يذكر، فلما كان في شهر شعبان (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس وسبعين، شرح الله تعالى صدرى لتأليف تاريخ عظيم من بلد الله الأمين (مكة المكرمة) وعن بيته المطهر (الكعبة الغراء) وعن المشاعر العظام وعن طرق الحج ومسالكه، وكلما مر يوم من شعبان ازدادت رغبتي في الاشتغال بوضع التاريخ، وإذا بي أجدني في يوم من الأيام أخذت في أسباب التأليف، وسألت الله تعالى العون والإمداد في هذا العمل المجيد، وتوكلت على الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، فكتبت أول ما كتبت من التاريخ مبحثاً عن كسوة الكعبة الداخلية والخارجية بإسهاب وترتيب مبتكر، فكنت موفقاً ولله الحمد إلى أقصى حد، وقد أتممت هذا المبحث بعد ثلاثة أشهر وهي: شعبان، ورمضان، و شوال. ولقد سررت جداً بإتمامه كما ينبغي وإن تعبت في ذلك تعباً عظيماً لا يعرفه إلا من مارس التأليف، كما قال الشاعر:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيتها

فالتأليف أمر لا يستهان به، و رب قائل يقول: ما سبب بدئك بالكتابة عن مبحث الكسوة؟ فأقول: ليس له سبب علمي ولا سبب فني وإنما هكذا جاء مبحث الكسوة من ابتداء الأمر فمشيت فيه حتى أتممتها، ولقد جرت عادتي في تأليف الكتب، أننى أكتب مباحث الكتاب و فصوله و أبوابه، حتى إذا ما انتهيت منه أرتبها ترتيبا حسنا، فالمؤلف يجب عليه أن يتبع الفتوحات الإلهية، و أن ينتهز

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٥

فرصة انشراح صدره لأى مسألة من المسائل و أى مبحث من المباحث، و بهذا الترتيب لا يضيع عليه شىء من مسائل الكتاب؛ لأنه حريص على تدوين ما يفتح الله به عليه أولا فأولا، و الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

و مما يجب أن أقر و أعترف به إيماننا بتوحيد الله الحليم العظيم رب العرش العظيم، هو أن تأليفى لهذا الكتاب لم يكن إلا بمحض فضل الله تعالى و إرادته لا- بحولى ولا- بقوتى ولا بإرادتى، فإنه تعالى إذا أراد شيئا هيا أسبابه، و أعان عباده على الأمور التى أراد إظهارها، تنفيذاً لمشيئته الأزلية، و تحقيقاً لقضائه و قدره لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

و تحدثنا بنعمة الله تعالى علىّ أقول: إننى صنت كتابى هذا من كل مسألة ليست لها صحه، و من كل حادثة فيها شك أو ريب، و أننى ابتعدت عن ذكر الأمور الخرافية و الدجل كل البعد، كما أننى التزمت ذكر الحوادث بدون مبالغه و لا تزييف، فإن ذلك مما ينفى الثقة من المؤلف و يذهب من بهاء الكتاب و قيمته، و قد أعانى الله على كل ذلك بفضل و منته.

و لقد جعلت فى هذا الكتاب من الخرائط و الرسوم و الصور، ما يوضح مبهمات المسائل و الأمور، و يضىفى عليه حسن المنظر و الجمال و إنها لجديرة بالعناية و حسن الالتفات، حيث لا يوجد فى تاريخ من الصور و الرسوم ما فى هذا التاريخ العظيم منها و الحمد لله على التوفيق.

و لقد وضعت فى الكتاب أيضا كثيرا من الاقتراحات التى تتناسب مع بعض المباحث و تتفق مع مكانه هذه البلده الطاهرة، رجاء العمل بها إن شاء الله تعالى.

أما مصادر كتابى هذا، فمتعدده، فقد نقلت من الكتب المعتمده فى شتى العلوم و الفنون، ككتب التفسير، و الحديث، و التاريخ، و الأدب، و غير ذلك، و إذا نقلت شيئا نسبته إلى الكتاب الذى نقلته منه بصريح القول و العبارة، فهذا العمل أفضل و أسلم كما هو عادة العلماء من قديم الزمان. و لم أنس و لله الحمد وضع ترجمه كل من له تعلق بتاريخ مكة فى كتابى هذا، عند ذكر اسمه فى المناسبات القوية التاريخية.

فكتابى هذا قد استوعب ما وقفت عليه من تاريخ مكة، فقد جمعت فيه كل المسائل و الأبحاث القيمة المتعلقة بها، ما عدا ذكر الحروب التى وقعت بمكة، شرفها الله تعالى و حفظها من الفتن ما ظهر منها و ما بطن، فى العصور السابقة إلى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٦

أن استولى عليها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى فى عصرنا الحاضر سنة (١٣٤٣ هـ) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين، فانتشر الأمن و الأمان فيها و فى جميع المملكة، بما لم يكن فى سالف الأزمان، و لله الحمد و الشكر.

و السبب الذى من أجله تركت ذكر حوادث الحروب بمكة، هو أن ذلك يعرضنى إلى ذكر مساوى من سبقنى بالإيمان من أموات المسلمين و هم قد قدموا إلى ما عملوا، و قد قال صلى الله عليه و سلم: «اذكروا محاسن موتاكم و كفوا عن مساوئهم».

و أيضا لابد إذا ذكرت ما وقع بين فلان و فلان أن أقع فى غيبتهم، و الغيبة حرام للأحياء و الأموات قال الله تعالى: وَلَا يَغْتَبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

ثم إن ذكر الحروب من اختصاص المؤرخين السياسيين، و أنا لا أعرف فى السياسة شيئا منذ الصغر، فالحمد لله الذى عافانى منها لأشتغل بما هو أنفع و أصلح لمثلى، ففى الصحيحين: «كل ميسر لما خلق له». و فى المثل: للتين قوم و للجميز أقوام. فالسياسة مطلوبة

بل واجبة لكن على طبقة خاصة، و هي طبقة الملوك و الوزراء و الأمراء، الذين بيدهم الحل و العقد، ليوجهوا العباد إلى طريق الخير و السداد، و يجنبوا البلاد ويلات الحروب و الفساد، ففي الصحيحين: «كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته».

إن من ينظر في تاريخ مكة للإمام الأزرقى رحمه الله تعالى و غفر لنا و له و هو يعد أعظم تاريخ مهم لمكة المشرفة في صدر الإسلام، فالإمام الأزرقى توفى إما في أواخر القرن الثاني أو أوائل القرن الثالث للهجرة، إن من ينظر في تاريخه يجده تاريخا مهما محترما محررا في مباحثه، و ما ذكر فيه من قياس أطوال بعض الأماكن مهم جدا كقياس ما بين الكعبة و الصفا أو ما بين الصفا و المروة أو ما بين الكعبة و عرفات، و غير ذلك من الأماكن و المشاعر العظام، و كل ذلك مبين بالأذرع بيانا تاما وافيا، و لا ندرى كيف تمكن الإمام الأزرقى رحمه الله تعالى و أثابه على أعماله العظيمة من تحرير كل ذلك، و الذى نعتقده أن جميع أهل هذه البلدة الطاهرة من أميرها و علمائها و أفرادها العوام و الخواص كانوا يقومون بخدمته و يساعدونه في جميع ما يطلب.

هذا و قد تحملنا الكثير من التعب و المشاق في إبراز هذا التاريخ و نرجو من الله الكبير أعظم المساعدة و المعونة، فالحمد لله رب العالمين حمدا يليق بجلاله و عظمته.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٧

و ختام القول: أننى أحمد الله عز و جل على توفيقاته المتواليه، و نعمائه المتتاليه، و توجيه قلبى للاشتغال بالعلوم النافعه مع ما أنا عليه من الغفلة، و التقصير في طاعة الله الملك الديان.

و الله أسأل و هو أكرم مسؤول، أن لا يحرمنى من الأجر و الثواب، فيما تركته بعدى من التأليف النافعه و بالأخص كتابتى لمصحف مكة المكرمة الذى اشتهر و عم في الآفاق، تحقيقا لقول نبيه و رسوله محمد صلى الله عليه و سلم المروى في صحيح مسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

كما أسأله سبحانه و تعالى أن يجعل لى في الدارين اسما طاهرا، و ذكرا مباركا حسنا، و عملا متقبلا، فالإنسان تاريخ نفسه، فإنه يموت و يفنى و يبقى ذكره و آثاره، و قصصه و أخباره، و ما أحلى قول الشاعر:

إن المآثر في الورى ذرية يفنى مؤثرها و يبقى ذكرها

فترى الكريم كشمعة من عنبر ضاءت فإن طفئت تظوع نشرها

إملا الدنيا بما تستطيع من عمل يبقى إذا العمر ذهب

إنما الأعمال تاريخ الفتى تقرأ الأجيال فيه ما كتب

و قول الآخر:

ما تنسج الأيدى يبيد و إنما يبقى لنا ما تنسج الأقلام

و قال بعضهم:

ليس للإنسان إلا ما سعى و جزاء المرء من جنس العمل

و إنى بحمد الله تعالى قد اشتغلت بالتأليف في مختلف العلوم و الفنون، منذ أربعين سنة حتى بلغت مؤلفاتى نحو أربعين كتابا أجلها و أعظمها كتابتى لمصحف مكة المكرمة و هو مطبوع منتشر، و تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه و هو مطبوع أيضا، و التفسير المكي و سيطبع قريبا إن شاء الله تعالى، و غير ذلك من المؤلفات التى سنينها في آخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، و إنه ليحق لى أن أتمثل بقول الشاعر:

صرفت زمانا في فنون جمعتها و أفرغت جهدى و الجنون فنون

فلما تجلى الأمر و انكشف الغطاءيين لى أن الفنون جنون

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٨



هذا وقد اعتنى كثير من العلماء الفضلاء بوضع تاريخ لمكة المكرمة منذ العصور الأولى إلى زماننا هذا كالشيخ سلامة و الشيخ الغازي و الأستاذ أحمد السباعي، و من المتقدمين الإمام الأزرقى و الإمام الفاكهي و العلامة الفاسي و العلامة القطبي و غيرهم رحمهم الله تعالى جميعا، كما سنذكر أسماء المؤلفات بعد هذه الخطبة، فالحمد لله الذى ألحقنى بهم و وفقتى لخدمه هذه البلاد المقدسه، و إلى هذا نشير بقولنا:

فالبلد الأمين أعنى "مكة" أم القرى و قد يقال "بكة"

أجدر ما يخدم من بلاد لأنها شريفه التلاد

قد اعتنى بها كثير الناس من خلفا و من ملوك الناس

و كيف لا و من أتاها أمانا من أقام مخلصا له الهنا

و لقد سافرت إلى مصر من مكة المشرفة مرارا عديدة، و تسجيلا لإحدى هذه الزيارات لمصر أضع صورتى المأخوذة هناك عام ١٣٦٧ هـ للذكرى و الاعتبار و طلبا لدعاء إخوانى المسلمين بالمغفرة و الرحمة فى الحياء و بعد الممات و هى هنا تحت صورة والدى.

هذا و إن من الواجب على الإنسان أن يشكر من أسدى إليه معروفا و أن يكافئه و يدعو له بخير، و أولى الناس بالشكر و الدعاء أب الإنسان و أمه، كما قال تعالى فى كتابه العزيز فى سورة لقمان: وَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ و قال عز شأنه فى سورة الإسراء عن الوالدين و معاملتهما بالإحسان: وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا.

فإنى لا أنسى والدى من الدعاء بالمغفرة و الرحمة فى كل وقت، أما والدى التى توفيت فى أوائل عام (١٣٣٤) هجرية و دفنت بمكة بمقبرة المعلا- و أنا دون البلوغ، فإنى لا أنسى حنانها و محبتها و بالغ خدمتها و رعايتها، فقد كانت من الصالحات و فضليات النساء حقا. و أما والدى الشيخ عبد القادر الكردي الذى توفى فى اليوم التاسع من شهر رجب عام (١٣٦٥) هجرية و دفن بالطائف بالمقبرة التى بجوار مسجد ابن عباس رضى الله تعالى عنهما، و قد بلغ التسعين عاما و كان صالحا فى غاية الاستقامة، فإنى لا أنسى حسن تربيته و رعايته و عظيم عنايته بتعليمى، فلقد أدخلنى رحمه الله تعالى مدرسة الفلاح بمكة المشرفة منذ نعومة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٩

أطفارى، فلما تخرجت منها أخذنى بنفسه فى أول سنة (١٣٤٠) ألف و ثلاثمائة و أربعين هجرية إلى مصر و أدخلنى الأزهر الشريف لأتعلم العلم فيه، ثم تركنى و رجع إلى مكة المكرمة بعد شهرين- فهناك تعلمت العلم و المعرفة و تربيت بين الرجال البارزين فى العلم و الصلاح- و إليك صورة و الذى أضعها هنا تخليدا لذكره و تسجيلا لأياديه البيضاء على- و إنى لا أنسى و الذى لا و والدى من الدعاء عقب الصلوات فى كل يوم، اللهم ارحمهما رحمة الأبرار، و ألحقنى بهما على الإيمان الكامل بطهارة و نظافة و راحة تامه، و اجعل موتى فى بلدك الأمين فى أشرف الأوقات و أشرف الساعات أمين يا رب العالمين. و صلى الله و سلم على النبى الأمين و على آله و صحبه أجمعين.

انظر: صورة رقم ١، الشيخ عبد القادر الكردي المتوفى سنة ١٢٦٥ هـ

انظر: صورة رقم ٢، لمؤلف الكتاب الشيخ محمد طاهر كردي الخطاط

و نختم كلامنا هذا بالدعاء الآتى: نسأل الله الحليم العظيم رب العرش العظيم أن يتقبل منا صالح الأعمال، و أن يعاملنا بما هو أهله من الرحمة و الإحسان و العفو و الغفران، و أن يحشرنا فى زمرة النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا، اللهم يا حليم يا عظيم يا رب العرش العظيم، أمتعنى بسمعى و بصرى و عقلى و قوتى و احفظ على إيمانى و عقيدتى، و احفظنى فى أهلى و أولادى، و استرنا فى الدارين بستر ك الجميل، و ارزقنا رزقا حلالا و اسعنا مع التوفيق فى الإنفاق منه بدون طغيان و لا عصيان، و لا تشمت بنا الأعداء، و توفنى مسلما و أنت عنى راض براحه تامه و طهارة و نظافة، و تلقنى يوم ألقاك بالعفو و الغفران، و الرحمة و

الإحسان فأنت العزيز الحكيم و الكريم الرحيم، و أنت على كل شىء قدير. اللهم صل على نبيك و عبدك و صفوتك من خلقك، نبي الرحمة و شفيع الأمة سيدنا و مولانا "محمد" و على آله و أصحابه و أزواجه و ذريته، و سلم تسليما كثيرا، و الحمد لله رب العالمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، و سلام على المرسلين. و الحمد لله رب العالمين.

كتبه مؤلف هذا الكتاب محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط عفا الله عنه و غفر له و لوالديه و للمسلمين آمين التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٠

### بعض أسماء الكتب التي ألفت في تاريخ مكة المشرفة و وقفنا عليها و ربما هناك غيرها في بعض البلدان لم نطلع عليها

عدد/ اسم الكتاب/ اسم المؤلف ١ و ٢/ تاريخ الكعبة المعظمة، و تاريخ عمارة المسجد الحرام. و مؤلفهما من أهل عصرنا، و هذان الكتابان مطبوعان. / كلاهما للشيخ حسين عبد الله باسلامة  
٣/ إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، و هو غير مطبوع. / للشيخ عبد الله الغازي  
٤/ تاريخ مكة، و هو كتاب مطبوع. / للأستاذ أحمد السباعي  
٥/ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، و هو هذا الكتاب.  
قدمنا هذه المؤلفات لأن مؤلفيها كانوا في عصر واحد. / للشيخ محمد طاهر الكردي المكي الخطاط  
٦/ أخبار مكة و ما جاء فيها من الآثار و هو كتاب مطبوع و مؤلفه من أهل القرن الثاني أو الثالث. / للإمام أبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى

٧/ شفاء الغرام بأخبار بلد الله الحرام، و هو كتاب مطبوع. / للعلامة تقي الدين الفاسي  
٨/ الجامع اللطيف في فضل مكة و أهلها و بناء البيت الشريف. / للعلامة ابن ظهيرة القرشي  
٩/ كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام و هو (التاريخ القطبي) و هو كتاب مطبوع. / للعلامة قطب الدين الحنفى  
١٠/ مرآة الحرمين، و هو كتاب / لإبراهيم رفعت باشا المصرى  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥١  
مطبوع باللغة العربية. /

١١/ مرآة الحرمين، و هو كتاب مطبوع باللغة التركية. / لأيوب صبرى باشا التركى  
١٢/ إتحاف الورى بأخبار أم القرى. / للعلامة نجم الدين عمر بن فهد  
١٣/ إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ و لاية ابن الحسن. / للشيخ محمد بن فضل الطبرى  
١٤/ الإنعام على أعلام الأنام. / للشيخ حسن بن عبد القادر الشيبى  
١٥/ إثارة الشجون لزيارة الحجون. / للعلامة الفيروز آبادى  
١٦/ إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام. /  
١٧/ إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام. / للشيخ محمد صالح الشيبى  
١٨/ بلوغ القرى فى ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى. / للعلامة الشيخ عبد العزيز بن عمر بن فهد المكى.  
١٩/ تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام و المشاعر العظام. / للشيخ محمد بن أحمد الصباغ المكى  
٢٠/ خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام. / للعلامة السيد أحمد دحلان  
٢١/ درر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج و طريق مكة المعظمة. / للشيخ عبد القادر بن محمد الأنصارى الجزائرى

- ٢٢/ دليل الحج للوارد إلى مكة و المدينة من كل فج. / لمحمد باشا صادق
- ٢٣/ الخلاصة المفيدة لأحوال عين زبيدة. / للشيخ عبد القادر ملا قلندر
- ٢٤/ الرحلة الحجازية. / لمحمد سليم
- ٢٥/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل و التوالى، و هو كتاب مطبوع. / للعلامة عبد الملك بن حسين العصامي
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٢
- ٢٦/ منائح الكرم بأخبار مكة و ولاية الحرم. / للعلامة الشيخ على السنجاري
- ٢٧/ القرى لقاصد أم القرى، و هو كتاب مطبوع. / للعلامة الطبري
- ٢٨/ نشر النور و الزهور في تراجم أهل مكة المشرفة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر. / للشيخ عبد الله بن أحمد أبي الخير
- ٢٩/ نشر الآس في فضائل زمزم و سقاية العباس. / للشيخ خليفة ابن فرج البيضاوي
- ٣٠/ كتاب الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف. / للأمر شكيب أرسلان
- ٣١/ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين / لابن عبد ربه
- ٣٢/ تحفة اللطائف في فضائل الجد ابن عباس و الطائف. / للعلامة محمد جار الدين بن فهد
- ٣٣/ كتاب إهداء اللطائف من أخبار الطائف. / للشيخ حسن بن علي العجمي المكي
- ٣٤/ كتاب نشر اللطائف في قطر الطائف. / للشيخ نور الدين علي بن محمد الشامي
- ٣٥/ رسالة في فضائل ابن عباس و الطائف. / للشيخ محمد بن عبد الكريم القنوي
- ٣٦/ الجواهر المعدة في فضائل جدة. / للشيخ أحمد الحضراوي
- ٣٧/ السلاح و العدة في تاريخ جدة. / للشيخ عبد القادر أحمد الخطيب
- ٣٨/ تاريخ جدة، و هو مطبوع سنة ١٣٨٣. / للأستاذ عبد القدوس الأنصاري
- هذه بعض المؤلفات التي وقفنا عليها في تاريخ مكة المشرفة، و هناك مؤلفات أخرى لها منتشرة في مكتبات العالم الإسلامي لم نقف عليها، بل إن بعض البلاد الإفريقية يعتنى مستشرقوهم بالتأليف عن مكة المشرفة، فإنه قد طبع تاريخ مكة في التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٣
- أربع مجلدات في مدينة (لييسك). فالناس من أقدم العصور يعتنون ببلد الله الحرام أشد الاعتناء و هذا هو الواجب الديني نحو مكة المكرمة كما قلنا فيما تقدم:
- أجدر ما يخدم من بلاد لأنها شريفة التلاد  
قد اعتنى بها كثير الناس من خلفا و من ملوك الناس  
و قد ذكرنا هنا بعض المؤلفات في تاريخ جدة و تاريخ الطائف زيادة في الفائدة.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٤

**تراجم مؤرخي مكة المشرفة في عصرنا الحاضر و كلهم من أهل مكة المكرمة**

**إشارة**

هنا يجب أن نذكر تراجم مؤرخي مكة المكرمة في عصرنا الحاضر، وفاء بحقهم و احتراماً لذكورهم و تسجيلاً لعملهم المجيد الباقي،

راجين من الله الكبير المتعال أن يجزل لهم الثواب، و أن يجعلهم من سعداء الدارين، و أن يدخلهم الجنة بسلام آمين، بفضلته و رحمته آمين، و لنا مع جميعهم صحبة و صداقة ما عدا الشيخ حسين عبد الله باسلامة الذي اجتمعنا به مرة أو مرتين اجتماعا خفيفا قبل وفاته.

و لابد أن نتشرف بذكر شيخ المؤرخين و أقدمهم استطرادا، فإنه من أهل القرون الثلاثة الأولى الذين هم خير القرون، و هو الإمام الأزرقى صاحب تاريخ مكة، عامله الله تعالى و إيانا بلطفه و رحمته، فنقول و بالله التوفيق و هو نعم المولى و نعم المصير. و ربما نذكر أيضا بعض المؤرخين فى أواخر الكتاب.

### ترجمة الإمام الأزرقى المكى من أهل القرن الثانى للهجرة و هو عربى صميم

كتب صاحب المعالى البحاثة المحقق الأستاذ رشدى الصالح ملحق رحمة الله تعالى فى مقدمته تاريخ الأزرقى المسمى "أخبار مكة و ما جاء فيها من الآثار" المطبوع بالمطبعة الماجدية بمكة المشرفة فى عام ١٣٥٣ من الهجرة- ترجمة وافية قيمة للإمام فى بضعة أوراق- نلخصها فيما يأتى:

هو أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى الغسانى المكى- ولد رحمه الله تعالى فى مكة المكرمة فى القرن الثانى و لم يعرف بالضبط تاريخ ولادته، و قد اختلف فى تاريخ وفاته و لا نريد إكثار الكلام بذكر روايات الاختلاف، و إنما نجمل القول فى أنه توفى فى منتصف القرن الثالث للهجرة، أى فى سنة (٢٤٥) خمس و أربعين و مائتين تقريبا.

و يعد كتابه المذكور "أخبار مكة" من أهم ما ألف فى هذا الشأن و من أقدم كتب التاريخ عن مكة المكرمة، و كثير من المؤرخين يستند إلى كتابه المذكور، و كان من عناية الأقدمين به أن بعضهم اختصره و بعضهم نظمه. فالإسفرائلى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٥

المكى أحد علماء القرن الثامن للهجرة اختصر تاريخ الأزرقى و سمي هذا المختصر "زبد الأعمال و خلاصة الأفعال" و يوجد من هذا المختصر ثلاث نسخ، (إحداها) بمكتبة الحرم المكى (تاريخ رقم ٦٤-٢٣٤) و تقع فى ١٩٦ ورقة (و ثانيها) توجد فى المتحف البريطانى بلندن (و ثالثها) توجد فى باريس.

و اختصر تاريخ الأزرقى الكرمانى المصرى من علماء القرن التاسع، و سمي هذا المختصر "تاريخ مكة المشرفة" و توجد من هذا المختصر نسخة واحدة فى برلين.

أما الذى نظم تاريخ الأزرقى "أخبار مكة" عبد الملك بن أحمد الأنصارى الأرماتى المولود بأرمنت و المتوفى بقوص بمصر سنة (٧٢٢).

و كان من فقهاء الشافعية، شاعرا أدبيا خفيف الروح، و قد سمي منظومته هذه "نظم تاريخ مكة للأزرقى فى أرجوزة" و هذه المنظومة مفقودة، و حبذا لو عثرنا عليها.

أما تاريخ طبع الأزرقى "أخبار مكة" فقد طبع مرتين (الأولى) الطبعة الأوروبية طبعه المستشرق الألمانى "فردينان و ستفيلد" فى ليبسك بألمانيا. فى عام ١٨٥٨ للميلاد (الموافق) لعام ١٢٧٥ للهجرة.

(الثانية) الطبعة المكية. و ذلك بالمطبعة الماجدية بمكة المكرمة فى سنة "١٣٥٢" هجرية، و قد صحح هذه الطبعة و علق حواشيه و وضع فهرسها معالى الأستاذ رشدى ملحق المذكور، و الحقيقة أنه لقي عناء شديدا فى تصحيحه و تهميشه لهذا الكتاب الفريد، حتى أخرجته للأمم الإسلامية بهذا الثوب القشيب، جزاه الله خير الجزاء و أكثر من أمثاله العاملين المخلصين.

و هنا نقطة دقيقة فى فضل الإمام الأزرقى قل من يتبته لها، يجب أن نذكرها بالإعجاب و الدعاء له رحمه الله تعالى و ألحقنا به على

الإيمان الكامل غير فانتين ولا مفتونين بفضلته ورحمته. وهي:

إن الأزرقى يذكر الأماكن المهمة والمواضع المقدسة والمشاعر العظام، يذكرها بدقة تامة مع تفاصيل قياساتها محررة مضبوطة - فهو يذكر ذراع الكعبة المشرفة من داخلها وخارجها، وذراع ما فيها من الأسطوانات وذراع ما بين كل منها، وصفة درجاتها الموصلة إلى سطحها، وصفة المسامير التي بداخل الكعبة وعددها، وعدد الرخامات المفروشة بأرض الكعبة، وكم رخامة في كل جهة وكم رخامة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٦

بين كل أسطوانة وأسطوانة، وصفة باب الكعبة وعدد مساميرها الملبسة بالذهب وصفة كل ذلك، وصفة شاذروان الكعبة وعدده، وصفة حجر إسماعيل وذراعها، وذراع طوق الحجر الأسود.

وكذلك ذراع مقام إبراهيم وصفته، وذراع بئر زمزم وحجرتها، وذراع المسجد الحرام وعدد أساطينه وصفة الأساطين، وعدد طاقاته وصفته وذراعها، وعدد أبواب المسجد الحرام وصفته وذراعها، وعدد شرافاته وذراع جدرانها، وعدد مناراتها وصفته، وعدد قناديل المسجد الحرام والثريات التي فيه، وذراع ما بين الركن الأسود إلى الصفا، وذراع ما بين الصفا والمروة، وصفة مسجد منى وذراعها وأبوابها، وذراع منى والجمار ومأزمية منى إلى حد محسّر، وذراع ما بين مزدلفة إلى منى، وذراع مسجد مزدلفة وصفة أبوابها، وذراع ما بين مزدلفة إلى عرفات، ومأزمية عرفته، ومسجد عرفته وأبوابه والحرم والموقف، وعدد الأميال من المسجد الحرام إلى موقف الإمام بعرفة وذكر مواضعها. إلى غير ذلك مما يتعذر علينا استقصاؤه - هذا غير ما في تاريخه من الأمور والمسائل المهمة التي لا تعد ولا تحصى.

هذا وإن المتأمل في تاريخ الإمام الأزرقى رحمه الله تعالى ليقف حيران كيف قام بتحقيق هذه المسائل صغيرها وجليها، ومن أين أتى بكل هذه المعلومات القيمة التي نرجع إليها الآن وقد مضى على وفاته أكثر من ألف عام ولا تزال المرجع الأول والدليل الذي عليه المعول إلى قيام الساعة.

فهل كان مع الإمام الأزرقى لجنة من بضعة من العلماء يشاركونه التأليف - كلا - فلو كان كذلك لذكره الأزرقى بدون شك، وكيف كان رحمه الله يأخذ قياسات الأماكن في أطراف مكة بل في أطراف الحرم، ولئن خفّ عليه أخذ قياس الكعبة والمسجد الحرام، فهل خفّ عليه أيضا ذراع ما بين المسجد الحرام إلى منى فمزدلفة فعرفات وما بين كل ذلك من المساجد والأماكن، وكيف كان يذرع هذه المسافات الطويلة ولم تكن في زمنه سيارات ولا أمتار مطبوعة منظمه، ولا آلات مقربة للمسافات وأخذة للقياسات. إن المتأمل في كل ذلك يقف حائرا معجبا داعيا له رحمه الله تعالى بالعفو والغفران، والثواب على عمله والإحسان، وأن يدخله الله تعالى فسيح جناته إنه بعباده لطيف خبير.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٧

وختم الكلام نقول: إن تاريخ الإمام الأزرقى "أخبار مكة" كتاب كالموسم المحيط فيه من الفوائد والمسائل المهمة ما لا يعد ولا يحصى، وعليه يعتمد العلماء المحققون والمؤرخون الباحثون - فحبذا لو أن بعض الجهات العلمية وضعت جوائز سخية لمن يتقدم بتلخيصه وتهذيبه وحذف أسانيده ورواياته المتكررة في معنى واحد، ثم تبويبه وترتيب فصوله وأبحاثه، على أحدث طرق التأليف في عصرنا الحاضر، وبذلك تكون الفائدة أعم والنفع شامل، وتجتمع المسائل المتفرقة في مبحث واحد، وتنضم الأمور المشتتة في باب واحد.

فنرجو الله تعالى أن يجعل في اقتراحنا هذا قبولا في المستقبل القريب بفضلته وتوفيقه آمين.

الشيخ حسين بن عبد الله باسلامة الحضرمي المكي كان عضوا في مجلس الشورى بمكة المشرفة في العهد السعودي و توفي بالطائف سنة (١٣٥٦) هجرية.

كان عالما فاضلا نزيها، له عدة مؤلفات، منها كتاب تاريخ الكعبة المعظمة، و منها كتاب عمارة المسجد الحرام، و منها كتاب حياة سيد العرب، و منها كتاب الإسلام في نظر أعلام الغرب، و منها كتاب الجواهر اللامع جمع فيه حكم الإمام الشافعي. رحمه الله تعالى و أحسن مثواه و جعل الجنة مأوانا و مأواه آمين.  
انظر: صورة رقم ٣، الشيخ حسين بن عبد الله باسلامه

### ترجمة الشيخ عبد الله الغازي المكي

الشيخ عبد الله بن محمد الغازي الهندي المكي. هو عالم فاضل و صالح كامل، و كان جارنا بمكة المشرفة، و كان يسكن برباط محمد باشا الذي هدمته الحكومة السعودية، و كان قد اتخذ بأسفل هذا الرباط أي عند بابه و درجته دكانا صغيرا يبيع فيه أدوات الكتابة من الورق و الأقلام و الحبر و الكحل و الصباغ و نحوها، و كان هذا دأبه و حرفته قانعا باليسير من الرزق، و كان يعمل أمينا لمكتبة مدرسة الصولتية التي بحارة الباب، إلى أن توفي رحمه الله تعالى بمكة في الخامس من شهر شعبان سنة (١٣٦٥) خمس و ستين و ثلاثمائة و ألف هجرية و دفن بمقبرة المعلا رحمه الله تعالى، و قد خلف ثلاثة من الذكور هم الشيخ عبد الرحمن و هذا أكبرهم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٨

و أصلحهم و أحسنهم ثم صالح ثم عبد اللطيف، و لقد توفي الأول و الثاني و لهما ذرية، و الثالث الأخير على قيد الحياة حفظه الله تعالى و رحم الله من مات منهم، و لقد كان والدهم أحسن الله مثواه دائم الاشتغال بالتأليف ليلا و نهارا كما شاهدناه بأنفسنا، و للشيخ عبد الله غازي المذكور رحمه الله تعالى مؤلفات قيمة منها: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، و هو أربع مجلدات، و منها مجموع الأفكار من أحاديث النبي المختار، و منها رسالة في ذم اللعب و الملاهي المسماة "بكشف ما يجب من اللهو و اللعب" و منها رسالة في الفرائض، و منها كتاب في تراجم العلماء من المكيين و غيرهم من الذين ماتوا بمكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر. و منها رسالة ذيل الدرر، و هي تتمه تراجم العلماء في قرنه ليكون ذيلا للكتاب المتقدم، إلى غير ذلك من المؤلفات النافعة.

رحمه الله تعالى و أحسن جزاءه آمين، و وفق بعض الفضلاء لطبع تاريخه القيم النادر، فتاريخه مهم جدا لا يوجد مثله، فنسأل الله أن يقيض من يطبعه و ينشره بين المسلمين؛ لأن كثرة التواريخ و كثرة تنوعها لمكة المكرمة دليل على شرفها العظيم و مكانتها السامية، و رحم الله القائل:

واعلم بأن كثرة التاريخ لمكة شديدة الشموخ

دلالة أن لها من الشرف ما قد يجبل وصفه لمن عرف

هذا و لقد سمعنا من الثقات أن الأمريكان المقيمين "بالظهران" بالظاء المعجمة بالمملكة العربية السعودية، قد أخذوا لتاريخ الغازي صوراً فوتوغرافية لجميع التاريخ، أخذوا لكل صحيفة صورة مصغرة بحجم علبة الكبريت، و ذلك بعد وفاة مؤلفه الشيخ عبد الله غازي رحمه الله تعالى، و بعد استئذان أولاده الذين كانوا يشتغلون عندهم في الظهران و بعد إعطائهم مكافأة سخية.

كما سمعنا من الثقات أيضا أن بعض من لا- ضمير عندهم هنا، استنسخوا تاريخ الغازي ثم حرقوا بعض مباحثه و علقوا عليها ما يشتهون، و لا يخفى أن هذا يسمى خيانة علمية لا تغتفر، و هذه الخيانات العلمية تقع في كل عصر، و قد رأينا من تبّه على هذه المسألة

من كبار العلماء الأجلاء المتقدمين، و حذروا العقلاء و ألفتوا نظرهم إلى تمييز الخبيث من الطيب في مؤلفاتهم، فلا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، فالسرقات الشعرية و السرقات الأدبية أخف بكثير من السرقات العلمية و التاريخية، نسأل الله تعالى الهداية و الحفظ من الغواية آمين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٩  
انظر: صورة رقم ٤، الشيخ عبد الله الغازي المكي

### ترجمة الأستاذ أحمد السباعي المكي

صديقنا الأستاذ أحمد السباعي أديب كبير و مؤرخ شهير و إنه من أديب عصره و نبغاء دهره، ولد حفظه الله تعالى عام (١٣٢٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاثة و عشرين من الهجرة، و درس و حفظ القرآن الكريم في عدة كتاتيب و مدارس بمكة شرفها الله تعالى ككتاب الشيخ محمد الخياط التي كانت بالقناب و المدرسة الخيرية الهاشمية التي كانت أمام باب السلام، و أخيرا المدرسة الراقية التي كانت بجبل هندی و قد تخرج منها.

ثم تعين أستاذاً لتحفيظ القرآن الكريم بالمدرسة الخيرية، ثم تعين مديراً لمدرسة دار الفائزين بالمسيال، ثم اشتغل بوظيفة التدريس بعدة مدارس، و في أثناء ذلك تعلق بالأدب فنشر عدة مقالات بالجرائد المحلية، و قد اشتغل محرراً بجريدة "صوت الحجاز" ثم أسندت إليه إدارتها، و شغل في صدر شبابه بعض الوظائف الشرفية، و أخيراً انتقل منها إلى وزارة المالية مفتشاً بها، و قد ترقى الآن إلى وظيفة ممثل مالي.

و قد أسس المذكور من بضع سنوات مطبعة تسمى "مطبعة الحرم" بمحلة أجياد، و قد أعطى امتيازاً بإخراج جريدة يومية في أول عام (١٣٧٦) باسم "جريدة الندوة" و قد صدر أول عدد منها في اليوم الثامن من شهر شعبان سنة (١٣٧٧) و لا زالت تصدر و تؤدي رسالتها و واجباتها على أكمل وجه.

و لا يزال قلم الأستاذ السباعي يجول في ميادين العلم و الأدب حتى أخرج لنا من المؤلفات المطبوعة ما يأتي:

١- تاريخ مكة- و هو كتاب قيم ألفه بأسلوبه الأدبي على نمط لم يسبقه إليه أحد، و ذكر فيه أشهر بيوتات مكة، و قبائل العرب و بعض النواحي السياسية.

٢- المرشد إلى الحج و الزيارة.

٣- سلسلة سلم القراء- ستة أجزاء.

٤- مطوفون و حجاج "قصة".

٥- فلسفة الجن "قصة".

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٦٠

٦- أبو زامل "قصة".

٧- فكرة "قصة".

٨- صحيفة السوابق "قصة".

٩- يوميات مجنون.

١٠- دعونا نمشي.

هذه نبذة صغيرة عن ترجمة الأستاذ السباعي، نسأل الله تعالى لنا و له التوفيق لكل ما فيه الخير آمين.

و بعد أن ذكرنا ما تقدم عن صديقنا الفاضل الأستاذ أحمد السباعي، طلبنا منه أن يكتب لنا نبذة عن حياته العامرة بالأعمال، فكتب لنا ما يأتي:

ولدت عام ١٣٢٣ هـ. بمكة و نشأت فيها، و درجت إلى أول (كتاب) في زقاق (الشيش)، ثم التحقت بكتاب آخر في القبان، ثم ثالث في باب الدريية، و رابع في جبل هندی، و ظلت معارفی في كل هذه الكتابيب لا تتخطى (الألف باء).

و لما أسس الشريف الحسين بن علي أول مدرسة بعد نهضته المعروفة سنة ١٣٣٤ هـ و هي المدرسة الخيرية التحضيرية الهاشمية التحقت بها و ظلت فيها إلى أن انتهيت من القسم التحضيري. ثم اختار لي والدي أن ألتحق بقسم حفاظ القرآن الكريم بنفس المدرسة، فمكثت فيه نحو ٣ سنوات حفظت أثناءها القرآن كأجود ما يكون الحفظ على يد فضيلة الشيخ أحمد زهر الليالي، و التحقت بعد ذلك بالمدرسة الراقية الهاشمية التي كان الحسين بن علي قد أسسها قبل ذلك بسنوات قليلة. و ظلت فيها إلى أن توفي والدي سنة ١٣٣٧ هـ، فاضطرت إلى ترك الدراسة فيها قبل السنة النهائية، و اختلطت بأعمال السوق بحثا عما يسدعوز عائلتي بعد وفاة والدي. و في عام ١٣٣٨ هـ اختارتني مديرية المعارف الهاشمية للتدريس في المدرسة الخيرية الهاشمية، و سني لا يتجاوز آنذاك السابعة عشر عاما، ثم عينت فيها معلما لصف الحفاظ و بقيت في مهنة التدريس أنقل من مدرسة إلى أخرى نحو ١٣ سنة حيث أدركنتي خلال هذه المدة هوية الأدب و أنا شاب كامل الاستواء، فتعشقت القراءة في سائر ألوانها و نهلت من معارف الكتب ما لا يوفيه حصر. و استطعت أن أختلط بأكثر الأفكار جده في الحياة و أدب علي مناقشتها في فصول طوال كانت تنشرها صحف بلادى المحلية، و قبل أن أترك الدراسة بنحو

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٦١

عامين اشتغلت محررا في جريدة (صوت الحجاز) تحت إدارة الشيخ محمد نصيف، و بانتقال الجريدة إلى الشركة العربية للطبع و النشر سنة ١٣٥٢ هـ برئاسة الشيخ محمد سرور الصبان اختارني رئيس الشركة مديرا للجريدة. فتركت فن التدريس و اشتغلت بالصحافة مديرا للجريدة ثم رئيسا لتحريرها و قد ظلت كذلك إلى نهاية عام ١٣٥٩.

و تقلبت في تضاعيف ذلك بين عدة وظائف خيرية فاشتغلت عضوا و سكرتيرا في عدة جمعيات من أهمها جمعية (تشجيع الطيران) و جمعية الإسعاف ثم عضوا في لجنة وضع المناهج بوزارة المعارف و عضوا في لجنة تنسيق مكتبة الحرم.

ثم زاولت أعمالا تجارية نحو سنتين تركت بعدها التجارة إلى العمل الحكومي مرة أخرى كمفتش بوزارة المالية أول عام ١٣٦١ هـ. و عندما أسست الحكومة دار الإذاعة في جدة عام ١٣٦٨ هـ نددتني وزارة المالية بالاشتراك مع بعض الشباب لتأسيس الإذاعة بوظيفة سكرتير عام بالإذاعة، فزاولت العمل فيها أشهر، ثم عدت إلى وزارة المالية لأفكر في تأسيس مطبعة لحسابي أسميتها مطبعة الحرم فأنشأتها عام ١٣٧٠ هـ و لم تمض سنتان على نشأتها حتى رقيت إلى وظيفة ممثل مالي أحلت بعدها بشهور إلى التقاعد. و تقدمت بطلب إلى الجهات المختصة بمنحى امتياز إصدار جريدة يومية باسم (الندوة) و بذلك تبدل اسم مطبعة الحرم إلى مطبعة (الندوة).

و صدرت الندوة عام ١٣٧٧ هـ مرتين في الأسبوع، ثم ثلاث مرات، و فيما أنا أفكر في إصدارها يومية: إذا بالحكومة تصدر قرارا بإدماج الصحف في بعضها البعض بحيث لا تصدر أكثر من جريدة واحدة في كل مدينة من مدن المملكة.

و دمجت جريدة الندوة بموجب هذا القرار في جريدة حراء لصاحبها محمد جمال، و أصبحتا تصدران في صحيفة واحدة أسميناها الندوة، و بعد مرور بضعة شهور بعث حصتي في الشركة الجديدة و أصبحت جريدة الندوة ملكا للأستاذ صالح جمال.

و مضى على ذلك نحو سنة و نصف السنة استأذنت بعدها في إصدار مجلة باسم (قريش)، فصدرت الأوامر بالموافقة و ظهر أول عدد منها في غرة جمادى الأول سنة ١٣٧٩ هـ و ظلت على ذلك حتى دخلت في سنتها الخامسة، ثم صدرت الأوامر بنقل امتيازات الصحف إلى مؤسسات أهلية و بذلك وقعت عن الصدور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٦٢



وقد زاولت التأليف المدرسى أول ما علقت التأليف. فكانت سلسلتى (سلم القراءة العربية) أول مؤلف وطنى عرفته مدارس بلادنا. ثم أنشأت فى التاريخ و الأدب و القصة مؤلفات عديدة. ثم بعد هذا كتب لنا حفظه الله تعالى أسماء مؤلفاته و هى التى ذكرناها، نرجو الله تعالى لنا و له العفو و العافية و التوفيق لصالح الأعمال آمين. انظر: صورة رقم ٥، الشيخ أحمد السباعى.

### ترجمة محمد طاهر الكردى المكى الخطاط

هو محمد طاهر بن عبد القادر بن محمود الكردى المكى الخطاط، من مكة المشرفة، ولد سنة (١٣٢١ هـ)، و طبع هذا التاريخ سنة (١٣٨٥ هـ). تعلم فى مدرسة الفلاح بمكة المشرفة منذ صغره بعد تأسيسها ببضع سنوات، و لم يدخل فى كتابت و لا مدارس أخرى غيرها، و تخرج منها فى عام (١٣٣٩) من الهجرة، ثم فى أول عام (١٣٤٠ هـ) أخذه والده رحمه الله تعالى إلى القاهرة ليتعلم العلم فى الأزهر الشريف، فاشتغل هناك بالعلوم الدينيه و العربية، و لم يتعلم شيئا من اللغات الأجنبية قط، كما اشتغل بتعلم الخطوط العربية بأنواعها و ما يتعلق بها من الرسم و الزخرفة و التذهيب، و ذلك بمدرسة تحسين الخطوط العربية الملكيه، فلما رجع من مصر إلى مكة المشرفة اشتغل بتعليم الخط العربى بالمدارس و لذلك يعرف "بالخطاط". و بتوفيق العزيز الحكيم انقطع المذكور إلى الاشتغال بتأليف الكتب النافعة من مختلف العلوم و الفنون، فقد ألف نحو أربعين كتابا طبع منها نصفها تقريبا.

أعظمها: التفسير المكى و هو فى أربع مجلدات، ثم التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم و هو فى مجلدين، ثم تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه، ثم تاريخ الخط العربى و آدابه، إلى غير ذلك. التى ذكرناها بآخر هذا الكتاب، و إن أعظم شىء عمله المذكور هو كتابته لمصحف مكة المكرمة و طبعه بها، إنه ليرجو الله تبارك و تعالى أن يجعله عملا مبرورا خالصا لوجهه الكريم، و أن يتقبل منا صالح الأعمال، و أن يعاملنا بما هو أهله لا بما نحن أهله بفضلله و رحمته، إنه كريم حلیم و غفور رحيم، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وَ تُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَ اعْفُ عَنَّا وَ اغْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا، أَنْتَ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٦٣. مَوْلَانَا فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، آمين يا رب العالمين، يا حى يا قيوم (يا الله).

### ذكر أسماء مكة المكرمة

اعلم أن لمكة المشرفة أسماء كثيرة أكثر من ثلاثين اسما، و ذلك بحسب الصفات المقضية للتسمية كما قاله الإمام النووى، ذكرها بالتفصيل العلامة ابن ظهيرة رحمه الله تعالى فى كتابه "الجامع اللطيف"، و لكن الشائع على الألسنة و المعروف منها أربعة: "مكة و بكة و أم القرى و البلد الأمين" و يسمى الهنود الأقدمون مكة مكشيشا أو موكشيشانا، كما ذكره البتوني فى رحلته- و بالأسماء الأربعة الشهيرة ورد القرآن الكريم بها صريحا. قال الله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ و قال عز شأنه: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ و قال جل و علا: وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَ مَنْ حَوْلَهَا و قال جل جلاله: وَ التَّيْنِ وَ الزَّيْتُونِ وَ طُورِ سِينِينَ وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ. و لا يخفى أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى. قال الشاعر:

و اعلم بأن كثرة الأسماء دلالة أن المسمى سامى

و نحن لا- نريد سرد و شرح جميع ما أطلق على مكة من الأسماء خوف التطويل، و لكن نأتى بها مجموعة فى سبعة أبيات نظمها القاضى أبو البقاء ابن الضياء الحنفى رحمه الله تعالى و هى:

لمكة أسماء ثلاثون عددت و من بعد ذاك اثنان منها اسم بكه  
 صلاح و كوئى و الحرام و قادس و حاطمة البلد العريش بقرية  
 و معطشة أم القرى رحم ناسه و ناسه رأس بفتح لهمزة  
 مقدسه و القادسه و ناسه و رأس و تاج أم كوئى كبره  
 سبوحة عرش أم رحمان عرشنا كذا حرم البلد الأمين كبلده  
 كذاك اسمها البلد الحرام لأمنها و بالمسجد الأسنى الحرام تسمت  
 و ما كثرة الأسماء إلا لفضلها حباها به الرحمن من أجل كعبه  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٦٤  
 و من أراد زيادة البحث و الوقوف على أسمائها فليراجع كتاب "الجامع اللطيف فى فضل مكة و أهلها و بناء البيت الشريف" أو غيره.

### جدول بيان قياسات بعض جبال مكة و بعض أماكنها

اسم البلده/ درجة/ دقيقة/ ثانية خط طول مكة المكرمة/ ٣٩ / ٤٩ / ٣٠  
 و خط عرض مكة المكرمة/ ٢١ / ٢٥ / ٠٠

### قياسات بعض الأماكن بمكة

المكان/ متر ارتفاع محلة المعابدة بمكة المشرفة عن سطح البحر هو/ ٣١١  
 ارتفاع موقع باب جدة الذى بأول جروول عن سطح البحر/ ٢٧٨  
 ارتفاع جبل أبى قبيس/ ٤٢٠  
 ارتفاع جبل قعيقعان "أى جبل هندی" / ٤٣٠  
 ارتفاع جبل حراء بأعلا مكة/ ٦٣٤  
 ارتفاع جبل ثور بأسفل مكة/ ٧٥٩  
 ارتفاع جبل ثقبه و هو جبل الرخم بأعلا مكة/ ٨٨٣  
 ارتفاع جبل الرحمة بعرفات الذى يقف عليه الحجاج/ ٣٤٠  
 ارتفاع جبل سعد و هو فى شرق شمال عرفات/ ٨٣٦  
 المسافة بين الصفا و المروة "المسعى" / ٣٧٥  
 أخذنا جميع هذه القياسات من المهندسين المصريين التابعين للجنة التنفيذية لتوسعة المسجد الحرام بمكة المشرفة سنة (١٣٧٧ هـ) هذه الارتفاعات المذكورة هى بالنسبة لمنسوب البحر الأحمر بجده "صفر".

### المسافات بين بعض المساجد

المسافة بين المسجد الحرام إلى مسجد الخيف بمنى/ ٩٠٠٠

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٦٥  
 المسافة من مسجد الخيف إلى مسجد مزدلفة / ٥٠٠٠  
 المسافة من مسجد مزدلفة إلى مسجد نمرة / ٧٠٠٠  
 المسافة من مسجد نمرة إلى مسجد الصخرات عند جبل الرحمة / ٣٠٠٠  
 المسافة بين مسجد نمرة و جبل الرحمة بعرفات / ١٧٥٠  
 المسافة من مكة إلى المدينة المنورة / ٧٥٠٠  
 المسافة من مكة إلى المدينة المنورة / ٥٠٠٠٠  
 و سنذكر إن شاء الله تعالى قياسات الكعبة المشرفة و ما حولها، و قياسات مكة المكرمة و حياها و نواحيها في محله.  
 التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٦٦

## مقدمة الكتاب

## بلاد الحجاز

جاء في الكتاب الذي أخرجته وزارة التجارة السعودية عن "المملكة العربية السعودية" عن الحجاز ما نصه:  
 و لا يقل الحجاز أهمية عن نجد لما فيه من مدن مقدسة تهوى إليها أفئدة المسلمين خمس مرات في اليوم. و جلاله الملك أيده الله  
 يقسم أوقاته بين الرياض و الحجاز، يقضى أشهراً من السنة في الرياض و أشهراً في الحجاز، و يقع الحجاز من الجزيرة في ناحيتها  
 الشمالية الغربية تقريباً، و هو يمتد على شاطئ البحر الأحمر.

## طبيعة الحجاز

يتكون الحجاز من عدة مناطق طبيعية يحاذي بعضها البعض:  
 ١- المنطقة الساحلية بمحاذاة شاطئ البحر الأحمر (تهامة) و تحفها شعاب مرجانية.  
 ٢- منطقة جبلية عالية تأخذ في الانخفاض التدريجي حتى إلى ما بين جدة و مكة، إذ لا يزيد ارتفاعها هنالك عن ألف قدم.  
 ٣- منطقة نجدية (واقعة بين جبال) مرتفعة جدا في الشمال و مغطاة بالحمام من العويرض، و لكنها تأخذ في الانخفاض في اتجاهها  
 للجنوب فيصل ارتفاعها في غربي مكة و الطائف إلى نحو ألف قدم.  
 ٤- الأخدود الرئيسي، الأجزاء المرتفعة منه مغطاة بالحمام كما هو الحال في الخرمة و العويرض و خيبر (٦٠٠٠-٧٠٠٠) قدم و لكنه لا  
 يزال محتفظاً بارتفاع لا يقل عن خمسة آلاف قدم خلف مكة.  
 ٥- المنطقة الأخيرة، و هي على حافة المنحدر الشرقي في اتجاه قلب الجزيرة، و في قلب المنطقة الأولى و الثالثة تقع المدن الآهلة  
 بالسكان: فالمويلح، و الوجه، و أفلاج، و ينبع، و رابغ، و جدة، واقعة في المنطقة الأولى.  
 التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٦٧  
 و العلا، و المدينة، و مكة، واقعة في المنطقة الثالثة. و يوجد في الحجاز و احات خصبة متفرقة هنا و هناك و هي على الأغلب واقعة  
 على خط بين المنطقة الرابعة و الخامسة.  
 و منها: الحائط، و الحويط (فدك)، و خيبر، و الحناكية، و الطائف، و وادي فاطمة، و الصفراء.

## جو الحجاز

### إشارة

إن كميات المطر التي تنزل في الحجاز قليلة و غير كافية، و لهذا فإنه قاحل في كثير من المواقع إلا حيث توجد الواحات. و درجة الحرارة في أجزاء الحجاز المنخفضة أخف منها في تهامة اليمن، و متوسطها من (٢٦-٣٣) سنتيجراد، و الهواء رطب و نظرا لأن مكة منخفضة الارتفاع (٧٠٠-٨٥٠ قدما) و محاطة بمرتفعات صخرية جرداء فإنها شديدة الحر صيفا، بخلاف المدينة فإن درجة الحرارة لا تزيد عن (٣٢) و هي بلد صحي.

و الطائف من حيث المناخ أحسن بلاد الحجاز قاطبة فهو جاف الهواء، و المرتفعات فيما وراء مكة و الطائف جوها بارد.

### الأقاليم الشمالية

ينحصر هذا القسم في شمال الحجاز ما بين خط العرض ٣٠-٢٧ شمالا و هو قسم جبلي و يمر به خط سكة الحديد الحجازية، و في القسم لا يوجد مدن في المحيطات الواقعة ضمنه، فمن معان إلى دار الحمراء (٢٥٠ ميلا تقريبا) لا يوجد إلا تبوك، و مدائن صالح. و الساحل في هذا الجزء عبارة عن أرض منبسطة عرضها من ٧ أميال إلى ١٥ ميلا، و ليس به مزروعات كما في حوافي الوديان، و في بعض الأماكن يوجد مياه جوفية يمكن أن تقوم عليها زراعات منظمة كما هو الحال في تبوك.

و أهم المدن و القرى: المويلح، و مقنا، و حقل، و ضبا، و تبوك، و ذات الحجاج.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٦٨

### المنطقة الوسطى

يقع هذا الجزء بين خطي عرض ٧-٢٤ شمالا و يمتد مائتي ميل. و جميع الوديان و مجارى المياه في هذه المنطقة تنفذ إلى البحر الأحمر بواسطة منفذ واحد و هو وادى الحمض، الذى يقع فمه إلى جنوب الوجه بثلاثين ميلا، و هذا الجزء غنى بالثروة المعدنية و الزراعية و الحيوانية. و أهم المدن: الوجه، و أملج، و ينبع البحر، و ينبع النخل، و العلا، و خيبر، و الحناكية، و المدينة. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ١-١؛ ص ٦٨

### القسم الجنوبي

يمتد هذا القسم بين خطي عرض ٢٤-٢٠ شمالا، حيث تبتدئ حدود عسير من هذا الخط. و هذا القسم يحتوى على كثير من الوديان و الواحات، و توجد فيه زراعة الفاكهة و النخيل و الحبوب. و هناك دلائل على وجود الثروة المعدنية في هذا القسم و أشهر مدنه: مكة، و جدة، و الليث، و الطائف.

انظر: صورة رقم ٦، خريطة مكة المكرمة.

### أهم مدن الحجاز

## [١] مكة المكرمة

جاء في الكتاب الذي أخرجته وزارة التجارة السعودية عن "المملكة العربية السعودية" عن أهم مدن الحجاز ما يأتي:  
 مكة المكرمة: عرفت مكة من القدم منذ أخذ إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام يضع قواعد البيت الحرام، وفيها ولد الرسول الكريم محمد، وفيها بدأت الدعوة إلى الحق والهدى. و كما كانت مكة معروفة منذ القدم بمكانتها الدينية فقد كانت لها إلى جانب ذلك مكانة تجارية عظيمة بما كان يجلب إليها من عروض التجارة من الشام و من جهات بعيدة أخرى، و بما كان يصدر عنها من التجارة إلى مختلف بقاع الأرض، و بخاصة ما يحمله الحجاج من أسواقها من صنوف الحاجيات و البضائع و التحف المجلوبة. و تقع مكة في واد ضيق هو وادي إبراهيم، و هذا الودي تحوطه جبال شاهقة حارة في الصيف معتدلة في الشتاء. و قد كانت مكة، تمتاز عن مدن الجزيرة منذ القدم بأنها ذات اتصال بالخارج، و كانت تتطور في

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٦٩

التجارة و العمران بتطور الزمن. و في العهد السعودي الزاهر امتدت مكة خارج الجبال المحيطة بها، و عملت حكومته صاحب الجلالة على إيصال الماء لكل محله من محلات مكة. و ازدهرت بالنهضة العمرانية و التجارية و العلمية، و أصبحت كخليئة النحل، و أضيئت لأول مرة في تاريخها بالتيار الكهربائي، و رصفت شوارعها و نسقت على جوانبها الأشجار، و فيها مقر لكثير من الوزارات، و فيها يقيم جلاله الملك المعظم حين تشريفه لمقاطعة الحجاز، و لقد أصبح الوافدون على بيت الله الحرام من مختلف بقاع الأرض و أمصارها يلمسون التطور في مكة و يشاهدون النهضة العلمية و الصحية: من مدارس كثيرة و مستشفيات ضخمة. على أن جلاله الملك سعود كان قد أصدر أمره الكريم إلى وزارة المالية برصد مبلغ ضخم لتوسعة الشوارع و إزالة الحوانيت بالمشعر الحرام و إيجاد كل ما من شأنه راحة حجاج بيت الله الحرام.

## [٢] ١ لمدينة المنورة

هي المدينة الثانية في القداسة بالحجاز، و بها قبر الرسول الكريم حيث هاجر إليها صلى الله عليه و سلم لينشر الدين الإسلامي آمناً مطمئناً بين قوم يؤثرونه على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة، و كانت مقر الخلافة الإسلامية و مصدر السلطات الدينية و السياسية في الماضي، و تكتنفها ستة أودية أشهرها: وادي العقيق و هو واد جميل، هواؤه عذب، و تربته خصبة، و كانت به الدور و القصور العامرة و الحدائق الغناء قديماً. و هواء المدينة بارد شديد البرودة في الشتاء، و حار شديد الحرارة في الصيف، و معتدل في الخريف. و بها عيون كثيرة، فأينما احتفرت نبع لك ماء، و المدينة بلد النخيل من قديم، و هي كذلك بلد زراعي و لا تزال حقول القمح و الخضراوات و الفواكه و الشعير منتشرة بضواحيها.

و قد أفادت فائدة ملموسة من الخط الحديدي الذي ربط بينها و بين الشام قديماً، فكثر سكانها و تطورت في النهضة، و لكن هذه الجذوة انطفت بعد انقطاع الخط الحديدي و بعد الحرب العظمى. إلا أن الملك سعود، منذ أن أولى البلاد عنايته، منح المدينة قسطاً عظيماً من حظ الرعاية، فكان اهتمامه بنهضتها يستغرق وقته. و أول تباشير هذه الرعاية إعادة سكة الحديد، و قد باشرت اللجان دراسة هذا الموضوع و واصلت العمل فيه، و تأكيداً لمظاهر هذه العناية رصد جلالته مبلغ مليوني ريال كدفعة أولى لهذا المشروع الخطير. و الخط الحديدي بلا شك شريان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٧٠

الحياة بالنسبة للمدينة، فيه تستطيع أن تقفز بسرعة إلى مصاف المدن الراقية. و من المآثر الخالدة لجلالة الملك إعادة بناء المسجد النبوي و توسعته ليحمله متفقا مع ما له من الهيبة والجلال.

و المدينة غنية بالآثار الصناعية و العمرانية و الكتابية، و لا عجب فقد كانت ملتقى مدنيات و مجمع أقوام وفدوا إليها من آفاق الأرض تباعا، و لكل منهم مدينته و عمرانه و آثاره، فقد كانت مهاجر بعض المصريين القدماء قبل التاريخ، و كان بها العمالقة، و باسم أحدهم سميت يثرب قديما، و جاء إليها بعدهم من اليمن بنو قيلة و نقلوا إليها حضارتهم، فهي بلد الآثار في المملكة كما أنها كانت مركز الخلفاء الراشدين.

### [٣] جدة

هي المدينة الثالثة بالحجاز، و تقع على البحر الأحمر. و هي أكبر الموانئ السعودية بالحجاز. و هذا الميناء يستقبل مئات الألوف من الحجاج جوا و بحرا كل عام، و قد تعهد لها ساكن الجنان الملك عبد العزيز فأوصل إليها الماء من مئات الأميال بعد أن كان أهلها يعتمدون على مياه الآبار و الصهاريج التي تملئ بماء المطر، و على المياه المقطرة بواسطة الآلات. و لكن إيصال الماء من الوديان البعيدة بالمواسير و الأساليب الحديثة جعلها تزدهر كثيرا، فتكاثر سكانها و زادت حركتها التجارية و تمت و تعالت البناءات الشاهقة تشق الفضاء، و أنشئ بها ميناء بحري يضاهي ميناء الدمام، و هما يعدان من أكبر موانئ الشرق الأوسط، كما أن ميناءها الجوي يعد من الموانئ المشهورة في الجزيرة العربية. و قامت بجدة نهضة صناعية عظيمة مختلفة الألوان و نهضة إنشائية كبيرة، و بها مكاتب لمعظم الوزارات و الإنشاءات. و قد تكلفت الحكومة السنية لإيجاد الميناء البحري كثيرا، و ليس أدل على ذلك من أنها صرفت في أعمال الردم مبالغ باهظة. و يبلغ طول الطريق المردوم ٥٥٠٠ قدم، و المسافة الحديدية على جوانب الرصيف تبلغ ٢٢٤٣ قدما، و قد أصبحت جدة الآن غنية بالفنادق الكاملة الاستعداد لاستقبال الوافدين من مختلف الجهات. و مدينة جدة تضاء بالكهرباء و قد قامت بمشروعه شركة سعودية بأموال سعودية. و في جدة تقوم دور السفارات و المفوضيات و القنصليات العربية و الإسلامية و الأجنبية- لهذا فهي تعتبر المركز الرسمي للتمثيل السياسي العربي.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٧١

كما أن جدة اليوم هي المدينة التالية لمكة في الحجاز، من ناحية النشاط التجاري. لذلك تقوم فيها المراكز الرئيسية للبنوك و المؤسسات المالية و الأجنبية و الأهلية و تتفرع فروعها في المدن الأخرى. هذه هي جدة المدينة التي ينتظر لها مستقبل باهر في الصناعة و التجارة.

### [٤] الطائف

الطائف مدينة تاريخية قديمة، و كان يسكنها في الجاهلية ثقيف و هي مجموعة قبائل عربية، و الطائف مصيف الحجازيين لبرودة المناخ و جمال الهواء و كثرة الحدائق الغناء و توفر المياه، و هي ترتفع عن سطح البحر مقدار ألف و ثمانمائة قدم، و قد مر على الطائف كما مر على غيرها من المدن الحجازية، الاهتمام و الكتب فأنزل كيانها و أوشكت على العدم، و لكنها اليوم أصبحت مدينة عامرة شامخة، و يعود الفضل الأكبر في إصلاحها و رقيها إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ولي العهد. فقد اتخذها مصيفا رسميا له منذ تولى نيابة الحكم على الحجاز، و قد أزهرت الطائف خلال هذين العامين في عهد الملك سعود، فنطاق العمران قد اتسع فيها بشكل يلفت الأنظار كما أن وزارة الدفاع و الطيران قد جعلت مقرها الرسمي بها، و أحدثت فيها المستشفيات و غيرها، و

نتيجة لهذا نشطت الحركة التجارية و كثر عدد السكان فيها، و قد أخذ في أسباب تعبيد الطريق بين الطائف و مكة، و لا شك أنه متى تم ذلك، فإن الطائف تصبح أزهر مما هي عليه الآن، كما أن بلدية الطائف قد أتمت تنفيذ عدة مشروعات نافعة منها بناء مقر للبلدية و تخطيط الأراضي المحيطة بالمدينة و توزيعها على الأهلين، و أنشأت مذبحا لذبح الماشية على أحدث النظم، و وسعت الشارع العام إلى قروة و نزعت ملكيات بعض المباني لتوسعة الشوارع الرئيسية.

## [٥] عسير

يطلق اسم عسير على الجهة الغربية من بلاد العرب الواقعة إلى جنوب الحجاز و شمال اليمن، و تشمل سهلا ساحليا (تهامة) يحاذي البحر الأحمر على طول ٢٠٠ ميل و عرض ٤٥ ميلا، و هذه المنطقة مأهولة بالسكان في السهول الزراعية التي تغمرها السيول، و تصل الصخور البركانية (الحرّة) في بعض المواقع للبحر كالرقبة و الجهمّة و خور البرك. و جبال الجهة الشرقية من تهامة، كما هو الحال بالحجاز،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٧٢

و عرة جدا و ترتفع إلى علو أكثر من ٩٠٠٠ قدم، و ليس في عسير طرق مطروقة و الجبال إذ تميل برفق إلى الشرق فقد شكلت حاجزا لمنع تفتت التربة مما يجعل الأرض صالحة للزراعة.

و عسير من أجمل بقاع المملكة ففيه من المناظر الطبيعية الجذابة ما يشبه بعض المواقع الطبيعية الخلابة الفاتنة في كل من قبرص و إيطاليا و القسم الجنوبي من اليمن، و إننا إذا أردنا أن نحكم بما نرى من خضرة وافرّة و فائضة نستنتج أن معدل سقوط الأمطار فيها لا يقل عن ١٠ إلى ١٣ بوصة في السنة، و هذه النسبة العالية نسبيا قد تأيدت بالفعل، و يدل عليها نموذج بناء العاصمة (أبها). و على بعد ٨٠ ميلا- من الشاطئ توجد سلسلة مرتفعات يبلغ ارتفاعها بين ٦٠٠٠ و ٧٠٠٠ قدم، و نجد بساتين ذات مساحات جيدة تقع محاذية للجبال و تمتد مخضرة إلى الأودية حتى تصل إلى نجران و الربع الخالي. و تستمر هذه السلسلة في هبوطها حتى يبشء بالقرب من زاوية عسير الشمالية الشرقية.

و نظرا لما يصيب بلاد اليمن من المطر الموسمي في الخريف، و نظرا لقرب عسير منها فإن نصيبها من هذا المطر غير قليل، و لذا فإن واديانها الكثيرة الشاسعة تعتبر من الدرجة الأولى في الخصوبة، و أهم هذه الوديان وادي رانية و وادي يبشء، و وادي شهران و وادي عقيق، و أغلب الوديان الكبيرة تجرى فيها المياه إما فوق سطحها أو قريبا منه.

تجرى الوديان الرئيسية في اتجاه وادي الدواسر الواقع في جنوب نجد، و البلاد الداخلية في غاية الخصوبة و خصوصا من تنومة إلى تيننة، و هي تضارع أحسن و أخصب البلاد العالية في اليمن، و المزروعات على اختلاف أنواعها من حبوب و بقول و فاكهة تجود في الوديان. و الجزء المجاور لشاطئ البحر و إن كان رمليا فإنه أحسن بكثير من نظيره في الحجاز، ففي أجزاء كثيرة منه تنبت المزروعات و يعيش كثير من السكان عليها، و ينزل المطر غير غزير في جنوبي تهامة، و تهامة الوسطى، في شهر فبراير، و مارس، و في شهر يونية تنزل عليها أمطار غزيرة، أما في الشمال- سواء في الداخل أو في البلاد الساحلية- فإن المطر غير غزير فيها.

و أشهر مدن عسير: يبشء، و تربة، و أبها، و محائل، و خميس مشيط، و أبو عريش، و صيبا، و حلي، و جيزان.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٧٣

## فضل الحجاز

قال القلقشندی في كتابه صبح الأعشى في الجزء الرابع صحيفة ٢٤٣ عند الكلام على فضل الحجاز و خواصه و عجائبه ما نصه: أما

فضله ففي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «غلظ القلوب و الجفاء فى المشرق، و الإيمان فى أهل الحجاز».

قلت: و فى ذلك دليل صريح لفضل الحجاز نفسه، و ذلك أن هواء كل بلد يؤثر فى أهله بحسب ما يقتضيه الهواء، و لذلك تجد لأهل كل بلد صفات و أحوالا تخصهم، و قد أخبر صلى الله عليه وسلم عن أهل الحجاز بالرقه كما أخبر عن أهل المشرق بالغلظ و الجفاء، و ناهيك بفضل الحجاز و شرفه أن به مهبط الوحي و منبع الرسالة و به مكة و المدينة اللتين هما أشرف بلاد الله تعالى و أجل بقاع الأرض، و لكل منهما فضل يخصه يأتى الكلام عليه عند ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ثم بعد أن ذكر القلقشندى خواص الحجاز ذكر حدوده و ابتداء عمارته و تسميته حجازا فقال ما نصه: أما حدوده فاعلم أن الحجاز عبارة عن مكة و المدينة و اليمامة و مخاليفها على خلاف فى بعض ذلك يأتى ذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى، و هو بجملته من جزيرة العرب، و هى ما بين بحر القلزم أى البحر الأحمر و بحر الهند و بحر فارس و الفرات و بعض بادية الشام.

قال المدائنى: جزيرة العرب خمسة أقسام: تهامة و نجد و الحجاز و العروص و اليمن، و زاد ابن حوقل فى أقسامها بادية العراق و بادية الجزيرة فيما بين دجلة و الفرات و بادية الشام، و فيها خلاف يطول ذكره.

ثم ذكر القلقشندى كلام الإمام النووى عن حدود جبل السراء الذى هو عبارة عن الحجاز لم نذكره لأن ما تقدم يغنى عنه و حتى لا يطول الكلام، و قد قال: سميت جزيرة العرب "جزيرة" لأن نزار الماء عنها حيث لم يمد عليها و إن كان مطيفا بها.

قال القلقشندى: أما ابتداء عمارة الحجاز فإنه لما انبث أولاد سام بن نوح عليه السلام و هم العرب فى أقطار هذه الجزيرة حين قسم نوح الأرض بين بنيه - نزل الحجاز منهم من العرب البادية طسم و جديس (و منزلهم) اليمامة، و نزلت جرهم على القرب من مكة، فكان ذلك أول عمارة الحجاز بعد الطوفان، ثم بادت هذه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٧٤

العرب و هلكوا عن آخرهم، و درست أخبارهم و انقطعت آثارهم. و عمّر الحجاز بعدهم جرهم الثانية، و هم بنو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام. و لما أسكن إبراهيم الخليل عليه السلام ولده إسماعيل بمكة كما أخبر تعالى عنه بقوله: رَبَّنَا إِنِّي أَسِيَكْتُ مِنْ دُرِّيِّ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ كَانَتْ جَرِّمُ الثَّانِيَةَ نَازِلِينَ بِالْقَرْبِ مِنْ مَكَّةَ فَاتَّصَلُوا بِإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ تَزَوَّجَ مِنْهُمْ وَ كَثُرَ وَلَدُهُ وَ تَنَاسَلُوا، فَعَمَّرُوا الْحِجَازَ إِلَى الْآنِ. انتهى من صبح الأعشى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٧٥

## جغرافية بلاد العرب

نحب أن ننقل هنا بعض ما يتعلق بتاريخ العرب من كتاب "تاريخ العرب و آدابهم" المطبوع بالمطبعة الأميرية ببولاق بمصر القاهرة سنة (١٣١٠) من الهجرة الموافق لسنة (١٨٩٣) من الميلاد و هو تأليف إدوارد فاندريك و قسطنطين فيليبيدس.

و ربما يعجب البعض لاختيارنا النقل من هذا الكتاب بالذات و هو تأليف بعض أساتذة الإفرنج - فنقول: إن هذا الكتاب وقع فى يدنا بالمصادفة، فتصفحناه جيدا فلم نجد فيه ما يمس الدين الإسلامى قط، كما لم نجد فيه أى شىء محرفا، بل وجدناه كتابا متين الأسلوب قوى الأدلة، كل ما فيه صواب و كل مسأله محققة، لذلك قررت نظارة المعارف العمومية المصرية تدريسه بالمدارس بعد أن التزمت طبعه على نفقتها.

نعم - وجدنا فيه غلظة غير مقصودة من المؤلفين المذكورين و هى قولهما بأول صحيفة (٤٩) "و الحجر الأسود كان يعبد فى الجاهلية" هذه الجملة غلط واضح، و الصحيح الذى لا شك فيه أن الحجر الأسود لم يعبد قط لا فى الجاهلية و لا فى الإسلام، كما أن الكعبة كذلك لم تعبد قط.



و القارئ في هذا الكتاب يخرج منه بفوائد كثيرة صحيحة، و ليس من المعقول و العدل أن نرمى بكتاب لمجرد أن مؤلفه غير مسلم، ففي الأثر «الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها» لهذا نحن ننقل من الكتاب لتحققنا من صحة ما جاء فيه- و على الله الاعتماد و التكلان، فقد جاء في جغرافية بلاد العرب ما يأتي:

هذه البلاد شبه جزيرة، و تتصل بقارة آسيا من الشمال، يحدها شمالا بلاد مصر و فلسطين و بادية الشام و وادي الفرات، و جنوبا البحر الهندي، و غربا البحر الأحمر، و من الشمال الشرقي خليج فارس، و هي محصورة بين الدرجة ١٢ و الدقيقة ٤٥ و الدرجة ٣٠ و الدقيقة ٢٥ من العرض الشمالي، و بين الدرجة ٣٢ و الدقيقة ٣٠ و الدرجة ٦٠ من الطول الشرقي من كرين و تش، و طول الشط الشرقي من مصب نهر الفرات إلى رأس مسندم إلى رأس الحد ستمائة كيلو متر مربع، و من رأس الحد إلى باب المنذب ألفان و مائتا كيلو متر، و من باب المنذب

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٧٦

إلى السويس ألف و تسعمائة كيلو متر، و طول الحد الشمالي الوهمي من السويس إلى مدينة البصرة ألف و خمسمائة كيلو متر، فتكون إذا مساحة جزيرة العرب مضمومة إليها شبه جزيرة طور سيناء ٥٥٨، ١٥٦، ٣ كيلو مترا مربعا و ذلك خمسة أضعاف مساحة مملكة فرنسا.

انظر: صورة رقم ٧، خريطة بلاد العرب

### منظومة فريدة في علم الجغرافيا

هذا و بمناسبة ذكرنا جغرافية بلاد العرب، أحببنا هنا إثبات منظومة فريدة لطيفة في علم الجغرافيا، و هي من نظم بعض العلماء الفضلاء بمصر، لكن زدنا عليها بعض الأبيات من نظمنا على وفق بحرنا زيادة في الإيضاح و تكملة للفائدة العامة، و ذلك منذ سنوات مضت، لكن نسينا أن نميز الأبيات الأصلية من الأبيات التي زدناها عليها، و الآن لا يمكننا تمييزها لمضى سنوات عديدة عليها، و المقصود من إثبات هذه المنظومة في تاريخنا، هو المحافظة على آثار المسلمين في شتى العلوم و الفنون، و هذه المنظومة فريدة طريفة قل أن يوجد مثله. فرحم الله تعالى ناظمها و قارئها و سامعها آمين، و الله تعالى هو موفق للصواب و إليه المرجع و المآب- و إليك المنظومة المذكورة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على الإيمان و الحمد لله على العرفان

يا أيها الإخوان و الأصحاب و الأصدقاء و كذا الطلاب

أهديكمو قلائد العقيان في علم تقويم لذي البلدان

فحده علم بسطح الأرض و ما حوت من طولها و العرض

و ما عليها من بلاد عامرة و من جبال و بحار زاخرة

موضوعه السطح و ما عليه من كل شيء ثابت عليه

و اسمه التقويم للبلدان تعريب جغرافية يوناني

\*\*\*

فالأرض قالوا إنها لدائرة عظيمة الجرم على شكل الكرة

دليلهم سياحة عديدة قد استمرت مدة مديدة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٧٧ فرجعوا فيها لمبدأ السفر فذا دليل عندهم قد استقر

و رؤية للأرض في وجه القمر عند الخسوف مستديرة الأثر  
و نظر الشخص إلى أعلى الشبح من قبل أدناه دليل اتضح

\*\*\*

و الأرض قالوا إنها موصوفة بحركات عندهم معروفة  
يومية و الليل و النهار من هذه كل له انتشار  
سنوية تدور حول الشمس في كل عام مرة بالحدس  
فصل الشتاء منها مع الخريف فصل الربيع ثم فصل الصيف  
و الشمس حقا مثل أضعاف القمرو مثل أضعاف الأراضي في الكبر

\*\*\*

إن الجهات أربع أصلية و أربع جزئية فرعية  
فقابل الجنوب بالشمال و الغرب بالشرق على التوالي  
و أربع فرعية معلومة في غاية الضبط أتت منظومة  
ما كان بين الشرق و الشمال يدعى شمال الشرق في ذا الحال  
ثم شمال الغرب ما كان على يسار غرب و الشمال قد تلا  
كذا الجنوب عندهم قسمان مثل الشمال عند ذى الإتقان

\*\*\*

جزء من القماش و الأوراق خريطة سموه باتفاق  
مرسومه فيها البلاد و البحار كذا الجبال و البوادي و القفار  
شمالها ما كان من أعلاها ثم الجنوب ما بها تناها  
و الشرق فيها عن يمين الناظرو الغرب فيها عن يسار الباصر

\*\*\*

و قسموا ذى الكرة الأرضية قسمين عندهم بذى الكيفية  
ثلاثة الأرباع منها الماء و الربع يابس له انتهاء  
و كل بحر في وجود مالح و كل نهر مستساغ صالح  
كبحر الأحمر و نهر النيل يعرف بالأسفار و الرحيل  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٧٨

\*\*\*

جزيرة هي قطعة أرضية محاطة باللجة البحرية  
و عكسها بحيرة محاطة بالأرض فاعرف هذه الإحاطة  
ثم الخليج و هو جزء مائي و داخل في الأرض بانحناء  
و الأرخبيل و هو مجموع جزر في جهة من الجهات قد كثر  
و الجبل الكثير الارتفاع عن سطح أرض في قفار القاع  
و التل ما كان قليل الرفع من التراب و هو يدعى التلعة

و عدة الجبال تدعى سلسلة موصولة ببعضها فى المنزلة  
و ما استوى فى الأرض فهو السهل من ارتفاع و انخفاض يخلو  
و النجد و الهضبة سهل مرتفع بغير ذا التعريف فيها ممتنع  
و المرج أرض ذات زرع و نبات و القفر أرض ليس فيها من نبات  
ثم البراكين جبال النار تقذف بالدخان و الأحجار

\*\*\*

أما المحيطات فخمس ذكر و المحيط الهادى و هذا أكبر  
و الأطلسى و هو الأطلانطيقى و الثالث الهندى بالتحقيق  
و الرابع المتجمد الشمالى و الخامس المتجمد الجنوبى

\*\*\*

و قسموا القارات أيضا خمسا فاحفظها حفظا جيدا لا تنسى

أفريقيا و آسيا و أوروبا و أستراليا و قيت الكريا  
و أمريكا خامس الأقسام فاحفظ هداك بارى الأنام  
مصر بلاد النوب ثم الحبش طرابلس و تونس مراکش  
و غيرها فهذه إفريقيا و الشام و الحجاز هذى آسيا  
و يمن و نجد و التهامه و غيرها فافهم تكن علامه  
أما أوروبا فبلاد إنكلترا كذا فرنسا و كذا سويسرا  
و دانمرك و كذا بلجيكا و غيرها مفصلا يأتىكا  
و أمريكا فبلاد كندا و هى ولايات ترى متحدا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٧٩ منها البرازيل و مكسيك و كم قد ذكروا من البلاد بالقلم  
أما أستراليا فتحتوى على عدة بلدان فلا تستجهلا

\*\*\*

فهذه منظومه فريده و هى على اختصارها مفيدة  
فرحمه الله على ناظمها و أحسن الله إلى سامعها  
نظمها من علماء الأزهر من معهد العلم القديم الأنور  
اعرفه و قد نسيت اسمه لكنه مات و ذاب جسمه  
و الطاهر الكردى قد زاد على أبياته شيئا قليلا للملا  
حتى تكون هذه المنظومه كامله مفيدة مختومه  
فالحمد لله على التمام فإنه ذو الفضل و الإنعام  
ثم صلاة الله مع سلامه على النبى "محمد" و آله  
ثم على أصحابه العظام و التابعين الأصفياء الكرام

## إشارة

و جاء في الكتاب المذكور أيضا ما يأتي: إنه مع كون جزيرة العرب كانت فيما مر من الدهر معروفة عند الأمم الشرقية القديمة و عند الرومان و اليونان إلا أن معرفتهم لها كانت بالاسم فقط ليس إلا. و قد أجمع أرباب البحث على أن كل خبر رواه الغربيون عن جزيرة العرب قبل القرن الثامن عشر ميلادية غير حري بالوثوق و لا بارز عن ظل الشبهة، و هذا ما ألجأ أهل الجغرافية الحديثين منهم إلى البحث و التنقيب و الرحلات المتتابعة حتى وقفوا على معرفة الكثير من أحوالها و شؤونها، و جزموا بكثير منها على روية لأنهم رأوا حقيقتها بالعيان، غير أن هذا الفوز العظيم لم يكن وافيًا بما كان يتوقع منه من النتائج الكبيرة فإنهم استوضحوا باكتشافاتهم أشياء و بقي من دون ما استوضحوه مشاكل جمّة و معميات شتى لم يهتدوا إلى جلائها و كشفها، و قد قسم أهل التحقيق كلام الكتاب شبه جزيرة العرب إلى ثلاث أقسام سموها عصورا فقالوا العصر القديم أي عصر ما قبل الإسلام، و عصر الإسلام، و العصر الأوروبي.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٨٠

## العصر القديم أي ما قبل الإسلام

و جاء في الكتاب المذكور ما يأتي: إن أقدم ما سطر في صحائف التاريخ عن بلاد العرب هو ما ورد الإيماء إليه في برنامج الأمم المدرج في الفصل العاشر من سفر الخلائق، ثم أتى على ذكرها استرابون الجغرافي في تأليفه و بلينيوس في جغرافيته، و أول من ذكرها على حقيقتها بطليموس الفلكي المشهور، و هو من أعلام القرن الثاني للميلاد في كتابه المعروف بالمجسطي، قال: و تقسم بلاد العرب إلى ثلاث أقسام عربية: بطرا (بترا) نسبة إلى مدينة بطرا الكائنة في وادي موسى، و هي التي كانت عاصمته مملكة أدوم، و عربية البادية في الشمال، و العربية السعيدة أي المخصبة بالجنوب. اهـ. و هذا القسم الأخير فيما قال بعض المحققين هو بلاد اليمن.

## العصر الإسلامي

و جاء في الكتاب المذكور ما يأتي: و فيه نبغ كثير من كتاب العرب، فدوّنوا في أسفارهم الجغرافية معلومات نفيسة جدا عن بلاد العرب منبع الإسلام، و أشهر كتاب الجغرافية منهم الهمداني المتوفى سنة ٣٣٤ هجرية (سنة ٩٤٥ ميلادية، و قدامه المتوفى سنة ٣٣٧ هجرية (سنة ٩٤٨ ميلادية، و ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٧ هجرية (سنة ١٢٢٩ ميلادية، و أخصهم في الذكر المقدسي الذي نبغ في أواخر القرن العاشر سنة ٣٧٥ هجرية (سنة ٩٨٥ ميلادية. و طبعت جغرافية الهمداني بالعربية في مدينة ليدن سنة ١٨٨٤ ميلادية، و مما دونوه في كتبهم تقسيمهم بلاد العرب إلى خمسة أقسام و هي:

(اليمن) و فيه حضرموت و مهرت و عمان و شحر و نجران. و سمي باليمن؛ لوقوعه عن يمين الكعبة.

(الحجاز) و فيه مكة و يثرب و سمي حجازا؛ لأنه حاجز بين تهامة و نجد.

(و تهامة) و هي بين اليمن جنوبا و الحجاز شمالا.

(و نجد) و هي ما يتصل بالشام شمالا و العراق شرقا و الحجاز غربا و اليمامة جنوبا. و هي أطيب أرض في بلاد العرب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٨١

(و اليمامة) و هي بين نجد و اليمن. و تسمى العروص أيضا؛ لاعتراضها بين نجد و اليمن، و من جبالها سيناء و حوريب، حيث أنزل الله الشريعة على موسى الكليم و قاران و هارون، و إلى جهة الشرق من هارون وادي موسى، و هو موقع مدينة بطرا القديمة قصبه العربية

الصخرية عند الرومان و اليونان.

و من أشهر مدن اليمن صنعاء عاصمة تلك البلاد قديما، و مقر والى الحكومة العثمانية حاليا- قيل إنها تشبه دمشق؛ لكثرة مياهها و أشجارها، و هى معتدلة الهواء حسنة الأسواق واسعة التجارة، و كانت فيما مر من الدهر عاصمة ملوك اليمن و لهم بها قصر عظيم يقال له غمدان، و إلى الجنوب الشرقى من صنعاء موقع مدينة مأرب و بقربها وجد أهل البحث من الفرنسيس و الإنكليز سنة ١٨٧٥ ميلادية الآثار المسطرة على الصخور بالخط المسند المعروف بالخط الحميرى. من بلاد اليمن مدينة نجران، و فيها كانت كعبة نجران و هى قبة عظيمة يقال إنها كانت تظلل ألف رجل، و كان إذا نزل بها مستجير أجير، أو خائف أمن، أو جائع أشبع، أو طالب حاجة قضيت، أو مسترفد أعطى ما يريد، و كانت هذه القبة لعبد المسيح بن دارس بن عدى مصنوعة من ثلاثمائة جلد، و كان عبد المسيح ينفق فيها كل سنة عشرة آلاف دينار، و كانت العرب تسميها كعبة نجران لأنهم كانوا يقصدون زيارتها كما يقصدون زيارة الكعبة، و كانت هذه القبة بجانب نهر، و إلى نجران ينسب قس بن ساعدة خطيب العرب المشهور.

و من أشهر مدن الحجاز مكة، و تسمى أم القرى. و لا يدخلها أحد من غير الإسلام لأن فيها المسجد الحرام الذى فى وسطه الكعبة. و فى نجد أرض العالمة و جبل عكاد التى لم تثبت العربية الفصيحة بعد تمادى زمان الإسلام إلا فى أهليه. انظر: صورة رقم ٨، خريطة العالم الإسلامى

## العصر الأوروبى

و جاء فى الكتاب المذكور ما يأتى: إن أول من باشر البحث عن جزيرة العرب من الأوربيين هو نيبور المشهور رئيس الإرسالية الدانمركية، و ذلك فى سنة ١٧٦٢ إلى ١٧٦٣ ميلادية، و اقتفى أثر هذه الإرسالية ثلاثة و عشرون شخصا من سياح الإفرنج على اختلاف أجناسهم و دولهم قصد الاكتشاف و ذلك من سنة ١٨٠٧

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٨٢

إلى سنة ١٨٨٤ ميلادية، و دونوا فى رحلاتهم ما أمكنهم الوصول إليه و الوقوف عليه، و أول من ذهب من هؤلاء السياح إليها على بك، و هو رجل من الإسبانيول أتى بلاد مصر أولا و دخل فى دين الإسلام، و من ثم قدم إليها سنة ١٨٠٧ ميلادية، و هذه أسماء باقى الجماعة الذين سافروا إلى جزيرة العرب مع تعيين تواريخ رحلاتهم:

ستسن الذى قتل سنة ١٨١١، و بورك هارت من سنة ١٨١٤-١٨١٦، و الفرنساوى سادليه سنة ١٨١٩، و ولستد سنة ١٨٣٠، و تاميزيه و فرنسل و أرنود سنة ١٨٤٣، و فون فريد سنة ١٨٤٣، و والين سنة ١٨٤٥ و ١٨٤٨، و ريتشرد برتن من سنة ١٨٥٣ إلى ١٨٥٤، و فى بلاد مدين سنة ٨٧٧، و مالتان سنة ١٨٦٠ و سنة ١٨٧١، و وبلتكرف سنة ١٨٦٢، و كوارامى سنة ١٨٦٤، و بلى سنة ١٨٦٥، و وتس ستاين سنة ١٨٦٠، و هالفى سنة ١٨٧٠، و ماتسونى من سنة ١٨٧٧ إلى ١٨٨٠، و شارل داوتى من سنة ١٨٧٦ إلى ١٨٧٨، و كين سنة ١٨٧٧، و بلونت سنة ١٨٧٩، و لنفر الذى قتل سنة ١٨٨٢، و أويتنج سنة ١٨٨٣، و هوبر الذى قتل سنة ١٨٤٤.

انتهى من كتاب "تاريخ العرب و آدابهم" المذكور.

## تقسيم بلاد العرب من حيث الأخلاق و العادات

جاء فى كتاب "تاريخ العرب و آدابهم" المتقدم ذكره ما يأتى:

و قد تقسم بلاد العرب إلى ثلاثة أقسام- من حيث الأخلاق و العوائد و الأقدام و التهذيب و اللغة و المعارف. و هم البدو، و البدو المتحضرون، و الحضرة.

أما البدو فهم أقوام رحالة يسكنون في بيوت من الشعر، إذ لا يبنون لهم بيتا ثابتا بل يهيمون في كل واد حيث طاب لهم العيش، ذاهبين بيوتهم على ظهور مطاياهم ينصبونها حيث اعتمدوا الإقامة. وهم يعولون في معيشتهم على ماشيتهم التي يغدونها بما تنبت الأرض من كلاً الطبيعة و يغتذون بلحومها و ألبانها و يتخذون ما زاد منها و من صوفها و شعرها و وبرها لسد ما بقى من احتياجاتهم من مطعم و ملبس و مسكن و اكتساب درهم يستعينون به لدى الحاجة، و أكثر ما يسكنون السهول يراقبون فيها سير الفصول، فإذا اشتد بهم الحر طلبوا الأنهر و مجارى المياه و الأراضي النضرة، و إذا نزل الغيث و ارتوت و أنبتت ربيعها توغلوها في القفار

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٨٣

مستصحبين ماشيتهم و بيوتهم، و هم على كلتا الحالتين لا ينقطعون عن مخالطة الحضرة لبيع ما لديهم و شراء ما احتاجوا إليه من مأكول و ملبوس، و البدو من أحرص الناس على ما ورثوه من العرف و العادات إذ ما فتئوا على فطرتهم بما اتصفوا به قبل الإسلام من الحسنات و السيئات، و قد أصاب بورك هارك في وصفه البدو إذ قال: يمتاز البدو بحب الضيافة و الكرم و حفظ الدمام و رعاية الغريب، و الشهامة و الحماسة و الذكاء و خفة الروح و القناعة، و حب البدو للحرية يحمله على احتقار أهل الحضرة فإنه بمعاملتهم قد تعلم منهم الخداع و المكر. ٥١.

و مع أن البدوى موصوف بخشونة الطباع و العناد، فهو جامع لرقعة الإحساس و دقة الإدراك، و لا يزال بين البدو حتى الآن بقية يدينون بدين أسلافهم، و يعبدون الحجارة و الأشجار و الأفلاك، و ملابس البدو خرقه شبيهة بالمنديل تعرف بالكوفية و العقال للرأس، و القميص الطويل يشده بحبل على وسطه، و لبس العباءة فوق الثوب، أما البدويات فهن في البادية أكثر عددا من الرجال، و بالطبع ألين جانبا و أرف طبعا، و لسن مع ذلك دون الرجال نخوة و شهامة، و أخلاقهن بالجملة حسنة، و خير ما يزينهن عزة النفس و أنفة الحمية و قيامهن مقام الرجال في أكثر الأعمال. و أخذ الثأر عند البدو مشهور من قبل الإسلام، و هو لا يزال حتى الآن و كثيرا ما يكون السبب في العداوة بين قبيلة و أخرى بحيث يفضى بينهما الأمر إلى الحرب إلا إنه يعوض عن الدم بالدية في بعض الأحيان.

و من البدو عدد ليس بقليل يتعاطون السلب و النهب، و كثيرا ما يسلبون قوافل الحجاج أو يلزمونهم بدفع العوض، و يستعملون في غزواتهم و حروبهم السيف و الطير و الرمح، و أكثر اعتمادهم على الرماح، و قد كثر الآن استعمال البنادق عندهم. أما الأحكام في البادية فموكولة إلى الشيوخ و الأمراء و هي تمثل مبادئ الحكم الفطرى، فالقوة لمن غلب، و تتبعها الثروة و النفوذ. يرضون بما يشاؤون معتمدين على الشرع المعروف و العرف المشروع، و ليس لهم قوانين مكتوبة و مجالس معقودة، و مع ذلك يقوم العرف أحيانا مقام القانون النافذ، فيرجعون بالتقاضى إليه، و إن اختلفوا في أمر أشكل عليهم رفعوا أمرهم إلى العرفاء، و العريف عندهم بمنزلة القاضى يحكم بما عرفه بالاختبار مما جرى عليه العرب في كل زمان، و هو مقام الفيصل أو الفاروق في العهد القديم و له عنده منزلة كبرى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٨٤

أما اللغة فهي في انحطاط عظيم عن ذى قبل، و إن كان الكلام في عامة البدو أصح منه في سائر البلاد التي غلبت فيها اللغة العربية، فاللفظ أضبط و الكلام نقى من خليط الألفاظ الأعجمية.

القسم الثانى: البدو المتحضرون، و يقال فيهم ما قيل عن البدو، غير أن حظهم من سعة العيش أوفر، فلا تحوهم قلة المياه إلى الرحيل بل ينزلون على مجارى الأنهر الكبيرة و يقيمون في بيوتهم الشعرية أو أكواخهم المصنوعة من القصب و جريد النخل و البردى، يزرعون ما جاورهم من الأرض، و الذين قدم عهدهم بالزراعة كادوا يتحضرون و تحضر منهم كثيرون فيما مر من الأيام فتدرجوا من سكنى الخيام إلى الطرف المبنية من سعف النخل و غيره، و منها إلى بيوت الآجر.

القسم الثالث: الحضرة، و هم أهل الأمصار و المدن منهم، و يصح فيهم الآن ما قاله عنهم ابن خلدون منذ سنين من أنهم قد تلوثت أنفسهم بكثير من مذومات الخلق و الشر، و بعدت عليهم طرق الخير و مسالكه بقدر ما حصل لهم من فنون الملاذ و عوائد الترف و

الإقبال على الدنيا والعكوف على حب المال والكذب والشهوات حتى لقد ذهبت عنهم مذاهب الحشمة في أحوالهم، فتجد الكثير منهم يقذعون في أقوال الفحشاء في مجالسهم و بين كبرائهم و أهل محارمهم لا يصددهم عنه وازع الحشمة، لما أخذتهم به عوائد السوء من التظاهر بالفواحش قولاً و عملاً، و بالجملة فهم أهل غدر و مكر و خديعة و نقض عهد. اهـ.

على أن هذا الوصف لا ينطبق على كل أهل المدن و الأمصار، فإن المسلم الورع منهم على غير ما ذكر، فهو ذو صفات حميدة: منها أنه كثير الصدقات و الزكاة، مواظب على العمل، عفيف النفس، طاهر الذيل، قائم بشعائر الدين.

## تاريخ العرب قبل الإسلام

جاء في كتاب "تاريخ العرب و آدابهم" المتقدم ذكره ما يأتي:

العصر الأول- تاريخ العرب قبل الإسلام: لا تزال الأخبار عما تقادم من ذلك التاريخ مستتره وراء حجاب القدم، إذ لا يكاد يوقف منها على حقيقة يوثق بها و لا سيما ما كان منها أبعد عهداً، و المؤرخون من اليونان و الرومان لم يوردوا من أخبارها إلا لمعة خفيفة عن المعاملات التجارية و الحروب التي كانت بينهم و بين التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٨٥

العرب المجاورين لممالكهم، و البعض الآخر من المؤرخين ذكروا محاولة بعض الملوك الأجانب افتتاح البلاد العربية كغزوات ملوك آشور و حملة الإسكندر و البطالسة و اتينوخوس ملك سورية على النبطيين، و حملة العامل الروماني في مصر سنة ٢٤ قبل الميلاد على نجران و مأرب، و حملة القيصر تراجان.

أما ما جمعه مؤرخوا الإسلام من الأخبار المنقولة عن ما تقادم من تلك العصور فقد تطرق إليه الخلل، حتى أصبح من الصعب تمييز الوقائع الحقيقية من غيرها، و قد قسم أهل التاريخ العرب إلى فرقتين: بائدة و باقية. انتهى.

ثم فصل المؤلفان في كتابهما المذكور الفرقتين المذكورتين، ما أحببنا نقل ذلك حتى لا يطول بنا الكلام.

## تقسيم العرب إلى عاربة و مستعربة

### إشارة

جاء في كتاب "تاريخ العرب و آدابهم" المتقدم ذكره ما يأتي:

و قد قسم النسابون أمة العرب إلى قسمين: العرب العاربة، و العرب المستعربة.

## العرب العاربة

فالعرب العاربة: هم أولئك الأقوام الذين ينتهون بنسبهم إلى قحطان، أول جد العرب و رئيس ملوك اليمن الذي يقال عنه أنه أول من تكلم بالعربية من أهل هذه الطبقة، تعلمها من العرب البائدة الذين كان معاصراً لهم، و بحسب الأنساب المسطورة شجراتها في كتب العرب، تنقسم ذرية قحطان إلى شطرين: أحدهما ابنه يعرب الذي أسس مملكة اليمن الأولى، و كان من أعظم ملوكها، و ثانيهما ابنه جرهيم الذي أسس مملكة الحجاز. و لعلهما هدورام و يارح الذين ذكرهما موسى في جملة الثلاثة عشر رئيساً، الذين توالدت منهم العرب (انظر سفر الخلائق- الفصل العاشر و العدد ٢٦).

و انقسام أمه العرب إلى قبائل يشبه انقسام اليهود إلى أسباط، و قد حافظ العرب و اليهود منذ القدم على هذا التقسيم و التمييز بين قبيلة و أخرى، و بين بطن و بطن، و هذا التقسيم كان السبب المانع لعدم إجماع الكلمة بين القبائل و العيال من التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٨٦

كل أمه منهم، و قد ساعد هذا التمييز أهل البحث و التحقيق على معرفة أحوال تلك القبائل و شؤونهم. أما ذرية يعرب فتكاثرت و انقسمت إلى بطون عديدة، حتى أن سيل الإنكليزي و السيد أحمد خان قد جمعا أسماء ستين قبيلة من قبائل العرب العاربة الذين اشتهر منهم عدد غير قليل أيام الجاهلية، و لا يزال العدد الكبير منهم محافظا على أسمائه إلى يومنا هذا. هـ.

### العرب المستعربة

أما العرب المستعربة فهم من ولد عدنان الذي ينتهي نسبه إلى إسماعيل، ولدوا لإسماعيل من زوجة ابنة المضاض ملك الحجاز، و بين المضاض و جرحم تسعة جدود، و قال مؤرخوا العرب: إن إسماعيل بن إبراهيم اتخذ الحجاز له و طنا، و كانت مكة يوم ذاك قفرا، و أن إبراهيم عندما أمره الله تعالى أن يذبح ابنه قربانا قدم إسماعيل، و كان المحل الذي أراد ذبحه فيه بالقرب من مكة. و من أقوالهم أيضا أنه عندما ألحت سارة على إبراهيم بطرد هاجر من منزلها أن هاجر ذهب مع طفلها إسماعيل إلى الوادي الذي هو الآن مدينة مكة، و أنه عندما عطشت هي و ابنها أنبع الله لهما عين ماء سميت زمزم، إلا أنهم لا يذكرون تزوجه بالمرأة المصرية التي ولدت له الاثني عشر ولدا الذين صاروا أمراء اثنتي عشرة قبيلة، و تملكوا مدنا مختلفة في ما جاء في الفصل ٢٥ عدد ١٢ و ١٨ من سفر الخلائق، مع أن عوائد العرب و اليهود لا تمنع من أن يكون للرجل الواحد أكثر من زوجة واحدة، و عدنان الجد الحادي و العشرون للنبي صلى الله عليه و سلم هو من نسل إسماعيل، فيكون إذا نسب النبي صلى الله عليه و سلم إلى إسماعيل إلى العرب المستعربة، و من زوجة إسماعيل التي بنت المضاض إلى العرب العاربة، و أن انتساب النبي صلى الله عليه و سلم إلى جده عدنان الذي هو من نسل إسماعيل بن إبراهيم الخليل، كان السبب لاعتناء مؤرخي العرب في حفظ أنساب المستعربة أكثر منه في حفظ أنساب العرب العاربة، و لهذا عددوا في كتابتهم ١٦٠ قبيلة من قبائل العرب المستعربة. و مما ذكره مؤرخوا الإسلام أن بين بناء الكعبة و ولادة النبي ٢٧٤٠ سنة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٨٧

و تعرف قبائل قحطان في الجنوب بالسبائين و الحميريين و اليميين و الكلبين، و تعرف قبائل الإسماعيليين في الشمال بالعدنانيين و المعديين و المضريين و القيسيين، و من هذه الطبقة المناذرة ملوك الحيرة و العراق و أمراء الحجاز. انتهى.

ثم قال المؤلفان في موضع آخر من الكتاب: تقسيم العرب إلى عاربة و مستعربة، لا يدل على تمييز في الجنس و النسب، بل هو دال على اختلاف المعيشة من حيث الحضارة و البداوة و ما بينهما، و من أراد زيادة بيان عن مواطن قبائل العرب و مهاجراتهم، فعليه مراجعة المعجم للبكري من صحيفة ١ إلى صحيفة ٥٨، و هذا الكتاب طبع سنة ١٨٦٩ في مدينة غوتنجن من أعمال ألمانيا. انتهى من الكتاب المذكور.

### أول تسمية للبلاد العربية السعودية

كان من قديم الزمان بلاد الحجاز وحدها و بلاد نجد وحدها، لم ترتبط ببعضها إلا منذ أن استولى سلطان نجد الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود على الحجاز، و ذلك سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية، فلما استتب الأمر لعبد العزيز المذكور نودي به ملكا عاما على البلاد الحجازية و البلاد النجدية، فسمى من يومئذ (ملك الحجاز و نجد و ملحقاتها) و كان يطبع هذا على الأوراق الرسمية، و على العملة المتداولة بين الناس من العملة الفضية و أجزاءها و من القروش النيكل و أجزاءها أيضا.



ثم لما كان سنة (١٣٥٢ هـ) أو قبلها بسنة أو بعدها بسنة صدر أمر جلالة الملك عبد العزيز المذكور رحمه الله تعالى بتسمية البلاد الحجازية و البلاد النجدية باسم واحد، فيطلق عليهما "المملكة العربية السعودية" و منذ هذا الوقت صارت العملة تطبع بهذا الاسم و كذلك الأوراق الحكومية، و إذا طبعت الخرائط الجغرافية بعد هذا التاريخ يضعون فيها اسم المملكة العربية السعودية، فسبحان مدبر الأمور و مقلبها، و مجرى الرياح و مسيرها، بيده الأمر كله و إليه ترجعون، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

و إليك صورة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي هو أول ملك لقب بالاسم المذكور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٨٨

### فضل العرب على سائر الأجناس

الكلام على فضل العرب كثير نذكر هنا نبذة صغيرة للذكرى فإن الذكرى تنفع المؤمنين، فنقول و بالله تعالى التوفيق:

يطلق العرب على كل من يتكلم اللغة العربية بالطبيعة و السليقة و كان من نفس بلاد العرب، و العرب أجناس مختلفة فمنهم الحجازي و المصري و الشامي و اليمنى و العراقي و غير ذلك. و من نظر بعين الحقيقة و التأمل و الإنصاف إلى عادات جميع أجناس البشر و أحوالهم وجد أحوال العرب و عاداتهم أحسن و أفضل من جميع الأجناس على الإطلاق في كل زمان و مكان- و لندكر شيئاً مما ورد في حق العرب في القرآن الكريم و ما ورد فيهم في الأحاديث النبوية الكريمة.

قال الله تعالى في كتابه العزيز في أول سورة يوسف: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ \* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.

و قال في سورة الأحقاف: وَ هَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ بُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ. و قال في أواخر سورة الشعراء: وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ \* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ. و قال صلى الله عليه و سلم: «أحب العرب ثلاث: لأنى عربى و القرآن عربى و كلام أهل الجنة عربى» رواه الطبرانى و البيهقى و غيرهما. و قال أيضاً: «أحبوا قريشا فإن من أحبهم أحبه الله تعالى» رواه الإمام مالك فى الموطأ و الإمام أحمد و غيرهما.

و قال أيضاً: «إن الله عز و جل اصطفى كنانة من ولد إسماعيل و اصطفى قريشا من كنانة و اصطفى من قريش بنى هاشم و اصطفانى من بنى هاشم» رواه مسلم فى صحيحه.

فمما تقدم من قول الله تبارك و تعالى، و من قول رسوله صلى الله عليه و سلم، يعلم فضل العرب على سائر أجناس البشر، و لا عبرة بمن يقول أننا وجدنا فى بعض الأجناس؛ كالفرس و العجم و الهند و جاوة و هولندا و إنغلترا و أمريكا و فرنسا مثلاً- أفراداً أحسن من العرب- نقول: لا- عبرة بمثل هذا القول؛ لأن وجود أفراد فى بعض الأجناس نادر و النادر لا حكم له، فمجموع الأمة العربية أفضل و أحسن من مجموع أية أمة من الأمم الأخرى، فالله عز و جل قد خص الأمة العربية بفضائل كثير منها: الكرم و الشجاعة و المروءة و الإنسانية و الشهامة و حسن الخلق و لطيف

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٨٩

الشمائل. فإن وجد شيء من ذلك فى بقية الأمم الأخرى فإنما هو بنسبة معينة.

فالأمة العربية يأخذون من حسن الشمائل و حميد الخصال بقسط وافر، و لو وجدوا عناية و رعاية فى مسائل التعليم بمختلف أنواعه لدانت لهم جميع الأمم، فلديهم من العقل و الذكاء و سرعة خاطر و الفهم ما يجعلهم فى مقدمة جميع الأمم و لله الحمد، و حيث إن الله تبارك و تعالى قد اختارهم و فضلهم على سائر الأمم فهنيئاً لهم هذه المنزلة الكبرى عند الله عز و جل.

و لقد ذكرت إحدى المجلات العربية عن فضل العرب نبذة لطيفة أحببنا ذكرها هنا و هذا نصها:

للعرب عند الله و عند الناس مكانة كبرى، ذكر الله مكانتهم في القرآن في مواضع متعددة و من أصدق من الله قيلا: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ يَكْفَى الْعَرَبَ فخرًا و مكانة أن جميع الرسالات السماوية نزلت في وطنهم و نبتت من أرضهم، و جميع الأنبياء و الرسل عاشوا و ماتوا و دفنوا في أرضهم، و الكعبة و بيت المقدس و طور سيناء و بيت لحم في وطنهم، و القرآن نزل بلغتهم و محمد العظيم منهم و لغه أهل الجنة يوم القيامة بلغتهم و لسان الله يوم القيامة عربى. فيالها من مفخرة و يالها من مكانة. و ليست هذه وحدها مفاخر العرب فقد كان لهم قبل الإسلام تاريخ فيه حضارة واسعة، و فيه مجد و عظمة في جزيرة العرب و ما يتصل بها من بابل و آشور و غيرهما.

و للعرب قبل الإسلام أخلاق و مكارم و مآثر و لكن تاريخ العرب الحق، و مجدهم الأعظم و مكانتهم في الإنسانية و آثارهم الخالدة .. كل أولئك يبدأ مع الإسلام و يعظم بالإسلام و يدوم و ينمو و يزداد عظمة و بهجة ما بقى في صحبة الإسلام و كفالتة.

و الإسلام دين إنسانى عظيم، جاء به خاتم النبيين الذى بعث رحمة للعالمين و هو دين يكره الحدود، حدود الأقوام و حدود الأوطان، و يدعو إلى أخوة البشر كلهم و تعاون الأمم جميعا، لا يخص قبيلة دون قبيل، و لا يميز أمة على أمة. و لكن الله اختار لرسالته نبيا من العرب فأدوا أمانته و بلغوا رسالته و جاهدوا لحمل الأمانة و تبليغ الرسالة فى الشرق و الغرب، و احتملوا من النصب و العناء، و الاغتراب و لقوا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٩٠

من السيوف و الحتوف، ما كانوا أكفاه بل أكبر منه فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله، و ما ضَعُفُوا و ما اسْتَكْتَبُوا.

حملوا هذه الرسالة العظيمة ما بين الصين فى الشرق و فرنسا فى الغرب و بلغوا فى الشمال و الجنوب بلادا قاصية و فيافى نائية. و لم يعرف التاريخ لغير الإسلام و لم يشهد لغير العرب المسلمين هذه الهمة التى لا تحد و هذه العزيمة التى لا تقهر و هذا الجهاد الذى لا يفتر و هذا الإخلاص فى الحق، و الاستشهاد فى سبيله، و ما عرف العالم دعوة كالإسلام خلطت الأمم أمة واحدة، و جعلت الأوطان و طنا واحدا، و لا عرف كالعرب دعاء جمعوا الأمم فى عدل الله و أخوة الحق، لا يفرقون بين قبيل و قبيل و لا يميزون لونا من لون، بل شعارهم قول القرآن الكريم: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ.

خالطوا الأمم، فخلطوا بعضها ببعض فجعلوها أمة واحدة تنتشر من أقصى الشرق إلى أقصى المغرب شعارها و لله المشرق و المغرب فأينما تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ و إن فى الإسلام و العروبة لمثلا عاليا للمذاهب و الأمم، يرى فيهما البشر كيف يسير الحق القوى، و المذهب القويم، فى حضانه أمة قوية قويمه مخلصه، فتغير سير الزمان، و تبدل مجرى التاريخ، و تعلق على الحدود و القيود إلى المثل العليا التى لا تخص جيلا و لا قبيلة بل تعم الناس جميعا.

حفظ المسلمون للعرب أنهم سبقوا إلى حمل الأمانة و أداء الرسالة، فقرنوا ذكرهم بذكر الإسلام و عظموهم و أحبوهم و اتخذوهم مثلا عاليا و أسوة حسنة، و مع كل هذه المكانة و كل هذا الفضل نرى فئة من الناس من المسلمين قد تنكروا لفضل العرب و مكانتهم. و هنا أنقل للقارئ الكريم رأى أحد أئمة الإسلام فى فضل العرب و عظمتهم ليكون الدليل أقوى و الحجة أعظم على هؤلاء الذين تنكروا للحقائق و تنكروا للعروبة و مكانتها بين الأمم الإسلامية. و هذا الإمام هو شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد جاء فى كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) ما يلى بالحرف الواحد:

فإن الله تعالى خص العرب و لسانهم بأحكام تميزوا. ثم خص قريشا على سائر العرب بما جعل فيهم من خلافة النبوة، و غير ذلك من الخصائص ثم خص بنى هاشم بتحريم الصدقة و استحقاق قسط من الفىء، إلى غير ذلك من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٩١

الخصائص. فأعطى الله سبحانه كل درجة من الفضل بحسبها. والله عليم حكيم الله يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ وَ قَدْ قَالَ النَّاسُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِنَّهُ لَدِكِّرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ وَ فِي قَوْلِهِ: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ.

و من الأحاديث التي تذكر في هذا المعنى: ما روينا من طرق معروفة إلى محمد بن إسحاق الصنعاني، حدثنا عبد الله بن بكر السهمي  
حدثنا يزيد بن عوانة عن محمد بن ذكوان - خال حماد بن زيد - عن عمرو بن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إنا لنعوذ  
بفناء النبي صلى الله عليه وسلم إذ مرت بنا امرأة. فقال بعض القوم:

هذه ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان: مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط التن. فانطلقت المرأة  
فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه الغضب فقال: ما بال أقوال تبلغني عن أقوام؟ إن الله  
خلق السموات سبعا. فاختار العليا منها، وأسكنها من شاء من خلقه، ثم خلق الخلق. فاختار من الخلق بني آدم و اختار من بني آدم  
العرب، و اختار من العرب مضر و اختار من مضر قريشا، و اختار من قريش بني هاشم و اختارني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار.  
فمن أحب العرب فبحبي أحبهم و من أبغض العرب فببغضي أبغضهم».

و أيضا في المسألة ما رواه الترمذي و غيره من حديث أبي بدر شجاع بن الوليد، عن قابوس ابن أبي ظبيان، عن أبيه، عن سلمان رضي  
الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا سلمان! لا تبغضني فتفارق دينك. قلت: يا رسول الله! كيف أبغضك و بك هداني  
الله؟ قال: تبغض العرب فتبغضني» قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا يعرف إلا من حديث أبي بدر شجاع بن الوليد.  
فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم بغض العرب سببا لفراق الدين. و جعل بغضهم مقتضيا لبغضه.

و يشبه أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم خاطب بهذا سلمان - و هو سابق الفرس ذو الفضائل المأثورة - تنبيها لغيره من سائر الفرس  
لما أعلمه الله من أن الشيطان قد يدعو النفوس إلى شيء من هذا كما أنه صلى الله عليه وسلم لما قال: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني  
عنك من الله شيئا. يا عباس عم رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمه رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئا سلوني  
من مالي ما شئتم»

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٩٢

كأن في هذا تنبيه لمن انتسب لهؤلاء الثلاثة: أن لا يغتروا بالنسب و يتركوا الكلم الطيب و العمل الصالح.  
و هذا دليل أن بغض جنس العرب و معاداتهم كفر. أو سبب للكفر.

و مقتضاه: أنهم أفضل من غيرهم و أن محبتهم سبب قوة الإيمان؛ لأنه لو كان تحريم بغضهم كتحريم بغض سائر الطوائف: لم يكن  
ذلك سببا لفراق الدين و لا- لبغض الرسول بل كان يكون نوع عدوان. فلما جعله سببا لفراق الدين و بغض الرسول: دل على أن  
بغضهم أعظم من بغض غيرهم. و ذلك دليل على أنهم أفضل؛ لأن الحب و البغض يتبع الفضل فمن كان بغضه أعظم: دل على أنه  
أفضل و دل حينئذ على أن محبته دين لأجل ما فيه من زيادة الفضل، و لأن ذلك ضد البغض و من كان بغضه سببا للعذاب لخصومه  
كان حبه سببا للثواب و ذلك دليل على الفضل.

و قد جاء ذلك مصرحا به في حديث آخر رواه أبو طاهر السلفي في فضل العرب من حديث أبي بكر بن أبي داود، حدثنا عيسى بن  
حماد زغبة، حدثنا علي بن الحسن الشامي، حدثنا خليل بن دعلج، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله قال: قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حب أبي بكر و عمر من الإيمان و بغضهما من الكفر، و حب العرب من الإيمان و بغضهم من  
الكفر».

و قد احتج حرب الكرمانى و غيره بهذا الحديث و ذكروا لفظة: «حب العرب إيمان و بغضهم نفاق و كفر». انتهى ما ذكره ابن تيمية  
في كتابه و فيه كفاية و عظة لكل متعظ.

و ذكر العلامة الكبير السيد محمود شكرى الآلوسى في كتابه (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب) ما نصه:

روى أبو العيناء الهاشمي عن القحذمي عن شبيب بن شبة قال: كنا وقوفا بالمربد موضع بالبصرة، وكان المربد مألّف الأشراف إذ أقبل ابن المقفع فبشبتنا به وبدأناه بالسلام. فرد علينا السلام ثم قال: لو ملتم إلى نيروز وظلها الظليل، و سورها المديد و نسيمها العجيب، فعودتم أبدانكم تمهيد الأرض و أرحتم دوابكم من جهد الثقل، فإن الذي تطلبونه لم تفلتوه، و مهما قضى الله لكم من شيء تنالوه، فقبلناه و ملنا، فلما استقر بنا المكان قال لنا: أي الأمم أعقل؟ فنظر بعضنا إلى بعض فقلنا: لعله أراد أصله من فارس فقلنا: فارس. فقال: ليسوا بذلك،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٩٣

إنهم ملكوا كثيرا من الأرض... و وجدوا عظيما من الملك، و غلبوا على كثير من الخلق، و لبث فيهم عقد الأمر فما استنبطوا شيئا بقولهم و لا- ابتدعوا باقي حكم في نفوسهم. قلنا: فالروم. قال أصحاب صنعة. قلنا: فالصين. قال: أصحاب طرفه. قلنا فالهند. قال: أصحاب فلسفة. فقلنا: السودان. قال: شر خلق الله.

قلنا: الترك. قال: كلاب مختلصة. قلنا: الخزر قال: بقر سائمة قلنا: فقل. قال:

العرب. قال فضحكنا قال: أما إني ما أردت موافقتكم، و لكن إذ فاتني حظي من النسبة، فلا- يفوتني حظي من المعرفة. إن العرب حكمت على غير مثال مثل لها و لا آثار أثرت، أصحاب إبل و غنم و سكان شعر و آدم يجود أحدهم بقوته، و يتفضل بمجوده و يشارك في مسوره و معسوره، و يصف الشيء بعقله فيكون قدوة، و يفعله فيصير حجة، و يحسن ما شاء فيحسن، و يقيح ما شاء فيقيح.

أدبتهم أنفسهم، و رفعتهم همهم، و أعلتهم قلوبهم و ألسنتهم، فلم يزل حياء الله فيهم و جباؤهم في أنفسهم حتى رفع لهم الفخر و خلافته بهم إلى الحشر على الخير فيهم و لهم. فقال سبحانه: إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ فمن وضع حقهم خسر، و من أنكر فضلهم خصم، و دفع الحق باللسان، أكبت للجنان.

هذا قليل من كثير من الأدلة على فضل العرب و مكاتبتهم بين الأمم الإسلامية. انتهى من المجلة المذكورة.

### مناظرة بين النعمان بن المنذر و كسرى أنوشروان في شأن العرب

جاء في جواهر الأدب المناظرة التي وقعت فيما بين النعمان بن المنذر و كسرى أنوشروان- في شأن العرب و هي مناظرة تظهر فضل العرب تستحق تسجيلها في تاريخنا هذا- و إليك نصها:

روى ابن القطامي عن الكلبي قال: قدم النعمان بن المنذر على كسرى، و عنده وفود الروم، و الهند، و الصين، فذكروا من ملوكهم و بلادهم- فافتخر النعمان بالعرب و فضلهم على جميع الأمم، لا يستثنى فارس و لا غيرها.

فقال كسرى و أخذته عزة الملك: يا نعمان، لقد فكرت في أمر العرب و غيرهم من الأمم، و نظرت في حالة من يقدم على من وفود الأمم- فوجدت للروم حظا في اجتماع ألفتها، و عظم سلطانها، و كثرة مدائنها، و وثيق بنيانها،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٩٤

و أن لها دينا بين حلالها و حرامها، و يرد سفيهاها و يقيم جاهلها- و رأيت الهند نحو من ذلك في حكمتها و طبها، مع كثرة أنهار بلادها و ثمارها، و عجيب صناعاتها، و طيب أشجارها، و دقيق حسابها، و كثرة عددها، و كذلك الصين في اجتماعها، و كثرة صناعات أيديها، و فروسيتها في آلة الحرب و صناعة الحديد و أن لها ملكا يجمعها- و الترك و الخزر على ما بهم من سوء الحال في المعاش، و قلة الريف و الثمار و الحصون، و ما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن و الملابس لهم ملوك تضم قواصيمهم و تدبر أمرهم- و لم أر للعرب شيئا من خصال الخير في أمر دين و لا دنيا، و لا حزم و لا قوة، و مع أن مما يدل على مهانتها و ذلها، و صغر همتها، محلثهم التي هم بها مع الوحوش النافرة، و الطير الحائرة، يقتلون أولادهم من الفاقة، و يأكل بعضهم بعضا من الحاجة، قد خرجوا من مطامع

الدنيا و ملابسها و مشاربها و لهوها و لذاتها. فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الإبل التي يعافها كثير من السباع لثقلها، و سوء طعمها، و خوف دائها، و إن قرى أحدهم ضيفا عدها مكرمة، و إن أطعم أكلة عدها غنيمه، تنطق بذلك أشعارهم، و تفتخر بذلك رجالهم (ما خلا هذه التلوخيئه التي أسس جدى اجتماعها و شد مملكتها، و منعها من عدوها، فجرى لها ذلك إلى يومنا هذا، و إن لها مع ذلك آثارا و لبوسا و قرى و حصونا و أمورا تشبه بعض أمور الناس). يعنى: اليمن.

ثم لا أراكم تستكبنون على ما بكم من المذلة، و القلة، و الفاقة، و البؤس حتى تفتخروا، و تريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس. قال النعمان: أصلح لله الملك. حق لأمة، الملك منها أن يسمو فضلها، و يعظم خطبها، و تعلق درجتها، إلا أن عندى جوابا فى كل ما نطق به الملك فى غير رد عليه، و لا تكذيب له، فإن أمنى من غضبه نطقت به. قال كسرى: قل فأنت آمن.

قال النعمان: أما أمتك أيها الملك: فليست تنازع فى الفضل لموضعها الذى هى به، من عقولها و أحلامها و بسطة محلها، و بجوحه عزها، و ما أكرمها الله به من ولايه آبائك و ولايتك، و أما الأمم التي ذكرت فأية أمة تفرنها بالعرب إلا فضلها. قال كسرى: بماذا؟

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٩٥

قال النعمان: بعزها و منعتها، و حسن وجوها و بأسها و سخائها و حكمه ألسنتها، و شدة عقولها و أنفتها و وفائها. فأما عزها و منعتها، فإنها لم تنزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد، و وطدوا الملك، و قادوا الجند، لم يطمع فيهم طامع، و لم ينلهم نائل، حصونهم ظهور خيلهم و مهادهم الأرض، و سقوفهم السماء، و جنتهم السيوف، و عدتهم الصبر - إذ غيرها من الأمم، إنما عزها الحجارة و الطين و جزائر البحور.

و أما حسن وجوها و ألوانها، فقد يعرف فضلهم فى ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة، و الصين المنحفة، و الترك المشوهة، و الروم المقشرة.

و أما أنسابها و أحسابها، فليست أمة من الأمم إلا و قد جهلت آباءها و أصولها و كثيرا من أولها، حتى أن أحدهم ليسأل عمن وراء أبيه دنيا فلا ينسبه و لا يعرفه، و ليس أحد من العرب إلا يسمى آباءه أبا فأبا. حاطوا بذلك أحسابهم، و حفظوا به أنسابهم، فلا يدخل فى غير قومه، و لا ينتسب إلى غير نسبه، و لا يدعى إلى غير أبيه.

و أما سخاؤها: فإن أديانهم رجلا الذى تكون عنده البكرة و الثاب، عليها بلاغه فى حموله، و شبعه و ربه، فيطرقة الطارق الذى يكتفى بالفلذة و يجترى بالشربة، فيعقرها له، و يرضى أن يخرج عن دنياه كلها، فيما يكسبه حسن الأحداث و طيب الذكر.

و أما حكمه ألسنتهم: فإن الله تعالى أعطاهم فى أشعارهم و رونق كلامهم و حسنه و وزنه، و قوافيه، مع معرفتهم بالأشياء و ضربهم للأمثال و إبلاغهم من الصفات ما ليس لشيء من السنة الأجناس - ثم خيلهم أفضل الخيل، و نساؤهم أعف النساء، و لباسهم أفضل اللباس، و معادنهم الذهب و الفضة، و حجارة جبالهم الجزع، و مطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سفر، و لا يقطع بمثلها بلد قفر.

و أما دينها و شريعتها: فإنهم متمسكون به، حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم أشهرا حرما محرما، و بيتا محجوجا، ينسكون فيه مناسكهم و يذبحون فيه ذبائحهم، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه، و هو قادر على أخذ ثاره و إدراك رغبه منه، فيحجزه كرمه، و يمنع دينه عن تناوله بأذى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٩٦

و أما وفاؤها: فإن أحدهم يلحظ اللحظه، و يومئ الإيماء، و هى ولى (أى عهد) و عقده لا يحلها إلا خروج نفسه، و إن أحدهم يرفع عودا من الأرض فيكون رهنا بدينه، فلا يغلق رهنه، و لا تخفر ذمته، و إن أحدهم ليلبغ أن رجلا استجار به، و عسى أن يكون نائيا عن داره فيصاب، فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التي أصابته، أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره، و إنه ليلجأ إليهم المجرم المحدث من

غير معرفة و لا قرابة، فتكون أنفسهم دون نفسه، و أموالهم دون ماله.

و أما قولك أيها الملك: يثدون أولادهم فإنما يفعله من يفعله منهم بالإناث أنفة من العار و غيره من الأزواج.

و أما قولك: إن أفضل طعامهم من لحوم الإبل على ما وصفت منها، فما تركوا ما دونها إلا احتقارا له، فعمدوا إلى أجلها و أفضلها، فكانت مراكبهم و طعامهم، مع أنها أكثر البهائم شحوما، و أطيبها لحوما، و أرقها ألبانا، و أقلها غائله، و أحلاها مضغته، و إنه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها إلا استبان فضلها عليه.

و أما تحاربهم و أكل بعضهم و تركهم الانقياد لرجل يسوسهم و يجمعهم فإنما يفعل ذلك من الأمم إذا أنست من نفسها ضعفا، و تخوفت نهوض عدوها إليها بالزحف، و إنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم، فيلقون إليهم أمورهم، و ينقادون لهم بأزمتهم.

و أما العرب فإن ذلك كثير فيهم، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج و الوط (أي الضرب الشديد بالرجل على الأرض) بالعسف.

و أما اليمن التي وصفها الملك، فإنما أتى جد الملك إليها الذي أتاه عند غلبة الجيش له على ملك متسق، و أمر مجتمع، فأتاه مسلوبا طريدا مستصرخا، و لو ما وتر به من يليه من العرب لمال إلى مجال، و لوجد من يجيد الطعان، و يغضب للأحرار، من غلبة العبيد الأشرار.

قال: فعجب كسرى لما أجابه النعمان به، و قال: إنك لأهل لموضعك من الرئاسة في أهل إقليمك. ثم كساه من كسوته و سرحه إلى موضعه من الحيرة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٩٧

فلما قدم النعمان الحيرة و في نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب و تهجين أمرهم، بعث إلى أكثم بن صيفى، و حاجب بن زرارة التميميين، و إلى الحارث بن ظالم، و قيس بن مسعود البكرين، و إلى خالد بن جعفر، و علقمة بن علاثة، و عامر بن الطفيل العامريين، و إلى عمرو بن الشريد السلمى، و عمرو بن معد يكرب الزبيدى، و الحارث بن ظالم المرى. فلما قدموا عليه فى الخورنق قال لهم: قد عرفتم هذه الأعاجم، و قرب جوار العرب منها، و قد سمعت من كسرى مقالات، تخوفت أن يكون لها غور، أو يكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولا- كبعض طماطمته فى تأديتهم الخراج إليه، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله- فاقصص عليهم مقالات كسرى، و ما رد عليه فقالوا: أيها الملك وفقك الله ما أحسن ما رددت، و أبلغ ما حججته، فمرنا بأمرك، و ادعنا إلى ما شئت.

قال: إنما أنا رجل منكم، و إنما ملكك و عززت بمكانكم و ما يتخوف من ناحيتكم، و ليس شيء أحب مما سدد الله به أمركم، و أصلح به شأنكم و أدام به عزكم- و الرأى أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط، و تنطلقوا إلى كسرى، فإذا دخلتم: نطق كل رجل منكم بما حضره، ليعلم أن العرب على غير ما ظن، أو حدثته نفسه، و لا- ينطق رجل منكم بما يغضبه، فإنه ملك عظيم السلطان، كثير الأعداء، مترف معجب بنفسه، و لا- تنخذلوا له انخذال الخاضع الدليل، و ليكن أمر بين ذلك، تظهر به دماثة حلومكم، و فضل منزلتكم، و عظيم أخطاركم، و ليكن أول من يبدأ منكم بالكلام (أكثم بن صيفى) ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التى وضعتكم بها، فإنما دعانى إلى التقدمة إليكم علمى بميل كل رجل منكم إلى التقدم قبل صاحبه، فلا يكون ذلك منكم فيجد فى آدابكم مطعنا، فإنه ملك مترف، و قادر متسلط. ثم دعا لهم بما فى خزائنه من طرائف حلل الملوك، و أعطى كل رجل منهم حلة، و عممه عمامة، و ختمه بياقوته، و أمر لكل رجل منهم بنجيبه مهريه، و فرس نجيبه.

و كتب معهم كتابا هذا نصه:

أما بعد، فإن الملك ألقى إلى من أمر العرب ما قد علم، و أجبته بما قد فهم مما أحببت أن يكون منه على علم، و لا يتلجلج فى نفسه

أن أمه من الأمم التي احتجرت دونه بمملكته، و حمت ما يليها بفضل قوتها، تبلغها من الأمور التي

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٩٨

يتعزز بها ذوو الحزم و القوة و التدبير و المكيدة- و قد أفدت أيها الملك رهطا من العرب، لهم فضل في أحسابهم و أنسابهم، و عقولهم و آدابهم، فليسمع الملك و ليغمض لا عن جفاء إن ظهر من منطقتهم، و ليكرمني بإكرامهم، و تعجيل سراحهم و قد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائرتهم.

فخرج القوم في أهبتهم: حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن، فدفعوا إليه كتاب النعمان، فقرأه و أمر بإنزالهم إلى أن يجلس لهم مجلسا يسمع منهم- فلما أن كان بعد ذلك بأيام، أمر مرزبته، و وجوه أهل مملكته فحضروا و جلسوا على كراسي عن يمينه و شماله، ثم دعا بهم على الولاء، و المراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه و أقام الترجمان ليؤدي إليه كلامهم، ثم أذن لهم في الكلام. فقام أكتهم بن صيفي فقال: إن أفضل الأشياء أعاليها، و أعلا الرجال ملوكها، و أفضل الملوك أعمها نفعاً، و خير الأزمنة أخصبها، و أفضل الخطباء أصدقها ... (إلى آخر كلامه الذي لا نحسب نقله و سرده خوف التحويل).

ثم قام كل واحد من رفاقه التسعة فخطب أمام كسرى خطبةً بليغةً قيمةً، أظهرت ما للعرب من الفضل و الكرم و البلاغة و الفصاحة، حتى أن كسرى تأثر من خطبة كل واحد منهم خطبها أمامه من شعر أو نثر.

فلما فرغوا من خطبهم و كلامهم- قال كسرى حينئذ: ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه، ثم أعظم صلاتهم أجمعين و ردهم إلى أقوامهم معظمين.

انتهى كل ذلك نقلاً- عن كتاب جواهر الأدب للهاشمي. و كان بودنا ذكر نص خطبة كل واحد منهم لكن ذلك يؤدي بنا إلى التحويل.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٩٩

### نبذة من سيرة النبي صلى الله عليه و سلم

#### إشارة

لما كان بلد الله الأمين (مكة المكرمة) محل ولادة خاتم النبيين، سيدنا و نبينا (محمد) صلاة الله و سلامه عليه، و على آله و صحبه أجمعين، كان من الأفضل أن نتشرف بذكر نبذة من سيرته العطرة، و نبذة من هجرته المباركة إلى المدينة المنورة، و نبذة من كل ما يتعلق بسيرته صلى الله عليه و سلم، للذكرى و العظة، و التفكير و الاعتبار، نتشرف بذكر كل ذلك كالمقدمة تكون أمام المقصود، فرحم الله تعالى من يقول:

و إن أولى ما تحلى المسلم بعد كتاب الله بل يحتم

علم بأيام رسول الله من لدن النشأ إلى التناهي

و حفظ ما يحق أن لا يجهل من أمره و حاله مفصلاً

و بعد الانتهاء من كل هذا إن شاء الله تعالى، نبدأ الكلام عن تاريخ بلد الله الحرام، ذلك البلد الأمين الذي أقسم الله تعالى في كتابه العزيز فقال عز شأنه:

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ \* وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ \* قَالَ أَيْضاً تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَاللَّيْلِ وَالرَّيُّوتِ \* وَطُورِ سَيْنِينَ \* وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَقْسِمُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ إِلَّا بِأَفْضَلِ الْأَشْيَاءِ وَأَشْرَفِهَا، وَمَكَّةُ الْمَكْرَمَةُ أَشْرَفُ بَقْعَةٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَأَفْضَلُ مَكَانٍ تَحْتَ قَبَةِ السَّمَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَكَيْفَ لَا تَكُونُ كَذَلِكَ، وَفِيهَا بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَالمشاعر العظام، وَ لَا يَكُونُ أَدَاءُ فَرِيضَةِ الْحَجِّ الَّذِي

هو خامس أركان الإسلام إلا فيها.

فمكة بلد الله الحرام، و مهبط الوحي و الملائكة الكرام، و مأوى الأولياء و الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، إنها لخليقة بكل رعاية، و جديرة بكل عناية، حسا و معنا، فهنيئا لمن عظم أمرها و أكرم أهلها، و أخلص لله و رسوله فيها.

اللهم وفقنا لمرضاتك، و عاملنا بما أنت أهله، لا بما نحن أهله آمين يا رب العالمين يا الله.

لا ندرى و الله كيف نكتب عن ترجمة حياة سيدنا و مولانا "محمد" رسول الله صلى الله عليه و سلم، الذى أرسله الله رحمة للعالمين، فأخرجهم من الظلمات إلى النور، ماذا نكتب عن سيد ولد آدم و خاتم الأنبياء و المرسلين، ماذا يمكن لعاجز اللسان و القلم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٠٠

أن يكتب عن اختاره الله و اصطفاه، فأرسله إلى الناس كافة بشيرا و نذيرا، ماذا يمكن أن يكتب هذا العاجز عن أراه الله تعالى ملكوت السموات و الأرض و يجتمع به ملائكة الله المقربون، ماذا يكتب هذا الضعيف العاجز عن أسرى به إلى السموات السبع، بل إلى ما فوق ذلك و كلمه ربه.

الحقيقة أن المؤمن الصادق الممتلى حبا و معرفة برسول الله صلى الله عليه و سلم ليقف حيران فى ناحية الكتابة عن هذا النبى العربى الأسمى الذى تربي يتيما، و قام بالدعوة إلى الله تعالى وحده، حتى تغلب على جاهلية العرب، و قلب معتقداتهم الشركية إلى عبادة الله وحده لا شريك له، و أضاء ما جاء به من الدين القويم ما بين المشرق و المغرب، و لا يزال هذا الدين الحنيف قائما إلى أن تقوم الساعة.

كيف لا- يحتار الإنسان فى الكتابة عن ينزل عليه الوحي من السماء فلا- ينطق عن الهوى، فيستقى معلوماته عن الروح الأمين عليه السلام، و ماذا يكتب مثلنا أعمى القلب و البصر عن تنام عيناه و لا ينام قلبه، و عن يرى من خلفه كما يرى من أمامه، و عن أطلعه الله تعالى على ملكوت السموات و الأرض، و عن عرج به إلى ما فوق السموات السبع حتى سمع صريف الأقلام و رأى من آيات ربه الكبرى ما رأى، و إذا كنا نحن لا نعرف عن أنفسنا و لا نحيط بها علما فكيف يمكننا أن نعرف رسول الله صلى الله عليه و سلم فنكتب عنه- و رحم الله من قال:

روى السيوطى فى كبرى الخصائص عن طه عن الروح عن ذى العرش سبحانه  
لا يعرف الله إلا الله جل كمالا يعرف المصطفى إياه عرفانه  
و ما أحلى هذا البيت:

إذا الله أثنى بالذى هو أهله عليه فما مقدار ما يمدح الورى

على أنه لا بد لنا أن نتشرف بذكر نبذة قصيرة عن حياته الشخصية المباركة صلى الله عليه و سلم، حيث إننا فى صدد وضع تاريخ منقح عن البلدة التى أشرقت بولادته عليه الصلاة و السلام، و هى بلد الله الأمين "مكة"، و إن توسعنا فى الحديث عما يتعلق به صلى الله عليه و سلم فإنما يكون ذلك فى ثلاثة مباحث:

(الأول): قصة الإسراء و المعراج، (الثانى): قصة الهجرة إلى المدينة المنورة، (الثالث): قصة فتح مكة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٠١

فغير هذه المباحث الثلاثة لا- نتوسع فيها، و لو أردنا استيفاء الكلام عن تاريخه صلى الله عليه و سلم من جميع النواحي لاحتجنا إلى وضع مجلدات ضخمة، و رضى الله عن علمائنا الأعلام فقد أتوا بالكلام الشافى الوافى عن سيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم من جميع النواحي.

و هنا نتشرف بالبدء بجزء يسير عن ترجمته صلى الله عليه و سلم، فنقول و بالله التوفيق و منه تعالى نستمد العون فى كل صغيرة و كبيرة  
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ:



## نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعلم أن نبينا "محمدًا" صلى الله عليه وسلم ينتهي نسبه الشريف إلى خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فهو من ذريته بدون شك، ولقد أجمع العلماء إلى أن نسبه الشريف يقف إلى عدنان كما سيأتي بيانه، وما فوق عدنان لا يصح فيه طريق. وأنه صلى الله عليه وسلم لم يزل ينتقل من أصلاب آباء طاهرين إلى أرحام أمهات طاهرات، وكلهم من سادات العرب وكرام القوم، ولم يكن في نسبه صلى الله عليه وسلم شيء من سفاح الجاهلية، فقد طهره الله عز شأنه من كل شائبة، كما هو اللائق بنسب سيد ولد آدم خاتم النبيين وإمام المتقين وشفيع الأمة يوم الدين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين. روى مسلم في صحيحه عن واثله بن الأسقع رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفاني من بنى هاشم». وروى الترمذى عن العباس بن عبد المطلب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم، ثم تخير القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا». اهـ. وإلى معنى الأحاديث المتقدمة أشار بعضهم بقوله:

محمد خير بنى هاشم فمن تميم وبنو دارم

و هاشم خير قريش ومامثل قريش في بنى آدم

ولبعضهم:

قريش خيار بنى آدم وخير قريش بنو هاشم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٠٢ وخير بنى هاشم أحمد رسول الإله إلى العالم

ولبعضهم:

لله مما قد برا صفوة و صفوة الخلق بنو هاشم

و صفوة الصفوة من بينهم محمد و النور و أبو القاسم

ومن لطيف ما يحكى: أن معاوية رضى الله عنه كان جالسا وعنده جماعة من الأشراف- فقال معاوية: "من أكرم الناس أبا وأما، و جدا و جدة، و عما وعمه، و خالا و خالة؟" فقال النعمان بن العجلان الزرقى بعدما أخذ بيد الحسن فقال: هذا، أبوه على بن أبى طالب، و أمه فاطمة، و جده رسول الله صلى الله عليه وسلم، و جدته خديجة، و عمه جعفر، و عمته أم هانئ ابنة أبى طالب، و خاله القاسم، و خالته زينب- فهذا هو الشرف الذى لا يدانى و الفضل الذى لا يبارى- انتهى من صبح الأعشى. فنسبه صلى الله عليه وسلم من جهة أمه هو كما يأتى:

محمد بن آمنه الزهرية بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، فيجتمع نسب أبيه و أمه في كلاب.

و أما نسبه صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه فهو كما يأتى فى هذا الجدول:

عدد/ النسب الشريف/ نبذة عن أحوال آبائه الكرام /١/ محمد صلى الله عليه وسلم/ ولد عام الفيل، و توفى فى ربيع من السنة الحادية عشرة من الهجرة، و عمره ثلاث و ستون سنة.

٢/ ابن عبد الله/ تزوج عبد الله بآمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم و هو ابن ثلاثين سنة، و قيل أقل- و توفى عبد الله بعد أن حملت آمنة بالنبي صلى الله عليه وسلم بشهرين، و دفن بالمدينة عند أخواله بنى عدى بن النجار، و من دقائق لطف الله عز وجل أن يكون اسم والد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اسما كريما محبوبا، مع ندره التسمية به فى ذلك الزمن الجاهلى و هو "عبد الله" حتى إذا انتسب صلى الله عليه وسلم إلى أبيه كان انتسابا صحيحا حسا و معنى، فلم يكن اسم أبيه عبد العزى، و لا- عبد هبل، و لا ابن

كلاب، ولا ابن مرة، و أمثالها من أسماء الجاهلية، حقا إنه صلى الله عليه و سلم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٠٣

// عبد الله و رسوله.

٣/ ابن عبد المطلب / و اسمه شيبه الحمد، كان حسن الخلقه، و كان سيد قريش و شريفها و حلیمها و هو الذى حفر بئر زمزم، و أخرج منها الغزالين الذهب و الأسياف و الدروع التى دفنتها فيها جرهم.

٤/ ابن هاشم / و اسمه عبد العلاء، كان يهشم الثريد لقومه فى الجذب و يصنع الطعام للحاج و يملأ الأحواض بالمسجد بالماء لسقاية الحاج.

٥/ ابن عبد مناف / و اسمه المغيرة، تولى ولاية مكة بعد أبيه قصي، و ورث منه شرف القيادة و دار الندوة و السقاية.

٦/ ابن قصي / و اسمه زيد، و يقال له: مجمع لأنه جمع قبائل قريش بعد تفرقها، و كان بيده أمر مكة و ولاية البيت.

٧/ ابن كلاب / و اسمه حكيم، و هو أول من أهدى إلى الكعبة سيفين محلايين بالذهب جعلهما فى خزانتها.

٨/ ابن مرة / و اسمه محشيه و كنيته أبو يقظة، و مرة منقول من وصف الحنظلة و العلقمة.

٩/ ابن كعب / سمي كعبا لعلو قدره و ارتفاع منزلته عند قريش، و هو أول من قال "أما بعد" كان بينه و بين مبعث النبي صلى الله عليه و سلم خمسمائة و ستون سنة، كان يعظ قومه و يبشرهم بمبعث النبي صلى الله عليه و سلم و أنه من ولده، و كان العرب بعد موته يؤرخون بوفاته إلى عام الفيل.

١٠/ ابن لؤي / و يكنى أبا كعب، كان حلیمًا حكيمًا، نطق بالحكمة و هو صغير، و كان التقدم فى بنيه على قبائل قريش.

١١/ ابن غالب / و كنيته أبو تيم.

١٢/ ابن فهر / و كنيته أبو غالب، و كان يسد حاجة المحتاج من ماله، و كان بنوه يتفقدون الحاج فى الموسم و يسألونهم عن حوائجهم فيرفدونهم و يسدون

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٠٤

// عوزهم.

١٣/ ابن مالك / و يكنى أبا الحارث، سمي مالكا لأنه ملك العرب فى زمانه.

١٤/ ابن النضر / و اسمه قيس و يكنى أبا مخلد، و لقب بالنضر لنضارته و حسنه و جماله.

١٥/ ابن كنانة / سمي بكنانة؛ لمحافظة على أسرار قومه، و كان عظيم القدر، تحج إليه العرب لعلمه و فضله، و كان يبشر قومه بخروج نبي من مكة يدعى "أحمد" صلى الله عليه و سلم.

١٦/ ابن خزيمه / و يكنى أبا أسد، خلف من الولد خمسة، و من هؤلاء تفرعت بطون بأسمائهم.

١٧/ ابن مدركة / و اسمه عمرو، سمي بمدركة لأنه أدرك كل عز و فخر كان فى آباءه.

١٨/ ابن إلياس / و يكنى أبا عمر، كان أمره عظيما عند العرب بعد أبيه، فكانوا يدعونه بسيد عشيرته، و كان فيهم مثل لقمان الحكيم فى قومه، و كانوا لا يقطعون أمرا دونه، و هو أول من أهدى البدن إلى البيت الحرام.

١٩/ ابن مضر / و اسمه عمرو، و كانت له الغلبة بالحجاز على سائر بنى عدنان و الرياسة بمكة المكرمة و الحرم.

٢٠/ ابن نزار / و اسمه خلدان، و يكنى أبو إيد، و هو أول من اتكأ على العصا فى الخطبة، قيل هو أول من قال "أما بعد" و هو صاحب الخطبة العظيمة التى رواها صاحب السيرة الشامية.

٢١/ ابن معد / و يكنى أبا قضاة و منه بطون عدنان بأجمعها، و لم يحارب أحدا إلا انتصر عليه.

٢٢/ ابن عدنان / و إلى عدنان هذا ينتهى نسب النبي صلى الله عليه و سلم كما رواه البخارى فى صحيحه، قيل كان عدنان فى زمن

موسى عليه الصلاة والسلام، والله تعالى أعلم، فأنت ترى أن آباءه صلى الله عليه وسلم من أشرف العرب

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٠٥

// و ساداتها، و أمه من أفضل نساء قريش نسبا و موضعا- اللهم صل و سلم على عبدك و نبيك سيدنا "محمد" و على آله الطاهرين و أصحابه الطيبين، و ارض عنا معهم بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين.

### [توحيد آباءه صلى الله عليه وسلم]

و اعلم، أن آباءه صلى الله عليه وسلم موحدون و ناجون؛ لأنهم كانوا يتعبدون على مله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، و كانوا من أهل الفترة- جاء في شرح زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم ما نصه: قال في شرح نظم عمود النسب: قال ابن حجر الهيثمي: إن الأحاديث مصرحة لفظا و معنى أن آباءه صلى الله عليه وسلم غير الأنبياء و أمهاته إلى آدم و حواء ليس فيهم كافر، لأن الكافر لا يقال في حقه مختار و لا كريم و لا طاهر بل نجس. و قد جاء في الحديث أن آباءه مختارون و أنهم كرام، و أن أمهاته طاهرات، و أيضا فهم إلى إسماعيل من أهل الفترة، و هم في حكم المسلمين بنص قوله تعالى: وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا انتهى كلامه. روى أبو نعيم: «لم يلتق أبواى قط على سفاح، لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا، لا تشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما».

جاء فى كتاب الأبرج أن القاضى أبا بكر بن العربى سئل عن رجل قال: إن أبوى النبى صلى الله عليه وسلم فى النار- فأجاب بأنه ملعون؛ لأن الله تعالى قال: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا. قال: و لا أذى أعظم من أن يقال عن أبويه صلى الله عليه وسلم فى النار. انتهى كلامه.

و لقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال:

من يقل فى النار والد النبى فهو لعين قاله ابن العربى

و من يقل بالنار ربى يحرق أم النبى كافر يحرق

انتهى من شرح زاد المسلم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٠٦

و انظر ما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من مكارم الأخلاق، فقد جاء فى الجزء الأول من تاريخ الخميس ما نصه: "و لما وصل عكرمة بن أبى جهل قريبا من مكة ليسلم، قال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه: يأتىكم عكرمة بن أبى جهل مؤمنا فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذى الحى و لا يلحق الميت." انتهى.

إذا علمت ما تقدم فهل يطيب قلب المؤمن الصادق المحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يقول إن أبوى النبى عليه الصلاة والسلام ماتا كافرين- كلا و الله.

و إذا كان رجل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، أين أبى فقال: إن أبى و أباك فى النار، كما فى صحيح مسلم تواضعا منه صلى الله عليه وسلم، و جبرا لخاطر هذا الرجل السائل، فهل يليق بنا من باب الأدب على الأقل أن نقول نحن ذلك- كلا و الله.

و إذا كان صلى الله عليه وسلم، قال عن نفسه للرجل الذى دخل عليه فأخذته رعدة من هيبتة: هوّن عليك فإنى لست بملك و لا جبار، و إنما أنا ابن امرأه من قريش تأكل القديد بمكة. فنطق الرجل بحاجته- فهل يليق بنا أن نقول نحن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ابن آكلة القديد- كلا و الله.

و إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال فى عمه أبى طالب الذى هو شقيق أبيه عبد الله: "لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة، فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه، يغلى منه دماغه" كما ورد فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى، رضى الله عنه.

و جاء فيهما أيضا عن العباس رضى الله عنه، قيل لرسول الله صلى الله عليه و سلم: «ما أغنيت عن عمك أبى طالب، فإنه كان يحوطك و يغضب لك؟ فقال عليه الصلاة و السلام: هو فى ضحضاح من نار، و لولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار».

و الضحضاح بفتح الضا حين المعجمتين، قال ابن الأثير: هو ما رق من الماء على وجه الأرض قدر ما يبلغ الكعبين فاستعير للنار-ه. فهل نقول بموجب هذين الحديثين: إن أبى طالب أحسن حالا من أبوى النبى صلى الله عليه و سلم، من حيث إن النار تبلغ إلى كعبيه بشفاعه النبى صلى الله عليه و سلم له يوم القيامة مع أنه مات كافرا، فقد دعاه صلى الله عليه و سلم فى مرض موته إلى الإسلام فأبى. أما والد النبى صلى الله عليه و سلم فقد مات أبوه و هو فى بطن أمه، و ماتت أمه و هو فى السادسة من عمره، فكيف نحكم بكفرهما إذا، و الله تعالى أكرم من أن يجعل والدى رسوله المصطفى صلى الله عليه و سلم فى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٠٧

النار، و هو الذى قد خرج من بينهما فأرسله الله تعالى رحمة للعالمين، و إذا قال الله تعالى له زيادة فى إكرامه و رفعة فى مقامه: وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى فمما لا شك فيه أن النبى صلى الله عليه و سلم لا يرضى فى الآخرة أن يتنعم بنفسه فى الجنة و أبواه فى النار.

هذا و إن اختلف العلماء فى نجاة آباءه صلى الله عليه و سلم، فالقول الأصح السديد أنهم ناجون.

و نحن نرى أن الجدل و الخوض فى عدم نجاة أبويه صلى الله عليه و سلم فيه من المجازفة و المخاطرة ما فيه، و الصمت و السكوت عن ذلك أحسن و أفضل، و أسلم و أكمل، تأدبا و احتراماً لمقام النبوة، بل إن من يقرأ سير آباءه صلى الله عليه و سلم فى كتب التاريخ يامعان و تدقيق، ينكشف له أنهم من أشرف الناس و قاداتهم، و أنهم أعرف بالله من غيرهم، و كانوا يتعبدون على مله إبراهيم عليه الصلاة و السلام، و كانوا يأمرن بمكارم الأخلاق، و يتصفون بأفضل الصفات، كما كانوا يعرفون أنه سيبعث منهم نبى يأمر بالمعروف و يدعو إلى عبادة الله تعالى.

و هذا عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه و سلم لما جاء أبرهه بفيله ليهدم الكعبة شرفها الله تعالى و أخذ لعبد المطلب مائتى بعير، ذهب إليه عبد المطلب ليأمر برد إبله إليه، فقال له أبرهه: لقد زهدت فيك، جئت لأهدم بيتا هو دينك و دين آباءك، فلم تكلمنى فيه و تكلمنى فى مائتى بعير؟

فقال عبد المطلب: أنا رب الإبل، و البيت له رب يمنعه منك.

فلما رجع عبد المطلب أمر قريشا أن يتفرقوا فى الشعاب و يتحرزوا فى رؤوس الجبال ففعلوا، ثم أتى عبد المطلب إلى البيت الحرام و أخذ بحلقه الباب و جعل يقول:

يا رب لا أرجو لهم سواك يا رب فامنع منهمو حماكا

إن عدو البيت من عادا كافامنعمو أن يخربوا قراكا

فانظر أيها القارئ الكريم بعين التحقيق و الإنصاف إلى قول عبد المطلب الجد الأول للنبى صلى الله عليه و سلم. أليس معرفته بالله واضحة فى قوله كالشمس؟ و النبى صلى الله عليه و سلم لم يولد إلا بعد هذه الحادثة بنحو شهرين أو ثلاثة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٠٨

### ترجمة عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه و سلم

عبد المطلب هو الجد الأول لرسول الله صلى الله عليه و سلم فهو "محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم،" فلعبد المطلب مناقب عظيمة و مآثر عديدة لا تنحصر فى كتاب، و نحن هنا نأتى بترجمة مختصرة له فنقول:

عبد المطلب اسمه شيبه الحمد، سمي بذلك؛ لأنه ولد فى رأسه الشيب، و إنما سمي عبد المطلب لأن والده هاشم تزوج سلمى بنت

عمر بالمدينة في بنى عدى بن النجار، فولد له شيبه، فتركه عند أمه حتى صار غلاما، فلما مات هاشم خرج أخوه "المطلب بن عبد مناف" إليه فأخذه من أمه فاحتلمه و أردفه على بعير و دخل مكة فقالت قريش: هذا عبد ابتاعه المطلب فسمى بعد ذلك بعبد المطلب.

كان عبد المطلب جسيما و سيما أبيض فصيحاً، ما رآه أحد إلا أحبه، و كان قاضى العرب و سيد قريش و شريفها و حلیمها، و كان يعبد الله تعالى على مله إبراهيم عليه السلام، و كان إذا دخل شهر رمضان يصعد على جبل حراء و يتعبد فيه جميع الشهر، و أطعم المساكين، و لقد كان يحث الناس على مكارم الأخلاق، و قد حرم الخمر و نكاح المحارم و الزنا و وأد البنات و هو دفنهن أحياء، و كان يأمر أولاده بترك البغى و الظلم.

و كان يقال له: الفياض؛ لجوده و كرمه، و كان يطعم الناس بالسهل و الجبل، و يطعم الوحوش في رؤوس الجبال، و هو الذى حفر بئر زمزم و أخرجه بعد أن درس موضعه و عفى أثره، فهداه الله تعالى إلى مكانه كما تقدم بيان ذلك بالتفصيل في محله، و هو أول من جعل الحليّة على الكعبة المشرفة حيث ضرب الأسياف و الغزالين من الذهب التى استخرجها من بئر زمزم فى الكعبة.

و لعبد المطلب مع أبرهه صاحب الفيل الذى جاء لهدم الكعبة قصة شهيرة، و كان أبرهه قد أصاب أموال قريش و غيرهم، و أخذ مائتى بعير لعبد المطلب، فلما ردها إليه إكراما له انصرف عبد المطلب من عنده إلى قريش، و أمرهم بالخروج من مكة و التحرز فى شعف الجبال، خوفا عليهم من جيش أبرهه، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة و قام معه نفر من قريش يدعون الله تعالى عز و جل و يستنصرونه على أبرهه و جنده، فقال عبد المطلب و هو آخذ بحلقة باب الكعبة:

يا رب إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٠٩ لا يغلبن صليبهم و محالهم عدوا محالك

إن كنت تاركهم و قبلتنا فأمر ما بدالك

و لئن فعلت فإنه أمر يتم به فعالك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة و انطلق هو و من معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما يفعل أبرهه بمكة إذا دخلها. و قال عبد المطلب ستة أبيات، منها:

نحن أهل الله فى بلدته لم يزل ذاك على عهد إبراهيم

نعبد الله و فينا شيمه صلته القربى و إيفاء الذمم

إن للبيت لربا مانعاً من يرد به بآثام يصطلم

فلما أصبح أبرهه تهيأ لدخول مكة و هدم الكعبة، فمنعه الله عز شأنه و عظمت قدرته من ذلك و أرسل عليهم طيراً أبابيل \* ترميهم بحجارة من سجيل \* فجعلهم كعصف مأكول.

روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه و عن أبيه قال: سمعت أبى يقول:

كان عبد المطلب أطول الناس قامه، و أحسنهم وجهاً، ما رآه قط شىء إلا أحبه.

و كانت له مفرش فى الحجر لا يجلس عليه غيره، و لا يجلس معه عليه أحد، و كان الندى من قريش حرب بن أمية فمن دونه يجلسون حوله دون المفرش، فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو غلام يدرج ليجلس على المفرش، فجذوه فبكى، فقال عبد المطلب - و ذلك بعد ما حجج بصره - ما لابنى يبكى؟

قالوا له: إنه أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه.

فقال عبد المطلب: دعوا ابنى فإنه يحس بشرف أرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغ عربى قط.

قال: و توفى عبد المطلب و النبى صلى الله عليه و سلم ابن ثمان سنين، و كان خلف جنازته يبكى حتى دفن بالحجون. انتهى، ملخصاً

من الأزرقى.

وقد عاش عبد المطلب مائة و أربعين سنة. هذه ترجمته مختصرة لجد النبي صلى الله عليه و سلم، فلو توسعنا فى ترجمته لطلال بنا الكلام، فإن كل أجداد رسول الله صلى الله عليه و سلم لهم مناقب و ميزات خصّهم الله تعالى بها لا توجد فى غيرهم، فكل من ينتمى إليه سعيد شريف.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١١٠

و انظر أيضا إلى قول أحد شعراء العرب و هو أبو الصلت الثقفى من أهل الجاهليّة، حيث يقول عن حادثة الفيل:

إن آيات ربنا بينات ما يمارى فيهن إلا كفور

حبس الفيل بالمغمس حتى ظل يحبو كأنه معقور

واضعا حلقة الجران كما قطر صخر من كبكب محدود

و ليكن هذا مسك الختام، فمن لم يقتنع بما ذكرناه فليقل ما شاء، فكل شاء معلقة برجلها.

جاء فى شرح زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم ما يأتى:

قال صاحب نظم عمود النسب، مشيرا لمضمن الأحاديث فى إسلام آبائه صلى الله عليه و سلم ما يأتى:

خير الشعوب شعبه لآدم و قرنه خير قرون العالم

من مؤمنين متناكحينا خرج لا من متسافحينا

ينقل من أصلاب طاهرين لطاهرات من لدن أئينا

و كيف لا و المشركون نجس و من أذى نبينا مقدس

من ساجد لساجد تقبلا صلى الله عليه ما هب الصبا

و جعل الدين عمود نسبه كلمة باقية فى عقبه

و فيه ربه له تقبلادعاءه من كل بر سألأ

كترك الأصنام و ترك الموبقات و كل ما يزرى بمنصب الثقات

و قال عبد الله حين استعصم من دعتة إذ تبيع الأدمأ

أما الحرام فالممات دونه و الحل لا حل فاستبينه

فكيف بالأمر الذى تبغينه يحمى الكريم عرضه و دينه

و العذر بالفترة و الإحياء فيؤمنوا ورد فى الأنبا

و لعن الإله من آذاه فى هذه الدار و فى أخراه

من عهد نوح ما خلت ذى الأرض إسلام سبعة لكيما تظمن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١١١

### نبذة يسيرة عن أحوال رسول الله صلى الله عليه و سلم من ولادته إلى وفاته

قدّمنا نسب نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم الذى هو أشرف أنساب العالم و أقومها و أكملها بالإجماع، و هنا نتشرف بذكر نبذة يسيرة عن أحوال رسول الله صلى الله عليه و سلم منذ أن أشرقت الدنيا بولادته إلى أن ذهب إلى جوار ربه الكريم العلى الأعلى، و كما قلنا سابقا لا نريد الإطالة فى ذلك، فالسيرة النبوية العطرة مشهورة معروفة، و لكننا نأتى بجملة مختصرة مفيدة تبصرة للمبتدئ، و تذكرة للقارئ فنقول و بالله التوفيق و هو حسبنا و نعم الوكيل و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم:

**وفاء والده صلى الله عليه وسلم**

لما دخل عبد الله بن عبد المطلب على زوجته آمنه بنت وهب، حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم توفي عبد الله بعد الحمل بشهرين، ودفن بالمدينة المنورة عند أخواله بنى عدى بن النجار، حيث كان قد ذهب بتجارة إلى الشام، فلما رجع أدركته منيته بالمدينة.

**تاريخ ولادته صلى الله عليه وسلم**

ولما تم حمله صلى الله عليه وسلم في بطن أمه تسعة أشهر قمرية، جاءها المخاض، فوضعتة صلى الله عليه وسلم في ثاني عشر ربيع الأول على المشهور، وذلك عام الفيل.

جاء في كتاب نور اليقين أن محمود باشا الفلكي حقق ذلك فكان صبيحة يوم الاثنين تاسع ربيع الأول الموافق لليوم العشرين من إبريل سنة (٥٧١) إحدى وسبعين وخمسمائة من الميلاد- والله تعالى أعلم.

وفي تاريخ الخميس تفصيل تام عن تاريخ ولادته صلى الله عليه وسلم.

كانت ولادته صلى الله عليه وسلم بمكة في دار أبي طالب بشعب بنى هاشم، وكانت قابلته الشفاء أم عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه، ولما ولدته أمه أرسلت لجدته عبد المطلب تبشره بولادته، فأقبل عبد المطلب مسرورا، وأخذه ودخل به إلى الكعبة، وقام يدعو الله تعالى ويشكره على ما أعطاه، وسماه "محمد".

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١١٢

وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية أم أبيه عبد الله، وأول من أرضعته ثوبية أمه عمه أبي لهب.

وقد رأت أمه الكريمة الشريفة السعيدة به صلى الله عليه وسلم كثيرا من البشائر و خوارق العادات خلال حمله، وعند ولادته عليه الصلاة والسلام، المذكورة في تاريخ الخميس، وكل ذلك جائر غير مستغرب على من تشرف الكون بوجوده، وأشرقت الدنيا بنور وجهه، الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، وجعله خاتم النبيين، والذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، وهداهم إلى الطريق المستقيم بإذن ربه- صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه وسلم تسليما كثيرا.

وإن شاء الله تعالى سيأتى فى نهاية هذه الترجمة الشريفة مبحثان (الأول) فى تحقيق ميلاده صلى الله عليه وسلم، (والثانى) مقالة أدبية ممتازة عن ولادته عليه الصلاة والسلام.

**نجاه عبد الله أب النبي صلى الله عليه وسلم من الذبح**

لقد ذكرنا قصة عبد المطلب وإخراجه ماء زمزم بالتفصيل، وهنا نذكرها موجزة مختصرة لنعرج على ذكر عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وسلم فنقول:

كان عبد المطلب نذر لله تعالى حين أمر بحفر بئر زمزم فى المنام، لئن حفرها وتم له أمرها وصار له من الأولاد الذكور عشرة لينحرن أحدهم لله عز وجل، فبلغه الله تعالى مراده، فأعطاه عشرة من الأولاد الذكور، ووفقه لحفر زمزم وإخراج الماء لسقاية الناس. فعندئذ أراد عبد المطلب أن يوفى بنذره، فأقرع بين أولاده أيهم يذبح، فخرجت القرعة على أحب أولاده إليه وهو عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان عمره حينئذ نحو خمس وعشرين سنة، فقام إليه ليذبحه، فقام له أخواله بنو مخزوم وعظماء قريش وأهل الرأي منهم، وقالوا له: والله لا تذبحه، فإنك إن تفعل تكن سنة علينا فى أولادنا وسنة علينا فى العرب، وقامت بنوه مع قريش

فى ذلك.

ثم قالت له قريش: إن بالحجاز عرافة لها تابع فسألها، ثم أنت على رأس أمرك، إن أمرتك بذبحه ذبحته، و إن أمرتك بأمر لك فيه فرج قبلته.

فانطلقوا حتى قدموا المدينة، فوجدوا المرأة فيها يقال لها تخبير، فسألوها، وقص عليها عبد المطلب خبره، فقالت: ارجع اليوم عنى حتى يأتينى تابعى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١١٣

فأسأله. فرجعوا عنها حتى كان الغد، ثم غدوا عليها، فقالت: نعم قد جاءنى الخبر كم الدية فيكم، قالوا: عشر من الإبل، قالت: فارجعوا إلى بلادكم، و قربوا عشرا من الإبل، ثم اضربوا عليها و على صاحبكم بالقداح، فإن خرجت على الإبل فانحروها، و إن خرجت على صاحبكم فريدوا من الإبل عشرا، ثم اضربوا بالقداح عليها و على صاحبكم حتى يرضى ربكم، فإذا خرجت على الإبل فانحروها فقد رضى ربكم و نجا صاحبكم.

فرجعوا إلى مكة، فأقرع عبد المطلب على ابنه عبد الله و على عشر من الإبل، فخرجت القرعة على عبد الله، فقالت قريش لعبد المطلب: يا عبد المطلب زد ربك حتى يرضى، فلم يزل يزيد عشرا عشرا و تخرج القرعة على عبد الله، و تقول قريش: زد ربك حتى يرضى، ففعل حتى بلغ مائة من الإبل. فخرجت القداح على الإبل، فقالت قريش لعبد المطلب: انحرها فقد رضى ربك و قرعت، فقال: لم أنصف إذا ربي حتى تخرج القرعة على الإبل ثلاثا. فأقرع عبد المطلب على ابنه عبد الله و على المائة من الإبل ثلاثا، كل ذلك تخرج القرعة على الإبل.

فلما خرجت ثلاث مرات نحر الإبل فى بطون الأودية و الشعاب و على رؤوس الجبال، لم يصد عنها إنسان و لا طائر و لا سبع، و لم يأكل منها هو و لا أحد من ولده شيئا، و تجلبت لها الأعراب من حول مكة و أغارت السباع على بقايا بقيت منها، فكان ذلك أول ما كانت الدية مائة من الإبل، ثم جاء الله بالإسلام فثبتت الدية عليه.

و لما انصرف عبد المطلب ذلك اليوم إلى منزله، مر بوهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب و هو جالس فى المسجد، و هو يومئذ من أشرف أهل مكة، فزوج ابنته آمنه لعبد الله بن عبد المطلب-ه. باختصار من تاريخ الأزرقي.

فعلم مما تقدم أن عبد الله بن عبد المطلب أبا النبي صلى الله عليه و سلم يسمى ذبيحا، و أن أحد ابني إبراهيم الخليل إسماعيل أو إسحاق يسمى ذبيحا أيضا على جميعهم الصلاة و السلام، و إن لم يحصل لهما ذبح حقيقى لوقوع الفداء لهذا و لذاك، و من هنا قال نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم: «أنا ابن الذبيحين».

و علم مما تقدم أيضا: أن عدد أعمام رسول الله صلى الله عليه و سلم عشرة، و قيل اثنا عشر على افتراض أنه ولد لعبد المطلب اثنان بعد قصة النذر و هم: الحارث و هو أكبرهم، و الزبير، و أبو طالب، و أبو لهب، و حمزة، و العباس، و الغيداق،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١١٤

و المقوم، و ضرار، و قثم، و حجل و اسمه المغيرة، و عبد الله و هذا لا يحسب من أعمام النبي صلى الله عليه و سلم و لكنه أبوه و أخو أعمامه.

و عدد عماته ست و هن: عاتكة، و أروى، و صفية، و أميمة، و برة، و البيضاء، و هى أم حكيم.

و لم يدرك الإسلام من الذكور إلا أربعة: حمزة و العباس و قد أسلما. و أبو طالب، و أبو لهب، و لم تسلم من الإناث إلا صفية و عاتكة و أروى.

و لم يكن لرسول الله صلى الله عليه و سلم خال و لا خالة، لأن أمه آمنه بنت وهب لم يكن لها أخ و لا أخت، و إنما بنو زهرة يقولون نحن أخواله، لأن أمه آمنه منهم- و كذلك لم يكن لرسول الله صلى الله عليه و سلم أخ و لا أخت شقيق من أبيه و أمه، حيث لم



يولد لهما ولد غيره، فأبوه عبد الله مات وهو جنين في بطن أمه، وماتت أمه وهو في السادسة من عمره - لكن له صلى الله عليه وسلم ذلك من الرضاعة، فأخوته من مرضعته حليلة السعدية رضى الله تعالى عنها هم: عبد الله، وأنيسة، وحذافة، وتعرف بالشيماء، وكلهم من زوج حليلة السعدية الحارث بن العزى - وكذلك له صلى الله عليه وسلم إخوة من مرضعته ثوبية جارية عمه أبي لهب، وهم ابنها مسروح، وحمزة بن عبد المطلب، وأبا سلمة بن عبد الأسد، فيكون حمزة رضى الله تعالى عنه عمه صلى الله عليه وسلم وأخاه من الرضاعة، ويكون أبو سلمة أخاه من الرضاعة وابن عمته برة بنت عبد المطلب، وهو مشهور بكنيته أكثر من اسمه، واسمه عبد الله بن عبد الأسد، وكان رضى الله تعالى عنه من السابقين الأولين إلى الإسلام - أما مسروح بن ثوبية فقد قال ابن حجر رحمه الله تعالى عنه في كتابه "الإصابة في تمييز الصحابة": "لم أقف على شيء من الطرق على إسلام ابنها مسروح وهو محتمل - اهـ".

### تزوج عبد الله بن عبد المطلب

تقدم أن عبد المطلب كاد أن يذبح ولده الحبيب "عبد الله" وفاء بنذره، لولا أن الله تعالى أنقذه من هذه المحنة بخروج القرعة على المائة الإبل، فنحراها و تصدق بلحومها، وشكر الله تعالى على هذه المنة، فكان طيبعا أن يعرض على ابنه "عبد الله" عقب هذا البلاء العظيم بفرح عظيم و سرور شامل عميم، ألا وهو تزويجه لتقر عينه و عين أسرته و قومه.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١١٥

فخطب عبد المطلب لابنه عبد الله "آمنة بنت وهب" فرضى أبوها وهب بن عبد مناف وزوجه إياها برغبة و قبول، وقال: لن يستقيم لابنتي آمنة زوج غير عبد الله بن عبد المطلب، وقد كان خطبها أشرف قريش فكانت آمنة تأتي ذلك و تقول: يا أبت لم يأن لى التزويج، حتى صارت من نصيب عبد الله بن عبد المطلب كان ذلك في الكتاب مسطوراً.

قالوا: و كان عمر عبد الله حينئذ خمساً و عشرين سنة و قيل ثلاثين سنة، ونحن نميل إلى القول الأول، لأن عادة العرب في الغالب التزوج في سن الخامسة و العشرين أو قبله، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج لأول مرة خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها وهو في الخامسة و العشرين، فلا يبعد أن يكون توافقهما في السن حين زواجهما قدرا مقدورا - والله تعالى أعلم - هذا و لم يذكروا عمر آمنة حين زواجها، ولا شك أنها أصغر من زوجها عبد الله، والذي نراه أنها كانت في سن الاستواء و النضوج، أى كانت في الخامسة عشر من عمرها أو في الثامنة عشر.

والله تعالى أعلم.

و كان والد عبد الله عبد المطلب سيد قريش و شريفها و حلیمها و جوادها، كما كان والد آمنة وهب بن عبد مناف سيد بنى زهرة نسبا و شرفا. و بنو زهرة قبيلة من قريش تنسب لزهرة بن كلاب و هو أخ قصي بن كلاب - فرسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمع نسب أبيه و أمه في كلاب.

فنسبه صلى الله عليه وسلم من جهة أمه كما يأتي: محمد بن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب. و أما نسبه صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه فهو كما يأتي: محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار "بالزاي" بن معد بن عدنان - وهذا هو النسب الصحيح المتفق عليه عند علماء الحديث و أهل التاريخ و ما فوق ذلك مختلف فيه، مع إجماعهم على أن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتهي إلى إسماعيل بن خليل الله إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، فإن إسماعيل عليه السلام أبو العرب المستعربة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١١٦

**موت عبد الله بن عبد المطلب أب النبي صلى الله عليه وسلم**

فلما تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنه بنت وهب و بنى بها حملت برسول الله، ثم لم يلبث عبد الله بعد الحمل بنحو شهرين على أرجح الأقوال أن سافر مع رفقة من مكة إلى المدينة للتجارة يمتار تمرا و ليزور أخواله بنى عدى بن النجار، سافر وحده و ترك زوجته آمنه؛ لثلا يشق عليها السفر بالجمال و هى حامل.

وصل عبد الله إلى المدينة فنزل عند أخواله، ثم مرض لديهم شهرا، فرجع رفقاؤه إلى مكة و أخبروا أباه عبد المطلب بمرضه، فبعث إليه ولده الحارث أو الزبير، فوجده قد مات بالمدينة و دفنه أخواله فى دار من دورهم، و هى دار النابغة و ما زال قبره بالمدينة معروفا إلى اليوم.

فرجع الحارث و هو أكبر أولاد عبد المطلب فأخبر أباه بموت عبد الله، فحزن عليه عبد المطلب حزنا شديدا؛ لأنه أحب أولاده إليه و عريس جديد، كما حزن عليه زوجته آمنه بنت وهب أشد الحزن؛ لأنها عروس حامل لم تتمتع بزوجها إلا قليلا.

مات عبد الله سريعا غريبا فى دار الهجرة و هو فى عنفوان شبابه، مات و ابنه "محمد" صلى الله عليه وسلم جنين فى بطن أمه، ليخرج ابنه الذى سيكون خاتم النبيين و الذى سيرسله الله تعالى رحمة للعالمين، إلى الدنيا يتيما كما اقتضته الحكمة الإلهية- فما أبلغها من حكمة و ما أدق أسرارها- أنه ما رأى والده و ما رآه والده، فقد مات و هو فى بطن أمه بعد زواجه بها بشهرين، كما أن هذا اليتيم الكريم، عليه الصلاة و التسليم، لم يتمتع كثيرا بمعاشرة أمه الحبيبة، فقد نشأ منذ رضاعته فى البادية عند مرضعته حليلة السعيدة رضى الله تعالى عنها حتى بلغ الخامسة، ثم سلمته لأمه آمنه بنت وهب، فمكث معها عاما واحدا، و إذا المنية تدرکها فتلحق بزوجها و تموت فى الأبناء، و هى فى ريعان شبابها و زهرة جمالها كما سيأتى بيان ذلك، فبقى هذا اليتيم الكريم الذى أصبح فيما بعد، رائد الأيتام و رسول الأنام عليه أفضل الصلاة و أتم السلام، وحيدا فريدا من غير أب و لا أم، و لا أخ و لا أخت، و لا خال و لا خالة، و عمره ست سنوات تماما، فكان وحيد أبويه اللذين لم يتزوجا إلا مرة واحدة فقط.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١١٧

لقد صار هذا اليتيم الكريم الحبيب وحيدا فريدا، حتى يكون فى كنف الله عز و جل و فى حفظه و رعايته، و لينزل عليه بعد بعثته: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى فَالمنه و الفضل و الإحسان كلها لله عز و جل، فلقد قبض الله تبارك و تعالى بعظيم لطفه و رحمته جده عبد المطلب، و هو عظيم قومه و سيد قريش، ليتولى كفالته و تربيته، فكفله جده عبد المطلب منذ وفاة أمه آمنه، و هو فى أول السابعة من عمره الشريف، كفالته تامه، و رعاه رعايه بالغه حتى مات، ثم خلفه فى الكفالة عمه أبو طالب بوصيه من أبيه عبد المطلب، لأن أبا طالب و عبد الله أب النبي صلى الله عليه وسلم كانا من أم واحدة و هى فاطمه بنت عمرو، فبذل أبو طالب فى رعايته و تربيته كل جهده فكان يحبه أكثر من أولاده كما سيأتى بيان كل ذلك.

**ولادة النبي صلى الله عليه وسلم****إشارة**

قلنا فيما تقدم أن عبد الله بن عبد المطلب أب النبي صلى الله عليه وسلم، بعد أن تزوج بآمنه بنت وهب أم النبي عليه الصلاة و السلام بنحو شهرين، مات بالمدينة المنورة و ابنه "محمد" صلى الله عليه وسلم جنين فى بطن أمه، و كلاهما كانا وقتئذ بمكة المكرمة، حزن آمنه عاملها الله تعالى بفضله و رحمته و إحسانه و منته، على زوجها الحبيب حزنا شديدا، لكنها تذرعت بصبر جميل يليق بمكانتها السامية، صبرت على القضاء و القدر فعوضها الله تعالى بولد كالقمر.

مكثت آمنه في دارها بمكة صابرة مستسلمة حتى أتمت مدة الحمل و هي تسعة أشهر، فوضعت ابنها "محمدًا" صلى الله عليه و سلم في أبرك الساعات و الأيام، و هو يوم الاثنين عند طلوع الفجر، و قيل في أول النهار أى بعد طلوع الشمس، من عام الفيل باتفاق العلماء، و لم تجد آمنه في حمله و وضعه صلى الله عليه و سلم ألما و لا تعباً و لا مشقة كما تجده النساء؛ لأن "محمدًا" رسول الله، فهو خفيف لطيف ليس فيه غلظة و لا كثافة مثلنا، و إن كان من لحم و دم، إنه بشر لا كالبشر فهو كالياقوت بين الحجر، إنه نبي حبيب نوراني مبارك، إنه كريم على الله تعالى منذ الأزل، فلا بد أن تصاحبه الأسرار و البركات منذ حمله و ولادته، بل منذ تنقله في الأصلاب، و ترافقه البشائر و الخيرات و الخوارق و المعجزات من طفولته إلى بعثته إلى مماته، فلو أراد أحد حصر فضائله و شمائله و معجزاته "قضى و لم يقض من إحصائها وطرا" إنه صلى الله عليه و سلم، نبي

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١١٨

الرحمة و نبي الهدى، و وجه الخيرات و فيض البركات، و رضى الله تعالى عن عبد الله بن رواحة حيث يقول في رسول الله صلى الله عليه و سلم:

لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينيك عن خطر

اللهم صل على سيدنا "محمد" و على آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا.

جاء في تاريخ الخميس ما نصه: و في الصفوة روى عن يزيد بن عبد الله ابن وهب بن زمعة عن عمته قالت: كنا نسمع أن آمنه لما حملت برسول صلى الله عليه و سلم كانت تقول: ما شعرت أنى حملت و لا-وجدت له ثقلا- و لا-وحما كما تجد النساء، إلا أنى أنكرت رفع حيضتى، و أتانى آت و أنا بين النوم و اليقظة- أو قالت بين النائمة و اليقظة، فقال: هل شعرت بأنك حملت، فكأنى أقول: ما أدرى، قال: إنك حملت بسيد هذه الأمة و نبيها.

كذا ذكر ابن إسحاق في كتاب المغازى- و في روايته بسيد الأنام- قالت:

و ذلك يوم الاثنين فكان ذلك مما يقن أو حقق عندى الحمل، ثم أمهلنى حتى إذا دنا وقت ولادتى أتانى ذلك الآتى فقال: قولى أعيذه بالصمد الواحد، من شر كل حاسد- و فى المواهب اللدنية بغير لفظ الصمد- ثم سمى "محمدًا" قالت: فكنت أقول ذلك.

و جاء فيه أيضا: و من حوادث ليلة مولده صلى الله عليه و سلم: ما وقع من زيادة حراسة السماء بالشهب، و منع الشياطين من استراق السمع، و انشقاق إيوان كسرى و بقاءه إلى القرن الثامن الهجرى، و خمود نار فارس مع أنها لم تخدم قبل ذلك بألف سنة، و غاضت بحيرة ساوة و هى بين الرى و همذان و كانت أكثر من سته فراسخ فى الطول و العرض تعبر فيها السفن، فلما يبست هذه البحيرة بنيت موضعها مدينة ساوة المعروفة اليوم- و رحم الله القائل:

ضاعت لمولده الآفاق و اتصلت بشرى الهواتف فى الإشراق و الطفل

و صرح كسرى تداعى من قواعده و انقض منكسر الأرجاء ذا ميل

و نار فارس لم توقد و ما حمدت مذ ألف عام و نهر القوم لم يسلم

خرت لمبعثه الأوثان و انبعثت ثواقب الشهب ترمى الجن بالشعل

انتهى من تاريخ الخميس ملخصا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١١٩

قال الشيخ الخضرى رحمه الله تعالى فى كتابه "نور اليقين": "إن المرحوم محمود باشا الفلكى قد حقق تاريخ ولادة النبي صلى الله عليه و سلم فقال: إن ذلك كان صبيحة يوم الاثنين تاسع ربيع الأول لليوم العشرين من شهر إبريل سنة (٥٧١) من الميلاد خمسمائة و إحدى و سبعين، و هو يوافق السنة الأولى من حادثه الفيل-١ه كلامه.

## محل ولادته صلى الله عليه وسلم وتسميته يوم السابع

كانت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة في دار أبي طالب، بشعب بنى هاشم، بقرب المسجد الحرام ويسمى الآن بشعب على أى علي بن أبي طالب، ولا زال محل ولادته صلى الله عليه وسلم معروفاً إلى اليوم. وكانت قابله الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف، جاء في تاريخ الخميس ما نصه: وأخرج أبو نعيم، عن عبد الرحمن بن عوف، عن أمه الشفاء قالت: لما ولدت آمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي، فاستهل، فسمعت قائلاً يقول: رحمك الله، وأضاءت لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى بعض قصور الروم. قالت: ثم ألبنته وأضجعتة، فلم أنشب أن غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة، ثم غيب عني، فسمعت قائلاً يقول: أين ذهبت به؟ قال: إلى المشرق. قالت: فلم يزل الحديث مني على بال حتى بعته الله فكننت أول الناس إسلاماً، ذكره في المواهب اللدنية- ١٥٠. ثم بعد الولادة أرسلت آمنه أم النبي صلى الله عليه وسلم لجده عبد المطلب، وهو جالس في الحجر عند البيت الحرام ومعه رجال من قومه تبشروه، فأقبل إليها مسروراً، ثم أخذه منها فأدخله الكعبة المعظمة و صار يدعو الله تعالى ويشكره على ما أعطاه و وهبه، وهو يقول:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد في المهدي على الغلمان أعيده بالبيت ذى الأركان

حتى أراه بالغ البيان أعيده من شر ذى شأن

من حاسد مضطرب العينان التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٢٠

ثم إن عبد المطلب في يوم سابعه نحر جزوا ودعى رجلاً من قريش فحضرهوا وطعموا، ثم سماه "محمدًا" ولم يكن هذا الاسم شائعاً عند العرب يومئذ، ولكن شاء الله تعالى أن يلهم عبد المطلب هذا الاسم ليقع الأمر كما قضاه في الأزل، ولقد سألته قريش لم سميت "محمدًا" ورغبت عن أسماء آبائك؟ فقال عبد المطلب: أردت أن يكون محموداً في السماء لله وفي الأرض لخالقه.

ثم إن ثوبية جارية أبي لهب لما بشرته بأن آمنه بنت وهب قد ولدت "محمدًا" صلى الله عليه وسلم، أعتقها من شدة سروره كما في المواهب اللدنية، وهذا يدل على كثرة حب أبي لهب لأخيه عبد الله أب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بعد أيام من ولادته صلى الله عليه وسلم، أرضعت ثوبية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي بعض الروايات أن أبا لهب أعتق ثوبية بعد الهجرة، ونحن نرجح الرواية الأولى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد رضع من حرة لا من جارية- والله تعالى أعلم.

أحبّ عبد المطلب "محمدًا" صلى الله عليه وسلم لأمرين:

(الأمر الأول): أنه ولد ابنه الحبيب عبد الله الذي مات عقب زواجه بنحو شهرين وهو في عنفوان شبابه، وللحفيد رتبةً ومنزلةً بالغةً في قلب جده خصوصاً إذا كان يتيماً.

(و الأمر الثاني): لقد رأى في هذا الطفل المبارك آثار النور المعنوي، وعلامات الفلاح والصلاح، والهداية والنجابة، والنبوغ والكمال، علاوة على ما سمعه من أمه ما رآته من عجائب الأمور حين الولادة، فهو وليد فريد لا يشبه المواليد في أحواله وأطواره، وفي الحقيقة أن الله تبارك وتعالى قد ألقى محبة نبيه الكريم في قلب جده وأقاربه وجميع من رآه من من طفولته إلى حين وفاته، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

ولقد بلغ من محبة عبد المطلب لحفيده الكريم "محمد" صلى الله عليه وسلم عندما كبر قليلاً، أنه كان يجلسه على فراشه مع أنه ما كان يجلس معه أحد عليه؛ لعظم مكانته عند قريش كما ذكرنا من قبل.

و عندما بلغ عمره صلى الله عليه و سلم ثمانى سنوات توفى جده عبد المطلب، فكفله عمه أبو طالب شقيق أبيه، فكان يحبه حبا جما و يبلغ فى إكرامه، و يقدمه على أولاده، و عندما بعثه الله تعالى و جهر بالدعوة كان عمه أبو طالب يحميه من قومه المشركين إلى أن مات.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٢١

### رضاعته صلى الله عليه و سلم و مرضعته

#### إشارة

لما ولدت آمنه الكريمة ابنها العزيز "محمد" صلى الله عليه و سلم، أرضعته ثلاثة أيام و قيل سبعة أيام، ثم أرضعته ثوبية الأسلمية جارية عمه أبى لهب أياما، ثم قدمت حليلة السعدية بنت أبى ذؤيب عبد الله بن الحارث من البادية إلى مكة فى نسوة من بنى سعد بن بكر يلتصقن الرضعاء، فكان "محمد" ذلك الطفل المبارك المنور الأغر الذى صار فيما بعد نبي آخر الزمان و خاتم النبيين صلوات الله و سلامه عليه و عليهم أجمعين، من نصيب حليلة السعدية السعيدة رضى الله تعالى عنها، فأخذته، و رحلت به إلى قومها فى البادية بجهة الطائف ليكمل رضاعته عندهم، فمكث الحبيب "محمد" صلى الله عليه و سلم فى البادية عند حليلة رضى الله تعالى عنها خمس سنين، ثم ردت به إلى أمه آمنه بنت وهب و قد أكمل رضاعته و اشتد عوده صلى الله عليه و سلم كما سيأتى بيان ذلك بالتفصيل، و لا بد أن حليلة كانت تأتى به صلى الله عليه و سلم إلى مكة فى بعض الأحيان لزيارة أمه آمنه بنت وهب، حتى يطمئن قلبها و تتمتع برؤيته، ثم ترجع به بعد أيام إلى منزلها- فلقد كانت عادة عظماء قريش و أشرافهم فى ذلك العصر، أن يدفعوا أولادهم بعد الولادة إلى المراضع القاطنين فى البادية، ليموا رضاعتهم هنالك و لينشأوا نشأة عربية خالصة، فإن للبادية تأثيرا عظيما فى التربية الجسمانية لطيب الهواء و عذوبة الماء و جودة الغذاء، كما أن لها تأثيرا أعظم فى الفصاحة و البلاغة، و الجود و الكرم، و الشهامة و الشجاعة، إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق و جوامع الشرف- و ما زال العرب الذين لم يختلطوا بمعاشرة أهل المدن، يحبون عيشة البادية إلى عصرنا الحاضر، فإنهم يحبون الزراعة و تربية المواشى، و غالب قوتهم على الدوام التمر و اللحم و اللبن، بل إنهم يعتمدون فى معيشتهم على التمر و اللبن صباحا و مساء، و الميسورون منهم يصنعون الخبز من دقيق الدخن و الذرة و الحنطة، و يطبخون الأرز باللحم و السممن و يحبون العسل جدا، و لا يأكلون الخضار إلا نادرا- و الحق يقال أن عيشة البادية بين الرمال و الجبال جميلة منعشة نافعة صحية مدهشة، لكن كما يقال "لكل امرئ من دهره ما تعودا."

هذا و كانت أم أيمن بركة الحبشية حاضنته صلى الله عليه و سلم حتى كبر، و أم أيمن كانت أمه أبيه عبد الله بن عبد المطلب، فلما مات و رثتها أم النبي صلى الله عليه و سلم، فلما ماتت أمه صارت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٢٢

لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فكان يقول عنها "أم أيمن أمى بعد أمى." ثم أعتقها و قد أسلمت و زوجها يزيد بن حارثة. و أول من أَرْضَع النبي صلى الله عليه و سلم، ثوبية أمه عمه أبى لهب فقد أرضعته مع ابنها مسروح أياما قبل قدوم حليلة السعدية، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يكرمها، و كانت تدخل على النبي صلى الله عليه و سلم بعدما تزوج خديجة فكانت خديجة تكرمها، ثم بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى المدينة أعتقها أبو لهب، فكان النبي صلى الله عليه و سلم يبعث إليها من المدينة بكسوة و صلة حتى ماتت بعد فتح خيبر، و لم يصرح أحد من العلماء بإسلامها و لا يبعد أن تكون أسلمت و الله تعالى أعلم. قال أبو نعيم: اختلف فى إسلامها، و فى تاريخ الخميس و فى سيرة مغلطاي قال أبو نعيم: لا أعلم أحدا أثبت إسلامها غير ابن مند-ا

وكان من عادة العرب أن يطلبوا المراضع لمواليدهم في البوادي حتى يكون الولد فصيحا نجيبا و شهما كريما و شجاعا بطلا، لذلك كانت نساء البوادي يأتين مكة في فترات و أوقات مختلفة، فجاءت إلى مكة بعد مولد النبي صلى الله عليه و سلم من جهة الطائف نسوة من بني سعد بن بكر بن هوازن يطلبن المواليد ليرضعنهم، و كان من بينهن حليلة بنت أبي ذؤيب زوجة أبي كبشة الحارث بن عبد العزى السعدى، فكان "محمد" هذا المولود المبارك الميمون صلى الله عليه و سلم من نصيبها، فسعدت به هي و زوجها و أولادها و أهل بلديتها. قال الشاعر:

لقد بلغت بالهاشمى حليلة مقاما علا في ذروة العز و المجد  
و زادت مواشيها و أخصب ربعهاو قد عم هذا السعد كل بني سعد

### قصة رضاعة حليلة السعدية له صلى الله عليه و سلم

و لنذكر قصة حليلة السعدية في أخذها رسول الله صلى الله عليه و سلم لرضاعته، فقد جاء في تاريخ الخميس ما نصه: و فى المواهب اللدنية قالت حليلة فيما رواه ابن إسحاق و ابن راهويه و أبو يعلى و الطبرانى و البيهقى و أبو نعيم: قدمت مكة فى نسوة من بنى سعد بن بكر نلتمس الرضعاء فى سنة شهباء، فقدمت على أتان لى و معى صبى لى و شارف لنا، و الله ما تبض بقطرة لبن و ما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك، لا يجد فى ثديى ما يغنيه و لا فى شارفنا ما يغذيه، فقدمنا مكة فو الله ما علمت منا امرأة إلا و قد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه و سلم فتأباه إذا قيل يتيم، فو الله ما بقى من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٢٣

صواحبى امرأة إلا- أخذت رضيعا غيرى فلم أجد غيره، قلت لزوجى: و الله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلاأخذنه، فذهبت فإذا به مدرج فى ثوب صوف أبيض من اللبن يفوح منه رائحة المسك، و تحته حريرة خضراء و هو راقد على قفاه يغط، فأشفقت أن أوقظه من نومه لحسنه و جماله، فدنوت منه رويدا فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا، و فتح عينيه ينظر إلى فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء و أنا أنظر إليه، فقبلته بين عينيه و أعطيته ثديى الأيمن فأقبل عليه بما شاء من اللبن، فحولته إلى الأيسر فأبى و كانت بعد عاداته، ثم أخذته فما هو إلا أن جئت به رحلى فقام صاحبى، تعنى زوجها، إلى شارفنا تلك فإذا أنها لحافل، فحلب منها ما شرب و شربت حتى روينا و بتنا بخير ليلة، فقال صاحبى، يا حليلة و الله إنى لأراك أخذت نسمة مباركة، ألم ترى ما بتنا به الليلة من الخير و البركة حين أخذناه فلم يزل الله يزيدنا خيرا.

و فيه أيضا قالت حليلة: فودعت النساء بعضهن بعضا و ودعت أنا أم النبى صلى الله عليه و سلم، ثم ركبت أتانى و أخذت محمدا صلى الله عليه و سلم بين يدي، قالت: فنظرت إلى الأتان و قد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجديات و رفعت رأسها إلى السماء ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معى، و صار الناس يتعجبون منى و تقول النساء لى و هن ورائى: يا بنت أبى ذؤيب أهذه أتانك التى كنت عليها و أنت جائئة معنا تخفضك طورا و ترفعك أخرى، فأقول: تالله إنها هى، فيتعجبن منها و يقلن: إن لها لشأنا عظيما.

و فيه أيضا قالت حليلة: ثم قدمنا منازل بنى سعد و لا أعلم أرضا من أرض الله أجذب منها، فكانت غنيمتى تروح على حين قدمنا به شباعا لبنا، فنحلب و نشرب ما يحلب إنسان قطرة لبن و لا يجدها فى ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعاتهم: ويلكم ما بال أغنام حليلة تحمل و تحلب و أغنامنا لا تحمل و لا تضع و لا تأتى بخير، اسرحوا حيث يسرح راعى غنم بنت أبى ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن و تروح أغنامى شباعا لبنا، حتى إننا نتفضل على قومنا و كانوا يعيشون على أكنافنا.

و فيه أيضا: و فى المواهب اللدنية أخرج البيهقى و ابن عساكر عن ابن عباس قال: كانت حليلة تحدث أنها أول ما فطمت رسول الله صلى الله عليه و سلم تكلم فقال: الله

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٢٤

أكبر كبيراً و الحمد لله كثيراً و سبحان الله بكرة و أصيلاً. و فى المواهب اللدنية:

فلما ترعرع كان يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم. و فى المنتقى: و كان أخواه من الرضاعة يخرجان فيمران بالغللمان فيلعبان معهم، فإذا رأهم محمد صلى الله عليه و سلم اجتنبهم و أخذ بيد أخويه و قال لهما: إنا لم نخلق لهذا. و فى كتاب "الإصابة فى تمييز الصحابة" أن الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى أخت النبى صلى الله عليه و سلم من الرضاعة و تسمى أيضاً حذافة، كانت تحضن النبى صلى الله عليه و سلم مع أمها و توركه، و كانت ترقصه و هو صغير و تقول:

يا ربنا أبق لنا "محمدًا" حتى نراه يافعا و أمردا

ثم نراه سيدا مسودا و اكبت أعاديه معا و الحسدا

و أعطه عزا يدوم أبدا و تقول الشيماء أيضا حينما ترقصه صلى الله عليه و سلم:

هذا أخى لم تلده أمى ولى من نسل أبى و عمى

فديته من مخول معم فانمه اللهم فيما تنمى

انتهى منه باختصار، و لقد جعله الله تعالى بفضل و كرمه سيد الناس بل سيد الكونين، صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا.

و فى تاريخ الخميس أيضا: و فى المواهب اللدنية و قد روى ابن سعد و أبو نعيم و ابن عساکر عن ابن عباس قال: كانت حلیمة لا تدع "محمدًا" صلى الله عليه و سلم يذهب مكانا بعيدا، فغفلت عنه مع أخته الشيماء فى الظهيرة إلى البهم، فخرجت حلیمة تطلبه حتى وجدته مع أخته، فقالت: تخرجين به فى هذا الحر، فقالت أخته: يا أمه ما وجد أخى حرا، رأيت غمامة تظل عليه إذا وقف و قفت، و إذا سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع، و كان صلى الله عليه و سلم يشب شبابا لا يشبه الغلمان حتى كان غلاما جفرا فى ستين.

### قصة شق صدره صلى الله عليه و سلم

و فى السنة الثالثة من مولده صلى الله عليه و سلم وقع شق الصدر، قالت حلیمة: فلما مضت سنتاه و فصلته قدمنا به على أمه و نحن أحرص شىء على مكته فينا لما نرى من بركته، و كلمنا أمه و قلنا لو تركته عندنا حتى يغلظ فإننا نخشى عليه و بآء مكة، و لم نزل بها حتى رده معنا فرجعنا به، فو الله إنه لبعده مقدمنا بشهرين أو ثلاثة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٢٥

خرج مع أخيه من الرضاعة لفى بهم لنا و قد بعدا قدر غلوة سهم خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتد فى عدوه فقال: ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعا و شقا بطنه، فخرجت أنا و أبوه نشدت نحوه فوجدناه قائما منتقعا لونه، فاعتنقه أبوه و قال: أى بنى، ما شأنك، قال: جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى، فشقا بطنى، ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه، ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا. فقال أبوه: يا حلیمة لقد خشيت أن يكون ابنى قد أصيب، فانطلقى نرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف.

قالت حلیمة: فاحتملناه، حتى قدمنا به إلى أمه، فقالت: ما رد كما به، فقد كنتما حريصين عليه، قلنا: نخشى عليه الإلتلاف و الأحداث.

فقالت: ماذا بكما فاصدقانى ما شأنكما، فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره.

فقالت: أخشيتما عليه الشيطان، كلا و الله ما للشيطان عليه سبيل، و إنه لكائن لابنى هذا شأن فدعاه عنكما.

و فى رواية قالت حلیمة: فخرجت أنا و أبوه و نسوة من الحى فإذا أنا به صلى الله عليه و سلم قائما ينظر إلى السماء كأن الشمس تطلع من وجهه، فالترمه أبوه و الله لكأنما غمس فى المسك غمسه، و قال له أبوه: يا بنى ما لك؟ قال: خير يا أبت، أتانى رجلان انقضا على من السماء كما ينقض الطائر، فأضجعانى و شقا بطنى و حثوا بشىء كان معهما، ما رأيت ألين منه و لا أطيب ريحا، و مسحوا على

بطني فعدت كما كنت (و قد جاءت هذه القصة بروايات عديدة و المعنى واحد) فنكتفى بما تقدم- انتهى جميع ذلك من الجزء الأول من تاريخ الخميس.

و اعلم بأن أمه صلى الله عليه و سلم من الرضاعة حليلة السعدية قد أسلمت، و أسلم كذلك أبوه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى و يكنى أبا ذؤيب و يعرف بأبى كبشة.

(و اعلم) بأن شق صدره صلى الله عليه و سلم بواسطة الملائكة الكرام، عليهم السلام، قد وقع أربع مرات (١) عندما كان عمره عليه الصلاة و السلام نحو ثلاث سنين، (٢) عندما كان عمره عشر سنين، (٣) عند أول البعثة، (٤) فى ليلة الإسراء.

و قد أشار بعض العلماء إلى الثلاث المرات بقوله:

و شق صدر أشرف الأنام و هو ابن عامين و سدس عام

و شق للبعث و للإسراء أيضا كما قد جاء فى الأنباء

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٢٦

و نحن زدنا عليهما هذه الأبيات:

و شق أيضا صدره للربعة و هو ابن عشر فاحتفظ يا سامعه

و لم يقع عليه سوء و ألم بل قام فى الحال سليما ما انثلم

و من تكن عناية الله به فأمره متصل بربه

و قد تولى الشق جبرائيل ذاك الأمين الطاهر الخليل

إن شق صدر رسول الله صلى الله عليه و سلم يشبه ما نسميه اليوم بالعمليّة الجراحية لكن مع الفارق العظيم، فالعمليات التى تجرى بيننا اليوم فى المستشفيات هى بواسطة أطباء البشر و التبنيج و الآلات و السكاكين الجراحية و أدواتها، و قد تنجح العملية و قد لا تنجح، و هذا أمر موكل إلى الله عز و جل ثم إلى مهارة الأطباء، أما شق صدره صلى الله عليه و سلم فقد حصل بإرادة الله تبارك و تعالى، و بواسطة جبريل الأمين عليه السلام الذى صار فيما بعد خليله و صاحب وحيه- إنها عملية جراحية حسيّة و معنوية معا، بدون ألم و لا وجع و لا خوف و لا وجل، إنها عملية ملائكية نورانية غسلوا قلبه صلى الله عليه و سلم بماء زمزم فى طست من ذهب، و ملؤه إيماننا و حكمه و رأفة و رحمة ثم أعادوه كما كان، فكانت هذه العملية الملائكية فى خلاء و فضاء بغتة بلا تبنيج، لم يشعر صاحبها عليه الصلاة و السلام بألم و لا خوف، فكان الشق و الغسل و الشفاء و السلامة و القيام منها فى لحظة واحدة، و من يقدر أن يمس بمبضعه رسول رب العالمين إلا ملك رسول أمين، صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم، هذه حادثة شق الصدر الشريف.

## موت أمه صلى الله عليه و سلم بالأبواء

### إشارة

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم ست سنين على أرجح الأقوال، خرجت به أمه آمنه بنت وهب من مكة إلى المدينة لزيارة أحوال أبيه بنى عدى بن النجار، و لتقف على قبر زوجها الحبيب عبد الله بن عبد المطلب الذى مات بالمدينة و ابنه "محمد" صلى الله عليه و سلم لم يولد بعد، مات بعد زواجه بآمنه بشهرين و بعد حملها كما تقدم بيانه، لذلك لم يكن "لمحمد" صلى الله عليه و سلم أخ و لا أخت شقيق من أبيه و أمه حيث لم يولد لهما ولد غيره، و أيضا لم يكن له صلى الله عليه و سلم، خال و لا خالة، و لكن كان له أعمام و إخوة من الرضاعة و قد بينا أسماءهم فى أول المبحث بالتفصيل.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٢٧



خرجت آمنه بنت وهب مع ابنها "محمد" صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة و عمره ست سنوات لزيارة أخوال أبيه بنى عدى بن النجار ليعرفوه و يعرفهم، و لتقف على قبر زوجها الحبيب عبد الله بن عبد المطلب الذى مات بالمدينة قبل أن يولد ابنه "محمد" صلى الله عليه وسلم، و أخذت آمنه معها أيضا أمتها أم أيمن بركة الحبشية حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم لتخدمهما فى السفر، قالوا: و كان معها عبد المطلب أو أبو طالب، و نحن نرجح أن الذى خرج معها أبو طالب؛ لأن عبد المطلب كان قد حجب بصره و كبرت سنه حتى تجاوزت المائة، و مات و محمد صلى الله عليه وسلم عمره ثمان سنين - و الله تعالى أعلم - فوصلت آمنه إلى المدينة فنزلت فى دار النابغة و هو رجل من بنى عدى ابن النجار، و كان قبر زوجها عبد الله أبى النبي صلى الله عليه وسلم فى هذه الدار كما تقدم بيانه فى أول هذا المبحث، فأقامت آمنه بالمدينة عند أخوال زوجها بنى عدى بن النجار شهرا واحدا، مع ابنها "محمد" صلى الله عليه وسلم الذى بلغ ست سنين يعقل و يفهم جميع الأمور لا يضيع عنه ما يراه و يسمع، فهو طفل لا كالأطفال، إن جسمه ظاهره و باطنه نورانى طاهر نظيف، أليست الملائكة شقت صدره و هو فى الثالثة من عمره، فغسلت قلبه فى طست من ذهب ثم ملأته إيمانا و يقينا و علما و حكمة استعدادا لنبوته و بعثته عند بلوغه أشده، إنه رسول الله و كفى - فلذلك كان صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة يذكر أمورا عندما كان مع أمه بالمدينة، فإنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى تلك الدار بعد الهجرة، أى بعد خمسين سنة تقريبا من سفره مع أمه، فقال: ههنا نزلت بى أمى، و أحسنت العوم فى بئر بنى عدى بن النجار، و كان قوم من اليهود يختلفون على ينظرون، قالت أم أيمن: فسمعت أحدهم يقول: هو نبي هذه الأمة، و هذه دار هجرته، فوعيت ذلك كله من كلامهم - فانظر، رحمننا الله تعالى و إياك إلى قوة ذاكرته صلى الله عليه وسلم و لا عجب فى ذلك أنها ذاكرة نبوة، و انظر أيضا إلى حكمة نزول آمنه بنت وهب مع ابنها "محمد" صلى الله عليه وسلم عند أخوال أبيه بنى عدى بن النجار بالمدينة، و ذلك ليعرفوه و يعرفهم من صغره، فإنه صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله تعالى ثم هاجر إلى المدينة و أقام بقباء أياما قليلة و بنى مسجد بقاء، أراد التحول من بقاء إلى باطن المدينة، فركب ناقته و سار حتى وصل إلى دور الأنصار، فكان صلى الله عليه وسلم كلما مر على دار من دورهم تضرع إليه أهلها أن ينزل عندهم، و كانوا يأخذون بزمام ناقته صلى الله عليه وسلم، فكان يقول لهم: دعوها فإنها مأمورة، فلم تنزل الناقه سائرة به صلى الله عليه وسلم حتى أتت بفناء بنى عدى بن النجار، فبركت بمحلة من محلاتهم أمام دار أبى أيوب الأنصارى و اسمه خالد بن زيد، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، و قال: ههنا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٢٨

المنزل إن شاء الله، فاحتمل أبو أيوب الأنصارى رضى الله تعالى عنه رحله و وضعه فى بيته - فتأمل دقائق حكمة الله عز و جل . بعد أن أقامت آمنه مع ابنها "محمد" صلى الله عليه وسلم و مع أمتها أم أيمن، شهرا بالمدينة عند أخوال أبيه رجعت به إلى مكة، فلما وصلوا إلى قرية الأبواء، و هى فى منتصف الطريق بين مكة و المدينة، أدركتها المنية، فتوفيت بالأبواء و دفنت بها على رأس جبل قصير رخو يمكن الحفر فيه بسهولة كما ستتكلم عليه قريبا، فقد ذهبنا إلى قرية الأبواء فى سنة (١٣٨٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و ثمانين هجرية، و وقفنا على قبر آمنه أم النبي صلى الله عليه وسلم على مكان عال فوق قمة الجبل، و هو قبر ظاهر مرتفع عن سطح الجبل ليس هناك قبر غيره، و لقد صدق عليها قول الشاعر:

علو فى الحياة و فى الممات لحق تلك إحدى المكرمات

فهل هناك شرف أعلى من أن تكون آمنه بنت وهب العربية القرشية أما لمن أرسله الله تعالى رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم، و هل فى الدنيا قبر مرتفع فوق رأس الجبل ظاهر كالعلم، لم يعف أثره و لم تدرس معالمه مع مرور الأجيال العديدة عليه، و سيبقى إلى ما شاء الله تعالى مرفوع الرأس على القدر، حتى يبعث صاحبه يوم القيامة سعيدا ناجيا فائزا مسرورا بفضل الله و رحمته، فيدخل الجنة بسلام آمنين مع ابنها سيد الخلائق أجمعين صلى الله عليه وسلم و على آله و صحبه و سلم - أليس هذا علو فى الحياة و علو فى الممات، و علو فى الآخرة إن شاء الله تعالى.

جاء فى تاريخ الخميس ما نصه: روى أبو نعيم من طريق الزهرى عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت: شهدت آمنه أم النبى صلى الله عليه وسلم فى علتها التى ماتت بها، و محمد صلى الله عليه وسلم غلام يفع له خمس سنين، فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

بارك فيه الله من غلام يا ابن الذى من حومه الحمام

نجا بعون الملك العلام فودى غداة الضرب بالسهام

بمائه من إبل سوام إن صح ما أبصرت فى المنام

فأنت مبعوث إلى الأنام من عند ذى الجلال والإكرام

تبعث فى الحل و فى الحرام تبعث فى التحقيق والإسلام

دين أبيك البر إبراهيم فالله أنهاك عن الأصنام

أن لا توالياها مع الأقوام التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٢٩

ثم قالت: كل حى ميت و كل جديد بال و كل كبير يبنى، و أنا ميتة و ذكرى باق تركت خيرا و ولدت طهرا، ثم ماتت - قالت أم أسماء: فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك هذه الآيات:

نبكى الفتاة البرة الأمانة ذات الجمال العفة الرزينة

زوجة عبد الله و القرينة أم نبى الله ذى السكينة

و صاحب المنبر بالمدينة صارت لدى حفرتها رهينة

قال فى تاريخ الخميس: ثم قدمت به صلى الله عليه وسلم أم أيمن رضى الله تعالى عنها إلى مكة بعد موت أمه بخمسة أيام - ١٥ - فالذى يظهر لنا و الله تعالى أعلم: أن أم النبى صلى الله عليه وسلم لم تمرض كثيرا فى طريقها إلى مكة، بل إنها وصلت إلى الأبواء فى هودجها سالمة ثم مرضت بها يوما أو يومين ثم ماتت، فلو مرضت كثيرا فى قرية الأبواء، لحصل لها و لابنها "محمد" صلى الله عليه وسلم و هو طفل صغير و لحاضنته أم أيمن رضى الله تعالى عنها، تعب عظيم و حزن عميق و إرهاق شديد، و لأرسل جده عبد المطلب من مكة من يتعقب أخبارهم، فالله سبحانه و تعالى كريم رحيم، لطيف حكيم، خير عليهم.

و حيث ماتت أم هذا الطفل النبى الكريم عليه الصلاة و السلام بالأبواء و دفنت بها، سارعت حاضنته أم أيمن بمواصله السفر من الأبواء، فقدمت بمحمد صلى الله عليه وسلم إلى مكة بعد خمسة أيام من موت أمه، فكفله جده عبد المطلب و ضمه إليه ورق عليه رقة شديدة لم يرقها على أولاده، و كان يقربه منه و يدخل عليه إذا خلا و إذا نام، و كان عبد المطلب لا يأكل طعاما إلا قال: على بابنى. فيؤتى به إليه، و لقد قال يوما لحاضنته أم أيمن: لا تغفل عن ابنى فإن أهل الكتاب يزعمون أنه نبى هذه الأمة، ثم لما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فمما تقدم يعلم أن الأبواء هى منتصف ما بين مكة و المدينة، فإن المسافة بين البلدين بالجمال عشرة أيام، و الأبواء كانت هى طريق القوافل بين مكة و المدينة من قديم الزمان، ثم فى عصرنا الحاضر أى منذ (١٣٥٤) ألف و ثلاثمائة و أربع و خمسين هجرية تقريبا هجرت طريق الأبواء، و اتخذ الناس وادى "مستورة" المسمى بوادى "ودان" طريقا لهم بين البلدين الحرامين، و ذلك منذ امتداد خط الإسفلت فيه للسيارات أى الأوتومبيلات، و هذا الوادى هو فى محاذاة الأبواء بينهما أقل من أربعين كيلو مترا كما سيأتى بيان ذلك.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٣٠

### محل مدفن أم النبى صلى الله عليه وسلم

و قد اختلف الناس فى موضع دفن آمنه بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم على قولين:

فبعضهم يقول إنها ماتت بمكة و دفنت بها بمقبرة الحجون، فقد جاء في تاريخ الخميس: و في ذخائر العقبي قال ابن سعد: دفنت أمه صلى الله عليه و سلم بمكة، و أن أهل مكة يزعمون أن قبرها في مقابر أهل مكة من الشعب المعروف بشعب أبي ذئب رجل من سراة بني عمرو، و قيل: قبرها في دار رابعة في المعلاة بئنية أذاخر عند حائط حلما-١٥.

و يقول بعضهم إن أم النبي صلى الله عليه و سلم ماتت بالأبواء و دفنت بها، و هذا أرجح الأقوال و عليه غالب المؤرخين، و لكل من أصحاب القولين حجة- قال مؤلف تاريخ الخميس: قيل التوفيق بين دفن أمه صلى الله عليه و سلم بالأبواء و كون قبرها بها و بين قبرها بمكة على تقدير صحة الحديثين: أن يقال يحتمل أن تكون دفنت بالأبواء أولا و كان قبرها هناك، ثم نبشت و نقلت إلى مكة و الله تعالى أعلم-١٥.

و نحن نقول: إن دفنها بالأبواء أصح و أرجح، و لكن نستبعد نبش قبرها و نقلها إلى مكة، في ذلك العصر الذي لم تكن فيه إلا وسيلة واحدة للانتقال و الأسفار، و هي الجمال و البغال و الحمير، فنقل الميت بوسيلة ركوب الجمال و المشى بها من الأبواء إلى مكة في خمسة أيام أمر شاق جدا بل متعذر، و يؤدي ذلك إلى تكسر الجثة و تعفنها لعدم معرفة العرب لطرق تحنيط الأموات، و لم يكن نقل الأموات في ذلك الزمن من بلدة إلى بلدة أمرا معروفا- أما نقل الأموات في زماننا هذا فقد جرى عليه عظماء الناس و إن لم يرد ذلك في الشرع، و هذا لتيسر أسباب النقل من الطائرات و السيارات التي اخترعت في عصرنا، و لمعرفتنا لطرق تحنيط الأموات صيانتهم لهم من التعفن و التفسخ.

و نحن لا- يمكننا أن نوفق بين القولين إلا بأمر معنوي، و ذلك بأن نقول: إن أم النبي صلى الله عليه و سلم ماتت بالأبواء و دفنت بها، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم من المدينة في غزوة الحديبية و مر في طريقه بالأبواء، تذكر أمه العزيزة الكريمة فاستأذن ربه عز و جل في زيارتها، فأذن له فجاء إلى قبرها- و نقول بناء على ما جاء في بعض الأحاديث الدالة على وقوع زيارتها بمكة: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما وصل إلى مكة في حجة الوداع و هي آخر حجاته و مر على عقبه الحجون، تذكر أمه الحبيبة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٣١

فاشفاق إليها، و استأذن ربه العزيز الغفار في زيارتها، فأذن الله تعالى له في ذلك و أمر الملائكة بنقلها إلى مقبرة الحجون من الأبواء، تطيبا لقلب نبيه الكريم و معجزة له عليه الصلاة و التسليم، و لتكون زيارته لها في أسرع وقت و أقرب لحظة، كما وقع ذلك في اجتماعه صلى الله عليه و سلم بالأنبياء عليهم الصلاة و السلام في بيت المقدس و في السموات السبع ليلة الإسراء و المعراج، و الله تعالى أعلم بما كان بينه صلى الله عليه و سلم و بين أمه من الأمور و المشاهدات في هذه الزيارة، فزيارة رسول الله صلى الله عليه و سلم للأموات ليست كزيارة عامة الناس، فإنه صلى الله عليه و سلم يكشف له من الأمور و المشاهدات ما لا يكشف لغيره.

هذا و لقد رأينا قبر آمنه بنت وهب أم النبي صلى الله عليه و سلم بمقبرة المعلا بالحجون بمكة، و كانت عليه قبة جميلة، و كذلك رأينا قبرها بالأبواء، و كانت عليه قبة لطيفة أيضا، و هاتان القبتان بنتهما الحكومة التركية حينما كانت تحكم الحجاز و البلدان العربية، فلما دخلت الحكومة السعودية إلى الحجاز في سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية، هدمت القبتين المذكورتين و هدمت جميع القباب التي كانت على القبور، و ستتكلم بعد المبحث الآتي عن قرية الأبواء و موقعها.

**نجاه أبوي النبي صلى الله عليه و سلم**

**إشارة**

اعلم أن العرب قبل ظهور الإسلام كانوا أهل شرك يعبدون الأصنام، و لكن عقلاءهم و فضلاءهم و منهم آباء النبي صلى الله تعالى عليه و سلم موحدون يعبدون الله تعالى على دين الخليل إبراهيم و ابنه إسماعيل عليهما الصلاة و السلام، و إن كانوا على بعد العهد لا

يعرفون تفاصيل دينه الحنيف، و يكفى أنهم يعتقدون بوجود الله تعالى و ببعثة الرسل و الأنبياء إلى الأمم السابقة، و أنهم يعترضون على قومهم فى عبادة الأوثان و فى سفاسف الأمور الشركية، لأن العقل السليم لا يقر العادات المستهجنة القبيحة، فليس ببعيد أن يمن الله تبارك و تعالى على بعض عباده من أهل الفترة بالفكر الثاقب و العقل السليم، ليهتدى إلى الخلاق العظيم و ينبذ عبادة الأصنام و يجتنب قبيح الآثام؛ كقس بن ساعدة الإيادى حكيم العرب و غيره كما سنذكرهم بعد قليل.

فمن أسعدهم الله تعالى بالهداية بفضلله و رحمته آباؤه صلى الله عليه و سلم ذكورا و إناثا، فإنهم لم يسجدوا لصنم و لم يرتكبوا جرما و كلهم من سادات قريش، ليخرج

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٣٢

رسول الله صلى الله عليه و سلم الذى أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، من آباء طاهرين و أمهات طاهرات، و لسنا نذهب بعيدا و نحصر الأدلة على ذلك حتى لا يطول بنا الكلام، و لكن يكفى أن نذكر ما كان عليه الجد الأول القريب لرسول الله صلى الله عليه و سلم و هو "عبد المطلب" فلقد كان على ملء إبراهيم عليه الصلاة و السلام يعتقد بالبعث و الجزاء، و كان قد حرّم الخمر، و نكاح المحارم و الزنا، و منع و أد البنات، و كان يأمر أولاده بترك الظلم و البغى، و يحثهم على مكارم الأخلاق، و كان كريما يطعم المساكين، بل يطعم حتى الطير و الوحش فى رؤوس الجبال، و لقد هداه الله تعالى إلى موضع بئر زمزم بعلامات رآها فى المنام، فحفرها و أخرج منها الغزالين الذهب و السيوف و الدروع التى دفنتها جرهم فى البئر- و من تأمل قصة عبد المطلب مع أصحاب الفيل علم قوة إيمانه بالله تعالى و يقينه، فإنه لما أخذ رجال أبرهه مائتى إبل لعبد المطلب استاقوها من الحرم، و راجع عبد المطلب أبرهه ليأمر برد إبله إليه، فقال له أبرهه ملك الحبشة: أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك و تترك بيتا هو دينك و دين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه، فأجابه عتبد المطلب: أنا رب الإبل و إن للبيت ربا سيمنعه، قال أبرهه: ما كان ليمنع منى، قال: أنت و ذاك، ثم أمر أبرهه برد إبل عبد المطلب إليه، ثم رجع عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، و أمرهم بالخروج من مكة و التحرز فى الجبال و الشعوب- ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة الكعبة و صار يدعو ربه الكبير المتعال و يقول:

يا رب لا أرجو لهم سواك يا رب فامنع منهم حماكا

إن عدو البيت من عادا كافامنعمهم أن يخبوا قراكا

فتأمل رحمتنا الله تعالى و إياك كيف أن عبد المطلب التجأ إلى الله تعالى رب هذا البيت العظيم، و لم يلتجأ إلى صنم و لا وثن، فحفظ الله بيته و حرمة و أهله و دمر أصحاب الفيل شر تدمير.

و هذا عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله صلى الله عليه و سلم، إنه على دين أبيه و أخلاقه كأخلاق أبيه، لا يقرب الحرام و لا يقترف الآثام، و أعظم دليل على ذلك قصة الخنعمية معه، فإنه مر يوما على فاطمة بنت مرة الخنعمية و كانت من أجمل النساء، فدعته إلى نفسها فامتنع عنها و قال:

أما الحرام فالممات دونه و الحل لا حل فأستبينه

فكيف بالأمر الذى تبغينه يحمى الكريم عرضه و دينه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٣٣

و من تأمل ما قالته آمنه بنت وهب عند موتها فى ابنها "محمد" صلى الله عليه و سلم، و ما كان يتراءى لها من البشائر و الكرامات عند ولادته، و قولها لمرضعته حلیمه و زوجها عندما رجعا به إليها بعد حادثه شق صدره صلى الله عليه و سلم: أخشيتما عليه الشيطان، كلا و الله، ما للشيطان عليه سبيل، و إنه لكائن لابنى هذا شأن فدعاه عنكما- إن من تأمل أقوال آمنه و ما رآته من البشائر و الكرامات، ظهر له إيمانها و يقينها برب العزة و الجلال الذى له ملك السموات و الأرض.

و إذا تأملت قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام كما حكي الله تعالى عنه في سورة الزخرف: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ\* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ\* وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. فالكلمة الباقية في عقبه هي كلمة الشهادة والإخلاص، فلا يزال ذلك في ذريته من بعده- وقوله في سورة إبراهيم: رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ قَالَ ابن جرير: فلن يزال من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى- وقوله في سورة إبراهيم أيضا: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ\* رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ\* رَبَّنَا إِنِّي أَسِيءْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ.

أخرج ابن جرير عن مجاهد، قال: استجاب الله تعالى لإبراهيم دعوته في ولده فلم يعبد أحد من ولده صنما، واستجاب الله تعالى دعوته فجعل هذا البلد آمنا و رزق أهله من الثمرات وجعله إماما وجعل من ذريته من يقيم الصلاة- اهـ.

وقد اتفق العلماء على أن العرب من بعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام كلهم على دينه لم يكفر منهم أحد قط ولم يعبد صنما إلى عهد عمرو بن لحي الخزاعي فإنه أول من غير دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعبد الأصنام وسيب السائب- ففي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار كان أول من سيب السائب» أي أمر بعدم منع النياق التي تسبب في الجاهلية لنذر أو نحوه من الرعي، فترك رعي من أي مرعى تمر عليها،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٣٤

وعمر بن عامر هو المعروف بعمر بن لحي بن قمع بن إلياس بن مضر، جاء في شرح العزير على الجامع الصغير: وعمر بن عامر الخزاعي قد بلغته الدعوة، وأهل الفترة الذين لا يعذبون هم من لم يرسل إليهم عيسى ابن مريم ولا أدركوا محمدا عليهما الصلاة والسلام. اهـ.

قال الحافظ ابن كثير: كانت العرب على دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم إلى أن ولي عمرو بن عامر الخزاعي مكة وانتزع ولاية البيت من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم، فأحدث عمرو المذكور عبادة الأوثان و شرع للعرب الضلالت. اهـ.

ولقد ذكر الأزرقى أيضا قصة عمرو بن لحي المذكور في أوائل كتابه تاريخ مكة (نقول): ولو أن عمرو بن عامر المذكور قد أحدث للعرب عبادة الأصنام، فإنه ما زال بعضهم من العقلاء على التوحيد على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ كزيد بن عمرو بن نفيل، و قس بن ساعدة، و ورقة بن نوفل، و عمير بن حبيب الجهني، و عمر بن عنبسة، و غيرهم. و من نظر إلى قول خديجة رضي الله تعالى عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أول نزول الوحي عندما دخل عليها و قال:

زملوني زملوني، فبعد أن زملوه و ذهب عنه الروح و أخبرها ما وقع له في غار حراء قالت له: و الله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم و تحمل الكل و تكسب المعدوم و تقرى الضيف و تعين على نوائب الحق، فلا يسلط الله عليك الشياطين و الأوهام، و لا مرأ أن الله اختارك لهداية قومك، ثم انطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، و كان شيخا كبيرا يعرف مسائل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فبشره بأنه نبي هذه الأمة، إن من تأمل قول خديجة بنت خويلد الزوجة الأولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم علم يقينا أنها ممن يعرف الله تعالى و لم تسجد لصنم قط- و لا شك إذا أن آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هؤلاء على التوحيد لا يعرفون الشرك و لم يسجدوا لصنم، يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» و في رواية: «لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصطفى مهذبا ما تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما»، و لا يخفى أن المشركين نجس بنص القرآن الكريم.

جاء في شرح نظم عمود النسب، قال ابن حجر الهيتمي: إن الأحاديث مصرحة لفظا و معنى أن آباءه صلى الله عليه وسلم غير الأنبياء و

أمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٣٥

كافر، لأن الكافر لا يقال في حقه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس، وقد جاء في الأحاديث أن آباءه مختارون وأنهم كرام وأن أمهاته طاهرات-١٥.

وما أحلى قول صاحب نظم عمود النسب رحمه الله تعالى حيث يقول:

خير الشعوب شعبه لآدم وقرنه خير قرون العالم

من مؤمنين متناكحيناخرج لا من متسافحينا

ينقل من أصلاب طاهرينالطاهرات من لدن أئبنا

و كيف لا و المشركون نجس و من أذى نبينا مقدس

من ساجد لساجد تقبلاصلى عليه الله ما هب الصبا

و جعل الدين عمود نسبه كلمة باقية في عقبه

و فيه ربه له تقبلادعاه من كل بر سألأ

كثر ك الأصنام و ترك الموبقات و كل ما يزرى بمنصب الثقات

و قال عبد الله حين استعصم ممن دعتة إذ تبع الأدمأ

أما الحرام فالممات دونه و الحل لا حل فأستيبينه

فكيف بالأمر الذي تبغينه يحمى الكريم عرضه و دينه

و العذر بالفترة و الإحياء فيؤمنوا و رد في الأنباء

و لعن الإله من آذاه في هذه الدار و في أخراه

و يشير الناظم بالبيتين الأخيرين إلى أن أهل الفترة ناجون لعذرهم بعدم بعث رسول إليهم، وقوله "و الإحياء" إلى أن الله تعالى أحيا أبوى النبي صلى الله عليه وسلم بعد بعثه فأما به ثم ماتا كما ورد في بعض الأحاديث، و لا يشترط في إحيائهما خروجهما من القبر، بل يجوز أن الله تبارك و تعالى أحياهما في قبريهما كما يحصل في سؤال القبر فأما به ثم أماتهما و رسول الله صلى الله عليه وسلم يراهما و يخاطبهما و الله على كل شئ قدير، وقوله "و لعن الإله من آذاه" إشارة إلى قول الله تبارك و تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا، و لا أذى أعظم من الحكم على أبوى النبي صلى الله عليه وسلم بالكفر و أنهما في النار، و إذا كان شرعا يطلب درء الحدود بالشبهات، أفلا- يجب في هذه المسألة الخطيرة الحكم بحسن الظن أو عدم الخوض فيهما إكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم و تأدبا معه و مع أبويه الكريمين، خصوصا و قد ذهب كثير من الأئمة الأعلام إلى أنهما ناجيان سعيدان،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٣٦

فيجب تقليد هؤلاء الأئمة الكرام؛ لأنه أسلم و أولى- فلقد جاء في تاريخ الخميس ما نصه: قال الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في رسالته المسماة "بالدرجة المنيفة في الآباء الشريفة" و ذهب جمع كثير من الأئمة الأعلام إلى أن أبوى النبي صلى الله عليه وسلم ناجيان محكوم لهما بالنجاة في الآخرة، و هو أعلم الناس بأقوال من خالفهم و قال بغير ذلك و لا يقصرون عنهم في الدرجة، و من أحفظ الناس للأحاديث و الآثار، و أنقذ الناس بالأدلة التي استدلت بها أولئك، فإنهم جامعون لأنواع العلوم و متضلعون من الفنون ... الخ كلامه-١٥.

و نحن لا ندرى إذا حكم الإنسان على أبوى النبي صلى الله عليه وسلم بالكفر، ثم يظهر له يوم القيامة خلاف ذلك بأى وجه يلقي

رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك، أما لو سكت فلا خطر في السكوت، و من تأمل و دقق في قول الله تبارك و تعالى: وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى اعتقد اعتقادا جازما بأن أبوى النبي صلى الله عليه وسلم ناجيان يتنعمان في الجنة في أعلا الدرجات بفضل الله و رحمته، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرضى يومئذ أن يكونا في النار يعذبان، و هما الجوهرتان المتعلقةتان به و الصدفتان اللتان خرج من بينهما، نسأل الله تعالى الرضا و التوفيق و الهداية لأقوم طريق آمين.

و من أراد زيادة البحث في نجاه أبوى النبي صلى الله عليه وسلم فليراجع الكتب الموضوعه في ذلك، و في تاريخ الخميس للعلامة الشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى الكردى رحمه الله تعالى مبحث طويل قيم جدا في هذا الموضوع.

### الحديث الصحيح الوارد في زيارته صلى الله عليه وسلم لأمه

فعلم مما تقدم أن آباءه صلى الله عليه وسلم من جهة الرجال و النساء أطهار كرماء لم يمسه دناءة الشرك و قبيح العادات، لأن المشركين نجس كما أخبر الله تعالى بذلك في سورة التوبة، و يكفي في نجاه أهل الفترة إن شاء الله تعالى أن يؤمنوا بوجود الله تعالى و وحدانيته مع ابتعادهم عن عبادة الأصنام، أما معرفه أحكام دينه الحنيف فلا يشترط فيهم، لأن أحكام الشريعة لا تعرف إلا برسول يأتى من عند الله تعالى و لذلك قال تبارك و تعالى في سورة الإسراء: وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا. و قال في سورة القصص: وَ مَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَ مَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَ أَهْلِهَا ظَالِمُونَ، فالفترة التي كانت بين عيسى بن مريم و نبينا محمد عليه الصلاة و السلام هي ستمائة سنة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٣٧

كما في صحيح البخارى، و هذه المدة كافية لمحو معالم الديانة و انتشار الجهل و الفوضى في العقائد. (فإن قيل): فما معنى ما جاء في صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه، قال: «زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى و أبكى من حوله، فقال: استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، و استأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكرو الموت».

(نقول): لقد فهمنا هذا الحديث كما يأتى: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئول من بعد بعثته عن أمته فقط، و أمه ماتت قبل بعثته بأربعين عاما و هو طفل في السادسة من عمره، و هى من أهل الفترة على دين إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام في أساس التوحيد و إن لم تعرف معالم دينه للفترة الطويلة، فهى إذا ليست من أمته لأنها لم تدرك الإسلام، و من لم يدرك الإسلام فأمره مفوض إلى الله عز و جل، و الله تعالى لا يشقى أمه حيث كانت مع بعض عقلاء قومها على التوحيد و لم تعبد صنما، و رسول الله صلى الله عليه وسلم مخاطب بعد بعثته بقومه و مسئول عن أمته، لا- تعلق له دينيا بمن مات قبل البعثه حتى يستغفر له تِلْكَ أُمُّ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فعليه ليس هو مكلفا بالاستغفار لأمه حتى يزورها ليستغفر لها، فسوف يقر الله تعالى عينه يوم القيامة بنجاتها من النار و إدخالها الجنة مع السابقين بفضلله و رحمته- و ما قررناه في أمه العزيزة صلى الله تعالى عليه وسلم نقره في أبيه الكريم.

أما زيارته لها صلى الله عليه وسلم في قبرها شوقا و حينا فلا بأس من ذلك، فقد أذن الله تعالى له في زيارتها، فزارها و بكى و أبكى من حوله، فبكاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم كان رحمة و شفقه و حينا و شوقا، و لتذكره أحوال طفولته معها و كونها ماتت و عمره ست سنين، أليس رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يعتره ما يعترى البشر، فزيارته صلى الله عليه وسلم لأمه ليست كزيارتنا، إنه يكشف له و يرى ما لا نراه.

(فإن قيل): لم استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه عز و جل في زيارة أمه و لم يستأذن لزيارة أبيه؟

(نقول): لأنه صلى الله عليه وسلم لا يعرف أباه و لم يره فقد مات و هو في بطن أمه، أما أمه فقد رآها و يعرفها و يتذكرها فقد ماتت

وعمره ست سنين، والإنسان يحن إلى أمه و يشناق إليها أكثر، و رسول الله صلى الله عليه و سلم بشر في أحواله العادية- و الله تعالى أعلم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٣٨

و هذه الزيارة قيل كانت في الأبواء في عمره الحدييه سنة ست من الهجرة، و قيل كانت بمكة في حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة- و الله تعالى أعلم- أى أن هذه الزيارة كانت بعد وفاة أمه صلى الله عليه و سلم بستين سنة تقريباً، سواء كان جسدها سليماً صحيحاً في قبرها أم ذاب و فنى في التراب، فإن الله عز و جل قادر على أن يحييها بكامل جسمها و عقلها و حواسها كما يحيى الأموات بعد دفنهم في قبورهم للسؤال و حين البعث، فيخاطبها صلى الله عليه و سلم و تخاطبه معجزة و كرامة له عليه الصلاة و السلام و الله على كل شىء قدير- فعن أبي جرير عن علقمة بن مرثد عن سليمان عن أبيه: «أن النبي صلى الله عليه و سلم لما قدم مكة أتى رسم قبر فجلس إليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبراً فقلنا: يا رسول الله إنا رأينا ما صنعت ... إلخ».

و روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن مسعود «أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أتى إلى المقابر فاتبعناه، فجاء حتى جلس إلى قبر منها فواجه طويلاً ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام، فقام إليه عمر بن الخطاب فدعاه ثم دعانا، فقال: ما أبكاكم، قلنا: بكينا لبكائك، فقال: إن القبر الذى جلست عنده قبر آمنه و إنى استأذنت ربي في زيارتها فأذن لى ... إلخ»-٥.

فالذى نذهب إليه عن حسن ظن و تعقل: أنه لو كانت أمه صلى الله عليه و سلم في النار لكانت معذبة في قبرها، و لو كانت معذبة في قبرها لما أذن الله تعالى لنبيه الكريم عليه أفضل الصلاة و التسليم في زيارتها، حتى لا يراها معذبة في قبرها محاطة بالنار، فإن ذلك مما يزيد في حزنه و بلائه مدة حياته، فإنه صلى الله عليه و سلم في زيارته لقبر أمه كشف له عن حالتها فرآها و رآته و خاطبها و خاطبته في أمور لا يعلمها إلا الله سبحانه و تعالى- أما بكاءه صلى الله عليه و سلم عندما قام من قبرها، فلذلك و التفكير في يتمه و كونها ماتت و تركته طفلاً صغيراً في السادسة من عمره فبقى يتيماً من غير أب و لا أم، و بكى عندها رحمة و حناناً إليها، و كان يتمنى لو شاركته في حياته السعيدة، حياة النبوة و الرسالة، و لترى ما أكرمه الله تعالى من العز و السؤدد و النصر و الكرامة- هذا ما نراه و نعتقد- و الله سبحانه و تعالى أعلم و هو بعباده أرحم، و جميع من في السموات و الأرض عبيده و ملكه يفعل فيهم ما يشاء و يحكم ما يريد- اللهم صل و سلم على عبدك و نبيك "محمد" و أفر عينيه بنجاة أبويه حتى يرضى رضاء تاماً، و أدخلهما الجنة معه بسلام آمين، مع خادمهم محمد طاهر الكردي مؤلف هذا الكتاب آمين، بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٣٩

### و يعجبنا ما قاله بعضهم عن زيارة أمه صلى الله عليه و سلم

السلام عليك يا آمنه بنت وهب، السلام عليك يا أم رسول الله صلى الله عليه و سلم، جئناك زائرين لك حبا في رضاء الله عز و جل و رضاء ابنك خاتم النبيين محمد صلى الله عليه و سلم، فإننا نعتقد بفوزك و سعادتك، و حاشا أن الله تبارك و تعالى يشقيك و قد أخرجت من بطنك من أرسله الله رحمة للعالمين، و حويت في أضلاعك خليل الرحمن، فلم تجدى في حمله و وضعه عناء و لا مشقة فحاشا أن تمسك نار جهنم، إذا أنت لم تدخل الجنة فهل نحن ندخلها، إنك لو بقيت و عشت إلى بعثته صلى الله عليه و سلم لكنت أول من آمن به على الإطلاق أنت و والده عبد الله، لما كنتما تريان منه من بشائر النبوة و أمارات الرسالة، و لكنكما تركتماه يتيماً لحكمة يعلمها الله عز و جل، يا آمنه بنت وهب: أنت صدفة قيمة ضمنت في جوفك الطاهر أعظم درة ثمينة لا يوجد مثلها في الدارين، فرضى الله عنك و أرضاك و جمعنا معك في جنات النعيم، مع النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا آمين، فهنيئاً لك ثم هنيئاً لك ثم هنيئاً لك يا زينة النساء.

اللهم صل على سيدنا "محمد" و على آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم و على آل إبراهيم، و بارك على سيدنا محمد



و على آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم و على آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.  
سبحانك ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين. هذا ما قاله بعض الفضلاء عند زيارة آمنه بنت وهب أم نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم و هو كلام صادر عن قلب مؤمن مملوء بحسن الظن بالله عز و جل و برحمته و فضله و مملوء أيضا بحب رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصوله و فروعه. و الله الموفق للصواب و إليه المرجع و المآب.

### الكلام على قرية الأبواء و قرية مستورة

قرية الأبواء: هي من القرى الحجازية القديمة، لولا جاء ذكرها في التاريخ لم يكن لها شأن يذكر، فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم مر بها و هو طفل صغير نحو ست سنين من عمره حين ذهابه من مكة إلى المدينة ثم رجوعه مع أمه و حاضنته أم أيمن رضى الله تعالى عنها، و قد كان برفقتها عبد المطلب و قيل أبو طالب و نحن نرى الأراجح التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٤٠

هو أبو طالب لأن عبد المطلب كان في ذلك الوقت قد حجب بصره و كبر سنه فتجاوز المائة و الله تعالى أعلم، فلما و صلوا إليها ماتت أمه آمنه بالأبواء و دفنت بأعلى جبل من جبالها الغربية كما سيأتي بيانه، و كذلك وقعت في الأبواء غزوة في أول السنة الثانية من الهجرة، و هي أول مغازيه صلى الله عليه و سلم، فقد خرج إليها في ستين رجلا من أصحابه بعد أن استخلف على المدينة سعد بن عبادة يريد عيرا لقريش، و لم يحصل حرب لأن العير كانت قد سبقته، ثم هناك صالح سيد بنى ضمره رسول الله صلى الله عليه و سلم على أن ينصر المسلمين و لا يعين عدوهم، فرجع النبي عليه الصلاة و السلام المدينة بعد مضي خمسة عشرة ليلة.

انظر: صورة رقم ٩، قبر السيدة آمنه بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه و سلم فوق جبل بالأبواء و تقع الأبواء في منتصف طريق مكة و المدينة تقريبا، و هي قريبة من وادي ودان بينهما ستة أميال أو ثمانية، و لتقاربهما يطلق على غزوة الأبواء غزوة ودان، و لا يبعد أن تكون قرية مستورة هي من وادي ودان؛ لأن وادي ودان واقع بين مستورة و الأبواء، فبين مستورة و بين قرية الأبواء نحو ثلاثين كيلو مترا في طريق ذات حجارة ممهدة بالإسفلت و هذه الحجورة يسمونها الصّمد "بفتح فسكون" أي ليست حرة و ليست صخورا.

لقد كانت لنا رغبة شديدة منذ سنوات في زيارة قرية الأبواء و مشاهدتها و الكتابة عنها في كتابنا "التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم"، و لما تيسرت الأمور بفضل الله تعالى و حصلت معرفة و صداقة بيننا و بين أحد فضلائها و وجهائها و هو الشيخ عبيد الله بن عابد الأنصاري، توجهنا من مكة المشرفة قاصدين المدينة المنورة عن طريق الأبواء لزيارتها بدعوة من الشيخ عبيد الله المذكور، و ذلك في اليوم الثامن من ربيع الثاني سنة (١٣٨٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاثة و ثمانين هجرية، خرجنا من مكة شرفها الله تعالى بالسيارة في ضحى يوم الاثنين يرافقتنا أحد أبناء الشيخ عبيد الله المذكور ليدلنا على الأبواء، فوصلنا إلى جدة في الساعة الرابعة فاسترحنا فيها إلى بعد العصر، ثم سرنا حتى وصلنا إلى مستورة ليلا وقت العشاء و بين جدة و مستورة "١٩٦" كيلو مترا، فوجدنا هناك في انتظارنا الابن الثاني للشيخ عبيد الله المذكور جاءنا بسيارته الجيب ليأخذنا إلى الأبواء موفدا من قبل أبيه، فبتنا تلك الليلة في مستورة بقهوة نظيفة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٤١

فلما أصبحنا ذهب الإخوان لزيارة خالهما المقيم بمستورة، فدعانا خالهما الشيخ محمد نور بن مثنى المحمدي للغداء عنده و دعا معنا سعادة أمير مستورة الشيخ مبارك بن سليمان. و هو مع احتفاظه بهيئته العربية رجل كريم و قور ذكي عاقل، يعرف القراءة و الكتابة و يدرك الأمور بالإشارة، قضينا ذلك اليوم في مستورة و أردنا السفر إلى الأبواء و لكن دعانا سعادة أمير مستورة للغداء عنده في اليوم الثاني و اعتذرنا فلم يقبل، فمكثنا يوما آخر بمستورة إجابة لدعوته و قد طفنا حولها قليلا، فإذا هي واسعة فسيحة يسكن أهلها في

بطونها ووديانها في بيوت من العشاش، وفيها مركز لخفر السواحل قرب البحر به ضابط و جنود. وقد أخذنا الشيخ محمد نور المحمدى المذكور إلى البحر في زورق شرعى فمكثنا في لجة البحر نحو ثلاث ساعات نصيد الحوت. فمستورة مشهورة بكثرة الحوت و جودة الهواء، و من الطريف أن ولدنا عبد الرحمن الكردى كان خائفا كثيرا من ركوب البحر و ما اطمأن إلا بعد أن أكل حوتا مشويا في وسط البحر، و ما ألد الأكل بعد الخوف و الجوع و الاطمئنان.

يبلغ عدد سكان مستورة أكثر من ثلاثة آلاف نسمة يشتغلون بصيد الأسماك و بالزراعة في الشتاء عند نزول الأمطار، و أهل مستورة أهل صدق و أمانة و دين و استقامة، و هم أبعد الناس عن الفسق و الفجور و شرب المسكرات و ارتكاب المحظور، و إذا حصلت بينهم مشاحنات و مخاصمات فإن عقلاء القرية يصلحون بينهم.

و أرض مستورة ما كان منها منخفضا فتربتها صالحه للزراعة عند نزول الأمطار يزرعون فيها الحبوب و الخبز و القثاء و غيرها، و ما كان منها مرتفعا فأرضها مفروشة بالحجارة الملساء السوداء بحجم البطاطس يسمونها (الصمد) أى أنها ليست حرة و لا صخورا، و نظن أن أصلها (الصلد) باللام أى الصلب كما فى اللغة فحرفت و نطقوها بالميم- و فى مستورة عدة آبار ماؤها فيه ملححة قليلة و الماء الحلو العذب يأتى إليها من رابع بالسيارات الوايتات، يعطى لهم مجانا من قبل الحكومة.

و لقد أخبرنا سعادة أمير مستورة الشيخ مبارك بن سليمان أنه سمع بوجود بئر قديمة بمستورة لكنها أطبت بالحجارة العظيمة و لا يعرفون مكانها، فأتى بأهل المعرفة من البدو فما زالوا يبحثون عنها حتى عثروا على مكانها، فقام الأمير

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٤٢

بحفرها و إزالة الأطباق عنها حتى ظهر الماء، و لقد وقفنا على هذه البئر فوجدنا بين سطح الأرض و بين الأطباق نحو قمتين بل أكثر، فجزى الله تعالى من كان السبب فى ذلك خير الجزاء، و جزى من أطبق البئر بالحجارة و لم يطمرها أحسن الجزاء حيث قد انتفع بها الناس اليوم.

فحبذا أن المسؤولين بمكة أطبقوا الآبار القديمة بها و جعلوا عليها علامات لمعرفة بدلها من ردمها و طمرها و إعفاء آثارها، فقد يأتى يوم يحتاج أهل مكة إلى ماء الآبار و لو كانت مالحة، كما احتاجوها فى عام ١٣٦٠ عند نزول الأمطار القوية و تخريب السيل العظيم دبول عين زبيدة، و يعرف هذا السيل عندنا بسيل "يوم الأربعاء" الذى دخل المسجد الحرام و وصل إلى باب الكعبة المعظمة و كلنا شاهدنا ذلك.

هذا و سيل مستورة و الأبواء يجرى من مسيل واحد و هو المسمى بوادى "ودان" هذا ما يقولونه اليوم و ليس ذلك بعيد لاتصالها و قربها من بعض، كما نقول أن سيل مكة يأتى إليها من منى و عرفات.

قال صاحب وفاء الوفاق: ودان قرية من نواحي الفرع لضمرة و غفار و كنانة على ثلاثة أميال من الأبواء-١٥. و الفرع، و قال بعضهم: ودان من الجحفة على مرحلة، بينها و بين الأبواء ستة أميال-١٥. و الميل ستة آلاف ذراع بذراع اليد، و الفرسخ ثلاثة أميال، فعليه تكون المسافة بين وادى ودان و الأبواء فرسخين أى نحو عشرة كيلو متر.

و فى ودان يقول بعض القدماء:

قفوا أخبرونى عن سليمان أننى لمعروفه من أهل "ودان" راغب

فما تقدم يعلم أن الأبواء و ودان و مستورة كلها منطقة واحدة تدخل فى نواحي الفرع لضمرة و غفار و كنانة- و لكن الأبواء أهمها و أعظمها- و الله تعالى أعلم.

فافهم هذا المبحث الفريد فإنك لا تجده فى كتاب، و لقد جزنا الكلام على قرية مستورة؛ لأنها هى الطريق المسلوكه إلى الأبواء و إلى المدينة المنورة، فمستورة واقعة فى منتصف طريق جدة و المدينة تقريبا، فهى محطة شهيرة فى خط الاسفلت تمر بها اليوم جميع قوافل السيارات.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٤٣

أما قرية الأبواء فنصفها بعد مشاهدتنا كما يأتي:

في صباح يوم الخميس بعد شروق الشمس قمنا من مستورة متوجهين إلى الأبواء في سيارة الشيخ عبيد الله بن عابد الأنصاري التي أرسلها لنا لتكون في ضيافته بالأبواء يصحبنا ولداه "الشيخ يحيى و الشيخ أحمد" و هما أكبر أولاده، سرنا من مستورة نحو مشرق الشمس بالسيارة الجيب في خبت واسع، في أرض غير مسفلتة و إنما هي ذات حجارة سوداء ملساء بقدر حجم البطاطس يطلقون عليها "الصمد" كما ذكرناها في مستورة، و المسافة بينها و بين الأبواء نحو (٢٨) كيلو مترا أى أقرب مما بين (مكة و بحرة) فالأبواء واقعة في شرق مستورة.

و يطلقون اليوم على الأبواء اسما آخر و هو "خريبة" لأن سيلا عظيما أتى عليها قديما فخر بها ثم عمرت من جديد.

سرنا في أرض واسعة لا يكتنفها الجبال، فيها العشب و أشجار السلم التي تصلح لرعى المواشى، فمررنا في طريقنا بالبئر التي طويت بالصخور الكبار و التي اكتشفها و أظهرها أمير مستورة، كما مررنا ببئر أخرى واسعة جدا غزيرة الماء في جانب منها درج من الصخر كالسالم للتزول إلى قاع البئر، إنها درج عجيبة الابتكار، فرحم الله بانيها، و هذه البئر كانت قديما محطة سابقة للقوافل المارة بمستورة، و من وسط هذا الوادي كانت القوافل تمر منه قديما إلى بدر فالمدينة المنورة، فمن أتى من رابغ يريد المدينة أمامه طريقان، طريق يؤدي إلى مستورة و طريق يؤدي إلى هرشى "على وزن سكرى" ثم يتفرع بعد هرشى إلى طريقين، طريق يمر على بير ميريك و القاحا و طريق يمر على الأبواء و على المصفرة من آخر الأبواء من جهة الغرب مما يلي الجبل المدفونة عليه أم النبي صلى الله عليه و سلم، و كل هذه الطرق تجتمع في محطة المسيجيد. و هرشى هضبة في أرض مستوية لا تنبت شيئا ينسب إليها بنبته هرشى، و فيها يقول الشاعر:

خذا أنف هرشى أو قفاها فإنما كلا جانبي هرشى لهن طريق

و من غرب هرشى تمتد حرة و تنتهي قبيل مستورة جنوبا تسمى حرة "كلهف".

سرنا في طريقنا في أرض واسعة مستوية حتى قاربنا الأبواء، و إذا هي محاطة من جميع الجهات بسلسلة من الجبال الصغيرة، و في أول مدخل الأبواء، على يسار الذهاب إليها، جبل غير مرتفع عليه قبر آمنه بنت وهب أم النبي صلى الله عليه و سلم و يظهر القبر

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٤٤

فوق الجبل من الطريق لأنه مرتفع نحو نصف قامه محاط بالأحجار، و الجبل مسطح من أصل الخلقة و ليس فوق الجبل و لا في أسفل الوادي قبر غير قبرها، يصدق عليه قول القائل:

و قبر حرب بمكان قفرو ليس قرب قبر حرب قبر

و قد بنت الأتراك أيام حكمهم للحجاز على هذا القبر قبة قوية بالأحجار و النورة البلدية، هدمتها الحكومة السعودية عند دخولها الحجاز، و حول هذه الجبال يوجد كثير من نبات الإذخر و هو نبت كروى الشكل كالحبب "البطيخ" عطرى الرائحة يبس في الصيف عند اشتداد الحر ثم يخضر في الربيع عند نزول الأمطار و لا يموت شيء منه إذا يبس، و هذا الوادي لما كان مطروقا من قديم الزمان كانت الآبار فيها متعددة، فقد كانت القوافل تمر مع جبال الأبواء من عند قبر أم النبي صلى الله عليه و سلم.

و لقد سألنا العرب هناك عن سبب دفن أم النبي صلى الله عليه و سلم فوق الجبل، فقالوا: إن هذا الموضع لم يكن محطة لنزول القوافل لعدم وجود سكان به قديما و حديثا، لذلك لم تكن به قبور حتى تدفن في أحدها، و لقد دفنوها فوق الجبل خوفا عليها من السيول و السباع و اختاروا لدفنها هذا الجبل بالذات؛ لأنه هش سهل التكرس و الحفر، و لأنه غير مرتفع و غير مسنم بل أعلاه عريض مسطح.

فوجدنا كلامهم مقبولا- معقولا واضحا كالشمس - فاستنتجنا من ذلك أن أم النبي صلى الله عليه و سلم لم تمرض بالمدينة حين

إقامتها بها وإلا- لم تخرج منها، و أنها أيضا لم تمرض في الطريق وإلا- للبت في إحدى القرى و المحطات حتى تتماثل للشفاء، خصوصا و أنه يستحيل على المريض السفر أياما على الجمال في ذلك العهد، إذا فيكون موتها بغتة في مدخل الأبواء بقرب ذلك الجبل، كانت في الاحتضار نحو ساعة أو ساعتين ثم ماتت فغسلها المسافرون معها من بئر الرعاء القريبة منهم و دفنوها فوق ذلك الجبل.

و لا شك أن موتها بغتة و هى فى حالة السفر رحمة و كرامة لها و لابنها الصغير الذى لم يتجاوز السادسة "محمد" ذلك النبى الكريم صلى الله عليه و سلم، فلو مرضت فى الطريق لتعب ابنها الطفل الصغير و حاضنته أم أيمن رضى الله تعالى عنها كانت معهم أشد التعب و الله رؤف بالعباد.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٤٥

و بعد دفنها قدمت أم أيمن "بمحمد" صلى الله عليه و سلم إلى مكة فى خمسة أيام، و ما بين الأبواء و المدينة خمسة أيام أيضا، فتكون المسافة بين مكة و المدينة بالجمال عشرة أيام. و فى رواية أن قبر آمنه بنت وهب بمكة.

ثم سرنا من جبل أم النبى صلى الله عليه و سلم متوجهين إلى داخل قرية الأبواء فاستقبلنا فى منزله مضيفنا الشيخ عبيد الله بن عابد الأنصارى. و هو رجل صالح فاضل كريم عاقل من أعيان أهل الأبواء و وجهائها. فجلسنا فى ضيافته ثلاثة أيام، و دعانا أخوه الشيخ عبد القادر الأنصارى للغداء فى اليوم الثانى أحسن الله إليهما و جزاهما عنا خير الجزاء.

لقد تجولنا بالأبواء بسيارة الجيب الخاصة بمضيفنا العزيز الشيخ عبيد الله المذكور، فإذا هى قرية واسعة كبيرة زراعية، لها أمير كريم محترم اسمه الشيخ يوسف بن عطية أبو جلى، و لقد سمعنا عنه الثناء الحسن و أنه يتحلى بحميد الخصال و كريم الأخلاق، كنا نود زيارته و التشرف بمقابلته لولا ضيق الوقت و سرعة سفرنا.

يبلغ عدد سكان الأبواء نحو خمسة آلاف نسمة، بل أكثرهم يسكنون بين جبالها و وديانها و مزارعها، و كلهم يشتغلون بتربية المواشى و بالزراعة و الفلاحة صيفا و شتاء.

و أهل الأبواء كأهل مستورة أهل دين و أمانة و صدق و استقامة بعيدون عن الفسق و الفجور و قريون من الخير، و إذا حصلت بينهم مخاصمات و مشاحنات يحضرم عقلاء القرية ليصلحوا بينهم، و لمضيفنا الكريم الشيخ عبيد الله الأنصارى منزله خاصة بينهم، فبيته مفتوح لهم و يصلح بينهم إذا اختلفوا و يؤمهم فى مسجده الخاص، لذلك يطلقون عليه "الشيخ عبيد الله الشيخ".

و فى الأبواء مدرسة ابتدائية مديرتها ابن مضيفنا المذكور و اسمه "الأستاذ أحمد عبيد الله الأنصارى" و هو مثقف متخرج من مدارس مكة المكرمة، و فى هذه المدرسة كثير من أبناء الأبواء، و بناء المدرسة من اللبن و هى تحتاج إلى إصلاح كثير، فحبذا لو أن وزارة المعارف جددت بناء هذه المدرسة بالإسمنت المسلح و ساعدتها بكثير من الإعانات لأن أبناء الأبواء فيهم ذكاء مفرط كما يدل على

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٤٦

ذلك نتيجة الاختبار العمومى فى السنة الماضية، و الحق أن مدير المدرسة المذكور رجل نشيط مخلص لعمله.

و طول الأبواء اثنا عشر كيلو مترا و عرضها ثلاث كيلو مترات، و قد يضيق و قد يتسع، تحيط بها الجبال من جهة الشمال، و تحيط بها حرة سوداء من جهة الجنوب، و هذه الحرة ممتدة كالخيوط من أولها إلى آخرها، عرضها نحو خمسمائة متر أى نصف كيلو متر. و أعلا هذه مسطح ليس فيه تعاريج و فيه بركة تجتمع فيها مياه الأمطار، لذلك يسكن بعضهم فى أعلى هذه الحرة. و فى الأبواء يزرع النخل و الدخن و الذرة و الطماطم و الفاصوليا و الباذنجان الأسود و الباميا و الدباء و القرع الأبيض و القثاء و الحبوب و الخربز و غير ذلك، و عندهم البقر و الغنم و الدجاج، و لهم ولع بصيد الأرناب و الغزلان و الطيور.

و فى موسم الأمطار تكثر الزراعات، و فى غيرها يسقون الأراضى من مياه الآبار يركبون عليها مكائن سحب المياه، ففى الأبواء مائة و

خمسون موتورا يسقون بها البساتين و الأراضي الزراعية، و مياه الآبار فيها نوع ملوحة لا تصلح للشرب، لذلك هم في حاجة شديدة للماء العذب، و في بعض الأوقات تأتيهم الوايتات بالماء الحلو من بلدة رابغ فيستعملونه للأكل و الشرب فقط، فحبذا لو أن الحكومة أمنت لأهل الأبواء الماء العذب كما أمنتها لأهل مستورة، خصوصا و أن سكان الأبواء يبلغ ضعف سكان مستورة، و قد لا حظنا على زراعة الأبواء عامة الضعف و الهزل خصوصا سنابل الدخن و الذرة، و الزارع الذي ينتظر بفارغ الصبر نضوج ثمره و حوبه، ثم يخيب أمله بفساد الحبوب و هزال الثمر، يحزن بعد طول صبره أشد الحزن و يعتره هبوط و كسل.

فحبذا لو أن وزارة الزراعة راعت هذه المنطقه و عملت بالوسائل التي لديها على حفظ مصالحهم و رفع مستوى الزراعة في جميع القرى.

و ذكر صاحب "وفاء الوفا" نقلا عن الأسدى: أن في وسط الأبواء مسجدا لرسول الله صلى الله عليه و سلم، و ذكر بها آبارا و بركا منها بركة بقرب القصر، ثم ذكر ودان و ثنية هرشى، و قال: لقد أمر المتوكل بعمل أعلام و أميال لهذه الطرق. اهـ.

نقول: لم يبق أثر للمسجد المذكور و لا للأعلام و الأميال، فسبحان مغير الأحوال. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ١-١؛ ص ١٤٧

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٤٧

ثم رحلنا من الأبواء في اليوم الثالث قاصدين المدينة المنورة عن طريق مستورة، و أقمنا بها ثلاثة أيام ثم رجعنا بالسلامة إلى مكة شرفها الله تعالى و أدام أمنها و أمانها و خيرها و رخاءها آمين.

و مما يستأنس و تؤخذ منه الإشارة على وفاة و الديه صلى الله عليه و سلم على التوحيد، أن أباه اسمه (عبد الله) و هو إرادة الله تعالى بتسميته بهذا الاسم الشريف، و ما كان اسمه كأسماء أهل الجاهلية؛ كعبد العزى و عبد قيس و عبد ياليل أو كلب أو كليب أو كلاب أو فهر و نحو ذلك، حتى لا ينتسب رسول الله صلى الله عليه و سلم لأب له اسم يمثل هذه الأسماء، فكون اسم أبيه (عبد الله) هو من أشرف الأسماء، فإذا قيل: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم هو (محمد بن عبد الله) كان له وقع عظيم عند جميع الملل و النحل؛ لأنه أشرف الأسماء.

فهكذا أسماه جده عبد المطلب بعبد الله، فلو لم يعرف الله عز و جل بالفطرة لم يسمه بعبد الله، فتوحيد آباءه صلى الله عليه و سلم و إيمانهم بوجود الله عز و جل هذا كاف بإيمانهم بربهم الخلاق العظيم لأنه صادر بالفطرة الإلهية و بتوفيق الله عز و جل، بالعقل و التفكير، فلا يطلب منهم معرفة شروط الإيمان بالتفصيل كما يطلب منا حيث لم يكن في زمانهم نبي مرسل إليهم ليعلمهم أمور دينهم و يشرح لهم وسائل شريعتهم، فإيمان بعضهم بوجود الله تعالى كاف بنجاتهم إن شاء الله تعالى، و إنه لعز و مفخرة بربهم الخلاق العظيم خالق كل شيء، و هم في وسط بيئه موبوءة بالكفر و الإشراك و عبادة الأصنام.

و أيضا أن كون اسم أمه عليه الصلاة و السلام (آمنة بنت وهب) يؤخذ منه أنها آمنة من عذاب الله و غضبه لتوحيدها و معرفتها بالله عز و جل بالفطرة، و لا شك أن تسمية أمه (آمنة)، أو تسمية أبيه (عبد الله)، هي من قضاء الله تعالى و قدره، فقد وافقت التسمية لهما على ما كتب في اللوح المحفوظ من الأزل، و هذه عناية إلهية بعبد و نبيه المصطفى المختار صلى الله عليه و سلم، و في المثل العربي (لكل مسمى من اسمه نصيب)، و لا يخفى أن الأدب و الحب و الاحترام لرسول الله صلى الله عليه و سلم الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، أن نظن و نعتقد خيرا بآبائه الكرام ذوى الشرف و المقام السامى عند قومهم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٤٨

### كفالة عمه له صلى الله عليه و سلم

بعد وفاة عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه و سلم كفله عمه شقيق أبيه أبو طالب حسب وصاية عبد المطلب له، فكان أبو طالب

يحب النبي صلى الله عليه وسلم حبا شديدا أكثر من أولاده، فكان ينام بجنبه ويطعمه أطيب الطعام، وكان يبائع في إكرامه و تبجيله و يقدمه على كل شيء.

و لما حصل الجذب و القحط جاءت قريش أبا طالب و قالت له: أما ترى ما نحن فيه، قم فاستق، فخرج أبو طالب و معه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتى الكعبة، فألصق ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالكعبة فلاذ بإصبعه، فأقبلت السحب من كل الجهات، و سقوا و أخصبت الأرض من بعد جذبها، و لذلك قال أبو طالب فيه، صلى الله عليه وسلم: و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه الأرامل

### رحلته مع عمه صلى الله عليه وسلم إلى الشام للمرة الأولى

و لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم اثنتي عشر سنة، أراد عمه و كفيله أبو طالب السفر بتجارة إلى الشام، فاستعظم محمد صلى الله عليه وسلم فراق عمه، فأخذه معه، و هى الرحلة الأولى له صلى الله عليه وسلم، فلما بلغوا "بصرى" بأرض الشام رأه بحيرا الراهب و اسمه "جرجيس" و كان من أحبار اليهود، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم من صفته الموضحة في كتبهم فأضاف قريشا، و جعل يلحظ النبي صلى الله عليه وسلم لحظا شديدا، و سأله عن أشياء فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم عما سأله عنه، فقال بحيرا الراهب لأبى طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابنى، قال: ما هو ابنك، و ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخى، قال: فما فعل أبوه، قال: مات و أمه حيلي به، قال: صدقت، فما فعلت أمه، قال:

توفيت قريبا، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده و احذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه و عرفوا منه ما عرفت ليغينه شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، لما نجده في كتبنا و روينا عن آبائنا، و اعلم أنى قد أدت إليك النصيحة فأسرع به إلى بلده، فرده أبو طالب إلى مكة و اشتد تحفظه عليه، و ازداد له حبا و تكريما.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٤٩

### سفره صلى الله عليه وسلم إلى الشام للمرة الثانية

و لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا و عشرين سنة، سافر إلى الشام للمرة الثانية في تجارة لخديجة بنت خويلد الأسديّة، و كانت سيده تاجرّة ذات شرف و مال تستأجر الرجال في مالها، فأرسلت إلى "محمد" صلى الله عليه وسلم و قالت له: إنى دعانى إلى البعثة إليك ما بلغنى من صدق حديثك و عظيم أمانتك و كرم أخلاقك، و أنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلا من قومك.

ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أخبر عمه أبا طالب بذلك، فقال له أبو طالب: إن هذا الرزق ساقه الله إليك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم يريد الشام مع ميسرة غلام خديجة، و قد أوصلت خديجة غلامها ميسرة أن لا يعصى لمحمد صلى الله عليه وسلم أمرا و لا يخالف له رأيا.

فلما وصل محمد عليه الصلاة و السلام سوق بصرى نزل تحت ظل شجرة قريية من صومعة "نسطورا الراهب" و كان نسطورا يعرف ميسرة، فقال: يا ميسرة من هذا الذى تحت هذه الشجرة، فقال: رجل من قريش من أهل الحرم، فقال نسطورا: ما نزل تحت هذه الشجرة بعد عيسى عليه السلام إلا نبى، فأتى نسطورا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، و قال له: يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها الدالة على نبوتك المذكورة في الكتب القديمة، خلا خصله واحدة فأوضح لى عن كتفك، فأوضح له رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كتفه، فإذا بخاتم النبوة يتلأأ، فأقبل نسطورا عليه يقبله، و يقول: أشهد أنك رسول الله النبى الأمى الذى بشر بك عيسى.

ثم إن محمدا صلى الله عليه وسلم حضر سوق بصرى، فباع سلعته و ربح ربحا عظيما، ثم رجع إلى مكة و قد أحبه ميسرة حبا شديدا لما ظهر له من بركاته و أحواله الكريمة، و دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة و أخبرها بما ربحوا فسرت بذلك، و أعطت النبي

صلى الله عليه وسلم، ضعف ما اتفقا عليه من الأجرة، وقد أخبرها غلامها ميسرة بما سمعه من نسطورا الراهب و ما رآه عليه من علامات النبوة، فأحبهته كثيرا.

### تزوج صلى الله عليه وسلم بخديجة

و بعد مجيء النبي صلى الله عليه وسلم من الشام بشهرين، تزوج بخديجة رضى الله تعالى عنها- و ذلك أن خديجة بعد أن رأت من "محمد" صلى الله عليه وسلم الريح العظيم في تجارتها، التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٥٠ و علمت من أمانته و صدق حديثه و مكارم أخلاقه، و سمعت من غلامها ما ظهر منه من علامات النبوة، أخبرت بذلك ابن عمها "ورقة بن نوفل" و كان قد تنصر و علم بما في الكتب القديمة، فقال ورقة لخديجة: لئن كان هذا حقا يا خديجة فإن "محمدًا" النبي هذه الأمة، و قد علمت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه.

و كانت خديجة امرأة عاقله صاحبه دراية و حزم و عزم، و كانت تدعى في الجاهلية الطاهرة و هي يومئذ أفضلهم نسبا، و أعظمهم شرفا و أكثرهم مالا، فرغبت في النبي صلى الله عليه وسلم و أرسلت الوسائط إليه، أرسلت نفيسه بنت منبه دسيسا تعرض نكاحها على "محمد" صلى الله عليه وسلم بعد أن رجع من الشام، قالت له نفيسه: ما يمنعك أن تتزوج، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما في يدي ما أتزوج به، قالت: فإن كفيت و دعيت إلى المال و الجمال و الكفاءة و الشرف ألا تجيب؟ قال: فمن هي، قالت: خديجة، قال: و كيف لي بذلك، قالت: على، قال: افعلى.

فذهبت نفيسه فأخبرت خديجة بذلك، فأرسلت إليه خديجة و قالت له: يا ابن عم إنى قد رغبت فيك لقرابتك و أمانتك و حسن خلقك و صدق حديثك، ثم أرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لأعمامه، فقام معه حمزة و أبو طالب حتى دخلوا على عمها عمرو بن أسد، فخطبها إليه أبو طالب، فقال عمرو بن أسد: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يخطب خديجة بنت خويلد، هذا الفحل لا يقدر أنفه، فحضر أبو بكر الصديق و رؤساء مضر العقدة. فقام عندئذ أبو طالب و خطب فقال: الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم و زرع إسماعيل، و ضئضى معد، و عنصر مضر، و جعلنا حضنه بيته، و سواس حرمة، و جعله لنا بيتا محجوبا، و حرما آمنا، و جعلنا حكام الناس، ثم إن ابن أخى هذا "محمد بن عبد الله" لا يوزن به رجل شرفا و نبلا و فضلا، و إن كان فى المال قل، فإن المال ظل زائل، و أمر حائل، و عارية مستردة و هو و الله بعد هذا له نبأ عظيم و خطر جليل، و قد خطب إليكم رغبة فى كريمتكم "خديجة" و قد بذل لها من الصداق (كذا).

فأجابته ورقة بن نوفل فقال: الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت، و فضلنا على ما عدت، فنحن سادات العرب و قاداتها، و أنتم أهل ذلك كله، لا تنكر العشيرة فضلكم، و لا أحد من الناس فخركم و شرفكم، و قد رغبتنا فى الاتصال

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٥١

بجلبكم و شرفكم، فاشهدوا علىّ معاشر قريش بأنى قد زوجت خديجة بنت خويلد محمد بن عبد الله، على كذا. فقال أبو طالب: قد أحببت أن يشر كك عمها عمرو بن أسد، فقال عمرو بن أسد: اشهدوا علىّ يا معشر قريش أنى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد- فقبل النبي صلى الله عليه وسلم النكاح و أشهد على ذلك صناديد قريش، و أصدقها اثني عشرة أوقية و نشا، و النش نصف أوقية، و الأوقية أربعون درهما.

فتزوج "محمد" صلى الله عليه وسلم لأول مرة فى حياته بخديجة رضى الله تعالى عنها، و كان ذلك بعد رجوعه من الشام بشهرين، و عمره إذ ذاك خمسة و عشرون سنة، و عمر خديجة أربعون سنة، فلم يتزوج صلى الله عليه وسلم قبل خديجة و لا عليها حتى ماتت. و كانت خديجة قد تزوجت قبله النباش و يكنى بأبى هالة، فولدت له هندًا و هو من الصحابة و هالة- و هما ذكران- و مات النباش فى

الجاهلية، ثم بعد موته تزوجت خديجة عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له بنتا اسمها "هند" فأسلمت و تزوجت، ثم مات عتيق، وقيل تزوجت خديجة أولا بعتيق ثم بالنباش والله تعالى أعلم.

### محبة خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبه لها

كانت خديجة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها تحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق الحب، فعاشرته أحسن عشرة، و كانت تقوم بخدمته و رعايته خير قيام و أفضل رعايه، فلا ترى منه ميلا إلى شىء إلا بادرت به إليه، و كانت إذا رأته تأخر عن الغذاء تلتسمه بأعلا مكة و معها غذاؤه.

و كان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها كثيرا، و يسكن إليها، و يثنى عليها، و يقول: "و الله ما أبدلنى الله خيرا منها، آمنت بى إذ كفر الناس، و صدقتنى إذ كذبنى الناس، و واستنى بمالها إذ حرمنى الناس، و رزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء،" و كان صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة يقول: أرسلوا إلى أصدقاء خديجة.

لقد كانت خديجة رضى الله تعالى عنها تعرف الكثير من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم و تحقق نبوته، لذلك كانت أول من آمنت به، و انظر إلى ثباتها و حكمه كلامها للنبي صلى الله عليه وسلم عند بدء الوحي، عند أول ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٥٢

حراء و قال له: اقرأ باسم ربك الذى خلق فرجع النبي صلى الله عليه وسلم يرجف فواده، و دخل على خديجة و قال: زملونى - زملونى، فلما غطوه و سكن روعه أخبر خديجة بما كان، فقالت له: كلا و الله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، و تحمل الكل، و تكسى المعدم، و تقرى الضيف، و تعين على نوائب الحق، فلا يسلط الله عليك الشيطان و الأوهام، و لا مرء إن الله اختارك لهداية قومك.

ثم انطلقت خديجة به صلى الله عليه وسلم إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، و كان عالما يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، و كان شيخا كبيرا قد عمى، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال: يا ابن أخى ماذا ترى، فأخبره صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذى نزل الله على موسى فجبriel رسول الله إلى أنبيائه، ثم قال ورقة للنبي صلى الله عليه وسلم: يا ليتنى فيها جذعا "أى شابا جلدا" إذ يخرجك قومك من بلادك ... الخ ما قال.

فانظر إلى قوة إيمان خديجة رضى الله تعالى عنها بنبوته رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يعلم الناس عنه ذلك، لهذا كله كان عليه الصلاة و السلام يحب خديجة حبا جما، و قد ورد فى فضلها شىء كثير، نذكر من ذلك حديثا واحدا، فقد جاء فى الصحيحين «بشروا خديجة ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه و لا نصب».

فهنيئا لأم المؤمنين "خديجة" رضى الله تعالى عنها بما فازت بالقرب و الاتصال بسيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم. و توفيت خديجة رضى الله تعالى عنها قبل الهجرة بثلاث سنين فحزن عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا، لما رأى من قوة إيمانها و صدق محبتها و قيامها بخدمته و مؤازرتها له عند الشدائد - اللهم صل و سلم على سيدنا "محمد" و على آله و أزواجه و أصحابه الطيبين الطاهرين أجمعين.

### عدد أزواجه و سرايه صلى الله عليه وسلم

و عدد أزواجه صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة: (١) خديجة بنت خويلد، (٢) و عائشة بنت أبى بكر، (٣) و حفصة بنت عمر، (٤) و أم سلمة بنت أبى أمية، (٥) و سودة بنت زمعة، (٦) و زينب بنت جحش، (٧) و ميمونة بنت الحارث، (٨) و زينب بنت خزيمة، (٩) و



جويرية بنت الحارث و تسمى بريرة، (١٠) و صفيّة  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٥٣  
بنت حبي، (١١) و أم حبيبة رملّة بنت أبي سفيان. ماتت عنده اثنتان: خديجة بنت خويلد، و زينب بنت خزيمة، و توفى عن التسع  
الباقيات.

و أما سراريه فأربع: (١) مارية القبطية أم ولده إبراهيم، (٢) و ريحانة القرظية، (٣) و واحدة وهبتها له زينب بنت جحش، (٤) و الرابعة  
أصابها من بعض السبي.

### عدد أولاده صلى الله عليه و سلم

و عدد أولاده صلى الله عليه و سلم سبع: أربع من الإناث و ثلاثة من الذكور، كلهم من أم المؤمنين "خديجة" رضى الله عنها، إلا  
إبراهيم فإنه من مارية القبطية، و ترتيبهم في الولادة هكذا: (١) القاسم. و به يكنى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هو أول مولود  
له، و أول من مات من أولاده، فإنه مات و عمره نحو سنتين، (٢) فزينب. و هي أكبر بناته و أول من تزوج منهن، و ماتت سنة ثمان من  
الهجرة، (٣) فرقية. تزوجت بعثمان بن عفان رضى الله عنه، و ماتت في أواخر رمضان سنة اثنتين من الهجرة، (٤) ففاطمة. و هي سيدة  
نساء العالمين، ولدت قبل الهجرة باثنتي عشرة سنة تزوجها علي بن أبي طالب في أوائل المحرم سنة اثنتين من الهجرة، و هي أم  
الحسن و الحسين رضى الله عنهم جميعاً، و توفيت ثالث رمضان سنة إحدى عشر من الهجرة، أى توفيت فاطمة بعد وفاة أبيها رسول  
الله صلى الله عليه و سلم بستة أشهر على الأصح، (٥) فأم كلثوم. تزوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه بعد موت أختها رقية سنة  
ثلاث من الهجرة، و لذلك يلقب عثمان بذي النورين، و توفيت في شعبان سنة تسع من الهجرة، (٦) فعبدة الله. ولد بمكة و مات  
صغيراً، و يلقب بالطيب و الطاهر، (٧) فإبراهيم. و هو من مارية القبطية، ولد في ذي الحجة من السنة الثامنة للهجرة، و حين ولادته قال  
صلى الله عليه و سلم: «ولد لى الليلة غلام فسميته باسم أبى إبراهيم، و توفى إبراهيم لعشر ليال خلون من ربيع الأول فى السنة العاشرة  
من الهجرة و دفن بالقيع، فكان عمره نحو ثمانية عشر شهراً»، و لما توفى قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن إبراهيم ابنى و إنه  
مات فى الثدى، و إن له لظئرين يكملان رضاعه فى الجنة»، رواه مسلم فى صحيحه.

و قال عليه الصلاة و السلام: «و إنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»، رواه الشيخان. و سبب ذلك كما فى الصحيحين و اللفظ للبخارى  
عن رواية أنس بن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٥٤

مالك رضى الله عنه قال: «دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم على أبى سيف القين و كان ظئراً لإبراهيم، فأخذ رسول الله صلى  
الله عليه و سلم إبراهيم قبله و شمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك و إبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه و سلم  
تذرفان، فقال عبد الرحمن بن عوف: و أنت يا رسول الله، فقال: يا ابن عوف إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى، فقال: صلى الله عليه و سلم:  
إن العين تدمع و القلب يحزن و لا نقول إلا ما يرضى ربنا، و إنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

### كيفية بدء الوحي

ننقل هنا ما ذكرناه عن بدء الوحي فى كتابنا "تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه" المطبوع للمرة الثانية بمطبعة و مكتبة مصطفى  
البابى الحلبي و أولاده بمصر القاهرة- فقد ذكرنا فيه ما نصه:

جاء فى صحيح البخارى فى أول الجزء الأول منه ما نصه:- عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول  
الله صلى الله عليه و سلم من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حيب إليه الخلاء، و كان

يخلو بغار حراء فيتحنث فيه و هو التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله و يتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق و هو فى غار حراء، فجاء الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقرأ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ فرجع بها رسول الله صلى الله عليه و سلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها، فقال: زملونى، زملونى - فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة و أخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسى، فقالت خديجة: كلا و الله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، و تحمل الكل، و تكسب المعدوم، و تقرى الضيف، و تعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، و كان امرأ تنصر فى الجاهلية، و كان يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب و كان شيخا كبيرا قد عمى، فقالت له

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٥٥

خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخى ماذا ترى، فأخبره رسول الله صلى الله عليه و سلم، خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذى نزل الله على موسى، يا ليتنى فيها جذعا ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أو مخرجى هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، و إن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفى، و فتر الوحي» ا.هـ من البخارى.

(أما تاريخ بدء الوحي) فإنه صلى الله عليه و سلم بينما كان يتعبد بغار حراء بمكة، إذ جاءه الوحي فى يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان للسنة الحادية و الأربعين من ميلاد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هو يوافق ٦ اغسطس سنة ٦١٠ ميلادية، فيكون عمره إذ ذاك بالضبط أربعين سنة قمرية و ستة أشهر و ثمانية أيام. و ذلك نحو ٣٩ سنة شمسية و ثلاثة أشهر و ثمانية أيام- انتهى من كتابنا " تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه."

## كيفية نزول الوحي و نزول القرآن

ذكرنا فى كتابنا "تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه" المطبوع بمطبعة مصطفى البابى الحلبي و أولاده بمصر- ما يأتى: كان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه و سلم فى مكة و المدينة و فى غيرهما و فى أوقات مختلفة من ليل أو نهار، و فى الحالات كلها راكبا و جالسا، و فى بيته و فى غير بيته، و على فراش زوجته أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها. و لقد كان صلى الله عليه و سلم إذا نزل عليه الوحي يجد له مشقة و كرها لثقل ما يلقى عليه، قال تعالى: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا- قال العلامة العيني فى أول شرحه على البخارى: و لذلك كان يعتربه مثل حال المحموم، كما روى أنه كان يأخذه عند الوحي الرخصاء، أى البهر و العرق من الشدة، و لذلك كان جبينه يتفصد عرقا كما يفصد، و قد ذكر البخارى فى حديث يعلى بن أمية " فأدخل رأسه- فإذا رسول الله صلى الله عليه و سلم محمر الوجه و هو يغطى ثم سرى عنه. " و منه فى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: «كان نبي الله عليه الصلاة و السلام إذا أنزل عليه كرب لذلك و تربد وجهه»، و فى حديث الإفك قالت عائشة رضى الله عنها:

«فأخذه ما كان يأخذه فى البرحاء عند الوحي، حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٥٦

من العرق فى اليوم الشاتى، من ثقل القول الذى أنزل عليه»، و فى الخبر: «إن النبي صلى الله عليه و سلم كان إذا أوحى إليه و هو على ناقته وضعت جرائنها- يعنى صدرها- على الأرض، فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه». و أوحى إليه صلى الله عليه و سلم و

فخذه على فخذ زيد بن ثابت فكادت أن ترض فخذ زيد.

و جاء في أول صحيح البخارى فى باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول الله جل ذكره: **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ** و بعد حديث: «إنما الأعمال بالنيات ... الخ» ما نصه:

حدثنا عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها، أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نصه:

أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس و هو أشده على فيفصم عنى و قد وعيت عنه ما قال: و أحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول، قالت عائشة رضى الله عنها: و لقد رأيتة ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، و إن جبينه ليتفصد عرقا<sup>١</sup> ه. قال العلامة العيني فى شرحه على صحيح البخارى عند هذا الحديث، عند بيان إتيان الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نصه:

قوله الوحي قد فسرناه فيما مضى، و لنذكر ههنا أقسامه و صورته.

(أما أقسامه) فى حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فعلى ثلاثة أضرب:

(أحدها) سماع الكلام القديم؛ كسماع موسى عليه السلام بنص القرآن، و نبينا صلى الله عليه وسلم بصحيح الآثار.

(الثانى) وحي رسالة بواسطة الملك.

(الثالث) وحي تلق بالقلب لقوله عليه الصلاة و السلام: **إن روح القدس نفث فى روعى: أى فى نفسى.** و قيل كان هذا حال داود عليه السلام. و الوحي إلى غير الأنبياء عليهم الصلاة و السلام بمعنى الإلهام؛ كالوحي إلى النحل.

(و أما صورته) على ما ذكره السهيلي فسبعة:

(الأولى) المنام كما جاء فى الحديث.

(الثانية) أن يأتيه الوحي مثل صلصلة الجرس كما جاء فيه أيضا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٥٧

(الثالثة) أن ينث فى روعه بالوحي.

(الرابعة) أن يتمثل له الملك رجلا كما فى هذا الحديث، و قد كان يأتيه فى صورة دحية، قلت: اختصاص تمثله بصورة دحية دون غيره من الصحابة؛ لكونه أحسن أهل زمانه صورة، و لهذا كان يمشى مثلثا خوفا أن يفتتن به النساء.

(الخامسة) أن يترائى له جبريل عليه السلام فى صورته التى خلقها الله تعالى له بستمائه جناح ينتشر منها اللؤلؤ و الياقوت.

(السادسة) أن يكلمه الله تعالى من وراء حجاب، إما فى اليقظة كليله الإسراء، أو فى النوم كما جاء فى الترمذى مرفوعا: «أتانى ربي فى أحسن صورة، فقال: فيم يختصم الملاء الأعلى» الحديث. و حديث عائشة الآتى ذكره:

«فجاء الملك فقال: اقرأ» ظاهره أن ذلك كان يقظة، و فى السيرة: «فأتانى و أنا نائم»، و يمكن الجمع بأنه جاء أولا مناما توطئة و تسييرا عليه و ترفقا به. و فى صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما: «مكث عليه الصلاة و السلام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت و يرى الضوء سبع سنين و لا يرى شيئا، و ثمان سنين يوحى إليه».

(السابعة) وحي إسرافيل عليه السلام كما جاء عن الشعبي «أن النبى صلى الله عليه وسلم و كل به إسرافيل عليه السلام فكان يترائى له ثلاث سنين، و يأتيه بالكلمة من الوحي و الشىء، ثم و كل به جبريل عليه السلام».

و فى مسند أحمد بإسناد صحيح عن الشعبي «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت عليه النبوة و هو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته إسرافيل عليه السلام ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة و الشىء و لم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه

السلام، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، عشرين بمكة وعشرا بالمدينة، فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة». وأنكر الواقدي وغيره كونه و كل به غير جبريل عليه السلام.

وقال أحمد بن محمد البغدادي: أكثر ما كان في الشريعة مما أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام، انتهى من شرح العيني.

ولقد نظم هذه الصور السبعة العلامة الإمام ابن المختار الجكني الشنقيطي أحد علماء القرن الثاني عشر للهجرة فقال:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٥٨ قد أنزل الوحي على سبع صور على النبي من منزل السور

منهن أولاهن و هي الرؤيا أو أن أنشا يتلقى الوحي

منها ترائي ملكك الصور الرضى منها ترائي جبرئيل المرتضى

في الصورة التي عليها برأه باريه ذا أجنحة ستمائة

ينتشر اللؤلؤ و الياقوت منها و تعي دونها النعوت

منهن تكليم الإله من وراحجاب النبي أشرف الوري

و النفث في الروح و مثل الصلصلة ثتان من صور هذه السلسلة

تمثل الروح الأمين رجلا للمصطفى العد بها قد كملا

جاء السهيلي بكل صوره منهن عن خير الوري مأثوره

جمعها في روضة الروض الأنف فيلقطفها من هناك المقتطف

و أما نزول القرآن، فقد جاء في تفسير ابن كثير عند قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ آيَةً مَلْخُصَةً. روى الإمام أحمد بن حنبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضيعين من رمضان، والإنجيل ثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»، وفي حديث جابر بن عبد الله: «إن الزبور أنزل لثنتي عشرة خلت من رمضان، والإنجيل لثمان عشرة»، و الباقي كما تقدم.

وقال إسرائيل عن السدي عن محمد بن أبي المجالد عن مقسم، عن ابن عباس، أنه سأل عطية الأسود فقال: وقع في قلبي الشك في قول الله تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وقوله: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ، وقوله:

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وقد أنزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي المحرم و صفر و شهر ربيع، فقال ابن عباس: إنه أنزل في ليلة القدر و ليلة و في ليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم ترتيبا في الشهور و الأيام، و في رواية سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: «أنزل القرآن في النصف الثاني من شهر رمضان إلى سماء الدنيا، فجعل في بيت العزة، ثم أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة لجواب كلام الناس».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٥٩

و في رواية عكرمة عن ابن عباس، قال: «نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر إلى هذه السماء الدنيا جملة واحدة، و كان الله يحدث لنبه ما يشاء، و لا يجيء المشركون بمثل يخاصمون به إلا جاءهم الله بجوابه و ذلك قوله: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا\* وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا» هـ. من تفسير ابن كثير.

انتهى نقل ما تقدم من كتابنا "تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه"، و نكتفي بما ذكرناه هنا عن كل ما يتعلق بالقرآن العظيم من جميع النواحي، حتى لا يطول بنا المقام، و من أراد زيادة البحث فعليه بكتابنا المذكور ففيه ما يشفي الفؤاد.

لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ \* قُمْ فَأَنْذِرْ \* وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ \* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ \* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ \* وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ \* وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ، قام صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى عبادة الله أولاً سرا.

فكان أول من أسلم زوجته خديجة، وابن عمه على بن أبي طالب، فقد كان مقيماً عنده يطعمه و يسقيه و يقيم بأمره، و مولاه زيد بن حارثة و يقال له زيد بن محمد، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما اشتراه أعتقه و تبناه، و حاضنته صلى الله عليه وسلم أم أيمن التي زوجها لمولاه زيد، و أول من أجابه من غير أهل بيته أبو بكر الصديق، و كان صديقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة. و قد دعا أبو بكر إلى الإسلام من يثق به من رجال قريش، فأجابه جمع (منهم): عثمان بن عفان، و الزبير بن العوام، و عبد الرحمن بن عوف، و سعد بن أبي وقاص، و طلحة بن عبيد الله، و صهيب الرومي، و عمار بن ياسر، و أبوه و أمه، و عبد الله بن مسعود، و أبو ذر الغفاري، و سعيد بن العدوي القرشي و زوجته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر، و أم الفضل لبابته بنت الحارث الهلالية زوج العباس بن عبد المطلب، و عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، و أبو سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم و زوجته أم سلمة، و عثمان بن مظعون الجمحي القرشي، و أخواه قدامة و عبد الله، و الأرقم ابن أبي الأرقم المخزومي القرشي، و خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، و أخوه عمر بن سعيد، و غيرهم رضى الله تعالى عنهم أجمعين، و أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى دار الأرقم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٦٠

و لما كان هؤلاء السعداء لا بد لهم من تعليمهم و إرشادهم، فقد اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم المذكور هنا للاجتماع بهم، و كانت هذه الدار بأول الصفا، و سنتكلم عنها إن شاء الله تعالى.

### الجهر بالدعوة

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو سرا إلى عبادة الله تعالى فى أول الأمر، و لا يظهر الدعوة فى مجامع قريش، حتى نزل عليه قوله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَاَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ فعندئذ جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة، فصعد على الصفا و جعل ينادى: يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون قريش، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج بنفسه أرسل رسولا لينظر له الخبر، فجاء أبو لهب بن عبد المطلب و غيره من قريش، فقال عليه الصلاة و السلام: أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي. قالوا: نعم ما جربنا عليك كذبا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك، ألهذا جمعتنا، فأنزل الله تعالى فى شأنه: نَبَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ \* مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَا مَا كَسَبَ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ.

ثم نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: وَاَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الْاَقْرَبِيْنَ و هم (بنو هاشم، و بنو المطلب، و بنو نوفل، و بنو عبد شمس أولاد عبد مناف) فجمعهم النبي صلى الله عليه وسلم، و قال لهم: إن الرائد لا يكذب أهله، و الله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم، و لو غررت الناس جميعا ما غررتكم، و الله الذى لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة و إلى الناس كافة، و لتجزون بالإحسان إحسانا و بالسوء سوءا، و إنها لجنه أبدا أو نار أبدا. فتكلم القوم كلاما لينا غير عمه أبي لهب فإنه قال: خذوا على يديه قبل أن تجتمع عليه العرب، فإن سلمتموه إذا ذلتم، و إن منعموه قتلتم، فقال أبو طالب: و الله لنمنعه ما بقينا. ثم انصرف الجمع.

و بسبب الجهر بالدعوة لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أذى كثيرا، و كان بعض هذا الأذى سببا فى إسلام عمه حمزة بن عبد المطلب، فكان يناصر المسلمين و يشتد على أعداء الدين.

فلما ازداد الأذى من المشركين بسبب الدعوة، أذن الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة المنورة، بعد أن مكث بمكة ثلاثة عشر سنة يدعو إلى الله

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٦١

تعالى، و لا نريد إطالة البحث و الكلام فيما لقيه النبي صلى الله عليه و سلم و المسلمون من أذى قريش بالتفصيل، فإن كل ذلك يعلم من السيرة النبوية، و إنما نأتى بتفصيل الهجرة إلى المدينة المنورة إن شاء الله تعالى؛ لما فى ذلك من الفوائد الجمّة.

### حصار النبي صلى الله عليه و سلم بشعب على بسوق الليل بمكة

قال الخضرى رحمه الله تعالى فى كتابه "نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين" صلى الله عليه و سلم ما يأتى: لما ضاقت الحيل بكفار قريش عرضوا على بنى عبد مناف الذين منهم الرسول عليه السلام دية مضاعفة و يسلمونه فأبوا عليهم ذلك، ثم عرضوا على أبى طالب أن يعطوه سيدا من شبانهم يتبناه و يسلم إليهم ابن أخيه، فقال:

عجبا لكم تعطونى ابنكم أغذوه لكم و أعطىكم ابنى تقتلونه؟.

فلما رأوا ذلك أجمعوا أمرهم على منابذة بنى هاشم و بنى المطلب ولدى عبد مناف و إخراجهم من مكة و التضيق عليهم فلا يبيعونهم شيئا و لا يبتاعون منهم حتى يسلموا محمدا للقتل. و كتبوا بذلك صحيفة وضعوها فى جوف الكعبة، فانحاز بنو هاشم بسبب ذلك فى شعب أبى طالب و دخل معهم بنو المطلب سواء فى ذلك مسلمهم و كافرهم ما عدا أبا لهب، فإنه كان مع قريش، و انخزل عنهم بنو عميهم عبد شمس و نوفل ابنى عبد مناف، فجهد القوم حتى كانوا يأكلون ورق الشجر، و كان أعداؤهم يمنعون التجار من مبيعاتهم و فى مقدمة المانعين أبو لهب. انتهى من نور اليقين.

و لما قال أشرف مكة لأبى طالب: إما أن تخلى بيننا و بينه فنكفيكه، فإنك على مثل ما نحن عليه، أو اجمع لحربنا، فإننا لسنا بتاركى ابن أخيك على هذا، حتى نهلكه أو يكف عنا، فقد طلبنا التخلص من حربك بكل ما نظن أنه يخلص.

بعث أبو طالب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال له: يا ابن أخى، إن قومك جاؤنى و قالوا كذا و كذا، فأبق على و على نفسك و لا تحملنى ما لا أطيق أنا و لا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك، فقال صلى الله عليه و سلم: «و الله لو وضعوا الشمس فى يمينى و القمر فى يسارى، ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبه» فقال: امض على أمرك، فو الله لا أسلمك أبدا.

و دعا أبو طالب أقرابه إلى نصرته فأجابوه بنو هاشم، و بنو المطلب، غير أبى لهب، و قال أبو طالب:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٦٢ و الله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة و أبشر و قر بذاك منك عيونا

و دعوتنى و عرفت أنك ناصحى و لقد صدقت و كنت ثم أمينا

و عرضت دينا قد عرفت بأنه من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتنى سمحا بذاك مينا

و قال أبو طالب أيضا فى حصارهم قصيدته اللامية المشهورة التى أولها:

و لما رأيت القوم لا ود فيهمو و قد قطعوا كل العرى و الوسائل

و قد صارحونا بالعداوة و الأذى و قد طاعوا أمر العدو المزاول

صبرت لهم نفسى بسمرء سمحة و أبيض غضب من تراث المقاول

و أحضرت عند البيت رهطى و أسرته و أمسكت من أثوابه بالوسائل

أعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو ملح بباطل

إلى آخر هذه القصيدة الطويلة الشهيرة.

## نقض الصحيفة التي كتبها كفار قريش

ثم قال الخضرى فى كتابه "نور اليقين" ما يأتى: و قد قام خمسـه من أشرف قريش يطالبون بنقض هذه الصحيفة الظالمـه و هم (هشام بن عمرو بن الحارث العامرى و هو أعظمهم فى ذلك بلاء، و زهير بن أبى أمية المخزومى ابن عمـه الرسول عاتكـه، و المطعم بن عدى النوفلى، و أبو البخترى ابن هشام الأسدى، و زمعه بن الأسود الأسدى)، و اتفقوا على ذلك ليلا، فلما أصبحوا غدا زهير و عليه حلـه فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس، فقال: يا أهل مكة أأكل الطعام و نلبس الثياب و بنو هاشم و المطلب هلـكى لا يبيعون و لا يبتاعون! و الله لا أقعد حتى تشق الصحيفة الظالمـه القاطعه. فقال أبو جهل: كذبت، فقال زمعه لأبى جهل: أنت و الله أكذب! ما رضينا كتابتها حين كتبت، فقال أبو البخترى:

صدق زمعه، و قال المطعم بن عدى: صدقتما و كذب من قال غير ذلك. و صدق على ما قال هشام بن عمرو، فقام إليه المطعم بن عدى فشقاها. و كانت الأرضه قد أكلتها فلم يبق فيها إلا ما فيه اسم الله، و قد أخبر النبى عليه السلام عمه أبا التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٦٣

طالب بذلك قبل أن يفعل ما ذكر، فخرج القوم إلى مساكنهم بعد هذه الشده.

انتهى من نور اليقين.

جاء فى شرح زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم عند حديث: «لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه- يعنى أبا طالب» رواه البخارى و مسلم- ما نصه:

قوله: «لعله تنفعه شفاعتى ... الخ»- الضمير فيه لأبى طالب عم النبى صلى الله عليه و سلم كما بيناه بقولنا: يعنى أبا طالب و اسم أبى طالب عبد مناف و هو شقيق عبد الله والد النبى صلى الله عليه و سلم، و هو كافل النبى صلى الله عليه و سلم بعد موت جده عبد المطلب، و أما والده عبد الله فتوفى عنه فى بطن أمه آمنه بنت وهب على الصحيح، فلما ولد النبى عليه و على آله و أصحابه الصلاة و السلام كفله جده عبد المطلب إلى أن توفى، فكفله أبو طالب و كان يحبه و يحوطه إلى أن بعثه الله تعالى فنصره و أجاره ممن يريد إساءته، و عادى فيه قريشا و العرب، و ناصبوه كى يسلمه إليهم فأبى، فتحالت قريش و كنانة على بنى هاشم و بنى المطلب، أن لا يناكحهم و لا- يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبى صلى الله عليه و سلم، و فى السيره و كتبوا بذلك كتابا بخط بغيض بن عامر بن هاشم، و علقوه فى جوف الكعبه و تمادوا على العمل بما فيه من ذلك ثلاث سنين، و اشتد البلاء على بنى هاشم فى شعبهم و على كل من معهم، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم قوم من قصى ممن ولدتهم بنو هاشم و من سواهم، فأجمعوا أمرهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر و البراءة، و بعث الله على صحيفتهم الأرضه، فأكلت و لحست ما فيها من ميثاق و عهد، و بقى ما كان فيها من ذكر الله عز و جل، و أطلع الله تعالى نبيه على ذلك فأخبر عمه أبا طالب بذلك، فقال: أربك أخبرك بذلك، قال: نعم، فقال أبو طالب: لا- و الثواب ما كذبتى، ثم خرج أبو طالب، فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخى أخبرنى أن الله عز و جل قد سلط على صحيفتكم الأرضه فإن كان كما يقول، فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا، و إن كان الذى يقول باطلا دفعا إليكم صاحبنا قتلتم أو استحييتم، فقالوا: قد رضينا بالذى تقول. ففتحوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر، فقالوا: هذا سحر ابن أخيك، و زادهم ذلك بغيا و عدوانا، فنقض الله سبحانه أمر الصحيفة و أظهر أمر نبيه عليه الصلاة و السلام على ما هو مذكور فى كتب الحديث و السير.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٦٤

## بعض ما لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من التعب والمشقة فى سبيل الدعوة إلى الله تعالى

لما بعث الله تبارك و تعالى نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم ليدعو الناس إلى عبادة الله تعالى و هجر الأصنام و نبذها، قام بامثال

أمر ربه خير قيام، فجهر بالدعوة و دعا الناس إلى الإيمان و الإسلام، و دعاهم بقلب ثابت و جنان قوى، لأن الله تعالى قد شرح صدره لذلك فلا يبالي بالعقبات التي تعترضه و كيف يبالي بشيء و هو المؤيد من الله العزيز الحكيم.

لما قام رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعو قريشا إلى عبادة الله تعالى و ترك عبادة الأصنام، تظاهروا له بالعداوة الشديدة، و صاروا يؤذونه بمختلف أنواع الإيذاء و العداء من قول أو فعل، و لسنا الآن فى صدد بيان كل ذلك بالتفصيل، و لكن نذكر حادثه واحده من ذلك فنقول و بالله التوفيق:

لما جهر رسول الله صلى الله عليه و سلم بالدعوة قامت قريش فى وجهه يردون عليه و يأذونه أشد الإيذاء، و أحيانا يعرضون عليه الرئاسة و الأموال ليردع و لا يبطل اعتقاداتهم و لا يسب آلهتهم، لكنه صلى الله عليه و سلم كان صلبا قويا فى الدعوة، لا تغره الرئاسة و الأموال، و لا يخشى عداوة قومه، بل يمضى فى الدعوة بهمة و عزم، لا يطرقة الكلل و لا الملل.

لما رأى المشركون أنه صلى الله عليه و سلم لا تلين قناته و لا يخشى بأسه و لا يرغب فى الأموال و الرئاسة، أرادوا أن يضيقوا عليه و على آله أشد الضيق، فذهبوا إلى عمه أبى طالب الذى أخذ على نفسه حمايته من أعدائه و هو يومئذ سيد بنى هاشم، فطلبوا منه إما أن يكف ابن أخيه عنهم، و إما أن يخلى بينهم و بينه، فردهم أبو طالب ردا جميلا، فانصرفوا عنه، ثم إن أبى طالب قال لابن أخيه "محمد" صلى الله عليه و سلم: يا ابن أخى إن القوم جاءونى فقالوا لى كذا، فابق على نفسك و لا تحملنى من الأمر ما لا أطيق. فظن الرسول أن عمه خاذله فقال: و الله يا عم لو وضعا الشمس فى يمينى و القمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه، ثم بكى و لى، فقال أبو طالب: أقبل يا ابن أخى، فأقبل عليه فقال: اذهب فقل ما أحببت و الله لا أسلمك. هـ.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٦٥

هذا و لما رأت قريش أنهم عجزوا عن رد رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الدعوة، أجمعوا أمرهم على منابذة بنى هاشم و بنى المطلب و لى عبد مناف، و إخراجهم من بطن مكة و التضيق عليهم فلا يتعاملون معهم بشيء، فلا يبيعونهم شيئا و لا يتعاونون منهم حتى يسلموا "محمد" صلى الله عليه و سلم للقتل، و كتبوا بذلك صحيفة وضعوها فى جوف الكعبة المعظمة، فانحاز بنو هاشم بسبب ذلك فى شعب أبى طالب، و هو المعروف اليوم "بشعب على"، و دخل معهم بنو المطلب سواء فى ذلك مسلمهم و كافرهم ما عدا أبى لهب، فإنه كان مع قريش، فلما انفصلوا عن قريش بالشعب المذكور، جهد القوم جهدا عظيما و تعبوا تعباً شديدا حتى أكلوا أوراق الأشجار، لأن قريشا شددوا الحصار عليهم، و كان ذلك فى السنة السابعة من البعثة، و مكثوا على هذا الحال من الضيق و التعب الشديد ثلاث سنوات.

ثم قام خمسة من أشرف قريش و عقلائهم يطالبون بنقض هذه الصحيفة منهم زهير ابن أبى أمية المخزومي ابن عاتكة عمه رسول الله صلى الله عليه و سلم، فغدا من الصباح إلى المسجد الحرام و قد لبس حلته الجميلة، فطاف بالبيت ثم أقبل على قريش، فقال: يا أهل مكة، أناكل الطعام و نلبس الثياب و بنو هاشم و بنو المطلب هلكى لا يبيعون و لا يتعاونون، و الله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة "أى قاطعة للرحمة و المحبة". فقال أبو جهل: كذبت، فقال زمعة لأبى جهل: أنت و الله أكذب، إننا ما رضينا حين كتابتها، فقال أبو البخترى: صدق زمعة، و قال المطعم بن عدى: صدقتما و كذب من قال غير ذلك. و صدق على ما قال هشام ابن عمرو، فقام إليها المطعم بن عدى فشقها، و كانت الأرضة قد أكلتها فلم يبق فيها إلا ما فيه اسم الله، و قد أخبر النبى صلى الله عليه و سلم عمه أبى طالب بذلك قبل أن يفعل ما ذكر. فخرج القوم إلى مساكنهم بعد هذه الشدة، و جاء الفرج و النصر من الله عز و جل.

فانظر رحمة الله تعالى و إياك إلى ما لقيه رسول الله صلى الله عليه و سلم من الإيذاء و البلاء و التعب و الشدة، فى سبيل الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، و هو أكرم على الله عز و جل الذى له ملك السموات و الأرض، فهل نحن لقينا من الشدة و البلاء، ما أكلنا فى يوم من الأيام أوراق الشجر، أو نمنا فى العراء على الحجر؟ كلا و الله. فالأنبياء عليهم الصلاة و السلام لهم من



المنزلة السامية و المكانة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٦٦

الرفيعة عند الله عز و جل ما لا تدركة عقولنا المحدودة، اللهم صل على عبدك و نبيك "محمد" و على آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا، و الحمد لله رب العالمين.

و لقد قال أبو طالب حينما كان هو و صحبه بالشعب مع رسول الله صلى الله عليه و سلم قصيدة عصماء ذكرها صاحب مرآة الحرمين إبراهيم رفعت باشا رحمه الله تعالى بعنوان "القصيدة الشعبية" بكسر الشين المعجمة نسبة إلى شعب علي و نحب أن نقل نص ما ذكره في كتابه المذكور و هو هذا:

### القصيدة الشعبية

قال هذه القصيدة أبو طالب عم النبي صلى الله عليه و سلم في الشعب و هو شعب أبي طالب الذي آوى إليه بنو المطلب و بنو هاشم مع رسول الله صلى الله عليه و سلم لما تحالفت عليهم قريش و كتبوا الصحيفة، تعاقدت فيها على مقاطعتهم حتى يسلموا لهم محمدا صلى الله عليه و سلم، و ذلك سنة سبع من النبوة، و علقوا هذه الصحيفة في الكعبة، و كتب هذه الصحيفة منصور بن عكرمة بن هشام فشلت يده.

فمكثوا بالشعب سنتين أو أكثر لا يصل إليهم شيء إلا سرا، و لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم، ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم أبا طالب بأن الله تعالى قد أوحى إليه أنه سلب الأرضة على الصحيفة، فأكلت جميع ما فيها من الظلم و القطيعة و لم تدع غير اسم الله، فوجدوها كذلك و خرجوا من الشعب.

و اسم أبي طالب عبد مناف و اشتهر بكنته، و قد كفل رسول الله صلى الله عليه و سلم و ضمه إليه و عمره الشريف ثمان سنين، بوصاية جده عبد المطلب، و سافر به إلى الشام و هو في الثالثة عشرة من عمره، و لما بعث عليه الصلاة و السلام قام بنصرتة و ذب عنه و مدحه عدة مدائح. فمن قوله:

و دعوتني و زعمت أنك صادق و لقد صدقت و كنت قبل أمينا  
و لقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا  
و مما قاله في الشعب:

ألا أبلغا عنى على ذات بيننا لؤيا و خصا من لؤى بنى كعب  
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدانينا كموسى خط فى أول الكتب  
و إليك قصيدة أبي طالب التي قالها حينما كانوا في الشعب:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٦٧ خليلي ما إذنى لأول عاذل بصغواء فى حق و لا عند باطل

خليلي إن رأى ليس بشركه و لا نهنه عند الأمور البلايل  
رأيت القوم لا ودّ عندهم و قد قطعوا كل العرى و الوسائل  
و قد صارحونا بالعداوة و الأذى و قد طاوعوا أمر العدو المزابل  
و قد حالفوا قوما علينا أظنه يعضون غيظا خلفنا بالأنامل

صبرت لهم نفسى بسمرء سمحة و أبيض غضب من تراث المقاول  
و أحضرت عند البيت رهطى و إخوتى و أمسكت من أثوابه بالوصلات  
قياما معا مستقبلين رتاجه لى حيث يقضى خلفه كل نافل

أعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو ملح بباطل  
و من كاشح يسعى لنا بمعيبة و من ملحق في الدين ما لم نحاول  
و ثور و من أرسى ثبيراً مكانه و راق لبر في حراء و نازل  
و بالبيت حق البيت من بطن مكة و بالله: إن الله ليس بغافل  
و بالحجر المسود إذ يمسخونه إذا اكتنفوه بالضحي و الأصائل  
و موطئ إبراهيم في الصخر رطبه على قدميه حافيا غير ناعل  
و أشواط بين المروتين إلى الصفا ما فيهما من صورة و تماثل  
و من حج بيت الله من كل راكب و من كل ذي نذر و من كل راجل  
فهل بعد هذا من معاذ لعائذو هل من معيذ يتقى الله عادل  
يطاع بنا الأعداء و ودوا لو أناتسد أبواب ترك و كابل  
كذبتم و بيت الله نبزى محمدا و لما نطاعن دونه و نناضل  
و نسلمه حتى نصرع حوله و نذهل عن أبائنا و الحلائل  
و ينهض قوم في الحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل  
و حتى نرى ذا الضغن يركب رده من الطعن فعل الأنكب المتحامل  
و إنا لعمر الله إن جد ما أرى لتلتبس أسيفنا بالأمانل  
بكفى فتى مثل الشهاب سميذع أخى ثقة حامى الحقيقة باسل  
و ما ترك قوم لا أباً لك سيدا يحوط الذمار غير ذرب مواكل  
و أبيض يستسقى الغمام بوجهه شمال اليتامى عصمه للأرامل  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٦٨ يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في رحمة و فواضل  
جزى الله عنا عبد شمس و نوفلا عقوبة شر عاجل غير آجل  
بميزان قسط لا يخس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل  
و نحن الصميم من ذؤابة هاشم و آل قصى في الخطوب الأوائل  
و كل صديق و ابن أخت نعهده لعمري وجدنا غبه غير طائل  
سوى أن رهطاً من كلاب بن مرة براء إلينا من معقة خاذل  
و نعم ابن اخت القوم غير مكذب زهير حساما مفردا من حمائل  
أشم من الشم البهليل ينتمى إلى حسب في حومة المجد فاضل  
لعمري لقد كلفت و جدا بأحمد و إخواته دأب المحب المواصل  
فلا زال في الدنيا جمالا لأهلها و زينا لمن ولاه ذب المشاكل  
فمن مثله في الناس أى مؤمل إذا قاسه الحكام عند التفاضل  
حليم رشيد عادل غير طائش يوالى إليها ليس عنه بغافل  
فأيده رب العالمين بنصرة و أظهر دينا حقه غير ناضل  
فو الله لولا أن أجيء بسببة تجر على أشياخنا في القبائل  
لكننا اتبعناه على كل حالة من الدهر جدا غير قول التهازل

لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل فأصبح فينا أحمد في أرومة يقصر عنها سورة المتطاول حديث بنفسى دونه وحميته و دافعت عنه بالذرى و الكلاكل انتهى من كتاب مرآة الحرمين، و من أراد شرح بعض ألفاظ هذه القصيدة البليغة فليظنر فى الكتاب المذكور صحيفه (٦٤) من الجزء الثانى.

قال ابن كثير عن هذه القصيدة الشعبية: إنها قصيدة بليغة جدا لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه، وهى أفحل من المعلقات السبع و أبلغ فى تأديته المعنى. ١٥.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٦٩

### جدول الحوادث الواقعة فى سنوات الهجرة

فى بيان أشهر الحوادث التى وقعت من السنة الأولى لهجرة رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى حين وفاته. أما الإسراء و المعراج فكان قبل الهجرة و فيه فرضت الصلوات الخمس.

سنة الهجرة/ ذكر أشهر الحوادث الواقعة باختصار السنة الأولى/ بناء مسجده صلى الله عليه و سلم بالمدينة، و بدأ الأذان، و مشروعية القتال و بدؤه، و وفاة عثمان بن مظعون أخو رسول الله صلى الله عليه و سلم و غيره، و فى شوال من هذه السنة بنى رسول الله صلى الله عليه و سلم بعائشة بنت أبى بكر رضى الله عنهما، و كان سنهما تسع سنين، و كان قد تزوجها و عمرها ست سنين أو سبع، و فى هذه السنة أسلم سلمان الفارسى رضى الله عنه.

السنة الثانية/ غزوة بدر الكبرى، و تحويل القبلة، و جوب صوم رمضان و زكاة الفطر، و جوب زكاة الأموال، و مشروعية صلاة العيد، و زواج على بفاطمة رضى الله تعالى عنهما، و ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم زوجة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهما.

السنة الثالثة/ غزوة أحد، و فيها استشهاد حمزة رضى الله عنه، و حرمت الخمر، و زوج النبي صلى الله عليه و سلم بنته أم كلثوم لعثمان بن عفان رضى الله عنهما، و تزوج رسول الله صلى الله عليه و سلم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، و تزوج عليه الصلاة و السلام أيضا زينب بنت خزيمة الهلالية رضى الله عنها، و ولد الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما.

السنة الرابعة/ ولد الحسين بن على رضى الله عنهما، و توفيت أم المؤمنين زينب بن خزيمة، و تزوج صلى الله عليه و سلم أم سلمة هنداً بعد وفاة زوجها أبى سلمة، و فى ذى القعدة من هذه السنة رجم رسول الله صلى الله عليه و سلم اليهود و اليهودية بالزنا.

السنة الخامسة/ مشروعية فريضة الحج، و حصل حديث الإفك، و غزوة دومة الجندل، و غزوة بنى المصطلق، و غزوة الخندق، و غزوة بنى قريظة، و تزوج عليه الصلاة و السلام زينب بنت جحش،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٧٠

و نزلت آية الحجاب، و تزوج صلى الله عليه و سلم أيضا بريرة بنت الحارث سيد بنى المصطلق و سماها "جويرة" و نزلت آية التيمم. السنة السادسة/ غزوة الحديبية، و بيعه الرضوان، و صلح الحديبية، و مكاتبة النبي صلى الله عليه و سلم ملوك الأرض، و زيارة النبي صلى الله عليه و سلم قبر أمه، و استسقى رسول الله صلى الله عليه و سلم لما أجذب الناس فمطروا سبعة أيام بلياليهن.

السنة السابعة/ غزوة خيبر، و تزوج صلى الله عليه و سلم صفية بنت حبي سيد بنى النضير، و النهى عن نكاح المتعة، و النهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية، و رجع من هاجر إلى الحبشة و كان مع من رجع أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان و هى زوجة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و زوجته إياها خالد بن سعيد بن العاص بالحبشة، و أصدقها النجاشى عنه أربعمائة دينار، و هو الذى خطبها للنبي صلى الله

عليه و سلم، و أسلم خالد بن الوليد و عمرو بن العاص السهمي، و عثمان بن أبي طلحة العبدري، و حصل عمرة القضاء. و تزوج عليه الصلاة و السلام و هو بمكة ميمونة بنت الحارث الهلالية و لم يدخل بها إلا بعد خروجه من مكة في موضع يقال له سرف بين عسفان و قديد. و في هذه السنة اتخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم لنفسه خاتماً من فضة و نقش فيه محمد رسول الله و ذلك ليختتم به رسائل الملوك، و أسلم أبو هريرة رضي الله عنه.

و في هذه السنة أهدى المقوقس ملك الاسكندرية و مصر إلى النبي صلى الله عليه و سلم جملة أشياء - منها مارية و سيرين أختها و جارتان أخريان و خصى يقال له مأبور و ثياب و ألف مثقال من الذهب و فرس و بغلة يقال لها الدلال و حمار يقال له يعفور و غير ذلك.

السنة الثامنة/ فتح مكة شرفها الله تعالى - و ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان و غزوة حنين، و غزوة الطائف، و ماتت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أسلم حكيم بن حزام الذي ولد في الكعبة، و ولد لرسول الله صلى الله عليه و سلم إبراهيم من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٧١  
مارية القبطية و ذلك في ذى الحجة من هذه السنة.

السنة التاسعة/ غزوة تبوك، أرسل النبي صلى الله عليه و سلم أبا بكر رضي الله عنه في أواخر ذى القعدة ليحج بالناس - و نادى: أن لا يحج بعد هذا العام مشرك و لا يطوف بالبيت عريان، وفاة أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم و زوجة عثمان رضي الله عنه، و في هذه السنة ابتدأت قدوم وفود العرب إلى الرسول صلى الله عليه و سلم ليبايعوه على الإسلام، و في هذه السنة هجر النبي صلى الله عليه و سلم نساء شهراً.

السنة العاشرة/ حجة الوداع، وفاة إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه و سلم، و في هذه السنة كثرت وفود العرب على رسول الله صلى الله عليه و سلم و دخل الناس في دين الله أفواجا، و في هذه السنة طلع جبريل مجلس النبي صلى الله عليه و سلم في صورة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، طيب الرائحة، حسن الوجه، رآه كل من في المجلس، و سأل النبي صلى الله عليه و سلم عن الإيمان و الإسلام و الإحسان و القيامة و علامات الساعة.

السنة الحادية عشرة/ مرض رسول الله صلى الله عليه و سلم في أواخر شهر صفر، وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم في اليوم الثالث عشر من ربيع الأول، و ماتت بعده بستة أشهر على الأصح ابنته فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها، و بويع بالخليفة أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه و ذلك يوم قبض رسول الله صلى الله عليه و سلم.

### ابتداء مرضه صلى الله عليه و سلم

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم رسالته ربه إلى العالمين كافة، و لما أتم الله أحكام شريعته و أكمل دينه كما قال عز شأنه و جل جلاله هذه الآية التي أنزلت يوم عرفه في حجة الوداع: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** - كان من الفهم أن يرتاح هذا النبي العربي الكريم من تعب هذه الدنيا الفانية و عنائها، و أن يتنعم بجوار ربه العلي الأعلى و يحظى برضائه و جناته.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٧٢

فحينما نزلت هذه الآية، و نزلت بعدها سورة: **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ، عرف رسول الله صلى الله عليه و سلم أن حياته قد انتهت لم يبق منها إلا أيام قلائل، و قد عرض بذلك في إحدى خطبه، فقال: «إن عبداً خيره الله بين أن يؤتاه زهرة الدنيا و بين ما عنده فاختر ما عنده، فبكى أبو بكر و قال: يا رسول الله فديناك بآبائنا و أمهاتنا».**

فإذا كتب الموت على خير خلق الله سيد ولد آدم، فمن نكون نحن؟ اللهم اختم حياتنا بخير على ما تحبه و ترضى، على الإيمان الكامل و راحة تامة و نظافة كاملة بغير تعب و لا نصب بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين.

كان ابتداء مرضه صلى الله عليه و سلم فى أواخر شهر صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة فى بيت زوجته ميمونة، و استمر مريضا ثلاثة عشر يوما كان فى خلالها ينتقل إلى بيوت أزواجه، و لما اشتد عليه المرض استأذن منهن أن يمرض فى بيت زوجته عائشة بنت أبى بكر فأذن له، و لما دخل بيتها و اشتد عليه الوجع، قال: «هريقوا على من سبع قرب لم تحلل أو كيتهن لعلى أعهد إلى الناس فأجلس صلى الله عليه و سلم و صب عليه الماء لتخفيف حرارة الحمى».

و لما تعذر على رسول الله صلى الله عليه و سلم الخروج إلى الصلاة، قال: «مروا أبى بكر فليصل بالناس»، و لما رأى الأنصار اشتداد وجع صلى الله عليه و سلم أطافوا بالمسجد، فدخل العباس و أعلمه بمكانهم و إشفاقهم، فخرج صلى الله عليه و سلم متوكئا على على و الفضل، و تقدم العباس أمامهم و النبى معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس فى أسفل مرقاة المنبر، و ثار الناس إليه فحمد الله تعالى و أثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس بلغنى أنكم تخافون من موت نبيكم، هل خلد نبي قبلى فىمن بعث الله فأخلد فيكم، ألا إنى لا حق برى و إنكم لاحقون بى، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا، و أوصى المهاجرين فيما بينهم...» إلى آخر خطبته العظيمة صلى الله عليه و سلم.

و بينما المسلمون فى صلاة الفجر يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة يصلى بهم أبو بكر رضى الله تعالى عنه، إذا برسول الله صلى الله عليه و سلم، قد كشف سجف حجرة عائشة رضى الله عنها فنظر إليهم و هم فى صفوف الصلاة، ثم تبسم فنكص أبو بكر رضى الله عنه على عقبه ليصل الصف، و ظن أن رسول الله صلى الله عليه و سلم يريد أن يخرج إلى الصلاة، و هم المسلمون أن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٧٣

يفتتنوا فى صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه و سلم، فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة و أرحى الستر.

### وفاء رسول الله صلى الله عليه و سلم

و فى ضحى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة توفى رسول الله، صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم، أى فى مثل الوقت الذى دخل فيه المدينة المنورة، و قبض صلى الله عليه و سلم فى كساء ملبد، قال أبو بردة: أخرجت إلينا عائشة كساء ملبدا و إزارا غليظا، فقالت: قبض رسول الله صلى الله عليه و سلم فى هذين.

و لما توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم دهش الناس و طاقت عقولهم، فمنهم من خبل و منهم من أصمت، و منهم من أقعد إلى الأرض، فكان عمر بن الخطاب ممن خبل، فجعل يصيح و يقول: إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفى، و إنه و الله ما مات و لكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، و الله ليرجع رسول الله صلى الله عليه و سلم كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال و أرجلهم زعموا أن رسول الله مات.

و أما عثمان بن عفان فأخرس حتى يذهب به و يجاء و لا يتكلم إلا بعد الغد، و أقعد على بن أبى طالب فلم يستطع حراكا، و أضنى عبد الله بن أنيس، و لم يكن فهيم أثبت و أحزم من أبى بكر و العباس.

و كان أبو بكر غائبا بالسنح و هى منازل بنى الحارث من الخزرج بعوالى المدينة بينه و بين منزل النبى صلى الله عليه و سلم ميل، فأقبل على فرس، فلما أخبر الخبر دخل بيت عائشة و كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم فجثا يقبله و يبكى و يقول: توفى و الذى نفسى بيده، صلوات الله عليك يا رسول الله ما أطيبك حيا و ميتا، بأبى أنت و أمى لا يجمع الله عليك موتتين، ثم خرج فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: "ألا- من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، و من كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت،" ثم تلا قوله

تعالى: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ، وقوله عز شأنه: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٧٤

قال عمر: فكأنى لم أتل هذه الآية قط، ودفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قبض في حجرة عائشة رضى الله تعالى عنها، و أنزله في القبر على و العباس و ولداه الفضل و قثم، ورش بلال قبره بالماء. فيكون عمره عليه الصلاة و السلام ثلاثا و ستين سنة. اللهم صل على محمد و على آل محمد، كما صليت على إبراهيم و على آل إبراهيم، و بارك على محمد و على آل محمد كما باركت على إبراهيم و على آل إبراهيم، فى العالمين إنك حميد مجيد، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر و من عذاب النار و من فتنة المحيا و الممات، و من فتنة المسيح الدجال، اللهم اختم حياتنا بالأعمال الصالحات، و استرنا فى الحياة و بعد الممات، و ارزقنا علما غزيرا نافعا، و رزقا حلالا و اسعا بلا طغيان بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين. هذا خلاصة الكلام عن مرضه صلى الله عليه وسلم و وفاته و انظر تفصيل ذلك فيما يأتى.

### سورة النصر و نزولها بمنى فى حجة الوداع

نزلت بمنى فى حجة الوداع فتعد مدينة و هى آخر ما نزل من السور و آياتها (٣) نزلت بعد سورة (التوبة).

بسم الله الرحمن الرحيم، إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ\* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا\* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا.

قيل: إن هذه السورة آخر سورة نزلت يوم النحر، و النبي صلى الله عليه وسلم بمنى فى حجة الوداع- و للطبرانى من حديث جابر: «لما نزلت هذه السورة قال النبي صلى الله عليه وسلم:

نعيت إلى نفسى: فقال له جبريل: و للآخرة خير لك من الأولى. قالت أم سلمة رضى الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم فى آخر أمره لا يقوم و لا يقعد و لا يذهب و لا يجىء، إلا قال: سبحان الله و بحمده أستغفر الله و أتوب إليه. فقلت له: إنك تدعو بدعاء لم تكن تدعو به قبل اليوم. فقال: إن ربي أخبرنى سأرى علما فى أمتى، و أنى إذا رأيت أسبح بحمده و أستغفره، ثم تلا هذه السورة»- رواه ابن جرير و غيره.

لقد اتفق الصحابة رضى الله عنهم على أن هذه السورة دلت على نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى أنها حين نزلت قال عليه الصلاة و السلام: «نعيت إلى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٧٥

نفسى». و قال فى خطبته: «إن عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا و بين لقائه فاختر لقاء الله تعالى- فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه: فديناك بأنفسنا و أموالنا و آبائنا و أولادنا».

و معنى الآيات: إذا جاء نصر الله و الفتح لك "يا محمد" و دانت لك العرب- و تابعت الفتوحات عليك التى منها الفتح الأعظم، فتح مكة و بلدتك التى أخرجوك منها- و إذا رأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا و جماعات رغبة و حبا فى الإسلام، فاعلم أنه قد علا شأنك و انتشر دينك و جاء الحق و زهق الباطل- و بهذا تكون مهمتك النبوية قد انتهت- و تكون أنت قد أدت الأمانة و بلغت الرسالة، فلا خوف بعد موتك على دين الله تعالى أبدا- فلا يزال ينتشر فى جميع البلدان و يزحف على جميع البقاع و الأطراف، و يتتابع الناس فى الدخول فى دين الله أفواجا أفواجا إلى قيام الساعة- فحينئذ تفرغ لعبادة الله تعالى أكثر من حالتك الأولى استعدادا للقاء ربك- فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا حيث قد قرب أجلك و دنا ذهابك إلى الرفيق الأعلى.

و فى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها، قالت: «ما صلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه سورة: إذا

جاءَ نَصِيرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ - إلا يقول: أستغفر الله و أتوب إليه- قال: فإني أمرت بها- ثم قرأ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ إِلَى آخِرِهَا- و قال عكرمة: لم يكن النبي صلى الله عليه و سلم قط أشد اجتهادا في أمور الآخرة ما كان عند نزولها. و قال مقاتل: لما نزلت قرأها النبي صلى الله عليه و سلم على أصحابه و فيهم أبو بكر و عمر و سعد بن أبي وقاص و العباس، ففرحوا و استبشروا، و بكى العباس، فقال له النبي، صلى الله عليه و سلم: ما يبكيك يا عم؟ قال: نعت إليك نفسك، قال: إنه كما قلت، فعاش بعدها ستون يوما ما رؤى فيها ضاحكا. اهـ.

و قيل: عاش صلى الله عليه و سلم بعدها ثمانين يوما. انتهى.  
و المعقول أنه صلى الله عليه و سلم عاش بعد نزول هذه السورة اثنين و تسعين يوما، و ذلك من عاشر ذى الحجة، و هو تاريخ نزول هذه السورة إلى يوم وفاته صلى الله عليه و سلم في الثاني عشر من شهر ربيع الأول.  
و يؤخذ من هذه السورة المباركة الكريمة التي نزلت في حجة الوداع أن الناس قد دخلوا بالفعل في دين الله أفواجا أفواجا، فإن النصر العظيم لرسول الله صلى الله عليه و سلم في الفتح الأعظم و هو فتح مكة شرفها الله تعالى و أدام أمنها و خيرها و رخاءها-

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٧٦

الذي كان في رمضان في السنة الثامنة للهجرة، فلقد أقبل الناس من قريش و غيرهم يبائعون رسول الله صلى الله عليه و سلم و يدخلون في دين الله أفواجا أفواجا- و عندما نزلت هذه السورة في يوم النحر بمنى، و هو اليوم العاشر من ذى الحجة، و هو يوم عيد الأضحى المبارك، في حجة الوداع، كان عدد من حج من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه و سلم، في هذه الحجة مائة و عشرين ألفا و قيل أكثر من ذلك- و لم يكن معهم أحد من المشركين أبدا- ثم عقب هذه الحجة بنحو ثلاثة أشهر توفى رسول الله، صلى الله عليه و سلم. أليس هذا هو النصر المبين و الفتح الأعظم لنبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم، بعد أن كانت مكة و جميع البقاع ممتلئة بالمشركين و الكفار؟ بلا و الله- فسبحانه القادر على كل شيء الذي بيده ملكوت كل شيء.

كما يؤخذ من هذه السورة الكريمة و من حالة رسول الله صلى الله عليه و سلم، بعد نزولها عليه أنه ينبغي على كل مؤمن إذا كبرت سنه و بلغ حد الشيخوخة، أن لا يغفل عن ذكر الله سبحانه و تعالى، و أن يكثر من التسيب و الاستغفار في جميع حالاته، إذا تحرك أو سكن أو قام أو مشى أو أكثر من الكلام الفارغ- لأنه لا يدري متى تأتي منيته، فإذا ألف لسانه على ذكر الله تعالى، و على التسيب و التهليل و الاستغفار و الإنابة، فربما تأتي منيته و هو على هذه الحالة، فيكون سعيدا، فائزا برضاء الله عز و جل، و ما أبرك أن تأتي منية الإنسان و هو على أفضل حالة من الاشتغال بالتسيب و الاستغفار و العبادة- القلبية أو البدنية- نسأل الله تعالى أن يمتينا على أحسن الحالات على طهارة و نظافة و راحة تامة، و على الإيمان الكامل و اليقين التام- إنه سبحانه و تعالى أكرم مسئول و أعظم مأمول جل جلاله و لا إله غيره و الله أكبر.

و إليك مبحثا خاصا بالتفصيل في وفاته صلى الله عليه و سلم.

### فصل في وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم

إن في وفاة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام لعبرة و أى عبرة خصوصا في وفاة نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم و في دفنه و الصلاة عليه- فإذا كان خيار الخلق و صفوة الناس ذاقوا الموت و دفنوا تحت الثرى فهل مثلنا يبقى على وجه الأرض؟ كلا و الله كل من عليها فإن\* و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الأكرام فكل واحد منا يعيش إلى أجل معلوم فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٧٧

فسبحان من تفرد بالبقاء و سبحان من تعزز بالقدرة و سبحان من قهر العباد بالموت.

و إليك الكلام بالتفصيل عن وفاة نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم، فنقول و بالله التوفيق و نسأل الله الراحة عند الموت و العفو عند

الحساب إنه بعباده لطيف خبير.

(اعلم) رحمتنا الله و إياك أن رسول الله صلى الله عليه و سلم حج حجة الوداع- بفتح الواو، فى السنة العاشرة من الهجرة و خرج لها من المدينة لخمس بقين من ذى القعدة، و مكث فى الطريق ثمان ليال- و هى المسافة الوسطى بالجمال بين مكة و المدينة- و خرج معه صلى الله عليه و سلم تسعون ألفا و قيل مائة ألف و أربعة عشر ألفا و قيل أكثر- كما حكاه البيهقى- و كان وقوفه بعرفة يوم الجمعة كما ثبت و تواتر.

ثم بعد أن أدى صلى الله عليه و سلم مناسك الحج، و أقام بمكة عشرة أيام رجع إلى المدينة- و سميت حجة الوداع؛ لأنه صلى الله عليه و سلم توفى فلم يحج بعدها- و لقد كان عليه الصلاة و السلام عارفا بذلك- فإنه قال فى خطبته يوم عرفة: «أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم فإنى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا...»، إلى آخر خطبته العظيمة الشهيرة- و فى صحيح البخارى عن زيد بن أرقم أن النبى صلى الله عليه و سلم حج بعد ما هاجر حجة واحدة لم يحج بعدها و هى حجة الوداع. ١٠هـ. و قد فرض الحج فى أواخر السنة الخامسة و قيل فرض فى السنة السادسة.

ثم استقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم العام الحادى عشر من الهجرة فى المدينة، و فى اليوم السادس و العشرين من شهر صفر جهز رسول الله صلى الله عليه و سلم جيشا لغزو الشام و فيهم كبار المهاجرين و الأنصار، منهم أبو بكر و عمر و أبو عبيدة و سعد رضى الله تعالى عنهم- و ولى على هذا الجيش أسامة بن زيد و هو يومئذ فى السابعة عشرة من عمره رضى الله تعالى عنه- و لكن هذا الجيش لم يخرج فى عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم من المدينة بسبب بدء مرضه بل خرج بعد وفاته صلى الله عليه و سلم و بعد تولية أبى بكر رضى الله عنه، فإن أول عمل عمله أبو بكر بعد توليته أن سير جيش أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما، و خرج بنفسه يشيعه ماشيا و أسامة راكب- فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن، فقال أبو بكر: و الله ما نزلت و لا ركبت، و ما على أن أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله، فإن للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له و سبعمائة درجة ترفع له و سبعمائة سيئة تمحى عنه- ثم أوصاه و أصحابه- ثم قال أبو بكر لأسامة: رأيت أن تأذن لعمر بالمقام

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٧٨

عندى استأنس به و أستعين برأيه، فقال أسامة: قد فعلت. ثم سار أسامة رضى الله عنه لوجهه، فقاتل الروم و انتصر و هو وجيشه عليهم و رجعوا سالمين.

### ابتداء مرضه صلى الله عليه و سلم الذى قبض فيه

لا- يخفى أن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام هم من البشر يعرض عليهم ما يعرض على جميع الناس من الأمور العادية؛ كالأكل و الشرب و النوم و النكاح و الهم و الحزن و الفقر و المرض و الفرح و الغنى و الغضب و الرضا، و إنهم صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين يموتون كما يموت سائر الناس بعد أن يؤدوا رسالات ربهم على الوجه الأكمل.

غير أن الله عز و جل ميزهم عن الخلق بحفظهم من الحالات المزرية و من العاهات المنفرة و الأمراض الخبيثة، لأنهم من عباده الأخيار الذين اصطفاهم من العالمين. و كيف لا يكونون كذلك و هم سفراء الله الكبير المتعال بين خلقه أرسلهم مبشرين و منذرين ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور. و انظر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم حينما اشتد به وجعه و هو فى بيت عائشة فخافوا عليه أن يكون به ذات الجنب فلدوه و قد نهاهم عنه فلما أفاق قال لهم: «من صنع هذا؟ فقلن عمك العباس أمر بذلك و تخوفنا أن يكون بك ذات الجنب، فقال: إنها من الشيطان و لم يكن الله عز و جل ليسلطها على و لا ليرمىنى بها». فمن هنا تعلم أن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام محفوظون من الأمراض الخبيثة و العلل المستعصية، فإذا كان سفراء الدول و الحكومات يمتازون بجمال الخلق و الأخلاق، و العلم و الثقافة و المكارم و النبل- فرسل الله تعالى يمتازون عن سائر المخلوقات بكل الأوصاف الحميدة و الأخلاق النبيلة و الخلقة



التي لا تشوبها شائبة من باب أولى - وإنهم ليتقبلون في نعم الله و يتحصنون بحفظ الله، و يعتصمون بقوة الله و رعايته و عنايته. فمن أطفاف الله عز و جل بهم أنه إذا اختارهم للقاءه جعل لموتهم، عليهم الصلاة و السلام، أسبابا خفيفة و نزع عن قلوبهم رهبة الموت، فلا يبالون في أى وقت جائهم بل إنهم يحبون الموت و يختارون لقاء الله تعالى على هذه الحياة الدنيا الفانية الخسيسة - ففي صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا أو يخير». فانظر إلى قوله صلى الله عليه و سلم: «إن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٧٩

عبدا خيره الله بين أن يؤتیه من زهرة الدنيا ما شاء و بين ما عنده، فاختار ما عنده» - إلى آخر ما جاء في صحيح البخارى فى أوائل باب الهجرة. و انظر أيضا إلى قوله عليه السلام حينما نزلت سورة النصر: «نعت إلى نفسى» كما تقدم.

و انظر إلى قوله عليه الصلاة و السلام لمولاه أبا مويهبة كان يزور معه أهل مقابر البقيع فى ليلة قبيل موته بأيام فإنه صلى الله عليه و سلم قال له: «يا أبا مويهبة: إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا و الخلد فيها ثم الجنة، فخيرت بين ذلك و بين لقاء ربى و الجنة - قال أبو مويهبة: بأبى أنت و أمى، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا و الخلد فيها ثم الجنة - قال: لا و الله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربى و الجنة. ثم استغفر لأهل البقيع و انصرف عليه الصلاة و السلام عائدا إلى بيته، فبدأ يشعر بالوجع».

كما رواه ابن إسحاق - و أبو مويهبة من مولدى مزينة اشتراه رسول الله صلى الله عليه و سلم فأعتقه و قد شهد غزوة (المريسيع). فمما تقدم و من بعض إشارات القرآن يعرف أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، كان عالما بقرب أجله مترقبا بشوق و رغبة، لأنه سينتقل إلى الرفيق الأعلى، خصوصا و قد رأى الجنة و منزلته فيها بعينى رأسه ليلة الإسراء و المعراج، و يرى على الدوام الملائكة الكرام و فى مقدمتهم أمين الوحي روح القدس عليه السلام.

و إذا تأملت فى قوله، صلى الله عليه و سلم و سلم لابنته فاطمة، رضى الله عنها، فى مرضه إذ أسر إليها: «إن جبريل كان يعارضنى القرآن فى كل عام و إنه عارضنى العام مرتين و لا أراه إلا قد حضر أجلي ... الحديث» و أنه أسر إليها أيضا أنه يقبض فى وجعه الذى توفى فيه كما جاء فى الصحيح. إذا تأملت هذا و غيره علمت أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، ما كان ليخفى عليه أمر موته بل لقد أشار، عليه الصلاة و السلام، إلى اقتراب أجله و موته فى حجة الوداع حين خطب الناس خطبته المشهورة فكان مما قال: «أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا ...»، و لقد كان كما قال، صلى الله عليه و سلم.

و من هنا، اقتداء بنبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم، نرى الصالحين من أمته لا يخافون من الموت بل يتلقونه بغاية الرضا و الاستسلام لحسن ظنهم بالله عز و جل، و لاعتقادهم أنه تعالى سيتلقاهم بعظيم رحمته و فضله و إحسانه - و أن من يخشى الموت لا يخشاه لذاته و قد علم أنه حق مكتوب و لكنه يخشى ما بعد الموت من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٨٠

الحساب و العقاب إن لم يتداركه الله برحمته الواسعة - و هو عز شأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم.

هذا و لم نر من بين ما بين مرضه و موته عليه الصلاة و السلام، من الأيام كما بينه و فصله العلامة الشيخ حسين الديار بكرى رحمه الله تعالى فى كتابه القيم (تاريخ الخميس). و نحن نذكر هنا ذلك بالتفصيل بما يفتح الله تعالى علينا من فضله الواسع. فنقول و بالله التوفيق: و كما بينه السمهودى رحمه الله تعالى فى كتابه النفيس (وفاء الوفا)، قال الحافظ ابن رجب: كان ابتداء مرضه صلى الله عليه و سلم فى أواخر شهر صفر - و كانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما على المشهور.

مما لا يخفى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، قد توفى ضحى يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة - و لم يطل مرضه بل كان أياما معدودة - و جاء فى صحيح البخارى فى باب مرض النبى صلى الله عليه و سلم، و وفاته - و فى صحيح مسلم فى كتاب الوصية، عن ابن عباس، رضى الله عنهما أنه فى يوم الخميس اشتد مرضه عليه الصلاة و السلام، و قد ذكرنا

قريبا زيارته ليلا لأهل البقيع مع مولاه أبي مويهبة ليستغفر لهم- وأنه عليه الصلاة والسلام، عاد من زيارته هذه إلى بيته فبدأ يشعر بالوجع- و ذكرنا قريبا أيضا أنه في السادس والعشرين من صفر جهّز عليه الصلاة والسلام جيشا بقيادة أسامة بن زيد، رضى الله تعالى عنهما- فعليه يكون بدء مرضه صلى الله عليه وسلم من ليلة زيارته المذكورة للبقيع مع مولاه أبي مويهبة رضى الله تعالى عنه، كما هو صريح رواية ابن إسحاق- والظاهر، والله تعالى أعلم، أن هذه الليلة التي بدأ يشعر بالوجع فيها، هي ليلة الخميس، غرة شهر ربيع الأول على القول بأن مدة علته صلى الله عليه وسلم اثنا عشر يوما، وهذا القول هو الذى نميل إلى اختياره- وأما يوم الخميس الذى ذكره عبد الله بن عباس، رضى الله عنهما، فهو اليوم الذى اشتد فيه مرضه صلى الله عليه وسلم وهو يوافق الثامن من ربيع الأول- ثم فى يوم الاثنين الثانى عشر منه توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الأعلى- هذا ما نراه بعد التأمل والتحقق والله تعالى أعلم بالحقيقة. وكان ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم فى بيت ميمونة وقيل فى بيت زينب بنت جحش وقيل فى بيت ريحانة- وأما وفاته صلى الله عليه وسلم، فكانت فى بيت عائشة وفى يومها وبين سحرها ونحرها كما هو ثابت فى الصحيح- ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل وهو مريض ويطاف به على نسائه يقسم بينهن حتى استقر فى بيت ميمونة، فاجتمع

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٨١

نساؤه صلى الله عليه وسلم به عندها، فلما رأوا ما به اجتمع رأى من فى البيت على أن يلدوه وتخوفوا أن يكون به ذات الجنب ففعلوا (و اللد: صب الدواء فى أحد شقى الفم)، ثم إنه صلى الله عليه وسلم استأذن نساءه فى أن يمرض فى بيت عائشة رضى الله تعالى عن الجميع فأذن له- فخرج صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه يمشى بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن العباس والثانى على بن أبى طالب، تخط قدماه، حتى دخل بيت عائشة رضى الله عنها- وعنها أيضا كما هو فى الصحيح، قالت: لدنانه فى مرضه صلى الله عليه وسلم، فجعل يشير إلينا أن لا- تلدونى، فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما أفاق، قال: ألم أنهكم أن تلدونى؟ قلنا: كراهية المريض للدواء، فقال: لا تبقى أحد فى البيت إلا لد، وأنا انظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم- رواه البخارى فى باب مرض النبى صلى الله عليه وسلم ووفاته.

وعن عائشة، قالت: كانت تأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، الخاصرة، فأخذته يوما فأغمى عليه حتى ظننا أنه قد هلك، فلدنانه ثم فرج عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد لدوه، فقال: من صنع هذا؟ فهبته، فاعتلن بالعباس، واتخذ جميع من فى البيت العباس سببا ولم يكن له فى ذلك رأى، وتخوفنا أن يكون بك ذات الجنب، فقال: إنها من الشيطان ولم يكن الله عز وجل ليسلطها على ولا ليرمى بها، ولكن هذا عمل النساء. لا يبقى أحد فى البيت إلا لد، إلا عمى العباس فإن يمينى لا تناله، فلدوا كلهم ولدت ميمونة وكانت صائمة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت عائشة، وكان يومها- بين العباس وعلى والفضل ممسك بظهره ورجلاه تخطان فى الأرض- حتى دخل على عائشة رضى الله تعالى عنها، فلم يزل عندها لا يقدر على الخروج من بيتها إلى غيره حتى توفى صلى الله عليه وسلم.

قالت عائشة: ما رأيت أحدا كان أشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم- روى أنه كان لا يكاد تقر يد أحد عليه من شدة الحمى، فقال: ليس أحد أشد بلاء من الأنبياء، كما يشتد علينا البلاء كذلك يضاعف لنا الأجر.

وعن عبد الله بن مسعود، رضى الله تعالى عنه قال: دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت: يا رسول الله إنك لتوعك وعكا شديدا، قال: أجل إنى أوعك كما يوعك رجالان منكم، قلت: ذلك بأن لك أجرين. قال: أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها. كما جاء ذلك فى الصحيح. والوعك: الحمى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٨٢

وعن ابن عمر جاء أبو بكر إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله ائذن لى فأمرضك وأكون الذى يقوم عليك، فقال صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر إن لم أحمل أزواجى وبناتى وأهل بيتى علاجى ازدادت- مصيبتى عليهم عظما، وقد وقع أجرك

على الله- وفي صحيح البخارى عن عروة أن عائشة أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه يده، فلما اشتكى وجعه الذى توفى فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التى كان ينفث وأمسح بيد النبى صلى الله عليه وسلم عنه- وفي صحيح البخارى أيضا عن عائشة رضى الله عنها، تحدث: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما دخل بيتى واشتد به وجعه قال: هريقوا على من سبع قرب لم تحلل أو كيتهن لعلى أعهد إلى الناس، فأجلسناه فى مخضب لحفصه زوج النبى صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن، قالت: ثم خرج إلى الناس فضلى لهم وخطبهم. ٥١.

قال العلامة صاحب تاريخ الخميس: وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس فى مدة مرضه، إنما انقطع ثلاثة أيام وقيل سبع عشرة صلاة، فلما أذن بالصلاة فى أول ما امتنع وهى صلاة العشاء، قال: مروا أبابكر فليصل بالناس. ٥١.

ثم قال فيه أيضا وعن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء بلال يؤذن بالصلاة، فقال: مروا أبابكر فليصل بالناس، قلت: يا رسول الله إن أبابكر رجل أسيف وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر. فقال: مروا أبابكر فليصل بالناس. قالت: فقلت لحفصه قولى له. فقالت له حفصه: يا رسول الله أبو بكر رجل أسيف وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر، فقال: إنك صواحب يوسف مروا أبابكر فليصل بالناس، قالت: فأمرنا أبابكر. فلما دخل الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه خفة فقام يتهدى بين رجلين ورجلاه تخطان فى الأرض حتى دخل المسجد، فلما سمع أبو بكر حسه ذهب ليتأخر فأوما إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قم كما أنت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى جلس عن يسار أبى بكر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس قاعدا وأبو بكر قائما يقتدى أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والناس يقتدون بصلاة أبى بكر.

ثم قال: وفي سيرة ابن هشام: فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرج الناس فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فنكص عن مصلاه فدفع

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٨٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظهره، وقال: صل بالناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه فضلى قاعدا عن يمين أبى بكر، فلما فرغوا من الصلاة، قال له أبو بكر: يا نبى الله إنى أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب، واليوم يوم بنت خارجة فأتيها، قال: نعم، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر إلى أهله بالسنة. ٥١. والسنة بضم السين وسكون النون: منازل بنى الحارث من الخزرج بعوالى المدينة بينه وبين منزل النبى صلى الله عليه وسلم ميل- وكان أبو بكر رضى الله عنه بالسنة- وبنت خارجة هى زوجته واسمها حبيبة بنت خارجة بن زيد.

وفى صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه حدث أن المسلمين بينما هم فى صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلى لهم لم يفاجأهم إلا- رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم فى صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج إلى الصلاة، فقال أنس: وهم المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إليهم بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتوا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر. ٥١. قال النبهانى فى كتابه "الأنوار المحمدية" نقل الدمياطى، أن الصديق رضى الله عنه صلى بالناس سبع عشرة صلاة.

جاء فى صحيح البخارى عن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى أن عبد الله بن عباس أخبره أن على بن أبى طالب رضى الله عنه، خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجعه الذى توفى فيه- فقال الناس: يا أبا حسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً. فأخذ بيده العباس بن عبد المطلب فقال له: أنت والله بعد ثلاثة عبد العصا، وإنى والله

لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى في وجعه هذا- إنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت. اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلنسأله فيمن هذا الأمر إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه، فأوصى بنا، فقال على: إنا والله لئن سألتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فممنعناها لا يعطينها الناس بعده- وإنى والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ا.هـ.

وجاء فيه أيضا، أن عائشة و عبد الله بن عباس قالوا: لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم، طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه وهو كذلك

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٨٤

يقول: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا. ا.هـ.

وجاء فيه أيضا، أن عائشة قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا مسندته إلى صدرى ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به، فأبده رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فأخذت السواك فقصمته ونغضته وطيبته ثم دفعته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فاستن به فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، استن استنانا قط أحسن منه فما عدا أن فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، رفع يده أو إصبغه، ثم قال فى الرفيق الأعلى ثلاثا ثم قضى.

و كانت تقول: مات بين حاقتى و ذاقتى. ا.هـ.

وجاء فيه أيضا، أن عائشة كانت تقول: إن من نعم الله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى فى بيتى و فى يومى و بين سحرى و نحرى، و أن الله جمع بين ريقى و ريقه عند موته- دخل على عبد الرحمن و بيده السواك و أنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأيت ينظر إليه و عرفت أنه يحب السواك- فقلت: آخذه لك، فأشار برأسه أن نعم، فتناولته فاشتد عليه فقلت: أليته لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فليتنه و بين يديه ركوة أو علبه يشك عمر فيها ماء، فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه و يقول: لا إله إلا الله إن للموت سكرات، ثم نصب يده فجعل يقول: فى الرفيق الأعلى، حتى قبض و مالت يده. ا.هـ.

وجاء فيه أيضا أن عائشة قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه و أخذته بحه يقول: مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ... الآية فظننت أنه خير. ا.هـ.

وقالت أيضا رضى الله تعالى عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو صحيح يقول: إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا أو يخير. فلما اشتكى و حضره القبض و رأسه على فخذ عائشة غشى عليه، فلما أفاق شخص ببصره نحو سقف البيت، ثم قال: اللهم فى الرفيق الأعلى. فقلت: إذا لا يجاورنا.

فعرفت أنه حديثه الذى كان يحدثنا وهو صحيح. ا.هـ.

وقالت أيضا رضى الله تعالى عنها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم و أصغت إليه قبل أن يموت و هو مسند إلى ظهره يقول: «اللهم اغفر لى و ارحمنى و ألحقنى بالرفيق الأعلى». ا.هـ.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٨٥

فكانت آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم الرفيق الأعلى)، قالت عائشة، رضى الله تعالى عنها: مات النبي صلى الله عليه وسلم، و إنه لبين حاقتى و ذاقتى، فلا أكره شدة الموت لأحد أبدا بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ا.هـ. (الحاقنة) هى النقرة بين الترقوة و جبل العاتق. (و الذاقنة) طرف الحلقوم، أى مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجر عائشة و رأسه الشريف فى أعلى صدرها عند ذقنها فى جانب خدها الأيمن، و فى هذا الدليل الأعظم لشدة حبه صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها، و ليس فى ذلك من غرابه فهى بنت صاحبه فى الغار أبى بكر الصديق، رضى الله تعالى عنه، و إن جبريل أقرأها السلام مع النبي صلى الله عليه وسلم، كما ثبت فى الصحيح. و عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «يا أم سلمة لا تؤذيني فى عائشة، فإنه والله ما

نزل على الوحي و أنا في لحاف امرأة منكن غيرها». رواه البخارى فى صحيحه. فرضى الله تعالى عن عائشة و عن جميع أمهات المؤمنين و غفر لنا بفضلته و رحمته.

و عن عمرو بن الحارث، رضى الله عنه، قال: «ما ترك رسول الله صلى الله عليه و سلم دينارا و لا درهما و لا عبدا و لا أمة إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها و سلاحه و أرضا جعلها لابن السبيل صدقة». انتهى كل ذلك من صحيح البخارى. و فى صحيح مسلم مثل ذلك أيضا. روى «أنه استأذن على رسول الله صلى الله عليه و سلم ملك الموت و عنده جبريل، فقال جبريل: يا محمد، هذا ملك الموت يستأذن عليك، و لم يستأذن على آدمى كان قبلك، و لا يستأذن على آدمى بعدك، قال: ائذن له، فدخل ملك الموت فوقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله يا أحمد، إن الله أرسلنى إليك و أمرنى أن أطيعك فى كل ما تأمرنى به، إن أمرتنى أن أقبض نفسك قبضتها و إن أمرتنى أن أتركها تركتها، قال: و تفعل يا ملك الموت؟ قال:

بذلك أمرت أن أطيعك فى كل ما تأمرنى، فقال جبريل: إن الله قد اشتاق إليك، قال: فامض يا ملك الموت لما أمرت به، قال جبريل: يا رسول الله هذا آخر موطنى الأرض إذ كنت حاجتى من الدنيا. فتوفى رسول الله، صلى الله عليه و سلم. ١٠٥ هـ. من تاريخ الخميس.

توفى عليه الصلاة و السلام فى ضحى يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشر من الهجرة و هو ابن ثلاث و ستين سنة.

قال العلامة الخضرى فى كتابه (نور اليقين): كانت وفاته صلى الله عليه و سلم يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشر و هو يوافق اليوم الثامن من شهر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٨٦

يونية سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة ميلادية- و لم نر من قال يوم الوفاة هو الثالث عشر من ربيع الأول غيره- و قد ذكر هذا التاريخ أيضا الأستاذ محمد سيد كيلانى فى كتابه (عين اليقين) ناقلا عن الخضرى رحمه الله تعالى.

### [حالة الصحابة حينما سمعوا بموت رسول الله صلى الله عليه و سلم]

فلما توفى خاتم النبيين سيدنا "محمد" صلى الله عليه و سلم و تسامع الناس هذا الخبر دهشوا و بكوا، و طاشت عقول الصحابة، رضى الله تعالى عنهم أجمعين. فقد جاء فى صحيح البخارى عن أنس، قال: «لما ثقل النبي صلى الله عليه و سلم، جعل يتغشاها، فقالت فاطمة، عليها السلام، و اكرب أباه، فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم، فلما مات، قالت: يا أبتاه أجب ربا دعاه- يا أبتاه من جتته الفردوس مأواه- يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. فلما دفن، قالت فاطمة، عليها السلام: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم التراب» ١٠٥ هـ. و لما سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ذلك أصابه الخبل و سل سيفه، فجعل يصيح و يتوعد المنافقين حتى أزيد شدقاه، فلما خطب أبو بكر و تلا قوله تعالى: وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ الْآيَةَ. قال عمر، كما فى صحيح البخارى:

«و الله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلنى رجلى و حتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها أن النبي صلى الله عليه و سلم قد مات» ١٠٥ هـ.

و أما عثمان، رضى الله تعالى عنه، فقد أخرج حتى يذهب به و يجاء، و ما تكلم إلا بعد غد. و أما على، رضى الله تعالى عنه، فلم يستطع حراكا. و أضنى عبد الله بن أنيس. و الله تعالى أعلم بما أصاب الناس من الحزن و الذهول، و كيف لا يستولى عليهم الحزن و الذهول و رسول الله صلى الله عليه و سلم أحب إليهم من أنفسهم و أولادهم- إنه صلى الله عليه و سلم هو النور العظيم و السراج المنير و الخير و البركة المجسمة بين أظهرهم- فلم يكن من الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أثبت و أحزم من أبى بكر و

العباس، رضى الله تعالى عنهما- وذلك من فضل الله تعالى على الناس ليعودوا إلى صوابهم.

فأبو بكر، رضى الله عنه و أرضاه، لما أقبل من مسكنه بالسنع وأخبر الخبر- دخل إلى بيت عائشة وكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثا يقبله ويبكى - فقد جاء فى صحيح البخارى عن عائشة، رضى الله تعالى عنها، ما نصه، قالت: »

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٨٧

إن أبا بكر، رضى الله تعالى عنه، أقبل على فرس من مسكنه بالسنع حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة، فتميم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه وبكى - ثم قال:

بأبى أنت و أمى، و الله لا يجمع عليك موتتين، أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها- قال الزهرى: و حدثنى أبو سلمى عن عبد الله بن عباس أن أبا بكر خرج و عمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه و تركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد، من كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، و من كان منكم يعبد الله فإن الله حى لا يموت- قال الله: وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ- إلى قوله: الشَّاكِرِينَ و قال: و الله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها- فأخبرنى سعيد بن المسيب أن عمر قال: و الله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلنى رجلاى، و حتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها أن النبى صلى الله عليه وسلم قد مات-« هـ. من البخارى.

روى عن أبى ذؤيب الهذلى، قال: إنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل.

فأوجس أهل الحى خيفة عليه. فبت بلبلة ثابتة النجوم طويلة الأناة لا ينجاب ديجورها و لا يطلع نورها حتى إذا قرب السحر غفوت فهتف لى هاتف يقول:

خطب أجل أناخ بالإسلام، و بين النخيل و مقعد الآطام قبض النبى محمد، فعيوننا تدرى الدموع عليه بالتجمام. قال أبو ذؤيب: فوثبت من نومى فزعا فنظرت إلى السماء فلم أر إلا سعد الذابح، فتفاءلت به ذبحا يقع فى العرب، و علمت أن النبى صلى الله عليه وسلم، قد مات أو هو ميت من علته، فركبت ناقتى و سرت حتى أصبحت، فطلبت شيئا أزجره فعن لى شيهم قد أرم على صل و هو يتلوى عليه و الشيهم يقضمه حتى أكله، فزجرت ذلك شيئا مهما، فقلت: تلوى الصل انفتال الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم- ثم أولت أكل الشيهم إياه غلبت القائم على الأمر. فحشثت ناقتى حتى إذا كنت بالعلية زجرت الطير فأخبرنى بوفاته و نعب غراب سانحا بمثل ذلك، فتعودت من شر ما عن لى فى طريقي، ثم قدمت المدينة و لأهلها ضجيج كضجيج الحجيج أهلوا جميعا بالإحرام، فقلت:

ماذا جرى، قالوا: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجثت المسجد فأصبته خاليا فأتيت رسول صلى الله عليه وسلم فأصبت بابه مرتجا و قد خلا به أهله، فقلت: أين الناس، فقيل: فى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٨٨

سقيفة بنى ساعدة صاروا إلى الأنصار، فجثت السقيفة فوجدت أبا بكر و عمر، رضى الله عنهما، و أبا عبيدة و سالما و جماعته من قريش، و رأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة و معهم شعراؤهم، و أمامهم حسان بن ثابت و كعب فى ملاء منهم، فأويت إلى الأنصار فتكلموا فأكثروا، و تكلم أبو بكر فله من رجل لا يطيل الكلام و يعلم مواضع الفصل- و الله لتكلم بكلام لم يسمعه سامع إلا انقاد له و مال إليه، و تكلم بعده عمر، رضى الله عنه، بكلام دون كلامه و مد يده فبايعه و رجع أبو بكر، رضى الله عنه، و رجعت معه فشهدت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم و شهدت دفنه. ثم أنشد أبو ذؤيب يبكى رسول الله، صلى الله عليه وسلم:

لما رأيت الناس فى علاتهم ما بين ملحد له و مضرح

فهناك صرت إلى الهموم و من بيت جار الهموم بيت غير مروح

كسفت لمصرعه النجوم و بدرهاو تزعزعت آطام بطن الأبطح  
و تزعزعت أجمال يثرب كلهاو نخيلها لحلو خطب مفدح ... الخ  
فمعنى قوله: فعن لى شيهم قد أرم على صل: الشيهم ذكر القنفذ، و الصل:  
الحيه، و أرم بمعنى: عض.

### [اشتغال الناس بإقامة خليفة ثم بغسل رسول الله صلى الله عليه و سلم و دفنه]

فلما مات رسول صلى الله عليه و سلم و عرف الناس ذلك و رجع إليهم صوابهم و نزلت السكينه عليهم أغلق أهله دونه الباب ليتفرغ  
الناس أولا من إقامة خليفه عليهم، فمكث صلى الله عليه و سلم فى بيته بقية يوم الاثنين الذى توفى فيه، و ليلة الثلاثاء و يومه و ليلة  
الأربعاء، فلما انتهى المسلمون من أمر الخليفة و جمعهم الله تعالى على أبى بكر الصديق و فرغوا من بيعته- و كانت البيعة أول الأمر  
يوم الاثنين، يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم فى سقيفة بنى ساعدة، ثم كانت البيعة العامة من الغد فى المسجد يوم الثلاثاء.  
فلما انتصب أبو بكر، رضى الله تعالى عنه، خليفة على المسلمين- أقبلوا على تجهيز رسول الله صلى الله عليه و سلم و الاشتغال بأمره  
ليلة الأربعاء.

فإذا نظرنا بإمعان وجدنا أن أمر إقامة الخليفة أهم من الاشتغال بتجهيز رسول الله صلى الله عليه و سلم فإن الشيطان ينتهز فرصة الغفلة  
فيوقع الشقاق و الاختلاف بين المسلمين- و رسول الله صلى الله عليه و سلم فى حفظ الله و أمانه و رعاية الملائكة الكرام لن يمسه  
سوء، و لقد كاد الخلاف و النزاع أن يستولى على المسلمين، و لكن الله تعالى تداركهم برحمته

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٨٩

فصرف عنهم كيد الشيطان فجمع كلمتهم على أبى بكر، رضى الله تعالى عنه و عنهم أجمعين.

فلما انتهت البيعة العامة يوم الثلاثاء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم، الذى بلصق بيته- أقبلوا على تجهيزه و دفنه عليه الصلاة  
و السلام. فقام على غسله صلى الله عليه و سلم عمه العباس و ابنه الفضل و قثم و على بن أبى طالب و أسامة بن زيد و شقران مولى  
رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ضرب العباس كله من ثياب يمانية لغسله عليه الصلاة و السلام، ثم أذن لرجال بنى هاشم فقعدها  
بين الحيطان و الكلة، ثم دخل هؤلاء الذين ذكرناهم الكلة ليتولوا غسله صلى الله عليه و سلم فغسلوه حسب السنة، و هو الطاهر المطهر  
فى ثيابه من غير أن يجردوه منها، يصبون الماء فوق القميص و يدلكونه بالقميص خشية أن تظهر عورته، و كان على هو الذى يتولى  
غسله كما أوصاه عليه الصلاة و السلام بذلك، و لم ير من رسول الله صلى الله عليه و سلم مما يرى من الميت و كان على يقول:

بأبى أنت و أمى يا رسول الله، ما أطيبك حيا و ميتا- جاء فى الموطأ أنه صلى الله عليه و سلم لما كان عند غسله أرادوا نزع قميصه،  
فسمعوا صوتا يقول: لا تنزعوا القميص، فلم ينزع القميص- و غسل و هو عليه، صلى الله عليه و سلم. ٥١. و بعد أن غسلوه و جففوه  
أدرجوه فى أكفانه فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص و لا عمامة، و طيبوه و جمروه بالعود و الند، ثم احتملوه حتى وضعوه على سريره  
فى بيته و سجوه. ثم صلى عليه على و العباس و بنو هاشم ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم الناس، ثم النساء، ثم الغلمان، يصلون عليه  
أفذاذا لا يؤمهم أحد- يدخل المسلمون زمرا فيصلون عليه و يخرجون، و كان الناس يدخلون للصلاة عليه صلى الله عليه و سلم من  
باب و يخرجون من باب آخر- فلما صلى عليه نادى عمر: خلوا الجنازة و أهلها، ثم دفنوه فى منتصف ليلة الأربعاء.

و قد اختلفوا فى موضع دفنه أيدفونه بمكة أو بالمدينة أو بالقدس أو عند منبره أو فى البقيع، فقال لهم أبو بكر، رضى الله عنه: سمعت  
رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض.

نقول: و هذا كما لا يخفى كرامة عظيمة له، حتى يتميزوا عن جميع الناس لما لهم من المكانة و المنزلة السامية عند الله عز و جل.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٩٠

فرفعوا فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي توفي عليه وحفروا له القبر تحته ثم دفنوه ليلة الأربعاء. قالت عائشة: ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل، ليلة الأربعاء. ١٥.

وفي الموطأ، أن عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم قالت: رأيت ثلاثة أقمار سقطن في حجرتي، فقصصت رؤياي على أبي بكر الصديق، قالت: فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن في بيتها، قال لها أبو بكر: هذا أحد أقمارك وهو خيرها. ١٥.

وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب والفضل بن عباس وقثم بن عباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحين وضع شقران رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره وضع معه قطيفته الحمراء الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ويفترشها فدفنها في القبر وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك أبدا. ففي صحيح مسلم عن ابن عباس، قال: جعل في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء. وقد جعلوا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، لحدا ونصبوا فيه اللين - يقال بنى في قبره صلى الله عليه وسلم تسع لبنات (و اللحد هو الشق في جانب القبر) ففي صحيح مسلم أن سعد بن أبي وقاص قال في مرضه الذي هلك فيه: «ألحدوا لي لحدا وانصبوا عليّ اللبان نصبا كما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم» ١٥.

وروى أن أوس بن خولي الأنصاري، وكان بدريا سأل علي بن أبي طالب أن يكون معهم في غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي النزول في قبره، فأذن له بذلك - ثم هالوا التراب على لحده صلى الله عليه وسلم وجعلوا قبره مسطحا - ورش بلال بن رباح قبره بقرية من الماء، بدأ من قبل رأسه الشريف حتى انتهى إلى رجله، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، حينما رش قبر ابنه إبراهيم ووضع عليه الحصى بعد الفراغ من دفنه.

واعلم أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم، قاموا بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد أن انتهوا من أمر ببيعة أبي بكر، رضي الله عنه، في آخر يوم الثلاثاء وانتظروا حتى يصلي بهم الخليفة صلاة المغرب وصلاة العشاء جماعة من ليلة الأربعاء، ثم يتفرغوا للتجهيز من الغسل والصلاة والدفن - وبالطبع إن ذلك يستغرق بضع ساعات لذلك كان دفنه صلى الله عليه وسلم في منتصف ليلة الأربعاء - ولم يكن حمل ولا موكب في جنازة رسول الله، صلى الله عليه وسلم؛ لأن قبره صلى الله عليه وسلم هو في نفس بيته وفي نفس الموضع الذي مات فيه - غاية الأمر أنهم زحزحوا فراشه صلى الله عليه وسلم الذي قبض فوقه، ثم حفروا له قبره تحت الفراش - مع العلم بأن بيته ملاصق بمسجده صلى الله عليه وسلم فباب بيته مفتوح إلى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٩١

المسجد. إننا فصلنا هذه المسألة تفصيلا لتكون واضحة كالشمس لجميع المسلمين في جميع الأقطار ولم نجد من أوضحها توضيحا مثلنا والحمد لله رب العالمين - اللهم صل وسلم وبارك عليه.

ولما انتهوا من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة، رضي الله تعالى عنها: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب؟ وقالت لعلني: يا أبا الحسن دفنتم رسول الله؟ قال: نعم. قالت: كيف طابت قلوبكم أن تحثوا التراب عليه، أليس كان نبي الرحمة؟ قال: نعم، ولكن لا مرد لأمر الله.

جاء في تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك في كتاب الجنائز عند قول الإمام مالك (و صلى الناس عليه أفذاذا لا يؤمهم أحد) ما نصه:

قال ابن كثير: وهو أمر مجمع عليه لا خلاف فيه - قال: واختلف في تعليقه فليل هو من باب التعبد الذي يعسر تعقل معناه - وقيل لياشتر كل واحد الصلاة عليه منه إليه. وقال السهيلي: إن الله أخبر أنه وملائكته يصلون عليه وأمر كل واحد من المؤمنين أن يصلي عليه، فوجب على كل واحد أن يباشر الصلاة عليه منه إليه - والصلاة عليه بعد موته من هذا القبيل. قال: وأيضا فإن الملائكة لنا في ذلك أئمة. ١٥. وقال الشافعي في (الأم) ذلك لعظم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنافسهم فيمن يتولى الصلاة عليه وصلوا عليه مرة بعد مرة. وروى ابن سعد عن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب عن علي أنه قال: لما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم



سلم على السرير لا يقوم عليه أحد هو إمامكم حيا و ميتا، فكان يدخل الناس رسلا رسلا، فيصلون عليه صفا صفا ليس لهم إمام و يكبرون- و على قائم بحيال رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: السلام عليك أيها النبي و رحمة الله و بركاته- اللهم إنا نشهد أن قد بلغ ما أنزل إليه، و نصح لأمته و جاهد في سبيل الله، حتى أعز الله دينه و تمت كلمته، اللهم فاجعلنا ممن يتبع ما أنزل إليه و ثبتنا بعده و اجمع بيننا و بينه، فيقول الناس آمين، حتى صلى عليه الرجال ثم النساء ثم الصبيان- و ظاهر هذا أن المراد بقوله:

(و صلى الناس عليه)، ذهب إليه جماعة أنه صلى الله عليه و سلم لم يصل عليه الصلاة المعتادة، و إنما كان الناس يأتون فيدعون و يترحمون- قال الباجي: و وجهه أنه صلى الله عليه و سلم أفضل من كل شهيد و الشهيد يغنيه فضله عن الصلاة عليه، فهو صلى الله عليه و سلم أولى. قال: و إنما فارق الشهيد في الغسل لأن الشهيد حذر من غسله إزالة الدم عنه و هو مطلوب بقاؤه التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٩٢

لطيبه، و لأنه عنوان بشهادته في الآخرة، و ليس على النبي صلى الله عليه و سلم ما يكره إزالته عنه فافترقا.

و قال ابن سعد أيضا: أنبأنا محمد بن عمر، حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي، قال: وجدت هذا في صحيفة بخط أبي فيها: لما كفن النبي صلى الله عليه و سلم و وضع على سريره دخل أبو بكر و عمر فقالا: السلام عليك أيها النبي و رحمة الله و بركاته، و معهما نفر من المهاجرين و الأنصار قدر ما يسع البيت، فسلموا كما سلم أبو بكر و عمر و هما في الصف الأول حيا رسول الله، صلى الله عليه و سلم:

اللهم إنا نشهد أن قد بلغ ما أنزل إليه و نصح لأمته و جاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه و تمت كلماته فأؤمن به وحده لا شريك له- فاجعلنا يا إلهنا ممن يتبع القول الذي أنزل معه و اجمع بيننا و بينه حتى يعرفنا و تعرفه بنا فإنه كان بالمؤمنين رؤوفا رحيفا، لا نبغى بالإيمان بدلا- و لا نشترى به ثمنا أبدا، فيقول الناس:

آمين، آمين. ثم يخرجون و يدخل آخرون، حتى صلى عليه الرجال ثم النساء ثم الصبيان، فلما فرغوا من من الصلاة تكلموا في موضع قبره- و أخرج ابن عبد البر من حديث سالم بن عبيد أنهم قالوا لأبي بكر: هل يصلى على الأنبياء؟ قال:

يجيء قوم فيكبرون و يدعون و يجيء آخرون حتى يفرغ الناس، فقال ناس: يدفن عند المنبر، و قال آخرون: يدفن بالبقيع، فجاء أبو بكر الصديق فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ما دفن نبي قط إلا في مكانه الذي توفي فيه. فحفر له فيه.

ثم قال شارح الموطأ رحمه الله تعالى بعد بضعة أسطر: و أخرج عن أبي طلحة، قال: اختلفوا في الشق و اللحد للنبي صلى الله عليه و سلم فقال المهاجرون: شقوا كما يحفر أهل مكة، و قالت الأنصار: لحدوا كما نحفر بأرضنا، فلما اختلفوا في ذلك قالوا:

اللهم خر لنبيك، ابعثوا إلى أبي عبيدة و إلى أبي طلحة فأيهما جاء قبل الآخر فليعمل عمله، فجاء أبو طلحة، فقال: و الله إنى لأرجو أن يكون الله قد خار لنبيه إنه كان يرى اللحد فيعجبه.

و أخرج ابن سعد و ابن ماجه عن ابن عباس، قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه و سلم كان بالمدينة رجلان- كان أبو عبيدة بن الجراح يصرح كحفر أهل مكة، و كان أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري هو الذي يحفر لأهل المدينة و كان يلحد- فدعا العباس رجلين فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة، و قال للآخر:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٩٣

اذهب إلى أبي طلحة، اللهم خر لرسولك، فوجد صاحب أبي طلحة فجاء به فألحد له. انتهى ما ذكرنا من شرح الموطأ.

و الذي يظهر لنا، و الله تعالى أعلم، أن الذين حضروا في جنازته صلى الله عليه و سلم من الصحابة رضی الله تعالى عنهم لم يبلغهم قوله الشريف: (الحدوا و لا تشقوا، فإن اللحد لنا و الشق لغيرنا) رواه الإمام أحمد. فإنه لو بلغهم هذا القول لما اختلفوا هل يلحدوا له صلى الله عليه و سلم أم لا. فالحمد لله الذي اختار له أفضل الأمرين و هو اللحد- ثم إن عائشة رضی الله تعالى عنها، بعد ما مات عمر بن الخطاب رضی الله تعالى عنه و دفن عند صاحبيه، بنت جدارا بينها و بين القبور الثلاثة- فقد روى ابن زبالة عن عائشة، ما زلت

أضع خمارى و أتفضل فى ثيابى حتى دفن عمر، فلم أزل متحفظة فى ثيابى حتى بنيت بينى و بين القبور جدارا. اه. و الخمار بالكسر: غطاء الوجه. و معنى أتفضل فى ثيابى أى أقتصر فى لباسى. فكان بيت عائشة رضى الله تعالى عنها، قسمن، قسم كانت فيه القبور الشريفه، و قسم كانت فيه عائشة رضى الله تعالى عنها، و بينهما الحائط.

### حكمة دفنه صلى الله عليه و سلم فى اللحد

اعلم أن الدفن فى اللحد أفضل من الشق. و اللحد هو ما يحفر فى أسفل جانب القبر- أى يحفر القبر أولا بقدر قامه و بسطه، ثم يحفر فى جانب أسفل القبر طولاً- من جهة القبلة بقدر ما يسع الميت و يستره فيوضع الميت فى هذا الجانب المحفور على جنبه الأيمن، مستقبل القبلة و يسند ظهره بشىء من تراب أو لبنه، ثم يسد الجانب المحفور بلبن أو حجارة حتى لا يظهر من الميت شىء، ثم يهال التراب على القبر حتى تملأ القامة و البسطه. و أما الشق فهو عبارة عن حفر القبر بقدر قامه و بسطه ثم يوضع الميت فى هذا الشق على جانبه الأيمن أيضا ثم يسقف القبر.

فدفن الأموات فى اللحد أفضل إن صلبت الأرض و اشتدت، أما إذا كانت رخوة غير متماسكة فالدفن فى الشق أفضل من اللحد- فلو عمل اللحد فى أرض رخوة و دفن الميت فيه تنهار الأرض و تسقط عليه، فأهل المدينة و بعض الجهات يدفنون فى اللحد لأن أرضهم قوية متماسكة- و أهل مكة و بعض الجهات يدفنون فى الشق لرخاوة أرضهم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٩٤

و الحكمة فى دفن رسول الله صلى الله عليه و سلم فى اللحد دون الشق و الله تعالى أعلم هى:

صون جتته و حفظ حرمة صلى الله عليه و سلم من أن يعلو عليه أحد حين الدفن لإهالة التراب عليه؛ لأنه عليه الصلاة و السلام، مدفون مندرج فى جانب القبر- إهاله التراب تكون فى نفس حفرة القبر المشقوق، فلا يقف من يهيل التراب فوق جتته الشريفه، صلى الله عليه و سلم. أما إذا دفن الميت فى الشق بوسط القبر فإن الحفار يضطر أن يقف على سقف القبر ليهيل التراب فيكون وقوفه على جتته الميت- فالله عز و جل اختار لنبيه صلى الله عليه و سلم أشرف كيفية الدفن و خير حالاته.

إن (محمدا) صلى الله عليه و سلم، هو رسول الله و خاتم النبيين و خير الخلائق، أجمعين، فله حرمة عظيمة و مكانة كريمة و الصحابة رضى الله تعالى عنهم، كانوا معه صلى الله عليه و سلم على آداب عالية جدا حتى إنهم ما كانوا يرفعون أصواتهم عنده و لا يجهرون له كجهر بعضهم لبعض، بل ما كانوا يرفعون أصواتهم عند منبره بعد مماته صلى الله عليه و سلم فكيف يقدر أحدهم أن يعلو قبره الشريف حين الدفن؟ إنه فى حياته صلى الله عليه و سلم لم يعل أحد فوق بيته- و هذا أبو أيوب الأنصارى، رضى الله تعالى عنه، لما هاجر صلى الله عليه و سلم من مكة إلى المدينة و نزل فى داره فى الدور الأسفل ليكون أريح لزائريه- لم يرض أبو أيوب بذلك إكراما و تأدبا له و قال له: يا نبي الله، بأبى أنت و أمى، إنى أكره و أعظم أن أكون فوقك و تكون تحتى. فإظهار أنت فكن فى العلو و ننزل نحن و نكون فى السفلى- فقال عليه الصلاة و السلام: يا أبا أيوب، إن الأرقق بنا و بمن يغشانا أن نكون فى سفلى البيت، فما زال أبو أيوب الأنصارى، رضى الله تعالى عنه، يستعطف رسول الله صلى الله عليه و سلم و يقول له: لا أعلو سقيفة و أنت تحتها، حتى صعد رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى العلو و تحول أبو أيوب فى السفلى.

إذا علمت ما تقدم، ظهر لك حكمة دفن رسول الله صلى الله عليه و سلم فى اللحد- و الله سبحانه و تعالى، أعلم بسر ذلك و حكمته، فإنه جل جلاله يختار لأنبيائه و رسله فى حياتهم و فى مماتهم أفضل الحالات و أشرفها- إنهم من عباده المكرمين، صلوات الله و سلامه عليهم و على آلهم و أصحابهم أجمعين- سبحانه ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.

جاء فى الأنوار المحمدية ما نصه- ذكر الواحدى بسند وصله بعبد الله بن مسعود: نعى لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم نفسه قبل

موته بشهر، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة، فقال: حياكم الله بالسلام رحمكم الله، جبركم الله، رزقكم الله،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٩٥

نصركم الله، رفعكم الله، آواكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأستخلفه عليكم وأحذركم الله، إني لكم منه نذير مبين، أن لا تلوا على الله في بلاده وعباده فإنه قال لي و لكم: تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ وقال: أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ. قلنا: يا رسول الله، متى أجلك؟ قال: دنا الفراق و المنقلب إلى الله و إلى جنه المأوى- قلنا: يا رسول الله! من يغسلك؟ قال: رجال من أهل بيتي فالأدنى. قلنا: يا رسول الله فيم نكفئك؟ قال: في ثيابي هذه، و إن شئتم في ثياب بياض مصر أو حلة يمنية. قلنا: يا رسول الله، من يصلى عليك؟ قال: إذا أتمت غسلتموني و كفتتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري، ثم اخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلى عليّ جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت و معه جنود من الملائكة، ثم ادخلوا عليّ فوجا فوجا، فصلوا علي و سلموا تسليمًا، و ليبدأ بالصلاة عليّ رجال أهل بيتي ثم نساؤهم، ثم أنتم، و اقرأوا السلام علي من غاب من أصحابي و من تبعني علي ديني من يومى هذا إلى يوم القيامة. قلنا: يا رسول الله، و من يدخلك قبرك؟ قال: أهلى مع ملائكة ربي و كذا رواه الطبراني. ١٥.

منه.

و جاء فيه أيضا: و روى ابن ماجه بسند جيد عن علي يرفعه إلى النبي صلى الله عليه و سلم إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بثرى بئر غرس. و غسل صلى الله عليه و سلم ثلاثة غسلات:

الأولى بالماء القراح، و الثانية بالماء و السدر، و الثالثة بالماء و الكافور. و غسله علي و العباس و ابنه الفضل يعينانه و قثم و أسامه و شقران مولاه صلى الله عليه و سلم يصبون الماء و أعينهم معصوبه من وراء الستر. لحديث علي: «لا يغسلنى إلا أنت، فإنه لا يرى أحد عورتى إلا طمست عيناه». رواه البزار و البيهقي.

و أخرج البيهقي عن الشعبي، قال: «غسل علي النبي صلى الله عليه و سلم فكان يقول و هو يغسله صلى الله عليه و سلم بأبي أنت و أمي، طبت حيا و ميتا». و أخرج أبو داود و صححه الحاكم عن علي، رضى الله عنه، قال: «غسلته صلى الله عليه و سلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئا و كان طيبا حيا و ميتا». و فى رواية ابن سعد: «و سطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط». قيل و جعل علي يده خرقة و أدخلها تحت القميص، ثم اعتصروا قميصه و حنطوا مساجده و مفاصله و وضئوا منه ذراعيه و وجهه و كفيه و قدميه، و جمروه عودا و ندا. ثم قال صاحب الأنوار المحمدية، رحمه الله تعالى:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٩٦

و قد اختلف فيمن أدخله قبره صلى الله عليه و سلم و أصح ما روى أنه نزل فى قبره صلى الله عليه و سلم علي و عمه العباس و ابنه الفضل و قثم، و كان قثم آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال صاحب الكتاب المذكور أيضا- قال رزين: ورش قبره الشريف صلى الله عليه و سلم رشه بلال بن رباح بقربة بدأ من قبل رأسه. حكاه ابن عساکر- و جعل علي من حصباء حمراء و بياض و رفع قبره عن الأرض قدر شبر. ثم قال صاحب الكتاب أيضا- و روى أبو داود و الحاكم من طريق القاسم بن محمد أبى بكر، قال: دخلت علي عائشة فقلت: يا أمه، اكشفي لى عن قبر النبي صلى الله عليه و سلم فكشفت لى عن ثلاثة قبور لا مشرفة و لا لاطئة، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء. زاد الحاكم: فرأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم مقدما و أبو بكر رأسه بين كتفى النبي صلى الله عليه و سلم و عمر رأسه عند رجلى النبي صلى الله عليه و سلم.

و هذا كان فى خلافة معاوية، فكانها كانت فى الأول مسطحة ثم لما بنى جدار القبور فى إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك صيروها مرتفعة ١٥. من الكتاب المذكور.

و اعلم بأنه يسن بعد دفن الميت رش قبره بالماء الطاهر البارد أخذًا من فعله صلى الله عليه و سلم فإنه لما مات بالمدينة فى السنة

الأولى من الهجرة عثمان بن مظعون أخو رسول الله صلى الله عليه و سلم من الرضاع أمر بعد دفنه أن يرش قبره بالماء، و كذلك لما مات ابنه إبراهيم فى السنة العاشرة أمر بعد دفنه برش قبره بالماء. و هذا بلال، رضى الله تعالى عنه، رش قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد دفنه. و الله تعالى أعلم بحكمته ذلك.

### [بعض ما قاله الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى رثائه صلى الله عليه و سلم]

روى أن فاطمة رضى الله تعالى عنها بعد أن انتهوا من دفن رسول الله صلى الله عليه و سلم أخذت تربة من تراب قبر أبيها صلى الله عليه و سلم فشمته ثم أنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت على مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا

و قالت صفية بنت عبد المطلب ترثى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هى عمته:

ألا يا رسول الله إن كنت رجاءناو كنت بنا برا و لم تك جافيا

و كنت رحيمًا هاديا و معلمالبيك عليك اليوم من كان باكيا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٩٧

إلى أن قالت:

عليك من الله السلام تحية و أدخلت جنات من العدن راضيا

و مما قالت فى رثائه صلى الله عليه و سلم أيضا:

إن يوما أتى عليك ليوم كورت شمسه و كان مضيئا

لفقد رسول الله إذ حان يومه فى عين جودى بالدموع السواجم

ورثته أيضا عاتكة بنت عبد المطلب و أختها أروى بنت عبد المطلب. و رثاه أيضا أبو بكر و عمر و أبو سفيان و غيرهم من الصحابة،

رضى الله تعالى عن الجميع. و رثاه أيضا حسان بن ثابت، رضى الله تعالى عنه، بقصائد كثيرة نقتطف منها ما يأتى:

بطيبة رسم للرسول و معهد منير و قد تعفو الرسوم و تمهد

و لا تمنحى الآيات من دار حرمة بها منبر الهادى الذى كان يصعد

و أوضح آيات و باقى معالم و ربع له فيها مصلى و مسجد

بها حجرات كان ينزل وسطها من الله نور يستضاء و يوقد

ثم قال:

فبوركت يا قبر الرسول و بوركت بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

و بوركت لحد منك ضمن طيباعليه مدى الدنيا صفيح منضد

تهيل عليه التراب أيد و أعين عليه و قد غارت بذلك أسعد

و راحوا بحزن ليس فيهم نبيهم و قد وهنت منهم ظهور و أعضد

فيكون من تبكى السماء لموته و من قد بكته الأرض فالناس أكمد

و هل عدلت يوما رزية هالك رزية يوم مات فيه محمد

إلى أن قال:

و ما فقد الماضون مثل محمد و لا مثله حتى القيامة يفقد

و ليس هواى نازعا عن ثنائه لعلى به فى جنه الخلد أخلد  
مع المصطفى أرجو بذاك جوارهو فى نيل ذاك اليوم أسعى و أجهد  
وقال عامر بن الطفيل:

بكت الأرض و السماء على النور الذى كان للعباد سراجا  
من هدينا به إلى سبيل الحق و كنا لا نعرف المنهاجا  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٩٨

### رثاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم

جاء فى مجلة الاعتصام التى تصدر بمصر، بتاريخ ربيع الثانى سنة ١٣٧١ هجرية ما يأتى:  
روى أن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى و يقول: بأبى أنت و أمى يا رسول  
الله، لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم، فلما حن الجذع لفراقك جعلت يدك عليه فسكن،  
فأمتك كانت بالحنين إليك لما فارقتهم أولى.

بأبى أنت و أمى، يا رسول الله! لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن جعل طاعتك طاعته فقال عز و جل: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ.  
بأبى أنت و أمى يا رسول الله! لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب، فقال تعالى: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ  
لَمْ أَذْنَبْ لَهُمْ.

بأبى أنت و أمى يا رسول الله! لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء و ذكرك فى أولهم، فقال عز و جل: وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ  
النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ.

بأبى أنت و أمى يا رسول الله! لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك و هم بين أطباقها يعذبون و  
يقولون: يا ليتنا أطعنا الله و أطعنا الرسولا.

بأبى أنت و أمى يا رسول الله! لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا فتفجر منه الأنهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها  
الماء صلى الله عليك.

بأبى أنت و أمى يا رسول الله! لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر و رواحها شهر فماذا بأعجب من البراق حين  
سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك.

بأبى أنت و أمى يا رسول الله! لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى، فماذا بأعجب من الشاء المسمومة حين كلمتك و هى  
مشوية، فقالت لك الذراع: لا تأكلنى فإنى مسمومة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ١٩٩

بأبى أنت و أمى يا رسول الله! لقد دعا نوح على قومه فقال: رب لا- تذر على الأرض من الكافرين ديارا. و لو دعوت علينا بمثلها  
لهلكنا كلنا، فقد وطئ ظهرك و أدمى وجهك و كسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا- خيرا فقلت: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا  
يعلمون».

بأبى أنت و أمى يا رسول الله! لقد اتبعك فى قلة سنك و قصر عمرك ما لم يتبع نوحا فى كثرة سنه و طول عمره، و لقد آمن بك  
الكثير و ما آمن معه إلا القليل.

بأبى أنت و أمى يا رسول الله! لو لم تجالس إلا كفؤا لك ما جالستنا، و لو لم تنكح إلا كفؤا لك ما نكحت إلينا، و لو لم تؤاكل إلا  
كفؤا لك ما واكلناك.

فلقد والله جالستنا و نكحت إيلنا و واكلتنا و لبست الصوف و ركبت الحمار و أردفت خلفك و وضعت طعامك على الأرض و لعقت أصابعك تواضعا منك، صلى الله عليه و سلم. انتهى من المجلة المذكورة.

### حزن الصحابة رضى الله تعالى عنهم و بكأؤهم من غير صوت و لا نواح على رسول الله صلى الله عليه و سلم حين موته

لا يخفى أن الموت هو من أعظم مصائب الدنيا و على قدر منزلة الميت عند أهله و أصحابه يكون حزنهم على موته و فراقه - فحزن الصحابة رضى الله تعالى عنهم، على موت رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هم الذين شاهدوا نور نبوته و نشأوا تحت تربيته - هو أعظم حزن مرّ على البشرية عامة و على الأمة الإسلامية خاصة، و كيف لا يكون كذلك و هم الذين عاصروه و عاشروه و شاهدوا نزول الوحي عليه و مشوا فى ركابه.

و الحزن أنواع مختلفة فقد يكون بالصمت و قد يكون بالذهول و قد يكون بالهذيان و قد يكون بالبكاء الصامت و نزول الدموع و قد يكون بالبكاء و النياحة و لطم الخدود و شق الجيوب، و قد أصاب الصحابة رضى الله تعالى عنهم، عندما سمعوا بموت رسول الله صلى الله عليه و سلم جميع أنواع الحزن ما عدا النوع الأخير من النياحة و لطم الخدود و شق الجيوب، فإنه من عادة أهل الجاهلية و هو حرام بالإجماع على كل ميت فضلا عن الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة و التسليم، الذى جاءنا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٠٠

بالنور المبين. أما البكاء و نزول الدموع فهو أمر قهرى على الإنسان لا يؤاخذ به؛ لأنه من رقة القلب فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم دخل على ابنه إبراهيم و هو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه و سلم تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: و أنت يا رسول الله. فقال: يا ابن عوف إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى، فقال: إن العين تدمع، و القلب يحزن، و لا نقول إلا ما يرضى ربنا، و إنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون - كما جاء ذلك فى البخارى و مسلم.

فالصحابة رضى الله تعالى عنهم حين سمعوا بموت رسول الله صلى الله عليه و سلم اعترتهم حالات شديدة من الحزن العميق - لقد دهشوا و طاشت عقولهم و بكت عيونهم و قلوبهم و هم صامتون حيارى، نساء و رجالا، أينما كانوا، فى منازلهم أو فى أسواقهم أو فى أشغالهم، و لولا عصمة الإسلام و سماحته و حسن تعاليمه لظهرت منهم أفعال عجيبه من شدة التأثر و عظيم الحزن. و لنذكر هنا ما أصاب بعضهم مما روته الأخبار على سبيل المثال لا الحصر، فنقول، و لا حول و لا قوة إلا بالله العظيم:

١- ففاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم قالت عند موته رضى الله تعالى عنها: يا أبتاه أجب ربا دعاه - يا أبتاه، من جنه الفردوس مأواه - يا أبتاه: إلى جبريل نعاه - فلما دفنوه صلى الله عليه و سلم، أخذت تربة من تراب قبر أبيها، رسول الله صلى الله عليه و سلم فشمته ثم أنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت على مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا

ثم قالت لأنس: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم التراب؟ و قالت: رضى الله تعالى عنها، لعلى: يا أبا الحسن دفتتم رسول الله؟

قال: نعم. قالت: كيف طابت قلوبكم أن تحثوا التراب عليه، أليس كان نبى الرحمة؟ قال: نعم، و لكن لا مردّ لأمر الله. هكذا قالت سيدة نساء العالمين، رضى الله تعالى عنها فى والدها الكريم عليه أفضل الصلاة و التسليم، الذى لم يأت على وجه الدنيا أفضل منه - إنها كانت تبكى صامتة تجتر حزنها، و لا تقول كلمة تغضب الله عز و جل - و لقد عاشت رضى الله تعالى عنها، بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه و سلم ستة أشهر ما ضحكت فى تلك المدة أبدا و حق لها ذلك، فأبوها رسول الله صلى الله عليه و سلم رسول رب العالمين و خاتم النبيين صلى الله عليه و سلم و على آله و صحبه أجمعين:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٠١ من مثله و إله الخلق فضله والإنس و الجن ترجو شفاعته فأعظم الله أجرها في أبيها المصطفى المختار صلى الله عليه و سلم و على آله و أصحابه الأخيار.

٢- و عائشة زوج النبي صلى الله عليه و سلم الذى مات فى بيتها بين سحرها و نحرها و كان عمرها وقتئذ ثمان عشرة- فقد جاء فى تاريخ الخميس نقلا- عن الاكتفاء، قالت رضى الله تعالى عنها: توفى رسول الله بين سحرى و نحرى و فى دولتى لم أظلم فيه أحدا، فمن سفاهه رأبى و حدائه سنى، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قبض و هو فى حجرى ثم وضعت رأسه على و سادة و قمت ألتدم مع النساء، و أضرب وجهى. و لم توفى جاء التعزية يسمعون الصوت و الحس و لا يرون الشخص: السلام عليكم يا أهل البيت، و رحمة الله و بركاته، كل نفس ذائقة الموت و إنما توفون أجوركم يوم القيامة- إن فى الله عزاء من كل مصيبة، و خلفا من كل هالك، و دركا من كل فائت، فبالله فتقوا و إياه فارجو، فإنما المصاب من حرم الثواب و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته. فقال على: أتدرون من هذا، هو الخضر عليه السلام (كذا فى المشكاة نقلا عن دلائل النبوة) ٥. من التاريخ المذكور.

و معنى ألتدم: أضرب صدرى- و ليس ضرب عائشة، رضى الله تعالى عنها، صدرها و وجهه كضرب عامة الناس و إنما هو ضرب بالتخفيف مرتين أو ثلاثا عن غفلة و دهشة ثم رجعت لصوابها- كما اعتذرت عن ذلك بقولها: فمن سفاهه رأبى و حدائه سنى- و هذا إن صح و ثبت عنها و الله تعالى أعلم بما أصاب أزواجه صلى الله عليه و سلم فجميعهن بيوتهن متلاصقات فى بقعه صغيرة من مسجده صلى الله عليه و سلم يعرفن كل ما يقع و كيف صارت حالتهن و هن ألتصق الناس برسول الله صلى الله عليه و سلم.

٣- و أبو بكر الصديق، رضى الله تعالى عنه، فإنه لما جاءه الخبر، دخل على رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو مسجى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه عليه الصلاة و السلام و جثا يقبله و يبكى. و قد ثبته الله تعالى، فكان من الراسخين، ثم خرج إلى المسجد يسكن الناس حيث كانوا يبيكون، ثم خطب فيهم كما سيأتى فى مسألة عمر- فلم يكن أثبت و أحزم من أبى بكر و العباس كما سيأتى عنه.

٤- و عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، فإنه لما توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم خبل فجعل يصيح و يتوعد المنافقين- قال سالم بن عبيد الله الأشجعي: لما مات رسول الله صلى الله عليه و سلم، كان أجزع الناس عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه- فأخذ بقائم سيفه و قال: لا أسمع أحدا يقول: مات رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا ضربته

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٠٢

بسيفى هذا. و قال أنس: لما توفى النبي صلى الله عليه و سلم، بكى الناس، فقام عمر بن الخطاب فى المسجد خطيبا فقال: لا أسمعن أحدا يقول إن محمدا قد مات، و لكنه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى بن عمران فلبث عن قومه أربعين ليلة- و الله لأرجو أن يقطع أيدي رجال و أرجلهم يزعمون أنه قد مات- قال عكرمة: ما زال عمر يتكلم و يوعد المنافقين حتى أزيد شدقه- فقال العباس: إن رسول الله يأسن كما يأسن الناس، و إنه قد مات فادفونوا صاحبكم. و معنى يأسن كما يأسن الناس أن يحصل لرسول الله صلى الله عليه و سلم تغير من العلل و الأمراض و الموت كما يحصل لجميع الناس؛ لأنه بشر.

قال الزهرى: و حدثنى أبو سلمة عن عبد الله بن عباس أن أبى بكر خرج و عمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس. فأقبل الناس إليه و تركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد، من كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، و من كان منكم يعبد الله فإن الله حتى لا يموت.

قال الله تعالى: وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ إِلَى قَوْلِهِ:

الشَّاكِرِينَ. و قال: و الله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها فأخبرنى سعيد بن المسيب أن عمر قال: و الله ما هو إلا أن سمعت أبى بكر تلاها فعقرت، حتى ما تقلنى رجلاى و حتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها أن النبي صلى الله عليه و سلم، قد مات. ٥. انتهى من صحيح البخارى.

٥- و عثمان بن عفان، رضى الله تعالى عنه، فقد أحرص حتى يذهب به و يجاء، و ما تكلم إلا بعد الغد.

٦- و علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أقعد فلم يستطع حراكا.

٧- وأضنى عبد الله بن أنيس، رضى الله تعالى عنه، فمات كمدا.

٨- و أما العباس، رضى الله تعالى عنه عم النبي صلى الله عليه و سلم فقد كان هو و أبو بكر أثبت الناس و أحزمهم- و قد تقدم أن العباس قال حين سمع كلام عمر و هو يتوعد المنافقين: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم يأسن كما يأسن الناس و إنه قد مات فادفونوا صاحبكم- فمثل هذا الكلام لا يصدر إلا من الراسخين و قليل ما هم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٠٣

و انظر إلى قول العباس لعلى بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهما، كما فى صحيح البخارى: إني و الله لأرى رسول الله صلى الله عليه و سلم سوف يتوفى من وجعه هذا- إني لأعرف وجه بنى عبد المطلب عند الموت ... الخ- و قد تقدم كلامه بالتفصيل قريبا- فانظر إلى فراسته العظيمة و صدق حدسه، رضى الله تعالى عنه.

٩- جاء فى كتاب الإصابة فى تمييز الصحابة- عند ترجمه أم أيمن، رضى الله تعالى عنها أمه رسول الله صلى الله عليه و سلم و حاضنته- عن أنس قال: لما كان بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم قال أبو بكر لعمر: انطلق بنا نزر أم أيمن كما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يزورها. فلما دخلا عليها بكت، فقالا: ما يبكيك فما عند الله خير لرسوله قالت: أبكى أن وحى السماء انقطع، فهيجتهما على البكاء فجعلت تبكى و يبكيان معها. و أخرجه مسلم و أحمد و أبو يعلى من هذا الوجه و فيه: و لكنى أبكى على الوحي الذى رفع عنا. و أخرج ابن سعد بسند صحيح عن طارق بن شهاب، قال: لما قبض النبي صلى الله عليه و سلم، بكت أم أيمن، فقيل لها، فقالت: اليوم و هن الإسلام. و عن أنس أيضا أن أم أيمن بكت حين مات النبي صلى الله عليه و سلم فقيل لها، فقالت:

إني و الله لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه و سلم يموت، و لكن إنما أبكى على الوحي إذ انقطع عنا من السماء. هـ. باختصار.

١٠- جاء فى تاريخ الخميس فى ترجمه بلال بن رباح، رضى الله تعالى عنه مؤذن رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان من السابقين الأولين و ممن شهد صلى الله عليه و سلم له بالجنة، أنه لما توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم أذن بلال و رسول الله صلى الله عليه و سلم يقبر. فكان إذا قال: أشهد أن محمدا رسول الله انتحب الناس فى المسجد. فلما دفن صلى الله عليه و سلم قال أبو بكر لبلال: أذن، قال: إن كنت إنما أعتقتنى لأن أكون معك فسيبلى ذلك، و إن كنت إنما أعتقتنى لله فخلنى و من أعتقنى له. قال أبو بكر: ما أعتقتك إلا لله. قال بلال:

فإني لا أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: فذاك إليك. فخرج بلال إلى الشام و مات بها، رضى الله تعالى عنه.

مكث بلال، رضى الله تعالى عنه بالشام زمانا، فرأى النبي صلى الله عليه و سلم فى المنام يقول له: يا بلال جفوتنا، و خرجت من جوارنا فاقصد إلى زيارتنا. فانتبه بلال، و قصد المدينة و ذلك بقرى من موت فاطمة، رضى الله تعالى عنها، فلما انتهى إلى المدينة تلقاه الناس، فأخبر بموت فاطمة، فصاح و قال: بضعة النبي ما أسرع ما لحقت بالنبي، صلى الله عليه و سلم. ثم قال له الناس: اصعد فأذن. فقال: لا أفعل بعد ما أذنت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٠٤

لمحمد صلى الله عليه و سلم فألحوا عليه فصعد، فاجتمع أهل المدينة رجالهم و نساؤهم و صغارهم و كبارهم، و قالوا: هذا بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه و سلم يريد أن يؤذن لنسمع إلى أذانه، فلما قال: الله أكبر الله أكبر صاحوا و بكوا جميعا، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ضجوا جميعا، فلما قال: أشهد أن محمدا رسول الله، لم يبق فى المدينة ذو روح إلا بكى و صاح. و خرجت العذارى و الأبنكار من خدورهن يبكين و صار كيوم موت رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى فرغ الناس من أذانه، فقال: أبشركم أنه لا تمس النار عينا بكت على النبي محمد صلى الله عليه و سلم. ثم انصرف إلى الشام و كان يرجع فى كل سنة مرة، فينادى بالأذان إلى أن مات رضى الله تعالى عنه. هـ. منه.



١١- وجاء في صحيح البخارى فى أواخر كتاب الجهاد فى باب جوائز الوفد، عن ابن عباس رضى الله عنهما، أنه قال: يوم الخميس و ما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء. فقال: اشتد برسول الله صلى الله عليه و سلم، وجعه يوم الخميس، فقال: اتئوتى بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا ... الحديث و جاء مثله فى صحيح مسلم عنه أيضا و لفظه: قال ابن عباس: يوم الخميس و ما يوم الخميس، ثم بكى حتى بل دمعه الحصى فقلت: يا ابن عباس و ما يوم الخميس، قال: اشتد برسول الله صلى الله عليه و سلم وجعه فقال: اتئوتى ... الحديث. جاء فى رواية الدارمى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال: ما رأيت يوما كان أحسن و لا أضوأ من يوم دخل فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة، و ما رأيت يوما كان أقبح و لا أظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم. ١٥.

هذا و لقد بكى كبار الصحابة بل و جميعهم، رضى الله تعالى عنهم، فى كل وقت يتذكرون فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم و ما كان له معهم من شأن- إنهم لا ينسونه و لا تذهب صورته الشريفة و هيئته اللطيفة من ذاكرتهم و مخيلتهم مدة حياتهم. روى أن عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، لما تحقق موته صلى الله عليه و سلم قال: و هو يبكى: بأبى أنت و أمى يا رسول الله، لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه، فلما كثروا، اتخذت منبرا لتسمعهم، فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن، فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم. ٥١.

إن الإنسان إذا تذكر من مات من أقاربه كأمه و أبيه و ابنه و أخيه، يبكى بكاء مرا و لا يساهم أبدا، فكيف هؤلاء الصحابة الكرام الذين كانوا يفدون رسول الله صلى الله عليه و سلم بأموالهم و أنفسهم و أولادهم، ينسون هذا النبى الكريم الذى كان بينهم التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٥٥

كقطعته من نور يعاشرهم و يؤانسهم و ينظر فى شؤونهم الدينية و الدنيوية، و الذى أخرجهم من ظلمات الجهل و الشرك إلى نور العلم و الإيمان، و كان لهم بمنزلة الوالد يعلمهم الدين و الأخلاق و الآداب الاجتماعية. إن هؤلاء الصحابة الكرام ليحق لهم أن يسكبوا دموعهم مدرارا عليه، فلقد كانوا يشاهدون فيه نور النبوة، و حكمه الرسالة، و عين الاستقامة، و نموذج العبادة، و العدالة، و مثال الطهر و الحياء، و الكرم، و العفاف، و الشجاعة و الرحمة، مع ما كان ينزل من بركات السماء، و نزول الوحي و الملائكة.

إن هؤلاء الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين لو لم يعلموا أن النياح على الميت و ضرب الخدود و شق الجيوب حرام لفعلوا كل ذلك و أشد من ذلك يوم موت رسول الله صلى الله عليه و سلم، حتى يصل ضجيجهم إلى السماء أياما عديدة، بل لقتل بعضهم أنفسهم من عظيم الأسى و شدة الحزن. إن حب رسول الله صلى الله عليه و سلم متأصل فى قلوب جميع المؤمنين، من الصحابة و التابعين و من بعدهم إلى يوم الدين، فلا يذكره أحد من المسلمين إلا بالتعظيم و بالصلاة و التسليم، و ما قرأ أحد خبر موته صلى الله عليه و سلم إلا حزن و بكى و رجف قلبه، و ما ذاك إلا لتغلغل حبه فى شغاف قلوبهم و هذا من الإيمان الصحيح و الحمد لله.

و هذا الناس فى زمان أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك رحمه الله تعالى، لما جاء أمره بهدم حجرات أمهات المؤمنين أزواج رسول الله صلى الله عليه و سلم لتوسعة المسجد النبوى، بكوا بكاء عظيما فى ذلك اليوم. قال عطاء الخراسانى: حضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ يأمرنا بهدم حجرات أزواج النبى صلى الله عليه و سلم فما رأيت يوما كان باكيا من ذلك اليوم. ١٥.

فانظر رحمتنا الله و إياك كيف كان حب الناس لرسول الله صلى الله عليه و سلم و لجميع آله و أزواجه و أصحابه الكرام، رضى الله تعالى عنهم أجمعين. إن حبه صلى الله عليه و سلم متغلغل فى قلوب المؤمنين كتغلغل الإيمان و اليقين. إنه فى الدارين هو السراج الوهاج صاحب الإسراء و المعراج، فلئن ذهب إلى الرفيق الأعلى و سعد بقاء ربه، عز و جل، فقد تركنا على دين قويم عظيم، و على شريعة بيضاء غراء يضىء نورها وجه الأرض، و يسرى ضوءها إلى عنان السماء، لا يخبو هذا النور المبين إلى قيام الساعة. اللهم صل

على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم و على

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٠٦

آل سيدنا إبراهيم، و بارك على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم و على آل سيدنا إبراهيم، فى العالمين إنك حميد مجيد.

### ما يؤخذ من مرضه و وفاته صلى الله عليه و سلم من الأمور

اعلم، رحمننا الله تعالى و إياك، و ختم حياتنا بالإيمان الكامل و الأعمال الصالحة، و أماتنا على شهادة و طهارة و نظافة براحة تامة بدون مرض و لا تعب، و تلقانا بلطفه و رحمته الواسعة و عفوه و غفرانه عند الحساب، و أدخلنا الجنة بسلام آمنين مع الذين أنعم الله عليهم مع النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا، آمين.

إنه يؤخذ من مرض رسول الله صلى الله عليه و سلم و وفاته عدة أمور مهمة نذكر منها ما ظهر لنا منها:

١- أنه صلى الله عليه و سلم حينما بدأ به المرض كان يوعك كما يوعك رجلان منا، فالبلاء يتضاعف على الأنبياء عليهم الصلاة و السلام كما يتضاعف لهم الأجر و الثواب.

٢- أنه صلى الله عليه و سلم عند اقتراب أجله اشتد به المرض و الوجع حتى لا تكاد تقرير أحد عليه من شدة الحمى.

٣- أنه صلى الله عليه و سلم كان يعلم أنه يموت فى مرضه هذا كما أخبر به ابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها.

٤- أنه صلى الله عليه و سلم استاك عند موته و كان بين يديه إناء فيه ماء فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه و يقوم: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات. ثم قال عند القبض: فى الرفيق الأعلى.

٥- لم يترك صلى الله عليه و سلم صلاته بالناس أبدا حتى فى مرض موته، فلما اشتد به المرض و لا يقدر على المشى و الوقوف أمر عليه الصلاة و السلام أبا بكر أن يصلى بالناس ثم توفى بعد ذلك بيوم أو يومين.

٦- لقد أوصى رسول الله صلى الله عليه و سلم فى مرض موته بالنساء و الأرقاء و المحافظة على الصلوات، و بإخراج المشركين من جزيرة العرب، و قال: «لعنة الله على اليهود و النصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٠٧

٧- قبض صلى الله عليه و سلم و هو خاتم النبيين مستندا على صدر عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما، و هى أحب زوجاته إليه. و كان عمرها ثمان عشرة سنة وقتئذ.

٨- قبض رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو بتمام وعيه و كمال عقله- لم يرتبط لسانه- فإنه قال فى آخر لحظته بعد أن استن بالسواك و أشخص ببصره إلى سقف البيت:

اللهم الرفيق الأعلى، ثم قبض فكان هذا آخر كلامه عند موته عليه أفضل الصلاة و السلام- فولادته و حياته و موته صلى الله عليه و سلم كانت على أكمل الحالات و أحسن الصفات مغايرة لعادات الناس- إنه أفضل الخلائق أجمعين.

٩- قبض صلى الله عليه و سلم على فراشه فى بيت عائشة، رضى الله تعالى عنها فى وقت الضحى من يوم الاثنين من السنة الحادية عشرة للهجرة.

١٠- دفن صلى الله عليه و سلم فى موضع فراشه فى بيت عائشة رضى الله تعالى عنها- و بيته ملاصق لمسجده الشريف، و أُلحد له فى قبره، و اللحد أفضل كما تقدم بيانه.

١١- مكث صلى الله عليه و سلم بعد موته مسجى على فراشه فى بيته يوم الاثنين و يوم الثلاثاء ثم دفن فى منتصف ليلة الأربعاء و ذلك لاشتغال الناس بإقامة خليفته و بيعتهم لأبى بكر الصديق، رضى الله تعالى عنه، و قيل دفن يوم الثلاثاء، و الأول أشهر.

١٢- غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الطاهر المطهر في ثيابه من غير أن يجردوه منها، وكان علي بن أبي طالب، رضى الله تعالى عنه، هو الذى تولى غسله بتوصية منه صلى الله عليه وسلم ثم أدرجوه فى أكفانه وطيوبه وجمروه بالعود والند ثم وضعوه على سريره فى بيته و سجوه.

١٣- صلى الناس فرادى على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمهم أحد، صلى عليه أولاً أقاربه و كبار الصحابة، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم الرجال ثم النساء، ثم الغلمان أفضاذا. و الذى نراه أن هذا الأمر لم يجمع عليه الصحابة إلا بإيعاز من النبى صلى الله عليه وسلم. فربما أنه أمر بذلك سرا بعض كبار الصحابة؛ كأبى بكر وعمه العباس، رضى الله تعالى عن الجميع، فهو صلى الله عليه وسلم إمامهم حيا و ميتا- و فى هذا تمييز له صلى الله عليه وسلم، عن كافة الأموات. و الله تعالى أعلم بحكمة ذلك.

١٤- كان تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم من غسله و الصلاة عليه و دفنه بعد الثلث الأول من ليلة الأربعاء الثانى عشر ربيع الأول.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٠٨

١٥- كان دفنه صلى الله عليه وسلم بالليل ذلك تقدير العزيز العليم- و لم يحمل أحد جنازته صلى الله عليه وسلم؛ لأنه مات فى بيته و غسل عند جدار بيته، و صلى الناس عليه فرادى فى بيته، و دفن فى بيته فى موضع فراشه الذى مات عليه صلى الله عليه وسلم فلم تكن له جنازة يحملها الناس و يسيرون بها إلى المقبرة كان ذلك فى الكتاب مسطوراً إنه صلى الله عليه وسلم بشر لا كالبشر، فأحوال الأنبياء لا تحيط بها عقول البشر.

١٦- لقد وقعت بعض الأمور و الإشارات فى مرض موته صلى الله عليه وسلم كإسراجه لابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها، أنه يقبض فى مرضه هذا، و أنها أول أهل بيته يتبعه، فتوفيت بعده بستة أشهر. و كأمره أن يقدموا أبا بكر، رضى الله تعالى عنه ليصلى بالناس إشارة إلى استخلافه بعده، و قد كان ذلك، فقد بايعه الناس كافة بالخلافة- إلى غير ذلك من الأمور التى لو أردنا ذكرها لطلال بنا الكلام- تدل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من جنس البشر و لكن عاداته خلاف عادات البشر. إنه ملحوظ بعناية الله، مشمول برعاية الله، معصوم بعصمة الله، فحركاته و سكناته، و أقواله، و أفعاله بتقدير العزيز العليم و تدبيره، فإذا تدبرت قوله عز و جل فى آخر سورة الطور: **وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ظهر لك المعنى بوضوح تام، فمن كان ملحوظا بعين العناية الربانية، لا تكون أحواله كأحوال عامة الناس.

روى الإمام أحمد عن عائشة، رضى الله تعالى عنها، قالت: كنت أدخل بيتى الذى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم و إنى واضعة ثوبى و أقول: إنما هو زوجى و أبى- فلما دفن عمر معهما فو الله ما دخلته إلا و أنا مشدودة على ثيابى حياء من عمر. ٥.

فتأمل رحمك الله فى قولها ليظهر لك معان دقيقة تخفى على كثير من المؤمنين.

و كذلك تأمل فيما جاء فى صحيح مسلم فى فضل فاطمة رضى الله تعالى عنها، الذى خلاصته: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها فى مرض موته فسارها فبكت، ثم سارها فضحكت، فلما سألتها عائشة، رضى الله تعالى عنها، قالت: سارنى فأخبرنى بموته فبكيت، ثم سارنى فأخبرنى أنى أول من يتبعه من أهله فضحكت.

إذا تأملت رحمتنا الله و إياك كل ذلك علمت أن الموت ما هو إلا انتقال من دار الفناء إلى دار البقاء. و علمت أمورا أخرى كلما تعمقت فى التأمل، و لولا خوف الإطالة لبينا ذلك بالتفصيل و العاقل تكفيه الإشارة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٠٩

اللهم صل على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم و على آل إبراهيم، و بارك على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم، و على آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد.

اللهم اختم حياتنا بالأعمال الصالحة و توفنا على الإيمان الكامل على طهارة و نظافة و راحة تامة بدون تعب و لا مشقة و ثبتنا بالقول

الثابت في الحياة الدنيا و في الآخرة و عاملنا بما أنت أهله برحمتك و فضلك و إحسانك يا أرحم الراحمين (يا الله) آمين آمين آمين.

### حكمة تأخير دفنه صلى الله عليه و سلم

اعلم أن الحكمة في تأخير دفنه صلى الله عليه و سلم، كما يظن لنا و الله أعلم هي، أولاً:  
النظر في تنصيب خليفه للمسلمين، لأنهم إذا اطمنأوا على جمع كلمتهم هان كل شيء و تيسر، فلما أقاموا أبا بكر، رضى الله تعالى عنه خليفه أقبلوا على تجهيز رسول الله صلى الله عليه و سلم و ثانياً: لما مات رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم الاثنين وقت الضحى العالى، أى قبيل الظهر دهش الناس لهذا الخبر و طاشت عقولهم و اجتمعوا فى مسجده صلى الله عليه و سلم يكون و بيته بلصق مسجده، لقد ذهل الناس و أصاب كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم ما أصاب. و لم يثبت على حاله إلا أبو بكر و العباس فقط، رضى الله تعالى عنهما، أما عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، فقد خبل فجعل يصيح و يتوعد المنافقين الذين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد مات حتى أزيد شدقه- فلما قام أبو بكر يخطب فى الناس و تلا قوله تعالى فى سورة المائدة: وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزَى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ، أفاق عمر، رضى الله تعالى عنه، حين سمع هذه الآية لكنه أهوى إلى الأرض ما تقله رجلاه من شدة حزنه على رسول الله، صلى الله عليه و سلم.

و أما عثمان بن عفان، رضى الله تعالى عنه، فقد أحرص حتى أنه يذهب به و يجاء و لم يتكلم إلا بعد الغد.

و أما على بن أبى طالب، رضى الله تعالى عنه، فقد أقعد فلم يستطع حراكاً.

هؤلاء هم كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم، أصابهم ما شل حركاتهم فكيف يتمكنون من تجهيز رسول الله صلى الله عليه و سلم من غسله و تكفينه و الصلاة عليه و دفنه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢١٠

و هم فى هذه الحالة المحزنة خصوصاً و لا بد من حضور بعضهم فى تجهيزه صلى الله عليه و سلم، فعلى، رضى الله تعالى عنه، كان ممن قام على غسله و نزول قبره صلى الله عليه و سلم كما تقدم تفصيله، فلا بد إذا من التريث و الصبر حتى تنكشف هذه الغمة من الناس و تنقش عنهم سحابة الحزن نوعاً ما و تنزل عليهم السكينة و الطمأنينة و يرجع إليهم صوابهم. إن مصيبة الموت ما بعدها من مصيبة تخرس الألسنة و تشل الحركات خصوصاً موت أشرف الخلق على الإطلاق السراج الوهاج صاحب الإسراء و المعراج رسول رب العالمين و خاتم النبيين محمد صلى الله عليه و على آله و صحبه أجمعين.

إذا علمت ما تقدم فهمت حكمة تأخير دفنه صلى الله عليه و سلم من ضحى يوم الاثنين إلى ليلة الأربعاء، و لا ضير فى ذلك، فهو الطيب المطيب الطاهر حياً و ميتاً لا يطرأ عليه تغيير و لا تبادل- اللهم صل و سلم و بارك عليه- و إذا تأملت فيما سبق علمت عذر الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى دفنه صلى الله عليه و سلم بعد صلاة العشاء من ليلة الأربعاء.

مات صلى الله عليه و سلم بالمدينة المنورة و عمره ثلاث و ستون سنة- و ولد بمكة المكرمة و بعث بها حينما بلغ أربعين سنة- فمكث بعد البعثة بمكة ثلاث عشر سنة- ثم هاجر إلى المدينة المنورة و مكث بها عشرة سنين ثم توفى فى السنة الحادية عشر من الهجرة بعد أن دخل الناس فى دين الله أفواجا- توفى و ليس فى رأسه و لحيته عشرون شعرة بيضاء كما فى صحيح مسلم. صلى الله عليه و سلم و على آله و أزواجه و أصحابه و أتباعه و سلم تسليمًا كثيرًا. و الحمد لله رب العالمين.

نبذة عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه و سلم العظيمة و سيرته العطرة

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ترك لأمته المرحومة كتزين لا ينفدان ولا يخلقان ولا يهجران هما كتاب الله العزيز وسنته المطهرة. من استمسك بهما فقد هدى إلى صراط مستقيم.

لقد تشرفنا بذكر شيء عن صفاته الكريمة وشمائله الحميدة صلى الله عليه وسلم عند قوله تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ، ولا نرى بأساً في تكرار ذلك عند كل مناسبة بل يندب ذلك ويسن لما فيه من الذكرى والاعتبار. عسى أن يوفقنا الله تبارك

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢١١

و تعالی للاقتداء والاتساء به صلى الله عليه وسلم، في أقواله وأفعاله وأحواله. فقد قال تعالى في سورة الأحزاب: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ.

ولا ندري ماذا نكتب عن أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام، عن سيرتهم العطرة وأخلاقهم الزكية وهم صفوة الخلق وأفضل البشر. إن الحكومات والدول إذا أرادت تعيين سفراء وإرسالهم إلى الممالك لأجل أن يمثلوا حكوماتهم تختارهم من فضلاء الناس وأرقاهم علما وأدبا وذكاء ونباهة وأجملهم خلقا وأحسنهم خلقا، فإذا كانت هذه العادة هي الجارية بين الملوك والسلطين فكيف لا يكون الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين أرسلهم رب العالمين ذو العزة والجبروت والملك والملوك إلى الناس كافة من أفضل البشر و صفوة الخلق وعلى أخلاق عظيمة و صفات عالية و شمائل سامية حميدة.

إن جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، هم على أكمل الأحوال وأسمى المراتب وأرفع الصفات في الخلق والخلق والأقوال والأفعال، بل وفي الحسب والنسب والشرف الرفيع، ذلك لأنهم أتوا يدعون الناس إلى عبادة الله تعالى وترك الأصنام والآثام ويرشدونهم إلى الخير والبر ومكارم الأخلاق، فالناس يقتدون بهم في جميع الأحوال فلا بد أن يكونوا، عليهم الصلاة والسلام مبرئين من كل عيب سليمين من كل شائبة. هذا هو المعقول والواقع في أنبياء الله تعالى ورسله الكرام، عليهم الصلاة والسلام، تؤيده الشرائع السماوية وتوازره جميع التواريخ البشرية لا يختلف في ذلك اثنان، إنه لو كان هناك أحد أفضل منهم وأحسن وأكمل منهم وأعقل لكانوا تحت الانتقاد والاعتراض، وحاشا أن يكون رسل الله تعالى، وأنبيأؤه الكرام، عليهم الصلاة والسلام، محلا للانتقاد والاعتراض، إنهم في أشرف المراتب وأعلا المقامات حسا ومعنى. إن الله تبارك وتعالى، قد اصطفاهم من خلقه واختارهم من عباده، فهم خيار من خيار من خيار.

هذا وما دام هذا المبحث خاص بنبينا (محمد) خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين فلنتبرك بذكر شيء من سيرته العطرة ونبذة من أخلاقه الكريمة الممتازة العالية حبا في سنته ورغبة في اتباعه فنقول وبالله التوفيق:

جاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، و اصطفى قريشا من كنانة و اصطفى من قريش بنى هاشم و اصطفاني من بنى هاشم».

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢١٢

و جاء فيه أيضا أنه قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» و جاء فيه أيضا: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مليحا مقصدا» (أى مقصدا ليس بجسيم ولا نحيف ولا طويل ولا قصير). و جاء في الترمذي: «كان أبيض كأنما صيغ من فضة رجل الشعر». و جاء في الصحيحين: «كان أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير». وفيهما أيضا: «كان أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس».

وفيها أيضا: «كان أشد حياء من العذراء في خدرها». وفي صحيح مسلم:

«كان أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ». وفيه أيضا عن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: «ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل». وفيه أيضا عن أنس بن مالك، قال: «ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح

رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا مسست شيئا قط، ديباجا و لا حريرا ألين مسا من رسول الله صلى الله عليه و سلم» و فيه أيضا عن أنس بن مالك قال: «كان النبي صلى الله عليه و سلم يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها و ليست فيه، قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأثيت فقيل لها: هذا النبي صلى الله عليه و سلم نام في بيتك على فراشك، قال: فجاءت و قد عرق و استنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع النبي صلى الله عليه و سلم فقال لها: ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا. قال: أصبت».

و في سنن أبي داود «كان كلامه صلى الله عليه و سلم فضلا يفهمه كل من سمعه».

و في صحيح مسلم عن أنس، قال: «أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه و سلم غنما بين جبلين، فأعطاه إياه، فأثى قومه فقال: أى قوم أسلموا فو الله إن محمدا ليعطى عطاء ما يخاف الفقر. فقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا و ما عليها».

و عن أنس أيضا، رضى الله تعالى عنه، قال: «ما مسست ديباجا و لا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه و سلم و لقد خدمت رسول الله صلى الله عليه و سلم عشر سنين، فما قال لى قط أف و لا قال لشيء فعلته لم فعلته، و لا لشيء لم أفعله إلا فعلت كذا»- رواه الشيخان.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢١٣

و الحاصل: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم على أنبل الصفات و أكمل الحالات فى جميع الحركات و السكنات. و لو أردنا تعداد شمائله الشريفة لمألنا مئات الصفحات و ما وقينا حقه. و كتب الحديث و السير مشحونة بفضائله صلى الله عليه و سلم، و إذا كان الله تبارك و تعالى، قد أثنى عليه و على إخوانه النبيين فى كتابه العزيز فما قيمة ما يمدحهم الورى به- اللهم إلا أن يعود على هؤلاء الورى الأجر و الثواب. كل على مقدار حبه و بحسب نيته- فالله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا. سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.

### ما يمتاز به نبينا محمد صلى الله عليه و سلم عن باقى الأنبياء عليهم الصلاة و السلام

إن نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم، يمتاز عن جميع الأنبياء عليهم أفضل الصلاة و السلام بكثير من الأمور، و لا غرابة فى ذلك، و قد قال الله تبارك و تعالى: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ، و لو استقصينا هذه الأمور لطل بنا الكلام و لم نقدر على حصرها، غير أننا نذكر هنا نبذة صغيرة مما يناسب هذا المبحث و هى كما يأتى:

(الأول) أن الأنبياء السابقين، عليهم الصلاة و السلام، كانت أعمارهم المباركة طويلة مديدة تعد بمئات السنين حتى أن بعضهم تجاوز الألف؛ كنوح عليه الصلاة و السلام، فمن حكمه الله تعالى أن جعل أعمار الأمم السابقة طويلة، ثم ما زالت أعمار الخلق تنقص شيئا فشيئا حتى الآن. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين و أقلهم من يجوز ذلك». رواه الترمذى. و هذا هو الواقع فىنا، و كذلك كانت أجساد الأمم الماضية طويلة عريضة ضخمة. قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: «خلق الله عز و جل آدم على صورته طوله ستون ذراع، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر و هم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك و تحية ذريتك. قال: فذهب، فقال: السلام عليكم. فقالوا:

السلام عليك و رحمة الله. قال: فزادوه و رحمة الله. قال: فكل من يدخل الجنة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢١٤

على صورة آدم و طوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن». رواه البخارى و مسلم و اللفظ له.

فمن الحديثين الشريفين يعلم أن الأمم السابقة و أهل القرون الأولى كانوا ضخام الأجسام طوال الأعمار، فأنبيأؤهم، عليهم الصلاة و

السلام، مع طول أعمارهم و دعوتهم المستمرة لم يؤمن بهم من قومهم إلا القليل حتى أن بعضهم لم يؤمن به من قومه إلا رجل واحد. ففى الحديث: «ما صدق نبى ما صدقت، إن من الأنبياء من لم يصدقه من أمته إلا رجل واحد».

أما نبينا (محمد) صلى الله عليه وسلم فإنه مع قصر عمره الشريف الذى كان ثلاثا و ستين سنة قد آمن به قومه كلهم إلا من كتب عليه الشقاء و هم قليلون- و لقد دخل الناس أخيرا فى دين الله أفواجا عن حب و رغبة و اعتقاد صادق، و ما زال المسلمون يتزايدون فى كل زمان و مكان حتى قيام الساعة، و لم نقف على عدد من آمن به صلى الله عليه وسلم منذ بعثته إلى حين وفاته، و لكنه حينما حج عليه الصلاة و السلام حجة الوداع خرج معه مائة ألف و أربعة عشر ألفا و قيل أكثر من ذلك.

و الله تعالى أعلم بعدد من تخلف عنه صلى الله عليه وسلم من المسلمين رجالا و نساء فى حجة الوداع التى أعقبها وفاته، عليه الصلاة و السلام، و لا يتخلف أحد عن هذه الحجة إلا من عذر قوى قهرى.

(الثانية) أن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، إذا ماتوا و مات أصحابهم الذين آمنوا بهم انقطعت شريعتهم و هجرت ملتهم و رجع الناس إلى عبادة الأوثان، أما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، و هو خاتم الأنبياء، فإنه لما مات لم تنقطع ملته و شريعته بل قام الناس باتباع معالم دينه على أكمل وجه- فإن أبا بكر، رضى الله تعالى عنه، قام يومئذ على المنبر و خطب فى الناس فكان من جملة ما قال: أيها أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، و من كان يعبد الله فان الله حي لا يموت. ثم قام الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، بالدعوة إلى الله تعالى و جهاد الكفار فى جميع الممالك و الأمصار، حتى انتشر الدين الإسلامى الحنيف فى ربوع الأرض و رسخت راياته فى الخافقين، و لا يزال هذا الدين القويم ثابتا قائما إلى قيام الساعة، و لا تزال طائفة من الأمة المحمدية ظاهرين على الحق قوامين على أمر الله و لا يضرها من خالفها حتى تقوم الساعة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢١٥

(الثالثة) لم تبق للأنبياء عليهم الصلاة و السلام كتبهم و صحفهم التى أنزلها الله تعالى عليهم بعد موتهم و إن بقى منها شىء و هو التوراة و الإنجيل، فإن اليهود و النصارى حرفوهما و بدلوا فيهما بحسب أهوائهم كما صرح بذلك القرآن الكريم. أما كتاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذى أنزله الله تعالى عليه و هو القرآن العظيم فإنه باق على صحته و سلامته كما أنزل إلى اليوم بل و إلى قيام الساعة. و إنه لم يحصل عليه شىء من التغيير و التحريف لا فى حرف و لا فى كلمة و لا فى تقديم و لا فى تأخير، فلقد تكفل الله عز و جل بحفظه كما أخبرنا به فى أوائل سورة (الحجر) بقوله: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** فما أعظمها من آية بينة و ما أعظمها من تشريف و حكمة.

(الرابعة) أن جميع الأنبياء، عليهم الصلاة و السلام، لم تحفظ أقوالهم و سننهم و لم تدون أحوالهم و تواريخهم- اللهم إلا النزر القليل الذى لا يغنى الباحث المحب و لا ينفع غلة الغليل- و غالب ما جاء فيهم إنما هو من أخبار خاتم النبيين عليه و عليهم الصلاة و السلام أجمعين- أما أقوال نبينا الكريم "محمد" صلى الله عليه وسلم، و أحواله و أفعاله و سننه و عبادته و صفاته و شمائله و أخلاقه و مكارمه و حروبه و غزواته و فتوحاته و تاريخ حياته الشريفة، بل و حياة أصحابه الكرام، فإن كل ذلك ثابت و مدون بالتفصيل التام و التحقيق الدقيق فى كتب الحديث و التفسير و المناقب و السير بالأسانيد الصحيحة، عن الثقات العدول الذين لا يتطرق إليهم الشك و لا- تحوم حولهم الريب. و ما أعظم كتب الأحاديث الصحاح الحاوية لأقوال و أحوال خاتم رسل الله، صلوات الله و سلامه عليه و عليهم أجمعين.

و ما أكثر كتب السير المعتمدة الخاصة بتاريخ حياة نبينا "محمد" صلى الله عليه وسلم، نثرا و نظما و بتاريخ الصحابة و التابعين و غيرهم.

لم يوضع شىء من مثل ذلك عن الأنبياء الكرام، عليهم الصلاة و السلام، فإنه بموتهم و موت أصحابهم و حوارهم اندرست سيرهم العطرة و تاريخ حياتهم الشريفة- ما عدا بعض الأمور الحقيقية الصادقة التى أخبر الله عز و جل بها فى كتابه العزيز أو أخبر بها نبينا

الكريم صلى الله عليه وسلم، نعم قد توجد نبذ قصيرة و شذرات صغيرة و نتف قليلة عند اليهود و النصارى عن النبيين العظيمين موسى و عيسى عليهما الصلاة و السلام، لكن لا يعول عليها لاحتمالها الصدق و الكذب، فإذا كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه في الكتب السماوية، فهم لغيرها أكثر جراً

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢١٦

بالتحريف، و أيضاً إنهم لا يعنون بصحة الأخبار عن بعضهم كما يعتنى المسلمون بنقل الأحاديث و الأخبار النبوية بصحة الإسناد و قوة النقل عن الثقات العدول.

(الخامسة) أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم كان يخبر بتعليم الله تعالى له بكثير من المغيبات عن بعض الأمور التي تقع في زمانه و في غير زمانه و تقع لبعض أصحابه بل و التي ستقع في أزمان مختلفة حتى قيام الساعة من علاماتها و غيرها. فكانت تلك الأمور تقع كما أخبر به صلى الله عليه وسلم تماما. كما هو مذكور في كتب الحديث و معلوم في كتب التواريخ. و كما نحن نشاهد من ظهور بعض علامات الساعة في زماننا الشيء الكثير، و قد مضى على مبعثه صلى الله عليه وسلم أكثر من ألف و أربعمائة عام، فلو أردنا حصر ذلك لطال بنا الكلام، و لا شك أن ذلك من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم الكثيرة التي لا تعد و لا تحصى. قال بعض العلماء:

فكم من المغيبات ذكرافبعضها مضى و بعض سيرى

و معجزات المصطفى ليست تعدو في الشفا منها كثير قد ورد

أما الأنبياء السابقون عليهم الصلاة و السلام، فلم ينقل عنهم أنهم أخبروا بجملة من الأمور تقع في مستقبل الأزمان. نعم لا يسلم أنهم أخبروا ببعض أشياء تقع في زمانهم و على بعض أقوامهم فيقع كما أخبروا؛ لأنهم أنبياء أصحاب معجزات و لكن ذلك نادر و قليل. و لقد أخبر الله تعالى عن بعضهم في كتابه العزيز بما وقع لهم من المعجزات و الإخبار بالمغيبات؛ كخليفة إبراهيم عليه الصلاة و السلام، فله أمور عجيبة مع قومه مذكورة في بعض السور. و كلمه موسى عليه الصلاة و السلام، و هذا له شأن عظيم مع بنى إسرائيل كما جاء ذكره في كثير من السور، و نبيه يعقوب و ولده يوسف كما هو مذكور في سورتها، و نبيه عيسى بن مريم الذي كان يخبر قومه بما يأكلون و يدخرون في بيوتهم، كما جاء ذلك في آية (٤٩) من سورة آل عمران.

و لكن كل ما جاء عن الأنبياء، أنبياء الله سبحانه و تعالى من المعجزات و الإخبار بالمغيبات و هو قليل جدا بالنسبة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم و على جميع الأنبياء و المرسلين و آل كل واحد منهم و أصحابه أجمعين - فمعجزات نبينا الكريم ما زالت مستمرة إلى اليوم و إلى قيام الساعة، و كلها ظاهرة محسومة مشاهدة كالشمس لا تحتاج إلى برهان.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢١٧

هذه نبذة صغيرة عن مميزات نبينا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، المناسبة للمبحث المذكور. و لو أردنا حصر مميزات و فضائله لقضينا الحياة و ما قضينا معشار حقه صلى الله عليه وسلم إنه صلى الله عليه وسلم رسول مكمل و نبي مفضل - مكمل بالذات في خلق و في خلق و في صفات فلا تحصى فضائله - هذا و قد ذكرنا شيئا من ذلك في مواضع شتى من تفسيرنا هذا، و في بطون الكتب و الأسفار الشيء الكثير. و رحم الله من يقول:

أرى كل مدح في النبي مقصرا وإن بالغ المثنى عليه و أكثرا

إذا الله أثنى بالذي هو أهله عليه فما مقدار ما يمدح الورى

نعم، ماذا نقول فيمن اختاره الله عز و جل و اصطفاه و قال له في آخر سورة الطور: **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**، ماذا نقول فيمن نطقه و أحواله و حركاته و سكناته عن الله و بالله و من الله. ماذا نقول فيمن شقت الملائكة صدره و غسلته و ملأته إيمانا و حكمة و علما و نورا. ماذا نقول فيمن أراه الله ملكوت السموات و الأرض و عرج به إلى السموات العلى. ماذا نقول فيمن تنام عيناه و لا ينام



قلبه فلا سبيل للشيطان عليه، ماذا نقول فيمن رب العز و الجلال يعصمه و يحفظه و الملائكة تحرسه و جبريل يؤنسه - اللهم صل و سلم على هذا النبي الكريم و على آله و صحبه أجمعين صلاة و سلاما دائمين إلى يوم الدين.

هذا، و لئن ذكرنا نبينا محمد صلى الله عليه و سلم، بالمناسبة فإننا لا ننسى فضائل جميع الأنبياء، أنبياء الله تعالى و مناقب كافة الرسل الكرام عليهم الصلاة و السلام - فإن لكل واحد منهم فضائل لا تعد و مزايا لا تحدد. فإنهم خيار الخلق و صفوتهم فمن منا يحيط بفضلهم، و شأنهم بعيد مرتفع.

و كفاهم سعادة و فوزا و شرفا و فخرا كونهم رسل الله ينزل الوحي عليهم من السماء - فنحن إذا ذكرنا فضل أحد منهم فإننا نوفي حقه بقدر معرفتنا من غير أن يؤدي ذلك إلى غمط حق أحدهم و لا بكلمة. إننا مأمورون بالإيمان بهم و بما أنزل عليهم و باحترامهم و تعظيمهم و الصلاة و السلام عليهم، صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين - اللهم اغفر لنا و ارحمنا و عافنا و ارزقنا و أدخلنا الجنة بسلام آمين مع النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا. آمين آمين آمين و الحمد لله رب العالمين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢١٨

هذا و لقد قلنا في زيارتنا لرسول الله صلى الله عليه و سلم، ليلة الثاني و العشرين من شهر رجب سنة (١٣٨٢ هـ) ألف و ثلاثمائة و اثنتين و ثمانين هجرية هذه الأبيات للعتبة و الاعتبار:

هنا منبع الهدى هنا منزل التقى هنا خير خلق الله يثوى و يرقد

رسول إله العالمين (محمد) شفيع الملا يوم القيامة أحمد

قفوا أمة الإسلام في خير بقعة أمام رسول الله و النور فاشهدوا

قفوا وقفه الإجلال يا خير أمة أمام شفيع المذنبين لتسعدوا

و صلوا عليه كل حين و سلموا كما أمر الله العزيز الممجّد

و ولوا إلى شطر الشريعة و جهكم و قوا صفوف المسلمين و وحدوا

و توبوا بصدق و ارجعوا بعزيمة و قوموا بنصر الله حقا و سدّدوا

عسى ربنا أن ينزل النصر فيكم و أن يخذل الكفار ما دام ألدّوا

عسى ربنا أن يبذل الحال حاله بأحسن منها إنه هو منجد

حبذا لو كتبت هذه الأبيات في لوحة كبيرة و تعلق بالمسجد النبوي للعتبة و الاعتبار، و حبذا لو كتبت الأبيات الثلاثة الأولى مع البيت الخامس في لوحة أيضا بحروف معدنية بارزة كبيرة بخط جميل و تعلق في مواجهة قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لاتباع سنته الغراء و شريعته البيضاء و يسعدنا في الدارين، و يدخلنا الجنة بسلام آمين مع النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين.

آمين يا رب العالمين.

### معجزاته صلى الله عليه و سلم

أما معجزاته عليه الصلاة و السلام، فحصرها ليس في الإمكان، و الذي عددها فإنما هذا التعداد كان بحسب المعجزات الظاهرات كالشمس للخواص و العوام، و لكن هنالك معجزات لا تظهر إلا - لأولى الأبواب الذين يدققون في الأمور و يحققون المسائل، من أقواله و أفعاله و إشارات صلى الله عليه و سلم و من هنا نقول إنها كثيرة و كثيرة جدا، فمنها ما وقع و منها ما سيقع، و إلى هذا أشار الناظم بقوله:

فكم من المغيبات ذكرافبعضها مضى و بعض سيرد  
و معجزات المصطفى ليست تعدو في الشفا منها كثير قد ورد  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢١٩

و إن من أعظم معجزاته صلى الله عليه و سلم، القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.  
هذا القرآن العظيم الذى عجز الإنس و الجن عن الإتيان بأصغر سورة من مثله، كما قال تعالى: قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ  
يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا.

و هل يمكن للمخلوق الضعيف أن يأتي بما يأتي به الخالق جل و علا- كلا و الله- و الحمد لله إن المستشرقين اليوم يقرون بأن  
القرآن الكريم كلام الله تعالى ليس فى ذلك شك، كما بينا أقوالهم فى كتابنا "تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه" المطبوع  
بمطبعة مصطفى البابى الحلبي و أولاده بمصر القاهرة.

و لقد تكلم كثير من فطاحل العلماء عن معنى إعجاز القرآن، ذكرنا بعض ذلك فى كتابنا المذكور، فمن أراد الاطلاع فى كل ما  
يتعلق بالقرآن العظيم فليرجع إلى كتابنا المذكور، كما أن من أراد زيادة البحث عن معجزاته صلى الله عليه و سلم، فليرجع إلى كتب  
التاريخ و السير.

### نبذة من أخلاقه صلى الله عليه و سلم

هنا ننقل ما ذكرناه سابقا فى كتابنا "تحفة العباد فى حقوق الزوجين و الوالدين و الأولاد" و هذا نص ما ذكرناه:

(كان) صلى الله عليه و سلم، ما ضرب بيده أحدا قط، إلا أن يضرب بها فى سبيل الله تعالى، و ما انتقم من شىء صنع إليه قط إلا أن  
تنتهك حرمة الله، و ما خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك، و ما  
كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه فى حاجته.

و قال أنس رضى الله عنه: (و الذى بعته بالحق ما قال لى فى شىء قط كرهه لم فعلته، و لا لامنى نساؤه إلا قال: دعوه إنما كان هذا  
بكتاب و قدر).

(و كان) صلى الله عليه و سلم، يبدأ من لقى بالسلام، و من قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف.

(و كان) صلى الله عليه و سلم، إذا لقى أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة.

(و كان) صلى الله عليه و سلم، لا يقوم و لا يجلس إلا على ذكر الله.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٢٠

(و كان) صلى الله عليه و سلم، إذا قام من مجلسه قال: سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك و أتوب إليك.

(و كان) صلى الله عليه و سلم، لا يجلس إليه أحد و هو يصلى إلا خفف صلاته و أقبل عليه فقال: ألك حاجة، و لم يكن يعرف  
مجلس من مجلس أصحابه، لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس.

(و كان) صلى الله عليه و سلم، يكرم من دخل عليه، حتى ربما بسط له ثوبه يجلس عليه.

(و كان) صلى الله عليه و سلم، يؤثر الداخل عليه بالوسادة التى تحته.

(و كان) صلى الله عليه و سلم، يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه و سمعه و حديثه و لطيف مجلسه و توجهه  
للجالس إليه، و لم تكن ترفع فى مجلسه الأصوات.

(و كان) صلى الله عليه و سلم، أرحم الناس بالصبيان و العيال.

(و كان) صلى الله عليه و سلم، أرف الناس بالناس، و خير الناس للناس، و انفع الناس للناس.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، أصبر الناس على أقدر الناس.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان يقول كذا، ولكن يقول ما بال أقوام يقولون كذا و كذا.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، لا يضحك إلا تبسما.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: السلام

عليكم - السلام عليكم.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائبا دعا له، وإن كان شاهدا زاره وإن كان

مريضا عاده.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، إذا أتى مريضا أو أتى به قال: أذهب الباس رب الناس، اشف و أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء

لا يغادر سقما.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، إذا لقيه أحد من أصحابه فقام معه قام معه، فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه، و

إذا لقيه أحد من أصحابه، فتناول يده ناوله إياها فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده منه، و إذا لقي أحدا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٢١

من أصحابه فتناول إذنه ناوله إياها ثم لم ينزعها عنه، حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها عنه. قوله: فتناول إذنه أى: قرب منه ليكلمه

سرا لم ينزعها صلى الله عليه وسلم حتى يفرغ الرجل من حديثه.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، لا يدفع عنه الناس و لا يضربون عنه.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، لا يطرق أهله ليلا.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، لا يقرأ القرآن فى أقل من ثلاث.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، لا ينزل منزلا إلا ودعه بركتين.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، لا يواجه أحدا فى وجهه بشيء يكرهه.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، يأتى ضعفاء المسلمين و يزورهم، و يعود مرضاهم، و يشهد جنازتهم.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، يخطط ثوبه، و يخصف نعله، و يعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه، و خفض بها صوته.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، يركب الحمار، و يخصف النعل، و يرقع القميص، و يلبس الصوف و يقول: من رغب عن سنتى فليس

منى.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، يقبل الهدية و يثيب عليها.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، أكثر لباسه البياض، و كانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، أحلم الناس و أرغبهم فى العفو مع القدرة.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، يقول: لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئا، فإنى أحب أن أخرج إليكم و أنا سليم الصدر.

(و كان) صلى الله عليه وسلم، أجود الناس و أسخاهم، فقد حمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير، ثم مال إليها فقسماها،

فما رد سائلا حتى فرغ منها.

و جاءه رجل فسأله فقال: ما عندى شيء و لكن ابتع على فإذا جاءنا شيء قضيناها، فقال عمر: يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر

عليه، فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، فقال الرجل: أنفق و لا تخش من ذى العرش إقلالا، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم و

عرض السرور في وجهه. و لما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٢٢

اضطروه إلى شجرة فخطف رداءه. فوقف رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قال: أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاة نعماً لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً و لا كذاباً و لا جباناً.

و في صحيح مسلم، عن سفيان ابن عيينه، عن ابن المنكدر أنه سمع جابر بن عبد الله قال: «ما سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم شيئاً قط فقال لا».

و في صحيحه أيضاً عن موسى بن أنس، عن أبيه قال: «ما سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة».

و عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أجود الناس بالخير و كان أجود ما يكون في شهر رمضان، إن جبريل عليه السلام كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ فيعرض عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أجود بالخير من الريح المرسلة».

و كان على كرم الله وجهه إذا وصف النبي صلى الله عليه و سلم قال: كان أجود الناس كفاً، و أوسع الناس صدراً، و أصدق الناس لهجةً، و أوفاهم ذمّةً، و أئینهم عريكةً، و أكرمهم عشرةً، من رآه بديهةً هابه، و من خالطه معرفةً أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله و لا بعده مثله.

انتهى من كتاب "تحفة العباد في حقوق الزوجين و الوالدين و الأولاد."

### ذكر شيء مما اختص به رسول الله صلى الله عليه و سلم

الحقيقية أن ما اختص الله به عبده و نبيه شفيعنا "محمداً" صلى الله عليه و سلم شيء كثير قد لا يمكن عدده و حصره، و لنذكر هنا نبذة من ذلك نقلاً عن الجزء الأول من تاريخ الخميس، هذا التاريخ العظيم الذي جمع فأوعى - فقد جاء فيه ما يأتي:

قد جمع بعض خصائصه عليه الصلاة و السلام الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في رسالته سماها "أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب" و قال: و هي منحصرة في قسمين:

(القسم الأول) في الخصائص التي اختص بها عن جميع الأنبياء و لم يؤتها نبى قبله - و هي أربعة أنواع: التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ١-١؛ ص ٢٢٣

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٢٣

١- النوع الأول: ما اختص به في ذاته في الدنيا.

٢- النوع الثاني: ما اختص به في شرعه و أمته في الدنيا.

٣- النوع الثالث: ما اختص به في ذاته في الآخرة.

٤- النوع الرابع: ما اختص به في أمته في الآخرة.

(و القسم الثاني) في الخصائص التي اختص بها عن أمته، منها ما علم مشاركة الأنبياء له فيها، و منها ما لم يعلم - و هو أربعة أنواع:

١- النوع الأول: ما اختص به من الواجبات و الحكمة في زيادة الزلفى و الدرجات.

٢- النوع الثاني: ما اختص به من المحرمات.

٣- النوع الثالث: ما اختص به من المباحات.

٤- النوع الرابع: ما اختص به من الكرامات و الفضائل.

ثم بين صاحب تاريخ الخميس رحمه الله تعالى كل نوع من الأنواع المتقدمة مما يدخل في القسمين المذكورين - كما ذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم بعد كل هذه الأنواع.

ولقد أحببنا نقل جميع أنواع القسمين المذكورين في تاريخ الخميس، ولكن رأينا أنه يطول بنا المقام، لذلك رأينا أن نقتصر على النوع الأول من القسم الأول فقط، تبركا بذكر أحواله صلى الله عليه وسلم، فقد جاء فيه ما نصه النوع الأول ما اختص به في ذاته في الدنيا:

اختص صلى الله عليه وسلم بأنه أول النبيين خلقا، وبتقدم نبوته، فكان نبيا و آدم منجدل في طينته، وتقدم أخذ الميثاق عليه، وأنه أول من قال بلى يوم ألت بربكم، وخلق آدم وجميع المخلوقات لأجله، وكتابة اسمه الشريف على العرش و كل سماء و الجنان و ما فيها و سائر ما في الملكوت، و ذكر الملائكة له في كل ساعة و ذكر اسمه في الأذان في عهد آدم و في الملكوت الأعلى، و أخذ الميثاق على النبيين آدم فمن بعده أن يؤمنوا به و ينصروه، و التبشير به في الكتب السابقة و نعته فيها و نعت أصحابه و خلفائه و أمته، و حجب إبليس من السموات لمولده، و شق صدره في أحد القولين و هو الأصح، و جعل خاتم النبوة بظهره بإزاء قلبه حيث يدخل الشيطان، و سائر الأنبياء كان الخاتم في يمينهم، و بأن له ألف اسم، و باشتقاق اسمه من اسم الله، و بأنه سمي من أسماء الله بنحو سبعين اسما، و بأنه سمي أحمد و لم يسم به أحد قبله،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٢٤

و قد عدت هذه من الخصائص في حديث مسلم، و بإضلال الملائكة في سفره، و بأنه أرجح الناس عقلا، و بأنه أوتي كل الحسن و لم يؤت يوسف إلا- الشطر، و بغطه ثلاثا عند ابتداء الوحي، و برؤيته جبريل في صورته التي خلق عليها، عد هذه البيهقي، و بانقطاع الكهانة لمبعثه، و حراسة السماء من استراق السمع و الرمي بالشهب، عد هذه ابن سبع، و بإحياء أبويه له حتى آمنوا به، و قد مر في ذكر نسبه، و بوعده بالعصمة من الناس، و بالإسراء و ما تضمنه من اختراق السموات السبع و العلو إلى قاب قوسين، و بوطنه مكانا ما وطئه نبي مرسل و لا ملك مقرب، و إحياء الأنبياء له و صلواته إماما بهم و بالملائكة، و باطلاعه على الجنة و النار، عد هذه البيهقي، و رؤيته من آيات ربه الكبرى، و حفظه حتى ما زاغ البصر و ما طغى، و رؤيته للباري تعالى مرتين، و قتال الملائكة معه، و سيرهم معه حيث سار يمشون خلف ظهره، و بإيتائه الكتاب و هو أمي لا يقرأ و لا يكتب، و بأن كتابه معجز و محفوظ من التبديل و التحريف على ممر الدهور، و مشتمل على ما اشتمل عليه جميع الكتب و زيادة، و جامع لكل شيء و مستغن عن غيره، و ميسر للحفظ، و نزل منجما، و على سبعة أحرف من سبعة أحرف من سبعة أبواب و بكل لغة، عد هذه ابن النقيب، و أعطى من كنز العرش و لم يعط منه أحد، و خص بالبسملة و الفاتحة و آية الكرسي و خواتيم سورة البقرة و السبع الطوال و المفصل، و بأن معجزته مستمرة إلى يوم القيامة و هو القرآن، و معجزات سائر الأنبياء انقضت لوقتها، و بأنه أكثر الأنبياء معجزات، فقد قيل إنها تبلغ ألفا و قيل ثلاثة آلاف سوى القرآن فإن فيه ستين ألف معجزة تقريبا.

قال الحلیمی: و فيها مع كثرتها معنى آخر، و هو أنه ليس في شيء من معجزات غيره ما ينحو نحو اختراع الأجسام، و إنما ذلك في معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة، و بأنه جمع له كل ما أوتيته الأنبياء من معجزات و فضائل، و لم يجمع ذلك لغيره بل اختص كل بنوع، و أوتي انشقاق القمر، و تسليم الحجر، و حنين الجذع، و نبع الماء من بين الأصابع، و لم يثبت لواحد من الأنبياء مثل ذلك، ذكره ابن عبد السلام، و بأنه خاتم النبيين و آخرهم بعثا فلا نبي بعده، و شرعه مؤيد إلى يوم القيامة لا ينسخ و ناسخ لجميع الشرائع قبله، و لو أدركه الأنبياء لوجب عليهم اتباعه، و في كتابه النسخ و المنسوخ، و بعموم الدعوة للناس كافة، و أنه أكثر الأنبياء تابعاء، و أرسل إلى الجن بالإجماع و إلى الملائكة في أحد القولين، و رجحه السبكي، و بعثه رحمة للعالمين حتى للكافر بتأخير العذاب و لم يعاجلوا بالعقوبة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٢٥

كسائر الأمم المكذبة، ولأن الله أقسم بحياته وأقسم على رسالته، وتولى الرد على أعدائه عنه، وخاطبه بألفاظ ما خاطب به الأنبياء، وقرن اسمه باسمه في كتابه، وفرض على العالم طاعته والتأسي به فرضاً مطلقاً لا شرط فيه ولا استثناء، ووصفه في كتابه عضواً عضواً: قلبه بقوله: ما كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، وقوله: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ، ولسانه بقوله: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، وقوله: فَإِنَّمَا يَسْرِنَاهُ لِبَلْسَانِكَ، وبصره بقوله: مَا زَاغَ الْبَصِيرُ وَمَا طَعَى، ووجهه بقوله: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ، ويده و عنقه بقوله: وَ لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ، وظهره و صدره بقوله: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ \* وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ \* الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ، كذا في المواهب اللدنية، و لم يخاطبه في القرآن باسمه بل بأياها النبي، يا أيها الرسول، و حرم على الأمة نداءه باسمه، و فرض على من ناجاه أن يقدم بين يدي نجواه صدقة ثم نسخ ذلك، و لم يره في أمته شيئاً يسوءه حتى قبضه بخلاف سائر الأنبياء، و أنه حبيب الرحمن و جمع له بين المحبة و الخلقة و بين الكلام و الرؤية و كلمه عند سدرة المنتهى و كلم موسى بالجبل، عد هذه ابن عبد السلام، و جمع بين القبلتين و الهجرتين، و جمعت له الشريعة و الحقيقة و لم يكن للأنبياء إلا إحداهما، بدليل قصة موسى مع الخضر، و قوله: إني على علم لا ينبغي لك أن تعلمه و أنت على علم لا ينبغي أن أعلمه، و نصر بالرعب مسيرة شهر أمامه و شهر خلفه، و أوتى جوامع الكلم، و أوتى مفاتيح خزائن الأرض، و لقيه الخازن على فرس أبلق عليه قطيفة من سندس، و كلم بأصناف جميع الوحي، عد هذه ابن عبد السلام، و هبط إسرافيل عليه و لم يهبط على نبي قبله، عد هذه ابن سبيح، و جمع له بين النبوة و السلطنة و لم يجمع لنبي قبله، عد هذه الغزالي في الإحياء، و أوتى علم كل شيء إلا الخمس التي في آية:

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، و قيل إنه أوتيها أيضاً، و أمر بكنمها، و الخلاف جار في الروح أيضاً، و بين له في أمر الدجال ما لم يبين لأحد، و وعد بالمغفرة و هو يمشى حيا صحيحا، و رفع ذكره فلا يذكر الله جل جلاله في أذان و لا خطبة و لا تشهد إلا ذكر معه، و عرض عليه أمته بأسرهم حتى رآهم، و عرض عليه ما هو كائن في أمته حتى تقوم الساعة، و هو سيد ولد آدم و أكرم الخلق على الله، فهو أفضل من المرسلين و جميع الملائكة المقربين، و أيد بأربعة وزراء جبريل و ميكائيل و أبي بكر و عمر، و أعطى من أصحابه أربعة عشر نجيباً و كل نبي أعطى سبعة، و أسلم قرينه و كانت أزواجه عوناً له، و بناته و زوجاته أفضل نساء العالمين،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٢٦

و ثواب أزواجه و عقابهن مضاعف، و أصحابه أفضل العالمين إلا النبيين، و مسجده أفضل المساجد، و بلده أفضل البلاد بالإجماع ما عدا مكة و على أحد القولين فيها و هو المختار، و يسأل عنه الميت في قبره، و استأذن ملك الموت عليه و لم يستأذن على نبي قبله، و حرم نكاح أزواجه من بعده و أمه و وطنها، و البقعة التي دفن فيها أفضل من الكعبة و من العرش، و يحرم التكني بكنيته، و لم تر عورته قط و لو رآها أحد طمست عيناه، و لا يجوز عليه الخطأ، عد هذه ابن أبي هريرة و الماوردي، قال قوم و لا النسيان حكاة النووى فى شرح مسلم.

انتهى من تاريخ الخميس - و من أراد الاطلاع على بقية الأنواع فعليه بمطالعة التاريخ المذكور.

### نبذة من صفاته و شمائله صلى الله عليه و سلم

هنا ننقل ما ذكرناه سابقاً في كتابنا "تحفة العباد في حقوق الزوجين و الوالدين و الأولاد" و هذا نص ما ذكرناه: كان صلى الله عليه و سلم أبيض كأنما صيغ من فضة، رجل الشعر. و كان صلى الله عليه و سلم أبيض مشرباً بياضه بحمرة، و كان أسود الحدقة، أهدب الأشفار. و كان صلى الله عليه و سلم أحسن الناس وجهاً، و أحسنهم خلقاً، ليس بالطويل البائن و لا بالقصير. و كان صلى الله عليه و سلم أحسن الناس، و أجود الناس، و أشجع الناس. و كان صلى الله عليه و سلم أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفاً. و كان صلى الله عليه و سلم أفصح الثنيتين إذا تكلم رثى كالنور. و كان صلى الله عليه و سلم وجهه مثل الشمس و القمر، و كان مستديراً. و كان صلى الله عليه و سلم ضخماً الهامة عظيم اللحية. و كان صلى الله عليه و سلم شبيهه نحو عشرين شعرة. و كان صلى

الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها. و كان صلى الله عليه وسلم كلامه كلاماً فصلاً. و كان صلى الله عليه وسلم خاتم النبوة في ظهره بضعة ناشزة. و كانت عيناه تنام و قلبه لا ينام. و كان صلى الله عليه وسلم أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه. و كان صلى الله عليه وسلم إذا أتى بطعام سأل عنه، فإن قيل هدية أكل منها، و إن قيل صدقة لم يأكل منها. و كان صلى الله عليه وسلم لا يرد الطيب، و كان صلى الله عليه وسلم يحب التيامن ما استطاع في طهوره و تنعله و ترجله و في شأنه كله. و كان صلى الله عليه وسلم يمر بالصبيان فيسلم عليهم. و كان صلى الله عليه وسلم يقوم بالليل حتى تتفطر قدماه. و كان صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصباح و يتوضأ بالمد. و كان صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة. و كان صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة جاءه خدم أهل المدينة بآنتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيه. و كان صلى الله عليه وسلم يؤتى بالصبيان

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٢٧

فيبرك عليهم و يحنكهم و يدعو لهم. و كان صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات و رب الأرض و رب العرش الكريم. و كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من جهد البلاء، و درك الشقاء، و سوء القضاء و شماتة الأعداء. و كان صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول: باسمك اللهم أحياء، و باسمك أموات، و إذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا و إليه النشور. و كان صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن ثم قال: اللهم أسلمت نفسي إليك، و وجهت وجهي إليك، و فوضت أمري إليك، و ألتجأت ظهري إليك رغبة و رهبة إليك، لا ملجأ و لا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، و نبيتك الذي أرسلت. و كان صلى الله عليه وسلم يكره النوم قبل العشاء و الحديث بعدها.

و عن الأسود قال: «سألت عائشة رضي الله عنها كيف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل؟ قالت: كان ينام أوله و يقوم آخره فيصلى ثم يرجع إلى فراشه، فإذا أذن المؤذن وثب، فإن كان به حاجة اغتسل و إلا توضأ و خرج».

و في صحيح البخارى عن الحكم بن عتيبة قال: سمعت أبا جحيفة قال:

«خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة إلى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين و العصر ركعتين و بين يديه عنزة» و زاد فيه عون عن أبيه أبي جحيفة قال: «كان يمر من ورائها المارة و قام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم، قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي. فإذا هي أبرد من الثلج و أطيب رائحة من المسك» و روى أبو نعيم و البزار بإسناد صحيح: «إذا مر في طريق من طرق المدينة و جدوا منه رائحة الطيب و قالوا: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق» و روى أبو نعيم عن عائشة قالت: «كان عرقه في وجهه مثل الجمان أطيب من المسك الإذفر»، و في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال: «صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله و خرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً، قال: و أما أنا فمسح خدي قال: فوجدت ليد برداً و ريحاً كأنما أخرجها من جوانة عطار». و عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما، قال: سألت هند بن أبي هالة عن حليته رسول الله صلى الله عليه وسلم و كان و صافاً و أنا أرجو أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به فقال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخماً مفخماً يتلألاً و وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربع و أقصر من

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٢٨

المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر إن انفرت عقيقته فرق و إلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحاجبين، سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العينين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادناً، متماسكاً، سواء البطن و الصدر، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة و السرة بشعر يجرى كالخط، عارى الثديين و البطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين و المنكبين و أعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحه، سبط

العصب، شثن الكفين و القدمين، سائل الأطراف، خمصان الأخصمين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء، إذا زال تقلعا، و يخطو تكفيا، و يمشى هونا، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صعب، و إذا التفت التفت جميعا، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، و يبدأ من لقيه بالسلام.

قلت: صف لى منطقته، قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم متواصل الأحران، دائم الفكرة، ليست له راحة، و لا يتكلم فى غير حاجة، طويل السكوت، يفتح الكلام و يختمه بأشداقه و يتكلم بجوامع الكلام فصلا لا فضول فيه و لا تقصير، دمثا ليس بالجافى و لا المهين، يعظم النعمة و إن دقت لا يذم شيئا، لم يكن ذواقا و لا يمدحه، و لا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له، و لا يغضب لنفسه و لا- ينتصر لها، و إذا أشار أشار بكفه كلها، و إذا تعجب قلبها، و إذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى، و إذا غضب أعرض و أشاح، و إذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التيسم، و يفتر عن مثل حب الغمام). اهـ.

### معنى بعض الألفاظ الواردة هنا:

#### إشارة

قوله: المشذب هو: البائن الطويل مع نحافة. و قوله: عقيقته أى: شعر الرأس.  
و قوله: فرق أى: جعل شعره نصفين نصفًا عن يمينه و نصفًا عن يساره. و قوله:  
أزهر اللون أى: نير اللون و مشرقه فى كل أجزاء بدنه عليه الصلاة و السلام.  
و قوله: أزج الزجاج دقة الحاجبين و سبوغهما إلى محاذاه آخر العين. و قوله: سوابغ أى: غزيرة الشعر حتى أن من لم يتأملها رآه أقرن،  
و لذا قال فى غير قرن، و قوله:

يدره أى: يحركه و يظهره، و قوله: ألقى العرينين أى: أن أعلى أنفه مرتفع و وسطه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٢٩

كذلك، و قوله: أشم أى: مرتفع قصبه الأنف، و قوله: كث اللحية أى: كثير شعرها مع استدارة، و قوله: سهل الخدين أى: ليس فيهما تنؤ و لا ارتفاع، و قوله: ضليع الفم أى: واسع؛ لأن سعته تدل على الفصاحة، و قوله: أشنب أى: أبيض الأسنان مع بريق و تحديد فيها،  
و قوله: مفلج أى: مفرج، و قوله:

المسربة هى: ما دق من شعر الصدر كالخيوط سائلا إلى السرة، و قوله: دمية هى:

الصورة المنقوشة من نحو عاج أو رخام، و قوله: ضخم الكراديس أى: عظيم كل فرد من سائر عظام بدنه، و قوله: أنور المتجرد، ما كشف عنه الثوب من البدن، و قوله: اللبة بتشديد اللام و فتحها المنحر، و هى المتطامن الذى فوق الصدر و أسفل الحلق. و قوله: الزندين قال العلقمى: هو عظم الذراعين، و قوله: رحب الراحة قال العلقمى: أى واسع الكف، و قوله: سبط القصب هو جمع قصبه، و هى كل عظم أجوف فيه مخ أى: ليس فى قصبه تنؤ و لا- تقعد، و قوله: شثن هو: الذى فى أنامله غلظ بلا قصر، و قوله: خمصان الأخصمين قال فى النهاية: الأخصم من القدم الموضع الذى لا يلصق بالأرض منها عند الوطاء، و قوله: مسيح القدمين أى: أملسهما من ظهرهما لوجود الخموصة فى بطنهما، و قوله: إذا زال تقلعا أى:

إذا اتقل زال تقلعا بهمة، و قوله: يخطو تكفيا أى: يميل إلى قدام، و قوله: يسوق أصحابه أى: يقدمهم أمامه و يمشى خلفهم ليخلى ظهره للملائكة صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم.

و قوله: بأشداقه أى: يستعمل جميع فمه للتكلم، لا يقتصر على تحريك الشفتين، و ذلك من قوة المنطق و الصوت و المعنى، و حضور الذهن و اجتماعه.



و الدماثة: سهولة الأخلاق، و الجفاء: غلظه. و قوله: ذواقا هو: ما يتذوق من الطعام.

### ما قاله الأستاذ الرافعى فى صفته صلى الله عليه و سلم

قال الأستاذ الكبير، وحيد دهره و فريد عصره، الأستاذ مصطفى صادق الرافعى المصرى، المتوفى فى زماننا هذا فى كتابه الشهير "إعجاز القرآن" فى صفته صلى الله عليه و سلم ما نصه:  
 و لقد أفاضوا فى تحقيق أوصافه صلى الله عليه و سلم بأكثر من ذلك ألفاظا و معانى، و نقلوا الكثير الطيب من هذه الأوصاف الكريمة فى كل باب من محاسن الأخلاق مما يتسع التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٣٠  
 هذا الموضوع لبسطه، فتأمل أنت هذه الصفات و اعتبر بعضها ببعض فى جملتها و تفصيلها فإنك متوسم منها أروع ما عسى أن تدل عليه دلائل الحكمة، و سمة الفضيلة، و شدة النفس، و بعد الهمة، و نفاذ العزيمة، و إحكام خطة الرأى، و إحراز جانب الخلق الإنسانى الكريم، و انظر كيف يكون الإنسان الذى تسع نفسه ما بين الأرض و سمائها، و تجمع الإنسانية بمعانيها و أسمائها، فهو فى صلته بالسماء كأنه ملك من الملائك، و فى صلته بالأرض كأنه فلك من الأفلاك، و ما خص بتلك الصفات إلا ليملاً بها الكون و يعمه، و لا كان فردا فى أخلاقه إلا لتكون من أخلاقه روح الأمة. انتهى من كتاب إعجاز القرآن للرافعى.

هذا و قد نظم بعضهم جملة من خصائصه صلى الله عليه و آله و سلم فقال:

لقد خص النبى طه بعشرو من يحفظ لها جمع الخصالا  
 فما وقع الذباب له بجسم و ما خالوا لقامته الظلالا  
 كذا الفضلات قد خفيت بأرض فلم يك فى الكمال له مثالا  
 و لم يتشاءب المختار يوما ما احتلم احتلاما و انفعالا  
 تنام المقتتان و لم يخالطمنام قلبه أبدا محالا  
 يرى من خلفه أو من أمام و من حاذاه فى كيف تعالا  
 و يظهر نوره فى كل واد و ما هربت دواب منه حالا  
 و قد ولدته آمنه نظيفا و مختونا بقدرته تعالى  
 على طه صلاة مع سلام تعم الصحب و الخلفا و آلا

### ما قاله الأستاذ الرافعى فى بلاغته صلى الله عليه و سلم

قال الأستاذ الكبير، وحيد دهره و فريد عصره، الأستاذ مصطفى صادق الرافعى المصرى المتوفى فى زماننا هذا فى كتابه الشهير "إعجاز القرآن" فى بلاغته رسول الله صلى الله عليه و سلم ما نصه:

هذه هى البلاغة الإنسانية التى سجدت الأفكار لآيتها، و حسرت العقول دون غايتها، لم تصنع و هى من الإحكام كأنها مصنوعة، و لم يتكلف لها و هى على السهولة بعيدة ممنوعة، ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، و يصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهى إن لم تكن من الوحى، و لكنها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٣١

جاءت من سبيله، و إن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هى من دليله، محكمة الفصول حتى ليس فيها عروة مفصولة، محدوفة الفضول

حتى ليس فيها كلمة مفضولة، و كأنما هي في اختصارها و إفادتها نبض قلب يتكلم، و إنما هي في سموها و إجادتها مظهر من خواطره صلى الله عليه و سلم، إن خرجت في الموعظة قلت أنين من فؤاد مقروح، و إن راعت بالحكمة قلت صورة بشرية من الروح، في مترع يلين فينفر بالدموع، و يشتد فينزو بالدماء، و إذا أراك القرآن إنه خطاب السماء للأرض، أراك هذا إنه كلام الأرض بعد السماء، و هي البلاغة النبوية، تعرف الحقيقة فيها كأنها فكر صريح من أفكار الخليفة، و تجيء بالمجاز الغريب فترى من غرابته أنه مجاز في حقيقة، و هي من البيان في إيجاز تتردد فيه (عين) البليغ فتعرفه مع إيجاز القرآن فرعين، فمن رآه غير قريب من ذلك الإعجاز فليعلم أنه لم يلحق به هذه "العين" أى فليعلم هذا الناظر أنه غير بليغ، و إذا جعلت من الياء في لفظ (الإيجاز) عينا صار (الإعجاز) فالتورية ظاهرة في "العين" - على أنه سواء في سهولة أطماعه، و في صعوبة امتناعه، إن أخذ أبلغ الناس في ناحيته، لم يأخذ بناصيته، و إن أقدم على غير نظر فيه رجع مبصرا، و إن جرى في معارضته انتهى مقصرا، إلى أن قال في فصاحته صلى الله عليه و سلم ما نصه: و أن كلامه صلى الله عليه و سلم لكما قال الجاحظ: هو الكلام الذى قل عدد حروفه، و كثر عدد معانيه، و جل عن الصنعة، و نزه عن التكلف، استعمل المبسوط فى موضع البسط، و المقصور فى موضع القصر، و هجر الغريب الوحشى و رغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمه، و لم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، و شد بالتأييد و يسر بالتوفيق، و هذا الكلام الذى ألقى الله المحبة عليه و غشاه بالقبول، و جمع له بين المهابة و الحلاوة، و بين حسن الإفهام، و قلته عدد الكلام، و هو مع استغنائه عن إعادته، و قلته حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، و لا زلت له قدم، و لا بارت له حجة، و لم يقم له خصم، و لا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير، و لا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، و لا يحتج إلا بالصدق، و لا يطلب الفلج إلا بالحق، و لا يستعين بالخلابة، و لا يستعمل المؤاربة، و لا يهمز و لا يلمز، و لا يبطئ و لا يعجل، و لا يسهب و لا يحصر، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً و لا أصدق لفظاً، و لا أعدل وزناً و لا أجمل مذهبا، و لا أكرم مطلبا و لا أحسن موقعا، و لا أسهل مخرجا، و لا أفصح عن معناه، و لا أبين عن فحواه من كلامه صلى الله عليه و سلم. اهـ.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٣٢

و هنا نمسك عنان القلم عن وصف أفضل الخلق على الإطلاق، نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم، فإننا لا نقدر قدره العظيم، و لا ندرك ما يليق به من الاحترام و التعظيم، و إنما ذكرنا زبدة من صفاته و شمائله صلى الله عليه و آله و سلم على حد قول الشاعر:

إن فاتكم أن تروه بالعيون فمايفوتكم وصفه هذى شمائله  
مكمل الذات فى خلق و فى خلق و فى صفات فلا تحصى فضائله

صلى الله عليه و على آله و أصحابه و سلم، و لا يمكن حصر أوصافه السنية، و أخلاقه المرضية كما قال بعضهم رحمه الله تعالى:

و على تفنن واصفيه بوصفه يفنى الزمان و فيه ما لم يوصف  
و قال آخر:

أرى كل مدح فى النبي مقصراو إن بالغ المثنى عليه و أكثرا  
إذا الله أثنى بالذى هو أهله عليه فما مقدار ما يمدح الورى

لكن مدحه صلى الله عليه و سلم يقصد به رجاء التقرب و الثواب و إظهار الحب له و الشوق إليه. قال فى الدر المنظم:

و من بعضهم جاء فى الذكر وصفه أيدرك معناه ذوو العجز و البلوى  
و لكننا مداحه يمدحونه على قدرهم يرجون من فضله عفوا

**تواضع النبي صلى الله عليه و سلم فى مزاحه مع أصحابه**

بمناسبة ما ذكرناه عن أخلاقه صلى الله عليه و سلم السامية العالية، و عن شمائله و خصاله الكريمة الحميدة، نتشرف هنا بذكر نبذة من

تواضعه عليه الصلاة والسلام في مزاحه مع أصحابه رضى الله عنهم أجمعين، للاقتداء والعبرة، وترويحاً للنفس، و جلباً للسرور والنشاط، فقد قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه: أجموا هذه القلوب و التمسوا لها طرائف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان و قال الشاعر:

و روح القلب بذكر الطرف فإن ذلك صنيع السلف

و لقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم من أضحك الناس و أطيبهم نفساً، و كان لا يضحك إلا تبسماً، و كان يمزح و لا يقول إلا حقاً.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٣٣

جاء فى كتاب الأذكياء لابن الجوزى ما نصه: أخبرنا ابن المسيب أن عائشة رضى الله عنها سئلت هل كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يمزح؟ قالت: نعم- كان عندى عجوز، فدخل رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقالت: ادع الله أن يجعلنى من أهل الجنة، قال: إن الجنة لا يدخلها العجائز. و سمع النداء فخرج، و دخل و هى تبكى، فقال: ما لها؟ قالوا: إنك حدثتها أن الجنة لا يدخلها العجائز، قال: إن الله يحولهن أبكاراً عرباً أتراباً.

و جاء فيه أيضاً: حدثنى القرشى قال: دخلت امرأة على رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال: من زوجك؟ فسمته له، فقال: الذى فى عينيه بياض؟ فرجعت تنظر إلى زوجها، فقال: ما لك؟ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم زوجك فلان، قلت: نعم، قال: الذى فى عينيه بياض؟ قال: أو ليس البياض فى عينى أكثر من السواد.

و جاء فيه أيضاً: حدثنا أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه و سلم ليستحمله، فقال: أنا حاملك على ولد ناقه، قال: يا رسول الله، و ما أصنع بولد ناقه؟ قال: و هل تلد الإبل إلا النوق؟ انتهى من الكتاب المذكور.

و جاء فى أوائل الجزء الأول من كتاب "الترايب الإدارية" للحافظ المحدث الشيخ عبد الحى الكتانى الفاسى، عند مبحث "مضحك رسول الله صلى الله عليه و سلم" ما نصه:

ترجم فى الإصابة حمار، فذكر عن الصحيح أن اسمه عبد الله و يلقب بحمار.

و كان يضحك رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و عن أبى يعلى، عن زيد بن أسلم أنه كان يهدى لرسول الله صلى الله عليه و سلم العكة من السمن أو العسل، ثم يجىء بصاحبها فيقول: أعطه الثمن.

و ترجم فى الإصابة أيضاً لسويبط حرمله العبرى، و ذكر قضايا من أفعاله، فذكر أن النبى صلى الله عليه و سلم ضحك هو و أصحابه منها حولاً.

و فى فوائد الدرر و فرائد الفكر فى شرح مختصر السير، للفقير المحدث القاضى أبى على حسن بن بلقاسم، بن باديس القسطنطينى، لما ترجم لسودة زوجة عليه السلام، قال: و كانت تضحك النبى صلى الله عليه و سلم، قالت له: صليت البارحة خلفك يا رسول الله، فركعت فأمسكت بأنفى مخافة الدم أن يقطر. فضحك هو منه.

انتهى من الكتاب المذكور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٣٤

و جاء أيضاً فى الكتاب المذكور فى الجزء الثانى منه، عند مبحث "المضحكون و المضحكات فى الزمن النبوى" - ما يأتى:

و منهم نعيمان بن عمرو بن رفاعه الأنصارى ممن شهد العقبة و بدر و المشاهد بعدها، قال ابن الأثير، فى ترجمته من أسد الغابة: كان كثير المزاح يضحك النبى صلى الله عليه و سلم من مزاحه، و هو صاحب سويبط بن حرمله.

و كان من حديثهما أن أباً بكر خرج إلى الشام و معه نعيمان و سويبط بن حرمله و كلاهما بدرى، و كان سويبط على الزاد، فجاءه

نعيمان فقال: أطعمنى، فقال: لا، حتى يجيء أبو بكر، و كان نعيمان رجلا مضاحكا. فقال:

لأغظنك، فجاء إلى أناس جلبوا ظهرا، فقال: ابتاعوا منى غلاما عربيا فارها و هو ذو لسان، و لعله يقول: أنا حر فإن كنتم تاركونه لذلك فدعوه لا- تفسدوا على غلامي، فقالوا: بلى بل نبتاعه منك بعشر قلائص، فأقبل بها يسوقها و أقبل بالقوم حتى عقلها، ثم قال: دونكم هو هذا، فجاء القوم فقالوا: قم قد اشتريناك، فقال سويط: هو كذاب أنا رجل حر، فقالوا: قد أخبرنا خبرك. فطرحوا الجبل فى رقبته و ذهبوا به، فجاء أبو بكر فأخبر فذهب هو و أصحاب له فردوا القلائص و أخذوه، فلما عادوا إلى النبي صلى الله عليه و سلم و أخبروه الخبر ضحك النبي صلى الله عليه و سلم حولا و أصحابه.

و روى عياد بن مصعب من طريق ربيعة بن عثمان قال: أتى أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فدخل المسجد و أناخ ناقته بفنائها، فقال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم لنعيمان: لو نحرتها فأكلناها فإننا قد قرمنا إلى اللحم، و يقرم رسول الله صلى الله عليه و سلم ثمنها، قال: فحراها نعيمان، ثم خرج الأعرابي فرأى راحلته فصاح: و اعقراه يا محمد، فخرج النبي صلى الله عليه و سلم، فقال: من فعل هذا؟ فقالوا: نعيمان، فأتبعه يسأل عنه فوجدوه فى دار ضباعه بنت زبير بن عبد المطلب مستخفيا، فأشار إليه رجل و رفع صوته و يقول: ما رأيته يا رسول الله، و أشار بإصبعه حيث هو، فأخرجه رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قال له: ما حملك على هذا؟ قال: الذين دلوك علىّ يا رسول الله هم الذين أمروني، فجعل رسول الله صلى الله عليه و سلم يمسح وجهه و يضحك و غرم ثمنها.

و أخباره فى المزاح مشهورة، و كان يشرب الخمر فيؤتى به النبي صلى الله عليه و سلم فيضربه بنعله و يأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم و يحثون عليه التراب، فلما كثر ذلك منه قال

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٣٥

له رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم: لعنك الله، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: لا تفعل فإنه يحب الله و رسوله. قال الحافظ السيوطى فى قوت المغتذى على جامع الترمذى: الصحابة خصوا فى باب الحدود بما لا يخص به غيرهم و لهذا لا يفسقون بما يفسق به غيرهم خصوصية لهم، ثم أورد هذه القصة قائلا: علم النبي صلى الله عليه و سلم من باطنه صدق محبته لله و رسوله فأكرمه بترك القتل و له صلى الله عليه و سلم أن يخص من شاء بما شاء من الأحكام. اهـ.

و فى الإصابة، قال الزبير بن بكار: و كان لا يدخل المدينة إلا اشترى منها ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلم فيقول: هذا أهديته لك، فإذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه أحضره إلى النبي صلى الله عليه و سلم، و قال: أعط هذا ثمن متاعه، فيقول: أو لم تهده لى، فيقول: و الله إنه لم يكن عندى ثمنه و لقد أحببت أن تأكله، فيضحك و يأمر لصاحبه بثمنه.

و أخرج الزبير قصة البعير بسياق آخر من طريق ربيعة بن عثمان، قال: دخل أعرابي على النبي صلى الله عليه و سلم و أناخ ناقته، فقال بعض الصحابة لنعيمان الأنصارى: لو عقرتها فأكلناها فإننا قد قرمنا إلى اللحم، ففعل، و خرج الأعرابي و صاح: و اعقراه يا محمد، فخرج النبي صلى الله عليه و سلم و قال: من فعل هذا؟ فقالوا: نعيمان، فأتبعه يسأل عنه حتى وجدته فى دار ضباعه بنت الزبير بن عبد المطلب و استخفى تحت سرب لها فوقه جريد، فأشار رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم حيث هو، فأخرجه فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: الذين دلوك علىّ يا رسول الله هم الذين أمروني بذلك، فجعل يمسح التراب عن وجهه و يضحك ثم غرمها للأعرابي.

و قال الزبير أيضا: حدثنى عمى عن جدى قال: كان مخرمه بن نوفل قد بلغ مائة و خمس عشرة سنة، فقام فى المسجد يريد أن يبول فصاح به الناس: المسجد، المسجد، فأخذه نعيمان بيده و تنحى به ثم أجلسه ناحية أخرى من المسجد و قال له: بل هاهنا، قال: فصاح به الناس فقال: و يحكم و من أتى بى إلى هذا الموضع؟

فقالوا: نعيمان، فقال: أما إن لله علىّ إن ظفرت به أن أضربه بعصاى هذه ضربة تبلغ به ما بلغت، فبلغ ذلك نعيمان فمكث ما شاء الله،

ثم رآه يوما و عثمان قائم يصلى فى ناحية المسجد، فقال لمخرمة: هل لك فى نعيمان، قال: نعم، فأخذه بيده حتى أوقفه على عثمان، و كان إذا صلى لا يلتفت، فقال: دونك هذا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٣٦

نعيمان، فجمع يده بعصاه و ضرب عثمان فشججه، فصاحوا به: ضربت أمير المؤمنين فذكر بقيه القصة.

و قال الزبير: حدثنى على بن صالح عن جدى عبد الله بن مصعب قال: لقي نعيمان أبا سفيان بن حرب فقال له: يا عدو الله أنت الذى تهجو سيد الأنصار نعيمان ابن عمرو فاعتذر إليه، فلما ولى قيل لأبى سفيان إن نعيمان هو الذى قال ذلك، فعجب منه، و قصته مع سويبط بن حرملة تقدمت.

و قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن أيوب، عن عمر بن سرين، أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم نزلوا بماء، و كان نعيمان بن عمرو يقول لأهل الماء:

يكون كذا أو كذا فيأتونه باللبن و الطعام فيرسله إلى أصحابه، فبلغ أبا بكر خبره، قال: أرانى آكل من كهانة نعيمان منذ اليوم و استقاء ما فى بطنه.

و أخرج ابن عساكر عن عكرمة مولى ابن عباس، أن عبد الله ابن رواحة كان مضطجعا إلى جنب امرأته، فخرج إلى الحجرة فواقع جارية له، فانتبهت المرأة فلم تره فخرجت فإذا هو على بطن الجارية، فرجعت و أخذت الشفرة، فلقبها و معها الشفرة، فقال لها: مهيم، فقالت: مهيم، أما إنى لو وجدتتك حيث كنت لوجأتتك بها، قال: و أين كنت، قالت: على بطن الجارية، قال: ما كنت:

قالت: بلى، قال: فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم نهى أن يقرأ أحدنا القرآن و هو جنب، فقالت: اقرأه، فقال:

أتانا رسول الله يتلو كتابه كما لاح مسطوره من الصبح طالع

أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع

يبىب يجافى جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

قالت: آمنت بالله و كذبت بصرى، قال: فغدوت على النبى صلى الله عليه و سلم فأخبرته فضحك حتى بدت نواجذه.

و أخرج ابن عساكر عن الزهرى قال: شكى عبد بن حذافة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه صاحب مزاح و باطل، فقال: اتركوه فإن له بطانة تحب الله و رسوله.

و مما جاء عن المضحكات فى الزمن النبوى بالمدينة المنورة و مكة المعظمة، ما روينا فى سنن أبى داود بسنده إلى الليث بن عمرة قالت: كانت امرأة مكية بطالة تضحك النساء، و كانت بالمدينة امرأة مثلها، فقدمت المكية المدينة فتعارفتا فدخلتا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٣٧

على عائشة فتعجبت من اتفاقهما، فقالت عائشة للمكية: عرفت هذه، قالت: لا و لكننا التقينا فتعارفتا فضحكت عائشة و قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها اختلف.

و عن الزبير بن بكار فى كتاب المزاح و الفكاهة من حديث بن شهاب عن عروة، عن عائشة: أن امرأة كانت بمكة تدخل على نساء قريش تضحكنهن، فلما هاجرن و وسع الله دخلتا المدينة، قالت عائشة: فدخلت على، فقلت فلانة ما أقدمك، قالت: إيلكن، قلت: فأين نزلت، قالت: على فلانة امرأة كانت تضحك بالمدينة، قالت: و دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال: فلانة المضحكة عندكم؟

قالت عائشة: نعم، قال: فعلى من نزلت، قالت: على فلانة المضحكة، قال:

الحمد لله إن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها اختلف.

انظر المقاصد الحسنة للحافظ السخاوى، و عروس الأفراح فى معنى حديث الأرواح للمحدث الشمس محمد بن عقيلة المكي.

و قصة خوات بن جبير مع ذات النخيين فى الجاهلية شهيرة، و هو القائل:

فشدت على التّحيين كفا صحيحة فأعجلتها و الفتك من فعلاتي

قال في الاستبصار: و هي امرأة من بنى فتح الله بن ثعلبة كانت تبيع السمن في الجاهلية و بها يضرب المثل فيقال: أشغل من ذات التّحيين، روى أن النبي صلى الله عليه و سلم سأله عنها و تبسم، فقال: يا رسول الله قد رزق الله خيرا و أعوذ بالله من الجور بعد الكور، و كان خواتا شاعرا. ١٥.

و أخرج جمع عن خوات المذكور، قال: نزلت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بحر الظهران، فخرجت من خبائي فإذا نسوة يتحدثن فأعجبني، فرجعت فأخرجت حله من عييتي فلبستها ثم جلست إليها، و خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم من قبته فقال: يا عبد الله ما يجلسك إليهن، فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه و سلم جمل لي شرد أبتغي له قيда، فمضى و تبعته فألقى رداه و دخل فقضى حاجته و توضأ ثم جاء، فقال: ما فعل جملك الشارد ثم ارتحل، فجعل لا يلقاني في منزل إلا قال: يا عبد الله ما فعل جملك الشارد، إلى أن قلت: فو الله لأعتذرني إليه و لأبردن صدره، فقال لي يوما فقلت: و الذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت. انتهى كل ذلك من كتاب التراتيب الإدارية المطبوع بالمغرب الأقصى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٣٨

### حسن معاشره النبي صلى الله عليه و سلم لأهله (و فيه حديث أم زرع)

حسن المعاشره دليل على حسن الخلق، و هو دليل السعادة و يؤدي إلى الجنة، فقد ورد في الصحيحين: «خيركم أحاسنكم أخلاقا». و روى الطبراني: «الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، و الخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل». فالخلق الحسن مع عامه الناس ممدوح محمود، و هو مع الأهل و الأولاد أعظم محمده و أكبر مبره، قال صلى الله عليه و سلم: «خيركم خيركم لأهله و أنا خيركم لأهلي»، رواه الترمذي و غيره، و قد ذكر مبحثا خاصا في حسن المعاشره في كتابنا المطبوع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي و شركاه بمصر المسمى "تحفة العباد في حقوق الزوجين و الوالدين و الأولاد" فيراجعه من شاء. و نحن نتشرف بذكر حديث واحد فقط و هو حديث "أم زرع" الخاص بكمال حسن معاشره النبي صلى الله عليه و سلم لأهله، و حديث أم زرع لا نذكره للاستدلال بحسن معاشرته صلى الله عليه و سلم لأهله بل و لأمته، و هو الذي بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق، و الذي يقول الله عز و جل في حقه: وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ - و إنما نذكر هذا الحديث المشهور في البخاري و مسلم و غيرهما؛ لما فيه من الفوائد المتعدده التي لا تخفى على أولى الألباب، و لقد ألف القاضي عياض رحمه الله تعالى رساله خاصه في شرح هذا الحديث سماها "بغية الرائد فيما في حديث أم زرع من الفوائد".

جاء في كتاب زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري و مسلم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لعائشه رضي الله عنها: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع». و حديث أم زرع طويل، فقد جاء في الصحيحين عن عائشه رضي الله عنها و اللفظ للبخاري، قالت: «جلس إحدى عشره امرأة فتعاهدن و تعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا.

قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث، على رأس جبل، لا سهل فيرتقى، و لا سمين فينتقل. قالت الثانية: زوجي لا أث خبره، إنى أخاف أن لا أذره، إن أذره أذكر عجره و بجره.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٣٩

قالت الثالثة: زوجي العشيق، إن أنطق أطلق، و إن أسكت أعلق.

قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة، لا حر و لا قر، و لا مخافه و لا سامة.

قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد، و إن خرج أسد، و لا يسأل عما عهد.

قالت السادسة: زوجي إن أكل لف و إن شرب اشتف و إن اضطجع التف و لا يولج الكف ليعلم البث.

قالت السابعة: زوجي غيايأ أو عيايأ طبقاء، كل داء له داء، شجك أو فلك أو جمع كلالك.

قالت الثامنة: زوجي المس مس أرنب، و الريح ريح زرنب.

قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد.

قالت العاشرة: زوجي مالك، و ما مالك، مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك، قليلات المسارح، و إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك.

قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع فما أبو زرع، أناس من حلي أذني، و ملأ من شحم عضدي، و بجحني فبجحت إلى نفسي، وجدني في أهل غنيمه بشق، فجعلني في أهل سهيل و أطيظ، و دائس و منق، فعنده أقول فلا أقبح، و أرقد فأصبح، و أشرب فأتنح، أم أبي زرع فما أم أبي زرع علومها رداح و بيتها فساح، ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع، مضجعه كمثل شطبة، و يشبعه ذراع الجفرة، بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع، طوع أبيها و طوع أمها، و ملء كسائها، و غيظ جاريتها، جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع، لا تبث حديثنا تبثها، و لا- تنقت ميراثنا تنقتنا و لا- تملأ- بيتنا تعشيشا، قالت خرج أبو زرع و الأوطاب تمخض، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين، يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلقني و نكحها، فنكحت بعده رجلا ثريا ركب شريا، و أخذ خطيا، و أراح على نعما ثريا، و أعطاني من كل رائحة زوجا، و قال كلي أم زرع، و ميرى أهلك، قالت: فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع- قالت عائشة: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: كنت لك كأبي زرع لأم زرع».

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٤٠

(رواه الشيخان) عن عائشة رضي الله عنها، و ظاهرهما أنه موقوف عليها، و إنما المرفوع منه قوله: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع» كما قدمنا بيان رفعه. اهـ.

أخرج هذا الحديث البخاري مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه و سلم من كتاب النكاح من باب حسن المعاشرة مع الأهل - و أخرجه مسلم كذلك في كتاب فضائل الصحابة في باب ذكر حديث أم زرع، و كذا أخرجا قصته المذكورة بطولها عن عائشة رضي الله عنها في الموضوعين المذكورين.

و لما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعائشة رضي الله عنها: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع» أجابت إجابة تليق بمثلها في فضلها و علمها فقالت كما عند النسائي و الطبراني: «يا رسول الله صلى الله عليه و سلم، بل أنت خير من أبي زرع». و في رواية الزبير: «بأبي و أمي لأنت خير لي من أبي زرع لأم زرع».

و أبي زرع المذكور هو زوج المرأة الحادية عشرة من المذكورات، و هي التي أُنبت في مدحه و بالغت في ذكر أوصافه الحسنه، و من اطلع على هذا الحديث علم أن الذمات منهن لأزواجهن خمس: الأولى و الثانية و الثالثة و السادسة و السابعة، و المادحات لأزواجهن ست: الرابعة و الخامسة و الثامنة و التاسعة و العاشرة و الحادية عشرة، و هي أم زرع التي اشتهر الحديث بها.

و لقد نظم شيخنا العلامة المحدث الشهير محمد بن حبيب الله الشنقيطي رحمه الله تعالى في شرحه لكتابه " زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري و مسلم " ما وصفت به كل واحدة من النسوة المذكورات في الحديث زوجها من الذم و المدح، فنأتى به هنا لما فيه من الطرافة و الفائدة- فقال رحمه الله ما لفظه:

و من عجب نادرة النساء في وصف أزواج بالاستقصاء

في خبر الفتاة أم زرع من ذكرت في قول حلف الشرع

عليه أكمل الصلاة و على أزواجه و آله أولى العلي

أولى النساء قالت و قولها جليل في ذم زوجها بشر ما فعل

زوجي في الشر كلحم من جمل غث بلا نفع على رأس جبل

ثانية من لا تبث خبره لأنها تخاف أن لا تذره

إن ذكرته قد أبانت عجره كما تبين مع ذاك بجره

ثالثة من زوجها العشتق بكلمة خفيفة تطلق

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٤١ رابعة من لم تخف سأمه إذ زوجها كالليل في تهامه

خامسة من مدحت من قد فهدو ليس يسأل عن الذى عهد

سادسة من رزئت بمن كلف بخبث أكل لا بها بدا عرف

سابعة زوج العيايا الذى جمع كل الداء و القول البذى

ثامنة من زوجها كالأرنب فى المسر و الريح كريح الزرنب

ثم ربيعة لعماد بسبب رفع عماد زوجها الذى انتخب

تاسعة النسوة ثم العاشرة من لمفاخر الحليل ناشره

حادية العشرة أم زرع مادحة الزوجين ثم الفرع

لكنها مشرفة بالأول أى بأبى زرع كريم العمل

قد استفا العلم مما ارتسم عنها فوائد بها الشرع حكم

و لقد شرح معانى ألفاظ الحديث شيخنا المذكور فى كتابه زاد المسلم لم نقله هنا خوف التطويل، لكن لا بد لنا أن نذكر نبذة صغيرة

مفيدة من الكتاب المذكور، فقد جاء فيه "تممة مفيدة" قال القاضى عياض: فى كلام أم زرع من الفصاحة و البلاغة ما لا مزيد عليه

فإنه مع كثرة فصوله و قلته فضوله، مختار الكلمات، واضح السمات، نير القسامات، قد قدرن ألفاظه قدر معانيه، و قررت قواعده و

شيدت مبانيه، و جعلت لبعضه فى البلاغة موضعا، و أودعته من البديع بدعا، و إذا لمحت كلام التاسعة، صاحبة العماد و النجاد ألفيتها

لأفانين البلاغة جامعة، فلا شىء أسلس من كلامها، و لا أربط من نظامها، و لا أطبع من سجعتها، و لا أغرب من طبعها، و كأنما فقرها

مفرغة فى قالب واحد، و محذوة على مثال واحد، و إذا اعتبرت كلام الأولى و جدته مع صدق تشبيهه، و صقاله و جوهه، قد جمع من

حسن الكلام أنواعا، و كشف عن محيا البلاغة قناعا، بل كلهن حسان الأسجاع، متفقات الطباع، غريبات الأبداع.

قال شيخنا رحمه الله تعالى فى كتابه المذكور: و قد استنبط العلماء من حديث أم زرع فوائد ذكرها الحافظ ابن حجر و غيره و لنتقصر

على ما ذكره الإمام النووى من ذلك فى شرحه لصحيح مسلم عند هذا الحديث و الشيخ محمد جسوس فى شرح الشرائع عنده أيضا

و لفظ الإمام النووى، قال العلماء فى حديث أم زرع هذا فوائد:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٤٢

(منها) استحباب حسن المعاشرة للأهل و جواز الإخبار عن الأمم الخالية و أن المشبه بالشىء لا يلزم كونه مثله فى كل شىء.

(و منها) أن كنايات الطلاق لا يقع بها طلاق إلا بالنية لأن النبى صلى الله عليه و سلم قال لعائشة: كنت لك كأبى زرع لأم زرع، و من

جملة أفعال أبى زرع أنه طلق امرأته أم زرع كما سبق و لم يقع من النبى صلى الله عليه و سلم طلاق بتشبيهه لكونه لم ينو الطلاق.

قال المازرى: قال بعضهم و فيه أن هؤلاء النسوة ذكر بعضهن أزواجهن بما يكره و لم يكن ذلك غيبة لكونهم لا يعرفون بأعيانهم أو

أسمائهم و إنما الغيبة المحرمة أن يذكر إنسان بعينه أو جماعة بأعيانهم.

قال المازرى: و إنما يحتاج إلى هذا الاعتذار لو كان النبى صلى الله عليه و سلم سمع امرأة تغتاب زوجها و هو مجهول فأقرها على

ذلك و أما هذه القضية فإنما حكمتها عائشة عن نسوة مجهولات غائبات لكن لو وصفت اليوم امرأة زوجها بما يكرهه و هو معروف

عند السامعين كان غيبة محرمة فإن كان مجهولا لا يعرف بعد البحث فهذا لا حرج فيه عند بعضهم كما قدمناه و يجعله كمن قال فى

العالم من يشرب أو يسرق.



قال المازري: وفيما قاله هذا القائل احتمال، قال القاضي عياض: صدق القائل المذكور، فإنه إذا كان مجهولا عند السامع و من يبلغه الحديث عنه لم يكن غيبه لأنه لا يتأذى إلا بتعيينه، قال: وقد قال إبراهيم: لا يكون غيبه ما لم يسم صاحبها باسمه أو ينبه عليه بما يفهم به عينه و هؤلاء النسوة مجهولات الأعيان و الأزواج لم يثبت لهن إسلام فيحكم فيهن بالغيبه لو تعين فكيف مع الجهالة و الله أعلم. اهـ. بلفظه.

انتهى من زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم.

اللهم صل و سلم و بارك على من قلت فى حقه: وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ نبينا و شفيعنا و حبيبا المصطفى المختار، سيدنا "محمد" و على آله و أزواجه الأطهار، و صحابته النجباء الأبرار.

انظر: صورة رقم ١٠، مقصورة قبر الرسول صلى الله عليه و سلم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٤٣

### مقصورة قبر النبي صلى الله عليه و سلم

قال البتوني رحمه الله تعالى فى كتابه "الرحلة الحجازية" عنها ما يأتى:

و المقصورة الشريفه من نحاس أصفر غاية فى حسن الصنائه، عملت فى مدة العمارة التى قام بها قايتباى فى سنة ٨٨٨، و لها باب على الروضة الشريفه يسمى باب الرحمه أو باب الوفود، و إلى جانبه من جهه الجنوب شباك يفتح عليها يسميه الحجاج شباك التوبه، و لها أيضا منفذ إلى جهه القبلة فى المواجهه الشريفه و يفتح عند الأمور الهامه للدعاء و الاستغاثة.

و يتصل بهذه المقصورة من جهه الشمال مقصورة السيدة فاطمه، و هى على استقامتها من الغرب و تدخل عنها بمسافه متر و نصف من الشرق.

و طول المقصورة النبويه الشريفه من ضلعها الجنوبى و الشمالى ١٦ مترا، و من الشرقى و الغربى ١٥ مترا. و فى زواياها الأربع أعمده مزويه عظيمه، بنيت من الحجر الصلد على ارتفاع السقف، و عليها ترتكز قواعد القبه الشريفه. أما مقصورة السيدة فاطمه الزهراء فطولها من الجنوب ١٤ مترا و نصف، و من الشمال ١٤ مترا فقط، و من الشرق و الغرب نحو سبعة أمتار و نصف، و هى تتصل بالمقصورة الكبرى من الداخل ببايين: أحدهما إلى الشرق و الآخر إلى الغرب، قد أقيم فيما بينهما ضريح على المكان الذى دفنت فيه السيدة فاطمه على قول الكثيرين، و فى داخل المقصورة الكبرى الحجرة الشريفه و هى المكان الذى توفى به رسول الله صلى الله عليه و سلم فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة ١١ للهجرة و دفن فيه عليه الصلاة و السلام فى اليوم التالى، لقوله صلى الله عليه و سلم: «ما قبض نبى إلا دفن حيث قبض»، و رأسه عليه الصلاة و السلام إلى الغرب.

و لما توفى أبو بكر فى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة دفن إلى جانبه من جهه الشمال و رأسه إلى قدمى الرسول عليه الصلاة و السلام.

و لما طعن عمر، رضى الله عنه استأذن من عائشه أن يدفن مع صاحبيه، فأذنت له، فلما مات يوم الأربعاء ٢٧ ذى الحجة سنة ٢٣ للهجرة دفن إلى جوارهما، و رأسه محاذية لمنكبى أبى بكر رضى الله عنهما، و قد أقيمت على هذه القبور الثلاثة مقصورة من البناء على شكل ذى خمسه أضلاع ارتفاعه أكثر من ستة أمتار.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٤٤

و أول من بنى هذه المقصورة عمر بن عبد العزيز فى عمارته للمسجد، و نزل بأساسها إلى غور بعيد، و جعلها على الشكل المزور المتقدم حتى لا تكون مثل الكعبه فى ترييعها، خوفا من أن يتخذها الناس قبله لهم، و كانت الحجرة الشريفه تسع قبرا رابعا. و يزعمون أنه مكان قبر عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء فى آخر الزمان.

وقد قيل فيه لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة: لو أتيت المدينة وأقمت بها، فإن مت دفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضى الله عنهما، فقال والله لأن يعذبني الله عز وجل بكل عذاب إلا النار أحب إلي من أن يعلم أنى أرى نفسى لذلك أهلا. فانظر إلى درجة أدب الرجل وتنكسه مع ما كان فيه من سعة الملك الذى خلق على أطراف المعمورة بأجمعها رضى الله عنه. وفى سنة ٥٥٧ بلغ نور الدين زنكى أن الصليبيين الذين كان مشتغلا بمحاربتهم كانوا يعملون لسرقه الجثة الشريفة، فأمر بإحاطة الحجره الشريفة ببناء آخر، نزل بأساسه إلى منابع الماء، ثم صب الرصاص على دائره حتى صار بحيث لا يمكن أن تتناوله يد الزمان، و قد وضع على هذا البناء ستر من الحرير الأخضر مكتوب فيه "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، يحيط بها أحجبه مكتوب فيها قوله تعالى: ما كان مُحَمَّدٌ أبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ، وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ.

وفيما بين ذلك دوائر مكتوب فيها أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، ويحيط بهذا الستر (على ارتفاع مترين ونصف تقريبا) حزام من الحرير الأحمر عرضه نحو ثلاثين سنتيمترا مكتوب فيه بقصب الذهب اسم السلطان الذى أمر بعمل الستر الشريفة، وهذه الكسوة ترسل من الدولة العلية عند تولية كل ملك من ملوكها، والكسوة الحالية وصلت إلى الحجره الشريفة بعد إعلان الدستور. وأول من كسا الحجره الشريفة الخيزران أم هارون الرشيد، عندما قدمت فى حجها لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم. وصارت من بعدها سنة الملوك والسلاطين.

وبين بناء المقصورة والشبكة النحاسية الخارجة طرقة متوسطة سعتها نحو ثلاثة أمتار من جهاتها الشرقية والغربية والقبليّة، وفى زاوية هذه الطرقة، من الجنوب، كرسى موضوع عليه مصحف شريف كبير، أهداه إلى الحجره الشريفة الحجاج بن يوسف الثقفى، ويقولون إنه من المصاحف الستة التى كتبها عثمان بن عفان.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٤٥

وسماء هذه الطرقة مملوءة بثريات من الذهب والفضة، وخصوصا فى الجهة الجنوبية فيما يقابل الوجه الشريفة: فإن فيها كثيرا من المشاكي الذهبية، منها إحدى وثلاثون مشكاه مرصعة بالماس والزمرد والياقوت، ومعلقه بسلاسل النضار، ومجموع مصابيح الحجره الشريفة مائة مصباح وستة.

وفى مقابلة الوجه الشريفة على جدار المقصورة حجر من الماس البرلانتى، فى حجم بيضة الحمام الصغيرة، يحيط به إطار من الذهب المرصع، ويقدرون ثمنه فى ذاته بثمانمائة ألف جنيه. أما فى شرف نسبه إلى الحجره الشريفة فقيمته أكبر من أن تقدر بثمن، ويسمونه بالكوكب الدرى لشدته تألقه وعظيم ثنائه وبهائه، وهو مثبت فى لوحه من الذهب، و رصع محيطه بمائتين وسبع وعشرين قطعة كبيرة من الجواهر الثمينه، وهذا الكوكب أهداه للحجره الشريفة السلطان أحمد خان الأول ابن السلطان محمد خان من سلاطين آل عثمان، فى مبادئ القرن الحادى عشر هجرى.

وقد علق تحته كف من الذهب المرصع بالجواهر، وفى وسطه حجر من الماس أصغر من الكوكب الدرى، أهداه إليها السلطان مراد الرابع ابن السلطان أحمد الأول فى سنة سبع وأربعين وألف للهجرة.

وهناك لوح كبير من الذهب منقوش فيه بخط جميل جدا بحجاره الماس البرلانتى "لا إله إلا الله محمد رسول الله" أهدتها إليها صاحبه السمو والعصمة عادلة سلطان بنت السلطان محمود سنة ألف ومائتين وإحدى وتسعين هجرية.

وفى هذه الحجره الشريفة غير هذا، كثير من الجواهر الفاخرة التى لا تقدر بثمن: منها قطعة كبيرة على مثال الكردان مكتوب فيها بالماس اسم السيدة فاطمة الزهراء، وهى موضوعة على مقصورتها الداخلية فى الجانب الشرقى، وإلى جوارها عقد من اللؤلؤ الكبير الحجم، لا يماثله شىء فى عظمه وجوهره، وعقود أخرى من المرجان النادر المثل.

ويوجد فيها شمعدانات من الذهب الخالص المرصع بالجواهر الكريمة، منها اثنان كبيران طول الواحد منهما نحو مترين، أهداهما إليها السلطان عبد المجيد خان فى سنة أربع وسبعين ومائتين وألف، وشمعدانان آخران أهداهما السلطان محمود، وإلى جانب هذه

الشمعدانات مكانس من اللؤلؤ و مراوح مرصعة بالأحجار الكريمة، و عقاصى و مباخر مرصعة، و هذا عدا ما يوجد فى خزائن الحجرة الشريفة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٤٦

من المصاحف المجوهرة و التحف الفاخرة، و كثير من الأحجار الكريمة، و الجواهر الثمينه التى لم تكن مشغولة، و غير ذلك من الأساور و الأقراط و خلافها. و بالجملة فقد قدر ثمن ما للحجرة الشريفة من الذخائر بسبعة ملايين من الجنيهات. و لقد كانت الملوك و الكبراء و العظماء يهدون لها فى كل الأزمان كثيرا من الجواهر الفاخرة و الذخائر الثمينه. و كثيرا ما كانت تتناول إليها يد الأشرار من ولاة المدينة مثل جماز بن هبة الذى نهب فى سنة إحدى عشرة و ثمانمائة من ذخائر الحرم المدنى ما قدره السهمودى بعشرين قنطارا من الذهب. و تبعه فى ذلك الشريف حسن بن زبير المنصورى سنة ٩٠١ هجرية فأخذ منه شيئا كثيرا. و فى مبدأ القرن الثالث عشر الهجرى كانت الحجرة الشريفة عامرة بما لا يحصى من الذخائر الثمينه، فنهبها الوهابى سنة إحدى و عشرين و مائتين و ألف، و باع بعضها إلى الشريف غالب بمبلغ خمسين ألف ريال، و بعد تميم الصلح بين ابن سعود و طوسون باشا اشترى منه هذا الأخير ما نهبه أبوه من آثارها الذهبية بمبلغ ألفى جنيه مصرى، و ردها للحجرة الشريفة، و كذلك رد إليها محمد على ما أعطاه إليه الوهابى من ذخائرها و أهدى إليها هو بشمعدان كبير من الذهب الخالص و شمعدانين من الفضة مكتوب عليها "العبد المذنب محمد على والى مصر سنة ١٢٢٨".

و أهداها عباس باشا الأول شمعدانات من الفضة و ثريتين (نجفتين) من الفضة:

واحدة ذات ٣٦ شمعة معلقة فى المحراب العثمانى، و الأخرى ذات ثلاثين شمعة معلقة تجاه الوجه الشريف، و ثريات و شمعدانات أخرى من البلور.

و لسعيد باشا و بعض كريمات العائلة الخديوية بالحرم الشريف هدايا أخرى.

و آخر ما قدم للحجرة الشريفة لهذا العهد دوايب ثمينه جدا قدمت إليها دولة و الدة الجناب العالى الخديوى لتحفظ فيها هذه الآثار الكريمة جزاها الله خيرا.

و خدمة الحجرة الشريفة يغسلونها فى السنة ثلاث مرات: واحدة فى يوم ٩ ربيع الأول، و الثانية فى أول رجب، و الثالثة فى الثامن عشر من ذى القعدة، و يكون لذلك احتفالا كبيرا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٤٧

### الروضة الشريفة

قال البتونى رحمه الله تعالى فى كتابه "الرحلة الحجازية" عن الروضة المباركة بالمسجد النبوى الشريف ما يأتى:

و الروضة الشريفة فى غرب المقصورة الشريفة- و هى مسافة ما بين القبر الشريف و منبر الرسول صلوات الله و سلامه عليه لقوله: «ما بين قبرى و منبرى روضة من رياض الجنة»، و فى رواية: «ما بين بيتى و منبرى ... الخ» و هى تبلغ (٢٢) مترا طولاً فى نحو ١٥ عرضاً. و يفصل الروضة عن زيادتى عمر و عثمان رضى الله عنهما اللتين فى جنوبها درابزين من النحاس الأصفر ارتفاعه نحو متر.

و الروضة على الدوام غاصة بالناس لشرف مكانتها، و فيها مما يلى هذا الدرابزين ربعات قرآنية كثيرة، و عدد كبير من المصاحف المختلفة الحجم، منها ما هو بحرف الطبع، و منها ما هو بخط اليد الجميل، و كل ذلك موقوف عليها للقارئ من الزوار. و فى غرب الروضة الشريفة قبلته صلى الله عليه و سلم، و هى آية من آيات الله فى كمال بهجتها، و جمال صنعتها، و هى على استقامة المقصورة من جهة القبلة، و وضعها عليه الصلاة و السلام يوم الثلاثاء الموافق نصف شعبان من السنة الثانية للهجرة عندما أمره الله تعالى بالصلاة إلى الكعبة المكرمة. و إلى غرب القبلة المنبر الشريف، و هو من الرخام المنقوش بالليقة الذهبية الفاخرة، و على غاية فى الجمال و دقة

الصناعة، أرسل هدية من السلطان مراد الثالث العثماني إلى الحرم سنة ثمان و تسعين و تسعمائة للهجرة، فوضع في مكان المنبر الذي كان به لقايتباي، و هو نفس المكان الذي كان به منبر رسول الله صلى الله عليه و سلم. انتهى كلام البتونوني في كتابه المذكور، و إن شاء الله نحن سنتكلم عن الروضة و مساحتها في مبحث مستقل بتفصيل تام عند ذكر نبذة من تاريخ المدينة المنورة في آخر هذا الكتاب، فقف على مبحث الروضة الآتي لأنه مبحث مهم.

### صفة بيته صلى الله عليه و سلم

قال البتونوني في كتابه "الرحلة الحجازية" عن ذلك ما نصه:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٤٨

إن من ينظر إلى المقصورة الشريفة الحالية، و يعلم أنها أقيمت على مكان بيت النبي صلى الله عليه و سلم (المشهور ببيت عائشة)، و يفكر في أبوابها، و تسمية كل باب باسم مخصوص، و يضيف إلى ذلك أن بيت السيدة فاطمة كان بجانب بيته صلى الله عليه و سلم، و أنه كان فيه شباك يطل على بيت أبيها، و كان صلى الله عليه و سلم يستطلع أمرها منه حتى سده محبة في استقلال كل بيت عن الآخر، يحكم معي بأن وضع بيته مدة وجوده صلى الله عليه و سلم كان على الشكل الآتي:

و الذي ساعدني على هذا الوضع ما ورد عن مالك رضى الله عنه "قسم بيت عائشة باثنين، قسم كان به القبر، و قسم كانت تكون فيه عائشة، و بينهما حائط، و كانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فضلا (يعنى سافرا)، فلما دفن عمر رضى الله عنه لم تدخله إلا و هي جامعة عليها ثيابها."

و من ذلك تعلم أن بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم كان به حجرتان. أما بابه فقد قال بعضهم إنه للشمال، و قال آخرون أنه للغرب و لكن يستتج من رواية ابن سعد أن له بايين حيث قال "لما قبض رسول الله صلى الله عليه و سلم قالوا (الصحابه) كيف نصلى عليه؟

قالوا: ادخلوا من ذا الباب أرسالا، فصلوا عليه و اخرجوا من الباب الآخر،" و مما ورد أيضا أن بيت السيدة عائشة كان به صفة إلى منزل فاطمة، و كان به فتحة إلى القبلة، يؤيد ذلك قول ابن ذبالة: كان بين بيت حفصة و منزل عائشة الذي فيه القبر الشريف طريق، و كانتا تتهاديان الكلام و هما في منزليهما من قرب ما بينهما. و حفصة زوج رسول الله صلى الله عليه و سلم و بنت عمر بن الخطاب، و كان بيتها كما لا يخفى على يمين خوخة آل عمر، أي في جنوب بيت عائشة إلى الشرق.

و إنى لم أجسر على هذا الوضع إلا بعد تدقيق شديد في أقوال الصحابة و التابعين الذين كانوا يتحرون كل مواقفه عليه الصلاة و السلام، و خصوصا في بيته الذي أجمع المسلمون على أن موضع قبره صلى الله عليه و سلم فيه أشرف بقعة على سطح الأرض. و على كل حال فهذا استنتاج لى أورده لك و أنت حر في تحسينه أو توهينه، و لو بدون دليل تقيمه عليه.

و عليه فيكون بيت السيد الرسول مدة حياته في المدينة على الرسم (الموضوع في جنوب المقصورة الشريفة) و هو أكثر بساطة من مسكنه في مكة. و كان من دونه كما سبق منازل أزواجه رضى الله عنهن، و كان محيطها مع منزل عائشة مبنيا باللبن، و قواطعها الداخلة من الجريد المكسو بالطين و المسوح الصوفية: و من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٤٩

ذلك يمكنك أن تحكم على مقدار بساطته صلى الله عليه و سلم في مسكنه- بحيث إنه ما كان يتعدى في أى حال من الأحوال الضرورى لحياته و حياة أزواجه. و قد ورد عن عطاء الخراساني أنه قال "أدركت حجر أزواج النبي صلى الله عليه و سلم، فحضرت كتاب الوليد يقرأ يأمر بإدخالها في المسجد فما رأيت يوما كان أكثر باكيا من ذلك اليوم، فسمعت سعيد بن المسيب يقول "و الله لو ددت أنهم تركوها على حالها، ينشأ ناس من المدينة و يقدم قادم من الآفاق فترى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه و سلم في

حياته، و يكون ذلك مما يزهّد الناس في التكاثر و التفاخر بها."

و مع هذا فإنك إذا أنعمت النظر في هيئة المكان على بساطته، و فكرت في وضعه الصحي، و كيف كانت منافذه منقية للهواء، و أبوابه داعية إلى السهولة في الدخول و الخروج و خفة الحركة مع وفرة الزمن و السرعة إلى المقصد، مما شرع فيه الآن في العمارات الكمالية، عرفت ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم من القناعة، و الزهد، و حسن الذوق. و من يتأمل في ذلك يرفيه خير درس للناس يتعلمون منه كمال وضع الأمور في مواضعها، من غير زيادة عن الحاجة و لا نقص عن الضروري، و هنالك يرى الغنى في ماله فضله يساعد بها الفقراء من عيال الله، فتتبادل عاطفة الحنو و الشفقة فيما بينهم، و تثبت قدم المحبة في أفئدتهم، فيصبح الكل بين محب و محبوب، و شاكر و مشكور، و حامد و محمود، و هنالك تزول عوامل الحسد، و تموت شياطين التنافر و البغضاء، و يتحد الكل على العمل، بل يعمل الكل للكل، و يكون الناس على اختلاف طبائعهم و عوائدهم كأعضاء جسم واحد تعمل كلها لحياته و وجوده، و إذا يكونون قد قاموا بالمأمورية التي وجدوا من أجلها، و هي خدمة الإنسانية.

### إشراق الدنيا بولادته صلى الله عليه و سلم

لا نريد هنا بسط الكلام على كيفية ولادة نبينا (محمد) صلى الله عليه و سلم، فإن ذلك معروف في كتب التاريخ و السير، و لكن نريد هنا ذكر شيء من ذلك بلون من الأدب الرفيع، و ذلك مما كتبه أديب مصر و كاتب العصر الأستاذ العظيم (الدكتور طه حسين) وزير المعارف الأسبق بمصر في زماننا، كما جاء في الجزء الأول من كتابه الشهير (على هامش السيرة) فإنه حفظه الله تعالى بعد أن ذكر حزن عبد المطلب بن هاشم على موت ابنه (عبد الله) قال ما يأتي:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٥٠

و كان الشيخ يضحك في نفسه ضحكا حزينا يوشك أن يكون بأسا مهلكا و ثورة جامحة، لولا أنه كان ذا قلب تعلم كيف يطمئن للأحداث و يذعن للخطوب، و يصبر على النائبات. كان الشيخ يضحك في نفسه ضحكا حزينا حين كان يفكر في غرور قريش، و تقديرها أن الله قد رد طاغية الحبشة، و أرسل عليه و على جيشه ما أرسل من الطير الأبايل تكريما لها و إثارة، و حين كان يفكر في غروره هو حين كان يقدر أن الله قد أنقذ ابنه من مديته و فداه بمائة من الإبل إيثارة له بالعافية، و اختصاصا له بالكرامة. كلا. كلا. لم يهزم الفيل و أصحاب الفيل إكراما لقريش، و إنما هي آية أجراها الله لأمر يعلمه هو، و لا يعلم الناس منه شيئا. و لم ينقذ الله عبد الله من الموت و يفاده بمائة من الإبل إكراما له أو إكراما لأبيه، و إنما أنقذه من الموت و فداه بالإبل لأمر يريد به هو، و لا يعلم الناس منه شيئا. و إلا ففيم نجا هذا الفتى من الموت ليموت بعد ذلك بقليل، أليس غريبا أن ينجو من الموت ليتخذ له زوجا لا يقيم معها إلا وقتا قصيرا، ثم يفارقها كما يفارق الناس أزواجهم ليعود إليها كما يعود الناس إلى أزواجهم، و لكن رفاقه يعودون و هو لا يعود، إنما يتخلف في يثرب ليموت عند أخواله من بني النجار، و قد عرفت زوجه بعد أن ارتحل عنها أنه قد حملها أمانة ما زالت تحملها في جوانحها، حتى إذا جاء أمر الله أدت هذه الأمانة. و من يدرى لعل عبد الله لم يوجد إلا ليودع هذه الأمانة عند زوجه، و من يدرى لعل آمنة لم توجد إلا لتؤدي هذه الأمانة إلى الناس، و كان الشيخ إذا فكر في هذا كله لم يملك نفسه أن يرى ابنه شديد النشاط، عظيم القوة، رائع الشباب، بارع الجمال، يستقبل السفر بأمل لا حد له ثم يراه نحيلًا، هزيلًا، شاحبًا، متهالكًا، محزونًا، يمرض على فراشه عند بني النجار، ثم يراه و قد دنا منه الموت مكابرا مكابرا، فاستله من الحياة أو استل الحياة منه، كأنما يثار لنفسه من تلك الهزيمة التي أصابته يوم الفداء، فكان الشيخ يستسلم لحزن عميق لا يخرج منه إلا اضطراب الناس من حوله، و إلحاح الناس عليه، و فيهم أبناءه و بناته، فيما كان يشغلهم من الأمور.

و كانت آمنة ترى نساء قريش و نساء بني هاشم من حولها، بيتسمنن للأيام و بيتتهجن للحياة، فيعجبها ذلك منهن، و لا يداخلها حسد لهن أو ميل إلى مشاركتهن. كانت تحس إحساسا قويا، و لكنه غامض، بأن الأيام قد وفتها حظها من الغبطة و قسطها من النعيم في

ذلك الوقت القصير الذى قضته مع زوجها منذ لقيته بعد الفداء إلى الرحيل. و كانت تريد أن تسعد بالتفكير فى هذا الجين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٥١

الذى تحسه يضطرب فى أحشائها، ولكنها لا تلبث أن تذكر زوجها، و أنه قد حرم السعادة بهذه النعمة، فتركه أن تستأثر من دونه بالخير، و تتحدث إلى نفسها بأن الاستمتاع بالأبناء و البنات لذة لا يستبد بها الفرد و إنما هى مشتركة بين اثنين فإذا ذهب أحدهما ثقلت على الآخر و شق احتمالها عليه، و كانت له مصدر ألم و حزن. لكنها مع ذلك لم تكن تجد هذا الألم الممض الذى كانت تقدره و تنتظره كأنما خلقت نفسها مدعنه، و كأنما فطر قلبها على الرضا، و كأنما استيقنت أن حياة الأحياء عبء يجب أن يحمل رضى الناس أو سخطوا، و أن احتمالها مع الرضا و الاطمئنان خير من السخط الذى لا يجدى، و الثورة التى لا تفيد.

على أن الأيام لم تكن تتقدم بآمنه نحو ذلك اليوم المشهود، حتى يغمرها شىء يشبه نسيان النفس و الانصراف عن الشعور الواضح بالحياة و التفكير الجلى فيها.

و كانت تنفق نهارها ذاهلة أو كالذاهلة، و تنفق ليلها فى نوم هادئ حلو الأحلام.

و ما أكثر ما كان يزورها من حلم، و ما أكثر ما كان يلم بها من طيف أو ما أكثرها ما كان يلقي إليها من حديث. حتى إذا كانت ذات ليله تنهياً للخروج من ذهول النهار و الدخول فى هدوء الليل، أحست بعض ما يحس النساء حين يدنو منهن المخاض. هنالك دعت إليها من حضرها من نساء بنى هاشم، فأسرعن إليها و قضين معها ليله لا كاليالى أنكرن فيها كل شىء و أعجن فيها بكل شىء، أنكرن حتى أنفسهن، فقد رأين ما لم ير أحد، و سمعن ما لم يسمع أحد، و أحسسن ما لم يحس أحد. و لم تكن آمنة أقلهن إنكارا و إكبارا و إعجابا، فقد كانت ترى، و هى يقظة غير نائمة، أن نورا ينبعث منها فيملأ الأرض من حولها و يزيل الحجب عن عيناها. و كانت تنظر فترى قصور بصرى فى أطراف الشام.

و كانت تنظر فترى أعناق الإبل تردى فى أقصى الصحراء. و كانت لا تتحدث إلى من حولها بما ترى مخافة أن ينكرن ما تقول، و أن يظنن بها الظنون و كانت هذه من صاحباتها لا تمد طرفها إلى شىء حتى تراه نورا كله لا ظلمة فيه، و إنما هو مشرق مضىء، أو هو الإشراق الخالص. و كانت هذه الأخرى من صاحباتها تنظر فإذا نجوم السماء تدنو من الأرض و تمد إليها أشعة قوية نقيه باهرة ساحرة و إنها لتدنو و تدنو حتى يخيل إلى الرائية أنها توشك أن تمسها و تقع عليها. و كانت هذه الأخرى من صاحباتها ترى ظلمة مظلمة قاتمة و تأخذها رعدة قوية ناهكة، و يلم بها شىء كأنه النوم، تسمع أثناءه صوتا مهيبا رهيبا يسأل: (إلى أين ذهبت به؟) فيجيبه صوت مهيب رهيب إلى المشرق ثم ينجلي عنها ما ألم بها فتفتيق. ثم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٥٢

يعاودها ما كانت فيه فإذا ظلمة قاتمة، و إذا رعدة قوية ناهكة، و إذا غاش يغشاها كأنه النوم، و إذا هى تسمع الصوت المهيب الرهيب يسأل: (أين ذهبت به؟) فيجيبه صوت مهيب رهيب: (إلى المغرب). ثم ينجلي عنها ما هى فيه فتفتيق و كذلك لم تدن السماء من الأرض كما دنت فى هذه الليلة. و كذلك لم ير الناس من الأعاجيب كما رأى هؤلاء النساء فى هذه الليلة. و لم تكن آمنة على هذا كله تجد ألما قليلا أو كثيرا و إنما كشف عنها كل حجاب، و رفع عنها كل غشاء، و خلى بينها و بين عالم من الجمال الذى يرى و من الجمال الذى لا يسمع لا عهد للناس بمثله. ثم ترى و ترى صاحباتها كأن شهابا انبعث منها فملأ الأرض و من حولها نورا يبهر الأبصار، ثم ترى فإذا ابناها قد مس الأرض يتيقها بيديه رافعا رأسه إلى السماء، محدقا ببصره إليها كأنما يلتمس عندها شيئا ثم تسرع صاحباتها إليه ليؤدين له و لها ما تحتاج إليه الأم حين تمنح الحياة، و ما يحتاج إليه الابن حين يستقبل الحياة. فإذا هى لا تحتاج إلى شىء و إذا هو لا يحتاج إلى شىء، و إذا هن يتناولن أجمل صبي، و أروع صبي، و أبرع صبي، و إذا قلوبهن قد امتلأت بأن الأرض قد استقبلت وليدا لا كالولدان.

ثم يشرق الفجر و تبسط الشمس رداءها النقى على بطحاء مكة و ما يحيط بها من الجبال، و يرتفع الضحى و يضطرب الناس فى

أمورهم و قد قضوا ليلا- جاهلا غافلا، لم يشعروا فيه بشيء، كأن لم يكن فيه شيء و لو قد كشف عنهم الغطاء، و لو قد أزيلت عن قلوبهم الحجب لرأوا و سمعوا و لكن الله قد جعل لكل شيء قدرا، فهو يظهر آياته لمن يشاء، و يخفي آياته على من يشاء. و عبد المطلب جالس في الحجر و حوله أبناؤه و جماعة من قريش، قد أخذوا فيما كانوا يأخذون فيه من حديث. و هو يسمع إليهم بأذنيه و يعرض عنهم بنفسه، يفكر في فقيدته الذي لا يستطيع أن ينساه و إنه لفي ذلك و إذا البشير يقبل عليه مسرعا، حتى إذا انتهى إليه حياه و قال: لقد ولد لك غلام، فهلم فانظر إليه، فلا يسمع هذه البشرية حتى يحس أن الله قد أخلفه من فقيدته و رفق به في مصابه، و ادخر له عزاءه عن محنته فيسأل: أهو ابن عبد الله؟ فيجيبه البشير: نعم. فينهض مسرعا و ينهض معه بنوه و يمضون لا- يلوون على شيء حتى يبلغوا بيت آمنه فإذا دخل الشيخ و رأى الغلام أحس كأن الله قد أنزل على قلبه السكينه و جلا عن قلبه الحزن، و رده إلى غبطة و سرور بعد عهده بهما.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٥٣

ثم يسمع حديث النساء فلا ينكر منه شيئا، كأنما كان ينتظره، و كأنما كان منه على ميعاد. ثم يرفع الصبي إليه فيقبله و يقول: لأسمينه محمدا، قالت آمنه: لقد أتاني في النوم فأمرني أن أسميه أحمد. قال عبد المطلب: فهو محمد و هو أحمد، و ما أرى إلا أنهما بعض أسمائه.

قلت لمحدثي: فقد زعموا أن عبد المطلب خرج بعد ذلك فنحرا الإبل لأهل مكة، و نحرا الإبل لأهل الشعاب، و نحرا الإبل على رؤوس الجبال، ليطعم الناس و ليطعم الوحش. قال: و هل كان عبد المطلب إلا نعمة للناس و نعمة على الإبل.

و لكن عبد المطلب لم يفرغ من شأنه ذاك، و لم يعد إلى المسجد مع العصر حتى رأى أندمة قريش متجمعة فيه، تلهج كلها بحديث غريب و نبأ طريف أذاعه في مكة رجل من أهل الظواهر، فشغل به الناس و تناقلوه. و كان هذا الرجل طلبه أهل المسجد، ينتقل بحديثه من ندى إلى ندى، فلا يكاد يتم حديثه إلى قوم حتى يدعو إليهم قوم آخرون ليسمعوا منه و يسألوه. و كان يستجيب لمن يدعوه و لا يزهده في أن يعيد قصته مرة مرة، و كأنه قد أحس لنفسه خطرا، و كأنه قد رأى نفسه مطلوبا بعد أن لم يكن من قبل إلا طالبا و كأنه قد كبر في نفسه، فكان يقول و يطيل في القول و كان يفصل و يغرق في التفصيل. و كانت أفناء قريش تسمع له، فمنها من يعجب و منها من يرتاع، و منها من يلقي الحديث بالإغراق في الضحك، و منها من يلقي الحديث بهز الرؤوس.

و كان هذا الرجل يقص قصصه فيقول: ما كنت أعلم أن ليل أسرار ليست للنهار. و ما كنت أعلم أن للصحراء أبناء ليست للمدن و الأرض العامرة. و ما كنت أحسب أن في هذا الهواء الذي تنسمه و في هذا الفضاء الذي يحيط بنا أرواحا تتناجى، و أحياء تتجاذب الحديث، حتى رأيت ما رأيت، و سمعت ما سمعت، فتبينت أن حياتنا غرور، و أن علمنا جهل، و أن أحاديثنا لهو و هراء.

و الناس يتعجلونه فيقولون له: هات ما عندك من النبأ، حتى إذا فرغت من قصته فقل ما شئت، و هو يقول: لقد جنني الليل و إنني لفي طريق من الطائف إلى مكة فلا أحفل بذلك و لا أبه له، و لا أفكر في أن أوى إلى حى من هذه الأحياء التي تنتشر بيوتها في الطريق لأنتظر مشرق الشمس، و لكنني أمضى أمامي لا ألوى على شيء و لا أرهب شيئا، و ماذا أرهب و الطريق آمنه واضحة يسلكها الناس إذا أصبحوا و يسلكونها إذا أمسوا، يسرون فيها مع ضوء النهار، و يسرون فيها مع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٥٤

ظلمة الليل، قد عرفوها فهم لا يحتاجون إلى مرشد و لا دليل فأمضى أمامي مجدا في السرى، أريد أن أفجأ أهلى مع الصبح. و إنني لفي بعض الطريق و قد سكن من حولى كل شيء حتى لا أسمع إلا أخفاف مطيتي تمس الأرض مسافيقا، و إلا هذه الأناث التي ترسلها المطايا إذا جهدها السير و حنت إلى الراحة، و إلا ما كنت أناجى نفسى به من حديث أهلى إذ طلعت عليهم مع ضوء الشمس. و كان ضوء القمر قد انبسط على الفلاة هادئا نقياً فملاً نفسى أمنا و دعة و هدوءا و إنني لفي ذلك، و إذا غمغمة تصل إلي من بعيد، فلا أحفل بها و لا ألقى إليها بالا، و إنما أمضى فيما أنا فيه من الاستمتاع بلذة هذا السرى، و مس أخفاف مطيتي للأرض، و حينها إلى

ما بعد عهدها به من الراحة، و أحاديث نفسى عنم فارقت فى الطائف و عنم سألقى فى مكة و لكن الغمغمة تدنو منى أو أنا أدنو منها، و إذا هى تشتد شيئا فشيئا، و إذا أصواتها تمتاز و تستبين و إذا أنا أسمع أحاديث قوم يتهامسون، و إذا أنا أنظر فلا أرى أحدا و القمر مع ذلك مع ذلك مشرق مضى، و الفلاة مع ذلك مبسوطه لا عوج فيها و لا ارتفاع، و الحديث مع ذلك من حولى واضح يملأ-الهواء و قلب مع ذلك يضطرب و يمشى فى صدرى رعبا و أنا أذهب بمطيتى إلى أمام و أرجع بها إلى وراء، و أذهب بها عن يمين و أذهب بها عن شمال، و أرفع بصرى إلى السماء و أخفض بصرى إلى الأرض، فلا أرى شيئا و لا أتبين شيئا إلا جمال هذا الضوء الرائع يغشى الأرض برداء نقى رقيق و هذه النجوم التى لا تحصى و قد تألقت فى السماء كأنها المصابيح، و انطلقت فى طريقها مسرعة كأنها تستبق، و هذه الأحاديث الواضحة تتحدث بها جماعات لا أراها، و لكنها لا تستقر و إنما يمضى بعضها أثر بعض. و إنى لأسمع قائلا يقول "انظروا إلى السماء، فما أرى أنها كعهدنا بها من قبل. إن نجومنا لتتألق فى قوى لم نرها قط إنها لتستبق فى سرعة لم نرها قط. إنها لتدنو من الأرض حتى أن نارها لتوشك أن تحرقنا. إن التصعيد فى السماء لعسير. و فيما نصعد إلى السماء و إن السماء لتهبط إلينا، إن البقاء على الأرض لعسير. و أنى لنا الثبات بهذا الضوء الذى لا يخفى عليه شىء، حتى أشباحنا الخفية التى لا تراها العيون (النجاء النجاء) إن للغيب لعجبا، و إن فى الأرض لحدثا، و إن الزمان ليستدير، و إننا لا ندرى أشد أريد بالناس أم خير، و إنى لأسمع ما أسمع و أرى ما أرى، فيبهرنى ما أسمع و يسحرنى ما أرى، و أشغل به حتى عن أن أسأل نفسى أين أكون و ما تكون هذه الأصوات،" و لكن أحس أصواتا أخرى كأنها تهيب بأهل تلك الأصوات التى كنت أسمعها

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٥٥

قائلة: (النجاء النجاء)، و لكن إلى أين إنكم لتفرون من مكة كأن شيئا أزعجكم عنها و قد كنتم فيها آمينين، و قد كنا نفر إليكم لأن شيئا أزعجنا عن دورنا، و أخرجنا من مأمننا، و اضطرنا إلى أن نهيم فى الأرض، لا ندرى ما هو، و لا ندرى من أين جاء، و إننا لتتسمع من أطراف الأرض بأن حدثا قد حدث، و بأن كائنا قد كان، إننا لتتسمع بأن إيوان كسرى قد اضطرب و مادت به الأرض فسقطت شرفاته و تهدم بنيانه. و إذا أصوات أخرى تصيح منتشرة فى الفضاء، و إننا لتتسمع بأن نار الفرس قد خبت فجأة لأول مرة منذ ألف سنة. و إذا أصوات أخرى تصيح. إننا لتتسمع بأن بحيرة ساوة قد جفت، و ما عهدناها إلا غزيرة جمه الماء. و إذا هذه الأصوات كلها تملأ الأرض، رقيقة خفيفة خائفة قلقة: (النجاء النجاء). إن للسماء لخبرا و إن الأرض لتستقبل يوما لم تستقبله من قبل، و إن لهذا اليوم فى حياة الأرض لشأنا لا ندرى أخير هو أم شر. (النجاء النجاء)، و لقد فقدت صوابى و أضللت عقلى فلا أحس شيئا، و لا أرى شيئا و لا أسمع شيئا، كأنما انتزعت من الحياة انتزاعا. ثم يمسنى برد السحر فأفوق و كأنما ثبت إلى نفسى من سفر بعيد. و أنظر حولى فأرى أصابع الفجر تمتد إلى الأشياء كأنما تريد أن تلمسها، و أرى الليل ينحسر عن الأشياء كأنما يودعها محزونا، و أرى النجوم تنهزم فى السماء كأنما تخاف جيشا منتصرا، و أرى ناقتى مدعنة لحكم السرى تمضى أمامها كأن شيئا لم يكن من حولها و أبلغ أهلى مع الصبح فيستقبلونى دهشين كما كنت أقدر و لكنى لا أستمتع بهذا الدهش كما كنت أريد.

و يتفرق الناس عن هذا الرجل و قد سمعوا منه، و إن بعضهم ليسأل بعضا: ماذا يقول و ماذا رأى؟ و إن بعضهم ليقول لبعض: لقد أخذه النوم فعبثت به الأحلام. و إن بعضهم ليقول لبعض: لقد مر بجماعة من جن الصحراء كانوا يسمرون. و يسمع عبد المطلب هذا كله فتثور فى نفسه خواطر لا ينكرها و لا يعرفها، و لكنه لا يطيل الوقوف عندها، لأنه مشغول عنها بمقدم حفيده اليتيم.

انتهى من كتاب على هامش السيرة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٥٦



حينما كنا بمصر في عام ألف و ثلاثمائة و أربع و خمسين من الهجرة، اطلعنا على جريدة الأهرام التي صدرت هنالك في ١٢ ربيع الأول عام ١٣٥٤ هـ. الموافق ١٣ يونية سنة ١٩٣٥ م، و كان فيها مبحث قيم عن تحقيق تاريخ ميلاد رسول الله صلى الله عليه و سلم بقلم الفاضل الأستاذ عبد الحميد شكرى، فأثرنا نقله هنا لما فيه من الفوائد و هو هذا نصه:

قال الأستاذ المذكور: قادتني أبحاثي في كشف حقائق التوفيق بين الإسلام و النصرانية و هي التي قضيت فيها ٢٣ عاما إلى تحقيق تاريخ ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام. و تاريخ يوم نزول الإنجيل المقدس و تاريخ ميلاد سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم. و تاريخ نزول القرآن الشريف. أما ميلاد السيد المسيح فقد كتبنا فيه تحقيقا في جريدة الأهرام في ٧ يناير سنة ١٩٣٠. و الآن و قد حققنا يوم ميلاد سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم بغاية الضبط ننشر ملخصا لتفاصيله مؤيدا بالبراهين التاريخية و الدينية و العلمية. لتحقيق الحساب يجب فحص أقوال المؤرخين في السير النبوية و الأحاديث الصحيحة عن المدة من ميلاد سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم إلى يوم نزول القرآن الشريف ثم إلى يوم هجرته ثم إلى يوم وفاته إلى أن تنظم التاريخ الهجرى.

و من الأهمية العظمى معرفة نوع التاريخ الذى كان مستعملا عند العرب لغاية يوم حجة الوداع التي فيها أصلح رسول الله صلى الله عليه و سلم التاريخ، و قد كانت طريقة النسب بالشهور القمرية و السنين الشمسية فكل من أهمل في حسابه بحث هذه الطريقة كانت تحقيقاته عقيمة و يجب على الباحث أن يكون عالما بحركات الأرض و القمر حول الشمس؛ لأنها مقياس الزمان، بل يجب معرفة تطورات التواريخ من عربية و إفريقية و عبرانية لعمل المقارنة بينها لضبط الحساب.

فالتاريخ العبرى كان أول سنه شهر تشرين ثم صار شهر نيسان ثم أعيد في عصور مختلفة.

و التاريخ المسيحي صار إصلاحه في سنة ٣٢٥ ميلادية بواسطة مجمع نيقية.

ثم تعدل مرة أخرى في سنة ١٥٨٢ ميلادية بأمر البابا جيورجوس الثالث عشر و إليه ينسب الحساب الجريجورى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٥٧

و التاريخ العربى كان من عهد إسماعيل عليه السلام بالشهور القمرية و السنين القمرية و كانوا يؤرخون ببناء الكعبة الشريفة إلى زمان عمر بن ربيعة الذى غير دين إبراهيم عليه السلام كما قيل ثم أرخوا بكعب بن لؤى الجد السابع للنبي عليه الصلاة و السلام، و ما زالوا يؤرخون به إلى عام الفيل فأرخوا به. و قد رجح المؤرخون أن هذا العام ولد فيه سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، و ما زال العرب من عهد إسماعيل و إبراهيم عليهما السلام يحسبون التاريخ بالشهور القمرية و السنين القمرية و كانت أسماء الشهور تختلف عن أسماءها الحالية بنحو ٢٠٠ سنة كانت أسماؤها: المؤتمر، تاجر، خوان، صوان، حنين، زبا، الأصم، عادل، نافق، وغل، رنة، برك. و قد نظمها إسماعيل بن عباد في قوله:

أردت شهور العرب فى الجاهلية فخذها على سرد المحرم تشترك

فمؤتمر يأتى و من بعده تاجرو خوان مع صوان يجمع فى شرك

حنين و زبا و الأصم و عادل و نافق مع وغل و رنة مع برك

و كانوا يحجون إلى الكعبة فى شهر برك الثانى عشر و لما كان حجهم يقع أحيانا فى الصيف و أحيانا فى الشتاء أرادوا أن يجعلوا الحج فى أنسب المواسم التجارية و فى فصل الربيع حيث تكون الأرض مخضرة و الهواء معتدلا، ففى نحو سنة ٢٠٠ قبل الهجرة غيروا أسماء الشهور بأسماءها الحالية من محرم إلى ذى الحجة و استعملوا فى الحساب طريقة تماثل طريقة اليهود ليقع شهر الحج فى أول فصل الربيع، و هذه الطريقة تجعل السنة الشمسية كما يفعل اليهود.

فاليهود يكسبون أى يزيدون شهرا، ثالث عشر فى كل سنتين أو ثلاث سنوات- وفقا للحساب لأن الفرق بين السنة القمرية و السنة الشمسية ٨٧٥، ١٠ يوما أى نحو أحد عشر يوما و هو مقرب من ثلث شهر يصير هذا الفرق نحو شهر فى ثلاث سنوات و يسمونه شهر الكبس آذار الثانى فيقع شهر نيسان فى فصل الربيع كما أمر سيدنا موسى عليه السلام.

أما العرب فكانوا يستعملون طريقة أخرى تختلف قليلا عن حساب اليهود و تؤدي إلى نفس الغرض، و هي النسئ بدل الكبس أى الطرح بدل الزيادة، و ما زالوا على هذا الحساب الشمسى بالنسئ من سنه ٢٠٠ قبل الهجرة إلى سنه ١٠ بعد الهجرة يقع شهر الحج فى نحو شهر مارس ففى هذه المدة ٢١٠ سنه كان يقع حجهم إلى الكعبة فى فصل الربيع من كل عام حتى جاء النبى عليه الصلاة و السلام التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٥٨

فى حجة الوداع سنه ١٠ هجرية فأبطل هذا الحساب و صحح التاريخ إلى حالته الأولى بالحساب القمري كما سيجىء مفصلا. ففى مدة حياته كلها كان العرب يحسبون الشهور قمريه و يسقطون شهرا ينسئون فى كل ثلاث سنوات أو سنتين وفقا للحساب ثم يزيدون شهرا ليجعلوا السنين شمسية- السنه ٢٤٢، ٣٦٥ يوما.

و هذا يخالف الحساب القمري- السنه ٣٦٧، ٣٥٤ يوما الذى أمر به رسول الله صلى الله عليه و سلم و صار عليه سيدنا عمر رضى الله عنه منظما من سنه ١٧ هجرية و استمر من سنه الهجرة إلى الآن.

فإننا وجدنا المؤرخين يقولون إن رسول الله صلى الله عليه و سلم ولد يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام الفيل، فيجب أن لا ننسى أن حسابهم بالنسئ الشمسى، و لما جاء علماء الفلك فى الإسلام وجدوا أن يوم الاثنين من ربيع الأول فى ذلك العام يوافق ٩ ربيع الأول و استمر الجدل بين الدين و العلم أى بين تمسك المتدينين بيوم ١٢ ربيع أول و بين علماء الفلك القائلين بأنه يوم ٩ ربيع الأول، و سأشرح كيف أن براهين العلم تؤيد صحة ما تمسك به أرباب الدين و هو أن يوم الاثنين كان يوافق ١٢ ربيع الأول.

اتفق معظم المؤرخين على أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ولد يوم الاثنين الواقع فى ١٢ ربيع الأول عام الفيل، و قليل منهم قال غير ذلك و ليس بينهم خلاف فى أنه عاش ٦٣ سنه قمريه منها ٥٣ سنه قبل الهجرة و ١٠ سنوات بعد الهجرة، فمولده كان فى سنه ٥٣ قبل الهجرة حسابا قمريا على التحقيق، و بما أن العالم الاسلامى متفق إلى الآن على أنه كان فى ١٢ ربيع الأول و بما أن الدول و الأمم و الملوك الإسلاميه تحتفل به على هذا الأساس و لا داعى لتكرار ما ورد فى ذلك من كثير من الأقوال.

أما تعيين يوم الاثنين فيكفى فى تحقيقه الحديث المأثور عن النبى صلى الله عليه و سلم: (ولدت يوم الاثنين).

أما علماء الميقات و الفلك فحققوا أن الميلاد كان فى سنه ٥٣ قمريه قبل الهجرة و لكنهم وجدوا فى الحساب أن يوم الاثنين من ربيع الأول فى هذا العام يقع فى ٩ منه، و ليس فى ١٢ منه. فأرادوا أن يصحح المسلمون فى مشارق الأرض و مغاربها تاريخ الميلاد و يعتبروه يوم ٩ منه و لكنهم نسوا عنصر النسئ الشمسى الذى أدخله العرب على الحساب القمري.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٥٩

قال محمود باشا الفلكى فى كتابه نتائج الإفهام نسخة عربية فى صحيفه ٣٠ بعد بحث طويل- يتلخص من هذا أن سيدنا محمدا صلى الله عليه و سلم ولد فى يوم الاثنين ٩ ربيع الأول الموافق ٢٠ إبريل سنه ٥٧١ مسيحيه: و هذا العام يوافق سنه ٥٣ قمريه قبل الهجرة. ورد فى كتاب الغازى أحمد مختار باشا أن محمدا صلى الله عليه و سلم ولد فى يوم الاثنين ٩ ربيع الأول سنه ٥٣ قبل الهجرة الموافق ٢٠ إبريل سنه ٥٧١ مسيحيه.

و جاء فى دائرة المعارف الفرنسيه الكبرى مجلد ٢٣ صفحه ١١٧٤ ما ترجمته:

إن محمدا ولد فى ٢٠ إبريل سنه ٥٧١ ميلاديه، و هو يوافق ٩ ربيع أول سنه ٥٣ قبل الهجرة.

سجل الأستاذ فريد و جدى فى دائرة معارفه ما يأتى: ولد رسول الله صلى الله عليه و سلم فى صبيحه يوم الاثنين ٩ ربيع الأول الموافق ٢٠ إبريل سنه ٥٧١ ميلاديه.

سجل الأستاذ محمود ناجى فى تقاويم الحكومه: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم ولد يوم الاثنين ٩ ربيع الأول سنه ٥٣ قمريه قبل الهجرة.

أما أبحاث علماء الفلك و الحساب الذين توصلوا إلى أن محمدا صلى الله عليه و سلم ولد يوم الاثنين ٩ ربيع الأول ترى أن المسأله

من الدقة بمكان.

إن حساب أولئك الأفاضل المحققين قمرى و هذا الحساب لم يكن العرب يستعملونه أبدا فكيف يحاسبونهم بما لا يستعملون و لست أدري كيف فاتهم أن العرب فى عهد الرسول عليه الصلاة و السلام، كانوا يستعملون تاريخ النسبى يشهد الله فى قرآنه و كفى بالله شهيدا، و يشهد الرسول و قوله الحق، و يشهد المؤرخون بأن العرب كانوا يحسبون الزمان بالنسبى الشمسى.

فنستعرض على القارئ أولا أقوال المؤرخين: يستدل من كتاب الخطط للمقريزى جزء أول صفحة ٢٨٢ على أن العرب فى مدة حياة الرسول عليه الصلاة و السلام كانوا يحسبون التاريخ بالنسبى، و ورد فى كتاب العبر لابن خلدون صفحة ٣٢١ قوله: و بنو عامر بن ثعلبة ابن الحارث بن مالك بن كنانة منهم نساء الشهور فى الجاهلية، و كل من صارت إليه هذه الطريقة يسمى القلمس، و أول من نسا الشهور سمير بن ثعلبة بن الحارث، و فى تفسير الطبرى مجلد ١٠ صفحة ١٠٢: و كان رجل من بنى كنانة يأتى كل عام فى الموسم على حمار له فيقول:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٦٠

أيها الناس إني لا- أعاب و لا- أjab و لا مرد لما أقول إنا قد حرما المحرم و أخرنا صفر، ثم يجيء العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته، و يقول: إنا قد حرما صفر و أخرنا المحرم فهو قوله: لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ قَالَ: يعنى الأربعة الحرم فيحلوا ما حرم الله لتأخير هذا الشهر الحرام، إلى أن قال: حدثنا عن مجاهد فى قوله تعالى: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ، قال: فرض الله الحج فى ذى الحجة، قال: و كان المشركون يسمون الأشهر ذو الحجة و المحرم و صفر و ربيع و جمادى و جمادى و رجب و شعبان و رمضان و شوال و ذو القعدة و ذو الحجة فيه مرة ثم يسكتون عن المحرم فلا يذكرونه ثم يعودون فيسمون صفر صفر ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ثم يسمون شعبان رمضان ثم يسمون رمضان شوال ثم يسمون ذو القعدة شوالا ثم يسمون ذى الحجة ذا القعدة ثم يسمون المحرم ذى الحجة ثم عادوا بمثل هذه القصة فكانوا يحجون فى كل عامين حتى وافقت حجة أبى بكر رضى الله عنه الآخر من العامين فى ذى القعدة ثم حج النبى صلى الله عليه و سلم حجته التى حج فوافق ذى الحجة فذلك حين يقول النبى صلى الله عليه و سلم فى خطبته: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات و الأرض).

و ورد فى تفسير روح المعانى للآلوسى (مجلد ٤ صفحة ٣٠٥): و كان فى السنة التاسعة من الهجرة التى حج بها أبو بكر رضى الله عنه بالناس فى ذى القعدة، أن الحج كان دائما فى ذى الحجة و لكن بسبب النسبى وقع شهر ذى الحجة مكان ذى القعدة، و ورد مثل ذلك فى صحيح البخارى و تاريخ الطبرى و تاريخ العبر لابن خلدون.

و فى تفسير الطبرى فى صحيفه ٩٣: حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال ابن زيدون فى قوله تعالى: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْآيَةَ. قال: هذا كان رجل من بنى كنانة يقال له التلمس كان فى الجاهلية و كانوا فى الجاهلية لا يغير بعضهم على بعض فى الشهر الحرام يلقى الرجل قاتل أبيه فلا يمد يده إليه، فلما كان هو قال: اخرجوا بنا، قالوا له: هذا المحرم، فقال: ننسئه العام هما لعام صفران فإذا كان عام قابل، قال: لا تغزوا فى صفر حرموه مع المحرم هما محرمان المحرم أنساناه عاما أول و نقضيه ذلك الإنساء إلى أن قال: كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا فيجعلون المحرم صفر فيستحلون فيه الحرمات، فأنزل الله: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٦١

و فى صبح الأعشى جزء ٢ صفحة ٦٦ قوله: إلى أن حدث فىهم النسبى فكانوا ينسئون المحرم فيؤخرونه إلى صفر فيحرمونه مكانه و ينسئون ربيعا و يؤخرونه إلى شعبان فيحرمونه مكانه ليستيحوا القتال فى الأشهر الحرم.

و فى تفسير النيسابورى مثل هذه التفصيلات حيث قال ما معناه: إن النسبى هو تغيير السنة من ٣٥٤ يوما و كسور إلى ٣٦٥ يوما و كسور. و جاء فى السير الحلبيةه جزء ٣ فى باب حجة الوداع: إن أهل الجاهلية كانوا يؤخرون الحج فى كل عام أحد عشر يوما حتى يدور

الدور إلى ٣٣ سنة فيعود إلى وقته، و لذلك قال عليه الصلاة و السلام في هذه الحجّة: الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات و الأرض فإن هذه الحجّة كانت في السنة التي عاد فيها الحج إلى وقته و كانت سنة عشرة بعد الهجرة.

و نجد في دائرة المعارف الفرنسية مجلد ٨ صحيفة ٩٠١ ما ترجمته: في سنة ٤١٢ بعد المسيح غير العرب أسماء الشهور إلى الشهور المعلومة الآن و كانوا ينسئون في شهر برك و هو الشهر الثاني عشر حتى أصلح محمد التاريخ في سنة ١٠ هجرية فصارت السنة قمرية أى قصر ١١ يوما.

و من الغريب بعد كل ما ذكرنا أن يقع الغازي أحمد مختار باشا الفلكي في الخطأ فيعتبر النسئ كبسا، فقد دون في صحيفة ٤٢ من كتابه إصلاح التقاويم ما يأتي:

إن سنة العرب في عهد سيدنا إبراهيم و سيدنا إسماعيل عليهما السلام كانت اثني عشر شهرا قمريا تضبط من رؤية الهلال إلى رؤيته ثانيا، و كانت أربعة منها حرم تسمى بالأشهر الحرم و كانوا يمتنعون فيها عن الجدل و القتال و يشتغلون فيها بزيارة الكعبة و بأمور راحتهم و قبل ظهور الإسلام بنحو ٢٠٠ سنة بالتخمين استعملوا سنة مختلفة ما بين شمسية و قمرية كالطريقة العبرية و هي أنه كل ما صار الفرق بين السنة الشمسية و السنة القمرية و هو ١١ يوما بالتقريب مساويا لشهر واحد أضافوه إلى السنة فتصير مركبة من ثلاثة عشر شهرا: فهو يقول بالزيادة لا بالنقصان.

أورد بالصحائف ٤٨-٥١ جدولاً عن العشر سنوات التي بعد سنة الهجرة مبينا فيه كيفية الكبس عن السنين العربية الشمسية في تلك المدة على طريقة اليهود، ظن أن النسئ معناه الكبس فاعتقد أن العرب في الجاهلية كانوا يزيّدون

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٦٢

شهرا ثالث عشر مثل اليهود و لو كان كذلك لسمى هذا الحساب كبسا لا نسيئا.

و الحقيقة: أنهم كانوا يتركون شهرا و يجعلون التالي له مكانه في كل ثلاث سنوات أو سنتين و يحجون في الشهر الثالث عشر، و كان هذا الفلكي الكبير يستند في ذلك إلى كتاب الآثار الباقية لأبي الريحان البيروني الفلكي الجليل و لكن إذا نظرنا إلى ما قاله البيروني نجد أنه يبين طريقة النسئ على خلاف ما استنتجه مختار باشا.

و البيروني أبو الريحان أحمد هو المهندس الفلكي أكبر مشاهير الفلكيين المحققين في العالم في زمانه المولود يوم الخميس ٣ ذي الحجّة سنة ٣٦٢ هجرية و كان علماء أوروبا يسترشدون بمؤلفاته القيمة و كتابه الآثار الباقية عن القرون الخالية مطبوع بالعربي في ليزج بألمانيا، جاء به في صحيفة ٣٤: و كبنى إسماعيل من العرب فإنهم كانوا يؤرخون ببناء إبراهيم و إسماعيل حتى تفرقوا و خرجوا من تهامة فكان الخارجون يؤرخون بخروجهم و الباقون يؤرخون بآخر الخارجين منهم حتى طال الأمد فأرخوا بعام رئاسة عمرو بن ربيعة المعروف بعمر بن يحيى و هو الذي يقال إنه بدل دين إبراهيم و حمل من مدينة البلقاء صنم هبل و عمل إسافا و نائلة ...

ثم أرخوا لعام موت كعب بن لؤى ... ثم أرخوا بعام القدر إلى عام الفيل ثم أرخوا به إلى تاريخ الهجرة، و في صحائف ٦٠-٦٢ ذكر أسماء الشهور عند العرب الجاهلية و تغييرها إلى الشهور الحالية إلى أن قال: و كانوا في الجاهلية يستعلمونها على نحو ما يستعمله أهل الإسلام و كان حجهم يدور في الأزمنة الأربعة ثم أرادوا أن يحجوا وقت إدراكهم سلمهم من الأدم و الجلود و الثمار و غير ذلك و أن ثبت ذلك على حالة واحدة و في أطيب الأزمنة و أخصبها فتعلموا الكبس من اليهود المجاورين لهم و ذلك قبل الهجرة بقرب من ٢٠٠ سنة فأخذوا يعملون بها ما يشاكل فعل اليهود من إلحاق فضل ما بين سنينهم و سنة الشمس شهرا بشهورها و يتولى الغلامى من بنى كنانة بعد ذلك أن يقوموا بعد انقضاء الحج و يخطب في الموسم و ينسئون الشهر و يسموا التالي له باسمه فيتفق العرب على ذلك فيقبلون قوله و يسمون هذا من فعلهم النسئ لأنهم كانوا ينسئون أول السنة في كل سنتين أو ثلاثة شهرا على حسب ما يستحقه التقدم، قال قائلهم:

لنا ناسئ تمشون تحت لوائه يحل إذا شاء الشهور و يحرم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٦٣

و كان النسئ الأول للمحرم و سمي صفر به و شهر ربيع الأول باسم صفر ثم والوا بين أسماء الشهور، و كان النسئ الثاني للصفر و سمي الذي كان يتلوه بصفر أيضا و كذلك حتى دار النسئ دورته في الشهور الاثنى عشر و عاد إلى المحرم فأعادوا بها فعلهم الأول و كانوا يعدون النسئ و يحددون به الأزمنة فيقولون قد دارت السنون من زمان كذا إلى زمان كذا دورة فإن ظهر لهم مع ذلك فقدم شهر عن فصله من الفصول الأربعة لما يجتمع كسور سنة الشمس الذي أحقوه بها كبسوها كبسا ثانيا و كان يتبين لهم ذلك بطولع منازل القمر و بسقوطها حتى هاجر النبي عليه الصلاة و السلام كانت نوبة النسئ كما ذكرت بلغت شعبان و سمي محرما شهر رمضان صفر فانظر النبي صلى الله عليه و سلم حينئذ حجة الوداع و خطب للناس و قال فيها: «ألا و إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات و الأرض»، عنى بذلك أن الشهور قد عادت إلى مواضعها و زال عنها فعل العرب بها، و لذا سميت حجة الوداع الحج الأقوم، ثم حرم ذلك و أهمل أصلا. انتهى.

هذا الفلكي الجليل هو أعظم الشارحين بيانا و تفصيلا لذلك قد اتخذناه إماما و المؤرخون أجمعوا على أن العرب مدة حياة النبي صلى الله عليه و سلم كانوا يستعملون النسئ الشمسي في حساب تواريخهم. كلما ذكر المؤرخون العرب يوم ميلاد سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، أو يوم نزول القرآن الشريف أو يوم الهجرة أو يوم خطبة الوداع كانوا يذكرونه على حساب التاريخ الذي كانوا يستعملونه في ذاك الزمان بالنسئ، فجميع المؤرخين الميقاتيين و غيرهم الذين حسبوا تاريخ مولد سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم و تاريخ نزول القرآن الشريف بالحساب القمري أنهم يحسبون على ما لم يكن العرب يستعملونه.

شهد الله أن التاريخ بالنسئ ما زال قائما في الحج و في حساب العرب بدليل قوله تعالى في سورة التوبة: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ، يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ذَلِكََ الدِّينُ الْقَيِّمُ، فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ \* إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا، يُحِلُّونَهُ عَامًا وَ يُحَرِّمُونَهُ عَامًا، لِيُؤَاظِمُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ، زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ، وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٦٤

أمر الله تعالى أن تعتبر السنة اثني عشر شهرا قمريا ليس فيها شهر ناقص يتغير، و لا كبس شهر زائد ثالث عشر، و لا تواطؤ و لا اختلاس و لا ضلال، لأنه تعالى رسم في الطبيعة ١٢ شهرا كما يعدها القمر في دورانه حول الأرض لتتبع حسابا صحيحا لا يخطئ ذلك الدين القيم سليم من الخطأ، و قد نزلت سورة التوبة التي فيها آية النسئ في سنة ٩ هجرية بدليل ما ورد في تفسير الطبري عن الآية الشريفة في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعِيدَ عَاهِهِمْ هَذَا أَى: بعد العام الذي نادى فيه على كرم الله وجهه ببراءة و ذلك عام حج أبو بكر بالناس سنة ٩ و كانت حجة الوداع سنة ١٠.

هذا دليل قاطع على أن العرب كانوا يحسبون تاريخهم بالنسئ الشمسي حتى سنة ٩ هجرية و ما زال العمل به قائما حتى لغاه سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم و أصلح التاريخ في خطبة الوداع يوم الجمعة ٩ ذى الحجة سنة ١٠ هجرية الموافق الجمعة ٩ آذار الثاني سنة ٤٣٩٢ عبرية، الموافق الجمعة ٩ مارس سنة ٦٣٢ مسيحية. و هذا الاتفاق في تواريخ دين الله كله كان عجيبا جديرا بالنظر و الاعتبار.

فمن قال من الميقاتيين أن سيدنا محمدا صلى الله عليه و سلم ولد يوم ٩ ربيع الأول سنة ٥٣ قبل الهجرة حسابا قمريا الموافق الاثنى ٢٠ إبريل سنة ٥٧١ مسيحية لم يكن على الحق مهما كان حسابه فلكيا صحيحا لأن هذا التاريخ على الحساب القمري و لكنه غير ما كان يستعمله العرب من حساب النسئ الشمسي بدليل قول الله تعالى في كتابه الكريم. و قد ثبت بالبرهان العلمي أن سيدنا محمدا صلى الله عليه و سلم ولد يوم الاثنى ١٢ ربيع الأول.

## وصف رضاعته صلى الله عليه وسلم

لا نريد هنا بسط الكلام على رضاعه نبينا "محمد" صلى الله عليه وسلم، فإن ذلك معروف في كتب التاريخ والسير، و لكننا نحب هنا ذكر قصة الرضاعة بلغة أهل الأدب، فإن لذلك طعما غير طعم عبارة التواريخ، فإليك القصة بقلم عميد الأدب في زماننا هذا (الدكتور طه حسين) وزير المعارف المصرية سابقا، فقد قال حفظه الله تعالى في الجزء الأول من كتابه "على هامش السيرة" ما يأتي:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٦٥

أقبل المراضع إلى مكة عجافا نحافا، تحملهن حمر عجاف نحاف، و يصحبهن أزواجهن قد مسهم الضر، و أعياهم الكسب، و اشتدت عليهم السنة، و أجدبت بهم الأرض، فما يجدون إلى أمن و لا دعة و لا حياة سيلا. و قد أقبلوا كدأب أهل البادية إلى مكة يلتمسون الرضعاء أبناء السادة و المترفين في قريش، و يبتغون بذلك فضلا من مال و نافله من نعيم، و حظا من هذا البر الذي تطمع فيه المراضع عند أهل الرضعاء. فلما ألقوا رحالهم، انحدر المراضع إلى مكة يعرضن أنفسهن على دور الأغنياء و أهل الثراء، و منازل السادة و أصحاب الشرف من أهل البطحاء و أسرع أزواجهن إلى المسجد يطوفون و يلقون سراة الناس من قريش، فيسمعون منهم و يتحدثون إليهم و يستعينون بهم على احتمال أثقال الحياة في تلك البادية النائية، بادية بنى سعد بن بكر. و ما هي إلا طوفة في الضحى على بعض المنازل و الدور حتى آب المراضع موفورات مجبورات، و قد وجدت كل واحدة منهن رضيعا من أسرة كريمة موسرة، فامتلات يدها بالمال، و نفسها بالأمل، و قلبها بالغبطة و الأمن على قوت العيال، إلا- حليمة بنت أبي ذؤيب، فإنها عادت إلى زوجها كئيبة محزونة، لا تحمل إلا ابنتها الهزيل النحيل الذي يصيح في غير انقطاع، و يبكي في غير هدوء، لشدة ما مسه من ألم الظمأ و الجوع. و لقي الأعرابي امرأته الشابة محزونا مثلها، كئيبا مثلها لا يؤذيه ما يحس من الجوع و الظمأ، كما يؤذيه ما يسمع و يرى من بكاء الطفل و توجع أمه البائسة.

قال: إنى لأرى أترابك من المراضع يرجعن موفورات مجبورات يحملن الرضعاء، فما بالك تعودين لا تحملين رضيعا إلا هذا الطفل؟ أعلك قد دلت الناس على مكاننا من البؤس و حظنا من الفاقة حين احتملت هذا الطفل الذي لا ينقطع له صياح؟ أعلك قد أياست الأمهات و أخفت الآباء ألا يلقي أبناؤهم عندك ما يرويههم من ظمأ أو يشبعهم من جوع؟ ليتنى لم انحدر مع الناس إلى المسجد و ليتنى بقيت هنا أحفظ عليك هذا الطفل، حتى لا يسمع الأمهات و الآباء له بكاء و لا شكاء، و حتى لا يرى الآباء و الأمهات عليه بؤسا و لا ضرا.

قالت: و الله ما صد عنى الآباء و الأمهات، و لقد أسكت هذا الطفل فما بكى و لا شكى، و ما أحس أحد عنى و لا عليه ضرا أو شرا، و إنما صددت أنا عن رضيع صد عنه الأتراب من قبلى.

قال الأعرابي: و فيم صد كن عنه و اجتنابكن له.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٦٦

قالت: يتيم ليس له أب يراه أو يكلؤه، إنما هو إلى أمه و جده. و ما تصنع أمه و ما يصنع جده، و ماذا تنتظر من بر الأمهات بالمراضع و من بر الجدود بالحفدة، و إنهم لكثير.

قال: صدقت، و ما لإرضاع اليتامى و المساكين أقبلنا من ديار بنى سعد.

و إنى لأجد في نفسى إشفاقا على هذا اليتيم رحمة له، و لكن ماذا نصنع به في تلك الأرض النائية إذا لم يصل إليه و إلينا من بر أهله ما يقيمه و يقيمنا، و يصلح من حاله و من حالنا؟

قالت: لقد رأيت فأحبته، و نظرت إليه فرقت له. و لقد أنست من أمه دعة و لينا، و لقد نازعتنى نفسى إلى أن أحمله لولا أنى أشفقت مما تقول، و لولا أنى ذكرت الجدب و شدة السنة و انقطاع المادة و أشفقت عليه مما نحن فيه.

قال الأعرابي: فستقفل إذا كما أقبلنا، و يقفل القوم راضين. و إني و الله يا ابنه أبا ذؤيب ما أدري أتبلغنا أتاننا و شارفنا ديار بني سعد، و إنك لتعلمين أن أتاننا منهوكة مكدورة، و أن شارفنا ما تبض قطرة من لبن.

قالت: فلنقم، فإن الأطفال يولدون، و لعل الله أن يرزقنا بين اليوم و غد رضيعا نجد عند أهله ما يرضينا.

و همّ المراضع بالقفول، و أخذت بنت أبي ذؤيب تنظر إليهن محزونة مكلومة يؤديها ما ترى من إنجاحهن و إخفاقها، و من قفولهن و تخلفها، و أخذ الأعرابي ينظر إلى رفاقة يشدون الرحال على المطايا، و يحملون النساء على الأتن فيؤذيه ذلك و يغیظه، و لكنه يخفي ما يجد من الغیظ، و يظهر التجلد و الصبر. حتى إذا مضى اليوم و أمعنوا في الطريق و بعدوا عن مرمى العين، نظر الرجل إلى امرأته و نظرت المرأة إلى زوجها، و نظر الزوجان إلى ابنيهما و استمعا لبكائه، و إذا هي تقول لزوجها: ما أدري. لعلني لم أحسن حين جاريت أترابي و أعرضت عن هذا اليتيم، و إن نفسي لتنازعني إليه، و إن قلب ليعطفني عليه، و إني لأحس كأنه يدعوني، و إني لأشعر كأنني لا أستطيع عنه صبرا، و إني لأرجو إن استجبت لهذا الدعاء الخفي أن يكون الله قد قدر لنا خيرا و آثرنا ببعض ما نحب. قال: فلا عليك يا ابنه أبا ذؤيب، اذهبي إلى يتيملك فخذيه، فإني أكره أن يرحل القوم و نبقي، و أن يصلوا إلى ديار بني سعد فيتحدث المراضع أنهم قد ظفروا بالرضعاء و أن نفوس الآباء و الأمهات قد انصرفت عنك و زهدت فيك.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٦٧

فتنهض بنت أبي ذؤيب فتعود إلى آمنه فتعرض عليها إرضاع الطفل، و إذا آمنه تأبى و قد آذاها ما رأت من إعراض المراضع و انصرافهن، و على وجهها آيات حزن عميق، و في صوتها بقية من بكاء، و أمتها بركة تعينها على الإباء و تحرضها على الامتناع. و لكن ابنه أبا ذؤيب تنظر إلى الطفل فإذا قلبها يمتلئ حبا له، و إذا هي تحس أنها مدفوعة إليه دفعا، و إذا هي تسرع إلى الطفل فترفعه بين يديها و تدنيه من صدرها، و إذا الطفل يلتمس الثدي كأنما كان منه على ميعاد، و إذ هو يشرب حتى يروى، و إذا بنت أبي ذؤيب تجد من اللبن ما لم تكن تجد من قبل، و إذا آمنه تستجيب لها، كيف تأبى عليه و قد رأت من حبا للطفل و من إقبال الطفل عليها و من إرضاعها له ما رأت. لقد أصبحت هذه الظئر له أما. قالت آمنه: خذيه و لا تراعي، فإني لأرجو ألا تجدى منه إلا خيرا، فلقد حملته فما وجدت له ثقلا، و لقد انتظرت تسعة أشهر فما أحسست مما يحس النساء قليلا و لا كثيرا، و لولا غاشية الحزن التي غشيتنا بفقد أبيه لكانت هذه الأشهر أسعد ما تظفر به امرأة من دهرها. و لكن الحوادث تحدث و الخطوب تلم و الآمال تقطع و قد كان يرجى أن تتصل. و السحب تتراكم فتحجب ضوء الشمس. و لقد وضعت هذا الصبي فما عرف صاحباتي على و عليه شيئا مما تعودن أن يعرفن على الأمهات و الولدان. و إنك لتنكرين يا ظئر لو تسمعين. قالت حلیمه: و ماذا أسمع و ماذا أنكر؟ قالت آمنه: لم أكن تلك الليلة في دار من دور قريش، و إنما كنت في مكان لم يألفه الناس: كنت في بحر من النور كله رحمة و بر و رضوان. و ما لك لا تنكرين هذا يا ظئر و قد أنكرته أنا و أنكرته صواحيبي؟ و ما لك لا تعجبين يا ظئر و قد عجبت و عجبت صواحيبي و عجب جده الشيخ. سلى حاضنته هذه تنبئك بما رأت و ما سمعت. سلى من شئت من نساء بني هاشم و رجالهم تعلمي أن لابني هذا اليتيم شأننا ليس لغيره من أبناء الأغنياء و أهل اليسار. لا تراعي يا ظئر، فإنك تحملين وليدا كريما لأب كريم وجد كريم. ثم انهلت من عينها دموع غزار و قالت في صوت يقطعه البكاء: لا- تياسى يا ظئر، فإن معروفنا على قلته سيصل إليك، و رب قليل خير من كثير. قالت حلیمه، و قد رق قلبها و جادت عيناها ببعض الدمع على غير عادة الأعرابيات: لا بأس عليك يا ابنه و هب، فإني و الله ما استطعت صبرا على هذا الصبي منذ رأيت. و إني و الله ما أدري ما الذي عطفني عليه حتى رجعت إليك آخذه منك. و قد كنت أستطيع القفول، و قد كنت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٦٨

أستطيع المكث في بلدكم هذا يوما أو أياما، فالأطفال يولدون، و سراه قريش في حاجة إلى المراضع كل يوم، و لكنه و الله أمر يراد. و انصرفت حلیمه بابنها الجديد راضية مسرورة، قانعة بما زودتها به آمنه من البر و المعروف، حتى إذا انتهت إلى زوجها الأعرابي لقيها باسم الثغر، مشرق الوجه، سعيدا أن لا تعود إليه صفر اليدين. و لم يكد ينظر إلى الطفل حتى انطلق لسانه، و إذا هو يقول لامرأته: إيه

با ابنه أبا ذؤيب، ما رأيت كالأيوم وجها مشرقا يفيض منه البشر، إني والله لأرجو أن يكون لنا من هذا الغلام خير. وينهض الأعرابي إلى شارفه يلتمس في ضرعها الجاف قطرات من لبن يبل بها ظمأ امرأته و ينقع بها بعض غلاته فما أسرع ما يأخذه عجب لا ينقضى حين يرى شارفه حافلة تمنحه من اللبن ما يريد و ما تريد امرأته، و فوق ما يريد و ما تريد امرأته. و ينظر الأعرابي فإذا ابنه الأول يجد عند أمه ما يرويه و يرضيه، و إذا وجهه الكالح المظلم قد أخذ يشرق و يضيء، و إذا ابتسامه حلوة طاهرة قد ارتسمت على ثغره البريء، و إذا هو يقول لامرأته: تعلمي يا بنت أبا ذؤيب إنك قد حملت نسمة مباركة.

و تنهض الظئر إلى أتانها فتركبها، و تضع الرضيع بين يديها، و ينهض الأعرابي إلى شارفه فيمتطيها، و يرميان بنفسيهما في الطريق يلتمسان الركب من بني سعد، و الركب بعيد قد دفع به في الطريق طويلة نائية. و لكن الأعرابية تجد من أتانها نشاطا و حدة، و لكن الأعرابي يجد في شارفه قوة و مرحا، و هما يمضيان و كأنهما تطوى لهما الأرض طيا. ثم يقول الأعرابي لامرأته: مدى عينيك يا ابنه ذؤيب، أترين شيئا؟ قالت: إي والله، إني لأراهم، و إنهم لأدنى من مرمى العين. و ما هي إلا- أن يبلغ الأعرابي جماعة بني سعد، فيعجب الناس بأمر حلیمه و قد أدركتهم في غير جهد و لا كد، و الأمد بعيد، و الطريق شاقه. و يسأل النساء حلیمه عن هذا الرضيع الذي تحمله، فإذا أنبأتهن بنبته أظهرن لها الرقة و الرثاء، و أضمرن التيه و الكبرياء. و يمضى الركب أخذا بأطراف الحديث، و إن حلیمه لتسبق أترابها حتى تعيهن، و إن أترابها ليقنن لها: أهذه أتانك يا ابنه أبا ذؤيب التي أقبلت بك إلى مكة؟ فتقول: هي والله أتانى ما غيرتها. فيقلن: اربعي علينا يا بنت أبا ذؤيب، فما رأينا كالأيوم مرحا و لا عدوا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٦٩

و يبلغ الركب ديار بني سعد، و يثوب المراضع إلى بيوتهن و يستأنفن حياة أهل البادية في أرض مجدبة قل فيها الرعى و الماء، و كثر فيها البؤس و الشقاء، و غنم حلیمه ترعى كما ترعى الغنم، و لكنها تروح ملا- حفلا- لا- يظمأ أصحابها و لا- يجوعون، تروح غنم السعديين مهزولة نحيلة ناضية، لا تكاد تبض بما يبيل الريق، و هم يقولون لرعاتهم: ويلكم ارعوا حيث ترعى غنم ابنه ذؤيب. فيقول الرعاة:

و الله إن لرعى حيث ترعى، و إنها و الله لا- تجد أكثر مما نجد، و لكنها تروح ملا- و نروح بغنمنا كما ترون، لا تغنى من ظمأ و لا جوع. فيقولون: إن لابنة أبا ذؤيب لشأنا.

و تنعم حلیمه و ينعم أبناؤها بحياة راضية هادئة و ينمو رضيعها و يزكو. و تقضى هذه الأسرة عامين راضين لا تعرف فيها مشقة و لا جهدا، و لا تجد فيهما ألما و لا سقما، و إنما هي أيام و ليال تطرد و يمضى بعضها في أثر بعض، لا كدر فيها، حتى إذا آن للرضيع أن يثوب إلى أمه نظرت حلیمه و زوجها، فإذا الطفل قد نما و زكا كأحسن ما ينمو الأطفال و يزكون، لم يكد يتم الثانية و كأنه ابن الأربع، و القوم عليه حراص، و لكنهم يؤدونه على ذلك إلى أمه كارهين. ثم تهتم حلیمه أن ترجع و قد أرضت آمنه و عبد المطلب و أرضتها آمنه و عبد المطلب، و لكنها لا تستطيع فراق الطفل حبا له و حدبا عليه، و رغبة في استبقاء ما وجدت في استصحابه من خير، فتلح على آمنه أن ترده معها إلى البادية حيث الهواء النقي، و السماء الصافية، و الحياة الهادئة البريئة، هناك حيث لا مرض و لا وباء و لا فساد. و تجيبها آمنه إلى ما أرادت و قد آثرت الطفل على نفسها، وضحت بلذة الأمومة في سبيل تنشئة ابنها تنشئة صالحا. و هل عرفت آمنه إلا التضحية؟ و تمضى حلیمه بالصبي راضية، و تبقى آمنه في مكة محزونة، و تنظر بركة إلى حلیمه نظرات فيهن الحسد. و تنظر بركة إلى آمنه نظرات فيهن اللوم.

قلت لمحدثي: فكيف قضى الصبي أيامه بعد ذلك في البادية، و كم أقام عند ظئره في ديار بني سعد؟ قال: إن لهذا لحديثا عجيبا مهما أبلغ من البراعة و قوة البيان فلن أقصه عليك في تلك السذاجة الحلوة الأخاذة التي كان يقصها مكحول على أهل الشام. فاسمع حديث مكحول فإنك واجد فيه مثل ما وجدت من اللذة و العظة و العبرة و المتاع.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٧٠



قال مكحول: حدثني سداد بن أوس قال: «بيننا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ أقبل شيخ من بني عامر وهو مدرة قومه و سيدهم، شيخ كبير يتوكأ على عصا، فمثل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قائما، و نسبه إلى جده فقال: يا ابن عبد المطلب إني أنبئك أنك تزعم أنك رسول الله إلى الناس، أرسلك بما أرسل به إبراهيم و موسى و عيسى و غيرهم من الأنبياء ألا و إنك فوهت بعظيم. و إنما كانت الأنبياء و الخلفاء في بيتين من بني إسرائيل و أنت ممن يعبد هذه الحجاره و الأوثان، فما لك و للنبوه، و لكن لكل قول حقيقه، فأبنتني بحقيقه قولك و بدء شأنك. قال:

فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم بمسألته، ثم قال: يا أخا بني عامر إن لهذا الحديث الذي تسألني عنه نبأ و مجلسا، فاجلس، فثنى رجليه ثم برك كما يبرك البعير. فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث فقال: يا أخا بني عامر، إن حقيقه قولي و بدء شأنى أنى دعوه أبى إبراهيم، و بشرى أخى عيسى بن مريم، و أنى كنت بكر أمى، و إنها حملت بى كأثقل ما تحمل، و جعلت تشتكى إلى صواحبها ثقل ما تجدد. ثم إن أمى رأت فى المنام أن الذى فى بطنها نور. قالت: فجعلت أتبع بصرى النور و النور يسبق بصرى، حتى أضاءت مشارق الأرض و مغاربها. ثم إنها ولدتنى فنشأت. فلما أن نشأت بغضت إلى أوثان قريش، و بغض إلى الشعر. و كنت مسترضعا فى بنى ليث ابن بكر. فبينما أنا ذات يوم متبذ من أهلى فى بطن واد مع أتراب لى من الصبيان، نتقاذف بيننا بالجله، إذ أتانا رهط ثلاثه معهم طست من ذهب ملئ ثلجا، فأخذونى من بين أصحابى، فخرج أصحابى هربا حتى انتهوا إلى شفير الوادى، ثم أقبلوا على الرهط فقالوا: ما أربكم إلى هذا الغلام، فإنه ليس منا، هذا ابن سيد قريش، و هو مسترضع فىنا، غلام يتيم ليس له أب، فماذا يرد عليكم قتله؟ و ماذا تصيبون من ذلك، و لكن إن كنتم لا بد قاتليه فاختروا منا أينما شئتم فليأتكم مكانه فاقتلوه، و دعوا هذا الغلام فإنه يتيم.

فلما رأى الصبيان القوم لا يحيرون إليهم جوابا انطلقوا هربا مسرعين إلى الحى يؤذنونهم و يستصرخونهم على القوم. فعمد أحدهم فأضجعنى على الأرض إضجاعا لطيفا، ثم شق ما بين مفرقى صدرى إلى منتهى عانتى و أنا أنظر إليه لم أجد لذلك مسا، ثم أخرج أحشاء بطنى، ثم غسلها بذلك الثلج، فأنعم غسلها، ثم أعادها مكانها، ثم قام الثانى منهم فقال لصاحبه: تنح فنحاه عنى، ثم أدخل يده فى جوفى فأخرج قلبى و أنا أنظر إليه. فصدعه، ثم أخرج منه مضغه سوداء فرمى بها، ثم مال بيده يمينا منه كأنه يتناول شيئا، فإذا أنا بخاتم فى يده من نور

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٧١

يحار الناظرون دونه، فختم به قلبى فامتلا نورا، و ذلك نور النبوه و الحكمة، ثم أعاده مكانه، فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا. ثم قال الثالث لصاحبه:

تنح، فتنحى عنى، فأمر يده ما بين مفرق صدرى إلى منتهى عانتى فالتئم ذلك الشق بإذن الله ثم أخذ بيدي فأنهضنى من مكانى إنهاضا لطيفا، ثم قال للأول الذى شق بطنى: زنه بعشره من أمته، فوزنونى بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بمائه من أمته، فوزنونى بهم فرجحتهم. ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزنونى بهم فرجحتهم. فقال: دعوه فلو و زتموه بأتمته كلها لرجحهم. قال: ثم ضمونى إلى صدورهم و قبلوا رأسى و ما بين عيني. ثم قالوا: يا حبيب لا ترع، إنك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عيناك. قال: فبينما نحن كذلك إذا أنا بالحى قد جاءوا بحذافيرهم، و إذا أمى و هى ظئر أمام الحى تهتف بأعلى صوتها و تقول: يا ضعيفاه! فانكبوا على فقبلوا رأسى و ما بين عيني. فقالوا: حبذا أنت من ضعيف.

ثم قالت ظئرى: يا وحيداه، فانكبوا على فضمونى إلى صدورهم و قبلوا رأسى و ما بين عيني، ثم قالوا: حبذا أنت من وحيد. و ما أنت بوحيد إن الله معك و ملائكته و المؤمنين من أهل الأرض. ثم قالت ظئرى: يا يتيماه، استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك، فانكبوا على فضمونى إلى صدورهم، و قبلوا رأسى و ما بين عيني، و قالوا: حبذا أنت من يتيم ما أكرمك على الله، لو تعلم ماذا يراد بك من الخير.

فوصلوا بي إلى شفير الوادي. فلما بصرت بي أمي، و هي ظئري، قالت: يا بني ألا أراك حيا بعد فجاءت حتى انكبت على و ضمتني إلى صدرها. فوالذي نفسي بيده إنني لفي حجرها و قد ضمتني إليها، و إن يدي في يد بعضهم، فجعلت ألتفت إليهم، و ظننت أن القوم يبصرونهم، فإذا هم لا- يبصرونهم. يقول بعض القوم: إن هذا الغلام قد أصابه لمم أو طائف من الجن، فانطلقوا به إلى كاهننا حتى ينظر إليه و يداويه. فقلت: يا هذا ما بي شيء مما تذكر، إن إرادتي سليمة و فؤادي صحيح ليس بي قلبه. فقال أبي- و هو زوج ظئري-: ألا ترون كلامه كلام صحيح، إنني لأرجو ألا يكون بابني بأس. فاتفقوا على أن يذهبوا بي إلى الكاهن، فاحتملوني حتى ذهبوا بي إليه فلما قصوا عليه قصتي، قال: اسكتوا حتى أسمع من الغلام فإنه أعلم بأمره منكم. فسألني فاقصصت عليه أمرى ما بين أوله و آخره. فلما سمع قولي وثب إلى و ضمنى إلى صدره، ثم نادى بأعلى صوته: يا للعرب يا للعرب، اقتلوا هذا الغلام و اقتلوني معه، فواللات و العزى لئن تركتموه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٧٢

و أدرك ليدلن دينكم و ليسفهن عقولكم و عقول آبائكم، و ليخالفن أمركم، و ليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله قط. فعمدت ظئري فانترعتني من حجره و قالت:

لأنت أعته و أجن من ابني هذا، فلو علمت أن هذا يكون من قولك ما أتيتك به، و اطلب لنفسك من يقتلك، فإننا غير قاتلي هذا الغلام. ثم احتملوني فأدوني إلى أهلي. فأصبحت مفزعا مما فعل بي، و أصبح أثر الشق ما بين صدري إلى منتهى عانتى كأنه الشراك، فذلك حقيقة قولي و بدء شأنى يا أبا بنى عامر.

فقال العامرى: أشهد بالله الذى لا إله غيره أن أمرك حق. فأبنتنى بأشياء أسألك عنها. قال: سل عنك- و كان النبى صلى الله عليه و سلم قبل ذلك يقول للسائل: سل عما شئت و عما بدا لك. فقال للعامرى يومئذ "سل عنك" لأنها لغه بنى عامر، و كلمه بما علم- فقال له العامرى: أخبرنى يا ابن عبد المطلب ما يزيد فى العلم؟

قال: التعلّم. قال: فأخبرنى ما يدل على العلم؟ قال النبى صلى الله عليه و سلم: السؤال. قال:

فأخبرنى ماذا يزيد فى الشر، قال: التماذى. قال: فأخبرنى هل ينفع البر بعد الفجور، قال: نعم التوبة تغسل الحوبه، و الحسنات يذهبن السيئات، و إذا ذكر العبد ربه عند الرخاء أغاثه عند البلاء.

قال العامرى: و كيف ذلك يا ابن عبد المطلب؟ قال: ذلك بأن الله يقول:

لا و عزتى و جلالى، لا أجمع لعبدى أمنين، و لا أجمع له أبدا خوفين: إن هو خافنى فى الدنيا أمننى يوم أجمع فيه عبادى عندى فى حظيرة القدس فيدوم له أمنه، و لا أمحقه فيمن أمحق، و إن هو أمننى فى الدنيا خافنى يوم أجمع فيه عبادى لميقات يوم معلوم فيدوم له خوفه.

قال: يا ابن عبد المطلب، أخبرنى إلام تدعو، قال: أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، و أن تخلع الأنداد و تكفر باللات و العزى، و تقر بما جاء من الله من كتاب أو رسول، و تصلى الصلوات الخمس بحقائقهن، و تصوم شهرا من السنه، و تؤدى زكاة مالك يطهرك الله بها و يطيب لك مالك، و تحج البيت إذا وجدت إليه سبيلا، و تغتسل من الجنابه، و تؤمن بالموت و بالبعث بعد الموت و بالجنة و النار.

قال: يا ابن عبد المطلب، فإذا فعلت ذلك فما لى، قال النبى صلى الله عليه و سلم: جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدن فيها و ذلك جزاء من تزكى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٧٣

قال: يا ابن عبد المطلب، هل مع هذا من الدنيا شيء فإنه يعجبني الوطأة من العيش، قال النبى صلى الله عليه و سلم: نعم النصر و التمكّن فى البلاد. قال: فأجاب و أناب.

قلت لمحدثي: إن هذا النبأ ليعجب، فمن لهذا الشيخ العامري بما كان يعلم من أمر إبراهيم و موسى و عيسى و غيرهم من الأنبياء، قال: كان كثير من هؤلاء العرب يلقون اليهود و يلقون النصارى فيعلمون منهم علم الأنبياء، و ينتهون إلى نفور من دينهم القديم في غير اطمئنان إلى يهودية اليهود و نصرانية النصارى فأخرجهم الله بالإسلام من حيرتهم تلك.

قلت لمحدثي: فكيف انتهى حديث مكحول إلى أهل الشام؟ قال: أما علمت أن شداد بن أوس سكن فلسطين، و أنفق شطرا طويلا من حياته في بيت المقدس يعلم الناس و يحدثهم وعده بذلك النبي نفسه، فقد تحدثوا أنه كان عند رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو يجود بنفسه فقال: مالك يا شداد، قالت: ضاقت بي الدنيا.

فقال: "ليس عليك، إن الشام سيفتح و بيت المقدس سيفتح و تكون أنت و ولدك من بعد أئمة فيهم إن شاء الله تعالى." انتهى من كتاب على هامش السيرة.

### محمد صلى الله عليه و سلم المثل الأعلى في الأنبياء

عثرنا بالمصادفة على كتاب مطبوع بمصر اسمه "المثل الأعلى في الأنبياء" تأليف خ. كمال الدين، و عربه عن الإنكليزية الأستاذ أمين محمود الشريف، فرأيناه كتابا قيما بأسلوب بدیع شيق، يثبت المؤلف بأدلة عقلية قوية أن نبينا "محمدًا" صلى الله عليه و سلم هو المثل الأعلى في الأنبياء، و في الكتاب قليل من الأخطاء كان الواجب على المؤلف أن يتنبه لها جيدا، و لكنه يعذر بحسن نيته، و نحن لم نتعرض لهذه الأخطاء و تصحيحها لأننا لسنا في معرض نقد للكتاب، و لقد نقلنا منه ما يوافق غرضنا، و إليك بعض النبد التي جاءت فيه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم - فقد جاء في صحيفة (٣٨) ما يأتي:

فهؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة و السلام قد انطمت معالم صورهم الحقيقية بما أسبغ عليها من ألوان التبجيل و الإطراء، أما محمد صلى الله عليه و سلم، فهو شخصية تاريخية

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٧٤

واضح المعالم، و كل أفعاله و أقواله قد أحصاها معاصروه في كتاب لا يغادر صغيرة و لا كبيرة، بل هو النبي الفذ الذي يمكن أن يسمى شخصية تاريخية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، إذ أن سيرته معروفة منذ نعومة أظفاره إلى أن اختاره الله لجواره، و لا سيما الفترة التي أدى فيها الرسالة. و لست أغالي إذا قلت أنني أعرفه أكثر مما أعرف أبوي، ثم أليس من العجيب أننا لا نجد فيما أثر عنه - على كثرته - إلا - كل ما يدعو إلى الاحترام و الإعجاب، و لست أدري ماذا يكون رأينا في غيره إذا أتيت لنا أن نعرف أكثر مما نعرف عنه، فإن سيرته غيره من الأنبياء مضروب عليها حجاب من الغموض و الأساطير، و لا نعرف من حياتهم اليومية إلا القليل. و ما يحكى عنهم يشبه كلام الكهان، حتى لا يتصور العقل أنهم أشخاص حقيقيون و لكن تاريخ النبي صلى الله عليه و سلم معروف أكثر من أية شخصية أخرى في التاريخ، و إنه لمن دواعي العجب أن العدو لا يجد وجها للنقد فيما روى عنه و هو كثير.

و هنا يظهر فضل النبي على غيره، و هذا أحد الأسباب الكثيرة التي تحملنا على القول بأنه المثل الأعلى في الأنبياء، فسجل أقواله و أفعاله كامل غير منقوص، و سننه القولية و الفعلية يتم بعضها بعضا، و كأن كل مطلب من المطالب الروحية قد قدر و عمل حسابه، فكل ما يعرض للإنسان مما دق أو جل يتجلى في مرآة حياته. لا - أستطيع أن أقول باعتباري مسلما أن غيره من الأنبياء لم يؤدوا رسالتهم كاملة، بل كل ما أريد أن أقوله أننا لا نجد في كل ما أثر عنهم إلا القليل مما يفي بحاجة البشر، و لا بد أنهم قد أدوا ما أرسلوا به، و لكن مؤرخهم لم يقوموا بحقهم. و لا يسعني إزاء قلة ما أثر عنهم إلا أن أقول، أنه لولا محمد صلى الله عليه و سلم ما استطعنا أن نفهم قدر النبوة، إذ لو كانت وظيفة النبي مقصورة على القول دون العمل، و إلقاء بعض العظات دون أن يعمل في حياته شيئا لرفعة الإنسانية، بل يكرر الدروس التي ألقاها غيره بعبارة أخرى، لما كان هناك معنى للرسالة الإلهية لأننا نستطيع أن نتعلم هذه

الدروس نفسها ممن لم يدع أنه مرسل من عند الله.

ثم جاء فيه أيضا بصحيفة (٤٢) ما نصه:

و إذا نظرنا في حال من تقدم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وجدنا أنه لا يخلو من أمرين:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٧٥

(الأول) أنهم لم يمارسوا جميع أحوال الحياة كما مارسها النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم لم تهيأ لهم الفرصة، و لو تهيأت لفعولهم. و لنضرب مثلا بالمسيح عليه السلام، كلنا نعلم أن كثيرا من سعادة المرء يتوقف على معاملته أهله بخلق حسن، فلو أن المسيح تزوج لكان مثال الزوج الكامل، و لكنه لم تتح له فرصة الزواج، و لذا فنحن لا نستطيع أن نقتدى به في هذه الناحية.

(الثاني) أن الذين منهم أتاحت لهم الفرصة و أدوا واجبهم على الوجه الأكمل، لم يصل إلينا من أخبارهم إلا النزر اليسير، و حتى هذا النزر اليسير لا يصور لنا الحقيقة كما هي، بل هو صورة ما انطبع في أذهان أصحابهم الذين دونوا تاريخهم فكتبوا ما راق لهم، هذان الأمران بالذات هما السبب في أن الإنسان يحاول عبثا أن يجد قبسا من النور و الهدى في حياة الأنبياء السابقين، و لكن محمدا صلى الله عليه وسلم هو العلم الفرد الذي يجد الباحث في تاريخه ما يروى غليله.

ليس كل ما في جعبة النبي هو الدعوات الصالحات، و إنزال اللعنات، و إلقاء العظات، و الإتيان بالمعجزات، بل إن منصب النبوة أسمى من ذلك و أجل، فالنبي يبعث لإحياء الإنسانية من الموت العقلي و الخلقى و الروحي الذي حل بها، و يبعث بالشرائع السامية ليعمل بها في خاصة نفسه، و يأمر الناس أن يهتدوا بهديه، و بذلك يحيى أرض القلوب بعد موتها.

و خلاصة القول أنه يبعث "لتكميل الإنسانية" و هي مشكلة من أعوص المشاكل، لأن للإنسان جوانب متعددة منها الناحية الجسمية و الناحية العاطفية و الشعورية و الاجتماعية و الخلقية و الروحية، و هذه النواحي كلها مشتبكة يكمل بعضها بعضا في وجودها و تطورها، كما أنها تتعاون في أداء وظائفها.

و قد اختلف الناس في شأنها، فمنهم من يذم الغرائز و الميول النفسية، و منهم من يشير بقمعها و سحقها، و هذا مخالف للطبائع البشرية؛ لأن هذه الغرائز قابلة للتطور و الارتقاء، و هي أساس الأخلاق العالية، و بذرة الرقى الروحي. و واجب النبي أن ينظر إليها جميعا بعين الاعتبار، و أن يرشد إلى وسيلة يمكن بها توجيه هذه الغرائز في الطريق القويم، و ضبط القوى العقلية على الوجه الذي يسمو بالإنسانية، و يمكن الإنسان من التخلق بالأخلاق الربانية، كما أشرت إلى ذلك في مكان آخر في هذه الصفحات.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٧٦

و قد لخصت في مكان آخر بعض المناقب التي يختص بها النبي صلى الله عليه وسلم دون سواه، و اليد البيضاء التي أسداها للإنسانية بوصفه نبيا. و هذه المناقب هي من خصائص الأنبياء، و لا توجد في سيرة غيره من الأنبياء، و أكبر الظن أن مرد ذلك إلى السببين اللذين سلف ذكرهما.

و إذا كنا نحن معشر المسلمين نؤمن بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى في الأنبياء، فما ذلك إلا لأنه اجتمع فيه كل ما تفرق في غيره من الفضائل و الكمالات. و قد كان كل نبي من أنبياء الله مثلا أعلى، و كان قدوة للناس الذين بعث فيهم، و كان يمكن أن يكون قدوة لمن جاء بعده لو عرف تاريخ حياته على الوجه الأكمل، و أتاحت له كافة الفرص لإظهار الفضائل التي كان يتحلى بها قطعاً، لم يتمكن من إظهارها لأنه لم تتهيأ له الظروف المناسبة.

و الحقيقة أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أكمل الأنبياء؛ لأنه تتوافر فيه جميع مقتضيات النبوة، كما يجتمع فيه كافة الكمالات التي تفرقت في غيره. و إذا تقرر ذلك، فليس من العسير أن نبين الصفات التي استحق بها أن يكون المثل الأعلى في الأنبياء و سنتحاشى المقارنة البغيضة ما أمكن، على أنه لا وجه للمقارنة بين اثنين نعرف عن أحدهما كل شيء و لا نعرف عن الآخر إلا القليل النادر.

و جاء فيه أيضا بصحيفة ٨٩ ما يأتي:

و من الفضائل التي انفرد بها صلى الله عليه وسلم و تدل على وصوله إلى أسمى مرتبة من الكمال، أعنى مرتبة التخلق بأخلاق الربانية، ثباته على العهد و المبدأ، بحيث لا- يتغير و لا- يتبدل تبعا للظروف و الأحوال. فهو هو في حالي العسر و اليسر، و الغنى و الفقر، و الهزيمة و النصر، مثله في ذلك كمثل كلمات الله و سنته. و لن تجد لسنة الله تبديلا. فمن ذلك فضيلة التواضع التي كان يمتاز بها في جميع أطوار حياته، و لكن "انتصاراته الحربية" كما قال و اشنجنجت إيرفنج: "لم تبعث في نفسه شيئا من الفخر و الزهو؛ لأنه لم يكن له فيها أى مأرب شخصي."

و عندما بلغ أوج سطوته و سلطانه، ظل محتفظا بالبساطة في مظهره و أخلاقه، كما كان في أيام الفقر و الشدة. و كان يكره أن يظهر بمظهر الملوك، و يستاء إذا بدرت من الناس حركة غير عادية تدل على الاحترام و التعظيم حين يدخل عليهم، و إذا كان هناك سلطان يطمع هو إليه، فسلطان الدين الذي جاء به. أما السلطان الدنيوي الذي كان يتمتع به في حياته، فقد كان مجردا من مظاهر الملك، و لم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٧٧

يعمل هو على أن يكون وراثيا في آل بيته، و بعد أن صار سيد الجزيرة العربية، و ظل يعامل أصحابه كأنهم إخوة، لا يقوم دونه الحجاب، و لا يمشى بين يديه الحراس بل كان يمشى بينهم بلا كلفة، يصلح ذات بينهم، و يرشدهم إلى ما فيه خيرهم و يبذل وده لهم.

و يقول جيون: كان محمد لوفور عقله يحتقر أبهه الملك، و هو في أوج سلطانه الدنيوي، و كان رسول الله في مهنة أهله، يستوقد ناره، و يقم بيته، و يحلب شاته، و يخصف نعله، و يرقع ثوبه. و مع ذلك لم يفخر بأنه من الزهاد الذين يعذبون أنفسهم، بل كان يقاسى من شظف العيش ما يقاسيه كل عربي و جندي، فأكل ما وجد دون عناء أو تكلف. و كان يكرم أصحابه و يؤثرهم بلذائذ الأطعمة، و تمر الأسابيع الطوال ما يستوقد نارا في بيته، و أحب أن أضيف بهذه المناسبة خبرا عن السيدة عائشة رضی الله عنها تأييدا لما نقلته عمدا من كلام جيون و غيره عملا بالمثل العربي القائل: "و الفضل ما شهدت به الأعداء"، قالت: (كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا، إنما هو التمر و الماء، إلا أن نوتى باللحم - ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين).

هذه صفة عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم، و هذا هو تواضعه في وقت دانت له فيه جزيرة العرب، و صارت تحت قدميه، و قد زحرت المدينة بمظاهر الثراء في الأيام الأخيرة من حياته، فسالت بطاحها بالأموال من ذهب و فضة، إلا بيت ابنته فاطمة فقد خلا من أسباب الغنى، و أقفر من آثار النعيم، و كان كل ما يملكه يوم وفاته بضع دراهم ذهب بعضها في قضاء دين عليه و ما بقى أعطى لمسكين جاء يسأل شيئا من الصدقة، أما الملابس التي فاضت فيها روحه الشريفة فقد كانت ذات رقع، و بذلك صرف كل ما كان يملكه، و قد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة».

و جاء فيه أيضا بصحيفة (١٠٤) ما يأتي:

و قبل أن أوصل الكتابة، أحب أن ألخص حياة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة مؤثرا كلمات السيد أمير علي في كتابه "روح الإسلام" إذ أنه يصورها صورة رائعة في هذه الكلمات: "رأينا ذلك الرجل العجيب يتيما لم ينعم قط بمحبة الأب، محروما في نعومة أظفاره من حب الأم، و رأينا حياته الأولى تبعث الشجون، إذ نشأ طفلا كثير التأمل و التفكير، ثم صار شابا يافعا كثير التأمل و التفكير كذلك، و كان في

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٧٨

شبابه زكى النفس صادق اللهجة كما كان في طفولته، و كان في كهولته زاهدا ورعا كما كان في شبابه يصغى إلى أنات الضعفاء و

آلام الفقراء، يفيض قلبه بالرحمة و الحنان على جميع الخلق، يمشى على الأرض هونا، تغشاه السكينه حتى ليشير الناس إليه بالبنان قائلين: (هذا هو الأمين الصادق الصدوق) - كان الصديق الحميم و الزوج الوفي، و المفكر الذى يتغلغل بذهنه فى أسرار الحياة و الموت، و يغوص بفكره فى سر القضاء و القدر، و الحكمة فى وجود الخلق، تكفل بإصلاح أمة و إنقاذها، لا بل بإصلاح العالم بأسره، و لا- عزاء له فيما يكابده سوى قلب يغمره الحب قد تعترضه الصعاب و لكن لا يعرفه اضطراب و قد يغلب على أمره و لكن لا يلم اليأس بصدره، بل تراه يكافح و يناضل بروح قوى لا- يغلب، ليؤدى الرسالة التى و كلت إليه، و قد جمعت حوله أخلاقه الكريمة الزكية، و إيمانه القوى بالرحمة الإلهية قلوبا مخلصه، و نفوسا صادقة.

و حين أذفت ساعة العسرة، تراه كالبهار الأمين، لا يبرح مكانه حتى يطمئن إلى وصول أصحابه إلى الساحل آمين، فإذا و صلوا إليه، توجه هو إلى الساحل الأمين، هكذا رأيناه فيما مضى. و الآن ستراه الملك المسيطر على ذلك كله، فهو الفقير المتواضع، الذى لا يحيط نفسه بمظاهر العظمة و الفخامة، و من الآن فصاعدا، يغنى تاريخ الجماعة التى كان هو قطب رحاها، و من الآن فصاعدا نرى الداعى الذى يرقع ملابسه بيده، و يبيت الليالى المتتابعة طاويا، و قد أصبح أقوى من أقوى ملوك الأرض. اه.

كانت حياة النبى صلى الله عليه و سلم فى المدينة حلقه هامة فى سلسلة الخلق الإنسانى فى المدينة أتيحت له الفرصة لإبراز ما دعا إليه بالقول إلى حيز الفعل، و قد أكبر من شأن شريعته موسى عليه السلام و زاد عليها و حقق على الأرض ملكوت السموات الذى كان عيسى عليه السلام يدعو الله به، و سما بأخلاق قومه إلى مستوى القديسين و الملائكة، فحقق بذلك أحلام أرسطو و أفلاطون فى المساواة بين البشر، و أنشأ لأول مرة فى التاريخ مجتمعا اشتراكيا و مدينة فاضلة يسكنها و يديرها قوم تخلوا عن الرذيلة، قوم ليسوا بحاجة إلى رجال شرطة يتولون حفظ النظام بينهم، قد زالت بينهم الفروق فلا امتياز لأحد على أحد بسبب لونه أو جنسه أو قومه، قوم لا يفرق فيهم بين الحاكم و المحكوم، و الرئيس و المرؤوس، تلاشت بينهم جميع الفوارق القائمة على المذاهب و الطبقات و الألوان و الأنساب فالأبيض، و الأسود،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٧٩

و الأحمر، و الأصفر- كل أولئك سواء عند الله؛ لأنهم من معدن واحد، أبوهم آدم و أمهم حواء، و لكى يمحى التمييز بينهم بسبب الجنس، و الدم، و المال، قيل لهم إن أكرمكم عند الله أتقاكم.

و لأول مرة فى التاريخ قرر الخليفة عمر رضى الله عنه، أن الحكومة التى لا تسمح لأى فرد من أفراد الرعية أن يبدى رأيه، و لا تحترم هذا الرأى، لا تعد جديرة بهذا الاسم، و لأول مرة فى التاريخ سمح لأدنى فرد من السوقة أن يبدى رأيه فى أية مسألة تمس الدولة أو الدين أو الحاكم نفسه، و لأول مرة فى التاريخ حل الانتخاب محل الوراثة فى تولى الحكم. و تقرر أن تكون وظيفة الحاكم - كائنا من كان - مقصورة على تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية، و أن تكون جميع التشريعات التفصيلية متفقة مع الأصول العامة للشرع، الذى سنه المشرع الأعظم.

و كانت الرعية تدعى إلى بيان عيوب الحاكم فى سياسة الحكم، و كانت الدولة ملكا للجميع على السواء ذكورا و إناثا، و كانوا جميعا ملكا لإله واحد، يخضعون لقانون واحد، ليس من وضع البشر، بل أنزله الله الرحمن الرحيم الذى وسعت رحمته كل شىء، و العدل الذى ملأ الأرض عدله - قانون واحد ينطبق على الغنى و الفقير على السواء.

كان عيسى عليه السلام يحلم بالمساواة، و لكن محمدا صلى الله عليه و سلم حقق هذا الحلم على أحسن وجه، و لا غرور، فقد كان يقدس العمل، و يعمل كل شىء بيده، و كان صلى الله عليه و سلم يكره أن يعمل الناس له شيئا، فكان يخدم نفسه، و كان فى بيته فى مهنة أهله، يلقى ثوبه، و يقم بيته، و يحمل بضاعته من السوق، و يخصف نعله، و يحضر الماء، و يعقل البعير، و يعلف ناضحه، و يعجن مع الخادم. و روى عن أنس أنه غدا إلى النبى صلى الله عليه و سلم فوجده يمسح جملا بالزيت، و فى حديث آخر أنه رآه يسم إبل الصدقة.

ولما بنيت الكعبة وهو صغير كان ينقل الحجارة، و في أثناء بناء المسجد النبوي في المدينة المنورة، كان يعمل في البناء كغيره من العمال، و كان ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه. و دانت له شبه الجزيرة العربية، و انهالت عليه الأموال من ذهب و فضة، و لكنه كان يقول: ليس لابن آدم حق فيما سوى هذه الخصال:

بيت يسكنه، و ثوب يوارى عورته، و جلف الخبز و الماء.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٨٠

و قد دلت حياته في المدينة على أنه لم يسع قط إلى الملك و السلطان في الأرض، بل الملك هو الذي سعى إليه، فأتيح له أن يبين لملوك الأرض أن الأموال العامة أمانة مقدسة يجب صرفها في وجوه مصالح الرعية، لا في تحصيل الشهوات و اللذات الشخصية، إذ كان صلى الله عليه و سلم زاهدا في الدنيا، متقشفا في معيشته - يلبس ما وجد، و لا يسأل أهله طعاما إن أطعموه أكل، و ما أطعموه قبل، و ما سقوه شرب، و يجلس حيث ينتهي به المجلس، إما على حصير، أو على بساط، أو على الأرض، و كان يأكل الشعير غير منخول، و يلبس القميص مطلق الأزرار. و كان بطبعه يعرض عن زينة الحياة الدنيا، و يكره الشهرة في اللباس. و من المسلم به أنه لا رهبانية في الإسلام، و من أجل ذلك أحل النبي صلى الله عليه و سلم زينة الله، و الطيبات من الرزق، و كان هو نفسه يتمتع بهما تشريعا لأتمته، و لكنه مع ذلك كان لا يميل إلى رغد العيش و لا يرغب في النعيم و الترف، بل نهى الناس عنه؛ لأنه يدخل الوهن في قلوب الرجال.

يروى أن رجلا أضاف على بن أبي طالب، فصنع له طعاما، فقالت فاطمة:

«لو دعونا رسول الله صلى الله عليه و سلم فأكل معنا. فدعوه، فجاء، فوضع يده على عضادتي الباب، فرأى القرام قد ضرب به في ناحية البيت فرجع، فقالت فاطمة: الحقه فانظر ما رجعه، فتبعته، فقلت: يا رسول الله ما ردك؟ فقال: «إنه ليس لنبى أن يدخل بيتا مزوقا»، و كان صلى الله عليه و سلم يقول: «فراش للرجل، و فراش لامرأته، و الثالث للضيف، و الرابع للشيطان». و كان صلى الله عليه و سلم يحب دائما ما خشن من الثياب، و ما غلظ من الكساء، و ما رث من اللباس، لما طبع عليه من التواضع و التذلل، و هضم حظوظ النفس. و كان من رأى عمر رضى الله عنه أن يلبس النبي صلى الله عليه و سلم الثياب الفاخرة عند استقبال الوفود و السفراء، و غيرهم من كبار الرجال، فوجد حلة استبرق تباع في السوق، فأتى بها رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله ابتع هذه الحلة، فتجمل بها للعيد و للوفود، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إنما يلبس هذا من لا خلاق له في الآخرة، و كان يلبس عادة كساء ملبدا، صنع من الصوف، و فيه نزع روحه الشريف صلى الله عليه و سلم. و دخل عمر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هو معتزل في المشربة، فإذا هو متكئ على حصير ما بينه و بينه شيء، قد أثر في جنبه، و تحت رأسه و سادة من آدم، حشوها ليف، فأدنى على إزاره، و ليس عليه غيره، و نظر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٨١

عمر ببصره في خزانه رسول الله صلى الله عليه و سلم، فإذا هو بقبضة من شعير نحو الصاع، و مثلها قرظا في ناحية الغرفة، و عند رأسه أهب معلقة، فابتدرت عيناه، قال: ما بيكيك يا ابن الخطاب؟ قال: يا نبى الله، و ما لى لا أبكى، و هذا الحصير قد أثر في جنبك، و هذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، و ذلك قيصر و كسرى في الثمار و الأنهار و أنت رسول الله صلى الله عليه و سلم و صفوته، و هذه خزانتك، فقال: يا ابن الخطاب، ألا ترضى أن يكون لنا الآخرة و لهم الدنيا.

و قال صلى الله عليه و سلم لعائشة رضى الله عنها: إن كنت تريدن الإسراع و اللحوق بى، فيكفيك من الدنيا كزاد الراكب.

و عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: اضطجع رسول الله صلى الله عليه و سلم على حصير، فأثر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه، فقلت: يا رسول الله، ألا آذنتنا حتى نسط لك على هذا الحصير شيئا يقيك منه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

ما لى و للدنيا، ما أنا و الدنيا، إنما مثلى و مثل الدنيا كمثل راكب استظل تحت شجرة ثم راح و تركها.

و جاء فيه أيضا بصحيفة ١٢٢ ما يأتي:

لا ريب أن هذا النجاح الفريد في بابه، الذي لا مثيل له في التاريخ، دليل ناطق بما وصل إليه النبي صلى الله عليه و سلم من السمو الروحي. و من المسلم به أنه لا يمكن أن يتم أى إصلاح في أمة ما لم يشعر أفرادها بحب المصلح و احترامه، و استعدادهم لطاعته، و امتثال أمره و لن يستطيع أى مصلح بماله و سلطانه، بل و لا- بمعجزاته، أن يحمل الناس على حبه و احترامه و طاعته، فهذه أمور لا تتأتى للمرء إلا إذا كان على جانب كبير من السمو الروحي.

لم يكن محمد في قومه ملكا مسلطا يملى عليهم أوامره، بل كان يتبرأ من وسائل الإغراء التي من شأنها أن تجلب له كثرة الأتباع و الأنصار، فكان يقول لهم على لسان القرآن: قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ - و مع ذلك كان يحظى بطاعة أصحابه، و انقيادهم له إلى حد لا يتصوره العقل، فكان كلامه فيهم كلام المحبوب الذي يحترمه المحب و يصغى له، و إذا كان هذا هو حال أصحابه معه، فما أخلقه أن يكون "أعظم المصلحين الدينيين نجاحا" في إصلاح الفرد و المجتمع، و لا يمكن أن يتسنى هذا النجاح للمرء إلا أن يبلغ أسمى درجة في سلم الرقى الروحي.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٨٢

ثم جاء فيه أيضا بصحيفة ٢٠٦ ما يأتي:

إن ضيق المقام يحول دون تفصيل القول في أخلاق النبي صلى الله عليه و سلم في شتى مناحيها؛ لأنه الشخصية الفذة في التاريخ التي اجتمع فيها ما تفرق في أهل الفضل من الكمالات. فزهده، و مروءته، و كرمه، و قصده، و سعة صدره، و حلمه، و همته، و وفاؤه، و ثباته في الشدائد، و تواضعه مع علو منصبه، و رفقته بالحيوان، و حبه للصبيان، و شجاعته، و إقدامه، و شهامته، و إقامته للعدل - كل أولئك يحتاج إلى مجلدات للوفاء بحق هذه الشخصية الخارقة للعادة.

انتهى كل ما تقدم عن النبي صلى الله عليه و سلم من كتاب "المثل الأعلى في الأنبياء" و هو كتاب عربي عن الإنجليزية الأستاذ أمين محمود شريف.

و الحق يقال أن هذا الكتاب، كتاب قيم فريد في بابه، و لولا خوف التطويل لذكرنا منه شيئا كثيرا، فوصى القراء الكرام بشرائه و مطالعته.

انظر: صورة رقم ١١، كتاب النبي صلى الله عليه و سلم إلى المقوقس عظيم القبط

### تعبد النبي صلى الله عليه و سلم قبل البعث

مما لا ريب فيه أن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام جميعهم معصومون عن الكفر و الزلل و سفاسف الأمور قبل أن يبعثهم الله تعالى للناس فلا يعصون الله تعالى و لا يهمون بمعصية قط، فإن الله تعالى عز شأنه يتولاهم بعنايته و رعايته منذ ولادتهم إلى مماتهم، لتكون نشأتهم ممتازة منذ الصغر فيعرفون بالفضل و الكمال، حتى إذا قاموا بالدعوة إلى الله لا يقدر أحد أن يعيرهم بشيء غير لائق حال الصغر، و فرق بين من ينشأ في رعايته و الديه و أهله، و بين من ينشأ في رعايته الله تعالى و حفظه، و لم يقل أحد من أهل الإسلام و لا من أهل الكتاب أن نبيا من الأنبياء كان يعبد غير الله تعالى قبل أن يبعث و يوحى إليه. هذه مقدمة نرتب عليها الكلام الآتي:

اختلف العلماء هل كل رسول الله صلى الله عليه و سلم متعبدا بشريعة من كان قبله من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام أم لا؟. و قبل أن نسوق كلامهم، نذكر رأينا الخاص في ذلك نسأل الله تعالى التوفيق فيه فنقول:

إن نبينا محمدا صلى الله عليه و سلم لم يتعبد بشريعة من كان قبله؛ لأن ذلك يستلزم ذهابه إلى أهل الكتاب ليتعلم منهم شريعة موسى أو عيسى أو غيرهما، فإن لم يتعلم من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٨٣



غيره فكيف يعرف شريعته من كان قبله و لم ينزل عليه الوحي بعد؟ لكن لم يعرف عنه أنه ذهب ليتعلم عند أحد مطلقا و هو النبي الأُمى الذى لم يأخذ إلا عن جبريل عليه الصلاة و السلام.

فرسول الله صلى الله عليه و سلم كان يتعبد قبل بعثه فى غار حراء على الحق المبين بإلهام من الله سبحانه و تعالى فهو الهادى إلى سواء السبيل، و إذا كان إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام قد آتاه الله الهدى و الرشد قبل البلوغ كما جاء فى قوله تعالى فى سورة الأنبياء: **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ** \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ. و إذا كان أيضا يحيى عليه الصلاة و السلام آتاه الله الحكم و طبعه على التقوى و هو صبى كما جاء فى قوله تعالى فى سورة مريم: **يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا** \* وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا.

فإن نبينا محمدا سيد الرسل و خاتم الأنبياء صلى الله تعالى عليه و على إخوانه الأنبياء و المرسلين و سلم تسليمًا، قد آتاه الله الهدى و الرشد، و طبعه على التقوى و مكارم الأخلاق من حين الصبا، فقد ورد: «أدبنى ربي فأحسن تأديبي»، و لقد ظهرت عليه دلائل النبوة و بشائر البعث منذ الصغر، فقد روى عن على رضى الله عنه أنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه و سلم: يا رسول الله هل عبت غير الله؟ قال: لا.

قيل: فهل شربت الخمر قط؟ قال: لا. ثم قال: ما زلت أعرف أن الذى هم عليه كفر و ما كنت أدري ما الكتاب و لا الإيمان. و لقد كان عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه و سلم يتوسم فيه أن يكون له من الشرف و المكانة السامية ما لم يكن لأحد، فكان يحبه كثيرا حتى أنه لما جلس النبي صلى الله عليه و سلم و هو غلام صغير يدرج على مفروش جده و أرادوا منعه من الجلوس على المفروش بكى، فقال عبد المطلب: ما لابنى يبكى؟ قالوا له: إنه أراد أن يجلس على المفروش فمنعوه. فقال عبد المطلب: دعوا ابنى، فإنه يحس بشرف أرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغ عربى قط. ه. و قد كان ذلك بفضل الله و رحمته.

و حينما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يبنى مع قريش الكعبة قبل البعثة، و ينقل الحجارة معهم على رقبته و قد وضع على ظهره إزاره يتقى به فنودى: يا محمد عورتك،رمى بنفسه على الأرض من الفزع، فأخذه العباس عبد المطلب فضمه إليه، ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إنى نهيت أن أتعرى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٨٤

و لما أجدبت الأرض و حصل القحط و هلكت المواشى، قالت قريش لأبى طالب: استسق لنا، فخرج أبو طالب بهم و معهم محمد صلى الله عليه و سلم و هو غلام، فلما صار بإزاء الكعبة ألقى النبي صلى الله عليه و سلم ظهره بالكعبة و صار يشير بإصبعه إلى السماء و ما زال كذلك حتى أقبل السحاب من كل جهة و جاء الله بالمطر حتى أخصبت الأرض، فأنشأ أبو طالب قصيدة طويلة فى مدحه صلى الله عليه و سلم. منها:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه شمال اليتامى عصمة للأرامل

الشمال بالكسر: الملقب و الغيث.

و لقد كان صلى الله عليه و سلم من صغره يبغض الأوثان و لا يحضر مع قومه أعيادهم و أصنامهم، قال عليه الصلاة و السلام: "لما نشأت بغضت إلى الأوثان و بغض إلى الشعر، و لم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين كل ذلك يحول الله بينى و بين ما أريد من ذلك، ثم ما هممت بسوء بعدهما حتى أكرمنى الله برسالته- قلت لغلام كان يرعى معى: لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر كما يسمر الشباب، فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفا بالدفوف و المزامير لعرس بعضهم، فجلست لذلك فضرب الله على أذنى فنمت فما أيقظنى إلا مس الشمس و لم أقض شيئا، ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك."

و لم يكن بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم بخاف على أهل الكتاب من أحبار اليهود و رهبان النصارى و كان لهم فيه علامات، و قصة بحيرا الراهب "بفتح الباء و كسر الحاء و آخره راء مقصورة" معه شهيرة فى كتب السير نلخصها فيما يأتى:

لما بلغ عليه الصلاة والسلام اثنتي عشرة سنة أراد عمه شقيق أبيه أبو طالب السفر إلى الشام للتجارة، فخرج به معه للمرة الأولى فصار الراكب حتى وصلوا قرية من قرى الشام وكان يسكنها راهب وهو بحيرا وكان ذا علم في النصرانية، فنزلوا قريبا من صومعته واستظل النبي صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فاخضرت أغصانها وجاءت غمامة تظل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم، فلما رأى بحيرا الراهب ذلك نزل من صومعته وصنع لجميع الراكب طعاما، ثم أخذ بيد محمد النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وجعل يسأله عن أشياء من حاله حتى نومه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما لديه من العلم، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على الصفة التي عنده، فقبل موضع الخاتم، ثم قال: هذا رسول رب

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٨٥

العالمين، وقال لعمه أبي طالب: ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه من اليهود، فإنه سيكون لابن أخيك هذا شأن عظيم، كما هو مذكور في كتبنا.

وهناك كثير من الأمور الخارقة للعادة وقعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم منذ صغره تدل على أن الله تعالى يصطفيه من بين الناس بالرسالة، ومن هنا نعلم أن تعبد النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن تقليدا لشريعة من كان قبله من الأنبياء، وإنما كان بإلهام من الله تعالى يوجهه إلى عبادته الحق كما شاءت قدرته القوية، عبادة صحيحة مستقلة لا عبادة تقليد و تبعية حيث لم يتعلم من أحد شيئا قط، ونقصد بالعبادة هنا أساسها الثابت؛ كتوحيد الله تعالى ومعرفة وتقدسه وتسيحه والتفكير في آلائه ومخلوقاته التي تدل عليه وعلى وحدانيته وعظمته وقدرته سبحانه وتعالى، أما فروع العبادات وتفصيل أدائها بالكيفيات المخصوصة فلم يعرفه إلا بعد البعث وإنزال الوحي والقرآن عليه.

وإليك ما ذكره العلماء في تعبد النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله تعالى.

جاء في تاريخ الخميس ما نصه: قال العلامة الدواني في تفسير: قل يا أيها الكافرون: اختلف الأصوليون في أن النبي صلى الله عليه وسلم هل كان متعبدا بشريعة من قبله أو لا؟، فقيل: إنه كان متعبدا بشريعة موسى، وقيل: بشريعة عيسى، وقيل: بشريعة إبراهيم، وقيل: بشريعة نوح عليهم السلام. وقيل: إنه لم يكن متعبدا فالمختار أنه كان متعبدا قبل البعث لما ثبت أنه كان متعبدا في غار حراء، والتعبد لا يكون إلا بشريعة، لأن الحاكم هو الشرع عند أهل الحق، وعلى مذهب المعتزلة القائلين بحكم العقل الأمر أظهر، إذ العبادة لا تتوقف على هذا التقدير على شريعة. والحاصل أنه كان يتحنث في غار حراء أي يتعبد الليالي ذوات العدد، فلا جرم تكون هذه العبادة لله تعالى لا غير إذ الأنبياء معصومون عن الكفر قبل البعثة بالاتفاق - انتهى من تاريخ الخميس.

### موضع ولادة النبي صلى الله عليه وسلم

لقد ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار أبيه عبد الله بن عبد المطلب بمكة، فقد كان عبد المطلب قسم حقه بين أولاده ودفع إليهم ذلك في حياته حين ذهب بصره، فكان مولد النبي صلى الله عليه وسلم وما حوله لوالده عبد الله بن عبد المطلب. قال الأزرقى: فمن ثم صار للنبي صلى الله عليه وسلم حق أبيه عبد الله بن عبد المطلب.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٨٦

جاء في تاريخ الأزرقى ما نصه: قال أبو الوليد: مولد النبي، أي البيت الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو في دار محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف، كان عقيل بن أبي طالب أخذه حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وفيه وفي غيره يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع حين قيل له: أين تنزل يا رسول الله؟ وهل ترك لنا عقيل من ظل. فلم يزل بيده وبيد ولده حتى باعه ولده من محمد بن يوسف فأدخله في داره التي يقال لها البيضاء، وتعرف اليوم بابن يوسف، فلم يزل ذلك البيت في الدار حتى حجت الخيزران أم الخليفة موسى وهارون فجعلته مسجدا يصلى فيه، وأخرجته من الدار وأشرعته من الزقاق الذي في أصل

تلك الدار يقال له زقاق المولد.

حدثنا أبو الوليد قال: سمعت جدي يوسف بن محمد يثبتان أمر المولد و أنه ذلك البيت لا اختلاف فيه عند أهل مكة، حدثنا أبو الوليد، قال: حدثني محمد بن يحيى عن أخيه، قال: حدثني رجل من أهل مكة يقال له سليمان بن أبي مرحب مولى بني ختم، قال: حدثني ناس كانوا يسكنون ذلك البيت قبل أن تشرعه الخيزران من الدار ثم انتقلوا عنه حين جعل مسجدا قالوا: لا والله ما أصابتنا فيه جائحة و لا حاجة فأخرجنا منه فاشتد الزمان علينا. انتهى من الأزرقى.

قال الغازى فى تاريخه: قال ابن الأثير: قيل إن المصطفى صلى الله عليه و سلم وهب الدار لعقيل بن أبى طالب، فلم تزل حتى توفى عنها فباعها ولده لمحمد بن يوسف، وقيل: إن عقيلًا باعها بعد الهجرة تبعا لقريش حين باعوا دور المهاجرين. انتهى.

نقول: لقد وقعت عمارات كثيرة فى مولد النبى صلى الله عليه و سلم و جعل مسجدا يصلى فيه، و كان له إمام و مؤذن و أوقاف فى البلاد الرومية، ثم هدم هذا المكان فى سنة (١٣٤٣) ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و ألف فأصبح سوحا، و لا نرى ضرورة فى ذكر أسماء من بناه و عمّره فى الأزمان السابقة فذلك مذکور فى كتاب التاريخ، لكن من الواجب أن نشير إلى آخر بنايه حصلت فى موضعه فى وقتنا هذا و إليك بيان ذلك.

إن موضع ولادة النبى صلى الله عليه و سلم بمكة بسوق الليل، و هو شعب على قد بنيت فيه الآن عمارة لطيفة بناها أمين العاصمة الأسبق الشيخ عباس بن يوسف القطان الذى توفى فى ١٦ رجب سنة ألف و ثلاثمائة و سبعين رحمه الله رحمة الأبرار، فقد بناها التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٨٧

على حسابه الخاص لتكون مكتبة عامة يتردد إليها العلماء و الطلبة، و قد ابتدأ فى عمارة هذه الدار قبل وفاته بشهرين، فلما مات أتمها ابنه الفاضل الشيخ أمين- و قد اتفق الشيخ عباس المذكور قبل وفاته مع المرحوم الشيخ كامل بن ماجد الكردى و إخوانه على نقل مكتبته الماجدية المعروفة إلى عمارته التى جعلها مكتبة عامة "أى دار الكتب" و إن شاء الله تعالى عما قريب سيعمل الشيخ أمين المذكور على إنجاز هذه المكتبة على أحسن حال، تنفيذًا لوصية والده و رغبة فى إحياء ذكره، جزاه الله تعالى خير الجزاء. و إليك صورة الشيخ عباس قطان و صورة الدار.

انظر: صورة رقم ١٢، الشيخ عباس القطان و هو من أعيان مكة

### ترجمة الشيخ عباس القطان

هو الشيخ عباس بن يوسف قطان، ولد عام (١٣١٢) ألف و ثلاثمائة و اثنى عشر من الهجرة، كان والده الشيخ يوسف قطان شيخا لمشايخ الجاوة فى عهد الشريف عون الرفيق، ثم تولى فى عهد ملك الحجاز الأسبق الشريف حسين بن على رئاسة البلدية أى "أمانة العاصمة" بمكة، ثم تولى فى أوائل عهد الحكومة السعودية رئاسة شؤون الحج، و صار وزير النافعة، و توفى فى آخر ذى القعدة سنة (١٣٥٠) ألف و ثلاثمائة و خمسين و قد بلغ خمسا و ثمانين سنة.

و أما ابنه الشيخ عباس القطان فقد كان أمينًا للعاصمة بمكة المكرمة فى عهد جلاله ملك المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله تعالى، فمكث فى وظيفته المذكورة ثمانية عشر عاما من عام (١٣٤٧) إلى عام (١٣٦٤) هـ. و كانت الحكومة تنتدبه أحيانا لبعض الأمور المهمة، فكان محبوبا من كافة الطبقات، يقصدونه فى المهمات، و حيث أنه كان من أثرياء البلاد ما كان يأخذ راتبًا على وظيفته، و الحقيقة أنه أدى للبلدة خدمات تذكّر فثشكر، و كان ينزل الناس منازلهم يعرف لكل شخص قيمته.

و الخلاصة أنه كان شهما كريما مضيافا، يحب أهل العلم و أهل الخير و الاستقامة، و كان قبيل وفاته لازم صلاة الجماعة فى المسجد الحرام- توفى فى اليوم السادس عشر من شهر رجب سنة (١٣٧٠) سبعين و ثلاثمائة و ألف.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٨٨

ذكرنا ترجمته بمناسبة طبعه كتاب القرى لقاصد أم القرى للطبري، وبنائه مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم في مكان دار خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها، وبنائه دار خاصة تكون مكتبة عامة لمراجعة أهل العلم في مكان مولد النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك على حسابه الخاص، فرحمه الله تعالى وجزاه عنا خير الجزاء آمين.

انظر: صورة رقم ١٣ المنزل الذي بناه الشيخ عباس قطان في موضع ولادة النبي صلى الله عليه وسلم

انظر: صورة رقم ١٤، موضع ولادة النبي صلى الله عليه وسلم بعد بنائه

### موضع ولادة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة

كانت ولادة السيدة فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار أمها السيدة خديجة بنت خويلد بمكة بزقاق الحجر، وهذه الدار تقع خلف دار أبي سفيان. قال الأزرقى: إن معاوية رضى الله عنه اشترى منزل خديجة من عقيل بن أبي طالب وهو خليفه فجعله مسجدا وفتح فيه بابا من دار أبي سفيان ابن حرب - وإليك نص ما جاء في تاريخ الأزرقى:

ومنزل خديجة ابنة خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وهو البيت الذى كان يسكنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخديجة و فيه ابنتى بخديجة و ولدت فيه خديجة أولادها جميعا و فيه توفيت خديجة فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم ساكنا فيه حتى خرج إلى المدينة مهاجرا فأخذه عقيل بن أبي طالب ثم اشتراه منه معاوية وهو خليفه فجعله مسجدا يصلى فيه و بناه بناءه هذا و حدد الحدود التى كانت لبيت خديجة لم تغير فيما ذكر عن من يوثق به من المكيين و فتح معاوية فيه بابا من دار أبي سفيان بن حرب هو قائم إلى اليوم و هى الدار التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، و هى الدار التى يقال لها اليوم دار ريطه بنت أبي العباس أمير المؤمنين، و فى بيت خديجة هذا صفيحة من حجارة مبنى عليها من الجدار جدر البيت الذى كان يسكنه النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذ قدام الصفيحة مسجدا، و هذه الصفيحة مستقبلة فى الجدر من الأرض قدر ما يجلس تحتها الرجل و ذرعها ذراع فى ذراع و شبر.

وقال أبو الوليد: سألت جدى أحمد بن محمد و يوسف بن محمد بن إبراهيم و غيرهما من أهل العلم من أهل مكة عن هذه الصفيحة و لم جعلت هنالك و قلت لهم أو لبعضهم: إنى أسمع الناس يقولون إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس تحت تلك الصفيحة فيستدرى بها من الرمي بالحجارة إذا جاءته من دار أبي لهب و دار عدى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٨٩

بن أبي الحمراء الثقفى، فأذكروا ذلك و قالوا: لم نسمع بهذا من ثبت و لقد سمعنا من يذكرها من أهل العلم فأصح ما انتهى إلينا من خبر ذلك أن أهل مكة كانوا يتخذون فى بيوتهم صفائح من حجارة تكون شبه الرفاف توضع عليها المتاع و الشىء من الصينى و الداجن يكون فى البيت فقل بيت يخلو من تلك الرفاف، قال جدى: و أنا أدركت بعض بيوت المكيين القديمة فيها رفاف من حجارة يكون عليها بعض متاع البيت، قال: فيقولون إن تلك الصفيحة التى فى بيت خديجة من ذلك.

و لقد وقعت عمارات كثيرة فى موضع ولادتها رضى الله عنها لا نرى ضرورة لذكرها، لكن من الواجب أن نشير إلى آخر بناية حصلت فى موضعه فى وقتنا هذا، و إليك بيان ذلك:

إن موضع ولادة السيدة فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة المعروفة بدار السيدة خديجة رضى الله تعالى عنهما، قد بنيت الآن فيه عمارة حسنة، بناها أمين العاصمة الأسبق الشيخ عباس بن يوسف القطان المتوفى عام (١٣٧٠) فابتدأ فى بنائها سنة ألف و ثلاثمائة و ثمان و ستين هجرية لتكون مدرسة خاصة لتحفيظ القرآن الكريم، فكم نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن و هو فى هذه الدار، دار خديجة رضى الله تعالى عنها، ثم إنه بعد وفاة الشيخ عباس المذكور و تكملة عمارة الدار سلمت لوزارة المعارف لإدارتها مدرسة للغرض المذكور، و الآن هذه الدار عامرة بالطلبة الذين يحفظون القرآن الكريم فجزى الله الشيخ

عباس المذكور خير الجزاء.

### تكية السيدة فاطمة رضى الله عنها

أول ما جعلت هذه التكية فى سنة (١٢٦٥) خمس و ستين و مائتين و ألف، فقد ذكر الغازى فى الجزء الثالث من تاريخه عند ترجمه و توليه الحاج محمد حسيب باشا مكة ما نصه: ثم إن الباشا المذكور بنى تكية بجانبها "أى بجانب دار أبى سفيان للفقراء، و التى تعرف الآن "بتكية فاطمة رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم" و هى بجوار دار أبى سفيان و هى دار أم المؤمنين خديجة الكبرى التى كان يسكنها النبى صلى الله عليه و سلم، و جعل لها بابين بابا من جهة المحل المعروف بزقاق الحجر،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٩٠

و الباب الثانى من جهة المسعى فى أوائل المحنطة. ثم ذكر الغازى بعض ما عمله الباشا المذكور بمكة لم ننقله لعدم احتياجنا إليه، و اكتفينا بما ذكرناه هنا.

و قد نسبت التكية إلى السيدة فاطمة رضى الله تعالى عنها و عن أمها و إخوانها؛ لأن هذه التكية تقع فى دار أمها السيدة خديجة رضى الله عنها و فاطمة رضى الله عنها قد ولدت فى هذه الدار التى هى ملاصقة لدار أبى سفيان رضى الله عنه، ثم لم تبق فى عصرنا هذا التكية المذكورة بل صار موضعها مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم.

### موضع ولادة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

كانت موضع ولادة على بن أبى طالب تعالى عنه بمكة بسوق الليل بأعلى الشعب، و موضع ولادة على بقرب موضع ولادة النبى صلى الله عليه و سلم بينهما أقل من مائتى متر.

و لقد حصلت عمارات كثيرة فى هذا الموضع لا نرى ضرورة لذكرها، لكن من الواجب أن نشير إلى آخر بناية حصلت فيه فى وقتنا هذا بعد أن أصبحت هذه البقعة ميدانا لا بناية فيه مطلقا. و إليك بيان ذلك:

فإنه فى أوائل سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف ابتدأوا فى بناية دار فى هذا الموضع لتكون مدرسة تسمى "مدرسة النجاح الليلية" تكون لتحفيظ القرآن الكريم و تعليم فن التجويد، و أنواع العلوم العربية إن شاء الله تعالى، و الذى سعى فى ذلك هو الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الله خوجة العامل النشط لمحو الأمية و تهذيب العوام بمكة المشرفة الذى قام بأمر التعليم نحو ربع قرن حتى تخرج من مدرسته كثير من المتعلمين الذين نفخوا أنفسهم و خدموا بلادهم، فإنه التمس من جلاله مليكنا المعظم الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود أرض مولد على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه التى بسوق الليل ليبنى عليها مدرسة للغرض المذكور فأمر جلاله الملك حفظه الله تعالى بمنحه تلك الأرض، فلما سمع بذلك المحسن الكبير السيد حسن الشربتلى من أهل جدة تكفل ببناء المدرسة و بجميع ما يلزم لها على حسابه الخاص - فجزاهم الله تعالى خير الجزاء، و إن شاء الله سنرى هذه المدرسة مزدهرة عامرة بحفظه القرآن و طلاب العلم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٩١

و بمكة مواضع ولد فيها كثير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ذكر أشهرها فى بعض كتب التاريخ؛ كمولد عمر بن الخطاب و مولد جعفر الصادق و غيرهما. و كل ذلك لا يعلم على التحقيق، و لا يترتب على معرفتها أو جهلها أمر شرعى مطلقا، لهذا لم نتعرض لذكرها.

قال الله تعالى: **أَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ** من معجزاته صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر وذلك لما قال له كفار قريش: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين فسأل ربه فانشق، وما يشاع إلى اليوم على ألسنة بعض الناس أنه في جبل أبي قبيس موضع خاص لانشقاق القمر يسمى "مشق القمر" فهذا لا أصل له.

جاء في تاريخ الخميس ما نصه: وفي السنة التاسعة من المبعث كان انشقاق القمر - في المواهب اللدنية أن انشقاق القمر كان بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين، قال العلامة ابن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب: الصحيح عندى أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروى في الصحيحين وغيرهما من طرق حديث شعبة بن سليمان عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود ثم قال: وله طرق أخر شتى بحيث لا يمتري في تواتره. انتهى.

وجاءت أحاديث انشقاق القمر في روايات صحيحة من جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود و علي و حذيفة بن جبير بن مطعم و ابن عمر و أنس و ابن عباس وغيرهم.

وفي الصحيحين من حديث أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما. قوله: شقتين بكسر الشين المعجمة أى: نصفين. وأنس وإن لم يشاهد القصة لأنه إذ ذاك كان ابن أربع سنين أو خمس بالمدينة، لكن يجوز أن يكون حمل الحديث عن شاهدها و من حديث ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل و فرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشهدوا.

وفي رواية الترمذى من حديث ابن عمر في قوله تعالى: **أَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**، قال: قد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلتقتين فلقه دون الجبل و فلقه خلف الجبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشهدوا. و قال مجاهد:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٩٢

انشق القمر فبقيت فرقة و ذهب فرقة من وراء الجبل. و قال ابن زيد: لما انشق القمر كان يرى نصفه على قيعقان و النصف الآخر على أبي قبيس، كذا في دلائل النبوة و عند الإمام أحمد من حديث جبير بن مطعم: فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل و فرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقالوا: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس. و عن عبد الله بن مسعود أنه قال: فقال كفار قريش:

هذا سحر ابن أبي كبشة. قال: فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. قال: فجاء السفار فأخبروهم بذلك. رواه أبو داود الطيالسى و رواه البيهقي - بلفظ: انشق القمر بمكة فقالوا: أسحركم ابن أبي كبشة فسألوا السفار و قد قدموا من كل وجه. فقالوا: رأيناه. و عند أبي نعيم عن ابن عباس قال: لما اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة و أبو جهل ابن هشام و العاص بن وائل و الأسود بن المطلب و النضر بن الحارث و نظراؤهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين، فسأل ربه فانشق.

و عند البخارى مختصراً من حديث ابن عباس بلفظ: إن القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم و ابن عباس و إن لم يشاهد القصة؛ لأنه لم يولد إذ ذاك ففى بعض طرقه أنه حمل الحديث عن ابن مسعود و عند مسلم من حديث شعبة عن قتادة بلفظ: فأراهم انشقاق القمر مرتين، و كذا في مصنف عبد الرزاق عن معمر بلفظ:

مرتين، و اتفق الشيخان عليه من رواية شعبة عن قتادة بلفظ: فرقتين كما في حديث جبير عند أحمد و فى حديث ابن عمر فلتقتين باللام كما مر، و فى لفظ فى حديث جبير فانشق باثنتين.

و فى رواية عن ابن عباس عند أبي نعيم فى الدلائل فصار قمرين. و وقع فى نظم السيرة للحافظ أبى الفضل العراقى: و انشق مرتين بالإجماع.

قال الحافظ ابن حجر: و أظن قوله بالإجماع يتعلق بالشق لا بمرتين فإنى لا أعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق فى زمنه

صلى الله عليه و سلم و لعل قائل مرتين أراد فرقتين. و قد وقع في رواية البخارى من حديث ابن مسعود و نحن بمنى و هذا لا يعارض قول أنس أن ذلك كان بمكة؛ لأنه لم يصرح بأنه عليه السلام كان ليتنذ بمكة فالمراد أن الانشقاق كان و هم بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة هذا ما وقع في المواهب اللدنية و في شواهد النبوة انشق القمر بحيث كان فلقه منه على أبي

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٩٣

قيس و فلقه على الجبل الآخر، و في المواهب اللدنية: و ما يذكره بعض القصاص أن القمر دخل في جيب النبي صلى الله عليه و سلم و خرج من كفه فليس له أصل كما حكاه الشيخ بدر الدين الزركشى عن شيخه العماد بن كثير، نقول إنما يزعمه بعض الناس من العوام أن موضع انشقاق القمر في محل فوق جبل أبي قيس لا أصل له أبدا و هذا من الدجل و الكذب؛ لأنه لا يعلم في أى موضع وقف رسول الله صلى الله عليه و سلم في جبل أبي قيس يطلب من ربه عز و جل انشقاق القمر، و لا يعقل أنه صلى الله عليه و سلم يتكلف التعب و المشقة في الصعود إلى الجبل لهذا الأمر أو غيره في وقت لم يكن على الجبل أحد من قريش يسكنه. و الله تعالى أعلم. و مما يستحسن ذكر شيء مما قيل في وصف القمر و الهلال قديما و حديثا.

فلإمام جلال الدين السيوطى رسالة في ذلك تسمى "رصف اللال في وصف الهلال" و هى مطبوعة بالقسطنطينية بمطبعة الجوائب ضمن كتاب "التحفة البهية و الطرفة الشهية" و لصالح الدين الصفدى رسالة تسمى "رشف الزلال في وصف الهلال". و لنقتطف هنا شيئا مما ورد في الهلال:

قال بعضهم:

و هلال في الأفق قد لاح غربا و تبدى لأعين النظار  
كسوار أو دملج أو كطوق أو كصدغ أو حاجب أو عذار  
و قال بعضهم:

و بدا هلال الأفق و الأقوام بين مكذب في أمره و مصدق  
فكأنما هو شعرة بيضاء قد علقت بحاشية الرداء الأزرق  
و قال بعضهم:

كأن الهلال المستنير و قد بدا و نجم الثريا واقف فوق هالته  
مليك على أعلاه تاج مرصع و يزهى على من دونه بجلالته  
و قال بعضهم:

أنظر إلى حسن هلال بدايهتك من أنواره الحندسا  
كمنجل قد صيغ من فضة يحصد من زهر الدجى نرجسا  
و قال بعضهم:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٩٤ أهلا بفطر قد أتاك هلاله فالآن فاغد إلى الصلاة و بكر  
فكأنما من زورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر  
و قال بعضهم:

بالله يا مصباح بيت الدجى و يا أنيس المعشر الساهدين  
حدث بوجدى كل أهل الهوى و اقرأ تحياتى على العاشقين  
و قال بعضهم:

يبشر في الهلال بنقص عمرى و أفرح كلما هل الهلال

## قصة أصحاب الفيل

لقد جاء ذكر أصحاب الفيل مجملا في القرآن الكريم، فقال عز و شأنه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ \* أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ \* وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ \* تَزِمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ \* فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ.

قال صاحب مرآة الحرمين: كانت واقعة الفيل سنة (٥٧١) ميلادية، و كانت ولادة النبي صلى الله عليه و سلم عام الفيل.

أما قصتهم فرأينا أن ننقلها من تاريخ الإمام الأزرقى رحمه الله تعالى فقد جاء في الجزء الأول منه ما نصه:

حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدى، قال: حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن محمد بن إسحاق أنه قال: لما ظهرت الحبشة على أرض اليمن كان ملكهم إلى أرياط و أبرهه، و كان أرياط فوق أبرهه، فأقام أرياط باليمن سنتين فى سلطانه لا ينازعه أحد، ثم نازعه أبرهه الحبشى الملك و كان فى جند من الحبشة، فانحاز إلى كل واحد منهما إلى الحبشة طائفة، ثم سار أحدهما إلى الآخر، فكان أرياط يقوم بصنعاء و مخالفيها، و كان أبرهه يكون بالجند و مخالفيها، فلما تقارب الناس و دنى بعضهم من بعض، أرسل أبرهه إلى أرياط: إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضهم ببعض فتفنيها بيننا، فبرز لى و أبرز لك، فأينا ما أصاب صاحبه انصرف إليه جنده.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٩٥

فأرسل إليه أرياط: قد أنصفت، فخرج إليه أرياط و كان رجلا عظيما طويلا و سيما و فى يده حربى له، و خرج له أبرهه و كان رجلا قصيرا حادرا لحيما دحداحا و كان ذا دين فى النصرانية، و خلف أبرهه عبدا له يحمى ظهره له يقال له "عتودة" فلما دنى أحدهما من صاحبه، رفع أرياط الحربى فضرب بها رأس أبرهه يريد يافوخه فوقعت الحربى على جبهة أبرهه فشرمت حاجبه و عينه و أنفه و شفقيه، فبذلك سمى "أبرهه الأشرم" و حمل غلام أبرهه عتودة على أرياط من خلف أبرهه فزرقه بالحربة فقتله، فانصرف جند أرياط إلى أبرهه فاجتمعت عليه الحبشة باليمن، و كان ما صنع أبرهه من قتله أرياط بغير علم النجاشى ملك الحبشة بأرض أكسوم من بلاد الحبش.

فلما بلغه ذلك غضب غضبا شديدا و قال: عدا على أمير بغير أمرى فقتله، ثم حلف النجاشى ألا يدع أبرهه حتى يظأ أرضه و يجز ناصيته، فلما بلغ ذلك أبرهه حلق رأسه ثم ملأ جرابه من تراب أرض اليمن ثم بعث به إلى النجاشى و كتب إليه: أيها الملك إنما كان أرياط عبدك و أنا عبدك اختلفنا فى أمرك، و كلنا طاعة لك إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة منه، و أضبط و أسوس لهم منه و قد حلقت رأسى كله حين بلغنى قسم الملك و بعثت به إليه مع جراب من تراب أرضى ليضعه تحت قدميه فيبر بذلك قسمه. فلما انتهى ذلك إلى النجاشى رضى عنه و كتب له أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتىك أمرى فأقام أبرهه باليمن، و بنى أبرهه عند ذلك "القليس"، بصنعاء إلى جنب غمدان فبنى كنيسة و أحكمها و سماها القليس و كتب إلى النجاشى ملك الحبشة: أنى قد بنيت لك كنيسة لم بين مثلها لملك كان قبلك و لست بمنته حتى أصرف حاج العرب إليها، قال أبو الوليد: أخبرنى محمد بن يحيى قال: حدثنى من أثق به من مشيخه أهل اليمن بصنعاء أن يوسف ذا نواس - و هو صاحب الأخدود الذى حرق أهل الكتاب بنجران - لما غرقه الله عز و جل و جاءت الحبشة إلى أرض اليمن فعبروا من دهلك حتى دخلوا صنعاء و حرقوا غمدان و كان أعظم قصر يعلم فى الأرض و غلبوا على اليمن و بنى أبرهه الحبشى القليس للنجاشى و كتب إليه أنى قد بنيت لك بصنعاء بيتا لم تبين العرب و لا العجم مثله و لن أنتهى حتى أصرف حاج العرب إليه و يتركون الحج إلى بيتهم. فبنى القليس بحجارة قصر بلقيس الذى بمأرب. و بلقيس صاحبة الصرح الذى ذكره الله فى القرآن فى قصة سليمان و كان سليمان حين تزوجها ينزل عليها فيه إذا جاءها. انتهى من الأزرقى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٩٦



قال الإمام الأزرقى بعد أن ساق قصة الفيل المتقدمة، و أن أبرهه الحبشى لما بنى كنيسة القليس بصنعاء إلى جنب غمدان كتب إلى النجاشى ملك الحبشة: إني قد بنيت لك كنيسة لم تبني العرب ولا العجم مثلها، و لن أنتهى حتى أصرف حاج العرب إليها و يتركوا الحج إلى بيتهم.

و كان بناء "القليس" بحجارة قصر "بليس" الذى بمأرب، فوضع الرجال نسقا يناول بعضهم بعضا الحجارة و الآله، حتى نقل ما كان فى قصر "بليس" مما احتاج إليه من حجر أو رخام أو آله للبناء و جد فى بناءه، و أنه كان مربعا مستوى التريبع، و جعل طوله فى السماء ستين ذراعا، و كبسه من داخله عشرة أذرع فى السماء، و كان يصعد إليه بدرج الرخام، و حوله سور بينه و بين القليس مائتا ذراع، مطيف به من كل جانب، و جعل بين ذلك كله بحجارة تسميها أهل اليمن الجروب، منقوشة مطابقة لا يدخل بين أطباقها الإبرة مطبقة به، و جعل طول ما بنى به من الجروب عشرين ذراعا فى السماء، ثم فصل ما بين حجارة الجروب بحجارة مثلثة تشبه الشرف مداخله بعضها ببعض، حجرا أخضر، و حجرا أحمر، و حجرا أبيض، و حجرا أصفر، و حجرا أسود، و فيما بين كل سافين خشب ساسم مدور الرأس، غلظ الخشبة حزن الرجل ناتئة على البناء، فكان مفصلا بهذا البناء على هذه الصفة، ثم فصل بإفريز من رخام منقوش طوله فى السماء ذراعان، و كان الرخام ناتئا على البناء ذراعا، ثم فصل فوق الرخام بحجارة سود لها بريق من حجارة نغم جبل صنعاء المشرف عليها ثم وضع فوقها حجارة صفر لها بريق، ثم وضع فوقها حجارة بيض لها بريق، فكان هذا ظاهر حايط القليس و كان عرض حايط القليس ستة أذرع.

و ذكروا أنهم لا- يحفظون ذراع طول القليس و لا- عرضه، و كان له باب من نحاس عشرة أذرع طولاً- فى أربعة أذرع عرضاً، و كان المدخل منه إلى بيت فى جوفه، طوله ثمانون ذراعا فى أربعين ذراعا، معلق العمل بالساج المنقوش و مسامير الذهب و الفضة، ثم يدخل من البيت إلى إيوان طوله أربعون ذراعا عن يمينه و عن يساره، و عقوده مضروبة بالفسيفساء مشجرة بين أضعافها كواكب الذهب ظاهرة، ثم يدخل من الإيوان إلى قبة ثلاثون ذراعا فى ثلاثين ذراعا، جدرها

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٩٧

بالفسيفساء و فيها صلب منقوشة بالفسيفساء و الذهب و الفضة، و فيها رخامة مما يلي مطلع الشمس من البلق مربعه عشرة أذرع فى عشرة أذرع، تغشى عين من نظر إليها من بطن القبة تؤدى ضوء الشمس و القمر إلى داخل القبة، و كان تحت الرخامة منبر من خشب اللبخ- و هو عندهم الأبنوس- مفصل بالعاج الأبيض و درج المنبر من خشب الساج ملبسة ذها و فضة، و كان فى القبة سلاسل فضة و كان فى القبة أو فى البيت خشبة ساج منقوشة طولها ستون ذراعا يقال لها:

كعيب، و خشبة من ساج نحوها فى الطول يقال لها: امرأة كعيب، كانوا يتبركون بهما فى الجاهلية و كان يقال لكعيب: الأحوزى- و الأحوزى بلسانهم الحر-.

و كان أبرهه عند بناء القليس قد أخذ العمال بالعمل أخذا شديدا و كان آلى أن لا تطلع الشمس على عامل لم يضع يده فى عمله فيؤتى به إلا قطع يده. قال:

فتخلف رجل ممن كان يعمل فيه حتى طلعت الشمس، و كانت له أم عجوز فذهب بها معه لتستويه من أبرهه، فأنته و هو بارز للناس، فذكرت له علة ابنها و استوهبه منه، فقال: لا أكذب نفسى و لا أفسد على عمالى فأمر بقطع يده، فقالت له أمه: اضرب بمعولك ساعى بهر، اليوم لك، و غدا لغيرك ليس كل الدهر لك. فقال: ادنوها، فقال لها: إن هذا الملك أكون لغيرى، قالت: نعم، و كان أبرهه قد أجمع أن يبنى القليس حتى يظهر على ظهره فيرى منه بحر عدن، فقال: لا- أبني حجرا على حجر بعد يومى هذا، و أعفا الناس من العمل. و تفسير قولها ساعى بهر، تقول: اضرب بمعولك ما كان حديدا.

فانتشر خبر بناء أبرهه هذا البيت فى العرب، فدعا رجل من النساء من بنى مالك بن كنانة فبين منهم، فأمرهما أن يذهبا إلى ذلك البيت الذى بناه أبرهه بصنعاء فيحدثا فيه، فذهب بهما ففعلا ذلك، فدخل أبرهه البيت فرأى أثرهما فيه فقال: من فعل هذا؟ فقيل:

رجلان من العرب، فغضب من ذلك و قال: لا أنتهى حتى أهدم بيتهم الذى بمكة، قال: فساق الفيل إلى بيت الله الحرام ليهدمه فكان من أمر الفيل ما كان. ١٥.

فلم يزل القليس على ما كان عليه، حتى ولى أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين العباس بن الربيع بن عبيد الله الحارثى اليمن، فذكر العباس ما فى القليس من النقض و الذهب و الفضه، و عظم ذلك عنده و قيل له: إنك تصيب فيه مالا كثيرا التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٩٨

و كترًا، فتاقت نفسه إلى هدمه و أخذ ما فيه فبعث إلى ابن وهب بن منبه فاستشاره فى هدمه و قال: إن غير واحد من أهل اليمن قد أشاروا على أن لا أهدمه و عظم على أمر كعيب، و ذكر أن أهل الجاهلية كانوا يتركون به و أنه كان يكلمهم و يخبرهم بأشياء مما يحبون و يكرهون، قال ابن وهب: كلما بلغك باطل و إنما كعيب صنم من أصنام الجاهلية فتتوا به، فمر بالدهل " و هو الطبل " و بمزمار فليكونا قريبا ثم أعله الهدامين ثم امرهم بالهدم، فإن الدهل و المزمار أنشط لهم و أطيب لأنفسهم، و أنت مصيب من نقضه مالا عظيما مع أنك تثاب من الفسقة الذين حرقوا غمدان، و تكون قد محوت عن قومك اسم بناء الحبش و قطعت ذكرهم. و كان بصنعاء يهودى عالم، قال: فجاء قبل ذلك إلى العباس بن الربيع يتقرب إليه فقال له: إن ملكا يهدم القليس يلى اليمن أربعين سنة.

قال: فلما اجتمع له قول اليهودى و مشورة ابن وهب بن منبه أجمع على هدمه، قال أبو الوليد: فحدثنى الثقة قال: شهدت العباس و هو يهدمه فأصاب منه مالا عظيما، ثم رأيت دعا بالسلاسل فعلقها فى كعيب و الخشبة التى معه، فاحتملها الرجال فلم يقربها أحد مخافة لما كان أهل اليمن يقولون فيها، فدعا بالوردين " و هى العجل " فأعلق فيها السلاسل، ثم جذها الثيران و جذها الناس معها حتى أبرزوها من السور، فلما لم ير الناس شيئا مما كانوا يخافون من مضرتها، و ثب رجل من أهل العراق كان تاجرا بصنعاء فاشترى الخشبة و قطعها لدار له فلم يلبث العراقى أن جذم فقال رعاع الناس: هذا لشرائه كعيبا، قال: ثم رأيت أهل صنعاء بعد ذلك يطوفون بالقليس فيلتقطون منه قطع الذهب و الفضه - انتهى من الأزرقى.

### خروج أبرهة بالفيل لهدم الكعبة

ثم قال الإمام الأزرقى: ثم رجع إلى حديث ابن إسحاق قال: فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة بذلك إلى النجاشى غضب رجل من النساء أحد بنى فقيم من بنى مالك بن كنانة فخرج حتى أتى القليس فقعد فيها - أى أحدث فيها - ثم خرج حتى لحق بأرضه فأخبر بذلك أبرهة، فقال: من صنع هذا؟ فقيل له: صنعه رجل من العرب من أهل البيت الذى تحج العرب إليه بمكة، لما سمع بقولك:

أصرف إليها حاج العرب، فغضب فجاءها فقعد فيها، أى أنها ليست لذلك

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٩٩

بأهل، فغضب عند ذلك أبرهة و حلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه، ثم أمر الحبشة فتهيأت و تجهزت، ثم سار و خرج بالفيل معه فسمعت بذلك العرب فأعظموه و قطعوا به و رأوا أن جهاده حق عليهم حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة - بيت الله الحرام - فخرج إليه رجل من أشرف اليمن و ملوكهم يقال له: ذو نفر، فدعا قومه و من أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة و إلى مجاهدته عن بيت الله الحرام و ما يريد من هدمه و إخرابه فأجاب من أجابه إلى ذلك ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر فأتى به أسيرا فلما أراد قتله، قال له ذو نفر: أيها الملك لا تقتلنى فعسى أن يكون مقامى معك خيرا لك من قتلى، فتركه من القتل و حبسه عنده فى وثاق، و كان أبرهة رجلا - حليما ورعا ذا دين فى النصرانية، و مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج إليه، حتى إذا كان فى أرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمى فى قبائل خثعم شهران و ناهس و من اتبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة و أخذ له نفيل أسيرا فأتى به فقال له نفيل: أيها الملك لا تقتلنى فإنى دليلك بأرض العرب و هاتان يداى على قبائل خثعم شهران و ناهس بالسمع و الطاعة، فأعفاه

و خلى سبيله و خرج معه يدله حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب فى رجال ثقيف فقالوا له: أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون و ليس لك عندنا خلاف و ليس بيتنا هذا بالبيت الذى تريد- يعنون اللات- إنما تريد البيت الذى بمكة و نحن نبعث معك من يدلك عليه، فتجاوز عنهم، و بعثوا معه أبا رغال يدله على مكة، فخرج أبرهه و معه أبو رغال حتى أنزلهم بالمغمس فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجعت العرب قبره، فهو قبره الذى يرحم بالمغمس و هو الذى يقول فيه جرير بن الخطفى:

إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبى رغال

فلما نزل أبرهه المغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على فيل له حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش و غيرهم فأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم و هو يومئذ كبير قريش و سيدها، فهمت قريش و خزاعة و كنانة و هذيل و من كان فى الحرم بقتاله ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به فتركوا ذلك.

و بعث أبرهه حناطه الحميرى إلى مكة فقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد و شريفهم ثم قل لهم إن الملك يقول لكم: إنى لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٠٠

البيت فإن لم تعرضوا لى بقتال فلا حاجة لى بدمائكم، فإن هو لم يرد حربى فأتنى به، فلما دخل حناطه مكة سأل عن سيد قريش و شريفها فقيل له عبد المطلب، فأرسل إلى عبد المطلب فقال له بما قال أبرهه، فقال عبد المطلب: و الله ما نريد حربته و ما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام و بيت إبراهيم خليله عليه السلام أو كما قال. فإن يمنعه منه فهو بيته و حرمة و إن يخل بيته و بينه فو الله ما عندنا دفع عنه، فقال له حناطه: فانطلق معى إليه فإنه قد أمرنى أن آتية بك.

فانطلق معه عبد المطلب و معه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نفر و كان له صديقا حتى دخل عليه و هو فى محبسه فقال: يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ قال ذو نفر: و ما غناء رجل أسير فى يدي ملك ينتظر أن يقتله بكرة أو عشيء ما عندى غناء فى شىء مما نزل بك إلا أن أنيسا سايس الفيل صديق لى فسأرسل إليه فأوصيه بك و أعظم عليه حقك و أسأله أن يستأذن لك على الملك و تكلمه فيما بدا لك و يشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك. قال: حسبى، فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش و صاحب غير مكة يطعم الناس بالسهل و الجبل و الوحوش فى رؤوس الجبال و قد أصاب الملك له مائتى بعير فاستأذن له عليه و انفعه عنده بما استطعت فقال: أفعل.

فكلم أنيس أبرهه فقال له: أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك و هو صاحب غير مكة و هو يطعم الناس بالسهل و الجبل و الوحوش فى رؤوس الجبال فأذن له عليك فليكلمك فى حاجته، فأذن له أبرهه، و كان عبد المطلب أوسم الناس و أعظمهم و أجملهم فلما رآه أبرهه أجله و أكرمه عن أن يجلسه تحته و كره أن تراه الحبشة معه على سريره فنزل أبرهه عن سريره فجلس على بساطه و أجلسه معه عليه إلى جنبه ثم قال لترجمانه: قل له ما حاجتك، قال له الترجمان:

إن الملك يقول لك ما حاجتك؟ قال: حاجتى أن يرد الملك على مائتى بعير أصابها لى.

فلما قال له ذلك قال أبرهه لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى، تكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك و تترك بيتا هو دينك و دين آبائك و قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه، قال عبد المطلب: إنى أنا رب إبلى و إن للبيت ربا سيمنعه، قال: ما كان ليمنع منى، قال: أنت و ذاك، قال ابن إسحاق: و قد كان فيما يزعم بعض أهل العلم قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٠١

حين بعثه إليه حناطه الحميرى بعمر بن نفاثة بن عدى بن الذليل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، و هو يومئذ سيد بنى بكر و خويلد ابن

واثلة الهدلى و هو يومئذ سيد هذيل، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم، و لا يهدم البيت فأبى عليهم، و الله أعلم أكان ذلك أم لا، و قد كان أبرهة رد على عبد المطلب الإبل التي كان أصاب.

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر و أمرهم بالخروج من مكة و التحرز في شعف الجبال خوفا عليهم من معرفة الجيش ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقه باب الكعبة، و قام معه نفر من قريش يدعون الله عز و جل و يستنصرونه على أبرهة و جنده، فقال عبد المطلب و هو آخذ بحلقه باب الكعبة:

يا رب إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك  
لا يغلبن صليهم و محالهم عدوا محالك  
إن كنت تاركهم و قبلتنا فامر ما بدا لك  
و لئن فعلت فإنه أمر يتم به فعالك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة و انطلق هو و من معه من قريش إلى شعف الجبال فتنحروا فيها ينتظرون ما أبرهه فاعل بمكة إذا دخلها. و قال عبد المطلب أيضا:

قلت و الأشرم تردى خيله إن ذا الأشرم غر بالحرم  
كاده تبع فيما جندت حمير و الحى من آل قدم  
فانشى عنه و فى أوداجه حارج أمسك منه بالكظم  
نحن أهل الله فى بلدته لم يزل ذاك على عهد إبراهيم  
نعبد الله و فىنا شيمه صلة القربى و إيفاء الذمم  
إن للبيت لربا مانع من يرده بآثام يصطلم  
يعنى إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام.

و لما أصبح أبرهه تهيأ لدخول مكة و هيا فيله و عبأ جيشه و كان اسم الفيل محمودا، و أبرهه مجمع لهدم الكعبة ثم الانصراف إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب الخثعمى حتى قام إلى جنب الفيل فالتغم أذنه فقال: ابرك التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٠٢

محمود و ارجع راشدا من حيث جئت فإنك فى بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه فبرك الفيل.

و خرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد فى الجبل و ضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا رأسه بالطبرزين فأبى، فأدخلوا محاجن لهم فى مراقه فبزغوه بها ليقوم فأبى، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول، و وجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، و وجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، فوجهوه إلى مكة فبرك، فأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف و البلسان، مع كل طير منها ثلاثة أحجار يحملها، حجر فى منقاره و حجران فى رجليه أمثال الحمص و العدس لا تصيب أحدا منهم إلا هلك و ليس كلهم أصابت و خرجوا هارين بيتدرون الطريق التي منها جاءوا و يسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نعمته:

أين المفر و الإله الطالب و الأشرم المغلوب غير الغالب  
و قال نفيل أيضا حين و لّوا و عاينوا ما نزل بهم:

ألا حيت عنا يا ردينانعمناكم مع الإصباح عينا  
ردينة لو رأيت و لن تربه لدا جنب المحصب ما رأينا  
إذا لعذرتنى و حمدت أمرى و لم تأسى على ما فات بينا

حمدت الله إذ عاينت طيراو خفت حجارة تلقى علينا

و كل القوم يسأل عن نفيل كان على للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق و يهلكون بكل مهلك على كل منهل، و أصيب أبرهه في جسده و خرجوا به معهم تسقط أنملة أنملة كلما سقطت منه أنملة اتبعها منه مده تمث قيحا و دما حتى قدموا به صنعاء و هو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون و أقام بمكة فلال من الجيش و عسفاه و بعض من ضمه العسكر، فكانوا بمكة يعتملون و يرعون لأهل مكة.

قال ابن إسحاق: و حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصبة و الجدرى بأرض العرب في ذلك العام، و أنه أول ما رؤى بها من مراير الشجر الحرمل و الحنظل و العشب من ذلك العام.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٠٣

قال أبو الوليد: و قال بعض المكيين: إنه أول ما كانت بمكة حمام اليمام، حمام مكة الحريمية ذلك الزمان، يقال إنها من نسل الطير التي رمت أصحاب الفيل حين خرجت من البحر من جدة، و لما هلك أبرهه ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهه و به كان يكنى، ثم ملك بعد يكسوم أخوه مسروق بن أبرهه، و هو الذي قتله الفرس حين جاءهم سيف بن ذى يزن و كان آخر ملوك الحبشة و كانوا أربعة فجميع ما ملكوا أرض اليمن من حين دخلوها إلى أن قتلوا ثلاثين سنة.

و لما رد الله سبحانه عن مكة الحبشة و أصابهم ما أصابهم من النقمة أعظمت العرب قريشا و قالوا: أهل الله قاتل عنهم و كفاهم مؤنة عدوهم، فجعلوا يقولون في ذلك الأشعار يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة و ما دفع عن قريش من كيدهم و يذكرون الأشرم و الفيل و مساقه إلى الحرم، و ما أراد من هدم البيت و استحلال حرمة.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة أم المؤمنين، قالت: رأيت قائد الفيل و سائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان. قال ابن إسحاق: فلما قتلت الحبش و رجع الملك إلى حمير سرت بذلك جميع العرب لرجوع الملك فيها و هلاك الحبشة، فخرجت وفود العرب جميعها لتنهته سيف بن ذى يزن، فخرج وفد قريش، و وفد ثقيف، و عجز هوازن و هم نصر و جشم و سعد بن بكر و معهم وفود عدوان و فهم ابني عمرو بن قيس فيهم مسعود بن معتب، و وفد غطفان، و وفد تميم، و أسد، و وفد قبائل قضاة و الأزدي، فأجازهم و أكرمهم و فضل قريشا عليهم في الجائزة لمكانهم في الحرم و جوارهم بيت الله تعالى.

قال أبو الوليد: و حدثني عبد الله بن شبيب الربعي قال: حدثنا عمرو بن بكر بن بكار قال: حدثني أحمد بن القاسم الربعي مولى قيس بن ثعلبة عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة و ذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه و سلم بستين آتاه وفود العرب و أشرافها لتنهته و تمدحه و تذكر ما كان من بلائه و طلبه بتأثر قومه، فأتاه وفد قريش و فيهم عبد المطلب بن هاشم و أمية بن عبد شمس، و خويلد بن أسد في ناس من وجوه قريش من أهل مكة، فأتوه بصنعاء و هو في قصر له يقال له: غمدان، و هو الذي يقول فيه الشاعر أبو الصلت الثقفي أبو أمية بن أبي الصلت:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٠٤ لا تطلب الثأر إلا كابن ذى يزن خيم في البحر للأعداء أحوالا

أتى هر قلا و قد شالت نعماتهم فلم يجد عنده النصر الذي سالا

ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشره من السنين يهين النفس و المالا

حتى أتى ابني الأحرار يقدمهم تخالهم فوق متن الأرض أجيالا

بيض مرابزة غلب أساوره أسد يربين في الغيضاة أشبالا

لله درهم من فتية صبرما إن رأيت لهم في الناس أمثالا

لا يضبجرون و إن حزت مغافرهم و لا نرى منهم في الطعن ميالا

أرسلت أسدا على سود الطلاب أضحى شريدهم في الناس فللا  
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفعافي رأس غمدان دارا منك محلالا  
تلك المكارم لا قعبان من لبن شييا بماء فعادا بعد أبوالا  
فالتط بالمسك إذا شالت نعمتهم وأسبل اليوم في برديك إسبالا

فاستأذنوا عليه فأذن لهم فإذا الملك متضح بالعنبر يلصف و وميض المسك من مفرقه إلى قدمه و سيفه بين يديه، و عن يمينه و عن يساره الملوك و أبناء الملوك، فدنا عبد المطلب فاستأذن في الكلام فقال له سيف بن ذي يزن: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملك فقد أذنا لك، فقال له عبد المطلب: إن الله عز و جل قد أحلك أيها الملك محلا رفيعا، صعبا، منيعا، شامخا، باذخا، و أنتك منبتا طابت أرومته، و عزت جرثومته، و ثبت أصله، و بسق فرعه، في أكرم معدن، و أطيّب موطن، و أنت أبيت اللعن رأس العرب، و ربيعها الذي تخصب به و أنت أيها الملك رأس العرب الذي له تنقاد و عمودها الذي عليه العماد، و معلقها الذي تلجأ إليه العباد، سلفك خير سلف، و أنت لنا منهم خير خلف، فلن يخمد ذكر من أنت سلفه، و لن يهلك من أنت خلفه، أيها الملك نحن أهل حرم الله و سدنة بيته أشخصنا إليك الذي أبهجنا لكشفك الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهنة لا وفد المرزئة.

قال: و أيهم أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف.

قال: ابن أختنا، قال: نعم، قال: ادن، فأدناه ثم أقبل عليه و على القوم، فقال:

مرحبا و أهلا- و ناقه و رحلا- و مستناخا سهلا، و ملكا ربحلا يعطى عطاء جزلا، قد سمع الملك مقاتكم، و عرف قرابتكم، و قبل وسيلتكم فأنتم أهل الليل و النهار، و لكم الكرامة ما أقمتم، و الحباء إذا ظعنتم، قال: ثم قال: انهضوا إلى دار الضيافة التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٠٥

و الوفود، فأقاموا شهرا لا يصلون إليه و لا يأذن لهم في الانصراف، قال: و أجرى عليهم الإنزال.

ثم انتبه لهم انتباهه فأرسل إلى عبد المطلب فأدناه و أخلا- مجلسه ثم قال: يا عبد المطلب إنني مفوض إليك من سر علمي أمرا لو غيرك يكون لم أبح به له، و لكني وجدتك معدنه فأطلعتك طلعه و ليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ فيه أمره، إنني أجد في الكتاب المكنون، و العلم المخزون، الذي اخترناه لأنفسنا و احتجناه دون غيرنا خبرا جسيما و خطرا عظيما فيه شرف للحياة و فضيلة للناس عامة و لرهطك كافة و لك خاصة. قال: أيها الملك مثلك سر و بر فما فداك أهل الوبر و الكدر زمرا بعد زمر. قال: فإذا أولد بتهامة غلام به علامة كانت له الإمامة، و لكم به الزعامة، إلى يوم القيامة، فقال له عبد المطلب: أبيت اللعن لقد أتيت بخبر ما أب بمثله وافد قوم، و لولا- هيبة الملك و إعظامه و إجلاله لسألته من سارة آبائي ما أزداد به سرورا، فإن رأى الملك أن يخبرني بإفصاح فقد أوضح لي بعض الإيضاح، قال: هذا حينه الذي يولد فيه و قد ولد اسمه محمد بين كتفيه شامة، يموت أبوه و أمه و يكفله جده و عمه، و قد ولدناه مرارا و الله باعته جهارا و جاعل له منا أنصارا، يعز بهم أوليائه، و يذل بهم أعداءه و يضرب بهم الناس عن عرض، و يستبيح بهم كرائم الأرض، يعبد الرحمن و يدحر الشيطان، و يكسر الأوثان و يخمد النيران، قوله فصل و حكمه عدل، يأمر بالمعروف و يفعل، و ينهى عن المنكر و يبطله، قال: فخر عبد المطلب ساجدا، فقال له: ارفع رأسك، تلج صدرك، و علا كعبك، فهل أحسست من أمره شيئا؟ قال: نعم أيها الملك، كان لي ابن و كنت به معجبا و عليه رفيفا فزوجته كريمة من كرائم قومه، آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فجاءت بغلام سميته محمدا، مات أبوه و أمه و كفلته أنا و عمه، بين كتفيه شامة، و فيه كل ما ذكرت من علامة.

قال له: و البيت ذي الحجب، و العلامات على النصب، إنك يا عبد المطلب، لجده غير الكذب، و إن الذي قلت، لكما قلت فاحتفظ بابنك و احذر عليه من اليهود فإنهم له أعداء و لن يجعل الله تعالى لهم عليه سيلا، فاطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإني لست آمن أن تدخلهم النفاسة، من أن تكون لك الرئاسة فيبتغون لك الغوائل، و ينصبون لك الجبال، و هم فاعلون أو

أبناءؤهم و لولا أن الموت محتاحى قبل مبعثه لسرت بخيلى و رجلى، حتى أصير

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٠٦

يثرب مملكته فإنى أجد فى الكتاب الناطق و العلم السابق، أن ييثرب استحكام أمره، و أهل نصره، و موضع قبره، و لولا- أنى أقيه الآفات، و أحذر عليه العاهات، لأوطأت أسنان العرب كعبه، و لأعليت على حدائثه سنه ذكره، و لكنى صارف ذلك إليك، عن غير تقصير بمن معك، ثم أمر لكل رجل منهم بمائة من الإبل و عشرة أعبد، و عشر إماء و عشرة أرتال ذهب، و عشرة أرتال فضة و كرش مملوءة عنبرا، و أمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك، ثم قال له: اثنتى بخبره، و ما يكون من أمره عند رأس الحول، فمات سيف بن ذى يزن من قبل أن يحول الحول.

و كان عبد المطلب يقول: أيها الناس لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك فإنه إلى نفاذ، و لكن ليغبطنى بما يبقى لى و لعقبى شرفه و ذكره و فخره، فإذا قيل له: و ما ذاك؟ يقول: ستعلمن و لو بعد حين، و فى ذلك يقول أمية بن عبد شمس:

جلبنا النصح نحقبها المطايا إلى أكوار أجمال و نوق

مفلفلة مراتعها تعالى إلى صنعاء من فج عميق

تؤم بنا ابن ذى يزن و تغرى ذوات بطونها أم الطريق

و نرعى من مخايلها بروقا مواقفة الوميض إلى بروق

و لما وافقت صنعاء صارت بدار الملك و الحسب العريق التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ١-١؛ ص ٣٠٦

ل أبو الوليد: و قد ذكر الله تعالى الفيل و ما صنع بأصحابه، فقال: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ إِلَى آخِرِهَا، و لو لم ينطق القرآن به لكان فى الأخبار المتواطئة و الأشعار المتظاهرة فى الجاهلية و الإسلام حجة و بيان لشهرته و ما كانت العرب تؤرخ به فكانوا يؤرخون فى كتبهم و ديونهم من سنه الفيل، و فيها ولد رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلم تزل قريش و العرب بمكة جميعا تؤرخ بعام الفيل، ثم أرخت بعام الفجار، ثم أرخت بينان الكعبة، فلم تزل تؤرخ به حتى جاء الله بالإسلام فأرخ المسلمون من عام الهجرة، و لقد بلغ من شهرة أمر الفيل و صنع الله بأصحابه و استفاضة ذلك فيهم حتى قالت عائشة رضى الله عنها على حدائثه سنها: لقد رأيت قائد الفيل و سايسه أعميين بطن مكة يستطعمان. و قد ذكر غير واحد من أحداث قريش أنه رآهما أعميين، انتهى من الأزرقى. و سنعيد هنا فى الصحيفة الآتية قصة الفيل فى قالب أدبى إن شاء الله تعالى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٠٧

نقول: و بعد هلاك جيش أبرهه بالمغمس أرسل الله عليهم سيلا جارفا ألقاهم فى البحر كما ذكر ذلك بعض المؤرخين و هذا معقول حتى لا ينتشر الوباء من جث الموتى بجهة عرفات، و تصل إلى مكة و ما حولها، و المقصود بالبحر بحر جدة، فإن المغمس به مسيل يسيل منه السيل إلى اليوم، يمر بعرفات ثم ينزل منها إلى مزدلفة فمنى و ينزل منها إلى جهة حراء إلى شعبة أذاخر ثم يمر إلى جهة بحرة بطريق جدة إلى أن يصب فى البحر الأحمر، هذا إذا كان السيل قويا، و بالضرورة كان السيل الذى جرف جيش أبرهه قويا جدا.

و تأمل فى كلام نفيل بن حبيب الخثعمى مع فيل أبرهه الذى يسمونه "محمود" الذى ذكره، و ذلك حينما وجهوا الفيل محمود إلى مكة حينما أراد أبرهه دخول مكة، فإن نفيل بن حبيب أقبل حتى قام إلى جنب الفيل فالتقم أذنه فقال له:

"أبرك محمود و ارجع راشدا من حيث جئت فإنك فى بلد الله الحرام" ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل، و خرج نفيل بن حبيب يشند حتى أصعد فى الجبل، فضربوا الفيل فأبى ... إلى آخر القصة المذكورة.

فمن هو نفيل بن حبيب، و كيف يخاطب الفيل و هو حيوان لا يعقل، ثم كيف أن الفيل استمع إليه و أطاع أمره فلم يتوجه إلى مكة مهما ضربوه، لكنه كان يهرول إلى جهة المشرق أو المغرب أو اليمن. لا شك أن كل ذلك بإلهام من الله سبحانه و تعالى كرامة لبيته

المعظم و بلده الأمين.

قال بعض فضلاء عصرنا عن حادثة الفيل ما يأتي:

بعث الرسول لأمة أمية لا حاكمون بها و لا حكماء

ما عندهم جيش يصد عدوهم و لذاك يوم الفيل عز لقاء

فروا من الميدان و انسحبوا بلا حرب فقامت فتنة عمياء

قالوا: لهذا البيت رب قادر يحميه مما رامه الأعداء

فإذا برب البيت يصدر أمره للطائرات فيستحر بلاء

ألقت قذائفها فنالت مقتلاتهم و أصحاب الحمى شهداء

قد كان هذا حال أمة يعرب لكنهم بعد الهدى سعداء

تركوا الهوى و توحدا في دولة قد نظمت و يديرها رؤساء

الذكر دستور و فيها حاكم و لها جيوش قادها بسلاء

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٠٨ هزوا عروش الفرس و الروم الآلى كانت لهم مدينة زهراء

### بيت برمك

ذكر الغازي في تاريخه نقلا عن السنجاري: أن الزمخشري ذكر في كتابه "ربيع الأبرار" و نوبهار بلخ قال: بناه أحد أجداد خالد بن برمك عارض به الكعبة، و كانوا يطوفون به و يحججه أهل مملكتهم و يلبسونه الحرير، و كان بيتا حول أروقتة ثلاثمائة و ستون مقصورة، يسكنها خدامه و قوامه، و كان من يليه يسمى "برمكا"، و انتهت البرامكة إلى خالد بن برمك فأسلم على يد عثمان و سماه عبد الله. انتهى.

### بيت غطفان

و ذكر الغازي في تاريخه: قال السنجاري، قلت: و في القاموس "و بس" بالضم بيت لغطفان بناها ظالم بن أسعد لما رأى قريشا يطوفون بالكعبة و يسعون بين الصفا و المروة، فذرع البيت الحرام و أخذ حجرا من الصفا و حجرا من المروة و رجع إلى قومه، فبنى بيتا على قدر البيت و وضع الحجرين و قال: هذان الصفا و المروة، فاجتزأ به عن الحج، فأغار زهير بن جناب الكلبي فقتل ظالما و هدم بناءه. انتهى.

### وصف قصة الفيل

بقلم الدكتور طه حسين انتهينا من قصة الفيل التي ذكرها الإمام الأزرقى رحمه الله تعالى. و الآن نحب أن نعيد هذه القصة لا على لغة المؤرخين، و إنما على لغة أهل الأدب، لحلو ذوقها و تنوع طعمها. على حد قوله صلى الله عليه و سلم كما في البخارى و غيره: «إن من البيان لسحرا». فإليك القصة بقلم أديب مصر و كاتب العصر الأستاذ العظيم "الدكتور طه حسين" وزير المعارف الأسبق بمصر في زماننا، كما جاءت في الجزء الأول من كتابه "على هامش السيرة" عند كلامه على راهب الإسكندرية، فقد صاغ الدكتور طه حسين على لسان هذا الراهب لرئيس الدير و أهله، حكاية النجاشي

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٠٩

و أبرهه حتى وصل إلى عزم أبرهه على هدم بيت الله الحرام. و من هنا نحن ننقل من كلامه ما يأتي:



قال حفظه الله تعالى: و في ذات يوم رفع إلى أبرهه أمران ضاق بهما أشد الضيق، و خرج لهما عما قد ألف من الحلم و الأناة. أصبح سدنة الكنيسة فرأوا أنفسهم أمام أمر عظيم: رأوا كنيستهم قد لطخت بالقاذورات، و ألقيت فيها الجيف، و انتهكت حرمتها، فثاروا بذلك و رفعوه إلى أبرهه، و زعموا له أن هذا الإثم لا يمكن أن يجنيه إلا رجل من هؤلاء العرب الذين يأتون من تهامة، حيث يقوم لهم بيت هناك يقدسونه و يحجون إليه و يسمونه الكعبة و العرب كلها تحج إليه و تعظم أمره، و تعظم الذين يعيشون حوله من هذا الحى الذى يسمى قريشا، و الذى يتجر بين بلادنا و بلاد الشام. فلما سمع الملك ذلك غضب أشد الغضب، و أقسم ليهد من هذا البيت و ليحملن العرب على أن يحجوا إلى كنيسته بالسيف، بعد أن أعياه حملهم على ذلك بالرفق و اللين. و لم يكد النهار يتقدم حتى رفعت الأنباء إلى أبرهه بأن أهل تهامة قد قتلوا ذلك الرجل الذى أرسله إليهم ملكا، فطار طائرته، و ثار ثائرته، و أذن من فوره بالتجهز للحرب و الاستعداد للرحيل، و أرسل إلى النجاشى ينبئه بذلك، و يسأله أن يمده بالجنود و الفيلة. و ما هى إلا أيام حتى تهيأ له جيش ضخيم قوى، و حتى فصلنا عن صنعاء يملؤنا الأمل و تزدهينا الكبرياء. و كنت أتحدث إلى أبرهه بأننا سنقطع هذه الطريق على طولها فى غير مشقة و لا جهد، و بأننا سنصل بين الشام و اليمن، و بأنى سأسقبله ضيفا فى بلاد القيصر، كما استقبلنى ضيفا فى بلاد النجاشى. و كان جيشنا يعظم و يضحخ كلما تقدمنا فى الطريق بمن كان ينضم إلينا من أذواء اليمن و أقبالها.

و لكن طريقنا لم تخل مع ذلك من العقاب و لم تكن آمنة كلها، فقد نصب لنا الحرب جماعة من أقبال اليمن على رأسهم رجل يقال له ذو نفر، غيره على وثيتهم، و حفيظة لبيتهم ذلك، و دفاعا عن حلفائهم من قريش، و لكننا هزمناهم فى غير مشقة، و أخذنا رئيسهم أسيرا. و هم الملك أن يقتله، ثم رق له و عفا عنه، و استبقاه فى أسره. و مضينا أمامنا لا نلقى كيدا حتى كدنا نبلغ تهامة اليمن، و إذا حى من أحيائها قوى عظيم البأس مسلط على الأرض، متحكم فى الطريق و فى القوافل التى تقطعها، يقال له خثعم، قد جمع لحربنا، و غره عدده فخيلى إليه أنه سيقهرنا كما تعود أن يقهر الناس من قبل. و لكن قهرناه فى أقصر وقت و أيسر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣١٠

جهد، و أخذنا رئيسه رجلا يقال له نفيل بن حبيب أسيرا و هم الملك أن يقتله و لكنه استعطف و غلا فى الاستعطاف حتى ظفر بعفو الملك، و تقدم مع الأدلاء ليسلكوا بنا طريق هذا البيت الذى كنا نقصد إليه. و نمضى فى طريقنا لا نلقى كيدا، و قد هابتنا العرب و خلت لنا الطريق، و أعظمت أمرنا إعظاما حتى إذا دنونا من مكة، و بلغنا مدينة عظيمة هناك يقال لها الطائف، تقوم على مرتفع من الأرض عظيم، و من حولها النخيل و الكروم و الحدائق، فيها أنواع الفاكهة و الثمر كأنها مدينة من مدن الساحل الشامى قد نقلت إلى تلك الأرض المقفرة المجدبة فأقامت فيها مشرفة زاهية كأنها الابتسامة الجميلة فى الوجه المظلم الكئيب، خرج إلينا هنالك أهل هذه المدينة فقدموا الطاعة و أظهروا الخضوع، و بعثوا معنا رجلا منهم يسلك بنا إلى مكة أقرب طريق و نمضى أمامنا حتى نبلغ مكة، فبينخ الجيش يستريح قبل أن يأخذ فى الهجوم. و يأتى سفراء القبائل إلى الملك من كل مكان يقدمون إليه طاعتهم و يعرضون عليه ثلث أموالهم، و يطلبون إليه أن يدع بيتهم هذا لا يمسه بسوء، فلا يسمع الملك منهم و لا يحفل بهم. ثم يرسل الملك طلائعه فتغير على ما حول مكة من الأرض و تستاق كل ما تجد فيه من مال. حتى إذا كان الغد أرسل الملك جماعة من أصحابه إلى مكة و كلفهم أن يسألوا عن سيدها و عظيمها، فإذا لقوه أنبئوه بأن الملك لا يريد قتالهم و لا حربهم، و إنما يريد أن يهدم هذا البيت فإن خلوا بينه و بين البيت فهم آمنون، و إلا- فليأذنوا بحرب تسحقهم سحقا و أمر الملك سفراءه أن يأتوا بعظيم قريش إن أظهر الموادعة و الميل إلى السلم. و يمضى السفراء ثم يعودون و معهم رجل عظيم، و سيم جسيم، لم أرقط أجمل منه، و لا أملا للعين، و لا أوقع فى القلب، و لا أشد مهابة و جلالا.

حتى إذا بلغوا به سرادق الملك دخلوا يستأذنون له. و يسأل الملك عنه فيقال له:

هذا عبد المطلب سيد قريش و صاحب غيرها، أعظمها شرفا، و أعلاها مكانة، و أكرمها نفسا، و أسخاها يدا، يطعم الناس فى السهل و يطعم الوحوش فى رؤوس الجبال و كنت عند الملك حين أدخل عليه هذا الرجل، و رأيت الملك ينظر إليه فيكبره و يعظمه، و يلقاه

بالتجلة و الكرامة، و يهم أن يجلسه معه على السرير، و لكنه يشفق أن تنكر الحبشة ذلك، فينزل عن سريره و يجلس مع هذا الرجل على البساط. ثم يكلف الترجمان أن يسأله حاجته. فما أشد ما عجب الملك حين فسر الترجمان له جواب سيد قريش. قال: حاجتي أن ترد إليّ مائتين من الإبل أخذتها طلائعك فيما أخذت أمس من المال. قال الملك مستهزئا: لقد أعظمتك حين

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣١١

رأيتك، فإنني لأصغر من شأنك الآن. لقد كنت أظن أنك ستحدثني في بيتك هذا الذي أريد أن أهدمه، و الذي هو دينك و دين آبائك و شرفك و شرف آبائك، فإذا أنت تحدثني في مائتين من الإبل. قال سيد قريش في صوت الهادئ الواثق المطمئن: أنا رب الإبل، فلا أحدثك فيها، فأما البيت فإن له ربا سيمنعه. قال الملك: لن يمنعه مني. قال سيد قريش: فأنت و ذاك. و أمر الملك أن ترد إلى الشيخ إبله، فردت إليه.

و لكني تبعته لأمرى ما يكون من شأنه، فإذا هو لا يقبض هذه الإبل إلا ليرسلها هديا إلى هذا البيت، الذي لم يرد أن يتحدث إلى الملك فيه و يمضى هذا الشيخ إلى قومه من قريش، فأمرهم أن يفرقوا في الشعاب و على رؤوس الجبال هربا من الملك، و إشفافا من معرفة الجيش، و يقوم أمام بيته هذا الذي يعظمه و قد أخذ بحلقة بابه، و من حوله نفر من قومه و يقول كلاما حسن الانسجام شديد الوقع في النفس، سمعته فأحبيته و لكني لم أفهمه، على أني كنت قد أخذت أحسن هذه اللغاة. ثم يرسل حلقة الباب، و يمضى مع من كان يصحبه من قومه فيتحصن في شعب من الشعاب. و أنظر أنا إلى هذه المدينة فإذا هي قد خلت من أهلها، و قامت بيوتها هادئة ساكنة، يظلمها حزن عميق فيه هيبه و جلال. قامت بظلمها هذا الحزن، و لم أكن أرى في هذا الحزن خوفا و لا- إشفافا من معاول الهادمين.

و أصبحنا و قد أمر الملك بدخول المدينة، فيم؟؟؟ الجيش أن يتحرك و في مقدمته فيل عظيم، و لكني أرى دليلنا نفيل بن حبيب الخثعمي يدنو من الفيل فيأخذ أذنه و يسر فيها كلاما. ثم يرسلها و يشتد هاربا في الجبل. و تثير حركة هذا الرجل في نفسى شيئا من العجب، فما علمت أنه يعرف منطق الفيلة، و ما علمت أن الفيلة تعرف منطق العرب. و عجبت، و لبت عجبى لم يتجاوز هذه القصة، و لكني رأيت بعد ذلك ما يقضى على كل عجب. رأيت بعد ذلك أشياء ما قدرت قط أننى سأرى بعضها. رأيت بعد ذلك أشياء وددت لو لم أرها قط.

و إنى على ذلك لسعيد أشد السعادة، معتبط أشد الغبطة، لأنى رأيتها، فهى التى هدتنى إلى الحق، و هى التى كشفت عن نفسى الغطاء. رأيت الفيل قد برك، حتى إذا دنا منه ساسته لينهضوه نهض معهم، حتى إذا وجهوه إلى مكة برك من جديد. و يجد ساسته بعد ذلك فى إنهاضه فلا يبلغون منه شيئا، يحثونه و يؤذونه و يضربونه، و يبلغون به أقصى ما يهيج الفيل فلا ينهض و لا يهم بالنهوض. حتى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣١٢

إذا أداروا رأسه نحو الشام أو نحو اليمن أو نحو الشرق نهض و مضى مهرولا، فإذا أداروا رأسه نحو مكة برك و لم يتقدم أمامه إصبعا، و نحن ننظر إلى هذا و قد ملأنا العجب، و أخذ الدهش من نفوسنا كل مأخذ، و بدأ الخوف يلعب بقلوبنا، و بدأ الذعر يطلق بعض الألسنة بالرغبة عن دخول المدينة و الانصراف عن هذا البيت، و إنا لفى ذلك ننظر إلى الساسة و هم يعالجون الفيل، و إذا الجو يظلم شيئا فشيئا، و إذا سحب كثيف يبدو لنا من بعيد، قد أقبل إلينا مسرعا من ناحية البحر، فلا نكاد نزيل النظر إليه حتى نتبين، و يا هول ما نتبين، لسنا نرى سحبا كالسحاب، و لا غماما كالغمام، و إنما نرى سحبا حيا يخفق بأجنحته خفقا، و يبعث منظره فى نفوسنا روعا يخرجنا عن أطوارنا و ينتهى بنا إلى شىء يشبه الذهول. إنى لأرى الآن السحاب حين كان يقبل علينا أسرابا من طير صغار، لها مناقير الطير و أكف الكلاب، حتى إذا دنت منا أخذت تحصب الجيش بحجارة دقاق كانت تحملها فى مناقيرها و أرجلها. و لم تكن هذه الحجارة تبلغ دقة العدسة و لا عظم الحمصة، و إنما كانت شيئا بين بين، و كانت على دقتها لا تمس شيئا إلا هشمته تهشما، و لا

تمس رجلا-إلا- ألقته صريعا و سلوا ما شتتم عن خوف الخائفين و ذعر المذعورين و انصراف أصحاب الفيل عن الفيل، و تحول الجيش عن مكة إلى غيرها من الوجوه جادا في الهرب، و هذه الأسراب من الطير تتبعه، تحصبه بهذه الحجارة و تملأ الجو من حوله بصياح مخيف.

و لست أدري كيف انتهى أمرنا، و لا- كيف نجونا من هذه الطير و لكنى أرانى مجددا في الهرب، و من حولي قوم يجدون مثلي في الهرب، و قد حملوا رجلا مريضا سىء الحال. حتى إذا انقطعت أصوات الطير، و نظرنا فلم نر في السماء شيئا، أخذت أسأل عن نفسى و عن حولي و عن الجيش، و أخذت أسأل عن هذا المريض الذى أراه محمولا- يتأذى، فإذا هو أبرهه، قد مسه حجر من تلك الحجارة فصرع، و ظهر على جسمه بلاء عظيم، و أخذت أجزاء جسمه تتساقط قليلا قليلا، لا يسقط جزء منها إلا تبعه صديد منكر قبيح. كم تأذى هذا الرجل أو كم احتمل من ألم في نفسه و جسمه، و كم ذاق من مرارة الندم و لذع الحسرة و اللوعة. إنى لأراه حين بلغنا صنعاء، و أدخل إلى قصره ليمرض فيه و قد هزل و مسه الضر، حتى لكأنه فرخ من فراخ الطير. على أن حياته لم تمتد في قصره، و إنما ألح الألم عليه إلحاحا شديدا و أقبل أحد بنيه صباح يوم فنعاه إلى، فلما سألت كيف مات، علمت أن صدره انفجر عن قلبه انفجارا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣١٣

و كان حديث الشيخ قد ملك على هؤلاء السمار نفوسهم و قلوبهم، فأغرقوا في شىء من الوجوم لم يحسوا معه أن صاحبهم قد قطع الحديث و اندفع في تفكير عميق بعيد و لست أدري كم أنفقوا من الوقت في هذا الوجوم الصامت، و لكنى أعلم أن رجلا منهم شابا لم تكن قد تقدمت به السن بعد، خرج من هذا الصمت و أخرجهم منه حين قال بصوت متهدج تقطعه العبرات تقطيعا: إن لهذا البيت في مكة لشأنا. قال الشيخ: نعم، إن لهذا البيت في مكة لشأنا، و إن هذا الشأن هو الذى اضطرني إلى أن أعود من اليمن مسرعا ما وسعتنى السرعة حتى أبلغ مصر و أنتهى إلى الإسكندرية و أقسم ما حفلت بأهلى و لا بوطنى و لا بشركائى فى التجارة و لا أتحت لأحد منهم أن يسألنى من أمرى عن قليل أو كثير، و إنما فرقت فيهم مالى تفرقا، و حملت منه ما استطعت حملة، و مضيت إلى الشام يحسبنى الناس تاجرا يتغى الربح، و إنما كنت سائحا أبتغى هذا الدير لأدخله، فأخرج من الحياة و لذاتها، و آمالها و غرورها، و أفرغ للعبادة و طاعة الله.

و إنى لأرجو لو امتدت بى الحياة أن أعود إلى هذا البيت فى مكة لا غازيا و لا باغيا و لا قاصدا إلى شر، بل تائبا تائبا منيبا مستغفرا من هذا الإثم الذى شاركت فيه. و إلى أن يتيح الله لى هذه الأوبة إلى مكة، إن كان قد قدر لى أن أراها مرة أخرى، فسأقيم معكم ألقى من تلقون من هؤلاء الذين يأتون من مكة، و يعودون إليها، فأتحدث إليهم و أسمع منهم، و أنا لهم بما أستطيع أن أنالهم به من إحسان.

و أذن مؤذن أن قد آن لأهل الدير أن يأووا إلى حجراتهم، فتفرقوا و ما فى نفوسهم رغبة فى سمر و لا ميل إلى حديث، و ما منهم إلا من يفكر فى هذا البيت الذى أحجم عنه الفيل، و رجمته طير أبابيل، ترمى عدوه بحجارة من سجيل، فإذا هم كعصف مأكول. انتهى من كتاب على هامش السيرة.

### نطق فيل أبرهه لعبد المطلب

و مما يناسب قصة الفيل، الحكاية الواردة فى كتاب "النطق المفهوم من أهل الصمت المعلوم" المطبوع سنة (١٣٠٨) هجرية بمطبعة الحلبي بمصر، و هى هذه و الله تعالى أعلم بصحتها:

الفصل السادس فى نطق الفيل: لما بلغ عبد المطلب قدوم أبرهه لهدم بيت الله الحرام، قال: يا معشر قريش، لا يصل إلى هدم هذا البيت لأن لهذا البيت ربا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣١٤

يحميه و يحفظه. ثم جاء أبرهه فاستاق إبل قريش و غنمهم و ساق لعبد المطلب أربعمائنه ناقه فركب عبد المطلب في قريش حتى بلغ ثبير و استدارت دائرة غره رسول الله صلى الله عليه و سلم على جبينه أى جبين عبد المطلب كالهلال، و انتشر شعاعها على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر عبد المطلب إلى ذلك قال: يا معشر قريش ارجعوا قد كفيتم هذا الأمر فو الله ما استدار هذا النور منى إلا كان الظفر لنا فرجعوا متفرقين.

فبلغ ذلك أبرهه فبعث إليه رجلا من قومه، فأقبل الرجل حتى دخل مكة، فسأل عن كبير الناس فقبل له عليك بعبد المطلب فلما دخل و نظر وجهه ذعر و خضع و تلجلج لسانه و خر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه، فلما أفاق خر ساجدا لعبد المطلب و قال: أشهد أنك سيد قريش حقا. و ذلك أنه لم يكن أحد من الناس يدخل مكة إلا خر ساجدا إكراما من الله عز و جل لمحمد صلى الله عليه و سلم، فلما بلغ الرسول رساله أبرهه ركب عبد المطلب في نفر من قريش و سبقه الرسول حتى دخل على أبرهه و قال له: يا سيده و يا مولاه، قد جاءك اليوم سيد قريش حقا قال له: ويلك كيف علمت ذلك؟ قال: لأنى لم أر فى الآدميين أتم جمالا منه و ما أشبه لونه إلا-باللؤلؤ المكنون و أعلم أنه لا يمر على شىء إلا خر له ساجدا. قال: فأخذ الملك أحسن زينتته ثم أذن له فى الدخول فدخل عليه و هو قاعد على سرير ملكه، فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قام قائما و أخذ بيده و أقعده على سرير ملكه، و أقبل أبرهه ينظر فى وجه عبد المطلب، ثم قال له: يا عبد المطلب هل كان أحد من آبائك له مثل هذا النور و الجمال؟ فقال له عبد المطلب:

نعم أيها الملك كل آبائى كان لهم مثل هذا النور و البهاء. فقال له الملك: و أنتم قوم فاخرتم الملوك فخرا و شرفا و بهذا حق لك أن تكون سيد قومك ثم التفت الملك أبرهه إلى سائس الفيل و كان له فيل عظيم أبيض و كان ذلك الفيل لا يسجد للملك أبرهه كما تسجد سائر الفيلة، فقال الملك لسائس الفيل: أخرجه، فأخرجه و قد زين بكل زينه على وجه الأرض فلما نظر الفيل إلى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير و خر ساجدا و نادى الفيل بلسان الآدميين السلام على النور الذى يخرج من ظهرك يا عبد المطلب، معك العز و الشرف لا تذلل و لا تغلب أبدا. فلما نظر الملك رجف و ارتعد و ظن أن ذلك كله سحر فبعث فى تلك الساعة إلى السحرة الذين فى عسكره فجمعهم و قال لهم: الويل لكم حدثونى عن هذا الفيل و شأنه لا يسجد لى و يسجد لعبد المطلب. فقال السحرة: أيها الملك إن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣١٥

الفيل لم يسجد لعبد المطلب و لكنه سجد لنور يخرج من ظهره فى آخر الزمان يقال له محمد يملك الدنيا و تذلل له ملوك الأرض و لا يدين إلا بدين صاحب هذا البيت يعنون بذلك إبراهيم و ملكه أعظم من ملكك و ملك أهل الدنيا، فأذن لنا أيها الملك أن نقبل يديه و رجليه. فأذن لهم، فقامت السحرة يقبلون يدي عبد المطلب و رجليه، و قام الملك وحيدا متواضعا و قبل رأس عبد المطلب و أمر له بجائزة عظيمة و قال: سل حاجتك. فقال: إبلى التى أخذت. فأمر بردها عليه من ساعتها، ثم قال أبرهه: قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم ذهلت فيك حين كلمتك و عملت أقصى مذهبك فى طلبك إياى أن أرد عليك إبلا أصبتها و تركت بيتا هو دينك و دين آبائك قد جئت لهدمه و لا- تكلمنى فيه. فقال عبد المطلب: إن الإبل هى لى و أنا ربها و أنت أخذتها فأطلب منك ردها إذ صارت فى ملكك و حكمك و أما البيت فإن له ربا و هو ربنا و رب كل شىء و سيمنعك عنه. فرد أبرهه عليه إبله، ثم انصرف عبد المطلب. انتهى من الكتاب المذكور.

انتهت هذه الحكاية نقلا من كتاب النطق المفهوم المذكور، لمؤلفه الحافظ الهمام أحمد بن طغر بك رحمه الله تعالى، و هو كتاب عجيب قيم، يبحث عن نطق بنى آدم و نطق الحيوان، و الحشرات و النباتات، و الجمادات من كل جنس و نوع، و نعتقد أن هذا الكتاب فريد فى باب لم يؤلف مثله أحد على منواله. و هو مطبوع بمصر. و قد نقلنا عنه الحكاية المذكورة لظرافتها، و قد تكون موضوعة، و قد تكون صحيحة، و لله خرق العوائد، و ليس ببعيد أن لا يسمع كلام الفيل أحد سوى عبد المطلب تكرمه له.

و فى الحقيقة أن نطق الفيل، أو الحيوان الأعجم، أو الجمادات ليس ممنوع شرعا، فقد يقع كل ذلك على سبيل المعجزة و الكرامة. و

هذا هدهد سليمان عليه السلام مذكور في القرآن الكريم في سورة النمل، وهذا الحجر الذي كان يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث، كما جاء في صحيح مسلم وغيره: «إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علىي قبل أن أبعث».

وهذه بقرة بنى إسرائيل والذئب اللذان تكلمتا، فقد ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه فقالت: إني لم أخلق لهذا وإنما خلقت للحرث، فإني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة»

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣١٦

فطلبه حتى استنقذها منه، فقال له الذئب: هنا استنقذتها مني، فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري، فإني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر».

وأمثال هذه الأمور كثيرة وردت في معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد ورد أمثالها بكثرة لنبينا "محمد" صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآل كل منهم وصحابتهم أجمعين.

وإن كلام فيل أبرهة لجد النبي صلى الله عليه وسلم عبد المطلب، إنما هو كرامة له وبشارة بقرب ميلاده عليه الصلاة والسلام، و ليتيقن قلبه أن أبرهة لن يقدر على هدم بيت الله الحرام. وسيأتي إن شاء الله تعالى في أواخر الكتاب مبحث خاص بهذا الأمر.

## مسرحية شعريه في هلاك أصحاب الفيل

### إشارة

عثرنا في إحدى مجلات الإذاعة السورية لسنة (١٣٧٧) هجرية، على مسرحية شعريه تمثيلية للأستاذ محيي الدين الدرويش، وهي تقع في فصل واحد وخمسة مشاهد، تتضمن كيفية هلاك أصحاب الفيل، ونذر عبد المطلب بذبح أحد أولاده العشرة. فرأينا أن ننقل هنا من المجلة المذكورة ما يختص بقصة أصحاب الفيل فقط، أما فيما يختص بقصة عبد المطلب لذبح أحد أولاده وهو "عبد الله" والدة نبينا "محمد" صلى الله عليه وسلم، فقد ذكرناه في مبحث حفر عبد المطلب لزمن. يعني أننا قسمنا المسرحية إلى قسمين فما يختص بأصحاب الفيل وهو القسم الأول ذكرناه هنا، وما يختص بقصة عبد المطلب وهو القسم الثاني ذكرناه هنالك. وإليك ما يختص بأصحاب الفيل:

### المشهد الأول

على أحد سفوح جبل أبي قبيس يبدو عبد المطلب وأقاربه وأبناء عمه وأولاده العشرة وأمهاتهم الأربع وقد أخذوا يتربعون وصول الغزاة الأحباش بقيادة (أبرهة) وقد استعانوا بالفيلة لهدم الكعبة والاستيلاء على مكة:

عبد المطلب منتحبا متوسلا:

"يا رب لا أرجو لهم سواك يا رب فامنع منهم حماكا"

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣١٧ "إن عدو البيت من عاداكا منعهم أن يخربوا قراكا

قد أجمعوا أمرهم دراكاو أزمعوا للكعبة انتهاكا

فحشدوا جيشا لهم سفاكاو أشرعوا سلاحهم فتاكا

زئيرهم قد طبق الأفلاكاو شغل العقول والإدراكا

و الفيل طود مائج وأفাকা عيناه قد أنذرتا هلاكا

يا رب لا تذر لهم أفاكافإنهم وحدهم عداكا

هاتف:

أبشر فقد نلت الأرب لا مجد إلا للعرب

سوف يلاقون الردى و يحرقون باللهب

إرادة الله قضت للظلم شر منقلب

أمر جرى به القضاو نور عبد المطلب

عبد المطلب لقومه:

أيها القوم أبشروا قد تناءت عن حمانا الخطوب و الأرزاء

هاتف من جوانب الغيب وافى و تهادت بوحيه الصحراء

أذن الله أن يصون حماناما لما يأذن الإله انتهاء

إن للظالمين يوما عبوسايتغنى من جانبيه الفناء

أمطرى يا سماء فوق الأعادى حمم الغيظ، أمطرى يا سماء

تسمع ضجة الغزاة فيصرخ أحد أتباع عبد المطلب:

الطواغيت أقبلت ما لنا اليوم عاصم

و المذاكى تدافعت أين منها القوائم

آخر:

و الفيل إذ يختال فوق الأرض كجبل على الثرى منقض

و قد تساوى طوله بالعرض عيناه مثل الشرر المرفض

آخر:

و للحديد جلجلة و للسيوف صلصلة

جلبة كأنهاقد استحالت زلزلة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣١٨

عبد المطلب مؤنبا:

ما لى أرى الروع قد جنت نوازيه و العزم منكم قد انهارت صياصيه

أتجزعون و قد وافت بشائرنواو النور أشرق فى الأكوان هاديه

أحد أبنائه:

و البيت من يدرأ الأخطار عنه؟

عبد المطلب:

كفى فإن للبيت ربًا سوف يحميه و قد نذرت سأفديه بخيركم.

عبد الله:

لييك، والدنا، بالروح نفديه رمز الكرامة مأوى العز كعبتنا

لا خير فى العيش إن ديست معاليه

## المشهد الثاني

يقرب الغزاة، و تبرد السماء بطيور كأنها السحب المترافدة يتبع بعضها بعضا و في منسر كل طير حجر.  
عبد المطلب:

أرى السماء قد أريدت معالمها و الطير تنقض في آفاقها زمرا  
و ما شهدت لها فيما مضى شهباء في مناسرها قد حملت حجرا  
لا تعجبوا هو أمر الله قد سبقت به المشيئة كان الله مقتدرا  
هو القضاء و قد حمت عجائبه من ذا يرد قضاء الله و القدرا  
أبو طالب:

قد حومت و دومت و همهمت و دمدمت

و هذه أحجار أم شهب و نار

تحمل للأعداء رسالة الفناء

فغادرتهم صرعى لم يستطيعوا دفعا

فملأوا الأغوارا و أصبحوا أخبارا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣١٩

عبد المطلب لابنه عبد الله:

بنى أرى في الغيب نورا سيشرق و أنسامه في كل أرض ستعقب

هو الأمل المرجو

عبد الله:

بوركت يا أبى كأنك من نفسى تقول و تنطق

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٢٠

## تراجع بعض من تقدم ذكرهم في السيرة النبوية

### إشارة

نذكر هنا بعض تراجع من تقدم ذكرهم في أثناء السيرة النبوية لمعرفةهم و للاطلاع على أخبارهم.

## وفاء عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه و سلم

جاء في تاريخ الخميس ما نصه: و من وقائع السنة الثامنة "أى من ولادته صلى الله عليه و سلم" وفاء عبد المطلب، و اختلف في سن عبد المطلب حين مات، فقال السهيلي: إن عبد المطلب مات و عمره مائة و عشرون سنة، و قال ابن جبير: عمره خمس و تسعون سنة، و قيل مائة و عشر سنين، و قيل مائة و أربعون سنة، و قيل اثنتان و ثمانون سنة، ذكر هذه الأقاويل الأربعة الأخيرة مغلطى في سيرته و قد عمى قبل موته و دفن على ما ذكره ابن عساكر بالحجون، كذا في شفاء الغرام و رسول الله صلى الله عليه و سلم يومئذ ابن ثمان سنين و شهر و عشرة أيام، كذا في نور العيون لليعمري، و في سيرة مغلطى، و قيل ثمان سنين و سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم،

أتذكر موت عبد المطلب؟ قال: نعم أنا يومئذ ابن ثمان سنين، و في المواهب اللدنية و سيره مغلاى قيل كان ابن تسع سنين، و قيل عشر، و قيل ست، و قيل ثلاث و فيه نظر. قالت أم أيمن: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يبكي خلف جنازة عبد المطلب. و في المنتقى توفي عبد المطلب في ملك كسرى هرمز بن أنوشروان. انتهى من تاريخ الخميس.

### ترجمة أبي طالب و أولاده

#### إشارة

قال مؤلف تاريخ الخميس: أبو طالب اسمه عبد مناف و جملة أولاده ستة، أربعة ذكور، طالب و مات كافرا في غزوة بدر حين وجه المشركون إلى حرب المسلمين و هو أكبر ولده و به كان يكنى، و عقيل و جعفر و على، و بنتان أم هانئ و جمانة، أمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، و كان على أصغرهم، و كان جعفر أسن منه بعشر سنين، و عقيل أسن من جعفر بعشر سنين، و طالب التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٢١

أسن من عقيل بعشر سنين، ذكره ابن قتيبة و أبو سعيد و أبو عمرو، و أما على فسيجيء ذكره في الخاتمة في ذكر الخلفاء، و أما جعفر فقد تقدم ذكر أمه و يكنى أبا عبد الله أسلم قديما و هاجر إلى الحبشة الثانية و معه زوجته أسماء بنت عميس و ولدت ثمة بنيه عبد الله و محمدا و عوناً فلم يزل هنالك حتى قدم على النبي صلى الله عليه و سلم و هو بخير سنة سبع فحصلت له الهجرتان، و أما ذكر جواره في أرض الحبشة و ما جرى له مع النجاشي فسيجيء في الركن الثاني من حوادث السنة الخامسة من النبوة، و سيجيء ذكر وفاته و بعض أحواله في الموطن الثامن في سرية مؤتة إن شاء الله تعالى. انتهى من تاريخ الخميس.

### كفالة أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه و سلم

جاء في تاريخ الخميس ما نصه:

و من وقائع السنة الثامنة "أى من ولادته صلى الله عليه و سلم" كفالة أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه و سلم روى أنه لما مات عبد المطلب كفل أبو طالب رسول الله صلى الله عليه و سلم و ضمه إليه و ذلك لأن أبا طالب و عبد الله أبا النبي صلى الله عليه و سلم كانا من أم واحدة و هى فاطمة بنت عمرو، و كان الزبير عم رسول الله صلى الله عليه و سلم أيضا من أمهما، لكن كفالة أبي طالب إما بوصية عبد المطلب و إما لأن الزبير و أبا طالب اقترعا فخرجا القرعة لأبى طالب، و إما لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم اختار أبا طالب لكثرة مؤانسته و شفقتة، قيل بل كفله الزبير حتى مات ثم كفله أبو طالب و هذا غلط لأن الزبير شهد حلف الفضول بعد موت عبد المطلب و لرسول الله صلى الله عليه و سلم نيف و عشرون سنة و أجمع العلماء أن رسول الله صلى الله عليه و سلم شخص مع عمه أبو طالب إلى الشام بعد موت عبد المطلب بأقل من خمس سنين، فهذا يدل على أن أبا طالب كفله، ذكره ابن الأثير في أسد الغابة و روى أن أبا طالب كان فقيرا و كان يحبه حبا شديدا و كان لا يحب أولاده كذلك و كان لا ينام إلا إلى جنبه و يخرج معه متى يخرج. و في المواهب اللدنية و قد أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفة قال: قدمت مكة و هم فى قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادى و أجذب العيال و هلكت المواشى فهلّم استسق فخرج أبو طالب و معه غلام كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء و ما زال يسعى و الغلام معه، فلما صار بإزاء الكعبة و حوله أغيلمه، فألصق الغلام ظهره بالكعبة و لا زال يشير بإصبعه و ما فى



السماء قرعة فأقبل السحاب من

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٢٢

هاهنا و هاهنا و أغدق و اغدودق و انفجر الوادى و أخصب النادى و البادى، و فى ذلك يقول أبو طالب:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

الثمال: بكسر المثلثة الملجأ و الغياث، و عصمة الأرامل أى: يمنعهم من الضياع و الحاجة، و الأرامل المساكين من الرجال و النساء، و يقال لكل واحد من الفريقين على انفراده أرمل و هو بالنساء أخص و أكثر استعمالا و الواحد أرمل و أرملة. و هذا البيت من أبيات قصيدة لأبى طالب ذكرها ابن إسحاق بطولها و هى أكثر من ثمانين بيتا، انتهى.

و أنشأ أبو طالب فى مدح النبى صلى الله عليه و سلم أبياتا منها هذا البيت:

و شق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود و هذا محمد

و حسان بن ثابت ضمن شعره هذا البيت:

ألم تر أن أرسل عبده بآياته و الله أعلى و أمجد

أغر عليه للنسوة خاتم من الله مشهود يلوح و يشهد

و ضم الإله اسم النبى إلى اسمه إذا قال فى الخمس المؤذن أشهد

و شق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود و هذا محمد

نبى أتانا بعد يأس و فترة من الدين و الأوثان فى الأرض تعبد

و أرسله ضوءا منيرا و هاديا يلوح كما لاح الصقيل المهند

و كان إذا أكل عيال أبى طالب جميعا أو فرادى لم يشبعوا و إذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه و سلم شبعوا، و كان الصبيان يصبحون رمضا شعثا و يصيح رسول الله صلى الله عليه و سلم صقيلا دهينا كحिला و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يغض حضور الأصنام و الأعياد مع قومه، روى أن بوائه كانت صنما يحضره قريش فى كل سنة يوما و يعظمونه و يعبدونه و يجعلونه عيدا، و تنسك له النسائك و يحلقون رؤوسهم عنده و يعكفون عنده إلى الليل، و كان أبو طالب يحضره مع قومه و كان يكلم النبى صلى الله عليه و سلم أن يحضر ذلك العيد مع قومه فيأبى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فغضب أبو طالب و أعمامه عليه فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع إليهم مرعوبا فرعا فقالوا له:

ما الذى رأيت؟ قال: إنى كل ما دنوت من صنم منها تمثل لى رجل أبيض طويل يصيح بى: وراءك يا محمد لا تمسه، فأعاد إلى

عيدهم بعد ذلك و كان لم يأكل مما

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٢٣

ذبح على النصب و هذا يدل على أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يعبد الله وحده قبل أن يوحى إليه؛ لأنه كان من ورثة دعوة إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام.

انتهى من تاريخ الخميس.

### وفاء أبى طالب

جاء فى تاريخ الخميس: و فى السنة العاشرة من النبوة أول ذى القعدة و قيل للنصف من شوال السنة الثامنة كذا فى الاستيعاب، مات أبو طالب بعدما خرج من الحصار بالشعب بثمانية أشهر و أحد و عشرين يوما، كذا فى سيرة اليعمرى، و فى حياة الحيوان مات أبو

طالب و كان النبي صلى الله عليه و سلم ابن تسع و أربعين سنة و ثمانية أشهر و أحد عشر يوما و أبو طالب ابن بضع و ثمانين سنة. و فى المواهب اللدنية ابن سبع و ثمانين سنة و قيل مات فى نصف شوال من السنة العاشرة، و قال ابن الجوزى قبل هجرته عليه السلام بثلاث سنين. انتهى من تاريخ الخميس.

### ترجمة أم هانئ بنت أبي طالب

قال مؤلف تاريخ الخميس: و أما أم هانئ فاسمها فاختة و قيل هند، أسلمت يوم الفتح، حكاها أبو عمرو و تزوجها هبيرة بن أبى وهب بن عائد بن عمران بن مخزوم و ولدت له أولادا و هرب إلى نجران و مات مشركا، و هى التى صلى النبي صلى الله عليه و سلم فى بيتها عام الفتح الضحى ثمان ركعات فى ثوب واحد مخالفا بين طرفيه و قال لها: قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ، متفق عليه. و عن ابن عباس: دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم على أم هانئ بنت أبى طالب يوم الفتح و كان جائعا فقالت: يا رسول الله إن أصهارا لى قد لجأوا إلى و إن على بن أبى طالب لا تأخذه فى الله لومة لائم و إنى أخاف أن يعلم بهم فيقتلهم فاجعل من دخل دار أم هانئ آمنا حتى يسمع كلام الله، فأمنهم رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قال: أجرنا من أجرت أم هانئ، فقال: هل عندك من طعام نأكله؟ فقالت: ليس عندى إلا كسرة يابس و إنى لأستحي أن أقدمها إليك، قال: هلميه، فكسره فى ماء و ملح، فقال: هل من إدام؟

فقالت: ما عندى يا رسول الله إلا شىء من خل، فقال: هلميه، فصبه على طعامه فأكل منه ثم حمد الله ثم قال: نعم الإدام الخل يا أم هانئ لا يفقر بيت فيه خل. خرجه بهذا السياق الطبرانى و جماعة. انتهى من تاريخ الخميس.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٢٤

### ترجمة عقيل بن أبى طالب

قال مؤلف تاريخ الخميس: و أما عقيل بن أبى طالب فلم يزل اسمه فى الجاهلية و الإسلام عقيل و يكنى أبا يزيد، أمه فاطمة بنت أسد. قال العذرى: و كان عقيل قد خرج مع كفار قريش يوم بدر فأسر ففداه عمه العباس، ثم أتى مسلما قبل الحديدية و شهد غزوة مؤتة، ذكره أبو عمرو و روى أن النبي صلى الله عليه و سلم قال له: يا أبا يزيد إنى أحبك حبين، حبا لقرابتك منى و حبا لما كنت أعلم من حب عمى إياك، خرجه أبو عمرو و البغوى. و كان عقيل أنسب قريش و أعلم بأيامها و لكنه كان مبغضا إليهم؛ لأنه كان يعد مساوئهم و كانت له قطيفة تفرش له فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلى عليها و يجتمع إليه فى علم النسب و أيام العرب و كان أسرع الناس جوابا و أحضرهم مراجعة فى القول و أبلغهم فى ذلك، خرجه أبو عمرو.

و عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عقيل جاء إلى على بالعراق فسأله فقال له: إن أحببت أن أكتب لك إلى مالى بينع فأعطيك منه، فقال عقيل: لأذهبن إلى رجل هو أوصل لى منك، فذهب إلى معاوية فصرف ذلك له، خرجه البغوى.

قال أبو عمرو: و كان عقيل غاضب عليا و خرج إلى معاوية و أقام عنده فزعموا أن معاوية قال يوما بحضرته: هذا أبو يزيد لولا علمه بأنى خير له من أخيه لما أقام عندنا و تركه، فقال عقيل: أخى خير لى فى دينى و أنت خير لى فى دنيائى و قد آثرت دنيائى و أسأل الله خاتمة خير. و توفى عقيل فى خلافة معاوية و لم يوقف على السنة التى مات فيها، ذكره ابن الضحاك.

### ترجمة العباس بن عبد المطلب

قال فى شرح زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم فى ترجمته ما يأتى:

هو العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه و سلم ابن هاشم بن عبد مناف القرشى الهاشمى، يكنى أبا الفضل، و أمه تينلة بنت جناب بن كلب، ولد قبل رسول الله صلى الله عليه و سلم بستين، و ضاع و هو صغير فنذرت أمه إن وجدت أن تكسو البيت الحرير فوجدته فكست البيت الحرير، فهى أول من كساه ذلك.

و كان إليه فى الجاهلية السقاية و العمارة، أما السقاية فمعروفة، و أما العمارة فهى عمارة المسجد الحرام فإنه كان لا يدع أحدا يشبب فى المسجد الحرام و لا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٢٥

يقول فيه هجرا، لا- يستطيعون لذلك امتناعا لأن قريشا كانوا قد اجتمعوا و تعاهدوا على ذلك فكانوا له أعوانا عليه كما ذكره علماء النسب، و حضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم للتوثق لابن أخيه رسول الله صلى الله عليه و سلم، و شهد بدرا مع المشركين مكرها فأسر فافتدى نفسه و ابني أخويه عقيل بن أبى طالب و نوفل بن الحارث.

و لما أسر يوم بدر فيمن أسر كان قد شد وثاقه، فسهر النبى صلى الله عليه و سلم تلك الليلة و لم ينم، فقال بعض أصحابه: ما يسهرك يا نبى الله؟ فقال: أسهر لأنين العباس، فقام رجل من القوم فأرخى وثاقه. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: مالى لا أسمع أنين العباس؟ فقال الرجل: أنا أرخيت من وثاقه. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: فافعل ذلك بالأسرى كلهم. و أسلم عقيب ذلك. و قيل أن سبب إسلامه أنه لما أرسلت قريش فداء أسراها و بقى العباس و ابنا أخويه المذكورين أمره رسول الله صلى الله عليه و سلم بدفع الفداء عن نفسه و عن ابني أخويه، فاعتذر بأن لا شىء عنده يفتدى به، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: عندك المال الذى أوصيت عليه أم الفضل آخر الليل و قلت لها ادفيه فى موضع كذا، فإن مت انتفعتم به بعد موتى و إن رجعت رجعت إليه أو كما قال، فقال له العباس: و من أخبرك بهذا؟ فقال: أخبرنى به جبريل آنفا، فقال العباس:

أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا رسول الله فو الله ما علم به أحد غيرى و غير أم الفضل آخر الليل، فلما تشهد و ثب أبو بكر الصديق عليه و حل الوثاق عنه.

و الروايات فى وقت إسلامه مختلفة، قيل إنه أسلم قبل الهجرة و كان يكتن إسلامه، قال ابن عبد البر: أسلم العباس قبل فتح خيبر و كان يكتن إسلامه ثم ظهر إسلامه يوم فتح مكة. و قيل إن إسلامه كان قبل بدر. و كان رضى الله عنه يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان المسلمون يتقوون به بمكة، و كان يحب أن يقدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن مقامك بمكة خير. فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم بدر: من لقي منكم العباس فلا يقتله فإنما أخرج كارها، و كان العباس رضى الله عنه أشد الناس نصرة لرسول الله صلى الله عليه و سلم بعد أبى طالب، و قال له النبى صلى الله عليه و سلم: أنت آخر المهاجرين كما أننى آخر الأنبياء، ثم قال له لما استأذنه فى الهجرة: يا عم أقم مكانك الذى أنت به فإن الله تعالى يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة، كما أخرجه أبو يعلى الموصلى من رواية سهل بن سعد الساعدى، ثم هاجر إلى النبى صلى الله عليه و سلم. و شهد معه فتح مكة و انقطعت الهجرة الواجبة إليه صلى الله عليه و سلم التى كانت شرطا فى الإسلام لا يقبل دونها، لا الهجرة عن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٢٦

محل حكم عليه الكافر فلا ينقطع وجوبها أبدا حتى تنقطع التوبة، كما رواه أبو داود فى سننه عن معاوية، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: لا- تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة و لا- تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها. رواه فى باب الهجرة هل انقطعت فى صدر كتاب الجهاد من سننه.

و شهد حيننا و ثبت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم لما انهزم الناس بحنين كما ثبت معه فيه أبو سفيان بن الحارث فى عدد سمي

ابن إسحاق منهم سبعة، وكذلك شهد فتح مكة و الطائف و تبوك كما صرح به الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب، و من شعره رضى الله عنه لما ثبت يوم حنين قوله:

ألا هل أتى عرس مكري و موقفى بواد حنين و الأسنة تشرع

و قولى إذا ما النفس جاشت لها قدى و هام تدهدى و السواعد تقطع

و كيف رددت الخيل و هى مغيرة بزوراء تعطى باليدين و تمنع

نصرنا رسول الله فى الحرب سبعة و قد فر من قد فر عنه فأقشعوا

و ثامننا لا قى الحمام بسيفه بما مسه فى الله لا يتوجع

و قد تقدم ذكر الأبيات الأربعة الأول من هذه الأبيات فيما ذكرناه من أشعار الصحابة فى الجزء الثانى عند حديث، لأن يمتلى جوف رجل قيحا يريه خير له من أن يمتلى شعرا فذكرتها هنا مع زيادة البيت الخامس فى محل ترجمه صاحبها.

و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعظمه و يكرمه بعد إسلامه، و كان وصولا لأرحام قريش محسنا إليهم ذا رأى سديد و عقل

غزير، و قال النبى صلى الله عليه و سلم له: هذا العباس بن عبد المطلب أجود قريش كفا و أوصلها رحما، و قال: هذا بقيه أبائى، و قد

دخل العباس على النبى صلى الله عليه و سلم يوما مغضبا فقال: ما أغضبك؟ فقال: يا رسول الله ما لنا و لقريش إذا تلاقوا بينهم تلاقوا

بوجوه مبشرة و إذا لقونا لقونا بغير تلك، قال:

فغضب رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى احمر وجهه ثم قال: و الذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحكمم لله و

لرسوله، ثم قال: أيها الناس من آذى عمى فقد آذانى فإنما عم الرجل صنو أبيه، و روى عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى

الله عليه و سلم: إن الله اتخذنى خليلا- كما اتخذ إبراهيم خليلا- و منزلى و منزل إبراهيم تجاهين فى الجنة و منزل العباس بن عبد

المطلب بيننا مؤمن بين خليلين، و روى أن النبى صلى الله عليه و سلم قال فيه: «العباس منى و أنا منه»، و روى عن العباس قال:

أتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلت: علمنى يا رسول الله شيئا أدعو به، قال: فقال:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٢٧

سل الله العافية، ثم أتته مرة أخرى، فقلت: يا رسول الله علمنى شيئا أدعو به، يا عم رسول الله سل الله العافية فى الدنيا و الآخرة، و عنه

أيضا رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا و بالإسلام دينا و بمحمد

رسولا.

و روى ابن الزناد عن أبيه عن الثقة أن العباس بن عبد المطلب لم يمر بعمر و لا بعثمان و هما راكبان إلا نزلا حتى يجوز العباس

إجلالا- له و يقولان: عم النبى صلى الله عليه و سلم، و روى أن عمر بن الخطاب كان إذا قحط أهل المدينة استسقى بالعباس، فقد

أخرج البخارى فى أبواب الاستسقاء و فى كتاب المناقب فى ذكر العباس بن عبد المطلب عن أنس رضى الله عنه أن عمر بن الخطاب

كان إذا قحطوا استسقى بالعباس فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا ففسقنا و إنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال فيسقون، اه.

بلفظه فى الموضوعين.

قال ابن عبد البر فى الاستيعاب: و كان سبب ذلك أن الأرض أجذبت إجدابا شديدا على عهد عمر زمن الرمادة و ذلك سنة سبع

عشرة، فقال كعب: يا أمير المؤمنين إن بنى اسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء، فقال عمر: هذا عم رسول الله

صلى الله عليه و سلم و صنو أبيه و سيد بنى هاشم، فمشى إليه عمر و شكوا إليه ما فيه الناس من القحط ثم صعد المنبر و معه العباس،

فقال: اللهم إنا قد توجهنا إليك بعم نبينا و صنو أبيه فاسقنا الغيث و لا تجعلنا من القانطين، الخ ما رواه ابن عبد البر، ثم قال: و رويانا

من وجوه عن عمر أنه خرج يستسقى و خرج معه العباس، فقال: اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك صلى الله عليه و سلم و نستشفع به

فاحفظ فيه لنبيك صلى الله عليه و سلم كما حفظت الغلامين لصلاح أبيهما و أتيناك مستغفرين و مستشفعين الخ ما رواه.

وقد افتخر الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب بسقيا الله لأهل الحجاز بعمه العباس في قوله:

بعمى سقا الله الحجاز و أهله عشية يستسقى بشيئته عمر

توجه بالعباس في الجذب راغبافما كثر حتى جاد بالديممة المطر

وقال حسان بن ثابت:

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا فسقى الغمام بغيره العباس

عم النبي و صنو والده الذي ورث النبي بذاك دون الناس

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٢٨ أحيأ الإله به البلاد فأصبحت مخضرة الأجانب بعد اليباس

قال ابن عبد البر في الاستيعاب بعد ذكره روايات لحديث توسل عمر بالعباس مؤداها واحد مع اختلاف قليل في ألفاظها ما نصه: و هذه الألفاظ كلها لم تجئ في حديث واحد و لكنها جاءت في أحاديث جمعتها و اختصرتها و لم أخالف شيئا منها و في بعضها فسقوا و الحمد لله. و في بعضها قال: فأرخت السماء عزاليها فجاءت بأمثال الجبال حتى استوت الحفر بالأكام و أخضبت الأرض و عاش الناس، فقال عمر رضى الله عنه: هذا و الله الوسيلة إلى الله عز و جل و المكان، ثم قال: و طفق الناس بالعباس يمحون أركانه و يقولون هنيئا لك ساقى الحرمين.

قال ابن شهاب: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم يعرفون للعباس فضله و يقدمونه و يشاورونه و يأخذون برأيه. قال ابن الأثير في أسد الغابة: و كفاه شرفا و فضلا أنه يعزى بالنبي صلى الله عليه و سلم لما مات و لم يخلف من عصباته أقرب منه، و كان له من الولد عشرة ذكور منهم الفضل و عبيد الله و قثم و عبد الرحمن و معبد و الحارث و كثير و عون و تمام و كان أصغر ولد أبيه و له من الأحاديث خمسة و ثلاثون حديثا اتفق البخارى و مسلم على حديث واحد منها و هو حديث المتن عندنا، و انفرد البخارى بحديث و مسلم بثلاثة روى عنه بنوه عبد الله و هو أبو ملوك بنى العباس و كثير و عبيد الله و عامر بن سعد و أضمر العباس في آخر عمره، و توفي بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب و قيل بل رمضان سنة اثنتين و ثلاثين على أكثر الرويات، و قيل سنة ثلاث و ثلاثين أو أربع و ثلاثين، و كانت وفاته قبل قتل عثمان بسنتين و صلى عليه عثمان و دفن بالبقيع و هو ابن ثمان و ثمانين سنة و كان طويلا جميلا أبيض ذا ضفيرتين و لما أسر يوم بدر لم يجدوا قميصا يصلح عليه إلا قميص عبد الله بن أبي بن سلول فألبسوه إياه و لهذا لما مات عبد الله بن أبي كفته رسول الله صلى الله عليه و سلم في قميصه، و قد أعتق العباس سبعين عبدا كما وردت به الأحاديث، و دخل قبره ابنه عبد الله بن عباس كما صرح به ابن عبد البر في الاستيعاب و بالله تعالى التوفيق. و هو الهادى إلى سواء الطريق.

انتهى من شرح زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم.

و جاء في تاريخ الخميس ما نصه: العباس بن عبد المطلب أمه تنيلة و يقال لها تنلة، و قد تقدم ذكرها و يقال إنها أول عريضة كست البيت الحرام الديباج و أصناف

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٢٩

الكسوة و ذلك أن العباس ضل و هو صبى فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت الحرام فوجدته ففعلت و يكنى أبا الفضل.

(ذكر صفته)، و كان رضى الله عنه جميلا جسيما أبيض له ضفيران معتدل القامة، و قيل كان طوالا. عن جابر أن الأنصار لما أرادوا أن يكسوا العباس حين أسر يوم بدر فلم يصلح عليه إلا قميص عبد الله بن أبي بن سلول فكساه إياه فلما مات عبد الله بن أبي بن سلول ألبسه النبي صلى الله عليه و سلم قميصه و تفل عليه من ريقه، قال سفیان: فظن أنه مكافأة لقميص العباس، خرج ابن الضحاك و أبو عمرو و كان مولده قبل الفيل بثلاث سنين و كان أسن من النبي صلى الله عليه و سلم بسنتين و قيل بثلاث.

و عن أبي رزين قال: قيل للعباس أيكما أكبر أنت أو النبي صلى الله عليه و سلم؟ قال: هو أكبر منى و أنا ولدت قبله، خرج ابن

الضحاك و هو أصغر أولاد عبد المطلب غير عبد الله، كذا في المواهب اللدنية. و عن ابن عمر مثله خرجه البغوى فى معجمه و غيره. و كان العباس فى الجاهلية رئيسا فى قريش و إليه عمارة المسجد الحرام و السقاية بعد أبى طالب، أما السقاية فمعروفة و أما عمارة المسجد الحرام فكان لا يدع أحدا يشب فيه و لا يقول فيه هجرا و كانت قريش قد اجتمعت و تعاهدت على ذلك، فكانوا له عوناً عليه و أسلموا ذلك إليه. ذكره الزبير ابن بكار و غيره من علماء النسب، حكاه أبو عمرو، و التشبيب ترقيق الشعر بذكر النساء و كأنه أراد إنشاد ذلك فى المسجد، و الهجر بالضم الهديان و القول الباطل و يطلق على الكلام الفاحش و ذكر شهوده بيعه العقبة سيجىء فى الركن الثانى.

(ذكر إسلامه) قال أهل العلم بالتاريخ: كان إسلام العباس قديماً و كان يكتنم إسلامه و خرج مع المشركين يوم بدر، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من لقي العباس فلا يقتله فإنه خرج مستكرها فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو ففادى نفسه و رجع إلى مكة ثم أقبل إلى المدينة مهاجراً، قاله أبو سعيد و قيل إنه أسلم يوم بدر فاستقبل النبي صلى الله عليه و سلم يوم الفتح بالأبواء و كان معه يوم فتح مكة و به ختمت الهجرة. و قال أبو عمرو: أسلم قبل فتح خيبر و كان يكتنم إسلامه و يسر بما يفتح الله على المسلمين و أظهر إسلامه يوم فتح مكة و شهد حنيناً و الطائف و تبوك و يقال إن إسلامه كان قبل بدر، و كان يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كان المسلمون بمكة يثقون به، و كان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه و سلم فكتب إليه رسول الله

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٣٠

صلى الله عليه و سلم أن مقامك بمكة خير لك و عن شرحبيل ابن سعد قال: لما بشر أبو رافع رسول الله صلى الله عليه و سلم بإسلام العباس بن عبد المطلب أعتقه، خرجه أبو القاسم السهمى فى الفضائل.

و فى المواهب اللدنية قال عليه الصلاة و السلام للعباس: يا عم لا ترم منزلك أنت و بنوك غدا حتى آتيك فإن لى فيكم حاجة، فلما أتاهم اشتمل عليهم بملاءته ثم قال: يا رب هذا عمى و صنو أبى و هؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى إياهم بملاءتى هذه، قال: فأمنت أسكفة الباب و حوائط البيت، فقالت: آمين آمين آمين. رواه ابن غيلان و أبو القاسم حمزة و السهمى و رواه ابن السرى و فيه:

فما بقى فى البيت مدره و لا باب إلا أمن.

(و ذكر وفاته) توفى رضى الله عنه فى خلافة عثمان قبل مقتله بسنتين بالمدينة يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة، و قيل: لأربع عشرة ليلة خلت من رجب، و لم يذكر صاحب الصفوة غيره، و قيل: من رمضان سنة اثنتين و ثلاثين، و قيل:

ثلاث و ثلاثين و هو ابن ثمان و ثمانين سنة، و قيل: سبع و ثمانين سنة بعد أن كف بصره أدرك فى الإسلام اثنتين و ثلاثين سنة، و صلى عليه عثمان، و دفن بالبقيع، و دخل فى قبره ابنه عبد الله، مروياته فى كتب الحديث خمسة و ثلاثون حديثاً. انتهى من تاريخ الخميس.

### ترجمة أبى جهم بن حذيفة القرشى

ترجمة أبى جهم "بفتح الجيم و سكون الهاء" كما فى الجزء الرابع من كتاب الإصابة بصحيفة ٣٥ هو أبو جهم بن حذيفة ابن غانم القرشى العدوى، قيل اسمه عامر و قيل عبيد الله هو من مسلمة الفتح و هو أحد الأربعة الذين كانت قريش تأخذ عنهم النسب و هو أيضاً أحد الأربعة الذين تولوا دفن عثمان و لما أصيب عثمان أرادوا الصلاة عليه فمنعوا فقال أبو جهم دعوه فقد صلى الله عليه و رسوله كان من معمرى قريش و من مشيختهم حضر بناء الكعبة مرتين حين بنتها قريش و حين بناها ابن الزبير، روى ابن أخى الأصمعى فى النوادر عن عمه عن عيسى بن عمر قال: وفد أبو جهم على معاوية ثم على يزيد ثم ذكر قصة له مع ابن الزبير و ثبت

ذكره في الصحيحين من طريق عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت:

صلى النبي صلى الله عليه وسلم في خميصه لها أعلام فقال: اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٣١

و اتنوني بأبجانية أبي جهم فإنها ألتهنى أنفا عن صلاتي. انتهى من كتاب الإصابة. الخميصة قيل هي كساء مربع من صوف، و الأبنجانية هي بفتح الهمزة و كسرهما و بفتح الباء و كسرهما و بتشديد الياء و تخفيفها. انتهى من الإصابة.

و في الصحيحين أو في صحيح مسلم فقط عن فاطمة بنت قيس رضى الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، و أما معاوية فصعلوك لا مال له. انكحى أسامة». قاله لها لما طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص البتة، فخطبها أبو جهم و معاوية بن أبي سفيان.

قوله: صعلوك بضم الصاد أى: فقير. و المعنى: أن أبا جهم يضرب زوجته كثيرا، و قيل: هو كناية عن كثرة مسافرتة لكن الوجه الأول أولى لما جاء في بعض الروايات: «أما أبو جهم فرجل ضراب للنساء». انتهى من كتاب مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار.

### ترجمة حكيم بن حزام

حكيم بن حزام هو الذى أرسلته قريش مع أبى سفيان بن حرب إلى مّر الظهران يستطلعون خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قدم لفتح مكة. كما سبق الكلام عنه.

جاء في تاريخ الخميس عنه ما يأتى: و فى هذه السنة "أى السنة الثامنة" أيام فتح مكة أسلم حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى و يكنى أبا خالد.

و عن أم مصعب بن عثمان قالت: دخلت أم حكيم بن حزام الكعبة مع نسوة من قريش و هى حامل متم بحكيم بن حزام، فضربها المخاض فى الكعبة فأتيت بنطح حيث أعجلتها الولادة فولدت حكيم بن حزام فى الكعبة على النطح، و كان حكيم من سادات قريش و جوهها فى الجاهلية و الإسلام.

و عن مصعب بن عبد الله قال: جاء الإسلام و دار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها بعد من معاوية بن أبى سفيان بمائة ألف درهم، فقال له عبد الله بن الزبير:

بع مكرمة قريش. فقال حكيم: ذهبت المكارم إلا التقوى يا ابن أخى إنى اشتريت بها دارا فى الجنة أشهدك أنى جعلتها فى سبيل الله عز و جل.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٣٢

و عن أبى بكر بن أبى سليمان، قال: حج حكيم بن حزام معه مائة بدنة قد أهداها و جللها الحبرة و كفها عن أعجازها و وقف مائة و صيف يوم عرفه و فى أعناقهم أطواق الفضة نقش فى رؤوسها عتقاء الله عن حكيم بن حزام و أعتقهم و أهدى ألف شاء.

و عن هشام بن عروة عن أبيه أن حكيم بن حزام أعتق فى الجاهلية مائة رقبة و فى الإسلام مائة رقبة و حمل على مائة بعير، قال حكيم: نجوت يوم بدر و يوم أحد فلما غزا النبي صلى الله عليه وسلم مكة خرجت أنا و أبو سفيان نستروح الخبر، فلقي العباس أبا سفيان فذهب به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فرجعت و دخلت بيتى فأغلقتة على، و دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة فأمن الناس فجيته فأسلمت و خرجت معه إلى حنين.

و عن محمد بن عمر قال: قدم حكيم بن حزام المدينة و نزلها و بنى بها دارا و مات بها سنة أربع و خمسين و هو ابن مائة و عشرون سنة، كذا فى الصفوة و سيجىء فى الخاتمة. انتهى من تاريخ الخميس.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٣٣

## الإسراء والمعراج

### إشارة

قال الله تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

فالإسراء خاص بذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والمعراج خاص بعروجه عليه الصلاة والسلام من المسجد الأقصى إلى السموات العلاء فما فوقها، وقد يكون الإسراء والمعراج بمعنى واحد. ونحن هنا نذكر أولا بعض الأحاديث الصحيحة الواردة في الصحيحين عن الإسراء والمعراج، ثم نذكر قصة ذلك بالتفصيل التام من التواريخ المعتمدة فنقول وبالله التوفيق:

جاء في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بينما أنا في الحطيم مضطجعا إذ أتاني آت فقد ما بين هذه إلى هذه فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبي بماء زمزم ثم حشى ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يقال له البراق يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء. ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم، فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء. ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خاله، قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت فردا ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء. ففتح فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه فردته، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ونعم المجيء جاء. ففتح فلما

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٣٤

خلصت إذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلم عليه، فسلمت فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجيء، جاء ففتح فلما خلصت إذا هارون قال: هذا هارون فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي إلى السماء السادسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل:

ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء. ففتح فلما خلصت إذا موسى قال: هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكى، قيل له:

ما يبكيك؟ قال: أبكى لأبن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتي. ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال:



جبريل، قيل: و من معك؟ قال: محمد، قيل: و قد بعث إليه؟ قال: نعم، قيل:

مرحبا به فنعلم المجرىء جاء. ففتح فلما خلصت إذا إبراهيم، قال: هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام، فقال: مرحبا بالابن الصالح و النبي الصالح.

ثم رفعت إلى سدره المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر و إذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدره المنتهى و إذا أربعة أنهار نهران باطنان و نهران ظاهران، قلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة و أما الظاهران فالنيل و الفرات، ثم رفع لى البيت المعمور، فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه، ثم أتيت بإناء من خمر و إناء من لبن و إناء من عسل فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة التي أنت عليها و أمتك، ثم فرض عليّ خمسون صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم و إنى و الله قد جربت الناس قبلك و عالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عنى عشرا، فرجعت إلى موسى، فقال مثله، فرجعت فوضع عنى عشرا. فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عنى عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عنى عشرا. فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بم أمرت؟ قلت:

بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم و إنى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٣٥

قد جربت الناس قبلك و عالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، قلت: سألت ربي حتى استحيت منه و لكنى أرضى و أسلم، فلما جاوزت نادنى مناد: أمضيت فريضتى و خففت عن عبادى.

(رواه) البخارى و مسلم عن مالك بن صعصعة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم.

معنى قوله صلى الله عليه و سلم فى أول الحديث المذكور: «فقد ما بين هذه إلى هذه» الإشارة من نقره نحره إلى ما تحت سترته، و القد بتشديد الدال الشق طولاً، و المراد بلفظ "هجر" قرية قريبة من المدينة و ليست هجر البحرين و كانت تعمل بها القلال، و قوله: «فأخذت اللبن» قالوا: يحتمل أنه عرضت عليه صلى الله عليه و سلم آنية اللبن مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ببيت المقدس و مرة عند وصوله إلى سدره المنتهى، و فى مسلم أن إتيانه بالآنية كان ببيت المقدس قبل المعراج، و قوله صلى الله عليه و سلم فى آخر الحديث: «فلما جاوزت نادنى مناد أمضيت فريضتى و خففت عن عبادى» قالوا إن هذا من أقوى ما يستدل به على أنه صلى الله عليه و سلم كلمه ربه ليلة الإسراء بغير واسطة.

و أيضا يؤخذ ذلك من قوله صلى الله عليه و سلم: «قلت سألت ربي حتى استحيت منه» كما يؤخذ ذلك أيضا من الحديث الآتى «فراجعت ربي ... الخ».

و جاء فى الصحيحين أيضا عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: فرج سقف بيتى و أنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلى حكمة و إيماناً فأفرغها فى صدرى ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فخرج بى إلى السماء الدنيا فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا: افتح، قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟

قال: نعم معى محمد، قال: فأرسل إليه؟ قال: نعم، ففتح فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة و عن يساره أسودة، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، و إذا نظر قبل شماله بكى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح و الابن الصالح، قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا آدم و هذه الأسودة عن يمينه و عن شماله نسمة بنيه فأهل اليمين أهل الجنة، و الأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر قبل يمينه ضحك و إذا نظر قبل شماله بكى، ثم عرج بى جبريل حتى أتى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح، فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا

ففتح قال أنس:

فذكر أنه وجد في السموات آدم و إدريس و موسى و عيسى و ابراهيم صلوات الله

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٣٦

عليهم. و لم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه قد وجد آدم في السماء الدنيا و ابراهيم في السماء السادسة. فلما مررت بإدريس قال:

مرحبا بالنبي الصالح و الأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إدريس، ثم مررت بموسى، قال:

مرحبا بالنبي الصالح و الأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، ثم مررت بعيسى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح و الأخ الصالح،

قلت: من هذا؟ قال: هذا عيسى بن مريم، ثم مررت بإبراهيم، فقال: مرحبا بالنبي الصالح و الابن الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا

إبراهيم. ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقدام ففرض الله عز و جل على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك

حتى مررت على موسى، فقال موسى: ماذا فرض ربك على أمتك؟ قلت: فرض على خمسين صلاة، قال لى موسى: فراجع ربك فإن

أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت ربي فوضع شطرها فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت

ربي فقال: هي خمس و هن خمسون لا يبدل القول لدى، فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك فقلت: قد استحيت من ربي، ثم انطلق

بي حتى انتهى بي إلى سدره المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ و إذا ترابها المسك.

رواه البخارى و مسلم عن أبي ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا قوله: ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع

فيه صريف الأقدام فإنه عن ابن عباس و أبي حبة البدرى رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه و سلم.

المراد بكلمة "الأسودة" الواردة في أول الحديث المذكور هو الجماعة من بنى آدم، و النسم بفتحيتين جمع نسمة و هى الروح أى

أرواح بنى آدم عليه السلام، و قوله صلى الله عليه و سلم في آخر الحديث: «ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ» الجنابذ جمع جنبد

بضم الجيم و الباء و هو ما ارتفع من الشيء و استدار كالثقب.

قال شيخنا العلامة المحدث الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى رحمه الله تعالى في شرحه لكتابه "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و

مسلم" عند حديث «بينما أنا فى الحطيم مضطجعا إذ أتانى آت ... الخ» ما نصه:

(تنبيه) لا يخفى على من وفقه الله تعالى لفهم كتابه العزيز و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم أن النبى عليه الصلاة و السلام أسرى

بجسده الشريف إلى المسجد الأقصى ثم عرج بجسده أيضا إلى سدره المنتهى بل فوقها كما فى الأحاديث الصحاح بروايات

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٣٧

متعددة و يكفى من كون الإسراء و المعراج كانا بجسده الشريف قوله تعالى:

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى و قوله تعالى: وَ لَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى \* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى \*

عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى \* إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى \* مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَ مَا طَغَى \* لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى.

فهاتان الآيتان صريحتان فى الإسراء بجسده الشريف و العروج به أيضا لأن آية الإسراء مبدأ الإسراء و آية النجم ذكرت منتهاه الذى

هو صريح فى المعراج بجسده الشريف و حديث المعراج الثابت فى الصحيحين و غيرهما المشتمل على ركوبه على البراق الصريح فى

كون المعراج بجسده الشريف بينما تضمنه القرآن من أول الإسراء إلى منتهى المعراج و نعم البيان الذى أرشد إليه القرآن بقوله

تعالى: لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ فلم يبق لمن عاند من الجهال إلا تكذيب القرآن و تكذيب النبى عليه الصلاة و السلام المبين للقرآن

أتم بيان و هو كفر صريح أعادنا الله منه و مما يجر إليه. انتهى من شرح زاد المسلم.

قال الشاعر البليغ فى الإسراء و المعراج:

سريت من حرم ليلا إلى حرم كما سرى البدر فى داج من الظلم

و بت ترقى إلى أن نلت منزله من قاب قوسين لم تدر ك و لم ترم

و قدمتك جميع الأنبياء بهوا الرسل تقديم مخدوم على خدم  
و أنت تخترق السبع الطباق بهم فى موكب كنت فيه صاحب العلم  
حتى إذا لم تدع شأوا لمستبق من الدنو و لا مرقى لمستتم  
خفضت كل مقام بالإضافة إذنوديت بالرفع مثل المفرد العلم  
كيما تفوز بوصل أى مستتر عن العيون و سر أى مكتتم  
فحزت كل فخار غير مشترك و جزت كل مقام غير مزدحم  
و جل مقدار ما وليت من رتب و عز إدراك ما أوليت من نعم  
بشرى لنا معشر الإسلام أن لنا من العناية ركنا غير منهدم  
لما دعا الله داعينا لطاعته بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم  
و قال أيضا فى الإسراء و المعراج:

فطوى الأرض سائرا و السموات العلا فوقها له إسراء  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٣٨ فصف الليلة التى كان للمختار فيها على البراق استواء  
و ترقى به إلى قاب قوسين و تلك السيادة القعساء  
رتب تسقط الأمانى حسرى دونها ما وراءهن وراء  
ثم وافى يحدث الناس شكرا إذ أتته من ربه النعماء  
و تحدى فارتاب كل مريب أو يبقى مع السيول الغناء  
و هو يدعو إلى الإله و إن شق عليه كفر به و ازدراء  
و يدل الورى على الله بالتوحيد و هو المحجج البيضاء  
و جاء فى شرح "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم" عند حديث:

«لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس ... الخ» أن العراقى قال فى ألفية السيرة عن الإسراء و تكذيب قريش ما  
يأتى:

و بعد عام مع نصف أسريابه إلى السماء حتى حظيا  
من مكة الغرا إلى القدس علاظهر البراق راكبا ثم علا  
إلى السماء معه جبريل فاستفتح الباب له يقول  
مجيبا إذ قيل له من ذا معك محمد معى فرحب الملك  
ثم تلاقى مع الأنبياء و كل واحد لدى سماء  
ثم علا لمستوى قد سمعاصريف الأقلام بما قد وقعا  
ثم دنا حتى رأى الإلهابيعينه مخاطبا شفاها  
أوحى له سبحانه ما أوحى فلا تسل عن ما جرى تصريحها  
و فرض الصلاة خمسين على أمته حتى لخمس نزلا  
و الأجر خمسون كما قد كانا و زاده من فضله إحسانا  
فصدق الصديق ذو الوفاء و كذب الكفار بالإسراء  
و سألوه عن صفات القدس رفعه إليه روح القدس

جبريل حتى حقق الأوصاف له فما طاقوا له خلافا  
لكنهم قد كذبوا و جحدوا فأهلكوا و فى العذاب أخلدوا  
و قوله: "و بعد عام مع نصف أسريا ... الخ" أى بعد عام و نصف من تاريخ وفد جن نصيبين المذكور فى الألفية. انتهى من زاد  
المسلم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٣٩  
و يروى أن النبى صلى الله عليه و سلم أسرى به و هو فى بيت أم هانئ رضى الله تعالى عنها بمكة و سنحقق إن شاء الله تعالى موضع  
دار أم هانئ و نضعه فى آخر هذا المبحث لمعرفة.

### قصة الإسراء و المعراج "نقلا من تاريخ الخميس"

يحلو للمؤمن أن يقرأ بالتفصيل و يفهم بالتدقيق كل لنا تطويل الشرح فيها و الإسهاب فى وصفها، و رأينا أن الله تعالى رحمة للعالمين،  
نيننا و شفيعنا "محمد" صلى الله عليه و آله و صحبه و سلم، و لما كان قصة الإسراء و المعراج من أهم حالات و أخباره عليه الصلاة و  
السلام، فإنه يطيب حالة من حالات خاتم الأنبياء و المرسلين، الذى أرسله ننقل ذلك من كتاب "تاريخ الخميس" لما فيه من التفصيل  
الوافى و البيان الكافى، و لم نتصرف فى عباراته بشىء غير أننا بوبنا الأبحاث فجعلنا لكل مسألة عنوانا، فنقول و بالله التوفيق و عليه  
الاعتماد و التكلان، و هو حسنا و نعم الوكيل نعم المولى و نعم النصير، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم:

جاء فى الجزء الأول من تاريخ الخميس ما نصه: و فى السنة الثانية عشر من النبوة وقع المعراج و ما تضمنه و فرضت الصلوات الخمس  
فى الإسراء و ستجىء كيفيتها، و فى الاستيعاب و سيرة مغلطاي بعد سنة و نصف من حين رجوعه من الطائف. قاله ابن قتيبة. و قال ابن  
شهاب عن ابن المسيب: قبل خروجه إلى المدينة بسنة.

و فى المواهب اللدنية: لما كان فى شهر ربيع الأول أسرى بروحه و جسده يقظة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به  
من المسجد الأقصى إلى فوق سبع سموات، و رأى ربه بعين رأسه و أوحى إليه ما أوحى و فرض عليه الصلوات الخمس، ثم انصرف  
فى ليلته إلى مكة فأخبر بذلك فصدقه الصديق و كل من آمن بالله و كذبه الكفار و استوصفوه مسجد بيت المقدس فمثله الله له  
فجعل ينظر إليه و يصفه و سيجىء تفصيل ذلك كله.

اختلف العلماء فى الإسراء هل هو إسراء واحد فى ليلة واحدة يقظة أو مناما أو إسراءان كل واحد فى ليلة مرة بروحه و بدنه و مرة مناما  
أو يقظة بروحه و جسده

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٤٠  
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم مناما من المسجد الأقصى إلى العرش أو هى أربع إسراءات.  
و فى سيرة مغلطاي اختلف فى المعراج و الإسراء هل كانا فى ليلة واحدة أم لا، و هل كانا أو أحدهما يقظة أو مناما، و هل كان  
المعراج مرة أو مرات و الصحيح أن الإسراء كان فى اليقظة بجسده و أنه مرات متعددة و أنه رأى ربه بعين رأسه صلى الله عليه و سلم.

### عام الإسراء

جاء فى تاريخ الخميس ما نصه: و اختلف فى تاريخ الإسراء فى أى سنة كان و فى أى شهر و فى أى يوم من الشهر و فى أى ليلة من  
الأسبوع، فأما سنة الإسراء فقال الزهرى: كان ذلك بعد المبعث بخمس سنين، حكاه القاضى عياض و رجحه القرطبي و النووى، و  
قيل: قبل الهجرة بسنة، قاله ابن حزم و ادعى فيه الإجماع، رواه ابن الأثير فى أسد الغابة عن ابن عباس و أنس و حكاه البغوى فى معالم

التزليل عن مقاتل، وقيل: قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر. قاله السدي، وأخرجه من طريق الطبري والبيهقي. فعلى هذا يكون في شوال، وفي أسد الغابة قال السدي قبل الهجرة بستة أشهر وقيل كانا قبل الهجرة بسنة وثلاثة أشهر فعلى هذا يكون في ذي الحجة و به جزم ابن فارس، وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين ذكره ابن الأثير. كذا في المواهب اللدنية.

### شهر الإسراء ويومه وليلته

جاء في تاريخ الخميس ما نصه: و أما شهر الإسراء فقبل ربيع الأول قاله ابن الأثير والنووي في شرح مسلم، وقيل: ربيع الآخر. قاله الحربى والنووي في فتاويه، وقيل: رجب. حكاه ابن عبد البر وقيل ابن قتيبة و به جزم النووي في الروضة، وعن الواقدي رمضان، وعن السدي والماوردي شوال، وعن ابن فارس ذو الحجة كما مر.

و أما أن الإسراء في أى يوم من الشهر كان. فعن ابن الأثير ليلة سبع من ربيع الأول، وعن الحربى في ثالث عشر من ربيع الآخر، وقيل: ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر وعن الواقدي في سابع عشر من رمضان.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٤١

و أما ليلة الإسراء فقبل ليلة الجمعة وقيل ليلة السبت، وعن ابن الأثير ليلة الاثنين، وقال ابن دحية: إن شاء الله يكون ليلة الاثنين ليوافق المولد والمبعث والمعراج والهجرة والوفاء، فإن هذه أطوار الانتقالات وجودا ونبوة ومعراجا وهجرة ووفاء، كذا في المواهب اللدنية.

و في سيرة اليعمرى: و لما بلغ إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر، أسرى به من بين زمزم والمقام وكذلك في حياة الحيوان، وإنما كان ليلا لتظهر الخصوصية بين جليس الملك ليلا وجليسه نهارا. انتهى من تاريخ الخميس.

جاء في كتاب "الكلمات الطيبات في المأثور عن الإسراء والمعراج من الروايات وفيما وقع ليلتئذ من الآيات الباهرات" تأليف العلامة الكبير الشيخ محمد بن بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية سابقا، والمتوفى في عصرنا الحاضر، رحمه الله تعالى ما نصه:

و إنما أسرى به صلى الله عليه وسلم ليلا لمزيد الاحتفال به عليه الصلاة والسلام، فإن الليل وقت الخلوة والاختصاص ومجالسة الملوك، ولا يكاد يدعو الملك لحضرته ليلا إلا من هو خاص عنده، وقد أكرم الله تعالى فيه قوما من أنبيائه بأنواع الكرامات، وهو كأصل للنهار، وأيضا الاهتداء فيه للمقصد أبلغ من الاهتداء في النهار، وأيضا قالوا: إن المسافر يقطع في الليل ما لا يقطع في النهار، و من هنا جاء:

عليكم بالدلجة، فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار، وأيضا أسرى به ليلا ليكون ما يعرج إليه من عالم النور المحض، أبعد عن الشبه بما يعرج منه من عالم الظلمة وذلك أبلغ في الإعجاب.

وقال ابن الجوزي في ذلك: إن النبي صلى الله عليه وسلم سراج، والسراج لا يوقد إلا ليلا، و بدر، وكذا مسير البدر في الظلم إلى غير ذلك من الحكم التي لا يعلمها إلا الله تعالى، ولم تنص الآية على دخوله صلى الله عليه وسلم في المسجد الأقصى، إلا أن الأخبار الصحيحة نصت على ذلك.

### الموضع الذى كان منه الإسراء

جاء في تاريخ الخميس ما نصه: و اختلف في الموضع الذى أسرى به منه صلى الله عليه وسلم، فقيل: أسرى به من بيته، وقيل: من بيت أم هانئ بنت أبي طالب، لما روى أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته

و قص

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٤٢

القصّة عليها وقال: مثل لى النبيون فصليت بهم، وبيتها بين الصفا و المروة، و من قال هذين القولين قال: الحرم كله مسجد، و المراد بالمسجد الحرام فى الآية الحرم، و عن ابن عباس الحرم كله مسجد، و قيل: أسرى به من المسجد الحرام و المراد بالمسجد فى الآية هو المسجد نفسه و هو ظاهر، فقد قال صلى الله عليه و سلم: بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم و اليقظان إذ أتانى جبريل بالبراق و قد عرج بى إلى السماء فى تلك الليلة، قيل: الحكمة فى المعراج أن الله تعالى أراد أن يشرف بأنوار محمد صلى الله عليه و سلم السموات كما شرف ببركاته الأرضين فسرى به إلى المعراج، و سئل أبو العباس الدينورى: لم أسرى بالنبي صلى الله عليه و سلم إلى بيت المقدس قبل أن يعرج به إلى السماء؟ فقال: لأن الله تعالى كان يعلم أن كفار قريش كانوا يكذبونه فيما يخبرهم به من أخبار السموات فأراد أن يخبرهم من الأرض التى قد بلغوها و عاينوها و علموا أن النبي صلى الله عليه و سلم لم يدخل بيت المقدس قط فلما أخبرهم بأخبار بيت المقدس على ما هو عليه لم يمكنهم أن يكذبوه فى أخبار السماء بعد أن صدقوه فى أخبار الأرض.

نقول: إن بيت أم هانئ رضى الله عنها المذكور هنا، فقد قال عنه الإمام الأزرقى فى تاريخه ما يأتى:

و دار أم هانئ بنت أبى طالب و هى أخت على رضى الله عنه، كانت بالحزورة "أى عند باب الوداع،" و فى دار أم هانئ حفر قصى بن كلاب الجد الرابع للنبي صلى الله عليه و سلم بئرا و هى أول بئر حفرت بمكة، ثم لما زاد أمير المؤمنين محمد المهدي العباسى سنة ١٦٤ هجرية زيادته العظيمة فى المسجد الحرام دخلت هذه الدار و البئر فيه فعلى هذا كانت دار أم هانئ التى كان النبي فيها ليلة أسرى به بجوار المسجد الحرام فى ذلك الوقت، فيكون محلها اليوم حصوة باب الوداع، فيكون بين دار أم هانئ و بين الكعبة المشرفة نحو أربعين مترا تقريبا. و الله تعالى أعلم.

### الاختلاف فى الإسراء هل كان بالروح أو بالجسد

جاء فى تاريخ الخميس ما نصه: و اختلف السلف و العلماء فى أنه هل كان إسراء بروحه أو جسده؟ على ثلاثة أقوال:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٤٣

(أحدها) أنه ذهب طائفة إلى أنه إسراء بالروح و أنه رؤيا منام مع اتفاقهم على أن رؤيا الأنبياء و حى و حق و إلى هذا ذهب معاوية، و حكى عن الحسن فى غير المشهور و حجتهم قوله تعالى: وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ الْآيَةَ، و ما حكوا عن عائشة: ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قوله صلى الله عليه و سلم: بينا أنا نائم، و قول أنس: و هو نائم فى المسجد الحرام و ذكر القصّة ثم قال فى آخرها: فاستيقظت و أنا بالمسجد الحرام، و فى العروة الوثقى و حديث عائشة صحيح فى المعراج الذى اتفق للنبي صلى الله عليه و سلم، على فراشها فى المدينة و قالت: ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قول ابن عباس أيضا صحيح فى المعراج المكى الذى أخبر به نص التنزيل بقوله:

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ الْآيَةَ، لقوله تعالى: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى \* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى.

(و الثانى) أنه ذهب معظم السلف و المسلمين إلى أنه أسرى بروحه و جسده و فى اليقظة و هذا هو الحق، و هو قول ابن عباس، و جابر، و أنس، و حذيفة، و عمر، و أبى هريرة، و مالك بن صعصعة، و أبى حبة البدرى، و ابن مسعود، و الضحاک، و سعيد بن جبیر، و قتادة، و ابن المسيب، و ابن شهاب، و ابن زيد، و الحسن فى المشهور، و إبراهيم، و مسروق، و مجاهد، و عكرمة، و ابن جرير، و هو قول الطبرى، و ابن حنبل، و جماعة عظيمة من المسلمين، و هذا قول أكثر المتأخرين من الفقهاء و المحدثين و المتكلمين و المفسرين. (و الثالث) أنه فى المنام، قالت طائفة كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس و إلى السماء بالروح فى المنام، قال القاضى عياض:

الحق و الصحيح أنه إسرائ بالجسد و الروح في القصة كلها و عليه تدل الآيه و صحيح الأخبار، و لا يعدل عن الظاهر و الحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، و ليس في الإسرائ بجسده و حال يقظته استحالة، إذ لو كان مناما لقال بروح عبده و لم يقل: بَعْبِدِهِ و قوله: ما زاعَ البَصْرُ و ما طَعَى، و لو كان مناما لما كان فيه آيه و لا معجزه، و لما استبعده الكفار و لا كذبوه فيه، و لا ارتد به ضعفاء من أسلم و افتتنوا به، إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر، بل لم يكن ذلك منهم إلا و قد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه و حاله يقظته، إلى ما ذكر في الحديث من ذكر صلواته بالأنبياء بيت المقدس في رواية أنس أو في السماء على ما روى غيره، و ذكر مجيء جبريل له بالبراق، و خبر المعراج و استفتاح السماء فيقال: من معك؟ فيقول: محمد،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٤٤

و لقاءه الأنبياء فيها و خبرهم معه و ترحيبهم به، و شأنه في فرض الصلاة و مراجعته مع موسى في ذلك، و وصوله إلى سدره المنتهى و دخوله الجنة و رؤيته فيها ما ذكره. قال ابن عباس: هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه و سلم لا رؤيا منام. و عن الحسن: بينا أنا جالس في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فقمتم فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي فذكر ذلك ثلاثا، فقال في الثالثة: فأخذ بعضدى فجرني إلى باب المسجد فإذا بدابة و ذكر خبر البراق. و عن أم هانئ قالت: ما أسرى برسول الله صلى الله عليه و سلم إلا و هو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الآخرة و نام فلما كان قبيل الفجر أهدانا رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلما صلى الصبح و صلينا معه قال: يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس و صليت فيه، ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون، فهذا كله بين في أنه بجسمه صلى الله عليه و سلم. و عن أبي بكر من رواية شداد بن أوس عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه و سلم ليلة أسرى به:

طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم أجدك، فأجابته: إن جبريل حمله إلى المسجد الأقصى، و عن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: صليت ليلة أسرى بي مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فإذا بملك قائم معه آنية ثلاث و ذكر الحديث. و هذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظواهرها، و عن أبي ذر عنه صلى الله عليه و سلم: فرج سقف بيتي و أنا بمكة فنزل جبريل فشرح صدرى ثم غسله بماء زمزم إلى آخر القصة، ثم أخذ بيدي فخرج بي، قيل: الحق أن المعراج مرتان، مرة في النوم و أخرى في اليقظة، قال محي السنة: و ما أراه الله في النوم قبل الوحي ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي بسنة تحقيقا لرؤياه كما أنه رأى فتح مكة في المنام سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان، كذا في شرح المشكاة للطيب.

### شق صدر النبي صلى الله عليه و سلم

لقد شق صدره عليه الصلاة و السلام ثلاث مرات كما ورد في الأحاديث و إلى ذلك أشار صاحب قره الأبصار بقوله:

و شق صدر أشرف الأنام و هو ابن عامين و سدس عام

و شق للبعث و للإسرائ أيضا كما قد جاء في الأنبياء

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٤٥

جاء في تاريخ الخميس ما نصه: روى أن النبي صلى الله عليه و سلم حدث عن ليلة أسرى به قال: بينا هو يصلى في الحطيم أو في الحجر مضطجعا إذ أتاه آت فشق ما بين ثغرة نحره إلى شعر عاتقه فاستخرج قلبه ثم أتى بطست من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبه ثم حشى ثم أعيد إلى مكانه.

قيل: الحكمة في شق الصدر مرتين أما في الصغر فليصير قلبه كقلوب الأنبياء في الانشراح، و أما في الإسرائ فليصير حاله كحال الملائكة، و قيل شرح الصدر في صباه لاستخراج الهوى منه و في الإسرائ لاستدخال الإيمان فيه، ثم أتى بدابة طويلة بيضاء تسمى البراق.

## وصف البراق الذي ركب عليه صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء

جاء في تاريخ الخميس ما نصه: وفي حياة الحيوان: كان البراق أبيض و بقلته شهباء و هي التي أكثرها بياض، إشارة إلى تخصيصه بأشرف الألوان، و سمي براقا لنصوع لونه و شدة بريقه، و قيل لسرعة حركته تشبيها ببرق السحاب، و قال القاضي عياض لكونها ذات لونين، و في الصحيح أنه دابة دون البغل و فوق الحمار أبيض يضع خطوه عند أقصى طرفه.

قال صاحب المنتقى: الحكمة في كونه على هيئة بغل و لم يكن على هيئة فرس التنبيه على أن الركوب في سلم و أمن لا في حرب و خوف أو لإظهار الآية في الإسراع العجيب في دابة لا يوصف شكلها بالإسراع و يؤخذ من قوله: (يضع خطوه عند أقصى طرفه) أنه أخذ من الأرض إلى السماء في خطوة واحدة، و إلى السموات في سبع خطوات، و به يرد على من استبعد من المتكلمين إحضار عرش بلقيس في لحظة واحدة، و قال إنه أعدم ثم أوجد، و علله بأن المسافة البعيدة لا يمكن قطعها في هذه اللحظة، و هذا أوضح دليل على الرد عليه، و كانت مضطربة الأذنين، و جهها كوجه الإنسان و جسدها كجسد الفرس، ناصيتها من ياقوت أحمر، عيناها كالزهرة، أذناها من زمرد أخضر. و في رواية: أذناها كأذن الفيل، و عنقها كعنق البعير و صدرها كصدر البغل. و في رواية: و صدرها كأنه من ياقوت أحمر، و ظهرها كأنه صفرة البيضة يبرق من غاية صفائه، لها جناحان كجناح النسر فيهما من كل لون، نصفها الأول من كافور، و الآخر من مسك، و قوائمها كقوائم الثور. و في رواية كقوائم الفرس. و في رواية كقوائم البعير و حوافرها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٤٦

كحوافر الثور. و في رواية أظلافها كظلف البقر، و ذنبها كذنب البقر. و في رواية كذنب البعير. و في رواية كذنب الغزال، لا ذكر و لا أنثى، عدوها كالريح و خطوها كالبرق، لجامها و سرجها من در مضروب على سرجها حجلة من نور كأنها ياقوت أحمر. و في رواية عليها سرج من سروج الجنة. و في رواية و على فخذيها ريشتان يستران ساقيهما. و في زبده الأعمال لها جناحان في فخذيها قيل هي البراق التي ركبها جبريل و الأنبياء عليهم السلام يركبونها. انتهى من تاريخ الخميس.

قال العلامة الكبير الشيخ محمد بخت المطيعي مفتي الديار المصرية سابقا، المتوفى في منتصف القرن الرابع عشر للهجرة رحمه الله تعالى في كتابه "الكلمات الطيبات في المأثور على الإسراء و المعراج من الروايات، و ما وقع ليلتذ من الآيات الباهرات" قال فيه ما نصه:

وقد ذكر الثعالبي في تفسيره في وصف البراق، أنه كان إذا أتى على واد، طالت يدها و قصرت رجلاه، و إذا أتى على عقبه، طالت رجلاه و قصرت يدها، و كانت المسافة في غاية الطول. ففي حقائق الحقائق: كانت المسافة من مكة إلى المقام الذي أوحى الله تعالى فيه إلى نبيه عليه الصلاة و السلام ما أوحى قدر ثلاثمائة ألف سنة، و قيل خمسين ألفا، و قيل غير ذلك، و كيف يمكن أن يكون أدنى اشتباه في ذلك فضلا عن الاستحالة، و قد كان معه صلى الله عليه وسلم جبريل، و هو الذي كان هبوطه على الأنبياء عليهم السلام و صعوده في أسرع من رجعة الطرف، فهو لعمري أسرع من حركة ضياء الشمس على ما قرره في الحكمة الجديدة و إنما يستغرب و يستبعد لو كان صلى الله عليه وسلم ماشيا على قدميه، أما إذا كان محمولا على البراق و هو من الملائكة و معه جبريل و هو منهم، و قد علمت مقدار مدة هبوطه إلى الأنبياء و رجوعه إلى السماء. و الملائكة أنوار إلهية أقوى من ضياء الشمس فهم أسرع سيرا منه كما لا يخفى. انتهى من الكتاب المذكور.

## ركوب النبي صلى الله عليه وسلم البراق و وصوله بيت المقدس

جاء في تاريخ الخميس ما نصه: و في حياة الحيوان روى أن إبراهيم عليه الصلاة و السلام كان يزور ولده إسماعيل على البراق، و أنه



ركب هو وإسماعيل وهاجر حين أتى بهما إلى البيت الحرام، و من غاية سرعته و خفة مشيه يضع قدميه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٤٧

أو خطوه عند أقصى طرفه، و في رواية يقع حافره عند أقصى طرفه. و في رواية عند منتهى طرفه. و في رواية خطوها عند منتهى البصر، لا تمر بشيء و لا يجد ريحها شيء إلا جبي، ثم إن البراق و إن كان يركبها الأنبياء لكن لم تتصف بوضع الحفر عند منتهى طرفها إلا عند ركوب النبي صلى الله عليه و سلم كذا في المنتقى. و في رواية: أتاه جبريل و معه خمسون ألف ملك لهم زجل بالتسيح و رسول الله صلى الله عليه و سلم في بيت أم هانئ و معه ميكائيل، فقال قم يا محمد فإن الجبار يدعوك، و أخذ جبريل بيده و أخرجه من المسجد الحرام فإذا هو بالبراق واقف بين الصفا و المروة، فقال له جبريل: اركب يا محمد هذه براق إبراهيم التي يجيء عليها إلى طواف الكعبة، فأخذ جبريل ركبها و ميكائيل عنانها فأراد النبي صلى الله عليه و سلم أن يركبها، و في رواية فذهب يركبها فاستصعبت عليه، قيل استصعابها بعد العهد بالأنبياء لطول الفترة بين عيسى و محمد، و هذا مبنى على أن الأنبياء عليهم السلام ركبوها و فيه خلاف، و قيل لأنها لم تذلل قبل ذلك و لم يركبها أحد، و قيل تيتها و زهوا بركوب النبي صلى الله عليه و سلم كذا في مزيل الخفاء، فقال لها جبريل: اسكني فو الله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد، و في رواية قال لها جبريل: أبعث محمد تفعلني هذا فارفض عرقا، كذا في الشفاء. فركبها النبي صلى الله عليه و سلم. و في حياة الحيوان اختلف الناس هل ركب جبريل معه عليه، فقيل نعم كان رديفه صلى الله عليه و سلم، و قيل لا؛ لأن النبي صلى الله عليه و سلم المخصوص بشرف الإسراء، و انطلق به جبريل حتى أتى به بيت المقدس فربطها بالحلقه التي ربط بها الأنبياء دوابهم، ثم دخل المسجد الأقصى فصلى بهم ركعتين، فانطلق به جبريل إلى الصخرة فصعد به عليها فإذا معراج إلى السماء لم ير مثله حسنا و منه تعرج الملائكة، و قيل تعرج منه الأرواح إذا قبضت، فليس شيء أحسن منه إذا رآه أرواح المؤمنين لم تتمالك أن تخرج، و هو الذي يمد إليه ميتكم عينه إذا احتضر، كذا في سيرة ابن هشام أصله، و في رواية: أحد طرفيه على صخرة بيت المقدس و أعلاه ملصق، و في رواية: و الآخر ملصق بالسماء، إحدى جنيبه ياقوته حمراء و الأخرى زبرجدة خضراء، درجة له من فضة و درجة من ذهب و درجة من زمرد مكلل بالدر و اليواقيت. انتهى من تاريخ الخميس.

و جاء في كتاب "الكلمات الطيبات في المأثور عن الإسراء و المعراج من الروايات" فقد صح أنه عليه الصلاة و السلام قد عرج به من صخرة بيت المقدس، و اجتمع في كل سماء مع نبي من الأنبياء عليهم السلام كما في صحيح البخارى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٤٨

و غيره، و اطلع عليه الصلاة و السلام على أحوال الجنة و النار و رأى من الملائكة ما لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى. انتهى من الكتاب المذكور.

### عروج النبي صلى الله عليه و سلم إلى السماء

جاء في تاريخ الخميس ما نصه: و في كيفية عروجه صلى الله عليه و سلم إلى السماء اختلاف، قيل عرج به إلى السماء على البراق إظهارا لكرامته و لم يزل راكبا إظهارا لقدرته تعالى، و قيل نزل أيضا راكبا على البراق كما روى عن حذيفة ما زایل ظهر البراق حتى رجع، و قيل احتمله جبريل على جناحه، ثم ارتفع به إلى السماء من ذلك المعراج حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: و من معك؟ قال: محمد، قيل: و قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا فنعم المجيء جاء. ففتح، فلما دخل فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة و على يساره أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك و إذا نظر قبل يساره بكى، فقال جبريل: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلم فرد عليه السلام، ثم قال: مرحبا بالابن الصالح و النبي الصالح، ثم قال جبريل: هذا آدم و هذه الأسودة عن يمينه و شماله نسمة بنيه، فأهل اليمين هم أهل الجنة و الأسودة التي عن شماله أهل النار، ثم صعد إلى السماء الثانية، و هكذا كان يستفتح جبريل في كل سماء فيفتح فيدخل فيرى فيها نبيا، ففي الثانية يحيى و عيسى و هما ابنا خاله، و في الثالثة يوسف، و في الرابعة إدريس، و في الخامسة

هارون، و في السادسة موسى، فلما اجتاز عنه النبي صلى الله عليه و سلم بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الله الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى، ثم صعد إلى السماء السابعة فرأى فيها إبراهيم، ثم رفعت له سدره المنتهى فإذا نبقها مثلاً لقال هجر و ورقها كأذان الفيلة، فإذا أربعة أنهار نهران باطنان و نهران ظاهران، قال جبريل: أما الباطنان فنهران في الجنة و أما الظاهران فالنيل و الفرات.

و في الكشاف: سدره المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر و ورقها كأذان الفيول، تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها. و في المدارك:

وجه تسميتها كأنها في منتهى الجنة و آخرها، و قيل لم يجاوزها أحد و إليها ينتهى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٤٩

علم الملائكة و غيرهم و لا يعلم أحد ما وراءها، و قيل تنتهى إليها أرواح الشهداء.

و في بعض الروايات أنها في السماء السادسة.

قال القاضي عياض: كونها في السابعة هو الأصح، و قال النووي يمكن الجمع بأن أصلها في السادسة و معظمها في السابعة. انتهى من تاريخ الخميس.

قال العلامة الكبير الشيخ محمد بخيت المطيعي، مفتى الديار المصرية سابقا، المتوفى في منتصف القرن الرابع عشر للهجرة رحمه الله تعالى في كتابه "الكلمات الطيبات في المأثور عن الإسراء و المعراج من الروايات، و ما وقع ليلتئذ من الآيات الباهرات" قال فيه ما نصه:

و منها ما قيل: كيف رأى النبي صلى الله عليه و سلم من رآه من الأنبياء في السماء مع أن مقرهم في الأرض؟ و الجواب: أن الله تعالى شكل أرواحهم على هيئة أجسامهم كما ذكره ابن عقيل. و كذا ذكره ابن التين و قال: و إنما تعود الأرواح إلى الأجساد يوم البعث كما قدمناه، إلا عيسى عليه الصلاة و السلام فإنه حي لم يموت و ينزل إلى الأرض، و قال بعضهم: إن الأنبياء أحياء في قبورهم، و قد رآهم النبي صلى الله عليه و سلم حقيقة، و قد مر على موسى عليه السلام، و هو قائم يصلى في قبره، و رآه في السماء السادسة. و لا يخفى أن هذا لا ينافى ما قاله ابن التين من أن الأرواح إنما تعود إلى الأجسام يوم البعث، لأن عود الروح إلى الأجساد يوم البعث، هو الذى يقتضى أن تعود الأجسام إلى الحياة المشاهدة التي يترتب عليها الحركات و السكنات و جميع الأفعال الاختيارية بأقوى مما كانت عليه في الحياة الدنيا.

و أما حياة الأنبياء في قبورهم، فهي حياة ملكوتية، بها يقدر على حركات و سكنات، و أفعال ملكوتية لا يشاهدها و لا يراها إلا من يشاهد عالم الملكوت، مثل نبينا صلى الله عليه و سلم. فما ذكره ابن التين شىء، و ما قاله هذا البعض شىء آخر، و بالجملة فما قاله ذلك البعض حياة برزخية، و هي للأنبياء فوق حياة الشهداء، و للشهداء فوق حياة الأولياء غير الشهداء، و للأولياء غير الشهداء فوق حياة من عداهم من الناس أجمعين من أهل البرزخ. انتهى من الكتاب المذكور.

### وصول النبي صلى الله عليه و سلم إلى البيت المعمور

جاء في تاريخ الخميس ما نصه: ثم رفع له البيت المعمور و هو بيت في السماء السابعة محاذ للكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك و لا يعودون إليه، هكذا في

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٥٠

الصحيحين و غيرهما من كتب الأحاديث بذكر البيت المعمور بعد سدره المنتهى، و أما في الكشاف و غيره من كتب التفاسير فالبيت المعمور الضراح في السماء الرابعة حيال الكعبة، و قيل: في الأولى، و قيل: في السادسة، و لمسلم في صحيحه بعد صعوده إلى السماء

السابعة رأى فيها إبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور و سلم على كل منهم إذا رآهم و هو يرد ثم يقول: مرحبا بالأخ الصالح و النبی الصالح، إلا آدم و إبراهيم فإنهما قالا بالابن الصالح كما مر في السماء الدنيا. و في رواية عن طريق ابن عباس ثم عرج به حتى ظهر مستوى يسمع فيه صريف الأقلام ثم أتى بإناء من خمر و إناء من عسل و إناء من لبن، فأخذ اللبن فقال جبريل: هي الفطرة التي أنت عليها و أمتك.

### وصول النبي صلى الله عليه و سلم إلى الحجاب

جاء في تاريخ الخميس ما نصه: و في رواية بعد استصعاب البراق فركبها حتى أتى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى، فينا هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا جبريل من هذا؟ قال: و الذي بعثك بالحق إنى لأقرب الخلق مكانا و إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه، و لما جاوز سدره المنتهى قال له جبريل: تقدم يا محمد، فقال له النبي صلى الله عليه و سلم: تقدم أنت يا جبريل، أو كما قال، قال جبريل: يا محمد تقدم فإنك أكرم على الله منى، فتقدم النبي صلى الله عليه و سلم و جبريل على أثره حتى بلغه إلى حجاب منسوج بالذهب فحركه جبريل فقبل:

من هذا؟ قال: جبريل، قيل: و من معه؟ قال: محمد، قال ملك من وراء الحجاب: الله أكبر الله أكبر، قيل من وراء الحجاب: صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر، فقال ملك: أشهد أن لا إله إلا الله، فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدى أنا الله لا إله إلا أنا، فقال ملك: أشهد أن محمدا رسول الله، فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدى أنا أرسلت محمدا، فقال ملك: حتى على الصلاة حتى على الفلاح، فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدى دعا إلى عبدى، فأخرج ملك يده من وراء الحجاب فرفعه فتخلف جبريل عنه هناك. و في رواية: فما زال يقطع مقاما بعد مقام و حجابا بعد حجاب حتى انتهى إلى مقام تخلف عنه فيه جبريل، فقال: يا جبريل لم تخلفت عنى؟ قال: يا محمد و ما منا إلا له مقام معلوم لو دنوت أنملة لاحتقرت، و في هذه الليلة بسبب احترامك وصلت إلى هذا المقام

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٥١

و إلا فمقامى المعهود عند السدره، فمضى النبي صلى الله عليه و سلم وحده و كان يقطع الحجب الظلمانية حتى جاوز سبعين ألف حجاب، غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة سنة، و ما بين كل حجاب أيضا مسيرة خمسمائة سنة، فوقف البراق عن المسير فظهر له رفر ف أخضر غلب نوره على نور الشمس فرفع النبي صلى الله عليه و سلم على ذلك الرفرف و ذهب به إلى قرب العرش. و في رواية كان يقال له: ادن منى حتى قيل له فى تلك الليلة ألف مرة يا محمد ادن منى، ففى كل مرة منها كان يترقى حتى بلغ مرتبة دنا، و منها ترقى إلى مرتبة فتدلى، و منها ترقى حتى وصل إلى منزلة قاب قوسين أو أدنى، كما قال تعالى: ثُمَّ دَنَا إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى أَي قَرَبَ بِالْمَنْزِلَةِ وَ الْمَرْتَبَةِ لَا بِالْمَكَانِ فَإِنَّهُ تَعَالَى مَنْزَهُ عَنْهُ، وَ إِنَّمَا هُوَ قَرَبَ الْمَنْزِلَةَ وَ الدَّرَجَةَ وَ الْكِرَامَةَ وَ الرَّأْفَةَ، فَتَدَلَّى أَي سَجَدَ لَهُ تَعَالَى لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ وَجَدَ تِلْكَ الْمَرْتَبَةَ بِالْخِدْمَةِ فَزَادَ فِي الْخِدْمَةِ، وَ فِي السَّجْدَةِ عِدَّةَ الْقَرَبِ وَ لِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَكُونَ سَاجِدًا. انتهى من تاريخ الخميس.

### [عدد مراكبه صلى الله عليه و سلم ليلة الإسراء]

قال العلامة الكبير الشيخ محمد بخيت المطيعى، مفتى الديار المصرية سابقا، المتوفى فى منتصف القرن الرابع عشر للهجرة رحمه الله تعالى. فى كتابه "الكلمات الطيبات، فى المأثور عن الإسراء و المعراج من الروايات، و ما وقع ليلتشد من الآيات الباهرات" قال فيه ما نصه:

و من الآيات التي رآها فى عروجه على بعض الروايات كما ذكره العلائى فى تفسيره، أنه كان للنبي صلى الله عليه و سلم ليلة الإسراء

خمسة مراكب:

الأول: البراق إلى بيت المقدس، الثاني: المعراج منه إلى السماء الدنيا، الثالث: أجنحة الملائكة منها إلى السماء السابعة، الرابع: جناح جبريل عليه السلام منها إلى سدره المنتهى، الخامس: الرفرف منها إلى قاب قوسين و على رواية أنه لم يكن إلا البراق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم المعراج إلى ما شاء الله تعالى. و منها أن المعراج كان له عشر مراقى: سبعة إلى السماوات، و الثامن إلى السدره، و التاسع إلى المستوى الذى سمع فيه صريف الأقلام، و العاشر إلى العرش. انتهى من الكتاب المذكور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٥٢

### مناجاة الله تعالى مع عبده و رسوله

جاء فى تاريخ الخميس ما نصه: و اختلف فى مناجاته تعالى و كلامه مع النبى صلى الله عليه و سلم: فقوله تعالى: فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ إِلَىٰ مَا تَضَمَّنَتْهُ الْأَحَادِيثُ، فأكثر الفسرين على أن الموحى الله إلى جبريل و جبريل إلى محمد. و ذكر عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال: أوحى الله إليه بلا واسطة و نحوه عن الواسطى، و على هذا ذهب بعض المتكلمين إلى أن محمدا صلى الله عليه و سلم كلم ربه فى الإسراء، و حكى عن الأشعرى و عن ابن مسعود و ذكر النقاش عن ابن عباس فى قصة الإسراء عنه صلى الله عليه و سلم فى قوله: دَنَا فَتَدَلَّى، قال: فارقنى جبريل فانقطعت الأصوات عنى، فسمعت كلام ربه و هو يقول: ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن، و فى قوله تعالى:

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ الْآيَةَ. قالوا: هى على ثلاثة أقسام، من وراء حجاب كتكليم موسى، و بإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء و أكثر أحوال نبينا عليه و عليهم السلام. الثالث قوله: وَحِيًّا و لم يبق من أقسام الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة.

ثم إنه تعالى أخفى من الخلق كل ما نسب إليه فى تلك الليلة إشارة إلى أنه حبيبه الخاص، فقال فى حال مشاهدته لسدره المنتهى: إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى، و فى الآيات التى أراه: لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى، و فى التكلم معه: فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ أَي أوحى إلى عبده محمد فى ذلك المقام.

و للعلماء فى بيان ما أوحى خلاف: قال بعضهم و هم أهل الاحتياط الأقرب إلى الصواب أن لا- يعين؛ لأنه لو كانت الحكمة و المصلحة فى إظهاره و تعيينه لما أبهمه، و قال الآخرون: لا بأس بذكر ما بلغنا فى خير أو أثر أو من جهة الاستدلال و الاستنباط، و من ذلك ما ورد فى حديث صحيح ثلاثة أشياء أحدها فريضة الصلوات الخمس، و هذا دليل على أن أفضل الأعمال الصلوات الخمس؛ لأنها فرضت فى ليلة المعراج بغير واسطة جبريل، و الثانى خواتيم سورة البقرة و الثالث أن يغفر لأمة محمد صلى الله عليه و سلم كل الذنوب غير الشرك.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٥٣

### رؤية النبى صلى الله عليه و سلم ربه تعالى عز و جل

جاء فى تاريخ الخميس ما نصه: و اختلف أيضا فى رؤية النبى صلى الله عليه و سلم ربه تعالى، فأنكرتها عائشة، روى عن مسروق أنه قال لعائشة: يا أم المؤمنين هل رأى محمد صلى الله عليه و سلم ربه؟ قالت: لقد قف شعرى مما قلت، ثم قرأت: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، الْآيَةَ.

و قال جماعة بقول عائشة و هو المشهور عن ابن مسعود و مثله عن أبى هريرة فى قوله: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ أَنَّهُ رَأَىٰ جَبْرِيْلَ لَهُ سِتْمَائَةَ جَنَاحَ، و يؤيد ذلك ما قال أبو ذر: سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم هل رأيت ربك؟ قال: نور أنى أراه، و فى العروة

الوثقى قال أبو ذر: سألته عن رؤية ربه ليلة المعراج، قال: لا بل نورا أرى، وفي معالم التنزيل والمدارك أن جبريل كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة آدميين كما كان يأتي النبيين، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فأراه نفسه مرتين، مرة في الأرض ومرة في السماء، أما في الأرض ففي الأفق الأعلى والمراد بالأعلى جانب المشرق، وفي المشكاة برواية الترمذى ومرة في أجياد، وفي نهاية الجزرى: الأجياد موضع أسفل مكة معروف من شعابها، انتهى. وذلك أى بيان رؤيته في الأفق الأعلى أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل من المشرق وله ستمائة جناح فسد الأفق إلى المغرب، فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل في صورة آدميين فضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله: **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى**، وأما ما في السماء فعند سدره المنتهى ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلا محمد صلى الله عليه وسلم، وفي المدارك وذلك ليلة المعراج، وقال بامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، وعن ابن عباس أنه رآه سبحانه بعين رأسه وروى عطاء عنه أنه رآه بقلبه كذا ذكرهما في المدارك، وعن أبي العالیه أنه رآه بفؤاده مرتين، و ذكر ابن إسحاق أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه؟ فقال: نعم، والأشهر عنه أنه رأى ربه بعينه، قال الماوردى: قيل إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين، قال عبد الله بن الحارث: اجتمع ابن عباس وكعب بعرفة فقال ابن عباس: أما نحن بنى هاشم فنقول: إن محمدا رأى ربه مرتين فكعب حتى جاوبته الجبال وقال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٥٤

وروى شريك عن أبي ذر في تفسير الآية: **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**، قال: رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه، وحكى السمرقندى عن محمد بن كعب القرظى وربيعة بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: هل رأيت ربك؟ قال: رأيت بفؤادى ولم أره بعينى، وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه، وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة هل رأى محمد ربه؟ فقال: نعم، وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعنى نفس أحمد، وقال سعيد بن جبیر: لا أقول رآه ولا لم يره، وقال أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري وجماعة من أصحابه: أنه رأى الله ببصره وعينى رأسه ووقف بعض المشايخ فى هذا كما وقف ابن جبیر وقال: ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز، قال القاضى أبو الفضل: و الحق الذى لا-امترأ فيه أن رؤيته تعالى فى الدنيا جائزة عقلا إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة وليس فى الشرع دليل قاطع على استحالتها ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذى لا يعلمه إلا من علمه الله تعالى.

### مراجعة موسى لنبينا محمد عليهما الصلاة والسلام بشأن الصلوات التي فرضت

جاء فى تاريخ الخميس ما نصه: ثم بعد ما فرضت عليه خمسون صلاة أذن له بالرجوع فرجع من حيث جاء حتى بلغ منزل جبريل، فقال له جبريل: أبشر يا محمد فإنك خير خلق الله ومصطفاه، بلغك الليلة إلى مرتبة لم يبلغها أحد من خلقه قط، لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلًا هنيئا لك هذه الكرامة، ثم ذهب به جبريل إلى الجنة والنار وأراه منازلها وما فى الجنة من الحور والقصور والغلمان والولدان والأشجار والأثمار والأزهار والأنهار والبساتين والرياحين والرياض والحياض والغرف والشرف، وما فى النار من السلاسل والأغلال والأنكال والحيات والعقارب، والزفير والشهيق والفساق واليحموم وتفاصيلها تؤدى إلى التطويل.

ثم رجع فمر بموسى فسأله بما أمرت، قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع وإنى والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٥٥

إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فرجع وقال: يا رب خفف عن أمتى فوضع عنه ربه عشرا، فرجع إلى

موسى فقال مثله، فرجع إلى ربه فوضع عنه عشرا، فلم يزل يرجع بين ربه و موسى حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم و ليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، و من هم بحسنه فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا و من هم بسيئته فلم يعملها لم تكتب له شيئا فإن عملها كتبت سيئته واحدة.

فرجع إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قال: بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات فارجع إلى ربك فسله التخفيف، قال: سألت ربي حتى استحييت و لكنى أرضى و أسلم، و لما جاوز عن موسى سمع مناديا ينادى فيقول: أمضيت فريضتي و خفت عن عبادي و هي خمس و هن خمسون، ثم يقول: يا محمد قد جعلت صلاتك و صلاة أمتك قياما و ركوعا و سجودا و تشهدا و قراءة و تسيحا و تهليلا، تشمل عبادته على سائر عبادات الملائكة من لدن عرشى إلى منتهى الثرى، فيكون لهم بالقيام ثواب القائمين، و بالركوع ثواب الراكعين، و بالسجود ثواب الساجدين، و بالتشهد ثواب المتشهدين، و لهم فى القراءة و التسيح ثواب المسبحين و القارئين، و بالتهليل ثواب المهللين ولدى مزيد، كذا فى المنتقى. انتهى من تاريخ الخميس، و سيأتى قريبا ترجمة موسى الكليم و ترجمة الخليل إبراهيم عليهما الصلاة و السلام فى آخر هذا المبحث، لما لهما من الفضل على الأمة المحمدية، و بالأخص على الأمة العربية.

نقول: إن موسى الكليم عليه الصلاة و التسليم له فضل عظيم على الأمة المحمدية قاطبة، حيث طلب من نبينا محمد صلى الله عليه و سلم أن يراجع ربه عز و جل فى تخفيف الصلوات التى فرضها على أمته ليلة الإسراء و قال له: إن أمتك لا تطيق ذلك. فلم يزل نبينا عليه الصلاة و السلام يراجع ربه تعالى حتى بلغ التخفيف عنا إلى خمس صلوات بعد أن كانت خمسين صلاة.

فكليم الله موسى عليه أفضل الصلاة و أتم التسليم قد أحسن إلى جميع المؤمنين و المؤمنات فى هذه المسألة إحسانا كبيرا و قد رأى من بنى إسرائيل العجب العجاب. و الحق أننا وصلنا فى هذا الزمان إلى حالة من العجز و الكسل و التقصير و الخمول لا نقدر معها أن نقوم بأداء هذه الصلوات الخمس حق أدائها، بل لقد تهاون الكثير بها فى غير قطرنا حتى تركوها بتاتا و العياذ بالله تعالى. فكيف لو لم التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٥٦

يتداركنا الله عز و جل بالتخفيف عنا بفضلته و رحمته، فجزى الله عنا كليمه موسى و صفته محمدا صلوات الله و سلامه عليهما بما هو أهله.

### مقدار مدة غيابه صلى الله عليه و سلم فى الإسراء و المعراج

جاء فى تاريخ الخميس ما نصه: و روى أنه صلى الله عليه و سلم لما رجع كان جبريل عليه السلام رفيقه حتى دخل بيت أم هانئ، و روى عمر بن الخطاب عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: ثم رجعت إلى خديجة و ما تحولت عن جانبها، و فى رواية: عاد صلى الله عليه و سلم إلى بيت المقدس و معه جبريل حتى أتى به مكة إلى فراشه و بقيت من الليل ساعات، و فى زين القصص عن عمار: كان زمان ذهابه و مجيئه ثلاث ساعات، و عن وهب بن منبه و محمد بن إسحاق أربع ساعات و الله أعلم، و عن عائشة أنها قالت: لما أسرى بالنبى صلى الله عليه و سلم أصبح يحدث بذلك فارتد ناس ممن كان آمن به و ضعف إيمانهم، و إليه أشار قوله تعالى: وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ. فسبب ارتدادهم أنهم كانوا يرون العير تذهب شهرا من مكة إلى الشام مدبرة و تجيء شهرا مقبله، فاستحالوا عند عقولهم القاصرة قطع تلك المسافة البعيدة فى زمان قليل ببعض الليل فارتدوا، و الاستحالة مدفوعة لما ثبت فى الهندسة أن ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرف كرة الأرض مائة و نيفا و ستين مرة، ثم إن طرفها الأسفل يصل موضع طرفها الأعلى فى أقل من ثانية، و قد برهن فى الكلام أن الأجسام متساوية فى قبول الأعراض و الله تعالى قادر على الممكنات، فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى صلى الله عليه و سلم أو فى ما يحمله و التعجب من لوازم المعجزات كذا فى أنوار التنزيل، و أيضا قال أهل الهيئة إن الفلك الأعظم فى مقدار زمان يتلفظ الإنسان بلفظة واحدة يقطع ألفا و اثنين و ثلاثين فرسخا.

## إنكار المشركين للإسراء والمعراج

جاء في تاريخ الخميس ما نصه: وروى أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به و كان بنى طوى قال: يا جبريل إن قومي لا يصدقونى، قال: يصدقك أبو بكر وهو الصديق، و عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أصبح جلس فى الحجر معتزلا حزينا لما أنه كان يعلم أن قومه يكذبونه، فبينما هو جالس كذلك إذ مر به أبو جهل فجلس إليه فقال له كالمستهزئ: يا محمد هل استفدت من شىء جديد؟

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٥٧

قال: نعم سافرت البارحة، و فى رواية: أسرى بى الليلة إلى بيت المقدس و منه إلى السموات، و قال أبو جهل: سافرت الليلة إلى بيت المقدس و أصبحت بين أظهرنا بمكة؟ قال: نعم، فلم ير أبو جهل أن ينكر ذلك مخافة أن يجحده الحديث، قال: أتحدث قومك كما حدثتني؟ قال: نعم، فصاح أبو جهل: يا معشر بنى كعب بن لؤى هلموا، فانتقضت المجالس، فجاءوا حتى جلسوا إليهما، قال: فحدث قومك بما حدثتني، قال: نعم أسرى بى الليلة، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قالوا: ثم أصبحت بين أظهرنا؟ قال: نعم، فوقعوا فى التعجب و الاستغراب و قالوا: إن هذا لشىء عجاب، و بعضهم من كثرة إنكارهم يصفقون، و بعضهم من قلة اعتبارهم يضحكون، و بعضهم يضعون أيديهم على رؤوسهم تعجبا، فإن هذا الأمر يرى عندهم محالا و عجبا، و ارتد ناس ممن كان قد آمن به و صدقه. و عن عائشة رضى الله عنها: سعى رجال من المشركين و هم أبو جهل و أتباعه إلى أبى بكر فقالوا له: هل لك فى صاحبك يزعم أنه أسرى به إلى بيت المقدس و منه إلى السموات؟ فقال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك لقد صدق، قالوا: أتصدقه أنه ذهب إلى الشام و رجع قبل أن يصبح، قال: نعم إنى أصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء فى غدوة و روحه، قال بعضهم: و من ذلك اليوم سمي أبو بكر صديقا.

## سؤال قريش النبي صلى الله عليه وسلم عما رآه فى طريق الإسراء

جاء فى تاريخ الخميس ما نصه: و عن أبى هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد رأيتنى فى الحجر و قريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كريبا ما كربت مثله قط، فرفعه الله لى أنظر إليه، فما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم، و نحوه عن جابر، كذا فى الشفاء، و عن عائشة قالوا: يا محمد هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد الأقصى، فشرع ينعت حتى إذا التبس قال: فجىء بالمسجد و أنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت المسجد و أنا أنظر إليه، فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب فيه، و هذا أبلغ فى المعجزة و لا استحالة فيه فقد أحضر عرش بلقيس فى طرفه عين، فقالوا: أخبرنا عن غير فهى أهم إلينا من ذلك هل لقيت منها شيئا؟ قال: نعم مررت على عير بنى فلان و هى بالروحاء و قد أضلوا بعيرا لهم و هم فى طلبه، و فى رحالهم قدح من

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٥٨

ماء فغطشت فأخذته و شربته ثم وضعته، فسلوهم هل وجدوا الماء فى القدح حين رجعوا، قالوا: هذه آية، قال: و مررت بعير بنى فلان و فلان راكبان قلوصلما لهما.

و فى رواية قعودا لهما بنى مر فنفر البعير منى فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهم عن ذلك، فقالوا: هذه آية أخرى، قالوا: أخبرنا عن عيرنا، قال: مررت بها بالتنعيم، قالوا: فما عدتها و أحمالها و هيئتها، فقال: كنت فى شغل عن ذلك ثم مثل لى بعدتها و أحمالها و من كان فيها و كانوا بالحزورة، قال: نعم هيئتها كذا كذا و فيها فلان و فلان يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخططان يطلع عند طلوع

الشمس، و في المواهب اللدنية: يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود و غرارتان سوداوان، قالوا هذه آية أخرى، ثم خرجوا نحو ثنية كداء حتى يكذبونه فإذا بقائل يقول: هذه الشمس قد طلعت، و قال الآخر: هذه العير قد أقبلت كما قال محمد يقدمها فلان و فلان كذا في المنتقى، و في رواية البيهقي: أشرف الناس ينتظرون حتى إذا كان قريب من نصف النهار أقبلت العير فلم يؤمنوا و قالوا: ما سمعنا بمثل هذا قط إن هذا إلا سحر مبین، و في رواية سألوه أيضا عن عير الشام ليستدل به على تكذيبه و تصديقه فيما قال عليه السلام فوصفهم و قال: يقدمون يوم الأربعاء فكان ذلك اليوم، و ما قدموا حتى كادت الشمس أن تغرب فدعا الله تعالى فحبسها حتى قدموا مكة، فعلموا صدقه و مع ذلك لم يصدقوه في الخبر و ما آمنوا، كذا في سيرة مغلطاي.

و في حياة الحيوان: حبست الشمس مرتين لنبينا صلى الله عليه و سلم، إحداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه كما رواه الطحاوي و غيره، و الثانية صبيحة الإسراء حين انتظروا العير التي أخبر بوصولها مع شروق الشمس، ذكره القاضي عياض في غير الشفاء.

و حبست ليوشع بن نون، و حبست لداود و ذكره الخطيب في كتاب النجوم و ضعف روايته، و حبست لسليمان ذكره البغوي في معالم التنزيل في سورة "ص" كذا في مزيل الخفاء، و في سيرة مغلطاي ذكر الطحاوي أن الشمس ردت له في بيت أسماء بنى عميس حين شغل عن صلاة العصر.

اعلم أنه ليس لأحد من أهل القبلة اختلاف في وقوع المعراج للنبي صلى الله عليه و سلم فمن أنكر الإسراء يكفر؛ لأنه إنكار لنص القرآن، قال الله تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، و أيضا ورد في التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٥٩

الأحاديث الصريحة المشهورة القريبة من حد التواتر و أما منكر المعراج إلى السموات فمبتدع ضال عند أئمة الدين.

### تحقيق موضع دار أم هانئ بمكة

الذى دعانا إلى العناية بتحقيق موضع دار أم هانئ أخت على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهما، هو اختلاف العلماء في أن النبي صلى الله عليه و سلم هل أسرى به من المسجد الحرام أو من بيت أم هانئ بنت أبي طالب رضى الله تعالى عنها، فقد جاءت أحاديث صحيحة في هذا و ذاك.

فأردنا أن نتحقق موقع بيت أم هانئ بمكة و بعده عن المسجد الحرام في زمنه صلى الله عليه و سلم الذى مساحته هي مساحة دائر المطاف الذى حول الكعبة المشرفة، فإن في معرفة مكان دارها جملة فوائد. فنقول و بالله تعالى التوفيق، و منه المعونة و السداد، و هو حسبنا و نعم الوكيل نعم المولى و نعم النصير:

لم يذكر أحد من المؤرخين مكان بيت أم هانئ بالضبط، لكن اتفقت كلمتهم على أن دارها كانت جهة باب الوداع، و أدخلت في التوسعة القديمة، و نحن أيضا مثلهم لا نعرف موقع دارها، لكن شرح الله تعالى صدرنا في الليلة العاشرة من شهر جمادى الثانية سنة (١٣٧٧) سبع و سبعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، في النظر إلى تاريخ الإمام الأزرقى المولود في القرن الثاني للهجرة، عسانا نهتدى بالتأمل في عباراته المختلفة المتكررة في كثير من أبواب تاريخه، فإن تاريخه جامع لمئات المسائل و الأبحاث القيمة، لكنها متفرقة و مبعثرة في الكتاب بدون ترتيب منتظم، فكتابه أشبه بد كان عطار فيه من جميع الأدوية و العقاقير، لكنها مبعثرة في الدكان، فعلى المحتاج أن يفتش و يبحث بنفسه عن ما يريد من الدواء.

و ها نحن قد فتشنا في كثير من صحائف تاريخ الأزرقى حتى عثرنا على ضالتنا المنشودة، و اهتدينا لمسألتنا التى نبحت عنها، و لله الحمد و المنه.

و إليك ما جاء في تاريخه المطبوع في مكة سنة (١٣٥٢) هجرية.



فلقد راجعنا فيه أكثر من ثلاثين صحيفة، جاء في جميعها ذكر دار أم هانئ و الحزورة، و بئر العجول، و باب البقالين، و باب الحنطين، و باب بنى حكيم.

و كل ذلك دائر حول بيت أم هانئ.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٦٠

و لكن لم نقدر من هذه الصحائف على أن نستنتج موضع دار أم هانئ رضى الله تعالى عنها استنتاجا مضبوطا، و إنما قاربنا فى الوصول إلى الحقيقة، بعد الاطلاع فى الجزء الثانى من الصحائف الآتية و هى (٤٩ و ٥٠ و ١٨٨ و ٢٣٨) و إليك تفصيل ذلك:

قال الأزرقى فى صحيفة ٤٩ ما نصه: عن على الأزدي، قال: سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول: "إننا لنجد فى كتاب الله تعالى عز و جل أن حدّ المسجد الحرام من الحزورة إلى المسعى" انتهى.

و الظاهر: أن المراد من كتاب الله تعالى هنا ليس القرآن الكريم، و إنما ربما كان المراد به التوراة أو الإنجيل. و الله تعالى أعلم.

ثم روى الأزرقى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: "أساس المسجد الحرام الذى وضعه إبراهيم عليه السلام من الحزورة إلى المسعى إلى مخرج سيل أجياد. قال: و المهدي وضع المسجد على المسعى." انتهى.

و قال فى صحيفة ١٨٨ ما نصه: و لهم أيضا دار أم هانئ بنت أبى طالب التى كانت عند الحنطين، عند المنارة، فدخلت فى المسجد الحرام حين وسعه المهدي فى الهدم الآخر سنة سبع و ستين و مائة. انتهى.

و قال فى صحيفة ٢٣٨ ما نصه: قال أبو الوليد: الحزورة و هى كانت سوق مكة، كانت بفناء دار أم هانئ ابنة أبى طالب التى كانت عند الحنطين فدخلت فى المسجد الحرام، كانت فى أصل المنارة إلى الحثمة و الجاور و الجبابج الأسواق.

و قال بعض المكيين: بل كانت الحزورة فى موضع السقاية التى عملت الخيزران بفناء دار الأرقم. و قال بعضهم: كانت بحذاء الردم فى الوادى، و الأول أنها كانت عند الحنطين أثبت و أشهر عند أهل مكة.

و روى سفيان عن ابن شهاب: قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو بالحزورة: أما و الله إنك لأحب البلاد إلى الله سبحانه، و لولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت" و هذا الخطاب لبلدة مكة. "قال سفيان: و قد دخلت الحزورة فى المسجد الحرام. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٦١

بقى علينا أن نعرف موضع الحزورة فإننا إذا عرفنا موضعها تماما عرفنا موضع دار أم هانئ، لأن دارها كانت عندها. و الحزورة هى الأكمة، و هى التل، و إن شاء الله تعالى سنهتدى أيضا إلى مكان الحزورة بما يأتى:

قال الأزرقى فى الجزء الأول من تاريخه بصحيفة ٦٤ ما نصه: و قد كان قصى بن كلاب حفر بمكة آبارا و كان الماء بمكة عزيزا إنما يشرب الناس من آبار خارجة من الحرم، فأول ما حفر قصى بمكة حفر بئرا يقال لها العجول، كان موضعها فى دار أم هانئ بنت أبى طالب بالحزورة، و كانت العرب إذا قدمت مكة يردونها فيسقون منها و يتراجزون عليها. انتهى.

نقول: إن هذه البئر مع دار أم هانئ قد دخلتا فى المسجد الحرام فى توسعة المهدي رحمه الله تعالى سنة (١٦٧) مائة و سبع و ستين من الهجرة.

و قال الأزرقى فى الجزء الثانى بصحيفة ٣٣ عند الكلام على حفر عبد المطلب زمزم ما نصه: فأتى عبد المطلب فى المنام فقيل له: احفر زمزم خبيثة الشيخ الأعظم، فاستيقظ فقال: اللهم بين لى، فأتى فى المنام مرة أخرى فقيل له: احفر زمزم بين الفرت و الدم، عند نقرة الغراب فى قرية النمل مستقبلة الأنصاب الحمر، فقام عبد المطلب فمشى حتى جلس فى الحرم ينظر ما سمي له من الآيات فحفر بقرة بالحزورة فانفلتت من جازرها بحشاشة نفسها، حتى غلبها الموت فى المسجد فى موضع زمزم، فجزرت تلك البقرة فى مكانها حتى احتمل لحمها، فأقبل غراب يهوى حتى وقع فى الفرت فبحث عن قرية النمل، فقام عبد المطلب فحفر هنالك ... إلى آخر القصة. قال فى مختار الصحاح "الفرت" بوزن الفللس السرجين ما دام فى الكرش، و الجمع فروث كفلوس. اهـ.

وقال الفاسى فى كتابه "شفاء الغرام" عن الحزورة فى الباب الخامس من الجزء الأول. ما نصه: و الحزورة- بحاء مهملة مفتوحة و زاي معجمة- و عوام مكة يصحفون الحزورة فيقولون "عزورة" بعين مهملة، و هذا التصحيف من قديم، لأنى رأيت ذلك مكتوبا فى حجر رباط رامشت بمكة و تاريخه سنة تسع و عشرين و خمسمائة، و الحزورة الرابية الصغيرة و الجمع الحزاور، و كان عندها سوق الحناطين بمكة، و هى فى أسفلها عند منارة المسجد الحرام التى تلى أجياد. و ما وقع للطبرانى من أن الحزورة فى "شرقى مكة" تصحيف صوابه "سوق مكة" كما وقع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٦٢

مصرحاً به فى مسند أحمد بن حنبل من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء، و ما ذكرناه فى موضع الحزورة هو المشهور المعروف على ما ذكره الأزرقى. انتهى.

ثم ذكر الفاسى سبب تسمية الحزورة بعد أربعة أسطر من الكلام المذكور ما نصه: و أفاد الفاكهى سبب تسمية الحزورة لأنه قال: لما ذكر ولاية ابن نزار للكعبة، فكان أمر البيت إلى رجل منهم يقال له و كيع بن سلمة بن زهير بن إيداد، فبنى صرحاً بأسفل مكة عند الحناطين اليوم و جعل فيه أمه له يقال لها الحازورة فيها سميت حازورة مكة. هـ. انتهى من شفاء الغرام.

إلى هنا انتهينا من نقل ما يهمننا للوصول إلى معرفة موضع دار أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنه و موضع الحزورة، و بعد التأمل فيما نقلناه هنا من الكلام، و مراجعة ما طالعناه من الأبحاث العديدة، عرفنا موقع دار أم هانئ مما يأتى:

(١) من قول الإمام الأزرقى المتقدم رحمه الله تعالى فى الجزء الثانى من تاريخه بصحيفة ١٨٨ حيث يقول "و لهم أيضاً دار أم هانئ بنت أبى طالب التى كانت عند الحناطين عند المنارة، فدخلت فى المسجد الحرام حين وسعه المهدي فى الهدم الآخر سنة سبع و ستين و مائة" انتهى كلامه.

(٢) و من قول الفاسى رحمه الله تعالى المتقدم، فى الجزء الأول من كتابه شفاء الغرام، حيث يقول عن الحزورة "و كان عندها سوق الحناطين بمكة و هى فى أسفلها عند منارة المسجد الحرام التى تلى أجياد" انتهى كلامه.

(٣) و من الخريطة التى وضعناها فى بيان الزيادات التى حصلت فى المسجد الحرام، المطبوعة فى كتابنا "مقام إبراهيم عليه السلام" بصحيفة ٩١ من الطبعة الأولى.

فمن هذه الأمور الثلاثة ظهر لنا تماماً ما لا يقبل الشك أن دار أم هانئ رضى الله تعالى عنها واقعة بالضبط عند منارة باب الوداع فى عصرنا الحاضر؛ لأنها هى المنارة المعنية فى العبارة المتقدمة، فمحلها فى ذلك الزمن هو محلها اليوم لم يتغير، و الحزورة واقعة عندها و كذلك سوق الحناطين.

و من نظر إلى خريطة زيادات المسجد الحرام الموجودة بكتابنا المذكور "مقام إبراهيم عليه السلام" و الموجودة أيضاً فى هذا التاريخ، علم يقيناً أن المنارة المذكورة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٦٣

تقع فى آخر توسعة المهدي رحمه الله تعالى من ركن المسجد الحرام الجنوبى المقابل لأجياد، فدار أم هانئ كانت عند هذا الركن، ثم دخلت فى توسعة المهدي المذكور سنة (١٦٤) مائة و أربع و ستين من الهجرة.

و فى محل المنارة، أى فى موضع دار أم هانئ، حفر قصى بن كلاب البئر التى يقال لها العجول، كما أنه من هذا الموضع انفلتت البقرة التى نحرت عنده من الجزار و جرت نفسها حتى وصلت إلى موضع زمزم فماتت، فسلخوها فى هذا المكان و فرقوا لحمها، ثم أقبل غراب فوق فى فرثها، فعندئذ قام عبد المطلب يحفر زمزم فى الموضع الذى وصلت إليه البقرة و ماتت. كما تقدم ذلك فى عبارة الأزرقى.

و المسافة من الركن اليمانى فى الكعبة المشرفة إلى منارة باب الوداع التى تقابل أجياد هى (١٢٠) مائة و عشرون متراً، أى نحو

خمسین و مائتین ذراعاً.

فتكون المسافة بين الكعبة شرفها الله تعالى و بين دار أم هانئ بنت أبي طالب رضى الله تعالى عنها هي (١٢٠) متراً بالضبط على التحقيق الذى عملناه. و هي نفس المسافة بين الكعبة و بين الحزورة، و هي نفس المسافة أيضا بينها و بين البئر التى كان حفرها قصى بن كلاب ثم دفنت و دخلت مع دار أم هانئ فى توسعة المهدي رحمه الله تعالى.

فالحمد لله على ما وفقنا لتحقيق هذه المسألة، و الحمد لله على توفيقاته المتواليه، و على نعمائه المتتاليه التى لا تنقطع عنا طرفه عين بواسع فضله و عظيم إحسانه. و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.

### فضل سيدنا إبراهيم و سيدنا موسى على الأمة المحمدية

لئن جمعنا فى هذا الفصل بين النبيين الكريمين: خليل الله، و كلیم الله "إبراهيم و موسى" عليهما الصلاة و السلام فى أياديهما البيضاء على الأمة المحمدية، فقد جمع الله بينهما فى قوله: إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ ذَلِكَ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَشْرَةَ صُحُفٍ كَانَتْ كُلُّهَا أَمْثَالًا، وَ أَنْزَلَ عَلَى سَيِّدِنَا مُوسَى قَبْلَ التَّوْرَةِ عَشْرَ صُحُفٍ كَانَتْ كُلُّهَا عِبْرًا، فَقَدْ تَسَاوَا فِي مِقْدَارِ إِنْزَالِ الصُّحُفِ عَلَيْهِمَا، كَمَا تَقَارَبَا مَضْمُونِ صِحَائِفِهِمَا فِي مَعَانِيهِمَا، مِنَ الْأَمْثَالِ وَ الْعِبَرِ، وَ الْإِتْعَازِ وَ الذِّكْرِ، وَ قَدْ تَشَابَهَا أَيْضًا فِي الْإِبْتِلَاءِ وَ الْإِخْتِبَارِ، فإبراهيم نجاه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٦٤

الله فى صغره من قتل نمرود، كما نجاه من النار حين ألقى فيها، و موسى نجاه الله من قتل فرعون فى صغره، كما نجاه من الغرق حينما ألقى فى اليم و هو رضيع.

و لنذكر هنا ما لكل منهما علينا من الفضل: فسيدنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام له فضل عام على العرب و الأمة المحمدية، و فضل خاص على أهل مكة، فأما الفضل العام على العرب و الأمة المحمدية فدعاؤه لهم بالهداية و التوفيق كما فى القرآن الكريم: رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَ فى آية أخرى: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ.

و أما الفضل الخاص على أهل مكة: فإنه أول من اكتشفها و نزل بها و عمرها، و أسكن فيها ابنه إسماعيل و أمه هاجر، اللذين بسبيهما ظهر ماء زمزم، و على يدي إبراهيم و إسماعيل بنيت الكعبة المعظمة، و أن إبراهيم ترك لديهم مقامه الكريم المحترم، و حرّم مكة و صيرها مأمنا، و دعا لأهلها بالرزق و البركة فيما كان عندهم من ماء و لحم و لبن، و هو الذى أذن فى الناس بالحج و دعاهم إليه، فصاروا يقصدون مكة فى أيام معلومات من كل فج عميق، و بذلك اتسعت عمرانها و كثرت أرزاقها و خيراتها كما أتى كل ذلك صريحا فى القرآن الكريم.

ففى سورة البقرة: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ، وَ فى سورة إبراهيم: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ \* رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلْنَا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ \* رَبَّنَا إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ دُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ، و لقد استجاب الله تعالى منه جميع دعائه بفضله و رحمته، فجزاه الله عنا ما هو أهله.

أما موسى الكليم عليه الصلاة و السلام: فأحسانه عظيم أيضا على الأمة المحمدية قاطبة. حيث طلب من نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ليلة عرج به و اجتمع معه فى السماء السادسة أن يراجع ربه عز و جل فى تخفيف الصلاة عن أمته التى فرضها الله تعالى عليهم أولاء و قال له: إن أمتك لا تطيق ذلك، فلم يزل رسول الله يرجع بين ربه عز و جل و بين موسى عليه السلام حتى بلغ التخفيف عنا إلى خمس صلوات كل يوم و ليلة بعد أن كانت خمسين صلاة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٦٥

فموسى عليه السلام قد أحسن إلى جميع المؤمنين و المؤمنات في هذه المسألة إحسانا كبيرا و وفق فيها أعظم توفيق، كيف لا، و هو الذى رأى من أحوال بنى إسرائيل العجب العجاب، و لذلك قال نبينا محمد صلى الله عليه و سلم: «أكثرنا من الصلاة على موسى فما رأيت أحدا من الأنبياء أحوط على أمتى منه» رواه ابن عساكر عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

و الحق أننا قد وصلنا فى هذا الزمان إلى حالة من العجز و التقصير، لا نقدر بأن نقوم بأداء هذه الصلوات الخمس حق أدائها، بل تهاون الكثير بها فى غير قطرنا حتى تركوه بتاتا و العياد بالله، فكيف لو لم يخفف الله عنا بفضلته و رحمته، فجزى الله موسى و إبراهيم و نبينا محمدا عنا ما هو أهله. اللهم صل و سلم على جميع الأنبياء و المرسلين و آل كل منهم أجمعين.

### ترجمة خليل الله إبراهيم عليه الصلاة و السلام

لما كان إبراهيم الخليل صلوات الله و سلامه عليه و على جميع الأنبياء و المرسلين، له فضل عام على العرب و الأمة المحمدية، بنص القرآن الكريم، حيث يقول: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يَزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، و يقول فى آية أخرى: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ.

كما له فضل خاص على أهل مكة من الدعاء لهم بنص الآية الكريمة حيث يقول: رَبَّنَا إِنِّي أَسِيءْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ ارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ، و غير ذلك من الآيات، فاستجاب الله تعالى منه جميع دعواته بفضلته و رحمته، فجزاه الله عنا بما هو أهله.

رأينا أن نتشرف بذكر شيء من ترجمته النفيسة، فكتبنا عنه ترجمة لطيفة وافية، و قد قدمناها فى أول الكتاب و لم نذكرها هنا، لمناسبة أنه هو أول مكتشف لمكة شرفها الله تعالى، و رافع قواعد بيت الله الحرام.

فناسب أن تكون ترجمته فى أول الكتاب، صلى الله عليه و على آله و أصحابه و سلم تسليما كثيرا.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٦٦

### ترجمة موسى عليه الصلاة و السلام

نتشرف الآن بذكر ترجمة موسى عليه السلام لما له من الفضل على الأمة المحمدية قاطبة، حيث طلب من نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم ليلة أن عرج به و اجتمع معه فى السماء السادسة، أن يراجع ربه عز و جل فى تخفيف الصلاة التى فرضها على أمتة أولا.

هو موسى كلیم الله، أبوه رجل عبرانى يقال له "عمران" بن قاهت ابن لاوى بن يعقوب عليه السلام، و أمه "يوكابد" بنت لاوى، و أخوه "هارون" و هو شقيقه من أبيه و أمه.

لما ولد موسى خبأته أمه عن عيون من يطلبون أطفال بنى إسرائيل لقتل ذكرانهم، فمكث موسى عند أمه ثلاثة أشهر، فلما خافت افتضاح أمرها أعلمها الله تعالى و علمها أن تصنع له ما يشبه الصندوق و تظليه بالقطران و الزفت و تلقيه فى اليم، ففعلت و ناطت بأخته أن تتبع أثره و تعلم علمه، و أن الله تعالى قد أعلمها أنه راده إليها و جاعله من المرسلين.

فلم تزل أخته ترقب أخباره حتى علمت أنه التقط و أدخل دار فرعون، و أن الله تعالى ألقى محبة موسى فى قلب زوجة فرعون حينما وقعت عينها عليه، فأبقتة ليكون قره عينها و عين فرعون راجية أن ينفعهما أو يتخذاه ولدا.

و كانت أخته تقص أثره و تتبعه أينما سير به فرأته لا يقبل ثدى المراضع، فعرضت على آل فرعون أن تدعو لهم امرأة عبرانية ترضعه و تكفله و تقوم له مقام الأم، و كان اسم أخته مريم، فبعثوا فى طلبها فجاءت بأمرها و أمه على التحقيق، فأقبل موسى على ثديها فتولت

شؤونه و فرحت به فرحا شديدا.

فترى موسى فى بيت فرعون تربية بحسب تقاليد البلاط الفرعونى و كان ذا قوة و بأس، و كان طبيعيا أن يعرف أنه من بنى إسرائيل ذلك الشعب المضطهد من فرعون و آله، فكان ظهيرا للعبرانيين قومه يلجأ إليه المظلومون منهم، فلما بلغ أشده آتاه الله العلم و الحكمة.

انتهى ملخصا من كتاب "قصص الأنبياء" للأستاذ عبد الوهاب النجار.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٦٧

و نحن لا نريد إطالة الكلام عن ترجمة موسى عليه السلام و تاريخ حياته من كافة الوجوه حتى لا نخرج عن المقصود، و إنما تشرفنا بذكر هذه النبذة عنه لما له من الفضل على كافة الأمة المحمدية.

و هنا يحلو لنا أن نأتى ببعض الآيات الواردة فى القرآن العظيم عنه صلى الله عليه و سلم:

فقد قال الله عز شأنه فى سورة القصص: وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَ لَا تَخَافِي وَ لَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ \* فَالْتَفَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ \* وَ قَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَ لَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* وَ أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* وَ قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَيْلٌ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ نَاصِحُونَ \* فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ \* وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ.

### ما بين موسى عليه السلام و فرعون

قال الله تعالى فى كتابه العزيز فى سورة الشعراء: قَالَ فِرْعَوْنُ وَ مَا رَبُّ الْعَالَمِينَ \* قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ \* قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ \* قَالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ \* قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ \* قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ \* قَالَ لَيْسَ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ \* قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ \* قَالَ فَآتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ \* وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ \* قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَا ذَا تَأْمُرُونَ \* قَالُوا أَرْجِهْ وَ أَخَاهُ وَ ابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ \* يَا تُوَكُّ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ \* فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ \* وَ قِيلَ لِلنَّاسِ هَيْلٌ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ \* لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ \* فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا لَمَاجِرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ \* قَالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ \* فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٦٨

وَ عَصَاهُمْ \* قَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ \* فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ \* فَأَلْقَىٰ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ \* قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* رَبِّ مُوسَىٰ وَ هَارُونَ.

و يستنتج من قصة موسى عليه الصلاة و السلام جملة أمور. ذكرها الأستاذ عبد الوهاب النجار فى كتابه "قصص الأنبياء" و نحن نلخصها منه كما يأتى:

(١) إذا ابتلى الإنسان فى الدنيا يجب عليه أن يقابل ذلك بالرضا، فقد يكون فى هذا الابتلاء خير كبير.

(٢) من توكل على الله فى أموره لا بد أن يقبض الله من ينقذه و يخلصه.

(٣) من استمسك بالحق لا يبالي بمن خالفه فى رأيه و طريقته مهما بلغت رتبته.

(٤) لا يعدم الحق أن يجد له نصيرا و لو بعد حين.

(٥) من ذاق لذة الإيمان بالله لا يبالي بما يصيبه في سبيل ذلك.

(٦) عاقبة الصبر حميدة. قال تعالى: وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا.

(٧) حلم موسى عليه السلام على بني إسرائيل. انتهى ملخصا من الكتاب المذكور.

صلوات الله و سلامه عليه و على جميع الأنبياء و المرسلين آمين.

و في الصحيحين و اللفظ للبخارى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: حَاجَّ موسى آدم عليهما السلام فقال له: أنت الذي أخرجت الناس بذنبيك من الجنة و أشقيتهم، قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته و بكلامه أتولمنى على أمر قد كتبه على قبل أن يخلقني أو قدره على قبل أن يخلقني، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: فحجَّ آدم موسى.

و روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال:

أحجَّ آدم و موسى فقال موسى: يا آدم أنت الذي خلقتك الله بيده و نفخ فيك من روحه أغويت الناس و أخرجتهم من الجنة، قال: فقال آدم: و أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه تلومنى على عمل أعمله كتبه الله على قبل أن يخلق السموات و الأرض، قال: فحجَّ آدم موسى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٦٩

و قد ورد هذا الحديث بجملة روايات اكتفينا بما ذكر.

إلى هنا نكتفى بهذه النبذة اللطيفة، و مهما أطنبنا و أثبتنا على سيدنا موسى عليه السلام، فما قيمة قولنا بجانب من اصطفاه الله تعالى برسالته و كلامه، و قال في حقه عز شأنه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا.

اللهم صل و سلم عليه و على أخيه هارون و على نبينا "محمد" و على جميع الأنبياء و المرسلين و آل كل منهم و صحابتهم أجمعين.

### ذكر حج موسى عليه الصلاة و السلام

جاء في تاريخ ابن كثير رحمه الله تعالى عن حجة كلیم الله تعالى موسى عليه الصلاة و السلام ما نصه: قال الإمام أحمد: حدثنا هشام، حدثنا داود بن أبي هند، عن أبي عالية، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه و سلم مر بوادى الأزرق، فقال: أی واد هذا. قالوا: وادى الأزرق. قال: كأنى أنظر إلى موسى و هو هابط من الثنية، و له جوار إلى الله عز و جل بالتلبية، حتى أتى على ثنية هرشاء. فقال: أی ثنية هذه؟ قالوا: هذه ثنية هر شاء. قال: كأنى أنظر إلى يونس بن متى على ناقه حمراء عليه جبة من صوف حطام ناقته خلبة. قال هشيم: يعنى ليفا و هو يلبي.

أخرجه مسلم من حديث داود بن أبي هندبة. و رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعا أن موسى حج على ثور أحمر. و هذا غريب جدا. و قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدى، عن ابن عون، عن مجاهد قال: كنا عند ابن عباس فذكروا الدجال فقال: إنه مكتوب بين عينيه (ك ف ر) قال: ما يقولون؟ قال: يقولون مكتوب بين عينيه (ك ف ر) فقال ابن عباس: لم أسمع قال ذلك، و لكن قال: أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم. و أما موسى فرجل آدم جعد الشعر، على جمل أحمر مخطوم بخلبة كأنى أنظر إليه و قد انحدر من الوادى يلبي. قال هشيم: الخلبة الليف.

ثم رواه الإمام أحمد عن أسود عن إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة، عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: رأيت عيسى بن مريم و موسى و إبراهيم. فأما عيسى فأبيض جعد عريض الصدر، فأما موسى فأدم جسيم. قال: فأبراهيم؟ قال: انظروا إلى صاحبكم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٧٠

و قال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا شيبان قال حدث قتادة، عن أبي العالية حدثنا ابن عم نبيكم ابن عباس قال: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: رأيت ليلة أسرى بي موسى بن عمران رجل طوالا جدا كأنه من رجال شنوءة و رأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق الحمرة و البياض سبط الرأس. و أخرجه من حديث قتادة به.

و قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، قال الزهري، و أخبرني سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسرى به:

لقيت موسى فقلت فقال رجل قال حسبته قال مضطرب رجل الرأس، كأنه من رجال شنوءة، و لقيت عيسى فقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس يعني حماما. قال: و رأيت إبراهيم و أنا أشبه ولد به. الحديث. و قد تقدم غالب هذه الأحاديث في ترجمة الخليل.

### معرفة كيفية الصلوات الخمس

تقدم هنا أن الصلوات الخمس فرضها الله عز و جل ليلة الإسراء و المعراج، لكن بقي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلم أوقاتها و كيفيتها حتى يبين كل ذلك لأمة التي هي خير الأمم فهبط عليه جبريل صبيحة الإسراء ليعلمه صلى الله عليه وسلم كيفيتها و إليك تفصيل ذلك:

جاء في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نزل جبريل عليه السلام فأمنى فصليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، يحسب بأصابعه خمس صلوات» رواه أبو مسعود الأنصاري رضى الله عنه.

قال شيخنا العلامة المحدث الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي رحمه الله تعالى في الجزء الرابع من شرحه لكتابه "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري و مسلم" عند هذا الحديث ما يأتي:

قال ابن عبد البر: لم يختلف أن جبريل هبط صبيحة الإسراء عند الزوال فعلم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة و مواعيتها و هيئتها. اهـ. قوله: «فأمنى» بتشديد الميم بعد الهمزة المفتوحة أى كان إماما لى فى أول الصلوات المفروضة ليلة الإسراء. و قوله: «فصليت معه» أى صلاة الظهر؛ لأن نزوله كان حينما زاغت الشمس، فصلاة الظهر هى أولى الصلوات الخمس،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٧١

و قوله: «ثم صليت معه» أى صلاة العصر. و قوله: «ثم صليت معه» أى صلاة المغرب. و قوله: «ثم صليت معه» أى صلاة العشاء. و قوله: «ثم صليت معه» أى صلاة الصبح.

قال شيخنا رحمه الله تعالى: و حديث المتن يوضح معناه ما نسبه الحافظ فى فتح البارى و غيره لعبد الرزاق، قال عبد الرزاق عن ابن جريج قال نافع بن جبير و غيره: لما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم من الليلة التى أسرى به لم يرعه إلا جبريل نزل حين زاغت الشمس و لذلك سميت الأولى أى صلاة الظهر فأمر فصيح بأصحابه الصلاة جماعة فاجتمعوا فصلى به جبريل و صلى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس طول الركعتين الأولين ثم قصر الباقيتين ثم سلم جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم، و سلم النبي على الناس ثم نزل فى العصر على مثل ذلك ففعلوا كما فعلوا فى الظهر، ثم نزل فى أول الليل فصيح:

الصلاة جماعة فصلى جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم و صلى النبي بالناس طول فى الأوليين و قصر فى الثالثة ثم سلم جبريل على النبي و سلم النبي على الناس، ثم لما ذهب ثلث الليل صيح: الصلاة جماعة فاجتمعوا فصلى جبريل بالنبي و صلى النبي للناس فقرا فى الأوليين فطول فيهما و قصر فى الأخيرتين ثم سلم جبريل على النبي و سلم النبي على الناس، فلما طلع الفجر صيح: الصلاة جماعة فصلى جبريل بالنبي و صلى النبي للناس و قرأ فيهما فجهر و طول و رفع صوته و سلم جبريل على النبي و سلم النبي على الناس.

قال الحافظ فى فتح البارى: و فيه رد على من زعم أن بيان الأوقات إنما وقع بعد الهجرة، و الحق أن ذلك وقع قبلها ببيان جبريل و

بعدها بيان النبي صلى الله عليه وسلم، قال السيوطي في تنوير الحوالك: وهو صريح حديث ابن عباس: أمنى جبريل عند البيت، رواه أبو داود و الترمذى وغيرهما و فى رواية الشافعى عند باب البيت و حديث المتن رواه البخارى و مسلم من رواية أبى مسعود الأنصارى أيضا بغير هذا اللفظ الذى سقناه فى المتن باتفاق الشيخين.

و قد بينت فى المعلم محل تخريجهما له و ذكرت أن البخارى أخرجه فى أول كتاب مواقيت الصلاة و أن مسلما أخرجه فى كتاب المساجد و مواضع الصلاة فى باب أوقات الصلوات الخمس و هو أول حديث فى موطأ مالك و لفظه: عن أبى مسعود أليس قد علمت أن جبريل نزل فصلى، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صلى، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صلى، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صلى،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٧٢

فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صلى، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: بهذا أمرت، الحديث، و قوله: أمرت روى بفتح التاء و بضمها، قال مغلطاي: و الفتح هو الأقوى أى أن الذى أمرت به من الصلاة البارحة مجملا هذا تفسيره اليوم مفصلا، قال ابن العربى: نزل جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا مكلفا بتعليم النبي لا بأصل الصلاة. و قوله فى هذا الحديث: نزل فصلى، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ قال فيه عياض: ظاهره أن صلاته كانت بعد صلاة جبريل و لكن المنصوص فى غيره أن جبريل أم النبي صلى الله عليه وسلم فيحمل قوله: صلى فصلى على أن جبريل كان كلما فعل جزءا من الصلاة تابعه النبي صلى الله عليه وسلم بفعله. اهـ.

و بهذا جزم النووى و قال غيره الفاء بمعنى الواو. و اعترض بأنه يلزم عليه أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم كان يتقدم فى بعض الأركان على جبريل على ما يقتضيه مطلق الجمع. و أوجب بمراعاة الحيثية و هى التبيين فكان لأجل ذلك يتراخى عنه، و قيل: الفاء للسببية كقوله تعالى: فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ و إنما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة بقوله: الصلاة جامعة، فيما قدمناه عن نافع بن جبير و غيره؛ لأن الأذان لم يكن شرع حينئذ.

و استدلل بهذا الحديث على جواز الائتمام بمن يأتى بغيره. و يجاب عنه بما يجاب به عن قصة أبى بكر رضى الله عنه فى صلاته خلف النبي صلى الله عليه وسلم و صلاة الناس خلفه فإنه محمول على أنه كان مبلغا فقط و تحقيق وجوب الصلوات كان معلقا ببيان جبريل فلم يتحقق الوجوب إلا بعده و حديث أبى مسعود أفاد أن أصل بيان الأوقات كان بتعليم جبريل عليه السلام على الرويتين المتفتتى المعنى و إن اختلفت ألفاظهما و أصل هذا الحديث أخرجه أبو داود فى الصلاة من سننه و كذا أخرجه النسائى و ابن ماجه و بالله تعالى التوفيق و هو الهادى إلى سواء الطريق. انتهى من زاد المسلم.

### الاستنتاج من قصة الإسراء و المعراج

إن قصة الإسراء و المعراج قصة حقها أن تكتب بالذهب و أن تنقش فى القلوب، كيف و هى قصة تتضمن الرحلة النبوية المحمدية فيما بين السموات و الأرض، رحلة رأى فيها نبينا "محمد" صلى الله عليه وسلم من ربه عز و جل منتهى الإكرام و الإحسان، و كانت نتيجة هذه الرحلة الميمونة المباركة للمؤمنين خيرا كثيرا. لهذا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٧٣

رأينا أن نتأمل فى هذه القصة الشريفة و نكتب مبحثا خاصا عما نستنتجه منها.

فنقول و بالله التوفيق:

(١) يؤخذ من شق صدره صلى الله عليه وسلم و غسل قلبه فى ليلة الإسراء و المعراج أنه لا بد للإنسان إذا أراد مقابلة الملوك و ذوى الشأن أو حضور الاجتماعات أن يتهيا و يتنظف و يلبس أحسن الثياب.



(٢) يؤخذ من غسل قلبه صلى الله عليه وسلم بماء زمزم. أنه أفضل مياه الدنيا مطلقا و كيف لا يكون كذلك و هو بجوار بيت الله الحرام، و همزة جبريل لإسماعيل عليهما الصلاة والسلام.

(٣) و فى شق صدره صلى الله عليه وسلم و غسله ليلئ الإسراء و المعراج و ملئه حكمة و إيمانا و الثامه بدون ألم و فى لحظة واحدة، معجزة و أى معجزة، بل فيه ثلاث معجزات: شق الصدر و غسله و ملؤه بالإيمان و الحكمة.

(٤) يؤخذ من إحضار البراق صحبة جبريل ليلئ الإسراء و المعراج: أن الملوك و الكبراء إذا طلبوا بعض الناس لتكريمه أن يهينوا له أسباب السفر و الوصول و يرسلوا إليه من قبلهم من يدلهم و يستأنس بهم.

(٥) و يؤخذ من صلاته صلى الله عليه وسلم بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى بيت المقدس أن نبينا محمدا مقدم عليهم و هو أفضلهم صلى الله عليه وسلم عليه و عليهم أجمعين، و هذا يوافق الآية الكريمة فى سورة آل عمران: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِضْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ، جاء فى تفسير ابن كثير ما يأتى: قال على بن أبى طالب و ابن عمه ابن عباس رضى الله عنهما: ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق؛ لأن بعث الله محمدا و هو حى ليؤمنن به و لينصرنه و أمره أن يأخذ الميثاق على أمته؛ لأن بعث محمد و هم أحياء ليؤمنن به و لينصرنه. انتهى.

(٦) و يؤخذ من اجتماع الأنبياء معه فى الصلاة: تعرفه عليهم و ائتناسه بهم حال الإسراء، و يؤخذ من رؤيته لبعضهم فى كل سماء و سلامه عليهم و ترحيهم به أن هذا اجتماع خاص للاستئناس به و زيادة فى تكريمه صلى الله عليه وسلم فى السموات حتى لا يستوحش فإنه إذا رأى فى الملاء الأعلى بعض إخوانه من النبيين من جنسه من البشر استكن و اطمئن.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٧٤

(٧) و يؤخذ من صلاة نبينا محمد بإخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ببيت المقدس أنهم صلوا جميعا إلى صخرة بيت المقدس و هى القبلة الأولى؛ لأن تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة كان فى السنة الثانية من الهجرة، و الإسراء كان قبل الهجرة، و فى هذه الصلاة إشارة إلى ما سيفرضه الله تعالى على نبينا صلوات الله و سلامه عليه و على أمته من الصلوات الخمس.

(٨) و لإسرائه صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس أولا قبل عروجه إلى السماء جملة فوائد.

منها ما ذكرناه هنا، و منها أنه صلى الله عليه وسلم عند وصفه بيت المقدس لقريش عند إنكارهم للإسراء يكون أدعى لتصديقهم له لمعرفتهم بيت المقدس، أما لو بدأهم بخبر صعوده إلى السماء فى بدء الحديث لاشتد إنكارهم و تكذيبهم له.

(٩) و قوله صلى الله عليه وسلم: «ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء الدنيا فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا: افتح قال: من هذا؟ قال: جبريل. قال: هل معك أحد؟ قال: نعم معى محمد قال: فأرسل إليه قال: نعم ففتح...» و هكذا مع كل خازن من خزنة السموات السبع: يؤخذ منه أن السموات محروسة و أن لكل منها خازنا على بابه، لا يفتحون باب السماء إلا لمن أذن له الرحمن جل جلاله و لا إله غيره، كما يؤخذ منه أن أهل كل سماء لا يختلطون بأهل سماء أخرى، و أن من عرج منهم إلى سماء أو نزل منها لا بد و أن يكون ذلك بإذن.

(١٠) و يؤخذ من قول جبريل لنبينا "محمد" صلى الله عليه وسلم: (هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه) أن نبينا محمدا من نسل إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام، فقد انعقد إجماع الأمة على ذلك. و لقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا فى الحديث الذى رواه مسلم (و أنا أشبه ولده به) يعنى إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

(١١) و يؤخذ من سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل نبى و جده فى السماء كما جاء فى الحديث جملة أمور. منها:

١- أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم لما صلى بالأنبياء فى بيت المقدس لم يتعرف عليهم، لذلك كان جبريل يعرفه بالنبى الذى فى كل سماء.

- ٢- يسن أن يتعرف الإنسان بمن يجتمع معه.
- ٣- يسن أن يسلم القادم على من يقدم عليه.
- ٤- يسن على صاحب المكان أن يرحب بالقادم و يبش في وجهه.
- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٧٥
- ٥- لا بد أن يصحب ضيوف الملوك و الكبراء من يدلهم على الطريق و يعرفهم بمن يستقبلونهم و يجتمعون بهم- فمصاحب ضيوف الملوك يسمى في عرف زماننا "بالشريفاتي".
- (١٢) و يؤخذ من حديث الإسراء أن الصلوات الخمس فرضت ليلة الإسراء و المعراج، و أما كيفيتها و عدد الركعات بأوقاتها فقد نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه و سلم فعلمه كل ذلك. كما ذكرنا تفصيله في المبحث الخاص.
- (١٣) و يؤخذ من قوله صلى الله عليه و سلم «... فراجعت ربي فقال: هي خمس و هن خمسون لا يبدل القول لدى» أنه صلى الله عليه و سلم كلم ربه تعالى بلا واسطة و سمع كلامه سبحانه عز و جل.
- (١٤) و يؤخذ من الإسراء و المعراج أن رسول الله صلى الله عليه و سلم رأى ربه عز و جل فقد روى الحاكم في المستدرک عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «رأيت ربي عز و جل».
- (١٥) و يؤخذ من قوله صلى الله عليه و سلم: «ثم أدخلت الجنة» أن الجنة و النار كانتا مخلوقتين حينئذ.
- (١٦) و في وصف رسول الله صلى الله عليه و سلم بيت المقدس لقريش معجزة أخرى أيضا، ففي الصحيحين: «لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته و أنا أنظر إليه» رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
- (١٧) و يؤخذ منها أيضا معجزة أخرى و هي: أنه صلى الله عليه و سلم مر في طريقه للإسراء على غير بنى فلان و هي بالروحاء و قد أضلوا بعيرا لهم و هم في طلبه، و في رحالهم قدح من ماء فعطش فأخذه و شربه ثم وضعه، و مر أيضا بعير بنى فلان و فلان راكبان قلوفا أو بعيرا لهما بذي مر فنفر البعير منه صلى الله عليه و سلم فرمى بفلان فانكسرت يده، و هذه الأمور كلها أخبر بها النبي عليه الصلاة و السلام قريشا حينما سأله:
- هل لقي في طريقه غيرهم.
- فهذه الأمور لو رآها الإنسان العادي في طريقه على دابته لما كان موضع استغراب، أما و قد رآها رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو راكب البراق الذي يضع خطوه عند أقصى طرفه، و الذي عدوها كالريح، و خطوها كالبرق، و الذي قد يكون أنه قطع المسافة بين الأرض و السماء في خطوة واحدة- فهنا موضع الاستغراب- إذ
- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٧٦
- كيف يتمكن رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو سائر ليلا في هذه الحالة أن يرى أحوال العير و يصفها لقريش، هذه كلها معجزات كل معجزة تلو الأخرى لتكون آيات بينات على صدقه و الله تعالى قادر على كل شيء.
- (١٨) و يؤخذ من بعض الروايات أن طريقه صلى الله عليه و سلم في رجوعه ليلة الإسراء كان من جهة التنعيم و مر الظهران. و الله تعالى أعلم بالغيب و الأسرار.
- (١٩) و يؤخذ من قصة الإسراء و المعراج معجزة أخرى " و كلها معجزات " و هي: أنه صلى الله عليه و سلم ذهب تلك الليلة إلى بيت المقدس و عرج به إلى السموات العلا بل و فوق ذلك و رأى ما رأى، في مدة و جيزة فقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: ثم رجعت إلى خديجة و ما تحولت عن جانبها.
- (٢٠) و يؤخذ من كيفية الإسراء و المعراج لبيت المقدس و السموات العلا و ما فوقها في مدة قصيرة من الليل و هو راكب البراق الذي يضع خطوه في منتهى طرفه و الذي يقطع المسافة بين السماء و الأرض في خطوة واحدة و لحظة واحدة: أن الله سبحانه و تعالى القادر

على كل شىء قد خلق في عبده ورسوله "محمد" صلى الله عليه وسلم من القوة والاستعداد ما يمكنه أن يتحمل كل ما يتعرض فيه في عروجه من الأحوال الكونية المانعة من وصول البشر إلى تلك الحدود السماوية فهو صلى الله عليه وسلم قد خرق الله له العادات و سخر له الطبيعات، فليس هو كالبشر العادى فلو كان كذلك لا يقدر على رؤية جبريل في كل مرة ولا يمكنه الاجتماع بالملائم الأعلى ليلة الإسراء والمعراج.

و انظر في زماننا هذا مع تقدم صناعة الطيران، لا- يقدر إنسان على الطيران في الهواء إلا- إلى طبقات محدودة، وذلك أيضا بعد الاستعدادات الكافية من الثياب الخاصة واستعمال الأوكسيجين والمكيفيات، وهو مع ذلك معرض للأخطار. فأين هذا الحال من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى طويت له الأرض و اخترقت السموات السبع و رجع من عند ربه الكبير المتعال بكل خير و مزيد الإكرام. صلى الله عليه وسلم و على آله و أزواجه و أصحابه و ذريته صلاة و سلاما دائمين إلى يوم الدين. اللهم اجعلنا من سعداء الدارين. آمين.

(٢١) و يؤخذ من الإسراء والمعراج، حكمة دقيقة و سر لطيف جليل و هو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيني رأسه الملائم الأعلى في السموات كما رأى عوالم الأرض، و أن يرى ما أعد الله له و للمؤمنين مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٧٧

خطر على قلب بشر، و ليطمئن قلبه إلى ما له عند الله تعالى من المنزلة السامية و المكانة الرفيعة، و ليعلم معاني الآيات القرآنية التى نزلت و تنزل عليه في مسائل السموات و الملكوت و أمور الآخرة و القيامة علم مشاهدة و يقين، و هذا الحال أبلغ و أقوى من حال الإيمان بالغيب لذلك قال إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام:

رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَ لَكِن لِّيُطْمَئِنَّ قَلْبِي.

ثم تأمل كيف تكون حال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من المعراج و قد رأى ما في السموات بل و ما فوق السموات و دخل الجنة و رأى نعيمها و هو حى لم يموت، فهل يركن إلى هذه الدنيا الفانية الخسيسة التى لا تساوى عند الله جناح بعوضة؟ كلا و الله.

لذلك كان صلى الله عليه وسلم لم يتمتع نفسه في الحاة الدنيا قط، و هو الذى مقامه في أمته أعظم من مقام الملوك لدى شعوبهم بكثير و كثير مما لا نسبة. و لقد كان زهده صلى الله عليه وسلم في الدنيا مضرب الأمثال فهو لم يشبع قط من الأكل و كان يقول: «حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه» قالت عائشة رضى الله عنها: لم يمتلى جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعاً قط و أنه كان فى أهله لا يسألهم طعاما و لا يتشهاه إن أطعموه أكل و ما أطعموه قبل و ما سقوه شرب.

و كان ينام على الحصى حتى يؤثر فى أضلاعه و قد بكى عمر رضى الله عنه لما رأى عليه ذلك الأثر صلى الله عليه وسلم، و لم يلبس من ثياب الخز و الحرير، و كان يرى نفسه كراكب استظل فى طريقه فى شجرة فعما قليل سيرحل، نعم كان صلى الله عليه وسلم يجتهد فى عبادة ربه فيصلى حتى تتورم قدماه، و يصوم حتى يقال إنه لا- يفطر و يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، و كان يعطى من العطايا ما لا تطيب بها إلا نفس نبى مرسل، فكان أجود بالخير من الريح المرسله و هو الذى يقول: «لو كان لى مثل أحد ذهباً لسرنى أن لا تمر على ثلاث ليال و عندى منه إلا شيتا أرسده لدين».

نعم كيف يطمئن إلى هذه الدنيا الفانية نبينا "محمد" و هو رسول الله و قد دخل الجنة ليلة المعراج و رأى من نعيمها ما أسقط الدنيا من عينيه، و رأى ما رأى من إكرام الله عز و جل له ما زهده فى الخلق أجمعين. و لذلك كان ختم كلامه عند الموت: «رب اغفر لى و ألقنى بالرفيق الأعلى» اللهم صل و سلم و بارك عليه و على آله و صحبه أجمعين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٧٨

(و اعلم) أنه صلى الله عليه وسلم يتجدد عليه ذكرى الإسراء و المعراج كلما قرأ الآيات التى أنزلت عليه فى ذلك، خصوصا حينما

كان يعرض القرآن على رفيقه في الإسراء والمعراج جبريل عليه السلام في كل سنة مرة، و عرضه عليه عام موته صلى الله عليه وسلم مرتين.

فما أحلى هذه الذكرى المباركة الشريفة، ربنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النار و أدخلنا الجنة مع الأبرار بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين.

(٢٢) و يؤخذ مما تقدم أن بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قال إن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه ليلة المعراج و تبعهم بعض العلماء، و بعض الصحابة رضى الله عنهم قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج، و تبعهم بعض العلماء. فقال فى هذا الشيخ أحمد المقرئ المصرى:

و قد رأى خير الورى الدنانيليلة أسرى به عيانا

فى المذهب المصحح المشهور و هو الذى ينمى إلى الجمهور

فستتج من هذا أن من أثبت رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لا- حرج عليه، و من نفاها لا- حرج عليه؛ لأن كلا- من الفريقين يتبع قول بعض الصحابة.

و أما كيفية الرؤيا فهذا لا سبيل إلى الخوض فيه و الله تعالى أعلم، و سيأتى بعد هذا المبحث الكلام على الرؤية مفصلا من كتاب الشفاء للقاضى عياض رحمه الله تعالى.

(٢٣) و يؤخذ من وجود بعض الأنبياء عليهم الصلاة و السلام فى السموات السبع معان سامية لم نعرفها، و إنما فهمنا أن وجود أينا آدم عليه الصلاة و السلام فى السماء الأولى؛ لأنه أول الأنبياء و أبو البشر فكان جميلا أن يكون هو أول من استقبل نبينا "محمدا" صلى الله عليه وسلم فى السماء الأولى.

أما وجود خليل الله عليه الصلاة و السلام فى السماء السابعة، فمعناه أنه أقرب الأنبياء إلى الله عز شأنه و جل جلاله، كيف و هو خليله و صفيه لكن مع ذلك له مقام معلوم لا- يتعداه، و معنى مرور نبينا "محمد" صلى الله عليه وسلم و ذهابه بعد ذلك إلى سدره المنتهى، أن رتبة نبينا "محمد" فوق رتبة خليل الله إبراهيم، و مقامه أعلا من مقامه عند الله عز و جل الذى لا يسأل عما يفعل و هم يسألون.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٧٩

و أما وجود كلیم الله موسى عليه الصلاة و السلام فى السماء السادسة فمعناه أن فضل كلیم الله موسى دون فضل خليل الله إبراهيم عليهما الصلاة و السلام، و ليكون الخليل و الكلیم فى سماءين متجاورين لا يفصل بينهما نبى آخر، لأن كلا منهما اختصه الله بشيء لم يختص به غيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، و أنه قد ذكر كلاهما فى آية واحدة فى قوله عز شأنه: إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى، ثم إن وجود موسى فى السماء السادسة فيه حكمة أخرى، و هى إذا رجع نبينا "محمد" عليهما الصلاة و السلام من المناجاة و مرّ بموسى و هذا طلب منه أن يراجع ربه فى تخفيف الصلوات عن أمته، كانت المراجعة من السماء السادسة أقرب مسافة من السموات التى بعده.

(٢٤) و يؤخذ مما فى صحيح مسلم من أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد صعوده إلى السماء السابعة رأى فيها إبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور، يؤخذ من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم فى عروجه إلى السماء وصل فيها إلى ما يقابل مكة المشرفة؛ لأن البيت المعمور كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه حيال الكعبة بحيث لو سقط سقط عليها.

و البيت المعمور هو بيت فى السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة، كما أخرج ذلك ابن جرير و ابن المنذر و الحاكم، و صححه و ابن مردويه و البيهقى فى الشعب عن أنس مرفوعا.

نقول: إن ما ذكرناه هنا عن بعض الأنبياء عليهم الصلاة و السلام دليل على تفضيل بعضهم على بعض- و هو كذلك- فقد قال الله

تعالى: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَقَالَ عز شأنه: وَ لَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ.

والحقيقة أن كل نبي له مقام معلوم و منقبة مخصوصة و لهذا فضلوا أولى العزم منهم على غيرهم.

و نحن إذا فضلنا بعض الأنبياء يجب أن يكون التفضيل بالاعتدال و بمقدار ما ورد في الكتاب و السنة، فلا نغلو فيهم و لا نتعدى الحدود في تفضيلهم، حتى لا نقع في محذور، و من هنا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لا تطروني كما أطرى عيسى بن مريم و قولوا عبد الله و رسوله» رواه البخارى في صحيحه. و قال عليه الصلاة و السلام: «لا تخيروا بين الأنبياء» رواه البخارى و مسلم. و قال صلى الله عليه و سلم: «لا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٨٠

تخيروني من بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور» رواه البخارى و مسلم أيضا.

و قد جاء هذا الحديث اللطيف بروايات أخرى في الصحيحين و كلها بمعنى واحد و سبب هذا الحديث كما في الصحيحين و اللفظ للبخارى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه و سلم جالس جاء يهودى فقال: يا أبا القاسم ضرب وجهى رجل من أصحابك، فقال من؟ قال: رجل من الأنصار، قال: ادعوه، فقال: أضربته، فقال: سمعته في السوق يحلف و الذى اصطفى موسى على البشر، قلت: أى خبيث على محمد صلى الله تعالى عليه و سلم فأخذتني غضبة ضربت وجهه، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: لا تخيروني من بين الأنبياء...».

فتفضيل بعض الأنبياء على بعض بما جاء في الكتاب و السنة لا بأس به و لا حرج، و المحذور إنما هو تفضيل بعضهم بما يؤدي إلى نقص بعضهم، هذا هو الممنوع بل هذا قد يؤدي إلى الكفر و العياذ بالله تعالى.

و إلى هذا يشير العلامة المختار بن بون الشنقيطى بقوله:

مثل النصارى أفرطوا في عيسى فيما ادعوا و فرطوا في موسى

محمد الحائز الارتفاع أفضل خلق الله بالإجماع

و عكسهم معاشر اليهود و فرط الجميع في المحمود

عليه أركى صلوات البارى ما كور الليل على النهار

و لما نزل قول الله تعالى في حق خليله إبراهيم عليه الصلاة و السلام: أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَتْ طَائِفَةٌ: شك إبراهيم عليه السلام و لم يشك نبينا، فقال صلى الله عليه و سلم: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال: أو لم تؤمن، قال: بلى و لكن ليطمئن قلبي، و يرحم الله لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد، و لو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعى» رواه البخارى و مسلم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه.

قوله: «لأجبت الداعى» أى داعى الملك. و مثل هذه الأحاديث الصحيحة الصادرة من رسول الله صلى الله عليه و سلم تدل على تواضعه صلى الله عليه و سلم و مدحه لهم، فهو لا يصرح أنه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٨١

أفضل من إخوانه الأنبياء و أنه هو كذلك في حقيقة الأمر، و فضله عليهم واضح كالشمس و يؤخذ ذلك من الكتب و السنة صريحا و تلويحا، فهو سيد ولد آدم بصريح الأحاديث، قد أجمعت الأمة المحمدية التي لا تجتمع على ضلالة على ذلك.

و انعقد الإجماع أن المصطفى: أفضل خلق الله و الخلف انتفى و لولا خوف التطويل لبسطنا الأدلة على ذلك بالتفصيل التام.

اللهم صل و سلم على سيدنا "محمد" عبدك و نبيك و رسولك و على آله الطيبين الطاهرين و صحابته الأتقياء أجمعين.

(٢٥) و يؤخذ من قصة الإسراء والمعراج: أنها تدل دلالة صريحة واضحة أن الله سبحانه وتعالى اختص ذلك بعبده ورسوله "محمد" دون غيره من الأنبياء عليهم جميعاً أفضل الصلاة و أتم التسليم، ليرى ملكوت السموات و الأرض، و هذا دليل على ما لبينا صلى الله عليه و سلم من المنزلة العظمى و المقام المحمود عند ربه الكبير المتعال ذى الجلال و الإكرام الذى له ما فى السموات و ما فى الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى. فيزداد رسول الله صلى الله عليه و سلم بذلك شكراً و ليكون من الموقنين ظاهراً و باطناً حساً و معنى، فرؤية نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم فى الإسراء و المعراج ملكوت السموات و الأرض بالمشاهدة الحسية يعنى بعينى رأسه، غير رؤية إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام ذلك كما فى قوله تعالى: وَ كَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيُكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ.

و من أراد بيان الأدلة الشرعية على تفضيل نبينا محمد صلى الله عليه و سلم على جميع الأنبياء فليراجع شرح "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم" عند حديث: «نحن أحق بالشك من إبراهيم ... الخ»، بأواخر الجزء الرابع، فنحن مع يقيننا بهذا التفضيل لنبينا "محمد" نؤمن بجميع الأنبياء و المرسلين ما علمناهم و ما لم نعلمهم، و نحبهم و نحترمهم و نصلى و نسلم عليهم، من أبينا "آدم" أول الأنبياء إلى نبينا "محمد" خاتم الأنبياء.

و لكن لا يعلم هذا الفارق إلا الله سبحانه و تعالى الذى يعلم السر و أخفى.

هذا بعض ما استنتجناه من قصة الإسراء و المعراج بحسب فهمنا القليل و إدراكنا القاصر، فإذا أمعن فيها ذوى الفكر و النظر و البصيرة و البصر، لظهر له من الأمور الدقيقة أكثر و أكثر، فقصة الإسراء و المعراج تشمل كلها على عظيم المعجزات كل معجزة أكبر من أختها، و هى من أولها إلى آخرها صريحة بمزيد

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٨٢

إكرام الله تعالى و إحسانه لعبده و رسوله خاتم الأنبياء "محمد" صلى الله عليه و سلم بحيث بلغ الإكرام منتهاه، و هل بعد قوله تعالى: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى \* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى مَقَامَ أَسْمَى مِنْ هَذَا.

اللهم صل و سلم على عبدك و نبيك "محمد" المختار، و على آله و ذريته المباركين الأطهار، و على أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، و صحابته الأجلاء البررة المتقين.

اللهم إنا نسألك و أنت خير المسئولين، و نطلب منك و أنت أكرم الأكرمين أن تعرج بنا إلى العلا دواما بفضلك و رحمتك و إن لم نسهر الليالى بالعمل، و أن تملأ قلوبنا بالإيمان و الحكمة، و أن تنور بصائرنا و تشرح صدورنا، و أن ترزقنا العفو و العافية و الصحة و السلامة، و أن ترزقنا من برك و إحسانك رزقا حلالا و اسعا عظيما هنيئا بدون عسيان و لا طغيان، و أن تثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا و فى الآخرة، و أن تमितنا على الإيمان الكامل على طهارة و نظافة و فى أفضل يوم و أشرف ساعة و أبرك بقعة بدون تعب و لا مرض و لا نصب، و أن تدخلنا جنتك المفضلة بسلام آمين، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا، و أن تجعلنا من الذين لا-خوف عليهم و لا-هم يحزنون، سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.

### الكلام على رؤية النبي صلى الله عليه و سلم ربه عز و جل

لما اختلفوا هل رأى نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم ربه سبحانه و تعالى ليلة المعراج أم لا، رأينا من اللازم أن نشجع الكلام عن هذا الموضوع، و لا بد أن نقل من أوثق الكتب المعتمدة فنقلنا ما يأتى من كتاب "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى" صلى الله عليه و سلم، تأليف العلامة القاضى عياض و هو من علماء القرن السادس الهجرى. و إليك ما جاء فيه حرفيا و هو:

(فصل) و أما رؤيته صلى الله عليه و سلم لربه عز و جل فاختلف السلف فيها، فأنكرته عائشة رضى الله عنها. حدثنا أبو الحسين سراج

بن عبد الملك الحافظ بقراءته عليه، قال: حدثني أبي و أبو عبد الله بن عتاب الفقيه قالاً: حدثنا القاضي يونس بن مغيث، حدثنا أبو الفضل الصقلي، حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٨٣

و جده، قالاً: حدثنا عبد الله بن علي، حدثنا محمود بن آدم، حدثنا وكيع عن ابن أبي خالد عن عامر عن مسروق أنه قال لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، ثلاث من حدثك بهن فقد كذب: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ الْآيَةُ. وذكر الحديث.

وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها وهو المشهور عن ابن مسعود، ومثله عن أبي هريرة أنه قال: إنما رأى جبريل واختلف عنه، وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه رآه بعينه، وروى عطاء أنه رآه بقلبه، وعن أبي العالفة عنه: رآه بفؤاده مرتين، وذكر ابن إسحاق أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله هل رأى محمد ربه؟ فقال: نعم. والأشهر عنه أنه رأى ربه بعينه، روى ذلك عنه من طرق، وقال: إن الله تعالى اختص موسى بالكلام، وإبراهيم بالخلعة، ومحمداً بالرؤية، وحجته قوله تعالى: مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى \* أَفَتُؤْمَرُونَ عَلَىٰ مَا يَرَى \* وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى.

قال الماوردي: قيل إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، رآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين.

وحكى أبو الفتح الرازي وأبو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب، وروى عبد الله بن الحارث قال: اجتمع ابن عباس وكعب، فقال ابن عباس: أما نحن بنو هاشم فنقول: إن محمداً قد رأى ربه مرتين، فكبر كعب حتى جاوبته الجبال، وقال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه، وروى شريك عن أبي ذر رضي الله عنه في تفسير الآية قال: رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه.

وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيح بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: هل رأيت ربك؟ قال: رأيت بفؤادي ولم أره بعيني، وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رأيت ربي وذكر كلمته، فقال: يا محمد فيم يختصم الملاء الأعلى، الحديث.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٨٤

وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه، وحكاها أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة، وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود. التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم؛ ج ١-١؛ ص ٣٨٤

حكى ابن إسحق أن مروان سأل أبا هريرة هل رأى محمد ربه؟ فقال:

نعم، وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه:

رآه رآه حتى انقطع نفسه، يعنى نفس أحمد. وقال أبو عمر، قال أحمد بن حنبل:

رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالأبصار. وقال سعيد بن جبيرة: لا أقول رآه ولا لم يره.

وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود، فحكى عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه، وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل، وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال: رآه، وعن ابن عطاء في قوله تعالى: أَلَمْ نُشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، قال: شرح صدره للرؤية، وشرح صدر موسى للكلام.

وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رضي الله عنه وجماعة من أصحابه: أنه رأى الله تعالى يبصره وعيني رأسه، وقال: كل آية أوتيتها نبي من الأنبياء عليهم السلام، فقد أوتى مثلها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية. ووقف

بعض مشايخنا في هذا وقال: ليس عليه دليل واضح، ولكنه جائز أن يكون.

قال القاضي أبو الفضل وفقه الله: والحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيل، والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها، ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه، بل لم يسأل إلا جاززا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله فقال له الله تعالى: لَنْ تَرَانِي أَى لَنْ تَطِيقَ وَلا تَحْتَمِلَ رُؤْيِي، ثم ضرب له مثلا مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت وهو الجبل. وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة، وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها، إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ لِاخْتِلافِ التَّأْوِيلَاتِ فِي الْآيَةِ، وإذ ليس يقتضى قول من قال في الدنيا الاستحالة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٨٥

وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة، وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار، وقيل لا تدركه الأبصار لا تحيط به، وهو قول ابن عباس، وقد قيل لا تدركه الأبصار وإنما يدركه المبصرون. وكل هذه التأويلات لا تقتضى منع الرؤية ولا استحالتها.

وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى: لَنْ تَرَانِي وَقَوْلِهِ: تَبَّتْ إِلَيْكَ لَمَّا قَدَمْنَاهُ وَلِأَنَّهَا لَيْسَتْ عَلَى الْعُمُومِ، ولأن من قال أن معناها لن ترانى في الدنيا إنما هو تأويل، وأيضا فليس فيه نص الامتناع، وإنما جاءت في حق موسى.

وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع إليه سبيل. وقوله تعالى: تَبَّتْ إِلَيْكَ أَى مِنْ سْؤَالِي مَا لَمْ تَقْدِرْ لِي. وقد قال أبو بكر الهذلي في قوله: لَنْ تَرَانِي أَى لَيْسَ لِبَشَرٍ أَنْ يَطِيقَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ فِي الدُّنْيَا وَأَنَّهُ مِنْ نَظَرٍ إِلَيَّ مَاتَ.

وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه: أن رؤيته تعالى في الدنيا ممتنع لضعف تركيب أهل الدنيا وقواهم، وكونها متغيرة عرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية، فإذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية، وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم قوا بها على الرؤية.

وقد رأيت نحو هذا لمالك بن أنس رحمه الله، قال: لم ير في الدنيا؛ لأنه باق ولا يرى الباقي بالفانى، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رؤى الباقي بالباقي.

وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة، فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم تمتنع في حقه. وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ونفذ إدراكهما بقوة إلهية منحها لإدراك ما أدركاه ورؤية ما رأياه، والله أعلم.

وقد ذكر القاضي أبو بكر في أثناء أجوبته عن الآيتين ما معناه: أن موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خرّ صاعقا، وأن الجبل رأى ربه فصار دكا بإدراك خلقه الله له، واستنبت ذلك والله أعلم من قوله: وَلَكِنْ أَنْظَرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَيْقَرَ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي، ثم قال: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا وَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ هُوَ ظُهُورُهُ لَهُ حَتَّى رَأَاهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ. وقال جعفر

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٨٦

بن محمد: شغله بالجبل حتى تجلى و لولا ذلك لمات صاعقا بلا إفاقه، وقوله هذا يدل على أن موسى رآه.

وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل أنه رآه ورؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا له إذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز إذ ليس في الآيات نص في المنع.

وأما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم، والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص، إذ المعول فيه على آيتي النجم، والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن، ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمونه، ومثله حديث أبي ذر في تفسير الآية، وحديث معاذ محتمل



للتأويل و هو مضطرب الإسناد و المتن، و حديث أبي ذر الآخر مختلف محتمل مشكل، فروى: نور أنى أراه.

و حكى بعض شيوخنا أنه روى: نورانى أراه، و فى حديثه الآخر سألته فقال:

رأيت نورا، و ليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية، فإن كان الصحيح رأيت نورا، فهو قد أخبر أنه لم ير الله تعالى، و إنما رأى نورا منعه و حجه عن رؤية الله تعالى، و إلى هذا يرجع قوله: نور أنى أراه، أى كيف أراه مع حجاب النور المغشى للبصر، و هذا مثل ما فى الحديث الآخر حجاب النور، و فى الحديث الآخر: لم أره بعينى و لكن رأيت بقلبي مرتين، و تلا: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، و الله تعالى قادر على خلق الإدراك الذى فى البصر فى القلب أو كيف شاء لا إله غيره، فإن ورد حديث نص بين فى الباب اعتقد و وجب المصير إليه، إذ لا استحالة فيه و لا مانع قطعى رده، و الله الموفق للصواب.

ثم قال القاضى عياض بعد ذلك ما يأتى:

و كلام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه و سلم و من اختصه من أنبيائه جائز، غير ممتنع عقلا، و لا ورد فى الشرع قاطع يمنع، فإن صح فى ذلك خبر اعتمد عليه، و كلامه تعالى لموسى كائن حق مقطوع به، نص على ذلك فى الكتاب، و أكده بالمصدر دلالة على الحقيقة و رفع مكانه على ما ورد فى الحديث فى السماء السابعة بسبب كلامه، و رفع محمداً فوق هذا كله، حتى بلغ مستوى سمع فيه صريف الأقدام، فكيف يستحيل فى حق هذا أو يبعد سماع الكلام، فسبحان من خص من شاء بما شاء و جعل بعضهم فوق بعض درجات.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٨٧

### خلاصة ما ورد فى كتاب الشفاء من الأقوال فى الرؤية

تقدم تفصيل الكلام على رؤية نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم ربه عز و جل ليلة المعراج.

و الآن نحب أن نلخص الأقوال الواردة فى ذلك مما ذكره القاضى عياض رحمه الله تعالى فى كتابه "الشفاء" و هو فيما يأتى:

(١) أن عائشة رضى الله تعالى عنها قد أنكرت الرؤية. و قال بعضهم بقولها.

(٢) و أن ابن عباس رضى الله عنه أثبت الرؤية و قال: رآه بعينه.

(٣) و أن أبا ذر رضى الله عنه قال: رأى النبى صلى الله عليه و سلم ربه.

(٤) و أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه.

(٥) و أن أبا الحسن على بن إسماعيل الأشعري رضى الله عنه و جماعة من أصحابه أنه رأى الله تعالى ببصره و عينى رأسه.

(٦) و أن أحمد بن حنبل تبع ابن عباس و قال بحديثه: بعينه رآه رآه، و فى رواية عنه عن أحمد بن حنبل قال: رآه بقلبه.

(٧) و أن أبا هريرة و ابن مسعود قالوا إنما رأى جبريل، و روى عن أبى هريرة رأى محمد ربه.

(٨) و أن سعيد بن جبيرة قال: لا أقول رآه و لا لم يره.

هذه خلاصة الأقوال الواردة فى كتاب الشفاء، و لا حرج فى اتباع أى قول من هذه الأقوال و الحق يقال: أن رؤية النبى صلى الله عليه و سلم فى الدنيا جائزة عقلا، و ليس هناك نص فى المنع، و أما الوجوب و القول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضاً و لا نص.

اللهم اغفر لنا و ارحمنا و اعف عنا و طهرنا من المعاصى و الذنوب، حتى نلقى بالنظر إلى وجهك الكريم يوم القيامة، و الاجتماع بنبيك الكريم محمد صلى الله عليه و سلم بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين. آمين.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٨٨

هجرة النبى صلى الله عليه و سلم من مكة إلى المدينة

لما سمعت قريش مبايعة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم، و أنهم يدافعون عنه و يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم و أبناءهم، ساءهم ذلك جدا. فاجتمع عظاماؤهم و رؤساؤهم في دار الندوة، للتشاور فيما بينهم و وضع خطة محكمة توقف النبي صلى الله عليه و سلم عن الدعوة إلى الإسلام، و بعد أن أدلى كل منهم رأيه أجمعوا على قتله بكيفية لا يقدر بها بنو عبد مناف على حرب قريش كلهم بل يرضون بالدية، و ذلك بأن يأتي من كل قبيلة شاب قوى شجاع ثم يجتمعوا أمام داره، فإذا خرج محمد صلى الله عليه و سلم ضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل.

فعندئذ أعلم الله عز و جل نبيه الكريم بما دبره له أعداؤه، و أمره بالهجرة إلى المدينة المنورة، فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه في وقت الظهيرة، و أخبره بأن الله تعالى قد أذن له بالهجرة. فسأله أبو بكر الصحبة، فقال: نعم. ثم اتفقا على المقابلة ليلا خارج مكة، و كانت هذه الليلة هي ليلة استعداد شباب قريش لتنفيذ الخطة التي رسموها لقتله صلى الله عليه و سلم، فاجتمعوا حول باب داره و رسول الله داخلها، فلما أراد الخروج أمر ابن عمه على بن أبي طالب أن يبيت مكانه على فراشه، و قال له: إنهم لن يضروك، فألقى الله على أعدائه النوم فخرج النبي صلى الله عليه و سلم من الدار، و وضع على رأس كل واحد منه التراب و هو يقرأ قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ و لم يزل عليه الصلاة و السلام سائر حتى تقابل مع أبي بكر الصديق فسارا معا حتى بلغا غار ثور فاختميا فيه.

أما المشركون فحينما استيقظوا و وجدوا التراب على رؤوسهم علموا أن محمدا قد خرج من الدار، فدخلوها فوجدوا عليا على الفراش فلم يتعرضوا له، ثم خرجوا يطلبونه صلى الله عليه و سلم في كل جهات مكة و جعلوا الجوائز لمن يأتي به أو يدلهم عليه، و لقد وصلوا إلى الغار الذي اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم مع أبي بكر بجبل ثور، فحين رآهم أبو بكر اشتد خوفه على النبي صلى الله عليه و سلم و بكى و قال له: إن قتلت فإنما أنا رجل واحد، و إن قتلت أنت هلكت الأمة. فحينئذ قال له صلى الله عليه و سلم: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَعْمَى اللَّهُ أَبْصَارَ الْمُشْرِكِينَ فلم يروهما في ذلك الغار و إلى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٨٩

هذا تشير الآية الكريمة: فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا. أخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشر سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين و مات و هو ابن ثلاث و ستين.

و هنا يحلو للمؤمن أن يقف على مسألة هجرة النبي صلى الله عليه و سلم و حديث الغار مفصلا، لذلك نحب أن نسترسل في الكلام و نقل ما ورد عن ذلك من الكتب المعتمدة في الحديث و التاريخ، فنقول و بالله تعالى التوفيق و هو حسبي و نعم الوكيل و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم:

قال شيخنا المحدث الشهير محمد حبيب الله الشنقيطى رحمه الله تعالى فى كتابه "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم" فى الجزء الخامس عند حديث:

«يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» ما نصه:

و سبب هذا الحديث كما فى الصحيحين و اللفظ لمسلم عن أبي بكر رضى الله تعالى عنه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا و نحن فى الغار، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه. فقال: يا أبا بكر و ما ظنك باثنين الله ثالثهما. فقوله عليه الصلاة و السلام: ما ظنك باثنين الله ثالثهما جواب لأبى بكر رضى الله تعالى عنه. و بيان أنه جواب أن لازم الحالة التى قال فيها أبو بكر رضى الله عنه: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه الخ الخوف، و لازم قوله صلى الله عليه و سلم هذا أن لا خوف.

قال القرطبي: و الحديث ظاهر فى قوة توكله صلى الله عليه و سلم و عظم منزلة أبى بكر رضى الله عنه بهذا القول.

و الغار المذكور فى القرآن و فى قول الصديق و نحن فى الغار هو كما قاله السهيلي و غيره غار بجبل ثور أحد جبال مكة شرفها الله.

وقد زرته وبت فيه بعض الليالي تبركا بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم على عادة السلف الصالح؛ كابن عمر رضی الله عنهما، وقرأت فيه تفسير قوله تعالى: **إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** الخ الآية. وحديث الهجرة من صحيح البخارى بطوله و سآذكره هنا للمناسبة عن قريب إن شاء الله تعالى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٩٠

وكان من حديث الغار كما قاله عياض وغيره أن المشركين اجتمعوا لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيتوه، فأمر عليا أن يرقد على فراشه، وقال: **إنهم لن يضروك.**

فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم على الباب ولم يروه، ووضع على رأس كل واحد التراب، وانصرف عنهم إلى غار ثور فاختموا فيه. وأخبروا أنه قد خرج عليهم ووضع التراب على رؤوسهم فمدوا أيديهم إلى رؤوسهم فوجدوا التراب، فدخلوا الدار فوجدوا عليا على الفراش فلم يتعرضوا له، ثم خرجوا من كل وجه يطلبون النبي صلى الله عليه وسلم ويقتفون أثره بقائف معهم إلى أن وصلوا الغار، فوجدوا العنكبوت قد نسجت عليه. وما أحلى قول بعضهم في هذا المعنى:

ودود القز إن نسجت حريرا يحمل لبسه في كل شيء

فإن العنكبوت أجل منها بما نسجت على غار النبي

(قال الأبي) قال السهيلي: ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار تقدم أبو بكر رضی الله عنه في الدخول ليقية بنفسه، ورأى فيه حجرا فألقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ثابت في الدلائل: ولما دخلاه أنبت الله سبحانه وتعالى على بابها الرءاء بالمد، وهي شجرة من غلاة الشجر تكون مثل قامة الإنسان لها خيطان وزهر أبيض يحشى به المخاد؛ كالريش في خفته ولينه. وفي سند البزار أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فعششتا على فم الغار، وأن ذلك مما صد المشركين عنه، وأن حمام مكة من نسل تينك الحمامتين، وأن قريشا لما انتهى بهم القائف إلى فم الغار وجدوا ما ذكر على فم الغار، فحين رآهم أبو بكر رضی الله عنه اشتد خوفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: **إن قتلنا أنا رجل، وإن قتل أنت هلكت الأمة.** فحينئذ قال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: لا تحزن إن الله معنا أى بالحفظ والكلاءة ه. وقولى واللفظ له أى لمسلم.

وأما البخارى فلفظه في باب مناقب المهاجرين وفضلهم: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما. ولفظه من كتاب التفسير في باب قوله تعالى: **ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا.** ما ظنك باثنين الله ثالثهما. ولفظه في الهجرة: اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما. فهذا لفظ البخارى في رواياته الثلاث وفي قوله تعالى: **إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ مِنْ أَنْكَرَ صَاحِبَهُ أَبِي بَكْرٍ** رضی الله عنه كفر لتكذيبه القرآن (فإن قلت): لا دلالة في

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٩١

لفظ لصاحبه على خصوص أبي بكر (أجيب): بأن الإجماع منعقد على أنه أبو بكر رضی الله عنه.

أما حديث الهجرة فيناسب أن أذكر قبله ما أخرجه البخارى عن ابن عباس رضی الله عنهما قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين.

وحديث الهجرة الطويل هو ما أخرجه البخارى بلفظ حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة رضی الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشية. فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لفيه ابن الدغنة، وهو سيد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم وتحمل الكل، و

تقرى الضيف، و تعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع و اعبد ربك ببلدك.

فرجع و ارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله و لا يخرج. أخرجون رجلا يكسب للمعدوم و يصل الرحم و يحمل الكل و يقرى الضيف و يعين على نوائب الحق؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، و قالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها و ليقراً ما شاء الله، و لا يؤذينا بذلك، و لا يستعلن به فإننا نخشى أن يفتن نساءنا و أبناءنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر. فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره و لا يستعلن بصلاته، و لا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، و كان يصلى فيه و يقرأ القرآن فينقذ عليه نساء المشركين و أبناءهم و هم يعجبون منه و ينظرون إليه. و كان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، و أفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا: إنا كنا أجراً أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة و القراءة فيه. و إنا قد خشينا أن يفتن نساءنا و أبناءنا، فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٩٢

و إن أبا إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك فإننا قد كرهنا أن نخفرك و لسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، و إما أن ترجع إلى ذمتي، فإنني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له. فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك و أرضى بجوار الله عز و جل. و النبي صلى الله عليه و سلم يومئذ بمكة. فقال النبي صلى الله عليه و سلم للمسلمين: إني أريت دار هجرتكم ذات نخل، بين لابتين، و هما الحرتان. فهاجر من هاجر قبل المدينة، و رجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة. و تجهز أبو بكر قبل المدينة. فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: على رسلك، فإنني أرجو أن يؤذن لي. فقال أبو بكر: و هل ترجو ذلك- بأبي أنت و أمي- قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه و سلم ليصحبه، و علف راحلتين كانتا عنده ورق السمرة و هو الخبط أربعة أشهر.

قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة: فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحو الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه و سلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فدى له أبي و أمي، و الله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم فاستأذن، فأذن له، فدخل فقال النبي صلى الله عليه و سلم لأبي بكر: اخرج من عندك. فقال: أبو بكر: إنما هم أهلك- بأبي أنت يا رسول الله- قال: فإنني قد أذن لي في الخروج. فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: نعم. قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله أحد راحلتى هاتين. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: بالثمن. قالت عائشة:

فجهزناهما أحسن الجهاز وضعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاق، قالت: ثم لحق رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبو بكر بغار في جبل ثور، فكمنا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر و هو غلام شاب ثقف لحن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا- دعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام. و يرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحه من غنم فيربها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل و هو لبن منحتهما و رصيفتهما، حتى ينقع بها عامر بن فهيرة بفلس.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٩٣

يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث. و استأجر رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبو بكر رجلاً من بنى الدليل، و هو من بنى عبد بن عدى هاديا خريتا،- و الخريت الماهر بالهداية- قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي و هو على دين كفار قريش فأمناه، فدفعنا إليه راحلتيهما و وعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحتيهما صبح ثلاث، و انطلق معهما عامر بن فهيرة و الدليل فأخذ

بهم طريق الساحل.

فإن قيل: فما حكمة ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبل ثور والاختفاء في غاره عند هجرته إلى المدينة المنورة؟ نقول: إن ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبل ثور للاختفاء في غاره، إنما هو بتوجيه من ربه عز وجل، إن هذا الجبل يقع في أسفل مكة وبعده عن الكعبة بنحو ثلاث كيلو مترات، وهو جبل لا يقع على طريق المسافر إلى جدة أو الطائف، وإنما جبل بين جبال مكة لا يصلح أن يلجأ إليه أحد. وربما كان اختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لتضليل كفار قريش عن اقتفاء أثره، فإن الإنسان إذا هرب من بلدة إلى أخرى يسلك جادة الطريق، وفي ذلك العصر الطريق إلى هذا الجبل وعر، صعب، مليئاً بأشجار الشوك والأحجار، بخلافها في زماننا الحاضر فإنها نظيفة معبدة بالإسفلت تسير فيها السيارات، ومع ذلك فقد بحث عنه صلى الله عليه وسلم كفار قريش في كل الجهات، حتى توصلوا إلى هذا الجبل ووقفوا على باب الغار، ولكن الله تبارك وتعالى حجه عن أعينهم معجزة له صلى الله عليه وسلم.

فجبل ثور وغاره مبارك لاختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر رضى الله تعالى عنه فيه، بل مكة كلها مقدسة مباركة، منذ أن اكتشفها خليل الله إبراهيم وأسكن فيها ابنه إسماعيل وأمه هاجر عليهم الصلاة والسلام.

### ترجمة أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها

جاء في الجزء السادس من شرح "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم" عن ترجمة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما عند حديث: «لا توعى فيوعى الله عليك، ارضخى ما استطعت». قاله عليه الصلاة والسلام لذات النطاقين. رواه البخارى ومسلم عن أسماء المذكورة رضى الله عنها.

فبعد أن شرح المؤلف شيخنا رحمه الله تعالى الحديث المذكور قال عن ترجمة أسماء رضى الله تعالى عنها ما يأتي:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٩٤

وأما راوى الحديث هنا: فأسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما، وأما قتلته أو قتيله بنت عبد العزى، قرشية من بنى عامر ابن لؤى، وقد أسلمت أسماء قديماً بمكة. قال ابن إسحاق: بعد سبعة عشر نفساً، وتزوجها الزبير بن العوام، وهاجرت وهي حامل منه بولده عبد الله فوضعت بقاء، وهو أول مولود ولد للمهاجرين، وعاشت أسماء إلى أن ولي ابنها الخلافة، ثم إلى أن قتل ومات بعده بقليل على ما سيأتى.

وكانت تلقب بذات النطاقين. قال أبو عمر: سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات النطاقين؛ لأنها هيأت له لما أراد الهجرة سفرة، فاحتاجت إلى ما تشدها به، فشقت خمارها نصفين فشدت بنصفه السفرة وانتطقت النصف الثانى، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات النطاقين. قال: هكذا ذكر ابن إسحاق وغيره.

قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة: وأصل القصة فى صحيح مسلم دون التصريح برفع ذلك إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أسند ذلك أبو عمر من طريق أبي نوفل بن أبي عقرب قال: قالت أسماء للحجاج: كيف تعيره بذات النطاقين؟ تعنى ابنها، أجل قد كان لى نطاق أعطى به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم من النمل، و نطاق لا بد للنساء منه، قال أبو عمر لما بلغ ابن الزبير أن الحجاج يعيره بابن ذات النطاقين أنشد قول الهذلى متمثلاً:

وعيرها الواشون أنى أحبهاو تلك شكاء نازح عنك عارها

فإن اعتذر منها فإنى مكذب وإن تعتذر يردد عليك اعتذارها

وقال ابن سعد: أخبرنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه وفاطمة بنت المنذر، عن أسماء قالت: صنعت سفرة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فى بيت أبي بكر حين أراد أن يهاجر إلى المدينة، فلم نجد لسفرته ولا لسقائه من تربطهما به، فقلت لأبى بكر: ما أجد

إلا نطاق، قال: شقيه باثنين، فاربطى بواحد منهما السقاء و بالآخر السفرة. و سنده صحيح.

و بهذه السند عن عروة عن أسماء قالت: تزوجنى الزبير و ما له فى الأرض مال و لا مملوك و لا شىء غير فرسه، قالت: فكنت أعلف فرسه و أكفيه مؤنته و أسومه و أدق النوى لناضحته، و كنت أنقل النوى من أرض الزبير الحديث، و فيه حتى أرسل إلى أبو بكر بعد ذلك خادما فكفتنى سياسة الفرس. قال: و قال الزبير بن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٩٥

بكار فى هذه القصة قال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم: أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة، فقيل لها "ذات النطاقين." و قد روت أسماء عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عدة أحاديث و هى فى الصحيحين و السنن. قاله الحافظ ابن حجر فى الإصابة. و قال الخزرجى فى الخلاصة: لها ستة و خمسون حديثا، اتفق البخارى و مسلم على أربعة عشرة منها، و انفرد البخارى بأربعة، و مسلم بمثلها، و روى عنها ابنها عبد الله و عروة، و أحفادها عباد بن عبد الله، و عبد الله بن عروة، و فاطمة بنت المنذر بن الزبير، و عباد بن حمزة بن عبد الله ابن الزبير، و مولاها عبد الله بن كيسان، و ابن عباس، و صفية بنت شيبة، و جماعة. قالت فاطمة بنت المنذر: كانت أسماء تمرض المرضى فتعتق كل مملوك لها، و أخرج ابن السكن من طريق أبى المحيأ يحيى ابن يعلى التميمى عن أبيه، قال:

دخلت مكة بعد أن قتل ابن الزبير فرأيت مصلوبا، و رأيت أمه أسماء عجوزا طواله مكفوفة، فدخلت حتى وقفت على الحجاج، فقالت: أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟ قال: "المنافق!" قالت: لا و الله ما كان منافقا، و قد كان صواما قواما.

قال: اذهبي، فإنك عجوز قد خرفت، فقالت: لا- و الله، ما خرفت، سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: يخرج من ثقيف كذاب و مبير، فأما الكذاب فقد رأيناه، و أما المبير فأنت هو، فقال الحجاج: منه المنافقون.

و أخرج ابن سعد بسند حسن عن ابن أبى مليكة: كانت تصدع فتضع يدها على رأسها و تقول: بذنبي و ما يغفر الله أكثر.

و قال هشام بن عروة عن أبيه: بلغت أسماء مائة سنة لم تسقط لها سن و لم ينكر لها عقل.

و قال أبو نعيم الأصبهاني: ولدت قبل الهجرة بسبعة و عشرين سنة، و عاشت إلى أوائل سنة أربع و عشرين، و اختلف فى مكثها بعد ابنها عبد الله، فقيل عاشت بعده عشر ليال، و قيل عشرين يوما، و قيل بضعا و عشرين يوما، حتى أتى جواب عبد الملك بإنزال ابنها عن الخشبة و ماتت و قد بلغت مائة سنة، قال ابن إسحاق:

توفيت بمكة سنة ثلاث و سبعين. قال الذهبي: و هى آخر المهاجرات وفاة. و بالله تعالى التوفيق و هو الهادى إلى سواء الطريق. انتهى من الكتاب المذكور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٩٦

### عود إلى هجرة النبي صلى الله عليه و سلم

قال ابن شهاب: و أخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى و هو ابن أخى سراقه بن مالك بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقه بن جعشم يقول: جاءنا رسل قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبى بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسره. فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج، أقبل رجل منهم حتى قام علينا و نحن جلوس، فقال: يا سراقه إني قد رأيت آنفا أسودة الساحل آراها محمدا و أصحابه. قال سراقه، فصدقت أنهم هم، فقلت لهم: إنهم ليسوا بهم، و لكنك رأيت فلانا و فلانا انطلقوا بأعبيتنا يبعون ضالاهم لهم. ثم لبثت فى المجلس ساعة، ثم قمت، فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى، و هى من وراء أكمة فتحبسها على، و أخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت، فخططت بزجه الأرض، و خفضت عاليه حتى أتيت فرسى فركبتها، فرفعتها تقرب بى حتى دنوت منهم، فعرثت بى فرسى، فخررت عنها، فقامت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزام، فاستقسمت بها

آخرهم أم لا؟ فخرج الذي أكرهه، فركبت فرسى و عصيت الأزلام تقرب بى. حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو لا يلتفت و أبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسى فى الأرض، حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عنان ساطع فى السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذى أكره فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم و وقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الديء، و أخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، و عرضت عليهم الزاد و المتاع فلم يرزأنى، و لم يسألانى، إلا- أن قال: أخف عنا. فسألته أن يكتب لى كتاب أمن، فأمر ابن فهيرة فكتب فى رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه و سلم.

قال ابن شهاب: فأخبرنى عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لقي الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام، فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبا بكر ثياب بيض. و سمع المسلمون بالمدينة فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم من مكة، فكانوا يفتدون كل غداة إلى الحرّة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما أطلوا انتظاره، فلما آووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٩٧

آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه مبشرين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب! هذا جدكم الذى تنتظرونه. فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه و سلم بظهر الحرّة، فعدل بهم ذات اليمين، حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف. و ذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول.

فقام أبو بكر، و جلس مع رسول الله صلى الله عليه و سلم صامتا. فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه و سلم يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه و سلم عند ذلك.

فلبث رسول الله صلى الله عليه و سلم فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة و أسس المسجد الذى أسس على التقوى، و صلى فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم ركب راحلته فسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم بالمدينة، و هو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين. و كان مربدا للتمر لسهيل و سهل، غلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل. ثم دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذ مسجدا.

فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله صلى الله عليه و سلم. فأبى رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يقبله منهما هبة، حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدا. و طفق رسول الله صلى الله عليه و سلم ينقل معهم اللبن فى بنيانه و يقول و هو ينقل اللبن:

هذا الحمال لا حمال خبير هذا أبر ربنا و أظهر

و يقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار و المهاجرة

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى.

قال ابن شهاب: و لم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه و سلم تمثل ببیت شعر تام غير هذا البيت ا هـ. بطوله بلفظ البخارى فى صحيحه.

و قوله: قال ابن شهاب فى المواضع الثلاث فى هذا الحديث الطويل هو متصل بإسناد حديث عائشة المذكور، كما صرح به الحافظ فى فتح البارى.

و أخرج البخارى أيضا فى مناقب المهاجرين و فضلهم، و فى علامات النبوة قصة حديث الهجرة مختصرة من رواية البراء بن عازب رضى الله عنه قال: اشترى أبو بكر رضى الله عنه من عازب رحلا بثلاثة عشر درهما، فقال أبو بكر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٩٨

لعازب: مر البراء فليحمل إلى رحلى. فقال عازب: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت و رسول الله صلى الله عليه و سلم حين خرجتما من مكة و المشركون يطلبونكم.

قال: ارتحلنا من مكة فأحيينا أو سرنا ليلتنا و يومنا، حتى أظهرنا، و قام قائم الظهيرة فرميت ببصرى هل أرى من ظل فأوى إليه، فإذا صخرة أتيتها، فنظرت بقبه ظل لها فسويته، ثم فرشت للنبي صلى الله عليه و سلم فيه، ثم قلت له: اضطجع يا نبي الله.

فاضطجع النبي صلى الله عليه و سلم. ثم انطلقت أنظر ما حولى هل أرى من الطلب أحدا. فإذا أنا براعى غنم يسوق غنمه إلى الصخرة، يريد منها الذى أردنا. فسألته فقلت له: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش سماه عرفته. فقلت: هل فى غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت: فهل أنت حالب لبنا؟ قال: نعم. فأمرته فاعتقل شاة من غنمه، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه. فقال:

هكذا. ضرب إحدى كفيه بالأخرى. فحلب لى كئبه من لبن. و قد جعلت لرسول الله صلى الله عليه و سلم إداوة على فمها خرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فانطلقت به إلى النبي صلى الله عليه و سلم فوافقته قد استيقظ. فقلت له: اشرب يا رسول الله.

فشرب حتى رضيت، ثم قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله. قال: بلى.

فارتحلنا و القوم يطلبوننا. فلم يدركنا أحد منهم غير سراقه بن مالك بن جعشم على فرس له. فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله. فقال: لا تحزن إن الله معنا.

زاد فى علامات النبوة. فدعا عليه النبي صلى الله عليه و سلم فارتطمت به فرسه إلى بطنها أرى فى جلد من الأرض - شك زهير - فقال: إني أراكما قد دعوتما على، فادعوا لى فالله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا له النبي صلى الله عليه و سلم فنجا، فجعل لا يلقى أحدا إلا قال: كفيتمكم ما هنا فلا يلقى أحدا إلا رده. قال: و وفى لنا اه.

و فى حديث المتن كما قدمنا ظهور قوة توكل رسول الله صلى الله عليه و سلم، و عظم منزله أبى بكر رضى الله عنه حيث جعله الله مع نبيه، و كان تعالى ثالثهما.

و فى قصة حديث الهجرة الطويل فوائد منها: خدمة التابع الحر للمتبوع فى يقظته، و الذب عنه عند نومه، و خدمة التلميذ لشيوخه، و ما تثمره من المزايى فى المآل لما حصل للصدىق من الفضل فى الدنيا و الآخرة. أما الدنيا فلا فضل فيها أعظم من إجماع المسلمين على أنه هو الأحق بخلافه رسول الله صلى الله عليه و سلم و يبعثهم له بعد النزاع أولا. و أما الآخرة فقد دلت الأدلة على أنه فيها من أعظم هذه الأمة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٣٩٩

منزله عند الله لما ثبت فى الصحيحين من أنه يدخل الجنة من جميع أبوابها كما تقدم لنا فى هذا الكتاب مع تبشيره بالجنة كسائر من بشر بها، و دفته مع النبي صلى الله عليه و سلم فى مكان واحد، و منها محبة أبى بكر للنبي صلى الله عليه و سلم و أدبه معه و إيثاره له على نفسه، و منها أدب الأكل و الشرب و استحباب التنظيف لما يؤكل و يشرب. و منها استصحاب آله السفر كالإداوة و السفره و لا يقدح ذلك فى التوكل. و منها جواز شرب اللبن الذى يحلبه الراعى للمسافر إذا جرت العادة بالمسامحة فيه كما هو عادة العرب فى ذلك الزمن. و فى فتح البارى قال المهلب بن أبى صفرة: إنما شرب النبي صلى الله عليه و سلم من لبن تلك الغنم؛ لأنه كان حينئذ فى زمن المكارمة، و لا يعارضه حديث:

«لا- يحلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه»؛ لأن ذلك وقع فى زمن التشاح، أو الثانى محمول على التسور و الاختلاس، و الأول لم يقع فيه



ذلك، بل قدم أبو بكر سؤال الراعى: هل أنت حالب؟ فقال: نعم. كأنه سأله هل أذن لك صاحب الغنم فى حلبها لمن يرد عليك؟ فقال: نعم. أو جرى على العادة المألوفة للعرب فى إباحة ذلك، و الإذن فى الحلب على المار، و لابن السبيل. فكأن كل راع مأذونا له فى ذلك.

و قال الداودى: إنما شرب من ذلك على أنه ابن سبيل و له شرب ذلك إذا احتاج، و لا سيما النبى صلى الله عليه و سلم. و أبعد من قال إنما استجازه؛ لأنه مال حربى؛ لأن القتال لم يكن فرض بعد، و لا أبيحت الغنائم. و للمالكية فى هذه المسألة تفصيل منسوب للخمى نظمه صاحب سلم القضاء إلى منازل نوازل الرعاة. من علماء قطرنا بقوله:

سقى الرعاة من لقوا من لبن مرعيهم مالك لا يعجبين

يريد يكره إذا ما غلبا إباحة الناس لما قد حلبا

و ليس يكره و لكن يحرم إن كان لا يبيح أكثرهم

و إن أباحوا لبن المرعى لم يكره التفصيل للخمى

و حديث المتن كما أخرجه الشيخان أخرجه الترمذى فى كتاب التفسير من سننه. انتهى كل ذلك من زاد المسلم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٠٠

### ما لقيه رسول الله صلى الله عليه و سلم من التعب فى طريقه إلى الغار

جاء فى تاريخ الخميس ما نصه: و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد خلع نعليه فى طريق الغار، و كان يمشى على أطراف أصابعه لئلا يظهر أثرهما على الأرض، حتى حفيت رجلاه "أى رقنا من كثرة المشى،" فلما رآه أبو بكر و قد حفيت رجلاه حمله على كاهله و جعل يشند حتى أتى الغار. كذا فى دلائل النبوة.

ثم جاء فيه بعد هذا ببضعه أسطر من هذا الكلام ما يأتى: و روى عن أبى بكر أنه قال لعائشة: لو رأيتنى و رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ سعدنا الغار، فأما قدما رسول الله صلى الله عليه و سلم فتفطرتا، و أما قدماى فعادتا كأنهما صفوان، قالت عائشة: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يتعود الحفية و لا الرعية.

و روى عن أبى بكر أنه قال: نظرت إلى قدمى رسول الله صلى الله عليه و سلم فى الغار و قد قطرتا دما، فاستبكت، فعلمت أنه صلى الله عليه و سلم لم يتعود الحفاء و لا الحفوة.

قال ابن هشام: و حدثنى بعض أهل العلم أن الحسن البصرى قال: انتهى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبو بكر إلى الغار ليلا، فدخل أبو بكر إلى الغار قبل رسول الله صلى الله عليه و سلم فلمس الغار لينظر فيه سبع أو حية ليقى رسول الله صلى الله عليه و سلم بنفسه.

و فى معالم التنزيل: قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أستبرئ الغار، و كان الغار مشهورا بكونه مسكن الهوام و الوحوش، قال: ادخل.

فدخل، فرأى غارا مظلمًا، فجلس و جعل يلتمس بيده، كلما وجد جحرا أدخل فيه إصبعه حتى انتهى إلى جحر كبير فأدخل رجله إلى فخذه فأجرحه.

و فى رواية: كلما وجد جحرا شق ثوبه فألقمه إياه حتى فعل ذلك بثوبه كله، فبقى جحر فألقمه عقبه.

و فى الرياض النضرة: فجعل الحيات و الأفاعى يضربنه و يلسعنه انتهى. و على كل التقديرين لدغته الحية تلك الليلة. قال أبو بكر: فلما ألقت عقبى الجحر لدغتنى الحية، و إن كانت اللدغة أحب إليّ من أن يلدغ رسول الله صلى الله عليه و سلم، انتهى.

ثم قال أبو بكر: أدخل يا رسول الله، فإنى سويت لك مكانا. فدخل فاضطجع رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أما أبو بكر فكان

متألما من لدغة الحية، و لما أصبحا رأى النبي صلى الله عليه و سلم على أبي بكر أثر الورم، فسأله عنه، فقال: من لدغة الحية. فقال التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٠١

النبي صلى الله عليه و سلم: هلا أخبرتنى؟ قال: كرهت أن أوقظك. فمسحه النبي صلى الله عليه و سلم فذهب ما به من الورم و الألم. ثم قال: فأين ثوبك يا أبا بكر؟ فأخبره بما فعل، فعند ذلك رفع النبي صلى الله عليه و سلم يده فقال: اللهم اجعل أبا بكر فى درجتى يوم القيامة. فأوحى الله إليه قد استجاب لك. كذا فى المنتقى خرج الحافظ أبو الحسين بن بشر و الملا فى سيرته عن ميمون بن مهران عن ضبة بن محصن الغنوى.

و عن ابن عباس: قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: رحمك الله صدقتنى حين كذبتى الناس، و نصرتنى حين خذلتى الناس، و آمنت بى حين كفر بى الناس، و آنستنى فى وحشتى فأى منه لأحد على مثلك. خرج فى فضائله، ذكره فى الرياض النضرة. و فى معالم التنزيل قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأبى بكر: أنت صاحبى فى الغار و صاحبى على الحوض. قال الحسن بن الفضل: من قال إن أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم فهو كافر لإنكاره نص القرآن، و فى سائر الصحابة إذا أنكروا يكون مبتدعا لا كافرا. انتهى من تاريخ الخميس.

### وقت الخروج من الغار و السفر إلى المدينة

جاء فى تاريخ الخميس فى الجزء الأول منه عن وقت خروجه صلى الله عليه و سلم من غار ثور و عن وقت وصوله إلى المدينة المنورة ما نصه:

و فى الاستيعاب: أذن الله له فى الهجرة إلى المدينة يوم الاثنين، و كانت هجرته فى ربيع الأول و هو ابن ثلاث و خمسين سنة، و قدم المدينة يوم الاثنين قريبا من نصف النهار، فى الضحى الأعلى لاثنى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول. هذا قول ابن إسحاق، و كذا قال غيره، إلا أنه قال: كان مخرجه إلى المدينة لهلال ربيع الأول.

و قال أبو عمرو و قد روى عن ابن شهاب أنه قدم المدينة لهلال ربيع الأول.

و قال عبد الرحمن ابن المغيرة: قدم المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول.

و قال الكلبي: خرج من الغار ليلة الاثنين أول يوم من ربيع الأول و قدم المدينة يوم الجمعة لاثنى عشرة ليلة خلت منه، قال أبو عمرو و هو قول ابن إسحاق إلا فى تسمية اليوم فإن ابن إسحاق يقول يوم الاثنين و الكلبي يقول يوم الجمعة، و اتفقا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٠٢

لاثنى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، و غيرهما يقول لثمان خلت منه، و الاختلاف أيضا فى تاريخ قدومه المدينة كما ترى.

و فى الصفوة قال يزيد بن حبيب: خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم من مكة فى صفر، و قدم المدينة فى ربيع الأول. و فى الوفاء ذكر موسى بن عقبه عن الزهري أن الخروج كان فى بقية تلك الليلة، و كان ذلك بعد العقبة بشهرين و ليال. و قال الحاكم بثلاثة أشهر أو قريبا منها و يرجح الأول ما جزم به ابن إسحاق من أنه خرج أول يوم من ربيع الأول، فيكون بعد العقبة بشهرين و بضعة عشر يوما، و كذا جزم به الأموى فقال: خرج لهلال ربيع الأول و قدم المدينة لاثنى عشرة ليلة خلت منه.

قال فى فتح البارى: و على هذا كان خروجه يوم الخميس و هو الذى ذكره محمد بن موسى الخوارزمي، لكن قال الحاكم: تواترت الأخبار بأن الخروج كان يوم الاثنين، و الدخول يوم الاثنين، و جمع الحافظ ابن حجر بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس، أى فى أثناء ليلته لما قدمناه، و خروجه من الغار يعنى غار ثور ليلة الاثنين لأنه أقام فيه ثلاث ليال: ليلة الجمعة و ليلة السبت و ليلة الأحد و خرج فى أثناء ليلة الاثنين. كذا فى المواهب اللدنية. و من روى لليلتين لعله لم يحسب أول ليلة.

و كانت مدة إقامته صلى الله عليه و سلم بمكة بعد النبوة بضع عشرة سنة، و يدل عليه قول صرمة:

ثوى فى قريش بضع عشرة حجةً يذكر لو ألقى صديقاً مؤاتياً

وقال عروة: عشراً، وقال ابن عباس: خمسة عشرة سنة. وفى رواية عنه عشر سنين ولم يعلم بخروجه الا على و آل أبى بكر. وفى سيرة اليعمرى: ولما بلغ ثلاثاً وخمسين سنة هاجر من مكة إلى المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول، وأقام المشركون ساعة، فجعلوا يتحدثون فأتاهم آت وقال: ما تنتظرون؟ قالوا: ننتظر أن نصبح فنقتل محمداً. قال: قبحكم الله وخيكم، أو ليس قد خرج عليكم وجعل على رؤوسكم التراب؟ قال أبو جهل: أو ليس ذاك مسجى ببردء والآن كلمنا. فلما أصبحوا قام على عن الفراش، فقال أبو جهل: صدقنا ذلك الخير.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٠٣

فاجتمعت قريش وأخذت الطرق، وجعلت العجائل لمن جاء به. فانصرت عيونهم ولم يجدوا شيئاً، وفى رواية لما قال القائل قد خرج ونثر على رؤوسكم التراب فما ترون ما بكم؟ وضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا فيه التراب. ثم جعلوا يتطلعون وينظرون من شق الباب فيرون علياً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبونه النبى صلى الله عليه وسلم فيحرسونه، ويقولون: إن هذا لمحمد، نائم عليه برده. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فوثبوا عليه، فقام على من الفراش، فقالوا له: أين صاحبك؟ قال: لا علم لى. قيل إنهم ضربوا علياً وحسوه ساعة، ثم تركوه واقتصوا أثر النبى صلى الله عليه وسلم. فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم.

وروى أنه لم يبق أحد من الذين وضع على رؤوسهم التراب إلا قتل يوم بدر، وأنشأ على فى بيتوته فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم هذه الأبيات:

وقيت بنفسى خير من وطئ الثرى ومن طاف بالبيت العتيق وبالبحر

رسول إله خاف أن يمكروا به فنجاه ذو الطول الإله من المكر

وبات رسول الله فى الغار آمناموقى وفى حفظ الإله وفى ستر

وبت أراعاهم وما يتشبتونى وقد وطنت نفسى على القتل والأسر

انتهى من تاريخ الخميس.

انظر: صورة رقم ١٥، جبل ثور. و صورة رقم ١٦، مدخل جبل ثور

### خروج النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر من الغار

جاء فى تاريخ الخميس عند الكلام على ذكر خروجهما من الغار وتوجههما إلى المدينة وما وقع لهما فى الطريق: ما خلاصته:

ولما مضت ثلاث ليال وسكن عنهما الناس جاء الدليل بالراحتين صبح ثلاث بالسحر إلى باب الغار كما وعده.

قال أبو الحسن بن البراء: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغار ليلة الاثنين لغرة شهر ربيع الأول.

وذكر محمد بن سعد أنه خرج من الغار ليلة الاثنين لأربع ليال خلون من ربيع الأول، كما مر. كذا فى سيرة مغلطاي ودلائل النبوة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٠٤

وفى سيرة ابن هشام: آتاها صاحبهما الذى استأجره ببعيريهما وبعير له وأتتهما أسماء بنت أبى بكر بسفرتيهما ونسيت أن تجعل لها عصاماً فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفره، فإذا ليس فيها عصام، فحلت نطاقها فجعلته عصاماً علقتها به. فكان يقال لأسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين لذلك.

قال ابن هشام سمعت غير واحد من أهل العلم يقول: ذات النطاقين وتفسيره أنها لما أرادت تعليق السفره شقت نطاقها باثنتين، فعلقت السفره بواحدة، وانتظمت بالأخرى، كما مر فى أوائل الفصل الأول. وجاء عامر بن فهيرة ليخدمهما فى الطريق.

و في سيرة ابن هشام قال ابن إسحاق: فلما قرب أبو بكر الراجلتين إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم قدم له أفضلهما، ثم قال: اركب فداك أبي و أمي. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إنى لا أركب بعيرا ليس لى. قال: فهى لك يا رسول الله، بأبى أنت و أمي. قال: لا، و لكن بالثمن ابتعتها به. قال: أخذتها بكذا و كذا. قال: قد أخذتها بذلك؟ قال: هى لك يا رسول الله. و قد مر أن ثمنها ثمانمائة درهم.

قيل: الحكمة فى أنه صلى الله عليه و سلم أحب أن لا- تكون هجرته إلا- بمال نفسه. فركبا و انطلقا و أردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاة ليخدمهما فى الطريق.

و فى سيرة ابن هشام قال ابن إسحاق: و لما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقد، و كان ماهرا بالطريق، فسلك بهما أسفل مكة ثم مضى بهما على الساحل من عسفان، ثم سلك بهما على أسفل أمج.

و فى رواية: ثم عارض الطريق على أمج، ثم نزل من قديد خيام أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية من بنى كعب.

قال ابن إسحاق: ثم اجتاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قديدا، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الحرار، ثم سلك بهما ثنية المرة، ثم سلك بهما لقفا.

قال ابن هشام: لفتا. قال ابن إسحاق: ثم أجاز بهما مدلجة لقف ثم استبطن بها مدلجة محاج، و يقال لجاج فيما قال ابن هشام، ثم سلك بهما مرجح مجاح، ثم تبطن بهما مرجح من ذى العضوين، بفتح العين المهملة و سكون الصاد المعجمة، و يقال بسكون الصاد المهملة فيما قاله ابن هشام، ثم بطن بهما ذى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٠٥

كشر، ثم أخذ بهما على الجدادج، ثم على الأجرد، ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداء مدلجة تعهن، ثم على العبايد، قال ابن هشام: و يقال العبايب، و يقال العثيانة. قال ابن هشام: ثم أجاز بهما الفاجية و يقال القاحه، فيما قال ابن هشام، ثم هبط بهما العرج و قد أبطأ عليهما بعض ظهرهم، فحمل رسول الله صلى الله عليه و سلم رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل، و قيل يقال له ابن الرداء، و فى نسخة ابن الرдах إلى المدينة، و بعث معه غلاما له يقال له مسعود بن هنيذة، ثم خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية العائر عن يمين ركوبة، و يقال ثنية الغائر فيما قال ابن هشام، حتى هبط بهما على بطن رثم ثم قدم بهما قباء على بنى عمرو بن عوف لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحى و كادت الشمس تعتدل، كما سيجىء. و اتفق فى سيرة قصة سراقه عارضهم يوم الثلاثاء بتعديد ذكره ابن سعد كما سيجىء.

قال أبو بكر: فأدلجنا- يعنى من الغار- فأحشنا يومنا و ليلتنا حتى أظهرنا، و قام قائم الظهيرة فضربت ببصرى هل أرى ظلاناوى إليه، فإذا أنا بصخرة، فأهويت إليها، فإذا بقبة ظلها مديد، فدخلت إليها فسويته لرسول الله صلى الله عليه و سلم، و فرشت فروه و قلت: اضطجع يا رسول. فاضطجع، ثم خرجت أنظر هل أرى أحدا من الطلب، فإذا أنا براعى غنم لرجل من قريش كنت أعرفه، فحلب شيئا من اللبن، ثم أتيت به رسول الله فشرب حتى رضيت.

و فى المواهب اللدنية: و اجتاز صلى الله عليه و سلم فى وجهه ذلك بعبد يرعى غنما، فكان من شأنه ما روينا من طريق البيهقى بسنده، عن قيس بن النعمان قال: فلما انطلق النبي صلى الله عليه و سلم و أبو بكر مستخفين مرا بعبد يرعى غنما، فاستسقىاه اللبن، فقال: ما عندى شاه تحلب، غير أن هاهنا عناقا حملت أول، و ما بقى لها لبن. فقال: ادع بها. فاعتقلها صلى الله عليه و سلم، و مسح ضرعها و دعى حتى أنزلت. و جاء أبو بكر بمجن فسقى أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعى، ثم حلب فشرب، فقال الراعى: بالله من أنت؟ فوالله ما رأيت مثلك. فقال: أو تراك تكتم على حتى أخبرك؟ قال:

نعم. قال: فإنى محمد رسول الله. قال: فأنت الذى تزعم قريش أنه صابى؟

قال: إنهم ليقولون ذلك. قال: فأشهد أنك نبي، و أن ما جئت به حق، و أنه لا- يفعل ما فعلت إلا نبي، و أنا متبعك. قال: إنك لن

تستطيع ذلك يومك، فإذا بلغك أنى قد ظهرت فأتنا.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٠٦

و أورد فى المواهب اللدنية قصة العبد الراعى بعد قصة أم معبد.

قال أبو بكر: ثم قلت: آن الرحيل، فارتحلنا و القوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقه بن مالك بن جعشم. فقلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا. قال: لا تحزن إن الله معنا. حتى إذا دنا منا و كان بيننا و بينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا و بكيت، قال: لم تبكى؟ قلت: أما و الله ما على نفسى أبكى، و لكنى أبكى عليك. فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: اللهم اكفناه بما شئت. فساخت قوائم فرسه إلى بطنها فى أرض صلد، فوثب عنها و قال: يا محمد قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه، فو الله لأعمين على من ورائى من الطلب، و هذه كنانتى فخذ منها سهمًا فإنك ستمر بإبلى و غنمى فى موضع كذا و كذا، فخذ منها حاجتك.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لا حاجة لى بها. فأطلق، فرجع إلى أصحابه و جعل لا يلقى أحدا إلا قال: كفيته ما هاهنا، و لا يلقى أحدا إلا رده كذا فى المنتقى.

و فى رواية: دعا عليه فقال: اللهم اصرعه. فصرعت فرسه، ثم قامت تحمحم. و فى مزيل الخفاء اسم هذه الفرسة العود. و قيل كانت أنثى.

و فى سيرة مغلطاي: فلما راحوا من قديد تعرض لهما سراقه بن مالك بن جعشم المدلجى.

و فى المواهب اللدنية: ثم تعرض لهما بقديد سراقه بن مالك بن جعشم المدلجى.

و فى رواية عن سراقه أنه قال: جاءنا رسل قريش أنهم جعلوا فى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبى بكر ديه، فى كل واحد منهما مائة إبل لمن قتله أو أسره. فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى أقبل رجل حتى قام علينا، فقال: يا سراقه إنى قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أظنها محمدا و أصحابه.

و فى سيرة ابن هشام قال: و الله لقد رأيت ركة ثلاثة مروا على آنفا، إنى لأراهم محمدا و أصحابه. قال: فأومأت إليه بعينى أن اسكت. قال سراقه:

فعرفت أنهم هم، فقلت: إنهم ليسوا بهم، و لكنك رأيت فلانا و فلانا و فلانا انطلقوا بأعيننا. ثم لبثت فى المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى، و هى من وراء أكمة فتحبسها على، و أخذت رمحى فخرجت به

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٠٧

من ظهر البيت، فخطت برحة الأرض و خفضت عالية الرمح حتى أتيت فرسى.

و فى سيرة ابن هشام: قال سراقه: و كنت أرجو أن أرده على قريش و آخذ المائة. قال: فركبتها فدفعتها تقرب بى حتى دنوت منهم، فعثرت بى، فخررت عنها، فقامت فأهويت يدي إلى كنانتى فاستخرجت منها الأزام فاستقسمت بها أضرمهم أم لا فخرج الذى أكره، فركبت فرسى و عصيت الأزام، و لم أزل أجد فى الطلب تقرب بى حتى سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو لا يلتفت، و أبو بكر كثير الإلتفات، ساخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكذب تخرج يديها، فلما استوت قائمه ظهر لأثر يديها غبار ساطع إلى السماء مثل الدخان.

و فى سيرة ابن هشام: كالإعصار، فاستقسمت بالأزام فخرج الذى أكره فنادت بالأمان، فوقفوا. فركبت فرسى حتى جئتهم، و وقع فى نفسى حين لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر محمد صلى الله عليه و سلم. فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الديه، فأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، و عرضت عليهم الزاد و المتاع، فلم يرزأنى و لم يسألانى شيئا، إلا أن قال: أخف عنا. فسألت أن يكتب لى كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من آدم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه و سلم. كذا فى المنتقى.

و في سيره ابن هشام: قال ابن إسحاق، قال سراقه: عرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني و أنه ظاهر. قال: فناديت القوم فقلت: أنا سراقه بن جعشم انظروني أكلمكم، فوالله لا أريكم و لا يأتيكم مني شيء تكرهونه. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأبي بكر: قل له: ما تبتغي منا؟ قال: فقال لي ذلك أبو بكر، فقلت:

تكتب لي كتابا يكون آية بيني و بينكم. قال: اكتب له يا أبا بكر. قال: فكتب لي كتابا في عظم أو في رقعة أو في خرقة، ثم ألقاه إلي فأخذته فجعلته في كنانتي، ثم رجعت فسكت فلم أذكر شيئا مما كان، حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه و سلم و فرغ من حنين و الطائف خرجت و معي الكتاب لألقاه. فلقيته بالجعرانة.

قال: فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار، فجعلوا يقرعونني بالرمح و يقولون: إليك إليك ما تريد؟ قال: فدنوت من رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو على

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٠٨

ناقته، و الله لكأنني أنظر إلى ساقه في غرزه، فكأنما جماره. قال: فرفعت يدي بالكتاب، ثم قلت: يا رسول الله هذا كتابك لي، أنا سراقه بن جعشم. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يوم وفاء وبر، أدن مني. قال: فدنوت منه و أسلمت.

و أورد في المواهب اللدنية قصة سراقه بعد قصة أم معبد. روى أن أبا جهل لما سمع قصة سراقه أنشأ هذين البيتين و بعث بهما إليه:

بنى مدلج إنى أخاف سفيهم سراقه يستغوى بنصر محمد

عليكم به أن لا يفرق جمعكم فيصبح شتى بعد عز و سؤدد

و سراقه أيضا أنشأ هذين البيتين و بعث بهما إلى أبي جهل:

أبا حكم و اللات إن كنت شاهد الأمر جوادى إذ تسيح قوائمه

عجبت و لم تشكك بأن محمدانى ببرهان فمن ذا يكاتمه؟

و في الاكتفاء: و سراقه بن مالك هذا الذى أظهر الله فيه أثرا من الآثار الشاهدة له عليه الصلاة و السلام بأن الله أطلعه من الغيب فى حياته على ما ظهر مصداقه بعد وفاته. و ذلك أنه روى سفيان بن عيينه، عن أبي موسى، عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لسراقه بن مالك: كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟

قال: فلما أتى عمر بسواري كسرى و منطقتة و تاجه دعا سراقه بن مالك فألبسه إياهما. و كان سراقه رجلا أزب كثير شعر الساعدين. فقال له: ارفع يديك، فقل: الله أكبر، الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز الذى كان يقول: أنا رب الناس، و ألبسهما سراقه بن مالك بن جعشم أعرابيا من بنى مدلج. و رفع عمر بها صوته.

### [قصتهما مع أم معبد]

و مما وقع لهم فى الطريق مرورهم بخيمتى أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية.

و فى المشكاة أن النبى صلى الله عليه و سلم لما خرج من مكة مهاجرا إلى المدينة هو و أبو بكر و مولى أبى بكر عامر بن فهيرة و دليلهما عبد الله الليثى مروا على خيمتى أم معبد الخزاعية انتهى. و كانت بقديد. و فى معجم ما استعجم: من قديد إلى المشلل ثلاثة أميال بينهما خيمتى أم معبد.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٠٩

و فى خلاصة الوفاء: قديد- كزبير- قرية جامعته بطريق مكة، كثيرة المياه.

و كانت أم معبد امرأة برزة جلدة، تحبى بقاء الخيمة تسقى و تطعم. فسألوها تمرا و لحما ليشتروا منها. فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك. و كان القوم مرملين مستنين، فقال: و الله لو كان عندنا ما أعوزتكم القرى. فنظر رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الشاة فى

كسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك. قال: أتأذنين لى أن أحلبها؟ قالت: نعم بأبى أنت و أمى، إن رأيت بها حلبا فاحلبها. فدعا بها رسول الله صلى الله عليه و سلم فمسح بيده المباركة ضرعها و سمى الله عز و جل، و دعا لها فى شاتها فتفاجت عليه و درت و اجترت، و دعا بإناء يربض الرهط فحلب ثجا حتى علاه البهاء، ثم سقاها حتى رويت و سقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب رسول الله صلى الله عليه و سلم آخرهم، ثم أراضوا، ثم حلب ثانيا بعد بدء حتى امتلأ- الإناء، ثم غادروه عندها، ثم بايعها و ارتحلوا عنها. كذا ذكره البغوى فى شرح السنه و ابن عبد البر فى الاستيعاب.

و قال ابن الجوزى فى الوفاء: قال لها: هات قدحا فجاءت بقدرح فحلب فيه حتى امتلأ، فأمر أبا بكر أن يشرب فقال أبو بكر: بل أنت اشرب يا رسول الله.

قال: ساقى القوم آخرهم شربا. فشرب أبو بكر، ثم حلب فشرب رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم حلب فشربت أم معبد، ثم حلب فقال: ارفعى هذا لأبى معبد إذا جاءك. ثم ركبوا و ساروا، و قل ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا، يتساوكن هزالا مخهن قليل. فلما رأى أبو معبد اللبن عجب، و قال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد، و الشاء عازب حيال لا حلوب بالبيت. قالت: لا و الله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك، من حاله كذا و كذا. قال: صفيه لى يا أم معبد. قالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاء، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبته تجلة، و فى رواية نحلة و لم تزريه صعلة، و فى رواية صقلة، و سيم قسيم، فى عينيه دعج، و فى أشفاره عطف، و فى صوته صحل، و فى عنقه سطح، و فى لحيته كثائته، أزج أقرن، إن صمت فعليه الوقار، و إن تكلم سما و علاه البهاء، أجمل الناس و أبهاه من بعيد، و أحسنه و أعلاه من قريب، حلو المنطق، فصل، لا نزر و لا هذر، كأن منطقته خرزات نظمن يتحدرن، ربعة لا تشنؤه من طول و لا تقتحمه العين من قصر، غصن بين غصنين، و هو أنضر الثلاثة منظرا و أحسنهم قدرا، له

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤١٠

رفقاء يحفونه، إن قال أنصتوا لقوله، و إن أمر تبادروا لأمره، محفود محشود، لا عابس و لا مفند.

قال أبو معبد: هذا و الله صاحب قریش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، و لقد هممت أن أصحبه، و لأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا. ثم هاجرت هى و زوجها فأسلما. و كان أهلها يؤرخون بيوم الرجل المبارك. كذا فى شرح السنه لمحيى السنه. و فى خلاصة الوفاء: خرج أبو معبد فى أثرهم ليسلم، فيقال أدر كهم بطن ريم فبايعوه و انصرف.

(قوله): تفاجت أى: فتحت ما بين رجليها. (قوله): يربض الرهط أى يرويههم. (قوله): البهاء هو لمعان رغو اللب (قوله): يتساوكن أى: يسرن سيرا ضعيفا، (قوله): عازب أى: بعيدة عن المرعى، و حيال جمع حائل، و هى غير الحامل، (قوله): تجلة أى: عظم بطن، (قوله): نحلة أى نحول و دقة جسم، أى: ليس سمينا مفرطا و لا نحिला مفرطا، (قوله): صعلة هى صغر الرأس، (قوله): عطف أى: طول. (قوله): صحل هو كالبحة، (قوله): محفود أى: مخدوم، (قوله): محشود أى: له حشد أى: جماعة، (قوله): و لا مفند أى: ليس كثير اللوم على من وقع منه ذنب.

و فى الصفوة: قال عبد الملك: فبلغنا أن أم معبد هاجرت إلى النبى صلى الله عليه و سلم و أسلمت.

قال رزين: أقامت قریش أياما ما يدرون أن رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أى جهة توجه، و أى طريق سلك، حتى سمعوا بعد ذهابهما من مكة بأيام فى صباح هاتفا أقبل من أسفل مكة بأبيات، و يغنى بغناء العرب عاليا بين السماء و الأرض، و الناس يسمعون الصوت و يتبعونه و لا يدرون صاحبه حتى خرج من أعلا مكة و هو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتى أم معبد

هما نزلا بالهدى ثم اهتدت به فقد فاز من أمسى رفيق محمد

ما حملت من ناقة فوق رحلها أبر و أوفى ذمه من محمد

فيا لقصى ما زوى الله عنكم به من فعال لا تجارى و سؤدد  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤١١ ليهن بنى كعب مكان فتاتهم و معقدها للمؤمنين بمرصد  
 سلوا أختكم عن شاتها و إنائها فإنكم إن تسألوا الشاء تشهد  
 دعاها بشاء حائل فتحلبت عليه صريحا ضرة الشاء مزبد  
 فغادرها رهنا لديها لحالب يرددها فى مصدر ثم مورد  
 و قيل: سمعوا هاتفا على أبى قبيس بصوت جهورى يقول هذه الأبيات. و لما سمع حسان بن ثابت قال فى جوابه هذه الأبيات:  
 لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم و قدس من يسرى إليه و يغتدى  
 ترحل عن قوم فزال عقولهم و حل على قوم بنور مجدد  
 هداهم به بعد الضلالة ربهم و أرشدهم، من يتبع الحق يرشد  
 و هل يستوى ضلال قوم تسفهوا عما يتهم، هاد به كل يهتدون مهتد  
 لقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هدى حلت عليهم بأسعد  
 نبى يرى ما لا يرى الناس حوله و يتلو كتاب الله فى كل مشهد  
 و إن قال فى يوم مقالة غائب فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى غد  
 ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد

و فى رواية عن أم معبد أنها قالت: طلعت علينا أربعة على راحلتين فنزلوا بى، فجئت رسول الله صلى الله عليه و سلم بشاء أريد ذبحها  
 فإذا هى ذات در، فأدنيتهما منه، فلمس ضرعها و قال: لا تدبجها. فأرسلتها و جئت بأخرى، فذبحتها و طبختها لهم، فأكل هو و أصحابه  
 و ملأت سفرتهم منها ما وسعت، و بقى عندنا لحمها أو أكثر، و بقيت الشاء التى لمس رسول الله صلى الله عليه و سلم ضرعها عندنا  
 إلى زمان عمر، و هى السنة الثامنة عشر من الهجرة، و كنا نحلبها صبوحا و غبوقا و ما فى الأرض لبن.

و روى الزمخشري فى ربيع الأبرار عن هند بنت الجون: نزل رسول الله صلى الله عليه و سلم خيمه خالته أم معبد، فقام من رقدته  
 فدعا بماء فغسل يديه، ثم تمضمض و مج فى عوسجة إلى جانب الخيمه، فأصبحنا و هى كأعظم دوحه، و جاءت بتمر كأعظم ما  
 يكون فى لون الورس و رائحة العنبر و طعم الشهد، ما أكل منها جائع إلا شبع، و لا ظمان إلا روى، و لا سقيم إلا برى، و لا أكل من  
 ورقها يعير و لا شاء إلا درّ لبنها، فكنا نسميها المباركة، و يتابنا من البوادي من يستشفى بها و يتزود منها، حتى أصبحنا ذات يوم و قد  
 تساقط ثمرها و صفر ورقها، ففرعنا. فما راعنا إلا نعى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤١٢

رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم إنها بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوكة من أسفلها إلى أعلاها، و تساقط ثمرها، و ذهبت  
 نضرتها، فما شعرنا إلا بقتل أمير المؤمنين على رضى الله عنه، فما أثمرت بعد ذلك. و كنا ننتفع بورقها ثم أصبحنا و إذا بها قد نبع من  
 ساقها دم غبيط و قد ذبل ورقها، فبيننا نحن فزعون مهمومون إذ أتانا خبر مقتل الحسين بن على، و بيست الشجرة على إثر ذلك، و  
 ذهبت. و العجب كيف لم يشتهر أمر هذه الشجرة كما شهر أمر الشاء فى قصة هى أعلى القصص.

و مما وقع لهم فى الطريق أنه أقبل النبى صلى الله عليه و سلم إلى المدينة، و هو مردف أبا بكر و هو شيخ يعرف، و النبى صلى الله  
 عليه و سلم شاب لا يعرف، فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا بين يديك؟ فيقول: هذا الذى يهدىنى السبيل. فيحسب  
 السائل أنه يعنى به الطريق، و إنما يعنى سبيل الخير.

و فى نهاية ابن الأثير، لقيهما فى الهجرة رجل بكراع، فقال: من أنتم؟ فقال أبو بكر: باغ و هاد عرض ببناء الإبل، أى طلبه و هداية  
 الطريق، و هو يريد طلب الدين و الهداية من الضلالة.



و مما وقع لهم في الطريق أنه لقيهم بريدة بن الخصيب الأسلمي. و في الوفاء روى ابن الجوزي في شرف المصطفى، من طريق البيهقي موصلا إلى بريدة، أنه لما جعلت قريش مائة من الإبل لمن أخذ النبي صلى الله عليه و سلم، و يردده عليهم حين توجه إلى المدينة، سمع بريدة بذلك، فحمله الطمع على الخروج لقصده صلى الله عليه و سلم. فركب في سبعين من أهل بيته من بني سهم فتلقى رسول الله، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يتطير، و كان يتفاءل، فقال: من أنت؟ فقال: أنا بريدة بن الخصيب. فالتفت النبي صلى الله عليه و سلم إلى أبي بكر فقال: يا أبا بكر برد أمرنا و صلح. ثم قال: ممن أنت؟

قال: من أسلم. قال صلى الله عليه و سلم: سلمنا. قال: ممن: من بني سهم. قال: خرج سهمك يا أبا بكر. فقال بريدة للنبي صلى الله عليه و سلم: من أنت؟ قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله. فقال بريدة: أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله. فأسلم بريدة و أسلم من كان معه جميعا. قال بريدة: الحمد لله أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين. فلما أصبح قال بريدة: يا رسول الله لا تدخل المدينة إلا معك لواء، فحل عمامته، ثم شدها في رمح، ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة فقال: يا نبي الله نزل على من؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن ناقتي هذه مأمورة أين تنزل. كذا في شرف المصطفى لابن الجوزي.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤١٣

### استقبال أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم

جاء في تاريخ الخميس ما نصه: عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت:

سمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه و سلم من مكة، فكانوا يفدون كل غداة إلى الحرة فينتظرون حتى يردهم حر الظهيرة.

قال ابن إسحاق: و ذلك في أيام حارة، فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم، أوفى رجل من اليهود على أطم من الآطام لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب، و في رواية يا بني قيلة، يعني الأنصار، هذا جدكم، يعني، يعني حظكم، و في رواية: صاحبكم الذي تنتظرونه. و في رواية: بعث النبي صلى الله عليه و سلم إلى الأنصار من يخبرهم بقدمه، كما سيجيء.

فتأثر المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله صلى الله عليه و سلم بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين نحو قباء، حتى نزل أعلا المدينة في حى يقال لهم بنو عمرو بن عوف، و هم أهل قباء.

و في الوفاء: قباء معدود من العالية و كان حكمته التفاؤل له و لدينه بالعلو، و ذلك يوم الاثنين من ربيع الأول نهارا عند الأكثر.

و في سيرة أبي محمد عبد الملك بن هشام، عن زياد بن عبد الله البكائي، عن ابن إسحاق المطلبي، قال: قدم علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحى، و كادت الشمس تعتدل لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول، و هو التاريخ فيما قال ابن هشام. قال ابن إسحاق: و رسول الله صلى الله عليه و سلم ابن ثلاث و خمسين سنة، و ذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة. و في أسد الغابة: كان مقامه بمكة عشر سنين، و قيل: ثلاث عشرة سنة، و قيل: خمس عشرة سنة، و الأكثر ثلاث عشرة سنة.

و قال ابن الكلبي: خرج من الغار أول ربيع الأول، و قدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت منه يوم الجمعة.

و في المنتقى: تنازع القوم أيهم ينزل عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أنزل الليلة على بني النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك، فلما أصبح غدا حيث أمر.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤١٤

و في الوفاء روى رزين عن أنس، قال: كنت إذ قدم رسول الله المدينة ابن تسع سنين، فأسمع الغلمان و الولائد يقولون: جاء رسول الله صلى الله عليه و سلم فنذهب فلا نرى شيئا، حتى جاء رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبو بكر، فمكثنا في خرب في طرف المدينة.

و في رواية: فنزلا- جانب الحره، فأرسلا رجلا من أهل البادية يؤذن بهما الأنصار، فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما.

و في خلاصة الوفاء: فنزل في بني عمرو بن عوف بقاء على كلثوم ابن الهدم، و كان يومئذ مشركا، و به جزم ابن زباله. و لرزين: نزل في ظل نخلة، ثم انتقل إلى دار كلثوم أخي بني عمرو بن عوف. و في رواية: نزل على سعد بن خيثمة. وجه الجمع بين الروايتين، أن يقال إنه كان نزل على كلثوم بن الهدم، و لكن عينوا له مسكنا في دار سعد بن خيثمة يكون للناس فيه، و ذلك لأن سعد كان عزبلا لأهل له، و يسمى منزل العزباء.

قال المطري: و بيت سعد بن خيثمة، أحد الدور التي قبلي مسجد قباء، و هي التي تلي المسجد في قبلته، يدخلها الناس إذا زاروا مسجد قباء و يصلون فيها.

و هناك أيضا دار كلثوم بن الهدم، و في تلك العرصة كان رسول الله صلى الله عليه و سلم نازلا قبل خروجه إلى المدينة، و كذلك أهله و أهل أبي بكر حين قدموا بعد خروج رسول الله صلى الله عليه و سلم من مكة و هن: سوده، و عائشه، و أمها أم رومان، و أختها أسماء و هي حامل بعبد الله بن الزبير فولدته بقاء قبل نزولهم المدينة، انتهى. و نزل أبو بكر بالسبح على حبيب بن إساف، أحد بني الحارث بن الخزرج. و قيل: على خارجة بن زيد بن أبي زهير. روى مجمع بن يعقوب، عن أبيه، و عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش، عن عبد الرحمن بن زيد بن حارثة، قال: نزل النبي صلى الله عليه و سلم بظهر حرتنا، ثم ركب فأناخ على غدق عند بئر غرس، قبل أن تبرز الشمس. (قوله):

عند بئر غرس الظاهر أنه تصحيف، و لعله بئر غدق، لبعده بئر غرس عن منزله صلى الله عليه و سلم بقاء بخلاف بئر غدق. قيل: كان أول ما سمع من النبي صلى الله عليه و سلم: أفشوا السلام، و أطمعوا الطعام، و صلوا الأرحام، و صلوا بالليل و الناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام. و أكثر أهل السير على أن ذلك اليوم كان يوم الاثنين و شد من قال يوم الجمعة من ربيع الأول في الضحوة الكبرى قريبا من نصف النهار.

و في نسخة طاهر بن يحيى، أن قدومه كان قبل أن تبرز الشمس. و ما يعرف رسول الله صلى الله عليه و سلم من أبي بكر عليهما ثياب بيض متشابهة، فجعل الناس يقفون

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤١٥

عليهم حتى بزغت الشمس من ناحية أطمهم، الذي يقال له شنف، فأمهل أبو بكر ساعة، ثم قام فستر رسول الله صلى الله عليه و سلم بردائه، فعرف القوم رسول الله صلى الله عليه و سلم.

قال محمد بن معاذ: قلت لمجمع بن يعقوب، إن الناس يرون أنه جاء بعد ما ارتفع النهار و أحرقتهم الشمس. قال مجمع: هكذا أخبرني أبي و سعيد بن عبد الرحمن، يريد أنهما قالوا: ما بزغت الشمس إلا و هو في منزله صلى الله عليه و سلم.

و في مسلم: أن قدومهم كان ليلا، و الذي قاله الأكثر نهارا.

و في الصفوة، قال ابن إسحاق: دخلها حين ارتفع الضحى و كادت الشمس تعتدل. كما مر في قول ابن هشام، حيث قال: و هو التاريخ. و في الصحيح أنهم لما قدموا جلس النبي صلى الله عليه و سلم تحت شجرة صامتا، و قام أبو بكر لأمر الناس، أي يتلقاهم، فطفق من جاء من الأنصار، ممن لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم يحيى أبا بكر و يرحبه، يحسب أنه النبي صلى الله عليه و سلم، حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه و سلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله.

## تاريخ الهجرة

جاء في تاريخ الخميس ما نصه: و اختلفوا في أن يوم نزوله أي يوم من الشهر، فبعضهم على أنه أول الشهر على ما روى موسى بن

عقبة، عن ابن شهاب. وقيل: ليلتين خلتا من شهر ربيع الأول ونحوه، عن أبي معشر لكن قال: ليلة الاثنين، ومثله عن ابن البرقي. وثبت ذلك في أواخر صحيح مسلم.

وقيل: لاثنتي عشرة ليلة خلت منه، حكاه ابن الجوزي في شرف المصطفى، عن الزهري فقال: قال الزهري: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول. وبه جزم النووي، وكذا ابن النجار.

وفي شرف المصطفى لابن الجوزي، عن ابن عباس: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، واستنبت يوم الاثنين، ورفع الحجر يوم الاثنين، وخرج مهاجرا يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، وقبض يوم الاثنين.

وفي روضة الأقسهرى، قال ابن الكلبي: خرج من الغار يوم الاثنين، أول يوم من ربيع الأول، وقدم المدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت منه. قال أبو عمرو: وهو قول ابن إسحاق، إلا في تسمية اليوم. وعن أبي بكر بن حزم:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤١٦

لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الأول. ويجمع بين هذا وبين الذي قبله بالحمل على الاختلاف في رؤية الهلال. ونقل ابن زبالة، عن ابن شهاب: أن نزوله على بنى عمرو بن عوف كان في النصف من ربيع الأول. وقيل: كان قدومه في سابعه. ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر بن الخطاب، قال لمولى له: يا نجيج أطمعنا رطبا. فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم نجيج التفت إلى أبي بكر وقال: أنججت أو أنججنا؟ فأتوا بقنو من أم جردان فيه رطب منصف وفيه زهو، فقال: ما هذا؟ فقال: غدق أم جردان. فقال صلى الله عليه وسلم: اللهم بارك في أم جردان.

واختلف في أنه صلى الله عليه وسلم كم يوما أقام في بنى عمرو بن عوف، فعن قوم من بنى عمرو بن عوف أنه قام فيهم اثنين وعشرين يوما. حكاه ابن زبالة.

وفي البخاري من حديث أنس: أقام فيهم أربع عشرة ليلة وهو المراد بما في رواية عائشة بقولها بضع عشرة ليلة. وقال موسى بن عقبة: ثلاثا. وقال عروة:

ثلاث ليال، الثلاثاء والأربعاء والخميس، كما جزم به ابن حبان. وقال ابن إسحاق: أقام فيهم خمسا. وفي ذخائر العقبى: لم يقيم إلا ليلة أو ليلتين. قال الحافظ ابن حجر: أنس ليس من بنى عمرو بن عوف، فإنه من الخزرج، وقد جزم بأربع عشرة ليلة، فهو أولى بالقبول. وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة في ربيع الأول، رواه الحاكم في الإكليل. قال ابن الجزار: وتعرف بعام الإذن، وهو معضل والمشهور أن ذلك كان في خلافه عمر، وأن عمر قال:

الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخ بها وابتدأ من المحرم بعد إشارة علي وعثمان بذلك. وأفاد السهيلي أن الصحابة أخذوا التاريخ بالهجرة من قوله تعالى:

لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ.

وفي الاستيعاب: ومن مقدمه إلى المدينة أرخ التاريخ في زمان عمر، وأقام على بمكة بعد مخرجه، عليه السلام، ثلاث ليال وأيامها، حتى أدى للناس ودائعهم التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم وخلفه لردّها. ثم خرج فلحق النبي صلى الله عليه وسلم بقباء فنزل على كلثوم بن الهدم، وإنما كانت إقامة على بقاء مع النبي ليلة أو ليلتين.

وفي روضة الأحباب: وكان على يسير بالليل ويختفى بالنهار، وقد نقتب قدماه فمسحهما النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له بالشفاء فبرئتا في الحال، وما اشتكاهما بعد اليوم قط.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤١٧

وفي الوفاء: وكان لكلثوم بن الهدم بقاء مريدا، والمراد الموضع الذي يبسط فيه التمر ليبيس، فأخذه منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسسه و بناه مسجدا، كما رواه ابن زبالة وغيره.

و في الصحيح عن عروة: فلبث في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، و أسس المسجد الذي أسس على التقوى. و في رواية عبد الرزاق، قال: الذين بنى فيهم المسجد الذي أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف. و كذا في حديث ابن عباس، عن ابن عائذ و لفظه، و مكث في بني عمرو بن عوف ثلاث ليال، و اتخذ مكانه مسجدا و كان يصلي فيه، ثم بناه عمرو بن عوف، فهو المسجد الذي أسس على التقوى. و روى ابن أبي شيبه، عن جابر، قال: لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم سنتين نعلم المساجد، و نقيم الصلاة، و لذا قيل: المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و الأنصار بقاء قد بنوا مسجدا يصلون فيه، يعنى هذا المسجد.

فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه و سلم و ورد قباء صلى بهم فيه إلى بيت المقدس و لم يحدث فيه شيئا، أى في مبدأ الأمر لأن ابن أبي شيبه روى ذلك، ثم روى أنه صلى الله عليه و سلم بنى مسجدا بقاء و قدم القبلة إلى موضعها اليوم، و قال: جبريل يؤم بي البيت. و قد اختلف في المراد بقوله تعالى: لَمْ يَجِدْ أَسَسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ. فالجمهور على أن المراد به مسجد قباء، و لا ينافيه قوله صلى الله عليه و سلم: لمسجد المدينة هو مسجدكم هذا، إذ كل منهما أسس على التقوى.

و في الكبير عن جابر بن سمرة، قال: لما سأل أهل قباء النبي صلى الله عليه و سلم أن يبنى لهم مسجدا، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ليقيم بعضكم فيركب الناقة، فقام أبو بكر فركبها فحركها فلم تنبعث، فرجع ففقد فقام عمر فركبها فلم تنبعث، فرجع فقعد فقام عمر فركبها فلم تنبعث، فرجع فقعد. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ليقيم بعضكم فيركب الناقة، فقام على، فلما وضع رجله في غرز الركاب و ثبت به، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ارجع زمامها و ابتنوا على مدارها فإنها مأمورة.

و روى الطبرى عن جابر، قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة، قال لأصحابه: انطلقوا إلى أهل قباء نسلم عليهم، فرحبوا به، ثم قال: يا أهل قباء ائتوني بأحجار من الحرة. فجمعت عنده أحجار كثيرة و معه عنزة فخبط قبلتهم فأخذ حجرا فوضعه ثم قال: يا أبا بكر خذ حجرا فضعه إلى جنب حجرى. ثم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤١٨

قال: يا عمر خذ حجرا فضعه إلى جنب حجرى بكر ثم قال: يا عثمان خذ حجرا فضعه إلى جنب حجر عمر. كأنه أشار إلى ترتيب الخلافة كما سيجىء في بناء مسجد المدينة. ثم التفت إلى الناس فقال: وضع رجل حجره حيث أحب على ذلك الخط. و روى الترمذى، عن أسيد بن ظهير، عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: الصلاة في مسجد قباء كعمرة. و عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص قالت: سمعت أبى يقول: لأن أصلى في مسجد قباء ركعتين أحب إلى من أن آتى بيت المقدس مرتين، لو يعلمون ما فى قباء لضربوا إليه أكباد الإبل. و ورد فى الصحيحين عن ابن عمر أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يزور قباء، أو يأتى قباء راكبا أو ماشيا. و عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: من صلى فيه كان كعدل عمرة.

و عن سهل بن حنيف قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة. أخرجه ابن ماجه. و عن عمرو بن شيبه بسند جيد و رواه أحمد و الحاكم و قال صحيح الإسناد. و للبخارى و النسائى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يأتى مسجد قباء كل سبت راكبا أو ماشيا، و كان عبد الله يفعل.

و روى ابن زباله: أن النبي صلى الله عليه و سلم صلى إلى الأسطوانة الثالثة فى مسجد قباء التى فى فى الرحبة. و عن سعيد بن عبد الرحمن قال: كان المسجد فى موضع الأسطوانة المخلفة الخارجة فى رحبة المسجد.

قال ابن رقيش: حدثنى نافع أن ابن عمر كان إذا جاء مسجد قباء، صلى إلى الأسطوانة المخلفة، يقصد بذلك مسجد النبي صلى الله عليه و سلم الأول.

و روى ابن زباله، عن عبد الملك بن بكير، عن ابن أبى ليلى، عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم صلى إلى الأسطوانة الثالثة فى الرحبة إذا دخلت من الباب الذى بقاء دار سعد بن أبى خيثمة.

قلت: الباب المذكور هو المسدود اليوم يظهر رسمه من خارج المسجد في جهة المغرب، و كان شارعا في الرواق الذى يلي الرحبة من السقف القبلى، فالاسطوانة الثالثة فى الرحبة، هى الاسطوانة التى عندها اليوم محراب فى رحبة المسجد لانطباق الوصف المذكور عليها، فهى المرادة بقول الواقدي: كان المسجد

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤١٩

فى موضع الاسطوانة المخلفة الخارجة فى رحبة المسجد، و هى التى كان ابن عمر يصلى إليها. ذكر ذلك كله فى الوفاء.

انظر: صورة رقم ١٧، مسجد قباء. و صورة رقم ١٨، محراب مسجد قباء

### انتقاله صلى الله عليه وسلم من قباء إلى داخل المدينة

جاء فى تاريخ الخميس ما نصه: فى الصحيح عن أنس بعد ما ذكر من إقامته ببني عمرو ابن عوف، ثم أرسل إلى بني النجار فجاؤوا متقلدين السيوف و كانوا أخواله، يعنى أخوال جده عبد المطلب.

و فى رواية: فجاؤوا فسلموا على النبى صلى الله عليه وسلم و على أبى بكر و قالوا: اركبا آمنين مطاعين. فركب يوم الجمعة حتى نزل جانب دار أبى أيوب، و سيجىء أنه صلى الله عليه وسلم لما شخص أى خرج من قباء، اجتمعت بنو عمرو بن عوف فقالوا: أخرجت ملالا منا، أم تريد دارا خيرا من دارنا؟ قال: إني أمرت بقرية تأكل القرى فخلوها، أى ناقته، فإنها مأمورة، حتى أدركته الجمعة فى بنى سالم فصلاها فى بطن الوادى، وادى ذى صلت.

و فى سيرة ابن هشام، عن إسحاق، وادى رانونا. و فى غيره كانوا أربعين، و قيل مئة. و كانت هذه أول جمعة جمعها فى الإسلام حين قدم المدينة و خطب يومئذ خطبة بليغة و هى أول خطبة فى الإسلام. و قيل: إنه كان يصلى الجمعة فى مسجد قباء فى إقامته هناك، و الله أعلم.

(ذكر تلك الخطبة) روى عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحى، أنه بلغه عن خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول جمعة صلاها فى المدينة فى بنى سالم بن عوف: الحمد لله أحمدته و أستعينه و أستغفره و أستهديه و أومن به و لا أكفره، و أعادى من يكفره، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، أرسله بالهدى و النور و الموعظة على فترة من الرسل و قلته من العلم و ضلالة من الناس، و انقطاع من الزمان و دنو من الساعة، و قرب من الأجل، من يطع الله و رسوله فقد رشد، و من يعصى الله و رسوله فقد غوى و فرط و ضل ضلالا بعيدا، أوصيكم بتقوى الله، فإن خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، و أن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، و لا أفضل من ذلك ذكر، و أن تقوى الله لمن عمل به على و جل و مخافة من ربه عون صدق

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٢٠

على ما تبغون من أمر الآخرة، و من يصلح الذى بينه و بين الله من أمره فى السر و العلانية لا ينوى بذلك إلا وجه الله، يكن له ذكرا فى عاجل أمره و ذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم و ما كان سوى ذلك يود لو أن بينها و بينه أمدا بعيدا، و يحذركم الله نفسه و الله رؤف بالعباد، و الذى صدق قوله و أنجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول: ما يبدل القول لمدى و ما أنا بظلام للعبيد، فاتقوا الله فى عاجل أمركم و آجله فى السر و العلانية فإن من يتق الله يكفر عنه سيئاته و يعظم له أجرا و من يتق الله فقد فاز فوزا عظيما، و أن تقوى الله توقى مقتته و عقوبته و سخطه و تبيض الوجوه و ترضى الرب و ترفع الدرجة، خذوا بحظكم و لا تفرطوا فى جنب الله فقد علمكم الله كتابه و نهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا و ليعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، و عادوا أعداءه و جاهدوا فى الله حق جهاده، هو اجتباكم و سماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينه و يحيى من حى عن بينه، و لا قوة إلا بالله، و أكثروا ذكر الله و اعلموا أنه خير من الدنيا و ما فيها، و اعملوا لما بعد الموت فإنه من يصلح ما بينه و بين الله يكفه الله ما بينه و بين

الناس، ذلك بأن الله يقضى الحق على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون عليه، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. كذا أوردها في المنتقى وفي خلاصة الوفاء. ويحيى عن عمارة بن خزيمة أنه صلى الله عليه وسلم دعا براحلته يوم الجمعة وحشد المسلمون ولبسوا السلاح وركب صلى الله عليه وسلم ناقته القصوى والناس عن يمينه وشماله وخلفه، منهم الماشى والراكب. فاعترضت الأنصار فما يمر بدار إلا قالوا: هلم إلى العز والمنعة والثروة، فيقول لهم خيرا، ويدعو فيقول: إنها مأمورة خلوا سبيلها. فمر بنى سالم فقام إليه عتبان بن مالك و نوفل بن عبد الله بن مالك العجلاني وهو أخذ بزمام راحلته يقول: يا رسول الله انزل فينا، فإن فينا العدد والعدة والحلقة ونحن أصحاب الفضاء والحداثق والدرك، يا رسول الله كان الرجل من العرب يدخل هذه البحرة خائفا فيلجأ إلينا فنقول له: قل حيث شئت. فجعل يتبسم ويقول: خلوا سبيلها فإنها مأمورة. وقام إليه عبادة بن الصامت وعباس بن الصامت بن نضلة بن عجلان فجعل يقولان: يا رسول الله انزل فينا. فيقول: إنها مأمورة. ثم أخذ عن يمين الطريق، حتى جاء بنى الحبلى وأراد أن ينزل على عبد الله بن أبي بن سلول، فلما رآه وهو عند مزاحم، أى الأطم، محتبسا قال: اذهب إلى الذين دعوك فانزل عليهم. فقال سعد بن عبادة: لا تجد يا رسول الله في نفسك من قوله، فقد قدمت علينا والخزرج

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٢١

تريد أن تملكه عليها، ولكن هذه دارى فمر بنى ساعدة. فقال له سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وأبو دجانه: هلم يا رسول الله إلى العز والثروة والقوة والجلد.

وسعد يقول: يا رسول الله ليس فى قومي أكثر عزا منى مع الثروة والجلد والعدد والحلقة. فيقول صلى الله عليه وسلم: بارك الله عليكم. ويقول: يا أبا ثابت خل سبيلها فإنها مأمورة. فمضى واعترضه سعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة وبشير بن سعد، أى من بنى الحارث بن الخزرج فقالوا: يا رسول الله، لا تجاوزنا فإننا أهل عدد وثروة وحلقة. فقال: بارك الله فيكم، خلوا سبيلها فإنها مأمورة. واعترضه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو، أى من بنى بياضة يقولان: يا رسول الله، هلم إلى المواساة والعز والثروة والعدد والقوة، نحن أهل الدرك. فقال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة.

ثم مر بنى عدى بن النجار، وهم أخواله، فقام إليه أبو سليط وصرمة بن أبى أنيس فى قومهما فقالا: يا رسول الله، نحن أخوالك هلم إلى العدد والمنعة والقوة مع القرابة، لا- تجاوزنا إلى غيرنا، ليس لأحد من قومنا أولى بك منا لقربتنا لك فقال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة. أو يقال: أول الأنصار اعترضه بنو بياضة ثم بنو سالم، ثم مال إلى ابن أبى ثم مر على بنى عدى بن النجار، حتى انتهى إلى بنى مالك بن النجار. ولابن إسحاق: اعترض بنى سالم أولا، ثم وازت راحلته بنى بياضة واعترضوه، ثم وازت دار الحارث كذلك، ثم مرت بدار بنى عدى وهم أخواله، لأذن سلمى بنت عمرو إحدى بنى عدى بن النجار كانت أم جده عبد المطلب، وبنو مالك بن النجار إخوتهم، ومنزله صلى الله عليه وسلم بدار بنى غنم منهم.

وجاء فى رواية: أن القوم لما تنازعوا أنه صلى الله عليه وسلم على أيهم ينزل وكل منهم على أن يكون داره له المنزل، قال: إني أنزل على أخوال عبد المطلب وأكرمهم بذلك.

قيل يشبه أن يكون هذا فى أول قدومه من مكة قبل نزوله بقاء، لا فى قدومه باطن المدينة.

وعن أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال: دعوا الناقة فإنها مأمورة. فبركت على باب أبى أيوب.

وفى سيرة مغلطاي: نزل برحله على أبى أيوب لكونه من أخوال عبد المطلب.

وعند البعض: أن الناقة استناخت به أولا، فجاءه ناس فقالوا: المنزل يا رسول الله. فقال: دعوها. فانبعثت حتى استناخت عند موضع المنبر من المسجد، ثم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٢٢

تحلحلت فتزل عنها، فأتاه أبو أيوب فقال: منزلى أقرب المنازل، فائذن لى أن أنقل رحلك. قال: نعم. فنقل رحله وأناخ الناقة فى منزله.

و قال الواقدي: أخذ أسعد بن زرارة بزمامها فكانت عنده.

و عن مالك بن أنس: أن الناقة، لما أتت موضع المسجد، بركت و هو عليها، و أخذه صلى الله عليه و سلم الذى كان يأخذه عند الوحى، ثم ثارت من غير أن تزجر، و سارت غير بعيد، ثم التفتت فعادت إلى المكان الذى بركت فيه أول مرة، فبركت فيه فسرى عنه، فأمر أن يحط رحله.

و فى رواية: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم على راحلته و أبو بكر ردفه و ملأ من بنى النجار حوله حتى ألقى بفناء أبى أيوب، و هو موضع مسجده اليوم، و هو يومئذ مربد للتمر لغلامين يتيمين من بنى النجار كانا فى حجر معاذ بن عفراء، أو أبى أيوب أو أسعد بن زرارة، و الأخير هو الأصح، اسمهما سهل و سهيل ابنا عمرو ابن عماره.

و فى رواية رافع بن عمرو: فبركت عند باب المسجد فلم ينزل عنها النبى صلى الله عليه و سلم ثم انبعثت و سارت غير بعيد و رسول الله صلى الله عليه و سلم مرخ لها زمامها، ثم التفتت خلفها ثم رجعت إلى مبركها الأول و بركت فيه، و وضعت جرائها على الأرض و نزل عنها رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال: هذا إن شاء الله المنزل. فاحتمل أبو أيوب رحله و وضعه فى بيته بعدما استأذنه صلى الله عليه و سلم فدعته الأنصار إلى النزول عليهم فقال صلى الله عليه و سلم: المرء مع رحله.

و فى الوداع: فنزل رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: أى الدور أقرب؟ فقال أبو أيوب:

دارى، هذا بابى و قد حططنا رحلك فيها. فقال: المرء مع رحله. فمضت مثلاً، فنزل على أبى أيوب خالد بن زيد، و سأل عن المربد فقال معاذ: هو ليتيمين لى و سأرضيهما. فاشتره النبى صلى الله عليه و سلم.

و فى شرف المصطفى: لما بركت الناقة على باب أبى أيوب، خرج جوار من بنى النجار يضربن بالدف و يقلن:

نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جار

فقال النبى عليه الصلاة و السلام: أتحببني؟ قلنا: نعم يا رسول الله. فقال:

و الله و أنا أحبكن. قالها ثلاثاً. و فى رواية: يعلم الله أنى أحبكن.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٢٣

و فى رواية الطبرى فى الصغير، فقال عليه السلام: الله يعلم أن قلبى يحبكن.

و فى المواهب اللدنية: فرح أهل المدينة بقدومه، عليه الصلاة و السلام، و أشرقت المدينة بحلوله فيها و سرى السرور إلى القلوب.

قال أنس بن مالك: لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه الصلاة و السلام المدينة أضاء منها كل شىء، و لما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء. رواه ابن ماجه. قال رزين: صعدت ذوات الخدور على الأجاجير، يعنى السطوح، عند قدومه صلى الله عليه و سلم يقلن.

و فى الرياض النضرة: لما قدم النبى صلى الله عليه و سلم المدينة جعل الصبيان و النساء و الولائد يقولون:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

و جب الشكر علينا ما دعا لله داعى

و فى رواية:

أيها المبعوث فيناجتت بالأمر المطاع

قال الطبرى: تفرق الغلمان و الخدم فى الطرق ينادون: جاء محمد، جاء رسول الله. و فى الرياض النضرة: خرج أهل المدينة حتى أن العواتق لفوق البيوت يقلن: أيهم هو، أيهم هو.

و فى خلاصة الوداع: ثنية الوداع، بفتح الواو، معروف شامى المدينة خلف سوقها القديمة، بين مسجد الراية و مشهد النفس الزكية قرب سلع.

وقال عياض: هي موضع بالمدينة بطريق مكة. وقيل واد بمكة، و الأول أصح.

وفي المواهب اللدنية: أنشئ هذا الشعر عند قدومه. رواه البيهقي في الدلائل، و أبو الحسن بن مقرئ في كتاب الشمائل له، عن ابن عائشة. و ذكره الطبري في الرياض النضرة عن الفضل بن الجمحي قال: سمعت ابن عائشة يقول أراه عن أبيه، فذكر و قال. خرج الحلواني على شرط الشيخين. و سميت ثنية الوداع، لأن المسافر من المدينة كان يشيع إليها و يودع عندها قديما.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٢٤

و صحح القاضي عياض هذا، و استدلل عليه بقول نساء الأنصار حين قدم، عليه الصلاة و السلام- طلع البدر علينا- من ثنيات الوداع. فدل على أنه اسم قديم.

و قال شيخ الإسلام، الولي ابن العراقي: ففي صحيح البخاري، و سنن أبي داود، و الترمذي، عن السائب بن يزيد قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم من تبوك خرج الناس يتلقونه من ثنية الوداع. قال: و هذا صريح بأنها من جهة الشام. و قال ابن القيم في الهدى النبوي: هذا و هم من بعض الرواة، فإن ثنية الوداع إنما هي من جهة الشام، لا يراها القادم من مكة و لا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام، و إنما وقع ذلك عند قدومه من تبوك، انتهى. لكن، قال زين الدين العراقي: يحتمل أن تكون الثنية التي من كل جهة يصل إليها المشيعون يسمونها ثنية الوداع، انتهى.

قال مؤلف الكتاب: يشبه أن يكون هذا هو الحق، و يؤيده جمع الثنيات، إذ لو كان المراد بها الموضع الذي هو من جهة الشام، لم يجمع، و لا مانع من تعدد وقوع هذا الشعر، مرة عند قومه، عليه الصلاة و السلام، من مكة، و مرة عند قدومه من تبوك، فلا ينافي ما في صحيح البخاري و غيره، و لا ما قاله ابن القيم عن جابر، أنه كان لا يدخل أحد المدينة إلا من ثنية الوداع، فإن لم يعشر بها مات قبل أن يخرج، فإذا وقف على الثنية قيل قد ودع، فسميت ثنية الوداع، حتى قدم عروة بن الورد فلم يعشر ثم دخل فقال: يا معشر يهود ما لكم و للتعشير. قالوا: لا يدخلها أحد من غير أهلها فلم يعشر بها إلا مات، و لا يدخلها أحد من ثنية الوداع إلا قتله الهزال. فلما ترك عروة التعشير تركه الناس و دخلوا من كل ناحية. كذا في الوفاء.

و عن أنس: لما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم، لعبت الحبشة بحرابهم فرحا بقدومه صلى الله عليه و سلم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٢٥

### [نزوله صلى الله عليه و سلم في دار أبي أيوب الأنصاري] رضى الله تعالى عنه

و لابن إسحاق عن أبي أيوب الأنصاري: لما نزل على رسول الله صلى الله عليه و سلم في بيتي نزل في السفلى، و أنا و أم أيوب في العلو فقلت: يا نبي الله، بأبي أنت و أمي، إنى أكره و أعظم أن أكون فوقك و تكون تحتي، فظهر أنت فكن في العلو و ننزل نحن و نكون في السفلى. فقال: يا أبا أيوب، إن الأرقق بنا و بمن يغشانا أن نكون في سفلى البيت. قال: فكان رسول الله صلى الله عليه و سلم في سفله و كنا فوقه في المسكن فلقد انكسر حب لنا فيه ماء، فقمنا أنا و أم أيوب بقطيفة لنا، ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا أن يقطر على رأس رسول الله صلى الله عليه و سلم منه شيء فيؤذيه. و ذكر غيره أن أبا أيوب لم يزل يتضرع للنبي، عليه الصلاة و السلام، حتى تحول إلى العلو و أبو أيوب في السفلى.

و في الصفوة: عن أفلح، مولى أبي أيوب، أن رسول الله صلى الله عليه و السلام، لما نزل عليه نزل أسفل و أبو أيوب في العلو، فانتبه أبو أيوب ذات ليلة، فقال: نمشى فوق رأس رسول الله، عليه الصلاة و السلام، فتحول فباتوا في جانب. فلما أصبح ذكر ذلك للنبي، عليه الصلاة و السلام، فقال النبي، عليه الصلاة و السلام، الأسفل أرقق بي. فقال أبو أيوب: لا أعلو سقيفة أنت تحتها.

فتحول أبو أيوب في السفلى، و النبي، عليه الصلاة و السلام، في العلو. و سيجيء وفاته في الخاتمة في خلافة معاوية. و أفاد ابن سعد أن إقامته عليه الصلاة و السلام، بهذه الدار سبعة أشهر، بتقديم السين، و قيل إلى صفر من السنة الثانية.



وقال الدولابي: شهرا. كذا في سيرة مغلطاي. وقد ابتاع داره هذه وبيته المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث، من ابن أبي أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري بألف دينار فتصدق بها و هو في شرقي المسجد المقدس، ثم بيعت فاشتراها الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب بن شادي، أي عرصه دار أبي أيوب هذه، و بناها مدرسة للمذاهب الأربعة تعرف اليوم بالمدرسة الشهابية، و في إيوان قاعتها الصغرى الغربى خزانه صغيرة جدا مما يلي القبلة فيها محراب يقال إنها مبرك ناقته، عليه الصلاة والسلام.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٢٦

قال ابن إسحاق: إن هذا البيت بناه تبع الأول لما مر بالمدينة للنبي عليه الصلاة والسلام، ينزله إذا قدم المدينة، و ترك فيها أربعمائة عالم و كتب كتابا للنبي عليه الصلاة والسلام، و دفعه إلى كبيرهم و سأله أن يدفعه للنبي، عليه الصلاة والسلام، فتداول البيت الملاك إلى أن صار إلى أبي أيوب، و أن أبا أيوب من ذرية الحبر الذي أسلمه تبع كتابه. و في رواية: أرسل رسول الله عليه الصلاة والسلام، إلى ملأ- بنى النجار، فقال: يا بنى النجار ثامنوني بحائطكم. قالوا: و الله لا نطلب ثمنه إلا من الله عز و جل.

و في خلاصة الوفاء: قال الغلامان: بل نهبه لك يا رسول الله. فأبى رسول الله، عليه الصلاة والسلام، أن يقبله هبة حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير ذهباً و دفعها أبو بكر الصديق.

و في رواية: أداها من مال أبي بكر و كان قد خرج من مكة بماله كله. كذا في المواهب اللدنية.

و عن النوار بنت مالك، أم زيد بن ثابت، أنها رأت أسعد بن زرارة قبل أن يقدم رسول الله عليه الصلاة والسلام، يصلى بالناس الصلوات الخمس و يجمع بهم في مسجد بناه في مبرد سهل و سهيل ابني رافع بن عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار. قالت: فأنظر إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام، لما قدم صلى بهم في ذلك المسجد و بناه فهو مسجده اليوم. و نقل ابن سيد الناس، عن ابن إسحاق: أن الناقة بركت على باب مسجده، عليه الصلاة والسلام، و هو يومئذ ليتيمين من بنى مالك بن النجار، في حجر معاذ بن عفراء، سهل و سهيل ابني عمرو.

انظر: صورة رقم ١٩، القبة الخضراء

و قال أحمد بن يحيى البلاذري: فنزل رسول الله عليه الصلاة والسلام، عند أبي أيوب، و وهب له الأنصار كل فضل كان في خططها. و قالوا: يا نبي الله، إن شئت فخذ منازلنا. فقال لهم خيرا. و كان أبو أمامة أسعد بن زرارة يجمع بمن يليه في مسجد له، فكان رسول الله عليه الصلاة والسلام، يصلى بهم، ثم إنه سأل أسعد أن يبيع أرضا متصلة بذلك المسجد كان في يده ليتيمين في حجره يقال

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٢٧

لهما سهل و سهيل ابنا رافع. انتهى كل ذلك من تاريخ الخميس. و إليك ترجمة أبي أيوب الأنصاري رضى الله تعالى عنه.

### ترجمة أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه

بمناسبة نزول رسول الله صلى الله عليه و سلم عند أبي أيوب الأنصاري، رضى الله عنه، حين وصوله من مكة الى المدينة، نعقد هنا فصلا لترجمته فنقول:

جاء في شرح " زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم " في الجزء الخامس عند حديث «يهود تعذب في قبورها» ما نصه:

و أما راوى الحديث فهو أبو أيوب الأنصاري، و هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن كعب أبو أيوب النجارى، من بنى غنم بن مالك بن النجار، غلبت عليه كنيته أمه هند بنت سعد بن عمرو الأنصارية الخزرجية، شهد العقبة و بدر و سائر المشاهد، و عليه نزل رسول الله صلى الله عليه و سلم في خروجه من بنى عمرو بن عوف حين قدم المدينة مهاجرا من مكة، فلم يزل عنده حتى بنى مسجده

الشريف في تلك السنة، و بنى مساكن أمهات المؤمنين، ثم انتقل صلى الله عليه و سلم إلى مسكنه و آخى رسول الله صلى الله عليه و سلم بينه و بين مصعب بن عمير.

و أخرج ابن عبد البر في الاستيعاب بإسناده إلى أبي رهم السماعي أن أبا أيوب الأنصاري حدثه قال: نزل رسول الله صلى الله عليه و سلم في بيتنا الأسفل و كنت في الغرفة، فأهريق ماء في الغرفة فقلت أنا و أم أيوب بقطيفه نتبع الماء شفقه أن يخلص إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فنزلت إلى النبي صلى الله عليه و سلم و أنا مشفق، فقلت: يا رسول الله، إنه ليس ينبغي أن نكون فوقك، انتقل إلى الغرفة. فأمر النبي صلى الله عليه و سلم بمتاعه أن ينقل، و متاعه قليل. و ذكر تمام الحديث.

و لأبي أيوب الأنصاري من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم مائة و خمسون حديثا اتفق البخاري و مسلم على سبعة منها، و انفرد البخاري بحديث و مسلم بخمسة، و روى أيضا عن أبي بن كعب. و روى عنه البراء بن عازب، و زيد بن خالد، و المقدم بن معدى كرب، و ابن عباس، و جابر بن سمرة، و أنس، و عروة، و عطاء الليثي، و غيرهم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٢٨

و روى عن سعيد بن المسيب، أن أبا أيوب أخذ من لحيه رسول الله صلى الله عليه و سلم شيئا فقال: لا يصيبك سوء يا أبا أيوب. و أخرج أبو بكر بن أبي شيبة، و ابن أبي عاصم من طريق أبي الخير، عن أبي رهم في حديث عن أبي أيوب أنه قال: قلت يا رسول الله كنت ترسل إلى الطعام فأنظر فأضع أصابعي حيث أرى أثر أصابعك حتى كان هذا الطعام. قال: أجل، إن فيه بصلا، فكرهت أن آكل من أجل الملك، و أما أنتم فكلوا.

و كان أبو أيوب مع علي بن أبي طالب في حروبه كلها، ثم مات بالقسطنطينية من بلاد الروم زمن معاوية، و كانت غزاته تلك تحت راية يزيد بن معاوية، و هو كان أميرهم يومئذ، و ذلك سنة خمسين أو إحدى و خمسين، و قيل سنة اثنتين و خمسين و هو الأكثر. و قد أسند ابن عبد البر في الاستيعاب، عن أبي ظبيان، عن أشياخه أن أبا أيوب خرج غازيا في زمن معاوية، فمرض فلما ثقل قال لأصحابه: إذا أنا مت فاحملوني، فإذا صافتم العدو فادفوني تحت أقدامكم، ففعلوا. و لما ولي معاوية يزيد على الجيش إلى القسطنطينية جعل أبو أيوب يقول:

و ما على إن أمر علينا شاب. فمرض في غزوته تلك، فدخل عليه يزيد يعود فقل له: أوصني. قال: إذا مت فكفوني ثم مر الناس أن يركبوا ثم يسيروا في أرض العدو حتى إذا لم تجدوا مساعا فادفوني. قال: ففعلوا.

و كان أبو أيوب يقول: قال الله عز و جل: انْفِرُوا خِفَافًا وَ ثِقَالًا، فلا أجدني إلا خفيفا أو ثقيلًا. و نقل نحو هذا عن المقداد بن الأسود. و قال ابن القاسم، عن مالك: بلغني عن قبر أبي أيوب أن الروم يستصحون به و يستسقون و قبر أبي أيوب قرب سور القسطنطينية و هو معلوم إلى اليوم معظم يستسقون به فيسقون، و لأبي أيوب عقب.

و قيل إن يزيد بن معاوية أمر بالخيل بعد دفنه، فجعلت تدبر و تقبل على قبره، حتى عفى أثر قبره، روى هذا عن مجاهد. و قيل إن الروم قالت للمسلمين في صبيحة دفنهم لأبي أيوب: لقد كان لكم الليلة شأن. فقالوا: هذا رجل من أكابر أصحاب نبينا صلى الله عليه و سلم و أقدمهم إسلاما، و قد دفناه حيث رأيتم، و الله لئن نبش لأضرب لكم ناقوس في أرض العرب ما كانت لنا مملكة. روى هذا المعنى، عن مجاهد. و قال مجاهد أيضا: كانوا إذا أمحلوا كشفوا عن قبره فمطروا، رضى الله عنه و أرضاه، و مناقبه جمه، و قد وقفت على تأليف لبعض علماء عصرنا فيه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٢٩

انتهى من كتاب زاد المسلم.

قال في شرح زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم: قباء بضم القاف ممدودا و قد يقصر، و يذكر على أنه اسم موضع فيصرف، و على أنه اسم بقعة يؤنث و لا يصرف، و الأشهر مده و صرفه و تذكيره. انتهى.

ورد في الصحيحين و اللفظ للبخارى «كان النبي صلى الله عليه و سلم، يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيا و راكبا، و كان عبد الله بن عمر يفعله» رواه عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما.

و لنقل مما ورد في ذلك نبذة من الأحاديث من كتاب "وفاء الوفا" للسهمودي، رحمه الله تعالى، فقد جاء فيه: روي في الصحيحين عن ابن عمر، رضى الله تعالى عنهما، قال: «كان النبي صلى الله عليه و سلم يزور قباء- أو يأتي قباء- راكبا و ماشيا».

زاد في رواية لهما: «فيصلى فيه ركعتين».

و روى ابن شبة، عن سعيد بن عمرو بن سليم مرسلا: «أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يطرح له على حمار أنبجاني لكل سبت ثم يركب إلى قباء».

و رواه ابن زباله بنحوه- و زاد:- «و يمشى حوله أصحابه».

و عن محمد بن المنكدر مرسلا قال: «كان النبي صلى الله عليه و سلم يأتي قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان».

و فى كتاب رزين، عن ابن المنكدر قال: أدركت الناس يأتون مسجد قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان.

و روى ابن شبة، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر مرسلا: «أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يأتي قباء يوم الاثنين».

و عن أبي غزية قال: كان عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، يأتي قباء يوم الاثنين و يوم الخميس، فجاء يوما من تلك الأيام فلم يجد فيه أحدا من أهله،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٣٠

فقال: و الذى نفسى بيده، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبا بكر فى أصحابه نقل حجارتهم على بطوننا، يؤسس رسول الله صلى الله عليه و سلم بيده ... الخ.

و روى ابن زباله، عن زيد بن أسلم قال: الحمد لله الذى قرب منا مسجد قباء، و لو كان بأفق من الآفاق لضربنا إليه أكباد الإبل.

و قال ابن النجار: كان النبي صلى الله عليه و سلم نزل بقباء فى منزل كلثوم بن الهدم، و أخذ مرابه فأسس مسجدا و صلى فيه، و لم يزل ذلك المسجد يزوره صلى الله عليه و سلم و يصلى فيه أهل قباء، فلما توفى صلى الله عليه و سلم لم تزل الصحابة تزوره و تعظمه.

انتهى ما تقدم باختصار من كتاب وفاء الوفا.

جاء فى شرح "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم" عند حديث:

«كان النبي صلى الله عليه و سلم يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيا و راكبا ... الخ» ما ملخصه:

و مسجد قباء بينه و بين المدينة المنورة ثلاثة أميال أو ميلان، و هو أول مسجد بناه رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان يحمل الحجارة بنفسه الشريفه إعانة للعملة على بنائه.

و قال جماعة من السلف، منهم ابن عباس: إنه المسجد المؤسس على التقوى، و هو مسجد بنى عمرو بن عوف، و قد سمي باسم بئر هناك، و فى وسطه مبرك ناقه رسول الله صلى الله عليه و سلم و فى صحنه مما يلي القبلة شبه محراب، هو أول موضع ركع فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم هناك.

ثم قال: و فى هذا الحديث فضل مسجد قباء و فضل الصلاة فيه اقتداء بالنبي صلى الله عليه و سلم و كذلك فيه استحباب أن يكون ذلك فى يوم السبت، ثم قال: و لا يخفى أن المسجد الأقصى و مسجد قباء أفضل من سائر المساجد غير المسجد الحرام و مسجد المدينة المنورة. انتهى من الكتاب المذكور.

و مما ورد في فضل الصلاة في مسجد قباء، ما أخرجه ابن أبي شيبه بإسناد صحيح عن سعد بن أبي وقاص، قال: لأن أصلى في مسجد قباء ركعتين أحب إلى من أن آتى بيت المقدس مرتين، لو يعلمون ما فى قباء لضربوا إليه أكباد الإبل.

و روى النسائي حديث سهل بن حنيف مرفوعاً: «من خرج حتى يأتى مسجد قباء فيصلى فيه، كان له عدل عمره». و عند الترمذى من حديث أسيد بن حضير، رضى الله تعالى عنه، رفعه: «الصلاة فى مسجد قباء كعمره». قال

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٣١

شيخنا مؤلف زاد المسلم رحمه الله تعالى عند هذا الحديث: لكنه لم يثبت فيه تضعيف كالمساجد الثلاثة. اهـ.

و أخرج ابن ماجه و عمر بن شبة بسند جيد عن سهل بن حنيف، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمره». رواه أحمد و الحاكم و قال: صحيح الإسناد.

و قال عمر بن شبة: حدثنا سويد بن سعيد، قال: حدثنا أيوب بن صيام، عن سعيد بن الرقيش الأسدى، قال: جاءنا أنيس بن مالك إلى مسجد قباء فصلى ركعتين إلى بعض هذه السورى، ثم سلم و جلس و جلسنا حوله، فقال:

سبحان الله ما أعظم حق هذا المسجد، لو كان على مسيرة شهر كان أهلاً أن يؤتى، من خرج من بيته يريد معتمداً إليه ليصلى فيه أربع ركعات، أقره الله بأجر عمره.

نقول: كيف لا يكون حق مسجد قباء عظيماً، و هو المسجد الذى أسس على التقوى، و قد بناه رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان يحمل الحجارة بنفسه الكريمة لبنائه.

و الحقيقة أن ناحية قباء من أنفس نواحي المدينة المنورة و أجملها.

إن هذه الناحية تشرح الصدر، و تبسط النفس و تسر الناظرين، تمتد فى أطرافها كلها البساتين و الزروع، و الثمار، مع وفرة المياه العذبة الصافية، و الجو البديع اللطيف، و المنظر الساحر الخلاب.

و ما أحلى قول القائل:

إذا كنت فى أرض العوالى تشوقت لأرض "قبا" نفسى و فيها المؤمل

و إن كنت فيها قالت النفس لى بأرض العوالى يا خليلى منزل

فيا لى أنى كنت شخصين فيهما و يا لى فى التحقيق أن لا تعلق

اللهم صل و سلم على محمد و على آل محمد كما صليت على إبراهيم و على آل إبراهيم، و بارك على محمد و على آل محمد، كما باركت على إبراهيم و على آل إبراهيم فى العالمين، إنك حميد مجيد.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٣٢

## أحكام الهجرة

### إشارة

جاء فى الصحيحين، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «لا هجرة بعد الفتح و لكن جهاد و نية و إذا استنفرتم فانفروا ... الخ».

و جاء فيهما: «مضت الهجرة لأهلها أبايعه على الإسلام و الجهاد (يعنى أبا مجاشع). و سبب هذا الحديث كما فى الصحيحين من راوية مجاشع رضى الله عنه، قال: انطلقت بأبى معبد إلى النبى صلى الله عليه و سلم ليايعة على الهجرة، قال: مضت الهجرة لأهلها أبايعه على الإسلام و الجهاد». اهـ. بلفظ البخارى.

و جاء فيهما أيضاً أنه صلى الله عليه و سلم قال لأعرابى سأله عن الهجرة: «و يحكك إن شأن الهجرة شديد. فهل لك من إبل؟ قال: نعم.

قال: فهل تؤدي صدقتها؟ قال:

نعم. قال: فاعمل من وراء البحار، فإن الله لن يترك من عملك شيئاً. رواه البخاري و مسلم عن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه.

و معنى: لن يترك، بفتح الياء و كسر التاء و نصب الراء و فتح كاف الخطاب، أى لن ينقصك من ثواب عملك شيئاً، و فى رواية: لم يترك بالجازم بدل الناصب و سكون الراء للجزم.

قال شيخنا العلامة المحدث الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى رحمه الله تعالى، فى شرحه على كتابه "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم" فى الجزء الخامس عند حديث: «و يحك إن شأن الهجرة شديد» الخ ما ملخصه:

(تنبيهات) تتعلق بالهجرة و أحكامها، و ما هو حكم تاركها؟ و التفصيل بين من تركها اختياراً و بين من تركها عجزاً و اضطراراً. "التنبيه الأول: "تجب الهجرة على كل من كان مقيماً ببلاد الكفر و لا يقدر على إظهار الدين، فيجب عليه أن يهاجر إلى دار الإسلام، لأن من خاف على دينه و جبت عليه الهجرة من موضعه و ترك أبويه و أولاده كما فعل المهاجرون رضى الله تعالى عنهم. كما نص عليه القرطبي و نقله الأبي فى شرح صحيح مسلم فى أول كتاب البر و الصلة، و نص عليه غيره من سائر فقهاء المالكية و غيرهم، و هو ظاهر نصوص القرآن العظيم و الأحاديث الشريفة الصحيحة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٣٣

ثم اعلم أيها الطالب للهجرة و السائل عن حقيقتها: أن الهجرة بكسر الهاء فعلة من الهجر و هو ضد الوصل، ثم غلب ذلك على الخروج من أرض إلى أرض و ترك الأولى للثانية قاله فى النهاية، فالهجرة لغو الترك لأن الهجرة إلى الشيء الانتقال إليه عن غيره و فى الشرع ترك ما نهى الله عنه، كذا قاله الحافظ ابن حجر، و قال العيني: و هى فى الشرع مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام خوف الفتنة، و طلب إقامة الدين، و فى الحقيقة مفارقة ما يكرهه الله تعالى إلى ما يحبه، و من ذلك سمي الذين تركوا وطن مكة و تحولوا إلى المدينة من الصحابة بالمهاجرين لذلك.

قال الحافظ ابن حجر: و قد وقعت فى الإسلام على وجهين:

الأول: الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما فى هجرة الحبشة و ابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة.

الثانى: الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان و ذلك بعد أن استقر النبى صلى الله عليه و سلم بالمدينة و هاجر إليه من أمكنه ذلك من المسلمين، و كانت الهجرة إذ ذاك تختص بالانتقال إلى المدينة، إلى أن فتحت مكة، فانقطع الاختصاص و بقى عموم الانتقال من دار الكفر لمن قدر عليه باقياً. ١٥.

قوله: و بقى عموم الانتقال من دار الكفر الخ، أى و بقى عموم وجوب الانتقال من دار الكفر أو دار الإسلام التى جرى عليها حكم الكفر إلى بلد يسلم فيه دين المسلم من بلاد الإسلام، و يختار فى آخر الزمان أقلها إثماً و أحوطها لسلامة العرض و الدين و المال، ثم اعلم أن حديث المتن الذى هو: و يحك إن شأن الهجرة شديد المشعر بأن المسلم إذا كان يؤدي فرض الله تعالى فى ماله و نفسه، لا بأس بعدم هجرته لقوله، عليه الصلاة و السلام: فاعمل من وراء البحار الخ، فحاله فيمن لم يكن تحت حكم عدو الدين، أما من كان تحت سلطة الكفرة بحيث يخاف على دينه و أهله و ماله كما هو مشاهد اليوم فيمن بقى تحت حكمهم، فإن الهجرة لا تزال واجبة عليه إلى قيام الساعة، و لا حجة له فى حديث: لا هجرة بعد الفتح، لما قررناه سابقاً عند حديث: مضت الهجرة لأهلها، المذكور فى حرف الميم فى الجزء الثالث، من أن معنى: لا هجرة بعد الفتح، أى لا هجرة واجبة من مكة إلى المدينة، لأن مكة صارت دار إسلام بالفتح لانتفاء على الكفر الموجبة للهجرة منها، و هكذا الحكم فى كل بلد كان عليه حكم الكفر ثم زال عنه،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٣٤

لقوله صلى الله عليه و سلم للأعرابي الذى سأله عنها: و يحك إن شأن الهجرة شديد، الخ. أى فلا تجب عليك ما دمت غير جار

عليك حكم أهل الكفر، و من ذلك المعنى أيضا عدم أمره صلى الله عليه و سلم الوفود عليه قبل الفتح بأن يهاجروا، فقد تبين بما قررناه معنى حديث: لا هجرة بعد الفتح، و موضوع حديث: و يحكك إن شأن الهجرة شديد.

قال الإمام النووي: و أما الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، فقال العلماء إنها واجبة إلى قيام الساعة، و تأولوا هذا الحديث بأن الهجرة المهمة المطلوبة التي يمتاز بها أهلها امتيازاً ظاهراً انقطعت بفتح مكة و مضت لأهلها، أو أن معنى: لا هجرة، لا هجرة من مكة لأنها صارت دار إسلام. انتهى كلامه، و هو موافق لما ذكرناه لك آنفاً. قال القرطبي: و على هذا فلا يجوز لمسلم دخول بلد الكفر لتجر أو غيره، إلا لضرورة في الدين كالدخول لفداء مسلم: و قد أبطل مالك شهادة من دخل دار الحرب للتجارة. اهـ.

و مما يوضح لك أن محل حديث: لا هجرة بعد الفتح، و حديث: و يحكك إن شأن الهجرة شديد، حيث لم يكن المسلم تحت حكم الكفر، و أما إن كان تحته، و خاف على دينه و أهله و ماله، فلا يزال وجوب الهجرة باقياً عليه: ما رواه البخاري: أن عبيد بن عمرو سأل عائشة، رضی الله عنها، عن الهجرة، فقالت:

لا هجرة اليوم، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله و إلى رسوله مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، و المؤمن يعبد ربه حيث شاء و لكن جهاد و نية، اهـ. فقولها: فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام الخ، دال على أن موضوع الحديثين المذكورين حيث كان المسلم مقيماً تحت حكم الإسلام، و مما هو بمعنى الحديثين المذكورين في أن المسلم ما دام متمكناً من إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة و غير ذلك من أمور دينه، مما لا يتأتى غالباً لمن كان تحت حكم الكفر. ما رواه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص، قال: جاء أعرابي فقال: يا رسول الله أين الهجرة إليك حيث كنت، أم إلى أرض معلومة، أم لقوم خاصة، أم إذا مت انقطعت؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه و سلم ساعة، ثم قال: أين السائل عن الهجرة؟ قال: ها أنا ذا يا رسول الله. قال: إذا أقمت الصلاة و آتيت الزكاة فأنت مهاجر و إن مت بالحضرة. قال: يعني أرضاً باليمامة. و في رواية له:

الهجرة، أن تهجر الفواحش ما ظهر منها و ما بطن، و تقيم الصلاة، و تؤتي الزكاة، ثم أنت مهاجر و إن مت بالحضرة، اهـ. و فيه دليل على أن بلاد

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٣٥

الحضرة من أحسن البلاد لمبالغته بها، و هو دليل للنهي عن سكنها اختياراً كما هو واضح.

(التنبية الثاني): قد علمت مما بسطناه في التنبية الأول، أن الهجرة لا تزال واجبة من كل بلد تجرى عليه أحكام الكفرة بحيث لا يتمكن المسلم فيه من إقامة دينه، و مما يدل على ذلك، ما رواه أبو داود و النسائي من حديث معاوية، رضی الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، و لا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها. و ما رواه أحمد في مسنده أيضاً من حديث عبد الرحمن بن عوف، و معاوية، و عبد الله بن عمرو بن العاص، رضی الله عنهم، أن النبي عليه الصلاة و السلام، قال: الهجرة خصلتان إحداهما تهجر السيئات، و الأخرى تهاجر إلى الله و إلى رسوله، و لا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة، و لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه و كفى الناس العمل. و روى أحمد من حديث ابن السعدى مرفوعاً: لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل. و روى أحمد أيضاً من حديث جنادة بن أبي أمية مرفوعاً: إن الهجرة لا تنقطع ما كان الجهاد. و أخرج البغوي و غيره من طريق الوليد بن سليمان، عن بسر بن عبيد الله، عن ابن محيريز، عن عبد الله بن السعدى، عن محمد بن حبيب، قال: أتينا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلنا: يا رسول الله، إن رجالاً يقولون قد انقطعت الهجرة، فقال: لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار. قال البغوي، رواه غير واحد عن ابن محيريز، عن عبد الله بن السعدى، و أن النسائي أخرجه من طريق أبي إدريس، عن عبد الله بن السعدى ليس فيه محمد بن حبيب اهـ. من ترجمة محمد بن حبيب النصرى في الجزء الثالث من الإصابة. و أخرج نحوه أبو حاتم، و ابن حبان من طريق عبد الله بن محيريز، عن عبد الله بن السعدى و لفظه، عن رسول الله صلى الله عليه و سلم: لا تنقطع الهجرة ما قوتل العدو، و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين.

قالوا: يا رسول الله و لم؟ قال: لا تترائى ناراهما، أخرجه الترمذى من رواية جرير بن عبد الله فى باب ما جاء فى كراهية المقام بين أظهر المشركين، و أخرجه أيضا أبو داود من روايته فى باب على ما يقاتل المشركون من سننه، و أخرج أبو داود فى آخر كتاب الجهاد من سننه عن سمرة بن جندب، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

من جامع المشرك و سكن معه فإنه مثله، و أخرجه الترمذى فى سننه من رواية سمرة بن جندب معلقا، و روى النسائى من طريق بهز بن حكيم بن معاوية، عن أبيه،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٣٦

عن جده مرفوعا: لا- يقبل الله من مشرك عملا- بعد ما أسلم أو يفارق المشركين، و من حديث أخرجه الطبرانى عن أبى هريرة: جاهدوا تغنموا و هاجروا تفلحوا.

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على دوام وجوب الهجرة و أنها لا تنقطع حتى تنقطع التوبة.

أما الآيات القرآنية الدالة على تحريم مساكنة أعداء الدين، و البقاء تحت حكمهم فهى كثيرة، جمع منها صاحب المعيار جملة وافرة، و هى شديدة جدا على القاطنين من المسلمين تحت حكم الكفرة مع قدرتهم على الهجرة عنهم، و لكثرتها، مع العلم بها، لم أتعرض لنقلها فى هذا التنبيه و اكتفيت بتخريج الأحاديث الواردة فى وجوب الهجرة، و لو أردت نقل الآيات الدالة على ذلك لكان ذكرها قبل الأحاديث أولى، قال صاحب المعيار بعد ذكرها و ذكر جملة من الأحاديث فى هذا المعنى: فتعاضد هذه النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية و الإجماعات القطعية على هذا النهى، فلا تجد فى تحريم هذه الإقامة و هذه الموالاة الكفرانية مخالفا عن أهل القبلة المتمسكين بالكتاب العزيز الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه، و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فهو تحريم مقطوع به من الدين، كتحريم الميتة و الدم و لحم الخنزير و قتل النفس بغير حق، و أخواته من الكليات الخمس التى أطبق أرباب الملل و الأديان على تحريمها، و من خالف الآن فى ذلك، أو رام الخلاف من المقيمين معهم و الراكنين إليهم، فجوز هذه الإقامة و استخف أمرها و استسهل حكمها، فهو مارق من الدين و مفارق لجماعة المسلمين، و محجوج بما لا مدفع فيه لمسلم، و مسبوق بالإجماع الذى لا سبيل إلى مخالفته و حرق سبيله. اه كلام صاحب المعيار، الذى قال فيه ابن الإمام غازى: هو جبل من علم يمشى على وجه الأرض.

و قد روى أشهب عن مالك: لا يقيم أحد فى موضع يعمل فيه بغير الحق، و قال أبو الوليد بن رشد فى أول كتاب التجارة من مقدماته: فرض الهجرة غير ساقط بل الهجرة باقية لازمة إلى يوم القيامة، و قد كره مالك رحمه الله أن يسكن أحد ببلدة يسب فيها السلف، فكيف ببلد يكفر فيه بالرحمن، و تعبد فيه من دونه الأوثان، لا تستقر نفس أحد مسلم على هذا إلا مسلم مريض الإيمان. اه.

(التنبيه الثالث): لا يشترط شرعا فى صحة الهجرة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم أن تكون إلى المدينة المنورة خاصة، بل تعتبر شرعا و يعتد بحصولها و أداء فرضها من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٣٧

المسلم المهاجر عن بلد لم يتمكن فيه من إقامة دينه، أو بلد تسب فيه الصحابة، رضى الله عنهم، و من باب أخرى بلد يسب فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم أو يحتقر فيه و لا يعظم، لأن تعظيمه واجب بالكتاب و السنة و إجماع الأمة كما بسطناه فى غير هذا الموضع، و إن كان الأولى فى الهجرة و الأكمل أن تكون إلى المدينة المنورة مهما وجد المهاجر إلى ذلك سبيلا.

أما من لم يجد إليه سبيلا، فليس فى استيطانه غيرها نقص فى هجرته شرعا، و لا يعد بذلك كمن ترك المدينة رغبة عنها، بل يثبت له أجر القاطن بها، إن حبسه عذر شرعى عن دوام سكنائها مع عزمه على ذلك مهما أمكنه، لما رواه البخارى فى صحيحه فى باب نزول النبى صلى الله عليه و سلم الحجر من رواية أنس بن مالك، رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال: إن بالمدينة أقواما، ما سرتهم مسيرا و لا قطعتم واديا إلا كانوا معكم. قالوا: يا رسول الله و هم بالمدينة. قال: و هم بالمدينة حبسهم العذر اه. فقله: حبسهم العذر، تعليل لكون الله تعالى أثبت لهم أجر المجاهدين و لو لم يسيروا معهم بأبدانهم فقد

بلغت بهم نيتهم وعزمهم مبلغ أولئك المجاهدين السائرين له بأبدانهم، وهم على فرشهم في بيوتهم، وهذا الحديث أصل عظيم في كون نية المؤمن كعمله، لا سيما إن كانت مع العزم الأكيد، وهو دليل أيضا، لأن كل من نوى خيرا و غلب عنه بعدر محقق كمرض و نحوه ثبت له أجر ذلك الخير الذي عزم عليه، كما أشار له صاحب روضة السرين بقوله:

و من نوى الخير لكن قد غلب عنه فأجر ما نوى له جلب

كغفلة و سفر و مرض و كبر و غير ذا من عرض

و قولى: أو بلد تسب فيه الصحابة الخ، أشرت به إلى ما صرح به الخطاب في أول فصل صلاة السفر بقوله: و كذلك يجب الهروب من بلد يسمع فيها سب الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، و لو كان مكة المكرمة و المدينة اه.

و قولى: و لا يعد بذلك كمن ترك المدينة رغبة عنها الخ، يؤيده ما ذكره السيوطى فى حاشيته المسماة بتنوير الحوالك على موطأ الإمام مالك، فى باب ما جاء فى سكنى المدينة و الخروج منها، عند حديث: لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا منه، فقد قال هنا ما نصه عن ابن عبد البر، و الحديث عندى خاص بحياته صلى الله عليه و سلم و أما بعده فقد خرج منها جماعة من أصحابه و لم تعوض

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٣٨

المدينة بخير منهم، و قال الباجى: و المراد يخرج رغبة عن ثواب الساكن فيها، و أما من خرج لضرورة شدة زمان أو فتنه، فليس ممن يخرج رغبة عنها، قال: و المراد به من كان مستوطنا بها فرغب فى استيطان غيرها، و أما من كان مستوطنا غيرها فقدمها للقربة و رجع إلى وطنه، أو كان مستوطنا بها فخرج مسافرا لحاجته، فليس بخارج منها رغبة عنها، قال: و الإبدال إما بقدم خير منه من غيرها، أو مولود يولد فيها، اه. بلفظه. نسأل الله تبارك و تعالى أن يردنا لها آمين و يرزقنا بها الشهادة و الموت على الإيمان بجوار شفيع المدنيين، عليه و على آله و أصحابه الصلاة و السلام، و أن يجعلنا فى جواره فيها و فى الفردوس دار السلام و الإكرام.

(التنبية الرابع): قد تحرر مما أسلفناه فى التنبهات المذكورة أنه لا- خلاف فى وجوب الهجرة على غير المعذور بالاستضعاف المنصوص عليه فى القرآن بقوله تعالى: **إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَيْسَ تَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا** فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ، وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا.

و أن غير المعذور بالاستضعاف المذكور فى الآية، إن ترك الهجرة عمدا يكون عاصيا بتركها مصادما لنصوص القرآن و السنة كما تقدم، و قد أشار إليه شقيقنا و شيخنا العلامة المرحوم ذو المناقب الشيخ محمد العاقب فى منظومته فى أحكام الجهاد و الهجرة بقوله:

و هجرة من أرضهم ما اختلفافى فرضها على امرئ ما استضعفا

و إن أباه مسلم قد أخلصافهو على إسلامه و قد عصى

و أما المعذور بالاستضعاف المذكور، أو بتغلب الكفرة عليه بغته قبل أن يتمكن من الهجرة، فهو غير آثم شرعا، بشرط عزمه على الهجرة متى أمكنه فعلها بأى حيلة أمكنته شرعا، مع أن الحزم و الأحوط شرعا أن يبادر بها المعذور، فإن من تكلف و خرج مهاجرا و هو معذور شرعا يضاعف له الأجر كالأعرج و شبهه إذا تكلف فى الجهاد مع سقوطه عنه بنص الكتاب العزيز، فلا يكون آثما بل يضاعف له الأجر، كما فى "ضياء التأويل".

فالعاقل لا يتركها و هى فى إمكانه و لو عذر شرعا، لثلا يتمكن عدو الدين من منعه منها و من إقامة دينه، و يستولى على نسائه و أبنائه و يحول بينه و بينهم بالارتداد و أخس الاستعباد، و ربما ردوه عن دينه قهرا فى زمان ضعف أهل الإسلام، و لله در أخينا الشيخ محمد العاقب المذكور، رحمه الله، حيث يقول فى نصيحته لمن لم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٣٩

يهاجر من قطر شنقيط فى أو ان هجرتنا من تلك البلاد أعادها الله تعالى دار إسلام، و حرس ساكنيها من الشر و الآثام:



فالسرعَةُ السرعةُ قبل أن يهاض العظم أو يقص ريش الأجلد

قبل اللحاق ينفع الفرار لامن بعده فالحزم رأى العجل

و المهاجر في هذا الزمن الذي عم فيه استيلاء الكفرة على جميع بلاد الإسلام، لا يمكنه فعل الهجرة إلا بمحض التوكل على الله تعالى في أن يوفقه للهجرة إلى بلد يسلم له فيه دينه و لو على رأس جبل، فإن من توكل عليه تعالى في أى شىء هداه للرشاد فيه، و النجاح لقوله تعالى: وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ، و غيرها من آيات التوكل عليه تعالى، فإن هذا الزمان هو الزمان المشار له بحديث: يأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه إلا من فر من شاهق إلى شاهق، و هو المشار له بحديث الصحيح و هو قوله عليه الصلاة و السلام: يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال و مواقع القطر يفر بدينه من الفتن. رواه البخارى فى مواضع من صحيحه، فقد أخرجه فى كتاب الإيمان، و فى كتاب الرقاق، و علامات النبوة، و كتاب الفتن، و أخرجه أبو داود و النسائى أيضا، فهو زمان الفتن الذى يكون المهاجر فيه إذا بدا بعد هجرته غير ملعون و لا آثم، بل يكون فاعلا ما هو خير له فى دينه، لما أخرجه الطبرانى من حديث جابر بن سمرة رفعه: لعن الله من بدا بعد هجرته إلا فى الفتنة فإن البدو خير من المقام فى الفتنة.

و قد نص صاحب "المعيار" و غيره، على أن الكفر إذا عم البلاد، يختار المرء المسلم لهجرته أقل البلاد إثما، و مثل لذلك بما يعلم بالوقوف عليه و تركنا ذكره خوف السامة و الإفراط فى التطويل، و ظواهر نصوص القرآن و الأحاديث، دالة على أن الله تعالى لا يبد أن يدبر للمهاجر أمره حتى يتم له هجرته و يوسع عليه لأنه ضمن له ذلك فى قوله تعالى: وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَ سَعَةً... الخ. فعلى الامتثال لأمره تعالى، و هو تعالى ضامن لتدبير أمورنا و أمننا و سعة أرزاقنا و صدورنا حيث هاجرنا فى سبيله و مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا، و إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ الْآيَتِينَ.

(التنبية الخامس): أرجى ما وقفت عليه من الأدلة لعذر المستضعفين من أهل أقطار بلاد الإسلام اليوم عن الهجرة، كقطر شنقيط المعروف عند أهل الجغرافية بالصحراء الكبرى، و بمريتان باللسان الإفرنجى، حديث المتن و حديث الإمام أحمد التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٤٠

من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص المتقدم ذكره لقوله عليه الصلاة و السلام، فيه: إذا أقمت الصلاة و آتيت الزكاة فأنت مهاجر و إن مت فى الحضرمة، و كذا ما أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب التوحيد منه فى باب قول الله تعالى: وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ. عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: من آمن بالله و رسوله، و أقام الصلاة، و صام رمضان، كان حقا على الله أن يدخله الجنة، هاجر فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها. قالوا: يا رسول الله، أفلا ننبئ الناس بذلك؟ قال: إن فى الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين فى سبيله، كل درجتين بينهما كما بين السماء و الأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة و أعلى الجنة، و فوقه عرش الرحمن و منه تفجر أنهار الجنة ا ه.

و أخرجه أيضا فى باب درجات المجاهدين فى سبيل الله من كتاب الجهاد، و ليس فى البخارى فى الموضوعين و آتى الزكاة، قال القسطلانى فى كتاب الجهاد: فكان الاقتصار على ما ذكر إن كان محفوظا لأنه هو المتكرر غالبا، و أما الزكاة فلا تجب إلا على من له مال بشرطه، و الحج لا يجب إلا مرة على التراضى ا ه. و هذا الحديث أخرجه الترمذى أيضا فهو مع حديث المتن.

و حديث الإمام أحمد المذكور سابقا من أرجى الأدلة الصحيحة لعذر أهل بلادنا المعروفة بالصحراء الكبرى، لعجزهم غالبا عن الهجرة بالفقر و بسرعته تغلب العدو عليهم قبل التأهب للهجرة، و إن كان ظاهر هذه الأحاديث و ورودها بعد فتح مكة و هى بعد فتحها صارت دار إسلام، و كذلك غيرها من البلاد التى دخلها الإسلام فى حياة رسول الله عليه الصلاة و السلام، أو فتحت بعده على أيدي الصحابة رضوان الله عليهم.

و أما كل بلد تغلب عليه الكفرة من بلاد الإسلام و أجروا أحكامهم عليه، فلا تزال الهجرة واجبة منه إلى يوم القيامة كما تقدم، لأن الحكم يدور مع علته وجودا و عدما، و لكننا نسأل الله تعالى الذى سبقت رحمته غضبه، أن يمن علينا و على إخواننا الذين لم يهاجروا

بالغفران و يختم لنا بأكمل الإيمان بجوار سيد بنى عدنان رسولنا محمد، عليه و على آله و أصحابه الصلاة و السلام الأكملان. (و مما يؤيد عذر من تغلب عليه العدو فجأة) و منعه من الهجرة و هو عاجز عن قتاله و عن الهجرة دون إذنه، ما حققه الجلال السيوطى فى كتاب الإتقان، فى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٤١

النوع السابع و الأربعين فى ناسخ القرآن و منسوخه، فى المسألة الرابعة من مسائل الناسخ و المنسوخ.

(و حاصل) ما حققه: أن ما أمر به لسبب ثم يزول السبب، كالأمر حين الضعف و القلة بالصبر و الصبح، ثم نسخ بإيجاب القتال ليس فى الحقيقة نسخاً، بل هو من قسم المنسأ كما قال تعالى: **أَوْ نُئِيبَهَا، فَالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون.** و فى حال الضعف يكون الحكم و جوب الصبر على الأذى، ثم ذكر أن كل أمر ورد يجب امتثاله فى وقت ما لعله تقتضى ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى الحكم آخر ليس بنسخ، إنما النسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله. و قال مكى: ذكر جماعة أن ما ورد فى الخطاب مشعراً بالتوقيت و الغاية، مثل قوله فى البقرة: **فَاعْتَفُوا وَ اصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ،** محكم غير منسوخ، لأنه مؤجل بأجل، و المؤجل بأجل لا نسخ فيه اه.

ملخصاً منه مع تصرف يسير للإيضاح. فيؤخذ مما ذكره فى هذا القسم من النسخ، الذى هو فى الحقيقة قسم من المنسأ، أن صبر المسلمين على أذى الكفرة المحتلين لبلادهم إذا منعوهم من الهجرة، و الحال أنهم لا قدرة لهم على جهادهم لا يأثمون به، لعذرهم بالعجز و سرعة تغلب العدو عليهم بغتة قبل أن يستعدوا لجهادهم أو للهجرة عنهم، لا سيما مع اختلاف كلمتهم و تفرق آرائهم و إن كانوا مأمورين بعدم التنازع خوف الفشل، لأن التكليف بحسب الإمكان، و الإثم فى مثل هذه الصورة فى ترك الجهاد و الهجرة معا، إنما يتعلق بأهل الحل و العقد لا بالضعاف المغلوبين على أمرهم.

هذا ما تحرر عندى من خلاصة أحكام الهجرة فى هذا الزمان الذى عم الكفر فيه جميع بلاد الإسلام إلا ما لا يذكر لضعف شأنه، و قد كنت فى ابتداء هجرتنا من أوطاننا ألفت رسالته فى وجوبها و سميتها "مزل الحرج فى رد ما عند من أسقط الهجرة من الحجج" تحريت فيها الحق غاية جهدى، و لم أكفر من تركها متأولاً، و لم أفت بإباحة أموالهم لمن يزعم أنه مجاهد، و إن خالفنى فى ذلك بعض مشايخى و إخوتى، رحم الله الجميع و غفر لهم، ثم جربت البلاد المشرقية بعد هجرتى للحرمين الشريفين، و اختبرت أحوال سائر البلاد و أحوال المهاجرين فى هذا الزمن، و المتوكل منهم كحال الصحابة فى بدء هجرتهم و غير المتوكل، فزدت لذلك فى رسالتى المذكورة مسائل دقيقة و فوائد نافعة، و لخصت فى هذه التنبيهات

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٤٢

الخمسة زبدة أحكامها، و إنى أسأل الله تعالى أن يتقبل منا هجرتنا الأولى و الثانية، و يتجاوز عن كل من لم يهاجر من المسلمين، و يختم لى و لأقاربي و أحببى بالإيمان، بجوار رسول الله صلى الله عليه و سلم بدار الهجرة المدينة المنورة مع امتثال السنة فى هذا الزمان.

و إنما أظلت فى شرح هذا الحديث لمسييس الحاجة بذلك، و الله تعالى هو المرجو لما هنا و ما هنالك. و هذا الحديث كما أخرجه الشيخان، أخرجه أبو داود فى الجهاد من سننه، و أخرجه النسائى فى البيعة و فى السير من سننه أيضاً. انتهى من زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم.

### حكم إقامة المهاجر بمكة بعد انقضاء النسك

نذكر هنا حكم إقامة المهاجرين، رضى الله تعالى عنهم، بمكة إذا أتوها للحج أو العمرة، فإن لهم حكماً غير حكم عامه المسلمين بسبب هجرتهم عن مكة إلى المدينة حبا فى نصره رسول الله صلى الله عليه و سلم. فلنذكر أولاً ما جاء فى الصحيحين عن ذلك، ثم

نذكر شرح الأحاديث من فتح الباري لابن حجر، و من شرح مسلم للنووي:

جاء في صحيح مسلم من كتاب الحج ما يأتي:

حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب، حدثنا سليمان، يعني ابن بلال، عن عبد الرحمن بن حميد، أنه سمع عمر بن عبد العزيز يسأل السائب بن يزيد يقول:

هل سمعت في الإقامة بمكة شيئاً؟ فقال السائب: سمعت العلاء بن الحضرمي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «للمهاجر إقامة ثلاث بعد الصدر بمكة» كأنه يقول: لا يزيد عليها.

حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن عبد الرحمن بن حميد، قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول لجلسائه: ما سمعتم في سكنى مكة؟ فقال السائب بن يزيد: سمعت العلاء، أو قال العلاء بن الحضرمي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقيم المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثاً».

و حدثنا حسن الحلواني، و عبد بن حميد، جميعاً عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدثنا أبي عن صالح، عن عبد الرحمن بن حميد، أنه سمع عمر بن عبد العزيز

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٤٣

يسأل السائب بن يزيد فقال السائب: سمعت العلاء بن الحضرمي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ثلاث ليال يمكنهن المهاجر بمكة بعد الصدر».

و حدثنا إسحاق بن إبراهيم: أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا ابن جريج و أملاه علينا إملاء، أخبرني إسماعيل بن محمد بن سعد، أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن السائب بن يزيد، أخبره أن العلاء بن الحضرمي، أخبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مكث المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثاً». انتهى من صحيح مسلم.

و جاء في صحيح البخاري في باب الإسراء: حدثني إبراهيم بن حمزة، حدثنا حاتم عن عبد الرحمن بن حميد الزهري قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يسأل السائب بن أخت النمر: ما سمعت في سكنى مكة؟ قال: سمعت العلاء بن الحضرمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث للمهاجر بعد الصدر». انتهى من البخاري.

جاء في فتح الباري لابن حجر عند هذا الحديث المروي في البخاري ما نصه:

«قوله: بعد الصدر» بفتح المهملتين، أي بعد الرجوع من منى. وفقه هذا الحديث أن الإقامة بمكة كانت حراماً على من هاجر منها قبل الفتح، لكن أبيع لمن قصدها منهم بحج أو عمرة أن يقيم بعد قضاء نسكه ثلاثة أيام لا يزيد عليها، ولهذا رثى النبي، صلى الله عليه وسلم، لسعد بن خولة أن مات بمكة. و يستنبط من ذلك، أن إقامة ثلاثة لا تخرج صاحبها عن حكم المسافر، و في كلام الداودي اختصاص ذلك بالمهاجرين الأولين، و لا معنى لتقييده بالأولين، قال النووي: معنى هذا الحديث:

أن الذين هاجروا يحرم عليهم استيطان مكة، و حكى عياض أنه قول الجمهور قال: و أجازهم جماعة، يعني بعد الفتح، فحملوا هذا القول على الزمن الذي كانت الهجرة المذكورة واجبة فيه، قال: و اتفق الجميع على أن الهجرة قبل الفتح كانت واجبة عليهم، و أن سكنى المدينة كان واجباً لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم و مواساته بالنفس، و أما غير المهاجرين فيجوز له سكنى أي بلد أراد سواء مكة و غيرها بالاتفاق، انتهى كلام القاضي، و يستثنى من ذلك من أذن له النبي صلى الله عليه وسلم بالإقامة في غير المدينة، و استدلل بهذا الحديث على أن طواف الوداع عبادة مستقلة ليست من مناسك الحج، و هو أصح الوجهين في المذهب لقوله في هذا الحديث: بعد قضاء نسكه لأن طواف الوداع لا إقامة بعده، و متى أقام بعده خرج عن كونه طواف

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٤٤

الوداع، و قد سماه قبله قاضياً لمناسكه فخرج طواف الوداع عن أن يكون من مناسك الحج. و الله أعلم.

وقال القرطبي: المراد بهذا الحديث من هاجر من مكة إلى المدينة لنصر النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعنى به من هاجر من غيرها لأنه خرج جوابا عن سؤالهم لما تخرجوا من الإقامة بمكة، إذ كانوا قد تركوها لله تعالى فأجابهم بذلك وأعلمهم أن إقامة الثلاث ليس بإقامة، قال: والخلاف الذى أشار إليه عياض كان فيمن مضى، و هل ينبى عليه خلاف فيمن فرّ بدينه من موضع يخاف أن يفتن فيه فى دينه، فهل له أن يرجع إليه بعد انقضاء تلك الفتنة، يمكن أن يقال إن كان تركها لله كما فعله المهاجرون، فليس له أن يرجع لشيء من ذلك، وإن كان تركها فرارا بدينه ليسلم له ولم يقصد إلى تركها لذاتها، فه الرجوع إلى ذلك، انتهى، وهو حسن متجه إلا أنه خص ذلك بمن ترك ربا أو دورا ولا حاجة إلى تخصيص المسألة بذلك.

والله أعلم. انتهى من فتح البارى.

وجاء فى شرح الإمام النووى على صحيح مسلم عند الأحاديث المتقدمة ما نصه:

قوله صلى الله عليه وسلم: «يقيم المهاجر بمكة بعد انقضاء نسكه ثلاثا». وفى الرواية الأخرى: مكث المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثا، وفى رواية: للمهاجر إقامة ثلاث بعد الصدر بمكة فإنه يقول لا يزيد عليها. معنى الحديث: أن الذين هاجروا من مكة قبل الفتح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حرم عليهم استيطان مكة والإقامة بها، ثم أبيع لهم إذا وصلوها بحج أو عمرة أو غيرهما أن يقيموا بعد فراغهم ثلاثة أيام ولا يزيدوا على الثلاثة واستدل أصحابنا وغيرهم بهذا الحديث على أن إقامة ثلاثة ليس لها حكم الإقامة، بل صاحبها فى حكم المسافر، قالوا: فإذا نوى المسافر الإقامة فى بلد ثلاثة أيام غير يوم الدخول ويوم الخروج، جاز له الترخص برخص السفر من القصر و الفطر وغيرهما من رخصه ولا يصير له حكم المقيم، والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم: «يقيم المهاجر بعد قضاء نسكه ثلاثة» أى بعد رجوعه من منى كما قال فى الرواية الأخرى: «بعد الصدر» أى الصدر من منى، وهذا كله قبل طواف الوداع، وفى هذا دلالة لأصح الوجهين عند أصحابنا أن طواف الوداع ليس من مناسك الحج، بل هو عبادة مستقلة أمر بها من أراد الخروج من مكة، لأنه نسك من مناسك الحج، ولهذا لا يؤمر به المكى ومن يقيم بها، وموضع الدلالة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٢٤٥

قوله صلى الله عليه وسلم بعد قضاء نسكه. والمراد قبل طواف الوداع كما ذكرنا، فإن طواف الوداع لا إقامة بعده، ومتى أقام بعده خرج عن كونه طواف وداع فسماه قبله قاضيا لمناسكه. والله أعلم.

قال القاضى عياض رحمه الله: فى هذا الحديث حجة لمن منع المهاجر قبل الفتح من المقام بمكة بعد الفتح، قال: وهو قول الجمهور، وأجاز لهم جماعة بعد الفتح من الاتفاق على وجوب الهجرة عليهم قبل الفتح، و وجوب سكنى المدينة لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم ومواساتهم له بأنفسهم، وأما غير المهاجر ومن آمن بعد ذلك فيجوز له سكنى أى بلد أراد سواء مكة وغيرها بالاتفاق، هذا كلام القاضى.

قوله صلى الله عليه وسلم: «مكث المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثا» هكذا هو فى أكثر النسخ ثلاثا وفى بعضها ثلاث ووجه المنصوب أن يقدر فيه محذوف أى مكثه المباح أن يمكث ثلاثا، والله أعلم. انتهى من كتاب صحيح مسلم.

نقول: إن كثيرا من الناس لا يعرفون حرمة إقامة المهاجرين، رضى الله تعالى عنهم بمكة بعد انقضاء نسكهم أكثر من ثلاثة أيام لهذا كتبنا هذا المبحث، والحكمة فى ذلك، والله تعالى أعلم، هى أنهم لما هاجروا من مكة إلى المدينة حبا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته وخدمته وعدم مفارقتها، حرم عليهم الإقامة ببلدتهم الأصلية التى هاجروا منها، وهى مكة، أكثر من ثلاثة أيام بعد أداء نسكهم من حج أو عمرة. فإنهم إن أقاموا بها أكثر من الثلاث، تباطؤوا فى الرجوع إلى المدينة وحنوا للإقامة بمسقط رأسهم ووطنهم الذى هاجروا منه لله ولرسوله، أما الثلاثة الأيام المرخص لهم بالإقامة فى مدتها بعد انقضاء نسكهم، فهى كافية لأداء حقوق أقاربهم وأصدقائهم وجيرانهم فى زيارتهم والائتناس بهم.

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم وصححها وبارك لنا فى مدها و

صاعها و انقل حمّاهما فاجعلها بالجحفة»، رواه البخارى و مسلم. و الجحفة كان يسكنها اليهود.

و قال عليه الصلاة و السلام: «اللهم أمض لأصحابى هجرتهم و لا تردهم على أعقابهم».

و من هنا نرى أن جميع الصحابة، رضى الله عنهم، المهاجرين من مكة فقط لم يموتوا بها، و إنما ماتوا بالمدينة أو غيرها، ما عدا سعد

بن خولة، فقد رثى له رسول الله صلى الله عليه و سلم أن مات بمكة، و سعد المذكور صحابى جليل، و كان من مهاجرة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٤٦

الحبشة و ممن شهد بدرًا، مرض بمكة و توفى بها، و له ذكر فى الصحيحين فى حديث سبيعة بنت الحارث أنها كانت تحت سعد بن

خولة، فلما توفى عنها فى حجة الوداع و كانت حاملا، فولدت بعد وفاته بليال، أتت النبى صلى الله عليه و سلم فأخبرته، فقال لها عليه

الصلاة و السلام: «قد حللت فانكحى من شئت».

انظر ترجمته فى كتاب الإصابة و فى الاستيعاب.

و لما كان يوم فتح مكة قام رسول الله صلى الله عليه و سلم على الصفا يدعو ربه و قد أهدت به الأنصار فقالوا فيما بينهم: أترون

رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ فتح الله عليه أرضه و بلده يقيم بها. فلما فرغ صلى الله عليه و سلم من دعائه قال: ماذا قلت؟ قالوا: لا

شئ يا رسول الله.

فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال: «معاذ الله المحيا محياكم و الممات مماتكم».

و بالفعل فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يزل مقيما بالمدينة حتى مات و قبر بها. فانظر إلى وفاته، عليه الصلاة و السلام،

للأنصار و كيف عاملهم باللطف و الفضل و الإحسان الشامل. اللهم صل على محمد و على آل محمد، و بارك على محمد، و على

آل محمد، كما صليت و باركت على إبراهيم، و على آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد.

و لما أعطى رسول الله صلى الله عليه و سلم لقريش و قبائل العرب من الغنائم التى أخذها فى غزوة حنين، و قد ترك الأنصار غضب

بعضهم حتى قالوا: إن هذا لهو العجب يعطى قريشا و يتركنا و سيوفنا تقطر من دمائهم. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فأمر

بجمعهم و ليس معهم غيرهم، فلما اجتمعوا قال لهم: يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتنى عنكم، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى، و عالة

فأغناكم الله بى، و أعداء فألف الله بين قلوبكم بى، إن قريشا حديثو عهد بكفر و مصيبة، و إنى أردت أن أجبرهم و أتألفهم، أغضبتهم

يا معشر الأنصار فى أنفسكم لشيء قليل من الدنيا ألفت به قوما ليسلموا، و وكلتكم إلى إسلامكم الثابت الذى لا يزلزل، ألا ترضون يا

معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة و البعير و ترجعوا برسول الله إلى رحلكم، فو الذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من

الأنصار، و لو سلك الناس شعبا و سلك الأنصار شعبا لسلك شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار و أبناء الأنصار.

فلما سمعوا كلامه صلى الله عليه و سلم بكى القوم حتى اخضلت لحاهم و قالوا: رضينا برسول الله قسما و حظا. ثم انصرف، عليه

الصلاة و السلام، و تفرق القوم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٤٧

فانظر رحمك الله تعالى إلى درر كلامه و وفاته صلى الله عليه و سلم و انظر إلى حب الأنصار و طاعتهم و انقيادهم له، عليه أفضل

الصلاة و أتم السلام. و يا ليتنا كنا فى ذلك الزمن المبارك العاطر حتى نسعد بمشاهدة نور محياه صلى الله عليه و سلم و نتشرف

بخدمته أقدامه الطاهرة، و لئن فاتنا ذلك العصر الزاهر نسأل الله تعالى أن ينور قلوبنا بحبه و أن يوفقنا للتمسك بشريعته و إحياء سننه،

صلى الله و سلم عليه و على آله و أزواجه و ذريته و صحابته أجمعين آمين.

و انظر إلى ترجمة أبى بكر رضى الله تعالى عنه، صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم فى الغار.

قال صاحب كتاب "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم" عن ترجمته ما نصه: هو أبو بكر الصديق، رضى الله تعالى عنه، و هو عبد الله بن أبى قحافة القرشى التيمى. و اسم أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، يجتمع نسبه مع نسب النبى صلى الله عليه و سلم فى مرة بن كعب بن لؤى و عدد من آبائهما إلى مرة سواء، و هو صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو الصديق الأكبر و صاحبه فى الغار و فى الهجرة و الخليفة بعده، و كان اسمه قبل الإسلام عبد الكعبة، و كان يسمى أيضا عتيقا، و اختلف هل هو اسم له أصلى، أو قيل له ذلك لأنه ليس فى نسبه ما يعاب به أو لقدمه فى الخير و سبقه إلى الإسلام، أو قيل له ذلك لحسنه، أو لأن أمه كان لا يعيش لها ولد فلما ولد لها استقبلت به البيت فقالت: اللهم هذا عتيقك من الموت. أو أن النبى صلى الله عليه و سلم بشره بأن الله أعتقه من النار فقال له: أنت عتيق من النار، فيومئذ سمي عتيقا. و قد ورد فى هذا الأخير حديث عن عائشة عند الترمذى، و آخر عن عبد الله بن الزبير عند البزار، و صححه ابن حبان و زاد فيه.

و كان اسمه قبل ذلك عبد الله بن عثمان و لم يختلف فى أن عثمان اسم أبى قحافة، كما لم يختلف فى كنية الصديق. و لقد لقب الصديق لسبقه إلى تصديق النبى صلى الله عليه و سلم، قيل قد كان ابتداء تسميته بذلك صبيحة الإسراء. و روى الطبرانى من حديث على، رضى الله عنه، أنه كان يحلف أن الله أنزل اسم أبى بكر من السماء الصديق. و رجاله ثقات.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٤٨

و أم أبى بكر سلمى، و تكنى أم الخير بنت صخر بن مالك بن عامر بن عمرو المذكور فى نسبه السابق الذكر، أسلمت أمه و هاجرت و ذلك معدود من مناقبه لأنه انتظم إسلام أبويه و جميع أولاده، و قد ولد أبو بكر بعد الفيل بستين وستة أشهر. أخرج ابن البرقى من حديث عائشة: تذاكر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و أبو بكر ميلادهما عندى، فكان النبى صلى الله عليه و آله و سلم، أكبر.

و صحب النبى صلى الله عليه و آله و سلم، قبل البعثة و سبق إلى الإيمان به. و كان من أسباب إيمانه بالنبى صلى الله عليه و سلم قبل غيره من الرجال، ما أخرجه ابن الأثير فى أسد الغابة بإسناده إلى عبد الله بن مسعود قال: قال أبو بكر الصديق: إنى خرجت إلى اليمن قبل أن يبعث النبى صلى الله عليه و سلم فنزلت على شيخ من الأزد عالم قد قرأ الكتب و علم من علم الناس علما كثيرا، فلما رآنى قال: أحسبك حرميا. قال أبو بكر: قلت نعم، أنا من أهل الحرم. قال: و أحسبك قرشيا. قال، قلت: نعم أنا من قريش.

و قال: أحسبك تيميا. قال قلت: نعم أنا من تيم بن مرة، أنا عبد الله بن عثمان من ولد كعب بن سعد بن تيم بن مرة. قال: بقيت لى فيك واحدة. قلت ما هى؟ قال: تكشف عن بطنك. قلت: لا أفعل أو تخبرنى لم ذاك. قال: أجد فى العلم الصحيح الصادق أن نبيا يبعث فى الحرم يعاونه على أمره فتى و كهل. فأما الفتى فخواض غمرات و دفاع معضلات. و أما الكهل فأبيض نحيف، على بطنه شامة و على فخذه اليسرى علامة، و ما عليك أن ترينى ما سألتك فقد تكاملت لى فيك الصفة إلا ما خفى على. قال أبو بكر: فكشفت له عن بطنى فرأى شامة سوداء فوق سرتى. فقال: أنت و رب الكعبة و إنى متقدم إليك فى أمر فاحذره.

قال أبو بكر: و ما هو. قال: إياك و الميل عن الهدى، و تمسك بالطريقة المثلى الوسطى، و خف الله فيما خولك و أعطاك. قال أبو بكر: فقضيت باليمن إربى ثم أتيت الشيخ لأودعه فقال: أحامل عنى أبياتا من الشعر قلتها فى ذلك النبى؟

قلت: نعم. فذكر أبياتا. قال أبو بكر: فقدمت مكة و قد بعث النبى صلى الله عليه و سلم فجاءنى عقبه بن أبى معيط و شيبه و ربيعة و أبو جهل و أبو البخترى و صنديد قريش، فقلت لهم: هل نابتكم نائبة أو ظهر فيكم أمر؟ قالوا: يا أبا بكر، أعظم الخطب، يتيم أبى طالب يزعم أنه نبى مرسل، و لولا أنت ما انتظرنا به، فإذا قد جئت فأنت الغاية و الكفاية. قال أبو بكر: فصرفتهم على أحسن مس، و سألت عن النبى صلى الله عليه و سلم فقيل فى منزل خديجة، فقرعت عليه الباب فخرج إلى فقالت: يا محمد فقدت من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٤٩

منازل أهلك و تركت دين آبائك و أجدادك. قال: يا أبا بكر، إنى رسول الله إليك و إلى الناس كلهم فآمن بالله. فقالت: و ما

دليلك على ذلك؟ قال: الشيخ الذى لقيته باليمن. قلت: وكم شيخ لقيت باليمن؟ قال: الشيخ الذى أفادك الآيات. قلت: ومن خبرك بهذا يا حبيبي؟ قال: الملك العظيم الذى يأتى الأنبياء قبلى. قلت: مد يدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله. قال أبو بكر: فانصرفت و ما بين لابتيتها أشد سرورا من رسول الله صلى الله عليه و سلم بإسلامي اهـ.

و قد استمر أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه و سلم منذ أسلم بمكة، و فى طريق الهجرة، و فى المدينة، إلى أن توفاه الله. و شهد المشاهد كلها و كانت الرأيه معه يوم تبوك.

و حج بالناس فى حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم سنة تسع، و لقبه المسلمون بعده خليفة رسول الله. و قد أسلم أبوه كأمه، و هو أفضل الصحابة كما تقدم فى شرح الحديث السابق لهذا.

و من خصائصه أنه لا يوجد فى الصحابة من يكنى أبا بكر غيره، إلا ما ذكره الحافظ فى الإصابة عن شداد بن الأسود بن شعوب أنه يكنى أبا بكر أيضا، و هو الذى رثى قتلى بدر من المشركين بالآيات المذكورة فى صحيح البخارى و هى التى أولها (و ماذا بالقلب قلب بدر) الخ الآيات. قال: ثم أسلم ابن شعوب بعد.

و أبو بكر بن شعوب هذا، هو الذى تزوج أم بكر الكلبييه زوج أبى بكر الصديق طلقها لما هاجر، فتزوجها ابن عمها هذا الشاعر الذى رثى قتلى بدر من المشركين بالآيات المشار إليها. و لعل وجه تكتيته بأبى بكر تزوجه بأبى بكر المذكورة نظير ما وقع للصديق إذ لم يعرف وجه تكتيته بأبى بكر إلا تزوجه بها كما حققه بالاستقراء التام.

و قد روى أبو بكر عن النبى صلى الله عليه و سلم مائة و اثنين و أربعين حديثا، اتفق البخارى و مسلم على ستة منها، و انفرد البخارى بأحد عشر و مسلم بحديث. روى عنه عمر و عثمان و على و عبد الرحمن بن عوف و ابن مسعود و ابن عمر و ابن عمرو و ابن عباس و حذيفة و زيد بن ثابت و عقبه بن عامر و معقل بن يسار و أنس و أبو هريرة و أبو أمامة و أبو برزة و أبو موسى، و ابتناه عائشه و أسماء، و ابنه عبد الرحمن و غيرهم من الصحابة و خلق كثير من كبار التابعين. و كان أبيض نحيفا، خفيف العارضين، معروق الوجه، ناتئ الجبهة، مشرف الوركين، جميل الصورة (و قد رأيتة) فى النوم مرة واحدة بعد توطنى لمصر كأنه ذاهب بى أنا و بعض إخوانى إلى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٥٠

المدينة المنورة، أماتنا الله على الإيمان بها. و قد وردت فى فضله أحاديث كثيرة فى الصحيحين و غيرهما. منها قوله صلى الله عليه و سلم: سدوا كل خوخته إلا خوخته أبى بكر.

و منها غير ذلك اكتفينا عن ذكرها بشهرتها. و من أعظم مناقبه قول الله تعالى:

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَإِنِ الْمُرَادُ بِصَاحِبِهِ أَبُو بَكْرٍ بِالْإِجْمَاعِ لِأَنَّهُ انْفَرَدَ بِهَذِهِ الْمُنْقَبَةِ وَ كَانَ يَقِيهِ بِنَفْسِهِ فِي الْغَارِ وَ خَارِجَهُ كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ مَرُورَى بِالْأَسَانِيدِ. وَ مَنَاقِبُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَثِيرَةٌ جَدَا أَفْرَدَهَا جَمَاعَةٌ بِالتَّصْنِيفِ. وَ تَرْجَمْتُهُ فِي تَارِيخِ ابْنِ عَسَاكِرٍ قَدْرَ مَجْلَدَةٍ، كَمَا قَالَ الْحَافِظُ فِي الْإِصَابَةِ. وَ لَفْظُ الْخَزْرَجِيِّ فِي الْخِلَاصَةِ: وَ تَرْجَمْتُهُ فِي تَارِيخِ الشَّامِ فِي مَجْلَدٍ وَ نَصْفٍ. وَ كَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ فِي جَمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةَ مِنَ الْهَجْرَةِ وَ هُوَ ابْنُ ثَلَاثِ وَ سَتِينَ سَنَةً. وَ ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ مِنْ طَرِيقِ الزُّهْرِيِّ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَ الْحَارِثَ بْنَ كَلْدَةَ أَكَلَا- خَزِيرَةَ أَهْدَيْتَ لِأَبِي بَكْرٍ وَ كَانَ الْحَارِثُ طَبِيبًا، فَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: ارْفَعْ يَدَكَ وَ اللَّهُ إِنْ فِيهَا لِسَمِّ سَنَةٍ.

فلم يزالا عليين حتى ماتا عند انقضاء السنة فى يوم واحد. و بالله تعالى التوفيق و هو الهادى إلى سواء الطريق. انتهى من زاد المسلم.

**فضل أبى بكر رضى الله عنه**

و لقد جاءت أحاديث صحيحة كثيرة فى فضل أبى بكر، رضى الله عنه، فى الصحيحين و غيرهما نقتصر على بعضها على سبيل

التبرك، لا على سبيل الحصر و التعداد.

جاء فى صحيح البخارى فى أوائل فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم: عن أبى سعيد الخدرى، رضى الله عنه، قال: خطب رسول الله صلى الله عليه و سلم الناس و قال: إن الله خير عبدا بين الدنيا و بين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله. قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم عن عبد خير. فكان رسول الله صلى الله عليه و سلم هو المختير. و كان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن من آمن الناس علىّ فى صحبته و ماله أبا بكر، و لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي، لاتخذت أبا بكر، و لكن أخوة الإسلام و مودته، لا يبقين فى المسجد باب إلا سدّ إلا باب أبى بكر.

و جاء فيه أيضاً: عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: لو كنت متخذاً من أمتى خليلاً، لاتخذت أبا بكر و لكن أخى و صاحبى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٥١

و جاء فيه أيضاً: عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: كنا نخير بين الناس فى زمن النبى صلى الله عليه و سلم فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضى الله عنهم.

و جاء فيه أيضاً: عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: أتت امرأة النبى صلى الله عليه و سلم فأمرها أن ترجع إليه، قالت: رأيت إن جئت و لم أجدك، كأنها تقول الموت، قال عليه السلام، إن لم تجدني فأتى أبا بكر.

عن أبى الدرداء رضى الله عنه، قال: كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه و سلم إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبى صلى الله عليه و سلم: أما صاحبكم فقد غامر فسلم.

و جاء فيه أيضاً: عن أبى هريرة، رضى الله عنه، أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: من أنفق زوجين من شىء من الأشياء فى سبيل الله دعى من أبواب- يعنى الجنة-: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، و من كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، و من كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، و من كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام و باب الريان، فقال أبو بكر: ما على هذا الذى يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، و قال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: نعم، و أجو أن تكون منهم يا أبا بكر.

و جاء فيه أيضاً: عن سعيد بن المسيب قال: أخبرنى أبا موسى الأشعري أنه توضع فى بيته ثم خرج، فقلت: لألزم من رسول الله صلى الله عليه و سلم و لأكونن معه يومى هذا، قال: فجاء المسجد فسأل عن النبى صلى الله عليه و سلم فقالوا: خرج و وجّه هاهنا. فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب، و بابها من جريد، حتى قضى رسول الله صلى الله عليه و سلم حاجته فتوضأ، فقامت إليه، فإذا هو جالس على بئر أريس و توسط قفّها، و كشف عن ساقيه و دلاهما فى البئر، فسلمت عليه، ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت: لأكونن بواب رسول الله صلى الله عليه و سلم اليوم. فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت من هذا؟ فقال: أبو بكر. فقلت: على رسلك، ثم ذهبت، فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فقال: ائذن له و بشره بالجنة، فأقبلت حتى قلت لأبى بكر: ادخل و رسول الله صلى الله عليه و سلم يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه و سلم معه فى القف و دلى رجله فى البئر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٥٢

كما صنع النبى صلى الله عليه و سلم و كشف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست و قد تركت أخى يتوضأ و يلحقنى فقلت: إن يرد الله بفلان خيراً- يريد أخاه- يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب، فقلت: على رسلك، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فسلمت عليه، فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن، فقال: ائذن له و بشره بالجنة، فجلست فقلت: ادخل و بشرك رسول الله صلى الله عليه و سلم بالجنة. فدخل فجلس مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فى القف عن يساره و دلى رجله



فى البئر ثم رجعت فجلست، فقلت: إن يرد الله بفلان خيرا يأت به، فجاء إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان، فقلت: على رسلك، فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: ائذن له و بشره بالجنة على بلوى تصيبه، فجنته فقلت له: أدخل و بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة على بلوى تصيبك، فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس و جاهه من الشق الآخر. قال شريك، قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم.

و جاء فيه أيضا: عن عائشة، رضى الله عنها، زوج النبى صلى الله عليه وسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات و أبو بكر بالسنة - قال إسماعيل: يعنى بالعالية - فقام عمر يقول:

و الله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: و قال عمر: و الله ما كان يقع فى نفسى إلا ذاك، و ليعثنه الله فليقطعن أيدي رجال و أرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله، قال: بأبى أنت و أمى طبت حيا و ميتا و الذى نفسى بيده لا يذيقك الله الموتين أبدا، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر و أثنى عليه و قال: ألا من كان يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم، فإن محمدا قد مات و من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، و قال: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ، و قال: وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ. قال: فنشج الناس بكون، قال: و اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة، فقالوا: منا أمير و منكم أمير.

فذهب إليهم أبو بكر و عمر بن الخطاب و أبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، و كان عمر يقول: و الله ما أردت بذلك، إلا- أنى قد هيأت كلاما قد أعجبنى خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال فى كلامه: نحن الأمراء و أنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا و الله لا نفع، منا أمير، و منكم أمير، فقال أبو بكر: لا، و لكننا الأمراء، و أنتم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٥٣

الوزراء، هم أوسط العرب دارا، و أعربهم أحسابا، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا و خيرنا و أحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ عمر بيده فبايعه و بايعه الناس. فقال قائل: قتلت سعد بن عبادة. فقال عمر: قتله الله. و قال عبد الله بن سالم، عن الزبيدي، قال عبد الرحمن بن القاسم: أخبرنى القاسم أن عائشة، رضى الله عنها، قالت: شخص بصر النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال: فى الرفيق الأعلى ثلاثا و قص الحديث، قالت: فما كانت من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوف عمر الناس و إن فيهم لنفاقا فردهم الله بذلك، ثم لقد بصير أبو بكر الناس الهدى و عرفهم الحق الذى عليهم و خرجوا به يتلون: وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ - إلى - الشَّاكِرِينَ. انتهى من البخارى.

و نكتفى بهذا القدر، ففضل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم معروف، و ما من مسلم إلا و هو يحبهم محبة عظيمة أكثر من نفسه و أولاده، كيف و هم قد فازوا بمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم و سعدوا بخدمته و خدمة هذا الدين السمح الحنيف. اللهم صل على عبدك و نبيك " محمد " و على آله الأطهار و صحابته الأخيار و أزواجه المصونات الطاهرات أمهات المؤمنين و سلم تسليمًا كثيرًا.

يروى أن أربعة من الصحابة رأوا النبى صلى الله عليه وسلم: ابن و أبوه و جده و أبو جده و هم أبو عتيق و اسمه محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق بن أبى قحافة، رضى الله تعالى عنهم جميعًا.

و فى الصحيحين عن ابن عباس و ابن مسعود، رضى الله تعالى عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا و لكنه أخى و صاحبى. و قد اتخذ الله عز و جل صاحبكم خليلًا».

قال شارح زاد المسلم، أستاذنا الشيخ محمد حبيب الله الشنيطى، رحمه الله تعالى، عند هذا الحديث ما نصه:

قلت: و قد بحثت غاية البحث عن سبب تكنيته بأبى بكر و لم أجد فى أبناءه من سمي بكرا، لا فى الجاهلية و لا فى الإسلام، و ما

رأيت لسبب تكنيته بذلك إلا قول صاحب المصباح المنير.

و البكر بالفتح: الفتى من الإبل و به كنى و منه أبو بكر الصديق اهـ.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٥٤

و نظم معنى كلامه بعض الفضلاء بقوله:

و البكر بالفتح فتى الإبل و منه كنية أبي بكر العلى

و ليس فى عبارة صاحب المصباح تصريح بوجه تكنيته بأبى بكر و أنها بسبب بكر من الإبل كان ملابسا له مثلا حتى يصدق عليه أنه

كنى به. و رأيت للزمخشري كما نسبه له شارح المواهب اللدنية ما نصه:

و لعله كنى أبا بكر لابتكاره المكرمات، و هذا أيضا ليس بشيء، إذ لو كانت تكنيته من هذا المعنى لقليل له أبو الابتكار. ثم بعد هذا

كله فتح الله على باستنباط سبب تكنيته من حديث البخارى فى آخر باب هجرة النبى صلى الله عليه و سلم عن عائشة أن أبا بكر

رضى الله عنه، تزوج امرأة من كلب يقال لها أم بكر، فلما هاجر أبو بكر طلقها، فتزوجها ابن عمها الشاعر الذى قال هذه القصيدة رثى

بها كفار قريش:

و ما ذا بالقلب قلب بدرمن الشيزى تزين بالسنام الخ

فعلت أن وجه تكنيته بأبى بكر من أجل كونه تزوج امرأة يقال لها أم بكر، فقليل له هو أبو بكر لكونه أبا لابن زوجته عرفا، إذ هو ابن

زوجته. و من الضرورى عند العرب تسمية زوج المرأة أبا لجميع أبنائها و لو من غيره، فهذا، و الله تعالى أعلم، هو سبب تكنيته بأبى

بكر و ما تحصلت عليه إلا بعد الاستقراء التام الذى يعلم منه أن لا وجه لتكنيته بأبى بكر إلا هذا الذى استنبطته من هذا الحديث.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ١-١؛ ص ٤٥٤

### فتح مكة المكرمة و هو الفتح الأعظم

كان خروج رسول الله صلى الله عليه و سلم من المدينة قاصدا مكة يوم الأربعاء بعد العصر لعشر مضي من رمضان من السنة الثامنة

للهجرة، فصام عليه الصلاة و السلام و صام الناس معه، حتى إذا وصل الكديد أفطر، و ما زال مفطرا حتى انسلخ الشهر. و كديد ما بين

عسفان و أمج، و عن ابن عباس الكديد الماء الذى بين قديد و عسفان اهـ. و بين مكة و عسفان مرحلة واحدة عن طريق وادى فاطمة-

و كان دخول النبى صلى الله عليه و سلم مكة صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من شهر رمضان من السنة المذكورة، و دخل رسول الله

صلى الله عليه و سلم مكة و عليه عمامة سوداء من غير إحرام، و هو

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٥٥

راكب راحلته، منح على الرحل حتى تكاد جبهته تمسه تواضعا و شكرا لله على هذه النعمة الكبرى، و أسامه بن زيد رديفه، فلما

وصل إلى موضع رايته بالحجون استراح قليلا فى القبّة التى نصبت له هناك، و كان فيها أم سلمة و ميمونة رضى الله تعالى عنهما، ثم

سار عليه الصلاة و السلام و بجانبه أبو بكر رضى الله عنه يحادثه و هو يقرأ سورة الفتح، حتى بلغ البيت و طاف سبعا على راحلته، و

استلم الحجر الأسود بمحجنه، ثم أقام صلى الله عليه و سلم بمكة خمسة عشر يوما و قيل: ثمانية عشر و قيل:

تسعة عشر و هو يقصر الصلاة. و بعد ذلك خرج إلى غزوة حنين "بالتصغير" و تسمى غزوة هوازن، و حنين واد وراء عرفات بين مكة

و الطائف.

روى ابن أبى شيبه بإسناد صحيح عن طاووس: لم يدخل النبى صلى الله عليه و سلم مكة إلا محرما إلا يوم فتح مكة. و روى مسلم من

حديث جابر: دخل النبى صلى الله عليه و سلم يوم فتح مكة و عليه عمامة سوداء من غير إحرام.

نقول: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم لو دخل مكة للنسك لدخلها محرما، و لكنه يوم الفتح أتى إليها غازيا بجيشه مستعدا للقتال

إذا اضطر إليه، و دخول المقاتل الفاتح له حالة غير حالة الناسك المتعبد، لذلك لم يكن يوم الفتح محرماً و لم يكن صائماً بمكة مدة إقامته بها حتى انسلخ شهر رمضان.

وقصة فتح مكة شرفها الله تعالى شهيرة، و هذا الفتح من أعظم فتوح الإسلام، أعز الله به دينه و رسوله و جنده و حرمه، فدخل الناس في دين الله أفواجا، و إلى هذا الفتح تشير سورة النصر و هي: بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللّٰهِ وَ الْفَتْحُ \* وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّٰهِ أَفْوَاجًا \* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَعِزْ بِهِ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا. و قد فهم رسول الله صلى الله عليه و سلم من نزول هذه السورة أنه قد اقترب أجله، فكان يكثر من قول: سبحان الله و بحمده أستغفر الله و أتوب إليه.

و غزوة فتح مكة مذكورة في جميع كتب التفسير و الحديث و التاريخ و السير، و لقد أردنا أن نذكر خلاصتها، لكن رأينا الإتيان بتفصيل غزوة الفتح أولى و أفضل لما فيها من العبر و الفوائد الجمّة. كما رأينا أن ننقل ما جاء عنها من كتاب "تاريخ الخميس" لأنه كتاب شهير معتمد و نادر الوجود، و لأنه ينقل جميع الأقوال و المرويات بتفصيل تام. و إليك نص ما جاء فيه عن فتح مكة:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٥٦

و في عشرين من رمضان هذه السنة "أى السنة الثامنة من الهجرة" يوم الجمعة و قيل في سادس عشر منه وقعت غزوة فتح مكة، و في البخارى على رأس ثمان و نصف من مقدمه المدينة. و في خلاصة السير: لسبع سنين و ثمانية أشهر و أحد عشر يوماً.

و في الاكتفاء: أقام رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد بعثه إلى مؤتة جمادى الآخرة و رجبا، ثم عدت بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة على خزاعة. قال أصحاب الأخبار إن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما صالح قريشا عام الحديبية و اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس و يكف بعضهم عن بعض، و أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه و سلم و عهده دخل فيه، و من أحب أن يدخل في عقد قريش و عهدهم دخل فيه، كما مر، فدخلت بنو بكر في عقد قريش و دخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم. و كان بينهما شر قديم، و لما دخل شعبان على رأس اثنين و عشرين شهرا من صلح الحديبية عدت بنو بكر على خزاعة و هم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير، فخرج نوفل بن معاوية الديلى في بنى ديل من بنى بكر و ليس كل بنى بكر تابعه. كذا في معالم التنزيل.

و في المنتقى: كلمت بنو نفاثة و هم من بنى بكر أشراف قريش أن يعينوهم على خزاعة بالرجال و السلاح، فوعدوهم و وافوهم و كان ممن أعان بنى بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ متكرين صفوان بن أمية و عكرمة بن أبى جهل و سهيل بن عمرو و حويطب و مركز مع عبيدهم، فبيتوا خزاعة ليلا و هم غازون، فقتلوا منهم عشرين رجلا، ثم ندمت قريش على ما صنعت و علموا أن هذا نقض للعهد الذى بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم، و خرج عمرو بن سالم الخزاعى فى أربعين راكبا حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة و كان ذلك مما هاج فتح مكة.

و روى عن ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه و سلم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم بات عندها فى ليلتها، ثم قام و توضأ للصلاة، فسمعتة يقول: ليبيك ليبيك ثلاثا. فلما خرج من متوضئه قلت له: يا رسول الله، بأبى أنت و أمى، إنى سمعتك تكلم إنسانا، فهل كان معك أحد؟ قال: هذا راجز بنى كعب يستصرخنى و يزعم أن قريشا أعانت عليهم بنى بكر. قال: فأقمنا ثلاثة أيام، ثم صلى الصبح بالناس فسمعت راجزا ينشد على رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هو فى المسجد جالس بين ظهراى الناس و هو يقول:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٥٧ لا هم إنى ناشد محمدا حلف أبينا و أبيه الأتلا

إنا ولدناك و كنت الولد ائمت أسلمنا فلم نترع يدا

إن قريشا أخلفوك الموعدا و نقضوا ميثاقك المؤكدا

هم بيتونا بالوتير هجدا و قتلونا ركعا و سجدا

و جعلوا لى فى كداء رصداو زعموا أن لست أدعو أحدا

و هم أذل و أقل عددا فانصر هداك الله نصرأ أبدا

و ادع عباد الله يأتوك مددافيهم رسول الله قد تجردا

فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا أبيض كالبدر ينمى صعدا

إن سيم خسفا وجهه تربدا فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: قد نصرت يا عمرو بن سالم. و فى المنتقى: نصرت نصرت ثلاثا، أو لييك لييك ثلاثا. ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه و سلم عنان من السماء فقال: إن هذه السحابة لتستهل لنصر بنى كعب و هم رهط عمرو بن سالم.

و فى المنتقى: فلما كان بالروحاء نظر إلى سحاب منصب، فقال: إن هذا السحاب لينصب لنصر بنى كعب. ثم خرج بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من خزاعة قدموا على رسول الله فأخبروه بما أصيب منهم، و مظاهرة قريش بنى بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة. و قد كان رسول الله قال للناس: كأنكم بأبى سفيان قد جاء ليشدد العقد و يزيد فى المدءة و مضى بديل بن ورقاء فلقى أبأ سفيان بعسفان قد بعثه قريش إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ليشدد العقد و يزيد فى المدءة، و قد رهبوا الذى صنعوا. فلما لقى أبأ سفيان بديلا قال: من أين أقبلت يا بديل؟

فظن أنه أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم. قال: سرت إلى خزاعة فى هذا الساحل و فى بطن هذا الوادى. قال: أو ما أتيت محمدا؟ قال: لا. فلما راح بديل مكة قال أبو سفيان: لئن كان بالمدينة لقد علف بها. فعمد إلى منزل ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى. فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا. ثم خرج أبو سفيان.

حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم، فدخل البيت- و هو بيت ابنته أم حبيبة ابنة أبى سفيان- فأتى ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه و سلم، فطوته عنه. قال: يا بنية أرغبت بى عن هذا الفراش، أم رغبت به عنى؟ قالت: بلى، هو فراش رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أنت رجل مشرك نجس، و ما أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه و سلم. فقال: و الله لقد أصابك يا بنية بعدى شر. ثم خرج حتى أتى رسول الله التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٥٨

صلى الله عليه و سلم فكلمه، فلم يرد عليه شيئا. ثم ذهب إلى أبى بكر و كلمه أن يكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم. فقال: ما أنا بفاعل. ثم أتى عمر بن الخطاب فأبى، ثم أتى على بن أبى طالب فأبى. ثم قال لفاطمه أن تأمر ابنها الحسين و هو غلام يدب بين يدى أبويه حتى يجير له فأبت. فقال: يا أبأ حسن، إنى أرى الأمور قد اشتدت على فانصحنى. قال: و الله ما أعلم شيئا يغنى عنك، و لكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس، ثم الحق بأرضك. قال: و ترى ذلك مغنيا شيئا؟ قال: لا و الله، ما أظن و لكن لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان فى المسجد فقال: أيها الناس إنى قد أجزت بين الناس. ثم ركب بعيره فانطلق فلما أن قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمدا فكلمته فو الله ما رد على بشىء، ثم جئت ابن أبى قحافة فلم أجد عنده خيرا، و جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم، ثم أتيت على بن أبى طالب فوجدته ألين الناس، فقد أشار على بشىء صنعته، فو الله ما أدرى هل يغينى شيئا أم لا- قالوا: و ماذا أمرك؟ قال: أمرنى أن أجز بين الناس ففعلت. قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا. قالوا: و الله إن زاد على إلا أن لعب بك الناس، فما يغنى عنا ما قلت. قال: لا و الله ما وجدت غير ذلك.

و أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بالجهاز، و أمر أهله أن يجهزوه و لم يعلموا به أحدا.

فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضى الله عنها و هى تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال: يا بنية ما هذا الجهاز؟ قالت: لا أدرى. قال: أمركم رسول الله صلى الله عليه و سلم بأن تجهزوه؟ قالت: نعم. فتنجهزه. قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: ما أدرى. قال: ما هذا زمان غزوة بنى الأصفر فأين يريد؟ قالت: لا أعلم لى. ثم إن رسول الله صلى الله عليه و سلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة

و قال: اللهم خذ العيون و الأخبار عن قريش حتى نسبقها في بلادها.

و في رواية قال: اللهم عمّ عليهم خبرنا حتى نأخذهم بعتة. فتجهز الناس فكتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى أهل مكة و بعثه مع سارة مولاة بنى المطلب.

و في معالم التنزيل و المدارك: أن مولاة لأبي عمرو بن صيفى بن هاشم بن عبد مناف يقال لها سارة أتت المدينة من مكة و رسول الله صلى الله عليه و سلم يتجهز لفتح مكة.

فقال لها: أمسلمة جئت؟ قالت: لا. قال: أمهاجرة؟ قالت: لا. قال: فما جاء بك؟ قالت: قد ذهبت الموالي، و قد احتجت حاجة شديدة، فقدمت عليكم لتعطوني و تكسوني و تحملوني. فقال لها: و أين أنت من شباب مكة. و كانت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٥٩

مغنية نائحة. قالت: ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر. فحث عليها رسول الله صلى الله عليه و سلم بنى عبد المطلب و بنى المطلب فأعطوها نفقة و كسوة و حملوها.

و في شفاء الغرام: حامل كتاب حاطب بن أبي بلتعة أم سارة مولاة لقريش، و فيه أيضا أم سارة هي التي أمر النبي صلى الله عليه و سلم بقتلها يوم فتح مكة، و أنها كانت مولاة لقريش. و بين الحافظ مغلطاي اسم المرأة قال: كتب حاطب كتابا و أرسله مع أم سارة كنود المزنية. انتهى.

و لما علم حاطب بن أبي بلتعة حليف بنى أسد أن رسول الله صلى الله عليه و سلم يغزو أهل مكة كتب إليهم كتابا و دفعه إلى سارة و أعطها عشرة دنانير، و كساها بردا على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة. و كتب في الكتاب، و في المدارك: و استحملها كتابا نسخته: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة. اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم يريدكم فخذوا حذركم. و في رواية كتب فيه: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل و أقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له وعده.

و في رواية كتب فيه: إن محمدا قد نفر فإما إليكم و إما إلى غيركم، فعليكم الحذر. ذكرهما السهيلي. فخرجت سارة و نزل جبريل بالخبر، فبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم عليا و عمارا و عمر و الزبير و طلحة و المقداد بن الأسود و أبا مرثد فرسانا. فقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها طعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين أو إلى أهل مكة فخذوه منها و خلوا سبيلها، فإن لم تدفعه إليكم أو قال: فإن أبت فاضربوا عنقها.

قال الواقدي: روضة خاخ بقرب ذى الحليفة على بريد من المدينة. فانطلقوا تعادى بهم خيلهم حتى أتوا الروضة فأدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه و سلم. فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها كتاب، فبحثوها و فتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا، فهموا بالرجوع فقال على: و الله ما كذبنا و لا كذبتنا. و سل سيفه و قال: أخرجى الكتاب و إلا لأجردنك أو لأضربن عنقك.

و في المدارك: أخرجى الكتاب أو تضعى رأسك.

و في رواية: لتخرجن الكتاب أو لتلقن الثياب. فلما رأت الجد أخرجته من عقيصتها قد خبأته في شعرها. فخلوا سبيلها و لم يتعرضوا لها و لا لما معها، فرجعوا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٦٠

بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم، إلى حاطب فأتاه. فقال:

هل تعرف الكتاب؟ قال: نعم. قال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول الله لا تعجل عليّ، و الله يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت و لا غششتك منذ صحبتك، أو قال: نصحتك و لا أجبته منذ فارقتهم و لكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا و له بمكة من

يمنع عشيرته.

و في رواية: و كان لمن معك من المهاجرين بمكة قرابات يحمون أهلهم و أموالهم و كنت غريبا فيهم. و في رواية: كنت امرءا ملصقا في قريش، يقول حليفا، و لم أكن من أنفسها، و ليس فيهم من يحمي أهلي، و كان أهلي بين ظهرائهم، فخشيت على أهلي فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي. و قد علمت بأن الله ينزل بهم بأسه، و أن كتابي لا يغني عنهم شيئا، و لم أفعل ذلك ارتدادا عن ديني و لا رضى بالكفر بعد الإسلام. فصدقه رسول الله صلى الله عليه و سلم و عذره، فقال: أما إنه قد صدقكم. فقام عمر بن الخطاب فقال:

دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال: إنه شهد بدرا، و ما يدريك لعل الله اطع على أهل بدر، فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

ففاضت عينا عمر، فأنزل الله عز و جل في حاطب: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ... الآية و بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى من حوله من الأعراب فجلبهم، و هم أسلم و غفار و مزينة و جهينة و أشجع و سليم، فمنهم من وافاه بالمدينة و منهم من لحقه بالطريق و استخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن خلف الغفاري. و في المنتقى: عبد الله بن أم كلثوم.

و خرج عامدا إلى مكة يوم الأربعاء بعد العصر لعشر ماضين من رمضان السنة الثامنة من الهجرة، فصام صلى الله عليه و سلم و صام الناس، حتى إذا كان بالكديد ما بين عسفان و أمج. و عن ابن عباس. الكديد الماء الذي بين قديد و عسفان.

و في القاموس: الكديد ماء بين الحرمين. أظفر فلم يزل مفطرا حتى انسلخ الشهر، و قدم أمامه الزبير و قد كان ابن عمته، و أخوه من رضاع حليلة السعدية أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب و معه ولده جعفر بن أبي سفيان. و كان أبو سفيان يألف رسول الله، فلما بعث عاداه و هجاه. و ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة لقياه بنيق العقاب فيما بين مكة و المدينة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٦١

و في المواهب اللدنية: كان لقاؤهما له عليه السلام بالأبواء، و قيل: بين السقيا و العرج، فالتمس الدخول عليه فأعرض صلى الله عليه و سلم عنهما لما كان يلقي منهما من شدة الأذى و الهجو. و كلمته أم سلمة و هب أخت عبد الله فيهما فقالت: يا رسول الله، لا يكن ابن عمك و ابن عمتك و صهرك أشقى الناس بك. قال: لا حاجة لي فيهما، فأما ابن عمي فهتك عرضي، و أما ابن عمتي و صهرى فهو الذي قال لي بمكة ما قال.

فلما خرج الخبر إليهما بذلك قال أبو سفيان و معه بنى له اسمه جعفر بن أبي سفيان: و الله ليأذن لي أو لأخذن بيد بنى هذا ثم لنذهب في الأرض حتى نموت عطشا و جوعا. فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم رق لهما، ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما.

و في المواهب اللدنية: قال علي لأبي سفيان فيما حكاه أبو عمرو و صاحب ذخائر العقبى: ائت رسول الله صلى الله عليه و سلم من قبل وجهه، فقل ما قال إخوة يوسف ليوسف: تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَ إِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ، فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولاً. ففعل ذلك أبو سفيان. فقال له صلى الله عليه و سلم: لا تَتْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

و قد مر في أولاد عبد المطلب في النسب، و يقال: إن أبا سفيان ما رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم حياء منه. قالوا: ثم سار رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلما كان بقديد عقد الألوية و الرايات و دفعها إلى القبائل، ثم سار حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين لم يتخلف عنه من المهاجرين و الأنصار أحد.

و في القاموس: ظهران واد بقرب مكة يضاف إليه مر، و مر الظهران موضع على مرحلة من مكة. و قال بعضهم: و منه إلى مكة أربعة فراسخ. قال ابن سعد:

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران عشاء فأمر أصحابه فأوقدوا آلاف نار، وجعل على الحرس عمر بن الخطاب. و قد عميت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو فاعل و هم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم. و قد كان عباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق، فخرج في تلك الليلة أبو سفيان بن حرب و حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار هل يجدون خبراً، و قد قال العباس ليلئذ: وا صباح قريش، و الله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يستأمنوا إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٦٢

فخرج على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء و قال: أخرج إلى الأراك لعلى ألقى بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونه فيستأمنونه قبل أن يدخلها عليهم عنوة.

قال: فخرجت و إنى لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان و بديل بن ورقاء و هما يتراجعان، فأبو سفيان يقول: و الله ما رأيت كالثيلة قط نيرانا. فقال بديل: و الله هذه نيران خزاعة حشيتها الحرب. فقال أبو سفيان: خزاعة و الله الأأم و أذل من أن تكون هذه نيرانها و عسكرها. فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي فقال: أبو الفضل؟ فقلت: نعم.

قال: ما لك فداك أبي و أمي. فقلت: و يحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين، و اصباح قريش. قال:

فما الحيلة، فداك أبي و أمي؟ قلت: و الله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك. فردفني و رجع صاحبا. فحركت به بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا، فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: هذا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى مررت بنار عمر، فقال: من هذا؟ و قام إلى. فلما رأى أبا سفيان على عجز البغلة قال: أبو سفيان عدو الله، الحمد لله الذي أمكنني منك بغير عقد و لا عهد. ثم اشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم و ركضت البغلة فسبقت بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، فاقترحت عن الغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم و دخل عمر فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله تعالى منه بغير عقد و لا عهد، فدعني أضرب عنقه. فقلت: يا رسول الله، إنى قد أجزته. ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه.

قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس بعد تنازع و تراجع في الكلام بينه و بين عمر:

أذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأنتى به. قال فذهبت به إلى رحلي، فبات عندي، فلما أصبحت غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ قال: بأبي أنت و أمي، ما أحلمك و ما أكرمك و أوصلك، و الله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئاً. قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله؟

قال: بأبي أنت و أمي، ما أحلمك و ما أكرمك و أوصلك، أمّا هذه و الله كأن في

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٦٣

النفس حتى الآن منها شيء. قال العباس: قلت ويحك يا أبا سفيان أسلم و اشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك. فشهد شهادة الحق و أسلم. و في رواية عروة لما دخل أبو سفيان مع العباس على رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة أسلم.

قال أبو سفيان: يا محمد إنى قد استنصرت إلهي و استنصرت إلهك. فو الله ما لقيتك من مرة إلا ظهرت على، فلو كان إلهي محفا و إلهك مبطلا لظهرت عليك.

فشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله. فقال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئا. قال: نعم. من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن. فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا عباس احبس بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها. قال: فخرجت به حتى حبسته حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و مرّت به القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال: من هؤلاء يا عباس؟ فأقول: سليم. فيقول: ما لى و لسليم، ثم تمر القبيلة قال: من هؤلاء؟

فأقول: مزينة، فيقول: ما لى و لمزينة. حتى نفذت القبائل، لا تمر قبيلة إلا سألتنى عنها، فإذا أخبرته فيقول: ما لى و لبنى فلان، حتى مر رسول الله صلى الله عليه و سلم فى الخضراء كتيبة رسول الله صلى الله عليه و سلم فيها المهاجرون و الأنصار لا يرى منهم إلا الحدق. قال:

سبحان الله من هؤلاء يا عباس؟ قلت: هذا رسول الله صلى الله عليه و سلم فى المهاجرين و الأنصار. قال: ما لأحد بهؤلاء من قبل، و الله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أحيك عظيما. قلت: ويحك يا أبا سفيان إنها النبوة. قال: فنعم إذا. قلت: الحق بقومك فحذرهم. و فى الاكتفاء: التجيء إلى قومك. فخرج سريعا حتى إذا جاءهم فصرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به. قالوا:

فمسه؟ قال: فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الحميت الدسم الأحمس، قبح من طليعة قوم.

قال: ويحكم لا تعرن هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم بما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قالوا: قاتلك الله، و ما تغنى دارك عنا شيئا.

قال: فمن أغلق عليه بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن، و من ألقى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٦٤

السلح فهو آمن. و فى رواية نادى أبو سفيان: أسلموا تسلموا فتفرق الناس إلى دورهم و إلى المسجد.

و روى أن حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء قدما على رسول الله صلى الله عليه و سلم بمر الظهران فأسلما فبايعاه، فبعثهما رسول الله صلى الله عليه و سلم بين يديه إلى قريش يدعونهم إلى الإسلام. و لما خرج أبو سفيان و حكيم من عند النبي صلى الله عليه و سلم راجعين إلى مكة بعث فى إثرهما الزبير بن العوام و أعطاه الراية و أمره على خيل المهاجرين و الأنصار، و أمره أن يسير من طريق كداء، و أن يركز رايته على الحجون، و قال له: لا تبرح من حيث أمرتك أن تركز رايته حتى آتيك. و فى الاكتفاء: و أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم حين فرق جيشه من ذى طوى الزبير بن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كداء، و كان على المجنبه اليسرى، و أمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كدى. فذكروا أن سعدا حين وجه داخل قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمه. فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: يا رسول الله أسمع ما قال سعد؟ ما تأمن أن يكون له فى قريش صولة و صدمه. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعلى بن أبى طالب: أدركه فخذ الراية، فكن أنت الذى تدخل بها. و يقال أخذت الراية من سعد و دفعت إلى ابنه قيس بن سعد، و يقال أمر الزبير بأخذ الراية و جعله مكان سعد على الأنصار مع المهاجرين. و فى المواهب اللدنية هذه الثلاثة الأقوال فيمن دفعت إليه الراية التى نزع من سعد، و الذى يظهر من الجميع أن عليا أرسل لينزعها من سعد و يدخل بها، ثم خشى من تغير خاطر سعد فأمر بدفعها إلى ابنه قيس، ثم إن سعدا خشى أن يقع من ابنه شىء ينكره النبي صلى الله عليه و سلم فسأل النبي صلى الله عليه و سلم أن يأخذها من قيس فحينئذ أخذها الزبير و جعل أبا عبيدة ابن الجراح على الحسر و البيادق كذا فى المواهب اللدنية و المنتقى.

فسار الزبير بالناس حتى وقف بالحجون و غرز هناك راية رسول الله صلى الله عليه و سلم.



و أمر خالد بن الوليد و كان على المجنبه اليمنى أن يدخل فيمن أسلم من قضاة و بنى سليم و غفار و جهينه و مزينه و سائر القبائل. فدخل من الليط أسفل مكة، و بها بنو بكر و بنو الحارث بن عبد مناف و الأحابيش الذين استنفرتهم و استنصرتهم قريش و أمرتهم أن يكونوا بأسفل مكة. و أمر النبي صلى الله عليه و سلم خالدا أن يركز رايته عند منتهى البيوت و أديانها، و كان ذلك أول إمارة خالد، و قال النبي

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٦٥

صلى الله عليه و سلم لخالد و الزبير حين بعثهما: لا تقاتلوا إلا من قاتلكم. و لما انتهى رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى ذي طوى و وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حمراء و إنه ليضع رأسه تواضعا لله و شكرا له حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى أن عثونه ليكاد يمس واسطة الرحل.

العثون- بالعين المهملة و التاء المثناة و النونين بينهما واو- اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين، أو نبت على الذقن و تحته سفلا، أو هو طولها و شعيرات طوال تحت حنك الإبل كذا في القاموس.

و لما وقف صلى الله عليه و سلم هناك قال أبو قحافة و قد كف بصره لابنة له من أصغر ولده، و هو على أبي قبيس مشرفا عليه: أى بنيه، ماذا ترين؟ قالت: أرى سودا مجتمعا.

قال: تلك الخيل. قالت: و أرى رجلا يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلا و مدبرا. قال: أى بنيه، ذاك الوازع- يعنى الذى يأمر الخيل و يتقدم إليها. ثم قالت: قد و الله انتشر السواد. فقال: قد و الله إذا دفعت الخيل، فأسرعى بى إلى بيتى. فانحطت به، و تلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته، و فى عنق الجارية طوق من ورق فتلقاها رجل فقطعه من عنقها. قال: فلما دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم أتاه أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: هلا- تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتية فيه. فقال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه. قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: أسلم. فأسلم.

و رآه رسول الله صلى الله عليه و سلم و كأن رأسه ثغامة، فقال: غيروا هذا من شعره و سيجىء. ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال: أنشد الله و الإسلام طوق أختى، فلم يجبه أحد. فقال: أى أختى احتسبى طوقك فو الله إن الأمانة اليوم فى الناس قليل.

و لم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال، و أما خالد بن الوليد فدخل من الليط أسفل مكة، فلقية قريش و بنو بكر، و الأحابيش فقاتلوه، فقتل منهم قريبا من عشرين رجلا، و من هذيل ثلاثة أو أربعة و انهزموا، و قتلوا بالحزورة حتى بلغ قتلهم باب المسجد، و قرب قضيتهم حتى دخلوا الدور، و ارتفعت طائفة منهم على الجبال، و اتبعهم المسلمون بالسيوف، و هربت طائفة منهم إلى البحر و إلى صوب اليمن، و أقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم، و دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم من أواخر المهاجرين حتى نزل بأعلى مكة و ضربت له هناك قبة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٦٦

و روى مسلم من حديث جابر: دخل النبي صلى الله عليه و سلم يوم فتح مكة و عليه عمامة سوداء من غير إحرام. و روى ابن أبى شيبه بإسناد صحيح عن طاووس: لم يدخل النبي صلى الله عليه و سلم مكة إلا محرما، إلا يوم فتح مكة. و قد اختلف العلماء هل يجب على من دخل مكة الإحرام أم لا، فالمشهور من مذهب الشافعى عدم الوجوب مطلقا. و فى قول يجب مطلقا، و فيمن يتكرر دخوله خلاف مرتب، فأولى بعدم الوجوب و المشهور عن الأئمة الثلاثة الوجوب كذا فى المواهب اللدنية.

و لما علا رسول الله صلى الله عليه و سلم ثية كداء نظر إلى البارقة على الجبل مع فضض المشركين فقال: ما هذا؟ و قد نهيت عن القتال. فقال المهاجرون: نظن أن خالدا قوتل و بدئ بالقتال، فلم يكن بد أن يقاتل من قاتله، و ما كان يا رسول الله ليعصيك و لا

ليخالف أمرك. فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثنية فأجاز على الحجون واندفع الزبير بن العوام حتى وقف بباب الكعبة. وفي الاكتفاء: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمراءه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد في نفر قد سماهم أمر بقتلهم، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، وسيجيء ذكرهم. وكان صفوان بن أمية و عكرمة بن أبي جهل و سهيل بن عمرو قد جمعوا ناسا بالخدمة ليقاتلوا، فيهم حماس أبي قيس بن خالد أخو بني بكر، وقد كان أعد سلاحا وأصلح منها، فقالت له امرأته: لم تعد سلاحك هذا؟ قال: لمحمد وأصحابه.

قالت: والله ما أراه يقوم لمحمد شيء. قال: والله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم. ثم قال:

إن يقتلوا اليوم فمالي علة هذا سلاح كامل وآله

و ذو غرارين سريع السلة ثم شهد الخدمة فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد ناوشوهم شيئا من قتال، فقتل كرز بن جابر الفهري و خنيس بن خالد بن الأشقر - كانا في خيل خالد - فشذا عنه و سلكا طريقا غير طريقه، فقتلا جميعا، و أصيب سلمة بن الميلاء الجهني من خيل خالد، و أصيب من المشركين ناس ثم انهزموا فخرج حماس منهزما حتى دخل بيته و قال لامرأته: أغلقتى على بابي. قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إنك لو شهدت يوم الخدمة إذ فر صفوان و فر عكرمة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٦٧ و استقبلتهم بالسيوف المسلمة يقطعن كل ساعد و جمجمة

ضربا فلا تسمع إلا غمغمة لهم نهيت خلفنا و همهمة

لم تنطقى في اللوم أدنى كلمه و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد بعد أن اطمأن: لم قاتلت و قد نهيتك عن القتال؟ قال: هم بدأونا و وضعوا فينا السلاح و أشعرونا النبل، و قد كفت يدي ما استطعت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قضاء الله خير. و فرّ يومئذ صفوان بن أمية عامدا للبحر و عكرمة بن أبي جهل عامدا لليمن. و ستجيء قصتهما.

و في المنتقى: و كل الجنود لم يلقوا جنودا غير خالد، فإنه لقي صفوان بن أمية و سهيل بن عمرو و عكرمة بن أبي جهل في جمع من قريش، فمنعوه من الدخول و شهروا السلاح و رموا بالنبل، فصاح خالد في أصحابه فقاتلهم، فقتل أربعة و عشرون من قريش و أربعة من هذيل. فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم قال لخالد: ألم أنه عن القتال؟ فقيل: قوتل فقاتل كما مر.

و في شفاء الغرام عن عطاء ابن السائب قال: حدثني طاووس و عامر قال:

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم و قدم خالد بن الوليد فأناهم شيئا من قتل، فجاء رجل من قريش فقال: يا رسول الله، هذا خالد بن الوليد قد أسرع في القتل. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار عنده: يا فلان، قال: لبيك يا رسول الله، قالت: خالد بن الوليد قل له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن لا تقتل بمكة أحدا. فجاء الأنصاري فقال: يا خالد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تقتل من لقيت، فاندفع خالد فقتل سبعين رجلا من مكة. فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من قريش فقال: يا رسول الله، هلكت قريش، لا قريش بعد اليوم. قال: و لم؟ قال: هذا خالد لا يلقى أحدا من الناس إلا قتله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ادع لى خالدا، فلما أتى إليه خالد قال: يا خالد، ألم أرسل إليك أن لا تقتل أحدا. قال: بل أرسلت إلى أن اقتل من قدرت عليه. قال: ادع لى الأنصاري، فدعاه له. فقال: ألم آمرك أن تأمر خالدا أن لا يقتل أحدا. قال: بلى، و لكنك أردت أمرا و أراد الله غيره، فكان ما أراد الله. فسكت صلى الله عليه وسلم و لم يقل للأنصاري شيئا و قال: يا خالد، قال: لبيك يا رسول الله، قال: لا تقتل أحدا، قال: لا.

و في المواهب اللدنية و المنتقى: روى أحمد و مسلم و النسائي عن أبي هريرة قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم و قد بعث على إحدى المجنبتين خالد بن الوليد، و بعث

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٦٨

الزبير على الأخرى، وبعث أبا عبيدة على الحسر - بضم المهملة و تشديد السين المهملة - أي الذين بغير سلاح. فقال لى: يا أبا هريرة اهتف لى بالأنصار، فهتف بهم فجاءوا فأطافوا، فقال لهم: أترون إلى أوباش قريش و أتباعهم، ثم قال بإحدى يديه على الأخرى: احصدوهم حصدا حتى توافونى بالصفاء. قال أبو هريرة: فانطلقنا، فما نشاء أن نقتل أحدا منهم إلا قتلناه، فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله أبحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم. فقال صلى الله عليه و سلم: من أغلق بابه فهو آمن.

و فى الاكتفاء: قالت أم هانئ بنت أبى طالب، و كانت عند هبيرة بن أبى وهب المخزومى: لما نزل رسول الله صلى الله عليه و سلم بأعلى مكة فرز إلى رجلان من أحمائى من بنى مخزوم، فدخل على أخى على بن أبى طالب فقال: و الله لأقتلنهما. فأغلقت عليهما بيتى، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنه كان فيها أثر العجين، و فاطمة ابنته تستره بثوبه. فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثم صلى ثمان ركعات من الضحى، ثم انصرف إلى فقال: مرحبا و أهلا بأم هانئ. ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين و خبر على فقال: قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ، و أمنا من أمنت فلا يقتلنهما. قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام و زهير بن أمية بن المغيرة. و فى رواية للبخارى: أنه صلى الله عليه و سلم يوم فتح مكة اغتسل فى بيت أم هانئ، ثم صلى الضحى ثمان ركعات، فقالت: لم أراه صلى صلاة أخف منها، غير أنه يتم الركوع و السجود، و ذكره فى المواهب اللدنية.

و فى رواية دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة حين ارتفعت الشمس على ناقته القصى بين أبى بكر و أسيد بن حضير، و قد أردف أسامة بن زيد، و قد طأ رأسه تواضعا لله و هو يقرأ سورة الفتح.

و فى الاكتفاء: و لما نزل رسول الله صلى الله عليه و سلم و اطمأن خرج حتى أتى البيت، فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن فى يده. فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة و أخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة فقال: لا إله إلا الله، صدق الله وعده، و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين، إلا سدانه البيت و سقاية الحج. يا معشر التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٦٩

قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية و تعظمها بالآباء، الناس لآدم و آدم خلق من تراب. ثم تلا هذه الآية: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، الآية ثم قال: يا معشر قريش أو يا أهل مكة ماذا ترون أنى فاعل فيكم؟ قالوا:

خيرا، أخ كريم و ابن أخ كريم. فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء. فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه و سلم. و قد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة فلذلك يسمى أهل مكة الطلقاء، أى الذين أطلقوا فلم يسترقوا و لم يؤسروا، و الطليق هو الأسير إذا أطلق.

قال: ثم جلس رسول الله صلى الله عليه و سلم فى المسجد، فقام إليه على بن أبى طالب و مفتاح الكعبة فى يده فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أين عثمان ابن طلحة؟ فدعى له، فقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم برّ و وفاء، و قال لعلى فيما حكى ابن هشام: إنما أعطيتكم ما تزرأون لا ما تزرأون.

و فى البحر العميق: دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة يوم الفتح فقبض السقاية من العباس بن عبد المطلب، و الحجابة من عثمان بن طلحة، فقام العباس بن عبد المطلب فبسط يده و قال: يا رسول الله: بأبى أنت و أمى، اجمع لى الحجابة مع السقاية. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أعطيتكم ما تزرأون فيه لا ما تزرأون منه. قال أبو على: معناه أنا أعطيتكم ما تمونون على السقاية التى تحتاج إلى مؤن، أى فأنتم تزرأون - بضم التاء و سكون الراء المهملة قبل الزاى المعجمة المفتوحة من الرزء بالضم و هو النقص - أى: يرزؤكم الناس أى: ينقصونكم بالأخذ لتموينكم إياهم بتموين السقاية المعدة لهم، و أما السدانة فيرزأونها الناس بالبعث إليها أى بعث كسوة البيت أى لا يليق أن ترزؤا، بفتح التاء و سكون الراء المهملة قبل المعجمة، أى: تنقصوا الناس بأخذ أموالهم و التعرض لذلك لشرفكم. و قيل: معنى تزرأون فيه بضم المثناة أى: تصيبون فيه الخير بصرف أموالكم فى مؤنات زمزم. و معنى:

ما تزرأون منه بفتح المثناة أى: تستجلبون به الأموال أى تأخذون منه أموال الناس كالحجابه. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عضدتي باب الكعبة فقال: ألا إن كل دم أو مآثره كانت فى الجاهلية فهى تحت قدمى هاتين، إلا السقاية و سدانة الكعبة، فإنى قد أمضيتهما لأهلها على ما كانت فى الجاهلية. فقبضها العباس و كانت فى يده حتى توفى، فوليها بعده عبد الله بن عباس فكان يفعل كفعله دون بنى عبد المطلب.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٧٠

و كان محمد بن الحنفية قد كلم فيها ابن عباس فقال له ابن عباس: ما لك و لها، نحن أولى بها فى الجاهلية و الإسلام. و قد كان أبوك تكلم فيها فأقمت البينة طلحة بن عبيد الله، و عامر بن ربيعة، و أزهر بن عبد عوف، و مخرمة بن نوفل أن العباس بن عبد المطلب كان يليها فى الجاهلية بعد عبد المطلب، وجدك أبو طالب فى إبله فى باديته بعرفة، و أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه العباس يوم الفتح دون بنى عبد المطلب، فعرف ذلك من حضر، و كانت بيد عبد الله بن عباس بتولية رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه و سلم دون غيره لا ينازعه فيها منازع و لا يتكلم فيها متكلم، حتى توفى فكانت فى يد على بن عبد الله بن عباس يفعل فيها كفعل أبيه و جده، و يأتيه الزبيب من ماله بالطائف و ينبذه، حتى توفى فكانت فى يد ولده حتى الآن. قال الأزرقى: كان لمزمم حوضان حوض بينها و بين الركن يشرب منه، و حوض من ورائها للوضوء له سرب يذهب فيه الماء.

و ذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى طوافه نزل، فأخرجت الراحلة فركع ركعتين ثم انصرف إلى زمزم، فاطلع فيها و قال: لولا أن تغلب بنو عبد المطلب على سقائتهم لزرعت منها بيدي. ثم انصرف إلى ناحية المسجد قريبا من مقام إبراهيم، و كان المقام لاصقا بالكعبة فأخره رسول الله صلى الله عليه وسلم، و دعا صلى الله عليه وسلم بسجل من ماء فشرب و توشأ، و المسلمون يتدرون وضوءه و يصبونه على وجوههم و المشركون ينظرون إليهم و يتعجبون و يقولون: ما رأينا ملكا قط بلغ هذا و لا سمعنا به.

و ذكر ابن هشام أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة و غيرهم، فرأى إبراهيم مصورا فى يده الأزام يستقسم بها فقال:

قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام؟ ما شأن إبراهيم و الأزلام؟ ما كان إبراهيم يهوديا و لا نصرانيا و لكن كان حنيفا مسلما و ما كان من المشركين. ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست.

و عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت و فيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت و أخرجوا صورة إبراهيم و إسماعيل فى أيديهما الأزلام، فقال: قاتلهم الله، لقد علموا أنهما ما استقسما بها قط. ثم دخل البيت فكبر فى نواحي البيت و لم يصل، و فى رواية صلى فيه.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٧١

و فى الاكتفاء عن ابن عباس قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها و حول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام و هو يقول: جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا. فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع ذلك الصنم لقفاه، و لا أشار لقفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع.

و فى رواية: يشير إلى الصنم بقوس فى يده و هو آخذ بسيتها و هو يقول: جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا. و قل: جاء الحق و ما يبدئ الباطل و ما يعيد. فيقع الصنم لوجهه، و كان أعظمها هبل، و هو و جاه الكعبة حذاء مقام إبراهيم لاصقا بها. و قال تميم بن أسد الخزاعى:

و فى الأصنام معتبر و علم لمن يرجو الثواب أو العقابا

و في المواهب اللدنية: و كان حول البيت ثلاثمائة و ستون صنما. فكلما مر صلى الله عليه و سلم بصنم أشار إليه الخ، رواه البيهقي. و في رواية أبي نعيم قد أوثقها الشياطين بالرصاص و النحاس.

و في تفسير العلامة ابن النقيب المقدسي: أن الله تعالى أعلمه أنه قد أنجزه وعده بالنصر على أعدائه و فتح له مكة، و أعلى كلمته و دينه، و أمره إذا دخل مكة أن يقول: جاء الحق و زهق الباطل. فصار صلى الله عليه و سلم يطعن الأصنام التي حول الكعبة بمحجنه و يقول: جاء الحق و زهق الباطل، فيخر الصنم ساقطا، مع أنها كلها كانت مثبتة بالحديد و الرصاص. و كانت ثلاثمائة و ستين صنما بعدد أيام السنة.

قال ابن عباس: و لما نزلت الآية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه و سلم: خذ مخصرتك ثم ألقها، فجعل يأتي صنما صنما و يطعن في عينه أو بطنه بمخصرته و يقول: جاء الحق و زهق الباطل. فينكب الصنم لوجهه، حتى ألقاها جميعا، و بقي صنم خزاعة فوق الكعبة، و كان من قوارير أو صفر و قال: يا على ارم به. فحمله عليه السلام حتى صعده، و رمى به و كسره، فجعل أهل مكة يتعجبون. انتهى كلام المواهب اللدنية.

و في الرياض النضرة: روى عن علي أنه قال: حين أتينا الكعبة قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم: اجلس. فجلست إلى جنب الكعبة فصعد على منكبى، فذهبت لأنهض به فرأى ضعفا منى تحته. قال لي: اجلس. فجلست، فنزل عني و جلس لي رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال لي: اصعد على منكبى، فصعدت على منكبى، فنهض بي و إنه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٧٢

يخيل إلى أنى لو شئت لنتل أفق السماء حتى صعدت البيت. و في شواهد النبوة:

سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم عليا حين صعده منكب: كيف تراك؟ قال علي: أراني كأن الحجب قد ارتفعت، و يخيل إلى أنى لو شئت لنتل أفق السماء. فقال رسول الله: طوبى لك تعمل للحق و طوبى له أحمل للحق، أو كما قال انتهى. قال:

فصعدت البيت و كان عليه تمثال صفر أو نحاس، و هو أكبر أصنامهم، و تنحى رسول الله فقال لي: ألق صنمهم الأكبر، و كان موتدا على البيت بأوتاد حديد إلى الأرض. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ايه ايه عالجه، جاء الحق و زهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا. فجعلت أزاوله أو قال أعالجه عن يمينه و عن شماله و من بين يديه و من خلفه، حتى إذا استمكنك منه قال لي رسول الله: اقدف به. فقدفت به فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت. و زاد الحاكم: فما صعدت حتى الساعة. و يروى أنه كان من قوارير رواه الطبراني و قال: خرج أحمد و رواه الزرندي و الصالحاني.

و في رواية: فجاء النبي صلى الله عليه و سلم إلى مقام إبراهيم فصلى ركعتين، ثم جلس ناحية، فبعث عليا إلى عثمان بن طلحة الحنظلي في طلب مفتاح الكعبة، فأبى دفعه إليه، و قال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه منه. فلوى على يده و أخذ المفتاح منهم قهرا و فتح الباب.

و في شفاء الغرام: كلام الواحدى أن عثمان لم يكن حين أخذ ذلك منه مسلما، يخالف ما ذكره العلماء من أنه كان مسلما. قال ابن ظفر في ينبوع الحياة: قوله لو أعلم أنه رسول الله لم أمنعه هذا وهم لأنه كان ممن أسلم فلو قال هذا لكان مرتدا.

و عن الكلبي: لما طلب عليه الصلاة و السلام المفتاح من عثمان بن طلحة مد يده إليه، فقال العباس: يا رسول الله اجعلها مع السقاية، فقبض عثمان يده بالمفتاح. فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن كنت يا عثمان تؤمن بالله و اليوم الآخر فهاته، فقال عثمان: فهাকে بالأمانة. فأعطاه إياه و نزلت الآية. قال ابن ظفر:

و هذا أولى بالقبول. و عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أقبل يوم الفتح من أعلا مكة على راحلته مردفا أسامة بن زيد، و معه بلال و عثمان بن طلحة من الحجبة، حتى أناخ بالمسجد. فأمره أن يأتي بمفتاح البيت، ففتح و دخل معه أسامة بن زيد و عثمان بن طلحة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٧٣

و في شفاء الغرام: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة بعد هجرته أربع مرات يوم الفتح، و يوم ثاني الفتح، و في حجة الوداع، و في عمرة القضاء. و في كل هذه الدخالات خلاف، إلا الدخول الذي يوم فتح مكة.

و في شفاء الغرام: طاف النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت يوم الفتح يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان. و في الاكتفاء: و أراد فضالة بن عمير بن الملوح الليثي قتل النبي صلى الله عليه وسلم و هو بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضله؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: ماذا كنت تحدث نفسك؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: استغفر الله. ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه. فكان يقول: و الله ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلى منه. قال فضالة: فرجعت إلى أهلى فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يأبى عليك الله و الإسلام

لو ما رأيت محمدا و قبيله بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت دين الله أضحى بينناو الشرك يغشى وجهه الإظلام

و أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الكعبة عام الفتح بلالا أن يؤذن، و كان دخل معه، و أبو سفيان بن حرب و عتاب بن أسيد و الحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة. فقال عتاب: لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغضه. فقال الحارث: أما و الله لو أعلم أنه محق لا تبعته. و قال أبو سفيان: لا أقول شيئا، لو تكلمت لأخبرته عنى هذه الحصة. فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

لقد علمت الذى قلت، ثم ذكر ذلك لهم. فقال الحارث و عتاب: نشهد أنك رسول الله، و الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك.

و فى المواهب اللدنية عن ابن عمر قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح على ناقته القصوى، و هو مردف أسامة بن زيد حتى أناخ بفناء الكعبة، ثم دعا عثمان بن طلحة فقال له: ائتنى بالمفتاح. فذهب إلى أمه فأبت أن تعطيه. فقال: و الله لتعطينه أو ليخرجن هذا السيف من صلبى. فأعطته إياه، فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ففتح به الباب، رواه مسلم.

و روى الفاكهاني من طريق ضعيف عن ابن عمر أيضا قال: كان بنو طلحة يزعمون أنه لا يستطيع فتح الكعبة أحد غيرهم، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٧٤

ففتحها. و عثمان المذكور هو عثمان بن طلحة، و عثمان هذا لا ولد له، و له صحبة و روايته، و اسم أم عثمان سلافة بضم السين المهملة و تخفيف الفاء.

و فى الطبقات لابن سعد عن عثمان بن طلحة قال: كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين و الخميس، فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلظت له و نلت منه. فحلم عنى ثم قال: يا عثمان، لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت. فقلت: لقد هلكت قريش يومئذ و ذلت.

فقال: بل عمرت و عزت يومئذ. و دخل الكعبة فوقت كلمته منى موقعا ظننت يومئذ الأمر سيصير إلى ما قال. فلما كان يوم الفتح قال: ائتنى بالمفتاح يا عثمان، فأتيته به فأخذه منى ثم دفعه إلى. و قال: خذوها خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم. يا عثمان، إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف. كذا فى شفاء الغرام.

قال: فلما وليت نادانى، فرجعت إليه فقال: ألم يكن الذى قلت لك؟ قال:

فذكرت قوله لى بمكة قبل الهجرة: لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت. قلت: بلى أشهد أنك رسول الله.

وفي التفسير أن هذه الآية: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا نزلت في عثمان بن طلحة الحنظلي. أمره عليه السلام أن يأتي بمفتاح الكعبة فأبى عليه و أغلق عليه الباب و صعد البيت و قال: لو علمت أنه رسول الله صلى الله عليه و سلم لم أمنعه منه. فولى على يده و أخذ منه المفتاح و فتح الباب. فدخل صلى الله عليه و سلم، و لما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح و قال: بأبي أنت و أمي يا رسول الله، اجمع لي السدانة مع السقاية. و كان النبي صلى الله عليه و سلم يريد أن يدفعها إلى العباس، فأنزل الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا أَي سادنها، و هو عثمان بن طلحة. كذا في معالم التنزيل. فأمر النبي صلى الله عليه و سلم عليا أن يرده إلى عثمان و يعتذر إليه، و قال قل له:

خذوها يا بني طلحة بأمانة الله، فاعملوا فيها بالمعروف خالدة تالدة، لا ينزعها منكم أو من أيديكم أو لا يأخذها منكم إلا ظالم. فردها علي. فلما ردها قال:

أكرهت و آذيت ثم جئت ترفق، قال علي: لأن الله أمرنا برده عليك. كذا في معالم التنزيل.

و في المواهب اللدنية: قال علي: لقد أنزل الله في شأنك و قرأ عليه: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا فَأَتَى النبي صلى الله عليه و سلم فأسلم. كذا في العمدة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٧٥

و في المنتقى: أن إسلام عثمان بن طلحة كان قبل ذلك بالمدينة مع إسلام خالد بن الوليد و عمرو بن العاص كما مر، و في روضة الأحاب: في هذا الكلام مخالفة بين أهل التفسير و أهل السير لأنه إن كان المراد بعثمان سبط عبد الدار بلا واسطة فأبوه أبو طلحة لا طلحة، و هو باتفاق أهل السير كان صاحب لواء المشركين يوم أحد، فقتل في ذلك اليوم، كما ذكر في غزوة أحد. و إن كان المراد به عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد الدار الذي هو ابن أخي عثمان بن طلحة بن عبد الدار فهو أسلم قبل فتح مكة. و في المواهب اللدنية: فجاء جبريل عليه السلام فقال: ما دام هذا البيت أو لبنه من لبناته قائمة فإن المفتاح و السدانة في أولاد عثمان. و كان المفتاح معه، فلما مات دفعه إلى أخيه، فالمفتاح و السدانة في أولادهم إلى يوم القيامة.

و في رواية مسلم: دخل صلى الله عليه و سلم يعني يوم الفتح هو و أسامة بن زيد و بلال و عثمان بن طلحة الحنظلي، فأغلقوا عليهم الباب. قال ابن عمر: فلما فتحوا كنت أول من ولج، فلقيت بلال فسألته هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ قال: نعم بين العمودين اليمانيين، و ذهب عنى أن أسأله كم صلى. و في رواية: جعل العمودين عن يساره و عمودا عن يمينه و ثلاثة أعمدة وراءه، و كان البيت يومئذ على ستة أعمدة. و قد بين موسى بن عقبه في روايته عن نافع أن بين موقفه صلى الله عليه و سلم و بين الجدار الذي استقبله قريبا من ثلاثة أذرع، و جزم برفع الزيادة مالك عن نافع فقال أخرجه الدار قطنى فى الغرائب، و لفظه: و صلى و بينه القبّة ثلاثة أذرع. و في رواية ابن عباس قال: أخبرنى أسامة أنه عليه السلام لما دخل البيت دعا فى نواحيه كلها، و لم يصل فيه حتى خرج، فلما خرج ركع فى قبل البيت ركعتين فقال: هذه القبلة. رواه مسلم.

و أفاد الأزرقى فى تاريخ مكة أن خالد بن الوليد كان على باب الكعبة يذب عنه صلى الله عليه و سلم الناس.

و فى شفاء الغرام: فخرج عثمان بن طلحة إلى هجرته مع النبي صلى الله عليه و سلم إلى المدينة، و أقام ابن عمه شيبه بن عثمان بن أبي طلحة مقامه، و دفع المفتاح إليه، فلم يزل يحجب هو و ولده و ولد أخيه و هب بن عثمان حتى قدم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة و ولد مسافع بن طلحة بن أبي طلحة من المدينة، و كانوا بها دهرا طويلا. فلما قدموا حجبا مع بنى عمهم. و فى الصفوة قال الواقدي: كان عثمان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٧٦

بن طلحة بن أبي طلحة يلى فتح البيت إلى أن توفى، فدفع ذلك إلى شيبه بن عثمان بن أبي طلحة و هو ابن عمه، فبقيت الحجابة فى ولد شيبه، و بقى شيبه حتى أدرك يزيد بن معاوية و دفع السقاية إلى العباس، و أذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة و كسرت الأصنام.

وفي الاكتفاء: وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة على الصفا يدعو، وقد أهدت به الأنصار فقالوا فيما بينهم: أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟ فلما فرغ من دعائه قال: ماذا قُلتُم؟ قالوا: لا شيء يا رسول الله. فلم يزل بهم حتى أخبروه. فقال: معاذ الله، المحيا محياكم، والممات مماتكم. ثم اجتمع الناس للبيعة فجلس لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا يبائع الناس وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس. فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا.

وفي المدارك: روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعه الرجال أخذ في بيعه النساء وهو على الصفا، وعمر جالس أسفل منه يبايعهن بأمره و يبلغهن عنه. فجاءت هند ابنة عتبة امرأة أبي سفيان وهي متكررة خوفاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها لما صنعت بحمزة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً. فبايع عمر النساء على أن لا يشركن بالله شيئاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولا يسرقن. فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح، فإن أصبت من ماله هنا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت فهو لك حلال. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم و عرفها، وقال لها: وإنك لهند. فقالت: نعم، فاعف عما سلف يا نبي الله، عفا الله عنك. فقال: ولا يزنين. فقالت: أترنى الحرة؟ فقال: ولا يقتلن أولادهن. فقالت: ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً، فأنتم وهم أعلم. وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر. فضحك عمر حتى استلقى، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ولا يأتين بيهتان. فقالت: والله إن البهتان أمر قبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق. فقال: ولا يعصينك في معروف. فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك.

فلما رجعت جعلت تكسر صنمها وتقول: كنا منك في غرور. وسنجيء وفاة هند في الخاتمة في أوائل خلافة عمر، وفي معالم التنزيل: قال ابن إسحاق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف. وفي شفاء الغرام عن التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٧٧

ابن عباس: من بنى سليم سبعمائاً وقيل ألف، ومن غفار أربعمائاً، ومن أسلم أربعمائاً، ومن مزينة ألف و ثلاثه نفر، و سائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من بنى تميم و قيس و أسد.

وفي الاكتفاء: وعدت خزاعة الغد من يوم الفتح على رجل من هذيل يقال له ابن الأبوع فقتلوه، وهو مشرك، برجل من أسلم يقال له أحمر باسا. وكان رجلاً شجاعاً قتله خراش بن أمية الخزاعي. ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع خراش بن أمية قال: إن خراشاً لقتال. يعنفه بذلك. وقام صلى الله عليه وسلم في الناس خطيباً وقال: يا أيها الناس، إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً، وأن يعصد فيها شجرة. لم تحل لأحد كان قبلي ولا تحل لأحد يكون بعدي، ولم تحل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها. ألا قد رجعت كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا له:

إن الله قد أحلها لرسوله، ولم يحلها لكم. يا معشر خزاعة، ارفعوا أيديكم عن القتل، فقد كثر القتل، لقد قتلتم قتيلاً لأدينه فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين إن شأوا فدم قاتله وإن شأوا فعقله. ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتله خزاعة. وفي المواهب اللدنية: فإن ترخص أحد فيها بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب.

وفي معالم التنزيل: وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان السنة الثامنة من الهجرة، وأقام بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة. كذا في البخاري، وفي رواية تسع عشرة. وفي رواية أبي داود سبع عشرة، وعند الترمذي ثمان عشرة ليلة يصلي ركعتين. وفي الإكليل بضع عشرة يقصر الصلاة. قال ابن عباس: ونحن نقصر ما بيننا وبين تسع عشرة، فإذا زدنا أتممنا. وفي رواية أقام بمكة بقية الشهر وستة أيام من شوال، ثم خرج إلى هوازن وثقف، وقد نزلوا حيننا.



و روى أن النبي صلى الله عليه و سلم عهد إلى أمراءه حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أحد عشر رجلا و ست نسوة، فإنه أمر بقتلهم أينما ثقفوا من الحل و الحرم، و إن وجدوا تحت أستار الكعبة. انتهى من تاريخ الخميس.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٧٨

هذا و فى غزوة الفتح الأعظم "غزوة فتح مكة" حصل للنبي صلى الله عليه و سلم كثير من المعجزات و الأمور الخارقة. و كنا نتمنى درس هذه الغزوة و التأمل فيها لعددها و حصرها و الكتابه عنها بالتفصيل التام، و لكن ليس لنا من الوقت و الفراغ ما نحقق هذه المسألة، فعسى الله أن يقيض من الفضلاء العلماء من يؤلف كتابا خاصا عن هذه الغزوة الفتحية المباركة. ثم إن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما أراد أن يسافر من مكة جعل عتاب بن أسيد رضى الله تعالى عنه أميرا على مكة، و أوصاه بأهلها خيرا، و إليك ترجمه عتاب بن أسيد أول أمير لمكة فى الإسلام.

### ترجمه عتاب بن أسيد رضى الله عنه

عتاب بن أسيد بكسر السين رضى الله عنه، هو أول أمير لمكة بعد فتحها، و لاه رسول الله صلى الله عليه و سلم، و جعل رزقه كل يوم درهما، فكان عتاب رضى الله عنه يقول: لا أشبع الله بطنا جاع على درهم كل يوم.

جاء فى الإصابة عنه ما ملخصه: عتاب بالتشديد ابن أسيد بفتح أوله، أسلم يوم الفتح، و استعلمه النبي صلى الله عليه و سلم و على آله و صحبه و سلم على مكة يوم سار إلى حنين و استمر، و قيل إنما استعمله بعد أن رجع من الطائف، و حج بالناس سنة الفتح، و أقره أبو بكر على مكة، و روى الطيالسى و البخارى فى تاريخه من طريق أيوب عن عبد الله بن يسار عن عمرة بن أبى عقرب: سمعت عتاب بن أسيد و هو مسند ظهره إلى بيت الله يقول: و الله ما أصبت فى عملى هذا الذى ولانى رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا ثوبين معقدين كسوتهما مولاي كيسان- و إسناده حسن- انتهى ملخصا.

### ذكر من أهدر النبي صلى الله عليه و سلم دمهم يوم الفتح

جاء فى تاريخ الخميس: روى أن النبي صلى الله عليه و سلم عهد إلى أمراءه حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم إلا أحد عشر رجلا و ست نسوة، فإنه أمر بقتلهم أينما ثقفوا من الحل و الحرم و إن وجدوا تحت أستار الكعبة. و إليك أسماءهم فى هذا الجدول نقلا من التاريخ المذكور باختصار:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٧٩

### جدول أسماء الرجال الذين أهدر النبي صلى الله عليه و سلم دمهم يوم الفتح

عدد/ الأسماء/ نبذة عن أحوالهم ١/ عبد الله بن خطل / كان قدم المدينة قبل فتح مكة و أسلم، و اسمه عبد العزى، فلما أسلم سماه النبي صلى الله عليه و سلم عبد الله، ثم ارتد، و كان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلما كان يوم فتح مكة استعاذ بالكعبة و تعلق بأستارها، فأمر عليه الصلاة و السلام بقتله فقتلوه و هو أخذ بثياب الكعبة يتعوذ بها.

٢/ عبد الله بن سعد بن أبى سرح/ كان أبا لعثمان بن عفان من الرضاة، و أسلم قبل الفتح، و كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه و سلم فى سورة المؤمنين: و لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ - إلى قوله-: ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ، فتعجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فنطق بقوله: فتبارك الله أحسن الخالقين، قبل إملائه. فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: اكتب، هكذا نزلت، فقال عبد الله: إن كان محمد نبيا يوحى إليه فأنا نبى يوحى إلى، فارتد و هرب إلى مكة ثم إنه أسلم يوم فتح مكة.

٣/ عكرمة بن أبى جهل/ لما كان يوم فتح مكة ركب عكرمة بن أبى جهل إلى البحر هاربا، فجعل الصرارى و الملاحون و من فى

السفينه يدعون الله تعالى و يوحدونه، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله، و فى رواية: جاء ملاح إلى عكرمة و قال له: أخلص العمل، قال: ماذا أقول؟ قال: قل لا إله إلا الله، فإن هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله، قال عكرمة: فهذا إله محمد الذى يدعوننا إليه التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٨٠

عدد/ الأسماء/ نبذة عن أحوالهم// فارجعوا بنا، فرجع فأسلم. و قيل كان سبب إسلامه امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، و كانت امرأه عاقله أسلمت قبله ذهبت عنده فدعته إلى الإسلام فأسلم و ثبتا على نكاحهما الأول، روى أنه لما بلغا قريبا من مكة قال النبي صلى الله عليه و سلم لأصحابه: يأتيكم عكرمة بن أبى جهل مؤمنا فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذى الحى و لا يلحق الميت، و لقد استعمله رسول الله صلى الله عليه و سلم على هوازن عام حج، قتل عكرمة شهيدا يوم اليرموك بأجنادين فى خلافة أبى بكر رضى الله عنهما.

٤/ حويرث بن نقيد بن وهب بن عبد قصي / كان كثير الأذى و الهجوم لرسول الله صلى الله عليه و سلم، و لما سمع يوم الفتح أن النبي صلى الله عليه و سلم أهدر دمه أغلق بابه و استتر فى بيته، فجاء على بن أبى طالب إلى بابه يطلبه و يسأل عنه، فقيل له: قد خرج إلى البادية، فعلم حويرث أن المسلمين يطلبونه، فمكث حتى ذهب على عن بابه فخرج من بيته و أراد أن ينتقل إلى مكان آخر متكررا، فصادفه على رضى الله عنه فضرب عنقه.

٥/ المقيس بن صبابه الكندى / بكسر الميم و سكون القاف و فتح الياء، كان مقيس أسلم هو و أخوه هشام. فوجد أخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار، فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكر ذلك له، فأرسل النبي عليه الصلاة و السلام معه رجلا من بنى فهر إلى بنى النجار أن رسول الله صلى الله عليه و سلم يأمركم إن علمتم قاتل هشام بن صبابه ادفعوه إلى مقيس فيقتص التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٨١

// منه، و إن لم تعلموا ادفعوا إليه ديتة. فأبلغهم الفهرى ذلك، فقالوا: سمعا و طاعة لله و لرسوله، و الله ما نعلم له قاتلا لكننا نعطي ديتة. فأعطوه مائة من الإبل و انصرفا راجعين نحو المدينة. فأتى الشيطان مقيسا فوسوس إليه فقال: تقبل دية أخيك فتكون عليك مسبة؟

اقتل الذى معك فتكون نفس بنفس، و فضل الدية. فتغفل الفهرى فرماه بصخرة فشدخه، ثم ركب بعيرا و ساق بقيتها راجعا إلى مكة كافرا. فنزلت هذه الآية: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَهُوَ الَّذِي اسْتَنَاهَ رَسُولُ اللَّهِ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ مِمَّنْ أَمَنَهُ فُقِتِلَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ. و فى شفاء الغرام:

أما مقيس فقتل عند الردم، و هو ردم بنى جمح الذى قيل إن النبي صلى الله عليه و سلم ولد فيه، و ليس الردم الذى هو بأعلا مكة، لأنه لم يكن إلا فى خلافة عمر عمله صونا للمسجد من السيل حين ذهب بالمقام.

٦/ هبار بن الأسود/ كان كثير الأذى لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فمن جملة أذيته أن أبى العاص بن الربيع حين خلص من الأسر يوم بدر رجع إلى مكة و أرسل زينب بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم، كما شرط مع النبي صلى الله عليه و سلم يوم بدر. فعرض هبار مع جماعة لطريق زينب و منعها و ضرب زينب بالرمح، فسقطت من الإبل و كانت حاملا فألقت حملها و مرضت و ماتت بهذا المرض. فغضب عليه النبي صلى الله عليه و سلم غضبا شديدا و أهدر دمه، حتى بعث مرة سريه إلى نواحي مكة فقال

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٨٢

// لأهل السرية: إن ظفرتم بهبار فأحرقوه. ثم قال: إنما يعذب بالنار رب النار، إن ظفرتم بهبار فاقطعوا يده و رجله ثم اقتلوه. و فى يوم الفتح، أى فتح مكة، اختفى و لم يدر مكانه.

و لما رجع رسول الله إلى المدينة جاء هبار رافعا صوته و قال: يا محمد، أنا جئت مقرا بالإسلام، و قد كنت قبل هذا مخدولا ضالا، و الآن قد هدانى الله للإسلام، و أنا أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله و اعتذر إليه معترفا بذنبه مظهرا لخبائته. فقبل

النبي صلى الله عليه وسلم إسلامه وقال: يا هبار، عفوت عنك، والإسلام يجب ما كان قبله أو كما قال.

٧/ صفوان بن أمية/ لما علم صفوان أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دمه يوم فتح مكة هرب مع عبد له اسمه يسار إلى جدة يريد أن يركب منها إلى اليمن. فقال عمير بن وهب الجمحي: يا نبي الله، إن صفوان بن أمية سيد قومي، وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه في البحر، فأمنه عليك. قال:

هو آمن. قال: يا رسول الله أعطني شيئا يعرف به أمانك. فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة. وفي المشكاة:

فبعث إليه ابن عمه وهب بن عمير برداء رسول الله صلى الله عليه وسلم أمانا لصفوان انتهى. فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة وهو يريد أن يركب البحر، فقال: يا صفوان، فداك أبي وأمي، اذكر الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك عدة. فقال:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٨٣

// ويلك اغرب عني، فلا يكلمه. فقال: أي صفوان، فداك أبي وأمي، أفضل الناس وأبر الناس وخير الناس ابن عمك، وعزه عزك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك. قال: فإني أخاف على نفسي. قال: هو أحلم من ذلك وأكرم. فرجع معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صفوان: هذا يزعم أنك أمتني. قال: صدق. قال: فاجعلني في أمرى بالخيار شهرين. قال: أنت فيه بالخيار أربعة أشهر. كذا في معالم التنزيل، فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين وهوازن كان صفوان مع كفرة رفيقه، واستعار منه النبي صلى الله عليه وسلم مائة درع، قال صفوان: أغصبا يا محمد؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

بل عارية مضمونة. وسيجيء. وحين قفل النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف إلى الجعرانة مر مع صفوان على شعب مملوء من الإبل والغنم وسائر أنعام الغنيمه، وكان صفوان يحد النظر إلى تلك الأموال ولم يرفع بصره منها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلاحظه فقال: يا أبا وهب أتعجبك هذه؟ قال: نعم. قال: وهبتها لك كلها.

فقال صفوان: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي. فأسلم هناك.

٨/ حارث بن طلحة/ هو من جملة الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان يوم الفتح قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٩/ كعب بن زهير/ هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني الشاعر الشهير صاحب القصيدة المشهورة "بانت سعاد"، وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٨٤

// وهو جالس في المسجد فدخل وأسلم وأنشأ قصيدته التي أولها: "بانت سعاد فقلبي اليوم متبول" فلما بلغ قوله:

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

أنبت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

قال النبي صلى الله عليه وسلم: اسمعوا ما يقول، وقيل: فرح النبي صلى الله عليه وسلم وكساه بردا جائزة له.

١٠/ وحشى بن حرب/ هو قاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم، كان المسلمون يحرضون على قتله لكن لم يقدر عليه ذلك، فلما كان يوم الفتح هرب إلى الطائف وأقام هناك إلى زمان قدوم وفد الطائف إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء معهم ودخل عليه وقال: "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله" فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أنت وحشى؟ قال: نعم. قال:

أنت قتلت حمزة؟ قال: قد كان من الأمر ما بلغك يا رسول الله، قال: اجلس واحك لي كيف قتلته. ولما قص عليه قصة قتله قال: أما تستطيع أن تغيب وجهك عني، فكان وحشى بعد ذلك إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفر منه ويختفي.

١١/ عبد الله بن الزبيرى/ كان من الشعراء و كان يهجو الصحابة رضى الله عنهم و يحرض المشركين على قتالهم، فلما سمع يوم الفتح أن النبي صلى الله عليه و سلم أهدر دمه هرب إلى نجران و سكنها، و بعد مدة وقع الإسلام فى قلبه فأتى النبي صلى الله عليه و سلم، فلما رآه من بعيد قال: هذا ابن الزبيرى، و لما دنا منه التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٨٥  
// قال: السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أنك رسول الله.

### ذكر النساء الست اللاتى أهدر دمهن

١٢/ هند بنت عتبة/ هى امرأة أبى سفيان، و قد اشتهرت بإيذائها للنبي صلى الله عليه و سلم، و هى التى بقرت عن كبد حمزة رضى الله تعالى عنه فى غزوة أحد. فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها، فلما كان يوم فتح مكة جاءت إلى النبي صلى الله عليه و سلم و هى مستنكرة متتعبة فى النساء حين يبايع النساء على الصفا فأسلمت.  
١٣ و ١٤/ مغنيتان لابن خطل / تقدم فى أول هذا الجدول أن عبد الله بن خطل أهدر النبي صلى الله عليه و سلم دمه مع من أهدر دمهم يوم فتح مكة، فقتل ابن خطل و هو متعلق بأستار الكعبة.  
و كان لابن خطل قينتان "أى مغنيتان" تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأمر عليه الصلاة و السلام بقتلهما مع ابن خطل. (فالأولى) اسمها قريبة بالتصغير، و قيل اسمها سارة، و هذه قتلت مصلوبة. (و الثانية) اسمها فرتنا بفتح الفاء و سكون الراء، و هذه فرت حتى استؤمن لها من رسول الله صلى الله عليه و سلم فأمنها فأمنت.  
١٥/ مولاة بنى خطل / قتلت يوم فتح مكة.  
١٦/ مولاة بنى عبد المطلب / و قيل مولاة عمر بن صيفى بن هاشم. و هى التى حملت كتاب حاطب بن أبى بلتعنة من المدينة ذاهبة إلى مكة إلى قريش. و كانت تؤذى رسول الله صلى الله عليه و سلم بمكة. تغيبت يوم الفتح حتى استؤمن لها، فعاشت حتى أوطأها التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٨٦  
// رجل فرسا له فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالأبطح فقتلها، و نقل الحميدى أنها قتلت، و فى فتح البارى فى شرح صحيح البخارى أنها أسلمت. و الله تعالى أعلم.  
١٧/ أم سعد أرنب / قتلت.  
نقول: إننا نقلنا كل ما تقدم فى هذا الجدول من تاريخ الخميس باختصار.

### منزل النبي صلى الله عليه و سلم بمكة عام الفتح بعد الهجرة

لقد كان لرسول الله صلى الله عليه و سلم بمكة دار ورثها من أبيه عبد الله بن عبد المطلب و فيها ولد، و ذلك كما فى الأزرقى أن جده عبد المطلب كان قد قسم حقه بين أولاده و دفع إليهم ذلك فى حياته حين ذهب بصره، فمن ثم صار للنبي صلى الله عليه و سلم حق أبيه عبد الله بن عبد المطلب، و هذه الدار واقعة بسوق الليل، و هى مولده صلى الله عليه و سلم و ما حوله، فلما هاجر إلى المدينة باعها عقيل بن أبى طالب تبعاً لقريش حين باعوا دور المهاجرين، و قيل إن النبي صلى الله عليه و سلم وهبها له.  
جاء فى تاريخ الأزرقى: حدثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدى، حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار، عن محمد بن على قال: قيل للنبي صلى الله عليه و سلم: أين تنزل بمكة؟  
قال: و هل ترك لنا عقيل بمكة من ظل. و سيأتى معنى هذا الحديث هنا قريباً.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى، عن مسلم بن خالد، عن ابن جريج قال: أخبرنى عطاء أن النبي صلى الله عليه و سلم بعد ما سكن

المدينة كان لا يدخل بيوت مكة.

قال: كان إذا طاف بالبيت انطلق إلى أعلا مكة فاضطرب به الأبنية، قال عطاء:

في حجته فعل ذلك أيضا، و نزل أعلا مكة قبل التعريف و ليلة النفر نزل أعلا الوادي.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدى، عن محمد بن إدريس، عن محمد بن عمر، عن معاوية بن عبد الله بن عبيد الله، عن أبيه عن أبي

رافع قال: قيل للنبي صلى الله عليه و سلم يوم الفتح: ألا تنزل منزلك بالشعب؟ قال: و هل ترك لنا عقيل منزلا؟ قال:

و كان عقيل بن أبي طالب قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه و سلم و منازل إخوته من الرجال و النساء بمكة حين هاجروا، و منزل

كل من هاجر من بنى هاشم. ففيل لرسول

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٨٧

الله صلى الله عليه و سلم: فانزل في بعض بيوت مكة في غير منزلك، فأبى رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال:

لا أدخل البيوت. فلم يزل مضطربا بالحجون، لم يدخل بيتا، و كان يأتي المسجد من الحجون.

و به عن محمد بن إدريس، عن محمد بن عمر، عن أبي سبرة، عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده قال: رأيت

رسول الله صلى الله عليه و سلم مضطربا بالحجون في الفتح يأتي لكل صلاة.

ثم قال الأزرقى بعد بضعة أسطر:

حدثنا أبو الوليد قال حدثني جدى، عن الزنجى، عن أبي جريح، عن عثمان بن أبي سليمان، عن عبد الله أبى بكر قال: قال رسول الله

صلى الله عليه و سلم: إذا قدمنا مكة إن شاء الله تعالى نزلنا بالخيف الذى تحالفوا علينا فيه. قال ابن جريح: قلت لعثمان: أى حلف؟

قال: الأحزاب.

و به عن الزنجى، عن ابن جريح، عن عطاء: أن النبي صلى الله عليه و سلم لم ينزل بيوت مكة بعد أن سكن المدينة. قال: كان إذا

طاف بالبيت انطلق إلى أعلا مكة فضرب به الأبنية. قال عطاء: و فعل ذلك في حجته أيضا، نزل بأعلا مكة قبل التعريف، و ليلة الصدر

نزل بأعلا الوادي. انتهى من الأزرقى.

نقول: معنى قوله هنا: قبل التعريف ... الخ، أى: قبل طلوعه إلى عرفات للحج، و معنى قوله: و ليلة الصدر هو بفتح الصاد و الدال يطلق

على طواف الإفاضة، و يكون بعد الوقوف بعرفة و نصف ليلة النحر، فالمراد بليلة الصدر ليلة النحر. و ذلك أن رسول الله صلى الله

عليه و سلم لما قدم من المدينة في حجة الوداع وصل مكة صبح يوم الأحد رابع ذى الحجة بعد أن بات ليلته بذى طوى قرب مكة،

فدخلها من الثنية العليا التى تشرف على الحجون، و نزل بظاهر مكة و أعلاها أى نزل جهة الحجون، فأقام بمكة محرما بقصر الصلاة

أربعة أيام يوم الأحد و الاثنين و الثلاثاء و الأربعاء. فلما كان يوم التروية و هو اليوم الثامن من ذى الحجة و كان يوم الخميس توجه

ضحى صلى الله عليه و سلم بمن معه من المسلمين إلى منى محرما بذلك الإحرام، فنزل بها و صلى الظهر و العصر، و بات بها فلما

أصبح يوم الجمعة و طلعت الشمس سار منها إلى عرفة، و قد ذكرنا مفصلا خبر حجة وداعه صلى الله عليه و سلم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٨٨

### موضع نزول النبي صلى الله عليه و سلم بمكة و منى و مزدلفة و عرفات

نعقد هذا المبحث لمعرفة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد هجرته و إقامته بالمدينة المنورة إذا قدم إلى مكة لا يسكن في

بيوتها و دورها، و إنما تضرب قبته بالأبطح أو بالحجون بأعلا مكة فينزل بها.

روى الإمام الأزرقى رحمه الله تعالى و غفر لنا و له فى تاريخه: عن ابن جريح قال: أخبرنى عطاء أن النبي صلى الله عليه و سلم بعد ما

سكن المدينة كان لا يدخل بيوت مكة، قال: كان إذا طاف بالبيت انطلق إلى أعلا مكة فاضطرب به الأبنية. قال عطاء:

في حجته فعل ذلك أيضا و نزل بأعلا مكة قبل التعريف، و ليلة النفر نزل أعلا الوادى.

و روى أيضا عن أبى رافع قال: قيل للنبي صلى الله عليه و سلم يوم الفتح ألا تنزل منزلك بالشعب؟ قال: و هل ترك لنا عقيل منزلا؟ قال: و كان عقيل بن أبى طالب قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه و سلم و منازل إخوته من الرجال و النساء بمكة حين هاجروا، و نزل كل من هاجر من بنى هاشم، فقيل لرسول الله صلى الله عليه و سلم: فانزل في بعض بيوت مكة في غير منزلك، فأبى رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال: لا أدخل البيوت. فلم يزل مضطربا بالحجون لم يدخل بيتا، و كان يأتي المسجد من الحجون. و عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم مضطربا بالحجون في الفتح يأتي لكل صلاة.

و عن أسامة بن زيد قال: قلت يا رسول الله أين منزلك غدا، قال: و ذلك في حجته، قال: و هل ترك لنا عقيل منزلا؟ قال: و نحن نازلون غدا إن شاء الله بخيف بنى كنانة، يعنى المحصب. انتهى من الأزرقى.

قال شيخنا الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى رحمه الله تعالى في شرحه لكتابه "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم" عند حديث «منزلنا غدا إن شاء الله...» ما يأتي: أصل الخيف فى اللغة كل ما انحدر عن الجبل و ارتفع عن المسيل، و هو هنا المحصب - بفتح الحاء و الصاد المهملتين - و يقال له الحصبه بفتح الحاء و إسكان الصاد المهملتين، و الأبطح و البطحاء، و خيف بنى كنانة. فهذه أسماء مترادفة لشيء واحد، و فى المدونة قلت: أين هو الأبطح عند مالك؟ قال:

لم أسمع أين هو، و لكنه معروف هو حيث المقبرة. انتهى من الجزء الرابع من زاد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٨٩

المسلم. هذا ما كان منزله صلى الله عليه و سلم بمكة، و إن شاء الله سنتكلم عن معنى حديث: (و هل ترك لنا عقيل منزلا) بعد الانتهاء من هذا المبحث.

و أما منزله عليه الصلاة و السلام بمنى فى الحج، فقد روى الإمام الأزرقى فى تاريخه عن طاووس قال: كان منزل رسول الله صلى الله عليه و سلم بمنى على يسار مصلى الامام، و كان ينزل أزواجه موضع دار الإمارة، و كان ينزل الأنصار خلف دار الإمارة، و أوما رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الناس أن انزلوا هاهنا و هاهنا.

و عن خالد بن مضرس أنه رأى أشياخا من الأنصار يتحرون مصلى رسول الله صلى الله عليه و سلم أمام المنارة قريبا منها، قال الأزرقى، قال جدى: الأحجار التى بين يدى المنارة هى موضع مصلى النبي صلى الله عليه و سلم، لم نزل نرى الناس و أهل العلم يصلون هنالك، و يقال له مسجد العيشومة و فيه عيشومة أبدا خضراء فى الجذب و الخصب بين حجرين من القبلة، و تلك العيشومة قديمة لم تزل ثم. انتهى من الأزرقى.

نقول: إن مصلى النبي صلى الله عليه و سلم فى مسجد الخيف بمنى هو مكان المحراب الذى تحت القبلة بوسط المسجد، كما بينا ذلك فى الكلام عن مسجد الخيف. فراجع إن شئت.

و أما منزله صلى الله عليه و سلم بمزدلفة بعد نزوله من عرفات، ففى موضع من مسجد مزدلفة على ما يظهر، أى عند المحراب الذى بوسط جدار المسجد القبلى كما هو صريح عبارة الأزرقى الآتية، فقد روى الأزرقى فى تاريخه عن ابن جريج قال: قال لى عطاء: بلغنى أن النبي صلى الله عليه و سلم كان ينزل ليلة جمع فى منزل الأئمة الآن ليلة جمع، يعنى دار الإمارة التى فى قبلة مسجد مزدلفة، انتهى من الأزرقى.

و معنى ليلة جمع: ليلة مزدلفة، و جمع يطلق على مزدلفة، و أما منزل الأئمة - أى دار الإمارة التى ذكرها الأزرقى - فلا وجود لها الآن مطلقا، و ما تراه اليوم من البنايات القليلة إنما حدثت فى زماننا، أى من بعد سنة (١٣٥٣) ثلاث و خمسين و ثلاثمائة و ألف، و قبل هذه السنة لم يكن بمزدلفة شيء من البنايات غير المسجد.

و أما منزله عليه الصلاة والسلام بعرفة إذا وصل إليها من منى ففى جبل نمرة، فقد روى الأزرقى عن ابن جريج قال: سألت عطاء أبن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوم عرفة؟ قال: بنمرة، منزل الخلفاء، إلى الصخرة الساقطة بأصل الجبل عن يمينك و أنت ذاهب إلى عرفة، يلقي عليها ثوب، يستظل به صلى الله عليه وسلم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٩٠

قال الأزرقى: و تحت جبل نمرة غار أربعة أذرع فى خمسة أذرع، ذكروا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينزل يوم عرفة حتى يروح إلى الموقف، و هو منزل الأئمة إلى اليوم، و الغار داخل فى جدار دار الإمارة فى بيت فى الدار، و من الغار إلى مسجد عرفة ألفا ذراع و أحد عشر ذراعاً، و من مسجد عرفة إلى موقف الإمام عشية عرفة ميل، يكون الميل خلف الإمام إذا وقف و هو حيال جبل المشاة. انتهى من الأزرقى.

نقول: أما موقفه صلى الله عليه وسلم عشية عرفة ففى مسجد الصخرات الذى هو بقرب جبل الرحمة و هو موضع معروف إلى اليوم. و أما كلام الإمام الأزرقى "أن الغار داخل فى جدار دار الإمارة فى بيت فى الدار" فهذا الوصف بحسب زمانه و قد مضى على وفاته رحمه الله تعالى إلى يومنا هذا أكثر من "ألف و مائة عام" فلم يبق للدار و الجدار و البيت أى أثر أو علامة مطلقاً، اللهم إلا الغار فإن الغيران لا تزول حتى تزول الجبال عن موضعها.

و لقد يسر الله تعالى لنا التجول فى بعض وادى عرنة "بالنون" و الجبال القريبة من مسجد نمرة، و العلمين القديمين لبيان حدود الحرم من الحل، للبحث عن الغار الذى نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة قبل الزوال عند مجيئه من منى، و الذى ذكره الإمام الأزرقى هنا، فقد تجولنا ثلاث مرات فى المكان المذكور مع دليلين خبيرين من العرب يعرفان هذه الأماكن و الغيران الموجودة فيها، و ذلك بعد النصف الثانى من شهر شوال سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، فوجدنا ما يأتى:

إذا وصل الإنسان من منى إلى قبيل مسجد نمرة بعرفات و سار مع الجبل الذى عن يمينه و هو جبل كثير الصخور و الحجارة بعضها فوق بعض من أصل الخلقة فمن ذلك تتكون المغارات "أى الغيران".

فقبل أن يصل الإنسان إلى منتهى الجبل الممتد كاللسان فى الرمل بنحو (١٦٠) متراً- مائة و ستين متراً- يجد على يمينه على ارتفاع نحو قمتين مغارة كبيرة فى أصل الجبل، من الصخور الكبار تسع نحو عشرة أشخاص بل أكثر، و فى وسط أرض الغار صخرة كبيرة و أخرى أصغر منها متصلتان ببعضهما، و للغار بابان إحدهما صغير و هو الذى يقابل القبلة و عرضه مائة و ثلاثون سنتيمتراً، و الباب الثانى كبير و هو الذى يقابل عرفات و عرضه متران، و أمام هذا الباب

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٩١

صخرة كبيرة نازلة إلى الأرض بها ثلاث حفر طبيعية أو أربعة كل حفرة كدائرة رأس الإنسان، واحدة فوق الأخرى تشبه الدرج، و من هذه الحفر يسهل الطلوع إلى الغار. على أن الصعود إليه ميسور من البابين و إن لم تكن هذه الحفر، و سقف هذا الغار يتكون من صخرتين كبيرتين جدا متصلتان ببعضهما من وسط السقف كهيئة الجمelon على شكل مثلث، و طول هذا الغار ستة أمتار، و سيع من مدخله الكبير و ضيق من مدخله الصغير، و من وراء هذا الغار من الجهة المقابل للجبل غار آخر كبير طويل يسع نحو خمسة عشر شخصاً، و الفاصل بين هذا الغار و بين الغار المذكور إحدى صخرتى سقفه التى تلى الجبل و مدخل هذا الغار من المدخل الصغير للغار الذى تكلمنا عنه، فهذان الغاران بجوار بعضهما تماماً، و لا يوجد فى الجبل أكبر من هذين الغارين المتجاورين، و كلاهما يسع لنحو ثلاثين شخصاً.

و تحت هذا الغار مباشرة جهة الباب الكبير غار آخر صغير تتجه فتحته إلى عرفات، و هو غار على وجه الأرض غير مرتفع فى الجبل، و سقفه صخرة واحدة كبيرة، طوله أقل من ثلاثة أمتار و عرضه فتحته متران.

و فى هذا الجبل غيران كثيرة متعددة، و لا يعلم بالتحقيق التام نفس الغار الذى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فى هذا

الجبل، لكننا نظن غالب الظن الذى نظمثن إليه، أن الغار الكبير الذى ذكرناه هو الغار الذى نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة لجملته أمور و هي:

(١) أن وصف هذا الغار الكبير يقرب من وصف الإمام الأزرقي له.

(٢) أن هذا الغار يقع تقريبا أمام العلمين القديمين الدالين على انتهاء حدود الحرم، و لا نستبعد أن ينزل النبي صلى الله عليه وسلم عند مفرق الحل من الحرم- أى عند حدودها- والله تعالى أعلم. و البعد بين هذا الغار و بين العلمين المذكورين (٤٣٠) مترا، أربعمائه و ثلاثون مترا.

و قد يزيد البعد و قد ينقص عن هذه الأمتار بحسب استقامة أخذ القياس أو انحرافه.

(٣) و البعد بين هذا الغار و بين مسجد نمره القبلى (١١٣٠) مترا هو ألف و مائة و ثلاثون مترا، و هو قريب مما ذكره الأزرقي فإن المتر الواحد يساوى ذراعين تقريبا، فقد ذكروا أن ذراع اليد يساوى ثمانية و خمسون سنتيمترا. و قد يزيد البعد و قد ينقص عن الأمتار بحسب استقامة أخذ القياس أو انحرافه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٩٢

(٤) أن الجالس فى هذا الغار يرى من مدخله الكبير أى بابه مسجد نمره و جبل عرفات أى جبل الرحمة الذى يقف عليه الحجاج المسمى "بالقرين" و يرى مسجد الصخرات الذى تحته جبل الرحمة الذى وقف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة، بل يرى ميدان عرفات كلها. فكأن النبي صلى الله عليه وسلم جلس فى هذا الغار ليشاهد جبل عرفات و مسجد نمره و مسجد الصخرات و حدود الحل من الحرم.

(٥) أن هذا الغار الكبير هو أقرب الغيران إلى مسجد نمره و هذا ما يوافق الرغبة النبوية. فإنه صلى الله عليه وسلم حينما زالت الشمس نزل من هذا الغار إلى موضع مسجد نمره فصلى فيها الظهر و العصر، ثم ذهب إلى عرفات فوقف فى مسجد الصخرات حتى غربت الشمس ثم دفع إلى مزدلفه، و لذلك سمي هذا الجزء الأخير من الجبل بجبل نمره لقربه من نمره.

(٦) أن هذا الغار هو الغار الذى يلائم رسول الله صلى الله عليه وسلم، (أولا) أنه مرتفع مشرف على ساحة عرفات كلها (ثانيا) أن مدخله الكبير يقابل عرفات و هو بيت القصيد و منتهى الرحلة، و أن مدخله الصغير يقابل مكة و القبلة (ثالثا) أن الغار هو أوسع غار فى الجبل فإنه يأخذ فى جوفه نحو عشرة أنفس، و النبي صلى الله عليه وسلم لا بد و أن يكون معه نحو هذا العدد من كبار الصحابة لا يفارقونه فى السفر و يتشرفون بالقرب منه كالخلفاء الراشدين الأربعة و غيرهم من كبار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. (رابعا) أن بجوار هذا الغار غار آخر متصل به يفصل بينهما الصخرة التى بوسطهما و طولهما واحد و كل منهما يسع بقدر الآخر من الأشخاص، فلو كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون من الصحابة لاستظلوا فيهما بغاية الراحة و بدون أن يتعدوا عن بعضهم.

و من عجيب أمر الغيران فى الجبال أنها تكون فى وقت الظهيرة باردة منعشة، لا يشتد على الجالس بداخلها و طأة الحر و القيظ. هذا رأينا فى الغار الذى نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة قبل الظهر و هذه أدلتنا فى تحقيقه، و لا يعلم الغيب إلا الله الواحد الأحد سبحانه و تعالى، و نزوله صلى الله عليه وسلم فى الغار المذكور لا يمنع من أنه نزل أيضا فى قبة من شعر التى أمر أن تضرب له بنمره.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٩٣

و ما نظن أن أحدا قبلنا طرق هذا الباب أو بحث عن هذه المسألة مع أنها لا دخل لها فى المناسك مطلقا، فالحمد لله رب العالمين أولا و آخر. هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شىء عليم.

فعلم من جميع ما تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن سكن المدينة إذا قدم مكة لا ينزل فى بيوتها و منازلها. وإنما ينزل بقبته التى تضرب له حيثما كان إلى أن يرجع إلى المدينة، أى أنه صلى الله عليه وسلم ينزل فى خبائه الذى يضرب له أينما نزل، سواء فى



بطحاء مكة بالحجون، أو في منى و مزدلفة و عرفات، فلا يستظل في بيت مبنى منذ خروجه من المدينة إلى أن رجح إليها من مكة. فقد تقدم في أول هذا المبحث أن الصحابة رضی الله تعالى عنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه و سلم يوم الفتح: فانزل في بعض بيوت مكة في غير منزلك. فأبى رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال: لا أدخل البيوت. فلم يزل مضطربا بالحجون لم يدخل بيتا، و كان يأتي المسجد من الحجون لكل صلاة.

فهذا أعظم دليل على زهده و تواضعه صلى الله عليه و سلم في بلد الله الأمين و مشاعر الحج، فإنه أتى إليها للنسك لا للإقامة، و النسك عبارة عن التجرد و مخالفة العادات المألوفة. و لو أمعنا النظر قليلا لوجدنا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم في حجته قد تعرض كثيرا للشمس بمكة و منى و عرفات، فأين عهدنا من ذلك العهد النبوي المشرق، و أين عصرنا من ذلك العصر المبارك الأنور.

ثم رأينا ما يؤيد كلامنا هذا في المجموع شرح المذهب للإمام النووي رحمه الله تعالى فإنه قال فيه بصحيفة ١١٧ من الجزء الثامن ما يأتي:

إن الأفضل للواقف أن لا يستظل بل يبرز للشمس، إلا للعدر بأن يتضرر أو ينقص دعاؤه أو اجتهاده في الأذكار، و لم ينقل أن النبي صلى الله عليه و سلم استظل بعرفات، مع ثبوت الحديث في صحيح مسلم و غيره عن أم الحصين أن النبي صلى الله عليه و سلم «ظل عليه بثوب و هو يرمى الجمر» و قد قدمنا بيان مذهبا عند ما في استظلال المحرم بغير عرفات في باب الإحرام و الله تعالى أعلم. انتهى.

اللهم صل و سلم و بارك على هذا النبي الكريم، الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، و على آله و ذريته و صحابته الطيبين الطاهرين، و اجزه عنا أفضل ما جازيت نبيا عن قومه و رسولا عن أمته، و أعطه الوسيلة و الفضيلة و الدرجة الرفيعة و المقام المحمود. و لا تحرمانا شفاعته الثابتة التي أتحتته و خصصته بها يوم لا ينفع مالٌ و لا بَنُونَ\* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، و تداركنا في تلك الساعة و في ذلك اليوم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٩٤

يوم يفرء المرء من أخيه و أمه و أبيه بلطفك الخفي، و استرنا بستر ك الذي لا ينكشف، و أظننا تحت ظل عرشك، و آمننا من غضبك و عذابك، و أدخلنا الجنة بسلام آمنين، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين، و حسن أولئك رفيقا، آمين يا أرحم الراحمين، بفضلك و إحسانك و رحمتك و كرمك، يا عظيم يا حلیم يا كريم يا رحيم، فإنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك، لا شريك لك، و أن محمدا عبدك و رسولك.

#### معنى حديث: «و هل ترك لنا عقيل منزلا»

جاء في الصحيحين عن أسامة بن زيد رضی الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: «و هل ترك لنا عقيل من رباغ أو دور؟» و في رواية البخارى في كتاب المغازي: «من منزل».

روى الإمام الأزرقي في تاريخه عن أبي رافع قال: قيل للنبي صلى الله عليه و سلم يوم الفتح: ألا تنزل منزلك بالشعب، قال: و هل ترك لنا عقيل منزلا؟ قال: و كان عقيل بن أبي طالب قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه و سلم و منازل إخوته من الرجال و النساء بمكة حين هاجروا و منزل كل من هاجر من بني هاشم، فقيل لرسول الله صلى الله عليه و سلم: فانزل في بعض بيوت في غير منزلك. فأبى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قال: لا- أدخل البيوت، فلم يزل مضطربا بالحجون لم يدخل بيتا، و كان يأتي المسجد من الحجون. انتهى من كلام أبي رافع.

و عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده قال: رأيت رسول الله مضطربا بالحجون في الفتح، يأتي لكل صلاة. و عن

أسامة بن زيد قال: قلت رسول الله أين منزلك غدا؟ قال: و ذلك في حجته. قال: و هل ترك لنا عقيل منزلا، قال: و نحن نازلون غدا إن شاء الله بخيف بنى كنانة- يعني المحصب- انتهى كل ذلك من الأزرقى.

نقول: ليس معنى قوله عليه الصلاة و السلام: «و هل ترك لنا عقيل من ربيع أو دور» أنه صلى الله عليه و سلم يتحسر و يأسف على منزله الذى باعه عقيل بن أبى طالب- كالا- ثم كالا- فإن ذلك لا يليق بمقام النبوة، و هو صلى الله عليه و سلم لو شاء لجعل الله له الجبال ذهباً، و لكنه لا بد أن يرمى بقوله هذا إلى حكمه دقيقة، و لا يبعد أن يكون ذلك تأنيبا لعقيل بن أبى طالب عسى أن يكفر عن خطئه هذا بالإسلام، فإن عقيلاً أخ

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٩٥

لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه، و بالفعل فقد أسلم عقيل عام الفتح و قيل أسلم بعد الحديبية. و الله تعالى أعلم. و لا بد لنا أن نستوفى الكلام على معنى هذا الحديث الشريف فنقول و بالله التوفيق و هو الهادى إلى سواء السبيل:

ذكر أستاذنا العلامة المحدث الشهير الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى رحمه الله تعالى فى شرحه فى كتابه "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم" عند حديث: «و هل ترك لنا عقيل من ربيع أو دور» فى صحيفة (١١٥) من الجزء الخامس ما يأتى:

قوله: «من ربيع» بكسر الراء جمع ربيع، بفتح الراء و سكون الموحدة، و هو المنزل المشتمل على أبيات، و قيل: هو الدار، فعلى هذا فقوله: «أو دور» إما للتوكيد أو من شك الراوى. و فى رواية فى الصحيح «من منزل» بدل من ربيع كما أشرنا إليه سابقا.

و أخرج هذا الحديث الفاكهى من طريق محمد بن أبى حفصة و قال فى آخره:

و يقال إن الدار التى أشار إليها عليه الصلاة و السلام كانت دار هاشم بن عبد مناف، ثم صارت لعبد المطلب ابنه فقسمها بين ولده حين عمر، فمن ثم صار للنبي صلى الله عليه و سلم حق أبيه عبد الله و فيها ولد النبي صلى الله عليه و سلم. و ظاهر قوله: و هل ترك لنا عقيل من ربيع، أنها كانت ملكه عليه الصلاة و السلام فأضافها إلى نفسه، فيحتمل أن عقيلاً تصرف فيها كما فعل أبو سفيان بدور المهاجرين و يحتمل غير ذلك.

و فى الصحيحين بعد حديث المتن ما نصه: و كان عقيل ورث أباً طالب، هو و طالب و لم يرثه جعفر و لا على رضى الله عنهما شيئاً لأنهما كانا مسلمين.

و كان عقيل و طالب كافرين. زاد البخارى فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: لا يرث المؤمن الكافر. قال ابن شهاب و كانوا يتأولون قول الله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، الآية. و هذه الزيادة من تفسير الراوى.

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح بعدها ما نصه: محصل هذا أن النبي صلى الله عليه و سلم لما هاجر استولى عقيل و طالب على الدار كلها باعتبار ما ورثاه من أبيهما لكونهما كانا لم يسلموا و باعتبار ترك النبي صلى الله عليه و سلم لحقه منها بالهجرة و فقد طالب بيد فباع عقيل الدار كلها. و حكى الفاكهى أن الدار لم تزل بيد أولاد عقيل إلى أن باعوها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٩٦

لمحمد بن يوسف أخى الحجاج بمائة ألف دينار. و فى نسخة ثمانية آلاف دينار، و زاد فى روايته من طريق محمد بن أبى حفصة فكان على بن الحسين يقول: من أجل ذلك تركنا نصيبنا من الشعب، أى حصه جدهم على من أبيه أبى طالب.

و قال الداودى و غيره: كان من هاجر من المؤمنين باع قريبه الكافر داره و أمضى النبي صلى الله عليه و سلم تصرفات الجاهلية تأليفاً لقلوب من أسلم منهم. ٥.

(قلت) أى قال الشارح: و كما أمضى عليه السلام تصرفاتهم كذلك كان يصحح أنكحتهم. هذا و قد كان المهاجرون و الأنصار

يتوارثون بالهجرة و النصره دون الأقارب في صدر الإسلام، حتى نسخ ذلك بقوله تعالى: **وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ** و الذي يفهم من الآية المسوقة هنا أن المؤمنين يرث بعضهم بعضا و لا يلزم منه أن المؤمن يرث الكافر، لكنه استفاد من بقيه الآية المشار إليها بقول البخارى الآية و هى قوله تعالى: **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ، حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا** أى من توليتهم فى الميراث إذ الهجرة كانت فى أول عهد البعثه من تمام الإيمان، فمن لم يكن مهاجرا كأنه ليس مؤمنا. فلهذا لم يرث المؤمن المهاجر منه. و هذا الحديث كما أخرجه الشيخان أخرجه أبو داود فى الحج من سننه، و كذا أخرجه النسائي فيه فى سننه، و أخرجه ابن ماجه فى سننه فيه و فى الفرائض.

و استفاد من هذا الحديث أن المسلم لا يرث الكافر، و على ذلك فقهاء الأمصار. و حكى عن بعض الصحابة و الحسن البصرى و إبراهيم النخعى و إسحاق أن المسلم يرث الكافر. و أجمعوا على أن الكافر لا يرث المسلم. و استفاد منه أيضا بقاء دور مكة لأربابها. قال الخطابى: احتج بهذا الحديث الشافعى على جواز بيع دور مكة، لأنه صلى الله عليه و سلم أجاز بيع عقيل الدور التى ورثها، و كان عقيل و طالب ورثا إياهما لأنهما إذ ذاك كانا كافرين، فورثاه، ثم أسلم عقيل فباعها. قال الخطابى: و عندي أن تلك الدور و إن كانت قائمه على ملك عقيل لم ينزلها رسول الله صلى الله عليه و سلم، لأنها دور هجرها لله تعالى فلم يرجعوا فيما تركوه. قال الحافظ و تعقب بأن سياق الحديث يقتضى أن عقيل باعها، و مفهومه أنه لو تركها له لنزلها. (قال مقيد و فقه الله تعالى) أى قال الشارح أيضا: هذا التعقب غير مستقيم فيما يظهر و الله تعالى أعلم، بل ما قاله الخطابى هو الظاهر، لأن الخطابى قال:

إن كانت قائمه على ملك عقيل الخ فهو قيد دال على أن كلامه إنما يتنزل على

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٩٧

كونه إنما ترك نزولها إن كانت قائمه على ملك عقيل، و هو قد أسلم، لأنها دور هجرها لله تعالى، فلم يرجع فيما هجره له تعالى. فكلام الخطابى مع هذا القيد لا يتنزل إلا على ما ذكرناه. و قولنا و استفاد منه أيضا بقاء دور مكة لأربابها قاله غير واحد، و ممن قاله القاضى عياض. و قد اختلف فيه، و الخلاف فى ذلك على الخلاف هل فتحت عنوة و هو قول مالك و أبى حنيفة لكن من على أهلها بدورهم و أموالهم، و لم يقسمها بين الغانمين. قال أبو عبيد: و لا نعلم بلدا تشبه مكة أو فتحت صلحا، و هو قول الشافعى، كذلك اختلف فى بيع دورها و كرائها قال أبو حنيفة و جماعة من السلف: لا يحل بيعها و لا كراؤها و لا ملك عليها لأحد، و أجازة الشافعى و أبو يوسف، و كرهه مالك. و هو أيضا على الخلاف فى فتحها، و فى الضمير فى قوله تعالى: **سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ** هل هو عائد على البلد أو على المسجد، و على أنها فتحت عنوة و أقرت بأيديهم فيحتج به على أن للإمام إبقاء ما فتح عنوة بأيدي أربابه، أسلموا أو لم يسلموا، لما يراه من استئلافهم إن كانوا مسلمين، أو ليضرب الجزية عليهم إن بقوا على دينهم، و يكون تركها بطيب نفوس الجيش كما فعل عليه الصلاة و السلام فى سبى هوازن، أو يقومها من الخمس، على أنه لم يرد أنه قسم من مال أهل مكة شيئا، بل كان أبقاه لهم لقرابتهم كما جاء فى الآخر أن الله عوضهم من مال هوازن أضعاف ذلك. و فيه حجة لمن يقول أن الغنيمه لا يملكها الغانمين بالحوز بل بتملك الإمام و قسمها بينهم، و لذلك لم يختلف فى قطع سارقها منهم و حد زانيهم. اه. بلفظه. انتهى من شرح "زاد المسلم،" ثم ذكر الشارح رحمه الله تعالى بيان أحكام بيع دور مكة و غيرها من أرض الحرم و إيجارتها و رهنها لم تر ضروره فى نقلها.

### ترجمه عقيل بن أبى طالب

ذكر أستاذنا العلامة المحدث الشهير الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى رحمه الله تعالى فى شرحه لكتابه "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم" عند حديث: «و هل ترك لنا عقيل من رباغ أو دور» فى صحيفه (١١٤) من الجزء الخامس ما يأتى:

وعقيل بفتح العين و كسر القاف مكبرا، هو عقيل بن أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه و سلم، يكنى أبا يزيد، و هو أخ على و جعفر، فهو أسن أبناء أبي طالب الثلاثة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٩٨

الذين أسلموا. أما طالب أخوهم الذى فقد بيدرو و لم يكرمه الله بالإسلام فهو أسن أبناء أبي طالب جميعا، و لذلك كنى به. و من النوادر فى أبنائه الأربعة أن كل واحد منهم أسن من الذى يليه بعشر سنين فطالب أسن من عقيل و هو من جعفر و هو من على، و التفاوت بين كل واحد و الآخر عشر سنين، و هو من النوادر.

فبهذا الاعتبار يكون عقيل أكبر من على بعشرين سنة، و قد تأخر إسلام عقيل رضى الله عنه إلى عام الفتح، و قيل أسلم بعد الحديبية، و هاجر فى أول سنة ثمان، و كان أسيرا يوم بدر ففداه عمه العباس. و وقع ذكره فى الصحيح فى مواضع، و شهد غزوة مؤتة، و لم يسمع له بذكر فى الفتح و حنين كأنه كان مريضا أشار إلى ذلك ابن سعد، لكن روى الزبير من بكار بسنده إلى الحسن بن على رضى الله عنهما أن عقيلًا- كان ممن ثبت يوم حنين، و كان عالما بأنساب قريش و مآثرها و مثالبها و أيامها. و كان الناس يأخذون ذلك عنه بمسجد المدينة. كان سريع الجواب المسكت، و كان قد فارق عليا و وفد إلى معاوية فى دين لحقه. و قد روى أن النبى صلى الله عليه و سلم أعطاه من خبير كل سنة مائة و أربعين و سقا. و له أحاديث. و قال ابن حجر فى الإصابة: و لعقيل حديث كامل أخرجه له النسائى و ابن ماجه. قال ابن سعد: قالوا: مات فى خلافة معاوية. قال الحافظ: و فى تاريخ البخارى الأصغر بسند صحيح أنه مات فى أول خلافة يزيد قبل الحره، و روى عنه ابنه محمد، و الحسن البصرى، و عطاء. انتهى من شرح زاد المسلم.

### فضل مكة المشرفة

اعلم أن الله تعالى لم يخلق جنسا من أجناس المخلوقات إلا و جعل بينها تفاوتا و تفاضلا، سواء كان ذلك فى الجمادات أو فى بنى آدم حتى فى النبيين، قال تعالى فى سورة الإسراء: **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا** و لقد قال العلماء: "ما من عامٍ إلا و قد خصص" و مما لا شك فيه أن أرضية جميع المساجد فى الدنيا أفضل من غيرها من البقاع لأنها بيوت الله يذكر فيها اسمه و محل لعبادته، بل إن بعض المساجد أفضل من بعض كالمساجد الثلاث. قال الشاعر:

إن البقاع إذا نظرت رأيتها تشقى كما تشقى الرجال و تسعد

فلا تتساوى بقعة خصصت للعبادة و العلم، و بقعة خصصت للهو و الفجور، فإذا علمنا أن البقاع تتفاضل فنقول: إن مكة المشرفة و المدينة المنورة أفضل بقاع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٤٩٩

الأرض بالإجماع و يليها بيت المقدس. ثم اختلف العلماء فى أن مكة أفضل أم المدينة: فعند جمهور العلماء أن مكة أفضل منها. و نحن نجنح إلى هذا القول أيضا لأن المدينة لم يعرف فضلها إلا بعد حلول نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم فيها، و أما مكة ففضلها معروف منذ العصور الأولى الغابرة من لدن آدم عليه السلام و بالأخص بعد أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام حيث بنى الكعبة بيت الله فيها، و أذن فى الناس بالحج فأتوا مكة من كل فج عميق، و الله أعلم بعدد من أتى مكة من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و غيرهم من عامة الناس، و أن من ينظر فى أشهر الحج إلى مكة يأتى إليها الناس أفواجا أفواجا يوميا ليلا و نهارا، و قد علا ضجيجهم بالدعاء و التضرع فى كل محلة و زقاق حين دخولهم مكة و هم محرمون يذهبون مع مطوفهم إلى الطواف و السعى. آمن بعظمة الله سبحانه و تعالى و عرف فضل مكة على سائر البلدان، فإن هذه الحال لا توجد فى جميع أنحاء المعمورة سوى بمكة و فى كل عام إلى قيام الساعة. فالحمد لله الذى جعلنا من أهلها السعداء الآمنين من كل خوف و فزع فى الدنيا و الآخرة بفضلله و برحمته إنه واسع الفضل و الإحسان. و اعلم: أن مكة المشرفة ترتفع عن سطح البحر نحو (٣٣٠) متر و هى على عرض (٢١) درجة و (٣٨) دقيقة، و فى طول (٤٠)

درجة و (٩) دقائق.

### امتياز مكة عن سائر البلدان

تمتاز مكة عن سائر البلدان على وجه الأرض بجملته أمور:

(منها): أنها مهبط الوحي و مركز نزول القرآن و ابتداء ظهور الإسلام.

(و منها): أن القادم إليها يجب عليه التجرد من ثيابه و دخولها بإحرام بنية العمرة أو الحج.

(و منها): أنه ليس فيها إلا دين واحد و هو الإسلام فليس فيها دينان.

(و منها): أنه يمنع شرعا دخول الكافر و دفنه فيها.

(و منها): أنه يحرم حمل السلاح فيها إلا لضرورة.

(و منها): أنه يحرم صيدها على جميع الناس سواء في ذلك أهل مكة و أهل الحرم و غيرهم و سواء المحرم منهم و الحلال.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٠٠

(و منها): أن دماء الهدايا و الجبرانات مختص بمكة و بالحرم و لا يجوز في غير ذلك من البقاع.

(و منها): أنه يحرم قطع شجره و يضمن ما يقطع منه.

(و منها): أنه يحرم إخراج شيء من ترابه أو حجاراته إلى الحل و إلى البلدان الأخرى.

(و منها): مضاعفة الحسنات فيها و بالأخص الصلوات في المسجد الحرام، فقد روى الإمام أحمد و البزار و ابن حبان في صحيحه عن

عبد الله بن الزبير رضی الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في غيره

من المساجد إلا المسجد الحرام، و صلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة ألف صلاة».

(و منها): أنه يبعث من مقبرتها سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا و جوههم كالقمر ليلة البدر

كما في الحديث.

(و منها): أن الدجال سيطراً جميع البلدان حين خروجه إلا مكة و المدينة و بيت المقدس.

(و منها): أنه ما من نبي من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام إذا كذبه قومه إلا و خرج إلى مكة يعبد الله تعالى حتى يأتيه اليقين و أن

حول الكعبة قبر ثلاثمائة نبي، و ما بين الركن اليماني و الركن الأسود قبر سبعين نبيا، و قبر إسماعيل و أمه هاجر في الحجر تحت

الميزاب، و أن ما بين زمزم و المقام قبر نوح و هود و شعيب و صالح.

و روى الأزرقي عن مجاهد أنه قال: حج خمسة و سبعون نبيا كلهم قد طاف بالبيت و صلى في مسجد مني، فإن استطعت أن لا

تفوتك صلاة في مسجد مني فافعل.

(و منها): أن أهل مكة يتجهون في صلاتهم إلى الكعبة من جميع الجهات الأربعة بخلاف بلدان العالم فكل بلدة تتجه إلى الكعبة من

جهة واحدة. و ما أبهج منظر المسجد الحرام حين الصلاة، فإن الجميع يصلون حول الكعبة من جميع الجهات على اتساعه، و لا يوجد

منظر يأخذ بمجامع القلوب و يشرح الصدور

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٠١

و يذهب الهم و الغم و يجلب السرور، كالصلاة في المسجد الحرام و الجلوس حول الكعبة المشرفة.

إلى غير ذلك من فضائل مكة التي لا توجد على وجه الأرض بلدة تدانيها، و كفى أنها بلد الله تعالى و بلد رسوله و مولده و بلد

أصحابه المهاجرين الكرام، و مأوى الأنبياء و المرسلين و الأتقياء و الصالحين و قبله جميع المؤمنين و فيها الموسم السنوي للحج يفد

إليها المسلمون من كل فج عميق ليقيموا خامس أركان الإسلام الحج الذي لا يمكن أداؤه إلا فيها لاحتوائها على جميع المشاعر.

اللهم صلى و سلم على نبيك و رسولك "محمد" الذي تشرفت مكة بظهوره فيها، و على آله و أصحابه الذين فازوا بتبليغ دعوة و اجتلاء نور طلعتة و تشرفوا بخدمته، فالوا رضاءك و عفوك و فضلك، صلاة و سلاما دائمين إلى يوم الدين، و ارض اللهم عنا معهم و ألقنا بهم و احفظنا و ذرياتنا من الفتن و توفنا مسلمين، بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين آمين.

### الآيات و الأخبار الواردة في فضل مكة

هذا و يطيب لنا التحدث عن فضل مكة زادها الله شرفا و رخاء و أمنا و أمانا، أكثر مما ذكرناه (و من أحب شيئا أكثر من ذكره) و لذكر في فضلها ما جاء في كتاب (العقد الثمين في فضائل البلد الأمين) للشيخ أحمد بن محمد الحضرواي. قال رحمه الله تعالى في أوله ما نصه:

و يكفي من ذلك كله إنزال ذكرها في كتابه العزيز في مواضع عديدة:

(منها) قوله تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ، و قوله تعالى: وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، و قوله تعالى: إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا، و قوله تعالى: أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا، الآية، و قوله تعالى: أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا، و قوله تعالى: بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبُّ غَفُورٌ عَلَى بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهَا مَكَّةُ. و قوله تعالى: وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ، و قوله تعالى: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، و قوله تعالى: لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ، و قوله تعالى: يَبْطِنُ مَكَّةُ، و قوله تعالى: لَتُنذِرَ أُمَّ

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٠٢

الْقُرَى وَ مَنْ حَوْلَهَا، و قوله تعالى: وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ، و قوله تعالى: وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ.

فهذه الآيات أنزلها الله سبحانه و تعالى في مكة خاصة و غيرها من الآيات البينات و لم تنزل في بلد سواها.

انظر: صورة رقم ٢٠، جانب من مكة المشرفة و بيوتها اللطيفة و منازلها الجميلة

(و أما الأخبار الواردة فيها) فمما روى عن عبد الله بن عدي بن حمراء رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو واقف على راحلته على الحزورة من مكة و هو يقول لمكة: و الله إنك لخير أرض الله و أحب أرض الله إلى الله و لولا أنى أخرجت منك ما خرجت، رواه سعيد بن منصور و الترمذى و قال: حديث حسن صحيح و النسائى و ابن ماجه و ابن حسان و هذا لفظه، (و رواه) أحمد واقف بالحزورة، انتهى.

و الحزورة كانت سوقا بمكة سابقا و قد دخل في المسجد الحرام فيما زيد فيه و هو محل المنارة المعروفة الآن بباب الوداع. (و فى حديث آخر): خير بلدة على وجه الأرض و أحبها إلى الله تعالى مكة. و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: دحيت الأرض من مكة فحدها الله تعالى من تحتها فسميت أم القرى. و أول جبل وضع فى الأرض أبو قبيس، و أول من طاف بالبيت الملائكة قبل أن يخلق الله تعالى آدم بألفى عام و ما من ملك يبعثه الله تعالى من السماء إلى الأرض فى حاجة إلا اغتسل من تحت العرش و انقضى محرما فيبدأ ببيت الله فيطوف به أسبوعا ثم يصلى خلف المقام ركعتين، ثم يمضى لحاجته و ما بعث إليه. و كل نبى من الأنبياء إذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم إلى مكة، فعبد الله تعالى بها عند باب الكعبة حتى أتاه اليقين و هو الموت، و أن حول الكعبة قبر ثلاثمائة نبى، و ما بين الركن اليمانى و الركن الأسود قبر سبعين نبيا كلهم قتلهم الجوع و القمل، و قبر إسماعيل و أمه هاجر عليهما السلام فى الحجر تحت الميزاب، و قبر نوح و هود و شعيب و صالح، على نبينا و عليهم أفضل الصلاة و السلام، فيما بين زمزم و المقام، و ما على وجه الأرض بلدة وفد إليها جميع النبيين و المرسلين و الملائكة أجمعين. و صالح عباد الله الصالحين من أهل السموات و الأرضين و الجن إلا مكة. ذكره الحسن البصرى فى رسالته.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٠٣

(و عن عمرو بن الأحوص) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في حجة الوداع: أى يوم هذا؟ قالوا: يوم الحج الأكبر. قال: فإن دماءكم و أموالكم و أعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا، ألا لا يجنى جان على نفسه ألا لا يجنى جان على ولده و لا- مولود على والده، و إن الشيطان قد أيس أن يعبد فى بلدكم هذا أبدا و لكن ستكون له طاعة فيما تحقرون من أعمالكم فيرضى به، رواه ابن ماجه و الترمذى و صححه و فى الصحيح: أنه ليس من بلد إلا سيئها الدجال إلا مكة و المدينة و بيت المقدس ليس نقب من نقابها إلا و عليه الملائكة صافين يحرسونها. النقب بفتح النون و ضمها و سكون القاف: الباب، و قيل الطريق، و جمعه نقاب. (و عنه صلى الله عليه وسلم) أنه قال: إن الشيطان قد يئس من أن يعبد المصلون فى جزيرة العرب و لكن فى التحريش بينهم، رواه الهروى فى شرحه على المشكاة.

(و عن ابن عباس) رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة:

إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات و الأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لن يحل القتال فيه لأحد قبلى، و لم يحل لى إلا- ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكة و لا ينفر صيده و لا يلتقط لقطه إلا من عرفها و لا يختلى خلاه. فقال العباس، رضى الله عنه: يا رسول الله إلا- الإذخر فإنه لقينهم و لبيوتهم. فقال: إلا الإذخر متفق عليه. قوله: لقينهم. القين الحداد و كذا الصياغ فإنهم يحرقونه بدل الحطب و الفحم. و فى رواية فقال العباس: إلا الإذخر فإنه لقبورنا و بيوتنا، انتهى. و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن مكة حرمها الله و لم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يسفك بها دما و لا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له إن الله قد أذن لرسوله و لم يأذن لكم و إنما أذن لى فيها ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، و ليبلغ الشاهد الغائب)، رواه البخارى و مسلم فى صحيحهما.

(و عن جابر) رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة سلاح. رواه مسلم.

(و كان ابن عمر) رضى الله عنهما يمنع ذلك فى أيام الحج، انتهى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٠٤

و اتفق الجمهور أنه لا- يحل بلا ضرورة، و حجتة فى ذلك دخوله صلى الله عليه وسلم عام الفتح متهيأ للقتال، كذا ذكره القاضى عياض، و تبعه الطيبى و ابن حجر. و جزم الحسن أنه لا يجوز حمل السلاح بمكة مطلقا، و هو موافق لابن عمر رضى الله عنهما. و أما عام الفتح، فهو مستثنى من هذا الحكم، فإنه صلى الله عليه وسلم، كان أبيض له ما لم يبح لغيره من نحو حمل السلاح و ما يكون سببا لرعب مسلم أو أذى أحد، كما هو مشاهد اليوم.

(و عن ابن عباس) رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمكة: ما أطيبك من بلد و أحبك الى و لولا أن قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك. رواه الترمذى، و قال: حديث حسن صحيح، غريب إسنادا.

(و فى المشكاة) عن أبى شريح العدوى أنه قال لعمرو بن سعيد و هو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لى أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغداة من يوم الفتح سمعته أذناى و وعاه قلبى و أبصرته عيناى، حين تكلم به حمد الله و أثنى عليه ثم قال: إن مكة حرمها الله و لم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يسفك بها دما و لا يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له: إن الله قد أذن لرسوله و لم يأذن لكم و إنما أذن لى فيها ساعة من نهار، و قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس و ليبلغ الشاهد الغائب. فقيل لأبى شريح: ما قال لك عمر؟ و قال: قال إنه أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيد عاصيا و لا فارا بدم و لا فارا بخربة، متفق عليه، و فى البخارى الخربة: الجناية.

(و يروى عن على بن أبى طالب) رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم، عن الله تعالى أنه قال: إذا أردت أن أخرب الدنيا

بدأت بييتى فخرته ثم أخرج الدنيا على إثره. رواهما الغزالي فى الإحياء.

(و يروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: ليأرز فيما بين الحرمين، يعنى مكة و المدينة، ذكره أبو محمد المرجاني فى الفتوحات الربانية.

(و روى) أن النبى صلى الله عليه وسلم لما سار إلى المدينة مهاجرا تذكر مكة فى طريقه فاشتاق إليها، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: أتشتاق إلى بلدك و مولدك؟ قال: نعم.

قال: فإن الله يقول: إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ، أى مكة. ذكره القرشى فى المناسك.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٠٥

(قال الحسن البصرى) فى رسالته: ما أعلم اليوم على وجه الأرض بلدة ترفع فيها من الحسنات و أنواع البر كل واحدة منها بمائة ألف ما يرفع بمكة، و ما أعلم أنه ينزل فى الدنيا كل يوم رائحة الجنة و روحها ما ينزل بمكة. و يقال إن ذلك للطائفين.

(و قال ابن عباس رضى الله عنهما): أصل طينة النبى صلى الله عليه وسلم من سره الأرض بمكة و من موضع الكعبة دحيت الأرض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم، الأصل فى التكوين، و الكائنات تبع له، و قيل: لذلك سمي أميا، لأن مكة أم القرى و طينة أم الخليفة.

(فإن قيل): إن مدفن الإنسان بترته، و النبى صلى الله عليه وسلم دفن بالمدينة؟

(الجواب): أن الماء لما ماج فى ذلك الوقت، رمى بتلك الطينة المباركة فى ذاك الموضع من المدينة. ذكره صاحب عوارف المعارف.

(و عن مجاهد) قال: خلق الله موضع البيت الحرام قبل أن يخلق شيئا من الأرض بألفى عام. و أخرج ابن حاتم من طريق السدى، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لو أن إبراهيم حين دعا قال: اجعل أئدة الناس تهوى إليهم، لآزدمت عليه اليهود و النصارى، و لكنه خص حين قال: أئدة من الناس، فجعل ذلك للمؤمنين. (و أخرج عن مجاهد) قال: لو قال إبراهيم: فاجعل أئدة الناس تهوى إليهم لزامتهم عليه الروم و فارس، و هذا صريح فى فهم الصحابة و التابعين التبعض من من.

(و عن محمد بن سوقة) قال: كنا جلوسا مع سعيد بن جبير فى ظل الكعبة، فقال: أنتم فى أكرم ظل على وجه الأرض. (و فى الحديث) عنه صلى الله عليه وسلم: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا و المسجد الحرام و المسجد الأقصى، و لم يذكر شيئا من المساجد غيرها. (و فى الخبر) عنه: صلى الله عليه وسلم، أنه قال: ما بين الركن اليمانى و الحجر الأسود روضة من رياض الجنة. انتهى من كتاب العقد الثمين.

و جاء فى كتاب الجامع اللطيف لابن ظهيرة، رحمه الله تعالى، بعد ما ذكر جزءا فى أفضلية مكة على غيرها من البلاد: ما نصه:

... (و منها) حديث أبى سلمة، عن عبد الله بن عدى بن الحمراء الزهرى، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته واقفا بالحزورة يقول: و الله إنك لخير

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٠٦

أرض الله و أحب أرض الله إلى الله، و لولا- أنى أخرجت منك ما خرجت. و هو حديث حسن، أخرجه أصحاب السنن، و صححه جماعة، منهم الترمذى. و زاد الإمام أحمد: واقف بالحزورة فى سوق مكة، و قد دخل سوق مكة المذكور فى المسجد بعد ذلك، و فى رواية أبى هريرة، رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بالحزورة و قال: إنك لخير أرض الله و أحب أرض الله عز و جل، و لو تركت فيك ما خرجت منك. و فى أخرى عنه: و الله لقد عرفت أنك أحب البلاد إلى الله و أكرمها على الله، و لولا أن قومي أخرجوني، الحديث. و فى رواية ابن عباس: ما سكنت غيرك. قال بعض العلماء: الظاهر أن هذه المقالة كانت منه صلى الله



عليه و سلم في عمره القضية حين سألت قريش النبي صلى الله عليه و سلم أن يخرج من مكة بعد الثلاثة الأيام التي أقامها كما وقع الشرط. و لا يظن أحد أنه، عليه السلام، قال ذلك حال خروجه للهجرة إلى المدينة، لأنه لم يكن بهذه الصفة حين هاجر، و إنما كان خروجه إليها مستخفياً كما هو معلوم لا راكباً على راحلته، إذ لو كان كذلك لأشعره بسفره.

و في تاريخ الأزرقى أنه عليه السلام قال ذلك عام الفتح فيحمل على أنه قاله مرتين إذ لا تنافي، و يكون فيه من تعظيم مكة ما لا يخفى، و الحزورة بحاء مهملة مفتوحة و زاء معجمة، و عوام مكة يصحفونها و يقولون عزورة، بعين مهملة. و الحزورة هي الرابية الصغيرة، جمعها حزاور، و كان عندها سوق الحنطين بمكة قديماً، و هي مخففة على وزن قسورة، و المحدثون يشددون الحزورة و الحديدية، و الصواب التخفيف، كذا قال الشافعي و الدار قطنى.

(و منها) حديث ابن الزبير، رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام و صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في مسجدى»، رواه أحمد. قال ابن عبد البر في التمهيد: إنه ثابت لا يطعن فيه، أن مضاعفة الصلاة بالمسجد الحرام على مسجد النبي صلى الله عليه و سلم بمائة، مذهب عامة أهل الأثر. انتهى.

و ذهب الإمام مالك و جمهور أصحابه إلى تفضيل المدينة، و هو مذهب عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، و كثير من الصحابة و أكثر أهل المدينة، و استدلوا بقوله صلى الله عليه و سلم: ما بين قبرى و منبرى روضة من رياض الجنة. مع قوله عليه السلام: موضع سوط في الجنة، خير من الدنيا و ما فيها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٠٧

قال ابن عبد البر: هذا استدلال بالخبر في غير ما ورد فيه و لا يقاوم النص الوارد في فضل مكة. ثم ساق حديث أبى سلمة، عن ابن العمراء المتقدم و قال: هذا نص في محل الخلاف، فلا ينبغى العدول عنه. و أما الحديث المروى: اللهم إنك تعلم أنهم أخرجونى من أحب البلاد إلى، فأسكنى أحب البلاد إليك، لا يختلف أهل العلم في نكارتة و وضعه، و سئل عنه الإمام مالك، رضى الله عنه فقال: لا يحل لأحد أن ينسب الكذب الباطل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم. انتهى.

قال الطبرى: و على تقدير صحته فلا دلالة فيه لأن قوله: فأسكنى فى أحب البلاد يدل سياقه فى العرف على أن المراد به بعد مكة، فإن الإنسان لا يسأل ما أخرج منه فإنه قال: أخرجونى فأسكنى، فدل على إرادة غير المخرج منه فتكون مكة مسكوتاً عنها. انتهى.

و أما الحديث الذى فيه: المدينة خير من مكة لا يرد لأنه ضعيف، بل قيل موضوع. قال الجد رحمه الله: فإن قلت: ورد فى الصحيحين عن أنس، رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما بمكة من البركة، و دعوته صلى الله عليه و سلم، مستجابة بلا شك. و فيها أيضاً أن الملائكة يحرسونها لا يدخلها الطاعون و لا الدجال. قلت: هذه الأحاديث و نحوها تدل على فضيلة المدينة، لا أفضليتها على مكة كما لا يخفى، و قوله صلى الله عليه و سلم لهم: حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد. و فى رواية: و أشد لا دلالة فيه. أما على رواية: أو أشد، فظاهر لوجود الشك. و أما على رواية: و أشد، بدون ألف أو بها، و تكون بمعنى الواو، فلأن سؤاله عليه السلام حصول أشد الحب للمدينة بعد وجود المانع من سكناه مكة تسلياً عنها، لا يلزم منه تفضيل المدينة على مكة بعد استحضار ما تقدم من قوله، عليه السلام: لقد عرفت أنك أحب البلاد إلى الله و أكرمها على الله، بشهادة التأمل. انتهى. نقلنا هذا بنصه من الجامع اللطيف.

قال بعض الفضلاء فى التحذير من الظلم بمكة شرفها الله تعالى:

أبنى لا تظلم بمكة لا الصغير و لا الكبير

و احفظ محل مهابتى لا أن يغربك الغرور

أبنى من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور

أبني يضرب وجهه يلج بخديه السعير  
 أبني قد جربتها فوجدت ظالمها يبور  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٠٨ الله أمنها و ما بنيت بعرضتها قصور  
 و لقد غزاها تبع فكسا بنايتها الحبير  
 و أذل ربي ملكه فيها فأوفى بالندور  
 و يظل يطعم أهلها لحم المهاري و الجذور  
 يسقيهم العسل المصفى و الرحيق من الشعير  
 و الفيل أهلك جيشه يرمون فيها فى الصخور  
 و الملك فى أقصى البلادو فى الأعاجم و الجزور  
 فاسمع إذا حدثت وافهم كيف عاقبه الأمور  
 نقلنا هذه القصيدة من مرآة الحرمين لأيوب صبرى.

### أهل مكة أدرى بشعابها

هذا مثل عربى قديم و هو مثل شائع إلى اليوم عند جميع الناس، نحن لم نقف على قائل هذا المثل اللطيف، و لكننا نحب أن نشرحه هنا بما يظهر معناه. فنقول:

إن مكة، شرفها الله تعالى، تحيطها الجبال من جميع الجهات، بل هى واقعة وسط الجبال، و كان العرب من قديم العصور، يسكنون حول الكعبة المعظمة بين شعاب هذه الجبال و ما أكثر هذه الشعاب، فالغريب فى مكة لا يعرف مساكن العرب بين هذه الشعاب، و إذا مشى وحده بين هذه الجبال الكثيرة، ضل و انقطع و هلك من العطش و الجوع، و أما العربى من أهل مكة فهو لا يضل فيها لمعرفته بشعابها و مسالكها، بل إن بهائمهم من الغنم و الجمال إذا ذهبت إلى المرعى فى هذه الجبال، لتعرف كيف تعود وحدها بدون راع إلى منازلها و مراتبها.

إن مكة التى شرفها الله تعالى على سائر البقاع، لم تعرف فيها الشوارع الواسعة و المسالك السهلة العريضة، إلا بعد القرن التاسع للهجرة تقريبا، حيث كثر الناس فيها و صاروا يقطعون أشجار الشوك، و يقطعون الجبال الصغيرة الواقعة فى مسالكهم، و يرفعون الأحجار و الأتربة المتراكمة فى دروبهم من أثر السيول و الإعصار. و فى زماننا هذا سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين هجرية، و هى سنة توسعة المسجد الحرام و توسعة شوارع مكة المكرمة، قد شاهد الناس كيف يزيلون الجبال و يقطعون الصخور، و يهدمون المنازل و البيوت فى أسرع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٠٩

وقت، بواسطة الآلات الضخمة الجبارة التى تدار بالكهرباء و بالمكائن الأوتوماتيكية التى اخترعت فى هذا العصر العجيب، كما شاهدوا إقامة بناء البيوت و القصور الضخمة بالإسمنت المسلح فى أقصر زمن لا تتجاوز أشهرا قلائل.

و بمناسبة شعاب مكة نذكر الحكاية الآتية: لقد ذهبنا مع بعض الأصدقاء منذ عشر سنوات إلى بعض الجبال القريبة من مكة، و أخذنا معنا أكلنا و شربنا و جلسنا بين جبلين لا تأتية الشمس، و بعد أن تغدينا و شربنا الشاهى و صلينا صلاة العصر، قال بعض رفاقنا نحب أن نطلع فوق هذا الجبل لنرى ما وراءه، فذهب أربعة منهم إلى رأس الجبل بعد أن حذرناهم من التوغل بين الجبال خصوصا و أن الليل مقبل، لقد تسلقوا الجبل و نحن جالسون فى مكاننا نراهم، ثم هبطوا منه بين الجبال و أرادوا الرجوع فتأهوا فى ظلام الليل، و لقد قلنا عليهم أشد القلق و قد قرب أذان العشاء، فطلبنا من بعضنا أن يطلعوا إلى رأس الجبل و ينادوهم بأسمائهم و أن يرفعوا بأيديهم

الكشاف الكهريائي الذي عندهم، ثم بعد برهة سمعنا صوتهم، واهدوا إلى رأس الجبل بالكشاف الكهريائي، فحمدنا الله تعالى على رجوعهم بالسلامة.

فلو كان بدلهم بدوى من العرب لما تاه و ما ضاع عن رفاقه.

قال فى المصباح المنير: الشعب بالكسر الطريق وقيل الطريق فى الجبل و الجمع شعاب، و الشعب بالفتح ما انقسمت فيه قبائل العرب و الجمع شعوب، مثل فلس و فلوس، و يقال الشعب الحى العظيم. انتهى ملخصا منه.

### أهل مكة الله عز شأنه

نذكر ملخص ما جاء فى تاريخ الإمام الأزرقى رحمه الله تعالى فى هذا العنوان و هو: عن ابن جريج، عن عبد الله بن عبيد الله أنه كان يقول: "كان أهل مكة فيما مضى يلقون فيقال لهم يا أهل الله: وهذا من أهل الله." قال العلامة ابن ظهير، رحمه الله تعالى، فى كتابه الجامع اللطيف: المراد بأهل مكة قريش، و بما مضى حال شركهم و كفرهم كما ذكر أهل السير، فبالأولى أن يقال لهم بعد أن أكرمهم الله تعالى بدين الإسلام و أعزهم بنبيه، عليه أفضل الصلاة و السلام، فطوبى لأهل مكة ثم طوبى. انتهى منه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥١٠

و عن ابن جريج قال: أخبرنى معاذ بن أبى الحارث أن النبى صلى الله عليه و سلم حين استعمل عتاب بن أسيد على مكة قال: «هل تدرى على من استعملتك، استعملتك على أهل الله».

و قال ابن أبى مليكة: أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «لقد رأيت أسيدا فى الجنة و أنى يدخل أسيد الجنة، فعرض له عتاب بن أسيد، فقال: هذا الذى رأيت، ادعوه لى، فدعا فاستعمله يومئذ على مكة. ثم قال لعتاب: أتدرى على من استعملتك، على أهل الله فاستوص بهم خيرا، يقولها ثلاثا» اه من الأزرقى.

قال الخضرى رحمه الله تعالى فى كتابه "نور اليقين" ما نصه: و أقام عليه الصلاة و السلام بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوما يقصر فيها الصلاة، و ولى عليها عتاب بن أسيد و جعل رزقه كل يوم درهما. فكان عتاب، رضى الله عنه، يقول: لا أشبع الله بطنا جاع على درهم كل يوم. اه.

فانظر رحمك الله البون الشاسع بين زمانهم و زماننا.

و فى الأزرقى أيضا: عن وهب بن منبه أنه قال فى حديث حدث به فى الحرم قال: «... و من أمّن أهله استوجب بذلك أمانى، و من أخافهم فقد أخفنى فى ذمتى، و لكل ملك حيازة مما حوالية و بطن مكة حوزتى التى احتزت لنفسى دون خلقى، أنا الله ذو بكة أهلها خيرتى و جيران بيتى، و عمّارها و زوارها و فدى، و أضيافى فى كنفى و أمانى، ضامنون على فى ذمتى و جوارى». اه.

و هذا القدر هو جزء صغير من حديث وهب بن منبه الذى حدث به عن فضل البيت الحرام. و حديثه هذا طويل جدا يبلغ صحيفتين و قد ذكره كله الأزرقى فى أوائل كتابه "تاريخ مكة".

و عن الحسن بن مسلم المكى قال: استعمل عمر بن الخطاب رضى الله عنه نافع بن الحارث الخزاعى على مكة، قال: فلما قدم عمر استقبله، فقال عمر: من استخلفت على أهل مكة؟ فقال: ابن أبى. قال: استعملت على أهل مكة رجلا من الموالى. فغضب عمر حتى قام فى الغرز، قال: فقال: إنى وجدته أقرأهم لكتاب الله و أعلمهم بدين الله. قال: فتواضع عمر بن الخطاب حتى لصق بالرحل، ثم قال: لئن قلت ذلك لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: إن الله تعالى يرفع بهذا الدين أقواما و يضع به آخرين. اه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥١١

و فى رواية بهذا القرآن. و ابن أبى اسمه عبد الرحمن. و نستنتج من هذه الرواية:

(الأول): من المستحسن اللائق استقبال الناس خلفاء المسلمين و ولاة الأمور و الملوك و كل ذى شأن، كالعلماء و الوالدين و الرؤساء

و الأصدقاء من خارج البلدة كما أن نافع بن الحارث، استقبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، بعسفان و هي واقعة بين مكة و المدينة فيما بين وادى فاطمة و خليص، أى مسيرة يومين من مكة بالجمال، و بها بئر يقال أن النبي صلى الله عليه و سلم شرب منه، و قد غزا النبي صلى الله عليه و سلم بنى لحيان بعسفان. و فى مرآة الحرمين أن رسول الله صلى الله عليه و سلم فى حجة الوداع، لما مر بوادى عسفان قال: يا أبا بكر أى واد هذا؟ قال: وادى عسفان. قال: مر به هود و صالح على بكرين أحمرين، خطمهم الليف و أزرهم العباء و أرديتهم النمار يلبن، يحجون البيت العتيق. ذكره الإمام فى المسند.

(الثانى): مبادرة عمر بن الخطاب فى سؤال عامله على مكة نافع بن عبد الحارث عن الرجل الذى جعله و كيلا عنه مدة غيابه عن مكة لاستقباله، و هذا دليل على حرصه على أمور المسلمين و عدم غفلته عن شؤونهم و لو كان فى السفر.

(الثالث): غضبه على عامله نافع لإقامته ابن أبزى أحد الموالى و كيلا عنه مدة غيابه، بينما يوجد فى أهل مكة من هو أفضل منه، و هذه من أدق المسائل الاجتماعية، فإن من موجبات التنافر و التباغض و العدا، تعيين صغار القوم و ضعفاء الرأى و الفكر و من لم يبلغ مبلغ الرجال من النبل و مكارم الأخلاق، فى المراكز الرئيسية و المناصب المهمة. و إلى هذا المعنى يشير النبي صلى الله عليه و سلم: «إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة». كما فى البخارى، لأن نتيجة ذلك انتشار الظلم و أخذ الرشوة و فساد الأمور و الفوضى فيها، و إهانة ذوى الفضل و الدين، و إكرام الجهلة و أهل الفسق. نسال الله السلامة و العافية من الفتن ما ظهر منها و ما بطن.

(الرابع): ذهاب غضب عمر و تواضعه و رضاؤه حينما أخبره عامله بأنه اختار ابن أبزى و كيلا عنه على أهل مكة لأنه أقرؤهم لكتاب الله و أعلمهم بدين الله.

و أهل العلم لهم مكانة سامية عند الله و عند خلقه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥١٢

و فى الأزرقى، عن معمر، عن الزهرى، عن القاسم بن محمد، عن أسماء ابنة عميس، قالت: دخل رجل من المهاجرين على أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، و هو شاك، فقال: استخلفت علينا عمر و قد عتا علينا و لا سلطان له، فلو قد ملكنا كان أعتى و أعتى، فكيف تقول لله سبحانه إذا لقيته؟ فقال أبو بكر:

اجلسونى، فأجلسوه. فقال: هل تفرقنى إلا بالله عز و جل فإنى أقول إذا لقيته استخلفت عليهم خير أهلك. قال معمر: فقلت للزهرى: و ما قوله خير أهلك؟

قال: خير أهل مكة. انتهى كل ذلك من تاريخ الأزرقى ملخصا.

و فى الجامع اللطيف لابن ظهيره "و جاء فى الحديث أن سفهاء مكة حشو الجنة" كذا نقل عن أبى العباس الميورقى. و فيه أيضا: و عن ابن مسعود، رضى الله تعالى عنه، قال: وقف رسول الله صلى الله عليه و سلم على المقبرة، يعنى مقبرة مكة، و ليس فيها يومئذ مقبرة، قال: يبعث الله عز و جل من هذه البقعة أو من هذا الحرم سبعين ألف يدخلون الجنة بغير حساب، و يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفا، و جوههم كالقمر ليلة البدر. فقال أبو بكر، رضى الله عنه: و من هم يا رسول الله؟ قال: هم الغرباء. انتهى من الجامع اللطيف.

اللهم اجعلنا و ذرياتنا و أحبائنا من السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب و يشفعون لغيرهم بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم إنك برحيم و كريم حلیم، اجعلنا لرضائك و عفوك أهلا و لا- تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، و اجعلنا لغيرنا من المسلمين قدوة صالحة حسنة فنحن جيران بيتك المعظم، و أهل بلدك الأمين، اللهم أصلح ولاتنا و أفراد قومنا و أمتنا و كبيرنا و صغيرنا و غنينا و فقيرنا، و أمنا من الخوف و الجوع و البلاء و الغلاء، و ارفع مقتك و غضبك عنا، و أمتنا فى بلدك الأمين هذا على دين الإسلام و أنت عنا راض براحه تامه و طهارة و نظافة بدون مشقة أو تعب بفضلك و رحمتك يا حى يا قيوم، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم آمين.

## فضل مكة المكرمة على المدينة المنورة

إن بعض العلماء يفضل مكة على المدينة وبعضهم يفضل المدينة على مكة، وكل طائفة وجهه معقولة ونية حسنة مقبولة، وكل منهم يقول عن حب و يقين

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥١٣

و إيمان و إخلاص لم يخرج عن حد الشرع الشريف و الصواب، فلهم على ذلك الأجر و الثواب.

و نحن نحب أن ندلى برأينا في هذا الاختيار فنقول و بالله تعالى و هو حسبنا و نعم الوكيل، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم: مما لا شك فيه أن مكة المكرمة عرفت منذ قديم الأزل، حيث فيها بيت الله الحرام و المشاعر العظام، و حيث إن إقامة الركن الخامس للإسلام و هو الحج لا تكون إلا بها و ذبح أنواع الهدايا و الفديء لا تذبح إلا بها، و إلى هذا يشير القرآن الكريم في سورة آل عمران في آية: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ\* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. و أن الله عز و جل قد ذكر في كتابه العزيز مكة و بين فضلها، و يكفى في ذلك قوله تعالى: وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ\* وَ طُورِ سِينِينَ\* وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ و قوله عز شأنه: لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ\* وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ. و في مكة و أهلها يقول خليل الله إبراهيم عليه الصلاة و التسليم كما جاء في القرآن الكريم في سورة إبراهيم: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ ارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ. و جاء في سورة البقرة: وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمْتِغُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَ بَشَسِ الْمُصْتَيرِ. إلى أن يقول إبراهيم خليل الله صلوات الله و سلامه عليه بعد آيتين من هذه الآية: رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. يدعو سيدنا خليل الله إبراهيم عليه الصلاة و التسليم لأهل مكة بهذا الدعاء العظيم المبارك منذ خمسة آلاف سنة تقريبا بعد بنائه للبيت الحرام، فجزاه الله تعالى عن أهل مكة خاصة و عن المسلمين عامة خير الجزاء بما يليق بكرم الله عز و جل و مقام خليله الكريم عليه الصلاة و التسليم.

هذا بعض ما ورد في القرآن العظيم عن فضل مكة شرفها الله تعالى، و هذا غير ما ورد من الأحاديث الشريفة في فضلها، و كفاها فضلا قوله صلى الله صلى الله عليه و سلم:

(صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام) رواه البخاري و مسلم. و قوله صلى الله عليه و سلم: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥١٤

غيره من المساجد إلا المسجد الحرام، و صلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة ألف صلاة) رواه الإمام أحمد و غيره. و روى بإسناد حسن (فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة، و في مسجدي بألف صلاة و في مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة).

فمن هذا كله يعلم أن مكة أفضل من المدينة، علاوة على ما جاء في تاريخ الإمام الأزرقي رضي الله تعالى عنه في فضل مكة المكرمة، فإنه قال في أول تاريخه: عن ابن عباس أنه قال: لما كان العرض على الماء قبل أن يخلق الله السموات و الأرض، بعث الله تعالى ريحا هفافة فصفت الماء، فأبرزت عن خشفة في موضع هذا البيت كأنها قبة، فدحا الله الأرضيين من تحتها، فمادت ثم ماد، فأوتدها الله تعالى بالجبال، فكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس، فلذلك سميت مكة أم القرى، انتهى منه. هذا مع العلم بأن كثيرا من أنبياء الله تعالى و رسله عليهم الصلاة و السلام قد أتوا إلى مكة المشرفة للحج و زيارة البيت الحرام.

أما المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة و أتم التسليم، فإنها لم تعرف و لم تشتهر إلا بعد أن هاجر إليها نبينا الحبيب محمدا

صلى الله عليه وسلم وازداد شرفها بموت رسول الله فيها ودفن بها، كما دفن فيها بعض أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر زوجاته، وغالب كبار أصحابه الكرام رضى الله تعالى عن الجميع. ولما كانت المدينة المنورة محل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع إقامته وإقامة أصحابه الكبار، كان لا بد أن يرد في فضلها بعض الأحاديث الشريفة.

فمن هنا يعلم أن فضل مكة معروف من آلاف السنين وفضل المدينة لم يعرف إلا بعد ظهور الإسلام أى بعد بعثته صلى الله عليه وسلم بثلاث عشرة سنة، مع العلم بأن أكثر الأعراب يقيمون بمكة المكرمة، فصار سكانها أكثر من سكان المدينة من قديم الزمن إلى اليوم، ومن هنا كانت مكة عاصمة بلاد الحجاز.

وكل من البلديتين الطاهرتين له مكانة سامية وشرف عظيم. أما ما يقوله بعضهم من أن التربة التي تضم جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف حتى من العرش، فهذا الحكم لا بد له أن يستند إلى الكتاب والسنة وليس فيهما شيء عن هذا.

فالكلام في هذا الأمر يحتاج إلى دليل قطعي، ولا يجدى فيه شدة الحب والإخلاص، فالأفضل عدم الخوض في مثل هذا الأمر، وإلى الله ترجع الأمور خصوصاً وأن هذه المسألة لم يتكلم عليها أحد من الأئمة المتقدمين وأهل القرون

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥١٥

الثلاثة الأولى، فلا لزوم في الغلو، وإذا علمنا أن الأفضلية راجعة إلى الله عز وجل، فلا لزوم في الكلام على ما لم نطلع عليه.

### فضل مكة لمؤلف هذا الكتاب

يقول مؤلف هذا الكتاب محمد طاهر الكردي المكي الخطاط غفر الله تعالى له ولللمسلمين أجمعين.

إننا كتبنا في أوائل هذا الكتاب نبذة عن فضل بلد الله الأمين (مكة المكرمة) بما فيه الكفاية، وبعد أن قدمنا هذا الكتاب للمطبعة طراً في بالنا هذه الأبيات في فضل مكة المكرمة أيضاً، حرسها الله تعالى من كل سوء حساً ومعنى إلى قيام الساعة.

مكة أفضل بلاد البشر وإنها بلدة خير البشر

فلم يكن سواه مولوداً بهامن أنبياء الله فافهم كنهها

عليه أفضل الصلاة وعلى جميعهم وآلهم ومن تلا

ففضلها ليس بحسن المنظرو لا بكثرة النبات المثمر

بل فضلها قد جاء في القرآن وفي أحاديث عظيم الشأن

في سورة التين وسورة البلد وغير ذلك كثيراً قد ورد

فأهل مكة لقد فضلهم رب العباد وكذا أمّتهم

من شدة الخوف من الأعداء أو شدة الحرمان من غذاء

فنعمة الله عليهم لا تعدو فضل مكة عظيم لا يجد

أليس فيها بيت رب الناس يقصده للحج كل الناس

ينزل الله عليه دائمارحمته وخيره من السما

يكفى لها فضلاً وفخراً وشرفاً بأن كل الناس عنها قد عرف

يحرم فيها الصيد مع قطع الشجر كذلك السلاح حملة خطر

لكل فضل ولكل خير فافهم هديت لجميع الخير

وإنه لو جاءها المسافر يدخل بالإحرام وهو سافر

بمثل هذه الأمور البارزة تمتاز مكة فكانت حائزة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥١٦ يلهج بالذكر و بالتلبية ما دام محرما بغير عجمة فأهل مكة إذا ما اغتربوا و طال اغتربهم ترقبوا رجوعهم بفارغ اصطبار يدعون رب البيت في الأسحار ليصلوا مكة في لمح البصر فيسعدوا برؤيته البيت الأغر و يرتووا من شرب ماء زمزم فهو شفاء المؤمن المتميم فهم يحنون إلى جبالها و يستريحون على رمالها فأرضها الطاهرة المقدسة مهما تكن قاحلة و يابسة أفضل من حدائق الثمار و من خضار الروض و الأزهار و كيف لا و الدين قام من هنا و الوحي جاء من هنا و من هنا و منبع الشريعة الغراء يمتد من مكة في الأرجاء و بيت ربنا الكبير المتعال في قلبها يقوم حولها الجبال و أن خير الخلق في أطرافها مشى فكان الخير في أعطافها و قد دعا لأهلها الخليل دعاء خير ما له مثل عليهم الصلاة و السلام ما دامت الأيام و الأعوام من كان حاكما على هذا البلد و سار بالعدل فقد فاز الأبد و من تجبر و كان ظالما قصمه الله و كان آثما و انظر أخى في سورة الحج ترى و من يرد فيه بالحد يرى و فاز من وفق للطاعات و فاز من وفق للخيرات و كل من أكرم أهل البيت أكرمه و الله رب البيت فهل هناك مثل هذا البلد و مثل هذا البيت بيت الصمد و مثل هذا المسجد الحرام و هذه المشاعر العظام كلا فلا يوجد فوق الأرض كمثلته في طولها و العرض فالحمد لله الذى جعلنا من أهله و بالنعيم خصصنا و كل ذا بفضل و رحمته يدخل من يريده في رحمته نحن أسأنا و عصينا ربنا فاغفر لنا يا ربنا ذنوبنا فأنت ربنا و لا رب لنا غيرك فاغفر ما جنينا علنا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥١٧ و أنت ربنا غنى عنا فاغفر لنا جميع ما أسأنا و أنت أنت الملك الكريم و أنت ربى خالق عظيم يا حى يا قيوم يا عليم يا راحم الضعيف يا حلیم أنت عظيم الفضل و الإحسان و واسع الرحمة و الغفران فمنك نرجو الخير و الإحسانا و منك نرجو العفو و الغفرانا و الموت بالإيمان و الأمان من كل خوف يا عظيم الشأن و ندخل الجنان بالسلام و الحمد لله على الختام

ثم الصلاة والسلام السرمدي على النبي العربي الأحمدي  
وآله وصحبه الأخيار وكلهم من صفوة الأخيار

### مكانة أهل مكة بين جميع الأمم

كان لأهل مكة منذ عهد جددهم الأول نبي الله إسماعيل بن خليل الله إبراهيم عليهما الصلاة والسلام مكانة سامية في قلوب جميع الناس، فكانوا يحترمونها ويكرمونها أينما سافروا وأينما أقاموا تعظيماً لبيت الله الحرام، ودامت لهم هذه المكانة الرفيعة بين الناس إلى زمن الجاهلية بل إلى اليوم، فلما جاء الإسلام أقر لهم بذلك بل وزادهم رفعة على رفعة وعطف عليهم فضل أهل المدينة المنورة أيضاً، فكان لأهل الحرمين الشريفين المتزلة العليا والمكانة الرفيعة لدى جميع الأمم الإسلامية منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا. لقد كان أهل مكة وكذلك أهل المدينة إذا سافروا إلى جهة من الجهات كمصر والشام والعراق وبلاد الأتراك مقر الخلافة أو إلى هندستان وباكستان وبخارى والأفغان وغيرها من البلدان، كانوا يكرمونها إكراماً عظيماً، حتى إنهم ليرتبون لهم مرتبات شهرية كافية يرسلونها إليهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة بواسطة وكلائهم من التجار والأعيان وبواسطة المحامل التي كانت تأتي في موسم الحج من كل عام، خصوصاً من الآستانة دار الخلافة الإسلامية ومن مصر والهند، هذا غير الصدقات والمساعدات التي كانت تأتي إليهم في موسم الحج من كل عام مع وفود الحجاج القادمين من جميع الجهات. فكان أهل الحرمين الشريفين في بحبوحة من العيش ويسر من الحال.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥١٨

و دام هذا الحال عليهم على هذا المنوال اللطيف إلى أن زالت الخلافة الإسلامية من الوجود وذلك في سنة (١٣٣٤) ألف و ثلاثمائة وأربع و ثلاثين من الهجرة، و تعددت الحكومات و تغيرت الأوضاع في جميع الأقطار و البلدان، و استولت الحكومة السعودية على الحجاز في سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية، و استقلت الممالك و البلدان بعضها عن بعض فلم تكن جميع البلدان الإسلامية تحت لواء الخلافة بعد زوالها، و بذلك تضعفت أحوال المسلمين و ضعفت شوكتهم. و منذ سنة (١٣٥٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و خمسين هجرية تقريباً أخذت تلك الأوقاف و المرتبات لأهل الحرمين في الانقطاع تدريجياً، حتى لم يكن يصل إليهم شيء يذكر في هذه الأيام و نحن في سنة (١٣٨٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و ثمانين من الهجرة، و بذلك ضعفت أحوال أهل الحرمين الشريفين و صاروا في ضيق من العيش، اللهم إلا القليل النادر، و النادر لا حكم له.

نسأل الله الكبير المتعال أن يبدل عسرهم يسراً و أن يصلح أحوالهم و أحوال كافة المسلمين من مشارق الأرض إلى مغاربها، و أن ينصرهم على أعداء الدين و أن يعيد إليهم مجدهم و عزهم الغابر و ما ذلك على الله بعزیز، آمين آمين آمين، و صلى الله على نبينا محمد خاتم النبيين و على آله و صحبه أجمعين.

### مكانة المساجد الثلاثة لدى المسلمين

المساجد كلها بيوت الله تعالى، جعلت خاصة للعبادة، قال تعالى: **وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**. و أفضل هذه المساجد ثلاثة، و هي في أفضليتها أيضاً على الترتيب الآتي:

المسجد الحرام بمكة، و المسجد النبوي بالمدينة، و المسجد الأقصى بالقدس.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا و المسجد الحرام و المسجد الأقصى»**. رواه الشيخان و اللفظ لمسلم، و أما البخارى فلفظه: **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام و مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم و مسجد الأقصى»**.



و روى بإسناد حسن: «فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة، و في مسجدي بألف صلاة، و في مسجد بيت المقدس بخمسائة صلاة».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥١٩

و سبب أفضلية هذه المساجد الثلاث لأنها من بناء الأنبياء، فالمسجد الحرام من بناء إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، أى أنه تابع لبناء الكعبة المشرفة، و المسجد النبوى من بناء نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم و المسجد الأقصى من بناء سليمان عليه الصلاة و السلام. و لهذه المساجد الثلاثة مكانة سامية و بالأخص المسجدين الحرامين بمكة و المدينة، فإليهما تهفو أفئدتهم و تحن جوارحهم لمشاهدتهما و العبادة فيهما، كيف لا- و فيهما منع الإيمان و نور العلم و العرفان، و إليهما يأتى الناس أفواجا فى كل عام من كل فج عميق.

لذلك كان المسلمون من قديم العصور، يهتمون بتصوير الكعبة المشرفة و المسجد الحرام و المسجد النبوى و المسجد الأقصى و المشاعر العظام، و يتخذون لها نماذج مصغرة من الفضة أو المعدن و الجص، و يحتفظون برسومها فى المتاحف و دور الآثار، بل لا يزالون إلى يومنا هذا يرسمون ذلك فى المنسوجات الحريرية و الأقمشة المتنوعة، كالسجاجيد و المناديل و المفارش، و يتهادونها فيما بينهم، و ذلك لتبقى ذكرى روحية ماثلة أمام أعينهم، و قد نشرت مجلة الهلال بتاريخ شهر يوليو عام ١٩٥٨ من الميلاد بعض هذه الرسوم.

### بعض ما قيل فى المساجد الثلاثة

قال السيد محمد عبد الله الموسوى الشهير بكبريت المدني:  
فارت مكة و الأشواق تجذبني لها و يمت طه معدن الكرم  
فهل درى البيت أنى بعد فرقته ما سرت من حرم إلا إلى حرم  
و قال الشيخ عبد الرحمن العمادى مفتى الحنفية بدمشق قديما:  
فارت طيبة مشتاقا لطبيتها و جئت مكة فى وجد و فى ألم  
لكن سررت بأنى بعد فرقتهما سرت من حرم إلا إلى حرم  
و قال آخر:

إذا كنت فى القدس الشريف تشوقت إلى مكة نفسى لحج و عمره  
و لو كنت فيها قالت النفس طيبة أعيش بها فى ظل دوح النبوة  
و إن كنت فيها زاد للأهل شوقها فمن لى بأهلى و بالبلاد الشريفه  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٢٠  
و قال غيره فى قباء و عوالى المدينة:

إذا كنت فى أرض العوالى تشوقت لأرض قبا نفسى و فيها المؤمن  
و لو كنت فيها قالت النفس ليت لى بأرض العوالى يا خليلي منزل  
فيا ليت أنى كنت شخصين فيهما و يا ليت فى التحقيق أن لا تعلق

### أول من لقب بخادم الحرمين

إن أول من لقب بخادم الحرمين الشريفين هو السلطان سليم خان، من سلاطين الأتراك آل عثمان، فإنه لما دخلت البلاد العربية و منها

الحجاز في حكمه و تحت سلطته خوطب بلقب حامى الحرمين الشريفين، لكن السلطان سليم لم يرض بهذا اللقب و قال: إن حاميهما هو الله عز شأنه و أما أنا فخدام الحرمين الشريفين. فرحم الله سلاطين الأتراك الذين كانوا يعرفون حرمة الحرمين الشريفين، فيحترمون أهلها و يجعلون لهم مرتبات شهرية و قواعد سنوية يرسلونها إليهم في موسم كل حج تصرف لهم بواسطة ولا تهم في الحجاز. فرحمهم الله تعالى رحمة الأبرار و جزاهم عن أهل الحرمين الشريفين خير الجزاء آمين.

و يروى عن الإخشيدى الذى كان حوالى سنة (٣٣١) من الهجرة حاكما على مصر و الشام و بلاد الحرمين، كتب إلى ملك الروم يقول: "إنه لو لم يكن لى شرف إلا إمارة الحرمين لكفانى ذلك."

و نقول: لقد كان الناس لا يرفعون بيوتهم عن الكعبة المشرفة احتراماً لها، كما جاء ذلك فى تاريخ الإمام الأزرقي. و أن الناس فى العصور السابقة كانوا أكثر إيماناً و احتراماً للمسائل الدينية الدقيقة، و على سبيل المثال نقول: إن أحد سلاطين الأتراك دخل ليلاً مخدع نومه فرأى مصحفاً معلقاً فى الجدار الذى عند سريره، فلم يرقد بل ظل واقفاً إلى الصباح.

و لقد روى الإمام السيوطى رحمه الله تعالى فى كتابه "حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة: "أنه فى سنة (٧١٩) سبعمائة و تسع عشرة هجرية أمر الملك المؤيد الخطباء بالمساجد و الجوامع إذا وصلوا إلى الدعاء إليه فى الخطبة أن يهبطوا المنبر درجة ليكون اسم الله و رسوله فى مكان أعلا من المكان الذى يذكر فيه اسم السلطان، فصنع ذلك الحافظ ابن حجر بالجامع الأزهر و ابن النقاش بجامع ابن طولون، قال ابن حجر: و كان مقصد السلطان فى ذلك جميلاً. اهـ. فانظر رحمنا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٢١

الله و إياك إلى أعمال السابقين رحمهم الله تعالى، فإذا كان هذا حال سلاطينهم و ملوكهم فكيف يكون حال علمائهم و فقرائهم. اللهم وفقنا لما تحبه و ترضاه آمين.

### عادة العرب فى إصلاح ذات البين فى الحجاز

عادة العرب عندنا فى إصلاح ذات البين و فض الخصام، يعرفها جميع قبائل العرب و البدو فى القرى و البوادي، لا يشذ عنها أحد منهم. و هى:

أنه لو حصل خصام بين الوالد و ولده، أو بين ذوى الأرحام و القرابة، أو بين الأصحاب، فإن العرب و البدو لا يتركون الخصومة تسرى بينهم مدة طويلة، و إنما يقوم العقلاء و ذوى الشأن منهم، بالتدخل بينهم، لرفع الخصام، و التوسط بينهم لإصلاح ذات البين. فيعملون اجتماعاً و يحصل التحقيق بين المتخاصمين، فمن ثبت عليه التعدى و الخطأ، يفرضون عليه جزاء، و هو تقديم ذبيحة أو ذبيحتين أو أكثر، مع ما يتبعه من الرز و السكر و قهوة البن و التمر، و أحياناً يفرضون عليه فوق ذلك دفع نقود معلومة، و ذلك بحسب نوع الجريمة و قدرة المخطئ.

ثم يذهبون بالمخطئ مع هذه الأشياء، إلى بيت صاحب الحق فيدفعون كل ذلك له، فيقوم المخطئ بأخذ خاطره من تقييل رأسه أو يده و يشفع الحاضرون فيه عنده، فيسامحه و يصفح عنه. فعندئذ يذبحون الذبيحة و يطبخون أكلهم و يأكلون جميعهم فى بيت الرجل، ثم يخرجون و قد حصل العفو و التسامح و جرت المياه فى مجاريها كما ينبغى، و زال الشر.

هكذا عادة العرب فى إزالة الخصومة و العداوة و لو فى مسائل الرقاب قبل وصولها إلى الحاكم و الحكومة. و هذه العادة ما زالت موجودة فى مكة المكرمة، لكن عند أهل الحارات و مشايخها، فإنهم يعملون الصلح و يزيلون الخصومة بالطريقة المذكورة. أما الخصومة فيما بين الموظفين، فإنها قد تزال بواسطة بعضهم لبعض، هذا هو الحال عندنا فى عرب الحجاز كافة.

أما عشائر العرب فى اليمن و الشام و مصر و العراق، فأعتقد أن عاداتهم فى هذا الشأن تقارب عاداتنا، و إذا وجد فرق، فإنه فرق بسيط، و هى عادة ممدوحة شرعاً، لأنها واسطة فى إزالة الخصومات و فى الصلح، و الصلح خير. و هناك

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٢٢  
عادات جميلة بين العرب، لسنا في صدد بيانها، فلو سردناها لطلال بنا المقام لكثرتها.

### أول من عمل مواسير المياه من العرب بمكة المكرمة

ذكر الإمام الأزرقي، رحمه الله تعالى، في كتابه "تاريخ مكة"، و في باب "ذكر ما عمل في المسجد من البرك و السقايات" ما ملخصه: أن أمير المؤمنين، سليمان بن عبد الملك بن مروان، رحمهم الله تعالى، كتب إلى خالد بن عبد الله القسري، رحمه الله تعالى، أن أجر لي عينا تجرى من الثقبه من مائها العذب الزلال حتى تظهر بين زمزم و الركن الأسود، و يضاهي بها رغم ماء زمزم. قال:

فعمل خالد بن عبد الله القسري البركة التي بقم الثقبه يقال لها: بركة القسري.

و يقال لها أيضا: بركة البردي بئر ميمون، و هي قائمه إلى اليوم بأصل ثبير، فعملها بحجارة منقوشة طوال، و أحكمها و أنبط ماءها في ذلك الموضع، ثم شق لها عينا تسكب فيها من الثقبه، و بنى سد الثقبه و أحكمه. و الثقبه شعب يفرع فيه وجه ثبير، ثم شق من هذه البركة عينا تجرى إلى المسجد الحرام، فأجراها في قصب من رصاص حتى أظهرها في فواره تسكب في فسقيه من رخام، بين زمزم و الركن و المقام، حتى جرت و ظهر ماؤها، ثم أمر خالد بن عبد الله القسري بعمل وليمة كبيرة ذبحت فيها الذبائح بسبب هذا العمل، إلى آخر ما ذكره الإمام الأزرقي في تاريخه.

نقول: خالد بن عبد الله القسري المذكور هنا، هو أمير مكة المكرمة في ذلك العهد. و الثقبه بالتحريك، هو موضع في أوائل جبل ثبير من جهة حراء، لا يبعد عن المسجد الحرام بأكثر من أربعة كيلو مترات، فمن هذا التاريخ المعتمد الموثوق، يعلم أن أول من عمل مواسير المياه من الرصاص هو أمير مكة المكرمة، خالد بن عبد الله القسري، رحمه الله تعالى، و هو من صميم العرب من أهل مكة، و ذلك منذ أكثر من ألف سنة، فلا يظن أحد أن مخترعي مواسير المياه هم الإفرنج.

### معنى مكة و معنى بكة

قال الأزرقي في صحيفه (٢٢٨) من الجزء الثاني: و بكة الوادى الذى به الكعبة: قال الله تعالى: **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِنَاءَ مُبَارَكًا وَ هُدًى**

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٢٣

لِلْعَالَمِينَ. قال: و بطن الوادى الذى فيه بيوت سراج و المربع حائط بن برمك، اه. و هو اليوم يقال له وادى إبراهيم.

و في تاريخ الأزرقي أيضا: عن ابن عباس، قال: إنما سميت بكة لأنه يجتمع فيها الرجال و النساء. و عن ابن جريج أنه كان يقول: إنما سميت بكة لتباك الناس قدام الكعبة. و يقال: إنما سميت بكة لأنها تبك أعناق الجابرة. انتهى.

نقول: لا يبعد أن يكون بكة و مكة (بالباء و الميم) اسمان على مسمى واحد، و هو (البلد الأمين) الذى فيه وادى إبراهيم عليه الصلاة و السلام.

و لا يبعد أيضا أن يكون بكة (بالباء)، هو ما بين الأخشيين (جبل أبى قيس و جبل قعيقعان)، و هما جبلان متقابلان قريبان من بعض، و الكعبة المشرفة تقع بينهما. و مكة (بالميم) هو نفس البلده الطاهرة، و الله تعالى أعلم.

و أما الحرم فلا- يطلق على بكة و لا على مكة، و إن كانتا جزءا منه، فالحرم محيط بمكة من جميع جهاتها إلى مسافات طويلة، كما سيأتى إن شاء الله تعالى بيان مقدار هذه المسافات.

و أهل مكة اليوم يطلقون الحرم على نفس المسجد الحرام، فيقول أحدهم: إني ذاهب إلى الحرم، و جئت من الحرم. و يعنى بذلك:

المسجد الحرام.

و يدل على صحة كلامنا هذا ما جاء في مختار الصحاح: و بكه اسم بطن مكة، سميت بذلك لآزدحام الناس ... الخ. فعليه يطلق بكه (بالباء) على بطن مكة (بالميم)، و بطن مكة يعنى وسطها، و وسطها هو ما بين أخشبيها " جبل قبيس و قعيقعان، " و هو الموضع الذى فيه البيت الحرام مهما اتسع العمران، و يدل على ذلك صراحة نفس الآية: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ\* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ. فالبيت و المقام فى نفس بكه، و هى وسط مكة بلا خلاف. و أما مكة فهى البلد الحرام كما فى مختار الصحاح، يعنى نفس البلدة مهما اتسعت. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٢٤

### المراد بوادى إبراهيم

و ادى إبراهيم- أى خليل الله عليه الصلاة و السلام- جاء فى تاريخ الغازى ما يأتى:  
قال العلامة الحضراوى فى نزهاء الفكر: هو من أعلا جبل النور، و هو جبل حراء ببطن مكة مسيلها إلى أسفل مكة، إلى باب الماجن و هو واد مبارك.

و قال بعضهم: هو مكة جميعها، شعابها و سهلها و ادى إبراهيم، ا هـ.  
و أما المنحنى، فهو جبل بجانب وادى إبراهيم فى أعلا الأبطح، و الجبل المقابل للمنحنى يسمى حاجرا و هو على يسار الذهاب إلى حراء، و أذاخر هو المحل المعروف الآن بالمعبدة و فيها ثنية أذاخر، و الرقمتين هو محل عند جبل السليمانية جهة النقا عند قبر العباس بن مرداس السلمى قريب من الشيخ العبادى يعرفه أهل مكة. انتهى من نزهاء الفكر. ا هـ. من الغازى.

نقول: إن وادى إبراهيم هو جميع مكة لا مجرى السيل فقط، بل لا يبعد أن يشمل الوادى حدود الحرم؛ و نسبة الوادى إلى إبراهيم عليه السلام نسبة تشرىف، فإنه هو أول من أطلق على مكة كلمة (وادى) كما فى الآية: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ و أول من أتى إليه و أسكن فيه بعض ذريته.

و المعقول أن يكون وادى إبراهيم هو جميع حدود الحرم، فمن مكة المشرفة إلى عرفات شرقا، و من مكة إلى الشميسى غربا، و من مكة إلى جهة الشرائع شمالا، و من مكة إلى جهة الجنوب من طريق المسفلة إلى حدود الحرم، فكل هذه الجهات من مشاعر الحج و حدود الحرم لم تعرف إلا من خليل الله إبراهيم عليه أفضل الصلاة و التسليم. و نرى أن أصدق ما يطلق على وادى إبراهيم هو موضع سيل مكة، فإنه يأتى السيل الكبير من جهة عرفه شرقا مارا بمزدلفة فمنى فمكة، ثم يخرج من مكة إلى جهة الغرب إلى الشميسى فى طريق جدة، و ربما نزل السيل إلى جدة و صب فى البحر الأحمر إذا كان عظيما. و جميع ما ذكرناه من هذه الأطراف و الجهات لا زرع فيها و لا نبات اللهم إلا الأشجار ذات الأشواك الصالحة للاحتطاب. فسيدينا إبراهيم الخليل، عليه الصلاة السلام، قد أسكن من ذريته التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٢٥

و هو إسماعيل مع أمه هاجر عليهما السلام، فى بقعة من هذا الودى و هى التى عند بيت الله الحرام كما هو صحيح، الآية.

### الكلام على قوله تعالى: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ... الآية

جاء فى القرآن فى سورة إبراهيم حكاية عنه عليه الصلاة و السلام: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَهُ مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ وَ ارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ\* رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَ مَا نُغْلِنُ وَ مَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ.

هذا الدعاء كان عند خروج إبراهيم الخليل، عليه الصلاة السلام، من مكة بعد أن ترك بها ولده إسماعيل و أمه هاجر، فإنه بعد أن

وضعهما في مكان زمزم، خرج من مكة مسافرا إلى الشام، فتبعته هاجر بعد أن تركت ابنها في مكانه، فقالت: يا إبراهيم، إلى من تدعنا؟ فسكت حتى إذا دنا من جبل كداء، وقيل من الثنية، قال: إلى الله عز وجل أدعكم. قالت: فإله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: فحسبي تركتنا إلى كاف. وانصرفت هاجر إلى ابنها.

فلما وقف إبراهيم على كداء، ولا بناء ولا ظل ولا شيء يحول رؤيته ابنه، فنظر إليه فأدركه ما يدرك الوالد من الرحمة لولده، فعندئذ قال: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ... الآية.

(فإن قيل): لم دعا الله تعالى هنا وتضرع إليه، ولم يدعه حين إلقائه في النار قبل ذلك، عندما قال له جبريل: هل لك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال جبريل: فسل ربك، قال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي؟

(فالجواب): أن إلقاءه في النار تتعلق بنفسه هو، والخليل يتلقى من خليله كل أمر بقبول تام وإذعان بالغ، والأنبياء لا يغفلون عن الله طرفه عين، والله تعالى لا تخفى عليه خافية. لذلك قال لجبريل: حسبي من سؤالي علمه بحالي، فكأن أدبه العالی مع ربه جعل النار عليه بردا وسلاما، وهل يرضى العزيز الحكيم أن يحرق خليله إبراهيم بالنار، أو يذبح بيده ولده وولده كبد بالسكين؟ - كلا والله - ولكن اقتضت حكمته تعالى، أن يتلى ويختبر نبيه و خليله ليكتبه في رأس قائمه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٢٦

الصابرين المتوكلين الممثلين للأوامر الإلهية، مع علمه سبحانه وتعالى بما يكون منه، وكيف العاقل قد لا يسأل غيره حاجة لنفسه، ولكنه يسألها منه لغيره، فأبراهيم عليه السلام، لم يسأل ربه بلسانه النجاه من النار اكتفاء بعلمه تعالى، وتلك حالة نبيه خليليه لا تكون إلا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أما دعاؤه لغيره من أهله وأولاده والمؤمنين، فقد كان على الطبيعة البشرية، فدعا لذريته، ودعا لمكة بالأمن والرزق، ودعا له ولوالديه وللمؤمنين عامه بالمغفرة حيث يقول:

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ.

ولنتكلم هنا عن آية: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ... الخ بما يفتح الله به علينا من فضله الواسع، فهو الفتح العليم لا راد لفضله. فنقول وبالله التوفيق:

إن من يتدبر في الآيات الواردة في دعاء خليل الله إبراهيم، عليه السلام، يجد في كلها أو غالبها ينادى الله تعالى بقوله: "رب أو ربنا" وهذا حال العبد المقر بالربوبية والوحدانية وحال المحب الذي لا يغفل عن محبوبه ويكثر من ذكر اسمه وفي المثل: "من أحب شيئا أكثر من ذكره." "و هل أحد أعرف بالله من الأنبياء - كلا- وإليك بعض ما ورد في الآيات عن نداءه لربه جل جلاله، وعظمت قدرته، وتعالى هيئته:

ففي سورة البقرة: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ... الآية.

وفيها أيضا: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ... الآية وفيها أيضا: رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ ... الآية وفيها أيضا: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ... الآية.

وفي سورة إبراهيم: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ... الآية.

وفيها أيضا: رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ... الآية. وفيها أيضا: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ... الآية. وفيها أيضا: رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ ... الخ وفيها أيضا: رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ\*

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ. إلى غير ذلك من الآيات.

وليس كل هذا بغريب على من قال الله في حقه: وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا. وقال في حقه: وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ. وقال في حقه أيضا: وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٢٧

وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ. وقال في حقه أيضا: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* شَاكِرًا لِنِعْمَةِ اجْتِبَاءِ

وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ\* وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ.

و يفهم من قوله: رَبَّنَا إِنِّي أَشْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي، أن إبراهيم عليه السلام هو الذى عمر مكة شرفها الله تعالى، بإسكان بعض ذريته فيها امتثالاً لأمره سبحانه وتعالى، لا أنه أتى بهم للسياحة و التزهة، فبلدة ليس بها أنيس و لا ماء و لا شجر، لا يأتى الإنسان إليها للفسحة و الاسترواح من بلاد الشام العامرة بالفواكه و الثمار و الخضرة و الأنهار.

كما يفهم من قوله: مِنْ ذُرِّيَّتِي، أنه أسكن بعضهم بمكة، و أما البعض الآخر، فقد بقوا فى بلدتهم الأصلية و لم يحضروا معه إلى مكة، لأنه عليه السلام، أحضر إلى مكة ابنه إسماعيل مع أمه هاجر فقط تنفيذاً لرغبة زوجته سارة، و امتثالاً لأمر الله تعالى الذى أمره بالهجرة إلى مكة معهما.

و يفهم صراحةً من قوله: بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ أن مكة كلها كانت قفراً لا نبات فيها و لا ماء، فليس المراد بالوادي هو مجرى السيل من شارع القشاشية الذى بقرب المسجد الحرام فقط، كما يفهمه بعضهم، بل المراد بعض مكة كلها من جميع الأطراف كما لا يخفى على المتأمل، و الله تعالى أعلم.

فإبراهيم عليه الصلاة و السلام هو أول من أطلق على مكة كلمة "وادي" كما هو صريح فى هذه الآية: بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ، فنسبته وادى إبراهيم إليه نسبة تشریف، فإنه هو أول من أتى إليه و أسكن بعض ذريته فيه.

و معنى قوله: بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ أى فى بدء الأمر، و أصل الخلقه فى عهد إبراهيم و من قبل عهده، فلا محل للاعتراض إن وجد فيما بعد ماء و زرع بالإنبات، و إيصال الماء إليه و حفر الآبار، و وجود البشر و السكان فى الوادى، يقتضى إشغال الأيدي العاملة بعمارتها بالماء و الزرع و البنیان، كما هو سنة الله فى خلقه.

و بهذا المعنى ينتفى إشكال من يقول: كيف يقول: بواد غير ذى زرع، بينما مكة اليوم و لله الحمد فيها الزروع و البساتين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٢٨

و أيضا يمكن أن نقول: إذا قسنا اليوم ما يوجد بمكة من البساتين و الزروع، إلى ما يوجد بمصر و الشام و غيرهما من الزروع و الأنهار و البساتين و الثمار، لوجدنا أن ما هو بمكة شىء قليل و نسبة ضئيلة لا تذكر فى جانب ما هو فى الخارج، و القليل لا حكم له، فكأن مكة ليست بذات زروع و ثمار.

و يفهم من قوله: عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، أنه سبحانه و تعالى، قد أعلمه بمكان بيته الحرام بمكة قبل أن يأمره ببنائه، ليطمئن قلبه عند تركه إسماعيل و أمه بها أن لهما مستقبلاً سعيداً، و شأننا عظيماً فيما بعد.

و قوله: لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ أى إنى أسكنت من ذريتي عند بيتك المحرم ليعبدوك بإقامة الصلوات و حج البيت و أنواع البر و العبادات، فالصلاة و الصيام و الحج من العبادات التى كانت من قبل الإسلام، و إقامتها بهذه الكيفية من خصوصيات هذه الأمة المرحومة، و قوله: فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ: هذه عبارة بديعة و جملة لطيفة، فإنه لما ترك إبراهيم عليه السلام، ولده إسماعيل و أمه هاجر بمكة لا أنيس لديهما، أحب أن يرسل الله إليهما من خيار الناس و أفضلهم ليأتنسا بهم و ينسوا غربتهم، فتذهب و حشتهم، و بالفعل فقد أرسل الله لإسماعيل عليه السلام و أمه هاجر عندما نبع لهما زمزم طائفة من أخيار قبيلة جرهم، استأذنوا هاجر فى النزول عندها، و الإقامة معها و إسماعيل كان صغيراً، فقالوا لها: أشركينا فى مائك نشاركك فى ألباننا، فأذنت لهم، فأقاموا عندها و أحبوا إسماعيل حتى زوجه بامرأة منهم.

و يؤخذ من قوله: مِنَ النَّاسِ الْمُقْصُودِ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ لا- كلهم. فكلمة (من) للتبعض أى بعضهم. و لذلك قال ابن عباس، رضى الله عنهما: لو قال أفئدة الناس، لحنن إليه فارس و الروم و الناس كلهم.

و قوله: وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ هذا منتهى الرحمة و منتهى العناية و الرأفة بأهله صلى الله عليه و سلم و أولاده، فإنه قد ترك إسماعيل و أمه، بشىء من التمر و قليل من الماء فى مكان قفر لا نبات فيه و لا ماء، و لا بشر، و هم لابد و أن يحصلوا على

قوتهم من اللحم و اللبن و الثمرات، فدعا لهم بكل ذلك.

فالثمرات، و إن كانت ليس من القوت الضروري، فهي تفيد الإنسان فائدة كبرى كما لا يخفى، فأراد إبراهيم، عليه السلام، أن ينعم الله عليهم بالكماليات من الفواكه، كما ينعم عليهم بالقوت الأساسي، فدعا الله لهم أن يرزقهم من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٢٩

الثمرات ليتفكحوا بها، ثم دعا لهم ثانيا حينما أتى من الشام لزيارتهم بالبركة في اللحم و الماء، فبركة دعائه صلى الله عليه و سلم صارت مكة عامرة بكل شيء، ممتلئة بالأرزاق و الثمار في كل وقت من الأوقات و فاء لما وعد الله به أهل هذا البلد الآمن بقوله:

يُجِيبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا. فالحمد لله رب العالمين.

و أما قوله: رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمْ مَا نُحْفَى وَ مَا نُغْلِنُ وَ مَا يُخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ، فيفهم منه أنه صلى الله عليه و سلم، كان يحمل في قلبه لوعة فراق زوجته و ولده، و يحمل همهما و ما سيؤول إليه أمرهما و قد تركهما في فلاة قفر، ليس عندهم قريب و لا غريب، امثالاً لأمر الله سبحانه و تعالى. لكنه صلى الله عليه و سلم لا يريد أن يفصح بلسانه عما في قلبه، و ذلك من كمال الإيمان و التفويض و نهاية الاستسلام و الخضوع لله الواحد القهار. و هذا من قبيل: تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَ لَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ وَ مِنْ قَبِيل: إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَ حُزْنِي إِلَى اللَّهِ.

فقوله: رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمْ مَا نُحْفَى وَ مَا نُغْلِنُ، هو عرض الحال إلى الله عز و جل، بلطيف الإشارة و بكمال الأدب و منتهى الاسترحام و الاستعطاف. و لقد استجاب الله دعائه و حقق رجائه، و حفظ له أولاده، و جعلهم من المصطفين الأخيار. فجدير بأهل مكة أن يتصفوا بصفات أهل الخير و الكمال، و أن يكونوا قدوة حسنة للعالم الإسلامي إن شاء الله. و ما أحلى قول القاضي تاج الدين بن أحمد من علماء الحرم المتوفى سنة (١٠٦٦ هـ):

من كان بالوادي الذي هو غير ذي زرع و عز عليه ما يهديه

فليهدن ألفاظه الدر التي تحلو فواكهها لكل نبيه

و يؤخذ من آية: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ...، أن يدعو الإنسان لأهله و أولاده و معارفه و أحبابه عند فراقهم بكل خير، و يتضرع إلى الله عز شأنه أن يحفظهم و يهديهم، و أن يسهل لهم سبل المعيشة برفاهية تامة.

اللهم إنى أسألك أن تيسر لنا أمورنا، و تنور قلوبنا، و تصلح أحوالنا، و ترزقنا من فضلك العظيم رزقا حلالا و اسعاً، و تسترنا في الدنيا و الآخرة، و احفظنا في أهلنا و أولادنا و اجعلهم لنا قرءة أعين، و اختم لنا بخير يا أرحم الراحمين آمين، و صلى اللهم و سلم على جميع الأنبياء و المرسلين، و آل كل منهم و صحابتهم أجمعين، و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٣٠

### بيان فضل أهل مكة من الآية الآتية

قال الله تعالى في سورة البقرة: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَ بئس المصير.

يفهم من هذه الآية الكريمة عناية الله عز و جل و عظيم رحمته و فضله بأهل بلده الأمين "مكة المكرمة" سواء المؤمن منهم أو الكافر. فإن خليل الله إبراهيم، عليه أفضل الصلاة و التسليم، لما دعا لأهل مكة بالرزق من الخيرات و الثمرات، خص المؤمنين منهم فقط دون الكافرين و المشركين فقال كما حكى الله تعالى عنه:

وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ. لكن الله تبارك و تعالى، يعامل جميع خلقه و عباده في دار الدنيا باللطف و الرحمة و الفضل و الإحسان، سواء كانوا من المؤمنين أو من الكفار، لأنه عز و جل، هو ربهم و هو الذي خلقهم، فلو لم يرزق من

عباده إلا- المؤمنين، فمن يرزق الكافرين إذا، فلما خص خليله إبراهيم صلى الله عليه و سلم المؤمنين بالدعاء أجابه العزيز الحكيم الرزاق الكريم بقوله:

قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتَعَهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرَّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. أى إنى أمتع الكافرين منهم أيضا بالنعم و الثمرات فى دار الدنيا، فإذا مات على كفره و لم يؤمن، فإنى أضطره و أدفعه فى الآخرة إلى عذاب النار و بئس المصير الذى صار إليه.

قال فى تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذه الآية، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: كان إبراهيم عليه الصلاة و السلام يحجرها- أى الدعوة- على المؤمنين دون الناس، فأنزل الله تعالى و ما كفر أيضا أرزقهم كما أرزق المؤمنين، أأخلق خلقا لا أرزقهم؟ أمتعهم قليلا- ثم أضطرهم إلى عذاب النار و بئس المصير، ثم قرأ ابن عباس: كَلَّا نَمَدُّ هُوْلَاءِ وَ هُوْلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَ مَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا، رواه ابن مردويه. و روى عن عكرمة و مجاهد نحو ذلك أيضا، و هذا قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ\* مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ. انتهى من التفسير المذكور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٣١

فإذا فهمت ما تقدم، عرفت عناية الله عز و جل و عظيم رحمته بأهل مكة، و عظيم رحمته و إحسانه عليهم خاصة بمؤمنهم و كافرهم، و عظيم رحمته و إحسانه بكافة عباده المؤمنين و الكافرين عامة. فلو استجاب الله تعالى دعاء خليله إبراهيم، عليه أفضل الصلاة و التسليم، حينما قال فى الآية المذكورة: مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ لِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ، تبارك و تعالى، الكافرين منهم ثمرة واحدة من الثمرات، فالله عز و جل فضله واسع و إحسانه عميم: إِنَّ اللَّهَ لَدُوٌّ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ.

### حكمة جعل مكة كثيرة الألبان و اللحوم

و الذى يظهر لنا، و الله تعالى أعلم بغيبه و مراده: أن مكة جعلها الله تعالى و هى بلدة الأمين، فى واد غير ذى زرع يحيط بها الجبال من جميع الأطراف، لا يكثر فيها سوى اللحوم و الألبان كدعوة إبراهيم عليه السلام لها بذلك، و لم يجعلها كمصر و الشام كثيرة الزروع و الثمار تجرى من تحتها الأنهار، لحكمة دقيقة تقصر عن إدراكها الأفهام و العقول، منها ما هو حسى و منها ما هو معنوى. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ١-١؛ ص ٥٣١

لحكمة المعنوية أن الوافدين إلى مكة لا يفدون إليها إلا للحج و العبادة فقط امتثالاً لأمر الله سبحانه و تعالى، فليس هناك ما يدفعهم للسفر إليها من المرغبات الدنيوية كالترهة و ترويح النفس بما فيها من الخضرة و البساتين و أنواع الملاهى و المسليات. و من الحكمة الحسية الظاهرة: أن الإنسان الذى يقتصر فى أكله على الألبان و اللحوم، يكون أقوى بنياً و أصح بدناً ممن يكثر الأكل و يخلط تغذيته بأنواع المأكولات و الخضروات و ينغمس فى اللذائذ و المنعمات، لذلك نرى العرب و البدو و الرعاة فى القفار و الجبال لهم من الصحة و العافية ما ليس لأهل المدن، كما نرى أنهم لا- يعرفون الأمراض المنتشرة فى أهل الترف و النعيم، و لا شك أن الصحة و العافية للإنسان من أعظم نعم الله عز و جل على عباده.

و الذى يؤيد صحة نظريتنا هذه ما ذكره ابن خلدون رحمه الله تعالى فى مقدمته حيث يقول: (اعلم) أن الأقاليم ليس كلها يوجد بها الخصب، و لا كل سكانها فى رغد من العيش، بل فيها ما يوجد لأهله خصب العيش من الحبوب و الأدم، و الحنطة و الفواكه لزكاء المنابت، و اعتدال الطينة، و وفور العمران. و فيها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٣٢

الأرض الحارة التى لا تنبت زرعاً و لا عشبا بالجملة، فأهلها فى شظف من العيش مثل أهل الحجاز، و اليمن، و مثل الساكنين بصحراء المغرب و أطراف الرمال فيما بين البربر و السودان، فإن هؤلاء لا يفقدون الحبوب و الأدم جملة و إنما أغذيتهم و أقواتهم الألبان و قليل من اللحوم، و مثل العرب أيضا الجائلون فى القفار، فإنهم و إن كانوا يأخذون الحبوب و الأدم من التلول، إلا- أن ذلك فى



الأحايين و على الإقلال، لقله و جدهم، فلا يتوصلون منه إلى سد الخلة أو دونها، فضلا عن الرغد و الخصب. و تجدهم يقتصرون في غالب أحوالهم على الألبان، و تعوضهم عن الحنطة أحسن معاض، و تجد- مع ذلك- هؤلاء الفاقدين للحبوب و الأدم من أهل القفار أحسن حالة في جسومهم و أخلاقهم من المنغمسين في العيش: فألوانهم أصفى، و أشكالهم أتم و أحسن. و أخلاقهم أبعد من الانحراف، و أذهانهم أثقب في المعارف و الإدراكات هذا أمر تشهد له التجربة في كل جيل منهم.

و السبب في ذلك، و الله أعلم أن أكثر الأغذية و رطوبتها تولد في الجسم فضلات رديئة، ينشأ عنها بعد إفطاره في غير نسبة، و كثرة الأخلاط الفاسدة العفنة، و يتبع ذلك انكساف الألوان و قبح الأشكال من كثرة الغذاء كما قلنا.

و تغطي الرطوبات على الأذهان و الأفكار بما يصعد إلى الدماغ من أبحرتها الرديئة، فتجىء البلاده و الغفلة، و الانحراف عن الاعتدال بالجملة. و اعتبر ذلك في حيوان القفر و مواطن الجذب: من الغزال و النعام و المهام و الزرافة و الحمر الوحشية و البقر، مع أمثالها من حيوان الأرياف و المراعى الخصبه، حيث تجد بينها بونا بعيدا في صفاء أديمها، و حسن رونقها و أشكالها، و تناسب أعضائها، و وحدة مداركها.

فالعزال أخو المعز، و الزرافة أخو البعير، و الحمار أخو البقر. و البون بينهما ما رأيت. و ما ذلك إلا لأن الخصب في الأودية فعل في أبدان هذه من الفضلات الرديئة، و الأخلاط الفاسدة، ما ظهر عليها أثره. و الجوع لحيوان القفر حسن في خلقها و أشكالها ما شاء. و اعتبر ذلك في الآدميين أيضا، فإننا نجد أهل الأقاليم المخصبة العيش الكثيرة الزرع و الضرع و الأدم و الفواكه يتصف أهلها غالبا بالبلادة في أذهانهم، و عدم التناسب في أجسامهم، على عكس المتقشفين في عيشهم، المققتصرين على الشعير أو الذرة. فتجد هؤلاء أحسن حالا في عقولهم و جسومهم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٣٣

و اعلم أن أثر هذا الخصب في البدن و أحواله، يظهر حتى في حال الدين و العبادة، فنجد المتقشفين من أهل البادية أو الحاضرة ممن يأخذ نفسه بالجوع و التجافى عن الملاذ أحسن دينا و إقبالا على العبادة من أهل الترف و الخصب، بل تجد أهل الدين قليلين في المدن و الأمصار، لما يعمها من القساوة و الغفلة المتصلة بالإكثار من اللحمان و الأدم و لباب البر، و يختص وجود العباد و الزهاد لذلك بالمتقشفين في غذائهم من أهل البوادي. و كذلك نجد هؤلاء المخصبين في العيش المنغمسين في طبيباته من أهل الحواضر و الأمصار إذا نزلت بهم السنون، و أخذتهم المجاعات، يسرع إليهم الهلاك أكثر من غيرهم، مثل أهل مدينة فاس و مصر فيما يبلغنا، لا مثل العرب أهل القفر و الصحراء، فإن هؤلاء و إن أخذتهم السنون و المجاعات، فلا تنال منهم ما تنال من أولئك، و لا يكثر فيهم الهلاك بالجوع بل و لا يندر.

و ما يتوهمه بعض الناس من أن الجوع مهلك، فليس على ما يتوهمونه إلا إذا حملت النفس عليه دفعة، و قطع عنها الغذاء بالكلية، فإنه حينئذ ينحسم المعاء، و يناله المرض الذي يخشى منه الهلاك. و أما إذا كان ذلك القدر تدريجا و رياضة بإقلال الغذاء شيئا فشيئا، كما يفعله المتصوفة، فهو بمعزل عن الهلاك.

و هذا التدريب ضرورى حتى في الرجوع عن هذه الرياضة، فإنه إذا رجع إلى الغذاء الأول دفعة خيف عليه الهلاك، و إنما يرجع به كما بدأ في الرياضة بالتدريب.

و اعلم أن الجوع أصلح للبدن من إكثار الأغذية بكل وجه. و أن له أثرا في الأجسام و العقول في صفائها و صلاحها كما قلنا، انتهى. على كل حال الدنيا لا قيمة لها، و ما هي إلا قنطرة للآخرة و سلم إلى الدرجات العلى "يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم".

و مما يناسب هذا المقام، ما جاء في صحيح البخارى في كتاب النكاح، في باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، حديث طويل نذكر منه ما نحن في احتياج إليه هنا للاستشهاد: عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: لم أزل حريصا على أن أسأل عمر بن الخطاب

عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالى: **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** حتى حج و حجبت معه، و عدل و عدلت معه، بأداة فتبرز ثم جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ، فقلت له يا أمير المؤمنين ... إلى آخر الكلام أى إلى أن قال عمر، فحجنت الغلام فقلت:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٣٤

استأذن لعمر، فدخل ثم رجع إلى فقال: قد ذكرتك فصمت، فلما وليت منصرفاً قال: إذا الغلام يدعوني فقال: قد أذن لك النبي صلى الله عليه وسلم، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو مضطجع على رمال حصير، ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه متكئاً على و سادة من آدم حشوها ليف، فسلمت عليه ثم قلت و أنا قائم: يا رسول الله أطلقت نساءك؟ فرجع إلى بصره فقال: لا، فقلت: الله أكبر، ثم قلت و أنا قائم: استأنس يا رسول الله، لو رأيتنى و كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم و سلم ثم قلت: يا رسول الله لو رأيتنى و دخلت على حفصة فقلت لها: لا- يغرنك إن كانت جارتك أوضأ منك و أحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد عائشة، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة أخرى، فجلست حين رأيت تبسم، فرفعت بصرى فى بيته فو الله ما رأيت فى بيته شيئاً يرد البصر غير أهبة ثلاثة، فقلت: يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمتك فإن فارسا و الروم قد وسع عليهم و أعطوا الدنيا و هم لا يعبدون الله، فجلس النبي صلى الله عليه وسلم و كان متكئاً فقال: أوفى هذا أنت يا ابن الخطاب، و إن أولئك قوم عجلوا طياتهم فى الحياة الدنيا، فقلت: يا رسول الله استغفر لى ... إلى آخر الحديث الذى تركنا نقله لعدم الحاجة إليه هنا.

### دعاء إبراهيم عليه الصلاة و السلام لأهل مكة بالرزق

قال الله تعالى فى سورة البقرة: **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَ بئسَ المصيرُ** و قال فى سورة إبراهيم: **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ \* رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مَنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* رَبَّنَا إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ.**

و جاء فى تاريخ الأزرقي: عن محمد بن السائب الكلبي قال: قال إبراهيم عليه السلام: **رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَهُ، فَجَعَلَهُ بَلَدًا آمِنًا وَ أَمِنَ فِيهِ الْخَائِفُ**

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٣٥

و رزق أهله من الثمرات تحمل إليهم من الأفق، و قال مجاهد: جعل الله هذا البلد آمناً لا يخاف فيه من دخله.

قال ابن حيان: إنما اختص إبراهيم فى مسأله فى الرزق الذين آمنوا، فقال تعالى: **وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَارِقُهُمْ مَعَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَكِنِّي أَمْتِعُهُمْ قَلِيلًا فِى الدُّنْيَا ثُمَّ أَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَ بئسَ المصيرُ.**

نقول، و صريح الآية المتقدمة الدالة على هذا المعنى التى أولها: **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ ...** الخ دليل على سعة فضل الله تعالى، و إحسانه العميم، و رحمته العظيمة، فلو اختصت الرحمة و الرزق بالمؤمنين فقط، فمن ذا الذى يرزق الكفرة و المشركين و عبدة الأصنام، و الله عز شأنه، قد خلق هذا الكون على نظام بديع و سنن لا تتبدل، فالدنيا دار لهو و عمار، و الآخرة دار جزاء و قرار. و قال سعيد بن السائب بن يسار: سمعت بعض ولد نافع بن جبير، بن مطعم و غيره يذكرون أنهم سمعوا أنه لما دعا إبراهيم لمكة أن يرزق أهله من الثمرات نقل الله عز و جل أرض الطائف من الشام فوضعها هنالك رزقا للحرم.

و عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جاء إبراهيم يطالع إسماعيل عليهما السلام، فوجده غائبا و وجد امرأته الآخرة و هى السيدة

بنت مضاض ابن عمرو الجهمي، فوقف فسلم فردت عليه السلام و استنزلته و عرضت عليه الطعام و الشراب، فقال: ما طعامكم و شرابكم؟ قالت: اللحم و الماء، قال: هل من حب أو غيره من الطعام؟ قالت: لا، قال: بارك الله لكم في اللحم و الماء، قال ابن عباس رضوان الله عليه: يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم لو وجد عندها يومئذ حبا لدعا لهم بالبركة فيه فكانت تكون أرضا ذات زرع. قال سعيد بن جبير: و لا يخلى أحد على اللحم و الماء في غير مكة إلا وجع بطنه، و إن أخلى عليهما بمكة لم يجد لذلك أذى.

و عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: وجد في المقام كتاب: "هذا بيت الله الحرام بمكة توكل الله برزق أهله من ثلاثة سبل مبارك لأهله في اللحم و الماء و اللبن لا يحله أول من أهله" هـ. و وجد في حجر في الحجر كتاب من خلقه الحجر: "أنا الله ذو بكة الحرام وضعتها يوم صنعت الشمس و القمر بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى تزول أخشابها مبارك لأهلها في اللحم و الماء."

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٣٦

و عنه أيضا رضى الله عنهما قال: "لما هدموا الكعبة البيت و بلغوا أساس إبراهيم وجدوا في حجر من الأساس كتابا فدعوا له رجلا من أهل اليمن و آخر من الرهبان، فإذا فيه: "أنا الله ذو بكة حرمتها يوم خلقت السموات و الأرض و الشمس و القمر و يوم صنعت هذين الجبلين و حففتها بسبعة أملاك حنفاء."

و عن ابن إسحاق، أن قريشا وجدت في الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من اليهود قال فإذا هو: "أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات و الأرض و صورت الشمس و القمر و حففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى تزول أخشابها مبارك لأهلها في الماء و اللبن."

و عن مجاهد أنه قال: وجد في الزبور "أنا الله ذو بكة جعلتها بين هذين الجبلين و صنعتها يوم صنعت الشمس و القمر و حففتها بسبعة أملاك حنفاء و جعلت رزق أهلها من ثلاثة سبل فليس يؤتى أهل مكة إلا من ثلاث طرق من أعلا الوادي و أسفله و كذا و باركت لأهلها في اللحم و الماء."

انتهى كل ذلك من تاريخ الإمام الأزرقى رحمه الله تعالى.

نقول: تقدم أن إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، لما دعا لأهل مكة بالرزق من الثمرات، نقل الله أرض الطائف من الشام فوضعها هنالك ليأتي منها الثمرات لأهل الحرم. فنحن نرى، أن نقل الطائف من الشام ليس على حقيقته الواقعية و إنما هو مبالغة و تشبيه حيث إن أرض الطائف و هواءها ليس مثل مكة في درجة حرارتها، و إنما الطائف بالنسبة لمكة و ما حولها كأنها قطعة من الشام في جودة تربتها و صلاحيتها للزروع و الثمار، و برودة هوائها برودة شديدة، بل هي المصيف الوحيد لأهل مكة و ما جاورها من المواضع من قديم الزمان.

فالطائف قطعة من نفس أرض الحجاز من أصل الخلقة، بدليل أن الإنسان كلما ارتفع و بعد عن الطائف نحو الحجاز، كالمواضع الشهيرة بلاد بنى سعد و ثقيف و ناصرة، و بلاد غامد و زهران، و بلاد عسير، و بلاد قحطان، وجد البرد شديدا و الماء عذبا، و وجد ثمارا كثيرة رخيصة، و أرضا طيبة زراعية.

هذا رأينا الخاص و الله أعلم بالغيب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٣٧

و ما تقدم في بعض الروايات: "مبارك لأهلها في اللحم و الماء،" و في بعضها "في الماء و اللبن" ليس فيهما اختلاف في المعنى، فحيث وجد اللحم وجد اللبن، و حيث وجد اللبن وجد اللحم.

و الحقيقة أن أهل بادية الحجاز و البدو الرحل الذين ينتجعون الكلاء، لا يعيشون إلا على اللبن و اللحم، فالحب عندهم قليل لا يأكلونه إلا إذا كانوا في المدن.

و هنا نحب أن نشير إلى حكمه دقيقة تتعلق بهذا الفضل و هي: أنه لا يخفى على المسلمين جميعا، أن الله تعالى لما فرض الحج

خامس أركان الإسلام، فرض على من ترك واجبا من واجباته الدم، وهو الفدية من الإبل والبقر والغنم، و مثل واجبات الحج قطع شجر الحرم أو الصيد فيه، ففي كل ذلك الفدية أيضا حسب ما هو مذكور في كتب الفقه. ثم إن من وجب عليه الدم "الفدية" يجب عليه ذبحها في الحرم و تفرقة لحمها على المستحقين فيه أيضا، فلا يجوز ذبح الدم الواجب في غير الحرم، فمن ذبح الفدية بجدة أو غيرها من بلاد الحجاز أو ذبح بمصر أو بالشام أو غيرهما، لا تسقط عنه الفدية، وإن كان يجوز أكلها.

فمن أمن النظر في هذه المسألة، علم أنها عناية خاصة من الله تعالى بأهل مكة و أهل حرمه، و رحمة تامة بهم و إحسان عظيم عليهم، على الدوام في كل عام بدون انقطاع إلى يوم القيامة.

فيجب عليهم معرفة هذه النعمة الكبرى و الميزة الخاصة و أن يحافظوا عليها بالحمد و الشكر و الطاعة لله جل جلاله الذي أطعمهم من جوع و آمنهم من خوف.

و من هنا بارك الله في اللحم و الماء. فاللحم لا ينقطع عن مكة مطلقا و يكثر كثرة زائدة في أيام الحج إلى درجة أن غالب الناس يكرهون اللحم و لا يحبون رائحته، و هذه الحال لا تكون إلا في مكة المشرفة فقط دون جميع بلدان العالم.

و أن أطراف مكة و جبالها إلى مسافات بعيدة ممتلئة من الأنعام يرعون الكلاء و الحشيش على الدوام، و بذلك يكثر اللبن و الجبن و السمن و الزبدة.

و أما الأرزاق و الثمار ففي مكة أضعاف أضعاف ما يتصوره العقل على صغر رقعتها و كثرة وفود الحجاج إليها كل عام، بل إن فيها من الأقمشة و الأمتعة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٣٨

و لوازم الإنسان الضرورية و الكمالية ما يجعل الغريب الوارد إليها في دهشة و تعجب و هذا الحجيج الأعظم يحمل منها في كل سنة من الهدايا ما لا يدخل في حساب.

و أما البركة في الماء: فهذا أمر مشاهد ملموس لا يحتاج إلى دليل، فإن قيل أن سيدنا إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، دعا بالبركة في اللحم و الماء باعتبار زمانه، قلنا إن دعوته منسحبة إلى يوم القيامة، ثم إنه كان الماء في زمانه من بئر زمزم، التي أخرجها الله تعالى لابنه إسماعيل عليه السلام، و لم تكن بمكة غيرها، فبسبب دعائه، عليه الصلاة و السلام، جعل الله البركة في بئر زمزم، فهي عامرة بالماء الشافي من زمانه صلى الله عليه و سلم إلى اليوم بل إلى يوم القيامة. و ببركة هذا الدعاء المستجاب، الماء في مكة و أطرافها متوفرة و الآبار بها كثيرة، و هذه عين زبيدة، و العين العزيزية، و العيون الأخرى، تمتد مكة و من قصد مكة من الآلاف المؤلفين من الحجيج الذين يأتون إليها من كل فج عميق في كل سنة و كل عام، و هل اهتمام الملوك و السلاطين و الأمراء السابقين و اللاحقين في ماء مكة و تقوية العيون و الآبار، إلا من بركة دعاء أبي الأنبياء إبراهيم الخليل، صلوات الله و سلامه عليه، و على ذريته و آلهم أجمعين.

فمن سرح نظره بعيدا إلى زمان إبراهيم عليه الصلاة و السلام، أى إلى نحو أربعة آلاف سنة، يرى أن مكة كانت واديا حل غير ذى زرع، و لم يكن بها غير نفر من قبيلة جرهم. ثم نظر إليها في هذا العصر الحديث، الذى نحن فيه، يرى بونا شاسعا و فرقا عظيما، كما بين السماء و الأرض.

اللهم ارزقنا رزقا حلالا- بدون تعب و لا- نصب، و أنزل علينا من بركات السماء و أخرج لنا من بركات الأرض، و ألهمنا الرشد و الصواب، و وفقنا لحمدك و شكرك و حسن عبادتك، حتى تحفظ لنا ما أنعمت به علينا، و حتى تميئنا على الإسلام و أنت راض بفضلك و رحمتك، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم.

قال ابن جبير الأندلسي في رحلته التي كانت سنة (٥٧٨) ثمان و سبعين و خمسمائة، يصف ما في مكة المكرمة من الخيرات و البركات. ما يأتي:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٣٩

هذه البلدة المباركة، سبقت لها و لأهلها الدعوة الخليلية الإبراهيمية و ذلك أن الله عز و جل يقول حاكيا عن خليله صلى الله عليه و سلم: فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ، و قال عز و جل: أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ. فبرهان ذلك ظاهر متصل إلى يوم القيامة، و ذلك أن أفئدة الناس تهوى إليها من الأصقاع النائية و الأقطار الشاحطة، فالطريق إليها ملتقى الصادر و الوارد ممن بلغته الدعوة المباركة، و الثمرات تجبي إليها من كل مكان فهي أكثر البلاد نعمًا و فواكه و منافع و متاجر، و لو لم يكن لها من المتاجر إلا- أوان الموسم، ففيه مجتمع أهل المشرق و المغرب فيباع فيها في يوم واحد فضلا عما يتبعه من الذخائر النفيسة، كالجوهر و الياقوت و سائر الأحجار، و من أنواع الطيب كالمسك و الكافور و العنبر و العود و العقاقير الهندية، إلى غير ذلك من جلب الهند و الحبشة، إلى الأمتعة العراقية و اليمنية، إلى غير ذلك من السلع الخراسانية و البضائع المغربية، إلى ما لا- ينحصر و لا ينضب مما لو فرق على البلاد كلها، لأقام لها الأسواق النافعة و لعم جميعها بالمنفعة التجارية، كل ذلك في ثمانية أيام بعد الموسم حاشا ما يطرأ بها مع طول الأيام من اليمن و سواها، فما على الأرض سلعة من السلع و لا ذخيرة من الذخائر إلا و هي موجودة فيها مدة الموسم، فهذه بركة لا خفاء بها، و آية من آياتها الشريفة التي خصها الله بها.

و أما الأرزاق و الفواكه و سائر الطيبات، فكنا نظن أن الأندلس اختصت من ذلك بحظ له المزية على سائر حظوظ البلاد، حتى حللنا بهذه البلاد المباركة، فألفيناها تغص بالنعم و الفواكه كالتين و العنب و الرمان و السفرجل و الخوخ و الأترج و الجوز و المقل و البطيخ و القثاء و الخيار، إلى جميع البقول كلها كالباذنجان و اليقطين و السلجم و الجزر و الكرنب إلى سائرها، إلى غير ذلك من الرياحين العبقرة و المشمومات العطرة. و أكثر هذه البقول كالباذنجان و القثاء و البطيخ، لا- يكاد ينقطع مع طول العام و ذلك من عجيب ما شاهدناه مما يطول تعداده و ذكره.

و لكل نوع من هذه الأنواع فضيلة موجودة في حاسة الذوق يفضل بها نوعها الموجود في سائر البلاد، العجب من ذلك يطول، و من أعجب ما اخترناه من فواكهها البطيخ و السفرجل، و كل فواكهها عجب، لكن للبطيخ فيها خاصة من الفضل العجيب و ذلك لأن رائحته من أعطر الروائح و أطيبها، يدخل به الداخل عليه فتجد رائحته العبقرة قد سبقت إليك، فيكاد يشغلك الاستمتاع بطيب رياه عن أكلك إياه، حتى إذا ذقته خيل إليك أنه شيب بسكر مذاب أو بجنى النحل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٤٠

اللباب. و لعل متصفح هذه الأحرف يظن أن في الوصف بعض الغلو، كلا لعمر الله، إنه لأكثر مما وصفت و فوق ما قلت. و بها غسل أطيب من الماذى المضروب به المثل، يعرف عندهم بالمسعودي. و أنواع اللبن بها في نهاية من الطيب و كلما يصنع منها من السمن فإنه لا- تكاد تميزه من العسل طيبا و لذادة، و يجلب إليها قوم من اليمن يعرفون (بالسرو) نوعا من الزبيب الأسود و الأحمر في نهاية الطيب، و يجلبون معه من اللوز كثيرا. و بها قصب السكر أيضا كثيرا، يجلب من حيث تجلب البقول التي ذكرناها، و السكر بها كثير مجلوب، و سائر النعم و الطيبات من الرزق و الحمد لله.

و أما الحلوى فيصنع منها أنواع غريبة من العسل و السكر المعقود على صفات شتى، إنهم يصنعون بها حكايات جميع الفواكه الرطبة و اليابسة، و في الأشهر الثلاثة، رجب و شعبان و رمضان، يتصل منها أسمطة بين الصفا و المروءة، و لم يشاهد أحد أكمل منظر منها لا بمصر و لا بسواها، قد صورت منها تصاوير إنسانية و فاكهية، و جللت في منصات كأنها العرائس، و نضدت بسائر أنواعها المنضدة الملونة، فتلوح كأنها الأزهار حسنا، فتقيد الأبصار، و تستنزل الدرهم و الدينار. و أما لحوم ضأنها فهناك العجب العجيب قد وقع القطع من كل من تطوف على الآفاق و ضرب على نواحي الأقطار إنها أطيب لحم يؤكل في الدنيا، و ما ذاك و الله أعلم إلا لبركة مراعيها،

هذا على إفراط سمنه و لو كان سواه من لحوم البلاد ينتهى ذلك المنتهى فى السمن، للفظته الأفواه و دكا، و لعافته و تجنبتة، و الأمر فى هذا بالصد كلما ازداد سمننا زادت النفوس فيه رغبة، و النفس له قبولا، فتجده هنيئا رخيصا يدوب فى الفم قبل أن يلاك مضغا، و يسرع لخفته عن المعدة انهضاما. و ما أرى ذلك إلا من الخواص الغريبة، و بركة البلد الأمين قد تكفلت بطيبه لا شك فيه، و الخبر عنه يضيق عن الخبر له، و الله يجعل فيه رزقا لمن تشوق ببلدته الحرام، و تمنى هذه المشاهد العظام، و المناسك الكرام، بعزته و قدرته.

و هذه الفواكه تجلب إليها من الطائف، و هى على مسيرة ثلاثة أيام منها على الرفق و التؤدة، و من قرى حولها، و أقرب هذه المواضع يعرف بالهدى، هو من مكة على مسيرة يوم أو أزيد قليلا، و هو من بطن الطائف و يحتوى على قرى كثيرة، و من بطن مر و هو على مسيرة يوم أو أقل من نخلة، و هى على مثل هذه المسافة، و من أودية بقرب من البلد كعين سليمان و سواها، قد جلب الله إليها من التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٤١

المغاربة ذوى البصارة بالفلاحة و الزراعة، فأحدثوا فيها بساتين و مزارع، فكانوا أحد الأسباب فى خصب هذه الجهات، و ذلك بفضل الله عز و جل و كريم اعتنائهم بحرمه الكريم، و بلده الأمين. و من أغرب ما ألفيناه فاستمتعنا بأكله و أجرينا الحديث باستطابته، و لا سيما لكوننا لم نعهده الرطب، و هو الذى عندهم بمنزلة التين الأخضر فى شجرة يجنى و يؤكل، و هو فى نهاية من الطيب و اللذادة لا يسأم التفكه به، و بأنه عندهم عظيم يخرج الناس إليه كخروجهم إلى الضيعة، أو كخروج أهل المغرب لقراهم أيام نضج التين و العنب، ثم بعد ذلك عند تناهى نضجه ييسط على الأرض قدر ما يجف قليلا، ثم يركم بعضه على بعض فى السلال و الظروف و يرفع ... إلى آخر كلامه. انتهى من رحلة ابن جبير.

### ما يزرع فى الحجاز

يزرع بالحجاز جميع الحبوب و الفواكه و الخضار، و يأتى كل ذلك إلى مكة، شرفها الله تعالى، بواسطة الجمال و الحمير و السيارات، فمما يزرع بالحجاز:

الحنطة، و الشعير، و الذرة بنوعيهما، و النخل، و العنب، و الرمان، و التوت، و التفاح، و الموز، و الكمثرى، و التين، و الجوافة، و السفرجل، و الليمون الحامض، و الليمون الحلو، و الترنج، و البرتقال، و اليوسفى، و الخوخ، و البطيخ الأخضر، و البطيخ الأصفر، و العناب، و اللوز، و الخيار، و القثاء، و البامية، و الدباء، و الكوسة، و القرع الكبير الحلو، و الملوخية، و البرسيم، و الرجل، و السبانخ، و الجزر، و البطاطا، و الباذنجان الأسود، و الباذنجان الأحمر، "القوطة"، "و البصل، و الثوم، و اللفت، و الفاصولياء الخضراء، و الفجل، و الكراث، و البقدونس، و الكزبرة الخضراء، و الشبت، و الكرفس، و الفول الأخضر بنوعيه، و الكرنب، و الفلفل بجميع أنواعه، و غير ذلك.

كما يزرع أيضا: السنمكى، و الحناء، و البلسان و يستخرج منه الزيت، و زهرة الضرم، و شيع البقر، و النعناع البرى و البستاني، و البردقوش، و الورد، و الكادى، و الياسمين، و أنواع الرياحين و المشمومات، و أشجار الظلال كالنبق، و النيم، و التمر هندی، و أشجار الزينات بأشكالها المختلفة و تزرع فى حدائق المنازل و البيوت.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٤٢

و بالحجاز أيضا جميع أنواع الطيور و الدواجن. كالدجاج، و الأوز، و البط، و الحمام، و اليمام، و العصافير، و الأرناب، و الطيور المختلفة الأشكال، و الغراب، و النسر، و الصقر، و الحداء، و النحل و يؤخذ منه أنواع العسل، و الجراد، و غير ذلك. و يؤكل الجراد فى الحجاز بكثرة جدا.

و بالحجاز أيضا من الحيوانات: الخيل، و البغال، و الحمير، و الجمال، و البقر، و الغنم بنوعيه الماعز و الخرفان، و الغزلان، و القروود

بشتى الأنواع، و القطط، و الكلاب بنوعها كلاب الصيد و كلاب الشوارع.

و يوجد بالحجاز من الحيوانات الكاسرة: الأسد، و الفهد، و النمر، و الجعير و هو الذى يفترس الحمير، و الذئب، و ابن آوى "أبو الحصين" و لا يوجد بالحجاز الفيل، و الجاموس، و الكركدن، و نحوها و هذه الحيوانات المفترسة تعيش فى البرارى و الجبال بعيدا عن المدن.

و الحيوانات التى يؤكل لحمها: ترعى مما ينبت فى الأرض من الأعشاب و الحشائش، و من العجيب أن الجمال ترعى فى الفلاة من أشجار الشوك و لا- تضره، فلا تنغرز الأشواك فى فمها و ألسنتها مطلقا، بل تكون كقطعة العجين فى فمها و هى تحبها حبا جما، و تفيدها فائدة كبيرة و يكون للبنها و لحمها طعما لذيذا، و العرب تعتر بخيلها و إبلها و تعدها من كرائم الأموال. و يحبونها حبا جما و يتفننون فى تربيتها و تدليلها، و هم أعرف الناس بطباعها و أخلاقها، و لا يزال العرب على ذلك إلى اليوم.

### لماذا لم تكن مكة من أجل البلدان و أغناها

وضع الله مكة المشرفة فى وسط الجبال تحيط بها من جميع جهاتها، و جعل تربتها غير صالحة للزرع و النبات، و بهذا صرح إبراهيم عليه الصلاة و السلام، كما حكى الله تعالى عنه فى سورة إبراهيم: رَبَّنَا إِنِّي أَسِيَّكُنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ.

و رب قائل يقول: لماذا لم يجعل الله بلدة الأمين، تحف به الجنان و البساتين، و تكون فيه ما تشتهيهِ الأنفس و تلذ الاعين. كالشام و مصر و غيرها من البلدان، التى تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٤٣

فنقول: لم يجعله كذلك، ليكون قاصده مخلصا فى عبادة الله، لا يشرك فيها التنزه و التفسح و غيرها، و أيضا أن الدنيا كلها، لا قيمة لها عند الله تعالى، و لو كانت لها قيمة عنده، لما سقى الكافر منها شربة ماء كما جاء فى الأثر، و فى الحقيقة أن الكفار يتمتعون فى الدنيا أكثر من المؤمنين. فلماذا يزينه الله بشيء حقير لا قيمة له.

و من يطلع على أحوال أنبياء الله و رسله، صلوات الله و سلامه عليهم، و على أحوال الصحابة و العلماء العاملين و الأتقياء الصالحين، يجد أنهم فى شظف من العيش و ضيق من الدنيا، و لقد خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم منها و لم يشبع من خبز الشعير.

دخل عمر بن الخطاب، رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما فوجده مضطجعا على حصير و قد أثر فى جنبه الشريف، قال: فنظرت ببصرى فى خزانه رسول الله صلى الله عليه و سلم، فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، و مثلها قرظا فى ناحية الغرفة، و إذا أفيق معلق. قال: فابتدرت عيناي، قال: ما بيكيك يا ابن الخطاب؟

قلت: يا نبى الله و ما لى لا أبكى و هذا الحصير قد أثر فى جنبك، و هذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، و ذاك قيصر و كسرى فى الثمار و الأنهار، و أنت رسول الله و صفوته و هذه خزانتك، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة و لهم الدنيا- يعنى الروم و الفرس- قال عمر: قلت بلى."

فهذا الحديث رواه البخارى فى صحيحه فى أربعة مواضع، و أخرجه مسلم أيضا فى صحيحه عن عمر بأربع روايات معناها واحد، و إن اختلفت ألفاظها غالبا. و الأفيق بفتح الهمزة و كسر الفاء الجدل الذى لم يتم دباغه، و القرظ ورق السلم يدبغ به.

فانظر رحمك الله تعالى إلى أن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و الصالحين الأخيار، ما كانوا ينظرون إلى الدنيا أبدا، و ما كانوا يتبلغون منها إلا بقدر ضرورة الحياة، لأنها عرض زائل و الآخرة خير و أبقى.

فمن هنا تعلم أن الله تعالى، لم يجعل الأمين الذى فيه بيته المطهر، وسط الجنان و الأنهار، تحف به الزروع و الثمار، على أنه سبحانه و تعالى، قد خص مكة بأنواع الشرف و فضلها على جميع البلدان و جعل من دخلها فى أمن و أمان، و جعل خليله إبراهيم، عليه الصلاة و

السلام، يدعو لها بالأمن والرزق والخير، وجعلها التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٤٤ بلدة أكرم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم، كما جعلها مهبط الملائكة والأنبياء، ومنبع الدين الحنيف، و مكان نزول القرآن الشريف، ومقر الأتقياء والصالحين والعلماء المحبتين، وجعل خامس أركان الإسلام، وهو الحج، لا يكون ولا يتم إلا فيها، ولا يدخلها القادمون والحجاج إلا محرمين ومجردين.

هذه الميزات الخاصة والشرف الرفيع، رفعت منزلة "مكة" إلى أعلا درجة في قلوب المؤمنين، لذلك تراهم ينجذبون إليها من كل فج عميق، وإن كانت واقعة وسط الصحراء والجبال، كما ينجذب الحديد إلى المغناطيس، وما بقي لأهلها الصالحين الأتقياء، المستمسكين بالشريعة الغراء، كان أعظم وأجل يستوفونه إن شاء الله تعالى يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، نسأل الله العفو والعافية، والتوفيق والرضا، والختم على الإيمان الكامل، إنه سميع مجيب، وبعباده لطيف خبير، وصلى الله على النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

### نشأة عبادة الأصنام بمكة

جاء في تاريخ الأزرقى ما نصه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدى قال:

حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرني ابن إسحاق أن بنى إسماعيل وجرهم من ساكنى مكة، ضاقت عليهم مكة فتفسحوا فى البلاد والتمسوا المعاش، فيزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسماعيل أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم إلا احتمل معه من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة وبالكعبة، حيث ما حلوا وضعوه فطافوا به كالطواف بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم، إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنا من الحجارة وأعجبهم من حجارة الحرم خاصة، حتى خلفت الخلوف بعد الخلوف، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان و صاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم من الضلالات، وانتحوا ما كان يعبد قوم نوح منها على إرث ما كان بقى منهم من ذكرها، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل، يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به، والحج والعمرة والوقوف على عرفه ومزدلفه، وهدى البدن، والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٤٥

و كان أول من غير دين إبراهيم وإسماعيل ونصب الأوثان، و سيب السائب، و بحر البحيرة و وصل الوصيلى، و خمس الحام: عمرو بن لحي.

حدثنا جدى قال: حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرني ابن جريح قال: قال عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه - يعنى أمعاءه - فى النار، على رأسه فروة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من فى النار، قال: من بينى وبينك من الأمم. و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو أول من جعل البحيرة والسائب والوصيلى، والحام، ونصب الأوثان حول الكعبة وغير الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام. انتهى من الأزرقى.

ومعنى السائب: قيل كان الرجل إذا قدم من سفر أو شفى من مرض يسيب بعيرا يرمى ويرد الماء ولا يركبه أحد، والبحيرة بنت السائب، وقيل البحيرة هى الناقة التى تنتج خمسة أبطن فى آخرها ذكر، فتشق أذننها وتترك فلا تتركب ولا تحلب ولا تطرد عن مرعى ولا ماء، وإذا لقيها الضعيف لم يركبها.

والوصيلى هى الشاة إذا ولدت ذكرا كان لأهتهم وإذا ولدت أنثى كانت لهم.

والحام الفحل يولد لولد ولده فيقولون قد حمى ظهره فلا يركب ولا يستعمل ولا يطرد عن مرعى ولا ماء.



وقد اختلف أهل اللغة في معنى هذه الأشياء عند العرب اختلافا كثيرا فمن أراد الوقوف على ذلك فليراجع كتب التفسير. و أن هذه الأشياء من وضع الجاهلية و ليس من الله تعالى كما هو صريح قوله في سورة المائدة: مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ.

روى البخارى عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة التى يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، و السائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا- يحمل عليها شىء، و الوصيلة الناقة البكر تبكر فى أول نتاج الإبل ثم تنثى بعد بأثنى و كانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحدهما بأخرى ليس بينهما ذكر، و الحام فحل الإبل يضرب الضراب المعدود فإذا قضى ضرابه و دعوه للطواغيت و أعفوه من الحمل فلا يحمل عليه شىء و سموه الحامى. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٤٦

قال الأزرقى: عمرو بن لحي: هو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الخزاعى، و هو الذى غير دين الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام، كان فيهم شريفا سيدا مطاعا، يطعم الطعام و يحمل المغرم، و كان ما قال لهم فهو دين متبع لا يعصى، و كان إبليس يلقي على لسانه الشىء الذى يغير به الإسلام فيستحسنه فيعمل به فيعمله أهل الجاهلية و هو الذى جاء بهبل من أرض الجزيرة فجعله فى الكعبة، و جعل عنده سبعة قداح يستقسمون بها، فى كل قدح منها كتاب يعملون بما يخرج فيه فإذا أراد الرجل أمرا أو سفرا أخرج منها قد حين فى أحدهما مكتوب أمرنى ربي، و فى الآخر نهانى. ثم يضرب بهما، و معهما قدح غفل فإن خرج الناهى جلس، و إن خرج الأمر مضى، و إن خرج الغفل أعاد الضرب حتى يخرج إما الناهى و إما الأمر.

ثم قال بعد بضعة أسطر: و كان عمرو بن لحي غير تلبية إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام. بينما هو يسير على راحلته فى بعض مواسم الحج و هو يلبي إذ مثل له إبليس فى صورة شيخ نجدى على بعير أصهب، فسأيره ساعة ثم لبي إبليس، فقال: لبيك اللهم لبيك، فقال عمرو بن لحي مثل ذلك، فقال إبليس: لبيك لا شريك لك، فقال عمرو: مثل ذلك فقال إبليس: إلا شريك هو لك، فقال عمرو: و ما هذا؟ قال إبليس لعنه الله: إن بعد هذا ما يصلحه إلا شريك هو لك، تملكه و ما ملكك، فقال عمرو بن لحي: ما أرى بهذا بأسا، فلبها. فلبى الناس على ذلك. و كانوا يقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا هو لك، تملكه و ما ملكك. فلم تزل تلكك تلبيتهم حتى جاء الله بالإسلام، و لبي رسول الله صلى الله عليه و سلم تلبية إبراهيم الصحيحة لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد و النعمة لك و الملك، لا شريك لك فلبها المسلمون. انتهى من الأزرقى.

و جاء فى تاريخ الخميس ما نصه: و فى سيرة ابن هشام قال ابن إسحاق، و يزعمون أن أول ما كانت عبادة الأحجار فى بنى إسماعيل أنه كان لا- يظعن من مكة ضاعن منهم حين ضاقت عليهم و التمسوا الفسح فى البلاد إلا- حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه و طافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى اشتهر ذلك فيهم، إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنا من الحجارة و أعجبهم، حتى خلفت الخلف، و نسوا ما كانوا عليه، و استبدلوا بدين إبراهيم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٤٧

و إسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان، و صاروا إلى ما كانت عليه الأمم السابقة من الضلالات، و منهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم عليه السلام يتمسكون بها من تعظيم البيت و الطواف به و الحج و العمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه. فكانت كنانة و قريش إذا أهلوا قالوا: لبيك اللهم لبيك، لا- شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه و ما ملكك. فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم، و يجعلون ملكها بيده، بقول الله تعالى: وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ.

و قد كان لقوم نوح أصنام قد عكفوا عليها قال الله تعالى: لَا تَدْرُنَّ آلِهَتِكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وُدًّا وَلَا سُوعَاءً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَ نَسْرًا.

فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل و غيرهم، و سموها بأسمائها حين فارقوا دين إسماعيل: هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، اتخذوا سواعا فكان لهم برهات، و كلب ابن وبرة من قضاة اتخذوا ودا بدومة الجندل، و أنعم من طيء و أهل جرش من

مدحج اتخذوا يغوث بجرش، وحيوان- بطن من همدان- اتخذوا يعوق بأرض همدان من اليمن، و ذو الكلاع من حمير اتخذوا نسرا بأرض حمير. و كانت قريش قد اتخذوا صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل و اتخذوا إسافا و نائلة في موضع زمزم، ينحرون عندهما. و كان إساف و نائلة رجلا- و امرأة من جرهم، هو إساف بن بغي و نائلة بنت ديك. فوقع إساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين، و كانت اللات لثقيف بالطائف، و كانت سدنتها و حجابها بنى معتب من ثقيف، و كانت مناة للأوس و الخزرج، و من دان بدينهم من أهل يثرب على البحر من ناحية المعتل بقديد، هذا ما في سيرة ابن هشام. و في أنوار التنزيل و المدارك: العزى سمرة و أصلها تأنيث الأعز.

و في المنتقى: العزى كانت بنخلة لقريش و جميع بنى كنانة، و كانت أعظم أصنامهم، و سدنتها بنو شيبان. و قد اختلفوا في العزى على ثلاثة أقوال: أحدها أنها كانت شجرة لغطان يعبدونها قاله مجاهد، و الثاني أنها صنم قاله الضحاك، و الثالث أنها بيت في الطائف كانت تعبده ثقيف قاله ابن زيد.

و في معالم التنزيل: العزى صنم اشتقوا لهما اسما من العزيز. فبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم خالد بن الوليد ليقطعها، فجعل خالد يضربها بالفأس و يقول: يا عزى كفرانك لا سبحانك، إنى رأيت الله قد أهانك. فخرجت منها شيطانة ناشرة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٤٨

شعرها داعية و يلها، واضعة يدها على رأسها. و يقال إن خالدًا رجع إلى النبي صلى الله عليه و سلم و قال له: قد قلعتها. قال: هل رأيت شيئا؟ قال: لا، قال: ما قلعت.

و في رواية قال: إنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها. فعاد إليها خالد متغيظا و معه المعول، فقلعها و استأصلها، فخرجت منها امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس، فجعل السادن يصيح، فسلى خالد سيفه فضربها فقتلها، و جزها باثنتين، ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه و سلم فأخبره بذلك، فقال: نعم تلك العزى و لن تعبد أبدا.

و في رواية: و قد يئس أن تعبد ببلادكم أبدا. و قال الضحاك: كان أصل وضع العزى لغطان أن سعد بن ظالم الغطفاني قدم مكة و رأى الصفا و المروة، و رأى أهل مكة يطوفون بينهما، فعاد إلى بطن نخلة و قال لقومه: إن لأهل مكة الصفا و المروة، و ليس لكم. و لهم إله يعبدونه و ليس لكم. قالوا: فما تأمرنا؟

قال: أنا أضع لكم كذلك. فأخذ حجرا من الصفا و حجرا من المروة، و نقلهما إلى نخلة، فوضع الذي أخذ من الصفا فقال: هذا الصفا، و وضع الذي أخذ من المروة فقال: هذه المروة. ثم أخذ أحجار فأسندها إلى شجرة فقال: هذا ربكم.

فجعلوا يطوفون بين الحجرين و يعبدون الحجارة الثلاثة، و سموها العزى، حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة فأمر برفع الحجارة و بعث خالد بن الوليد إلى العزى فقطعها.

و في رمضان هذه السنة بعث عمرو بن العاص إلى تخريب سواع، هو صنم لهذيل على ثلاثة أميال من مكة، قال عمرو: فأنتهيت إليه و عنده السادن. فقال:

ما تريد؟ فقلت: أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم أن أهدمه. قال: لا تقدر. قلت: لم؟

قال: تمنع. قلت: ويحك هل يسمع أو يبصر؟ فكسرتة فأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانتة، ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت و لله رب العالمين.

و في مزيل الخفا روى أنه كان لآدم عليه السلام خمس بنين يسمون نسرا و ودا و سواعا و يغوث و يعوق، و كانوا عبادا فماتوا، فحزن أهل عصرهم عليهم، فصور لهم إبليس أمثالهم من صفر و نحاس ليستأنسوا بهم، فجعلوها في مؤخر المسجد.

فلما هلك أهل ذلك العصر قال إبليس لأولادهم: هذه آلهة آبائكم فعبدوها بعدهم، ثم إن الطوفان دنفها فأخرجها للعين للعرب، فكانت و د لكلب بدومة الجندل، و سواع لهذيل بساحل البحر، و يغوث لغطان من مراد ثم لبني غطيف

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٤٩

بالحوف، و في القاموس غطيف كزبير حى من العرب أو قوم بالشام، و الحوف موضع بأرض مراد، و يعوق لهمدان، و نسر لذى الكلاع و حمير.

و في المدارك: ود صنم على صورة رجل، و سواع على صورة امرأة، و يغوث على صورة أسد، و يعوق على صورة فرس، و نسر على صورة نسر. و يروى أن سواعا لهمدان، و يغوث لمذحج، و يعوق لمراد. كذا في معالم التنزيل و أنوار التنزيل و المدارك.

و في معالم التنزيل كانت للعرب أصنام أخرى: فاللات كانت لثقيف اشتقوا لها اسما من أسماء الله تعالى، قال قتادة: كانت اللات بالطائف، و قال ابن زيد: بيت بنخلة لقريش تعبدته. قال ابن عباس و مجاهد و أبو صالح: بتشديد التاء. و قالوا كان رجلا يلبت السوق للحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه، و كان بيطن نخلة.

و في القاموس سمي بالذى يلبت السوق للحاج بالسمن ثم خفف. و العزى لسليم و غطفان و جشم، و مناة لخزاعة و كانت بقديد، قاله قتادة.

و قالت عائشة رضی الله تعالى عنها في أنصار من كانوا يهلون لمناة و كانت حذو قديد. و قال ابن زيد: بيت بالمشلل يعبده بنو بكر. و قال الضحاك: مناة صنم لهذيل و خزاعة يعبدها أهل مكة. و قال بعضهم اللات و العزى و مناة أصنام من حجارة، و كانت في جوف الكعبة يعبدونها، و أساف و نائلة و هبل لأهل مكة.

و في رمضان من هذه السنة حين فتح مكة بعث سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة صنم للأوس و الخزرج و من دان بدينهم من أهل يثرب على البحر من المشلل بقديد، كذا في سيرة ابن هشام. و في القاموس مشلل كمعظم جبل يهبط منه إلى قديد. و في خلاصة الوفا ثنية تشرف على قديد كان بها مناة الطاغية. و في أنوار التنزيل هي صخرة كانت لهذيل و خزاعة و ثقيف و هي فعلة من مناة إذا قطعته فإنهم كانوا يذبجون عندها القرابين و منه منى فخرج سعد في عشرين فارسا حتى انتهى إليها قال السادن: ما تريد؟ قال: هدمها. قال: أنت و ذاك. فأقبل سعد يمشى إليها، فخرجت منه امرأة عريانة سوداء نائرة الرأس تدعو بالويل و تضرب صدرها، فضربها سعد بن زيد فقتلها و انتقل إلى الصنم و معه أصحابه فهدموه و انصرفوا راجعين إلى النبي صلى الله عليه و سلم. انتهى من تاريخ الخميس.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٥٠

### مسح إساف و نائلة في الكعبة و عبادتهما

قال الأزرقى في تاريخه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: حدثني محمد بن إسحاق: أن جرهم لما طغت في الحرم دخل رجل منهم بامرأة منهم الكعبة، ففجر بها، و يقال إنما قبلها فيها فمسخا حجرتين، اسم الرجل إساف بن بغاء، و اسم المرأة نائلة بنت ذئب فأخرجها من الكعبة فنصب أحدهما على الصفا، و الآخر على المروة، و إنما نصبا هنالك ليعتبر بهما الناس و يزدجروا عن مثل ما ارتكبا لما يرون من الحال التي صاروا إليها، فلم يزل الأمر يدرس و يتقادم حتى صار بمسحان يتمسح بهما من وقف على الصفا و المروة ثم صاروا و ثنين يعبدان.

فلما كان عمرو بن لحي أمر الناس بعبادتهما و التمسح بهما و قال للناس: إن من كان قبلكم كان يعبدهما، فكانا كذلك حتى كان قصي بن كلاب، فصارت إليه الحجابة و أمر مكة، فحولهما، من الصفا و المروة، فجعل أحدهما بلسق الكعبة و جعل الآخر في موضع زمزم. و يقال: جعلهما جميعا في موضع زمزم، و كان ينحر عندهما. و كان أهل الجاهلية يمرون بإساف و نائلة و يتمسحون بهما، و كان الطائف إذا طاف بالبيت يبدأ بإساف فيستلمه، فإذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها، فكانا كذلك حتى كان يوم الفتح فكسرهما رسول الله صلى الله عليه و سلم مع ما كسر من الأصنام.

حدثني محمد بن يحيى المدني عن إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، عن ابن حزم عن عمرة أنها قالت: كان إساف و نائلة رجلا و

امرأة، فمسحها حجرتين، فأخرجها من جوف الكعبة، وعليهما ثيابهما، فجعل أحدهما بلصق الكعبة، والآخر عند زمزم، وكان يطرح بينهما ما يهدى للكعبة، ويقال أن ذلك الموضع كان يسمى (الحطيم) وإنما نصبها هنالك لاعتبر بهما الناس. فلم يزل أمرهما يدرس حتى جعلوا اثنين يعبدان، وكانت ثيابهما كلما بليت أخلفوا لهما ثيابا، ثم أخذ الذي بلصق الكعبة، فجعل مع الذي عند زمزم، وكانوا يذبون عندهما ولم تكن تدنو منهما امرأة طامث، ففي ذلك يقول الشاعر بشر بن أبي حازم الأسدي أسد خزيمه:

عليه الطير ما يدنون منه مقامات العوارك من إساف

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٥١

حدثني جدتي قال حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال أخبرني ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر، عن علي بن عبد الله بن عباس قال: لقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وإن بها ثلاثمائة وستين صنما قد شدها إبليس بالرصاص. وكان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيب، فكان يطوف عليها ويقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا. ثم يشير إليها بقضيبه فتساقط على ظهورها.

حدثني جدتي، عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنهما ويقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد. حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما، منها ما قد شد بالرصاص فطاف على راحلته وهو يقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا. ويشير إليها فما منها صنم أشار إلى وجهه إلا وقع على دبره، ولا أشار إلى دبره إلا وقع على وجهه، حتى وقعت كلها.

وقال ابن إسحاق: لما صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر يوم الفتح أمر الأصنام التي كانت حول الكعبة كلها فجمعت ثم حرقت بالنار وكسرت، وفي ذلك يقول فضالة بن عمير بن الملوح الليثي في ذكر يوم الفتح:

إذا ما رأيت محمدا وجنوده بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت نور الله أصبح بينا والشرك يغشى وجهه الإظلام

حدثني جدتي عن محمد بن إدريس عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن حسين بن عبد الله بن عباس عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ما يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يشير بالقضيب إلى الصنم فيقع لوجهه. فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعا على راحلته، يستلم الركن الأسود بمحجنه، فلما فرغ من سبعة نزل عن راحلته، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقام، وجاءه معمر بن عبد الله بن فضالة فأخرج راحلته والدرع عليه والمغفر وعاتمه بين كتفيه، فصلى ركعتين، ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها وقال: لولا أن تغلب بنو عبد المطلب لتزعت منها دلوا. فنزع له

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٥٢

العباس بن عبد المطلب دلوا فشرب، وأمر بهبل فكسر وهو واقف عليه، فقال الزبير بن العوام لأبي سفيان بن حرب: يا أبا سفيان قد كسر هبل، أما إنك قد كنت منه يوم أحد في غرور حين تزعم أنه قد أنعم عليك. فقال أبو سفيان: دع هذا عنك يا بن العوام، فقد أرى أن لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان.

حدثني جدتي، عن محمد بن إدريس عن الواقدي، عن أشياخه: قالوا كان إساف و نائلة رجلا و امرأة، الرجل إساف بن عمرو، و المرأة نائلة بنت سهيل من جرهم. فزنيا في جوف الكعبة، فمسحها حجرتين فاتخذوهما يعبدونهما. وكانوا يذبون عندهما ويلحقون رؤوسهم عندهما إذا نكسوا، فلما كسرت الأصنام كسرا. فخرجت من أحدهما امرأة سوداء شمطاء تخمش وجهها، عريانة ناشرة الشعر، تدعو بالويل. فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك. فقال: تلك نائلة قد أيست أن تعبد ببلادكم أبدا. ويقال: رن إبليس

ثلاث رنات، رنة حين لعن فتغيرت صورته عن صورة الملائكة، ورنه حين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما بمكة يصلي، ورنه حين افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة. فاجتمعت إليه ذريته، فقال إبليس: ايتسوا أن تردوا أمه محمد على الشرك بعد يومهم هذا أبدا، ولكن أفسوا فيهم النوح والشعر.

و ذكر الواقدي عن أشياخه قال: نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة: من كان يؤمن بالله ورسوله فلا يدعن في بيته صنما إلا كسره. فجعل المسلمون يكسرون تلك الأصنام.

قال: و كان عكرمة بن أبي جهل حين أسلم لا يسمع بصنم في بيت من بيوت قريش إلا مشى إليه حتى يكسره، و كان أبو نجارة يعملها و يبيعها، و لم يكن في قريش رجل بمكة إلا و في بيته صنم.

و قال الواقدي: و حدثني ابن أبي سبرة، عن سليمان بن سحيم عن بعض آل جبير بن مطعم، عن جبير بن مطعم قال: لما كان يوم الفتح نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يترك في بيته صنما إلا كسره و أحرقه، و ثمنه حرام. قال جبير: و قد كنت أرى قبل ذلك الأصنام يطاف بها مكة فيشتريها أهل البدو فيخرجون بها إلى بيوتهم، و ما من رجل من قريش إلا و في بيته صنم، إذا دخل يمسحه، و إذا خرج يمسحه تبركا به.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٥٣

و قال الواقدي: و أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن عبد الحميد بن سهيل قال: لما أسلمت هند بنت عتبة جعلت تضرب صنما في بيتها بالقدم فلذة فلذة و هي تقول: كنا منك في غرور. انتهى من الأزرقى.

### أول من نصب الأصنام في الكعبة

قال الإمام الأزرقى في تاريخه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدى أحمد بن محمد قال حدثنا سعيد بن سالم القداح عن عثمان بن ساج قال: أخبرني محمد بن إسحاق قال: إن البئر التي كانت في جوف الكعبة كانت على يمين من دخلها، و كان عمقها ثلاثة أذرع، يقال إن إبراهيم و إسماعيل حفرها ليكون فيها ما يهدى للكعبة. فلم تزل كذلك حتى كان عمرو بن لحي، فقدم بصنم يقال له: هبل من هيت من أرض الجزيرة، و كان هبل من أعظم أصنام قريش عندها، فنصب على البئر في بطن الكعبة، و أمر الناس بعبادته، فكان الرجل إذا قدم من سفر بدأ به على أهله بعد طوافه بالبيت و حلق رأسه عنده، و هبل الذى يقول له أبو سفيان يوم أحد: أعل هبل - أى أظهر دينك - فقال النبى صلى الله عليه وسلم: الله أعلى و أجل.

و كان اسم البئر التي في بطن الكعبة (الأخسف)، و كانت العرب تسميها (الأخشف).

قال محمد بن إسحاق: كان عند هبل في الكعبة سبعة قداح كل قدح منها فيه كتاب. قدح فيه (العقل) إذا اختلفوا في العقل من يحمله ضربوا بالقداح السبعة عليهم، فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله. و قدح فيه (نعم) للأمر، إذا أرادوه يضرب به في القداح، فإن خرج قدح فيه نعم عملوا به. و قدح فيه (لا) فإذا أرادوا الأمر ضربوا به في القداح فإذا خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر، و قدح فيه (منكم) و قدح فيه (ملصق) و قدح فيه (من غيركم) و قدح فيه (المياه) فإذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح و فيها ذلك القدح فحيث ما خرج به عملوا به.

و كانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما أو ينكحوا منكحا أو يدفنوا ميتا أو شكوا في نسب أحدهم ذهبوا به إلى هبل، و بمائة درهم و جزور فأعطوها صاحب القداح الذى يضرب بها، ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: يا إلهنا هذا فلان أردنا به كذا و كذا، فأخرج الحق فيه، ثم يقولون لصاحب

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٥٤

القداح: اضرب. فإن خرج عليه منكم كان منهم وسيطا، و إن خرج عليه من غيركم كان حليفا، و إن خرج عليه (ملصق) كان ملصقا

على منزلته فيهم لا نسب له ولا حلف، وإن خرج عليه شيء مما سوى هذا مما يعلمون به (نعم) عملوا به، وإن خرج (لا) أخروه عامه ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى ينتهون في أمرهم ذلك إلى ما خرجت به القداح، وبذلك فعل عبد المطلب بابنه حين أراد أن يذبحه. وقال محمد بن إسحاق: كان هبل من خرز العقيق على صورة إنسان، وكانت يده اليمنى مكسورة، فأدركته قريش فرجعت له يدا من ذهب، وكانت له خزانة للقربان، وكانت له سبعة قداح يضرب بها على الميت والعذرة والنكاح، وكان قربانه مائة بعير، وكان له حاجب، وكانوا إذا جاءوا هبل بالقربان ضربوا بالقداح وقالوا:

إنا اختلفنا فهب السراحا ثلاثة يا هبل فصاحا

الميت والعذرة والنكاحا والبرء في المرضى والصحاحا

إن لم تقله فمر القداحا انتهى من الأزرقى.

### الكلام على أصنام قريش التي كانت حول الكعبة

لقد بسطنا القول فيما تقدم عن أصنام قريش التي كانت حول الكعبة المشرفة بما فيه الكفاية، وهنا نحب إعادة ذكر الأصنام على صورة الحكاية صاغه بقلمه البلغ نابغة العصر وأديب مصر "الدكتور طه حسين" في الجزء الثاني من كتاب "على هامش السيرة" عند الكلام على مناقشة شباب قريش مع صاحب الحان الخمار الرومي، فقد قال بعد أن ذكر ما دار بينهم من المناقشات الأولية ما يأتي:

قال الخمار الرومي لأصدقائه من شباب قريش "عزيز علي أن ألقاكم بما لقيتكم به من الفتور، وقد عودتكم أن أكون لكم مكرما، وبكم حفيا. وعزيز علي أن أقصر عما تقدمون عليه من هذه اللذات التي كنت أسابقتكم إليها فأسبقتكم، وأنازعكم استمتاع بها فأكون أوفركم منه حظا وأعظمكم منه نصيبا.

وعزيز علي أن يعديكم هذا الفتور و يبلغكم هذا القصور، فتصدون عما تحبون

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٥٥

و تصرفون عما تألفون. ولكن ثقوا أني لم أقدم على ذلك راغبا فيه، وإنما دفعت إليه مكرها عليه."

قال صفوان بن أمية: "فإننا ما نشك في أنك لم تلقنا بهذا الإعراض والفتور إلا وقد عرض لك من الأمر ما اضطررك إلى ذلك. وقد عودناك أن نفضي إليك بأسرارنا و جلية أمورنا، لا نخفي عليك منها شيئا. فأفرض إلينا بدخيلة نفسك و جلية أمرك، فلعلنا أن نكون عندما تحب من المعونة لك و الترفيه عليك."

قال صاحب الحان "فإني أخشى أشد الخشية ألا تملكوا لي من هذا الأمر الطارئ شيئا."

قال صفوان: "إنك ضيفنا و جارنا و صديقنا، و صاحب لذتنا و شريكنا في هذه اللذة. فلستنا لقريش إذا أن بخلنا عليك بالمعونة، أو آثرنا أنفسنا بالأمن و الراحة و النعيم من دونك. و إنك لتعرف من قريش قراها للضيف، و وفاءها للجار، و برها بالصديق، و أداءها للحقوق."

قال صاحب الحان "فإن هذا الأمر الطارئ ليس مما تظنون في شيء، و إنني لا أدري كيف أباديكم به و أتحدث إليكم فيه. و لو أن الذي عرض لي كان مما تعودتم أن تردوه عن الضيف و الجار و الصديق لما أبطأت في أنباتكم به و إظهاركم عليه. و لكنه لون آخر من الأمر لم تتعودوا أن تروه، و ضرب آخر من الخطب لم تتعودوا أن تشهدوه. و ما أدري أنفهمون على إن تحدثت إليكم بما عرض لي! و ما أدري أترضون إن فهمتم ما ألقى إليكم من الحديث أم تسخطون! فإنه أمر غريب حقا! غريبا حقا!" ثم أطرق الرومي و ترك هؤلاء الفتيان من شباب قريش و قد أخذهم شيء يسير من الوجوم بهذا الحديث الغريب، و جعلوا يتقارضون فيما بينهم ألحاظا قصارا سراعا. ثم رفع الرومي إليهم رأسه، فلما رآهم على هذه الحال ابتسم لهم رفيقا بهم، و قال في صوت هادئ بعيد: "ما أحب لكم أن تصرفوا عن أمر لذتكم إلى هذا الأمر الذي ما آراه يعنيكم من قريب أو بعيد، فعودوا إلى ما كنتم فيه موفورين. و لو استطعت

لشاركتكم في اللهو، ولأعنتكم عليه، ولكن نفسي محزونة منذ الليلة حقاً."

قال صفوان: "فإننا لن نتحول عنك إلى لذتنا، ولن ننصرف عنك إلى بيوتنا حتى نعلم علمك، وحتى نرى أقادرون نحن على أن نعينك أم عاجزون عن أن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٥٦

نبلغ من ذلك بعض ما نريد. فاقصص علينا أمرك ولا تبطن، فإنك قد شوقتنا إلى حديثك هذا الذي تخفيه فتمعن في إخفائه، و تلتوى به علينا أشد الالتواء."

قال الرومي: "إني لا أخفي عليكم شيئاً، ولا ألتوى عليكم بشيء، ولكني أدير هذا الأمر في نفسي ولا أعرف كيف أباديكم به." قال صفوان وهو يتكلف الضحك: "فبادنا به كيف شئت وعلى أي وجه أحببت، فإني أخشى إن طال بك هذا الصمت وألح عليك هذا الالتواء أن نشق عن صدرك لئري ما يضطرب فيه من عاطفة، ونشج رأسك لنظهر على ما تدير فيه من رأى وما تجيل فيه من حديث."

قال الرومي وهو يتسم: "ما أوفاكم إذا للجار، وأرعاكم إذا للصديق!"

قال صفوان: "فإنك مظهرنا على أمرك طائعا أو كارها، فقد طال منكم الصمت، وطال منا الإلحاح، وقد تقدم الليل، وإنا خليقون أن نبقي حولك حتى يدر كنا الصبح نسألك ونلح عليك، فأرح نفسك وأرحنا من السؤال والإلحاح." قال الرومي وهو يظهر ترددا شديداً، ويأخذ نفسه بالعنف لأنه يقدم على أمر عظيم: "فإن الأمر الذي أهمنى لا يتصل بي وإنما يتصل بكم."

قال صفوان: "فذلك أجدى أن تبادينا به وتظهرنا عليه!"

قال الرومي: "فإنه لا- يتصل بحياتكم حين تأوون إلى بيوتكم، أو تهرعون إلى هذا الحانوت أو تضطربون في الأرض، وإنما يتصل بآلهتكم."

ولم يكدهؤلاء الفتيان من قريش يسمعون هذه الجملة حتى اندفعوا إلى ضحك غليظ متصل، ثم سكت عنهم الضحك بعد حين، فجعل بعضهم ينظر إلى بعض نظر المنكر لما سمع، الساخر منه، في شيء غريب من الفرح والمرح، وفي إشارة إلى الغلام أن يملأ أقداحهم. ثم نظر صفوان إلى صديقه الرومي نظرة لا تخلو من استهزاء يشوبه الإشفاق وقال: "قد كنا نحسب أن التفكير في الآلهة والحديث عنهم أمر مقصور على نفر من قريش تقدمت بهم السن وتقلبت عليهم الحياة، وفرغوا لهذا العبث، فجعلوا يخوضون فيما ليس للناس ان يخوضوا فيه. ولكن الأمر قد تجاوز هؤلاء الشيوخ من قريش إلى جيراننا من الروم. أو مستك العدوى إذا؟ أو جعلت تصبوا إلى ما يصبو إليه هؤلاء نفر من شيوخنا، وتحرص على أن تمتاز بما يمتازون به من التخرج والتكلف، وإنفاق الجهد فيما لا ينبغي أن ينفق فيه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٥٧

الجهد؟! لقد جفت حلوقنا يا غلام، فأسرع إلى هذه الأقداح فاملأها، وأسرع إلى مولاك بشيء من شراب، فما نرى إلا أن نفسه قد ظمئت، وما نرى إلا أن ظمأ نفسه قد اضطرها إلى هذا الحديث."

قال الرومي: "أما إنك قد قلت الحق وأنت لا تدري! فإن نفسي لظمئة، وإن ظمأها لأشد مما تظن."

قال صفوان: "تظماً وعندك أكرم ما جادت به بيسان من نبيذ!"

قال الرومي: "ما صدفت نفسي قط عن الخمر كما تصدف عنها الآن. إني لشديد الظمأ ولكن إلى شيء آخر ما أرى أنكم تفقهونه أو تفتنون له."

قال صفوان وهو مغرق في الضحك: "إنك لظمئ إلى ما كانت تظماً إليه نفس زيد بن عمرو، فقد طلبته جاهدة فلم تظفر به، ولم

تروظماها باليقين، و إنما روته بهذا الدم الزكى الذى لم تتأثر له بعد، و الذى لايد من التأثر له. و إنك لظمئى إلى ما كانت تظما له نفس ورقة بن نوفل و عثمان بن الحويرث، فإن ورقة بن نوفل ليقيم منك غير بعيد فتحول إليه و استمع له، فقد يروى نفسك بما وعى من علم النصرارى، و ما حفظ من سحف الروم. و لكن لا- تنس أن تخلى بيننا و بين ما بقى لك من خمر، و أن تحكمننا فيما ستقدم عليك به العير بعد أيام. "ثم تضاحك القوم و رفعوا الأقداح إلى أفواههم، ثم ردوها و لم يذروا فيها شيئا.

قال الرومى "فأما و أنتم تفقهون أمر هؤلاء النفر من قريش، فما أشك فى أنكم ستفهمون عنى إن حدثتكم بما يضطرب فى نفسى من الأمر. و لقد أسأت بكم الظن فمعدرة إليكم. لقد رأيتكم لا- تحفلون إلا- بما يحفل به أترابكم من اللهو، و لا تقبلون إلا على ما يقبل عليه لداتكم من اللذة و النعيم."

قال صفوان "فإن لنا على ذلك عقولا تستطيع أن ترقى إلى حكمتك العليا.

و لكن ما رأيك فى أنها زاهدة فى هذه الحكمة، راغبه عنها!! فإننا لم نأتك لتتحدث إلينا عن الآلهة، و ما ينبغى لغير قريش أن تتحدث عن آلهة قريش. و لقد أطلت فينا المقام، فكنت خليقا أن تعرف من أمرنا أكثر مما عرفت. و ما نظنك إلا أدركت شيئا مما لقي زيد بن عمرو، و قد كان أوسطنا نسا، و أرفعنا حسبا.

فخذ فى حديث آخر غير حديث الآلهة، فما كنا لنكره ذلك من شيخ قرشى ثم نرضاه من رومى غريب أقبل علينا ليسقينا الخمر و يسمعنا الغناء."

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٥٨

قال الرومى و قد ظهر عليه بعض الحزن "ألم أقل لكم إنى كنت مشفقا أن يسؤكم حديثى، و إنى كنت راغبا عن أن أوذيكم." قال فتى من القوم "فإنك لم تؤذنا و إن حديثك لم يسؤنا، و إنك لم تظهرنا بعد على هذا الحديث. و لكن فى صفوان حدة و سرعة إلى الغضب و سيما حين يثقل عليه الشراب، فامض فى حديثك راشدا، و أشركنا فى هذا الهم الذى غير سيرتك منذ الليلة."

قال صفوان "ما أدرى ماذا عرض لى! فإن حديثك لم يسؤنى و لم يؤذنى، و إنما أخذت فى الدعابة حين سمعتك تتحدث عن الآلهة، فما أسرع ما استحالت الدعابة إلى جد مر، فامض فى حديثك و خلاك ذم."

قال الرومى "أقبلوا على شأنكم، و خذوا فى لهوكم، أو تفرقوا إلى بيوتكم فقد تقدم الليل."

و أحس القوم أن نفس الرومى مقسمة بين الغضب و الخوف، فعادوا إلى الرق به و التلطف له، حتى ردوه الأمن و الهدوء، ثم مضوا يسألونه عن حديثه، و يلحون عليه فى أن يتمه.

قال الرومى "أتعرفون أنى نصرانى؟"

قال صفوان "نعرف أنك نصرانى كغيرك من الروم، لكننا لم نر منك قط إقبالا على الدين، و لا إمعانا فى النسك."

قال الرومى "فاعلموا أنى لست نصرانيا، أو اعلموا أنى لم أخلص للنصرانية قط، و أنى لم أقدم على بلدكم هذا النائى البعيد من بلاد الروم لأسقيكم الخمر و أسمعكم الغناء، و إنما أقبلت إليكم مهاجرا بهذه الوثنية التى كنت أخفيها فى بلادى من أرض الروم، و أجد فى إخفائها جهدا لا يحتمل، و عناء لا يطاق." فلما سمع القوم من حديث الرومى عجبوا له، و شغفت نفوسهم بالقصة فأصغوا إليه أشد الإصغاء.

قال الرومى "إنكم لا تعرفون من أمرنا نحن الروم أقله و أيسره. و إنكم لتجهلون و ثنيتنا القديمة كما تجهلون نصرانيتنا الحديثة. و لو قد علمتم من أمرنا أكثر مما تعلمون لكان فهمكم عنى أعمق و أصدق إن و ثنيتنا القديمة ليست من اليسر و السذاجة بحيث ترون ما ترون ما أنتم عليه من دين، فإن لآلهتنا القدماء

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٥٩

أخبارا طوالا و أبناء غريبه، تكلف بها النفوس، و تألفها القلوب، و تصبوا إليها الطباع. و قد كان آلهتنا القدماء أشد اختلاطا بنا، و



معاشره لنا، و اشتراكا معنا في جد الحياه و هزلها من آلهتكم. فلا جرم تمكن حبها في قلوبنا، و اختلط بنفوسنا، و جرى مع دمائنا، و كانت حاجتنا إليهم كحاجتنا إلى الهواء الذي نتنفسه، و إلى الطعام الذي نقيم به أودنا، و إلى الشراب الذي ننقع به الغله و نبل الصدى، و إلى المعرفة التي نغذو بها عقولنا، و نرقى بها قلوبنا، و ننقى بها طباعنا من الأوضار و الآثام. فلما جاء الدين الجديد، ضقتنا به أشد الضيق، و نفرنا منه أشد النفور، و قاومناه أعنف المقاومة و أقساها، و ضحينا في سبيل آلهتنا القديما بكثير جدا من النفوس و الدماء و الأموال أكثر مما تستطيعون أن تتصوروا. و لكن الإله الجديد كان أقوى من آلهتنا و أعظم سلطانا، فلم تثبت له الآلهة، و إنما انهمت أمامه و فرت من معابدها و هياكلها، و أذعن أكثرها لهذا الإله الجديد، و وفي أقلنا لأولئك الآلهة المشردين. و قد نشأت في أسرة من هذه الأسر التي توارثت الوفاء لأولئك الآلهة، و التي كانت تؤدي النصرانية لقيصر كما تؤدي له الضريبة التي يفرضها على الأموال، فإذا خلت إلى نفسها وفت لآلهتها، و أخلصت لها الدين محتاطة متحرجة، بالغه من التحرج و الاحتياط أقصى ما كانت تستطيع أن تتحمل.

و لكن قيصر قد اشتد في دينه. و لم يكتف من رعيته بالطاعة الظاهرة، و إنما أراد أن يخلص إلى دخائل النفوس و ضمائر القلوب، و أن يحاسب الناس على آرائهم كما يحاسبهم على أعمالهم. فلقينا من ذلك جهدا أشد الجهد، و عنتا أعظم العنت، حتى تحول كثير منا عما كان يضر من حب آلهتنا. و إنا لفي ذلك العناء و إذا أنا أسمع حديثا عن بلدكم هذا يغريني به و يدفعني إليه، و يخيل إلى أن آلهتنا قد هاجروا من بلاد الروم إلى العرب، فأقاموا فيها، و فرغوا لأهلها يبسطون عليهم من سلطانهم العذب ما كانوا يبسطونه على الروم."

قال صفوان "و ما ذاك الحديث؟"

قال الرومي "حديث ذلك الجيش النصراني الحبشي الذي أقبل على بلدكم هذا ليهدمه و يدمره، مقدا بين يديه فيله العظيم. فما كاد يدنو من حرمكم هذا حتى رد عنه أقبح الرد و أشنعه، و حتى سلطت عليه تلك الطير التي مزقته تمزيقا."

قال صفوان "فإن رب الحرم قد زاد العدو عن الحرم، ما نجد في ذلك غرابه و عجا."

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٦٠

قال الرومي "أما نحن فقد وجدنا فيه الغرابه كل الغرابه، و العجب كل العجب، و أولناه ألوانا من التأويل. فأما رهباننا و أحبارنا فقد فهموا منه شيئا آخر. ظن الأحبار و الرهبان أن هذه آية قدمتها السماء بين يدي آيات أخرى أكبر منها و أعظم خطرا. و ظن الأحبار و الرهبان أن أمور الناس ستتغير و تبدل، و أن ما أنزل على اليهود و النصراني من الدين سيتم في هذا البلد الذي رد عنه الفيل. و ظننا نحن كما قلت لكم أن آلهتنا قد هاجروا إلى هذا البلد، و أنهم قد ردوا جيش الحبشه و الروم عنه، كما ردوا جيش الفرس عن بلاد اليونان منذ قرون. و تمتلئ نفسي بحب الآلهة، و تطمئن نفسي إلى هذا التأويل، و تحدثني نفسي بالهجرة إلى بلادكم لألقى فيها آلهتنا، و لأرى فيها تماثيلهم، و لأعبدهم حرا، و أتقرب إليهم، مظهرا ذلك لا مستخيفا به و لا محتاطا فيه. و أفكر في الرحلة إلى هذه الأرض، و في الحياه التي سأحياها في هذا البلد، و في رزقي كيف أكسبه. فأتصل بالذين كانوا يقدون على بلادنا من تجاركم، فأعلم منهم علم هذه البلاد و من يعيش فيها من الناس. و أقدم مع بعض قوافلكم تاجرا أسقيكم خمر الروم، و أسمعكم غناء الروم. و إن لي في بلادكم لأربا غير هذا و ذاك. و ما أخفى عليكم أنني لم أبلغ بلادكم و لم أستقر في أرضكم حتى أدركتني خيبة الأمل، و حتى جعلت نفسي تحدثني بأن الأحبار و الرهبان ربما كانوا أدنى مني إلى الحق، و أقرب مني إلى الصواب، فقد رأيت تماثيل آلهتكم، و رأيت سيرتهم فيكم و سيرتكم فيهم، فلم أعرف من هذا كله شيء، و لم تعطف نفسي على صنم من هذه الأصنام القائمة، و لم يمل قلبي إلى وثن من هذه الأوثان المنصوبة، و لم يرتب ضميري في أن آلهتنا قد هاجروا من بلاد اليونان لا ليستقروا في بلاد العرب، و لكنهم مضوا إلى وجه من الأرض أو من السماء لا نعرفه و لا نهتدي إليه.

هنالكم أخفيت أمري في مكة كما كنت أخفيه في طرسوس، و أظهرت لكم نصرانيتي هذه الرقيقة كما كنت أظهرها في أرض قيصر،

و فرغت للتجارة و تثير المال، فجعلت أسقيكم الخمر، و أسمعكم الغناء، و أفيد منكم مالا كثيرا. و لكنكم أخذتم منذ حين في هدم بيتكم هذا و تجديد بنائه، فكان ذلكم مصدر ما أنا فيه من الاضطراب."

قال صفوان "و ما ذاك؟"

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٦١

قال الرومي "ألم تفكروا في أصنامكم هذه القائمة حول هذا البيت و المسندة إليه ما عسى أن تصنعوا بها أثناء الهدم و البناء؟"

هنالك نظر بعض القوم إلى بعض نظرة لا تخلو من معنى. و قال صفوان:

"و ماذا كنت تريد أن نضع بها غير ما صنعنا؟"

قال الرومي "لم أكن أريد شيئا و إنما كنت أنتظر."

قال صفوان "كنت تنتظر كما كنا ننتظر أن تتحول الآلهة عن أماكنها، و أن تبهرنا بانتقالها إلى حيث تأمن معاول الهادمين. و لكن الآلهة لم تتحول فحولناها، و لم تنتقل فنقلناها. و إذا تم البناء فسند ما نقلناها منها إلى أماكنها الأولى فماذا تنكر من ذلك؟ إنا لم نكر منه شيئا."

قال الرومي "فقد كنتم تنتظرون من الآلهة مثل ما كنت أنتظر."

قال صفوان ضاحكا "و لكن الآلهة لم تحقق آمالنا، و لم تفعل ما كنا ننتظر منها. أفنكره الآلهة على ما لا تريد! يا غلام! قد جفت حلوقنا فاملاً الأقداح."

ثم التفت إلى الرومي و هو يقول "إنك لتعنى نفسك بأيسر الأمر و أهونه. إن أخص ما يميز الآلهة أنهم يفعلون ما يريدون هم لا ما نريد نحن."

قال الرومي "و لكنهم لم يفعلوا شيئا."

قال صفوان "فمن حقهم ألا يفعلوا، كما أن من حقهم أن يفعلوا."

قال الرومي "فإذا أتممت بناء كم و بدا لكم ألا تردوا آلهتكم إلى أماكنها أتراها تترد إليها على رغمكم؟"

قال صفوان "ما أدري و ما يعينني من ذلك شيء أنتظر حتى يتم البناء، فإن رأيت الآلهة قد ارتدت من تلقاء نفسها إلى أماكنها فقد ظهرت لك جلية الأمر."

و إن رأيتنا نحن نردها إلى أماكنها كما حولناها عنها فاعلم أنها قد أخذتنا بذلك و أردتنا عليه. و إن رأيتها قائمة حيث وضعناها و رأيتنا نتركها حيث هي فاعلم أنها تريد ذلك، و تطمئن إلى أماكنها الجديدة. و أرح نفسك كما نريح أنفسنا من التفكير في الآلهة، و أشغل نفسك كما نشغل أنفسنا عن أمور الآلهة بأمر الناس، و عن حركات الآلهة بحركات هؤلاء الإماء الثلاث اللاتي يوقعن و يغنين فيكلفنا من أمرنا شططا."

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٦٢

و تفرق هؤلاء الفتيان من قريش عن صاحبهم الرومي آخر الليل، و إن بعضهم ليقول لبعض: ويلكم! لقد فطن هذا الرومي لما فطنتم له. و لئن جاز لنا نحن أن نشك في آلهتنا أو نسخر منها، فما ينبغي أن يجوز ذلك لرومي يسقينا الخمر و يسمعنا الغناء. ويلكم! ارفعوا ذلك إلى الملاء من قريش! ليدبروا أمرهم و أمر الآلهة، فإنه في حاجة إلى التدبير، و ليحتاطوا أن يشيع هذا الشك في عامة الناس وضعفائهم، و في هؤلاء الأجانب الذين يملئون مكة من الفرس و الحبش و الروم.

و لكنهم راحوا على صاحبهم الرومي من الغد ليستأنفوا عنده لهوهم و لذتهم، فلم يجدوه و لم يجدوا إماء الثلاث، و إنما وجدوا حانوتا خاليا إلا من دنان و زقاق كان فيها فضل من شراب.

و استقر حديث الرومي في نفوس هؤلاء الفتيان، و ما أدري أتحدثوا به إلى الملاء من قريش أم اخفوه عليهم، و لكنهم لم ينسوه على

كل حال، و إنما جعلوا ينتظرون أن يتم بناء البيت، و يتساءلون إذا التقوا- كما يسأل كل واحد منهم منفردا:- ماذا عسى أن يصنع الآلهة ليعودوا إلى أماكنهم؟ أيسعون إلى هذه الأماكن ليستقروا فيها، أم ينقلون إلى هذه الأماكن محمولين على الأيدي و الأعناق كما حولوا عنها محمولين على الأيدي و الأعناق حين أخذت قريش في هدم البيت؟.

و ليس من شك في أن الملائكة من قريش قد فكروا في هذا الأمر كما فكر فيه الشباب، و انتظروا من الآلهة مثل ما انتظر الشباب. و لكن شيوخ قريش كان أمكر و أمهر من أن يظهروا من تفكيرهم شيئا. و كانوا أضبط لأموهم و أملاك لعواطفهم من أن يظهروا الشباب و ضعاف الناس على ما خالط قلوبهم من ريب، و شاع في نفوسهم من شك، حين رأوا آلهتهم ينقلون كما ينقل المتاع، و يرصون في أماكنهم الجديدة كما يرص الأثاث. و مهما يكن من شيء فقد أتمت قريش بناء البيت، و انتظرت بالآلهة يوما و يوما، فلما لم تجد منها إرادة و لا حركة و لا تحولا إلى أماكنها ردتها إلى تلك الأماكن ردا، و حملتها إليها حملا. و استقر في نفوس الشيوخ و الشباب شك عظيم. و ربما ظهر الأمر ببعض أولئك الشيوخ و الشباب إلى ما هو أبعد من الشك و الريب، و أدنى إلى الجحود و الإنكار.

و لكن محنة قريش في آلهتها لم تقف عند هذا الحد الذي قد يفظن له أذكيا القلوب، و أصحاب العقول النافذة و الأحلام الراجحة، و لكنه يخفى عادة على

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٦٣

الدهماء و يجلب عن أن تعرفه عامة الناس، و إنما جاوزته إلى شيء خطير رأت فيه قريش خطبا عظيما و افتضاحا منكرا لما لم يكن ينبغي أن يفتضح من أمر الآلهة.

فقد أسندت قريش من آلهتها إلى البيت ما أسندت، و أقامت قريش من آلهتها حول البيت ما أقامت، و خيل إليها أن قد فرغت من هذا الجهد الشاق، و خلصت من هذا العناء الثقيل. ثم اجتهد الأشراف و السادة في أن شغلوا عامة الناس و دهماءهم عن التفكير في جمود الآلهة و قصورهم، فأقاموا الأعياد، و أكثروا من التقرب للآلهة، و أسرفوا في أموالهم ليطعموا الفقراء و البائسين، و ألحوا في ذلك و أقاموا عليه حتى تجاوز كرمهم أهل مكة إلى من كان يضرب حولها من الأعراب الذين جعلوا يقدمون على مكة، يلتمسون فيها حظوظهم من هذه الإبل و الشاء التي كانت تقرب إلى الآلهة في غير انقطاع. و لكن قريشا تصبح ذات يوم فتغدو على البيت فترى، و يا هول ما ترى! ترى آلهتها مجدلين قد صرعوا حول البيت تصريعا، منهم المستلقى على ظهره، و منهم المنكب على وجهه، و منهم المضطجع على أحد جنبه. و ما أصف لك شيئا مما ملأ قلوب قريش من الروع و الهلع، فأنت قادر على تصور ذلك إذا قدرت إعظام العامة لآلهتها، و حرص الخاصة على ما ينبغي لهؤلاء الآلهة من جلال و وقار.

و تقبل قريش على آلهتها فتردهم إلى أماكنهم، و تقرهم في مواضعهم، ثم تستشير و تستخير و تدير بينها ألوان الرأي، ثم يستقر الأمر بينها على أن الآلهة لم يرضوا بعد عما نحر لهم من ضحايا و ما سفك حولهم من دماء. فتستأنف قريش ما كانت قد أخذت تعرض عنه من التضحية و التقرب. و هذه الإبل تنحر، و هذه الشاء تذبح، و هؤلاء الفقراء ينعمون بعيش رغد و سعة متصلة. و لكن قريشا تصبح من الغد فإذا آلهتها مجدلون حول البيت، قد فعلت بهم الأفاعيل!.

و يعظم لذلك هم قريش، و تمتلئ لذلك قلوب قريش حزنا و أسى، منهم الصادق المخلص، و منهم المشفق الماكر، و لكنهم على كل حال يقيمون الأصنام، و يجددون التضحية، و يستشيرون الكهان و يجدون في البحث و الاستقصاء، لعل في مكة قوما يمكرون بالآلهة، و يدبرون للحرم و أهله كيدا. و قد أقاموا الحراس حول البيت أثناء النهار، فلم ير الحراس شيئا ينكرونه. و أقاموا الحراس حول البيت آناء الليل، فقاموا حذرين أيقاظا ينتظرون، و لكن انتظارهم لم يطل و إنما هو انتصاف الليل و تقدمه بعد ذلك شيئا، و إذا بضجيج يسمع، و أصوات تفرع الأذان. و ينظر

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٦٤

الحراس- و يا هول ما يرون!- الآلهة و قد صرعوا حول البيت تصريعا، فيفرون و قد ملكهم الخوف و استأثر بهم الفزع.

وقد أشار الكهان على قريش بأمر عظيم وقفت له القلوب فما تخفق، وجمدت له الدماء فما تجرى، ووجمت له النفوس فما تستطيع رؤية ولا تفكيراً، وهلعت له النساء في البيوت، وأشفق منه سكان مكة جميعاً إشفاقاً عظيماً، فقد زعم الكهان لقريش أن لحوم الإبل والشاة ودماء الإبل والشاة ما كانت لترضى الآلهة بعد أن حولت عن أماكنها، وبعد أن هدم بيئتها وأعيد بناؤه. ولا بد من أن يقرب إلى الآلهة لون آخر من القربان يقنعهم بأن عبادهم من قريش لا وجودون عليهم بالأموال وحدها، وإنما يتقربون إليهم بالأنفس أيضاً. وقال الكاهن لقريش: يجب أن تقربوا لآلهتكم من أجيالكم الثلاثة رجلاً وامرأة قد تقدمت بهما السن حتى أشرفا على الموت، وفتى وفتاة في نضرة الشباب، وصبيا وصبية من الإحداث. فإن لم تفعلوا فما ندرى ماذا يصنع الآلهة، فإنهم لم يفعلوا إلى الآن أكثر من أن قدموا إليكم النذر، فأسرعوا إلى إرضائهم، فإننا نخشى أن تسؤ العاقبة، وأن تصبحوا فلا تروا آلهتكم بينكم، وألا تمضى بعد خروجهم عنكم أيام حتى يسלט عليكم شر عظيم. ولو استمع الملاء من قريش لما كانت تضطرب به نفوس الدهماء و عامة الناس لأطاعوا أمر الكهان، ولتقربوا إلى آلهتهم بهذا الإثم المنكر. ولكن الملاء من قريش كانوا أمكر من ذلك وأمهر، وكانوا أحزم من ذلك وأعزم، فقد خلصوا نجيا ذات ليلة في دار ندوتهم، وجعلوا يتشاورون ويديرون أمرهم بينهم، وليس من شك في أنهم قد تلاوموا وتلاخوا، وألقى بعضهم على بعض تبعه ما كان من هدم البيت وتجديد البناء. ولكنهم كانوا مجمعين أمرهم على ألا يدعوا لما يأخذهم به الكهان، ولا يقدموا إلى آلهتهم أبناءهم وبناتهم، وأن أمر الآلهة في نفوس هؤلاء الشيوخ الذين عركتهم التجارب لأهون من ذلك وأيسر.

ولكن الملاء من قريش ينظرون فإذا بينهم رجل غريب ينكرونه، ثم لا يلبثون أن يعرفوه، شيخ قد تقدمت به السن، واتخذ زى النجديين، لم يكن بينهم حين اجتمعوا ولكنه ظهر فيهم فجأة، لا يدرون من أين أقبل وهم قد أقاموا على الباب حراساً يمنعون أن يقتحمه أحد أو يدنو منه أحد. ولكنهم يذكرون أنهم قد رأوا هذا الشيخ النجدى ذات يوم حين أمضى الأمين حكمه فيهم، وحين وضع الأمين الركن الأسود في موضعه من البيت. رأوه يريد أن يشارك في البناء فيرد عن ذلك رداً عنيفاً، فيظهر السخط ويعلن النذير، ثم يستخفى فلا يظهرون له على أثر.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٦٥

فلما رأوه من تلك الليلة أقبلوا عليه يسألونه من أين جاء، ومن عسى أن يكون؟

فلا يرد على سؤالهم هذا جواباً، وإنما يقول لهم في صوت نحيف بعيد: "لقد أخذت النذر تتحقق يا معشر قريش. ألم أنهكم عن أن تحكموا بينكم رجلاً كان أصغركم سناً، وأقلكم مالا، وأشدكم إضراباً عن آلهتكم، وأبعدكم من الاحتفاء بهم والإكرام لهم، فقد أبيتتم إلا أن تفعلوا، وغضبت الآلهة مما فعلتم وما أرى أن أموركم تستقيم إلا إذا نقضتم بناءكم شيئاً، فأخرجتم الركن من موضعه، ثم رددتموه إليه بعد أن تضحوا لآلهتكم بمن أمركم الكهان أن تضحوا بهم. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الآلهة، لا قبل لكم بها ولا قدرة لكم عليها. والخير يا معشر قريش أن تريحوا أنفسكم من هذا الأمين، فإنكم إن أبقيتم عليه لم يبق عليكم، وإن مددتم حياته لم يلبث أن يجذم حياتكم جذماً."

و يسمع الملاء من قريش حديث هذا الشيخ مرتاعين له، حتى إذا انقطع الصوت وهموا أن يحاوروا صاحبه نظروا فلم يجدوه بينهم، وكأنه لم يدخل عليهم ولم يتحدث إليهم.

هنالك تمتلىء قلوب القوم حيرة، ويكادون يصرفون عما كانوا فيه إلى السؤال عن هذا الشيخ: من أين جاء؟ ومن عسى أن يكون؟ ولكن الوليد بن المغيرة يقول في صوت هادئ مطمئن: "و يحكم يا معشر قريش، ما أرى إلا- أن الشيطان يريد أن يعث بكم، و يصرفكم عما ألفتكم و عما ألفت الناس فيكم من الحزم والعزم، و من الأناة والوقار. إنه الشيطان يا معشر قريش، ما أشك في ذلك، إنه قد ظهر بينكم ثم استخفى عليكم. و إنه قد أنذركم بالشر، ودعاكم إلى أمر فظيع. أرايتكم يا معشر قريش إن أخرجتم الركن عن موضعه، تستطيعون أن تردوه دون أن يشجر بينكم الخلاف، و تستيقظ فيكم الفتنة، و ينصب بعضكم لبعض الحرب، و يدعو بعضكم

بعضا إلى القول؟ هل أنتم يا معشر قريش إن استمتعتم لهذا المشير الخائن، و النصيح الغاش، فبطشتم بالأمين أو حاولتم البطش به، إلا مضيعون للحق، مهترون للرحمة قاطعون للرحم، تجزون الخير بالشر، والمعروف بالمنكر! فقد حقن الأمين دماءكم، وهذا الشيطان يدعوكم إلى أن تهدروا دمه. وقد أقر الأمين فيكم السلم، وهذا الشيطان يدعوكم إلى أن تثيروا بينكم وبين قومكم الحرب. لا والله ما دلكم هذا الشيطان إلا على الغي، ولا دعاكم إلا إلى الإثم. ردوا عليكم فضل أحلامكم، ولا تكبروا من أمر هذه التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٦٦

الأحجار غير كبير. إني والله ما أراها كلها تعدل قطرة من هذه الدماء التي ترادون على أن تسفكوها. أي أسرة قريش تريدون أن تفجعوها في كبيرها أو صغيرها؟ أيكم تطيق نفسه يا معشر قريش عن هذه التضحية بابنه أو بنته، وبأبيه أو أمه؟ إنكم لم تنسوا بعد قصة عبد المطلب وابنه عبد الله، لقد كدتم تبطشون به، لأنه كان يأبى أن يضحى بابنه للآلهة. فإنكم لا ترادون الآن على أن تضحوا بواحد من قريش، وإنما ترادون على أن تضحوا بستة من خيركم، لا تسمعوا لهذا اللغو! وأمر هذه الأحجار أيسر عليكم وأهون في نفوسكم مما تظنون، ومما يخيل إليكم الشيطان. "قال أمية بن خلف: "مهلا يا وليد! إنك لتقول الحق وتدعو إلى الرشيد. ولكن خفض من صوتك، ولتكتم على الناس هذا الحديث، فإنه إذا ذاع لم ينتج إلا شرا، والأمر بعد ذلك في حاجة إلى التدبير. فما ينبغي أن يروح الناس عن آلهتهم وهم قائمون، ثم يغدو عليهم وهم مجلدون." قال الوليد: "ما أرى إلا أن هذا الشيطان يعث بنا وبهذه الأحجار، يتخذها أسبابا ووسائل لكي يدبره، وشر يقدره. يقيمها أثناء النهار، وينمها إذا جن الليل." قال أمية: "فاقترح علينا وسيلة نخلص بها من كيد الشيطان، ونكره بها الآلهة على أن يظلوا يبيتوا كما عرفهم الناس قائمين، غير نائمين ولا مجلدين."

قال الوليد: "كلوا إلى أمر هؤلاء الآلهة، فعلى أن أجد لكم منه مخرجا." و تفرق الملاء من قريش وهم لا يدرون ماذا يريد الوليد أن يصنع. ولكن الوليد غدا على ذلك البناء القبطي الذي أقام لهم البيت، فاستشاره في ذلك، وأفضى إليه برأيه جليا صريحا في هذه الأحجار. فلما سمع منه "باخوم" أطرق شيئا، ثم قال مبتسما: "هلا صنعتم بآلهتكم ما نصنع نحن بما نريد تشييته من البناء!" قال الوليد: "و ما ذاك؟" قال باخوم وهو لا يملك نفسه من الضحك: "شددوا آلهتكم بأسباب من الرصاص." قال الوليد: "هو ذاك!"

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٦٧

والغريب أن أصنام قريش ثبتت في أماكنها واستقرت في مواضعها بعد هذه الحيلة، وعجزت عن أن تخلص من قيودها الرصاصية تلك فلم تراها قريش بعد ذلك إلا قائمة مكانها، حتى كان يوم من الأيام رأتها فيه وقد تحطمت تحطيمًا.

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل الرواية في إسناد له عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: "جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا." فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع إلى قفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع. فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك:

وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقابا  
انتهى من هامش السيرة.

و لقد ذكر العلامة المسعودى فى تاريخه المسمى "بمروج الذهب و معادن الجواهر" تفصيلات وافية عن البيوت المعظمة و الهياكل و بيوت النيران و الأصنام، التى كانت عند بعض الأمم كاليونانيين و الروم و الصقالبة و الصائبة و الفرس. نذكر منها ما يناسب مبحثنا هذا فقط، فلو نقلنا عنه جميع ما ذكره لطال بنا الكلام. و إليك ما جاء فيه:

كان كثير من أهل الهند و الصين و غيرهم من الطوائف، يعتقدون أن الله عز و جل جسم و أن الملائكة أجسام لها أقدار، و أن الله تعالى و ملائكته احتجوا بالسماء، فدعاهم ذلك إلى أن اتخذوا تماثيل و أصناما على صورة البارى عز و جل، و بعضها على صورة الملائكة مختلفة القدود و الأشكال، و منها على صورة الإنسان، و على خلافها من الصور، يعبدونها و قربوا لها القرابين و نذروا لها النذور، لشبهها عندهم بالبارى تعالى و قربها منه، فأقاموا على ذلك برهة من الزمان و جملة من الأعصار، حتى نبههم بعض حكمائهم على أن الأفلاك و الكواكب أقرب الأجسام المرئية إلى الله تعالى و أنها حية ناطقة، و أن الملائكة تختلف فيما بينها و بين

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٦٨

الله، و أن كل ما يحدث فى هذا العالم فإنما هو على قدر ما تجرى به الكواكب على أمر الله، فعظموها و قربوا لها القرابين لتتفهمهم. فمكتوا على ذلك دهرا، فلما رأوا الكواكب تخفى بالنهار و فى بعض أوقات الليل لما يعرض فى الجو من السواتر، أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلوا لها أصناما و تماثيل على صورها و أشكالها، فجعلوا لها أصناما و تماثيل بعدد الكواكب الكبار المشهورة، و كل صنف منهم يعظم كوكبا منها و يقرب لها نوعا من القران، خلاف ما للآخر، على أنهم إذا عظموا ما صوروا من الأصنام تحركت لهم الأجسام العلوية من السبعة بكل ما يريدون، و بنوا لكل صنم بيتا و هيكل مفردا و سموا تلك الهياكل بأسماء تلك الكواكب.

و قد ذهب قوم إلى أن البيت الحرام على مرور الدهور معظم فى سائر الأعصار لأنه بيت زحل، و أن زحل تولاه، و لأن زحل من شأنه البقاء و الثبوت، فما كان له فغير زائل و لا دائر و عن التعظيم غير خامل، و ذكروا أمورا أعرضنا عن ذكرها لشناعة وصفها، و لما طال عليهم العهد عبدوا الأصنام على أنها تقربهم إلى الله، و أغوا عبادة الكواكب.

فلم يزلوا على ذلك حتى ظهر يوداسف بأرض الهند، و كان هنديا خرج من أرض الهند إلى السند، ثم سار إلى بلاد ساجستان و بلاد زابلستان، و هى بلاد فيروز بن كيك، ثم دخل السند إلى كرمان فتنبأ و زعم أنه رسول الله و أنه واسطة بين الله و بين خلقه، و أتى أرض فارس و ذلك فى أوائل ملك طهمورث ملك فارس، و قيل ذلك فى جم شيد، و هو أول من أظهر مذاهب الصائبة على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب.

و قد كان يوداسف أمر الناس بالزهد فى هذا العالم، و الاشتغال بما علا من العوالم، إذ كان من هنالك بدو النفوس و إليها يقع الصدر من هذا العالم، (و جدد يوداسف) عند الناس عبادة الأصنام و السجود لها، لشبه ذكرها، و قرب إلى عقولهم عبادتها بضروب من الحيل و الخدع.

و ذكر ذوو الخبرة بشأن هذا العالم و أخبار ملوكهم، أنه أول من عظم النار و دعا الناس إلى تعظيمها، و قال أنها تشبه ضوء الشمس و الكواكب، لأن النور عنده أفضل من الظلمة و جعل للنور مراتب.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٦٩

(ثم تنازع هؤلاء) بعده فعظم كل فريق منهم ما يرون تعظيمه من الأسماء تقربا إلى الله بذلك، ثم تنازعوا برهة من الزمان (و نشأ عمرو بن لحي) فساد قومه بمكة، و استولى على أمر البيت، ثم سار إلى مدينة البلقاء من عمل دمشق من أرض الشام، فرأى قوما يعبدون الأصنام، فسألهم عنها فقالوا: هذه أرباب نتخذها، نستنصر بها فننصر، و نستسقى بها فنسقى، و كل من سألها يعطى، فطلب منهم صنما يدعون "هبل" فسار به إلى مكة و نصبه على الكعبة، و معه "إساف و نائلة"، و دعا الناس إلى تعظيمها و عبادتها، ففعلوا ذلك، إلى

أن أظهر الله الإسلام، وبعث محمدا عليه السلام فظهر البلاد و أنقذ العباد.

(وقد قال هؤلاء) إن البيت الحرام من البيوت السبعة المعظمة المتخذة على أسماء الكواكب من النيرين و الخمسة.

(و بيت ثان) معظم على رأس جبل بأصبهان يقال له "مارس" و كانت فيه أصنام، إلى أن أخرجها منه باستاسف الملك لما تمجس، و جعله بيت ناره و ذلك على ثلاثة فراسخ من أصبهان، و هذا البيت معظم عند المجوس إلى هذه الغاية.

(و البيت الثالث) يدعى "سندوساب" ببلاد الهند، و له قرابين تقرب، و فيه أحجار المغناطيس الجاذبة و الرافعة و المنفردة من أوصاف لا يسعنا الإخبار عنها، فمن أراد أن يبحث عن ذكرها فليبحث فإنه بيت مشهور ببلاد الهند.

(و البيت الرابع) هو "النوبهار" الذي بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر، و كان من يلي سداتنه تعظمه الملوك في ذلك الصقع، و تنقاد إلى أمره و ترجع إلى حكمه و تحمل إليه الأموال، و كانت عليه وقوف، و كان الموكل بسداتنه يدعى "البرمك" و هو سمة عامة لكل سدنته، و من أجل ذلك سميت البرامكة لأن خالد بن برمك كان من ولد من كان على هذا البيت، و كان بنيان هذا البيت من أعلى البنيان تشييدا، و كان تنصب على أعلاه الرماح عليها شقاق الحرير الأخضر، طول الشقة مائة ذراع فما دونها، قد نصب لذلك رماح و خشب تدفع قوة الريح بما عليها من الحرير.

فيقال و الله أعلم: أن الريح خطفت يوما من بعض تلك الشقاق و رمت به، فأصيب على مسافة خمسين فرسخا، و قيل: أكثر من تلك المسافة، و هذا يدل على زيادته في الجو و تشييد بنيانه، و كانت مسافة البحر المحيط بهذا البنيان أميالا لم نذكرها إذ كان أمر ذلك مشهورا من وصف علو السور و عرضه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٧٠

(قال المسعودي): و قد ذكر بعض أهل الرواية و التنقيح أنه قرأ على النوبهار ببلخ كتابا بالفارسية ترجمته، قال يوداسف: أبواب الملوك تحتاج إلى ثلاث خصال: عقل، و صبر، و مال، و إذا تحته بالعربية: كذب يوداسف الواجب على الحر إذا كان معه واحدة من هذه الخصال أن لا يلزم باب السلطان.

(و البيت الخامس) بيت "غمدان" الذي بمدينة صنعاء من بلاد اليمن، و كان الضحاك بناه على اسم الزهرة، و خربه عثمان بن عفان رضى الله عنه، فهو في وقتنا هذا خراب قد هدم فصار تلا عظيما، و قد كان الوزير على بن موسى الجراح حين نفى إلى اليمن و صار إلى صنعاء بنى فيه سقاية و حفر فيه بئرا.

(و رأيت غمدان) ردما و تلا عظيما قد انهدم بنيانه و صار جبل تراب كأنه لم يكن، و قد كان "أسعد بن جعفر" صاحب قلعة كحلان المنازل بها و صاحب مخاليف اليمن في هذا الوقت و هو المعظم في اليمن، أراد أن يبني غمدان، فأشار عليه يحيى بن الحسين الحسنى أن لا يتعرض لشيء من ذلك، إذ كان بناؤه على يدى غلام يخرج من أرض سبأ و أرض مأرب يؤثر في صقع هذا العالم تأثيرا عظيما، و قد ذكر هذا البيت جد أمية بن أبي الصلت أخو أمية و اسمه ربيعة في مدحه لسيف بن ذى يزن، و قيل بل الممدوح بهذا الشعر معد يكرب بن سيف حيث يقول:

اشرب هنيا عليك التاج مرتفاع برأس غمدان دارا منك محلالا

و كان أبو أمية جاهليا و هو القائل في أصحاب الفيل:

إن آيات ربنا بينات ما يمارى بهن إلا كفور

غلب الفيل بالمغمس حتى ظل يجفو كأنه مسحور

حواله من شباب كنده فتيان ملاويت في الحروب صقور

واضعا خلفه الجرار كما قطر صخر من جنب محرور

و قيل: إن ملوك اليمن كانوا إذا قعدوا في البنيان بالليل و اشتعلت الشموع رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام كثيرة.

(و البيت السادس "كاوسان" بناه كاوس الملك بناء عجيبا على الاسم المدبر الأعظم من الأجسام السماوية، و هو الشمس، بمدينة فرغانة من مدائن خراسان،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٧١

و خربه المعتصم بالله، و لهدمه هذا البيت خبر ظريف قد أتينا على ذكره في كتاب أخبار الزمان.

(و البيت السابع) بأعلى بلاد الصين بناه "ولد عامور بن بعويل بن يافث بن نوح" و أفرد له للعلّة الأولى، إذ كان منشأ هذا الملك و مده و باعث الأمور إليه، و قيل: إنما بناه بعض ملوك الترك من قديم الزمان و جعله سبعة أبيات في كل بيت منها سبع كوى، يقابل كل كوة صورة منصوبة على صورة من الخمسة و النيرين، من أنواع الجواهر المضافة إلى تأثير تلك الكواكب من ياقوت أو زمرد على اختلاف ألوان الجواهر، و لهم في هذا الهيكل سر يسرونه في بلاد الصين، بما قد زخرف لهم فيه القول و زينه لهم الشيطان، و لهم في هذا الهيكل علوم في اتصال الأجسام السماوية و أفعالها بعالم الكون الذي تحدثه، و ما يحدث فيه من الحركات و الأفعال عند تحرك الأجسام السماوية، و قد قرب ذلك إلى عقولهم بأن جعل لهم مثلا من الشاهد يدل على ما غاب عنهم من فعل الأجسام السماوية في هذا العالم، و هو على خشب الديباج الذي ينسج فيه، فبضرب من حركات الصانع بتلك الخشب و الخيوط الإبريسم تحدث ضروب من الحركات، فإذا اتصلت أفعاله و تواترت حركاته من النسج للشوب الديباج تمت الصورة فيه، فبضرب من الحركات يظهر جناح طائر، و بآخر رأسه، و بآخر رجلاه، فلا يزال كذلك حتى تتم الصورة على حسب مراد الصانع، فجعلوا هذا المثال و اتصال الإبريسم بآلة النسج و ما يحدثه الصانع في ذلك من الأفعال، مثلا لما ذكرنا من الكواكب العلوية و هي الأجسام السماوية، فبضرب من الحركات ظهر في العالم الطائر و بضرب آخر فرخ و كذلك سائر و كذلك سائر ما يحدث في العالم و يسكن و يتحرك، و يوجد و يعدم و يتصل و ينفصل، و يجتمع و يفترق و يزيد و ينقص من جماد و نبات أو حيوان ناطق أو غير ناطق، فإنما يحدث عن حركات الكواكب على حسب ما وصفنا من نسج الديباج و غيره من الصانع، و أهل صناعة النجوم لا يتناكرون أن يقولوا أعطته الزهرة كذا أو أعطاه المريخ كذا، كالشجرة و سهوبة الشعر، و أعطاه عطاردة دقة الصنعة، و أعطاه المشتري الحياء و العلم و الدين، و أعطته الشمس كذا، و أعطاه القمر كذا، و هذا باب يكثر القول فيه و يتسع وصف مذاهب الناس فيه و ما قالوه في بابه. انتهى من تاريخ المسعودي.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٧٣

انتهى بعون الله تعالى الجزء الأول و يتلوه الجزء الثاني، و أوله:

مكة في عهد إبراهيم عليه الصلاة و السلام

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٧٥

## المحتويات

الموضوع رقم الصفحة مقدمة الطبعة الثانية ٣

التعريف بالمؤلف ٥

تقديم الكتاب ٤١

خطبة الكتاب ٤٢

بعض أسماء الكتب التي ألفت في تاريخ مكة ٥٠

تراجم مؤرخي مكة المشرفة في عصرنا الحاضر ٥٤

ترجمة الإمام الأزرقى المكي ٥٤



- ترجمة حسين بن عبد الله باسلامة المكي الحضرمي ٥٧
- ترجمة الشيخ عبد الله الغازي المكي ٥٧
- ترجمة الأستاذ أحمد السباعي المكي ٥٩
- ترجمة محمد طاهر الكردي المكي الخطاط ٦٢
- ذكر أسماء مكة المكرمة ٦٣
- جدول بيان قياسات بعض جبال مكة و بعض أماكنها ٦٤
- قياسات بعض الأماكن بمكة ٦٤
- المسافات بين بعض المساجد ٦٤
- مقدمة الكتاب ٦٦
- بلاد الحجاز ٦٦
- طبيعة الحجاز ٦٦
- جو الحجاز ٦٧
- أهم مدن الحجاز ٦٨
- فضل الحجاز ٧٣
- جغرافية بلاد العرب ٧٥
- منظومة فريدة في علم الجغرافيا ٧٦
- تاريخ الاكتشاف الجغرافي لبلاد العرب ٧٩
- العصر القديم ٨٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٧٦
- العصر الإسلامي ٨٠
- العصر الأوروبي ٨١
- تقسيم بلاد العرب من حيث الأخلاق و العادات ٨٢
- تاريخ العرب قبل الإسلام ٨٤
- تقسيم العرب إلى عاربة و مستعربة ٨٥
- العرب العاربة ٨٥
- العرب المستعربة ٨٦
- أول تسمية للبلاد العربية السعودية ٨٧
- فضل العرب على سائر الأجناس ٨٨
- مكانة العرب بين الأمم الإسلامية ٨٩
- مناظرة بين النعمان بن المنذر و كسرى أنوشروان في شأن العرب ٩٣
- نبذة من سيرة النبي صلى الله عليه و سلم ٩٩
- نسب رسول الله صلى الله عليه و سلم ١٠١
- [توحيد آبائه صلى الله عليه و سلم] ١٠٥

- ترجمة عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه و سلم ١٠٨  
 نبذة يسيرة عن أحوال رسول الله صلى الله عليه و سلم ١١١  
 وفاة والده صلى الله عليه و سلم ١١١  
 تاريخ ولادته صلى الله عليه و سلم ١١١  
 نجاه عبد الله أب النبي صلى الله عليه و سلم من الذبح ١١٢  
 تزوج عبد الله بن عبد المطلب ١١٤  
 موت عبد الله بن عبد المطلب أب النبي صلى الله عليه و سلم ١١٦  
 ولادة النبي صلى الله عليه و سلم ١١٧  
 محل ولادته صلى الله عليه و سلم و تسميته يوم السابع ١١٩  
 رضاعته صلى الله عليه و سلم و مرضعاته ١٢١  
 قصة رضاعة حلیمة السعدية له صلى الله عليه و سلم ١٢٢  
 قصة شق صدره صلى الله عليه و سلم ١٢٤  
 موت أمه صلى الله عليه و سلم بالأبواء ١٢٦  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٧٧  
 محل مدفن أم النبي صلى الله عليه و سلم ١٣٠  
 نجاه أبوي النبي صلى الله عليه و سلم ١٣١  
 الاستدلال على نجاتهما ١٣٣  
 الحديث الصحيح الوارد في زيارته صلى الله عليه و سلم لأمه ١٣٦  
 الكلام على قرية الأبواء و قرية مستورة ١٣٩  
 كفالة عمه له صلى الله عليه و سلم ١٤٨  
 رحلته مع عمه صلى الله عليه و سلم إلى الشام للمرة الأولى ١٤٨  
 سفره صلى الله عليه و سلم إلى الشام للمرة الثانية ١٤٩  
 تزوجه صلى الله عليه و سلم بخديجة ١٤٩  
 محبة خديجة لرسول الله صلى الله عليه و سلم و محبته لها ١٥١  
 عدد أزواجه و سراريه صلى الله عليه و سلم ١٥٢  
 عدد أولاده صلى الله عليه و سلم ١٥٣  
 كيفية بدء الوحي ١٥٤  
 كيفية نزول الوحي و نزول القرآن ١٥٥  
 دعوة النبي صلى الله عليه و سلم لعبادة الله تعالى سرا ١٥٩  
 الجهر بالدعوة ١٦٠  
 حصار النبي صلى الله عليه و سلم بشعب على بسوق الليل بمكة ١٦١  
 نقض الصحيفة التي كتبها كفار قريش ١٦٢  
 بعض ما لقيه رسول الله صلى الله عليه و سلم من التعب و المشقة في سبيل الدعوة إلى الله تعالى ١٦٤

## القصيدة الشعبية ١٦٦

- جدول الحوادث الواقعة في سنوات الهجرة ١٦٩
- ابتداء مرضه صلى الله عليه و سلم ١٧١
- وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم ١٧٣
- سورة النصر و نزولها بمنى في حجة الوداع ١٧٤
- فصل في وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم ١٧٦
- ابتداء مرضه صلى الله عليه و سلم الذي قبض فيه ١٧٨
- [حالة الصحابة حينما سمعوا بموت رسول الله صلى الله عليه و سلم] ١٨٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٧٨
- [اشتغال الناس بإقامة خليفته ثم بغسل رسول الله صلى الله عليه و سلم و دفنه] ١٨٨
- حكمة دفنه صلى الله عليه و سلم في اللحد ١٩٣
- [بعض ما قاله الصحابة رضی الله تعالى عنهم في رثائه صلى الله عليه و سلم] ١٩٦
- رثاء عمر بن الخطاب رضی الله عنه لرسول الله صلى الله عليه و سلم ١٩٨
- حزن الصحابة رضی الله تعالى عنهم ١٩٩
- ما يؤخذ من مرضه و وفاته صلى الله عليه و سلم من الأمور ٢٠٦
- حكمة تأخير دفنه صلى الله عليه و سلم ٢٠٩
- نبذة عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه و سلم العظيمة و سيرته العطرة ٢١٠
- ما يمتاز به نبينا محمد صلى الله عليه و سلم عن باقي الأنبياء ٢١٣
- معجزاته صلى الله عليه و سلم ٢١٨
- نبذة من أخلاقه صلى الله عليه و سلم ٢١٩
- ذكر شيء مما اختص به رسول الله صلى الله عليه و سلم ٢٢٢
- نبذة من صفاته و شمائله صلى الله عليه و سلم ٢٢٦
- ما قاله الأستاذ الرافعي في صفته صلى الله عليه و سلم ٢٢٩
- ما قاله الأستاذ الرافعي في بلاغته صلى الله عليه و سلم ٢٣٠
- تواضع النبي صلى الله عليه و سلم في مزاحه مع أصحابه ٢٣٢
- حسن معاشرته النبي صلى الله عليه و سلم لأهله ٢٣٨
- مقصورة قبر النبي صلى الله عليه و سلم ٢٤٣
- الروضة الشريفة ٢٤٧
- صفة بيته صلى الله عليه و سلم ٢٤٧
- إشراق الدنيا بولادته صلى الله عليه و سلم ٢٤٩
- تحقيق ميلاد النبي صلى الله عليه و سلم ٢٥٦
- وصف رضاعته صلى الله عليه و سلم ٢٦٤
- محمد صلى الله عليه و سلم المثل الأعلى في الأنبياء ٢٧٣

- تعبد النبي صلى الله عليه و سلم قبل البعث ٢٨٢  
 موضع ولادة النبي صلى الله عليه و سلم ٢٨٥  
 ترجمة الشيخ عباس القطان ٢٨٧  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٧٩  
 موضع ولادة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم بمكة ٢٨٨  
 تكيه السيدة فاطمة رضى الله عنها ٢٨٩  
 موضع ولادة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ٢٩٠  
 انشقاق القمر ٢٩١  
 قصة أصحاب الفيل ٢٩٤  
 صفة بناء كنيسة القليس ٢٩٦  
 خروج أبرهة بالفيل لهدم الكعبة ٢٩٨  
 بيت برمك ٣٠٨  
 بيت غطفان ٣٠٨  
 وصف قصة الفيل ٣٠٨  
 نطق فيل أبرهة لعبد المطلب ٣١٣  
 مسرحية شعرية فى هلاك أصحاب الفيل ٣١٦  
 تراجم بعض من تقدم ذكرهم ٣٢٠  
 وفاة عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه و سلم ٣٢٠  
 ترجمة أبى طالب و أولاده ٣٢٠  
 كفالته أبى طالب لرسول الله صلى الله عليه و سلم ٣٢١  
 وفاة أبى طالب ٣٢٣  
 ترجمة أم هانئ بنت أبى طالب ٣٢٣  
 ترجمة عقيل بن أبى طالب ٣٢٤  
 ترجمة العباس بن عبد المطلب ٣٢٤  
 ترجمة أبى جهم بن حذيفة القرشى ٣٣٠  
 ترجمة حكيم بن حزام ٣٣١  
 الإسراء و المعراج ٣٣٣  
 قصة الإسراء و المعراج ٣٣٩  
 عام الإسراء ٣٤٠  
 شهر الإسراء و يومه و ليلته ٣٤٠  
 الموضوع الذى كان منه الإسراء ٣٤١  
 الاختلاف فى الإسراء هل كان بالروح أو بالجسد ٣٤٢  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٨٠

- شق صدر النبي صلى الله عليه و سلم ٣٤٤
- وصف البراق الذي ركبته صلى الله عليه و سلم ليلة الإسراء ٣٤٥
- ركوب النبي صلى الله عليه و سلم البراق و وصوله بيت المقدس ٣٤٦
- عروج النبي صلى الله عليه و سلم إلى السماء ٣٤٨
- وصول النبي صلى الله عليه و سلم إلى البيت المعمور ٣٤٩
- وصول النبي صلى الله عليه و سلم إلى الحجاب ٣٥٠
- [عدد مراكزه صلى الله عليه و سلم ليلة الإسراء] ٣٥١
- مناجاة الله تعالى مع عبده و رسوله ٣٥٢
- رؤية النبي صلى الله عليه و سلم ربه تعالى عز و جل ٣٥٣
- مراجعة موسى لنبينا محمد عليهما الصلاة و السلام بشأن الصلوات التي فرضت ٣٥٤
- مقدار مدة غيابه صلى الله عليه و سلم في الإسراء و المعراج ٣٥٦
- إنكار المشركين للإسراء و المعراج ٣٥٦
- سؤال قريش النبي صلى الله عليه و سلم عما رآه في طريق الإسراء ٣٥٧
- تحقيق موضع دار أم هانئ بمكة ٣٥٩
- فضل سيدنا إبراهيم و سيدنا موسى على الأمة المحمدية ٣٦٣
- ترجمة خليل الله إبراهيم عليه الصلاة و السلام ٣٦٥
- ترجمة موسى عليه الصلاة و السلام ٣٦٦
- ما بين موسى عليه السلام و فرعون ٣٦٧
- ذكر حج موسى عليه الصلاة و السلام ٣٦٩
- معرفة كيفية الصلوات الخمس ٣٧٠
- الاستنتاج من قصة الإسراء و المعراج ٣٧٢
- الكلام على رؤية النبي صلى الله عليه و سلم ربه عز و جل ٣٨٢
- خلاصة ما ورد في كتاب الشفاء من الأقوال في الرؤية ٣٨٧
- هجرة النبي صلى الله عليه و سلم من مكة إلى المدينة ٣٨٨
- ترجمة أسماء بنت أبي بكر رضی الله عنها ٣٩٣
- ما لقيه رسول الله صلى الله عليه و سلم من التعب في طريقه إلى الغار ٤٠٠
- وقت الخروج من الغار و السفر إلى المدينة ٤٠١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٨١
- خروج النبي صلى الله عليه و سلم و أبي بكر من الغار ٤٠٣
- [قصتهما مع أم معبد] ٤٠٨
- استقبال أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم ٤١٣
- تاريخ الهجرة ٤١٥
- انتقاله صلى الله عليه و سلم من قباء إلى داخل المدينة ٤١٩

- [نزوله صلى الله عليه و سلم فى دار أبى أيوب الأنصارى] ٤٢٥
- ترجمة أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه ٤٢٧
- إتيان رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى مسجد قباء ٤٢٩
- أحكام الهجرة ٤٣٢
- حكم إقامة المهاجر بمكة بعد انقضاء النسك ٤٤٢
- ترجمة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ٤٤٧
- فضل أبى بكر رضى الله عنه ٤٥٠
- فتح مكة المكرمة ٤٥٥
- ترجمة عتاب بن أسيد رضى الله عنه ٤٧٨
- ذكر من أهدر النبى صلى الله عليه و سلم دمهم يوم الفتح ٤٧٩
- منزل النبى صلى الله عليه و سلم بمكة عام الفتح بعد الهجرة ٤٨٦
- موضع نزول النبى صلى الله عليه و سلم بمكة و منى و مزدلفه و عرفات ٤٨٨
- معنى حديث: «و هل ترك لنا عقيل منزلا» ٤٩٤
- ترجمة عقيل بن أبى طالب ٤٩٨
- فضل مكة المشرفة ٤٩٩
- امتياز مكة عن سائر البلدان ٥٠٠
- الآيات و الأخبار الواردة فى فضل مكة ٥٠٢
- أهل مكة أدرى بشعابها ٥٠٨
- أهل مكة أهل الله عز شأنه ٥١٠
- فضل مكة المكرمة على المدينة المنورة ٥١٣
- فضل مكة لمؤلف هذا الكتاب ٥١٥
- مكانة أهل مكة بين جميع الأمم ٥١٧
- مكانة المساجد الثلاثة لدى المسلمين ٥١٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-١، ص: ٥٨٢
- بعض ما قيل فى المساجد الثلاثة ٥٢٠
- أول من لقب بخادم الحرمين ٥٢٠
- عادة العرب فى إصلاح ذات البين فى الحجاز ٥٢١
- أول من عمل مواسير المياه من العرب بمكة المكرمة ٥٢٢
- معنى مكة و معنى بكه ٥٢٣
- المراد بوادى إبراهيم ٥٢٤
- بيان فضل أهل مكة من الآية الآتية ٥٣٠
- حكمة جعل مكة كثيرة الألبان و اللحوم ٥٣١
- دعاء إبراهيم عليه الصلاة و السلام لأهل مكة بالرزق ٥٣٤

مكة و ما فيها من الخيرات ٥٣٩  
 ما يزرع في الحجاز ٥٤١  
 لماذا لم تكن مكة من أجمل البلدان و أغناها ٥٤٣  
 نشأة عبادة الأصنام بمكة ٥٤٤  
 مسخ إساف و نائلة في الكعبة و عبادتهما ٥٥٠  
 أول من نصب الأصنام في الكعبة ٥٥٣  
 الكلام على أصنام قريش التي كانت حول الكعبة ٥٥٤  
 عبادة الأصنام و بيوتها لدى بعض الأمم ٥٦٧  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣

## [الجزء الثاني]

### إشارة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم تأليف محمد طاهر الكردى المكي الجزء الثاني طبع على نفقة معالي الدكتور/ عبد الملك بن وهيش

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥

### مكة في عهد إبراهيم عليه الصلاة و السلام

إذا نظرنا إلى الورا إلى أربعة آلاف سنة بل أكثر من ذلك، وجدنا أن مكة، شرفها الله تعالى و أدام خيرها و رخاءها، كانت في عهد خليل الله إبراهيم عليه أفضل الصلاة و التسليم بل و قبل عهده في شكل غير هذا الشكل اليوم، و في صورة غير هذه الصورة التي نراها في عهدنا، بل كانت غيرها أيضا في صدر الإسلام في عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

إذا سبحنا في عالم الأفكار، و تخيلنا الدهور الماضية، و تأملنا في غابر الأزمان السحيقة، وجدنا أن مكة المكرمة كانت مليئة بأشجار الشوك و السلم، ليس فيها خضرة و لا ماء، و لا حيوان و لا نبات، و لا إنس و لا جن، و أنها كانت الجبال فيها عالية شامخة، فلقد كانت الجبال في ذلك العهد السحيق عالية مرتفعة ضعف ما عليها اليوم، فلقد ارتفعت الأرض بجميع جهات مكة عما كانت عليه في ذلك العهد البعيد، و ذلك بسبب طمر الأرض و سفوح الجبال بما تأتي به السيول من الأحجار و التراب و ما تنزلها الأمطار من الأحجار و الصخور و الأتربة من فوق الجبال فتندرج كلها على وجه الأرض و سفوح الجبال، و بما يردمه الناس من الحفر و الدمار و الحجارات فيضعون كل ذلك على الأرض و سفوح الجبال، و من هنا ظهرت جبال مكة قصيرة عما كانت عليه في زمن الخليل إبراهيم عليه الصلاة و التسليم، و لقد وقفنا في عصرنا الحاضر على هدميات المسجد الحرام من جهة جبل قيعقان أى من جهة الشامية فوجدنا أن الأرض في هذه الجهة قد ارتفعت عن أرض المسجد الحرام بأكثر من عشرين مترا- هذا و أن طرقات مكة في ذلك العهد البعيد كانت مليئة بالصخور و الأحجار و الرمال و الحصى تتخللها أشجار الشوك و العضاء، أرض قفرة فقرة، نظيفة طاهرة، ليس فيها شيء من القاذورات و النجاسات أبدا، لأنها لم تكن مسكونة بالإنسان و الحيوان- و لم تكن أرض مكة سهلة مستوية بل كانت

منخفضة مندرجة لو مشى إنسان عليها لتعب من كثرة المرتفعات و المنخفضات و ما يعترضه من الصخور و الأحجار. فأول بدء الإصلاح فيها كان فى عهد خليل الله إبراهيم عليه الصلاة و السلام، منذ أن أسكن بمكة ابنه إسماعيل و أمه هاجر عليهم الصلاة و السلام، و منذ أن قدم عليهما نفر من قبيلة جرهم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٦

ثم زاد الإصلاح فيها نوعا ما منذ أن بنى خليل الله إبراهيم و ابنه إسماعيل عليهما الصلاة و السلام بيت الله الحرام، فلقد استوطن مكة قبيلة جرهم، و انتشر الإسلام و تناسلوا فتكاثروا، و عرف الناس طريق مكة من الشام و اليمن، و صار سكانها أكثر من قبل، و كلما كثر السكان و المقيمون بها كثرت بيوتهم و منازلهم، و صاروا يمهدون الطرقات و يصلحونها، و يرفعون ما فيها من الأذى من الشوك و الأحجار. ثم ما زال الناس يتكاثرون بمكة من ذلك العهد إلى أول ظهور الإسلام، و بالضرورة كلما تكاثروا فيها كلما ازدادت أيدى العمران و الإصلاح.

فلما ظهر الإسلام كانت مكة المشرفة أحسن من العصور السابقة بكثير، لكن ما زالت أرضها فيها المرتفعات و المنخفضات، و فيها أشجار الشوك و السلم و العضاء مما لا يؤكل منها شىء، إذ ليست من ذوات الفواكه و الخضار، ثم ازداد سكان مكة بانتشار الإسلام فى جميع البلدان و الأقطار منذ صدر الإسلام إلى نحو ألف سنة، فازدهرت مكة بمختلف السكان من المسلمين، ازدهرت و أينتت بإقامة المسلمين فيها من جميع الأقطار، و حضورهم فيها فى مواسم الحج فى كل عام من كل فج عميق، لكنها بقيت فيها بعض الآثار القديمة من المنعرجات و المنخفضات، و أشجار الشوك و السلم التى كانت تعترض الحجاج فى طريق الحج من مكة إلى عرفات. ثم من بعد سنة (١٣٠٠) ألف و ثلاثمائة هجرية كثر الإصلاح و التعمير فيها باستمرار، خصوصا فى زماننا هذا، و نحن فى سنة (١٣٨٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و ثمانين هجرية، فلقد باسروا فى الإصلاح و التعمير و ردم المنخفضات و تكسير الصخور و رفع الأحجار، و سفلته الشوارع و الطرقات، و قطع ما بقى من أشجار الشوك و السلم، حتى صارت مكة شرفها الله تعالى كأنها عروس البلدان كما هو مشاهد فى زماننا هذا بدون مبالغة فى القول فسبحان مغير الأحوال و مدبر الكائنات، لا إله إلا هو العزيز الغفار.

### مكة فى الجاهلية و الإسلام

يقول صديقنا الفاضل الأستاذ أحمد السباعى مؤرخ مكة و أديبها أمد الله فى حياته، عن نشأة مكة فى أول كتابه المطبوع "تاريخ مكة" ما يأتى:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٧

تقع مكة على ٢١ درجة و نصف درجة تقريبا عرضا شماليا، و على نحو ٤٠ درجة طولاً ترتفع عن سطح البحر بنحو ٢٨٠ متراً. و تقع فى واد تحيط به الجبال و تنحدر سيولها فيه، و اذا عصفت الرياح فى مرتفعات الجبال اندفعت إلى بطن الوادى فيما يشبه الدوامات، و تعذر تعيين ملتقى الرياح إلا فى بعض الحالات.

وجوها حار جاف، تختلف حرارته بين ١٨ درجة فى شهور الشتاء و ٣٠ درجة فى شهور الصيف و قد ترتفع الحرارة فى بعض السنوات إلى ٣٩ درجة.

و قد سماها القرآن مكة كما سماها بكة و أم القرى و البلد الأمين.

و يذكر بعض علماء الإسلام أنها سميت مكة لقله مائها. و هم يقولون: متك الفصيل ضرع أمه إذا امتصه، و يقول بعضهم سميت مكة لأنها تمك الذنوب أى تذهب بها، أو لأنها تمك الفاجر أى تخرجه منها، كما قيل أنها سميت بكة لأن الناس فيها يبك بعضهم بعضا أى يدفع.

و ينقل مؤرخو الفرنجة أن بطليموس ذكر اسمها (مكورا) و هو مشتق من الاسم السبئى مكورابا و معناه مقدس أو حرم. و قد عرفت



مكة من أحقاب طويلة ممعنة في القدم قبل عهد إبراهيم، فقد كانت الكعبة مثابة للناس قبل بناء إبراهيم، كما تروى مصادر إسلامية كثيرة.

ولا نشك أنها كجزء من بلاد العرب استقبلت هجرات سابقة، تعدد فيها أنواع المهاجرين من أجناس البشر تعدادا لا نستطيع تعيينه، لأن المصادر التي توسعت في ذلك لا يمكن التسليم بما كتبت تسليما قاطعا، لأن أكثر كتابها عاشوا في العصر الإسلامي الأول، متأخرين عن ذلك العهد بأحقاب طويلة المدى، ولم يكن لديهم من المصادر إلا المنقول عن تشويش واضطراب.

أما التاريخ الذي أنتجته دراسة الآثار وأسفرت عنه كتابات الجيولوجيين فقد أطال في بحوثه لا عن مكة وحدها بل عن جزيرة العرب قاطبة، وكان مما ذكره أن صحاريها القفراء كانت في عهد من عهود التاريخ المجهولة مروجاً خضراء أهله بالسكان، لأن غيوم الرياح الغربية الشمالية كانت تصل إلى الجزيرة قبل أن تفقد رطوبتها، فتتهال الأمطار على قممها العالية وتجري في وديانها أنهاراً، وتروى التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٨

أراضيها وتسقى مروجها- ولعل في عمق الوديان التي نشاهدها اليوم ما يشير إلى شيء من حقيقة هذا الرأي.

وهم يذكرون أن عوامل الجفاف الطبيعي ما لبثت أن حالت بالتدريج على مر الأحقاب، دون وصول هذه الغيوم رطبة فحرمت الجزيرة من أنهار جارية.

ولا أستبعد هذا لأن المشاهد أن سورة الجفاف في عهدنا الحاضرة اشتدت وطأتها عن عهود سلفت، فاختلفت واحات كثيرة كانت معروفة في عهد الجاهلي و صدر الإسلام، منها واحه (فدك) المشهورة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، كما اختفى كثير من المناطق الخصبة التي كان يزرعها اليهود في المدينة، و ثقيف في الطائف، و قریش حول مكة، و نضب كثير من العيون والآبار، و قل شأن السيول التي كان يفيض بها عقيق المدينة و الطائف و وادي إبراهيم في مكة.

و المعمرون في مكة و كثير من مدن الجزيرة يعلمون أن منسوب المياه و مساحة المناطق الخصبة كانت إلى قرن سابق أحسن منها اليوم، و أن بساتين مكة في أطرافها و ضواحيها كانت منتشرة إلى مسافات بعيدة مما لم يبق له أثر نتيجة اطراد الجفاف، و يرى بعض الجيولوجيين أن الجفاف سيضطرده أمره في الجزيرة على مر العصور، و أن نسلنا سيعانى منه أكثر مما نعانى إلا- في المناطق الجنوبية القريبة من المحيط الهندي.

و سواء صح نقل المؤرخين الإسلاميين في شأن من هبط مكة قبل عهد إبراهيم أو لم يصح، و سواء ثبت استنتاج الجيولوجيون عن خصوبة هذه الأرض في عهود مجهولة من التاريخ أو لم يثبت، فإن مما لا مجال للشك فيه أنه يصح اعتماد هجرة إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام إلى مكة مبدأ واضحا لتاريخ مكة، لأن أهم ملبساتها و ظروف دقائقها وردت واضحة في القرآن، و لسنا نعى أن جميع التفاصيل التي ذكرها المؤرخون أنها لازمت هذه الهجرة أو أعقبها، كانت من الوضوح و الصحة بحيث لا يتسرب إلينا شك فيها و لكنها منقولة و حسب، كما أن بعضها أشار إليه الحديث الشريف و استكملت البعض الآخر روايات أهل الكتاب، و قد بذل المؤرخون الذين جاءوا متأخرين في تصفية ما انتهى إليهم فكان بعضهم دقيقا ما أمكنته الدقة، كما أن بعضهم لم يتخرج في إيراد ما صادفه من حشو و لغو.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٩

و إذا فسنداً كتابنا من عهد إسماعيل محاولين أن نعتمد من المصادر ما كان أقرب إلى الثقة و لا نصنع جديدا فكل ما كتبه التاريخ عن البلاد القديمة لا يمكن أن يكون أكثر من محاولات. انتهى من الكتاب المذكور.

مكة في عهد قریش

إشارة

ثم يقول صديقنا الأستاذ السباعي في أوائل كتابه المذكور بعد ما تقدم عن النواحي العامة بمكة في عهد قريش ما يأتي:  
 "الناحية العمرانية: "كنا في حديثنا عن جرهم و قطورا أشرنا إلى أن العمران في مكة لم يزد عن مضارب من الشعر، كانت تتلاصق أو تتباعد في حواشي الوادي و بين ليات جباله و ما أطل العهد الذي ندرسه "عهد حكومه قريش "حتى كانت المضارب من الشعر قد حلت محلها البيوت مرصوصة بالحجر أو مبنية بالطين و الحجر فيما يحاذي المسجد أو بالطين النىء وحده على حوافي الأباطح في أعلى مكة أو على شواطئ المسيل في أسفلها.

### بناء البيوت و توبيها:

و كان سعد بن عمر السهمي أول من بنى بيتا بمكة و قد قيل فيه:

و أول من بوأ بمكة بيتهو سور فيها مسكنا بأثافي

و كانوا يبنونها بحيث لا تستوى على سقوف مربعه كما نفع اليوم، و أول من بنى بيتا مربعا حميد بن زهير، و استهولت قريش عاقبه التريبع في هندسه البيت. فقالت: "ربع حميد بيتا إما حياة و إما موتا،" و أول من بوب في مكة (حاطب بن أبي بلتعه). و كانوا يجعلون بين يديها العرصات ينزل الحجاج فيها و المعتمرون.

و لما شرعت بعض الدور تصنع لها أبوابا كانوا يقصرون ذلك على بعض غرفها و يتركون مداخلها شارعاً على عرصاتها دون أبواب. و قد قيل إن هند بنت سهيل عند ما استأذنت عمر بن الخطاب في أن تجعل على دارها بابين أبي و قال لها: إنما تريدون أن تغلقوا دوركم دون الحجاج و المعتمرين، قالت: و الله ما أريد إلا- أن أحفظ على الحجاج متاعهم فأغلقها عليهم من اللصوص، فأذن لها فبوتها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٠

و يقول أيضا عن منازل القبائل في مكة: و يستطيع الباحث أن يستنتج أن العمران في مكة في عهدنا الذي ندرسه نشط نشاطا طيبا، فبعد أن تركنا المضارب تتباعد على حوافي وادي إبراهيم من أعلى مكة إلى أسفلها ثم تعرج في ناحية منها إلى مداخل الشاميه اليوم نحو قيعقان، نجدها الآن و قد اتصلت و تكاثفت و اتخذت كل قبيله منزلها من الوادي و شعابه، و لم يزحف عمرانهم إلى مرتفعات الجبال و أكتافها كما نفع اليوم بل ظل مستويا باستواء سطح الوادي.

فقد ذكروا أن قصيا خط للكعبه ساحة توازي صحن المسجد اليوم، و أباح للناس أن يبنوا دون ذلك حول مدارها من الجهات الأربع، و كانوا لا- يبيحون لأنفسهم قبل قصى السكنى أو المييت بجوار الكعبه، ثم أمرهم أن يجعلوا بين بيوتهم مسالك يفضون منها إلى ساحة الكعبه، و أهم هذه الطرق طريق شيبه و هو في مكان باب بنى شيبه اليوم، و لم يبوب ساحة الكعبه أو يسورها، كما أمر بأن لا يرفعوا بيوتهم عن الكعبه لتظل مشرفه عليها، و كانوا يتخذون مجالسهم العامه في أفيائها، كما بنى دار الندوة لاجتماعاتهم الخاصه.

و في استطاعتنا أن نرسم خطوطا تقريبيه لخريطه مكة نبين فيها باختصار مواقع البطون في مكة يومها، و سير العمران بين شعابها، اعتمادا على ما ذكره الأزرقى في تخطيطه مواقع القبائل في كتابه أخبار مكة.

و لتوضيح ذلك في الأذهان نستطيع أن نجعل من باب بنى شيبه نقطه ابتداء لتخطيطاتهم، فقد كان موضع ارتكاز الحركة العمرانية في أم القرى، كما كان اهم مداخل المسجد الحرام، و كانت البيوت تتكاثف حوله متجهه في الشرق إلى (حصوه) باب على، و في الشمال قليلا إلى (حصوه) باب السلام تنزلها بطون من غساسنه الشام و بعض السفيايين و تتخللها متاجر للطارين، فإذا مضى بنا الخط مستقيما إلى جهه باب النبى، و اجهنا بيت العباس و دار جبير بن مطعم و دورا لبنى عامر بن لؤى، و استقام أماننا زقاق أصحاب الشيرق، و هو إلى جانب زقاق الحجر حيث تقوم دار لابن علقمه و دور أخرى لآل عدى من ثقيف.

فإذا نفذنا من ذلك إلى شارعنا العام في القشاشية متوجهين إلى أعلى مكة، استقام أمامنا سوق كانوا يسمونه سوق الفاكهة ثم سوق الرطب، ثم رباع كانت لبعض بنى عامر، وعند سوق الليل تصافحنا الدار التي كانوا يسمونها دار مال الله و كانوا ينفقون فيها على المرضى و يطعمونهم. و بالقرب من الدار يلتوى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١١

شعب ابن يوسف و هو ما نسميه اليوم شعب على و فيه دور عبد المطلب بن هاشم و دور أخرى لأبى طالب و أخرى للعباس بن عبد المطلب.

و إذا عدنا إلى استقامتنا في شارعنا العام، يضافنا دار العاص في فوهة بنى عامر، ثم يلتوى شعب بنى عامر في دروب متعددة تقوم عليها دور لبنى بكر و أخرى لبنى عبد المطلب بن عبد مناف، و نستقيم مرة أخرى في شارعنا العام فيواجهنا ردم آل عبد الله، و كانوا يعارضون به مجرى السيل و يسمونه الردم الأدنى و عنده يقف الحمارون.

و نمضى قليلا إلى المعلاة لنجد الجزارين عن يميننا في شعب أبى دب، ثم مكان المقابر، ثم بعض بساتين ننتهى منها إلى شعبه الجن، ثم ثنية الحجون، ثم بساتين أخرى نصل بعدها إلى شعب الصفا، و هو ما نسميه اليوم المعابدة و فيه دور لبنى كنانة و آل عتبة بن أبى معيط، و دور لربيعة من بنى عبد شمس.

و إذا بدأنا خطا آخر من باب بنى شيبه متوجهين إلى الشمال الشرقى في المسعى صادفتنا دور لبنى عدى قائمة بين باب بنى شيبه و رواق باب السلام، و فى المسعى يتوجه درب إلى يميننا كانوا يسمونه الخزامية، كان فيه مكان للبانين و فيه سقيفة و دار الحكم بن خزام و دور يتخللها عرصات لبنى سهم، و يمضى بنا الدرب إلى بيت خديجة حتى يخرج إلى مكان المدعى اليوم.

و إلى يسارنا و نحن فى المسعى طريق الساعين إلى المروة، و فى المروة دور لآل عتبة ابن فرقد و دار كبيرة لآل ياسر فى واجهتها الحجامون و الحلاقون، و إذا مضينا فى المسعى مصعدين فى طريق المدعى، انتهينا إلى رحبة واسعة كانت تحط فيها غير الحنطة و السمن و العسل و الحبوب لتباع فيها، و هى ما نسميها اليوم المحنطة و فيها دور لبنى عبد شمس و دور أبى سفيان و هى فى مكان (القبان) اليوم. و قد أشار النبى إليها عندما قال يوم الفتح "من دخل دار أبى سفيان كان آمنا"، ثم دور لأولاد العباس تصل إلى قريب من المدعى، ثم دور لأولاد الحارث؛ ثم طريق إلى يسارنا يمضى إلى جبل الديلم و هو يشرف على القرارة اليوم، ثم نمضى فى استقامتنا إلى طريق المعلاة لنمر على دور لبنى غزوان و أخرى لأولاد الحارث بن عبد المطلب و نبدأ خطا ثالثا من باب بنى شيبه متوجهين غربا إلى دار الندوة، لنجد أن البيوت تتكاثف إلى جانبها فدار لشيبه بن عثمان، و دار لخزانة الكعبة، و دار لصاحب البريد، و دار لبيت المال، و دار للخطاب بن نفيل، ثم نصل شمالا إلى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٢

جهة الرواق الذى فيه باب الزيادة إلى باب الدريبة، فتصادفنا دور لبنى خزاعة بينها زقاق الحدائين، نسلك منها إلى سويقة ثم نعطف منه إلى المروة و من جهة أخرى دور لآل زرارة من تميم، ثم يمضى بنا الشعب إلى قيععان فى مداخل ما نسميه الشامية اليوم، فإذا توجهت إلى يمينك توجه بك درب إلى ناحية الديلم بالقرب من القرارة اليوم، ثم تصعد إذا شئت على تلال فى مكان الفلق كانوا يصعدونها لينزلوا منها إلى مكان سوق المعلاة اليوم، و لم يفلق هذا الطرق إلا الزبير بن العوام فى عصره، و سنعرف فيما بعد أنه فلقه ليتصل الطريق بين بساتينه بجوار المعلاة اليوم و بيوته التى اشتراها بجوار سويقة.

و إذا أردنا أن نتقل من شق مكة الأعلى إلى شقها الأسفل، تعين علينا أن نجعل نقطة ابتداء تخطيطنا ما نسميه اليوم مقام الحنبلى فى المسجد، متوجهين إلى الشرق ثم إلى الجنوب الشرقى ثم إلى الجنوب. كانت منازل بنى عائذ تبتدىء من مقام الحنبلى ممتدة غربا إلى ما يحاذى بئر زمزم، ثم تصعد فى الشرق نحو باب على و كانت دور بعض كبارهم شارع على مكان المسعى، على يسار القادم من الصفا يريد المروة أى فيما يحاذى باب على اليوم تقريبا.

و كانت منازل عدى بن كعب تتدئ من نحو مقام الحنبلى متوجهة إلى الصفا من ناحية، و إلى أجياد من ناحية أخرى قبل أن ينقلوا إلى أسفل مكة. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ١-٢ ؛ ص ١٢

فى الطريق الذى يبدأ من باب الصفا متوجها جنوبا إلى باب أجياد كانت سقيفة لبنى عائذة و سوق "البزازين"، "القماشين" و بالقرب من ذلك كان البيت الذى اتخذه النبى صلى الله عليه و سلم لتجارته قبل البعثة مع شريكه السائب بن السائب.

فإذا انتهيت إلى باب أجياد و وقفت حيث تكون القبلة فى ظهر ك و مداخل أجياد فى وجهك، امتد أمامك شعبان أحدهما على يمينك إلى ما نسميه اليوم بئر بليلة و كانوا يسمونه أجياد الكبير، و امتد الشعب الثانى على يسارك إلى ما نسميه اليوم السد و كانوا يسمونه أجياد الصغير، و لست أعنى بالامتداد ما يتبادر إلى ذهنك من نفاذ الجادة و استقامتها بامتداد الشعوب. فقد كان العمران يتخلل الجادة و يعرقل استقامتها.

و كان بنو تميم ينزلون حوالى باب أجياد، و تمتد بيوتهم من جهة الغرب إلى قبيل حدود المسجد يومها و هو حدود صحن الكعبة اليوم، و كان بنو مخزوم ينزلون فى فوهة أجياد الكبير مكان الحميدية اليوم، و كان جماعة من الأزدي ينزلون

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٣

خلف ذلك مما يتصل بمكان الصحة العامة، و خلفها كان منزل أبى جهل بن هشام لا يبعد عن ذلك كثيرا، و فى أجياد الصغير إلى الجادة المتصلة بالسد كانت منازل لآل عدى بن عبد شمس، و فى أجياد مكان للحواتين و دار لعبد الله بن جدعان التى كان فيها حلف الفضول، و التى تعاقدت فيها القبائل متفقة بأن لا يقر فى مكة ظالم، و فيها دور لآل سلمة بن هشام، و فيها بئر يجمع بين أجيادين احتفرا آل سلمة مع جماعة من جيرانهم و كان يردها السكان فى فوهة بأجيادين، و أكاد أعتقد أنها البئر الموجودة اليوم أمام بازان أجياد لأنها تجمع بين طرفى أجيادين.

و إذ تركت أجيادين ماضيا فى الشارع العام إلى الجنوب نحو المسفلة بدأت بسوق الحزورة بجوار باب الوداع، و رأيت الدروب تمضى على يمينك إلى قرب المسجد عند حدود المطاف و من أشهرها درب الحناطين، و لا أعرف وجها لهذه التسمية إلا أن يكون سوقا للحنطة، ففى اللغة أن الحانظ هو كثير الحنطة و لا أستبعد مثل هذا التعليل، و أنا أعرف أن موقع هذا الدرب صالح لبيع منتوجات الجنوب من الحنطة فى مكة، و فى هذه الجهة كانت تنزل بطن من آل صيفى، و فيها دور لآل عبد الدار و أخرى لجماعة من بنى مخزوم و إذا مضيت متجها فى سوق الصغير كنت بجوار دور لبنى أسد ابن عبد العزى.

و أحسبني لا أطمع فى أن أعرف القبائل النازلة فى الشبيكة أو حارة الباب أو جرول، لأنها كانت قليلة السكان إلا فى جهات قليلة من جرول الخضراء، و هى الجزء الأدنى المتصل بأطراف المسفلة من ناحيته الخلفية، و إذا كانت الشبيكة قد سكنت فى عهدنا الذى ندرسه بجماعة لم أتبين أسماءهم فى بطون المطولات من كتب التاريخ، فلا أعتقد أنها حظيت بشيء من التكاثف الذى حظيت به المنازل الأخرى.

و قد نعثر على بعض المنازل فى سفح ذى أعاصير، و لعلنا نستنتج من قرائن الأحوال أن ذا أعاصير هو جبل عمر، و لكننا لا نستطيع أن نعتقد أن هذا الجزء حفل بالمنازل إلا فى أعوام متأخرة عن هذا العهد، لأن النزلة سميت باسم عمر بن الخطاب، و لو كانت لبطن أو قبيلة لأطلق عليها فى الغالب اسم نازلها قبل عمر بن الخطاب.

كما أننا لم نعثر إلى جانب ذلك على شيء يسير من العمران فى الثنية التى نهبط من خلفها إلى جرول، و كانوا يسمونها الحزنة و هى ضد السهلة و نسميها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٤

اليوم الحفائر، و لم تكن الحفائر قد فلتت يومها لتخترم الطريق من الشبيكة إلى جرول الخلفية، لأن الذى حفرها و سهلها للمشاة هو خالد البرمكى فى عهد بنى العباس ليجعلها تختصر الطريق إلى بستان له بناه فيما بعد فى جرول الخلفية، أو جرول الخضراء كما

يسمونها.

و إذا تركنا هذا و مضينا فى طريقنا فى ظل أعاصير أى جبل عمر نحو الهجلة، صادفتنا الحتمة و هى صخرات لا بد أنها كانت سوداوات لأن الحتمة فى اللغة هى السواد، و عند هذه الصخرات كانت دار الأزلام و منها يبدأ مبطح السيل أسفل مكة.

و لعلنا إلى هذا الحد استطعنا أن نرسم خطوطا تقريبية لمكة الجاهلية، و لا يفوتنا فى أذيال هذا البحث أن نشير إلى الضواحي التى كان يحلو للمكيين أن ينتجعوها فى الأصائل من شهور القيظ، و هى عادة نرى أثرها إلى اليوم فى المنتزهين من أبناء مكة فى أطراف الضواحي، و كأنما هم يمثلون بذلك عادة عرفها أجدادهم من نحو "١٥٠٠" سنة تقريبا.

و من أشهر المنتزهات فى مكة الجاهلية الليط- و الليط فى رأى بعض المؤرخين هو أسفل مكة فيما يقرب من بركة ماجن منتزهنا اليوم، و يقول الأستاذ رشدى الصالح فى حاشيته على تاريخ الأزرقى أنه يرجح أن يكون خلف القشلاق العسكرى أى فيما يلى جروال الخلفية، و لست بالذى يستبعد صحة القولين فإن الوادى بعد بركة ماجن يتصل بالجادة التى تنتهى خلف القشلاق، فلم لا يكون الليط عبارة عن امتداد من جروال الخلفية إلى أطراف المسفلة؟.

و كانت فى الليط أقحوانة يجلس أهل مكة حولها فى العشى، يلبسون الثياب المحمرة و الموردة و المطيبة و فى هذا يقول الحارث بن خالد:

من ذا يسائل عنا أين منزلنا للأقحوانة منا منزل قمن

إذ نلبس العيش صفوا ما يكدره طعن الوشاة و لا ينبو بنا الزمن

و من منتزهاتهم شعب خم و هو يتصل بالمسفلة اليوم، و كان مزروعا فيه عدة بساتين تتصل بالليط ثم تتصل بجروال، و كانوا يخرجون إلى حائط الحمام بجوار المعلاة فقد كان لهم هناك نخيل و زروع، و كانت بساتين تمتد إلى الخرمانية بقرب ما نسميه المعابدة ثم تمضى إلى المحصب فى الطريق المؤدى إلى منى، و كان لهم فى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٥

المحصب دكة يجتمع المنتزهون فيها أصيل كل يوم، و كانت تشرف على نخيل باسق و بساتين تحتضنها شعاب الوادى الممتدة إلى منى.

و كانت لهم بساتين فى وادى فخ و نسميه الشهداء اليوم، و أخرى بوادى طوى فى امتداده من الحجون إلى ريع الكحل، و بساتين غير هذه فى ضواحي مكة العليا إلى مزدلفة فعرفة، و كانت المنازل فى المناطق التى ذكرناها لا تتكاثر على قاعدة المدن الحاضرة، بل تفرق و تفصل بينها مساحات خالية على عادة العرب فى بناء قراهم و مدنهم، أما الناحية المتصلة بالمسجد فكانت تضيق بنزلاتها لتنافسهم فى مجاورة الكعبة.

و قد بنى القرشيون فى أواخر عهدهم ما يشبه السور فى أعلى المدعى و بوابه و لم يثبت أنهم بنوا مثله فى ناحية أخرى منها. و قسم المؤرخون ديانة العرب الجاهلية إلى قسمين "حله و حمس" و الحمس هم أصحاب التشدد فيما يتدينون و منهم خزاعة، و أول من اتخذ الصنم هو عمرو بن لحي أمير خزاعة كما أسلفنا فى الفصل السابق، فقد أمر بعبادة صنمين كانا منصوبين على الصفا و المروة، فلما كان عهد قصى حولها من مواضعها فجعل إحداها بلسق الكعبة و الأخرى فى موضع زمزم، فكان أهل الجاهلية من قومه ينحرون عندهما و يتمسحون بهما، و اشتد شيوع عبادة الأصنام بمرور الأيام حتى كانت الأصنام يطاف بها فى مكة فيشترىها أهل البدو فيخرجون بها إلى بيوتهم، و ما من رجل من قريش إلا و فى بيته صنم إذا دخل يمسحه و إذا خرج يمسحه تبركا، عدا أصنام الكعبة التى ظلت قائمة فى مواضعها من التبجيل إلى عام الفتح، و من أشهر أصنامهم "هبل" و كان منصوبا فى جوف الكعبة "و العزى" و هى بوادى نخلة فى طريق الطائف من مكة "و اللات" و هى فى الطائف "و مناة" و هى فى قرية (قديد) على ساحل البحر الأحمر شمالى مكة.

و كانوا ينحرون عند صنم لهم يقال له الغبغب، و كانت لهم أقداح فى الكعبة إذا اختصموا فى شىء أو اعترموا أمرا استقسموا بها فإذا خرج القدح مكتوبا بأمر أو نهى عملوا به كما يفعل أصحاب "الخيرة" أو القرعة اليوم.

و قسم المؤرخون ديانة العرب الجاهلية إلى قسمين "حله و حمس" و الخمس هم أصحاب التشدد فيما يتدينون و منهم قريش فى مكة، و قد بلغ من تشددهم أن الرجل إذا أحرم بالحج أو العمرة لا يدخل دارا أو فسطاطا أو حائطا "بستانا-"

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٦

و قد تعرض له الحاجة فلا- يدخل بيته بل ينقب نقبا فى ظهره و ينادى بأهله ليخرجوا له ما أراد، و كانوا يحرمون بعد الإحرام على أنفسهم السمن و اللبن و الزبد، و لبس الوبر و الشعر و الاستظلال به و غزله و نسجه. و كانوا إذا وقف الحاج من العرب فى عرفات، يأبون أن يخرجوا إليها من حرمهم، فيكتفون بالوقوف عند نمرة تقديسا لحرمهم.

و كانوا يفرضون على مخالفيهم من أهل الحلة أن لا يطوفوا إلا إذا لبسوا ثوبا أحمسيا يشترونه منهم أو يستأجرونه أو يستعبرونه، فإذا لم يجدوا تعين عليهم أن يطوفوا عرايا نهارا للرجال و ليلا للنساء، و كان بعض فتيان مكة يتربص للنساء العرايا، فإذا أعجبه إحداهن دخل معها فى الطواف عريانا و قد يؤول أمرهما إلى الزواج و قد ألغى الإسلام هذه العادة.

و كانوا إذا بلغت الفتاة سن الزواج ألبسوها ما يزينها و خرجوا بها سافرة إلى المطاف، ثم أعادوها إلى بيتها لتبقى حبيسة فيه لا تخرج إلا- إلى بيت من تزوجها و هم يريدون بطوافها ذلك عرضها سافرة على أعين الخاطبين، و لعلمهم اختاروا المطاف ليأمنوا فى جوار البيت نظرات الفاسقين.

و كانوا يختنون أولادهم و يكفنون موتاهم و يغتسلون من الجنابة، و قد تباعدوا فى المناكح من البنت، و بنت البنت، و الأخت، و بنت الأخت، كما يتزوجون بالصداق و الشهود و يطلقون ثلاثا. و كانوا يدخلون الكعبة لابسى أحذيتهم حتى سن لهم الوليد بن المغيرة خلعتها، و كانت الحوائض من نسائهم لا يدين من الكعبة و لا يتمسحن بأصنامها بل يقفن بعيدا عنها.

و شاعت إلى جانب عبادة الأصنام ديانا أخرى أهمها الدهرية التى قال أصحابها: و ما يهلكنا إلا الدهر، و الصابئة و هم عبدة الكواكب و النجوم، و دان بعضهم باليهودية و آخرون بالنصرانية.

و أنكر بعضهم ترهات قومهم من عبادة الأصنام، و كانوا ينصحون بتركها و يجاهرون بالبحث فى ألوهية واحد متفرد بالجلال و العظمة، و يعترفون بالبعث و النشور و الثواب و العقاب.

و يقول أيضا عن الناحية التجارية: كانت مكة بحكم موقعها فى طريق تجارة الطيب و الغلال و أنواع الأقمشة، بين دول الجنوب و ممالك الشمال ذات مركز استراتيجى ممتاز، و كانت أسواقها تزدهم بالتجار صاعدين فى الشمال إلى الشام

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٧

أو هابطين فى الجنوب إلى اليمن، فمهرروا فى التجارة و تضخمت رؤوس أموالهم و بلغت قوافلهم التجارية ألف بعير فى عهد غزوة بدر، مضافا إليها خمسون ألف دينار منقولة بين أئقاليهم، و هى نسبة لها قيمتها المادية إذا قيست بالثروات فى عهدها و بلغ من ثراء قريش أنها استطاعت فى الغزوة نفسها أن تفتدى أسراها من المكيين بأربعة آلاف درهم إلى ألف درهم، إلا من عفا عنهم النبى صلى الله عليه و سلم من المعدمين.

و يقول أيضا عن الناحية الاجتماعية: و وهم بعض المؤرخين فى إدراج مكة مدارج القبائل من أحياء العرب، و حسب آخرون أنها كانت نزلة يمضى عليها ما يمضى على نزل العرب و قراهم فى آفاق الجزيرة، و لكن شيئا من الاستقراء ينتهى بنا إلى غير هذه النتيجة، فالقرآن سماها فى أكثر من مرة (أم القرى) و فى هذا ما يشير إلى ميزتها فى مستوى من حولها من منازل الجزيرة و قراها، و القرآن خاطبها بمعان ليس من يعتقد أنها غريبة عنها، فتحدث عن المشكاة و المصباح و الزجاج، و عن المساكن يعرج إليها بالمعارج، و تحدث عن أنواع من الطيب؛ كالكافور و الزنجبيل و المسك، و أنواع من الأثاث المترف؛ كالتمارق و الزرابى و السرر و الفرش

المبطنه بالاستبرق والسندس، وأنواع الأواني من الفضة؛ كالقوارير والأكواب والكؤوس، وأنواع من الحلى؛ كالمرجان، واللؤلؤ، كما حدثهم عن القراطيس والكتب والسجلات والصحف والأقلام والمداد، وأشار فى كثير من آياته إلى النحاس والحديد والفخار والصحاف والجفان والقدر- ولا يقول إنسان أن القرآن كان يخاطبهم بما لا يفهمون مدلوله من الألفاظ وأنه كان يشير إلى معان غريبة عنهم.

إذا فبيئتهم كانت تعرف هذه المعانى معرفة من اختلط بها واندمج فيها، وفى هذا من الأدلة ما يقوم بحجتنا على من وهم من المؤرخين، وفيه ما ينطق بأن مكة كانت فى ذلك العهد قد أخذت بطرف غير يسير من أسباب الحضارة الخاصة بجبلها الذى تعيش فيه.

وليس فى هذا ما يدعو إلى الاستغراب، فقد كان المكيون من قريش يضربون فى مناكب الأرض بين اليمن والشام والعراق وفارس والهند ومصر والحبشة، ويتصلون فى رحلاتهم هذه بالقصور المشيدة والعمران الفخم وألوان من الحضارة والتاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٨

تعدد بتعدد الحضارات التى كانوا يختلفون إليها، فلا عجب أن تتلاقى أكثر الحضارات الشائعة فى عهدهم وفى بويتهم فى مكة وأن تبدو واضحة فى حياتهم.

وكانت مخابثهم إلى جانب هذا تكتنز بالذهب والفضة كما تكتنز بالنقد المضروب من الدينار والدرهم، وقد ذكرها القرآن فى معارض مختلفة نستطيع أن نفهم منها أنهم كانوا يعرفونها معرفة تامة.

وكانوا يستعملون الموازين فى أسواقهم والمكاييل، ويعرفون من مفردات أنقالها أنواعا كثيرة كانوا يتعاملون بها، وليس أدل على هذا من خطاب القرآن لهم وَيَلِّ لِلْمُطَفِّينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ \* وَإِذَا كَالُواهُمْ أَوْ وَزَنُواهُمْ يُخْسِرُونَ و يسرد بعض المؤرخين بعض الحوادث الفردية التى يحسبون أنها تحدد معارف القرشيين فى علم المال أو تبين مدى حيازتهم له، فيذكرون فى رواية الصحابى الذى اشترت منه إحدى السبايا نفسها بألف درهم، أن رفاقه عندما لاموه على رخص الثمن قال لهم والله ما أعرف فوق الألف شيئا، ويريدون أن يستدلوا من هذا على تحديد معارف القرشيين فى الأموال والأرقام، ولعلمهم نسوا أن القرآن كان يخاطبهم بأرقى من هذا المستوى وهو يستعرض هول يوم القيامة فى يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ أَوْ يَسُرْدُ لَهُمْ قِصَّةَ يُونُسَ وَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ و ليس من شك أن قوما أحصوا بعشرات الألوف ومئاتها كانوا على شىء من الغنى، وكان يصحبه ما يتبع الثراء من الحضارة وما فى الحضارة من ترف وما ظننا بقوم كان القرآن يعرض أمامهم فى صدد التشريع أدق من هذا، فيشير إلى النصف والثلث والربع والخمس والثلث والعشر فى أوامره بتوزيع التركات، لا ريب أنهم كانوا فى بيئة تجيد هذه الكسور ومضاعفاتها، كما تجيد إلى ذلك مستلزمات هذا التوزيع من عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة على أنواعها فى الآحاد والكسور.

واستعمل القرشيون فى مكة الثياب والسراويل والقمصان والنعال، وتختموا بالذهب والفضة واتخذوا لخواتمهم حبات اللؤلؤ، كما استعمل القرشيات الخمر والجلاليب والخلاخل التى كن يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن، عدا ما تحلين به من عقود وأساور وما تطيبن به من ذى أريج فواح.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٩  
وكان لمتريفيهم مجالس للسمر ينصبون لها أرائك ويمدون فيها الموائد، ويتفكهون بما طاب من ثمارهم ويتلذذون بفواكه الطائف الطازجة، أو مجففات الشام وفلسطين المستوردة لمتاجرهم.

وكانوا يتخذون من ثمرات النخيل والأعناب خمورا يعدونها فى مجالسهم فى آنية من فضة وأقداح من بلور، ويدور عليهم ساقينهم بها تفوح منها روائح المسك والكافور والزنجبيل.

و كانت لهم حلقات يعقدها القصاصون يتلون فيها عليهم أساطير الأولين، أو يقصون عليهم بعضا من نوادر الحياة مما يصادفه الرجل في آفاق الأرض، فيجتمع إلى هذه الحلقات كهولهم في أقيمتهم الفضفاضة و شيببتهم في ثيابهم الموردة أو المحمرة، من أعلى أنواع الحرير المجلوب من بلاد فارس أو المصنوع في العراق و الشام.

و كانت مكة في عهد قريش تضم إلى هذا ما تضمه عواصم اليوم تقريبا، من جاليات أجنبية يهبطون إليها بفنونهم و أموالهم و بعض علومهم، فلا تلبث أن تتسع لما يهبط إليها و تفسح لها من المجال ما تفسحه اليوم- و كثير من كتب السير في مجموعها تحدثنا بأنه كان من سكانها نصارى الروم و وثنيون من فارس، و أنه سكنها جاليات من العراق و مصر و الحبشة و السريان، و نحن لا نستبعد أن يكون نزوح هذه الجاليات فرارا من الثورات و ألوان الاضطهاد، أو تحت عوامل أخرى شبيهة بالتي تؤثر في انتقال الموجات البشرية في كل دور من أدوار التاريخ.

و لست أرى رأى من يقول بشيوع الأمية شيوعا مطلقا في هذه البيئة التي ندرسها، و لا ممن يرى أن وسائل الكتابة يومها كانت تقتصر على العظام و الحجارة، لأن القرآن ذكر عن الصحف المنتشرة و سجلات الكتب و المداد و الأقلام، ما يشير إلى معرفتهم بها و أنهم كانوا لا يجهلونها.

و مما يلفت النظر أن القرآن في أوائل نزوله بمكة كان يكتب و ينسخ- و يذكر ابن هشام في سيرته أن عمر دخل على شقيقته قبل إسلامه و في يدها صحيفة قرآنية، و يؤيد هذه الرواية أكثر المؤرخين، و هي تدل فيما تدل على وجود الصحف يومها و أن نسخها كانت تتداول في مكة، و لا يصح فيما أرى أن تكتب الصحف و يتداول نسخها في بيئة تشيع فيها الأمية شيوعا مطلقا، و تقتصر المعرفة فيها على أشخاص معدودين على أصابع اليد كما يذكر بعضهم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٠

و نضجت الحياة العقلية في قريش نضجا نستطيع أن نلمسه في أمثالها الشائعة و حكمها المشهورة:

"من أجمل قليلا- سمع جميلا- أنفك منك و إن كان أذن، إن البلاء موكل بالمنطق، بيني قصرا و يهدم مصرا، الجزء من جنس العمل، الجهل شر الأصحاب، حسبك من شر سماعه، حظ في السحاب و عقل في التراب، ما حيلة الرامي إذا انقطع الوتر، لا يخلو المرء من ودود يمدح و عدو يقدر، من خان هان. إذا أراد الله هلاك نملء أنبت لها جناحين، كما تزرع تحصد، من سابق الدهر عثر، سلاح الضعفاء الشكاية، عند الصباح يحمد القوم السرى، رب عتق شر من رق، أعقل الناس أعذرهم للناس، لكل عود عصاره، ما كل عورة تصاب، عين الهوى لا تصدق، غدرك من ذلك على الإساءة."

و اتسعت أسواق مكة التجارية للتنافس بين مفكريها من الشعراء و أصحاب البيان، فكانت ملتقى الخطباء من سائر بلاد العرب، و كانت مجاللا- ثقافيا لم يسبق له نظير بين دول اليمن في الجنوب و حكام الحيرة و غسان في الشمال، و في مظان التاريخ المطولة من أخبار عكاظ و غيرها ما يغني عن الإفاضة.

و يقول أيضا عن الناحية الإدارية: ذكرنا أن قصيا كان أول رجل من بنى كنانة أصاب ملكا فكانت إليه الحجابة و الرفادة و السقاية و الندوة و القيادة و سمي قصي مجمعا، لأنه جمع قريشا بمكة، و سميت قريش في ذلك العام قريشا، لأنها تجمعت و التجمع القرش في بعض كلام العرب و لم يسم قرشى قبل ذلك.

و كان قصي عمليا أكثر مما كان يظنه قومه، فإنه ما كاد يستلم زمام الحكم في مكة حتى أسس دار الندوة لشورى قريش، و لم يكن يدخلها من قريش إلا من بلغ الأربعين، كما كان أورستقراطيا لأنه أباح لأولاد قصي دخولها كما شاءوا بلا فارق في السن.

و عنى قصي بسقاية الحجاج فاتخذ لهم حياضا من آدم توضع بقاء الكعبة، و يسقى فيها الماء العذب من الآبار محمولة على الإبل من أطراف مكة البعيدة، كما عنى بتتبع مظان الماء العذب في مكة، فحفر بئر العجول و هي في المكان الذي يمتد فيه رواق المسجد اليوم مما يلي باب الحميدية و باب الوداع، و حفر بئرا عند الردم بجانب مسجد الراية و هي البئر الموجودة اليوم في "الجودرية" في الزقاق



الواقع أمام قصر النيابة، وسمى بئر جبير بن مطعم لأن جبيراً هذا نثله بعد أن اندثر،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢١

و اتخذت العناية بالآبار بعد قصى سنة لأولاده، فكانوا يتبعون مظان المياه العذبة و يحتفرون فيها الآبار.

و عنى قصى إلى جانب العناية بسقيا الحجاج بالرفادة، فكان على قريش خرج تخرجه من أموالها في كل موسم، فتدفعه إلى قصى يصنع به طعاما للحجاج يأكله من لم يكن معه سعة و لا زاد.

و كان يشتري بما يجتمع عنده دقيقا و يأخذ من كل ذبيحة بدنة أو بقرة أو شاة فخذها فيجمع ذلك كله ثم يجزر به الدقيق و يطعمه الحاج، و اتخذ أولاده هذه سنة بعده، حتى أن عمر حفيده اضطر عندما أصاب مكة في عهده جذب شديد، أن يجمع ما تجمع لديه من قريش و يخرج به إلى الشام فيشتري به دقيقا و كعكا، فيهشم الكعك و ينحر الجزور و يطبخه و يجعله ثريدا و يطعم الناس في مجاعتهم، و قد سمي بذلك هاشما.

و جاء الإسلام و قريش تتخذ هذه السنة عادة موسمية، فأمضاها النبي صلى الله عليه و سلم إذ أرسل بمال مع أبي بكر رضى الله عنه عندما أمره أن يحج بالناس سنة تسع للهجرة ليصنع به طعاما للحجاج، و فعل مثل ذلك في حجته للوداع، ثم أقام أبو بكر على هذا، و كذلك بقيه الخلفاء بعده- يقول أبو الوليد الأزرقى: و ظل العمل على هذا إلى أيامنا هذه يطعم الخلفاء الموسم في أيام الحج بمكة و منى حتى تنقضى أيام الموسم، و قد عاش أبو الوليد في القرن الثالث الهجرى و توفي عام ٢٢٣.

و لم أقع فيما قرأت على العهد الذى ألغيت فيه هذه العادة الحسنة، و أكبر ظنى أنها أبطلت على أثر الفتن و الحروب التى كانت السبيل تقطع فيها دون مكة، و يلفت نظرنا فى هذه السنة أنها كانت خرجا عاما تشترك فيه قريش بأموالها، و يشترك المسلمون فيه فى الصدر الأول للإسلام و أن هذا الاشتراك الشعبى ما لبث أن انتقل بتقادم العصور إلى خزائن الخلفاء أو بيوت الأموال، فهل تقاعس المكيون عن المجد؟ أم أن أموالهم ضاقت دونه؟ الواقع أن قريشا كانت من أنشط القبائل فى جزيرة العرب تجارة كما بينا ذلك فى بحث أعمالها التجارية، فكانت بذلك فى غنى تسع فضلاته إطعام الموسم، و جاء الإسلام فاتسع نشاط قريش باتساع رقعة الإسلام، و درّت الفتوحات و التجارة النشيطة عليهم الأموال الطائلة، و أخصبت أراضيهم فى الطائف و المدينة و بعض نواحي مكة و كثير من أوديتها القريبة، بتأثير نشاط المال و العناية بحفر الآبار، ثم ما لبث أن فتر النشاط و فتر بفتوره الغنى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٢

و الثروة و الخصب، على إثر انتقال الصفوة الممتازة من قريش إلى الأمصار، بثرواتهم و أموالهم و كفاءتهم يتبعون مواطن الخلافة خارج الجزيرة.

انتهى من "تاريخ مكة" للسباعى.

**مكة فى عهد النبي صلى الله عليه و سلم**

**إشارة**

و يقول صديقنا الأستاذ السباعى فى أوائل كتابه المذكور بعد ما تقدم، عن مكة فى عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم ما يأتى:  
كانت حياة النبي صلى الله عليه و سلم نقطة تحول فى تاريخ مكة، بل كانت بلغة أوضح من هذا فاصلا بدأت به عهدا الجديد، كقبله يتوجه إليها الملايين من المسلمين فى كل يوم خمس مرات، و محجة يهرع إليها مئات الألوف فى كل عام من شتى أصقاع الأرض.

و نحن إذ نكتب هذا عن هذه الفترة الفاصلة من تاريخ مكة و تتابع أحداث البعثة فيها، لا نعتقد أننا مطالبون بالتفصيلات الطويلة التى

توسع فيها كتاب السيرة، لأن المظان الخاصة بهذا حافلة بالكثير الذي لا نطمع إلى مزيد فيه، و بحسبنا أن نمر هنا بالحوادث مرورا سريعا لا نهدف فيه إلا إلى ربط الحوادث العامة و تسلسل نتائجها.

بعث النبي: بعث النبي في وسط كانت العقلية سائدة فيه رغم نضجها الذي ذكرناه، لا تحجر على متع الحياة و لا تفرض سلطانا على مستبيح في اللذة، و كانت القيم الأخلاقية تزن الأشياء بمعايير خاصة، فليس من السمو الإنساني في مقاييسها أن تهادن في عصبية، أو أن تنحاز إلى غير قومك مهما كان ظلمهم، أو أن تنسى تأرك مهما كان لونه، أو تسلم بقاعدة يكون الفخر فيها لغير بني أبيك. بعث النبي في وسط يعتقد هذه المبادئ و يدين بها كما يدين العابد بأقدس ما يعتقد، فلم يكن على النبي أن يقاوم ما عبدوا من أوثان أو نسكوا من نسك ضال فقط، بل عليه أن يصمد لهذه القيم الأخلاقية التي تسود المجتمع حوله، و التي لا تستسيغ الوحدة تضع فيها معالم القبيلة.

بعث النبي من بني هاشم فأى دعوة هذه الذي ينقاد إليها بنو عبد مناف، و بنو زهرة، و بنو تميم، و بنو مخزوم، و بنو أسد، و سائر البطون من قريش و القبائل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٣

من كنانة، إنها الاستهانة بكيان الأفخاذ و أمجادها في عرفهم، و إنها الاستكانة لداع سيحوز الفخر لبني هاشم دونه، فما بالهم لا يقاومون و ما بال هذه القيم الأخلاقية الفاسدة لا تعارض فيما يضاد عرفها، ما بالها لا تتكبر على الدعوة و تكابر في الحق ضنا بكيان الفخذ أو البطن أو القبيلة و مجافاة لهذا الإعداد الذي سيصهرهم غدا في بوتقة تنسيهم تراث آبائهم و تضع معالمهم.

بهذا العنت قوبل النبي في فجر دعوته، و عن هذه البواعث حورب في الصور و الأشكال التي نجدها في مظانها من كتب السير، و التي لا نستدل منها إذا أردنا الاستدلال إلا على التعصب و الحزبية لأوضاع القبيلة و الفخذ و احتمل النبي صلى الله عليه و سلم ما لا يحتمله إلا صاحب عقيدة راسخة، ثم وجد أول ما وجد في مكة من استجاب لدعوته من الأفذاذ الذين تسمو عقولهم على ما ورثوا من أوضاع، و ترتفع بهم نفوسهم عن المكابرة إذا أبلج الحق، و الأفذاذ من هذا النوع ندره لا يظفر التاريخ بها إلا فيما قل - فلا عجب إذا رأيناهم حول أول ما نراهم، أقلية لا يعدون أصابع اليد.

و يسفر الدين الجديد عن تعاليم جديدة، فإذا في هذا الدين دعوة إلى التكتل و نسيان القبيلة، و إذا في الدين حد للإباحية المطلقة، و إذا فيه كبح للذائد و الشهوات، و إذا فيه تحليل و تحريم، فأية أخلاق منحلّة تقوى على التوحيد و التكتل، و أية فوضى تحتل التحديد و الكبح، إنه اختبار لا ينجح فيه شهباني، و إنها خطوة لا يستطيع أن يخطوها إلا وجدان عامر بغير الأهواء التي كان يعمر بها الوجدان في القبائل من قريش و من حولها.

لابد إذا لهذا التعصب من أن يستعر أواره، و لابد للمقاومة من أن تنشط للدفاع، لابد أن يجتمع إلى عامل المحافظة على كيان القبيلة عوامل أخرى، مبعثها قداسة التقاليد الموروثة، و الذود عن حظوظهم في الدعارة الشائعة و الإباحية المطلقة. هذه العوامل تضافرت على شخص واحد لا يملك إلا يقينه و إلا صبره و إلا بضعة نفر مستضعفين، تطاردهم قريش و تعذب بعضهم بالجلد و الحجارة المحمأة.

و لم تقتصر المقاومة على حدودها في قبائل مكة فقد بثوا حوله العيون، تترصده في المواسم كلما اتصل بقبيلة. أو بث دعوته في قوم، أو التجأ بزوار، تضييقا عليه و فتا في عضده. انتهى من الكتاب المذكور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٤

### النواحي العامة بمكة في العهد النبوي

ثم يقول صديقنا الأستاذ السباعي في أوائل كتابه المذكور بعد ما تقدم، عن النواحي العامة بمكة في عهد النبي صلى الله عليه و سلم

ما يأتي:

الناحية الدينية: بدأت الحياة في مكة بعد الفتح تأخذ شكلا جديدا غير الشكل الذي كانت تعرفه قبله، فبعد أن كانت مثلها العليا تفانيا للقبيلة، و تفاخرا بالآباء، و أخذنا بالتأثر، و كرما يؤدي إلى التلف، و امتيازاً لأصحاب الصدارة، و قدرة على الثراء بالحق و الباطل. أصبحت و قد هذبها القرآن، تدين بالإخاء لله، و تعتقد بالسيادة في الدين، و أنه لا فضل لعربي على عجمي، و أصبحت الصدارة في رأيها لأصحاب التقوى، و أثر هذا في عقليتها العامة فارتسمت لها أخلاق جديدة مستوحاة من القرآن، و تفتحت أمامها آفاق لا عهد لها بها من سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم، فاندمجت فيما رأت، و نسيت نخوتها الجاهلية و عصبيتها للقبيلة، و استتبع ذلك أن ضاقت بها دائرة الشعر فلم تجد لها فيه مجالا إلا ما استمد روحه من الدين، و اصطبغ بلون من أخلاق القرآن.

على أننا لا نريد أن نطلق هذا على جميع المكيين في ذلك العهد، و نحن نعلم أن مكة حفلت يومها بالمتمردين من البدو و الجفأ من الحضر، إلى جانب المؤمنين الذين أخلصوا دينهم و احترموا عقائدهم.

"و قال عن الناحية الاجتماعية: "و أحسبنا في غنى عن أن نشير إلى أن جلء المكيين، من كبار الصحابة أو البارزين في قبائلهم من السابقين الأولين إلى الإسلام، كانوا قد نفروا خفافا و ثقالا إلى المدينة محتذين حذو رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أن النبي كان قد كره لهم بعد الفتح أن يعودوا إلى الاستيطان بها برا بالمدينة و قد آوتهم، و إخلاصا لأهلها و قد ناصرهم.

أقول: لعلنا في غنى عن أن نقول هذا كله لنعرف من نتائجه ما ينبغي أن نعرفه، من أن مكة دفعت بجلء أبنائها إلى دار الهجرة، و أنها بقيت رغم هذا غاصة بسكانها الأصليين من بطون القبائل و النازحين إليها من العرب المجاورين و الموالى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٥

بقيت غاصة بسكانها هؤلاء ترعى تجارتها في حدود الدين الجديد، و تستفيد من مواهب من يصل إليها في قليل من صناعاتها، و في كثير من أراضيها الصالحة للزراعة في أطراف مكة و ضواحيها.

(و قال عن الناحية العلمية): و كانت صلتها في هذه الأثناء بدوى قرابتها في المدينة من كبار المهاجرين لا تنقطع أسبابها، و قد أفادهم ذلك في كل ما يتصل بأسبابهم في المدينة، فإن كتب السيرة و المغازى و مدونى كتب الطبقات، يحدثوننا في أخبار على و ابن مسعود و ابن عباس و أبى ذر الغفارى و ابن عمر و أبى الدرداء، أنهم كانوا يترددون إلى مكة في مواسمها للحج أو غير مواسمها لأعمالهم الخاصة.

فتبين من ملابسات هذا: أن مكة كانت تستفيد من علومهم، و تتوسع معارفها الدينية بحكم هذه الاتصالات المستمرة خصوصا و نحن نعلم أن أصحاب هذه الأسماء كانوا يحتلون الدرجة العلمية الأولى بين صحابة رسول الله، و قد كانوا يقولون عن بعض هذا نفر أنه لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم بعلمه، و إذا أضفنا إلى هذا أن المكيين أنفسهم كانوا كثيرى التردد على رسول الله في المدينة، و أنهم كانوا ينزلون على من فيها من جلء المهاجرين فيجدون لديهم ما يروى غلتهم من الدين، استطعنا أن نعرف إلى حد بعيد نوعا من أنواع الاستفادة العلمية التي كانت تعتمدها مكة في عهدها هذا الذى نؤرخه.

و يحدثنا ابن هشام بعد هذا عن معاذ بن جبل فيقول: إن النبي صلى الله عليه و سلم اختاره يوم الفتح للقضاء في مكة عندما ولى أمارتها عتاب بن أسيد، و نحن إذ لا نجهل كفاية معاذ بن جبل و ميزته العلمية و إمامه الواسع، نستطيع أن نتبين نوعا آخر من أنواع الاستفادة التي اعتمدها مكة يومها في شأنها التعليمي، و إذا كانت كتب التاريخ تجمع على ندب معاذ بن جبل لتعليم اليمن، فليس في هذا ما يتنافى مع إقامته في مكة عقب الفتح مباشرة لينفع المكيين قبل انتدابه إلى اليمن، و يضيف الطبرى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أشرك معه هبيرة بن شبل.

انتهى من تاريخ السباعى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٦

## بعض ما قيل في حق مكة و المشاعر

قال مؤلف هذا التاريخ محمد طاهر الكردي المكي الخطاط في فضل مكة المشرفة عامله الله تعالى بفضله و رحمته و لطفه و إحسانه و غفر له و لوالديه و رضى عنه و عنهما و عن جميع المسلمين آمين:

فمكة خير بلاد الله أليس فيها البيت بيت الله  
 فضلتها من العصور الأول " ما الحب إلا للحبيب الأول "  
 فيها الهدى و النور و الإيمان و الخير و الطاعة و الأمان  
 و مهبط الوحي بها و الأنبياء فيهم فيها الأصفياء و الأولياء  
 فيها مواضع الدعا المجابهة فمن دعا إلهه أجابه  
 يأمن فيها الطير و الإنسان و الحيوان و كذا الغزلان  
 فالحمد لله الذي جعلنا من أهلها، بفضله أكرمنا  
 فمن أرادها بسوء أو بشرعاده و باله عليه بالضرر  
 و اذكر دواما ما جرى للليل و قعتها أتتك في التنزيل  
 و من تهاون بحق مكة يدكه الله بشر دكة  
 و احذر من إيصال الأذى لأهلها و انظر بعين اللطف في حجاجها  
 و لا تعامل أحدا بالمكر حتى تفوز دائما بالخير  
 فالطير لا يجوز أن تنفره فكيف صفو المرء أن تعكره  
 و إن رأيت الناس أساؤا الأدب فكن ليبيبا عاقلا مهذبا  
 هذا هو الدين الصحيح السامى فافهم هديت لحمى الإسلام  
 فمن يكن فى قلبه الخير يجد خيرا أمامه عليه فاعتمد  
 فإنما الأعمال بالنيات فافهم بلغت غاية الخيرات  
 \*\*\* قال الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطلوسى يخاطب مكة المشرفة حرسها الله تعالى:

أمكة تفديك النفوس الكرائم و لا برحت تنهل فيك الغمام  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٧ و كفت أكف السوء عنك و بلغت مناها قلوب كى تراك حوائم  
 فإنك بيت الله و الحرم الذى بعزته ذل الملوك الأعظم  
 و قد رفعت منك القواعد بالتقى و شادتك أيد بره و معاصم  
 و ساويت فى الفضل المقام كلاهما ينال به الزلفى و تمحى المآثم  
 و من أين تعدوك الفضائل كلها و فيك مقامات الهدى و المعالم  
 و مبعث من ساد الورى و حوى العلى بمولده عبد الإله و هاشم  
 نبى حوى فضل النبيين و اغتدى لهم أولا فى فضله و هو خاتم  
 و فيك يمين الله يلثمها الورى كما يلثم اليمنى من الملك لاثم  
 و فيك لإبراهيم إذ وطئ الصفاضحا قدم برهانها متقاد  
 دعا دعوة فوق الصفا فأجابه قطوف من الفج العميق و راسم

فأعجب بدعوى لم تلج مسمعى فتى و لم يعها إلا ذكى و عالم  
 ألهى لأقدار عدت عنك همتى فلم تنتهض منى إليك العزائم  
 فيا ليت شعرى هل أرى فيك داعيا إذا جارت لله فيك الغنائم  
 و هل تمحون عنى خطايا اقترفتها خطا فيك لى أو يعملات رواسم  
 و هل لى من سقيا حجيجك شربء و من زمزم يروى به النفس حائم  
 و هل لى فى أجر الملبين مقسم إذا بذلت للناس فيك المقاسم  
 و كم زار مغناك المعظم مجرم فحطت به عنه الخطايا العظام  
 و من أين لا يضحى مرجيك آمناو قد أمنت فيك المها و الحمائم  
 و لئن فاتنى عنك الذى أنا رائم فإن هوى نفسى عليك لرائم  
 و أن يحمنى حامى المقادير مقدما عليك فإنى بالفؤاد لقدام  
 عليك سلام الله ما طاف طائف بكعبتك العليا و ما قام قائم  
 إذا نسّم لم تهد عنى تحية إليك فمهديها الرياح النواسم  
 أعود بمن أسناك من شر خلقه و نفسى فما منها سوى الله عاصم  
 و أهدى صلاتى و السلام لأحمد شفيع الورى، بل للنيين خاتم  
 \*\*\* قال بعض الفضلاء من قصيدة طويلة فى المفاخرة بين مكة و المدينة:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٨ لمكة مجد باذخ الركن و الفنن و فضل منيف باسق الدوح و الفنن  
 و مكة فيها كعبة الحسن كله و زينها فى خدها خالها الحسن  
 و مكة للمختار مسقط رأسه و كان له فيها احتضان لمن حضن  
 و فى مكة منشأ أبيه و جده و أعمامه و الأصل و الفرع و الشجن  
 و فى مكة وافاه جبريل أولا و كلمه بالوحى فى السر و العلن  
 و فى مكة كانت مبادئ كلامه و إنزاله القرآن و الخير فى قرن  
 و فى مكة أبدى الهدى نور وجهه و كانت بها من قبل بشرى ابن ذى يزن  
 و فى مكة أسرى به الله ربه و طاف به السبع السموات فى سنن  
 و فى مكة فتح مبين تنزلت به سورة بانة بفضل لها ابن  
 و فى مكة كانت ولادة نسله و ما أنجبت منه خديجة فى الحجن  
 و فى مكة موطن الخليل و داره و زمزمه و الحجر و المنزل الأغن  
 إلى آخرها- نقلا عن الجامع اللطيف.

\*\*\* و قال بعضهم:

موضع البيت مهبط الوحى مأوى الرسل حيث الأنوار حيث البهاء  
 حيث فرض الطواف و السعى و الحلق ورمى الجمار و الإهداء  
 جبذا جبذا معاهد منها لم يغير آياتهن البلاء  
 حرم آمن و بيت حرام و مقام فيه المقام تلاء  
 فقضينا بها مناسك لا يحمد إلا فى فعلهن القضاء

و قال بعضهم:

هى البلد الأمين و أنت حل فطاها يا أمين فأنت طاها  
و وجه حيث كنت كذا إليها ولا تعدل إلى شىء سواها  
فوجه الله قبله كل حى لمن شهد الحقيقة و اجتلاها  
و هذا البيت بيت الله فيه إذا شاهدت فى المعنى سناها  
فهلل عند مشهده كفاحا و زمزم عند زمزمه شفاها  
و قل بلسان عزمك فى رباها النفسى فى منى بلغت مناها  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٩ إليك شددت يا مولاي رحلى جئت و مهجتي تشكو ظماها  
و ها أنا جار بيتك يا إلهى و بالأستار ممتسك عراها  
و للجيران و الضيفان حق على الجار الكريم إذا رعاها  
و قال بعضهم:

يا سائقا عن النياق و زمزما أبشر فقد نلت المقام و زمزما  
كم كنت تذكرنا منازل مكة و تقول أن بها المنى و المغنما  
برد بماء سقاية العباس ما كابدته طول الطريق من الظما  
و انهض و هرول بين زمزم و الصفا و ادخل إلى الحجر الكريم مسلما  
و مقام إبراهيم زره مبادرا و بحجر إسماعيل صل معظما  
و انظر عروس البيت تجلى حسنها للناظرين و لذ بها مستعصما  
فهى التى ظهرت فضائلها فلا تخفى و هل يخفى سنا قمر السما  
لم يلقها الإنسان إلا باكيافرحا بها أو ضاحكا متبسما  
و النور من أحشائها لا يختفى أبدا و إن جن الظلام و أعتما  
و من العجائب أنها محروسه و الصيد فيها لا يزال محرما  
و الطير لا تعلق على أركانها إلا ليشفى إذ نجا متألما  
تختال فى حلل السواد و بابها بالنور منه مبرقعا و ملثما  
هى كعبة المولى الكريم و كل من وافى إليها حقه أن يكرما  
ما منهمو إلا ذليل خاضع باك على زلاته متندما  
يا رب قد وقفت ببابك عصبه يرجون منك تفضلا و تكريما  
ذا طالبا فضلا و ذا متقصدا مما جناه من الذنوب و قدما  
و مما جاء فى تاريخ الفاسى المسمى "شفاء الغرام" ما يأتى من القصائد و هو:  
يسوقهم طرب نحو الحجاز منهم ذووا ارتياح على أكوارها ميل  
شعت رؤوسهم بلس شفاههم حوص عيونهم غرث مهازيل  
حتى إذا لاح من بيت الإله لهم نور أذاهم على لقبرا أراجيل  
يعفرون وجوها طال ما سهمت باكين حتى أديم الأرض مبلول  
حفوا بكعبة مولاهم فكعبهم عال بها لهم طرف و تقبيل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٠ و بالصفاء وقتهم صاف بسعيهم و فى منى لمناهم كان تنويل تعرفوا عرفات واقفين بهالهم إلى الله تكبير و تهليل  
\*\*\* و مما جاء فيه أيضا:

أنا ما لى عن مكة براحو بها أشتفى من البرجاء  
حبذا الكعبة قد تبدت و هى تزهو فى حله سوداء  
فصفا سترها مساء صباح و بياض الثنا صباح مساء  
قيل الخال لا أبا لكك عشرايا أخوا حياها بغير إيساء  
و املاً الحجر باللالكى من الدمع عن عقيق الدماء  
و اشربن من شراب زمزم كأسادب منه السرور فى الأعضاء  
فهى حقا طعام طعم لجوع و لها للسقم أى شفاء  
فسقى المسجد الحرام غمام و رعى عشنا على البطحاء  
كم حطمنا لدى الحطيم ذنوبا كثرت عدها عن الإحصاء  
صاح قم طف للاله سبعا تحظ بالأجر و المنى و الولاء  
مر بالمروتين و أرق لترقى بجناب مراقى السعداء  
و أكحل العين عند مسعاك بالميل ففیه شفاء ذاك العماء  
ثم قف خاضعا على عرفات عل تعطى عوارف الأطاء  
و أمها فى منى إلى جمرات جمرات اللظى بها فى انطفاء  
\*\*\* و مما جاء فيه أيضا:

يا جيرتى بين الحجون إلى الصفاشوقى إليكم مجمل و مفصل  
أهوى دياركم ولى بربوعها وجد يؤرقنى و عهد أول  
و يزيدنى فيها العذول صبا به فيظل يغرينى إذا ما يعدل  
و يقول لى لو قد تبدلت الهوى فأقول قد عنى الغداة تبدل  
بالله قل لى كيف تحسن سلوتى عنها و حسن بصرى هل يجمل  
هل فى البلاد محله معروفة مثل المعرف أو محل يحلل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣١ أم فى الزمان كليله النفر التى فيها من الله العوارف تجزل  
أم مثل أيام تقضت فى منى عمر الزمان بها أعز محجل  
فى جنب مجتمع الرفاق و منزع الأشواق حياها السحاب المسبل  
\*\*\* و مما جاء فيه أيضا:

على الأبطح المكى طيب سلامى و أزكى تحيات كمسك ختام  
و سقيا له من أدمع بهوامع تجود بحفظ الود جود كرام  
فذاك هو الحى الذى طائر المنى له فيه بالاطراب سجع حمام  
إذا ذكروا فى الحى طيب حديثه خلقت على السمار ثوب منام  
و إن ظفرت نفسى بلثم ترابه لست بذاك اللثم خير لثام

منازل أفرأحي و أنسى و لذتى و موسم أعيادى و دار هيام  
 إذا مر من بى نحوها نسمة الصبا وجدت لها بردا لحر أوامى  
 متبعث فى الروح حتى أكاد أن أطير و قد قص الجناح سقامى  
 فله عهد من معاهد أنه جديد و لو أبلى الممات عظامى  
 فهل لى إلى تلك المواطن عودة على رغم حسادى و أهل ملامى  
 و أكحل بالميل الأخيضر ناظرى يائمد ركن البيت قبل حمام  
 و أنشد فى عيذى بقرب أحببى إلا أن هذا اليوم فطر صيامى  
 أديروا أديروا ماء زمزم خالصا فذا خير كأس فى ألد مقام  
 و نادوا على رأسى بأبواب شاربى عبيد ذليل مثقل بآثام  
 عسى عطفه منكم عليه فإنه تعلق من إحسانكم بزمام  
 و مما جاء فيه أيضا:

أنكرت سلمى و أياما بذى سلم لوقفه بين تعريف و عرفان  
 و الدار أهله من كل مغترب يعرفو إليها بتهليل و قرآن  
 و اسم الحبيب شعار العاشقين بهاتيك المشاعر من شيب و شبان  
 لبيك لبيك توحيدا يؤكده توابع الشوق فى سر و إعلان  
 و للإجابة سمع ليس يشغله شأن كبير من القول عن شان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٢ و ينفرون إلى الزلفى بمزدلف جمعا بجمع و وجدانا بوجدان  
 من لم يقف برسوم الموقفين فمامشت به قط للأحباب رجلان  
 و فى منى للمنى ذاك المنال فلا تبعد بك الدار عن قرب و قربان  
 و فى الإفاضة فيض الجود من ملك يلقى المسىء إذا استعفى بإحسان  
 \*\*\* و مما جاء فيه أيضا:

يا طائفين بنا إنا نطوف بكم باعا بباع و وجدانا بوجدان  
 مبادرين إليه السعى هرولة إليه تلقاه بشرى دون أحزان  
 أما الغريب و إن عز المكان فلا يتبع بك الوهم فى تقرير إمكان  
 من فاوض الركن قد فاوضته بيدى هذا يمينى فحيوها بإيمان  
 من يستجر فإننا بالمستجار له نعم المجير إذ يلجا لى الجانى  
 و عند ملتزم منا الملتزم لو شاء ما شاء منا غير منان  
 ولى بززم سر فيه زمزمه عنوانها عند أزمات و أزمان  
 هذى الأمانى لا أيام ذى سلم دار الأمانى فما دار بغمدان  
 كفانى الله تبديلا بمظهرها حتى أغيب فى لحدى و أكفانى  
 \*\*\* مما جاء فيه أيضا:

فشدوا مطايانا إلى الربع ثانيا فإن الهوى عن ربهم ما ثيناه  
 ففى ربهم لله بيت مبارك إليه قلوب الناس تهوى و نهواه



يطوف به الجاني فيغفر ذنبه ويسقط عنه إثمه و خطايا  
و كم لذة كم فرحة لطوافه فله ما أحلى الطواف و أهناه  
نطوف كأنا بالجنان نطوفهاو لا هم لا غم جميعا نفينا  
فيا شوقنا نحو الطواف و طيبة فذلك طيب لا يعبر معناه  
فمن لم يذقه لم يذق قط لذة فذقه تذق يا صاح ما نحن ذقناه  
ترى رجعة أو عودة لطوافناو ذاك الحمى قبل المنية نفشاه  
فو الله لا ننسى الحمى فقلوبنا هناك تركناها فيا كيف ننساه  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٣ و والله لا ننسى زمان مسيرنا إليه و كل الركب يلتذ مسراه  
و قد نسيت أولادنا و نساؤناو إخواننا و القلب عنهم شغلناه  
ترأت لنا أعلام وصل على اللوى فمن ثم أمسى القلب عنهم لوينا  
جعلنا إله العرش نصب عيونناو من دونه خلف الظهور نبذناه  
و سرنا نشق البيد للبلد الذى بجهد و شق للنفوس بلغناه  
رجالا و ركباناً على كل ضامرو من كل فج مقفر قد أتينا  
نخوض إليه البحر و البر و الدجاو لا مقطع إلا إليه قطعناه  
و نظوى الفلا من شدة الشوق للقافنمشى الفلا نحكى السجل طوينا  
و لا صدنا عن قصدنا فقد أهلناو لا هجر جار أو حبيب ألفتناه  
و أموالنا مبدولة و نفوسناو لم نبغ شيئا منها منعناه  
\*\*\* و مما جاء فيه أيضا:  
نحج لبيت حجه الرسل قلبنا لتشهد نفعا فى الكتاب وعدناه  
دعانا إليه الله عند بنائه فقلنا له لبيك داع أجبناه  
و ما زال وفد الله يقصد مكة إلى أن بدا البيت العتيق و ركنه  
فحيث ضيوف الله بالذكر و الدعاو كبرت الحجاج حين رأينا  
و قد كادت الأرواح تزهب فرحة لما نحن من عظم السرور وجدناه  
و طفنا به سبعا رملنا ثلاثة و أربعة مشيا كما قد أمرناه  
كذلك طاف الهاشمى محمد طواف قدوم مثل ما طاف طفناه  
و سالت دموع من غمام جفوننا على ما مضى من إثم ذنب كسبناه  
و نحن ضيوف الله حيننا لبيتته نريد القرى ينفى من الله حسناه  
فنادى بنا أهلا ضيوف تباشروا و قروا عيوننا فالحجيج أضفناه  
فأى قرى يعلو قرانا لضيفناو أى ثواب فوق ما قد أثبناه  
فطيبوا و سيروا و افرحوا و تباشروا تيهوا و هيموا بابها قد فتحناه  
و لا ذنب إلا قد غفرناه منكم و ما كان من عيب عليكم سترناه  
\*\*\*

و مما جاء فيه أيضا:

و يوم منى سرنا إلى الجبل الذى من البعد قد حيا كما قد عهدناه  
فلا حج إلا يكون بأرضه ووقوف و هذا فى الصحاح روينا  
إليه فؤاد المرء يشعر بالهنا و لولاه ما كان الحجاز سلكتاه  
و بتنا بأقطار المحصب من منى فى طيب ليل بالمحصب بتناه  
و سرنا إليه طالبين و قوفنا عليه و من كل الوجوه أممناه  
على علميه للوقوف جلاله فلا زالتنا تحمى و تحرس أرجاه  
و بينهما حزنا إليه برحمة فى طيبها ليت الزحام رجعناه  
و لما رأيناه تعالى عجيجنا لى و بالتهليل منا ملأناه  
و فيه نزلنا بكرة بذنوبنا ما هو من ثقل المعاصى حملناه  
و بعد زوال الشمس كان و قوفنا إلى الليل نبكى و الدعا قد أطلناه  
\*\*\* و مما جاء فيه أيضا:

على عرفات قد وقفنا بموقف به الذنب مغفور و فيه محونا  
و قد أقبل البارى علينا بوجهه و قال أبشروا فالعفو فيكم نشرناه  
و عنكم ضمنا كل تابعة جرت عليكم و أما حقنا قد وهبناه  
أقلناكم من كل ما قد جنيتهم و من كان ذا عذر إلينا عذرناه  
و طوبى لمن ذاك المقام مقامه و بشراه فى يوم التغابن بشراه  
نرى موقفا فيه الخزائن فتحت و والى علينا الله منه عطايه  
و دارت علينا الكأس بالوصل و الرضاسقينا شرابا مثله ما سقينا  
فإن شئت تسقى ما سقينا على الحمى فخلقى التوانى و اقصد محلا حللناه  
\*\*\* و مما جاء فيه أيضا:

فضل حجيج الله الليل واقفا فليل انفروا فالكل منكم قبلناه  
أفيضوا و أنتم حامدون إلهكم إلى مشعر جاء الكتاب بذكره  
و سيروا إليه و اذكروا الله عنده فسرنا و من بعد العشاء نزلناه  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٥ و فيه جمعنا مغربا لعشائنا ترى عابد جمع جمع جمعنا  
و بتنا به و التقطنا جمارنا و ربا ذكرناه على ما هداياه  
و منه أفضنا حيث ما الناس قبلنا أفاضوا و غفران إله طلبناه  
\*\*\* و مما جاء فيه أيضا:

و نحو منى ملنا بها كان عيدنا و نلنا بها ما القلب كان تمناه  
فمن منكم بالله عيد عيدنا فعيد منى رب البرية أعلاه  
و فيها رمينا للعقاب جمارنا و لا جرم إلا مع جمار رمينا  
و بالخيف أعطانا الإله أمانا و أذهب عنا كل ما نحن خفناه  
وردت إلى البيت الحرام و فودنا رجعنا لها كالطير حن لمأواه

وطفنا طوافا للإفاضة حوله و لذنا به بعد الجمار و زرناه

\*\*\* و مما جاء فيه أيضا:

و من بعد ما زرناه دخلناه دخلة كأنا دخلنا الخلد حين دخلناه

و نلنا أمان الله عند دخوله كما أخبر القرآن فيما قرأناه

فيا منزلا قد كان أبرك منزلا نزلناه في الدنيا و بيت و طئناه

ترى حجة أخرى إليك و رحله و ذاك على رب العلا نتمناه

أخواننا ما كان أحلى دخولنا إليه و لبثا في حماه لبثناه

أخواننا أو حشتمونا هنيئا لكم فيا ليتكم معنا و أنا سكناه

\*\*\* و مما جاء فيه أيضا:

و بالحجر الميمون لذنا فإنه لرب السما في أرضه يمناه

نقبله من حبنا لإلهنا فكم لثمة طى الطواف لثمناه

على لثمة للشعث و الغبر رحمة فكم أشعث كم اغبر قد رجمناه

و ذاك لنا يوم القيامة شاهدو فيه لنا عهد قديم عهدناه

و نستلم الركن اليماني طاعة و نستغفر المولى إذا ما لمسناه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٦ و ملتزم فيه التزامنا لذنباعهود و عفو الله فيه لزمناه

و كم موقف فيه مجاب لنا الدعادعونا به و القصد فيه نوبناه

و صلى بأركان المقام حجيجنا و فى زمزم ماء طهور و رذناه

و بين الصفا و المروة الحاج قد سقى فإن تمام الحج تكميل مسعاه

\*\*\* و مما جاء فيه أيضا:

و بينا حجيج الله بالبيت محدد و رحمة رب العرش تدنوا و تغشاه

و تداعت رفاق بالرحيل فما ترى سوى دمع عين بالدماء مزجناه

لفرقة بيت الله و الحجر الذى لأجلهما شاق الأمور شققناه

و ودعت الحجاج بيت إلهها و كلهم تجرى من الحزن عيناه

فله كم باك و صاحب حسرة يود بأن الله كان توفاه

و لا شهد التوديع يوما لبيته و إن فراق البيت مر وجدناه

و و الله لولا أن نؤمل عودة لذقنا طعام الموت حين مجعناه

و من بعد ما طفنا طواف و داعنا رحلنا إلى قبر الحبيب و مغناه

انتهى كل ما تقدم من القصائد من تاريخ الفاسى المسمى "شفاء الغرام".

\*\*\* و مما جاء فى كتابنا مقام إبراهيم عليه السلام نقلا عن تاريخ الغازى ما نصه:

و من اللطائف المستملحة: أن بعض أهل المدينة فضلها على مكة فى قصيدة بعثها إلى أميرها يدعوه للإقامة عندهم، فلما سمعها أهل

مكة رد عليه أحدهم بقصيدة فى نهاية البلاغة فسمع بها رجل من جدّه فجعل نفسه حكما بينهما و لم يبخس من فضل مكة و المدينة

شيئا كما هو الواجب.

و إليك الحكاية كاملة: جاء فى تاريخ الغازى المخطوط المسمى "إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام" أن داود بن عيسى بن

موسى بن محمد ابن على بن عبد الله بن العباس عم رسول الله صلى الله عليه و سلم لما ولى مكة و المدينة فى خلافة الأمين محمد بن هارون الرشيد العباسى ولى ابنه سليمان المدينة و أقام داود بمكة فكتب إليه أهل المدينة يسألونه التحول إليهم و يعلمونه أن مقامه بالمدينة أفضل من مقامه بمكة، و أهدوا إليه فى ذلك شعرا و هو:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٧ أداود قد فزت بالمكرمات و بالعدل فى بلد المصطفى و صرت ثمالا لأهل الحجازو سرت بسيرة أهل التقى و أنت المهذب من هاشم و فى منصب العز و المرتجى و أنت الرضى الذى نابهم فعدلك فىنا هو المنتهى و بالفىء أغنيت أهل الخصاص و فى كل حال فأنت الرضا و مكة ليست بدار المقام فهاجر كهجرة من قد مضى مقامك عشرون شهرا بها كثير لهم عند أهل الجحا فقم ببلاد الرسول التى بها الله خص نبي الهدى و لا يلفتك عن قربه مشير مشورته بالهوى فقبر النبي و آثاره أحق بقربك من ذى طوى

فلما ورد الكتاب و الآيات على داود بن عيسى أرسل إلى رجال من أهل مكة فقرأ عليهم الكتاب، فأجابه رجل منهم بقصيدة يرد عليهم و يذكر فيها فضل مكة و ما خصها الله تعالى بها من الكرامة و الفضيلة و يذكر المشاعر و المناقب فقال:

أداود أنت الإمام الرضى و أنت ابن عم نبي الهدى و أنت المهذب من كل عيب كبيرا و من قبله فى الصبا و أنت المؤمل من هاشم و أنت ابن قوم كرام التقى و أنت غياث لأهل الخصاص تسد خصاصتهم بالغنى أذاك كتاب حسود جحود أسا فى مقالته و اعتدى يخير يثرب فى شعره على حرم الله حيث أبتنا فإن كان يصدق فيما يقول فلا يسجدن إلى ما هنا و أى بلاد تفوق أمهاو مكة مكة أم القرى و ربي دحا الأرض من تحتهاو يثرب لا شك فيما دحا و بيت المهيمن فىنا مقيم بصلى إليه برغم العدا و مسجدنا بين فضله على غيره ليس فى ذا مرا صلاة المصلى تعادله مئين الوفا صلاة و فا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٨ كذاك أتى فى حديث النبي و ما قال به يقتدى و أعمالكم كل يوم وفود إلينا شوارع مثل القطا فيرفع فيها إلهى الذى يشاء و يترك ما يشاء و نحن تحج إلينا العباد فيرمون شعنا بوتر الحصا و يأتون من كل فج عميق على أنيق ضمير كالقنا ليقضوا مناسكهم عندنا فمنهم سعاء و منهم مشا

فكم من ملب بصوت حزين ترى صوته فى الهوى قد علا  
و آخر يذكر رب العبادو يثى عليه بحس الثنا  
فكلهموا أشعث أغبر يؤم المعرف أقصى المدى  
فظلوا به يومهم كله وقوفا يضجون حتى المسا  
حفاة ضحاة قياما لهم عجيج ينادون رب السما  
رجاء و خوفا لما قدمواو كلا يسأل رفع البلا  
يقولون يا ربنا اغفر لنا بعفوك و الصفح عنم أسا  
فلما دنا الليل من يومهم و لى النهار أجدوا البكا  
و سار الحجيج له وجبة فحلوا بجمع بعيد العشا  
فباتوا جميعا فلما بداعمود الصباح و لى الدجا  
دعوا ساعة ثم شدوا النسوع على قلص ثم أموا منى  
فمن بين ما قد مضى نسكه و آخر يبدا بسفك الدما  
و آخر يهوى إلى مكة ليسعى و يدعو فيمن دعا  
و آخر يرمل حول الطواف و آخر ماض يؤم الصفا  
فأبوا بأفضل مما رجواو ما طلبوا من جزيل العطا  
و حج الملائكة المكرمون إلى أرضنا قبل فيما مضى  
و آدم قد حج من بعدهم و من بعده أحمد المصطفى  
و حج إلينا خليل الإله و هجر بالرمى فيمن رمى  
فهذا لعمرى لنا رفعة حباننا بهذا شديد القوى  
و منا النبى نبى الهدى و فينا نبيا و منا ابتدا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٩ و منا أبو بكر ابن الكرام و منا أبو حفص المرتجى  
و عثمان منا فمن مثله إذا عدد الناس أهل الحيا  
و منا على و منا الزبير و طلحة منا و فينا انتشا  
و منا ابن عباس ذو المكرمات نسيب النبى و حلف الندى  
و منا قریش و آباؤها فنحن إلى فخرنا المنتهى  
و منا الذين بهم تفخرون فلا تفخرون علينا بنا  
ففخر أولاء لنا رفعة و فينا عن الفخر ما قد كفى  
و زمزم و الحجر فينا فهل لكم مكرمات كما هى لنا  
و زمزم طعم و شرب لمن أراد طعاما و فيه الشفا  
و زمزم تنفى هموم الصدور و زمزم من كل سقم دوا  
و كم جاء زمزم من جائع إذا ما تضلع منها اكتفى  
و ليس كزمزم فى أرضكم كما ليس نحن و أنتم سوا  
و فينا سقاية عم الرسول و منها النبى امتلا و ارتوى

و فينا المقام فأكرم به و فينا المحصب و المنحنى  
و فينا الحجون ففاخر به و فينا كداء و فينا كدى  
و فينا الأباطح و المروتان فيخ يخ فمن مثلنا؟  
و فينا المشاعر منشا النبي و أجياد و الركن و المتكا  
و ثور و هل عندكم مثل ثور و فينا ثبير و فينا حرا  
و فيه اختبأ نبي الإله و معه أبو بكر المرتضى  
فكم بين أحد إذا جاء فخرو بين القبيس فيما نرى  
و بلدتنا حرم لم تنزل محرمة الصيد فيما خلا  
و يثرب كانت حلالا فلا تكذب فكم بين هذا و ذا  
و حرمها بعد ذاك النبي فمن أجل ذلك جاذا كذا  
و لو قتل الوحش فى يثرب لما فدى الوحش حتى اللقا  
و لو قتلت عندنا نملة أخذتم بها أو تؤدوا الفدا  
و لولا زيارة قبر النبي لكنتم كسائر من قد بدا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٠ فإن قلت قولاً خلاف الذى أقول فقد قلت قول الخطأ  
فلا تفحش علينا المقال و لا تنطقه بقول الخنا

و لا تفخرن بما لا يكون و لا ما يشنيك عند الملا  
و لا تهج بالشعر أرض الحرام و كف لسانك عن ذى طوى  
و إلا فجاءك ما لا تريد من الشتم فى أرضكم و الأذى  
فقد يمكن القول فى أرضكم بسبب العقيق و وادى قبا  
\*\*\* فأجابهما رجل من بنى ناسك كان مقيماً بجدة مرابطاً فحكم بينهما، و بين فضل البلدتين الطاهرتين "مكة و المدينة" فقال رحمه  
الله تعالى:

إنى قضيت على الذين تماريا فى فضل مكة و المدينة فاسألوا  
فلسوف أخبركم بحق فافهموا فالحكم حيناً قد يجوز و يعدل  
فأنا الفتى العجلى جده مسكنى و خزائنه الحرم التى لا تجهل  
و بها الجهاد مع الرباط و إنها لها الوقعة لا محالة تنزل  
من آل حام فى أواخر دهرنا و شهيداً بشهيد بدر يعدل  
شهادونا قد فضلوا بسعادة و بها السرور لمن يموت و يقتل  
يا أيها المدنى أرضك فضلها فوق البلاد و فضل مكة أفضل  
أرض بها البيت المحرم قبلة للعالمين لها المساعدة تعدل  
حرم حرام أرضها و صيودها و الصيد فى كل البلاد محلل  
و بها المشاعر و المناسك كلها و إلى فضيلتها البرية ترحل  
و بها المقام و حوض زمزم مترع و الحجر و الركن الذى لا يجهل  
و المسجد العالى الممجد و الصفاو المشعران و من يطوف و يرمل

هل فى البلاد محلة معروفة مثل المعرف أو محل يحلل  
أو مثل جمع فى المواطن كلها أو مثل خيف منى بأرض منزل  
تلكم مواضع لا يرى بحرامها إلا الدعاء و محرم و محل  
شرفا لمن وافى المعرف ضيفه شرفا له و لأرضه إذ ينزل  
و بمكة الحسنات ضوعف أجرها و بها المسىء عن الخطيئة يسئل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤١ يجزى المسىء على الخطيئة مثلها و تضاعف الحسنات منه و تقبل  
ما ينبغى لك أن تفاخر يا فتى أرضا بها ولد النبى المرسل  
بالشعب دون الردم مسقط رأسه و بها نشأ صلى عليه المرسل  
و بها أقام و جاءه وحى السما و سرى به الملك الرفيع المنزل  
و نبوة الرحمن فيها أنزلت و الدين فيها قبل دينك أول  
هل بالمدينة هاشمى ساكن أو من قريش ناشئ أو مكهل  
إلا مكة أرضه و قراره لكنهم عنها نأوا و تحولوا  
و كذاك هاجر نحوكم لما أتى أن المدينة هجرة فتحملوا  
فأجرتمو و قربتمو و نصرتمو خير البرية حركم أن تفعلوا  
فضل المدينة بين و لأهلها فضل قديم نوره يتهلل  
من لم يقل أن الفضيلة فيكم قلنا كذبت و قول ذلك أرذل  
لا خير فيمن ليس يعرف فضلكم من كان يجهله فلسنا نجعل  
فى أرضكم قبر النبى و بيته و المنبر العالى الرفيع الأطول  
و بها قبور السابقين بفضلهم عمر و صاحبه الرفيق الأفضل  
و العترة الميمونة اللاتى بهاسبت فضيلة كل من يتفضل  
آل النبى بنو على إنهم أمسوا ضياء للبرية يشمل  
يا من تبص إلى المدينة عينه فيك الصغار و صعر خدك أسفل  
إننا لنهواها و نهوى أهلها و دادها حق على من يعقل  
قل للمدينى الذى يزداد رداود الأمير و يستحث و يعجل  
قد جاءكم داود بعد كتابكم قد كان حبلك فى أميرك يغتل  
فاطلب أميرك و اشذره و لا تقم فى بلدة عظمت فوعظك أفضل  
ساق الإله لبطن مكة ديمة تروى بها و على المدينة تسبل  
انتهى من كتابنا مقام إبراهيم عليه السلام.

نقول: لقد أجاد هذا الرجل الذى كان مقيما بجدة فى بيان فضل مكة و فضل المدينة، فرحمه الله رحمة واسعة و جزاه خير الجزاء، و  
نحن ذكرنا هنا فضل مكة و لم نذكر عن فضل المدينة شيئا، لأن كتابنا هذا خاص عن تاريخ مكة، و إن شاء الله

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٢

إذا وضعنا كتابا عن المدينة المنورة سنتشرف بذكر فضلها و مكانتها، اللهم وفقنا للخيرات و تقبل منا صالح الاعمال آمين.

و من أطف الأقوال فى المسجدين الحرامين "بمكة و المدينة" قول السيد محمد بن عبد الله، الشهير بكبريت المدنى رحمه الله

تعالى، قال:

فارت مكة و الأشواق تجذبني لها و يمت طه معدن الكرم  
 فهل درى البيت أنى بعد فرقة ما سرت من حرم إلا إلى حرم  
 و قول الشيخ عبد الرحمن العمادى مفتى الحنفية بدمشق رحمه الله تعالى:  
 فارت طيبة مشتاقا لطيبتها فجت مكة فى وجد و فى ألم  
 لكن سررت بأنى بعد فرقتها ما سرت من حرم إلا إلى حرم  
 اللهم اقبلنا أينما كنا و تداركنا برحمتك الواسعة، و لطفك الخفى يا أرحم الراحمين.

### تذكر النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه مكة بعد الهجرة

ينزع الطير إلى و كره الذى درج منه فلا يزال إن لم به الليل، و أضله الظلام- يلتمس إليه الطريق دوحه بعد دوحه- و غصنا فى أثر  
 غصن. و بين ذاك ينوح بإيقاع من الحزن يزكى لهيب الأسى و يثير الشجون.  
 لقد تجاوز الطير فى سبيله ما تجاوز: من رائع الزهر و يانع الورد، و وارف الورق، و داني القطوف، فما باله لم يبتغ بين كل أولئك  
 مقاما، أهو واجد فى و كره ما يجده فيما حوله من ماء روى، و هواء غذى، و طعام شهى، و حب نثير، و بساط نصير، و فراش وثير، و  
 هل وراء ذلك بغية لنفس.  
 أجل إنه يطلب الوطن، و له بين جوانحه معنى لا- يراه فيما رآه فهو منبت نفسه، و مهبط رأسه، و مدرج طفولته، و مرتع حدائته، و  
 مجمع إلقائه، و ملتقى أحبائه، فكان من الحق ألا يهيم إلا به، و لا يحن إلا إليه. انتهى.

### الوطن، لشوقى بك

و جانب من الثرى يدعى الوطن ملء العيون و القلوب و الفطن  
 مزين للآدمى العاقل و كل سهلى و كل عاقل  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٣ و الأسد الخادر فى البوادي و النمل فيما اتخذت من وادى  
 و نزعة الناس إلى أوطانها كنزعة الإبل إلى أعطانها  
 يحبه الأقوام منذ كانوا لا يساؤون به مكانا  
 إذا أتاهم أيسر النداء منه جروا لغاية الفداء  
 أو ذكر الحنين و الحفاظم تجر إلا باسمه الألفاظ  
 و تكرم الدار على الحر الأبي كرامة الأم عليه و الأب  
 و ليس من عرض و لا حریم تحميه فوق الوطن الكريم  
 الجسم من تربته و مائه و الروح روح هب من سمائه  
 و كل ما حولك من هباته و ما وجدت فهو من نباته  
 أمانة الأول عند الآخر خزانة الآثار و المفاخر  
 انتهى.

فالوطن عزيز على كل أحد، حتى لو كان قرية صغيرة فما بالك إذا كان الوطن بلدة كبيرة شهيرة.



(يحكى) في قديم الزمان أن رجلا- كان عنده طير وضعه في قفص من ذهب، فكان يطعمه حبا نقيا نظيفا و يسقيه ماء طهورا معطرا فاستضاف يوما أحد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلما رآه الطير صار يغرد تغريدا متواصلا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمضيفه: أتدرى ما يقول هذا الطير؟ قال: لا، قال: فإنه يحب أن تطلقه من هذا القفص ليذهب إلى وطنه، فقد اشتاق إليه كثيرا، قال: سأطلقه يا نبي الله، ولكنى أحب أن ترسل وراءه أحد الطيور ليأتينا بخبره أين يقع وطنه. فأمر النبي الكريم طيرا من الطيور أن ينطلق وراءه ليأتى بخبره، فذهب وراءه فما زال يطيران حتى وصلا إلى موطن الطير وإذا به يقع على شجرة يابسة في وسط الصحراء قاحلة وإذا الطير يغرد تغريدا الفرح والسرور ويقول: إن هذه البقعة القاحلة الجرداء أفضل عندي من المحل الذي كنت فيه- هذه الحكاية لا تهمنى صحة روايتها بقدر ما يهمننا مغزاها ومعناها، فرحم الله من حكاها لنا وغفر لنا وله.

قال بعضهم في الوطن:

بلاد ألفتناها على كل حاله وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن  
وتستحسن الأرض التي لا هواؤها ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٤ و رب امرئ ألقى هواه على امرئ فلم ير منه غير ما يورث الحزن  
وقال ابن الرومي في الوطن:

ولى وطن آليت أن لا أبيعوه أن لا أرى غيرى له الدهر مالكا  
عمرت به شرح الشباب منعبا بصحبة قوم أصبحوا فى ظلالكا  
وحبب أوطان الرجال إليهم ما رب قضاها الشباب هنالكا  
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهد الصبا فيها فاحنوا لذلكا  
وقد ألفتة النفس حتى كأنه لها جسد إن بان غودر هالكا

فكم تغنى الشعراء وأشاد الكتاب والأدباء بالوطن، أى وطن كان، فما بالك بمن وطنه أشرف الأوطان وبلده أقدس البلاد وأطهرها وهو "أم القرى بلد الله الأمين" فحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته المهاجرين الكرام أن يشتاقوا لوطنهم العزيز المقدس "مكة" التى فيها بيت الله عز شأنه، وفيها نزل القرآن وهبط جبريل. وفي اشتياقه صلى الله عليه وسلم إلى مكة عند هجرته منها يقول الله عز شأنه فى آخر سورة القصص: إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ.

قال بعض المفسرين: سبب نزول هذه الآية: أنه صلى الله عليه وسلم لما أذن له فى الهجرة إلى المدينة وخرج من الغار مع أبى بكر ليلا فى غير الطريق، فلما نزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف طريق مكة اشتاق إليها وذكر مولده ومولد أبيه، فنزل عليه جبريل وقال له: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ فقال عليه السلام: نعم، فقال جبريل:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ يَعْنِي إِلَى مَكَّةَ ظَاهِرًا عَلَيْهِمْ. وسميت البلد معادا؛ لأن شأن الإنسان أن ينصرف من بلده ويعود إليها. انتهى.

وإليك بعض ما ورد عن ذكرياتهم "والذكريات صدى السنين الخوالي" نذكرها مختصرا من تاريخ الإمام الأزرقى رحمه الله تعالى، فقد جاء فيه:

قال ابن أبى الحمراء: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو بالحزورة: والله إنك لخير أرض الله إلى الله ولو أنى أخرجت منك ما خرجت "الحزورة كانت قرب باب الوداع ثم دخلت فى المسجد."

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٥

وعن ابن أبى نجیح قال: قالت عائشة: لولا الهجرة لسكنت مكة، إنى لم أر السماء بمكان قط أقرب إلى الأرض منها بمكة ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما اطمأن بمكة، ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة.

و عن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة و عك أبو بكر رضى الله عنه و بلال، فكان أبو بكر رضى الله عنه إذا أخذته الحمى يقول:  
كل امرئ مصبح في أهله و الموت أدنى من شراك نعله  
و كان بلال إذا ألق يرفع عقيرته و يقول:  
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفتح و حولي أذاخر و جليل  
هل أردن يوما مياه مجنؤه و هل يبدون لى شامه و طفيل  
و قد جاء هذا في صحيح البخارى فى كتاب الطب فى باب عيادة النساء الرجال.

اللهم العن شبيهة بن ربيعة و عتبة بن ربيعة و أمية بن خلف كما أخرجونا من مكة " و المواقع المذكورة فى البيتين هى بقرب مكة. " نقول: أما فح بقاء معجمة، فهو واد فى مدخل مكة و هو عند الزاهر و الشهداء، و أما أذاخر و جليل فقد ذهبنا إلى هذين المحلين فى صباح اليوم التاسع من شهر شعبان عام ألف و ثلاثمائة و ستة و سبعين لمعرفة هذين الموقعين، فهما واقعان فى محلة المعابدة بمكة المشرفة، متصلان بخريق العشر، يدخل الإنسان فى شعب يطل عليه قلعة صغيرة قديمة البنيان تهدم نصفها المقابل للجبل، فهذا الشعب يسمى شعب "ذاخر" و هو المذكور فى البيتين، و هو شعب عامر بالعرب من سكان مكة ليس بينهم غريب، و يقع جبل حراء على يمين شعب ذاخر، لكنه لا يظهر من بطنه بسبب الجبال.

و لقد ذكر الأزرقى فى تاريخه ثنية أذاخر بصحيفة ٢٣٤ من الجزء الثانى، بقوله: ثنية أذاخر هى الثنية التى تشرف على حائط خرمان، و من ثنية أذاخر دخل النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة، و قبر عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بأصلها مما يلى مكة فى قبور آل عبد الله بن خالد بن أسيد، و ذلك أنه مات عندهم فى دارهم فدفنوه فى قبورهم ليلا. انتهى كلامه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٦  
فإذا واصل الإنسان السير صوب الشام، يخرج إلى فسحة أمامه فى وسطها تقع بناية جميلة حديثه تسمى "المجزرة الجديدة" بنيت فى أول العام المذكور، لكنها لم تستعمل بعد و ليس حولها بنيان، ثم إذا مشى الإنسان عن يمينه قبل الوصول إلى المجزرة الجديدة صاعدا فى أرض صخرية مرتفعة، فإنه يستقبل شعب "جليل" كما يستقبل أمامه طودا عظيما شامخا هو "جبل حراء".  
فجليل واد متسع سهل غير مسكون، ليس فيه سوى محلين صغيرين و بقعة صغيرة مزروعة، و يقع شعب جليل بظهر جبل حراء من جهة الشام، و هو ظاهر أمامه بقبته الطبيعية الفريدة.

و الحق يقال أن شعب أذاخر و وادى جليل بقعتان جميلتان مباركتان، تنبسط فيهما النفس و تنشرح لديهما الصدور، و لقد ذهبنا إلى كثير من البقاع و الشعوب حول مكة فلم نجد مكانا يضاهيهما فى جمالهما الطبيعى و شدة ارتياح الإنسان إليهما، و انشراح النفس فيهما، مع أنهما لا زرع فيهما و لا شجر، إلا ما أودع الله فيهما من جمال طبيعى و روعة و صفاء، و نعتقد أن غالب أهل مكة، لم يصلوا إليهما حيث إنهما من الجهات غير المطروقة. و و الله إنه ليحق لبلال رضى الله تعالى عنه أن يتذكرهما و يحن إليهما فى غربته.

و عن طلحة بن عمرو قال: قال ابن أم كلثوم و هو آخذ بخظام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو يطوف:

حبذا مكة من وادى بها أرضى و عوادى

بها ترسخ أوتادى بها أمشى بلا هادى

نقول: هذان البيتان لأبى أحمد بن جحش، فقد جاء فى كتاب "الإصابة فى تمييز الصحابة" عند ترجمه أبى أحمد بن جحش الأسدى رضى الله تعالى عنه و هو من السابقين الأولين إلى الإسلام، كان أبو أحمد ضريرا يطوف بمكة أعلاها و أسفلها، بغير قائد، و كانت عنده الفارعة بنت أبى سفيان بن حرب، و شهد بدر و المشاهد، و كان يدور مكة بغير قائد، و فى ذلك يقول:

حبذا مكة من وادى بها أهلى و عوادى

بها ترسخ أو تادى بها أمشى بلا هادى

و أبو أحمد أخو أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله تعالى عنهما. انتهى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٧

وقال ابن شهاب: قدم أصيل الغفارى قبل أن يضرب الحجاب على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فدخل على عائشة رضى الله عنها فقالت له: يا أصيل، كيف عهدت مكة؟ قال: عهدتها قد أخصب جنابها و ابيضت بطحاؤها. قالت: أقم حتى يأتيك النبى صلى الله عليه وسلم فلم يلبث أن دخل النبى صلى الله عليه وسلم فقال له: يا أصيل، كيف عهدت مكة؟ قال: والله عهدتها قد أخصب جنابها و ابيضت بطحاؤها و أغدق إذخرها، و أسلت تمامها، و أمش سلمها، فقال: حسبك يا أصيل لا تحزنا. يعنى بقوله: أمش سلمها، يعنى نوامية الرخصة التى فى أطراف أغصانه.

و كان رجل من جرهم كان بمكة على دين إبراهيم و إسماعيل عليهما الصلاة و السلام فأخرجه من مكة عمرو بن لحي، فنزل بأضم من أعراض المدينة نحو الشام، فقال و قد تشوق إلى مكة: ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلته و أهلى معى بالمأزمين حلول و هل أرين العيس تنفخ فى البرلها بمنى و المأزمين ذميل منازل كنا أهلها لم تحل بنا زمان بها فيما أراه تحول مضى أولونا راضين بشأنهم جميعا و غالتنى بمكة غول انتهى ملخصا من تاريخ الأزرقى.

و فى صحيفه ٥٥ من الجزء الأول من التاريخ المذكور جاء بهامشها عن البيت الثالث مرويا فى ياقوت هكذا:

منازل كنا أهلها فأزالنا زمان لنا بالصالحين خذول

و جاء أيضا فى تاريخ الأزرقى عن عبد الرحمن بن هشام أنه قال: خرجت غازيا فى خلافة بنى مروان فقلنا من بلاد الروم فأصابنا مطر فأوبنا إلى قصر فاستدربنا به من المطر، فلما أمسينا خرجت جارية مولده من القصر، فتذكرت مكة و بكت عليها، و أنشأت تقول: من كان ذا شجن بالشام يحبسه فإن فى غيره أمسى لى الشجن و إن ذا القصر حقا ما به وطنى لكن بمكة أمسى الأهل و الوطن إلى آخره. انتهى من الأزرقى باختصار. و فى الأزرقى ما ملخصه:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٨

لما غلبت خزاعة جرهما و نفتهم عن مكة و من ضمنهم مضاض بن عمرو بن الحارث ملك جرهم و المطاع فيهم، مع أنه كان يعظهم و يحذرهم عاقبة البغى فى الحرم، أرسل إلى خزاعة يستأذنها فى دخول مكة و النزول فى جوارهم و قد كان اعتزل الحرب التى وقعت بينها و بين جرهم، فلم تأذن خزاعة له أن يدخل مكة، فانطلق مضاض بن عمرو نحو اليمن إلى أهله و هم يتذاكرون ما حال بينهم و بين مكة، و ما فارقوا من أمتها و ملكها، فحزنوا على ذلك حزنا شديدا، فبكوا على مكة، و جعلوا يقولون الأشعار فى مكة، فمما قاله فى ذلك قصيدة أولها:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس و لم يسمر بمكة سامر

إلى أن قال بعد أحد عشر بيتا:

و صرنا أحاديثا و كنا بغبطة كذلك عضتنا السنون الغوابر

فسحت دموع العين تبكى لبلده بها حرم آمن و فيها المشاعر

بواد أنيس ليس يؤذى حمامه ولا منفرا يوما وفيها العصافر  
 وفيها وحوش لا ترام أنيسة إذا خرجت منها فما أن تغادر  
 فياليت شعري هل تعمر بعدنا جياذ فممضى سيله فالظواهر  
 فبطن منى وحش كأن لم يسر به مضاض و من حبي عدى عماير  
 و مما قاله أيضا:

يا أيها الحى سيروا إن قصر كم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا  
 إنا كما كنتموا كنا فغيرنا دهر فسوف كما صرنا تصيرونا  
 حثو المطى و أرخوا من أزمته قبل الممات و قضا ما تقضونا  
 قد مال دهر علينا ثم أهلكنا بالبغى فيه و بر الناس ناسونا  
 إن التفكير لا يجدى بصاحبه عند البديهة فى علم له دونا  
 قضا أمور كموا بالحزم إن لها أمور رشد رشدم ثم مسنونا  
 و استخبروا فى صنيع الناس قبلكم كما استبان طريق عنده الهونا  
 كنا زمانا ملوك الناس قبلكم بمسكن فى حرام الله مسكونا  
 انتهى باختصار من تاريخ الأزرقى.

هذا بعض ما ورد عن التشوق إلى مكة المشرفة من أهلها الذين شطت بهم الدار فى العصور السالفة، و لئن أردنا ذكر كل ما يمت إلى  
 هذا الموضوع لطلال بنا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٩

الكلام و المقال. و من عجيب ما روته مجلة "آخر ساعة" التى تصدر بالقاهرة فى العدد الذى صدر فى ٢١ نوفمبر عام ١٩٥٦ من  
 الميلاد فقد قالت: وصلت أول طائرة إلى مطار القاهرة قادمة من سويسرا و النمسا فنزل منها مصرى من رجال الأعمال اسمه "بسيونى  
 جمعة" قد احتجزته ظروف الحرب فى "أثينا"، و لم يكد الرجل المذكور يهبط فى المطار حتى نسى المستقبلين الذين كانوا  
 ينتظرونه، و انحنى على الأرض، و أخذ يقبل ذرات التراب التى تكسو أرض مطار مصر، و رآه راكب آخر اسمه "عدلى عزيز" كان  
 يليه فى النزول، فلم يتمالك نفسه و ارتمى على أرض بلاده و أخذ يقبل ترابها. اهـ.  
 فانظر حب الوطن كيف يفعل بالأبواب.

و الحق يقال أننا لم نجد أى شخص من مكة سافر إلى الخارج، إلا و هو يهرول إليها إذا انقضت حاجته، و لقد كنا أقمنا بمصر بضع  
 سنين لطلب العلم أيام الشاب، فإذا جاء موسم الحج، كنا نتشوق إلى مكة أعظم الشوق، حتى كنا نبكى أحيانا، و ليس فى ذلك من  
 غرابة.

و ما أحلى كلام أمير الشعراء أحمد شوقى بك، رحمه الله تعالى فى كتابه "دول العرب و عظماء الإسلام" حيث يقول "فى الوطن":  
 و جانب من الثرى يدعى الوطن ملء العيون و القلوب و الفطن  
 مزين للآدمى العاقل و كل سهلى و كل عاقل  
 و الأسد الخادر فى البوادي و النمل فيما اتخذت من وادى  
 و نزعة الناس إلى أوطانها كنزعة الإبل من أعطانها  
 يحبه الأقوم منذ كانوا لا يساوون به مكانا  
 إذا أتاهم أيسر الندامنه جروا لغاية الفداء

أو ذكر الحنين و الحفاظلم تجر إلا باسمه الألفاظ  
 كم من دماء سلن حول حوضه و من عروض زلن دون عرضه  
 و فى سبيله قضى رجال من أن يلاقوا تستحى الآجال  
 و باسمه كم تاجر الفساق و انغادت الناس لهم فساقوا  
 و تكرم الدار على الحر الأبى كرامة الأم عليه و الأب  
 و ليس من عرض و لا حریم تحميه فوق الوطن الكريم  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٠ الجسم من تربته و مائه و الروح روح هب من سمائه  
 و كل ما حولك من هباته و ما وجدت فهو من نباته  
 أمانة الأول عند الآخر خزنة الآثار و المفخر  
 و حوض ما جف من الشباب و قصف الدهر من الأحباب  
 و رسم ما بان من الليالى و أثر الأيام فى الخيال  
 و مخلق الشباب و المشيب و ملبس البالى على القشيب  
 و فى ثراه البلقع اليباب ما شئت من أهل و من أحباب  
 و فى له من ليس بالوفى و هشت من لم يك بالحفى  
 انتهى.

اللهم إن (مكة) بلدك الحرام، و فيها بيتك المعظم، و هى مهبط أنبيائك و ملائكتك، و مستقر أصفياك و أوليائك، و مركز  
 رحمتك و رضائك، فاجعلها اللهم آمنة مطمئنة رخيئة، عامرة بعبادتك و خيراتك، و أصلح أهلها و وفقهم لمرضاتك، و أمتنا فيها  
 على الإيمان الكامل، حتى تبعثنا يوم القيامة من الآمنين من كل خوف و فزع، و أدخلنا الجنة بسلام آمنين مع النبيين و الصديقين و  
 الشهداء و الصالحين بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين، و صلى الله على النبي الأسمى و على آله و صحبه أجمعين آمين.

### مدخل مكة المشرفة

من المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم حينما بعثه الله تعالى بالرسالة إلى الناس كافة، مكث ثلاثة عشر سنة و هو يدعو قريشا  
 بمكة، يدعوهم بالتبشير و الإنذار، بالقوة و القتال، فلما كثر أذى المشركين له، و دبروا أمر قتله، أمره الله تعالى بالهجرة إلى المدينة  
 المنورة، فتوجه من ساعته إلى بيت صديقه أبى بكر، رضى الله تعالى عنه، و أخبره بأن الله تعالى قد أذن له بالهجرة، فسأله أبو بكر  
 الصعبة، فوصلا إلى المدينة، و نزل صلى الله عليه و سلم بقاء فى اليوم الثانى من ربيع الأول، و هو يوافق العشرين من شهر سبتمبر سنة  
 (٦٢٢) اثنين و عشرين و ستمائة ميلادية كما حققه محمود الفلكى المصرى رحمه الله تعالى، فمن هذه الهجرة وضع عمر بن الخطاب،  
 رضى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥١

الله تعالى عنه، بدء التاريخ العربى الهجرى، و قدم ميعاد الهجرة شهرين و أياما ليكون بدؤها من شهر محرم ليتحد بدء الهجرة و بدء  
 السنة الهلالية.

فابتدأ صلى الله عليه و سلم، يدعو إلى الإسلام جهرا منذ وصوله إلى المدينة، و قد أذن الله تعالى للمهاجرين بقتال المشركين حيث  
 أخرجوهم من ديارهم بغير حق كما جاء ذلك صريحا فى سورة الحج: **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ\***  
**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ** و فى الحديث الشريف: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله

فإذا قالوها عصموا عنى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله."

فكان ابتداء القتال والجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى بالمدينة المنورة، وكان ذلك إما بالسرية، بكسر الرءاء المخففة، وهى قطعة من الجيش ليس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإما بالغزو وهى التى فيها النبى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، فمكث صلى الله عليه وسلم عشر سنين بالمدينة المنورة، ثم فارق هذه الدنيا، ولحق بالرفيق الأعلى، وذلك ضحوه الاثنين الثالث عشر من ربيع الأول فى السنة الحادية عشر من الهجرة، الموافق لليوم الثامن من شهر يونيو سنة (٦٣٣) ميلادية.

وغزوة فتح مكة المشرفة كانت فى السنة الثامنة من الهجرة، فقد سار النبى صلى الله عليه وسلم، فى منتصف رمضان من المدينة بعد أن ولى عليها ابن أم كلثوم، بجيش عظيم يبلغ عشرة آلاف مجاهد، فلما وصل عليه الصلاة والسلام إلى مَرّ الظهران، وهى على مرحلة من مكة وتسمى "وادي فاطمة" أمر بإيقاد عشرة آلاف نار، فقال أبو سفيان وقد جاء مع رجلين يستطلعون الخبر، وذلك قبل أن يسلم: ما هذه لكانها نيران عرفه، فلما أخذهم الحرس وأتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلم أبو سفيان.

ثم سار النبى صلى الله عليه وسلم يريد مكة، وأمر أن تركز رايته بالحجون بمكة عند منتهى البيوت وأدناها "أى فى موضع مسجد الرابية بالجودرية اليوم." وأمر خالد بن الوليد أن يدخل بجيشه مكة من أسفلها من طريق كدى بضم الكاف بالتصغير، ودخل صلى الله عليه وسلم مكة من أعلاها من كداء بفتح الكاف وبالمد، وبعضهم يقول دخلها من ثنية أذاخر وهى راكب راحلته منحني على الرحل تواضعا لله وشكرا له على هذه النعمة العظمى، حتى لتكاد جبهته تمس الرحل، وأسامة بن زيد رديفه- وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان، حتى وصل إلى الحجون فى موضع رايته، وقد نصبت له هناك قبة فيها أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٢

فاستراح قليلا، ثم سار وبجانبه أبو بكر يحادثه وهى يقرأ سورة الفتح حتى بلغ البيت، وطاف سبعا على راحلته واستلم الحجر بمحجته، وكان حول الكعبة إذ ذاك ثلاثمائة وستون صنما فجعل عليه السلام يطعنها بعود فى يده ويقول: جاء الحق وزهق الباطل وما يبدئ الباطل وما يعيد، ثم أمر بالآلهة فأخرجت من البيت وفيها صورة إسماعيل وإبراهيم فى أيديهما الأزام فقال عليه السلام: "قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط." وهذا أول يوم طهرت فيه الكعبة من هذه المعبودات الباطلة، وبطهارة الكعبة المقدسة عند جميع العرب باديها وحاضرها من هذه الأجناس، سقطت عبادة الأوثان من جميع بلاد العرب إلا قليلا.

وقد بسطنا الكلام على فتح مكة المشرفة، إنما أتينا بهذه النبذة كمقدمة لما سيأتى من الكلام لمداخل مكة، وإليك تفصيل ذلك، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

جاء فى تاريخ الأزرقى عن مجاهد أنه قال: وجد فى بعض الزبور "أنا الله ذو بكة جعلتها بين هذين الجبلين وصغتها يوم صغت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء، وجعلت رزق أهلها من ثلاثة سبل فليس يؤتى أهل مكة إلا من ثلاث طرق، من أعلى الوادى وأسفله وكداء وباركت لأهلها فى اللحم والماء." انتهى من الأزرقى.

وقال القطبى فى تاريخه: ومكة شرفها الله تعالى، تحيط بها جبال لا يسلك إليها الخيل والإبل والأحمال إلا من ثلاث مواضع، أحدها من جهة المعلاة، والثانية الشبيكة، والثالثة من المسفلة، وأما الجبال المحيطة بها، فيسلك من بعض شعابها الرجال على أقدامهم، لا الخيل والجمال والأحمال. انتهى من القطبى.

نقول: إن الله تعالى لما أحاط بلده الأمين "مكة" بالجبال الشامخات، جعل لها من أصل الخلقة ثلاث طرق عامه يدخل الناس منها بدوابهم وأحمالهم، ولا زالت هذه الطرق العامة مستعملة مطروقة إلى اليوم، فيأتى إليها الناس ركباناً ومشاة من طريق الطائف من أعلاها وهى جهة المعلاة، ويأتون إليها أيضا من طريق اليمن من أسفلها وهى جهة المسفلة، ويأتون إليها أيضا من طريق جدة من

جهة الشبيكة.

فهذه ثلاث طرق أصلية لا زالت مستعملة من قديم الأزل إلى اليوم، و يمكن أيضا الوصول إلى مكة من جميع جهاتها، بتسلك الجبال و المشى بين الشعاب الملتوية، لكن ذلك يستلزم المشقة و التعب الشديد، و ربما ضل السائر طريقه فهلك من العطش و التعب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٣

و المراد بالمعلاة و المسفلة في اصطلاح العرب القدماء هو كما يأتي:

ذكر الإمام الأزرقى في تاريخه في حد المعلاة ما نصه: قال أبو الوليد: حد المعلاة من شق مكة الأيمن ما جازت دار الأرقم بن أبي الأرقم، و الزقاق الذى على الصفا يصعد منه إلى جبل أبي قبيس مصعدا فى الوادى، فذلك كله من المعلاة و وجه الكعبة و المقام و زمزم و أعلا المسجد، و حد المعلاة من الشق الأيسر من زقاق البقر الذى عند الطاحونة، و دار عبد الصمد بن على اللتان مقابل دار يزيد ابن منصور الحميرى خال المهدي يقال لها دار العروس مصعدا إلى قعيقان، و دار جعفر بن محمد و دار العجلة و ما حاز سيل قعيقان إلى السويقة و قعيقان مصعدا، فذلك كله من المعلاة.

و أما حد المسفلة، فقد قال الأزرقى في تاريخه أيضا ما نصه: قال أبو الوليد من الشق الأيمن من الصفا إلى أجيادين فما أسفل منه فذلك كله من المسفلة، و حد المسفلة من الشق الأيسر من زقاق البقر متحدرا إلى دار عمرو بن العاص و دار ابن عبد الرزاق الجمحى و دار زبيدة، فذلك كله من المسفلة، فهذه حدود المعلاة و المسفلة. انتهى من الأزرقى.

نقول: ظهر مما تقدم من كلام الأزرقى، أن موضع السعى من الصفا و ما حاذاه و قابله من جبل قعيقان إلى جهة الشمال، يعنى الحجون فما فوق، هو حد المعلاة.

و من موضع السعى من الصفا من خلف أجياد و ما حاذاه و قابله من السوق الصغير و الشبيكة فما تحت، ذلك هو حد المسفلة. هذا بحسب الاصطلاح فى الزمن القديم، قبل أن يكثر الناس بمكة، و قبل أن تتفرغ الشوارع إلى حارات و محلات، فلما تفرعت و كثرت كما فى زماننا و من قبل زماننا سميت بمختلف الأسماء لسرعة الاهتداء إلى الأماكن و المنازل.

و لقد قمنا بجولة استطلاع عن مداخل مكة فى أواخر شعبان سنة ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف، و بصحبتنا أحد العربان الخبيرين بمداخل مكة المكرمة و الدروب الموصلة إليها، و هو عبيد بن عبد الله العدوانى من أهل المعابدة بمكة.

و إليك فى هذا الجدول ما حققنا فى هذا الموضوع بالتفصيل التام:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٤

جدول مداخل مكة من جهاتها الأربعة

الجهة/ عدد المداخل/ اسم المداخل من الجهة الشرقية/ مدخلان/ درب الشرائع، و طريق منى.

من الجهة الغربية/ أربع مداخل/ باب جدء، و ريع أبى لهب، و ريع الكحل، و درب الهنداوية.

من الجهة الشمالية/ ثلاث مداخل/ ريع اللصوص، و ريع أذاخر، و درب الخانسة.

من الجهة الجنوبية أى اليمانية/ ثلاث مداخل/ طريق المفجر، و ريع كدى، و طريق المسفلة.

انظر: صورة رقم ٢١، باب جدء عند مدخل مكة بجروول

هذه المداخل المتعددة المذكورة فى هذا الجدول من الجهات الأربعة لمكة، تبعد عنها بقليل لكنها كلها واقعة فى أرض الحرم، و معنى الريع بكسر الراء طريق بين جبلين متقاربين، أما مداخلها الثلاثة التى ذكرها الأزرقى و القطبى و هى: المعلاة و الشبيكة و المسفلة، إنما هى مداخل مكة من داخلها و من بطنها لا تبعد عنها فافهم ذلك جيدا.

و ريع اللصوص المذكور فى الجدول هو مدخل مكة من الجهة الشمالية و يوصل إلى وادى أبو عشرين، و يتفرع منه الدروب للوادى و السنوسية و الجعرانة، وسمى بدرب اللصوص، لأنهم كانوا يأتون من هذا الدرب لعدم وجود الحراسة به من الجنود و العساكر (الطريق

الذى دخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم فتحها).

لقد تقدم الكلام على مداخل مكة بالتفصيل التام.

فبقى علينا أن نعرف مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة في عام الفتح، فإنه صلى الله عليه وسلم حين وصل بجيشه إلى ذى طوى - أمر الزبير بن العوام أن يدخل مكة من طريق "كداء" بفتح الكاف وبالهمزة، و كداء هي الثنية التي بأعلى مكة التي يهبط منها إلى المقبرة المعروفة بالمعلا، ويقال لها الحجون، و يركز رايتها بأعلى الحجون و قال له: لا تبرح من حيث أمرتك أن تركز رايتي حتى آتيك، فسار الزبير بالناس، حتى وقف بالحجون و غرز هناك راية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و أمر خالد بن الوليد أن يسير بمن أسلم من قضاة و بنى سليم و غيرهم، فيدخل مكة من "الليط" من أسفل مكة، و أن يركز رايته عند منتهى البيوت

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٥

و أذناها، و معنى دخوله من الليط، أى من طريق "كدى" بضم الكاف و تشديد الياء و بالتصغير. و هي الموضع الذى يستحب الخروج منه، و هي الثنية التي بأسفل مكة التي بنى عليها بابها المعروف بباب الشبيكة، قال الغازي: و فى شرح رسالة ابن زيدون للشيخ جعفر: لبنى كدى بالضم و القصر، اسم للثنية السفلى التي يمر عليها الداخل القادم من جدة. و تسمى اليوم ريع الرسام، تسمية قديمة لما كان يجلس عندها آخذ الرسوم من واردات مكة. انتهى.

و الذى يدلنا أن خالد بن الوليد دخل مكة من هذه الثنية، هو وجود المسجد الشهير باسمه الذى بحارة الباب إلى اليوم، فإنه بنى فى المحل الذى ركز فيه رايته رضى الله تعالى عنه.

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم و من معه من الجيش فإنه دخل مكة من ثنية أذاخر، كما قاله الإمام الأزرقي و الفاسي، و ثنية أذاخر معروفة إلى اليوم و هذه الثنية متصلة بخريق العشر و بوادى جليل، و قد تكلمنا عنهما فى مبحث "تذكر النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه مكة".

فشعب أذاخر واقع فى آخر محلة المعابدة، فإذا وصل الإنسان من مكة بالسيارة إلى منتهى خط الإسفلت المستقيم، فإن أخذ على يمينه، فإنه يذهب به إلى طريق منى، و إن أخذ على يساره، فإنه يذهب به إلى ثنية أذاخر و طريق العشر.

و من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة من كداء من الحجون، و هو الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة "أى مسجد الجن"، فربما اشتبه عليه، لأن من دخل مكة من شعب أذاخر أو من الحجون يقال إنه دخل من أعلى مكة.

و نحن نذهب مع من قال أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة من ثنية أذاخر لثلاثة أمور:

(الأول): أن النبي صلى الله عليه وسلم، قسم جيشه البالغ عددهم عشرة آلاف مجاهد بذى طوى بظاهر مكة ثلاثة أقسام، جعل قسما يدخل مكة من أسفلها، و قسما يدخل من أعلاها من الحجون، و هو صلى الله عليه وسلم، دخلها بمن معه من ثنية أذاخر، و هى أعلا مكة أيضا، لكنها واقعة بعد الحجون. و اعلم أن وادى طوى ليس المقصود منه نفس البقعة التي فيها بئر طوى، بل إنما هى مكان فسيح، يشتمل على الزاهر و الشهداء، و لذلك نزل فيه صلى الله عليه وسلم بجيشه البالغ عددهم عشرة آلاف مجاهد بأحمالهم و جمالهم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٦

فإذا وصل الإنسان إلى ذى طوى، فإنه يدخل مكة من طريق العشر المؤدى إلى شعب أذاخر، أما إذا كان الإنسان وصل إلى نفس بئر طوى، فأقرب طريق يدخله إلى مكة هو طريق الحجون، أو طريق ريع الرسام من جهة حارة الباب.

(الثانى): لو قلنا أنه صلى الله عليه وسلم دخل مكة من الحجون، فكأنه دخلها وراء الزبير الذى أمره أن يدخل من الحجون، فصار جيشه مقسما إلى قسمين فقط، بينما هو ثلاثة أقسام كل قسم دخل من طريق.



(الثالث): أن النبي صلى الله عليه وسلم، دخل من ثنية أذاخر لأمرين:

أولاً: أن ثنية أذاخر، هي منتهى مدخل مكة من أعلاها، فإذا دخل من هنا، فإنه يدخل من وراء جيشه الذي دخل من الحجون، و يستقبل جيشه الآتي من جهة المسفلة، فيحميمهم من جيش المشركين إن كمنوا وراهم، إن هذه الخطة التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم للاستيلاء على مكة المشرفة من ثلاث جهات، خطة حكيمة سديدة، لا تصدر إلا من صاحب الرسالة و النبوة الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم، فما أيسر ما استولى عليها، و ذلك فتح من الله و نصر قريب.

و ثانياً: دخوله صلى الله عليه وسلم من ثنية أذاخر لحكمتين معنيتين - أن يستقبل في دخوله مكة نفس الكعبة المشرفة بدون التواء و ازورار، و أن يرى من ثنية أذاخر جبل حراء الذي هبط عليه الوحي و هو فوقه، و الذي كان مكان مبعثه و موضع تعبد، فيمر في رأسه الشريف جميع الأدوار التي مرت عليه في هذه البقعة المباركة، و للذكريات عند الإنسان نشوة فرح و ساعة صفاء. فما بالك بذكريات النبوة الشريفة، و الحالات المحمدية الطاهرة.

و ما جاء في البخارى و غيره عن ابن عمر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل مكة من الثنية العليا، يعنى كداء، و يخرج من الثنية السفلى يعنى كدى - يحمل دخوله مكة في غير يوم الفتح، لأن الدخول من كداء هو أقرب الطرق من الجهة العليا، و الدخول من ثنية أذاخر الواقعة خلف كداء بالمعابدة، هو أبعد الطرق و منتهى طرف مكة، فدخوله صلى الله عليه وسلم، من ثنية أذاخر يوم فتح مكة للاستيلاء عليها هو للاحتياط فى الأمر، فلا يحتمل وجود العدو وراؤه. و الله تعالى أعلم بالغيب.

هذا و فى غزوة الفتح الأعظم "غزوة فتح مكة"، حصل للنبي صلى الله عليه وسلم، كثير من المعجزات كنا نتمنى درس هذه الغزوة و التأمل فيها لعددها و حصرها، و لكن ليس

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٧

لنا من الفراغ ما نحقق عن هذه المسألة، فعسى الله أن يقيض من الفضلاء، من يؤلف كتابا خاصا عن هذه الغزوة الفتحية المباركة. و لا بأس أن نشير إلى ثلاثة من معجزاته صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة (إحداها) عدم معرفة قريش بأن النبي صلى الله عليه وسلم يريد فتح مكة، فلو علموا لاستعدوا للحرب، و رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يريد بها حربا حتى لا تنتهك حرمة مكة، و لذلك دعا ربه و هو بالمدينة قبل توجهه إلى مكة قائلا: "اللهم خذ العيون و الأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها،" و قد استجاب الله دعوته، و هو السميع المجيب، فنصر عبده الأواه المنيب.

(و ثانيهما): دخوله صلى الله عليه وسلم مكة و استيلاؤه عليها بدون حرب و لا قتال و لا تعب و لا مشقة، ما عدا القتال اليسير الذى كان مع خالد بن الوليد، رضى الله تعالى عنه، فكان خروجه عليه الصلاة و السلام، من المدينة لعشر مضين من رمضان، و دخوله إلى مكة كان لعشرين خلت من رمضان. فإن قلنا أنه صلى الله عليه وسلم أخذ فى الطريق بين مكة و المدينة مع تمام الراحة بجيشه و إقامته ببعض المحطات تسعة أيام و فى صباح اليوم العاشر كان بذى طوى فى طرف مكة، ثم دخلها فى ضحى هذا اليوم من غير معارض له، فكأنه صلى الله عليه وسلم فتح مكة فى يوم واحد فقط، بل فى ساعة واحدة و هى ساعة دخوله، و لا شك أن ذلك نصر من الله و فتح عظيم، و معجزة كبرى و آية عظيمة.

(و ثالث المعجزات): قوله صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام حينما أمره بذى طوى أن يدخل مكة من كداء و يركز رايته بالحجون "لا تبرح من حيث أمرتك أن تركز رايتي حتى آتيك،" ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من ثنية أذاخر، و مشى صوب وجهته إلى حيث ركزت رايته و ضربت قبته، و هذا يدل دلالة صريحة أن الله تعالى الذى بيده ملك السموات و الأرض، قد أطلع نبيه بكل ما يحصل له فى فتح مكة قبل أن يدخلها.

اللهم صل و سلم و بارك على عبدك و نبيك و رسولك سيدنا "محمد" الذى أرسلته رحمة للعالمين، و على آله و ذريته و صحابته الطيبين المباركين أجمعين، كما صليت و سلمت و باركت على نبيك و خليلك إبراهيم و على آله و ذريته و صحابته أجمعين، و

سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين. رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٨

### سور مكة قديما

ما كنا نظن أنه كان لمكة سور، قبل أن نطلع على كتب التاريخ، و السبب في تسويرها، هو الاعتداءات المتكررة من الحكام في قديم الزمن على بعضهم البعض، فجعلوا لمكة سورا في جهاتها ليتحصن من كان في داخلها، ثم لم يزل السور يندثر شيئا فشيئا، حتى لم يبق له أثر الآن مطلقا، و الحمد لله إنه في عصرنا الحاضر، قد انتشر الأمن و الأمان بمحض فضل الله تعالى في بلده الأمين، بل و في جميع أنحاء المملكة العربية انتشارا تاما، بحيث لم تبق لنا حاجة للأسوار لأي بلدة، حتى أن حكومتنا السنية هدمت سور جدة منذ سنوات لعدم الإحتياج إليه.

و إليك ما جاء عن سور مكة، فقد روى الغازي في تاريخه ما نصه:

و في الإعلام. و كانت مكة في قديم الزمان مسورة، فجهة المعلى "قال العلامة الشيخ على القارى في منسكه: المعلا بفتح الميم و اللام ضد المسفلة، و اشتهر بين العامة بضم الميم و تشديد اللام المفتوحة، و له وجه في القواعد العربية، اه، "كان بها جدار عريض من طرف جبل عبد الله بن عمر إلى الجبل المقابل له، و كان فيه باب من خشب مصفح بالحديد، أهدها ملك الهند إلى صاحب مكة، و قد أدركنا منها قطعة جدار كان فيه ثقب للسيل قصير دون القامة، و كان في جهة الشبيكة أيضا، سور ما بين جبلين متقاربين، بينما الطريق السالك إلى خارج مكة، و كان ذلك السور فيه بابان بعقدين أدركنا أحد العقدين يدخل منه الجمال و الأحمال، ثم تهدم شيئا فشيئا إلى أن لم يبق منه شيء الآن، و لم يبق منه إلا فج بين جبلين متقاربين فيها المدخل و المخرج. و كان سور في جهة المسفلة في درب اليمن، لم ندركه و لم ندرك آثاره.

و ذكر التقى الفاسي نقلا عن تقدم: أنه كان لمكة سور من أعلاها، دون السور الذي تقدم ذكره، قريبا من المسجد المعروف بمسجد الرابية، و أنه كان من الجبل الذي إلى جهة القرارة، و يقال له: لعلع، إلى الجبل المقابل الذي إلى جهة سوق الليل قال: و في الجبل آثار تدل على اتصال السور بها، انتهى.

و لم يبق الآن شيء من آثار هذا السور مطلقا، و أما حدوث هذه الأسوار، فقد قال التقى الفاسي: ما عرفت متى أنشئت هذه الأسوار بمكة، و لا من أنشأها، و لا من عمرها، غير أنه بلغني: أن الشريف أبا عزيز قتادة بن إدريس

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٩

الحسنى، جد ساداتنا أشرف مكة أدام الله عزهم و سعادتهم، هو الذي عمرها قال: و ظن أن في دولته عمر السور الذي بأعلا مكة، و في دولته سهلت العقبة التي بنى عليها سور باب الشبيكة، و ذلك من جهة المظفر صاحب إربل في سنة ستمائة و سبعة، و لعله الذي بأعلا مكة. و الله أعلم.

ثم قال في كتاب إفادة الأنام المذكور ما نصه: قال في المنتقى: و كان عمل باب السور الذي جهة المعلا، بكتباية من بلاد الهند، في سنة ست و ثمانين و سبعمائة، و أهدي للسيد أحمد بن عجلان، و ركبه على باب المعلا عنان بن مغامس بن رميثة في سنة تسع و ثمانين، لما ولى إمرة مكة بعد قتل محمد بن أحمد بن عجلان، ثم أحرق ذلك الباب بالنار حتى سقط على الأرض، و كذلك هدم عدة مواضع من سور باب المعلا من جانبه. و سبب ذلك، أن عسكر السيد رميثة بن محمد بن عجلان، منعوا عسكر عمه السيد حسن من دخول مكة لما ولى إمرة مكة عوض رميثة في ثامن عشر رمضان هذه السنة، فبعض عسكر السيد حسن هدم عدة مواضع من سور باب المعلا من جانبه، و في يوم هدم ذلك، أحرق باب المعلا بالنار حتى سقط إلى الأرض، و بأمر السيد حسن كان بناء ما هدم، و

بأمره عوض عن الباب المحترق بباب جيد وركب في محله في يوم الجمعة ثاني عشر ذى القعدة من السنة المذكورة، وهذا الباب كان لبعض دور السيد حسن بمكة، و كان ينقص عن مقدار باب المعلا فزيد فيه ما كمله و أحكمت الزيادة فيه- انتهى من تاريخ الغازي.

و قال الفاسي في أول كتابه "شفاء الغرام" عن سور مكة ما نصه:

مكة المشرفة بلدة مستطيلة كبيرة، تسع من الخلائق ما لا يحصيهم إلا الله عز و جل، في بطن واد مقدس، و الجبال محدقة بها كالسور لها، و لها مع ذلك ثلاثة أسوار: سور في أعلاها و يعرف بسور باب المعلاة، و فيه بابان أحدهما لا- باب له و يكون في الغالب مسدودا، و سوران في أسفلها أحدهما يعرف بسور باب الشبيكة، و فيه باب كبير و خوخة صغيرة لا باب لها، و السور الآخر يعرف بسور باب الماجن، و يعرف أيضا بسور باب اليمن، لأنه على طريق البر إلى اليمن.

و كان أحسن هذه الأسوار على ما رأينا، سور باب الشبيكة لكماله بالبناء فيما بين الجبلين اللذين بينهما السور المذكور، و لا كذلك سور باب المعلاة،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٦٠

و سور باب الماجن، و الخلل في سور باب الماجن أكثر، و لقصر جدر هذين السورين في مواضع، و لا كذلك سور باب الشبيكة. و قد عمّر سور باب المعلاة، و سور باب الماجن، حتى كمل بناؤهما من الجبل إلى الجبل، إلا أن في سور باب المعلاة موضعا متخللا من البناء، مما يلي البركة المعروفة ببركة الصارم، و ارتفع جدر السورين عما كانا عليه، و يذكر أنهما يرفعان أكثر و يعمل لها شرفات، و يكمل الخلل الذي في سور باب المعلاة، و هذه العمارة في النصف الثاني من سنة ست عشرة و ثمانمائة، من جهة الشريف بدر الدين حسن بن عجلان الحسنى، نائب السلطنة ببلاد الحجاز، أدام الله له الرفعة و الإعزاز، و سبب ذلك، أن ابن أخيه السيد رميثة بن محمد بن عجلان، هجم على مكة و دخلها في طائفة من أصحابه في ضحوة يوم الخميس الرابع و العشرين من جمادى الآخر من السنة المذكورة، و مال إليه جماعة من المولدين كانوا بمكة و خرجوا جميعا منها، و لم يحدثوا بها كبير حدث، لتخوفهم من وصول السيد حسن بن عجلان إليهم فيستأصلهم لكثرة من معه و قلتهم، و كانت مدة مكثهم بمكة ساعة فلكية أو أزيد، و لما توجه رميثة لمكة لم يكن لعمه علم به، و لما علم بذلك أتى مكة مسرعا و دخلها من درب المعلاة، و رأى أوائل عسكره أصحاب رميثة خارجين من مكة، فتبعهم السيد حسن في عسكره قليلا، ثم أعرض عنهم رحمة لهم، و كان بين الفريقين بعد ذلك منازل و أمور كثيرة.

ثم إن بعض عسكر السيد حسن، هدم عدة مواضع من سور باب المعلاة من جانيبه، منها موضع كبير يلي الجبل الشامى عند البرج الذى هناك، سعته نحو عشرة أذرع، حتى اتصل الهدم بالأرض و منها موضع نحوه من الجانب الآخر متصل ببركة الصارم، و ذلك في يوم الثلاثاء خامس و عشرين شوال سنة تسع عشرة و ثمانمائة، ثم أعيد بناء جميع ما تهدم من هذا السور كما كان، في بقیة شوال. و فى أول ذى القعدة من السنة المذكورة، و فى يوم هدم ذلك، أحرق باب المعلاة بالنار حتى سقط إلى الأرض، و كان عمل (بكلكته) من بلاد الهند فى سنة ست و ثمانين و سبعمائة، و أهدى للسيد أحمد بن عجلان و ركبته على باب المعلاة عنان بن مغامس بن رميثة، فى سنة تسع و ثمانين لما ولى إمرة مكة بعد قتل محمد بن أحمد بن عجلان.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٦١

و كان لمكة سور من أعلاها سورها اليوم، قريبا من المسجد المعروف بمسجد الراية، و موضع باب هذا السور على ما ذكر لى غير واحد، فيما بين الدارين المتقابلتين المنسوبتين لمسعود بن أحمد المعروف بالأزرق المكي، التى ياحدهما الآن ذيب مشروعة لا سقف عليها فى محاذة ركنى الدارين مما يلي الردم، و إذا كان محل باب السور فى محاذة هذين الركنين فالظاهر، و الله أعلم، أن محل بقیة السور يحاذى بابه من جانبى الباب، و أنه من الجبل الذى إلى جهة القرارة و يقال له لعلع، إلى الجبل المقابل له الذى إلى جهة السوق، أى سوق الليل، لأن التحصين بهذا السور لا- يتم إلا بأن يكون هكذا، و فى الجبلين المشار إليهما آثار بناء تدل على

اتصال السور بهما، و بعض هذا السور الآن على ما بلغنى من بعض البيوت المحاذية له، لأن بعض الناس أرانى فى بعض الدور المنسوبة (للكابيين) جدارا عريضا، ذكر أنه من السور الذى كان هناك، و نقل ذلك عن بعض أقاربه، و يقال الآن لموضع باب السور المشار إليه الدرب الدارس، و يقال لهذا السور فيما مضى السور الجديد، لأنى وجدت بخط مسند مكة و موثقها، عبد الرحمن بن أبى حرمى الكاتب العطار، ما يقتضى ذلك.

و من موضع باب السور، المشار إليه بالأرض عند ركنى الدارين، المشار إليهما مما يلى الردم، إلى الجدار القبلى من المسجد المعروف بمسجد الراية، مائة ذراع و ثلاثة و عشرون ذراعا و ربع ذراع بالذراع الحديد، يكون بذراع اليد الآتى تحريره مائة و أربعين ذراعا و ستة أسباع ذراع. و من موضع باب السور الذى أشرنا إليه، إلى جدار باب المسجد الحرام، المعروف بباب بنى شيبه، تسعمائة ذراع (بتقديم التاء) و عشرون ذراعا و نصف ذراع بالحديد، و يكون ذلك بذراع اليد ألف ذراع و اثنين و خمسين ذراعا. و ما عرفت متى نشأت هذا الأسوار لمكة، و لا من أنشأها و لا من عمرها، غير أنه بلغنى أن الشريف أبا عزيز قتادة بن إدريس الحسنى، أحد أجداد السيد حسن المذكور عمرها، و الله أعلم بصحة ذلك، و أظن أن فى دولته عمر السور الذى كان بأعلى مكة، و فى دولته سهلت العقبة التى بنى عليها سور باب الشيبكة و أصلحت، و ذلك من جهة المظفر صاحب إربل، فى سنة سبع و ستمائة، و لعله الذى بنى السور الجديد الذى كان بأعلى مكة، و الله أعلم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٦٢

و رأيت فى بعض التواريخ ما يقتضى أنه كان لمكة سور فى زمن المقتدر بالله العباسى، و ما عرفت هل هو هذا السور من أعلى مكة و أسفلها، أو من إحدى الجهتين؟ و الله أعلم. انتهى من شفاء الغرام.

و كانت ولاية الشريف قتادة المذكور على مكة سنة (٥٩٨) هجرية، و كانت ولاية المقتدر بالله العباسى المذكور سنة (٢٩٥) هجرية.

### تقسيم قصى أمور مكة

لما كبر قصى بن كلاب، قسم أمور مكة الستة التى هى: السدانة، و الندوة، و اللواء، و السقاية، و الرفادة، و القيادة، بين ولديه عبد الدار و عبد مناف.

(فالأول) هو أكبر أولاد قصى و بكره، و كان محبوبا لدى أبيه قصى و أمه حتى، فأعطى عبد الدار السدانة و هى الحجابة، و دار الندوة، و اللواء. (و الثانى) قد بلغ فى حياة أبيه من الشرف و السؤدد ما لم يبلغه أحد، فأعطى عبد مناف السقاية، و الرفادة، و القيادة أى قيادة الجيش، و كان لقصى أربعة أولاد: (الأول) عبد الدار و هو أكبرهم، و منه سدانة الكعبة و من ولده عثمان بن طلحة الذى أعطاه النبى صلى الله عليه و سلم و لابن أخيه شيبه بن عثمان بن أبى طلحة مفتاح الكعبة المشرفة. (و الثانى) عبد مناف، و منه بيت النبوة (و الثالث) عبد العزى و هو جد الأسديين الذى منهم أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، رضى الله تعالى عنها (و الرابع) عدى و منه قريش الظواهر.

و نحن هنا نذكر معنى الأمور الستة التى قسمها قصى بين ولديه عبد الدار و عبد مناف و هى: السدانة، و الندوة، و اللواء، و السقاية، و الرفادة، و القيادة، ملخصا من تاريخ الأزرقى فنقول:

(فأما السدانة) و هى حجابة الكعبة المشرفة، فقد كانت لدى عبد الدار، ثم جعلها فى ابنه عثمان بن عبد الدار.

(و أما الندوة) فقد كانت لدى عبد الدار، ثم جعلها فى ابنه عبد مناف بن عبد الدار، فلم تزل دار الندوة لدى بنى عبد مناف بن عبد الدار، فكانت الجارية إذا حاضت أدخلت دار الندوة، ثم شق عليها بعض ولد عبد مناف ابن عبد الدار

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٦٣

درعها، ثم درعها إياه و انقلب بها أهلها فحجوها. و قد ذكرنا عن دار الندوة شيئا في فصل خاص.

(و أما اللواء) فكان في أيدي بني عبد الدار كلهم، يليه منهم ذوو السن و الشرف في الجاهلية، حتى كان يوم أحد فقتل عليه من قتل منهم. نقول: إن حمل راية الجيش عمل جليل عظيم لا- يصلح لها إلا الرجل الممتاز في الشجاعة و قوة القلب، فكسر الراية كسر للجيش، و نصبها و رفعها دليل على قوته و سلامته، فمعنوية الجيش و الجنود في لوائهم و رايتهم.

(و أما السقاية) فهي حياض من آدم كانت على عهد قصي توضع بفناء الكعبة، و يسقى فيها الماء العذب من الآبار على الإبل و يسقاه الحاج- و صارت السقاية بعد عبد مناف إلى ابنه هاشم، ثم إلى ابن هذا عبد المطلب بن هاشم، الذي حفر زمزم، و كان لعبد المطلب إبل كثيرة، فإذا كان موسم الحج، جمعها و خلط لبنها بالعسل في حوض من آدم "أى من جلد" عند زمزم، و أيضا يشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم و يسقيه الحاج، فلما توفي عبد المطلب، قام بالسقاية بعده ابنه العباس، فلم تزل في يده حتى توفي، فوليها بعد ابنه عبد الله بن العباس رضى الله تعالى عنهما، ثم صارت إلى ذريته من بعده.

يقول الغازي رحمه الله تعالى في تاريخه، نقلا عن كتاب منائح الكرم ما نصه:

و لما أتى خبر وفاة المطلب، ولى أمر السقاية و الرفادة شيبه الحمد عبد المطلب بن هاشم، فأقام قومه على ما كانوا عليه، و كان له إبل كثيرة، فإذا كان الموسم جمعها و سقى الناس اللبن و العسل، و كان يشتري الزبيب فينبذه في ماء زمزم بعد أن حفرها، فيسقى الناس و استمر بيده إلى أن توفي، فكانت بعده في يد ابنه أبي طالب، فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم إلى الموسم، فصرفها و جاء الموسم و لم يكن معه شيء، فطلب من أخيه العباس أربعة عشر ألف إلى الموسم القابل، فشرط عليه إذا جاء الموسم و لم يقضه أن يترك له السقاية، فقبل ذلك و جاء الموسم فلم يقضه، فترك له السقاية فكانت بيد العباس بن عبد المطلب، و استمرت السقاية بيده حتى فتحت مكة، فوليها بعده ابنه عبد الله بن العباس رضى الله عنهما، حتى توفي، فكانت في يد ابنه علي بن عبد الله بن عباس و هى لولده إلى أن انقضت خلافتهم و هم يضعون فيها نوالهم. انتهى من تاريخ الغازي.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٦٤

روى الأزرقى في تاريخه: أن قصي بن كلاب قال لقريش: يا معشر قريش، إنكم جيران الله و أهل الحرم، و إن الحجاج ضيفان الله و زوار بيته، و هم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاما و شرابا أيام هذا الحج حتى يصدروا عنكم، ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا تخرجه قريش في كل موسم من أموالهم، فيدفعونه إلى قصي فيصنعه طعاما للحجاج أيام الموسم بمكة و منى، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه و هى الرفادة حتى قام في الإسلام، و هو في الإسلام إلى يومك هذا، و هو الطعام الذى يصنعه السلطان بمكة و منى للناس حتى ينقضى الحج. هـ.

و روى فيه أيضا: أن هاشم بن عبد مناف كان يقول لقريش إذا حضر الحج:

يا معشر قريش، إنكم جيران الله و أهل بيته، خصكم الله بذلك و أكرمكم به، ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره، فأكرموا أضيافه و زوار بيته يأتونكم شعئا غربا من كل بلد، فكانت قريش ترافد على ذلك.

حتى إن كان أهل البيت ليرسلون بالشىء اليسير رغبة في ذلك، فيقبل منهم لما يرجى من منفعتهم. انتهى من الأزرقى.

و فى تاريخ الأزرقى أيضا: اشترت رملة بنت عبد الله بن عبد الملك بن مروان، و زوجها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان الدار التى عند المروءة فى صف دار عمر بن عبد العزيز، فتصدقت بها ليسكنها الحجاج و المعتمرين، و كان فى دهليز دارها هذه، شراب من أسوقه محلاة و محمضة تسقى فيها فى الموسم.

و كان لهشام بن عبد الملك، و هو خليفة، شراب من أسوقه محمضة و محلاة يسقى فى الموسم على المروءة فى فسطاط، فى موضع الجنبذ الذى يسقى فيه الماء على المروءة، فمنع محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومى خال هشام بن عبد الملك بن مروان، و هو أمير على مكة، رملة بنت عبد الله بن عبد الملك أن تسقى على المروءة شرابها، فشكت ذلك إلى عمها هشام بن عبد الملك، فكتب لها

إذا انقضى الحاج أن تسقى في الصدر، فلم تزل تلك الدار يسقى فيها شراب رملة من وقوف وقتها عليها بالشام، و يسكن هذه الدار الحاج و المعتمرون، حتى اصطفت حين خرجت الخلافة من بني مروان، انتهى منه.

(و أما الرفادة) فهي إطعام الناس في كل موسم، بما يجتمع من ترافد قريش، فكان هاشم بن عبد مناف يشتري بما يجتمع عنده دقيقا، و يأخذ من كل ذبيحة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٦٥

من بدنة أو بقرة أو شاة فخذها، فيجمع ذلك كله ثم يحزر به الدقيق و يطعمه الحاج، فلم يزل على ذلك من أمره، حتى أصاب الناس في سنة جدب شديد، فخرج هاشم بن عبد مناف إلى الشام، فاشترى بما اجتمع عنده من ماله دقيقا و كعكا، فقدم به مكة في الموسم فهشم ذلك الكعك، و نحر الجزور و طبخه، و جعله ثريدا و أطعم الناس، و كانوا في مجاعة شديدة حتى أشبعهم، فسمى بذلك هاشما و كان اسمه عمرو، فلما توفي، كان عبد المطلب يفعل ذلك، فلما توفي هذا قام بذلك أبو طالب في كل موسم، حتى جاء الإسلام و هو على ذلك- في مختار الصحاح الكعك خبز و هو فارسي معرب- قلت- قال الأزهري: الكعك الخبز اليابس، قال الليث: أظنه معربا. ٥١.

و لقد أرسل النبي صلى الله عليه و سلم بمال يعمل به الطعام للناس مع أبي بكر حين حج بالناس سنة تسع، و عمله أيضا عليه الصلاة و السلام في حجة الوداع، ثم عمله أبو بكر في خلافته، ثم عمر في خلافته أيضا، و كذلك كان الخلفاء يعملونه في موسم الحج بمكة و منى حتى تنقضى أيامه.

و ما أحلى قول القاضي تاج الدين بن أحمد، من أكابر علماء الحرم المكي، المتوفى سنة (١٠٦٦) هجرية في إكرام أهل مكة للوافدين لبيت الله الحرام و لو بالقول الحسن:

من كان بالوادي الذي هو غير ذي زرع و عز عليه ما يهديه

فليهدن ألفاظه الدر التي تحلو فواكهها لكل نبيه

(و أما القيادة) فهو قيادة الناس للحرب، فكان أول من قاد الناس بعد عبد مناف ابنه عبد شمس، و آخر من قادهم هو أبو سفيان بن حرب بن أمية فقادهم ثلاث مرات، أو أربعة، آخرها وقعة يوم الأحزاب، و كانت آخر وقعة لقريش حيث أظهر الله تعالى الإسلام و جاء فتح مكة.

هذه نبذة قصيرة تامة الفائدة عن سدانة الكعبة، و دار الندوة، و اللواء، و السقاية، و الرفادة، و القيادة، نقلناها باختصار عن تاريخ الأزرقى، فمن أراد زيادة الشرح فعليه بمراجعة كتب التاريخ.

نقول: لنقف هنا لحظة للنظر إلى هذا الفصل بعين الاعتبار و الاستبصار، حتى نرجع بحكمة دقيقة بالغه، و عظة واضحة نافعة، و هي:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٦٦

إن إدارة مكة، شرفها الله تعالى، كانت في الجاهلية مقسمة إلى ستة أمور:

سدانة البيت، و الندوة، و عقد اللواء، و السقاية و الرفادة، و القيادة- و يمكن أن نعبر عن هذه الأمور الستة بحسب اصطلاح عصرنا هذا كما يأتي:

(١) الشؤون الدينية- و تدخل ضمن سدانة البيت الحرام.

(٢) مجلس الشورى، و مجلس الوزراء- و هما في مقام دار الندوة.

(٣ و ٤) وزارة الدفاع- المعبر عنها بعقد اللواء و القيادة.

(٥ و ٦) دار الضيافة و السبيل العام- المعبر عنها بالرفادة و السقاية.

فأساس المحافظة على البلاد من عدوان الأخصام، هي هذه الأمور الستة التي ابتدعها ولاة العرب في الجاهلية و ساروا بموجبها، فقوم

يخدمون البيت الحرام، و يساعدون الغريب و القريب بتقديم الشراب و الطعام، و يجعلون أمرهم شورى بينهم يجتمعون فى دار الندوة، و يحكمون أمر قيادة الجيش، و عقد اللواء بصدق و إخلاص، لجديرون بالنصر و العز و السؤدد و الشرف على كافة الناس، فيا حبذا لو بقيت فينا السقاية و الرفادة لإكرام الحاج أيام الموسم إلى يوم القيامة، نسأل الله أن يوفق المسلمين إلى ما فيه صلاح دينهم و دنياهم آمين.

## دار الندوة

### إشارة

قال فى مختار الصحاح: الندى- على فعيل- مجلس القوم و متحدثهم، و كذا الندوة "بالفتح" و النادى و المنتدى- فإن تفرق القوم فليس بندى، و منه سميت "دار الندوة"- "بفتح النون- التى بناها قصى بمكة، لأنهم كانوا يندون فيها- أى يجتمعون للمشاورة- و قوله تعالى: فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ أى عشيرته، و إنما هم أهل النادى، و النادى مكانه و مجلسه فسماه به، كما يقال تقوض المجلس و يراد به أهله الخ ... انتهى من مختار الصحاح.

### بناء دار الندوة

كانت القبائل فى الجاهلية، قبل الإسلام بنحو قرنين، يسكنون فى شعاب مكة و ما حولها، لا يبنون بقرب الكعبة المشرفة منازلهم حرمة لها و تعظيماً، فلما آل أمر مكة إلى قصى بن كلاب، الجد الرابع لرسول الله صلى الله عليه و سلم، أمر قومه أن يبنوا التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٦٧

بيوتهم حول الكعبة حتى تهابهم الناس و لا تستحل قتالهم فقسم جهات الكعبة بين قبائل قريش فبنوا حولها، فكان أول من بدأ بالبناء هو قصى بنى دار الندوة لتكون للنظر فى كافة شؤون القبائل، فهى بمثابة "دار الشورى" تجتمع فيها قريش للمشورة و لإبرام الأمور، و سميت بدار الندوة لاجتماع النداء فيها، أى كرماء القوم و أعيانهم.

و لم يكن يدخلها من قريش إلا ابن أربعين سنة لكن أولاد قصى و هو ملكهم المطاع كانوا يدخلونها كلهم.

جاء فى تاريخ الخميس: و عن مصعب بن عبد الله قال: جاء الإسلام و دار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها بعد من معاوية بن أبى سفيان بمائة ألف درهم، فقال له عبد الله بن الزبير: بعته مكرمة قريش، فقال حكيم: ذهبت المكارم إلا- التقوى يا ابن أخى، إني اشتريت بها داراً فى الجنة، أشهدك أنى جعلتها فى سبيل الله عز و جل. انتهى منه.

و حكيم بن حزام ولدته أمه فى الكعبة على النطع، و كان من سادات قريش و وجوها فى الجاهلية و الإسلام.

لكن قال الأزرقى: إن معاوية ابتاع دار الندوة من ابن الرهين العبدرى و هو من ولد عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار فطلب شبيهة بن عثمان من معاوية الشفعة فيها فأبى عليه، فعمرها معاوية و كان ينزل فيها إذا حج الخ ... انتهى كلامه.

قال الإمام الأزرقى فى تاريخه: و جعل "أى عبد الدار بن قصى" دار الندوة إلى ابنه عبد مناف بن عبد الدار، فلم تزل بنو عبد مناف بن عبد الدار يلون الندوة دون ولد عبد الدار، فكانت قريش إذا أرادت أن تشاور فى أمر فتحها لهم عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، أو بعض ولده أو ولد أخيه- و كانت الجارية إذا حاضت أدخلت دار الندوة ثم شق عليها بعض ولد عبد مناف بن عبد الدار

درعها، ثم درعها إياه و انقلب بها أهلها فحجوها، فكان عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار يسمى "محيضا." و إنما سميت دار الندوة لاجتماع النداء فيها يندونها يجلسون فيها لإبرام أمرهم و تشاورهم - انتهى من الأزرقى.

و لقد اختلفوا فى موضع دار الندوة، لكن الله تعالى وفقنا إلى معرفه موقعها فى المسجد الحرام، و إليك تفصيل ذلك فى المبحث الآتى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٦٨

و قال الأزرقى أيضا فى صحيفه أخرى عن دار الندوة بعد أن بين تقسيم قصى بن كلاب الأمور الستة بين ابنه "عبد مناف و عبد الدار" فكانت مع عبد مناف السقايه و الرفاده و القيادة، و كانت مع عبد الدار الندوة و الحجابة و اللواء - بعد ذكر الأزرقى هذا قال ما يأتى:

ثم كانت الندوة بعد إلى هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، ثم إلى ابنه عمير أبى مصعب، و عامر ابنى هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار - ثم ابتاعها معاوية بن أبى سفيان فى خلافته من ابن الرهين العبدرى، و هو من ولد عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، فطلب شيبه بن عثمان من معاوية الشفعة فيها فأبى عليه، فعمرها معاوية و كان ينزل فيها إذا حج، و ينزلها من بعده من الخلفاء من بنى أمية إذا حجوا، و قد دخل بعضها فى المسجد الحرام فى زيادة عبد الملك بن مروان و ابنه الوليد و سليمان، ثم دخل بعضها أيضا فى زيادة أبى جعفر المنصور فى المسجد، ثم كانت خلفاء بنى العباس ينزلونها بعد ذلك إذا حجوا، أبو العباس، و أبو جعفر، و المهدي، و موسى الهادى، و هارون الرشيد، إلى أن ابتاع هارون الرشيد دار الإمارة من بنى خلف الخزاعيين و بناها، فكان بعد ذلك ينزلها، فلم تزل على ذلك حتى خربت و تهدمت.

قال أبو محمد الخزاعى: و رأيتها على أحوال شتى، كانت مقاصيرها التى للنساء تكرر من الغرباء و المجاورين، و يكون فى مقصورة الرجال دواب عمال مكة، ثم كانت بعد ينزلها عبيد العمال بمكة من السودان و غيرهم فيعبثون فيها و يؤذون جيرانها، ثم كانت تلقى فيها القمام و يتوضأ فيها الحاج، و صارت ضررا على المسجد الحرام.

فلما كان فى سنة إحدى و ثمانين و مائتين استعمل على بريد مكة رجل من أهلها من جيران المسجد الحرام، له علم و معرفة و حسبه و فطنة بمصالح المسجد الحرام و البلد، فكتب فى ذلك إلى الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب يذكر أن دار الندوة قد عظم خرابها، و تهدمت، و كثر ما يلقى فيها من القمام حتى صارت ضررا على المسجد الحرام و جيرانه، و إذا جاء المطر سال الماء منها حتى يدخل المسجد الحرام من بابها الشارع فى بطن المسجد الحرام، و إنها لو أخرج ما فيها من القمام و هدمت و عدلت و بنيت مسجدا يوصل بالمسجد الحرام، أو جعلت رحبه له يصلى الناس فيها و يتسع فيها الحاج، كانت مكرمه لم يتها لأحد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٦٩

من الخلفاء بعد المهدي، و شرفا و أجرا باقيا مع الأبد. و ذكر أن فى المسجد خرابا كثيرا، و أن سقفه يكف إذا جاء المطر، و أن وادى مكة قد انكبس بالتراب حتى صار السيل إذا جاء يدخل المسجد، و شرح ذلك للأمير بمكة بحج بن حاج مولى أمير المؤمنين، و القاضى بها محمد بن أحمد بن عبد الله المقدمى، و سألهما أن يكتبتا بمثل ذلك، فرغبا فى الأجر و جميل الذكر و كتبنا إلى الوزير بمثل ذلك.

فلما وصلت الكتب عرضت على أمير المؤمنين أبى العباس المعتضد بالله ابن أبى أحمد الناصر لدين الله بن جعفر المتوكل على الله، و رفع وفد الحجبه إلى بغداد يذكرون أن فى جدار بطن الكعبه رخاما قد اختلف و تشعب، و فى أرضها رخام قد تكسر، و أن بعض عمال مكة كان قد قلع ما على عضادتي باب الكعبه من الذهب فضربه دنانير و استعان به على حرب، و أمور كانت بمكة بعد العلوى الخارجى الذى كان بها فى سنة إحدى و خمسين و مائتين، فكانوا يسترون العضادتين بالديباج، و أن بعض العمال بعده قلع مقدار الربع من أسفل ذهب بابى الكعبه و ما على الأنف، و استعان به على فتنه بين الحنطين و الجزارين بمكة سنة ثمان و ستين و مائتين، و



جعل على ذلك فضة مضروبة موهة بالذهب على مثال ما كان عليها فإذا تمسح الحاج به في أيام الحج بدت الفضة، حتى تجدد تمويهها في كل سنة، وأن رخام الحجر قد رث فهو يحتاج إلى تجديد، وأن بلاطا من حجارة حول الكعبة لم يكن تاما يحتاج أن تتم جوانبها كلها، وسألوا الأمير بعمل ذلك، فأمر أمير المؤمنين كاتبه عبيد الله بن سليمان بن دهب، و غلامه بدر المؤتمر بالحضرة بعمل ما رفع إليه من عمل الكعبة والمسجد الكبير، و بعمارة دار الندوة مسجدا يوصل بالمسجد الكبير، و يعزق الوادي كله و المسعى و ما حول المسجد، و أخرج لذلك مالا كثيرا، فأمر بذلك القاضي ببغداد يوسف بن يعقوب، و حمل المال إليه. فأنفذ بعضه سفائح "جمع سفتجة، و هي الحوالة المالية،" و أنفذ بعضه في أيام الحج مع ابنه أبي بكر عبد الله بن يوسف، و كان يقدم في كل سنة على حوائج الخليفة و مصالح الطريق و عمارتها، فقدم عبد الله بن يوسف في وقت الحج، و قدم معه رجل يقال له أبو الهياج عميرة بن حيان الأسدي من بني أسد بن خزيمه له أمانة و نية حسنة، فوكله بالعمل، و خلف معه عمالا و أعوانا لذلك.

فعمل ذلك، و عزق الوادي عزقا جيدا حتى ظهرت من درج أبواب المسجد الشارع على الوادي اثنا عشره درجة. و إنما كان الظاهر منها خمس درجات، ثم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٧٠

أخرج القمائم من دار الندوة و هدمت، ثم أنشئت من أساسها فجعلت مسجدا بأساطين و طاقات و أروقه مسقفة بالساج المذهب المزخرف، ثم فتح لها في جدار المسجد الكبير اثنا عشر بابا ستة كبار، سعة كل باب خمسة أذرع، و ارتفاعه في السماء أحد عشر ذراعا. و جعل بين الستة الأبواب الكبار ستة أبواب صغار سعة كل واحد منها ذراعا و نصف، و ارتفاعه في السماء ثمانية أذرع و ثلث ذراع حتى اختلطت بالمسجد الكبير.

قال أبو الحسن الخزاعي: قد كان هذا الجدار معمولا على ما ذكره عم أبي أبو محمد الخزاعي إلى أيام الخليفة جعفر المقتدر بالله، ثم غيره القاضي محمد بن موسى، و إليه أمر البلد يومئذ، و جعله بأساطين حجارة مدورة عليها ملاين ساج بطاقات معقودة بالآجر الأبيض و الجص وصله بالمسجد الكبير وصولا أحسن من العمل الأول، حتى صار من في دار الندوة من مصل أو غيره يستقبل الكعبة فيراها كلها، عمل ذلك كله في سنة ست و ثلاثمائة.

قال أبو محمد: و جعل لها سوى ذلك أبوابا ثلاثة شارع في الطريق التي حولها، منها باب بطاين على اسطوانة بالقرب من باب الطبرى، مقابل دار صاحب البريد، سعته عشرة أذرع و ربع ذراع، و ارتفاعه في السماء أحد عشر ذراعا و ثلثا ذراع، و باب في أعلا هذا الطريق طاق واحد، سعته خمسة أذرع و ارتفاعه في السماء اثنا عشر ذراعا، و باب بين دور الخزاعيين ولد نافع بن عبد الحارث، بطاين على اسطوانة، يستقبل من أقب من السويقة و قعيقعان، سعته أحد عشر ذراعا و نصف، و ارتفاعه في السماء عشرة أذرع و ربع ذراع، و سوى جدارها و سقوفها و شرفها بالمسجد الكبير، و فرغ منها في ثلاث سنين، فصلى الناس فيها و اتسعوا بها، و جعل لها منارة و خزانه في زاويتي مؤخرها.

فكان ذرع طول هذا المسجد من وجهه من جدار المسجد الكبير إلى مؤخره بالأروقه أربعة و ثمانون ذراعا، و عرضه بالأروقه ستة و سبعون ذراعا، و سعة صحنه تسعة و أربعون ذراعا في سبعة و أربعين ذراعا، و عدد ما فيه من الأساطين سوى ما على الأبواب اثنتان و عشرون، و عدد الطاقات سوى الأبواب سبع و ستون اسطوانة، و على الأبواب اثنتان. و عدد الطاقات سوى الأبواب إحدى و سبعون طاقة، و على الأبواب خمس طاقات، و عدد الشرف التي تلى بطن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٧١

المسجد ثمانى و ستون شرافة، و عدد السلاسل التي للقناديل سبع و ستون سلسله فيها قناديلها، آخر خبر الندوة. انتهى من تاريخ الأزرقى.

و قد ذكر القطبي عن دار الندوة ما يأتي: بنى قصى دار الندوة من الجانب الشامى، و يقال إنها محل مقام الحنيفة الذى يصلى فيه الآن

الإمام الحنفى، وقسم باقى الجهات بين قبائل قريش، فبنوا دورهم و شرعوا أبوابها إلى نحو الكعبة المشرفة، و تركوا للطائفين مقدار المطاف، بحيث يقال أنه القدر المفروش الآن بالحجر المنحوت إلى حاشية المطاف الشريف. ثم أشار القطب إلى بناية قصى هذه فقال: و ليست الزيادة هي عين دار الندوة بل محلها في تلك الأماكن، لا على التعيين، من خلف المقام الحنفى الآن إلى آخر هذه الزيادة إلى أن قال: و استمرت تلك الأساطين المنحوتة مشيدة باقية إلى أن أدركناها في عصرنا، ثم بدلت بالأساطين المنحوتة من الرخام الأبيض المرمر ما بينها، لتوثيقها أساطين منحوتة من الشمسى الأصفر، بعقود محكمة أزين من عقود الجوهر، و جعل عوض السقف الذى يبلى خشبه كل حين قبا مرفوعة نزهة للناظرين، و ذلك في زمن السلطان مراد العثمانى سنة (٩٨٤). أما زيادة المعتضد فقد كانت عام (٢٨٤)، و تعمیر المقتدر بالله عام (٣٠٦هـ) انتهى.

### التحقيق عن موضع دار الندوة

اختلفوا فى موضع دار الندوة، فمنهم من قال موضعه هو محل المقام الحنفى و منهم من قال حوله، فوفقنا الله عز شأنه عن التحقيق من موضعها، فكتبنا عن ذلك مقالة بمجلة المنهل الغراء التى تصدر بمكة المكرمة، و ذلك فى العدد الممتاز لشهرى ذى القعدة و ذى الحجة سنة (١٣٦٩) هجرية و إليك نص مقالتنا فيها:

لما آل أمر مكة و البيت الحرام إلى قصى بن كلاب- الجد الرابع للنبي صلى الله عليه و سلم- بنى دار الندوة بقرب الكعبة المشرفة ليجمع فيها أعيان قريش و فضلائها لإبرام الأمور و المشاورة فيما بينهم، و كان لا يدخلها إلا من كان منهم قد بلغ أربعين سنة. هذه الدار كانت معروفة و عامرة و صارت فيما بعد دارا خاصة لتزول الخلفاء فيها إذا أتوا إلى مكة للحج، إلى أن آلت إلى الدمار و الخراب، حتى صارت ترمى فيها القمام و القاذورات. فإذا جاءت الأمطار و السيول حملت تلك الأوساخ إلى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٧٢

المسجد الحرام، فرأى أمير المؤمنين المعتضد بالله العباسى أن ذلك لا يليق بكرامة المسجد الحرام، و أن المسجد قد ضاق بالمصلين فهو فى حاجة إلى الاتساع و الزيادة، فأمر رحمه الله تعالى و أحسن إليه، أن تهدم دار الندوة و تنظف و تلحق بالمسجد للصلاة و العبادة و كان ذلك سنة ٢٨١ للهجرة.

و لقد اختلف الناس فى موضع دار الندوة على ثلاثة أقوال فمنهم من يقول:

أن مكانها هو مكان المقام الحنفى، و منهم من يقول: أن مكانها لا يعرف بالضبط، و لكنها كانت واقعة بين المقام الحنفى و رواق باب الزيادة، و منهم من يقول: أن مكانها هو رحبة باب الزيادة بما فى ذلك الحصباء و الرواق.

و لقد أردنا ترجيح أحد هذه الأقوال منذ ثلاث سنوات حينما كنا نشتغل بتأليف كتابا "مقام إبراهيم عليه السلام"، و لكننا لم نهتد إلى دليل قوى لترجيح شىء منها، غير أن الله سبحانه و تعالى هدانا الآن إلى تحقيق ذلك بما لا يقبل الشك و الريب فله الحمد و الشكر فهو مفتاح العليم.

فنقول: إن محل دار الندوة و فنائها هو رحبة باب الزيادة بما فى ذلك الحصباء و الرواق و نستدل على هذا بأربعة أمور:

"الأمر الأول:" أن عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان و عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهم اشترى كل منهم فى خلافته الدور المتلاصقة للمسجد الحرام فهدمها و أدخلها فى المسجد الحرام ليتسع، فلو كانت دار الندوة فى محل المقام الحنفى لهدمت و أدخلت فى المسجد الحرام فى زمن عمر بن الخطاب أو عثمان بن عفان، لقرب مقام الحنفى من الكعبة و لكان من العبث و الكذب أن يقال أن المعتضد بالله أدخل دار الندوة فى المسجد الحرام.

"و الأمر الثانى:" أن أمير المؤمنين محمد المهدي العباسى زاد فى المسجد الحرام سنة ١٦٤ زيادات كثيرة، و هو الذى أمر أن يجعل

المسجد الحرام على هيئة التريبع حتى تقع الكعبة المشرفة في وسطه كما هو الآن، فلو كانت دار الندوة داخل التريبع لذكرها المؤرخون.

"و الأمر الثالث: "أن الذى أدخل دار الندوة فى المسجد الحرام هو أمير المؤمنين المعتضد بالله العباسى سنة ٢٨١ و عمارته المعروفة هى رحبة باب الزيادة، بما فيه الباب القطبى - وهذه الرحبة - هى دار الندوة، فلم يعمل المعتضد شيئاً فى داخل التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٧٣

المسجد الحرام الذى هو على هيئة التريبع و الذى هو من عمل عمارة المهدي، فكيف يقال أن محل دار الندوة هو موضع المقام الحنفى الذى هو داخل المسجد و فى طرف دائرة المطاف؟.

"و الأمر الرابع: "لا يخفى أن دار الندوة التى كان يجتمع فيها صناديد قريش للمشاورة فيما يخصهم من مهمات الأمور أصبحت فيما بعد سباطة تطرح فيها الأوساخ و القمام، فإذا جاءت الأمطار و سالت السيول دخلت هذه الأوساخ و القمام إلى المسجد الحرام، فكتب قاضى مكة و أميرها أيضا مكاتبات إلى وزير المعتضد بالله يومئذ بأن دار الندوة قد تهدمت و خربت و صارت تلقى فيها القمام، حتى صارت ضرراً على المسجد الحرام و جيرانه، و إذا جاءت السيول حملتها إلى المسجد. فلو نظفت و هدمت و جعلت رحبة متصله بالمسجد الحرام يصلى فيها الناس و يتسع الحجاج بها لكانت مكرمة كبرى و منقبة عظيمة للخليفة... الخ، فأمر عندئذ أمير المؤمنين المعتضد بالله بإدخال دار الندوة فى المسجد الحرام. و انظر تفصيل ذلك فى كتب التاريخ.

فلا يعقل أن يكون محل دار الندوة هو مكان مقام الحنفى الملتصق بالمطاف و أن تلقى القمام هناك عند الكعبة المشرفة بينما موضع المقام الحنفى هو من الزيادات التى أدخلت فى المسجد الحرام فى زمن عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان رضى الله عنهما، ثم اتسع المسجد الحرام و صار على هيئة التريبع فى زمن محمد المهدي المذكور و انظر خريطة الزيادات بالمسجد الحرام فى صحيفة "٩١" من كتابنا (مقام إبراهيم) عليه السلام ليظهر لك الأمر بالمشاهدة، فعلم مما ذكرناه أن محل دار الندوة التى أدخلها المعتضد بالله فى المسجد الحرام هو رحبة باب الزيادة بما فيه من الأروقة و الحصاء و الله تعالى أعلم. انتهى.

### أول دار بنيت بمكة

لقد أسعدنا الحظ بقراءة الفوائد و الطرف التى كتبها و يكتبها سعادة الأستاذ الكبير و الكاتب الشاعر القدير، الأستاذ أحمد إبراهيم الغزاوى تحت عنوان:

(مطالعات و تعليقات) فى جريدة حراء فى العدد الصادر بتاريخ ٣ / ١١ / ١٣٧٦.

فكان مما تناوله فى العنوان المذكور، الكلام (على أول دار بمكة) و نقل أن ياقوت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٧٤

قال فى معجمه أن (دار العجلة) هى أول دار بمكة، و قد أحال الأستاذ الجليل تحقيق ذلك إلينا مع أننا نحن نستفيد من تحقيقاته و معلوماته القيمة.

فنزولا على رغبته نقدم لقراء "حراء" هذا البحث عن بدء و بناء البيوت بمكة و هو من المباحث التى سيتناولها تاريخنا الذى نعكف الآن على تأليفه بجد و إخلاص. فنسأل الله تعالى أن يديم علينا جميعاً توفيقاته و نعمه فنقول: إن ما نص عليه ياقوت فى معجمه بأن دار العجلة هى أول دار بنيت بمكة إنما هو و هم منه فأول دار بنيت بمكة هى "دار الندوة" بلا ريب.

و دار العجلة ذكرها الإمام الأزرقى فى تاريخه، و الأزرقى حجة لدى الجميع فهو المولود بمكة فى القرن الثانى للهجرة و من علمائها الأعلام و شيخ المؤرخين قاطبة و فى المثل (أهل مكة أدرى بشعابها) فقد قال رحمه الله تعالى عن دار العجلة فى تاريخه ما يأتى: دار العجلة ابتاعها عبد الله بن الزبير من آل سمير بن موهبة السهميين، و إنما سميت دار العجلة لأن ابن الزبير حين بناها عجل و بادر فى

بنائها، فكانت تبنى بالليل والنهار حتى فرغ منها سريعاً، وقال بعض المكيين إنما سميت دار العجلة لأن ابن الزبير كان ينقل حجارتها على عجلة اتخذها على البخت و البقر. انتهى كلام الأزرقي.

فدار العجلة ربما كانت موجودة قبل ابن الزبير في عهد أبي بكر أو عمر رضى الله عنهما ولكن لا يمكن أن نحكم أنها أول دار بنيت بمكة مطلقاً.

فمما لا شك فيه أن أول دار بنيت بمكة هي دار الندوة.

فلقد كان بناء دار الندوة لأول مرة في عهد قصي بن كلاب و بأمره بنيت هذه الدار و ذلك قبل الإسلام بنحو (١٥٠) سنة و بقيت هذه الدار إلى سنة (٢٨١) هجرية حيث خربت فأدخلها المعتضد العباسي في المسجد الحرام فيكون عمر دار الندوة نحو خمسمائة سنة و طبعاً لا تبقى على بنائها الأول و إنما يحدث فيها من الإصلاحات و تجديد البناء ما يحدث لغيرها، و كان خلفاء بني أمية و خلفاء بني العباس ينزلون فيها إذا حجوا، ثم إنها خربت و تهدمت، و تقلبت بها الأحوال فصارت بعض جهاتها تكرر للغرباء و المجاورين و يكون في بعضها دواب عمال مكة، ثم كان ينزلها عبيد العمال بمكة من السودان و غيرهم فيعشون فيها و يؤذون جيرانها، ثم كانت تلقى فيها القمامة و يتوضأ فيها الحجاج، فوصل ضرر ذلك إلى المسجد الحرام، فأمر المعتضد بالله العباسي بإدخال دار الندوة إلى المسجد

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٧٥

الحرام في السنة المذكورة فسبحان المتصرف في الكون و الذي بيده مقاليد السموات و الأرض.

## بدء بناء البيوت بمكة

### إشارة

لم تكن مكة معروفة منذ قديم الزمان، فأول من اكتشفها خليل الله إبراهيم عليه الصلاة و السلام و ذلك حينما أمره الله تعالى أن ينقل ابنه إسماعيل مع أمه هاجر إلى مكة فأتى له بالبراق فركبوا عليه من الشام قاصدين مكة يدلهم عليها و على معالم الحرم و موضع البيت جبرائيل عليه السلام، فقدموا مكة و ليس بها أحد من البشر فلا بناء و لا ماء و لا شجر مثمر، اللهم إلا أشجار العضاة بكسر العين المهملة (بوزن كتاب) و هي أشجار عظيمة ذات شوكة و هذه الأشجار لا تزال إلى اليوم موجودة في أراضي الحجاز و هي الأشجار الطبيعية التي تنبت بنفسها و تسمى شجر البادية، غير أنها كانت في تلك الأيام كثيرة وافرّة و ضخمة عظيمة لم تمتد إليها يد الإنسان بالقطع و الاحتطاب و رفعها من الطرقات و مواضع المساكن أما بعد استيطان البشر بمكة فقد نقصت هذه الأشجار الشوكية بل تكاد أن لا يوجد منها شيء في بطن مكة.

فلما أقام بمكة إسماعيل مع أمه و أظهر الله تعالى لهما ماء زمزم بفضله و كرمه حسبما اقتضته الإرادة الأزلية، وردت عليهما قبيلة من جرهم فاستأذنوهما في النزول عندهما ثم أرسلوا إلى أهليهم فقدموا إليهم ثم عمرت بهم مكة و بغيرهم من قبائل العرب، لكن كانوا يسكنون خارج مكة في أوديتها و شعابها تعظيماً لبيت الله الحرام، فلم يكن في وسط مكة من البيوت مطلقاً إلا البيت الحرام إلى أن كان زمن قصي كما سيأتي.

يقول الأستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه (قصص أنبياء): و لم يبن بمكة شيء بعد البيت إلا في القرن الثاني قبل الإسلام، في عهد قصي بن كلاب. فإنه بنى دار الندوة و تبعته قريش تبنى حول المسجد و كان للمسجد ساحة فبنوا حوله و ذلك من نحو خمسين و مائة سنة قبل الإسلام. انتهى كلامه.

و لقد كانت القبائل من جرهم و العمالقة و خزاعة و قريش و غيرهم يسكنون بشعاب مكة و يقطنون بظاهرها، و لا يقيمون بها إلا نهارا و لا يدخلونها على جنابة فإذا أمسوا خرجوا إلى الحل و يتركون حول الكعبة بدون بنیان احتراماً لها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٧٦

و تعظيماً لشأنها فلا يجترئ أحد أن يبنى بجوارها داراً و لا جداراً- فلما آل الأمر إلى قصي بن كلاب الذي كان قبل الهجرة بنحو مائة و ثلاثين سنة، جمع قومه بطون قريش و أمرهم أن يبنوا حول الكعبة بيوتاً من جهاتها الأربعة، و قال لهم: إن سكتتم حول الكعبة هابتكم الناس و لم تستحل قتالكم و الهجوم عليكم، فبدأ هو أولاً ببناء دار الندوة في الجانب الشمالي للكعبة و هو فسحة باب الزيادة، ثم قسم قصي باقي الجهات بين قبائل قريش فبنوا بيوتهم حولها فكان ذلك أول بدء البنيان حول الكعبة، فكل من بنى بيتاً من قبائل قريش حول الكعبة سمي (قريش البواطن) و كانوا يبنون بيوتهم مدورة الشكل تعظيماً للكعبة فأول من بنى بيتاً مربعاً حميد بن زهير و عندئذ قالت قريش: ربع حميد بيتاً إما حياة و إما موتاً، أي تخوفوا عليه من الانتقام الإلهي حيث خالف عادة العرب فبنى بيته مربعاً فأشبهه تربيع الكعبة. قال الأزرقى: كانت دار حميد بن زهير اللاصقة في ظهر الكعبة، كانت تفيء على الكعبة بالعشى و تفيء الكعبة عليها بالبكرة، و لقد كانوا يجعلون ارتفاع بيوتهم أقل من ارتفاع الكعبة احتراماً لها، فكان شيبه ابن عثمان لا يرى بيتاً مشرفاً على الكعبة إلا أمر بهدمه.

فعلم مما تقدم أن قصي بن كلاب الجد الرابع للنبي صلى الله عليه و سلم هو الذي أمر قريشاً أن تبنى بيوتها حول الكعبة بمكة، لا تهاونا بأمرها و إنما ملاذاً بها حتى تهابهم الناس فلا يستحلون قتالهم و لا يهضمون حقوقهم، كما أنه هو أول من بنى داراً قبل قريش و هي دار الندوة لتقتدى قريش به في بناء بيوتها، و انظر إلى حكمة قصي في بدء بناء دار الندوة قبل بناء دار خاصة لنفسه، فدار الندوة هي عبارة في عرفنا و نطلق عليها في عصرنا هذا "قصر الحكم" أو "دار البرلمان" أو "مجلس الوزراء" أو "دار الإمارة" لأن دار الندوة كانت قريش لا تبرم أمراً إلا فيها و لا يقبل فيها من غير بنى قصي إلا من بلغ سن الأربعين و يدخلها بنى قصي جميعاً كبيرهم و صغيرهم، و غير ذلك من الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يكون عضواً فيها.

الابتداء ببنائة هذه الدار التي هي في مصلحة كل قبائل قريش قبل بناء بيوتهم بل حتى قبل بناء بيت لحاكم مكة هو عين الصواب و الحكمة.

و لم تكن في صدر الإسلام بيوت مكة تكرر و لا تباع. قال الإمام الأزرقى في تاريخه: عن علقمة بن فضلة: كانت الدور و المساكن على عهد النبي صلى الله عليه و سلم و أبي بكر و عمر و عثمان رضى الله عنهم ما تكرر و لا تباع و لا تدعى إلا السوايب،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٧٧

من احتاج سكن و من استغنى أسكن. قال يحيى: قلت لعمر و ابن سعيد: فإنك تكرر، قال: قد أحل الله الميتة للمضطر إليها، و روى عن ابن جريج قال: كان عطاء ينهى عن الكراء في الحرم، و قال ابن جريج: أخبرني عطاء أن عمر ابن الخطاب كان ينهى أن تبوب أبواب دور مكة. ا.هـ.

فأول دار بمكة عمل لها بابان هي دار هند بنت سهيل، و ذلك كما رواه الأزرقى في تاريخ مكة أن هند بنت سهيل استأذنت عمر رضى الله عنه أن تجعل على دارها بابين فأبى أن يأذن لها، و قال: إنما تريدون أن تغلقوا دوركم دون الحاج و المعتمرين، و كان الحاج و المعتمرون ينزلون في عرصات دور مكة، فقالت هند: و الله يا أمير المؤمنين ما أريد إلا أن أحفظ على الحاج متاعهم فأغلقها عليهم من السرقة، فأذن لها فبويتها. انتهى من الأزرقى.

هذا ما كان من ابتداء البنيان و ظهور البيوت في مكة المشرفة، و لا يخفى الفرق الكبير بين تلك البيوت البدائية العربية، و بين ما فيها الآن من القصور الفخمة و العمارات الضخمة، و البيوت المكلفة بالآلاف المؤلفة. نسأل الله العزيز أن يوفقنا لشكر نعمائه ليزيدنا من فضله و إحسانه في بلدته الطاهرة المطهرة زادها الله شرفاً و أمناً و رزقاً و رخاء، و خيراً و عمراناً، و وفقنا فيها لصالح الأعمال حتى

يتوفانا بها على الإيمان الكامل آمين و صلى الله على نبينا أبي القاسم الأمين و على آله و أصحابه أجمعين.

### دار العباس بن عبد المطلب

دار العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبي صلى الله عليه و سلم، كانت بالمسعى بين باب على و بين باب النبي، و هذه الدار أصبحت رباطا يسكنه الفقراء من القرن العاشر الهجرى.

ثم فى عصرنا هذا فى أواخر شهر جمادى الثانية سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف هدمت هذه الدار لتوسعة المسجد الحرام و الشوارع. و كانت إلى هذه الدار ينتهى حد المسعى عرضا من جهة باب العباسى، أحد أبواب المسجد الحرام المقابل لهذه الدار، و هذا الباب كان واقعا بين باب النبي و باب على، و كان فى هذه الدار من جهة المسعى أحد العلمين الأخضرين اللذان وضعا علامة لانتهاه الهرولة فى السعى لمن جاء من الصفا، فهدم هذا العلم تبعا لهدم الدار و إن شاء الله

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٧٨

تعالى سيوضع علمان آخران فى موضعهما تماما للغرض المذكور، و لقد بنى أمام هذه الدار مظلة المسعى، و هى مبنية بالإسمنت و الحديد ليستظل تحتها الساعى فلا يتأذى من الشمس.

قال الأزرقى فى تاريخه عند ذكر رباع قريش و حلفائها قالوا: و كان عبد المطلب قد قسم حقه بين ولده و دفع إليهم ذلك فى حياته حين ذهب بصره، فمن صار للنبي صلى الله عليه و سلم حق أبيه عبد الله بن عبد المطلب، و للعباس بن عبد المطلب الدار التى بين الصفا و المروة التى بيد ولد موسى بن عيسى التى إلى جنب الدار التى بيد جعفر بن سليمان. و دار العباس هى الدار المنقوشة التى عندها العلم الذى يسعى منه من جاء من المروة إلى الصفا بأصلها و يزعمون أنها كانت لهاشم بن عبد مناف، و فى دار العباس هذه حجران عظيمان يقال لهما إساف و نائلة صنمان كانا يعبدان فى الجاهلية هما فى ركن الدار. انتهى كلام الأزرقى.

### دار أبي سفيان بمكة

دار أبي سفيان بن حرب بمكة رضى الله تعالى عنه واقعة على يمين الصاعد من المسجد الحرام إلى المدعا محاذية للمروة، فتكون عند أول شارع المدعا الخارج من المسجد الحرام، و هذه الدار هى التى عنها رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم فتح مكة حينما نادى مناديه "من دخل داره و أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن، و من دخل دار أبي سفيان فهو آمن." و كان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان من السنة الثامنة للهجرة. قال الأزرقى فى تاريخه بصحيفة (١٩٣) من الجزء الثانى ما ملخصه: أنه كان يباع فى الرحبة التى بين الدارين دار أبي سفيان و دار حنظلة بن أبي سفيان الحنظلة و الحبوب و السمن و العسل التى تحملها العير إذا قدمت مكة من السراة و الطائف و غير ذلك، فهذه الرحبة هى أشرف ربع مكة هـ.

جاء فى تاريخ الأزرقى ما نصه: لآل حرب بن أمية بن عبد شمس دار أبي سفيان بن حرب التى بين الدارين، يقال لها دار ريطه ابنة أبي العباس. و هى الدار التى قال النبي صلى الله عليه و سلم يوم الفتح: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى حدثنا عبد الرحمن بن حسن بن القاسم عن أبيه، عن علقمة بن نضلة قال: أصعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه المعلاة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٧٩

فى بعض حاجته، فمر بأبي سفيان بن حرب يهوى جملا له، فنظر إلى أحجار قد بناها أبو سفيان شبه الدكان فى وجه داره، يجلس عليه

في الغداة. فقال له عمر:

يا أبا سفيان، ما هذا البناء الذي أحدثته في طريق الحاج؟ فقال أبو سفيان: دكان نجلس عليه في فيء الغداة. فقال له عمر: لا أرجع في وجهي هذا حتى تقلعه و ترفعه، فبلغ عمر حاجته، فجاء والد كان على حاله فقال له عمر: ألم أقل لك لا أرجع حتى تقلعه؟ قال أبو سفيان: انتظرت يا أمير المؤمنين أن يأتينا بعض أهل مهنتنا فيقلعه و يرفعه. فقال عمر رضى الله عنه: عزمت عليك لتقلعه بيديك، و لتقلعه على عنقك، فلم يراجعه أبو سفيان حتى قلعه بيده و نقل الحجارة على عنقه و جعل يطرحها في الدار. فخرجت إليه هند ابنة عقبه فقالت: يا عمر، أمثل أبي سفيان تكلفه هذا و تعجله عن أن يأتيه بعض أهل مهنته. فطعن بمخصرة كانت في يده في خمارها، فقالت هند و نفتحتها بيدها: إليك عنى يا ابن الخطاب، فلو في غير هذا اليوم تفعل هذا لأضطمت عليك الأخشب.

قال: فلما قلع أبو سفيان الحجارة و نقلها استقبل عمر القبلة و قال: الحمد لله الذي أعز الإسلام و أهله، عمر بن الخطاب رجل من بنى عدى يأمر أبا سفيان بن حرب سيد بنى عبد مناف بمكة فيطيعه. ثم ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه. انتهى من الأزرقى. و معنى الدكان هنا كما فى المنجد: شىء كالمصطبة يقعد عليه و الكلمة فارسية هـ. و معنى المخصرة بكسر الميم هنا كما فى المنجد: ما يأخذه الملك بيده ليشير به إذا خاطب. هـ.

نقول: إن دار أبي سفيان المذكورة تعرف اليوم فى زماننا بمستشفى القبان، و هى فى محلها المذكور أى فى أول المدعا، و القبان بفتح القاف و تشديد الباء. قال عنها المنجد: "آلة توزن بها الأشياء و الكلمة من الدخيل" و سبب نسبة المستشفى إلى القبان هو أنه كان فى الدار المذكورة توزن أكياس الجبوب و صفائح السمن و العسل و نحوها، بميزان طويل يثبت فيه ما يراد وزنه ثم يحمله شخصان لمعرفة مقدار الوزن فى مقابل أجر معين. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٨٠

### اتخاذ دار أبي سفيان مستشفى

يطلق على دار أبي سفيان رضى الله عنه "القبان" بفتح القاف و تشديد الباء، و هى واقعة جهة المسعى بأول المدعى. قال الغازى فى الجزء الثالث فى تاريخه عند ذكر ترجمته و تولية الحاج محمد حسيب باشا مكة ما نصه: ثم تولى بعد الحاج محمد شريف باشا المشير الحاج محمد حسيب باشا سنة (١٢٦٤) و قدم مكة فأحسن إلى جيران بيت الله تعالى و صرف لهم مرتباتهم، و أخذ فى مباشرة تعمیر المآثر المباركة، و زاد فى ماهيات بعض خدمة الحرم الشريف، ثم عمّر المحل المعروف الآن "بالقبان"، و جد بنائه و جعله خلاوى لفقراء الحرم و رتب لهم عيشا و شوربه، و فى زماننا اتخذت "أى دار أبي سفيان المسمى بالقبان" ("خستخانه") و هذه كلمة تركية معناها مستشفى، لمرضى فقراء الأهالى و المنقطعين، و هى دار أبي سفيان الذى قال فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم فتح مكة: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن". ثم ذكر الغازى بقيه ما عمله الحاج محمد حسيب باشا بمكة، و نحن اكتفينا بما ذكرناه عن أول اتخاذ القبان مستشفى للمرضى. انتهى من الغازى.

انظر: صورة رقم ٢٢، عقد باب مستشفى القبان بآخر المدعى

ثم إنه اعتيت بهذه المستشفى أكثر مما تقدم، فإنه لما كانت سنة (١٢٨٢) اثنتين و ثمانين و مائتين و ألف أمرت "بزم عالم" والدة السلطان عبد المجيد خان من سلاطين آل عثمان بجعل هذه الدار مستشفى للمرضى فكان فيها بعض الأطباء مع ما يلزم من الأدوية،

فبطل وزن الحبوب والأشياء فيها، فنقل القبان إلى الدكاكين المجاورة للدار بالمدعا و ما زال ذلك إلى اليوم. و لهذا نسب المستشفى إلى القبان فقيل لها "مستشفى القبان".

فلما تعددت المستشفيات بالبلدة الطاهرة نقل المرضى من هذه الدار إلى بعض المستشفيات الأخرى، و جعل مستشفى القبان مستودعا للأدوية الصحية والأدوات الطبية العائدة لوزارة الصحة و ذلك ابتداء من سنة (١٣٦٤) أربع و ستين و ثلاثمائة و ألف، فصارت تعرف الآن "بمستودع وزارة الصحة".

و الظاهر من كلام الأزرقي الآتي أن جهه دار أبي سفيان هذه "أى مستشفى القبان" كانت من قديم الزمان فيها دار للمرضى أيضا، فإنه يقول فى تاريخه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٨١

بصحيفة ١٩٢ من الجزء الثانى: و دار الحدادين التى بسوق الليل مقابل سوق الفاكهة، و سوق الرطب فى الزقاق الذى بين دار حويطب و دار ابن أخى سفيان بن عيينة التى بناها، و دار الحدادين هذه كانت فيما مضى يقال لها دار مال الله كان يكون فيها المرضى و طعام مال الله. انتهى كلامه- فهو يقول: دار الحدادين يقال لها دار مال الله و هى واقعة بسوق الليل و فى هذه الدار يكون المرضى فى ذلك الزمن- نقول و سوق الليل واقع وراء المدعا، و يتدئ سوق الليل من وراء مستشفى القبان كما يتدئ المدعا من هذه المستشفى.

و دار أبى سفيان المذكورة لا تبقى بعد مرور أربعة عشر قرنا عليها على ما كانت عليه فى زمنه، فلا بد أن يحصل عليها خراب فعمار مرارا عديدة، لكن لا يزال نفس المحل و الموضع معروف و محتفظ به إلى اليوم و فيه محراب ظاهر، و خلف هذا الموضع بالضبط يقع موضع ميلاد فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و منزل أم المؤمنين خديجة رضى الله تعالى عنها.

و قد دخلنا هذه الدار فى اليوم الثامن و العشرين من شهر رجب سنة ألف و ثلاثمائة و ست و سبعين هجرية لأخذ بعض الصور الفوتوغرافية لها، و وجدنا فيها لوحة طولها نحو متر واحد و عرضها نحو نصف متر كتب فيها بخط الثلث "من دخل دار أبى سفيان فهو آمن" كتبها محمد عارف مصطفى شكرى سنة (١٣١٢) و إليك صورة هذه اللوحة.

انظر: صورة رقم ٢٣، لوحة مكتوب فيها: من دخل دار أبى سفيان كان آمنا

كما وجدنا فى الدار المذكورة بئرا قديمة جدا و هى بعيده الغور غزيرة الماء و فى طعم مائها نوع ملوحة، يقال أنه وقع فيها شخص فمات منذ خمسة عشر سنة فنزل إليها بعض الغواصين من مكة فلم يقدر أن ينتشل جثة الرجل الذى وقع فيها فأتوا بغواص من جدة من رجال البحر فنزل فيها فأخرج الجثة- فحبذا لو انتفع الناس من مثل هذه الآبار فى مصالح أخرى غير الشرب.

و ليس جميع حدود مستشفى القبان، و بعبارة أخرى "مستودع وزارة الصحة" هو حدود نفس دار أبى سفيان فى زمنه، بل إن داره القديم جزء صغير بالنسبة إلى عماره المستودع اليوم بأضعاف ما كانت عليه فى زمنه رضى الله تعالى عنه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٨٢

و فى عامنا هذا (١٣٨٥) ألف و ثلاثمائة و خمسة و ثمانين هجرية بدأت الحكومة السعودية فى هدم مستشفى القبان الذى محله فى الأصل هو محل دار أبى سفيان رضى الله تعالى عنه، تريد الحكومة أن تهدمه ثم تبنيه و تجعله دار للكتب للنفع العام، و نحن الآن لا نتمكن من الكتابة عنه شىء، لأنه فى حالة هدم و هدد، لم تهبأ بعد لأمر من الأمور، فنكتفى هنا بالتنبيه على ذلك للعلم به، نسأل الله تعالى أن توفق ولاة الأمور لصالح العباد و البلاد آمين.

انظر: صورة رقم ٢٤، كتابه على باب دار الأرقم بالصفاء



دار الأرقم و تسمى بدار الخيزران كانت بالصفاء عند مبدأ السعى، على يسار الصاعد إليه من الشرق، و المسافة بين جبل الصفاء، أى من موضع ابتداء السعى، و بين هذه الدار ستة و ثلاثون مترا باستقامة خط المشى، أو ثمانية و أربعون مترا، إذا انعطفت ناحية الحارة التى كانت بها الدار قبل هدمها فى التوسعة السعودية، و لقد هدمت هذه الدار فى اليوم الثامن و العشرين من شوال سنة (١٣٧٥) خمس و سبعين و ثلاثمائة و ألف، لإدخالها فى توسعة المسجد الحرام التى حصلت فى السنة المذكورة، فى عهد جلالة الملك المعظم، سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن، وفقه الله تعالى لكل خير.

و من الغريب أن يظن العلامة ابن كثير، صاحب التفسير الشهير، بأن هذه لدار دخلت فى توسعة المسجد الحرام، فقد قال فى تاريخه المسمى "بالبداية و النهاية" بصحيفة ١٦٤ فى الجزء العاشر، عند الكلام على دخول سنة ثلاث و سبعين و مائة ما نصه: "و قد اشترت الخيزران الدار المشهورة بمكة المعروفة بدار لخيزران فزادتها فى المسجد الحرام" انتهى كلامه.

فهذا الظن فى غير محله، و قد وهم ابن كثير رحمه الله تعالى، و ليس فى ذلك من بأس، فإن الإنسان معرض للخطأ و النسيان، و ليس هذا أمر يتعلق به حكم شرعى، و إننا نستدل على أن هذه الدار، لم تدخل فى المسجد الحرام فى عهد محمد لهدى العباسى بجملة أمور:

(١) أن جميع المؤرخين ذكروا أن دار الأرقم كانت بالصفاء.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٨٣

(٢) روى الحاكم فى المستدرک فى الجزء الثالث بصحيفة (٥٠٢) قال: أسلم الأرقم سابع سبعة، و كانت داره على الصفاء، و هى الدار التى كان النبى صلى الله عليه و سلم، يكون فيها فى الإسلام، و فيها دعا الناس إلى الإسلام، فأسلم فيها قوم كثير و دعيت دار الإسلام، و تصدق بها الأرقم على ولده و كتب نسخة الصدقة: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قضى به الأرقم فى ربه ما حاز الصفاء أنها صدقة بمكانها من الحرم لا تباع و لا تورث ... إلى آخر ما جاء فى المستدرک.

(٣) لو دخلت دار الأرقم فى المسجد الحرام فى توسعة المهدي، أو فى توسعة من قبله، لذكر المؤرخون ذلك لأنها أهم أثر إسلامى، فإذا كان المؤرخون ذكروا أشهر الدور التى دخلت المسجد الحرام فى الزيادات التى حصلت، فدار الأرقم التى كانت تدعى "بدار الإسلام" لو دخلت فيه لكانت أولى بالذكر و البيان.

(٤) تواتر الأخبار و إجماع الأمة، من العلماء و المؤرخين و الملوك و الأمراء، حتى العوام من قديم الزمان إلى اليوم، أن محل دار الأرقم هو موضعها الآن لم يتغير مطلقا.

(٥) دار الأرقم تسمى أيضا "دار الخيزران" نسبة إلى خيزران جارية المهدي أم الرشيد، فهى التى اشترتها حينما حجت سنة (١٧١) أحد و سبعين و مائة، و بنت المسجد الذى فى هذه الدار، فلو دخلت دار الأرقم فى المسجد الحرام فى زيادة و توسعة زوجها المهدي التى حصلت سنة (١٦٤)، أو فى زيادة من تقدمه، فهل كان ذلك خافيا عليها، و على أهل زمانها، و هم قرييون من صدر الإسلام؟ كلا ثم كلا.

(٦) لا يخفى أن ما بين الصفاء و المسعى فى صدر الإسلام، كان مسيلا و واديا نازلا، قال جابر بن عبد الله و هو يحدث عن حجة النبى صلى الله عليه و سلم: "ثم نزل عن الصفاء حتى إذا انصبت قدماء فى بطن الوادى سعى حتى إذا أصدت من الشق الآخر مشى." إذا كان الصفاء منعزلا عن جهة المسجد الحرام بسبب المسيل المعترض، فإذا قالوا أن دار الأرقم كانت بالصفاء، فهم يعنون جبل الصفاء نفسه. فعلم مما ذكرناه، أن محل دار الأرقم هو موضعه اليوم الذى عند الصفاء بينهما نحو ثلاثين ذراعا، فلا صحة لقول القائل أنها دخلت فى التوسعات السابقة قبل أكثر من ألف و مائتى سنة، فهذا القول و هم و تخيل لا حقيقة له.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٨٤

ثم رأينا رد الفاسى فى كتابه "شفاء المرام" بصحيفة ٢٢٦ من الجزء الأول، على ابن كثير رحمهما الله تعالى فى هذه المسألة فقال: اعلم أنه لم يزد فى المسجد الحرام بعد الأزرقى إلا الزياتين، المعروفة أحدهما بزيادة دار الندوة بالجانب الشمالى، و الثانية الزيادة المعروفة بزيادة باب إبراهيم بالجانب الغربى، و لم يزد فيه بعد المهدي غير هاتين الزياتين.

فأما قول الحافظ عماد الدين بن كثير، فى تاريخه فى أخبار سنة إحدى و سبعين و مائة، أن الخيزران أم المؤمنين خرجت إلى مكة، فأقامت بها حتى شهدت الحج، و قد اشترت الدار المشهورة لها بمكة المشرفة المعروفة بدار الخيزران، فزادتها فى المسجد الحرام، فهو غير مستقيم، لأن الدار المشهورة "بالخيزران" بمكة إنما هى عند جبل الصفا، و بينها و بين المسجد الحرام، طريق مسلوكة يزيد على مائة ذراع، على مقتضى ما ذكره الأزرقى فى مقدار ما بين باب المسجد المعروف بباب الصفا، و الصفا الذى هو مبدأ السعى و هو قرب هذه الدار، فدخولها فى المسجد الحرام غير ممكن، و أيضا قال أنه لو وقع منها ذلك لاشتهر، كما اشتهر توسعته غيرها فى المسجد الحرام، و لذكره الأزرقى فى تاريخه، كما ذكر ما وقع من غيرها من هذا الأمر و الله أعلم. انتهى من شفاء الغرام.

قال الإمام الأزرقى فى تاريخه ما نصه: و ربع آل الأرقم بن أبى الأرقم، و اسم أبى الأرقم عبد مناف بن أبى جندب أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، الدار التى عند الصفا يقال لها دار الخيزران، و فيها مسجد يصلى فيه، كان ذلك المسجد بيتا كان يكون فيه النبى صلى الله عليه و سلم، يتوارى فيه من المشركين، و يجتمع هو و أصحابه فيه عند الأرقم بن أبى الأرقم، و يقرأوهم القرآن و يعلمهم فيه، و فيه أسلم عمر بن الخطاب. اهـ.

و قال ابن فهد فى حوادث سنة (١٧١) إحدى و سبعين و مائة: فيها قدمت الخيزران أم الرشيد إلى مكة قبل الحج، فأقامت بها حتى شهدت الحج، و اشترت الدار المعروفة بمكة المشرفة بدار الخيزران عند الصفا. انتهى.

و فى البحر العميق، قال سعد الدين الإسفرائينى: و المسجد الذى فى هذه الدار بنته جارية المهدي. قال الفاسى: و طول هذا المسجد ثمانية أذرع لإقيراطين، و عرضه سبعة أذرع و ثلث، الجميع بذراع الحديد. اهـ.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٨٥  
و يقول ابن جبير الأندلسى فى رحلته: أنه دخل دار الخيزران سنة (٥٧٨) و هى بإزاء الصفا و يلاصقها بيت صغير عن يمين الداخل إليها كان مسكن بلال رضى الله عنه ... الخ. انتهى منه.

و جاء فى كتاب الإعلام: المختبأ هو أفضل المواضع بمكة بعد دار أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها، لكثرة مكث النبى صلى الله عليه و سلم فيه، يدعو الناس للإسلام مستخفيا عن أشرار قريش الكفار، و هو الموضع الذى كان صلى الله عليه و سلم، يختبئ فيه من الكفار، و يجتمع فيه من آمن به، و يصلى بهم الأوقات الخمسة سرا، إلى أن أسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فجهر بالإسلام و بالصلاة و أعز الله الإسلام به، و دار الخيزران، هى دو حول المختبأ ملكتها أم الرشيد شراء لما حجت، و تناقلت فى يد الملاك إلى أن صارت الآن من جملة أملاك السلطان مراد خان. انتهى.

قال الزين العراقى فى ألفيته المسماة بنظم الدرر السنية فى سيرة خير البرية عن اجتماع المسلمين بدار الأرقم ما يأتى:

و اتخذ النبى دار الأرقم للصحب مستخفين عن قومهم

و قيل كانوا يخرجون تترى إلى الشعاب للصلاة سرا

حتى مضت ثلاثة سنينا و أظهر الرحمن بعد الدنيا

و صدع النبى جهرا معلنا إذا نزلت فاصدع بما فمنا ونا

و أنذر العشائر التى ذكر جمعهم إذا نزلت و أنذر

و فى كتاب الرحلة الحجازية للبتونى عند الكلام على دار الأرقم ما نصه:

أما دار الأرقم المخزومى، المشهورة بدار الخيزران، فهى فى زقاق على يسار الصاعد إلى الصفا، و هى الدار التى كان يختبئ فيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعثته هو ومن آمن معه، وكانوا يصلون سرا حتى أسلم عمر رضى الله عنه، فقويت به عصيتهم و جهروا بالإسلام و الصلاة، و باب هذا الدار يفتح إلى الشرق، و يدخل منه إلى فسحة سماوية طولها نحو ثمانية أمتار، في عرض أربعة، و على يسارها، إيوان مسقوف على عرض نحو ثلاثة أمتار، و في وسط الحائط التي على يمينها، باب يدخل منه إلى غرفة طولها ثمانية أمتار، في عرض نحو نصف ذلك، مفروشة بالحصير، و في زاويتها الشرقية الجنوبية، حجران من الصوان موضوعان فوق بعضهما مكتوب في أعلاهما بالحرف البارز: "بسم الله الرحمن الرحيم، في بيوت

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٨٦

أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو و الآصال هذا مختبأ رسول الله و دار الخيزران، و فيها مبتدأ الإسلام، أمر بتحديده الفقير إلى مولاه أمين الملك مصلح ابتغاء ثواب الله و رسوله و الله لا يضيع أجر المحسنين."

و مكتوب في الثاني: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا مختبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف بدار الخيزران أمر بعمله و إنشائه العبد الفقير لرحمة الله تعالى جمال الدين شرف الإسلام أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني وزير الشام و الموصل الطالب الوصول إلى الله تعالى الراجي لرحمته أطال الله في الطاعة بقاءه و أناله في الدارين مناه في سنة خمس و خمسين و خمسمائة." انتهى من الرحلة الحجازية للبنونى.

و لقد عمّرت دار الأرقم و المسجد الذى فيه مرارا عديدة منها:

(١) عمّرتها الخيزران أم الرشيد و بنت المسجد الذى فيها سنة (١٧١) هجرية، و ستأتى ترجمتها في آخر المبحث.

(٢) و عمّرها أمين الملك مصلح.

(٣) و عمّرها الوزير الجواد.

(٤) و عمّرها المستنصر العباسى.

(٥) و عمّرها جمال الدين شرف الإسلام أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني وزير الشام و الموصل سنة (٥٥٥).

(٦) و عمّرها بعض المجاورين بمكة في آخر القرن الثامن.

(٧) و عمّرها السلطان مراد خان حينما اشتراها.

(٨) و عمّرها إبراهيم بك، جددتها من أساسها إلى فوقها، و جعل فيها قبة عظيمة و طاجين و طبطب السطح بالنورة و ذلك سنة

(١١١٢) هجرية، كما في كتاب إتحاف فضلاء الزمن. قال الغازى رحمه الله تعالى في تاريخه: و قد هدمت هذه القبة في سنة (١٣٤٣)

ه. انتهى.

هذا ما وقفنا على من عمّرت دار الأرقم، و الله تعالى أعلم بمن عمرها أيضا، و قد تقدم أن هذه الدار هدمت الآن، و محى أثرها في آخر

شوال سنة (١٣٧٥) لإدخالها في التوسعة السعودية.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٨٧

### [قصة إسلام عمر]

و لنذكر هنا قصة إسلام عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، في دار الأرقم "دار الخيزران" ناقلين ذلك من كتاب مرآة الحرمين لإبراهيم

رفعت باشا رحمه الله تعالى، فقد جاء فيه ما نصه:

و دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى، كان يجتمع فيها المسلمون سرا يتعلمون الدين و يقيمون الشعائر، حتى أسلم عمر رضى الله عنه

و عز به الإسلام، و جهر المسلمون بدينهم، و كان إسلام عمر بدار الأرقم، و ها نحن أولا ننقل إليك عن سيرة ابن هشام قصة إسلامه،

لما فيها من العبر و المواعظ:

قال ابن إسحاق: و كان إسلام عمر فيما بلغني، أن أخته فاطمة بنت الخطاب، و كانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، و كانت قد أسلمت، و أسلم بعلمها سعيد بن زيد، و هما مستخفيان بإسلامهما من عمر، و كان نعيم بن عبد الله النحام قد أسلم و كان يخفى إسلامه فرقا "خوفا" من قومه، و كان خباب بن الأرت يختلف "يذهب" إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه و سلم و رهطا من أصحابه قد ذكر له أنهم اجتمعوا في بيت عند الصفا، و هم قريب من أربعين ما بين رجال و نساء، و مع رسول الله صلى الله عليه و سلم عمه حمزة بن عبد المطلب، و أبو بكر بن أبي قحافة الصديق، و علي بن أبي طالب في رجال من المسلمين، رضى الله عنهم، ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بمكة و لم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقية نعيم بن عبد الله فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدا، هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش، و سفه أحلامها و عاب دينها، و سب آلهتها فأقتله. فقال له نعيم: و الله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر. أترى لبنى عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض و قد قتلت محمدا، أفلا- ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم. قال: و أي أهل بيتي. قال: ختنك، أي صهرك، و ابن عمك سعيد بن زيد ابن عمرو و أختك فاطمة بنت الخطاب فقد و الله أسلما، و تابعا محمدا على دينه فعليك بهما. قال:

فرجع عمر عامدا إلى أخته و ختنه، و عندهما خباب بن الأرت مع صحيفة فيها طه يقرئها إياها، فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت. و أخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة، فجعلتها تحت فخذاها و قد سمع التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٨٨

عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليها، فلما دخل قال: ما هذه الهيمنة التي سمعت؟ قال له: ما سمعت شيئا. قال: بلى و الله، لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه. و بطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت أخته و ختنه:

نعم قد أسلمنا و آمننا بالله و رسوله فاصنع ما بدا لك.

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم، ندم على ما صنع فارعوى و قال لأخته:

أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون أنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد.

و كان عمر كاتباً. فلما قال ذلك، قالت له أخته: إنا نخشاك عليها. قال: لا تخافي. و حلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له: يا أخي إنك نجس على شركك و إنه لا يمسه إلا الطاهر. فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة و فيها طه فقرأها. فلما قرأ منها صدرا قال: ما أحسن هذا الكلام و أكرمه. فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له: يا عمر، و الله إنني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس و هو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر ابن الخطاب، فالله الله يا عمر. فقال له عند ذلك عمر: فدلتني يا خباب على محمد حتى آتته فأسلم.

فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا- بيت الأرقم- معه فيه نفر من أصحابه.

فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا بالسيف، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو فزع فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف. فقال حمزة بن عبد المطلب:

فأذن له، فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له، و إن كان يريد شرا قتلناه بسيفه.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ائذن له. فأذن له الرجل، و نهض إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى لقيه بالحجرة فأخذ بحجزته- حجرة الإزار معقده- أو بمجمع رداءه، ثم جبذه جبذة شديدة- جبذه- و قال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فو الله ما أرى أن تنتهي حتى لينزل الله بك قارعة. فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأؤمن بالله و رسوله، و بما جاء من عند الله. فكبر رسول الله صلى

الله عليه و سلم تكبيره عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم أن عمر قد أسلم، فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم من مكانهم و قد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، و عرفوا أنهما التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٨٩

سيمعان رسول الله صلى الله عليه و سلم و يتصفون بهما من عدوهم. فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم. انتهى من مرآة الحرمين.

هذا ما كتبه عن دار الأرقم "دار الخيزران"، و هو تفصيل تام ربما لم يكتب عنها أحد كما كتبنا، فالحمد لله على التوفيق.

### ترجمة الخيزران أم الرشيد

جاء عنها في كتاب "محاضرات الخضرى" ما يأتى:

هى أم موسى الهادى و أم هارون الرشيد اسمها الخيزران، أعتقها أمير المؤمنين محمد المهدي فى سنة (١٥٩)، و تزوجها بعد أن ولدت له الهادى و الرشيد. اه.

و فى تاريخ ابن كثير ما ملخصه: اشترى المهدي الخيزران و حظيت عنده جدا ثم أعتقها و تزوجها و ولدت له خليفين موسى الهادى و الرشيد، و لما عرضت الخيزران على المهدي ليشتريها أعجبه إلا دقه فى ساقها، فقال لها: يا جارية إنك لعلى غاية المنى و الجمال لولا- دقه ساقيك و خموشهما، فقالت: يا أمير المؤمنين إنك أحوج ما تكون إليهما لا تراهما، فاستحسن جوابها و اشتراها و حظيت عنده، و كان مغل ضياعها فى كل سنة سنة ألف ألف و ستين ألفا.

و ذكروا أنه أهدى إليها محمد بن سليمان نائب البصرة الذى مات فى اليوم الذى ماتت فيه، مائة و صيفة، مع كل و صيفة جام من فضة مملوء مسكا، فكتبت إليه تقول: إن كان ما بعثته ثمنا عن ظننا فيك فظننا فيك أكثر مما بعثت و قد بخستنا فى الثمن، و إن كنت تريد زيادة المودة فقد اتهمتني فى المودة، و ردت ذلك عليه. انتهى من ابن كثير و محمد بن سليمان المذكور جمع له المنصور بين البصرة و الكوفة و زوجه المهدي ابنته العباسة.

و فى محاضرات الخضرى: كان الهادى شديد الغيرة على حرمه و يشبه فى ذلك سليمان بن عبد الملك من بنى أمية، و قد نهى أمه الخيزران أن يدخل عليها أحد من القواد أو رؤساء حكومته، بعد أن كان لها من نفوذ الأمر فى عهد المهدي ما لم يكن لامرأة غيرها. (قالوا): كانت الخيزران فى أول خلافة موسى الهادى تفتت عليه فى أموره، و تسلك به مسلك أبيه من قبله فى الاستبداد بالأمر و النهي. فأرسل إليها ألا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٩٠

تخرجى من خفر الكفاية إلى بذاءة التبذل، فإنه ليس من قدر النساء الاعتراض فى أمر الملك. و عليك بصلاتك و تسبيحك و تبتلك. و كانت الخيزران فى خلافة موسى كثيرا ما تكلمه فى الحوائج فكان يجيبها إلى كل ما تسأله، حتى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته، و انشال الناس عليها، و طمعوا فيها، فكانت المواكب تغدو إلى بابها. فكلته يوما فى أمر لم يجد إجابتها إليه سيلا، فاعتل بعلته. فقالت: لا بد من إجابتي. قال: لا أفعل. قالت: فإني قد تضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك. فغضب موسى و قال: و يلي على ابن الفاعلة، قد علمت أنه صاحبها. و الله لا قضيتها لك. قالت: إذا و الله لا أسألك حاجة أبدا. قال: إذا و الله لا أبالي. و حمى غضبه، فقامت مغضبه. فقال: مكانك تستوعبى كلامى. و الله، و قرابتي من رسول الله صلى الله عليه و سلم لئن بلغنى أنه وقف ببابك أحد من قوادى، أو من خاصتى، أو خدمى لأضربن عنقه و لأقبضن ماله، فمن شاء فليزلم ذلك. ما هذه المواكب التى تغدو و تروح إلى بابك فى كل يوم؟ أما لك مغزل يشغلك، أو مصحف يذكرك، أو بيت يصونك؟ إياك ثم إياك، ما فتحت بابك لملئى أو ذمى. فانصرفت ما تعقل ما تطأ. فلم تنطق عنده بحلوة و لا مرة بعدها. انتهى من محاضرات الخضرى.

و بعد موت موسى الهادي ولي الخلافة أخوه هارون الرشيد، و في أثناء دولته قدمت الخيزران (أم الرشيد و الهادي) إلى مكة قبل الحج سنة (١٧١) إحدى و سبعين و مائة فأقامت بها إلى أن حجت و عملت كثيرا من الخيرات و هي التي اشترت في هذه السنة "دار الأرقم"، و هي الدار التي كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعو في أول الأمر إلى الإسلام سرا، كما اشترت الدور الملاصقة لدار الأرقم و أصلحتها و بنتها فسميت هذه الدار "بدار الخيزران" نسبة إليها، رحمها الله تعالى و غفر لنا و لها.

و في تاريخ ابن كثير: لما تولى هارون الرشيد الخلافة و ولي يحيى بن خالد بن برمك الوزارة أمره أن لا يقطع أمرا إلا بمشورة والدته الخيزران، فكانت هي المشاورة في الأمور كلها، فتبرم و تحل و تمضى و تحكم. ٥١.

قال ابن كثير: و اتفق موتها ببغداد ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادى الآخرة من هذه السنة "أى سنة ثلاث و سبعين و مائة"، و خرج ابنها الرشيد في جنازتها و هو حامل سريرها يخب في الطين، فلما انتهى إلى المقبرة أتى بماء فغسل رجله

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٩١

و لبس خفا و صلى عليها و نزل لحدها، فلما خرج من القبر أتى بسرير فجلس عليه و استدعى الفضل بن الربيع فولاه الخاتم و النفقات، و أنشد الرشيد قول ابن نويرة حين دفن أمه الخيزران:

و كنا كندمانى جذيمة برهه من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأنى و مالكالطول اجتماع لم نبت ليلة معا

انتهى من تاريخ ابن كثير.

و رأينا في ابن كثير أن الخيزران حجت مرتين مرة سنة (١٧١) و مرة ثانية حجت في حياة المهدي، و هل حجت غيرهما، الله تعالى أعلم بذلك.

و قد تقدم أن الخيزران لما قدمت مكة سنة إحدى و سبعين و مائة اشترت دار الأرقم بالصفاء، ذكر الفاسى في كتابه شفاء الغرام: قال جابر بن عبد الله: كان أول من خلق المسجد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه "أى المسجد النبوى" ثم لما حجت الخيزران أم موسى و هارون في سنة إحدى و سبعين و مائة أمرت بالمسجد أن يخلق فتولت تخليقه جاريتها مؤنسة، فخلقتها جميعه حتى الحجرة الشريفة جميعها، انتهى.

و قد اشترت الخيزران أيضا البيت الذى ولد فيه النبى صلى الله عليه و سلم، لما قدمت مكة للحج، فجعلته مسجدا يصلى فيه، فقد ذكر ذلك الإمام الأزرقى في تاريخه بصحيفة ١٦٠ من الجزء الثانى عند ذكر المواضع التى يستحب فيها الصلاة بمكة، و قد قدمنا بيان ذلك عند "موضع ولادة النبى" صلى الله عليه و سلم.

### حرم مكة و أنصابه

قال الله تعالى فى سورة القصص: وَقَالُوا إِن نَّبِيعِ الْهُدَى مَعَكَ تُنْخَطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِيبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. و قال عز شأنه فى سورة العنكبوت: أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ.

قال العلامة ابن ظهيرة: حرم مكة هو ما أحاط بها من جوانبها و قد جعل الله حكمه حكم مكة تشريفا لها. ٥١.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٩٢

قال الأزرقى فى تاريخه: حدثنى جدى قال: حدثنا عبد الرحمن بن حسن ابن القاسم عن أبيه قال: سمعت بعض أهل العلم يقول: إنه لما خاف آدم عليه السلام على نفسه من الشيطان استعاذ بالله سبحانه، فأرسل الله عز و جل ملائكة حفوا بمكة من كل جانب و وقفوا حوالها، قال: فحرم الله تعالى الحرم من حيث كانت الملائكة عليهم السلام وقفت.

وقال أيضا: حدثني جدى قال: حدثنا سعيد بن سالم القداح عن عثمان ابن ساج عن وهب بن منبه: أن آدم عليه السلام اشتد بكاؤه و حزنه لما كان من عظم المصيبة حتى أن الملائكة لتحزن لحزنه و تبكى لبكائه، فعزاه الله بخيمة من خيام الجنة وضعها له بمكة فى موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة، و تلك الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة، و فيها ثلاثة قناديل من ذهب من تبر الجنة، فيها نور يلتهب من نور الجنة، و الركن يومئذ نجم من نجومه، فكان ضوء ذلك النور ينتهى إلى موضع الحرم.

فلما صار آدم إلى مكة حرسه الله و حرس تلك الخيمة بالملائكة، فكانوا يقفون على مواضع أنصاب الحرم يحرسونه و يذودون عنه سكان الأرض، و سكانها يومئذ الجن و الشياطين، فلا ينبغى لهم أن ينظروا إلى شىء من الجنة لأنه من نظر إلى شىء منها وجبت له، و الأرض يومئذ طاهرة نقيه طيبة، لم تنجس، و لم تسفك فيها الدماء و لم يعمل فيها بالخطايا. فلذلك جعلها الله سبحانه يومئذ مستقرا لملائكته و جعلهم فيها كما كانوا فى السماء، يسبحون الليل و النهار لا يفترن، فلم تزل تلك الخيمة مكانها حتى قبض الله تعالى آدم ثم رفعها إليه.

انتهى منه.

و فى تاريخ الأزرقى أيضا: حدثنا أبو وليد قال: حدثني جدى عبد الرحمن بن حسن بن القاسم عن أبيه قال: سمعت بعض أهل العلم يقولون: قال إبراهيم عليه السلام لإسماعيل: أبغنى حجرا أجعله للناس آية. قال: فذهب إسماعيل ثم رجع و لم يأت بشىء و وجد الركن عنده، فلما رآه قال له: من أين لك هذا؟ قال إبراهيم: جاء به من لم يكنى إلى حجرى، جاء به جبريل عليه السلام. قال: فوضعه إبراهيم عليه السلام فى موضعه هذا، فأنا شرقا و غربا و يمنا و شاما، فحرم الله تعالى الحرم من حيث أنهى نور الركن و إشراقه من كل جانب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٩٣

قال: و لما قال إبراهيم: ربنا أرنا مناسكنا، نزل إليه جبريل، فذهب به فآره المناسك، و وقفه على حدود الحرم. فكام إبراهيم يرضم الحجارة، و ينصب الأعلام، و يجيب عليها التراب، و كان جبريل يقفه على الحدود، قال: و سمعت أن غنم إسماعيل عليه السلام، كانت ترعى فى الحرم و لا تجاوزه. و لا تخرج منه فإذا بلغت منتهاه من كل ناحية من نواحيه رجعت صاية فى الحرم.

حدثنا أبو الوليد: حدثني جدى، حدثني سعيد بن سالم عن ابن جريج قال:

كنت أسمع من أبى يزعم أن إبراهيم أول من نصب أنصاب الحرم.

حدثنا أبو الوليد: حدثنا سعيد بن سالم عن ابن جريج، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن محمد بن الأسود أنه أخبره أن إبراهيم أول من نصب أنصاب الحرم، و أن جبريل عليه السلام، دله على مواضعها، قال ابن جريج: و أخبرنى أيضا عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم أمر يوم الفتح تميم بن أسد جد عبد الرحمن بن عبد المطلب بن تميم فجددها. انتهى منه.

و فيه أيضا: حدثنا أبو الوليد و حدثني محمد بن يحيى عن هشام بن سليمان المخزومى، عن عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن موسى بن عقبه أنه قال: عدت قريش على أنصاب الحرم فزعتها، فاشتد ذلك على النبى صلى الله عليه و سلم، فجاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا محمد اشتد عليك أن نزع قريش أنصاب الحرم، قال: نعم. قال: أما إنهم سيعيدونها. قال: فرأى رجل من هذه القبيلة من قريش و من هذه القبيلة حتى رأى ذلك عدة من قبائل قريش قائلا يقول: حرم كان أعزكم الله به و منعكم فزعتهم أنصابه، الآن تخطفكم العرب، فأصبحوا يتحدثون بذلك فى مجالسهم فأعادوها فجاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا محمد قد أعادوها، قال: أفأصابوا يا جبريل؟ قال: ما وضعوا منها نصبا إلا بيد ملك.

حدثنا أبو الوليد، حدثنا محمد بن يحيى عن الواقدى، عن إسحاق بن حازم، عن جعفر بن ربيعة، عن الزهرى، عن عبيد الله بن عتبة: أن إبراهيم عليه السلام نصب أنصاب الحرم يريه جبريل عليه السلام، ثم لم تحرك حتى كان قصى فجددها، ثم لم تحرك حتى كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث عام الفتح تميم بن أسد الخزاعي فجدها، ثم لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب رضى الله عليه، فبعث أربعة من قريش كانوا يتبدون في بواديها فجددوا أنصاب الحرم، منهم مخزوم بن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٩٤

نوفل، و أبو هود سعيد بن يربوع المخزومي، و حويطب بن عبد العزى، و أزهر بن عبد عوف الزهرى. انتهى منه.

وفيه أيضا: حدثنا أبو الوليد، حدثني محمد بن يحيى عن الواقدي، حدثني خالد بن إلياس، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن أبيه قال: لما ولي عثمان بن عفان، بعث على الحج عبد الرحمن بن عوف و أمره أن يجدد أنصاب الحرم فبعث عبد الرحمن نفرا من قريش منهم حويطب بن عبد العزى، و عبد الرحمن بن أزهر، و كان سعيد بن يربوع قد ذهب بصره فى آخر خلافة عمر، و ذهب بصر مخزوم بن نوفل فى خلافة عثمان، فكانوا يجددون أنصاب الحرم فى كل سنة، فلما ولي معاوية كتب إلى والى مكة فأمره بتجديدها.

قال: فلما بعث عمر بن الخطاب نفر الذين بعثوا فى تجديد أنصاب الحرم أمرهم أن ينظروا إلى كل واد يصب فى الحرم، فنصبوا عليه و أعلموه و جعلوه حرما و إلى كل واد يصب فى الحل فجعلوه حلا. التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم؛ ج ١-٢؛ ص ٩٤

ثنا أبو الوليد: حدثني جدى، عن محمد بن إدريس، عن محمد بن عمر، عن ابن أبي سبرة، عن المسور ابن رفاعه قال: لما حج عبد الملك بن مروان أرسل إلى أكبر شيخ يعلمه من خزاعة، و شيخ من قريش، و شيخ من بنى بكر، و أمرهم بتجديد أنصاب الحرم، قال أبو الوليد: و كل واد فى الحرم فهو يسيل فى الحل، و لا يسيل من الحل فى الحرم إلا من موضع واحد عند التنعيم، عند بيوت غفار. انتهى كل ذلك مما تقدم من تاريخ الإمام الأزرقى.

و جاء فى هامش التاريخ المذكور هنا بصحيفة ١٠٤ من الجزء الثانى، بعد انتهاء كلام الأزرقى هذا ما نصه:

وقد جدها "أى الأعلام" عبد الملك بن مروان، و فى عام ١٥٩ لما رجع المهدي من الحج أمر بتجديدها، و كذلك جدها المقتدر بالله العباسى، و فى سنة ٣٢٥ أمر الراضى بالله العباسى بعمارة العلمين من جهة التنعيم، و فى سنة ٦١٦ أمر المظفر صاحب إربل بعمارة العلمين من جهة عرفه، ثم الملك المظفر صاحب اليمن عام ٦٨٣، و جدهما السلطان أحمد الأول ابن محمد العثمانى عام ١٠٢٣.

انتهى.

و جاء أيضا فى هامش التاريخ المذكور بالصحيفة المذكورة (١٠٤)، ما مفاده أن الأزرقى أغفل ذكر ما يسكب من أوديه الحل فى الحرم، كما أغفل بحث

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٩٥

الميقات و أماكنها- لكن كاتب الهامش بينها فى ملحق الكتاب بصحيفة ٢٥٠ من الجزء الثانى- و الحق أن كلامه مفصل تفصيلا واضحا عن مواضع نصب الأعلام على حدود الحرم و عن مواقيت الحج يستحسن الرجوع إليه.

و كاتب الهامش على كتاب الإمام الأزرقى هو المحقق الباحث صاحب المعالى الشيخ رشدى ملحق رئيس الشعبة السياسية بديوان جلاله مليكنا المعظم أكثر الله من أمثاله و أدام توفيقه.

## وضع أنصاب الحرم

تقدم أن حدود الحرم الذى يطيف بمكة من جميع جوانبها كانت من قديم الزمان، أى من عهد إبراهيم الخليل أو من عهد آدم عليهما الصلاة والسلام، و ما زالت معروفة إلى اليوم و مرعية الحرمة إلى يوم القيامة.

و فى كتاب الإصابة عند ترجمه (كرز بن علقمة) أسلم يوم الفتح و عمر طويلا و كان ممن جدد أنصاب الحرم فى زمن معاوية، قال البغوى: حدثني عمى عن أبى عبيد قال: كرز بن علقمة خزاعى من بنى عبدنهم هو الذى قفى أثر النبى صلى الله عليه وسلم، و أبى



بكر حين دخلا الغار، و هو الذى أعاد معالم الحرم فى زمن معاوية رضى الله تعالى عنه، فهى إلى اليوم- و ذكر الكلبي هذه القصة فقال: عمى على الناس بعض أعلام الحرم، و كتب مروان إلى معاوية بذلك، فكتب إليه إن كان كرز حيا فسله أن يقيمك على معالم الحرم ففعل، قال: و هو الذى وضع للناس معالم الحرم فى زمن معاوية و هى هذه المنار التى بمكة إلى اليوم. ١٥ منه. و كرز هذا: هو الذى استأجره المشركون لما خرج النبى صلى الله عليه و سلم مهاجرا إلى المدينة مع أبى بكر رضى الله تعالى عنه، فانتهى إلى غار ثور ثم قال: إلى ههنا انتهى أثره كما ذكرنا ذلك فى محله.

و فى كتاب الإصابة أيضا فى ترجمته (مخرمه بن نوفل) ما خلاصته: قال الزبير بن بكار: كان من مسلمة الفتح و كانت له سن عالية و علم بالأنساب، فكان يؤخذ عنه النسب، و زاد ابن سعد: و كان عالما بأنصاب الحرم، فبعثه عمر هو و سعيد بن يربوع، و أزهري بن عبد عوف، و حويطب بن عبد العزى فجددوها، و ذكر أن عثمان بعثهم أيضا. و أخرج الزبير بن بكار من حديث ابن عباس: أن جبريل عليه السلام أرى إبراهيم عليه السلام أنصاب الحرم فنصبها، ثم جددها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٩٦

إسماعيل، ثم جددها قصى بن كلاب، ثم جددها النبى صلى الله عليه و سلم، ثم بعث عمر الأربعة المذكورين فجددوها. ١٥ منه. قال القلقشندى رحمه الله تعالى فى كتابه صبح الأعشى عند الكلام على الحرم و مشاعر الحج الخارجة عن مكة ما نصه: أما الحرم فهو ما يطيف بمكة مما يحرم صيده و قطع شجره و حشيشه و نحو ذلك، و قد تقدم أن الله تعالى جعل ملائكة يحرسون القبة التى أنزلها الله تعالى إلى آدم من الجنة، و وضعت له مكان الكعبة، و جعلت الملائكة حرسا لها كى لا تقع عليها بصر الشياطين، فكانت مواقف الملائكة هى حدود الحرم. قال ابن حوقل:

و ليس بمكة و الحرم شجر يثمر إلا شجر البادية، أما خارج الحرم ففيه عيون و ثمار.

و اعلم أن مقادير جهات الحرم تتفاوت فى القرب و البعد عن مكة، و على حدوده أعلام منصوبة فى كل جهة تدل عليه. قال فى "الروض المعطار": "قال الزبير: و أول من وضع علامات الحرم و نصب العمدة عليه عدنان بن أد، خوفا من أن تندرس معالم الحرم أو تتغير. قال: وحده من التنعيم على طريق سرف إلى مر الظهران خمسة أميال، و ذكر فى موضع آخر أنها ستة أميال، وحده من طريق جدة عشرة أميال، و من طريق اليمن ستة أميال، و دوره سبعمائة و ثلاثة و ثلاثون ميلا.

انظر: صورة رقم ٢٥، المروة

ثم بحدود هذا الحرم أماكن مشهورة، يخرج إليها من مكة من أراد أن يهل بعمرة فيحرم منها أحدها التنعيم، و الثانى الحديبية و الثالث الجعرانة. و قد ذكر القلقشندى تعريف كل منها و موضعه.

ثم قال: و أما مشاعر الحج الخارجة عن مكة فثلاثة- أحدها منى، و الثانى المزدلفة، و الثالث عرفة. و قد ذكر أيضا تعريف كل منها و موضعه، لم نر ضرورة لذلك لأنها مواضع معروفة لجميع العالم الإسلامى، فلا لزوم لتطويل الكلام. انتهى من صبح الأعشى.

انظر: صورة رقم ٢٦، العلمين عند الشميسى بالحديبية بطريق جدة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٩٧

### أسماء من وضع أنصاب الحرم و أعلامها

لقد بينا فيما تقدم جهات الحرم و حدوده، و هنا نذكر أسماء الذين وضعوا علامات مبنية فى حدود الحرم من جميع الجهات فنقول و بالله التوفيق:

قال الغازى رحمه الله تعالى فى تاريخه ما نصه: و عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن إبراهيم عليه الصلاة و السلام نصب أنصاب الحرم يريه جبريل، ثم لم تحرك حتى كان قصى فجددها، ثم لم تحرك حتى كان رسول الله صلى الله عليه و سلم، فبعث عام الفتح

تميم بن أسد الخزاعي فجددها، ثم لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب فبعث أربعة من قريش كانوا يتدوون في بواديها فجددوا أنصاب الحرم، منهم مخزوم بن نوفل، و أبو هود سعيد بن يربوع المخزومي، و حويطب بن عبد العزى، و أزهري ابن عبد عوف الزهري. انتهى.

ثم قال الغازي أيضا: قال الفاسي: ثم نصبها عثمان بن عفان، ثم معاوية، ثم عبد الملك ابن مروان، ثم المهدي العباسي، ثم أمر الرازي العباسي بعمارة العلمين الكبيرين اللذين بالتنعيم في سنة خمس و عشرين و ثلاثمائة، و اسمه عليهما مكتوب. ثم أمر المظفر صاحب إربل بعمارة العلمين اللذين هما حد الحرم من جهة عرفة في سنة ست و عشرين و ستمائة<sup>١</sup>، و في إتخاف الوري لابن فهد سنة ست عشر و ستمائة<sup>٢</sup> ثم أمر الملك المظفر، صاحب اليمن، في سنة ثلاث و ثمانين و ستمائة، انتهى ... (لم يذكر الفاسي ماذا أمر الملك المظفر، و نظن أن الكاتب نسي في الكتابة شيئا).

قال ابن فهد: و في سنة خمس و ستمائة في شعبان، أنشئت الأعلام الثلاثة التي هي بين منتهى أرض عرفة و وادي عرنة، أمر بإنشائها المظفر كوكيري بن علي بكتكين صاحب إربل. انتهى. نقلنا كل ذلك من تاريخ الغازي.

و قال إبراهيم رفعت باشا في كتابه "مرآة الحرمين" ما نصه: و أول من نصب علامات على حدود الحرم إبراهيم عليه الصلاة و السلام، بإرشاد جبريل تعظيما للبيت و تشريفا، ثم قصى بن كلاب، و قيل قبله إسماعيل عليه السلام، و يروي هذا عن ابن عباس، و قيل إن عدنان بن أد أول من وضع أنصاب الحرم، و نصبها قريش بعد ذلك، و النبي صلى الله عليه و سلم، بمكة قبل هجرته، و نصبها النبي صلى الله عليه و سلم، عام الفتح، ثم عمر بن الخطاب في سنة ١٧ هـ. ثم عثمان بن عفان في سنة ٢٦ هـ. ثم معاوية التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٩٨

رضى الله عنهم، ثم عبد الملك بن مروان، ثم المهدي العباسي، ثم أمر الرازي بعمارة العلمين الكبيرين اللذين بالتنعيم في سنة ٣٢٥ هـ. قال الفاسي: و اسمه عليهما مكتوب، ثم أمر المظفر صاحب إربل، بعمارة العلمين الكبيرين اللذين هما حد الحرم من جهة عرفة سنة ٦١٦ هـ، ثم الملك المظفر صاحب اليمن سنة ٦٨٣ هـ. و هنا قال إبراهيم رفعت في هامش كتابه المذكور، لم يعثر على تاريخ الإعلام بعد ذلك مع شدة حرصنا على الوقوف عليه مع أنه لا بد من أن تكون عمرت بعد ذلك مرارا فإن بناءها القائم ليس بناء سبعة قرون أو تزيد. انتهى من كتاب مرآة الحرمين المذكور.

(و اعلم) أن أنصاب الحرم، أي العلامات الموضوعه في حدودها، ما زالت موجودة إلى اليوم، تجد في كل عصر عند حدوث تلف فيها، و هي علامات مبنية بالحجر و مجصصة بالنورة، و مواضع هذه العلامات "أي الأنصاب" كما يأتي:

(١) توجد عند التنعيم بقرب مسجده، و في الحل من هذه الجهة، أي بعد العلامات بمسافة قريبة، توجد محطة شركة الكهرباء السعودية التي تمتد مكة بالكهرباء، و بين العلامات و هذه المحطة، مخفر للشرطة للمحافظة على عدم تسرب الأجانب غير المسلمين إلى داخل حدود الحرم.

(٢) توجد عند عرفات قبل مسجد نمره بقليل للذهاب إلى عرفات.

(٣) توجد قبل مزرعة الشرائع التي بطريق السيارات للطائف و نجد.

(٤) توجد قبل محطة البيضاء التي بطريق اليمن.

(٥) يوجد علمان عند الشمسي المسمى قديما بالحديبية بطريق جدة، و هما يقابلان كيلو ١٩ قبيل مسجد الشمسي للنازل من مكة إلى جدة. و الشمسي يقع في كيلو ٢٢ فيكون الشمسي في الحل، و هذان العلمان قديمان يقعان في الطريق القديم لقافلة الجمال، ثم إنه في جمادى الأولى سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف، بنى علمان آخران في مقابلة العلمين القديمين، و بنيا في طريق السيارات "الأوتومبيلات" المعبد بالإسفلت، عند الكيلو (١٩) تسعة عشر تماما للمسافر إلى جدة، و كان ذلك بأمر حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم سعود بن عبد العزيز آل سعود، وفقه الله تعالى لكل خير.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٩٩

### جدول بأسماء من جدد أنصاب الحرم

علمت فيما تقدم أول من وضع أنصاب الحرم، وأسماء من جددها- ونحن هنا نذكر ملخصين ما تقدم في جدول خاص لسرعة الاطلاع وزيادة البيان، ولم نر في التاريخ من جددها بعد الملك المظفر صاحب اليمن، فالله تعالى أعلم بمن جددها بعده- وقد يكون التجديد لجميعها، وقد يكون لبعضها في بعض الجهات لخراب حصل فيها وهذا هو الجدول:

الرقم/ اسم من جدد الأنصاب/ سنة التجديد/ الملاحظات ١/ سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام // ذكرنا إبراهيم ولم نذكر آدم عليهما الصلاة والسلام على اعتبار أنه أول من بنى الكعبة منذ أربعة آلاف سنة تقريبا.

٢/ قصي بن كلاب // وقصي بن كلاب هو الجد الرابع للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو أيضا بنى الكعبة قبل قريش.

٣/ قريش/ قبل الهجرة/ وقريش جددت الأنصاب والنبي صلى الله عليه وسلم موجود بمكة قبل هجرته.

٤/ رسول الله صلى الله عليه وسلم/ عام الفتح/

٥/ عمر بن الخطاب رضي الله عنه/ ١٧/

٦/ عثمان بن عفان رضي الله عنه/ ٢٤/

٧/ معاوية رضي الله عنه // ولم نبحت في التاريخ عن سنة تجديد معاوية.

٨/ عبد الملك بن مروان // وعبد الملك، والمقتدر بالله العباسي، ونظن أن المقتدر بالله حينما أدخل في المسجد الحرام رحبة باب إبراهيم سنة ٣٠٦

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٠٠

/// جدد الأنصاب أيضا.

٩/ المهدي العباسي / ١٥٩/

١٠/ الراضي بالله العباسي / ٣٢٥/

١١/ المقتدر بالله العباسي //

١٢/ المظفر صاحب إربل / ٦١٦/ الملك المظفر صاحب إربل قيل جددتها سنة ٦١٦ وقيل سنة ٦٢٦.

١٣/ المظفر صاحب اليمن / ٦٨٣/

١٤/ السلطان أحمد الأول بن محمد العثماني / ١٠٢٣/ والله أعلم بمن جددتها أيضا.

١٥/ الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية / ١٣٧٦/ فقد أمر ببناء علمين عند الكيلو (١٩) للمسافر إلى جدة قبيل الشمسي (الحديبية) في مقابلة العلمين القديمين وذلك في جمادى الأولى سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف، و جدد أيضا أنصاب الحرم من جهة الشرائع في السنة المذكورة، كما جدد أيضا أنصاب الحرم من جهة عرفة سنة ١٣٨٣ هـ.

نقول: وقد جددت الحكومة السعودية بعض أعلام الحرم كأعلام الشمسي، التي تبعد عن نفس مكة نحو تسعة عشر كيلو مترا، وأعلام الشرائع. وقد وقف مؤلف هذا التاريخ محمد طاهر الكردي المكي الخطاط، غفر الله له ولوالديه وللمسلمين آمين، على تجديد هذه الأعلام بنفسه و كتب على كل علم تاريخ تجديده وهو سنة ١٣٧٦ هـ. سنة ألف وثلاثمائة وستة وسبعين هجريته، وقد جددت أيضا أعلام الحرم التي عند عرفات بعد السنة المذكورة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٠١

## أعلام حدود الحرم

والعلمان الجديدان الموجودان بالشمسي "الحديبية" اللذان في خط السيارات المسفلت، هما علمان يقابلان العلمين القديمين الجديدين عن يمين الذهاب من مكة إلى جدة.

والعلمان الجديدان، أمر بينائهما جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود في سنة ١٣٧٦ ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف. وقد وقف مؤلف هذا الكتاب على بنائتهما و كتابتهما و نقشهما. فأحيانا يذهب الناس إلى جدة من طريق العلمين الجديدين، و أحيانا من طريق العلمين القديمين و المسافة بينهما عرضا مائة متر تقريبا.

و أما العلمان الموجودان في طريق الطائف جهة الشرائع، فهما قديمان لكن أمر جلالة الملك سعود بن عبد العزيز المذكور بترميمهما و إصلاحهما، و ذلك في سنة (١٣٧٧) سبع و سبعين و ثلاثمائة و ألف و قد وقف أيضا مؤلف هذا الكتاب على كتابتهما و نقشهما. و تسمى الأعلام بالأميال، و كثيرا ما فكرنا في سبب هذه التسمية، فلم نهتد لها. إلى علة معقولة، حتى عثرنا مصادفة على علة تسميتها بالأعلام في كتاب "قاموس الأمكنة و البقاع"، فقد جاء في مقدمته ما نصه:

قال ابن السكيت: و قيل للأعلام المبنية في طريق مكة أميال لأنها بنيت على تقدير مدى البصر من الميل إلى الميل، و لا نغنى بمدى البصر كل مرثى، فإننا نرى الجبل من مسيرة أيام، إنما نغنى أن ينظر الصحيح البصر ما مقداره ميل، و هي بنية ارتفاعها عشرة أذرع أو قريبا من ذلك، و غلظها مناسب لطولها. قال ياقوت: و هذا عندي أحسن ما قيل فيه. انتهى.

## المسافات بين المسجد الحرام و أنصاب الحرم

قلنا فيما سبق، أن الحرم هو ما يحيط بمكة "بلد الله الأمين" شرفها الله تعالى، و سمي حرما لحرمة صيده و حرمة قطع شجره و حشيشه و نحو ذلك، فهذا المحيط بمكة المسمى "بالحرم" لا بد و أن يكون معروف المعالم و الحدود، و أن يوضع في التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٠٢

الحد الفاصل بين الحل و الحرم علامات تسمى "أنصاب الحرم" أو أعلام الحرم، ليتجنب الناس فيه ما نهاهم الله و رسوله عنه. و لقد بين الأنمة و العلماء الأجلاء المسافات بين مكة و الحرم من جميع جهاتها بالأميال و الأذرع و الأمتار- و لنذكر هنا قياس المسافات من ثلاثة مراجع:

(أولا) من تاريخ الإمام الأزرقى الذى توفى قبيل منتصف القرن الثالث للهجرة.

(ثانيا) من كتاب "مرآة الحرمين" الذى توفى مؤلفه بمصر فى زماننا هذا.

(ثالثا) من كتاب "تاريخ عمارة المسجد الحرام" الذى توفى صاحبه فى زماننا أيضا.

ففى كل واحد من هذه المراجع الثلاثة فوائد متعددة، و إليك ما قاله كل واحد ممن ذكر فى كتابه:

(١) قال الإمام الأزرقى فى تاريخه عند حدود الحرم ما نصه: قال أبو الوليد "يعنى نفسه" من طريق المدينة دون التنعيم عند بيوت غفار على ثلاثة أميال، و من طريق اليمن طرف أضواء لبى فى ثنية لبى على سبعة أميال، و من طريق جدة منقطع الأعشاش على عشرة أميال، و من طريق الطائف على طريق عرفة من بطن نمره على أحد عشر ميلا، و من طريق العراق على ثنية خل "بخاء معجمة مفتوحة" بالمقطع على سبعة أميال، و من طريق الجعرانة فى شعب آل عبد الله بن خالد بن أسيد على تسعة أميال. انتهى من كلام الأزرقى و قياسه بالأميال.

(٢) و لنذكر كلام إبراهيم رفعت باشا المصرى صاحب كتاب "مرآة الحرمين" المتوفى فى زماننا هذا، لأنه ذكر القياس أولا بذراع

اليد، ثم حول الأذرع إلى أمتار، وبيّن في هامش كتابه المذكور مقدار الذراع فقال: ذراع الحديد ٧/ ٥٦١ سنتيا كما حررته من قياس جدر الكعبة بالمترو مقارنتها بقياس الفاسى، و ذراع اليد ٤٩ سنتيا بالتقريب استنتجته من قياسى لبعض الأماكن بالذراعين - ذراع الحديد و ذراع اليد. ١٥.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٠٣

و نحن قد أتينا بهذا البيان فى مقدمة الكلام، حتى يكون للقارئ تمام المعرفة عندما يطالع على كلامه الآتى - و إليك ما قاله صاحب الكتاب المذكور رحمه الله تعالى و هو:

قال الله تعالى: أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ.

اعلم - أنه يحيط بالكعبة ثلاث دوائر: (الأولى) دائرة المسجد الحرام، (و الثانية) دائرة الحرم، (و الثالثة) دائرة المواقيت - فلا يعدو امرؤ الدائرة الثالثة قاصدا دخول مكة، إلا إذا أحرم و أهل بالتلبية و هى ذو الحليفة على عشر مراحل من مكة و الجحفة على ثلاث و قبلها بقليل رابع و ذات عرق على مرحلتين، و كذلك قرن المنازل، و يلملم و الدائرة الثانية دائرة الحرم و قد نصبت عليها أعلام فى جهاتها الأربع، و قد ذكر المسافات بينها و بين المسجد الحرام التقى الفاسى فى كتابه شفاء الغرام و نحن نذكرها نقلا عنه مبينين مقدارها بالأمتار (فحد الحرم من جهة الطائف) على طريق عرفه من بطن عرفه (٧/ ٣٧٢١٠٢) بذراع اليد، أى (١٨٣٣٣) متر، و ذلك من جدر باب بنى شيبه إلى العلمين الذين هما علامة لحد الحرم فى طريق العراق، و اللذين هما بجادة وادى نخلة (٢٧٢٥٢) ذراع بذراع اليد، و تعادل (٥، ١٣٣٥٣) متر. (و حده من جهة التنعيم) و هى طريق المدينة و ما يليها (١٢٤٢٠) ذراع بذراع اليد، أى (٦١٤٨) متر، و ذلك من جدر باب العمرة إلى أعلام الحرم التى فى الأرض من هذه الجهة لا التى على الجبل. (و حد الحرم من جهة اليمن) من جدر باب إبراهيم إلى علامة حد الحرم فى هذه الجهة (٧/ ٢٤٥٠٩٤) ذراع بذراع اليد، تعادل ذلك (٧٥، ١٢٠٠٩) متر، و على حد الحرم من جهة الجنوب مكان يقال له "أضاء"، و من الغرب يميل قليلا إلى الشمال قرية الحديبية، و هى التى تمت بها بيعه الرضوان، و من الشرق على طريق الطائف مكان يقال له الجعرانة أحرم منه النبى صلى الله عليه و سلم، مرجعه من الطائف بعد فتح مكة. و هذه الدائرة جعلها الله مثابة للناس و أمنا، بل أمن فيها الحيوان و النبات، فحرم التعرض لصيدها و منع أن يختلى خلاها (حشيشها) أو يعضد شو كها. انتهى من مرآة الحرمين.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٠٤

نقول: إن عدد الأذرع و الأمتار المذكورة هنا قد تكثرت و قد تقل اليوم بسبب تعدد الطرق الموصلة إلى الأعلام بعد أن كان الطريق إليها واحدا، و لم تتعدد إلا بعد دخول السيارات (الأوتومبيلات) إلى البلاد، فليتنبه القارئ لهذه النقطة الدقيقة.

(٣) و أما ما جاء فى كتاب "تاريخ عمارة المسجد الحرام" للشيخ حسين باسلامة المكي رحمه الله تعالى عنه عن ذلك فهذا نصه:

قال التقى الفاسى: و قد ورد فى المسافة التى بين المسجد الحرام و أنصاب الحرم أقوال كثيرة.

أما حد الحرم من جهة عرفه: فذكر أبو الوليد التاجى المالكى أنه ثمانية عشر ميلا، و ذكر الأزرقى و الفاكهى و ابن حرداديه الخراسانى فى المسالك و الممالك أنه أحد عشر ميلا، و ذكر ابن زيد فى النوادر أنه تسعة أميال، و ذكر الماوردى و أبو إسحاق الشيرازى و النووى أنه سبعة أميال، قال الفاسى: و فيما قالوه نظر.

و حد الحرم من جهة العراق ففیه أربعة أقوال، و هى ستة أميال، و سبعة، و ثمانية، و عشرة.

و أما حده من جهة الجعرانة ففیه قولان: أحدهما يريد، يعنى اثنتى عشر ميلا، و الثانى تسعة أميال.

و أما حده من جهة التنعيم، ففیه أربعة أقوال: ثلاثة أميال، و نحو أربعة، و أربعة، و خمسة أميال.

و أما من جهة جدة، ففیه قولان: عشرة، و نحو ثمانية عشر على ما ذكره التاجى، و أما من جهة اليمن قولان: سبعة، و ستة، ذكره

المحب الطبري في القرى.

ثم قال الفاسي: وقد اعتبرت مقدار الحرم من جهاته المعروفة بحبل مقدر على ذراع اليد.

فمن جدر باب المسجد الحرام بباب بنى شيبه، أى باب السلام، إلى العلمين اللذين هما علامة حدود الحرم من جهة عرفة (٣٧٢١٠) أذرع يد.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٠٥

و أما حده من العراق- طريق العراق- فمن باب بنى شيبه إلى العلمين اللذين بجادة وادى نخلة (٢٧٢٥٢) ذراع يد، وادى نخلة الذى ذكره الفاسي هنا، المراد به وادى الليمون المسمى فى الوقت الحاضر (المضيق) و قديما يسمى (نخلة الشامية).

ثم قال الفاسي: و الحد من التنعيم فمن باب العمرة إلى الأعلام (١٢٥٢٠) ذراع يد، و من جهة اليمن فمن باب إبراهيم إلى الأعلام (٢٤٥٠٩) أذرع يد.

قال صاحب تاريخ المسجد الحرام: هذا ما ذكره التقى الفاسي فى العقد الثمين و لم يذكر ذرع حد الحرم من جهة جدة كما ذكره باعتبار الأميال فيما تقدم، و يظهر أنه قد ذكره، و إنما سقط على الناسخ، و ذلك لأنه قد اعتنى بذرع عموم الجهات الأخرى بذراع اليد، و من تصفح ما ذكره الفاسي يظهر أنه وقع فى المسافة التى بين باب السلام و العلمين اللذين جهة عرفة زيادة كبيرة تبلغ نحو أربعة أميال عما ذكره النووى، لأن المسافة التى ذكرها تبلغ نحو أحد عشر ميلا و النووى ذكرها سبعة أميال.

و قال صاحب تاريخ المسجد الحرام أيضا: و أما سبب الخلاف الواقع بين العلماء فى المسافة بين الحدود و المسجد الحرام فهو ناتج على ما ظهر لى من أمرين:

(أحدهما) اختلافهم فى مبدأ الذرع حيث بعضهم جعل مبدأ الحد من أبواب المسجد الحرام، و بعضهم جعله من أبواب مكة مثل باب الشبيكة الذى هو حارة الباب، و باب المعلاة الذى هو قريب من الحجون.

(و الأمر الثانى) اختلافهم فى قدر الميل، حيث بعضهم قدره بستة آلاف ذراع يد، و بعضهم قدره بأربعة آلاف ذراع يد، و بعضهم بثلاثة آلاف و خمسمائة ذراع يد، و بعضهم قدره بألفى ذراع يد. و كذلك يختلف ذراع اليد بحسب اختلاف الأجسام من الطول و القصر و هو يتراوح من (٤٦) سنتمتر إلى (٥٢) سنتمتر.

كما أن الأميال اعتبارية فيما سبق، فهى اعتبارية فى العصر الحاضر حيث أن الميل البرى، هو خلاف الميل البحرى، و كذلك الميل الجغرافى يختلف عنهما.

ثم قال: و جاء فى شرح الإيضاح لابن حجر الهيثمى المكى نقلا عن التقى الفاسي أنه قال تتمه لعبارته المتقدمة: و بما ذكر فى بيان المسافة من باب السلام أو المعلاة بالذراع، و بيان الأقوال الأربعة فى الميل، و ما يتفرع على كل منهما باعتبار التحديد من باب السلام و المعلاة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٠٦

يتبين أن كل واحد من الأقوال الأربعة فى حد المسافة مبنى على واحد من الأقوال فى مسافة الميل، و لا يعارض ذلك كون القائلين بذلك يرون أن الميل ستة آلاف ذراع لأنهم هنا قلدوا المؤرخين، و كل منهم يطلق الميل على مسطحه، فإذا نظر الفقيه فى كلامه قلده من غير تحقيق لمراده إذ لا يظهر إلا بالذراع، و لم يبلغنا عن أحد من المختلفين فى هذه المسافة أنه قال إن ما ذكره كان بعد تحريره بالذراع، فتعين بعد أن علم تحريره به تأويل ما خالفه، و رد هذه الأقوال المتباينة إلى تلك الأقوال فى الميل المتباينة أيضا، على أن التحديد المذكور فى الأقوال غير مراد لما علمت أننا و إن فرعنا تلك الأقوال على الأقوال فى الميل لا يأتى إلا إذا جعلنا ذلك تقريبا، و أيضا فالزيادة و النقص قد يكونان لشدة فى المد فى الحبل المقيس به و إرخائه، أو لأصل ارتفاع الأرض و انخفاضها، أو لأجل اعتبار المسافة من محل آخر غير ما ذكر من باب السلام.

قال: فهذه الاعتبارات و التقديرات التي ذكرها التقى الفاسى، كلها وارده و من الجائز وقوعها، و لا شك أنها هي السبب الوحيد فى وقوع الخلاف بين العلماء الذين تصدوا و تحملوا المتاعب فى سبيل ذرع المسافة بين المسجد الحرام و حدود الحرم، التي أنشئت عليها الأنصاب أو الأعلام، لأجل أن يعرف حد الحرم عند كل من تجاوز ذلك الحد، سواء كان من البادية المجاورة للحرم، أو من عموم الآفاق النائيه.

و لا تزال تلك الأنصاب موجودة فى مواضعها التي قد عرفت من عهد إبراهيم الخليل صلى الله عليه و سلم و العهد النبوى إلى العصر الحاضر، و فى رأى أنه لا يمكن الجزم بصحة المسافة الواقعة بين المسجد الحرام و تلك الأنصاب، إلا إذا تشكلت لجنة من مهندسين معماريين ممن لهم علم و تخصص بفن المساحة، و من بعض من لهم علم بفن الجغرافيا، و بعض الفقهاء الذين اعتنوا بضبط حدد الحرم من الوجهة الشرعية، و عهد إليها بذرع المسافة المذكورة بالمتر، و ذراع العمل المعمارى، لأن هذين المقاسين قد عرفا، و هما لا يقبلان الشك و التردد، لأن ذراع اليد يختلف بحسب جسامه الإنسان، و هو يتراوح بين (٤٦) سنتمتر و (٥٢) سنتمتر، و هذان المقاسان لا يقبلان الزيادة و لا النقصان، و يكون مبدأ القياس من أبواب المسجد الحرام، أو من الكعبة المعظمة، و بعد ذلك تظهر الحقيقة و يعلم نوع الميل الذى قدر فيما سبق لتلك المسافة، و وجه الخلاف الذى وقع بين العلماء فى ذلك، كما قد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٠٧

عملته فى ذرع المسجد الحرام، و شارع المسعى، و أظهرت سبب الخلاف الواقع فى مساحة المسجد من جهة نوع الذراع و مبدأ الذرع، حيث أن ذرع المسافة بين المسجد و حدود الحرم، لا يتأتى ضبطها من فرد، إذ ربما يقع عليه السهو و الغلط، و يدخله الشك، و أما إذا كانوا جماعة أخصائيين، فلا ريب أنهم يضبطون ذلك بكل دقة و بدون أى تردد فى صحة ذرعهم، و ليس ذلك بالأمر الصعب على من أراد تشكيل تلك اللجنة، و الله الموفق للصواب.

قال النووى فى مناسكه (الإيضاح): فحد الحرم من طريق المدينة دون التنعيم عند بيوت بنى غفار، على ثلاثة أميال من مكة. و من طريق اليمن طرف (أضاه لبن) فى ثنية لبن، على سبعة أميال. و من طريق العراق على ثنية (جبل المقطع)، على سبعة أميال من مكة. و من طريق الجعرانة فى شعب آل عبد الله بن خالد، تسعة أميال من مكة. و من طريق الطائف على عرفات من بطن نمرة، سبعة أميال من مكة. و من طريق جدة منقطع الأعشاش، على عشرة أميال من مكة.

ثم قال النووى: فهذا حد ما جعله الله عز و جل حرماً، لما اختص به من التحريم، و بائن بحكمة سائر البلاد، هكذا ذكر حدوده أبو الوليد الأزرقى فى كتابه أخبار مكة، و أصحابنا فى كتب الفقه، و الماوردى فى الأحكام السلطانية و آخرون، إلا أن الأزرقى قال فى حده من طريق الطائف أحد عشر ميلاً، و الجمهور قالوا سبعة، و لم يذكر الماوردى حده من جهة اليمن.

ثم قال النووى: فاعتمد ما ضبطته لك من حدود الحرم فما أظنك تجده أوضح و لا أتقن من هذا، و اعلم أن الحرم عليه علامات من جوانبه كلها، و منصوب عليها أنصاب و هى الآن بينه و لله الحمد. اهـ.

قال صاحب تاريخ المسجد الحرام أيضاً: و قد جزم الإمام النووى، أن ذرع المسافة الواقعة بين المسجد الحرام و الأنصاب، هى كما أوضحها، و يدل ذلك على أنه قد اطلع على الخلاف الواقع بين العلماء فى ذلك، و اختار من تلك الأقوال ما جزم به، و الظاهر أن الميل الذى اعتمد عليه النووى، هو أربعة آلاف ذراع يد، و الأربعة الآلاف الذراع اليد على حسب ما هو مقدر على الحالة الوسطى باعتباره (٤٨) سنتيمتر، يكون الميل هو عبارة عن (١٩٢٠) متراً. و الله أعلم.

و ذكر ابن حجر الهيتمى المكى، فى شرح مناسك الإيضاح، منظومة تحتوى على عموم حدود الحرم من الجهات كلها، و ها هى:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٠٨ و للحرم التحديد من أرض طيبة ثلاثة أميال إذا رمت إتقانه

و سبعة أميال عراق و طائف و جدة عشر ثم تسع جعرانه

و من يمن سبع بتقديم سينهاو قد كملت فاشكر لربك إحسانه

و هذه الحدود المنظومة، هي عين الحدود الذي ذكرها النووي فيما تقدم، و الظاهر أن الشاعر نظم تلك الحدود بعينها بدون زيادة أو نقصان، و الله أعلم.

انتهى كل ذلك من كتاب تاريخ عمارة المسجد الحرام.

هذا و نختم هذا الفصل باقتراح مهم عن مسألة حدود الحرم و أنصابه و هو: أن حكومتنا الموقفة، قامت الآن بتوسعة المسجد الحرام، تلك التوسعة العظيمة، التي يضرب بها المثل في أنحاء المعمورة، و قد استقدمت لهذا الغرض كبار المهندسين و الجغرافيين الشهيرين من الممالك الإسلامية.

فنترح أن تشكل لجنة كبيرة من هؤلاء المهندسين و الجغرافيين، و من كبار العلماء العارفين لمعالم البلاد و حدود الحرم و أقوال الفقهاء و المؤرخين، بل و من المعمرين من البدو و العرب المقيمين حول حدوده من جميع جهاته، فيحددوا معالم الحرم و يقيسوه بالمترو الذراع المعماري، من مركز الكعبة المشرفة إلى انتهاء الحرم من كل جهة، لأن الكعبة لن يتغير موضعها إلى يوم القيامة. و أيضا يحددوا بناء أنصاب الحرم و علاماته بالإسمنت و الخرسانة المسلحة، و أن يكتبوا بالنقر على الحجر ما يعلم منه الحدود، و يضعوا هذه الكتابة على كل علامة مبنية في جميع الأطراف.

و بهذا العمل الجليل يتبين معالم الحرم بالضبط التام من جميع الجهات، و يعرف قياس كل جهة من الحرم بالمترو أو بالذراع المعماري اللذين لا يختلفان، معرفة تامة، و بهذا يرتفع الشك و الخلاف بين العلماء و المؤرخين بعد الآن في بيان القياسات من كل الجهات. و تنفيذ هذا الاقتراح بالنسبة لحكومتنا السنية، من أيسر الأمور إن شاء الله تعالى. اللهم وفقنا لما فيه رضاؤك و اهدنا إلى طرق الاستقامة و الرشاد آمين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٠٩

### فضل الحرم و خصائصه و تعظيمه

قال الله عز و جل: **وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَ اتَّخَذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَ عَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ\*** **وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَ بئسَ الْمَصِيرُ** و السبب أن إبراهيم عليه السلام قال: **وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ** و لم يقل من الحبوب، لأنها لم تكن موجودة في ذلك الزمن، كما قال النبي صلى الله عليه و سلم: "لم يكن لهم يومئذ حب و لو كان لهم لدعا لهم فيه حين دعا لهم إبراهيم عليه السلام،" رواه الشيخان. و قال عز شأنه: **أَوْ لَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِن لَدُنَّا وَ لَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.** و قال: **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ يَصِدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفِ فِيهِ وَ الْبَادِ، وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِن عَذَابِ أَلِيمٍ\*** **وَ إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَ طَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْقَائِمِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ.**

و قد أقسم سبحانه بمكة فقال: **وَ التَّيْنِ وَ الزَّيْتُونِ\*** **وَ طُورِ سِينِينَ\*** **وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ.** و قال: **إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنِ اعْبُدُوا رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَ أَمْرُهُ أَنِ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.** و قال: **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ\*** **الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ.** و قال: **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَهُ مِنَ النَّاسِ تَهْوَىٰ إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ.** و قال: **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ\*** **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ.** و قال صلى الله عليه و سلم، في خطبته يوم فتح مكة: "إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات و الأرض و إنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي و لم يحل لي إلا ساعة



من نهار فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكة ولا ينفر صيده، "إلى آخر قوله صلى الله عليه وسلم، وقال: "إن إبراهيم حرم بيت الله وأمنه وإنى حرمت المدينة ما بين لابتيها لا يقطع عضاهما ولا يصاد صيدهما." والعضاء بكسر العين المهملة وتخفيف الضاد: كل شجر فيه شوكة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١١٠

وقال ابن مسعود في قوله عز وجل: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ الْآيَةَ: لو أن رجلا هم فيه بالحد وهو بعدن أبين لأذقه الله عز وجل عذابا أليما. وعدن أبين:

هو مدينة عدن المعروفة على الساحل. وهناك في جبل صبر من أعمال صنعاء قرية لطيفة تسمى عدن لاعة، قاله صاحب معجم البلدان. وفي أخبار مكة للأزرقي:

حدثنا أبو الوليد، حدثني جدى عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم قال: كان يعجبهم إذا قدموا مكة أن لا يخرجوا منها حتى يختموا القرآن. وجاء فيه: قال ابن جريج: بلغنى أن الرجل كان يلقي قاتل أخيه أو أبيه فى الكعبة، أو فى الحرم، أو فى الشهر الحرام، فلا يعرض له، أو محرما أو مقلدا هديا قد بعث به فلا يعرض له، وهم يغير بعضهم على بعض فيقتلون ويأخذون الأموال فى غير ذلك، فجعل الله ذلك قياما لهم لولا ذلك لم يكن لهم بقیة، وجاء فيه عن عكرمة ابن خالد أنه قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لو وجدت فيه قاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه. وعن ابن الزبير قال: قال ابن عمر: لو وجدت فيه قاتل عمر ما ندهته، وعن ابن عباس قال: إذا دخل القاتل الحرم لم يجالس ولم يبيع ولم يؤو و يأتيه الذى يطلبه فيقول: يا فلان اتق الله فى دم فلان، وأخرج من الحرم، فإذا خرج أقيم عليه الحد. وعن عطاء أن غلاما من قريش قتل حمامة من حمام الحرم فقال ابن عباس فيه شاء. و به قال سفيان، عن يحيى ابن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال: فى حمام مكة شاء. وعن جريج، عن مجاهد قال: أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه، بحمامة فأطيرت فوقت على المروء فأخذتها حية فجعل فيها عمر شاء. وعن جريج قال: قلت لعطائكم فى بيضة من بيض حمام مكة؟ قال: نصف درهم، بين البيضتين درهم. وقال عطاء: فى بيضة كسرت فيها فرخ درهم (و مقدار الدرهم ربع روييه هندية أو ربع ريال عربى تقريبا).

و عن عبد الله بن نافع، عن أبيه، قال: كان ابن عمر يغشاه الحمام على رحله وطعامه و ثيابه ما يطرده، و كان ابن عباس يرخص أن يكشكش.

و عن عطاء أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أبصر رجلا يعضد على بعير له فى الحرم فقال له: يا عبد الله أن هذا حرم الله، لا ينبغى لك أن تصنع فيه هذا.

فقال الرجل: إنى لم أعلم يا أمير المؤمنين. فسكت عمر عنه. و يعضد: أى يقطع.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١١١

و عن ابن جريج قال: حدثني مزاحم، عن أشياخ له، عن عبد الله بن عامر، كان يقطع الدوحة من داره بالشعب من السمر و السلم، و يغرم عن كل دوحة بقرة، و عن خالد بن مضرس: أن رجلا من الحاج قطع شجرة من منزله بمنى، قال: فانطلقت به إلى عمر بن عبد العزيز فأخبرته خبره، فقال: صدق كانت ضيقت علينا منزلنا و مناخنا، فتغيظ عليه عمر ثم قال: ما رأيت إلا دينه، و فى رواية إسماعيل بن أمية: فتغيظ عليه عمر ثم أمره أن يفيدها. و جاء فيها أيضا: أن قوما انتهوا إلى ذى طوى و نزلوا بها، فإذا ظبى قد دنا منهم، فأخذ رجل منهم بقائمة من قوائمه، فقال له أصحابه: و يحك أرسله. قال: فجعل يضحك و يأبى أن يرسله، فبعر الظبى و بال، ثم أرسله، فاناموا من القابلة، فانتبه بعضهم، فإذا بحية منطوية على بطن الرجل الذى أخذ الظبى، فقال له أصحابه: و يحك لا تتحرك و انظر ما على بطنك، فلم تنزل الحية عنه، حتى كان منه من الحدث مثل ما كان من الظبى.

و جاء فيه أيضا: دخل قوم مكة تجارا من الشام فى الجاهلية بعد قصى بن كلاب، فنزلوا بذى طوى تحت سمرة يستظلون بها فاخترزوا

ملة لهم و لم يكن معهم آدم، فقام رجل منهم إلى قوسه، فوضع عليها سهما، ثم رمى به ظبية من ظباء الحرم و هى حولهم ترعى فقاموا إليها فسلكوها و طبخوا لحمها ليأتمدوا به، فبينما قدرهم على النار تغلى بلحمه و بعضهم يشوى، إذ خرجت من تحت القدر عنق من النار عظيمة فأحرقت القوم جميعا و لم تحرق ثيابهم و لا أمتعتهم و لا السمرات اللاتي كانوا تحتها. السمرات جمع سمره بفتح فسكون: شجر الطلح، و هو نوع من العضاء. و الملة بفتح الميم: قيل الحفرة التى تحفر للخبز، و قيل التراب الحار و الرماد. انتهى كل ذلك من كتاب أخبار مكة للأزرقي.

و يروى أن رجلا اصطاد بواى محسر الذى بين مزدلفه و منى، فنزلت نار فأحرقته، و لذلك يسمى أيضا بواى النار. و روى عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر قال: قدمت مع أمى أو مع جدتى مكة، فأتينا صفيه بنت شيبه، فأرسلت إلى الصفا فقطعت حجرا من جنبه فخرجنا به، فنزلنا أول منزل فذكر من علتهم جميعا، فقالت أمى أو جدتى: ما أرانا أتينا إلا أنا أخرجنا هذه القطعة من الحرم. قال: و كنت أمتلهم فقالت لى:

انطلق بهذه القطعة إلى صفيه فردها، و قل لها أن الله عز و جل وضع فى حرمه شيئا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١١٢

لا- ينبغى أن يخرج منه، قال عبد الأعلى: فما هو إلا أن أتمينا ذلك فكأنما نشطنا من عقال. ا. ه. من المجموع. و صفيه هذه صحابه قرشيه. و قد روى الشافعى و البيهقى مثله لكن بلفظ آخر.

أما ما يمتاز به الحرم من الخصائص و الفضائل على غيره من الأرض، فشئ لا يمكن حصره، و لكن نذكر بعضا من ذلك ملخصا من كتاب الجامع اللطيف لابن ظهيره القرشى، مع بعض زيادات. (فمن ذلك): ما روى عن جابر بن عبد الله، رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه و سلم، أنه قال: "لما عقر ثمود الناقة و أخذتهم الصيحة لم يبق منهم أحد إلا رجلا واحدا كان فى حرم الله عز و جل فمنعه الحرم فقالوا: من هو يا رسول الله؟ فقال أبو رغال أبو ثقيف فلما خرج من الحرم أصابه من أصاب قومه." قوله أبو ثقيف: يعنى جد هم.

(و منها) أنه لا يدخل أحد الحرم إلا بإحرام بحج أو عمره. روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: "كانت الأنبياء عليهم السلام يدخلون الحرم مشاة حفاة." و عنه أيضا أنه قال: حج الحواريون فلما بلغوا الحرم مشوا تعظيما له.

(و منها) تحريم صيده و قطع شجره و حشيشه، سواء فى ذلك أهل الحرم و غيرهم، و سواء المحرم و الحلال.

(و منها) أن يمنع الكفار من دخول الحرم، فليس على وجه الأرض بلدة خالية من الكفار سوى الحرمين الشريفين مكة و المدينة.

(و منها) تحريم إخراج أحجاره و ترابه إلى الحل، و كراهة إدخال ذلك من الحل إلى الحرم.

(و منها) أن ذبح دماء الهدايا و الجبرانات لا يجزئ إلا فى الحرم.

(و منها) أن المتمتع و القارن إذا كانا من أهل الحرم، لا دم عليهما لكونهما من حاضرى المسجد الحرام.

(و منها) أنه لا يحل حمل السلاح بالحرم لغير ضرورة عند مالك و الشافعى، لما رواه مسلم عن جابر رضى الله عنه، أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: "لا يحل حمل السلاح بمكة."

(و منها) أن الدجال لا يدخل مكة و لا المدينة كما فى الصحيح.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١١٣

(و منها) أن الصلاة سواء كانت سنة الطواف و غيرها، لا تكره فى أى وقت من الأوقات فى حرم مكة سواء المسجد و غيره، لخبر: "يا

بنى عبد مناف لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت و صلى فيه أية ساعة شاء من ليل أو نهار،" رواه الترمذى و غيره، بخلاف خارج حرم

مكة و بخلاف حرم المدينة و بيت المقدس، فإن الصلاة التى لا سبب لها لا تصلى فيها فى خمسة أوقات كما هو معروف فى كتب

الفقه.

(و منها) تضاعف الحسنات في مكة و بالأخص الصلاة في المسجد الحرام كما في حديث ابن الزبير رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، و صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في مسجدي." رواه الإمام أحمد. ١٥.

و في بعض الروايات "صلاة في بيت المقدس بخمسائة صلاة." و لا فرق في التضعيف بين الفرض و النفل. و اختلفوا في المراد بالمسجد الحرام الذى تضاعف فيه الصلاة على سبعة أقوال، قيل: الكعبة المعظمة و المسجد حولها، و قيل مكة، و قيل جميع الحرم، و قيل غير ذلك، راجع العزيز بن على الجامع الصغير، و روى مرفوعا عن ابن عباس رضى الله عنهما "من حج من مكة ماشيا حتى يرجع إلى مكة كتب الله له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم، قيل له و ما حسنات الحرم؟ قال: بكل حسنة مائة ألف حسنة." حسن.

و ذكر الأزرقي في أخبار مكة "أن النبي صلى الله عليه و سلم، حين استعمل عتاب بن أسيد على مكة، قال: هل تدرى على من استعملتك؟ استعملتك على أهل الله فاستوصى بهم خيرا يقولها ثلاثا،" و عن ابن عباس أنه صلى الله عليه و سلم، قال لمقبرة مكة: "نعم المقبرة هذه."

و قال عليه الصلاة و السلام: "الحجون و البقيع يؤخذ بأطرفهما و ينثران في الجنة،" و هما مقبرتا مكة و المدينة. و قال: "من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا."

انتهى من كتابنا "إرشاد الزمرة لمناسك الحج و العمرة."

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١١٤

### تعظيم الحرم الشريف

جاء في تاريخ الأزرقي عند الكلام على تعظيم الحرم، و تعظيم الذنب فيه، و الإلحاد فيه ما نصه: حدثنا أبو الوليد، حدثني جدى، حدثنا سفيان، عن مسعر، عن مصعب بن شيبة، عن عبد الله بن الزبير قال: إن كانت الأمة من بنى إسرائيل لتقدم مكة فإذا بلغت ذا طوى خلعت نعالتها تعظيما للحرم. قال الغازي في تاريخه: حج أبو جعفر المنصور، سنة ست و ثلاثين و مائة، قبل أن يستخلف، فلما وصل إلى الحرم نزل و خلع نعليه و مشى حافيا تعظيما للحرم. انتهى.

قال الأزرقي: حدثنا أبو الوليد، حدثنا عمر بن حكام البصرى، عن شعبة، عن منصور، عن مجاهد، في قوله تعالى: وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدْفُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ. قال: كان لعبد الله ابن عمرو بن العاص فسطاطان أحدهما في الحل، و الآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل، و إذا أراد أن يصلى صلى في الحرم، فليل له في ذلك، فقال: إنا كنا نتحدث أن من الإلحاد في الحرم أن يقول: كلا و الله و بلى و الله.

حدثنا أبو الوليد، حدثني جدى، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم قال:

كان يعجبهم إذا قدموا مكة أن لا يخرجوا منها حتى يخطموا القرآن.

حدثنا أبو الوليد، و حدثني جدى، عن سفيان بن إبراهيم بن ميسرة، عن طاووس عن ابن عباس قال: استأذنى الحسين بن على في الخروج فقلت: لولا أن يرزأ بى أو بك لتشبثت بيدي في رأسك، فكان الذى رد على من قول: لأن أقتل بمكان كذا و كذا أحب إلى من أن تستحل حرمتها بى - يعنى الحرم - فكان ذلك الذى سلا نفسى عنه. قال: ثم يقول طاووس: و الله ما رأيت أحدا أشد تعظيما للمحارم من ابن عباس رضى الله عنه، و لو شاء أن أبكى لبكيت.

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثني جدى، حدثنا يحيى بن سليم، حدثنا عبد الله بن صفوان الوهطى قال: سمعت أبى يقول: بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال:

سكن مكة حتى من العرب، فكانوا يكرون الظلال و يبيعون الماء، فأبدلها الله تعالى بهم قريشا، فكانوا يظنون في الظلال و يسقون الماء.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١١٥

حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدي و إبراهيم بن محمد قالوا: أخبرنا مسلم بن خالد الزنجي، عن ابن أبي نجیح، عن أبيه قال: لم تكن كبار الحيتان تأكل صغارها في الحرم من زمن الغرق. قال: حدثني جدي و إبراهيم بن محمد، عن مسلم بن خالد، عن ابن خيثم قال: كان بمكة حتى يقال لهم: العماليق فأحدثوا فيها أحداثا فنفاهم الله عز و جل منها فجعل يقودهم بالغيث، و يسوقهم بالسنة، يصنع الغيث أمامهم فيذهبون فلا يجدون شيئا، فيتبعون الغيث حتى ألحقهم الله تعالى بمساقط رؤوس آباءهم و كانوا من حمير، ثم بعث الله عليهم الطوفان، قال الزنجي: فقلت لابن خيثم: و ما كان الطوفان؟ قال: الموت. انتهى منه.

و فيه أيضا حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدي و إبراهيم بن محمد الشافعي قالوا: أخبرنا مسلم بن خالد، عن ابن خيثم، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، لما نزل الحجر (أى مدائن صالح) في غزوة تبوك قام فخطب الناس، فقال: يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم عن الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث الله لهم آية، فبعث الله لهم الناقة، فكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم وردها، و يشربون من لبنها مثل ما كانوا يتروون من مائهم من غبها، إلا و تصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم، ففقروها فوعدهم الله ثلاثة أيام، فكان موعد من الله تعالى غير مكذوب، ثم جاءتهم الصيحة، فأهلك الله من كان في مشارق الأرض و مغاربها منهم، إلا رجلا كان في حرم الله، فمنعه حرم الله من عذاب الله، فقالوا: يا رسول الله، و من هو؟ قال: أبو رغال.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدي، عن مسلم بن خالد، عن أيوب بن موسى، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: أيها الناس إن هذا البيت لاق ربه فسائله عنكم ألا- فانظروا فيما هو سائلكم عنه من أمره ألا و اذكروا إذ كان ساكنه لا يسفكون فيه دما حراما، و لا يمشون فيه بالنميمة.

و فيه أيضا: حدثنا أبو الوليد قال: حدثنا أحمد بن ميسرة المكي، حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن أبيه، أن عمر بن الخطاب رضی الله عنه، كان يقول: لخطيئة أصيبتها بمكة أعز على من سبعين خطيئة أصيبتها بركبة، و به قال أحمد بن ميسرة، عن عبد المجيد بن عبد العزيز، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب، كان يقول لقريش: يا معشر قريش الحقوا بالأرياف فهو أعظم لأخطاركم، و أقل لأوزاركم، و به قال: حدثني أحمد بن ميسرة، عن عبد المجيد بن عبد العزيز، عن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١١٦

أبيه قال: أخبرت أن سعيد بن المسيب رأى رجلا من أهل المدينة بمكة فقال:

ارجع إلى المدينة، فقال الرجل: إنما جئت أطلب العلم، فقال سعيد بن المسيب:

أما إذا أبيت فإننا كنا نسمع أن ساكن مكة لا يموت حتى يكون عنده بمنزلة الحل لما يستحل من حرمتها، و به عن عبد المجيد بن عبد العزيز، عن أبيه قال: أخبرت أن عمر بن عبد العزيز، قدم مكة و هو إذ ذاك أمير، فطلب إليه أهل مكة أن يقيم بين أظهرهم بعض المقام و ينظر في حوائجهم، فأبى عليهم، فاستشفعوا إليه بعبد الله بن عمر بن عثمان، قال فقال له: اتق الله، فإنها رعيتك و إن لهم عليك حقا، و هم يحبون أن تنظر في حوائجهم فذلك أيسر عليهم من أن يتنابوك بالمدينة، قال: فأبى عليه قال: فلما أبى له عبد الله بن عمرو: أما إذا أبيت فأخبرني لم تأبى؟ فقال له عمر: مخافة الحدث بها، و قال عبد العزيز: و أخبرت أن عمر بن عبد العزيز وافقه شهر رمضان بمكة، فخرج فصام بالطائف.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدي، حدثنا يحيى بن سليم قال: سمعت ابن خيثم يحدث عن عثمان أنه سمع ابن عمر يقول: احتكار الطعام بمكة للبيع إلحاد، و به حدثنا يحيى بن سليم، حدثنا عثمان بن الأسود، عن مجاهد قال: بيع الطعام بمكة إلحاد، قال عثمان: يعني أن يشتريها هنا و يبيعها هنا و لا يعنى الجالب، و به حدثنا يحيى بن سليم، عن ابن خيثم، عن عبيد الله بن عياض، عن يعلى بن

منه، أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: يا أهل مكة، لا تحتكروا الطعام بمكة، فإن احتكار الطعام بمكة للبيع إلهاد. حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدى، حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج قال: قال مجاهد: و من يرد فيه بالحداد يظلم يعمل عملا سيئا، و قال غيره:

المسجد الحرام و المشركون صدوا رسول الله صلى الله عليه و سلم عن المسجد، و عن سبيل الله يوم الحديبية. حدثنا أبو الوليد، حدثني جدى، عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج فى قوله عز و جل: وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ نُدْقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ استحلالا متممدا، قال: و قال ابن جريج أيضا، قال ابن عباس: و الشرك. و فيه أيضا: حدثنا أبو الوليد قال: أخبرني جدى عن سعيد، عن عثمان، أخبرني المثنى بن الصباح عن عطاء بن أبى رباح، حدثني إسماعيل بن جليحه قال:

كان عبد الله بن عمر، إذا طاف بين الصفا و المروة دخل على خاله له فقال: أين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١١٧

ابنك؟ فقالت: بأبى أنت و أمى يخرج إلى هذا السوق، فيشتري من السمراء و يبيعهها. قال: فمريه لا يقربن من ذلك شيئا فإنه إلهاد. قال عثمان: قال مجاهد:

العاكف فيه، الساكن فيه و البادى الجالب، قال عثمان: و أخبرني محمد بن السائب الكلبي قال: العاكف أهل مكة، و أما البادى فمن أتاه من غير أهل البلد، قال عثمان: و أخبرني يحيى بن أبى أنيسة قال: قال إسماعيل: سمعت مرة الهمدانى يقول: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: ليس أحد من خلق الله تعالى يهيم بسيئته فيها، فيؤخذ بها و لا تكتب عليه، حتى يعملها غير شىء واحد، قال: ففزعنا لذلك، فقلنا ما هو يا أبا عبد الرحمن؟ فقال عبد الله: من هم أو حدث نفسه بأن يلحد بالبيت أذاقه الله عز و جل من عذاب أليم، ثم قرأ: وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ نُدْقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، قال عثمان: و أخبرني يحيى بن أبى أنيسة قال: قال السدى: الإلهاد الاستحلال، فإن قوله عز و جل: وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ، يعنى الظلم فيه فيقول: من يستحله ظالما فيتعدى فيه فيحل فيه ما حرم الله تعالى، قال عثمان: و أخبرني المثنى ابن الصباح قال: بلغنى أن عبد الله بن عمرو بن العاص و عبد الله بن الزبير كانا جالسين، فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: إنى لأجد فى كتاب الله عز و جل رجلا يسمى عبد الله عليه نصف عذاب هذه الأمة، فقال عبد الله بن الزبير: لئن كنت وجدت هذا فى كتاب الله تعالى إنك لأنت هو، قال: و إنما أراد عبد الله بن عمرو بهذا أى فلا يستحل القتال فى الحرم.

حدثنا أبو الوليد، حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان بن منصور السهامى، حدثنا محمد بن زياد عن ابن قره، عن عثمان بن الأسود بسنده، إما عن مجاهد، و إما عن غير ذلك قال: من أخرج مسلما من ظله فى حرم الله تعالى من غير ضرورة، أخرج الله تعالى من ظل عرشه يوم القيامة.

حدثنا أبو الوليد: حدثني جدى عن سفيان بن عيينه، عن سفيان الثورى، عن جابر الجعفى، عن مجاهد و عطاء فى قوله تعالى: سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ قَالَ: العاكف أهل مكة، و البادى الغرباء سواء هم فى حرمة.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنا جدى، حدثنا مسلم بن خالد عن ابن جريج قال: حدثني إسماعيل بن أمية أن عمر بن الخطاب قال: لأن أخطى سبعين خطيئة بركبة، أحب إلى من أن أخطى خطيئة واحدة بمكة، قال ابن جريج، قال مجاهد:

حذر عمر قريشا الحرم، قال: و كان بها ثلاثة أحياء من العرب فهلكوا. لأن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١١٨

أخطى اثنتى عشرة خطيئة بركبة، أحب إلى من أن أخطى خطيئة واحدة إلى ركنها، قال ابن جريج: بلغنى أن الخطيئة بمكة مائة خطيئة و الحسنه على نحو ذلك. و قال ابن جريج: حدثني إبراهيم حديثا رفعه إلى فاطمة السهمية عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: الإلهاد فى الحرم ظلم الخادم فما فوق ذلك.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدي، حدثنا إبراهيم، حدثنا محمد بن سوقة عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: حج الحواريون فلما دخلوا الحرم مشوا تعظيماً للحرم.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدي، حدثنا إبراهيم بن محمد عن أبان بن أبي عياش، عن عبد الرحمن بن سابط أنه سمع عبد الله بن عمر وهو جالس في الحجر يطعن بمخصرته في البيت وهو يقول: انظروا ما أنتم قائلون غدا إذا سئل هذا عنكم و سئلتم عنه و اذكروا إذ عامره لا يتجر فيه بالربا، و لا يسفك فيه الدماء، و لا يمشى فيه بالنميمة.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدي، حدثنا إبراهيم بن محمد قال: حدثني صفوان بن سليم عن فاطمة السهمية، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:

الإلحاد في الحرم شتم الخادم فما فوق ذلك ظلما. انتهى من تاريخ الأزرقى.

نقول: قال عبد الله بن الزبير، رضى الله عنهما: إن كانت الأمة من بنى إسرائيل لتقدم مكة، فإذا بلغت ذا طوى خلعت نعالها تعظيماً للحرم. و لما حج أمير المؤمنين المنصور، رحمه الله تعالى، في سنة (١٣٦) هجرية و وصل الحرم، نزل و خلع نعليه و مشى حافياً تعظيماً للحرم.

و في تاريخ الأزرقى عن طاووس، عن ابن عباس قال: إذا دخل القاتل الحرم لم يجالس، و لم يبائع، و لم يؤو، و يأتيه الذئب يطلبه فيقول: يا فلان اتق الله في دم فلان و اخرج من المحارم، فإذا خرج أقيم عليه الحد.

و فيه أيضا: قال ابن جريج: أخبرني عكرمة بن خالد قال: قال عمر: لو وجدت فيه قاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه.

قال ابن جريج: و بلغني أن الرجل كان يلقي قاتل أخيه، أو أبيه في الكعبة، أو في الحرم، أو في الشهر الحرام، فلا يعرض له أو محرماً أو مقلداً هدياً قد بعث به،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١١٩

فلا يعرض له و هم يغير بعضهم على بعض فيقتلون و يأخذون الأموال في غير ذلك، فجعل الله ذلك قياماً لهم لولا ذلك لم يكن لهم بقية.

و فيه أيضا: عن عطاء عن ابن عباس، أن غلاماً من قريش قتل حمامة من حمام الحرم، قال ابن عباس: فيه شاء و به قال سفيان عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال: في حمام مكة شاء.

و فيه أيضا: عن ابن جريج، عن مجاهد قال: أمر عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، بحمامة فأطيرت فوقعت على المروءة، فأخذتها حية، فجعل فيها عمر شاء.

و فيه أيضا: قال عطاء في بيضة كسرت و فيها فرخ قال: درهم، و قال رجل لعطاء: اجعل بيضة دجاجة تحت حمام بمكة. قال: لا، أخشى أن يضر ذلك بيضها.

و فيه أيضا: عن خالد بن مضرس، أن رجلاً من الحاج قطع شجرة من منزله بمنى، قال: فانطلقت به إلى عمر بن عبد العزيز فأخبرته خبره، قال: صدق كانت ضيقت علينا منزلنا و مناخنا. فتغيظ عليه عمر ثم قال: ما رأيت إلا دينه.

و فيه أيضا: عن عبد الله بن نافع عن أبيه قال: كان ابن عمر يغشاه الحمام على رحله و طعامه و ثيابه ما يطرده، و كان ابن عباس يرخص أن يكشكش.

و عن محمد بن يزيد بن خنيس، عن عبد العزيز بن أبي داود: أن قوماً انتهوا إلى ذى طوى و نزلوا بها فإذا ظبي قد دنا منهم فأخذ رجل منهم بقائمة من قوائمه، فقال له أصحابه: و يحك أرسله، قال: فجعل يضحك و يأبى أن يرسله.

فبعر الظبي و بال ثم أرسله، فناموا في القايلة، فانتبه بعضهم فإذا بحية منطوية على بطن الرجل الذى أخذ الظبي، فقال له أصحابه: و يحك لا تتحرك و انظر ما على بطنك. فلم تنزل الحية عنه حتى كان منه من الحدث ما كان من الظبي.

وفيه أيضا: عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد: قال دخل قوم مكة تجارا من الشام في الجاهلية بعد قصى بن كلاب، فنزلوا بذي طوى تحت سمرة يستظلون بها، فاخترتوا ملء لهم (أى خبز لهم) ولم يكن معهم أدم، فقام رجل منهم إلى قوسه فوضع عليها سهما، ثم رمى به ظبية من طباء الحرم وهي حولهم ترعى، فقاموا إليها فسلخواها وطبخوا لحمها ليأتموا به، فبينما قدرهم على النار تغلى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٢٠

بلحمه و بعضهم يشتوى، إذ خرجت من تحت القدر عنق من النار عظيمة، فأحرقت القوم جميعا، ولم تحرق ثيابهم ولا أمتعتهم ولا السمرة التي كانوا تحتها.

وفيه أيضا: عن سالم بن عبد الله، عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خمس من الدواب لا جناح على من قتلهن وهو محرم وفي الحرم: الغراب والحدأة والفأرة والكلب العقور والعقرب.

وفيه أيضا: عن ابن أبي رواد، عن أبيه قال: سمعت غير واحد من الفكهة يذكر أن يكره أن يخرج أحد من الحرم من ترابه أو حجارته بشيء إلى الحل.

قال: ويكره أن يدخل من تراب الحل أو حجارته إلى الحرم بشيء أو يخلط بعضه ببعض.

وفيه أيضا: عن عبد المجيد، عن أبيه قال: أخبرني بعض من كنا نأخذ عنه، أن ابن الزبير تقدم يوما إلى المقام ليصلى وراءه، فإذا حصى بيض أتى بها وطرح هنالك، فقال: ما هذه البطحاء؟ قال: فقيل له: أنه حصى أتى بها من مكان كذا وكذا خارج من الحرم.

قال: فقال: القطوه وارجعوا به إلى المكان الذي جئتم به منه وأخرجوه من الحرم، وقال: لا تخلطوا الحل بالحرم.

وفيه أيضا: عن عبد المجيد بن أبي رواد، عن أبيه قال: وأدركتهم أنا بمكة وإنما يؤتى ببطحاء المسجد من الحرم.

انتهى كل ذلك ملخصا من تاريخ الأزرقى، وفي ذلك كفاية لمن اعتبر.

### بعض ما ورد في القرآن الكريم في فضل المسجد الحرام

#### إشارة

قال الله تبارك وتعالى في سورة البقرة: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ\* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ\* وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ\* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ\*

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٢١

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [١٢٥-١٢٩]. وقال

عز شأنه في سورة آل عمران: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ\* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنْ دَخَلَهُ

كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ [٩٦-٩٧]. وقال جل جلاله في سورة

المائدة: جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهُدًى وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا

فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [٩٧]. وقال سبحانه وتعالى في سورة إبراهيم: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَ

اجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ\* رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّلْنِي كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ\* رَبَّنَا إِنِّي

أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ\* رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ، وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ\* الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ\* رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي\* رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ [٣٥-٤١]. وقال جل جلاله في سورة الحج: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ\* وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ\* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ\* ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ\* ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ، وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ\* حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ\* ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ\* لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ [٢٥-٣٣].

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٢٢

و لقد أحصى الشيخ عبد الوهاب النجار، رحمه الله تعالى، سور القرآن التي ورد فيها ذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام، والآيات الكريمة. و فيما يلي هذا الإحصاء، نقلناه من كتاب أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة و السلام:

رقم متسلسل / السورة / رقم السورة / رقم الآيات / البقرة / ٢ / ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٠، ٢٥٨، ٢٦٠

٢ / آل عمران / ٣ / ٣٣، ٣٥، ٦٧، ٦٨، ٧٤، ٩٥، ٩٧

٣ / النساء / ٤ / ٥٤، ١٢٥، ١٦٣

٤ / الأنعام / ٦ / ٧٤، ٧٥، ٨٣، ١٥١

٥ / التوبة / ٩ / ٧٠، ١١٤

٦ / هود / ١١ / ٦٩، ٧٤، ٧٥، ٧٦

٧ / يوسف / ١٢ / ٦، ٣٨

٨ / إبراهيم / ١٤ / ٣٦

٩ / الحجر / ١٥ / ٥١

١٠ / النحل / ١٦ / ١٢٠، ١٢٣

١١ / مريم / ١٩ / ٤١، ٤٦، ٥٨

١٢ / الأنبياء / ٢١ / ٥١، ٦٠، ٦٢، ٦٩

١٣ / الحج / ٢٢ / ٢٦، ٤٣، ٧٨

١٤ / الشعراء / ٢٦ / ٦٩

١٥ / العنكبوت / ٢٩ / ١٦، ٣١

١٦ / الأحزاب / ٣٣ / ٧

١٧ / الصافات / ٣٧ / ٨٣، ١٠٤، ١٠٩

١٨ / ص / ٣٨ / ٤٥

١٩ / الشورى / ٤٢ / ١٣



٢٠ / الزخرف / ٤٣ / ٢٦

٢١ / الذاريات / ٥١ / ٢٤

٢٢ / النجم / ٥٣ / ٢٧

٢٣ / الحديد / ٥٧ / ٢٦

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٢٣

٢٤ / الممتحنة / ٦٠ / ٤

٢٥ / الأعلى / ٨٧ / ١٩

**الكلام على قوله تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ... الآية**

قال الله تعالى في سورة آل عمران: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَنَاهُ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ.

قال الإمام الأزرقى عند الكلام على هذه الآية: حدثني جدي عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج قال: أخبرني ابن جريج قال: بلغنا أن اليهود قالت:

بيت المقدس أعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء ولأنه في الأرض المقدسة، وقال المسلمون الكعبة أعظم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنزل: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَنَاهُ مُبَارَكًا - حتى بلغ - فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، وليس ذلك في بيت المقدس، وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وليس ذلك في بيت المقدس. انتهى من الأزرقى.

نقول: الذي نفهمه من هذه الآية الكريمة: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَنَاهُ هو أن الله عز شأنه، جعل بيته الشريف أول بيت بنى لعبادته جل جلاله بكيفية مخصوصة، وهي الطواف حوله واستلام الركن الأسود، والوقوف عند بابه بالملتمزم بذلة وخضوع وانكسار وخشوع، واستقباله والتوجه إليه في الصلاة حال القرب والبعد، إلى غير ذلك مما اختصه الله تعالى من المزايا والأسرار.

على أن المساجد كلها تسمى بيوت الله، قال تعالى في سورة النور: فِي بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ \* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ... الآية، ولكن شأن تلك المساجد، غير شأن هذا المسجد الحرام الذي فيه بيت الله المعظم الذي يتوجه إليه كل من صلى في تلك المساجد، أو صلى في غيرها في أي بقعة من بقاع الأرض. ولقد بين الله عز وجل علامات بيته الحرام في الآية السابقة بقوله: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٢٤

إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا حتى يعرفه الناس تماما، فلا يدعى قوم بأن المراد به بعض معابد أهل الكتاب، كما بين، سبحانه وتعالى، وهو الغنى عن العالمين، بعض مزايا بيته الكريم في قوله بسورة البقرة: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ.

وفي قوله بسورة الحج: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِّقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \* وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ، إلى آخر الآيات، أي إلى قوله تعالى: ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ.

ويستدل بعض العلماء والمؤرخين بآية: وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ، و بآية وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ أَنْ

إبراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام، هو أول من بنى بيت الله المعظم. ونحن نقول: أن الآيتين المذكورتين تثبتان وقوع البناء ل خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولا يفهم منهما أنه هو أول من بناه، فقد يجوز أنه هو أول من بناه كما يجوز أن الملائكة بنته قبل البشر، و يجوز أيضا أن آدم عليه السلام أو أحدا من أبنائه الأنبياء بناه، كما يظهر ذلك لدى التأمل. فإبراهيم، صلوات الله وسلامه عليه، هو أول من اكتشف مكة، وأول من أسكن فيها ذريته، وأول من أخذ عنه الناس صنع البناء بمكة.

و إذا أنعمنا النظر فى قوله تعالى: **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِنَاكَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ** \* فيه آياتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ظهر لنا من جملة: **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ** أن خليل الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم هو أول من بنى البيت، بدليل أن مقامه المذكور فى الآية لا يزال موجودا إلى اليوم عند الكعبة.

أما إن قلنا أن الملائكة أو آدم أو ابنه شيث عليهم الصلاة والسلام، هم الذين بنوا الكعبة من قبل إبراهيم عليه السلام، فيكون بناء ليس عنده المقام بالطبع.

على أنه لا مانع إن قلنا أنهم بنوا الكعبة قبل الخليل، بمعنى أنهم بنوها بناء غير بناء إبراهيم، فهذا بناها بالحجر رضما، والملائكة رموا فى أساسها الصخور العظام

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٢٥

من مختلف الجبال، ونزلت على آدم على صفة خيمة من خيام الجنة من ياقوته حمراء، وبعد موته رفعت إلى السماء، وقيل رفعت زمن الطوفان، كما ذكره الأزرقى والله تعالى أعلم.

و إذا تأملنا فى كلمة "وضع للناس" ظهر لنا أيضا أن هذا البيت هو أول بيت وضعه الله للناس، أى للبشر فقط، وهذا يدل على أن إبراهيم، عليه السلام، هو أول من بنى هذا البيت الموضوع للناس، والأولى هنا لا مفهوم لها، أى ليس هناك بيت ثانى و ثالث و رابع، فهذا البيت الكريم هو أول بيت و آخر بيت وضعه الله تعالى للعبادة على طريقة مخصوصة، أى بالطواف حوله و بالتوجه إليه عند الصلاة.

و إن ذهبنا مع القول القائل أن الملائكة هم أول من بنوا البيت، فيكون معناه أنهم رموا فى أساسه الأول بمكة البالغ إلى الأرض السابعة الصخور العظام من الجبال الخمسة الآتى ذكرها، و كان البيت على صفة خيمة من ياقوته حمراء نزلت من الجنة- و الله تعالى أعلم بحقيقته كل ذلك.

فالكعبة المعظمة، هى أول بيت وضع فى الأرض لعبادة الله تعالى بالكيفية التى ذكرناها، بل هى بهذه الكيفية المخصوصة، أول بيت و آخر بيت، إذ ليس لها ما يماثلها فى الأرض مطلقا.

و نفهم من هذه الآية أيضا: أن الكعبة المشرفة هى أول بيت بنى فى مكة، حيث كانت قفراء خلاء، لا ناس فيها و لا ماء و لا كلاء، و لم تعرف مكة إلا بعد أن اكتشفها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، بواسطة جبريل حينما أمره الله عز و جل، أن يأخذ ابنه إسماعيل و أمه هاجر إلى مكة و يتركهما بها، فكان من أمرهما ما كان، من إخراج زمزم، ثم اهتداء قبيلة من جرهم إليهما و إقامتهم معهما، فكانوا بينون عريشا من شجر الأراك و غيره و يسكنون فيه، أو يقيمون فى مغارات الجبال و كهوفها، حتى أمر الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام، ببناء بيته الحرام، فأتى إليهم بمكة و قام ببنى بيت الله عز شأنه، مع ابنه إسماعيل بعد أن كبر فى المكان الذى بوأه الله له، يبنيه بالرضم، أى بحجارة بعضها فوق بعض بدون طين و لا نورة.

فعليه تكون الكعبة هى أول بيت بنى بالحجارة بمكة، و أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أول من اكتشف مكة، و أول من اتخذها سكنا لزوجه هاجر و ولده

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٢٦

إسماعيل، و هو أول من علم أهل مكة بناء البيوت بالرضم بالحجارة، فلا يزال بعض العرب بالحجاز بينون بيوتهم بالرضم إلى عصرنا

هذا.

ومعنى كلمة "ببكة" المراد بها مكة كما ذكره، فهي من جملة أسمائها، والذي نذهب إليه أن المراد "ببكة"، البقعة التي بنيت بين أخشبي مكة، و هما جبل أبي قبيس و جبل قيعقان فقط، و هي البقعة التي فيها البيت الحرام، فمن تأمل قوله تعالى: **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ** ظهر له هذا المعنى بوضوح.

و لقد كان العرب منذ عهد إبراهيم عليه الصلاة و السلام، يسكنون بمكة خارج الحرم، و يأتون إلى بيت الله الحرام نهارا للطواف و العبادة، فإذا أمسوا خرجوا إلى مساكنهم البعيدة عنه، حرمة و تعظيما له، فكان البيت الحرام قائما وحده في هذا الوادي المبارك، بين أخشبي مكة، ليس حوله بيوت مطلقا، حتى زمن قصي بن كلاب الجد الرابع للنبي صلى الله عليه و سلم الذي كان حاكما على مكة. فإنه أمر قريشا أن يبنوا منازلهم بقرب الكعبة، و لا يتعدوا عنها حتى تهابهم العرب و تعظمهم حرمة للبيت الحرام، و خصص لكل قبيلة منهم جهة من جهات الكعبة، و هو أول من أقدم على البناء عندها، فبنى لهم "دار الندوة" فتبعته قريش في ذلك.

فلما جمع قصي بن كلاب قريشا بمكة، سمي "مجمعا"، و في ذلك يقول حذافة بن غانم الجمحي يمدحه:

أبوهم قصي كان يدعى مجمعابه جمع الله القبائل من فھر

همو نزلوها و المياه قليلة و ليس بها إلا كهول بني عمرو

يعنى خزاعة.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لعبادته، و تعظيم بيته الحرام، و حرمة مكة بلده الأمين، و أن يعصمنا من الإلحاد و الظلم فيه، و أن يمتتنا به على الإيمان الكامل، على نظافة و طهارة و راحة تامة، و أن يلحقنا بالصالحين بفضلهم و رحمته، إنه بعباده لطيف خبير أمين. و الحمد لله رب العالمين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٢٧

### زيادة التأمل

في قوله تعالى في سورة آل عمران: **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ** \* فيه آياتٌ بيّنتُ مقامَ إبراهيمَ و مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا و لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا و مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ.

لقد تقدم ما ذكرناه في هاتين الآيتين الكريمتين، و اليوم بعد التأمل فيهما فتح الله علينا بما يأتي:

(١) قوله تعالى: **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ**، إن قلنا أن الملائكة الكرام أو آدم عليهم الصلاة و السلام، هم أول من بنى بيت الله الحرام "الكعبة المشرفة"، فيكون هذا البيت الحرام هو أول بيت وضع للناس حقا، إذ لم يكن في ذلك العصر الأول بشر على وجه الأرض، غير آدم عليه الصلاة و السلام و نفر من ذريته، فما كانوا يعرفون بناء البيوت و العمارات، و إنما كانوا يأوون من الشمس و الأمطار إلى ظلال الأشجار و حجور الصخار و الجبال. و هذه قصة بني آدم المذكورة في القرآن الكريم، شاهدته على جهل الناس في العصور الأولى بمنافعهم الذاتية، فإنه لما قتل أحدهما الآخر، لم يدر القاتل ماذا يفعل بأخيه المقتول، و كيف يوارى سوء أخيه حتى بعث الله تعالى إليه غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوء أخيه، فتعلم ابن آدم من الغراب كيف يدفن أخاه.

(٢) و إن قلنا أن خليل الله إبراهيم عليه الصلاة و التسليم، هو أول من بنى بيت الله الحرام بمكة، فيكون هذا البيت الحرام هو أول بيت وضع للناس حقا بمكة، فإن مكة لم تعرف إلا بعد ما أسكن إبراهيم الخليل ابنه إسماعيل و أمه هاجر فيها، كما أمره الله عز و جل، عليهم الصلاة و السلام، فمكة يومئذ لم يكن فيها إنس و لا حيوان و لا نبات و لا ماء، إلا أشجار الشوك تنبت على ماء الأمطار، فلما

سكن بها إسماعيل و أمه هاجر عليهما السلام، أخرج الله تعالى لهما ماء زمزم، و أرسل لهما نفرا من قبيلة جرهم يسكنون معهما بمكة و يقيمون بها، فكانوا يسكنون في كهوف الجبال القريبة لهم، كجبل قبيس و جبل قعقعان.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٢٨

فلما أمر الله عز و جل خليله إبراهيم ببناء البيت الحرام بمكة، جاء من فلسطين لهذا الغرض إلى مكة المكرمة، فوجد فيها ابنه إسماعيل، عليه الصلاة و السلام، و قد كبر و صار رجلا كاملا نبيلًا، فقاما بينان البيت الحرام في محله الحالي بمكة، فعليه يكون هذا البيت الحرام هو أول بيت وضع للناس بمكة، إذ لم يكونوا يعرفون بناء البيوت و العمارات في ذلك العصر.

فهذا البيت الحرام لم يوضع لسكنى الناس فيه، و إنما وضع لعبادتهم عنده و الطواف به، فهو بيت مبارك و هدى للعالمين، كما أخبر الله عز و جل بذلك عنه في القرآن العظيم.

(٣) و إن قيل لنا أن هذا البيت الحرام، ليس هو بأول بيت في الأرض، فلقد كانت البيوت موجودة من قديم العصور في مصر و الشام و العراق و فلسطين و غيرها.

نقول: إن البيت الحرام، هو أول بيت وضع للناس بمكة للعبادة الحقة لعبادة الله الملك الديان، إنه ليس كالبيوت المزيفة لعبادة الأصنام و الأوثان، ثم إن بيت الله الحرام، وضع للناس على أساس التوحيد و التقوى، و تكون العبادة فيه على وجه خاص ممتاز، كجعله قبله للمسلمين في مشارق الأرض و مغاربها، و كالطواف حوله سبع مرات، و كاستلام الركن الأسود منه، و كالحج إليه، و كجعل الطواف حوله ركنًا من أركان الحج، ثم إن هذا البيت الحرام، هو كما وضعه الله عز و جل، في الآية المذكورة، أنه مبارك و هدى للعالمين إلى قيام الساعة.

(٤) قد أخبر الله تعالى عن هذا البيت الحرام، بأنه فيه آيات بينات مقام إبراهيم- فالبيت الحرام هو في وسط المسجد الحرام، و المسجد الحرام هو موضع المطاف القديم قبل توسعته في عصرنا الحاضر، ففي هذا البيت الحرام و بالقرب منه آيات بينات و هي مقام إبراهيم عليه الصلاة و التسليم، و المقام هو هذا الحجر الذي قام عليه عند بنائه البيت الحرام، و هو محفوظ إلى اليوم واقع أمام الكعبة المشرفة، بينه و بينها نحو عشرة أمتار- و من جملة الآيات بينات ماء زمزم الذي خرج إغاثة لإسماعيل و أمه هاجر عليهما الصلاة و السلام، و هو موجود إلى اليوم أمام الكعبة المشرفة، بينه و بينها كما بين المقام و الكعبة. و من الآيات بينات: الصفا و المروة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٢٩

و السعي بينها إلى قيام الساعة. و من الآيات بينات: أن من دخله كان آمنًا على نفسه و أهله و ماله، ليس لأحد أن يؤذي أو يسيء إلى من لاذ بالحرم.

هذا شيء من الآيات بينات الواضحة الظاهرة للناس كافة، و هناك من الأمور ما لا يظهر إلا لخواص المؤمنين.

فسبحان الله لولا هذا البيت الحرام، ما كان الحج إلى المشاعر العظام، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، و سلام على المرسلين، و الحمد لله رب العالمين.

### فائدة مهمة

رأينا من المناسب أن نذكر هنا ما ورد في "نتيجة جمهوريه مصر" لسنة (١٣٧٤) من الهجرة الموافقة لسنة (١٩٥٤) ميلادية، لما لها من الفائدة المهمة، و هذا نص ما جاء فيها:

اصطلح العرب على أن اليوم يتدئ من غروب الشمس و ينتهى عند غروبها التالى. و يبدأ الشهر من ليلة الاستهلال و ينتهى باستهلال الشهر التالى. و يتعين الاستهلال شرعا برؤية الهلال، و لما كانت رؤيته تتوقف على أمور متغيرة كحالة الجو و دقة الهلال و مقدار نوره و غير ذلك و الحساب لابد أن يكون مبنيًا على أساس ثابت، لذا اعتمد الحاسبون فى تعيين أول الشهر على اجتماع الشمس بالقمر. فإذا ما وقع الاجتماع، كانت أول ليلة يغرب فيها القمر بعد غروب الشمس، هى أول الشهر، و ما قبلها يكون من الشهر الماضى. و هذا هو المتبع فى حساب الشهور العربية فى هذه النتيجة.

و قد تتفق الرؤية مع الحساب و قد يتقدم الحساب على الرؤية بيوم فى الأكثر أو بيومين فى الأقل و لا يمكن أن تتقدم الرؤية على الحساب.

و أول المحرم من السنة الأولى من التاريخ الهجرى بالحساب كانت ليلة الخميس ١٥ يوليئ سنة ٦٢٢ ميلادية و بالرؤية ليلة الجمعة ١٦ يوليئ سنة ٦٢٢ ميلادية جوليانية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٣٠

### مواقيت الصلاة و ارتباطها باليوم العربى و اليوم الإفرنجى

(اليوم العربى) يتدئ من غروب الشمس و ليله سابق لنهاره. و على هذا الاعتبار تكون أوقات الصلاة ساريه فيه بالتتابع هكذا: الغروب و العشاء و الفجر و الظهر و العصر.

(و اليوم الإفرنجى) يتدئ من نصف الليل. و نهاره واقع بين نصفى ليله، و على هذا الاعتبار تكون أوقات الصلاة ساريه فيه بالتتابع هكذا: الفجر و الظهر و العصر و الغروب و العشاء.

و من هنا يلاحظ أن مبدأ اليوم العربى متقدم عن مبدأ اليوم الإفرنجى بربع مدته الأولى. و فيما يختلف عنه فى اسم يوم الأسبوع و التاريخ و فى وقتى الغروب و العشاء. و يتفق معه فى ثلاثة أرباع مدته الباقية منه فى أوقات الفجر و الشروق و الظهر و العصر. نتج عن هذا البيان أن أوقات الصلاة فى اليوم العربى تبتدئ من وقت الغروب و تنتهى بانتهاء وقت العصر.

و أن أوقات الصلاة فى اليوم الإفرنجى تبتدئ من وقت الفجر و تنتهى بانتهاء وقت العشاء.

و مثال ذلك: أن هذا البيان كتب فى الساعة الثامنة أفرنجى مساء من ليلة الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٤ هجرية الموافقة مساء يوم الأحد ٧ نوفمبر سنة ١٩٥٤ ميلادية.

و صحح فى الساعة الثامنة من نهار الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة (١٣٧٤) هجرية الموافق صباح يوم الاثنين ٨ نوفمبر سنة (١٩٥٤) ميلادية. ثم كتب على الآلة الكاتبة فى الساعة العاشرة إفرنجى من صباح يوم الاثنين ٨ نوفمبر سنة (١٩٥٤) ميلادية الموافق نهار الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٤ هجرية. و صحح فى الساعة الثامنة إفرنجى من مساء يوم الاثنين ٨ نوفمبر سنة ١٩٥٤ ميلادية الموافق ليلة الثلاثاء ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٧٤ هجرية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٣١

(مثال اليوم العربى): يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٤ هجرية

### إشارة

الأحد ٧ نوفمبر ١٩٥٤ / الاثنين ٨ نوفمبر سنة ١٩٥٤

مساء / صباحا / مساء الغروب / العشاء / الفجر / الشروق / الظهر / العصر

ق ت / ق ت / ق ت / ق ت / ق ت / ق ت

٤، ٢٣ / ٥، ٤٥ / ٦، ١٤ / ٦، ٣٩ / ١١، ٤١ / ٢

نتيجة الحائط للسنة الهجرية: تتغير ورقة اليوم فيها من غروب الشمس فيختلف التاريخ العربي عن التاريخ الإفرنجي ليلا و يتفقا نهارا.

### (مثال اليوم الإفرنجي): يوم الاثنين ٨ نوفمبر سنة ١٩٥٤ ميلادية

الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٤ / الثلاثاء ١٣ ربيع الأول نهارا / ليلا الفجر / الشروق / الظهر / العصر / الغروب / العشاء

ق ت / ق ت / ق ت / ق ت / ق ت / ق ت

٤، ٢٣ / ٥، ٤٥ / ٦، ١٤ / ٦، ٣٩ / ١١، ٤١ / ٢، ٢٢ / ٥، ٢٢

نتيجة الحائط للسنة الميلادية الإفرنجية: تغير ورقة اليوم فيها صباحا فيتفق التاريخ الإفرنجي مع التاريخ العربي نهارا و يختلفان ليلا. انتهى من النتيجة المذكورة.

رأينا من المناسب أن نذكر هنا الفصول و مبادئها ما ورد في "نتيجة الحكومة المصرية" لسنة (١٣٦٦) هجرية الموافقة لسنة (١٩٤٦) ميلادية، لما لها من الفائدة المهمة. و هذا نص ما جاء فيها:

مبادئ الفصول و مدة أيامها الواقعة في سنة (١٣٦٦) هجرية

فصل / مبادئ بالتاريخ العربي / مبادئ بالتاريخ الإفرنجي / مدة أيام الفصل /// دقيقة / ساعة / يوم

الشتاء / يوم الأحد ٢٨ محرم سنة ١٣٦٦ الساعة ٧ و الدقيقة ٥٥ نهارا / يوم الأحد ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٤٦ الساعة.

و الدقيقة ٥٤ مساء / ١٩ / .. / ٨٩

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٣٢

فصل / مبادئ بالتاريخ العربي / مبادئ بالتاريخ الإفرنجي / مدة أيام الفصل الربيع / يوم الجمعة ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٦٦ الساعة ٧ و

الدقيقة ٧ نهارا / يوم الجمعة ٢١ مارس سنة ١٩٤٧ الساعة ١ و الدقيقة ١٣ مساء / ١٩ / ٩٢

الصيف / يوم الأحد ٣ شعبان سنة ١٣٦٦ الساعة ١ و الدقيقة ٢٠ نهارا / يوم الأحد ٢٢ يونيو سنة ١٩٤٧ الساعة ٨ و الدقيقة ١٩ صباحا /

١٠ / ١٥ / ٩٣

الخريف / ليلة الأربعاء ٩ ذى القعدة سنة ١٣٦٦ الساعة ٥ و الدقيقة ٣٧ ليلا / يوم الثلاثاء ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٧ الساعة ١١ و الدقيقة ٢٩

مساء / ١٤ / ١٩ / ٨٩

انتهى من النتيجة المذكورة.

فيعلم مما تقدم، أن الفصول الأربعة المذكورة يعرف وقت دخولها و وقت خروجها في جميع الأقطار و البلدان، و أما في بلدتنا "مكة" شرفها الله تعالى فلا يعرف ذلك من الجو و الهواء، لأن غالب أوقاتها تمضي كأيام الصيف في وقت الشتاء لا نعرف البرد الشديد الذي يعرفه العالم، فلا تعرف أوقات الفصول الأربعة عندنا إلا بالحساب. فسبحان الذي بيده ملكوت السموات و الأرض.

### علة تسمية الجهات الأربعة

جاء في الجزء الأول من تاريخ المسعودي المسمى "بمروج الذهب و معادن الجوهر" عن علة تسمية الجهات الأربعة و هي: اليمن و

العراق و الشام و الحجاز ما يأتي:

تنازع الناس في اليمن و تسميته، فمنهم من زعم أنه إنما سمي يمنا، لأنه عن يمين الكعبة، و سمي الشام شاما لأنه عن شمال الكعبة، و سمي حجاز حجازا، لأنه حجاز بن اليمن و الشام، نحو ما أخبر الله عز و جل عن الفرق الذي بين بحر القلزم و بحر الروم بقوله عز و جل: وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٣٣

و إنما سمي العراق عراقا، لمصب المياه إليه كالدجلة و الفرات و غيرهما من الأنهار، و أظنه مأخوذا من عراقى الدلو، و عراقى القربة، و منهم من زعم أن اليمن إنما سمي يمنا ليمنه، و الشام شاما لشؤمه، و هذا قول يعزى إلى قطرب النحوى فى آخرين من الناس - و منهم من رأى أنه إنما سمي يمنا، لأن الناس حين تفرقت لغاتهم ببابل تيامن بعضهم يمين الشمس و هو اليمن، و بعضهم تشاءم فوسم له هذا الإسم، و سنذكر تفرق هذه القبائل من أرض بابل بعد هذا الموضع، و بعض ما قالوه فى ذلك من الشعر عند سيرهم فى الأرض و اختيارهم البقاع.

و قيل: إنما سمي الشام شاما، لشامات فى أرضه بيض و سود، و ذلك فى الترب و البقاع و أنواع النبات و الأشجار، و هذا قول الكلبي، و قال الشرقى بن القطامى: إنما سمي الشام شاما، لسام بن نوح، لأنه أول من نزله و قطن فيه، فلما سكنته العرب تطيرت من أن تقول: سام فقالت: شام، و قيل: أن سامرا إنما سميت بذلك إضافة إلى سام، و قيل: إن أول من سكنها من خلفاء بنى العباس سماها بهذا الاسم و أنها سرور لمن رآها، و قد ذكر فى أسماء هذه المعامل و البقاع و الأمصار وجوه غير ما ذكرنا قد أتينا عليها فيما سلف من كتبنا.

انتهى من تاريخ المسعودى.

و بمناسبة ما تقدم عن علته تسمية الجهات الأربعة، نذكر هنا ما جاء عن علته تسمية الشرق شرقا، و الغرب غربا، نقلا عن مجلة الهلال الصادرة بمصر فى ١٦ شوال سنة ١٣٦٦ هجرية، و أول سبتمبر سنة ١٩٤٧ ميلادية، فقد كتب فيما بعضهم السؤال الآتى:

لماذا سمي الشرق شرقا، و الغرب غربا، و الواقع أن لكل بلد فى العالم، مع كروية الأرض، شرقا و غربا، و إلى أى حد من الصحة ينطبق هذا على قولنا:

الشرقيون و الغربيون. اهـ.

فأجبت مجلة الهلال على هذا السؤال بما يأتى:

كانت هذه التسمية موجودة قبل أن تكتشف أمريكا، و قبل أن تصير كروية الأرض حقيقة. فكانت الدنيا رقعته واحدة، تشرق الشمس عليها من المحيط الهادى و تغرب فى المحيط الأطلسى.

و زاد الكشف، و غير آراءنا العلم، و لكن اللغة لم تتغير.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٣٤

على أنهم زادوا هذه التسمية الآن تفصيلا، فقالوا الشرق الأوسط و الأدنى و الأقصى. و تمازجت الأمم، و اتساحت الحدود بعضها على بعض، فصار كثيرا ما يطلق الشرق و الغرب على مجموعة من الآداب و العادات و الطقوس غلبت على قوم يسكنون آسيا دون أوروبا، و لو سكنوا الآن مغارب الأرض.

و أمريكا سموها غربا، لاعتبارين:

أولهما: أنهما على العرف القديم هى غرب الغرب. و ثانيهما: أن سلاطاتها من أوروبا، فهى بالجنس غربية.

و للجغرافيا رأى غير هذه الآراء، فخط الطول الرئيسى، و يسمى بخط الصفر، هو الذى يقطع بلدة جرينتش بجوار لندن. و تتوالى خطوط الطول شرقا فى أوروبا و آسيا، أى الخط ١٨٠، و هو يقع فى وسط المحيط الهادى.

و كذلك تتوالى خطوط الطول غربا فى المحيط الأطلسى فأمریکا فالمحيط الهادى، حتى يلتقى خط ١٨٠ الغربى بأخيه الشرقى. و بهذه

الخطوط يتحدد الإشراق و الإغراب عند من يجوبون الأرض.

### جهات المصلين إلى القبلة في جميع البلدان

من المسائل الدقيقة، التي يندر الحصول عليها، معرفة جهات المصلين إلى نقطة معينة من الكعبة المشرفة في جميع الأقطار، و أن معرفتها أو عدم معرفتها لا يترتب عليه حكم شرعي، إلا أنها من باب "العلم بالشئ و لا الجهل به."

قال ابن ظهيرة القرشي في كتابه "الجامع اللطيف في فضل مكة و بناء البيت الشريف" ناقلاً بتلخيص ما ذكره العلامة الشيخ عز الدين بن جماعة في دائرته بحذف الكواكب إذ ليس كل أحد يعرف الاستدلال بها، قال فيه ما نصه:

إن مصر و صعيدها الأعلى، و سواحلها السفلى: أسوان و أسنا و قوص و الفسطاط و الإسكندرية و الأكيدم و المحلة و دمياط و بليس، و برقة، و طرابلس، و صغد، و ساحل المغرب، و الأندلس، و ما كان على سمته جهتهم ما بين الركن الغربي و الميزاب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٣٥

و أن جانب الشام الغربي، و وسط غزة، و الرملة، و بيت المقدس، و المدينة الشريفة، و دمشق، و فلسطين، و عكا، و صيدا، و ما إلى ذلك من السواحل على سمته جهتهم من قبيل ميزاب الكعبة إلى دون الركن الغربي.

و أن الشام كلها غير ما ذكر و هي: حمص و حماة و سلمية و حلب و منبج و حران و ميافارقين، و ما والاها من البلاد و سواحل الروم، جهتهم ما بين الميزاب و الركن الشامي موقفهم موقف أهل المدينة و دمشق، لكنهم يتياسرون شيئاً يسيراً، و الجهة شاملة للجميع إن شاء الله تعالى.

و أن الرها و الموصل و ملطية و سمشاط و سنجان و الجزيرة و ديار بكر، و كان على سمت ذلك، جهتهم إلى القبلة من الركن الشامي إلى مصلى آدم عليه السلام، أي قرب الحفرة التي في وجه الكعبة.

و أن الكوفة و بغداد و حلوان و القادسية و همدان و الري و نيسابور و خراسان و مرو و خوارزم و بخارى و نسا و فرغانة و الشاش، و ما كان على سمت ذلك، جهتهم ما بين مصلى آدم عليه السلام، إلى قرب باب الكعبة.

و أن البصرة و الأهواز و فارس و كرمان و أصبهان و سجستان و شمال بلاد الصين، و ما كان على سمت ذلك، جهتهم من باب الكعبة إلى الحجر الأسود.

و أن وسط بلاد الصين و الهند و المهرجان و كابل و المهديان و التتار و المغل و الخدهار، و ما والاها، و ما كان على سمتها، جهتهم من الركن الأسود إلى دون مصلى النبي صلى الله عليه و سلم.

و أن بلاد الهند و جنوب بلاد الصين و أهل التهايم و السد و البحرين، و ما والاها، و كان على سمتها، جهتهم من مصلى النبي صلى الله عليه و سلم إلى ثلثي هذا الجدار.

و أن اليمن بأسره ظفار و حضرموت و صنعاء و عمان و صعده و الشحر و سبا، و ما والاها، و ما كان على سمتها، جهتهم من دون الركن اليماني بسبعة أذرع إلى الركن اليماني.

و أن الحبشة و الزنج و زيلع و أكثر بلاد السودان و جزائر فرسان، و ما والاها من البلاد، و كان على سمتها، جهتهم من الركن اليماني إلى ثلثي الجدار، و هو آخر الباب المسدود.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٣٦

و أن جنوب بلاد البجاء و دهلك و سواكن و بلاد البلين و النوبة إلى بلاد التكرور، و ما وراء ذلك، و ما على سمته من بلاد السودان و غيرهم إلى البحر المحيط، جهتهم من دون الباب المسدود إلى ثلثي الجدار.

و أن شمال بلاد البجاء و النوبة و أوسط المغرب من جنوب الواحات إلى بلاد أفريقية و أوسط بلاد بربر و بلاد الجريد إلى البحر



المحيط و هي جهة جدء و عيذاب و جنوب أسوان، جهتهم من دون الركن الغربى بثلت الجدار إلى الركن الغربى. ثم قال بعد هذا: انتهى ما لخص من الدائرة، و هذه الجهات المذكورة هي من حيث الجملة، و من أراد التحرير فى الاستقبال كما ينبغى، فليراجع كتب الميقات و ما وضع لذلك من الآلات ليقف على المراد. و الله أعلم. انتهى من الجامع اللطيف.

و قد ذكر القلقشندى مثل هذا التفصيل فى كتابه صبح الأعشى، فى الجزء الرابع بصحيفة ٢٥١، لم نر نقله اكتفاء بهذا الذى ذكرناه، و لا فرق بين كلامه و كلام ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف، إلا فرق جزئى لا يؤثر. انظر: صورة رقم ٢٧، دليل القبلة فى جميع أنحاء العالم و صورة رقم ٢٨، اتجاه القبلة

### أول ظهور بعض الأشياء بمكة المكرمة

نذكر هنا بعض الأشياء التى ظهرت بمكة المشرفة مما نتذكرها، من عهد الحكومة العربية الهاشمية، أى حكومة الأشراف، و من عهد الحكومة العربية السعودية، و نعتذر عما غاب عن ذهننا، فنقول و بالله التوفيق فهو نعم المولى و نعم النصير: عدد// السنة الهجرية ١/ أول من صلى عليه فى المسجد الحرام لما مات أبو إهاب بن عزيز ابن قيس كما فى الإصابة/ فى صدر الإسلام

٢/ أول من أدار الصفوف حول الكعبة خالد بن عبد الله القسرى سنة/ ٧٥

٣/ كان طبع النقود لأول مرة بمكة المشرفة، فى أواخر عهد الشريف الحسين بن على رحمه الله تعالى/ ١٣٤٢

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٣٧

٤/ أول ما ظهر الثلج بمكة فى مصنع الثلج للحاج نسيم الشامى / ١٣٣٩

٥/ أول سيارة ظهرت بمكة هى سيارة الشريف الحسين بن على، أهداها له الكندوانى فى سنة/ ١٣٣٨

٦/ أول ظهور أقلام الجيب بمكة كان فى سنة/ ١٣٣٤

٧/ أول مرة منعت المحامل من الوصول إلى الحرمين الشريفين كان فى سنة/ ١٣٤٣

٨/ أول ظهور استعمال السيارات فى مكة و فى المملكة كلها كان سنة/ ١٣٤٦

٩/ أول ظهور الكهرباء بالمسجد الحرام كان سنة/ ١٣٤٦

١٠/ شيوع استعمال الكهرباء فى مكة و فى المملكة كلها كان من سنة/ ١٣٦٥

١١/ استعمال المراوح فى المسجد الحرام كان فى سنة/ ١٣٦٦

١٢/ استعمال مكبرات الصوت أى الميكروفون فى المسجد الحرام بمكة المشرفة كان سنة/ ١٣٦٧

١٣/ تأسست أمانة العاصمة فى سنة/ ١٣٣٢

١٤/ أول مصحف طبع بمكة المشرفة و كان بخط مؤلف هذا الكتاب و كان سنة/ ١٣٦٩

١٥/ أول ظهور سفلة الشوارع بالزفت و القير كان بجدة سنة/ ١٣٥٢

١٦/ أول ظهور مصلحة الموتى و نقلهم بالسيارات إلى المقابر و المغاسل كان سنة/ ١٣٧٦

١٧/ كثرة انتشار المدارس و شيوعها بمكة و غيرها كان من سنة/ ١٣٥٤

١٨/ كثرة إقامة الأجانب بمكة و المملكة السعودية كانت من سنة/ ١٣٥٥

١٩/ كثرة البضائع و السلع و الحاجات و الأقمشة و الكماليات كانت من سنة/ ١٣٦١

٢٠/ كثرة ظهور صالونات الحلاقة كانت من سنة/ ١٣٧٣

- ٢١/ ابتداء توسعه المسجد الحرام كان سنة / ١٣٧٥
- ٢٢/ توسعه المطاف لأول مرة في التاريخ كانت سنة / ١٣٧٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٣٨
- ٢٣/ تجديد سقف الكعبة المشرفة كان سنة / ١٣٧٧
- ٢٤/ كثرة ظهور المساجد في جميع البلدة كانت من سنة / ١٣٧٠
- ٢٥/ انتشار العمران و بناء القصور بالإسمنت المسلح بمكة كان من سنة / ١٣٧٥
- ٢٦/ ابتداء توسعه الشوارع بمكة كان من سنة / ١٣٨٠
- ٢٧/ كثرة ظهور المستشفيات و إحصار الأطباء الأجانب كان من سنة / ١٣٧١
- ٢٨/ كثرة سفر الناس إلى الخارج من البلاد الإسلامية و الإفريقية كانت سنة / ١٣٧١
- ٢٩/ ابتداء ظهور الوزارات و مجلس الوزراء كان من سنة / ١٣٧٤
- ٣٠/ أول ظهور المدارس للبنات بجميع المملكة كان من سنة / ١٣٧٨
- ٣١/ أول ظهور استعمال دواقر القاز و البوتوقاز كان من سنة / ١٣٧٤
- ٣٢/ كثرة ظهور النساء في الشوارع و في محلات البيع و الشراء كانت من سنة / ١٣٧٤
- ٣٣/ ابتداء تعدد صلاة الجمعة بمكة المشرفة كان من سنة / ١٣٧٥
- ٣٤/ ابتداء انتقال أهل مكة من حول المسجد الحرام و السكنى في أطراف مكة و ضواحيها و كان ذلك بسبب توسعه المسجد الحرام و هدم ما حوله من المنازل و البيوت / ١٣٧٥
- ٣٥/ ابتداء ظهور المواتير الكهربائية أى الماكينات التى تشتغل بالكهرباء لسحب المياه من الآبار و خزانات المياه كان فى سنة / ١٣٦٨
- ٣٦/ انتشار محلات التصوير الفوتوغرافى كان من سنة / ١٣٥٥
- ٣٧/ ظهور علب اللبن الحليب البودرة المجفف كان من بعد سنة / ١٣٥٠
- ٣٨/ كان ظهور السمن الصناعى الذى فى العلب و الصفائح من سنة / ١٣٥٥
- ٣٩/ كان إبطال استعمال القرب للسقائين و الاستعاضة عنها بصفائح التنك / ١٣٨٢
- ٤٠/ كان إبطال بيع الرقيق و منع اتخاذ العبيد و الجوارى بمكة و فى /
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٣٩
- / جميع المملكة فى سنة / ١٣٨٢
- ٤١/ أول سيل عظيم فى عهدنا دخل المسجد الحرام و وصل إلى باب الكعبة كان فى سنة / ١٣٦٠
- ٤٢/ أول استعمال الإسمنت فى البناء كان من سنة / ١٣٥٠
- ٤٣/ أول إنزال فم بئر زمزم إلى أسفل أرض المطاف كان فى سنة / ١٣٨٣
- ٤٤/ أول نشأة مدارس البنات بمكة المشرفة و انتشارها فى جميع المملكة السعودية كان فى سنة / ١٣٧٩
- ٤٥/ أول إنشاء المطارات للطائرات بجدة و فى جميع المدن الرئيسية للمملكة كان من سنة / ١٣٥٠
- ٤٦/ أول انتشار التلغونات بمكة المشرفة كان من سنة و كان بها قبل ذلك فى عهد الشريف الحسين بن على ملك الحجاز الأسبق رحمه الله تعالى نحو عشرين تلفونا لدى كبار رجال حكومته، و اليوم تعد التلغونات بمكة بالآلاف / ١٣٥٠
- هذه بعض الأمور التى ظهرت بمكة المكرمة و بجميع المملكة على حسب ما تذكرناها، و هناك أمور أخرى لم تذكرها الآن و هى لا تخفى على المطلع الفهيم.

## تجارة قريش في الجاهلية و صدر الإسلام

كان أهل مكة و كلهم من أشرف العرب و قبائل قريش، يشتغلون بالتجارة و البيع و الشراء، و كانت لهم أسواق شهيرة معروفة في الجاهلية، يقيمونها في شهور السنة و ينتقلون من بعضها إلى بعض، فيحضر هذه الأسواق سائر العرب من قرب من مكة و من بعد عنها، فيقومون في هذه الأسواق بالبيع و الشراء و الأخذ و العطاء، و يتعارفون مع بعضهم و يتفاخرون فيما بينهم بشتى المفخر و المكارم. فيخطبون هنالك و يلقون القصائد و يتناشدون الأخبار، و ذلك في الجاهلية و الإسلام، و ما زالت مثل هذه الأسواق موجودة إلى اليوم في قرى بعض البلاد الإسلامية كمصر و العراق و اليمن و غيرها، فإنه تكون لهم في كل قرية سوق عام في كل أسبوع مرة واحدة في يوم خاص، كيوم السبت أو يوم الأحد أو يوم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٤٠

الاثنين أو يوم الخميس، تكون في هذه الأسواق أنواع اللحوم و الطيور و الدجاج و البيض و بعض الأطعمة و الأقمشة مما يحتاجه أهل تلك الجهة.

و لقد ذكر الله تبارك و تعالى تجارة قريش في القرآن العظيم في سورة قريش حيث يقول عز شأنه: بسم الله الرحمن الرحيم لِيَلَافٍ قُرَيْشٍ \* إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ \* فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ \* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ. فكانت لقريش في كل عام رحلتان، رحلة الشتاء و رحلة الصيف، يذهبون فيهما للتجارة و إحضار البضائع من بعض البلدان بالجمال عن طريق البر، فكانوا يذهبون في الشتاء إلى اليمن، و يذهبون في الصيف إلى الشام، فيأتون من تلك البلاد ما يحتاجونه من أنواع الأطعمة و الزيوت و أجناس الأقمشة و البضائع، التي ليست بالحجاز. قال العلماء: و أول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف، و كانوا يقسمون ربحهم بين الغنى و الفقير، حتى كان فقيرهم كغنيهم في أخذ الربح، و اتبع هاشم على ذلك إخوته، فكان هاشم يؤالف إلى الشام و عبد شمس إلى الحبشة، و المطلب إلى اليمن، و نوفل إلى فارس، و كانت تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار تجاه هؤلاء الإخوة، أي بعهدهم التي أخذوها بالأمان لهم من ملك كل ناحية من هذه النواحي. هذا ما جاء في حاشية الجمل على تفسير الجلالين.

و لا يخفى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ذهب إلى الشام مرتين للتجارة، مرة ذهب مع عمه أبي طالب و كان سنة إذ ذاك اثنتي عشرة سنة، و المرة الثانية ذهب صلى الله عليه و سلم للتجارة أيضا في مال أم المؤمنين خديجة بنت خويلد الأسديّة رضى الله تعالى عنها، حيث انتدبته لذلك و أرسلت معه غلامها ميسرة و كان سنة الشريف حينئذ خمسا و عشرين سنة، فرجع صلى الله عليه و سلم من الشام و قد ربح ربحا عظيما في هذه التجارة الميمونة، فلما رأت خديجة رضى الله تعالى عنها بركته الظاهرة و أمانته العظيمة و سيرته العطرة أرسلت إليه تخطبه لنفسها فتزوجها عليه الصلاة و السلام فكانت أول زوجاته الكريمات.

كما لا يخفى أن غزوة بدر الكبرى التي وقعت في السنة الثانية من الهجرة، كان سببها رجوع غير قريش التي تحمل البضائع العظيمة من الشام قاصدة مكة المشرفة، فكان من أمر هذه الغزوة ما كان. هكذا كانت التجارة لقريش في مكة المكرمة في الجاهلية و في صدر الإسلام.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٤١

ثم بمرور الزمان و القرون و الأعوام و السنون تغيرت الأحوال و كثر سكان مكة المكرمة و اتسعت رقعتها، و تقدم العالم في أقطار الأرض في المدينة و العمران، فاتسعت أعمال التجارة بمكة المشرفة و غيرها، فصارت البضائع و الخيرات ترد إليها من جميع الجهات و الأقطار كما قد ذكرناها و فصلناها هنا في هذه المباحث الفريدة فسبحان الخلاق العظيم الذي يدبر أمر السماوات و الأرض و إليه يرجع الأمر كله، لا إله إلا هو العزيز الغفار.

## إشارة

إن الله تبارك و تعالی جعل بلده الأمين "مكة المكرمة" تحيط بها الجبال من كل جانب إلى مسافات بعيدة من الكيلو مترات، و جعل بيته الحرام "الكعبة المعظمة" في وسط هذه الجبال، و جعل أرض مكة و تربتها صخرية حجرية رملية لا تصلح للنبات و الزروع، و جعل فيها المياه قليلة على قدر الاستعمال من الأمطار و الآبار المحفورة، كما جعل سكانها قليلا بالنسبة إلى البلدان في الممالك الأخرى، و جعلهم في العصور الأولى من جنس العرب من قريش، ثم جعلهم بعد ظهور الإسلام و انتشاره في ربوع الأرض من مختلف البلاد الإسلامية، كل ذلك لحكمة دقيقة لا يعلمها إلا هو العزيز الحكيم.

من هنا نعلم أن مكة المشرفة ليست موطن الصناعات و الاختراعات، و إنما هي موطن الإيمان و الإسلام و العبادات، يأتي إليها الحجيج آلافا مؤلفة في كل عام إلى قيام الساعة، و الله تعالى يرزق أهل مكة و من يأتي إليها رزقا واسعا عظيما من الحبوب و الثمار و الخضار و الأزهار، كما يرزقهم من إنتاجات الصناعات التي تأتي إليها من جميع الممالك الإسلامية و الأوروبية، فتأتيها بواسطة التجار: الأقمشة بأنواعها القطنية و الحريرية، و تأتي إليها أنواع الحبوب و الخضروات و أنواع الثمار و الفواكه، و أنواع الحلويات و السكريات، و أنواع المعلبات المأكولة. و تأتي إليها مختلف الأواني و القدور و الصحون و ما يتبع ذلك من أدوات الأكل و المطابخ، و تأتي إليها أنواع الماكينات الكهربائية بمختلف أجناسها، و السيارات الفاخرة بمختلف أنواعها، و تأتي إليها المفارش و الكراسي و السرر، و الدواليب و أدوات الزينات الممتازة، إلى غير ذلك مما يتعب الإنسان في عده، الحاصل أن مكة المكرمة قد رزقها الله تبارك و تعالی بأنواع النعم و الترف و البليغ من الكماليات

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٤٢

و الضروريات، من حيث لا يتعب أهلها في الإنتاج و التصنيع، يأتيها رزقها رغدا من كل مكان بفضل الله تعالى و رحمته، نسأل الله تعالى أن يزيدنا من نعمه و يوفقنا لشكره.

لكن من سنة الله عز و جل في هذا الكون، أن الحياة فيه تتطور في كل عصر و زمان بين آونة و أخرى، فكان من ذلك أن تطورت مكة المكرمة في حياتها أيضا في آخر الزمان الذي نحن فيه، فحدث فيها بعض الصناعات التي لم تكن من قبل، فهي و ان كانت قليلة بنسبة جزء من ألف من الصناعات الموجودة في الخارج، إلا أنها تسمى تطورا صناعيا، فنحن طلبنا من صديقنا الفاضل الشيخ محمد أحمد البوقري رئيس الغرفة التجارية، و هو من أفاضل تجار مكة القدماء، أن يكتب هنا نبذة عن تطور الصناعة بمكة المشرفة، فكتب لنا ما يأتي إلى آخر كلامه عن الغرفة التجارية، فنحن إذ نشكره على استجابته لطلبنا، نضع هنا نص ما كتبه و هو هذا:

## الحياة الاقتصادية لمكة المكرمة

ليس من السهل التحدث عن حياة (مكة) الاقتصادية في أسطر أو في صفحات قلائل من هذا الكتاب لإعطاء القارئ فكرة شاملة عن تدرج الحياة الاقتصادية بها عبر آجال سابقة صاغت الحاضر البهيج و هيأت لمستقبل زاخر بأجمل الآمال و هو ما يحتاج منا إلى وضع أسفار تتركز في بحوثها إلى ما يستخلص من بواطن التأريخ القديم و الحديث و لكن كل ما نستطيع الكشف عنه في كتابنا هذا إنما هو موضوع في عبارات نرجو أن تكون شاملة في معناها للعشرين عاما الأخيرة.

كانت مواسم الحج لجميع سكان أم القرى و ما جاورها هي مصدر رزقهم الوحيد و أوان حصادهم الذي هياهم لهم المولى عز و جل ليكون مؤنة عام كامل لموسم قادم من كل سنة. لقد كان لكل فرد من سكانها حيلته التي يسره الله لها في الحياة يحدوه أمل لم يخب

قط مصداقا لقوله تعالى: لِيَلْبِغَ قُرَيْشٌ \* إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ \* فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ \* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفِ صَدَقِ اللَّهِ الْعَظِيمِ. و كان الناس ينقسمون إلى حرف مختلفة يتوارثها الأبناء عن الآباء لسنين طويلة خلت يقضون أيامهم و شهورهم في التهيء

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٤٣

و الاستعداد و قد تعلق آمالهم بما ستشرق به الشمس كل صباح من أيام موسم الحج المنتظر ليفوزوا بما قسم الله لهم من رزق و كانوا هم به قانعون.

كان منهم المطوف الذي كرس حياته لخدمة الحاج و إرشاده إلى نسكه من يوم وصوله إلى يوم رحيله، و منهم التاجر الذي عمل في الاستيراد من خارج البلاد لما يستهلكه المواطن لضروريات حياته و ما يأخذه الحاج كهدايا اغترابه لأهله و ولده بالوطن و هناك من احترف صناعة جمه تميزت بفتها الجميل و اختصت بها هذه البلده الطاهره، و نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر صناعة المسابح اليسر و أخشاب الصندل و الزيتون و عظم الحوت في أشكال لا تجيدها إلا تلك الأيدي التي تخصصت في خرطها و زخرفتها بالفضه و المعدن، و كانت هناك دباغه الجلود و صناعتها في أحذية و محافظ و أحزمه يتسابق الحجاج على اقتنائها لما فيها من حسن صنع و إبداع فن و كانت هناك صناعة السرج و الأرسنه لمختلف دواب الركوب يتغالون في إخراجها، حتى كان منها ما يطعم بالفضه الخالصه و المموهه بماء الذهب و كانت هناك صناعة الهودج (الشقادف) المخروطة القوائم (الملككه) و المضفره بخرط الخيزران، و غير ذلك من صناعات تعتبر حقا من الفنون الجميله و قد انقرضت أو تلاشت، و لم يبق منها غير ذكرى تمر باسمه إذا ما نظر إلى الأسباب و العوامل الكثيره التي غيرت وجه الحياه الاقتصاديه لمكة المكرمه كما شاء لها الله عز و جل.

كان المسلمون في كافه بقاع الأرض يتمتعون بحياه رغيده و نظم سهله تكفل لهم حريه العباده و حريه التصرف بممتلكاتهم و حريه الانتقال في أسفارهم لأداء فريضة الحج، و في سياحتهم للتزود بالمعرفه، و كانوا يندون إلى هذه البلاد المقدسه و قد حملوا وافر المال لتمتعهم بالحج و البذل بسخاء دون قيود مفروضه أو عراقيل مصطنعه و لكن لأمر قدره الله قد تبدل حال تلك البلاد إلى خوف بعد أمن، و جزع بعد اطمئنان، و سلب للأموال و الحقوق و الحريات، و سخر الناس كآلات صماء تؤمر فطبيع، و مما يؤسف له أن كثيرا من البلاد الإسلاميه قد ابتليت بهذا الداء إلى درجه التلاعب في العقائد، حتى لم يعد أحد من المسلمين بقادر على التمتع بحريه القدوم لأداء فريضة الحج أو العمرة، و حتى من يسمح له بالقدوم يعطى له الإذن بمال لا يكاد يكفيه لقوته الضرورى في أيام اغترابه، فشحت أيدي الحجاج رغم إرادتهم مما أثر أسوأ الأثر على حياه مكة الاقتصاديه، الأمر الذي

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٤٤

أدى بالكثيرين من سكانها إلى سلوك طرائق أخرى من العمل غير الذي توارثوه، و أذهب عنهم الله جلت قدرته ما تصوروه من جزع و شدة بما صادفوه من نجاح أغناهم عن الاعتماد على مواسم الحج المجده. و يتابع المولى نعمه على سكان هذا البلد الأمين إذ أفاء جل جلاله من فضله على الدوله برزق وافر من ثروات الأرض لم تبخل به الدوله على تحسين حال الشعب عامه لتطوير حياته ففتحت المدارس و المعاهد المجانيه لأبناء الشعب في شتى مراحل العلم و صنوفه حتى لم يخل طريق في أرجاء مكة من مدرسه ثم وضعت المشاريع العمرانيه محل التنفيذ، و منها عمارة المسجد الحرام و افتتاح الطرق و تعبيدها و تخطيط المدينه و تغييرها من نظامها القديم إلى مدينه حديثه مما أوجد مجالات كثيره للأعمال و الكسب الحلال، و تفتح الوعى و ساير ركب الحضاره و خلقت صناعات و حرف شملت جميع مرافق الحياه، حتى صار الناس يرون جديدا يبشر بخير في مطلع كل صباح.

و يحق لنا أن نفخر ببعض أبناء مكة المكرمه الذين كرسوا أنفسهم للعمل الجاد و شيدوا المصانع و أنتجوا سلعا ضاهت ما كان يستورد، إن لم يفقه جوده و هو ما يوفر أموالا كانت تذهب إلى خارجها، بل و أوجد مجالا للعمل الثابت للطبقه العامله التي كانت تتعطل أكثر شهور السنه انتظارا لموسم الحج، و لا يفوتنا أن نخص بالذكر أهم هذه المصانع و التي استحققت أن يطلق عليها هذا الاسم

المشرف في سجل الخلود.

### مصانع الحجاز للصاج

أقام هذه المصانع المواطن المكي الشيخ حسين محمد سعيد جستنیه في عام ١٣٧٣ هـ بمنطقة جرو، وقد جهزت بأحدث المكنات الضخمة المختلفة الاختصاص والمزايا وعمل الرجل بهمة لا تعرف الملل على تطوير مصانعه وزيادة اختصاصها، حتى شمل الإنتاج أشكال وأنواع لا تحصى من الخزائن والمكاتب والكراسي وخزائن المطابخ والطاولات والثلاجات والشنط وسرر النوم وخلافها من أثاث مما يصنع من الحديد بالإضافة إلى الأدوات المنزلية المصنوعة من الألمنيوم في أشكال وألوان جذابة، جميعها يغني عن استيراد مثلها من البلاد الأجنبية.

وكان الشيخ حسن جستنیه يعمل بالتجارة ثم اختير للعمل بالإدارات المالية بالدولة لفترة من الزمن، ثم آثر حياة الكفاح في المجال الصناعي حيث رأى أنه أقدر على

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٤٥

خدمته ووطنه أجل خدمته مما لو بقي موظفا، رغم ما كان يتمتع به من مركز كبير مرموق.

### مصنع البوقري للبلاستيك

أقام هذا المصنع الشاب المكي محمد أحمد بوقري في عام ١٣٨٢ هـ بمنطقة الشهداء بأحدث الآلات المستعملة في هذه الصناعة، وكانت إقامة هذا المصنع مفاجأة قوبلت بالكثير من الشك في القدرة على البقاء أمام تيار الاستيراد من البلاد المجاورة، ولكن عزيمة الشباب والرغبة في التضحية لبناء حياة أفضل، كانت الدعائم الصحيحة التي مكنت هذا المصنع الضخم من الوقوف حتى صار خطرا على تسويق ما يستورد من أصناف في مجال إنتاجه الواسع الذي شمل المسابح والأدوات المنزلية وأدوات الكهرباء وعلب الحلوى وأدوات المدارس والأدوات والحليات البنائية وقطع الأثاث، وغير ذلك كثير في كميات أغرقت الأسواق بأسعارها الزهيدة، وكان الشاب محمد أحمد بوقري لفترة من حياته مديرا بالمحلات التجارية لعائلته المعروفة باسم عمر على بوقري وإخوانه وعكف على دراسة صناعة اللدائن دراسة علمية، ثم اغترب إلى إنجلترا حيث التحق بمصانعها كعامل بأجر يومي لعدة أشهر عاد بعدها ليقوم بمصنعه. رغم ما صادف هؤلاء الرواد في مجال الصناعة من متاعب وصعاب إلا أنهم صمدوا أمام العواصف والأنواء في عناد وتصميم أكسبهم احترام المواطنين وغير المواطنين، كيف لا وقد فتحوا الطريق أمام أبناء مكة المكرمة للبذل والتضحية في سبيل الوطن ولا شك أن هناك كثيرون سيكشف عنهم المستقبل الصناعي بالاسم.

### صناعات أخرى

إن تطور الحياة والأخذ بالوسائل الحديثة قد أوجد الكثير من الحرف فالتوسع العمران واتباع التصميمات الحديثة في البناء وتخطيط المدن الذي شمل مكة المكرمة بأثرها قد خلق حرفا جديدة لم تكن معروفة و طور أخرى إلى ما يتناسب والحالة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٤٦

الراهنه و نذكر من ذلك هندسة البناء والنجارة والحدادة والبياض والسباكة والتمديدات الكهربائية والتلوين والزخرفة، و

باستخدام الآلة في كل هذه الحرف و وسائل النقل المتطورة ظهرت بتوسع حرف متعددة منها خراطة المعادن و سبكها و ما يتبع ذلك من حرف بسيطة الشكل و كثيرة الفائدة.

### الغرفة التجارية

لا شك أن اتساع الحركة التجارية و ارتباطها بالدول الأجنبية المصدرة أوجب إيجاد الوسائل التي من شأنها تنمية العلاقات الاقتصادية بمكة المكرمة و توعية المستوردين بما يتطلبونه من معلومات و أنظمة سائدة في الدول المصدرة و إيجاد المصادر اللائقة للسلع اللازمة و هكذا فقد قدرت الدولة ضرورة إيجاد هذا الجهاز الاقتصادي الشعبي، و أعطته صفته و كيانه، و أصدرت ترخيصا بإنشاء الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة في عام ١٣٦٨ هـ، و قد وضعت النظم الإدارية الداخلية و صلاحيات الغرفة و جهازها بما يكفل لها أداء مهمتها في خدمة العاملين في المجال الاقتصادي، أسوة بما هو معمول به و ما تتمتع به الغرف التجارية في الدول المتطورة، بل حرصت الدولة على مد العون المادي الدائم كقاعدة سنوية لتمكين الغرفة من تقوية جهازها و هو ما يقابل بالكثير من التقدير للمسؤولين في حكومة جلاله الملك المعظم. و بكتابتنا هذه النبذة المختصرة عن الغرفة التجارية بمكة المكرمة، نرى لزاما علينا أن نذكر الشيخ حسين محمد سعيد جستنيه لما له من فضل السعي لدى السلطات حتى أدى الأمر إلى إنشاء الغرفة و هو الرجل الذي لم يترك سبيلا من سبل العمل البناء دون أن يطرقه لخير مواطنيه.

إلى هنا انتهى ما كتبه الشيخ محمد أحمد بوقري، أكثر الله تعالى من أمثاله الفضلاء العاملين، و هو نبذة لطيفة كافية بالغرض.

### الحرف و الصناعات بمكة المكرمة

إن الأجانب في خارج مملكتنا و بالأخص في بلاد الإفرنج، يعتقدون أن الحرمين الشريفين بلدة "مكة المكرمة" و بلدة "المدينة المنورة" واقعتان في صحراء مفرقة، ليس فيهما من أسباب المعيشة الهنيئة، و من وسائل المدنية الحديثة شيء يذكر، و ليس فيهما من مباحج الحياة شيء يسر الإنسان، إنهم يعتقدون هذا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٤٧

لأنهم بعيدون عنا غير مختلطين بنا، و ليس لديهم من الصحفيين المختصين للكتابة في مثل هذا الأمر على الدوام، فإذا كتب أحدهم في جرائدهم و مجلاتهم باللغة الانكليزية، أو باللغة الفرنسية، أو باللغة الأمريكية، أو باللغة الإيطالية، أو باللغة الألمانية، أو غيرها، إذا كتب أحدهم عن بلدنا شيئا، فإنما يكتب نبذة قصيرة في كل بضع سنوات مرة واحدة، و هذا كما لا يخفى على العاقل المثقف لا يكفي للإحاطة بأحوال الأمم الأخرى البعيدة عنهم.

لذلك فقد كتبنا في تاريخنا هذا بعض أحوالنا و صناعاتنا، ثم خطر في بالنا أن نستعين بصدقنا الكريم سعادة الأستاذ عبد الله عريف، لأنه حفظه الله تعالى، هو شيخ الصحافة و الأدب، و أنه أيضا هو رئيس أمانة العاصمة، أي "رئيس بلدية مكة المكرمة" فهو إذا أدرى بمثل هذه الأمور، فكتبنا لسعادته بريقة "تلغرافا" نطلب منه إفادتنا عن الحرف و الصناعات الموجودة بمكة المكرمة - فبادر سعادته مشكورا بإجابة طلبنا و أرسل لنا الجواب الآتي المؤرخ في العاشر من شهر صفر سنة (١٣٨٥) هجرية و برقم ٨٢٢/خ و هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الفضيلة الشيخ محمد طاهر كردى المحترم

بعد التحية، أرجو لكم دوام الصحة و العافية

إشارة لبرقيتكم المؤرخة ١٣٨٥ / ٢ / ١ ه بشأن طلبكم بيان أسماء الحرف و مشائخها، نبعث إليكم طيه البيان الوارد إلينا من إدارة مراقبة الأسواق رفق خطابها رقم ٦٠ و تاريخ ١٣٨٥ / ٢ / ٨ ه و الموضح فيه كافة أسماء الحرف مع أسماء مشايخها. فأرجو الاطلاع و الإحاطة. و تقبلوا تحياتي.

أمين العاصمة عبد الله عريف

و إليك البيان المشار إليه بنصه و ترتيبه:

عدد/ اسم الطائفة/ اسم شيخها ١/ السماسرة و دلالي السيارات/ سعود عاشور

٢/ الحدادين/ محمد كدوان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٤٨

٣/ عربات الكارو/ سراج يحيى دواس

٤/ دلالي الحراجات/ داود وصفى

٥/ الساعاتية/ أحمد صالح فقيها

٦/ الحلاقون/ محمد على بن حسن

٧/ البنشر و البطاريات/ السيد هاشم علوانى

٨/ المنقلين/ مكى طاشكندى

٩/ السبحية/ خليل حسن رفيع

١٠/ الحبابة/ عبد الله برديسى

١١/ الجوهرجية/ محمد على فارسى

١٢/ الوزانة/ صدقة أمين وزان

١٣/ ناقش الأختام/ على أحمد الباز

١٤/ المهندسين/ أحمد عبد الله أبو رويس

١٥/ القهوجية/ السيد على حسن معتوق

١٦/ الخياطين/ محمد تاج جلال

١٧/ دلالي العقار/ جميل بغدادى

١٨/ العقلجية/ صالح عبد الرحمن أبو الريش

١٩/ الخضريه و الفكهانية/ سليمان غباشى

٢٠/ اللبانه/ علاء الدين أبو النجا

٢١/ الأجور و الطوب/ بدوى عساس

٢٢/ النجارة/ أحمد نحاس

٢٣/ السائقين/ حامد محمد خوجه

٢٤/ الطهارة و أتباعهم/ حسين عشى

٢٥/ الغسالين/ عبده قاسم

٢٦/ السمانه/ حسين شايب

٢٧/ السقطية/ على حسن رواس



٢٨/ العطاره و البقاله/ على مصلح صبغه

٢٩/ جزاره الفدو/ على حسين البشى

٣٠/ البنائين/ عبد القادر وزيره

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٤٩

٣١/ دلالى الأغنام و البقر/ سعد محمد ربيقان

٣٢/ النحاسين/ عبد الوهاب مؤمنه

٣٣/ الجزارين/ على درويش زيدان

٣٤/ الفخرانيه/ على شريف

٣٥/ الشبارى و عربات السعى/ سعيد الغامدى

٣٦/ الفرانه/ عبد الله كعكى

٣٧/ الصيارف/ حسن محمد ملطاني

٣٨/ مهندسى الراديو/ طاهر لنقا

٣٩/ الكحلجيه/ على بوصى

٤٠/ دلالى الحلقات/ حسن حكى

٤١/ القطانه/ عبد الحميد قطان

٤٢/ السماكره/ سينتخب لهم شيخ

هذه هى البيانات التى وردت إلينا من أمانة العاصمة بمكة المكرمة، و يلاحظ فيها عدم وجود بعض الحرف كبائعى الكتب و المطبوعات و بائعى الصحف و المجلات، و بائعى أدوات الكتابة من الحبر و الورق و الأقلام، و بائعى الخردوات اللطيفة اللازمة للنساء و غيرهن، و بائعى الأدوات المنزلية و الكماليات من السرر و الكنبات و المكاوى و الثلاجات الكهربائية، و بائعى الأدوات الكهربائية، و بائعى أدوات التليفونات و السيارات و مكائن المياه و غيرها، و كبائعى الأقمشة بأنواعها العادية و الممتازة من القطن و الحرير و الصوف، و كبائعى البطانيات و أنواع الصوف و الملابس، و كبائعى أنواع مكائن البوتوكاز و أدواتها و كمحترفى إصلاح كل هذه الأشياء و غيرها و توجد بمكة طائفة الصاغة يصنعون من الذهب و الفضة أنواع الحلى من الخواتم و الأسورة، و العقود التى توضع فى جيد النساء و يصنعون جميع أنواع الزينة بالذهب و الفضة و يزينونها بمختلف أنواع الفصوص و الأحجار الكريمة، من اللؤلؤ و المرجان و العقيق و الياقوت و غيرها.

و هناك كثير من بائعى الحلويات البلدية و الخارجية و بائعى أدوات النجارة و الأقفال و المسامير و الأسلاك و بائعى أدوات الحمامات و بائعى الموبليات و المرايات و البزاييز، و بائعى الملابس الجاهزة و بائعى الصحون الصينى، و الكاسات

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٥٠

و البلورات، و بائعى المكسرات من الحمص و اللوز و الجوز و عين الجمل، و الصنوبر و الزبيب و غيرها، و بائعى أنواع المفارش و السجاجيد الجميلة و غيرها، و بائعى الألعاب للأطفال، و بائعى الإسمنت و الحديد و المواسير و أدوات العمارة و البناء، إلى غير ذلك مما يطول شرحه و بيانه، و هناك كراجات للسيارات و ورشات لإصلاحها و إصلاح الآلات الكهربائية و ورشات للحام الأكسوجين و نحوه، إلى غير ذلك مما يطول شرحه و بيان.

كما عندنا مستشفيات و أطباء كثيرون و صيدليات و أجزاء لبيع الأدوية منتشرة فى طول البلاد و عرضها، و عندنا وزارة تجارة تنظر فى شؤون التجار و أحوال التجارة، و عندنا وزارة الصحة تنظر فى أحوال الأمة الكريمة من الناحية الصحية، و عندنا وزارة الزراعة

تنظر في شؤون الزراعة، إلى غير ذلك من الوزارات المختلفة كل وزارة تنظر في أمور اختصاصها.

الحاصل أنه يوجد في مكة المكرمة و المدينة المنورة و كل بلدان مملكتنا السعودية جميع الكماليات و مباحج الحياة، إن الحياة في الحرمين الشريفين تسر الناظرين و يرتاح إليها جميع الموسرين، سواء من الناحية الدينية لمن أراد الآخرة، أو سواء من الناحية الدنيوية لمن أراد التمتع بقدر سعة رزقه، أو من الناحيتين لمن وفقه الله تعالى كما قال الشاعر: (ما أحسن الدين و الدنيا إذا اجتمعا).  
فالحمد لله الذى جعل (مكة و المدينة) من أفضل أفضل البلدان و أشرف البلدان من الناحية الدينية و من أحسن البلدان و أكمل البلدان من الناحية الدنيوية، فبلد الله تعالى و بلد رسوله الكريم، و بلد القدس هى من خير بقاع الأرض، فالحمد لله رب العالمين.

### صناعة النجارة الفنية بمكة

كان أهل مكة يعرفون فى صناعة النجارة الفنية معرفة تامة، فكانوا بأنفسهم يعملون سقوف المنازل و القصور و يزخرفونها زخرفة عجيبة، و كانوا يصنعون لها الأبواب و الشبائيك العجيبة الصنع، كل دار بما يليق بها و ما يناسبها بحسب المصاريف و النفقات قلة و كثرة، أى على قدر ما يرغب صاحبها من جمال الشكل و حسن المنظر، و لهم فى صنع الطيق، بكسر الطاء المهملة و فتح الياء المثناة، جمع طاقة، و هى الشباك، بتشديد الباء الموحدة، مهارة عجيبة لم نجد من يماثلهم فى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٥١

الخارج، و لقد كانوا يصنعون الشبائيك الداخلية للمنازل الكبيرة بشكل يدعو إلى الإعجاب، بقوة و استمساك و ينقشون بواطن السقوف و الدواوين بنقوش بديعة، و أحيانا ينقشون بعض الآيات الكريمة حول السقوف من الداخل، أو بعض القصائد و الحكم، و يعملون من الرواشين المطللة على الشوارع العامة ما يدهش الناظر و يسلب له، و ما زالت بعض المنازل و القصور القديمة ناطقة بمهارتهم و شاهدة على تفوقهم فى الفنون، و لكن مع الأسف لم يبق من أولئك الرجال من يعرف ذلك، و لم يبق من المنازل المصنوعة بالوصف المذكور شىء، لأنها هدمت فى التوسعة السعودية التى حصلت سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين هجرية، ثم فى وقتنا هذا أى من بعد السنة المذكورة و فد على مكة المكرمة كثير من النجارين و من مختلف الصناعات من مصر و الشام و غيرها.

انظر: صورة رقم ٢٩، شباك زخرفى مفرغ من صنع النجارين بمكة المكرمة

### صناعة التنجيد بمكة

صناعة تنجيد القطن معروفة بمكة المشرفة من قديم الزمان، و يأتى إليها القطن من الخارج، من مصر و الهند و اليمن و غيرها، فيحشونه بعد تنظيفه و تنجيده فى الطرايح و هى جمع طراحة، بضم الطاء المهملة و تشديد الراء المفتوحة، و تسمى بمصر المرتبة التى ينام فوقها، كما يحشونه فى المخدات و اللحافات و غيرها، و فى السنوات الأخيرة أى من سنة (١٣٨٠) ألف و ثلاثمائة و ثمانين هجرية أحضروا إلى مكة بعض الماكينات الكهربائية للتنجيد، فصاروا يشتغلون بها فى تنظيف القطن و تنجيده و إصلاحه.

أما حشو المساند و الأرائك و الطواويل فيحشونها بالطرف بكسر فسكون، و هو حبوب صغيرة كحبوب الكسلسوه أو البرغل، لكنه خفيف جدا كالقطن يتطاير من النفخ و الهواء، و يخرج من بعض أشجار الحجاز و هو كثير بها، و لم نجد مثله فى الخارج و استعمال الطرف فى الحشو أمر شائع عندنا لكنه خاص بحشو المساند و الطواويل و هى جمع طواله، بضم الطاء المهملة و تشديد الواو المفتوحة، و هى تشبه الطراحة و المرتبة سواء بسواء، غير أن الطواله لا تحشى بالقطن فسبحان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٥٢

من جعل لكل بلدة ميزة خاصة و لبلده الأيمن ميزات كثيرة بها تمتاز عن جميع البلدان - أدام الله تعالى عليها النعم، و أدام أمنها و أمانها و خيرها و رخاءها آمين.

### صناعة الحصير و الزنايل و المراوح الخوص بمكة

إن صناعة الحصير و يسمى عندنا "الخصف" بفتح أوله و ثانيه، و صناعة المراوح الخوص و كذلك صناعة الزنايل الصغيرة و الكبيرة بأنواعها هي صناعة موجودة بمكة المشرفة من قديم الأزمان يستغلها أهل السودان (التكارنة) المولودون بمكة المكرمة من خوص النخل و كذلك يشتغلها النخاولة بالمدينة المنورة و أحسن أنواع جميع الحصير ما يصنعه أهل قرية الأبواء التي فيها قبر آمنه بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه و سلم و هذه القرية واقعة في منتصف طريق مكة و المدينة، إنهم يعملون أطرف أنواع الحصر و أرقها و أقواها، و لو وجدوا تشجيعا و عناية لتقدموا في صناعتها في مدة يسيرة.

فحبذا لو أن وزارة الحج و الأوقاف أخذت منهم كمية وافرة من الحصير، لفرشها في المساجد الكثيرة لديها، لأن الحصير المعمول بالأبواء أجمل و أحسن و أقوى من حصير التكارنة و من حصير الخارج، فحبذا لو عملت الوزارة باقتراحنا هذا، فإنها بذلك تحسن صنعا للصناعة الوطنية، و تدفعها إلى التقدم و حسن الإنتاج.

### صناعة الشراب أي القل

الشراب، بكسر الشين المعجمة، جمع شربة بالفتح و يسمونها بمصر القلة بالضم، و هي إناء من الطين في حجم البطيخة يضعون فيها الماء ليبرد، إن صناعتها بمكة من قديم الأزمان تصنع من ترابها، و تصنع في أحجام مختلفة منها الصغير و الكبير و المتوسط، و كانوا إلى سنة (١٣٦٠) ألف و ثلاثمائة و ستين هجرية يعتنون بصنعها و صنع الأزيار الصغيرة أيضا، فيزخرفونها و يجعلونها في شكل جميل بديع، كما كانوا يصنعون الأزيار الكبار أيضا، و كان كل ذلك يعرض في الدكاكين بكثرة وافرة، و كذلك أباريق الوضوء من الطين، و لكن قلت عنايتهم بصنع ذلك بعد السنة المذكورة شيئا فشيئا، بسبب وجود مصانع الثلج و آلات التبريد.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٥٣

و أن أحسن أنواع الشراب، شراب المدينة المنورة لأنها تبرد الماء سريعا، و أن لونها بيضاء جميلة، فتراب المدينة أحسن و أقوى من تراب مكة.

أدام الله تعالى خيرهما و رخاءهما.

### صناعة الحلاوة الطحينية بمكة

الحلاوة الطحينية لذيذة جدا و هي في نفس الوقت كالطعام تؤكل بالخبز، و هي تعمل من السكر و الطحينية و هي السمسم المطحون، و الحلاوة الطحينية، كانت تعمل بمكة المكرمة من قديم الأزمان، و لها طابع خاص و هو كونها سمراء يتخللها خيوط السكر كالشعر، و يعملها الهنود المولودون بمكة و يتقنونها جدا، و أهل مكة يحبونها كثيرا، و بعضهم لا بد له أن يأكل منها كل ليلة بعد العشاء بعد خلطها بحلاوة الهريسة، و هذا الخليط لذيذ قوى جدا، أما الحلاوة الطحينية البيضاء فهي تأتي من الخارج في صفائح من مصر و الشام

فبعضهم يحب البيضاء و بعضهم يحب السمراء، و فى الأمثال: و للناس فيما يعشقون مذاهب.

### استخراج زيت السمسم بمكة

و توجد بمكة طاحونة أو طاحونتان لاستخراج الزيت من السمسم، فمنذ قديم الأزمان إلى اليوم يستخرجون الزيت من السمسم، و ما يخرج من السمسم المعصور يباع فيكون طعاما دسما قويا لبعض الحيوانات كالبقر و الغنم مع العلم أن زيت السمسم و غيره من أنواع الزيوت يأتيان من الخارج أيضا فى صفائح من التنك، كما يأتيان أيضا من الخارج السمسم المعصور و نظن يسمونه "الكسب"، بضم فسكون و فى آخره باء موحدة، و يباع طعاما للغنم و البقر.

### طحن الحبوب بالرحى بمكة

طحن الحبوب من الحنطة و الذرة و الدخن و الحمص و نحوها بالرحى بمكة، من الأمور القديمة من أيام عرب الجاهلية، فلقد كان الناس من قديم العصور يقتنون فى بيوتهم رحى لطحن بها زوجاتهم الحبوب و يعملون من دقيقها الخبز، و الرحى عبارة عن حجرين كبيرين مستديرين يوضع أحدهما فوق الثانى ثم يدار الحجر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٥٤

الأول عند الطحن، و كانت ابنة رسول الله صلى الله عليه و سلم فاطمة رضى الله تعالى عنها، تطحن بيدها على الرحى جبهها. فالرحى كانت موجودة فى كثير من بيوت مكة من قديم العصور إلى عام (١٣٤٠) ألف و ثلاثمائة و أربعين هجرية، ثم قل استعمالها شيئا فشيئا فى المنازل، حتى لم يكن لها وجود فى وقتنا الحاضر فى البيوت، اللهم إلا القليل جدا مما يوجد عند البعض، و سبب ذلك هو اختراع ماكينات الطحن الكهربائية التى تطحن كميات عظيمة من الحبوب فى زمن يسير، و لقد أدركنا ماكينه واحدة للطحن كانوا يسمونها بمكة "بابور الطحين" و ذلك فى آخر عهد الدولة العثمانية التركية، و كانت بمحلة الفلق، و نظن أن صاحبها هو فهمى أفندى قرملى التركى، و كانت تدار بالماتور.

و لكن كان بمكة كثير من طواحين الحبوب بالرحى الكبيرة التى يديرها الحمير، و كانت فى كل محلة طاحونة يديرها الحمار، أما فى وقتنا الحاضر فلم يبق للطواحين وجود، اللهم إلا بضع طاحونات صغيرة تدار بالكهرباء و ذلك بسبب ورود الدقيق من الخارج بكميات كبيرة. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ١-٢؛ ص ١٥٤

### وجود الأفران لعمل الخبز بمكة

الأفران جمع فرن، بضم الفاء، و هو مكان لخبز أقراص العيش، لقد كانت الأفران بمكة كثيرة جدا، ففى كل محلة يوجد فرن أو فرنان، لأن جميع الناس كانوا يعجنون دقيقهم فى بيوتهم و يعملونه أقراصا متعددة، فيضعونها فوق لوح من الخشب، حتى إذا اختمرت و حان وقت خبزها، بعثوا بها مع أولادهم أو خدمهم إلى الفرن لتخبز، فتدحم ألواح العيش فى الفرن من الصباح إلى قرب المغرب، فجميع الناس لا- يأكلون إلا من خبز بيوتهم، و لا يشتري الخبز من السوق إلا النادر، و إلا من كان من طبقة العمال و الفقراء، و هذه الأفران كلها كانت توقد بالحطب الكثير.

ثم بمرور الزمن تطور الناس فى أعمالهم و معاشهم فيما جاءت سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين هجرية، إلا- و قد

هدمت الأفران و ما جاورها من المنازل و البيوت و بنيت فى أماكنها العمارات الشاهقة و القصور الفخمة، فلم يبق بمكة إلا قليل من الأفران تعد على الأصابع، و هذه الأفران قد تطورت إلى أفران التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٥٥

فنية توقد بالكاز بدلا من الحطب، و صار أقرص العيش فيها مخبوزة خبزا طيبا، فإنها مستوية لذيذة للغاية، فصار جميع طبقات الناس يشترن خبزهم من هذه الأفران الفنية، و بطلت عادة عمل أقرص العيش فى البيوت، فصار الغنى و الفقير و الأمير و الوزير يأكلون من خبز هذه الأفران الحديثة لطيبها و لذتها و نظافتها- مع العلم بأن بناء الأفران ليس من السهل، بل يحتاج إلى معرفة و خبرة، و كل ذلك كان من عمل أهل مكة المكرمة الكرام.

### صناعة القدور و الأوانى النحاسية بمكة

صناعة القدور و الأوانى النحاسية قديمة العهد بمكة المكرمة مثل بقية البلدان و الممالك، و لا يعرف بمكة صناعة القدور و الأوانى من الفخار و الطين، لأن لهذه الأوانى طين خاص، و تراب مكة لا يصلح لمثل هذه الأشياء، أما فى مصر فيصنعون القدور و الأوانى الفخارية الطينية صناعة ممتازة جدا إلى اليوم مع كثرة وجود الأوانى النحاسية أيضا، و لذلك يصنعون فى بلاد اليمن القدور و الأوانى الفخارية من الطين بل و يصنعون منه أدوات الشاى و القهوة و الفناجين، إنهم هناك يعملونها بكثرة زائدة إلى اليوم، و الحقيقة أن لذة الأكل و الطبخ فى القدور و الأوانى الفخارية الطينية مع الحطب و الفحم، تفوق بكثير على لذة الأكل و الطبخ فى القدور النحاسية فوق دافور الكاز أو البوتوكاز، و لا زالت صناعة القدور و الأوانى النحاسية و تبيضها موجودة إلى اليوم بمكة المكرمة بمختلف أحجامها و أنواعها.

أما القدور و الأوانى و الملاعق من الألمنيوم المسمى عندنا بالحجاز التوتوه، فأول ما ظهر ذلك فى الدنيا منذ سنة (١٣٣٠) ألف و ثلاثمائة و ثلاثين هجرية، و ما زالت صناعتها تتقدم و تتزايد إلى اليوم حتى غزت الأسواق فى جميع البلدان و الممالك، و قد وردت بكثرة فائقة قدور الألمنيوم و أوانيه إلى الحجاز من بعد سنة (١٣٦٠) ألف و ثلاثمائة و ستين هجرية. و ما زالت الدكاكين مملوءة بها إلى يومنا هذا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٥٦

### تجار الساعات بمكة المكرمة

لم يكن موجودا بمكة المكرمة إلا أنواع قليلة من الساعات، و كان أشهرها و أغلاها و أضبطها ساعة الجيب المعروفة "بالراسكوف"، و كان لا ينقص ثمنها عن جنيه من الذهب، و ذلك من نحو خمسين سنة، ثم بدوران الزمن و تقدم الرقى و التمدن، تطور صناعة الساعات فظهر لها من الأشكال و الأنواع ما يدهش العقول و يجذب الأنظار، فوردت إلى مكة المكرمة جميع هذه الأنواع و الأشكال من الساعات، سواء ساعات الجيب أو ساعات اليد أو ساعات الحوائط و الجدران، و ذلك ابتداء من سنة (١٣٦٠) ألف و ثلاثمائة و ستين هجرية، فلقد غزت هذه الساعات جميع الأسواق المحلية و الخارجية، فبعد أن كان المستوردون لها بمكة المكرمة بضعة أشخاص، أصبح المستوردون لها اليوم عددا و فيرا.

و لا ننسى الدولة التركية العثمانية عندما كانت متوجة بغز الخلافة الإسلامية، ما كانت تستورده من بلاد سويسرا موطن مصانع الساعات، من ساعات الجيب الجميلة الدقيقة، و كانت تمتلى من ظهرها بواسطة مفتاح منفصل عنها طوله نحو اثنين سنتى، و غلظه

كغلق عود الكبريت، و ما زال منها إلى اليوم بقايا في بلاد العراق.

هذا و إن بلاد سويسرا هي شهيرة بصنع أنواع الساعات كلها من قديم الزمن، كما أن بلاد ألمانيا شهيرة بصنع ساعات الحائط الكبيرة بغاية الجودة، كما أنه توجد مصانع الساعات في بلاد فرنسا و بلاد اليابان، و أن أجود الساعات لصغيرة اليدوية و الجيبية هي كما يأتي:

(١) ساعات أوميغا.

(٢) ساعات لونجين.

(٣) ساعات رولكس.

(٤) ساعات رومر.

(٥) ساعات زينيت.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٥٧

هذا ما حضرنا من أسماء الساعات الراقية الجيدة، و هناك أصناف أخرى لا نتذكرها، و كل هذه الأصناف و غيرها من أنواع الساعات العجيبة موجودة بمكة المكرمة.

و هنا يجب أن نذكر ما يحضرنا من أشهر تجار الساعات بمكة المكرمة، و هم كما يأتي:

(١) الشيخ محمد صادق المجددي.

(٢) الشيخ محمد حبيب الجوهرجي.

(٣) الشيخ محمد بن معروف باجمال.

(٤) الشيخ محمود حسن غباشي.

(٥) الشيخ عبد الرحمن المدني.

(٦) السيد بكر تونسي.

(٧) الشيخ سعيد قطب.

(٨) الشيخ هاشم إبراهيم ناقدو.

(٩) الشيخ جميل خوقير (ياك محل).

(١٠) الشيخ عبد الرحمن بخشي و إخوانه.

(١١) الشيخ عبد الرحيم الساعاتي.

هذا ما خطر في بالنا من أسماء تجار الساعات المستوردين لها، و نرجو المعذرة ممن غاب عنا أسماءهم.

و هناك كثيرون ممن يحترفون إصلاح الساعات بجميع أنواعها الكبيرة و الصغيرة لا تحضرنا الآن أسماءهم.

هذا و بمناسبة الكلام على الساعات، نقترح على حكومتنا السعودية و فقها الله تعالى: أن توصي مصانع الساعات الكبيرة ساعات الحائط، أن تعمل مائة ساعة كبيرة دقاقة، لوضعها في المسجد الحرام من الداخل و الخارج، و على الصفا و المروة، و على مسجد جبل أبي قبيس الذي في أعلاه، و على جبل الهندي، و في مداخل ميادين مكة، و في شوارعها الكبيرة، و في منى، و في غير ذلك من المحلات التي يكثر مرور الناس منها، كل ذلك ليعرف الناس الأوقات من هذه الساعات

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٥٨

المطلقة عليهم، و لتكون هذه الساعات زينة للبلدة المقدسة، تظهر أمام الحجاج الكرام في كل موسم، و مائة ساعة ليست كثيرة على مكة المشرفة بعد أن اتسعت رقعتها، و كثرت شوارعها و ميادينها، فإن المسجد الحرام وحده يحتاج إلى ثلث هذا العدد في الطابق العلوي و الطابق الأرضي.

و الله الموفق للصواب.

### الكتيبة بمكة المكرمة

يوجد كثير من دكاكين بيع الكتب الدينية و العربية و الكتب العصرية و الجرائد و المجلات من قديم الأزمان، و أغلب هذه الدكاكين كان حول المسجد الحرام و عند أبوابه، كباب السلام الكبير و باب السلام الصغير، و باب الزيادة و باب إبراهيم و باب العمرة و باب الدريية، ثم لما حصلت التوسعة في المسجد الحرام و الشوارع بمكة المكرمة، و هدمت المحلات و البيوت التي حول المسجد الحرام، انتقلت الدكاكين و المحلات القديمة إلى بعض الجهات بمكة المكرمة.

فما يوجد الآن بمكة المكرمة من دكاكين بيع الكتب المختلفة و في مقدمتها المصاحف الشريفة، ما يأتي في هذا الجدول:

عدد/ اسم المكتبة/ اسم صاحبها/ الجهة التي تقع فيها ١/ مكتبة المعارف/ للشيخ أحمد سعيد حلواني/ بالصف

٢/ مكتبة العرابي/ للشيخ عبد الله عرابي/ بالصف

٣/ المكتبة التجارية/ للشيخ نبيل مصطفى الباز/ بالصف

٤/ مكتبة دار التعاون/ للشيخ عباس أحمد الباز/ بالمروة

٥/ مكتبة ميرو/ للشيخ مصطفى ميرو و أولاده/ بالمروة

٦/ مكتبة الثقافة/ للشيخ صالح محمد جمال/ بسوق الليل

٧/ مكتبة النهضة الحديثة/ للشيخ عبد الشكور فدا/ بسوق الليل

٨/ مكتبة المرزا/ للشيخ عبد العزيز مرزا و أولاده/ بالمروة

٩/ المكتبة السلفية/ للشيخ صالح الباز و أولاده/ بالقشاشية

١٠/ مكتبة النهضة/ للشيخ علي الباز و أولاده/ بالصف

١١/ المكتبة العلمية/ للشيخ عبد الفتاح فدا و أولاده/ بباب السلام

١٢/ مكتبة التقدم العلمية/ للشيخ عبد الحميد فدا/ بالصف

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٥٩

هذا ما يوجد بمكة المشرفة من المكتبات التي تباع فيها المصاحف الشريفة و كتب التفسير و الحديث، و كتب اللغة و الأدب و الدواوين الشعرية، و كتب التاريخ و الفنون، و الكتب العصرية الحديثة، و كتب القصص و الحكايات و الروايات، و المجلات و الصحف المحلية و غيرها، و هناك مكتبات أخرى لم نتذكرها يباع فيها الأدوات الكتابية من الأقلام و الأوراق و الظروف و الحبر، و كل ما يستلزمه الكتابة، فلا يحتاج أحد إلى شيء إلا و وجدته. و أسماء المكتبات المذكورة كتبها لنا الشيخ عبد الشكور فدا.

### منجر الأخشاب بمكة المكرمة

كان نشر الأخشاب بمكة المكرمة يكلف عناء عظيما و تعباً كبيراً للعمال الذين ينشرونها، علاوة على ما في نشرها بالأیدی من تكاليف باهظة، و من أخذ وقت طويل في إنجازها و إتمامها، و لقد كانوا ينشرون ألواح الأخشاب العريضة السميكة بكيفية عجيبة فريدة، و هي أنهم كانوا يضعون اللوح الثخين المتين فوق نحو سلمين على ارتفاع قامه فأكثر، ثم يطلع فوق اللوح رجل و يقف تحته على

الأرض رجل آخر، ثم يأتيان بمنشار كبير طوله نحو مترين، وقد جعلوا في طرفه الأول خشبا بالعرض و في طرفه الثاني كذلك، فيجر الأول المنشار على اللوح إلى أعلا، ثم يجر الثاني المنشار على اللوح إلى أسفل، وهكذا يستمر نشر اللوح حتى ينتهي قطعه، و كلما نشروا جزءا من اللوح وضعوا قطعة صغيرة من الخشب بوسط الشق ليسهل النشر و يسهل جر المنشار، و هذه القطعة تسمى عندهم بالخابور، و هلم جرا في نشر جميع الألواح الخشبية الكبيرة.

أما نشر الألواح الصغيرة و مسحها بالفارة و تقطيعها إلى أجزاء حسب الرغبة، فإن ذلك يكون بالمناشير الصغيرة بعمل نجار واحد فقط، و كل ذلك يستلزم التعب و المشقة و تكاليف زائدة كما يأخذ وقتا أكثر.

فلما انتعش الناس و ازداد العمران بمكة المشرفة في العهد السعودي، استحضر بعضهم منجرا لنشر الأخشاب و قطعها و مسحها بالكهرباء، و يسمى عندنا "بالمنجر" أو "بالورشة الكهربائية للنجارة"، و أول من أحضر منجرة بمكة المكرمة هو الشيخ أحمد نحاس رئيس طائفة النجارين، فلقد أحضرها إلى مكة المشرفة في سنة (١٣٥٨) هجرية، ثم بعده أحضر الناس كثيرا من المناجر الكهربائية لنشر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٦٠

الأخشاب، حتى صار يوجد منها الآن بمكة المكرمة ثلاثون منجرة كهربائية، كما أخبرنا بذلك رئيس طائفة النجارين المذكور، و هي كما يأتي:

- (١) منجرة الشيخ أحمد نحاس.
- (٢) منجرة الشيخ محمد عبد الواحد.
- (٣) منجرة الشيخ صالح ناقور.
- (٤) منجرة الشيخ محمد طائفي.
- (٥) منجرة الشيخ صديق نجوم.
- (٦) منجرة الشيخ عربي مغربي.
- (٧) منجرة الشيخ شكري نجوم.
- (٨) منجرة الشيخ حسن وهبو.
- (٩) منجرة الشيخ حسن حموده.
- (١٠) منجرة الشيخ محمود موسى.
- (١١) منجرة الشيخ أحمد كسوره.
- (١٢) منجرة الشيخ صدقة و سراج كعكي.
- (١٣) منجرة الشيخ سليمان غباشي.
- (١٤) منجرة الشيخ أحمد رزق.
- (١٥) منجرة الشيخ عبد القادر صعذر.
- (١٦) منجرة الشيخ حجي عباسي البخاري.
- (١٧) منجرة الشيخ أحمد مكي.
- (١٨) منجرة الشيخ أحمد داغستاني.
- (١٩) منجرة الشيخ أحمد و محمد كعكي.
- (٢٠) منجرة الشيخ علي علوش.



(٢١) منجرة الشيخ أحمد مشيع الغامدى و شريكه أحمد بكرى.

(٢٢) منجرة الشيخ عايض الغامدى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٦١

(٢٣) منجرة الشيخ سعد الغامدى.

(٢٤) منجرة الشيخ عمر خوقير.

(٢٥) منجرة الشيخ عباس رشوان.

(٢٦) منجرة الشيخ صالح كسار.

(٢٧) منجرة الشيخ محمد سعيد أخضر.

(٢٨) منجرة الشيخ سليمان كسار.

(٢٩) منجرة الشيخ سعيد عجب نور.

(٣٠) منجرة الشيخ عبد الله كعكى.

نقلنا هذه الأسماء كما جاءتنا من رئيس طائفة النجارين عندنا، بدون مراعاة للترتيب و الأسبقية لإحضار الورشة، نسأل الله تعالى التوفيق و السداد.

### المصورتية بمكة المكرمة

لم يكن بمكة المشرفة فى سابق الأزمان أحد من المصورتية يأخذ صوراً فتوغرافية للناس، فلما جاءت الحكومة السعودية و تطورت الحياة عندنا و تقدمت الحرف و الصناعات، ظهرت بعض المصورتية بمكة المكرمة من سنة (١٣٥٠) ألف و ثلاثمائة و خمسين هجرية، لأخذ صور المسافرين إلى الخارج، و لأخذ صور الذين يطلبون التابعيات من أهل البلاد، و لأخذ صور الذين يطلبون عمل الإقامات من الأعراب، و لأخذ صور بعض الحفلات، مع العلم بأن أخذ صور النساء عندنا فى جوزات السفر أو للتابعيات أو للإقامات ممنوع منعا باتا مطلقا إلى يومنا هذا.

ثم بعد ذلك كثر المصورتية عندنا من أهل البلاد و من غيرهم كثرة زائدة شيئا فشيئا، حتى صار يوجد بمكة اليوم و نحن فى سنة (١٣٨٥) هجرية طائفة من المصورتية، نذكر منهم ما يأتى:

عدد/ اسم المصورتى/ بعض الملحوظات /١/ صبرى بوشناق/ هو من مكة المكرمة، يشتغل فى التصوير قديما

/٢/ جميل بوشناق/ هو من مكة المكرمة، يشتغل فى التصوير قديما

/٣/ محمود شفيق/ هو من مكة المكرمة، يشتغل فى التصوير قديما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٦٢

/٤/ سعيد شاوولى/ هو من مكة المكرمة، يشتغل فى التصوير قديما

/٥/ الزبير/ إنه من الهند، يشتغل فى التصوير من سنة ١٣٦٥ تقريبا

/٦/ استوديو الشباب/ لصاحبه على هزاع، يشتغل بمكة من سنة (١٣٨٣) هجرية

/٧/ صاحب استوديو الشرق/ إنه من حضرموت، يشتغل بمكة من سنة ١٣٧٩ تقريبا

/٨/ صاحب استوديو أكفا/ إنه من جاوة، يشتغل بمكة من سنة ١٣٧١ تقريبا

/٩/ صاحب استوديو الشمس/ إنه من الهند، يشتغل بمكة من سنة ١٣٨١ تقريبا

١٠/ صاحب استوديو العلم الأخضر/ لم نعلم شيئا عن صاحبه، يشتغل بمكة من سنة ١٣٨٢ تقريبا

١١/ صاحب استوديو النصر/ إنه من جاوة أو من الهند، اشتغل بمكة من سنة ١٣٨٣ تقريبا

١٢/ محمد سليمان الكثيري/ إنه من حضرموت، اشتغل بمكة من سنة ١٣٧٤ تقريبا

١٣/ استوديو العاصمة/ لصاحبه أحمد محمد العدني، اشتغل بمكة من سنة ١٣٨٢ تقريبا

هذا ما يحضرنا من أسماء المصورين بمكة المكرمة، و يوجد بها غيرهم أيضا لكن لم نقدر على البحث عن محلاتهم، و فيما ذكرناه كفاية لمن أراد الوقوف على سرعة التطور الحديث عندنا، مع العلم بأن غالب المتعلمين المثقفين لديهم آلات التصوير يأخذون صور ما يرغبون من الأشخاص و المناظر الطبيعية. و مما يجدر بالذكر: إن لفضيلة العلامة الجليل شيخنا الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية الأسبق رحمه الله تعالى، رسالة فريدة قيمة جدا اسمها "الجواب الشافي في التصوير الفتوغرافي" أفتى فيها بحل التصوير، و هي رسالة طبعت في حياة مؤلفها عليه الرحمة و الرضوان، و نظنها أنها مطبوعة منذ سنة (١٣٤٦) هجرية، فجزى الله تعالى صاحبها عن الإسلام و المسلمين خيرا، و نحن نعتقد أنه لم يوجد في عصرنا الحاضر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٦٣

أخذ مثله ممتلئ من العلم و الفضل و الصلاح، فقد كان رحمه الله تعالى بحرا لا ساحل له، كانت تأتيه الأسئلة في مختلف العلوم و الفنون من جميع الممالك الإسلامية و هو يرد عليها بالأجوبة الشافية الوافية بما يقنع السائلين من جميع الوجوه.

### الآلات الكاتبة بمكة المكرمة

الآلة الكاتبة ظهرت لأول مرة في الوجود في سنة (١٨٦٦) ميلادية، اخترعها كرسنوفر لاثام شولز من مدينه بنسلفانيا، بمساعدة صديقه صامويل سول- فلما علم بهذا الاختراع (رمنجتون و أولاده) بنيويورك في أمريكا و هو رجل له خبرة بصنع الماكينات و عنده خبراء موظفون في هذا الشأن. لما علم (رمنجتون) و أولاده باختراع الآلة الكاتبة قابل هذا المشروع بحماسة زائدة، و اشترى هو و أولاده امتياز هذا المشروع من مخترعه شولز و صديقه صامويل سول، و انضم لهم ثالث اسمه دنسمور، ثم ما زالت التحسينات تدخل على الآلة الكاتبة، حتى بلغت اليوم درجة الكمال و صارت الآلة الكاتبة في عصرنا الحاضر تشغل جزءا هاما من حياتنا العملية.

و لم تكن مكة المكرمة فيما مضى من العصور و الأزمان تعرف الآلات الكاتبة، فإن جميع أهلها كانوا يكتبون بأيديهم بأقلام القصب و بالحبر الأسود، سواء في الأعمال الشخصية و التجارات، أو في الأعمال الرسمية في دوائر الحكومات- هكذا كان الحال في مكة المشرفة و جميع الممالك و الأقطار.

فلما اخترعوا الآلات الكاتبة في قرننا هذا، القرن الرابع للهجرة، ظهرت في بعض الأقطار العربية، ثم انتشرت و شاع استعمالها تدريجيا كما هو سنة التطور، فكان أول ظهورها بكثرة في مكة المكرمة في العهد السعودي، و كانت ذلك أول الأمر في سنة (١٣٥٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و خمسين هجرية تقريبا، في ديوان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى، و في ديوان سمو ولي عهده، ثم انتشرت الآلات الكاتبة في جميع دوائر الحكومة عندنا و في جميع الدوائر التجارية و غيرها، و أول مدرسة فتحت لتعليم الكتابة على الآلات الكاتبة بمكة المكرمة، كانت في سنة (١٣٦٩) ألف و ثلاثمائة و تسع و ستين هجرية. و الله الموفق للصواب و إليه المرجع و المآب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٦٤

إن مكة المكرمة لا تنزل فيها الأمطار إلا قليلا، أما الثلج فلا ينزل فيها من السماء مطلقا كما ينزل في بلاد روسيا و الأتراك و الأكراد و العراق و غيرها، نعم ينزل بمكة البرد مع الأمطار في بعض الأوقات و بعد مرور عدة سنوات، و يكون حجم البرد بمقدار حبات العنب بل أصغر، و لقد سمعنا أن البرد في بلاد اليمن يكون بحجم البرتقال و الرمان. و البرد بفتحتين شيء ينزل من السحاب يشبه الحصى و يسمى حب الغمام و حب المزن كما في المصباح المنير، و إذا نزل البرد عندنا بمكة مع المطر يفرح به الصبيان، و بعضهم يجمع مقدارا من هذا البرد ثم يضعه في كأس من الماء ليبرد ثم يشربه.

هذه حالة مكة المكرمة "بلد الله الأمين"، إنها لا تعرف الثلج الإلهي و لا الصناعي في سابق العصور و الأزمان، ثم بدأ ظهور الثلج الصناعي بمكة المشرفة و صار فيها خمس مصانع كما يأتي:

(١) مصنع الحاج نسيم الشامي أقامة في سنة (١٣٣٨) هجرية تقريبا، بجهة سوق المعلا في طرف مقبرة المعلا من الخارج، ثم اشتراه منه الشيخ عبد الله باحمدين رحمه الله تعالى و أبقاه في محله المذكور بالمعلا، ثم نقل المصنع إلى أم الدود في طريق جدة.

(٢) و مصنع الثلج للأخوين الشقيقين الشيخ صدقة و الشيخ سراج كعكي، و كان ابتداء تشغيل هذا المصنع في سنة (١٣٧٠) ألف و ثلاثمائة و سبعين هجرية، و هو واقع بجهة جروول.

(٣) و مصنع الثلج للشيخ عبد الله كعكي، و قد أقامه في سنة (١٣٧٥) هجرية تقريبا، و هو واقع بجهة المسفلة.

(٤) و مصنع الثلج للشيخ طه خياط، و قد أقامه سنة (١٣٧٧) هجرية تقريبا، و هو واقع بجهة الششة فيما بين مكة و منى.

(٥) مصنع الثلج للشيخ محمد عمر سعيد عيد، و قد أقامه في سنة (١٣٧٩) هجرية تقريبا، و هو واقع في حوض البقر بين مكة و منى.

الله تعالى أعلم عدد ما يكون من مصانع الثلج أو غيره في بلده الأمين (مكة المكرمة) أدام الله أمنها و أمانها و خيرها و رخاءها و بارك في طعام أهلها و معيشتهم آمين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٦٥

### الكاكولا بمكة المكرمة و غيرها من المشروبات الحلوة اللذيذة

كانت العادة بمكة المكرمة من قديم الأزمان، أن يقدموا للزوار و الضيوف في مناسبات أفرح في الأعياد و الزواج و الختان، و عندما يختم أطفالهم في الكتابات القرآن الكريم نظرا أو غيبا، أن يقدموا للحاضرين في بيوتهم الشربات، و هي عبارة عن إذابة السكر في الماء في أزيار من الطين أو في مواعين نحاسية، و يخلطون فيها قليلا من الصباغ الملون إما أصفر و إما أحمر أو الأخضر أو الأزرق، و يضعون فيها قليلا من ماء الورد أو ماء الكادي أو المصطكي، و قد يضعون في هذا الماء ملح الليمون أو يعصرون فيه نفس الليمون، ثم يسكبونه في أكواب و كاسات من الزجاج البلور، ثم يقدمونها للزوار و الضيوف، و تقديمها ضروري للضيوف في هذه المناسبات، و كذلك الشاي.

و لقد قال أحد شعراء مكة المكرمة، و هو الشيخ أحمد بن أمين بيت الخال المتوفى في سنة (١٣٠٥) هجرية تقريبا:

إذا زار من تهواه يوما مودة و قد أيقنت بالود منك نفوسه

فإن رمت أن تحظى بلطف حديثه و بادرت بالشاهي يطول جلوسه

و إن تسقه الشربات يا صاح إنه يقوم إذا دارت عليه كؤوسه

فمن هنا يعلم أن أهل الحجاز كانوا و لا يزالون يحبون شرب الشاي في كل الأوقات، أما الشربات فما كانوا يقدمونها للضيوف إلا في المناسبات التي ذكرناها، مع العلم بأن الشربات قبل وجود الثلج عندنا بمكة المكرمة كانوا يعملونها بالماء البارد الذي يبرد في الهواء

فقط.

لقد كانوا يعملون أنواع الشرابات من الأشياء الآتية: من التمر الهندي، و من الزبيب، و من التمر اليابس، و من الخرنوب، و من عصير الليمون، و من السويبا، و هو عبارة عن منقوع الخبز اليابس بعد تصفيته، و كانوا يضعون كل ذلك في أزيار معمول من الطين، و كانت تبرد في الهواء الطبيعي في الأسواق، و كانوا ينقون بزر الريحان في الماء، فإذا طلب أحدهم أن يشرب كأسا من هذه الشرابات، وضع البائع في كأسه ملعقة من منقوع بزر الريحان فيكون لذيذا سهل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٦٦

الهضم، و كان هناك شراب ممتاز جيد للهضم يسمى "القازوزة" يباع مع الشرابات المذكورة، و كان للقازوزة قوارير خاصة توضع فيها كل قارورة مفتوحة من جانبي رقبتها، و في داخل كل قارورة قزازة صغيرة كروية الشكل بحجم حبة العنب لا تخرج من فم القزازة لضيق رقبتها، ثم بطلت هذه الشرابات البلدية من نحو ثلاثين سنة تقريبا، و استعوض عنها بالشرابات الخارجية. ثم وجدت في الأسواق قوارير الشرابات المختلفة الأنواع، من شراب الورد و شراب البرتقال، و شراب التوت، و شراب المانقا المسمى بالأنبا، و شراب الرمان، و غيرها، كانت تأتي من الخارج من مصر و الآستانة و سوريا و غيرها.

ثم لما ظهر الثلج الصناعي بمكة المكرمة و كثر وجوده، ظهر عندنا شراب "الكاكولا" و هو متخذ من الشاي و قهوة البن، مع خلطه بشيء من الصودا أو الكربون من الأشياء المهضمة، و ظهر ذلك عندنا من بعد سنة (١٣٧٠) من الهجرة تقريبا، ثم بعد ظهور الكاكولا عندنا بسنوات، ظهر شراب الليمون، و شراب البرتقال، و شراب البيبسي، و شراب ميراندا، و شراب التفاح، و شراب الفرتبول، و شراب سينالكو، و توضع كل هذه الأشربة بقواريرها في الثلج لتبرد ثم تشرب- و قد ظهر شراب الكاكولا و هذه الأشربة في الممالك الأخرى قبل ظهورها عندنا بسنوات معدودات، و مصانع هذه المشروبات اللذيذة موجودة بجدة و لكن أصحابها من أهل مكة المكرمة، و هم كما يأتي: الشيخ صدقة و الشيخ سراج كعكي و هما أخوان شقيقان لهما مصنع الكاكولا، و الشيخ عطا إلياس له مصنع الفرتبول، و كذلك الشيخ بكر تونسي- نسأل الله تعالى التوفيق لكثير من الأمور النافعة.

### مصنع الحلويات بمكة المكرمة

لم يكن بمكة المكرمة مصنع للحلويات كما في الخارج، و إنما كان أهلها من جنس الهندود يصنعون بها الحلويات البلدية، كالحلاوة الحمصية و حلاوة اللدو، و حلاوة الهريسة، و حلاوة المشبك "بتشديد الباء الموحدة"، و الحلاوة اللبنيّة و غيرها، ثم وردت إلينا الحلويات المنوعة من الخارج حتى كادت هذه الحلويات البلدية أن تندثر الآن.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٦٧

ثم إنه في سنة (١٣٧٤) تقريبا، فتح الشيخ عبد الله كعكي شيخ الفرانعة عندنا أول مصنع بمكة المكرمة للحلويات كما في الخارج، فصار هذا المصنع يخرج لنا من الحلويات أصنافا كثيرة، و قد سمعنا أيضا أنه يوجد مصنع آخر اسمه "مصنع حلويات الحرمين" و هو واقع فيما بين مكة و جدة و إلى مكة أقرب، و نظن أنه واقع في أم الدود أو في حدة "بالحاء المهملة"، و إن شاء الله تعالى ستتوالى المصانع المختلفة عندنا، ففي المثل "أول الغيث قطر ثم ينهمر" نسأل الله تعالى أن يكثر علينا الخيرات و البركات آمين.

### الصياغة بمكة المكرمة

الصياغة من الأمور الضرورية للبشر، لما فيها للنساء من التحلية و التزين بالذهب و الفضة و اللآلي و الجواهر، فهي من الصياغات

القديمة المعروفة في جميع بلدان العالم و منها الحرمان الشريفان "مكة المكرمة و المدينة المنورة".  
 و من الأدلة الواضحة المكشوفة على أن الصياغة قديمة العهد، ما نراه في المتاحف و دور الآثار بمصر من الحلى و أنواع الأشياء الذهبية و الفضية الخالصة الجميلة البراقة، و من التوابيت الذهبية المحفوظة التي تدهش الناظر و تأخذ بالألباب، إنهم عثروا عليها في الحفريات في القطر المصرى و هى مصنوعة من منذ خمسة آلاف سنة بل أكثر، و مثل ذلك يوجد أيضا في بلاد اليمن و فى بلاد العراق و فى بلاد الأردن و غيرها من البلدان. و لقد اطلعنا على الآثار و المتاحف الموجودة بمصر، عندما كنا هناك من سنة (١٣٤٠) ألف و ثلاثمائة و أربعين هجرية، عند ما كنا نطلب العلم فى الأزهر الشريف المعمور، زاده الله تعالى علماء و خيرا و بركة.  
 فمكة المشرفة تعرف الصياغة من قديم الأزمان و العصور، و فى عصرنا هذا، عصر التقدم و التمدن برع أناس من أهل مكة فى صنعة الصياغة إلى درجة عظيمة، لأن فيهم ذكاء و نشاطا فطريين، و لأهل الصياغة عندنا سوق معروفة خاصة، و عليهم شيخ من أهل الصنعة، و فى دكاكينهم أنواع كثيرة مختلفه من الحلى، كالعقود اللؤلؤية، و الأسورة الذهبية، و الخواتيم المحلاة بالأحجار الكريمة، و غير ذلك من المصوغات.

و هناك طائفة منهم عريقون فى صنعة الصياغة أبا عن جد بالوراثة، و بعضهم مستجد مارس هذه المهنة اللطيفة النظيفة بنفسه عن رغبة و شوق فصار يشار إليه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٦٨

بالبنان- الحاصل أن مكة المكرمة لا توجد صنعة فى الدنيا إلا و فيها مثلها و لله الحمد، و لا غرو فهى بلد الله الأمين، و بلد رسوله العزيز المكين، ففيها نبع الإسلام، و إليها يعود الإيمان، فهنيئا لأهلها و من كان فيها، إنها البلدة الطاهرة الزاهرة، المشرفة الآمنة العامرة. نسأل الله تعالى التوفيق و صلاح الحال و الأحوال آمين.

### مزارع الدواجن بمكة المكرمة

تقدم أن ذكرنا عن الدجاج الخارجى بمكة المكرمة، و هنا نذكر أيضا بصورة مختصرة عن مزارع الدواجن بمكة، فإنه يوجد بمكة شرفها الله تعالى ثلاث مزارع، (الأولى) مزرعة فقيه للدواجن و هذه المزرعة أقدم المزارع (و الثانية) مزرعة الشيخ عبد الله كعكى، (و الثالثة) مزرعة الشيخ عبد الله كوير.

و تسمية كل واحدة منها بمزرعة من باب اللطافة، فإنه ليست مزرعة بالعنى الحقيقى، غير أن هذه الأماكن الثلاثة، يوجد فى كل واحدة منها قليل من الرياحين و الزروع الخفيفة، كما أن تسميتها بالدواجن من باب التشهير فقط، إذ ليس بها شىء من الدواجن غير الدجاج الخارجى.

و من عجيب الأمر الذى يلفت النظر، أن البيض الخارجى موجود عندنا بكثرة، أما البيض البلدى فإنه يكاد يندم من البلاد، مع أنه كان فى الأزمنة الماضية يوجد بكثرة وافر فى الأسواق، فالأمر لله عز و جل.

### زيت المازولا بمكة المكرمة

لم يكن بمكة المكرمة من سابق الأزمان غير زيت الزيتون و زيت السمسم، ثم جاءها من الخارج زيت المازولا، بضم الزاى، و ذلك فى سنة (١٣٧٦) ألف و ثلاثمائة و ست و سبعين هجرية تقريبا، و هو زيت مستخرج من الضرة الحبشى، بضم الضاد و تخفيف الراء و فتحها، و هو الضرة التى تشوى فوق الجمر، إنه زيت خفيف جدا على القلب و المعدة لعدم وجود الدهن فيه إلا بقله، لذلك الأطباء

يصفونه للمرضى الذين هم ممنوعون من أكل السمن و الدهن، و هذا الزيت يأتي في زجاجات و في علب. هذا و الله تعالى أعلم ماذا سيظهر من الزيوت في الدنيا، و ربما ظهر زيت صناعي كما ظهر سمن صناعي، أما زيت الأخشاب فهو موجود

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٦٩

في الخارج بكثرة، و هو يستعمل في بعض المأكولات و في قلى بعض الأشياء، و هذا الزيت رخيص، كما ظهر في الوجود زيت السمك، و هو زيت عظيم النفع لا يستعمل إلا في بعض الأمراض بنقط معدودة، مثله أيضا زيت صفار البيض، و قد سمعنا أنهم في الخارج يحاولون استخراج الزيت من الماء، و ربما يستخرجون أيضا زيت بعض الحبوب و الخضار و الفواكه، و زيت القطن موجود بمصر. أما زيت الزيتون و زيت السمسم فهما معروفان من قديم الدهور و العصور خصوصا زيت الزيتون، و لهما من المنافع و الفوائد ما لا يخفى.

### صالونات الحلاقة بمكة المكرمة

لم تكن بمكة صالونات الحلاقة، و إنما كان الحلاقون يفتحون دكانا صغيرا للحلاقة في أنحاء مكة، و أكثر دكاكين الحلاقة كانت مجموعة بجوار بعض في نهاية المسعى عند المروة، حيث ينتهي عندها الساعون المحرمون بالحج أو بالعمرة فيحلق هناك رأسه أو يقصر، فكان الناس يذهبون إلى دكاكين الحلاقة ليحلقوا رؤوسهم أو يصلحوا ذقونهم، و بعضهم يتفق مع الحلاق ليذهب إلى بيته في كل أسبوع مرة ليحلق له، و كان جميع الناس حتى تلامذة المدارس يحلقون رؤوسهم بالموسى من قديم الأزمان إلى سنة (١٣٦٠) هجرية تقريبا.

ثم بعد هذه السنة المذكورة كثر وجود الأعراب بمكة المكرمة كثرة فاحشة من كافة الأجناس و الطبقات، فتعلم أهل البلدة الطاهرة من هؤلاء تربية شعر الرأس و التواليت، خصوصا و أن بعض هؤلاء الأعراب افتتحوا صالونات جميلة للحلاقة في الشوارع، في دكاكين مزينة بأدوات الحلاقة الحديثة، حتى صاروا يحلقون الذقون بالمكائن الكهربائية.

و أغلب هؤلاء الحلاقين من سوريا و فلسطين و الأردن، و هكذا تطورت البلاد في كل الحالات.

### الدجاج الخارجي بمكة المكرمة

لم يكن في سابق الأزمنة يأتي دجاج من الخارج إلى مكة المكرمة، و لكنه في الوقت الحاضر، أي من سنة (١٣٧٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و سبعين هجرية تقريبا أحضر بعضهم إلى مكة من الخارج صغار الدجاج المسماة عندنا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٧٠

(بالفرايج)، و المسماة بمصر (بالكتاكت)، أحضر منها كثرة و فيرة لتربيتها بمكة و بيعها إذا كبرت، و أحضر معها أطعمتها الخاصة التي يطعمونها في بلادها، و وضعها في حديقة صغيرة وسط غرفة باردة، و وضع عليها من يطعمها و يسقيها بصورة فنية، و وضع بعضها بأعلا مكة عند حوض البقر، و بعضها في الحفائر بأسفل مكة، فما كبر منها و صار صالحا للأكل أنزلها إلى السوق للبيع.

و لما كانت هذه الدجاجات في أرض مزروعة ببعض الرياحين و الزهور أطلقوا على موضعها مزرعة الدواجن مع أنه ليس فيها سوى الدجاج، قال في مختار الصحاح: و الدجاج معروف، و فتح الدال أفصح من كسرهما، الواحدة دجاجة ذكرا كان أو أنثى، و الهاء للإفراد كحمامة و بطء، انتهى منه. و من هنا يعلم أن نطقنا الدجاجة بضم الدال خطأ محض.

## الحوت و السمك الطرى بمكة المكرمة

الحوت و السمك عندنا بالحجاز بمعنى واحد، و فى الخارج فى بعض الممالك يقولون للحوت صغار سمك و للسمك الكبار حوت.

و الحوت فى مدن الحجاز التى على ساحل البحر الأحمر كثير، كجدة و رابغ و ينبع و ما بينها من المحطات و المواقع و الليث و غيرها. لم يكن فى العصور الماضية يوجد بمكة المكرمة شىء من الحوت الأخضر، أى الحوت الطرى الجديد الخارج من البحر، و إنما كان المعروف من الحوت فى مكة نوعان من الحوت فقط، و هما الحوت المقلى بالزيت و هذا كان يأتى إليها من جدة مقلية، و كانوا يضعونه فى أفاص من جريد النخل ليتخلله الهواء فى نقله من جدة إلى مكة، و كانوا يرسلونه إلى مكة مع الحمارة، بتشديد الميم، فيصل إليها من جدة فى ليلة واحدة فقط، أى كانوا يرسلونه قبيل المغرب من جدة فيصل إلى مكة فى الصباح، فالحمارة الجيد يقطع المسافة من جدة إلى مكة فى ليلة واحدة، و ما كانوا يرسلونه على الجمال لأنها تقطع المسافة بين البلدين فى ليلتين، و لأن الجمالة بتشديد الميم لا- يمشون بالنهار مطلقا خوفا من حرارة الشمس، فهم بالنهار يقلبون فى قرية بحرة و هى منتصف الطريق بين مكة و جدة، فكان الحوت المقلى إذا وصل إلى مكة المكرمة قله مرة أخرى فى الدكاكين ثم يبيعه خوفا من تغيره و خرابه، هذا الحوت المقلى هو الذى يعرفه أهل مكة من قديم العصور و الأزمان.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٧١

فلما ظهرت السيارات و شاع استعمالها فى جميع مدن المملكة السعودية، و كثر انتقالها و سفرها بين بلدان المملكة، و ظهرت أيضا الثلاجات الكهربائية و مصانع الثلج بمكة، قام بعضهم بجلب الحوت الأخضر أى الطرى من جدة و رابغ و مستورة إلى مكة المكرمة، فيصيدون الحوت من البحر الأحمر من هذه الأماكن ليلا، ثم يرسلونه طريا فى الصباح المبكر من جدة بالسيارة فيكون بمكة فى وقت الضحى، و يعرض حين وصوله للبيع فى الدكاكين التى بالمشية بزقاق الوزير، و قد يمكث هذا الحوت فى الصناديق المثلجة يومين أو ثلاثة، ثم يتجدد إحضاره أيضا، فربما أحضروا الحوت الطرى من جدة فى كل يوم مرة، و ربما أحضروه يوما بعد يوم بحسب سرعته ببعه أو عدمه.

و يوجد عندنا نوع ثالث من الحوت و هو الحوت الناشف أى اليابس و هو كثير، فإنهم يبيسونه بيسا تاما فيبقى أشهر عديده معروضا فى الدكاكين من غير أن يحصل عليه تغير، حتى إنهم يبيسون الجمبرى و يسمى عندنا "الريان"، بضم الراء و سكون الباء الموحدة. و أهل مكة يطبخون الحوت بأنواع مختلفة و أحيانا يأكلونه مقلية، و أهل جدة لهم ولع كبير بأكل الحوت، و لهم طرق كثيرة فى طبخه لا يتقنه غيرهم، و الحق يقال: أن أكل الحوت لذيد سهل الهضم، إنه ألد من لحم الدجاج و الطيور، و يكفى فيه قوله تعالى فى سورة فاطر: وَ مَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ وَ هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَ مِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا.

هذا و بمناسبة كلامنا على وجود الحوت الطرى الجديد بمكة المكرمة، نذكر ما جاء فى صحيح البخارى عن عثور الصحابة رضى الله تعالى عنهم على حوت كبير فى البحر، و لغرابه كبره نذكره هنا. فقد روى البخارى فى صحيحه فى كتاب الوكالة فى باب الشركة و النهى و العروض: عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم، بعثا قبل الساحل، فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح و هم ثلاثمائة و أنا فيهم فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فنى الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش، فجمع ذلك كله فكان مزودى تمر، فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فنى، فلم يصيبنا إلا تمره تمره، فقلت: و ما تغنى تمره، فقال: لقد وجدنا فقدنا حين فنى، قال: ثم انتهينا إلى البحر، فإذا حوت مثل الطرب، فأكل منه ذلك الجيش ثمانى عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بصلعين من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٧٢

أضلاعه فنصبا، ثم أمر براحلة فرحلت، ثم مرت تحتها فلم تصبهما. انتهى من صحيح البخارى.

و معنى الظرب فى اللغة: ما تنأ من الأرض كالراية. قال فى القاموس المحيط:

الظرب ككتف ما تنأ من الحجاره و حد طرفه، أو الجبل المنبسط أو الصغير، جمع ظرايب. اه. فىكون معنى الجملة التى فى الحديث " فإذا حوت مثل الظرب " أى حوت كبير ناتى و بارز من البحر كأنه الجبل الصغير.

فانظر رحمتنا الله تعالى و إياك إلى كبر هذا الحوت العظيم الذى أكل منه ثلاثمائة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين مدة ثمانية عشر يوما.

و الظاهر، و الله تعالى أعلم، أنهم وجدوا هذا الحوت فى سواحل البحر الأحمر، من جهة ينبع و رابغ و مستوره و ما بين ذلك فى طريق الساحل، فالبحر الأحمر صغير بالنسبة لبحار المحيطات الكبيرة، فإنه يوجد فى هذه المحيطات من الحوت، ما هو أعظم من هذا الحوت عشرات المرات، فإنه لا يعلم ما فى البحر من المخلوقات إلا رب العرش العظيم، فسبحان القادر على كل شىء.

### كثرة الأسفار إلى خارج بلادنا

لم يكن أهل الحرمين الشريفين "مكة المكرمة و المدينة المنورة" يعرفون السفر إلى الممالك الأخرى منذ قديم العصور إلا قليلا، و لا يسافرون إلا لأمر ضرورى كالسعى وراء الرزق من تجارة، أو ربط معاشات شهرية لهم من بعض أرباب الدولة أو من بعض الأثرياء المعروفين بعمل الخيرات، و لا يسافرون إلا إلى البلدان الإسلامية فقط، كدار الخلافة استامبول، مصر و الشام و العراق و بلاد المغرب و هندستان، و ما كانوا يعرفون السفر إلى الأقطار الإسلامية للمعالجة من الأمراض قط، فكل مريض يعالجه أهله فى نفس بلدتهم و على حسب ما يوجد فيها من الأدوية و العقاقير و الأطباء القليلين، أما السفر إلى بلاد أوروبا فما كانوا يعرفونه قط، مع العلم بأنه لم يكن فى تلك الأزمان تعب فى استخراج جوازات السفر، و لم تكن قوانين تحتم على المسافر أخذ تأشيرة إقامة مدة سيره معلومة فى البلدة التى يسافر إليها، بل يكفى للمسافر أن يحمل معه بطاقة شخصية رسمية من ميناء بلدته لا تتجاوز قيمة هذه البطاقة أكثر من نصف ريال.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٧٣

كان السفر إلى خارج الحرمين قليلا كما قلنا، إلى سنة (١٣٣٤) أى إلى سنة نهضة الشريف الحسين بن على ملك الحجاز الأسبق رحمه الله تعالى، حيث فى هذه السنة المذكورة و هى سنة ألف و ثلاثمائة و أربع و ثلاثين هجرية، حصل قيام جميع ممالك العرب على الدولة التركية العثمانية، فكانت الحرب دائرة ضدها فى جميع البلدان و منها مكة و المدينة، فقد تعب أهل هاتين البلدين أثناء المحاربة، فسافر بعضهم إلى مصر و أغلبهم سافروا إلى الشام خصوصا أهل المدينة المنورة لقربها منهم، و لوجود السكة الحديدية من المدينة إلى الشام، و مكث هناك بعضهم سنوات عديدة، و بعد أن استقرت الأمور بالحجاز رجعوا إلى أوطانهم. ثم بعد نحو عشر سنوات من السنة المذكورة أى فى سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية، وقعت حرب أخرى بين الشريف الحسين بن على ملك الحجاز المذكور و بين سلطان نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمهما الله تعالى و غفر لهما، فزحف الثانى من نجد على الحجاز و استولى عليها، فحصل رعب عند الناس أيضا و خافوا على أنفسهم، فسافروا إلى مصر و الشام و غيرهما، فلما استقر الأمر فى الحجاز، رجعوا مرة ثانية إلى الحجاز كل واحد استقر فى بلدته.

فمن هاتين الوقعتين تعلم أهل الحرمين و غيرهم السفر إلى الخارج، حيث صار لهم هنالك معارف و أصدقاء علاوة على معرفتهم بالحجاج الذين يحضرون إليهم فى كل عام فى مواسم الحج.

ثم من بعد سنة (١٣٥٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و خمسين هجرية، كثر السفر من عندنا تدريجيا إلى جميع الممالك الإسلامية و



غيرها، و من بعد سنة (١٣٧٠) ألف و ثلاثمائة و سبعين هجرية، ألقوا السفر إلى البلاد الأوروبية بكثرة فائقة و سهولة و يسر كأنهم ينتقلون من قرية إلى قرية، و نعزو ذلك إلى الأمور الآتية:

- (١) كثرة الأموال الموجودة عندنا بالمملكة.
- (٢) معرفتهم باللغات الإفرنجية التي تعلموها عندنا في المدارس.
- (٣) معرفتهم بأساليب التجارة أكثر من ذي قبل.
- (٤) كثرة وسائل التنقلات السهلة، من السيارات و الطائرات و البواخر و السكك الحديدية و غيرها.
- (٥) وجود البنوك في جميع الممالك و الأقطار و سهولة تحويل المبالغ الطائلة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٧٤

هذه هي الأمور و الوسائل الأساسية لسرعة التنقلات بين البلدان الشرقية و الغربية، علاوة على انتشار الأمن و الأمان في جميع الممالك و الأقطار، و علاوة على إمكان سرعة اتصال المسافرين بأهليهم و أقاربهم، إما بالتليفون أو بالتلغراف أو بالبريد الجوي، بل يمكن أن يصل المسافر من بلاد أوروبا إلى مكة المشرفة في بضع ساعات بالطائرات براحة تامة، بينما كان السفر إلى تلك الجهات يستغرق أشهرا عديدة قبل قرن واحد، قبل وجود الطائرات و البواخر، حتى أن الحجاج كانوا يصلون من بلاد مصر إلى مكة المكرمة في أربعة أشهر تقريبا من طريق البر بالدواب و الجمال، كما بينا ذلك في محله من هذا الكتاب، و الله تعالى أعلم بما سيحدث من وسائل التنقلات في مستقبل الأيام.

### المكتبات العامة بمكة المكرمة

المكتبات العامة التي يقصدها أهل العلم من الطلبة و العلماء بمكة المكرمة اثنتان فقط، و هما كما يأتي:

(الأولى) مكتبة الحرم المكي، و هي قد أسست منذ عدة قرون، أسسها أحد سلاطين آل عثمان الأتراك، و كان محلها في الأول أمام بئر زمزم في غرفة فوقها قبة صغيرة، فلما جددت الدولة التركية بناء المسجد الحرام بالقباب بدل السقوف الخشبية، جعلوا هذه المكتبة في مكان خاص بباب الدريبة بداخل المسجد الحرام.

ثم لما قامت الحكومة السعودية بتوسعة المسجد الحرام ابتداء من سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين هجرية، و هدموا باب الدريبة جعلوا هذه المكتبة في محل خاص أيضا جهة باب السلام، و هذه الجهة لا تبعد عن الجهة الأولى إلا بنحو مائة متر، بل أقل. (و الثانية) مكتبة مكة المكرمة، و هي تقع الآن في محل ولادة النبي صلى الله عليه و سلم بشارع الغزوة، و قد أنشئت قريبا منذ سنوات، و كل واحدة مزودة بكتب قيمة و إن كانت قليلة بالنسبة لبعض مكتبات الممالك الأخرى، إلا أنه في عزم حكومتنا الناهضة إمدادها بكثير من الكتب الأخرى، و ستتحقق هذه النية قريبا بتوفيق الله تعالى و فضله.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٧٥

### الأربطة بمكة المكرمة

الأربطة جمع رباط، و الرباط عندنا بمكة المكرمة مبنى خاص لسكنى الفقراء و الغرباء و طلاب العلم من غير أكل و لا شرب لهم، فبعض الأربطة يكون للنساء و بعضها يكون للرجال، و العادة أن تكون كل غرفة لشخص واحد. و الأربطة بمكة المكرمة كثيرة و كلها كانت وقفا على الفقراء و طلاب العلم، و هي ما زالت موجودة إلى اليوم. لكن لما شرعت الحكومة السعودية في توسعة المسجد الحرام و في توسعة شوارع مكة المكرمة، و ذلك ابتداء من سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين هجرية، فما كانت من

الأربطة بجوار المسجد الحرام، أو في طريق الشوارع التي لا بد من توسعتها فقد هدمتها الحكومة هدمًا تامًا لإدخال أرضها في التوسعة، فبعض الأربطة دفعت الحكومة السعودية مبلغًا معينًا من المال تعويضًا عنها لبناء غيرها في أماكن أخرى بمكة، و بعض الأربطة الأخرى لم تدفع الحكومة عنها تعويضًا، فمحييت من الوجود بتاتا و لم يجدد بدلها شيء - فمن الأربطة التي لم تدفع الحكومة عنها تعويضًا ما يأتي:

- (١) رباط محمد باشا، و كان بباب الزيادة.
  - (٢) رباط آخر، و كان بباب الزيادة أيضا.
  - (٣) رباط الداودية، و كان في باب العمرة في المسجد الحرام.
  - (٤) رباط السلیمانيه، و كان بباب الدريبه.
  - (٥) رباط آخر، و كان في باب العمرة من جهة الشارع.
  - (٦) رباط آخر، و كان بباب الزماميه بين باب العتيق و باب العمرة.
- هذا ما نحفظه من الأربطة التي لم تدفع الحكومة عنها تعويضًا ليبنى بدلها غيرها، و كل هذه الأربطة التي لم تدفع عنها تعويضًا قد مضى على بنائها أربعمائه سنه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٧٦

### الحمامات بمكة المكرمة

الحمامات بتشديد الميم الأولى، جمع حمام بالتشديد أيضا، و الحمام في اصطلاح عصرنا هو مبنى خاص للاغتسال، تكون فيه عدة غرف و أحواض، كما تكون فيه مياه بارده و ساخنه، و تكون أرض الحمام من المرمر الرخام. لم يكن بمكة المكرمة من الحمامات سوى حمامين فقط، (الأول) كان في باب العمرة، (و الثاني) كان في آخر القشاشيه من جهة المسجد الحرام، هذان الحمامان بنتهما الحكومة التركيئه عندما كانت تحكم الحجاز و جميع الممالك الإسلاميه، بنتهما منذ أربعمائه سنه.

هدم الحمام الأول الذي بباب العمرة سنه ١٣٧٥ هجريه بسبب توسعه المسجد الحرام في عهد الحكومة السعوديه. و أما الحمام الثاني الذي في القشاشيه، فهو الآن مقفول معطل ليس فيه ماء و لا شيء به من أدوات الحمامات. إنه في النيه هدمه و إنشاء منزل في مكانه، و الله تعالى أعلم.

الحاصل أنه اليوم لم يبق بمكة المكرمة شيء من الحمامات فسبحان المتصرف في الكون، لا إله إلا هو العزيز الغفار.

### القهاوى التي بمكة

القهاوى عندنا بمكة المكرمة، بل و بجميع الحجاز، كالمدينه المنوره و مدينه الطائف و مدينه جدّه و مدينه رابغ و مدينه ينبع و غيرها، و في المحطات التي بين البلدان خصوصا في طرقات الحج و الزيارة، في هذه الجهات كلها القهاوى كثيره جدا. و القهاوى جمع قهوة نسبة إلى عمل قهوة البن فيها، و لكنها تجمع بين عمل قهوة البن و الشاي و الشيشه و لمن أراد في القهاوى يمكن إحضار الطعام إليها، خصوصا الطعام الخفيف كالجبين و الزيتون و الحلاوة الطحينيه و الفول المدمس و الخبز بأنواعه.

و لا ندرى تاريخ إنشاء القهاوى بالحجاز و غيرها من الممالك و البلدان الأخرى، و الظاهر أن وجود القهاوى في داخل البلدان و في المحطات قديم العهد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٧٧

من خمسمائة سنة أو أكثر، لأن حاجة الإنسان ماسة إلى الجلوس في المجتمعات العامة كالقهاوى لما فيها من أسباب راحته من الطعام و الشراب و أنواع المسليات، فالقهاوى هى بمثابة النوادى العامة، يقصدها الإنسان للاستجمام و الراحة هرباً من متاعب البيوت و المنازل. كما يقصد الرجل الصالح المساجد للعبادة من الصلاة و التسبيحات و قراءة القرآن، هرباً من عناء الدنيا و أشغالها، فوجود القهاوى أمر ضرورى يأوى إليها عامة الناس خصوصاً طبقات العمال و الصناع.

انظر: صورة رقم ٣٠، إحدى القهاوى الحجازية

و القهاوى فى غير الحجاز كمصر و الشام و بلاد الإفرنج هى نوعان:

(النوع الأول) القهاوى العامة، و يقصد العامة من طبقات العمال و الصناع، حيث يجدون فيها راحة أجسامهم و يتداولون بينهم الحكايات و المضحكات، مع وجود الأكل و الشرب فيها بقيمة زهيدة فلا يتكلفون مصاريف كثيرة، و هذا النوع من القهاوى عندنا بالحجاز كثير جداً، بل لا يوجد غيره فيها.

انظر: صورة رقم ٣١، مقهى بلدى

(و النوع الثانى) القهاوى الخاصة الممتازة، و هذه لا يدخلها إلا الأعيان و الأغنياء، و الكبراء و الوزراء، و من فى طبقتهم من أهل الغنى و الثراء، حيث يجدون فيها من أطيب الطعام و أنواع المشروبات الروحية و غيرها، و حيث يجدون فيها أنواع المسليات، و يتسامرون فيما بينهم بأنواع القصص و الأخبار، فتستريح أفكارهم و أعصابهم فيها من العناء و الأعمال المرهقة فى داخل الدواوين و الدوائر.

و لقد يبلغ قيمة الفنجان الواحد من الشاى أو القهوة فقط بدون طلب شىء آخر، فى هذا النوع من القهاوى الممتازة نحو عشرة ريالات سعودية أو جنيهاً مصرياً تقريباً، و ليس ذلك لنفس الشاى أو القهوة فقط، فهذه لا تتعدى قيمتها بضعة قروش، و لكن هذه القيمة الفاحشة و الغلاء الكبير، إنما هى لنفس الجلوس فى هذه القهاوى الممتازة، فإنها مؤثثة بأثاث فاخر كبيوت الأغنياء، و الخدمة فيها ممتازة جداً، و نفس الخدم فيها على أحسن حاله من النظافة و الأدب و التريية الممتازة، ثم إن نفس القهاوى تقع فى أجمل الشوارع و المحلات، و ربما كانت على ضفاف البحور و الأنهار، و داخل القهوة مزين بالصور و الرسوم البديعة، و فيها من مراكن الزروع و الرياحين و الأزهار العطرة ما يجلب السرور و الراحة التامة، و من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٧٨

هنا نفهم سبب الغلاء و ارتفاع قيمة المطاعم و المشروبات فى هذه القهاوى الخاصة، فهذا النوع من القهاوى الممتازة كالنوع الخاص من الفنادق الممتازة.

و ليس عندنا بالحجاز قط شىء من هذه القهاوى الخاصة الممتازة، فإن من فتح عندنا مثل هذه القهاوى يخسر و لا يربح، لقله الرواد و القاصدين إليها.

فالقهاوى العامة من النوع الأول عندنا بالحجاز يمتاز عن مثلها فى البلدان الأخرى بما يأتى:

- (١) كراسى قهاوينا طويلة على قدر طول الإنسان، فيمكن أن يجلس على كرسى واحد ثلاثة أنفار أو أربعة فقط.
- (٢) الكراسى كلها قوائمها و أرجلها من أعواد الخشب، أما موضع الجلوس فمشغول بشرائط طويلة فى عرض البنصر كالحبال، تتخذ من حوص النخل يشتغلها التكارنة السودانيون، و لهم فى صنعها مهارة فائقة.
- (٣) ينام الناس على هذه الكراسى إذا أرادوا فى ليل أو نهار، و فى الشتاء أو فى الصيف، ولدى أصحاب القهاوى عندنا الفرش و اللحف و المخدات لهذا الأمر.

(٤) الكراسى عالية عن الأرض بمقدار تسعين سنتيمتراً، فحبذا لو كان ارتفاعها نصف متراً تقريباً لثلا يتعب قصير القامة عند جلوسه فوقها.

(٥) الأباريق الموجودة بهذه القهاوى كلها من الطين كالشراب و بعضها من التنك و هو الصفيح.

(٦) الشيشات الموجودة عندنا فى القهاوى و المنازل يختلف شكلها عن شكل الشيشات فى الممالك الأخرى، و عندنا شيشات خاصة لشرب التبناك، و شيشات خاصة لشرب الجراك، بضم الجيم و فتح الراء و تخفيفها، و الجراك هو معجون يتخذ من التبناك و بعض الفواكه المتعددة، و نظن أنه من صنع الهند و ليس فيه شىء من المخدرات و المسكرات مطلقا.

و القهاوى عندنا مفتوحة ليلا و نهارا، و بسبب كثرة الحجاج عندنا صارت القهاوى كثيرة جدا، فطرق الحج و الزيارة بمكة و المدينة و جدة و الطائف و رابغ و ينبع و ما بين هذه البلدان من الطرق و المحطات، كلها مليئة بالقهاوى، و فيها الاستعدادات الكافية لراحة الحجاج و المسافرين من الأكل و الشرب، و الماء و الثلج، و الحوت و السمك، و الفول المدمس و البيض، و الرز و العدس و السمن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٧٩

و اللحم، و الفواكه و غيرها، فيستريح الإنسان من عناء السفر فى هذه المحطات و القهاوى أعظم راحة، و هو فى غاية الاطمئنان و الأمان، فإن الأمان و الأمان فى جميع مملكتنا أصبح مضرب الأمثال و لله الحمد.

و الحق يقال: أن لهذه القهاوى فى الحجاز فوائد كبيرة جدا يعرفها جميع الناس، و بالأخص القهاوى التى تكون فى أيام الحج بمنى و مزدلفة و عرفات، ففى هذه المشاعر تمتلى جميع القهاوى الموجودة بها من الحجاج من أهل البلاد و من الأعراب، تمتلى على سعتها ليلا و نهارا بهم، حتى أن بعضها لا يبقى فيه مكان خال من كثرة ازدحام الناس للجلوس فيها.

هذا و لقد ذكرنا نبذة عن القهاوى فى رسالتنا المطبوعة المسماة "أدبيات الشاى و القهوة و الدخان" فراجعها إن شئت الوقوف على هذه المشروعات اللطيفة.

### نقل الحلقة التى بالمعلا إلى جهة جروول

حلقة اللحم و الخضار التى بالمعلا هى محلها منذ مدة طويلة جدا، و كانت هذه الحلقة "بفتحات" يأتى إليها البدو بجميع الفواكه و الخضروات عند صلاة الفجر على ظهور الجمال قبل وجود السيارات، يأتون بهذه الخضراوات و الفواكه من القرى و الأماكن القريبة من مكة المشرفة بنحو مرحلة أو مرحلتين بالجمال، أى بنحو ليلة أو ليلتين بسير الإبل، كوادى فاطمة و وادى الزيمه و الشرائع و خليص "بكسر أوله و ثانيه" و من جهة عسفا و طريق جدة و الطائف و طريق اليمن و غيرها.

فكان يأتى إلى الحلقة التى بالمعلا بمكة المكرمة طوائف البدو و الجمالة من كل حذب و صوب من أطراف مكة، ينزلون أحمالهم فى وسط الحلقة عند طلوع الفجر، فيصلون الصبح بمكة ثم يفطرون الفول بالسمن أو يفطرون باللبن و التمر، ثم يشربون الشاهى أو القهوة، فإذا باعوا ما عندهم من الفواكه و الخضار، ذهبوا إلى الأسواق يشترون الأقمشة و الطعام من الحبوب و التمر و غيرها، ثم يرجعون إلى أهلهم فى أطراف مكة بعد العصر بنحو ساعة، عند ما تنكسر حرارة الشمس و تميل إلى الغروب.

كانوا يأتون معهم بالموز و اللوز و الرمان و البرتقان و العنب و البلح و التمر و الرطب و المشمش و الخوخ و التفاح و الخريز و الجحب، و هذان هما البطيخ

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٨٠

الأصفر و البطيخ الأخضر و غير ذلك. و من الخضروات: الدباء و الكوسة و البطاطس و الباذنجان الأحمر و هو القوطة و الباذنجان الأسود و الفاصوليا و الباميا و الملوخية و الرجله و الزبناخ و السلق و الكرنب و الكرات و البصل و البقدونس و الكزبرة و الليمون و الليم و الفلة و الجزر التمرى و الجزر اليمانى و هو البطاطا، و غير ذلك من الخضروات.

و كانوا يأتون أيضا بالسمن و العسل فى قرب صغيرة، و بالحشيش للبهائم، و بالفحم و الحطب، و الدجاج و بعض الحيوانات و الطيور الصغيرة التى يصطادونها من خارج الحرم بأطراف مكة المشرفة، كالغرى و العصافير الملونة و الحمام و القمارى، و أحيانا يأتون بأبى

الحصين "الثعلب" و الذئب الصغير، و القنفذ و الكروان و اليمام و غير ذلك - كل هذا يأتون به إلى الحلقة على ظهور الجمال. فلما ظهرت السيارات في مكة المكرمة ابتداء من سنة (١٣٤٦) ألف و ثلاثمائة و ست و أربعين هجرية، ثم كثرت في وقتنا هذا و هو سنة (١٣٨٥) كثرة رائده بحيث بطل استعمال الجمال التي كانت تحمل الأتقال من بلد إلى بلد، صار إحضار الفواكه و الخضروات بواسطة السيارات إلى الحلقة بمكة المكرمة من كل القرى و البلدان، بل صار بعض الفواكه و الخضروات تأتي إلينا من البلدان البعيدة، كالمدينة المنورة و جدة و الطائف، و من بلاد نجد كالحسا و حائل و تبوك و غيرها، و من البحرين و الكويت، فسبحان الرزاق الذي يبعث لأهل بلده الأمين بجميع أنواع الفواكه و الثمار و الحبوب و الخضار، و بجميع أنواع الأقمشة و الألبسة الجاهزة، و أنواع التجارة و العطارة، كل ذلك ببركة دعاء خليله "إبراهيم" عليه أفضل الصلاة و التسليم.

ثم لما امتد العمران إلى أطراف مكة المشرفة بنحو خمسة كيلو مترات أو أكثر، و كثر سكانها أضعافا مضاعفة عما كانت عليه في الأزمان السابقة، رأت الحكومة السعودية نقل حلقة مكة التي بالمعلا إلى جهة جروم بمكة أيضا، في محل بستان الشريف عون رحمه الله تعالى بعد خرابه، فنقلت الحلقة إلى هذه الجهة في أوائل سنة (١٣٨٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و ثمانين هجرية، نقلت لأن المصلحة اقتضت ذلك، لقد كانت حلقة المعلا منذ مئات السنين عامرة بالفواكه و الخضراوات و اللحوم و الدواجن ليلا و نهارا، و اليوم أصبحت خاوية خالية خربة دامرة.

فسبحان مغير الحال و الأحوال، لا إله إلا هو الكبير المتعال.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٨١

### بدء ظهور المطابع و وجودها بمكة المكرمة

قبل أن نتكلم على ظهور المطابع، لابد لنا أن نأتي بمقدمة تبين فضل الطباعة و المطابع - فنقول و بالله تعالى التوفيق. اعلم أنه قبل اختراع المطبعة و انتشارها، كانت جميع الكتب و المؤلفات تنسخ بالأيدي، و لا يخفى أن ذلك يستلزم وقتا طويلا و نفقات كبيرة، فمثلا نسخ متن الألفية لابن مالك في النحو، فإن نسخة واحدة منه يحتاج لكتابتها باليد و تصحيحه شهرا واحدا على الأقل، فلو كان عندنا خمسون طالبا مثلا، لاحتاجوا إلى خمسين نسخة منه، و هذا العدد يحتاج إما إلى خمسين كاتباً ينسخونها في مدة شهر واحد، أو يحتاج إلى خمسين شهرا إذا طلبناها من كاتب واحد، و طبعا كل كاتب يأخذ أجرا على كتابته ما يكفي لنفقته شهرا واحدا بل أكثر، لأن الكاتب في العصور الماضية، كان ينقطع للكتابة فقط لا يشتغل بغيرها، و كان الخطاطون ممن يتقنون حسن الخط، يتخصصون في الغالب في كتابة المصاحف الكريمة، و الأحاديث النبوية الشريفة، و بعضهم كانوا يتخصصون في كتابة السيرة النبوية و المدائح المحمدية و بعضهم يتخصصون في كتابة دواوين الأشعار، و القصائد التي تقال قديما و حديثا، و بعضهم كان يتخصص للكتابة لدى الملوك و الأمراء و الوزراء و الأثرياء، ينقطع لخدمتهم يكتب لهم ما شاءوا، و في أواخر الأزمان أي إلى آخر عهد الخلافة الإسلامية في الدولة التركية، و هو سنة (١٣٣٤) ألف و ثلاثمائة و أربع و ثلاثين هجرية، كان بعضهم يتخصص لكتابة فرمانات السلطانية، أي لكتابة الأوامر السلطانية و المراسيم الملوكية بالتولية و العزل أو بالإنعام و الإكرام، و كان لهؤلاء الخطاطين من المراتب الضخمة و الإكرام الزائد، ما يجعلهم إلى أولاد الأولاد في معيشة رغدة و في ترف و نعيم كبير، و قد يكتب أحدهم للسلطان مصحفا واحدا، فيعطيه هذا ما يغنيه مدة عمره، كما بينا ذلك في كتابنا المطبوع بمصر المسمى "تاريخ الخط العربي و آدابه".

ثم لما ظهرت المطابع في الوجود و انتشرت في جميع الممالك و البلدان الإسلامية و غير الإسلامية، صار الناس يطبعون مؤلفاتهم و كتبهم بواسطتها، كل أمة تطبع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٨٢

كتبها بلغتها، لأن هذه المطابع تتوفر لديها الأحرف العربية و الفارسية و الهندية و التركية و الجاوية و السريانية و العبرية و اللاتينية و

الإنكليزية و الفرنسية و الألمانية و غيرها- فإذا أردنا أن نطبع في المطابع العربية متن الألفية لابن مالك في النحو، نريد أن نطبع منه عشرة آلاف نسخة، فإننا نأخذ من المطبعة هذا العدد الضخم من النسخ جاهزة مجلدة بعد شهر واحد بل أقل من هذه المدة، مع جمال الطبع و حسن التجليد و النظافة التامة، فإذا قارنت بين عمل المطبعة و عمل الإنسان بيده تجد فرقا عظيما بينهما، فالمطبعة سريعة الإنتاج و قليلة التكاليف، شأنها شأن جميع المكين الآلية.

و مع ما للمطابع من المنافع العديدة، فإن لها مضره واحدة فقط لكنها في جوهر الموضوع و صميم الأثر و هي: أن الناس في كافة الممالك و البلدان، كانت كتاباتهم و خطوطهم جميلة حسنة، لأنهم كانوا ينسخون جميع مؤلفاتهم بأيديهم، و كان بعضهم ينقطع للكتابة و نسخ المؤلفات ليس له شغل غيرها، و هذا من أقوى الأسباب لتحسين الخط و جمال الكتابة، أما اليوم، و قد كثرت المطابع و كثرت الآلات الكاتبة، صارت خطوط الناس و كتابات أيديهم ضعيفة جدا لا تكاد تقرأ، لأنهم اعتمدوا على المطابع، و لأن جميع ما يدور من المعاملات الرسمية في دوائر الحكومات في جميع الممالك و البلدان، صار يكتب على الآلات الكاتبة، و بهذا بطل استعمال الأيدي في الكتابة، و لله الأمر من قبل و من بعد.

و حيث علمت هذه المقدمة، فلنشرع الآن في الكلام على ظهور المطابع فنقول:

لقد تكلمنا عن ظهور المطابع لأول مرة في كتابنا المطبوع بمصر المسمى (تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه)، و لا بأس أن ننقل هنا في تاريخ مكة ما كتبناه هناك في كتابنا المذكور تاريخ القرآن الكريم للفائدة العامة و هو هذا بنصه مع تصرف بسيط:

كان أول اختراع المطابع في ألمانيا سنة (١٤٣١) ألف و أربعمئة و إحدى و ثلاثين ميلادية، و بالضرورة قد مضت مدة طويلة حتى أتقنت صناعتها و ظهرت صلاحيتها التامة لدى جميع أجناس البشر، فدخلت المطبعة أولا في بلاد إيطاليا، ثم في فرنسا، ثم في إنجلترا. ثم انتشرت في جميع البلدان، و أن أول طبع للقرآن العظيم بالحروف العربية، كان في مدينة همبرج بألمانيا، و ذلك في سنة (١١١٣)

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٨٣

هجريه، و يوجد من هذه الطبعة مصحف واحد بدار الكتب المصريه بالقاهرة، كما يوجد بها مزامير داود عليه الصلاة و السلام بأربع لغات مع تفسير لاتيني، طبعت بجنوة بإيطاليا سنة (٩٣٥) هجريه، ثم بعد سنة (١٥١٦) ميلادية طبع المصحف الكريم أيضا في البندقية بإيطاليا، و سبب طبع المصحف الكريم في همبرج و البندقية وجود المطابع فيهما دون البلاد الإسلامية كما هو ظاهر.

و من العجيب، أنه عند أول ظهور المطبعة بإيطاليا طعن علماءهم فيها طعنا جارحا، حتى قالوا عنها إنها بدعة همجية ألمانية، و نادى كهنتهم: لنهدم كيان الطباعة أو تهدم هي كياننا، و في ابتداء ظهور الكتب المطبوعة لم يقبل الناس على شرائها. و لما دخلت المطبعة إلى تركيا في زمن السلطان أحمد الثالث، أفتت مشيخة الإسلام بجواز استعمالها إلا أنه بقي طبع المصحف ممنوعا، ثم عادت الدولة العثمانية فمنعت المطبعة، ثم جاء السلطان عبد الحميد الأول فأعادها، و جاء السلطان محمود الأول فاهتم بها أكثر، فأول كتاب طبع بالآستانه هو "صحاح الجوهري" قيل أنه في سنة (١١٢٩) هجريه أفتى شيخ الإسلام بالآستانه عبد الله أفندي بجواز طبع كتب غير الدينية، ثم فيما بعد سنة (١١٤١) هجريه طبعت كتب هامة في اللغة و الأدب و التاريخ باللغة العربية و التركية و الفارسية، ثم استصدروا الفتوى بطبع كتب الدين و تجليد القرآن الكريم، و إن من أشهر مطابع الآستانه القديمة مطبعة الجوائب.

و إن أول من أدخل المطبعة إلى الديار التونسية محمد باشا باي، و هو الذي تولى إمارة تونس عام (١٢٧١) هجريه، و أن أول مطبعة ظهرت في حلب كان سنة (١٦٩٨) ميلادية، و إن من أقدم المطابع في لبنان مطبعة "قزحيا" و كانت حروفها سريانية، ثم صارت عربية، و مطبعة الشوير و طبع فيها المزامير سنة (١٧٣٣) ميلادية، و أقدم المطابع في بيروت هي مطبعة القديس جاورجيوس فإنها أنشئت سنة (١٧٥٣) ميلادية، و بعدها المطبعة الأميركية أنشئت في مالطة سنة (١٨٢٢) ميلادية، ثم نقلت إلى بيروت سنة (١٨٣٤) ميلادية، و بعدها المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، فقد تأسست عام (١٨٤٨) ميلادية، و كانت تطبع على الحجر ثم صارت تطبع على الحروف سنة (١٨٥٤) ميلادية، و هي أكبر المطابع و فيها حروف عربية و إفرنجية و يونانية و سريانية و عبرانية و أرمنية.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٨٤

و إن أول مطبعة ظهرت بمصر هي مطبعة الحملة الفرنسية جاء بها بونابرت معه سنة (١٧٩٨) ميلادية، لطبع المنشورات و الأوامر باللغة العربية، و قد سميت بالمطبعة الأهلية و كانت بالقاهرة إلى شهر يونيو سنة (١٨٠١) ميلادية حين انسحاب الفرنسيين من مصر، و بعد ذلك ظلت مصر نحو عشرين عاما بغير مطبعة، حتى استقر الأمر لمحمد علي باشا والى مصر، فأنشأ هذه المطبعة الأهلية سنة (١٨٢١) ميلادية، و تعرف بمطبعة بولاق لأنها وضعت أخيرا فى جهة بولاق، و أول ما طبع فيها قاموس إيطالى عربى سنة (١٨٢٢) ميلادية، و قد اشغلت هذه أكثر من تسعين عاما و كانت أكبر مطبعة عربية فى العالم و هى التى سميت فيما بالمطبعة الأميرية، ثم كثرت المطابع بمصر الآن على مختلف أنواعها و أدخلت عليها تحسينات عظيمة جدا حسب التطور الحديث.

أما المطابع بمكة المكرمة: فإنه أول مطبعة ظهرت بمكة شرفها الله تعالى و أدام أمنها و أمانها و خيرها و رخاءها، هى المطبعة الأميرية التى سميت فيما بعد "مطبعة أم القرى" و نطلق عليها الآن "مطبعة الحكومة" و هذه المطبعة استحضرها عثمان باشا نورى الذى كان واليا على الحجاز مع الأشراف فى عهد الدولة التركية العثمانية، أتى بها فى سنة (١٣٠٣) هجرية تقريبا، و جعلها بقرب المسجد الحرام فى أول محلة أجياد و كان فى بادئ أمرها صغيرة الحجم، ثم اهتمت الحكومة السعودية بها و زودتها بآلات و أدوات كثيرة حديثة.

ثم فى عام (١٣٢٧) من الهجرة استحضر الشيخ محمد ماجد الكردى رحمه الله تعالى مطبعة على حسابه الخاص سماها "المطبعة الماجدية"، و جعلها فى داره الواسعة التى بالفلق، و قد طبع بها كثير من الكتب. ثم استحضر الشيخ محمد صالح نصيف فى عام (١٣٤٥) من الهجرة مطبعة سماها "المطبعة السلفية" ثم باعها. و للشركة العربية للطبع و النشر مطبعة تسمى "المطبعة العربية" و كان يطبع بها جريدة "صوت الحجاز" التى سميت فيما بعد بجريدة البلاد السعودية، ثم سميت "جريدة البلاد" فقط. ثم استحضر بعضهم من أهل مكة مطابع الندوة، و ذلك فى سنة (١٣٧٣) تقريبا ثم استحضر الأستاذ صالح محمد جمال مطبعة لطبع الكتب و هى مطبعة كاملة الأدوات. ثم استحضر الأستاذ أحمد السباعى مطبعة و سماها "مطبعة قريش" ثم أنشئت مطبعة تسمى "مطبعة مصحف مكة المكرمة" فى سنة (١٣٦٨) هجرية تقريبا. و هناك بمكة مطابع أخرى صغيرة لم نذكرها لعدم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٨٥

استعدادها لطبع الكتب و الصحف و المجلات، كمطبعة الوفاء المحمدية، لصحابها الشيخ عبد الرحيم ملاه و إخوانه، و كمطبعة الشيخ عبد الله الكردى، و المطبعة الوطنية.

هذا و من أراد التوسع فى البحث عن تاريخ الطباعة العربية، فليراجع كتابا خاصا طبع فى هذا الشأن اسمه (تاريخ الطباعة فى الشرق العربى) للدكتور خليل صابات- طبع بدار المعارف بمصر. أو يراجع الجزء الرابع من كتاب "تاريخ آداب اللغة العربية" للجورجى زيدان، و مجلة الهلال لسنة ١٩٠٩ و ١٩٢٢ ميلادية، و مجلة المشرق لسنة ١٩٠٣ و ١٩٠٤ ميلادية، و مجلة المقتطف لسنة ١٩٠٧ ميلادية، و تاريخ جودت الجزء الأول.

### الجرائد و المجلات بمكة المكرمة

كانت منذ سنوات قليلة تصدر بمكة المكرمة و تطبع بها بعض الجرائد و المجلات، كجريدة البلاد السعودية، و جريدة الندوة التى تسمى من قبل جريدة "حراء" و جريدة أم القرى و هى التى كانت تسمى فى عهد الشريف الحسين ملك الحجاز الأسبق رحمه الله تعالى "بجريدة القبلة"، و مجلة المنهل، و مجلة الحج، و جريدة قريش.

ثم منذ سنة (١٣٨١) هجرية أو فى التى يليها انتقل طبع بعض الجرائد إلى جدة، فضارت تطبع هناك و تصدر منها إلى كافة بلدان المملكة العربية السعودية، و بعضها قد ألغيت، و البعض الآخر ما زال يطبع بمكة المشرفة و تصدر منها إلى الآن، و هى كما يأتى:

(١) جريدة أم القرى، و هى أقدم الجرائد عندنا.

(٢) جريدة الندوة.

(٣) مجلة الحج.

هذه هي الجرائد و المجلات التي تطبع بمكة و تصدر منها فقط. و لا نريد أن نخوض في مختلف الجرائد و المجلات التي تطبع في بعض بلدان المملكة السعودية، لأن هذا الكتاب خاص بتاريخ مكة المكرمة، لكن لصديقنا الكريم و زميلنا في عهد الدارسة الأولى بمدرسه الفلاح بمكة الأستاذ محمد سعيد العامودي رسالة قيمة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٨٦

اسمها "من تاريخنا" ذكر فيها نبذة طيبة عن الجرائد و المجلات في مبحث بعنوان "من تاريخ الصحافة في بلادنا" آثرنا أن نذكره بنصه للفائدة العامة، و هو هنا:

يقول المعنيون بتاريخ الصحافة، إن أول صحيفة عربية صدرت في العالم العربي هي صحيفة "الحوادث اليومية" التي أنشأها نابليون بونابرت في القاهرة عام ١٧٩٩ م.

و أول صحيفة صدرت في لبنان هي "حديقة الأخبار" عام ١٨٥٨ م ثم صدرت في دمشق جريدة "سوريا" عام ١٨٥٦ م و في العراق جريدة "الزوراء" عام ١٨٦٩ م و في اليمن جريدة "صنعا" عام ١٨٧٩ م و في فلسطين جريدة "النفيير العثماني" عام ١٩٠٤ م.

فما هي أول صحيفة صدرت في هذه البلاد؟

في بحث قيم للأستاذ البحاث رشدي ملحس عن تاريخ الطباعة و الصحافة في الحجاز يقول: "إن أول صحيفة صدرت في مكة هي جريدة "الحجاز" و هي جريدة أدبية علمية أسبوعية تصدر باللغتين العربية و التركية أصدرتها الحكومة العثمانية عام ١٣٠١ هـ و استمر صدورها إلى عام ١٣٣٤ ثم انقطعت عن الصدور حين خروج الحكومة التركية من هذه البلاد."

و يقول الأستاذ: "و كان يتولى الأشراف عليها أي جريدة الحجاز هذه (مكتوبجي) الولاية و اشترك في تحرير قسميها العربي و التركي كل من أحمد جمال أفندي منشئ ديوان الولاية، و أحمد حقي أفندي الكاتب في الديوان المذكور و الشيخ محمود شلهوب، و غيرهم، و كانت تطبع بأربع صفحات في المطبعة الأميرية" هـ.

و من الواضح أن الحالة الفكرية العامة في البلاد في تلك الفترة لم تكن تسمح بوجود أكثر من هذه الصحيفة، غير أنه منذ عام ١٣٢٧ هـ أي بعد الانقلاب العثماني المشهور بدأت الصحف في الظهور، فصدرت في تلك السنة في جدة جريدة "الصفحة" باللغة العربية غير أن هذه الصحيفة لم يصدر منها سوى عدد واحد فقط. ثم صدرت بعدها في جدة في نفس السنة جريدة "الإصلاح" لصاحبها "راغب مصطفى توكل" و كان يتولى تحريرها صحفى لبناني هو "أديب هراوى" و استمر صدورها بضعة أشهر ثم توقفت عن الصدور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٨٧

و في عام ١٣٢٧ أيضاً صدرت في مكة جريدة يومية باسم (شمس الحقيقة) و كانت تصدر باللغتين العربية و التركية مرة كل أسبوع مؤقتاً لصاحب امتيازها و مديرها المسؤول "محمد توفيق مكى" و نائب مديرها "إبراهيم أدهم" و كانت هذه الجريدة لسان حال جمعية الاتحاد و الترقى بمكة، و قد توقفت عن الصدور أيضاً بعد أن ظلت تصدر بضعة شهور.

و صدرت في المدينة المنورة أثناء الحرب العالمية الأولى جريدة باللغة التركية لم أطلع عليها و لا أذكر اسمها بالتأكيد.

هذه هي كل الصحف في العهد العثماني، فإذا استثنينا أولها و هي التي استمرت من حين صدورها إلى عام ١٣٣٤- لأنها الجريدة الرسمية- تبين لنا أنه يكن هناك صحافة سوى ما ظهر منها خلال بضعة أشهر من عام ١٣٢٧ هـ، و مع ذلك لم يكن لهذه الصحف أية قيمة أدبية أو سياسية، أو أثر في تكوين الوعي، أو توجيه التفكير.

و مما يلفت النظر أنه لم تظهر طيلة العهد العثماني كله مجلة واحدة للعلوم و الآداب و ما من شك في أن السبب في ذلك يعود إلى قلة انتشار التعليم، و اعتماد المدرسه الرشديه- و لعلها المدرسه الحكوميه الوحيدة في مكة إذ ذاك- اعتمادها في التعليم على اللغة



التركية وحدها.

و إليك أنموذجا من تحرير صحافة ذلك العهد. نقله عن العدد الخامس من جريدة "شمس الحقيقة" الصادر في يوم الثلاثاء غرة ربيع الأول عام ١٣٢٧ فقد جاء في صدر العدد المذكور، و في مكان الافتتاحية بعنوان "تنبيه" ما يأتي:

"ينبغي لمن شاء أن يكتسبنا في موضوع أن ينبذ وراءه المصلحة الذاتية فإن الأفكار الراقية التي لا تعميها الأغراض الشخصية و لا الأطماع الذاتية تنظر بنور الله إلى مصلحة الوطن العمومية.

ألا ترى سيدنا موسى الكليم عليه السلام قال: أ خَرَقْتُهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا و لم يقل لتغرقني نظر في ذلك لغيره و قدمه على شخصه في وقت الغرق الذي لا يعرف الإنسان فيه إلا نفسه فليخش الله المكاتبون، و ليق الله المحررون، و لا يحرروا لجريدتنا سوى الحقيقة لأنها "شمس الحقيقة" ثم ليكتبوا في دائرة واجبات الصحافة الحرة التي ذكرناها سابقا لأن جريدتنا تنزه عن المثالبه و ما ضاها. نسأل الله التوفيق لسعادة الوطن."

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٨٨

و لعل النبذة الآتية تدل على ما كانت عليه حالة التعليم في الحجاز في ذلك العهد فقد جاء في هذه الصحيفة في عددها الثاني عشر الصادر في ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ هـ بعنوان "هل ترقى الحجاز قبل السودان"؟ ما يأتي:

"ظهرت جريدة في الخرطوم بالسودان تسمى "الخرطوم" غايتها أن تبذل السعي في ترقى أبناء ذلك الوطن ففرح بها أهل السودان و نحن نتمنى لها دوام الانتشار و نستلفت أنظار أولى الأمر بالتسريع في أمر ترقى الحجاز من تأسيس المكاتب- يقصد المدارس- و غير ذلك فإن دوائر الحكومة لو احتاجت إلى كاتب للزم جلبه من خارج الولاية. أهلك الله الاستبداد ما أشد تدميره!"

و بمقارنته صحيفة شمس الحقيقة هذه بصحيفة الإصلاح التي كانت تصدر في جدة تبدو هذه الأخيرة أرقى من حيث التحرير و من حيث الطباعة عن زميلتها الأولى. بل و من صحيفة الحجاز أيضا. الصحيفة الرسمية للحكومة التركية.

و لم أطلع على العدد الوحيد الذي صدر في جدة من جريدة "الصفاء" و ربما كانت هذه الصحيفة تشارك زميلتها الإصلاح من حيث رونق الطباعة و اتساق التحرير.

و الواقع أنه لم يكن غريبا أن تكون صحافة بلادنا في ذلك العهد بدائية إلى هذا الحد ... لم يكن غريبا أن يكون هذا حال الصحافة في بلاد لم يكن فيها مدارس للتعليم سوى مدرسة واحدة للحكومة يتلقى التلاميذ فيها قشورا من المعلومات الأولية باللغة التركية و سوى مدرسة أهلية دينية ... هي المدرسة الصولتية.

و هكذا ...!

و هكذا ظل الحجاز، و ظلت جميع أنحاء الجزيرة العربية طيلة العهد العثماني ...

لا صحافة و لا مدارس و لا تعليم بالمعنى الصحيح لكلمتي مدارس و تعليم!

و كانت النهضة العربية في عام ١٣٣٤ هـ فيصلا بين عهدين "تابعية عثمانية"، و عهد استقلال ... إلا أن الواقع أثبت مع الأسف الشديد أن تلك النهضة كانت "ضئيلة الأثر" من ناحيتها الاجتماعية و الثقافية، و لهذا كان أثرها ضئيلا أيضا في الميدان الصحفي ... و قد صدرت جريدة "القبلة" في أولى سنوات النهضة و بتعبير أدق سنة ١٣٣٤ هـ و كان يساهم في تحريرها نخبة من صفوف أدباء العرب يكفي أن نذكر منهم السيد فؤاد الخطيب الشاعر الكبير المعروف، و السيد محب الدين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٨٩

الخطيب، و أحمد شاكر الكرمي و غيرهم ... و الحق أقول أنه كان يمكن أن يكون لجريدة القبلة إذ ذاك شأن مرموق في عالم الصحافة العربية لولا بعض عوامل و قفت بها في بداية الطريق.

و صدرت في عام ١٣٣٨ جريدة باسم الفلاح لصاحبها السيد عمر شاكر، و كانت هذه الصحيفة تصدر في سوريا قبل دخول الفرنسيين

إليها فهاجر بها صاحبها من سوريا إلى الحجاز.

و في عام ١٣٣٨ أيضاً، صدرت المجلة الزراعية و هي مجلة شهرية كان يتولى تحريرها طلاب المدرسة الزراعية بمكة، و قد ظهرت الأعداد الثلاثة الأولى من هذه المجلة في صورة لا بأس بها من حيث الإنشاء و التحرير فلو أن هذه المجلة أتيح لها أن تستمر، بل لو أنه أتيح للمدرسة الزراعية التي كانت تقوم بإخراجها أن تستمر لكانت الحال غير الحال و لكن ...

و في عام ١٣٤٣ صدرت في جدة جريدة "بريد الحجاز" ثم توقفت عن الصدور في نفس العام بعد أن صدر منها (٥٢) عددا و قد كانت هذه الصحيفة أسبوعية و هي آخر صحيفة ظهرت في عهد الحكومة الهاشمية.

و في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ في أول عهد حكومة المغفور له الملك عبد العزيز صدر العدد الأول من جريدة "أم القرى"، و كان يرأس تحريرها في أول ظهورها معالي الأستاذ الشيخ يوسف ياسين ثم الأستاذ رشدي ملحس ثم تولى تحريرها فترة من الزمن المرحوم محمد سعيد عبد المقصود، فالأستاذ عبد القدوس الأنصاري و يرأس تحريرها الآن الأستاذ الطيب الساسي.

ثم صدرت بعد ذلك مجلة الإصلاح عن شعبة الطبع و النشر بمديرية المعارف في عام ١٣٤٧ و كان يديرها الأستاذ محمد حامد الفقى و هي مجلة دينية أخلاقية كانت تصدر مرة في الشهر، ثم توقفت عن الصدور في عام ١٣٤٩ هـ.

و في عام ١٣٥٠ صدرت جريدة "صوت الحجاز" لصاحب امتيازها الوجه الشيخ محمد صالح نصيف و رئيس تحريرها الأستاذ عبد الوهاب آشي، و قد تعاقب عليها فيما بعد رؤساء تحرير عديدون أذكر منهم الأساتذة "أحمد إبراهيم الغزاوي" و "السيد حسن الفقى" و "محمد سعيد العامودي" و "محمد حسن عواد" و "أحمد السباعي" و "محمد علي رضا" و "محمد علي مغربي" و غيرهم ثم انتقل امتياز هذه الصحيفة في عام ١٣٥٤ إلى شركة الطبع و النشر العربية و ظلت تصدر أسبوعياً،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٩٠

ثم مرتين في الأسبوع، ثم توقفت عن الصدور في بعض سنوات الحرب الأخيرة بسبب قلة الورق، ثم عادت إلى الصدور أسبوعياً عام ١٣٦٥ باسم "البلاد السعودية" و تولى رئاسته تحريرها الأستاذ عبد الله عريف.

و قد تمكنت جريدة البلاد السعودية من الصدور مرتين في الأسبوع و أخيراً ثلاث مرات في الأسبوع و هي في طريقها إلى الصدور يومياً في القريب العاجل إن شاء الله، و قد صدرت يومياً ابتداء من شهر ربيع الثاني من السنة (١٣٧٣) هـ.

و قد راجت هذه الصحيفة في السنوات الأخيرة رواجاً أكثر من أي عهد مضى، و أصبح لها قراء من كل الطبقات و هي لا ينقصها إلا زيادة العناية بالأخبار الخارجية و المحلية، ثم الإقلال من المواضيع الأدبية بقدر الإمكان لعلاقة هذه المواضيع بالمجلات أكثر من علاقتها بالصحف الإخبارية.

و في عام ١٣٥٥ هـ صدرت مجلة "المنهل" في المدينة المنورة و هي مجلة شهرية للآداب و العلوم لصاحبها و رئيس تحريرها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، و هي ثانياً مجلة شهرية صدرت في هذه البلاد بعد المجلة الزراعية التي أسلفنا الإشارة إليها و قد تطورت هذه المجلة بحيث أصبحت لا تقل في مادتها و في أسلوبها عن مثيلاتها من المجلات الأدبية الراقية في العالم العربي، و أصبحت تصدر في مكة منذ عام ١٣٥٦.

و مجلة المنهل تعتبر المجلة الأدبية الأولى في المملكة السعودية.

و في عام ١٣٥٥ صدرت جريدة المدينة المنورة لصاحبها الأستاذين الشقيقين علي و عثمان حافظ و هي جريدة أسبوعية نشيطة تعنى بالأخبار أكثر من عنايتها بالمقالات و البحوث، و بالأخبار العربية و الإسلامية على وجه الخصوص.

و كانت تصدر قبل الحرب الأخيرة مجلة النداء الإسلامي لصاحبها الأستاذ مصطفى أندرقيرى ثم توقفت عن الصدور.

ثم صدرت في غرة رجب من عام ١٣٦٦ مجلة الحج و هي مجلة شهرية إسلامية تتولى إصدارها إدارة شؤون الحج و كان يرأس تحريرها في أولى سنواتها الأستاذ السيد هاشم زواوي، ثم كاتب هذه السطور منذ أول عام ١٣٧٠ هـ و تعنى هذه المجلة بالمواضيع

الإسلامية بصورة عامة ثم بكل ما يتصل بشؤون الحج والحجاج.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٩١

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى ظهور مجلة جديدة راقية و تلك هي "اليمامة" لصاحبها ومؤسسها الأديب الباحث المعروف الأستاذ حمد الجاسر، و اليمامة تصدر في الرياض و هي أسبوعية أدبية علمية، غير أنها تصدر الآن مرة في الشهر مؤقتا و قد كانت الأعداد التي صدرت منها حافلة بأجود المقالات و البحوث في مختلف موضوعات اللغة و الدين و الأدب و التاريخ و بأقلام سعودية ناضجة مما يبشر بأن لهذه المجلة الناهضة مستقبلا مجيدا إن شاء الله.

و بعد ... فهذه الإمامة موجزة عن تاريخ الصحافة في هذه البلاد، و لئن كان من واجبنا أن نقرر هنا أن صحافتنا في كل من عهدتها التركي و الهاشمي لم يكن لها أثر يذكر ... فإن من واجبنا أيضا أن نقول أنها قد بدأت الآن تشق الطريق ... و الأمر الذي لا يختلف فيه اثنان أنها في حاضرها قد أصبحت شيئا آخر يختلف كل الاختلاف عما كانت عليه فيما مضى ...

و الأمل بعد و في هذا العهد الباسم السعيد العظيم في أن تخطو صحافتنا خطوات واسعة و سريعة ... نحو القوة و الازدهار! انتهى من الرسالة المذكورة "من تاريخنا."

### إنارة مكة المكرمة بالكهرباء

كانت مكة المشرفة تنار شوارعها و أزقتها ليلا- في أول الأمر بالزيت كما هو الشأن في جميع الأقطار في بادئ الأمر، ثم صار أهلها يستعملون الشموع، ثم صاروا يستعملون زيت النفط و هو الكاز، فينبون منازلهم و غرفهم و شوارعهم بفوانيس الكاز، و هذه الفوانيس أنواع متعددة، ثم صاروا يستعملون الأتاريك التي فيها فتائل حريرة و هي تشعل بالكاز.

ثم صارت الإنارة في وقتنا الحاضر بواسطة الكهرباء، فلقد امتدت الأسلاك الكهربائية في جميع منازل مكة المكرمة و في شوارعها و أزقتها و جميع مرافقها، و قبل كل شيء إنارة المسجد الحرام بالكهرباء، و لقد ذكرنا بالتفصيل تدرج الإنارة بالوقود و الشموع و الزيوت ثم الكهرباء، و ذلك عند الكلام على إنارة المسجد الحرام من هذا الكتاب فراجع هنا. اللهم نور قلوبنا و أبصارنا و أسماعنا و بصائرنا بفضلك و رحمتك آمين.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٩٢

### ظهور بوليس النجدة بمكة المكرمة

كان ظهور بوليس النجدة لأول مرة بمكة المكرمة في أول عام (١٣٨٥) من الهجرة، و لقد انتشر بوليس النجدة في جميع الممالك و الأقطار العربية و غير العربية، و لقد خصص لبوليس النجدة أربع سيارات بمكة المكرمة، و هي مزودة بضباط و شرطة، و في كل سيارة تليفون أوتوماتيكي رقم كل تليفون (٩٩) فإن حصل أى حادث يطلب الإنسان بوليس النجدة بهذا الرقم، فيحضرون بسياراتهم إلى مكان الحادث في أقرب وقت، فيأخذون أصحاب الحوادث إلى مركز الشرطة للتحقيق و إجراء اللازم نحوهم.

### الإطفاء بمكة المكرمة

لقد تكلمنا بالإسهاب و التفصيل عن وجود الإطفاء بمكة المكرمة في غير هذا المحل، و هنا نكرر الكلام عنه باختصار زيادة في الإشعار و التنبيه فنقول: لقد أوفدت الحكومة السعودية عن طريق أمانة العاصمة بمكة المشرفة، و ذلك قبل سنة (١٣٦٧) أول بعثة للتمارين على إطفاء الحرائق و طرق الإنقاذ، و إليك أعضاء هذه البعثة:

- (١) على عوض.
  - (٢) إبراهيم فرحات.
  - (٣) عبد الكريم مرزا.
  - (٤) محيي الدين صواف.
  - (٥) عبد العزيز مراد.
- وقد أتم هؤلاء دراستهم بنجاح باهر فعادوا إلى بلادهم لخدمتها. انتهى من كتاب "من وحى البعثات السعودية" لصديقنا الأستاذ صالح جمال الحريري، و من أراد زيادة البحث عن الإطفاء قديما و حديثا فلينظر في محله في هذا الكتاب.

### البريد و التلغراف و التليفون بمكة المكرمة

يتبع وزارة المواصلات عندنا أربع إدارات و هي كما يأتي:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٩٣

(١) إدارة البريد.

(٢) إدارة التليفونات.

(٣) إدارة التلغرافات "البرقيات".

(٤) إدارة أعمال الطرق و إصلاحها.

و إن الذي يرأس وزارة المواصلات شاب أديب شهير، و ذكي له نشاط كبير، ألا و هو صديقنا الأستاذ محمد عمر توفيق أدام الله تعالى توفيقه.

أما أعمال الطرق و إصلاحها و تسهيل المواصلات بين جميع بلدان مملكتنا العربية السعودية، فإننا نقول باختصار: أنه لم تعرف المملكة كلها سفلة الطرق و إصلاحها بالإسفلت إلا في زمن الحكومة السعودية، و أن أول ما بدأت الحكومة بإصلاح الطرق، هو طرق الحرمين الشريفين، لتيسير أداء الحج و الزيارة للحجاج الكرام، كما تكلمنا عن ذلك في هذا الكتاب في مواضع عديدة حسب ما تقتضيه المناسبات، ثم امتدت أيدي العمال لسفلة طرقات المدن الأخرى من المملكة، و أن لدى وزارة المواصلات مشاريع عديدة، لا تتمكن من الكلام عنها و لا من حصرها، لأنها كثيرة متعددة الجوانب.

لكن سنتكلم عن الإدارات الأخرى و هي (البريد- و التلغراف- و التليفون) نتكلم عن كل إدارة منها بنبذة صالحة مفيدة، للإحاطة بها على وجه العموم، و إن كان في كل إدارة مشاريع كثيرة هي أدرى بها.

و قبل أن نذكر عنها شيئا، نضع هنا صورة صديقنا الفاضل معالي الأستاذ محمد عمر توفيق وزير المواصلات، و وزير الحج و الاوقاف أيضا بالنيابة، و هي هذه.

و إليك الآن الكلام على البرق و البريد و التلغراف، و نذكرها بالنسبة لمكة المكرمة، لأن هذا التاريخ خاص لنفس هذه البلدة الطاهرة المقدسة، و إن كانت هذه الإدارات في جميع مدن المملكة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٩٤

### البريد و تطوره بمكة المكرمة

قال في المصباح المنير: البريد الرسول، و منه قول بعض العرب: الحمى بريد الموت، أي: رسوله ثم استعمل في المسافة التي يقطعها و

هي اثنا عشر ميلا، و يقال لدابة البريد بريد أيضا لسيره في البريد، فهو مستعار من المستعار، و الجمع برد بضمين، انتهى المراد منه. و قال في مختار الصحاح ما ملخصه: و البريد المرتب يقال: حمل فلان على البريد، و البريد أيضا اثنا عشر ميلا و صاحب البريد قد أبرد إلى الأمير فهو مبرد و الرسول بريد، قلت: قال الأزهري: قيل لدابة البريد بريد لسيره في البريد، و قال غيره: البريد البغلة المرتبة في الرباط تعريب بريده دم، ثم سمي به الرسول المحمول عليها ثم سميت بن المسافة. انتهى منه.

و جاء في بعض كتب الفقه أن مقدار الميل الواحد هو ستة آلاف ذراع بذراع اليد فإذا ضربنا ١٢ ميلا \* ٦٠٠٠ ذراع فيكون حاصل الضرب (٧٢٠٠٠) ذراع و هذا هو مقدار البريد بذراع اليد. و الميل يساوي (٢) كيلو متر إلا قليل، فيكون البريد يساوي ثلاثا و عشرين كيلو متر تقريبا، أي تكون مسافة البريد من مكة المكرمة إلى ما بعد الشمسي في طريق جدة بنحو خمس كيلو مترات تقريبا. و يطلق البريد في عصرنا الحاضر على (البوسطة) و هي كلمة تركية أو فارسية، و هي الكتب أو الخطابات أو الأشياء الواردة من بلدة إلى بلدة أو من قطر إلى قطر بانتظام مرتب، إما في كل يوم أو في كل أسبوع أو في مدة أقل أو أكثر.

قالوا: و أول من وضع البريد في الإسلام هو سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فكانوا في القرون الأولى للإسلام يخصصون دوابا من الخيل و البغال و الحمير لحمل البريد. فكانوا يجعلون في كل ثلاث و عشرين كيلو مترا بعضا من الدواب المذكورة لحمل البريد. فمثلا يجعلون عند كل ثلاث و عشرين كيلو مترا مكانا خاصا لوقوف دواب البريد، فإذا سارت الدابة من مكة مثلا إلى مسافة ثلاث و عشرين كيلو مترا أي إلى ما بعد الشمسي تقف عندها ثم تحمل عنها البريد دابة أخرى من هذا المكان فتسير إلى أن تصل إلى مسافة ست و أربعين كيلو مترا فتقف هناك و تحمل عنها البريد دابة ثالثة فتسير إلى مسافة تسع و ستين كيلو مترا أي تصل إلى جدة و هكذا الحال في جميع البلدان في حمل البريد ذهابا و إيابا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٩٥

هذا و لقد كانوا في الأزمان الماضية يخصصون حمام الزاجل لحمل الرسائل في الأمور المهمة، في الحروب و غيرها لأن لهذا النوع من الحمام ذكاء خارقا و هو يطير في اليوم الواحد نحو ألف فرسخ، و الفرسخ في كتب الفقه ثلاثة أميال، و الميل أربعة آلاف خطوة و الخطوة ثلاثة أقدام. و الميل الواحد يساوي اثنين كيلو مترا إلا قليلا.

فإذا علمنا هذا و قلنا أن الحمام الزاجل يطير في اليوم الواحد ألف فرسخ- و الفرسخ يساوي خمس كيلو مترات و أربعين مترا- فإنه يكون مسافة ما يطير الحمام الزاجل في اليوم الواحد هي خمسة آلاف و أربعين كيلو مترا، و إذا علمنا أن المسافة بين مكة المكرمة و المدينة المنورة هي أربعمائة و سبع و تسعين كيلو مترا، فإنه يطير الحمام الزاجل في اليوم الواحد بمقدار عشر مرات من المسافة ما بين مكة المكرمة و المدينة المنورة.

لذلك كان ثمن الحمامة الواحدة من حمام الزاجل قد بلغ سبعمائة دينار ذهباً في الأزمنة الماضية. و قد ذكر المؤرخون أن حمامة من هذا النوع طارت من خليج القسطنطينية إلى البصرة فبلغ ثمنها ألف دينار من الذهب الخالص. و قالوا إن ثمن بيضتي الحمامة الفارسة من النوع الزاجل تساويان عشرين دينارا من الذهب. و هذا كلام معقول مقبول لبيض هذا الطائر الفريد النبيل. و لقد بلغ من عناية الأقدمين بهذا النوع من الحمام الزاجل أنهم حافظوا على أنساب هذا الطائر الميمون فاتخذوا لها دفاتر و سجلات لتقيد أفراخها و أولادها فيها كما حافظوا على أنساب العرب و أنساب خيولهم الأصيلة.

و لقد ذكر المؤرخون أيضا أن السلطان نور الدين الشهير رحمه الله لما فتح كثيرا من البلدان اتخذ حمام الزاجل لإرسال الخطابات معه إلى من يدين له بالولاء و إلى من هو تحت حكمه ليقف على أخبار الحروب و الممالك و ذلك في عصر الحروب الصليبية و قد اتخذ لهذا الحمام في كل جهة و بلدة أبراجا و أقام لها حفظة و حراسا للعناية بطعامه و شرابه و نظافة أمكنته و مراقبه وصول المسافرين منه، و أخذ الرسائل التي يحملها تحت جناحه أو في رجله. و كان كل برج من أبراجه يبعد عن الآخر بنحو اثني عشر ميلا، و كان ينفق في سبيل هذا الحمام الزاجل أموالا طائلة.

و كان حارس كل برج يقيد ساعة وصول الحمامة على ظهر الرسالة التي يحملها.

و هذا النوع من الحمام لا يولد متعلما، و إنما الرجال المتخصصون في ذلك يعلمونه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٩٦

و يدرّبونه على الأعمال و ولاء الأمور كانوا لا يهتمون أمر هذا الطائر بل يراقبون وصوله و سفره بدقة تامة و عناية عظيمة لأن بعض شئون الدولة متعلقة به في رسائله التي يحملها. و لقد استعمل السلطان صلاح الدين بن أيوب حمام الرسائل أي حمام الزاجل في حصار عكا الذي استمر مدة سنتين. و لقد ألف العلماء و الأدباء في ذلك العصر في حمام الزاجل رسائل قيمة، منها (تمائم الحمام) و منها "مسابقة البرق و الغمام في سعة الحمام."

هذا و إن أول من أرسل الحمام لاستكشاف الأخبار سيدنا نوح عليه الصلاة و السلام. فقد روى الإمام الأزرقى رحمه الله في أول تاريخه ما يأتي: عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال: كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا معهم أهلهم و أنهم كانوا أقاموا في السفينة مائة و خمسين يوما و أن الله تعالى وجه السفينة إلى مكة فدارت بالبيت أربعين يوما ثم وجهها الله تعالى إلى الجودي. قال: فاستقرت عليه فبعث نوح عليه السلام الغراب ليأتيه بخبر الأرض فذهب فوق على الجيف و أبطأ عنه فبعث الحمامة فأثتة بورق الزيتون و لطخت رجليها بالطين فعرف نوح أن الماء قد نضبت فهبط إلى أسفل الجودي. انتهى من تاريخ الأزرقى.

نقول إن إرسال سيدنا نوح عليه الصلاة و السلام الحمامة لتأتيه بخبر انحسار الماء عن الأرض إنما هو من معجزاته عليه الصلاة و السلام. و لا يبعد أن يكون حمام الزاجل من نسل حمام هذه السفينة. و الله تعالى أعلم بغيبه، و لا يبعد أن يكون إطلاق الناس على الحمام (حمامة السلام) استنتاجا من قصة حمامة نوح عليه الصلاة و السلام.

هذا ثم لما تقدم الناس في عصرنا الحاضر في المدينة و الحضارة و العمران و اخترعوا آلات التلغراف "البرق" و التلغرافات و غير ذلك من الاختراعات العجيبة التي لا تعد و لا تحصى، استغنوا عن استعمال حمام الزاجل و إرساله بالرسائل و صاروا يرسلون الرسائل و الخطابات بواسطة البريد المسجل المضمون في البر و البحر و الجو، و من كان مستعجلا في أمر أرسل برقية إلى البلدة التي يريدتها سواء كانت في البلاد الإسلامية أو في البلاد الأوروبية. و ما كان من الأمور المهمة السرية يرسلون برقياتهم بالشفرة و الرموز. و بذلك بطلت عادة إرسال حمام الزاجل بالرسائل لكثرة وسائل المواصلات السريعة. و مع ذلك فإن جنس الحمام

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٩٧

الزاجل لم ينقرض، بل ما زال شيء من حمام الزاجل موجودا إلى اليوم في بعض الأقطار كمصر و الشام و العراق و بعض البلدان الأوروبية و يحافظون على هذا النوع من الحمام كمحافظة على الآثار ... هكذا كان حال البريد في العصور الماضية.

ثم تدرج حال البريد شيئا فشيئا و تطور تطورا عظيما في عصرنا الحاضر حتى صار له أدق النظمات و أحكم القوانين كما هو معروف لدى جميع العالم. و إن أول من وضع أساس إدارات البريد و إدارات التلغراف و البرقيات و إدارات التليفونات الدولة التركية العثمانية ... وضعتها عندنا بمكة المكرمة، و بسائر مدن الحجاز بل و سائر البلدان و الممالك الإسلامية التي كانت كلها تحت حكمها. فلما استقلت هذه الممالك كلها بنفسها و زال حكم الأتراك عنها حافظت على هذه الإدارات و صارت كل مملكة تزيد في أنظمتها و قوانينها ما تراه صالحا لخدمة الجمهور حتى وصلت حالتها اليوم شأوا بعيد المدى.

هذا و لقد أدركنا رسائل البريد و الأمانات تذهب بالحمير في كل يوم قبل وجود السيارات و الطائرات من مكة المكرمة إلى جدة، و إلى الطائف و إلى المدينة المنورة و إلى ما حول ذلك من القرى، و كانوا يسمون ذلك (بوستة الحمارة) بتشديد الميم، فإذا وصلت هذه الرسائل و الأمانات إلى البلدة أخذ الرجال الموظفون المختصون بهذا الأمر جميع الرسائل و الأمانات و سلموها إلى أصحابها بأمانة تامة، لا- يحصل فيها شيء من الخيانة و التغيير، حتى لقد كانت ترسل معهم صرر الفلوس من الريالات الفضية و الجنيهات الذهبية. و إذا حصل أمر مهم يقتضى سرعة إرسال الرسائل و الأمانات بغاية الاستعجال فإنهم كانوا يرسلونها مع النجاب، بفتح النون و

تشديد الجيم، و هو رجل سريع الذهاب و العدو فيمشى على رجليه مهرولا- من مكة إلى جدة أو من الطائف إلى مكة فيسلمها لأصحابها فيصل هذا النجّاب إلى البلدة قبل وصول الحمارة بكثير، و عندنا في العرب بعض الرجال معروفون بالعدو السريع. هذه الحالة كانت معروفة عندنا إلى أوائل العهد السعودي أي إلى سنة (١٣٤٧ هـ) ألف و ثلاثمائة و سبع و أربعين هجرية. ثم من بعد هذه السنة المذكورة كثرت السيارات عندنا، فصار البريد يرسل بالسيارات إلى جميع المدن، كما يرسل بالطائرات إلى داخل المملكة و خارجها. و تطور عندنا نظام البريد تطورا عظيما فاستراح الناس فيه راحة تامة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٩٨

هذا و لقد طلبنا من سعادة الشيخ عبد الله عبد الرحمن طيب مدير بريد مكة المكرمة أن يفيدنا بالتفصيل عن تطور حالة البريد عندنا بمكة، فجاءنا منه الجواب الآتي في منتصف جمادى الأولى سنة (١٣٨٥) هجرية.

### البريد في مكة

عرفت مكة إدارة البريد منذ العهد العثماني باسم "البوستة" و قد كانت خدمات البوستة ضيقة في حدود معينة لا تعدو عن نقل بعض خطابات عادية و مسجلة بين مدن الحجاز، بين مكة و جدة، و بين مكة و المدينة و بينها و الطائف. و من الوسائل التي كانت تستعمل لنقل البريد "الحمير" و كان ساعى البريد الذى ينقل الخطابات يطلق عليه (موزع الحمارة) بتشديد الميم، و ظل موزع الحمارة اسما معترفا به في البريد إلى عهد قريب جدا. و من المباني التي عرفتها إدارة البريد بمكة مبنى الإسعاف الخيري فهو أول مبنى شبه أنموذجي تأسس لإدارة بريد مكة و البرق و التلفون و اللاسلكي و كان يدير العمل فيه موظفان اثنان. و العمل عبارة عن جمع أعمال البرقيات و الخطابات و التلفونات و بعض موزعين.

و صدرت طوابع بريديّة حجازية في عهد الحسين بن علي ثم و شحت هذه الطوابع في أوائل العهد السعودي بجملته "سلطنة نجد و الحجاز" و لم تلبث أن صدرت طوابع سعودية باسم المملكة العربية السعودية ... في بداية العهد الجديد الذي أخذت المرافق العامة كلها تحظى بعناية الدولة. و تكونت إدارة عامة لمصلحة البرق و البريد و اللاسلكي تحت إدارة مديرها العام الشيخ عبد الله كاظم و اتخذ لهذه المصلحة مبنى كبير في القشاشية ثم انتقل البريد بعد أن توسعت أعماله و تحسنت خدماته العامة و تعددت أقسامه إلى عمارة الأشراف في أجياد و في أوائل عام ١٣٧٩ هـ ابتاعت وزارة المواصلات المبنى الحالي بسوق المعلا.

تتكون إدارة البريد حاليا من أكثر من خمسة عشر قسما أهمها أقسام الواردة و الصادرة و الحوالات و المؤنات و الترحيل و التوزيع ... و يوجد للبريد الحالي ثمانية شعب منبثة في مختلف أنحاء مكة ... أهمها شعبة القشاشية و أجياد و المسفلة و الشبيكة و جرول ... و قد تطورت إدارة بريد مكة تطورا ملحوظا في الأيام

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ١٩٩

الأخيرة و تحسنت الخدمة البريدية تحسنا ملموسا حتى أن ذلك دعى إلى تسيير بريد متنقل أيام الحج، و لا سيما أيام التشريق بمنى ليسهل الخدمة البريدية للحجاج.

و قد بلغ مجموع ما استقبلته إدارة البريد من خطابات في اليوم الواحد في أيام موسم الحج عام ١٣٨٤ هـ مائة و خمسين ألف خطاب صادرة من مكة إلى مختلف أقطار الأرض كما استلمت من الخطابات الواردة ما يربو عن مائتي ألف رسالة في يوم واحد. و من منذ سنة تقريبا تم الاتصال المباشر بين بريد مكة و بعض المراكز البريدية العالمية و العربية، منها الهند و باكستان و إندونيسيا و مصر، و بعض دول أوروبا، و الدول العربية. و قد كان قبل هذا الاتصال يتوسط مركز بريد جدة بين مكة و بقية المراكز العالمية.

و إدارة بريد مكة تتصل اتصالا مباشرا في مهامها بوكالة المصلحة لمنطقة مكة و وكيل المدير العام في هذه الوكالة هو الأستاذ جعفر

ثابت، و في عهد سعادته خطت مصلحة البريد خطوات واسعة المدى في سبيل التطور و تيسير الخدمة البريدية. و ميزانية البريد بمكة جزء من ميزانية المصلحة التي هي جزء من ميزانية وزارة المواصلات.

و لم تعرف مكة عهدا مثل هذا العهد بالنسبة للخدمات البريدية العامة و تسهيلها و دقتها. و الفضل في ذلك يعود إلى ما متع الله به هذه البلاد من استقرار و أمن في عهد مليكها و رائدها جلالة الملك فيصل المعظم أطال الله عمره و أبقاه.

١٥ جمادى الأولى ١٣٨٥ هـ

مدير البريد بمكة المكرمة

عبد الله عبد الرحمن طيب

### التلغراف بمكة المكرمة

لقد بدأ في اختراع التلغراف "البرق" ثلاثة أشخاص من أوروبا، و ذلك في سنة (١٨٣٢) ألف و ثمانمائة و اثنتين و ثلاثين ميلادية، و هم:

(١) صامويل ف. ب. مورس و هو من أمريكا. (٢) مستر رونالدز و هو من لندن. (٣) وليم فوز- رجل كوك- و هو من أوروبا. فهذا الشخص الثالث و هو "وليم" كان ضابطا في جيش المدوراس و هو من أهل أوروبا، و كان له ذكاء و نشاط، يقضى أيامه في التجول في دور المتاحف و الكليات العلمية، فبينما كان في

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٠٠

إحدى الصالات بمدينة (هدالبرج) إذ رأى جهازا مخصصا لتوضيح بعض نقاط المحاضرات التي تلقى عن الكهرباء، و فيه مفتاح لإرسال أو إمساك التموجات الكهربائية، فقال كوك في نفسه: و لماذا لا يمكن إرسال هذه التموجات بهيئة علامات مصطلح عليها، إلى مسافات بعيدة. فلما وصل إلى لندن، كان من حسن حظه أن استمال إليه أحد أساطين العلوم العملية في هذا العصر، و هو الأستاذ (آلان سير) تشارس و تيسن مخترع آلة (السبكر سكوب)، و عمل كلاهما على تحقيق فكرة إنشاء التلغراف و حصلا على امتياز به ليحمياه من سطو بعض الأعداء. و حصلت أول تجربته عمومية في ٢٥ يوليو سنة (١٨٣٧) و قد وقف أحد هذين المخترعين في مدينة "كامدن" و وقف الآخر في "بوستن" و كانت النتيجة نجاحا باهرا، و وصلت بينهما الإشارة المتفق عليها.

و لنعد إلى ذكر الشخص الأول و هو "صامويل مورس" فلقد كان مسافرا في سفينة صغيرة من ميناء "الهافر" فاصدا نيويورك في شهر أكتوبر من عام (١٨٣٢) ميلادية، و اجتمع مع بعض الرجال الكهربائيين فعلمت بذهنه إرسال الموجات و الرموز في سلك من التيار الكهربائي. ثم لما قفل راجعا من سفرته إلى بيته عكف على دراسة الكهرباء و استولى على فكرة اختراع آلة التلغراف، و اهتم بهذا اهتماما عظيما، و طبعاً لقي في سبيل ذلك صعوبات جممة و تعباً عظيماً و إرهاقا فكريا لا يتصور، لكنه في آخر الأمر نجح نجاحا باهرا في اختراع التلغراف.

و كان لابد للتلغراف من عمل محطة صالحة لإرسال الإشارات و تلقيها.

فمكث "صامويل مورس" يعمل مدة سنتين بغير انقطاع حتى أتم عمل محطة جيدة صالحة. ثم إنه في سنة (١٨٣٧) ميلادية، دعا مورس بعض أصدقائه و معارفه إلى الاستديو لمشاهدة التلغراف الذي صنعه، فأسفرت التجربة عن نجاح بعيد المدى، و اقتنع الحاضرون بفائدة هذا المشروع العظيم. فقدم له شخص ميكانيكي ماهر من الذين شاهدوا اختراعه، أموالا كثيرة و آلات متعددة، و طلب منه أن يدخل في اختراعه هذا تحسينات عظيمة، و بذلك تمكن صامويل مورس من إتمام اختراعه على أكمل وجه و أحسنه، ثم سعا في أمريكا و في الممالك الأخرى للحصول على الامتياز، فتمكن من حصوله في سنة (١٨٤٠) ميلادية. ثم عرض أمر التلغراف الذي صنعه على البرلمان الأمريكي، و طلب مساعدته بمبلغ و فير لإنشاء خط



التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٠١

تلغرافي من واشنطنون إلى بلتيمور، فساعدوه بإعطائه ثلاثين ألف دولار، وذلك في سنة (١٨٤٣) ميلادية.

فقام مورس يضع أسلاك التلغراف تحت الأرض، ثم عدل عن هذه الطريقة فجعل الأسلاك على أعمدة مرتفعة عن الأرض، فهذا العمل أكثر نفعاً و أقل نفقة، و ركب على رؤوس الأعمدة عازلات زجاجية لمنع التيار الكهربائي من التسرب إلى أجسام الأعمدة فتبدد في الأرض، فلما تم إنشاء هذا الخط، صار أمر التلغراف مشهوراً لدى الشعب الأمريكي.

ثم في أوائل شهر إبريل سنة (١٨٤٥) كان الخط التلغرافي قد فتح للجمهور و تعين له عمال و كتاب و إدارات، ثم ما زال التلغراف يدخل فيه التعديلات و التحسينات، حتى وصل اليوم إلى أرقى درجات الكمال. و قد امتدت خطوط التلغرافات إلى جميع الممالك و البلدان، حتى صار التلغراف أمراً لازماً من ضروريات الحياة لا يستغنى عنه الأفراد و لا الحكومات في جميع أقطار الأرض.

هذا فالتلغراف كان موجوداً بمكة المكرمة منذ زمن طويل، من عهد الدولة التركية العثمانية، و لقد توسعت إدارته عندنا توسعاً عظيماً حسب ازدياد السكان في البلاد- و لقد أصدرت وزارة المواصلات عندنا في المملكة العربية السعودية من نحو خمس سنوات، كتاباً صغيراً، بينت فيه نشاط الوزارة و أعمالها في خدمة الجمهور من ناحية المواصلات، سواء كانت بواسطة البريد، أو بالتلفون، أو بالتلغراف، و هذا الكتاب على صغره فيه معلومات هامة قيمة.

هذا ما ذكرناه عن اختراع التلغراف و لقد طلبنا من سعادة مدير البرق و اللاسلكي بمكة المشرفة نبذة عن التلغراف و اللاسلكي بمكة المشرفة، فأرسل لنا البيان الآتي:

اهتمت حكومتنا السنية بهذا البلد المقدس و نهضت به إلى أعلى القمم لما له من قداسة في قلب أسد الجزيرة و إمام المسلمين صاحب الجلالة الملك فيصل خاصة و في قلوب العالم الإسلامي عامة و أن صاحب الجلالة أول ما اهتم به النهوض بكافة المشاريع الحيوية في هذا المضممار و أعنى الأهم منها إدارة البرق و البريد و اللاسلكي لما لهذا القسم من أهمية عظيمة في عالم اليوم لما يقوم به من خدمات عامة باستقبال كافة البرقيات الداخلية و الخارجية و القيام بتسليمها لأصحابها من المواطنين و الدوائر الحكومية و الوفود لهذه الأراضي المقدسة في أقرب وقت ممكن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٠٢

و اهتمام المسؤولين بإيجاد الآلات الفنية للاستقبال السريع و تأمين وسائل النقل الحديثة علماً أنه كان العمل سابقاً جارياً بأبسط الآلات السلوكية و بتوالي السنين، و توفر أحدث الأجهزة الفنية تطور حقل البرق و البريد و انتشرت المراكز اللاسلكية في كافة أنحاء المملكة شرقها و غربها و شمالها و جنوبها حتى أصبحت كل مدينة و قرية بها مركزاً لاسلكياً حديثاً.

إضافة على اهتمام المسؤولين بتأمين أحدث الآلات المبرقة الحديثة لتأمين المخبرات فيما بين جدة و مكة و الطائف و التي كانت سابقاً تؤمن بطريق اللاسلكي (المورس) و زيادة على ذلك إيجاد الوسائل بتشجيع أبناء الوطن بالتمارين و العمل على الآلات الحديثة حتى أصبح كافة القائمين بالعمل بهذا المرفق هم من رعايا الحكومة السنية و أن هذا بفضل الله ثم بفضل (صاحب الجلالة) حامى حمى الحرمين و حرص المسؤولين بهذه المصلحة. و نستمد من المولى جلت قدرته العون في المضى في أعمالنا لما يحقق ازدهار البلاد و رقيها في كافة مرافق الحياة تحت ظل صاحب الجلالة (الملك فيصل المعظم) و بالله التوفيق و الهدى إلى سواء السبيل.

مدير البرق و اللاسلكي بمكة المكرمة عمر عراقي

٥ جمادى الثانية سنة ١٣٨٥

انتهى ما ذكره سعادة مدير البرق و اللاسلكي بمكة المكرمة.

كان الكسندر جراهام بل، هو أول مخترع للتليفون، اخترعه في فبراير سنة (١٨٧٦) ميلادية، وقد ولد الكسندر بل المذكور في سكوتلاندا و تلقى تعليمه في إنكلترا، ثم سافر هو و أبوه إلى كندا ثم ذهب إلى بوستن لتعليم الصم البكم ثم اشتغل بدراسة الأصوات و بممارسته لتعليم تلامذته الصم علم كثيرا عن الأصوات التي تؤثر على طبله الإذن الغضه، فصنع قرصين جديدين يشبهان طبله الأذن، و وصل بينهما بسلوك كهربائي، فكانت الأصوات التي ترسل من أحدهما تتصل بالقرص الثاني بواسطة السلوك، و القرص الثاني يرددها كما هي. و قد نجح في إنشاء هذه المواصلة التلغرافية بهذا الشكل البدائي على مسافات قصيرة، ثم عكف

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٠٣

على تعلم الكهرباء، ثم بعد تجارب كثيرة و أتعاب مضية، توصل إلى اختراع التلغون و نقل الأصوات فيه بوضوح تام، فظن بعض رجال الأعمال أن هذا من قبيل لعب الأطفال و ذلك في سنة (١٨٧٦) ميلادية. و قد ظهرت شركة لإظهار هذا الاختراع العظيم، اختراع التلغون، فصار اليوم للتلفونات فوائد كبيرة أعظم من فوائد الرسائل البريدية.

هذا و قد أوفدت حكومتنا السعودية، عن طريق مديرية البرق و البريد العامة أول بعثة للتلفونات الفنية، و كان ذلك قبل سنة (١٣٦٧) و إليك أعضاء هذه البعثة:

(١) محمد كاظم، (٢) أسعد قنق، (٣) عبد الواحد خوج، (٤) يحيى عبد الجبار، (٥) سعيد حمزة، (٦) عبد الكريم بشاوري، (٧) و جدى طحلاوي، (٨) فريد توفيق، (٩) رشاد زبيدي، (١٠) محمد نور سلامة.

و لقد أتم هؤلاء دراساتهم في أعمال هندسة التلغونات الأتوماتيكية و غيرها، ثم عادوا إلى بلادهم و تسلموا أعمالهم الرسمية، كما ذكرهم صديقنا الفاضل الأستاذ صالح جمال الحريري، وفق الله تعالى العاملين لخدمته بلادهم و إخوانهم آمين.

### عدد التلغونات بمكة المكرمة

وجود التلغون و التلغراف بمكة المشرفة و في غيرها من البلاد قديم يرجع عهده إلى زمن الأتراك العثمانيين، لكن عدد التلغونات بمكة شرفها الله تعالى في زمن الشريف الحسين بن علي ملك البلاد الحجازية الأسبق رحمه الله، لا يتجاوز العشرين من التلغونات فقط، و ذلك عند كبار موظفي حكومته، إلى أن انتهى مدة حكمه رحمه الله تعالى و ذلك في أوائل سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية، فمكة كانت في ذلك الزمن صغيرة الرقعة قليلة السكان.

فلما استولت الحكومة السعودية على الحجاز في السنة المذكورة، تقدمت مكة المكرمة شيئا فشيئا في جميع مرافق المدينة و العمران، حتى بلغت في سنتنا الحاضرة سنة (١٣٨٥) خمس و ثمانين و ثلاثمائة و ألف، مساحتها شيئا كثيرا بحيث

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٠٤

امتد العمران في جميع نواحي مكة، و صارت المنازل و الدكاكين فيها أضعاف أضعاف الأزمان السابقة، و كذلك كثرت فيها محلات التجارة كثرة محسوسة ملموسة، و بالطبع أن كل هذه المنازل و المحلات التجارية و الدوائر الحكومية المتعددة، في حاجة شديدة إلى تليفونات عديدة، فصار عدد التلغونات بمكة المكرمة في زماننا هذا أي إلى السنة المذكورة خمسة آلاف تليفون تقريبا، و هي متفرقة بين الدوائر الحكومية و المحلات التجارية و المنازل الأهلية، فسبحان مغير الأحوال، لا إله إلا هو الكبير المتعال، و هذه التلغونات هي التي تستعمل بواسطة المراكز و السنترالات و قد بلغنا أنه ستبدل هذه التلغونات قريبا بتلغونات تستعمل بواسطة الأرقام و النمر.

### البنوك بمكة المكرمة

## إشارة

لم يألف الناس في الأزمان السابقة وضع نقودهم و أماناتهم في البنوك، و إنما كانوا يحفظونها في منازلهم في الصناديق و الدواليب، و إذا سافروا إلى جهة من الجهات، في داخل البلاد أو خارجها، أخذوها معهم، و بعضهم كانوا يحولون نقودهم إلى الخارج بواسطة التجار، فلما ظهرت البنوك و وجدت و سارت أمورها بانتظام، صار الناس يحولون نقودهم إلى أى جهة من الجهات بواسطة، و بذلك تفادوا كثيرا من الأخطار التي كانت تعترض أموالهم، بل إن تحويل النقود بواسطة البنوك أضمن لوصول الحوالات إلى أصحابها، لتحققهم من الشخص الذي يستلمها.

فأول ما ظهرت البنوك بمكة المكرمة، كان في محرم (١٣٧٤) عام ألف و ثلاثمائة و أربع و سبعين هجرية. فأول بنك أنشئ في مكة المكرمة، هو البنك الأهلي التجاري، و بعده و في جمادى الآخرة من السنة المذكورة، أنشئ البنك الثاني و اسمه البنك العربي، و أخيرا أنشئ البنك الثالث و اسمه بنك الرياض، و ذلك في ربيع الثاني عام ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية (١٣٧٧). و ساعدت هذه البنوك على خدمة حجاج بيت الله الحرام على أكمل وجه، حيث يستطيعون بهذه البنوك تسلم و تحويل نقودهم من جميع أنواع العملات من مختلف بقاع الأرض بسهولة و يسر.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٠٥  
و هذه المعلومات عن البنوك بمكة المكرمة، أخذناها مع الشكر من الأستاذ حسين غيث الأردني، الموظف في بنك الرياض بمكة المكرمة.

ثم كتبنا لمدير البنك الأهلي التجاري بمكة المكرمة، و هو الشيخ سعيد بامحفوظ، ليخبرنا عن البنوك بمكة المكرمة فقط، و عن نبذة صغيرة من أعمالها، فأرسل لنا الجواب الآتي بتاريخ غرة ربيع الثاني سنة (١٣٨٥) هجرية، و برقم (١٥٥٤٩)، و هذا نص جوابه:  
حضرة المكرم الفاضل الشيخ محمد طاهر الكردي المحترم  
تحية و سلاما

و بعد: تلقينا بمزيد السرور خطابكم المؤرخ ٨ / ٣ / ٨٥ المحتوى على استفساراتكم عن البنوك الموجودة بمكة المكرمة. و ننقل لكم فيما يلي المعلومات التي استفسرتم عنها:

## عدد البنوك

١- مؤسسة النقد العربي السعودي فرع مكة

٢- البنك الأهلي التجاري فرع مكة

٣- البنك العربي فرع مكة

٤- بنك الرياض فرع مكة

تواريخ تأسيسها:

باستطاعتنا إفادتكم عن تاريخ تأسيس فرعنا البنك الأهلي التجاري و هو أول محرم عام ١٣٧٤ هـ. و أما تواريخ البنوك الأخرى الموجودة هنا في إمكانكم معرفتها إذا كتبت إلى كل بنك منها.

## أعمال هذا البنك:

- إن أعمال هذا البنك متعددة و متشعبة نورد لكم فيما يلي بعضا من أعماله بطريقة مختصرة جدا على سبيل الإلمام:
- ١- منذ أن بدأت أعمال توسعة الحرم المكي الجبارة التي أخذت حكومتنا الرشيدة على عاتقها القيام بها فقد تم صرف جميع التعويضات التي تبلغ مئات الملايين عن طريق هذا البنك الذي قام بهذا العمل خير قيام.
  - التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٠٦
  - ٢- يقوم هذا البنك بأعمال تحويل المبالغ داخل و خارج المملكة، فعندما يرغب مواطن في أن يحول مبلغا ما إلى خارج أو داخل المملكة فإن أمامه ٣ طرق يستطيع البنك أن يحول بواسطة أية واحدة منها. فهو إما أن يحول المبلغ برقيا أو خطايا أو أن يتسلم المحول شيكا من البنك و يبعثه هو بنفسه بداخل خطاب مسجل.
  - ٣- يقوم هذا البنك بأعمال التحصيل. فتجار السيارات أو الأثاث المنزلية مثلا الذين يبيعون بضائعهم بالتقسيط يبعثون بكمبيالاتهم الموقعة من قبل عملائهم إلى البنك ليقوم البنك باستحصال قيمة الكميالة في موعد استحقاقها. و المصدرون الذين يبيعون بضائعهم على أساس دفع المبلغ مقابل تسليم لمستندات يبعثون بمستندات البضاعة التي يصدرونها يبعثونها إلى البنك لاستحصال قيمتها من المسحوب عليه.
  - ٤- يقوم البنك أيضا بفتح الاعتمادات بكافة أنواعها المستندية و الشخصية و خلافهما. فالبنك في هذه الحالة يقوم مقام الواسطة بين المستورد و المصدر. فيأتي المستورد إلى البنك و يملأ استمارة فتح الاعتماد و يضمّن بها كافة مواصفات و شروط البضاعة حسب المتفق بينه و عميله المصدر و يدفع التأمين ثم يبلغ البنك مراسله في الخارج ليقوم الأخير بدوره بتبليغ المصدر بفتح الاعتماد و مواصفاته و شروطه.
  - و عند ما يتم شحن البضاعة يقدم المصدر المستندات إلى البنك المراسل و يستلم في مقابلها القيمة و يبعث المراسل بالمستندات بعد أن يحسم القيمة من حسابنا ولدى وصولها نستوفي باقي القيمة من الفاتح.
  - ٥- كذلك يقوم البنك بتقديم الضمانات.
  - ٦- و من أعماله قبول أموال عملائه الذين يودعون أموالهم لدى البنك.
  - و في الختام نتمنى لكم التوفيق في مهمتكم و الله ولي التوفيق.
  - عن البنك الأهلي التجاري- بمكة

### عدد نزول المطر في سنة ١٣٨٥ بمكة

إن الأمطار تنزل بمكة قليلا، يعنى ينزل المطر بها في كل عام مرة أو مرتين تقريبا، و إذا نزل فلا يدوم نزوله أكثر من ساعة أو ساعتين، و في النادر جدا يكون

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٠٧

نزوله مدة ست ساعات تقريبا، أي من الصباح إلى الظهر مثلا تكون هذه الحالة بعد عدة سنوات، و في هذه الحالات يكثر جريان السيل بمكة المشرفة.

لكن في سنة (١٣٨٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و ثمانون هجرية، نزل المطر فيها مرارا عديدة، ففي شهر ربيع الثاني نزل المطر بمكة أربع مرات، و في شهر جمادى الثانية نزل بها ست مرات، و في شهر رجب نزل المطر بها ثلاث مرات، و في شهر شعبان نزل المطر بها ثلاث مرات، و في شهر رمضان نزل المطر بها ثلاث مرات، و في رابع يوم من شهر شوال نزل المطر بها عند الظهر. ثم لم نحسب نزول المطر بعد هذه المرة، لأننا أرسلنا هذا المبحث إلى المطبعة، و الله تعالى أعلم بعدد نزوله في بقية السنة المذكورة.

ففى كل هذه المرات تكون مدة نزول المطر نصف ساعة أو أقل أو أكثر، و نزول المطر عدة مرات بمثل هذه الحالات فى العام الواحد، يكون بعد عدة سنوات من بعد نحو خمس عشر سنة فأكثر، و يفرح الناس عندنا بنزول المطر كثيرا، لأن الجو يتلطف، و الهواء يتغير، و ترق النسومات، و تكثر الخضراوات، و تنبت الحشائش و الزروع، و يكون المرعى للمواشى طيبا، و تكثر الألبان و الجبن، نسأل الله تعالى أن يزيدنا من نعمائه و خيراته بفضلته و رحمته آمين.

### الأمطار بمكة فى سنة ١٣٨٦ هجرية

لقد تقدم ذكر الأمطار بمكة المشرفة فى سنة ١٣٨٥ هجرية، و الآن نكتب هنا الأمطار عندنا فى سنة ١٣٨٦ هجرية، فقد نزلت الأمطار عندنا كما يأتى:

عدد/ وقت نزول المطر/ ملحوظات ١/ فى ليلة ١٦/ ٥/ ١٣٨٦/ نزل فى الساعة الرابعة ليلا و كان رشاشا قليلا.

٢/ فى يوم ٢١/ ٥/ ١٣٨٦/ نزل فى الساعة التاسعة قبل العصر و دام نحو ثلاث ساعة.

٣/ فى يوم ٢٩/ ٥/ ١٣٨٦/ نزل فى الساعة الحادية عشر قبل المغرب و كان رشاشا خفيفا.

٤/ فى آخر يوم ٣٠/ ٥/ ١٣٨٦/ نزل مع أذان المغرب نزل بقوة و دام نصف ساعة.

٥/ فى يوم ٣/ ٦/ ١٣٨٦/ نزل قبل المغرب بنصف ساعة و كان رشاشا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٠٨

// خفيفا.

٦/ فى يوم ٤/ ٦/ ١٣٨٦/ جاء بعد العصر بنصف ساعة.

٧/ فى يوم ١١/ ٦/ ١٣٨٦/ جاء بعد العصر و كان رشاشا خفيفا.

٨/ فى يوم ١٢/ ٦/ ١٣٨٦/ جاء بعد العصر و نزل نصف ساعة.

٩/ فى يوم ١٧/ ٧/ ١٣٨٦/ نزل مطر قوى من قبل الظهر بساعة إلى العصر.

١٠/ فى يوم ٢١/ ٧/ ١٣٨٦/ نزل قليلا من بعد المغرب.

١١/ فى يوم ٢٧/ ٧/ ١٣٨٦/ نزل من العصر إلى قبل المغرب بساعة و كان قويا.

١٢/ فى يوم ٩/ ٨/ ١٣٨٦/ نزل قبل العصر و دام قبيل المغرب.

١٣/ فى يوم ١١/ ٨/ ١٣٨٦/ نزل قبيل المغرب إلى الساعة السابعة ليلا و كان غزيرا.

١٤/ فى يوم ١٢/ ٨/ ١٣٨٦/ نزل قبل العصر بساعة و دام إلى قبل المغرب بساعة و ربع.

١٥/ فى ليلة ١٣/ ٨/ ١٣٨٦/ نزل من بعد العشاء بساعة و دام إلى نصف الليل.

١٦/ فى يوم ١٣/ ٨/ ١٣٨٦/ نزل مطر عند أذان الظهر و دام إلى بعد الظهر بساعة، و هذه أربعة أيام متوالية تنزل فيها الأمطار، و مثل هذا يكون عندنا نادرا.

لقد عددنا مرات نزول الأمطار بمكة المشرفة فى سنتين فى وقتنا الحاضر و هما سنة (١٣٨٥) و سنة (١٣٨٦) من الهجرة، لأن نزولها فى كل عام قليل جدا، أما بالنسبة للممالك الأخرى من البلاد الإسلامية و غيرها، فإن نزولها فى مواسمها كثير جدا، و كل ذلك لحكمة لا يعلمها إلا من بيده الأمر كله مدبر أمور السموات و الأرض، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

### جوازات السفر و رخص الإقامات و إحصاء النفوس بمكة المكرمة

لم تكن في العصور المتقدمة تعرف إحصاء النفوس، و لا جوازات السفر بمكة المشرفة، كما كان الشأن في جميع الممالك و البلدان، و غاية الأمر أن الناس كانوا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٠٩

يعرفون أهل بلدتهم، و ما كان يترتب على ذلك شيء لو أخطأوا، و كان السفر من بلدة إلى أخرى، و من قطر إلى قطر في غاية اليسر و السهولة، خصوصا في جميع الممالك الإسلامية، و أن المسافر إلى جهة من الممالك، لا يحتاج إلى أكثر من حمل ورقة صغيرة لإثبات شخصيته و أنه تابع للدولة العلية العثمانية التركية، و بموجبها يمكنه السفر إلى أى جهة كانت، و قطع تذكرة سفره في البواخر إن أراد السفر من البحر، أو السفر بالدواب من قطر إلى قطر. كان هذا هو الحال في جميع الممالك الإسلامية التي كانت كلها تابعة للدولة التركية العثمانية، فلما زالت عنها الخلافة الإسلامية، و زال حكمها عن جميع الممالك و الأقطار التي كانت تابعة لها، ظهرت في كل مملكة و قطر قوانين و دساتير مختلفة، و أخرجت كل مملكة منها جوازات السفر خاصة باسمها، و ذلك من سنة (١٣٣٤) ألف و ثلاثمائة و أربع و ثلاثين هجرية تقريبا، و بذلك صار السفر من مملكة إلى مملكة، و من قطر إلى قطر صعبا، بالنسبة لاستخراج جواز السفر من بلدة المسافر، ثم حصول التأشيرة عليه من قناصل و سفراء الدولة التي يسافر إلى بلادها، ثم الحصول على تأشيرة الدخول و الخروج منها، لأن كل ذلك يحتاج إلى إجراءات مع دفع الرسوم اللازمة، و بغير هذا لا يمكنه السفر إلى البلاد التي يريد.

و أنه بعد زوال حكم الأتراك عن الحرمين الشريفين و غيرها في السنة المذكورة، و تتويج الشريف الحسين بن علي، رحمه الله تعالى، ملكا على الحجاز، أمر بإصدار جوازات السفر باسم حكومته (الحكومة العربية الهاشمية) فكانت جوازات السفر هذه هي أول جوازات تصدر بمكة المكرمة بل بالحجاز.

و أما إدارة إحصاء النفوس لأهل البلاد، أى التابعة التي تعطى لهم، و كذلك إعطاء الجنسيات و الإقامة للأغراب، بحسب الترتيبات و الإجراءات الموجودة اليوم، فلم تكن معروفة في زمن الأتراك و لا في زمن الشريف الحسين المذكور، ملك الحجاز الأسبق. إن كل ذلك لم يعرف عندنا إلا في أوائل العهد السعودي، أى من سنة (١٣٥٠) ألف و ثلاثمائة و خمسين هجرية تقريبا، لكن إدارات الإقامة و إحصاءات النفوس، كانت معروفة من قبلنا بسنوات في البلدان الأخرى، فظن أن بدء إحصاءات النفوس في الممالك و الأقطار، كان معروفا من بعد سنة (١٣٠٠) ألف و ثلاثمائة من الهجرة، و أن بدء إدارات الإقامة للأجانب كان من سنة (١٣٥٠) ألف و ثلاثمائة و خمسين تقريبا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢١٠

فصار سفر الناس من بلادهم إلى بلاد أخرى بالجوازات صعبا نوعا ما، و كذلك إقامتهم في بلاد أخرى صارت شاقّة، لما يحتاج ذلك من الإجراءات و من الأسئلة و الأجوبة الكثيرة، و ما يدفعونه في سبيل ذلك للحكومات المختلفة من المال. و أن من قرأ رحلة ابن جبیر و ابن بطوطة رحمهما الله تعالى، اللذين كانا قبلنا بقرون عديدة، إن من قرأ رحلتهم، علم ما كان الناس يتمتعون بحرية التنقل و الأسفار بين المشرقين و المغربيين، و إن كانت الأسفار في تلك القرون السابقة و العصور الماضية لا تخلو من أخطار قطاع الطرق و القراصنة. و في عصرنا الحاضر زالت الأخطار و المشقات في الأسفار و لله الحمد. إن لكل عصر و زمان مزاياه و مساوئه، و لكل مضاره منافع.

و الظاهر و الله تعالى أعلم أن جميع الحومات الإسلامية و الإفريقية، لم تتخذ جوازات السفر و الإقامة إلا زيادة في محيط الأمن العام، حتى تشل من حركات الجواسيس و المجرمين، و إن كانت لا تخلو بلدة من البلدان منهم، لكن ذلك أفضل من ترك الجبل على الغارب، فالعمل على تقليل الشرور واجب، إن لم يمكن حذفها بتاتا، فإنه ليس بمستطاع البشر رفع الشر و الفساد من الأرض، و لو شاء الله لهدى الناس جميعا، و لكن فريق في الجنة و فريق في السعير. نسأل الله تعالى الهداية و التوفيق بفضله و رحمته آمين.

## استعمال الحطب و الفحم و غيرهما بمكة

كان العرب و جميع الناس منذ العصور القديمة الأولى، لا يستعملون فى طبخهم و تدفئتهم غير الحطب المقطع من الأشجار و الفحم المتخذ من الحطب.

فالفحم و الحطب هما أساس الوقود منذ قديم الأزمان، كما أخبر الله عز و جل عن ذلك فى آخر سورة يس بقوله: **الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ.**

لقد كان استعمال الحطب و الفحم سائدا على وجه الأرض فى جميع بلاد العالم إلى أول القرن الثالث عشر للهجرة، أى إلى سنة (١٣٠٠) هـ، فلما ظهرت المدينة الحديثة و تقدم الناس فى اختراع أنواع وسائل الحياة المعيشية، اختلفت عاداتهم التى درجوا عليها. فمن ذلك استبدلوا استعمال الحطب و الفحم بالكهرباء و أنواع الزيوت و الغاز، و اخترعوا لذلك من الآلات و الأدوات ما يحير العقول.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢١١

و بطبيعة الحال كان أهل أوروبا هم أول الناس إقداما على تبديل الأمور المعيشية، لأنهم هم المخترعون لوسائلها من الآلات و الأدوات، ثم أخذ الناس عنهم ذلك تدريجيا و كان لابد للبلاد العربية نصيب من تلك الأمور. و لا نريد أن نسردها ما ظهر من المخترعات فذلك مما يطول شرحه و بيانه، و لكن نتكلم فيما نحن بصدده من الكلام عن الوقود فنقول:

كان الناس فى بلاد الحجاز و فى مكة المشرفة يستعملون الفحم و الحطب فى الطبخ و الخبز و التدفئة أيام البرد، و كانوا يجعلون فى بيوتهم و منازلهم و أفرانهم مكانا خاصا للفحم و الحطب، كان هذا عاداتهم و ديدنهم إلى سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية، ثم تغيرت الحالة تدريجيا فى الحرمين الشريفين لوجود الكهرباء و أنواع الغاز، فما جاءت سنة (١٣٧٣) هجرية إلا و قل استعمال الفحم و الحطب، و صار بدلتهما استعمال الكهرباء و أنواع الغاز و البوتوغاز، و حتى صارت الأفران أيضا تستعمل فيها الكهرباء و الغاز، و ما بقى أحد يستعمل الفحم إلا لشوى اللحم و عمل الكباب، أو لتعمير رأس الشيشة لشرب التباك و الجراك، و صار أصحاب المنداة و البخارية الذين يخبزون التميز يستعملون الحطب فى تحميه أزيارهم. أما عرب البادية و البدو الذين يعيشون فى الصحارى و القرى، فإنهم ما زالوا يستعملون الفحم و الحطب، لكثرة الأشجار الموجودة فى باديتهم و قراهم، و لعدم قدرتهم على شراء أدوات الغازات الوقودية، و لعدم وجود الكهرباء فى محلاتهم و باديتهم. إن دوافير الكاز و الطباخات التى تشتعل بالفتايل لم تعرف عندنا و لم تكثر إلا من بعد سنة (١٣٦٠) ألف و ثلاثمائة و ستين هجرية. و الله تعالى أعلم ما يكون بعدنا من وسائل المدينة و العمران. فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء و إليه ترجعون.

## أول مصحف يطبع بمكة المكرمة

كان مؤلف هذا التاريخ محمد طاهر الكردى المكى الخطاط، هو أول من فكر فى كتابه و طبع مصحف شريف بمكة المشرفة موضع نزول القرآن الكريم، فقام بكتابته من أول سنة (١٣٦٢) ألف و ثلاثمائة و اثنتين و ستين هجرية، و قد مكث سنوات فى كتابته ثم فى تصحيحه بدقة تامة و عناية بالغة، ثم تألفت شركة بمكة لطبعه، فطبع فى سنة (١٣٦٩) ألف و ثلاثمائة و تسع و ستين هجرية فى عهد الملك

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢١٢

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى و أحسن إليه، ثم أعيد طبعه مرات عديدة بأحجام مختلفة، فكان هذا المصحف الكريم و اسمه (مصحف مكة المكرمة) أول مصحف يكتبه خطاط مكي و أول مصحف يطبع بمكة المكرمة، فغفر الله تعالى لكتابه المذكور و لمن قام بطبعه و تصحيحه و لمن قرأ فيه و نظر إليه آمين. و الحمد لله رب العالمين.

انظر: صورة رقم ٣٢، أول صحيفه من هذا المصحف الكريم من طبعته الأولى

## الفنادق في الحجاز

الفنادق "بالتفتح" جمع فندق، والأوتيلات "بالضم" جمع أوتيل، ومعناها "الخان"، و"الخان" كما في المنجد محل نزول المسافرين و تعنى "الفندق" و"الجمع خانات و الكلمه دخيله". و الخان أيضا لقب السلطان عند الأتراك. انتهى من المنجد. فالفندق فى اصطلاح عصرنا عبارة عن قصر كبير به غرف عديده متجاورة بكامل مرافقها، و هو مبنى بشكل خاص غير طراز المنازل و البيوت، و يتكون من طابقين أو أكثر، و فى بعض الفنادق نحو ثلاثين غرفة و فى بعضها نحو ثلاثمائة غرفة أو أكثر، بحسب صغر الفندق و كبره و بحسب كثرة المسافرين و السواح و قلتهم. و قد يكون فى كل غرفة سرير واحد و قد يكون أكثر.

و هذه الفنادق أو الأوتيلات تبنى خاصة للإيجارات العامه للنزلاء فيها، و قد تكون للإيجارات يومية و قد تكون بالشهر، و قد تكون الأجرة للنوم و الراحة فقط، و قد تكون لهما مع تقديم الطعام حسب رغبة النزيل فيها، و قد تكون الأجرة فى بعضها قليلة مناسبة لحالة الفقراء و الضعفاء، و قد تكون فى بعضها مرتفعة غالية تناسب مع حالة الأمراء و الوزراء و الأغنياء، و هى الفنادق العظيمة الممتازة ذات الأثاث الفاخر.

و لم تكن الفنادق و الأوتيلات موجودة فى الحجاز قبل العهد السعودى الزاهر مطلقا لا صغيرة و لا كبيرة أى قبل سنة (١٣٥٢) ألف و ثلاثمائة و اثنتين و خمسين هجرية، و إنما كان الناس إذا نزلوا من مكة إلى جدة أو طلعوا منها إلى مكة أو سافروا إلى المدينة المنورة أو غيرها، نزلوا فى بيوت بعضهم على وجه الضيافة إذا كانت لهم بأصحابها معرفة، أو أنهم ينزلونها بالإيجار لمدة قصيرة أو طويلة. و إذا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢١٣

كان المسافر له منزلة حكومية فانه ينزل فى دار الضيافة الحكومية الرسمية، أما الحجاج فإن المطوفين و وكلاءهم هم المسئولون عن إسكانهم و راحتهم.

و فى هذا المعنى قال الأديب المصرى الكبير الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى رحمه الله تعالى فى كتابه "رحلة الحجاز" التى كانت قبل السنة المذكورة، حينما وصل هو و رفقاؤه من مصر إلى جدة ما يأتى:

"و ليس فى جدة فنادق ينزل فيها القاصدون إليها، و إنما ينزل الناس فى بيوت الأهالى، فمن شاء استأجر منزلا بأسره، و من كان لا يسعه ذلك قنع بغرفة مؤتته على مثال "البنسيون" فى مصر مع فروق طبعية ... الخ." انتهى كلامه.

نقول: أما اليوم فإن الفنادق و الأوتيلات قد انتشرت فى جميع المملكة العربية السعودية، لكثرة السكان عن الأعوام السابقة و كثرة القادمين و المسافرين إليها لمختلف الأعمال الكثيرة و الأشغال المتنوعة، و توجد منها بمكة شرفها الله تعالى نحو أربعة فنادق، و أول فندق بنى بمكة كان سنة (١٣٥٥) خمس و خمسين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، و هو أجمل و أكبر فندق بها، و يقع فى محله أجياد أمام وزارة المالية، قام بينائه على طراز الفنادق الحديثة "بنك مصر" لكن على حساب وزارة المالية، ثم إنه فى سنة (١٣٦٦) ست و ستين و ثلاثمائة و ألف هجرية اشترى هذا الفندق الشيخ صدقة كعكى و لا يزال فى حوزته إلى اليوم، و هو أحسن و أفخم أوتيل بمكة.

أما بالمدينة المنورة ففيها ثلاث فنادق أو أربعة، و أما بجدة ففيها نحو عشرة فنادق بعضها فخم محترم.

و فى بعض البلدان بالمملكة توجد بعض الفنادق لسنا فى صدد الكلام عنها و تعدادها.

## الفنادق بمكة المكرمة



لم يكن بمدن الحجاز كلها فنادق لنزول المسافرين و إنما كانوا ينزلون عند بعض معارفهم، أو ينزلون كما ينزل الضيف عند ذوى المروءات- أما فى مكة المكرمة فالحالة كذلك، غير أن الحجاج ينزلون عند مطوفيهم- كانت هذه الحالة جارية عندنا من قديم العصور إلى سنة (١٣٥٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و خمسين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢١٤

هجريه تقريبا، ثم تطورت أحوالنا حسب التمدن الحديث، فأنشئت بمكة الفنادق تدريجيا، فأول فندق كان بمكة المكرمة هو فندق مصر أنشئ فى السنة المذكورة تقريبا، حتى صار اليوم عندنا بمكة من الفنادق ثمانية و هى كما يأتى بدون مراعاة لترتيب الإنشاء:

(١) فندق مصر.

(٢) فندق التيسير.

(٣) فندق السلام.

(٤) فندق شبرا.

(٥) فندق الحرم.

(٦) فندق أم القرى.

(٧) فندق عرفات.

(٨) فندق مكة بالاس.

و معنى بالاس باللغة الإنكليزية: القصر، و جميع هذه الفنادق يأوى إليها المسافرون القادمون فى مختلف الأوقات، و كلها تمتلىء بالحجاج فى كل موسم، و الله أعلم بما سيحدث فى المستقبل من الفنادق.

جاء فى كتاب التراتيب الإداريه فى آخر الجزء الأول عن الفنادق ما يأتى:

"باب فى الخانات" الفنادق لنزول المسافرين- قد استنبط بعضهم ذكر الخانات من قوله تعالى: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ذَكَرَهُ غَيْرِ وَاحِدٍ، مِنْهُمْ الرُّوضَى فى شرح الأنموذج، و فى طبقات ابن سعد و اتخذ عمر دار الرقيق و قال بعضهم الدقيق فجعل فيها الدقيق و السويق و التمر و الزبيب و ما يحتاج إليه، يعين به المنقطع و الضيف ينزل بعمر ... الخ، انتهى من الكتاب المذكور. و سبب نزول آية: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا تَكْتُمُونَ وَ هى فى سورة النور- أن أبا بكر رضى الله عنه لما نزلت آية الاستئذان، قال: يا رسول الله كيف بالبيوت التى بين مكة و الشام على ظهر الطريق و الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن؟ فنزلت هذه الآية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢١٥

جاء فى تفسير الألوسى عند هذه الآية: بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ أى: موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط، بل ليتمتع بها من يحتاج إليها كائنا من كان من غير أن يتخذها سكنا، كالرباط و الخانات "بالخاء المعجمة" و الحوانيت و الحمامات و غيرها فإنها معدة لمصالح الناس كافة. انتهى من الألوسى.

نقول: يعلم مما تقدم أن الخانات كانت موجودة من قديم الزمان فيما بين البلدان، و لكنها كانت على صفة بدائية غير منظمة بل كانت هذه الخانات "بالخاء المعجمة" فى العصور السابقة مبنية على صفة تتسع للمسافرين و دوابهم من الجمال و البغال و الحمير، و لابد أنهم كانوا مستعدين لإطعام دواب المسافرين، و هذه الخانات كانت منتشرة فى الممالك الأخرى بكثرة. أما فى الحجاز فلم يكن لها ذكر لقبولهم للضيافات حسب العادة العربية، فلما تدرج الناس فى التمدن و فى معرفه كيفية التمتع بنعائم الله تعالى، عرفوا كيف ينظمون أمر هذه الخانات و يرتبون مرافقها على حسب سنن تطور العصور، حتى وصلوا فى تنظيمها إلى يومنا هذا كما نرى. كما يؤخذ مما تقدم من اتخاذ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه دار الدقيق لضيافة من يرغب به، و اتخاذ الحكومات دارا

للضيافة ينزل بها القادمون باسم الحكومة، و سواء كانت هذه الدار خاصة للضيوف أو أن الحكومة تأمر بإنزالهم في الفنادق الكبيرة المحترمة، و هي تقوم بدفع نفقات ضيافتهم كما تقضى بذلك الواجبات الرسمية.

جاء في الجزء الأول من كتاب "الترايب الإدارية" عند الكلام على اتخاذ الدار لنزول الوفد في زمانه عليه الصلاة و السلام ما يأتي: "زقلت" في الوفاء للسيد السهمودي صحيفه ٥٥٥ من الجزء الأول، ذكر ابن شبة في دور بني زهرة، أن من دور عبد الرحمن بن عوف التي اتخذها الدار التي يقال لها الدار الكبرى دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف، و إنما سميت بالدار الكبرى لأنها أول دار بناها أحد المهاجرين بالمدينة، و كان عبد الرحمن ينزل فيها ضيوف رسول الله صلى الله عليه و سلم فكانت تسمى أيضا دار الضيفان، فسرق فيها بعض الضيفان فشكى ذلك عبد الرحمن إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قد بنى عليه السلام فيها بيده فيما زعم الأعرج ١٥ منها، و اختصر ذلك السهمودي في خلاصة الوفا راجع ص (١٨٧) منها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢١٦

ذكر أبو الربيع الكلاعي في الاكتفاء عن الواقدي أن حبيب بن عمرو كان يحدث قال: قدمنا وفد سلمان على رسول الله صلى الله عليه و سلم و نحن سبعة نفر، فانتبهنا إلى باب المسجد فصادفنا رسول الله صلى الله عليه و سلم خارجا منه إلى جنازة دعى لها، فلما رأيناه قلنا: يا رسول الله السلام فقال رسول الله: و عليكم السلام من أنتم؟ قلنا: قوم من سلمان قدمنا عليك لنبايعك على الإسلام و نحن على من ورائنا من قومنا، فالتفت إلى ثوبان غلامه فقال: أنزل هؤلاء حيث ينزل الوفد، فخرج بنا ثوبان حتى انتهى بنا إلى دار واسعة و فيها نخل و فيها وفود من العرب و إذا هي دار رملة بنت الحارث النجارية و ساق الحديث. (زقلت) و قد ترجم في الإصابة لحبيب بن عمرو المذكور و أورد قصته هذه و ساق سند الواقدي فيها و أفاد أن قدومه كان في شوال سنة عشر من الهجرة. انتهى من الكتاب المذكور.

### أسماء الحارات و المحلات بمكة قديما و حديثا

كانت لمكة، زادها الله تعالى شرفا و أمنا و رخاء و خيرا، من زمن الجاهلية حارات و محلات و أسواق، كسوق الليل، و سوقه، و القرارة، و أجياد، إذ لا بد لكل قرية أو بلدة مهما صغرت أن تكون بها محلات و حارات تعرف بها منازلهم و يهتدى إلى أماكنهم. و كانت لمكة المكرمة من قديم الزمن إلى آخر عهد الأشراف في زمننا هذا، أى إلى أن استولى عليها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى في سنة (١٣٤٣) ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، من الحارات و المحلات ما يأتي:

(١) سوق الليل (٢) و شعب على (٣) و شعب عامر (٤) و السليمانية (٥) و المعابدة (٦) و جروال (٧) و النقا (٨) و الفلق (٩) و القرارة (١٠) و الشامية، و يدخل فيها قاعة الشفا (١١) و أجياد (١٢) و القشاشية (١٣) و الشبيكة و يدخل فيها الهجلة (١٤) و حارة الباب، و يدخل فيها ريع الرسام (١٥) و المسفلة.

هذه هي الحارات القديمة الأصلية لمكة.

ثم في العهد السعودي في عصرنا الحاضر أيضا بعد أن كثر المال في أيدي الناس، اتسعت رقعة مكة اتساعا عظيما فامتد العمران و المنازل إلى أطراف مكة من جميع جهاتها، و كثر بها استيطان الأجانب من كافة الأقطار الإسلامية - صار

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢١٧

من الضروري حدوث محلات و حارات جديدة حوالى مكة المشرفة، و لابد من إطلاق أسماء على هذه المحلات لمعرفة مواقعها و سرعة الاهتداء إلى منازل المقيمين بها، و يعتبر اتساع العمران بمكة و ازدياد سكانها بشكل ملموس من سنة (١٣٦٠) ستين و ثلاثمائة و ألف هجرية تقريبا، و لا زال العمران و السكان في ازدياد إلى اليوم بمكة و في غير مكة.

فعليه تكون الحارات و المحلات المستحدثة بمكة في عصرنا الحاضر هي كما يأتي:

(١) العتيبية (٢) و الهنداوية (٣) و حوض البقر و يسمى الآن بحى العزيزية (٤) و حى الشَّشَّة (٥) و حى الروضة (٦) و حى الخانسة (٧) و حى الزاهر (٨) و حارة الطندباوى و فيه شارع المنصور (٩) و محلة الرصيفة (١٠) و محلة المشعلية (١١) و محلة الزهراء. و إليك صورة عمدة كل محلة، و ليعذرنا من لم تصلنا منه صورته لوضعها هنا و نسأل الله تعالى التوفيق و السداد للجميع.

### استعمال أقلام الجيب فى الحجاز

كانت الدوائر الحكومية كلها بالحجاز تستعمل أقلام البوص "القصب"، و كذلك جميع المحلات التجارية بل و أفراد الأمة، و كانوا يكتبون بالحبر الأسود لا يعرفون غيره، حتى كتابة الحجج فى المحاكم الشرعية كانت تكتب بذلك، أما العلماء و المؤلفون فكانوا يستعملون الحبر الأسود و الأحمر أيضا لكتابة عناوين مؤلفاتهم و أبوابها و فصولها و وضع العلامات و الإشارات فوقها. و بهذا كان لدى كل فرد منهم "مطوة" و تسمى بالحجاز "مقلمية" لبرى الأعلام، و دواية للحبر الأسود، و كانت الدوايات على أشكال و أحجام مختلفة بعضها ذات قيمة ممتازة، يتفنن فى صنعها الفابريقات، و كانوا يستعملون الرمل فى تشييف حبر الأوراق المكتوبة "أى فى تجفيفها" رملا خصوصا يأتى إلينا من الخارج، و يكون ملونا منه الأحمر و الأخضر و الأزرق، و هذا الرمل يكون لدى خواص الناس و الكتّاب، أما العوام فإنهم يجففون الحبر بالتراب يضعونه فوق الورق

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢١٨

المكتوب ثم يفضونه. و لقد ورد فى ذلك حديث ضعيف رواه الترمذى و هو "إذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فإنه أنجح لحاجته." ثم بعد الحرب العالمية الأولى أى منذ سنة (١٣٣٠) ثلاثين و ثلاثمائة و ألف هجرية بدأ استعمال أقلام الجيب فى الحجاز مع ما يتبعه من الحبر الخاص له بجميع الألوان، و لا يزال يكثر استعماله حتى انقرضت الآن أقلام القصب من السوق، و كاد الحبر الأسود أن ينقرض الآن أيضا، فقد بطل استعماله بتاتا من الدوائر الحكومية و المحلات التجارية و من جميع الناس، و لا يستعمله مع أقلام القصب غير الخطاطين فقط، و بالطبع انقرضت الدوايات الخاصة بالحبر الأسود، فجميع العالم يستعمل أقلام الجيب، و هو من الكثرة و رخص السعر بحيث صار الفقير يمكنه شراؤه- أما استعمال الرمل أو التراب فى تجفيف الحبر فلم يبق له أثر مطلقا فى جميع البلدان، بسبب ظهور ورق النشاف.

### استعمال الآلات الكاتبة فى الحجاز

لم يكن استعمال الآلات الكاتبة شائعا بالحجاز إلى سنة (١٣٤٥) خمس و أربعين و ثلاثمائة و ألف تقريبا، فجميع كتّاب الدوائر الحكومية و المحلات التجارية كانوا يكتبون مذكراتهم الرسمية و أعمالهم التجارية و مخاطباتهم الشخصية، بأيديهم سواء بالحبر الأسود أم بالحبر الأزرق.

و منذ السنة المذكورة ابتدأ الناس بالحجاز فى استعمال الآلات الكاتبة بالتدريج حتى أنه الآن عم استعمالها جميع الدوائر الرسمية و الدواوين الحكومية و المحلات التجارية و حتى الأفراد يستعملونها لمصالحهم الشخصية.

و الحقيقة أن الكتابة بالآلات تمتاز بشيئين: النظافة و السرعة، و لكن ينشأ عنها من إهمال عام فى تحسين الخط، و لذلك نرى تلامذة المدارس أصبحت خطوطهم ضعيفة غير حسنة، لأنه كانوا يشترطون فى الوظائف حسن الخط، و الآن بانتشار الآلات الكاتبة أصبح هذا الشرط فى حكم الإلغاء، لهذا لا يعتنى بتعليم الخط و تحسينه على الوجه المرضي، و عدم الاعتناء بتدريس الخط فى المدارس يؤدى إلى ضياع رونقه و جماله، و ربما فى المستقبل بعد مضى قرن أو قرنين لا نجد من الخطاطين من يحسن الكتابة بقواعد الخط المعروفة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢١٩

على أن لجميع أنواع الآلات الميكانيكية التي تستعمل في مرافق الحياة اليوم، لها منافعها و لها مضارها. و هذا شأن الحياة الدنيا في كل شيء.

نسأل الله السلامة من كل شر و التوفيق لكل خير آمين.

### أول من فرض العشور بمكة

المراد بالعشور وضع الضريبة على البضائع و الأشياء الواردة للبلاد، فالعشور هو ما نسميه باصطلاحنا في عصرنا الحاضر الجمر، و تسمى العشور بالمكس و بالجباية، و بالخراج. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ١-٢؛ ص ٢١٩

ان أول من فرض العشور بمكة المكرمة و أخذها شخصان من أولاد إسماعيل بن خليل الله إبراهيم عليهما الصلاة و السلام، (فالأول) مضاض بن عمرو الجرهمي و هو ملك جرهم، و كان بأعلا مكة، و كان يأخذ العشور ممن يدخل مكة من أعلاها و (الثاني) سميدع، و هو ملك قسطورا، و كان يأخذ العشور ممن يدخل مكة من أسفلها. فمضاض و سميدع كانا من ولاة مكة المكرمة و من حكامها بعد نبي الله تعالى إسماعيل عليه الصلاة و السلام، و ذلك قبل مبعث نبي آخر زمان نبينا "محمد" صلى الله عليه و علي آله و صحبه و سلم بنحو ثلاثة آلاف سنة. و لكن لما بعث الله تعالى نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم، بدين الحق و هو دين الإسلام الحنيف أبطل العشور و الجمارك و نهى عن أخذها لأنها تؤخذ ظلما بدون حق شرعي.

و الملوك و الحكومات كانت تأخذ العشور و تضع الجمارك على البضائع الواردة للاستعانة بما يجمعونه من هذه العشور على تقوية الجيوش لمقاتلة أعداء الإسلام على أنه وجد في التاريخ أن بعض الملوك قد أبطل العشور و الجمارك، بل إنه يوجد عمود من أعمدة المسجد الحرام بمكة المشرفة التي عليه قباب المسجد و هو يقع بقرب باب العمرة على يسار الداخل من هذا الباب إلى المسجد الحرام، قد كتب على هذا العمود أي السارية و هو من الحجر المرمر الرخام أن أحد ملوك المسلمين قد أبطل أخذ العشور من جميع البضائع و من جميع أنواع الأطعمة من اللحوم و الفواكه و الثمرات و الخضروات، و من جميع أنواع الحبوب الواردة إلى مكة المكرمة، كتب ذلك نقرا على نفس حجر المرمر و قد نشرنا كل ذلك منذ أربع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٢٠

سنوات في إحدى الجرائد بمكة المكرمة، و لولا أني مريض في هذا الوقت لنقلت كل ما كتب على هذا العمود المرمر الرخام. فحبذا لو أن جميع الحكومات الإسلامية اتفقت كلمتهم على إبطال المكوس و هي العشور و الجمارك، من جميع الممالك الإسلامية، خصوصا و قد فتح الله تعالى على كثير من الحكومات كنوز الأرض من ينابيع البترول و مختلف أنواع المعادن و الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

### ذكر المكوس و العشور و إبطالها

جاء في تاريخ الغازي عن ذلك نقلا عن خلاصة الكلام ما نصه: و في أيام الشريف مكتر بن عيسى أمير مكة أبطل السلطان صلاح الدين الأيوبي صاحب مصر المكس المأخوذ من الحجاج في البحر عن طريق عيذاب و كان من لم يؤد بعيذاب يؤخذ منه بجدة و هو سبعة دنانير مصريه على كل إنسان و كان يأخذ ذلك أمير مكة و كان سبب إبطاله أن الشيخ علوان الأسدي الحلبي حج. فلما وصل إلى جدة طولب بذلك فأبى أن يسلم لهم شيئا و أراد الرجوع فإلطفوه و بعثوا إلى صاحب مكة و كان الشريف مكتر بن عيسى فأمر بإطلاقه و مسامحته فلما طلع إلى مكة اجتمع به و اعتذر إليه بأن دخول مكة لا يفى بمصالحنا و هذا الحامل لنا على هذا فكتب الشيخ علوان إلى السلطان صلاح الدين و ذكر له حاجة أمير مكة و عرفه أن البلد ضعيفه و أنها ما تدخل ما يكفيه و أن ذلك هو الذي حمله

على هذه البدعة الشنيعة فأنعم عليه مولانا السلطان صلاح الدين بثمانية آلاف إردب قمح و قيل بألفى دينار و ألقى إردب قمح و أمره بترك هذه المظلمة جزاه الله خيرا، انتهى.

و قال ابن فهد: ذكر الشيخ كمال الدين عمر بن العديم فى تاريخه لحلب فى ترجمة الشيخ أبى عبد الله علوان بن الأستاذ عبد الله ابن علوان الأسدى الحلبي أنه هو الذى أبطل المكس عن أهل مصر و المغاربة فإن العادة كانت جارية عندهم أنهم يخرجون إلى جدة و يأخذون على كل إنسان سبعة دنانير و يهينوهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء. فلما بلغه ذلك قال للملك الناصر: سيرنى فى مركب و مر صاحب المركب متى قلت له ارجع يفعل ذلك. فسير فى مركب صغير فلما وصلوا إلى المرسى جاءهم إنسان أسود من مكة و معه ميزان و طالبهم بذلك المعهود

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٢١

من المكس. فقال: أدوا الحق فقال له علوان: ويلك و ما الحق؟ فقال الحق على كل رأس سبعة دنانير فلطمه و قال: تسمون المظالم حقا؟ و قال لصاحب المركب ارجع فعاد فاستغاثوا إليه على رسلك يعلم الأمير فوقف إلى أن طلوعوا لصاحب مكة بأمره فقال أطلقوه و جميع من معه فى المركب ففعلوا ذلك. فلما وصل مكة اجتمع به صاحب مكة و اعتذر له و قال: نحن قوم ضعفاء و ما لنا إلا هذه الجهة و الملوكة قد استولوا على البلاد لا يبرونا بشيء. فعند ذلك كتب الشيخ علوان إلى الملك الناصر يعنى صلاح الدين بن أيوب فشفع فيهم و طلب لهم منه شيئا فأقطعهم الإقطاع المعروف بهم بمصر و بطل ذلك المكس الذى يؤخذ من الحاج و لله الحمد انتهى. و فى تاريخ العصامى: و فى سنة (٥٥٢) اثنين و خمسين و سبعمائة أسقط السلطان صلاح الدين المكس عن الحجاج إلى مكة على طريق عيذاب لأنه كان الرسم بمكة أن يؤخذ من حجاج المغرب على عدد الرؤوس ما ينسب الضرائب و المكس و من دخل منهم و لم يفعل ذلك حبس حتى يفوته الوقوف بعرفة و لو كان فقيرا لا يملك شيئا. ثم ذكر ابن جبير شيئا من أخبار هذا المكس فقال: إنه كان يؤخذ من كل إنسان سبعة دنانير مصرية و نصف فإن عجز عن ذلك عوقب بأنواع العذاب الأليم من تعليقه بالخصيتين و غير ذلك و كانت هذه البلية فى دولة العبيدين المتخلفين بمصر جعلوها معلوما لأمير مكة فأزالها الله تعالى على يد السلطان صلاح الدين و عوض أمير مكة ما تقدم ذكره. انتهى.

و فى تحصيل المرام: و فى سنة (٧٥٧) سبع و خمسين و سبعمائة أسقط المكس المأخوذ بمكة من الحب و التمر و الغنم و السمّن و ارتفع من مكة الجور و الظلم و انتشر العدل كل ذلك بهمة السلطان حسن بن قلاوون صاحب مصر بتجهيزه العساكر إلى مكة و إصلاح أمرها من أشرف مكة حكاة الفاسى. و فى سنة ستين و سبعمائة رسم السلطان حسن بن قلاوون بإسقاط المكوس من مكة و رتب لصاحب مكة ثمانية و ستين ألف درهم من بيت المال بمصر و ألف إردب حب و قرر ذلك فى ديوان السلطان المذكور و أمضى ذلك الولاية بالديار المصرية إلى تاريخه و كتب ذلك فى أساطين المسجد الحرام جهة باب الصفا و غيره فطابت نفس أمير مكة المشرفة و عمل به هو و من بعده من أمراء مكة. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٢٢

و فى المنتقى: و فى سنة (٧٦٦) ست و ستين و سبعمائة رسم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسن ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر بإسقاط ما على الحجاج من المكوس بمكة فى سائر ما يحمل إليها من المتاجر سوى الكارم و تجار الهند و تجار العراق و أسقط المكس المتعلق بالمأكولات و بلغنا أن المكس الذى كان يؤخذ من المأكولات بمكة مد حب جدى و هو مدان مكى من كل حمل حب يصل من جدة و مد مكى و ربع من كل حمل حب يصل من جهة الطائف و بجيلة و ثمانية دنانير مسعودية على كل حمل من التمر اللبان الذى يصل إلى مكة و ثلاثة دنانير مسعودية على كل حمل تمر محشى يصل إلى مكة و ستة دنانير مسعودية على كل شاة تصل إليها و سدس ثمن ما يباع بمكة من السمّن و العسل و الخضر و ذلك أن يحصى ثمنها مسعودية فإذا عرف أخذ على كل خمسة دنانير دينار مسعودى و يؤخذ أيضا دينار مسعودى من ثمن السلّة التمر إذا بيعت بالسوق من النهار الذى

باعها يتعيش فيها والمأخوذ على التمر أولا من جالبه إلى مكة ويؤخذ بشيء مما يباع في السوق من غير ما ذكرناه وكان الناس يقاسون شدة بحيث بلغنا أن بعض الناس جلب شاة فلم تسوى المقدر المقدر عليها فسمح بها في ذلك فلم تقبل منه فأزال الله جميع هذا الباطل على يد الأمير بلسفا المعروف بالخاسكي مدير المملكة الشريف في دولة الملك الأشرف المذكور بتبنيه بعض أهل الخير له على ذلك و عوض صاحب مكة عن ذلك ثمانية وستين ألف درهم من بيت المال المعمور بالقاهرة وألف إردب قمحا و قرر ذلك في ديوان السلطان المذكور و أمضى ذلك الولاية بالديار المصرية إلى تاريخه و كتب خبر هذا الإسقاط في أساطين المسجد الحرام في جهة باب الصفا وغيره.

و في درر الفرائد: و في سنة (٧٦٩) سبعمائة و تسع و ستين اتفق الحال مع الشريف عجلان صاحب مكة أن يرتب له من بيت المال في كل سنة مائة و ستون ألف درهم نقرة تحمل إليه من مصر و ألف إردب قمح و يترك الجبا من مكة في كل ما يوكل و يجلب إليها من الحبوب و الخصروات و الثمار و الغنم و الخشب و السمن و العسل و أشهد على نفسه بذلك و كتب ثلاث محاضير يجعل واحد بمكة و واحد بالمدينة و واحد بقلعة الجبل بالقاهرة و قيد ذلك في ديوان الأشرف شعبان و أمضى الولاية بعد ذلك إلى أن انقطع. انتهى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٢٣

و في إتحاف الوري: و في سنة (٨٠٤) أربع و ثمانمائة في صفر حصل للسيد حسن بن عجلان خمسة و ستون ألف مثقال و أزيد فيما قيل عن القاضي شهاب أحمد بن القاضي برهان الدين المحلي و جماعة من تجار الكام لأن المركب الذين كانوا فيه انصلح بقرب مكة فأعطوه هذا المقدار عوضا عن الربع الذي يأخذه ولاية البلد فيما ينصلح في بلادهم من الجلاب و اشتد غضب القاضي برهان الدين المحلي بسبب ذلك على السيد حسن و سعى في إرسال شخص من خواص السلطان بمصر يطالبه بذلك فوصل إليه في آخر رجب و بلغ رسالته فاعتذر بتفرق ذلك من يده و وعده بالخلاص و ماطل فيه. انتهى.

و في الإعلام: أن السلطان أبا الفتح سيف الدين خطر الظاهري قرر لصاحب مكة الشريف حسن بن عجلان ألف دينار ذهب تحمل له من خزينة مصر في كل عام و جعل ذلك في مقابلة ترك المكس على الخضرة و الفواكه و الحبوب و غيرها بمكة و أمر أن يكتب عهده و اعترافه بذلك على سواري المسجد الحرام من ناحية باب السلام و من ناحية باب الصفا بإسقاط المكس الذي كان يؤخذ على الخضرة و الفواكه من المأكولات و أن لا يكلف شريف مكة على أخذ القرض منهم و السواري المكتوبة بهذا العهد موجودة في المسجد الحرام إلى الآن. انتهى.

قال البتونى في الرحلة الحجازية على بعض عمد الحرم كتابة محفورة فيها تدل على ما كان لبعض الملوك من العماره في المسجد أو من الأعمال التي فيها نفع للمسلمين كإبطال المكوس و نحو ذلك و من هذه الأعمدة بقرب باب الحزورة لا يزال منقوشا عليه عهد كتبه الأشرف شعبان سلطان مصر بإبطال المكوس التي كانت تأخذها أشراف مكة على الحجيج و أغلب هذه العمدة مطلى بالجبس لأن بعض أمراء مكة سامحهم الله كانوا إذا أرادوا نقض العهود المحفورة عليها عمدوا إلى تلك النقوش و كسوها بعجينه من الجبس فلا يظهر لها أثر. اهـ.

و فيه أيضا: و في أول ولاية السلطان قايتباي أرسل إلى مكة مراسيم تتضمن بإبطال جميع المكوسات و المظالم و أن ينقر ذلك على أسطوانة من أساطين الحرم الشريف في باب السلام. انتهى.

و في إتحاف الوري: و في سنة (٨٢٨) ثمان و عشرين و ثمانمائة بلغ صاحب مصر وصول مراكب من الهند إلى بندر جدة فأحب أخذ مكوسها فبعث بعض مسالمة القبط سعد الدين بن المرة فقدم مكة و صادف وصول أربعة عشر مركبا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٢٤

موسوقه بضائع من الهند فأخذ منها العشر و هذا أول ما أخذ العشر لصاحب مصر بجدة و سبب وصول المراكب الهندية إلى جدة أنها

كانت تأتي عدن و تنجل أمتعتها من عدن في الجلاب إلى جدة فكثر الظلم عليهم في عدن فتركوه و صاروا يعدون إلى بندر جدة فاستمر بندر جدة يعمر و يتلاشى أمر عدن إلى أن ضعف بسبب ذلك صاحب اليمن و قل مدخوله و ضعف متحصله و كان المتحصل في هذه السنة من عشور بندر جدة ما ينوف عن سبعين ألف دينار ذهباً حملت إلى خزينة مصر. انتهى.

و في تاريخ السنجاري: و في سنة (٨٢٨) ثمانمائة و ثمان و عشرين أحدث الأشرف برسبائي مظلمة العشور بجدة لما سمع بورود المراكب الهندية فبعث بعض مسالمة القبط و هو سعد الدين إبراهيم لذلك فقدم مكة و صحبته الأمير رأس نوبه أو نبغا و شاد الديوان شاهين العثماني إلى ساحل جدة فصادف وصول إبراهيم الناخودة من بلاد الهند في أربعة عشر مركبا موسقة بضائع من أصناف المتاجر فأخذ منها العشور فقط لأمر السلطان بذلك و وجد التجار راحة بجدة بخلاف ما كانوا يجدونه بعدن من المظالم فتركوا بندر عدن و اتخذوا جدة بندرا و لم يزل جدة تتراين في العمارة و يتلاشى أمر عدن و صار قطر جدة وظيفه سلطانية يخلع على متوليها و يتوجه إليها في كل سنة و إن وردوا المراكب إليها متول جديد و يأخذ ما على التجار من العشور و يحضر بها إلى القاهرة، و بلغ ما حمل إلى الخزانة من ذلك زيادة على سبعين ألف دينار ذهب. قال القطب الحنفي: و زادت هذه مظلمة في زماننا حتى ما يؤخذ من الواردين ما يزيد على العشر بكثير قلت: قال السنجاري: و في زماننا هذا زادت زيادات كثيرة و صار صاحب جدة يأخذ ما يريد و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم. انتهى ما في تاريخ السنجاري.

و قال ابن فهد بعد ذكر هذه الواقعة: فجاء الناس ما لا عهد لهم قبله فإن العادة لم تزل من قديم الدهر في الجاهلية و الإسلام أن الملوكة تحمل الأموال الجزيلة إلى مكة تفرق في أشرفها و مجاوريها فانعكست الحقائق و صار المال يحمل من مكة و يلزم أشرفها بحمله و مع ذلك منع التجار أن يسيروا في الأرض يبتغون من فضل الله و كلفوا أن يأتوا إلى القاهرة حتى يؤخذ منهم المكوس على أموالهم فإن في هذه السنة في أيام الموسم منع التجار أن يتوجهوا من مكة إلى بلاد الشام بما ابتاعوه من أصناف تجارات الهند و أزموا أن يسيروا مع الركب إلى مصر حتى يؤخذ منهم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٢٥

مكوس ما معهم فتوجهوا مع الحاج فلما نزل الحجاج بركة الحاج خارج القاهرة خرج مباشرة و الخاص و أعوانهم و استقصوا تفتيش محايير القادمين من الحجاج و التجار و أحمالهم و أخرجوا سائر ما معهم من الهدية و أخذوا مكسها حتى أخذوا من المرأة الفقيرة مكس النطع الصغير عشرة دراهم فلوس. انتهى.

و في درر الفرائد المنظمة: و من الغرائب إجهار النداء في يوم عرفه بالموقف الأعظم لجميع الناس عامة من اشترى بضاعة للبحر و سافر بها إلى غير القاهرة حل دمه و ماله للسلطان فسافر التجار القادمون من الأقطار مع الركب المصري ليؤخذ منهم مكوس بضائعهم بها ثم إذا سافروا من القاهرة إلى بلادهم يؤخذ منهم المكس بالشام أيضا و غيرها فلا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم. انتهى. ذكر ابن فهد أنه كان ذلك في سنة ثلاثين و ثمانمائة.

و في سنة (٨٣٢) ثمانمائة و اثنين و ثلاثين في يوم الخميس تاسع ربيع الأول وصلت المراسم من الأشراف صاحب مصر بالألغام على الشريف بركان بن حسن بثلاث ما يتحصل من عشور المراكب الهندية و أن الثلثان يحملان إلى الخزانة فحصل للشريف بذلك غاية السرور.

و في سنة (٨٣٠) ثمانمائة و ثلاثين كتب السلطان صاحب مصر بأن يؤخذ من التجار الشاميين و المصريين إذا وردوا جدة ببضائع اليمن عشرين و أن من قدم إلى جدة من التجار اليمنيين ببضاعة يؤخذ ببضاعته بأجمعها للسلطان من غير ثمن يدفع له عنها و سبب ذلك أن تجار الهند في هذه السنين صاروا عند ما يعبرون من باب المنذب يجوزون عن بندر عدن حتى يرسو بساحل جدة فأقفرت عدن عن التجار و انضع حال ملك اليمن لقلته متحصله و صارت جدة هي بندر التجار و يحصل لسلطان مصر من عشور التجار مال كبير و صار

نظر جدّه وظيفه سلطانيه فانه يؤخذ من التجار الواردين من الهند عشور بضائعهم و يؤخذ مع العشور رسوم تقررت للنظر والشاد و شهود القبان و الصيرفي و نحو ذلك من الأعوان و غيرهم و صار يحمل من قبل سلطان مصر مرجان و نحاس و غير ذلك مما يحمل من الأصناف إلى بلاد الهند فيطرح على التجار و يتشبه به في ذلك غير واحد من أهل الدوله فضايق التجار بذلك ذرعا و نزل جماعة منهم في السنه الماضيه إلى عدن فتنكر السلطان بمصر عليهم لما فاته من أخذ عشورهم و جعل عقوبتهم أن من اشترى بضاعه من عدن و جاء بها إلى جدّه إن كان من الشاميين أو المصريين أن يضاعف

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٢٦

عليه العشر بعشرين و إن كان من أهل اليمن أن تؤخذ بضاعته بأسرها فمن لطف الله تعالى بعباده أنه لم يعمل بشيء من هذا الحادث لكن قرأت هذه المراسم تجاه الحجر الأسود فراجع السيد بركات أمير مكة السلطان صاحب مصر في ذلك حتى عفى عن التجار و أبطل ما رسم به، كذا في إتحاف الوري.

و في سنه (٨٤٠) ثمانمائه و أربعين وصل قاصد من مصر للسيد بركات و معه كتاب من صاحب مصر مذكور فيه أنه أنعم عليه بنصف عشور جدّه من المراكب الهنديه.

و في سنه (٨٤٣) ثمانمائه و ثلاث و أربعين وصلت مراسيم تتضمن أن جميع الجلاب الواصله من البحر إلى جدّه من سائر البلاد ليس لصاحب مكة من عشرها إلا الربع و الثلاثه الأرباع تحمل لصاحب مصر و أن جميع من مات بمكة من غير أهلها ليس لصاحب مكة من تركه شيء و كله لصاحب مصر و أن صاحب مكة ليس له إلا تركه من مات من أهل مكة و أن السيد بركات قد أعفاه السلطان من تقبيل خف الجمل الذي يأتي بالمحل و أن لا يأخذ من التجار الواردين غير العشر فقط و يؤخذ صنف المال من كل عشر و أن يبطل ما كان يأخذه غيره العشر من الرسوم، كذا في تاريخ السنجاري.

و في تاريخ ابن فهد: و في سنه (٨٤٣) ثلاث و أربعين و ثمانمائه وصل صحبه الحاج إلى مكة المشرفه مرسوم يتضمن إعفاء السيد بركات من تقبيل خف الجمل المحل فشكر هذا من فعل السلطان و أن لا يؤخذ من التجار الواردين في البحر إلى جدّه سوى العشر فقط و يؤخذ صنف المال من كل عشره واحد و أن يبطل ما كان يؤخذ سوى العشر من رسوم المباشرين و نحوهم و أن يمنع الباعه من المصريين الذين سكنوا مكة و جلسوا بالحوانيت في المسعى و حكروا المعاش و تلقوا الجلب من ذلك و أن يخرجوا من مكة فشكر ذلك أيضا لأن هؤلاء البياعين كثر ضررهم و تقووا بحمايه المماليك لهم فغلوا الأسعار و أحدثوا بمكة إحدانا لم يعهد لها و عجز الحكام عن منعهم لتقويه المماليك المجردين لهم بما يأخذونه منهم من المال.

و في سنه (٨٨١) إحدى و ثمانين و ثمانمائه ثانی عشر ذی القعدة وصل إلى مكة المشرفه نائب جدّه قراجا عتيق الدوادار الكبير جاني بك و معه مراسيم للشريف محمد بن بركات و قاضي القضاة برهان الدين الشافعي و أخيه القاضي كمال الدين و باش الترك قايتباي فدخلوا جميعا إلى المسجد الحرام و جلسوا بالحطيم فقري

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٢٧

مرسوم الشريف ثم برهان الدين ثم أخيه ثم باش الترك و تاريخ المراسيم رابع عشر شوال من السنه و مضمونهم واحد و هو أن الواصل إلى مكة من المرجان و غيره مما هو من بضائع الهند لا يترك شيء منه يذهب به إلى اليمن حتى لا تبقى المراكب الهنديه تدخل اليمن و الواصل من اليمن من بضائع الهند يكون بين السلطان و بين الشريف نصفين و لم تجر بذلك عادة قبل ذلك بل كان ذلك مما يختص بالشريف و من مات بجدّه و مكة و لم يكن له وارث يكون من أشرفي إلى ألف أشرفي للشريف و ما فوق ذلك للسلطان و من مات و له وارث غائب لم يختم على مال الميت القاضي على العادة بل ذلك إلى نائب جدّه قراجا و الفلفل الواصل إلى جدّه من الهند يؤخذ منه للسلطان بسعر العام الماضي و الذي قبله و لا يعارض نائب جدّه في شيء مما يريده و التوصيه عليه و أنه من المقربين. انتهى من الغازي.



نقول: و بمناسبة ذكر المكوس و العشور و إبطالها نذكر: أنه يوجد في أحد أعمدة المسجد الحرام الرخامية الواقع بين باب الباسطية و بين باب العمرة، مكتوب على هذا العمود أن بعض الملوك و السلاطين أمر بإبطال المكوس و العشور في الحرمين الشريفين خصوصا في مكة المشرفة فلا يؤخذ شيء على البضائع الواردة إليهما بكافة أنواعها من الأطعمة و الأقمشة و اللحوم و الألبان و الزروع و الثمار و الحيوانات و الدواجن و غير ذلك، و قد كتبنا مقالة في هذا الصدد في الجرائد و الصحف المحلية بمكة المكرمة، و نحن لم تتمكن من قراءة اسم الملك المكتوب على العمود الرخامي لطوله و ارتفاعه عن الأرض فنظن أن ذلك كان من نحو خمسمائة سنة تقريبا فجزى الله تعالى ولاء المسلمين الأقدمين الذين كانوا يقيمون الشريعة و حدود الله و كانت سريرتهم بيضاء و قلوبهم خاشعة لذكر الله و عفا الله تعالى عن أهل زماننا و عاملنا بما هو أهل له لا بما نحن أهل بفضله و رحمته آمين.

### إحصاء الحجاج القادمين إلى مكة المشرفة في بعض الأعوام

#### إشارة

قد يظن بعض الناس إذا سمع أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في حجة الوداع ألفا أو أكثر كما تقدم تفصيله، أنه عدد تقريبي حيث أن العرب ما كانوا يعدون الحجاج أو ما كانوا يعدون بعضهم عند اللزوم. و الحقيقة أن العرب كانوا يعرفون العد و الحساب، بل في صدر الإسلام عند ما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يدخل الحرب و يغزو القبائل، كانوا يعرفون عدد جيوشهم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٢٨

و جيوش أعدائهم و كم قتل أو جرح من الطرفين، و هذا شيء كان يعرف عندهم بالسليقة و طبيعة الأمر فلا يتوقف على التعليم أو الدرس لأن النفوس جبلت على معرفة ما لديها من مال أو نعم أو جيش. فلقد روى البخاري في صحيحه في كتاب الوصايا في باب كتابة الإمام الناسي: عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

"جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله إني كتبت في غزوة كذا و كذا و امرأتى حاجة، قال: ارجع فحج مع امرأتك" فهذا دليل واضح أنهم يكتبون أسماء الجنود في الحرب و الغزوات.

و لقد أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بإحصاء المسلمين. فقد جاء في صحيح البخاري في الكتاب المذكور و في الباب المذكور أيضا: عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه و سلم: "اكتبوا لى من تلفظ بالإسلام من الناس فكتبنا له ألفا و خمسمائة رجل، فقلنا: نخاف و نحن ألف و خمسمائة، فلقد رأينا ابتلينا حتى أن الرجل ليصلى وحده و هو خائف" و في رواية أبي حمزة عن الأعمش فوجدناهم خمسمائة، قال أبو معاوية: ما بين ستمائة إلى سبعمائة.

و جاء في صحيح مسلم في كتاب الإيمان في باب جواز الاستمرار للخائف:

عن حذيفة قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: احصوا لى كم يلفظ الإسلام، قال: فقلنا: يا رسول الله أتخاف علينا و نحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟ قال:

إنكم لا تدرؤن لعلكم أن تبتلوا قال: فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلى إلا سرا.

قال في كتاب "مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار" عند هذا الحديث في آخر الشرح ما يأتي: فإن قلت ما وجه الجمع بين هذه الروايات قلت أجيب بأن المراد بقولهم خمسمائة: المقاتلون، و بقولهم ما بين ستمائة إلى سبعمائة الرجال خاصة، و بقولهم ألف و خمسمائة النساء و الصبيان و الرجال، لكن هذا الجواب باطل لأنه قد جاء برواية البخاري في أواخر كتاب السير "فكتبنا له ألفا و

خمسائة رجل" فالجواب الصحيح و الله تعالى أعلم أن يقال لعلهم أرادوا بقولهم ما بين ستمائة إلى سبعمائة رجال المدينة خاصة، و بقولهم فكتبنا له ألفا و خمسمائة إياهم مع من حولهم من المسلمين. انتهى من الكتاب المذكور.

من المستحيل إحصاء الحجاج الذين يقفون بعرفات كل عام، سواء كانوا من داخل البلاد أو خارجها منذ ظهور الإسلام إلى اليوم، لأن ولاة مكة المكرمة لم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٢٩

يكن يهتمهم ذلك لأمرين (الأول) عدم وجود جوازات السفر للمسافرين، (و الثاني) عدم أخذ الرسوم من القادمين الحجاج، فلماذا يحصونهم و لماذا يكتبون أسماءهم في السجلات و الدفاتر؟.

فلما تقدم الناس في وسائل المدينة و مرافق الحياة، تنبهوا لإحصاء الحجاج و القيام بخدماتهم اللازمة و مصالحهم العامة لقاء أجر معلوم، و نحن نذكر هنا عدد الحجاج الذين أمكن إحصاؤهم في بعض الأعوام من أوائل القرن الرابع عشر للهجرة. و قد ذكر المؤرخون: أنه في السنة الثالثة عشر من البعثة قبيل هجرته صلى الله عليه و سلم إلى المدينة المنورة، وقف في حج هذه السنة من المشركين من الأوس و الخزرج خمسائة نفر، ثم انصرفوا إلى المدينة، و لم يكن الحج قد فرض على المسلمين، فإنه فرض في السنة الخامسة من الهجرة، لكن لا بد أنه وقف أيضا من قريش نحو ألف نفر، و الله تعالى أعلم.

و ذكروا أيضا: أن عدد من خرج مع النبي صلى الله عليه و سلم، من المدينة من المسلمين في حجة الوداع تسعون ألفا، و يقال مائة ألف و أربعة عشر ألفا، و يقال أكثر كما حكاه البيهقي، هذا ما ذكره صاحب تاريخ الخميس.

و لكن لا ندري هل ذكر المؤرخون عدد من وقف معه صلى الله عليه و سلم بعرفات في حجة الوداع، أم لا؟ فإننا لم نبحث عن ذلك، و لا بد أنه قد تجمع من الطريق و من مكة و أطرافها و من الممالك الأخرى من المسلمين عدد غير قليل، ليحجوا و يقفوا بعرفات مع رسول الله، صلى الله عليه و سلم. فتأمل كيف كان المسجد الحرام يسع هذا العدد الكبير، مع أنه كان صغيرا غير متسع في زمنه، صلى الله عليه و سلم. و لا يبعد أنهم كانوا يأتون إليه زمرا زمرا، و فوجا فوجا، من المحل الذي نزلوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بظاهر مكة و هو البطحاء جهة الحجون، بل ورد ذلك صريحا في تاريخ الأزرقى عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، و جده، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم، مضطربا بالحجون في الفتح يأتي لكل صلاة. اهـ. أى يأتي المسجد الحرام لكل صلاة، و معنى مضطربا بالحجون أن النبي صلى الله عليه و سلم لما أتى مكة، أبى أن ينزل في بيوتها، و إنما نزل بالحجون و ضربت له الخباء هناك. ثم تأمل و قارن بين عدد من وقف من المسلمين بعرفات في حجة الوداع، و عدد من يقف من المسلمين من جميع الأقطار في عصرنا الحاضر. و من غرائب الأمور ما ذكره رفعت باشا في كتابه (مرآة الحرمين) في أول الجزء الثاني منه،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٣٠

قال: إنهم لما وصلوا مكة في غرة ذي الحجة عام (١٣٢٠)، ذهبوا لزيارة شريف مكة الشريف عون الرفيق، فقال لهم: إنى مسرور من قلة الحجاج في هذا العام مراعاة للحالة الصحية. اهـ. فكأنهم كانوا يحجون قلة الحجاج خوفا من حدوث الأمراض، أما في زماننا هذا، فلا يوجد أحد بمكة إلا و يجب كثرة الحجاج، و ازدياد عددهم في كل سنة، و سنذكر هنا إن شاء الله، عدد الحجاج في زمن صاحب مرآة الحرمين.

و ها نحن نذكر لك هنا عدد الحجاج الواردين إلى مكة من مختلف البلدان و الأقطار، و لنبدأ بعامي (١٣١٥) و (١٣١٦) نقلا عن تاريخ الغازي المخطوط و هو نقلا عن مجلة "المنار" التي كانت تصدر بالقاهرة بمصر. و إليك ما ذكره.

جاء في تاريخ الغازي، في الجزء الثاني بصحيفة ٤٢٨ عند الكلام على إحصاء الحجاج لعام ١٣١٥ للهجرة ما نصه:  
 ذكر العلامة السيد محمد رشيد رضا في مجلته، أي "المنار": "بلغ عدد الحجاج الذين مروا من قناة السويس جاثين من طريق بور سعيد و الاسكندرية "٨٣٥٢" عثمانيا و (١١١٣) إيرانيا، و الذين جاؤا من طريق البصرة إلى السويس و مروا من القنال (١٩٠)، و الذين لم يمروا منه "١٥٣"، و بلغ عدد الحجاج من بوسنة و هرسك "٨٦" و من مغاربة الجزائر "٢٧"، و ذلك لأن فرنسا أحصرت مسلمي بلادها منذ خمس سنوات، و من مغاربة الدولة العلية "١٤١" و بلغ عدد الروسيين الذين جاؤا عن طريق الاسكندرية "٢٠٩"، و بلغ عدد المصريين "٤٥٤١" و زد على ذلك "٢٤٠" حجا من المغاربة و التكارنة و السودان سافروا من وابورات الشركة العثمانية مجانا لأنهم فقراء، ذكرت جريدة المؤيد بهذا الإحصاء بزيادة تفصيل، و قال إنه أضبط إحصاء حصل للحجاج. بلغ عدد الحجاج الذين غادروا مني بعد التضحية مائتي ألف نفس.

### إحصاء الحجاج لعام ١٣١٦ هـ

و جاء فيه أيضا لعام ١٣١٦ للهجرة ما نصه:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٣١

من طريق مصر بلغ عدد الحجاج الذين قصدوا الأقطار الحجازية عن طريق الاسكندرية لغاية ١٦ ذى القعدة "٧٦٠٢"، و الذين برحوا هذا الثغر في ذلك اليوم فقط "٨٠١" منهم "٥٠٩" عثمانيون، و "١٢٦" مصريون، و "٥٨" روسيون، و "٤٠" فارسيون، و "٢٩" من اليزولوس، و "٣٦" من البوسنيين، و "٣" من البرتغاليين. أما الذين سافروا من القاهرة فيبلغ عددهم إلى اليوم نحو الثلاثمائة حاج المؤيد. انتهى. انتهى نقلا من تاريخ الغازي. هذا ما ورد في العامين المذكورين (١٣١٥) و (١٣١٦).

ثم اطلعنا على الجزء الثاني من كتاب مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت باشا، رحمه الله تعالى، فوجدنا أنه ذكر فيه عدد الحجاج الذين كانوا مع المحمل في عامي (١٣٢١) و (١٣٢٥) هجرية حينما ركبوا الباخرة من السويس فأحبينا نقله هنا، و هذا نصه:  
 قال في صحيفة ٥٨: "تمام الساعة الخامسة بعد ظهر الاثنين ٢١ ذى القعدة سنة ١٣٢١ هجرية، ٨ فبراير سنة ١٩٠٤، أقلت باخرة الرحمانية من السويس قاصدة جدة و كان بها من الحجاج ٥٩٩ منهم ٢٤ في الدرجة الأولى و كلهم من موظفي المحمل عدا ثلاثة، و منهم ثلاثة و ثلاثين في الدرجة الثانية من بينهم ٧ من موظفي المحمل، و منهم ٥٤٢ في الدرجة الثالثة من بينهم ٢٩٦ تبع موظفي المحمل و الباقي من الأهالي و من هؤلاء ٩١ من محافظة مصر و ٤ من المنوفية و ٤ من الجيزة و ١٨ من محافظة دمياط و ٢ من محافظة السويس و ١٤ من المنيا و ٢١ من الغربية و ٩٢ من القليوبية. أما باخرة مسير فإنها قامت من المرفأ في الساعة ١٢ و الدقيقة ٣٥، و كان بها من الحجاج ٤٤٨ منهم ٢٤ في الدرجة الأولى من بينهم ٤ من موظفي المحمل و تابعيهم و منهم ٩ في الدرجة الثانية بينهم ٤ من موظفي المحمل و باقي الركابيين في الدرجة الثالثة و عددهم ٤١٥ منهم ١٩ موظفون في المحمل و الباقي ٢٥ من محافظة مصر و ٥٨ من المنوفية و ١٥٣ من الشرقية و ٩٦ من الدقهلية و ٤٤ من الغربية و على ذلك فجملة الحجاج (١٠٤٧) من بينهم ٣٥١ موظفون في المحمل أو تابعون لموظفيه. هـ."

و قال في صحيفة (١٨٥) إن حجاج ركب المحمل في سنة (١٣٢٥) بلغوا "٢٤٠٠" انتهى كل ذلك من مرآة الحرمين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٣٢

هذا ما ذكره صاحب مرآة الحرمين عن عدد الحجاج الذين رافقوا ركب المحمل و لم يذكر عدد الحجاج الذين لم يرافقوا المحمل.  
 ثم رأينا أيضا في الجزء الثاني من مرآة الحرمين أيضا بصحيفة ٢٦٠ بيانا لعدد الحجاج لست سنوات، من سنة ١٩٠٣ ميلادية إلى سنة ١٩٠٨، المرافقين للمحمل و غير المرافقين. و نحن قد وضعنا السنة العربية بجانب السنة الإفرنجية زيادة في الإيضاح و هذا هو البيان:

السنة الهجرية/ السنة الميلادية/ جملة الحجاج المصريين/ الحجاج الذين سافروا برفقة المحمل/ الحجاج الذين سافروا بغير مرافقة  
 المحمل ١٣٢١/١٩٠٣/-/٢٨-  
 ٩٦٢٣/١٩٠٤/١٠٣١٩/١٩٠٤/١٠٣١٩/١٩٠٤/١٠٣١٩/١٩٠٤  
 ١٢٧٦١/١٩٠٥/١٤٣٦٦/١٩٠٥/١٢٧٦١/١٩٠٥/١٤٣٦٦/١٩٠٥  
 ١٠٧٦٨/١٩٠٦/١١٦١٥/١٩٠٦/١٠٧٦٨/١٩٠٦/١١٦١٥/١٩٠٦  
 ١٦٥٨٦/١٩٠٧/١٨١٧٠/١٩٠٧/١٦٥٨٦/١٩٠٧/١٨١٧٠/١٩٠٧  
 ١٤٠٢٧/١٩٠٨/١٥٨٥٦/١٩٠٨/١٤٠٢٧/١٩٠٨/١٥٨٥٦/١٩٠٨

و تجد في هذا البيان أنه في سنة ١٣٢١ هـ، الموافق لسنة ١٩٠٣ م لم يسافر أحد إلى الحج بغير مرافقة المحمل، و سبب ذلك: أن مجلس النظار المصرى أصدر قرارا بمنع الحج لكل من يتوجه برفقة المحمل، و ذلك خوفا من عودة الوباء للقطر المصرى- انتهى من مرآة الحرمين.

هذا، و لا يفوت القارئ النبیه، أن ابتداء السنة الهجرية لا تتفق مع ابتداء السنة الميلادية، فلا بد أن تسبق إحداهما الأخرى. و نحن فى هذا البيان أضربنا عن ذكر الفرق الذى بينهما خوف التشويش.

و لقد وقف بعرفات عام ١٣٧٢ من الهجرة، خمسمائة ألف حاج أتوا: من طريق البحر (١١٨٢٠٠) شخص، و من طريق الجو (١٦٩١٧) شخصا، و من طريق البر ما عدا اليمن (١٠٠٣٢) شخصا، و من طريق البر من اليمن (١٦٠٠٠) شخص، و الباقون وردوا من أطراف المملكة العربية السعودية حسبما ذكرته جريدة أم القرى بعد حج عام (١٣٧٢) هجرية.

و هنا نذكر إحصاء عاما بعدد الحجاج الواردين من خارج المملكة العربية السعودية بشتى وسائل المواصلات سواء كان عن طريق البر و البحر و الجو، و لا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٣٣

نذكر من وقف بعرفات من أهل مملكتنا من جميع الجهات لأنه يتعذر إحصاؤهم.

و هنا نذكر عدد الحجاج ابتداء من سنة (١٣٤٣) لغاية (١٣٧٣) هجرية نقلا عن جريدة البلاد السعودية الصادرة بمكة فى ٢٠ ذى الحجة سنة (١٣٧٢) و هو هذا:

السنة الهجرية/ عدد الحجاج ١٣٤٣/ ١٠٠٠٠٠

١٥٠٠٠٠/ ١٣٤٤

١٩٠٦٦٢/ ١٣٤٥

٩٦٢١٢/ ١٣٤٦

٩٠٧٦٤/ ١٣٤٧

٨١٦٦٦/ ١٣٤٨

٣٨٠٤٥/ ١٣٤٩

٢٩٠٦٥/ ١٣٥٠

٢٠١٨١/ ١٣٥١

٢٥٢٩١/ ١٣٥٢

٣٣٨٩٨/ ١٣٥٣

٢٣٨٣٠/ ١٣٥٤

٤٩٥١٧ / ١٣٥٥

٦٧٢٢٤ / ١٣٥٦

٥٩٥٧٧ / ١٣٥٧

السنة الهجرية / عدد الحجاج ٣٢١٥٢ / ١٣٥٨

٩٠٢٤ / ١٣٥٩

٢٣٨٦٣ / ١٣٦٠

٢٤٧٤٣ / ١٣٦١

٦٢٥٩٠ / ١٣٦٢

٣٧٨٥٧ / ١٣٦٣

٣٧٦٣٠ / ١٣٦٤

٦١٣٨٦ / ١٣٦٥

٥٥٢٤٤ / ١٣٦٦

٧٥٦١٤ / ١٣٦٧

٩٥٠٣٣ / ١٣٦٨

١٠٧٦٥٢ / ١٣٦٩

١٠٠٥٧٨ / ١٣٧٠

١٤٨٥١٥ / ١٣٧١

١٤٩٨٤١ / ١٣٧٢

و لقد ذكرت مجلة الحج التي تصدر بمكة المشرفة في عدد شهر محرم عام ١٣٧٢ هـ إحصاء عاما مثل إحصاء جريدة البلاد السعودية، غير أن هناك فرقا بسيطا بينهما في تعداد الحجاج في بعض السنوات، و ليس ذلك بمهم، حيث أننا في معرض التشويق و الترغيب، لا في معرض التحقيق و التدقيق.

و نذكر هنا أيضا إحصاء لأجناس الحجاج عن الثلاث السنين الأخيرة و هي ١٣٧٠ و ١٣٧١ و ١٣٧٢ هجرية نقلا عن جريدة البلاد السعودية الصادرة أيضا في التاريخ المذكور آنفا، و هو هذا:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٣٤

أجناس الحجاج / عددهم في عام ١٣٧٠ / عددهم في عام ١٣٧١ / عددهم في عام ١٣٧٢ مصريون / ٢٢٩١٦ / ٢٧٦١١ / ٢١٦٧٥

سوريون / ٢٣٧٩ / ٥٦١٩ / ٣٥٧١

لبنانيون / ٥٧٨ / ١٧٣٣ / ٨٧٦

فلسطينيون / ١٣٠ / ٣٧٩ / ١١٩٥

عراقيون / ١٨٥٨ / ٢٦٤٠ / ٢٨٠٤

مغاربة / ٥٢٨٤ / ٧٨٦٨ / ٧٣٠٦

بخارية / ٣٢٨ / ٩٥ / ١٦٧

إيرانيون / ٦٩٥ / ٣٥٦٩ / ١٧٢٣

أتراك / ٤٢٣ / ٩٦٢٣ / ١١٣٢٩

- شرق الأردن / ١٣٩ / ٩١٤ / ٤٨٨  
 يمنيون / ١٨ / ١١٧٨٥ / ١٤٣٩٣  
 حضارمة / ٧٨٧ / ٣٦٢٠ / ٣٦٩٢  
 عدنيون / ١٢١ / ٤٠٩ / ٢٣١  
 يوغنده / ١٤١ / ٧٥ / ١٧٥  
 تكارنة / ١٧١٥ / ٧٣٧٧ / ٢١٥٣٧  
 شناقطة / ٦٣ / ١٣٤ / ٢١٣  
 سودانيون / ٥٥٣٥ / ٩٢٣٣ / ٦٣٩٤  
 سنغال / ٥٧٠ / ٨٥٣ / ٨٤٩  
 صومال و أريتريا و مصوع / ٦٤ / ٥٥١ / ٢٠٨  
 كبتون / ١٠٠ / ١٤٧ / ١٤٧  
 أثيوبيا، أحباش / ٣٢٠ / ٢٦٩ / ٥٢٨  
 زنجبار / ٢٧٠ / ٣٣ / ٥٨  
 مقديشو / ٧١ / ٦٢ / ٤١  
 صينيون / ٦ / ٢٢ / ٥٨  
 نيجريا و ليقوش / ٤٤٣ / ١٠٥٥ / ١٠٦  
 لبيون / - / - / ٢٨٣  
 جيوتى / - / ٣٠ / ٢١  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٣٥  
 أفغانيون / ٦٤٩ / ١٦٣٤ / ٢٢٠٤  
 سواحل / - / - / ٣٨  
 بورما / ١٣ / ٢٢ / ٦٢  
 باكستانيون / ٣١٣٣٩ / ١٨٣١٤ / ١٣٣٠٥  
 مسلمو الهند / ١١٨٣١ / ١٠٢١٨ / ٨٨٦٥  
 سيلان / - / ٥٣ / ٩٤  
 إندونيسيون / ١٨٥٦ / ١٠٦٤٥ / ١٣٩٣٨  
 سيام / ١٢٧٠ / ٦١٠١ / ١٣٧٦  
 ملايو / ٥٧٦٧ / ٣٨٣١ / ٥٩٦٧  
 فليبيون / ٢٢٧٧ / ٦٦٧ / ٧٩٨  
 كويت / ١٩٠ / ٨٠٨ / ١٦٧٥  
 بحرين / ١١٥ / ٣٤٦ / ٦٩٥  
 مسقط / ٣ / ١١٧ / ١٧٢  
 دبي / ١١٦ / ٥٣ / ١١٩

- موريس /-/-/ ١٥  
الهند الصينية /-٢١/ ١٤  
الخليج الفارسي /-١٤٠/ ٤٣  
قطر /١٠ /٢٠/ ٣٧٤  
مسلمو أمريكا /-١/ ١  
تركستان الشرقية /-١/ ١٨  
ممباسا (الحبشة) /١٦ /٤٠-  
مسلمو ألمانيا /-١/ -  
تنجانيقا /-١٦-  
كنديون /-٢/ -  
مدغشقر /-٤/ -  
المجموع /١٠٠٥٧٨ /١٤٨٥١٥ /١٤٩٨٤١  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٣٦

### إحصاء الحجاج في سنة (١٣٧٣) هجرية

- أجناس الحجاج / عدد الحجاج مصر / ٢٠٧٥٥  
السودان / ٦٠١٥  
فلسطين / ٢٧٣٦  
تونس و الجزائر / ٤٢٠٣  
تركيا / ١١٧٠٨  
الأردن / ٤٣٦٣  
الهند / ٧٨٩٤  
باكستان / ١٩٣٥٢  
ملايا / ٥٦٥٨  
إندونيسيا / ١٠٢٣٤  
إيران / ٣٩٨١  
العراق / ١٤٢٥  
الكويت / ٣٣٦  
حضر موت / ١٩٨٣  
سوريا / ٧٦٤٨  
أفريقيا / ١٦٩٥١  
اليمن / ٢٧٨٦٦

لبنان / ١٩٦٣

أفغانستان / ١٧٧٧

كبتون / ٧٢

زنجبار / ١٢١

السنغال / ١٢٦٩

مقديشو / ٤٣

أفريقيا الغربية / ٣٢٢

الفرنسية /

ليبيا / ٦٤٠

بخارى / ١١١

الصومال / ٢٤٥

أثيوبيا / ٣٧١

كينيا / ٣٨

أوغندا / ٣٣٥

مباشة / ٣٦

قبرص / ٤

الصين / ١٤

جزيرة موريس / ١٩

نيجريا / ١٥

بورما / ٤٠

سيلان / ٦٣

سيام / ٤٦٤

الهند الصينية / ٢١

البحرين / ١٣٣

دبي / ١٣

الشارقة / ١٩

الفلبين / ٥

مدغشقر / ٨

يوغسلافيا / ٣

المجموع / ١٦٤٠٧٢

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٣٧

إلى هنا قد ذكرنا إحصاء الحجاء بأجناسهم المختلفة مفصلا، و سنذكر إن شاء الله تعالى فيما يأتي من السنين عددهم إجمالا بدون تفصيل حتى لا يطول بنا الكلام:



السنة الهجرية/ عدد الحجاج بالأرقام/ عددهم بالأحرف ١٣٧٤/ ٢٣٢٩٧١/ مائتان و اثنان و ثلاثون ألفا و تسعمائة و واحد و سبعون  
 ١٣٧٥/ ٢٢٠٧٢٢/ مائتان و عشرون ألفا و سبعمائة و اثنان و عشرون  
 ١٣٧٦/ ٢١٥٥٦٥/ مائتان و خمسة عشر ألفا و خمسمائة و خمسة و ستون  
 ١٣٧٧/ ٢٠٩١٩٧/ مائتان و تسعة آلاف و مائة و سبعة و تسعون  
 ١٣٧٨/ ٥٥٧٨٠١/ خمسمائة و سبعة و خمسون ألفا و ثمانمائة و واحد  
 ١٣٧٩/ ٥٣٢٢٠٠/ خمسمائة و اثنان و ثلاثون ألفا و مائتان  
 ١٣٨٠/ ٢٨٥٩٨٤/ مائتان و خمسة و ثمانون ألفا و تسعمائة و أربعة و ثمانون  
 ١٣٨١/ ٢١٦٤٥٥/ مائتان و ستة عشر ألفا و أربعمائة و خمسة و خمسون  
 ١٣٨٢/ ١٩٧٠٣٩/ مائة و سبعة و تسعون ألفا و تسعة و ثلاثون  
 ١٣٨٣/ ٢٦٠٢٨٤/ مائتان و ستون ألفا و مائتان و أربعة و ثمانون  
 ١٣٨٤/ ٢٨٣٣٣٩/ مائتان و ثلاثه و ثمانون ألفا و ثلاثمائة و تسعة و ثلاثون  
 هذا ما أمكن لنا إحصاء الحجاج إلى سنة طبع هذا الكتاب ما عدا من يحج من أهل البلاد، و بعد ذلك فليعددهم من شاء فيما يأتي من  
 الأعوام الآتية، و لا نظن القارئ يجد في غير هذا الكتاب إحصاء الحجاج بدقة تامة للأعوام السابقة.

### أسباب قلة الحجاج و كثرتهم

إذا أمعنا النظر نجد أن عدد الحجاج في الجاهلية في عهد قريش، لا يتجاوز بضعة آلاف ممن يقف بعرفات و مزدلفة، بل ما كان  
 الواقفون يزيد عددهم عن عشرة آلاف شخص بل أقل، و كلهم من كفار قريش من مكة، فإن أهل الجاهلية كانوا يحجون كل عام.  
 ثم لما أشرقت شمس الدين الإسلامي الحنيف، و دخل الناس في دين الله أفواجا، زاد عدد الواقفين بعرفات، و كان رسول الله صلى  
 الله عليه و سلم، يرسل من المدينة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٣٨

المنورة بعض كبار أصحابه ليقوم للناس الحج و يعلمهم أحكامه، فلما كان في حجة الوداع في السنة العاشرة خرج الناس مع رسول الله  
 صلى الله عليه و سلم يريد الحج معه، فكان عدد الواقفين مع النبي عليه الصلاة و السلام، بعرفات تسعين ألفا، و قيل:  
 أكثر من ذلك إلى مائة و أربعين ألفا، كلهم من عرب الحجاز من مكة و المدينة و ما حولهما، لأن المدن و الأقطار لم تفتح بعد، فما  
 فتحت إلا في عهد الخلفاء الراشدين و من بعدهم، و ما زالت الفتوحات في عهدهم تتوالى و تكثر، و يدخل من الممالك و الأقطار  
 في دين الإسلام إلى أوائل القرن الرابع عشر للهجرة، أي: إلى ما بعد سنة (١٣٠٠) ألف و ثلاثمائة هجرية بقليل، لأن جميع سلاطين  
 الأتراك العثمانيين الذين كانت فيهم الخلافة، كانوا يقاتلون الكفار الذين يجاورونهم و يغزون ملوك الإفرنج، و لذلك كان يلقب  
 كل سلطان منهم يخرج للغزو في سبيل الله "بالغازي"، و أغلبهم كان يغزو عاما و يحج عاما، فلما ذهب الخلافة منهم في سنة (١٣٣٤)  
 ألف و ثلاثمائة و أربعة و ثلاثين هجرية، و صار كل قطر و مملكة إسلامية مستقلا بذاته و تفرقت كلمة المسلمين و اختلفوا فيما بينهم،  
 لم يعد هناك غزو من المسلمين على بلاد الإفرنج و أوروبا، و كل هذه التفرقة بين المسلمين كانت من سياستهم و مكرهم، فإن  
 الإفرنج و بلاد أوروبا جميعا كانوا يشتغلون بأسباب تفرقة المسلمين منذ مئات السنين، و ما زالوا كذلك إلى اليوم، و سيرد الله تعالى  
 كيدهم في نحرهم بفضله و رحمته، و من أراد البحث في هذا الموضوع فعليه بكتاب "حاضر العالم الإسلامي" ففيه ما يشفي الغليل.

و من بعد الفتوحات الإسلامية صار يأتي بالحج آلاف مؤلفة من كل فج عميق من كافة أقطار الأرض و جهاتها، و صار يزداد عدد  
 الحجاج في كل عصر و زمان بحسب تيسير وسائل السفر و أسبابه، من أعداد المحطات في طريق الحج، و من الدواب من البغال و

الحمير و الجمال، و من تعميم خزانات المياه، و حفر الآبار و تجهيز الأطعمة اللازمة، و تأمين طرقات الحج و وضع الحراسة الكافية فيها، و كل هذا عن طريق البر في الأزمان الماضية، و أما عن طريق البحر، فيأتون بواسطة المراكب الشراعية التي تمشى بسبب الهواء و الرياح، و سواء كان طريق الحج من البر أو من البحر، فقد كان السفر في غاية المشقة و التعب، مع طول الطريق، فلقد كان بعض الحجاج لا يصل من بلاده إلى مكة المشرفة بأقل من ثلاثة أشهر، و مثل ذلك للعودة، و أن بعضهم يصل إلى مكة في ستة أشهر، و بعضهم أكثر من ذلك،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٣٩

و يحتاجون إلى مثل هذه المسافة في العودة، لذلك كان عدد الحجاج في العصور الماضية أقل بكثير من عصرنا الحاضر. أما في وقتنا هذا فإن عدد الحجاج يكاد يكون بدون حساب، و ذلك بسبب توفر وسائل الانتقال و السفر، فإن في عصرنا الحاضر قد اخترعت الطائرات العظيمة التي تحمل كل طائرة منها نحو مائة و خمسين شخصا بجميع حوائجهم و أثقالهم، و هي تصل من أقصى الدنيا، من الهند و السنند و الصين و أمريكا و إيطاليا و فرنسا و إنكلترا، إلى جدة في نحو سبع ساعات أو ثمانية، و تصل من مصر و العراق و الشام و اليمن في نحو ساعتين أو ثلاثة، أى: يقوم الإنسان من بلاده في الصباح عند شروق الشمس بالطائرة، فيصل إلى مكة المكرمة قبل الظهر. كما اخترعت البواخر التي تحمل كل باخرة منها أكثر من ألفى شخص مع أثقالهم و حوائجهم، فتسير بهم في وسط البحور العميقة، فتصل من بلادهم إلى جدة في أيام قلائل. و كذلك اخترعت السيارات الكبيرة الثقيلة، فتحمل كل سيارة منها نحو خمسين راكبا بل أكثر، فتسير بهم في البراري و القفار، فتصل من العراق مثلا في ثلاثة أيام إلى مكة المكرمة.

و من هنا كان عدد الحجاج في وقتنا الحاضر كثيرا جدا، فلقد وصل إلى مكة في سنة (١٣٨٤) ألف و ثلاثمائة و أربعة و ثمانين هجرية، نحو ثلاثمائة ألف حاج بالطائرات و السيارات و البواخر، و كلما ظهرت المخترعات العجيبة السريعة من وسائل النقل، ازداد عدد الحجاج على ممر السنين و الأعوام، و الله تعالى أعلم ماذا يحدث في مستقبل الأيام.

لقد كان عدد الحجاج كبيرا في السنة المذكورة أى سنة (١٣٨٤) هـ بحيث امتلأت بيوت مكة و شوارعها منهم و من سياراتهم، و لقد كانوا يبيتون أيام الحج بمنى في خارجها من الجهتين، أى من جهة مكة بعد جمرة العقبة بمسافة بعيدة، و من جهة مزدلفة بعد حد منى بمسافة أيضا، و لا يخفى أن هاتين الجهتين لا يجوز المبيت فيهما أيام الحج، فإنه لا بد من المبيت ليلا في نفس منى. و الله تعالى أعلم ماذا يحدث في مستقبل الأيام إذا كثرت الحجيج بسبب اختراع أحدث وسائل النقل السريعة المدهشة، و لا يبعد أن تفكر الحكومة في بناء طبقة متسعة فوق أرض منى ليشغلها قسم من الحجاج. و الله تعالى هو المدبر لأمر خلقه في السموات و الأرض.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٤٠

لقد ذكرنا عدد الحجاج فيما تقدم في السنة المذكورة، و إذا حسبناهم مع من حج من أهل المملكة العربية السعودية فيكون عدد من وقف في السنة المذكورة بعرفات هو مليون شخص.

و إن العاقل المفكر إذا رأى هذا العدد الهائل للحجاج الكرام، ليندهش و تأخذه الحيرة، إذا فكر في أكلهم و شربهم و راحتهم، و يقول في نفسه كيف يكفيهم الأكل و الشرب في بلدة صغيرة كمكة شرفها الله تعالى، و أدام أمنها و أمانها و خيرها و رخاءها، و لكنه إذا نظر إلى قوله تعالى: **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا**، إذا نظر المؤمن العاقل في هذه الآية الكريمة آمن بمضمونها و سلم الأمر إلى الله عز و جل. فمكة بلدة الأمين، و فيها بيته الحرام المطهر، و العباد عباده أتوا من كل فج عميق لزيارة بيته الحرام، فهم إذا ضيوف الله تعالى، و الله عز و جل هو أكرم الأكرمين و أرحم الراحمين، لا بد أن يضيفهم و يكرمهم و يقبلهم و يغفر لهم ذنوبهم، حتى يرجعوا إلى بلادهم و هم مطهرون على أحسن حال، إنه بعباده لطيف خبير.

نعم لو ذهب هذا العدد الهائل إلى أكبر بلدة لما كفاهم الخبز و الماء، فوجود هذه النعم و الخيرات في مكة المشرفة و هي واد غير ذى زرع، أمر خارق للعادة، إنه دعوة أبى الأنبياء خليل الله إبراهيم كما جاء في الآية الكريمة **رَبَّنَا إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ دُرِّيْتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي**

زَرَعَ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ. فالحمد لله رب العالمين.

هذا ولقد سمعنا أنه في سنة (١٣٧٠) ألف و ثلاثمائة و سبعين هجرية، وصل إلى الحديدية من أطراف اليمن نحو خمسة آلاف شخص يريدون الحج و انتظروا فيها خمسة أيام لورود باخرة تحملهم إلى جدة، ففي هذه الأيام الخمسة انعدم الخبز من أسواق الحديدية، حتى أنهم ما كانوا يجدون الخبز إلا بصعوبة، فكيف لو انكب عليهم هذا الحجيج الأعظم و لمدة طويلة.

فالسبب الأساسية لكثرة الحجاج ثلاثة: (الأول) كثرة وسائل النقل الحديثة، و (الثاني) الأمن و الأمان في طرقات الحج من جميع الجهات، و (الثالث) كثرة توفر الزاد و الأغذية في الحرمين الشريفين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٤١

هذه هي الأسباب الأساسية لورود الحجاج بكثرة و افرة، و كلها متوفرة عندنا في وقتنا هذا و لله الحمد. فالحمد لله الذي خص بلده الأمين بأمور كثيرة خارقة، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

### إقامة المظلات و القهاوى في طريق الحج

و من حسنات حكومتنا الموقفة عمل المظلات العامة في طريق الحج، فيما بين منى و عرفات ليستظل تحتها مشاء الحجاج و ضعفائهم، أما ما بين مكة و منى فلا يحتاج لإقامة المظلات لأن دور مكة و بيوتها كادت أن تصل إلى منى، و عند هذه المظلات الماء و الثلج مسبل لوجه الله تعالى، يشرب الحجاج الماء المثلج في هذه الصحراء و يستريحون، ثم يستأنفون السير صوب و جهتهم.

هذا غير ما يوجد في الطريق من القهاوى العديدة المتخذة من العشاش و الخيام، فيها الأكل و الشرب و القهوة و الشاي و المثلجات و الفواكه، كل هذا موجود في طريق الحج، من عرفات إلى مكة، و منها إلى جدة، و منها إلى المدينة المنورة مثوى رسول الله صلى الله عليه و سلم.

فوجود هذه الاستراحات لا شك أنها عمل إنسانى جليل، و بالأخص وجودها في وقت الحج في أطراف هذه الصحراوات الواسعة و مرور آلاف الحجاج في الطريق.

جاء في كتاب التراتيب الإدارية، في آخر الجزء الأول ما يأتى: و فى طبقات ابن سعد أن عمر، رضى الله تعالى عنه، استأذنه أهل الطريق بينون ما بين مكة و المدينة، فأذن لهم و قال: ابن السبيل أحق بالماء و الظل. ١٠٥. ص ٢٢٠ ج ٣.

انتهى من الكتاب المذكور.

فرضى الله عن عمر و رضى عن جميع الصحابة الذين جعلوا لكل مسألة أساسا و لكل مبحث مسلكا، حتى نهتدى بهديهم و نسير على سنهم، فلو مشينا على طريقتهم لم تتشعب بنا الأهواء، و لم نركن إلى زخارف الدنيا، لكان لنا اليوم شأن غير هذا الشأن. نسأل الله الرضا و التوفيق، و السلامة من الفتن ما ظهر و ما بطن.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٤٢

### سيول مكة العظيمة

#### إشارة

إن مكة، شرفها الله تعالى، واقعة في واد تحف به الجبال من كل جانب، فإذا نزلت الأمطار عليها بشدة نزلت المياه من جميع الجبال و

من المرتفعات وغيرها إلى المواضع المنخفضة بمكة فجمعت في أزقتها و شوارعها، ونزلت مع المياه من الجبال و الأماكن الحجارات و الأتربة، و إذا زادت الأمطار في ضواحيها جاءت السيول من أعاليها من جهة منى إلى داخل مكة، و جرفت معها ما كان في طريقها، فتدخل المسجد الحرام، فتحدث به أضرارا كثيرة، كما تحدث أضرارا في بيوت مكة القديمة.

لذلك كانوا يعملون سدودا من قديم الزمان، كسد عمر رضى الله عنه، و ما عمله من الردم عند المدعا حيث كانت الكعبة ترى من هذا الموضع لعلوه، و ذلك صونا للمسجد الحرام من دخول السيل، فتحول مجرى السيل بسبب ذلك إلى وادى إبراهيم، بعد أن كان السيل ينحدر من المدعا إلى المسعى من ناحية المروة، و كان ذلك سنة (١٧) سبع عشرة من الهجرة، بعد انتهائه من وضع مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام في موضعه، و بعد انتهائه أيضا من عمارة المسجد الحرام و الزيادة فيه. و لقد كان سد عمر، رضى الله عنه، سدا عظيما محكما، بناه بالصفائر و الصخور العظام و كبسه بالتراب، فلم يعله سيل بعد ذلك مدة مائتى سنة تقريبا، و يسمى هذا الردم ردم "بنى جمح"، و سمي بذلك ربما لأن منازل بنى جمح كانت بهذا الموضع، و هذا الردم هو أول سد عمل بمكة المكرمة. قال الإمام الأزرقى في تاريخه: و كل واد في الحرم فهو يسيل في الحد، و لا يسيل من الحل في الحرم إلا من موضع واحد عند التنعيم عند بيوت غفار. انتهى.

و ذكر السيول التي جاءت إلى مكة من عهد الجاهلية إلى اليوم بالتفصيل مما يطول شرحه، و لكن نذكرها هنا باختصار مع بيان السنين، ملخصا من تاريخ الأزرقى و ملحقاته، و مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت باشا رحمهما الله تعالى.

و إليك بيان ذلك في هذا الجدول:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٤٣

### جدول سيول مكة

الرقم المتسلسل / اسم السيل / السنة / ملاحظات / ١ / سيل / فى الجاهلية / جاء فى زمن جرهم حينما كانوا ولاة البيت فهدم الكعبة فبنتها جرهم.

٢ / سيل فارة / فى الجاهلية / ذكر الأزرقى أن هذا السيل كان زمن خزاعة، و فارة اسم امرأة ماتت فى هذا السيل فسمى باسمها.

٣ / سيل آخر / فى الجاهلية / ذكر الأزرقى فى أن هذا السيل كسا ما بين الجبلين.

٤ / سيل أم نهشل / ١٧ من الهجرة / جاء فى خلافة عمر رضى الله عنه فاقتلع مقام إبراهيم عن موضعه، و أم نهشل اسم امرأة ماتت فيه فسمى باسمها.

٥ / سيل الجحاف / ٨٠ من الهجرة / جاء فى خلافة عبد الملك بن مروان، كان سيلا عظيما جاء دفعه واحدة فجر يوم التروية و الحجاج آمنون فذهب بأمتعتهم، و كان يحمل الجمال و عليها الأحمال فدخل المسجد الحرام و هدم الدور على الناس فقتلهم ورقى الناس الجبال و اعتصموا بها.

٦ / سيل / ٨٨ من الهجرة / جاء على إثر دعاء عمر بن عبد العزيز و دعاء من معه حينما وصل إلى التنعيم.

٧ / سيل / ١٢٠ من الهجرة / جاء فى ولاية هشام بن عبد الملك.

٨ / سيل المخبل / ٨٤ من الهجرة / سمي بذلك لأنه أصاب الناس منه شبه الخبل كما أصابهم المرض فى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٤٤

/// جسادهم و ألسنتهم، و كذلك حصل سيل آخر فى هذه السنة، قيل كان سيل المخبل عام ١٠٤ و الله أعلم.

٩ / سيل ابن حنظلة / ٢٠٢ من الهجرة / سمي بذلك نسبة إلى أمير مكة يومئذ يزيد بن محمد بن حنظلة، و ذلك فى خلافة المأمون و

هدم الدور و ذهب بناس كثير، و أصاب الناس بعده مرض شديد.

١٠ / سيل / ٢٠٨ من الهجرة/ جاء في خلافة المأمون أيضا و الناس غافلون و هذا أعظم من سيل ابن حنظلة فامتلا المسجد الحرام بالطين و البطحاء فكان أهل مكة و من فيها من الحجاج يخرجون ذلك بأيديهم حتى كانت النساء و العواتق يخرجن التراب التماس الأجر و البركة.

١١ / سيل / ٢٢٥ من الهجرة/ و بسبب هذا السيل كثر ماء زمزم بعد أن كانت قليلة.

١٢ / سيل / ٢٤٠ من الهجرة/ و هذا السيل هدم كثيرا من المنازل و خرب مسجد الخيف بمنى.

١٣ / سيل / ٢٥٣ من الهجرة/ دخل هذا السيل المسجد الحرام و أحاط بالكعبة و هدم دورا كثيرة.

١٤ / سيل / ٢٧٩ من الهجرة/ و جاء سيل آخر في السنة التي بعدها

١٥ / سيل / ٢٨٠ من الهجرة/ أيضا ٢٨٠ و كان سيلا عظيما فكثر ماء زمزم و ارتفع حتى قارب رأسها، فلم يكن بينه و بين شفتها العليا إلا نحو سبعة أذرع و عذبت ماؤها حتى كان أعذب مياه مكة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٤٥

١٦ / سيل / ٢٦٢ من الهجرة/ بسبب هذا السيل ذهب بحصباء المسجد الحرام كلها.

١٧ / سيل / ٢٩٧ من الهجرة/ كان سيلا عظيما حتى بلغ باب الكعبة و حتى فاضت بئر زمزم.

١٨ / سيل / ٣٤٩ من الهجرة/ قال في مرآة الحرمين: لما برز الحج قافلا جاءهم سيل فأخذهم عن آخرهم و ألقى بهم في البحر و ما أتى مصر منهم أحد، نسأل الله السلامة و العافية.

١٩ / سيل / ٤١٧ من الهجرة/ هذا السيل لما دخل المسجد الحرام وصل إلى خزائن الكتب فأتلف كثيرا منها.

٢٠ / سيل / ٤٨٩ من الهجرة/ جاء بقرب وادى نخلة فذهب بكثير من الأنفس و الأموال.

٢١ / سيل / ٥٢٨ من الهجرة/ تضرر كثير من الناس بمكة بسبب هذا السيل و المطر.

٢٢ / سيل / ٥٤٩ من الهجرة/ أسال وادى، و نزل من المطر برد بقدر البيض.

٢٣ / سيل / ٥٦٩ من الهجرة/ كان سيلا كبيرا دخل المسجد الحرام من باب بنى شيبه.

٢٤ / سيل / ٥٧٠ من الهجرة/ كثرت الأمطار و السيول هذا العام حتى سال وادى إبراهيم خمس مرات.

٢٥ / سيل / ٥٩٣ من الهجرة/ قيل جاء هذا السيل عام "٥٩٣"، كان سيلا عظيما حتى دخل الكعبة فبلغ قريبا من الذراع و وصل الماء إلى فوق القناديل التي في وسط المسجد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٤٦

/// و طاف بعضهم سباحة و هدم دورا كثيرة.

٢٦ / سيل / ٦٢٠ من الهجرة/ كان سيلا كبيرا دخل الكعبة و مات منه جماعة و بعضهم وقعت عليه الدور.

٢٧ / سيل / ٦٥١ من الهجرة/ لم يذكر عنه المؤرخون تفاصيل وافية.

٢٨ / سيل / ٦٦٩ من الهجرة/ كان سيلا كبيرا عظيما لم يسمع بمثله، دخل المسجد الحرام كالبحر.

٢٩ / سيل / ٦٨٧ من الهجرة/ جاء في حسن المحاضرة أنه في رابع عشر ذى القعدة في السنة المذكورة جاء سيل عظيم بحيث دخل المسجد الحرام و دخل الكعبة المشرفة و هدم جملة من أساطين المسجد الحرام و وجد في المسجد من الغرقاء سبعون إنسانا و خارج المسجد خمسمائة نفس، فكان ارتفاع السيل في المسجد سبعة أذرع و ثلث ذراع، و مكث الماء في المسجد من يوم الأربعاء إلى يوم السبت و لم تصل الجمعة فيه، و قد أخرج كثيرا من بيوت مكة، قالوا: و لم يعهد مثل هذا السيل لا في الجاهلية و لا في الإسلام.

٣٠ / سيل / ٧٣٠ من الهجرة/ جاء هذا السيل من غير مطر و ملأ المسجد الحرام و أقام الماء فيه يومين.

٣١ / سيل / ٧٣٢ من الهجرة/ فى أواخر ذى الحجة وقعت أمطار

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٤٧

/// و سيول و صواعق قتل بها خمسة من الرجال.

٣٢ / سيل / ٧٣٨ من الهجرة/ جاءت أمطار كأفواه القرب و سيل و غيم و رعود مزعجة و بروق مخيفة.

٣٣ / سيل / ٧٥٠ من الهجرة/ نزل مطر و صاعقة و ريح سوداء أوقعت جميع أعمدة المطاف المتجددة.

٣٤ / سيل / ٧٧١ من الهجرة/ هذا السيل دخل المسجد الحرام و وصل إلى قفل باب الكعبة و قد نزل مع المطر برد كبير و هدم نحو

ألف بيت و قتل نحو ألف نسمة. و حمل قافلة بأربعين جملا.

٣٥ / سيل / ٨٠٢ من الهجرة/ كان سيلا عظيما دخل المسجد الحرام فوصل إلى باب الكعبة بل علا عتبتها بقدر ذراع و خرب عمودين

فى المسجد و خرب دورا كثيرة سقط بعضها على سكانها، و مات بسبب ذلك نحو ستين نفرا.

٣٦ / سيل / ٨١٤ من الهجرة/ جاء هذا السيل وقت الظهيرة فهدم سدود العين.

٣٧ / سيل / ٨٢٥ من الهجرة/ جاء عقب صلاة الصبح و دخل المسجد الحرام فوصل إلى باب الكعبة و هدم دورا كثيرة و خرب سور

المعلاة.

٣٨ / سيل / ٨٢٧ من الهجرة/ جاء هذا السيل بعد الغروب عقب مطر غزير و دخل المسجد الحرام و قارب الحجر الأسود.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٤٨

٣٩ / سيل / ٨٣٧ من الهجرة/ دخل المسجد الحرام فوصل إلى محاذة باب الكعبة و خرب نحو ألف دار.

٤٠ / سيل القناديل / ٨٣٨ من الهجرة/ كان سيلا عظيما دخل المسجد الحرام و كسر باب زمزم و خرب ما يقرب من ثمانمائة دار.

٤١ / سيل / ٨٤٥ من الهجرة/ دخل المسجد الحرام و بلغ الماء نحو نصف ذراع من عتبة الكعبة و علا على خرزة زمزم مقدار ذراع.

٤٢ / سيل / ٨٤٧ من الهجرة/ وقع مطر غزير عقبه سيل دخل المسجد الحرام من جميع أبوابه الشرقية و اليمانية و علا الماء على عتبة

الكعبة ذراعا و نصف.

٤٣ / سيل / ٨٧١ من الهجرة/ دخل المسجد الحرام و دخل الكعبة و زمزم و خرب دورا كثيرة.

٤٤ / سيل / ٨٨٠ من الهجرة/ هذا السيل كان من أعظم السيول التى وقعت فى الجاهلية و الإسلام و كانت الخسائر كبيرة فى النفس و

النفس و قد مات بسببه فى المسجد الحرام فقط مائة و ثمانون نسمة، و قد انفرد أيوب صبرى باشا صاحب مرآة الحرمين بذكر هذا

السيل نقلا عن السمهودى (ج ١، ص ٦٨٢).

٤٥ / سيل / ٨٨٣ من الهجرة/ فى الخامس عشر و فى الثالث و العشرين من رمضان من السنة المذكورة جاء سيلان بعد المطر.

٤٦ / سيل / ٨٨٧ من الهجرة/ وقعت أمطار شديدة فى رابع ذى القعدة فجاء هذا السيل فمات به

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٤٩

الرقم المتسلسل / اسم السيل / السنة / ملاحظات /// خلايق لا تحصى و تهدمت دور كثيرة.

٤٧ / سيل / ٨٨٨ من الهجرة/ مات فى هذا السيل مائة نسمة.

٤٨ / سيل / ٨٨٩ من الهجرة/ حصلت بسبب هذا السيل خسائر كبيرة.

٤٩ / سيل / ٨٩٥ من الهجرة/ دخل المسجد الحرام و وصل إلى نحو الحجر الأسود و وقعت دور كثيرة.

٥٠ / سيل / ٨٩٧ من الهجرة/ هذا السيل دخل المسجد الحرام بعد مطر شديد.

٥١ / سيل / ٩٠٠ من الهجرة/ كان سيلا كبيرا حتى وصل إلى باب الكعبة المشرفة و تهدمت دور كثيرة.

٥٢ / سيل / ٩٠١ من الهجرة/ وقع مطر شديد جاء على إثره هذا السيل فدخل المسجد الحرام و وصل إلى ما بين قفل الكعبة و الحلق و

غرقت قناديل المطاف.

٥٣/ سيل / ٩٢٠ من الهجرة/ دخل المسجد الحرام و علا باب الكعبة نحو ذراع و ملاً قناديل المطاف و زمزم.

٥٤/ سيل / ٩٣١ من الهجرة/ جاء بعد مطر و نزل فيه برد كبير الحجم فوق العمرة في طريق الوادى فتكدس حتى صار أكواما و كان الجمالون يجلبون للبيع في مكة مدة أسبوعين لما انتهى.

٥٥/ سيل / ٩٧١ من الهجرة/ بلغ هذا السيل إلى قفل باب الكعبة و بقى يوما و ليلة.

٥٦/ سيل / ٩٨٣ من الهجرة/ بلغ إلى ما يحاذى قفل باب الكعبة.

٥٧/ سيل / ٩٨٤ من الهجرة/ دخل المسجد الحرام و علا باب

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٥٠

/// الكعبة ثم انحدر عنها و انساب إلى أسفل مكة.

٥٨/ سيل / ٩٨٩ من الهجرة/ نزلت أمطار غزيرة و الحجاج بمنى فانحدرت السيول من كل جانب و ذهب بكثير من الأمتعة.

٥٩/ سيل / ١٠٠٩ من الهجرة/ وقع مطر كثير يرافقه سيل عظيم.

٦٠/ سيل / ١٠١٩ من الهجرة/ جاء هذا السيل عقب مطر قوى فدخل المسجد الحرام.

٦١/ سيل / ١٠٢١ من الهجرة/ أشار إلى هذا السيل إبراهيم رفعت باشا صاحبة مرآة الحرمين و لم يذكر تفاصيله.

٦٢/ سيل / ١٠٢٣ من الهجرة/ هذا السيل جاء عقب مطر و نزل معه برد كبار.

٦٣/ سيل / ١٠٢٤ من الهجرة/ تهدمت بعض البيوت في هذا السيل.

٦٤/ سيل / ١٠٣٣ من الهجرة/ وقع في السابع من جمادى الثانية و بلغ الحجر الأسود.

٦٥/ سيل / ١٠٣٩ من الهجرة/ وقع مطر غزير بمكة و ضواحيها لم يسبق له مثل فجاء هذا السيل فدخل المسجد الحرام و دخل الكعبة و

بلغ الماء إلى القناديل المعلقة حول المطاف و مات في هذا السيل نحو ألف نسمة، و بسببه هدمت الكعبة المشرفة عصر اليوم التالي

فبناها السلطان مراد الرابع رحمه الله تعالى كما هو مفصل في التاريخ.

٦٦/ سيل / ١٠٥٣ من الهجرة/ وقع هذا السيل بعرفة و الحجاج و قوف هنالك فاستمر الناس و قوفا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٥١

/// إلى آخر الليل حيث خف السيل فقطعوه بالمشقة.

٦٧/ سيل / ١٠٥٥ من الهجرة/ دخل المسجد الحرام حتى علا عتبة الكعبة بذراع كما علا بئر زمزم بنحو قامه. و صار المسجد كالبحر

الزاخر و لم يحدث ضرر في الأنفس.

٦٨/ سيل / ١٠٧٣ من الهجرة/ هجم السيل على المسجد الحرام فبلغ الماء أعلا من قفل باب الكعبة بذراع.

٦٩/ سيل / ١٠٨١ من الهجرة/ دخل المسجد الحرام و بلغ الماء باب الكعبة.

٧٠/ سيل / ١٠٩٠ من الهجرة/ ذكره أيوب صبرى و حصلت بسببه خسارة في الأمتعة.

٧١/ سيل / ١٠٩١ من الهجرة/ دخل المسجد الحرام و بلغ الماء نصف الكعبة، و من غريب الاتفاق أن السيل حمل جملا بحمله و دخل

به المسجد الحرام، فلم يزل السيل يدفعه حتى رقى على منبر الخطيب بعد أن انقطع حمله و لم يزل به إلى صباح اليوم التالي. و مما هو

جدير بالذكر أنه كان جهة المعلا شجرة جوز كبيرة تقوم على جوانبها مقاه، فلما جاء السيل كان في تلك المقاهى نحو مائة و خمسين

رجلا فتسلقوا الشجرة خوف الغرق، و لكن السيل كان قويا فاقتلع الشجرة بمن عليها فجرفهم حتى باب الصفا، و جرف

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٥٢

/// السيل أيضا نحو خمسة آلاف حيوان.

٧٢/ سيل / ١١٠٨ من الهجرة/ أمطرت السماء مطرا غزيرا كأفواه القرب فبلغت المياه إلى قرب باب الكعبة.

٧٣/ سيل / ١١٥٣ من الهجرة/ كان سيلا كبيرا وصل إلى نحو باب الكعبة.

٧٤/ سيل / ١١٥٩ من الهجرة/ جاء هذا السيل بعد مطر شديد أيام منى و الحجاج فيها، و كان ذلك آخر الليل و أظلمت الدنيا حتى لم يعد يرى الإنسان ما بجانبه.

٧٥/ سيل أبو قرنين / ١٢٠٨ من الهجرة/ دخل المسجد الحرام و بلغ قفل باب الكعبة.

٧٦/ سيل / ١٢٤٢ من الهجرة/ خرب بسبب هذا السيل دبول عين زبيدة.

٧٧/ سيل / ١٢٧٨ من الهجرة/ هجم هذا السيل و دخل المسجد الحرام دفعة واحدة قبل صلاة الصبح، فوصل الماء إلى قناديل الحرم و طفحت بثر زمزم و تعطلت الجماعة خمسة أوقات و قد غرق فيه جماعة خارج المسجد و داخله.

٧٨/ سيل / ١٢٩٣ من الهجرة/ جاء هذا السيل على إثر مطر و كان أقل شأنا من سابقه.

٧٩/ سيل / ١٣٢٥ من الهجرة/ فى ٢١ ذى الحجة من السنة المذكورة نزل مطر شديد فجرى السيل من كل جهات مكة بشكل لم يسبق له مثيل و كان أشبه بماء النيل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٥٣

/// المنحدر، و دخل المسجد الحرام من أبوابه، و انقطع المرور من الطرق إلا بالسباحة، و كانت رحال الإبل و الشقادف سابحة فى الماء.

٨٠/ سيل الخديوى / ١٣٢٧ من الهجرة/ نسبته إلى خديوى مصر (أى حاكمها) و هو عباس حلمى باشا الثانى، الذى حج فى السنة المذكورة، جاء هذا السيل فى الثالث و العشرين من ذى الحجة فدخل المسجد الحرام و ملأه بالتراب و الماء نحو قامتين و سد دبول عين زبيدة بالأتربة حتى انقطع الماء عن مكة.

و لم ير خديوى مصر عباس حلمى باشا المذكور هذا السيل حيث إنه بعد أن حج خرج من مكة يوم ١٤ ذى الحجة قاصدا المدينة المنورة.

٨١/ سيل / ١٣٢٨ من الهجرة/ جاء هذا السيل من طرف وادى نعمان بقوة حتى دخل مكة.

٨٢/ سيل / ١٣٣٠ من الهجرة/ جاء هذا السيل أيضا من وادى نعمان.

٨٣/ سيل / ١٣٣٥ من الهجرة/ فى هذه السنة دخل إلى مكة سيلان فى محرم و فى شعبان.

٨٤/ سيل / ١٣٤٤ من الهجرة/ جاء هذا السيل أيضا من وادى نعمان.

٨٥/ سيل / ١٣٥٠ من الهجرة/ هطلت الأمطار بمكة كأفواه القرب و استمر نزولها ثلاث ساعات و نصف، فسال على إثره وادى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٥٤

/// إبراهيم بسيل عظيم، و دخل المسجد الحرام و بلغ ارتفاع الماء فى صحن المطاف ما يقرب من متر و نصف، و قد أحدث المطر و السيل أضرارا جممة فى الأموال و البيوت.

٨٦/ سيل الربوع / ١٣٦٠ من الهجرة/ بدأ نزول المطر فى شهر ربيع الأول ألف و ثلاثمائة و ستين هجرية، من الصباح حتى بعد العصر فكان مطرا غزيرا قويا جاء السيل على إثره فدخل المسجد الحرام و وصل إلى باب الكعبة و تعذر الصلاة فيه و الطواف بالكعبة لأن المسجد الحرام امتلأ بالماء حتى صار كالبحر الزاخر و امتلأ المسجد بالأتربة كما امتلأت الشوارع بها أيضا.

و قد ذهب هذا السيل بأمتعة كثيرة مما كان فى الدكاكين و سوق الحراج و خربت قبور المعلا و تهدمت المنازل القديمة و قد كان مؤلف هذا الكتاب، محمد طاهر الكردى الخطاط، أحسن الله تعالى إليه و غفر له، بمكة حيث انتقلت وظيفته من جدة إليها فى أول السنة المذكورة، فشاهد المطر و السيل و ما حدث بسببهما من الخراب.



٨٧/ سيل / ١٣٧٦ من الهجرة/ جاء مطر غزير في السنة المذكورة و هي ألف و ثلاثمائة و ست و سبعين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٥٥

/// هجرية، و كان ذلك عند توسعه المسجد الحرام، و سال السيل بحاله متوسطه و لم يحصل منه ضرر.

٨٨/ سيل / ١٣٨٢ من الهجرة/ أتانا مطر غزير و سال السيل في السنة المذكورة و هي سنه ألف و ثلاثمائة و اثنتين و ثمانين هجرية، و كان السيل أقل من السيل السابق.

٨٩/ سيل / ١٣٨٤ من الهجرة/ ابتدأ المطر بمكة في يوم الأربعاء قبل العصر بساعة واحدة في الخامس من شهر شعبان من السنة المذكورة، و هي سنه ألف و ثلاثمائة و أربع و ثمانين هجرية فنزل بغزاره من الساعة الثامنة و النصف قبل العصر إلى ما بعد الساعة الرابعة ليلا، فسال منه السيل و كان أقوى من السيلين السابقين و لم يحصل منه ضرر.

اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارا فأرسل السماء علينا مدرارا، اللهم ارزقنا من الأمطار ما تنبت لنا من الزرع و تدر لنا الضرع، و أنزل علينا من بركات السماء و أنبت لنا من بركات الأرض و اكشف عنا من البلاء و الغلاء ما لا يكشفه غيرك، اللهم اسقنا غيثا هنيئا مريئا سحا عاما غدقا طبقا إلى يوم الدين، اللهم اسقنا الغيث و لا تجعلنا من القانطين، اللهم إن رحمتك أوسع من غضبك و عفوك أعظم من عقوبتك فارحمنا رحمه الأبرار و اجعلنا من عبادك الأخيار بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

هذا ما ورد عن سيول مكة المشرفة، ذكرناها بصورة مختصرة كما جاء في التاريخ، و ربما كانت هناك سيول لم يذكرها المؤرخون لعدم علمهم بذلك، و الله

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٥٦

سبحانه و تعالى أعلم بغيه، فهو علام الغيوب و كاشف الكروب، لا إله إلا هو إليه المصير.

و قد ذكر إبراهيم باشا رفعت رحمه الله تعالى "أنه في سنة (١٠٩٣) ألف و ثلاث و تسعين هجرية عملت في المسفلة (أى أسفل مكة) قناة عظيمة لتصرف السيل إلى بركة ماجن. "هـ.

فانظر رحمك الله تعالى، كيف اعتنى المؤرخون ببلد الله الحرام بذكر أمطارها و سيولها و أحوالها و أمورها، فلا توجد في أقطار الأرض بلدة اعتنى الناس بها كاعتنائهم بمكة. اللهم زدها شرفا و رزقا و أمنا و خيرا و نوالا، و وفق أهلها لمرضاتك و اغفر لهم و ارحمهم فإنك أنت الغفور الرحيم، و صلى الله على النبي الأُمى و على آله و صحبه و سلم آمين.

أنظر: صورة رقم ٣٣، مياه السيل و قد غطت أرض المطاف و الطائفون حوله

أنظر: صورة رقم ٣٤، مياه السيل و قد غمرت رحاب المسجد الحرام (١٣٨٠ هـ)

أنظر: صورة رقم ٣٥، مياه السيل داخل المسجد الحرام

### مجرى السيل بمكة

كان قديما ينزل السيل من جهة منى و من جهة حراء إلى مكة، فيمر بالمحصب فالحجون، ثم ينزل إلى بطن الوادى من طريق المدعا أى من الموضع الذى كان يرى منه البيت الحرام، و كان هذا الموضع فى عهده صلى الله عليه و سلم غير مرتفع، و لم يرتفع إلا بعد أن ردمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بالصفائر و الصخور العظام ليمنع السيل عن المسجد الحرام، و يسمى هذا الردم بردم بنى جمح "بضم الجيم و فتح الميم."

فاتمنع السيل من الدخول إلى المسجد الحرام من جهة المدعا بعد ردم عمر رضى الله عنه، لكنه يدخل من الشارع العام من سوق الليل

و من جهة الغزة الذى يقع فى يسار المدعا لمن يأتى من المعلا، إلى جهة المسجد الحرام و ينحدر منها إلى جهة المسفلة.

أنظر: صورة رقم ٣٦، مياه السيل محيطة بالكعبة المشرفة

أنظر: صورة رقم ٣٧، السيل بالمسجد الحرام

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٥٧

جاء فى تاريخ القطبى المسمى "بالإعلام بأعلام بيت الله الحرام" ما نصه: و لما ردم هذا المكان "أى مكان ردم عمر رضى الله عنه بالمدعا" صار السيل إذا وصل من أعلا مكة لا يعلو هذا المكان، بل كان ينحرف عنه إلى جهة الشمال للبناء الذى بناه عمر رضى الله عنه، فلا يصل هذا السيل إلى المسعى و لا إلى باب السلام إلى الآن، و صارت هذه الجهة من يومئذ إلى أثناء هذا مرتفعه عن ممر السيل، و صار السيل الكبير كله ينحدر إلى جهة سوق الليل، و يمر بالجانب الجنوبي من المسجد إلى أن يخرج من أسفل مكة. و هذا سيل وادى إبراهيم، و يكاد يمنع جريان هذا السيل إلى مكة سيل آخر يعترضه يسمى "سيل جياذ" و يمر عرضا إلى أن يصدم الركن اليمانى من المسجد، و ينحرف إلى أسفل مكة، و قوة جريان هذا السيل يمنع من جريان سيل وادى إبراهيم، فيعقف و يتراكم و يدخل المسجد الحرام.

و يقع مثل هذه السيول بمكة فى كل عشرة أعوام تقريبا مرة، فيدخل المسجد الحرام و يحتاج الناس إلى التنظيف و تبديل الحصا و نحو ذلك، و قد عمل المتقدمون و المتأخرون لذلك طرقا و اهتموا لذلك تمام الاهتمام، ثم اندثرت أعمالهم لطول الزمان، و لم يتفطن الملوك بعدهم لذلك، فاستمرت السيول العظيمة بعد كل مرة تدخل المسجد الحرام، و لسنا الآن بصدد شرح ذلك. انتهى ما قاله العلامة قطب الدين صاحب التاريخ المذكور.

نقول: إن ما ذكره القطب فى تاريخه من أن السيول تدخل المسجد الحرام فى كل مرة، هو مطابق للحقيقة الواقعة، فالعلامة قطب الدين توفى فى سنة (٩٨٨) ثمان و ثمانين و تسعمائة من الهجرة، فمن عصره بل من قبل عصره و السيول لا تزال تدخل المسجد الحرام إذا عظمت و قويت إلى عصرنا هذا، أى إلى سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين هجرية.

ثم لما ابتدأوا بتوسيع المسجد الحرام فى السنة المذكورة عملوا نفقا خاصا للسيول خلف المسعى من جهة الصفا تمر منه السيول و تخرج إلى المسفلة من جهة السوق الصغير، فلا تدخل المسجد الحرام، اللهم إلا ما يتجمع من مياه الأمطار النازلة عليه. فلما صدر أمر جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود بتوسعة المسجد الحرام، و باشروا العمل فعلا فى أول سنة (١٣٧٥) خمس و سبعين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٥٨

و ثلاثمائة و ألف، جعلوا ممر السيل عن طريق الهجلة بالمسفلة تحت الأرض فى نفق خاص لذلك.

## عمل السدود بمكة

### إشارة

مكة شرفها الله تعالى و أدام أمنها و رخاءها، ليست فى شكلها و صورتها كالبلدان الأخرى سهلة منبسطة، و إنما خلقها الله، عز و جل صخرية حجرية التربة، فى أرضها انخفاض و ارتفاع، و بسط و انحدار، تكتنفها الجبال الصخرية الصماء، العاليات الشاهقات السماء، و الكعبة المشرفة واقعة بالمسجد الحرام فى وسط هذه الجبال فى قلب مكة، تدور حولها البيوت اليوم من كل جانب فى وادىها و جبالها، و قد ارتفعت أرضها الآن عما كانت عليه قديما بنحو ثلاثة أمتار، بسبب ما تأتى به الأمطار و السيول من الأتربة و الأحجار و الرمال. و إذا علمنا أن المسجد الحرام، و ما حوله، كان من أصل الخلقة منخفضا بوسط الجبال، و إذا علمنا أيضا أن مكة تنقسم إلى قسمين:

(الأول): المعلاة، و هي من المدعا و القشاشية إلى جهة الحجون فما فوقها إلى منى فعرفات، هذه الجهات عالية عن المسجد الحرام، لذلك تسمى عوالي مكة.

(الثاني): المسفلة، و هي من المسجد الحرام إلى جهتي بركة ماجن و الشبيكة فما بعدها إلى الشمس فجدة، هذه الجهات أسفل مكة، لذلك تسمى المسفلة.

إذا علمنا كل ذلك، عرفنا أن مياه الأمطار و السيول تنحدر من أعالي مكة من جهات منى و جبل حراء و الحجون و تنزل إلى وسط مكة و المسجد الحرام، حتى تخرج من المسفلة و ربما تصب إلى بحر جدة إن كانت كثيرة قوية. يقول الأزرقى بصحيفة ٢٢٩ من الجزء الثاني من تاريخه: "و الجمار كلها تسكب في بكة، و بكة الوادي الذي به الكعبة." هـ. و يقصد بالجمار الجمرات الثلاثة التي بمنى، أي أن سيل منى يسكب في بكة، و هو كلام صحيح إلى اليوم. و بطبيعة الحال تجرف هذه السيول كل ما تصادفه في طريقها من كل شيء، كما أنها تهدم البيوت و المنازل و تحدث بالناس أضرارا جممة، و تسوق أمامها أتربة الوديان و حولها، و أحجار الجبال و صخورها، و قد تحدث خرابا في مجارى المياه و العيون، لذلك كله يجب اتخاذ السدود و الحواجز لدى مجارى السيول و أماكنها، لعدم حدوث

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٥٩

الأضرار بالناس، و محافظة على بناء الكعبة و المسجد الحرام، فكم مرة هدمت الكعبة و حصل خراب بالمسجد الحرام بسبب دخول السيول.

و إليك بعض السدود التي حصلت:

### ١- سد خزاعة

و دخول السيل إلى قلب مكة معروف في الجاهلية و الإسلام، فمن سيول مكة في الجاهلية "سيل فارة"، فقد كان هذا السيل سيلا عظيما، و ذلك زمن خزاعة، فإنها كانت تلى أمر الكعبة، فقد أحاط بالكعبة و رمى بالشجر في أسفل مكة، و جاء برجل و امرأة ميتين، أما الرجل فلم يعرف، و أما المرأة فهي من بنى بكر اسمها (فارة)، فلذلك نسب السيل إليها، ف قيل "سيل فارة". فعندئذ بنت خزاعة حول الكعبة بناء أداروه عليها و أدخلوا في هذا البناء حجر إسماعيل، و ذلك ليحصنوا البيت الحرام من السيول. فهذا البناء الذي عملته خزاعة لتحسين البيت، هو ما يقال له السد، و ربما كان هذا أول سد عمل بمكة.

(فإن قيل): لماذا بنت خزاعة هذا السد حول الكعبة فقط، و لم تجعله بأعلا مكة لتحسين مكة و بيوتها من دخول السيل؟ (نقول): في زمن خزاعة لم يكن الناس بكثرة في مكة، و أن خزاعة ما كانت تسكن حول الكعبة تعظيما لها، فكانت تسكن بين الجبال و الوديان، و من المعلوم أن بيوت العرب كانت من شعر أو من الأخيصة التي هي من الوبر أو الصوف على عمودين أو ثلاثة، أو أنهم يسكنون بقرب الجبال أو في المغارات، فإذا ما شعروا بخطر أو أرادوا سفر طووا بيوتهم و أحيبتهم و حملوها على الابل و ساروا. فما دامت حياتهم على هذه الصفة فهم في غير حاجة إلى تحسين البلدة و بيوتهم من السيل أو من غيره، مع العلم بأنه لم تكن لديهم من الأشياء الثقيلة ما لدينا نحن اليوم من نحو الفراش و الأواني و الصناديق و الدواليب.

### ٢- سد عمر رضى الله عنه

و من السيول الشهيرة في الإسلام "سيل أم نهشل" و ذلك في خلافة عمر رضى الله عنه، فقد أقبل هذا السيل من أعلى مكة و دخل

المسجد الحرام و اقتلع مقام إبراهيم عليه السلام، و ذهب به إلى أسفل مكة، كما ذهب بامرأة يقال لها أم التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٦٠

نهشل بنت عبيد إلى أسفل مكة أيضا و لذلك نسب السيل إليها فليل سيل أم نهشل.

فلما بلغ خبر ذلك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، و هو بالمدينة، خرج فزعا فدخل مكة بعمره فى شهر رمضان، و ذلك سنة سبع عشرة من الهجرة، فأتى بالمقام و وضعه فى مكانه الموجود فيه اليوم، ثم بعد فراغه من أمر المقام عمل الردم المعروف بردم عمر برأس المدعا، و بناه بالصفائر و الصخور و العظام و كبسه بالتراب و الأحجار، و هو الذى نقول له السد، فلم يعل هذا الردم سيل بعد ذلك مع كثرة ما جاء من السيول العظام، و دام هذا السد و لم ينكشف إلا فى سيل ابن حنظلة، و ذلك سنة اثنتين و مائتين.

فانظر رحمك الله تعالى إلى قوة سد عمر بن الخطاب، و مكته هذه المدعة الطويلة لا تخربه السيول و لا تعلوه، مع أنه كبسه بالتراب و الأحجار، بدون نورة و لا- حص و لا- إسمنت مسلح، و لا- بناء بالآلات الفنية و المقاييس المبتكرة الحديثة، و ما كان عنده من المهندسين الفنيين المتخرجين من أوروبا و أمريكا، و إنما بناه بإخلاص النية و التقوى، و بناه بأيدي عمال خير القرون، رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

### ٣- سد ابن الزبير

قال الأزرقى فى تاريخه بصحيفة ٢٣٩ من الجزء الثانى: و عند السويقة " و هى على فوهة قعيقعان " ردم عمله ابن الزبير حينه بنى دوره بقعيقعان ليرد السيل عن دار حجير بن أبى إهاب و غيرها، و فوق ذلك ردم بين دار عفيف و ربع آل المرتفع ردم عن السويقة، و ردم الخزاعيين، و دار الندوة، و دار شيبه بن عثمان. انتهى كلام الأزرقى.

### ٤- سد معاوية بن أبى سفيان

ذكر الأزرقى ضفاير معاوية رضى الله عنه التى عملها عند دار أويس جهة سوق الصغير، و ذكره ضمنا بصحيفة ١٣٦ عند الكلام على سيل الجحاف.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٦١

### ٥- سد عبد الملك بن مروان

و من السيول الشهيرة " سيل الجحاف " و كان ذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان سنة ثمانين من الهجرة فى يوم التروية أى فى اليوم الثامن من ذى الحجة، و قد نزل الحجاج فى وادى مكة و اضطربوا الأبنية، فجاءهم السيل العظيم دفعة واحدة قبل صلاة الصبح، فذهب بهم و بمتاعهم و دخل المسجد الحرام، و أحاط بالكعبة و هدم الدور و الشوارع على الوادى، و قتل ناس كثير فى الهدم، و رقى الناس فى الجبال و اعتصموا بها، و جرف كل شىء أمامه و ذهب به، فلذلك سمي " سيل الجحاف ".

فكتبوا بذلك إلى عبد الملك بن مروان، ففزع لذلك، و بعث بأموال عظيمة إلى عامله بمكة يأمره بعمل ضفاير و حواجز للدور الشارعة على الوادى، و يعمل ردم على أفواه السكك يحصن به دور الناس من السيول، و بعث رجلا نصرانيا مهندسا فى عمل ضفاير

المسجد الحرام، و عمل ضفاير للدور الواقعة على جانبى الوادى، فنقلوا الصخور العظام على العجل، و كانت الإبل و الثيران تجر تلك العجل، حتى ربما أنفق فى المسكن الصغير لبعض الناس مثل ثمنه مرارا، و لقد بقيت آثار السد و الردم الذى عمله عبد الملك إلى زمن الأزرقى كما صرح بذلك فى تاريخه.

### ٦- سد الحجاج بن يوسف

لا ندرى أين عمل الحجاج بن يوسف السد، فقد ذكر الإمام الأزرقى فى تاريخه بصحيفة ٢٢٧ من الجزء الثانى أنه عمل الحجاج ثلاثة سدود تحبس الماء.

لكن لم نفهم شيئا من كلامه، فمن أراد الوقوف عليه فليراجع الصحيفة المذكورة.

### ٧- سد خالد بن عبد الله القسرى

لما أمر سليمان بن عبد الملك بن مروان خالد بن عبد الله القسرى أن يجرى عينا من الماء العذب تخرج من الثقبه و تظهر عند بئر زمزم بالمسجد الحرام، عمل خالد القسرى ما أمره به سليمان بن عبد الملك، فأخرج الماء من الثقبه فى بركة هناك

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٦٢

تسمى بركة القسرى، و شق من هذه البركة عينا تجرى إلى المسجد الحرام فى قصب من الرصاص، ثم بعد ذلك بنى سد الثقبه و أحكمه إحكاما.

و الثقبه، بفتح أوله و ثانيه و ثالثه، ثنيه بأصل جبل ثبير جهه حراء، و بويج بالخلافه لسليمان بن عبد الملك فى سنه ست و تسعين و مات فى سنه تسع و تسعين.

و خالد القسرى كان أمير مكة، و توفى فى سنه مائه و خمس و عشرين تقريبا.

و هذا السد الذى عمله خالد القسرى بقى إلى زمن المأمون، قال الأزرقى: و فى خلافة المأمون جاء سيل أعظم من سيل ابن حنظله فى شوال سنه ثمان و مائتين و الناس غافلون، فامتلا السد الذى بالثقبه، فلما فاض انهدم السد فاجتمعت السيول و جاءت جملة، فافتحم المسجد الحرام و أحاط بالكعبة، و رفع المقام من مكانه خوفا عليه أن يذهب، فكبس المسجد و الوادى بالطين و البطحاء ... الخ.

نقول: ربما كان أصل السد القديم الموجود الآن عند حراء مبنيا فى مكان هذا السد الذى عمله خالد القسرى و الله تعالى أعلم.

و يظهر مما تقدم من أول هذا المبحث إلى هنا، أن عمل السدود ما زال يرتفع من ناحية المسجد الحرام شيئا فشيئا، حتى وصلت إلى ناحية جبل حراء كما هى فى هذه الناحية إلى اليوم، و ذلك تبعاً لامتداد بيوت مكة و عمرانها.

جاء فى تاريخ الغازى نقلا عن بلوغ القرى فى ذيل إتحاف الورى: و فى سادس رمضان سنه (٩١٦) ست عشرة و تسعمائة، جاء أمر السلطان إلى الأمير باش خير الدين بك المعمار، بعمل السد الذى عند جبل حراء، حتى لا يدخل السيل مكة، و إن دخلها كان دخوله ضعيفا، و اسم السلطان قانصوه الغورى.

٥١

و جاء فيه أيضا فى موضع آخر نقلا عن سلاح العدة:

و من مآثر الأمير شبكة سنجق و أمير بجده الذى كان مستمرا فيها إلى عام إحدى و خمسين و تسعمائة بناء السد الذى عند جبل حراء.

٥١

و جاء فيه أيضا: نقلا عن السنجاري في حوادث (١٠١٩) تسع عشرة و ألف: أن سليمان آغا ميرياخور السلطان محمد خان زاد في درج أبواب المسجد الحرام من الخارج حتى تمنع السيل من الدخول، كما أنه عمر الأماكن المأثورة. انتهى من تاريخ الغازي.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٦٣

نقول: ويفهم من نص ما أورد الغازي أن بناء السد الذي عند جبل حراء بواسطة الأمير باش خير الدين المعمار و بواسطة سليمان آغا ميرياخور السلطان محمد خان، إنما حصل في مكان السد القديم الذي كان قبلهما، لا أنهما عملا سدا جديدا، و نظن أن هذا السد هو نفس السد الذي عمله خالد بن عبد الله القسري، و الله تعالى أعلم بالغيب.

## ٨- سد أجياد

و يوجد إلى يومنا هذا سد قديم بأجياد، و يسمى سد أجياد، و هو سد معروف عمل في سفح الجبل ليرد السيل النازل منه إلى الشارع العام، و لولا هذا السد لكان السيل قويا من هذه الجهة.

و لا ندرى متى بنى هذا السد، و نظن أن بناءه يرجع إلى مائة سنة أو مائتين، و الله تعالى أعلم.

بقي علينا أن نقول: إن ما نراه الآن من السيل في داخل مكة، ليس بسيل قوى يخاف منه، لأنه لم يأتها من خارجها، لأن السيل بعد عمل السد جهة حراء إذا جاء إنما يتحول أكثره من السد المانع له من الدخول إلى ناحية جدة، و ربما يمشى حتى يصب إلى بحر جدة إذا كان قويا.

فالسيل الذي في داخل البلدة إنما يتكون من الأمطار النازلة على نفس مكة، و على ما في داخلها من الجبال، فتتكون مياه الأمطار مع جزء من السيل الآتي من جهة حراء مما يلي السد و تجرى في الشوارع العامة حتى تخرج من المسفلة.

و يتكون السيل بمكة سريعا جدا من مياه الأمطار لأن تربة أرضها حجرية لا تشرب كثيرا من المياه، بخلاف البلدان الأخرى كمصر و الشام و العراق، فإن أراضيها الزراعية صالحة لشرب مياه الأمطار و ابتلاعها، و إذا كانت شوارع بعض البلدان مرصوفة مسفلته كالاسكندرية، فإن مياه الأمطار تنصرف سريعا إلى البحر مع البلايع و المجارى الخاصة بذلك.

"و لله ملك السموات و الأرض يخلق ما يشاء."

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٦٤

## المدعا و فيه ردم عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمنع السيول عن المسجد الحرام

المدعا: مكان معروف عال قريب من نفس المروة، و في المدعا عمل عمر بن الخطاب رضى الله عنه الردم المعروف باسمه، و بناه بالصفائر و الصخور العظام، صونا للمسجد الحرام أن تدخله السيول، فلم يعله سيل بعد ذلك، و يسمى هذا الردم بردم بنى جمح، بضم الجيم و فتح الميم، و هم بطن من قريش نسبوا إلى جمح بن عمرو بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك.

و قال القطبي في تاريخه: أقول المراد بهذا الردم الموضع الذي يقال له الآن المدعا، و هو مكان يرى منه البيت أول ما يرى، و كان الناس يرونه خصوصا من يريد الحج من ثنية كداء، و هى الحجون، إذا وصلوا هذا المحل شاهدوا منه البيت الشريف، و الدعاء مستجاب عند رؤية بيت الله تعالى و كانوا يقفون هناك للدعاء، و أما الآن فقد حالت الأبنية عن رؤية البيت الشريف، و مع ذلك يقف الناس للدعاء فيه على العادة القديمة، و عن يمينه و يساره ميلان للإشارة إلى أنه المدعا.

قال مولانا القاضي جمال الدين محمد أبو البقاء بن الضياء الحنفى، فى كتاب البحر العميق فى مناسك الحج إلى بيت الله العتيق: أنه يرى فى زمانه رأس الكعبة لا كلها من رأس الردم يعنى المدعا، فإذا ظهر له يقف و يدعو و يسأل الله حوائجه، فإن الدعاء مستجاب عند رؤية البيت، و كان القاضي أبو البقاء بن الضياء المذكور من أواسط المائة التاسعة و وفاته فى سنة أربع و خمسين و ثمانمئة. و لا شك أن من عهد الصحابة، رضى الله عنهم، إلى زمانه، كان الناس يقفون و يدعون عنده لمشاهدتهم الكعبة، و لا أعلم هل وقف النبى صلى الله عليه و سلم أم لا؟

و كان ذلك المحل غير مرتفع فى عهده، عليه الصلاة و السلام، و ما رفعه إلا عمر بن الخطاب رضى الله عنه، بالردم الذى بناه، فارتفع عن الأرض، فصار البيت الشريف يشاهد منه حينئذ، فوقف الناس عنده بعد ذلك لمشاهدة البيت الكريم منه، و إننى أنظر فى جميع عمرى فى المدعا يوقف فيه تبركا، فاللائق استمرار

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٦٥

و قوف الناس بهذا المحل الشريف، و الدعاء فيه تبركا بوقوف من سلف للدعاء فيه، و الله تعالى أعلم. انتهى ما ذكره العلامة قطب الدين الحنفى فى تاريخه.

نقول: الذى نراه فى زماننا وقت تأليف كتابنا هذا و هو يوافق سنة (١٣٧٨) من الهجرة، أنه لا- يسن الوقوف لداخل مكة من جهة الحجون و المعلا- عند رأس المدعا لأجل الدعاء فيه، لأن البيت الحرام لا يظهر من المدعا مطلقا كله و لا جزء منه، بسبب إحالة الأبنية الكثيرة التى بينه و بين المدعا، و حيث ان سنية الوقوف فى المدعا لأجل الدعاء كانت من أجل رؤية البيت، فلا يسن الوقوف هناك للدعاء إذا لم يظهر شىء من البيت عند حيلولة المنازل و الأبنية من رؤيته، هذا ما نراه و الله تعالى أعلم.

جاء فى تاريخ القطبى: و لما ردم هذا المكان "أى المدعا" الذى ردمه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، صار السيل إذا وصل من أعلا- مكة لا- يعلو هذا المكان بل ينحرف عنه إلى جهة الشمال للبناء الذى بناه عمر رضى الله عنه، فلا يصل هذا السيل إلى المسعى و لا إلى باب السلام إلى الآن، و صارت هذه الجهة من يومئذ إلى أثناء هذا مرتفعة عن ممر السيل، و صار السيل الكبير كله ينحدر إلى جهة سوق الليل و يمر بالجانب الجنوبى من المسجد إلى أن يخرج من أسفل مكة.

و هذا السيل وادى إبراهيم، و يكاد يمنع جريان هذا السيل إلى مكة سيل آخر و يعترضه يسمى سيل جيا، و يمر عرضا إلى أن يصدم الركن اليمانى من المسجد و ينحرف إلى أسفل مكة، و قوة جريان هذا السيل، يمنع من جريان سيل وادى إبراهيم، فيعقف و يتراكم و يدخل المسجد الحرام.

و يقع مثل هذه السيول بمكة فى كل عشرة أعوام تقريبا مرة، فيدخل المسجد الحرام و يحتاج الناس إلى التنظيف و تبديل الحصا و نحو ذلك، و قد عمل المتقدمون و المتأخرون لذلك طرقا، و اهتموا لذلك تمام الاهتمام، فاندثرت أعمالهم لطول الزمان. و لم يفتن الملوك بعدهم لذلك فاستمرت السيول العظيمة بعد كل مرة تدخل المسجد، و لسنا الآن بصدد شرح ذلك.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٦٦

نقول: و بالمدعا كان قبل خمسين سنة، أى قبل عام (١٣٣٥) هجرية، يباع فيه السمن بالجملة، و كان السمن يوضع فى القرب و تطرح فى الشارع، فمن أراد شراء شىء منه أخذ قربة من القرب و وزنها و اشتراها بما فيها و بالمدعا بجهة الحرم توجد دار أبى سفيان، التى تسمى مستشفى القبان، بتشديد الباء و فتح القاف، و بالفعل كان فيها مرضى و أطباء، و اليوم هى مخزن أدوية لوزارة الصحة. و نسبة المستشفى للقبان، نسبة إلى ميزان القبان، و هو ميزان خاص يوضع بوسط خشبة قوية و يثبت طرفه المتدلى بكيس الدقيق أو الرز أو الحب أو صفيحة السمن أو القربة و نحو ذلك، فيرفعها رجلان ثم ينظرون إلى رمانة الميزان فيعرفون بها مقدار وزن المرفوع.

أنظر: صورة رقم ٣٨، ميزان القبان بالمدعى

لكن مع الأسف ليس بالمدعا اليوم شىء من السمن و الجبن أو الحبوب، فسبحان مغير الأحوال. لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

## ذكر بعض البساتين الموجودة بمكة المكرمة

البستان و الحديقة بمعنى واحد، و هو كما جاء في المنجد: أرض أدير عليها جدار و فيها شجر و زرع. ا هـ. جمع الكلمة الأولى بساتين، و جمع الثانية حدائق.

و مكة حرسها الله تعالى و أدام عليها الأمن و الرخاء، لم تكن من أصل الخلقة ذات زروع و ثمار و مياه و أنهار، و إنما صارت في عصرنا الحاضر بفضل الله تعالى، و بسبب تطور البشر من حسن إلى أحسن في تقدم مستمر من جميع النواحي العمرانية، و من ذلك البساتين التي أنشئت فيها، و لنذكر هنا تسجيلا للتاريخ، فالله أعلم بما ستؤول إليه حالة مكة في المستقبل الآتي من الناحية الزراعية و العمرانية فنقول: تحيط بمكة البساتين الآتية و كلها في داخل الحرم، و هي:

(١) البستان الذي عمره خوجه قيني محمد بن حمود أفندي قاضي مكة المشرفة سنة (٩٦٧) سبع و ستين و تسعمائة، ثم قدمه لخاتم سلطان بنت الوزير الأعظم رستم باشا و أمها والده السلاطين خاصكي سلطان، و قد كان أصل هذا البستان سيلا و حوضا ينتفع بهما الناس و البهائم على يمين الصاعد إلى المعلاة، بناهما بيرام خوجه الناظر على المسجد الحرام و ذلك سنة (٨٥٠)، ثم صارا فيما بعد بستانا كما تقدم. ذكر ذلك القطبي في تاريخه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٦٧

أنظر: صورة رقم ٣٩، بستان عين زبيدة بعرفات، المؤلف مع بعض شخصيات مكة

(٢) بستان عثمان حميدان و كان في المعابدة، و عثمان حميدان هو وزير أمير مكة الشريف سعد حوالي سنة (١١٠٥) خمس و مائة و ألف، و كان بستانه كبيرا و اسعا عامرا من كل الزروع و الثمار، و كان عثمان حميدان يقيم فيه كثيرا من المآدب و الضيافات للعرب و أصدقائه. انتهى من تاريخ الغازي من الجزء الثاني بصحيفة (٢٥١) بتصرف و زيادة، و لكن اليوم ليس لهذا البستان من أثر و لا خبر.

(٣) بستان الشريف مسعود بن إدريس الذي توفي سنة (١٠٤٠) أربعين و ألف، و كان بستانه في المعابدة أيضا عند حوض أبي طالب، ثم اشتراه دخيل الله العواجي، فسماه الناس بستان العواجي. و لم يبق اليوم لهذا البستان من أثر أيضا كما ذكره السباعي في تاريخه.

(٤) بستان شيخ السادة بمحلة الهجلة بين الشبيكة و المسفلة، و شيخ السادة هو السيد إسحاق العلوي و كان في زمن الشريف عبد المطلب و الوالي كامل باشا و ذلك سنة (١٢٧٠) سبعين و مائتين و ألف، كما ذكره السباعي في تاريخه، و لم يبق له أثر اليوم.

(٥) بستان بركة ماجن، و هو بالمسفلة، بينه و بين المسجد الحرام أقل من اثنين كيلو متر، و نعتقد أنه أقدم بستان بمكة، لأن بركة ماجن، بركة قديمة غزيرة الماء يرجع عهدا إلى القرن الثامن للهجرة، و ربما كانت موجودة قبل ذلك، و لا بد أن أطراف هذه البركة العظيمة كانت مزروعة بالخضار التي تمون مكة من قديم الزمن، ثم انتقلت ملكية الأراضي التي بجوار البركة من أناس إلى أناس إلى زماننا هذا، و اليوم لا زال هذا البستان عامرا بالزروع و يسقى من هذه البركة و لا ندري من الذي يمتلكه الآن.

قال الغازي في تاريخه نقلا عن تحصيل المرام: و من البرك بأسفل مكة، بركة يقال لها بركة الماجن. ا هـ. أقول: هي الآن عمار ملائنة، و بجانبها بستان للشريف علي بن المرحوم مولانا الشريف عبد الله يستقى منها، و قد رفع الشريف على جداراتها الأربع في سنة "لم تذكر السنة" بحيث لا يقدر أحد على النزول إليها، و كان الناس قبل ذلك ينزلون فيها، و يغتسلون منها، و كثيرا منهم كانوا يغرقون

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٦٨

و يعطون فيها، و أما الآن فسلمت نفوس الناس عن الهلاك. و قد عمرت و نظفت هذه البركة في سنة ثمان و أربعين و ثمانمائة.

(قال ابن فهد): و في سنة ثمان و أربعين و ثمانمائة عمر السيد حسن ناظر الاسكندرية البركة بأسفل مكة المعروفة ببركة الماجن، و أخرج ما كان فيها من التراب و رفع جداراتها الأربع. انتهى من تاريخ الغازي.

(٦) بستان الوزير عثمان نوري باشا، والي مكة من قبل الدولة العثمانية التركية- كان في أوائل تولية الشريف عون إمارة مكة، و هو



أول من أنشأ بستانا بمكة، و أباحه لأهلها يتنزهون فيه و أنفق عليه آلاف الجنيهات الذهبية. و كان بستانه مزدهرا بأنواع المزروعات، و كان بجرول، بينه و بين المسجد الحرام أقل من ثلاث كيلو متر، ثم حصل بينه و بين الشريف عون تنافر فسعى الشريف لدى السلطان حتى جاء الأمر بعزله و تخريب بستانه، فلم يبق له من أثر. و كان هذا حوالي سنة (١٣٠٥) تقريبا سنة ألف و ثلاثمائة و خمس من الهجرة.

(٧) بستان الشريف عون الرفيق، الذى تولى إمارة مكة سنة (١٢٩٩) من الهجرة. ولد بمكة سنة (١٢٥٦)، و توفى بالطائف سنة (١٣٢٣). و البستان بجرول بينه و بين المسجد الحرام أقل من ثلاث كيلو متر، و كان عامرا بكل أنواع الثمار و المزروعات يضرب به المثل، أنشأه بعد بستان الوزير عثمان باشا نورى أى حوالي سنة (١٣١٠) تقريبا سنة عشر و ثلاثمائة و ألف، و قد بقى هذا البستان عامرا إلى سنة (١٣٥٠) تقريبا، ثم خرب بتاتا حتى لم يبق فيه أثر للزروع مطلقا.

و قد اشترى أرضه من آل عون حضرة صاحب السمو الملكى الأمير متعب بن عبد العزيز آل سعود و سنتكلم عنه فى آخر هذا الفصل. (٨) بستان الشهداء، واقع فى طريق التنعيم بينه و بين المسجد الحرام أقل من خمس كيلو متر، و هو عامر إلى اليوم، و نظن أنه أنشئ من نحو أربعين سنة و لا ندرى من يمتلكه الآن.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٦٩

(٩) بستان معالى الشيخ عبد الله السليمان، وزير المالية السابق، و قد أنشأه حينما بنى بيته الذى بجرول سنة (١٣٥٣) تقريبا، بينه و بين المسجد الحرام نحو اثنين كيلو متر و هو عامر إلى اليوم.

(١٠) بستان معالى الشيخ محمد سرور الصبان وزير المالية و الاقتصاد الوطنى حاليا، و هو واقع عند أم الدرج على طريق جدة، بينه و بين المسجد الحرام أكثر من أربعة كيلو متر، و هو بستان جميل حاو لجميع المزروعات، و قد بنى فيه معاليه مسكنا صغيرا لطيفا لراحته. (١١) بستان الشيخ عبد الله الكعكى. واقع بالمسفله، بينه و بين المسجد الحرام نحو أربعة كيلو متر، و هو بستان عامر لطيف يقصده الناس للزهوة و ترويح النفس.

أنشأه المذكور فى عام (١٣٦٩).

انظر: الصور رقم ٤٠، ٤١ و يرى المؤلف مع عبد الستار الهندى فى بستان الشهداء و الصورة رقم ٤٢، و هى لأحد بساتين مكة.

(١٢) البستان الذى على يسار الذاهب من منى، و كان فيه عدة أبيار و غرس فيه كثير من الأشجار، حتى شجر التمر هندى. و الذى بناه و عمله و وقف عليه مسقافا بمكة، إما جاني بك الذى كان مشدا على جدة، أو أمير الترك بمكة شيبك الصوفى و طوغان شيخ الحرم و محتسبه كما هو مذكور بصحيفة (١٩٣) من تاريخ القطبى، فإننا لم نفهم كلامه حيث أنه كان مشوشا. انتهى.

راجع منظر ٥٦، و هو صورة لبعض بساتين مكة. و منظر ٥٧، و هو صورة لمحمد طاهر كردى فى بستان بمكة.

هذه هى بعض البساتين الموجودة بمكة و الله تعالى أعلم عما سيحدث فيها من البساتين أيضا. أما البساتين البعيدة عن مكة، كبستان عرفه، فما نريد البحث و الكلام عنها. و لما كان بستان الشريف عون الرفيق مذكورا فى كتب التاريخ، صار من اللازم علينا ذكره بصفة خاصة. و إليك الكلام عنه تفصيلا.

### وصف بستان الشريف عون بمكة

الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون، تولى أمر مكة سنة (١٢٩٩) هجرية، و توفى بالطائف سنة (١٣٢٣) هجرية. قال عنه البتونى فى كتابه "الرحلة الحجازية" أنه هو الذى أمر بتوسيع باب غار جبل ثور، الذى خيم على بابه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٧٠

العنكبوت حينما آوى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع رفيقه أبي بكر، رضى الله عنه، عند هجرتهما إلى المدينة. وكان بابه لا يسع إلا نفرا واحدا يدخل منه زاحفا على بطنه. ثم قال: وأنه استقدم أتوموبيلاً (سيارة) من أوروبا كان يركبه في طريق الطائف. اهـ. فعليه تكون سيارة الشريف عون هي أول سيارة دخلت الحجاز، والثانية هي سيارة الشريف الحسين بن علي ملك الحجاز الأسبق، ثم دخلت السيارات بدون حساب. لقد أنشأ الشريف عون الرفيق بستانه الشهير بمكة شمال محلة جرول، ولم نعلم متى أنشأه، لكن المظنون أنه كان قبل وفاته بنحو عشر سنين، والله تعالى أعلم. أخبرنا الشيخ حسن العشى أن الشريف عون صرف على بستانه هذا مائة وتسع وستين ألف جنيه ذهباً، وناهيك بقيمة الذهب في ذلك الوقت.

كان هذا البستان آية من الآيات وجنة من الجنات موضوعه بمكة، لم يسبق له نظير في ذلك العهد، وإليك وصفه التام الذي ذكره المرحوم إبراهيم رفعت باشا في كتابه "مرآة الحرمين"، فقد قال عن هذا البستان ما يأتي:

هو حديقة غناء بجهة جرول، مستطيلة الشكل، طول ضلعها البحري (٢٧٠) متراً، والغربي (١٨٠) متراً، وارتفاع سورها المحيط بها متران، وفي وسطها خزان للماء مربع الشكل طول ضلعه ٦١ متراً، وسمك حائطه من الأعلى ثلاثة أمتار وربع، وارتفاعه أربعة أمتار، وهي مبنية بالحجر الأزرق، وجدره من الداخل والخارج مجصصة بالجير المخروط بمسحوق الآجر، ويصعد إليه من الجهة الشمالية أولاً على أربع درجات ثم بعدها ١٦ درجة عن اليمين ومثلها عن اليسار، وله سلمان الأربعة الأولى، وفي آخر السلم درجة كبيرة في مستوى أعلى الخزان، والسلم مصنوع من حجر متين زادته الصنعة رونقا وجمالا. وفي زوايا الخزان الأربع من الداخل درج منتظم على شكل ربع الدائرة، كل زاوية فيها ١٤ درجة، طول العليا منها متر، والسفلى ستة أمتار ونصف، وهذا الدرج للنزول منه إلى قاع الخزان، وفي منتصف كل جدار من جدار الخزان بحذاء الأرض فتحتان، ارتفاع كل فتحة ثلاثة أرباع المتر في عرض نصفه، ولذلك لتصريف المياه منها إلى البستان. وهذا الخزان الكبير لا مثيل له في الأقطار الحجازية لهذا عينا بوصفه، وبالبستان أيضا خزانان بينهما أربعة أمتار، ارتفاع كل منهما ستة أمتار، وبأعلى كل منهما فتحتان تقذفان المياه إلى بركة يشرب منها الناس

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٧١

و يغسلون أوانيهم و ثيابهم منها، و ترى الماء حين نزوله أبيض اللون يمثل قطعاً فضية تلاحق رميها، و إنه لمنظر جميل في بلاد قفرة، قلت فيها المياه.

و المزروع من أرض البستان نحو الربع، وفيه شجر الجوافه و الجوز الهندي و البرتقال و الليمون و النخيل و العنب و الورد و البرسيم الحجازي و الكرنب و الكرات و الباذنجان و الطماطم إلى غير ذلك. و لا يفوتنا ذكر ما فيه من شجر الكادي، الذي يستخرج منه عطر الكادي، ذو الرائحة الجميلة، و شكل الشجر كالصبارة إلا- أن طولها يفوق المترين و لها جذوع كثيرة ضاربة في الأرض، و ورقها عريض أشبه بسعف النخل من جانبه العريض و له شوك كثير.

و قد أذن لنا دولة الشريف عون بدخوله و الاستئلال بشجرة في ساعات القيلولة، و كان معسكرنا بحذائه و شددت طناب بعض الخيام بجداره، و قد تناولنا من الجوافه التي كانت به وقت لبثنا بمكة. انتهى من مرآة الحرمين.

و صاحب مرآة الحرمين إبراهيم رفعت باشا، رحمه الله تعالى، كان أمير الحج المصري ثلاث سنوات، و كان قومندان حراس المحمل، أي قائده، سنة واحدة و هي سنة (١٣١٨) كما ذكره بنفسه في أول كتابه المذكور، لذلك يقول هنا:

"و كان معسكرنا بحذائه و شددت طناب بعض الخيام بجداره."

و يقول المذكور في كتابه: إن أول بستان كان بمكة، البستان الذي أنشأه الوزير عثمان باشا نوري بالقرب من معسكر المحمل، و كان بستاناً بهجة للناظرين، أنشأه و أباحه لأهل مكة يتنزهون فيه، و أنفق عليه آلاف الجنيهات فما كان من الشريف عون إلا أن سعى به لدى الخليفة فعزله و أمر بإزالة البستان الذي أنشأه. اهـ.

نقول: إن بستان الشريف عون المذكور، قد خرب الآن منذ سنوات عديدة، لا ماء فيه و لا شجر، و قد بنى على جزء منه مستشفى

للولادة، و في عام (١٣٦٧) اشترى هذا البستان صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبد العزيز من آل عون. فسبحان من بيده ملكوت كل شيء.

و البركة التي في وسط هذا البستان هي متصلبة بعين زبيدة، و بجوارها مقسم العين ليجري الماء إليها دائما، فكانت مملوءة بالماء على الدوام، و منها يسقى هذا البستان.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٧٢

و البركة مربعة الشكل متساوية الأضلاع واسعة عظيمة لا توجد بركة بمكة إلى اليوم أعظم منها و لا أقوى منها في البناء، فطول كل ضلع من أضلاعها الأربعة (٥٩) تسعة و خمسون مترا، و عمقها خمسة أمتار، و عرض جدرانها ثلاثة أمتار. و في كل ركن من أركانها الأربعة درج نازلة إلى بطنها، و عدد درج كل ركن خمسة عشر درجة.

و أرض البركة من الداخل مفروشة بالطباطب حتى لا تشرب الأرض الماء الذي بداخلها. و لقد اندثر هذا البستان ما عدا هذه البركة، فهي محفوظة إلى الآن كما هي سليمة صحيحة، غير أنه في هذه السنة (١٣٧٧) سبع و سبعين و ثلاثمائة و ألف بدأوا في هدمها، و من شهر جمادى الأولى و إلى آخر رمضان من السنة المذكورة، لم يهدموا منها سوى جهة واحدة فقط، لقوة بنائها مع أنها مبنية بالنورة البلدية فقط و الحجارة الجبلية، و الحق أنها بناية تستحق الإعجاب و الفخر، فرحم الله من بناها و من اشتغل فيها. و قد اشتغلوا في هدمها نحو ثلاث سنوات حتى أتموا هدمها تماما و تساوت بالأرض، فسبحان مغير الأحوال و العادات.

هذا، و قد كثرت الحداثق في أطراف مكة المشرفة من بعد سنة (١٣٧٥) تقريبا و لا داعي لإحصائها و ذلك لكثرة توفر المياه فيها، من العيون التي تمد عين زبيدة، فسبحان مغير الحال و الأحوال.

و مما يجدر ذكره، أن الناس بعد ما سكنوا في نواحي مكة المكرمة، و ذلك من سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين هجرية، أي من ابتداء هدم البيوت و المحلات لتوسعة المسجد الحرام، ذهب كثير من الناس إلى أطراف مكة و نواحيها، و بنوا فيها منازل بالإسمنت على الطراز الحديث، و جعلوا في منازلهم حدائق، فصار كثير من المنازل و البيوت فيها حدائق و زروع لتلطيف الجو و تجميل المنظر، فكثرة الحداثق اليوم في المنازل في نواحي مكة المشرفة، راجعة لأمرين: (الأول) اتساع الأراضي هناك، (و الثاني) كثرة المياه عندنا. فالحمد لله رب العالمين.

### الحجارات الطوال التي كانت باب السلام سابقا

كانت على باب السلام قبل التوسعة السعودية حجارات طوال، ثم رفعت هذه الحجارة و أزيلت في أوائل سنة (١٣٧٥) خمس و سبعين و ثلاثمائة و ألف

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٧٣

لتوسعة المسجد الحرام. و لقد ذكر الإمام الأنزرقى هذه الحجارات الطوال بهذه الحكاية أيضا في تاريخه عند الكلام على الزيارة الأولى للمهدى في المسجد الحرام، و الظاهر أن ابن فهد نقل عن الأزرقى، ثم نقل الغازي عن ابن فهد رحمهم الله تعالى. و اشتهرت لدى الناس بأن هذه الأحجار كانت تعبد في الجاهلية. و لكن هذا غير صحيح، و إليك ما يؤيد ذلك.

جاء في تاريخ الغازي عند الكلام على أبواب المسجد الحرام، نقلا عن ابن فهد ما نصه: و كان يقال له "أي لباب السلام" باب بنى عبد شمس. و يعرف بباب بنى شيبه الكبير، و هو ثلاث طاقات، و فيه اسطوانتان، و في عتبة الباب حجارة طوال مفروش بها العتبة، و هي حجارة كانت فضلت مما قلع القسرى لبركته التي يقال لها بركة البردية بقم الثقبه. و أصل ثبير كانت حول البركة مطروحة حتى نقلت حين بنى المهدي المسجد الحرام، فوضعت هناك. و من قال إن هذه الأحجار الطوال كانت أوثانا في الجاهلية تعبد، فهذا لا علم له. انتهى منه.

و جبل ثبير بقرب منى عند حراء، و هو الذى أهبط عليه الكبش الذى فدى به إسماعيل عليه الصلاة و السلام، و تقول العرب "أشرق ثبير كيما نغير"، و قد فسره الأزرقى بقوله: أى أشرق بالشمس حتى ندفع من المزدلفة.

و قصة بركة خالد القسرى، و هى كما ذكر الغازى فى تاريخه نقلا عن ابن فهد، قال: كتب سليمان بن عبد الملك بن مروان، أن أجر عينا تخرج منه ثقبه من مائها العذب الزلال حتى تظهر بين زمزم و الركن الأسود، فعمل خالد البركة التى بقم الثقبه يقال لها بركة القسرى، و هى قائمه إلى اليوم بأصل ثبير، فعملها بحجارة منقوشة طوال و أحكمها و أنبط مائها فى ذلك الموضع، ثم شق لها عتب تسكب فيها من الثقبه، و بنى سدا للثقبه و أحكمه.

و الثقبه لشعب يفرع فيه وجه ثبير، ثم شق فى هذه البركة عتب تجرى إلى المسجد الحرام، فأجراها فى قصب من رصاص حتى أظهرها فى فوررة تسكب فى فسقيه من رخام بين زمزم و الركن و المقام، فلما أن جرت و ظهر ماؤها أمر المقرى بجزر فتحرت بمكة، و قسيمت بين الناس، و عمل طعاما فدعى عليه الناس، و أمر مناديا فنادى: هلموا إلى الماء العذب، و اتركوا أم الخنافس "يعنى زمزم". ثم أمر صائحا فصاح: الصلاة جامعة. ثم أمر بالمنبر فوضع فى وجه الكعبه، ثم صعد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٧٤

فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، احمدا لله تبارك و تعالى، و ادعوا لأمر المؤمنين الذى سقاكم الماء العذب الزلال النقا بعد الماء المالح الأجاج الذى لا يشرب إلا صبيرا "يعنى زمزم". قال: ثم يفرغ تلك الفسقيه فى شرب من رصاص، تخرج إلى وضوء كان عند باب الصفا، فى بركة كانت فى السوق فكان الناس لا يقفون على تلك الفسقيه و لا يكاد أحد يأتيها، و كانوا على شرب ماء زمزم أرغب ما كانوا فيها، فلما رأى خالد صعد المنبر فتكلم بكلام يؤنب فيه أهل مكة. انتهى من الغازى.

و قد تولى خالد القسرى إمارة مكة فى عهد سليمان بن عبد الملك سنة (٩٩) تسع و تسعين من الهجرة، كما كان تولاها قبل ذلك زمن الوليد بن عبد الملك.

و ذكر أيضا: أنه فى سنة اثنين و ثلاثين و مائه رفع داود بن على العباسى، أثر قدومه إلى مكة، الفسقيه التى جعلها خالد القسرى فى ولايته لمكة بأمر سليمان بن عبد الملك، و قيل بأمر أخيه الوليد بن عبد الملك بين زمزم و الركن و المقام، و هدم البركة التى جعلها خالد أيضا عند باب الصفا، و صرف العين إلى بركة كانت بباب المسجد فسر الناس بذلك سرورا عظيما. انتهى منه.

و داود المذكور، هو الذى تولى إمارة مكة و المدينة و اليمن و اليمامة فى السنة المذكورة من قبل السفاح.

و يظهر أن بركة القسرى كانت كبيرة جدا، حتى كان فيها السمك، كما جاء ذلك فى تاريخ الأزرقى حيث يقول فى مبحث ما يؤكل من الصيد فى الحرم، و ما دخل فيه حيا مأسورا، ما نصه:

عن ابن جريج أنه قال: سألت عطاء عن ابن الماء أصيد بر أو صيد بحر و عن أشباهه، قال حيث يكون أكثره صيدا. قال ابن جريج: و سأل إنسان عطاء و أنا حاضر عن حيتان بركة القسرى، و هى بركة عظيمة فى الحرم بأصل ثبير، فقال:

نعم و الله لوددت أن عندنا منها، و سألته عن صيد الأنهار و قلات المياه أليس من صيد البحر؟ قال: بلى، و تلا: هذا عذب فُرات سائغ شرابه و هذا ملح أجاج و من كل تأكلون لحمًا طريًا. انتهى من تاريخ الأزرقى.

و يقال لبركة القسرى بركة البردى، بفتح أوله و ثانيه. و لقد ذكر الأزرقى أيضا بركة خالد القسرى فى تاريخه عند الكلام على ما عمل فى المسجد من البرك و السقايات.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٧٥

بمكة حمام مملوك و حمام غير مملوك، أما الحمام المملوك فأجناس مختلفة و أشكال متباينة يقتنيه الناس كما في البلدان الأخرى. و أما الحمام غير المملوك، فهو حمام الخرم الذى نعقد له هذا الفصل، و قد أطلق عليه "حمام الحرم" لكثرتة، و عدم تعرضهم له بالصيد و الذبح لا فى الحرم و لا فى الحل، و إن كان يجوز أكله فى الحل لغير المحرم. و لهذا الحمام شكل خاص لا يختلف و خلقته لا تتغير و لا تتبدل، و لونه واحد لا يختلف ما دام من جنس نسله، أما إذا كان أحد الأبوين من حمام الحرم، و الثانى من الحمام المملوك، فإن لونه و شكله يتغير.

انظر: صورة رقم ٤٣، حمام المسجد الحرام

و إليك وصف حمام الحرم: فمن رأسه إلى رقبته شديد الزرقة و البروق، و طرف جناحيه و ذنبه أسود، و باقيه أزرق يضرب إلى البياض، و فى جناحيه مما يلي ذنبه خيطان أسودان لا يوجدان فى غير حمام الحرم، فهما له بمثابة "ماركة مسجلة" و شارة خاصة، و يقال لحمام الحرم حمام مكة و حمام رب البيت، و هو منتشر بالحجاز و بالأخص بمكة المشرفة، فإنها تكاد تكون موطنه و منبعه. أما فى غير الحجاز، فقد يوجد بها نادرا، فقد رأينا منه بمصر قليلا، و يسمونه الحمام البرى، و رأينا منه فى بلد الموصل بالعراق. و هو فى غير مكة لا يأوى كثيرا إلى المساجد، و إنما يكون مملوكا. و يقال إنه يوجد فى بعض جهات الهند من هذا الحمام، بعضه مملوك، و بعضه وحشى يصاد، و كذلك يوجد منه فى إيطاليا و غيرها من البلدان الإفرنجية.

و لقد تكلم بعضهم عن بدء وجود الحمام بمكة، كالإمام الأزرقى، فإنه قال، رحمه الله تعالى، إنه أول ما كانت بمكة حمام اليمام، حمام مكة الحرمية ذلك الزمان "أى زمان حادثة الفيل الشهيرة"، يقال إنها من نسل الطير التى رمت أصحاب الفيل حين خرجت من البحر فى جدة. هذا ما ذكره الأزرقى عن بعض المكيين. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ١-٢؛ ص ٢٧٦

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٧٦

لكن نحن نرى أن كل ما ذكره، إنما هو من باب الحدس و التخمين، فإن الكلام عن بدء وجود أى حيوان فى بلدة ما، لا بد من استناده إلى دليل قاطع و برهان ساطع، حتى لا يتطرق الشك و الاحتمال إليه.

نعم يمكننا أن نقول: إن الحمام مطلقا أى الحرمية و غير الحرمية، كان موجودا بمكة أيام الجاهلية، أما كون حمام الحرم متى نشأ بمكة، و متى جاء إليها، و هل هو من نسل الطير التى رمت أصحاب الفيل، أو من نسل الحمامتين اللتين عششتا على غار ثور حينما اختبأ فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم مع صاحبه أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، فكل ذلك لا يعلمه إلا الله سبحانه و تعالى.

و لما كان الدين الإسلامى الحنيف منع الصيد فى الحرم، صار هذا الحمام لا يخاف من الناس، بل يقرب منهم، و ربما وقع على رأس بعضهم أو كتفه إذا كان فى يديه حب يلقيه إليه. و كان ابن عمر يغشاها الحمام على رجله و طعامه و ثيابه فلا يطرده، و أن رجلا قال لعطاء: اجعل بيضة دجاجة تحت حمام مكة، قال:

لا، أخشى أن يضر ذلك بيضها. و قتل غلام من قريش حمامة من حمام الحرم، فقال ابن عباس: فيها شاء.

فهذا مما جعل حمام مكة لا يستوحش من الناس، و ياليتها ابتعد عنهم بعد الصقر و الغراب، فقد تضرروا منه ضررا بليغا، فإنه يدخل عليهم فى منازلهم و يقع على طعامهم و يلوث بذرقه الأرض و الفراش، و كلما طردوه رجع إليهم ما دام يرى عندهم ما يؤكل. و هو يرى كثيرا فى طريق مكة و جدة، حيث يركب فوق الجمال المحملة بالحنطة و الحبوب، و يخرق أكياسها بمنقاره القوى، و لا يطير حتى يشبع.

و قد لا حظنا على حمام الحرم فقط بمكة جملة أمور، منها:

(١) أن حمام الحرم لا يألف حماما من غير جنسه و لا يتزاوج منه إلا إذا حبس شخص حمامة من حمام الحرم يشارك المملوك فى أكله و شربه، إذا وجد إلى ذلك سبيلا بخلاف العكس.

(٢) حمام الحرم أشد منهما وأكثر أكلا من الحمام الآخر، وإذا طرد حين يأكل فلا يطير سريعا ويرجع حالا إذا طار.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٧٧

(٣) حمام الحرم أعظم نشاطا وأسرع حركة من الحمام المملوك سواء في طيرانه، وحده نظره، وخصامه مع جنسه، وانقضاضه لالتقاط الحبوب، فلا تفوته الفرصه قط.

(٤) إذا نثر أحد حبوبا في المسجد الحرام أو في أى مكان تجد حمام الحرم يسقط لالتقاطها بالآلاف من غير عدد ولا تجد بينها حمامة واحدة من غير جنسه.

(٥) إذا نثر شخص حبوبا أياما متواليه في مكان مخصوص وفي وقت معلوم، فإن حمام الحرم يأتي إلى ذلك المكان في نفس الوقت المحدد على الدوام.

(٦) حمام الحرم إذا بنى عشه لبيضه وفراخه، لا يبنيه في الخرابات والجبال، وإنما يبنيه في وسط العمران ومنازل الناس، وفوق الأبواب والطاقات، وبين الفجوات.

(٧) حمام الحرم له شكل خاص وخلقته ثابتة لا تتغير ولا تتبدل على ممر السنين والأعوام، ما دام محافظا على نسل جنسه. أما إذا سافد غير جنسه من الحمام الأبيض أو الملون، فإن شكله يتغير بدون شك، كما ذكرنا في أول الكلام.

بهذه الأمور يمتاز حمام الحرم عن غيره، ويشترك معه في الصفات الخاصة بمطلق حمام، كاتخاذ زوجة واحدة، وغيرته على أنثاه، وهيامه بها، وشوقه وحنينه إليها ... الخ.

### ما جاء في كتاب الرحلة الحجازية عن حمام الحرم أيضا

ويقول الأستاذ محمد لبيب البتونى المصرى، رحمه الله تعالى، عن حمام المسجد الحرام فى كتابه "الرحلة الحجازية" ما نصه: حمام الحرم المشهور بحمام الحى يملأ سطوح المسجد الحرام ومناذره وطاقاته، فتجده معششا هنا وهناك، ويجتمع زرافات فى جهات كثيرة من صحن الحرم، وعلى الخصوص فى الجهة الشرقية، وله فيها مكان مخصوص فيه أحواض لشربه، و بجواره مكان يلقى فيه حب القمح المرتب له فى أوقات مخصوصة. وكثيرا ما تراه فى الجهة الغربية، حيث يوجد غير واحدة من فقراء القوم يعين حب القمح للحجاج والزوار بقصد إلقائه إلى جيوش هذه الحمامات المستأنسة، التى تكاد ترفرف على رؤوس الناس، لأنها لم تعرف منهم فى حياتها إلا كل لطف وأنس. وليست هذه الخصيصة قاصرة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٧٨

على نوع الحمام، بل كل حيوان دخل الحرم فهو آمن، حتى ذهب بعضهم إلى عدم قتل الحية أو العقرب فى الحرم، احتراما له وإكراما لها فيه. وانفراد الحمام بوجوده فى الحرم لا-أظنه إلا-لسهولة أنسه، وقله جفائه. ومن أغرب ما يروى عنه أنه مع كثرتة فى الحرم، لم يشاهد منه شىء على الكعبة إلا نادرا جدا. وفى الجهة الشرقية من مكة، تحت جبل أبى قبيس، بئر يقال لها بئر الحمام، يجتمع عندها كثير منه ليشرب بحرية، ثم يذهب إلى حيث أراد. وهذه البئر قديمة جدا، وأظنها من زمن الجاهلية. كما أنى أظن أن احترام الحمام هنا أيضا من زمن بعيد. وعلى كل حال فهو مكرم للبيت، سواء قبل الإسلام وبعده. والقول بأنه من نسل تلك الحمامة التى عششت فى الغار على النبى صلى الله عليه وسلم، إنما يزيد فى احترامه وإعظامه. وليس الحمام بمحترم فقط هنا، بل هذه عادة قديمة جدا فبنو نوح كانوا يكرمونه لأنه أول من بشرهم بظهور اليايسة مدة الطوفان. واحترامه عند النصارى يقرب من درجة التقديس، لأنه يمثل عندهم روح القدس، ويقولون أنه عندما كانوا يغسلون المسيح فى نهر الأردن، وهو صغير، جاءت حمامة وحطت على رأسه، لذلك يرسمونها فى كنائسهم، وعلى صورهم الدينية بكثرة.

و من هذا ترى الحمام قد أطلقت له الحرية في كنائس القوم في أوروبا، و خصوصا في كنائس إيطاليا و النمسا و بعض كنائس فرنسا، و قد تعدى هذه الكنائس إلى منافذ المساكن و أسطحها و أشجار الشوارع العمومية و بساتينها. فإذا ذهبت إلى فينا أو روما مثلا وجدته هنا و هناك في كل مكان من غير أن يؤذيه أى إنسان، و أثر هذه العقيدة باق في الحمام الذى لا يزال في مدينة القسطنطينية إلى يومنا هذا، و تراه على الخصوص في مسجد با يزيد و مسجد أبى أيوب الأنصارى. غير أن أهل الآستانة قد بالغوا في إكرامه حتى حرموا ذبحه، منهم لا يأكلونه أبدا سواء في ذلك مسلموهم و نصاراهم و يهودهم.

أما ما ذكر من أن المسلمين يعتقدون أن حمام الآستانة من ذرية حمام الغار، الذى يقولون عنه أنه كان يخبر الرسول بجميع ما كان يفعل المشركون، فإنه لا أصل له عندهم، كما أن لا أصل في دينهم لتلك المأمرية التى كان يؤديها حمام الغار. و الشيعة من العجم يعتقدون مثل هذا الاعتقاد في حمام الحرم، و يزعمون أنه هو الذى أخبر أهل المدينة المنورة بقتل الحسين، رضى الله عنه، و الصينيون يستعملون الحمام من زمن بعيد في استكشاف بختهم على مثل ما يستعمله بعض

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٧٩

الأروام الآن في طرقات مصر، فيأتون للحمام بطبق فيه جملة أوراق مطوية مكتوب فيها شيء من الخير و الشر، فتأتى الحمامة و تستخرج بمنقارها واحدة يكون منها فألهم، و يسمون هذه الحمامة باك- كوب- بن، يعنى الحمامة ذات الورقة البيضاء.

و لقد كان الحمام عند الساميين هو الحيوان المقدس للإله غشطورت، و كان عند الفينقيين و اليونانيين و السوريين يمثل السماء و النجوم. و أظن أن احترامه عند العرب في الجاهلية لم يأت إلا- من هذا الطريق. و لذلك كانوا يضعون تمثال حمامة داخل الكعبة بجوار تمثال هبل. و لقد ورد في سيرة ابن هشام عن صفية بنت شيبه، أن النبى صلى الله عليه و سلم لما نزل مكة بعد الفتح و طاف بالبيت، دعا عثمان بن طلحة و أمره بفتح الكعبة، فلما دخلها، وجد فيها حمامة من عيدان، فكسرها بيده ثم طرحها. على أنا لو صرفنا النظر عن كون الحمام لطيفا في شكله، أنيسا في نوعه، جميلا في صورته، نظيفا في لباسه، يمثل في عائلته المحبة الحقيقية و الشفقة الحسية، فإننا نرى فيه درسا عائليا كبيرا، نرى الذكر منه مع أنثاه يعملان لحياتهما و حياة عائلتهما عمل المجدين المجتهدين، حتى إذا فرغا من واجبهما الأهلى تفرغا إلى حياتهما الزوجية، فتراهما بين تواق و تعاشر و تعانق، لا ينفصلان إلا ليتصلا و لا يفترقان إلا ليجتمعا، في جلايب جمال، و أساليب دلال، مما لا يرى له مثال، في زوجين من غير نوعهما على كل حال، على أن الحمام له على الإنسان خدمة تذكر فتشكر: فقد كان من القرن الثامن قبل المسيح إلى منتصف القرن التاسع عشر يؤدي وظيفة التلغراف بين الأمم المختلفة، حتى أعلن مرسى و وطسون سنة ١٨٤٤ م تلغرافهما الكهربائى، الذى لا يشك أحد في أنه أفاد العالم بأسره فائدة جسيمة، و كان من أكبر الأشياء التى ساعدت على التمدن العصرى و انتشاره بسرعة، و لكن هل هذه الفوائد الجسم تنسينا فضل ذلك الحمام؟

و لتكمله الفائدة نقول لك: إن أول من استعمل الحمام في الزجل، هو رجل من جزيرة أوجين (من جزر اليونان)، أتى في سنة ٧٧٦ قبل المسيح إلى آثينا ليحضر الألعاب الأولمبية، و استحضر معه حمامة كانت عنده أخذها من بين أفرانها. فلما برز في هذه الألعاب أرسل الحمامة فذهبت إلى عشها، و فى قدومها علم أهل الرجل بنجاحه فى مأموريته. و من ثم استعمله اليونان و الرومان و العرب

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٨٠

و المصريون فى مراسلاتهم. و كان لمصر، و خصوصا زمن الأيوبيين و الفاطميين مصلحة للرسائل، و كان بها فى كل جهة بيت للحمام، و كله غريب من جهات متعددة، فكانوا إذا أرادوا إرسال مكتوب إلى أى مكان، أرسلوه على جناح حمامة مأخوذة من هذه الجهة. إلا أنهم كانوا يرسلون الخبر من صورتين على حمامتين بعد الذى حصل فى حصار الفرنجة لعكا، ذلك أن المسلمين فى عكا، أرسلوا رسالة إلى صلاح الدين الأيوبي بواسطة حمامة من حمامهم فتبعها طير جارح و ضربها، فسقطت فى معسكر العدو الذى عرف منها مواقع الضعف من عدوه. و لعلك تذكر لما نزل لويس التاسع ملك فرنسا إلى دمياط سنة ١٢٧٠ م، و سار بجنده إلى المنصورة، أخذ ملك مصر الملك الكامل خبره بواسطة الحمام الزاجل، فسير إليه جيوشه لوقفه فأوقفه عند حده، و كان ما كان من انهزام جنوده

عند المنصورة، و أسر لويس و سجنه بها، إلى أن تم الصلح بينه و بين ملك مصر، فأطلقه و سافر إلى تونس و مات بها. و فى حسبه يقول بعضهم:

قل للفرنسيس و إن أنكروا حبس لويس فى مقال صحيح

دار ابن لقمان على حالها و القيد باق و الطواشى صحيح

و الحمامة تقطع فى طيرانها من سبعين إلى ثمانين كيلو مترا فى الساعة، و لها صبر على الجوع جملة أيام، و لكنها لا- تصبر على العطش.

و كان لهذا الحمام فى حصار ألمانيا لباريس، بين سنتى ١٨٧٠ و ١٨٧١ أكبر فضل فى ربط أجزاء المملكة الفرنسية بعاصمتها. و ربما كانت هذه الحكومات قد قضت أن لا- يمس جنس الحمام بسوء، حتى لا يكون نوع الزاجل منه عرضة لأذى الصيادين و خلافهم، فيؤدى مأموريته و هو فى غاية الهدوء و الطمأنينة.

و لقد كان عباس باشا الأول، و الى مصر، رجع إلى تربية هذا الحمام و استكثر من أنواعه. و لكنه مات، رحمه الله، قبل أن يتم غرضه. و أخذ بعض ذوات القاهرة عنه هذه الفئة، و لكنهم اختصروا على تربيته و تطيره فى محيط ديارهم، و قد يعلمه بعضهم الصبر على الطيران حتى إذا التحم بحمام غريب طار معه إلى أن تنفذ قواه، ثم يرجع به إلى صاحبه، الذى يكون فرحه به لا- يقدر. و للحمام عندهم أسماء مختلفة فمنها: الجزغندى، و الريحان، و المزرزر، و القزازى، و الأبلق، و العنبرى، و الفزار، و العشاقى و غيرها، إلا أن هذه الفئة لم تقف عند أफीة الأغنياء

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٨١

بل تعدتهم إلى الفقراء، و هم إلى الآن يضيعون فيها وقتهم الذى هم و عيالهم فى حاجة إليه لعمل حيوى مفيد. و لقد شاهدت فى بستان سراى يلدز الداخلى، بعد خلع السلطان عبد الحميد، دارا كبيرة من السلك و فيها ما لا يحصى من أنواع الحمام، و هو من جمال الخلقه بمكان عظيم. و ربما كان يتسلى به فى سجنه الذى قضى على نفسه به طول حياته، سامحه الله. انتهى من كتاب الرحلة الحجازية.

### وقوع الحمام على الكعبة المعظمة

كثير من الناس يظن أن حمام مكة لا يعلو الكعبة المشرفة حرمة لها، و إن وقع عليها فإنما ذلك للاستشفاء من مرض أصابه. فهذا الظن فى غير محله، لأن حمام الحرم قد يقع على الكعبة فى النادر كما نشاهده، أما غيره من الحمام الأبيض و بقيه الطيور، فلا يقع على الكعبة مطلقا، بل لا يأتى المسجد الحرام على سعته، و السبب فى عدم وقوع الحمام على الكعبة المعظمة بكثرة هو ما يأتى:

(١) أن الحمام يتطلب العلو و الكعبة المشرفة بالنسبة لما حولها من البيوت قصيرة.

(٢) جميع الطيور من الحمام أو غيره، لا يحب الجلوس على سطح مستو ناعم مفروش بالرخام، إلا إذا كان فوقه حب فى أكله و يطير، و إنما يحب الجلوس على ما برز من الأخشاب و الأعواد و الحجارة و الشرفات و الأغصان الممدودة و غيرها من كل ما يمكنه أن يستمسك عليه بمخبله، كما يحب المشى و الوقوع على التراب، و الكعبة ليس بها شىء بارز يستمسك عليه، بل إنها مغطاة بالكسوة الحريرية، و سطحها مفروش بالرخام الأملس معرض لحرارة الشمس المحرقة، و ليس عليه حبوب حتى يلتقطها الحمام، أما ميزابها فالحمام يقع أحيانا لبروزه.

(٣) الحمام من طبعه أن يدخل فى كل فجوة و فى كل خرق بين الشبائيك و الجدران، و ليس فى الكعبة شىء من ذلك يجلب إليها الحمام.



انظر: صورة رقم ٤٤، الكعبة و فوق سطحها حمامة، و حمامتان طائرتان فوقها

و أما قولهم إذا شاهدوا حمامة فوق الكعبة أنها ما وقعت عليها إلا للاستشفاء، فهو غير صحيح و غير معقول لما يأتي:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٨٢

(١) أن جميع الحيوانات لا- يعقلون، فكيف نسند إليهم طلب الاستشفاء، و أيضا أنهم غير مكلفين، فكيف نقول أن الحمام لا- يعلو الكعبة حرمة لها، ثم من أين لنا أن نحكم بذلك و نحن لا نفهم لغتها، و هي لا تفهم لغتنا؟

(٢) لو كان وقوع الحمامة فوق الكعبة للاستشفاء، يكون معناه أنها عرفت قدسيه الكعبة و شرف المكان، فكيف إذا ترمى ذرقها عليها و على كسوتها و على أرض المسجد الحرام؟

(٣) لو كانت الحيوانات تعرف حرمة الكعبة فكيف إذا كانت القطة تصيد الحمام من المسجد، ثم تدخل في جوف الكعبة فتأكله و تتلوث أرضيتها الطاهرة بدمه و ريشه، و ذلك حينما هدمها السيل سنة ١٠٣٩ هجرية و قبل أن يشرع السلطان مراد في عمارتها، و قبل أن يجعل أمير مكة يومئذ ستاره من الخشب و غيره حول ما سقط من البيت الشريف مؤقتا إلى أن تتم عمارته، كما ذكره الغازي في تاريخ إفادة الأنام، نقلا عن رسالة للشيخ محمد علي ابن علان الصديقي الشافعي، في عماره البيت الحرام.

و لقد روى الإمام الأزرقى أن الحمام كان يقع على الكعبة فتتناثر حجارتها، و ذلك حينما احترقت أيام ابن الزبير رضى الله عنهما.

(٤) إذا دقق الإنسان النظر في علو ثوب الكعبة مما يلي سطحها لوجد عليه كثيرا من ذرق الحمام، فلو عقل الحمام حرمة الكعبة، لما رمى بذرقه على ثوبها.

فعلم مما ذكرناه أن ما يشاع لدى الناس بأن حمام الحرم لا يعلو الكعبة المشرفة و إن علاها فإنما هو للاستشفاء وهم لا حقيقة له، و دعوى لا دليل عليها. و لقد شاهدنا بأنفسنا جلوس الحمامة على بيضها في طيات ستاره باب الكعبة حتى أنها لتأتى بالقش لتبيض فوقه و تفرخ، و لولا أن السيد محمد نوري الذي يخطط الكعبة لا يترك بيض الحمامة على ستاره باب الكعبة، لشاهد الناس فراخها على الستاره.

### تنظيف المسجد الحرام من الحمام

لم يتخذ الحمام المسجد الحرام مسكنه و مأواه في صدر الإسلام، حيث كان صغيرا، و لم يكن له سور و لا سقف، أما الآن، ففي المسجد الحرام من الحمام ما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٨٣

لا يحصى و لا يعد، لا تساعه العظيمة و لكثرة ما فيه من الأروقة و الشرفات البارزة و الأعواد الممدودة و الفجوات العديدة، و الذي يغلب على الظن، أن الحمام لم يستوطن المسجد الحرام إلا في عهد الدولة العثمانية، حيث أنها خصصت له كل عام كمية كبيرة من الحبوب تشر له في أرض المسجد و لا- يزال الناس إلى اليوم يرمون له الحبوب فيه، خصوصا الحجاج، فأصبح المسجد الحرام مرعى خصبا للحمام فيه الأمن و الطعام و الماء و المسكن.

و من المؤلم حقا أن نرى هذا المسجد الأعظم الذي هو أفضل المساجد على الإطلاق، و الذي فيه أول بيت وضع للناس، و فيه آيات بينات مقام إبراهيم، ملوثا بذرق هذا الحمام، و مستقذرا بخرئه النجس في بعض المذاهب حتى كاد أن يتعذر فيه المشى و الصلاة، فتضايق الناس منه، و قد ينبعث من المسجد رائحة كريهة بسبب خرئه إذا نزل المطر و لو كان قليلا، و كم سمعنا من كبار الحجاج و أعيان الوافدين إلى بيت الله الحرام الشكاية من هذه الحالة، و هم يقولون لنا: أفلا تجدون لتنظيف المسجد الحرام من وساخة الحمام و غيره من علاج، و العالم في تقدم سريع مستمر نحو كل ما يهيم الإنسان و ينفعه.

و لئن مضى على هذا الحال زمن طويل فقد آن الأوان إن شاء الله تعالى للعمل على تنظيف المسجد الحرام من الحمام، كما آن الأوان في توسعته هذه التوسعة الكبرى. لذلك نتقدم بهذا الاقتراح الآتى لترحيل الحمام من المسجد الحرام، أعظم مساجد الدنيا و أشرفها، و هو أن ترحيل الحمام منه يكون بالطرق الآتية:

(١) منع الناس و الحجاج من رمى الحبوب داخل المسجد بصورة صارمة حازمة.

(٢) التنبية على خدمة المسجد بطرد الحمام من المسجد، بأن يمسك كل فرد منهم بجريدة من النخل فيطوفون بأحاء المسجد لطرده و تنفيره في كل وقت.

(٣) تخصيص كيس أو كيسين من الحبوب يوميا ترمى للحمام خارج بلدة مكة، إما على طريق جدة أو على طريق عرفات، مع جعل أحواض تملأ بالماء في تلك الجهات، فإن الحمام تأوى إلى نفس المكان الذى تجد فيه الماء و الطعام. قال الشاعر:

و الطير يسقط حيث يلتقط الحب و تغشى موائد الكرماء

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٨٤

(٤) بناء مئات الأبراج للحمام خارج مكة في الموضع الذى فيه الماء و الطعام، لتأوى إليها ليلا و نهارا.

هذه الوسائل الأربعة، لو عملنا بها، لرحل الحمام عن المسجد الحرام بطوعه و اختياره، و بسلام و أمان، بدون ضرر و لا إضرار، و استراح الناس من أذاه، نحمدنا العالم الإسلامى الذى يحج إلينا فى كل عام، و يصلى بالمسجد الحرام، إلى قيام الساعة. فحبذا لو قامت مديرية الأوقاف المشرفة على شؤون المسجد الحرام بطرد الحمام منه، من غير وصول ضرر إليه، بالكيفية التى ذكرناها، و بذلك يستريح الناس من أذاه، و ينظف المسجد العتيق المكرم من و ساخته، و يسان من قذارته. فإن المساجد بيوت الله يذكر فيها اسمه، فحقها التنظيف و التجميل و التطهير و التبخير، و أخرى بذلك المسجد الحرام.

و اعلم أنه لا حرج فى طرد الحمام و نحوه للمصلحة العامة أو الخاصة، ففى القاعدة الفقهية "الضرورات تبيح المحظورات"، فيجوز طرد الحمام و نحوه من بقعة فى الحرم إذا تضرر منه الإنسان، بشرط أن لا يحصل للحمام و نحوه تلف فى نفسه أو بيضه أو فرخه، فإن حصل فى إطارته و طرده تلف له ضمن ذلك بالجزاء المعروف فى كتب الفقه، بدون أن تقع عليه حرمانية، أما إذا طرده الإنسان من غير أن يتضرر منه فتلف بسببه حرم عليه ذلك و عليه الجزاء أيضا.

فقد جاء فى كتاب "القرى لقاصد أم القرى" تأليف الحافظ الطبرى، عن مالك بن دينار، قال: دخلت على مجاهد، بيته مكة، فرأيت فى يده سعة يطرد بها الحمام. أخرجه سعيد بن منصور. و جاء فيه أيضا عن نافع بن عبد الرحمن، أن عمر دخل دار الندوة فعلق زاده، فوقع عليه طائر، فخاف أن ينجسه فطيره، فنهشته حية، فقال: أنا طيرته حتى نهشته الحية، فسأل من كان معه أن يحكموا عليه، فحكموا عليه بشاة. أخرجه الشافعى.

و روى الإمام الأزرقي، عن عبد الله بن نافع، عن أبيه، قال: كان ابن عباس يرخص أن يكشكش للحمام. و روى أيضا عن مجاهد، قال: أمر عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، بحمامة فأطيرت فوقعت على المروءة، فأخذتها حية، فجعل فيها عمر شاة. قال: و أمر عثمان، رضى الله عنه، بحمامة فأطيرت من واقف، فوقعت على واقف فأخذتها حية، فدعا نافع بن الحارث الخزاعى فحكما فيها عنزا عفراء. اهـ.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٨٥

فهذا دليل واضح على جواز طرد الحمام و نحوه فى الحرم من غير أن يطرد إلى خارجه، و من غير أن يلحقه أذى و لو لم يكن ذلك جائزا لما رخص ابن عباس أن يكشكش للحمام، و لما أمر عمر و عثمان بإطارته، أما كوننا ضمنا الحمامتين بشاة و عنز فلموتهما بسبب الإطارة، فطرد الحمام شىء، و تلفه شىء آخر، فحكم الأول الجواز، و حكم الثانى الجزاء. قال العلامة المحقق الشيخ عبد الغنى بن ياسين اللبدي النابلسى الحنبلى، رحمه الله، فى كتابه "دليل الناسك لأداء المناسك" ما نصه: و يسن قتل كل مؤذ مطلقا، أى لمحل و محرم فى الحل و الحرم، فعلى هذا إذا حصل الأذى من الحمام الموجود فى مكة المكرمة فى بعض البيوت، فإنه يكثر ذرقه و

يوسخ بعض الأماكن، بحيث يعجز أصحابها عن إزالة ذلك لكثرة و دوامه، و لا سيما عند من يرى نجاسة ذلك. فالظاهر جواز طرده، فإن لم يزل بالطرد، فله قتله أو مسكه و ذبحه و هل يجوز أكله حينئذ محل نظر، و الله تعالى أعلم، انتهى كلامه.

## رمز الحمام

و يرمز الناس إلى السلم و السلام بصورة الحمام، و يقولون عنه أنه رسول السلام، و لم نجد لهذا علّة نستأنس إليه، إلا ما رواه الإمام الأزرقى، الذى توفى فى القرن الثالث للهجرة، فقد قال فى الجزء الأول من تاريخه ما يأتى:

عن عكرمة، عن ابن عباس، رضى الله عنهما، قال: كان مع نوح، عليه الصلاة و السلام، فى السفينة ثمانون رجلا معهم أهلوه، و أنهم كانوا أقاموا فى السفينة مائة و خمسين يوما، و أن الله تعالى، ووجه السفينة إلى مكة فدارت بالبيت أربعين يوما، ثم وجهها الله تعالى إلى الجودي، قال: فاستقرت عليه.

فبعث نوح عليه السلام، الغراب ليأتيه بخبر الأرض، فذهب فوقع على الجيف و أبطأ عنه، فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون و لطخت رجليها بالطين، فعرف نوح عليه السلام أن الماء قد نضب، فهبط إلى أسفل الجودي فابتنى قرية و سماها ثمانين، فأصبحوا ذات يوم و قد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة إحداهما العربية.

قال: فكان لا يفقه بعضهم عن بعض، و كان نوح عليه السلام يعبر عنهم. انتهى كلام الأزرقى رحمه الله تعالى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٨٦

نقول: لهذا صار الحمام رمزا للأمن و السلام، و لهذا أيضا يرسمون حمامة و هى تحمل ساقا صغيرة من النبات، فالحمام حيوان أليف محبوب، و شكله جميل، و هديله و حركاته تثير شجن العشاق، و الهديل صوت الحمام، قال فى مختار الصحاح: "و الهديل أيضا فرخ كان على عهد نوح، عليه الصلاة و السلام، فصاده جرح من جوارح الطير، قالوا: فليس من حمامة إلا و هى تبكى عليه. ..."

و انظر إلى ذكاء الحمامة التى أرسلها نوح، عليه الصلاة و السلام من سفينته لتأتيه بخبر الأرض، فجاءت إليه، و قد لطخت رجليها بالطين، إشارة إلى أن الماء قد غار فى الأرض و انتهى أمر الطوفان، و حملت إليه ورق الزيتون دون غيره من الأشجار، لأن الزيتون شجرة مباركة ينتفع بثمرها و ورقها و زيتها و خشبها.

و انظر إلى الغراب بعثه نوح عليه السلام، فوقع على الجيف و أبطأ عليه، فالغراب خسيس أحرق، لا يألف و لا يؤلف، لحمه لا يؤكل لخبثه، و هو من الفواسق الخمس. فقد قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: "خمس من الدواب كلهن فواسق يقتلن فى الحل و الحرم: الغراب، و الحدأة، و العقرب، و الفارة، و الكلب، و الكلب العقور،" رواه البخارى و مسلم عن عائشة، رضى الله تعالى عنها.

ففرق كبير بين الحمام رسول السلام، و بين غراب البين الذى يشاء منه.

و من أطف ما قيل فى الحمام، ما جاء فى تاريخ المسعودى: أن ابن السماك دخل على الرشيد، و بين يديه حمامة تلتقط حبا، فقال له صفها و أوجز، فقال:

كأنما تنظر من ياقوتتين، و تلتقط بدرتين، و تطأ على عقيقتين، و أنشدونا لبعضهم:

هتفت هاتفة أذنها ألف بين

ذات طوق مثل عطف الذون أبنى الطرفين

و تراها ناظرة نحوك من ياقوتتين

ترجع الأنفاس من تقبين كاللؤلؤتين

و ترى مثل البساتين لها قادمتين

و لها لحيان كالصدغين من عرعرتين  
 نسجت فوق جناحيها برنوستين  
 و هي طاووسية اللون بيان المنكين  
 تحت ظل من ظلال الأيك يك صافى الكتفين  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٨٧ فقدت ألفا فناحت من تباريح و بين  
 فهي تبكيه بلا دمع جمود المقلتين  
 و هي لا تصبغ عيناها كما تصبغ عيني  
 و الحمام رمز للسلام، و رمز للحب و العشق و إظهار معانيهما بأجلى الحركات، و لقد تمثل الشعراء به لذلك قديما و حديثا، و قالوا  
 فيه كثيرا من الأشعار، و لولا خوف الإطالة لأتينا بأقوالهم، و لكن لا بأس بذكر أربعة أبيات فقط و هي:  
 و رب حمامة في الدوح صارت تجيد النوح فنا بعد فن  
 أقاسمها الهوى مهما اجتمعنا فمنها النوح و العبرات منى  
 و باللغة العامية المصرية:  
 الليل بهمومو جاني يا حمام نوح و ياي  
 نوح و اذكر أشجاني دا جواك من جنس جواي  
 و فيما تقدم تفصيل واف عن مسألة حمام الحرم من جميع النواحي، فافهم كل ذلك فإنك لا تجده في كتاب، و الله الموفق للصواب،  
 و إليه المرجع و المآب، لا إله إلا هو العزيز الغفار.

### عدد المستشفيات بمكة المكرمة

لم يكن بمكة المشرفة في عهد الأتراك العثمانيين، و في عهد الشريف الحسين بن علي ملك الحجاز الأسبق، رحمه الله تعالى، من  
 المستشفيات إلا مستشفى أجياد، و مستشفى القبان بالمدعا فقط، و بهما من الأطباء نحو خمسة أنفار فقط، و كان فيهما الأدوية اللازمة  
 للمرضى، و لم يكن بمكة من الأجزاخانات سوى أجزاخانة واحدة، هي أجزاخانة "حسين" بالمروءة. ثم كان في محل "قاعة الشفا"  
 بجوار المسجد الحرام باب القطبي و باب الباسطية، بضعة دكاكين عطارة، يباع فيها شيء من الأدوية المستخرجه من الأعشاب و  
 الحبوب الهنديه، و فيها بعض الأطباء الهنود الذين يعالجون المرضى بالعقاقير اليونانية، و لما كانت رقعة مكة صغيرة و سكانها قليلين،  
 كان هذا القدر من الأطباء و العقاقير الهنديه اليونانية كافيا لهم،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٨٨

علاوة على حسن نيتهم، و قلة الأمراض الناتجة من حسن توكلهم على الله تعالى، و عدم انتشار الفساد بينهم.

ثم لما كان زمن الحكومة السعودية، اتسعت رقعة مكة المكرمة اتساعا عظيما فامتد العمران في جميع النواحي، و كثر الناس بها كثرة  
 عظيمة، و هذا يستلزم انتشار الأمراض المختلفة، كما يستلزم هذا كثرة وجود الأطباء و الدكاترة المتعلمين في البلاد الأوربية،  
 فاستحضرت الحكومة السعودية كثيرا من الأطباء من مختلف الأجناس و فتحت مستشفيات عديدة، و صيدليات كثيرة، و فيها من  
 الأدوية المستحدثة الشيء الكثير الذي يدهش المطلع عليها.

فيوجد في مكة المكرمة و حدها فقط: مستشفى الزاهر و فيه من الأطباء نحو ستة عشر طبيبا مختصين في مختلف الأمراض، و به أكثر  
 من مئة سرير، و يراجعه يوميا من المرضى نحو ألف شخص، و هو مجهز بكافة الأدوية و اللوازم. أما في موسم الحج فيكون  
 المراجعون له من المرضى كثيرين لوجود الحجاج بمكة.

كما يوجد بمكة أيضا مستشفى أجياد وفيه من الأطباء و السرر و الأدوية و اللوازم بقدر ما يوجد في مستشفى الزاهر، و كلاهما من المستشفيات الكبيرة المهمة، و في مكة أيضا يوجد مستشفى واحد للولادة، مزود بالأطباء و الأدوية و اللوازم و إن شاء الله تعالى سينشأ بمكة قريبا مستشفى خاص للرمد، و هناك في كل محلة بمكة مستوصف خاص، فيه طبيب أو طبيبان و فيه من الأدوية و اللوازم ما يكفي المراجعين. كما توجد في مكة من الصيدليات و مخازن الأدوية أكثر من خمسة عشر صيدلية في مختلف الجهات. و الله المستعان، و هو اللطيف بعباده.

### جمعية الإسعاف بمكة المكرمة

#### إشارة

لقد كنا كتبنا لمدير جمعية الإسعاف بمكة المشرفة، ليخبرنا عن تأسيس هذه الجمعية في البلاد، ف جاء الجواب من سعادة الدكتور عبد العزيز مدرس، رئيس جمعية الهلال الأحمر السعودي، نبذة عن هذه الجمعية منذ تأسيسها عندنا في سنة (١٣٥٤) هجرية، ثم طرأت عليها تطورات تقدمية حتى صار اسمها (جمعية الهلال الأحمر)، و قد اعترف بها دوليا، و أصبحت هيئة مساعدة للقوات المسلحة السعودية في السلم و الحرب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٨٩

و إليك نص ما كتبه لنا سعادة رئيسها المذكور:

#### نبذة تاريخية

لقد كان حجاج بيت الله الحرام في الماضي، يلاقون صعوبات جمه من ناحية العلاج و الوصول إلى المستشفيات لأخذ العلاج اللازم، لذلك فكر المحبون للخير بإنشاء جمعية أهلية لتقديم الإسعافات الأولية و الخدمات الصحية، و كان من بينهم المرحوم طلعت حرب باشا، الذي تبرع بسيارة إسعاف للمشروع، و تكونت جمعية الإسعاف الخيرية في عام ١٣٥٤ هـ حين صدر القرار السامي رقم ٣٣٠٦ في ٢ / ٣ / ٥٤ هـ بتشكيل الجمعية تحت رعاية جلاله المغفور له الملك عبد العزيز مؤسس الدولة السعودية، و برئاسة سمو ولي العهد المعظم الأمير فيصل بن عبد العزيز. و تعتبر هذه الجمعية أول نواة لجمعية الهلال الأحمر السعودية. و قد استمرت جمعية الإسعاف الخيرية الوطنية في القيام بواجبها الإنساني في تدعيم الخدمات الطبية، و إغاثة المصابين من ضحايا الحوادث بشتى أنواعها و في حدود إمكانياتها، معتمدة في ذلك على مواردها الغير ثابتة التي تعتمد على الإعانة الملكية، و على التبرعات من الحجاج و المواطنين، و ما تقدمه وزارة المالية. و قد استمرت الجمعية في أعمالها مدة طويلة، فافتتحت العيادات الخارجية لهذا الغرض حتى أنه في عام ١٣٧٧ بلغ عدد المستفيدين من خدمات الجمعية ٨٥٣٣٢ شخصا.

و في أول عام ١٣٧٨ هـ تعطل بند التبرعات الذي كان أكبر مورد تعتمد عليه الجمعية في أعمالها، فتقلص نشاطها و أصبحت ملزمة بمجابهة الكثير من صرفياتها نظير ما تقدمه من خدمات إنسانية و نظرا لذلك فقد أصدر المقام السامي أمره الكريم لزيادة بند المساعدة الذي تقدمه الدولة، و قد استمرت في أداء رسالتها حتى انبثقت فكرة تطوير الإسعاف الخيرية إلى جمعية الهلال الأحمر لتمكن الجمعية من تقديم خدماتها على نطاق واسع وفقا للنظم الدولية الخاصة بالصليب و الهلال الأحمر، لذلك صدر المرسوم الملكي رقم ١ / تاريخ ١٦ / ١ / ٣٨٣ هـ بإنشاء جمعية الهلال الأحمر، و كان لذلك أكبر الأثر في نفوس العالم الخارجي، و على إثر ذلك

فقد تقدمت الحكومة بطلب رسمي للانضمام إلى منظمة الصليب و الهلال الأحمر العالمى، و بذلك أصبحت العضو الواحد و التسعين فى منظمات الصليب و الهلال

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٩٠

الأحمر، و اعترف بها، و كان ذلك بتاريخ ١٨ / ٨ / ١٩٦٣ م. و ساهمت الدولة بمبالغ كبيرة فى تأسيس جمعية الهلال الأحمر و مساعدته، فصدر المرسوم الملكى رقم ١٥ و تاريخ ٢٦ / ٦ / ٣٨٣ هـ بر صد مليون ريال فى الموازنة العامة للدولة من بند التبرعات كإعانة للجمعية.

بدأت الجمعية بتأسيس المركز العام الموجود بالرياض، و الذى يتولى إدارة المكاتب الرئيسية للجمعية فى كل من المنطقة الغربية و الوسطى، كما أن جمعية الهلال الأحمر السعودى بدأت بتقوية المراكز الإسعافية السابقة و تدعيمها بجميع ما يلزم و تعميم مراكز الإسعاف فى المملكة و لذلك افتتح مركز للإسعاف بمدينة الرياض، و آخر بالمنطقة الشرقية فى الدمام، و فى بقية المدن الكبيرة بالمملكة، بجانب ستة مراكز ثابتة موجودة فعلا فى مناطق الحج، و هى: (مكة، جدة، المدينة، الطائف، بحرة، رابغ)، و مركزين مؤقتين بجدة أحدهما بالميناء البحرى، و الآخر بالميناء الجوى، و أيضا عشرة مراكز مؤقتة فى كل من عرفات و مزدلفة و طرق الحج. و من برامج الجمعية مستقبلا هو:

١- (أ) نشر التوعية الصحية بواسطة أجهزة الإعلام كالإذاعة و الصحافة و عرض الأفلام و النشرات، و قد جرى اتصال بهذا الخصوص بمنظمة الصليب الأحمر الدولى لمد الجمعية بالأفلام الثقافية و الصحية اللازمة، كما أن ممثل هيئة الأمم المتحدة الموجود بالمملكة أبدى استعدادة لتزويد الجمعية بالأفلام اللازمة.

(ب) تدريس مبادئ الهلال الأحمر لطلبة المدارس و الكشافة.

(ج) تنظيم فروع تدريبية للمتطوعين لعمليات الإسعاف.

٢- كما أن الجمعية ماضية بسبيل إعداد مخازن تشمل مهمات الإغاثة من خيام و بطاطين و ملابس لمساعدة الضحايا أثناء النكبات العامة كالأمتار و السيول و الحرائق.

٣- نظرا لقله هيئة التمريض بالمملكة، و نظرا للحاجة إليهم فقد درست الجمعية موضوع افتتاح مدارس للتمريض و ستبدأ فى السنة القادمة بهذا الخصوص، حتى تؤهل أكبر عدد ممكن لسد حاجة البلاد.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٩١

٤- كما أن الجمعية ماضية فى دراسة افتتاح مراكز لنقل الدم، و تعميمها فى المدن الكبرى بالمملكة، و قد حصل اتصال بالجمعيات التى باشرت العمل فى مثل هذه المشاريع و عند الانتهاء من دراستها سوف يبدأ التنفيذ.

٥- كما أن الجمعية بسبيل افتتاح مستشفى نموذجى لكى يساعد الطلبة على مباشرة الدروس العملية به، و أيضا تقديم الخدمات للجمهور. انتهى.

## المحجر الصحى و الكورنتينات

كثيرا ما كنا نحب الوقوف على تاريخ المحجر الصحى و الكورنتينات، و من أى زمن ابتداء ذلك، و كان من حسن المصادفات أن وجدنا البحث الوافى عنه فى كتاب "الرحلة الحجازية" للأستاذ محمد لبيب البتونى المصرى، فقد قال فيه رحمه الله تعالى، ما نصه:

لفظ كورنتينة أو كارانتينة أصله فرنساوى (Quarantaine) و معناه الشىء الذى يبلغ عدده تقريبا إلى أربعين. و الفرنج فى جمهورية فينسيا (البندقية) لما رأوا أن الأوبئة كانت تأتى إلى أوروبا من طريق الشرق و من بلاد المغرب بشمال إفريقيا، اهتمت لهذا الأمر لأن مرآكباها هى التى كانت تصل الشرق بالغرب، و عينت لأول مرة سنة ١٣٤٨ مسيحية، أى ميلادية، ضباطا صحيين، كانوا

يقومون بتفتيش السفن التي كانت تأتي من الخارج إلى ثغورها البحرية. و في سنة ١٤٠٣ أقامت أول محجر صحي سمته لازاريت (lazarette) وجعلته في جزيرة صغيرة قريبة منها بالبحر الإديرياتيكي، اسمها سانت ماري دو نازاريه، و كانت تحجر فيها على البضائع والأشخاص القادمين على بلادها من الشرق. و مشى على إثرها في القرن الرابع عشر و الخامس عشر ثغور البحر الأبيض المتوسط العظمى، فأقامت جنوة محجرا صحيا سنة ١٤٦٧، و أقامت مرسليا محجرا في سنة ١٥٢٦. و أول من اتخذ الاحتياطات الصحية ضد الطاعون في بلاده هو الملك رينيه، ملك نابولي، في سنة ١٤٧٦ م و زادت العناية بها في سنة ١٤٥٦ م التي فشا الطاعون فيها ببلاد إيطاليا كلها، حتى أنهم كانوا يحرقون الموتى لعدم استطاعتهم دفنهم.

و لما ظهر الوباء الأصفر في كاتالونيا (مقاطعة أسبانيا عاصمتها برشلونه)، اهتمت أوروبا لهذا الأمر و عملت فرنسا قانونا للكورنتينات في ٣ مارس سنة ١٨٢٢ و هو أساس النظمات الصحية للمحاجر. و قد أدخل على هذا القانون

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٩٢

تعديلات مهمة في ١٧ أغسطس سنة ١٨٤٧، ثم في ١٠ أغسطس سنة ١٨٤٩، ثم في ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٥٠.

هذا ما كان في أوروبا بخصوص الكورنتينات، أما بمصر فإن (محمد علي) ذلك المصلح الكبير، فكر في ضرورة إنشاء مجلس صحي بها، و شكل في سنة ١٨٢٠ ميلادية مجلسا كان أعضاؤه من حكماء الجيش و صيدليه، و في سنة ١٨٢٥ أدخل كلوت باشا على هذا المجلس نظامات جمعة و سماه مجلس الصحة العمومي. و لما دخلت الكوليرا في مصر سنة ١٨٣١ زادت عناية محمد علي بهذا المجلس، و أدخل إليه نظامات الكورنتينات بأوروبا خدمة للأمر الصحية و التجارية في جميع البلاد الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، فجمع قناصل الدول و شكل منهم لجنة للنظر في الأمور الخاصة بالكورنتينات، و أصدر بذلك دكرتو في ٨ أكتوبر سنة ١٨٣١، و في سنة ١٨٣٢ بنى بالاسكندرية أول محجر صحي (lazarette) في الشاطبي و لا يزال الاسكندريون يسمونها مظريطة أو الأظاريطة إلى الآن.

و كان من ضمن هذا المجلس، عضو مصري اسمه طاهر بك، و كانت له الكلمة العليا في أعمال المجلس لثاقب فكره و كبير همته و العناية التي كان يبذلها في مصادمته ذلك الوباء، الذي ذهب بأغلب السكان في الوجه البحري. و في أواخر سنة ١٨٣٩، ألغى محمد هذا المجلس القنصلي، و لم يحفل باحتجاجات الدول عليه في هذا الصدد، و شكل إدارة الصحة العمومية بمصر، و جعل رئيسها ناظر الأشغال العمومية و التجارة، و جعل لها سبعة أعضاء: منهم طاهر بك السابق ذكره، و ستة انتخبهم الحكومة المصرية من أعيان التجار. و في مدة عباس باشا الأول أهملت هذه النظمات الصحية، فطلبت منه الدول الرجوع إلى النظمات الأولى القنصلية، فلم يجب طلبها بل و لم يعرها أية التفاتة.

فأخذت فرنسا تسعى جهدها في تشكيل مؤتمر دولي صحي من الدول ذوات المصلحة في البحر الأبيض المتوسط، فتم لها ذلك، و اجتمع هذا المؤتمر في باريس، و كان فيه أعضاء من فرنسا و مرسليا و النمسا و أسبانيا و إيطاليا و اليونان و البرتغال و سردينية و روسيا و تسكانيا و تركيا، و عملوا قانونا في ٤ يونية سنة ١٥٨٣ راعوا فيه السهولة في الحجر خصوصا على البضائع، لأن العلم كان قد وصل باكتشافاته

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٩٣

المفيدة، إلى أن أغلب الأوبئة ليست معدية. و لم توافق إنكلترا على قرارات المؤتمر و اتخذت احتياطات خصوصية لموانئها. و كان من نتيجة هذا القانون أن تشكل مجلس صحي دولي في الآستانة و مجلس في الاسكندرية و وظيفتهما إعلان أمر الأوبئة عند ظهورها، و عمل الاحتياطات اللازمة للوقوف في وجهها حتى لا تصل إلى أوروبا، و لقد تقرر أيضا تعيين بعض أطباء يركبون البحر على الدوام إلى الشرق الأقصى ليرسلوا إلى المجلسين بملاحظاتهم الصحية على البلاد التي يمرون عليها.

و عليه فقد اهتم سعيد باشا و شكل في سنة ١٨٥٤ مجلسا صحيا و ألحقه بنظارة الداخلية في ٢١ إبريل سنة ١٨٥٧، و جعل من حقه

النظر في الأمور الصحية من داخل البلاد، كما شكل لجنة للنظر في الأمور البحرية الصحية (الكورنتينية)، و كانت يد هذه المصلحة الأخيرة مغلوقة عن التصرف، بدون إرادة الحكومة المصرية إلى سنة ١٨٨١ التي صدر في ٣ يناير منها دكرتو بفصل إدارة المصلحتين عن بعضهما، و ذلك بناء على اتفاق من الدول مباشرة، و سميت الأولى مصلحة الصحة العمومية و جعل مقرها مصر، و سميت الثانية مجلس الصحة البحرية و الكورنتينات المصرية و جعل مقره بالاسكندرية، ثم تغير هذا الدكرتو بدكرتو آخر صدر بتاريخ ١٩ يونيه سنة ١٨٩٣ بناء على قرارات مؤتمر باريس، المنعقد في السنة المذكورة.

و هذه الكورنتينات كلها، لم يكن الغرض منها الحجر على الحجاج لأن سفرهم من و إلى مكة كان عن طريق البر، و كانوا يفتكرون أن طول مسافة هذا السفر مطهرة لهم من الأوبئة، إلا أن شدة كوليرا سنة ١٨٥٨ في بلاد الحجاز جعلت أغلب الناس يفر منها إلى مصر من طريق البحر على القصير، فاحتاطت الحكومة المصرية لهذا الأمر، و ضربت الحجر على الحجاج لأول مرة في بئر عنبر وسط المسافة بين القصير وقتنا. أما الحجاج الذين سافروا مع القافلة عن طريق القصبة فإنها منعهم من الدخول إلى السويس، و ضربت عليهم الحجر في عجرو.

و من هذا العهد رأوا ضرورة إقامة محجر صحي في الطور، إلا أن مؤتمر القسطنطينية رأى الاستعاضة عن الطور بالوجه، لأن سواد الحجاج كان يسافر عليه برا، و استمر الحجر فيه أو في رأس ملعب على ركان القوافل، و في الطور أو

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٩٤

عيون موسى على ركاب البحر، كلما كانت تقضى بذلك الضرورة إلى سنة ١٨٧٧، التي من ابتدائها كثر سفر الحجاج من طريق البحر. و هنالك أخذت الحكومة المصرية في إكمال الاستعدادات في الطور حتى صارت في سنة ١٨٩٣ وافية بالغرض منها. و من ثم أصبحت هي المكان الوحيد الذي تعمل فيه الكورنتينا على الحجاج المصريين، أو الذين يمرون على مصر، و لا تزال الاصلاحات تدخل إليه من وقت إلى آخر.

و من المعجب أنه قد ورد في مادة (لزيطه) بقاموس لاروس الكبير، أن بعض الإفرنج قال إن أصل هذا اللفظ آتى من الكلمة العربية (الأزهرية)، و ذلك لأن الأزهر بمصر إنما هو ملجأ للعميان و الشيوخ و المتقاعدین، و هو كلام أساسه الجهل المطبق، أو التحامل على الأزهر و الأزهرين، و لو أنصف القوم لعرفوا لهذه الجامعة الإسلامية حقها في خدمة العلوم على اختلاف أنواعها. فكم لها آيات من العرفان على بنى الإنسان تذكر فتشكر. و لا غرو فاهتمام الجناب العالی الخديوى و حكومته السنية بالأزهر الآن، لابد و أن يجعله يوما من الأيام، في مصاف الجامعات الكبرى نظاما و أحكاما.

أما كلمة لازاريت فهي لاتينية معناها (ليدر) يعنى الأبرص أو المجذوم.

و كانت الدولة الرومانية تبالغ في الحجر على المجذومين، بل كانوا يضعونهم تحت الحجر طول حياتهم، و كان عقاب من يخرج عن نطاقه منهم أن يضرب بالرصاص، و هو قانون حق، لولا أنه مبالغ في شدته، و قد ورد في الحديث الشريف: "فر من الجذوم فرارك من الأسد." و قد أقام الوليد بن عبد الملك الملاجئ في أنحاء دولته و جمع إليها المجذومين، و أجرى عليهم الأرزاق، و هو أول من أقام الملاجئ من هذا القبيل.

هذا هو تاريخ الحجر الصحي عند الإفرنج. و لكن يرى المطلعون على التاريخ، أن المسلمين رأوا ضرورة هذا الحجر قبلهم. فقد ورد في تاريخ ابن الاثير، في أخبار السنة الثامنة عشرة من الهجرة ما نصه:

و كان عمر بن الخطاب قدم الشام في مدة ذلك الطاعون (و هو طاعون عمواس الذي فتك بأهل الشام فتكا ذريعا)، فلما كان يسرع و هو موضع قرب الشام، بين المغيثة و تبوك لقيه أمراء الأجناد منهم أبو عبيدة الجراح، فأخبروه بالوباء و شدته، و كان معه كثير من المهاجرين و الأنصار، لأنه خرج بهم غازيا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٩٥



فجمع المهاجرين الأولين والأنصار فاستشارهم، فاختلفوا عليه، فمنهم القائل:

خرجت لوجه الله، فلا يصدك عنه هذا. ومنهم القائل: إنه بلاء و فناء، فلا نرى أن تقدم عليه. فقال لهم قوموا. ثم أحضر مهاجرة من قريش فاستشارهم، فلم يختلفوا عليه، وأشاروا بالعود، فنأدى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر، فقال أبو عبيدة: أفرار من قدر الله؟ فقال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة (يعني لانتقمتم منه)، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أريت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان: إحداهما مخصبه والأخرى مجدبه، أليس إن رعيت المخصبه رعيتها بقدر منه، وإن رعيت المجدبه رعيتها بقدر منه؟ و كان عبد الرحمن بن عوف غائبا فحضر، فأخبر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم حديثا في ذلك وهو قوله، صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا- تقدموا عليه، وإذا وقع ببلد و أنتم به فلا- تخرجوا فرارا منه." فكان ذلك الحديث موافقا لما رآه عمر، رضى الله عنه، فانصرف الناس بالناس إلى المدينة.

وقد ورد هذا الحديث بالبخارى فى الجزء الرابع بكتاب الطب بهذا النص:

حدثنا حفص ابن عمر، حدثنا شعبه، قال: أخبرنى حبيب بن أبى ثابت، قال سمعت أسامة بن زيد يحدث سعدا عن النبى صلى الله عليه وسلم، قال: "إذا سمعتم بالطاعون بأرض، فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض و أنتم بها فلا تخرجوا منها." وقال شراح الحديث، إن المنع من الدخول، لا يتناول من كانت للمرضى مصلحة فى دخوله كالأطباء وغيرهم. و هل هذا الحديث الشريف إلا قانونا صحيا وضع للناس قبل أول قانون وضعته فينسيا (البندقية) بثمانية قرون. انتهى كل ذلك من الرحلة الحجازية للبتونى.

و من اللطائف قول بعض شعراء عصرنا، و نظن أن الشاعر كان من لبنان:

فهواك قد نال السبقا بسواه لسانى ما نطقا

و فؤداك قبلا ما عشقا لکن مذ مر به علقا

فكان هواك "كرنتينا" قال العلامة المحدث الشهير، السيد الكتانى، فى كتابه القيم العجيب، الذى لم يؤلف مثله المسمى "بالترايب الإدارية" بصحيفة ٤٦٦، من الجزء الأول ما نصه:

"باب فى أصل ما يعرف الآن فى الإدارات الصحية بالكرتينة" فى الصحيحين وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: "إذا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٩٦

كان الوباء بأرض و أنتم بها، فلا تخرجوا فرارا منه، و إذا سمعتم به فى أرض، فلا تقدموا عليها."

وقد رجع عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، بسبب هذا الحديث لما خرج إلى الشام و أخبر أن الوباء قد وقع بها، و أن عمر حمد الله و انصرف.

قال ابن طرخان: فى نهيه صلى الله عليه وسلم، عن الدخول للأرض التى حلها الطاعون فائدتان:

إحداهما: لئلا يستنشقا الهواء الذى قد عفا و فسد فيمرضون.

و الثانية: لئلا يجاورون المرضى الذين قد مرضوا بذلك فتتضاعف عليهم البلية، و قد روى عن النبى، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "من القرف تلف،" و فسر بأنه ملبسة الداء و مداناة المرضى.

و بالجملة قوله: "لا تقدموا عليها" إثبات للحذر و النهى عن التعرض للتلف، و حديث أبى داود المذكور من حديث فروة بن مسيكة، قال: قلت: يا رسول الله أرض عندنا يقال لها أرض أبيق "قريئة إلى جانب البحر من ناحية اليمن" و هى أرض ريفنا- كل أرض فيها زرع و نخل- و فرتنا- الطعام المجلوب من بلد إلى بلد- و أنها و بئ- كثيرة الوباء- فقال صلى الله عليه وسلم: و باؤها شديد، فقال عليه السلام:

دعنها عنك فإن من القرف، ملبسة الداء و مداناة المرضى- التلف- الهلاك.

قال الخطابي و ابن الأثير: ليس هذا من باب الطير و العدوى، و إنما هذا من باب الطب، لأن استصلاح الهواء من أعون الأشياء على صحة الأبدان، و فساد الهواء من أضرها و أسرعها إلى إسقام البدن عند الأطباء، و كل ذلك بإذن الله تعالى و مشيئته. اهـ. و من هذا الباب ما أخرجه أبو نعيم في الطب النبوي، كان النبي، صلى الله عليه و سلم، إذا أرمدت عين امرأه من نسائه لم يأتها حتى تبرأ عينها.

و من العجب ما وقفت عليه في مکتوب السلطان أبي العباس المنصور كتب لولده أبي فارس و هو خليفته على مراکش بتاريخ (١٠١١) في أمر و بقاء حدث إذ ذاك بسوس، قال فيه ما نصه: و البطاقة التي ترد عليكم من سوس من عند أعمامكم، أو ولد خالككم، لا تقرأ و لا تدخل دارا، بل تعطى لكاتبكم و هو يتولى قراءتها، و يعرفكم مضمونها، و لأجل أن كاتبكم يدخل مجلسكم، و يلبس التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٩٧

مقامكم، حتى هو لا يفتحها إلا بعد أن تغمس في خل ثقيف و تنشر حتى تيبس، و حينئذ يقرؤها و يعرفكم بمضمونها إذ ليس يأتيكم من سوس ما يوجب الكتمان عن مثل كاتبكم. اهـ.

و هذا هو عمل الإفرنج اليوم في تحفظهم من الوباء المسمى عندهم بالكرتينة، المعروفة في باب الوقاية و دوائر الصحة، و قد كانت وقعت المحاورة بين عالمي تونس أبي عبد الله محمد المناعي المالكي، و الشيخ أبي عبد الله محمد بيرم الحنفي في إباحتها و حظرها، فألف الأول في الحرمه و ألف الثاني في الجواز، مستدلا، على ذلك بنصوص من الكتاب و السنة، انظر رحلة الشيخ رفاعه الطهطاوى لباريز.

و في إرشاد الساري، في تفسير سورة النساء، لدى قوله تعالى: وَخُذُوا حِذْرَكُمْ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى وَجوب الحذر من جميع المضار المظنونة. و من ثم علم أن العلاج بالدواء، و الاحتراز عن الوباء، و التحرز عن الجلوس تحت الجدار المائل واجب. اهـ. و انظر كلاما لصاحب الاستقصاء في النازلة، جعل ذلك مقيدا بالوجه الذي ليس فيه مفسدة شرعية، و الله أعلم. انتهى من كتاب التراتيب الإدارية. و مما يجب ذكره في هذا المبحث، هذه الحادثة الآتية التي تدل على مبلغ قوة إيمان أهل الزمن السابق الذين كانوا يتحصنون بالآيات، و يلتجئون إلى الله تعالى في المحادثات.

قال الغازي رحمه الله تعالى في تاريخه نقلا عن الحضراوى، في تاج تواريخ البشر: و في سنة (١٢٨٨) ثمان و ثمانين و مائتين و ألف، كان بمدينة خير الأنام، عليه أفضل الصلاة و أتم السلام، و بقاء حتى مات جملة من الزوار في شهر رجب من أهل مكة و غيرهم، فصدرت أوامر الدولة العلية و المصرية بإرسال حكماء الصحة لعمل كرتينة على القادمين في تلك البطاح المعطرة بوادي الزاهر من أرض مكة المشرفة، فصدر أمر أمير مكة، سيدنا الشريف عبد الله باشا بن المرحوم الشريف محمد بن عون، بعد حضوره من الطائف إلى أربعة من الفقهاء، بقراءة ختمه قرآن مدارس مرتلة، يدورون بها حول مكة المشرفة، تحويطا لها من سوء، مبتهلين إلى الله تعالى في قبول ذلك.

فابتدأوا من ناحية المصافي "بجباد،" جاعلين دور مكة على اليسار، مارين بحدودها من أعالي الجبال، إلى أن وصلوا إلى جبل حراء، ثم انحدروا على طريق

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٩٨

العشر إلى أن نزلوا من أعالي الزاهر، فمسكوهم العساكر المحافظين للصحة في تلك الجهات، و تعلقوا بهم ظنا أنهم ممن ينبغ عليهم المحافظة، فخلصهم السيد هاشم بن شرف العبدلي لأنه كان مأمورا عليهم، و ما زالوا سائرين إلى أن طلوعوا من خلف الحفاير من أعالي الزاهر، ثم نزلوا على بركة الماجن بأسفل مكة، ثم ختموا بالمصافي، من حيث ابتدؤوا.

ثم في ثاني الأيام، جاؤوا إلى حجر إسماعيل عليه السلام و بجوار البيت المعظم، و قرأوا سورة يس و سورة الأنعام.

ثم صدر الأمر العالي من حضرة صاحب الإمارة الجليلة، على سائر علماء الحرم، بقراءة صحيح البخاري تجاه البيت المعظم، و ابتهلوا

إلى الله تعالى أن يدفع الله السوء عن أهل هذا البلد، و عن سائر المسلمين و جلسوا الزوار ثلاثة أيام بالزاهر، ثم دخلوا مكة المشرفة، و قد حفظ الله الأول منهم و الآخر، و صرف الله السوء. انتهى ما ذكره الغازي.

فانظر أيها القارئ الكريم كيف كانوا في الزمن السابق يتضرعون إلى الله تعالى في النوازل و الشدائد، أما في زماننا هذا فإن الناس يهرعون إلى الأطباء و الدكاترة عند شعورهم بأى ألم بسيط. نسأل الله العفو و العافية و الصحة التامة.

لقد بحثنا مسألة الكرتينية في الزمن السابق، أما مسألتها في زماننا هذا فإليك نبذة مختصرة عنها:

قامت حكومة جلالة الملك سعود بن عبد العزيز، بكافة ما يلزم لحجاج بيت الله الحرام خير قيام، فكان من ضمن ذلك وضع المحاجر الصحية الفنية بمدينة "جدة"، "لحماية الحجاج و السكان من الأمراض و الأوبئة المعدية، و قد كان في جده من قبل محجر صحي لا تزال آثاره موجودة إلى اليوم، في مكان من البحر يسمى "بالجزيرة" بقرب جدة، و ذلك من أيام عهد الأتراك.

و هنا يسرنا أن نذكر بعض ما جاء عن محجرة جده نقلا عن النشرة اللطيفة التي طبعتها وزارة الصحة السعودية، بمناسبة افتتاح "مدينة المحاجر بجده" رسميا في ٢١ شعبان سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين هجرية، التي توافق ٣ إبريل (١٩٥٦) ميلادية، فقد جاء فيها ما خلاصته:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٩٩

كانت عمليات الحجر الصحي في الماضي تجري عند الحاجة إليها في جزيرتين صغيرتين بالقرب من ساحل جدة، و كانت إحداهما للإدارة و فيها أماكن لحجز ركاب الدرجتين الأولى و الثانية و الجزيرة الأخرى معدة لركاب الدرجة الثالثة، و كانت هذه الأماكن مزودة بالاستعدادات التي لا غنى عنها لمواجهة الطوارئ، كالمباخر و الوحدة الكهربائية، و جهاز تكتيف المياه.

و قد استخدمت هذه المحاجر في مناسبات كثيرة قبل سنة ١٩١١ ميلادية، ثم انقطعت الحاجة إليها بفضل التقدم الصحي، و إحكام الرقابة الصحية، فلم تدع الظروف لاستعمالها إلا عندما ظهرت الكوليرا في مصر سنة ١٩٤٧ ميلادية، فاستخدمت هذه المحاجر لحجز القادمين من مصر الذين لم يكونوا قد أتموا دور الحصانة عند وصولهم إلى هذه البلاد، فكان هذا الحاجز آخر ما استخدمت فيه مرافق هاتين الجزيرتين آنذاك.

و كانت الحكومة العربية السعودية قد طالبت بإلغاء بعض المواد في الاتفاقية الصحية الدولية لعام ١٩٢٦ من الميلاد، المبرمة في باريس، و تعديل بعض المواد الأخرى منها، بالنظر لعدم مطابقتها للأوضاع الفنية. على إثر ذلك وصلت إلى المملكة لجنة خبراء دوليين زارت المنشآت الكورنتينية في جدة، و قررت أن المنشآت المذكورة على استعداد كاف للقيام بالخدمات المحجرية اللازمة لاستقبال الحجاج، و اقترحت توسعه المنشآت المذكورة، و إدخال بعض التحسينات على المرافق الصحية، و كانت الحكومة العربية السعودية قد باشرت تطبيق برنامجها الصحي الطويل الأمد، و من أهم مشروعات هذا البرنامج إنشاء المحجر الصحي بجدة.

أما محجر جزيرة "كمران" فإنه في سنة ١٩٥١ ميلادية تقرر إلغاء هذا المحجر الذي كان يقوم بعمليات التفتيش الصحي على السفن و الحجاج القادمين إلى جدة من الجنوب، و ذلك بناء على تعهد الحكومة العربية السعودية بأن تتولى عملية التفتيش المشار إليها، بواسطة سلطاتها الصحية في ميناء جدة التي يمكن أن تحل محل محجر "كمران".

و محجر جدة يتألف من ١٥٠ مبنى، أقيمت على ٢٢٩٠٠٠ متر مربع تقريبا، في مكان على بعد كاف من العمران و أحيط بأسلاك شائكة لمنع الاختلاط، و يتصل هذا المحجر بالشاطئ بطريق خاص.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٠٠

و تضاء جميع أبنية المحجر بالكهرباء، و يوجد فيه مكاتب الإدارة، و سنترال التليفونات، و مستودعات السيارات و الحديدية، و ورشة النجارة، و الحمامات، و دورة المياه، و المطابخ، و المغاسل، و المباخر، و مبنى المخبر مزود بكافة الآلات و الأجهزة اللازمة، و هو مكيف تكييفاً مركزياً بالأجهزة الخاصة، و فيه مدرسة التدريب الصحي، و في غرب هذه المدرسة يقع مبنى التلاجات المخصصة

بعضها لحفظ اللقاحات و الأمصال و نحوها، و البعض الآخر لحفظ اللحوم و الخضروات و الفواكه اللازمة لنزلاء المحجر. و بالمحجر مستشفى عام، و صيدلية ممتازة، و قسم للأشعة، و غرف للمرضى، و مساكن للأطباء و الموظفين، إلى غير ذلك مما هو من مستلزمات المحاجر و المستشفيات.

نسأل الله تعالى العفو و العافية و الصحة التامة، و التوفيق إلى كل عمل ديني و إنساني، و الله في عون المرء ما دام المرء في عون أخيه.

### أول ظهور الجدري و الحصبة بأرض الحجاز

ذكر الإمام الأزرقى رحمه الله تعالى رحمه الأبرار، في كتابه تاريخ مكة: أن أول ما رؤيت الحصبة و الجدري بأرض العرب في عام حادثة الفيل، و أنه أول ما رؤى بها من مراير الشجر الحرمل و الحنظل و العشر، في العام المذكور. انتهى منه. و العشر بضم أوله و فتح ثانيه، هو نبات مر معروف عندنا.

نقول: إن أصحاب الفيل قد أهلكهم الله تعالى بالمغمس، و هو بعد عرفات بضع كيلو مترات إلى جهة الزيمة، فهذه الأمور التي ظهرت بأرض العرب، يكون ظهورها طبعا بمكة المكرمة، قبل جميع أراضى العرب، لقرب هلاك أصحاب الفيل من مكة المشرفة، و لا يبعد أن يكون ذلك من الوباء الذى وقع عن تعفن جثثهم، و الله تعالى أعلم. على كل حال هذه العلل و الأمراض، لا بد أن يكون لها سبب من الأسباب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٠١

### التقارير الصحية بنظافة الحج

جرت العادة في عصرنا الحاضر أن ترفع التقارير الصحية بنظافة الحج من الأوبئة و الأمراض المعدية، و ترسل بذلك البرقيات إلى الجهات المختصة لعمل الترتيبات اللازمة من قبل الكورنيتين و المحاجر الصحية، لتسهيل مرور الحجاج و دخولهم البلدان لخلوهم من الأمراض الوبائية، فلو وجد فيهم شىء من ذلك لا قدر الله، فإن المحاجر الصحية تحجزهم لديها أياما و تعالجهم إلى أن تتحقق من نظافتهم، فعند ذلك تسمح لهم بالسفر إلى بلادهم.

و إليك التقرير الصادر من وزارة الصحة بمكة المشرفة بنظافة حج عام ١٣٧٧ هـ و سلامته من الأمراض:

جاء في جريدة البلاد السعودية، في العدد الصادر بتاريخ ١٥ ذى الحجة ألف و ثلاثمائة و سبعة و سبعين من الهجرة، ما يأتى:

يسر وزارة الصحة بعد اطلاعها على قرار الهيئة الطبية العليا لحج عام ١٣٧٧ هـ الموافق ١٩٥٨ م ميلادية، و على تقارير المؤسسات، و الوحدات، و المراكز الصحية المعنية بشؤون الحج أن تعلن نظافة حج عام ١٣٧٧ هـ الموافق ١٩٥٨ م و سلامته من جميع الأوبئة و الأمراض المحجرية (الكورنثينية) و تحمد الله على ذلك.

و لم تكن هذه العادة جارية في العصور السابقة، غير أن عادتهم كانت بإرسال المبشر بسلامة الحجاج. فقد ذكر الإمام السيوطى في كتابه "حسن المحاضرة" ما يأتى:

ذكر قدوم المبشر سابقا يخبر بسلامة الحاج، كان ذلك في عهد الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان فمن بعدهم، و له حكمه لطيفة قل من يعرفها، قال الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه في قصته: حصر عثمان رضى الله عنه، و استمر الحصار بالديار المصرية، حتى مضت أيام التشريق و رجع البشير من الحج، فأخبر بسلامة الناس، و أخبر أولئك بأن أهل الموسم عازمون على الرجوع إلى المدينة ليكفوهم عن أمير المؤمنين. و أخرج مالك في الموطأ عن ابن دلائن عن أبيه: أن رجلا من جهينة كان يشتري الرواحل، فيتغالى بها، ثم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٠٢

يسرع السفر فيسبق الحاج، فأفلس، فرفع أمره إلى عمر، فقال: أما بعد أيها الناس إن الأسيفع أسيفع جهينه رضى من دينه و أمانته أن يقال سبق الحاج، ألا و إنه ادان معرضا، فأصبح و قد رين به فهمد، فمن كان له عليه دين فليأته بالعداء، فقسم ماله بين غرمائه، ثم كمل الدين. انتهى من الكتاب المذكور.

و الأسيفع طائر كالعصفور يكون بقرب الماء، و هو أيضا المتباعد عن الأعداء و الحسد، و الأسيفع تصغير أسفع أطلق على الرجل لسرعة رحيله و مفارقتة الحاج.

فائدة جاء في تاريخ الغازي المسمى إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، في الجزء الأول ما نصه:

و ذكر الحضراوى فى تاج تواريخ البشر، و فى سنة ١٢٨٨، كان بمدينة خير الأنام، عليه أفضل الصلاة و أتم السلام، و بآء حتى مات جملة من الزوار فى شهر رجب من أهل مكة و غيرهم، فصدرت أوامر الدولة العلية التركية و المصرية، بإرسال حكماء الصحة لعمل كرتينة على القادمين فى تلك الأباطح المعطرة بوادى الزاهر من أرض مكة المشرفة، و بادر أمر أمير مكة سيدنا الشريف عبد الله باشا بن المرحوم الشريف محمد بن عون، بعد حضوره من الطائف إلى أربعة من الفقهاء لقراءة ختمه قرآن مدارس مرتلة يدورون بها حوالى مكة المشرفة، تحويطا لها من سوء، مبتهلين إلى الله تعالى فى قبول ذلك، فابتدؤا من ناحية المصافى جاعلين دور مكة على اليسار، مارين بحدودها من أعالى الجبال إلى أن وصلوا إلى جبل حراء، ثم انحدروا على طريق العشر إلى أن نزلوا من أعالى الزاهر، فمسكوهم العساكر المحافظين للصحة من تلك الجهات و تعلقوا بهم ظنا أنهم ممن ينبغى عليهم المحافظة، فحصلهم السيد هاشم بن شرف العبدلى، لأنه كان مأمورا عليهم، و ما زالوا سائرين إلى أن طلوعوا من خلف الحفاير من أعالى الزاهر، ثم نزلوا على بركة الماجن بأسفل مكة، ثم ختموا بالمصافى من حيث ابتدؤا، ثم فى ثانى الأيام جاؤا إلى حجر إسماعيل عليه السلام، بجوار البيت المعظم، و قرأوا لديه سورة يس و سورة الأنعام، ثم صدر الأمر العالى من حضرة صاحب الإمارة الجليله على سائر علماء الحرم بقراءة صحيح البخارى تجاه البيت المعظم، و ابتهلوا إلى الله تعالى، أن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٠٣

يدفع الله سوء عن أهل هذا البلد و عن سائر المسلمين، و جلس الزوار ثلاثة أيام بالزاهر، ثم دخلوا مكة المشرفة، و قد حفظ الله الأول منهم و الآخر، و صرف الله سوء. انتهى.

### الجمال و السيارات بمكة المكرمة

بلاد العرب قاطبة كانت موطن الجمال و الخيول و البغال و الحمير، و بالأخص بلاد الحجاز، لكثرة الواردين إليها من الحجاج، قال الله تعالى فى كتابه العزيز:

وَ الْخَيْلِ وَ الْبِغَالِ وَ الْحَمِيرِ لَتَرْكَبُوهَا وَ زِينَةً وَ يَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَ قَالَ فى أول سورة النحل: وَ الْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفءٌ وَ مَنَافِعٌ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ\* وَ لَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَ حِينَ تَسْرَحُونَ\* وَ تَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا يَشِقُّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ.

إن بلاد الحجاز و خاصة أهل الحرمين الشريفين كانوا يعتنون بالجمال و الخيل و الحمير أشد العناية فى أكلها و شربها و راحتها، أما البغال فهى قليلة لديهم و لا يستعملونها إلا فى جر العربات، و فى الخارج يستعملونها فى جر العربات أيضا و فى حمل أجزاء المدافع الثقيلة، و الطلوع بها إلى الجبال للعساكر، و فى بلاد اليمن، البغال كثيرة هنالك، يستعملونها فى أسفارهم و حمل أمتعتهم.

و فى بادية الحجاز، عند العرب، اعتناء عظيم بالجمال، و لهم بها ولع شديد، و لهم بأجناسها معرفة عظيمة، كمعرفتهم بأجناس الخيل، خصوصا فى بادية نجد و الأحساء، فمن الجمال ما يجعل للأسفار البعيدة، و تسمى بالركائب أو النجائب أو الهجن "بضمتين"، و هذه

لا يركب عليها إلا شخص واحد أو شخص آخر يركب في مؤخراتها جهة ذيولها، ولا يحمل عليها إلا الأمتعة الخفيفة اللطيفة، فهذه الركائب سريعة المشى بطبيعتها الحال، فهي تقطع المسافات في أقل من الجمال العادية. ومن الجمال ما يجعل لحمل الأثقال والأمتعة الكثيرة الثقيلة، وقد يجعل لركوب شخصين أو ثلاثة في هودج أو شقدف، وهو منفصل إلى قسمين كالسريرين بطول الإنسان، يكون في كل قسم شخص واحد، ويكون الجمال في وسط الشقدف، أي بين القسمين منه، وربما جلس على ظهر الجمال شخص ثالث، وهذا الشقدف يسير بفراش من الحنابل وغير بحيث يقى الجالس فيه الشمس نهارا، والهواء البارد ليلا، كما يقىه الأمطار عند نزولها حال مسيرهم،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٠٤

ومن الجمال ما لا يركب عليها عادة بل تحمل عليها الأمتعة والصناديق وأكياس الحبوب ونحوها، وهذه الجمال والتي قبلها بطيئة المشى، ولو لم يكن عليها حمل، فهي تقطع المسافة التي بين مكة وجدة في ليلتين، وتمكث نهارا في منتصف الطريق بينهما و يسمى "بحرة"، مع أصحابها وركابها من أول النهار إلى قرب المغرب ثم تستأنف السير، و يسمى عندنا مسير ليلة بالمرحلة، كما تقطع ما بين مكة المشرفة والمدينة المنورة في إحدى عشرة ليلة، تسير بالليل وتقبل بالنهار.

هكذا كانت وسائل النقل والانتقال والأسفار، بواسطة الحيوانات المذكورة، في جميع الممالك والبلدان على وجه الأرض، منذ العصور القديمة الأولى، إلى أن اخترعت القطارات والسيارات والطائرات في أوائل القرن العربي الحالي، أي إلى أوائل سنة (١٣٠٠) ألف و ثلاثمائة هجرية، فإنه من بعد هذه السنة المذكورة استبدل الناس في جميع الممالك تدريجيا النقل والانتقال بواسطة هذه المخترعات الحديثة وتركوا ما ألفوه من الانتقال بالحيوانات المذكورة، فتطور الكون وهو من سنة الله تعالى في خلقه.

أما الحجاز وفي مقدمتها "مكة والمدينة"، فلم يكن العرب يعرفون وسائل الانتقال إلا الجمال فقط، فكانت تجد بمكة المشرفة في موسم الحج الذي كان يبدأ في ذلك الزمن في شهر رجب من كل عام، آلافا مؤلفة من الجمال، أتى بها أصحابها من الصحراء والبادية لحمل الحجاج إلى مشاعر الحج، من ينبع ورايح و جدة، فمكة المكرمة و منى و مزدلفة و عرفات، ثم الرجوع منها بعد الوقوف إلى مكة المكرمة، ثم منها إلى المدينة المنورة، كل ذلك بطريق البر من المحطات المعروفة من قديم الزمن.

إنك أيها القارئ الكريم لو كنت معنا في ذلك الزمن المبارك، ورأيت تلك الآلاف المؤلفة من الحجيج على مختلف أجناسهم، فلقد كان أول من يأتي من الحجاج إلى مكة، شرفها الله تعالى، هم حجاج جاوا، وكان يأتي منهم في بعض الأعوام سبعون ألفا من الحجاج، وكانوا في أول شهر رجب يحضرون إلى مكة المكرمة و يصومون رمضان بها، كما كان يأتي من الحجاج المصريين نحو أربعين ألفا، وقس على ذلك بقية أجناس المسلمين.

ولو كنت معنا في ذلك الزمن المبارك، ورأيت الآلاف المؤلفة من الحجاج يمشون في بطن مكة و يختلطون بأهلها، ولو رأيت أيضا الآلاف المؤلفة من الجمال

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٠٥

والحمير والشقادات والصناديق التي في بطونها أمتعة الحجاج، والآلاف المؤلفة من المطوفين والخدم والحشم والجمالة رؤسائهم، كل ذلك لو رأيته في أيام الحج قبيل الوقوف ببضعة أيام، ولو رأيت معنا أيضا كيف كان ماء زبيدة تكفى هذا الحجيج الأعظم بدوابهم وحيواناتهم، وكيف كانت بطاح مكة وبيداء منى و مزدلفة، و ساحة عرفات، تعج بهم عجيجا و تتجاوب الجبال والصخور والأحجار مع تليبتهم و تهليلهم و تسيحهم، و مكة في ذلك العهد صغيرة الرقعة، كثيرة المنعطفات والتعاريج، ضيقة الشوارع والحارات، فكيف كانت تسع تلك الجموع الزاخرة التي تشبه المحشر يوم القيامة، إنه أمر الله تعالى وإرادته. لو رأيت أيها القارئ الكريم كل ذلك معنا في ذلك الزمن الفائت، لأخذك العجب العجاب، ولما وسعك بعد أن تشهد إلا أن تقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له بالملك، وله الحمد، يحيى ويميت، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله الكبير المتعال، له ما في

السموات و ما فى الأرض، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء و إليه ترجعون.

و من أراد زيادة الإيضاح و البيان عن الجمال و الشقادف، و طريق الحج بالبر، و المحطات للقوافل، و عن عوائد العرب و البدو، و عن الحجاج فى كل عام، فليراجع كتاب "مرآة الحرمين للإبراهيم رفعت باشا رحمه الله تعالى.

هذا، و إننا و لله الحمد و الشكر، رأينا تلك الأيام المباركة و رأينا هذه الأيام الزاهرة، فهناك فرق كبير بين العهدين، و بون شاسع بين الزمنين، فأين ذهبت تلك الجمال و تلك الشقادف و الهودج، فإليك تفصيل ذلك:

سبق أن ذكرنا أن الناس كانوا ينتقلون منذ العصور القديمة بواسطة الحيوانات و الأنعام، فلما اخترعت الوسائل الحديثة من القطارات و السيارات و الطائرات، صاروا ينتقلون بهذه الوسائل المبتكرة، و لكن لم يكن شىء من تلك الوسائل وصلت إلى الحجاز بعد. ففى سنة (١٣٤٠) ألف و ثلاثمائة و أربعين هجرية، وصلت أول سيارة لملك الحجاز الأسبق الشريف الحسين بن على بمكة المكرمة، رحمه الله تعالى، قدمها إليه هدية التاجر الهندى المسمى "بالكندوانى"، لكنه رحمه الله تعالى، ما كان يستعملها إلا نادرا، حيث لم تكن الطرقات معبده و حيث لم يألف إلا ركوب الخيل.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٠٦

فلما استولى جلاله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله تعالى، على الحجاز فى سنة (١٣٤٣) هجرية، شاء الله عز و جل، أن تتطور البلاد من حالة إلى حالة أعظم فى المدينة و العمران، فكان أول بادرة لهذا التطور، وجود السيارات بمكة المشرفة و جدة و المدينة المنورة و غيرها، و ذلك فى سنة (١٣٤٦) فتألفت من أهالى البلاد بعض الشركات لإحضار السيارات من الخارج، فاشتغلوا بها برهه من الزمن، و الأرض لم تتعبد بالإسفلت لسير السيارات، فكانت الجمال إذا رأت هذه السيارات و سمعت صوتها، نفرت عنها و هربت من طريقها سواء كانت داخل البلده أو خارجها، ثم أخرجت الأرض كنوزها من معدن الزيت، حتى صارت الحكومة السعودية من أغنى الحكومات العربية، فتقدمت حياة الناس فى جميع المرافق تقديما محسوسا ملحوظا.

فكانت الحكومة تستورد الكثير من السيارات على اختلاف أنواعها، لجميع أفراد الأسرة المالكة كبيرا كان أم صغيرا و لموظفى الحكومة أيضا، و قامت الشركات و بيوت التجارة تستورد منها أنواعا مختلفة لبيعها من الناس، و قامت الحكومة تعبد الطرقات و الشوارع و المسالك بالإسفلت، حتى صارت جميع مدن المملكة مرتبطة ببعضها، و استغنى الناس عن ركوب الحيوانات، و هجروا استعمال الجمال و الخيل و الحمير. أما وجود البسكليتات و الدراجات النارية، فقد كانت موجودة قبل سنة (١٣٤٣) هجرية بالحجاز، لكن بصورة قليلة جدا بعدد الأصابع، فكان الناس يسمون البسكليتات حمار الشيطان، لأنها تمشى بسرعة و على عجلتين، فلما أصلحت الطرقات و الشوارع و عبت بالإسفلت، و كثرت السيارات، كثرت أيضا البسكليتات و الدراجات النارية.

فما أتت علينا سنة (١٣٧٣) هجرية، و هى السنة التى توفى فيها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى، إلا و ليس بالحرمين الشريفين جمال و شقادف لنقل الحجاج مطلقا، حتى لقد صارت كلمة "شقدف" من الكلمات الغريبة التى تحتاج إلى شرح و بيان، أما الشقادف فهى معموله من أعواد الخشب و الحبال، فقد ذابت أو صارت طعمه للنيران، و لكن أين ذهبت تلك الآلاف المؤلفة من الجمال التى كانت تحمل الحجاج قبل السيارات؟ إنها ذهبت فى بطون الأودية و شعاب الجبال، تذبح فتؤكل لحومها، أو تحمل ضعاف البدو من مكان إلى مكان، فلم تبق لهم بها عناية كعنايتهم السابقة، فسبحان الكبير المتعال

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٠٧

رب العزة و الجلال، الذى له ملك السموات و الأرض، لا إله إلا هو العزيز الجبار.

و مما يجب ذكره: أن مكة شرفها الله تعالى و أدام أمنها و أمانها كانت من سنة (١٣٤٨) ألف و ثلاثمائة و ثمان و أربعين هجرية، فما قبلها إلى العصور السابقة، إلى عصر الإسلام و ما قبله أيضا، يسودها الهدوء و السكينة فى جميع أنحاء ليل و نهارا. فلما كثرت بها السيارات من بعد السنة المذكورة إلى الآن، كثر الضوضاء فيها و زاد الضجيج بها من هدير السيارات و أصوات عجلاتها، فسبحان مغير

الأحوال.

انظر: صورة رقم ٤٥، ناقتان على كل منهما راكب من العرب.

و انظر: صورة رقم ٤٦، جملان يقودهما أحد الأعراب.

و انظر: صورة رقم ٤٧، الجمال باركة بشارع المعلا بمكة و بجوارها السيارات.

و انظر: صورة رقم ٤٨، بعض الجمال وفوقها أكياس الحبوب بالمدينة المنورة.

و انظر: صورة رقم ٤٩، قافلة من الجمال تمشى في أحد شوارع منى.

و انظر: صورة رقم ٥٠، جزء من قافلة الحجاج وهم على الشقادف فوق الجمال في أحد شوارع جدة قاصدين مكة المشرفة قبل سنة

١٣٤٥ هـ.

و انظر: صورة رقم ٥١، الجمال وهي محملة بالشقادف يجلس فيها الحجاج.

و انظر: صورة رقم ٥٢، رتل من السيارات ناقلات الحجاج.

### المشقات التي كانت تعترض الحجاج سابقا و بيان مسافات الطرق

مما لا جدال فيه، أن طريق الحج من جميع جهات مملكتنا في عهدنا الحاضر السعيد، طريق معبد للمسير و السيارات ممهد بجميع اللوازم و الضروريات التي قد يحتاج إليها الحاج، من زاد و ماء و وقود و إسعافات، أما الأمن و الأمان، و الأرزاق الوافرة بدون حساب، فحدث عنها و لا حرج، و قد شاع ذلك في الخافقين، كل هذا أولا بفضل الله عز شأنه و برحمته العميمة، ثم بعناية حكومه جلالة ملكنا الملك فيصل بن عبد العزيز، زاده الله توفيقا و عزا.

أما في الأزمان السابقة و العصور الماضية، فقد كانت طريق الحج محفوفة بأنواع المخاطر و المشقات، و لنذكر ما حكاه بعض المؤرخين عن ذلك فنقول:

قال صاحب الرحلة الحجازية، الذي حج في عام (١٣٢٧) هـ، في كتابه المذكور

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٠٨

عند الكلام على الطريق إلى الحرمين ما نصه: كانت طريق الحجيج إلى بيت الله الحرام كلها مشقات و أخطارا في الزمن السابق، بما كانت تلقيه يد الطبيعة في سبيلهم من الشدائد الطبيعية التي كانت تفتك بسوادهم في الطريق من حر الصيف وقر الشتاء، أو جفاف ماء الآبار في هذه الصحراء المحرقة، و ما كان يدهمهم فيها من السيول التي أشد ما حصلت في سنة (١١٩٦)، حيث اجتاحت نصف الحجيج المصري بين مكة و المدينة، و عدا هذه الشدائد الطبيعية، فكثيرا ما كانت توقع بهم يد أشرار الأعراب، و أفص ما وقع لهم في سنة (١٢٠٠)، و كان أمير الحج المصري أمسك بعض لصوص حرب في طريق المدينة، و وسهم بالنار على خدودهم فصرخت صرختهم، و تلاحقت به قبائل حرب، و حملوا عليه، فهرب مع عسكره، و وقعت الحجاج بين أيديهم فأفنوهم عن آخرهم، و أخذوا ما كان معهم من سلب و ذخيرة. و كثيرا ما كان تجاذب السلطة بيد أشرف مكة و بعضهم، أو حربهم مع قبائل الأعراب، أو اختلاف أهل مذهب مع أهل مذهب آخر، يقفل في وجوه الحجاج أبواب مكة أو المدينة بعد وصولهم إلى هذه أو تلك، فيرتدون عن الأولى من غير تأدية المناسك، و عن الثانية بدون زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم و يعودون إلى بلادهم، و قد أضافوا على متاعبهم الأولى مشقات جديدة تزيد في شدتها عليهم آلامهم المعنوية من حرمانهم من أمنيته، فتضعف قواهم و تخور عزائمهم، و غالبا ما كانت تشتتهم يد الفوضى و تعرض بهم حال الضعف إلى النهب و السلب، كل ذلك كان يحصل لحجاج بيت الله الحرام.

و الناس لا يمنعهم عنه مانع و لم يسمع أنهم انقطعوا عنه من أنفسهم في سنة من السنين، اللهم إلا ما قعد ببعضهم من غير جزيرة العرب أيام القرمطي و الوهابي، لأن الطريق كانت مقطوعة عليهم، و لم يسمع بأن جميع المسلمين أهملوا هذا الواجب مطلقا، و لم يقف أحد



منهم بعرفه من مبدأ الإسلام إلى الآن، إلا في سنة (٦٥٤) التي لم يحج فيها أحد للفتنة التي كانت بين الأشراف على إمارة مكة. لذلك كان الحجاج إذا طلوعوا إلى أداء هذه الفريضة كانوا أول ما يستعدون على سلاحهم كأنهم سائرون إلى دار حرب، لا إلى دار قد أمن الله فيه حياة الإنسان والحيوان، بل وحياة الأشجار، فإذا عادوا إلى بلادهم استقبلهم أهلهم وذوهم بالطبول والزمور، فيقيمون لهم الأفراح والليالي الملاح، بعد أن يعدوا لهم كل ما فيه راحتهم ورفاهيتهم، من نقش الدور وتجديد ما قدم عهده فيها من فرش وغيره، لا فرق في ذلك بين أمير أو فقير. وكانت الطبقة الصغرى، وهي سواد

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٠٩

الحجاج وأكثرهم مشقة طبعاً، تزوق لهم واجهات منازلهم: فيرسمون عليها صورة المجلد وقفلته وحرسه، ويرسمون إلى جانبها نخلة قد ربط إلى جذعها سبع و ضبع في سلسلتين من حديد، و بقرب منهما رجل قد أشهر سيفه في يده إشارة إلى أن صاحبنا حفظه الله، تغلب بقوته وشجاعته على ما صادفه في طريقه هذا من المخاطر والمهلك.

لذلك كان ولا يزال لقب الحاج عند سواد المسلمين أشرف الألقاب التي يتحلى بها صدر أسماء الطبقة الصغرى، وهو يدل على ما يمتاز به الشخص من صفات الشهامه في الشبان، فإذا قيل لواحد منهم: يا حاج فلان، يعني يا أيها الشهم الشجاع، أما إذا لقب به الشيوخ والكهول، فإنما يكون ذلك إشارة لكمال يقينهم ومثابته دينهم الذي تحملوا في طريقه الأهوال التي تشب منها الأطفال.

على أن طريق الحاج أصبح اليوم أقل صعوبة منه في أمسه، لذلك ترى الحاج في عودته بأبسط مما كان يستقبل به في الزمن السابق. و قليلاً ما تراهم بمصر يرسمون شيئاً على دور الطبقة الفقيرة، اللهم إلا محملاً يسير في جنده وإلى جانبه مركب بخارى، أو قطار سكة حديد، مما لا شيء فيه من معنى المشقة التي كان يصادفها الحاج في طريقه في الزمن السابق. و في الحقيقة فإن طريق الحاج اليوم أقل صعوبة وأكثر أمناً منه بالأمس، بل لا نسبة بين الحالتين بالمره، ما دام طريق الحرمين أصبح محل اهتمام دولتنا العلية، فلا بد أن يأتي يوم قريب يتذلل ما بقى فيه من الصعوبات، خصوصاً إذا تحقق خبر تسيير الطريق الحديدي بين المدينة ومكة، و بين هذه وجدة، و الله الهادي إلى سواء السبيل. انتهى من الرحلة الحجازية.

فحمد الله تعالى الذي أذهب تلك المشقات عن طريق الحج في عهدنا الزاهر الميمون، و جعله سهلاً مسوراً لكل قاصد من غنى أو فقير، اللهم أكثر علينا من خيراتك وفضلك، و عاملنا بإحسانك ورحمتك، و أصلح أحوالنا باطنا و ظاهراً حتى نكون أهلاً لرضائك و إكرامك بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين آمين.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣١٠

## الطريق من مكة إلى المدينة سابقاً

### إشارة

نذكر هنا الطريق التي كان الحجاج يسلكونها من مكة إلى المدينة في العصر السابق، لأن في ذكرها معرفة الأماكن التي هجرت اليوم، بسبب وجود السيارات (الأتومبيلات) و التي لها طريق ممهدة بالإسفلت، و بسبب الطائرات أيضاً.

قال البتوني في كتابه "الرحلة الحجازية" عن ذلك ما يأتي:

تقوم قوافل الحجاج من مكة إلى المدينة المنورة، فيسيرون في واحدة من أربع طرق، على حسب تبعية المقوم و الجماله إليها، و هذه الطرق هي: السلطاني، و الفرعي، و الغاير، و الشرقي.

و الطريق السلطاني هو أحسنها سيرا و أكثرها ماء. فإذا قامت القافلة منه خرجت من باب العمرة، و سارت إلى الشمال الغربي، و تمر

على المحطات الآتية:

وادي فاطمة/ و يجري فيه ماء عذب يأتي من السيول التي تنزل من جبال الطائف، و به مزارع كثيرة، و يسكن فيه عرب الأشراف، من ذوى حسين و ذوى غالب، و يسكن في المنطقة التي بينه و بين مكة إلى بحرة بنو لحيان.

عسفان/ ماؤها قليل، و في طريقها عقبه لا تسع إلا جملا جملا، و العرب الذين يسكنون في هذه الجهة بشور (بشر) و حمران.

خليص/ بها بئر التفل، و ماؤها غزير و يسكنها قبائل زبيد، و بقرب منها واحة بها مياه جارئة، و فيها بساتين و نخل.

القديمة/ (القضية) قرية على البحر، و مساكنها أكواخ صغيرة، و ماؤها من الحفر التي يخزنون فيها ماء الأمطار، و أهلها من زبيد، و يشتغلون في الغالب بصيد البحر، و منها يتجه الطريق نحو الشمال.

رايح/ و هي قرية على البحر الأحمر، و فيها قلعة بها بعض الجند العثماني، و ماؤها من الحفر و الآبار، و أهلها من زبيد. و يأتي إلى مياهها بعض السفن الصغير ليشتري ما يصيده أهلها من الأصداف و غيرها، و ينزلون إليها خفية كثيرا من الدخان و غيره من الأشياء الممنوعة، و على الخصوص الأسلحة و ما يلزمها من ذخيرتها، و يبعونها بأثمان رخيصة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣١١

/ جدا.

مستورة/ ماؤها غض (و منها طريق إلى بدر، إلى الصفراء و يسمونه الملف)، و يسكن هذا الطريق قبائل صبح في بدر، و الأحامدة في الصفراء.

بئر الشيخ/ و تسكنها قبائل صبح. و المياه على طول هذا الساحل لا ترعى الصابون.

ديار بنى حصاني/ ماؤها غض، و يسكنها صبح و الحوازم.

الحمران/ و هي قرية بها نهر عذب، و فيها بساتين و نخيل، و يكثر فيها البرتقال و الليمون و الموز و الحناء، و يزرع بها كثير من الخضر كالقتاء و البطيخ و غير ذلك، و يسكنها الحوازم، و منها ينثنى الطريق إلى الشمال الشرقي.

الجديدة/ و هي قرية ماؤها عذب، و بها قبر ولي الله سيدي عبد الرحيم البرعي المصري، و تسكنها قبائل الحوازم و الأحامدة. و منها يميل الطريق قليلا نحو الشرق.

بئر عباس/ و يسكنها جانب من الحوازم و صبح و الأحامدة، و ماؤها قليل، و منها يميل الطريق إلى الشرق قليلا.

بئر درويش/ و يسكن هذه الجهة قبائل الأحامدة و الرحلة (بكسر الراء و فتح الحاء).

آبار على/ و يسكنها قبائل عوف و عمرو، و ماؤها عذب و هي على مسافة نحو خمسة كيلو مترا من المدينة، و تترك فيها القوافل شقادفهم و سحالبهم حتى لا يدفعوا عليها قوشانات في دخولها على المدينة، و من يريد أن يدخلها بمحملة دفع عليه الرسوم المعتادة من جيبة، و ربما طلب منه الجمال أكثر من اللازم فليتبدر.

### الطريق الفرعي

و الطريق الفرعي يبتدئ من رايح متجها إلى الشمال الشرقي، و يمر على المحطات التالية: وادي حرشان.

نقر الفار- و هو محجر ضيق منحدر، تمر منه الجمال جملا جملا، و يسكنه بنو سالم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣١٢

بئر رضوان- و ماؤها عذب.

أبو ضباع أو أم ضباع- و ماؤها عذب، و يسكنها بنو عوف.

الرياض أو وادي الريان- و ماؤها عذب و شجرها كثير، و يسكنها بنو عمرو.

الغدير- و فيه مجرى ماء.

وادي المعظم- ماؤه عذب.

بئر الماشي- ماؤها عذب حلو، و يسكنها بنو عوف.

### طريق الغاير

و طريق الغاير يبتدىء من رابع أو من مستورة، و يقطع جبل الغاير إلى الشمال، و هو أقل هذه الطرق مسافة فإذا وصل المسافر إلى الغاير صعد من عقبة عالية تشرف على هاوية عميقة طريقها ضيق جدا، بحيث لا يسع إلا دابة دابة. و هذا الطريق خطر في صعوده و هبوطه و خصوصا على الركاب، و مع ذلك تسير فيه الدواب بسهولة لأنها متعودة عليه، و مسافة الصعود إلى ظهر هذه العقبة لا تقل عن ست ساعات. و يسكن الغاير و منحدراته قبائل اللهبه و مسروح، و هما شر العرب على الحجاج. و هذا الطريق يسمونه الطريق المدني، لأن أهل المدينة يستسهلونه في حجهم لقربه، فيركبون هجنهم أو حميرهم أو خيلهم و يسرون فيه قوافل قوافل. و لهم منازل ينزلون فيها حيث يكون الماء، و يقيمون فيها ريثما يأكلون و يصلون، ثم يستأنفون السير إلى مكة. و كثير من الحجاج الأقوياء الخفاف الأثقال، و خصوصا من المصريين، كانوا يصحبونهم من المدينة إلى مكة، و من مكة إلى المدينة عقب أيام التشريق مباشرة، و ينتظرون بالمدينة، حتى إذا جاءت القوافل إليها انصرفوا معها إلى ينبع.

و كانت حارة من المدينة تكون قافلة تسير تحت زعامة شيخ هذه الحارة، و يسمون ذلك ركبا فيقولون "ركب فلان حضر إلى مكة، أو قام منها في يوم كذا" و كذلك الحال في زيارة أهل مكة للمدينة المنورة قبيل شهر رجب.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣١٣

### الطريق الشرقي

و الطريق الشرقي يخرج من مكة من باب المعلى، و يتجه إلى البياضية، ثم يسير في طريق، شمال طريق منى، و يتجه إلى الشرق، و يمر على المحطات الآتية:

بئر البارود/ ماؤها عذب.

وادي الليمون/ و يكثر فيه شجر الليمون و النارنج و الليمون الحار، و يزرع فيه البطيخ و الخضر. و فيه ماء جار ينزل إليه من جبال الهدى، و يسير في مجرى مبنى إلى بساتينه و غياضه. و منه يتجه الطريق نحو الشمال.

الحفاير/ (الضريبة) مياهها عذبة، و قريبة من سطح الأرض.

بركة سمره/ لا ماء فيها مدة الصيف.

بركة المسلح/ (حارة) ماؤها غزير و بساتينها كثيرة.

الحيط/ (الضيعة).

سفينه/ (سفينه) و بها نخل و آبار عذبة.

السويرجية/ (السويرقية) قرية يسكنها سادات من بني حسين و بها آبار و مزارع كثيرة.

الحجرية/ و يبعد الماء عنها بنحو ربع ساعة.

غرابه/ أو غراب، وفيها مياه كثيرة على عمق ذراع أو ذراعين من سطح الأرض.  
الغدير/ أو الحنك، وبعضهم يكتبها الحنق، وفيها بركة كبيرة تملأ من مياه الأمطار.  
سيدنا حمزة./ المدينة المنورة.

وعربان هذا الطريق من التريود واللهبة وعتيبة ومطير والرحلة، وهم أبعد العرب عن الحضارة.  
انتهى من الرحلة الحجازية للبنونى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣١٤

## نظام القوافل

ثم بعد ما تقدم من الكلام، قال صاحب الرحلة الحجازية المذكور تحت عنوان "نظام القوافل" ما يأتي:

قلنا أن الحجاج لا يخرجون من مكة إلى المدينة إلا في ركب القافلة التي تكون جمالتها من أهل الطريق الذي يسرون فيه، وغالبا ما تكون جمال الحجاج تابعة لجمال واحد، وهو الأحسن، أما لو كانت تابعة لجمالين، فتكون مشغوليته أكبر، وتعبه بينهما أعظم. وعلى كل حال فعلى الحاج أن يجتهد في تخفيف أحماله و أثقاله، فإذا كملت شحنة القافلة، نهضت الجمال بجمالهم، وأخذوا يقطرونها في بعضها قطارا واحدا أو قطارين بجوار بعضهما، وفي المقدمة يكون غالبا أكبر الركب وجاهة و عصبية، و جمال كل رجل تسير من خلفه مقطورة في جملة، و منهم من يرى تقدمها على جملة حتى تكون على الدوام تحت نظره، خوفا عليها من عبث العابثين.  
و الجمل عندهم ينقسم إلى قسمين، جمل الشقذف: و يركبه اثنان و معهما اللازم من فراشهما و مؤنتهما اليومية، و جمل الحمل، و يقال له العصم، يحمل المتاع و يركب فوقه رجل واحد أو رجلاين، إن كان المتاع قليلا. و أجره العصم في الغالب ثلثا أجره جمل الشقذف الذي يكون من الجمال المتينة القوية، حتى يتيسر له حمل ما فوقه. و ليس لهذه الأجرة من رابطة، بل يقدرها الشريف كل سنة باتفاقه مع الوالى، على حسب أهوائهما و تحت رحمتها بضيوف الله، ثم ينادى بها المنادى فى الأسواق، و لذلك تراها كالترموتر ترتفع و تنخفض على نسبة مطامع و لاء الأمور بمكة. و لقد كانت أجره الشقذف فى سنة ١٣٢٨ ست ليرات عثمانية من مكة إلى المدينة إلى ينبع، أما قبل الدستور فقد بلغت ١٣ جنيها مصريا و نصف، كانت تؤخذ من الحاج فى مكة بواسطة المطوف، و هذا عدا ما كان يصيبه من الجمال فى طريقه من طلبه زيادة على الأجرة المذكورة مدعيا بأنه لم يصله شىء من أجرته.  
و عليه، فإذا كان الحاكمون فى بلاد العرب من الأخيار البعيدين عن المطامع، كانت الجمال على أخلاقهم، و العكس بالعكس، (و الناس على دين ملوكهم).

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣١٥

و المطوفون بعد أن يتفقوا مع الجمال على حمل حجاجهم يسافرون غالبا إلى المدينة فى قافلتهم بحجة المحافظة عليهم، و كثيرا ما يغمر الجمال بضعاف الحجاج، فيأخذون الأجرة منهم، و يخبرونهم بأن الجمال خارج البلد، و يرجونهم فى أخذها من هناك حتى يوفروا عليهم دفع القوشان (كلمة تركية معناها المكس، و هو عوائد تأخذها الحكومة على الجمال الخارجة من مكة أو جدة أو المدينة أو ينبع، و ليست لها قيمة مخصوصة، بل ترتفع و تنخفض على نسبة مطامع ذوى الكلمة هناك، و ربما بلغت ريالين أو أكثر قبل الدستور، مع أن الذى يرد لخزينة الدولة منها ستة قروش فقط)، فإذا خرج الحجاج المساكين من مكة لا يجدون إلا جمالا ضعيفة ضئيلة ينالهم منها مشقات جسيمة، و كثيرا ما يتركونها و يسرون على أقدامهم جل مسافة الطريق أو كلها.

و القافلة لا تنتظم عادة إلا بعد أول محطة، حيث ينظم الجمال جمالهم، و يرتبون قطاراتهم التى لا يخالفونها طول سفرهم.

و الجمال فى الغالب نحيفو الجسم رفيعو الساقين قصار القامة، يكاد أن لا يكون فى جسمهم عضل بالمره، أما عظمهم فهو الحديد أو أشد صلابة، و لهم قدرة على العدو بحيث لا يلحقهم فيه أحد، و لقد رأيت رجلا منهم يعدو وراء جمل شارد، حتى تعلق بذيله فعاقه

عن الجرى، ثم أمسك بزمامه، أما ملابسهم فهي قميص عليه حزام من الجلد به عادة سكين طويلة أو سيف صغير، و في أيديهم عصا غليظة قصيرة، يسمونها المطرقة، و على رؤوسهم تلك الصمادة "الكوفية" التي يلفونها عليها بأشكال مختلفة، و بعض عرب الشروق و اليمن يستعملون غير الطاقية شيئا من الخوص يشبه البرنيطة الواسعة، إن لم تكن هي، و يسمونها الظلة.

و بعض الجمال يلبس نعلا في رجله تقيها من حرارة الأرض و حصائها. أما نظافة ملابسهم، فلا يمكنني أن أقول لك عنها غير أنها إذا اتصلت بجسومهم لا- يخلعونها مطلقا حتى تنخلع هي عنها، و هذا لا- يكون إلا إذا أكل عليها الدهر و شرب، و المترفون منهم يغيرون ملابسهم كل سنة مرة في موسم الحج، و بعضهم يلبس عباءة من الصوف أيام الشتاء تقيهم شدة البرد يسمونها مشلحا، و لون هذه الملابس كلون الجبال أو الرمال، فتراها صفراء قاتمة أو حمراء طويبة، و ربما كان اختيارهم لهذه الألوان حتى لا ترى بسهولة من بعد، بل يشكل فيها الأمر على

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣١٦

الرائي، و في ذلك ما لا يخفاك من الفكرة التي أساسها الخبث و الغدر، و ربما أخذ من هذا تغطية الاستحکامات الجديدة في أوروبا بطبقة ترايبه، تشبه أرض المنطقة المحيطة بها، و بعض كبراء الحجيج يعطون جمالهم عباءة من الجوخ الأحمر، فيفرحون بها فرحا عظيما، و تقع في نفوسهم موقعا حسنا، و يتباهون بها على اقرانهم ... إلى آخر كلامه الطويل عن وصف الجمال التي أضربنا عنها صفحا، لعدم احتياجنا إليها، مكتفين بما ذكرناه. انتهى من الرحلة الحجازية للبتوني.

### الطريق المسلوك من مصر إلى مكة

و بمناسبة كلامنا عن طريق الحج، نذكر أيضا ما جاء في كتاب "حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة" للإمام السيوطي رحمه الله تعالى، للإحاطة و التبصرة. فقد قال فيه ما يأتي: ذكر الطريق المسلوك من مصر إلى مكة، شرفها الله تعالى. قال ابن فضل الله في المسالك: المحامل السلطانية و جماهير الركبان لا تخرج إلا من أربع جهات و هي: (مصر، و دمشق، و بغداد، و تعز اليمن)، قال: فيخرج الركب من مصر بالمحمل السلطاني، و السبيل المسبل للفقراء و الضعفاء و المنقطعين بالماء و الزاد و الأشربة و الأدوية و العقاقير و الأطباء و الكحالين و المجبرين و الأدلاء الأئمة و المؤذنين و الأمراء و الجند و القاضى و الشهود و الدواوين و الأمناء و مغسل الموتى، في أكمل زى و أتم أبهة، و إذا نزلوا منزلا أو رحلوا مرحلا تدق الكوسات و ينفر النفير ليؤذن الناس بالرحيل و النزول. فإذا خرج الركب من القاهرة، نزل البركة على مرحلة واحدة، فيقيم بها ثلاثة أيام أو أربعة، ثم يرحل إلى السويس في خمس مراحل، ثم إلى نخل له خمس مراحل، و قد عمل فيها الأمير إلى ملك الجو كندار المنصوري، أحد أمراء المشورة في الدولة الناصرية ابن قلاوون بركا، و اتخذ لها مصانع، ثم يرحل إلى أيلة في خمس مراحل و بها العقبة العظمى، فينزل منها إلى حجز بحر القلزم، و يمشى على حجزه حتى يقطعه من الجانب الشمالي إلى الجانب الجنوبي، و يقيم به أربعة أيام أو خمسة، و به سوق عظيم فيه أنواع المتاجر، ثم يرحل إلى حفل مرحلة واحدة، ثم إلى بر مدين في أربع مراحل، و به مغارة شعيب عليه الصلاة و السلام، و يقال إن مأوها هو الذى سقى موسى، عليه الصلاة و السلام غنم بنات شعيب. ثم يرحل إلى عيون القصب في مرحلتين، ثم إلى المويحة في ثلاث مراحل، ثم إلى الأزلم في أربع مراحل، و مأوه من أقبح

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣١٧

المياه، و هناك خان بناه الأمير إلى ملك الجو كندار و عمل هناك بئرا أيضا. ثم إلى الوجه في خمس مراحل و مأوه من أعذب المياه، ثم إلى أكرى في مرحلتين و مأوه أصعب ماء في هذا الطريق، ثم إلى الحوراء، و هي على ساحل بحر القلزم، في أربع مراحل، و مأوها شبيه بماء البحر لا يكاد يشرب. ثم إلى نبط في مرحلتين و مأوه عذب، ثم إلى ينبع في خمس مراحل و يقيم عليه ثلاثة أيام، ثم إلى الدهنا في مرحلة، ثم إلى بدر في ثلاث مراحل، و هي مدينة حجازية و بها عيون و جداول و حدائق و بها فرضة المدينة الشريفة.

ثم يرحل إلى رابغ في خمس مراحل، و هي بإزاء الجحفة التي هي الميقات، ثم يرحل إلى خليص في ثلاث مراحل، و بها بركة عملها الأمير أرغون الناصري، ثم إلى بطن مر في ثلاث مراحل، و في طريقه بئر عسفان، ثم يرحل من بطن مر إلى مكة المشرفة مرحلة واحدة، ثم يرجع في منزله إلى بدر فيعطف إلى المدينة الشريفة، فيرحل إلى الصفراء في مرحلة إلى ذي الحليفة في ثلاث مراحل، ثم إلى المدينة الشريفة في مرحلة، ثم يرجع إلى الصفراء و يأخذ بين جبلين في فجوة تعرف بنقب على، حتى يأتي ينبع في ثلاث مراحل، ثم يستقيم على طريقه إلى مصر. انتهى من حسن المحاضرة.

و جاء في الجزء الرابع عشر من كتاب "صبح الأعشى" للقلقشندي، الذي فرغ من تأليفه سنة (٨١٤) أربع عشرة و ثمانمائة من الهجرة، عن المراحل الموصلة إلى الحرمين ما يأتي:

### معرفة مراحل الحجاز الموصلة إلى مكة المشرفة و المدينة النبوية

على ساكنها سيدنا محمد أفضل الصلاة و السلام و التحية و الإكرام، إذا كانت من تمتة الطرق الموصلة إلى بعض أقطار المملكة و كما ضبطت تلك بالمراكز فقد ضبطت هذه بالمراحل، و عادة الحجاج أنهم يقطعون في كل يوم و ليلة منها مرحلتين بسير الأثقال و ديبب الأقدام، و يقطعونها كلها في شهر بما فيه من أيام الإقامة بالعقبة و ينبع نحو ستة أيام، أما من يسافر على النجب مخفا مع الجد في السير، فإنه يقطعها في نحو أحد عشر.

ثم ذكر القلقشندي أسماء المراحل من مصر إلى مكة، و نحن نذكرها هنا عنه، لكن لا على ترتيب كتابه، و إنما نحن جعلناها على شكل جدول، و هو هذا:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣١٨

عدد/ أسماء المراحل / ملاحظات ١/ من القاهرة إلى البركة/ و هي معرفة ببركة الحاج

٢/ البويب/ و هي معرفة ببركة الحاج

٣/ الطليحات/ و هي معرفة ببركة الحاج

٤/ المنفرح/ و هي معرفة ببركة الحاج

٥/ مراكع موسى/ و هي معرفة ببركة الحاج

٦/ عجرود/ و بها بئر و مصنع ماء متسع يملأ منها

٧/ المنصرف/ و بها بئر و مصنع ماء متسع يملأ منها

٨/ وادي القباب/ و هو كبير الرمل

٩/ أول تيه بني إسرائيل/ و هو واد أفيح متسع

١٠/ العنق/ و هو واد أفيح متسع

١١/ نخل/ و بها ماء طيب

١٢/ جسد الحي/ ...

١٣/ بير بيدرا/ ...

١٤/ تمد الحصا/ ...

١٥/ ظهر العقبة/ ...

١٦/ سطح العقبة/ و هو عرقوب البغلة على جانب طرف بحر القلزم، و فيها ماء طيب من الحفائر

١٧/ حفن/ على جانب بحر القلزم " و هو البحر الأحمر " و فيها ماء طيب من الحفائر

- ١٨/ عش الغراب / ...
- ١٩/ آخر الشرفة / ...
- ٢٠/ مغارة شعيب / و بها ماء و مصنع
- ٢١/ وادى عفان / ...
- ٢٢/ ذات الرخيم / ...
- ٢٣/ عيون القصب / و به ماء نابع، و أجمه قصب نابتي فيها
- ٢٤/ المويلحة / و بهاء ماء فى آبار
- ٢٥/ المدرج / ...
- ٢٦/ سلمى / مجاور بحر القلزم، و بهاء ماء ملح
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣١٩
- ٢٧/ الأتيلات / ...
- ٢٨/ الأزمن / و الناس يقولون الأزمن باللام بدل النون، و به آبار بها ماء ردىء يطلق بطن من شربه، لا يسقى منه غالبا إلا الجمال، و هو نصف الطريق
- ٢٩/ وادى عنتر / ...
- ٣٠/ الوجه / و به آبار قليلة الماء و هو داخل الوادى يعز الماء فيه غالبا و لا يوجد فيه إلا حفائر، و يقال إنه إذا طلعت الشمس عليه نضب ماؤه، و فيه يقول من حج من الشعراء و عز عليه وجود الماء فيه: إذا قلّ ماء "الوجه" قلّ حياؤه و لا خير فى (وجه) بغير حياء، و الحيا المطروفة تورية. و فى رواية: إذا قلّ ماء "الوجه" قلّ حياؤه و لا خير فى "وجه" إذا قلّ ماؤه.
- ٣١/ المحاطب / ...
- ٣٢/ أكر / ...
- ٣٣/ رأس القاع الصغير / ...
- ٣٤/ قبر القروى / ...
- ٣٥/ كلخا / ...
- ٣٦/ آخر القاع الصغير / ....
- ٣٧/ الحوراء / و بهاء ماء غير صالح
- ٣٨/ العقيق / بضم العين تصغير عقيق بفتحها، و هو مضيق صعب
- ٣٩/ مغارة نبط / و بها ماء عذب ليس بطريق الحجاز أطيب منه
- ٤٠/ وادى النور / ....
- ٤١/ قبر أحمد الأعرج الدليل / ....
- ٤٢/ آخر وادى النور / ...
- ٤٣/ رأس السبع و عرات / ....
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٢٠
- ٤٤/ دار البقر / ....
- ٤٥/ ينبع / و هى النصف و الربع من الطريق، و بها تقع الإقامة ثلاثة أيام أو نحوها، و بها يودع الحجاج ما ثقل عليهم إلى حين العود و

يستميرون منها مما يصل إليها من الديار المصرية في سفن بحر القلزم.

٤٦/ المحاطب في الوعر/ ....

٤٧/ رأس وادي بدر/ و هي منزلة حسنة بها عيون تجرى و حدائق

٤٨/ رأس قاع البزوة/ ....

٤٩/ وسط قاع البزوة/ ....

٥٠/ رابع/ و هو مقابل الجحفة التي هي ميقات الإحرام لأهل مصر، و بها يحرم الحجاج و لا يغشون الجحفة، إذ قد دعا النبي صلى الله

عليه و سلم، بنقل حمى المدينة إليها بقوله "و انقل حماها إلى الجحفة، فلو مر بها طائر لحم."

٥١/ قديد/ بضم القاف

٥٢/ و عقبه السويق/ .....

٥٣/ خليص/ و به مصنع ماء

٥٤/ عسفان/ ...

٥٥/ مدرج على/ و هو كثير الوعر

٥٦/ بطن مر/ و العامة يقولون "مرو" بزيادة الواو، و به عيون تجرى و حدائق

٥٧/ مكة المشرفة/ شرفها الله تعالى و عظمها

٥٨/ منى/ و بها ماء طيب من آبار تحفر

٥٩/ المشعر الحرام المزدلفة/ ...

٦٠/ عرفة/ و هي الموقف و إليها ينتهي سفر الحجاج

انتهى كل ما ذكر من كتاب صبح الأعشى، و نحن قد وضعنا نص كلامه على هذه الصورة في هذا الجدول.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٢١

### الطريق من مصر إلى الحرمين قديما و حديثا

تختلف المدة اللازمة للإنسان ليصل إلى الحرمين الشريفين من بلدته بحسب قرب الأقطار أو بعدها، فقد ذكر العلامة الباجوري،

رحمه الله تعالى أن عادة أهل مصر الخروج منها للحج في اليوم السابع و العشرين من شوال، و عوده إليها في آخر شهر صفر هـ.

يعنى: أن الحاج المصرى يقضى في طريق الحج أربعة أشهر كاملة ذهابا و إيابا في عصر لم تكن فيه بواخر سريعة و لا قطارات و لا

سيارات و لا طائرات، فإذا كانت المدة طول إذا أتى الحاج من البلاد البعيدة و الأقطار النائية، كمن يأتي من أقصى السودان و أقصى

العراق و تركستان و بخارى و الهند و السند و الصين و جاوة و غير ذلك، و بالضرورة تكون النفقات اللازمة كثيرة أيضا، بحسب بعد

المسافات و قربها، و بحسب وسائل الركوب القديمة و الحديثة. ذكرت جريدة المدينة المنورة بعددها (٦٤٣) في ٦ ذى الحجة عام

١٣٧٥ هـ أن رجلا من البنقال من باكستان الشرقية وصل إلى المدينة حاجا ماشيا على قدميه من بلاده، و قد مر بصحراء راشبوتا بالهند،

و صحراء بلوجستان الخطيرة، و صحراء دشتبلوت بآيران، و قدم المدينة عن طريق النجف و حائل، و غادر المدينة إلى مكة ماشيا

أيضا، و قد قال هذا الحاج إن له أكثر من ستين و نصف و هو يمشى قاصدا الحج هـ. و ليس بمستغرب أمر هذا الرجل حيث لم

يستعمل شيئا من وسائل الركوب.

أما المسافر بوسائل الركوب الحديثة العصرية الآن، كالتائرات و السيارات و القطارات و البواخر العظيمة السريعة، فيكفى أسبوع واحد

أو أقل للحاج المستعجل لقدمه و رجوعه إذا ركب طائرة، و الله تعالى أعلم بما سيحدث في المستقبل من الاختراعات العجيبة، التي



لم تكن تخطر بالبال.

ولنذكر هنا كيفية الوصول سابقا من مصر إلى الحرمين الشريفين "مكة و المدينة"، وقد اختصنا الكلام عن مصر دون سائر البلدان لأمرين: الأول: لما لمصر من المكانة المرموقة الثابتة في قلوب جميع الأمم. والثاني: لأن حجاج أغلب الممالك كانوا في السابق يخرجون من بلادهم فيهبون مصر أولا، ثم يسيرون إلى الحرمين، كبلاد المغرب و السودان و السنغال و بلاد التكرور و بلاد الشام و الترك و القوقاز و بخارى و غيرها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٢٢

و لنقل هنا ما جاء عن طريق الحج في الأزمان السابقة من كتابين:

(الأول): كتاب تاريخ مكة المطبوع سنة ١٣٧٢ هـ و يقع في ٤٥٠ صحيفة، و مؤلفه صديقنا الفاضل الأستاذ أحمد السباعي المكي، فقد ذكر طريق الحج في كتابه في أربعة مواضع بصورة مختصرة مفيدة.

(الثاني): كتاب الرحلة الحجازية للأستاذ محمد لبيب البتونى المصرى، و قد طبع للمرة الثانية سنة (١٣٢٩)، و يقع في ٣٣٤ صحيفة، و قد ذكر طريق الحج و طريق المدينة بصورة مطولة مفيدة فائدة جليئة.

و لنبدأ بما جاء في كتاب تاريخ مكة المذكور لما فيه من الاختصار المفيد الذى يرسخ سريعا فى الأذهان، فنقول: جاء فيه بصحيفة ١٤٧ ما نصه:

و قد كان الحجاج أغلب ما يفدون فى هذا العهد "أى عهد الفاطميين" من طريق مصر، يصلون إليها من الأندلس و المغرب و إفريقيا، برا و بحرا، كما يصلون إلى الشام من بلاد الترك و القوقاز و بخارى و القرم و القازان و شمال روسيا و سيبيريا و جزائر البحر الأبيض، ثم يسافرون إلى مصر ليجتمعوا مع من اجتمع فيها من غيرهم بالقاهرة، و من ثم يفصل بعضهم بعد شهر رمضان إلى السويس، حيث تقلهم المراكب الشراعية إلى جدة، و يمضى الكثيرون مصعدين فى الصعيد إلى قوص برا، أو من طريق النيل و يستغرق ذلك نحو عشرين يوما، ثم يتجهون إلى عيذاب أو القصير فى أعلى الصعيد على شاطئ البحر الأحمر، حيث ينتظرون المراكب التى تقلهم إلى جدة، و قد يستغرق انتظارهم فى الميناء نحو شهر، كما يستغرقهم السفر منها إلى جدة عشرة أيام.

و كانوا يستقلون مراكب غير محكمة و أشرعتها من حصير، و أصحابها يتعسفون بالحجاج، و يشحنون فيها أكثر من حمولتها، و لذلك كانوا يتعرضون لأخطار البحر، كما أن بعض المراكب كان يغرق بالفعل.

و كان يحكم عيذاب و القصير بدوى من عرب البجاه، و مندوب يمثل حكومة مصر، و كان الحاكمان يتوليان استيفاء رسوم الحجاج فى عيذاب، نيابة عن صاحب مكة و يقتسمان معه الواردات.

و كان عرب البجاه يتولون كذلك نقل الحجاج فى صحراء الصعيد فوق جمالهم، و فى البحر إلى جدة على مراكبهم الشراعية، و كانوا يرهقون الحجاج

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٢٣

باستغلالهم، و ربما عرضوهم للطريق المعطش ليموتوا فيستولوا على متاعهم.

انتهى.

و عرب البجاه أو البجه، يقال إنهم من البربر و كانوا يسكنون فى صحراء مصر الشرقية من سواكن إلى قرية يقال لها الحزبة فى صحراء قوص، ا.هـ.

و جاء فيه أيضا بصحيفة ١٦٩ ما نصه: و فى هذا العهد "أى عهد الأيوبيين"، بدأ سبيل الحج يتحول معظمه من طريق عيذاب و القصير فى الصعيد، إلى العقبة شرقى مصر حيث ينحدرون برا إلى شمالى الحجاز، فقد سافرت شجرة الدر على رأس قافلة من الحجاج من ذلك الطريق، فتحولت القوافل إليه، و كان يقلها (محمل) على شكل هودج، اتخذ فيما بعد شعارا لقافلة المصريين، ثم قلدهم فيه

بعض الأمم من المسلمين.

وحج ابن جبير في هذا العهد من طريق عيذاب، فوصف القوافل التي كانت تسير بين قوص وبينها، وقال إن المترفين فيها كانوا يمتطون (الشقاديف) وهي أشباه المحامل، يوصل منها اثنان بالجبال وتوضع على البعير ولها أذرع قد وضعت بأركانها، ويكون عليها مظلة فيكون الراكب فيها مع عديله، يطالع فيها متى شاء المطالعة في مصحف أو كتاب، ومن شاء فمن يستجير اللعب بالشرنج أن يلاعب عديله تفكها.

والذي أقوله، أن هذا الوصف يشبه وصف (الشقاديف) التي كنا نركبها فوق الإبل ولا تزال بقاياها إلى اليوم. ويفهم من هذا أن استعمال الشقاديف لم يكن خاصا بالحجاز، بل كان مستعملا في مصر، انتهى.

نقول: قال في كتاب قاموس الأمكنة و البقاع، لجامعه على بهجت، وكيل دار الآثار العربية بمصر، عن عيذاب ما يأتي: قال ياقوت: هي بليدة على ساحل بحر القلزم "البحر الأحمر"، وهي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد، ومنها تعدى إلى جدة. وقال المقریزی: وهي ثغر على البحر الأحمر مسامه تعوص بينهما مسيرة سبعة عشر يوما، وكانت من أعظم مراسى الدنيا، بسبب أن مراكب الهند واليمن تحط فيها البضائع وتقلع منها مع مراكب الحاج الصادرة والواردة، وكان لأهلها من الحجاج والتجار فوائد لا تحصى، وكان لهم على كل حمل يحملونه للحجاج ضريبة مقررة وكانوا يكارونهم الجلاب (مراكب مخصوصة) التي تحملهم إلى جدة، ومن جدة إلى عيذاب، فيجتمع لهم من ذلك مال كثير.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٢٤

و في بحر عيذاب مغاص اللؤلؤ في جزائر قريبة منها، يخرج إليها الغواصون في وقت معين من كل سنة في الزوارق فيقيمون هنالك أياما، ثم يعودون بما قسم لهم من الحظ. والمغاص فيها قريب القاع، وكان تجار الهند واليمن والحبشة متى وصلوا ببضائعهم إلى عيذاب، يسلكون الصحراء إلى قوص، ومنها يبحرون إلى مدينة مصر، فكانت هذه الصحراء لا تزال عامرة أهله بما يصدر أو يرد من قوافل الحاج والتجار، حتى كانت أحمال البهار كالقرفة والفلفل ونحوهما توجد ملقاة بها والقفول صاعدة وهابطة لا يتعرض لها أحد، إلى أن يأخذها صاحبها، أقول وقد دثرت هذه المدينة. انتهى من كتاب قاموس الأمكنة و البقاع.

وجاء في تاريخ مكة أيضا، بصحيفة ٢٣١ ما نصه: وكان طريق الحجاج قد انتقل في أواخر عهد الأيوبيين من القصير و عيذاب إلى طريق العقبة، كما أسلفنا ذلك، ثم ما لبث أن أخذ هذا الطريق أهميته في عام (٦٦٠)، حيث سير الظاهر بيبرس البندقداري قافلة الحجاج منه، وأرسل معها كسوة الكعبة ومفتاحها الذي صنعه لها. ثم عنى الشركسة بتنظيم السير في هذا الطريق عما كان في عهد الأيوبيين، وأول من نظم شؤون السير، هو أحد الأمراء المصريين واسمه جمال الدين، فقد سافر والده أميرا للمحمل في عام (٨٠٩)، فعنى الولد بترتيب القافلة عند وصولها إلى عجرة وهي محطة قبيل السويس، فأمر بكتابة أكابر الحجاج، ورتب سيرهم في مكان معين من القافلة، بعد أن ضبط طليعة القافلة وساققتها بجماعة من العسكر، وجعل الأموال تتوسطها.

والطريق بين السويس والعقبة شاق جدا، تسوخ في رماله خفاف الجمال، وبتيه في بيئاته المسافرون فلا يهتدون إلا بأنصاب من الحجر بنيت على الطريق لهدى المسافرين، وكان الحجاج يعانون فيه من قلة الماء ما يعانون، وكانت المسافة بين السويس والعقبة زهاء (٣٠٠) كيلو، تقطعها قافلة المحمل، وهي أسرع القوافل سيرا، في أكثر من عشرة أيام. وتصدد القوافل في العقبة وتنيخ في مدينتها للراحة، فقد كانت محطة من محطات الحج المصري في هذا العهد الذي ندرسه، وكانت مصر تحشد من جنودها في قلعتها ما يكفي لتأمين طريق الحجاج، وكانت العقبة إلى ذلك ملتقى الحج السوري بالمصري، فقد كانت قوافل السوريين تصل إليها من غزة، فتلتقى بقوافل المصريين، ثم ينحدرون إلى قرية أيلة، وهي المدينة القديمة التي اندثرت وقامت العقبة على أنقاضها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٢٥

وتنتقل قوافل الحجاج بعد ذلك إلى مدينة الوجه، فتصلها في أقل من نصف شهر، وكان في الوجه محافظ يحكم المدينة من

الشراكية، و قاض ينظر في قضاياهم الشرعية، و جند يحافظون على الأمن، و سوق عام تعرض فيه السلع الواردة من الشمال و الجنوب و الغرب، و كان الطريق يتشعب بعد الوجه إلى العلا شرقا و ينبع جنوبا و المدينة المنورة من الناحية الجنوبية الشرقية، و بذلك كان سير القافلة يستغرق في العادة نحو شهر و نصف إلى المدينة أو مكة، و ذلك للقافلة ذات السير السريع.

و كانت ثمة طرق أخرى أكثرها برية تمضى فيها قوافل الشام و القدس، أهمها طريق العريش و طريق العلا، و هو الطريق الذى يقطعه المحمل الشامى من دمشق إلى المدينة في مدة لا تقل عن أربعين يوما.

و ظلت هذه الطرق عامرة بقوافل الحجاج إلى سنة (١٣٠١ هـ) حيث اتخذ الحج المصرى طريقه من السويس إلى جدة في المراكب الشراعية قبل استعمال البواخر كما سيأتينا. انتهى.

و جاء فيه أيضا بصحيفة ٣٢٨ ما نصه: و ظل طريق الحجاج طوال هذا العهد (أى عهد العثمانيين الأول) على حاله في عهد المماليك يأخذ سبيله من العقبة إلى الشام أو مصر، و قد عنى الخلفاء من بنى عثمان بمحطاته على طول الطريق، و كانوا ينفقون على تحصين القلاع في العقبة و المويلح و ضبا و الوجه من أموال الخزينه التركيه المصريه. و قد ظلت على ذلك إلى العهد العثماني الثاني، حيث انتقل فيه طريق الحج من السويس بحرا في سنة (١٣٠١)، و استحوذ العثمانيون على قلاع العقبة و الوجه، ثم ألحقوها بإمارة مكة سنة (١٣١٠) ألف و ثلاثمائة و عشرة، و كان حجاج الهند يصلون إلى مكة برا من إيران و العراق، ثم ركبوا السفن الشراعية في أوائل هذا العهد من ميناء سورت بجوار بومباي.

انتهى كل ما ذكرناه من (تاريخ مكة) للأستاذ أحمد السباعى، و هو كما لا يخفى، كلام مختصر مفيد.

أما ما جاء في "الرحلة الحجازية"، فإنه كلام مطول مفيد جدا، لا يستغنى عنه الباحث المستقصى، حتى أنه جاء فيه أسماء المحطات التى كان يقطعها الحاج في طريق البر من القاهرة إلى مكة المشرفة، و المسافة التى بين كل محطة و أخرى مبينة بالساعات، ففى كل ذلك من الفوائد المتعددة ما لا يخفى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٢٦

و إليك ما جاء فيها بصحيفة ٢٧ و هذا نصه:

كانت مصر، و لا تزال، طريق المسلمين إلى حج بيت الله الحرام، و زيارة نبيه عليه الصلاة و السلام، فى نصف الكرة الأرضية الغربية، باعتبار أن مكة المكرمة هى قلب العالم، أو النقطة المركزية التى تنبعث منها أنصاف أقطار إلى محيط جميع دائرة الأقطار، فالأندلسى الذى كان يسكن فى غرب أوربا، و المغربى الذى فى غرب إفريقيا، و ما دونه من مسلمى البربر فالسنغال، فبلاد التكرور، و السودان الغربى و الشرقى، كانوا إذا قصدوا الحج إلى بيت الله الحرام سافروا من بلادهم إلى مصر بحرا أو برا، و لهذه الغاية كان يقصدها كذلك كثير من أهالى الشام و الترك و القوقاز و القريم و بخارى و قازان، و غيرهم من مسلمى شمال روسيا و سيبيريا و جزائر البحر الأبيض المتوسط. و يجتمع الكل بالقاهرة قبل شهر رمضان، ثم يسرون منها إلى قوص، و مسافتها ٦٤٠ كيلو مترا كانوا يقطعونها برا أو فى النيل فى نحو عشرين يوما، ثم تسافر قوافلهم منها فى الصحراء الشرقية مدة ١٥ يوما، يقطعونها فى نحو ١٦٠ كيلو مترا إلى عيذاب أو إلى القصير على البحر الأحمر.

و كان كل من هاتين القريتين ميناء لمصر الشرقية من قديم الزمان، أى أنهما كانتا من مصر بالأمس مكان ميناء السويس الآن. و كانت الأولى منهما أهم من الثانية، و كلتاها كانتا فى أيدي عرب البجاه الذين كانوا يتولون نقل الحجاج.

قال صاحب الرحلة بصحيفة ٢٨: قبائل البجاه أو البجه يقال إنهم من البربر، و كانوا يسكنون فى صحراء مصر الشرقية من سواكن إلى قرية يقال لها الحذية فى صحراء قوص، و هذه الصحراء عامرة بمعادن الزمرد و الذهب و الفضة و الحديد، و فيها مغاير و آبار قديمة لاستخراجها، و هى طبعاً من عهد قدماء المصريين، و بعضها من عمل محمد على باشا والى مصر، و كانت العرب تستخرج منها المعادن و خصوصا (التبر) فى القرن الأول و الثانى للهجرة، و ذلك باتفاق مع ملك البجه الذى كان مقره (أسوان) ... الخ. ثم ذكر ما

كان بين ملك البجة وبين عبد الله بن الجهم الذى أرسله إليه أمير المؤمنين المأمون، و نص الاتفاق الذى حصل بينهما. و لم نقل ذلك حتى لا يطول بنا الكلام.

(و لرجع إلى موضوعنا) ليتصل الكلام بعضه ببعض قال صاحب الرحلة: على إبلهم فى هذه الصحراء و كانت أخلاقهم على غاية من الفطاعة، لا شفقة فيهم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٢٧

و لا رحمة، و ربما بلغ بهم الأمر إلى تغيير طريق الماء على القافلة لغرض شنيع، و هو أن ركابها يموتون عطشا، فيستولون على متاعهم. و فى هذه الصحراء قبر العارف بالله أبي الحسن الشاذلى قرب مكان يقال له (أمتان)، توفى فيه سنة ٦٥٦ فى طريقه من المغرب الأقصى إلى الحجاز و دفن به.

و أهل هذه الجهة يعملون له مولدا سنويا من أول ذى الحجة إلى التاسع منه، و يقصد زيارته فى هذا المولد كثير من أهل الصعيد، و العربان المغاربة.

و كان الحجاج يقيمون فى عيذاب أو القصير نحو شهر من الزمان فى انتظار الفلايك التى تحملهم إلى جدة، و يسمونها جلابيا (واحدتها جلبة)، و هى سفن صغيرة غير محكمة الصنع، و شراعها فى الغالب من الحصير. و كان أصحابها يتعسفون بالحجاج، فيشحنونها بأكثر من حمولتها، و كثيرا ما كانت تغرق فى وسط البحر بمن عليها من الحجيج، الذين يذهبون ضحية مطامع أولئك الأشرار، و من وصل به طول عمره إلى جدة، وصلها فى نحو أسبوعين، يتقلب فى أثنائها بين تحكم الملاح، و تبرم الرياح، و انزعاج الماء و اضطراب الهواء.

و لقد حج من هذه الطريق ابن جبير الأندلسى سنة ٥٧٩، فقطع المسافة بين القاهرة و جدة فى نحو شهرين و نصف، قضاها فى أسوأ حال، بين مشقات و أهوال، مما هو مبين فى رحلته، و فى سنة ٧٢٥ سافر ابن بطوطة من مصر إلى عيذاب، و لكنه لم يجد فيها مركبا تحمله إلى جدة مع من قصدها من الحجاج، لأن السفن التى كانت بمينائها أحرقت فى واقعه حصلت هناك بين الترك و عرب البجاه، فعاد منها إلى مصر، و منها إلى بلاد الشام، ثم إلى بغداد و سافر منها مع المحمل العراقى فى السنة التالية. و كان يسكن فى هذه القرية (عيذاب) حاكمان:

حاكم بدوى من طرف شيخ قبائل الباجه، و آخر تابع لحاكم مصر و كانا يأخذان عوائد مرور عشرة جنيهات عن كل حاج مغربى، و سبعة على الحجاج الآخرين، و يقتسمان ما يتحصل بينهما و بين أمير مكة!! و استمرت هذه المكوس حتى أبطلها صلاح الدين الأيوبى فى سنة ٥٩٠، زمن الشريف مكث بن عيسى، و رتب له شيئا عوضا عن نصيبه، ثم أعادها الأشراف من بعده على الداخلين من الحجاج إلى مكة، حتى ألزم الملك الناصر محمد بن قلاوون الشريف عطيفة بن أبى نمى سنة ٧٢١ بإبطالها، فى نظير ما رتبته إليه من القمح الذى كان يحمل إليه من مكة كل سنة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٢٨

و الطريق بين قفط و القصير قديم جدا، فتحه رمسيس الثالث فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد، لتداول التجارة بين مصر و بلاد اليمن و الهند و بلاد العرب، الذين كانوا كثيرا ما يهاجرون منها إلى مصر طلبا للتجارة أو للعيش فيها. و فى سنة ٣٢٠ قبل المسيح، أخذت هذه الطريق أهمية عظمى زمن بطليموس فيلادلفوس، و صارت القصير هى الميناء الوحيدة التى تصل تجارة البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الهندى و بالعكس، و هو الذى حفر أغلب الآبار التى فى هذه الطريق و بنى على طولها مخازن للتجارة، و أقام بجوارها قلاعا و رتب لها الخفر اللازم لحراستها، و هو الذى بنى مدينة بيرنيس، و قامت على أنقاضها فيما بعد قرية عيذاب (انظر عيذاب فى الخطط التوفيقية). و فى هذه الجهة إلى الآن أطلال مدينة قديمة، ذهب بعضهم إلى أنها أطلال مدينة أوفير التى كان سليمان بن داود يرسل بنى إسرائيل إليها، فى القرن العاشر قبل المسيح لاستخراج الذهب من ضواحيها و ورد ذكرها فى التوراة فى الإصحاح التاسع من أخبار

## الملوك الأول.

و ما زال هذا الطريق هو الطريق الوحيد للحجاج المصري من القرن الأول إلى سنة ٦٤٥، التي سافرت فيها شجرة الدر مع قافلة الحاج إلى مكة لأول مرة عن طريق البر على العقبة. و في سنة ٦٦٠، أخذ هذا الطريق الأخير أهمية حيث سير الظاهر بيبرس البندقداري قافلة الحاج منه، و أرسل معها الكسوة التي عملها للكعبة، و المفتاح الذي أمر بصنعه لبابها الشريف، و من ثم أخذ يقل ذهاب الحجاج عن طريق عيذاب، و لكنها استمرت طريقا للتجارة بين الشرق و الغرب.

و يظهر أن عيذاب ابتدأت تسقط أهميتها شيئا فشيئا، بنسبة زيادة أهمية القصير، نظرا لأن لها خليجا طبيعيا يجعل مياهها على الدوام في أمن من التغيرات البحرية، حتى تلاشى أمرها بالمره، و لا تزال أنقاضها في جنوب القصير بمسافة عشرة كيلو مترات. و لقد اهتم العزيز محمد على باشا بطريق القصير عند سوق العساكر المصرية إلى بلاد الحجاز لحرب الوهابية، فمهد سبله، و أصلح آباره، و استمرت عنايته به بعد ذلك لاشتغاله باستخراج ما فيه من معادن الذهب و النحاس.

و هذا الطريق مطروق إلى الآن، و به دروب كثيرة تسمى مطارق، و أول محطة له بئر عنبر، و يسير إليها المسافر من قنا أو من قفط. و هذه البئر كانت ساقية قديمة أصلحها المرحوم إبراهيم باشا نجل محمد على باشا، و بنى بجوارها سيلا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٢٩

لسقى المواشى، و إلى جانبها مكانا له قباب معقودة لاستراحة المسافرين، و قرر في الرزنامجه إلى خادم هذه البئر ستة جنيها سنويا، لا تزال تصرفها المالية إلى من يقوم بأمرها. و من هنا يسير الطريق إلى الشمال الشرقي في درب يسمى مطرق جيف الكلاب (لأن هناك مغاير مصرية قديمة كان بها جثث كلاب كثيرة محنطة)، حتى يصل إلى محطة اللقيطة، و يقيم بها أناس من قبيلة العشابات من عرب العباددة، و هم فخذ من البجاه، و في هذه المحطة نخيل و جملة آبار، بعضها من عهد البطالسة. و لا يزال الطريق حتى يصل إلى محطة الوكالة، و بها آثار قديمة. و منها يسير في مطرق يسمى مطرق جيف العجول (و هناك مغاير كانت بها عجول كثيرة محنطة من التي كان يقدسها قدماء المصريين)، ثم في مطرق الحمامات و فيه خزانات مياه طبيعية، ثم في مطرق الكافر (و فيه آثار فرعونية و بئر حلزونية من الرخام، ينزل إليها بمائة و ثلاثه و أربعين درجة)، و من هناك يستمر الطريق إلى بئر الإنكليز (التي حفروها عند ما وصلت جنودهم بحرا إلى القصير، و منها ساروا إلى تلك الجهة متعقبين عساكر الفرنسيين وقت احتلالهم لمصر)، و ماء هذه البئر يبعد عن سطح الأرض بنحو أربعة أمتار. و منها يسير الطريق إلى العنجة، و بها نبع معدني مياهه كبريتية، و يقصده بعض الناس للاستشفاء به، و هناك مستنقعات كثيرة ينبت فيها السمار و الحكومة تبيعه سنويا للمصريين، و منها يستمر الطريق إلى القصير. و لقد كانت هذه المدينة في القرن الماضي عامرة، أهله بالسكان الذين كانوا يزيدون عن عشرين ألف نفس، و كانت من ضمن محافظات القطر المهمة.

و ما زالت طريق القصير مستعملة للتجارة، حتى عملت السكة الحديدية من القاهرة إلى السويس، في مدة سعيد باشا، عوضا عن العربات التي كان يسيرها محمد على باشا سنة ١٨٤٥ م بواسطة الخيل في طريق الصحراء لحمل السياح من القاهرة إليها، و كان لها ديوان مخصوص، يسمى ديوان المرور على يسار الداخل إلى الموسكى، و هو معروف الآن بسوق الخضار القديم. و مع كل هذا فقد استمرت القصير ميناء مهمة بين مصر العليا و الحجاز تنقل منها الحبوب إلى جدة، و ينقل من هذه السجاد و الفلفل و البن و السننا المكي، و خلاف ذلك من واردات الهند و غيرها. و كانت لها سوق كبيرة في قنا، حتى إذا حفر قنال السويس، و صارت ترسل كل هذه المحاصيل إلى أوروبا رأسا، قلت أهميتها، و أصبحت من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٣٠

نحو عشرين سنة مأمورية صغيرة تابعة لمديرية قنا و إن كانت إدارتها في يد مصلحة خفر السواحل.

و كان بعض الحجاج يسافرون من السويس إلى جدة بواسطة المراكب الشراعية، فيقطعون مسافتها في نحو عشرين يوما، و لكن غالبهم

كان يسير برا عن طريق العقبة مع المحمل، أو مع غيره من القوافل التي كانت تقوم بها عربان مصر من أولاد على وغيرهم، فيصل إلى مكة في نحو خمسين يوماً. وأول من رتب ركب الحاج على هذا الطريق و عقبه عند رحيلهم من البركة، الأمير جمال الدين الاستادار، عند ما سافر ولده شهاب الدين أميراً للمحمل سنة ٨٠٩، فكان إذا وصل الركب إلى عجرود (و هي محطة قبيل السويس) يأمر الأمير بكتابة أكبر الحاج، ويرتب كلا في مكان معين من القافلة و ذويه و خدمته، ثم يجمع الركب من الطليعة إلى الساقية، و يضبط أطرافه و نواحيه بجماعة من العسكر، بعد أن يسير أصحاب الحمول و الأموال في وسط الركب.

و طريق البر شاق جداً، و خصوصاً في المنطقة التي بين السويس و العقبة، و هي لا تقل عن ثلاثمائة كيلو متر، كلها أرض رملية ناعمة، تسوخ فيها اخفاف الجمال قبل أقدام الرجال، و لا يهتدون فيها إلى الطريق إلا بواسطة نواطير أشبه شىء بطواحين الهواء أقيمت لهذه الغاية، و ماء هذا الطريق قليل و عناؤه كثير، و قد كان في بعض القرى التي عليه، مخازن للميرة و الذخيرة و مؤن الجمال و أمتعة الحجاج الذي كانوا يرسلونها إليها قبل سفرهم على سبيل الأمانة، في نظير أجره مخصوصه، تتوفر بها عليهم مشقة حملها في الطريق، و كان في هذه القرى فرق من الجند لحراستها. و بالجملة فإننا نورد لك أسماء المحطات التي كان يقطعها الحاج في طريق البر من القاهرة إلى مكة، و مسافة الركوب بين كل محطة و التي تليها بقافلة المحمل، التي هي أسرع من القوافل الأخرى لانتظام سيرها، و إحكام أمرها، و جودة جمالها.

ساعة/ من القاهرة ٦/ إلى بركة الحاج.

١٤/ إلى الدار البيضاء، و بها قصر عباس باشا الأول و يليها الدار الخضراء.

١٢/ إلى عجرود، و توجد في الجنوب الغربي من السويس على مسافة عشرين كيلو متر منها، و من هناك كان يرجع المرضى المنقطعون و المتعبون.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٣١

٠٨/ إلى الناطور الأول، و الثانى و الثالث، و الأرض في هذه المسافة رملية ناعمة متقلبة من جهة إلى جهة أخرى عند هبوب الرياح بشدة.

٠٦/ إلى العلو.

١١/ إلى جنادل حسن، و أرضها رملية.

١٢/ إلى قرية نخل، و فيها نخل و شجر و قلعة و خان من عمل الغورى، و ساقية من عمل الملك الناصر حسن، و إلى جانبها ثلاثة أحواض تسع ٣٠٠٠ قرية تملأ في زمن الحج. و كان يرسل إليها أربعة من الثيران من طرف الحكومة، فلا تزال تدور في الساقية لملئ الحيطان حتى ترجع مع قوافل الحاج إلى مصر.

١٢/ إلى بئر قريص، و سميت أخيراً بئر أم عباس، لأن والده عباس باشا الأول أصلحتها، و ماؤها عطن.

٠٧/ إلى العقبة، و يصعد إليها المسافر بمنحه من مسافة طويلة من الغرب، حتى يصل إلى قمته، فإذا أراد أن ينزل إلى الجهة الشرقية، صار نازلاً صاعداً و صاعداً نازلاً في أرض حجرية تارة، و أخرى رملية ناعمة، و أخرى خشنة أو زلطية، إلى أن يمر في مضيق لا يسع إلا جملاً جملاً، و يسمى قطع لاز.

و طريق هذا القطع حلزوني تقريباً، أصلحه ابن طولون في القرن الثالث الهجرى، ثم محمد بن قلاوون في القرن الثامن، ثم عباس باشا الأول في القرن الثالث عشر، و مع ذلك فإن المسافر فيه لا بد أن ينزل عن دابته، و يسير على قدميه حتى يقطع العقبة في ست ساعات نزولاً، و ضعفها صعوداً، و من دون هذه العقبة قرية العقبة و يسمونها أيلة، و فيها يفصل الحاج جميع المقطوعين الذين لا يمكنهم الاستمرار على السفر لمرضهم أو لفقيرهم، و يعطيهم المؤنة اللازمة من البقسماط، ثم يستأجرون لهم سنبوكا يسيره بهم إما إلى مصر أو إلى جدة، و كثيراً ما كانوا يصلونها بعد نزول الناس من عرفه. و من العقبة يتجه الحاج إلى جهة الجنوب.

٩/ إلى ظهر حمار، و في طريقها بين جبلين على البحر، لا يسع إلا جملا جملا.

١٤/ إلى الشرفا، و يسمونها أم العظام.

١٢/ إلى مغاير شعيب، و بها نخل و بساتين و مياه عذبة.

١٤/ إلى عيون القصب، و بها ماء و نخل و شجر سنط و عبل.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٣٢

١٢/ إلى المويلح، و فيها قلعة أنشأها السلطان سليم العثماني، بها بعض الجند لحراستها، و مناخها رطب غير جيد للصحة، و سكانها يتجرون في الفحم الذي يصنعونه من شجر الطرفا الذي ينبت بكثرة في الوديان المجاورة لها. و منها طريق إلى تبوك مسافة مائة كيلو متر.

١٢/ إلى سلمى (كفافه) و في طريقها مضيق شق العجوز، تسير فيه الجمال جملا جملا، و بهذا الوادي شجر الدوم و السنط و الطرفا.

١٢/ إلى اصطلب عنتر، و هو مكان متسع محاط بالجبال و فيه ثلاثة آبار.

١٢/ إلى الوجه، و سيأتي عليه في طريق المدينة، و منه يتشعب الطريق إلى العلا شرقا، و إلى ينبع جنوبا، و إلى المدينة المنورة جنوبا بشرق.

١٦/ إلى عكرة، و لا ماء فيها.

١٢/ إلى الحنك، و لا ماء فيها.

١٢/ إلى الحوراء و فيها مضيق تسير فيه الجمال جملا جملا، و أرضها ذات رمل ناعم.

١٥/ إلى الخضيرة، و فيها معادن نحاسية و أرضها صلبة.

١٠/ إلى ينبع، و يدخلها المحمل و اكبا باحتفال عظيم، و هي ثغر المدينة المنورة على البحر الأحمر، و سنتكلم عليها في طريق المدينة.

١٨/ إلى السقيفة، و ماؤها مالح.

١٠/ إلى مستورة، و ماؤها حلو.

١٤/ إلى رابع، و هي قرية بينها و بين البحر نصف ساعة، و فيها قلعة بها بعض الجند لحراستها، و فيها مخازن تحفظ بها مؤن ركب المحمل و ذخائره، و فيها صهاريج عذبة، و هي الميقات لمكة، و منها يتفرغ الطريق إلى المدينة ثلاثة أفرع: الطريق السلطاني، و الطريق الفرعي، و طريق الغاير.

١٢/ إلى بئر الهندي أو القضيمة (و بعضهم يكتبها القديمة)، و هي قرية على البحر الأحمر ماؤها مالح، و منها يتجه الطريق إلى الجنوب الشرقي.

٠٦/ إلى خليص، و بالقرب منها عيون ماء كثيرة تحيط بها مزارع و بساتين.

٠٨/ إلى عسفان، و هناك بئر ماؤها حلو يسمونها بئر التفل، و يقولون إن ماؤها كان مرا، فتفل فيه النبي صلى الله عليه و سلم، فصار عذبا، و في طريقها ممران على طول نحو كيلو متر لا يسعان إلا جملا جملا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٣٣

١٥/ إلى وادي فاطمة (وادي مر) أو مر الظهران، و منه إلى قبر السيدة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه و سلم ثم إلى العمرة الجديدة (التنعيم) و هي حد الحرم من هذه الجهة، و أقرب حدوده إليه، و منه إلى الزاهر ثم إلى مكة المكرمة.

٣٣٧/ المجموع

و على حساب أن الجمل يقطع في الساعة الواحدة أربعة كيلو مترات، تكون المسافة من مصر إلى مكة من طريق البر ألفا و أربعمائة كيلو متر تقريبا، كانوا يقطعونها في نحو أربعين يوما على الأقل.

أما الآن، فالحاج المصري يركب السكة الحديدية إلى السويس و يبحر منها إلى جدة بغاية الراحة، و منها إلى مكة، فيصل إليها في أقل من أسبوع، و من الناس من يسافر إلى المدينة أولا بطريق السكة الحديد الحجازية، و بعد الزيارة يسافر مع القافلة إلى مكة، أو يرجع إلى مصر و منها إلى جدة، و منهم من يسافر بعد الحج إلى المدينة بطريق البر، و منها يعود إلى ينبع فالطور، أو يركب السكة الحديد الحجازية إلى الشام، و لكنه في هذه الحالة يصادف كثيرا من المشقة في ضرورة عودته إلى الطور لقضاء الحجر الصحي هناك. لذلك يرى الكثيرون أن أحسن حل للصعوبة التي في طريق الزيارة أنهم يعودون بعد الحج إلى مصر، و بعد انقضاء مدة الحج التي يلزمها الحجر الصحي عادة، يسافرون إلى المدينة بالطريق الحديدية، و يعودون منها إلى مصر مباشرة، انتهى كل ذلك من الرحلة الحجازية للبتونى.

و لا يخفى أن كلام صاحب الرحلة الحجازية، كلام طويل، لكنه واف بالغرض، و فيه جملة فوائد للمتأمل المفكر، فإين تلك الأحوال من الحالة التي نحن عليها اليوم، من انتشار الطائرات، و سير السيارات و القطارات و الباخرات، و الله يعلم ما سيحدث في المستقبل من وسائل التنقلات، فسبحان الذى بيده ملكوت السموات و الأرض، و هو الغنى عن العالمين.

### كيفية مسير الحجاج من الشام إلى مكة قبل إنشاء الخط الحديدية

جاء فى الجزء الرابع من تاريخ الغازى عن ذلك ما نصه:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٣٤

و ذكر الفاضل الشيخ محمد كرد على، فى كتابه خطط الشام، كيفية مسير الحجاج من الشام إلى مكة قبل إنشاء السكة الحديدية، و كيفية إنشائها فنذكر هنا ما ذكره بحذف و اختصار:

قال المذكور: كان الحجاج المسلمون يأتون ألوفا من جميع الأقطار الإسلامية إلى دمشق و يجتمعون فيها بانتظار سفر موكب الحج، و كان يتألف هذا الموكب فى دمشق، و يسير منها متوجها نحو البلاد المقدسة تحت إدارة حاكم عثمانى يلقب بأمر الحج، و كانت العادة أن يرحل أمير الحج من دمشق فى الخامس من شهر شوال، فى ركب مؤلف من جيش صغير مجهز بالأسلحة الكاملة، و المدافع الصغيرة، و يتبعه الحجاج زرافات و وحدات، و الدمشقيون يقومون بتشييعهم إلى قبر أحمد باشا فى الميدان إلى جامع العسالى، و تجرى المراسم العسكرية و الاحتفالات تكريما لهذا الركب العظيم، و كانت الحكومة فى دمشق تهتم اهتماما زائدا بتشييعه، و يسير الموظفون و أصحاب الرتب العالية بألبستهم الرسمية أمام المحمل تحيط بهم صفوف الجند و هجانة البدو حتى نهاية طريق الميدان، و كانت الموسيقى تصدح أثناء الموكب، و المدافع تطلق حين خروجه و عند وصوله إلى القدم، و بعد ذلك يسير الركب فى تقدم إلى الكسوة، ثم يسير إلى المزيريب، فىبقى فيها أربعة أو خمسة أيام، و عندئذ يتألف الركب عسكريا و على رأسه أمير الحج، فيسير قسم من الجيش فى المقدمة و القسم الآخر يقوم بحفظ جناحى الركب. و فى كل صباح و مساء تطلق ثلاث طلقات نارية إعلاما بوقت المسير و الوقوف، و كثيرا ما يبلغ طول هذا الركب ثلاثة أو أربعة كيلو مترات.

و كانت المسافة بين دمشق و مكة المكرمة تقدر بأربعمائة و تسعين ساعة، و بأربعين مرحلة منها ٩٠ ساعة من المزيريب إلى معان، و يجتاز الركب من المزيريب المغرق و عين الزرقاء و البلقاء و القطرانة، و هنا يشتد عليه الدرب صعوبته، و يدب الرعب و الخوف فى قلوب الحجاج، و ذلك لأنه كانت المضايق غاصة بعصبات من اللصوص، و الماء للشرب قليل، فإذا بلغ الركب مدينة معان يستريح فيها قليلا و يتابع سيره، فيقطع العقبات المؤدية إلى النفود و هذا المضيق الصعب يبعد ثلاث عشرة ساعة من معان، فيترجل الحجاج عن دوابهم مشاء أمام أمير الحج الذى يصعد على رأس جبل صغير، و يجلس مشاهدا الجموع تمر أمامه، و بعد ذلك يسير الركب و لا يشاهد فى طريقه سوى الرمال فى سهل النفود القاحل حتى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٣٥



مدائن صالح مدة (١١٤) ساعة، وفيها كثير من الآثار النبطية، فمنها يسير الراكب إلى المدينة المنورة، وبعدها إلى مكة المكرمة. هكذا كانت حالة الطريق المؤدية إلى البلاد المقدسة، وهذه هي المشقات التي كان يلاقيها الحجاج في طريقهم، وهذا ما دعا الحكومة العثمانية في ضرورة اتخاذ التدابير اللازمة لإزالة هذه الصعوبات، فاهتم السلطان عبد الحميد الثاني، وقرر سنة ١٩٠٠ م مد خط حديدى يصل الشام بالحجاز، ويسهل السفر على الحجاج، ويأتى بالفوائد المادية والمعنوية على البلاد والدولة، ولم تبدأ الحكومة بالعمل إلا بعد أن أعلنت عزمها على ذلك فى جميع الأقطار الإسلامية مما هو داخل تحت سيطرتها أو خارج عنها، وأبانوا ما ينتج عن ذلك من التسهيل لرواد الحج، واستمرت أكف المسلمين تعضيدا لهذا المشروع الدينى المحض، وبدأت الاكتتابات ترد من جميع البلدان الإسلامية.

انتهى من الغازى.

### سفر الحجيج من المدينة المنورة إلى مصر

لقد ذكر الأستاذ محمد لبيب البتونى، صاحب الرحلة الحجازية، الذى حج فى سنة ١٣٢٧ هجرية سبع وعشرين و ثلاثمائة و ألف، الطريق الذى يسلكه الحجاج حين عودتهم من المدينة المنورة إلى بلادهم، ونحن نقل هنا كلامه فى الرحلة الحجازية، للمقارنة بين زماننا و زمانه و لما فى كلامه من الفوائد المتعددة فقد قال رحمه الله تعالى، بصحيفة ٣٠١ ما نصه:

الطريق من المدينة ينقسم بالنسبة للحجاج إلى أربعة طرق، طريق نجد و لا يسلكه الآن إلا عرب تلك الجهات غالبا، و طريق الوجه: و هو الذى سلكه المرحوم سعيد باشا والى مصر سنة ١٢٧٧ هجرية، حينما قصد زيارة قبر النبى المصطفى، عليه الصلاة و السلام. و محطات هذا الطريق هى: المدينة المنورة ثم آبار عثمان (و فيها ماء و مزارع و بساتين)، ثم محطة الضعين (و ماؤها قليل)، ثم محطة المليح (و ماؤها حلوى)، ثم محطة الشجوى (و ماؤها كثير)، و كانت مجتمع و مفترق المحملين الشامى و المصرى فى سفرهما معا برا، ثم محطة أبى الحلوى (لحلاوة مائها)، ثم محطة الفقارات (و لا ماء فيها)، ثم محطة الفقير (و ماؤها عذب) ثم محطة مطر (و لا ماء فيها) ثم محطة الخوثة (و ماؤها عذب)، ثم محطة أم حرز (و لا ماء فيها)،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٣٦

ثم قرية الوجه. و منها كانوا يسيرون إلى السويس برا و بحرا. و طريق ينبع: و هو الطريق الأ-كثر استعمالا، و منه يرجع سواد الحجيج المصرى و الروسى و المغربى و السودانى و اليمنى و الجاوى و الهندى و غيرهم، و هذا الطريق ينقسم إلى شعبتين:

شعبة قبيل الحمراء تمر على ينبع النخل، و منها إلى ينبع البحر، و عربان هذا الطريق من جهنية، و أرضه رملية ناعمة، و الشعبة الأخرى بعد الحمراء و تمر على نقب الفار (نقب على)، و هو ممر صعب بين جبلين شاهقين، فى طريقه كثير من الأحجار الضخمة على طول نحو ٢ كيلو متر، و لا تمر منه الجمال إلا جملا جملا، و فى الغالب ينزل عنها ركبها لتعسر السير عليها فيه، و يسمون هذا النقب بقلعة حرب، لمنعة الجبال التى تشرف عليه، و منه يخرج المسافر إلى الصحراء التى توصله إلى ينبع البحر.

و هذا الطريق من الحمراء نصفه الشرقى للحوازم، و نصفه الغربى للأحامدة، و متوسط المسافة بين المدينة المنورة و ينبع ٢٣٠ كيلو متر، فإذا أضفنا إليها ٤٥٠ كيلو مترا ما بين المدينة و مكة، و ٤٠ من مكة إلى عرفه ذهابا و إيابا، و ٨٠ من جدة إلى مكة، يكون مجموعها ثمانمائة كيلو متر، و هى كل ما يركبه الآن الحاج المصرى برا، فإذا وصل الحجاج إلى ينبع انتظروا بها المراكب التى تقلهم إلى بلادهم، و غالبا ينتظرون فيها أياما كثيرة لعدم انتظام حركة نقلهم الناشئ عن قلة المراكب. و هناك يكتر عناؤهم و يسوء حالهم، و تشتد فاقتهم، و تفتك فيهم الأمراض لكثرة الأقدار التى تحيطهم من فضلاتهم، و خصوصا من عدم صلاحية مياه الشرب.

و قد رتبت الحكومة المصرية لهم كونداسة فى زمن الموسم ترشح لهم ماء البحر، و لكن عملها غير منتظم، و ماؤها لا يصرف إلا بإذن خصوصى لا يصل إليه فقراء الحجيج. و لا أظن إلا أن هذا من تعنت العمال الذين يجدر بحكومتنا السنية أن تشدد عليهم كل

التشديد في القيام بواجبهم.

و يا حبذا لو انتبعت إلى ذلك الحكومة العثمانية الجديدة، و أسعفتها شركات السفن و خصوصا الشركة الخديوية فإنهم يخففون عن الحجاج المساكين كثيرا من عناءهم مما تشكرهم عليه الإنسانية.

و من ينبع يصل حجاج مصر إلى الطور لتمضية أيام الكورتينا، إن كان هناك حجر صحي: و هو مكان فسيح على طول ٣٣ درجة و ٣٧ دقيقة، و عرض ٢٨

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٣٧

درجة و ١٤ دقيقة، و بينه و بين السويس ١٢٥ ميلا، و من هناك تأتي بشائر الحجاج بوصولهم إلى مصر بالسلامة على لسان البرق أو البريد، و كانت قبلهما تصل عن يد بعض الأفراد الذين كانوا يحضرون من مصر لهذا الخصوص و يعودون من الطور أو الوجه بما يبشر أهل الحجاج بسلامتهم، نظير البقاشيش التي كانوا يأخذونها.

و الطور قرية صغيرة على شاطئ خليج السويس الشرقى، و أغلب سكانها من الأقباط و الأروام، و فى ضواحيها كثير من البدو، و يقرب منها عين ماء ساخن، عليها بناء لعباس باشا الأول يسمونه حمام موسى، و يقولون إنه نافع للأمراض الروماتيزمية، و على مسافة يومين بالجمال من هذه القرية دير الطور المشهور، و فيه بساتين تنتج كثيرا من الفاكهة، و فى شماله بشرق جبل المناجاة الذى كلم الله عليه موسى و ذكره فى القرآن الكريم فى غير موضع، و يقصد هذا الدير حجاج الروس بعد نزولهم من بيت المقدس، فيزورونه ثم يرجعون إلى بلادهم. و فى شرق هذه القرية محجر الطور، و هو فى نقطة صحية جدا، و فيه مباحر وافية بالغرض و أحذية مرتبة، و بناؤها نظيف، و فيه استشفيات (أى مستشفيات) على غاية من النظام، و لكل مرض قسم مخصوص منها. و لقد أصبح هذا المحجر بعناية الحكومة المصرية أحسن محجر صحي فى العالم. و لا شك أن بعض الصعوبات التى يلاقيها فيه الحجاج لابد و أن تزول قريبا بحسن عناية الحكومة و استمرارها على الاهتمام براحة الحجاج.

أما الطريق الرابع، فهو طريق السكة الحديدية إلى الشام، و هو الذى افتتحته الدولة العلية رسميا بأول قطار للمدعوين إلى هذا الاحتفال، و وصل المدينة المنورة فى ثالث شعبان سنة ١٣٢٦ هجرية، الموافق ٢٨ أغسطس سنة ١٩٠٨ ميلادية.

و تسافر عليه الآن حجاج الشام و الترك و الروسيا، و كثير من المصريين و خصوصا برسم الزيارة.

و إنا تميمنا للفائدة نقول لك: إن المسافة بين المدينة المنورة و دمشق الشام تبلغ ١٣٠٢ كيلو متر، و إلى حيفا ١٣٣٣ كيلو متر، تقطعها الوابورات فى أربعة أيام تقريبا، و متوسط سيرها فيها ٨٠ ساعة. و سير القطارات من الشام إلى معان على متوسط ٣٠ كيلو فى الساعة، و من معان إلى المدينة على متوسط ١٥ كيلو فى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٣٨

الساعة. و أجزتها فى الدرجة الأولى، من حيفا إلى المدينة، ذهابا و إيابا، أربعة عشر جنيها، و فى الدرجة الثالثة نصف هذا القدر، و ليس فيها درجة ثانية.

إلا أن عربات الدرجة الأولى ضيقة، و فى كل عين منها ستة مقاعد منفصلة بحواجز (مساند) ثابتة، و المسافر فيها إلى المدينة المنورة يعانى مشقات كبيرة، و خصوصا فى الليل الذى يقضيه كما يقضى النهار جالسا، و كان الأولى بها أن تكون ذات أربع مقاعد يمكن تجهيزها ليلا إلى أربعة أسرة لنوم المسافرين فيها.

لذلك ترى كثيرا من الركاب يفضلون ركوب الدرجة الثالثة، و خصوصا عربات البضاعة حيث يمكنهم أن يفرشوا بها فراشهم و ينامون و يجلسون على راحتهم.

و أملنا فى رجال الدولة، حرسها الله، أن يفكروا فى ذلك حتى تكون عربات الدرجة الأولى وافية براحة المسافرين فى هذه المسافة الطويلة.

و هاك جدولاً بمحطات الطريق الحديدي من دمشق إلى المدينة:

أسماء المحطات / المسافة بالكيلو / ارتفاع عن سطح البحر / الماء قدم شريف / ... / ٦٨٦

كسوة / ٢١ / ٧٣٥

دير على / ٣١ / ٧٠٠

مسجد / ٥٠ / ٦٢٠

جباب / ٦٣ / ٦٤٣

خبب / ٦٩ / ٦٢٤

محجة / ٧٨ / ٦٠١

شفرة / ٨٥ / ٥٩٩

أذرع / ٩١ / ٥٨٧

خربة الغزالة / ١٠٦ / ٥٧٥

الدرعا / ١٢٣ / ٥٢٩

حالات عمار / ٥٩٥ / ٧٦١

ذات الحج / ٦٠٨ / ٦٩١

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٣٩

ذات الحج / ٦٠٨ / ٦٩١

بئر هرماس / ٦٣٢ / ٧٤٧

الهضم / ٦٥٤ / ٧٥٤

المحطب / ٦٧٧ / ٧٥٠

تبوك / ٦٩٢ / ٧٧٥

وادي الأثيل / ٧٢٠ / ٨٤٤

دار الحج / ٧٤٤ / ٩٠٤

مستبقة / ٧٥٥ / ٩٥٠

الأخضر / ٧٦٠ / ٨٨٢

جميس / ٧٨٢ / ٩٠٨

نصيب / ١٣٦ / ٥٨٦

المفرق / ١٦٢ / ٧١١

خربة السمراء / ١٨٥ / ٥٥٨

الزرقاء / ٢٠٣ / ٦١٧

عمان / ٢٢٢ / ٧٣٧

القصر / ٢٣٤ / ٩٤١

لوين / ٢٤٩ / ٧٧٢

الجيزة / ٢٦٠ / ٧٢١

الضبعة / ٢٧٩ / ٧٥٢

خان زبيب / ٢٩٥ / ٧٨٢

دى يسعد / ٨٠٥ / ٩٦٤

المعظم / ٨٢٢ / ٩٨١

خشتم صنعاء / ٨٥٣ / ١٠٣٣

الدار الحمراء / ٨٨٠ / ١١٠٣

المطلع / ٩٠٤ / ١١٥١

أبو طاقة / ٩١٨ / ٩٦٦

المرجم / ٩٣٠ / ٩١٤

مدائن صالح / ٩٥٥ / ٧٨١

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٤٠

البدائع / ٩٩٩ / ٦٠٣

سواق / ٣٠٩ / ٧٥٨

قطرانة / ٣٢٦ / ٧٨٣

منزل / ٣٠٨ / ٨٤٠

فريفة / ٣٦٧ / ٨٩٣

الحسا / ٣٧٨ / ٨٢٢

جروف الدراويش / ٣٩٧ / ٩٥٨

عنزة / ٤٢٣ / ١٠٥١ / التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ١-٢ ؛ ص ٣٤٠

دى الجردون / ٤٤٠ / ١٠٨٠

معان / ٤٥٩ / ١٠٨٤

غدير الحج / ٤٧٥ / ١٠٠٠

بئر الشيدية / ٤٨٧ / ٩٩٦

عقبة / ٥١٤ / ١١٥٢

بطن الفول / ٥٢٠ / ١١٢٥

وادي الرتم / ٥٣٠ / ٩٩٤

تل الشحم / ٥٤٦ / ٨٥٠

الرملة / ٥٥٥ / ٨٠٦

المدورة / ٥٧٢ / ٧٣٤

مشهد / ١٠١٢ / ٦٧٠

سهل المطران / ١٠٣٤ / ٦٠٠

زمرد / ١٠٤٩ / ٧١٤

البتري الجديد / ١٠٧٢ / ٧٣٩

- الطوية / ١٠٩٠ / ٦٧٠ /  
 المدرج / ١١١٦ / ٤٦٠ /  
 هدية / ١١٣٣ / ٣٨٥ /  
 جداعة / ١١٥٥ / ٤٥٧ /  
 أبو النعم / ١١٤٣ / ٤١٨ /  
 اصطبل عنتر / ١١٨٩ / ٥٣٠ /  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٤١  
 اصطبل عنتر / ١١٨٩ / ٥٣٠ /  
 بوير / ١٢٠٨ / ٤٧٢ /  
 ديار ناصف / ١٢٢٨ / ٤٨٩ /  
 بواط / ١٢٤٧ / ٥٣١ /  
 الحفيرة / ١٢٤٨ / ٥٤٠ /  
 المحيط / ١٢٨٧ / ٧٥٠ /  
 المدينة المنورة / ١٣٠٢ / ٦١٩ /  
 انتهى كل ذلك من الرحلة الحجازية.

### المسافات بين مكة و المدن الإسلامية الكبرى

#### إشارة

حسن جدا أن يذكر إبراهيم رفعت باشا، رحمه الله تعالى، في كتابه (مرآة الحرمين) في الجزء الأول، بصحيفة ٣٦٧، مقدار المسافات بين مكة المكرمة، و كبرى المدن الإسلامية في جدول خاص.  
 قال: و هذا الجدول نقلناه عن درر الفرائد، المؤلف في القرن العاشر، و الذي عندنا منه نسخة خطية.  
 قال: و بمقارنته ما ذكر هنا عن المسافة بين مكة و المدينة بما نذكره بعد عن المسافة بينهما، يمكنك أن تعرف مقدار الميل في القرن العاشر. هـ.

### جدول المسافات بين مكة و أمهات المدن الإسلامية

أمهات المدن / ميل / الموقع بالنسبة لمكة المدينة / ١١٢ / في شمالها  
 القدس / ٨٤٠ / في شمالها الغربي /  
 الفسطاط / ٨٥٤ / ...  
 دمشق / ٧٢٧ / في الشمال  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٤٢

بغداد/ ٦٤٢ في الشمال الشرقي

تعز/ ٤٧٦ في الجنوب

زبيدة/ ٤٧٦ في الجنوب الغربي

البلقاء/ ٦٨٠ في الشمال الغربي

الموصل/ ٧٨٤ في الشمال

أصفهان/ ٩٤٠ في الشمال الشرقي

السلطانية/ ١٠٦٤ ...

توريز/ ١٠٨٠ ...

نيسابور/ ١١٠٠ ...

هراة/ ١٣٤٤ ...

بلخ/ ١٥٩٠ ...

غزنة/ ١٧٣٨ ...

مرو الشاهجان/ ١٣٠٠ ...

هرمز/ ٢٠٧٠ ...

كابل/ ١٦٤٢ ...

الملتان/ ١٦٥٢ ...

رلى/ ٣٢٢٠ ...

الأحساء/ ٣٣٣ في الشرق

مهرة/ ٥٢٨ في الجنوب الشرقي

الطائف/ ٤٠ في الجنوب الغربي

البصرة/ ٦١٠ في الشمال الشرقي

الكوفة/ ٥١٠ ...

عيزاب/ ١٢٤ في الغرب

الطور/ ٨٠٠ في الشمال الغربي

بلاد صاعون/ ١٩٧٤ في الشمال الشرقي

كاشغر/ ١٩٧٤ ...

اسفيجاب/ ١٩٠٤ ...

فرغانة/ ١٧٤٠ ...

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٤٣

أطرا/ ١٣٩٠ ...

أسروسنة/ ١٧٨٠ ...

بدخشان/ ١٧٥٦ ...

ترمد/ ١٥٩٦ ...

- بخارى / ١٢٨٨ / ...
- سمرقند / ١٦٣٨ / ...
- كر كاج / ١٣٢٥ / ...
- السراى / ١٢٤٦ / ...
- البلغار / ٢٠١٦ / ...
- القرم / ١٥٧٠ / فى الشمال الغربى
- تانه / ١٤١١ / فى الشمال الشرقى
- كنايت / ١٨٠٦ / ...
- الكولم / ٣٧٨٠ / فى الجنوب الشرقى
- سرنديب / ٣٠٥٢ / ...
- الخنسا / ٥٤٣٢ / ...
- الزيتون / ٢٦٣٠ / ...
- خان بالق / ٣٩٣٤ / فى الشمال الشرقى
- قراقرم / ٤٩٩٨ / فى الشمال الغربى
- أشيليه / ٣٣٦٠ / ...
- قرنيطة / ٣٢٦٦ / ...
- أسنى / ٣٨٨٨ / ...
- سبته / ٣٢٢٠ / ...
- مراكش / ٢٦٣٢ / ...
- فاس / ٢٤٤٨ / ...
- تلمسان / ١٧٧٤ / ...
- طرابزون / ١٣٥٠ / فى الشمال الغربى
- كسطينيه / ١٥١٢ / ...
- قمصون / ١٤٢٨ / ...
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٤٤
- قونية / ١٢٣٢ / ...
- القسطنطينيه / ١٦١٠ / ...
- روميه / ١٩٣٢ / ...
- غرناطة / ٣٢٥٠ / ...
- تونس / ٢٠٧٢ / ...
- غانة / ٢٢٤٠ / فى الجنوب الغربى
- جيمى / ٢٤٤٠ / ...
- جزمى / ١٠٢٢ / ...

أوقات / ١٣٣٠ / في الشمال الغربي

بيدسو / ١١٤٨ / في الجنوب الشرقي

قافه / ١٤١١ / ...

انتهى جدول المسافات بين مكة و أمهات المدن الإسلامية، من كتاب (مرآة الحرمين)، ولا يخفى على القارئ الكريم غرابة أسماء بعض البلدان في هذا الجدول التي لم نسمع بها في عصرنا، بينما توجد الآن كثيرا من البلدان الإسلامية الشهيرة لم تذكر في هذا الجدول.

وقد قال صاحب كتاب مرآة الحرمين، أنه نقل هذا الجدول من كتاب "درر الفرائد" المؤلف في القرن العاشر.

و في سنة (١٣٦٨) تقريبا، طبعت رسالة بمكة المكرمة في مسافات الطرق بين بلدان المملكة العربية السعودية مبين فيها جميع المدن و المحطات بالكيلومتر، أحببنا أن نقلها هنا، و لكن لطول الشرح تركنا ذلك، غير أننا نقلنا منها ما هو ضروري لازم للحجاج و أهل البلاد، و هو كما يأتي:

عدد/ المسافة بين البلدان/ كيلو متر /١ بين مكة و جدة/ ٧٤

٢/ بين مكة و الطائف/ ١٣٥

٣/ بين مكة و منى / ٨

٤/ بين منى و مزدلفة/ ٥

٥/ بين مزدلفة و جبل الرحمة بعرفات/ ١٢

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٤٥

٦/ بين مزدلفة و مسجد نمره/ ٨

٧/ بين مكة و رابغ/ ٢١٢

٨/ بين رابغ و مستورة/ ٤٠

٩/ بين مستورة و المدينة المنورة/ ١٩٨

١٠/ بين مكة و المدينة المنورة/ ٥٠٠

١١/ بين مكة و الرياض/ ٩٥٧

### بناء البيوت و المقاولات عليها بمكة

بناء البيوت و القصور بمكة المشرفة عمل معروف من قديم الزمان، و ربما تكلمنا عنه في مبحث الكلام على أمانة العاصمة أو في غيره، فبناء البيوت و القصور القديمة الموجودة منها إلى اليوم هو من عمل أهل مكة، فالبناؤون المكيون قد عرفوا عمل البناء على أكمل وجه بالتمرين و الممارسة العملية، لا- بالتعليم في المدارس، ففيهم من البنائين الحذاق و المهندسين المفكرين المهرة، من يفوقون الرجال المتعلمين في الخارج، بل إن هؤلاء ليقفون حيارى أمام معرفة البنائين الجهلاء و المهندسين الأميين، و هذه أعمالهم في بناء المنازل و القصور قائمة إلى اليوم و شاهدة على ذلك، و ليس هذا بمستغرب على أهل مكة الفضلاء النبلاء، الذين نشأوا حول بيت الله الحرام، و وقفوا على المشاعر العظام، و شربوا من ماء زمزم شراب الأبرار الكرام، و نسأل الله تعالى لنا و لهم حسن الختام، و السداد على الدوام.

انظر: صورة رقم ٥٣، الفن المعماري القديم في المملكة العربية السعودية

إن البنائين و العمال الذين يشتغلون تحت أيديهم و بإرشادهم، لهم درجات و ألقاب بينهم، فلا ينتقل أحدهم من عمل إلى عمل



أرقى، إلا بعد إذن من المعلم الكبير، وإذا صلح أحدهم بعد التمرين والعمل الكثير لأن يكون بناء يستقل في بناء البيوت بنفسه، أذن له المعلم الكبير بذلك بعد أن يشرب الجميع عنده قهوة اللوز المعمولة بالحليب. وكانوا إلى سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين هجرية يبنون من حجارات جبال مكة بعد تكسيها، فلما جاء الإسمنت إلى البلاد صاروا يبنون به.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٤٦

أما بناء البيوت و المنازل الحديثة الموجودة اليوم، و عمل المقاولات على هندستها و بنائها على الطراز الإفرنجي، فإنها لم تكن إلا من بعد ورود الإسمنت من الخارج إلى المملكة، و ذلك من سنة (١٣٦٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و ستين هجرية، حيث كثرت الأموال لدى الناس كثرة زائدة فائقة عن العهود الماضية، و بذلك تطورت أحوالهم و معيشتهم، و خصوصا بعد سفرهم إلى البلاد الأوروبية و مشاهدتهم هنالك مختلف الأمور و الأحوال، و من طبيعة الإنسان أن لا يصبر على حالة واحدة، مع العلم بأن البيوت المبنية بالإسمنت أشد حرارة من البيوت المبنية بالحجارة و الطوب.

انظر: صورة رقم ٥٤، الشيخ على هليكة من مشاهير المعلمين في البنايات القديمة و ألقاب الذين يشتغلون في بناء البيوت و العمارات بمكة المشرفة كالاتي:

(١) الرئيس و هو مهندس المنازل و العمارات، و تحت إمرته جميع العمال، و كلهم يشتغلون بأمره، و الرئيس و جميع أنواع العمال كلهم من مكة المشرفة ليس بينهم أحد غريب، و هذا قبل عصرنا الحاضر.

(٢) و المعلم و هو الذي يشتغل بيده في البناء، و هو المسؤول عن قوة البناء و ضعفه، يشتغل في البناء حسب ما رسمه له الرئيس من الهندسة و التخطيط.

(٣) و القراري و هو الذي يصلح الأحجار المأخوذة من الجبال، بمعنى أنه يكسر من أطراف الحجر كل ناتئ منه، و كل ما ضعف من أجزائه المستدقة، حتى يبقى نفس الحجر صلبا من جميع الأطراف كالمخدة.

(٤) الفلاتي بفتح الفاء و اللام المخففة، و هو الذي يأتي بالأحجار عند القراري ليصلحها.

(٥) المروّج بضم الميم و فتح الراء و كسر الواو المشددة، و هو الذي يناول المعلم النقل، بفتح النون و القاف، و هو الذي يناول المعلم الحجارات الصغار، و الحجارات الخفيفة الرقيقة ليضعها تحت الحجارات الكبيرة أو بينهما، حتى تستقيم و لا تتحرك.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٤٧

(٦) الخلاط و هو الذي يخلط التراب بالنورة و يعرف قياسهما و مقدارهما، ثم يعجن ذلك بالماء و يجعله طينا صالحا للبناء.

(٧) الطيان بتشديد الياء المفتوحة، و هو الذي يناول الطين للمعلم ليبنى به، يناوله في المكن بكسر الميم و سكون الراء، و هو ماعون خاص يوضع فيه الطين بقدر ما يحتمله الرجل و يمكنه رفعه و مناولته للمعلم.

كل هذه الأمور كانت في عمل بناء البيوت و العمارات بالأحجار الجبلية و النورة البلدية بمكة المكرمة المشرفة، و قد تغيرت بعض الأوضاع في العمارات الحديثة التي بالإسمنت المسلح، بل لقد اندثر العمل و البناء بالأحجار و النورة البلدية، فأصبحت البنايات كلها بالإسمنت و الحديد، و ياليت البناء بالإسمنت منع عن مكة المكرمة حتى لا يدخل شيء يماثل التراب كالإسمنت من خارج البلاد إلى حرم مكة المكرمة.

هذا، و كان نقل الحجارات التي تكسر من جبال مكة المكرمة، لبناء البيوت و العمارات في داخل البلدة، بواسطة الحمير، فيعملون لكل حمار من أخشاب الأشجار القوية، أربع مثلثات متساويات الساقين، ثم يجعلون كل مثلثين متقابلين بينهما نحو نصف متر، ثم يوصلون رأسهما بخشبة، كما يوصلون رؤوس ساقيهما بخشبة أيضا، ثم يجعلون بين ساقيهما خشبتين أيضا، فيكون كل مثلثين بمثابة قطعة واحدة وسطها خال، ثم يضعون كل مثلثين في جانبي الحمار من فوق البردعة، بعد ربط أطراف ساقيهما ببعض بحبل غليظ قوي، ثم يجعلون قطع الأحجار المكسرة من الجبال في داخل المثلثين من الجانبين، في كل جانب نحو أربعة أحجار أو خمسة بحسب كبر

الحجارة و صغرها، ثم يأتون بها فوق الحمير من محل تكسير الجبال إلى داخل البلدة في محل البناء. و كذلك كان نقل النورة بواسطة الحمير بعد وضعها في كيس من الخش، هكذا كان الحال في بناء المنازل و البيوت قبل وجود الإسمنت و وجود السيارات، فمنذ وجودهما عندنا، و بناء العمارات و البيوت بالإسمنت المسلح، بطل أخذ الحجارات من الجبال، و بطل استعمال الحمير، فله الأمر من قبل و من بعد.

انظر: صورة رقم ٥٥، عقد لديوان فنى جميل فى أحد بيوت مكة المكرمة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٤٨

### بناء الصنادق و العشاش بمكة

الصنادق جمع صندوق، و هى صفائح من التنك تسمر على أعواد من الخشب، و تكون كهيئة الألواح الطويلة العريضة، طول بعضها أربعة أمتار و عرضها متران، و قد تزيد و قد تنقص، فتعمل من هذه الصناديق محلات و غرف أرضية بطبقة واحدة فقط، فتكون من هذه الصنادق مساكن شرعية كاملة تامة، و لهم فى عملها مهارة تامة.

أما العشاش فجمع عشة، و أطلق عليها ذلك تشبيها لها بعش الطائر، لأنها سهلة البناء و العمل، كما أنها سهلة الهدم و التخريب. و هذه العشاش تعمل من جريد النخل أو من أعواد الأخشاب و الحطب الطويلة، و تكون كل عشة على هيئة القبة و أسفلها واسع بمقدار أربعة أمتار من جميع أطرافها المستديرة، و قد يعمل بعضهم على الأرض حوشا واسعاً، و يبنى فيه عشاشا متعددة، فعشة للرجال، و عشة للنساء، و عشة لخزن الأطعمة، و عشة للنوم و هكذا، و بعضهم قد يزرع فى الحوش بعض الرياحين و شجرة النبق، و يحاط هيكل العشة و سقفها بالحصير، و لهم فى عملها مهارة فائقة، بحيث لو جاءت الأمطار لم ينزل عليهم من العشة شىء من الماء، اللهم إلا بعض قطرات.

و عمل العشاش و الصنادق بمكة المكرمة قديم من الأزمان الماضية، و قد كانت إلى عهد قريب محلة المسفلة، و محلة جروول، مليتان بالعشاش و الصنادق، و لزال فيهما بقية من ذلك، و غالب سكان هذه العشاش و الصنادق من السودانيين و الهنود، و قد زال كثير من هذه العشاش و الصنادق من مكة المكرمة منذ سنة (١٣٧٠) ألف و ثلاثمائة و سبعين هجرية، فلم يبق اليوم منها إلا القليل فى أطراف محلة جروول و محلة المسفلة، و هى على و شك الزوال أيضا.

و لا ندرى بالضبط من أين أتت إلينا صناعة العشاش و الصنادق، و الظاهر أنها أتت من أهل السودان "التكارنة"، و من أهل جاوه، و من أهل الهند، فإن فقراءهم يعملون هذه العشاش و هذه الصنادق، و قيل لنا إن بعض أهل جاوه يصنعون بيوتهم فى بلادهم من الخشب لسهولة نقلها من مكان إلى مكان، حيث تأتيهم المياه فى بعض الأوقات بكثرة، و الله تعالى أعلم بالغيب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٤٩

### من علامات الساعة ظهور بناء البيوت على الجبال المحيطة بالكعبة المعظمة و كثرة وجود المياه بمكة المشرفة

علامات اقتراب قيام الساعة كثيرة، صرح ببعضها الأحاديث الواردة الصحيحة و قد جمع علاماتها بعض العلماء، و بعضهم ألف فى ذلك كتابا، ككتاب (الإشاعة فى أشراط الساعة) للعلامة البرزنجى، و لبعض عرب قريش بمكة المكرمة فى صدر الإسلام، نظريات صائبة و فرائد قوية، فلقد روى الإمام الأزرقى فى تاريخه فى الجزء الأول فى آخر ما جاء فى أسماء الكعبة، و لم سميت الكعبة ما نصه:

حدثنى جدى عن مسلم بن خالد عن ابن خيثم، عن يوسف بن ماهك قال:

كنت جالسا مع عبد الله بن عمرو بن العاص في ناحية المسجد الحرام، فنظر إلى بيت مشرف على أبي قبيس، فقال: أبيت ذلك؟ قلت: نعم. قال: إذا رأيت بيوتها- يعني بذلك مكة- قد علت أخشبيها وفجرت بطونها أنهارا، فقد أظف الأمر. قال أبو الوليد: قال جدى: لما بنى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس داره التي بمكة على الضيافة، حيال المسجد الحرام، أمر أقوامه أن لا يرفعوها، فيشرفوا بها على الكعبة، و أن يجعلوا أعلاها دون الكعبة، فتكون دونها إعظاما للكعبة أن تشرف عليها، قال جدى: فلم تبق بمكة دار لسلطان ولا غيره حول المسجد الحرام تشرف على الكعبة إلا هدمت، أو خربت، إلا هذه الدار، فإنها على حالتها إلى اليوم. انتهى من تاريخ الإمام الأزرقى، رضى الله تعالى عنه.

فانظر، رحمنا الله وإياك إلى عظيم أدبهم و حرمتهم للكعبة المعظمة بيت الله الحرام، و ذلك منذ أيام الجاهلية و فى صدر الإسلام، و ما بعده، إلى ما بعد القرون الثلاثة التى هى خير القرون، و انظر إلى قلبه أدبنا و تهاونا بحرمه الكعبة المشرفة و المشاعر العظام، بل و تهاونا بأمر ديننا الحنيف فى هذا الزمن العصيب.

و انظر أيضا كيف امتلأت جبال مكة المشرفة على الكعبة المعظمة بالبيوت و المنازل، حتى علت على الكعبة، و كيف امتدت مواشير المياه فى بطون أرض مكة المكرمة، و كثرت خزانات المياه فيها، فلقد جرت المياه فى مكة فى زماننا هذا كالأنهار، بعد أن لم يكن بمكة فى الجاهلية و صدر الإسلام، غير ماء زمزم و بضعة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٥٠

آبار فى أطرافها، لقد صدق كلام عبد الله بن عمرو بن العاص، رضى الله تعالى عنه، و وقع ما أخبر به، و هو كان فى أول ظهور الإسلام، فلو كان حيا يرزق بيننا ماذا كان يحكم علينا؟ لقد اقتربت الساعة و الله، و كادت القيامة أن تقوم، فلقد ظهر إلى عصرنا الحاضر كثير من علامتها، فلم يبق منها إلا بعض العلامات الكبرى.

نسأل الله تعالى أن يحفظنا من الفتن ما ظهر منها و ما بطن، و أن يختم حياتنا على الإيمان الكامل و العمل الصالح، و هو عنا راض بفضله و رحمته آمين.

### نحت الحجارات من جبال مكة لبناء المنازل

بناء المنازل و القصور بمكة المكرمة يكون من الحجارات الصماء، المأخوذة من جبال مكة المشرفة و بينونها من تراب مكة و نورتها، و بقدر ما يزداد من النورة فى البناء تكون البيوت أقوى و أشد و مناجم النورة فى مكة كثيرة. و للعمال من أهل مكة مهارة فائقة فى تكسير الجبال و الصخور بالحديد و الألغام منذ زمن بعيد، و كانوا يبيعون الحجارات لعمل البناء بالمئات، فالمائة من الحجارة كانت تساوى كذا من الريالات، و كانوا ينقلون هذه الحجارات على ظهور الحمير من الجبال القريبة من مكة إلى نفس محل العماره بها، و كان هذا حالهم إلى سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمسة و سبعين هجرية، و هى السنة التى ورد فيها الإسمنت إلى مكة المشرفة بكثرة وافرة، و بعد السنة المذكورة صار الناس يبنون بيوتهم بالإسمنت، و أهملوا عمارتها بالحجارات، و بذلك بطل تكسير الجبال و أخذ الحجارة منها للعمارات.

و لأهل مكة مهارة عجيبة فى نحت الحجارات الصماء، و تكييفها بالشكل الذى يريدونه، فمنها الملساء، و منها الخشن، و منها للمستدير، و منها المربع، و منها الأسطوانى، و منها المخروطى، و منها الطويل، و منها القصير، و منها الغليظ، و منها الرفيع، و منها المنقوش المزخرف، و منها السادة التى لا نقش فيها.

الحاصل، ما كان يوجد من يعرف ذلك فى بلدة من البلدان، مثل معرفة أهل مكة، و مثلهم فى ذلك أهل المدينة المنورة، و لبت هذه الصناعة لم تندثر.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٥١

## منجم النورة البلدية بمكة المكرمة

يوجد بمكة المكرمة منجم عظيم للنورة البلدية، يبدأ من بعد عمرة التنعيم بمسافة طويلة، أي يبدأ أول المنجم من نحو خمسة عشر كيلو مترا من المسجد الحرام، أي من بعد قبر أم المؤمنين ميمونة رضي الله تعالى عنها، و يمتد في باطن الأرض ببضع كيلو مترات من جهة الشمال الغربي على اليسار، و معه أيضا منجم آخر للرخام البلدي، و لا يقصد به حجر الرخام الصلب الذي تفرش به أرضية المساجد، و المنازل و أسطحها، فالرخام يطلق عندنا بمكة على الأحجار المأخوذة المكسورة من مناجمه، و هي إذا وضعت في الماء تفور و تغلى حتى تصبح الماء حامياً جداً، بحيث لا يمكن أن يلمسه إنسان حتى يبرد، فإذا طرحت أحجار الرخام في الماء تفتت و اختلطت به، فالمرخمون يأتون بأحجار الرخام و يضعونها في برميل مملوء بالماء، و يضعون أيضا فيه ملح الطعام مقدارا معلوما لديهم، ثم يتركونه ليلة واحدة ليختمر، فإذا أصبحوا، حركوا ما في داخل البرميل من أحجار النورة و الملح حتى تختلط بالماء اختلاطا تاما و يكون لونه كاللبن، ثم يأخذون من هذا الماء، فيرخمون المنازل من الداخل و الخارج، كما يرخمون جميع غرفها، و يأخذون من هذا الماء بالمكنسة أو بفرشاة كبيرة، فيرشون بها الجدران، فإذا نشفت بيضت الغرف و الجدران.

و منجم النورة و الرخام المذكور، كالعروق في باطن الأرض، تمتد من منبعها إلى مسافات طويلة، و لا تنفذ مهما أخذ منه، و أهل مكة يأخذون الرخام لتبييض المنازل، و يأخذون النورة فيخلطونها بتراب مكة، ثم يعجنون الخليط بالماء حتى يكون طينا، فيبنون به جميع البيوت و العمارات، هذه عاداتهم من قديم الأزمان.

و النورة قوية جداً، تمسك الطين فلا يتفتت سريعا إذا وضع بمقدار معلوم، و لكن مع الأسف حل محل النورة البلدية عندنا، النورة الإفنجية- و هي المسماة بالإسمنت- و ذلك ابتداء من سنة (١٣٧٠) ألف و ثلاثمائة و سبعين هجرية تقريبا. و ياليت أن الإسمنت لم يدخل إلى حرم مكة المشرفة، حتى لا يكون فيه شيء من البلاد الأجنبية- مراعاة لبعض أقوال العلماء- فالنورة و الرخام المذكورتان هنا، تشبهان الجبس و الجير المعروفان بمصر، مع فارق بينهما.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٥٢

## صناعة الآجر و مراكن الزرع بمكة

الآجر و يسمى عندنا باللغة العامية "الآجور"، و هو الذي يسمونه بمصر "الطوب"، يصنع بمكة المكرمة من ترابها من قديم الأزمان، و يعمل في قوالب خاصة، ثم يوقد عليه بالحطب حتى يحرق و يستوى. و منذ سنوات قليلة بدأوا يعملوا الطوب من الإسمنت المخلوط بالرمل، لكن لم يتقنوا صناعته، لأن الطوب الإسمنت يتفتت و ينكسر بسرعة، مع أن الإسمنت في غاية من القوة و المتانة، و عما قريب سيحسنون صنعه، و كذلك يعملون مراكن الزرع من طين مكة، فيزرعون فيها أنواع الرياحين و النرجس و الأزهار.

## إنارة شوارع مكة بالكهرباء

كانت شوارع مكة المكرمة و حاراتها تضاء ليلا بلمبات الكاز أي النفط، منذ قديم العصور كبقية جميع الأقطار و الممالك، فكانت اللمبات توضع في داخل الفوانيس و تعلق على جدران المنازل و البيوت في الحارات و الشوارع، فلما انتشر الكهرباء و عم جميع المملكة استبدلت الفوانيس باللمبات الكهربائية، و طبعا كان ذلك بالتدريج أي شيئا فشيئا، فما جاءت سنة (١٣٨٤) ألف و ثلاثمائة و أربع و ثمانين هجرية إلا و قد عم الكهرباء جميع مساجد مكة المكرمة و شوارعها و حاراتها و أزقتها، بل و جبالها المسكونة أيضا، أما المسجد الحرام فلقد تكلمنا عن تدرج إضاءته و إنارته إلى وجود الكهرباء في مبحث آخر، فإنارة جميع مكة كانت في العهد

السعودى الزاهر، و كذلك زيادة العمران و ازدياد السكان، و سفلته الشوارع و الميادين و جميع الطرقات التى تصل بين البلدان و المحطات فى كافة أطراف المملكة العربية السعودية. فسبحان مدبر الأمور و مغير الأحوال.

### عدم مرور الطائرات من هواء مكة

هذا، و من الجدير بالذكر أن الطائرات قلما تمر من سماء مكة المشرفة، احتراماً لبيت الله الحرام الكعبة المعظمة، فربما مرت طائرة من الطائرات فى هواء مكة المكرمة فى العام أو العامين مرة واحدة قاصدة بعض الجهات، كمدينة الطائف.

نعم لقد قامت طائرة من مدينة جدة قاصدة مكة المشرفة لأخذ مساحه جوية لها،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٥٣

و تصويرها بالفوتوغراف من الجو، و ذلك فى اليوم الحادى عشر من شهر شوال سنة (١٣٨٤) ألف و ثلاثمائة و أربع و ثمانين هجرية، و لبثت أسبوعاً واحداً تأتى إلى مكة المكرمة متواليه، حتى أتمت مهمتها ثم انقطعت، فلا توجد حول مكة مطارات لنزول الطائرات، كما أنه ليس لها طريق فى سماء مكة لتمر منه إلى بعض الجهات، فسبحان الذى شرف بلده الأمين، و آمن أهله من الخوف و الجوع، فالحمد لله رب العالمين.

### مكة المكرمة و ما فيها من النعم و البضائع

مكة المكرمة، بلد الله الأمين و بلد خاتم النبيين، و مهبط جبريل الأمين، صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين، هى منبع الأنوار و الخيرات، و مركز الرحمت و البركات، فيها من الأرزاق و الخيرات و الثمرات ما يحير الألباب، مع أنها واد غير ذى زرع، و هذه بركة إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام لأهلها، حيث قال فى سورة إبراهيم: رَبَّنَا إِنِّي أَسِيَّكُنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ.

و الله إن رزق أهل مكة ليأتيهم من كل مكان، و فى كل زمان و مكان، نسأل الله تعالى أن يرضى عنا، و يوفقنا لطاعته، و لشكر نعمه و فضله.

إن مكة المكرمة مرزوقه على الدوام بالخضروات المتنوعة و بالفواكه و الخيرات و الثمرات. كما أن فيها من أصناف البضاعات و أنواع التجارات ما لا- يوجد فى غيرها، مع أنها أرض قاحله ناشفه صخرية، تحيط بها الجبال من كل مكان. إن فيها أنواع الأقمشة القطنية و الصوفية و الحريرية، و أنواع المصاعغات الذهبية و الفضية و مختلف الجواهر و الحلى من المرجان و الياقوت و الزمرد و اللآلىء الأصلية و الصناعية، و الجواهر المختلفة، و الألماس و البرلنت و العقيق و الأساور و الخواتم و عقود الجيد، و أنواع الملابس للرجال و النساء و الأطفال و الشيوخ و الشبان ما لا يدخل تحت الحساب.

و توجد فيها من أنواع الحبوب كالأرز و الحنطة و الدقيق و العدس و الحمص و الفول و البازاليا و الدخن و الذرة و اللوبيا و غيرها، و فيها من أنواع العيش، أى الخبز، شىء كثير، و فيها من الأطعمة المعلبة و غيرها، و فيها أنواع كثيرة من الجبن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٥٤

و الزيتون و الطرشى الإفرنجى و غيره، و فيها كثير من أنواع علب السردين و التونه بل حتى السمك الطرى الأخضر، يأتيها من جدة و السواحل الغربية منها.

الحاصل يوجد بمكة المكرمة أنواع الخضروات و الثمار و الفواكه و الرياحين و العطورات البلدية و الهندية و الإفرنجية، و أنواع المأكولات من الحبوب و غيرها، و أنواع الملابس و الأقمشة و المجوهرات و المصاعغات، كل ذلك يأتيها من الهند و السند و

الصين و مصر و الشام و اليمن و العراق، و من بلاد الإفرنج كإنكلترا و أمريكا و فرنسا و إيطاليا و أستراليا و روسيا و العجم، و من بلاد جاوة و السودان و الحبشة و غير ذلك من جميع أقطار الأرض، لذلك توجد بمكة المكرمة أطعمة بلدية و أطعمة جاوية و أطعمة مصرية و أطعمة بخارية و أطعمة يمنية و أطعمة هندية و أطعمة إفريقية، و كلها جاهزة حاضرة يستطيع كل إنسان أن يأكل ما يشتهي و يهوى، و فيها من أنواع السيارات و أدواتها، و أدوات الكهرباء و أنواع أجهزة الراديو، و أنواع المكائن الكهربائية و الماتورات الكماليات، ما لا يدخل في حساب، فلا يقدر أحد أن يحصى الخيرات و النعم التي في بلد الله الأمين.

لقد كتبنا هذه النبذة الصغيرة للعلم بها في الجملة. فإن كثيرا من الأجانب البعيدين عن الحجاز يعتقدون أن بلادنا خالية من الأمور الحيوية، ليس فيها من النبات إلا العشب، و لا من الأطعمة إلا الخبز و التمر، و هؤلاء معذرون لأن الكتابة عن مرافق حياة بلادنا في الجرائد و الصحف الأجنبية معدومة.

فسبحان القادر على كل شيء، يرزق من يشاء بغير حساب، لا إله إلا هو العزيز الغفار، و صلى الله على سيدنا "محمد" و على آله و صحبه و سلم.

### صلاة الجمعة في المسجد الحرام

صلاة الجمعة هي بضم الميم و إسكانها، و تسمى الصلاة بالجمعة لاجتماع الناس لها، و هي من خصوصيات هذه الأمة المحمدية، و هي فرض عين لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَ ذَرُوا الْبَيْعَ، و هذا الأمر هنا للوجوب، قيل أول من سماه بالجمعة كعب بن لؤي، و هو أول من جمع الناس بمكة و خطبهم و بشرهم ببعث النبي صلى الله عليه و سلم، و أمرهم باتباعه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٥٥

و صلاة الجمعة فرضت مع الصلوات ليلئ الإسرائ بمكة، و لم يصلها رسول الله صلى الله عليه و سلم لأنه كان مستخفيا لا يتمكن من إظهارها و القيام بخطبتها علنا في المسجد الحرام، و أول من فعلها بالمدينة المنورة قبل الهجرة سعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه، و هو من السابقين في الإسلام، فقد أسلم يوم العقبة الأولى مع رفقة حينما حضروا من المدينة إلى مكة، و كانوا اثني عشر رجلا. و لما هاجر الرسول صلى الله عليه و سلم، و وصل إلى قباء بالمدينة أقام فيها أياما أسس فيها مسجد قباء، و هو المسجد الذي أسس على التقوى، ثم إن رسول الله صلى الله عليه و سلم، تحول من قباء إلى قلب المدينة المنورة، و الأنصار محيطون لديه، و يمشون في ركابه صلى الله عليه و سلم، متقلدى سيوفهم، و أهل المدينة في سرور عظيم مستبشرين بمقدمه صلى الله عليه و سلم عليهم، فسار النبي عليه الصلاة و السلام، و الناس وراءه ما بين ماشى و راكب يتنازعون زمام ناقته، كل واحد منهم يريد أن يكون رسول الله صلى الله عليه و سلم نزيله. فأدرته عليه الصلاة و السلام، صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف، فنزل و صلاها، فهذه أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه و سلم. و بعد الصلاة سار صلى الله عليه و سلم و الناس معه، و كلما مر على دار من دور الأنصار تضرع إليه أهلها أن ينزل عندهم و يأخذون بزمام ناقته، و هو عليه الصلاة و السلام يتسم لهم و يقول: "دعوها فإنها مأمورة" فلم تزل ناقته سائرة حتى بركت أمام دار أبي أيوب الأنصاري رضى الله تعالى عنه، فاحتمل أبو أيوب رحله و وضعه في منزله، فرحا مستبشرا، و جاء سعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه، و أخذ بزمام ناقته صلى الله عليه و سلم، فكانت عنده و عم الفرخ أهل المدينة، و خرجت ولائد بني النجار يقلن:

نحن جوار من بني النجاريا حبذا (محمد) من جار

ثم بعد أن استراح رسول الله صلى الله عليه و سلم، قام يبني مسجده الشريف في قلب المدينة المنورة، و من يومئذ انتشر الإسلام، فكان المسلمون يقيمون صلاة الجمعة بمسجده صلى الله عليه و سلم، و يقتدون به في جميع الصلوات، حيث إنه لم يكن هناك

مسجد غير هذا المسجد النبوي الكريم. ثم انتشرت المساجد بالمدينة المنورة شيئاً فشيئاً إلى عصرنا الحاضر و ما زال الناس إلى يومنا هذا يقيمون صلاة الجمعة بالمسجد النبوي الشريف، فلا تتعدد صلاة الجمعة بالمدينة المنورة لصغرها. نعم، تقام صلاة الجمعة بالمدينة المنورة في مسجد قباء و هو بعيد عن قلب المدينة، تقام فيها الجمعة منذ قديم الأزمان إلى يومنا هذا، و السبب في ذلك

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٥٦

أمران، أحدهما: أن قباء بعيد عن قلب المدينة، و ثانيهما: لأن مسجد قباء هو الذي قال الله تعالى عنه في سورة التوبة: لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ، فمسجد قباء له شرف عظيم، فإنه أول مسجد بناه رسول الله صلى الله عليه و سلم عند وصوله المدينة المنورة، ثم تحول منه بعد أيام إلى قلب المدينة فبنى مسجده النبوي المطهر.

ثم لما كثر سكان المدينة و ازداد العمران صارت صلاة الجمعة تقام في مواسم الحج في عصرنا الحاضر في المساجد الآتية:

(١) مسجد المصلى - و هو المعروف بمسجد الغمامة.

(٢) مسجد السبت - و هو واقع خارج باب الشامي.

(٣) مسجد الخريجي - الواقع في المناخة.

كما أفادنا بذلك فضلية الشيخ عبد العزيز بن صالح، إمام و خطيب المسجد النبوي و رئيس المحاكم الشرعية بالمدينة المنورة في وقتنا الحاضر. و مسجد الخريجي نسبة إلى تاجر معروف في زماننا بالمدينة المنورة، بناه فنسب إليه، و تقام صلاة الجمعة بالمدينة أيضا في مسجد ذى الحليفة بضم الحاء، دائما و أبدا لأن ذى الحليفة موضع يبعد كثيرا عن المدينة و هو ميقات الإحرام لأهلها أو من يأتي منها، و ذو الحليفة بضم الحاء المهملة و فتح اللام، هو المعروف اليوم بآبار علي.

أما عندنا بمكة المشرفة، فإنه بعد أن فتحها رسول الله صلى الله عليه و سلم، في السنة الثامنة للهجرة، و دخل الناس في دين الله أفواجا و عبدوا الله تعالى جهارا ليلا و نهارا أقيمت فيه صلاة الجمعة كبقية الصلوات، فكان الناس منذ العهد الأول يقيمون صلاة الجمعة بالمسجد الحرام إلى عصرنا الحاضر، فلا تتعدد صلاة الجمعة بمكة المشرفة أبدا. و كان الناس يحضرون إلى المسجد الحرام لصلاة الجمعة من أماكن بعيدة، كالمعلا و الحجون و المعابدة، و كالمسقلة و جرول، يحضرون إلى المسجد الحرام بحب و رغبة صيفا و شتاء، و لو في شدة الحر و القيظ، بواعز نفسى و دافع دينى، مع وجود مساجد كثيرة في مكة المكرمة.

ثم لما كان في عهد الحكومة السعودية، أى في سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين هجرية، أى لدى ابتداء توسعة المسجد الحرام، صارت مكة المشرفة فسيحة الأرجاء واسعة الأطراف، حتى وصل العمران و البنيان فيها إلى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٥٧

أكثر من خمسة كيلو مترات في جميع أطرافها، و بطبيعة الحال و مقتضيات الضرورة أنشئت فيها مساجد كثيرة يبلغ عددها (١٥٠) مسجدا، فسمحت الحكومة السعودية من السنة المذكورة بإقامة صلاة الجمعة في بعض مساجد مكة تيسيرا على الناس، و من هذا الوقت تعددت صلاة الجمعة في مكة المكرمة.

نسأل الله تعالى القبول و العفو و الغفران مع مزيد من الفضل و الإحسان، إنه بعباده لطيف خبير.

و المساجد التي تقام فيها صلاة الجمعة بمكة المكرمة في الوقت الحاضر ابتداء من سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين هجرية، كما أخبرتنا بها أوقاف العاصمة بمكة المشرفة في مذكرتها المؤرخة في ٤ ذى القعدة سنة (١٣٨٤) هي كما يأتي:

عدد/ اسم المسجد/ المكان /١/ مسجد الجن / بالشارع العام بمحلة السليمانية

٢/ مسجد الجميزة/ بأول محلة المعابدة

- ٣/ مسجد الأميرة حصّة / بالحجون
- ٤/ مسجد حمدان الفرخ / بالعتيبة
- ٥/ مسجد ابن رشد الهمزاني / بمحلة المعابدة
- ٦/ مسجد الملك عبد العزيز / بمحلة المعابدة بجوار القصر العالى
- ٧/ مسجد حى التوفيق / بمحلة جرول خلف ورشة خميس نصار
- ٨/ مسجد الملك عبد العزيز / بمحلة الزاهر
- ٩/ مسجد بئر الحمام / بمحلة شعب عامر
- ١٠/ مسجد الأمير بندر / بمحلة المعابدة
- ١١/ مسجد حسن آل الشيخ / بشارع المنصور
- ١٢/ مسجد الكويتي / بشارع المنصور
- ١٣/ مسجد الطيشي / بجرول خلف القشلة
- ١٤/ مسجد الكعكي / بجرول بجوار المنطقة الخامسة
- ١٥/ مسجد البدوي / يسمى مسجد الجودرية بمحلة الجودرية قبيل المدعا و هذا المسجد يسمى أيضا بمسجد الراية و هذا صحيح كما تحققنا من ذلك، و قد سبق

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٥٨

// الكلام عليه فى هذا الكتاب فى غير هذا المحل.

هذه المساجد فقط هى التى تقام فيها صلاة الجمعة بمكة المشرفة منذ السنة المذكورة أعلاه، أما المسجد الحرام و هو أول المساجد العظام، فإنه تقام فيه صلاة الجمعة منذ الفتح الأعظم لمكة المكرمة فى عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى قيام الساعة.

### الصلاة فى الطابق الأعلى من المسجد الحرام

كانت جميع الصلوات فى المسجد الحرام بمكة المكرمة تقام فى الطابق الأرضي من المسجد الحرام، فلم يكن أحد يصلى الفرائض مؤتما بإمام المسجد الحرام فى موضع مرتفع يصعد إليه بدرج، إلا فى موضعين فقط، الأول فى المقام الشافعي الذى كان بأعلا بئر زمزم، و الثانى فى مقام الحنفى الذى كان بآخر حدود الطائف القديم، بجهة باب الزيادة، و هذان الموضعان يصعد إليهما بدرجات قليلة لا يتجاوز عددها إحدى عشر درجة، و مساحة كل موضع منهما نحو أربعة أمتار عرضا فى سبعة أمتار طولاً تقريبا، و عدد من يصلى فى كل واحد من الموضعين، لا يتجاوز الخمسين شخصا، غير أن المقام الحنفى كان أوسع من المقام الشافعي بقليل، أما المقام الحنبلي و المقام المالكي، فلم يكونا مرتفعين عن الأرض بل كانا على الأرض فى حدود المطاف القديم.

فلما ابتدأت توسعة المسجد الحرام فى سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين هجرية، فى عهد الحكومة السعودية، أزيلت هذه المقامات الأربعة بتاتا، ثم بنيت عمارة تحيط بالمسجد الحرام من جميع جوانبه، و كانت فى هذه العمارة الجديدة طابق علوى. و عندما تمت هذه العمارة صار بعض الناس يصعدون إلى فوقها، و يقيمون الصلوات المفروضة من الجمعة، و الجماعات فى هذا الطابق العلوى مؤتمين بإمام المسجد الحرام، و بعضهم يقيمونها فى نفس أرض المسجد الحرام، و ذلك ابتداء من سنة (١٣٧٩) ألف و ثلاثمائة و تسع و سبعين هجرية، و كان قبل هذه السنة، و هذه العمارة السعودية تقام الصلوات المفروضة فى نفس أرض المسجد الحرام.

نسأل الله تعالى القبول و التوفيق و الفضل و الإحسان و صلاح الحال و الأحوال، بفضلته و رحمته، إنه بعباده لطيف خبير.



التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٥٩

### افتتاح طريق الطائف من جبل كرا بعد إصلاحه و سفلته لأول مرة فى التاريخ

مدينة الطائف أعظم مصيف فى الحجاز، و أهل مكة لا يستغنون عن الطائف فى الصيف مطلقا، و للطائف طريقان: طريق قديم، و هى عن طريق السيل، و هى طريق اليمانية، فبين مكة و الطائف عن هذه الطريق بالجمال ثلاثة أيام، و لا تزال السيارات إلى اليوم تسير فى هذه الطريق أيضا، أما سير الجمال و الدواب فقد بطل مسيرها.

و للطائف أيضا طريق قديم عن طريق الهدى بفتح أوله و ثانيه، و طريق الهدى يمر من عرفات فشداد فالكر بضم الكاف و تشديد الراء، فجبل كرا بفتح أوله و ثانيه، فالهدى بفتح أوله و ثانيه، فعلو وادى محرم فبحرة قرن بفتح أوله و سكون ثانيه فجباجب فمصرة فمعشى فالطائف.

فتكون المسافة بين مكة و الطائف، عن طريق كرا الجديد، حوالى ٨٥ خمسة و ثمانون كيلو مترا.

ثم ان الحكومة السعودية افتتحت طريقا جديدا بين مكة و الطائف عن طريق كرا، افتتحتها جلاله الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود فى اليوم الثالث من شهر صفر سنة (١٣٨٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و ثمانين هجرية.

انظر: صورة رقم ٥٦، أحد الشوارع الجديدة الجبلية بالطائف

انظر: صورة رقم ٥٧، مدخل مسجد عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بالطائف

انظر: صورة رقم ٥٨، مسجد عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما بالطائف

و هذا الطريق الجديد يمر من عرفات فشداد فالكر، فكرا فالهدى فوادى محرم فبحرة قرن فجباجب فمصرة فمعشى فالطائف. فطريق كرا الجديد هو المشى فى نفس جبل كرا، و كل الجبل ملفات مسفلته بالإسفلت.

و أسماء القرى الواقعة فى الطريق القديم هى كما يأتى:

من مكة: (١) بعض قرى بنى صخر، (٢) و قرية الغشامرة، (٣) و قرية القصران، (٤) و قرية الكمل بتشديد الميم، (٥) و قرية الأعمق و منها قرية الذراوة،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٦٠

(٦) و قرية الحصيان، (٧) و قرية المطرة بكسر الميم، (٨) و قرية الشنبان بضم الشين المعجمة، (٩) و قرية المغارية، (١٠) و قرية البنى، (١١) و قرية الحجران.

و هذه القرى واقعة على الطريق القديم.

و أما القرى الواقعة على الطريق الجديد فهى: (١) قرية ابن مسعود بكسر الواو، (٢) و قرية بنى صخر، (٣) و قرية الغربه بكسر أوله و فتح ثانيه، (٤) و قرية اللمضة بكسر اللام و فتح الميم و الضاد، (٥) و قرية الخولة و بيت القزاز.

و اعلم بأن جبل "كرا" هو أعلا جبل بين مكة و الطائف، فإنه يرتفع عن سطح البحر بنحو ستة آلاف قدم، حتى أن بحر جده كان يرى من قمته إذا كان الإنسان قوى النظر، و إذا نظر فى الصباح الباكر قبيل طلوع الشمس، فإذا طلعت فإن شعاعها يحجب رؤية بحر جده لبعده المسافة، و قد رأى البحر من فوق جبل كرا بعض أصدقائنا ممن لا نشك فى صدقهم، فرؤية البحر من أعلى الجبل حقيقة لا وهمية، و لا من فعل السراب، فإن السراب لا يظهر إلا بعد الضحى العالى عند اشتداد الحر.

انظر: الصور أرقام ٥٩، ٦٠، ٦١ و هى للطريق المسفلت بجبل كرا عام ١٣٨٥ هـ

و المسافة من مكة إلى الطائف تبلغ نحو خمسة و ثمانون كيلو مترا، و هذا عن طريق كرا من عرفات، و الطريق من مكة إلى الطائف كلها مسفلته بالإسفلت، و طول جبل كرا نحو خمسة عشر كيلو مترا، فالسيارات تسير الآن بعد إصلاح الطريق و سفلته فى وسط هذا

الجبل الأشم الأصم الصلد، و يبلغ عرض الطريق المسفلت في وسط هذا الجبل نحو اثني عشر مترا، و طول الجبل كما هو مذكور، و لقد مكثوا في إصلاح هذا الجبل العظيم العالى نحو سبع سنوات، و ما كان هذا العمل في هذا الجبل يخطر على بال أحد في الأزمنة السابقة. إن جبل كرا كان في سالف العهود مملوءا بالقروء، ينزلون إليه من الطائف و الجبال المجاورة، فلما بدئ العمل في إصلاح الجبل بالألغام هربت القروء منه، فسبحان الله مغير الحال و الأحوال.

و الحق يقال أن إصلاح طريق جبل كرا هو من فكرة جلاله مليكنا المعظم الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، فلقد فكر في إصلاحه منذ أن كان وليا للعهد، فلما اختمرت الفكرة في رأسه أظهرها للوجود، فأمر بالبدء في العمل منذ سنوات، و خصص مبالغ طائلة لهذا المشروع العظيم الجبار، فما مرت سنة واحدة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٦١

على توليته الملك، إلا- و قد انتهى العمل في هذا الجبل العالى العظيم، فافتتحه بنفسه في التاريخ المذكور و الفرحة تغمره و تغمر الناس جميعا، فسبحان الموفق للخيرات و الملمه للصواب، و فقه الله تعالى لصالح العباد و البلاد بفضله و رحمته، إنه جل جلاله هو البر الرحيم.

هذا، و لقد أخرج القائمون بتنفيذ هذا المشروع كتابا قد بينوا فيه خلاصة العمل في إصلاح جبل كرا، و وضعوا فيه بعض الصور و الرسوم، فنحن ننقل منه النبذة الآتية و هي:

كيلو متر/ بيان الموضوعات ٨٩/ طول الطريق من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى الطائف ٢١/ طول الطريق من مكة إلى عرفات.

٢٣/ طول الطريق من عرفات إلى الكز، و هو بأسفل الجبل

٢٢/ و نصف طول الطريق من الكز إلى قمة جبل كرا، أى إلى الهدى

٢٠/ و نصف طول الطريق من الهدى إلى الطائف

٢٠/ ترتفع مكة المكرمة عن سطح البحر (٢٩٠) مترا

٢٠/ و ترتفع عرفات عن سطح البحر (٣٢٠) مترا

٢٠/ و يرتفع الكز في سفح الجبل عن سطح البحر (٧٥٠) مترا

٢٠/ و يرتفع الهدى عن سطح البحر (١٩٥٠) مترا و مثله ارتفاع كرا

٢٠/ و يرتفع الطائف عن سطح البحر (١٥٥٠) مترا، فالطائف أقل من الهدى

و بلغت تكاليف إصلاح هذا الطريق مائة و ثمانون مليون ريال سعودي، و إن شاء الله تعالى ستجنى البلاد من فتح هذا الطريق خيرا كثيرا بفضل الله تعالى و رحمته، و الحق يقال أن إصلاح الطرقات و سفلتها في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية في الحجاز و نجد، لم تكن إلا في عهد الحكومة السعودية، وفق الله تعالى العاملين لكل خير آمين.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٦٢

## تاريخ الإذاعة السعودية

### إشارة

أصدرت صحيفة "الأضواء"، التي تصدر بجدة، عددا خاصا عن وثبة الإذاعة السعودية، اقتبسنا منه و مما جاء فيه من مقالات و

تحقيقات عن تاريخ الإذاعة السعودية ما يأتي:

إن الحقيقة التي يجب أن تعرف و أن تسجل على صفحات التاريخ، هي أن الإذاعة السعودية، مدينة في مولدها و نشأتها إلى جلالة الملك سعود.

فعند ما كان وليا للعهد تبنى فكرة إنشاء إذاعة عربية سعودية، إيماناً منه بخطر الإذاعة و أهميتها في العصر الحديث، من حيث كونها لسان حال الحكومة و مظهر وعى الشعب و تقدمه، و من حيث كونها صلة الشعب بغيره من الشعوب من جهة، و صلة الشعب ببعضه من جهة أخرى.

فكان مولد الإذاعة العربية السعودية في أواخر عام (١٣٦٨) هـ، الموافق (١٩٤٩) م، و مع بزوغ فجر يوم عرفات المبارك من تلك السنة، انطلق أول صوت في الأثير يحيى العالم الإسلامي و العربي: (هنا مكة المكرمة ... أيها المسلمون في مشارق الأرض و مغاربها ... سلام الله عليكم من الأرض الطاهرة).

فبدأت الإذاعة السعودية عهداً مثلماً تبدأ كل إذاعة في العالم حين تأسيسها ... بدأت طفلاً وليداً يحبو، و لكنه يترععرع و ينمو و يكبر، فيستكمل عناصر قوته و حيويته.

فكانت تبث برامجها في ذلك الوقت بمرسلة قوتها (٣) كيلوات فقط. و بقيت قوتها كذلك، حتى وفق الله تعالى مليكنا إلى إصدار مرسومه الملكي في السادس و العشرين من شهر شوال سنة ١٣٧٤ هـ بإنشاء مديرية عامة تسمى "المديرية العامة للإذاعة و الصحافة و النشر"، و أسند رئاستها إلى سكرتير جلالته الأستاذ عبد الله بلخير، فكان ذلك بداية عهد جديد للإذاعة السعودية، إذ أخذ سعادة الأستاذ بلخير على عاتقه النهوض بالإذاعة و تقوية إرسالها، فخطى سعاده بها خطوات سريعة واسعة، و كانت خطوته الأولى في عام (١٣٧٥) هـ، الموافق لعام (١٩٥٥) م، إذ تمكنت المديرية المشار إليها من إنشاء مرسلة جديدة بقوة (١٠) كيلوات حتى تستطيع بث البرامج المتعددة المتنوعة إلى نطاق أوسع من ذي قبل.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٦٣

و كان من البديهي أن توسع الاستديوهات مع زيادة البث، و لذلك ابنت المديرية استديوهين جديدين في جدة، إلى جانب الاستوديو القديم.

أما خطوته الثانية، فكانت في عام ١٣٧٧ هـ الموافق لعام ١٩٧٥ م، و في شهر صفر بالتحديد، إذ افتتح جلاله مليكنا المرسلة الجديدة قوة خمسين كيلوات.

و هذه المرسلة الجديدة مفخرة من مفاخر الإذاعة السعودية، و طاقة جبارة تضع الإذاعة السعودية في مصاف أقوى الإذاعات في الشرق الأوسط.

و ستتع هذه الخطوة خطوات، و ما هذه القوة ذات الخمسين كيلوات إلا جزءاً بسيطاً من مشروع ضخم كبير يكلف تحقيقه مئات الألوف.

و المديرية العامة للإذاعة و الصحافة و النشر جادة في سبيل إنجاز هذا المشروع الكبير، و العمل قد بدأ بعد أن أقره جلاله الملك، و أمر بتنفيذه في الحال.

و هذا المشروع سيرفع من قوة الإذاعة فيجعلها بقوة أربعمائه و خمسين كيلوات ... و بذلك يكون للملكة العربية السعودية إذاعة عالمية تنقل رسالتها إلى الدنيا كلها.

و لن تمضى سنتان و نصف حتى يكون المشروع قد أنجز بأكمله، و عندها تحقق معجزة عالمية في الأثير، هي من صنع جلاله الملك فيصل المعظم أدامه الله و وفقه لكل ما يحب و يرضى، إنه السميع المجيب.

و مما يجدر ذكره، أن الإذاعات لما انتشرت في الممالك و الأقطار، و حضرت الأجهزة إلى المملكة السعودية، كان فتحها لسماع

الأغاني ممنوعا منعاً باتاً، و من فتح الراديو و استمع إلى الأغاني تعاقبه الحكومة السعودية و تكسر له الراديو، ثم ما زالوا يتساهلون في الأمر تدريجياً حتى وصلت الحالة عندنا إلى ما نراه اليوم.

قال الأستاذ سراج خراز من مكة المشرفة في تحية الإذاعة السعودية قصيدة طويلة نقتطف منها ما يأتي:

حَيِّ الإذاعة معلنا إكبارها و أنشد على مر الزمان فخارها!

فأحق بالإعجاب منك إذاعة شادت على أسس الثقافة دارها

في الصبح و الإساء تسجع طيرها فاسمع فديتك فيهما أطيارها

ألقت بسمع الكون ما هاجت به شجو النفوس و حركت أوتارها

هي منبر صدحت به أقلامهم أسمعت في جنباته قيثارها؟

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٦٤ تهب الكبار من العقول معارفنا و تمد بالقصص البديع صغارها

فتداعب الأطفال فرحة باسم مرح، زوت عنه الدنيا أكارها

إن الإذاعة إن دعتمكم إنماتدعو البلاد لمجدها أحرارها

هي رمز نهضتنا الفتية فاحذروا أن تطفئوا بأكفكم أنوارها

فقفوا لنصرتها الجهود و راقبوا نحو التقدم و العلا أطوارها

انظر: صورة ٦٢، المؤلف و موظف الإذاعة و آخرين بالقرب من منى عام ١٣٧٥ هـ

### قصيدة في تحية دار الإذاعة

احتفلت دار الإذاعة المصرية في شهر إبريل سنة (١٩٣٧) ميلادية، بانتهاء العام الثالث من إنشائها، و دعت لذلك نخبة من رجال العلم و الأدب في مصر، ليذيع كل منهم كلمة في هذا الصدد، فقال الأستاذ على الجارم رحمه الله تعالى، هذه القصيدة:

دار الإذاعة أنت بنت ثلاثة مرت كومض البارق اللماح

كم فيك للقرآن رنة قارئ تحلو لدى الإساء و الإصباح

كشفت عن النفس الملول حجابها فتوجهت للخالق الفتاح

الدين سلوى النفس في آلامها و طبيبها من أدمع و جراح

دار الإذاعة كم نشرت ثقافة جلت مآثرها عن الإفصاح

كم جاز صوتك من بحار سجرت و فدادن شعث الفجاج فساح

أصبحت أستاذ الشعوب و كافحت نجواك جيش الجهل أي كفاح

و ملأت بالعلم البلاد فنوره في كل منعطف و بهرة ساح

تتلقف الدنيا حديثك مثلما يتلقف الأبرار و حى ألواح

دار الإذاعة أنت أمرح أيكة صدحت فكانت أيكة الأفراح

صاحت بلا بلك الحسان فأخملت في الجو صوت البلب الصياح

من كل شادية كأن حنينها همس المنى لليأس الكداح

الليل إن نادته ماس بعطفه فتراه بين المنتشى و الصاحي

كم فيك من لهو رى النهى و فكاهة محبوبه و مزاح

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٦٥ النفس تسأم أن تطاول جدها فاكشف سأمه جدها بمباح

\*\*\*

زمر الشباب ولى ملامه ناصح لو تسمعون نصيحة الناصح  
 بالعلم "مركوني" تسلق للعلاو بعزمه الوثابة الطماح  
 رجل عصامي الأرومة لم ينل مجدا "بآمون" و لا "بفتاح"  
 تتطلع الدنيا إليه و تمتطى ذكرى ماثره متون رياح  
 إن التفاخر بالقديم تعله و الجهل للمجد المؤثر ماحي  
 و العلم مصباح الحياة فنقبوا من قبل أن تشبوا عن المصباح  
 بلى السلاح مع القديم و عهده و الآن صار العلم خير سلاح  
 اليوم فكرة عالم في مصنع تغنى عن الأسياف و الأرماع  
 و تصد كل كتيبة موارد خضراء تقذف بالكماة رداح  
 أمضوا الجهود و أخلصوا لبلادكم في الجد و الإخلاص كل نجاح  
 لا يرتجى من أمة مفتونة باللهو و التسوييف أى فلاح  
 خوضوا الصعاب و لا تملوا إيمانيل المنى بالصبر و الإلحاح

### وصف الحاكي أى "الفنوغراف"

و مما يناسب مبحث الكلام على الإذاعة، ما جاء فى كتاب المحفوظات المختارة عن وصف "الفنوغراف" بفاء و نون مضمومتين، و قد كان اختراعه قبل اختراع الراديو بنحو خمسين سنة تقريبا، و هو ما يأتى:

مثال القوة الناطقة، من غير إرادة سابقة، يقطف الألفاظ اقتطافا، و يختطف الصوت اختطافا، مطبعة الأصوات و مرآة الكلمات، ينقل الكلام من ناحية إلى ناحية، نقل كلام عمر إلى سارية أشد من الصدى فى فعله، فى إعادة الصوت إلى أصله.

يحفظ الكلام و لا يبیده و متى استعدته منه يعيده من غير أن يبقى لفظا فى صدره، أو كتم شيئا من أمره، كأنما حفظ الوديعه فى نفسه طبيعة، فلو تقدم له الوجود فى مرتبة الزمن ما احتجنا فى الأخبار إلى عنعنه و لا فى الدعاوى إلى بينه، بل كان يسمعنا كلام السيد المسيح فى المهده، و صوت عازر من اللحد، و كانت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٦٦

الفلاسفة استودعته حكمتهم، و أنشدهو كلمتهم، فرأينا به غرائب اليونان، و بدائع الرومان، و ربما سمعنا خطب سحبان و شعر سيدنا حسان بذلك اللسان، و أصبح وجود الإنسان غير محدود بزمن من الأزمان.

لله دره من تلميذ يستوعب ما عند المعلم و يستخلصه فى لحظة معيدا قوله، ناقلا صوته و لفظه.

نديم ليس فيه هفوة النديم، و سمير لا ينسب إليه تقصير، تسكنه و تستعيده و تنقصه و تستزيده، و هو فى كل هذه الأحوال، راض بما يقال، لا يكل من تحديث و لا يمل من حديث. نام، كما ينم لك ينم عيك، و ينقل لغيرك كما ينقل إليك، فهو المصور لكل فن، المتكلم بكل لغة، المحدث عن كل إنسان، المؤرخ لكل زمان، الشاعر الناثر المغنى العارف، لا تعجزه العبارة، و لا تجهده الإدارة، و لا يضره اختلاف شكل، و لا تباين أصل. انتهى.

الحاكي

هل علم الغريد فى و كره شأن الذى خفض من قدره

و هل درى المطرب ماذا الذى يسترجع الملحود من قبره  
يا عجبا من ناطق صامت تأتلف الألحان فى صدره  
يستخرج اللحن بمسنونه تزيل ذاك اللبس من أمره  
تخط فى أعطافه أحرفا كأنما تبحث عن سره  
يروى أحاديث أناس مضوا كأنها مرت على فكره  
انتهى.

### ظهور التلفزيون

أما اختراع (التلفزيون) فأول من فكر فيه رجل إنكليزى اسمه كامبل سويتون، و ذلك سنة (١٩٠٨) ميلاديه، و لكن هندسة صنع الصمام اللاسلكى فى ذلك الوقت لم تكن متقدمة تقديما كافيا، فلم تتحقق فكرته. ثم فى سنة (١٩٢٥) ميلاديه، عرض (ج- ل بيرد) أول تلفزيون فى العالم، إلا أن الصور لم تكن واضحة، و منذ ذلك الوقت أخذت هندسة التلفزيون فى تقدم مطرد.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٦٧

و قد ظهر التلفزيون لأول مرة فى مصر سنة (١٣٧٨) هجرية، الموافقة لسنة (١٩٥٩) ميلاديه.

و بالطبع كان ظهوره فى أوروبا قبل ظهوره فى بلاد الإسلام. أما التلفزيون فى البلاد السعودية، فإلى طبع كتابنا هذا لم يكن له ظهور عندنا، و لقد سمعنا أن الحكومة السعودية ستعمل و تحقق ظهور التلفزيون عندنا فى العام الآتى، أى فى سنة (١٣٨٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و ثمانين هجرية، و الله تعالى أعلم.

و لقد أخذت الحكومة السعودية فى نشر التلفزيون بالمملكة، و ربما ظهر التلفزيون عندنا قبل شهر رمضان من هذه السنة، و هى سنة (١٣٨٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و ثمانين هجرية. و الله تعالى أعلم بما سيحدث فى مستقبل الأعوام، من أنواع الراديو و التلفزيون و غيرهما.

فى شهر ربيع الثانى سنة (١٣٨٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و ثمانين هجرية، ظهر بمكة المكرمة التلفزيون و عرضه فى بعض المعارض، و هو فى دور التكوين و الإصلاح و التجربة، فلا يمر هذا العام إلا و قد انتشر فى جميع بلدان المملكة العربية السعودية.

### الميكرفون فى المسجد الحرام

كان لكل منارة فى المسجد الحرام مؤذن واحد بل أكثر، و كان الذى يقيم الصلاة و يبلغ حركات الإمام للمؤمنين، يطلع إلى المقام الحنفى لهذا الأمر، ثم لما ظهر فى عصرنا الراديو و الميكرفون، استعملوا الميكرفون لسماع خطب الوعظ و الإرشاد و إلقاء المحاضرات و التنبهات و التعليمات، حيث إنه يكبر الصوت و يوصله إلى أماكن بعيدة، فإنه يكفى أن يقف رجل واحد أمام آلة الميكرفون، فيلقى ما شاء من الخطب و التعليمات، ليسمعه آلاف الناس فى الميادين و المحلات، و حين رأى الناس فائدة الميكرفون وضعوه فى المساجد و فى المآذن و عند المحراب ولدى المبلغين و أمام قراء القرآن و المنشدين و نحو ذلك، حتى يسهل سماع القرآن و الخطب لجميع الناس.

و لقد سمحت الحكومة السعودية باتخاذ الميكرفون فى المسجد الحرام و المسجد النبوى، و وضعوه على المنارات و مقامات المبلغين و عند الإمام وقت الصلوات و على المنبر، و كان وضعه فى المسجد الحرام فى أول عام (١٣٨٦) ثمان و ستين

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٦٨

و ثلاثمائة و ألف، و قد وضع فى المقام الحنفى جهة باب الزيادة، لأن فى هذا المقام يبلغ حركات الإمام للمؤمنين.  
و الحق أن للميكرفون فائدة كبرى، لا ينكرها إلا كل أحرص أصم.

### الجبال و فوائدها و ألوانها

الجبال فى الأرض موضع التأمل و النظر لدى أهل الفكر و ذوى الألباب، فهى دلالة على قدرة الله عز شأنه، الذى قال فى سورة الغاشية: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ\* وَ إِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ\* وَ إِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ\* وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ\* فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ.

و قال تبارك و تعالى فى سورة النبأ: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَادًا\* وَ الْجِبَالَ أَوْتَادًا\* وَ خَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا. و قال جل جلاله فى سورة فاطر: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَ مِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَ غَرَابِيبٌ سُودٌ\* وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ.

فالله تبارك و تعالى، الذى له الحكمة البالغة، لما جعل الأرض مهياً لنا لنتنفع بها من جميع الوجوه، كالمهد الذى يفرش و يهيا للصبى ليرتاح فيه، جعل الجبال عليها أوتادا تستقر و ترسو كما يرسو البيت بالأوتاد، قال الشاعر:

و البيت لا يبنى إلا له عمدو لا عماد إذا لم ترس أوتاد

و فى الحديث، خلق الله تعالى الأرض، فجعلت تميد فوضع عليها الجبال فاستقرت، فقالت الملائكة: ربنا هل خلقت خلقا أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد. فقالت: ربنا، هل خلقت خلقا أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار.

فقالت: ربنا، هل خلقت خلقا أشد من النار؟ قال: نعم، الماء. فقالت: ربنا، هل خلقت خلقا أشد من الماء؟ قال: نعم، الهواء. فقالت: ربنا، هل خلقت خلقا أشد من الهواء؟ قال نعم، ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفى ذلك عن شماله.

فالجبال علاوة على أنها جعلت أوتادا على الأرض، فإن فيها منافع كثيرة، منها الاستظلال حولها إذا سلطت الشمس حرارتها على الأرض، و منها تخرج المياه أحيانا من بين حجارتها عذبة صافية كالماء المقطر، و منها أن فى الجبال

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٦٩

كهوفا و مغاور طبيعية تصلح للسكن و الراحة التامة فيها، و منها أنهم كانوا يتخذون بيوتا فى الجبال يعملونها نحتا بأيديهم كما قال الله تعالى عنهم فى سورة الأعراف: وَ أَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَ بَوَّأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَ تَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادُّكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَ لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. و قال سبحانه فى سورة الحجر: وَ لَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ\* وَ آتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ\* وَ كَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ. و قال أيضا فى سورة النحل: وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ، و قال فيها أيضا: وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا.

قيل: كانوا ينحتون الجبال بيوتا لطول أعمارهم، و كانت الأبنية تبلى قبل أن تبلى أعمارهم.

يظن بعض الناس أن الجبال اسودت و اغبرت من تأثير حرارة الشمس القوية التى مرت عليها آلاف الأجيال، و هذا الظن ليس فى محله، إذ لو كان الأمر كذلك لوجدنا باطن الجبال بلون غير لون ظاهرها، و الحال أن باطنها و ظاهرها بلون واحد.

فلقد خلق الله تعالى الجبال بألوان مختلفة، ففيها البيض و فيها السود و فيها الحمر و فيها الخضمر و فيها غير ذلك من الألوان كما فى الآية المتقدمة، و معنى كلمة "و غرابيب سود" الغريب هو الذى أبعد فى السواد و أغرب فيه، و منه الغراب لأنه شديد السواد، و من الجبال ما هو صلب شديد و رخو فتيت، و ما هو مدور و ما هو مستطيل، و ما هو صغير و ما هو كبير، و ما هو وحده مستقل، و ما هو متصل بغيره متسلسل ممتد إلى أميال بعيدة، و ما هو كالقطعة الواحدة، و ما هو متكون من أحجار و صخور بعضها فوق بعض من أصل الخلقة و الطبيعة، و ما هو منقور منحوت، و ما هو مخروق ذو منافذ و طرائق، و ما هو أملس ناعم، و ما هو خشن يابس، و منها ما

هو أهل بالسكان و ما هو خال من العمران، و منها ما فيه أنهار و زروع و ثمار، و منها ما لا ينبت فيها زرع و لا يصلح للعمار، و بين هذا و ذاك سبل و وديان ينتفع منها الإنسان و الحيوان.

و من الجبال ما هو شامخ عال. قال تعالى في سورة المرسلات: وَ جَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٧٠

و أعلى جبال الأرض جبال هماليا و إفريقيا، فإن هذه الجبال قل من وصل إلى قمته من البشر، لعلوها الشامخ و استمرار الثلوج عليها صيفا و شتاء.

و في الجبال نقطة دقيقة و طرفه فنية عجيبة تغيب عن كثير من الناس، و هي أن الله تعالى، جلت قدرته خلق الجبال على أحسن صورة و أجمل منظر، فهي على تباينها و اختلاف أشكالها و تفرق مواضعها، و عدم تنظيمها، تجد فيها روعة و جلالا تأخذ بمجامع القلوب، و تشرح الأفئدة و الصدور، تجد هنا جيب صغير و تلال صغيرة، و تجد هناك جبالا مرتفعة و صخورا ناتئة، و تجد أمامك سلسلة جبال تسد الطريق، فإذا وصلت إليها وجدت الطريق بينها مسلوكا و تجد نفسك أحيانا محصورا تحيط بك الجبال في دائرة ضيقة، إذا بك تخرج من بينها في فضاء فسيح، و قد تفرقت الجبال عنك، و تجد قمم الجبال و رؤوسها مختلفه متنوعه، كما تجد ظهورها و تسنمها بأشكال متباينه، و تجد في تعاريجها و تلافيفها و ارتفاعها صعوبة الرقى، لكنها تغري الناظر بالصعود، فإذا رقى عليها و رأى ما تحتها و ما حولها، انشرح صدره و ود لو لم ينزل عنها، و ما أحلى منظر الجبال في البكور و الأصيل و الليالي المقمرة، و لا يعرف متعة الصحراء إلا أهل الصحراء، و لا يفهم كلامنا إلا من رأى البلاد التي تكثر فيها الجبال، و تتجلى هذه المعاني بوضوح لمن كان مسافرا ما بين مكة و جدة، و ما بينها و بين المدينة، أو مسافرا حوالى البلاد الحجازية.

فلو اجتمع أهل الرسم و التصوير، و نبغاء الفنون و الابتكار من أطراف العالم، على أن يعملوا جبالا صناعية فيها هذه الروعة و الجلال و المناظر و الجمال، لباؤا بالفشل و رجعوا بخيبة الأمل. فسبحان مبدع الكائنات الذي أحسن كل شيء خلقه، و الذي وضع في كل شيء من الجاذبية و القوة الكامنة و الحكمة البالغة ما يحير ذوى العقول و الأبواب فسبحان الله رب السموات و رب الأرض و رب العرش العظيم.

## وصف الصحراء

جاء في الجزء الثالث من كتاب "المطالعة العربية" عن الصحراء نقلا عن كتاب "صحراء ليبيا" تأليف أحمد حسنين، ما يأتي:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٧١

قد يكون للصحراء متاعبها، و لكن لها أيضا مفاتنها، تستهوى عشاقها و تجذبهم إليها، افتتن بها كل من جاب نواحيها، افتتن بعظمتها المتمثلة في فضائها الواسع، و سكونها العميق، و حياة التنقل المحفوفة بالمخاطر.

تبسم الصحراء فما أحلى ابتسامها، و تعبس فما أقيح عبوسها، تضحك نجومها فتستهوى عابرها، و يحتكم فضاؤها في القلب، فتوقعه في أسرها فيسير مغتبط النفس هانيتها، سير المطمئن، المؤتنس بها، المولع بجمالها، و لكن شيمتها الغدر، فلقد تريك غاية الغضب و القسوة التي لا تتجاوز بعدها، بعد أن تضيى عليك السرور، و ترضيك تمام الرضا.

الصحراء ساحرة جذابة، إذا عرفتها تعلقت بها نفسك أبد الدهر، و لكن ليس من السهل أن تدرك سر سحرها، و لا سبب خلابتها و كل ما تعرفه أنها تناديك، فينفذ نداؤها إلى صميم قلبك، و تدعوك فلا تلبث أن تشد الرحال إليها راضيا مغتبطا، يسوقك الحنين و تدفعك الذكرى.

تلازم القافلة ساجى العينين، تجر قدميك المقروحتين على وقع خطا الإبل، و قد جف الريق، و تشقق الحلق، و لا أثر لبثر، يسير رفقاؤك في هدوء و سكون قد خفت أصواتهم، و قلص الجهد وجوههم، و حالت إلى لون الدم عيونهم، ملؤها اليأس، تستطلع الأفق



و تستوضح ذلك الخط الذي تلتقى عنده زرقة السماء و صفرة الرمال، فإذا هو دائما ناصل بعيد السكون شامل، لا تشقه إلا خضخضة النزر اليسير من الماء في القرب المتهدلة على جوانب الإبل المتهالكة، إننا في الصحراء لا نتحدث كثيرا، فالصحراء تعلم الصمت و الوجوم، و إذا أحدق الخطر بنا تحامينا أن ينظر بعضنا إلى بعض، و ساد السكوت، و ماذا يجدى الكلام، كل منا يعرف ما هو واقع، و كل منا يحتمله بصبر و جلد، إذا التضجر ضرب من السخط، و السخط معصية لا يقدم عليها بدوى، ففي عقيدته أن الله كتب عليه هذه الحياة، و قدر عليه سلوك هذه الطريق، و قد تودى به فلا بد من الرضا، و البدوى يقول: لا مفر مما كتبه الله و قدره أينما تكونوا يدر ككم الموت و لو كنتم في بروج مشيدة. و في مثل هذه الساعات تقطع على نفسك العهود و المواثيق، ألا تعود إلى الصحراء أبدا إذا قدر الله لك أن تخرج منها حيا.

ثم ينتهى اليوم، و تحط الرحال، و لا تنصب الخيام، لأن الرجال مجهدون غافلون عن التفكير في أنفسهم، و كأن الشمس قد نالها ما نالنا من التعب، و كأنما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٧٢

النهار الذى قطعته معنا فى نضال الصحراء أدمى وجهها فإذا قرصها يرسل أشعة حمراء، كأنها خيوط الدم، و كأنما الشمس قد عمدت مثلنا إلى الانزواء، تضمد نخين جروحها و تجدد منهوك قواها، حتى إذا تم لها ذلك عادت وعدنا فى نورها إلى مصارعة الصحراء، و لكن الصحراء لا تلبث أن تصرعنا و تصرعها ... قصة كل يوم.

يهبط الظلام شيئا فشيئا، تطارد طلائعه فلول النور، و يسجو الليل، زاهر النجوم، أو وضاح البدر، و ربما كان ليل الصحراء أعجب نواحي الحياة فيها، يسرى نسيم الليل عليلًا، فينعش روح القافلة و لا تمضى دقائق حتى يبدأ النقر على الصفائح الفارغة، و يدور الرقص و الغناء، و يتجمع شمل الرجال حول النار الخائبة، فيتوسم كل منهم وجوه رفقاءه، ليطمئن عليهم، و يستيقن سلامتهم، و يحاول كل منهم أن يكون أشد بهجة من جاره، ليقوى عزيمته و يجدد فى نفسه الثقة و الأمل و الطمأنينة. و قد نعدنا إلى مغالطة أنفسنا بأن نبعث فى ظلام صيرتنا و متاعنا نورا فيقول أحدنا: "إن جمال القافلة بخير،" و يقول آخر: "لقد تعهدت الجرح، فإذا به أخف مما كنت أظن،" و يقول ثالث إنه رأى ثارة البئر على مقربة إلى اليمين، و هكذا نستدرج أنفسنا لنقنعها بأن كل شىء على ما نود و نرغب، و ربما كان هذا كله تغريرا منا بأنفسنا أمام الصحراء التى خلبت ألبابنا، و تغلب سحرها على عقولنا، تبسم لك الصحراء ليلا، فتنسى كل شىء، تنسى متاعبك و آلامك.

تنسى الصعاب التى لاقتك، و المشقات التى تنتظرك، تنسى كرب الحر و العطش و تنسى أنك كنت قد أشرفت اليوم على الهلاك، و أن الموت يرقبك غدا، و أنه كامن لك فى كل خطوة، تبسم لك الصحراء، فلا يبقى بعدها مكان أجدر بأن تعيش فيه، و لا تطيب لك الحياة فى غيرها، تبسم الصحراء فيعاودك جيبها، و تقبل عذرها، و تغفر ذنبها، و تنقض عهد هجرانها. قليل من أهل المدن يدركون لذة الجلوس فى حلقة الظلام و رعى النجوم، و لا عجب إن كان العرب أساتذة علم الفلك، فالأعرابي إذا انتهى من عمل يومه، خلا- إلى نفسه، و انقطع إلى ترسم حركات النجوم و إمتاع روحه، بما تبعته فيه من الراحة، و الشعور بالسمو إلى ما فوق العالم الأرضى، و تقع النجوم من نفسه موقع الأصدقاء الأقربين الذين يلقاهم كل يوم حتى إذا دارت قبة الفلك لم تغب فجأة، و إنما تحتجب تدريجا كما يتوارى الراحل عن مودعه على أمل اللقاء القريب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٧٣

و ينصل الليل، فينبعث من أول متيقظ من رجال القافلة: "حى على الصلاة، الصلاة خير من النوم،" فيستيقظ القوم، و كأنهم يجمعون عظامهم، و مع ذلك، فما أعظم ما طرأ عليهم، سرى فيهم الأمل و تولدت الثقة بل قد يعتقدون فى ضمائرهم أن سيجرى كل شىء على ما تهوى نفوسهم و الدنيا بعد فضاء مكفهر رطب، و نيران الصباح وحدها تذهب ببرودة نسيم الشمال، فإذا كان الجو صحوا، لا سحاب فيه و لا مطر، انتشر فى السماء نور ضئيل يرمى خلف الرجال و الإبل ظللا مستطيلة رواعه تدق حتى ما تكاد تسميها ظللا، ثم

يتخضب الفضاء بحمرة تبعث الدفء حتى إذا ما بدت ذكاء، لم يبق في الصحراء إلا ذلك المنبسط السحيق من زرقة و صفرة، ثم تنصل الزرقة شيئاً فشيئاً، حتى إذا انتصف النهار أمحت الألوان من السماء.

و يخلق الصباح قوة جديدة، تلك هي الساعات التي يتجلى فيها للإنسان سحر الصحراء و جمالها، في سكون هذا الفضاء المتسع يدق الإحساس و يرهف، حتى ليشعر قاطع الصحراء أحياناً بقرب (واحة) عامرة و تغلب غريزته أيضاً، فيحس بمئات الأميال التي تبعده عن كل كائن حي، و في تلك اللانهاية الساكنة، يصحو الجسم، و تصفو الروح فيشعر الإنسان بأنه أقرب إلى الله عز و جل، و يحس قوة قاهرة، ليس لقوة أخرى أن تحول قلبه عنها، و يتسرب إلى نفسه الإيمان بالقدر الغالب فيصبح شديد الاستسلام، حتى يهون عليه بذل حياته للصحراء دون تبرم، و هناك حقاً أوقات يشعر الإنسان فيها بأن الحياة قليلة الوزن حينئذ، و تكشف الصحراء من الإنسان عن جوانبه الشريفة، فإنك إذا واجهت أهل المدن بالخطر، ناضل كل عن نفسه، أما في الصحراء فتسمو النفس، و تختفي الأثرة و يبدو الإيثار، فيفرغ كل قصارى جهده في خدمة زملائه، فإذا هدد الخطر قافلة من القوافل، و عنّ لأحد أفرادها سبيل النجاة، تنكب عنها، و لم يترك رفقاءه لينجو بنفسه. و أشد ما يهولك في الصحراء أن يقل الماء، و ربما دار بخلدك في مثل هذه الحال أن تستبقى لنفسك ما لديك منه، و لكنك بدلاً من هذا لا تلبث أن تجدك حاملاً زجاجة الماء، و هي إذ ذاك أثمن ما تملك، تدور بها على الرفاق، تسأل كل منهم، هل يريد جرعة، تسألهم غير آبه و لا مكترث، كأنما خيل إليك أن الماء موفور غزير فائض عن حاجتك، تسألهم دون أن تفكر في سلامتك، و هكذا يكون الإيثار، و تكون التضحية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٧٤

لا يزال يزداد الإعجاب بالبدوي، كلما فكرنا في ثباته و سكينته و شجاعته التي لا يزعزعها شيء، يدخل البدوي الصحراء و عماده ثلاثة: الجمال، و الماء، و الدليل. أما الجمال، فقد يخور أقواها، و ينفق لغير سبب ظاهر، و يقوم أضعفها يتمايل تحت حملة، يقارب في خطواته، حتى يبلغ آخر الشوط، و موت جمل من جمال القافلة كارثة في إلقاء جل أحماله، إن لم يكن كلها. أما الماء فيحمل أكثره في قرب، و قد تتصدع القربة، أو يبخر منها الماء، و ربما اصطدم جملان، فتتشق قربة أو قربتان، و هذه هي الطامة الكبرى. بقي الدليل، فقد يقول- و الأسباب كثيرة- أن الأرض تدور برأسه، و أن رأسه طاح، و قد يضل الطريق إذا غامت السماء بضع ساعات، أو أخطأ في ترسم معالمه.

عماد البدوي في اجتياز الصحراء، كما قدمت، الجمال و الماء و الدليل، و لكنها جميعاً لا تغنى عن شيء آخر هو الإيمان، الإيمان الثابت الذي لا يتزعزع، الإيمان الراسخ الوطيد، و لو رجع كل رحالة إلى نفسه، ما استطاع أن يقول: فعلت، بل كل ما يستطيع أن يقوله: وفقت، و ما التوفيق إلا من عند الله.

قد تتجمل الصحراء و يلين مهادها، و قد يكون رجال القافلة متهللين نضر الوجوه، و قد تعبس الصحراء، فإذا تهدلت رؤوس الإبل من العطش و الإعياء، و نزر الماء، و ما من أثر لبئر قريبة، و وجم رجالك، و تطرق اليأس إلى نفوسهم، و سألت دليلك، فهز كتفيه و قال: الله أعلم، و ذرعت بنظرك الأفق، فإذا هو ذلك الخط الغائم المضطرب، و جلت ببصرك في كل ما يحيط بك، فما رأيت شارة و لا علامة تبعث على بصيص من الأمل، و ضاقت دائرة الأفق، حتى أصبحت على رجبها طوقاً يضيق حول عنقك، فهنا يشعر البدوي بافتقاره إلى القدرة القادرة، و هنا يجأر باستدرا رحمة الله و لطفه، حتى إذا ضلت دعواته، ضم جسده الداوي، و تهالك على الرمال ينتظر الموت المحتوم في سكينته و استسلام، هذا هو الإيمان الذي لا بد منه لمجتاز الصحراء. انتهى من كتاب المطالعة الوافية.

ذكر بعض أشهر جبال مكة

جاء في كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى ما نصه: قال الله تعالى:  
وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ، قال المفسرون: خلق الله عز وجل،  
التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٧٥

الأرض على الماء فمادت و تكفأت، كما تتكفأ السفينة، فأثبتها بالجبال، و لولا ذلك ما أقرت عليها خلقا.  
و روى أبو حاتم في كتاب العظمة، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: إن الله تعالى، لما خلق الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال  
فألقاها عليها فاستقرت، فعجبت الملائكة من خلق الجبال، وقالت: يا رب هل خلقت خلقا أشد من الجبال؟ قال:  
الحديد، قالت: فهل من خلق أشد من الحديد؟ قال: النار، قالت: فهل من خلق أشد من النار؟ قال: الماء، قالت: فهل من خلق أشد من  
الماء؟ قال: الريح، قالت: فهل من خلق أشد من الريح؟ قال: ابن آدم، يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله.  
و عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض. فبعث الله ريحا فعصفت الماء،  
فأبرز من حشفة في موضع البيت، فدحا الأرض من تحتها، فمادت فأوتدها بالجبال.  
فكان أول جبل وضع، جبل أبى قبيس، و هو الجبل المطل على الكعبة، انتهى من كتاب نهاية الأرب.  
و من قول السموأل في الجبال:

لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف و هو كليل

رسا أصله تحت الثرى و سما به إلى النجم فرع لا ينال طويل

نقول: إن الحرم في أطراف مكة و جهاتها متسع، فحدود الحرم المكي يحرم التعرض لصيده و نباته للآتى من جهة التنعيم ثلاثة أميال،  
و من العراق و الطائف سبعة أميال، و من الجعرانة تسعة أميال، و من جدة عشرة أميال. و هذه الحدود لها من الحكم ما لمكة لأنها  
محيطه بها، و هذه الحدود غير حدود المواقيت.

فمكة و ما يتبعها من الحرم ملائنة بالجبال، و نرى من العسير جدا عدها و إحصاءها، فكيف أمكن للإمام الأزرقى أن يعدها و أن  
يحصرها في اثني عشر ألف جبل.

و نحن مع كثرة مطالعتنا لتاريخ الإمام الأزرقى، لم نر فيه أنه ذكر عدد جبال الحرم، فما ندرى فى أى صحيفه منه وجد الغازى رحمه  
الله، أنه ذكر عدد جبال الحرم حتى نسبها إليه.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٧٦

هذا و لا نريد إطالة الكلام عن جبال مكة و ذكرها جبالا، ففى كتب التاريخ بيان كل ذلك، و لكن لا بد لنا من ذكر أهم جبالها  
و أشهرها، و لنقتصر من ذلك على سبعة جبال فقط و هى:

(١) جبل أبى قبيس- و يقع فى الجهة الشرقية للمسجد الحرام.

(٢) و جبل قعيقعان- و يقع فى الجهة الغربية، و هذان الجبلان هما أخشبا مكة.

(٣) و جبل حراء- و يقع فى الشمال الشرقى، و فيه أول ما نزل من القرآن.

(٤) و جبل ثور- و يقع فى الجهة الجنوبية، و فيه اختفى النبى صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر حين الهجرة.

(٥) و جبل خندمة- و يقع خلف جبل أبى قبيس.

(٦) و جبل عمر- و يقع فى الجهة الغربية تقريبا.

(٧) و جبل ثبير- و يقع فى الجهة الشرقية.

و اعلم أن مكة شرفها الله تعالى و أكثر رزقها و خيرها و رخص أسعارها، و زادها أمنا و أمانا و برا و إحسانا، و غفر لأهلها و وفقهم

لمعرفة فضلها و الأدب فيها، و أدام رضاءه و توفيقه عليهم، و على من جاورهم ليقوموا بطاعته خير قيام كلها محاطةً بالجبال الشامخة، و هذه الجبال متصلةً بعضها ببعض، و ما نراه في بعض الأماكن المسكونة من استواء الأرض، إنما حصل بفعل البشر من إصلاح الطرق و مواضع المساكن، و الإفنى أصل الخلقه بعض أراضيها غير مستوية بهذا المقدار، خصوصاً ما كانت محيطهً بالمسجد الحرام و مطلةً عليه.

قال الغازي في الجزء الأول من تاريخه بصحيفة ٣٤٢: قال الإمام الأزرقي: و بحرم مكة، شرفها الله تعالى، اثنا عشر ألف جبل.

### جبل أبي قبيس و ارتفاعه ٤٢٠ متراً

روى البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال "أول بقعة وضعت من الأرض موضع البيت، ثم مدت منه الأرض، و إن أول جبل وضعه الله تعالى على وجه الأرض أبو قبيس، ثم مدت منه الجبال." قال العريزي في شرحه على الوقع الصغير، قال الشيخ: حديث صحيح لغيره ٥١.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٧٧

و روى الإمام الأزرقي في تاريخه: عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما، أنه قال: لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السموات و الأرض، بعث الله تعالى ريحا هفافةً فصفت الماء، فأبرزت عن خشفة في موضع هذا البيت كأنها قبة، فدحا الله الأرضين من تحتها فمادت ثم مادت، فأوتدها الله تعالى بالجبال، فكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس، فلذلك سميت مكة أم القرى ٥١. و جبل أبي قبيس هو أحد أخشبى مكة، و كان أبو قبيس يسمى في الجاهلية الأمين، لأن الركن الأسود كان فيه مستودعا عام الطوفان، فلما بنى إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام البيت نادى أبو قبيس أن الركن منى بموضع كذا و كذا، و قيل أتى به جبريل عليه السلام من الجبل و سلمه إلى إبراهيم.

أما الأخشب الثانى فهو جبل قعيقعان الذى نسميه الآن "بجبل هندی" و سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

قال الأزرقي: و بلغنى عن بعض أهل العلم من أهل مكة أنه قال: إنما سمي أبو قبيس أن رجلاً أول من نهض بالبناء فيه كان يقال له أبو قبيس، فلما صعد فيه بالبناء، سمي جبل أبي قبيس، و يقال كان الرجل من إباد، و يقال اقتبس منه الركن فسمى أبو قبيس، و الأول أشهرهما عند أهل مكة. ٥١.

و اعلم أنه يمتاز جبل أبي قبيس عن بقية الجبال بما يأتى:

(١) أنه أول جبل وضع على وجه الأرض.

(٢) أن الله تعالى استودعه الحجر الأسود زمن طوفان نوح عليه السلام.

(٣) أنه يشرف على الكعبة المعظمة، بل إن الربوة التى بنيت عليها الكعبة تتصل بأصل جبل أبي قبيس.

(٤) أن انتشار الدعوة إلى الإسلام جهراً لأول مرة، كان فى الدار التى بأسفل أبي قبيس المسماة "بدار الأرقم" و الشهيرة بدار الخيزران، فقد كان النبي صلى الله عليه و سلم يختبئ فيها هو و من آمن معه، و يصلون بها سرا، حتى أسلم عمر رضى الله عنه، فجهروا بالإسلام، كما قال ابن مسعود رضى الله عنه: و ما عبدنا الله جهرة حتى أسلم عمر.

(٥) أن أصل الصفا الذى يبدأ السعى منه يقع فى أسفل أبي قبيس فى مقابلة ركن الحجر الأسود.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٧٨

(٦) أن انشقاق القمر حصل عليه، و ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه و سلم.

(٧) كان نصب المنجنيق زمن محاربة ابن الزبير رضى الله عنهما، على أبى قبيس و على قعيقعان.

و كفى بجبل أبى قبيس شرفاً أنه بمكة مطل على بيت الله الحرام، بينهما أمتار معدودة، و مع هذا نوجب كيف لم تؤخذ منه الصخور و الأحجار لأساس الكعبة و بنائها كما أخذت من الجبال الأخرى. مع أنه هو أول جبل وضع على وجه الأرض ثم منه امتدت الجبال. قال الغازى فى تاريخه فى الفصل الأول، عند ذكر جبال مكة ما نصه:

(فمنها) الجبل المعروف بأبى قبيس، و هو الجبل المشرف على الصفا، و هو أحد أخشى مكة، و سمي بأبى قبيس باسم رجل من إباد يقال له أبو قبيس، ذكره الأزرقى، و قيل إن الرجل من مذحج، ذكره ابن الجوزى، و قيل سمي بأبى قبيس باسم رجل من جرهم كان قد وشى بين عمرو بن مضاى و بين ابنة عمه مية فنذرت أن لا تكلم، و كان شديد المحبة لها، فحلف ليقتلن قبيسا فهرب منه فى الجبل المعروف به، و انقطع خبره. و قال الأزرقى: الأول أشهر عند أهل مكة، و قيل إنه اقتبس منه الحجر، و كان يسمى فى الجاهلية الأمين لأن الحجر الأسود استودعه الله فيه من الطوفان على قول، فلما بنى الخليل الكعبة نادى أبو قبيس:

الركن منى بمكان كذا و كذا. و قيل إن آدم اقتبس منه نار الدنيا، و عن مجاهد:

أول جبل وضع على وجه الأرض أبو قبيس، ثم مدت الجبال منه، ذكره الأزرقى و الواحدى، كذا فى تحصيل المرام. و قال أيضاً: و فى الإعلام: سمي بأبى قبيس لأن رجلا من إباد يكنى أبا قبيس، سعد فيه، و بنى فيه بناء فعرف به. قال الفاكهى: اعلم أن الدعاء فيه يستجاب، و أن وفد عاد قدموا إلى مكة للاستسقاء لقومهم، فأمروا بالطلوع إلى أبى قبيس للدعاء، و قيل لهم: لم يعله خاطئ يعرف الله منه الإنابة إلا جابه إلى ما دعاه إليه. و فيه على إحدى الروايات قبر آدم و حواء و شيث عليهم السلام، قال الذهبى فى تاريخ مدة آدم و بنيه ما نصه: و خلف بعده شيث ابنه و نزلت عليه خمسون صحيفة و عاش تسعمائة سنة، و دفن مع أبويه فى غار أبى قبيس، انتهى.

و قال وهب بن منبه: حفر لآدم فى موضع من أبى قبيس فى غار يقال له غار الكنز، قال الفاسى: و هذا الغار لا يعرف الآن، فاستخرجه نوح عليه السلام يوم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٧٩

عرفه، فجعله فى تابوت معه فى السفينة، فلما نضب الماء رده إلى مكانه، انتهى.

و قيل غير ذلك، و فيه موضع يزعم الناس أن القمر انشق فيه للنبي صلى الله عليه و سلم، و ليس لذلك صحة، كذا ذكره السيد التقى الفاسى، قال: و هو أول جبل وضعه الله تعالى فى الأرض، انتهى ما فى الإعلام.

و فى تحصيل المرام قال القرشى: كون وقع انشقاق القمر فى الموضع الذى يقوله الناس اليوم، فلم أر ما يدل على ذلك، انتهى. قال: و اعتادت الناس أكل الرأس فوقه، و يظنون أنه سنه و يأكلون ذلك فى رأس الجبل، و فى وسط صهريج معد للماء لما كان على رأسه قلعة لبعض ملوك مكة بناها مكتر أخو داود بن عيسى يتخلص بها عند انهزامه من أخيه داود، ثم بعد ذلك نقضها مكتر لما ولى مكة بدل أخيه داود، و ذلك فى سنة خمسمائة و ثمان و ثمانين، كذا فى تاريخ مصطفى الشهرى بجناى، و عامة الناس يسمون ذلك المحل حبس الحجاج و ليس كذلك، و هو الآن خراب قد انهدم سقفه.

و فوق أبى قبيس مسجد مشرف على الكعبة و الحرم بناه رجل هندى كما أخبرنى بذلك والدى سنه ألف و مائتين و خمس و سبعين، و كانت حجارة مرضومة فى ذلك المحل يقال إنه مسجد إبراهيم و ليس هو خليل الرحمن و إنما هو رجل آخر.

و فى ذلك المحل شبح صخرة من جهة المشرق يقول الناس أن هذا المحل كان الحجر الأسود فيه زمن الطوفان إلى زمن إبراهيم عليه السلام، فأخذه من هذا المحل، و لم أر أثرا و لا خبرا صحيحا ما يدل على ذلك أنه كان فى هذا المحل بعينه، و الله أعلم. انتهى ما فى تحصيل المرام.

و ذكر السيد أحمد دحلان فى سالناماته الحجازية أن الفزوينى ذكر فى عجائب المخلوقات أن من خواص جبل أبى قبيس أن من

أكل فيه الرأس المشوى يؤمن من وجع الرأس، فصار كثير من الغرياء يحرصون على فعل ذلك، لا سيما حجاج الجاوا. قال العلامة المنلا على القارى فى شرح اللباب أن ذلك كلام باطل لا أصل له. انتهى من تاريخ الغازى.

وجاء أيضا فى كتاب "الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها و بناء البيت الشريف"، للعلامة ابن ظهيره القرشى عن جبل أبى قبيس ما نصه: الجبل المعروف بأبى قبيس أحد أخشى مكة المشرف على الصفا، و هو مشهور لا يحتاج إلى التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٨٠

بيان، و يروى عن وهب بن منبه رضى الله عنه، أن قبر آدم صلوات الله عليه فى غار فى جبل أبى قبيس، يقال له غار الكنز بالنون و الزاء المعجمة، و أن نوحا عليه السلام لما جاء الطوفان استخرجه من الغار و جعله فى تابوت حمله فى السفينة، فلما غيض الماء أعاده إلى الغار، و الله أعلم بذلك، و هذا الغار لا يعرف الآن، و قيل إن قبره بمسجد الخيف بعد أن صلى عليه جبريل عند باب الكعبة، و قيل بيت المقدس، و قيل ببلاد الهند، و صحح الحافظ ابن كثير فى تفسيره، و نقل عن الذهبى أن قبر حواء و شيث فى جبل أبى قبيس، و الله أعلم بالحقائق.

و من فضائله: أنه كان يدعى الأمين فى الجاهلية، لأن الحجر الأسود استودع فيه عام الطوفان، فلما بنى الخليل الكعبة ناداه الجبل: الركن منى بمكان كذا و كذا، فجاء به جبريل فوضعه موضعه.

(و منها): أنه أول جبل وضع على وجه الأرض حين مات، روى ذلك عن ابن عباس و مجاهد.

(و منها): أن الدعاء يستجاب فيه كما ذكره الفاكهى، و استشهد لذلك بحكاية الوفد الذين استسقوا فيه، فأجيب لهم و سقوا.

(و منها): انشقاق القمر عليه كما ذكره القطب الحلبي و غيره، و نقل عن بعض العلماء أنه أفضل جبال مكة حتى حراء، و علل بكونه أقرب الجبال إلى الكعبة الشريفة، قال الفاسى رحمه الله، و فى النفس شىء من تفضيله على حراء لكونه صلى الله عليه و سلم كان يكثر إتيانه للعبادة، و يقيم به لأجلها شهرا فى كل عام، و فيه أكرم بالرسالة، و لم يتفق له صلى الله عليه و سلم مثل ذلك فى جبل سواه، و ذلك مما يقتضى امتيازاه بالفضل. و الموجب لتفضيل دار خديجة رضى الله عنها، على غيرها من دور الصحابة طول سكناه عليه السلام بها، و نزول الوحي عليه فيها، لا لأجل القرب من الكعبة إذ كثير من البيوت أقرب إليها منه، كدار العباس بالمسعى، و دار الأرقم بالصفا، و الله أعلم. انتهى.

ثم فى تسميته بأبى قبيس أقوال أرجحها أنه سمي باسم رجل من إياد يقال له أبى قبيس بنى فيه.

(فائدة) نقل القزوينى فى كتابه عجائب المخلوقات من خواص جبل أبى قبيس، أن من أكل فيه الرأس المشوى يأمن أوجاع الرأس، و كثير من الناس يفعلون، و الله أعلم بحقيقته ذلك. انتهى من الكتاب المذكور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٨١

### جبل قعيقان (أى جبل هندى)

جبل قعيقان ارتفاعه (٤٣٠) مترا، هو الجبل الثانى من أخشى مكة، و الأخشب الأول جبل أبى قبيس، و قعيقان هو ما نسميه اليوم "بجبل هندى"، و سمي بقعيقان لتقعع السلاح به فى حرب جرهم مع قطورا، و هما يومئذ أهل مكة، فكانت جرهم بأعلا مكة و قعيقان و ملكهم يسمى مضاض بن عمرو، و كانت قطورا بأسفل مكة و أجيادين و ملكهم يسمى السميدع.

و قيل: سمي بقعيقان لوجود سلاح تبع به حينما قدم مكة، و كان خيل تبع بأجياد فلذلك سميت أجيادا.

و فى الحقيقة الأخشب الثانى هو الجبل الصغير الذى بأسفل قعيقان المطل على الكعبة، و هو الذى كان يسمى "بالأحمر"، كما كان يسمى بالجاهلية "بالأعرف" و لكن لما كثر السكان و البيوت بالجبل اختلطت الجبلان ببعض فصارا كالجبل الواحد، و فيه كانت بيوت

و دور عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما، و عليه نصب المنجنيق أيضا فى محاربتة مع الحجاج، فإن وجهه الشرقى يطل على الكعبة و المسجد الحرام و يقال جبل أبى قبيس. و جبل قعيقعان جبل عظيم طويل ممتد، و فى أصله تقع المروة من جهة المدعى أى فى الشمال الشرقى للمسجد الحرام، قال صاحب العقد الفريد: الواقف على درج المروة يرى ميزاب البيت و ما اتصل به. و من عجب ما رواه الغازى فى تاريخه ناقلا- عن ابن فهد، أنه قال: و فى سنة (٨١٧) سبعة عشر و ثمانمائة أنشأ عطية المطير سبيلا بالمروة و كان موضع هذا السبيل قبل ذلك معدا للشنق، فقال شعبان الآثرى فى ذلك:

بمكة دار كان للشنق ركنها فأضحت سبيلا بعد كل بلية

و أضحى لسان الحال منها يقول قدرضيت من المولى بخير عطية

و قال بعضهم أيضا:

بمسعى رسول الله دار معدة لشنق فصارت للأنام سبيلا

و اليوم جبل قعيقعان جميع جهاته و أطرافه و رأسه عامرة بالمنازل و البيوت و السكان من جميع الأجناس، ففيها من أهل الحجاز و من أهل اليمن و من أهل الترك و الهنود و الشوام و غيرهم. انتهى من الغازى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٨٢

قال الغازى فى تاريخه: جبل قعيقعان هو جبل مشرف على مكة و وجهه إلى أبى قبيس، ذكره الياقوت فى معجم البلدان. جبل الأحمر ذكره الأزرقى فى ذكر أخشى مكة و قال: الجبل الذى يقال له الأحمر، و كان يسمى فى الجاهلية الأعرف، و هو الجبل المشرف و وجهه على قعيقعان و على دور عبد الله بن الزبير، و فيه موضع يقال له الجبر و الميزاب، إنما سمي الجبر و الميزاب لأن فيه موضعين يمسكان الماء إذا جاء المطر يصب أحدهما فى الآخر، فسمى الأعلى منهما الجبر، و الأسفل منهما الميزاب، و فى ظهره موضع يقال له قرن أبى ريش، و على رأسه صخرات مشرفات يقال لها الكبش عندها موضع فوق الجبل الأحمر يقال له قرارة المدحا، كان أهل مكة يتداحون هناك بالمداحى و المراضع. انتهى من تاريخ الغازى.

### الدور التى بقعيقعان لابن الزبير

قال الإمام الأزرقى رحمه الله تعالى فى تاريخه: و لعبد الله بن الزبير الدور التى بقعيقعان الثلاث المصطفة، يقال لها دور الزبير، و لم يكن الزبير يملكها، و لكن عبد الله ابتاعها من آل عفيف بن نبيه السهميين و من ولد منبه، و فيها دار يقال لها "دار الزنج"، و إنما سميت دار الزنج لأن ابن الزبير كان له فيها رقيق زنج، و فى الدار العظمى منهن بير حفرها عبد الله بن الزبير، و فى هذه الدار طريق إلى الجبل الأحمر و إلى قرارة المدحا، موضع كان أهل مكة يتداحون فيه بالمداحى و المراضع، و كانت لعبد الله بن الزبير أيضا دار بقعيقعان يقال لها "دار الحشنى" و كانت له دار البخاتى كانت بين دار العجلة و دار الندوة، و كانت إلى جنبها دار فيها بيت مال مكة، كانت من دور بنى سهم، ثم كان عبد الملك بن مروان قبضها بعد من ابن الزبير، ثم دخلت الدار التى كان فيها بيت المال فى دار العجلة حين بناها يقطين بن موسى للمهدى أمير المؤمنين، و صارت الأخرى للربيع، ثم هى اليوم فى الصوافى، و هى التى يسكنها صاحب البريد، و إنما سميت تلك الدار دار البخاتى لأن ابن الزبير جعل فيها بخاتيا كان أتى بها من العراق، و لهم دارا مصعب بن الزبير اللتان عند دار العجلة كانتا للخطاب بن نفيل العدوى، و لهم دار العجلة ابتاعها عبد الله بن الزبير من آل سمير بن موهبة السهميين، و إنما سميت دار العجلة لأن ابن الزبير حين بناها عجل و بادر فى بنائها، فكانت تبنى بالليل و النهار، حتى فرغ منها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٨٣

سريعا، و قال بعض المكيين: إنما سميت دار العجلة لأن ابن الزبير كان ينقل حجارتها على عجلة اتخذها على البخت و البقر.

انتهى كلام الإمام الأزرقي.

### جبل عمر

جبل عمر يمتد من الشبيكة إلى المسفلة، وهو أهل بالسكان، وغالب حجاج اليمن يسكنون به اليوم، وهو جبل واقع من الجهة الغربية لمكة

قال الغازي في تاريخه: وفي تحصيل المرام وهذا الجبل يعرف الآن بجبل عمر، وهو الجبل المشرف على الهجلة، ومسجده قد بناه بعض تجار الهنود. انتهى من الغازي.

نقول: الهجلة محلة تحت جبل عمر، وهي من الأماكن التي كان يباع بها الحطب سابقا.

قال الغازي: وفي هذا الجبل موضع يقال له مولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وأهل مكة يسمونه جبل النوبى، اهـ.

وقال عنه القطبي: ومنها موضع فى أعلا جبل يقال له جبل النوبى، يقال أنه مولد سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، يطلع الناس إليه للسير والفرجة، اهـ. انتهى.

قال الفاسي عن مولد عمر بن الخطاب بجبل النوبى "جبل عمر" ولا أعلم فى ذلك شيئا يستأنس به اهـ.

نقول، وهذا هو الحق، فمن أين نعلم موضع ولادة عمر، رضى الله تعالى عنه.

ويقول الأزرقي عن جبل عمر فى صحيفه (٢٣٦) من الجزء الثانى: جبل عمر الطويل المشرف على ريع عمر، اسمه العاقر، وقد قال الشاعر:

هيئات منها إن ألم خيالها سلمى إذا نزلت بسفح العاقر

ويقول عنه فى صحيفه ٢٣٩: جبل عمر، الجبل المشرف على حق آل عمر، وحق آل مطيع بن الأسود، وآل كثير بن الصلت الكندى، وعمر الذى ينسب

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٨٤

إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكان يسمى فى الجاهلية ذا أعاصير. انتهى كلام الأزرقي.

نقول: إن ما يشاع على ألسنة العوام أنه على ظهر هذا الجبل موضع يسمى "ميرك الناقة" أى ميرك ناقة عمر رضى الله عنه، فهذا من الخرافات التى اخترعها الدجاجلة.

### جبل ثور

#### إشارة

جبل ثور، بالثاء المثلىة، واقع جهة المسفلة على طريق اليمن وارتفاعه (٧٥٩) مترا، ويبعد هذا الجبل عن المسجد الحرام بثلاث كيلو مترات أو أربعة، وفى هذا الجبل الغار الذى اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع صاحبه أبى بكر رضى الله تعالى عنه، حينما قصد الهجرة إلى المدينة، قال البتوني: ومساحة الغار نحو مترين مربعين.

جاء فى تاريخ الخميس: وفى القاموس يقال له ثور أطحل، واسم الجبل أطحل نزله ثور بن عبد مناف، فنسب إليه ذلك الجبل. انتهى منه.

و جاء فى تاريخ الأزرقي ما نصه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى محمد بن أبى عمر العدنى عن سعيد بن سالم القداح، عن عمر بن



جميل الجمحي، عن ابن أبي مليكة أن النبي صلى الله عليه وسلم، لما خرج هو وأبو بكر إلى ثور جعل أبو بكر يكون أمام النبي صلى الله عليه وسلم، وخلفه مرة، قال: فسأله النبي صلى الله عليه وسلم، عن ذلك، فقال: إذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك وإذا كنت خلفك خشيت أن تؤتى من أمامك، حتى انتهى إلى الغار وهو في ثور، قال أبو بكر رضى الله عنه، لما انتهى: حتى أدخل يدي فأحسسه، فإن كانت فيه دابة أصابتنى قبلك، قال: وبلغنى أنه كان فى الغار جحر فألقم أبو بكر رضى الله عنه، رجله ذلك الجحر فرقا أن يخرج منه دابة أو شيء يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، انتهى منه.

ولقد ورد خبر الغار فى القرآن الكريم، فقد قال تعالى: **إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا الْآيَةَ.**

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٨٥

وورد فى الصحيحين عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما."

قال شيخنا، الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى رحمه الله تعالى، فى شرحه لكتابه "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم" عند هذا الحديث ما خلاصته:

وسبب هذا الحديث كما فى الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبى بكر رضى الله عنه، قال، نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن فى الغار، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما." قال القرطبي: والحديث ظاهر فى قوة توكله صلى الله عليه وسلم، وعظم منزلته أبى بكر رضى الله عنه بهذا القول، والغار المذكور فى القرآن، وفى قول الصديق ونحن فى الغار، هو كما قاله السهيلي وغيره: غار بجبل ثور أحد جبال مكة شرفها الله تعالى، وقد زرته وبت فيه بعض الليالى تبركا بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، على عادة السلف الصالح كابن عمر رضى الله عنهما، وقرأت فيه تفسير قوله تعالى: **إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا الْآيَةَ.**

وحديث الهجرة من صحيح البخارى بطوله وسأذكره هنا للمناسبة عن قريب، إن شاء الله تعالى.

وكان من حديث الغار، كما قاله عياض وغيره: أن المشركين اجتمعوا لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيتوته، فأمر علياً أن يرقد على فراشه وقال: إنهم لن يضرؤك، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم على الباب ولم يروه، ووضع على رأس كل واحد التراب، وانصرف عنهم إلى غار ثور فاختموا فيه، وأخبروا أنه قد خرج عليهم ووضع التراب على رؤوسهم، فمدوا أيديهم إلى رؤوسهم فوجدوا التراب، فدخلوا الدار فوجدوا علياً على الفراش، فلم يتعرضوا له، ثم خرجوا فى كل وجه يطلبون النبي صلى الله عليه وسلم، ويقفون أثره بقائف معهم إلى أن وصلوا الغار، فوجدوا العنكبوت قد نسجت عليه.

(قال الأبي): قال السهيلي: ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار تقدم أبو بكر رضى الله عنه فى الدخول ليقبه بنفسه، ورأى فيه جحراً فألقمه عقبه لثلاً يخرج منه ما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ثابت فى الدلائل: ولما دخلاه أنبت

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٨٦

الله سبحانه وتعالى، على باب الرءاء بالمد، وهى شجرة من غلاة الشجر تكون مثل قامة الإنسان، لها خيطان وزهر أبيض يحشى به المخاد كالريش فى خفته ولينه. وفى مسند البزار: أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار، وأرسل حمامتين وحشيتين فعششتا على فم الغار، وأن ذلك مما صد المشركين عنه، وأن حمام مكة من نسل تينك الحمامتين، وأن قريشا لما انتهى بهم القائف إلى فم الغار، وجدوا ما ذكر على فم الغار، فحين رأهم أبو بكر رضى الله عنه، اشتد خوفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم

سلم، و قال: إن قتلت فإنما أنا رجل، و إن قتلت أنت هلكت الأمة، فحينئذ قال صلى الله عليه و سلم لأبي بكر: لا تحزن إن الله معنا، أى بالحفظ و الكلاءة. اهـ.

نقول: إن شجر الرء المذكور هنا الذى له زهر أبيض يحشى به المخاد كالريش - هو المسمى عندنا بالحجاز "بالطرف" بكسر الطاء و إسكان الرء، و نحن أيضا إلى اليوم نحشى به المخاد و الفراش أى المساند و الطواويل - و الحكمة فى ظهور هذا النبات على فم الغار دون غيره من النباتات، هى أن نبات الرء "الطرف"، شجر لين خفيف ينكسر سريعا بأقل لمس، فبقاؤه سليما صحيحا يدل على أنه لم يدخل الغار أحد، كما دل على ذلك نسيج العنكبوت و وجود الحمامتين، و الله تعالى أعلم.

ثم قال: أما حديث الهجرة فيناسب أن أذكر قبله ما أخرجه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة، فهاجر عشر سنين و مات و هو ابن ثلاث و ستين. و حديث الهجرة الطويل، هو ما أخرجه البخارى بلفظ: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث بن عقيل، قال ابن شهاب: فأخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه و سلم قالت: لم أعمل أبوى قط إلا و هما يدينان الدين، و لم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم، طرفى النهار بكرة و عشية. فلما ابتلى المسلمون، خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة، و هو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجنى قومي، فأريد أن أسيح فى الأرض و أعبد ربي، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج و لا يخرج، إنك تكسب المعدوم و تصل الرحم و تحمل الكل و تقرى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٨٧

الضيف و تعين على نوائب الحق، فأنا لك جار ارجع و اعبد ربك ببلدك، فرجع و ارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية فى أشرف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله و لا يخرج، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم و يصل الرحم و يحمل الكل و يقرى الضيف و يعين على نوائب الحق، فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، و قالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره، فليصل فيها و ليقرأ ما شاء الله و لا يؤذينا بذلك و لا يستعلن به، فإننا نخشى أن يفتن نساءنا و أبناءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره و لا يستعلن بصلاته و لا يقرأ فى غير داره، ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجدا بفناء داره، و كان يصلى فيه و يقرأ القرآن، فيتقذف عليه نساء المشركين و أبناءهم، و هم يعجبون منه و ينظرون إليه، و كان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينه إذا قرأ القرآن، و أفرغ ذلك أشرف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرين أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره، فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجدا بفناء داره، فأعلن بالصلاة و القراءة فيه، و إنا قد خشينا أن يفتن نساءنا و أبناءنا فانه فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل، و إن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإننا قد كرهنا أن نخفرك، و لسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر فقال: علمت الذى عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، و إما أن ترجع إلى ذمتى، فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له، فقال أبو بكر: فإنى أرد إليك جوارك، و أرضى بجوار الله عز و جل، و النبى صلى الله عليه و سلم يومئذ بمكة، فقال النبى صلى الله عليه و سلم للمسلمين: إنى أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين، و هما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة، و رجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، و تجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم:

على رسلك فإنى أرجو أن يؤذن لى، فقال أبو بكر: و هل ترجو ذلك، بأبى أنت و أمى، قال: نعم، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه و سلم ليصحه و علف راحلتين كانتا عنده ورق السمر و هو الخبط أربعة أشهر.

قال ابن شهاب، قال عروة، قالت عائشة: بينما نحن يوما جلوس فى بيت أبى بكر فى نحو الظهرية، قال قائل لأبى بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه و سلم، متقنعا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فدى له أبى و أمى، و الله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر.

قالت: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستأذن، فأذن له فدخل

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٨٨

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: فإني قد أذن لى فى الخروج، فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بالثمن. قالت عائشة:

فجهزنا هما أحث الجهاز و صنعنا لهما سفرة فى جراب، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاق.

قالت: ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر بغار فى جبل ثور، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر، وهو غلام شاب ثقف لقن، فیدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبانت، فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان فى رسل وهو لبن منحتهما و رضفيهما حتى ينفق بها عامر بن فهيرة بفلس، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث، واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بنى الدليل، وهو من بنى عبد بن عدى هاديا خريتا، والخريت الماهر بالهداية قد غمس حلفا فى آل العاص بن وائل السهمى، وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفع إليه راحلتيهما و وعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحتيهما صبح ثلاث، و انطلق معهما عامر بن فهيرة و الدليل فأخذ بهم طريق السواحل.

قال ابن شهاب: و أخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى و هو ابن أخى سراقه بن مالك بن جعشم، أن أباه أخبره أنه سمع سراقه بن جعشم يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أبى بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسره، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومي بنى مدلج، أقبل رجل منهم حتى قام علينا و نحن جلوس، فقال: يا سراقه إني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراه محمدا و أصحابه، قال سراقه: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، و لكنك رأيت فلانا و فلانا انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم، ثم لبثت فى المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت، فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى، و هى من وراء أكمة، فتحبسها على، و أخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت، فخططت بزجة الأرض و خفضت عاليه، حتى أتيت فرسى، فركبتها فرفعتها تقرب بى حتى دنوت منهم فعثرت بى فرسى فخررت عنها فقممت فأهويت يدي إلى كنانتي، فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٨٩

أكره، فركبت فرسى و عصيت الأزلام تقرب بى حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، و هو لا يلتفت، و أبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغت الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذ لأثر يديها عناء ساطع فى السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذى أكره، فناديتهم بالأمان فوقوا، فركبت فرسى حتى جئتهم، و وقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الديه، و أخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، و عرضت عليهم الزاد و المتاع، فلم يرزآنى و لم يسألانى إلا أن قال: أخف عنا، فسألته أن يكتب لى كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى ورقة من أديم، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن شهاب: فأخبرنى عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام، فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبا بكر ثياب بيض، و سمع المسلمون بالمدينة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، من مكة فكانوا يفتدون كل غداة إلى الحره، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أوتوا

إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه مبسطين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بظهر الحرّة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف. وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك، فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضعة عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ركب راحلته فسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، بالمدينة، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذة مسجدا، فقالا: لا بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٩٠

صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدا، وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه، ويقول وهو ينقل اللبن:

هذا الحمال لا حمال خيب هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى. قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت اه بطوله، بلفظ البخارى في صحيحه. انتهى من شرح زاد المسلم.

ولقد أخرج البخارى أيضا حديث الهجرة في مناقب المهاجرين وفضلهم، وفي علامات النبوة قصة حديث الهجرة مختصرة، لا ضرورة لذكرها، ففي الحديث المتقدم كفاية تامة. وقد قدمنا الكلام على الهجرة في فصل خاص في أوائل الكتاب عند سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وإليك صورة جبل ثور و صورة الغار.

انظر: صورة رقم ٦٣، لغار ثور من كتاب مرآة الحرمين لمؤلفه إبراهيم رفعت باشا

هذا و نكتفى هنا بالحديث الطويل الصحيح المذكور، وقد ذكرنا هذا الحديث أيضا مع التفصيل التام عن اختفاء النبي صلى الله عليه وسلم بجبل ثور عند الكلام على هجرته إلى المدينة. فلنذكر الآن شيئا يتعلق بنفس جبل ثور والغار الذي فيه:

فقد قال الغازي في تاريخه: ومنها جبل ثور "بالثاء" وهو بأسفل مكة، و سماها البكرى أبو ثور، والمعروف فيه ثور كما ذكره الأزرقى والمحب الطبرى، وهو من مكة على ثلاثة أميال، على ما ذكره ابن الحاج وابن جبير، وقال البكرى أنه على ميلين من مكة و فوقه الغار الذى دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم والغار ثقب فى أعلى ثور، و ثور جبل على مسيرة ساعة من مكة، و فى القاموس يقال له ثور أطحل، و اسم الجبل أطحل نزله ثور بن عبد مناف، فنسب إليه، و فى المعجم أنه من مكة على ميلين و ارتفاعه نحو ميل و فى أعلاه الغار الذى دخله النبي صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر و هو المذكور فى القرآن فى قوله تعالى: ثَانِيِ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ، وقصته مشهورة فى السير، كذا فى تحصيل المرام.

و فى شفاء الغرام ذكر ابن جبير فى رحلته أن طول الغار ثمانية عشر شبرا، و طول فمه الضيق خمسة أشبار، وسعته و ارتفاعه عن الأرض مقدار شبر، فى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٩١

الوسط منه و في جانبه ثلثا شبر، و على الوسط منه يكون الدخول، و سعة الباب الثاني المتسع مدخله خمسة أشبار، انتهى. و قد وسع بابه في عصرنا الحاضر لأن بعض الناس ولج منه، فانحبس فيه، فنحت عنه الحجر حتى اتسع إليه، و ذلك في سنة ثمانمائة أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل، انتهى.

و قال ابن فهد: و في سنة عشر و ثمانمائة أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل، سد الأمير تغرى برمش التركمانى الباب الضيق من الغار الشريف بجبل ثور بأسفل مكة، لكون كثير ممن يريد دخوله من بابه الضيق انحبس فيه لما ولج منه، و انتقد عليه كثيرا إمام الحنفية بالمسجد الحرام الشيخ شمس الدين المصيد، و منعه من الأخذ عنه حتى يزيل ما سده، و يحدث توبة لبيب ذلك، انتهى.

و ذكر الإمام أبو محمد على بن أحمد بن حزم الظاهري، المتوفى سنة (٤٥٦) ست و خمسين و أربعمائة، في الجزء الثاني من كتاب الفصل في الملل و الأهواء و النحل، في ذكر معجزاته صلى الله عليه و سلم، و رميه بتراب عم عيونهم، و خروجه بحضرة مائة من قريش و هم لا يرونه، و دخول الغار و هم عليه لا يرونه، و فتح الباب في حجر صلد في جنب الغار لم يكن فيه قط، و لو كان هنالك يومئذ لما أمكنه الاختفاء فيه لأنه ليس بين البابين إلا- أقل من ثمانية أذرع، و هو ظاهر إلى اليوم، كل عام و كل حين يزوره أهل الأرض من المسلمين، و لو رام فتح الباب الثاني في ذلك الحجر أهل الأرض ما قدروا على إزاحته سالما عن مكانه، و لو كان ذلك الباب هنالك يومئذ لراه الطالبون له بلا- مؤنة لأنهم لم يكونوا إلا جموع قريش لعلمهم مؤن كثيرة، و آثار رأسه المقدس في ذلك الحجر، و آثار كتفيه و معصم و ظاهر يده باقية إلى اليوم، انتهى.

و في الإعلام: قال المرجاني في بهجة النفوس: ذكر لي أن رجلا كان له أموال و بنون، و أنه أصيب بذلك، فلم يحزن، و لم يزغ على مصابه لقوة صبره و تحمله، فسأله عن ذلك فقال: روى أنه من دخل غار ثور الذي كان أوى إليه النبي صلى الله عليه و سلم، و صاحبه أبو بكر رضى الله عنه، و سأل الله تعالى أن يذهب عنه الحزن لم يحزن على شيء من مصائب الدنيا، و قد فعلت ذلك فما وجدت قط حزنا. قال المرجاني: هذه الخاصية من تأثير قوله تعالى: ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا. انتهى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٩٢

و هذا الغار مشهور معروف يتلقاه الخلف و السلف و يزوره الناس، و يدخلون إليه من بابه الكبير الذي يروى أن جبريل عليه السلام، ضربه بجناحه، ففتحه و قل أن يدخل إليه أحد من بابه الضيق، لأن الدخول منه عسر و يحتاج إلى فطنة، و المشهور عند العوام أن من احتبس فيه لا يكون ابن أبيه و ذلك كلام باطل لا أصل له، و قد تعوق فيه قديما و حديثا، و في عصرنا حبس فيه كثير من الناس و أخذ لهم حجارون من مكة، فقطعوا عنه، و تكرر ذلك كثيرا في كل عصر، و مع ذلك لم يتسع كثيرا، بل يتعوق الناس فيه للجهل بكيفية الدخول، خصوصا إذا كان شخصا بطينا، و طريق الدخول فيه أن الداخلة إليه ينطح على وجهه و يدخل رأسه و كتفيه، ثم يحيل إلى جانب يساره فلا يجد ما يعوقه، و ليسلك مائلا إلى اليسار، و أما من لا يعرف طريق الدخول، يدخل رأسه و كتفيه و يستمر داخلا بباقي جسده، فتعديه صخرة أمامه و تعوقه، فيرفع رأسه إلى فوق و يحبس بوسطه، فلا يمكنه الولوج لسمنه، و كلما شدد في الدخول تعوق، و ينحبس فيحتاج إلى حجار يقطع قليلا ليخلصه و لا يتفطن للميل إلى الجهة اليسرى ليخلص بسهولة، و لكن الحدق قد اتسع كثيرا الآن، انتهى.

قال الفاسي: و فيه من كل نبات الحجاز و شجره، و فيه شجر البان، و فيه شجرة من حمل منها شيئا لم تلدغه هامة، و نقل في بعض الروايات عن ابن عباس أن قاتل قابيل أخاه هاويل كان في جبل ثور. انتهى.

انتهى من الغازي.

نقول: ما ذكره هنا من أن قابيل قتل أخاه هاويل في جبل ثور غير صحيح، و يبعد أن يقع أول قتل في الأرض في جبل ثور، الذي هو واقع في أشرف بقعة في حدود الحرم بمكة، و من يعلم في أى بقعة من الأرض كان قابيل و هاويل في العصر الأول من عهد آدم عليه السلام، لكن إذا صحت الرواية القائلة بذلك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه و عن أبيه العباس آمنا و صدقنا، فأين الدليل و أين

السند؟ وما ذكره بأنه يوجد في هذا الجبل من كل نبات الحجاز و شجره، هذا أمر لا وجود له اليوم، فليس حول هذا الجبل شجر و لا نبات مطلقاً، فربما كان ذلك في عهد الجاهلية، و الله تعالى أعلم.

جاء في تاريخ الخميس ما نصه: و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم، قد خلع نعليه في طريق الغار، و كان يمشى على أطراف أصابعه لئلا يظهر أثرهما على الأرض حتى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٩٣

حفيت رجلاه "أى: رقنا من كثرة المشى" فلما رآه أبو بكر و قد حفيت رجلاه حمله على كاهله، و جعل يشد حتى أتى الغار. كذا في دلائل النبوة.

ثم جاء فيه بعد هذا الكلام ببضعة أسطر ما يأتي: و روى عن أبي بكر أنه قال لعائشة: لو رأيتنى و رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ صعدنا الغار، فأما قدما رسول الله صلى الله عليه و سلم فتفطرتا، و أما قدماى فعدتا كأنهما صفوان، قالت عائشة: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يتعود الحفية و لا الرعية. و روى عن أبي بكر أنه قال: نظرت إلى قدمى رسول الله صلى الله عليه و سلم في الغار، و قد فطرتا دما فاستبكتيت، فعلمت أنه صلى الله عليه و سلم لم يتعود الحفاء و لا الحفوة، قال ابن هشام: و حدثنى بعض أهل العلم، أن الحسن البصرى قال: انتهى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخل أبو بكر إلى الغار قبل رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلمس الغار لينظر فيه سيع أو حية ليقى رسول الله صلى الله عليه و سلم بنفسه.

و في معالم التنزيل: قال أبو بكر: يا رسول الله مكانك حتى أستبرئ الغار، و كان الغار مشهوراً بكونه مسكن الهوام و الوحش، قال: ادخل، فدخل فرأى غاراً مظلماً فجلس و جعل يلتمس بيده، و كلما وجد جحراً أدخل فيه إصبعه حتى انتهى إلى جحر كبير فأدخل رجله إلى فخذه فأخرجه.

و في رواية: كلما وجد جحراً شق ثوبه فألقمه إياه حتى فعل ذلك بثوبه كله، فبقى جحر فألقمه عقبه.

و في الرياض النضرة: فجعل الحيات و الأفاعى يضربنه و يلسعنه، انتهى. و على كل التقديرين لدغته الحية تلك الليلة. قال أبو بكر: فلما ألقمت عقبى الجحر لدغتنى الحية و إن كانت اللدغة أحب إلى من أن يلدغ رسول الله صلى الله عليه و سلم. انتهى. ثم قال أبو بكر: ادخل يا رسول الله فيانى سويت لك مكاناً، فدخل فاضطجع، رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أما أبو بكر فكان متألماً من لدغة الحية، و لما أصبح رأى النبى صلى الله عليه و سلم على أبي بكر أثر الورم فسأل عنه، فقال: من لدغة الحية، فقال النبى صلى الله عليه و سلم:

هلا أخبرتنى، قال: كرهت أن أوقظك، فمسحه النبى صلى الله عليه و سلم بيده فذهب ما به من الورم و الألم، ثم قال: فأين ثوبك يا أبا بكر؟ فأخبره بما فعل، فعند ذلك رفع النبى صلى الله عليه و سلم يديه فقال: اللهم اجعل أبا بكر فى درجتى يوم القيامة، فأوحى الله إليه قد استجاب لك، كذا فى المنتقى، خرجه الحافظ أبو الحسين بن بشر و الملا فى سيرته عن ميمون بن مهران عن بن محصن القنوني.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٩٤

و عن ابن عباس: قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم، رحمك الله صدقتنى حين كذبتى الناس، و نصرتنى حين خذلتى الناس، و آمنت بى حين كفر بى الناس، و آنستنى فى وحشتى، فأى منة لأحد على مثلك، خرجه فى فضائله، ذكره فى الرياض النضرة.

و فى معالم التنزيل قال رسول الله صلى الله عليه و سلم، لأبى بكر: أنت صاحبى فى الغار، و صاحبى فى الحوض.

قال الحسن بن الفضل: من قال إن أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم فهو كافر لأنكاره نص القرآن، و فى سائر الصحابة إذا أنكر يكون مبتدعاً لا كافراً، انتهى من تاريخ الخميس.

لم تتمكن إلى اليوم من الصعود إلى جبل ثور "بالتاء"، حتى نصف الغار وصف مشاهدته، فوصفنا له الآن على حسب ما جاء في كتب التاريخ على حد قول القائل:

و إذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

فنقول و بالله التوفيق:

إن الغار يقع فوق جبل ثور، و باب الغار يكون في أعلا-الغار لا في جانبه، و ذلك زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم، أى قبل توسعه باب الغار، كما يدل على ذلك ما يأتى:

ذكر الغازى فى تاريخه نقلا عن البكرى، أن جبل ثور على ميلين من مكة، و فوقه الغار الذى دخله رسول الله صلى الله عليه و سلم، و الغار ثقب فى أعلا ثور، و ثور جبل على مسيرة ساعة من مكة هـ.

و الذى يدل على أن الباب فى علو الغار، ما جاء فى الصحيحين و اللفظ لمسلم عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه، قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا و نحن فى الغار، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما، انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٩٥

قال الغازى: و فى شفاء الغرام: ذكر ابن جبير فى رحلته أن طول الغار ثمانمائة عشر شبرا، و طول فمه الضيق خمسة أشبار، و سعته و ارتفاعه عن الأرض مقدار شبر فى الوسط منه، و فى جانبه ثلثا شبر، و على الوسط منه يكون الدخول، و سعة الباب الثانى المتسع مدخله خمسة أشبار، انتهى. و قد وسع بابه فى عصرنا لأن بعض الناس ولج منه فانحبس فيه، فنحت عنه الحجر حتى اتسع عليه، و ذلك فى سنة ثمانمائة أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل، انتهى من الغازى.

و قد تقدم هنا ما ذكره ابن فهد فى تاريخه: أنه فى سنة عشر و ثمانمائة أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل سد الأمير تغرى برمش التركمانى الباب الضيق من الغار الشريف بجبل ثور، لكون كثير ممن يريد الدخول من بابه الضيق انحبس فيه لما ولج منه ... الخ كلامه المذكور فى هذا الباب.

و قال ابن ظهيرة فى كتابه "الجامع اللطيف": "و للغار الذى فى جبل ثور بابان واسع و ضيق، و كثير من الناس يتجنب دخوله من الباب الضيق لما يقال أن من لم يدخل منه و تعوق فليس لأبيه، و هو باطل لا أصل له، و قد وسع الباب الضيق فى حدود عام ثمانمائة لأن بعض الناس أراد الدخول منه فانحبس، فنحت منه حتى اتسع و تخلص. انتهى.

و فى عصرنا هذا وسع باب غار ثور الشريف عون الرفيق بعد توليته إمارة مكة شرفها الله تعالى، فقد قال البتونى فى كتابه "الرحلة الحجازية": "إن شريف مكة، الشريف عون الرفيق ابن محمد بن عون، الذى تولى إمارة مكة سنة (١٢٩٩) هجرية، أمر بتوسيع باب غار ثور "بالتاء"، و هو الذى خيم على بابه العنكبوت بعدما أوى إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم، مع رفيقه أبى بكر عند هجرتهم من مكة إلى المدينة، و كان بابه لا يسع إلا نفرا واحدا يدخل منه زاحفا على بطنه- و كان الناس يزعمون أن لا يدخله إلا السعيد و أما الشقى فلا- فأراد الشريف عون بتوسيع هذا الباب إزالة هذا الوهم الفاسد، إلا أنه لم يكن له على كل حال أن يغير شكل أثر طبيعى مثل هذا من أجل الآثار و من الأشياء التى كان الإنسان يقدر فيها تلك المعجزة التى خدمت الطبيعة فيها أشرف مخلوق حتى حيل بينه و بين أعدائه. انتهى من الرحلة الحجازية.

و قال إبراهيم رفعت باشا فى كتابه "مرآة الحرمين" و هو يصف ذهابه إلى جبل ثور مع رفقائه: فخرجنا من مكة قبل فجر يوم ١٨ ذى الحجة سنة ١٣١٨ ثمانية

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٩٦

عشر و ثلاثمائة و ألف (٨ إبريل سنة ١٩٠١)، قاصدين زيارة هذا الغار، و كان بصحبنا صاحبا الفضيلة الشيخ محمد طوموم و الشيخ محمد أحمد السيوطى صهرانا و جملة من الحجاج و ثلة من الجنود نتقى بهم أشرار الأعراب فى سبيل لا يمر به إلا القليل، و قد انتحينا ناحية الجنوب فى سيرنا، و صلينا فرض الصبح قبل الوصول إلى الجبل، و قد قطعنا المسافة بينه و بين معسكرنا بالشيخ محمود بجرول فى ساعة و ٢٠ دقيقة بسير الخيل المعتاد، و هى قريبة من خمسة أميال و نصف، و الطريق من مكة إلى الجبل تحفه الجبال من الجانبين و به عقبه صغيرة يرتفع إليها الإنسان و ينحدر منها، و لم يستغرق قطعها إلا (٣) دقائق، و بالطريق سبعة أعلام مبنية بالحجر و مجصصة فوق نشوز من الأرض يبلغ ارتفاع الواحد منها ثلاثة أمتار و قاعدته متر مربع، و تنتهى بشكل هرمى، و هذه الأعلام على يسار القاصد للجبل، و بين كل اثنين منها بعد يتراوح بين ٢٠٠ و ١٠٠٠ متر، و كل واحد منها وضع عند تعريجه حتى لا يضل السالك عن الجبل، و ساعة بلغنا الجبل قسمنا قوتنا قسمين، قسم صعد معنا إلى الجبل، و الآخر وقف بسفحه يرد عنا عادية العربان إن هموا بالأذى.

و قد تسلقنا الجبل فى ساعة و نصفها، بما فى ذلك استراحة دقيقة أو اثنتين كل خمس دقائق، بل فى بعض الأحيان كنا نستريح خمس دقائق لأن الطريق و عر حلزونى، و قد عددت (٥٤) تعريجه إلى نصف الجبل، و كنا آونة نصعد و أخرى ننحدر حتى وصلنا الغار بسلام، و لولا الاصلاح الذى أحدثه المشير عثمان باشا نورى الذى ولى الحجاز سنة (١٢٩٩ هـ) تسع و تسعين و مائتين و ألف، و المشير السيد إسماعيل حقى باشا الذى كان واليا على الحجاز و شيخا للحرم سنة (١٣٠٧ هـ) ألف و ثلاثمائة و سبع، لازدادت الصعوبة و ضل السائر عن الطريق، و لم يهتد إلى الغار لعظم الجبل و اتساعه و تشعب مسالكه (منظر رقم ٨٢)، و كان من أثر إصلاحها جعل الطريق بهيئة سلالم تارة تتصعد و أخرى تنحدر، على أنه مع ذلك لا يزال العروج صعبا، فقد رأيت بعض الصاعدين امتقع لونه و خارت قواه فوقع على الأرض مغشيا عليه، و لولا أننا تداركناه بجرعه من الماء شربها و صبابة منه سكبناها على رأسه حتى أفاق لباغته المنية، و لهذا ننصح للزائرين بأن يتزودوا من الماء ليقوا أنفسهم شر العطب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٩٧

و لما بلغنا الغار وجدناه صخرة مجوفة فى قنة الجبل أشبه بسفينه صغيرة ظهرها إلى أعلى و لها فتحتان فى مقدمها واحدة و فى مؤخرها أخرى، و قد دخلت من الغريه زاحفا على بطنى مادا ذراعى إلى الأمام، و خرجت من الشريه التى تتسع عن الأولى قليلا- بعد أن دعوت فى الغار و صليت، و الفتحة الصغيرة عرضها ثلاثة أشبار فى شبرين تقريبا، و هى الفتحة الأصلية التى دخل منها النبى صلى الله عليه و سلم، و هى فى ناحية الغرب، أما الفتحة الأخرى فهى فى الشرق، و يقال إنها محدثة ليسهل على الناس الدخول إلى الغار و الخروج منه، و الغار من الجبل فى الناحية الموالية لمكة، و قد وجدنا بجانبه رجلا عربيا يتناول الصدقات من الزائرين فى مواسم الحج و يرشدهم إلى الغار إذ توجد هناك صخور تشبه صخرته، و لكنها لا تماثلها تماما، و قد مكثنا فوق ظهر الجبل ساعتين أكلنا فيهما و شربنا و تناولنا الشاي و تفقدنا كثيرا من نواحي الجبل، و قد نزل فى خلالها القسم الذى زار و جاء القسم الذى تركناه بسفح الجبل ليزور، و قد قدم علينا و نحن على ظهر الجبل نحو عشرين من حجاج الداغستان، ففرحوا بنا و رافقونا إلى أن رجعنا إلى مكة. و لا يقصد زيارة هذا الغار و غار حراء إلا قليل من الأتراك و المغاربة و الداغستانيين، و لم يسبقنا إلى هذه الزيارة أحد من المصريين بل و لا من المكيين إلا ما ندر، و قد بلغنى من أناس يقيمون بمكة منذ أربعين سنة، أنهم لم يصعدوا إلى هذين الجبلين و لا رأوا من المصريين أو مرافقى المحمل من قصدهما، فله المنه علينا. (انظر الغار فى منظر ٨٣) الذى أهدها إلينا فى سنة (١٣٤٢) حضرة أحمد أفندى صابر ناظر التكية المصرية بمكة، فله منا الشكر الجزيل على هذه الهدية القيمة.

و ارتفاع جبل ثور يزيد على ٥٠٠ متر، و الواقف فى أعلاه يشرف على كل ما حواليه من الجبال، و يرى مكة و ما حولها واضحة ظاهرة، و كذلك يرى حدة (بالحاء المهملة) بنخلها، و بأعلى ثور علم يسترشد به الناس لمعرفة هذا الجبل، و هو مبنى بالحجر و مبيض بالجص، و يشبه الأعلام التى وصفناها قبلا فى طريقه، و الجبل ذو ألوان مختلفة من ذهبى و فضى و فحمى و ما يشبه الإسمنت و ما يماثل المرمر، و ربما كانت له ألوان أخرى فى جهات لم أرها. انتهى من مرآة الحرمين.



وقد سبق الكلام أيضا على اختباء رسول الله صلى الله عليه و سلم في غار جبل ثور بتفصيل تام و ذلك عند الكلام على الهجرة، فراجع إن شئت.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٩٨

نقول: إن أمر اختباء رسول الله صلى الله عليه و سلم مع صاحبه أبي بكر، رضى الله تعالى عنه، في غار ثور في ظاهره أمر عادي يمكن حصوله لأي أحد، لكنه في الحقيقة أمر غير عادي، بل فيه عدة من المعجزات له عليه الصلاة و السلام، و هي كما يأتي:

(١) الاهتداء في ظلام الليل إلى هذا الجبل بالنفس، بينما أهل مكة اليوم لا يهتدون إليه بالنهار إلا بدليل لأنه تكتنفه عدة جبال، فليس من السهل الاهتداء إليه.

(٢) الاهتداء في ظلام الليل إلى نفس هذا الغار في رأس الجبل، بينما نحن لا نعرفه إلا بدليل يدلنا إليه.

(٣) الطلوع إلى هذا الغار في ظلام الليل لا يتمكن لكل أحد، فإن الطلوع إلى هذا الغار في عصرنا هذا، و في وضوح النهار و من طريق خاص معروف، يحتاج إلى نحو ساعتين من الزمن، بمعنى أن الإنسان إذا بدأ في طلوع الجبل من أذان العصر فإنه يصل إلى الغار مع غروب الشمس تقريبا، كما يحتاج في نزوله من الجبل إلى مثل هذا الوقت أيضا، فتصور كيف تيسر ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم في ظلام الليل.

(٤) الاهتداء إلى باب هذا الغار الضيق. و قد عرفت فيما سبق صعوبة الدخول فيه بالنهار، فكيف بمن يدخله في ظلام الليل.

(٥) وصول المشركين إلى فم الغار نهارا يبحثون عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و صاحبه فلم يروهما مع أنهما كانا أمامهم، فالله تعالى أعمى أبصارهم.

(٦) أمر الله تعالى العنكبوت، فنسجت سريعا على باب الغار، تضليلا للمشركين.

(٧) أمر الله تعالى حمامتين و حشيتين فعششتا و باضتا على فم الغار، تضليلا للمشركين أيضا.

إلى غير ذلك من المعجزات التي وقعت له و هو في طريقه إلى المدينة المنورة، و ما أحلى كلام بعض الشعراء رحمه الله تعالى حيث يقول:

و ما حوى الغار من خير و من كرم و كل طرف من الكفار عنه عمى

فالصدق في الغار و الصديق لم يرماو هم يقولون ما بالغار من أرم

ظنوا الحمام و ظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج و لم تحم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٣٩٩ وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدرود و عن عال من الأطم و يقول أيضا:

ويح قوم جفوا نيبا بأرض ألفتها ضبابها و الظباء

و سلوه و حن جذع إليه و قلوبه و وده الغرباء

أخرجوه منها و آواه غارو حمته حمامة و رقاء

و كفته بنسجها عنكبوت ما كفته الحمامة الحصداء

و اختفى منهم على قرب مرآه و من شدة الظهور الخفاء

و نحا المصطفى المدينة و اشتاقت إليه من مكة الأنحاء

و تغنت بمدحه الجن حتى أطرب الإنس منه ذاك الغناء

و اقتفى أثره سراقه فاستهوته في الأرض صافن جرداء

ثم ناداه بعد ما سيمت الخسف و قد ينجد الغريق النداء ... إلخ

و ما أَلطف قول بعضهم:

و دود القر إن نسجت حريرايجمل لبسه فى كل شى

فإن العنكبوت أجل منها بما نسجت على رأس النبى

اللهم صلى و سلم و بارك على هذا النبى الكريم، نبينا و شفيعنا محمد الذى هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، و على آله و أصحابه و أزواجه و ذريته، صلاة و سلاما دائمين إلى يوم الدين، آمين آمين آمين.

## جبل ثبير

و من الجبال الشهيرة بمكة "جبل ثبير"، و هذا الجبل على يسار الذهاب من مكة إلى منى، و هو يقابل جبل حراء، و يمتد منه إلى أن يصل إلى أواخر منى، لذلك فهو يقسم إلى عدة أثيرة كثيرة غيناء و ثبير النخيل و ثبير النصح و ثبير الأعرج، كما سيأتى بيان كل ذلك. و جبل ثبير هو الذى أهبط عليه كبش الفداء لإسماعيل عليه الصلاة و السلام، و بأصل هذا الجبل بقم الثقبه عمل خالد بن عبد الله القسرى بركته التى يقال لها بركة القسرى، و يقال لها أيضا بركة البردى "بفتح أوله و ثانيه"، و كانت هذه البركة عظيمة بحيث صارت الحيتان تتربى فيها، عملها بحجارة طوال منقوشة و أحكمها و أخرج ماءها فى ذلك الموضع، ثم شق من هذه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٠٠

البركة عينا تجرى إلى المسجد الحرام، و أجزاها فى قصب من رصاص حتى أخرجها من فواره تسكب فى فسقينه من الرخام بين زمزم و الركن و المقام، و ذلك فى عهد سليمان بن عبد الملك بن مروان فى القرن الأول من الهجرة. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ١-٢؛ ص ٤٠٠

ظر: صورة رقم ٦٤، للطريق المسفلت المار بين الجبلين المقابلين لجبل حراء

جاء فى تاريخ الأزرقى: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم، لما تجلى الله عز و جل للجبل تشظى، فطارت لطلعته ثلاثة أجبل فوقعت بمكة، و ثلاثة أجبل فوقعت بالمدينة، فوقع بمكة حراء و ثبير و ثور، و وقع بالمدينة أحد و ورقان و رضوى. اهـ.

و رضوى جبل بالقرب من ينبع، و ينبع قريب من المدينة.

و من ضمن جبل ثبير ما يسمونه الآن "جبل الرخم"، و هو الذى يرى من المعابدة، قمته العليا التى فيها بياض، و سمي بجبل الرخم لأن الطيور المسماة بالرخم تقع عليه فى المساء، و البياض الذى على قمته أثر ذرق الرخم، هذا ما يقوله الناس، و لكننا نرى أن هذا البياض هو بياض أصلى طبيعى بالجبل، و ليس هو بذرق الطيور، فلو كانت كذلك لمسحته الأمطار التى تنزل عليه، و إليك صورة جبل الرخم و ترى عليه القمة العليا.

انظر: صورة رقم ٦٥، جبل الرخم بأعلا جبل ثبير بآخر المعابدة بمكة

و من معنى امتداد جبل ثبير الذى بيناه يفهم الكلام الآتى:

قال الغازى فى تاريخه: و فى الجامع الصغير ثبير اسم لثمانية أماكن، سبعة جبال منها بمكة و حرماها، و هى: (١) ثبير الأثيرة، (٢) و ثبير الزنج، (٣) و ثبير الأعرج، (٤) و ثبير الأحذب و يقال له الأحيدب بالتصغير، (٥) و ثبير الخضراء، (٦) و ثبير النصح، (٧) و ثبير غينا، (٨) و هذا الثامن اسم لماء فى بلادنا مزينة أقطعه النبى صلى الله عليه و سلم لشريس بن ضمرة المزنى، و سماه شريحا بحاء مهملة. انتهى.

فأما ثبير الأثيرة فهو على يسار الذهاب إلى عرفه الذى قال عنه الفقهاء:

يستحب للحاج إذا طلعت الشمس عليه أن يسير من منى إلى عرفه، و أما ثبير غيناء و ثبير الأعرج، فهما بمنى يصب بينهما واد من منى

يقال له أفاعية "بضم الهمزة." قال الأزرقى: ثبير الأعرج هو المشرف على حق الطارقين بين المغمس و النخيل، النخيل هي بساتين ابن عامر التي كانت في جهة عرفة بقرب عرفات.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٠١

وقال أيضا في موضع آخر من تاريخه: جبل الأعرج في حق آل عبد الله بن عامر، مشرف على شعب أبي زياد و شعب ابن عامر، و الأعرج مولى لأبي بكر الصديق رضى الله عنه، كان فيه فسمى به و نسب إليه.

وقال عن ثبير غيناء: هو المشرف على بير ميمون، وقلته مشرفة على شعب على رضى الله عنه، و على شعب الحضارمة بمنى. و جاء في هامش الأزرقى عند ثبير غيناء أنه الجبل المشرف على حراء و بين الجبلين طريق العدل.

و أما ثبير النصح - بكسر النون - فهو جبل مطيف بمزدلفة على يسار الذهاب إلى منى. و هو الذى كانوا يقولون فى الجاهلية إذا أرادوا الدفع من مزدلفة:

"أشرق ثبير كيما نغير،" و لا يدفعون حتى يروى الشمس عليه كما قال الأزرقى.

و أما ثبير الأخضر، فقال الفاسى: هو الجبل المشرف على الموضع الذى يقال له الخضراء بطريق منى.

و أما ثبير الزنج، فهو جبل النوبى المعروف بأسفل مكة من جهة الشبيكة، وسمى بذلك لأن سودان مكة كانوا يلعبون عنده.

و أما ثبير الأحذب أو الأحيدب، فهو جبل بمنى يقال له الأحيدب مقابل مسجد الخيف، بالقرب من ثبير الأثرية على يسار الذهاب إلى عرفة، كما قال ابن ظهيرة رحمه الله تعالى.

و جاء فى الجزء الأول من شفاء الغرام للفاسى عن جبل ثبير ما نصه:

و من الجبال المباركة بحرم مكة جبل ثبير، لأننا روينا فى تاريخ الأزرقى، قال:

حدثنى محمد بن عيسى، قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران عن معاوية بن عبد الله الأزدى، عن معاوية بن قره، عن الخلد بن أيوب، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما تجلى الله عز و جل للجبل تشظى، فطارت لطلعته ستة أجبل فوقت بمكة ثلاثة و بالمدينة ثلاثة، فوقع بمكة حراء و ثبير و ثور، و وقع بالمدينة أحد و ورقان و رضوى.

و قال أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد القزوينى فى كتابه عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات: جبل ثبير بمكة بقرب منى، هو جبل مبارك يقصده الزوار، و هو الذى أهبط عليه الكبش الذى جعله الله تعالى فداء لإسماعيل عليه السلام، و العرب تقول "أشرق ثبير كيما نغير."

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٠٢

ف قوله بمكة: سبق إليه الجوهرى و هو تجوز لكونه بقرب مكة، و قوله بقرب منى، ينبى على قول من قال أنه جبل بالمزدلفة و هو قول مرجوح، و يؤيده ما ذكره من أنه أهبط عليه الكبش الذى فدى به إسماعيل، فلم يختلفوا فى أن هذا الجبل بمنى، و هو على يسار الذهاب إلى عرفات. انتهى و الله أعلم.

و قال شيخنا قاضى القضاة مجد الدين الشيرازى فى كتابه "الوصل و المنى فى فضل منى: "أن أبا بكر النقاش المفسر قال فى منسكه: إن الدعاء يستجاب فى ثبير، يعنى ثبير الأثرية الذى بلحفه مغارة الفتح، لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعبد فيه قبل النبوة و أيام ظهور الدعوة، و لهذا جاورت به عائشة أم المؤمنين، و ذكر أن بقرب المغارة التى أنشأها بلحف ثبير معتكف عائشة انتهى بالمعنى، و يعرف هذا الموضع بصخرة عائشة و الله أعلم بحقيقة ذلك. انتهى كل ذلك من شفاء الغرام.

نقول، معنى قول القائل جبل ثبير بالمزدلفة: أن هذا الجبل ممتد إلى أواخر منى إلى قرب مزدلفة فيظهر منها، لذلك كانت العرب فى الجاهلية إذا باتوا بمزدلفة بعد رجوعهم من عرفات تقول "أشرق ثبير كيما نغير،" أى أشرق بالشمس حتى ندفع من المزدلفة. فمن قال أن جبل ثبير بالمزدلفة نظر إلى هذه العبارة، و الحقيقة أنه يمتد من جهة حراء بمكة حتى أواخر منى بما يقرب من المزدلفة، فإن

بعض الجبال تمتد إلى مسافات بعيدة، و امتداده ليس على استقامة واحدة بل بتعاريج و انزواءات، لذلك يتخلله شعاب و أمكنة بين الجبال الواقعة بقربه و المحيطة به.

### جبل خندمة

الخندمة: هو بفتح الخاء المعجمة و سكون النون و فتح الدال، جبل معروف بمكة إلى اليوم، و هو الجبل الذى يمتد من أبى قبيس إلى المعلا، على طول شعب على المسمى شعب بنى هاشم، و على طول شعب عامر. جاء فى آخر تاريخ القطبى المسمى "الإعلام بأعلام بيت الله الحرام" ما نصه: و منها جبل الخندمة، و هو جبل كبير خلف أبى قبيس، قال الفاكهى: حدثنى أبو بكر أحمد بن محمد المليكى، حدثنا عبد الله بن عمر أسامة، قال: حدثنا أبو صفوان عن ابن جريج، عن عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما، قال: ما مطرت مكة قط إلا و كان الخندمة غرة، و ذلك أن فيها قبر سبعين نبيا، انتهى. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٠٣ و هى مشرفة على أجياد الصغير و شعب عامر، معروفة الآن عند الناس بمكة. انتهى من تاريخ القطبى.

نقول: (فإن قال قائل) لا يوجد أى أثر لقبر من تلك القبور فى هذا الجبل.

(نجيبه): أنه إذا صحت هذه الرواية عن ابن عباس رضى الله عنهما فتكون هذه القبور فى أسفل الجبل تحت الأرض، فإن جبال مكة لم تبق على حالتها الطبيعية، فقد طمرت من الجبال نحو نصفها، و ذلك من أثر مرور آلاف السنين عليها، فنزول الأمطار و جريان السيول مما يسبب تدحرج الصخور و الأحجار من فوق الجبال إلى أسفلها، و بتراكم الأتربة و تعمير الناس للمنازل و البيوت ترتفع الأرض، و هذه الكعبة المشرفة قد بناها سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام، على أكمة مرتفعة عن الأرض. و هذا المسعى لم تكن أرضه مستوية كما هى اليوم. انتهى.

و قال الأزرقي فى تاريخه عن جبل خندمة ما نصه: و الخندمة جبل فى ظهر أبى قبيس من ظهرها المشرف على دار أبى صيفى المخزومى فى شعب آل سفيان دون شعب الخوز، و ذلك الموضع عن يمين من انحدر من الثنية التى يسلك فيها من شعب ابن عامر إلى شعب آل سفيان ثم إلى منى ... الخ كلامه. و قال فى موضع آخر من تاريخه: الخندمة الجبل الذى ما بين حرق السويداء إلى الثنية التى عندها بير بن أبى السمير فى شعب عمرو، مشرفة على أجياد الصغير و على شعب ابن عامر، و على دار محمد بن سليمان فى طريق منى إذا جاوزت المقبرة على يمين الذهاب إلى منى، و فى الخندمة قال رجل من قريش لزوجته و هو يبرى نبلا- له، و كانت أسلمت سرا، فقالت له: لم تبرى هذا النبل؟ قال: بلغنى أن محمدا يريد أن يفتح مكة و يغزونا، فلئن جاؤنا لأخدمك خادما من بعض من نستأسر، فقالت: و الله لكأنى بك قد جئت تطلب محشا أحشك فيه لو رأيت خيل محمد، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم الفتح أقبل إليها فقال: و يحك هل من محش؟

فقالت: فأين الخادم؟ قال لها: دعيني عنك، و أنشأ يقول:

و أنت لو أبصرتنا بالخندمة إذ فر صفوان و فر عكرمة

و أبو يزيد كالعجوز المؤتمة قد ضربونا بالسيوف المسلمة

لم تنطقى باللوم أدنى كلمة التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٠٤

قال: و أبو زيد سهيل بن عمرو، قال: و خبأته في مخدع لها حتى أومن الناس.

و روى ياقوت الأبيات كما يلي:

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان و فر عكرمة  
و حيث زيد قائم كالمؤتمه و استقبلتنا بالسيوف المسلمة  
يقطعن كل ساعد و جمجمة ضربا فلا تسمع إلا غمغمة

لم تنطقى في اللوم أدنى كلمة انتهى من تاريخ الأزرقى. و في بعض التواريخ ورد البيت الأخير هكذا:

لهم نهيت خلفنا و همهمة لم تنطقى في اللوم أدنى كلمة

و الرجل المذكور الذى قال هذه الأبيات هو حماس بن قيس، أخو بنى بكر، و كان ممن تصدى لقتال خالد، فلما هزمهم فر إلى بيته،  
و قال لامرأته: أغلقى على بابى، فقالت له فى ذلك، فقال الأبيات المذكورة.

و صفوان و عكرمة المذكوران فى الأبيات هما: صفوان بن أمية و عكرمة بن أبى جهل و سهيل بن عمرو، هؤلاء كانوا قد جمعوا ناسا  
من بكر و الأحابيش و غيرهم بجبل خندمة ليقاتلوا المسلمين و يصدوهم عن دخول مكة يوم الفتح.

و الأحابيش هم بنو الهون بن خزيمه، و بنو الحارث بن عبد مناف ابن كنانه، و بنو المصطلق بن خزيمه، و سموا بذلك لأنهم تحالفوا  
مع قريش على من عاداهم تحت جبل بأسفل مكة يقال له حبش، فسموا أحابيش قريش. ثم أسلم صفوان بن أمية و عكرمة بن أبى  
جهل، و لم نبحت عن سهيل بن عمرو هل أسلم أم لا.

و جبل خندمة معروف، و هو عامر بالسكان اليوم، و لما كان هذا الجبل بوسط مكة وضع المشركون أناسا ليقاتلوا المسلمين حين  
دخولهم مكة و جها لوجه، و لكن الله عز شأنه نصر رسوله و فتح له فتحا مبينا، ليتحقق الرؤيا التى رآها رسول الله صلى الله عليه و  
سلم، المذكورة فى القرآن الكريم فى آية: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِذَا شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ  
رُؤُوسَهُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٠٥

## ثنية كداء

ثنية كداء- بفتح الكاف و الدال ممدودة "أى فى آخرها همزة- " و تسمى بالحجون، هى الطريق المؤدية من وسط مقبرة المعلا من  
الجبل المنحوت إلى جهة جروم، و لقد شق الطريق بين الحجون ملك الحجاز الأسبق الشريف الحسين بن على، رحمه الله تعالى، و  
ذلك فى سنة (١٣٣٨) ألف و ثلاثمائة و ثمانية و ثلاثين تقريبا، ثم وسعت الحكومة السعودية هذا الطريق الذى بين جبلين بأكثر مما  
سبق و عبدته بالإسفلت. و بنت على الجانبين من الجبل جدارين لرد الحجارات النازلة من الجبل و ليكون منظر الجبل جميلا.

قال الفاسى عنها فى شفاء الغرام ما يأتى: الخامس عشر "كداء" الموضع الذى يستحب للمحرم دخول مكة منه، و هو الثنية التى بأعلا  
مكة، التى يهبط منها إلى المقبرة المعروفة بالأبطح، و يقال لها الحجون الثانى، و ما ذكرناه فى تعريف كداء هذا، ذكر الفاكهى ما  
يوافقه لأنه قال فى تعريفه لما فى شق معلاة مكة الشامى كداء: الجبل الشارع على المقبرة و الوادى، و له يقول حسان بن ثابت يوم  
الفتح:

عدمت ثنيتى إن لم تروهاتشير النقع عن كتفى كداء

و قال الفاكهى بعد أن ذكر شعب المقبرة فى هذه الجهة و شيئا من خبره: و من ثنية المقبرة، دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم فى  
حجة الوداع، و قال بعضهم: قيل: إن ثنية المقبرة هو كداء، و هو مشعر بتضعيف هذه المقالة لكونها حكيمة بصيغة التمريض، لأن النبى

صلى الله عليه وسلم إذا كان دخل من هذه الثنية كداء، فلأن الأخبار وافرة صحيحة في أن النبي صلى الله عليه وسلم حين حج من المدينة دخل إلى مكة من كداء، وفي تاريخ الأزرقى ما يوافق ما ذكره الفاكهي من دخول النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من هذه الثنية، وذلك يقتضى أن تكون هذه الثنية كداء للمعنى السابق، والله أعلم.

وفي كلام غير واحد من المتأخرين تسمية هذه الثنية بكداء، منهم سليمان بن خليل، والمحب الطبرى، والنوى، وقال المحب: هي بالفتح والمد تصرف على إرادة الموضع وبتركه على إرادة البقعة، انتهى. وقد ذكر الأزرقى شيئاً من خبر هذه الثنية، وهي الآن بحاميم الأحداث التي بين دار السرى إلى ثنية المقبرة، وهي التي قبر أمير المؤمنين أبي جعفر بأصلها، قال: يعرفها بالحاميم وأولها القرن التي ثنية الدمسين على رامسه بيوت ابن أبي حسين النوفلى، والذي يليه القرن المشرف التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٠٦

على دار منارة الحبشى، فيما بين ثنية الدمسين، وهي التي كان ابن الزبير مصلوباً عليها، وكان أول من سهلها معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه، ثم عملها عبد الملك بن مروان. ثم كان آخر من بنى ضفائرها ودرجها وجدرها المهدى، انتهى. وذكر ذلك الفاكهي لأنه لم يجزم بكون معاوية أول من سهل هذه الثنية، وحكى بصيغة التمريض، وقال أيضاً: يقال إن ابن الزبير أول من سهلها، انتهى. فيستفاد مما ذكره الأزرقى والفاكهي قولان في أول من سهل هذه الثنية، والله أعلم بالصواب.

وفي سنة إحدى عشرة وثمانمائة سهل بعض المجاورين بمكة، أثابه الله، في النصف الثاني من سنة سبع عشرة وثمانمائة طريقاً في هذه الثنية غير الطريق المعتادة وهذه الطريق تكون على يسار الهابط من هذه الثنية إلى المقبرة والأبطح، وكانت حرجة ضيقة جداً، فتحت ما يليها من الجبل بالمعاول حتى اتسعت، فصارت تسع أربعة مقاطير من الجمال محملة، وكانت قبل ذلك لا تسع إلا واحداً، وسهلت أرضها بتراب ردم فيها حتى استوت و صار الناس يسلكونها أكثر من الطريق المعتادة، وجعل بينهما حاجزاً من حجارة مرصوفة، وكانت في بعض هذه الطريق قبور فأخفى أثرها. انتهى من شفاء الغرام.

### ثنية كدى

ثنية كدى - بضم الكاف وبتحتين على الدال مقصورة - وقيل - بضم الكاف وفتح الدال وتشديد الياء مصغراً، لا يعلم موضعها تماماً. فبعض المؤرخين قال عنها: إنها طريق الخارج من مكة من جهة الشبيكة، وهذا يقتضى أنها تمتد من الشبيكة إلى آخر ريع الرسام. وبعضهم قال: إنها بأسفل مكة يخرج منها إلى اليمن، وهذا يقتضى أنها تمتد من السوق الصغير إلى جهة بركة ماجن بالمسفلة.

وإليك ما جاء عنها في شفاء الغرام وهو: السادس عشر "كدى" الموضع الذى يستحب الخروج منه لمن كان في طريقه هو الثنية التي بأسفل مكة، التي بنى عليها بابها المعروف باب الشبيكة، على ما يقتضيه كلام المحب الطبرى في شرح التنبيه لأنه قال فيه: وكدى التي يخرج منها الحاج مضمومة مقصورة، وقد بنى عليها باب مكة الذى يتوجه منه إلى عمرة التنعيم، انتهى. و باب مكة الذى أشار إليه المحب، هو باب الشبيكة لأن الناس تتوجه منه إلى عمرة التنعيم غالباً، وذكر

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٠٧

النوى ما يؤيد ما ذكره المحب الطبرى في ضبطها ومكانها، لأنه قال في الإيضاح، فى الباب الثالث: الرابعة: السنة أن يدخل مكة من ثنية كداء بفتح الكاف والمد، وهي بأعلى مكة ينحدر منها إلى المقابر، وإذا خرج راجعاً إلى بلده، خرج من ثنية كدى بالضم والقصر والتونين، وهي بأسفل مكة بقرب جبل قعيقعان، وإلى صوب ذى كوى، انتهى. وذكر القاضى بدر الدين بن جماعة فى منسكه ما يقتضى أن كدى هذه، هي الثنية التي عندها الموضع المعروف بقبر أبى لهب بطريق العمرة، ونص كلام ابن جماعة: وإذا

خرج من ثنية كدى بالضم والقصر، من أسفل مكة و هي الثنية التي يخرج إليها بياب مكة، المعروف بياب الشبيكة، و هي الثنية التي يخرج منها إلى المرجم المعروف بقبر أبي لهب، يسلك منه إلى الزاهر المتقدم ذكره وغيره، و منه يخرج المعتمرون انتهى.

و كلام ابن جماعة ثم يخالف ما ذكره المحب الطبري الذي يعتد به في معرفة ذلك، و الله أعلم بالصواب. و من هذه الثنية دخل قيس بن سعد بن عبادة يوم فتح مكة، على ما ذكر الأزرقى، و ذكر ما يقتضى أن حسان بن ثابت عنها بقوله السابق في كداء بالفتح، و أنشد على غير ما أنشده الفاكهي، لأنه قال:

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء انتهى.

و بأسفل مكة ثنية يقال لها: كدى، بالضم و تشديد الياء و توينها، يخرج منها إلى جهة اليمن، ذكر ذلك المحب الطبري، قال: و قد بنى عليها باب مكة الذي يدخل منه أهل اليمن و يخرجون، هكذا قال في شرح التنبيه، و قال في القرى:

و الثالثة كدى، بالضم و تشديد الياء مصغر، موضع بأسفل مكة، و الأوليان هما المشهورتان، و هذه يخرج منها إلى جهة اليمن، هكذا ضبط عن المحققين و منهم أبو العباس أحمد بن أحمد العذري، فإنه كان يرويه على أهل المعرفة بمواضع مكة من أهلها، حكاه عنه الحميدى، انتهى. و ما ذكره من أنه بنى على الثنية التي يقال لها كدى بالتصغير، باب مكة الذي يدخل منه أهل اليمن و يخرجون، يخالف ما يقوله الناس فيها، لأنهم يذكرون أنها الثنية التي يهبط منها إلى خم، و خم: شعب مشهور، و ليس هو الخم الذي قال النبي صلى الله عليه و سلم عند غديره: من كنت مولاه فعلى مولاه الوارد في فضل على بن أبي طالب، فإنه موضع عند الجحفة و بينها و بين باب مكة، الذي أشار إليه المحب الطبري، غلوتان، و الله أعلم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٠٨

و ممن ذكر هذا الموضع سليمان بن خليل لأنه قال: و أما كدى بالتصغير بضم الكاف و فتح الدال، فإنه جبل بأسفل مكة، يخرج منها إلى اليمن انتهى.

و ما ذكرناه في ضبط كداء العليا و كدى السفلى، التي بنى عليها باب الشبيكة، هو الصواب، و ضبط بعضهم العليا بالضم، و هذه السفلى بالفتح. و نسب النووى قائل ذلك إلى الغلط و التصحيف، و ذكر صاحب المطالع ما يشهد لمن ضبط العليا بالضم، و لكن المشهور فيها الفتح، و الله أعلم.

و ذكر الفاكهي ما يقتضى أن بأعلى مكة موضعا آخر يقال له كداء، غير كداء الذي هو ثنية المقبرة لأنه قال: كداء: الجبل المشرف على الوادى مقابل مقبرة أهل مكة، اليوم تحته بيوت عبد الرحمن بن يزيد، و ابن خلف مولى العباس بن محمد، و هو ممتد إلى دار الأراكه، انتهى. ذكر هذا في تعريفه لما في شق معلى مكة اليماني، و ذكر ما سبق في كداء الذي هو ثنية المقبرة في شق معلاة مكة الشامي، و تغاير الشقتين يقتضى مغايرة المكانين.

و ذكر في موضع آخر ما يقتضى أن كداء موضعا بأعلى مكة، غير كداء الذي هو ثنية المقبرة، و لم يتعرض لضبط ذلك، فبقيت المواضع أربعة، اثنان لا تعلق لهما بالمناسك، و اثنان لهما تعلق بالمناسك، و هما كداء الذي هو ثنية المقبرة، و كدى الذي هو في طريق المدينة، و إنما استحب الخروج منه و الدخول إلى مكة من أذاخر، لكون النبي صلى الله عليه و سلم فعل ذلك في حجة الوداع، و أما في فتح مكة فدخل من ثنية أذاخر بأعلى مكة، على ما ذكره ابن إسحاق في سيرته و الأزرقى.

و ذكر موسى بن عقبه ما يقتضى أن النبي صلى الله عليه و سلم دخل مكة يوم الفتح من كداء بأعلى مكة، و كذلك الزبير بن العوام رضى الله عنه، و الله أعلم بالصواب. و أما عمرته من الجعرانة، فدخل صلى الله عليه و سلم مكة من أسفلها و خرج من أسفلها، كذا في خبر ذكره الفاكهي بإسناده، و فيه من لم أعرفه، و الله أعلم. انتهى من شفاء الغرام.

## جبل حراء

جبل حراء بأعلى مكة، على يسار الذهاب منها إلى منى، يرتفع (٦٣٤) مترا، و عامه أهل مكة يسمونه "جبل النور". "جاء في الجامع اللطيف في فضل مكة و أهلها و بناء البيت الشريف، للعلامة ابن ظهيرة القرشي، ما نصه: جبل حراء و هو ممدود فمن ذكره صرفه، و من أنه منعه من الصرف و يسمى جبل النور

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٠٩

بالتون، و كأن ذلك لكثرة مجاورة النبي صلى الله عليه و سلم و تعبد فيه، و ما خصه الله به فيه من الإكرام بالرسالة و نزول الوحي عليه في الغار الذي بأعلاه، كما في صحيح البخاري، حتى فجأه الحق، و هو في غار حراء، و هو معروف مشهور يآثره الخلف عن السلف، و يقصده الناس بالزيارة، ذكر الأزرقى أن النبي صلى الله عليه و سلم اختبأ فيه من المشركين، و كذا ذكره الفاكهي، قال أيضا: و المعروف أن النبي صلى الله عليه و سلم لم يختبئ من المشركين إلا في غار ثور، لكن يتأيد ما ذكر بما قاله القاضي عياض و السهيلي في روضه: أن قريشا حين طلبوا رسول الله صلى الله عليه و سلم كان على ظهر ثبير، فقال له:

اهبط عني يا رسول الله فأني أخاف أن تقتل و أنت على ظهري، فيعذبني الله تعالى، فناداه حراء إلى رسول الله، و جمع القاضي تقي الدين رحمه الله، فقال:

إن صح اختفاؤه صلى الله عليه و سلم بحراء، فهو غير اختفاؤه بثور، و الله أعلم، فيكون في حراء أولا، و في ثور حين الهجرة، و ذكر بعض العلماء أن السر في كونه صلى الله عليه و سلم، لازم التعبد فيه دون غيره من الجبال من حيث إن فيه فضلا زائدا: منه أن يكون فيه منزويا مجموعا لتعبده، و هو يشاهد بيت ربه، و النظر إلى البيت عبادة، فحصل له اجتماع ثلاث عبادات: الخلو، و التعبد، و النظر، و مجموع ذلك أولى من الاقتصار على البعض، و غيره من الأماكن ليس فيه ذلك المعنى، و أيضا أن هذا الجبل كان يختلي فيه أجداده صلى الله عليه و سلم، (أقول): و فيما ذكر نظر لأن غيره من الجبال يتأتى فيه ما ذكره من اجتماع العبادات الثلاث كأبي قبيس مثلا، و يزيد بقره من البيت، فكان أولى أن يتعبد فيه، و إن كان المراد البعد عن الناس لخلو البال في التعبد، فالجبال البعيدة كثيرة، اللهم إلا أن يقال إن الغار الذي بحراء مستقبل الكعبة من غير انحراف، و ليس غيره كذلك فله وجه، و الأحسن أن يقال أن جبل حراء متعبد أجداده، فاقتدى بهم في ذلك، و الله الموفق.

انتهى من الجامع اللطيف المذكور.

انظر: صورة رقم ٦٦، جبل حراء و بأعلاه الغار

انظر: صورة رقم ٦٧، جبل حراء و مدخله. و يرى المؤلف في صفحه

و جبل حراء: بكسر الحاء المهملة و فتح الراء الممدودة، هو اسم قديم له، و أهل مكة يسمونه الآن "جبل النور" لظهور النبوة منه، و هو على يسار الذهاب إلى منى، و هو جبل معروف عال، قمته تشبه الطربوش الذي يلبس في الرأس، أو كسنام الجمل الأصيل السمين، أو كالقبة الملساء، فلا يوجد جبل بمكة و لا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤١٠

بالحجاز و لا بالدنيا كلها يشبه جبل حراء، فهو بين الجبال فريد الشكل و الصورة، و الأساس الأول للكعبة من حجارتها، فهو جبل معظم حتى في الجاهلية، فقد قال أبو طالب فيه في قصيدته التي ذكرناها في غير هذا المكان:

و ثور و من أرسى ثبيرا مكانه و راق ليرقى في حراء و نازل

و لقد ورد ذكر حراء في بعض الأحاديث الصحيحة، (فمن ذلك) ما جاء في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه: "جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت، فنظرت أمامي و خلفي و عن يميني و عن شمالي فلم أر أحدا، ثم نوديت



فنظرت فلم أر أحدا، ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء، يعنى جبريل عليه السلام، فأخذتني رجفة شديدة فأتيت خديجة فقلت: دثروني، فدثروني فصبوا على ماء، فأنزل الله: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ \* قُمْ فَأَنْذِرْ. "

(و منها) ما جاء في الصحيحين أيضا عن جابر رضى الله عنه: "بيننا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذى جاءني بحراء جالسا على كرسى بين السماء والأرض، فجئت منه فرقا، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فدثروني فأنزل الله: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ \* قُمْ فَأَنْذِرْ \* وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ \* وَثِيَابِكَ فَطَهِّرْ \* وَالرُّجْزَ فَاهْبِجْ. "

(و منها) ما جاء في صحيح البخارى فى أول الجزء الأول منه عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حجب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه، وهو التعب الليلي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: اقرأ باسم ربك الذى خلق \* خلق الإنسان من علق \* اقرأ وربك الأكرم. فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها، فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤١١

نفسى، فقالت خديجة: كلا والله، ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق... إلى آخر الحديث.

(و منها) ما جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه: "أسكن حراء فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد. و عليه النبى عليه السلام، و أبو بكر و عمر و عثمان و طلحة و الزبير و سعد بن أبى وقاص، و يروى: "أهدأ و عليه أبو بكر و عمر و عثمان و على و طلحة و الزبير. "قال فى كتاب "مبارق الأزهار فى شرح مشارق الأنوار: "يعنى روى بعض الرواة لفظ أهدأ مكان أسكن، و ذكر عليا مكان سعد، قاله عليه الصلاة و السلام، لما تحرك حراء و كان النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه المذكورين عليه. انتهى منه.

(و منها) ما جاء فى الأزرقى عن ابن أبى مليكة يقول: جاءت خديجة إلى النبى صلى الله عليه وسلم بحيس و هو بحراء، فجاءه جبريل فقال: يا محمد هذه خديجة قد جاءت تحمل حيسا معها، و الله يأمرك أن تقرأها السلام و تبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه و لا نصب، فلما أن رقيت خديجة قال لها النبى صلى الله عليه وسلم: يا خديجة إن جبريل قد جاءني و الله يقرئك السلام، و يبشرك ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه و لا نصب، فقالت خديجة: الله السلام و من الله السلام و على جبريل السلام. انتهى من تاريخ الأزرقى، قال فى مختار الصحاح: الحيس بفتح الحاء تمر يخلط بسمن و أقط، اه.

نقول: و قد جاء فى الصحيحين: "بشروا خديجة ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه و لا نصب،" رواه عائشة و عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما.

فما أسعد خديجة بخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، و حبها العظيم له، و ما أسعدها بإقراء السلام لها من الله تعالى و من جبريل، فهنيئا لها ذلك البيت فى الجنة و هنيئا لها برضاء الله و رسوله عنها، اللهم ارض عنها و عن أزواج نبيك، و ارض عنى و اغفر لى بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين.

و يمتاز جبل حراء عن بقية الجبال بما يأتى:

(١) كان الأساس الأول القديم للكعبة من حجارة جبل حراء.

(٢) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه قبل البعثة.

(٣) كان بدء الوحى فى غار حراء.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤١٢

(٤) وقوف جبريل عليه السلام، فى غار حراء وضمه النبى صلى الله عليه وسلم و إقرائه له أول آية نزلت من القرآن أقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ.

(٥) ظهور جبريل عليه السلام للنبى صلى الله عليه وسلم جالسا على كرسى بين السماء والأرض فى بطن وادى حراء.

فما أبرك هذا الجبل، و ما أسعد هذا الغار، و الحقيقة أن حراء، و ما حول حراء، لمكان منور مبارك إلى يوم القيامة، يعرف ذلك كل من أنار الله قلبه و بصره.

و قال إبراهيم رفعت باشا فى كتابه "مرآة الحرمين" و هو يصف صعوده إلى جبل حراء:

و هذا الجبل يقع فى شمالى مكة، على يسار الذهاب إلى عرفات، بعيدا عن جادة الطريق بنحو ميل، و قال ياقوت فى معجمه أنه على ثلاثة أميال من مكة، و أنه جبل شامخ أعلى من ثبير، و فى أعلاه قلة شامخة زلوج (انظر الجبل فى منظر ٨٦) و فى مسيرة القمة نفس غار حراء.

و قد سعدنا هذا الجبل فى ٣٥ دقيقة مع أن ارتفاعه حوالى ٢٠٠ متر، ولكنه يكاد يكون عموديا، فلذا كان صعب المرتقى، و اضطررنا إلى الاستراحة مرتين أثناء الصعود و أغمى على بعض الضباط، و لولا ما معنا من الماء الذى رششنا به وجهه لحصل ما لا تحمد عقباه، و لذا يجمل بمن رام صعوده أن يستصحب بعض المياه خصوصا فى آونة الحر. و قبل أن نصل إلى قنة الجبل بثلاث دقائق وجدنا خزاننا نحت بالجبل لحفظ مياه المطر يبلغ طوله ٨ أمتار فى عرض ٦ و عمق ٤، و له درج للوصول إلى قاعه، و كان خاويا من الماء، و وجدنا بجانبه امرأة عربية تصنع القهوة و الشاى للزائرين فى موسم الحج و تبيعهما بالثمن، و قد تناولنا من شايتها و قهوتها، و فرشت لنا بساطا من الصوف، و مكثنا فى حضرته نصف ساعة و نقدناها الثمن مضاعفا مكافأة على ما قدمت، ثم تسمننا ذروة الجبل، و إذا فيها بناء متين تعلوه قبة طولها ٦ أمتار فى مثلها عرضا فى ٨ ارتفاعا.

ثم قال بعد عدة أسطر ما نصه: و فى الجهة الجنوبية من القبة غار حراء، الذى كان يتعبد فيه النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، على ما أسلفنا لك، و الإنسان ينحدر إليه من قنة الجبل على درج حجرى غير منتظم أشبه بالسلم، و البعد بينه و بين قمة القبة نحو ٥٠ مترا، و هذا الغار عبارة عن فجوة بابها نحو الشمال، تسع نحو خمسة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤١٣

أشخاص جلوسا، و ارتفاعه قائم متوسطة، و قد صلينا فيه و دعونا، و وجدنا هنالك بعض الحجاج من الأتراك يزورون هذه الآثار، و الواقف على قنة هذا الجبل يرى مكة و أبنيتها العظيمة و قلاعها الحصينة، كما يرى جبل ثور، و لون الجبل ذهبى حتى لو حدقت النظر فى قطعة منه تخالها ذهباً إبريز، و لذلك إذا سطعت عليها الشمس ترى له منظرا من أجمل المناظر و أبهجها، انتهى باختصار من مرآة الحرمين.

نقول: القبة التى ذكرها هنا صاحب مرآة الحرمين، و التى كانت على الغار فوق الجبل، قد هدمت سنة (١٣٤٣) ثلاث و أربعين و ثلاثمائة بعد الألف، و الظاهر من قول الغازى فى تاريخه نقلا عن كتاب بلوغ القرى لابن فهد، أن أول قبة بنيت على جبل النور كانت سنة (٩١٦) ست عشر و تسعمائة، ثم تجدد بناؤها بعد ذلك إلى أن هدمت فى زماننا فى السنة المذكورة. و الله تعالى أعلم.

و قال المرجانى فى فضل حراء:

تأمل حراء و هو فى حال محياه فكم من أناس فى حلا حسنه تاهوا

فمما حوى من جا لعلياه زائرا يفرج عنه الهم فى حال مرقاه

به خلوة الهادى الشفيح محمدو فيه له غار فقد كان يرقاه

و قبلته للقدس كانت بغاره و فيه أتاه الوحي في حال مبداه  
 و فيه تجلى الروح في الموقف الذي به الله في وقت البداءه سواء  
 و تحت تخوم الأرض في السبع أصله و من بعد هذا اهتز بالسفل أعلاه  
 و لما تجلى الله قدس ذكره لطور تشظى فهو أحد شظاياها  
 و منها ثبير ثم ثور بمكة كذا قد أتى في نقل تاريخ مبداه  
 قال صديقنا العزيز السيد أحمد العربي في حراء:

هذا الحجاز تأملوا صفحاته سفر الخلود و معهد الآثار  
 في كل سطر من سطور سجله عبر تفيض بأروع الأسرار  
 و مواقف لم يشهد التاريخ مثل خلالها في أمجد الأعصار  
 جنمت على تلك الأباطح و الهضاب و أشرفت ترنو إلى الأقدار  
 و مضت تقص على العصور حديثها و القوم في لهو و في إدبار  
 ثبتت على رغم الكوارث و الخطوب تعيد سيرة مجدنا المنهار

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤١٤ و تهيب بالهمم الأبية أن تهب لبعث كنز تراثنا المتواري  
 هذا حراء سائلوه يجيبكم فلعله سفر من الأسفار

و استلهموا مواقف الوحي التي شع الهدى منها على الأقطار  
 و سلوه ماذا قد أقل من البطولة و الحجج أكرم به من غار  
 أخلق بغار حراء أن يزهو على الإيوان و الأهرام و الآثار  
 كم بين صاحبه و بين بنائها من فارق أربى على الأقدار  
 شتان بين محرر الأقوام و المتعبدين سلاسل الأحرار

و قال أمير الشعراء شوقي بك رحمه الله تعالى في حراء في كتابه "دول العرب و عظماء الإسلام":  
 كان ابتداء الوحي في حراء فاتحة الرسالة الغراء  
 الله خير خلقه أعطاه و حمل الأمر العظيم "طه"  
 أرسله قلادة النظام عصماء عقد الرسل العظام

(فإن قيل): فما حكمه ذهاب رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى جبل حراء للتعبد في غاره، مع أنه جبل يبعد عن الكعبة المعظمة  
 بنحو أربعة كيلو مترات، و مع أن البيوت في أيام الجاهلية حول الكعبة بما لا يتجاوز عن مائتي متر تقريبا، أى ما كانت البيوت تبلغ  
 محلة المدعا من الناحية الشمالية، و مثلها من جميع الجهات- فلو أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ذهب إلى جبل أبي قبيس أو إلى  
 جبل قعيقعان و هما أخشا مكة، أو إلى جبل أجياد أو إلى جبل بقرب المعلا لكان أيضا بعيدا عن أعين الناس في ذلك الزمن؟  
 (نقول): إن ذهاب رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى جبل حراء للتعبد في غاره قبل بعثته، إنما هو بتوجيه من الله تبارك و تعالى  
 فقط، لحكمه يعلمها جل جلاله، و أيضا لقد اطلعنا أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة و السلام كانوا إذا وصلوا إلى مكة ذهبوا إلى هذا  
 الجبل للتعبد، مع العلم بأن الملائكة الكرام عليهم السلام، كانوا يأخذون الحجارة من هذا الجبل فيرمونها في أساس الكعبة المعظمة  
 عند بنيانهم لها لأول مرة قبل آدم عليه الصلاة و السلام، فأساس الكعبة إلى تخوم الأرض، هو من خمسة جبال منها جبل حراء، كما  
 ذكرنا ذلك بالتفصيل، في محله من هذا الكتاب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤١٥

فعليه يكون جبل حراء من الجبال المباركة، العريقة في البركة والخير، و من هنا يسمى أهل مكة أدام الله تعالى رضاه عليهم جبل حراء بجبل النور، و لهم الحق في ذلك، فقد انبثق نور الحق و القرآن من هذا الجبل المبارك العظيم، إن هذا الجبل و ما حوله من الجبال و الأراضي إلى حدود الحرم من جميع الجهات كلها مباركة طيبة منيرة، أليست كلها من مكة المكرمة، و في حرمها الآمن المستنير.

و قد طلع رسول الله صلى الله عليه و سلم مرة بعد بعثته، و ربما بعد هجرته، إلى المدينة المنورة على جبل حراء، كما جاء ذلك في صحيح مسلم في الباب السادس من كتاب الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين، فعن أبي هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان على جبل حراء فتحرك، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: اسكن حراء، فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد. عليه النبي صلى الله عليه و سلم، و أبو بكر و عمر و عثمان و على و طلحة و الزبير و سعد بن أبي وقاص رضى الله عنهم، و جاءت عن أبي هريرة أيضا في صحيح مسلم في هذا الباب رواية أخرى اكتفينا بما ذكرناه، كما جاء في ابن ماجه رواية تماثل ما ذكرناه. و مثل ما جاء في جبل حراء بمكة جاء أيضا في جبل أحد بالمدينة، و ذلك في صحيح البخارى.

و ما أحلى قول بعض الأعلام عندما وصل إلى غار حراء:

أمرغ في حراء أديم وجهى و أبصر فيه من نور بهى

لعلى أن أمس بحرّ وجهى ترابا مسه قدم النبي

فكم من ذكريات كان فيه و كم فيه من الفضل الخفى

ألم يك ساس بيت الله منه قدما قبل بنيان النبي

أليس المصطفى قد كان يرقى عليه للتعبد بالعشى

و ذلك قبل بعثته إينا كما هو ظاهر عند الذكى

فأول رؤية للوحى كانت له فى داخل الغار الجلى

تبدى جبريل و قال اقرأ باسم الله مولانا العلى

إلى آخر القصيدة.

هذا، و الحق يقال أن جبل حراء و ما حوله فيه من الأنوار المعنونة ما لا يخفى على أولى البصائر و أرباب القلوب، بل و جميع مكة المكرمة إلى حدود الحرم من جميع الجهات كذلك، و يعرفه أهل الذوق و الإشارات لا من كثفت طباعه و غلظت حواسه، و كيف لا تكون هذه الأماكن الشريفة كذلك، أليست هى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤١٦

محل نزول القرآن غضا طريا من السماء إلى الأرض المباركة؟ أليست هى محلات تشرفت بوطئ أقدام رسول الله صلى الله عليه و سلم، و تشرفت بنسمات جبريل و الملائكة الكرام عليهم السلام؟

إن من طلع فوق جبل حراء، و دخل ذلك الغار المبارك، و نظر إلى ما حوله من الجبال و السهول، يتجلى له روعة المكان و جمال المنظر و بهاء الأثر على حقيقته، و يتملكه شعور الأنا و الصفاء كل واحد بحسب استعداده النفسى. إن لجبل حراء طابع خاص، إنه كجبل من جبال مكة المشرفة، و لكن الله تعالى خلق قمته التى بها الغار الشريف كالقبة الجميلة، إنه جبل فريد لا يماثله من الجبال لا بمكة و لا غيرها. فسبحان الكبير المتعال لا إله إلا هو العزيز الغفار.

## عدد السماوات و الأرضين

نعقد هذا الفصل بمناسبة أن أساس الكعبة المعظمة واصل إلى تخوم الأرض السفلى، فنقول و بالله القوة و التوفيق:

إن عدد السموات سبع، كما ورد ذلك في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، و ما حديث الإسراء والمعراج بخاف على الناس الذي فيه التفصيل التام في عروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات السبع صحبة جبريل و كان يستفتح له أبوابها سماء سماء إلى السماء السابعة، و الحديث مذكور في الصحيحين و أوله «بينما أنا في الحطيم مضطجعا إذ أتاني آت ... إلى آخره».

و السموات كلها مملوءة بالملائكة يعبدون الله لا يفترقون. ففي الحديث:

«أطت السماء و يحق لها أن تنط و الذي نفس بيده ما فيها موضع شبر إلا و فيه جبهه ملك ساجد يسبح الله بحمده» رواه ابن مردويه في تفسيره عن أنس بن مالك، قال العريزي و رمز المؤلف لضعفه. ١٥.

و المعنى صوت السماء و حنت من ثقل ما عليها من ازدحام الملائكة، و هو كناية عن ثقلها بكثرة الملائكة.

و اعلم أن عدد الأرضين سبع أيضا كعدد السموات، و قد ورد ذلك صريحا في قوله سبحانه و تعالى، في سورة الطلاق: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤١٧

الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

جاء في تفسير الصاوي عند الآية المذكورة ما نصه: اعلم أن العلماء أجمعوا على أن السموات سبع طباقا بعضها فوق بعض، و أما الأرضون فالجمهور على أنها سبع كالسموات بعضها فوق بعض، و في كل أرض سكان من خلق الله، و عليه دعوة الإسلام مختصة بأهل الأرض العليا لأنه الثابت و المنقول، و لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم و لا أحد ممن بعده، نزل إلى الأرض الثانية و لا غيرها من باقى الأرضين و بلّغهم الدعوة. و هل جعل الله لما تحت الأرض العليا ضوء آخر غير الشمس و القمر، أو يستمدون الضوء منهما؟ قولان للعلماء. و قيل: إنها طباق ملزوقة بعضها ببعض، و قيل: ليست طباقا، بل منبسطة تفرق بينها البحار، و تظل الجميع السماء، و الأول هو الأصح. انتهى من الصاوي.

و جاء في تفسير الجمل المسمى «بالفتوحات الإلهية» في تفسير سورة الطلاق عند قوله تعالى أيضا: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ مَا نَصه:

أما كون السموات سبعا بعضها فوق بعض فلا خلاف فيه لحديث الإسراء و غيره، و أما الأرضون فقال الجمهور: إنها سبع أرضين، طباقا بعضها فوق بعض، بين كل أرض و أرض مسافة، كما بين السماء و الأرض، و في كل أرض سكان من خلق الله، و قال الضحاك: إنها سبع أرضين، و لكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات. قال القرطبي: و الأول أصح، لأن الأخبار دالة عليه. و في كتاب الفردوس عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما بين السماء إلى السماء خمسمائة عام، و عرض كل سماء و ثخانته كل سماء خمسمائة عام، و ما بين السماء السابعة و بين الكرسي و العرش مثل ذلك، و ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام، و الأرضون و عرضهن و ثخانتهن مثل ذلك. ١٥.

قال الماوردي: و على أنها سبع أرضين، تختص دعوة الإسلام بأهل الأرض العليا و لا يلزم من فى غيرها من الأرضين و إن كان فيها من يعقل من خلق مميز.

و فى مشاهدتهم السماء و استمدادهم الضوء منها قولان: أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم و يستمدون الضياء منها، قال ابن عادل: و هذا قول من جعل الأرض مبسوطة. الثانى: أنهم لا يشاهدون السماء،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤١٨

و أن الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه، قال ابن عادل: و هذا قول من جعل الأرض كروية.

و حكى الكلبي عن ابن صالح ابن عباس أنها سبع أرضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض، تفرق بينها البحار، و تظل جميعهم السماء، فعلى هذا إن لم يكن لأحد من أهل الأرض وصول إلى أرض أخرى، اختصت دعوة الإسلام بهذه الأرض، و إن كان لقوم منهم

وصول إلى أرض أخرى احتمال أن تلزمهم دعوة الإسلام، لإمكان الوصول إليهم، لأن البحار إذا أمكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه، و احتمال أن لا تلزمهم دعوة الإسلام لأنها لو لزمتهم لكان النص بها واردا، و لكان النبي صلى الله عليه و سلم بها مأمورا. و قال بعض العلماء: السماء في اللغة عبارة عما علاك، فالأولى بالنسبة إلى السماء الثانية أرض و كذلك السماء الثانية بالنسبة إلى الثالثة أرض، و كذلك البقية بالنسبة إلى ما تحته سماء، و بالنسبة إلى ما فوقه أرض، فعلى هذا تكون السموات السبع و هذه الأرض الواحدة سبع سموات و سبع أرضين. اه بحروفه. انتهى من تفسير الجمل.

و ليس في القرآن آية تدل على عدد الأرضين غير الآية السابقة التي في سورة الطلاق على ما نظن، و أما الأحاديث فقد ورد عددها صريحا. روى البخارى في كتاب المظالم عن ابن عمر، رضى الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «من أخذ من الأرض شيئا بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين».

و جاء في الصحيحين «من أخذ شبرا من الأرض ظالما فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين» رواه سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة رضى الله تعالى عنهم. أخرجه البخارى في كتاب بدء الخلق في باب ما جاء في سبع أرضين، و قول الله تعالى: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ... الْآيَةَ.

و أخرجه أيضا في كتاب المظالم، و أخرجه مسلم في آخر كتاب البيوع في باب تحريم الظلم و غضب الأرض بأربع روايات كلها عن سعيد بن زيد رضى الله تعالى عنه.

قال شيخنا العلامة المحدث الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى رحمه الله تعالى في شرحه لكتابه «زاد المسلم بما اتفق عليه البخارى و مسلم» عند هذا الحديث المذكور في صحيفه ٢١٣ من الجزء الرابع ما نصه:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤١٩

و في هذا الحديث إثبات سبع أرضين كما هو ظاهر قوله تعالى: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ. و المراد بقوله عليه الصلاة و السلام، من سبع أرضين أن كل واحدة فوق الأخرى. و في حديث أبى هريرة عند أحمد مرفوعا أن بين كل أرض و التى تليها خمسمائة عام.

قال القاضى عياض: الأرضون سبع طباق و إنما الخلاف هل فتق بعضها من بعض؟ فقال الداودى: الحديث يدل على أنها لم تفتق؛ لأنها لو فتقت لم يطوق بما ينتفع به غيره، و جاء فى غلظهن و فيما بينهن خبر ليس بصحيح.

قال الأئبي: و تقرير استدلال الداودى أن الرتق اتصال الشىء بالشىء، و الفتق: فصل بعضه عن بعض، فإذا لم تفتق فمن ملك شبرا من أرض أمكنه أن ينتفع بما تحته من الأخرى لتلاصقهما، و إذا فتقت و صار بين الأرضين خلاء، فلا يمكن الانتفاع بما يقابله من الأرض التى تحتها، و إنما ينتفع به غيره من ساكن تلك الأرض إن قدر أن بها ساكنا.

قال القاضى عياض: و استدل به بعضهم على أن من ملك ظاهر الأرض يملك ما تحته مما يقابله، فله منع من تصرف فيه أو يحفره. و قد اختلف العلماء فى هذا الأصل، فيمن اشترى دارا فوجد فيها كنزا أو وجد فى أرضه معدنا، فقيل له، و قيل للمسلمين، و وجه الدليل من الحديث أنه غضب شبرا فعوقب بحمله من سبع أرضين.

قال الأئبي: أما التمثيل بمن ملك الظاهر هل ملك الباطن فى المعدن فين، لأن المعدن من جنس الأرض، و أما بمن اشترى دارا فلا؛ لأن الكنز إن كان من دفن الإسلام فلقطه، و إن كان من دفن الجاهلية فركاز. قال القاضى عياض: و كذلك يملك ما قابل ذلك من الهواء يرفع فيه من البناء ما شاء ما لم يضر بأحد. و تأول بعضهم الحديث على أن المراد بالسبع أرضين السبعة أقاليم، و هو تأويل أبطله العلماء، لأنه لو كان المراد ذلك لم يطوق من غضب شبرا من إقليم شبرا من إقليم آخر، بخلاف طباق الأرض، فإن من ملك شبرا من أرض ملك ما تحته. انتهى من شرح زاد المسلم.

(نقول): الأئبي المذكور (هو بضم الهمزة و كسر الباء المشددة) أحد العلماء الذين شرحوا صحيح مسلم، و نعتقد أن هذا الشرح مطبوع

في القرن السادس أو

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٢٠

السابع الهجري، و لم نبحت عن ترجمته، رحمه الله تعالى لكن نزن أنه مغربي أو شنيطي، و الله تعالى أعلم.

لقد علمت فيما سبق أن عدد الأرضين سبع بصريح الآيات و الأحاديث، و من غريب المصادفات أن نطلع في «مجله الهلال» التي صدرت بمصر بتاريخ شهر شعبان سنة ١٣٧٢ هـ. و شهر مايو سنة ١٩٥٣ م. و في الصفحة ٢٩، على مقاله مأخوذة عن كتاب «ما وراء الدنيا» بعنوان (باطن الأرض مأهول بالسكان) و أن هناك ثلاث نظريات عن تكوين الأرض، و إليك نص المقالة: «النظرية الأولى» في أوائل القرن الماضي أرسل ضابط أمريكي خمسمائة رسالة مطبوعة لأعضاء الكونغرس و مديري الجامعات الأمريكية و المعاهد الأوربية و ليف من العلماء البارزين جاء فيها:

«سانت لويس، بشمال أمريكا في ١٠ إبريل ١٨١٨»

أعلن أهل الدنيا جميعا أن الكرة الأرضية مجوفة، و أن باطنها أهل بالسكان، و أنها تحتوي على عدد من الكرات الواحدة داخل الأخرى، و كل منها لها فتحتان عند قطبيها الشمالي و الجنوبي. و أنا واثق من صحة هذه النظرية، و مستعد لإثباتها عمليا و كشف باطن الأرض المجهول إذا عاونتنى الهيئات العلمية و مكنتني من القيام بهذا الكشف. «ج. كليفن. سيمز» و أرفق بكل رسالة منشورا آخر جاء فيه: إن نجاح المشروع يقتضى معاونه مائة متطوع مغامر مزودين بجميع معدات السفر، و سنبدا الرحلة من سيبيريا في نهاية هذا الفصل حيث تغطي الثلوج الفتحة العليا للكرة الأرضية، و التي يمكن الوصول عن طريقها إلى الكرات الداخلية حيث الدفاء و الثروة الزراعية و الحيوانية، ثم نعود في الربيع المقبل.

و أرفق بهذين الخطابين شهادة تدل على سلامة عقل صاحبها. و كان هذا الضابط لا يفتأ يتكلم عن دنياه الجديدة في كل وقت، و لكنه لم يكن موفقا في تدعيم كلامه بحجج أو أدلة منطقية، و لم يؤلف كتابا في تأييد نظريته و إنما كانت حجته البالغة، أن سنة الطبيعة جرت بأن يكون كل شيء مجوفا، فعظام الحيوانات و الطيور و شعر الرأس و سيقان القمح و غيرها من النبات كلها جوفاء، و إذن فلا بد أن تكون الكواكب مجوفة كذلك، و أن الأرض خمس كرات الواحدة داخل الأخرى كما يبدو في الرسم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٢١

«و عمل خمس دوائر داخله في بعضها» و هي جميعا مأهولة بالكائنات الحية من الداخل و الخارج، و لكل منها فتحتان عند قطبيها، بحيث يستطيع سكان كل كرة أن يسافروا إلى أى مكان فيها في داخلها أو خارجها، مثلهم في ذلك مثل نملة تدب على جدار و عاء مفتوح من ظهره لبطنه و من بطنه لظهره، و كان صاحب هذه النظرية يقضى الساعات الطوال يصف لسامعيه الأجناس و المخلوقات العجيبة التي كان يقول: أنها تعيش داخل هذه الكرات و خارجها.

و كان «سيمز» يرى أن القشرة الخارجية للكرة التي نعيش عليها، يتراوح سمكها بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ ميل، و أن قطر فتحتها العليا التي تكسوها ثلوج القطب الشمالي يبلغ نحو ألفي ميل، و قطر الفتحة السفلى ثلاثة آلاف ميل، و أنهما منحرفتان عن الوسط قليلا، و كان الرجل متحمسا لنظريته حماسه دفعته إلى القيام بحملات للدعاية لها أشبه بالحملات السياسية، فكان يجوب البلدان المختلفة ليلقى المحاضرات و يعقد المؤتمرات الصحفية، كى يجيب عن الأسئلة التي توجه إليه، و الطريف أنه كلما طلب منه دليل على صحة ما يقول أجاب: بأنه كرجل من رجال الجيش المشهود لهم بالإخلاص و الصدق و لا يمكن أن يكذب و أنه يؤمن كل الإيمان برأيه.

و طبعي أن رجال العلم في أمريكا و أوروبا سخروا منه، و لكن الروس، قد كانوا يتوقون لكشف أراضي سيبيريا الشاسعة المجهولة، أظهرها اهتماما بالغا بالأمر، و عرضوا على «سيمز» معاونته في رحلته إلى سيبيريا لبدأ من هناك بحثه، و لكن الرجل ما لبث أن أصيب بمرض لم يمهل طويلا، و دفن باحتفال عسكري، و قد ترك عدة صناديق مليئة بقصاصات الصحف و المذكرات، و ربما كان من مخلفاته أيضا ذلك النموذج الخشبي للكرة الأرضية كما كان يتصورها، و المعروف الآن في أكاديمية العلوم الطبيعية بفيلادلفيا. و قد

ورث ابنه إيمانه بنظريته، فحاول بعد وفاته عبثاً أن يجمع مذكراته في كتاب، وقد أضاف على نظرية أبيه أنه يعتقد أن الشعوب و القبائل التي ورد ذكرها في بعض الكتب المقدسة، و التي يظن أنها بادت و اندثرت، لا بد أنها دخلت إلى باطن الأرض من إحدى فتحتها، و إننا لا بد سنلقاها هناك لو دخلنا إليها.

(النظرية الثانية) و بعد وفاة «سيمز» بسنوات أعلن طبيب يدعى «سيروس ريد» عن نظرية جديدة، زعم أن الوحي الإلهي هبط عليه في عام ١٨٦٩ و هو ما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٢٢

يزال شاباً، و كان هذا الطبيب يكتب عن نظريته في الصحف و غيرها من المطبوعات بالاسم المستعار «كورش» و تلخص النظرية في أن طبقات الجو المحيطة بنا تشبه مجموعة من العدسات تعكس الإشعاعات الصادرة من النجم الكائن في جوف الأرض، فيتراءى لنا ما نتوهمه قمراً و كواكب، و يرجع تعاقب الليل و النهار و اختلاف الفصول إلى حركات هذا النجم، و كان «ريد» يقدر سمك القشرة الأرضية بنحو مائة ميل، و أنها تتألف من سبع طبقات من المعادن، و خمس طبقات صخرية، و خمس أخرى «جولوجية».

(النظرية الثالثة) و ظهرت نظرية ثالثة في أواخر عام ١٩٢٠ في ألمانيا، تزعمها رجل يدعى «كارل نيوبرت» و تلخص في أن الأرض فقاعة كروية، و أن الجغرافيين قاسوا أطوالها قياساً دقيقاً و رسموا لها خرائط صحيحة، و لكنهم أخطأوا في قولهم، بأننا نعيش على سطحها الخارجي في حين أننا في الواقع نعيش في باطنها. و فوق رؤوسنا ثلاثة أجرام تتحرك بالقرب من مركز هذه الفقاعة هي الشمس و القمر و السماء، و هي كرة ذات لون أزرق داكن تلمع فوقها أضواء يحسبها بجوها، و الليل ينشأ من اعتراض هذه الكرة لأشعة الشمس و هي في طريقها إلى الأرض، و كان «نيوبرت» يقول: أن الجغرافيين يخطئون، إذ يقولون أن الأشعة الضوئية تسير في خط مستقيم، و الواقع أنها مقوسة، و أن الأشعة البنفسجية أكثر تقوساً و انحناء من الأشعة الحمراء، و الطريف أن كثيرين كانوا يؤمنون بصحة هذه النظريات حتى وقت قريب. انتهى من مجلة الهلال.

نقول: إن كاتب هذه المقالة يعتقد أن طبقات الأرض خمس كما صرح بذلك في مقالته، و اعتقاده هذا بناه على ما ظهر له من النظريات. و أما نحن المسلمين، فإننا نعتقد سبع أرضين كالسموات السبع، بدليل صريح القرآن الكريم و الحديث الشريف، و نحن مأمورون بالإيمان بذلك، و لسنا مأمورين بالبحث عن كيفية الأرضين السبع، و لا بمعرفة أنواع سكان كل طبقة من الأرض، إذ أن الوصول إلى نتيجة البحث مستحيل تقريباً، فنكل علم كل ذلك إلى الله تعالى الذي يعلم ما في السموات و ما في الأرض، لا إله إلا هو العزيز الغفار.

و لئن قام الأفرنج الآن ببعض الاستكشاف عن الأرض، فإن الإسلام قد أوضح كل ذلك من قديم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٢٣

### خلق موضع الكعبة

قال الإمام الأزرقى أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد في أول كتابه «أخبار مكة و ما جاء فيها من الآثار» ما ملخصه: قال كعب الأحبار: كانت الكعبة غطاء على الماء قبل أن يخلق الله عز و جل السموات و الأرض بأربعين سنة و منها دحيت الأرض، و الغطاء بالضم و المد ما يحمله السيل من القماش كما في مختار الصحاح. و قال مجاهد: لقد خلق الله عز و جل موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرض بألفى سنة، و إن قواعده لفي الأرض السابعة السفلى.

و قال ابن عباس رضى الله عنه: لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السموات و الأرض بعث الله تعالى ريحا هفافة فصفت الماء فأبرزت عن خشفه في موضع هذا البيت كأنها قبة فدحا الله الأرضين من تحتها فمادت ثم ماد، فأوتدها الله تعالى بالجبال



فكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس، فلذلك سميت مكة أم القرى. انتهى باختصار من تاريخ الأزرقى. روى البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أول بقعة وضعت من الأرض موضع البيت، ثم مدت منها الأرض، وإن أول جبل وضعه الله تعالى على وجه الأرض أبو قبيس، ثم مدت منه الجبال». قال العزيزى فى شرحه على الجامع الصغير: قال الشيخ: حديث صحيح لغيره. ١٥٠.

نقول: و مما تقدم أخذ بعضهم أن مكة المكرمة قلب الدنيا ووسطها و موضع الكعبة هو نقطة مركز دائرتها. قال البتوني فى كتابه: «الرحلة الحجازية»: و اليهود يقولون إن قلب العالم فى المكان الذى به تابوت العهد بالقدس، و النصرى يقولون: إنما هو فى كنيسة القيامة ببيت المقدس، و فيها كرة من الرخام يبلغ قطرها نحو ثلاثين أو أربعين سنتيمترا، مرفوعة على قاعدة من الرخام أيضا، و يزعمون أن هذه الكرة موضوعة فى المركز الحقيقى للكرة الأرضية. انتهى كلامه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٢٢٤

و رأينا فى مسألة موضع وسط الدنيا أننا لا نميل إلى أحد الأقوال المتقدمة، حيث إنه لم يرد نص صريح على ذلك فى ديننا الحنيف و الدنيا واسعة عظيمة لم يحط أحد بعلم جزء صغير منها تمام الإحاطة فضلا عن جميعها، فالأحسن و الأولى تفويض ذلك إلى الله عز شأنه علام الغيوب و الخلاق العظيم لا إله إلا هو الكبير المتعال.

### بنايات الكعبة المعظمة

بنيت الكعبة المعظمة إحدى عشرة مرة بنتها: (١) الملائكة (٢) ثم آدم (٣) ثم شيث (٤) ثم إبراهيم (٥) ثم العمالق (٦) ثم جرهم (٧) ثم قصى (٨) ثم قريش (٩) ثم عبد الله بن الزبير (١٠) ثم الحجاج (١١) ثم السلطان مراد ابن السلطان أحمد من سلاطين آل عثمان، و ذلك سنة أربعين و ألف هـ، و قد نظم بعضهم أسماء هؤلاء فقال:

بنى الكعبة الغراء عشر ذكرتهم و رتبهم حسب الذى أخبر الثقة  
ملائكة الرحمن، آدم، ابنه كذاك خليل الله، ثم العمالق  
و جرهم يتلوهم قصى، قريشهم كذا ابن الزبير، ثم الحجاج لا حقه  
و من بعدهم آل عثمان قد بنى «مراد» حماه الله من كل طارقه  
و قال بعضهم أيضا:

بنى البيت خلق و بيت الإله مدى الدهر من سابق يكرم

ملائكة آدم، ولده خليل، عمالق، جرهم

قصى، قريش، نجل الزبير و حجاج، بعدهم نعلم

و سلطاننا الملك المرتضى «مراد» هو الماجد المكرم

و ها نحن نذكر جميع ذلك بالتفصيل التام و بالترتيب المذكور. فتأمل كل بناءة فى عهدا مزيد التأمل، ليظهر لك الأمر جليا واضحا فإليك ذكر ذلك.

**الدليل على بناء الكعبة قبل إبراهيم عليه الصلاة و السلام**

اختلف المؤرخون في أول من بنى الكعبة المعظمة، فقبل أول من بناها خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقيل أول من بناها الملائكة عليهم السلام، ولم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٢٥

يأت نص صريح في ذلك من كتاب أو سنه، و القرآن الكريم ذكر فقط إبراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام، رفع قواعد البيت مع ابنه إسماعيل، عليهما الصلاة والسلام، وقد أجمع المؤرخون قديما وحديثا أن الكعبة بنيت قبل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بنتها أولا الملائكة، ثم آدم، ثم ابنه شيث، ثم إبراهيم على جميعهم الصلاة والسلام ... الخ. هذا الذي أتى لنا التاريخ ونحن نروى ما روى التاريخ.

هذا: ونحن نوافق على ما ذكره المؤرخون حيث يطمئن إليه قلبنا ونستدل على ذلك بما ذكره الإمام الأزرقى وهو إمام في العلم والحديث والتاريخ وهو من علماء مكة ومن أهل القرن الثاني للهجرة، وتاريخه هو أول تاريخ لمكة المشرفة وصل إلينا ويعتمد عليه وكفى به حجة. فقد قال عند بناء إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، الكعبة ما نصه:

يقول ابن عباس: فقام- أى إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام- يحضران عن القواعد ويقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ويحمل له إسماعيل الحجارة على رقبتة ويبنى الشيخ إبراهيم عليه الصلاة والسلام ... الخ.

وروى أيضا في موضع آخر عن عثمان بن ساج عن وهب بن منبه أنه أخبره قال: لما ابتعث الله تعالى إبراهيم خليله ليبنى له البيت طلب الأساس الأول الذى وضع بنو آدم فى موضع الخيمة التى عزى الله بها آدم عليه السلام من خيام الجنة حيث وضعت له بمكة فى موضع البيت الحرام، فلم يزل إبراهيم يحفر حتى وصل إلى القواعد التى أسس بنو آدم فى زمانهم فى موضع الخيمة، فلما وصل إليها أظلم الله له مكان البيت بغمامة ... الخ، ويقصد الإمام رحمه الله تعالى بقوله: «التي أسس بنو آدم فى زمانهم» آدم وابنه شيث عليهما الصلاة والسلام. ولقد ذكر الإمام رحمه الله، تعالى فى أول تاريخه أيضا عن بناء الملائكة و آدم عليهما الصلاة والسلام: أن جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الأرض فأبرز عن أس ثابت على الأرض السفلى فقذفت فيه الملائكة من الصخر ما لا يطيق حمل الصخرة منها ثلاثون رجلا ... الخ.

و ذكر الإمام الأزرقى أيضا عند الكلام على بناء عبد الله بن الزبير، رضى الله تعالى عنهما الكعبة فقال ما نصه: فلما هدم ابن الزبير الكعبة وسواها بالأرض، كشف عن أساس إبراهيم فوجدوه داخلًا فى الحجر نحوًا من ستة أذرع و شبر،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٢٦

كأنها أعتاق الإبل أخذ بعضها بعضا كتشبيك الأصابع بعضها ببعض، يحرك الحجر من القواعد فتحرك الأركان كلها. فدعا ابن الزبير خمسين رجلا من وجوه الناس وأشرفهم وأشهدهم على ذلك الأساس، قال: فأدخل رجل من القوم كان أيدا يقال له: عبد الله بن مطيع العدوى، عتلة كانت فى يده فى ركن من أركان البيت فتزعزت الأركان جميعا، ويقال إن مكة كلها رجفت رجفة شديدة حين زعزع الأساس وخاف الناس خوفا شديدا حتى ندم كل من كان أشار على ابن الزبير بهدمها وأعظموا ذلك إعظاما شديدا وأسقط فى أيديهم فقال لهم ابن الزبير:

اشهدوا ثم وضع البناء على ذلك الأساس. انتهى منه.

فمثل هذه الحجارات الضخمة وإلقائها فى أساس الكعبة وتشابكها مع بعضها كتشابك الأصابع أى كقطع العجين إذا رميت بعضها فوق بعض واشتبكت وتداخلت فى بعضها، لا يكون من فعل بنى آدم قط. وسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بنى الكعبة على الأساس السابق الذى كان قبله، و ردم بفعل الأمطار والسيول أو بفعل طوفان نوح، عليه الصلاة والسلام، ولا شك أن الملائكة لم تساعده فى رفع قواعد أو رفع أساسه- الله تعالى أعلم بالغيب- فعلم من كل ذلك أنه لا مانع بالقول أن الكعبة المشرفة بنيت قبل خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، مع العلم بأن هذه المسألة لها تعلق بالدين، نعم من أنكر بناء إبراهيم الكعبة يعد كافرا، إن

تعتمد ذلك، لأنه ثابت بنص القرآن الكريم. والله تعالى أعلم بالغيب.

### البنية الأولى: بناء الملائكة عليهم السلام الكعبة

أول من بنى البيت الحرام هم الملائكة و ذلك قبل خلق آدم عليه السلام، و تفصيل ذلك ننقله من أقدم كتب التاريخ الذى وصل إلينا و هو كتاب «أخبار مكة و ما جاء فيها من الآثار» للإمام الجليل أبى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى، المولود فى القرن الثانى للهجرة.

قال رحمه الله تعالى فى كتابه المذكور عن بناء الملائكة ما نصه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى على بن هارون بن مسلم العجلي عن أبيه قال: حدثنا القاسم بن عبد الرحمن الأنصارى قال: حدثنى محمد بن على بن الحسين قال: كنت مع التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٢٧

أبى على بن الحسين بمكة فبينما هو يطوف بالبيت و أنا وراءه إذ جاءه رجل شرجع من الرجال يقول طويل، فوضع يده على ظهر أبى. فالتفت أبى إليه فقال الرجل:

السلام عليك يا ابن بنت رسول الله. إنى أريد أن أسألك، فسكت أبى و أنا و الرجل خلفه حتى فرغ من أسبوعه، فدخل الحجر. فقام تحت الميزاب، فقامت أنا و الرجل خلفه فصلى ركعتى أسبوعه ثم استوى قاعدا فالتفت إلى فقامت إلى جنبه فقال: يا محمد فأين هذا السائل؟ فأومأت إلى الرجل فجاء فجلس بين يدى أبى. فقال له أبى: عم تسأل؟ قال: أسألك عن بدء هذا الطواف بهذا البيت لم كان و أنى كان و حيث كان و كيف كان؟ فقال له أبى: نعم من أين أنت؟ قال: من أهل الشام. قال: أين مسكنك؟ قال: فى بيت المقدس. قال فهل قرأت الكتابين؟ (يعنى التوراة و الإنجيل) قال الرجل: نعم. قال أبى: يا أبا أهل الشام احفظ و لا تروين عنى إلا حقا أما بدء هذا الطواف بهذا البيت فإن الله تبارك سبحانه و تعالى قال للملائكة: إنى جاعل فى الأرض خليفة فقالت الملائكة:

أى رب أخليفة من غيرنا ممن يفسد فيها و يسفك الدماء و يتحاسدون و يتباغون؟

أى رب اجعل ذلك الخليفة منا فنحن لا- نفسد فيها، و لا- نسفك الدماء، و لا نتباغض، و لا نتحاسد، و لا نتباغى، و نحن نسبح بحمدك، و نقدر لك، و نطيعك، و لا نعصيك. فقال الله تعالى: إنى أعلم ما لا تعلمون قال: فظنت الملائكة أن ما قالوا ردا على ربهم، عز و جل، و أنه قد غضب من قولهم، فلاذوا بالعرش و رفعوا رؤوسهم و أشاروا بالأصابع يتضرعون و يبكون إشفافا لغضبه و طافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله إليهم فتزلت الرحمة عليهم فوضع الله تعالى تحت العرش بيتا على أربع أساطين من زبرجد و غشاهن بياقوته حمراء و سمي ذلك البيت الضراع ثم قال الله تعالى للملائكة: طوفوا بهذا البيت و دعوا العرش قال: فطافت الملائكة بالبيت و تركوا العرش و صار أهون عليهم من العرش و هو البيت المعمور الذى ذكره الله، عز و جل، يدخله فى كل يوم و ليلة سبعون ألف ملك لا- يعودون فيه أبدا، ثم إن الله سبحانه و تعالى بعث ملائكة فقال لهم: ابنوا لى بيتا فى الأرض بمثاله و قدره، فأمر الله سبحانه من فى الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور. فقال الرجل: صدقت يا ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم هكذا كان. انتهى من تاريخ الأزرقى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٢٨

و روى فى موضع آخر منه أيضا عن محمد بن المنكدر أنه قال: كان أول شىء عمله آدم عليه السلام، حين أهبط من السماء، طاف بالبيت فلقيته الملائكة فقالوا: برّ نسكك يا آدم، طفنا بهذا البيت قبلك بألفى عام.

و روى أيضا عن ابن عباس، رضى الله عنهما، قال: حج آدم، عليه السلام، و طاف بالبيت سبعا فلقيته الملائكة فى الطواف. فقالوا: برّ حجك يا آدم، أما إنا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفى عام، قال: فما كنتم تقولون فى الطواف؟ قالوا: كنا نقول سبحان الله و الحمد

لله ولا إله إلا الله و الله أكبر، قال آدم: فزيدوا فيها «و لا حول و لا قوة إلا بالله» قال: فزادت الملائكة فيها ذلك. قال: ثم حج إبراهيم عليه السلام، بعد بنيانه البيت، فلقيته الملائكة فى الطواف فسلموا عليه. فقال لهم إبراهيم: ما ذا كنتم تقولون فى طوافكم؟ قالوا: كنا نقول قبل أبيك آدم، سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر. فأعلمناه ذلك. فقال آدم عليه السلام: زيدوا فيها و لا حول و لا قوة إلا بالله، فقال إبراهيم: زيدوا فيها «العلی العظيم» قال: ففعلت الملائكة ذلك. انتهى من الأزرقى. و يقال إن الملائكة هم الذين أسسوا المسجد الأقصى لأول مرة، و قيل آدم، عليه السلام، و قيل سام بن نوح عليه السلام، و قيل يعقوب عليه السلام، و قيل داود عليه السلام، و قيل سليمان عليه السلام، و قيل إبراهيم عليه السلام، و قيل إن الأخيرين جددا ما خرب منه فقط و أما وضع أساسه فقد كان قبلهما و الله تعالى أعلم.

## البنية الثانية: بناء آدم عليه السلام الكعبة

### إشارة

(الثانى) ممن بنى البيت الحرام، أبونا آدم عليه الصلاة و السلام، قال الإمام الأزرقى فى تاريخه ما نصه: حدثنا أبو الوليد حدثنا جدى قال: حدثنا سعيد بن سالم عن طلحة بن عمرو الحضرمى عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال: لما أهبط الله آدم إلى الأرض من الجنة كان رأسه فى السماء و رجلاه فى الأرض و هو مثل الفلك من رعدته قال: فطأ الله عز و جل منه إلى ستين ذراعاً، فقال: يا رب ما لى لا أسمع أصوات الملائكة و لا أحسهم؟ قال: خطيبتك يا آدم. و لكن اذهب فابن لى بيتا التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٢٩

فطف به و اذكرنى حوله كنعو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى قال: فأقبل آدم عليه السلام يتخطا فطويت له الأرض و قبضت له المفاوز فصارت كل مفازة يمر بها خطوة و قبض له ما كان من مخاض ماء أو بحر فجعله له خطوة و لم تقع قدمه فى شىء من الأرض إلا صار عمراناً و بركة حتى انتهى إلى مكة فبنى البيت الحرام و إن جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الأرض فأبرز عن أس ثابت على الأرض السفلى فقدفت فيه الملائكة من الصخر ما لا يطيق حمل الصخرة منها ثلاثون رجلاً و أنه بناه من خمسة أجبل من لبنان، و طور زيتا، و طور سينا و الجودى، و حراء حتى استوت على وجه الأرض. قال ابن عباس: فكان أول من أسس البيت و صلى فيه و طاف به آدم عليه السلام حتى بعث الله الطوفان قال:

و كان غضبا و رجسا قال: فحيث ما انتهى الطوفان ذهب ريح آدم عليه السلام قال: و لم يقرب الطوفان أرض السند و الهند قال: فدرس موضع البيت فى الطوفان حتى بعث الله تعالى إبراهيم و إسماعيل فرفعا قواعده و أعلامه و بنته قريش بعد ذلك و هو بحذاء البيت المعمور لو سقط، ما سقط إلا عليه.

حدثنا أبو الوليد حدثنا مهدي بن أبى المهدى قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم الصنعانى عن عبد الصمدى ابن معقل عن وهب بن منبه أن الله تعالى لما تاب على آدم عليه السلام أمره أن يسير إلى مكة فطوى له الأرض و قبض له المفاوز فصار كل مفازة يمر بها خطوة و قبض له ما كان فيها من مخاض ماء أبو بحر فجعله له خطوة فلم يضع قدمه فى شىء من الأرض إلا صار عمراناً و بركة حتى انتهى إلى مكة.

و كان قبل ذلك قد اشتد بكاؤه و حزنه لما كان فيه من عظم المصيبة حتى إن كانت الملائكة لتحزن لحزنه و لتبكى لبكائه فعزاه الله تعالى بخيمة من خيام الجنة و وضعها له بمكة فى موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة و تلك الخيمة ياقوته حمراء من يواقيت الجنة فيها ثلاثة قناديل من ذهب من تبر الجنة، فيها نور يلهب من نور الجنة، و نزل معها الركن و هو يومئذ ياقوته بيضاء من ربض الجنة و كان كرسيا لآدم عليه السلام يجلس عليه، فلما صار آدم عليه السلام بمكة و حرس له تلك الخيمة بالملائكة كانوا يحرسونها و

يذودون عنها ساكن الأرض، و ساكنها يومئذ الجن و الشياطين فلا ينبغي لهم أن ينظروا إلى شيء من الجنة لأنه من نظر إلى شيء من الجنة و جبت له، و الأرض يومئذ طاهرة نقيه لم تنجس، و لم تسفك فيها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٣٠

الدماء، و لم يعمل فيها بالخطايا، فلذلك جعلها الله مسكن الملائكة و جعلهم فيها كما كانوا فى السماء يسبحون الله الليل و النهار لا يفترون، و كان وقوفهم على أعلام الحرم صفا واحدا مستديرين بالحرم الشريف كله، الحل من خلفهم و الحرم كله من أمامهم فلا يجوزهم جن و لا شيطان و من أجل مقام الملائكة حرم الحرم حتى اليوم، و وضعت أعلامه حيث كان مقام الملائكة و حرم الله عز و جل على حواء دخول الحرم و النظر إلى خيمة آدم عليه السلام من أجل خطيئتها التى أخطأت فى الجنة فلم تنظر إلى شيء من ذلك حتى قبضت، و أن آدم عليه السلام كان إذا أراد لقاءها ليلم بها للولد خرج من الحرم كله حتى يلقاها فلم تزل خيمة آدم عليه السلام مكانها حتى قبض الله آدم و رفعها الله تعالى و بنى بنو آدم بها من بعده مكانها بيتا بالطين و الحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم و من بعدهم حتى كان زمن نوح عليه السلام فنسفه الغرق و خفى مكانه. فلما بعث الله تعالى إبراهيم خليله عليه السلام طلب الأساس فلما وصل إليه ظلل الله تعالى له مكان البيت بغمامة فكانت حفاف البيت الأول ثم لم تزل راكدة على حفافه تظل إبراهيم و تهديه مكان القواعد حتى رفع الله القواعد قامه ثم انكشفت الغمامة فذلك قول الله عز و جل: **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَيْ: الغمامة التى ركبت على الحفاف لتهديه مكان القواعد فلم يزل يحمد الله منذ رفعه الله معمورا.** قال وهب بن منبه: و قرأت فى كتاب من الكتب الأولى ذكر فيه أمر الكعبة فوجد فيه أن ليس من ملك من الملائكة بعثه تعالى إلى الأرض إلا أمره بزيارة البيت فينقض من عند العرش محرما ملييا حتى يستلم الحجر ثم يطوف سبعا بالبيت و يركع فى جوفه ركعتين ثم يصعد.

و حدثنى محمد بن يحيى عن إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى عن عبد الله بن لبيد قال: بلغنى أن ابن عباس قال: لما أهبط الله سبحانه آدم عليه السلام إلى الأرض أهبطه إلى موضع البيت الحرام و هو مثل الفلك من رعدته ثم أنزل عليه الحجر الأسود- يعنى الركن- و هو يتلأل- من شدة بياضه فأخذ آدم عليه السلام فضمه إليه أنسا به ثم نزلت عليه العصا فقليل له: **تخط يا آدم فتخطا فإذا هو بأرض الهند و السند فمكث بذلك ما شاء الله ثم استوحش إلى الركن فقليل له: احجج قال:** فحج فلقيته الملائكة فقالوا: **برحجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام.**

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٣١

و حدثنى جدى قال: حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى محمد بن إسحاق قال: بلغنى أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض حزن على ما فاتته مما كان يرى و يسمع من الجنة من عبادة الله فبواً الله له البيت الحرام و أمره بالسير إليه فسار إليه لا ينزل منزلا- إلا- فجر الله له ماء معيناً حتى انتهى إلى مكة فأقام بها يعبد الله عند ذلك البيت و يطوف به فلم تزل داره حتى قبضه الله بها.

و حدثنى جدى قال: حدثنى سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال لكعب: يا كعب أخبرنى عن البيت الحرام قال كعب: أنزله الله تعالى من السماء ياقوته مجوفة مع آدم عليه السلام فقال له: يا آدم إن هذا بيتى أنزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشى و يصلى حوله كما يصلى حول عرشى. و نزلت معه الملائكة فرفعوا قواعد من الحجارة ثم وضع البيت عليه فكان آدم عليه السلام يطوف حوله كما يطاف حول العرش و يصلى عنده كما يصلى عند العرش فلما أغرق الله قوم نوح رفعه الله إلى السماء و بقيت قواعده.

حدثنى جدى قال: و حدثنى إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى عن أبان بن أبى عياش قال: بلغنا عن أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل كعباً ثم نسق مثل الحديث الأول. و حدثنى جدى قال: و حدثنى إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس رضوان الله عليه قال: كان آدم عليه السلام أول من

أسس البيت و صلى فيه حتى بعث الله الطوفان. حدثنا مهدي بن أبي المهدي قال: حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعاني عن معمر عن أبان: أن البيت أهبط ياقوته لآدم عليه السلام أو درة واحدة. و حدثني جدى قال: حدثنا سعيد بن سالم القداح عن عثمان بن ساج عن وهب بن منبه قال: كان البيت الذى بوأه الله تعالى لآدم عليه السلام يومئذ ياقوته من يواقيت الجنة حمراء تلتهب، لها بابان أحد هما شرقى و الآخر غربى و كان فيه قناديل من نور آيتها ذهب من تبر الجنة و هو منظوم بنجوم من ياقوت أبيض، و الركن يومئذ نجم من نجومه و هو يومئذ ياقوته بيضاء.

حدثنا جدى قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى قال: حدثنا المغيرة بن زياد عن عطاء بن أبي رباح قال: لما بنى ابن الزبير الكعبة أمر العمال أن يبلغوا فى الأرض فبلغوا صخرا أمثال الإبل الخلف قال فقالوا: إنا قد بلغنا صخرا معمولا التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٣٢

أمثال الإبل الخلف قال: قال: زيدوا فاحفروا، فلما زادوا بلغوا هواء من نار يلقاها فقال: ما لكم؟ قالوا: لسنا نستطيع أن نزيد، رأينا أمرا عظيما فلا نستطيع، فقال لهم: ابنوا عليه، قال: فسمعت عطاء يقول: يرون أن ذلك الصخر مما بنى آدم عليه السلام. و حدثني جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن الزهرى عن عبيد الله بن عتبة عن ابن عباس، عليه السلام، خر آدم ساجدا يبكى فهتف به هاتف فقال: ما يبكيك يا آدم؟ قال: أبكاني أنه حيل بينى و بين تسييح ملائكتك و تقديس قدسك قيل له: يا آدم قم إلى البيت الحرام، فخرج إلى مكة فكان حيث يضع قدميه يفجر عيوننا، و عمرانا، و مداين، و ما بين قدميه الخراب و المعاطش. فبلغنى أن آدم عليه السلام تذكر الجنة فبكاء فلو عدل بكاء الخلق ببكاء آدم حين أخرج من الجنة ما عدله و لو عدل بكاء الخلق و بكاء آدم عليه السلام ببكاء داود حين أصاب الخطيئة ما عدله. انتهى كل ذلك من تاريخ الأزرقي.

جاء فى تاريخ الخميس ما نصه:

و عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما، أن الله تعالى أوحى إلى آدم أن لى حرما بحيال عرشى فانطلق فابن لى بيتا فيه ثم حف به كما رأيت الملائكة يحفون بعرشى فهنا لك أستجيب لك و لولدك من كان منهم على طاعتي. فقال آدم: أى رب و كيف لى بذلك لست أقوى عليه و لا أهتدى لمكانه، فقيض الله له ملكا فانطلق به نحو مكة فكان آدم عليه السلام إذا مرّ بروضة أو مكان يعجبه قال للملك: انزل بنا هاهنا فيقول له الملك: أمامك حتى قدم مكة فبنى البيت من خمسة أجبل من طور سيناء و حراء و طور زيتا و من لبنان و الجودى.

و فى رواية و هب بن منبه: و ثبير واحد بدل لبنان و الجودى. انتهى.

و بنى قواعده من حراء فلما فرغ من بنائه خرج به الملك إلى عرفات فأراه المناسك كلها التى يفعلها الناس اليوم.

و فى رواية قال ابن عباس: إنما سمى عرفات جمعا؛ لأنه اجتمع بها آدم و حواء.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٣٣

و فى أنوار التنزيل: إنما سمى الموقف عرفه لأن آدم و حواء التقيا فيه فتعارفا، أو لأنه نعت لإبراهيم عليه السلام، فلما أبصره عرفه أو لأن جبريل كان يدور به من المشاعر فلما رآه قال: عرفت أو لأن الناس يتعارفون فيه.

و عرفات للمبالغة فى ذلك و هى من الأسماء المرتجلة إلا أن يجعل جمع عرفه.

فحج آدم و أقام المناسك.

قال و هب بن منبه: تلقته الملائكة بالأبطم فرحبت به و قالت: يا آدم إنا لنتظرك و لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام ثم قدم به الملك مكة فطاف بالبيت أسبوعا ثم رجع إلى أرض الهند فمات بها. انتهى من تاريخ الخميس.

و جاء فى تاريخ الخميس ما نصه:

قال أبو جهم: و إن آدم عليه السلام أمر بأساسه فبناه هو و حواء و أسساه بصخر أمثال الخلفات يعنى النوق التى فى بطونها أجنة

واحدتها خلفه أذن الله للصخر أن يطيعهما ثم نزل البيت من السماء من ذهب أحمر و وكل به من الملائكة سبعون ألف ملك فوضعه على أسس آدم عليه السلام و نزل الركن و هو يومئذ درة بيضاء فوضع موضعه اليوم من البيت و طاف به آدم و صلى فيه فلما مات آدم عليه السلام و ليه بعده ابنه شيث فكان كذلك حتى حجه نوح عليه السلام فلما كان الغرق يعنى الطوفان بعث الله تعالى سبعين ألف ملك فرفعوه إلى السماء كى لا يصيبه الماء النجس و بقيت قواعده و جاءت السفينة فدارت به سبعا ثم دثر البيت فلم يحجه من بين نوح و بين إبراهيم أحد من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام.

و فى شفاء الغرام عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

«بعث الله عز و جل جبريل إلى آدم و حواء فقال لهما: ابنا لى بيتا فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر و حواء تنقل التراب حتى أصابه الماء نودى من تحته حسبك يا آدم فلما بناه أوحى الله تعالى إليه أن يطوف به و قيل له: أنت أول الناس و هذا أول بيت تناسخته القرون. انتهى من تاريخ الخميس.

جاء فى تاريخ الخميس ما نصه: قال وهب: إن آدم لما صار بمكة حرسه الله و حرس تلك الخيمة بالملائكة يحرسونه و يذودون عنه سكان الأرض، و سكانها يومئذ الجن و الشياطين فلا ينبغي لهم أن ينظروا إلى شىء من الجنة لأن من ينظر إلى شىء من الجنة و جبت له الجنة، و الأرض يومئذ طاهرة نقيه طيبة لم تنجس و لم يسفك فيها الدماء و لم تعمل فيها الخطايا فمن أجل ذلك جعلها الله مستقرا التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٣٤

للملائكة، و جعلهم فيها كما كانوا فى السماء يسبحون الليل و النهار لا يفترون، و كان موقفهم على أعلام الحرم صفا واحدا مستديرا محيطا بالحرم، و الحل كله من خلفهم، و الحرم كله دونهم، و قال ابن عباس: إن للحرم حرمة البيت إلى السموات ثم إلى العرش و إلى الأرض السفلى، فلا يجوزها جن و لا شيطان، من أجل مقام الملائكة حرم الله الحرم حتى اليوم و وضعت أعلامه حيث كان مقام الملائكة. انتهى من تاريخ الخميس.

نقول: ما ذكر فيما تقدم من أن البيت الحرام رفع زمان الطوفان إلى السماء يفسر بالرواية التى تقول: إن البيت أنزل على آدم عليه السلام من الجنة و هو خيمة من خيامها ياقوتة حمراء من يواقيتها فيها ثلاثة قناديل من ذهب الجنة فيها نور يذهب من نور الجنة. فعلى هذه الرواية لا يبعد أن يرفع البيت زمن الطوفان إلى السماء لترجع هذه الخيمة التى نزلت من الجنة إلى مكانها الأول فى الجنة، فما كان أصله من الجنة يكون مآله إلى الجنة و لو بعد حين كالحجر الأسود فإنه يرفع أيضا فى آخر الزمان.

أما لو فسرنا رفع البيت إلى السماء زمن الطوفان بالرواية التى تقول إن آدم عليه السلام بنى البيت بالطين و الحجارة، فهذا بعيد غير معقول، لأن ما كان من الأرض ليس من الشرافة و القداسة حتى يرفع إلى السماء، و البيت الحرام هدم و بنى مرارا و استبدلت حجاراته المهذومة بحجارات جديدة منحوتة من الجبال، فليس فى البيت الحرام اليوم حجر مقدس لذاته غير الحجر الأسود فهو الذى من الجنة و مآله إلى الجنة بدون شك.

فتأمل فى هذا المبحث النفيس فالحمد لله على التوفيق.

### ما جاء فى حج آدم عليه الصلاة و السلام

قال الإمام الأزرقى رحمه الله فى تاريخه ما نصه:

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: حدثت أن آدم عليه السلام خرج حتى قدم مكة فبنى البيت فلما فرغ من بنائه قال: أى رب إن لكل أجير أجرا و إن لى أجرا قال: نعم فأسألنى قال: أى رب تردنى من حيث أخرجتنى، قال: نعم! ذلك لك قال: أى رب و من خرج

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٣٥

إلى هذا البيت من ذريتي يقر على نفسه بمثل الذي قررت به من ذنوبي أن تغفر له قال: نعم! ذلك لك. حدثنا أبو الوليد قال: حدثنا محمد بن يحيى عن إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى عن أبي المليح أنه قال: كان أبو هريرة يقول: حج آدم عليه السلام ففضى المناسك فلما حج قال: يا رب إن لكل عامل أجرا قال الله تعالى:

أما أنت يا آدم فقد غفرت لك و أما ذريتك فمن جاء منهم هذا البيت فبأذن غفرت له، فحج آدم عليه السلام فاستقبلته الملائكة بالروم فقالت: بر حجك يا آدم قد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام، قال: فما كنتم تقولون حوله؟ قالوا:

كنا نقول سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. قال: فكان آدم عليه السلام إذا طاف بالبيت يقول هؤلاء الكلمات و كان طواف آدم عليه السلام سبعة أسابيع بالليل و خمسة أسابيع بالنهار، قال نافع: كان ابن عمر رحمه الله يفعل ذلك.

حدثني محمد بن يحيى قال: حدثني هشام بن سليمان المخزومي عن عبد الله بن أبي سليمان مولى بني مخزوم أنه قال: طاف آدم عليه السلام سبعا بالبيت حين نزل، ثم صلى تجاه باب الكعبة ركعتين، ثم أتى الملتزم فقال: اللهم إنك تعلم سريرتي و علانيتي فأقبل معذرتي و تعلم ما في نفسي و ما عندي فاغفر لي ذنوبي و تعلم حاجتي فأعطني سؤلي، اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبي و يقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا- ما كتبت لي و الرضا بما قضيت علي، قال: فأوحى الله تعالى إليه يا آدم قد دعوتني بدعوات فاستجبت لك، و لن يدعوني بها أحد من ولدك إلا كشفت غمومه و همومه و كفت عليه ضيقته، و نزت الفقر من قلبه، و جعلت الغناء بين عينيه، و تجرت له من وراء تجارة كل تاجر، و أته الدنيا و هى راغمة و إن كان لا يريد لها. قال: فمد طاف آدم عليه السلام كانت سنة الطواف. انتهى من تاريخ الأزرقى.

و يقال أن آدم عليه الصلاة و السلام هو أول من أسس المسجد الأقصى، و قيل غيره. و الله تعالى أعلم.

### مقدار طول آدم عليه السلام

لقد اختلف الناس فى طول آدم و حواء من الإفرنج فذهبوا مذاهب شتى، فقال المستشرق المسيو «هانريون» العضو فى المجمع العلمى الفرنساوى، أن طول آدم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٣٦

كان (١٢٣) قدما و تسع بوصات أى (٣٧ مترا تقريبا)، و أن طول حواء كان (١١٨) قدما و ثلاثة أرباع البوصة (انظر مادة آدم فى معجم لاروس الكبير) هذا ما هو مذكور فى كتاب (الرحلة الحجازية) فهؤلاء المستشرقون أخذوا استنتاجهم من الموميات و الهياكل التى يعثرون عليها فى بطون الأرض.

و نحن المسلمون يجب علينا ألا- نتبع آراءهم و أقوالهم فيما يمس بالدين، و لقد ورد عندنا الأثر الصحيح عن طول أبينا آدم عليه السلام و لم يرد عن طول حواء شىء، و لا بد أن طولها و خلقتها متناسبان مع شكل آدم عليه الصلاة و السلام.

و لنذكر فيما ورد فى طول آدم، فقد جاء فى الصحيحين و فى مسند الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «خلق الله آدم على صورته ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على أولئك النفر و هم من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك و تحية ذريتك، فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك و رحمة الله فزادوه و رحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فى طول ستين ذراعا، فلم تزل الخلق تنقص بعده حتى الآن».

قال العزيرى على الجامع الصغير عند هذا الحديث: و عند أحمد عن أبى هريرة مرفوعا، كان طول آدم ستين ذراعا فى سبعة أذرع عرضا. اهـ.

و ما ذكره ابن بطوطة فى رحلته من أن طول قدم آدم الموجودة على الصخرة بحبل سرنديب أحد عشر شبرا معقول بالنسبة لطوله المذكور هنا فى الحديث.



والذى نفهمه من هذا الحديث الصحيح ثلاثة أمور و هى:

(الأول) أن الله تعالى خلق أبانا آدم على الصورة التى نحن عليها من الشكل و الهيئة الحسنه كما قال تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، و فى هذا البرهان القاطع على أن بنى آدم منذ خلق أبيهم آدم لم يتغير شكلهم و هيئتهم و لن يتغير ذلك أبدا إلى يوم القيامة.

و لقد ظهر بعض الإفرنج فى عصرنا يقولون إن أصل الإنسان كان شكله كشكل القردة فى سابق العصور، ثم إنه تطور بمرور الزمن حتى وصل إلى الشكل الذى نحن فيه.

فعجبا لهؤلاء الخياليين الوهميين من الإفرنج و من تبعهم من الغوغاء، كيف يعتقدون ذلك؟ و كيف ينسبون أصلهم إلى القرد، فهل يحب الإنسان المثقف أن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٣٧

ينتسب إلى أصل شريف لطيف أو إلى أصل وضيع خسيس؟ فكل من يرى هذا الرأى فهو بنفسه قرد ممقوت.

فإن قيل: إن رأيهم هذا مبنى على عثورهم فى بطون الأرض على هياكل إنسانيه تشبه هياكل القردة.

نقول: على فرض عثورهم على هذه الهياكل فقد تكون هياكل بشريه مسخها الله تعالى قردة و خنازير لما كفروا بأنبيائهم و طغوا و اعتدوا فى يوم السبت كما قال تعالى: وَ لَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَلَقْنَا لَهُمُ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ قال قتاده: صار الشبان قردة و الشيوخ خنازير. هـ.

مع العلم بأنه لم يبق للممسوخين نسل و لا عقب، و القردة و الخنازير جنس من المخلوقات، و قد كانوا موجودين من قبل من مسخ من بنى إسرائيل، قال عليه الصلاة و السلام «إن الله تعالى لم يجعل لمسوخ نسلا و لا عقبا، و قد كانت القردة و الخنازير قبل ذلك» رواه مسلم و أحمد.

فلو قرأ الإفرنج دين الإسلام و تعمقوا فى فهمه لما ذهبوا مع خيالاتهم و توهماتهم كل مذهب، بل لبادروا إلى اعتناقه و استظلوا برايته، فالحمد لله الذى هدانا للإسلام و ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، و الحمد لله الذى وفقنا للعمل بأحكامه و فهمنا دقائق أسرارها، اللهم ثبت قلوبنا على دينك و اختم حياتنا بالعمل الصالح و ارضى عنا، يا أرحم الراحمين.

و نرى أن هذا الحديث الشريف الذى جاء فى الصحيحين هو من معجزاته صلى الله عليه و سلم حيث يكون برهانا صادقا قويا عن نشأة أصل الإنسان لدى قوم من الإفرنج يظهرون بعد أربعة عشر قرنا يعتقدون أن أصلهم من القرد، فهؤلاء يستحقون أن يمسخوا قردة.

و لا شك أن المؤمن المسلم بعد أن قرأ قوله تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ و قرأ الحديث الشريف المتقدم الذى فى الصحيحين، لا يرى رأى الإفرنج، و لا يرضى أن ينسب أصله إلى الحيوان و البهائم.

(الثانى) نفهم من هذا الحديث أن طول آدم ستون ذراعا، بذراعنا نحن لا بذراع نفسه، فإن بعضهم يظن أن المراد بالذراع المذكور فى الحديث ذراع نفس آدم عليه السلام.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٣٨

والذى يؤيد قولنا، هو أن المراد من الحديث بيان خلقه آدم و مقدار طوله، فإذا فرضنا قياس طوله بذراع نفس آدم عليه السلام، فإن الغموض لم يزل حاصلًا و الطول لم يزل مبهما، فإننا لا نعلم مقدار قياس ذراعه، فلو فرضنا أن قياس ذراعه ألف متر أو أكثر أو أقل فكم يكون طوله و إلى أى حد يصل؟ أما لو قلنا أن المراد بالذراع هو ذراعنا المتعارف فقد انتهى الإشكال و ظهر حد طوله لكل إنسان.

و المقام فى الحديث مقام شرح و بيان.

(و الثالث) نفهم من قوله صلى الله عليه و سلم: «فلم تزل الخلق تنقص بعده حتى الآن» أنه صريح فى أن الإنسان و الحيوان أيضا "أى

كل ذى روح كان في قديم الزمان من لدن آدم عليه السلام، أضخم أجسادا بأضعاف أضعاف ما نحن عليه و الحيوانات في زماننا، و أن هذه الضخامة و العظم نقصت بمرور الزمن شيئا فشيئا حتى وصل إلى ما نحن عليه، بل كذلك كان حجم الحبوب و الثمار، كما تدل على ذلك الهياكل الضخمة التي يعثر عليها الباحثون عن الآثار في طيات الأرض و ثنايا الصخور للحيوانات التي كانت و انقرضت.

و في شرح الجامع الصغير ما يأتي:

ذكر المقریزی أن بعض الثقات أخبره، أنه سار في بلاد الصعيد على حائط العجوز و معه رفقة فاقطلع أحدهم منها لبنه فإذا هي كبيرة جدا، فسقطت فانفلقت عن حبة فول في غاية الكبر و كسروها فوجدوها سالمة من السوس، كأنها كما حصدت، فأكل كل منهم قطعة و كأنها ادخرت لهم من زمن فرعون، فإن حائط العجوز بنيت عقب غرقه، فلن تموت نفس حتى تستوفى رزقها. انتهى.

و نعتقد أنه انتهى تناقص الطول إلى هذه الأمة المحمدية المرحومة، و استقر الأمر على ذلك فلا ينقص بنى آدم عما نحن عليه، لأننا نحن في آخر الزمان فإن نبينا محمدا صلى الله عليه و سلم و هو خاتم الأنبياء و قد بعث مع الساعة كما جاء في الصحيحين و غيرهما «بعثت أنا و الساعة كهاتين، و أشار بالسبابة و الوسطى» و إن شاء الله تعالى سيأتي الكلام على قياس قدم أبينا آدم عليه الصلاة و السلام في آخر مبحث مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام فراجعه إن شئت.

و لا يخفى أن آخر الزمان ليس كأوله. نسأل الله أن يختم حياتنا بالإيمان الكامل و العمل الصالح، و أن يحفظنا من الفتن ما ظهر منها و ما بطن. آمين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٣٩

### قبر أمنا حواء بجدة

و بمناسبة ذكرنا طول أبينا آدم عليه الصلاة و السلام نذكر أيضا قبر حواء بجدة فنقول:

اشتهر لدى الناس أن قبر أمنا حواء بجدة في الجبنة المعروفة، و كانت عليه قبة مشيدة من قديم الزمان، و اشتهار قبرها لا يستند إلى دليل شرعى قاطع، و لا إلى تاريخ صحيح ثابت، و نحن نعتقد أن هذا كذب اختلقه المرتزقة منذ قرون مضت فرسخ ذلك في أذهان العامة. و سنتكلم عليه بما يشفى الغليل إن شاء الله تعالى.

قال البتوني في كتابه «الرحلة الحجازية» عن قبر أمنا حواء ما نصه:

أما مدافن المسلمين فإنها في جهة جدة الشرقية على مسافة نحو كيلو متر من بابها الشرقي الذي يسمونه «باب مكة» و عليها سور يفتح بابه للغرب ترى في مدخله، زمن الحج، كثيرا من الشحاذين صغارا و كبارا من الأعراب و الأعراب، فإذا دخلت من هذا الباب وجدت أمامك رأس قبر طويل ضارب إلى الشمال بمسافة مائة و خمسين مترا على ارتفاع متر و في عرض نحو ثلاثة أمتار، و هو ما يسمونه قبر أمنا حواء، و هو أشبه شئ بقناة مسدودة من طرفها الجنوبي بثلاث حوائط من مربع يتقصه الحائط الشمالي الذي هو من جهة القبر، و طول كل حائط أربعة أمتار في ارتفاع مثلها و في كل منها شباك تخرج منه فروع عوسجة كبيرة تكاد تسد فراغ هذا المربع الذي هو مكان الرأس عندهم. و في نهاية هذا المستطيل من جهة الشمال حائط يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار و في وسطه من أعلاه شرفة تحتها شباك يطل على القبر من جهة القدمين، و عند نهايتي القبر ترى أناسا متطوعين لإرشادك عن مكان الرأس أو القدم و أيديهم ممدودة للسؤال، و في نحو ثلثي طوله من جهة الرأس قبة يفتح بابها إلى الغرب، و فيها شباك يشرفان على جهتي القبر، و في وسطها مقصورة من الخشب عليها ستر من الجوخ فيها باب مقابل لباب القبة، فتحه لنا خادم المقصورة قائلا: هذا مكان الصرة الشريفة، فنظرت فوجدت فيه حجرا من الصوان يبلغ طوله نحو متر، محفورا من وسطه.

ثم قال البتوني بعد صحيفه واحدة: و لا يبعد أن قبر حواء كان من الهياكل المقدسة في الجاهلية، فلما جاء الإسلام و محا أثر الشرك

من هذه البلاد، و دالت به دولة الوثنية، و هدمت هياكلها التي كان من ضمنها بالطبع هذا الهيكل، بقى أثره

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٤٠

فى نفوس القوم برا بحق الأمومة، و أقاموا له قبة (لا ندرى متى كان تشييدها) لتكون مزارا للناس كما كانوا يقيمون المزارات لآل بيت النبوة عليهم و على جدهم الصلاة و السلام.

و لقد ذكر هذه القبة ابن بطوطة فى رحلته المشهور فى القرن السابع للهجرة و لم يذكر شيئا عن القبر. و من أكبر الأدلة على أن هذا القبر حادث لا محالة، ما ذكره ابن جبير فى رحلته التى قام بها سنة ٥٨٧ للهجرة قال رحمه الله: «و بها (بجدة) موضع فيه قبة مشيدة عتيقة يذكر أنه كان منزلا لحواء أم البشر عند توجهها إلى مكة، فبنى ذلك المبنى عليه تشهيرا لبركته و فضله و الله تعالى أعلم» انتهى من الرحلة الحجازية.

و رأينا فى قبر أمنا حواء بجدة، و الله تعالى أعلم بالغيب: أن وجود هذا القبر و بناء القبة عليه حادث لا محالة، و أنه كذب مفتعل احتال على عمله بعض الدجالين المرتزقة لجمع الصدقات من الجهلة الذين تجوز عليهم الخرافات، و بمرور الزمن الطويل على ذلك و لعدم إجراء تحقيق عليه، صار عامة الناس يعتقدون أن فى هذا القبر دفنت أمنا حواء.

و نستدل على هذا بأنه لما اشتكى الناس إلى عثمان بن عفان، رضى الله تعالى عنه، الشدة التى يعانونها فى ميناء الشعبة ما فيها من الشعاب، و طلبوا منه نقل هذا الميناء إلى جدة، ذهب رضى الله عنه، فى جمع من الصحابة لمعاينة مكان جدة فوجده أحسن من الشعبة، فأمر بجعله ثغرا لمكة و سموه «جدة» حيث لم تكن معروفة بهذا الاسم من قبل. و لم ينقل عنه و لا عن أحد من الصحابة عن معرفتهم لقبر حواء بجدة و عثورهم عليه، فلو كان قبرها الطويل العريض معروفا لديهم لنقله التاريخ عنهم.

نعم! ذكر بعضهم أن إبليس هبط بأبلىة و هبطت حواء بجدة و هبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود، و هو بأعلى الهند نحو الصين، جبل عال يراه البحريون من مسافة أيام، و فيه أثر قدم آدم عليه السلام، مغموسة فى الحجر. و هذا الكلام الله أعلم بصحته.

و هل كانت جدة معروفة فى تلك الأيام؟ كلا، فجدة لم تسكن إلا فى زمن عثمان بن عفان، رضى الله تعالى عنه، فهو الذى جعلها ميناء بدلا عن الشعبة كما هو معروف.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٤١

ثم إن ما بين هبوط آدم و حواء عليهما السلام، و بين زماننا هذا، لا ندرى كم مضى من السنين و أن ما يقوله بعضهم بأن عمر الأرض مائة مليون سنة أو ألف مليون سنة أو أكثر أو أقل مردود غير مقبول لا يقبله عاقل و لا يصدق باحث محقق، إذ لا يستند إلى دليل قوى من كتاب أو سنة، فما هو إلا- رجم بالغيب و تخمينات و همية و تخيلات ظلالية نشأت من انعكافهم على دراسة الآثار القديمة و قياسات بعض الأشياء على بعض. قال بعض علماء الشنافة:

و كل ما ورد مما حدالهذه الدنيا يرد ردا

إذ لم يرد حد عن المعصوم فى خبر بسند قويم

فلا يعلم كل ذلك إلا الخلاق العظيم الذى بيده ملكوت السموات و الأرض فهو جل جلاله يعلم وحده مبدأ الكائنات و يعلم منتهاها. فعليه من الذى أخبرنا بأن قبر حواء فى ذلك الموضع بجدة و على أى دليل يستند، ثم أليس الطوفان الذى عم الدنيا مسح عن الأرض كل أثر و غير كثيرا من الأمور عن مواقعها و أمكنتها، فلم يبق على وجه الأرض من يتنفس إلا من كان فى سفينة نوح، عليه الصلاة و السلام فلا يمكن أن نصدق مثل هذه الأمور إلا إذا ورد شئ عن الصادق المعصوم صلى الله عليه و سلم.

**أمر الكعبة بين نوح و إبراهيم عليهما الصلاة و السلام**

قال الإمام الأزرقي في تاريخه ما نصه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدى عن سعيد بن سالم عن ابن جريح عن مجاهد أنه قال: كان موضع الكعبة قد خفى ودرس في زمن الغرق بين نوح وإبراهيم عليهما السلام قال: وكان موضعه أكمة حمراء مدرّة لا تعلوها السيول غير أن الناس يعلمون أن موضع البيت فيما هنالك ولا يثبت موضعه وكان يأتيه المظلوم والمتعوذ من أقطار الأرض، ويدعو عنده المكروب فقلّ من دعا هنالك إلا استجيب له. وكان الناس يحجون إلى موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لإبراهيم عليه السلام لما أراد من عمارة بيته وإظهار دينه وشرائعه فلم يزل منذ أهبط الله آدم عليه السلام إلى الأرض معظما محرما بيته تتناسخه الأمم والملل، أمة بعد أمة ومله بعد ملة قال: وقد كانت الملائكة تحججه قبل آدم عليه السلام. انتهى من الأزرقي.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٤٢

ولقد ذكر بعض المؤرخين: أن بين وفاة آدم وولادة نوح (١٢٦) سنة، وأن بين ولادة نوح وولادة إبراهيم (٨٩٠) سنة، فتكون ولادة إبراهيم قبل موت نوح بستين سنة وأن عمر نوح (٩٥٠) سنة، وكان الطوفان في السنة الأولى بعد ستمائة من ولادة نوح كما في التوراة، وأن إبراهيم اختتن وعمره (٩٩) سنة مع إسماعيل وعمره (١٣) سنة، وأن بناء إبراهيم للكعبة كان حينما بلغ إسماعيل من العمر عشرين سنة وقيل أكثر.

فيكون ما بين الطوفان وبين ولادة إبراهيم (٢٩٠) سنة، وما بين الطوفان وبين بناء إبراهيم الكعبة (٤٠٠) سنة تقريبا هذا إذا فرضنا أن إبراهيم بنى الكعبة وعمره مائة وعشرة سنوات. والله تعالى أعلم.

وجاء في شرح كتاب «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم» بصحيفة ١٥٨ من الجزء الثانى ما نصه:

قال ابن هشام: لم يكن بين نوح وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، إلا هود وصالح عليهما السلام، وكان بين إبراهيم وهود ستمائة سنة و ثلاثون سنة، وبين نوح وإبراهيم ألف ومائة وثلاثة وأربعون سنة. وقال الثعالبي: وكان بين مولد إبراهيم وبين الطوفان ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة، وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف سنة وثلاثمائة سنة وسبع وثلاثين، وكان مولد إبراهيم في زمن نمرود بن كنعان لعنه الله تعالى ولكن اختلفوا في أى مكان ولد فليل: ببابل من أرض السواد مدينة نمرود قاله ابن عباس، وعن مجاهد بكوثرى محلة بكوفة وعن بكرمة بالسوس وعند السدى بين البصرة والكوفة وعن الربيع بن أنس بكسكر ثم نقله أبوه إلى كوثرى وعن وهب بحران والصحيح الأول، وقال محمد بن سعد فى الطبقات كنية إبراهيم أبو الأضياف وقد سماه الله تعالى بأسماء كثيرة منها: الأواه والحليم والمنيب قال الله تعالى: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ومنها الحنيف وهو المائل إلى الدين الحق ومنها القانت والشاكر إلى غير ذلك، قلت هذه أوصاف له فى الحقيقة، ومات إبراهيم وعمره هو ابن مائتى سنة وهو الأصح ويقال مائة وخمس وسبعون سنة قاله الكلبي وقال مقاتل: مائة وتسعون سنة (و دفن بالمغارة التى فى حبرون) وهى الآن تسمى بمدينة الخليل. انتهى من كتاب زاد المسلم المذكور.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٤٣

### نبذة عن ترجمة إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام

بمناسبة تأليفنا هذا الكتاب الذى يبحث عن تاريخ مكة «بلد الله الأمين» وعن بناء الكعبة «بيت الله المطهر» صار من اللازم أن نذكر فى الأول ترجمة مكتشف مكة والبانى الأول لبيت الله الكريم، أبى الأنبياء سيدنا «إبراهيم الخليل» عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم فنقول وبالله التوفيق:

لا ندرى ماذا نقول فى ترجمة خليل الله المقرب، ونبيه الكريم المفضل، مكتشف مكة ومعرها، و بانى الكعبة ومطهرها، ماذا نقول ومقام الأنبياء لا- يحيط به أمثالنا، ماذا نقول فيمن قال الله تعالى فى حقه ... وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وقال فى حقه: وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ وقال فى حقه ... إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ وقال فى حقه:

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَقَالَ فِي حَقِّهِ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتِبَاءً وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ وَقَالَ فِي حَقِّهِ: وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ \* وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَقَالَ فِي حَقِّهِ: وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ \* إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَقَالَ فِي حَقِّهِ: قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ فِي حَقِّهِ: وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ \* وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ وَقَالَ فِي حَقِّهِ: وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ وَقَالَ فِي حَقِّهِ: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ إِلَى غير ذلك من فضائله التي لا يمكن حصرها.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٤٤

وهنا نشرف بذكر نبذة من ترجمته العالمة المباركة من حيث ولادته، ووفاته وهجرته وما وقع له من الأمور التي هي عبرة لمن اعتبر، وذكرى لمن تفكر وتدبر، فنقول وبالله التوفيق:

### فضل إبراهيم الخليل على الأمة المحمدية

إن فضل إبراهيم الخليل وإحسانه، عليه الصلاة والسلام، واضح كالشمس على العرب والأمة المحمدية وبالأخص على أهل مكة وفقهم الله للخيرات.

فأما فضله على العرب والأمة المحمدية، فدعاؤه لهم بالهداية والتوفيق كما جاء ذلك في القرآن الكريم رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَفِي آيَةٍ أُخْرَى: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ.

و أما الفضل الخاص على أهل مكة: فإنه أول من اكتشفها ونزل بها و عمرها، وأسكن فيها ابنه إسماعيل وأمه هاجر، اللذين بسببهما ظهر ماء زمزم، وعلى يدي إبراهيم وإسماعيل بنيت الكعبة المعظمة، وأن إبراهيم ترك لديهم مقامه الكريم المحترم، وحرّم مكة وصيرها مأمنا، ودعا لأهلها، وهو الذي أذن في الناس بالحج ودعاهم إليه، فصاروا يقصدون مكة في أيام معلومات من كل فج عميق، وبذلك اتسعت عمرانها وكثرت أرزاقها وخيراتها، كما أتى كل ذلك صريحا في القرآن الكريم.

ففي سورة البقرة: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ وَفِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ \* رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنِي كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* رَبَّنَا إِنِّي أَسِيءْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقُهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ.

ولقد استجاب الله تعالى منه جميع دعائه بفضله ورحمته، فجزاه الله عنا ما هو أهله.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٤٥

### نسب إبراهيم عليه السلام وموطنه

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تاريخه: إبراهيم عليه السلام هو ابن تسارخ بن ناحور بن ساروع بن راعو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وقيل: اسم أبيه تاريخ بالخاء المعجمة وبالحاء المهملة أيضا، قال ابن جرير: والصواب أن

اسم أبيه آزر و لعل له اسمان علمان أو أحدهما لقب و الآخر علم، قال ابن كثير: و هذا الذى قاله محتمل. و الله تعالى أعلم. و يكنى إبراهيم عليه السلام أبا الضيفان، قيل إنه ولد بغوطه دمشق فى قرية يقال لها: برزة، فى جبل يقال له: قاسيون، و الصحيح أنه ولد ببابل فى أرض الكلدانيين، و إنما نسب إليه هذا المقام لأنه صلى فيه إذ جاء معينا لابن أخيه لوط عليه السلام.

و بعد أن تزوج إبراهيم سارة، بتخفيف الراء و قيل بتشديدها خرج بها من أرض بابل مع ابن أخيه لوط بن هاران بن آزر، قاصدين أرض الكنعانيين، و هى بلاد بيت المقدس، و تسمى بلاد التيمن فأقاموا بحران من أرض الشام، و كانوا يعبدون الأصنام و الكواكب السبعة و كل من على وجه الأرض، كانوا كفارا سوى إبراهيم الخليل عليه السلام و امرأته سارة و ابن أخيه لوط عليه السلام.

ثم إنه حصل عندهم قحط و شدة فارتحلوا إلى مصر و دخل إبراهيم قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة، فقيل له: إنه قد نزل ههنا رجل معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال: إنها أختى، قال: فأرسل بها قال:

فأرسل بها إليه، و قال لها: لا تكذبنى. قولى إنك أختى فإنى قد أخبرت بذلك، و إنه ليس على الأرض مؤمن غيرى و غيرك، و إنك أختى، فلما دخلت عليه قام إليها، فأقبلت تتوضأ و تصلى و تقول: (اللهم إن كنت تعلم أنى آمنت بك و برسولك و أحصنت فرجى إلا على زوجى فلا تسلط على هذا الكافر). قال:

فغط حتى ركض برجله، فقال لها: ادعى الله لى و لا أضرك فدعت له فأرسل (و معنى غط تردد نفسه صاعدا إلى حلقه حتى يسمعه من حوله أى أصابه شبه الصرع) ثم قام إليها أيضا فأخذ مثلها أو أشد منها، فأرسل ثلاث مرات، ثم دعا أدنى حشمه فقال: ما أرسلتم إلى إلا شيطانا أرجعوها إلى إبراهيم و أعطوها «هاجر» فرجعت إلى إبراهيم و قالت له: كفانى الله كيد الظالم، و أخذ منى هاجر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٤٦

هدية و قد كان وقت ذاك إبراهيم عليه الصلاة و السلام يصلى لله و يدعو أن يحفظ أهله من هذا الملك الفاجر الجبار، فعصمها الله منه، و كشف الحجاب عن إبراهيم فلم يزل يراها منذ خرجت من عنده إلى أن رجعت إليه ليكون ذلك أطيب لقلبه و أقر لعينه، و قصة الخليل صلوات الله و سلامه عليه و زوجته سارة مع ذلك الجبار المذكورة فى الصحيحين، فمسلم ذكرها فى كتاب الفضائل و البخارى ذكرها فى كتاب «بدء الخلق» و فى كتاب النكاح، و فى الهبة و الإكراه، و فى كتاب البيوع فى باب شراء المملوك. و إلى هذا يشير صاحب نظم عمود النسب بقوله:

و مر فى فراره على الذى غصب سارة و لم تستنقد

إلا بشل يده و صرعه و عصمت سارة من طبعه

و من وراء الحجب الخليل عاين أن عصمها الجليل

و أتحت الملك زوجة الخليل بهاجر و أتحت بها الخليل

و الطبع بفتح الباء الدنس قاله فى المصباح المنير، و ناظم عمود النسب هو العلامة الشيخ أحمد البدوى الشنقى المتوفى سنة (١٢٢٠) هجرية تقريبا.

ثم إن إبراهيم عليه السلام رجع إلى الأرض المقدسة التى كان فيها و معه أنعام و عبيد و مال كثير، و صحبتهم هاجر القبطية المصرية، و كانت زوجته سارة عاقرا لا يولد لها، فقالت لإبراهيم: إن الله قد أحرمنى الولد فادخل على أمتى هذه لعل الله يرزقنا منها ولدا، فلما وهبتها له دخل بها إبراهيم عليه السلام فحملت منه، ثم وضعت إسماعيل عليه السلام و لإبراهيم من العمر ست و ثمانون سنة، و ذلك قبل مولد إسحاق بثلاث عشرة سنة، و لما ولد إسماعيل أوحى الله إلى إبراهيم يشره بإسحاق من سارة فخر لله ساجدا.

و لما ولدت هاجر إسماعيل اشتدت غيرة سارة منها و طلبت من إبراهيم أن يغيبها عنها، فذهب بها و بولدها إسماعيل و هو رضيع إلى مكة المشرفة، كما أمره الله تعالى كما سيأتى بيانه، و لقد ابتلى إبراهيم صلوات الله و سلامه و على جميع الأنبياء و المرسلين بثلاث مصائب كل واحدة أكبر من أختها.

(الأولى) أراد ذلك الجبار الكافر اغتصاب زوجته سارة فعصمها الله تعالى منه، فرجعت إليه طاهرة نقيه منصوره إكراما له عليه السلام، فإنه كان يحبها حبا شديدا لدينها و قرابتها منه و حسنهما الباهر.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٤٧

(الثانية) أمره الله عز و جل بذبح ولده فاستسلم لأمر الله هو و ابنه فحين أضجعه كما تضحج الذبائح و أمر السكين على حلقه لم تقطع شيئا، فعند ذلك فداه الله تعالى برحمته بكبش أبيض أعين أقرن. قد رعى في الجنة أربعين خريفا هبط عليه من ثبير، و له ثغاء، فذبحه بمنى، فهذا هو البلاء المبين، و قد ورد ذلك صريحا في القرآن الكريم، و الثغاء: صوت الشاة و المعز و ما شاكلها، و الثاغية: الشاة، و الراغية: البعير، قاله في مختار الصحاح، و ثبير جبل بين مكة و منى، و يرى من منى، و هو على يمين الداخل منها إلى مكة، قاله في المصباح المنير.

(الثالثة) إلقاءه في النار بسبب مناظرته لأهل بابل الذين كانوا يعبدون الأصنام، و قد كانت مناظره عقلية مفحمة انتصر بها عليهم حتى رجعوا إلى أنفسهم و قالوا إنكم أنتم الظالمون، ثم انقلبوا فقالوا إن وجدنا آباءنا لها عابدين، ثم أجمعوا على إحراقه بالنار، فرموه فيها فكانت عليه بردا و سلاما لم يمسه سوء، بل كان على أحسن حال مدة إقامته فيها، و القصة مذكورة في القرآن العظيم. و كذلك وقع لإبراهيم عليه السلام، كثير من الأمور العظيمة المدهشة منها:

(١) مناظرته مع نمرود المذكورة في القرآن حيث يقول الله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ، إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ... الآية.

(٢) طلبه من الله تعالى، أن يريه كيف يحيى الوتى كما هو صريح في قوله تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنَّ نُوْمُنٌ قَال بلى وَ لَكِن لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ ... الآية.

(٣) أنه أول من عمر مكة و أسكن فيها من ذريته و بنى بها الكعبة المعظمة، قال الله عز شأنه: وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَ طَهَّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ\* وَ أَدِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوتَكُ رِجَالًا وَ عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ... الخ. و سيأتى تفصيل بنائه لبيت الله الحرام.

توفى إبراهيم الخليل، عليه الصلاة و السلام، عن مائة و خمس و سبعين سنة، و قيل و تسعين سنة، و قيل عاش مائتي سنة، و تولى دفنه إسماعيل و إسحاق، عليهما الصلاة و السلام، و دفن عند امرأته سارة و كانت توفيت قبله بقريه (حبرون) بفتح

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٤٨

الحاء المهملة ثم موحده ساكنه، و هى البلدة المعروفة بالخليل اليوم، و لها من العمر مائة و سبع و عشرون سنة، فحزن عليها إبراهيم و اشتري من رجل من بنى حيث يقال له عفرون بن صخر مغارة بأربعمائة مثقال و دفن فيها سارة هنالك. فيكون قبره و قبر زوجته سارة و قبر ولده إسحاق و قبر ولد ولده يعقوب في المربعة التى بناها سليمان بن داود، عليهما السلام، ببلدة (حبرون) المذكورة من غير خلاف، فأما تعيينه منها فليس فيه خبر صحيح عن المعصوم، فينبغى أن تراعى تلك المحلة، و أن تحترم احترام مثلها، و أن تبجل و أن تجل عن أن يداس فى أرجائها، خشية أن يكون قبر الخليل أو أحد من أولاده الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، تحتها. انتهى جميع ما ذكر من تاريخ ابن كثير، رحمه الله، باختصار و زيادة سيرة.

و ابن كثير هو الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة سبعمائة و أربع و سبعين هجرية، كان محدثا متقنا و فقيها بارعا، و له جملة تصانيف منها تفسيره المعبر، و تاريخه المحرر، و هما شهيران و مطبوعان.

قيل: إن يوسف بن يعقوب مدفون معهم أيضا، و قد جزم كثير من العلماء المحققين أن قبورهم فى داخل الدائر الذى بناه عليهم سليمان بن داود فى الغار الذى فى وسط مسجد الخليل الآن، صلوات الله و سلامه عليهم و على جميع الأنبياء و المرسلين، أما قبر إسماعيل بن إبراهيم، عليهما السلام، فسيأتى أنه دفن بالحجر بمكة.

و كان إبراهيم عليه الصلاة و السلام، يشبه نبينا محمدا صلى الله عليه و سلم كما ورد ذلك صريحا في بعض الأحاديث المذكورة في صحيح مسلم، فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة، رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ليلة أسرى بي رأيت موسى و إذا هو رجل ضرب رجل كأنه من رجال شنوءة، و رأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس، و رأيت إبراهيم و أنا أشبه ولد إبراهيم به، ثم أتيت بإناءين في أحدهما لبن و في الآخر خمر، فقال: اشرب أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقيل: أخذت الفطرة، أما أنك لو أخذت الخمر غوت أمتك».

و إن إبراهيم عليه السلام، أول من أضاف الضيف و أول من رأى الشيب و أول من قص شاربه و أول من اختتن و أول من استحد و أول من لبس السراويل.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٤٩

قال ابن عباس، رضى الله عنهما: الإسلام ثلاثون سهما و ما ابتلى أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم. قال تعالى: وَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى فَكُتِبَ اللَّهُ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، و عن ابن عباس أيضا في قوله تعالى: وَ إِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ قَالَ: ابتلاه الله عز و جل بالطهارة، خمس في الرأس و خمس في الجسد، في الرأس:

قص الشارب و المضمضة و الاستنشاق و السواك و فرق الرأس. و في الجسد: تقليم الأظفار و حلق العانة و الختان و نتف الإبط و غسل أثر الغائط و البول بالماء. اهـ من تاريخ الطبرى.

و اعلم أن إبراهيم عليه السلام هو جد غالب الأنبياء و المرسلين، قال ابن كثير في تاريخه: فكل نبي بعث بعده فهو من ذريته، و كل كتاب نزل من السماء على نبي من الأنبياء من بعده فعلى أحد نسله و عقبه خلعه من الله تعالى و كرامه له. اهـ.

قال بعض العلماء: إن عدد الأنبياء الذين ليسوا من نسل إبراهيم الخليل عليه السلام، ثمانية ذكرهم شيخنا العلامة المحدث الشهير محمد حبيب الله الشنقيطى، رحمه الله تعالى، في قصيدته التي مدح بها سيدنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام، حيث يقول:

هو قدس بغير شك لقدس هو جد لجل رسل الجليل

لم يحد عنه غير رسل كرام لم يكونوا من نسله عن دليل

هو أبو الخلق آدم ثم شيث ثم إدريس ذو المكان الجميل

ثم نوح الذى أجيب سريعا إذ دعا الله بعد صبر طويل

ثم هود فيونس ثم لوط صالح ثامن لرسل الوكيل

و سواهم من أنبياء كرام هم بنوه أولو الثناء الأصيل

و لقد جمعهم أيضا صاحب نظم عمود النسب فى قوله:

و حاد عنه آدم شيث الوصى إدريس نوح هود يونس يصى

لوط و صالح فهم ثمان حادوا عن الخليل و استبانوا

قوله: يصى أى: يصل، و قيل: إن يونس من ذريته، عليهما و على جميع الأنبياء الصلاة و السلام. و الله تعالى أعلم بالغيب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٥٠

تقدم أن ذكرنا نسب إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، و موطنه و ارتحاله إلى مصر، ثم رجوعه إلى الأرض المقدسة و ما حصل له من الابتلاء، كما ذكرنا بعض صفاته الكريمة، و أنه عليه الصلاة و السلام جد غالب الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين.

و الآن نذكر هنا ما اطلعنا عليه فى كتاب «إبراهيم الخليل أبو الأنبياء» للأستاذ محمد حسنى عبد الحميد، فيما يتعلق بالصحف التي أنزلت إليه، و بمدفنه و المغارة التي هو و بعض الأنبياء فيها.

فقد جاء فى الكتاب المذكور عند صحف إبراهيم بصحيفة ١٥٢ و ما بعدها ما نصه:



كانت صحف إبراهيم أمثالا و لم نثر مع الأسف الشديد فى المراجع التى اطلعنا عليها و المؤلفات التى رجعنا إليها و اقتبسنا منها على هذه الأمثال كلها و كم كنا نود أن نقرأ و يقرأ الناس صحف إبراهيم لكن شاء الله أن تختفى تلك الصحف عن الأنظار لتتقدم العهد و أن تصبح فى غير متناول الأيدي.

روى الثعلبى عن أبى إدريس الخولانى عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه و سلم، يا رسول الله كم من كتاب أنزل الله عز و جل:

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أنزل الله تعالى مائة كتاب و أربعة كتب، أنزل الله تعالى على آدم، عليه السلام، عشر صحائف، و على إبراهيم الخليل عشر صحائف، و على شيث خمسين صحيفة، و على إدريس ثلاثين صحيفة، و أنزل الله تعالى على التوراة و الإنجيل و الزبور و الفرقان قال قلت: يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالا.

و لم يرو الرواة هذه من الصحف غير مثالين فقط من تلك الأمثال و ما أظن مؤرخا أو راويا جاء بالأمثال كلها و فيما يلى نص المثالين: (١) أيها الملك المغرور المبلى إنى لم أبعثك لتجمع بعضها إلى بعض و لكن بعثتك لتنصر دعوة المظلوم فإنى لا أردّها و إن كانت من كافر.

(٢) على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات، ساعة يناجى فيها ربه و يتفكر فى صنع الله، و ساعة يحاسب نفسه فيما قدم و آخر، و ساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال لا من الحرام فى المطعم و المشروب و غيرهما،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٥١

و على العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه، و من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

عن أبى ذر رضى الله عنه قال: دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن للمسجد تحية. فقلت: و ما تحيته يا رسول الله؟ قال: ركعتان تركعهما. قلت:

يا رسول الله هل أنزل الله عليك شيئا مما كان فى صحف إبراهيم و موسى؟ قال:

يا أبا ذر اقرأ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى \* وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى \* يَلْ تُؤْتُوا نَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ \* وَ أَبْقَى \* إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى قَالَ: كانت عبرا كلها:

(عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك، عجبت لمن رأى الدنيا و قلبها كيف يطمئن إليها، عجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب، عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل).

و بعد، فمما لا ريب أن صحف إبراهيم ثروة تاريخية لم يوفق للعثور عليها المؤرخون و لو أنهم وفقوا لمعرفةا كلها لسدوا نفصا ظاهرا يثمر به المتعمق فى الدراسات التاريخية الإسلامية القديمة.

و جاء فيه أيضا من صحيفة ١٦٥ إلى صحيفة ١٧١ عند الحرم الخليلي و مدينة الخليل ما نصه:

و قد سميت مدينة الخليل حبرون قبل أن يضع عليها شرف اسمها الكريم "الخليل" و يكاد أن ينعقد الإجماع على أن سيدنا إبراهيم الخليل صلى الله عليه و سلم ثاو تحت ثراها فى الحرم الخليلي بمكان تحته.

الحرم اسمه المغارة و بهذه المغارة يرقد إسحاق و يعقوب، عليهما السلام، و سارة رضى الله عنهم. عن كعب الأحبار رضى الله عنه قال: أول من مات و دفن فى حبرون سارة و ذلك أنها لما ماتت خرج الخليل عليه الصلاة و السلام، يطلب موضعا ليدفنها فيه و رجا أن يكون موضعا بقرب حبري فمضى إلى عفرون، و كان مالك الموضع و كان مسكنه حبري، فقال له إبراهيم: بعنى موضعا أقبر فيه من مات من أهلى، فقال المالك قد أبحثك، فادفن موتاك حيث شئت من أرضي، فقال إبراهيم عليه الصلاة و السلام: إنى لا أحب ذلك إلا بالثمن، فقال له: أيها الشيخ الصالح ادفن حيث شئت فأبى عليه و طلب منه المغارة فقال له: أبيعكها بأربعة آلاف درهم كل درهم وزن خمسة دراهم و كل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٥٢

مائة درهم ضرب ملك، و أراد بذلك التشديد عليه كيلا يجد شيئاً من ذلك فيرجع إلى قوله. فخرج إبراهيم الخليل من عنده فإذا جبريل عليه السلام واقفاً، فقال له:

يا إبراهيم إن الله سمع مقالة المالك لك، و هذه الدراهم ادفعها إليه فإنها كما طلب، فأخذ إبراهيم صلى الله عليه و سلم الدراهم فدفعها إلى مالك الأرض فقال له: من عند من؟

قال: من عند إلهي و خالقي و رازقي، فأخذها منه و حمل إبراهيم عليه الصلاة و السلام، ساره و دفنها في المغارة، فكانت أول من دفن فيها و توفيت و لها من العمر مائة و سبعة عشر سنة، و قيل: مائة و سبع و عشرون سنة.

ثم توفي الخليل عليه الصلاة و السلام و دفن بإزائها من جهة الغرب، و لما توفيت رفقة رضى الله عنها، زوجة إسحاق عليه السلام، دفنت تجاه ساره من جهة المحراب، و لما توفي إسحاق عليه السلام، دفن تجاه زوجته من جهة الغرب، ثم توفي يعقوب عليه السلام، فدفن عند باب المغارة، و هو إزاء قبر الخليل عليه الصلاة و السلام، من جهة الشمال، ثم توفيت لائقة زوجة يعقوب فدفنت بإزائه من جهة الشرق، ثم اجتمع أولاد يعقوب عليه السلام، و قالوا: ندع باب المغارة مفتوحاً، و كل من مات منا دفناه فيها، ثم أقاموا حول المغارة سوراً، و أنشأوا علامات القبور في كل موضع و كتبوا على كل قبر اسم صاحبه و خرجوا من المغارة، و طبقوا الباب إلى أن جاء الروم فبنوا هناك كنيسة ما لبث المسلمون حتى هدموها.

حدث محمد بن بكران بن محمد خطيب مسجد الخليل، عليه الصلاة و السلام يقول: خرجت مع القاضي أبي عمر و عثمان بن جعفر بن شادان إلى قبر الخليل عليه السلام، فأقمنا به ثلاثة أيام فلما كنا في اليوم الرابع جاء إلى النقش المقابل لقبر رفقة زوجة إسحاق عليه السلام، فأمر بغسله حتى ظهرت كتابته و تقدم إلى أن أنقل ما هو مكتوب في الحجر فنقلته و رجعنا إلى الحرملة فأحضر أهل كل لسان ليقروا عليه فلم يمكن أحداً أن يقرأه، و لكنهم أجمعوا على أن هذا باللغة اليونانية القديمة، فإنهم لا يعلمون أنه لقي أحداً يقرؤه غير شيخ كبير بحلب فعمدوا إلى إحضاره، فلما حضر عنده أحضرنى فإذا شيخ كبير فأملى على الشيخ المحضر من حلب ما نقلته في الدرج على التمثيل، أوله: بسم إله العرش القاهر الهادي الشديد البطش العليم الذي لا يحد، هذا قبر إبراهيم الخليل صلى الله عليه و سلم و العلم الذي بحذائه من جهة الشرق قبر زوجته ساره، و العلم الأقصى الموازي لقبر إبراهيم الخليل قبر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٥٣

يعقوب، و العلم الذي يليه من الشرق قبر إيليا زوجته صلوات الله عليهم أجمعين.

٥١

و لقد أسعدني الله بزيارة الرجل الوقور صاحب السماحة الشيخ يوسف طهوب، عضو المجلس الإسلامي الأعلى بفلسطين، و تحدثنا عن الخليل و بركاته، فروى لي الشيخ قصة هزت و حركت مشاعري، فقد صور الشيخ لي فيها سيدنا إبراهيم في لحيته البيضاء العظيمة المرسله نائماً على مقعد مرتفع و نسيم المغارة المتشرفة بجسده الطاهر يلاعب لحيته و يحركها تحريكاً لطيفاً، و لقد تصورت هذا المشهد و ظل ماثلاً في خاطري حتى رأيت هذه الصورة في القول الآتي الذي دونه قاضي القضاة أبو اليمن محيي الدين الحنبلي في كتابه «الأنس الجليل» كما رواه بعض الرواة في كتب أخرى قال: قال الحافظ ابن عساكر: قرأت في كتب أصحاب الحديث و نقلت منها. قال محمد بن بكران بن محمد خطيب مسجد إبراهيم الخليل عليه السلام: و كان قاضياً بالرملة في أيام الراضي بالله في سنة اثنتين و عشرين و ثلاثمائة و ما بعدها و له رواية في الحديث سمع من جماعة و حدث عن جماعة من أهل العلم. قال: سمعت محمد بن أحمد بن علي بن جعفر الأنباري يقول: سمعت أبا بكر الإسكافي يقول صح عندي أن قبر إبراهيم عليه السلام، في الموضع الذي هو الآن فيه، و لما رأيت و عاينت ذلك أننى وقفت على السدنة و على الموضع أوقافاً كثيرة تقرب من نحو أربعة آلاف دينار رجاء ثواب الله عز و جل و طلبت أن أعلم صحة ذلك حتى ملكت قلوبهم بما كنت عملت معهم من الجميل و الكرامة و الملاطفة و

الإحسان إليهم و أطلب بذلك أن أصل إلى ما يصح، و جال في صدري، فقلت لهم يوما من الأيام و قد جمعتهم عندي: أسألكم أن توصلوني إلى باب المغارة كي أنزل إلى حضرة الأنبياء صلوات الله عليهم و أشاهدهم. فقالوا: قد أجبناك إلى ذلك، لأن لك علينا حقا واجبا، و لكن لا يمكن في هذا الوقت لأن الطارق علينا كثير و لكن حتى يدخل الشتاء، فلما دخل كانون الثاني خرجت إليهم، فقالوا أقم عندنا حتى يقع الثلج، فأقمت عندهم حتى وقع الثلج و انقطع الطارق عنهم، فجاؤوا إلى صخرة ما بين قبر إبراهيم الخليل و قبر إسحاق عليهما السلام، و قلعوا البلاطة و نزل رجل منهم يسمى (صعلوك) و كان رجلا صالحا، فيه خير و لين، فنزلت أنا معه، فمشى و أنا من ورائه، فنزلنا اثنتين و سبعين درجة، فإذا عن يمين أريكة عظيمة من حجر أسود، و إذا عليها شبح خفيف العارض طويل اللحية ملقى على ظهره، و عليه ثوب

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٥٤

أخضر، فقال لي صعلوك: هذا إسحاق عليه السلام، ثم سرنا غير بعيد، و إذا بأريكة أكبر من الأولى، و عليها شبح ملقى على ظهره و له شبيهة، قد أخذت ما بين منكبيه أبيض الرأس و اللحية و الحاجبين و أشفار العينين و تحت شيبته ثوب أخضر قد حلل بدنه، و الرياح تلعب بشيبته الجليلة يمينا و شمالا، فقال لي صعلوك:

هذا إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة و أتم التسليم، فسقطت على وجهي، و دعوت الله عز و جل، لما فتح علي و أقمت من مكاني، ثم سرنا و إذا بأريكة لطيفة و عليها شبح لطيف آدم شديد الأدمة كثر اللحية، و تحت منكبيه ثوب أخضر قد جلله فقال لي صعلوك: هذا يعقوب النبي، ثم إننا عدلنا يسارا لننظر إلى الحرم، فحلف أبو بكر الإسكافي، ما إن أتممت الحديث، قال: فقامت من عنده في الوقت الذي حدثني فيه من وقتي إلى مسجد إبراهيم عليه السلام، فلما وصلت إلى المسجد سألت عن صعلوك، فقيل لي إنه الساعة يحضر، فلما جاء قمت إليه و جلست عنده و طارحته بعض الحديث، فنظر إلى بعين منكورة للحديث الذي سمعه، فأومأت إليه بلطف تخلصت به من الإثم، ثم قلت له: إن أبا بكر الإسكافي عمي فأنس عند ذلك فقلت: يا صعلوك بالله عليك لما عدلتما نحو الحرم ماذا كان، ما الذي رأيتما؟ فقال: ما حدثك أبو بكر، فقلت: أريد أن أسمع منك أيضا، فقال: سمعنا من نحو الحرم صائحا يصيح و هو يقول: تجنبوا الحرم رحمكم الله، فوقعنا مغشيا علينا، ثم أفقنا و قد يئسنا من الحياة و أيست الجماعة منا. قال:

فقال لي الشيخ: و عاش أبو بكر الإسكافي بعد ما حدثني زمنا يسيرا، و مات و كذلك صعلوك رحمهما الله. اه.

و هذه الرواية يعرفها كل خليلي من سكان تلك المدينة التي شرفها الله بالحرم الخليلي و قد قصها علي أيضا المرحوم الشيخ عبد الله طهوب مفتي الخليل، و قد ذهب معي سماحته إلى المكان الذي يقع فيه باب المغارة لمشاهدته، و قال لي: إنه على إثر حادث صعلوك هذا عمد القائمون على أوقاف الخليل إلى مد باب المغارة بالبناء حتى لا يجسر أحد على النزول إليها.

و نميل إلى تصديق هذه الرواية بعد أن قص علينا علماء فلسطين الكثير عن حوادث مثلها جرت لزائرين معاصرين لا أرى بي حاجة إلى ذكرها هنا، لأن كل ما يروى عن تكريم الله سبحانه لخليله إبراهيم في حياته و بعد مماته لا يستغرب، فليس يستغرب أن يرى المتشرفون بزيارة المغارة جسد أبي الأنبياء على أريكة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٥٥

عظيمة، و أن لحيته البيضاء مرسله يلاعبها النسيم و أن يروا جثمانه الطاهر و وجهه الطلق الشريف، فإن أجسام الأنبياء لا تبلى كما هو معروف.

روى الحسن بن عبد الواحد بن عبد الرزاق قال: قدم أبو زرعة القاضى بفلسطين إلى مسجد إبراهيم عليه السلام، فجئت لأسلم عليه، و قد قعد عند قبر سارة في وقت الصلاة، فدخل شيخ فدعاه، فقال له: يا شيخ أيما هو قبر إبراهيم بين هؤلاء؟ فأومأ الشيخ بيده إلى قبر إبراهيم عليه السلام، ثم مضى الشيخ و جاء شاب فدعاه و قال له مثل ذلك، فأشار إلى قبر إبراهيم عليه السلام و مضى، ثم جاء صبي فدعاه و قال له مثل ذلك، فأشار إلى قبر إبراهيم عليه السلام، فقال أبو زرعة: أشهد أن هذا قبر الخليل عليه أفضل الصلاة و السلام، و

لا شك فيه ولا خفاء، نقله الخلف عن السلف كما قال مالك بن أنس رضى الله عنه، أن نقل الخلف عن السلف أصح الحديث، لأن الحديث ربما يقع فيه الخطأ، والنقل لا يقع فيه الخطأ، ولا يطعن فيه إلا صاحب بدعة ومخالف، ثم قام ودخل إلى المقام فصلى الظهر ثم رحل من الغد.

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسى فى كتاب البدائع فى تفصيل مملكة الإسلام: حبرى هى قرية إبراهيم الخليل عليه السلام، فيها حصن عظيم يقولون إنه من بناء الجن من حجارة منقوشة ووسطه فيه حجارة إسلامية على قبر إبراهيم عليه السلام وقبر إسحاق قدام فى المغطى، وقبر يعقوب فى المؤخر، وعند كل نبى امرأته، وقد جعل الحصن مسجدا، وبنيت حوله دور للمجاورين به، واتصلت العمارة به من كل جانب، ولهم قناة ماء ضعيفة، وبهذه القرية ضيافة دائمة وطباخ وخباز وخدام مرتبون، وهم يقدمون العدىس بالزيت لكل من يأتى ويحضر عندهم من الفقراء، ويقدم إلى الأغنياء إذا أخذوا.

ولقد أتيت لى أن أرى هذه الصورة التى رسمها أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسى فى كتاب البدائع، رأيتها بعينى رأسى، ورأيت الأحجار الضخمة التى فى السور المحيط بالمقام الطاهر، التى قيل أن الجن قد بنوها بأمر سليمان عليه السلام، ورأيت أشجار الفاكهة يعج بها الطريق إلى مدينة الخليل،  
التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٥٦

والكروم الجبلية النابتة بين صخور الجبال تنتج الأعناب التى لا تقارن بها أعناب تنبت فى أى بلد آخر.

وإنك لتسمع من كل خليلى إذا رأته و صفا لعنب الخليل و افتخارا بهذا اللون من الفاكهة التى يظهرها الله لا على كرم عال بل على كرم ملاصق للأرض متغلغل فى أحشاء الجبل، ويسقى بماء من عند الله حيث لا جدول يسقيه ولا نهر يرويه، بل الطبيعة تظهره و تنميه شهيا للآكلين. و أخبرنى سماحة مأمور أوقاف الخليل أنه قد جرت العادة أن تولم مأمورية الأوقاف وليمه أسبوعية فى يوم الأربعاء تقدم فيها حساء الخليل للفقراء و المساكين، و يصفونها بكونها أطيب ما عرف الناس من ألوان الحساء، و تمنى الرجل على أن أزور مدينة الخليل فى يوم الأربعاء لأرى بنفسى إقبال الناس عليها فقراء و أغنياء، لأن الأغنياء يحرصون على أن يشتركوا فى تذوقها و لو القليل منها تيمنا و تبركا، و تمنى سماحته أن أشهد معه وليمه الحساء فأذوق طعمها، و أنعم بيمينها و بركتها، و لولا اضطرارى للسفر فى يوم الثلاثاء إلى بيروت لبقيت على مقربة من مدينة الخليل حتى يوم الأربعاء، و كان لى شرف شهود الوليمة التقليدية التى هى رمز لذلك الكرم المشهور الذى اتصف به خليل الله إبراهيم.

حكى الملك المؤيد إسماعيل صاحب حماة فى تاريخه فى وقائع سنة ثلاثة عشر و خمسمائة أن فى تلك السنة ظهر قبر إبراهيم عليه السلام و قبر و لديه إسحاق و يعقوب عليهما السلام أيضا بالقرب من بيت المقدس، و رأهم كثير من الناس لم تبل أجسادهم و عندهم فى المغارة قناديل من ذهب و فضة.

و جاء فيه أيضا بصحيفة (١٧٣) عند السور السليمانى ما نصه:

لما أتم سليمان عليه السلام تشييد بيت المقدس و بناء هيكله بالمسجد الأقصى، أمره الله سبحانه و تعالى أن يقصد إلى حيث يرقد خليله إبراهيم عليه الصلاة و السلام، فيقيم سورا حول قبره الشريف فذهب سليمان و معه رجاله و جنوده إلى تلك البقعة من أرض كنعان باحثا منقبا عن قبر الخليل فلم يهتد إليه، فعاد إلى بيت المقدس، فنزل عليه و حى الله أنه حيث يرى عمودا من نور هابطا من السماء إلى الأرض يقع قبر إبراهيم، فقصد سليمان مرة أخرى إلى ذلك المكان، و هناك خيل إليه أنه يرى نورا فى موضع اسمه (الرامة) بالقرب من مدينة الخليل من جهة الشمال قبلى قرية حلحول، و هناك أمر الجنود فبنوا سورا على مقربة من قبر يونس عليه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٥٧

السلام، فأوحى الله إليه أن ليس المكان الذى بنى عنده السور قبر إبراهيم، و أمره أن يتعقب النور المتدلى من السماء إلى الأرض، و

أن يبنى السور حوله، فأخذ سليمان يبحث و ينقب حتى اهتدى إلى المكان على مرتفع من الأرض في مدينة حبرون، و تعقب النور فوجده هو و تثبت منه، فأمر رجاله من الإنس و الجن، فبنوا السور العظيم الذى يعد من العجائب بما حوى من الأحجار التى تذهل الناظر ضخامتها و قد اعتبر الحرم المحاط بالسور مسجدا.

و قد روى عن ابن عمر رضى الله عنه أنه قال: إن آدم عليه السلام، رأسه عند الصخرة الشريفة و رجلاه عند مسجد إبراهيم الخليل عليه السلام، و لمسجد الخليل عليه الصلاة و السلام، ما لكل المساجد من حق صلاة الجماعة فيه و جواز الاعتكاف به، و تحريم المكث على الحائض، و تحريم دخول الجنب الخ، بل إنه أعمر بيوت الله و أكثرها بركة بمن رقد تحته من السادة الأنبياء سلام الله عليهم.

قال قاضى القضاة أبو اليمن القاضى الحنبلى: و هذا المقام الكريم الذى هو داخل السور السليمانى طوله فى سعته قبله بشمال من صدر المحراب الذى عند المنبر إلى صدر المشهد الذى به ضريح سيدنا يعقوب عليه السلام، ثمانون ذراعا بذراع العمل ينقص يسيرا نحو نصف ذراع أو ثلثى ذراع تقريبا، و عرضه شرقا يقرب من السور الذى به باب الدخول إلى صدر الرواق الغربى الذى به شباك يتوصل منه إلى ضريح يوسف عليه السلام، نحو ثلث ذراع أو نصف ذراع تقريبا بذراع العمل المذكور، و هو الذراع الذى تدرع به الأبنية فى هذا العصر، و سمك السور ثلاثة أذرع و نصف من كل جانب و عدد مداميكه فى البناء خمسة عشر مداماكا من أعلى الأماكن، و هو الذى عند باب القلعة من جهة الغرب إلى القبلة، و ارتفاع البناء عن الأرض من المكان المذكور ست و عشرون ذراعا بذراع العمل، و يوجد غير البناء الرومى الذى فوق السليمانى حجر عند مكان الطبلخانة طوله أحد عشر ذراعا و عرض كل مداماكا من البناء السليمانى نحو ذراع و ثلثى ذراع و على السور المذكور مغارتان إحداها من جهة الشرق مما يلي القبلة، و الثانية من جهة الغرب مما يلي الشمال و بناؤها فى غاية اللطف.

يشتمل المسجد على بناء معقود من داخل السور على نحو النصف من جهة القبلة إلى جهة الشمال، و البناء من عهد الروم و هو ثلاثة أكوار الأوسط منها مرتفع عن الكورين الملاصقين له من جهة الشرق و الغرب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٥٨

و يرتفع السقف على أربعة أسوار محكمة البناء، و فى صدر هذا البناء المعقود تحت الكور الأعلى يوجد المحراب إلى جانبه المنبر، و هو مصنوع من الخشب الفاخر، و يعد آية من آيات الصناعة المتقنة و الجمال الفنى، و قد وضع فى زمن المستنصر بالله أبى تميم معد الفاطمى، خليفة مصر، بأمر بدر الجمالى مدير دولته، و قد تم صنع المنبر فى سنة أربع و ثمانين و أربعمائه، و قد كتب عليه تاريخ صنعه بالخط الكوفى، و قد أمر بنقل المنبر إلى مسجد الخليل الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، و توجد تجاه المنبر أريكة للمؤذنين قائمة على عمد رخامية تعتبر نموذجا للصنع الباهر الجميل.

و على الجدران من الجهات الأربع رخام مستدير، و قد صنع فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة اثنتين و ثلاثين و سبعمائة.

و تقع قبور الأنبياء صلوات الله عليه و سلامه، تحت بناء المسجد على النظام الآتى: إلى جانب السارية التى عند المنبر قبر إسحاق عليه السلام، و أمامه قبر زوجته رفقة أو ريقه رضى الله عنها، إلى جانب السارية الشرقية، و يمكن اعتباره بناء قائما بذاته.

و لهذا البناء ثلاثة أبواب تنتهى إلى صحن المسجد، أحدها و هو الأوسط ينتهى إلى الحجرة الخليلية الجليلية و هو مكان معقود على جدرانته رخام مستدير به إلى جهة الغرب الحجرة الشريفة التى بداخلها قبر الخليل صلى الله عليه و سلم، و تجاهه شرقا قبر زوجته السيدة سارة رضى الله عنها، و فى آخر الساحة شمالا ضريح يعقوب عليه السلام، و أمامه شرقا قبر زوجته لائقة رضى الله عنها. و بداخل السور أيضا مقام ليوسف الصديق عليه السلام، و قد قيل إنه مدفون خارج المغارة و لكن لم يصح أى دليل على أن قبر يوسف الصديق بهذا المكان.

والأرضية التي بداخل السور مفروشة كلها بالبلاط السلیمانی البديع، و يوجد بظاهر السور السلیمانی شرقا مسجد جميل بناه أبو سعيد سنجر الجاولی ناظر الحرمین الشریفین نائب السلطنة في زمانه، فعرف هذا المسجد باسم الجاولية، و هو من العجائب لأنه قائم في الجبل، و قد قيل إنه كان مقبرة يهود قائمة على هذا الجبل، فحرف الجاولی مكانها بعد أن هدمها و بنى سقفا و قبة و أحالها مسجدا، و قد كتب على أحد جدرانها أن سنجر عمر هذا المسجد من حر ماله، و لم ينفق عليه شيئا من مال الحرمین.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٥٩

و يوجد قبلى الجاولية مطبخ تطهى فيه أكلة الدشيشة لزوار الخليل، عليه الصلاة و السلام، و على باب المطبخ تدق الطبلخانة (الطبول) في كل يوم بعد صلاة العصر عند مد السماط الكريم، و هذا السماط من عجائب التقاليد إذ يقد إليه سكان البلدة و ضيوفها، و يصنع فيه خبز يوزع يوميا ثلاث مرات: الأول في الصباح الباكر، و الثانية بعد الظهر، و الثالثة بعد العصر.

و قد تقدم القول أن الأصل في هذا السماط و دق الطبول لدعوة الناس إليه، إذ أن إبراهيم صلى الله عليه و سلم، كانت تفتد إليه جموع الضيافة من كل مكان، فيصنع لهم الطعام و يوزعهم على عدة منازل للإقامة فيها، فإذا حان وقت تناول الطعام دقت لهم الطبول إشعارا لهم بأن الطعام مهيبا للضيوف في رحابه الفسيحات صلى الله عليه و سلم.

انتهى كل ذلك من كتاب أبى الأنبياء إبراهيم الخليل، عليه الصلاة و السلام.

نقول: إن ما ذكره من وجود إبراهيم الخليل، عليه الصلاة و السلام، و من معهم من الأنبياء، عليهم الصلاة و السلام، في المغارة غير بعيد الوقوع مطلقا، فإننا قد شاهدنا في زماننا هذا و سمعنا كثيرا عن وجود بعض أمواتنا في قبورهم بكامل أجسادهم و أكفانهم لم يمسه البلاء، نعم إن الكثير و الغالب من الأموات يفتنون بعد مدة من دفنهم حتى لا يبقى لهم أى أثر، و الله سبحانه و تعالى أكرم من أن يسلب على أجساد أنبيائه و أصفياه من العلماء العاملين و العباد المخلصين الأرض و الأرضة.

فقد جاء في كتاب «وفاء الوفاء» و روى البخارى في الصحيح من حديث هشام بن عروة عن أبيه قال: لما سقط عنهم الحائط زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا في بنائه، فبدت لهم قدم، ففزعوا و ظنوا أنها قدم النبي صلى الله عليه و سلم، فما وجدوا أحدا يعلم ذلك، حتى قال لهم عروة: لا و الله ما هي قدم النبي صلى الله عليه و سلم، ما هي إلا قدم عمر.

و يستفاد مما تقدم أن السبب في هذا البناء سقوط الجدار المذكور بنفسه، و لعله بسبب المطر المشار إليه في الرواية المتقدمة، و يخالفه ما رواه أبو بكر الأجرى من طريق شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة قال: أخبرنى أبى قال: كان الناس يصلون إلى القبر، فأمر به عمر بن عبد العزيز فرفع حتى لا يصل إليه أحد، فلما هدم بدت قدم بساق و ركبته، ففزع عمر بن عبد العزيز، فأتاه عروة فقال: هذا ساق عمر و ركبته، فسرى عن عمر بن عبد العزيز، انتهى من الكتاب المذكور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٦٠

و جاء أيضا في الجزء الأول من تاريخ الخميس ما يأتى:

قال ابن إسحاق: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال يومئذ: - أى يوم دفن قتلى أحد- حين أمر بدفن القتلى، انظروا عمرو بن الجموح و عبد الله بن عمرو بن حرام، فإنهما كان متصافيين في الدنيا فاجعلوهما في قبر واحد.

و ذكر مالك بن أنس في موطنه: أن السيل حفر قبرهما بعد زمان فحفر عنهما ليغرا من مكانهما فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس، و كان أحدهما قد جرح فوضع يده على جراحته فدفن و هو كذلك فأميطت يده عن جرحه فانبعث الدم ثم أرسلت فرجعت كما كانت، و كان بين يوم أحد و بين يوم حفر عنهما ست و أربعون سنة.

و فى الصفوة عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: لما أراد معاوية أن يجرى عينه التى بأحد، كتب إلى عامله بالمدينة بذلك، فكتبوا إليه، إنا لا نستطيع أن نخرجها إلا على قبور الشهداء، فكتب معاوية: انبشوهم، قال جابر: فلقد رأيتهم يحملون على أعناق الرجال كأنهم قوم نيام، و أصابت المسحاة طرف رجل حمزة فانبعثت دما، و فى المنتقى مثله. انتهى من تاريخ الخميس.

و على كل حال مسائل البرزخ و القبور من الغيبات التي ينبغي عدم الخوض فيها إلا بمقدار ما ورد به الشرع الشريف صريحا. نسأل الله عز شأنه أن يكرمنا في الحياة و في الممات بما هو أهله بفضلله و رحمته إنه بعباده لطيف خبير. سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.

### البنية الثالثة: بناء شيت عليه الصلاة و السلام الكعبة

بعد موت آدم عليه الصلاة و السلام، بنى الكعبة الغراء ولده شيت عليه السلام، لكن الإمام الأزرقى لم يذكر ذلك باسمه الصريح، و إنما ذكر أن أبناء آدم بنوا الكعبة من بعده إلى زمان الطوفان.

و هذا نص ما ذكره الأزرقى في تاريخه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثنا جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن وهب بن منبه أنه قال: لما رفعت الخيمة التي عزى الله بها آدم من حلية الجنة حين وضعت له بمكة في موضع البيت و مات آدم، عليه السلام، فبنى بنو آدم من بعده مكانها بيتا بالطين و الحجارة فلم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٦١

يزل معمورا يعمرونه هم و من بعدهم حتى كانوا زمن نوح، عليه السلام، فنسفه الغرق و غير مكانه حتى بوئ لإبراهيم عليه السلام. انتهى ما ذكره الأزرقى.

و وهب بن منبه المذكور كان من أحبار اليهود ثم أسلم فأخذت الصحابة عنه أخبار من سلف من الأمم.

قال صاحب «تاريخ الكعبة المعظمة»: ذكر السهيلي في «روض الأنف» أن أول من بنى البيت شيت ا.ه. و المعنى أن أول من بناه بعد آدم من أولاده شيت عليهما السلام. انتهى.

جاء في تاريخ الخميس ما نصه: و في الاكتفاء: أن شيت بن آدم هو أول من بنى الكعبة و أنها كانت قبل أن يبنها خيمة من ياقوته حمراء يطوف بها آدم و يأنس بها لأنها أنزلت إليه من الجنة فرفعت و كان قد حج إلى موضعها من الهند. انتهى من الكتاب المذكور. و شيت هو ابن آدم و هو نبي أنزل الله عليه خمسين صحيفة، فلا يستبعد أن يأمره الله تعالى ببناء البيت بعد أبيه آدم، و قد مات أبونا آدم و عمره ألف سنة، و قيل: تسعمائة و ثلاثون سنة على ما في التوراة، و لقد ولد شيت و عمر آدم مائة و ثلاثون سنة.

جاء في تاريخ ابن كثير المسمى «البداية و النهاية» ما نصه: قال محمد بن إسحاق، و لما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيت و علمه ساعات الليل و النهار، و علمه عبادات تلك الساعات، و أعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك. قال:

و يقال أن انتساب بنى آدم اليوم كلها تنتهى إلى شيت و سائر أولاد آدم انقرضوا و بادوا. و الله تعالى أعلم. انتهى.

### البنية الرابعة: بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة

#### إشارة

قبل أن نتكلم على نفس بناء إبراهيم خليل الله الكعبة يجب أن نذكر طرفا من هجرته بابنه إسماعيل و أمه هاجر إلى مكة شرفها الله تعالى لأول مرة، حتى يكون الكلام كله منسقا مربوطا ببعضه ببعض، و لقد جاءت في كل ذلك روايات مختلفة الألفاظ لكنها متحدة المعنى و النتيجة، و نحن نأتى هنا بما هو مختصر مفيد كنا ذكرناه في كتابنا «مقام إبراهيم عليه السلام» المطبوع بمصر و هو هذا:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٦٢

## هجرة إبراهيم إلى مكة لأول مرة

كانت لسارة زوجة إبراهيم عليه السلام جارية اسمها «هاجر» (في القاموس هاجر بفتح الجيم أم إسماعيل صلى الله عليه وسلم و يقال لها آجر أيضا) و هي قبطية مصرية أهداها لها ذلك الملك الجبار الذي تقدم ذكره، فوهبتها لزوجها إبراهيم فولدت منه إسماعيل فكان أول ولده و بكره، فغارت سارة منها، لأنها لم تكن قد ولدت قط، ثم ولدت سارة إسحاق بعد ثلاث عشرة سنة من ولادة إسماعيل عليهما السلام، (و سارة بتخفيف الراء و قيل بتشديدها. قال في تاريخ الكامل لابن الأثير: إن سارة اسمها في التوراة سار أي أول الأمر، ثم سميت سارا لأن الهاء آخر الكلمة في العبرية لا ينطق بها، و نصها في العبرية ١٦٦ و معناه الأميرة و مذكوره ٦٢٢٢). ثم أنشدته سارة بالله أن يخرجها من عندها، فأمره الله عز و جل أن ينقلها إلى مكة، و أتى بالبراق فركب عليه هو و هاجر و إسماعيل و كان صغيرا يرضع، فخرج من الشام و معه جبريل عليه السلام يدله على موضع البيت و معالم الحرم حتى قدم مكة، و ليس بها أحد و لا بناء و لا ماء، و ما كانت مكة يومئذ إلا أعضاء من سلم و سمر فوضعها عند البيت و معها جراب من تمر و سقاء من ماء ثم انصرف إبراهيم راجعا إلى الشام فبعته هاجر و قالت له: إلى أين تذهب، و إلى من تتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أحد؟ قال: إلى الله عز و جل. قالت: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قال: إذا لا يضيعنا، ثم رجعت فانطلق إبراهيم ثم رفع يديه بالدعاء و قال: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ و أَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ.

(و هنا نكتة لطيفة) و هي أن أم إسماعيل عليه السلام، اسمها هاجر فكان لاسمها نصيب من الهجرة، فهاجرت من مصر إلى الشام و فلسطين ثم إلى مكة، فاستقرت بها و دفنت بأشرف مكان فيها. و في المثل «لكل مسمى من اسمه نصيب» اللهم اجل لنا من اسمنا أوفى نصيب بفضلك و إحسانك آمين يا رب العالمين.

ثم جلست هاجر مع ابنها إسماعيل تحت شجرة كبيرة في مكان بئر زمزم حتى إذا نفذ ذلك التمر و الماء عطشت هي و ولدها عطشا شديدا، فخافت على ولدها

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٦٣

الهلاك، فمشت بين الصفا و المروة سبع مرات و هي ترمل لعلها ترى أحدا، فعند ذلك جاء جبريل عليه السلام و ضرب بجناحيه مكان زمزم فخرج الماء فجعلت تحوط عليه و تقول: زمي زمي. و في الحديث: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم لكانت عينا معينا» ثم مرت بها قبيلة من جرهم فاستأذنها في النزول عندها و قالوا لها: أشركينا في مائك نشاركك في ألباننا ففعلت فتزلوا و أرسلوا إلى أهلهم فقدموا إليهم فتعلم إسماعيل منهم العريية، و كان يخرج معهم للصيد فأحبوه و زوجه بامرأة منهم، ثم ماتت أمه بعد ما تزوج و دفنت في الحجر و ذلك قبل بناء الكعبة.

جاء في صحيح البخارى في باب الشرب: عن ابن عباس رضى الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم، أو قال: لو لم تغرف من الماء لكانت عينا معينا، و أقبل جرهم فقالوا أتأذنين أن ننزل عندك قالت: نعم و لاحق لكم في الماء قالوا: نعم.

إن في قصة هاجر عبرة كبرى لأولى الألباب، إن من قوة إيمانها بالله تعالى، و تفويض الأمر إليه، بلا مناقشة زوجها، و من صبرها على الإقامة بمكة و حيدة فريدة لا أنيس معها و لا جليس و لا ماء و لا طعام، في هذا الفقر الموحش و في هذه البيداء الصامتة و الجبال المحيطة الشامخة، إن في ذلك عبرة لمن كان له قلب، و ذكرى لمن كان له سمع، لا- يمكن التعبير عنها بالقلم و لكن إذا وضع الإنسان نفسه مكانها و تصور حالته و هو في وسط هذه الصحراوات، و حيدا فريدا، ليل نهار، بلا طعام و لا ماء، و لا بيت يأوى إليه، و لا طير و لا وحش و لا طارق يطرق عليه، و لا يدرى ما الله صانع به، فإنه يخرج من تأملاته بنتيجة يسطرها بماء الذهب. فتأمل جيدا و تصور طويلا فإن ذلك مما يزيد الإنسان إيمانا بالله و ثقة برحمته الله و اطمئنانا إلى لطف الله و فضله.



## إكرام إبراهيم عليه السلام لزوجته سارة

كان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، يحب زوجته سارة لقرباتها منه ولدينها وحسبها وجمالها، فكان يكرمها ويعتنى بأمرها كثيرا، حتى إنه ما كان يأتي مكة لزيارة ابنه إسماعيل وأمه هاجر إلا بعد أن يستأذن سارة فتأذن له وتشتط عليه أن لا ينزل عندها فيوفى لها بهذا الشرط كما تقدم. وليس معنى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٦٤

ذلك أنه كان تحت أمر زوجته سارة خاضعا لإرادتها كما يخضع أهل زماننا لزوجاتهم في كل شيء، فإن ذلك لا يجوز عليه، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام منزهون عن الخضوع والطاعة لزوجاتهم لمجرد الهوى وحب النفس، وبالأخص خليل الله الذي أعطى النظر في ملكوت السموات والأرض، وإنما كان استئذانه منها لزيارة ابنه إسماعيل وأمه هاجر لأمر أربعة: (الأول): أن بينه وبين زوجته سارة صلة قرابة وكانت ذات دين وحسب.

(الثاني): أن هاجر كانت أمه مملوكة لسارة فوهبتها لزوجها إبراهيم فدخل بها فحملت منه بإسماعيل.

(الثالث): لما ولدت هاجر إسماعيل اشتدت غيرة سيدتها سارة منها؛ لأنها لم تكن قد ولدت بعد، وهذا أمر طبيعي في جميع النساء، فطلبت من زوجها أن يبعدها عنها، فأمره الله تعالى أن ينقل هاجر بابنها إسماعيل إلى مكة.

(الرابع): أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لعل خلق عظيم وشمائل سامية، وفي الحديث الشريف: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» فليس من اللائق أن يزور إبراهيم عليه السلام ولده إسماعيل وأمه هاجر بمكة من غير أن يخبر بذلك زوجته سارة التي هي سيدة هاجر وهي التي وهبتها له. فهذه الأمور مما يدعو إبراهيم عليه السلام إلى جبر خاطر زوجته بالاستئذان منها للزيارة.

ثم إن سارة الكثيرة الغيرة من أمتها لا تلام إذا اشترطت على زوجها، في زيارته لها ولولدها بمكة، أن لا ينزل من البراق بل يكتفى برؤيتهما ليطمئن عليهما ثم يرجع من ساعته، وسارة كانت واثقة تمام الثقة من وفاء زوجها بما اشترطته عليه، ولا يبعد أن يكون كل ذلك بأمر الله عز وجل بدليل أن هاجر ما كانت تتألم وتشكو من هذه المعاملة، ونبي الله إبراهيم ما كان يتبرم من سارة لقسوتها على أمتها هاجر، وجبريل الذي يدل على الطريق بالبراق ويلزمه في سفره ذهابا وإيابا ما كان ليأمره بمخالفة زوجته سارة واللبث عند هاجر ولو يوما واحدا، فحالات الأنبياء لا تقاس على أحوالنا، ولقد كانت عاقبة صبر هاجر محمودة، فجاءها خير كثير، والظاهر، والله تعالى أعلم بالغيب، أن سارة كانت تخشى إن نزل زوجها عند هاجر أن يقربها فتحمل منه ثانيا فتلتهب سارة غيرة منها، ومن هنا يفهم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يقرب هاجر منذ أن أسكنها مكة والله أعلم، على أنه دام الاشتراط عليه حتى بعد وفاة هاجر فما كان ينزل عند

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٦٥

إسماعيل ولا عند زوجته لا الأولى ولا الثانية. وأما نزوله الأخير عند ولده إسماعيل فلم يكن هناك شرط عليه لأن نزوله كان بأمر الله تعالى لبناء بيته الحرام، ولا ندرى أكانت سارة في هذه المرة الأخيرة على قيد الحياة أم أنها كانت توفيت.

ثم إن إبراهيم خليل الله عليه السلام، لا يعقل بعد أن قبل اشتراط زوجته سارة في عدم النزول عند أمتها هاجر بمكة أن يخونها بالغيب فينزل عندها، لأن مقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجل من ذلك. ومن أوفى من الأنبياء الكرام بالوعد، وبالأخص من قال الله عز وجل في حقه: وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى.

هذه جملة أتينا بها استطرادا خوفا من أن تزل قدم من لم يتمكن من معرفة مقامات الأنبياء المعصومين، عليهم الصلاة والسلام، فيظن أن خليل الله إبراهيم أبا الأنبياء كان يخضع لأوامر زوجته اتباعا لهوى النفس وهو الذي قام بتنفيذ أمر الله تعالى في ذبح ابنه إسماعيل. نسأل الله السلامة من الخطأ والزلل، والحفظ من الفتن الظاهرة والباطنة، وأن يفتح علينا فتوح العارفين، وأن ينعم علينا بما

أنعم به على عباده الصالحين آمين، و صلى الله على سيدنا محمد أبو القاسم الأمين و على آله و صحبه أجمعين.

ثم إن إبراهيم عليه الصلاة و السلام جاء من الشام يقول حتى أطالع تركتى فقدم مكة فوجد امرأة إسماعيل فسألها عنه فقالت: هو غائب و لم تحسن مقابلته و لم تضيفه و قالت له: نحن فى ضيق شديد و شكنت إليه. فقال لها: قولى لإسماعيل قد جاء بعدك شيخ كذا و كذا و هو يقرأ عليك السلام و يقول لك: غير عتبه بيتك.

فقالت ذلك لإسماعيل فقال لها: أنت عتبه بيتى فارجمى إلى أهلك ثم تزوج بأخرى، ثم جاء إبراهيم إلى مكة فوجد إسماعيل غائبا و وجد امرأته الأخرى و هى رعله بنت مضاض بن عمرو الجرهمى و قد جاءته باثنى عشر ابنا. و مضاض هو أول من صار إليه أمر البيت بعد نابت بن إسماعيل، عليه السلام، و كان ملك جرهم و المطاع فيهم، فسألها عنه فقالت له: ذهب إسماعيل يتصيد و هو يجيء الآن إن شاء الله فانزل يرحمك الله فلم ينزل فجاءته بحجر (قيل و هو المقام) فوضعتة عن شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولته إلى شقه الأيسر فبقى أثر قدميه على الحجر ثم أضافته و أكرمته و عرضت عليه الطعام و الشراب. فقال: ما طعامكم و ما شرابكم؟ قالت: اللحم و الماء. قال: هل من حب أو غيره من الطعام؟ قالت: لا. قال: بارك الله لكم فى اللحم و الماء. قال

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٦٦

ابن عباس يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: لو وجد عندها يومئذ حبا لدعا لهم بالبركة فيه فكانت أرضا ذات زرع. قال سعيد بن جبير: و لا يخلى أحد على اللحم و الماء فى غير مكة إلا وجع بطنه و إن أخلى عليهما بمكة لم يجد كذلك أذى. ا ه من الأزرقى. ثم رجع إبراهيم و قال لها: قولى لإسماعيل قد جاء بعدك شيخ فقال:

إنى وجدت عتبه بيتك صالحه فأقررها. فلما رجع إسماعيل إلى أهله قال: هل جاءكم بعدى أحد؟ قالت: نعم قد جاء بعدك شيخ كذا و كذا و أشفقت عليه و يقول لك: إنى وجدت عتبه بيتك صالحه فأقررها. قال لها: ذاك أبى و أمرنى أن أمسكك، و كان إبراهيم عليه السلام، يأتى مكة كل مرة راكبا البراق و جبريل يدلّه على الطريق. انتهى كل ذلك من كتابنا مقام إبراهيم عليه السلام.

و قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام، مع ذلك الجبار المتقدم ذكره الذى وهب هاجر لساره مذكوره فى البخارى و مسلم و نحب ذكر الحديث الصحيح هنا زيادة فى البيان و الفائدة، و نقله من بعض الشرح من كتاب شيخنا العلامة المحدث الشهير الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى رحمه الله تعالى، المسمى «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» و قد شرحه شيخنا المذكور أيضا و هو هذا:

جاء فى الصحيحين و اللفظ للبخارى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة و السلام إلا ثلاث كذبات، اثنتين منهن فى ذات الله عز و جل قوله: إني سَيِّئٌ و قوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، و قال: بينا هو ذات يوم و ساره إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له: إن ههنا رجلا- معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختى فأتى ساره فقال: يا ساره: ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى و غيرك و إن هذا سألتى فأخبرته أنك أختى فلا تكذبنى فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال:

ادعى الله لى و لا أضرك. فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال: ادعى الله لى و لا أضرك، فدعت الله فأطلق. فدعا بعض حجبه فقال: إنكم تأتونى بإنسان أتيتونى بشيطان. فأخدمها هاجر فأتته و هو قائم يصلى فأوماً بيده مهيم قال: رد الله كيد الكافر أو الفاجر من نحره و أخدم هاجر» رواه أبو هريرة، رضى الله تعالى عنه.

و لفظ الكذب فى الحديث ليس على ظاهره إذ يستحيل على الأنبياء، عليهم الصلاة و السلام الكذب، و إنما أطلق عليه الكذب تجوزا لمجيئه على صورة الكذب

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٦٧

لا حقيقة. و الكذب ينقسم على أقسام حكم الشرع الخمسة كما هو مفصل فى محله.

و معنى كلمة «مهيم» الواردة في الحديث أى ما الخبر، و هى بفتح الميم و سكون الهاء و فتح الياء و سكون الميم، و فى رواية «مهيا» بالألف و فى أخرى «مهين» بالنون و كلها بمعنى واحد، و يقال: إن إبراهيم الخليل عليه السلام، أول من قال هذه الكلمة، و معنى إبراهيم بالسريانية أب رحيم، و اسم ذلك الجبار صادق فيما ذكره ابن قتيبة و هو ملك الأردن أو سنان أو سفيان بن علوان فيما ذكره الطبرى أو عمرو بن امرئ القيس بن سبأ و كان على مصر فيما ذكره السهيلي.

و إلى قصة هذا الحديث الصحيح أشار صاحب نظم عمود النسب بقوله:

و مر فى فراره على الذى غصب سارة و لم تستنقذ

إلا بشل يده و صرعه و عصمت سارة من طبعه

و من وراء الحجب الخليل عاين أن عصمه الجليل

و أتحت الملك زوجة الخليل بهاجر و أتحت بها الخليل

و سببت من ملك القبط ابنته هاجر ذى و أنجبت ريحاته

إذ ولدت أبا عمود النسب و لا محيد عنه للمستعرب

قوله: من طبعه هو بفتح الباء مصدر من باب تعب، و هو الدنس أى:

عصمت من دنسه، و قوله: إذ ولدت أبا عمود النسب، أى: عمود نسب نبينا محمد صلى الله عليه و سلم و هو إسماعيل عليه السلام و هو أبو عدنان جميعا بالاتفاق، و لذا قال: و لا محيد عنه للمستعرب أى للعرب المستعربة جميعا.

انتهى من كتاب «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» و قد شرح هذا الحديث شرحا وافيا شيخنا صاحب الكتاب المذكور، فمن أراد زيادة الإيضاح فليرجع إليه.

قال الأزرقي فى تاريخه: حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى محمد بن إسحاق قال: لما أمر إبراهيم خليل الله تعالى أن يبنى البيت الحرام أقبل من أرمينية على البراق معه السكينة لها وجه تتكلم، و هى بعد ريح هفافة، و معه ملك يدلّه على موضع البيت حتى انتهى إلى مكة و بها إسماعيل و هو

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٦٨

يومئذ ابن عشرين سنه و قد توفيت أمه قبل ذلك و دفنت فى موضع الحجر، فقال:

يا إسماعيل إن الله تعالى قد أمرنى أن أبني له بيتا، فقال له إسماعيل: و أين موضعه؟

قال: فأشار له الملك إلى موضع البيت قال: فقاما يحفران عن القواعد ليس معهما غيرهما فبلغ إبراهيم الأساس، أساس آدم الأول فحفر عن ربض فى البيت فوجد حجارة عظاما ما يطبق الحجر منها ثلاثون رجلا، ثم بنى على أساس آدم الأول و تطوقت السكينة كأنها حية على الأساس الأول، و قالت: يا إبراهيم: ابن على، فبنى عليها، فلذلك لا يطوف بالبيت أعرابى نافر و لا جبار إلا رأيت عليه السكينة. فبنى البيت و جعل طوله فى السماء تسعة أذرع و عرضه فى الأرض اثنين و ثلاثين ذراعا من الركن الأسود إلى الركن الشامى الذى عند الحجر من وجهه و جعل عرض ما بين الركن الشامى إلى الركن الغربى الذى فيه الحجر اثنين و عشرين ذراعا، و جعل طول ظهرها من الركن الغربى إلى الركن اليمانى أحد و ثلاثين ذراعا و جعل عرض شقها اليمانى من الركن الأسود إلى الركن اليمانى عشرين ذراعا، فلذلك سميت الكعبة لأنها على خلقه الكعب. قال: و كذلك بنى أساس آدم عليه السلام، و جعل بابها بالأرض غير مبوب حتى كان تبع (أسعد الحميرى) هو الذى جعل لها بابا، و غلقا فارسيا، و كساها كسوة تامه، و نحر عندها.

نقول: قال الأزرقي فى صحيفة ٢٧ من تاريخه: إن إبراهيم عليه الصلاة و السلام لما بنى الكعبة جعل طولها فى الأرض أحد و ثلاثين ذراعا، و قال فى صحيفة ١٩٤ جعل طولها فى الأرض من ثلاثين ذراعا، فتنبه لذلك مع العلم بأن الفرق بين عبارتيه قليل جدا.

ثم قال الأزرقي: و جعل إبراهيم عليه السلام الحجر إلى جنب البيت عريشا من أراك تفتحمه العنز، فكان زربا لغنم إسماعيل، قال: و

حفر إبراهيم عليه السلام جبا في بطن البيت على يمين من دخله يكون خزانه للبيت يلقي فيه ما يهدى للعكبة و هو العجب الذي نصب عليه عمرو بن لحي، هبل، الصنم الذي كانت قريش تعبده و يستقسم عنده بالأزلام حين جاء به من هيت من أرض الجزيرة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٦٩

قال: و كان إبراهيم يبنى و ينقل له إسماعيل الحجارة على رقبته فلما ارتفع البنيان قرب له المقام فكان يقوم عليه و يبنى و يحوله إسماعيل في نواحي البيت حتى انتهى إلى موضع الركن الأسود. قال إبراهيم لإسماعيل: يا إسماعيل ابغنى حجرا أضعه هاهنا يكون للناس علما يتدثون الطواف. فذهب إسماعيل يطلب له حجرا و رجع و قد جاءه جبريل بالحجر الأسود و كان الله عز و جل استودع الركن أبا قبيس حين غرق الله الأرض زمن نوح، و قال: إذا رأيت خليلي يبنى بيتي فأخرجه له. قال: فجاءه إسماعيل فقال له: يا أبة من أين لك هذا؟ قال: جاءني به من لم يكلني إلى حجر ك جاء به جبريل. فلما وضع جبريل الحجر في مكانه و بنى عليه إبراهيم و هو حينئذ يتلأأ تلاًأ من شدة بياضه فأضاء نوره شرقا، و غربا، و يمنا، و شاما. قال: فكان نوره يضيء إلى منتهى أنصاب الحرم من كل ناحية من نواحي الحرم. قال: و إنما شدة سوداه لأنه أصابه الحريق مرة بعد مرة في الجاهلية و الإسلام.

فأما حريقه في الجاهلية، فإنه ذهبت امرأة في زمن قريش تجمر الكعبة فطارت شرارة في أستار الكعبة فاحترقت الكعبة و احترق الركن الأسود، و اسود و توهنت الكعبة، فكان هو الذي هاج قريشا على هدمها و بنائها. و أما حرقه في الإسلام ففي عصر ابن الزبير أيام حصاره الحصين بن نمير الكندي، احترقت الكعبة و احترق الركن فتفلق بثلاث فلق حتى شد شعبه ابن الزبير بالفضة فسواده لذلك. قال: و لولا ما مس الركن من أنجاس الجاهلية و أرجاسها ما مسه ذو عاهة إلا شفى. قال سعيد بن سالم: قال ابن جريج: و كان الزبير بنى الكعبة من الذرع على ما بناها إبراهيم عليه السلام قال: و هي مكعبة على خلقه الكعب فلذلك سميت الكعبة. قال: و لم يكن إبراهيم سقف الكعبة و لا بناها بمدر و إنما رضمها رضمًا.

حدثني جدى قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن نجيح عن مجاهد قال:

السكينة لها رأس ك رأس الهرة، و جناحان. حدثني مهدي بن أبي المهدي قال:

حدثنا بشر بن السرى قال: حدثنا قيس بن الربيع عن سلمة بن كهيل عن أبي الأحوص عن علي بن أبي طالب قال: السكينة، لها رأس ك رأس إنسان ثم هي بعد ریح هفافة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٧٠

حدثنا مهدي بن أبي المهدي قال: حدثنا الغزاري عن جوير عن الضحاك قال: السكينة الرحمة. انتهى كل ذلك من تاريخ الأزرقى.

### قصة إبراهيم عليه الصلاة و السلام و بناء الكعبة

جاء في صحيح البخارى في كتاب الأنبياء في باب يزفون النسلان في المشى:

عن سعيد بن جبير قال ابن عباس: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً لتعفى أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم و بابنها إسماعيل و هي ترضعه، حتى وضعها عند البيت، عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد، و ليس بمكة يومئذ أحد، و ليس بها ماء فوضعها هنالك، و وضع عندهما جرابا فيه تمر، و سقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب و تتركنا بهذا الوادى، الذى ليس فيه إنس و لا شىء، فقالت له ذلك مرارا و جعل لا يلتفت إليها. فقالت له: الله الذى أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت:

إذا لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبال بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات و رفع يديه فقال: رَبَّنَا إِنِّي أَشْكُنْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ حَتَّى بَلَغَ: يَشْكُرُونَ، و جعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل و تشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما فى السقاء عطشت و عطش ابنها، و جعلت تنظر إليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت

الصفاء أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فذلك سعى الناس بينهما» فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت: صه تريد نفسها ثم تسمعت، فسمعت أيضا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه أو قال بجناحه، حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه و تقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال: لو لم تغرف التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٧١

من الماء لكانت زمزم عينا معينا» قال: فشربت و أرضعت ولدها، فقال لها الملك:

لا- تخافوا الضيعة، فإن هاهنا بيت الله بيني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعا من الأرض كالراية تأتيه السيول، فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائرا عائفا فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريا أو جريين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا، قال: و أم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم.

قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: فألقى ذلك أم إسماعيل وقد أحبت الأوس، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، و شب الغلام و تعلم العربية منهم، و أنفسهم و أعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجته امرأة منهم، و ماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يتغنى لنا، ثم سألتها عن عيشهم و هيئتهم، فقالت: نحن بشر نحن في ضيق و شدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، و قولي له يغير عتبه بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم! جاءنا شيخ كذا و كذا فسألنا عنك فأخبرته، و سألتني كيف عيشنا، فأخبرته أنا في جهد و شدة، قال:

فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم! أمرني أن أقرأ عليك السلام، و يقول: غير عتبه بابك، قال: ذاك أبي و قد أمرني أن أفارقك، الحقى بأهلك فطلقها، و تزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج يتغنى لنا، قال: كيف أنتم؟ و سألتها عن عيشهم و هيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، و أنت على الله. فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شربكم. قالت: الماء. قال: اللهم بارك لهم في اللحم و الماء.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «و لم يكن لهم يومئذ حب، و لو كان لهم دعا لهم فيه»، قال:

فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، و مريه يشب عتبه بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٧٢

قالت: نعم: أتانا شيخ حسن الهيئة و أنت عليه، فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم! هو يقرأ عليك السلام، و يأمرك أن تثبت عتبه بابك، قال: ذاك أبي و أنت العتبه أمرني أن أمسكك، ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك، و إسماعيل يبى نبلا له تحت دوحه قريبا من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد و الولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: و تعينني قال: و أعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا، و أشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة و إبراهيم

يبنى حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر، فوضعه له فقام عليه و هو بينى و إسماعيل يناوله الحجارة و هما يقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم قال: فجعلنا بينان حتى يدورا حول البيت و هما يقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. و جاءت هذه القصة فى البخارى أيضا برواية أخرى، و هى:

حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو، قال: حدثنا إبراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما كان بين إبراهيم و بين أهله ما كان، خرج بإسماعيل و أم إسماعيل، و معهم شنة فيها ماء فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة، فيدر لبنها على صبيها، حتى قدم مكة فوضعها تحت دوحه، ثم رجع إبراهيم إلى أهله، فاتبعته أم إسماعيل، حتى بلغوا كداء، نادته من ورائه يا إبراهيم، إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله. قالت: رضيت بالله، قال: فرجعت فجعلت تشرب من الشنة و يدر لبنها على صبيها، حتى لما فنى الماء قالت: لو ذهبت فنظرت لعلى أحس أحدا، قال:

فذهبت فصعدت الصفا فنظرت و نظرت هل تحس أحدا، فلم تحس أحدا، فلما بلغت الوادى سعت و أتت المروة ففعلت ذلك أشواطاً، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل - تعنى الصبي - فذهبت فنظرت فإذا هو حاله كأنه ينشغ للموت، فلم تقرها نفسها، فقالت: لو ذهبت فنظرت، لعلى أحس أحدا، فذهبت فصعدت الصفا فنظرت و نظرت فلم تحس أحدا، حتى أتمت سبعا، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل فإذا هى بصوت، فقالت: أغث إن كان عندك خير، فإذا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٧٣

جبريل قال فقال بعقبه هكذا، و غمز عقبه على الأرض، قال فانبتق الماء، فدهشت أم إسماعيل فجعلت تحفر.

قال: فقال أبو القاسم صلى الله عليه و سلم: لو تركته كان الماء ظاهرا، قال: فجعلت تشرب من الماء و يدر لبنها على صبيها، قال: فمر ناس من جرهم ببطن الوادى، فإذا هم بطير كأنهم أنكروا ذاك، و قالوا: ما يكون الطير إلا على ماء فبعثوا رسولهم فنظر فإذا هم بالماء، فأتاهم فأخبرهم فأتوا إليها، فقالوا: يا أم إسماعيل أتأذنين لنا أن نكون معك أو نسكن معك، فبلغ ابنها فنكح فيهم امرأة.

قال: ثم إنه بدا لإبراهيم، فقال لأهله: إنى مطلع تركتى، قال: فجاء فسلم، فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد، قال: قولى له: إذا جاء، غير عتبه بابك، فلما جاء أخبرته قال: أنت ذاك فاذهبى إلى أهلك.

قال: ثم إنه بدا لإبراهيم، فقال لأهله إنى مطلع تركتى، قال: فجاء فقال:

أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد فقالت: ألا تنزل فتطعم و تشرب؟

فقال: و ما طعامكم و ما شرابكم؟ قالت: طعامنا اللحم و شرابنا الماء. قال: اللهم بارك لهم فى طعامهم و شرابهم، قال: فقال أبو القاسم صلى الله عليه و سلم: «بركة بدعوة إبراهيم» قال ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله: إنى مطلع تركتى فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلا له. فقال: يا إسماعيل إن ربك أمرنى أن أبنى له بيتا.

قال: أطلع ربك، قال: إنه قد أمرنى أن تعينى عليه، قال: إذا أفعل، أو كما قال، قال: فقاما فجعل إبراهيم بينى و إسماعيل يناوله الحجارة و يقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم قال: حتى ارتفع البناء، و ضعف الشيخ على نقل الحجارة، فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة و يقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. انتهى من صحيح البخارى.

و قال الشيخ عبد الله الغازى رحمه الله تعالى فى تاريخه ما نصه: و فى تفسير معالم التنزيل للعلامة أبى محمد الحسين بن محمد البغوى رحمه الله، قال الرواة: إن الله تعالى أمر إبراهيم بعد ما ولد له إسماعيل و إسحاق ببناء بيت يذكر فيه فسأل الله تعالى عز و جل أن يبين له موضعه، فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت و هى ریح خجوج لها إنسان شبيه الحية. فأمر إبراهيم أن يبنى حيث تستقر السكينة فتبعها إبراهيم حتى أتيا مكة فتطوفت السكينة على موضع البيت كتطوف الحنفه هذا قول على و الحسن. قال ابن عباس: بعث الله أنه سبحانه على قدر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٧٤

فجعلت تسير و إبراهيم يمشى فى طلبها إلى أن وافق مكة و وقفت على موضع البيت فنودى منها إبراهيم أن ابنى على ظلها لا تزد و تنقص، و قيل: و أرسل الله جبريل ليدله على موضع البيت فذلك قوله تعالى: **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ** فبنى إبراهيم و إسماعيل البيت، فكان إبراهيم بينه و إسماعيل يناوله الحجر، فذلك قوله تعالى: **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ** يعنى أسها واحد لنا قاعدة، و قال الكسائى: بصدد البيت قال ابن عباس: إنما بنى البيت من خمسة أجبل: طور سيناء و طور زيتا و لبنان، و هو جبل بالشام، و الجودى و هو جبل بالجزيرة، و بنيا قواعده من حراء، و هو جبل بمكة، فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود و قال لإسماعيل: ائتنى بحجر حسن يكون للناس علما فأتاه بحجر.

فقال: ائتنى بأحسن من هذا فمضى إسماعيل بطلبه، فصاح أبو قبيس: يا إبراهيم إن لك عندى وديعة فخذها، فأخذ الحجر الأسود فوضع مكانه. انتهى من تاريخ الغازى.

و جاء فى تاريخ الخميس ما نصه: و قال أهل الأخبار: إن هاجر كانت لسارة فوهبتها لإبراهيم إذ لم يولد له ولد منها، و قالت: عسى الله أن يرزقك منها ولدا.

فحملت هاجر بإسماعيل. فلما ولدته كان نور محمد صلى الله عليه و سلم لا معا من جبهته كما مر، فغارت سارة و قيل: إن إبراهيم أخبر سارة بأن الله وعده أن يرزقه ولدا طيبا و كانت ترجو أن يكون الولد منها فلما حملت هاجر بإسماعيل و ولدته و ظهر نور محمد صلى الله عليه و سلم فى وجهه، اغتمت سارة و حزنت حزنا شديدا و غارت عليها غيره ضاق بها صدرها، فناشدت إبراهيم أن يخرجها من عندها و جوارها فأوحى الله تعالى إلى إبراهيم أن يطيع سارة فى كل ما تقول و تأمر فى هاجر و إسماعيل، و حلفت سارة على أن تقطع ثلاثة من أعضاء هاجر، فلما علمت به هاجر تمنطقت و تهيأت للفرار.

قال ابن عباس: أول من اتخذ من النساء المنطقه أم إسماعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة، فأمر إبراهيم سارة أن تبر قسمها بثقب أذنيها و خفاضها ففعلت فصار ثقب الأذان و الخفاض سنة من النساء. كذا فى شفاء الغرام. انتهى من تاريخ الخميس. و المنطق على وزن منبر شقة تلبسها المرأة و تشد وسطها فترسل الأعل على الأسفل إلى الأرض و الأسفل ينجر على الأرض. و جاء فى تاريخ الخميس أيضا ما نصه:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٧٥

و فى معالم التنزيل، فوضعها إبراهيم عند البيت عند دوحه فوق زمزم فى أعلا المسجد، و ليس بمكة يومئذ أحد و ليس بها ماء و لا عمارة و لا زراعة.

و فى روايه، و وضعها عند تل ستنى الكعبه عليه. و فى الاكتفاء: فلما أراد إبراهيم أن يخرج و رأت أم إسماعيل أنه ليس بحضرتها أحد من الناس و لا ماء ظاهر تركت ابنها فى مكانه و تبعت إبراهيم، فقالت: يا إبراهيم إلى من تدعنا؟ فسكت عنها حتى إذا دنا من كداء قال: إلى الله عز و جل أدعكم قالت: فالله أمرك بهذا؟

قال: نعم! قالت: فحسبى تركتنا إلى كاف. و انصرفت هاجر إلى ابنها و خرج إبراهيم حتى وقف على كداء و لا بناء و لا ظل و لا شىء يحول دون ابنه، فنظر إليه فأدركه ما يدرك الوالد من الرحمه لولده فقال: **رَبَّنَا إِنِّي أَسِيَكْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيَتِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقُهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ.** و فى روايه: فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنيه حيث لا يرونه استقبل بوجهه إلى البيت بهذه الدعوات، و عن مجاهد: لو قال: أفئدة الناس لرحمتكم عليه فارس و الروم. و فى الكشاف قيل لو لم يقل "من" لآزدهموا عليها حتى الروم و الترك و الهند، و فى أنوار التنزيل: لحجت اليهود و النصارى و المجوس. و فى الاكتفاء: ثم انصرف إبراهيم راجعا إلى الشام و رجعت أم إسماعيل إلى ابنها و عمدت هاجر فجعلت عريشا فى موضع الحجر من سمر و تمام ألقته عليه و معها شن فيه ماء، و فى روايه: وضع عندهما جرابا فيه تمر و سقاء فيه ماء. انتهى منه.

و جاء فى تاريخ الأزرقى «أخبار مكة» ما نصه: حدثنا أبو الوليد قال:

حدثني جدى قال: حدثنا مسلم بن خالد الزنجى عن ابن جريج عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير قال: حدثنا عبد الله بن عباس قال: لبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم جاء الثالثة فوجد إسماعيل عليه السلام قاعدا تحت الدوحة التى بناحية البير يبرى نبلا أو نبالا له، فسلم عليه و نزل إليه، ففعد معه فقال إبراهيم: يا إسماعيل إن الله تعالى قد أمرنى بأمر، فقال له إسماعيل: فأطع ربك فيما أمرك، فقال إبراهيم: يا إسماعيل أمرنى ربي أن أبني له بيتا، قال له إسماعيل: و أين؟ يقول ابن عباس: فأشار له إلى أكمة مرتفعة على ما حولها عليها رضراض من حصباء يأتياها السيل من نواحي و لا يركبها، يقول ابن عباس: فقاما يحفران عن القواعد و يحفرانها و يقولان: ربنا تقبل منا إنك سميع الدعاء، ربنا تقبل منا إنك أنت

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٧٦

السميع العليم، و يحمل له إسماعيل الحجارة على رقبتة و بينى الشيخ إبراهيم. فلما ارتفع البناء و شق على الشيخ إبراهيم تناوله قرب له إسماعيل هذا الحجر- يعنى المقام- فكان يقوم عليه و بينى و يحوله فى نواحي البيت حتى انتهى إلى وجه البيت. يقول ابن العباس: فلذلك سمي مقام إبراهيم لقيامه عليه. ا.ه.

ثم قال الأزرقى: حدثنى مهدي ابن أبى المهدي قال: حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعانى عن معمر عن أيوب السختيانى و كثير بن كثير- يزيد أحدهما على صاحبه- عن سعيد بن جبير فى حديث حدث به طويل عن ابن عباس قال: فجاء إبراهيم و إسماعيل يبرى نبلا له أو نباله تحت الدوحة قريبا من زمزم. فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد لولده و الولد بوالديه. قال معز: و سمعت رجلا يقول: بكيا حتى أجاتهما الطير. قال سعيد: فقال: يا إسماعيل إن الله عز و جل قد أمرنى بأمر. قال: فأطع ربك فيما أمرك قال: و تعينى قال: و أعينك قال: فإن الله تعالى قد أمرنى أن أبني له بيتا هاهنا فعند ذلك رفع إبراهيم القواعد من البيت.

حدثنى جدى قال: حدثنا سعيد بن سالم قال: أخبرنى ابن جريج قال: قال مجاهد: أقبل إبراهيم و السكينة، و الصرد و الملك من الشام فقالت السكينة: يا إبراهيم اربض على البيت فلذلك لا يطوف بالبيت ملك من هذه الملوك و لا أعرابى نافز إلا رأيت عليه السكينة قال: و قال ابن جريج: أقبلت معه السكينة لها رأس كراس الهرة و جناحان. ا.ه.

ثم قال الأزرقى: و حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن ابن جريج قال: قال على بن أبى طالب: أقبل إبراهيم عليه السلام و الملك و السكينة و الصرد دليلا- حتى تبوأ البيت الحرام كما تبوأ العنكبوت بيتها، فحفر فأبرز عن ربض فى أسها أمثال خلف الإبل لا يحرك الصخرة إلا ثلاثون رجلا قال: ثم قال لإبراهيم: قم فابن لى بيتا قال: يا رب و أين؟ قال: سنريك قال: فبعث الله تعالى سحابة فيها رأس، تكلم إبراهيم فقال: يا إبراهيم إن ربك يأمرك أن تخط قدر هذه السحابة، فجعل ينظر إليها و يأخذ قدرها فقال له الرأس: أقد فعلت؟ قال: نعم؟ فارتفعت السحابة فأبرز عن أس ثابت من الأرض فبناه إبراهيم عليه السلام، قال: و حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى محمد بن أبان عن ابن إسحاق السبيعى عن حارثه بن مضرب عن على بن أبى طالب فى حديث حدث به عن زمزم قال: ثم نزلت السكينة كأنها

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٧٧

غمامة أو ضبابه فى وسطها كهيئة الرأس يتكلم يقول: يا إبراهيم خذ قدرى من الأرض، لا تزد و لا تنقص، فخط فذلك بكه و ما حواله مكة. ا.ه.

ثم قال أيضا: حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن وهب بن منبه أنه أخبره قال: لما ابتعث الله تعالى إبراهيم خليله ليبنى له البيت طلب الأساس الأول وضع بنو آدم فى موضع الخيمة التى عزى الله بها آدم عليه السلام من خيام الجنة حين وضعت له بمكة فى موضع البيت الحرام، فلم يزل إبراهيم يحفر حتى وصل إلى القواعد التى أسس بنو آدم فى زمانهم فى موضع الخيمة. فلما وصل إليها أظلم الله له مكان البيت بغمامة، فكانت خفاف البيت الأول، ثم لم تزل راكدة على حفافه تظل إبراهيم و تهديه مكان القواعد حتى رفع القواعد قامه ثم انكشطت الغمامة فذلك قوله عز و جل: وَ إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَى:



الغمامة التي ركدت على الخفاف ليهتدى بها مكان القواعد فلم يزل و الحمد لله منذ يوم رفعه الله معمورا. اه.

ثم قال الأزرقى: حدثني مهدي بن أبي المهدي قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله مولى بن هاشم قال: أخبرنا حماد عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعره عن علي بن أبي طالب في قوله عز وجل: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا قال:

إنه ليس بأول بيت. كان نوح في البيوت قبل إبراهيم و كان في البيوت ولكنه أول بيت وضع للناس فيه آيات بينات مقام إبراهيم و من دخله كان آمنا. هذه الآيات قال: إن إبراهيم أمر ببناء البيت فضاق به ذرعا فلم يدر كيف يبني فأرسل الله تعالى السكينة و هي ريح خجوج لها رأس حتى تطوقت مثل الحجفة فبنى عليها و كان يبني كل يوم سافا و مكة يومئذ شديدة الحر، فلما بلغ موضع الحجر قال لإسماعيل: اذهب فالتمس حجرا أضعه هاهنا ليهدي الناس به فذهب إسماعيل يطوف في الجبال، و جاء جبريل بالحجر الأسود و جاء إسماعيل فقال: من أين لك هذا الحجر؟ قال: من عند من لم يتكل على بنائى و بنائك، ثم انهدم فبنته العمالقة، ثم انهدم فبنته قبيلة من جرهم، ثم انهدم فبنته قريش. فلما أرادوا أن يضعوا الحجر تنازعوا فيه فقالوا: أول رجل يدخل من هذا الباب فهو يضعه، فجاء رسول الله، صلى الله عليه و سلم فأمر بثوب فبسط ثم وضعه فيه ثم قال: ليأخذ من كل قبيلة رجل من ناحية الثوب. ثم رفعوه ثم أخذه رسول الله صلى الله عليه و سلم فوضعه. اه.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٧٨

ثم قال الأزرقى: حدثني جدى قال: حدثني سفيان بن عيينة عن بشر بن عاصم عن سعيد بن المسيب قال: أخبرني علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: أقبل إبراهيم من أرمينية معه السكينة تدله حتى تبوأ البيت كما تبوأ العنكبوت بيتها فرفعوا عن أحجار الحجر يطيقه أو لا يطيقه ثلاثون رجلا.

حدثني مهدي بن أبي المهدي قال: حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعاني عن معمر عن قتادة في قوله عز وجل: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ قال:

التي كانت قواعد البيت قبل ذلك. قال الخزاعي: و حدثناه أبو عبيد الله بإسناد عن سفيان مثله.

حدثني مهدي بن أبي المهدي قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله مولى بنى هاشم قال: حدثنا أبو عوانة عن ابن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أما و الله ما بنياه بقصة و لا مدر و لا كان معهما من الأعوان و الأموال ما يسقفانه و لكنهما أعلماه فطافا به: اه.

نقول: إن إبراهيم الخليل عليه السلام، لم يضع باب الكعبة في وسط جدارها الشرقى بل وضعها قريبا من ركن الحجر الأسود أى في موضعها الحالي الذي فيه الآن، ليكون ما بين الباب و الركن ملتزما للدعاء. و الله تعالى أعلم بحكمة ذلك. التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم؛ ج ١-٢؛ ص ٤٧٨

قال الأزرقى: حدثني جدى، قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن مجاهد عن الشعبي قال: لما أمر إبراهيم أن يبني البيت و انتهى إلى موضع الحجر، قال لإسماعيل: اثنتى بحجر ليكون علما للناس يتدثون منه الطواف، فأتاه بحجر فلم يرضه فأتى إبراهيم بهذا الحجر، ثم قال: أتانى به من لم يكن على حجر.

حدثني جدى قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن بشر بن عاصم قال: أقبل إبراهيم من أرمينية معه السكينة و الملك و الصرد دليلا- يتبأ البيت كما تبوأ العنكبوت بيتها فرفع صخرة فما رفعها عنه إلا ثلاثون رجلا، فقالت السكينة: ابن على فلذلك لا يدخله أعرابي نافز و لا جبار إلا رأيت عليه السكينة.

حدثني مهدي بن أبي المهدي، قال: حدثنا بشر بن السرى البصرى عن حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابه قال: قال الله تعالى: يا آدم إنى مهبط معك بيتى يطاف حوله كما يطاف حول عرشى، و يصلى عنده كما يصلى عند عرشى، فلم يزل كذلك حتى كان

زمن الطوفان فرفع، حتى بوأ لإبراهيم مكانه فبناه من خمسة أجبل من حراء، و ثبير، و لبنان، و الطور، و الجبل الأحمر.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٧٩

حدثني مهدي بن أبي المهدي قال: حدثنا عمر بن سهل عن يزيد بن نافع عن سعيد عن قتادة في قوله عز وجل: **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ قَالَ: ذَكَرْنَا أَنَّهُ بَنَاهُ مِنْ خَمْسَةِ أَجْبَلٍ مِنْ طُورِ سَيْنَا، وَ طُورِ زَيْتَا، وَ لَبْنَانَ، وَ الْجُودَى، وَ حِرَاءَ، وَ ذَكَرْنَا أَن قَوَاعِدَهُ مِنْ حِرَاءَ.**  
حدثني مهدي بن أبي المهدي قال: حدثنا مروان بن معاوية الغزاري قال:

حدثنا العلاء عن عمر بن مرة عن يوسف بن ماهك قال: قال عبد الله بن عمرو إن جبريل عليه السلام، هو الذي نزل عليه بالحجر من الجنة، و إنه وضعه حيث رأيتم، و إنكم لن تزالوا بخير ما دام بين ظهرانكم، فتمسكوا به ما استطعتم فإنه يوشك أن يجيء فيرجع به من حيث جاء به. انتهى كل ذلك من الأزرقى.

### دعاء إبراهيم لأهل مكة بالأمن و الرزق

قال الله تعالى في سورة البقرة: **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالتَّوْحِيدِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.**  
قال الإمام الأزرقى، رحمه الله تعالى، في تاريخه عند ما سأله إبراهيم خليل الله عليه الصلاة و السلام، الأمن و الرزق لأهل مكة ما نصه:

حدثنا أبو الوليد قال: و أخبرني جدى قال: حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرني موسى بن عبيدة الربذى عن محمد بن كعب القرظى قال:

دعا إبراهيم عليه السلام، للمؤمنين و ترك الكفار لم يدع لهم بشيء فقال الله تعالى: **وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ،** و قال زيد بن أسلم: سأل إبراهيم عليه السلام ذلك لمن آمن به ثم مصير الكافر إلى النار، قال عثمان: و أخبرني محمد بن السائب الكلبي قال: قال إبراهيم صلى الله عليه و سلم: رب اجعل هذا بلدا آمنا و ارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله و اليوم الآخر، فاستجاب الله عز و جل له فجعله بلدا آمنا، و آمن فيه الخائف و رزق أهله من الثمرات، تحمل إليهم من الأبق، قال عثمان: و قال مقاتل بن حيان: إنما اختص إبراهيم في مسألته في الرزق للذين آمنوا فقال تعالى: **الَّذِينَ كَفَرُوا سَأْرزُقُهُمْ مَعَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَكِنْ أَمْتَّعَهُمْ قَلِيلًا فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَ بئس المصير،** قال عثمان: و قال مجاهد: جعل الله هذا البلد آمنا لا يخاف فيه من دخله.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٨٠

و حدثني جدى قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن المنتشر قال: حدثني سعيد بن السائب بن يسار قال: سمعت بعض ولد نافع بن جبير بن مطعم و غيره يذكرون أنهم سمعوا أنه لما دعا إبراهيم لمكة أن يرزق أهلها من الثمرات نقل الله عز و جل، أرض الطائف من الشام فوضعها هنالك رزقا للحرم.

ثم قال الأزرقى في موضع آخر: حدثني جدى قال: حدثنا مسلم بن خالد الزنجي عن ابن جريج عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:

جاء إبراهيم يطالع إسماعيل، عليهما السلام، فوجده غائبا و وجد امرأته الآخرة و هى السيدة بنت مضاض بن عمرو الجهمي، فوقف فسلم، فردت عليه السلام و استنزته و عرضت عليه الطعام و الشراب، فقال: ما طعامكم و شرابكم؟ قالت: اللحم و الماء، قال: هل من حب أو غيره من الطعام؟ قالت: لا، قال: بارك الله لكم في اللحم و الماء. قال ابن عباس رضوان الله عليه: يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: لو وجد عندها يومئذ حبا لدعا لهم بالبركة فيه، فكانت تكون أرضا ذات زرع.

حدثني جدى عن سعيد بن سالم عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير مثله و زاد فيه قال سعيد بن جبير: ولا يخلى أحد على اللحم و الماء بغير مكة إلا- وجع بطنه و إن أخلى عليهما بمكة لم يجد كذلك أذى، قال سعيد بن سالم: فلا أدري عن ابن عباس يحدث بذلك سعيد بن جبير أم لا يعنى قوله: و لا يخلى أحد على اللحم و الماء بغير مكة إلا وجع بطنه.

ثم قال الأزرقى فى موضع آخر أيضا: حدثني جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: و أخبرني ابن جريج: قال أخبرنا مجاهد قال: إن فى حجر فى الحجر «أنا الله ذو بكة صفتها يوم صفت الشمس و القمر و حففتها بسبعة أملاك حنفاء، مبارك لأهلها فى اللحم و الماء، يحلها أهلها، و لا يحلها أول من أهلها» و قال: لا تزول حتى يزول الأخشبان. قال أبو محمد الخزاعى: الأخشبان يعنى الجبلين، قال: و أخبرني جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال:

أخبرني ضعيف بن عبد الرحمن عن مجاهد قال: وجد فى بعض الزبور: أنا الله ذو بكة جعلتها بين هذين الجبلين و صفتها يوم صفت الشمس و القمر و حففتها بسبعة أملاك حنفاء و جعلت رزق أهلها ثلاثة سبل فليس يؤتى أهل مكة إلا من ثلاث طرق من أعلى الوادى و أسفله، و كداء، و باركت لأهلها من اللحم و الماء. انتهى من تاريخ الأزرقى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٨١

### ذكر حج إبراهيم عليه الصلاة و السلام

قال الإمام الأزرقى فى تاريخه «أخبار مكة» ما نصه:

حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرني محمد بن إسحاق قال: لما فرغ إبراهيم خليل الرحمن من بناء البيت الحرام جاءه جبريل فقال: طف به سبعا فطاف به سبعا هو و إسماعيل يستلمان الأركان كلها فى كل طواف. فلما أكمل سبعا هو و إسماعيل صليا خلف المقام ركعتين قال: فقام معه جبريل، فأراه المناسك كلها، الصفا و المروة و منى، و مزدلفة، و عرفه قال: فلما دخل منى و هبط من العقبة تمثل له إبليس عند جمرة العقبة، فقال له جبريل: ارمه، فرماه بسبع حصيات فغاب عنه ثم برز له عند الجمرة الوسطى فقال جبريل: ارمه، فرماه بسبع حصيات فغاب عنه، ثم برز له عند الجمرة السفلى، فقال له جبريل: ارمه، فرماه بسبع حصيات مثل حصى الخذف فغاب عنه إبليس، ثم مضى إبراهيم فى حجه و جبريل يوقفه على المواقف و يعلمه المناسك حتى انتهى إلى عرفه. فلما انتهى إليها قال له جبريل: أعرفت مناسكك؟ قال إبراهيم: نعم قال: فسميت عرفات بذلك لقوله: أعرفت مناسكك؟ قال: ثم أمر إبراهيم أن يؤذن فى الناس بالحج قال: فقال إبراهيم: يا رب ما يبلغ صوتي؟ قال الله سبحانه: أذن و على البلاغ، قال: فعلا- على المقام فأشرف به حتى صار أرفع الجبال و أطولها فجمعت له الأرض يومئذ سهلها و جبلها و برها و بحرها و إنسها و جنها حتى أسمعهم جميعا، قال: فأدخل أصبعيه فى أذنيه و أقبل بوجهه يمنا و شاما و شرقا و غربا و بدأ بشق اليمن فقال: أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا ربكم، فأجابوه من تحت التخوم السبعة و من بين المشرق و المغرب إلى منقطع التراب من أقطار الأرض كلها، لييك اللهم لييك قال: و كانت الحجارة على ما هى عليه اليوم إلا أن الله عز و جل أراد أن يجعل المقام آية فكان أثر قدميه فى المقام إلى اليوم قال: أفلا تراهم اليوم يقولون لييك اللهم لييك قال: فكل من حج إلى اليوم فهو ممن أجاز إبراهيم و إنما حجهم على قدر إجابتهم يومئذ فمن حج حجتين فقد كان أجاز مرتين، أو ثلاثا فثلاثا، و على هذا قال: و أثر قدمي إبراهيم فى المقام آية و ذلك قوله تعالى: فيه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٨٢

آياتٌ بيناتٍ مقام إبراهيم و من دخله كان آمنا و قال ابن إسحاق: و بلغني أن آدم عليه السلام كان استلم الأركان كلها قبل إبراهيم و حجه إسحاق و سارة من الشام، قال: و كان إبراهيم عليه السلام يحجه كل سنة على البراق، قال:

و حجت بعد ذلك الأنبياء و الأمم.

حدثني جدى قال: حدثنا ابن عيينة عن ابن ابي نجیح عن مجاهد قال: حج إبراهيم وإسماعيل ماشيين، قال أبو محمد عبيد الله المخزومي: حدثنا ابن عيينة بإسناده مثله.

حدثنا الأزرقى قال: وحدثني جدى قال: حدثنا يحيى بن سليم عن ابن خيثم قال: سمعت عبد الرحمن بن سابط يقول: سمعت عبد الله بن ضمرة السلولى يقول: ما بين الركن إلى المقام إلى زمزم قبر تسعة و تسعين نبيا جاءوا حججا فقبروا هنالك. انتهى من تاريخ الأزرقى.

و إلى معنى قوله: فكل من حج إلى اليوم فهو ممن أجاب إبراهيم عليه السلام، أشار ناظم أنساب العرب فى طليعة نظمه بقوله:  
و حين بالحج الخليل أذناو فى كلا أذنيه إصبعا ثنى  
أيضا كأطوال الجبال ارتفعابها و كل من يحج أسمعا

### الخلاصة فى كيفية بناء إبراهيم عليه السلام

فخلاصة الكلام المتقدم، كما ذكرناها فى كتابنا «مقام إبراهيم عليه السلام» هى أن إبراهيم الخليل بنى الكعبة الغراء بالرضم أى بحجارة بعضها فوق بعض من غير طين و لا جص، و بناها على ربوة حمراء تأتيها السيول فتأخذ عن يمينها و شمالها- و الربوة المكان المرتفع- و حفر فى باطنها على يمين من دخلها حفرة عميقة كالبرى يلقى ما يهدى إليها تكون خزائنه لها و كان عمقها ثلاثة أذرع كما ذكره الأزرقى، و لم يجعل للكعبة سقفا و لا بابا من خشب أو غيره و إنما ترك لمكان الباب فتحة فى جدارها الشرقى للدلالة على وجه البيت.

و السبب فى ذلك أنهم كانوا على الفطرة لا يعرفون الخيانة و لا السرقة، و ما كان عندهم من الأموال و الذهب و الفضة ما يسرق، و ما كانوا يسكنون فى تلك العصور الأولى كما نسكن نحن فى البيوت و القصور المشيدة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٨٣

و قد كان بناء إبراهيم للكعبة من خمسة جبال من طور سينا و طور زيتا و لبنان و الجودى و حراء، و كانت الملائكة تأتيه بالحجارة من تلك الجبال، فكان هو يبنى و إسماعيل يناوله الحجارة فبناها على أساس آدم، و هذا الأساس حجارته من جبل حراء، كانت الملائكة تأتي بها و تقذف فيه و هو المسمى «بالقواعد»، و قد جعل إبراهيم عليه السلام، للكعبة ركنين فقط: الركن الأسود و الركن اليمانى، و لم يجعل لها أركانا من جهة الحجر بل جعلها مدورة على هيئة نصف دائرة كجدار الحجر و جعل الحجر إلى جانبها عريشا من أراك تقتمه غنم إسماعيل، فكان زربا لغنمه. و جعل الباب لاصقا بالأرض و غير مبوب و جعل ارتفاعها من الأرض إلى السماء تسعة أذرع، و جعل عرض جدار و جهها الذى فيه الباب اثنين و ثلاثين ذراعا، و عرض الجدار المقابل له إحدى و ثلاثين ذراعا، و عرض الجدار الذى فيه الميزاب جهة الحجر اثنين و عشرين ذراعا، و عرض الجدار المقابل له عشرين ذراعا، و ما ذكره صاحب كتاب تاريخ الكعبة المعظمة بأن إبراهيم عليه السلام، جعل لها أبوابا، هو و هم منه، و الصواب أنه جعل لها بابا واحدا فقط كما يظهر ذلك عند التأمل فى كتب التاريخ.

و قد يتساءل بعضهم: لماذا بنى إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام، الكعبة المعظمة بالرضم من غير طين و لا جص؟ و لم يجعل لها سقفا و بابا من الخشب أو غيره؟ و لم يجعل لها بابين أحدهما للدخول و الآخر للخروج؟ و لم جعل حجر إسماعيل مدورا و جعله من شجر الأراك و لم يبنه بالرضم؟ و لماذا لم يكس البيت الحرام بعد الفراغ من بنائه؟

فالجواب: و الله تعالى أعلم بالصواب: هو أن إبراهيم عليه الصلاة و السلام بنى الكعبة الغراء بالرضم من غير طين و لا جص و من غير سقف و لا باب، لأن ذلك العصر القديم لم يكن فيه شىء من وسائل البناء و أسباب الحضارة. فمن أين يأتى بالأدوات الحديدية و الآلات المختلفة لحفر الأرض و خلط الطين و نشر الخشب و دق المسامير؟

و ما دام لم يكن بمكة سوى إبراهيم وابنه عليهما الصلاة والسلام، و نفر من قبيلة جرهم، و ما دام باطن الكعبة ترابا، و جدرانها من حجارة الصخور، فلا لزوم لعمل سقف لها و لا لعمل باب يعلق عليها، كما لا لزوم لعمل مدخلين فيها للدخول و للخروج لقله السكان بمكة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٨٤

و أما جعله حجر إسماعيل مدورا كما هو الآن، فليتناسب شكله بشكل جدار الكعبة المقابل للحجر الذي كان مدورا أيضا و لينتهي إليه حدود البيت. و أما جعله من شجر الأراك من غير أن يجعله مبنيا بالرضم، فليعلم أنه تابع للبيت و من حدوده و من غير أن يدخل في ذات بنائه. و لم يكس البيت لأنه لم يؤمر بذلك، ثم لم تكن مكة عامرة بالناس إنما بها نفر من جرهم و ما كانوا يعرفون صناعة النسيج في ذلك الزمن حتى يخطوا له ثوبا.

و على كل حال، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لا يعملون شيئا مما له مساس في الدين إلا بأمر الله تعالى هذا ما ظهر لنا و الله أعلم بالغيب.

### ارتفاع أرض مكة عما كانت عليه قديما

تقدم أن سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، بنى الكعبة الغراء فوق ربوة مرتفعة تأتيها السيول فتأخذ عن يمينها و شمالها، لأن وادي إبراهيم محاط بالجبال، و الكعبة على ربوة مرتفعة فلا تصل السيول إليها، و هذا كان بطبيعة الأرض القديمة، ثم بمرور السنين و الأجيال، أي من نحو أربعة آلاف سنة، تغيرت و ارتفعت، و لقد تكلمنا عن هذه المسألة في كتابنا مقام إبراهيم عليه السلام، و إليك نص ما جاء فيه:

أما الآن فقد انخفضت أرض المسجد الحرام و ارتفعت أرض الشوارع المحيطة به بنحو ثلاثة أمتار و في بعض الجهات بأكثر بسبب ما تأتي به الأمطار و السيول من الأتربة و الحجارة من رؤوس الجبال و بطون الأودية و عدم إخراج ذلك.

أما في الزمن السابق أي قبل أربعمئة سنة فقد كان مجرى السيل من الجهة الشمالية أي جهة باب الزيادة و من الجهة الجنوبية أي جهة باب أجياد يقطع و يحمل ترابه إلى خارج البلدة جهة المسفلة في كل عشرة أعوام مرة حتى لا تدخل السيول في المسجد الحرام، ثم أهمل ذلك حتى ارتفعت الطرقات و لقد كان الخارج من المسجد الحرام من باب إبراهيم ينزل نحو خمس عشرة درجة حتى يصل إلى أرض الشارع أما الآن فإنه لم يبق منها سوى ثلاث درجات و الباقي مطمور تحت الأرض و كان الخارج من المسجد من باب الزيادة ينزل ثلاث عشرة درجة حتى يصل إلى أرض الشارع أي بعدد درجات المسجد من الداخل.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٨٥

ثم ارتفعت الأرض بسبب ما تأتي به السيول من الطين و غيره فدفن منها ست درجات و ذلك قبل سنة ألف و ثلاثمئة و أما الباقي و هو سبع درجات فقد أدركناها و كنا نرقى عليها حتى نصل إلى باب المسجد ثم إنه في آخر شهر شعبان سنة ست و ستين و ثلاثمئة و ألف هجرية فرشت أرض باب الزيادة بالتراب و الحصى و بلطت بالنورة الإفرنجية المسماة «بالإسمنت» و بذلك دفن أيضا خمس درجات منها فصار الباقي الآن درجتين فقط يصعد الناس منهما إلى المسجد.

و ذكر ابن حجر في حاشيته على إيضاح النووي أنه كانت على الصفا اثنتا عشرة درجة و على المروة خمس عشرة درجة و أن الفرسان كانت تمر في المسعى و الرماح قائمة فلا يرى من المسجد إلا رؤوسها. و ذكر الأزرقى في تاريخه أن أول من بنى درج الصفا و المروة عبد الصمد بن علي في خلافة أبي جعفر المنصور.

انتهى من كتابنا مقام إبراهيم عليه السلام.

و نقول أيضا: إن في عصرنا هذا بل منذ سنة (١٣٧٥) التي بدأ فيها بتوسعة المسجد الحرام بمكة و توسعة الشوارع، و الناس يشاهدون

ارتفاع الأرض في محل من المحلات و انخفاضها في محلات أخرى بل يشاهدون إزالة بعض الجبال و تنحية الصخور عن أماكنها، فسبحان من له الدوام و إليه يرجع الأمر كله و لا ينقص من ملكه شيء جل جلاله و لا إله غيره و الله أكبر.

### مميزات بناء إبراهيم الكعبة

- (١) كانت بناية إبراهيم الكعبة على أساس بناية آدم عليهما الصلاة و السلام.
  - (٢) و كانت بناية الكعبة، بالرضم حجارة بعضها فوق بعض من غير طين و جص و لا نورة.
  - (٣) و كانت الكعبة مستطيلة الشكل.
  - (٤) و كانت مدورة من جهة حجر إسماعيل التي فيها الميزاب و ليس بها سوى الركن الأسود و الركن اليماني.
  - (٥) و كان بها حفرة على يمين الداخل عمقها ثلاثة أذرع- و تسمى جب الكعبة و خزانتها.
  - (٦) و كان بها باب واحد فقط من الجهة الشرقية كما في عصرنا الحاضر، أى جعل بها فتحة للباب و لم يكن بها باب يفتح و يغلق لا من الخشب و لا من غيره.
  - (٧) و كان الباب لاصقا بالأرض غير مرتفع.
  - (٨) و كان حجر إسماعيل مدورا من شجر الأراك.
  - (٩) و لم يكن للكعبة سقف. و طبعا لا يكون لها ميزاب إن لم يكن هناك سقف.
  - (١٠) و لم تكن لها كسوة، و إنما أول من كساها تبع الحميري و هو أول من جعل لها بابا.
  - (١١) و قد جعل ارتفاعها من الأرض نحو السماء تسعة أذرع.
  - (١٢) و جعل عرض جدار وجهها الذي فيه الباب اثنين و ثلاثين ذراعا.
  - (١٣) و جعل الجدار المقابل له أحدا و ثلاثين ذراعا.
  - (١٤) و جعل عرض الجدار الذي فيه الميزاب جهة الحجر اثنين و عشرين ذراعا.
  - (١٥) و جعل الجدار المقابل له عشرين ذراعا.
  - (١٦) و كانت بناية إبراهيم عليه الصلاة و السلام، منذ أربعة آلاف سنة.
- (تنبيه) الذراع المذكور هنا هو نفس ذراع إبراهيم الخليل، عليه الصلاة و السلام، و ذراعه كذراع أهل عصرنا لأن طوله عليه السلام، كان كطولنا، بدليل وجود أثر قدميه في مقامه صلى الله عليه و سلم الذي هو عند الكعبة المشرفة، و قدماه كأقدامنا سواء بسواء و قد رأيناها و لله الحمد مرارا، و ألفنا في مقامه كتابا سميناه «مقام إبراهيم عليه السلام» و هو مطبوع بمصر بمطبعة البابي الحلبي و أولاده.

### ذكر الأنبياء الذين ربّتهم أمهاتهم

إذا تأملنا في قصة «هاجر و ابنها إسماعيل» نجد أن نبي الله إسماعيل عليه السلام، تربى بواسطة أمه فقط، ليس لأبيه شأن في تربيته، بل ما اجتمع مع أبيه و هو كبير بلغ مبلغ الرجال، و لقد كان هذا الحال أيضا شأن ثلاثة من الأنبياء، عليهم الصلاة و السلام، و هم «موسى و عيسى و محمد» و رابعهم و هو الأول «إسماعيل» فكل واحد من هؤلاء الأنبياء الأربعة، عليهم الصلاة و السلام، قد عهد الله تعالى بتربيته إلى أمهاتهم الزاهرات الطاهرات، فقمنا نحو أبنائهن بواجبات الأمومة و واجبات الأبوة خير قيام، و في ذلك من الحكم و الأسرار ما لا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٨٧

يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، ولكل من هؤلاء الأنبياء الأربعة «إسماعيل و موسى و عيسى و محمد» عليهم الصلاة والسلام، شأن عظيم و حياة شريفة ناصعة مليئة بعظائم الأمور و جليل الأعمال.

فإسماعيل بن خليل الله إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، بعد أن كان وحيدا مع أمه «هاجر» بمكة في ذلك القفر الموحش و الصحراء الجرداء، لا- أنيس معهما و لا- جليس، و قد تعرض هو و أمه في صغره بعد وصولهما لمكة للموت و الهلاك، من العطش و الجوع لنفاد ما كان معهما من ماء قليل و طعام من تمر يسير، إذا به قد صار بعد مدة من الزمن أمه من الأمم، العريقة في الحسب و النسب، بل صار أبا للعرب المستعربة و أصلا ثابتا ينتسبون إليه.

كما كان هو أول من بنى مع أبيه إبراهيم الخليل، عليهما الصلاة والسلام، بيت الله الحرام قبله كافة المسلمين، فما أعظمه من شرف ثابت قائم إلى يوم الدين.

و موسى كليم الله، عليه الصلاة والسلام، بعد أن ألقى في اليم و هو حديث عهد بالولادة، خوفا عليه من فرعون ليذبحه كما ذبح آلافا من الأولاد، فحفظه الله من الغرق و رده إلى أمه كي تقر عينها و لا- تحزن، فتولت هي إرضاعه و تربيته و نشأ في قصر عدوه اللدود فرعون. و بعد أن هرب منه في كبره خوفا عليه من القتل، و عمل أجيرا عدة سنوات، إذا به يصطفيه الله تعالى بكلامه و برسالته و يختاره لبني إسرائيل نبيا و زعيما، و ينصره على عدوه فرعون ياغراقه مع قومه في البحر.

و قد جاء في سورة القصص آيات كثيرة في قصته عليه الصلاة والسلام، منها و أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ \* فَاتَّقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ \* وَ قَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَ لَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* وَ أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبًا لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* وَ قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ نَاصِحُونَ \* فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٨٨

وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ \* وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ.

و عيسى عليه الصلاة والسلام، ليس له أب لذلك ينسب إلى أمه فيقال:

«عيسى ابن مريم» و قد جعله الله تعالى آية للناس و رحمته، و في سورة مريم جاءت قصته واضحة صريحة، و في الآيات الآتية ما تكلم به عيسى عليه السلام، و هو رضيع في المهد و هي: قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا \* وَ جَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا \* وَ بَرًّا بِوَالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا \* وَ السَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أُمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا \* ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ \* مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ \* وَ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

لقد فرت مريم بابنها عيسى إلى مصر لكي تنجو من الكيد و الأذى، فأقامت هناك اثني عشر عاما ترعى ابنها، و كانت تغزل الكتان و تلتقط السنابل في أثر الحصادين.

و يروي المؤرخون عن عنايتها بابنها «عيسى» أنها أخذته صغيرا إلى الكتاب و أقعدته بين يدي المؤدب، حتى أذن لها فعادت به إلى أورشليم «القدس».

و لما بلغ عيسى عليه الصلاة والسلام، ثلاثين سنة أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل، فانصرف عن أمه العزيزة الكريمة ليتفرغ بالدعوة، و في ذلك يقول الله تبارك و تعالى، في سورة المؤمنون: وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً وَ يَقُولُ أَيُّضًا فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: وَ الَّتِي أَحْصَيْتَ

فَرَجَّهَا فَفَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ وَيَقُولُ أَيْضًا فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا.

و أما نبينا «محمد» صلى الله عليه و سلم الذى هو آخر الأنبياء، فقد مات بالمدينة أبوه عبد الله بعد أن حملت به أمه الكريمة آمنه بنت وهب بشهرين، فلما تمت مدة الحمل و أشرقت الدنيا بنور محياه، استبشر به جده عبد المطلب و فرح به فرحا شديدا و سماه «محمد»، ثم إن أمه «آمنه بنت وهب» أسلمته إلى المرضعة «حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية» ليتربى فى البادية على حسب عادة العرب فى مواليدهم، فمكث عندهم نحو أربع سنوات، ثم جاءت به مرضعته «حليمة السعدية» إلى أمه «آمنه»

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٨٩

فأخذته منها و توجهت به إلى المدينة لزيارة أخوال أبيه، و بينما هى عائده إلى مكة أدركتها منيتها فى الطريق فماتت بالأبواء، فحضنته «أم أيمن» و كفله جده عبد المطلب و كان يحبه أشد الحب، فلما بلغ عمره ثمانى سنوات مات جده عبد المطلب، فكفله عمه شقيق أبيه «أبو طالب» فكان يحبه و يكرمه إكراما عظيما، و حينما بعته الله تعالى إلى الناس كان أبو طالب يحوطه بالرعاية و ينصره و يحميه من كفار قريش، ثم لما بلغ صلى الله عليه و سلم نحو تسع و أربعين سنة و بضعة أشهر مات عمه أبو طالب.

إن رسول الله صلى الله عليه و سلم فقد والديه فى صغره و لم يرث منهما شيئا، و لما كبر و قدر على العمل صار يعرى الغنم لأهل مكة على قرارىط كما ذكره البخارى فى صحيحه، ثم بعد ذلك صار يتجر و كان شريكه فى التجارة السائب بن أبى السائب، و ذهب إلى الشام بالتجارة لخديجة، رضى الله تعالى عنها، و لما رأت خديجة أمانته و بركته و ما امتاز به من الكمال و الفضل و الأخلاق اختارته زوجا و خطبته لنفسها ففازت بسعادة الدارين.

و قد امتن الله عز و جل عليه بما اختصه به و أنعم عليه فى سورة الضحى بقوله: وَالضُّحَى \* وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى \* مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ \* وَمَا قَلَى \* وَاللَّاحِزَةَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى \* وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى \* أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى \* وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى \* وَوَجَدَكَ عَانِلًا فَأَغْنَى \* فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ \* وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ \* وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ.

هذه السورة الكريمة فيها كثير من المسائل، و فيها شفاء لصدور العلماء و الصالحين ممن زوى الله عنهم الدنيا، و لا نريد شرح ذلك خوفا من الخروج مما نحن بصدده، و هو لا يخفى على المتأمل الذكى و اللبيب العاقل.

فانظر رحمك الله تعالى إلى حال من ذكرناهم من الأنبياء الأربعة و هم «إسماعيل، و موسى، و عيسى، و محمد» عليهم الصلاة و السلام، تجد أن الله تعالى و كل أمر تربيتهم و هم صغار إلى أمهاتهم، ثم كانوا فى شظف من العيش و حاله من الفقر بحيث كانوا يعرون الغنم لأهل بلدتهم، بل ما من نبى إلا و قد رعى الغنم كما هو ثابت فى صحيح البخارى، لأن فى رعيها جملة أمور:

(١) منها: البعد عن الخلق فى طلبهم الرعى فى البرارى و القفار، و بذلك يأنسون إلى الوحدة فيعبدون الله تعالى بطمأنينة و راحة قلب، و يتفكرون فى خلق

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٩٠

السموات و الأرض - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتنا عذاب النار - و فى الغالب أول ما ينزل عليهم الوحي ينزل فى الخلاء.

(٢) و منها: أن رعى الغنم يستدعى استعمال الرأفة و اللطف و المشى معها بالهون و السكينة.

(٣) و منها: أن فى رعى الغنم تدربا لرعى الخلائق و رعايتهم و حسن سياستهم و دعوتهم إلى الله بالحكمة و الموعدة الحسنه.

(٤) و منها: معرفتهم لأحوال البادية كما عرفوا أحوال المدن، إلى غير ذلك من الحكم التى لا يعلمها إلا الله سبحانه و تعالى.

و الحقيقة أن المشاهدة التى لا تنكر: أننا نرى كثيرا من فطاحل العلماء، و كبار الفنانين النبلاء، و مشاهير المخترعين العظماء، قد لاقوا فى أول حياتهم من الفقر المدقع و المصائب ما يشيب لها الأطفال، ثم تداركهم الله تعالى بلطفه و رحمته حتى أصبحوا من عظماء الرجال و مشاهير الأجيال، و كانوا موضع فخر أمتهم و سببا فى مجد أفعالهم، و خدمتهم التاريخ فسجل أسماءهم و أعمالهم، و من قرأ



كتب التراجم و الطبقات، عرف ما لاقى هؤلاء في حياتهم الأولى من التعب و المشقات، ثم ما وصلوا إليه من الشهرة و رفيع الدرجات، و بعض هؤلاء لا يظهر فضلهم إلا بعد الممات و إلى هذا يشير القائل:

فترى الكريم كشمعة من عنبرضات فإن طفئت تضيوع نشرها

فحالات الدنيا في تغير «فلا فقر يدوم و لا غناء» و من صبر نال ما تمنى، قال الشاعر:

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله لا تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

فالرجل العظيم كعود العطر لا تظهر رائحته الزكية إلا بعد إحراقه، كذلك الأفاضل من الرجال لا يظهر فضلهم و نبوغهم إلا بعد أن يذوقوا مرارة العيش و يحترقوا بنار الفاقة و الابتلاء.

و يسأل بعضهم لماذا لا نرى النبغاء و المشاهير في العلوم و الفنون من الأغنياء، و لماذا اختص الفقراء بذلك؟ فنقول:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٩١

لما كان المال من زينة الحياة الدنيا، و الدنيا بنفسها دار لهو و غرور، صار الأغنياء و أولادهم منغمسين في الشهوات، متنعمين بما لديهم من الملذات، و كانت أفكارهم محصورة في استثمار الأموال و إنفاقها في لهوهم فنقول:

و أما الفقراء فليس لديهم من المال و الدنيا ما يلهيهم و يشغلهم، فإذا ما وجدوا القوت الضروري حمدوا الله تعالى و سكنوا إلى الراحة و خلوا بأنفسهم، فإذا طرأ على بال أحد منهم أمر، وجد في نفسه فراغا و نشاطا لبحت هذا الأمر من جميع نواحيه، فإذا اتجهت نفسه للعلم تفرغ له، و إذا اتجهت للفنون الجميلة أشبع رغبتها، و إذا اتجهت إلى اختراع ما ينفع الإنسانية انقطع إليه، حتى إذا استكمل بغيته و بلغ أمنيته إذا به في مصاف النبغاء و العظام.

نعم إننا لا ننكر أن بين الأغنياء نوابغ في العلوم و الفنون، و لكن ذلك قليل و نادر و النادر لا حكم له، قال الشاعر:

ما أحسن الدين و الدنيا إذا اجتمعوا أقبح الكفر و الإفلاس في الرجل

على أن بعض الأغنياء قد نبغوا في ناحية استثمار أموالهم، و نهضوا بأعمال تعود بالنفع إلى أمتهم و قومهم، كإنشاء المصانع، و افتتاح البنوك، و قيام الشركات، و توسيع تجارتهم بمختلف أنواعها، فهؤلاء أيضا لهم قيمتهم و مكانتهم التي لا تنكر، و يعدون أيضا من أفاضل الرجال.

نسأل الله تعالى أن يزيد في الأمة الإسلامية من الرجال العاملين و العمال المخلصين، حتى تزدهر بهم الحياة الدنيا، فإن الدنيا مزرعة الآخرة، و قد قال سبحانه: **وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ.**

### الكلام على زمزم و خروجه لإسماعيل و أمه عليهما الصلاة و السلام

#### إشارة

لما كان ماء زمزم بمكة المشرفة، من أقدم المياه، و كان عند الكعبة في حد المسجد الحرام بينهما بضعة أمتار، و كان هو شراب الأنبياء و الأصفياء و الأبرار، و قد جاءت في فضله عدة أحاديث، «بأنه طعام طعم و شفاء سقم و هو لما شرب له» بل وضع فيه بعض المؤلفات منها (رسالة الجوهر المنظم في فضائل ماء زمزم) تأليف العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن شمس الدين المكي، رحمه الله تعالى،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٩٢

وجب أن نتكلم عنه بما يشفي الغليل من كافة الوجوه، فنقول و بالله التوفيق و منه نستمد العون و السداد:

قال الإمام الأزرقى في تاريخه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدى قال:

أخبرني مسلم بن خالد عن ابن جريج عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير قال:

حدثنا عبد الله بن عباس أنه حين كان بين أم إسماعيل بن إبراهيم وبين سارة امرأة إبراهيم ما كان أقبل إبراهيم نبي الله بأم إسماعيل وهو صغير ترضعه حتى قدم بهما مكة ومع أم إسماعيل شنة فيها ماء تشرب منه وتدر على ابنها وليس معها زاد، ويقول سعيد بن جبير: قال ابن عباس: فعمد بهما إلى دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد - يشير لنا بين البير وبين الصفة - يقول فوضعهما تحتها، ثم توجه إبراهيم خارجا على دابته واتبعت أم إسماعيل أثره حتى أوفى إبراهيم بكدا يقول ابن عباس: فقالت له أم إسماعيل إلى من تركنا وابنها؟ قال: إلى الله عز وجل، قالت: رضيت بالله، فرجعت أم إسماعيل تحمل ابنها حتى قعدت تحت الدوحه فوضعت ابنها إلى جنبها وعلقت شنتها تشرب منها وتدر على ابنها حتى فنى ماء شنتها فانقطع درها فجاج ابنها فاشتد جوعه حتى نظرت إليه أمه يشمط قال:

فحسبت أم إسماعيل أنه يموت فأحزنها، يقول ابن عباس: قالت أم إسماعيل: لو تغيبت عنه حتى يموت لا أرى موته، يقول ابن عباس: فعمدت أم إسماعيل إلى الصفا حين رآته مشرفا تستوضح عليه - أي ترى أحدا بالوادي - ثم نظرت إلى المروة فقالت: لو مشيت بين هذين الجبلين تعلت حتى يموت الصبي ولا - أراه يقول ابن عباس: فمشت بينهما أم إسماعيل ثلاث مرات أو أربع ولا تجيز بطن الوادي في ذلك إلا رملا، يقول ابن عباس: ثم رجعت أم إسماعيل إلى ابنها فوجدته ينشع كما تركته فأحزنها فعادت إلى الصفا تتعلل حتى يموت ولا - تراه، فمشت بين الصفا والمروة كما مشت أول مرة، يقول ابن عباس: حتى كان مشيها بينها سبع مرات، قال ابن عباس: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: فلذلك طاف الناس بين الصفا والمروة، قال: فرجعت أم إسماعيل تطالع ابنها فوجدته كما تركته ينشع، فسمعت صوتا قد أب عليها ولم يكن معها أحد غيرها فقالت: قد أسمع صوتك فأغثنى إن كان عندك خير قال: فخرج لها جبريل عليه السلام، فاتبعته حتى ضرب برجله مكان البئر - يعني زمزم - فظهر ماء فوق الأرض حيث فحص جبريل، يقول ابن عباس: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: فحاضته أم إسماعيل بتراب ترده خشية أن يفوتها قبل أن تأتي بشنها (يقول أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: ولو تركته أم إسماعيل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٩٣

كان عينا معينا جري)، يقول ابن عباس: جاءت أم إسماعيل بشنتها فاستقت وشربت ودرت على ابنها.

فبينما هي كذلك إذ مر ركب من جرهم قافلين من الشام في الطريق السفلى فرأى الركب الطير على الماء فقال بعضهم: ما كان بهذا الوادي من ماء ولا أنيس، يقول ابن عباس: فأرسلوا جريين لهم حتى أتيا أم إسماعيل فكلماها ثم رجعا إلى ركبهما فأخبراهم بمكانها. فرجع الركب كلهم حتى حيوها فردت عليهم وقالوا: لمن هذا الماء؟ قالت أم إسماعيل: هو لى، قالوا لها: أتأذنين لنا أن نسكن معك عليه؟ قالت: نعم! يقول ابن عباس: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: ألقى ذلك أم إسماعيل وقد أحبت الأنس فترلوا وبعثوا إلى أهلهم فقدموا وسكنوا تحت الدوح، واعترشوا عليها العرش فكانت معهم هي وابنها.

وقال بعض أهل العلم: كانت جرهم تشرب من ماء زمزم فمكثت بذلك ما شاء الله أن تمكث، فلما استخفت جرهم بالحرم، و تهاونت بحرمه البيت، وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى لها سرا وعلاية، و ارتكبوا مع ذلك أمورا عظاما، نصب ماء زمزم وانقطع، فلم يزل موضعه يدرس ويتقادم وتمر عليه السيول عصرا بعد عصر حتى خفى مكانه. وقد كان عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمي قد وعظ جرهما فى ارتكابهم الظلم فى الحرم واستخفافهم بأمر البيت وخوفهم النقم، وقال لهم: إن مكة بلد لا تقر ظالما فالله الله قبل أن يأتىكم من يخرجكم منها خروج ذل وصغار فتمنوا أن تتركوا تطوفون بالبيت فلا - تقدروا على ذلك، فلما لم يزدجروا ولم يعون وعظه عمد إلى غزالين كانا فى الكعبة من ذهب وأسياف قلعية كانت أيضا فى الكعبة، فحفر لذلك كله بليل فى موضع زمزم ودفنه سرا منهم حين خافهم عليه، فسلط الله عليهم خزاعة فأخرجتهم من الحرم ووليت عليهم الكعبة والحكم بمكة ما شاء الله أن تليه، وموضع زمزم فى ذلك لا - يعرف لتقادم الزمان حتى بوأه الله تعالى لعبد المطلب بن هاشم لما أراد الله من ذلك

فخصه به من بين قريش. انتهى من تاريخ الأزرقى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٩٤

### الكلام على بئر زمزم

جاء فى تاريخ ابن كثير المسمى «البدایة و النهایة» فى الجزء الأول عند الكلام على ذكر مهاجرة إبراهيم بابنه إسماعيل و أمه هاجر إلى جبال «فاران» و هى أرض مكة ما نصه:

قال البخارى: قال عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن أبى شيبة: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب السختياني و كثير بن كثير بن المطلب بن أبى وداعة، يزيد أحدهما على الآخر، عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقاً لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم و بابنها إسماعيل و هى ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم فى أعلى المسجد و ليس بمكة يومئذ أحد و ليس بها ماء فوضعها هنالك و وضع عندهما جراباً فيه تمر و سقاء فيه ماء ثم قضى إبراهيم منطقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب و تتركنا بهذا الوادى الذى ليس به إنس و لا شىء؟ فقالت له ذلك مراراً و جعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله أمرك بهذا؟

قال: نعم! قالت: إذا لا يضيعنا، ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات و رفع يديه فقال: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقُهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ.

و جعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل و تشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما فى السقاء عطشت و عطش ابنها و جعلت تنظر إليه يلتوى أو قال: يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف ذراعها ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى إذا جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها و نظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس: قال النبى صلى الله عليه و سلم: فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه تريد نفسها ثم سمعت فسمعت أيضاً فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غوث فإذا هى بالملك عند موضع زمزم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٩٥

فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه و تقول بيدها هكذا و جعلت تغرف من الماء فى سقائها و هى تفور بعد ما تغرف، قال ابن عباس: قال النبى صلى الله عليه و سلم: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم» أو قال: «لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معنا» فشربت و أرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافى الضيعة فإن ههنا بيت الله بينى هذا الغلام و أبوه و إن الله لا يضيع أهله و كان البيت مرتفعا من الأرض كالراية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه و عن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقاً من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كذا فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائراً عاتفاً فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على الماء لعهدنا بهذا الوادى و ما فيه ماء فأرسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا قال و أم إسماعيل عند الماء فقالوا: تأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت:

نعم! و لكن لا حق لكم فى الماء قالوا: نعم.

قال عبد الله بن عباس: قال النبى صلى الله عليه و سلم: فألقى ذلك أم إسماعيل و هى تحب الأنس فنزلوا و أرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم و شب الغلام و تعلم العربية منهم و أنفسهم و أعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجته امرأة منهم و ماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته فقالت: خرج يبتغى لنا، ثم

سألها عن عيشهم و هيتهم فقالت: نحن بشر في ضيق و شدة و شكت إليه ... إلى آخر القصة. انتهى المراد من تاريخ ابن كثير. (فإن قيل): حيث إن ماء زمزم خرجت لأم إسماعيل، عليه الصلاة والسلام، على وجه الأرض فأحاطته بالتراب حتى لا تجرى، فمن الذى حفر بئر زمزم و بناها كما نراها اليوم؟

(نقول): إن غور بئر زمزم كان بسبب تعدد حفرها، فإنه لما تهاونت جرهم بحرم البيت و الحرم نصب ماء زمزم و انقطع، فلم يزل موضعه يدرس و يتقادم. ثم إن عمرو بن الحارث ابن مضاى لما وعظ جرهما ليرتدعوا عن الظلم و الاستخفاف بأمر البيت فلم يزدجروا، حفر بئر زمزم و عمد إلى الغزالين اللذين كانا فى الكعبة فدفنهما فيها. فما زالت زمزم مدروسة حتى جاء عبد المطلب بن هاشم فحفرها و أخرج الغزالين الذهب كما أخرج منها سيوفا و دروعا و سلاحا، قال الأزرقى: فحفر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٩٦

حتى أنبت الماء فى القرار ثم بحرهما حتى لا- ينزف، ثم بنى عليها حوضا فطفق هو و ابنه ينزعان فيملآن ذلك الحوض فيشرب منه الحاج.

ثم بعد ذلك تعاقب الإصلاح على بئر زمزم فى كل عصر و وقت إلى يومنا هذا، فبنت البئر مرارا من أعلاها و أسفلها، و حفر قعرها و نظف، و قد فصلنا كل ذلك فى هذا الباب كما سيقف القارئ الكريم عليه.

و فى صحيح مسلم عن أبى ذر، رضى الله عنه، قال: لما سمعت خبر النبى صلى الله عليه و سلم أتيت مكة فسألت عن مكانه، فمال على أهل الوادى و كانوا يضربوننى حتى خررت مغشيا على، ففررت منهم و اختفيت بين أستار الكعبة، فرأيت فى بعض الليالى رسول الله يطوف فحييت تحية الإسلام، فقال لى: مذ متى كنت هنا؟

قلت مذ ثلاثين يوما، قال: فمن يطعمك؟ قلت: ما كان لى طعام إلا ماء زمزم.

فقال عليه الصلاة والسلام: إنها مباركة إنها طعام طعم. و معنى الطعام ما يؤكل، و الطعم بضم فسكون مصدر بمعنى الأكل و الذوق أى إنه طعام مشبع. اهـ.

و قد جاء فى الصحيحين عن خروج زمزم لإسماعيل و بناء إبراهيم الكعبة، عليهما الصلاة والسلام، و بناء قريش لها أيضا و فى غيرهما من كتب الأحاديث فراجعها إن شئت.

و جاء فى تاريخ الخميس عند ما وصل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بابنه إسماعيل و أمه هاجر إلى مكة المشرفة ما نصه:

و فى معالم التنزيل: فوضعهما إبراهيم عند البيت عند دوحه فوق زمزم فى أعلا المسجد و ليس بمكة يومئذ أحد و ليس بها ماء و لا عمارة و لا زراعة.

و فى رواية: وضعهما عند تل سبى الكعبة عليه. و فى الاكتفاء: فلما أراد إبراهيم أن يخرج و رأت أم إسماعيل أنه ليس بحضرتها أحد من الناس و لا ماء ظاهر تركت ابنها فى مكانه و تبعت إبراهيم فقالت: يا إبراهيم إلى من تدعنا؟ فسكت عنها حتى إذا دنا من كداء قال: إلى الله عز و جل أدعكم. قالت: فالله أمرك بهذا؟ قال: نعم! قالت: فحسبى تركتنا إلى كاف، و انصرفت هاجر إلى ابنها و خرج إبراهيم حتى وقف على كداء و لا بناء و لا ظل و لا شىء يحول دون ابنه فنظر إليه فأدركه ما يدرك الوالد من الرحمة لولده فقال: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٩٧

و فى رواية: فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه إلى البيت بهذه الدعوات.

و عن مجاهد: لو قال: أفئدة الناس لزحمتكم عليه فارس و الروم.

و في الكشف قيل: لو لم يقل: «من» لآزدهموا عليها حتى الروم و الترك و الهند.

و في أنوار التنزيل: لحجت اليهود و النصرارى و المجوس.

و في الاكتفاء: ثم انصرف إبراهيم راجعا إلى الشام و رجعت أم إسماعيل إلى ابنها و عمدت هاجر فجعلت عريشا في موضع الحجر من سمر و تمام القنء عليه و معها شن فيه ماء. و في رواية: وضع عندها جرابا فيه تمر و سقاء فيه ماء.

و في الاكتفاء: فلما نفذ الماء عطش إسماعيل و عطشت أمه فانقطع لبنها فأخذ إسماعيل كهينه الموت فظنت أنه ميت فجزعت و خرجت جزعا أن تراه على تلك الحالة و قالت: يموت و أنا غائبة عنه أهون على و عسى الله أن يجعل لى فى ممشاى خيرا، فانطلقت فنظرت إلى جبل الصفا فأشرفت عليه تستغيث ربهها و تدعوه ثم انحدرت إلى المروة فلما كانت فى الوادى خبت حتى انتهت إلى المروة.

و فى رواية: لما بلغت بطن الوادى غاب الولد عن عينها فرفعت طرف درعها ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها، قال ابن عباس: قال النبى صلى الله عليه و سلم: فلذلك سعى الناس بينهما، يعنى صار ذلك من شعائر الحج. و فى الاكتفاء: فعلت ذلك مرات كلما أشرفت على الصفا نظرت إلى ابنها فتراه على حاله و إذا أشرفت على المروة فمثل ذلك، و كان ذلك أول سعى بين الصفا و المروة و كان من قبلها يطوفون بالبيت و لا يسعون بين الصفا و المروة و لا يقفون المواقف حتى كان إبراهيم، فلما كان الشوط السابع و يئست سمعت صوتا فاستمعت، فلم تسمع إلا الأول فظنت أنه شىء عرض لسمعها من الظمأ و الجهد، فنظرت إلى ابنها فإذا هو يتحرك فأقامت على المروة ثم سمعت الصوت الأول فقالت: إنى سمعت صوتك فأعجبنى، فإن كان عندك خير فأغثنى، فإنى قد هلكت و هلك ما عندى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٩٨

و فى رواية، قالت: أيها الذى قد سمعت إن كان عندك غوث فأغثنى، و كان الصائت جبريل انتهى. فخرج الصوت يصوت بين يديها و خرجت تتلوه قد قويت له نفسها حتى انتهى الصوت عند رأس إسماعيل، ثم بدا لها جبريل فانطلق بها حتى وقف على موضع زمزم فضرب بعقبه مكان البئر، فظهر الماء فوق الأرض حين فحص بعقبه. و فى الحدائق: فبحث بعقبه أو قال بجناحه على شك الراوى و فارت بالرواء و جعلت أم إسماعيل تحظر الماء بالتراب و تحوضه خشية أن يفوتها قبل أن تأتى بشنها فاستقت و بادرت إلى ابنها فسقته. قال ابن عباس: قال النبى صلى الله عليه و سلم: يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال: لو لم تغرف من الماء لكانت عينا معينا.

و فى الاكتفاء: فشربت فإذا ثدياها يتقطران لبنا فكان ذلك اللبن طعاما و شرابا لإسماعيل و كانت تجترئ بماء زمزم فقال الملك: لا تخافى أن ينفذ هذا الماء، و أبشرى فإن ابنك سيشب، و يأتى أبوه من الشام فيبنون هاهنا بيتا يأتية عباد الله من أقطار الأرضين، مليون لله جل ثناؤه فيطوفون به و يكون هذا الماء شرابا لضيفان الله عز و جل الذين يزورون بيته. فقالت فى جوابه: بشرك الله بكل خير. و طابت نفسها و حمدت الله تعالى و أقبل غلامان من العماليق يريدان بعيرا لهما أخطأهما، و قد عطشا و أهلها بعرفة، فنظرا إلى طير تهوى قبل الكعبة فاستنكرا ذلك و قالوا: إنما يكون الطير على غير ماء. فقال أحدهما لصاحبه: أمهل حتى نبرد ثم نسلك فى مهوى الطير. فأبرد ثم تروحا فإذا الطير ترد و تصدر، فاتبعا الواردة منها حتى وقفا على أبى قبيس فنظرا إلى الماء و إلى العريش فنزلا و كلما هاجر و سألاها متى نزلت؟ فأخبرتهما و قالوا: لمن هذا الماء؟ فقالت: لى و لابنى. فقالا: من حفره؟ فقالت: سقانا الله عز و جل. فعرفا أن أحدا لا يقدر أن يحضر هناك ماء و عهدهما بما هناك قريب و ليس به ماء، فرجعا إلى أهلها من ليلتهما فأخبراهم فتحولوا حتى نزلوا معها على الماء، فأنست بهم و معهم الذرية فنشأ إسماعيل مع ولدانهم و كان إبراهيم يزور هاجر فى كل شهر على براق يغدو غدوة فيأتى مكة ثم يرجع فيقبل من منزله بالشام فزارها بعد و نظر إلى من هناك من العماليق و إلى كثرتهم و غمارة الماء فسر بذلك. و لما بلغ إسماعيل أن يسعى مع إبراهيم فى أشغاله و يعينه فى حوائجه و أعماله و ذلك حين كان ابن ثلاث عشرة سنة، و قيل ابن سبع

سنين، وقيل أربع سنين رأى إبراهيم في المنام أن يذبحه. انتهى من تاريخ الخميس.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٤٩٩

### حفر عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم زمزم

لما استخفت جرهم بحرمه الكعبة و الحرم و طغوا و بغوا، غاص ماء زمزم و درس موضعه حتى صار لا- يعرف، و قيل: إن جرهما طمست البئر حين نفيت من مكة، ثم بعد ذلك استخرجها عبد المطلب بعد أن أهده الله تعالى إلى مكانه، قال الفاسي في شفاء الغرام: و روينا في تاريخ الأزرقى عن الزهرى ما يقتضى أن حفر عبد المطلب لززم كان بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الأزرقى روى بسنده إلى الزهرى أن حفر عبد المطلب لززم كان بعد الفيل، و النبي صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل على الصحيح و الله تعالى أعلم. انتهى.

و لقد ذكر الإمام الأزرقى في تاريخه قصته في حفر زمزم، فقد قال بعد أن ساق خبر إخراج جبريل زمزم لأم إسماعيل ما نصه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثني مهدي بن أبي المهدي قال: حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعاني عن معمر عن الزهرى قال: أول ما ذكر من عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريشا خرجت فارة من أصحاب الفيل و هو غلام شاب فقال: و الله لا أخرج من حرم الله أبتغى العز في غيره قال: فجلس عند البيت و أجلت عنه قريش فقال:

لا هم إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك

لا يغلبن صليهم و ضلالهم عدوا محالك

قال: فلم يزل ثابتا في الحرم حتى أهلك الله الفيل و أصحابه فرجعت قريش و قد عظم فيها لصره و تعظيمه محارم الله عز و جل. فبينما هو في ذلك و قد ولد له أكبر بنه فأدرك و هو الحارث بن عبد المطلب فأتى عبد المطلب في المنام فقيل له:

احفر زمزم خبئة الشيخ الأعظم فاستيقظ فقال: اللهم بين لى، فأتى في المنام مرة أخرى فقيل له: احفر زمزم بين الفرث و الدم عند نقرة الغراب في قرية النمل مستقبلة الأنصاب الحمر، فقام عبد المطلب فمشى حتى جلس في المسجد الحرام ينظر ما سمي له من الآيات فنحرت بقرة بالحزورة فانفلتت من جازرها بحشاشة نفسها حتى غلبها الموت في المسجد في موضع زمزم، فجزرت تلك البقرة في مكانها حتى احتمل لحمها، فأقبل غراب يهوى حتى وقع في الفرث. فبحث عن قرية النمل فقام عبد المطلب فحفر هنالك فجاءته قريش فقالت لعبد المطلب، ما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٠٠

هذا الصنيع؟ إنا لم نكن نزنك بالجهل لم تحفر في مسجدنا؟ قال عبد المطلب: إني لحافر هذا البير و مجاهد من صدنى عنها، فطفق هو و ابنه الحارث و ليس له ولد يومئذ غيره فسفه عليهما يومئذ ناس من قريش فنازعوهما و قاتلوهما و تناهى عنه ناس من قرش لما يعلمون من عتق نسبه و صدقه و اجتهاده في دينهم يومئذ، حتى إذا أمكن الحفر و اشتد عليه الأذى نذر إن وفى له عشرة من الولد أن ينحر أحدهم ثم حفر حتى أدرك سيوفا دفنت في زمزم حين دفنت فلما رأت قريش أنه قد أدرك السيوف قالوا: يا عبد المطلب: أجزنا مما وجدت. فقال عبد المطلب: هذه السيوف لبيت الله الحرام، فحفر حتى أنبط الماء في القرار ثم بحرهما حتى لا يتزف ثم بنى عليها حوضا فطفق هو و ابنه ينزعان فيمالآن ذلك الحوض فيشرب به الحاج فيكسره ناس من حسدة قريش بالليل، فيصلحه عبد المطلب حين يصبح، فلما أكثروا فساده دعا عبد المطلب ربه، فأرى في المنام فقيل له: قل: اللهم إني لا أحلها لمغتسل و لكن هي للشارب حل و بل ثم كفيتهم، فقام عبد المطلب- يعنى حين اختلفت قريش في المسجد- فنادى بالذى أرى ثم انصرف فلم يكن يفسد حوضه ذلك عليه أحد من قريش إلا رمى في جسده بدءا حتى تركوا حوضه و سقايته.

ثم تزوج عبد المطلب النساء فولد له عشرة رهط فقال: اللهم إني كنت نذرت لك نحر أحدهم و إني أقرع بينهم فأصعب بذلك من

شئت، فأقرع بينهم.

فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب و كان أحب ولده إليه فقال عبد المطلب: اللهم أهو أحب إليك أم مائة من الإبل؟ ثم أقرع بينه و بين المائة من الإبل، فكانت القرعة على المائة من الإبل، فنحرها عبد المطلب.

حدثني محمد بن يحيى عن الثقة عنده عن محمد بن إسحاق قال: حدثني غير واحد من أهل العلم أن عبد المطلب أرى في منامه أن يحفر زمزم في موضعها الذي هي فيه فحفرها بين إساف و نائلة الوثنيين اللذين كانا بمكة فلما استقام حفرها و شرب أهل مكة و الحاج منها عفت على الآبار التي كانت بمكة قبلها لمكانها من البيت و المسجد و فضلها على ما سواها من المياه، و لأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم في الموضع الذي ضرب فيه جبريل برجله فهزمه و نبع الماء منه، قال ابن إسحاق:

و كان سبب حفرها أن عبد المطلب بن هاشم بينا هو نائم في الحجر فأمر بحفر زمزم في منامه و هو دفين بين صنمى قريش: إساف و نائلة، عند منحر قريش،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٠١

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن أبي حبيب عن مرشد بن عبد الله عن عبد الله بن يزيد اليافعى، أنه سمع على بن أبي طالب رضى الله عنه يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها قال: قال عبد المطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال: احفر طيبة قال: قلت: و ما طيبة؟ قال: ثم ذهب عني فرجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر برة، قال: قلت: و ما برة؟ قال: ثم ذهب عني فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر زمزم، قال: قلت: و ما زمزم؟ قال: لا تنزف أبدا و لا تدم، تسقى الحجيج الأعظم عند قرية النمل، قال: فلما أبان له شأنها و دل على موضعها و عرف أنه قد صدق، غدا بمعوله و معه ابنه الحارث بن عبد المطلب ليس له يومئذ ولد غيره، فحفر. فلما بدا لعبد المطلب الطي كبر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المطلب إنها بئر إسماعيل و إن لنا فيها حقا فأشركنا معك فيها.

فقال عبد المطلب: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر خصصت به دونكم و أعطيته من بينكم. قالوا: فأنصفنا إنا غير تاركيك حتى نحاكمك فيها. قال: فاجعلوا بيني و بينكم من شئتم أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنه بنى سعد بن هذيم، قال: نعم، و كانت بأشراف الشام.

فركب عبد المطلب و معه نفر من بنى عبد مناف و ركب من كل قبيلة من قريش نفر. قال: و الأرض إذ ذاك مفاوز فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض المفاوز بين الحجاز و الشام فنى ماء عبد المطلب و أصحابه فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة و استسقوا ممن معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم و قالوا: إنا فى مفاوز نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم. فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم و ما يتخوف على نفسه و أصحابه قال: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأينا إلا تبع لرأيك فأمرنا بما شئت قال: إني أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه بما بكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرته ثم واروه حتى يكون آخركم رجلا واحدا، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعا. قالوا: سمعنا ما أردت. فقام كل رجل منهم يحفر حفرته ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا. ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: و الله إن إلقاءنا بأيدينا لعجز. لا نبتغى لأنفسنا حيلة. فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد. ارتحلوا فارتحلوا حتى إذا فرغوا و من معهم من قريش ينظرون إليهم و ما هم فاعلون، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعث به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب. فكبر عبد المطلب و كبر أصحابه ثم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٠٢

نزل فشرب و شربوا و استسقوا حتى ملأوا أسقيتهم. ثم دعا القبائل التي معه من قريش فقال: هلم إلى الماء فقد سقانا الله عز و جل فاشربوا و استسقوا. فاشربوا و استسقوا القبائل التي نازعته: قد و الله قضى الله عز و جل لك علينا يا عبد المطلب و الله لا نخاصمك فى زمزم أبدا الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة، هو الذى سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشدا. فرجع و رجعوا معه و لم يمضوا إلى الكاهنة و خلوا بينه و بين زمزم.

قال ابن إسحاق: و سمعت أيضا من يحدث في أمر زمزم عن علي بن أبي طالب، رضى الله عنه، أنه قيل لعبد المطلب حين أمر بحفر زمزم: أذع بالماء الرواء غير الكدر، فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش، فقال: أتعلمون أنى قد أمرت أن أحفر زمزم؟ قالوا: فهل بين لك أين هي؟ قال: لا، قالوا: فارجع إلى مضجعك الذى رأيت فيه ما رأيت إن يكن حقا من الله بين لك، و إن يكن من الشيطان لم يرجع إليك. فرجع عبد المطلب إلى مضجعه، فنام فأرى فقيل:

احفر زمزم إن حفرتها لم تدم و هى تراث أبيك الأعظم. فلما قيل له ذلك قال:

و أين هي؟ قال: قيل له: عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غدا، قال: فغدا عبد المطلب و معه ابنه الحارث و ليس له يومئذ ولد غيره فوجد قرية النمل و وجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين: إساف و نائلة. فجاء بالمعول و قام ليحفر حيث أمر فقامت إليه قريش حين رأوا جده فقالت: و الله لا ندعك تحفر بين و ثنا هذين اللذين ننحر عندهما. فقال عبد المطلب للحارث: دعنى أحفر و الله لأمضين لما أمرت به. فلما عرفوا أنه غير نازع خلوا بينه و بين الحفر و كفوا عنه فلم يحفر إلا يسيرا حتى بدا له الطى، طى البئر، فكبر و عرف أنه قد صدق. فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب - و هما الغزالان اللذان دفنت جره من خرجت من مكة - و وجد فيه أسيافا قلعية و أدراعا و سلاحا فقالت له قريش: إن لنا معك فى هذا شركا و حقا قال: لا، و لكن هلم إلى أمر نصف بينى و بينكم نضرب عليها بالقداح، قالوا: و كيف نصنع؟ قال: أجعل للكعبة قدحين، و لى قدحين، و لكم قدحين، قالوا: أنصفت، فجعل قدحين أصفرين للكعبة، و قدحين أسودين لعبد المطلب، و قدحين أبيضين لقريش. ثم قال: أعطوها من يضرب بها عند هبل و قام عبد المطلب فقال:

لاهم أنت الملك المحمود ربى و أنت المبدئ المعيد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٠٣ من عندك الطارف و التليد فأخرج لنا الغداة ما تريد فضرب بالقداح فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة و خرج الأسودان على الأسياف و الدرور لعبد المطلب و تخلف قدحا فضرب عبد المطلب الأسياف على باب الكعبة و ضرب فوقه أحد الغزالين من الذهب فكان ذلك أول ذهب حلته الكعبة و جعل الغزال الآخر فى بطن الكعبة فى الجب الذى كان فيها يجعل فيه ما يهدى إلى الكعبة، و كان هبل صنم قريش فى بطن الكعبة على الجب فلم يزل الغزال فى الكعبة حتى أخذه النفر الذى كان من أمرهم ما كان، و هو مكتوب أخذه، و قصته فى غير هذا الموضع، فظهرت زمزم فكانت سقاية الحاج ففيتها مسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس، يمدح عبد المطلب:

فأى مناقب الخيرات لم تشدد به عضدا

ألم تسق الحجيج و تنحر المدلابة الرفدا

و زمزم من أرومته و تملأ عين من حسدا

و كان عبد المطلب قد نذر الله عز و جل عليه حين أمر بحفر زمزم لئن حفرها و تم له أمرها و تتام له من الولد عشرة ذكور ليذبحن أحدهم لله عز و جل فزاد الله فى شرفه و ولده، فولد له عشرة نفر: الحارث و أمه من بنى سواة بن عامر أخو هلال بن عارم، و عبد الله، و أبو طالب، و الزبير و أمهم المخزومية، و العباس و ضرار و أمهما النمرية، و أبو لهب، و أمه الخزاعية، و الغيداق و أمه الغبثانية خزاعية، و حمزة و المقوم و أمهما الزهرية.

فلما تتام له عشرة من الولد و عظم شرفه و حفر زمزم و تم له سقيها، أقرع بين ولده أيهم يذبح فخرجت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب أبى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقام إليه ليذبحه، فقامت له أخواله بنو مخزوم و عظماء قريش و أهل الرأى منهم و قالوا: و الله لا تذبحه فإنك إن تفعل تكن سنة علينا فى أولادنا و سنة علينا فى العرب و قامت بنوه مع قريش فى ذلك فقالت له قريش: إن بالحجاز عرافة لها تابع فسلها أنت على رأس أمرك إن أمرتك بذبحه ذبحته، و إن أمرتك بأمر لك فيه فرج قبلته، قال: فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوا المرأة فيها يقال لها تخيير، فسألوها و قص عليها عبد المطلب خبره فقالت: ارجعوا اليوم عنى حتى يأتينى تابعى



فأسأله. فرجعوا عنها حتى كان الغد ثم غدوا عليها فقالت: نعم! قد جاءني الخبركم الديئة فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل قال: و كانت كذلك، قالت:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٠٤

فارجعوا إلى بلادكم و قربوا عشرا من الإبل ثم اضربوا عليها بالقداح و على صاحبكم، فإن خرجت على الإبل فانحروها و إن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل عشرا ثم اضربوا بالقداح عليها و على صاحبكم، حتى يرضى ربكم، فإذا خرجت على الإبل فانحروها فقد رضى ربكم و نجا صاحبكم.

قال: فرجعوا إلى مكة فأقرع عبد المطلب على عبد الله و على عشر من الإبل فخرجت القرعة على عبد الله، فقالت قريش لعبد المطلب: يا عبد المطلب: زد ربك حتى يرضى، فلم يزل يزيد عشرا عشرا و تخرج القرعة على عبد الله، و تقول قريش: زد ربك حتى يرضى ففعل حتى بلغ مائة من الإبل، فخرجت القداح على الإبل فقالت قريش لعبد المطلب: انحرها فقد رضى ربك و قرعت، فقال: لم أنصف إذا ربي حتى تخرج القرعة على الإبل ثلاثا. فأقرع عبد المطلب على ابنه عبد الله و على المائة من الإبل ثلاثا كل ذلك تخرج القرعة على الإبل.

فلما خرجت ثلاث مرات نحر الإبل في بطون الأودية و الشعاب على رؤوس الجبال لم يصد عنها إنسان و لا طائر و لا سبع، و لم يأكل منها هو و لا أحد من ولده شيئا و تجلبت الأعراب من حول مكة، و أغارت السباع على بقايا بقيت منها، فكان ذلك أول ما كانت الديئة مائة من الإبل، ثم جاء الله بالإسلام فثبتت الديئة عليه، قال: و لما انصرف عبد المطلب ذلك اليوم إلى منزله مر بوهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب و هو جالس في المسجد، و هو يومئذ من أشرف أهل مكة، فزوج ابنته آمنه عبد الله بن عبد المطلب. انتهى كل ذلك من تاريخ الإمام الأزرقي رحمه الله تعالى.

و في ذلك قالت آمنه بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه و سلم عند وفاتها و هي تنظر إليه صلى الله عليه و سلم و هو ابن خمس سنين، جالسا عند رأسها:

بارك الله فيك من غلام يا من الذي من حومة الحمام

نجا بعون الملك العلام فدى غداة الضرب بالسهم

بمائه من إبل سوام إن صح ما أبصرت في المنام

فأنت مبعوث إلى الأنام من عند ذى الجلال و الإكرام

تبعث في الحل و في الحرام تبعث بالتحقيق و الإسلام

دين أبيك البر إبراهيم فالله أنهاك عن الأصنام

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٠٥

### أن لا تواليا مع الأقوام

ثم قالت: و كل حى ميت، و كل جديد بال، و كل كثير يبنى، و أنا ميتة و ذكرى باق، و قد تركت خيرا، و ولدت طهرا. ثم ماتت، رضى الله تعالى عنها، فما أبركها من امرأة، و ما أسعدها من أم أنجبت سيد ولد آدم فبعثه الله رحمة للعالمين، صلى الله عليه و على آله و أصحابه و ذريته و سلم تسليمًا كثيرا. انتهى من تاريخ الخميس.

مسرحية شعريّة تمثيلية في قصة عبد المطلب عند إرادته لذبح ولده

## إشارة

عثرنا فى إحدى مجلات الإذاعة السورية لسنة (١٣٧٧) هجرية على مسرحية شعريّة تمثيلية للأستاذ محيى الدين الدرويش، و هى تقع فى فصل واحد و خمسة مشاهد، تتضمن كيفية هلاك أصحاب الفيل، و نذر عبد المطلب بذبح أحد أولاده العشرة. فرأينا أن ننقل هنا من المجلة المذكورة ما يختص بقصة عبد المطلب فقط، أما فيما يختص بقصة أصحاب الفيل، فقد ذكرناه عند الكلام على قصتهم، إننا قسمنا المسرحية إلى قسمين: الأول فيما يختص بأصحاب الفيل، و الثانى فيما يختص بقصة عبد المطلب، و هو كما يأتى:

المشهد الثانى

عبد المطلب لابنه عبد الله:

بنى أرى فى الغيب نورا سيشرق و أنسامه فى كل أرض ستعقب

هو الأمل المرجو عبد الله:

بوركت يا أبى كأنك من نفسى تقول و تنطق

عبد المطلب:

و لكننى أخفى كوامن فى الحشاسراها بمكنون الضمير معلق

تذكرت نذرا ند عنى و إننى لأحرى بأن أرضى النذور و أخلق

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٠٦ لئن سلم البيت الحرام فإننى سأذبح منكم واحدا أنت مطلق

أبو طالب:

لك الأمر فافعل ما تراه و لا تحدعن الحق يوما إنه بك أليق

عبد المطلب:

سأقسم أقداحى عليكم فأيكم تميل إليه فهو للذبح أسبق

عبد الله:

سمعنا و أذعنا لأمرك كلنا فعجل بما ترضاه أنت الموفق

## المشهد الثالث

أمام الكعبة يبدو عبد المطلب مع أولاده و أمهاتهم و أقاربه و الجزع باد على الجميع

يا عالما بالسر و الجهر يا كاشف الآلام و الضر

أنت المؤمل فى نوائبنا فاجبر بحدوك دائما كسرى

أنت العليم بما نذرت و قد أمسيت فى لبس من الأمر

اسكب على اللطف أخط به فى ساعة الأواء بالصبر

إلى ضارب الأقداح:

ألق القداح سريعا صاحب القداح:

لم تلف إلا سميعا منعه زوجة عبد المطلب:

رحماك يا رب فينا كن حافظا و معينا

واكلاً بنى بلطف قد كنت فيه قمينا

الفرعة زوجته الثانية:

يا رب لا تمنحني بحادث مرجحن

وصن حياة غلام كالفتن المطمئن

سعدى زوجته الثالثة:

يا رب صن ولدناو امنن بلطف عليا

فالقلب أمسى حريباو الدمع بات عصيا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٠٧

فاطمة زوجته الرابعة:

يا ويح عبد مناف الطاهر الأواه

و ويح نور تهادى فى وجه عبد الله

أحد اليهود المتلصصين لنفسه:

ليت القداح بعبد الله قد نزلت فإنه خطر تخشى قوارعه

عنه تحدثت الآثار من قدمو أن مولوده حانت مطالعه

عبد المطلب:

يا ضارب القداح ماذا جرى يا صاح

ما خنجرى بالصاح ظمآن للجراح

ضارب القداح:

تبينت الحقيقة لا خفاء و (عبد الله) قد كان الفداء

أبو طالب:

أخى: لا: لن يموت و قد بقينا سابدل دونه منى دماء

أيقضى صاحب النور المرجى و من يضى على الكون الرواء؟

فاطمة أم عبد الله:

و اكبدى و أين منى كبدى و اولدى و أين منى و لى

لا .. لن يموت قبل يوم مصرعى دمي فداؤه و ما تحوى يدي

عكرمة:

سأشير بالرأى الصواب و الحق ما فيه ارتياب

سيروا لكاهنة لهارأى يجيء على حساب

هى (أم ملخان) و قد عمت ماثرها الشعاب

#### المشهد الرابع

"فى صحراء نائية جرداء يبدو منزل أم ملخان الكاهنة"

أم ملخان:

يا مرحبا بالفتية الأخيار الساكنى البيت مع الأستار

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٠٨ خذوا بقول صح في الآثار أنبئكم بالعلم و الأخبار في مائة من إبل كبار تفديء للولد المختار لعل أن يجعل فيها البارى تحقيق ما قد وسعت آثارى

### المشهد الخامس

"امام الكعبة و قد رميت القداح فخرجت على الإبل"  
لنا البشارة أن السهم قد رسما على الجمال و (عبد الله) قد سلما  
فليهنأ الكون إيدانا بمولد من يعيد شمل نظام العرب ملتثما  
عبد المطلب و قد ساد الفرح الجميع:  
لك الحمد رب الكون قد وضح الأمر و أشرقت الدنيا و لاح بها الفجر  
و صان إله العرش بيتا محببا قواعده قد شادها السادة الغر  
و قرت بعبد الله عيني فإنه حشاشة قلبى فيه يزدهر العمر  
ستكتمل الأفراح يوم ولادة «لامنة» الحسناء من صاغها الطهر  
هاتف:

ما على المضنى إذا ما سفحا أدمع الأشواق فى ذكرى الحبيب  
لا تلوموا مغرما قد فرحافنه من لاعج الشوق المذيب  
و إذا المحبوب عنا نزح اعظم الشوق إليه و النحيب  
كيف أسلو و فؤادى أغرما بمفيض النور ماحى الغلس  
سيد الدنيا و رأس العظماهى من مولده فى عرس

### العيون التى فى قعر زمزم

قال الأزرقى فى تاريخه عند ذكر غور زمزم: و فى قعرها ثلاث عيون: عين حذاء الركن الأسود، و عين حذاء أبى قبيس و الصفا، و عين حذاء المروءة.

و فى تاريخ الغازى ما نصه: قال فى تحصيل المرام: أما ماؤها فإنها تثور من ثلاثة عيون، ذكر القرشى من رواية الدارقطنى أنه قد وقع فيها عبد حبشى، فنزحت من أجله فوجدوا ماءها يثور من ثلاث أعين أقواها و أكثرها ماء عين من ناحية الحجر الأسود، و ذكر الفاسى فى شفاء الغرام أن العباس بن عبد المطلب سأل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٠٩

كعب الأحبار: أى عيونها أغزر؟ قال: العين الذى تجرى من جهة الحجر، قال:

صدقت. و ذكر القرشى و الحلبي أن العيون التى فى قعرها ثلاثة: عين حذاء الركن الأسود و عين حذاء الصفا و أبى قبيس و عين حذاء المروءة.

قال: و فى نزهاء الفكر فيما مضى من الحوادث و العبر: روى القرطبي فى تفسيره عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما: أن فى زمزم عينا من الجنة من قبل الركن الأسود. و فى منسك ابن أمير الحاج قال: قال ابن شعبان: العين التى تلى الركن من زمزم من عيون الجنة.

و روى ابن أبي شيبة عن ابن عدى قال: ضع دلوك من قبل العين التي تلى البيت فإنها من عيون الجنة. انتهى من تاريخ الغازي.

### فضل ماء زمزم وميزته

بئر زمزم واقعة بجوار مقام إبراهيم أمام الكعبة المشرفة مما يلي الحجر الأسود، على بعد (١٨) مترا منه كما ذكره صاحب مرآة الحرمين. وهذه البئر هي حد المسجد الحرام في صدر الإسلام من الجهة الشرقية قبل توسعته الأولى.

ولم تكن زمزم معروفة في عهد آدم ولا في عهد نوح، وإنما كانت في عهد إبراهيم الخليل، عليهم الصلاة والسلام، حينما وصل إلى مكة بابنه إسماعيل وأمه «هاجر» وتركهما عند مكان البيت. فلما نفذ الماء التي في سقائهما وعطشا عطشا شديدا خصوصا إسماعيل عليه السلام الذي أشرف على الهلاك من العطش، ضرب جبريل عليه السلام بجناحه الأرض فخرج الماء في مكان هذه البئر الموجودة اليوم، فشربا حتى ارتويا وفاض لديهما الماء ولم ينقطع عنهما بعد ذلك كما سيأتي بيانه، وسبب تسميته بزمزم: أنه لما خرج الماء جعلت هاجر تحوط عليه وتقول: «زَمْي زَمْي» وفي الحديث: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم لكانت عينا معنا».

ولقد فضل ماء زمزم على بقية المياه من عدة وجوه:

١- كان سبب وجوده ونبعه هو إسماعيل عليه السلام وأمه «هاجر».

٢- كان إخراجه بواسطة جبريل عليه السلام.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥١٠

٣- خروجه في أقدس بقعة على وجه الأرض أمام الكعبة المشرفة في المسجد الحرام.

٤- منبعه تحت الأرض من ثلاث جهات من أشرف البقاع، جهة الركن الأسود وهو أفضلها، وجهة الصفا، وجهة المروة.

٥- زمزم شرب منه الأنبياء والأصفياء والأتقياء والأبرار.

٦- زمزم غسل به قلب النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين «بينما أنا في الحطيم مضطجعا .. الخ».

٧- لما نزعوا للنبي صلى الله عليه وسلم دلو شرب منه ثم معج في الدلو ثم صبه في البئر. كما جاء ذلك في رواية الطبراني وغيره.

٨- الأحاديث الواردة في فضله، كما ستأتي.

فماء بهذه الصفة جدير بأن يكون ماء طيبا مباركا، فماء زمزم أفضل المياه بعد الماء التابع من أصابعه صلى الله عليه وسلم و يليه ماء

الكوثر ثم نيل مصر، وقد نظم التقى السبكي ذلك بقوله:

وأفضل المياه ماء قد نبع من بين أصابع النبي المتبع

يليه ماء زمزم فالكوثر فيل مصر ثم باقى الأنهر

قال العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن شمس الدين المكي الحنفي في رسالته المسماة «بالجوهر المنظم في فضائل ماء زمزم» ما يأتي:

فائدة: إن قيل هل الفضيلة الثابتة لماء زمزم لعينه أم لأجل البقعة؟ (أجيب) بأنها له. إذ لو لم يكن كذلك للزم فيما إذا حفرت بئر

أخرى في المسجد الحرام ثبوت ما يثبت لزمزم من الفضائل لها. وليس كذلك. ثم إن من القواعد الاستجابية عندنا أن كل طواف

بعده سعى ينبغي لطائفه إتيان زمزم بعد إتمام ركعتي طوافه والشرب منها ثم العود إلى الحجر الأسود واستلامه والخروج إلى الصفا

من بابه للخروج عن عهدة السعى. وكذا يندب للواردين إلى بيت الله الحرام من الحجاج بعد فراغهم من طواف الصدر وهو طواف

الوداع أن يأتوا زمزم فيتصلعوا منها مع مراعاة آداب الشرب المتقدم ذكرها آنفا ويصبون منها على وجوههم وإن أمكنهم الاغتسال

من غير ضرر اغتسلوا وإلا فلا. انتهى من الجوهر المنظم.

وما أحلى قول العلامة الشيخ بدر الدين أحمد بن محمد المصري في زمزم:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥١١ لزمزم نفع في المزاج وقوة تزيد على ماء الشباب لدى فتك

و زمزم فاقت كل ماء بطيهاو لو أن ماء النيل يجري على مسك

هذا و إن بعض الأطباء الفضلاء قد كتب عن خواص ماء زمزم و منافعه، لم نقله هنا خوف التطويل، فإن من لم يقتنع بقول رسول الله صلى الله عليه و سلم فيه، فلا يقتنع بقول الأطباء، و إن اقتنع بقول هؤلاء من منافعه الصحية و لم يشربه اقتداء بالنبي صلى الله عليه و سلم فأين ذهب إيمانه و إسلامه؟ و مما يمتاز به ماء زمزم: أنه لا يوجد فيه ديدان و لا حشرات مطلقا لا صغيرة و لا كبيرة كما توجد في غيره من مياه الآبار و العيون.

### ما جاء في تاريخ الأزرقى عن زمزم

قال الإمام الأزرقى في تاريخه: حدثنا أبو الوليد، حدثني جدي قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن وهب بن منبه أنه قال في زمزم: و الذي نفسى بيده إنها لفي كتاب الله مضمونة و إنها لفي كتاب الله تعالى بره و إنها لفي كتاب الله سبحانه شراب الأبرار و إنها لفي كتاب الله طعام طعم و شفاء سقم.

حدثني جدي عن الزنجي عن ابن خيثم قال: قدم علينا وهب بن منبه فاشتكى، فجنناه نعوذ فإذا عنده من ماء زمزم قال: فقلنا: لو استعذبت فإن هذا ماء فيه غلظ، قال: ما أريد أن أشرب حتى أخرج منها غيره. و الذي نفسى بيده إنها لفي كتاب الله، زمزم، لا تنزف و لا تدم، و إنها لفي كتاب الله بره شراب الأبرار، و إنها لفي كتاب الله مضمونة، و إنها لفي كتاب الله طعام طعم و شفاء سقم، و الذي نفسى بيده لا يعمد إليها أحد فيشرب منها حتى يتضلع إلا نزعته منه داء و أحدثت له شفاء.

حدثني جدي قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن عن عبيد الله بن أبي يزيد عن عبيد بن عمير عن كعب أنه قال لزمزم: إنا لنجدها مضمونة صن بها لكم، أول من سقى ماءها إسماعيل عليه السلام طعام طعم و شفاء سقم.

حدثني جدي قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال:

ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تريد شفاء شفاك الله، و إن شربته لظماً أرواك الله، و إن شربته لجوع أشبعك الله، و هي هزمو جبريل بعقبه و سقى الله إسماعيل

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥١٢

عليه السلام، قال أبو الوليد: و الهزمو الغمزة بالعقب في الأرض، و قال: زمزم شقت من الهزمو.

حدثني جدي قال: حدثنا سفيان عن فرات القزاز عن أبي الطفيل قال: سمعت عليا يقول: خير و ادين في الناس و ادى مكة و واد بالهند الذي هبط به آدم عليه السلام و منه يؤتى بهذا الطيب الذي يتطيون به، و شر و ادين في الناس واد بالأحقاف و واد بحضر موت يقال له: برهوت، و خير بير في الناس بير زمزم، و شر بير في الناس بلهوت و إليها تجتمع أرواح و هي في برهوت.

حدثنا جدي عن سفيان عن إبراهيم بن نافع عن ابن أبي حسين أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، بعث إلى سهيل بن عمرو يستهديه من ماء زمزم فبعث إليه براويتين و جعل عليهما كراغوطيا.

حدثنا جدي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن ابن جريج قال:

حدثني ابن أبي حسين أنه قال: كتب رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى سهيل بن عمرو، إن جاءك كتابي هذا ليلا فلا تصبحن، و إن جاءك نهارا فلا تمسين حتى تبعث إلى بماء زمزم، فاستعانت امرأته أثيلة الخزاعية جدة أيوب بن عبد الله فأدلجتها و جواريهما فلم يصبحا حتى قرنا مزادتين و فرغتا منهما فجعلهما في كرين غوطيين ثم ملأهما و بعث بهما على بعير.

حدثني جدي قال: حدثنا عبد الجبار بن الورد، حدثنا عبد الملك بن الحارث بن أبي ربيعة المخزومي عن عكرمة بن خالد قال: بينما أنا ليلة في جوف الليل عند زمزم جالس، إذ نفر يطوفون عليهم ثياب بيض لم أر بياض ثيابهم لشيء قط، فلما فرغوا صلوا قريبا مني فالتفت بعضهم فقال لأصحابه: اذهبوا بنا نشرب من شراب الأبرار، قال: فقاموا و دخلوا زمزم فقلت: و الله لو دخلت على القوم فسألتهم،

فقلت فدخلت فإذا ليس فيها من البشر أحد.

حدثني جدى قال: حدثنا عبد الجبار بن الورد عن رجل يقال له رباح مولى لآل الأحنس أنه قال: أعتقني أهلى فدخلت من البادية إلى مكة فأصابني بها جوع شديد حتى كنت أكوّم الحصا ثم أضع كبدى عليه، قال: فقامت ذات ليلة إلى زمزم فترعت فشربت لبنا كأنه لبن غنم مستوحمة أنفاسا.

حدثني محمد بن يحيى عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن عمر بن عبد الله القيسى عن جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم عن عبد الله بن غنم عن العباس بن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥١٣

عبد المطلب، قال: تنافس الناس في زمزم في الجاهلية حتى إن كان أهل العيال يقدون بعيالهم فيشربون منها فتكون صبوحة لهم و قد كنا نعدّها عوناً على العيال.

حدثني محمد بن يحيى عن سليم بن مسلم عن سفيان الثوري عن العلاء بن أبي العباس عن أبي الطفيل قال: سمعت ابن عباس يقول: كانت تسمى في الجاهلة شباعاً- يعنى زمزم- و يزعم أنها نعم العون على العيال.

حدثني محمد بن يحيى عن الواقدي عن عبد الحميد بن عمران عن خالد بن كيسان عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: التطلع من ماء زمزم براءة من النفاق.

و حدثني جدى عن سعيد بن عثمان قال: حدثنا أبو سعيد عن رجل من الأنصار عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: علامة ما بيننا وبين المنافقين أن يدلوا دلوا من ماء زمزم فيتضلعوا منها، ما استطاع منافق قط يتضلع منها. و عن الواقدي عن الثوري عن مغيرة بن زياد عن عطاء أن كعب الأحبار حمل منها ثنتي عشرة راوية إلى الشام، و عن الواقدي عن ثور بن يزيد عن مكحول عن كعب الأحبار أنه كان يحمل معه من ماء زمزم يتزوده إلى الشام، و عن الواقدي عن ثور بن يزيد عن مكحول عن كعب الأحبار أنه كان يحمل معه من ماء زمزم يتزوده إلى الشام، و عن الواقدي عن ابن أبي ذؤيب عن القاسم بن عباس عن باباه مولى العباس بن عبد المطلب قال: جاء كعب الأحبار بإداوة من ماء إلى زمزم و نحن ننزع عليها فنحنياها عنها، فقال العباس رضى الله عنه: دعوه يفرغها فيها و استقى منهما إداوة و قال: إنهما ليتعارفان- يعنى إيليا و زمزم-

حدثني جدى قال: حدثنا عيسى بن يونس قال: حدثنا عنبسة بن سعيد الرازي عن إبراهيم بن عبد الله الخاطبي عن عطاء عن ابن عباس قال: صلوا في مصلى الأخيار، و اشربوا من شراب الأبرار، قيل لابن عباس: ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب، قيل: و ما شراب الأبرار؟ قال: ماء زمزم.

حدثني جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرني ابن جريج قال: سمعت أنه يقال: خير ماء في الأرض ماء زمزم و شر ماء في الأرض ماء برهوت- شعب من شعاب حضر موت- و خير بقاع الأرض المساجد و شر بقاع الأرض الأسواق.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥١٤

حدثني جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرني ابن جريج قال: حدثني عبد الله بن أبي بريدة عن عبد الله بن إبراهيم بن قارظ أن زبيد بن الصلت أخبره أن كعباً قال لزمزم مرة: مضمونه ضن بها لكم أول من أخرجت له إسماعيل و نجدها طعام طعم و شفاء سقم. قال ابن جريج: و أخبرني يزيد بن أبي زياد عن شيخ من أهل الشام قال: سمعت كعباً يقول: إنى لأجد في كتاب الله تعالى المنزل أن زمزم طعام طعم و شفاء سقم.

حدثني جدى قال: حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرني الكلبي عن عون بن حميد بن مل عن عبد الله بن الصامت ابن أبي ذر أنه قال: قال لى عمى أبو ذر: يا ابن أخى فى حديث حدث به عن مقدم أبى ذر مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، و كان فى حديثهما أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: متى كنت ها هنا؟

قال: قلت: أربع عشرة بين يوم و ليلة و ما لى طعام و لا شراب إلا ماء زمزم فما أجد على كبدى سخفه و جع و لقد تكسرت عكن بطنى فقال: إنها طعام طعم.

حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج أخبرنى عبد العزيز بن أبى رواد قال: أخبرنى رباح عن الأسود قال: كنت مع أهلى بالبادية فابتعت بمكة فاعتقت فمكثت ثلاثة أيام لا أجد شيئاً آكله، قال: فمكثت أشرب من ماء زمزم فانطلقت حتى أتيت زمزم فبركت على ركبتى مخافة أن أستقى و أنا قائم فيرفعى الدلو من الجهد، فجعلت أنزع قليلاً قليلاً حتى أخرجت الدلو فشربت فإذا أنا بصريف اللبن بين ثناياى فقلت: لعلى ناعس فضربت بالماء على وجهى و انطلقت و أنا أجد قوة اللبن و شعبه.

حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى عبد العزيز بن أبى رواد أن راعياً كان يرعى و كان من العباد فكان إذا ظمى وجد فيها لبناً و إذا أراد أن يتوضأ وجد فيها ماء.

حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى مقاتل عن الضحاك بن مزاحم قال: بلغنى أن التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق، و أن ماءها يذهب بالصداع و أن الاطلاع فيها يجلو البصر، و أنه سيأتى عليها زمان يكون أعذب من النيل و الفرات، قال أبو محمد الخزاعى: و قد رأينا ذلك فى سنة إحدى و ثمانين و مائتين، و ذلك أنه أصاب مكة أمطار كثيرة فسال وادىها بأسيال عظام فى سنة تسع و سبعين و سنة ثمانين و مائتين، فكثر ماء زمزم و ارتفع حتى كان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥١٥

قارب رأسها فلم يكن بينه و بين شفتها العليا إلا سبعة أذرع أو نحوها، و ما رأيتها قط كذلك و لا سمعت من يذكر أنه رآها كذلك، و عذبت جدا حتى كان ماؤها أعذب من مياه مكة التى يشربها أهلها، و كنت أنا و كثير من أهل مكة نختر الشرب منها لعذوبته و إنا رأيناها أعذب من مياه العيون و لم أسمع أحداً من المشايخ يذكر أنه رآها بهذه العذوبة، ثم غلظت بعد ذلك فى سنة ثلاث و ثمانين و ما بعدها، و كان الماء فى الكثرة على حاله و كنا نقدر أنها لو كانت فى بطن وادى مكة لسال ماؤها على وجه الأرض لأن المسجد أرفع من الوادى و زمزم أرفع من المسجد، و كانت فجاج مكة و شعابها فى هاتين السنتين و بيوتها التى فى هذه المواضع تتفجر ماء. انتهى كل ذلك من تاريخ الأزرقى.

### ماء زمزم لا تؤثر فيه الجراثيم و الميكروبات

يقول بعض الأطباء فى زماننا أنهم قد حللوا ماء زمزم، فوجدوا فيه بعض الجراثيم و الميكروبات التى تحمل بعض الأمراض، تأتى إلى بئر زمزم من السيول و الأمطار و من بعض ما يتسرب إليها من رطوبات المنازل المجاورة لها، فهو إذن لا يصلح للشرب. هكذا يحكمون على ماء زمزم.

فنحن نرد عليهم بما يأتى: إن ماء زمزم قد وجدت بمكة المشرفة منذ أربعة آلاف سنة فى هذا القفر من الصحراء الواسعة الأطراف، أخرجته الله تعالى لنبىه الكريم إسماعيل و أمه هاجر، عليهما الصلاة و السلام، حينما أتى بهما خليل الله تعالى إبراهيم، صلوات الله و سلامه عليه، و تركهما فى هذا المكان القفر و حدهما كما أمره الله عز و جل بذلك حسبما ذكرنا قصتهم حينما كان طفلاً رضيعاً. إن ماء زمزم يمتاز عن مياه الدنيا بما يأتى:

- (١) أن ماء زمزم أخرجته جبريل عليه السلام، بأمر ربه لنبى الله إسماعيل بن إبراهيم، عليهما الصلاة و السلام.
- (٢) أنه ماء ينبع من تحت الكعبة المعظمة بيت الله الحرام، و من جهة الصفا و جهة المروة و هما من المشاعر العظام.
- (٣) لقد كان نبينا (محمد) صلى الله عليه و سلم يطلبه من مكة بعد هجرته إلى المدينة.
- (٤) أن رسول الله صلى الله عليه و سلم حث على شربه و التضلع منه بأن يملأ الإنسان ضلوعه منه أى يشرب منه كثيراً.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥١٦



(٥) لقد ورد في فضل ماء زمزم بعض أحاديث منها. قوله صلى الله عليه وسلم: «ماء زمزم لما شرب له» رواه الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: (ماء زمزم لما شرب له فإن شربته تستشفى به شفاك الله، وإن شربته مستعيذا أعاذك الله، وإن شربته لتقطع ظمأك قطعه الله، وإن شربته لشبعك أشبعك الله، وهي هزموه جبريل وسقيا إسماعيل). رواه الدار قطنى وغيره.

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: (ماء زمزم شفاء من كل داء). ومعنى هزموه جبريل بفتح الهاء وسكون الزاى أى: غمزته بعقب رجليه. ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: (التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق) رواه الإمام الأزرقى فى تاريخ مكة. ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: (آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم) رواه البيهقى.

(٦) أن ماء زمزم قد غسل به صدر نبينا (محمد) صلى الله عليه وسلم، غسله جبريل عليه السلام، بعد شقه كما هو ثابت فى الصحيحين.

(٧) أن ماء زمزم قد شرب منه الأنبياء الأخيار الذين اصطفاهم الله تعالى، وشرب منه العلماء العاملون والأئمة الأبرار، وشرب منه الأولياء الصالحون وأولو الهداية والأسرار، ويشرب منه فى كل وقت وحين جميع المؤمنين إلى أن تقوم الساعة يشرب الجميع بإيمان ويقين وصدق وإخلاص، وحب ورغبة، والشرب بالدلو من نفس بئر زمزم أحلى وأصفى وألذ وأطعم، كما هو مجرب عند جميع الناس، ومن عجيب أمر ماء زمزم أن لونه كلون جميع مياه الدنيا ولكن طعمه يختلف عنها، إن طعمه لذيد سائغ للشاربين، إنه يمتاز بطعمه الخاص ومنافعه الخاصة.

فماء زمزم هذه ميزاته وهذه صفاته كيف تؤثر فيه الجراثيم والميكروبات كما يقوله الأطباء، وهل هذه الجراثيم والميكروبات هى من مخلوقات زماننا هذا أم كانت موجودة من الأزمان القديمة؟ إننا لم نسمع قط من قديم العصور والدهور أن أحدا ممن كان يشرب من ماء زمزم قد أصابته الأمراض الخبيثة بسبب وجود الجراثيم والميكروبات فى ماء زمزم الذى شربه، بل إننا سمعنا كثيرا من قديم العصور والأزمان، أن كثيرا من المؤمنين بالله ورسوله كانوا يشربون من ماء زمزم بنية الشفاء من الأمراض، أو بنية التوفيق والتوبة، أو بنية العلم والفهم، أو بنية إذهاب الهم والغم وإزالة الكرب، إلى غير ذلك مما شربوه لأجله، فنالوا بغيتهم وتحصلوا على مطلوبهم، بل وفى زماننا هذا ومن أهل مكة وغيرهم قد جربوه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥١٧

وشربوه لمختلف المقاصد فنالوا مآربهم، وقصصهم موجودة فى بطون الكتب والأخبار لا ينكر ذلك إلا جاهل بأمور دينه ومكابر لا يؤمن بالغيب وإنما يؤمن بالمحسوسات والمشاهدات.

إننا نعتقد اعتقادا جازما أن الميكروبات والجراثيم إذا دخلت مع السيول والأمطار فى بئر زمزم، أو أن شخصا أتى بها فى قارورة أو إناء وصبها ورمها فى بئر زمزم، أنها تتلاشى مفعولها ويذهب تأثيرها بقدرة الله الواحد الأحد حتى ولو كانت هذه الجراثيم والميكروبات فى هيئة أجسام ظاهرة ملموسة، لا نعدم تأثيرها وذهب ضررها بمجرد رميها فى بئر زمزم وملاستها للماء، وعندنا بعض الأدوية الشديدة الحساسية يقول عنها الأطباء: «احذروا عند استعمالها أن تلمسوها بأجسامكم أو تقع على فراشكم، فإنها إذا حصل ذلك لها بطل نفعها بتاتا فلا فائدة من استعمالها- فإذا قرر الأطباء هذا، أفلا نقول ونحن المؤمنون بقول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، أن الجراثيم والميكروبات إذا وجدت فى ماء زمزم لا تأثير لها ولا مفعول.

إن بئر زمزم فى هذه الأزمنة المتأخرة أكثر صيانة وحفظا وقاية من الأزمنة الماضية، إن بئر زمزم فى العصور الأولى منذ آلاف السنين، كانت فى خلاء صحراوى، وكان الذين يستقون منها من الأعراب الأجلاف، على اختلاف طبقاتهم فى نظافة أجسامهم وثيابهم، وكانوا يحضرون إلى البئر بمواشيهم لسقيها، فهل ورد فى الأخبار والتواريخ أنهم أو مواشيهم أصيبوا بالأمراض الخبيثة لأنهم شربوا من بئر زمزم؟ كلا والله لم يرد ذلك قط. بل ورد عكس هذا الأمر من الشبع والشفاء.

عجبا و الله لقول الأطباء و أكثرهم لا- يؤدون فرائض الله تعالى يقولون إن ماء زمزم لا يصلح للشرب لوجود الجراثيم و الميكروبات فيه، فهل نسمع لقولهم و هم لا- يعرفون من الدين إلا- اسمه، أم نسمع نبينا الحبيب (محمد) صلى الله عليه و سلم، و هو الصادق الصدوق الذى لا ينطق عن الهوى. كيف تؤثر الميكروبات و الجراثيم فى ماء أخرجه جبريل لإسماعيل و شرب منه إبراهيم الخليل و الأنبياء من بعده على جميعهم أفضل الصلاة و أتم السلام؟ كيف تؤثر هذه الجراثيم و الميكروبات غير الظاهرة فى ماء شرب منه نبينا الأعظم صلى الله عليه و سلم؟ شرب من دلو البئر ثم طرح هذا الدلو و ما فضل فيه فى نفس هذا البئر الطاهر الشريف. كيف تؤثر هذه الجراثيم و الميكروبات فى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥١٨

ماء غسل به صدر نبينا (محمد) صلى الله عليه و سلم، غسله جبريل عليه السلام، فى طست من الذهب كما هو ثابت فى كتب الحديث. كيف تؤثر هذه الجراثيم و الميكروبات فى ماء ينبع من تحت الكعبة المعظمة و المسافة بينهما منذ آلاف السنين إلى اليوم لا تتجاوز اثنى عشر مترا. كيف تؤثر الجراثيم و الميكروبات فى ماء ينبع من تحت جبل الصفا و جبل المروة بقرب الكعبة و هما من المشاعر العظام؟ لا- و الله يستحيل تأثير الجراثيم و الميكروبات فى ماء زمزم و هو أفضل مياه الدنيا على الإطلاق، و الله سبحانه و تعالى لقادر على دفع جميع الأمراض و العلل من ماء زمزم.

إننا نخشى على الطبيب الذى يقول بوجود الجراثيم و الميكروبات فى ماء زمزم و ينفّر الناس من شربه، نخشى عليه من انتقام الله عز و جل. و لو قاله الأطباء فى غير ماء زمزم لما أنكرنا عليهم ذلك، أما شرب ماء زمزم فهو من الأمور الدينية التى تحتاج إلى إيمان و يقين، و الإيمان أقوى سلاح فى يد الإنسان و فى هذا المبحث قد ظهر لك الحق من الباطل، فاختر لنفسك ما يحلو، و الله الموفق للصواب و إليه المرجع و المآب، و الحمد لله رب العالمين.

### التضلع من ماء زمزم

روى الإمام الأزرقي فى تاريخ مكة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال: «التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق». و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن التضلع من ماء زمزم علامة ما بيننا و بين المنافقين»، و روى الطبرانى و غيره: أنه صلى الله عليه و سلم جاء إلى زمزم فزرعوا له دلوفا فشرب ثم مج فى الدلو ثم صبه فى زمزم، ثم قال: لولا أن تغلبوا عليها لتزعت معكم، و فى رواية أنه غسل وجهه و تمشض منه ثم أعاده فيها. ٥١.

و التضلع هو الشرب من ماء زمزم حتى تمتلئ أضلاعه و هذا كناية عن الشبع منه، ففى مختار الصحاح، تقول تضلع الرجل أى امتلأ شبعاً و رياً. ٥١.

و لقد ألفت بعضهم رسائل فى ماء زمزم منها رسالة (الجوهر المنظم فى فضائل ماء زمزم) للعلامة الشيخ أحمد بن محمد ابن شمس الدين المكي رحمه الله تعالى و هذه الرسالة مطبوعة بمصر سنة (١٣٣٢) هجرية مطبوعة ضمن ثلاث رسائل: (الأولى): منح المعين فى شرح الأربعين.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥١٩

(و الثانية): الإتحاف فى فضل الطواف.

(و الثالثة): الجوهر المنظم فى فضائل ماء زمزم.

فالتضلع من ماء زمزم هو كالتضلع من شرب اللبن الحليب، و للتضلع من ماء زمزم فوائد عظيمة خصوصا إذا كان الشرب من دلو بئر زمزم و فى الصباح الباكر قبل أن يأكل الإنسان شيئا، و أهل مكة يتضلعون من ماء زمزم كثيرا، فالتضلع من ماء زمزم يذهب كثير من الأمراض الباطنية كوجع البطن و المغص و تفتيت الحصا من المثانة، و إطلاق البول و غير ذلك، و من تضلع من ماء زمزم فى الصباح

الباكر يلين البطن كالشربة و كل هذا معروف مشهور عندنا بمكة، و لقد حصل لبعضهم قبض شديد فى بطنه حتى أنه لم يتبرز أياما، فذهب إلى المسجد الحرام و بعد صلاة الفجر ذهب إلى بئر زمزم فشرّب منه كثيرا حتى امتلأت أضلاعه، فما كان بعد ساعتين أو ثلاثة إلا- و جاءه الفرج فانطلقت بطنه و خرج منه كل غثاء، فاستراح راحة تامة و ذهب عنه جميع الآلام و الأوجاع و قد حصل لكثير من الرجال مثل ذلك.

و الحكايات فيه شفاء المرضى و بلوغ المقاصد بعد أن تضلعوا من ماء زمزم مرارا بإخلاص و صدق و عزيمة كثيرة جدا لو أحصيناها لطال بنا المقام، و لا غرابة فى ذلك أليس رسول الله صلى الله عليه و سلم قال و هو الصادق المصدوق: (ماء زمزم لما شرب له) و المؤمن ألا- يصدق نبي الرحمة و رسول الأمة و هو الذى لا- ينطق عن الهوى صلى الله عليه و سلم و على آله و أزواجه و ذريته و صحابته أجمعين، إنه عليه الصلاة و السلام، قد حث أمته المرحومة على شرب ماء زمزم و رغبهم فيه، أفلا يصدق المؤمن هذا النبي الكريم، عليه الصلاة و التسليم، الذى لا ينطق عن الهوى؟ بلى و الله إنه يصدق رغم أنفه و لو أخبر عن حتفه، و إننا نحذر كل طبيب يقول بوجود الجراثيم و الميكروبات فى ماء زمزم و ينفر الناس عن شربه، أن مثل هذا القول يتعارض مع قول رسول الله صلى الله عليه و سلم. و أى مسلم تطيب نفسه أن يعارض النبي الكريم عليه الصلاة و التسليم، فى أقواله الكريمة و أفعاله الشريفة. و فى المبحث السابق أبطلنا تأثير الجراثيم و الميكروبات فى ماء زمزم، فإنه من الجائز أن الله سبحانه و تعالى يجعل فى ماء زمزم خاصية تدفع عنه كل الجراثيم و الميكروبات دفعا قويا سريعا، منذ ظهوره فى أيام إسماعيل عليه السلام، إلى قيام الساعة و الله على كل شىء قدير.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٢٠

ففى جميع المخلوقات من الحيوانات و الجمادات، من الحكم و الأسرار ما لا يعلمها إلا الله الواحد القهار. هذا و إننا نشبه قول الأطباء الذين يقولون بوجود الجراثيم و الميكروبات فى زمزم بصفة الدجال الذى أخبرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم عنه. فقد جاء فى أواخر صحيح مسلم فى باب ذكر الدجال أن الدجال يخرج و أن معه ماء و نارا فأما الذى يراه الناس ماء فناره تحرق و أما الذى يراه الناس نارا فماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يراه نارا فإنه ماء عذب طيب. ٥١.

نقول: إن هذا الحديث الصحيح هو أعظم امتحان يميز المؤمن من الكافر فى آخر الزمان، فالمؤمن يطأطئ رأسه بإيمان و يقين فى نار الدجال ليجده ماء عذبا باردا، فكذلك المؤمن بقول رسول الله صلى الله عليه و سلم فى ماء زمزم فإنه يشربه و يتضلع منه غير ناظر إلى قول الأطباء بوجود الجراثيم و الميكروبات فيه فاختر لنفسك ما يحلو.

أما التضلع بغير ماء زمزم فإنه يضر، لأن الشرب من المياه العذبة الأخرى يكون بقدر الحاجة، فإن زاد عن الحاجة ضر و لم ينفع، كما هو مجرب واقع معروف لدى جميع الناس، و هذا لا يحتاج إلى دليل و لا برهان و لا تطويل الكلام، و التجربة أكبر برهان لكل إنسان. و الله الموفق للصواب و إليه المرجع و المآب.

و الحمد لله أننا لم نجد فى جميع البلاد و جميع الحجاج فى كل عام من يستمع لقول الأطباء و توهماتهم فى ماء زمزم بل جميع الناس يهجمون على ماء زمزم بإيمان و إخلاص و شوق و رغبة، فيشربون منه ملء بطونهم و يتضلعون منه ملء أضلاعهم ما داموا فى مكة المكرمة.

قال مؤلف هذا الكتاب محمد طاهر الكردى الخطاط غفر الله تعالى له، فى ماء زمزم و فضله:

زمزم خارج بأمر الله أغاثه لابن خليل الله

و أمه هاجر حين سكنابمكة و بعده زال العنا

و الابن هذا هو إسماعيل ذاك النبي الصادق النبيل

ابن خليل الله إبراهيم عليهما الصلاة و التسليم

و كان إسماعيل و هو يرضع عند خروج الماء و هو ينبع

قد وصلت حالته من الضرر من عطش في منتهى من الخطر  
خافت عليه أمه الموت و لأنيس و لا وحش لديهم لا و لا  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٢١ قامت لتسعى سعيها في الوادي فربما يغيثها منادى  
إذ سمعت صوتا كصوت شخص فهرولت تسعى أشد الحرص  
فرأت الماء يفور جاريا صارت تحوطه ليبقى باقيا  
أخرجه جبريل رفقا بهما صلى عليه ربنا و سلما  
في ذلك العهد من الزمان بأمر رب الملك الديان  
فشربت هاجر بعد أن سقت وليدها فرويا و فرحت  
أغاثها رب العباد المنعم و صانها من الردى المحتم  
بذا أتى الحديث في الصحيح فلا تمل عن قولنا الصحيح  
و البئر عن محله القديم بقرب بيت ربنا الكريم  
لم تنتقل بل هي باق لم تزل فهذه حكمته عز و جل  
فماء زمزم تجد فيه الشفا من فاته منه الشراب أسفا  
فاشرب بأى نية أردتها فإن شربت صادقا و جدتها  
فاشرب هنيئا و تضلع منه بكثرة لتستفيد منه  
هذا هو الوارد في الحديث فاسع إليه سعيك الحثيث  
فالمؤمن الصادق في الإيمان ينفعه حديث أهل الشان  
\*\*\*

من تحت بيت الله يأتي الماء لبئر زمزم فنعم الماء  
كذاك يأتي الماء من تحت الصفا و أسفل المروة عذبا و صفا  
مسافة البيت لبئر زمزم عشرة أمتار أخى فافهم  
فهو لذاك أفضل المياه و ليس في ذا مطلق اشتباه  
ماء لطيف سائغ شرابه من ذاقه دام له شرابه  
فاشرب و اتحف جارك الحبيبا و ضيفك العزيز و القريبا  
اشرب و لا تنظر لقول قائل من الأطباء و أهل الباطل  
بأن ماء زمزم ملوث بالميكروبات إن زالا يحدث  
و بالجراثيم التي فيها ضرر في قولهم هذا عليهم الضرر  
إذ أنهم ينفرون الناس من شربه فيهم التباسا  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٢٢ أما رسولنا الحبيب المصطفى قد قال ماء زمزم فيه الشفا  
ما بعد قول صاحب الشريعة قول فكل قوله خديعة  
ما قد سمعنا في العصور الأول من قوله كمثل قول القائل  
فاشرب هنيئا منه فهو ماء ما مثله ماء فنعم الماء  
فليس في الدنيا كبر زمزم بئر يدانى ماؤها لززم

موضعها في أشرف البقاع يشرب منها الناس بالصواع  
 بقرب بيت الله في المطاف فيا لها من شرف الأوصاف  
 فشرب زمزم كذا التضلع براءة من النفاق فاسمعوا  
 و إنه شاف من الأسقام و مشبع لجائع الطعام  
 ياذن رب الملك الكبير و راحم الضعيف و الأمير  
 بذا أتى الحديث من خير البشر للمسلمين فاعرفوا هذا الخبر  
 \*\*\*

يا أهل مكة و يا خير الأمم يا من لهم فضل و عز و شمم  
 قد أنعم الله عليكم بنعم كثيرة و فيرة و بالكرم  
 فبادروا بشكر رب البيت يرزقكم من الحلال البحت  
 و بالصبر و الصلاة و الصيام و الحج و الزكاة و القيام  
 لكل خير و لكل برفانتموا أهل لكل بر  
 و إنما الأعمال بالنيات و إنما الأجر على الثبات  
 «و الله لولا الله ما اهتدينا و لا تصدقنا و لا صلينا»  
 فامن علينا بالرضا و العافية و العفو و الغفران فهي الشافية  
 و اختتم حياتنا على الإيمان و العمل الصالح و الإحسان  
 و الحمد لله على الختام ثم صلاة الله بالسلام  
 على نبينا الحبيب المصطفى و آله و صحبه أولى الوفا  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٢٣

### بقاء ماء زمزم إلى يوم القيامة

روى الإمام الأزرقي في تاريخه عن مقاتل عن الضحاک بن مزاحم، قال: إن الله عز و جل يرفع المياه العذبة قبل يوم القيامة، و تغور المياه غير زمزم و تلقى الأرض ما في بطنها من ذهب و فضة، و يجيء الرجل بالجراب فيه الذهب و الفضة، فيقول: من يقبل هذا مني؟ فيقول: لو أتيتني به أمس قبلته. انتهى منه.

### تحريم العباس رضي الله تعالى عنه الاغتسال بماء زمزم

روى الإمام الأزرقي في تاريخه، عن زر بن حبیش قال: رأيت عباس بن عبد المطلب في المسجد الحرام و هو يطوف حول زمزم يقول: لا أحلها لمغتسل و هي لمتوضئ و شارب حل و بل، قال سفيان: يعني لمغتسل فيها، و ذلك أنه وجد رجلا من بني مخزوم، و قد نزع ثيابه و قام يغتسل من حوضها عريانا. انتهى منه.  
 و معنى: حل، أي: محلل.

نقول: إن العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه، قد حرم الاغتسال من ماء زمزم عند ما رأى رجلا عريانا يغتسل منه و هو في داخل المسجد الحرام قريبا من الكعبة المشرفة، و له الحق في ذلك غير أنه على حرمة المسجد الحرام و حرمة الكعبة المشرفة و حرمة فضل ماء زمزم. فهذا التحريم منه على مذهبه الخاص.

و المعتمد عند من أتى بعده من أصحاب المذاهب الأربعة أنه يجوز الاغتسال من ماء زمزم و الأولى و الأفضل ترك ذلك مراعاة لشرف ماء زمزم و فضله. لا زال ماء زمزم جاريا نابعا إلى يوم القيامة بفضل الله تعالى و رحمته.

### سقاية العباس

جاء في كتاب مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت باشا ما نصه: سقاية العباس حجرة كبيرة شرقي الكعبة و جنوبي زمزم ذات نوافذ، و سقفها جملي (جملوني) بارز عن جدرها ليستظل به الناس، و قد وصفها الناس في وقته فقال: إنها بيت مربع في أعلاه قبة كبيرة و في جهاتها الأربع عدا الجنوبي منها شبايك من حديد و في جانبها الشمالي من الخارج حوضان بينهما الباب، و في وسط البيت بركة كبيرة تملأ بالماء من زمزم بواسطة قناة سماوية من زمزم إلى جدر البيت ثم يسلك

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٢٤

قناة أرضية إلى البركة، فيخرج منها الماء على شكل فوارة و قال: إنها عمرت في سنة ٨٠٧ هجرية. و قد كان العباس بن عبد المطلب يسقى فيها الحجيج، و قد ذكر الناس: أن مقدار ما بين هذه السقاية و الحجر الأسود ثمانون ذراعا بالذراع الحديد ٥٦ سنتيما و سبعا. انتهى من مرآة الحرمين.

جاء في تاريخ الغازي ما نصه: قال العلامة ابن فهد: سقاية العباس كانت بين الركن و زمزم بالقرب من مجلس سيدنا عبد الله بن عباس فأخرها عبد الله بن الزبير إلى موضعها الآن و كانت قبتها من خشب ثم عمرت بالحجر في زمن الخليفة المعتمد أحمد بن المتوكل العباسي في عام تسعة و خمسين و مائتين.

و قال شهاب الدين أحمد بن حسن: عمرها محمد بن هارون بن عباس بن إبراهيم لما حج بالناس من خشب العاج و سقفها به على حكم المقعد الظريف في بيت التبريع مزخرفا بماء الذهب و جعل البركة كلها من رخام منقوش و كتب اسمه في نقش الرخام و استمر بناؤه إلى سنة ثلاثمائة و خمسين، فحج بالناس أحمد بن محمد بن عيسى العباس فهدم ذلك و بناه على أربعة أعمدة مفتحة من سائر الجوانب الأربعة و سقفها بالخشب المذهب و أبقى البركة على بنائها الأصلي و استمر بناؤه إلى سنة ثلاثمائة و ثلاثين و سبعين.

و لما حج بالناس جعفر بن علي بن سليمان العباسي، سقفها لسقوطها و انهدامها و جعلها من حجر و نورة و استمر ذلك إلى سنة أربعمائة و ثلاثين، فحج بالناس عمر بن الحسن و قد انهدم ذلك البناء فبناها كلها على صفة بيت مربع و جعل لها بابان شرقي و غربي و أحسن عمارتها و استمر ذلك البناء إلى سنة خمسمائة و عشرين فجددها إبراهيم العباسي.

قال ابن فهد: ثم عمرها الجواد الأصفهاني صاحب الموصل في أول القرن السادس.

قال الفاسي في العقد الثمين: و آخر عهد عمرت فيه هذه السقاية سنة ثمانمائة و سبعة بعد سقوط القبة التي كانت بها و كانت من خشب من عمل الجواد الأصفهاني فعملت من حجر و قد عمرها وزير صاحب الموصل و أم الخليفة الناصر لدين الله العباسي.

قال ابن فهد في لطائفه: المستكفي في سنة خمسمائة و تسعة و الملك المظفر عمر في سنة ستمائة و أربع و سبعين و أحمد بن عمر المرجاني في سبعمائة و عشرين،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٢٥

قال ابن فهد: ثم عمرها محمد بن قلاوون في سبعمائة و ستة ثم في زمن الظاهر برقوق في ثمانمائة و سبعة و سبب هذه العمارة سقوط القبة، قال الفاسي: و قد عمرها قايتبائي في سنة ثمانمائة و أربع و سبعين ثم عمرت في سنة ثمانمائة و أربع و تسعين.

قال الشيخ عبد العزيز بن عمر بن فهد في بلوغ القرى: و في يوم الأحد رابع عشر شهر رجب سنة (٨٩٣) ثلاث و تسعين و ثمانمائة شرع في هدم قبة الشراب التي يقال لها قبة العباس. فهدمت إلا الجانب التي يلي بيت الزيت فترك و هدم أيضا الشراريف التي فوق بيت الزيت بل و هدمت الدرجة التي به و هدم جوانب البركة و بعض القائم التي بوسطها و أذيب الرصاص في المسجد الحرام و جعل بين

الحجارة التي في المطاف و ما يتصل به، و في يوم الاثنين خامس عشر الشهر شرع في بنائها و فرغ منها في رمضان و عمل لها بوابة عظيمة مبنية بحجارة صفر منحوتة ملونة من داخلها و خارجها و بوسطها بركة كبيرة و لها شبابيك ثلاثة من حديد و حوضان بيزابيز يشرب منها الأنام و علوها قبة عظيمة شاهقة مستقيمة.

و في شهر رمضان من السنة المذكورة كمل عمل قبة العباسي و تبييضها و أعيدت على هيئته إلا أنها كانت مربعة فجعلت مثمثة و كان بها ستة شبابيك فجعلت أربعة و جعل عند سطحها أربع طاقات للنور و جعل لها شراريف و لم يجعل لبيت الزيت شراريف حتى لا يعلو و صفر جدر البركة ليتسع بطن القبة و لم يقدروا على إعادة بيزابيز الفوارة التي بوسط البركة فإنهم كسروه قصدا و جعل تحت الشباكين اللذين بجنب الباب حوضين بيزابيز يشرب منها الناس و على الأربعة الشبايك التي بالقبة أربعة شبابيك حديد ثم في خلفها أربعة شبابيك خشب للأربعة الطاقات المناور التي في أعلا القبة و في هذا الشهر جعل في زمزم العمودان الرخام و كأنهما دعامة واحدة و يقال إن أحدهما كان بمكة و الآخر جيء به من المدينة. انتهى.

قال في تحصيل المرام: و ممن عمرها بالنورة و أحدث فيها دكة و جدد هلالها الوزير حسن باشا في حال وروده مكة من اليمن قاصدا البلاد الرومية أوسط ربيع الأول سنة مائة و ستة عشرين بعد الألف و بنى قبل هذه السنة مكانا للوقادين بآخر المسجد عند باب بازان ذكره الشيخ خليفه الزمزمي ثم قال: و أما صفتها الآن فهي قبة كبيرة مثمثة إلى نصفها يدخلها الإنسان من باب شامي له عتبان و على يمين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٢٦

الداخل دكة كبيرة إلى نصف القبة من دائر و لها شباك غربي و شباك آخر يشرف جهة باب على و بوسطها بركة مثمثة باشرت زرعها بيدي فوجدت طولها خمسة أذرع الإقراطين بالذراع الحديد و عرضها دائر اثنا عشر ذراعا و أربعة عشر قيراطا و عمقها زيادة عن قامه و في وسط البركة عمود يصل إليه الماء من خشبة في زمزم يصب الماء فيها ثم ينزل في حاص و منه لدليل يحازي بطرف قبة الفراشين إلى باطن العمود المذكور فيفيض الماء فيه و يملأ البركة المذكورة فتدخل الناس و تشرب من البركة بمغاريف انتهى.

و قال الشيخ عبد الرؤوف المنادي: سقاية العباس كانت حياضا بالمسجد الحرام و الآن تسقى في بركة و أصلها بيد قصي ثم لابنه عبد مناف ثم لابنه هاشم ثم لابنه عبد المطلب ثم لابنه عباس ثم لابنه عبد الإله بن عباس ثم لابنه علي و هكذا ثم صارت لغيرهم. و قال الجلال السيوطي في رسالته الأساس في مناقب بني العباس: ثم من بعد علي بن عبد الله صارت لابنه محمد ثم لابنه عبد الإله ثم لابنه المنصور أبي جعفر ثم لابنه المهدي بن عبد الله محمد ثم لابنه أبي جعفر هارون الرشيد إلى أن قال: ثم لابنه الموفق علي إلى أن قال: ثم ليعقوب المقتدر بأمر الله ثم لابنه عز الدين المستنجد بأمر الله. انتهى.

و كانت لهم نواب إلى أن بقيت في ذرية أولاد الشيخ علي بن محمد بن داود البيضاوي المعروفين الآن ببيت الريس، و قد تركت الآن سقاية العباس و صارت الحجاج و الناس يشربون من دوارق و أزيار توضع بالمسجد محبة من أهل الخير.

قال ابن حجر: و سقاية العباس لآل العباس أبدا و كانت لهم نواب. انتهى ما في تحصيل المرام.

و في السالنامة الحجازية: و في سنة ألف و مائتين و تسع و خمسين صدر الأمر من مولانا السلطان عبد المجيد بوضع كتبخانه في المسجد الحرام لأجل أن يراجع فيها العلماء و طلبه العلم و ينتفعون بها و أرسل من دار السلطنة كتبا كثيرة فوضعت في القبة التي في المسجد و كانت تلك القبة تسمى سقاية العباس و جعلوا لتلك الكتب حافظا ناظرا عليها و معه معاونون و رتبوا لهم معاشات جزيلة وافية و أجره مسكن لرئيسهم و تعيينات.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٢٧

و كانت المصاحف و الكتب الموقوفة موجودة في زمن الشيخ تابت بن إسماعيل الزمزمي في قبة السقاية في سنة ٨٨٧ سبع و ثمانين و ثمانمائة كما يفهم من عبارة ذكره العلامة الحضراوي رحمه الله في تاج تواريخ البشر و هذه عبارته: نقل الشيخ العارف بالله تعالى أبو

الفتح أحمد بن أبي الفتح الزمزمي في أول ديوان عمه الشيخ ثابت الزمزمي من أنه وقع سيل كبير دخل المسجد الحرام و كان الشيخ بسقاية ثابت بسقاية سيدنا العباس رضى الله عنه على عادة سلفه يرفع المصاحف و الكتب التي كانت موقوفة بالقبه المذكورة فداركه السيل و دخل عليه فيها من الباب و الشباييك و أتلف ما فيها من الكتب و المتاع و دخل زمزم و فاض منها الماء و ذلك في يوم الخميس ليلة الجمعة خامس عشر ذى القعدة الحرام سنة سبع و ثمانين و ثمانمائة. انتهى.

و صدر الأمر أيضا من مولانا السلطان عبد المجيد بوضع ساعات فلكية في المسجد الحرام أرسلت من دار السلطنة في قبه أخرى في المسجد و كانت تلك القبه تسمى قبه الفراشين و أقاموا موقتا لها و معاونوا بمعاشات فحصل من تلك الكتب و الساعات منفعة كثيرة للناس. انتهى.

و في تحصيل المرام: ورد في جمادى الأول سنة ألف و مائتين و ثمانية و ثمانين خطاب من الدولة العلية إلى سيدنا الشريف عبد الله بن الشريف محمد بن عون لما بلغها من معمر باشا أن هذه القبه أى قبه الكتب و التي بجانبها تمنع مشاهد الكعبه لمن بتلك الجهة فورد ذلك الخطاب بالكشف عن ذلك الأمر فعقد مجلسا على ذلك بيته التي بالغزة و فيه العلماء فأخبروه أن أحد القبب سقاية العباس يعين محلها فقال: نجعل محلها قبه صغيرة على أربعة أعمدة و فيها حوض باسم مولانا السلطان بحيث أن تلك القبه لا تمنع مشاهد البيت لمن بتلك الجهة. فاستحسن ذلك القول فله ما أحسن رأيه الذى وافق على ما كانت عليه في زمن أحمد بن محمد العباسي فكتب بذلك إلى الدولة و لم يأت بعد ذلك خبر بالهدم.

ثم في سنة ثلاثمائة و ألف ورد الأمر بهدمهما و ذلك في سلطنة مولانا المعظم السلطان عبد الحميد بن السلطان عبد المجيد خان و أمير مكة يومئذ الشريف عون بن الشريف محمد بن عون و كان والى الحجاز و شيخ الحرم الوزير المعظم عثمان باشا، فكان ابتداء الهدم بعد صلاة الجمعة اثنا عشر صفر و شاهد الهدم الشريف المومأ إليه و الوزير عثمان باشا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٢٨

و ذكر السيد أحمد دحلان في سالنامته: و في سنة ثلاثمائة و ألف هدمت القبتان الكائنتان في المسجد و هما قبه الكتب و قبه الساعات و ذلك لتضييقهما المسجد و للخوف من السيل لأنه دخل سنة ثمان و سبعين و مائتين و ألف و حصل تلف في الكتب و وضعت الساعات بمحل عمل بها في هواء المسجد الحرام بين باب على و باب بازان.

و نقلت الكتب في القبه المتصلة بمدرسة السليمانية عند باب دربيه و هذا في مدة إمارة الشريف عون باشا بن المرحوم محمد بن عون و ولاية الوزير المفخم السيد عثمان نوري باشا. انتهى من تاريخ الغازي.

### أول من عمل بابا لززم و أعطى مفتاحه لبيت الريس

جاء في تاريخ الغازي: قال الشيخ خليفة بن فرج بن محمد الزمزمي البيضاوي في كتابه «نشر الآس في فضائل زمزم و سقاية العباس» كان بيت زمزم ليس له باب و لا- غلق إنما هو مفتوح لمن دخل و ورد إليها و مع ذلك كان التكلم للجد عليها بطريق النيابة عن الخلفاء العباسيين. فلما صار أمر البير إلى الشيخ عبد السلام بن أبي بكر الزمزمي أنهى بمحضر إلى خليفة ذلك الزمن العباسي بأن زمزم في أوقات الصلاة تكثر فيها الناس و الازدحام فيشوشون على الإمام و المصلين و طالما دخلت الكلاب و البس بالليل فيطرحون فيها و القصد بابا يجعل عليها يمنع ما ذكر.

فأجابته إلى سؤاله و جعل عليها بابا ثم أنه لما صار أمر زمزم بالسقاية إلى ذرية الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام المذكور أنهى إلى خليفة زمنهم المتوكل العباسي أن ييدهم خدمة زمزم و سقاية العباس و القصد أن يجعلوا ضبة على باب زمزم يصكونها الليل و في أوقات الصلاة و أن يكون المفتاح عند الأكبر منهم ثم من ذريتهم فأجابهم خليفة زمنهم بمرسوم شريف عال، و هذه صورته.

رسم بالأمر الشريف العالى المولوى الإمام الأعظم الهاشمى العباسى سيدنا و مولانا الإمام الأعظم و الخليفة المكرم المتوكل على الله



أمير المؤمنين و إمام المسلمين و ابن عم سيد المرسلين و سليل الخلفاء الراشدين و الأئمة المهديين أعز الله به الدين و أمتع ببقائه الإسلام و المسلمين: إنه لما حضر إلى أبوانا الشريفة و أعتابنا العالیه المنيفه الشيخ الفاضل سراج الدين عمر بن الشيخ عبد العزيز الزمزمي مفتي مكة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٢٩

المشرفة و القائم عنا بخدمه زمزم الشريفة و سقايه جدنا العباس و عرفنا أن باب زمزم لم يكن عليه ضبة يغلق بها و لا يفتح إلا بعصفور من داخلها يفركه الداخل و الخارج و قصده بوضع الضبة خشية على المكان المشار إليه من دخول ما فيه ضرر على المسلمين مما يحصل منه نجاسات و أن في وضع الضبة نفع من حيث ذلك فأردنا جبر خاطره و إخوته بما قصدوه و الإنعام عليهم مما رجوه من فضلنا و أملوه و صحبناه مرسوم شريف ثاني إلى مكة المشرفة زادها الله شرفا للجناب العالی و الأميري الكبير مغلبای الأمير بمكة المشرفة و ناظر الحسبة الشريفة عظم الله شأنه بامتثال ما بيد الشيخ عمر المذكور من مرسومنا الشريف المسطور و عدم التعرض له في ذلك و أن يباشر بنفسه وضع الضبة المذكورة هناك و يعمل بيد الشيخ عمر مفتاح و يقيموا من شأوا من جهتهم من يتولى غلق الباب و فتحه لمن يقصد زمزم فليعتمد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه و يعمل بحسبه و مقتضاه حرر في العشرين من شوال سنة (٨٢٦) ستة و عشرين و ثمانمائة. انتهى.

و فيه أيضا أصل دخول وظيفة زمزم و سقايه العباس على جدنا الأكبر على بن محمد البيضاوي (بيضا أحد بلاد فارس قرية من شيزار) قدم مكة عام ثلاثين و ستمائة و توفي في حادي عشر ربيع الآخر سنة خمس و ثمانين و ستمائة بمكة المشرفة و دفن بالمعلاة. و لما قدم مكة من العراق باشر عن الشيخ سالم بن ياقوت المؤذن خدمة زمزم فلما ظهر له خيره نزل له عنها و زوجه ابنته فولدت منه أولادا و صار لهم أمر البئر و سقايه العباس. انتهى من الغازي.

انظر: صورة رقم ٦٨، المؤلف على باب زمزم قبل هدمه سنة ١٣٦٨ هـ

### خلاصة أمر السقايه

و خلاصة الكلام على من تولى سقايه زمزم إلى اليوم هو كما يأتي: جاء في هامش تاريخ الأزرقى بعد الكلام على صفة سقايه العباس: ذكر المؤرخون أنه لما توفي عبد المطلب بن هاشم، تولى أمر السقايه ابنه أبو طالب فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم إلى الموسم، فصرفها، و جاء الموسم و لم يكن معه شيء فطلب من أخيه العباس أربعة عشر ألف درهم إلى الموسم القابل، فشرط عليه إذا جاء الموسم و لم يقضه أن يترك له السقايه فقبل ذلك، و جاء الموسم و لم يقضه فترك

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٣٠

له السقايه، فكانت بيد بني العباس بن عبد المطلب فابنه إلى أن انقضت خلافتهم و هم يضعون عليها نوابهم. قال أيوب صبري: و لما تولى بنو العباس الخلافة، حالت أعمال الملك دون قيامهم بأمر السقايه، فكانوا يعهدون إلى آل الزبير المتولين التوقيت في الحرم الشريف القيام بأعمال السقايه بالنيابة، ثم طلب الزبيريون من الخلفاء العباسيين ترك السقايه لهم، فتركوها لهم بموجب منشور إلا أنه نظرا لكثرة الحجاج قد أشركوا معهم آخرين في العمل باسم «الزمامه» انتهى.

قلنا: ثم إن الأتراك العثمانيين أثبتوا آل الزبير في عمل السقايه و لا تزال رآستها بيدهم إلى اليوم، و آل الزبير هؤلاء يعرفون اليوم «بيت الريس» انتهى من هامش تاريخ الأزرقى.

### تعمير فم بئر زمزم و وضع الشباك في داخلها بناء تنور بئر زمزم

يقول ابن جبير الأندلسي رحمه الله تعالى، في رحلته التي كانت سنة (٥٧٨) ثمان و سبعين و خمسمائة هجرية عن بناء تنور بئر زمزم و

هو وجه زمزم و فمه الذى يدور عليه ما يأتى:

و من أغرب ما اتفق لأحد دهاة الأعاجم- و هو من ليس من جنس العرب- ذوى الملك و الثراء أنه وصل إلى الحرم الكريم مدة جد الأمير مكتر بن عيسى (و هو الأمير فليته الذى توفى سنة ٥٢٧) فرأى تنور بئر زمزم و قبته على صفة لم يرضها فاجتمع بالأمر و قال له: أريد أن أتأق فى بناء تنور زمزم و طيه و تجديد قبته و أبلغ فى ذلك الغاية الممكنة و أنفق فيه من صميم مالى و لك فى ذلك شرط أبلغ بالتزامه لك الغرض المقصود، و هو أن تجعل ثقة من قبلك يقيد مبلغ النفقة فى ذلك فإذا استوفى البناء التمام و انتهت النفقة منتهاها و تحصلت محصلة بذلك، لك مثلها جزاء على إباحتك لى ذلك. فاهتر الأمير طمعا و علم أن النفقة فى ذلك تنتهى إلى آلاف من الدنانير على الصفة التى وصفها له فأباح له ذلك و ألزمه مقيدا يحصى قليل الإنفاق و كثيره و شرع الرجل فى بنائه و احتفل و استفرغ الوسع و تأق و بذل المجهود، فعل من يقصد بفعله ذات الله عز و جل و يقرضه قرضا حسنا و المقيد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٣١

يسود طواميره بالتقييد و الأمير يتطلع إلى ما لديه و يؤمل لقبض تلك النفقات الواسعة بسط يديه إلى أن فرغ البناء على الصفة التى تقدم ذكرها أولا عند ذكر بئر زمزم قبته فلما لم يبق إلا أن يصبح صاحب النفقة بالحساب و يستقضى منه العدد المجتمع فيها خلا منه المكان و أصبح فى خير كان و ركب الليل جملا و أصبح الأمير يقلب كفيه و يضرب صدره و لم يمكنه أن يحدث فى بناء وضع فى حرم الله تعالى حادثا يحيله أو نقضا يزيله و فاز الرجل بثوابه و تكفل الله به فى انقلابه و تحسين ما به و ما أنفقتم من شىء فهو يخلفه و هو خير الرازقين و بقى خبر هذا الرجل مع الأمير يتهادى غرابه و عجبا و يدعو له كل شارب من ذلك الماء المبارك. انتهى من رحلة ابن جبير.

قال ابن جبير الأندلسى أيضا فى رحلته التى كانت سنة (٥٧٨) ثمان و سبعين و خمسمائة يصف بئر زمزم حينما وصل إلى مكة فى السنة المذكورة ما يأتى:

و قبة بئر زمزم تقابل الركن الأسود و منها إليه أربع و عشرون خطوة، و المقام المذكور أى مقام إبراهيم عليه السلام، الذى يصلى خلفه عن يمين القبة و من ركنها إليه عشر خطوات «قال ابن جبير قبل هذا الكلام بورقة: الخطوة كلها ثلاثة أشبار» و داخلها مفروش بالرخام الأبيض الناصع البياض، و تنور البئر المبارك فى وسطها مائل عن الوسط إلى جهة الجدار الذى يقابل البيت المكرم و عمقها إحدى عشر قامة حسبما ذرعناه و عمق الماء سبع قامات على ما يذكر و باب القبة ناظر الشرق و باب قبة العباس و قبة اليهودية ناظران إلى الشمال و الركن من الصفح الناظر إلى البيت العتيق من القبة المنسوبة إلى اليهودية يتصل بالركن الأيسر من الصفح الأخير الناظر إلى الشرق من القبة العباسية فبينهما هذا القدر من الانحراف و تلى فيه بئر زمزم و من ورائها قبة الشراب و هى المنسوبة للعباس رضى الله عنه، و تلى هذه القبة العباسية على انحراف عنها قبة تنسب لليهودية و هاتان القبتان مخزانان لأوقاف البيت الكريم من مصاحف و كتب و أنوار شمع و غير ذلك و القبة العباسية تخل من نسبتها الشرايبية لأنها كانت سقاية الحاج و هى حتى الآن يبرد فيها ماء زمزم و يخرج مع الليل ليسقى الحاج فى قلال يسمونها الدوارق كل دورق منها ذو مقبض واحد و تنور بئر زمزم من رخام قد ألصق بعضه ببعض إصاقا لا تحيله الأيام و أفرغ فى أثنائه الرصاص و كذلك داخل التنور و حفت به أعمدة الرصاص الملتصقة إليه إبلاغا فى قوة لزه و رصه اثنان و ثلاثون عمودا قد خرجت لها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٣٢

رؤوس قابضة على حافة البئر دائرة بالتنور كله و دوره أربعون شبرا و ارتفاعه أربعة أشبار و نصف و غلظه شبر و نصف و قد استدارت بداخل القبة سقاية سعتها شبر و عمقها نحو شبرين و ارتفاعه أربعة أشبار و نصف و غلظه شبر و نصف و قد استدارت بداخل القبة سقاية سعتها و عمقها نحو شبرين و ارتفاعها عن الأرض خمسة أشبار تملأ ماء للوضوء و حولها مسطبة دائرة يرتفع الناس إليها و يتوضؤون عليها.

## تعمير فم البئر و وضع شباك في داخلها

قال الغازي في تاريخه: و في تاج تواريخ البشر نقلا من كلام الشريسي شارح المقامات (فائدة): بئر زمزم من عند الماء أسفل إلى فوق بالحجر المبلط بالنورة المحكمة والجبس و من الأرض من محل البنيان إلى المحل الذي يقوم عليه الجابد رخام قائم و في أعلا هذا البنيان دائر من رصاص أيضا و منه إلى الأرض عمد لطيفة من رصاص لحفظ الرخام لصغره من السقوط في البئر ثم من محل وقوف الجابد إلى نصف قامته عمد لطيفة من نحاس بين كل واحد فتحه نحو ذراع بطوق دائر عليها من فوق مسبوك فيه رصاص و هذا البناء من عمل الوالي الأجل خوشكلدي في زمن المرحوم السلطان الأعظم سليمان، عليه رحمة الملك الرحمان، و ذلك في أوسط سنة (٩٧٣) ثلاثة و سبعين و تسعمائة.

ثم قال: أقول و هذا الذي ذكره قد أزيل و تجدد الدائر و الرصاص برخام و حديد في زمن مولانا السلطان عبد الحميد خان ثم في زمن مولانا السلطان عبد المجيد خان عليهما رحمة الرحيم المنان، انتهى ما ذكره الحضراوى.

و في إتحاف فضلاء الزمن: و في سنة اثنتا عشر و مائة و ألف عمر إبراهيم بيك دائرة بئر زمزم بالتليس و التبييض خارجا و داخلا ثم غير الرفوف الخارج على بئر زمزم مما يلي مقام الحنبلى و جددوا أخشابه و لبسوها ألواح الرصاص و زينوها بأنواع الدهانات و منها مقام الحنفى نقضوا جميع أخشابه التى على الطبقة العليا محل المكبرين و جددوا ما كان يحتاج إلى التغيير و طلوا حلتها بالذهب و جددوا المقامات و سقاية العباس فإنها خربت من كثرة الأهوية و تطاول السنين و نقضوا القبة جميعها إلى الساسى و جددوها بالحجارة الشمسية و زينوها بأنواع التبييض و جعلوا لها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٣٣

خزانتين و فتحوا لها طاقه من الجهة الشرقية و جعلوا لها من باطن الطاقه حوضا للسبيل و رمموا الحاصل الذى ملاصق بالقبة. انتهى.

و قال العلامة الدحلان فى سالنامته: و فى مدة السلطان عبد الحميد الأول فى سنة ألف و مائتين حصل تعمير فى المسجد الحرام بتعديل بعض العواميد المائلة و تعمير بعض القبة التى فى سقف المسجد و تعمير بئر زمزم و تعمير أيضا فى بعض منائر المسجد منها منارة باب العمرة و ذلك كله فى مدة السلطان المذكور و مدة إمارة الشريف سرور بن الشريف مساعد و لذا كتب على بئر زمزم ثلاثة أبيات للعلامة الشيخ محمد طاهر سنبل هى هذه:

سرور لسلطان البرية و الورى عبد الحميد البر بحر المكارم

و نصر له أيضا و فتح و رفعه بتجديد هذا المآثر المتقارم

حضيرة إسماعيل أعنى ابن هاجرو ركضة جبريل على عهد آدم

و مكتوب على الشباك الشرقى مما يلي باب القبة من الجهة الشمالية (ماء زمزم شفاء من كل داء)، و مكتوب أيضا (آية ما بيننا و بين المنافقين أنهم لا- يتصلعون من زمزم)، و مكتوب تحت الحدِيثين السلطان عبد الحميد خان سنة ١٢٠١، و مكتوب على الشباك الجنوبي مما يلي باب قبة زمزم أيضا (ماء زمزم لما شرب له) (لا يجمع ماء زمزم و نار جهنم فى جوف عبد) السلطان عبد الحميد خان سنة ١٢٠١ هجرية.

و مكتوب على جدار قبة زمزم الشمالية مما يلي الجهة الغربية و سِقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا، و كتب أيضا على حجر قديم ألصق على الجدار الشمالى بقبة زمزم بالخط البارز أمر بترخيم المقام الشريف و هذا الحطيم المعظم السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور خان خادم الحرم الشريف فى سنة أربع و عشرين و سبعمائه. انتهى كذا من تاريخ عمارة المسجد الحرام.

و قال العلامة المذكور أيضا فى سالنامته: صدر الأمر من السلطان أحمد بن السلطان محمد الثالث بن مراد الثالث بن سليم الثانى بن سليمان الأول بن سليم الأول فاتح مصر بعمل شباك حديد يجعل فى بئر زمزم يمنع الغرق عنم وقع فى البئر المذكورة فجعل على

قدر تدوير البئر و جعل له ست سلاسل و ربطت بالحديد في دائرة البئر الأعلى و جعل الشباك المذكور في داخل البئر و صار الماء فوقه قدر ثلثي

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٣٤

قامه فصار من يقع في البئر يمنعه الشباك من الغرق و الهلاك، و قبل وضعه كان من يقع في البئر يغرق و يموت. انتهى.

و من تاج تواريخ البشر و تمته جمع السير: اعلم أنه ورد الأمر السلطاني الأحمدي العثماني على يد الباشا الأعظم حسن أفندي بفعل شباك حديد يمنع ما يطيح فيها من آدمي و غيره فجعل الشباك المذكور في مدة مديدة و جعله من حديد و نحاس ممتدة في بعضه البعض على قدرته و يرغم بئر زمزم المباركة من أسفل بستة سلاسل غلاظ مسبوكة في الحديد الفوقاني الدائر على فمها مشاهدة لكل واحد طول كل واحد منهن اثنين و عشرين ذراعاً و ربع ذراع بذراع اليد و صار الماء طافياً على الشباك المذكور نحو ثلثي قامه و ركب في زمزم المباركة ضحوة يوم الأحد تاسع عشرين من شعبان المعظم سنة ١٠٢٥ خمس و عشرين بعد الألف ثم وقع في رابع عشرى ذى الحجة الحرام سنة سبع و عشرين بعد الألف تغير ماء زمزم من الحديد و النحاس المجعولين في الشباك و السلاسل ثم إذا وقع الدلو أسفل الشباك أمسكه عن أن يصعد فاتفق مجيء الأفندي السيد الشريف محمد بن السيد مصطفى القناوي ليلة من الليالي فأنكر طعم الماء و سأل عن الحال فأخبر بأنه بسبب الشباك و السلاسل و وقع للدلو ما وقع فاشتبك و لم يطلع فعدى إلى الجهة الأخرى فوقع ما أراه الله سبحانه و تعالى كذلك و زاد طعم الحديد و النحاس في الماء فأمر صبيحته بقلعه و إخراجها من زمزم هو و السلاسل و ألقى عند قبة العباس و السلاسل في داخلها مرة من الزمن ثم أخذت و صار الشباك ملقى على حاله إلى الآن و زال ذلك الطعم و تيسر طلوع الدلو و نزوله. انتهى من تاريخ الغازي.

### أول من عمل الرخام في زمزم

قال الغازي في تاريخه: و أول من عمل الرخام على زمزم و على الشباييك و فرش أرضها بالرخام أمير المؤمنين أبو جعفر في خلافته ثم عمل المهدي في خلافته ثم غير في خلافة أمير المؤمنين المعتصم سنة عشرين و مائتين و كانت مكشوفة قبل ذلك إلا قبة صغيرة على موضع البئر فغيرها عمر بن فرج فسقف زمزم كلها بالساج المذهب من داخلها و جعل عليها من ظهرها الفسيفساء و أشرع لها جناحاً صغيراً كما تدور بتربيعها و جعل في الجناح كما يدور سلاسل فيها قناديل يستصبح بها في الموسم و جعل على القبة التي بين زمزم و بين الشراب الفسيفساء

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٣٥

و كانت قبل ذلك تزوق في كل موسم عمل ذلك في سنة عشرين و مائتي سنة. انتهى.

و قال القرشي في البحر العميق: الحجر التي فيها بئر زمزم في زماننا فهو بيت مربع مسقف في جدرانها تسعة أحواض للماء تملأ من بئر زمزم يتوضأ الناس منها و الخلوة التي جانب هذه الحجر عملت على ما هي عليه اليوم في سنة سبعة و ثمانمائة و كانت قبل ذلك على غير هذه الصفة و إنما بنيت الأحواض على هذا الموضع الآن ليتوضأ الناس من البرازيل التي عملت في أسفلها. انتهى.

### قبة بئر زمزم

قال الغازي في تاريخه: و قد غيرت قبة زمزم، غيرها السلطان أحمد خان على يد سليمان بيك شيخ الحرم الشريف سنة ألف و اثنين و سبعين. انتهى.

قال صاحب تحصيل المرام: و هي الموجودة الآن في زماننا و هي بيت مربع و في جدرانها ثمانية شباييك ثلاثة مواجها الكعبة و ثلاثة

جهة المدرج واثان بجانب الباب و الباب في وسط و في هذين الشباكين حوضان تملآن من زمزم للشراب و فوق قبة البير بيت آخر مقام على أعمدة لشيخ زمزم أي: رئيس المؤذنين يصعد إليه بدرج من جهة مقام الحنبلى فيطلع رئيس المؤذنين و هو شيخ زمزم ليؤذن و يتبعه سائر المؤذنين في جميع الأوقات.

قال: و قد جدت في زماننا شبابيك بيت زمزم و رخام أرضها و أصلح فمها و الدرازين الذى على فم البير كل ذلك على يد سيدنا الشريف عبد الله بن الشريف محمد بن عون و الحاج عزت باشا فى سلطنة السلطان عبد العزيز خان و كان ذلك العمل فى سنة ألف و مائتين و تسعة و سبعين. انتهى.

و قال السنجارى فى منائح الكرم: و فى سنة ثمانمائة و سبعة عشر عمرت ظلّة المؤذنين التى فوق زمزم، و كانت من خشب فبنيت بالحجر الصوان و فرغ منها فى رجب من العام المذكور. انتهى من تاريخ الغازى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٣٦

### الغرفة التى بجوار زمزم

جاء فى تاريخ الغازى: قال فى نزهاء الفكر: نقل ابن فهد أن الخلوّة التى بجانب زمزم كان يجلس فيها سيدنا عبد الله بن العباس، رضى الله عنه، و أيضا التقى الفاسى ذكر مثله بقوله: و فى المحل الذى بجانب زمزم و هى الخلوّة كان يجلس فيها الحبر سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما على مقتضى ما ذكره الأزرقى و الفاكهى. و قيل: إنها محل سقاية العباس و إنما حولها عن هذا المكان ابن الزبير لما كثر الناس و قيل بناه المهدي لابنته زبيدة تكون به إذا أرادت الشرب من زمزم و الغسل فيه ذكره المراكشى فى الروض الجامع. انتهى.

و فى الأرج المسكى: أفاد التقى الفاسى أنه كان إلى جانب زمزم خلوة فيها بركة للماء تملأ من زمزم و يشرب بها من دخل إلى الخلوّة و كان لها أى الخلوّة باب إلى جهة الصفا ثم سد و جعل فى موضع الخلوّة بركة مقبوة و فى جدرها الذى يلي الصفا بزاييز يتوضأ الناس منها على أحجار نصبت عند البزاييز و فوق البركة المقبوة خلوة فيها شباك إلى الكعبة المشرفة و شباك إلى جهة الصفا و طابق صغير إلى البركة و كان عمل ذلك على هذه الصفة فى سنة سبع و ثمانمائة ثم إنه هدم ذلك حتى بلغ الأرض فى العشر الأول من ذى الحجة الحرام سنة سبع عشرة و ثمانمائة لما قيل إن بعض الجهلة يستنجى هناك و عمر عوض ذلك سبيل السلطان الملك المؤيد أبى النصر شيخ ينتفع الناس بالشراب منها و جاءت عمارته حسنة و فرغ منها فى رجب سنة ثمانية عشر و ثمانمائة و ابتدأ عمله فى أثر سفر الحج و فى موضع هذه الخلوّة كان يجلس سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، على مقتضى ما ذكره الأزرقى و الفاكهى قلت: و هذه الخلوّة التى أشار إليها السبيل المعروف الآن بسبيل الخاصكية. انتهى.

و فى تاريخ عمارة المسجد الحرام للشيخ باسلامة أمر جلاله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود أن يعمل على حسابه الخاص سبيلان أحدهما بالجهة الشرقية مما يلي باب قبة زمزم على الجناح الجنوبية، و الثانى بجوار حجرة الأغوات من الجهة الجنوبية لبيت زمزم بجانب السبيل القديم على نحو السبيلين اللذين سيعملان باسمه الخاص فعمل السبيل الذى بجوار باب قبة زمزم بالحجر الرخام المرمر و جعل له ستة فوهات و عمل السبيل الثانى بجوار حجرة الأغوات

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٣٧

و جعل له ثلاث فوهات و جدد عمارة السبيل القديم و قد كتب على السبيل الأول هذا السبيل أنشأه الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود. و كتب على الثانى أنشأ هذا السبيل الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود و كتب على الذى يليه جدد هذا السبيل الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود و تم إنشاء السبيل الذى يلي حجرة الأغوات سنة ١٣٤٥، و تم عمل السبيل الذى يلي باب قبة زمزم سنة ١٣٤٦.

انتهى.

### وصف بئر زمزم في عصرنا

أما بئر زمزم في عصرنا الحاضر، فهو كما يصفها الشيخ حسين باسلامة المكي رحمه الله تعالى، مؤلف «تاريخ عمارة المسجد الحرام» بصحيفة ١٨١ فقد قال فيها ما نصه:

أما حالة بئر زمزم التي عليها اليوم فهو بئر مدور الفوهة عليه قطعة من الرخام المرمر على قدر سعة فمه و يبلغ ارتفاعها عن بلاط الأرض التي حول البئر من داخل القبعة ذراعين و نصف ذراع اليد أو ١٢٠ سنتم تقريبا و أرض بيت زمزم و داخل قبة زمزم مفروش بالرخام الأبيض و يحيط بعم البئر من أعلاه دريزين معمول من الحديد التخين و فوق الدر بزين شبكة من حديد وضعت فوق ذلك الدر بزان سنة ١٣٣٢ و كان السبب في وضعها هو أن رجلا من الأفغان ألقى بنفسه في بئر زمزم فلما أخرج اهتتمت الحكومة التركية لذلك الحادث و خشيت من تكراره فارتأت أن تعمل حائلا يمنع من أراد أن يلقي نفسه في البئر فتقرر عمل الشبكة المذكورة وقاية لذلك و وضعت بسرعة و قد شاهدت ذلك بنفسى.

و أما البناء القائم على بئر زمزم فهو بناء مربع الشكل من الداخل طول كل ضلع منه أحد عشر ذراعا بذراع اليد و سطح البئر مغموس بالحجر و النورة و في الجهة الشرقية باب قبة زمزم و على جناح الباب الشمال طاقة عليها شباك تخين و كان في جدار الطاقة سبيل قديم ثم أبطل عمله و كذلك على جناح الباب الجنوبي طاقة عليها شباك تخين و كان أيضا في جدار الطاقة سبيل قديم قد أبطل عمله من الجهة الشمالية ثلاث منافذ عليها ثلاثة شبايك لكل منفذ شباك، و من الجهة الغربية مما يلي الكعبة المعظمة ثلاث منافذ و لكل منفذ شباك تخين و على نحو نصف سطح البئر من الجهة الغربية المقابلة للكعبة المعظمة مظلة قائمة على أربع يتر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٣٨

بنيت في النصف الأمامى من سطح البئر و على أربع أساطين لطاف وضعت اثنان منها على جدار البئر الأمامى مما يلي الكعبة المعظمة و اثنان على حد منتصف سطح البئر من الجهة الشرقية، و أما نصف السطح الشرقى فهو شمس ليس عليه ما يظله و فوق هذه المظلة الأمامية سقف معمول من الخشب القوى و فوق السقف جملون مصفح بألواح من الرصاص على شكل بديع و يحيط بالظلة من جهاتها الثلاث:

الشمالي و الغربى و الجنوبي خمسة شبايك أحدها من جهة الشمال و ثلاثة من الجهة الغربية و واحد من الجهة الجنوبية و ذلك معمول من السلك الحديد الدقيق و المظلة مدهونة بصباغ أخضر.

و هذه المظلة خاصة برئيس الموقتين الذى يبلغ المؤذنين الأذان فى الأوقات الخمسة و هم على منابر المسجد الحرام السبعة المحاطة به، و هو أيضا يبلغ عموم المبلغين فى الصلاة الجمعة و العيدين و يبلغ كل إمام يؤم الناس خلف مقام إبراهيم فى بعض الصلوات الخمس و هذه العائلة يطلق عليها (آل الرئيس) و رئيسها الحالى الشيخ عبد العزيز بن على ريس.

و من ضمن بيت زمزم حجرة واقعة فى الجهة الجنوبية تابعة لأغوات الحرم يضعون فيها أدوات تنظيف صحن المطاف المدار المرصوف بالحجر الصوان الذى عليه المقامات الثلاثة و كذلك الشموع (الشماعدين) التى توضع كل ليلة على باب الكعبة من الغروب إلى بعد صلاة العشاء و من الفجر إلى الإسفار و غير ذلك من لوازمهم و بجانب حجرة الأغوات المذكورة باب الدرجة المصعدة إلى المظلة التى يعلو بئر زمزم.

قال: و مما هو جدير بالذكر أنه قد أمر جلالة ملك المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود أن يعمل على حسابه الخاص سيلاين أحدهما بالجهة الشرقية مما يلي باب قبة زمزم على الجناح الجنوبية، و الثانى بجوار حجرة الأغوات من الجهة الجنوبية لبيت زمزم بجانب السبيل القديم المعمول فى زمن سلاطين آل عثمان و أن تجدد عمارة السبيل القديم

على نحو السيلين اللذين سيعملان باسمه الخاص و قام بهذا العمل الشيخ عبد الله الدهلوى فعمل السيل الذى بجوار باب قبة زمزم بالحجر الرخام المرمر على شكل بديع الصنع و جعل له ستة فوهات و عمل السيل الثانى بجوار حجرة الأغوات كذلك بشكل بديع و جعل له ثلاث فوهات و جدد عمارة السيل القديم و عمله بشكل بديع يماثل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٣٩

الذى بجواره و قد كتب على السيل الأول الذى يلى باب زمزم هذا السيل أنشأه الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود، و كتب على الذى يلى حجرة الأغوات أنشأ هذا السيل الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود، و كتب على الذى يليه جدد هذا السيل الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود، و كانت هذه الكتابة بخط عربى بديع بارز قد خطت بعلو كل سيل من هذه الثلاث و طلى ذلك بالذهب و الألوان البديعة و صارت هذه السبل الثلاثة سهلة لمن يريد شرب ماء زمزم من الحجاج و المواطنين و المجاورين آناء الليل و أطراف النهار و قد صرف على إنشائها ما يربو على ثلاثمائة جنيه ذهب و تم إنشاء السيل الذى يلى حجرة الأغوات سنة ١٣٤٥ و تم عمل السيل الذى يلى قبة زمزم سنة ١٣٤٦. انتهى من تاريخ عمارة المسجد الحرام.

نقول: و لقد حصلت بنائة جديدة صغيرة أمام باب بئر زمزم و فى جزء من جانيه، و هى عبارة عن جدران مسقوفة، فيها فتحات بشيايك من الحديد ليستظل الشاربون تحتها و موضوع فى جانيها عدة بزاييز «حنفيات» يشرب الناس منها ماء زمزم. قد عمل الدرج الموصل إلى أعلا البئر من الخارج بعد أن كان قبل ذلك فى أصل البناء القديم و له باب.

و كانت هذه البناية الجديدة الصغيرة سنة (١٣٧٤) أربع و سبعين و ثلاثمائة و ألف.

صورة رقم ٦٩، المؤلف فوق مظلة بئر زمزم الجديد قبل هدمها فى سنة ١٣٨٣ هـ

ثم إنه فى عام ١٣٨٣ هـ. هدموا بنائة زمزم لتوسعة المسجد الحرام، و أزالوا قسم البئر و غطوه حتى يتساوى بأرض المطاف، ثم فتحوا بابا آخر للبئر من الجهة الشمالية من أسفل الأرض، و ما زال العمل جاريا إلى اليوم.

### ما جاء من الأحاديث فى زمزم

لقد وردت فى ماء زمزم عدة أحاديث، فرأينا أن نقلها مما جمعه الحضراوى فى كتابه «العقد الثمين فى فضائل البلد الأمين» فإنه قال فى الفصل السادس ما يأتى:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٤٠

اعلم أن العلماء رحمهم الله تعالى أجمعوا على أن ماء زمزم أفضل من جميع المياه على الإطلاق إلا الماء الذى نبع من بين أصابعه صلى الله عليه و سلم، كما هو مقرر فى أماكنه. فعن أم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه صلى الله عليه و سلم ما اشتكى جوعا قط و لا عطشا، كان يغدو إذا أصبح، فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول: أنا شعبان، رواه القرشى، و عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ماء زمزم لما شرب له، فإن شربته تستشفى شفاك الله، و إن شربته مستعيذا أعاذك الله، و إن شربته لتقطع ظمأك قطعه، ذكره القرشى أيضا، و كان ابن عباس رضى الله عنهما إذا شرب زمزم قال: اللهم أسألك علما نافعا و رزقا واسعا و شفاء من كل داء، رواه الحاكم فى المستدرک و هذا لفظه و الدار قطنى. قال ابن العربى: و هذا موجود فيه إلى يوم القيامة، يعنى العلم و الرزق و الشفاء لمن صفت نيته و سلمت طويته و لم يكن به مكذبا، و لا يشربه مجربا، فإن الله مع المتوكلين و هو يفضح المجرمين، و فى حديث إسلام أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: إنها مباركة، إنها طعام طعم، رواه مسلم و أبو داود و زاد: و شفاء سقم. و عن عبد الله ابن المؤمل عن ابن الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «زمزم لما شرب له» أخرجه أحمد و ابن ماجه و البيهقى.

و روى أن عبد الله بن المبارك أتى زمزم فاستسقى منه شربة ثم استقبل الكعبة فقال: اللهم إن أبا الموالى، حدثنا عن محمد بن

المنكدر عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ماء زمزم لما شرب له وهذا أشربه لعطشى يوم القيامة ثم شرب»، أخرجه الحافظ شرف الدين الدمياطي وقال: إنه على رسم الصحيح، وفي مناسك ابن العجمي والبحر العميق للقرشي نقلا عنه ينبغي لمن أراد شربه للمغفرة أن يقول عند شربه: اللهم إنه بلغني أن رسولك صلى الله عليه وسلم قال: «ماء زمزم لما شرب له، اللهم وإني أشربه لتغفر لي اللهم فاغفر لي». وإن شربه للاستشفاء به من مرض قال:

اللهم إني أشربه مستشفيا به، اللهم فاشفني. وذكر القرشي حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جاء إلى زمزم فنزعوا له دلوا فشرّب ثم مچ في الدلو ثم صبوه في زمزم ثم قال: «لولا تغلبوا عليها لتزعت يدي» رواه الطبراني وغيره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق» رواه الأزرقى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٤١

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يجتمع ماء زمزم و نار جهنم في جوف عبد أبدا» رواه الشيخ محب الدين الطبري وغيره، ويروى أن مياه الأرض العذبة ترفع قبل يوم القيامة غير زمزم، حكاه القرشي، وفي الصحيح أنه لما قدم أبو ذر ليسلم أقام ثلاثين بين ليلة و يوم و ليس له طعام إلا زمزم، فسمن حتى تكسرت عكن بطنه، و لم يجد على بطنه سخفه جوع. وقيل لابن عباس رضي الله عنهما: أين مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب، قيل له: و ما شراب الأبرار؟ قال: ماء زمزم. رواه الحسن البصرى، و عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الحمء من فيح جهنم فأبردوها من ماء زمزم» رواه أحمد و أبو بكر بن أبي شيبة و ابن حبان في صحيحه و انفرد به البخارى بإخراجه و قال: فأبردوها بماء أو بماء زمزم.

وعن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فرج سقفي بيتي و أنا بمكة فتزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلى حكمة و إيمانا فأفرغهما في صدرى ثم أطبقه». رواه البخارى، و عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خمس من العبادة: النظر إلى المصحف، و النظر إلى الكعبة، و النظر إلى الوالدين، و النظر في زمزم و هى تحط الخطايا، و النظر إلى وجه العالم» رواه الفاكهي.

و عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خير بئر على وجه الأرض ماء زمزم. أخرجه ابن حبان و الطبري بسند رجاله ثقات، و عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يتحف الرجل سقاه من ماء زمزم. رواه الحافظ شرف الدين الدمياطي و قال: إسناد صحيح.

و عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تحمل ماء زمزم و تخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحمله. رواه الترمذى.

و عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن في زمزم عينا من الجنة من قبل الركن. رواه القرطبي في التفسير و في مناسك ابن الحاج. قال ابن شعبان: العين التى تلى الركن من زمزم من عيون الجنة، و عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم قال: كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما فجاء رجل فقال: من أين جئت؟ قال: من زمزم، قال فشربت منها كما ينبغي؟ قال: فكيف؟ قال: إذا شربت منها فاستقبل القبلة و اذكر اسم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٤٢

الله تعالى و تنفس ثلاثا و تضلع فإذا فرغت فاحمد الله عز و جل فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: آية ما بيننا و بين المنافقين لا يتصلعون من زمزم. رواه ابن ماجه و هذا لفظه و الدار قطنى و الحاكم فى المستدرک و قال: إنه صحيح على شرط الشيخين. و التضلع: الإمتلاء حتى تمتد الأضلاع. و المراد من التنفس ثلاثا: أن يفصل فاه عن الإناء مرات يتددى كل مرة بيسم الله و يختم بالحمد لله. هكذا جاء مفسرا فى بعض الطرق.

و عن السائب أنه كان يقول: اشربوا من سقاية العباس فإنه من السنة. رواه الطبراني فى الكبير و حكاه ابن المنذر فى الترغيب.

و عن أبى الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا نسميها شبةا يعنى زمزم و كنا نجدها نعم العون على العيال. رواه الطبراني



فى الكبير و هو موقوف صحيح الإسناد.

و يجوز إخراج مائها و غيره من مياه الحرم و نقله إلى جميع البلدان. لما روى أن النبى صلى الله عليه و سلم كتب إلى سهيل بن عمرو يستهديه من ماء زمزم فبعث إليه براويتين.

رواه الأزرقي و القرشى و تقدم حديث عائشة رضى الله عنها، أنها كانت تحمل ماء زمزم و تخبر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يحمله. رواه الترمذى، و يجوز التوضؤ و الاغتسال من غير كراهة فيه و يكره الاستنجاء به لأنه يجلب داء البواسير. و من عجائب ماء زمزم أنه يذكر بعض العامة أن من كان أكلًا يشرب منه و يتضلع و فى نفسه يقول: يا زمزم زمى فإنه يقل أكله و يستريح جسمه و يستفيق فى نفسه و هو مجرب. انتهى كل ذلك من العقد الثمين.

صورة رقم ٧٠، دوارق زمزم

و بمناسبة الحديث «ماء زمزم لما شرب له» و ما ورد عن زمزم أنه طعام طعم و شفاء سقم. أن أحد أطباء الإفرنج ألف كتابا فى عصرنا الحاضر يقول فيه:

إذا اقتصر الإنسان المريض بالروماتزم و غيره على شرب الماء فقط بدون طعام و لا شراب أبدا بحيث لا يدخل فى جوفه سوى الماء لمدة عشرين يوما أو لمدة أربعين يوما فإنه يشفى بإذن الله تعالى من جميع الأمراض التى يشكو منها، و بشرط أن يتعاطى المسهل فى كل خمسة أيام مرة، فإذا انتهت المدة المذكورة و أراد أن يأكل فلا بد أن يأكل تدريجيا قليلا قليلا جدا فى كل مرة، لأن الصائم على هذه الحالة تكون أمعاؤه شبه ضامرة و ضعيفة، فليقتصر لمدة أيام على السوائل:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٤٣

كعصير الفواكه و الشوربات، فإذا اشتدت قوة معدته بعد أيام فليأكل ما شاء حسب عادته و ذلك بعد اطمئنان على قوة صحته. و لقد أخبرنا من جرب هذا ممن نثق فى كلامه أنه صام على هذه الحالة فشفى من أمراض كثيرة بإذن الله تعالى، و الله على كل شىء قدير فإذا كان هذا الاقتصار على الماء العادى فقط، فالشفاء محقق إن شاء الله تعالى مع الاقتصار على ماء زمزم، شراب الأبرار، و هذا الذى ينبع من تحت أرض الكعبة المشرفة فنحن نعتقد اعتقادا جازما أن الاقتصار على ماء زمزم فقط مدة أسبوعين أو ثلاثة يشفى من الأمراض و العلل مهما كانت عسيرة، أى أن المريض يتعاطى ماء زمزم فقط، بدون أن يخلط معه شيئا من أنواع الطعام و الفواكه لا قليلا و لا كثيرا حتى أنه لا يتعاطى الخبز أيضا إذ ربما بعض الأطعمة لا تتفق مع المرض فى الحالة كالطبيب الذى يعطى الدواء للمريض و يمنعه من بعض الأطعمة و الفواكه. و الله تعالى أعلم و هو الشافى بدون دواء إذا شاء و هو اللطيف الخبير.

صورة رقم ٧١، أحد الزمامة يحمل دورقين مملوئين من ماء زمزم

### طعم ماء زمزم

يذكر الناس أن ماء زمزم فيها ملوحة، و نحن نقول: أن ماء زمزم له طعم خاص غير طعم جميع مياه الدنيا، لذلك من ألف شربه و عرف طعمه يميزه عن بقية المياه سريعا و لو مرت عليه أعوام عديدة لم يذقه، و الحقيقة أنه يصعب وصف طعمه، فلا هو بالمالح الممجوج و لا هو بالمالح الممزوج، لا يعرفه إلا من ذاق طعمه بنفسه. نعم فيه ملوحة خفيفة لكنها مستملحة مقبولة محببة إلى نفس المؤمن، و فى هذه الملوحة سر إلهى دقيق. و هو أن هذه الملوحة الخفيفة يعود طعمه للمؤمنين الموقنين حلوا لذيدا سائغا شرابه كطعم اللبن الحليب تقريبا، و لذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما عن ماء زمزم: أنه شراب الأبرار.

و قد تكون هذه الملوحة الخفيفة على من كان شاكا فيه ضعيف الإيمان ماء أجاجا لا يستسيغ شربه فتعافه نفسه و لا يشربه، و لذلك قال صلى الله عليه و سلم: «آية ما بيننا و بين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم» و قال أيضا: «إن التضلع من ماء زمزم علامة ما بيننا و بين المنافقين».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٤٤

و من اللطائف قول العلامة الشيخ محمد بن علان في ملحوظة زمزم:

و زمزم قالوا فيه بعض ملحوظة منه مياه العين أحلى و أملح

فقلت لهم قلبي يراها ملاحفة فلا برحت تحلو لقلبي و تملح

و من اللطائف ما رواه الغازي في تاريخه عن ملحوظة ماء زمزم فإنه قال: قال العلامة السنجاري رحمه الله تعالى في منائح الكرم-

لطيفة- ذكر العلامة الباغوني أنه كتب لوالده يسأله عن تعليل ملحوظة زمزم، فأجابه و ذكر ذلك في أبيات، قال:

سألت أبا العباس و الديق الذي على فهمه في المشكلات يعول

سؤالاً لطيفاً قد تعسر فهمه على إلى أن خلته لا يؤول

فقلت أطال الله عمر ك في الوري و أبقاك في عز به الخير موصل

تفكرت يا مولاي في بير زمزم بمكة أرض فخرها لا يمثل

و كون ما فيها من الماء مالحاً على أنها من سائر الماء أفضل

و قلت له: هل من جواب مبين و هل عندكم فيه مقال فينقل

فإنى لقل اتبعت فكري له فماظفرت بما فيه يقال و ينقل

فإن كان فيه عندكم من لطيفة بروحي أفديكم على تفضلوا

و منوا بإبداء الجواب تكرماً و فضلاً كما عودتموني عجلوا

\*\*\*

فقال أمد الله في عمره على البديهة قولاً للجواهر يخجل

نعم عندنا فيه الجواب و إنه لكالسحر أو كالدر أو هو أمثل

جواب غداً مثل النسيم لطافة أزال عن الأفهام ما كان يشكل

فلا تعجبوا منه فذلك ظاهر كشمس الضحى يبدو لمن جاء يسأل

فمكة عين الأرض و العين ماؤها كما قد علمتم مالحاً ليس يجهل

### كيفية شرب النبي صلى الله عليه و سلم من ماء زمزم

قال الإمام الأزرقى في تاريخه: حدثنا أبو الوليد، قال: أخبرني جدى قال حدثنا مسلم بن خالد الزنجى عن عبد الرحمن بن الحارث بن

عباس عن زيد بن على

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٤٥

عن أبيه عن عبد الله بن أبى رافع عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، فى حديث حدث به عن النبي صلى الله عليه و سلم ثم أفاض

رسول الله صلى الله عليه و سلم فدعا بسجل من ماء زمزم فتوضأ به ثم قال: انزعوا عن سقائتكم يا بنى عبد المطلب فلولا أن تغلبوا

عليها لنزعت معكم.

حدثنى جدى قال: أخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريج قال: أخبرنى ابن طاوس عن طاوس قال: أمر النبي صلى الله عليه و سلم

أصحابه أن يفيضوا نهاراً و أفاض فى نسائه ليلاً فطاف بالبيت على ناقته ثم جاء زمزم فقال: ناولونى فنول دلوا فشرب منها ثم تمضمض

فمخ فى الدلو ثم أمر بما فى الدلو فأفرغ فى البير ثم قال: لولا أن تغلبوا عليها لنزعت معكم، قال ابن جريج: أخبرنى من سمع طاوساً

يقول: جاء النبي، صلى الله عليه و سلم زمزم فقال: ناولونى فنول دلوا فشرب منها ثم مضمض ثم مخ فى الدلو ثم أمر بما فى الدلو

فأفرغ في البير ثم قال نحو ما قال ابن طاوس في النزع، ثم مشى إلى السقاية سقاية النبيذ ليشرب فقال العباس: إن هذا قد ساطته الأيدي منذ اليوم وقد أنفل و في البيت شراب صاف، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يشرب إلا منه، فعاد عباس لذلك القول فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يشرب إلا- منه حتى عاد عباس ثلاث مرات فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يشرب إلا منه فسقى منه قال: فكان طاوس يقول: الشرب من النبيذ من تمام الحج، قال ابن جريج: وأخبرني ابن طاوس عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب من النبيذ و من ماء زمزم و قال: لولا أن يكون سنة لنزعت، قال ابن عباس: ربما فعلت أي ربما نزعت.

حدثنا ابن جريج أيضا عن عطاء قال: رأيت عقيل بن أبي طالب شيئا كبيرا يفتل الغرب، و كانت عليها غروب و دلاء، فرأيت رجلا منهم بعد ما معهم مولى، في الأرض يلقون أرديتهم فينزعون في القمص حتى أن أسافل قمصهم لمبتلة بالماء، فينزعون قبل الحج و أيام منى و بعده. قال ابن جريج: و أخبرني حسين بن عبد الله بن عباس عن داود بن علي بن عبد الله بن عباس، أن رجلا نادى ابن عباس و الناس حوله فقال: سنة تتبعون بهذا النبيذ أم هو أهون عليكم من العسل و اللبن؟ فقال ابن عباس: جاء النبي صلى الله عليه وسلم عباسا فقال: اسقونا، فقال: إن هذا شراب قد مغث و مرث أفلا نسقيك لبنا و عسلا؟ فقال: اسقونا مما تسقون منه الناس، قال: فأنتي النبي صلى الله عليه وسلم و معه أصحابه من المهاجرين و الأنصار بعساس النبيذ، فلما شرب النبي صلى الله عليه وسلم عجل قبل أن يروى فرجع رأسه فقال: أحستتم هكذا اصنعوا،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٤٦

فقال: ابن عباس: فريضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك أحب إلينا من أن تسيل شعابنا علينا لبنا و عسلا، قال ابن جريج قال عطاء: فلا يخطنني إذا أفضت أن أشرب من ماء زمزم، قال: و قد كنت فيما مضى أنزع مع الناس الدلو التي أشرب منها اتباع السنة فأما مذ كبرت فلا أنزع، ينزع لى فأشرب و إن لم يكن لى ظمأ اتباع صنيع محمد صلى الله عليه وسلم قال: فأما النبيذ فمرة أشرب منه و مرة لا أشرب منه.

حدثني جدى قال: حدثنا سفيان عن ابن طاوس عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أفاض في نسائه ليلا و طاف على راحلته يستلم الركن بمحجنه و يقبل طرف المحجن، ثم أتى زمزم فقال: انزعوا فلولا أن تغلبوا عليها لنزعت، فقال العباس، رضى الله عنه: إن يفعل فربما فعلت فداك أبي أمى، ثم أمر بدلو فنزع منها فشرب فمضمض ثم مج في الدلو و أمر به فأهريق في زمزم ثم أتى السقاية فقال: اسقوني من النبيذ، فقال عباس: يا رسول الله إن هذا شراب قد مغث و ثفل و خاضتته الأيدي و وقع فيه الذباب و في البيت شراب أصفى منه، قال: منه فاسقنى، يقول ذلك ثلاث مرات، و أعاد النبي صلى الله عليه وسلم قوله ثلاث مرات كل ذلك يقول: منه فاسقنى، فسقاه منه فشرب، قال ابن طاوس: فكان أبى يقول: هو فى تمام الحج.

حدثني جدى قال: حدثنا ابن عيينة عن عاصم الأحول عن الشعبي عن ابن عباس قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم نزع له دلو من ماء زمزم فشرب قائما.

حدثني جدى قال حدثنا ابن عيينة عن مسعر بن عبد الجبار بن وائل بن حجر عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بدلو من ماء زمزم فاستثر خارجا من الدلو و مضمض ثم مج فيه، قال مسعر: مسكا أو أطيب من المسك.

حدثني جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان قال: أخبرني حنظلة بن أبي سفيان الجمحي أنه سمع طاوسا يقول: أتى النبي صلى الله عليه وسلم السقاية فقال: اسقوني، فقال عباس: إنهم قد مرثوه و أفسدوه أفاسقيك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اسقوني منه فسقوه منه ثم نزعوا له دلو فغسل فيه وجهه و تمضمض فيه فقال: أعيدوه فيها، ثم قال: إنكم على عمل صالح لولا أن يتخذ سنة لأخذت بالرشاء و الدلو.

حدثني جدى عن عبد المجيد عن عثمان بن الأسود عن مجاهد عن ابن عباس قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة زمزم، فأمر بدلو فنزعت له من البير فوضعها على شفة البير ثم وضع يده من تحت عراقى الدلو ثم قال: بسم الله ثم كرع فيها فأطال ثم

أطال فرفع رأسه فقال: الحمد لله، ثم عاد فقال: بسم الله

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٤٧

ثم كرع فيها فأطال و هو دون الأول، ثم رفع رأسه فقال: الحمد لله ثم كرع فيها فقال، بسم الله فأطال و هو دون الثاني، ثم رفع رأسه فقال: الحمد لله ثم قال، صلى الله عليه و سلم: علامة ما بيننا و بين المنافقين لم يشربوا منها قط حتى يتصلعوا. انتهى كل ذلك من الأزرقى.

### مميزة ماء زمزم

أما ميزته فقد ميزه الله تعالى بطعم عجيب لذيذ، يعرفه من ذاقه و لو نقل من بلد إلى بلد بخلاف المياه الأخرى. فمن عجيب أمره: أنه ألد ما يكون و أطعم ما يكون في الفجر و عند نزحه من البئر و الشرب من نفس الدلو، فإنه يكاد يكون طعمه كطعم اللبن الحليب، و أن طعمه يختلف باختلاف بعض العوامل، فمثلاً: طعمه من الدلو حال خروجه من البئر غير طعمه من الدوارق و القليل إذا برد فيها، و طعمه فيها غير طعمه بوضع الثلج فيه، و من عجيب أمره: أن الإنسان إذا شرب منه كثيراً حتى تضلع و امتلأ بطنه في الصباح الباكر قبل أن يأكل شيئاً فإنه يلين بطنه كالشربة الخفيفة، و إذا ملأ بطنه في الصباح من ماء آخر حصل له الضرر، و من عجيب أمره أيضاً: أن الصائم بمكة يشتهي ماء زمزم شهوة قوية و تنفذ رائحته في أنفه قبل الإفطار، و ما أحلى الإفطار في رمضان بالمسجد الحرام على التمرة و ماء زمزم.

روى عن أبي الطفيل قال: سمعت ابن عباس يقول: كانت تسمى في الجاهلية شباعة- يعني زمزم- و يزعم أنها نعم العون على العيال. و من ميزة ماء زمزم بقاؤه إلى قيام الساعة. فقد روى الإمام الأزرقى في تاريخه عن الضحاك بن مزاحم: إن الله تعالى يرفع المياه العذبة قبل يوم القيامة و تغور المياه غير زمزم، و تلقى الأرض ما في بطنها من ذهب و فضة و يجيء الرجل بالجراب فيه الذهب و الفضة فيقول: من يقبل هذا مني؟ فيقول: لو أتيتني به أمس قبلته. انتهى.

### الحكايات الواردة عن بعض الناس عن شربهم لماء زمزم

و بمناسبة طعم ماء زمزم و لذته نروى بعض ما جاء من الحكايات:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٤٨

جاء في العقد الثمين في فضائل البلد الأمين حكي الياغى عن بعض الصالحين أنه قال: بينما أنا جالس عند الكعبة إذ جاء شيخ قد شال ثوبه على وجهه و دخل إلى زمزم، فاستقى بركوة كانت معه و شرب، فأخذت فضلته و شربت، فإذا هو ماء مخلوط بعسل لم أذق أطيب منه، قال: فالتفت لأنظره فإذا هو قد ذهب، قال: ثم عدت من الغد فجلست عند البئر و إذ الشيخ قد أقبل، و ثوبه مسدول على وجهه، فدخل من باب زمزم، فاستقى دلوا و شرب. فأخذت فضلته فشربت فإذا لبن ممزوج بسكر لم أذق شيئاً أطيب منه. انتهى. نقول: إن مثل هذه الحكاية لا تستبعد أن تقع لبعض عباد الله الصالحين، فإن بعض الأمور الغريبة لا تقع لعامة الناس و إنما تقع للخواص.

و لقد وقع لنا من ماء زمزم أمر عجب، و ذلك أنه كانت إقامتنا بجدة في سنة (١٣٥١) إحدى و خمسين و ثلاثمائة و ألف، و في خامس ذى الحجة من السنة المذكورة خرجنا من جدة مع بعض الرفاق محرمين بالحج، و لقد كنت أنا مؤلف هذا الكتاب محموماً في الطريق، فلما وصلنا مكة نزلنا في بيت من البيوت، فطلبت أن يؤتى لى بماء زمزم فى زير صغير، فأحضروا لى زمزم بعد العشاء فشربت منه و أبقيت الباقي لأشربه فى الصباح، ثم إنى قمت قبيل الفجر من النوم، فشربت من ماء زمزم حتى رويت لكنى وجدت حلاوة فى طعمها ما لم أجده قط فيها، و لم يتكرر لى هذا الحال فى زمزم إلى اليوم.

و الظاهر و الله تعالى أعلم أن هذا الحال لا- يكون مع كل أحد، و لا يكون في كل وقت، بل في وقت دون وقت، و كل ذلك تبع لتصحيح النية و قوة الإيمان «و لله خرق العوائد».

و مما يحكى: ما جاء في رسالته «الجوهر المنظم في فضائل ماء زمزم» عن عبد الرحمن بن يعقوب قال: قدم عليه شيخ من هرات يكنى بأبي عبد الله، و كان شيخ صدق قال: دخلت المسجد الحرام في السحر فجلست إلى زمزم فإذا الشيخ قد دخل من باب زمزم و قد سدل ثوبه على وجهه، فأتى البئر فنزع بالدلو فشرب فأخذت فضلته فشربتها فإذا سويق لوز لم أذق قط أطيب منه. ثم التفت فإذا الشيخ قد دخل فأتى البئر فنزع بالدلو فشرب فشرب فضلته فإذا ماء مضروب بعسل لم أذق أطيب منه، فأخذت بلحفته فلففتها على يدي و قلت: يا شيخ بحق

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٤٩

هذه البنية عليك من أنت؟ قال: تكتم عنى حتى أموت؟ قلت: نعم! قال: أنا سفيان بن سعيد الثوري.

و في الجوهر المنظم أيضا: ما أخرجه الأزرقى من أن أبا ذر الصحابي رضى الله تعالى عنه قال: لما قدمت مكة مكثت أربعة عشر يوما بلياليها و ما لى طعام و لا شراب إلا ماء زمزم حتى تكسرت عكن بطني و ما أجد على كبدي سخفه جوع يعنى رقه و هزاله و قيل: هى الخفة التى تعترى الإنسان إذا جاع و العكنة الطى الذى فى البطن من السمن. انتهى من الجوهر المنظم.

نقول: و قد ورد فى العقد الثمين أنا أبا ذر أقام ثلاثين يوما، و نص عبارته:

و فى الصحيح أنه لما قام أبو ذر ليسلم أقام ثلاثين بين ليلة و يوم و ليس له طعام إلا زمزم فسمن حتى تكسرت عكن بطنه و لم يجد على بطنه سخفه جوع. انتهى.

و جاء فى تاريخ الغازى: قال الواقدى: و حدثنا عبد الملك بن وهب عن عطاء بن أبى هارون قال: رأيت الرجل من أصحاب الزبير و ما يستطيع أن يحمل السلاح كما يريد و ما كانوا يستغيثون إلا بززم. انتهى. و ذلك أن الأسعار غلت بمكة فى حصار عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما، و قد تعب من كان معه حتى بلغ بهم من الجوع أنهم لا يقدرون على حمل سلاحهم.

و جاء فى صحيح مسلم فى كتاب فضائل الصحابة فى باب فضائل أبى ذر، عن أبى ذر رضى الله عنه قال: لما سمعت خبر النبى صلى الله عليه و سلم أتيت مكة فسألت عن مكانه فمال على أهل الوادى و كانوا يضربونى حتى خررت مغشيا على ففررت منهم و اختفيت بين أستار الكعبة، فرأيت فى بعض الليالى رسول الله يطوف فحييته تحية الاسلام فقال: «مذ متى كنت هنا» قلت: مذ ثلاثين يوما، قال:

«فمن كان يطعمك» قلت: ما كان لى طعام إلا ماء زمزم، فقال عليه الصلاة و السلام: «إنها مباركة إنها طعام طعم يعنى زمزم».

و فى الجوهر المنظم أيضا: و ما أخرج الأزرقى أيضا عن بعض العبّاد من الرعاة أنه كان إذا حصل له ظمأ، و شرب من ماء زمزم وجد الماء لبنا، و إذا أراد أن يتوضأ وجده ماء.

و فيه أيضا و ما أخرجه الأزرقى عن بعض الموالى أنه قال: كنت مع أهلى بالبادية فابتعت بمكة ثم أعتقت فمكثت ثلاثة أيام لا أجد شيئا آكله، فانطلقت إلى زمزم فبركت على ركبتي مخافة أن أستقى و أنا قائم، فيرفعى الدلو من الجهد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٥٠

فجعلت أنزع قليلا حتى أخرجت الدلو فشربت فإذا أنا بصريف اللبن فقلت:

لعلى ناعس، فضربت بالماء على وجهى، و انطلقت و أنا أجد قوة اللبن و شبعه.

و معنى صريف اللبن ساعة يصرف عن الضرع. و أخرجه أيضا عن عكرمة بن خالد قال: بينما أنا ذات ليلة فى جوف الليل عند زمزم جالس إذا بنفر يطوفون عليهم ثياب لم أر بياضها بشىء قط. فلما فرغوا صلوا قريبا منى فالتفت بعضهم فقالوا لأصحابهم: اذهبوا بنا نشرب من شراب الأبرار، و دخلو زمزم، فقلت: لو دخلت على القوم فسألتهم، فدخلت: فإذا ليس فيها من البشر أحد، نفعنا الله من بركاتهم فى الدارين بجاه سيد الكونين.

و مثله ما جاء فى تاريخ الغازى ما نصه: و فى تاريخ الأزرقى عن عكرمة بن خالد قال: بينما أنا ليلة فى جوف الليل عند زمزم جالس إذ نفر يطوفون، عليهم ثياب بيض، لم أر بياضا أبيض من ثيابهم شىء قط. فلما فرغوا صلوا قريبا منى فالتفت بعضهم فقال لأصحابه: اذهبوا بنا نشرب من شراب الأبرار، قال: فقاموا فدخلوا زمزم، فقلت و الله لو دخلت على القوم فسألتهم، فقلت، فدخلت: فإذا ليس فيها أحد من البشر.

و عن رباح مولى لآل الأحنس أنه قال: أعتقنى أهلى فدخلت من البادية إلى مكة، فأصابنى بها جوع شديد حتى كنت أكوم الحصى ثم أضع كبدى عليه، قال: فقلت ذات ليلة إلى زمزم، فنزعت، فشربت لبنا كأنه لبن غنم مستوجمة أنفاسا. انتهى منه. و فيه أيضا: ما نقله الفاسى عن الفاكهى: أن رجلا- شرب سويقا و كان فى السويق إبرة فنزلت فى حلق الرجل و اعترضت و صار لا يقدر يطبق فمه فأتاه آت قال له: اذهب إلى زمزم، فاشرب من مائها، و أسأل الله الشفاء. فدخل إلى زمزم، فاشرب منها و ما ساغه إلا بعد جهد و مشقة من ألم تلك الإبرة ثم خرج و هو على تلك الحالة فأنتهى إلى أسطوانة من أساطين المسجد و استند إليها فغلبته عيناه فنام ثم انتبه من نومه و لم يجد من ذلك الألم شيئا. انتهى من الجوهر المنظم.

### إهداء ماء زمزم

لما كان لماء زمزم من الفضل و المنافع ما هو مشهور معروف لدى الناس، فقد قال صلى الله عليه و سلم فيه: «إنه طعام طعم» كما فى حديث أبى ذر فى صحيح مسلم و من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٥١

طريق آخر: «و شفاء سقم» و قال: «ماء زمزم لما شرب له» كما فى مستدرک الحاكم. صار الحجاج يحملونه من هدايا لأهلهم و أولادهم و لمن يحبونه و ليس فى هذا بأس بل هو من أفضل الهدايا، ففى الحديث أن النبى صلى الله عليه و سلم كان إذا أراد أن يتحلف الرجل بتحفة سقاه من ماء زمزم، و أنه صلى الله عليه و سلم بعث إلى سهيل بن عمرو يستهديه من ماء زمزم، فبعث إليه براويتين و جعل عليهما كراغوطيا (الكرز بضم الكاف و تشديد الراء جنس من الثياب الغلاظ منسوبة إلى غوطه دمشق) و أن عائشة رضى الله عنها، حملت من ماء زمزم فى قوارير و قالت: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم حمله فى الأداوى و القرب (أخرجه الترمذى فى جامعهم، الأداوى تفتح الألف و الواو المقصورة: جمع إداوة بكسر الهمزة و هى المطهرة).

و روى أن كعب الأبحار حمل من ماء زمزم اثنى عشر راوية إلى الشام، و الراوية كما جاء فى المصباح: البعير أو البغل أو الحمار الذى يستقى عليه. ٥١.

فعلم مما تقدم أن ما يحمله الحجاج من ماء زمزم إلى بلادهم و يهدونه لأهلهم و أصدقائهم ليس فيه شىء بل هو مطلوب و مرغوب، لكن نحب أن يحمله الحجاج فى أوانى لا- يتغير فيها ماء زمزم كالزجاج، أما ما يحملونه منه فى نحو علب الصفيح «أى التنك» فإن ذلك يضر بشاربه إذا مكث الماء فيها أياما حيث يتغير طعمه و لونه من الصدأ الناشئ من الصفيح، ففى هذه الحالة يحصل منه ضرر لشاربه، بل إذا تحقق حصول الضرر يحرم شربه، فليتنبه إخواننا الحجاج إلى هذا الأمر المهم.

### أسماء زمزم

ذكر بعضهم لزمن أكثر من ثلاثين إسما، و إطلاق أى اسم عليها يكون بحسب صفتها و نعتها، كشباعة العيال، و شراب الأبرار، و حفيرة العباس، و هذا ناتج عن كثرة حبهم لزمن. قال الشاعر:

و اعلم بأن كثرة الأسماء دلالة أن المسمى سام

و المشهور من الأسماء: زمزم، و هو أول اسم لها فإنها لما انبعثت من تحت قدمى إسماعيل بضربة جبريل، عليهما السلام، و رأتها أمه

«هاجر» جعلت تحوط عليه و تقول: «زمت زمتي» و هذا هو الأصل في تسميتها «بزمزم».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٥٢

و من أسمائها الشهيرة: هزمت جبريل، لأن جبريل ضرب بجناحه مكان زمزم، فخرج الماء لإسماعيل و أمه.

و من أسمائها الشهيرة: شراب الأبرار، و ذلك أن ابن عباس، رضى الله عنهما، قال: صلوا في مصلى الأخيار و اشربوا من شراب الأبرار.

ف قيل: ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب، قيل: و ما شراب الأبرار؟ قال: ماء زمزم.

و قد نظم بعضهم جملة من أسماء زمزم فقال:

لزمزم أسماء أتت و هى برء و سيدة بشرى و عصمة فاعلم

و نافعة مضمونة عونى الورى و مروية سيات و ظبية فافهم

و هزمت جبريل و هزمت كذامباركة أيضا شفاء لا سقم

و مؤنسة ميمونة حريمه و كافي شباعه بتكرم

و مغذية عدت و صافية غدت و سالمة أيضا طعام لا طعم

شراب لأبرار و عافية بدت و طاهرة تكتم فأعظم بزمزم

### غور زمزم و قياس ذرعه

قال الإمام الأزرقى: كان ذرع زمزم من أعلاها إلى أسفلها ستين ذراعا، و فى قعرها ثلاث عيون: عين حذاء الركن الأسود، و عين حذاء

أبى قبيس و الصفا، و عين حذاء المروة. ثم كان قد قل ماؤها جدا حتى كانت تجم فى سنة ثلاث و عشرين و أربع و عشرين و مائتين،

قال: ف ضرب فيها تسعة أذرع سحافى الأرض فى تقوير جوانبها. ثم جاء الله بالأطار و السيول فى سنة خمس و عشرين و مائتين فكثر

ماؤها، و قد كان سالم بن الجراح قد ضرب فيها فى خلافة الرشيد هارون أمير المؤمنين أذراعا و كان قد ضرب فيها فى خلافة المهدي

أيضا. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ١-٢؛ ص ٥٥٢

كان عمر بن ماهان- و هو على البريد و الصوافى- فى خلافة الأمين محمد بن الرشيد قد ضرب فيها و كان ماؤها قد قل حتى كان

رجل يقال له: محمد بن مشير من أهل الطائف يعمل فيها، فقال: أنا صليت فى قعرها، فغورها من رأسها إلى الجبل أربعون ذراعا،

ذلك كله بنيان و ما بقى فهو جبل منقور و هو تسعة و عشرون ذراعا، و ذرع حبك زمزم فى السماء ذراعان و شبر، و ذرع تدوير فم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٥٣

زمزم أحد عشر ذراعا، و سعة فم زمزم ثلاثة أذرع و ثلثا ذراع، و على البير ملبن ساج مربع فيه اثنتا عشرة كرة يستقى عليها.

و أول من عمل الرخام على زمزم و على الشباك و فرش أرضها بالرخام أبو جعفر أمير المؤمنين فى خلافته ثم عملها المهدي فى

خلافته، ثم غيره عمر بن فرج الرخجى فى خلافة أبى إسحاق المعتصم بالله أمير المؤمنين سنة عشرين و مائتين، و كانت مكشوفة قبل

ذلك إلا قبة صغيرة على موضع البير و فى ركنها الذى يلى الصفا على يسارك كنيسة على موضع مجلس ابن عباس، رضى الله عنه،

غيرها عمر بن فرج، فسقف زمزم كلها بالساج المذهب من دخلها و جعل عليها من ظهرها الفسيفساء و أشرع لها جناحا صغيرا كما

يدور تريعتها، و جعل فى الجناح كما يدور سلاسل فيها قناديل يستصبح فيها فى الموسم، و جعل على القبة التى بين زمزم و بين بيت

الشراب الفسيفساء، و كانت قبل ذلك تزوق فى كل موسم عمل ذلك كله فى سنة عشرين و مائتين. انتهى من الأزرقى.

قال القزوينى فى كتابه: «عجائب المخلوقات» عن بئر زمزم بعد أن ذكر سبب خروجها لأجل إسماعيل، عليه الصلاة و السلام. و قال

محمد بن أحمد الهمداني: كان ذرع زمزم من أعلاها إلى أسفلها أربعين ذراعا و فى قعرها عيون تجرى: عين حذاء الركن الأسود، و

عين حذاء أبى قبيس و الصفا، و عين حذاء المروة. ثم قل ماؤها فى سنة أربع و عشرين و مائتين فحفر فيها محمد بن الضحاك تسعة

أذرع فزاد ماؤها ثم جاء الله تعالى بالأمطار والسيول في سنة خمس وعشرين ومائتين فزاد ماؤها وذرعا من رأسها إلى الجبل المنقور فيه أحد عشر ذراعا وسعة فمها ثلاثة أذرع وثلثا ذراع، وعليها ميلان من ساج مربعة فيها اثنا عشرة بكرة يستقى عليها، وأول من عمل عليها الرخام وفرش به أرضها المنصور.

وقال مجاهد: ماء زمزم إن شربت منه تريد شفاء، شفاك الله تعالى، وإن شربته لظمًا، أرواك الله، وإن شربته لجوع، أشبعك الله. وقال المسعودي: وإن ملوك الفرس يزعمون أنهم من أولاد الخليل من سبي بني إسرائيل وكانوا يحجون البيت ويطوفون تعظيما لجدهم، وكان آخر من حج منهم أردشير بن بابك، طاف بالبيت وزمزم على البئر، وزمزمه المجوس قراءتهم عند صلواتهم وطعامهم. انتهى من الكتاب المذكور.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٥٤

### ذرع بئر زمزم

قال الغازي في تاريخه: وفي تحصيل المرام قال الأزرقى: كان ذرع زمزم من أعلاها إلى أسفلها ستين ذراعا وفي قعرها ثلاث عيون، عين حذاء الركن الأسود، وعين حذاء أبي قبيس والصفاء، وعين حذاء المروة، ثم كان قد قل ماؤها جدا حتى كادت تجم فضررب فيها تسعة أذرع سحافي الأرض في تقوير جوانبها، قال:

فغورها من رأسها إلى الجبل أربعون ذراعا كل ذلك ببيان وما بقى فهو جبل منقور وهو تسعة وعشرون ذراعا، قال: و ذرع حنك زمزم في السماء ذراعان وشبر، و ذرع تدوير فم البئر أحد عشر ذراعا وسعة فم زمزم ثلاثة أذرع و ثلثا ذراع.

وقال المرحوم إبراهيم رفعت باشا في كتابه مرآة الحرمين ما نصه: بئر زمزم تقع جنوبى مقام إبراهيم بحيث إن الزاوية الشمالية الغربية من البناء القائم عليها محاذية للحجر الأسود على بعد (١٨) مترا منه، وماؤها طعمه قيسونى والبناء القائم عليها مربع من الداخل طول ضلعه (٥،٢٥) أمتار وهو مفروش بالرخام، وهذا البناء طبقتان: فى الأولى منها خدمه البئر، وفى الثانية خدمه من الخصيان (الأغوات) و يصعد إليه من يريد الاستحمام على سلم من الخشب.

وهى بئر قديمة العهد ترجع إلى زمن إسماعيل عليه السلام، فإن أمه هاجر لما نزلت به فى مكان البيت و ظمى ولدها إسماعيل طلبت الماء فلم تجده، فجاء جبريل عليه السلام، و بحث الأرض بعقبه- وفى رواية غمزها بعقبه و كلتاها فى صحیح البخارى- فنبع الماء على وجه الأرض، فكان ذلك نشأة زمزم، و أدارت هاجر عليه حوضا خيفة أن يفوتها الماء قبل أن تملأ قربتها، قالوا: و لو تركت لكنت زمزم عينا تجرى على وجه الأرض، على ما ورد فى الصحيح. و ذكر الفاكهى ما يدل على أن إبراهيم عليه السلام، حفر بئر زمزم بعد أن نبعت العين. و إذ ذاك بدأت عمارة مكة و لم يكن لأحد فيها قبل ذلك قرار فسكنتها قبيلة جرهم رغبة فى مائها، و قد غلب ذو القرنين إبراهيم على زمزم ردحا من الزمن و ما زال ماؤها ينتفع به سكان مكة حتى استخفت جرهم بحرمه الكعبة و حرمها فدرس موضعه حتى صار لا- يعرف، و قيل إن جرهما طمست البئر حين نفيت من مكة، و لما كان زمن عبد المطلب بن هاشم جدّ النبى صلى الله عليه و سلم، أرى فى المنام مكان زمزم فاستبانها

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٥٥

و حفرها قبل مولد النبى صلى الله عليه و سلم و بعد مدة طويلة أخذ ماؤها يقل حتى كان ينقطع فى سنة ٢٢٣ هـ. لأن البئر أهملت و هدم كثير من جوانبها، فأخذ رجل من أهل الطائف يقال له محمد بن مشير يعمل فيها.

قال الأزرقى: و قد صليت فى قعرها: و فيه ثلاث عيون: عين حذاء الركن الأسود، و عين حذاء أبي قبيس و الصفاء، و عين حذاء المروة، قال: و كان ذرع غورها من أعلاها إلى أسفلها ٦٩ ذراعا، منها ٤٠ مبنية و ٢٩ نقر فى الجبل من أسفلها، قال التقى الفاسى: و قد قيس بحضورى ارتفاع فم البئر عن سطح الأرض و قطره و محيطه فكان الارتفاع ذراعين إلا ربعا و القطر أربعة و نصفا و المحيط خمسة



عشر ذراعا إلا قيراطين و ذلك بذراع الحديد ٧/١، ٥٦ سنتيما. قال التقى الفاسي - أوائل القرن التاسع -: و زمزم الآن داخل بيت مربع في جدرانها تسعة أحواض للماء تملأ من بئر زمزم ليتوضأ الناس منها، و في الحائط المقابل للكعبة شبابيك، و فوق هذا البيت ظلّة للمؤذنين و لم أدر من أقام ذلك على هذه الصفة. ثم ذكر أنه في سنة (٨٢٢) هـ أجرى إصلاح كبير بل عمارة جديدة في هذا البيت و أحواضه و الظلّة التي فوقه للمؤذنين و أن ذلك كان على نفقة الجناب العالي الكبير الشيخ علي بن محمد بن عبد الكريم الجيلاني نزيل مكة.

و في سنة ٩٣٣ هـ عمل لدائر بيت زمزم طراز مذهب و كتب فيه اسم مولانا السلطان الملك المظفر سليمان نخبة آل عثمان. و في سنة ٩٤٨ هـ جدد بيت زمزم على يد الأمير خشقلدي فرخمت أرضه و جعل عليه سقف فوقه مظلة مسقوفة بالخشب المزخرف عليه جملي (جملون) و في وسطه قبة مصفحة بالرصاص.

و في سنة ١٠٢٠ هـ وضع بأمر السلطان أحمد خان شبكة من الحديد بداخل البئر و منخفضة عن سطح الماء بمتري، لأن بعضا من المجاذيب كانوا يلقون أنفسهم فيها ليموتوا فداء حسب تصورهم و تجد الآن - ١٣١٨ - مكتوبا على الشباك الشمالي من جهة الباب: «ماء زمزم شفاء من كل داء»، «آية ما يننا و بين المنافقين أنهم لا يتصلعون من زمزم» السلطان عبد الحميد خان سنة ١٢٠١ هـ. و تجد مكتوبا على بابها ما يأتي:

سرور لسلطان البسيطة و الورا عبد الحميد البر بحر المكارم  
و نصر له أيضا و فتح و رفعة بتعمير هذا المأثر المتقدم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٥٦ حفيرة إبراهيم يوم ابن هاجرو ركضة جبريل على عهد آدم و على الشباك القبلي «ماء زمزم لما شرب له. لا يجمع ماء زمزم و نار جهنم في جوف عبد» (السلطان عبد الحميد خان سنة ١٢٠١ هـ). انتهى من مرآة الحرمين.

### الحفر في قعر زمزم إذا قل ماؤها

مما يستحسن تعهد قعر بئر زمزم بالتنظيف و إخراج الأتربة منها إذا قل ماؤها بين آونة و أخرى خصوصا إذا مرت سنوات عديدة عليها، ففي ذلك فائدتان:

تنظيف محلها و جوانبها، و تصفية مائها و غزارتها، فبئر زمزم شأنها شأن الآبار الأخرى فيما يحدث لها و إن كانت تفضلها جميعا. قال الإمام الأزرقى في تاريخه: ثم كان قد قل ماؤها جدا حتى كادت أن تجم في سنة ثلاث و عشرين و أربع و عشرين و مائتين، فضرب في جنبها تسعة أذرع سحافي الأرض في تقوير جوانبها ثم جاء الله بالأمطار و السيول في سنة خمسة و عشرين و مائتين فكثر ماؤها، و قد كان سالم بن الجراح قد ضرب فيها في خلافة هارون الرشيد أذراعا، و ضرب فيها في خلافة المهدي، و كان عمر بن ماهان قد ضرب فيها و كان ماؤها قد قل حتى كان رجل يقال له محمد بن مشير من أهل الطائف يعمل فيها، فقال: أنا صليت في قعرها.

و قال الغازي في تاريخه: و قال العلامة الحضراوى رحمه الله تعالى في تاج تواريخ البشر: و في شهر رمضان سنة (١٠٢٨) ثمان و عشرين بعد الألف وقع في بئر زمزم أحجار كثيرة من الجهة الشامية و الغربية مما فوق الماء و تحته و تغير طعم زمزم التغير الكثير و زادت ملوحته الزيادة الكثيرة الشديدة مع رزنه و قلّة القدرة على إساغته فتصدى لإصلاح هذا الأمر و القيام به شيخ الحرم المكي و هو الآغا حسين الحبشى، رحمه الله تعالى بعد أن عرض هذا الأمر على مولانا السيد الشريف إدريس بن الحسن، فحضر شيخ الحرم المذكور يوم الاثنين رابع شهر شوال و حاكم البلد و المهندسين و نزل المعلم و ابتدأ في عمارتها بعد ضحوة نهار يوم الاثنين المذكور و تم البناء يوم سادس عشر شوال فما باشر الماء جعل رضما من غير جبس و لا نورة و ما لم يباشر الماء جعل بالنورة و الجبس.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٥٧

وقال الغازي في تاريخه: وفي سنة ثمان وستين بعد الألف قلّ ماء زمزم في شهر القعدة الحرام ثم في شهر ذي الحجة إقلا لا زائدا ولم يكن يطلع سوى الطين في الدلو ثم نزلوها وحفروا فيها المرة بعد المرة وتكرر ذلك المرات الكثيرة وصارت في الموسم تغلق ليلا لأجل أن تجم شيء من النهار لأجل الحجاج ويكاد يقل في النهار ثم ينزلونها ويزيلوا ما فيها من الطين وغيره وتغلق من الصباح إلى الظهر ومن العصر إلى العشاء ومنه إلى شروق الشمس ومع هذه فلا تجم إلا بالقليل وما رجعت بعادتها الأولى إلا بعد مضي المحرم ولم يعهد ولم يعرف وقوع هذا الحال قط فيها بل كان يكثر الماء فيها خصوصا في زمن الموسم ويفيض جدا مع كثرة الجبد عليها والنزح منها ولم يكن بها إقلا لا أبدا إلا في هذه السنة، ذكره الفاضل العلامة خليفة بن أبي الفوز بن محمد الزمزمي الشافعي البيضاوي في كتابه نشر الآس في فضائ زمزم وسقايه العباس كذا في نزهة الفكر. انتهى من الغازي. ومعنى قوله: أن تجم أي: تجتمع.

### حوض زمزم في عهد ابن عباس

قال الإمام الأزرقى في تاريخه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدى قال:

أخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريج قال: قال لى عطاء: وإنما كانت سقايتهم التى يسقون بها، قال: كان لزمن حوضان في الزمان الأول، فحوض بينها وبين الركن يشرب منه الماء، وحوض من ورائها للوضوء، له سرب يذهب فيه الماء من باب وضوئهم من البير قال الخزاعى: وفي ذلك يقول الشاعر:

كأنى لم أظن بمكة ساعة ولم يلهنى فيها ربيب منعم

و لم أجلس الحوضين شرقى زمزم وهيهات أنى منك لا أين زمزم

قال: ولم يكن عليها شباك حينئذ قال: وأراد معاوية بن أبى سفيان أن يسقى في دار الندوة، فأرسل إليه ابن عباس، رضى الله عنه، أن ليس ذلك لك فقال:

صدق. فسقى حينئذ بالمحصب ثم رجع فسقى عنى، قال مسلم بن خالد: كان موضع السقايه التى للنبذ بين الركن و زمزم مما يلى ناحية الصفا فنحاهما ابن الزبير إلى موضعها الذى هى فيه اليوم. وقال غير واحد من أهل العلم من أهل مكة:

كان موضع مجلس ابن عباس فى زاوية زمزم التى تلى الصفا والوادى وهو على يسار من دخل زمزم، وكان أول من عمل على مجلسه القبة سليمان بن على بن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٥٨

عبد الله بن عباس، وعلى مكة يومئذ خالد بن عبد الله القسرى عاملا لسليمان بن عبد الملك ثم عملها أمير المؤمنين أبو جعفر فى خلافته، وعمل على زمزم شباكا ثم عمله المهدي وعمل شباكي زمزم أيضا، فعمل فى مجلس ابن عباس كنيسة ساج على رف فى الركن على يسارك. أخبرنى جدى قال: أول من عمل القبة، التى على الصحنه التى بين زمزم وبين بيت الشراب، المهدي فى خلافته عملها لهم أبو بحر المجوسى النجار كان جاء به عيسى بن على بن عبد الله بن عباس إلى مكة من العراق، فعمل له سقوفا فى داره التى عند المروء و باب داره، سنة إحدى وستين ومائة، قال أبو محمد الخزاعى: سمعت شيخا قديما من أهل مكة يذكر أن المهدي و من كان أشار عليه بعملها إنما تحروا بها موضع الدوحة التى أنزل إبراهيم ابنه إسماعيل و أمه هاجر تحتها فبنيت هذه القبة فى موضع الدوحة و الله عز و جل أعلم.

انتهى من الأزرقى.

### حلاوة زمزم

كان ماء زمزم إلى سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة فيها نوع من الملوحيه و شىء من الثقل ما كنا نعلم سببه، فلما قررت الحكومة العربية السعودية توسعة المسجد الحرام، و ابتدؤا فى هدم المنازل المحيطة به من جهة المسعى فى سنة (١٣٧٥) هـ، ثم بدؤا فى السنة التى بعدها أى سنة (١٣٧٦) هـ فى وضع أساسات البنيان من المروءة إلى الصفا، بل إلى ما فوق الصفا إلى باب الوداع، انقطعت الصلة تماما بحفر الأساسات إلى عمق كثير، بين المنازل القديمة و آثارها و بين المسجد الحرام، فعندئذ بدأ ماء زمزم فى الحلاوة و الصفاء، حلاوة محسوسة ملموسة ظاهرة كالشمس.

و ذلك لأن البيوت و المنازل القديمة المحيطة بالمسجد الحرام، كان فيها بيوت الخلاء و المطاهر، و هذه ليست لها مجارى لتصريف القاذورات إلى خارج مكة، و إنما العادة عندنا فى مكة أن تحفر فى أرض كل بيت حفرة تتجمع الفضلات فيها، ثم فى كل عام أو عامين يأتون بعمال ينحون هذه الفضلات فيخرجونها إلى مكان آخر، فى حفرة يحفرونها أمام المنازل و البيوت ثم يطمرونها بالتراب.

فبيوت الخلاء فى المنازل القديمة التى كانت محيطة بالمسجد الحرام من الجهة الشرقية، و الميضأة التى كانت بقرب المسجد الحرام فى أول أجياد، و الميضأة التى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٥٩

كانت بقرب باب على من أبواب المسجد، و الميضأة التى كانت فى باب السلام من أبواب المسجد أيضا، و وجود الفرع الثانى من بير يا خور التى تتجمع فيها فضلات بعض البيوت فتجرى من شارع المسعى بجوار المسجد الحرام إلى أن تخرج من آخر المسفلة، كل هذه الميضآت و بيوت الخلاء و بير يا خور كانت مياهها تتسرب من جوف الأرض و تختلط طبعاً بماء زمزم، فكان ذلك سبباً قويا فى تغيير طعم ماء زمزم.

فلما هدمت هذه المنازل و البيوت و الميضآت و بير يا خور التى كانت تجرى تحت الأرض بعمق عشرة أمتار و رفعت أنقاض هذه المحلات و نظفت و حفرت أراضيها إلى عمق كثير و دكت دكا جيدا لبناء أساسات توسعة المسجد الحرام، انقطعت صلة بئر زمزم بهذه المحلات بتاتا، و انعدمت المياه التى كانت تتسرب إليها من هذه الجهة انعداما كلياً. كل ذلك كان فى سنة (١٣٧٦) ست و سبعون و ثلاثمائة و ألف هـ. فصارت ماء زمزم حلوة نظيفة و صارت هذه الحلاوة فيها ملموسة لكل الناس، حتى صار بعضهم يظن إذا شرب ماء زمزم أنها خلطت بالماء العادى و ليس كذلك، فالحمد لله رب العالمين على هذه النعمة الكبرى.

و يمكن لنا أن نستنتج من هذا الأمر: أن ماء زمزم فى بدء أمرها حينما أخرجها جبريل عليه السلام لإسماعيل و أمه هاجر منذ أكثر من أربعة آلاف سنة، لا يبعد أن تكون أعذب و أصفى ماء فى الدنيا على الإطلاق لتقوم لهما مقام الطعام و الشراب حيث لم يبق لديهما ماء و لا طعام، ثم طرأ فيما بعد على هذه البئر المباركة ما يطرأ على مثلها، فتغير طعمها عما كانت عليه فى بدء أمرها، فإن جرهما لما استخفت بحرمة البيت انقطع ماء زمزم ثم طمرت و درس موضعه، ثم إن عمرو بن مضاض الجهمى بعد أن لم يستمع قومع لكلامه و وعظه عمد إلى الغزالين من الذهب و الأسياف التى كانت فى الكعبة فوضعها فى بئر زمزم بعد أن حفرها ثم طمرها و ردمها، ثم إن عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه و سلم اهتدى إلى مكان بئر زمزم فحفرها و أخرج الغزالين و الأسياف و الدروع و حفر حتى وصل إلى قرارها، فخرج الماء، فبنى عندها حوضاً كان هو و ابنه يملآنه فيشرب منه الحاج كما تقدم بيان ذلك، ثم جاءت القرامطة بعد الإسلام إلى مكة فقتلوا الناس و ملأوا بئر زمزم بجمث القتلى ثم أخرجت هذه الجمث، و نظفت، ثم طرأ عليها تسرب مياه المنازل المحيطة بالمسجد الحرام - حتى رفعت البيوت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٦٠

و هدمت المنازل فى زماننا هذا لتوسعة المسجد الحرام، فحليت زمزم و صارت سائغا للشاربين كالماء العذب الصافى، و لولا أن الله

تعالى خصها بنوع من الطعام لما ميز الشارب بينها و بين الماء العادى. فالحمد لله رب العالمين.

### عدم فيض زمزم ليلة نصف شعبان

كثير من الناس يعتقدون أن ماء زمزم يفيض و يزيد ليلة النصف من شهر شعبان، و يزيد فى كل ليلة جمعة، فهذا زعم باطل و وهم و خيال لا صحة له بتاتا مطلقا. نعم إن ماء زمزم قد تزيد فى بعض السنين و ذلك بسبب كثرة نزول الأمطار و دخول السيول إلى نفس المسجد الحرام و ارتفاعها إلى أن تصل إلى باب الكعبة و أكثر، فبطبيعة الحال تدخل مياه الأمطار و السيول إلى جوف زمزم من فمها و بذلك تفيض إفاضة زائدة كما هو الشأن فى الآبار من هذا السبب.

و لقد حقق ابن جبير الأندلسى رحمه الله تعالى هذه المسألة بنفسه حينما وصل إلى مكة و كتب عنها فى رحلته «رحلة ابن جبير» التى كانت سنة (٥٧٨) ثمان و سبعين و خمسمائة هـ. فأحببنا نقل كتابته زيادة فى البحث و التدقيق. فإنه قال ما يأتى:

و فى يوم الجمعة أصبح بالحرم - أى بالمسجد الحرام - أمر عجيب و ذلك أنه لم يبق بمكة صبي إلا و صبحه، و اجتمعوا كلهم فى قبة زمزم و ينادون بلسان واحد هللوا و كبروا يا عباد الله فيكبرون، و ربما دخل معهم من عرض العامة من ينادى معهم بندائهم و الناس و النساء يزدحمون على قبة البئر المباركة لأنهم يزعمون بل يقطعون قطعاً جهلياً لا قطعاً عقلياً بأن ماء زمزم يفيض ليلة النصف من شعبان و كانوا على ظن من هلال الشهر لأنه قيل إنه رؤى ليلة الجمعة فى جهة اليمن، فبكر الناس إلى القبة، و كان فيها من الازدحام ما لم يعهد مثله و مقصد الناس فى ذلك التبرك بذلك الماء المبارك الذى قد ظهر فيضه و السقاء فوق التنور يستقون و يفيضون على رؤوس الناس الماء بالدلاء قذفاً، فمنهم من يصيبه فى وجهه و منهم من يصيبه فى رأسه إلى غير ذلك، و ربما تمادى لشدة نفوذه من أيديهم و الناس مع ذلك يستريدون و يبكون، و النساء من جهة أخرى يساجلنهم بالبكاء و يطارحنهم بالدعاء، و الصبيان يفلجون بالتهليل و التكبير، فكان مرأى هائلا و مسموعاً رائعا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٦١

لا يتخلص للطائفتين بسببه طواف و لا للمصلين صلاة لعلو تلك الأصوات و إشغال الأسماع و الأذهان بها.

و دخل إلى القبة المذكورة أحدنا ذلك اليوم فكابد من هذا الزحام عنتاً و مشقة، فسمع الناس يقولون: زاد الماء سبعة أذرع، فجعل يقصد إلى من يتوسم فيه بعض عقل و نظر من ذوى السبال البيض، فيسأله عن ذلك فيقول و أدمعه تسيل، نعم زاد الماء سبعة أذرع لا شك فى ذلك، فيقول: أعن خبره و حقيقة؟

فيقول نعم، و من العجيب أن كان منهم من قال أنه بكر سحر يوم الجمعة المذكور فألقى الماء قد قارب التنور بنحو القامة، فيا عجباً لهذا الاختراع الكاذب، نعوذ بالله من الفتنة.

و كان من الاتفاق أن اعتنينا بهذا الأمر لغلبة الاستفاضة التى سمعناها فى ذلك و استمرارها مع سوائف الأزمة عند عوام أهل مكة، فتوجه منا ليلة الجمعة من أدلى دلوه فى البئر المباركة إلى أن ضرب فى صفح الماء، و انتهى الحبل إلى حافة التنور، و عقد فيه عقدا يصح عندنا القياس به فى ذلك، فلما كان فى صبيحتها و تادى الناس بالزيادة الظاهرة، خلص أحدنا فى ذلك الزحام على صعوبته و معه من استصحب الدلو و أدلاه، فوجد القياس على حاله لم ينقص و لم يزد بل كان من العجب أن عاد للقياس ليلة السبت، فألفاه قد نقص يسيراً لكثرة ما أمتاح الناس منه ذلك اليوم فلو امتيح من البحر، لظهر النقص فيه، فسبحان من خص ذلك الماء بما خص به من بركة و وضع فيه المنفعة.

و فى صبيحة يوم السبت الخامس عشر منه، تتبعنا هذا القياس استبراء لصحة الحال فوجدناه على ما كان عليه و لو أن لفظ ذلك اليوم بأنه لم يزد، لصب فى البئر صبا أو لداسته الأقدام حتى تذيبه، نعوذ بالله من غلبات العوام و اعتدائها و ركوبها جوامح أهوائها. و هذه الليلة المباركة، أعنى ليلة النصف من شعبان، عند أهل مكة المعظمة للأثر الكريم الوارد فيها يبادرون فيها إلى أعمال البر من

العمرة و الطواف و الصلاة، أفرادا و جماعة ينقسمون في ذلك أقساما مباركة. انتهى من رحلة ابن جبير. نعلم مما تقدم أن زيادة ماء زمزم في ليلة النصف من شعبان لا صحة لها مطلقا، وإنما هو من معتقدات العوام التي لا أصل لها، و ما يعترى بقية الآبار من زيادة أو نقص بسبب إحدى العوامل الطبيعية، يعترى بئر زمزم كذلك.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٦٢

### حكم بئر زمزم و حريمها هل هي من المسجد الحرام أم لا

#### إشارة

قال الغازي في تاريخه ما نصه: (الفائدة الثالثة): ذكر الشيخ خليفة بن فرج بن محمد الزمزمي في كتابه «نشر الآس في فضائل زمزم و سقاية العباس»: اعلم أني رفعت سؤالا إلى علماء وقتنا أدام الله بقائهم للإسلام، هذه صورته:

الحمد لله ما قولكم، رضى الله عنكم، و نفع المسلمين بعلومكم، هل بئر زمزم و كذا حريمها و هو البناء الدائر على فم البئر ليست من المسجد فلا يحرم على الجنب المكث فيه و لا البصاق و لا الغسل و لا غير ذلك مما يحرم فعله في المساجد، أم من المسجد فله حكم المسجد من أنه يجوز فيه الاعتكاف و يحرم دخوله جنبا و المكث فيه و استحباب تقديم اليمنى للدخول و ركعتي التحية إن أمكن فعلها فيه؟

أفتونا مأجورين.

### جواب الشيخ محمد بن عبد الله الطبري الشافعي

أجاب شيخنا الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطبري الشافعي، رحمه الله تعالى بقوله: الحمد لله رب العالمين لم أر لأحد في ذلك نقلا إلا ما ذكره جدى شيخ الإسلام ابن حجر فى التحفة بعد قول السبكي، إذا رأينا مسجدا أو صورة مسجدا يصلى فيه من غير منازع و لا علمنا له واقفا، فليس لأحد أن يمنع منه لأن استمراره على حكم المساجد دليل على وقفه كدلالة اليد على الملك، فدلالة يد المسلمين على هذا للصلاة فيه، دليل على ثبوت كونه مسجدا. انتهى كلام السبكي. قال: وقد يؤخذ منه أن حريم زمزم تجرى عليه أحكام المسجد، قلت: و يؤيد ذلك ما ذكر المحب الطبري فى القرى عن ابن عباس، أنه بلغه أن رجلا من بنى مخزوم اغتسل فى زمزم، فوجد من ذلك العباس و جدا شديدا، فقال: ما أحلها لمغتسل، قال: يعنى فى المسجد و هى لشارب و متوضئ، يعنى حلا و بلا، قال سفيان: يقول: حل محلل و الظاهر أنه يريد الغسل من الجنابة لمكان تحريم اللبث فى المسجد على الجنب، و فى قوله فى المسجد تنبيه عليه. انتهى.

فأفهم مما ذكر أنها ليس لها حريم و أن ما حولها له حكم المسجد و الله سبحانه و تعالى أعلم. و كتبه الفقير إلى الله تعالى محمد بن عبد الله الطبري الإمام

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٦٣

الحسينى الشافعي عفى الله عنهما و المسلمين آمين، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم.

### جواب الشيخ عبد العزيز الزمزمي الشافعي

الحمد لله، و لا حول و لا قوة إلا بالله، صريح كلام جدى خاتم المحققين الشهاب ابن حجر رحمه الله فى التحفة، أن حريم بئر زمزم من المسجد و قضية عبارتها أن البئر كذلك، إذ القول بعدم مسجديتها مع القول بمسجديتها ما أحاط بها، ربما تستحيله العادة و إن جاز عقلا. فيجرى عليهما أحكام المساجد من صحة الاعتكاف، و صلاة التحية، و حرمة البصاق، و جلوس الجنب فى شىء منها أو من

هوئهما. و تقديم اليمنى عند الدخول لمحل البئر فلا- يسن إذ هو جزء من المسجد و لا- تفاوت بين أجزاءه و إنما يراعى ذلك في غيرها معها و الله سبحانه و تعالى أعلم، و كتبه الفقير إلى الله تعالى عبد العزيز بن محمد الزمزمي الشافعي، عفى الله عنهما و المسلمين، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم.

### جواب الشيخ عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد الحنفي

و أجاب الحنفي: الحمد لله سبحانه، لا- علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، لم نر من تعرض لذلك من علماء مذهبنا بنفي و لا إثبات لا في كتب المناسك و لا غيرها، و العلم أمانة و الله سبحانه و تعالى أعلم. و كتبه الفقير إلى الله تعالى عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد الحنفي، لطف الله بهم و المسلمين، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم.

### جواب الشيخ أبي السعود بن علي الزمزمي المالكي

و أجاب شيخنا المالكي بقوله: الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، نعم! بئر زمزم مع حریمها ليست من المسجد و علوه بأن تحييسها سابق عن تحييس المسجد، فيباح للجنب المكث و الغسل، و لا تصح الجمعة و لا الاعتكاف لكون المسجد شرطاً فيهما و لا في علوها، و يقدم الداخل يسراه و يمانه خروجاً و لا تحية. و أما البصاق فجائز إلا إن كان يؤدي إلى تأذي الناس و تعلقه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٦٤

بثيابهم و أرجلهم و تنكف أنفسهم عند الشرب فيجتنب، و الله سبحانه و تعالى أعلم. و كتبه الفقير إلى الله تعالى أبو السعود بن علي الزمزمي المالكي، لطف الله بهما و المسلمين، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم.  
أقول: «أى يقول الغازي المتوفى سنة ١٣٦٥»: و كذلك رفع هذا السؤال بعينه في وقتنا هذا بعض الفضلاء من بيت الرئيس إلى المفتي الثلاثة: الحنفي و الشافعي و المالكي بمكة شرفها الله تعالى فكتبوا عليه جواباً و هذا نص جوابهم:

### جواب مفتي الأحناف الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن سراج

(المتوفى سنة أربع و ستين و ثلاثمائة و ألف) الحمد لله من ممد الكون أستمد التوفيق و العون قال العلامة ابن عابدين في حاشية رد المحتار على الدر المختار ما لفظه: و في حاشية المدني عن الفتاوى العفيفة: و لا يظن أن ما حول بئر زمزم يجوز الوضوء أو الغسل من الجنابة فيه، لأن حريم زمزم يجرى عليه حكم المساجد، فيعامل بمعاملتها من تحريم البصاق و المكث مع الجنابة فيه و من حصول الاعتكاف فيه و استحباب تقديم اليمنى، بناء على أن الداخل من مسجد ليس له ذلك. انتهى.

قال العلامة الشيخ محمد بن علي ابن علان الصديقي الشافعي في كتابه الدر المنظم في فضائل ماء زمزم ما نصه: و في فروع العلامة محمد بن أبي بكر الأشخر اليمني قال ابن حجر بعد كلام ذكره: و يؤخذ من هذا أن حريم زمزم يجرى عليه أحكام المسجد، و كون حريم البئر لا يصح وقفه مسجلاً أنى ينظر فيه إن علم أنها خارجة عن المسجد القديم و لم يعلم ذلك بل يحتمل أنها محفورة فيه و عضده إجماعهم على صحة وقف ما أحاط بها و إلا فوقف الممر للبئر كوقف حريمها إذ الحق فيه للمسلمين. انتهى كلامه.

قلت: و يؤيده ما تقدم من حديث الزهري من قول قريش لعبد المطلب لما شرع في حفر بئر زمزم ما هذا الصنع إنا لم نكن نربك أي نتهمك بالجهل لم تحفر في مسجدنا انتهى. و حيث علم مسجدي ما ذكر فليعامل معاملة المساجد من تحريم البزاق و المكث مع الجنابة فيه و من حصول الاعتكاف فيه و في استحباب تقديم اليمنى لدخوله، بناء على أن الداخل من مسجد لمسجد يسن له ذلك و غيره من أحكام المسجد فافهم. انتهى كلام الصديق كذا نقله عنه العلامة الشيخ

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٦٥

عبد الله العفيف الكازروني المكي و أقره و يؤيده ما في البحر العميق عن أبي هريرة أنه قال: إنا لنجد في كتاب الله أن حد المسجد الحرام من الحزورة إلى المسعى و عن عمرو بن العاص أساس المسجد الذي وضعه إبراهيم، عليه السلام، من الحزورة إلى المسعى انتهى. و ما نقل من فتوى الشيخ أبي السعود بن علي الزين المالكي بأن بئر زمزم مع حريمها ليست من المسجد فبعيد عن الصواب لما ذكره الحطاب المالكي في شرحه على مختصر العلامة خليل عند قوله: و جاز أي الطواف بسقائف لرحمة و إلا أعاد و لم يرجع له و لآدم قولين مشهورين أحدهما كون بئر زمزم من المسجد الأصلي كالمقام و هو ما يسند في الطراز و ثانيهما كونه ليس من المسجد الأصلي كالسقائف و هما للخمي و غيره. انتهى. و ما ذكره من التعليل بأن تحييسها سابق على تحييس المسجد فهو إن صح لا يوصل إلى مطلوبه لجواز أخذ الملك و الوقف بقيمتها لجهة المسجد لتوسعته كما هو منصوص عليه في غير ما كتاب و الله أعلم. أمر برقمه خادم الشريعة و المنهاج عبد الله بن عبد الرحمن سراج الحنفي قاضي القضاء و مفتي الأقطار العربية بمكة المحمية كان الله لهما حامدا مصليا مسلما.

### جواب مفتي الشافعية السيد عبد الله بن السيد محمد صالح الزواوي

(المتوفى سنة ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و ألف) بسم الله سبحانه و تعالى أبتدئ الجواب و أستمد منه الهداية للصواب. بئر زمزم هو قطعا ليس من المسجد بل كان متصلا به و رحبة البئر تتبعه في الحكم و لا يصح وقفها مسجدا لأنها لا تملك لأحد بل هي تابعة للبئر و كل ما لا يملك لا يوقف. و قد نص فقهاؤنا على أن حرم المعمور لا يملك و البئر متى عمرت و صارت وقفا فحريمها يتبعها و لا يجوز لأحد التعرض له بوقفه مسجدا أو غيره بل يبقى تبع البئر إن كانت وقفا فوقف و إن كانت مملوكة فهو كذلك، و بئر زمزم وقف بالاتفاق فحريمها يتبعها في الحكم و لا يصح إدخاله في المسجد و لا في حكمه و للبئر و رحبته حرمة عظيمة لقربه من بيت الله الحرام و جواره للمسجد المعظم و قربه من بابه المشهور بباب السلام المعروف بباب بني شيبه و أحكام المسجد لا تثبت للأرض القريبة منها أو المتصلة بها بل لا يثبت حكم المسجدية إلا بنية الوقف عند تحديدها و بنائها مسجدا كما صرح الفقهاء بذلك، و ما نقل العلامة الطبري

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٦٦

من أن ابن عباس، رضى الله عنه، قال: رأيت عباس بن عبد المطلب في المسجد الحرام و هو يطوف حول زمزم و يقول: لا- أحلها لمغتسل و هي للمتوضى و الشارب حل. قال سفيان يعني لمغتسل فيها لأنه وجد رجلا من بني مخزوم و قد نزع ثيابه و قام يغتسل من حوضها عريانا فذلك لا لكون البئر مسجدا بل لكونه كان تحت يده و في حوزته، فمنعه للغسل منه احتراماً لمائه و لكون المغتسل أساء الأدب بغسله من الحوض عريانا و هذا هو الظاهر، و مكث الجنب الممنوع للمسجدية هو في المسجد فعلا المحتاط بالبئر الذي لا يمكن الوصول إليه إلا منه، فالذي يقصد الغسل من البئر و يمر بالمسجد و يمكث فيه يمنع، و أما مكث الجنب في البئر و حريمه الذي حدثت به الجنابة فيه مثلا، فلا يحرم بل يكره لحرمة الموضع و ينبغى له أن يغتسل فورا. و كذا لا يسن الاعتكاف فيه و يؤيد ما ذكرته في كون البئر و حريمه ليس من المسجد لتعليل مفتي المالكية العلامة أبو السعود بن عبد العزيز المالكي في عدم مسجدية البئر و رحبته بقوله إن تحييس بئر زمزم سابق عن تحييس المسجد فلا- يثبت لها حكم المسجد و يباح للجنب المكث و الغسل فيه و يقدم الداخل سراه خروجاً و لا تحية. اهـ.

و أما ما أفتى به العلامة مفتي الشافعية الشيخ عبد العزيز الزمزمي من كون البئر و رحبته مسجدا فلم يذكر له سندا غير ما ذكره عن العلامة الطبري من قوله و الظاهر أنه يريد الغسل من الجنابة لمكان اللبث في المسجد على الجنب، و لا أرى هذا يكون سندا للمطلوب لأنه قال الظاهر فقط و السند الذي ذكره العلامة أبو السعود أقوى و حيث جزمها بعدم مسجدية البئر و رحبته و جواز مكث الجنب فيه

مع الكراهية، فالبصاق جائز كذلك إلا إذا كان يؤدي إلى تأذي الداخلين إلى البئر و تعلقه بشياهم و أرجلهم فيجتنب، و هذا هو الذى ظهر لى و الله أعلم. أمر برقمه مفتى الشافعية بمكة المحمية و الأقطار الحجازية الراجى غفران المساوى عبد الله بن السيد محمد صالح الزواوى كان الله لهما أمين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٦٧

### جواب مفتى المالكية الشيخ عابد بن حسين المالكي

(المتوفى سنة اثنتين و أربعين و ثلاثمائة و ألف) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله، رب زدنى علما. حكى الخطاب فى شرحه على مختصر العلامة خليل عند قوله: و جاز أى الطواف بسقائف لرحمة و إلا أعاد و لم يرجع له و لآدم قولين مشهورين:

أحدهما: كون بئر زمزم من المسجد الأصيل كالمقام و هو ما أسند فى الطراز و اختاره ابن عرفة، و ثانيهما كونه ليس من المسجد الأصيل كالسقايف و هما للخمى و غيره و جعله ابن الحاجب الأشهر اه.

و يؤيد الأول حديث الزهرى أن قريشا قالت لعبد المطلب لما شرع فى حفر بئر زمزم: ما هذا الصنع؟ إنا لم نربك أى تهتمك بالجهل لم تحفر فى مسجدنا كما نقله الكازرونى الحنفى فى تذكرته عن ابن علان الصديقى الشافعى. و قول الإمام أبى عبد الله المقرئ سألت الشيخ خليل بن عبد الرحمن بن محمد المالكي مفتى مكة و هو أعلم من لفيق بالمناسك دراية و رواية و مشاهدة و أمام الوقفة بعرفات عن حدود المسجد الحرام فى زمن النبى صلى الله عليه و سلم، فأشار إلى الخشب المطيفة بالبيت و المقام و زمزم من جميع الجهات فقلت: و لم تصلى خارجا عنها و أنت تعلم ما فى إلحاق الزيادة فى الفضيلة بالأصل من الخلاف، فقال: أهل مكة يقولون الحرم كله مسجد كما فى نيل الابتهاج لسيدى أحمد بابا التنبكتى و أما بالنسبة للمسجد الحرام فى هذا الوقت فهو منه و له حكمه بدون أدنى شك لأمرين الأول: أنه قد صار الآن فى وسطه و العادة تجهل خروجه و عدم إعطائه حكمه حينئذ سيما و فى المذهب قول مشهور بكونه من المسجد الأصيل كالمقام و قد علمت تأييده.

الثانى: أن فى تاريخ الخميس عن البحر العميق للقرشى عن أبى هريرة، رضى الله عنه، إنا لنجد فى كتاب الله أن حد المسجد الحرام من الحزورة أى باب الوداع إلى المسعى و عن عمرو بن العاص، رضى الله عنه، أساس المسجد الذى وضعه إبراهيم، عليه السلام، من الحزورة إلى المسعى أفاده خاتمة المحققين السيد أحمد بن زينى دحلان عما كتبه العلامة السيد أحمد جمل الليل المدنى عن الشيخ إبراهيم الخليل فى شرحه على مولد الأهدل قال: و فى كلام غيره ما يؤيده اه.

و رأيت مثله فى تاريخ العلامة الأزرقى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٦٨

و أما فتوى أبى السعود ابن على الزين المالكي بأن بئر زمزم مع حريمها ليست من المسجد و عللوه بأن تحييسها سابقه على تحييس المسجد فيباح للجنب المكث بها و الغسل و لا- تصح الجمعة و لا الاعتكاف بها لكون المسجد شرط فيها و لا فى علوها و يقدم الداخل يسراه و يمناه خروجا و لا- تحية و أما البصاق فجائز إلا إن كان يؤدي إلى تأذى الناس و تعلقه بشياهم و أرجلهم و تنكف أنفسهم عند الشراب فيجتنب كما فى نشر الآس فى فضائل زمزم و سقاية العباس فهى باطله من وجوه:

الوجه الأول: أنه لا صحة لدعواه أن أهل المذهب عللوا مسجديتها و حريمها بأن تحييسها سابقه الخ. إذ كيف تصح و قد قال الشيخ عبد الباقي الزرقانى على مختصر خليل و استثنى من بيع العقار الحبس خرب أم لا. قوله إلا أن يباع لتوسيع كمسجد للجماعة كما فى النص تقدم على العقار أو تأخر و طريق و مقبرة فيجوز بيع حبس غير هذه الثلاثة لتوسيع الثلاثة أو واحد منها أى يؤذن فيه و لو جبرا و أمروا أى المحبس عليهم بجعل ثمن الحبس الذى يبع لتوسيع أحد الثلاثة لغيره أى يشتري بالثمن عقار مثله و يجعل حبسا مكانه من



غير قضاء على المشهور لأنه لما جاز بيعه اختل حكم الوقفية. اهـ.

الوجه الثالث: أن تقديم الرجل اليسرى في الدخول و اليمنى في الخروج إنما عدوه من الآداب في نحو الكنيف من كل دنىء كحمام و بيت ظالم و ليس منه بئر زمزم حتى فرض عدم دخوله في المسجد إذ كيف تصح دعوى دناءته و قد قالوا إن النظر في بئر زمزم عبادة تحط الأوزار و الخطايا لخبر خمس من العبادات تحط الخطايا: النظر في المصحف و النظر إلى الكعبة و النظر إلى الوالدين و النظر في زمزم و النظر إلى وجه العالم رواه الأزرقى.

قال بعضهم: و يختار له النظر فيها ثلاثا و يستقبل القبلة عند شربها لأنها أشرف الجهات إذا علمت ذلك تعلم أن ما أفتى به أبو السعود بهتان عظيم و جهل فاضح سقيم، فلا يحل لامرئ أن يلتفت لمثله فضلا عن أن يعتمد عليه في فتواه، و الله الهادى إلى الصواب و إليه المرجع و المآب. أمر برقمه مفتى المالكية حالا بالأقطار الحجازية عبده تعالى حامدا مصليا مسلما محمد عابد بن حسين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٦٩

### حجر إسماعيل عليه الصلاة و السلام

#### إشارة

الحجر بكسر أوله له عدة معان، و المراد به هنا هو نصف الدائرة الذى يحيط بالجانب الشمالى بالكعبة المعظمة من جانب الميزاب، و حجر إسماعيل أصله من عمل أبيه إبراهيم، عليهما الصلاة و السلام، فقد جعله من شجر الأراك.

قال الإمام الأزرقى فى تاريخه عند بناء إبراهيم عليه الصلاة و السلام الكعبة:

و جعل إبراهيم عليه السلام الحجر إلى جنب البيت عريشا من أراك تقتحمه العنز، فكان زربا لغنم إسماعيل اهـ. و معنى الزرب حظيرة الغنم، و الزرب و الزريبة بمعنى واحد، أى أن حجر إسماعيل قد عمله إبراهيم، عليهما الصلاة و السلام، ليكون موضعا لغنم ابنه إسماعيل، و إذا نظرنا إلى ذلك العصر البعيد قبل أربعة آلاف سنة، حين لم تكن بمكة دور و لا بيوت إلا السكنى فى كهوف الجبال و الجلوس تحت ظلال الأشجار، و لم يكن فى عصر النبيين الكريمين، عليهما الصلاة و السلام، بمكة إلا نفر من قبيلة جرهم، علمنا أن احتجاز حجر إسماعيل لغنمه عند هذا البيت الكريم الذى هو أول بيت وضع للناس بركة أمر عادى، و إذا علمنا أيضا أن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، خصوصا خليل الله عز و جل الذى بنى هذا البيت الكريم، لا يفعلون شيئا من عند أنفسهم بل لابد من الإذن الإلهى فى ذلك. و ما المانع فى ذلك؟ و الخليل و ابنه إسماعيل، عليهما السلام، هما اللذان بنيا الكعبة فالبيت بيت الله، و إبراهيم خليل الله، و إسماعيل نبي الله، و ماء زمزم خرجت كرامة له من الله، و الكعبة كانت مبنية بالرضم على أكمة صغيرة حولها الحصباء و المدر، فسكنى إسماعيل عليه الصلاة و السلام، و مكان عبادته و موضع غنمه عند الكعبة المشرفة، و ما أحلى ذلك الزمن عند هذه البنية الطاهرة و الأرض الطيبة النظيفة و الجبال الشامخة اللطيفة، و السماء الصافية و الأمطار المباركة النازلة منها و الأفق البعيد الخالية من عبادة الأصنام و الأوثان، إن من يتخيل فى ذهنه ذلك الزمن السحيق المبارك ثم ينظر فيما حوالية الآن من تغير الأرض و الأبنية و المسالك، ليرى فى مكة المشرفة بونا شاسعا و فرقا عظيما فى طبيعة الأرض و صورها و طبيعة بنى الإنسان و تطوره، فسبحان الكبير المتعال.

صورة رقم ٧٢، الكعبة و يظهر عندها حجر إسماعيل عليه السلام

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٧٠

ثم بتقادم العهد و مرور العصور تغير علامة حجر إسماعيل التى كانت من شجر الأراك، إلى رضم بالحجارة، ثم إلى بناء بالطين، ثم إلى بناء برخام المرمر، كما جاء فى عصرنا الحاضر لكن لم يتغير موضع الحجر و مكانه عن الحد الأول الذى كان فى عهد إبراهيم و

إسماعيل، عليهما الصلاة والسلام، أبدا. قال العلامة البحيري في حاشيته على شرح الخطيب على أبي شجاع: أول من رخم الحجر المنصور العباسي في سنة أربعين و مائة، ثم بعده مرارا. اهـ.

واعلم أن فتحى الحجر بكسر الحاء المهملة ليستا حديثين، بل هما قد كانا من عهد خليل الله إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، فقد تقدم أنه عمل الحجر مدورا من شجر الأراك لغنم ابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، تدخل إليه من الفتحتين. فلما تطور بناء الحجر من الأراك إلى البناء حافظوا على الفتحتين أيضا كما حافظوا على مدوره تماما، فالفتحتان كانتا موجودتين أيضا في زمن نبينا «محمد» صلى الله عليه وسلم وفي زمن الجاهلية، ولا يخفى ما فى الفتحتين من الفائدة الكبرى قديما و حديثا و هى دخول الناس منهما إلى الحجر للصلاة و الدعاء عند الكعبة المشرفة من جهته.

واعلم أيضا بأن حجر إسماعيل، عليه الصلاة والسلام، محسوب من البيت لما روى عن عائشة، رضى الله تعالى عنها قالت: «كنت أحب أن أدخل البيت فأصلى فيه، فأخذ رسول الله، صلى الله عليه وسلم بيدي فأدخلني الحجر و قال: «صلى فيه إن أردت دخول البيت فإنما هو قطعة من البيت».

نقول: إن هذا الحديث يدل صراحة على أن حجر إسماعيل، عليه السلام كله من البيت الحرام، و يدل على هذا أيضا طوافه صلى الله عليه وسلم، بالبيت من وراء جدار الحجر، فلذلك لو طاف شخص حول الكعبة المشرفة بحيث يدخل من الفتحة الشمالية للحجر يخرج من الفتحة الجنوبية المقابلة لها أى لم يطف من وراء جدار الحجر لم يصح طوافه.

فإن قال قائل: لقد كان البيت الحرام داخلا فى الحجر ستة أذرع و شبرا، فإذا طفنا بالبيت من نصف أرض الحجر فإنه يصدق علينا أننا طفنا بجميع بناية الكعبة قبل نقض قريش الأذرع المذكورة منها، فهل يصح طوافنا على هذه الصفة أم لا؟

نقول: إن الطواف على هذه الصفة لا يصح لعدم حصول الطواف من وراء جدار الحجر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه، قد طافوا بالبيت من وراء جدار

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٧١

الحجر، و نحن مأمورون بالاتباع لا بالابتداع، و الله الموفق للصواب و إليه المرجع و المآب.

و الذى نراه فى جعل إبراهيم حجر إسماعيل، عليهما الصلاة والسلام، من الأراك ليكون حريما للكعبة فقد جاء فى مختار الصحاح أن حريم البئر و غيرها ما حولها من مرافقها و حقوقها. انتهى منه.

فعليه يكون حجر إسماعيل تابعا للكعبة و هو من مرافقها و حقوقها، فاحترامه كاحترام الكعبة و العبادة فيه كالعبادة فى الكعبة، و الطواف حوله كالطواف حول الكعبة. و الله تعالى أعلم.

قال فى المصباح المنير: «و الحجر حطيم مكة و هو المدار بالبيت من جهة الميزاب اهـ». و قال فى مختار الصحاح: و الحجر أيضا حجر الكعبة و هو ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال. اهـ. و المعنى فى العبارتين واحد.

جاء فى شفاء الغرام: روى الفاكهى بسنده من طريق الواقدى عن أبى جهم بن حذيفة خبرا فى قدوم إبراهيم بإسماعيل عليهما السلام، قال فيه: فعمد إبراهيم إلى موضع الحجر فأنزل فيه هاجر و إسماعيل و أمر هاجر أن تتخذ فيه عريشا.

انتهى.

قال: و ذكر الأنزرقى ذلك فيما رواه بسنده عن ابن إسحاق لأنه قال فى خبر رواه فى هذا المعنى: فعمد فيهما إلى موضع الحجر فأنزلهما فيه و أمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشا. انتهى.

انتهى كل ذلك نقلا عن شفاء الغرام للفاسى.

و قد ورد فى بعض الروايات: أن إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، جاء بهاجر و ابنها إسماعيل و هى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق زمزم فى أعلا المسجد.

فهذه الروايات و إن اختلفت عباراتها فالمعنى بينها متقارب، لأن ما بين زمزم و بين حجر إسماعيل بضعة أمتار، و كل منهما قريب من الآخر لا تباعد بينهما، و الفرق القليل ليس له حساب.

فحجر إسماعيل هو حائط قصير دون القامة على شكل نصف دائرة من جهة ميزاب الكعبة، و ينسب الحجر إلى إسماعيل لأن أباه إبراهيم، عليهما الصلاة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٧٢

و السلام، هو الذى جعل الحجر إلى جنب البيت جعله عريشا من شجر الأراك تقتحمه غنم إسماعيل فكان زربا لغمه أى حظيرة لغمه. و لا اعتراض فى ذلك فإن خليل الله إبراهيم، صلوات الله و سلامه عليه و على جميع الأنبياء و المرسلين، لا يفعل شيئا إلا بأمر ربه. فبقى الحجر على أساسه من ذلك العهد محترما محسوبا من البيت فلا- يصح الطواف إلا- من ورائه، لذلك نسب الحجر إلى إسماعيل عليه السلام. و لقد كان البيت فى بنائه عليه السلام طويلا- يصل إلى منتصف أرض الحجر تقريبا فى زماننا اليوم أى كان الحجر ضيقا، و قد بقى كذلك إلى أن بنت قريش الكعبة فأخرجته منها لقله النفقة الحلال، و ذلك أنهم لما أرادوا بناء البيت الحرام جمعوا له من أطيب أموالهم فلم يدخلوا فيه مالا من ربا و لا مالا من ميسر و لا مهر بغى، و لكن ما جمعه من النفقة لم يكف لعمارة البيت كله، فاستقصروا فى بنائه على القواعد و تركوا بقيته فى الحجر و أداروا عليه جدارا يطوف الناس من ورائه.

(فإن قيل): هل عمل البابين للحجر الشرقى و الغربى كان فى بناء قريش للكعبة تركوا فى طرفى الحجر بمثابة البابين، أم كانا فى بناء إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، و بقيا كذلك إلى اليوم؟

(فنقول) و الله تعالى أعلم بغيبه: إن الفتحيتين اللتين فى طرفى الحجر كانتا فى عهد سيدنا إبراهيم الخليل، فإنه لما جعل الحجر عريشا لغم ابنه إسماعيل، عليهما السلام، لا بد و أن يترك للغم فى الحجر موضعين لدخولها و خروجها و هذا أمر مسلم به عقلا، و كان يكفى فتحة واحدة لدخولها و خروجها، و لكن عليه السلام، جعل فتحيتين فى طرفى الحجر الشرقى و الغربى لسهولة دخولها و خروجها، و لا يخفى أن مكان الكعبة كان ربوة عالية و حولها الوادى فإذا طلعت الغنم إلى عريشها من أى الجهات وجدت لها منفذا مفتوحا، ثم بقيت الفتحتان اللتان بمثابة البابين للحجر إلى يومنا هذا و قد وجد الناس إلى اليوم راحة كبرى فيهما لدخولهم و خروجهم عند إرادتهم الصلاة فى حجر إسماعيل، و لا شك أن هذا من بركات نبي الله و خليله إبراهيم عليه و السلام، و لم نجد أحدا تكلم عن هذه المسألة فالحمد لله على توفيقاته المتتالية و نعمائه المتوالية.

روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: كنت أحب أن أدخل البيت فأصلى فيه فأخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم ييدى فأدخلنى الحجر فقال لى: «صلى فى الحجر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٧٣

إذا أردت دخول البيت فإنما هو قطعة من البيت و لكن قومك استقصروا حين بنو الكعبة فأخرجوه من البيت».

و جاء فى كتاب القرى للطبرى أن عائشة قالت: يا رسول الله كل نسائك دخل البيت غيرى، قال: فانطلقى إلى قرابتك شبيهة يفتح لك الكعبة فأتته فأتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال: و الله ما فتحت بلبيل قط فى جاهلية و لا إسلام و إن أمرتنى أن أفتحها فتحتها، قال: لا، ثم قال: «إن قومك قصرت بهم النفقة فقصروا فى البنيان و إن الحجر من البيت فاذهبي فصلى فيه». اهـ.

و عن عروة عن عائشة قالت: ما أبالى فى الحجر صليت أم فى البيت. انتهى.

فمقدار سعة الحجر فى زماننا اليوم هو مقداره تماما حينما بنت قريش الكعبة فى عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل أن يبعث بخمس سنين على الأشهر. و سندكر قياسه إن شاء الله تعالى.

أما مقدار سعته فى بناء إبراهيم عليه الصلاة و السلام، و فى بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما، فإنه كان أضيق أى كان بمقدار نصف سعته اليوم تقريبا، لأن الكعبة كانت داخله فى الحجر ستة أذرع و شبرا.

قال إبراهيم رفعت باشا في كتابه «مرآة الحرمين» عن الحجر ما نصه: يطلق على حجر إسماعيل الحطيم، وقيل الحطيم هو الجدار المطيف بالحجر. وجاء في الكتاب المذكور ما نصه:

وقد ذكر الأزرقى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، جعل الحجر إلى جنب البيت عريشا من أراك يقتحمه العز و كان زربا لغنم إسماعيل، و قد تقدم أن قريشا أدخلت في الحجر أذرعاً من الكعبة حين بنتها لما قصرت عليهم النفقة الحلال التي أعدوها لعمارة الكعبة عن إدخال ذلك فيها، و أن ابن الزبير أدخل ذلك في الكعبة حين عمرها و أن الحجاج أخرجه منها و استمر ذلك ليومنا، و على ذلك فبعض الحجر من الكعبة و بعضه ليس منها، و يدل لذلك ما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض و لجعلت لها بابا شرقيا و بابا غربيا و زدت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قريشا استقصرتها حيث بنت الكعبة»، و في رواية فإن بدا لقومك من بعدى أن يبنوه فهلمى لأريك ما تركوا منه فأرها قريبا من سبعة أذرع.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٧٤

و في مسلم عن عطاء أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر و ليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائه لكنت أدخلت من الحجر خمسة أذرع. و ذكر عطاء أن ابن الزبير زاد في البيت خمسة أذرع من الحجر، و أنه بدا له أساس نظر إليه الناس فبنى عليه، و أما ما رواه الشيخان من حديث عائشة قالت:

سألت النبي صلى الله عليه و سلم عن الحجر أمن البيت؟ قال: نعم! قلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: إن قومك قصرت بهم النفقة الخ، فلا يعارض ما ذكرنا من أن بعضه من البيت لأن حديث عائشة هذا مطلق و أحاديثها السابقة مقيدة، و المطلق يحمل على المقيد و قد اختلف الفقهاء هل يصح من الحجر بعد السبعة الأذرع من البيت أم لا يصح الطواف إلا من وراء الحطيم كما فعل النبي صلى الله عليه و سلم؟ قال كثيرون بالأول و قال آخرون بالثاني. انتهى من كتاب مرآة الحرمين.

### حكم حجر إسماعيل في الطواف

من واجبات الطواف في مذهب الإمام الشافعي أن يكون الإنسان في طوافه خارجا بجميع بدنه عن جميع البيت الحرام، فلو طاف في حجر إسماعيل لم يصح طوافه، لأنه طاف في الحجر لا- في البيت و الله تعالى أمر بالطواف بالبيت و الحجر من البيت، ففي صحيح مسلم عن عائشة، رضي الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال: ستة أذرع من الحجر من البيت، و في رواية له إن من الحجر قريبا من سبعة أذرع من البيت.

قال الإمام النووي في الإيضاح في هذا المقام ما نصه: و أما حديث عائشة، رضي الله عنها، فقد قال الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح، رحمه الله تعالى:

قد اضطربت الروايات. ففي رواية في الصحيحين الحجر من البيت، و روى ستة أذرع من الحجر من البيت، و روى ستة أذرع أو نحوها، و روى خمسة أذرع، و روى قريبا من سبعة أذرع. قال: و إذا اضطربت الروايات تعين الأخذ بأكثرها ليسقط الفرض بيقين. قلت: و لو سلم أن بعض الحجر ليس من البيت، لا- يلزم منه أنه لا- يجب الطواف خارج جميعه، لأن المعتمد في باب الحج الاقتداء بفعل النبي صلى الله عليه و سلم فيجب الطواف بجميعه سواء كان من البيت أم لا. و الله تعالى أعلم.

انتهى كلام النووي.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٧٥

نقول: يجب الطواف من خارج الحجر، بكسر الحاء المهملة أي: خارج حجر إسماعيل، سواء كان كله من البيت أم بعضه من البيت، لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم، طاف بالبيت من خارج الحجر، و قد قال في حجة الوداع: «خذوا عني مناسككم» كما في صحيح

مسلم، و لأن الخلفاء الراشدين و الصحابة أجمعين و من بعدهم طافوا كلهم من خارج الحجر.

جاء في صحيح البخارى فى باب مناقب الأنصار فى القسامة فى الجاهلية:

حدثنا عبد الله بن محمد الجعفى حدثنا سفيان أخبرنا مطرف سمعت أبا السفر يقول: سمعت ابن عباس، رضى الله عنهما، يقول: «يا أيها الناس اسمعوا منى ما أقول لكم، و أسمعوني ما تقولون، و لا تذهبوا فتقولوا قال ابن عباس، قال ابن عباس: من طاف بالبيت، فليطف من وراء الحجر، و لا تقولوا الحطيم فإن الرجل فى الجاهلية كان يحلف فيلقى سوطه أو نعله أو قوسه. انتهى.

### الجلوس فى الحجر و فى المطاف

كان حجر إسماعيل و المطاف زمن الجاهلية مجلسا عاما يجتمعون فيهما و يجلسون بفناء الكعبة و ظلها يتذاكرون فى مختلف شؤونهم، روى الأزرقى فى تاريخه عن محمد بن سوفة قال: كنا جلوسا مع سعيد بن جبير فى ظل الكعبة فقال: أنتم الآن فى أكرم ظل على وجه الأرض، و قال ابن عباس، رضى الله تعالى عنها: سمعت أبى يقول: كان عبد المطلب أطول الناس قامه و أحسن الناس وجهها، ما رآه قط شىء إلا أحبه، و كان له مفرش فى الحجر لا يجلس عليه غيره و لا يجلس معه عليه أحد، و كان الندى من قریش حرب بن أمية فمن دونه يجلسون حوله دون المفرش، فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو غلام يدرج ليجلس على المفرش فيجذوه فبكى، فقال عبد المطلب و ذلك بعد ما حجب بصره: ما لابنى يبكى؟ قالوا له إنه أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه، فقال عبد المطلب: دعوا ابنى فإنه يحس بشرف أرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغ عربى قط، قال: و توفى عبد المطلب و النبى صلى الله عليه و سلم ابن ثمان سنين و كان خلف جنازته يبكى. انتهى من تاريخ الأزرقى.

و معنى الفناء، بكسر الفاء ما امتد من جوانب البيت و بالفتح ضد البقاء، و الندى الجواد، تقول: فلان ندى الكف أى سخى، و حرب بن أمية هو جد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٧٦

معاوية بن أبى سفيان و كان يسمر مع عبد المطلب و بينهما ألفه كبيرة، و معنى جذوه جذبوه مقلوب منه، و حرب بن أمية المذكور هو أول من أدخل الكتابة إلى مكة و كان تعلمها فى أسفاره كما ذكرنا تفصيل ذلك فى كتابنا «تاريخ الخط العربى و آدابه» المطبوع بمصر بمكتبة الهلال.

### قياس حجر إسماعيل بالأمتار

قال إبراهيم رفعت باشا رحمه الله تعالى فى كتابه «مرآة الحرمين» ما نصه:

حجر إسماعيل و يسمى «بالحطيم» هو بناء مستدير على شكل نصف دائرة و ارتفاعه من الداخل (١٢٣) سنتيمتر، و عرض جداره من الأعلى (١٥٢) سنتيمتر، و من أسفل (١٤٤) سنتيمتر، و هذا البناء مغلف بالرخام و أحد طرفيه محاذ للركن الشامى و الآخر محاذ للركن الغربى و سعة الفتحة التى بين طرفه الشرقى و آخر الشدروان ٣٠، ٢ متر، و سعة الفتحة الأخرى التى بين طرفه الغربى و نهاية الشادروان ٢٣، ٢ متر و المسافة التى بين طرفى نصف الدائرة ثمانية أمتار، و وراء الحطيم بمسافة اثنى عشر مترا المطاف. و الأرض التى بين جدار الكعبة الشمالى و بين الحطيم هى المعروفة بالحجر، و يدخل إليها من الفتحتين السالفتين و هى مفروشة بالرخام و المسافة من منتصف جدار الكعبة الشمالى و وسط تجويف الحطيم من الداخل ٤٤، ٨ أمتار. انتهى من كتاب مرآة الحرمين.

و صاحب الكتاب المذكور الذى توفى فى زماننا، رحمه الله تعالى، قد أخذ القياس بنفسه بالأمتار المستعملة فى عصرنا، أما فى العصور السابقة فقد كان قياسهم بالأذرع، لذلك رأينا أن نذكر قياسه بالأذرع أيضا زيادة فى المعرفة و الفائدة.

صورة رقم ٧٣، الكعبة المشرفة و جدار حجر إسماعيل عليه السلام

صورة رقم ٧٤، حجر إسماعيل من الداخل. و المؤلف يشير على حجر خاص

### قياس حجر إسماعيل بالأذرع

قال الإمام الأزرقى، رحمه الله تعالى فى تاريخه عند صفة حجر إسماعيل و ذرعه ما نصه: الحجر مدور و هو ما بين الركن الشامى و الركن الغربى، و أرضه مفروشة برخام و هو مستو بالشاذروان الذى تحت إزار الكعبة و عرضه من جدر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٧٧

الكعبة من تحت الميزاب إلى جدر الحجر سبعة عشر ذراعا و ثمان أصابع، و ذرع ما بين بابى الحجر عشرون ذراعا و عرضه اثنان و عشرون ذراعا، و ذرعه من داخله فى السماء ذراع و أربعة عشر إصبعا، و ذرعه مما يلى الباب الذى يلى المقام ذراع و عشر أصابع و ذرع جدر الحجر الغربى فى السماء ذراع و عشرون إصبعا و ذرع طول جدر الحجر من خارج مما يلى الركن الشامى ذراع و ستة عشر إصبعا، و طوله من وسطه فى السماء ذراعا و ثلاث أصابع، الرخام من ذلك ذراع و أربع عشرة إصبعا، و عرض الجدار ذراعا و ثلاث إصبعين و الجدر ملبس رخاما، و فى أعلاه فى وسط الجدار رخامة خضراء طولها ذراعا و ثلاث إصبعين و عرضها ذراع و ثلاث أصابع، قال أبو محمد الخزاعى: و قد حوت هذه الرخامة فجعلت تحت الميزاب مما يلى الكعبة، قال أبو الوليد: و ذرع باب الحجر الذى يلى المشرق مما يلى المقام خمسة أذرع و ثلاث أصابع و فى عتبة هذا الباب حجران ارتفاعهما من بطن الحجر أربع أصابع و ذرع باب الحجر الذى يلى المغرب سبعة أذرع و فى عتبة بابه أربعة أحجار و ارتفاعها من بطن الحجر أربع أصابع و مخرج سيل ماء الحجر من وسطه من تحت الحجارة فى ثقب بين حجرين، قال أبو محمد الخزاعى: قد كان على ما ذكره أبو الوليد ثم كان رخامه قد تكسر من وطء الناس فعمل فى خلافة المتوكل على الله و أمير مكة يومئذ أبو العباس عبد الله بن محمد بن داود فرفعت أرض الحجر شيئا حتى كان ماؤه يخرج من فوق الأحجار التى فى عتبة الباب الغربى فكان كذلك حتى عمّر فى خلافة أمير المؤمنين المعتضد بالله فأشرف العمال فى رفع أرضه حتى صارت أرفع من حجارة عتبتى البابين حتى احتاجوا إلى أن يكسروا طرفى العمل المشرف على بابى الحجر و لو كانوا جعلوه مستويا مع العتبتين كان أصوب، قال أبو الوليد: و ذرع تدوير الحجر من داخله ثمانية و ثلاثون ذراعا و ذرع تدوير الحجر من خارجه أربعون ذراعا و ست أصابع، و ذرع ما بين حدات الحجر من شق المغرب إلى حد الركن اليمانى اثنان و ثلاثون ذراعا، و ذرع طوف واحد حول الكعبة مائة ذراع و ثلاثة و عشرون ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا، و ذرع طواف سبع حول الكعبة ثمانمائة و ستة و ستون ذراعا و عشرون إصبعا. انتهى من تاريخ الأزرقى. فقياس الحجر فى أيامه و قياسه فى أيامنا واحد لا يتغير، أما قياس الحجر فى زمان بناء إبراهيم عليه السلام، و فى زمان بناء ابن الزبير فنصف هذا القياس تقريبا لدخول البيت فيه فافهم ذلك.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٧٨

و ما ذكره الأزرقى من أن رخام الحجر قد تكسر من وطء الناس فعمل فى خلافة المتوكل على الله هذا الرخام المتكسر عمله أمير المؤمنين محمد المهدي سنة ١٦١ هـ. فبقى على حالته إلى زمن المتوكل على الله فلما رأى أنه رث و تكسر قلعه و أبدله برخام حسن و ذلك سنة ٢٤١ هـ. فيكون رخام الحجر الذى عمله المهدي دام فيه ثمانين سنة. جزاهم الله عن الإسلام و المسلمين خيرا و رحمهم رحمة واسعة.

### كسوة حجر إسماعيل

لم تجر العادة من قديم الزمان إلى اليوم أن يغطى حجر إسماعيل عليه السلام، بالكسوة، غير أنه فى القرن التاسع الهجرى أى عام اثنين و خمسين و ثمانمائة وصلت كسوتان من قبل السلطان جقمق الجركسى لجدار الحجر الدائر فوضعوا إحداها عليه من داخله و الثانية من خارجه، و كانتا من الحرير الأسود ككسوة الكعبة المشرفة. ثم لم يكس جدار الحجر بعد ذلك فكانت هذه الكسوة هى الأولى و

الأخيرة.

قال العلامة القطب في كتابه «الإعلام»: و وصل في ذلك العام أى عام (٨٥٢) كسوة ل حجر إسماعيل مع كسوة البيت الشريف لأنه لم تجر بذلك عادة قبل هذا و وضعت في البيت الشريف ثم كسى بها الحجر من داخله في العشر الأخير من ذى الحجة سنة ثلاث و خمسين و ثمانمائة (٨٥٣) بعد أن حفظت في جوف البيت الشريف سنة كاملة. انتهى كلامه.

نقول: إن وضع كسوة على جدار حجر إسماعيل لا- بأس بها، فالحجر إنما هو قطعة من البيت، و لذلك كان الطواف من خارجه أى من وراء جدار الحجر، فتغطيته بالكسوة من الأمور التى لا- يمنعها العلماء و إن لم تجر العادة بذلك، و قد يستظرفها أهل الذوق الحسن، فللعين حظ النظر.

### فرش حجر إسماعيل بالبلاط

لم يكن حجر إسماعيل عليه الصلاة و السلام، مفروشا بالبلاط و الرخام فكان أول من وضع عليه حجارة الرخام الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور سنة مائة و أربعين هجرية، فإنه لما حج و طاف دعا زياد بن عبد الله الحارثى، و هو يومئذ

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٧٩

أمير مكة، فقال له: إني رأيت الحجر حجارتة بادية، فلا أصبحن حتى يستر جدار الحجر بالرخام. فدعا زياد بالعمال فعملوه على السرج قبل أن يصبح، و كان قبل ذلك مبنيا بحجارة بادية ليس عليها رخام.

ثم إن الخليفة محمد المهدي العباسى فى سنة مائة و إحدى و ستين و أربع و ستين زاد فى المسجد الحرام، و أمر بتجديد رخام الحجر، ففرشوه بالرخام المرمر بإتقان تام، و كان رخاما أبيض و أخضر و أحمر، و صرف فى ذلك مبالغ طائلة، ثم إن الخلفاء و السلاطين عملوا فيه و فى المسجد الحرام عمارات ليس هنا محل بيانها و لا بأس أن نشير بأن السلطان مراد خان الرابع هو أول من جدد عمارة حجر إسماعيل من آل عثمان حينما بنى الجدار الشامى من البيت، و ذلك سنة أربعين و ألف، ثم عمره السلطان عبد المجيد خان سنة ستين و مائتين و ألف، ثم حصل تجديد نصف أرض الحجر من جهة مقام الحنفى، و ذلك فى عهد السلطان عبد العزيز خان العثمانى سنة ثلاث و ثمانين و مائتين و ألف.

### المدفونون فى حجر إسماعيل

لا يخفى أن مكة بلد الله الأمين أتى إليها كثير من الأنبياء، عليهم الصلاة و السلام، بعد بناء سيدنا إبراهيم الخليل البيت الحرام و ربما قبله أيضا، فقد ورد فى الحديث «كان النبى من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق بمكة، فيتعبد فيها و من معه حتى يموت فيها، فمات بها نوح و هود و صالح و شعيب و قبورهم بين زمزم و الحجر».

و عن عبد الرحمن بن سابط يقول: سمعت عبد الله بن ضمرة السلولى يقول: ما بين الركن إلى المقام إلى زمزم قبر تسعة و تسعين نبيا جاؤوا حجاجا فقبروا هنالك.

و عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: صلى فى مسجد الخيف سبعون نبيا كلهم مخطمون بالليف. يعنى رواحلهم.

و عن مجاهد أنه قال: حج خمسة و سبعون نبيا كلهم قد طاف بالبيت و صلى فى مسجد منى فإن استطعت أن لا تفوتك صلاة فى مسجد منى فافعل.

و عن مجاهد أنه قال: حج موسى النبى على جمل أحمر فمر بالروحاء عليه عباءتان قطوانيتان، مترر بإحداهما، مرتد بالأخرى، فطاف بالبيت ثم طاف بين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٨٠

الصفا و المروة. فبينما هو بين الصفا و المروة إذ سمع صوتا من السماء و هو يقول:

ليبيك عبدى أنا معك فخر موسى ساجدا. انتهى ما ذكر من الأزرقى.

فإذا أنعمنا النظر و رجعنا إلى الورا إلى عهد إبراهيم عليه الصلاة و السلام، و بنائه البيت الحرام، علمنا أنه لم يكن بمكة إلا قليل من قبائل العرب الأقدمين و قد كانوا يسكنون خارج الحرم تعظيما للبيت الحرام و كانوا يأتون نهارا للطواف.

و علمنا أيضا أن أطراف البيت كان خاليا و محله كان ربوة و حولها مسالك الجبال و وادى إبراهيم و بئر زمزم عند الكعبة فى محله الآن فإذا جاء النبى إلى مكة بمن آمن معه، و مات بها، قبر حيث مات. فى الحديث: «لم يقبر نبى إلا حيث يموت» رواه الإمام أحمد عن أبى بكر، رضى الله تعالى عنه، قال العلامة الحنفى فى حاشيته على العزيرى عند هذا الحديث: أى يقبر فى المحل الذى خرجت روحه فيه فلا يجوز نقله إلى غيره، و لذا دفن صلى الله عليه و سلم فى حجرة عائشة التى قبض فيها. انتهى كلامه.

فإذا مات أحد الأنبياء، عليهم الصلاة و السلام، عند الكعبة فى المطاف أو فى الحجر أو عند زمزم أو عند أبى قبيس أو بمسجد الخيف بمنى أو بغيره، دفنوه حيث مات فى هذه المحلات الطاهرة الشريفة، إذ لم تكن مقبرة خاصة بمكة فى تلك الأزمنة الغابرة لقله السكان بها.

و لقد ذكر أكثر العلماء أن إسماعيل عليه السلام و أمه هاجر مدفونان بالحجر، و كذلك عذارى بنات إسماعيل كما رواه الإمام الأزرقى، فقد جاء فى تاريخه أن الزهرى سمع ابن الزبير على المنبر يقول: إن هذا المحدودب قبور عذارى بنات إسماعيل عليه السلام، يعنى مما يلى الركن الشامى من المسجد الحرام ... الخ. اهـ.

و علة اختصاص الدفن فى الحجر للعذارى أنهن مقيمات مع أبيهن حيث لم يتزوجن، أما التى تزوجت منهن فتتبع زوجها أينما ذهب و أقام. و الله أعلم.

و ما المانع أن يدفن نبى الله و ابن خليله مع بعض من أهله فى أشرف بقعة على وجه الأرض، و هو أول من نزل بها و عمرها و بنى فيها مع أبيه، عليهما الصلاة و السلام بيت الحرام، و أن أمه هاجر توفيت قبل بناء الكعبة فدفنت عند محلها، فإذا كان إبراهيم عليه السلام، جعل الحجر عريشا لغنم إسماعيل تأوى إليه عنزه بجنب البيت، فهل ينكر أن يدفن فيه صاحب الغنم ابنه إسماعيل، عليه السلام، الذى أرسله الله إلى أهل مأرب من اليمن و حضر موت - كلا و الله - فجميع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٨١

الأنبياء مطهرون مشرفون ظاهرا و باطنا حسا و معنى، صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين.

روى الأزرقى فى تاريخه أن المبارك بن حسان الأنماطى قال: رأيت عمر بن عبد العزيز فى الحجر فسمعتة يقول: شكنا إسماعيل عليه السلام، إلى ربه عز و جل حر مكة، فأوحى الله تعالى إليه أنى أفتح لك بابا من الجنة يجرى عليك من الروح إلى يوم القيامة و فى ذلك الموضع توفى. قال خالد فيرون أن ذلك الموضع ما بين الميزاب إلى باب الحجر الغربى فيه قبره. انتهى.

فنستنتج مما تقدم أنه لم يدفن فى نفس الحجر إلا إسماعيل و أمه هاجر و بناته العذارى فقط و لم يدفن معهم نبى آخر، و لا غرابه فى ذلك أليس الحجر ينسب لإسماعيل، ثم أليس هو أول من عمر مكة و أقام بها و بنى مع أبيه البيت الحرام فكان إليه أمر البيت و مكة ثم لبنيه من بعده. فيحق له أن يدفن هو و بعض أهله فى أشرف بقعة بجانب البيت لا يشاركونهم فى الدفن فيه غيرهم.

و مما يناسب هذا الباب ما رواه الغازى فى تاريخه نقلا عن تحصيل المرام و عن تاريخ ابن سنان الشهير بجنايى: أنه لما كانت سنة خمس و ستين و تسعمائة أمر الملك المجاهد سليمان بن سليم خان بعمل المنبر الذى بالمسجد الحرام و أن يعمل من رخام فى طرز بديع، فلما حفروا مكان الأساس ظهر رجلان ميتان مدفونان بما عليهما من السلاح و لم يفقد منهما شىء، فاختلف الناس فى أمرهما، و أما أنا فلم أشك فى كون أحدهما عبد الله بن عثمان لأنه استشهد مع ابن الزبير و خفى أثره و دفن فى المسجد خوفا أن ينبشه أصحاب الحجاج و الآخر عبد الله بن صفوان و العلم لله. انتهى من الغازى. و المراد بالمنبر الذى ذكره هو هذا المنبر الرخام الموجود



فى عصرنا هذا بالمسجد و الذى هو بجوار مقام إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، فقد مرّ عليه أكثر من أربعمائه سنة.

### مكان الدفن فى الحجر

بقيت علينا نقطة دقيقة جدا جدا و هى فى غاية الأهمية لم نجد أحدا تعرض لها قبلنا و هى: قالوا إن إسماعيل عليه السلام و غيره مدفونون فى الحجر، فالمراد بالحجر فى زمانه ما جعله إبراهيم عليه الصلاة و السلام عريشا لغنم إسماعيل، فىكون قياس الحجر فى زمانهما نصف قياسه تقريبا فى زماننا الحاضر، أى النصف الأخير المقابل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٨٢

للجدار الدائر عليه الذى هو من جهة مقام الحنفى، أما النصف الأول منه المقابل لجدار الكعبة و الذى فيه البابان «الفتحتان» فهو من الكعبة بدون شك و لا ريب لأن بناءها كان ينتهى إليه فى عهد إبراهيم عليه السلام، و فى عهد ابن الزبير، رضى الله عنهما. فعليه لم يدفن أحد فى هذا النصف الأول من الحجر.

روى الأزرقى فى تاريخه: حفر ابن الزبير الحجر فوجد فيه سफطا من حجارة خضر. فسأل قريشا عنه، فلم يجد عند أحد منهم فيه علما فأرسل إلى عبد الله بن صفوان فسأله، فقال: هذا قبر إسماعيل عليه السلام، فلا تحركه، فتركه. ا.ه.

فىكون موضع هذا القبر و السفط فى النصف الأخير من الحجر المقابل للجدار الدائر عليه من جهة الشمال.

فإذا قيل: إن إسماعيل عليه السلام، دفن بالحجر أى: دفن فى أرض الحجر فى زمانه أى فى النصف الأخير منه المقابل لجداره الدائر، و معنى ذلك: أنه لم يدفن أحد فى جوف الكعبة المشرفة بيقين، لا إسماعيل عليه السلام، و لا غيره.

إذا فهمنا هذا الكلام تمام الفهم، نعلم علم اليقين أن ما ذكره ابن ظهير القرشى فى كتابه «الجامع اللطيف» بأن العلامة الكبير المحب الطبرى سئل رحمه الله تعالى عن الرخامة الخضراء التى بالحجر فقال هى قبر إسماعيل و يشبر من رأسها إلى ناحية الركن الغربى مما يلى باب بنى سهم ستة أشبار فعند انتهائها يكون رأس إسماعيل عليه السلام. ا.ه.

هذا الجواب خطأ محض لا صحة له أصلا، و المحب الطبرى مع جلاله قدره و علمه الغزير توهم أن الرخامة الخضراء ما وضعت إلا لتدل على قبر إسماعيل عليه السلام، مع أن ذلك خلاف الواقع، و سنبين فى آخر هذا الفصل إن شاء الله تعالى أصل هذه الرخامة و سبب وضعها فى هذا المكان من الحجر.

و أيضا أن المحب الطبرى أجاب بهذا الجواب لعلمه أن إسماعيل مدفون بالحجر، لكن غاب عليه أن يحدد قياس الحجر فى عهده عليه السلام و قياسه فى عهد قريش حين بنت الكعبة الذى قياسه فى عهدهم هو قياسه اليوم بالضبط، فلو تنبه رحمه الله تعالى إلى القياسين لما أجاب بهذا الجواب، و نحن أيضا وقعنا فى هذا الغلط فى كتابنا مقام إبراهيم عليه السلام، المطبوع بمطبعة الحلبي بمصر و ذلك بصحيفتى ١٣٧ و ١٤٠ تمشيا مع كلام الطبرى رحمه الله تعالى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٨٣

و ما وقع فيه المحب الطبرى وقع فيه بعض أهل القرن الثانى أو الثالث للهجرة كما يعلم ذلك مما ذكرناه عن الإمام الأزرقى فيما تقدم هنا من شكايه إسماعيل لربه عز و جل حرمكة فأوحى الله تعالى إليه أنى أفتح لك بابا من الجنة فى الحجر يجرى عليك منه الروح إلى يوم القيامة و فى ذلك الموضع توفى. قال الأزرقى قال خالد: فيرون أن ذلك الموضع ما بين الميزاب إلى باب الحجر الغربى فيه قبره.

انتهى منه. و فى هذا الخطأ وقع أيضا ابن جبير الأندلسى كما ذكره فى رحلته و كانت رحلته سنة (٥٧٨).

فقول خالد أن قبر إسماعيل عليه السلام، ما بين الميزاب إلى باب الحجر الغربى خطأ أيضا فإسماعيل الذى بنى البيت مع أبيه إبراهيم، عليهما الصلاة و السلام، دفن بالحجر منذ تلك العصور الغابرة التى تقرب من أربعة آلاف سنة، و الحجر فى زمانه كان صغيرا ضيقا

بمقدار نصف مساحته اليوم من جهة جداره الدائر و لم يزل كذلك إلى زمن بناء قريش فاتسع الحجر بهذا القدر الموجود في عصرنا لأن قريشا نقصوا من طول الكعبة من جهة الحجر، فمن الذي زحزح إسماعيل عليه السلام عن قبره فدفنه عند البلاطة الخضراء تحت الميزاب، مع أنه عند بنائه البيت لم يكن له سقف حتى يوضع عليه الميزاب.

هذا ما فتح الله علينا في هذه المسألة الدقيقة، فله مزيد الحمد و الشكر و إليه يرجع الأمر كله، لا إله إلا هو عليه توكلت و إليه أنيب، اللهم ارحم المحب الطبري و الإمام الأزرقى و ارحمنى معهما و اغفر لى و لهما و لوالدينا و لمشايخنا و لجميع المؤمنين و المؤمنات و المسلمين و المسلمات الأحياء منهم و الأموات و اختم لنا بخير يا أرحم الراحمين و صلى الله و سلم على النبى الأمى و على آله و صحبه أجمعين.

### قبر إسماعيل عليه الصلاة و السلام فى الحجر

لقد قدمنا الكلام على دفن إسماعيل، عليه الصلاة و السلام بالحجر، و هنا نذكر عن هذه المسألة بيانا يكون أكثر وضوحا مما تقدم. فنقول و بالله التوفيق:

تقدم أن حجر إسماعيل عليه الصلاة و السلام الذى هو حائط على شكل نصف دائرة من جهة ميزاب الكعبة، أنه من نفس البيت الحرام، و أن أصل هذا الحجر وضعه خليل الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة و السلام و جعله من شجر الأراك تقتحمه العنز، فكان زربا لغنم ابنه إسماعيل، عليهما الصلاة و السلام، كما ذكره

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٨٤

الإمام الأزرقى فى كتابه تاريخ مكة أحسن الله تعالى إليه، و معنى الزرب بسكون الراء هى الزريبة و هى حظيرة المواشى.

روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت: «كنت أحب أن أدخل البيت و أصلى فيه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم يدي فأدخلنى البيت، فقال لى صلى فى الحجر إذا أردت دخول البيت، فإنما هو قطعة من البيت، و لكن قومك استقصروا حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت. و لقد قدمنا الكلام على هذا بالتفصيل عند مبحث بناء قريش الكعبة المعظمة فراجعه هناك.

و هنا يجب التنبيه على مسألة دقيقة فى مذهب الإمام الشافعى، رضى الله تعالى عنه، و هى: أن من استقبل فى صلاته حجر إسماعيل فقط لا تصح صلاته، لأن كون الحجر من البيت مظنون لا مقطوع به، لأنه إنما ثبت بالآحاد، كما أفاده العلامة الخطيب الشافعى، رحمه الله تعالى فى كتابه «الإقناع على أبى شجاع».

هذا و قد ذكر كثير من العلماء: أن قبر إسماعيل عليه الصلاة و السلام، و قبر أمه هاجر و قبور عذارى بناته موجودة بالحجر، كما ذكره الإمام الأزرقى رحمه الله تعالى فى تاريخه. فقد جاء فيه: أن الزهرى سمع ابن الزبير يقول: إن هذا المحدودب قبور عذارى بنات إسماعيل عليه الصلاة و السلام، يعنى مما يلى الركن الشامى من المسجد الحرام ... الخ. و جاء فيه أيضا: أنه مات بمكة: نوح و هود و صالح و شعيب، و قبورهم بين زمزم و الحجر، و قيل إن هود أو صالحا لم يحجا فقد تشاغلا- بأمر قومهما، و الله أعلم، و ورد فى الحديث: «كان النبى من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق بمكة، فيتعبد فيها و من معه حتى يموت فيها».

و جاء فى تاريخ الأزرقى أيضا: أن المبارك بن حسان الأنماطى قال: رأيت عمر بن عبد العزيز فى الحجر فسمعتة يقول: شكنا إسماعيل عليه السلام إلى ربه عز و جل حر مكة، فأوحى الله تعالى إليه أنى أفتح لك بابا من الجنة فى الحجر يجرى عليك منه الروح إلى يوم القيامة، و فى ذلك الموضع توفى، قال خالد: فيرون أن ذلك الموضع ما بين الميزاب إلى باب الحجر الغربى و فيه قبره. هـ منه.

و اختلف بعض العلماء فى دفن إسماعيل عليه الصلاة و السلام أو أحد من أهله فى الحجر، و رأينا الخاص فى ذلك: أنه قد يجوز أن يكون قبر إسماعيل عليه السلام، أو قبر أمه أو قبر أحد من أولاده و بناته فى الحجر، و ما المانع فى ذلك

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٨٥

الزمان الأول أن يدفن نبي الله و ابن خليله عليهما الصلاة و السلام أو أحد من أهله بلصق الكعبة المشرفة، في الحجر، و هو الذي قام مع أبيه الخليل بنائها، كما هو الذي نزل مع أمه هاجر بمكة و هو صغير يرضع حين لم يكن بها بشر و لا حيوان، فإذا كان غنم إسماعيل عليه السلام، تأوى إلى عريش الحجر، أفلا يأوى إليه هو و أهله بعد الممات، بلى و الله إنه لا مانع من ذلك خصوصا و أن أمه هاجر ماتت قبله و هو الذي دفنها هناك بإذن ربه عز و جل، فجميع الأنبياء عليهم الصلاة و السلام لا يأتون شيئا و لا يفعلون شيئا إلا بأمر الله عز و جل، نعم نحن الآن لا نقدر أن نضع حاجة في بيت أحد من أصحابنا إلا بعد إذنه و رضائه، فهل يمكن لإسماعيل و هو نبي و ابن نبي أن يدفن أمه عند بيت الله الحرام قبل أن يأذن له ربه عز و جل؟ كلا و الله. و نحن إذا نظرنا إلى زمانه و رأينا أنه، عليه الصلاة و السلام، كان مسكنه عند الكعبة المشرفة و عند زمزم مع أهله و مواشيه، و أنه لم يكن يقيم معه بمكة إلا نفر من جرهم، لا نقول بأن قبورهم كانت بعيدة عنهم كمقبرة المعلا في زماننا هذا.

نعم نحن الآن نستعظم الدفن في المطاف أو في المسجد الحرام، لأن المكان لا يخلو لحظة واحدة من الطائفين أو المصلين و العاكفين ليلا و نهارا، و شريعتنا الغراء تحرم اتخاذ القبور مساجد و الدفن فيها. و الله تعالى أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب، و لم يأت في موضع دفنهم و قبورهم خبر و لا أثر.

و هنا نقطة دقيقة و هي: إن قلنا أن قبر إسماعيل عليه الصلاة و السلام أو قبر أحد من أهله في الحجر، فتكون قبورهم في نصف الحجر الذي يلي جداره المستدير مما يلي الغرب لأن الحجر في عهد إبراهيم و إسماعيل عليهما الصلاة و السلام كان ضيقا أى كان إلى وسط أرض الحجر في زماننا هذا تقريبا، فإنه لم يتغير الحجر إلا في عهد قريش قبل البعثة بخمس سنوات، حيث إنهم لما بنوا الكعبة المعظمة نقصوا من جدارها مما يلي الحجر أقل من سبعة أذرع، فمن هنا صارت أرض الحجر واسعة. فافهم هذه النقطة الدقيقة فإننا لم نر من بينها و أوضحها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٨٧

انتهى بعون الله تعالى الجزء الثانى و يتلوه الجزء الثالث، و أوله:

عمارات حجر إسماعيل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٨٩

## المحتويات

الموضوع رقم الصفحة مكة في عهد إبراهيم عليه الصلاة و السلام ٥

مكة في الجاهلية و الإسلام ٦

مكة في عهد قريش ٩

مكة في عهد النبي صلى الله عليه و سلم ٢٢

النواحي العامة بمكة في عهد النبوى ٢٤

بعض ما قيل في حق مكة و المشاعر ٢٦

تذكر النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه مكة بعد الهجرة ٤٢

الوطن، لشوقى بك ٤٢

مدخل مكة المشرفة ٥٠

سور مكة قديما ٥٨

تقسيم قصى أمور مكة ٦٢

- دار الندوة ٦٦  
 بناء دار الندوة ٦٦  
 التحقيق عن موضع دار الندوة ٧١  
 أول دار بنيت بمكة ٧٣  
 بدء بناء البيوت بمكة ٧٥  
 دار العباس بن عبد المطلب ٧٧  
 دار أبي سفيان بمكة ٧٨  
 اتخاذ دار أبي سفيان مستشفى ٨٠  
 دار الأرقم ٨٢  
 [قصة إسلام عمر] ٨٧  
 ترجمة الخيزران أم الرشيد ٨٩  
 حرم مكة و أنصابه ٩١  
 وضع أنصاب الحرم ٩٥  
 أسماء من وضع أنصاب الحرم و أعلامها ٩٧  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٩٠  
 جدول بأسماء من جدد أنصاب الحرم ٩٩  
 أعلام حدود الحرم ١٠١  
 المسافات بين المسجد الحرام و أنصاب الحرم ١٠١  
 فضل الحرم و خصائصه و تعظيمه ١٠٩  
 تعظيم الحرم الشريف ١١٤  
 بعض ما ورد في القرآن الكريم في فضل المسجد الحرام ١٢٠  
 الكلام على قوله تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ...  
 الآية ١٢٣  
 زيادة التأمل ١٢٧  
 فائدة مهمة ١٢٩  
 مواقيت الصلاة ١٣٠  
 علة تسمية الجهات الأربعة ١٣٢  
 جهات المصلين إلى القبلة في جميع البلدان ١٣٤  
 أول ظهور بعض الأشياء بمكة المكرمة ١٣٦  
 تجارة قريش في الجاهلية و صدر الإسلام ١٣٩  
 النهوض بالصناعات بمكة المكرمة ١٤١  
 الحياة الاقتصادية لمكة المكرمة ١٤٢  
 مصانع الحجاز للصاج ١٤٤

- مصنع البوقرى للبلاستيك ١٤٥  
صناعات أخرى ١٤٥  
الغرفة التجارية ١٤٦  
الحرف و الصناعات بمكة المكرمة ١٤٦  
صناعة النجارة الفنية بمكة ١٥٠  
صناعة التنجيد بمكة ١٥١  
صناعة الحصير و الزناويل و المراوح الخوص بمكة ١٥٢  
صناعة الشراب أى القلل ١٥٢  
صناعة الحلاوة الطحينية بمكة ١٥٣  
استخراج زيت السمسم بمكة ١٥٣  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٩١  
طحن الحبوب بالرحى بمكة ١٥٣  
وجود الأفران لعمل الخبز بمكة ١٥٤  
صناعة القدور و الأواني النحاسية بمكة ١٥٥  
تجار الساعات بمكة المكرمة ١٥٦  
الكتيبة بمكة المكرمة ١٥٨  
منجر الأخشاب بمكة المكرمة ١٥٩  
المصوراتية بمكة المكرمة ١٦١  
الآلات الكاتبة بمكة المكرمة ١٦٣  
مصانع الثلج بمكة المكرمة ١٦٤  
الكاكولا بمكة المكرمة ١٦٥  
مصنع الحلويات بمكة المكرمة ١٦٦  
الصياغة بمكة المكرمة ١٦٧  
مزارع الدواجن بمكة المكرمة ١٦٨  
زيت المازولا بمكة المكرمة ١٦٨  
صالونات الحلاقة بمكة المكرمة ١٦٩  
الدجاج الخارجى بمكة المكرمة ١٦٩  
الحوت و السمك الطرى بمكة المكرمة ١٧٠  
كثرة الأسفار إلى خارج بلادنا ١٧٢  
المكتبات العامة بمكة المكرمة ١٧٤  
الأربطة بمكة المكرمة ١٧٥  
الحمامات بمكة المكرمة ١٧٥  
القهوى التى بمكة ١٧٦

- نقل الحلقة التي بالمعلا إلى جهة جروول ١٧٩
- بدء ظهور المطابع ١٨١
- الجرائد و المجلات بمكة المكرمة ١٨٥
- إنارة مكة المكرمة بالكهرباء ١٩١
- ظهور بوليس النجدة بمكة المكرمة ١٩٢
- الإطفاء بمكة المكرمة ١٩٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٩٢
- البريد و التلغراف و التليفون بمكة المكرمة ١٩٢
- البريد و تطوره بمكة المكرمة ١٩٤
- البريد في مكة ١٩٨
- التلغراف بمكة المكرمة ١٩٩
- التليفونات بمكة المكرمة ٢٠٢
- عدد التليفونات بمكة المكرمة ٢٠٣
- البنوك بمكة المكرمة ٢٠٤
- عدد نزول المطر في سنة ١٣٨٥ بمكة ٢٠٦
- الأمطار بمكة في سنة ١٣٨٦ هجرية ٢٠٧
- جوازات السفر و رخص الإقامة و إحصاء النفوس بمكة المكرمة ٢٠٨
- استعمال الحطب و الفحم و غيرهما بمكة ٢١٠
- أول مصحف يطبع بمكة المكرمة ٢١١
- الفنادق في الحجاز ٢١٢
- الفنادق بمكة المكرمة ٢١٣
- أسماء الحارات و المحلات بمكة قديما و حديثا ٢١٦
- استعمال أقلام الجيب في الحجاز ٢١٧
- استعمال الآلات الكاتبة في الحجاز ٢١٨
- أول من فرض العشور بمكة ٢١٩
- ذكر المكوس و العشور و إبطالها ٢٢٠
- إحصاء الحجاج القادمين إلى مكة المشرفة في بعض الأعوام ٢٢٧
- إحصاء الحجاج لعام ١٣١٥ هـ ٢٣٠
- إحصاء الحجاج لعام ١٣١٦ هـ ٢٣٠
- إحصاء الحجاج في سنة (١٣٧٣) هجرية ٢٣٦
- أسباب قلة الحجاج و كثرتهم ٢٣٧
- إقامة المظلات و القهاوى في طريق الحج ٢٤١
- سيول مكة العظيمة ٢٤٢

- مجرى السيل بمكة ٢٥٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٩٣
- عمل السدود بمكة ٢٥٨
- المدعا و فيه ردم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٢٦٤
- ذكر بعض البساتين الموجودة بمكة المكرمة ٢٦٦
- وصف بستان الشريف عون بمكة ٢٦٩
- الحجارات الطوال التي كانت بباب السلام سابقا ٢٧٢
- حمام الحرم ٢٧٥
- وقوع الحمام على الكعبة المعظمة ٢٨١
- تنظيف المسجد الحرام من الحمام ٢٨٢
- رمز الحمام ٢٨٥
- عدد المستشفيات بمكة المكرمة ٢٨٧
- جمعية الإسعاف بمكة المكرمة ٢٨٨
- نبذة تاريخية ٢٨٩
- المحجر الصحى و الكورنتينات ٢٩١
- أول ظهور الجدري و الحصبة بأرض الحجاز ٣٠٠
- التقارير الصحية بنظافة الحج ٣٠١
- الجمال و السيارات بمكة المكرمة ٣٠٣
- المشقات التي كانت تعترض الحجاج سابقا ٣٠٧
- الطريق من مكة إلى المدينة سابقا ٣٠٩
- الطريق الفرعى ٣١١
- طريق الغاير ٣١٢
- الطريق الشرقى ٣١٢
- نظام القوافل ٣١٣
- الطريق المسلوک من مصر إلى مكة ٣١٦
- معرفة مراحل الحجاز الموصلة إلى مكة المشرفة و المدينة النبوية ٣١٧
- على ساكنها سيدنا محمد أفضل الصلاة و السلام و التحية و الإكرام، إذا كانت من تمتع الطرق الموصلة إلى بعض أقطار المملكة
- الطريق من مصر إلى الحرمين قديما و حديثا ٣٢١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٩٤
- كيفية مسير الحجاج من الشام إلى مكة قبل إنشاء الخط الحديدي ٣٣٣
- سفر الحجيج من المدينة المنورة إلى مصر ٣٣٥
- المسافات بين مكة و المدن الإسلامية الكبرى ٣٤١
- بناء البيوت و المقاولات عليها بمكة ٣٤٥

- بناء الصنادق و العشاش بمكة ٣٤٨
- من علامات الساعة ظهور بناء البيوت على الجبال ٣٤٩
- نحت الحجارات من جبال مكة لبناء المنازل ٣٥٠
- منجم النورة البلدية بمكة المكرمة ٣٥١
- صناعة الآجر و مراكن الزرع بمكة ٣٥٢
- إنارة شوارع مكة بالكهرباء ٣٥٢
- عدم مرور الطائرات من هواء مكة ٣٥٢
- مكة المكرمة و ما فيها من النعم و البضائع ٣٥٣
- صلاة الجمعة في المسجد الحرام ٣٥٤
- الصلاة في الطابق الأعلى من المسجد الحرام ٣٥٨
- افتتاح طريق الطائف من جبل كرا ٣٥٩
- تاريخ الإذاعة السعودية ٣٦٢
- قصيدة في تحية دار الإذاعة ٣٦٤
- وصف الحاكي أي "الفنوغراف" ٣٦٥
- ظهور التلفزيون ٣٦٦
- الميكرفون في المسجد الحرام ٣٦٧
- الجبال و فوائدها و ألوانها ٣٦٨
- وصف الصحراء ٣٧٠
- ذكر بعض أشهر جبال مكة ٣٧٤
- جبل أبي قبيس و ارتفاعه ٤٢٠ مترا ٣٧٦
- جبل قعيقعان (أي جبل هندی) ٣٨١
- الدور التي بقعيقعان لابن الزبير ٣٨٢
- جبل عمر ٣٨٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٩٥
- جبل ثور ٣٨٤
- باب غار ثور و توسيعه ٣٩٤
- جبل ثبير ٣٩٩
- جبل خندمة ٤٠٢
- ثنية كداء ٤٠٥
- ثنية كدى ٤٠٦
- جبل حراء ٤٠٨
- عدد السماوات و الأرضين ٤١٦
- خلق موضع الكعبة ٤٢٣



- بنايات الكعبة المعظمة ٤٢٤
- الدليل على بناء الكعبة قبل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ٤٢٤
- البنائية الأولى: بناء الملائكة عليهم السلام الكعبة ٤٢٦
- البنائية الثانية: بناء آدم عليه السلام الكعبة ٤٢٨
- ما جاء في حج آدم عليه الصلاة والسلام ٤٣٤
- مقدار طول آدم عليه السلام ٤٣٥
- قبر أمنا حواء بجدة ٤٣٩
- أمر الكعبة بين نوح وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ٤٤١
- نبذة عن ترجمة إبراهيم خليل الله ٤٤٣
- عليه الصلاة والسلام ٤٤٣
- فضل إبراهيم الخليل على الأمة المحمدية ٤٤٤
- نسب إبراهيم عليه السلام و موطنه ٤٤٥
- البنائية الثالثة: بناء شيث عليه الصلاة والسلام الكعبة ٤٦٠
- البنائية الرابعة: بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة ٤٦١
- هجرة إبراهيم إلى مكة لأول مرة ٤٦٢
- إكرام إبراهيم عليه السلام لزوجته سارة ٤٦٣
- قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام و بناء الكعبة ٤٧٠
- دعاء إبراهيم لأهل مكة بالأمن و الرزق ٤٧٩
- ذكر حج إبراهيم عليه الصلاة والسلام ٤٨١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٩٦
- الخلاصة في كيفية بناء إبراهيم عليه السلام ٤٨٢
- ارتفاع أرض مكة عما كانت عليه قديما ٤٨٤
- مميزات بناء إبراهيم الكعبة ٤٨٥
- ذكر الأنبياء الذين ربتهم أمهاتهم ٤٨٦
- الكلام على زمزم و خروجه لإسماعيل و أمه ٤٩١
- الكلام على بئر زمزم ٤٩٤
- حفر عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه و سلم زمزم ٤٩٩
- مسرحية شعرية تمثيلية ٥٠٥
- العيون التي في قعر زمزم ٥٠٨
- فضل ماء زمزم و ميزته ٥٠٩
- ما جاء في تاريخ الأزرقى عن زمزم ٥١١
- ماء زمزم لا تؤثر فيه الجراثيم و الميكروبات ٥١٥
- التضلع من ماء زمزم ٥١٨

- بقاء ماء زمزم إلى يوم القيامة ٥٢٣
- تحريم العباس رضى الله تعالى عنه الاغتسال بماء زمزم ٥٢٣
- سقاية العباس ٥٢٣
- أول من عمل بابا لزمزم و أعطى مفتاحه لبيت الرئيس ٥٢٨
- خلاصة أمر السقاية ٥٢٩
- بناء تنور بئر زمزم ٥٣٠
- تعمير فم البئر و وضع شباك في داخلها ٥٣٢
- أول من عمل الرخام في زمزم ٥٣٤
- قبة بئر زمزم ٥٣٥
- الغرفة التي بجوار زمزم ٥٣٦
- وصف بئر زمزم في عصرنا ٥٣٧
- ما جاء من الأحاديث في زمزم ٥٣٩
- طعم ماء زمزم ٥٤٣
- كيفية شرب النبي صلى الله عليه و سلم من ماء زمزم ٥٤٤
- ميزة ماء زمزم ٥٤٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٩٧
- الحكايات الواردة عن بعض الناس عن شربهم لماء زمزم ٥٤٧
- إهداء ماء زمزم ٥٥٠
- أسماء زمزم ٥٥١
- غور زمزم و قياس ذرعه ٥٥٢
- ذرع بئر زمزم ٥٥٤
- الحفر في قعر زمزم إذا قل ماؤها ٥٥٦
- حوض زمزم في عهد ابن عباس ٥٥٧
- حلاوة زمزم ٥٥٨
- عدم فيض زمزم ليلة نصف شعبان ٥٦٠
- حكم بئر زمزم و حريمها هل هي من المسجد الحرام أم لا ٥٦٢
- جواب الشيخ محمد بن عبد الله الطبرى الشافعى ٥٦٢
- جواب الشيخ عبد العزيز الزمزمى الشافعى ٥٦٣
- جواب الشيخ عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد الحنفى ٥٦٣
- جواب الشيخ أبى السعود بن على الزمزمى المالكى ٥٦٣
- جواب مفتى الأحناف الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن سراج ٥٦٤
- جواب مفتى الشافعية السيد عبد الله بن السيد محمد صالح الزواوى ٥٦٥
- جواب مفتى المالكية الشيخ عابد بن حسين المالكى ٥٦٧

- حجر إسماعيل عليه الصلاة و السلام ٥٦٩  
 حكم حجر إسماعيل فى الطواف ٥٧٤  
 الجلوس فى الحجر و فى المطاف ٥٧٥  
 قياس حجر إسماعيل بالأمتار ٥٧٦  
 قياس حجر إسماعيل بالأذرع ٥٧٦  
 كسوة حجر إسماعيل ٥٧٨  
 فرش حجر إسماعيل بالبلاط ٥٧٨  
 المدفونون فى حجر إسماعيل ٥٧٩  
 مكان الدفن فى الحجر ٥٨١  
 قبر إسماعيل عليه الصلاة و السلام فى الحجر ٥٨٣  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٥٩٩

### ملحق الصور

- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٦٠١  
 منظر رقم ١٦

صورة الملك عبد العزيز الرحمن آل سعود ملك البلاد العربية السعودية و مؤسسها المتوفى فى شهر ربيع سنة ١٣٧٣ هـ رحمه الله تعالى و غفر لنا و له

- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٦٠٢  
 المغفور له الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٦٠٣  
 جلاله المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٦٠٤  
 المغفور له الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ١-٢، ص: ٦٠٥  
 حضرة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

### المجلد الثانى

### [الجزء الثالث]

### عمارات حجر إسماعيل

### إشارة

كان حجر إسماعيل عليه الصلاة و السلام مفروشا بالرمل و البطحاء كأرض المطاف، ثم فرش بحجارة بادية، فلما حج أمير المؤمنين

أبو جعفر المنصور سنة (١٤٠) أربعين و مائه دعا زياد بن عبيد الله الحارثي، و كان يومئذ أمير مكة فقال له: إني رأيت الحجر حجارتة بادية فلا أصبحن حتى يستر جدار الحجر بالرخام، فدعا زياد بالعمال فعملوه على السرج قبل أن يصبح، ثم جدد رخامه المهدي. و إليك جدولاً بالعمارات التي وقعت في الحجر، عملناه بغاية الاختصار نقلاً عن تاريخ الغازي و غيره خوفاً من التطويل:

عدد/ اسم المعمر/ السنة الهجرية/ الملاحظات

١/ أبو جعفر المنصور/ ١٤٠/ قالوا و هو أول من رخم الحجر

٢/ المهدي العباسي/ ١٦١/ و لم يزل الرخام الذي عمله المهدي باقياً إلى أيام المتوكل

٣/ المتوكل العباسي/ ٢٤١/ قلع رخام المهدي لتلفه و أبدله رخاماً حسناً

٤/ المعتضد العباسي/ ٢٨٣/ ألبس الحجر كله بالرخام

٥/ الوزير جمال الدين الجواد/ ٥٥٠/ تقريباً عمره مرتين

٦/ الناصر العباسي/ ٥٧٦/ فرش به بالرخام

٧/ المستنصر العباسي/ ٦٢٩/ و قد أجرى أيضاً إصلاحاً في الكعبة المشرفة

٨/ الملك المظفر صاحب اليمن/ ٦٥٥/ لما حج في هذه السنة عمل أيضاً للكعبة باباً و قفلاً

٩/ الملك الناصر ابن قلاوون/ ٧٢٠/ و هو محمد بن قلاوون

١٠/ الملك الأشرف علي بن شعبان/ ٧٨١/ و ذلك بأمر الأميرين بركه و برقوق مدبري دولته

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٦

عدد/ اسم المعمر/ السنة الهجرية/ الملاحظات

١١/ الملك الظاهر برقوق/ ٨٠١/ قال ابن فهد: و في السنة المذكورة عمر الأمير بيق رخام الحجر و الله أعلم

١٢/ القائد علاء الدين/ ٨٢٢/ عمر كثيراً من رخام الحجر بالجس

١٣/ الأمير زين الدين/ ٨٢٦/ الشهير بمقبل القديدي فإنه أصلح كثيراً من رخام أرض الحجر و جداره

١٤/ سودون المحمدي/ ٨٣٨/ رمم الحجر و قلع جميع رخام الشاذروان و أبدله بغيره

١٥/ السلطان جقمق/ ٨٤٣/ و قد أرسل لجدار الحجر كسوتين إحداهما لداخله و الثانية لخارجه فوضعتا عليه

١٦/ الأمير تنم/ ٨٤٨/ قلع جميع رخام الحجر خلا الرخامة الخضراء، ثم فرش و أصلحه في شهرين

١٧/ السلطان قايتباي/ ٨٨١/ غيروا رخام الحجر داخلاً و خارجاً و عملوا الرصاص بالمطاف حول الكعبة

١٨/ السلطان قانصوه الغوري/ ٩١٦/ عمره عماره حسنة محكمة و كتب على علو الحجر أسماء من عمره

١٩/ السلطان سليمان خان/ ٩٤٠/

٢٠/ السلطان مراد الرابع/ ١٠٤٠/ و هو الذي بنى الكعبة المشرفة حينما هدمها السيل

٢١/ السلطان محمد الرابع/ ١٠٧٣/

٢٢/ السلطان عبد المجيد خان/ ١٢٦٠/

٢٣/ السلطان عبد العزيز خان/ ١٢٨٣/ و هو صاحب الكسوة الداخلية التي أرسلها للكعبة الموجودة بداخلها إلى اليوم

٢٤/ الشريف الحسين بن/ ١٣٣١/ عمره و أحكم بنيانه بعد أن كاد أن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٧

عدد/ اسم المعمر/ السنة الهجرية/ الملاحظات

علي/ ينهدم، و الشريف الحسين بن علي هو ملك الحجاز الأسبق

و هنا يستحسن أن نأتى بشيء من بيان العمارة الواقعة في حجر إسماعيل في زمن السلطان عبد المجيد خان و ما بعده، لأن ذلك قريب عهد بعصرنا.

فقد قال الغازي في تاريخه: و في تحصيل المرام: و ممن عمره السلطان عبد المجيد خان سنة (١٢٦٠) ألف و مائتين و ستين أو التي بعدها أو التي قبلها، و حضر عند بنائه أمير مكة مولانا الشريف محمد بن عبد المعين بن عون و باشر بعض عمل من البناء الشريف، و كذلك عثمان باشا والي جدة و المفتيون و العلماء، و رده على ما كان إلى أن أتموه.

قال: و أخبرنا شيخنا العلامة «حسين» أنه رأى في أرض الحجر عند هذه العمارة أحجارا كبارا بعضها مشتبك ببعض، بينها و بين جدار البيت نحو من ستة أذرع، و في هذه العمارة وجد جدرا قصيرا ردم من حجارة البادية داخل البناء الذي هو الرخام دائر ما يدور الحجر، يدل على إنه هذا التحويط من زمن قريش.

ثم جاءت الملوك و حوطت عليه بهذا الرخام الموجود، و طول الأحجار الدائرة التي هي من أحجار البادية، قدر نصف ذراع ردم على بعضه. كذا أخبرني السيد عمر بن عقيل و أنه شاهد ذلك، أخبرني بحضرة شيخنا الشيخ حسين، بعد صلاة الظهر، بمدرسته التي بجانب باب القطبي في آخر شعبان سنة ثلاثة و ثمانين بعد المائتين و الألف. و في هذا التاريخ حصل تجديد نصف أرض الحجر من جهة مقام الحنفي و كان ابتداء العمل يوم الأحد لتسعة و عشرين خلت من شعبان و ذلك في دولة مولانا الشريف عبد الله بن محمد بن عون و سلطنة السلطان عبد العزيز خان. انتهى.

و في سنة ألف و ثلاثمائة و واحد و ثلاثين تحكمت جدار إسماعيل عليه السلام، بعد ما كان آويا إلى الانهدام و زمزم رخام أرضه و طرز ما هو منقوش على قبة بئر زمزم من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية و الطرة و ما على باب المنبر من الآيات الفرقانية و التاريخ بماء الذهب و جدد صباغ المقام المالكي و الحنبلي بألوان لطيفة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٨

و جرى تعمير الطباطب في الحرم الشريف من جميع المهمات ذكره في جريدة الحجاز. انتهى من تاريخ الغازي.

### الرخامة الخضراء التي بالحجر

اعلم أن الرخامة الخضراء التي تحت ميزاب الكعبة بحجر إسماعيل لا يوجد مثلها لا في المسجدين الحرامين و لا في قطر من الأقطار، و لا مبالغة في قولنا هذا، و لونها لا يضرب إلى الخضرة الخالصة و إنما هو أخضر داكن أي خضرة مائلة إلى السواد قليلا، منقوشة بنقط خضراء خالصة اكسبتها منظرا جميلا، كل ذلك من أصل الخلقة، لا دخل للصناعة فيها بشيء.

و توجد بجانب الرخامة الخضراء المذكورة الشرقي و الغربي قطعتان من جنس هذه الرخامة و لونها، كل منهما على هيئة الدائرة، قطر كل منهما ٢٥ سنتيمترا، و كل واحدة منهما تبعد عن الرخامة التي تحت الميزاب مقدار مترين تماما، و الدائرة الغربية متصدعة إلى ثلاث قطع و الدائرة الشرقية متصدعة إلى قطعتين.

يقول ابن جبير الأندلسي في رحلته التي كانت سنة (٥٧٨) هجرية عن هذه الرخامة ما يأتي: و تحت الميزاب في صحن الحجر بمقربة من جدار البيت الكريم قبر إسماعيل عليه السلام، و علامته رخامة خضراء مستطيلة قليلا شكل محراب متصل بها رخامة خضراء مستديرة و كلاهما غريبة المنظر فيهما نكت تنفتح عن لونها إلى الصفرة قليلا كأنها تجزيع و هي أشبه الأشياء بالنكت في البيدق من حل الذهب ...

إلى آخر كلامه. اه منها.

و لقد يظن كثير من الناس أن الرخامة الخضراء التي هي تحت ميزاب الكعبة بالحجر ما وضعت هناك إلا لتكون علامة على قبر

إسماعيل عليه السلام، فهذا الظن ليس في محله فالرخامة لم توضع لهذا القصد، وإن كان قبر إسماعيل في الحجر، وإنما وضعت لسبب ستعرفه مما يأتي:

و هذا الحجر ليس بحجر واحد وإنما هو رخامتان من جنس واحد ملتصقان ببعضهما (فالقطة الأولى) ببيضاوية الشكل رأسها الأولى مما يلي الكعبة، ورأسها الأخرى مقطوعة، قطرها الصغير ٤٥ سنتيمترا، و قطرها الكبير ٦٤ سنتيمترا، و هي منفلقة إلى فلتين، (و القطة الثانية) على شكل نصف دائرة قطرها ٧٩

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٩

سنتيمترا منفلقة إلى أربع قطع، و فيها بعض انخفاض، و يحق لها أن تنخفض و تتصدع فلقد مضى عليها أكثر من ألف و مائة سنة و الناس يصلون فوقها.

(و حقيقة أمر الرخامتين) أن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بن محمد الهاشمي أمر أن يقلع له لوح من رخام الحجر يسجد عليه «أى يصلى فوقه» فقلع له في الموسم، فأرسل أحمد بن طريف مولى العباس بن محمد الهاشمي مكان ذلك اللوح برخامتين خضراوين من مصر هدية لحجر إسماعيل، و ذلك سنة إحدى و أربعين و مائتين، فجعلت الرخامة البيضاوية الشكل على سطح جدار الحجر مقابل الميزاب أى في وسط جدار الحجر، و جعلت الثانية تحت الميزاب تلى جدار الكعبة ثم فى سنة ثلاث و ثمانين و مائتين نقلت الرخامة البيضاوية من جدار الحجر و جعلت مع الرخامة الثانية تحت الميزاب كما ذكره الأزرقى فى تاريخه.

و السبب الفنى فى اختيار هذه الرخامة بالذات لوضعها فى الحجر هو أن الإنسان ميال بطبيعته الغريزية إلى اقتناء الأحجار الكريمة و الجواهر الثمينة:

كالألماس و اللؤلؤ و المرجان و العقيق و الياقوت و الزبرجد و غيرها و على الأخص الملوك و الأمراء.

و كان من عادة هؤلاء فى الزمن السابق أن من يمتلك منهم شيئا نفيسا نادر الوجود و المثال بعته هدية إلى أشرف بقعة و مكان كالكعبة المعظمة، و حجر إسماعيل و المسجد الحرام و المسجد النبوى و المسجد الأقصى، فكان من جملة الهدايا هاتان الرخامتان النادرتان الجميلتان بعثهما أحمد بن طريف من مصر لتوضع إحدهما تحت ميزاب الكعبة داخل حجر إسماعيل، و توضع الثانية فوق جداره، ثم نقلت هذه فوضعت مع الأولى تحت الميزاب، و هما كذلك إلى الآن بحيث يظن الرائي أنهما قطعة واحدة.

و علته وضعهما تحت الميزاب علاوة على قلع اللوح الذى كان تحتها و الذى كان حاملا على بعثهما: هى أن ذلك الموضع أفضل مكان فى الحجر، فإنه يروى عن أبى هريرة و سعيد بن جبير و زين العابدين أنهم كانوا يلتزمون ما تحت الميزاب من الكعبة.

و روى الأزرقى عن عطاء بن أبى رباح قال: «من قام تحت مشعب الكعبة فدعا، استجيب له و خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» و المشعب مجرى الماء و مسيله، أى تحت ميزاب الكعبة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٠

و عن ابن عباس قال: «صلوا فى مصلى الأخيار، و اشربوا من شراب الأبرار، قيل له: ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب، قيل: و ما شراب الأبرار؟ قال:

ماء زمزم».

و يروى عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: «ما من أحد يدعو تحت الميزاب إلا استجيب له».

و روى الأزرقى أن النبى صلى الله عليه و سلم كان إذا حاذى ميزاب الكعبة و هو فى الطواف يقول: «اللهم إنى أسألك الراحة عند الموت و العفو عند الحساب».

فهذه الرخامة الخضراء التى تحت الميزاب تكون من أفخم الآثار العربية و أغلاها و أندرها و أبركها، فلولا أنها من القدر و القيمة بمكان ما وضعها و لاة الأمر الأقدمون الذين هم فى القرون الثلاثة الأولى فى أشرف بقعة عند الكعبة المعظمة، فكانوا أعرف منا

بنفائس الأشياء و جواهرها و اختيار الأمكنة لحفظها و صيانتها، و كانت أعمالهم الجليلية في غاية الجودة و الإتقان تمر عليها مئات السنين و الأعوام، و هي على حالها ما أصابها تلف و لا خراب و لا تترشح عن مكانها فيكون قد مرّ على الرخامة الخضراء إلى عامنا هذا عام ١٣٧٦ للهجرة (١١٣٥) سنة و الله تعالى أعلم.

و نحن لم نقم بالكشف عما يوجد بالحجر و المطاف من الرخام النادر الوجود، فلو قمنا و بحثنا لعثرنا على أشياء ثمينة جدا مما يدلنا على عناية الملوك و السلاطين الأقدمين بهذا المكان المقدس، و البقعة الطاهرة المباركة، و ما ذكرنا تلك الرخامات الخضراء إلا للمناسبة.

و قبل أن نختم هذا الفصل نشير إلى قيمة الرخامات الخضراء عند ذوى الخبرة من رجال الآثار القديمة، فإننا لا نبالغ إن قلنا أن قيمة بعضها قد تبلغ نحو من ألف جنيه مصرى بل أكثر.

و لا نعتقد أن أحدا ممن كان قبلنا و لا ممن هو فى عصرنا التفت إلى هذه الرخامة الخضراء و لا توصل إلى ملاحظاتها فيها، هذه الملاحظات الدقيقة الفنية فالحمد لله على التوفيق.

هذا و لم نر بمصر رخامة تشبه الرخامة الخضراء التى بحجر إسماعيل بمكة، مع أن مصر غنية بالزخارف و الفنون الجميلة، إلا على رخامة صغيرة على شكل دائرة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١١

قطرها نحو خمس و عشرين سنتيمترا و ذلك فى دار الآثار المصرية «الانتيكحانة» بقصر النيل بميدان إسماعيل باشا، و كانت هذه الرخامة موضوعة فى إطار خشبى معلقة بجدار الرواق (٣٩) الخاص بالعصر اليونانى الرومانى، على رخامة الحجر بمكة أجمل بكثير من هذه الرخامة الصغيرة، مع العلم بأن هذه محفوظة فى غرفة خاصة بالدار، و تلك التى عندنا معرضة للشمس و الهواء و السيول و الأمطار و صلاة الناس فوقها منذ أكثر من ألف عام.

و بالسؤال من مدير الانتيكحانة عن أصل هذه الرخامة التى يحتفظونها بالدار، قال لنا «إنها نوع من الرخام الأخضر الثمين و هو من إيطاليا من العصر الرومانى و لا يوجد بالدار غيرها و لو لا قيمتها التاريخية لم تبقه الدار من ضمن محتوياتها القيمة». و كان ذلك حينما كنا بمصر سنة (١٣٦٩) هجرية.

### نقش أرضية حجر إسماعيل

اعلم أن أرضية حجر إسماعيل عليه السلام مفروشة بالرخام المرمر الأصبلى الجميل، و منقوشة بألوان الحجارة الظريفية المرمرية نقشا فنيا بديعا بصورة هندسية دقيقة و قياسات محررة، على طراز المساجد العظيمة بمصر و غيرها، فإن من عادة المصريين أنهم يزخرفون مساجدهم الشهيرة بالرخام الملون لعدم تغير لونه مهما تقادم عهده، و هذا الرخام الملون النقى كالأسود و الأحمر و الوردى و الأخضر و الأزرق و الأصفر، قليل الوجود و غالب ما يوجد منه يكون صغير الحجم، أما الرخام الأبيض فيوجد منه شىء كثير بمختلف القياسات.

و لقد كان حجر إسماعيل عليه السلام، منقوشا بالرخام الجميل من قديم الزمان، فلقد وصف العلامة ابن جبير رحمه الله تعالى نقش حجر إسماعيل فى رحلته التى كانت سنة (٥٧٨) هجرية سنة ثمان و سبعين و خمسمائة كما يأتى:

و دائر جدار الحجر رخام كله مجزع بديع الألصاق، فيه قضبان صفر مذهب و صنع منها فى صفحة أشكال شطرنجية متداخلة بعضها على بعض و صفات محاريب، فإذا ضربت الشمس فيها لاح لها بصيص و لآلاء يخيل للناظر إليها أنها ذهب يرتقى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٢

بالأبصار فى شعاعه، و ارتفاع جدار هذا الحجر الرخام خمسة أشبار و نصف وسعته أربعة أشبار و نصف.

قال: و داخل الحجر بلاط واسع يعطف عليه الحجر كأنه ثلثا دائرة، و هو مفروش بالرخام المجزع المقطع فى دور الكعب إلى دور الدينار إلى ما فوق ذلك، ثم ألصق بانتظام بديع و تأليف معجز الصنعة، غريب الإتقان، رائق الترصيع و التجزيع، رائع التركيب و الوصف، يبصر الناظر فيه من التعاريج و التقاطيع، و الخواتم و الأشكال الشطرنجية و سواها على اختلاف أنواعها و صفاتها ما يقيد بصره حسنا، فكأنه تجلية فى أزهار مفروشة مختلفات الألوان، إلى محاريب قد انعطفت عليها الرخام انعطاف القسي، و داخلها هذه الأشكال الموصوفة و الصنائع المذكورة.

قال: و بإزائها رخامتان متصلتان بجدار الحجر المقابل للميزاب، أحدث الصانع فيهما من التوريق الرقيق و التشجير و التقضيب ما لا يحدثه الصنع باليدين فى الكاغد قطعاً بالجلمين «و هو شىء يشبه المقص» فمرآهما عجيب، أمر بصنعتة على هذه الصفة أمام المشرق أبو العباس أحمد الناصر بن المستضىء بالله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف العباسى، رحمه الله تعالى، و يقابل الميزاب فى وسط الحجر و فى نصف جداره الرخامى رخامة قد نقشت أبداع نقش و حفت بها طرة منقوشة نقشا مكحلا عجيبا، فيه مكتوب مما أمر بعمله عبد الله و خليفته أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين و ذلك فى سنة (٥٧٦) ست و سبعين و خمسمائة.

قال: و الميزاب فى أعلا الصفح الذى على الحجر المذكور و هو من صفر مذهب قد خرج إلى الحجر بمقدار أربعة أذرع وسعته مقدار شبر، و هذا الموضوع تحت الميزاب هو أيضا مظنة استجابة الدعوة بفضل الله تعالى، و كذلك الركن اليمانى و يسمى المستجار ما يليه، و هذا الصفح المتصل به من جهة الركن الشامى، و تحت الميزاب فى صحن الحجر بمقربة من جدار البيت الكريم قبر إسماعيل عليه السلام، و علامته رخامة خضراء مستطيلة قليلا شكل محراب تتصل بها رخامة خضراء مستديرة و كلاهما غربية المنظر فيهما نكت تنفتح عن لونها إلى الصفرة قليلا كأنها تجزيع، و هى أشبه الأشياء بالنكت تبقى فى البيدق من حل الذهب فيه، و إلى جانبه مما يلى الركن العراقى قبر أمه هاجر، رضى الله عنهما،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٣

و علامته رخامة خضراء سعتها مقدار شبر و نصف يتبرك الناس بالصلاة فى هذين الموضعين من الحجر، و حق لهم ذلك لأنهما من البيت العتيق، انتهى من ابن جبير.

هذا ما وصف به ابن جبير أرضية حجر إسماعيل و نقشها، و أما كلامه عن قبر إسماعيل عليه الصلاة و السلام، و أمه هاجر فقد حققنا عن مكان دفنهما بالحجر فى الصحائف المتقدمة.

أما نفس الجدار الدائر بالحجر، فإن فى وسط الجدار من الداخل مما يواجه الكعبة صورة قبة بيت المقدس منقوشة على رخامة، و ذلك إشارة إلى أن بيت المقدس واقع فى هذه الجهة، و بقبية الرخامات التى بالجدار فمنقوشة نقشا خفيفا.

### الكتابة التى فى أعلى جدار الحجر

نقل ما كتب على رخام جدار حجر إسماعيل عليه الصلاة و السلام، من الأعلى من تاريخ الغازى، رحمه الله تعالى، فقد قال: و كتب فى علوه فى الرخام الأبيض اسم من عمل من الملوك و تاريخ عمارتهم و عمارته الأخيرة و صورة العمارة الأخيرة كما يأتى:

«بعد البسمله و إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت و إسماعيل (الآية) هذا الحجر الشريف و الحرم المنيف لما ظهر به الخلل و احتاج إلى الإصلاح و العمل أمر بإنشائه و تجديده و إحكامه و تشييده المفتقر إلى رحمة ربه المتضرع إليه فى توفيقه و مغفرته ذنبه من يرى فى الله بحسن الاعتقاد فملك المماليك و أنفذ حكمه فى قاصى البلاد من ذلك إليه و عليه و تعطف و عاد بإحسانه لديه و تطف و ألهمه لعمارة هذا الحجر المشرف فهو السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى رزقه الله فى الدارين السعد الدورى و نصره و أيدته و أسعده قاصدا به وجه الله تعالى و نوى به خيرا و له سماوا برحمته يوم إحسانه بحق محمد و آله و أصحابه و ذلك بتاريخ



شوال أحد شهور سنة سبعة عشر و تسعمائة من الهجرة النبوية و ذلك بعد ترخيمه برسم المنصور في سنة أربعين و مائة و جده بعده الملك المظفر صاحب اليمن و جده الملك الناصر بن قلاوون في سنة عشرين و سبعمائة و الملك المنصور على بن شعبان في سنة إحدى و ثمانين و سبعمائة و الملك الظاهر برقوق في سنة إحدى و ثمانمائة و الملك الظاهر جقمق في سنة ثلاث و أربعين و ثمانمائة و الملك

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٤

الأشرف قايتباي في سنة ثمانية و ثمانين و ثمانمائة سقى الله عهدهم صوب الرحمه و الرضوان و أسكنهم فسيح الجنان و أدام أيام منشىء ذا الحجر العظيم و محا معالم هذا الحطيم صاحب القبلة خادم الحرمين الشريفين الفاتك في أعداء الله سيفه المرهف السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى أدامه الله لإقامه كل مقام محمود و أضحى به مهابط العامرين الركع و السجود و بمباشرة العبد الفقير الراجى عفو ربه القدير المقر بالمعاصى السيفى خير بك العلائى أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية و باش المماليك السلطانية و ناظر الحسبة المشرفة و شاد العمائر السلطانية أعز الله أنصاره و غفر الله لهم و لنفسه و لسائر معلميه و من أعانهم فيه و لوافدين و الطائفين و المشاهدين و لجميع المسلمين و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه أجمعين. انتهى.

و فى مرآة الحرمين مكتوب على الحجر قبالة الميزاب من الأعلى:

نعم المطاف ترابه فى عين أرمم أتمد

و يطوفه بالليل و الأسحار قوم هجد

الله بارك فرشه مع من بناه يخلد

زان المطاف بمرمر ملك الأنام محمد

تم فى تاريخ للسلطان سليمان سنة ٩٤٠

و بعده:

لا سيما من نسلهم سلطاننا المستمجد

بزال صارم سيفه للظى الصلال محمد

الله خلد ملكه و العدل فيه مؤيد

كالبدر يشرق نوره إذ جن ليل أسود

و تاريخ للسلطان محمد خان سنة (١٠٧٣) و فى أول حائط الحجر فى الأعلى من الجهة الشرقية:

الحمد لله الذى جعل المطاف منورا

بضيا جبينه زين كالشمس أضحى

انتهى من تاريخ الغازى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٥

### الحطيم و حجر إسماعيل و ما كتب عليه

قال فى كتاب مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت باشا رحمه الله تعالى ما نصه:

الحطيم يطلق الآن على الجدار المطيف بالحجر و بذلك قال ابن عباس، و قيل:

إن الحطيم ما بين الحجر الأسود و مقام إبراهيم و زمزم و حجر إسماعيل أى البقعة المحصورة بين الكعبة و الحجر غربا و المقام و

زمزم شرقا. و هذا ما حكاه الأزرقى عن ابن جريج، و فى كتب الحنفية أن الحطيم المكان الذى فيه الميزاب و ذلك أليق بالاستناق

لأن ذلك المكان حطم من الكعبة و فصل منها و الأكثرون على القول الثانى.

و الحجر ما أطاف به الحطيم- الجدار- و قد ذكر الأزرقى: أن إبراهيم عليه السلام جعل الحجر إلى جنب البيت عريشا من أراك يقتحمه العنز و كان زربا لغنم إسماعيل و قد تقدم أن قريشا أدخلت فى الحجر أذرعاً من الكعبة حين بنتها لما قصرت عليهم النفقة الحلال التى أعدوها لعمارة الكعبة عن إدخال ذلك فيها، و أن الزبير أدخل ذلك فى الكعبة حين عمرها، و أن الحجاج أخرجه منها و استمر ذلك ليومنا، و على ذلك فبعض الحجر من الكعبة و بعضه ليس منها، و يدل لذلك ما فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا عائشة! لو لا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض و لجعلت لها بابا شرقيا و بابا غربيا و زدت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قريشا استقصرتها حيث بنت الكعبة، و فى رواية فإن بدا لقومك من بعدى أن بينوه فهلمى لأريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع، و فى مسلم عن عطاء أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: لو لا أن الناس حديث عهدهم بكفر و ليس عندى من النفقة ما يقوى على بنائه لكنت أدخلت من الحجر خمسة أذرع، و ذكر عطاء أن ابن الزبير زاد فى البيت خمسة أذرع من الحجر، و أنه بداء له أساس نظر إليه الناس فبنى عليه، و أما ما رواه الشيخان من حديث عائشة قالت: سألت النبى صلى الله عليه و سلم عن الحجر أمن البيت؟ قال: نعم: قالت: فما لهم لم يدخلوه فى البيت؟ قال: إن قومك قصرت بهم النفقة الخ، فلا يعارض ما ذكرنا من أن بعضه من البيت الآن حديث عائشة هذا مطلق و أحاديثها السابقة مقيدة، و المطلق يحمل على المقيد، و قد اختلف الفقهاء هل يصح الطواف من الحجر بعد السبعة الأذرع من البيت أم لا يصح

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٦

الطواف إلا من وراء الحطيم كما فعل النبى صلى الله عليه و سلم؟ قال كثيرون بالأول و قال آخرون بالثانى.

و نذكر لك طرفا من عمارة الحجر فنقول: لما حج المنصور العباسى سنة ١٤٠ هـ. دعا زياد بن عبيد الله الحارثى أمير مكة و قال له: إنى رأيت الحجر بادية حجارته فلا أصبحن حتى يستر جداره بالرخام فدعا زياد بالعمال فرخموه ليلا على ضوء المصابيح، ثم جدد المهدي رخامه سنة ١٦١ هـ. و لم يزل به حتى رث فقلع و ألبس رخاما جميلا- فى عهد المتوكل العباسى سنة ٢٤١ هـ. و عمّر الحجر المعتضد العباسى سنة ٢٨٣ هـ و الوزير جمال الدين المعروف بالجواد فى العقد الخامس بعد سنة ٥٠٠ هـ و عمّر قبله أيضا و فى زمن الناصر العباسى سنة ٥٧٦ هـ.

و عمّره المستنصر العباسى و الملك المظفر صاحب اليمن، و الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٠ هـ و الأشرف شعبان سنة ٧٨١ هـ و ذلك بأمر الأميرين بركة و برقوق مدبرى دولته، و عمّره أيضا الظاهر برقوق سنة ٨٠١ هـ و المكتوب على الحجر من الجهة الغربية تاريخ ٧٨٠ و ثبت كثير من رخام الحجر بالجبس فى سنة ٨٢٢ هـ. و أصلح قسم كبير من رخام الجدار و أرض الحجر سنة ٨٢٦ هـ. و ذلك بأمر الأمير زين مقبل القديرى، و عمّره السلطان جقمق سنة ٨٤٣ هـ. و قايتباى سنة ٨٨٠ هـ. و السلطان سليمان سنة ٩٤٠ هـ و السلطان محمد خان سنة ١٠٧٣ هـ. و قد تقدم لك وصف الحجر الآن و مقاسه فى صحيفة ٢٦٦. و يزيد على ذلك أن فيه رخامة خضراء تحت الميزاب يقال أنها موضع قبر إسماعيل عليه السلام و الناس ينحرون هذه الرخامة للصلاة عندها، مع أن الصلاة إلى القبور أو عليها منهي عنها، و فى الحديث الصحيح: (لعن الله اليهود و النصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) و أكثر المؤرخين على أنه مدفون بالحجر و يؤيد ذلك قول ضرار بن الخطاب:

لم يحظ بالحجر فيما مضى من البرية لا عرب و لا عجم

بعد ابن هاجر أن الله فضله إلا الزهير له التفضيل و الكرم

### بيان جبهة بيت المقدس

و من لطيف الإشارات من الدولة العثمانية التركية، أنهم لما عمروا حجر إسماعيل عليه الصلاة و السلام جعلوا فى وسط جدار الحجر

من الداخل رخامة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٧

و رسموا عليها قبة جميلة و هي قبة بيت المقدس و ذلك إشارة إلى أن بيت المقدس يقع في هذه الجهة أى يقع في الجهة المقابلة لجدار حجر إسماعيل الذى هو على شكل نصف دائرة. و هذا صحيح لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما كان يصلى إلى بيت المقدس قبل أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة، كان يصلى فيما بين الركن الأسود و الركن اليمانى جاعلا الكعبة المشرفة أمامه بينه و بين بيت المقدس فكان وجهه الشريف يقابل حجر إسماعيل عليه الصلاة و السلام. فما أبعد نظر الدولة التركيّة العثمانية و ما أحكم صنعتهم و أعمالهم.

### الرخامات الصفراء التى على الشاذروان

أما الرخامات الصفراء الموضوعه بأعلى شاذروان الكعبة المشرفة عند بابها، فهى رخامات نفيسة جدا، نادرة الشكل و المثل كالرخامة الخضراء التى تحت ميزاب الكعبة المعظمة و لونها يضرب إلى الصفرة الخالصة، بل هى صفراء مائلة إلى الحمرة قليلا، يتخللها نقوش بديعة جدا، لونها أصفر فاقع أكسبت الرخامات حسنا و جمالا، كل ذلك من أصل الخلقة أيضا.

و هذه الرخامات ثمانية أحجار، متقاربة الأحجام، متلاصقة ببعضها، كل حجر منها مستطيل الشكل أكبرها طوله ٣٣ سنتيمترا، و عرضه ٢١ سنتيمترا، و كلها مرصوفة و موضوعة بأعلى الشاذروان فى محل على هيئة المربع، طوله ٧٤ سنتيمترا، و عرضه كذلك و الظاهر أنها وضعت فى محلها فوق الشاذروان حين عمارة المطاف، التى كانت سنة إحدى و ثلاثين و ستمائة حسبا هو مكتوب بالنقر على الحجر الأزرق الذى تحت الرخامات الصفراء، و هو حجر ثمين من الرخام الأزرق الصافى، طوله ٦٩ سنتيمترا، و عرضه ٣٢ سنتيمترا، فيكون قد مضى على هذه الرخامات الصفراء و الرخامة الزرقاء إلى عامنا هذا ٧٣٦ سنة، و مضى على الرخامة الخضراء التى تحت الميزاب إلى عامنا هذا أيضا ١١٢٦ سنة.

فالرخامة الخضراء التى تحت الميزاب و الرخامات الصفراء التى على الشاذروان تكون من أفخم الآثار العربية و أغلاها و أندرها و أبركها، فلولا أنها من القدر و القيمة بمكان ما وضعها و لاء الأمر الأقدمون فى أشرف بقعة عند الكعبة فكانوا أعرف منا بنفائس الأشياء و جواهرها و اختيار الأمكنة لحفظها و صيانتها.

انظر: صورة رقم ٧٥، للثمانية الأحجار الصفراء الظاهرة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٨

و كانت أعمالهم الجليله فى غاية الجودة و الإتقان تمر عليها مئات الأعوام، و هى على حالها ما أصابها تلف و لا خراب، و نحن لم نقم بالكشف عما يوجد بالحجر و المطاف من الرخام النادر الوجود، فلو قمنا و بحثنا لعثرنا على أشياء ثمينة جدا مما يدلنا على عناية الملوك و السلاطين الأقدمين بهذا المكان المقدس، و البقعة الطاهرة المباركة، و ما ذكرنا تلك الرخامات الخضراء و الصفراء إلا للمناسبة. و قبل أن نختم هذا الفصل نشير إلى قيمة الرخامات الخضراء و الصفراء عند ذوى الخبرة من رجال الآثار القديمة، فإننا لا نبالغ إن قلنا أن قيمة بعضها قد تبلغ نحو من عشرة آلاف جنيه مصرى. و لا نعتقد أن أحدا ممن كان قبلنا و لا ممن هو فى عصرنا التفت إلى هاتين الرخامتين و لا توصل إلى ملاحظتنا فيهما، هذه الملاحظات الدقيقة الفنيه، فالحمد لله على التوفيق. انتهى كل ذلك من كتابنا .. مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام.

و اليوم لا يوجد قط فى جميع البلدان مثل هذه الرخامات الصفراء، فرحم الله الملوك و السلاطين الأقدمين حيث يهدون الأشياء النفيسة إلى الحرمين الشريفين.

### البنية الخامسة و السادسة: بناء جرحم و العمالقة الكعبة

## إشارة

جاء في تاريخ الغازي عن ذلك ما نصه: و أما بناء العمالق و جرهم، فقد قال في الإعلام، ذكر الأزرقي بسنده إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب أنه قال في خبر بناء إبراهيم الكعبة: ثم انهدم فبنتها العمالق ثم انهدم فبنته قبيلة من جرهم، و ذكر الفاكهي بسنده إلى علي بن أبي طالب أنه قال: أول من بنى البيت إبراهيم ثم تهدم فبنتها جرهم ثم انهزم فبنتها العمالق. قال السيد التقى: قلت: بهذا يقتضى أن جرهما بنت البيت الشريف قبل العمالق و الخبر الأول يقتضى أن العمالق بنتها قبل جرهم و بها جزم المحب الطبري في القرى و ذكر المسعودي في مروج الذهب أن الذي بنى الكعبة من جرهم هو الحارث بن مضاض الأصغر و أنه زاد في بناء البيت و رفعه كما كان عليها بناء إبراهيم عليهما السلام و الله أعلم بحقيقته ذلك و قد تقدم من روايته الأزرقي خبر العمالق ما يقتضى سبقهم على جرهم. انتهى من تاريخ الغازي.

نقول: إن بناء الكعبة المشرفة من عهد إبراهيم عليه الصلاة و السلام إلى قبل بناء قريش كان بالرضم فقط بدون طين و لا نورة، و لذلك كانت معرضة لسرعة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٩

الهضم و الخراب، ثم من بناء قريش إلى اليوم ما زال فن البناء في تقدم حتى أصبح اليوم على ما نراه و بذلك يمكث البناء زمنا طويلا.

و اختلاف المؤرخين في قبيلتي «جرهم و العمالق» أيتهما كانت أسبق في بناء الكعبة، كان سببه القبيلتين كانتا بمكة في عصر واحد و جرت بينهما حروب. و الله أعلم بحقيقته الحال.

أما نحن فرأينا الخاص: هو أن قبيلة جرهم قد تكون أسبق إلى بناء الكعبة من العمالق، كما سبقوهم إلى الإقامة و السكن بمكة منذ وصول هاجر بابنها إسماعيل إليها، حتى إن إسماعيل عليه السلام لما كبر تزوج امرأة من جرهم فهم أصهاره و سكان الحرم يومئذ. و مع هذا فاختلافهم في أسبقية العمالق أو جرهم للبناء لا يتوقف عليه شيء.

## الكعبة في عهد خزاعة

كانت ولاية مكة بعد أبناء إسماعيل عليه الصلاة و السلام بيد جرهم، فلما استخفوا بحرمه البيت الحرام و طغوا و بغوا، سلط الله تعالى عليهم خزاعة فأجلوهم عن مكة فصارت ولاية مكة و أمر البيت الحرام بيد خزاعة، فبنت حول الكعبة المشرفة و حجر إسماعيل بناء يحفظها من السيول، فقد ذكر الإمام الأزرقي في تاريخه عن محمد بن عبد العزيز ما نصه: إن وادي مكة سال في الجاهلية سيلا عظيما و خزاعة تلى الكعبة و إن ذلك السيل هجم على أهل مكة فدخل المسجد الحرام و أحاط بالكعبة و رمى بالشجر بأسفل مكة و جاء برجل و امرأة ميتين فعرفت المرأة و كانت تكون بأعلا مكة يقال لها «فارة» و لم يعرف الرجل، فبنت خزاعة حول البيت بناء أداروه عليه و أدخلوا الحجر فيه ليحصنوا البيت من السيل، فلم يزل ذلك البناء على حاله حتى بنت قريش الكعبة، فسمى ذلك السيل «سيل فارة» و سمعت أنها امرأة من بنى بكر. انتهى من تاريخ الأزرقي.

نقول: إن أمر مكة كان بيد خزاعة، ثم صار بيد قصي بن كلاب الجد الرابع للنبي صلى الله عليه و سلم كما بينا ذلك في محله، لكن خزاعة لم تبني الكعبة، و إنما أدارت حولها هذا البناء الذي ذكره الأزرقي ليحصنوها من السيل، و قصي بنى الكعبة و لم يتعرض للبناء الذي حولها الذي عملته خزاعة حتى إذا بنت قريش الكعبة لم يبق لبناء خزاعة من أثر كما هو صريح عبارة الأزرقي.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٠

و نرى أن ارتفاع بناء خزاعة حول الكعبة و حجر إسماعيل كان نحو قامه واحده، أى بقدر ما يرتفع السيل فى ذلك الزمن فإنه لم يكن ليرتفع أكثر من ذلك لأن حول الكعبة كان منخفضا و واد، بخلاف زماننا كما هو مشاهد، أما ارتفاع الكعبة فعلى ما جعله إبراهيم عليه الصلاة و السلام أى تسعة أذرع، و كان لبناء خزاعة باب لاصق بالأرض كباب الكعبة و بابه مقابل لبابها فهذا هو المعقول لدى التأمل. و نرى أيضا: أن بين بناء خزاعة و الكعبة نحو نصف مقدار المطاف الآن، أى كانت خزاعة تطوف داخل البناء المحيط بالكعبة التى عملته لتحسينها من السيل، إذ لا يعقل أن تلصقه بالكعبة كما لا يعقل أن تبعد به عنها كثيرا، فتأمل جيدا يظهر لك صواب ما قلناه إن شاء الله تعالى فإنك لا تجد هذا المبحث فى كتاب. و الله أعلم بالغيب.

### البناء السابعة: بناء قصى بن كلاب الكعبة

جاء فى تاريخ الغازى ما نصه: و أما بناء قصى فقال فى الإعلام: ذكر الزبير بن بكار قاضى مكة فى كتاب النسب أن قصى بن كلاب لما ولى أمر البيت جمع نفقته ثم هدم الكعبة فبناها بنيانا لم بينها أحد ممن بناها قبله مثلها و ذكر أبو عبد الله محمد بن عايد الدمشقى فى مفاديه أن قصى بن كلاب بنى البيت الشريف و جزم بها الإمام الماوردى فى الأحكام السلطانية فإنه قال فيها: أول من جدد بناء الكعبة من قريش لبعده إبراهيم قصى بن كلاب و سقفها بخشب الدوم و جريد النخل. انتهى من تاريخ الغازى.

و جاء فى تاريخ الكعبة المعظمة عند الكلام على بناء قصى: أنه بناها على خمسة و عشرين ذراعا، و سقفها بخشب الدوم الجيد و بجريد النخل. اه.

يقول الفاسى رحمه الله تعالى: قوله أنه بناها على خمسة و عشرين ذراعا، فيه نظر، و نحن نقول: يمكننا أن نفسر هذا المقدار من الأذرع فى الارتفاع فقط، لأن الزيادة فى ارتفاع الكعبة لا بأس فيه، لكن الزيادة فى الطول و العرض أى فى قواعد إبراهيم عليه السلام التى هى الأساس ممنوعة منعا باتا، و لم تقع الزيادة فى القواعد مطلقا قط، فى جميع البناءات التى وقعت فى الكعبة زادها الله شرفا و تعظيما و مهابة و تكريما.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢١

و قصى هو الجد الرابع للنبي صلى الله عليه و سلم كان قبل الهجرة بنحو مائة و ثلاثين سنة، تولى أمر مكة فأطاعه قومه و كان بيده أمور مكة الستة التى هى: الحجابة و الرفادة و السقاية و الندوة و اللواء و القيادة، و هو الذى جمع قومه بطون قريش و أمرهم أن يبنوا بيوتهم حول الكعبة و قسم جهاتها بينهم. و ستأتى ترجمته مفصلة إن شاء الله تعالى.

### ترجمة قصى بن كلاب

لما كان قصى بن كلاب الجد الرابع للنبي صلى الله عليه و سلم، و هو قد بنى الكعبة المشرفة بعد جرحهم، صار من الواجب علينا ذكر شىء من ترجمته ملخصا من كتاب "حياة سيد العرب" للشيخ حسين عبد الله باسلامه و من تاريخ الأزرقى رحمهما الله تعالى و إليك شىء من ذلك:

قصى اسمه زيد و يقال له مجمع لأنه جمع قبائل قريش بعد تفرقها، و هو ابن كلاب و اسمه حكيم و لقب بكلاب لأنه كان يصطاد بها، و اسم أمه فاطمة بنت سعد بن سيل (و فى الأزرقى: فاطمة بنت عمرو بن سعد بن سيل) و نطن أن عمرو سقط سهوا من كتاب

حياة سيد العرب.

فلما هلك كلاب ترك قصيا و أخاه زهرة مع أمهما فاطمة بنت عمرو بن سعد بن سيل، ثم تزوجت أمهما فاطمة على ربيعة بن حرام القضاعى و قصى فطيم أو على سن الفطام و أما أخوه زهرة فرجل بالغ، فاحتمل ربيعة زوجته فاطمة مع ولدها قصى إلى بلاده من أرض بنى عذرة من أشراف الشام، و تخلف زهرة فى قومه، و شب قصى فى حجر ربيعة لا يعلم لنفسه أبا غير ربيعة و لا ينتمى إلا إليه، فلما صار غلاما يفعه سابه رجل من قضاة فعيه بالدعوة و قال له:

لست منا و إنما أنت فينا ملصق، فدخل على أمه و قد وجد فى نفسه مما قال له القضاعى فقالت له: يا بنى صدق إنك لست منهم و لكن رهطك خير من رهطه و أبائك أشرف من آباءه و إنما أنت قرشى و أخوك و بنو عمك بمكة و هم جيران بيت الله الحرام، فأجمع قصى على الخروج إلى قومه و اللحاق بهم و كره الغربة فى أرض قضاة، فقالت له أمه: يا بنى لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام فتخرج فى حاج العرب فإنى أخشى عليك أن يصيبك بعض البأس. فبقى حتى خرج حاج قضاة، فخرج معهم حتى قدم مكة فلما فرغ من الحج أقام

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٢

بها، و كان رجلا جليلا نسيبا فعرفت قريش قدره و فضله و عظمته و أقرت له بالرياسة و السؤدد، و كان أبعدا رأيا و أصدقها لهجة و أوسعها بذلا و أبينها عفافا.

فخطب قصى إلى حليل بن حبشية بن سلول الخزاعى ابنته حبي فعرف حليل نسبه و رغب فى الرجل فزوجه، و حليل يومئذ يلى الكعبة و أمر مكة، فأقام قصى معه حتى ولدت حبي لقصى عبد الدار و هو أكبر ولده، و عبد مناف، و عبد العزى، و عبدا بنى قصى. فكان حليل يفتح البيت فإذا اعتل أعطى ابنته حبي المفتاح فإذا اعتلت أعطت المفتاح زوجها قصيا أو بعض ولدها فيفتحه، فلما حضرت حليلا الوفاء نظر إلى قصى و إلى ما انتشر له من الولد من ابنته فرأى أن يجعلها فى ولد ابنته فدعا قصيا فجعل له ولاية البيت و أسلم إليه المفتاح و كان يكون عند حبي، فلما هلك حليل أبت خزاعة أن تدعه و ذاك أخذوا المفتاح من حبي فمشى قصى إلى رجال من قومه من قريش و بنى كنانة و دعاهم إلى أن يقوموا معه فى ذلك و أن ينصروه و يعضدوه فأجابوه إلى نصره، و أرسل قصى إلى أخيه لأمه رزاح بن ربيعة و هو ببلاد قومه من قضاة يدعوهم إلى نصره و يعلمه ما حالت خزاعة بينه و بين ولاية البيت و يسأله الخروج إليه بمن أجابه من قومه، فقام رزاح فى قومه و أجابوه إلى ذلك، فخرج رزاح بن ربيعة و معه إخوته من أبيه حن و محمود و جلهمة بنو ربيعة بن حرام فيمن تبعهم من قضاة فى حاج العرب مجتمعين لنصر قصى و القيام معه.

فلما اجتمع الناس بمكة خرجوا إلى الحج فوقفوا بعرفة و بجمع و نزلوا منى، و قصى مجمع على ما أجمع عليه من قتالهم بمن معه من قريش و بنى كنانة و من قدم عليه مع أخيه رزاح من قضاة، فلما كان آخر أيام منى أرسلت قضاة إلى خزاعة يسألونهم أن يسلموا إلى قصى ما جعل له حليل و عظموا عليهم القتال فى الحرم و حذروهم من الظلم و البغى بمكة و ذكروهم ما كانت فيه جرمهم و ما صارت إليه حين ألدوا فيه بالظلم و البغى، فأبت خزاعة أن تسلم ذلك فاقتلوا بمفضى مأزى منى، قال: فسمى ذلك المكان المفجر لما فجر فيه و سفك فيه الدماء «و المفجر معروف إلى اليوم بمنى» فاقتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعا، و حاج العرب من مصر و اليمن مستكفون ينظرون إلى قتالهم.

ثم تداعوا إلى الصلح و دخلت قبائل العرب بينهم و عظموا على الفريقين سفك الدماء و الفجور فى الحرم، فاصطلحوا على أن يحكموا بينهم رجلا من العرب فيما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٣

اختلفوا فيه، فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر، و كان رجلا شريفا فقال لهم موعدكم فناء الكعبة غدا، فلما اجتمع إليه الناس بفناء الكعبة قام يعمر بن عوف فقال: ألا إنى شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدمى هاتين فلا تباة لأحد على أحد فى دم، و إنى

قد حكمت لقصى بحجابة الكعبة وولاية أمر مكة دون خزاعة لما جعل له حليل و أن يخلى بينه و بين ذلك، و أن لا تخرج خزاعة عن مساكنها من مكة.

فسلمت ذلك خزاعة لقصى و عظموا سفك الدماء في الحرم، و افترق الناس، فولى قصى بن كلاب حجابة الكعبة و أمر مكة و جمع قومه من قريش من منازلهم إلى مكة يستعز بهم و تملك على قومه فملكوه و خزاعة مقيمة بمكة على رباعهم و سكناتهم لم يحركوا و لم يخرجوا منها فلم يزالوا على ذلك حتى الآن.

فكان قصى أول رجل من بني كنانة أصاب ملكا و أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة و الرفادة و السقاية و الندوة و اللواء و القيادة، فحاز قصى شرف مكة و أنشأ دار الندوة، و فيها كانت قريش تقضى و لم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصى إلا ابن أربعين سنة للمشورة، و كان يدخلها ولد قصى أجمعون.

و قبل قصى كانت القبائل من عمالقة و جرهم و خزاعة و قريش و غيرهم، يسكنون في شعاب مكة و يتركون حول الكعبة احتراماً لها و تعظيماً لشأنها فلا يجترئ أن يبني أحد بجوارها داراً و لا جداراً.

فلما آل الأمر إلى قصى بن كلاب و استولى على مكة و على مفتاح الكعبة من خزاعة، جمع قومه بطون قريش و أمرهم أن يبنوا حول الكعبة بيوتا من جهاتها الأربعة حيث كانوا يقطنون بظاهر مكة و لا يقيمون بها إلا نهاراً و لا يدخلونها على جنابة، فإذا أمسوا خرجوا إلى الحل، فقال لهم قصى: إن سكنتم حول البيت هابتكم الناس و لم تستحل قتالكم و الهجوم عليكم، فبدأ قصى أولاً فبنى دار الندوة، ثم قسم باقى الجهات بين القبائل من قريش فبنت دورها حول الكعبة المعظمة و قد تركوا للطائفتين مقدار المطاف الآن و جعلوا ارتفاع بيوتهم أقل من ارتفاع الكعبة احتراماً و تعظيماً لها.

و فى قصى حين جمع قومه يقول القائل:

أبوكم قصى كان يدعى مجعابه جمع الله القبائل من فھر

و أنتم بنو زيد و زيد أبوكم به زيدت البطحاء فخرا على فخر

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٤

و قصى هو أول من حضر بئر يقال له العجول كان موضوعها فى دار أم هانئ بنت أبى طالب بالحزورة «باب الوداع» و قد دخلت هذه البئر مع دار أم هانئ فى المسجد الحرام فى زيادة المهدي، على أن قصيا حفر آبارا عديدة بمكة و كان الماء بها غزيرا و الناس يشربون من آبار خارجة عن الحرم، و البئر المنسوبة إلى جبير بن مطعم التى عند مسجد الراية بالجودية أول من حفرها قصى ثم دثرت.

انتهى كل ذلك ملخصا من تاريخ الأزرقى و من حياة سيد العرب.

قال إبراهيم رفعت باشا فى الجزء الأول من كتابه «مرآة الحرمين» بصحيفة ١٥٢: كان ظهور قصى بن كلاب حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى. فعلى هذا القول و إذا قدرنا أيضا أن قصيا ظهر سنة (٤٥٠) ميلادية يكون ظهوره قبل الهجرة بمائة و ثلاثين سنة و هذا هو المعقول، و لكن التقدير المضبوط الله أعلم به.

## البنية الثامنة: بناء قريش الكعبة

### إشارة

نذكر أولا- سبب بناء قريش الكعبة نقلا عن تاريخ الغازى، رحمه الله تعالى فقد قال فيه ما نصه: و أما بناء قريش الكعبة، فقال فى الإعلام: قال خاتمة الحفاظ و المحدثين الشيخ محمد الصالحى، رحمه الله تعالى، فى كتاب «سبيل الهدى و الرشاد فى سيرة خير

العباد» و هو أحسن كتاب للمتأخرين و أبسطه في السيرة النبوية: أن امرأة جمرت الكعبة بالبخور فطارت شرارة من مجمرتها في ثياب الكعبة فاحترق أكثر أخشابها و دخلها سيل عظيم فتصدعت جدرانها بعد توهينها فأرادوا أن يشدوا بنيانها و يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شأوا، و كان البحر قد رمى بسفينته إلى ساحل جدة لتاجر رومي اسمه باقوم و كان بناء نجارا فخرج الوليد بن المغيرة في نفر قريش إلى جدة فابتاعوا خشب السفينة و كلموا باقوم الرومي أن يقدم معهم إلى مكة فقدم إليها و أخذوا أخشاب السفينة أعدوها لسقف الكعبة الشريفة. قال الأعمى: كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم و يحمل فيها الرخام و الخشب و الحديد مع باقوم إلى الكنيسة التي أحرقتها الفرس بالحيشة فلما بلغت قريش مرسى جدة بعث الله عليها ريحا فحطمتها. انتهى.

قال ابن إسحاق: و كان بمكة قبلى يعرف بنجر الخشب و تسويته فوافقهم أن يعمل لهم سقف الكعبة و يساعده باقوم. انتهى ما فى الإعلام.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٥

و إن شاء الله تعالى سنذكر ترجمه باقوم الرومي بعد ترجمه الوليد بن المغيرة فى آخر هذا المبحث.

ثم قال الغازى أيضا: و فى الجامع اللطيف روى أن امرأة ذهبت تجمر الكعبة فطارت شرارة من مجمرتها فاحترقت كسوتها و كانت ركاما بعضها فوق بعض فحصل فى الأحجار تصدع و وهن ثم تواترت السيول بعد ذلك فجاء سيل عظيم فدخل البيت فازداد تصدع الجدران ففزعت قريش لذلك فزعا شديدا و هابوا هدمها و خافوا إن مسوها أن ينزل عليهم العذاب فبينما هم على تلك الحال يتشاورون إذ أقبلت سفينة من الروم حتى إذا كانت بمحل يقال له الشعيبة بضم الشين المعجمة و هى يومئذ ساحل مكة قبل جدة انكسرت فلما انكسرت السفينة بالشعيبة و بلغ ذلك قريشا فقصدوها و اشتروا أخشابها و أذنوا لأهلها أن يدخلوا مكة فيبيعون ما معهم من المتاع على أن لا يعشروهم، قال: و كانوا قبل ذلك يعشرون من دخلها من تجار الروم و كانت الروم تعشر قريشا إذا دخلوا بلادهم و يروى أن قريشا لما هابوا هدمها قال الوليد: إن الله لا يهلك من يريد الصلاح فارتقى على ظهرها و معه الناس ثم هدم فلما رأوه سالما تابعوه. و فى بعض الروايات أن قريشا كلما أرادوا هدم البيت بدت لهم حية فاتحته فاها فبعث الله طيرا أعظم من النسر فغرز مخاليبه فيها و ألقاها نحو أجياد فهدمتها قريش و بنوها بحجارة الوادى. انتهى.

ثم قال الغازى: و فى الإعلام: و كانت حية عظيمة تخرج من بئر الكعبة التى يطرح فيها ما يهدى إلى الكعبة تشرف على جدار الكعبة لا يدنو منها أحد إلا نشت و فتحت فاها و كانوا يهابونها و يزعمون أنها تحفظ الكعبة و هداياها و أن رأسها كراس الجدى و ظهرها و بطنها أسود و أنها قامت فيها خمسمائة سنة.

قال ابن عيينة: فبعث الله طائرا فاخطفها و ذهب بها فقالت قريش نرجو أن يكون الله تعالى رضى لنا بما أردنا فعله فأجمع رأيهم على هدمها و بنائها. قال ابن هشام: فتقدم عائد بن عمران بن مخزوم و هو خال النبي صلى الله عليه و سلم، فتناول حجرا من الكعبة فوثب من يده حتى رجع إلى مكانه فقال: يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنيانها من مالكم إلا حلالا طيبا ليس فيه مهر بغى و لا ربا و لا مظلمة.

ثم إن قريشا اقتسمت جوانب البيت فكان شق الباب لبني زهرة و بنى عبد مناف و ما بين الركن الأسود و الركن اليمانى لبني مخزوم و من انضم إليهم من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٦

قريش و كان ظهر الكعبة لبني جمح و بنى سليم و كان شق الحجر لبني عبد الدار و بنى أسد بن عبد العزى و بنى عدى بن كعب و جمعوا الحجارة و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم ينقل معهم حتى انتهى الهدم إلى الأساس فأفضوا إلى حجارة خضر كالأسنمة فضربوا عليها بالمعول فخرج برق يكاد أن يخطف البصر فانتهوا عند ذلك الأساس. انتهى.

ثم قال الغازى: و فى تحصيل المرام حتى انتهى بهم الهدم إلى أساس إبراهيم عليه السلام، فأفضوا إلى حجارة كالأسنمة إلى أسنمة الإبل فأدخل رجل بمن كان يهدم عتله بين حجرين ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجر انتفضت مكة أى تحركت بأسرها و أبصر



القوم برفقة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف بصر الرجل فانتهوا عن ذلك الأساس. انتهى من تاريخ الغازي.  
 جاء في تاريخ الكعبة المعظمة: قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها ما يأتي:  
 عجبت بأن تسلطت العقاب على الثعبان و هي لها اضطراب  
 وقد كانت يكون لها كشيخ و أحيانا يكون لها و ثاب  
 إذا قمنا إلى التأسيس شدت تهيبنا البناء و قد تهاب  
 فلما أن خشينا الرجز جاءت عقاب تتلثب لها انصباب  
 فضمتها إليها ثم خلت لنا البنيان ليس لها حجاب  
 فقمنا حاشدين إلى بناء لنا منه القواعد و التراب  
 غداة نرفع التأسيس فيه و ليس على مساوينا ثياب  
 أعز به المليك بنى لؤى فليس لأصله منهم ذهاب  
 و قد حشدت هناك بنو عدي و مرة قد تقدمها كلاب  
 فبوأنا المليك بذاك عزاء عند الله يلتمس الثواب

و جاء في تاريخ الأزرقى عند ذكر بناء قريش الكعبة ما نصه: حدثني جدى قال: حدثنا مسلم بن خالد الزنجي عن ابن أبي نجيح عن أبيه قال: جلس رجال من قريش في المسجد الحرام فيهم حويطب بن عبد العزى و مخرمة بن نوفل فتذاكروا بنيان قريش الكعبة و ما هاجهم على ذلك و ذكروا كيف كان بناؤها قبل ذلك قالوا: كانت الكعبة مبنية برضم يابس ليس بمدر و كان بابها بالأرض و لم  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٧

يكن لها سقف و إنما تدلى الكسوة على الجدر من خارج و تربط من أعلى الجدر من بطنها و كان في بطن الكعبة عن يمين من دخلها جب يكون فيه ما يهدى إلى الكعبة من مال و حلية كهية الخزائن و كان يكون على ذلك الجب حية تحرسه بعثها الله منذ زمن جرهم و ذلك أنه عدا على ذلك الجب قوم من جرهم فسرقوا مالها و حليتها مرة بعد مرة فبعث الله تلك الحية فحرس الكعبة و ما فيها خمسمائة سنة فلم تزل كذلك حتى بنت قريش الكعبة و كان قرنا الكبش الذى ذبحه إبراهيم خليل الرحمن معلقين فى بطنها بالجدر تلقاء من دخلها، يخلقان و يطيبان إذا طيب البيت فكان فيها معاليق من حلية كانت تهدي إلى الكعبة فكانت على ذلك من أمرها، ثم إن امرأة ذهبت تجمر الكعبة فطارت من مجمرتها شرارة فاحترقت كسوتها و كانت الكسوة عليها ركاما بعضها فوق بعض فلما احترقت الكعبة توهنت جدرانها من كل جانب و تصدعت و كانت الخرف الأربعة عليهم مظلمة و السيول متواترة، و لمكة سيول عوارم فجاء سيل عظيم على تلك الحال فدخل الكعبة و صدع جدرانها و أخافهم ففزع قريش فزعا شديدا و هابوا هدمها و خشوا إن مسوها أن ينزل عليهم العذاب.

قال: فبينما هم على ذلك يتناظرون و يتشاورون إذ أقبلت سفينة للروم حتى إذا كانت بالشعبية و هي يومئذ ساحل مكة قبل جدة انكسرت فسمعت قريش فركبوا إليها فاشترتوا خشبها و أذنوا لأهلها أن يدخلوا مكة فيبيعون ما معهم من متاعهم على أن لا يعشروهم، قال: و كانوا يعشرون من دخلها من تجار الروم كما كانت الروم تعشر من دخل منهم بلادها، فكان فى السفينة رومى نجار بناء يسمى «باقوم» فلما قدموا بالخشب مكة قالوا: لو بنينا بيت ربنا فأجمعوا لذلك و تعاونوا عليه و توافدوا فى النفقة و ربوا قبائل قريش أربعا ثم اقترحوا عند هبل فى بطن الكعبة على جوانبها، فطار قدح بنى عبد مناف و بنى زهرة على الوجه الذى فيه الباب و هو الشرقى، و قدح بنى عبد الدار و بنى أسد بن عبد العزى و بنى عدى بن كعب على الشق الذى يلي الحجر و هو الشق الشامى، و طار قدح بنى سهم و بنى جمح و بنى عامر بن لؤى على ظهر الكعبة و هو الشق الغربى، و طار قدح بنى تيم و بنى مخزوم و قبائل من قريش ضموا معهم على الشق اليمانى الذى يلي الصفا و أجياد. نقول: باقوم المذكور هو بالقاف، و بعضهم ينطقها بالخاء، و اليونانيون يقولون «باكاموس»

و سيأتي إن شاء الله تعالى الكلام على ذلك عند ترجمة باقوم المذكور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٨

ثم قال الأزرقى: فنقلوا الحجارة و رسول الله صلى الله عليه و سلم يومئذ غلام لم ينزل عليه الوحي ينقل معهم الحجارة على رقبته فيينا هو ينقلها إذ انكشفت نمره كانت عليه فنودي: يا محمد عورتك، و ذلك أول ما نودي و الله أعلم، فما رؤيت لرسول الله صلى الله عليه و سلم عورة بعد ذلك و لبج رسول الله من الفزع حين نودي، فأخذ العباس بن عبد المطلب فضمه إليه و قال: لو جعلت بعض نمرتك على عاتقك تفيك الحجارة، قال: ما أصابني هذا إلا من التعرى، فشد رسول الله صلى الله عليه و سلم إزاره و جعل ينقل معهم و كانوا ينقلون بأنفسهم تبررا و تبركا بالكعبة. فلما اجتمع لهم ما يريدون من الحجارة و الخشب و ما يحتاجون إليه عدوا على هدمها، فخرجت الحية التي كانت فى بطنها تحرسها سواد الظهر، بيضاء البطن، رأسها مثل رأس الجدى، تمنعهم كلما أرادوا هدمها. فلما رأوا ذلك اعتزلوا عند مقام إبراهيم و هو يؤمئذ بمكانه الذى هو فيه اليوم فقال لهم الوليد بن المغيرة: يا قوم أستم تريدون بهدمها الإصلاح؟ قالوا: بلى، قال: فإن الله لا يهلك المصلحين و لكن لا تدخلوا فى عمارة بيت ربكم إلا من طيب أموالكم و لا تدخلوا فيه مالا من ربا، و لا مالا من ميسر، و لا مهر بغي، و جنبوه الخبيث من أموالكم فإن الله لا يقبل إلا طيبا ففعلوا ثم وقفوا عند المقام فقاموا يدعون ربهم و يقولون: اللهم إن كان لك فى هدمها رضا فأتمه و أشغل عنا هذا الثعبان. فأقبل طائر من جو السماء كهيئة العقاب ظهره أسود و بطنه أبيض، و رجلاه صفروان و الحية على جدر البيت فاغرة فاها، فأخذ برأسها ثم طار بها حتى أدخلها أجساد الصغير. فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله سبحانه و تعالى قد رضى عملكم و قبل نفقتكم فاهدموه.

فهابت قريش هدمه و قالوا: من يبدأ فيهدمه؟ فقال الوليد بن المغيرة- سنذكر ترجمة الوليد ابن المغيرة فى آخر هذا المبحث- أنا أبدؤكم فى هدمه، أنا شيخ كبير فإن أصابنى أمر كان قد دنا أجلى و إن كان غير ذلك لم يرزأنى، فعلا البيت و فى يده عتله يهدم بها، فترزع من تحت رجله حجر فقال: اللهم لم ترع؟ إنما أردنا الإصلاح و جعل يهدمه حجر حجرا بالعتله فهدم يومه ذلك فقالت قريش: إنا نخاف أن ينزل به العذاب إذا أمسى. فلما أمسى لم تر بأسا، فأصبح الوليد بن المغيرة غاديا على عمله، فهدمت قريش معه حتى بلغوا الأساس الأول الذى رفع عليه إبراهيم و إسماعيل القواعد من البيت، فأبصروا حجارة كأنها الإبل الخلف لا يطبق الحجر منها ثلاثون رجلا، يحرك الحجر منها فترجع جوانبها، قد تشبك بعضها ببعض، فأدخل الوليد بن المغيرة عتله بين الحجرين فانفلقت منه فلقه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٩

عظيمة فأخذها أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم فنزت من يده حتى عادت فى مكانها و طارت من تحتها برقه كادت أن تخطف أبصارهم و رجفت مكة بأسرها، فلما رأوا ذلك أمسكوا عن أن ينظروا ما تحت ذلك فلما جمعوا ما أخرجوا من النفقة قلت النفقة عن أن تبلغ لهم عمارة البيت كله، فتشاوروا فى ذلك فأجمع رأيهم على أن يقصروا عن القواعد و يحجروا ما يقدرون عليه من بناء البيت و يتركوا بقيته فى الحجر عليه جدار مدار يطوف الناس من ورائه. ففعلوا ذلك و بنوا فى بطن الكعبة أساسا يبنون عليه من شق الحجر و تركوا من ورائه من فناء البيت فى الحجر ستة أذرع و شبرا، فبنوا على ذلك، فلما وضعوا أيديهم فى بنائها قالوا: ارفعوا بابها من الأرض و اكبسوها حتى لا تدخلها السيول و لا ترقى إلّا بسلم و لا يدخلها إلا من أردتم، إن كرهتم أحدا دفعتموه، ففعلوا ذلك و بنوها بساف من حجارة، و ساف من خشب بين الحجارة حتى انتهوا إلى موضع الركن، فاختلفوا فى وضعه و كثر الكلام فيه، و تنافسوا فى ذلك. فقالت بنو عبد المناف و زهرة: هو فى الشق الذى وقع لنا. و قالت تيم و مخزوم: هو فى الشق الذى وقع لنا. و قالت سائر القبائل: لم يكن الركن مما استهمنا عليه.

فقال أبو أمية بن المغيرة: يا قوم إنما أردنا البر، و لم نرد الشر فلا تحاسدوا، و لا تنافسوا فإنكم إذا اختلفتم تشتت أموركم، و طمع فيكم غيركم و لكن حكموا بينكم أول من يطلع عليكم من هذا الفج. قالوا: رضينا و سلمنا، فطلع رسول الله صلى الله عليه و سلم

فقالوا: هذا الأمين قد رضينا به، فحكموه، فبسط رداءه ثم وضع فيه الركن فدعا من كل ربيع رجلا فأخذوا بأطراف الثوب فكان من بنى عبد مناف عتبة بن ربيعة و كان في الربع الثاني أبو زمعة بن الأسود، و كان أسن القوم، و في الربع الثالث العاصي بن وائل، و في الربع الرابع أبو حذيفة بن المغيرة فرفع القوم الركن و قام النبي صلى الله عليه و سلم على الجدر ثم وضعه بيده فذهب رجل من أهل نجد ليناول النبي صلى الله عليه و سلم حجرا ليشد به الركن، فقال العباس بن عبد المطلب: لا! فناول العباس النبي صلى الله عليه و سلم حجرا فشد به الركن فغضب النجدي حيث نحى، فقال النجدي:

و اعجابه لقوم أهل شرف و عقول و سن و أموال عمدوا إلى أصغرهم سنا، و أقلهم مالا فأرأسوه عليهم في مكرتهم و حوزهم كأنهم خدم له. أما و الله ليفوتنهم سبقا و ليقسمن عليهم حظوظا و جدودا و يقال: إنه إبليس.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٠

فبنوا حتى رفعوا أربعة أذرع و شبرا، ثم كبسوها و وضعوا بابها على هذا الذرع و رفعوها بمدماك خشب و مدماك حجارة حتى بلغوا السقف. فقال لهم باقوم الرومي: أتحبون أن تجعلوا سقفها مكبسا أو مسطحا؟ فقالوا: بل ابن بيت ربنا مسطحا. قال: فبنوه مسطحا و جعلوا فيه ست دعائم في صفيين في كل صف ثلاث دعائم من الشق الشامي الذي يلي الحجر إلى الشق اليماني و جعلوا ارتفاعها من خارجها من الأرض إلى أعلاها ثمانية عشر ذرعا و كانت قبل ذلك تسعة أذرع فزادت قريش في ارتفاعها في السماء تسعة أذرع آخر، و بنوها من أعلاها إلى أسفلها بمدماك من حجارة و مدماك من خشب، و كان الخشب خمسة عشر مدماكا و الحجارة ستة عشر مدماكا و جعلوا ميزابها يسكب في الحجر و جعلوا درجة من خشب في بطنها في الركن الشامي يصعد منها إلى ظهرها، و زوقوا سقفها و جدرانها من بطنها و دعائمها و جعلوا في دعائمها صور الأنبياء، و صور الشجر، و صور الملائكة، فكان فيها صورة إبراهيم خليل الرحمن، شيخ يستقسم بالأزلام، و صورة عيسى بن مريم و أمه، و صورة الملائكة عليهم السلام أجمعين ...

فلما كان يوم فتح مكة دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم البيت، فأرسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب فجاء بماء زمزم ثم أمر بثوب و أمر بطمس تلك الصور، فطمست. قال: و وضع كفيه على صورة عيسى بن مريم و أمه عليهما السلام و قال: امحوا جميع الصور إلا- ما تحت يدي فرفع يديه عن عيسى بن مريم و أمه و نظر إلى صورة إبراهيم فقال: قاتلهم الله جعلوه يستقسم بالأزلام، ما لإبراهيم و للأزلام، و جعلوا لها بابا واحدا فكان يغلق و يفتح، و كانوا قد أخرجوا ما كان في البيت من حلية و مال و قرني الكبش و جعلوه عند أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي و أخرجوا هبل و كان على الجب الذي فيه نصبه عمرو بن لحي هنالك و نصب عند المقام حتى فرغوا من بناء البيت فردوا ذلك المال في الجب و علقوا فيه الحلية و قرني الكبش وردوا الجب في مكانه فيما يلي الشق الشامي و نصبوا هبل على الجب كما كان قبل ذلك و جعلوا له سلما يصعد عليه إلى بطنها و كسوها حين فرغوا من بنائها حبرات يمانية. انتهى.

و لقد ورد في صحيح البخاري، نقل رسول الله صلى الله عليه و سلم الحجارة للكعبة في بناء قريش، في باب مناقب الأنصار في باب بنين الكعبة بما نصه: عن جابر بن عبد الله، رضى الله عنهما، قال: لما بنيت الكعبة ذهب النبي صلى الله عليه و سلم و عباس ينقلان

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣١

الحجارة، فقال عباس للنبي صلى الله عليه و سلم: اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة فخر إلى الأرض، و طمحت عيناه إلى السماء، ثم أفاق فقال: إزارى إزارى فشد عليه إزاره.

حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار و عبيد الله بن أبي يزيد قالوا: لم يكن على عهد النبي صلى الله عليه و سلم حول البيت حائط كانوا يصلون حول البيت حتى كان عمر، فبنى حوله حائطاً قال عبيد الله: جدره قصير فبناه ابن الزبير. انتهى.

و مسألة سقوط النبي صلى الله عليه و سلم مغشيا عليه لانكشاف عورته، قد وردت في الصحيحين فعن جابر بن عبد الله، رضى الله تعالى عنهما، قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم ينقل معهم الحجارة للكعبة و عليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي لو

حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة، قال: فحلّه فجعله على منكبيه، فسقط مغشيا عليه، فما رؤى بعد ذلك عريانا صلى الله عليه وسلم. رواه البخارى و مسلم.

قال شيخنا المحدث الشهير الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى رحمه الله تعالى فى شرحه على كتابه «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» عند هذا الحديث فى الجزء السادس من الكتاب المذكور ما يأتى:

(فإن قيل): كيف الجمع بين حديث المتن و ما ذكره ابن إسحاق فى السيرة من أنه عليه الصلاة و السلام تعرى و هو صغير عند حلیمه، فلکم لا کم فلم يعد يتعرى بعد ذلك.

(أجيب) بأنه إن ثبت ما ذكره ابن إسحاق، حمل على نفي التعرى لغير ضرورة عادية، و حمل الذى فى حديث المتن على الضرورة العادية و النفي فيها على الإطلاق، أو يتقيد بالضرورة الشرعية كحالة النوم مع الزوجة أحيانا.

و فى هذا الحديث منع التعرى بحضوره الناس إلا ما رخص فيه شرعا من رؤية الزوجات لأزواجهن عراة، و فيه أيضا أنه عليه الصلاة و السلام صانه الله على كل ما يستقبح قبل البعثه كما صانه عن ذلك بعدها.

ثم قال رحمه الله تعالى: و كان عمره صلى الله عليه و سلم فى ذلك الوقت خمسا و ثلاثين سنة، و قيل كان ذلك قبل المبعث بخمس عشرة سنة، و قيل: كان عمره عليه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٢

الصلاة و السلام إذ ذاك خمس عشرة سنة. انتهى باختصار من الجزء السادس من كتاب زاد المسلم المذكور.

قال الأزرقى: حدثنى جدى قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن عن ابن أبى نجیح عن أبيه عن حويطب بن عبد العزى قال: كانت فى الكعبة حلق أمثال لجم البهم يدخل الخائف فيها يده فلا يريه أحد، فجاء خائف ليدخل يده فاجتذبه رجل فشلت يده فلقد رأيت فى الإسلام و إنه لأشلى.

حدثنى جدى قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن عن ابن جريج قال: سأل سليمان بن موسى الشامى عطاء بن أبى رباح و أنا أسمع أدركت فى البيت تمثال مريم و عيسى قال: نعم أدركت فيها تمثال مريم مزوقا فى حجرها عيسى ابنها قاعدا مزوقا. قال: و كانت فى البيت أعمدة ست سوارى وصفها كما نقطت فى هذا التريبع:

قال: و كان تمثال عيسى بن مريم و مريم عليهما السلام، فى العمود الذى يلي الباب. قال ابن جريج: فقلت لعطاء: متى هلك؟ قال: فى الحريق فى عصر ابن الزبير و قلت: أعلى عهد النبى صلى الله عليه و سلم كان؟ قال: لا أدرى و إنى لأظنه قد كان على عهد النبى صلى الله عليه و سلم. قال له سليمان: أفرأيت تماثيل صور كانت فى البيت، من طمسها؟ قال: لا أدرى غير أنى أدركت من تلك الصور اثنين درسهما و اراهما و الطمس عليهما. قال ابن جريج: ثم عاودت عطاء بعد حين فخط لى ست سوارى كما خطت ثم قال: تمثال عيسى و أمه عليهما السلام فى الوسطى من اللاتى تليين الباب الذى يلينا إذا دخلنا. قال ابن جريج: الذى خط هذا التريبع و نقط هذا النقط.

حدثنى جدى قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن عن عمرو بن دينار قال: قال:

أدركت فى بطن الكعبة قبل أن تهدم تمثال عيسى بن مريم و أمه. انتهى كل ما تقدم من تاريخ الأزرقى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٣

### وضع رسول الله صلى الله عليه و سلم الحجر الأسود بيده فى محله الكعبة

جاء فى تاريخ الأزرقى عند آخر الكلام على بناء قريش الكعبة فى مسألة اختصاصهم، أى القبائل ترفع الحجر الأسود لوضعه فى محله فى الكعبة ثم رضوا بحكم رسول الله صلى الله عليه و سلم ما خلاصته:

قال أبو أمية بن المغيرة: يا قوم إنما أردنا البر، و لم نرد الشر فلا تحاسدوا، و لا تنافسوا. فإنكم إذا اختلفتم تشتت أموركم، و طمع فيكم غيركم، و لكن حكموا بينكم أول من يطلع عليكم من هذا الفج. قالوا: رضينا و سلمنا، فطلع رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا: هذا الأمين قد رضينا به، فحكموه، فبسط رداءه ثم وضع فيه الركن فدعا من كل ربع رجلا فأخذوا بأطراف الثوب (و ذكر الأزرقى أسماءهم) فرفع القوم الركن و قام النبي صلى الله عليه و سلم على الجدر ثم وضعه بيده، فبنوا حتى رفعوا أربعة أذرع و شبرا ثم كبسوها و وضعوا بابها مرتفعا على هذا الذرع .. إلى آخر الكلام.

و أبو أمية بن المغيرة المذكور هو الذى اقترح على قريش حين اختلفت على بنيان البيت و قال: يا معشر قريش لا تنافسوا و لا تباغضوا و لكن جزؤوا البيت أربعة أجزاء ثم ربعوا القبائل فلتكن أرباعا ثم اقترعوا عند هبل فى بطن الكعبة على جوانبها فاختص كل قوم بجانب منها (و قد ذكر الأزرقى أسماءهم).

و فى ذلك قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أنا وضعت الركن بيدى يوم اختلفت قريش فى وضعه. و عن ابن أبى تجراء عن أمه قالت: أنا أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يضع الركن بيده، فقلت: لمن الثوب الذى وضع فيه الحجر؟ قالت: للوليد بن المغيرة، و يقال: حمل الحجر فى كساء طارونى كان للنبي صلى الله عليه و سلم. و الوليد بن المغيرة هو الذى أول من ارتقى على جدر البيت عند هدمه و معه الفأس فقال: اللهم إنا لا نريد إلا الإصلاح ثم هدم فهمدت قريش معه بعد ذلك، و الوليد بن المغيرة أيضا هو الذى أدخل عتله بين حجرين من الأساس الأول للبيت الذى رفع عليه إبراهيم و إسماعيل القواعد من البيت فانفلقت منه فلقة عظيمة فأخذها أبو وهب بن عمرو فنزت من يده حتى عادت فى مكانها، و الوليد بن المغيرة أيضا هو الذى قال لقريش: لا تدخلوا فى عمارة بيت ربكم إلا من طيب أموالكم فلا تدخلوا فيه مالا من ربا و لا ميسر و لا مهر بغى ففعلوا حسب كلامه، و قيل قائله أبو أحيحة سعيد بن العاصى و الله تعالى أعلم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٤

و الوليد بن المغيرة هو أيضا كان أول من خلع الخف و النعل فلم يدخل البيت بهما إعظاما له و ذلك حينما فرغت قريش من بنائه فجرى ذلك سنة.

و قيل اسم القائل: حكموا بينكم من يطلع من هذا الباب حين اختلفت قريش فى وضع الركن، هو أبو حذيفة بن المغيرة، و هو أيضا من نفر الذين رفعوا الثوب الذى وضع رسول الله صلى الله عليه و سلم فيه الحجر الأسود و أبو حذيفة بن المغيرة هو الذى قال لقريش حين بناء الكعبة ارفعوا بابها من الأرض حتى لا يدخل عليكم إلا بسلم فإنه لا يدخل عليكم إلا من أردتم. انتهى مختصرا من الأزرقى.

قال الأزرقى: حدثنى محمد بن يحيى عن الواقدى عن الوليد بن كثير عن يعقوب بن عتيبة قال: اجتمع عند معاوية بن أبى سفيان، و هو خليفة نفر من قريش منهم جعدة بن هبيرة، و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، و الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة، و عبد الله بن زمعة بن الأسود، فتذاكروا أحاديث العرب فقال معاوية: من الرجل الذى نزا الحجر من يده حين حفر أساس البيت حتى عاد مكانه؟ قالوا: من أعلم من أمير المؤمنين بهذا. قال: على ذلك، ليس كل العلم و عيناه و لا حفظناه. لقد علمنا أمورا فنسيناها، قالوا جميعا: هو أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، قال معاوية: كذلك كنت أسمع من أبى و كان حاضرا فى ذلك اليوم: قال: فمن قال حين اختلفت قريش فى بنيان مقدم البيت: يا معشر قريش لا تنافسوا و لا تباغضوا فيطمع فيكم غيركم و لكن جزؤوا البيت أربعة أجزاء ثم ربعوا القبائل فلتكن أرباعا؟ قالوا: إنه أبو أمية بن المغيرة، قال: هكذا كنت أسمع أبى يقول. قال: فمن القائل حين اختلفت قريش فى وضع الركن حكموا بينكم أول من يطلع من هذا الباب؟ قال: أبو حذيفة بن المغيرة.

قال: نعم! قال: فمن نفر الذين رفعوا الثوب حين وضعه رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:

جدك عتبة بن ربيعة أحدهم، قال: كذلك كنت أسمع أبى يقول. قال: فمن كان من الربع الثانى؟ قالوا: أبو زمعة بن الأسود بن

المطلب قال: كذلك كنت أسمع أبي يقول. قال: فمن كان في الربع الثالث؟ قالوا: أبو حذيفة بن المغيرة. قال: كذلك كنت أسمع أبي يقول. قال: فمن كان في الربع الرابع؟ قالوا: أبو قيس بن عدى السهمي، قال: هذه واحدة قد أخذتها عليكم العاصي بن وائل، قال:

فمن قال يا معشر قريش لا تدخلوا في عمارة بيت ربكم إلا طيبا من كسبكم؟

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٥

قالوا: أبو حذيفة بن المغيرة، قال: هذه أخرى قد أخذتها عليكم القائل هذا والمتكلم به أبو أحيحة سعيد بن العاصي، قال: فأسكت القوم.

جاء في مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت باشا ما يأتي:

لما اختلفت قريش فيمن يضع الحجر الأسود في محله حين بنائهم الكعبة ورضوا أن يحكموا بينهم أول رجل من باب المسجد، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرضوا به، فوضعه في ثوب وأخذ كل قبيلة بناحية حتى إذا بلغوا به موضعه أخذته هو بيده الشريفه ووضعه فيه ثم بنى عليه. وفي ذلك يقول هبيرة بن وهب:

تشاجرت الأحياء في عضل حطه جرت طيرهم بالخس من بعد أسعد

تلاقوا بها البغضاء بعد مودة و أوقد نارا بينهم شر موقد

فلما رأينا الأمر قد جد جدوه لم يبق شيء غير سل المهند

رضينا و قلنا العدل أول طالع يجيء من البطحاء من غير موعد

ففاجأنا هذا الأمين محمد فقلنا رضينا بالأمين محمد

بخير قريش كلها أمس شيمه وفي اليوم مهما يحدث الله في غد

فجاء بأمر لم ير الناس مثله أعم وأرضى في العواقب واليد

أخذنا بأطراف الرداء و كلناله حقه من رفعه قبضة اليد

و قال ارفعوا حتى إذا ما علت به أكفهم وافى به خير مسند

و كل رضينا فعله و صنيعه فأعظم به من رأى هاد و مهتد

و تلك يد منه علينا عظيمة يروح بها هذا الزمان و يفتدى

قال ابن كثير في تفسيره رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ما نصه:

ذكر بناء قريش الكعبة بعد إبراهيم الخليل عليه السلام بمدد طويله، وقبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين، وقد نقل معهم في الحجارة و له من العمر خمس و ثلاثون سنة، صلوات الله و سلامه عليه دائما إلى يوم الدين.

قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة: و لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا و ثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنان الكعبة و كانوا يهمون بذلك، ليسقفوها و يهابون هدمها، و إنما كانت رضما فوق القامة فأرادوا رفعها و تسقيفها، و ذلك أن نفرا سرقوا كنز الكعبة و إنما كان يكون في بئر جوف الكعبة، و كان الذي

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٦

وجد عنده الكنز دويك مولى بنى مليح بن عمرو من خزاعة فقطعت قريش يده، و يزعم الناس أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك، و كان البحر قد رمى بسفينه إلى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها، و كان بمكة رجل قبطي نجار فهبأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها، و كانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرف على

جدار الكعبة و كانت مما يهابون، و ذلك أنه كان لا يدنوا منها أحد إلا احزأت و كشت و فتحت فاهما فكانوا يهابونها، فيينا هي يوما تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله تعالى إليها طائرا فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنا لندرجوا أن يكون الله قد رضى ما أردنا، عندنا عامل رفيق و عندنا خشب و قد كفانا الله الحية، فلما أجمعوا أمرهم فى هدمها و بنائها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران ابن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيبا، لا يدخل فيها مهر بغى و لا بيع ربا و لا مظلمة أحد من الناس، قال ابن إسحاق: و الناس ينتحلون هذا الكلام للوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم.

قال: ثم إن قريشا تجزأت الكعبة فكان شق الباب لبني عبد مناف و زهرة، و كان ما بين الركن الأسود و الركن اليماني لبني مخزوم و قبائل من قريش انضموا إليهم، و كان ظهر الكعبة لبني جمح و سهم، و كان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي و لبني أسد ابن عبد العزى بن قصي و لبني عدى بن كعب ابن لؤى و هو الحطيم، ثم إن الناس هابوا هدمها و فرقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدوكم فى هدمها، فأخذ المعول ثم قام عليها و هو يقول: اللهم لم ترع، اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس تلك الليلة و قالوا ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئا و رددناها كما كانت، و إن لم يصبه شيء فقد رضى الله ما صنعنا، فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم و هدم الناس معه، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس أساس إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنة أخذ بعضها بعضا، قال: فحدثني بعض من يروى الحديث أن جلا من قريش ممن كان يهدمها، ادخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما، فلما تحرك الحجر انتفضت مكة بأسرها فانتهوا عن ذلك الأساس.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٧

قال ابن إسحاق: ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجتمع على حدة، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن يعنى الحجر الأسود فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوروا و تخالفوا و أعدوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم و بنو عدى ابن كعب بن لؤى على الموت، و أدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة فسموا «لعة الدم»، فمكثت قريش على ذلك أربع ليالى أو خمسا، ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد فتشاوروا و تناصفوا، فزعم أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم و كان عامئذ أسن قريش كلهم قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه، ففعلوا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه و سلم فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا هذا محمد، فلما انتهى إليهم و أخبروه الخبر قال صلى الله عليه و سلم: هلم إلى ثوبا، فأتى به فأخذ الركن يعنى الحجر الأسود فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعه جميعا، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه و سلم ثم بنى عليه، و كانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل أن ينزل عليه الوحي الأمين، فلما فرغوا من البنيان و بنوها على ما أرادوا، قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها:

عجبت لما تصوبت العقاب إلى الثعبان و هى لها اضطراب

و قد كانت يكون لها كشيث و أحيانا يكون لها وثاب

إذا قمنا إلى التأسيس شدت تهيبنا البناء و قد تهاب

فلما أن خشينا الرجز جاءت عقاب تتلثب لها انصباب

فضممتها إليها ثم خلت لنا البنيان ليس لها حجاب

فقمنا حاشدين إلى بناء لنا منه القواعد و التراب

غداة نرفع التأسيس منه و ليس على مساوينا ثياب

أعز به المليك بنى لؤى فليس لأصله منهم ذهاب

وقد حشدت هناك بنو عدى و مرة قد تقدمها كلاب

فبأنا المليك بذاك عزاو عند الله يلتمس الثواب

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٨

قال ابن إسحاق: و كانت الكعبة على عهد النبي صلى الله عليه و سلم ثمانى عشر ذراعا، و كانت تكسى القباطى ثم كسيت بعد البرود، و أول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف. انتهى كل ذلك من تفسير ابن كثير، رحمه الله تعالى.

نقول: و السبب الذى دفع بنى عبد الدار إلى إحضار جفنة مملوءة بالدم و إدخال أيديهم فيها و تعاقدهم مع بنى عدى بن كعب بن لؤى على الموت، هو أن بنى عبد الدار هم من أشرف قريش، فإنهم من ذرية قصى بن كلاب الجد الرابع للنبي صلى الله عليه و سلم و قصى كان ملكا على مكة المشرفة و بيده أمر البيت الحرام، و قد خلف من الأولاد أربعة و هم: (١) عبد مناف، و هو الجد الثالث لرسول الله صلى الله عليه و سلم (٢) و عبد الدار، و هو سادن البيت الحرام و بيده مفتاح الكعبة، و من ولده عثمان بن طلحة، و هو الذى أعطاه رسول الله صلى الله عليه و سلم مفتاح الكعبة و لابن أخيه شيبه بن عثمان بن أبى طلحة رأس الشيبين، و قال: «خذوها يا بنى أبى طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم» (٣) و عبد العزى، و هو جد الأسديين و منهم أم المؤمنين خديجة، رضى الله تعالى عنها (٤) و عدى، و منه قريش الظواهر.

و حيث إن بنى عبد الدار هم سدن الكعبة و بيدهم مفتاحها، فقد رأوا أنهم أولى الناس برفع الحجر الأسود و وضعه فى محله من البيت، و أخذتهم الحمية و الحماسة لذلك و استعدوا لقتال من يمنعهم عن رفع الركن الأسود، و تعاقدوا مع بنى عدى بن كعب على الموت على جفنة الدم، و اختيارهم لبنى عدى بن كعب فى المعاهدة، لأنهم شركاؤهم فى شق الحجر و هو الحطيم، عندما جزأت قريش الكعبة كما تقدم بيانه، لكن هذه الغمة قد انجلت و انكشفت بفضل رسول الله صلى الله عليه و سلم و عظيم حكمته، حيث رضى الجميع به حكما و قاموا باتباع رأيه السديد، و كفى الله عباده القتال.

### الخلاصة فى كيفية بناء قريش

فخلاصة الكلام المتقدم كما ذكرناها فى كتابنا «مقام إبراهيم عليه السلام» المطبوع بمصر: هى أن قريشا بنت الكعبة قبل بعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم، بخمس سنين على الأشهر، أى سنة خمس و ثلاثين من ولادته عليه الصلاة و السلام، و لقد اشترك رسول الله صلى الله عليه و سلم مع قريش فى بناء بيت الله المعظم فكان يحمل الحجارة على

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٩

كتفه و لما وصل البناء إلى محل الحجر الأسود اختلفوا فيما بينهم على من يضعه فى مكانه ثم اتفقوا على أن يضعه النبي الأمى الأمين فوضعه صلى الله عليه و سلم بيده الشريفة و أحكم محله كما هو مفصل فى كتب السير، ثم إن قريشا نقصوا من عرض الكعبة من جهة الحجر ستة أذرع و شبرا لقلبة النفقة الحلال التى جمعوها لعماريتها و أداروا على الحجر جدارا قصيرا يطوف الناس من ورائه، و جعلوا بابها مرتفعا عن الأرض و كبسوه بالحجارة حتى لا تدخل السيول فيها و حتى يدخلوا فيها من شأوا و يمنعوا من أرادوا و جعلوا الباب مصراعا واحدا و أبقوا فيها جب الكعبة، أى خزانها التى يلقى فيها ما يهدى إليها، و جعلوا فى داخلها ست دعائم فى صفين فى كل صف ثلاث دعائم، و جعلوا لها سقفا و ميزابا من الجهة الشمالية مصبة على حجر إسماعيل عليه السلام، و كانت قبل ذلك بلا سقف، و جعلوا ارتفاعها من الأرض إلى السماء ثمانية عشر ذراعا، و جعلوا لها ركنين، و لم يجعلوا لها أركانا من جهة الحجر بل جعلوها مدورة على صفة بناء إبراهيم عليه السلام، و كان الناس كذلك يبنون بيوتهم مدورة تعظيما للكعبة. فأول من بنى بيتا مربعا حميد بن زهير فقالت قريش: ربع حميد بيتا إما حياة و إما موتا. و بعد أن تم بناؤها كسوها كسوة معتبرة.

و سبب بناء قريش للكعبة: أن امرأة منهم أجمرت الكعبة فطارت شرارة مجمرتها فى كسوتها فاحترقت و تصدعت و توهنت جدرانها



من كل جانب، و كانت الكعبة قبل بناء قريش مبنية برضم يابس ليس بمدر، تدلى الكسوة على الجدر من خارج و تربط من أعلى الجدر من باطنها. فبنتها قريش بالطين و الذى بناها لهم اسمه «باقوم الرومى» و قد بنت قريش الكعبة من جبل حراء و من جبل ثبير و من المقطع، و من قافية الخندمة، و من جبل عند الثنية البيضاء فى طريق جدة، و من جبل بأسفل مكة يقال له مقلع الكعبة، و من مزدلفة من حجر بها يقال له المفجر كما فى تاريخ الأزرقى، و فيه قال مسلم بن خالد: و لم يثبت أنها بنيت من غير هذه الأجل.

### مميزات بناء قريش

- ١- بنت قريش الكعبة المعظمة قبل بعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم بخمس سنين على الأشهر.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٠
- ٢- كان عليه الصلاة و السلام، بينى معهم و يحمل الحجارة على عاتقه.
- ٣- و بنت قريش الكعبة المعظمة على أساس بناء إبراهيم عليه الصلاة و السلام.
- ٤- و نقصوا من عرض الكعبة من جهة حجر إسماعيل ستة أذرع و شبرا، كما هى عليه اليوم.
- ٥- و زادوا فى ارتفاعها من الأرض إلى السماء فصار ثمانية عشر ذراعا.
- ٦- و جعلوها مدورة من جهة حجر إسماعيل فقط كما كانت فى بناء إبراهيم عليه السلام.
- ٧- و أبقوا فيها جب و خزانتها كما كانت.
- ٨- و أداروا على حجر إسماعيل جدارا قصيرا، و كان فى بناء إبراهيم من شجر الأراك.
- ٩- و رفعوا باب الكعبة عن الأرض و كبسوه بالحجارة، حتى لا تدخلها السيول و لا يدخلها كل إنسان.
- ١٠- و جعلوا بابها مصراعا واحدا يقفل و يفتح.
- ١١- و جعلوا لها سقفا و ميزابا لتصريف مياه الأمطار من سطحها يكون مصبها فى الحجر.
- ١٢- و جعلوا فى داخل الكعبة ست دعائم فى صفيين فى كل صف ثلاث دعائم من الشق الشامى الذى فيه حجر إسماعيل إلى الشق اليمانى.
- ١٣- و جعلوا فى داخلها من الركن الشامى درجة من خشب من الركن الشامى يصعد فيها إلى ظهرها.
- ١٤- و بنوها بالطين و كانت من قبل مبنية بالرضم، بناها لهم باقوم الرومى، و كسوها كسوة جميلة، و كانت الكسوة على الكعبة من قبل هذه البناية و من بعدها.
- ١٥- و زوقوا سقفيها و جدرانها من بطنها و دعائمها، و رسموا فى دعائمها صور الأنبياء و الملائكة و الشجر، فلما كان يوم الفتح أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بطمس تلك الصور فطمست.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤١

### ترجمة الوليد بن المغيرة المخزومي

الوليد بن المغيرة هو عم أبى جهل، كان من عظماء قريش و كان ميسور الحال فى سعة من العيش مات كافرا، و لما بنت قريش الكعبة و هابوا من هدمها، كان هو أول من بدأ فى هدمها، فأخذ المعول ثم قام على الكعبة و هو يقول: اللهم لم ترع اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس فى تلك الليلة و قالوا: ننظر إن أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت، و إن لم يصبه شىء فقد رضى الله ما صنعنا فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم و هدم الناس معه، و هو الذى قال: يا معشر قريش لا

تدخلوا في بنیان الكعبة من كسبكم إلا طيبا، لا يدخل فيها مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس. وقيل: قائل ذلك هو أبو وهب بن عمرو ابن عائذ وهو خال عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم.

ولما بعث الله عز وجل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وجهر بالدعوة إلى عبادة الله تعالى وترك الأصنام، ناصبته قريش العداوة واستهزؤا به وآذوه، فكان منهم الوليد بن المغيرة المذكور، ومن العجيب أنه كان عاقلا- فطنا ذكيا لبيبا، ومع ذلك لم يرشده عقله إلى الخير والمبادرة إلى الإيمان بالله ورسوله. لقد سمع مرة القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقومه بنى مخزوم: والله لقد سمعت من محمد آفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلو ولا يعلو.

فقال قريش: صبأ والله الوليد، لتصبأ قريش كلها، فقال أبو جهل أنا أكفيكموه، فتوجه وقعد حزينا وكلمه بما أحماه، فقام الوليد فأتاهم فقال:

تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يهوس، وتقولون أنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن، وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى الشعر قط، وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب؟ فقالوا في كل ذلك: اللهم لا، ثم قالوا فما هو؟ ففكر قليلا ثم قال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، فارتج النادى فرحا.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٢

إن الوليد لو مضى على تأمله وتفكره لهداه عقله إلى الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن استحوذ عليه الشيطان فنكص على عقبيه واستمسك بدين قومه، واشتدت عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكثر فساده وصد عن سبيل الله فضل وأضل ولذلك اشتد غضب الله عليه فأنزل في شأنه بعض آيات في سورة المدثر، فقال عز شأنه وجل جلاله: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَدْتُ لَهُ تَمَهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا سَأُرْهِقُهُ صَيْهُودًا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ سَأُضِلُّهُ سَيِّقَرًا وَأَنْزَلَ أَيْضًا فِي حَقِّهِ بَعْضَ آيَاتِ فِي سُورَةِ الْقَلَمِ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلْفٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنِيمٍ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ.

لم يزل الوليد بن المغيرة على كفره وطغيانه، لا يرتدع ولا يعتبر ولا ينزجر ولا يفتكر، حتى وافاه الأجل المحتوم وأنه لما حضرته الوفاة جزع جزعاً شديداً، وكان عنده أبو جهل، فقال له ما جزعك يا عم؟ فقال الوليد: والله ما بي من جزع من الموت ولكن أخاف أن يظهر دين ابن أبي كبشة، فقال له أبو سفيان:

لا تخف، إني ضامن أن لا يظهر. ثم مات الوليد وكان موته بمكة في السنة الأولى من الهجرة.

فانظر عافانا الله وإياك من الأمراض الظاهرة والباطنة والحسية والمعنوية، إلى هذا الضلال المبين الذي ذهب إليه الوليد بن المغيرة، وإلى عظيم كفره وشدة كراهيته لدين الإسلام، ولرسول السلام إلى جميع الأنام، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام أنه في حال احتضاره لا يجزع لموته ومفارقة أهله وأولاده، ولكنه يجزع ويخاف من ظهور الإسلام، إنه يصرح بذلك في لحظة مفارقتة للدنيا، بدلا من أن يندم ويتوب ويستغفر، فالحمد لله الذي شرح صدورنا للإسلام وزين في قلوبنا الإيمان والخير والتقوى، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونيك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٣

### ترجمة قريش

العرب صفوة البشر وقريش قلب العرب وصفوتها، ولا يمكننا الإسهاب في بيان فضلها وأنسائها وقبائلها، لأن ذلك يحتاج إلى

مؤلف خاص، و إنما نذكر عن قريش نبذة يسيرة لمناسبة بنائها الكعبة المشرفة ملخصا من كتاب العقد الفريد وغيره فنقول:  
كانت قريش تدعى النضر بن كنانة، و كانوا متفرقين في بني كنانة، فجمعهم قصى بن كلاب الجد الرابع للنبي صلى الله عليه و سلم  
من كل أوب إلى البيت فسموا قريشا، و التقریش: التجميع، و يسمى لذلك قصى بن كلاب مجمعا، قال فيه الشاعر:

قصى أبو كم من يسمى مجمعا به جمع الله القبائل من فهم

و كانت قريش تسمى آل الله و جيران الله و سكان الله، و فى ذلك يقول عبد المطلب بن هاشم:

نحن آل الله فى ذمته لم نزل فيها على عهد قدم

إن للبيت لربا مانعا من يرد فيه يا ثم يخترم

لم نزل لله فىنا حرمة يدفع الله بها عنا النقم

و لقد ورد فى فضل قريش جملة أحاديث منها: قوله صلى الله عليه و سلم: «الأئمة من قريش أبرارها أمراء أبرارها، و فجارها أمراء  
فجارها، و إن أمرت عليكم قريش عبدا حبشيا مجدعا فاسمعوا له و أطيعوا ما لم يخير أحدكم بين إسلامه و ضرب عنقه، فإن خير بين  
إسلامه و ضرب عنقه فليقدم عنقه». رواه الحاكم فى المستدرک و البيهقى فى سننه.

و قوله عليه الصلاة و السلام: «قدموا قريشا و لا تقدموها» و قوله صلوات الله و سلامه عليه: «إن الله تعالى اصطفى من ولد إبراهيم  
إسماعيل، و اصطفى من ولد إسماعيل كنانة، و اصطفى من كنانة قريشا، و اصطفى من قريش بنى هاشم، و اصطفانى من بنى هاشم» و  
قوله عليه الصلاة و السلام: «إن الله تعالى خلق الخلق فجعلنى فى خير فرقهم و خير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلنى فى خير قبيلة ثم  
تخير البيوت فجعلنى فى خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا و خيرهم بيتا».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٤

هذا و لقد حضر رسول الله صلى الله عليه و سلم بناء قريش الكعبة، فكان ينقل الحجارة مع قريش، كما حضر بناءها نخبة من رؤساء  
قريش و وجهائها منهم الوليد بن المغيرة، و هو أول من علا الكعبة و هدمها و قال: اللهم إنا لا نريد إلا الإصلاح، ثم تبعته قريش  
فهدموا معه بعد أن هابوا هدمها أولا، و أبو جهل و قد حضر بناء ابن الزبير أيضا و ستأتى ترجمته، و العباس ابن عبد المطلب، و أبو  
أمية بن المغيرة، و عتبة بن ربيعة، و أبو زمعة بن الأسود ابن المطلب، و العاص بن وائل، و أبو حذيفة بن المغيرة، و أبو وهب بن عمرو  
ابن عائد بن عمران بن مخزوم، و أبو سفيان، و أبو أحيحة سعيد بن العاص.

و غيرهم ممن لم نبحت عن أسمائهم حيث لم نقصد حصرهم، و إنما ذكرنا هؤلاء للعلم بهم فى الجملة، و لم نتعرض لتراجمهم حتى  
لا يطول بنا الكلام.

و فى الأزرقى كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لعثمان بن طلحة يوما و هو بمكة يدعو إلى الإسلام و مع عثمان مفتاح الكعبة  
فقال صلى الله عليه و سلم: «لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أصنعه حيث شئت» فقال عثمان: لقد هلك قريش يومئذ و ذلت.  
فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «بل عزت و عمرت يومئذ يا عثمان» اه.

ثم لما كان يوم الفتح أخذ صلى الله عليه و سلم المفتاح من عثمان بن طلحة ففتح الكعبة و دخلها ثم لما خرج و المفتاح فى يده دعا  
عثمان و دفعه إليه و قال: خذوها يا بنى طلحة تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم.

و لما غزا رسول الله صلى الله عليه و سلم الطائف و حاصرها ثم رجع قبل فتحها طلب منه بعض الصحابة أن يدعو على ثقيف فقال:  
(اللهم اهد ثقيفا و ائت بهم مسلمين).

و مثل ذلك فى قريش اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون. و مثله حين فتح مكة بل عزت قريش.

كان باقوم الرومي نجارا بانيا يتجر جهة ساحل عدن، فحمل في سفينة خشبا فلما وصل إلى الشعيبة قبل جدة تبعد عنها مرحلتين، و هي معروفة إلى اليوم، انكسرت السفينة فسمعت بها قریش فاشترى خشبها لسقف الكعبة، و أدنوا لأهلها أن يدخلوا مكة لبيعوا ما معهم من المتاع على أن لا يعشروهم، و اتفقوا مع باقوم أن يقدم معهم مكة و بينى لهم الكعبة بنيان الشام، فلما بنوا الكعبة و بلغوا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٥

السقف قال لهم باقوم: أتجربوا أن تجعلوا سقفها مكبسا أو مسطحا فقالوا: بل ابن بيت ربنا مسطحا فبنوا مسطحا، و معنى مكبسا: محدبا كالقبة.

هذا جزء من ترجمة باقوم الرومي، ثم رأينا أن الأستاذ الكبير وزير المعارف المصرية الأسبق، قد كتب عن «باقوم الرومي» قصة طريفة حلوة بقلمه البليغ و بلون من الأدب الرفيع، في الجزء الثاني من كتابه «على هامش السيرة» بعنوان «حديث باخوم» بالخاء المعجمة.

قال حفظه الله تعالى بعد أن ذكر في الحكاية ما دار من الحديث بين القوم و القسيس عند اجتماعهم للسمر جزءا يسيرا ما يأتي: و هنا تكلم «باخوم» فخفت الأصوات و أنصت الناس، و كان «باخوم» شيخا من شيوخ القرية، قد عرف بطول الصمت خارج الكنيسة و كثرة الصلاة إذا كان فيها، كما عرف بالوقار و الأناة إذا تحرك أو تكلم، و كما عرف بهذه الهيبة التي كانت تفيض على وجهه، و هذه المحبة التي كانت تجذب إليه الناس.

و كان «باخوم» رجلا- قد طوف في الأرض أول شبابه فأكثر التطويف و لم يكن يلم بقريته إلا ليمكث فيها العام أو بعض العام، ثم يرحل عنها فيغيب عنها الأشهر حيناً، و العام حيناً آخر، و ربما امتدت غيبته فبلغت العامين، و لكنه كان ينتهي دائما بالعودة إلى قريته و الإقامة فيها حيناً. و كان لا يعود إلا و معه فضل من مال يبر به خاصته و ذوى قرباه، و يحسن به إلى الفقراء و البائسين، و شىء من الطرف النادرة يتحف به الأغنياء و أصحاب اليسار.

و كان قد نشأ عاملا- يرافق البنائين حتى تعلم صناعتهم، و أحسن من فنونهم ما يحسن أهل القرى، و كان ذلك لم يكفه و لم يغنه، فارتحل إلى المدن فوجد فنه شيئا، ثم أخذ يتنقل بفنه من مدينة إلى مدينة، و من إقليم إلى إقليم حتى جاب أرض مصر كلها. و كان كلما أحسن من فنه شيئا طمع في أن يضيف إحسانا إلى إحسان، و يرقى بفنه من طور إلى طور، حتى تسامع الناس به، و دعاه الأغنياء و أصحاب الثراء، في إقليمه و في غير إقليمه ليشرف على ما كانوا يريدون أن يشيدوا من الدور و القصور و كأنه قد عرف ما كان عند المصريين من فن البناء، و حذق من ذلك ما كانوا يحذقون. ثم لم يكفه ما عرف، و لم يرضه ما أتقن فأبعد في الرحلة و تجاوز مصر إلى غيرها من البلاد المجاورة، و لكنه استبقى عادته و حفظ لقريته عهدا، فكان يبعد في الرحلة و يطيل الغيبة حتى يستئس أهل القرية من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٦

عودته، و يظنوا أنه قد هلك في بعض الطريق، أو عدت إليه عاديات الدهر في بعض أقطار الأرض، و لكنهم يرونه ذات يوم و قد أقبل عليهم مع الصباح أو مع المساء، هادئ النفس دائما و قورا في حركاته و كلامه دائما، طويل الصمت خارج الكنيسة كثير الصلاة إذا كان فيها، يحمل فضلا من مال يبر به الفقراء و البائسين، و شيئا من الطرف يتحف به الأغنياء و الموسرين، و قد كان أول أمره يحب الفن و يكلف بالعمارة و البناء و لكن إلحاحه في السفر و تجويبه للآفاق قد أضافا إلى هذا الحب الفن شيئا آخر، هو حب الرحلة في نفسها و الكلف بزيارة البلاد المختلفة و الإمام بالأجيال المتباينة من الناس.

فكان يرحل للبناء أول الأمر، ثم أصبح يرحل لا- لشىء إلا لأن نفسه لا تستطيع أن تسلو عن الرحيل، و كان في أول أمره ينتهز الفرص و يتلمس العلل و المعاذير لما كان يزعم من رحلة أو يعتزم من سفر، فكان يصحب القوافل إلى هذا الوجه أو ذاك من وجوه الأرض. و لكنه انتهى آخر الأمر إلى أن يستقل بتدبير أمره و يهوى أسفاره لا يلتمس لذلك علة و لا ينتحل له معذرة، و لا يصحب هذه القافلة أو تلك، و إنما يعود من رحلة إلى بلده فلا يكاد يستقر في قريته حتى ينبئ الناس بأنه مرتحل إلى بلد آخر، يسميه لهم

تسمية العالم به الملم من أمره بما لا يعرفون.

وقد عاد إليهم ذات مرة من بعض أسفاره في بلاد الروم، فلما أقام فيهم شهرا أو بعض شهر أنبأهم بأنه يريد أن يركب هذا البحر الذى لا يركبه الناس إلا قليلا، وأن يرى ما ينبث على سواحل من المدن، ومن يعيش حوله من أجيال الناس، وقد سمع من أمر هذه الأجيال و تلك المدن أعاجيب، منها ما يقبله العقل ومنها ما لا يستطيع الإنسان له تصديقا. وهو يعلم على كل حال أن شرقى هذا البحر و غير بعيد من ساحله تقوم مدينة قديمة، يسكنها قوم صالحون يعرفون المسيح و يؤمنون به و يخلصون لدينه، و قد امتحنوا فى دينهم بأعظم الشر و أشنع النكر فصبروا على المحنة و ثبتوا للخطب و اصطلوا النار التى حرقهم بها اليهود تحريقا. و هو يعلم أن قيصر قد رق لهؤلاء الناس و غضب لما أصابهم من الشر، فأنجدهم و أغاثهم و ثار لهم من اليهود. و هو يريد أن يزور هذه المدينة، و يرى هؤلاء الناس الصالحين الذين عذبوا فى الدين، و يود لو استطاع أن يقيم لهم كنيسة و يترك فى مدينتهم تلك أثرا يتقرب به إلى الله.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٧

و كان أهل القرية يسمعون حديثه، فمنهم من يزين له المضى فيما عزم عليه، و منهم من يصدده عن ذلك و يرغبه فى لين العيش و استقرار الحياة، و لكنه كان يسمع لأولئك و لهؤلاء، و لا يرد على أولئك و لا على هؤلاء رجح الحديث، و إنما كان يمشى فى تدبير أمره كما قدر هو أو كما قدر الله له، لا كما أرادته الناس عليه.

و أصبح القوم ذات يوم فإذا «باخوم» قد تهيأ للرحلة كما تعود أن يفعل و إذا هو يفارقهم، فتتصل غيبته و تتصل، و تمضى الأعوام دون أن يسمعوا من أمره شيئا، حتى يستيسوا من عودته ثم تمضى الأعوام و قد تسلوا عنه و كادوا ينسونه، و جعلوا لا يتحدثون عنه إلا قليلا، و جعلوا إذا ذكروه رقت أحاديثهم عنه، و حسن ذكروهم له، و كثر إشفاقهم عليه كدأب الناس حين يذكرون فقيدا كريما كانوا يحبونه و يؤثرونه، ثم حالت بينهم و بينه الخطوب، فأخذوا يتعزون عنه و يذكرونه ذكرا جميلا.

ثم يتسامع أهل القرية ذات يوم بأن «باخوم» قد عاد إليهم بعد أن غاب عنهم عشر سنين، فينكرون أول الأمر ثم يعرفون بعد أن يروا صاحبهم كعهدهم به إلا أن السن قد تقدمت به، و ظهر أثر ذلك فى هذا الشيب الذى جلل رأسه، و فى هذا الهدوء الذى عظم حظه منه، و فى هذا الصمت الذى اشتد إمعانه فيه، و فى شىء آخر جديد لم يكونوا ينتظرونه منه، و هو إعلانه إليهم أنه لن يرحل عن قريته بعد هذه المرة، بل سيظل بينهم يشاركهم فى الحياة حتى يقضى الله فيه بما يشاء.

و كان أهل القرية يكلفون بحديث «باخوم» و يشغفون بالاستماع له، و ليس من شك فى أن أولى الجدد منهم كانوا ينتظرون أن تنقضى هذه الدعابة بين الفتیان و أبيهم القسيس الشيخ ليطلبوا إلى «باخوم» أن يطرفهم بشىء من أبناء رحلته الطويلة الأخيرة فإنه لم يقص عليهم منها شيئا.

و لم يطمئن أهل القرية قط إلى محدث أو قاص كما اطمأنوا إلى هذه الرحالة من أبناء قريتهم، فقد كانوا يعرفون فيه الصدق و الأمانة و التواضع و الاعتدال و لم يعرفوا قط أنه تزيد أو تكثر أو اعتر بما رأى أو شهد و ما كان أكثر ما رأى و ما شاهد فلما سمع أهل القرية صوته تدانوا منه، و أصغوا إليه، و كف الفتیان عن دعابته و رددوا ضحكهم إلى صدورهم و لم يتموه.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٨

و كان «باخوم» يتكلم بصوت هادئ غليظ بعض الشىء، عميق أشد العمق كأنه يأتى من أقصى ضميره، فكانت الكلمات التى يحملها هذا الصوت الرزين العميق إلى آذانهم لا تكاد تبلغ آذان القوم حتى تنفذ منها مسرعة إلى قلوبهم، و تستقر فيها و تملؤها عجا و إعجابا، قال باخوم: «أما أنا فقد رأيت الشيطان، ما أشك فى ذلك و لا أرتاب و رأيت فى قصة غريبة وقعت لى فى رحلتى هذه الأخيرة منذ عامين» و سكت قليلا، ثم استأنف حديثه قائلا: «نعم منذ عامين، و قد امتلأت بها نفسى حتى كأنها لم تقع إلا أمس و قد اتصل بها قلبى فطمع فى تجدها أشد الطمع، و رجا تكررهما أشد الرجاء، حتى كأنها ستكون غدا، و هى آخر ما رأيت من أسفارها من عجيب الأمر، و ما أرى إلا أنها آخر ما سارى فى حياتى من عجيب الأمر، إلا أن تمتد بى الأيام إلى أكثر مما أقدر و ما يقدر

أمثالي لأنفسهم من السن.

«و ما أشد ما أتمنى ذلك، و ما أشد ما أحرص عليه، لا لأنى أحب الحياة أكثر مما يحبها الناس، أو أرغب فى البقاء أكثر مما يرغب فيه الناس، بل لأنى موقن بأن لهذه القصة شأنًا، و بأنها قد أنبأت عن شىء سيكون، و ما أشد شوقى إلى أن أشهد تحقيق هذا النبأ، و ظهور هذا الحدث العظيم».

و تصور أيها القارئ أثر هذه الجمل التى كانت تصدر عن «باخوم» ملتبهًا، فتحرق قلوب المستمعين له تحريقًا، تصور أثر هذه الجمل فى تشويق أهل القرية إلى هذه القصة التى سيطرفهم بها هذا الشيخ. و إنهم ليريدون أن يتعجلوه، و لكنه مطرق مغرق فى الصمت، و قد اتصلت أبصارهم به، و تعلقت قلوبهم بشفتيه، و لبث هو على صمته حينًا، و قد سكن الليل و سكت النسيم، كأنما تريد الأرض و السماء و هذه النجوم المتألقة، و هذا النيل الذى يسعى هادئًا من بعيد، أن تستمع له و تستمتع بحديثه، كما يستمع له هؤلاء الفلاحون فى قرية من قرى الصعيد.

قال باخوم بعد ساعة: «كان ذلك منذ عامين حين انتهت بى الأسفار إلى مكة، تلك القرية التى تسمعون ذكرها أحيانًا حين تفد علينا قوافل قريش تحمل إلى مصر تجارة اليمن و الهند. فقد ألممت بها، و إن لى من أهلها لبعض الصديق و كنت أريد أن أفضى فيها أشهرًا ثم أرحل مع قافلتهم إلى اليمن لأبلغ تلك المدينة الصالحة التى يسكنها قوم صالحون قد فتنوا فى المسيح، فصبروا على الفتنة، و كنت أريد أن أقيم لهم كنيسة و أترك فيها أثرًا باقيا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٩

«فما أفضى فى مكة شهرًا و بعض الشهر حتى يتوسل إلى بعض الصديق من قريش فى أن أبنى له دارًا، فلا أمتنع عليه، و إنما أجيئه إلى ما أراد و فاء ببعض ما بيننا من المودة، و أداء لبعض ما لهؤلاء الناس على من حق. و قد صحبتهم فى سفر شاق بعيد فحمنى و حاطونى و رفقوا بى و وفوا لى بدمتهم، و أكدوا لى صادقين أنهم سيبلغونى نجران إذا ارتحلوا إلى اليمن، و سيردونى إلى ما منى إذا عادوا إلى بلاد الروم، فلم يكن بد إذا من أن أستجيب لصديقى فأقيم له داره التى أراد أن يبنها.

و ما هو إلا- أن يكون التنافس بين القوم فهؤلاء نفر من سراتهم و عظمائهم يتوسلون إلى فى مثل ما توسل إلى ذلك الصديق فيه و كلهم يعظم لى الأجر، و يهدى إلى ما استطاع من الخير. و إنى لفى ذلك أجيب منهم من أستطيع إجابته راضيا مسرورا بإرضاء هؤلاء القوم الكرام، و بمعاودة المهنة بعد أن طال إهمالى لها و اعراضى عنها، و إذا خاطر يخطر للملأ من قريش ذات ليلة و هم يسمرون فيفكرون فيه ثم يفكرون ثم يستأنفون به، ثم يعودون إليه، ثم يؤخرونه ثم يستأنفون النظر فيه، ثم يفضون إلى به على أنه شىء يريدونه و تتمناه قلوبهم و لكنهم لا يجروون عليه. يشفقون أن يكون فى الإقدام عليه ما يغضب آلهتهم، و يجر عليهم ما يكرهون. رأوا بيتهم ذاك الذى يقصدونه و يعبدون ربهم فيه قد طال عليه العهد و بعدت به الأيام، و ظهر عليه الوهن، و تعرض لأخطار السيل، و اجترأ عليه اللصوص فسرقوا بعض ما فيه من متاع فتساءلوا ألا يكون من الخير أن يهدموا بناءه هذا القديم و يقيموا لربهم بيتًا جديدًا فخما متينًا، يلائم مكانته فى قلوبهم، و يلائم ثروتهم هذه التى تزداد من يوم إلى يوم، و يلائم هذه الدور التى أخذوا يقيمونها لأنفسهم فخمة متينة، قد يسرت لهم فيها أسباب الترف و النعيم، و لكنهم يفكرون و لا يعزمون يخشون ألا يرضى ربهم عما لا بد لهم منه من هدم البيت إن أرادوا له تجديدًا و كان يزيد خوفهم و إشفاقهم و يملأ قلوبهم فزعًا و هلعا كلما هموا بالإقدام أن حية كانت تظهر كل يوم فتسعى على جدران البيت صاعدة هابطة دائرة من حوله. و كان منظرها بشعا مخيفًا، و كانت إذا دنا منها و إن اتخذت شكلا رهيبًا، لا يراه من يدنو منها حتى يرتد عنها مذعورا. فكانوا يخشون أن تكون هذه الحية حارسا لهذا البناء و كانوا يقدرون أنهم إن أتموا رأيهم و أنقذوه لم يدنوا من البيت ليأخذوا فى الهدم حتى تردهم عنه مدحورين و إنهم لفى أنديتهم حول البيت ذات يوم و إذا الحية قد خرجت من مخبئها و جعلت تزحف كدأبها، و جعلوا هم ينظرون إليها مروعين، و إذا عقاب تهوى من السماء فتأخذ

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٠

الحيه من ذنبا، ثم ترتفع بها فى السماء و هم ينظرون و يعجبون، و قد غابت عنهم العقاب. فما يشكون فى أن ربهم قد أذن لهم فى أن ينفذوا ما عزموا عليه و قد أحسوا بعد هذا الحادث شجاعة و إقداما، و جعلوا يدبرون أمرهم بينهم، و يدبرون ما لا بد من تدبيره لبناء هذا البيت.

«و إنهم لفى ذلك و إذا الأنباء تصل إليهم ذات صباح بأن سفينة من سفن الروم قد طغى عليها البحر، و عبث بها الموج، و قصفت بها الريح ثم دفعتها إلى الساحل القريب، فيسرعون إلى البحر، و أسرع معهم، و يرون السفينة و قد عطبت، و اضطر أهلها من الروم و المصريين إلى أشد الخوف و أعظم الهلع، لأنهم دفعوا إلى غير مأمّن و وقعوا إلى أرض ليس لهم فيها جار. و لكن قريشا يلقون أصحاب السفينة أحسن لقاء و يؤمنونهم على أنفسهم و أموالهم، و لا يرضون حتى يشتروا منهم هذه السفينة التى أدركها القطب، و يقولون لى: «إنا نستطيع أن نتخذ من خشب هذه السفينة لبيت ربنا سقفا» و لم يرتابوا بعد ذلك فى أن ربهم قد أذن لهم بهدم البيت و تجديده، ألم يرسل العقاب إلى تلك الحيه فتخطفها، ألم يرسل إليهم هذه السفينة منها للبيت سقفا، ألم يرسلنى إليهم لأبنى لهم هذا البيت كما نقيم البناء فى مدن الروم، و كذلك تمت كلمتهم على إنفاذ ما دبروا. و لم أتردد أنا فى أن أكون من بناء البيت عندما يحبون. و كنت أنظر إليهم و إلى ما كانوا يرون و يقدرون فى شىء من العطف عليهم و الابتسام لهم، فهم أصحاب سذاجة لم يألفوا من الحضارة ما ألفنا، و لم يلبوا من خطوب الأمام ما بلونا.

فأيسر شىء يذفهم إلى التفاؤل، و أيسر شىء يردهم إلى التشاؤم، و أيسر شىء يدعوهم إلى الإقدام، و أيسر شىء يضطرهم إلى الإحجام. و لكنى لم ألبث أن أحسبت ما يحسون من روع، و شاركتهم فيما كان يملك قلوبهم من تردد و اضطراب. حضرتهم ذات يوم و قد أظافوا ببيتهم و جعل بعضهم يؤكد لبعض تقادم العهد به، و إلحاح الزمان عليه، و حاجته إلى التجديد. و يسعى شيخ من شيوخهم حتى يمس حجرا من أحجار البيت ناتئا بعض الشىء فيجذبه بيديه فيجذب، و قد بعد الشيخ بهذا الحجر عن البيت شيئا و هو يحمله فى يده. و لكن ماذا نرى؟ نرى هذا الحجر يفصل عن يد الشيخ، و يمضى وحده فى الهواء حتى يرتد إلى مكانه من البيت كأحسن ما يمكن أن يستقر فى موضعه. و لست أخفى عليكم أنى لم أكن أقل القوم ارتياعا و اضطرابا حين رأيت هذا المنظر البديع، بل ما أشك فى أنى كنت أشدهم ارتياعا و اضطرابا، و أعظمهم حيرة و أعجزهم عن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥١

الفهم و التأويل. ذلك أن هذا الحديث قد روعهم شيئا و لكنه لم يذهب بصوابهم و لم يخرجهم عن أطوارهم و ما أسرع ما فهموا و ما أحسن ما أولوا فقد قال قائلهم: «يا معشر قريش أقدموا على أمركم، و لكن احذروا أن تنفقوا فى هذا البناء ما لا جراما، لا تدخلوا فيه من كسبكم إلا طيبا. لا تدخلوا فيه مهر بغي، و لا بيع ربا، و لا مظلمة أحد من الناس».

«ثم غدوا إلى البيت يريدون هدمه، و قد صمموا على ذلك، و لكنهم على تصميمهم لا يجروون، فيندبون شيئا منهم فيرقى إلى البيت، و يبدأ فى الهدم و هو يقول فى لهجة ساذجة كان لها فى نفسى أبلغ الأثر و أبعده: «اللهم لا ترع، إنما نريد الخير». و كان القوم ينظرون إليه معجبين به، مشفقين عليه من إقدامه دون أن يشاركوه فيما أخذ فيه، و إنما أجمعوا أمرهم بينهم أن ينتظروا ليلتهم، حتى إذا أصبحوا رأوا، فإن كان قد نزل بالشيخ مكروه أو ألم به خطب، علموا أن ربهم غاضب، فأصلحوا ما هدم الشيخ و تركوا البيت على حاله. و إن غدا عليهم سالما موفورا علموا أن ربهم راض، فمضوا فى الهدم و أقاموا البناء.

و أصبح الشيخ سليما معافى، فقد أعلى عمله و غدوا معه حتى هدموا البيت.

ثم جعلوا يجمعون الأحجار يسعون فى جمعها بأنفسهم لا يستأجرون لذلك أحدا، و لا يكون ذلك إلى رقيق يرون النهوض بذلك حقا عليهم و شرفا يبقى لهم فى أعقابهم. و أخذت أنا أبنى لهم البيت أقيمه على أسسه القديمة التى لم يمسوها.

و لهم فى هذا البيت حجر يعظمونه و يكرمونه، و يرونه هبة لهم من ربهم فلما بلغ البناء إلى حيث يجب أن يوضع هذا الحجر اختلف القوم بينهم. أيهم يضعه موضعه، فكلهم ابتغى لنفسه هذه المأثرة، و كلهم حرص عليه أشد الحرص، و إذا اختلفهم يستحيل إلى

خصومة، و إذا خصومتهم تبلغ من الشر أقصاه، و إذا هم يتلاصون و يتناذرون و يؤذن بعضهم بعضا بالحرب، و قد وقف البناء، و فسد الأمر بين القوم فسادا عظيما، و أقاموا على ذلك أياما و ليالى، و تحالف بعضهم على الشر، فجاؤا بجفنة قد ملؤوها بالدم و غمسوا فيها أيديهم و هم يقسمون ليستأثرن بهذا الشرف أو ليموتن من دونه. ثم يجتمع الملاء منهم صباح يوم فيتناهون و يتناصحون، ثم يشير عليهم شيخ منهم بأن يحكموا فى هذه الخصومة أول داخل عليهم من باب من أبواب المسجد يسمونه باب بنى شيبه. فلا يلبثون أن يدخل عليهم من الباب رجل شاب لم يروا أجمل منه طلعه، و لا أعظم منه هيبه، و لا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٢

أحسن منه سيرة فى قومه. سمعت من أنبائه الشىء الكثير، و لكنى استيقنت أنه رجل عظيم الخطر حين رأيتهم ينظرون إلى مقدمه مبتهجين و يصيحون: «هذا الأمين، قد رضينا، هذا محمد قد سلمنا» ثم يعرضون عليه الخصومة، فما رأيت وقارا كوقاره، و ما رأيت أناة كأناته، و ما رأيت هدوءا كهدهوء نفسه و ما رأيت رجلا أرفق منه بقومه، و أعطف منه عليهم، و أثر منه لهم بالخير. و انظروا إلى قضائه فيهم، فسترون كما أرى أنه لم ينتج عن تفكير إنسان، و إنما كان إلهاما من الله.

«نزع الأمين رداءه فألقاه على الأرض، ثم وضع الحجر فى وسطه ثم قال لقومه: «ليتدب من كل ربع من أرباع قريش رجل» فلما اجتمع أربعة نفر يمثلون قومه كلهم، قال: «ليأخذ كل واحد منكم بزوايه من زوايا الرداء»، ففعلوا و اشتركت قريش كلها فى رفع الحجر، و تقسمت قريش كلها هذا الشرف العظيم قسمة سواء عدلا، حتى إذا انتهوا إلى البناء آثره ربه بخلاصة هذا الشرف و خير ما فى هذه المكرمة، ف يأخذ الحجر بيده و يضعه فى موضعه و القوم راضون فرحون قد اطمأنت قلوبهم إلى هذا العدل، و استبشروا بما كف عنهم من الشر، و بما عصم لهم من الأنفس و حقن لهم من الدماء و هنا استيقنت أنى رأيت رجلا- هو أحب خلق الله إلى الله و أكرمهم عليه. و لكنى لم ألبث أن رأيت شخصا يجب أن يكون أبغض خلق الله إلى الله، و شرهم عنده مكانه كان رجلا شيخا حسن الطلعة جميل المنظر، عليه وقار و له سمه، و لم أكن قد رأيته فى القوم قط و ما كان شكله ملائما لأشكالهم و لا زيه مشاكلا لأزيائهم و لكنى رأيته فجأة لا أدرى من أين جاء أنجم من الأرض أم هبط من السماء؟

أقبل هذا الشيخ النجدى يناول الأمين حجرا يثبت به الركن الأسود فى موضعه فيقبل رجل من عمومه الأمين فيأبى على هذا النجدى و ينحيه و يدفع إلى الأمين الحجر الذى يشد به البناء، هنالك غضب الشيخ النجدى فقال له الأمين:

«إنه ليس بينى معنا فى هذا البيت إلا من كان منا» فجعل النجدى يقول: «يا عجباً لقوم أهل شرف و عقول و سن و أموال عمدوا إلى أصغرهم سنا و أقلهم مالا، فرأسوه عليهم فى مكرتهم و حرزهم كأنهم خدم له أما و الله ليفوتنهم سبقا، و ليقسمن بينهم حظوظا و جدودا».

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٣

«و تسمع قريش حديث النجدى فتسخط عليه و تثور به، و تريد أن تلحق به الأذى، و لكننا نظر فلا نجد أحدا و نبحت فما نعرف إلى أين ذهب، كما لم نعرف من أين جاء».

و يقول قائلنا حين استأسنا منه: «هذا و الله إبليس أراد أن تكون له فى بيت ربنا يد، فرد عن ذلك مدحورا». ثم سكت «باخوم» و أطرق فأطال الإطراق، كأنه يستعيد فى نفسه هذه القصة التى سحر بها قلوب سامعيه و ألبابهم. و لكن القسيس الشيخ يسأل «باخوم» فى صوته الهادئ المحطم: «و نجران يا بنى أذهبت إليها، أأقمت فيها الكنيسة التى كنت تريد أن تقيمها؟ قال باخوم: «لا يا أبانا، قنعت ببناء هذا البيت لهذا الحى من قريش و ما أدرى لماذا استيقنت نفسى منذ ذلك اليوم بأن سيكون لهذا البيت و لهذا الأمين شأن»، قال القسيس: «فإنك تسمى هذا الأمين محمدا» قال باخوم: «نعم! يسميه قومه محمدا، و يسمونه أحمد و يكونونه أبا القاسم، و يتحدثون عنه بالأعاجيب» قال القسيس فى شىء من الحيرة و الدهول: «أحمد، أحمد» أليس يمكن أن يكون هذا النبى الذى بشر به المسيح؟

و تفرق القوم من ليلتهم، و إن فى قلب كل واحد منهم لأثرا قويا باقيا لهذا الحديث. قال محدثى: و العجب أن أكثر المصريين يجهلون



أن لهم في بناء الكعبة يدا و أنهم قد اشتركوا فيه، مع الأمين الذي أصبح بعد سراجا منيرا أخرج الله به الناس من الظلمة إلى النور. انتهى.

انتهت هذه القصة اللطيفة التي صاغها في قالب من «الأدب الرفيع» أديب الشرق و وزير المعارف المصريه سابقا الدكتور «طه حسين» و لقد رأيت أنه حفظه الله تعالى قد كتب في هذه القصة اسم «باقوم» الذي بنى الكعبة الغراء لقريش بالخاء هكذا «باخوم». فرأينا أن نتصل بحضرته لسؤاله عن هذا الاسم هل هو «باقوم» (بالقاف) أم «باخوم» (بالخاء)، فكتبنا إلى حضرته بمصر خطابا بذلك، فأجابنا بما يفيد أنه يجوز كتابة هذا الاسم بالخاء والقاف والكاف، و إليك نص خطابه نثبته هنا لما في ذلك من الفائدة الجليلة في هذا المعنى، و هو هذا:

سيدى الأستاذ الكريم

تلقيت كتابك الذى تسألنى فيه عن ذلك الذى بنى الكعبة لقريش و الذى سميته أنا (باخوم) و سماه مؤرخوا العرب (باقوم).

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٤

و لك الحق كل الحق فيما رويت عن مؤرخى العرب، و لكن هذا الاسم مصرى قديم عرفه التاريخ لأول مرة فى القرن الرابع للمسيح فهو أول من أنشأ نظام الاعتزال فى صحراء مصر و الانقطاع للعبادة المسيحية.

و اسمه فى لغة اليونانيين و الرومانيين «باكوموسى» بالكاف و عربه المؤرخون العرب بالقاف. و لكن الاسم شاع بعده فى مصر و لم يزل شائعا بين إخواننا المسيحيين الى الآن و المصريين يجعلونه «باخوم» يضعون الخاء موضع الكاف، و قد آثرت هذا الاسم لأنه عندى أقرب إلى النطق القبطى القديم و ملائم للنطق القبطى الشائع إلى الآن.

فاختر بين الكاف و الخاء و القاف إن شئت. فستكون إن شاء الله موفقا مقاربا. و أنا أرجو أن تتفضل فتقبل أصدق تحياتى.

فى ١٧ اكتوبر سنة ١٩٥٧ طه حسين

## البنية التاسعة: بناء عبد الله بن الزبير الكعبة

### إشارة

لا بد أن نأتى بمقدمه صغيرة عن خلافة و محاربة عبد الله بن الزبير، رضى الله عنه و عن أبيه أحد المبشرين بالجنة، ثم نأتى بتفصيل للكعبة المعظمة شرفها الله تعالى فنقول:

### حرب ابن الزبير رضى الله عنه

جاء فى كتاب «الإمامة و السياسة» ما يأتى:

قال: ذكروا أن مسلم بن عقبه لما فرغ من قتال أهل المدينة يوم الحره مضى إلى مكة المشرفة يريد ابن الزبير حتى إذا كان بقديد حضرته الوفاة فدعا الحصين بن نمير فقال له: إن أمير المؤمنين عصانى فيك فأبى إلا استخلافك بعدى فلا ترسلن بينك و بين قريش رسولا تمكنه من أذنيك إنما هو الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف. و هلك مسلم بن عقبه فدفن بالثنية قال: و سمع بهم عبد الله بن الزبير فأحكم مراصد مكة فجعل عليها المقاتلة و جاءه جنود أهل المدينة و أقبل ابن نمير حتى نزل على مكة و أرسل خيلا فأخذت أسفلها و نصب عليها العرادات و المجانيق و فرض على أصحابه عشرة آلاف صخرة فى كل يوم يرمونها بها فقال الناس:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٥

انظروه لئلا يصيبه ما أصاب الفيل. قال عبد الله بن عمرو بن العاص: و كان بمكة معتمرا قدم من الطائف لا تظن ذلك لو كان كافرا

بها لعوقب دونها فأما إذا كان مؤمنا بها فسيبتلى فيها فكان كما قال و حاصروهم لعشر ليال بقين من المحرم سنة أربع و ستين فحاصروهم بقيه المحرم و صفر و شهرى ربيع يغدون على القتال و يروحون حتى جاءهم موت يزيد بن معاوية فأرسل الحصين بن نمير إلى ابن الزبير أن ائذن لنا نطوف بالبيت و ننصرف عنكم فقد مات صاحبنا فقال ابن الزبير: هل تركتم من البيت إلا مدرة و كانت المجانيق قد أصابت ناحية من البيت الشريف فهدمته مع الحريق الذى أصابه قال: فمنعهم أن يطوفوا بالبيت فارتحل الحصين حتى إذا كان بعسفان تفرقوا و تبعهم الناس يأخذونهم حتى كانت الراعية من غنمها لتأتى بالرجل منهم مربوطا فيبعث بهم إلى المدينة و أصاب منهم أهل المدينة حين مروا بهم ناسا كثيرا فحبسوا بالمدينة حتى قدم مصعب بن الزبير عليهم من عند عبد الله بن الزبير فأخرجهم إلى الحره فضرب أعناقهم و كانوا أربعمائه و أكثر قال: و انصرف ذلك الجيش إلى الشام مغلولا و بايع أهل المدينة لابن الزبير بالخلافه و كان ابن عباس بمكة يومئذ فخرج إلى الطائف فهلك بها سنة سبعين و هو يومئذ ابن أربعة و سبعين سنة رضى الله عنه. انتهى من كتاب الإمامة و السياسة.

### حرب ابن الزبير و قتله

و جاء فى «كتاب الإمامة و السياسة» أيضا ما يأتى:

قال: و ذكروا أنه لما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان من أهل العراق و أتاه الحجاج بن يوسف فقال: يا أمير المؤمنين إنى رأيت فى المنام كأنى أسلخ عبد الله بن الزبير فقال له عبد الملك: أنت له فاخرج إليه فخرج إليه الحجاج فى ألف و خمسمائة رجل من رجال أهل الشام حتى نزل الطائف و جعل عبد الملك يرسل إليه الجيوش رسلا حتى توافى الناس عنده قدر ما يظن أنه يقدر على قتال عبد الله بن الزبير و كان ذلك فى ذى القعدة سنة اثنتين و سبعين فسار الحجاج من الطائف حتى نزل منى فحج بالناس و عبد الله بن الزبير محصور بمكة ثم نصب الحجاج المنجنيق على أبى قبيس و نواحي مكة كلها فرمى أهل مكة بالحجارة. فلما كانت الليلة التى قتل فى صبيحتها جمع عبد الله بن الزبير القرشيين فقال لهم: ما ترون؟

فقال رجل منهم من بنى مخزوم: و الله لقد قاتلنا معك حتى ما نجد مقاتلا لئن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٦

صبرنا معك ما نريد على أن نموت معك و إنما هى إحدى خصلتين إما أن تأذن لنا فنأخذ الأمان لأنفسنا و لك و إما أن تأذن لنا فنخرج فقال عبد الله: قد كنت عاهدت الله أن لا يبايعنى أحد فأقبله بيعته إلا ابن صفوان. قال ابن صفوان: و الله إنا لنقاتل معك و ما وفيت لنا بما قلت و لكن خذنى لحفيظه أن لا أدعك عند مثل هذه حتى أموت معك فقال رجل آخر: اكتب إلى عبد الملك. فقال له عبد الله:

و كيف؟ أأكتب إليه من عبد الله أبى بكر أمير المؤمنين فو الله لا يقبل هذا منى أبدا أم أكتب إليه لعبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير، فو الله لأن تقع الخضراء على الغبراء أحب إلى من ذلك. قال عروة أخوه و هو جالس معه على السرير: يا أمير المؤمنين قد جعل الله لك أسوة فقال له عبد الله: من هو أسوتى. قال:

الحسن بن على بن أبى طالب، خلع نفسه و بايع معاوية فرفع عبد الله رجله و ضرب عروة حتى ألقاه ثم قال: يا عروة قلبى إذا مثل قلبك و الله لو قبلت ما تقولون ما عشت إلا قليلا و قد أخذت الدنيا و ما ضربته بسيف إلا مثل ضربته بسوط لا أقبل شيئا مما تقولون. قال: فلما أصبح دخل على بعض نسائه فقال:

اصنعى لى طعاما فصنعت له كبدا و سناما قال: فأخذ منها لقمه فلاكها ساعة فلم يسغها فرماها و قال: اسقونى لبنا فأتى بلبن فشرب ثم قال: هيئوا لى غسلا قال:

فاغتسل ثم تحفظ و تطيب ثم تقلد سيفه و خرج و هو يقول:

و لا ألين لغير الحق أسأله حتى يلين لضرر الماضغ الحجر

ثم دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق و هي عمياء من الكبر قد بلغت من السن مائة سنة فقال لها: يا أماه ما ترين قد خذلني الناس و خذلني أهل بيتي؟

فقلت: يا بني لا يلعبن بك صبيان بني أمية، عش كريما و مت كريما. فخرج فأسند ظهره إلى الكعبة و معه نفر يسير فجعل يقاتل بهم أهل الشام فيهمهم و هو يقول: و يلمه فتحا لو كان له رجال. قال: فجعل الحجاج يناديه قد كان لك رجال و لكنك ضيعتهم. قال: فجاءه حجر من حجارة المنجنيق و هو يمشى فأصاب قفاه فسقط فما درى أهل الشام أنه هو حتى سمعوا جارية تبكي و تقول: وا أمير المؤمنين فاحتروا رأسه فجاؤا به إلى الحجاج و قتل معه عبد الله بن صفوان بن أمية و عمارة بن عمرو بن حزم ثم بعث برؤوسهم إلى عبد الملك و قتل لسبع عشرة ليلة مضي من جمادى الأولى سنة ثلاث و سبعين. قال أبو معتر: ثم أقام الحجاج بالمدينة عاملا عليها و على مكة و الطائف ثلاث سنين يسير بسيرته فيما يقولون قال: فلما مات بشر بن مروان و كان على الكوفة و البصرة كتب إليه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٧

عبد الملك أن سر إلى العراقيين و احتل لقتلهم فإنه قد بلغني عنهم ما أكره و استعمل عبد الملك على المدينة يحيى بن حكيم بن أبي العاص. انتهى من الكتاب المذكور.

جاء في كتاب الأدب الجديد بصحيفة ١٦٤ ما نصه:

بويج عبد الله بن الزبير بالخلافة بعد موت يزيد و أنشأ حزبا سياسيا له مكانته أرب الأمويين و خضع له الحجاز و اليمن و مصر و العراق و كاد يتم له في الشام، و بقى عبد الله خليفة تسع سنين يولى الولاية، و يجبي الخراج، و كان أخوه مصعب سنده الأول، و آثر بقاء الحكومة في الحجاز مسaire للخلفاء الراشدين و ظل كذلك حتى تولى الخلافة عبد الملك بن مروان فذهب بنفسه إلى العراق و قتل مصعب ابن الزبير، و سير الحجاج بن يوسف إلى الحجاز فحاصر عبد الله حتى قتل سنة ٧٣ هجرية. انتهى من الكتاب المذكور.

### الحرب بالمنجنيق

جاء في كتاب التراتيب الإدارية في الجزء الأول ما نصه: قال الخفاجي في نسيم الرياض: المنجنيق (بفتح الميم) آلة لرمى العدو بحجارة كبيرة بأن يشد سوار مرتفعة جدا من الخشب يوضع عليها ما يراد رميه ثم تضرب سارية توصله لمكان بعيد جدا و كانت هذه الآلة قديما قبل اختراع المدافع و البارود. اه و في السير أنه صلى الله عليه و سلم حاصر أهل الطائف و رامهم بالمنجنيق. قال ابن هشام: و حدثني من أثق به أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق أهل الطائف و بذلك جزم أيضا السيوطي في أوائله فقال: أول من رمى بالمنجنيق في الإسلام في غزوة الطائف، و في الكامل لابن الأثير أشار به سلمان الفارسي، و في نور النبراس حديث نصب المنجنيق على أهل الطائف هو مرسل و هو في الترمذي كذلك و قال ضعيف و لكن هو في البيهقي من رواية أبي عبيد. و في الميزان في ترجمة عبد الله بن حراس أن له عن العوام عن إبراهيم التيمي عن أبيه أن النبي صلى الله عليه و سلم نصب المنجنيق على أهل الطائف.

(أقول): صنع المنجنيق و حفر الخندق و إيجاد الدبابات من علم الآلات الحربية التي عرفها العرب و دونوا فيها. و قال ابن الأكفاني في إرشاد القاصد: علم الآلات الحربية علم يتبين منه كيفية إيجاد الآلات الحربية كالمجانيق و غيرها و منفعتها شديدة الفناء في حماية المدن و دفع الأعداء و لموسى بن شاكر فيه كتاب مفيد. اه. و ذكر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٨

الجاحظ في البيان و التبيين أن جذيمة الأبرش التنوخي آخر ملوك قضاة بالحيرة هو أول من اتخذ المنجنيق و وضعه على الحصون.

انتهى من الكتاب المذكور.

## الحرب بالدبابات

جاء في كتاب التراتيب الإدارية في الجزء الأول ما نصه: الدبابة (بفتح الدال المهملة مخففة عن تاء التأنيث) آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون إلى الأسوار ينقبون. قال في القاموس: الدبابة تتخذ للحروب فيدفع في أصل الحصن فيشنون و هم في جوفها. اه. و هي بيت صغير تعمل للحصون يدخلها الرجال فينقبون من داخلها و يكون سقفها حرزا لهم من الرمي. اه. و في كتاب نفحة الحدائق و الخمائل في الابتداء و الاختراع للأوائل أول دبابة صنعت في الإسلام دبابة صنعت على الطائف حين حاصرها رسول الله صلى الله عليه و سلم.

(و قلت) في طبقات ابن سعد لدى الكلام على وفد ثقيف و لم يحضر عروة ابن مسعود و لا غيلان بن سلمة حصار الطائف كانا بجرش يتعلمان صنعة العرادات و المنجنيق و الدبابات فقدموا و قد انصرف رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الطائف فنصبا المنجنيق و العرادات و الدبابات الخ. (قلت) الجرش كما في القاموس بلد بالأردن و كزمر مخلاف باليمن منه الأديم و العرادات. قال فيه أيضا: شيء أصغر من المنجنيق و في كتاب أفضية رسول الله صلى الله عليه و سلم لابن الطلاع في السير أول من رمى بالمنجنيق رسول الله صلى الله عليه و سلم أهل الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم تحت دبابة ثم رجعوا بها إلى جدار الطائف ليحرقوه. انتهى من الكتاب المذكور.

## بناء ابن الزبير الكعبة

قيل: كان سبب بناء عبد الله بن الزبير، رضى الله تعالى عنهما، هو أن رجلا في أيام الحصار بمكة أوقد نارا في بعض الخيام المضروبة في المسجد الحرام، فطارت شرارة في الخيمة فمشى الحريق حتى أخذ في كسوة الكعبة المشرفة، فاحترقت و احترق الركن الأسود أيضا و ذلك سنة (٦٤) أربع و ستين هجرية.

و قيل: إن الحصين بن نمير لما حاصر ابن الزبير في مكة بعد وقعة الحره بالمدينة الكائنة في آخر سنة (٦٣) ثلاث و ستين هجرية بأمر يزيد بن معاوية، رموا البيت

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٩

الحرام بالمنجنيق و رموا مع الأحجار بالنار و النفط و مشاقات الكتان و غير ذلك من المحروقات، فاحترقت ثياب الكعبة و أخشاب البيت، و أخذوا يرتجزون و يقولون:

خطارة مثل الفنيق المزبد ترمى بها أعواد هذا المسجد

و الخطارة بتشديد الطاء المنجنيق.

و قيل في الحصين بن نمير:

ابن المنير بثس ما تولى قد أحرق المقام و المصلى

و لنذكر ما جاء عن بناء ابن الزبير في صحيح مسلم، فقد جاء في كتاب الحج في باب نقض الكعبة و بنائها ما نصه: حدثنا هناد بن السرى، حدثنا ابن أبي زائدة، أخبرني ابن أبي سليمان عن عطاء قال: لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام فكان من أمره ما كان، تركه ابن الزبير حتى قدم الناس الموسم يريد أن يجرئهم أو يحربهم على أهل الشام، فلما صدر الناس قال: يا أيها الناس أشيروا علي في الكعبة أنقضها ثم أبني بنائها أو أصلح ما و هي منها، قال ابن عباس: فإني قد فرق لي رأي فيها، أرى أن تصلح

ما و هي منها و تدع بيتا أسلم الناس عليه و أحجارا أسلم الناس عليها و بعث عليها النبي صلى الله عليه و سلم. فقال ابن الزبير: لو كان أحدكم احترق بيته ما رضى حتى يجده فكيف بيت ربكم، إني مستخير ربي ثلاثا ثم عازم على أمرى، فلما مضى الثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها، فتحاماه الناس أن ينزل بأول الناس يصعد فيه أمر من السماء، حتى صعد رجل فألقى منه حجارة فلما لم يره الناس أصابه شيء تتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الأرض، فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه، و قال ابن الزبير: إني سمعت عائشة تقول: إن النبي صلى الله عليه و سلم، قال: «لو لا أن الناس حديث عهدهم بكفر و ليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمس أذرع و لجعلت لها بابا يدخل الناس منه و بابا يخرجون منه» قال: فأنا اليوم أجد ما أنفق و لست أخاف الناس، قال: فزاد فيه خمس أذرع من الحجر حتى أبدى أسا نظر الناس إليه فبنى عليه البناء، و كان طول الكعبة ثمانى عشرة ذراعا، فلما زاد فيه استقصره فزاد فى طوله عشرة أذرع، و جعل له بابين أحدهما يدخل منه و الآخر يخرج منه، فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان أن يخبره بذلك، و يخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العدول من أهل مكة فكتب إليه عبد الملك: إنا لسنا من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٦٠

تلطيخ ابن الزبير فى شيء، أما ما زاد فى طوله فأقره، و أما ما زاد من الحجر فرده إلى بنائه، و سد الباب الذى فتحه. فنقضه و أعاده إلى بنائه.

حدثنى محمد بن حاتم حدثنا محمد بن بكر أخبرنا ابن جريج قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير و الوليد بن عطاء يحدثان عن الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة قال عبد الله بن عبيد: وفد الحارث بن عبد الله على عبد الملك بن مروان فى خلافته، فقال عبد الملك: ما أظن أبا خبيب «يعنى ابن الزبير» سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها، قال الحارث: بلى أنا سمعته منها، قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن قومك استقصروا من بنى البيت، و لو لا حدثه عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه، فإن بدا لقومك من بعدى أن بينوه فهلمى لأريك ما تركوا منه، فأراها قريبا من سبعة أذرع» هذا حديث عبد الله ابن عبيد و زاد عليه الوليد بن عطاء، قال النبي صلى الله عليه و سلم: و لجعلت لها بابين موضوعين فى الأرض شرقيا و غربيا، و هل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟

قالت: قلت: لا، قال: تعززا أن لا يدخلها إلا من أرادوا، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها، يدعونه يرتقى حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط، قال عبد الملك للحارث: أنت سمعتها تقول هذا؟ قال: نعم، قال: فنكت ساعة بعصاه، ثم قال: وددت أنى تركته و ما تحمل. انتهى من صحيح مسلم.

نقول: فمن تأمل هذا الحديث المذكور ظهر منه معجزة لرسول الله صلى الله عليه و سلم بوضوح لا خفاء فيه، فقوله لعائشة رضى الله تعالى عنها: «فإن بدا لقومك من بعدى أن بينوه فهلمى لأريك ما تركوا منه، فأراها قريبا من سبعة أذرع» دليل على أن الله تعالى قد أطلعها بأن بيته الحرام سيبنى بعده، و أن الذى بينه هو عبد الله بن الزبير بن العوام و هو ابن أسماء أخت عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم أجمعين، فلقد بناه ابن الزبير سنة (٦٤) أربع و ستين هجرية، أى بعد وفاة خالته عائشة رضى الله تعالى عنها بست سنين، لأنها ماتت فى رمضان سنة (٥٨) ثمان و خمسين هجرية.

فمن معجزاته صلى الله عليه و سلم أنه أخبر زوجته عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها بأن البيت الحرام سيبنى بعد موته، و أراها ما تركته قريش من عرض الكعبة من جهة حجر إسماعيل و مقداره أكثر من ستة أذرع، و أخبرها بأنه لو بنى البيت بنفسه لجعل له بابين موضوعين فى الأرض بابا شرقيا و بابا غربيا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٦١

لقد أخبر صلى الله عليه و سلم عائشة رضى الله عنها بكل ذلك، لتخبر هى قومها بعد موته برغبته عن كيفية بناء البيت الحرام، و

بالفعل فقد أخبرت رضى الله عنها بذلك بعضهم و لحكمة يريد الله تعالى سماع منها هذا الوصف ابن أختها عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عن الجميع، فلما ولى أمر مكة و احترق البيت الشريف أيام حصاره بها، قام ببناؤه على الصفة التي سمعها من خالته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، فما أعظمها من معجزة باهرة وقعت بعد موته صلى الله عليه و سلم بثلاث و خمسين سنة، و عبد الله بن الزبير هو أول مولود فى الاسلام بالمدينة بعد الهجرة فكبر الصحابة حين ولد، و حنكه رسول الله صلى الله عليه و سلم بتمر مضعها ثم تفل فى فيه فكان أول شيء دخل فى جوفه ريق النبي صلى الله عليه و سلم.

أما قوله عليه الصلاة و السلام لعائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها «إن قومك استقصروا من بinaan البيت» فقد عرف ذلك بالمشاهدة، فإنه صلى الله عليه و سلم حينما بنت قريش الكعبة كان بينى معهم، و ذلك قبل البعثة بخمس سنين. و إليك تفصيل بناء ابن الزبير للكعبة المشرفة:

(التاسع) ممن بنى الكعبة المشرفة عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما و سببه كما جاء فى تاريخ الأزرقى: أخبرنى محمد بن يحيى عن الواقدى عن عبد الله بن جعفر الزهرى قال: سألت أبا عون متى كان احتراق الكعبة؟ قال: يوم السبت لليالى خلون فى شهر ربيع الأول قبل أن يأتينا نعى يزيد بن معاوية بتسعة و عشرين يوما، و جاء نعيه فى هلال شهر ربيع الآخر ليلة الثلاثاء سنة أربع و ستين، قلت: و ما كان سبب احتراقها؟ قال: جاءنا موت يزيد، توفى لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع و ستين، و كانت خلافته ثلاث سنين و تسعة أشهر، و الحصين بن نمير يومئذ عندنا، و كان احتراقها بعد الصاعقة التي أصابت أهل الشام بعشرين ليلة، قال أبو عون: ما كان احتراقها إلا منا، و ذلك أن رجلا منا و هو مسلم ابن أبى خليفه المذحجى كان هو و أصحابه يوقدون فى خصاص لهم حول البيت فأخذ نارا فى زج رمحه فى النفط، و كان يوم ريح فطارت منها شرارة فاحترقت الكعبة حتى صارت إلى الخشب، فقلنا لهم: هذا عملكم رميتم بيت الله عز و جل بالنفط و النار، فأذكروا ذلك.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٦٢

حدثنى محمد بن يحيى قال: قال الواقدى: حدثنى رباح بن مسلم عن أبيه قال: كانوا يوقدون فى الخصاص، فأقبلت شرارة هبت بها الريح، فاحترقت ثياب الكعبة و احترق الخشب.

حدثنى محمد بن يحيى قال: قال الواقدى: حدثنى عبد الله بن يزيد عن عروة ابن أذينة قال: قدمت مكة مع أبى، يوم احترقت الكعبة، فرأيت الخشب قد خلصت إليه النار، و رأيتها مجردة من الحريق و رأيت الركن قد اسود فقلت: ما أصاب الكعبة؟ فأشاروا إلى رجل من أصحاب الزبير فقالوا: هذا احترقت الكعبة فى سببه، أخذ نارا فى رأس رمح له فطارت به الريح فضربت أستار الكعبة فيما بين الركن اليمانى إلى الركن الأسود.

حدثنى محمد بن يحيى عن الواقدى عن سعيد بن عبد العزيز عن رجل من قومه قال: نصبنا المنجنيق على أبى قبيس و اعتنقته الرجال، و قد ألجأنا القوم إلى المسجد فبنوا خصاصا حول البيت فى المسجد و رفافا من خشب تكنهم من حجارة المنجنيق، فكنت أراهم إذا أمطرونا عليهم الحجارة يكون تحت تلك الرفاف، قال:

فوهن الرمي بحجارة المنجنيق فهى تنقض.

حدثنا محمد بن يحيى عن الواقدى عن رباح بن مسلم عن أبيه قال: رأيت الحجارة تصك وجه الكعبة من أبى قبيس حتى تخرقها، فلقد رأيتها كأنها جيوب النساء، و ترتج من أعلاها إلى أسفلها، و لقد رأيت الحجر يمر فيهورى الآخر على إثره فيسلك طريقه حتى بعث الله عليهم صاعقه بعد العصر فاحترق المنجنيق و احترق تحته ثمانية عشر رجلا من أهل الشام، فجعلنا نقول: قد أظلم العذاب، فكنا أياما فى راحة حتى عملوا منجنيقا آخر فنصبوه على أبى قبيس.

حدثنى محمد بن إسماعيل بن أبى عبيدة قال: حدثنى أبو النضر هاشم بن القاسم الليثى عن مولى لابن المرتفع عن ابن المرتفع قال: كنا مع ابن الزبير فى الحجر فأول حجر من المنجنيق وقع فى الكعبة فسمعنا لها أنينا كأنين المريض آه آه.

حدثني جدى حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرتنى عجوز من أهل مكة كانت مع عبد الله ابن الزبير بمكة فقلت لها: أخبرينى عن احتراق الكعبة كيف كان؟ قالت: كان المسجد فيه خيام كثيرة فطارت النار من خيمة منها فاحترقت الخيام و التهب المسجد حتى تعلق النار بالبيت فاحترق، قال عثمان: و بلغنى أنه لما قام جيش الحصين بن نمير أحرق بعض أهل الشام على باب التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٦٣

بنى جمع و المسجد يومئذ خيام و فساطيط، فمشى الحريق حتى أخذ البيت، فظن الفريقان كلاهما أنهم هالكون فضعف بناء الكعبة حتى أن الطير ليقع عليه فتتناثر حجارته. انتهى من الأزرقى.

### بكاء عبد الله بن عمرو بن العاص على احتراق الكعبة

قال الأزرقى فى تاريخه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى أحمد بن محمد و إبراهيم بن محمد الشافعى عن مسلم بن خالد عن ابن خيثم عن عبيد الله بن سعد أنه دخل مع عبد الله بن عمرو بن العاص المسجد الحرام و الكعبة محرقة، حين أدبر جيش الحصين بن نمير، و الكعبة تتناثر حجارتها فوقف و معه ناس غير قليل فبكى حتى إنى لأنظر إلى دموعه تحدر كحلا- فى عينيه من إثم كانه رؤوس الذباب على و جنتيه فقال: يا أيها الناس و الله لو أن أبا هريرة أخبركم أنكم قاتلوا ابن نبيكم بعد نبيكم و محرقو بيت ربكم لقتلتم ما من أحد أكذب من أبى هريرة، أنحن نقتل نبينا و نحرق بيت ربنا؟ فقد و الله فعلتم لقد قتلت ابن نبيكم و حرقت بيت الله فانظروا النعمة فو الذى نفس عبد الله بن عمرو بيده ليلبسكنم الله شيعا و ليذيقن بعضكم بأس بعض يقولها ثلاثا، ثم رفع صوته فى المسجد فما فى المسجد من أحد إلا و هو يفهم ما يقول، فإن لم يكن يفهم فإنه يسمع رجوع صوته فقال: أين الآمرون بالمعروف و الناهون عن المنكر؟ فو الذى نفس عبد الله بن عمرو بيده لو قد ألبسكنم الله شيعا و أذاق بعضكم بأس بعض، لبطن الأرض خير لمن عليها ألم يأمر بالمعروف و لم ينه عن المنكر.

و قال الأزرقى فى تاريخه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى أحمد بن محمد عن سعيد بن سالم عن ابن جريج قال: سمعت غير واحد من أهل العلم ممن حضر ابن الزبير حين هدم الكعبة و بناها، قالوا: لما أبطأ عبد الله ابن الزبير عن بيعه يزيد بن معاوية و تخلف خشى منهم، لحق بمكة ليمنع بالحرم و جمع مواليه و جعل يظهر عيب يزيد بن معاوية و يشتمه و يذكر شره الخمر و غير ذلك و ينشط الناس عنه، و يجتمع الناس إليه فيقوم فيهم بين الأيام فيذكر مساوى بنى أمية فيطلب فى ذلك فيبلغ ذلك يزيد بن معاوية فأقسم أن لا- يؤتى به إلا مغولا فأرسل إليه رجلا من أهل الشام فى خيل من خيل الشام، فعظم على ابن الزبير الفتنة و قال: لأن يستحل الحرم بسبيك، فإنه غير تاركك و لا تقوى عليه، و قد لج فى أمرك و أقسم أن لا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٦٤

يؤتى به إلا مغولا، و قد عملت لك غلا من فضة، و تلبس فوقه الثياب، و تبر قسم أمير المؤمنين، فالصلح خير عاقبه و أجمل بك و به، فقال: دعونى أياما حتى أنظر فى أمرى. فشاور أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه، فأبت عليه أن يذهب مغولا و قالت: يا بنى عش كريما و مت كريما، و لا تمكن بنى أمية من نفسك فتلعب بك، فالموت أحسن من هذا، فأبى عليه أن يذهب إليه فى غل، و امتنع فى مواليه و من تألف إليه من أهل مكة و غيرهم، و كان يقال لهم: الزبيرية.

فبينما يزيد على بعثة الجيوش إليه، إذ أتى يزيد خبر أهل المدينة و ما فعلوا بعامله و من كان معه بالمدينة من بنى أمية و إخراجهم إياهم منها إلا من كان من ولد عثمان بن عفان، فجهز إليهم مسلم بن عقبه المرمى، فى أهل الشام، و أمره بقتال أهل المدينة، فإذا أفرغ من ذلك سار إلى ابن الزبير بمكة، و كان مسلم مريضا، فى بطنه الماء الأصفر فقال له يزيد: إن حدث بك الموت، فول الحصين بن نمير الكندى على جيشك، فسار حتى قدم المدينة فقاتلوه أهل المدينة فظفر بهم و دخلها، و قتل من قتل منهم، و أشرف فى القتل، فسمى بذلك مسرفا، و أنهب المدينة ثلاثا، ثم سار إلى مكة، فلما كان ببعض الطريق حضرته الوفاة، فدعا الحصين بن نمير فقال له: يا

برذعة الحمار، لو لا أنى أكره أن أتزود عند الموت معصية أمير المؤمنين ما وليتك، أنظر إذا أقدمت مكة فاحذر أن تمكن قريشا من أذنك فتبول فيها، لا تكن إلا الوقاف، ثم الثقاف، ثم الانصراف، فتوفى مسلم المسرف، ومضى الحصين بن نمير إلى مكة، فقاتل ابن الزبير بها أياما، وجمع ابن الزبير أصحابه فتحصن بهم في المسجد الحرام وحول الكعبة، وضرب أصحاب ابن الزبير في المسجد خياما ورفافا يكتنون فيها من حجارة المنجنيق ويستظلون فيها من الشمس، وكان الحصين بن نمير قد نصب المنجنيق على أبي قبيس وعلى الأحمر - وهما أخشبا مكة - فكان يرميهم بها فتصيب الحجارة الكعبة، حتى تخرقت كسوتها عليها، فصارت كأنها جيوب النساء، فوهن الرمي بالمنجنيق الكعبة، فذهب رجل من أصحاب ابن الزبير يوقد نارا في بعض تلك الخيام، مما يلي الصفا بين الركن الأسود والركن اليماني، والمسجد يومئذ ضيق صغير، فطارت شرارة في الخيمة فاحترقت، وكانت في ذلك اليوم رياح شديدة، والكعبة يومئذ مبنية بناء قريش مدامك من ساج، و مدامك من حجارة من أسفلها إلى أعلاها، وعليها الكسوة، فطارت الرياح بلهب تلك النار فاحترقت كسوة الكعبة واحترق الساج الذي بين البناء، وكان احتراقها يوم السبت لثلاث ليال خلون من

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٦٥

شهر ربيع الأول قبل أن يأتي نعي يزيد بن معاوية بسبعة وعشرين يوما، وجاء نعيه في هلال شهر ربيع الآخر ليلة الثلاثاء سنة أربع وستين، وكان توفي لأربع عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، وكانت خلافته ثلاث سنين وسبعة أشهر. فلما احترقت الكعبة واحترق الركن الأسود فتصدع، كان ابن الزبير بعد ربطه بالفضة، فضعفت جدارات الكعبة، حتى أنها لتتقض من أعلاها إلى أسفلها، وتقع الحمام عليها، فتتناثر حجارتها وهي مجردة متوهنة من كل جانب، ففرع لذلك أهل مكة وأهل الشام جميعا، والحصين بن نمير مقيم محاصر ابن الزبير، فأرسل ابن الزبير رجالا من أهل مكة من قريش وغيرهم، فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد، ورجال من بنى أمية، إلى الحصين، فكلموه وعظموه عليه ما أصاب الكعبة وقالوا: إن ذلك كان منكم رميتوها بالنفط. فأنكروا ذلك وقالوا: قد توفي أمير المؤمنين فعلى ما ذا تقاتل؟ ارجع إلى الشام حتى تنظر ماذا يجتمع عليه رأى صاحبك - يعنون معاوية بن يزيد - و هل يجمع الناس عليه؟ فلم يزالوا حتى لان لهم، وقال له عبد الله بن خالد بن أسيد: أراك تتهمني في يزيد، ولم يزالوا به حتى رجع إلى الشام.

فلما أدير جيش الحصين بن نمير، وكان خروجه من مكة لخمس ليال خلون من ربيع الآخر سنة أربع وستين، دعا ابن الزبير وجوه الناس وأشرفهم وشاورهم في هدم الكعبة، فأشار عليه ناس غير كثير بهدمها، وأبى أكثر الناس هدمها، وكان أشدهم عليه إباء عبد الله بن عباس، وقال له: دعها على ما أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنى أخشى أن يأتى بعدك من يهدمها، فلا تزال تهدم فيتهاون الناس في حرمتها، ولكن ارقعها، فقال ابن الزبير: والله ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه وأمه، فكيف أرقع بيت الله سبحانه، وأنا أنظر إليه ينقض من أعلاه إلى أسفله، حتى إن الحمام ليقع عليه فتتناثر حجارته، وكان ممن أشار عليه بهدمها جابر بن عبد الله - وكان جاء معتمرا - وعبيد بن عمير وعبد الله بن صفوان بن أمية، فأقام أياما يشاور وينظر ثم أجمع على هدمها، وكان يحب أن يكون هو الذى يردها على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على قواعد إبراهيم، وعلى ما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها، فأراد أن يبينها بالورس ويرسل إلى اليمن فى ورس يشتري له، فقيل له: إن الورس يرفث ويذهب، ولكن ابنها بالقصة، فسأل عن القصة، فأخبر أن قصة صنعاء هي أجود القصة، فأرسل إلى صنعاء بأربعمائة دينار يشتري له بها قصة ويكتري عليها، وأمر بتنجيح ذلك، ثم سأل

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٦٦

رجالا - من أهل العلم من أهل مكة، من أين أخذت قريش حجارتها؟ فأخبروه بمقلعها، فنقل له من الحجارة قدر ما يحتاج إليه. فلما اجتمعت الحجارة وأراد هدمها خرج أهل مكة منها إلى منى، فأقاموا بها ثلاثا فرقا من أن ينزل عليهم عذاب لهدمها، فأمر ابن الزبير بهدمها، فما اجترأ أحد على ذلك. فلما رأى ذلك، علاها هو بنفسه فأخذ المعول وجعل يهدمها ويرمى بحجارتها، فلما رأوا أنه لم



يصبه شىء، اجترأوا فصعدوا يهدموها. و أرقى ابن الزبير فوقها عبيدا من الحبش يهدمونها، رجاء أن يكون فيهم صفة الحبشى الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، قال: و قال مجاهد: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: كأنى به أصيلع، أفيدع قائم عليها يهدمها بمسحاته، قال مجاهد: فلما هدم ابن الزبير الكعبة، جئت أنظر، هل أرى الصفة التى قال عبد الله بن عمرو؟ فلم أرها فهدموها و أعانهم الناس، فما ترجلت الشمس حتى ألصقتها كلها بالأرض من جوانبها جميعا، و كان هدمها يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة أربع و ستين، و لم يقرب ابن عباس مكة حين هدمت الكعبة حتى فرغ منها، و أرسل إلى ابن الزبير لا تدع الناس بغير قبلة، انصب لهم حول الكعبة الخشب، و اجعل عليها الستور حتى يطوف الناس من ورائها و يصلون إليها، ففعل ذلك ابن الزبير، و قال ابن الزبير: أشهد لسمعت عائشة رضى الله عنها تقول:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن قومك استقصروا فى بناء البيت، و عجزت بهم النفقة، فتركوا فى الحجر منها أذرعاً، و لو لا حدائهم قومك بالكفر، لهدمت الكعبة و أعدت ما تركوا منها، و لجعلت لها بايين موضوعين بالأرض، بابا شرقيا يدخل منه الناس، و بابا غربيا يخرج منه الناس، و هل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟

قالت: قلت: لا، قال: تعززا أن لا يدخلها إلى من أرادوا فكان الرجل إذا كرهوا أن يدخلها، يدعونه أن يرتقى حتى إذا كاد أن يدخل، دفعوه فسقط، فإن بدأ لقومك هدمها، فهلمى لأريك ما تركوا من الحجر منها، فأراها قريبا من سبعة أذرع.

فلما هدم ابن الزبير الكعبة و سواها بالأرض، كشف عن أساس إبراهيم فوجدوه داخلا فى الحجر نحو من ستة أذرع و شبر، كأنها أعناق الإبل أخذ بعضها بعضا، كتشبيك الأصابع بعضها ببعض، يحرك الحجر من القواعد فتتحرك الأركان كلها، فدعا ابن الزبير خمسين رجلا من وجوه الناس و أشرفهم و أشهدهم على ذلك الأساس، قال: فأدخل رجل من القوم كان أيدا، يقال له:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٦٧

عبد الله بن مطيع العدوى، عتله كانت فى يده فى الركن من أركان البيت، فترعزت الأركان جميعا، و يقال إن مكة كلها رجفت رجفة شديدة حين زعزع الأساس، و خاف الناس خوفا شديدا حتى ندم كل من كان أشار على ابن الزبير بهدمها، و أعظموا ذلك إعظاما شديدا و أسقط فى أيديهم، فقال لهم ابن الزبير:

اشهدوا، ثم وضع البناء على ذلك الأساس، و وضع حدات الباب، باب الكعبة على مدماك على الشاذروان اللاصق بالأرض، و جعل الباب الآخر بإزائه فى ظهر الكعبة مقابله، و جعل عتبه على الحجر الأخضر الطويل الذى فى الشاذروان الذى فى ظهر الكعبة قريبا من الركن اليماني، و كان البناء بينون من وراء الستر، و الناس يطوفون من خارج.

فلما ارتفع البنيان إلى موضع الركن، و كان ابن الزبير حين هدم البيت، جعل الركن فى ديباجة و أدخله فى تابوت و أقفل عليه و وضعه عنده فى دار الندوة، و عمد إلى ما كان فى الكعبة من حلية فوضعها فى خزانه الكعبة، فى دار شيبه بن عثمان، فلما بلغ البناء موضع الركن أمره ابن الزبير بموضعه، فنقر فى حجرين: حجر من المدماك الذى تحته و حجر من المدماك الذى فوقه، بقدر الركن و طوق بينهما، فلما فرغوا منه، أمر ابن الزبير ابنه عباد بن عبد الله ابن الزبير و جبير بن شيبه بن عثمان أن يجعلوا الركن فى ثوب، و قال لهم ابن الزبير: إذا دخلت فى الصلاة، صلاة الظهر، فاحملوه و اجعلوه فى موضعه، فأنا أطول الصلاة، فإذا فرغتم فكبروا حتى أخفف صلاتي، و كان ذلك فى يوم شديد الحر، فلما أقيمت الصلاة كبر ابن الزبير و صلى بهم ركعة، خرج عباد بالركن من دار الندوة و هو يحمله و معه جبير بن شيبه بن عثمان، و دار الندوة يومئذ قريبة من الكعبة، فخرقا به الصفوف حتى أدخلاه فى الستر الذى دون البناء، فكان الذى وضعه فى موضعه هذا عباد بن عبد الله ابن الزبير، و أعانه عليه جبير بن شيبه، فلما أقروه فى موضعه و طوبق عليه الحجران كبروا فخفف ابن الزبير صلاته، و تسامع الناس بذلك، و غضبت فيه رجال قريش، حين لم يحضرهم ابن الزبير، و قالوا: و الله لقد رفع فى الجاهلية حين بنته قريش، فحكموا فيه أول من يدخل عليهم من باب المسجد، فطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعله فى

ردائه، و دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم من كل قبيلة من قريش رجلا فأخذوا بأركان الثوب ثم وضعه رسول الله صلى الله عليه و سلم في موضعه و كان الركن قد تصدع من الحريق بثلاث فرق، فانشطت منه شظية كانت عند بعض آل شيبه بعد ذلك بدهر طويل، فشدته ابن الزبير بالفضة، إلا تلك الشظية من أعلاه-

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٦٨

موضعها بين في أعلى الركن - و طول الركن ذراعان، قد أخذ عرض جدار الكعبة، و مؤخر الركن في داخله الجدر، مضرس على ثلاثة رؤوس، قال ابن جريج: فسمعت من يصف لون مؤخره الذي في الجدر، قال بعضهم: هو مورد، و قال بعضهم: هو أبيض. قالوا: و كانت الكعبة يوم هدمها ابن الزبير ثمانية عشر ذراعاً في السماء، فلما أن بلغ ابن الزبير ثمانية عشر ذراعاً، قصرت بحال الزيادة التي زاد من الحجر فيها، و استسمح ذلك إذ صارت عريضة لا طول لها. فقال: قد كانت قبل قريش تسعة أذرع، حتى زادت قريش فيها تسعة أذرع طولاً في السماء، فأنا أزيد تسعة أذرع أخرى، فبناها سبعة و عشرين ذراعاً في السماء، و هي سبعة و عشرون مداً، و عرض جدارها ذراعان، و جعل فيها ثلاث دعائم، و كانت قريش في الجاهلية، جعلت فيها ست دعائم، و أرسل ابن الزبير إلى صنعاء فأتى من رخام بها يقال له البلق، فجعله في الروازن التي في سقفها للضوء، و كان باب الكعبة قبل بناء ابن الزبير مصراعاً واحداً، فجعل له ابن الزبير مصراعين طولهما أحد عشر ذراعاً من الأرض إلى منتهى أعلاهما اليوم، و جعل الباب الآخر الذي في ظهرها بإزائه على الشاذروان الذي على الأساس مثله، و جعل ميزابها يسكب في الحجر، و جعل لها درجة في بطنها في الركن الشامي من خشب معرجة يصعد فيها إلى ظهرها، فلما فرغ ابن الزبير من بناء الكعبة، خلقها من داخلها و خارجها من أعلاها إلى أسفلها، و كساها القباطي، و قال: من كانت لي عليه طاعة فليخرج فليعتمر من التعميم، فمن قدر أن ينحر بدنه فليفعل، و من لم يقدر على بدنه فليذبح شاء، و من لم يقدر فليصدق بقدر طولها، و خرج ماشياً و خرج الناس معه مشاء حتى اعتمروا من التعميم، شكراً لله سبحانه، و لم ير يوماً كان أكثر عتيقاً و لا أكثر بدنه منحورة و شاء مذبوحه و لا صدقة من ذلك اليوم، و نحر ابن الزبير مائة بدنه، فلما طاف بالكعبة استلم الأركان الأربعة جميعاً، و قال: إنما كان ترك استلام هذين الركنين الشامي و الغربي، لأن البيت لم يكن تاماً، فلم يزل البيت على بناء ابن الزبير إذا طاف به الطائف استلم الأركان جميعاً و يدخل البيت من هذا الباب و يخرج من الباب الغربي، و أبوابه لاصقة بالأرض حتى قتل ابن الزبير رحمه الله.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٦٩

ثم قال الأزرقى: قال ابن جريج: و كان باب الكعبة الذي عمله ابن الزبير طوله في السماء أحد عشر ذراعاً، فلما كان الحجاج نقض من الباب أربعة أذرع و شبراً، و عمل لها هذين البابين و طولهما ستة أذرع و شبراً.

قال الأزرقى: حدثنا محمد بن يحيى عن الواقدي عن موسى بن يعقوب عن عمه عن الحارث بن عبد الله بن وهب بن زمعة قال: ارتحل الحصين بن نمير من مكة لخمسة ليالي خلون من شهر ربيع الآخر سنة أربع و ستين، و أمر ابن الزبير بالخصائص التي كانت حول الكعبة فهدمت، و بالمسجد فكنس مما فيه من الحجارة و الدماء، فإذا الكعبة متوهنة ترتج من أعلاها إلى أسفلها، فيها أمثال جيوب النساء من حجارة المنجنيق، و إذا الركن قد اسود و احترق و تفلق من الحريق، فرأيته ثلاث فرق، فشاور ابن الزبير الناس في هدمها، فأشار عليه جابر بن عبد الله و عبيد بن عمير بهدمها، و أبى ذلك عليه ابن عباس، و قال: أنا أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها، فلا تزال تهدم و تبنى، فيتهاون الناس بحرمتها فلا أحب ذلك، أخبرني محمد بن يحيى عن الواقدي عن شرحبيل بن أبي عون عن أبيه قال: رأيت الحجر قد انفلق و اسود من الحريق، فأنظر إلى جوفه أبيض كأنه الفضة، و قد كان شاور المسور بن مخرمه بن نوفل قبل أن يموت بهدمها و بنائها، فأشار عليه بذلك.

حدثني محمد بن يحيى عن الواقدي عن عبد الله بن محمد عن أبيه عن جده أنه سمع عبد الله بن عمر يسأل نايل بن قيس الجذامي عن الأساس، فقال نايل: اتبعنا الأساس في الحجر، فوجدنا أساس البيت و أصلاً بالحجر كأنه أصابعي هذه، و شبك بين أصابعه

فسمعت ابن عمر يكبر و يحمد الله عز و جل على ذلك.

أخبرني محمد بن يحيى عن الواقدي عن محمد بن عمرو عن أبي الزبير قال:

سمعت عبد الرحمن بن سابط يقول: دعانا ابن الزبير خمسين رجلا- من قريش فنظرنا إلى الأساس فإذا هو واصل بالحجر، مشبك كأصابع يدي هاتين، و شبك بين أصابعه، فقال ابن الزبير: اشهدوا ثم بنى. قال عبد الرحمن بن سابط: فجلست مع ابن عباس فأخبرته فقال ابن عباس: ما زلنا نعلم أن من البيت في الحجر.

حدثنا محمد بن يحيى عن الواقدي عن إبراهيم بن موسى عن عكرمة بن خالد المخزومي قال: هدم ابن الزبير البيت حتى سواه بالأرض و حفر أساسه و أدخل الحجر فيه، و كان الناس يطوفون من وراء الستر و يصلون إلى موضعه، و جعل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٧٠

الركن في تابوت، في رقة من حرير. فأما ما كان من حلى البيت و ما وجد فيه من ثياب أو طيب فإنه جعله عند الحجبة في خزانه الكعبة حتى أعاد بناءها، قال عكرمة: فرأيت الحجر الأسود فإذا هو ذراع أو يزيد، و أخبرني محمد بن يحيى عن الواقدي عن شرحبيل بن أبي عون عن أبيه قال: لما هدم عبد الله بن الزبير البيت ندم كل من كان أشار عليه و أعظموا ذلك.

حدثني محمد بن يحيى عن الواقدي عن سليمان بن داود بن الحصين عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس أنه أبى على ابن الزبير هدمها، و قال: أخاف أن يأتي بعدك من يهدمها، ثم يأتي بعد ذلك آخر، فإذا هي تهدم أبدا و تبنى. فسكت عبد الله بن الزبير و لم يقرب ابن عباس مكة حتى فرغ منها.

و أخبرني محمد بن يحيى عن الواقدي عن إبراهيم بن موسى عن عكرمة بن خالد قال: لما بنى ابن الزبير الكعبة انتهى به إلى الأساس الأول و أدخل الحجر فيها. فلما انتهى إلى موضع الركن الأسود جاء به ابن الزبير و ولده حتى رفعوه و وضعوه بأيديهم في ساعه خاليه تحروا بها غفلة الناس نصف النهار في يوم صائف.

و أخبرني محمد بن يحيى عن الواقدي عن عبد العزيز بن المطلب عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن أبي جعفر قال: ابن الزبير وضعه و ولده نصف النهار في حر شديد، فرأيت قريشا غضبوا في ذلك. و أخبرني محمد بن يحيى عن الواقدي عن ابن جريج عن خلاد بن عطاء عن أبيه و كان يعمل في البيت محتسبا قال: و كان الركن في تابوت مقفل عليه فلما كان وقت وضعه و قد نقر له حجران طوبق بينهما، ثم أدخل فيه، فلما فرغ من ذلك خرج ابن الزبير في يوم صائف نصف النهار فأشار إلى جبير بن شيبه الحجبي فأدخله في موضعه و بنى عليه، قال عطاء أبو خلاد: و أنا حاضر ذلك.

و أخبرني محمد بن يحيى عن الواقدي عن ابن جريج عن منصور بن عبد الرحمن الحجبي عن مسافع الحجبي قال: لما بنى ابن الزبير البيت حتى بلغ موضع الركن تواعد الحجبة، قال مسافع: و أنا فيهم، فلما دخل ابن الزبير في الصلاة حسبت الظهر، خرج الحجبة بالركن من الصفوف و أنا فيهم، فرفعناه، فجاء حمزة بن عبد الله ابن الزبير و أخذ بطرف الثوب فرفع معنا، و أخبرني مسافع أن الركن أخذ عرض الضفير، ضفير البيت.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٧١

حدثني محمد بن يحيى عن الواقدي عن ابن جريج و عبد الله بن عمر بن حفص عن منصور بن عبد الرحمن الحجبي عن أمه قالت: كان الحجر الأسود قبل الحريق مثل لون المقام فلما احترق اسود، قال: فلما احترقت الكعبة تصدع بثلاث فرق فشدته ابن الزبير بالفضة. و أخبرني محمد بن يحيى عن الواقدي عن علي بن زيد عن أبيه عن جده قال:

رأيت ابن الزبير هدمها كلها فلما بنى و فرغ، خلق جوفها بالعنبر و المسك و لطح جدرها من خارج بالمسك و سترها بالديباج، و أدخل الحجر فيها ورد الركن الأسود في موضعه، و كان قد انكسر بثلاث فرق من الحريق الذي أصاب الكعبة، و كان الركن عند ابن الزبير في بيته في صندوق عليه قفل، فلما بلغ البناء موضع الركن، جاء ابن الزبير حتى وضعه هو بنفسه و شده بالفضة فهو مشدود

بالفضة و اعتمر من خيمة جمانة ماشيا، فرأى الناس أن قد أحسن ابن الزبير، و لبي حتى نظر إلى البيت. انتهى من تاريخ الأزرقى. و المراد بخيمة جمانة موضع التنعيم.

### سبب بناء ابن الزبير الكعبة على قواعد إبراهيم

و السبب الذى دعا عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أن يبنى الكعبة على أساس بناء إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام هو الحديث الذى سمعه من خالته عائشة رضى الله عنها الذى يتضمن أن النبى صلى الله عليه و سلم كان يتمنى أن يبنى الكعبة على قواعد إبراهيم كما سيأتى بيانه و هو:

جاء فى تاريخ الأزرقى ما نصه: و حدثنى محمد بن يحيى قال: حدثنى هشام بن سليمان المخزومى عن ابن جريح عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن الوليد بن عطاء بن حباب أن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وفد على الملك بن مروان فى خلافته فقال له عبد الملك بن مروان: ما أظن أبا خبيب، يعنى ابن الزبير سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمع منها، قال الحارث: أنا سمعته منها، قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن قومك استقصروا فى بناء البيت، و لو لا حدثت عهد قومك بالكفر أعدت فيه ما تركوا منه، فإن بدا لقومك أن يبنوه فهلمى لأريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع» و زاد الوليد فى الحديث، و جعلت لها بايين موضوعين بالأرض بابا شرقيا و بابا غربيا، و هل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟ قالت: قلت: لا، قال: تعززا لئلا يدخلها أحد إلا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٧٢

من أرادوا، فكانوا إذا كرهوا أن يدخلها الرجل يدعونه يرتقى، حتى إذا كاد أن يدخل يدفعونه فيسقط، قال عبد الملك: أنت سمعتها تقول هذا؟ قال: نعم، قال:

فنكت بعصاه ساعة ثم قال: إني وددت أنى تركته و ما تحمل. اه.

ثم قال الأزرقى: حدثنى جدى قال حدثنى مالك بن أنس عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن محمد بن أبى بكر الصديق أخبر عبد الله بن عمر عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: ألم ترى أن قومك حين بنوا البيت استقصروا عن قواعد إبراهيم؟ قالت: فقلت: يا رسول الله ألا تردى على قواعد؟ قال: لو لا حدثان قومك بالكفر لفعلت. قال عبد الله بن عمر: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه و سلم ما أراه ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتم على قواعد إبراهيم. انتهى من تاريخ الأزرقى.

### ما جاء فى صحيح مسلم عن بناء ابن الزبير و الحجاج الكعبة

و لقد ورد بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فى صحيح مسلم فى كتاب الحج، و هذا نص ما جاء فيه:

و حدثنى محمد بن حاتم حدثنى ابن مهدى حدثنا سليم بن حيان عن سعيد، يعنى ابن ميناء قال: سمعت عبد الله بن الزبير يقول: حدثنى خالتي (يعنى عائشة) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا عائشة لو لا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض و جعلت لها بايين بابا شرقيا و بابا غربيا و زدت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة.

حدثنا هناد بن السرى حدثنا ابن أبى زائدة أخبرنى ابن أبى سليمان عن عطاء قال: لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاه أهل الشام فكان من أمره ما كان، تركه ابن الزبير حتى قدم الناس الموسم يريد أن يجزئهم أو يجزبهم على أهل الشام فلما صدر الناس قال: يا أيها الناس أشيروا على فى الكعبة أنقضها ثم أبني بناءها أو أصلح ما و هى منها؟ قال ابن عباس: فإنى قد فرق لى رأى

فيها أرى أن تصلح ما وهى منها وتدع بيتا أسلم الناس عليه و أحجارا أسلم الناس عليها و بعث عليها النبي صلى الله عليه و سلم، فقال ابن الزبير: لو كان أحدكم احترق بيته ما رضى حتى يجده فكيف بيت ربكم إني مستخير ربي ثلاثا ثم عازم على أمرى، فلما مضى الثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها، فتحاماه الناس أن ينزل بأول الناس

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٧٣

يصعد فيه أمر من السماء حتى صعده رجل فألقى منه حجارة فلما لم يره الناس أصابه شيء، فتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الأرض، فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه، و قال ابن الزبير: إني سمعت عائشة تقول: إن النبي صلى الله عليه و سلم قال: لو لا- أن الناس حديث عهدهم بكفر و ليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمس أذرع و لجعلت لها بابا يدخل الناس منه و بابا يخرجون منه، قال: فأنا اليوم أجد ما أنفق و لست أخاف الناس، قال: فزاد فيه خمس أذرع من الحجر حتى أبدى أسا نظر الناس إليه، فبنى عليه البناء، و كان طول الكعبة ثمانى عشرة ذراعا، فلما زاد فيه استقصره فزاد فى طوله عشر أذرع و جعل له بابين أحدهما يدخل منه و الآخر يخرج منه، فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك و يخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العدول من أهل مكة، فكتب إليه عبد الملك أنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير فى شيء أما ما زاد فى طوله فأقره و أما ما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه و سد الباب الذى فتحه فنقضه و أعاده إلى بنائه.

حدثني محمد بن حاتم حدثنا محمد بن بكر أخبرنا ابن جريج قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمر و الوليد بن عطاء يحدثان عن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة قال عبد الله بن عبيد: وفد الحارث بن عبد الله على عبد الملك بن مروان فى خلافته فقال عبد الملك: ما أظن أبا خبيب (يعنى ابن الزبير) سمع من عائشة ما كان يزعم، أنه سمعه منها، قال الحارث: بلى أنا سمعته منها، قال: سمعتها تقول ماذا؟

قال: قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن قومك استقصروا من ببيان البيت، و لو لا حدثت عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه، فإن بدا لقومك من بعدى أن بينوه فهلمى لأريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع، هذا حديث عبد الله بن عبيد، و زاد عليه الوليد بن عطاء قال النبي صلى الله عليه و سلم: و لجعلت لها بابين موضوعين فى الأرض شرقيا و غربيا، و هل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟ قالت: قلت: لا، قال: تغزوا أن لا يدخلها إلا من أرادوا، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه يرتقى، حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط، قال عبد الملك للحارث:

أنت سمعتها تقول هذا؟ قال: نعم، قال: فنكت ساعه بعصاه ثم قال: وددت أنى تركته و ما تحمل. انتهى من كتاب صحيح مسلم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٧٤

### ابتداء هدم الكعبة و انتهاء بنائها فى عهد ابن الزبير

قال الإمام الأزرقى رحمه الله تعالى: و كان هدم الكعبة يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة أربع و ستين، أما الفراغ من بنائها فلم يذكره الأزرقى فى تاريخه.

و فى تاريخ الكعبة المعظمة: كان الفراغ من عمارة البيت فى سابع من رجب سنة خمس و ستين.

و لقد وقع خلاف عند بعض المؤرخين فى عمارة الكعبة هل كانت سنة (٦٤) أو سنة (٦٥)، و نحن لم نبحت عن هذه المسألة بحثا دقيقا لندلى برأينا، و ليس فى ذلك من بأس.

جاء فى تاريخ الخميس فى الجزء الثانى: و كان ابتداء حصار الحجاج ليلة هلال ذى القعدة سنة (٧٢) اثنتين و سبعين من الهجرة، و فى أسد الغابة حصاره أول ليلة من ذى الحجة (٧٢) من الهجرة، و ذكر القولين فى الرياض النضرة، و حج الحجاج بالناس تلك السنة و وقف بعرفة و عليه درع و مغفر و لم يطوفوا بالبيت و لا بين الصفا و المروة، و نصب الحجاج منجنيقا على جبل أبى قبيس كذا فى أسد

الغابة، و حاصره ستة أشهر و سبع عشرة ليلة على ما ذكر ابن جرير، و رمى به أحث الرمي و ألح عليه بالقتال من كل جانب و حبس عنهم الميرة و حصرهم أشد الحصار، و كان يرمى بالمنجنيق من أبى قبيس فيصيب الكعبة حجارة المنجنيق لكون ابن الزبير مكثنا بالمسجد، و فى نهاية ابن الأثير أن ابن الزبير كان يصلى فى المسجد الحرام و أحجار المنجنيق تمر على أذنه و ما يلتفت كأنه كعب راتب، أى منتصب. انتهى من تاريخ الخميس.

### باب الكعبة الغربى

لا- يخفى أنه يوجد الآن للكعبة المشرفة باب واحد فقط مرتفع عن الأرض بمقدار مترين، و هذا الباب فى وجه الكعبة من الجهة الشرقية، و لم يكن للكعبة بابان إلا فى بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما، فإنه لما بناها جعل لها بايين أحدهما فى الجهة الشرقية و الآخر فى الجهة الغربية، أحدهما للدخول و الآخر للخروج، و لم يجعلهما مرتفعين بل أصقهما بالأرض لسهولة الدخول و الخروج، التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٧٥

كل ذلك فعله ابن الزبير رضى الله عنهما تحقيقاً لرغبة رسول الله صلى الله عليه و سلم بموجب الحديث الذى سمعه من خالته عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنهما، كما رواه الأزرقى فى تاريخه عن الحارث بن عبد الله المخزومى فإنه سمعها تقول: قال لى رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن قومك استقصروا فى بناء البيت، و لو لا حدثت قومك بالكفر أعدت فيه ما تركوا منه، فإن بدا لقومك أن بينوه فهلمى لأريك ما تركوا منه فأراها قريباً من سبعة أذرع، و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: و جعلت لها بايين موضوعين على الأرض، باباً شرقياً يدخل الناس منه و باباً غربياً يخرج الناس منه» اهـ.

و لقد جاء معنى هذا الحديث فى الصحيحين و نصه: «لو لا- حدثت قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه الصلاة و السلام، فإن قريشا استقصرت بناءه و جعلت له خلفاً» رواه البخارى و مسلم عن عائشة رضى الله عنها- و هذا لفظ البخارى- و هناك روايات أخرى بهذا المعنى أيضاً.

ثم جاء الحجاج بن يوسف الثقفى فنقض ما زاده عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه و عن أبيه الزبير بن العوام أحد المبشرين بالجنه، و عن أمه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما فمن ذلك أنه سد الباب الغربى بظهر الكعبة الذى فتحه ابن الزبير للخروج منه، و رفع الباب الشرقى الأسمى عن الأرض، كما قدمنا بيان ذلك مفصلاً.

نذكر هنا بمناسبة إلقاء ستارة الكعبة المعظمة عنها عند تعمیر و تجديد سقفيها الأعلى و الأدنى فى وقتنا هذا كما بينا ذلك فى محله، و ظهور ردف الباب الغربى فى ظهر الكعبة، أى ظهور العود الغليظ الذى وضع بأعلى الباب ثم بنى فوقه إلى السطح، و ظهور علامات تحديد الباب أيضاً فى نفس هذا البناء الموجود فى وقتنا هذا الذى هو بناء السلطان مراد الرابع للكعبة من سلاطين آل عثمان، فكان قياس العلامات الظاهرة لهذا الباب الغربى حيث قمنا بأنفسنا بأخذه كما يأتى:

طول الباب (٣١٨) سنتيمتراً، و عرضه (١٧١) سنتيمتراً، و ارتفاعه عن الأرض من الشاذروان (١٢٢) سنتيمتراً.

فقد ظن بعض الناس من ظهور هذه العلامات أن هذا هو نفس الباب الغربى الذى فتحه عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما فى ظهر الكعبة الغراء.

فليان الحقيقة نقول و بالله تعالى التوفيق فهو الهادى إلى سواء الطريق، أن بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما للكعبة سنة (٦٤) أربع و ستين من الهجرة،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٧٦

و بناء الحجاج الثقفى لها من جهة حجر إسماعيل مع سد بابها الغربى و رفع بابها الشرقى عن الأرض سنة (٧٤) أربع و سبعين هجرية دام هذان البناءان قائمين إلى أن جاء السيل الكبير فى زمن السلطان مراد خان الرابع من سلاطين آل عثمان، فدخل المسجد الحرام

فهدم الكعبة، حتى لم يبق منها إلا جزء يسير من جدارها فقرروا هدم ما بقى خوفا من وقوعه بغتة. فبناها السلطان مراد الرابع المذكور بناية قوية محكمة سنة (١٠٤٠) ألف و أربعين هجرية، فكان بقاء بناية ابن الزبير رضى الله عنهما و بناية الحجاج دام تسعمائة و ست و سبعين سنة، و لا بد فى هذه السنوات الطويلة قد حصلت فيها عدة مرات ترميمات و إصلاحات. و الردف أى العود الغليظ الموجود إلى زماننا هذا فوق موضع الباب الغربى، مع وجود علامة تحديد الباب فى نفس البناء، كل هذا يحدد لنا موضع الباب الغربى الذى فتحه ابن الزبير رضى الله عنه لأن طول هذا الباب كطول الباب الشرقى، و عرضه ينقص عن عرض الباب الشرقى بمقدار سبع و عشرين سنتيمترا.

و أما ارتفاع هذا الباب عن الأرض فهو ينقص عن ارتفاع الباب الشرقى بمقدار سبعين سنتيمترا تقريبا. فإذا تأملنا نجد أن ابن الزبير قد ألصق البابين الشرقى و الغربى بالأرض، فجاء الحجاج الثقفى بعده و رفع الباب الشرقى بمرتبة عن الأرض، و سد الباب الغربى سدا تاما.

فعليه تكون العلامة الظاهرة على ارتفاع الباب الغربى من ظهر الكعبة المشرفة مغلوطا غير صحيح مطلقا، و هذا الغلط جاء من العمال الذين بنوا الكعبة فى أيام السلطان مراد المذكور، فإنهم لما وصلوا بالبناء إلى جهة الباب الغربى أرادوا المحافظة على محله كما كان قديما، فبنوا ما يشبه الباب الذى عمله ابن الزبير، ثم سدوه بالحجارة الشبيكية كما سده الحجاج الثقفى، لكنهم غلطوا فى رفعه عن الأرض بمقدار متر و ربع متر، و كان سد هذا الباب فى بناء السلطان المذكور فى اليوم الثالث و العشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة و هى سنة (١٠٤٠) ألف و أربعين هجرية.

فاعتقاد البعض أن الجدار الذى بظهر الكعبة هو من بناء ابن الزبير باق إلى الآن لوجود ردف الباب الغربى و علاماته هو اعتقاد غير صحيح، لأن السلطان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٧٧

مراد خان الرابع قد بنى الكعبة المشرفة من جميع الأطراف فى العام المذكور، و أما الاعتقاد بأن موضع الباب الغربى الذى فتحه ابن الزبير هو المحل الذى فيه الردف و العلامات فهذا صحيح لا شك فيه، غير أننا نقول: إن الباب لم يكن مرتفعا عن الأرض فى بنائه بل كان لاصقا بالأرض، بأس إن قلنا إنه كان مرتفعا عن الأرض بمقدار شبر واحد أو شبرين.

بقى علينا أمر دقيق جدا ظهر لنا فى الباب الغربى، و هو: أن الردف «بضم الراء» الذى فوق الباب الغربى، أى العود الغليظ الذى على الباب، هل هو من بناء السلطان مراد المذكور وضعوه سنة (١٠٤٠) حين البناء، أم هو من بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنه؟ الذى نعتقده أنه من بناء عبد الله بن الزبير فهو الذى وضعه فيه سنة (٦٤) أربع و ستين هجرية، و الذى يدلنا على ذلك هو ما لاحظناه فى العود الغليظ من الغصن و التجعد الكثير، بما يشبه الرجل العجوز الذى بلغ من الكبر ما تجعد منه وجهه و تكرمش جلده، لأنه معرض للمطر و إن كان وراء كسوة الكعبة. و الله تعالى أعلم بالغيب.

(فإن قيل): لم لم ينكسر هذا العود بمرور السنين عليه؟

(نقول): لم ينكسر لأنه ليس عليه ثقل يذكر، فهو فوقه بناء و تحته بناء أيضا فهو فى نفس البناء منذ أن سد الحجاج هذا الباب. فلما كان بناء السلطان مراد فى السنة المذكورة (١٠٤٠) من الهجرة رأوه صالحا للبقاء فوضعوه فى ظاهر البناء، فإن كل شئ من خشب أو حجر يخرج من الكعبة عند تعمیرها يعاد إليها ثانيا إذا كان صالحا للبقاء، كما عملنا نحن ذلك عند تجديد سقفها فى عصرنا هذا سنة (١٣٧٧) سبع و سبعين و ثلاثمائة و ألف هجرية.

فعليه يكون هذا العود الذى فوق الباب الغربى فى ظهر الكعبة المشرفة و الأعواد الثلاثة القائمة فى جوفها الواصلة إلى سقفها الأول، هى من وضع و بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فتكون هذه الأعواد الأربعة أعوادا أثرية ثمينة جدا لأمرين: أولا لقدمها، و لكل شئ قديم قيمة خاصة، و ثانيا: أنها منسوبة لبيت الله الحرام و هذه النسبة لا يستهان بها، و قد كتبنا هذا المبحث بعد النظر الدقيق على

الكعبة المشرفة و هي مجردة عن ثوبها يحيط بها الأخشاب من جميع الجهات لأجل تعميرها و ذلك في شهر رجب عام (١٣٧٧) هجرية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٧٨

فالحمد لله على توفيقاته العظيمة المتواليه، و الشكر له على نعمه الوافرة المتتاليه، و صلى الله على نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم.

### حكم استقبال القبلة عند هدم الكعبة المشرفة

إذا هدمت الكعبة من جميع الجهات «لا قدر الله تعالى» حتى لم يبق لها جزء قائم، فكيف يكون حكم الصلاة إليها و الحالة هذه؟ فهل نقول أن الصلاة جائزة إذا استقبل المصلي محلها و هواءها كمن صلى إليها و هو في مكان مرتفع عنها كجبل أبي قبيس؟ أم نقول أن حكم الصلاة إليها في هذه الحالة هو حكم الصلاة على سطح الكعبة من حيث وجود الشاخص أو عدمه، فلا بد من صحة الصلاة على سطحها من وجود الشاخص بين يدي المصلي، و مثل حكم الصلاة إليها في الحالة المذكورة حكم الطواف بها.

الظاهر لنا و الله تعالى أعلم: لا بد من صحة الصلاة و الطواف من وجود نفس الكعبة أو وجود جزء منها، فإذا هدمت كلها حتى لم يبق منها جزء قائم «لا قدر الله تعالى ذلك» فلا بد من صحة الصلاة و الطواف عندئذ من وجود شاخص على محل الكعبة و موضعها تماما، هذا إذا كان المصلي عند الكعبة بالمسجد الحرام بحيث يمكن له مشاهدة ذاتها، أما إذا كان المصلي بعيدا عنها و في البلدان الأخرى فالظاهر عدم اشتراط وجود الشاخص عندئذ.

و نستدل على ما ذكرناه بما جاء في تاريخ الإمام الأزرقى رحمه الله تعالى بأن ابن عباس رضى الله عنهما أرسل إلى عبد الله بن الزبير، رضى الله عنهما، عندما هدم الكعبة حتى ألصقها كلها بالأرض من جميع جوانبها يقول له: «لا تدع الناس بغير قبلة انصب لهم حول الكعبة الخشب و اجعل عليها الستور حتى يطوف الناس من ورائها و يصلون إليها» ففعل ذلك ابن الزبير. اه.

جاء في هامش الجزء الرابع من صحيح مسلم طبعه الآستانة عند الحديث الخاص باحتراق البيت الحرام و بناء ابن الزبير له و جعله عليه الأعمدة و عليها الستور ما نصه:

قوله: فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه، المقصود بهذه الأعمدة و الستور أن يستقبلها المصلون في تلك الأيام و يعرفوا موضع الكعبة،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٧٩

و لم تزل تلك الستور حتى ارتفع البناء و صار مشاهدا للناس فأزالها لحصول المقصود بالبناء المرتفع من الكعبة. اه نووى. انتهى.

و بعض العلماء يرى أنه إذا هدمت الكعبة، لا قدر الله تعالى، حتى لم يبق منها شيء، فإن المصلي يتوجه إلى محلها و هوائها، و لا يشترط وجود الشاخص.

و الله تعالى أعلم.

### الخلاصة في كيفية بناء ابن الزبير

فخلاصة الكلام المتقدم كما ذكرناها في كتابنا «مقام إبراهيم عليه السلام» المطبوع بمصر هي:

أن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما بعد أن استخار الله تعالى ثلاثة أيام هدم الكعبة كلها حتى ألصقها و سواها بالأرض و كشف عن أساس إبراهيم عليه السلام فوجده داخلا في حجر إسماعيل نحو من ستة أذرع و شبر فبناها على أساسه و على ذرعه لدليل استند



عليه و هو الحديث الذي سمعه من خالته عائشة رضی الله عنها، و هو جاء في صحيح مسلم في كتاب الحج في باب نقض الكعبة و بنائها عن سعيد بن ميناء قال: سمعت عبد الله بن الزبير يقول: حدثتني خالتي (يعنى عائشة) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا عائشة لو لا قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض و جعلت له بابين بابا شرقيا و بابا غربيا و زدت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة فلما بناها ابن الزبير زاد في طولها إلى السماء حتى صار سبعا و عشرين ذراعا ليتناسب مع عرضها و جعل لها بابين لاصقين بالأرض من جهتي الشرق و الغرب أحدهما يدخل منه و الآخر يخرج منه، و جعل طول كل منهما أحد عشر ذراعا و جعل لكل منهما مصراعين و جعل للكعبة أربعة أركان و قد كان لها ركنان فقط الركن الأسود و الركن اليماني فكانت أركانها الأربعة تستلم في زمانه حتى قتل رضی الله تعالى عنه، و جعل لها درجة في بطنها في الركن الشامي من خشب معرجة يصعد فيها إلى ظهرها و حلاها بالذهب و جعل في سطحها ميزابا يسكب في الحجر. قيل: إن ابن الزبير بنى الكعبة بالقصة بفتح القاف أى الحص أتى بها من صنعاء و قيل: إنه بناها بالرصاص المذاب المخلوط بالورس و هو نبت أصفر يزرع باليمن و يضح به.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٨٠

(فإن قيل): لم كانت أركان الكعبة تستلم في زمانه و لم تكن تستلم قبل ذلك و لا بعد وفاته؟

(فتقول و الله تعالى أعلم): لما كان بناء قريش لم يتم على قواعد إبراهيم عليه السلام، حيث نقصوا من عرض الكعبة من جهة الحجر ستة أذرع و شبرا و جعلوا هذا الجدار الذي من جهة الحجر مدورا ليس فيه ركنان لم يستلم أحد من الصحابة سوى الركنين الأسود و اليماني اقتداء به صلى الله عليه و سلم و لعدم وجود أربعة أركان للكعبة.

فلما بنى عبد الله بن الزبير رضی الله عنهما الكعبة على أساس إبراهيم صلوات الله و سلامه عليه و جعل لها أربعة أركان رأى باجتهاده و اجتهاد بعض كبار الصحابة الموجودين في زمانه أن يستلموا جميع أركان الكعبة ما دامت أقيمت على قواعد إبراهيم كما كان يتمنى النبي صلى الله عليه و سلم بناءها على قواعد.

فلما قتل ابن الزبير رضی الله عنهما و هدم الحجاج ما زاده ابن الزبير في الكعبة فبناها على أساس قريش ترك الناس استلام أركانها الأربعة و لآزموا استلام الركنين فقط الأسود و اليماني كما كان ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لا يزال الناس كذلك إلى أن تقوم الساعة.

هذا ما فهمناه مما ورد في صحيح البخارى في كتاب بدء الخلق بعد قصة مجيء إبراهيم عليه السلام بهاجر و إسماعيل إلى مكة و بنائه للبيت الحرام. فقد جاء فيه أن أبى بكر أخبر عبد الله بن عمر عن عائشة: ألم تر أن قومك بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟ فقلت: يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ فقال:

لو لا حدثان قومك بالكفر فقال عبد الله بن عمر: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه و سلم، ما أرى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتم على قواعد إبراهيم. اه.

فمن قول ابن عمر رضی الله عنهما استنتجنا ما ذكر و الله تعالى أعلم. و هذا الحديث في صحيح مسلم أيضا في كتاب الحج. هذا فلما فرغ عبد الله بن الزبير من بناء الكعبة خلق جوفها بالعنبر و المسك و لطح جدارها بالمسك من الخارج من أعلاها إلى أسفلها و سترها بالديباج و قيل بالقباطى: و هى ثياب من كتان تعمل بمصر و كان ذلك اليوم مشهودا لم ير يوما كان أكثر عتقا و لا أكثر بدنة منحورة و لا شاء مذبوحة من ذلك اليوم، و خرج

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٨١

ابن الزبير ماشيا حافيا و خرج معه كثير من قريش مشاء حتى وصلوا إلى مسجد عائشة بالتنعيم فأحرموا بالعمرة شكرا لله تعالى على ما وفقهم لبناء بيته الحرام على الصفة التى بناها إبراهيم عليه الصلاة و السلام.

و سبب بناء ابن الزبير الكعبة أن رجلا- في أيام الحصار أوقد نارا في بعض الخيام المضروبة في المسجد الحرام فطارت شرارة في الخيمة فمشى الحريق حتى أخذ في كسوة الكعبة فاحترقت و احترق الركن الأسود أيضا و ذلك سنة أربع و ستين هجرية. قال في الجامع اللطيف: القباطى بفتح القاف جمع قبطية بضم القاف، و هو ثوب رقيق أبيض من ثياب مصر، كأنه منسوب إلى القبط بكسر القاف و الضم فيه من تغيير النسب، و الضم فيه خاص بالثياب، و أما فى الناس فقبطى بكسر القاف لا غير. اه. و فى تاريخ الكعبة: قال الفاكهى من طريق أبى أويس عن موسى بن ميسرة، أنه دخل الكعبة بعد ما بناها ابن الزبير فكان الناس لا يزدحمون فيها يدخلون من باب و يخرجون من آخر. انتهى.

### مميزات بناء ابن الزبير

- ١- أول من باشر هدم الكعبة هو ابن الزبير فعلاها بنفسه فأخذ المعول و جعل يهدمها و يرمى بحجارتها ثم تبعه الناس.
- ٢- نصب ستارة من الخشب حول الكعبة و جعل عليها الستور يشتغل العمال من ورائها و يطوف الناس خارجها.
- ٣- بنى عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما الكعبة على أساس إبراهيم عليه السلام.
- ٤- و أرجع ما نقصته قريش من جدار الكعبة من جهة الحجر إلى محله الأول فبناه على أساس سيدنا إبراهيم بالضبط.
- ٥- و زاد فى ارتفاع الكعبة من الأرض للسماء على ما زادته قريش، فصار ارتفاعها سبعا و عشرين ذراعا.
- ٦- و جعل لها بابين الباب الشرقى للدخول، و الباب الغربى للخروج.
- ٧- و جعل البابين لاصقين بالأرض غير مرتفعين. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ٢-٣؛ ص ٨١ و جعل لكل من البابين مصراعين، و جعل طول كل منهما أحد عشر ذراعا.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٨٢
- ٩- و جعل للكعبة أربعة أركان، أى لم بين جدارها من جهة الحجر مدورا كبناء قريش، بل جعل فيه ركنين.
- ١٠- و كانت الأركان الأربعة تستلم فى زمانه حتى قتل رضى الله عنه.
- ١١- و جعل فى داخلها فى الركن الشامى درجة معرجة من الخشب و حلاها بالذهب، يصعد منها إلى سطحها كما جعل ميزابا فى السطح يسكب فى الحجر.
- ١٢- و جعل فى داخلها ثلاث دعائم. و كانت فى بناء قريش ستة.
- ١٣- و بناها بالجص و قيل بالرصاص المخلوط بالورس.
- ١٤- و لما فرغ من بنائها خلق جوفها و جدارها الخارجى من أعلاها إلى أسفلها بالعنبر و المسك و كساها بالدباج و قيل بالقباطى.
- ١٥- و بعد الفراغ من ذلك كله أكثروا من العتق و من نحر البدنة و الشياه و تصدقوا بكل ذلك شكرا لله على هذا التوفيق ثم خرج ابن الزبير ماشيا حافيا إلى التنعيم و خرج معه كثير من قريش فأحرموا بالعمرة.
- ١٦- و كان ذلك سنة (٦٤) أربع و ستين هجرية و قيل خمس و ستين. و الله تعالى أعلم.

### أنين الكعبة من ضرب المنجنيق فى عهد ابن الزبير رضى الله تعالى عنه

لما تحصن عبد الله بن الزبير، رضى الله عنهما مع أصحابه فى المسجد الحرام، و نصب الحصين بن نمير المنجنيق على جبل أبى قبيس و جبل الأحمر و هو قعيقعان الذى نسميه الآن «بجبل هندی»، صار الرمي على ابن الزبير و أصحابه، فكانت الحجارة تصيب الكعبة، و عند وقوع أول حجر عليها من المنجنيق سمع من كان حولها منها أنينا و تأوها كما يصدر من المريض.

فنجب أن نتكلم هنا على هذا المعنى نسأل الله التوفيق فيه، حيث لم نر من تكلم من المؤرخين فنقول:

جاء في تاريخ الإمام الأزرقى ما نصه: حدثني محمد بن إسماعيل بن أبي عبيدة قال: حدثني أبو النضر هاشم بن القاسم الليثي عن مولى لابن المرتفع قال:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٨٣

كنا مع ابن الزبير في الحجر، فأول حجر من المنجنيق وقع في الكعبة سمعنا لها أنينا كأنين المريض آه آه. انتهى.

و جاء في تاريخ الخميس بصحيفة ١٦٦ من الجزء الأول ما نصه: و في المواهب اللدنية قال عليه الصلاة و السلام للعباس بن عبد المطلب: يا عم لا ترم منزلك أنت و بنوك غدا حتى آتيك فإن لى فيكم حاجة فلما أتاهم اشتمل عليهم بملاءته ثم قال: يا رب هذا عمى و صنو أبى و هؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى إياهم بملاءته هذه، قال: فأمنت أسكفة الباب و حوائط البيت فقالت: آمين آمين آمين. رواه ابن غيلان و أبو القاسم حمزة و السهمى و رواه ابن السرى و فيه فما بقى فى البيت مدره و لا- باب إلا أمن. انتهى من تاريخ الخميس.

و جاء في تاريخ الأزرقى أيضا عند بناء الكعبة: فهدمت قريش معه، أى مع الوليد بن المغيرة حتى بلغوا الأساس الأول الذى رفع عليه إبراهيم و إسماعيل القواعد من البيت فأبصروا حجارة كأنها الإبل الخلف لا تطيق الحجر منها ثلاثون رجلا يحرك الحجر منها فترج جوانبها قد تشبك بعضها ببعض، فأدخل الوليد بن المغيرة عتله بن الحجرين فانفلقت منه فلقه عظيمة فأخذها أبو وهب ابن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم من يده حتى عادت فى مكانها و طارت من تحتها برقه كادت أن تخطف أبصارهم و رجفت مكة بأسرها، فلما رأوا ذلك أمسكوا عن أن ينظروا ما تحت ذلك. انتهى منه.

و الخلف بفتح فكسر، المخاض و هى الحوامل من النوق كما فى المصباح و فى مكان آخر قال الأزرقى: إن الذى أدخل العتله هو عبد الله بن مطيع العدوى.

اه. فقد يجوز أن كلا منهما أدخل عتله فيه فى الأساس. و قال الأزرقى عند بناء ابن الزبير رضى الله عنهما الكعبة: عن عبيد الله بن أبى يزيد قال: رأيت ابن الزبير هدم الكعبة و أراهم أساسا داخلا فى الحجر آخذ بعضه بعضا كلما حرك منه شىء تحرك كله فبنى عليه الكعبة. انتهى.

و جاء فى تاريخ الغازى: و فى تحصيل المرام، نقلا عن الحلبي قال: و فى رواية كشف له عن أساس إبراهيم عليه الصلاة و السلام فوجده داخلا فى الحجر ستة أذرع و شبر و أحجار ذلك الأساس كأنها أعناق الإبل حجارة حمرا آخذها بعضها فى بعض مشتبكة كتشبيك الأصابع و أصاب فيه قبر أم إسماعيل فدعى عبد الله بن الزبير خمسين رجلا من وجوه الناس و أشرافهم و أشهدهم على ذلك الأساس

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٨٤

و أدخل عبد الله بن مطيع العدوى عتله كانت بيده فى ركن من أركان البيت فترزعت الأركان كلها فارتج جانب البيت و رجفت مكة بأسرها رجفة شديدة و طار منه بوقه فلم يبق دار من دور مكة إلا دخلت فيه ففرعوا. انتهى من تاريخ الغازى.

نقول: معنى قوله: «آخذ بعضه بعضا» و قوله فيما تقدم: «قد تشبك بعضها ببعض» إن هذه الحجارة العظيمة من أساس البيت، قد تشبك بعضها ببعض بقدرة الله تعالى لا بالصناعة البشرية من النحت و التقوير، بمعنى أن الملائكة حينما كانت تقذف بالصخور فى أساس البيت جعل الله عز و جل هذه الصخور لينه كالعجين فاشتبك بعضها ببعض بحيث لا ينفصل شىء منها، كما ألان الله تعالى الحديد لنيه داود عليه الصلاة و السلام. و قوله: كلما حرك منه شىء تحرك و ترزعت الأركان كلها، هذه ميزة خاصة لأساس بيت الله الحرام، و يفهم من هذا أمران:

الأول: سهولة تحرك جميع الأركان و هى ثقيلة من الصخور العظام.

الثانى: اتصال أجزائها ببعض كالقطعة الواحدة تماما و هذان الأمران لا يجتمعان قط فى بنیان البشر، فلا شك أن هذه خصوصية للكعبة الغراء زادها الله شرفا و تعظيما.

نقول: إن أنين الكعبة من الحجارة التى كانت تصيبها عند الرمي بالمنجنيق فى حرب الحجاج مع ابن الزبير لا يستغرب لأن ذلك من الآيات التى يخوف الله بها عباده ليرتدعوا. قال صلى الله عليه و سلم: إن للكعبة لسانا و شفتين و قد اشتكت فقالت: يا رب قل عوادى و زوارى، فأوحى الله أنى خالق بشرا خشعا سجدا يحنون إليك كما تحن الحمامة إلى بيضها. رواه الطبرانى عن جابر رضى الله عنه. و هذا الجذع الذى كان يخطب عليه النبى صلى الله عليه و سلم بمسجده بالمدينة المنورة، قد حن و أن أنين الصبى و ذلك حينما تحول النبى عليه الصلاة و السلام عنه إلى المنبر الذى صنعوه له.

قال السهمودى رحمه الله تعالى فى كتابه «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» فى أول الجزء الثانى ما نصه: رويانا فى صحيح البخارى عن ابن عمر قال: كان النبى صلى الله عليه و سلم يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٨٥

وفيه عن جابر أن النبى صلى الله عليه و سلم، كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا، قال: إن شئتم. فجعلوا له منبرا، فلما كان يوم الجمعة رفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبى، ثم نزل رسول الله صلى الله عليه و سلم فضمه إليه و هو يئن أنين الصبى الذى يسكن.

قال: كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها. انتهى من كتاب وفاء الوفا.

فانظر رحمك الله بعين البصيرة و الاستبصار، تجد أن أنين الكعبة المعظمة هو للعظة و الاعتبار، و أنين الجذع هو للحنين إلى النبى الكريم المختار، و كل ذلك آيات من آيات الله تعالى ليزداد الذين آمنوا إيمانا.

و أمثال ما تقدم كثير، كالحجر الذى كان يسلم على النبى صلى الله عليه و سلم قبل أن يبعث كما ورد ذلك فى صحيح مسلم، و قبرة بنى إسرائيل التى تكلمت فقالت: «إنى لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث» و الحديث أوله «بينما رجل راكب على بقرة ..

الخ» كما ورد ذلك فى البخارى و مسلم، و فى هذا الحديث أيضا كلام الذئب للراعى، و قد ذكرنا نص هذا الحديث فى الكلام على نطق فيل أبرهه لعبد المطلب.

و قد ذكر صاحب كتاب «النطق المفهوم من أهل الصمت المعلوم» أشياء كثيرة مما يشبه ما تقدم، و هو كتاب عجب قيم، يبحث عن نطق بنى آدم، و نطق الحيوان، و نطق الحشرات، و نطق الحشرات، و نطق النباتات و الجمادات من كل جنس و نوع، و الحق يقال أنه كتاب فريد فى باب، لا نظن أن أحدا ألف كتابا على نسجه و منواله، و هو كتاب مطبوع بمطبعة الحلبي بمصر فى سنة (١٣٠٨) هجرية. و نقول أيضا: إن أنين الكعبة و سماع بعضهم أنينها كالمريض آه، آه، و قولها:

آمين آمين آمين ليس فى ذلك من غرابه، فإنه للعظة و الذكرى و الاعتبار، و الله تعالى قادر على كل شىء.

و إذا ثبت للرحم النطق و الكلام و هو مصدر و ليس بجسم، فلا يمتنع التأوه و الكلام من الكعبة المشرفة فى الصحيحين «الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلنى وصله الله و من قطعنى قطعه الله».

و مثل ذلك شهادة أطراف الإنسان على صاحبها كما فى صريح الآية الكريمة فى سورة ياسين: الْيَوْمَ نَخْتُمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَ تَكَلَّمْنَا بِأَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٨٦

كَانُوا يَكْسِبُونَ و كما فى صريح الآية التى فى سورة فصلت وَ يَوْمَ يُخَشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ\* حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ\* وَ قَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ

خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

فأله عز شأنه إذا كان قادرا على إنطاق أطراف الإنسان عليه، قادر على إنطاق الكعبة المشرفة، على أن سماع نطقها لا يحصل لكل الناس ولا لكل من جلس حولها، وإنما للبعض دون البعض بحسب قوة إيمانهم وصلاحهم. فلقد كان بعض الأحجار تسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن عصا موسى عليه السلام التقت ما صنعه سحرة فرعون بعد أن صارت حية تسعى ثم رجعت كما كانت.

ففى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن ينزل على الوحي. ورواه الترمذى والإمام أحمد عن جابر بن سمرة، و فى بعض الروايات «كان يسلم على قبل أن أبعث» و نعتقد أن هذا التسليم كان حقيقة أنطقه الله تعالى كما أنطق الجذع و ذلك معجزة لرسول الله، صلى الله عليه وسلم ولا نبحت عن كيفية نطق الحجر و هو جماد فإن الله أعلم بها.

و ما أحلى البيتين الآتين قالهما بعض الفضلاء على لسان الحجر الناطق وهما:

أنا الحجر المسلم كل حين على خير الورى فى البشارة

و نلت فضيلة من ذى المعالى خصصت بها «و إن من الحجارة»

و مما يلحق بأنين الكعبة المشرفة كلامها، فقد جاء فى كتاب "القرى لقاصد أم القرى" للإمام الطبرى بصحيفة (٢٣٨) ما نصه: عن وهيب بن الورد قال: كنت فى الحجر تحت الميزاب بعد العشاء الآخرة فسمعت من تحت الأستار «إلى الله أشكو و إليك يا جبريل ما ألقى من الناس من التفكه حولى بالكلام» أخرجه الأزرقى و أخرجه الإمام أبو بكر فى مسألة الطائفين بزيادة. و لفظه: يا جبريل أشكو إلى الله ثم إليك ما يفعل هؤلاء الطائفون حولى من تفكهم فى الحديث و لفظهم و سهوهم. قال وهيب: فأولت أن البيت شكا إلى جبريل. انتهى منه.

أما خبر حنين الجذع الذى كان يخطب عليه صلى الله عليه وسلم فمشهور: و ذلك أن النبى عليه الصلاة و السلام كان يخطب على هذا الجذع، فلما اتخذوا له المنبر بثلاث

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٨٧

درجات من أثل الغابة و خطب النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على هذا المنبر سمع الناس لذلك الجذع صوتا كصوت العشار و هى الناقه التى أتى عليها من وقت الحمل عشرة أشهر.

جاء فى تاريخ الخميس: و فى خلاصة الوفاء اضطربت تلك السارية كحنين الناقه الخلوج أى: التى انتزع ولدها، قال عياض: حديث حنين الجذع مشهور و الخبر به متواتر أخرجه أهل الصحيح و رواه من الصحابة بضع عشر، و فى رواية أنس حتى ارتج المسجد لخواره، و فى رواية: أن كائين الصبى، و فى رواية سهل:

و كثر بكاء الناس لما رأوا به، و فى رواية المطلب: حتى تصدع و انشق حتى جاءه النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت. و فى حديث بريدة قال النبى صلى الله عليه وسلم: إن شئت أردك إلى الحائط الذى كنت فيه تنبت لك عروكك و يكمل خلقكك و يجددك لك خوصكك و ثمركك، و إن شئت أغرسك فى الجنة فىأكل أولياء الله من ثمرك. ثم أصغى له النبى صلى الله عليه وسلم و يسمع ما يقول فقال: بل تغرسنى فى الجنة فىأكل منى أولياء الله فأكون فى مكان لا أبلى فيه- يعنى فى الجنة- فسمعه من يليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم: قد فعلت ثم قال: قد اختار دار البقاء على الفناء. أوردته فى الشفاء. انتهى مختصرا من تاريخ الخميس، و فى هذا القدر كفاية.

فأنين الكعبة و سلام الحجر و حنين الجذع، لو لم يكن على الحقيقة لما سمع الناس منهم ذلك بأذانهم، و أما كيفية فالله تعالى أعلم بها و هو على كل شىء قدير.

و أما ما تقدم في بناء قريش و بناء ابن الزبير الكعبة، من أنهم لما وصلوا في الحفر إلى الأساس و أدخل الوليد بن المغيرة عتله بين حجرين انقلعت منه فلقه فأخذها رجل فنزت من يده حتى عادت في مكانها و طارت منها برقة كادت تخطف الأبصار فترعزت أركان البيت كلها و ارتجت جوانب البيت و رجفت مكة بأسرها رجفة شديدة و طار منها برقة فلم يبق دار من دور مكة إلا دخلت فيه ففزع أهلها. فلا تظن أن زعزت الأركان و الرجفة لمكة كانت من تصادف حصول زلزلة أرضية في وقت البناء كالزلازل التي تكون في بقاع الأرض، لأن مكة شرفها الله تعالى و صانها من كل سوء هي محفوظة من الزلازل فلم يحدثنا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٨٨

التاريخ قط عن حصول زلزلة فيها، و كيف تكون في مكة زلزلة و هي محاطة كلها بالجبال الراسيات الضاربات عروقتها في تخوم الأرض.

فالزعزعة و الرجفة التي حصلت عند وصولهم إلى أساس إبراهيم عليه الصلاة و السلام، إنما كانت بإرادة الله تعالى إشارة إلى أنهم واقفون على نفس الأساس الأصلي للكعبة فليبنوا عليه و لا- يتعرضوا له مطلقا، لذلك خافوا و فزعوا و لم يمسه بشيء بل بنوا فوقه البيت الحرام.

و أما نزو الفلقة التي انفصلت من أساس الكعبة المشرفة من يد الرجل الذي أخذها و رجعوها إلى مكانها و موضعها الأول، فلا عجب في ذلك، لأن هذه الفلقة قطعة من الأساس الأول للبيت الحرام فلا بد أن ترجع إلى مكانها منه فلا غرابة إذا و ثبت القطعة بنفسها من يد الرجل فرجعت إلى موضعها حتى يكون الأساس الأول محفوظا لا يمسه أحد، و من هنا نعلم أنه ليس على وجه الأرض شيء من أساس الكعبة و أنه محفوظ بقدره الله تعالى، لأنه أساس عمله الملائكة بقذف الصخور إلى تخوم الأرض في بناء إبراهيم عليه الصلاة و السلام فلا يمكن أن ينفصل منه أي جزء منها كان صغيرا، أما بناء الكعبة فهو من أحجار هذه الجبال الظاهرة فإن هدمت و تلفت هذه الأحجار يستبدل غيرها عند تجديد بنائها، و يدفن التالف منها في أرض المسجد الحرام حرمة لها لأنها كانت من الكعبة.

و بمناسبة كلامنا المتقدم أن مكة شرفها الله تعالى محفوظة من الزلازل، رأينا أن نكتب لمرصد حلوان بمصر عن مسألة الزلازل في الحجاز، لأن هذا المرصد هو من المراصد العالمية المهمة، فكتبنا خطابا لمدير المرصد في الثامن عشر من شهر شعبان سنة ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية، الموافق للسابع من شهر فبراير سنة ألف و تسعمائة و ثمان و خمسين ميلادية و هذا نص الخطاب:

بسم الله الرحمن الرحيم حضرة السيد الكريم مدير مرصد حلوان بمصر، حفظه الله تعالى

بعد التحية: بما أن مرصد حلوان هو أهم مراصد العالم، لذلك كتبنا لسيادتكم هذا نرجو التكرم بإفادتنا عما يأتي:

١- هل إذا حصل في الحجاز زلزال يعرف ذلك بمرصد حلوان بدقة أم لا؟

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٨٩

٢- و هل سلسلة الجبال الموجودة بالحرمين الشريفين يمنع حدوث الزلازل بهما أم لا؟

٣- إن لم تمنع سلسلة الجبال حصول الزلازل بالحرمين الشريفين. فهل من الممكن أن نعرف أقدم زلزلة و أقربها حصلت بهما، و كم عدد الزلازل التي حدثت فيهما منذ قديم الزمان إلى اليوم. نرجو إفادتنا عن الأسئلة الثلاثة خدمة للعلم. و لسيادتكم الشكر. و تفضلوا بقبول فائق الاحترام.

المخلص

محمد طاهر الكردي الخطاط

فورد إلينا جواب مدير مرصد حلوان بمصر في الرابع و العشرين من شهر فبراير سنة ألف و تسعمائة و ثمان و خمسين ميلادية، تحت رقم (٣٢٥) و هذا نص جوابه:

بسم الله الرحمن الرحيم حضرة السيد الكريم محمد طاهر الكردي، حفظه الله تعالى

تحية مباركة و بعد: ردا على خطابكم بتاريخ ١٨-٧-١٣٧٧ هـ أتشرف بأن أنهى إلى سيادتكم بالردود الآتية:

١- إذا حدث في الحجاز أو أية جهة أخرى على سطح الأرض زلزال و كان شديدا نوعا لسجلته آلات الزلازل بمرصد حلوان و لأمكن تحديد هذا الزلزال بالدقة.

٢- ليس لسلاسل الجبال في أى مكان القوة لمنع انتقال الهزات التى تحدثها الزلازل.

٣- أن الأراضي المقدسة بشبه الجزيرة العربية قد حباها الله سبحانه و تعالى بأرض هادئة مستقرة بعيدة عن مناطق الزلازل التى تحدث من آن لآخر على طول الساحل اليمنى.

٤- إن أهم الزلازل التى حدثت بالمنطقة المشار إليها هى اثنان:

الأول: حدث فى ١١ يناير سنة ١٩٤١ عند النقطة ١٧ درجة شمالا و ٤٣ درجة شرقا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٩٠

و الثانى: فى ٤ فبراير سنة ١٩٤١ عند النقطة ١٦ درجة شمالا و ٤٣ درجة شرقا.

و كلاهما يبعد نحو ٥٠٠ كيلومترا عن مكة المكرمة. و تفضلوا بقبول فائق الاحترام.

مدير معهد الأرصاد بحلوان بمصر

نقول: و مثل زعزعة أركان الكعبة و ارتجاجها فى بناء قريش و بناء ابن الزبير، رضى الله تعالى عنهما، تحركها مرارا فى آخر القرن السادس الهجرى، و ذلك كما رواه الغازى فى تاريخه المخطوط بخط يده، رحمه الله تعالى، فى الجزء الأول بصحيفة (٥٦٤) فإنه قال: و فى سنة اثنتين و تسعين و خمسمائة بعد خروج الحاج من مكة هبت ريح سوداء عمت الدنيا «أى جميع مكة» و وقع على الناس رمل أحمر، و وقع من الركن اليمانى قطعة و تحرك البيت الحرام مرارا، كذا فى إتحاف الورى بأخبار أم القرى. انتهى ما ذكره الغازى.

نقول: إن تحرك الكعبة مرارا فى هذه الحادثة قد تكون إشارة و آية يخوف الله بها عباده ليتوبوا إليه و يرجعوا عما كانوا عليه من الظلم و الفساد، فإن الله تعالى لطيف بعباده لا يعجل بالعقوبة علينا.

جاء فى تاريخ الغازى أن الفاكهى قال: حدثنى أبو على الحسن بن مكرم، حدثنا عبد الله بن بكر، حدثنى أبو بكر بن حبيب، قال: جاورت بمكة فعابت اسطوانة من أساطين البيت فأخرجت و جىء بأخرى ليدخلوها مكانها فطالت عن الموضع و أدركهم الليل و الكعبة لا تفتح ليلا فتركوها مائله ليعودوا غدا فيصلحوها، فجاؤوا من غد فأصابوها أقوم من قدح. انتهى.

قال: و هذا غريب و فيه كرامة للبيت، اه. انتهى من تاريخ الغازى، و القدح بكسر القاف، السهم.

نقول: إن وقوع مثل هذا الأمر ليس ببعيد عن بيت الله الطاهر المطهر المنور لأنه عامر بالملائكة على الدوام، و ليس بعجيب على أمر الله الذى إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٩١

و الفاكهى المذكور هو محمد بن إسحاق الفاكهى من أهل القرن الثالث الهجرى و له مؤلف خاص فى تاريخ مكة توجد منه نسخة فى إحدى خزائن أوروبا كما هو مذكور فى حاشية أخبار مكة للأزرقى.

و جاء فى تاريخ الغازى نقلا عن درر الفرائد ما نصه: و فى سنة (٤١٠) عشر و أربعمائة قتل بمكة هادى المستجلش و كان ظهر فى آخر أيام الحاكم العيىدى صاحب مصر و صار يدعو إلى عبادة الحاكم. فحكى عنه أنه سب الرسول صلى الله عليه و سلم، و بصق على المصحف الشريف و سار فى البوادرى يدعو إلى أن قتله الله تعالى و ذلك أنه لما وصلها و نزل على أبى الفتوح و أعطاه الذمام و صار يطوف بالكعبة فكلما رآه المجاورون مضوا إلى أبى الفتوح و ذكروا له شأنه و أنه لا يستتاب فقال: هذا قد نزل على و أعطيته الذمام فقالوا: لا يصح أن يعطى الذمام فدافعهم أبو الفتوح فاجتمع الناس عند باب الكعبة و ضجوا إلى الله تعالى و بكوا ففضى الله

تعالى بإرسال ريح سوداء حتى أظلمت الدنيا و صار للكعبة نور كنور النبراس و لم يزل كذلك يرى ليلا و نهارا على حالة واحدة مدة سبعة عشر يوما فلما رأى أبو الفتوح ذلك أمر بالغريم و غلام له مغربى فضربت أعناقهما و صلبا و لم يزل المغاربة يرمونهما بالحجارة حتى سقطا إلى الأرض فجمعوا لهما حطبا و أحرقوهما. كذا فى درر الفرائد.

قال الغازى: و فى تاريخ ابن فهد بعد قوله و أعطيته الذمام فقالوا: إن هذا سب و بصق فسأله عن ذلك فأقر به و قال: قد ثبت فقال المجاورون: توبه هذا لا تصح و قد أمر النبى صلى الله عليه و سلم بقتل ابن خطل و هو متعلق بأستار الكعبة و هذا لا يصح أن يعطى الذمام و لا ينبغى إلا قتله. انتهى.

قال فى المنجد: ترس الشمس قرصها، يقال: غاب ترس الشمس. اه.

هذا و لقد يشبه ما تقدم الحجر الذى فر و هرب بثوب نبى الله تعالى و كلمه موسى، عليه الصلاة و السلام، فصار يجرى وراءه حتى أمسكه و أخذ منه ثوبه و ضربه، و قصته مشهورة فى كتب التفسير و الحديث و التاريخ، و لنذكر بعض ما ورد فى ذلك من الأحاديث الصحيحة فنقول: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «كان بنو إسرائيل يغتسلون عراه ينظر بعضهم إلى بعض و كان موسى، عليه الصلاة و السلام يغتسل وحده، فقالوا: و الله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فخرج موسى فى أثره يقول:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٩٢

ثوبى يا حجر! ثوبى يا حجر! حتى نظر بنو إسرائيل إلى موسى، فقالوا: و الله ما بموسى من بأس، و أخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا» رواه البخارى و مسلم فى صحيحهما.

قال شيخنا شارح زاد المسلم رحمه الله تعالى: و فى الصحيحين بعد ذكر هذا الحديث قال أبو هريرة: و الله إنه بالحجر لندب، بالحجر ستة أو سبعة ضرب موسى بالحجر. و فى روايه مسلم حذف ياء النداء من لفظ ثوبى يا حجر فى المرتين. و الآدر الذى له أدره بالضم، و هى انتفاخ الخصية. اه.

و فى البخارى عن أبى هريرة، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن موسى كان رجلا حيا ستيرا لا يرى جلده شىء استحياء منه، فأذاه من آذاه من بنى إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص أو أدره و إما آفه، و إن الله عز و جل أراد أن يبرأه مما قالوا لموسى، فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها و إن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه و طلب الحجر فجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى إلى ملاء من بنى إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله و برأه مما يقولون و قام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه و طفق بالحجر ضربا بعصاه، فو الله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا، قال فذلك قوله عز و جل: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا. انتهى.

فالحديث الشريف صريح اللفظ لا يحتاج إلى تفسير و شرح، و نحن نعتقد أن فرار الحجر بثوب نبى الله موسى عليه الصلاة و السلام، كان حقيقة لا مجازا كما هو ظاهر للمتأمل، و لا نسأل كيف فر الحجر و مشى و هو جماد و كيف أمسك ثوبه و لا نسأل كيف يؤثر العصا فى الحجر حتى تترك به ندبا عديده، و لا نسأل أيضا كيف يضرب موسى عليه السلام حجرا جمادا بعصاه فهل يؤدب الحجر و هل هو يتألم من الضرب. فنحن نؤمن بكل ما جاء و ثبت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم من غير بحث و لا تحقيق، فما فهمناه نحمد الله و ما لم نفهمه نفوض أمره إلى الله تعالى.

و مثل ما تقدم عن الجمادات، نقوله فيما يروى عن نطق الحيوانات، كتملة و هدهد نبى الله سليمان عليه السلام، الذى ورد فى القرآن الكريم ذكرهما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٩٣



صراحة في أول سورة النمل من آية حَتَّى إِذَا تَوَّأَ عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ... إلى آخر الآيات التي فيها قصة النملة و الهدهد.

و كالبقرة و الذئب اللذين تكلما، فقد جاء في الصحيحين و اللفظ لمسلم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال: «بينما رجل يسوق بقره له قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة فقالت: إنى لم أخلق لهذا و لكنى إنما خلقت للحرث. فقال الناس: سبحان الله تعجبا و فزعا بقره تتكلم، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: فإنى أو من به أنا و أبو بكر و عمر. فقال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم، بينا راع فى غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاء فطلبه الراعى حتى استنقذها منه فالتفت إليه الذئب فقال له: من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيرى، فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: فإنى أو من بذلك أنا و أبو بكر و عمر و ما هما ثمة» إلى غير ذلك مما يشبه ما تقدم، فافهم هذا المبحث فإنك لا تجده فى غير هذا.

أما من تكلم فى المهد كما جاء فى القرآن الكريم و الحديث الصحيح فيما رواه الشيخان «لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة .. الخ» فإننا لا نريد إطالة الكلام بذكرهم.

و فيما تقدم كفاية لأولى الألباب، و الله الهادى للصواب و إليه المرجع و المآب، اللهم إنى آمنت بكل ما أنزلت على عبدك و نبيك «محمد» صلى الله عليه و سلم، إيمانا صادقا بيقين تام، فاجعلنى من السعداء المقربين و ألحقنى بعبادك الصالحين، و اختم لى بخير يا أرحم الراحمين. اللهم و إنى أسألك الراحة عند الموت و العفو عند الحساب، و الستر فى الدنيا و الآخرة لى و لأهلى و ذريتى و أحببى بفضلك و رحمتك يا رب العالمين، و صلى الله و سلم على النبى الأمى و على آله و صحبه أجمعين.

### ترجمة عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما

جاء فى الجزء الثانى من تاريخ الخميس ما خلاصته: يكنى عبد الله بن الزبير ابن العوام أبا بكر، و يكنى أيضا أبا خبيب، أمه أسماء ذات النطاقين بنت أبى بكر الصديق و هو أول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة بعد الهجرة و كان قد صحب النبى صلى الله عليه و سلم، و هو صبى و حفظ عنه أحاديث فمات النبى صلى الله عليه و سلم، و له ثمان سنين بل تسع كذا وقع فى دول الإسلام و مورد اللطافة و الرياض النضرة و غيرها يعنى ذكر خلافة عبد الله بن الزبير بعد خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية و هو الأنسب بالتاريخ و أما فى حياة الحيوان و بعض كتب التواريخ فذكرت خلافة ابن الزبير بعد خلافة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٩٤

عبد الملك بن مروان فقال و هو السادس فخلع و قتل. و فى حياة الحيوان: بويغ لابن الزبير بالخلافة بمكة لسبع بقين من رجب سنة أربع و ستين فى أيام يزيد بن معاوية.

و فى سيرة مغلطاي: بويغ عبد الله بن الزبير فى رابع جمادى الآخرة بالحجاز و ما والاها. انتهى. و بايعه أهل العراق و مصر و بعض أهل الشام و بايع خلق كثير من العرب الضحاك بن قيس الفهرى و ولى دمشق فقدم إليه مروان بن الحكم مع خدمه و حواشيه و انضم إليه عبيد الله بن زياد و قد هرب من نيابة العراق خوفا من القتل لما فعل بالحسين ثم التقى الضحاك و مروان و كان المصاف بتل راهط بمرج دمشق فقتل خلق كثير و قتل الضحاك.

و فى الرياض النضرة: بويغ ابن الزبير بالخلافة سنة أربع و ستين و قيل سنة خمس و ستين بعد موت معاوية بن يزيد و اجتمع على طاعته أهل الحجاز و اليمن و العراق و خراسان و حج بالناس ثمانى حجج. و فى البحر العميق: أقام عبد الله بن الزبير الحج للناس سنة ثلاث و ستين قبل أن يبايع له فلما بويغ له حج ثمانى حجج متوالية. انتهى.

ثم قال صاحب تاريخ الخميس: و فى شفاء الغرام: ولى مكة عبد الله بن الزبير بعد أن لقي فى ذلك عناء شديدا سببه أن أهل المدينة لما طردوا منها عامل يزيد عثمان بن محمد بن أبى سفيان و غيره من بنى أمية الأولد عثمان بن عفان بعث إليهم يزيد مسلم بن عقبة

المرى و يسمى مسرفا بإسرافه فى القتل بالمدينة و بعث معه اثنى عشر ألفا فىهم الحصين بن نمير السكونى و قيل الكندى ليكون على العسكر أن عرض لمسلم موت فإنه كان عليلا فى بطنه الماء الأصفر فأمر يزيد مسرفا إذا بلغ المدينة أن يدعو أهلها إلى طاعة يزيد ثلاثة أيام فإن أجابوه و إلا قاتلهم فإذا ظهر عليهم أباحها ثلاثا ثم يكف عن الناس و يسير إلى مكة لقتال ابن الزبير.

و فى حياة الحيوان: فى سنة ستين دعا ابن الزبير إلى نفسه بمكة و عاب يزيد بشرب الخمر و اللعب و التهاون بالدين و أظهر ثلمه و منقصته فبايع ابن الزبير أهل تهامة و الحجاز فلما بلغ ذلك يزيد ندب له الحصين بن نمير السكونى و روح بن زنباع الجذامى و ضم إلى كل واحد جيشا و استعمل على الجميع مسلم بن عقبة المرى و جعله أمير الأمراء و لما ودعهم قال: يا مسلم لا تردن أهل الشام عن شىء يريدونه بعدوهم و اجعل طريقك على المدينة فإن حاربوك فحاربهم فإن ظفرت بهم فأبجها ثلاثا. فسار مسلم حتى بلغ المدينة فنزل الحره بظاهر المدينة بمكان يقال

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٩٥

له حره و اقم فخرج أهل المدينة و عسكروا بها و أميرهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة بن أبى عامر الراهب فدعاهم مسلم ثلاثا فلم يجيبوه فقاتلهم فغلب أهل المدينة و انهزموا و قتل أمير المدينة عبد الله بن حنظلة و سبعمائه من المهاجرين و الأنصار و قتل منهم معقل الأشجعى و عبد الله بن يزيد المازنى مع عبد الله بن حنظلة الغسيل و هؤلاء من الصحابة و دخل مسلم المدينة و أباحها ثلاثة أيام و ذلك فى آخر سنة ثلاث و ستين.

و فى شفاء الغرام: قتل من أولاد المهاجرين ثلاثمائة نفر و جماعة من الصحابة و كانت الوقعة بمكان يقال له حره و أقم كما سبق لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث و ستين من الهجرة ثم سار مسلم إلى مكة لقتال ابن الزبير و لما كان بالمشلل مات و دفن بثنية المشلل ثم نبش و صلب هناك و كان يرمى كما يرمى قبر أبى رغال دليل أبرهه المدفون بالمغمس، و المشلل على ثلاثة أميال من قديد بينهما خيمتى أم معبد و قيل مات بثنية هرشى بفتح أوله و سكون ثانيه مقصورة على وزن فعلى هضبة ململمة فى بلاد تهامة لا تبت شيئا على ملتقى طريقى الشام و المدينة و هى من الجحفة يرى منها البحر و الطريق من جنبتيها كذا فى معجم ما استعجم.  
قال الشاعر:

خذ أبطن هرشى أو قفاها فإنه كلا جانبي هرشى لهن طريق

و مات مسلم بن عقبة بعد أن قدم على عسكره الحصين بن نمير فسار الحصين بالعسكر حتى بلغ مكة لأربع بقين من المحرم سنة أربع و ستين و قد اجتمع على ابن الزبير أهل مكة و الحجاز و غيرهم و انضم إليه من انهزم من أهل المدينة و كان قد بلغه خبر أهل المدينة و ما وقع لهم مع مسلم هلال المحرم سنة أربع و ستين مع المسور بن مخزومة فلحقه منه أمر عظيم و اعتد هو و أصحابه و استعدوا للقتال و قاتلوا الحصين أياما و تحصن ابن الزبير و أصحابه فى المسجد حول الكعبة و ضرب أصحاب ابن الزبير فى المسجد خياما و رفاقا يكتنون بها من حجارة المنجنيق و يستظلون بها من الشمس و كان الحصين بن نمير على أبى قبيس و على الأحمر و كان يرميهم بالحجارة و تصيب الحجارة الكعبة فوهنت.

و فى الوفاء: حاصر مكة أربعة و ستين يوما جرى فيها قتال و دقت الكعبة بالمجانيق يوم السبت ثالث ربيع الأول و أخذ رجل قبسا فى رأس فطارت به الريح فاحترق البيت. و فى أسد الغابة فى هذا الحصر احترقت الكعبة و احترق فيها قرن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٩٦

الكبش الذى فدى به إسماعيل بن إبراهيم الخليل و كان معلقا فى الكعبة و دام الحرب بينهم إلى أن فرج الله عن ابن الزبير و أصحابه بوصول نعي يزيد بن معاوية و مات يزيد فى منتصف ربيع الأول سنة أربع و ستين و كان وصول نعيه ليلته الثلاثاء لثلاث مضيئين من شهر ربيع الآخر سنة أربع و ستين و كان بين وقعة الحره و بين موته ثلاثة أشهر. و قال القرطبي: دون ثلاثة أشهر و بلغ نعيه ابن الزبير قبل أن يبلغ الحصين و بعث إلى الحصين من يعلمه بموت يزيد و يحسن له ترك القتال و يعظم عليه أمر الحرم و ما أصاب الكعبة

فمال إلى ذلك و أدبر إلى الشام لخمس ليال خلون من ربيع الآخر سنة أربع و ستين بعد أن اجتمع بابن الزبير في الليلة التي تلى اليوم الذي بلغه فيه نعي يزيد و سأل ابن الزبير أن يبايع له هو و من معه من أهل الشام على أن يذهب معهم ابن الزبير إلى الشام و يؤمن الناس و يهدر الدماء التي كانت بينه و بين أهل الحرم فأبى ابن الزبير ذلك.

و في حياة الحيوان: تحصن منه ابن الزبير بالمسجد الحرام و نصب الحصين المنجنيق على أبي قبيس و رمى به الكعبة المعظمة فيناهم كذلك إذ ورد الخبر على الحصين بموت يزيد بن معاوية فأرسل إلى ابن الزبير يسأله الموادة فأجابه إلى ذلك و فتح الأبواب و اختلط العسكران يطوفان بالبيت فينا الحصين يطوف ليلة بعد العشاء إذ استقبله ابن الزبير فأخذ الحصين بيده و قال له سرا: هل لك في الخروج معي إلى الشام فأدعو الناس إلى بيعتك فإن أمرهم قد مرج و لا أحدا أحق بها اليوم منك و لست أعصى ههنا فاجتبد ابن الزبير يده من يده و قال: و هو مجهر بقوله دون أن أقتل بكل واحد من أهل الحجاز عشرة من أهل الشام. فقال الحصين: كذب الذي قال إنك من دهاة العرب أكلمك سرا و تكلمني علانية و أدعوك إلى الخلافة و تدعوني إلى الحرب ثم انصرف بمن معه من أهل الشام.

و قيل: بايعه الحصين ثم بايعه أهل الحرمين و جرت فتن كبار و اقتتل الناس على الملك بالشام و العراق و الجزيرة بعد موت يزيد و بايع أهل دمشق بعد يزيد ولده معاوية بن يزيد و قيل بويح لابن الزبير بعد رحيل الحصين بالخلافة بالحرمين ثم بويح بها في العراق و اليمن و غير ذلك حتى كاد الأمر أن يجتمع عليه فولى في البلاد التي بويح له فيها العمال و في شوال سنة سبع و ستين كان طاعون الجارف و هو طاعون كان في زمن ابن الزبير مات في ثلاثة أيام في كل يوم سبعون ألفا و مات فيه لأنس بن مالك ثلاثة و ثمانون ابنا و مات لعبد الرحمن بن أبي بكر أربعون ابنا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٩٧

ثم قال صاحب تاريخ الخميس: و في المختصر و لم يزل ابن الزبير يقيم للناس الحج من سنة أربع و ستين إلى سنة اثنتين و سبعين، و لما ولي عبد الملك بن مروان في سنة خمس و ستين منع أهل الشام من الحج من أجل ابن الزبير و كان يأخذ الناس بالبيعة له إذا حجوا، فضج الناس لما منعوا الحج، فبنى عبد الملك الصخرة و كان الناس يحضرونها يوم عرفه و يقفون عندها، و يقال إن ذلك كان سببا للتعريف في مسجد بيت المقدس و مساجد الأمصار. و ذكر الحافظ في كتاب نظم القرآن أن أول من سن التعريف في مساجد الأمصار عبد الله بن عباس. انتهى.

ثم قال أيضا صاحب تاريخ الخميس: يروى أن عبد الملك بن مروان بعث الحجاج في سنة اثنتين و سبعين إلى ابن الزبير، و كان الحجاج لما وصل من عند عبد الملك نزل الطائف فكان يبعث منه خيلا إلى عرفه و يبعث ابن الزبير خيلا إلى عرفه فيقتلون بها فتنهزم خيل ابن الزبير و تعود خيل الحجاج بالظفر. ثم استأذن الحجاج عبد الملك في منازل ابن الزبير فأذن له فنزل الحجاج بئر ميمون و معه طارق بن عمر و مولى عثمان و كان عبد الملك قد أمد الحجاج بطارق لما سأله النجدة أي الشجاعة و الحرب على ابن الزبير فقدم طارق في ذي الحجة و معه خمسة آلاف و كان مع الحجاج ألفان و قيل ثلاثة آلاف من أهل الشام فحاصروه و كان ابتداء حصار الحجاج ليلة هلال ذي القعدة سنة اثنتين و سبعين من الهجرة. و في أسد الغابة: حصاره أول ليلة من ذي الحجة سنة اثنتين و سبعين من الهجرة و ذكر القولين في الرياض النضرة و حج الحجاج بالناس تلك السنة و وقف بعرفة و عليه درع و مقفر و لم يطوفوا بالبيت و لا بين الصفا و المروة و نصب الحجاج منجنيقا على جبل أبي قبيس كذا في أسد الغابة و حاصره سنة أشهر و سبع عشرة ليلة على ما ذكر ابن جرير و رمى به أحم الرمي و ألح عليه بالقتال من كل جانب و حبس عنهم الميرة و حصرهم أشد حصار و كان يرمى بالمنجنيق من أبي قبيس فيصيب الكعبة حجارة المنجنيق لكون ابن الزبير مكتنا بالمسجد. و في نهاية ابن الأثير أن ابن الزبير كان يصل في المسجد الحرام و أحجار المنجنيق تمر على إذنه و ما يلتفت كأنه كعب راتب أي منتصب. انتهى كل ذلك من تاريخ الخميس.

و من المقام: هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي، و أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنه، و أبوه الزبير بن العوام أحد المبشرين بالجنة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٩٨

ولد عبد الله المذكور عام الهجرة، و هو أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة، و كانت اليهود تقول: قد أخذناهم فلا يولد لهم بالمدينة ولد. فكبر الصحابة حين ولد، و عن أمه أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة، قالت: فخرجت و أنا متم فأتيت المدينة، و نزلت بقباء فولدته بقباء، ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم فوضعتة في حجره، ثم دعا بتمره فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول شيء دخل في جوفه ريق النبي صلى الله عليه و سلم، ثم حنكه بالتمره ثم دعا له و برك عليه ثم مسح و سماه عبد الله ثم أمره أبوه الزبير أن يبايع النبي صلى الله عليه و سلم و هو ابن سبع أو ثمان فبسم رسول الله صلى الله عليه و سلم حين رآه و بايعه، و لقد وصفه ابن عباس، رضى الله عنهما فقال: إنه عفيف الإسلام، قارئ القرآن، أبوه حوارى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أمه بنت الصديق، و جدته صفية عمه رسول الله صلى الله عليه و سلم و عمه أبيه خديجة بنت خويلد. و عن عمرو بن دينار قال: ما رأيت مصليا أحسن صلاة من ابن الزبير.

و عن مجاهد: ما كان باب من العبادة إلا تكلفه ابن الزبير، و لقد جاء سيل بالبيت فرأيت ابن الزبير يطوف سباحة، و لقد حفظ ابن الزبير عن النبي صلى الله عليه و سلم و هو صغير و حدث عنه بجملة من الحديث و عن أبيه و عن أبي بكر و عمر و عثمان و خالته عائشة و سفيان بن زهير و غيرهم، و هو أحد العبادة و أحد الشجعان من الصحابة، و يكنى بأبي خبيب بولده.

و شهد ابن الزبير، وقعة اليرموك مع أبيه الزبير، و شهد فتح إفريقية و كان البشير بالفتح إلى عثمان و شهد الدار و كان يقاتل عن عثمان، ثم شهد وقعة الجمل مع عائشة و كان على الرجال ثم اعتزل حروب على و معاوية، ثم بايع لمعاوية فلما أراد أن يبايع ليزيد امتنع و تحول إلى مكة و عاذ بالحرم، فأرسل إليه يزيد سليمان أن يبايع له فأبى و لقب نفسه عائذ الله، فلما كانت وقعة الحره و فتك أهل الشام بأهل المدينة ثم تحولوا إلى مكة فقاتلوا ابن الزبير، و احترقت الكعبة أيام ذلك الحصار ثم جاءهم الخبر بموت يزيد بن معاوية فتوادعوا و رجع أهل الشام و بايع الناس عبد الله بن الزبير بالخلافه فلما مات مروان قام عبد الملك بن مروان و جهز الحجاج إلى ابن الزبير فقاتله إلى أن قتل ابن الزبير في جمادى الأولى سنة ثلاث و سبعين من الهجرة، انتهى باختصار من الإصابة في تمييز الصحابة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٩٩

و ذكر الإمام ابن كثير في تاريخه ترجمه وافية مطولة لعبد الله بن الزبير في آخر الجزء الثامن، فمما ورد فيه: عن ثابت البناني قال: كنت أمر بعبد الله بن الزبير و هو يصلى خلف المقام كأنه خشبة منصوبة.

و عن يحيى بن وثاب قال: كان ابن الزبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره تصعد و تصعد لا تراه إلا جذم حائط و قال غيره: كان ابن الزبير يقوم ليله حتى يصبح و يركع ليله حتى يصبح و يسجد ليله حتى يصبح، و عن ابن المنكدر قال: لو رأيت ابن الزبير يصلى كأنه غصن شجرة يصفقها الريح يقع هاهنا و هاهنا. قال سفيان: كأنه لا يبالي به و لا يعده شيئا. و حكى بعضهم لعمر بن عبد العزيز أن حجرا من المنجنيق وقع على شرفة المسجد فطارت فلقه منه فمرت بين لحيه ابن الزبير و حلقة، فما زال عن مقامه و لا عرف ذلك من صورته، فقال عمر بن عبد العزيز: لا إله إلا الله جاء ما وصفت. و كان إذا دخل في الصلاة خرج من كل شيء إليها، و لقد كان يركع فيكاد الرخم أن يقع على ظهره و يسجد فكانه ثوب مطروح.

و روى أنه كان يوما يصلى فسقطت حية من السقف فطوقت على بطن ابنه هاشم، فصرخ النسوة و انزعج أهل المنزل و اجتمعوا على قتل تلك الحية فقتلواها و سلم الولد، فعلموا هذا كله و ابن الزبير في الصلاة لم يلتفت و لا درى بما جرى حتى سلم. و كان يواصل الصوم سبعا يصوم يوم الجمعة و لا يفطر إلا ليلة الجمعة الأخرى، و يصوم بالمدينة و لا يفطر إلا بمكة، و يصوم بمكة فلا يفطر إلا

بالمدينة، وقال بعضهم: لم يكن يأكل في شهر رمضان سوى مرة واحدة في وسطه. وقال خالد بن أبي عمران: كان ابن الزبير لا يفطر من الشهر إلا ثلاثة أيام. وقال بعضهم: كان ابن الزبير لا ينازع في ثلاث: في العبادة والشجاعة والفصاحة.

وقال ليث عن مجاهد: لم يكن أحد يطيق ما يطيقه ابن الزبير من العبادة وقد ثبت أن عثمان، رضى الله عنه جعله في نفر الذين نسخوا المصاحف وكان صيتا إذا خطب تجاوبه الجبلان: أبو قبيس، وزروراء.

وكانت ولاية ابن الزبير في سنة أربع وستين و حج بالناس فيها كلها، و بنى الكعبة في أيام ولايته و كساها الحرير، و كانت كسوتها قبل ذلك الأنطاع و المسوح، و كان يطيب الكعبة حتى كان يوجد ريحها من مسافة بعيدة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٠٠

و كان مقتله على الصحيح المشهور يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث و سبعين، و أمه لم تعش بعده إلا مائة يوم و كانت أمه قد أت عليها مائة سنة لم تسقط لها سن و لم يفسد لها بصير، رضى الله عنه و عن أبيه و أمه و عن أصحابه أجمعين. انتهى باختصار من تاريخ ابن كثير.

و جاء في تاريخ الخميس ترجمته مطولة نلخص منه هذه النبذة أيضا:

هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشى، يكنى أبا خبيب، و أمه أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر الصديق، و أبوه الزبير أحد المبشرين بالجنة، و فى الرياض النضرة: بويح ابن الزبير بالخلافة سنة أربع و ستين و قيل سنة خمس و ستين بعد موت يزيد بن معاوية و أجمع على طاعته أهل الحجاز و اليمن و العراق و خراسان و حج بالناس ثمانى حجج و فى البحر العميق أقام عبد الله بن الزبير الحج للناس ثلاث و ستين قبل أن يبايع له فلما بويح له حج ثمانى حجج متوالية. انتهى من تاريخ الخميس.

و جاء في تاريخ الخميس عن شجاعه ابن الزبير رضى الله تعالى عنه:

قال هشام بن عروة: لما كان قبل قتل ابن الزبير بعشرة أيام دخل على أمه أسماء و هى شاكية فقال لها: كيف تجدينك يا أمه؟ قالت: ما أجدنى إلا-شاكية فقال لها: إن فى الموت لراحة، فقالت: لعلك تمنيت لى ما أحب أن أموت حتى يأتى عليك أحد طرفيك إما قتلت فإن حسبك و إما ظفرت بعدوك فقرت عيني، قال عروة: فألثفت إلى عبد الله فأضحك، و لما كان اليوم الذى قتل فيه دخل على أمه أسماء فقالت له: يا بنى لا تقبلن منهم خطئة تخاف على نفسك الذل مخافة القتل فو الله لضربة بسيف فى عز خير من ضربة بسوط فى ذل، فأتاه رجل من قریش فقال: ألا نفتح لك الكعبة فتدخلها، فقال عبد الله: من كل شىء تحفظ أخاك إلا من حتفه، و الله لو وجدوكم تحت أستار الكعبة لقتلوكم، و هل حرمة المسجد إلا كحرمة البيت، قال: ثم شد عليه أصحاب الحجاج، فقال عبد الله: أين أهل مصر، قالوا: هم هؤلاء من هذا الباب لأحد أبواب المسجد، فقال لأصحابه:

اكسروا أغماد سيوفكم و لا تميلوا عنى، قال: فأقبل الرعيل الأول فحمل عليهم و حملوا معه و كان يضرب بسيفين فلحق رجلا فضربه فقطع يديه فانهزموا و جعل يضربهم حتى أخرجهم من باب المسجد، ثم دخل عليه أهل حمص فشد عليهم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٠١

و جعل يضربهم حتى أخرجهم من باب المسجد، ثم دخل عليه أهل الأردن من باب آخر فقال: من هؤلاء؟ فقيل: أهل الأردن فجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد، ثم انصرف فأقبل عليه حجر من ناحية الصفا فوقع بين عينيه فنكس رأسه و فى الصفوة فأصابته أجرة فى مفرقه ففلقت رأسه فوقف قائما و هو يقول:

و لسنا على الأعقاب تدمى كلومناو لكن على أقدامنا تقطر الدما

و فى الرياض النضرة: ثم اجتمعوا عليه فلم يزالوا يضربونه حتى قتلوه و مواليه جميعا، و لما قتل كبر عليه أهل الشام، فقال عبد الله بن عمر: المكبرون عليه يوم ولد، خير من المكبرين عليه يوم قتل، و فى الرياض النضرة روى أنه لما اشتد الحصار بابن الزبير قامت أمه

أسماء يوماً فصلت و دعت و قالت: اللهم لا تخيب عبد الله بن الزبير و ارحم ذلك السجود و التحنث و الظمأ في تلك الهواجر. و كان قتله يوم الثلاثاء لسبع عشرة أو ست عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث و سبعين من الهجرة و هو ابن اثنتين أو ثلاث و سبعين سنة كذا أخرجه صاحب الصفوة. انتهى من تاريخ الخميس.

قال أمير الشعراء أحمد شوقي بك رحمه الله تعالى في كتابه «دول العرب و عظماء الإسلام» في خلافة عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ما نقتطف من قوله ما يأتي:

ابن الزبير و كفى تعريفاً إن الشريف يلد الشريفاً  
أبوه هضبة العلا السماء و أمه في الشرف السماء  
مستقبل الأيام بالصيام و متعب الظلام بالقيام  
و أخوف الناس إذا الليل دجا و أشجع الناس إذا تدججا  
و أظهر المعاهدين ذمّه و أكبر المجاهدين همّه  
ثم قال أمير الشعراء بعد عدة أبيات ما يأتي:  
فجاء أمه، و من كأمه لعلها تحمل بعض همه  
و البيت تحت قسطل الحجاج و خيله أو اخذ الفجاج  
فقال ما ترين فالأمر لك للموت أمضى أم لعبد الملك  
قالت بنى ولد القوام و ابن العتيق القائم الصوم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٠٢ انظر فإن كنت لدين ثرت فلا تفارق ما إليه سرت  
أو كانت الدنيا قصارى همتك فبئس أنت كم دم بدمتك  
الحق بأحرار مضوا فأحسنوا فالموت من ذل الحياة أحسن  
و لا تقل هنت بوهن من معى فليس ذا فعل الشريف الألمعى  
و مت كريماً أو ذق هواناً و عبث الغلمان من مروانا  
أنت إلى الحق دعوت صحبكاً فاقض كما قضوا عليه نجبكا  
و لا تقل إن مت مثلوا بى و طاف أهل الشام بالمصلوب  
هيئات ما للسلك بالشاة ألم و رب جذع فيه للحق علم  
و عانقته فأحست درعا قالت أضقت بالمنون ذرعا  
مثلك في ثيابه المشمره جاهد لا فى الخلق المسمره  
لا تمض فيها و أرق منها الجسد و امض بلا درع كما يمضى الأسد  
فترع النثره عنه و انطلق فى قله يلقى العديد فى الحلق  
فمات تحت المرهفات حرام يأل خير الأمهات برا

و عبد الله بن الزبير، رضى الله تعالى عنهما، و أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق، رضى الله تعالى عنهما و عن جميع صحابه رسول الله صلى الله عليه و سلم أجمعين، مدفونان فى مقبرة المعلا بمكة المشرفة و قبرهما معروفان إلى اليوم بجهة شعبة النور و قد وقفنا عليهما أن قبريهما بجوار بعضهما لا يبعدان عن بعضهما إلا بنحو خمسة عشر متراً، و كل قبر منهما عليه جدار قصير من الجهات الأربعة و فتحة للباب رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

بمناسبة اختلاف عظماء الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى هدم و تجديد بناء الكعبة المعظمة فى عهد عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما كما تقدم بيانه و تفصيله، فإنه لما أراد بناء الكعبة بعد احتراقها، دعا ابن الزبير وجوه الناس و أشرفهم و شاورهم فى هدم الكعبة و تجديد بنائها، فأشار عليه قليل من الناس بهدمها و بنائها ثانيا، و أبى أكثر الناس هدمها حرمة لها، و كان أشد الناس إباء عليه عبد الله بن عباس، رضى الله تعالى عنهما، فإنه قال له: دعها على ما أقرها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٠٣

عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم، فإنى أخشى أن يأتى بعدك من يهدمها فلا تزال تهدم و تبنى فيتهاون الناس فى حرمتها و لكن أرقعها.

فقال ابن الزبير: و الله ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه و أمه، فكيف أرقع بيت الله سبحانه و تعالى، و أنا أنظر إليه ينقض من أعلاه إلى أسفله حتى أن الحمام ليقع عليه فتتناثر عليه حجارته.

فكان ممن أشار عليه بهدمها جابر بن عبد الله، و عبيد بن عمير، و عبد الله بن صفوان بن أمية، فأقام ابن الزبير أياما يشاور و ينظر ثم أجمع على هدمها فهدمها و بناها.

لهذه المناسبة نذكر فى هذا المبحث شيئا يسيرا من المسائل التى اختلف العلماء فيها، فمن أصاب بعد الاجتهاد فله أجران، و من أخطأ بعد الاجتهاد فله أجر واحد، لأن أئمة المسلمين و علماءهم منزهون عن الهوى و الأغراض النفسانية، فى الحكم على المسائل الدينية و الأمور الشرعية، التى لم يرد فيها نص صريح فى الكتاب و السنة.

فمن أشار بهدم الكعبة المشرفة من كبار الصحابة، إنما يريد تقويتها و تجديد بنائها بعد أن رأى ما حل بها من الوهن و تناثر حجارتها، و من أشار بترقيعها و ترميمها و عدم هدمها، نظر إلى حرمتها و عدم العبث فيها بالهدم و البناء خوف التهاون بحرمتها فى المستقبل، و لا يخفى أن كلا الفريقين من كبار الصحابة و فضلائهم و من أشرف قريش أولى الحل و العقد، و لكل من الفريقين وجهة معقولة. و إن ما قام به ابن الزبير رضى الله تعالى عنه، من الهدم و البناء لهو عين الصواب.

و من قبل اختلف كبار الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فى جمع القرآن الكريم و كتابته، و ذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و فى عهد أبى بكر، رضى الله تعالى عنه، فقد روى البخارى فى صحيحه عن عبيد بن السباق: أن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضى الله عنه: إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقاء القرآن، و إنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن و إنى أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف تفعل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٠٤

شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و سلم قال عمر: هذا و الله خير، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك و رأيت فى ذلك الذى رأى عمر، قال أبو بكر:

إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك و قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه و سلم فتتبع القرآن فاجمعه، فو الله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال: هو و الله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح الله صدر أبى بكر و عمر، رضى الله عنهما، فتبعت القرآن أجمعه من العسب و اللخاف و صدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمه الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتتم ... حتى خاتمه براءة، فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنهما. انتهى.

فانظر رحمك الله كيف أن أبا بكر و زيد بن ثابت لم يجمعوا القرآن و يكتباه كما أشار عليهما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، إلا بعد التروى و التفكير و الجدل، و إنه و الله لهو خير عمل قاموا به. و لقد فصلنا مسألة جمع القرآن الكريم فى كتابنا «تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه» و هو مطبوع بمصر فارجع إليه إن شئت.

فاختلاف الأئمة و نشأة المذاهب كانت من قبيل هذا الباب، و انظر كيف أنهم اختلفوا قديما فى مسألة أخذ الأجره على كتابه القرآن و تعليمه، و أخذ الأجره على الأذان و الإمامة، و اختلفوا فى حكم بيع دور مكة.

ثم انظر كيف اختلف العلماء فى العصور القرييه، فى حكم شرب قهوة البن، و فى شرب دخان التتن و التبناك، و فى استعمال الساعات الزمنية التى تبين الأوقات، و فى استعمال التليفونات، و غير ذلك. فبعضهم قال بالتحريم و بعضهم قال بالجواز. و نحن لا نريد سرد جميع المسائل التى اختلفوا فيها، فإن ذلك مما يطول شرحه و يخرجنا عن المقصود، و إنما أتينا بهذا لتنبية الأذهان و العلم به فى الجملة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٠٥

### اختلاف الناس فى بعض الأمور الحيويه

و مما يلحق بالمبحث المتقدم و يستحسن الإتيان به و إن كان ما تقدم من المسائل الدينيه و ما سنذكره من الأمور الدينويه المحضه، ما ذكرته إحدى مجالات الهلال التى تصدر بمصر، القاهرة فى عصرنا، لم نعلم رقمها و تاريخ صدورها لفقدان غلافها و أوائل أوراقها منها، و نظن أن تاريخ صدورها كان فى عام (١٩٣٠) من الميلاد أو بعده بعام، فقد كتب الأستاذ «أمير بقطر» فى هذه المجله مقالة بعنوان:

«لكل جديد لدعه» هذا نصها:

لكل جديد لدعه فى بعض الأحيان، و لدعه فى غيرها، و ليست المبادئ و العادات و التقاليد وحدها هى التى يصعب نبذها و التمسك بسواها، فإن للأشياء الماديه المحسوسه سلطانا على صاحبها و سياده قويه السواعد، شديده المراس، كثيره البطش. يقول علماء النفس: أن الإقلاع عن عادة ألفها الإنسان و الرجوع عن رأى معروف من الوعوره بمكان عظيم، لأنه يدعو إلى اعتناق مبدأ جديد و اتباع عادة جديده، و اعتناق هذا المبدأ أو اتباع هذه العاده يتطلب تفكيراً و موازنه و ترجيح مبدأ على مبدأ و عادة على عادة فى هذا كله من العناء و النصب و التعب ما لا يخفى، و المرء بطبيعته ميال إلى الراحة و الكسل، و قل من لا يهوى الخلود إلى السكينه و من يرغب فى عناء التفكير حبا فى البحث عن الحقيقه و الجرى وراء الأصلاح، ما لم يكن الدافع ضروره قصوى، اقتصاديه أو اجتماعيه، اتقاء لشر، أو خشية الوقوع فى خطر، أو دفاعاً عن النفس.

يقول الرياضيون: إن أقرب مسافه بين نقطتين الخط المستقيم، غير أن الذين يجدون فى كل جديد لدعه، يزعمون أن النقطه أو المكان الذى هم فيه هو أقرب مسافه بين نقطتين، كما يزعم الفلاسفه و الساسه أن الخط المتعرج المنحنى أقرب هذه المسافات، لأن اللف و الدوران فى نظر الفلاسفه أقرب طريق إلى الحقيقه، و فى نظر الساسه أقرب طريق إلى نيل المراد، و الجمود فى نظر الأصوليين أقرب طريق إلى كل مكان فى الوجود.

إن فى تاريخ التمدن الإنسانى فترات تقهقر فيها البشر خطوات إلى الوراء، و مراحل شلت فيها أعمالهم، و أصاب كبد مشروعاتهم سهام الفشل و الخيبه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٠٦

و يعزو أحد علماء الكيمياء سبب هذا التقهقر و ذاك الفشل إلى مرض معد يصيب العقول و يتفشى بين الناس بسرعه البرق، و يدعى نيوفوبيا و هو يشبه الهيدروفوبيا، غير أن المرضين و إن اتفقا فى الأعراض يختلفان فى الأسباب. ففى حاله المرض الثانى يقال إن



العليل عند رؤية الماء يعتربه الخوف و الحنق الشديد، و في الحالة الأولى تظهر عليه علائم الانقلاب و التأفف و أعراض الاستياء الشديد عند رؤية كل جديد، و هذا الداء كثير الانتشار و متى أزمّن لا يعرف له بين العقاقير من دواء غير السم الزعاف. و من المشاهد أن الناس جميعهم يحملون جراثيم هذا الداء و كلنا عرضة لظهور أعراض خفيفة منه «و طفح» بسيط من جرائه. و تمتاز عصور عن عصور و بلاد عن بلاد بتفشييه بصفة عدوى سريعة الانتقال، غير أن أسلم طريقة للوقاية منه هي استعمال «مصل» التريية العلمية التي تدعو للتفكير و البحث و قبول الآراء الحديثة.

### الاختلاف في استعمال السكة الحديدية

كتب أحد أعضاء البرلمان الإنجليزي في مارس سنة (١٨٢٥) الكتاب الآتي تعليقا على أول اقتراح في البرلمان لإنشاء أول خط حديدي في إنجلترا:

لقد اتضح لي في ختام الأمر أن صاحب الاقتراح ذاهب العقل لا مشاحه، فقد كان زبد الغيظ يفور من فمه كما تفور القدر، و هو يقترح إدخال تلك الآلة الجهنمية ذلك الوحش الضاري، الذي يحمل ثمانين طنا من السلع، و يزعج عباد الله بدخان الكثيف بين منشستر و ليفربول. و الحمد لله فقد خنق ذلك الشيطان الملعون في مهده، إذ جاءت أصوات الأغلبية الساحقة ضده و انسحب أصحاب الاقتراح غير مأسوف عليهم.

### الاختلاف في استعمال البخار في الأسطول

و من قبيل هذا الخطاب ما حدث في مجلس النواب الإنجليزي، فإنه عندما اقترح نائب إدخال البخار في الأسطول، قام نائب آخر منتفضا و خاطب صاحب الاقتراح و هو يتدفق غضبا قائلا:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٠٧

إننا عندما نخرط في سلك البحرية يا حضرة النائب المحترم، نعرض ذاتنا لخطر الحرب و نذهب متأهبين لمعانقه رقاب المنايا، تقطيعا و نسفا و رميا برصاص البنادق و شظايا القنابل، و لكننا يا حضرة النائب المحترم نأبى أن نغلي غليا و نحن على قيد الحياة.

### الاختلاف في استعمال التدفئة و أنابيب الماء و تشييد المنازل العالية

و لما أن أدخلت نظم التدفئة و أنابيب الماء و شييدت المنازل العالية ذات الأدوار العديدة في «روما» استشاط سفيكا الحكيم الروماني غيظا، و نقم عليها و أعلن سخطه على رؤوس الملاء قائلا: إنها خطر داهم على الأخلاق و تهديم للفضيلة و تحسر على الماضي، و أبان كيف أن الأقدمين كانوا يعيشون أحرارا نبلاء تحت سقوف من القش، في حين أن العصريين عبيد أرقاء تستر ذلتهم قصور عمادها المرمر و الرخام، و جدرانها المنقوشة بالذهب الوهاج.

و لو أتيح لهذا الحكيم أن يبعث من قبره اليوم و يشاهد إحدى ناطحات السحاب التي يتجاوز عدد طبقاتها المائة في نيويورك لغته اللاتينية.

### الاختلاف في استعمال الشوكة و السكين في الأكل

و حدث في الجيل السابع عشر للميلاد أن رجلا دخل محلا حاملا معه آلة شيطانية و هي شوكة الأكل المعروفة، و لما أن عرف عنه أنه يستعملها للقبض على قطع اللحم بدلا من أصابعه كان موضع الهزء و السخرية. و عد عمله هذا مجونا و إهانة للعناية الربانية و قالوا: «كيف يجرو أمرؤ أن يخجل من لمس طعام بإصبعه».

و من أسخف و أغرب ما سمعناه منذ سنوات، أن مدرسة أجنبية للبنات في مصر كانت تشجع الفتيات (المصريات) على الأكل بأصابعهن بدلا من السكين و الشوكة، بدعوى المحافظة على التقاليد الشرقية، ألا يعلم أصحاب ذلك المعهد أن الشوكة لم تهبط على أوروبا من السماء، و أن مصر كغيرها من البلدان، لها حق التمتع بمزايا الميراث الاجتماعي في حدود المعقول أيا كان منشؤه و نوعه، و أن الاستعانة بالآلات على اختلاف أنواعها لمن الفروق الهامة بين الهمجية و المدنية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٠٨

### الاختلاف في لبس البنطلونات

و لما اعتنق البلغاريون المسيحية، عقد رجال الدين مجلسا للبحث، في هل تتفق السراويل التي يلبسها أهالي بلغاريا مع الدين الجديد الذي تدينوا به، و ذلك لأن السراويل (البنطلونات) كانت غير معروفة عند المسيحيين في بادئ الأمر، و قد انقلبت الآية اليوم فإن بعض المسيحيين الذين ينشرون دينهم في آسيا و أفريقيا، يشجعون معتنقي المسيحية على ارتداء السراويل تشبها بهم سواء أكان ذلك يلائم جو البلاد أم لا يلائمه.

و في عصر شكسبير كان يقوم الرجال بأدوار السيدات في رواياتهم، كما يفعل الآن طلبة مدارسنا في كثير من الأحوال، و لما أن ظهرت في فرنسا سنة (١٦٢٩) ميلادية «بدعة جديدة» و هي أن يقوم النساء بالأدوار النسائية أخذ المتفرجون في الصفير و الزمر و ضرب الممثلين و الممثلات بيدور البرتقال.

### الاختلاف في استعمال النظارات

و من أفكه القول ما وقع في إنجلترا عند ظهور النظارات تحت إشراف الجمعية الملكية، فقد طعن بعضهم في الزى الجديد و قالوا: إنه مفسدة للأخلاق، و أن النظارة تعدم المساواة بين من يلبسها و من لا يلبسها من الرجال، و أضافوا إلى هذا أن المرأة لا يمكنها أن تضع نظارة على عينيها لأسباب تتعلق بالجمال و الحكمة، و بهذا تعدم المساواة بين الرجل و المرأة. و أذاع قسيس مشهور بيانا أعلن فيه أن في النظارات اعتداء جريئا على الأخلاق، لأن فيها قلبا للحقائق المرئية بالعين المجردة، و وضع الأشياء وضعها غير طبيعي لما تشعه عليها من ضوء كاذب.

### الاختلاف في استعمال أحواض الاغتسال

و في منتصف القرن التاسع عشر للميلاد أقبل الناس في أمريكا على شراء سلعة جديدة، و هي أحواض الحمامات «بانيو» لاستعمالها في المنازل، و ما كادت تأتي إلى عالم الوجود حتى هجاها رجال الأقلام و الصحافة، بألسنة حداد، و قالوا: إنها مدعاة للبخ و الإسراف و منافية لمبادئ الديمقراطية، و زاد الأطباء في الطنبور نغمة فادعوا أنها خطر يهدد الصحة العامة و نادوا بمقاطعتها، و استعان المعارضون

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٠٩

بالحكومة كالمعتاد، و طلبوا منها مصادرة هذه البدعة أو تضيق نطاقها، بفرض ضريبة جسيمة على أصحابها و إجبارهم على استخراج رخص رسمية قبل السماح لهم بالانتفاع بها، و فعلا بلغت الضريبة على الحوض الواحد في ولاية «فرجينيا» ثلاثين ريالا، و حرمت بلدية بوستن استعمال هذه الأحواض تحريما باتا شرعيا إلا إذا أشار الأطباء على أحد بها.

### الاختلاف في استعمال المطابع

و عند ظهور الكتب المطبوعة لأول مرة لم يقبل الناس على شرائها، حتى أفهموا غشا و تضليلا أنها مخطوطات، و طعن العلماء الطليان على الطباعة طعنا جارحا، و قالوا إنها بدعة همجية ألمانية و نادى كهنتهم «لنهدم كيان الطباعة أو تهدم هي كياننا». و لما دخلت المطبعة إلى تركيا في زمن السلطان أحمد الثالث، أفتت مشيخة الإسلام بجواز استعمالها، إلا أنه بقي طبع المصحف ممنوعا، ثم عادت الدولة العثمانية فمنعت المطبعة، ثم جاء السلطان عبد الحميد الأول فأعادها، و جاء السلطان محمود فاهتم بها أكثر، و يقال إنه في سنة (١١٢٩) هجرية أفتى شيخ الإسلام بالآستانة عبد الله أفندي بجواز طبع الكتب غير الدينية، و قيل: بل إنه أفتى بجواز الطباعة.

### الاختلاف في أكل الملح و الموز و البطاطس و الطماطم

و عند وصول السفينة الأولى إلى إنجلترا محملة ملحاً لم يقبل على شراء الملح أحد فألقى في اليم. و الموز على حلاوته كان «مضغاً» في الأفواه عند أول ظهوره في لندن، فلم يتيسر لتجاره أن يوزعوه بأى ثمن. و أخيرا حاولوا توزيعه مجانا على صعاليك المدينة و فقرائها فأبوا، و أخيرا ترك في مكانه يتسرب إليه الفساد. و البطاطس في بدء عهد إنجلترا بها أهدمت بدعوى أنها ضارة بالمجتمع الإنساني. أما الطماطم فديست بالأقدام، لأن فيها إفسادا لأخلاق الأمة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١١٠

### الاختلاف في قبول البنات في المدارس

منذ سبعين عاما أى في حوالى سنة (١٨٥٠) ميلادية لم تقبل البنات في أميركا سوى كلية واحدة، و لم تقبل امرأة في مطعم إلا مصحوبة بذويها، و لم يكن لامرأة حق التصويت في بلاد العالم كلها، و منذ عهد قريب لما أن ألفت السيدات الحجارة على البرلمان الإنجليزي احتجاجا على حرمانهن من حق الانتخاب، صاح أحد النواب متهكما: «زوجوا الأوانس منهن فيكفن عن المطالبة بحقوقهن».

### الاختلاف في استعمال الكهرباء

و الكهرباء عند بدء إدخالها في عواصم المديرية في مصر لم تقبل على الرحب و السعة من جميع السكان على السواء، فقبل عنها في بعض الدوائر أنها تذهب بالبصر و تلحس نور العين، و قيل عنها في أوساط أخرى أنها تعرض المباني و المنازل لخطر الحريق، و تباهى بعض ذوى البنايات الفخمة من أعداء الجديد، بأنهم محافظة على التقاليد يرفضون بتاتا إدخال البدعة الغربية في منازلهم، و قد رفض الكهنة في كثير من الكنائس أن يجعلوا للشموع و القناديل الزيتية مزاخما، فبقيت الكهرباء ردحا من الزمن محرما غير أننى أذكر أن تلك العقبات التي وضعت في سبيل هذا الاختراع العجيب لم تك إلا حواجز من الهشيم، حيث أقبل الناس جميعا فيما بعد على استعمال الكهرباء، و أضيئت بها الكنائس فبددت غياهب الظلمات فيها، و اختفت أمام شموعه الساطعة أصوات المحتجين من ذوى العمائم السوداء.

### الاختلاف في استعمال السيارات و العربات

و لا أزال أذكر أيضا أن بعض الأعيان في عواصم المديرية على غناهم الوافر و ثروتهم الطائلة ظلوا زمنا طويلا يترددون في استعمال العربات و الأوتومبيلات، و داموا يمتطون ظهور الحمير البيضاء المقصوصة الشعر المكسوة سرجها بالقטיפه الحمراء يخترقون شوارع

المدينة الكبرى، فيقف لهم الناس إجلالا على الجانبين، وهم يفاخرون أنهم لا يزالون على عهدهم الماضي و أن ظهر الدابة أكثر و جاهة و أعز جانبا و أرفع مقاما من متكآت العرب و مساند الأوتومبيل، و أن خطوة الحمار التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١١١

الهادئة و مشيته الوئيدة الناعمة، أصح للمعدة و الأمعاء من رجة السيارة و سرعتها الخاطفة، و صعودها و هبوطها و حر كاتها البهلوانية الشيطانية و جموحها الذي لا يكبح.

### الاختلاف في استعمال الشمسية

في أوائل القرن الثامن عشر للميلاد أدخلت الشمسية «أى المظلة» إلى أوروبا، فاستقبلها الناس عند ظهورها بجميع مظاهر السخريه و الاستهزاء، بل لما ظهرت لأول مرة في شوارع لندن أخذ المارة يرشقون حاملها بالحجارة، ثم فيما بعد ألفها الناس و أدركوا منافعتها.

### الاختلاف في استعمال الصابون

جاء في كتاب «صفحات من تاريخ الكويت» تأليف الأستاذ يوسف بن عيسى القناعي ما نصه: و كانوا- أى أهل الكويت- إذا أكلوا العصيدة مسحوا أيديهم بأرجلهم، و كانوا لا يستعملون الصابون إلا من مدة قليلة، و أذكر بهذه المناسبة النادرة التالية و هى:

دخل رجل اسمه عيسى أبو عبود على المرحوم الأخ أحمد، فوجده يغسل يده بالصابون بعد العشاء فقال له متأسفا: آفا عليك يا أحمد تغسل يدك بالصابون؟

فأجابه أحمد أن الأخ يوسف يغسل يده بالصابون مثلى، فرد عليه عيسى بشدة:

حاشا على ذلك الوجه أن يغسل يده بالصابون. انتهى من الكتاب المذكور.

فانظر رحمك الله إلى مثل هذا التعصب الشديد، و اعلم أن كثيرا من بدو الأعراب و بدو اليمن يفعلون ذلك أيضا، أى يمسخون أيديهم فى وجوههم أو فى ذراعهم أو فى أرجلهم بعد الأكل الذى فيه الدسم كاللحم و السمن و الشحم، و لا يغسلون أيديهم و يقولون كيف يغسلون أيديهم من نعمة الله. و هذه حالة قديمة العهد ترجع إلى العصور الأولى من نشأة الإنسان و لكن هذه الحالة تزول سريعا من البدو و الأعراب إذا خالطوا أهل المدن.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١١٢

### الاختلاف في بناء برج إيفل بباريس

لما أراد «جوستاف إيفل» بناء البرج العظيم فى باريس عاصمة فرنسا الذى سمي فيما بعد باسمه «برج إيفل» وجد عقبات كثيرة فى مشروعه هذا و قام ضده كثيرون و نسبوه إلى الجنون، بل قدموا فيه مذكرة رسمية قالوا فيها ما يأتى:

«نحن جماعة الكتاب و المصورين و النحاتين و المهندسين و عشاق باريس الذين يغارون على جمالها، نحتج بكل قوانا و نعرب عن مزيد اشمئزانا باسم الذوق الفرنسى و الفن الفرنسى، بل باسم تاريخ فرنسا كله المعرض الآن للاحتقار بسبب إقامة برج إيفل الشنيع المنظر الذى لا فائدة منه على الإطلاق فى قلب عاصمتنا الجميلة».

هذا ما كتبه حساده و معارضو مشروعه، لكن الرجل لم يحفل بهم لأنه كان قوى الإيمان بفائدة مشروعه العظيم، فبدأ بإنشاء البرج فى سنة (١٨٨٧) سبع و ثمانين و ثمانمائة و ألف من الميلاد، و أكمل بناءه فى سنة (١٨٨٩) ميلادية، و بعد سنة من إكمال بنائه فتح للجمهور.

ثم إنه فى سنة (١٩٠٣) من الميلاد أنشئت فى هذا البرج إدارة للتلغراف و اللاسلكى و هو من أكبر المحطات اللاسلكية فى العالم، و

قد زاد إيراد البرج في السنة الأولى من حياته على نفقة بنائه، ولا تزال إيراداته عظيمة جدا، وقد بلغت نفقات بناء هذا البرج سبعة ملايين و ثمانمائة ألف فرنك في ذلك الوقت، و بلغ عدد الذين زاروه يوم الاحتفال بافتتاحه (٢٣٢٠٠) شخص. و يبلغ عمق أساسه خمسة عشر مترا، و يبلغ ارتفاعه ثلاثمائة متر، و يبلغ وزن الحديد الذي فيه من أساسه إلى قمته سبعة ملايين كيلو غرام، و استنفذ في رسوم تصميماته خمسة عشر ألف متر مربع من ورق الرسم.

### الاختلاف في الانتقال من الأحياء القديمة

و لم يغب عن ذاكرتي المنازعات و الخصومات التي كانت تقوم بين الآباء و أبنائهم في أعرق الأسر و أكرمها، و لم تك هذه الحروب الشعواء إلا صراعا بين أب محافظ يريد أن يقضى البقية الباقية من حياته في منزل أجداده في ذلك الحى القديم، الذي هجره ذويه و لم يبق فيه إلا الفقراء و متوسطو الحال، و بين ولد التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١١٣

يرغب في الانتقال إلى أحد الأحياء الجديدة حيث يقطن «ذوات» البلد و حيث تكثر المنازل الحديثة التي تتوافر فيها الشمس المضيئة و الهواء النقي و المرافق الحديثة، و الحمامات المجهزة بالأحواض و الأنابيب التي يجرى بها الماء الساخن و البارد، و الغرف الصحية المطلة على الحدائق الغناء.

### الاختلاف في تعليم البنات

و يقول أمين سامى باشا فى مؤلفه «التعليم فى مصر» إن الأهالى فى أول الأمر كانوا عقبه كؤودا فى طريق تعليم بنينهم، أما تعليم البنات فلم يصادف تسهيلات فى أول الأمر، حتى اضطر محمد على باشا إلى إصدار أمره بشراء عشر جوار سودانيات صغيرات السن لتلقى فن الولادة و معهن اثنتان من أغوات حرم القصر ليتعلما فن الطب و الجراحة. و ليست العقبات التي صادفها محبذو تعليم البنات ببعيدة العهد، فإن إحصاءات سنة (١٩٣٠) ثلاثين و تسعمائة و ألف ميلادية فقط تدل على أن عدد الطالبات فى مدارس وزارة المعارف الثانوية لم يتجاوز (٣٩٦) مقابل (١٤٨٧٧) من الطلبة الذكور.

و قد لاقى كلوت بك فى مدرسة قصر العين الأمريين لأن الأهالى كانوا يعارضون فى تشريح الجثث و يعدونه اعتداء على حرمة الموتى.

و عند إنشاء مدرسة روض الأطفال فى قصر الدوبارة بمصر منذ سنوات تعبت ناظرة المدرسة كثيرا فى إقناع الوزارة بأن قبول البنين و البنات للتعليم تحت سقف واحد من تلك المدرسة لا عيب فيه لأنهم أطفال أبرياء لا تتجاوز سنهم السادسة.

إلى هنا انتهى مقالة أمير بقطر فى مجلة الهلال. و أمثال هذا كثير و فيما تقدم الكفاية.

نقول: إن ما تقدم من الأمور المختلفة و قد حكم الناس بادئ الأمر فيها بالرفض، ثم أجمعوا على قبولها و استعمالها، لو أنهم ترووا فى الحكم و نظروا بإمعان، لوصلوا إلى نتيجة حسنة و حكم مرضى فى جميع الحالات، و فيما ذكرناه درس مهم واضح، و الدنيا عبر و دروس و المعبرون أنواع شتى، و كل يأخذ نصيبه بقدر استعداده.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١١٤

### البنية العاشرة: بناء الحجاج التقى الكعبة

(العاشر) ممن بنى الكعبة الغراء: الحجاج بن يوسف الثقفي.

قال الإمام الأزرقى فى تاريخه بعد أن ذكر بناء عبد الله بن الزبير إلى أن قتل، رضى الله تعالى عنه و عن أبيه ما نصه: ودخل الحجاج مكة فكتب إلى عبد الملك بن مروان أن ابن الزبير زاد فى البيت ما ليس منه و أحدث فيه بابا آخر فكتب إليه يستأذنه فى رد البيت على ما كان عليه فى الجاهلية، فكتب إليه عبد الملك بن مروان أن سد بابها الغربى الذى كان فتحه ابن الزبير و إهدام ما كان زاد فيها من الحجر و أكسبها به على ما كانت عليه فهدم الحجاج منها ستة أذرع و شبرا مما يلى الحجر و بناها على أساس قريش الذى كانت استقصرت عليه و كبسها بما هدم منها و سد الباب الذى فى ظهرها و ترك سائرهما لم يحرك منه شيئا فكل شىء فيها اليوم بناء ابن الزبير إلا الجدار الذى فى الحجر فإنه بناء الحجاج و سد الباب الذى فى ظهرها و ما تحت عتبة الباب الشرقى الذى يدخل منه اليوم إلى الأرض أربعة أذرع و شبر كل هذا بناء الحجاج، و الدرجة التى فى بطنها اليوم و البابان اللذان عليها اليوم هما أيضا من عمل الحجاج.

### سبب بناء الحجاج الكعبة

يظن بعضهم أن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان لم يأمر الحجاج بهدم ما زاده ابن الزبير فى الكعبة إلا للخصومة التى كانت بينهما، و لكن هذا الظن ليس فى محله و يبعد على جميع المسلمين بالأخص أهل القرن الأول الذين هم خير القرون أن تمتد أيديهم إلى بيت الله الحرام بالهدم و البناء اتباعا لهوى النفس و نكالا بالخصم بل أنهم لا يجروون على بنائه و تعميره إلا فى حالة الاضطرار و النهاية القسوى و بعد الاستشارة و استفتاء العلماء.

و حقيقة الأمر: أن عبد الملك بن مروان ما أمر الحجاج بذلك إلا ظنا منه أن ابن الزبير لما احترقت الكعبة فى أيام حصاره هدمها و بناها على حسب رغبته و اجتهاده و يدل على ذلك ما ذكره الإمام الأزرقى فى تاريخه فإنه قال: فلما فرغ الحجاج من هذا كله - أى بناء الكعبة - وفد بعد ذلك الحارث بن عبد الله بن أبى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١١٥

ربيعه المخزومى على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك: ما أظن أبا خبيب - يعنى ابن الزبير - سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمع منها فى أمر الكعبة، فقال الحارث: أنا سمعته من عائشة قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: سمعتها تقول: قال لى رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن قومك استقصروا فى بناء البيت و لو لا حداثة عهد قومك بالكفر أعدت فيه ما تركوا منه فإن بدا لقومك أن بينوه فهلمى لأريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: و جعلت لها بايين موضوعين على الأرض بابا شرقيا يدخل الناس منه، و بابا غربيا يخرج الناس منه، قال عبد الملك بن مروان: أنت سمعتها تقول هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين أنا سمعت هذا منها، قال: فجعل ينكت منكسا بقضيب فى يده ساعة طويلة ثم قال:

وددت و الله أنى تركت ابن الزبير و ما تحمل من ذلك. انتهى من الأزرقى.

فهذا دليل واضح أن عبد الملك ما كان يعلم أن ابن الزبير بنى الكعبة بموجب الحديث الذى سمعه من خالته عائشة رضى الله عنها، فلما ثبت ذلك كله عنده و تحقق لديه ندم على فعله فإذا تأملت فى الحديث المذكور لمع لك بارق المعجزة النبوية فى قوله صلى الله عليه و سلم لعائشة: فإن بدا لقومك أن بينوه فهلمى لأريك الخ ...

معجزة باهرة على أن الكعبة ستنبنى بعد وفاته و فى إخباره لها بذلك بالأخص إشارة إلى أن بناءها يكون فى حياتها و أن الذى سيبنيها هو من أقاربها عبد الله بن الزبير هو ابن أختها أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنه، و قد تحقق كل ذلك و كلتا الإشارتين تحققتا بعد موته صلى الله عليه و سلم بثلاث و خمسين سنة.

جاء فى الجزء الثانى من شرح كتاب «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» عند حديث: «لو لا حداثة قومك بالكفر لنقضت

البيت ثم لبنيته ... الخ» ما نصه: و لما أراد هارون الرشيد أن يهدم البيت و يعيده على هيئة ابن الزبير الموافقة لأساس إبراهيم عليه الصلاة و السلام، حسب رغبة نبينا صلى الله عليه و سلم نهاه إمامنا مالك بن أنس عن ذلك سدا للذريعة، و قال له: ناشدتك الله لا تجعل بيت الله ألعوبة للملوك، كلما جاء ملك نقضه و بناه، فتزول هيئته من قلوب الناس، فانتهى هارون الرشيد عن ذلك و استحسّن إشارة مالك رحمه الله تعالى و جزاه عن الإسلام خيرا، ما أشد تحريه و اتباعه للسنة، و ما أحسن عمله بسد الذرائع الذي هو من أصول مذهبه القويم. انتهى من الكتاب المذكور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١١٦

### الخلاصة في كيفية بناء الحجاج الثقفي

فخلاصة الكلام المتقدم كما ذكرناها في كتابنا «مقام إبراهيم عليه السلام» المطبوع بمصر هي: أن الحجاج الثقفي بعد محاصرة ابن الزبير و قتله كتب إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يخبره أن ابن الزبير زاد في الكعبة ما ليس منها و أحدث فيها بابا آخر و استأذنه في رد ذلك على ما كان عليه في الجاهلية فكتب إليه عبد الملك أن يسد بابها الغربي و يهدم ما زاده فيها ابن الزبير من الحجر و يكبسها على ما كانت عليه ففعل الحجاج ذلك و هدم من الكعبة ستة أذرع و شبرا مما يلي الحجر فقط و بناها على أساس قريش و ترك سائرها لم يحرك منها شيئا و بذلك اتسع الحجر و جعل لها أربعة أركان على هيئة بناء ابن الزبير و سد الباب الغربي الذي في ظهرها و نقض من طول الباب أربعة أذرع و شبرا فصار طوله ستة أذرع و شبرا و رفع الباب الشرقي عن الأرض و ذلك سنة أربع و سبعين هجرية.

و لا- تظن أن الحجاج حسد ابن الزبير على بنائه الكعبة أو أراد محو آثار بنائه لأنه وقف في وجهه و حاربه كلا، فإن امتداد الأيدي بالتلاعب ببيت الله تعالى لن يكون من أحد من المسلمين لغرض نفساني و معاندة لخصم و إنما إخباره عن بناء ابن الزبير رضى الله عنهما للكعبة لأمر المؤمنين عبد الملك بن مروان واجب لأنه نائبه في الحجاز فلا بد أن يخبره بكل ما حدث من الأمور. و يدل على ما ذكر ما جاء في صحيح مسلم في كتاب الحج فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك و يخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العدول من أهل مكة فكتب إليه عبد الملك: إنا لسنا من تلطخ ابن الزبير في شيء الخ ... فهذه الجملة من الحجاج تدل على حكمه بصواب بناء ابن الزبير الكعبة لكن عبد الملك بن مروان لم يرض بذلك.

فكل شيء فيها من بناء ابن الزبير رضى الله عنه، إلا الجدار الذي في الحجر فإنه من بناء الحجاج و كذلك ما تحت عتبة الباب الشرقي إلى الأرض و الدرجة الموصلة لسقف الكعبة على داخلها و البابان اللذان عليهما هما أيضا من بناء و عمل الحجاج و لقد بقيت الكعبة على عمارة الحجاج إلى زمن السلطان مراد كما سيأتي.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١١٧

و كان حجر إسماعيل في بناء إبراهيم عليهما السلام و في بناء ابن الزبير صغيرا و مقداره فيهما واحدا أما في بناء قريش و في بناء الحجاج فكان واسعا و مقداره واحدا بالصفة التي هو عليها اليوم لأن الحجاج بنى الكعبة بالصفة التي بنتها قريش و هي كانت نقصت من الكعبة من جهة الحجر ستة أذرع و شبرا و بذلك اتسع الحجر.

### ما كان من العمارة في الجدار الذي بناه الحجاج

قال الغازي في تاريخه عند ذكر ما وقع من التعميرات في الكعبة: فمن ذلك عمارة في الجدار الذي بناه الحجاج لانفتاحه من وجه الكعبة و دبرها، ذكر ذلك إسحاق بن أحمد الخزاعي أحد من روى عن الأزرقي في تاريخه و نص كلامه: و أنا رأيتها و قد عمر

الجدار الذى بناه الحجاج مما يلي الحجر فانفتح من البناء الأول الذى بناه ابن الزبير مقدار نصف إصبع من وجهها و من دبرها و قد رضم بالجص الأبيض و قد رأيتها حين جردت الكعبة فى آخر ذى الحجة سنة ثلاث و ستين و مائتين. انتهى من تاريخ الغازى.

### وجوب الطواف من وراء جدار الحجر

و جاء فى كتاب «تاريخ الكعبة المعظمة» ما نصه: قال النووى فى شرح مسلم: و قد ذكروا أن هارون الرشيد سأل مالك بن أنس عن هدمها و ردها إلى بناء ابن الزبير للأحاديث المذكور فى الباب فقال مالك: ناشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشاء أحد إلا نقضه و بناه فتذهب هيئته من صدور الناس ثم قال النووى: قال أصحابنا- يعنى علماء الشافعية- ست أذرع عن الحجر مما يلي البيت محسوبة من البيت بلا خلاف و فى الزوائد خلاف فإن طاف فى الحجر و بينه و بين البيت أكثر من ستة أذرع ففيه و جهان لأصحابنا أحدهما يجوز الظواهر هذه الأحاديث و هذا هو الذى رجحه جماعات من أصحابنا الخراسانيين، و الثانى لا يصح طوافه فى شىء من الحجر و لا على جداره، و لا يصح حتى يطوف خارجا من جميع الحجر و هذا هو الصحيح و هو الذى نص عليه الشافعى، و قطع به جماهير أصحابنا العراقيين رجحه جمهور

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١١٨

الأصحاب، و به قال جميع علماء المسلمين سوى أبى حنيفة فإنه قال: إن طاف فى الحجر و بقى فى مكة أعاده و إن رجع من مكة بلا إعادة أراق دما و أجزاء طوافه، و احتج الجمهور بأن النبى صلى الله عليه و سلم طاف من وراء الحجر، و قال: «لتأخذوا مناسككم» ثم أطبق المسلمون عليه من زمنه صلى الله عليه و سلم إلى الآن و سواء كان كله من البيت أم بعضه فالطواف يكون من ورائه كما فعل النبى صلى الله عليه و سلم و الله أعلم. اه.

### مميزات بناء الحجاج

الحقيقة ليس فى بناء الحجاج الثقفى من مميزات، لأنه هدم بأمر عبد الملك ما عمله ابن الزبير فيها و بناها بالصفة التى بنتها قريش، و لا بأس أن نذكر مميزات بنائه زيادة فى الإيضاح و لنمش كما سبق على و تيرة واحدة، و هذه هى المميزات:

- (١) بنى الحجاج الكعبة على صفة بناء قريش.
- (٢) هدم الحجاج ما زاده ابن الزبير رضى الله عنه و هو ستة أذرع و شبر، من جدارها الذى جهه الحجر و لم يتعرض لهدم ما بقى منها.
- (٣) و جعل للكعبة أربعة أركان كما فعله ابن الزبير.
- (٤) و رفع بابها الشرقى عن الأرض و كبس داخل الكعبة كما فعلته قريش.
- (٥) و نقص من طول الباب أربعة أذرع و شبرا.
- (٦) و سد الباب الغربى الذى بظهر الكعبة و الذى فتحه ابن الزبير.
- (٧) و كان بناء الحجاج على أساس بناء قريش، ما عدا جدار الكعبة الذى جهه الحجر فقد أبقاها بركنين كما فعله ابن الزبير، و لم يجعله مدورا كما فعلته قريش.
- (٨) تكون الدرجة الداخلية للكعبة من عمل الحجاج لأنها كانت فى الجدار الذى هدمه، كما تكون عتبة الباب الشرقى إلى الأرض من عمل الحجاج أيضا لأنه هو الذى رفع الباب عن الأرض.
- (٩) و كان ذلك سنة (٧٤) أربع و سبعين للهجرة.



قال المسعودى فى كتابه مروج الذهب: إن أم الحجاج الفارعة بنت همام بن عروة ابن مسعود الثقفى كانت تحت الحارث بن كلدة الثقفى الطائفى حكيم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١١٩

العرب، فدخل عليها مرة سحرا فوجدها تتخلل فبعث إليها بطلاقها، فقالت: لم بعثت إلى بطلاقى؟ هل لشىء رابك منى؟ قال: نعم، دخلت عليك فى السحر و أنت تتخللين فإن كنت بادرت الغداء فأنت شرهة، و إن كنت بت و الطعام بين أسنانك فأنت قدره، فقالت: كل ذلك لم يكن، لكنى تخللت من شطايا السواك. فتزوجها بعده يوسف بن أبى عقيل الثقفى فولدت له الحجاج مشوها لا دبر له، فنقب عن دبره.

و ذكر ابن عبد ربه فى العقد الفريد أن الفارعة المذكورة كانت زوجة المغيرة بن شعبه، و أنه هو الذى طلقها لأجل الحكاية المذكورة فى التخلل، و ذكر أيضا أن الحجاج و أباه كانا يعلمان الصبيان بالطائف ثم لحق الحجاج بروح بن زنباع الجذامى وزير عبد الملك بن مروان فكان فى عديد شرطته، ثم إن عبد الملك بن مروان قلده أمر عسكره. اه.

و لقد كان الحجاج من حفاظ القرآن المعدودين و هو الذى أمر أن يضعوا للحروف المشبهة علامات، و دعا نصر بن عاصم الليثى و يحيى بن يعمر العدوانى لهذا الأمر فاخترعا نقط الحروف الهجائية لتمييز بعضها عن بعض كالبدال و الذال و الفاء و القاف ليأمنوا اللبس و الاشتباه و التصحيف.

و أخبار الحجاج كثيرة، و هو الذى بنى مدينة واسط و هى واقعة بين البصرة و الكوفة و فرغ من بنائها سنة ست و ثمانين، و قيل ثمان و سبعين و بها مات و دفن و عفى قبره و أجرى عليه الماء، و كانت وفاته سنة خمس و تسعين، و عمره أربع و خمسون سنة. انتهى باختصار من تاريخ القاضى ابن خلكان.

و قد ذكر الإمام ابن كثير فى تاريخه ترجمه طويلة للحجاج بن يوسف فى الجزء التاسع فمما ورد فيه: أنه خطب فذكر القبر، فما زال يقول إنه بيت الوحدة و بيت الغربية حتى بكى و أبكى من حوله، و كان مولد الحجاج سنة تسع و ثلاثين، و نشأ شابا لييبا فصيحيا بليغا حافظا للقرآن. قال بعض السلف: كان الحجاج يقرأ القرآن كل ليلة، قال عقبه بن عمرو: ما رأيت عقول الناس إلا قريبا بعضها من بعض إلا الحجاج و إياس بن معاوية، فإن عقولهما كانت ترجح على عقول الناس، و كانت فيه شهامة عظيمة، و كان كثير قتل النفوس التى حرمها الله بأدنى شبهة، و كان ناصبيا يغيض عليا و شيعة، هوى فى آل مروان بنى أمية، و كان جبارا عنيدا، و كان حريصا على الجهاد و فتح البلاد، و كان فيه سماحة بإعطاء

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٢٠

المال لأهل القرآن، فكان يعطى على القرآن كثيرا، قال عمر بن عبد العزيز: ما حسدت الحجاج عدو الله على شىء حسدى إياه على حبه القرآن و إعطائه أهله عليه، و قوله حين حضرته الوفاة: اللهم اغفر لى فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل. و لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول:

يا رب قد حلف الأعداء و اجتهدوا بآبائى رجل من ساكنى النار

أيحلفون على عمياء و يحهم ما علمهم بعظيم العفو غفار

فأخبر بذلك الحسن فقال: بالله إن لينجون بهما، و زاد بعضهم فى ذلك:

إن الموالى إذا شابت عبيدهم فى رقيم عتقوهم عتق أبرار

و أنت يا خالقى أولى بذا كرمأقد شبت فى الرق فأعتقنى من النار

و لما مات الحجاج لم يعلم أحد بموته، حتى أشرفت جارية فبكت فقالت: ألا إن مطعم الطعام و ميثم الأيتام و مرمل النساء و مفلق

الهام و سيد أهل الشام قد مات ثم أنشأت تقول:  
اليوم يرحمنا من كان يبغضناو اليوم يأمننا من كان يخشانا  
و مات بواسطة و عمره خمس و خمسون سنة، و أجرى عليه الماء لكيلا- ينبش و يحرق، و زعموا أن الحجاج لما مات لم يترك إلا  
ثلاثمائة درهم و مصحفا و سيفا و سرجا و رحلا و مائة درع موقوفه، قال عوف: ذكر الحجاج عند محمد بن سيرين فقال: مسكين أبو  
محمد إن يعذبه الله فبذنبه، و إن يغفر له فهيننا له، و إن يلقي الله بقلب سليم فهو خير منا، و قد أصاب الذنوب من هو خير منه. فقيل له:  
ما القلب السليم؟ قال: أن يعلم الله تعالى منه الحياء و الإيمان و أن يعلم الله الحق، و أن الساعة حق قائمه، و أن الله يبعث من في  
القبور. و قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: كان الحسن البصري لا يجلس مجلسا إلا ذكر فيه الحجاج  
فدعا عليه قال: فرآه في منامه، فقال له: أنت الحجاج؟  
قال: أنا الحجاج، قال: ما فعل الله بك؟ قال: قتلت بكل قتيل قتلته ثم عزلت مع الموحدين، قال: فأمسك الحسن بعد ذلك عن شتمه و  
الله تعالى أعلم. انتهى باختصار من تاريخ ابن كثير.

جاء في مجلة الاعتصام التي تصدر بالقاهرة بتاريخ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ ما يأتي:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٢١

ابن المسيب و الحجاج: صلى الحجاج بجوار ابن المسيب فرآه يرفع قبل الإمام و يضع رأسه كذلك فلما سلم أخذ بثوبه حتى فرغ من  
صلاته و دعا به ثم رفع نعله على الحجاج فقال: يا سارق يا خائن تصلى هذه الصلاة؟ لقد هممت أن أضرب بها وجهك، و كان  
الحجاج حاجا فرجع إلى الشام و جاء واليا على المدينة و دخل من فوره إلى المسجد قاصدا مجلس ابن المسيب فقال له: أنت صاحب  
الكلمات؟

قال: نعم أنا صاحبها، قال: جزاك الله من معلم و مؤدب خيرا، ما صليت بعدك إلا ذاكرا قولك.

### حكاية الحجاج مع الأعرابي

و مما هو معدود من حلم الحجاج: أنه لقي رجلا بظاهر الكوفة فسأله رأيه في الحجاج، فقال الرجل: زعموا أنه من ثمود و كفى بسوء  
سيرته شرا، فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين، قال الحجاج: أتعرفني؟ قال: لا! قال: أنا الحجاج. فقال الرجل: أتعرفني أيها  
الأمير، أنا مولى بنى عامر أجن في الشهر ثلاث مرات و هذا اليوم اشتد الصراع على، فضحك الأمير و عفا عنه. اه.  
خرج الحجاج ذات يوم فأصحر و حضر غداؤه فقال: «اطلبوا من يتغدى معنا» فطلبوا فلم يجدوا إلا أعرابيا في شملة، فأتوه به. فقال له:  
«هلم» قال له:

«قد دعاني من هو أكرم منك فأجبت» قال: «و من هو» قال: «الله تبارك و تعالى دعاني إلى الصيام فأنا صائم» قال: «صوم في مثل هذا  
اليوم على حر» قال:

«صمت ليوم هو أحر منه» قال: «فأفطر اليوم و تصوم غدا». قال: «أو يضمن لي الأمير أن أعيش إلى غدا» قال: «ليس ذلك إلي». قال:  
«فكيف تسألني عاجلا بأجل ليس لي إليه سبيل» قال: «إنه طعام طيب» قال: «و الله ما طيبه خبازك و لا طبخك، و لكن طيبته العافية»  
قال الحجاج: «تالله ما رأيت كالليوم».

### نقل الحجاج إلى العراق

جاء في كتاب «سيف بنى مروان الحجاج الثقفي» تأليف الأستاذ عبد الرزاق حميدة ما يأتي:

يروى تاريخ الأدب أن عبد الملك نقل الحجاج من الحجاز إلى العراق بعد وفادة وفدها عليه و معه إبراهيم بن محمد بن طلحة، و كان الحجاج قد استخلصه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٢٢

لنفسه و قربه و عظم منزلته، فلما دخل عليه لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن قال له: «قدمت عليك أمير المؤمنين برجل الحجاز لم أدع له بها نظيرا في الفضل و الأدب و المروءة و حسن المذهب، مع قرابة الرحم و عظم قدر الأبوة، و ما بلوت منه في الطاعة و النصيحة و حسن المؤازرة، و هو إبراهيم بن محمد بن طلحة، و قد أحضرته بابك ليسهل عليه أذنك و تعرف له ما عرفته. فقال: «أذكرتنا رحما قريبة، و حقا واجبا».

ثم أذن عبد الملك لإبراهيم و أجلسه على فراشه، و ذكر له مدح الحجاج، ثم سأله حاجته، فأجابه محمد بن طلحة: «يا أمير المؤمنين، إن أول الحوائج، و أحق ما قدم بين يدي الأمور ما كان لله فيه رضا، و لحق نبيه، صلى الله عليه و سلم أداء، و لك فيه و لجماعة المسلمين نصيحة، و عندي نصيحة لا- أجد بدا من ذكرها، و لا- أقدر على ذلك إلا و أنا خال». فقال له: دون أبي محمد! يعنى الحجاج، فقال له إبراهيم: نعم».

فأمره عبد الملك أن يخرج. ثم قال: يا ابن طلحة. نصيحتك، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد عمدت إلى الحجاج في تغطسه و تعجره، و بعده من الحق، و قربه من الباطل، فوليته الحرمين، و هما ما هما، و بهما ما بهما من المهاجرين و الأنصار، و الموالى و الأخيار، يطوهم و يسومهم الخسف و يحكم فيهم بغير السنة، بعد الذى كان، من سفك دمائهم، و ما انتهك من حرمهم، ثم تظن أن ذلك ينجيك من عذاب الله، فكيف إذا جاشاك محمد صلى الله عليه و سلم غدا للخصومة بين يدي الله تعالى! أما و الله لن تنجو إلا بحجة تضمن لك النجاة. فأربع على نفسك أو دع».

و كان عبد الملك متكئا فاستوى جالسا، و كأنه راعه أن يكون هذا رأى ابن أبى طلحة فى الحجاج و هو ولى نعمته، و صاحب رأى الحسن فيه. و الذى مدحه أمام عبد الملك بما جعله خير أهل الحجاز.

فقال له: كذبت و منت فيما جئت به. و لقد ظن بك الحجاج ظنا لم نجده فيك، قم، فأنت المائن الحاسد! قال: فقامت و الله ما أبصر شيئا، فلما خطر فستر لحقنى لاحق، فقال: احبسوا هذا، و أذن للحجاج، فدخل، فلبث مليا و لا شك أنهما فى أمرى. ثم خرج الإذن لى. فدخلت فلما كشف لى الستر، إذ أنا بالحجاج خارج، فاعتقنى. و قبل ما بين عيني، و قال: «أما إذا جزى الله

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٢٣

المتواخين خيرا بفضل توصلهما، فجزاك الله عنى أفضل الجزاء. فو الله لئن سلمت لك لأرفعن ناظريك، و لأعلن كعبك، و لأتبعن الرجال غبار قدميك».

قال: فقلت فى نفسى إنه ليسخر بى، فلما وصلت إلى عبد الملك أدنانى حتى أدنانى من مجلسى الأول. ثم قال: «يا ابن طلحة: هل أعلمت الحجاج بما جرى أو شاركك أحد فى نصيحتك؟ فقلت: لا و الله، و لا أعلم أحدا أظهر يدا عندى من الحجاج، و لو كنت محايبا أحدا بدينى لكان هو، و لكن آثرت الله و رسوله و المسلمين». قال: علمت أنك لم ترد الدنيا، و لو أردتها لكانت لك فى الحجاج، و لكن أردت الله و الدار الآخرة، و قد عزلته عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما. و أعلمته أنك استترلتنى له عنهما استقلالاً لها. و وليته العراقين و ما هنالك من الأمور التى لا يدحضها إلا مثله، و إنما قلت له ذلك ليؤدى ما يلزمه من ذمامك، فإنك غير ذام لصحبته مع يده عندك».

قال: فخرجت مع الحجاج، و أكرمنى أضعاف إكرامه.

## حكاية الحجاج مع الغضبان

جاء في كتاب الإمامة و السياسة ما يأتي:

قال: و ذكروا أن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لما خرج على الحجاج، جمع أصحابه و فيهم عبد الرحمن بن ربيعة بن الحارث بن نوفل و بنو عون بن عبد الله و عمرو بن موسى بن معمر بن عثمان بن عمرو و فيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص، فقال لهم: ما ترون؟ قالوا: نحن معك فاخلع عدو الله و عدو رسوله فإن خلعه من أفضل أعمال البر فخلعه و أظهر خلعه فلما أظهر ذلك قدم عليهم سعيد بن جبير فقالوا له: إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، فما الرأي؟ قال: الرأي أن تكفوا عما تريدون فإن الخلع فيه الفتنة و الفتنة فيها سفك الدماء و استباحة الحرم و ذهاب الدين و الدنيا. فقالوا: إنه الحجاج و قد فعل ما فعل فذكروا أشياء و لم يزالوا به حتى سار معهم و هو كاره، قال: و انتهى الخبر إلى الحجاج، فقيل له: إن عبد الرحمن قد خلعتك و من معه، فقال: إن معه سعيد بن جبير و أنا أعلم أن سعيدا لا يخرج و إن أرادوا ذلك فسيكفيهم عنه فقيل له: إنه رام ذلك ثم لم يزالوا به حتى فتنوه و سار معهم. فبعث الحجاج الغضبان الشيباني ليأتيه بخبر عبد الرحمن بن الأشعث من كرمان و تقدم إليه أن لا يكتمه من أمره شيئا فتوجه الغضبان إلى التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٢٤

عبد الرحمن فقال له عبد الرحمن: ما وراءك يا غضبان؟ قال: شر طويل تغد بالحجاج قبل أن يتعش بك ثم انصرف من عنده فتزل رملته كرمان و هي أرض شديدة الحر فضرب بها قبة و جلس فيها فيينا هو كذلك إذ ورد أعرابي من بكر بن وائل على قعود فوقف عليه و قال: السلام عليك فقال له الغضبان: السلام كثير و هي كلمه مقوله قال الأعرابي: من أين أقبلت؟ قال: من الأرض الذلول. قال: و أين تريد؟ قال: أمشى في مناكبها و آكل من رزق الله الذي أخرج لعباده منها. قال الأعرابي: فمن غلب اليوم؟ قال الغضبان: الممتقون. قال: فمن سبق؟

قال: حزب الله الفائزون. قال الأعرابي: و من حزب الله؟ قال: هم الغالبون فعجب الأعرابي من منطقته و حضور جوابه ثم قال: أتقرض؟ قال الغضبان: إنما تقرض الفأرة. قال: أفتنشد؟ قال: إنما تنشد الضالة. قال: أفتسجع؟ قال إنما تسجع الحمامة. قال: أفتنطق؟ قال: إنما ينطق كتاب الله. قال: أفتقول؟ قال:

إنما يقول الأمير. قال الأعرابي: تالله ما رأيت مثلك قط. قال الغضبان: بل رأيت و لكنك نسيت. قال الأعرابي: فكيف أقول؟ قال: أخذتك القول في العاقول و أنت قائم تبول. قال الأعرابي: أتأذن لي أن أدخل عليك؟ قال الغضبان:

و راؤك أوسع لك قال الأعرابي: قد أحرقتني الشمس. قال الغضبان: الآن يضيء عليك الفيء إذا غربت قال الأعرابي: إن الرمضاء قد أحرقت قدمي. قال الغضبان: بل عليهما تبرد. قال الأعرابي: إن الوهج شديد. قال الغضبان: ما لي عليه سلطان. قال الأعرابي: إني و الله ما أريد طعامك و لا شرابك. قال الغضبان: لا تعرض بهما فو الله لا تدوقهما، قال الأعرابي: و ما عليك لو ذقتهما؟

قال الغضبان: نأكل و نشبع فإن فضل شيء من الأكرياء و الغلمان فالكلب أحق به منك. قال الأعرابي: سبحان الله. قال الغضبان: نعم. من قبل أن يطلع رأسك و أضراسك إلى الدنيا. قال الأعرابي: ما عندك إلا ما أرى، قال الغضبان: بلى عندى هراوتان اضرب بهما رأسك حتى ينتثر دماغك. قال الأعرابي: إنا لله و إنا إليه راجعون، قال الغضبان: أظلمك أحد؟ قال الأعرابي: ما أرى، ثم قال الأعرابي: يا آل حارث بن كعب، فقال الغضبان: بسئ الشيخ ذكرت، قال الأعرابي: و لم ذلك؟ قال الغضبان: لأن إبليس يسمى حارثا. قال الأعرابي: إني لأحسبك مجنونا، قال الغضبان: اللهم اجعلني من خيار الجن، قال الأعرابي: إني لأظنك حروريا. قال الغضبان: اللهم اجعلني ممن يتحرى الخير. قال الأعرابي:

إني لأراك منكرا. قال الغضبان: إني لمعروف فيما أوتى، فولى عنه و هو يقول:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٢٥

إنك لبذخ أحق و ما أنطق الله لسانك إلا بما أنت لاق و عما قليل تلتف ساقك بالساق. فلما قدم الغضبان على الحجاج قال له أنت شاعر. قال: لست بشاعر و لكنى خابر، قال: أعراف أنت؟ قال: بل وصاف. قال: كيف وجدت أرض كرمان. قال الغضبان: أرض ماؤها و شل و سهلها جبل و ثمرها دقل و لصها بطل، إن كثر الجيش بها جاعوا و إن قل بها ضاعوا قال: صدقت. أعلمت من كان الأعرابي؟ قال: لا قال: كان ملكا خاصمك فلم تفقه عنه لبذخك. اذهبوا به إلى السجن فإنه صاحب المقالة تغد بالحجاج قبل أن يتعش بك. و أنت يا غضبان قد أندرك خصمك على نطق لسانك، و من الذى به دهاك؟ قال الغضبان: جعلنى الله فداك أيها الأمير، أما إنها لا تنفع من قيلت له و لا تضر من قيلت فيه.

فقال الحجاج: أجل، و لكن أتراك تنجو منى بهذا؟ و الله لأقطعن يديك و رجليك، و لأضربن بلسانك عينيك. قال الغضبان: أصلح الله الأمير قد أزانى الحديد، و أوهن ساقى القيود، فما يخاف من عدلك البرىء، و لا يقطع من رجائك المسىء. قال الحجاج: إنك لسمين. قال الغضبان: القيد و الرتعء، و من يك ضيف الأمير يسمن. قال: إنا حاملوك على الأدهم. قال الغضبان: مثل الأمير أصلحه الله يحمل على الأدهم و الأشقر. قال الحجاج: إنه لحديد. قال الغضبان: لأن يكون حديدا خير من أن يكون بعيدا. قال الحجاج: اذهبوا به إلى السجن، قال الغضبان: «فلا يستطيعون توصية و لا إلى أهلهم يرجعون» فاستمر فى السجن إلى أن بنى الحجاج خضراء واسط، فقال لجلسائه: كيف ترون هذه القبة؟ قالوا ما رأينا مثلها قط. قال الحجاج: أما أن لها عيبا فما هو؟ قالوا: ما نرى بها عيبا. قال: سأبعث إلى من يخبرنى به، فبعث، فأقبل بالغضبان و هو يرسف فى قيوده و لما مثل بين يديه قال له: يا غضبان كيف تبنى هذه؟ قال:

أصلح الله الأمير نعمت القبة حسنة مستوية. قال: أخبرنى بعييها. قال: بنيتها فى غير بلدك، و لا يسكنها ولدك، و مع ذلك لا يبقى بناؤها، و لا يدوم عمرانها، و ما لا يبقى و لا يدوم، فكأنه لم يكن. قال الحجاج: صدق، ردوه إلى السجن.

فقال الغضبان: أصلح الله الأمير قد أكلنى الحديد، و أوهن ساقى القيود، و ما أطيع المشى. قال: احمولوه فلما حمل على الأيدى قال: «سبحان الذى سخر لنا هذا و ما كنا له مقرنين» قال: أنزلوه. قال: «رب أنزلنى منزلا مباركا و أنت خير المنزلين» قال الحجاج: جروه. قال الغضبان و هو يعجر: «بسم الله مجراها و مرساها إن ربي لغفور رحيم» قال الحجاج: اضربوا به الأرض فقال: «منها

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٢٦

خلقناكم و فيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة أخرى» فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه ثم قال: و يحكم قد غلبنى و الله هذا الخبيث أطلقوه إلى صحفى عنه. قال الغضبان: «فاصفح عنهم و قل سلام» فجا من شره بإذن الله و كانت براعته فيما انطلق على لسانه.

## البنية الحادية عشرة: بناء السلطان مراد الرابع الكعبة

### إشارة

(الحادى عشر) ممن بنى الكعبة الغراء، السلطان مراد الرابع من سلاطين آل عثمان، و ستأتى صورته عند ترجمته فى آخر هذا المبحث إن شاء الله تعالى. و قد بناها على صفة ما بناها الحجاج الثقفى سواء بسواء، بدون زيادة أو نقص. فلقد بقى بناء الحجاج للكعبة إلى زمن السلطان مراد الرابع، ثم هدمت بسبب السيل العظيم الذى دخل المسجد الحرام، فبناها السلطان مراد المذكور فى سنة (١٠٤٠) هجرية، فكان بين بناء الحجاج و بين بناء السلطان مراد (٩٦٦) سنة، و طبعا قد حصل تعميرات و إصلاحات فى الكعبة فى بحر هذه المئات السنوات كما سيأتى بيانه فى التعميرات الواقعة فى الكعبة الشريفه.

و إليك صورة المسجد الحرام عند دخول هذا السيل العظيم فيه و تخريبه الكعبة المشرفة و هى صورة منقولة من كتاب "مرآة الحرمين" لأيوب صبرى باشا التركى الذى ألفه باللغة التركىة فى ربيع الأول سنة (١٢٩٩) هجرية رحمه الله تعالى رحمه واسعة و هى هذه:

انظر: صورة رقم ٧٦، الكعبة و قد هدمها السيل سنة ١٠٣٩ هـ

### الخلاصة في كيفية بناء السلطان مراد الرابع

إن سبب عمارة السلطان مراد الرابع هو أنه في الساعة الثانية من صباح يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر شعبان عام ألف و تسع و ثلاثين، نزل مطر عظيم بمكة المكرمة و ضواحيها لم يسبق له نظير، فدخل السيل المسجد الحرام و وصل إلى ارتفاع مترين عن قفل باب الكعبة. و في عصر اليوم التالي أي يوم الخميس سقط الجدار الشامي من الكعبة بوجهيه، و انجذب معه من الجدار الشرقي إلى حد الباب الشامي، و لم يبق سواه و عليه قوام الباب، و من الجدار الغربي من الوجهين نحو

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٢٧

السدس، و من هذا الوجه الظاهر فقط منه نحو الثلثين، و بعض السقف و هو الموالى للجدار الشامي.

و يقول محبنا و جارنا المؤرخ الثقة الشيخ عبد الله الغازي الهندي المكي رحمه الله تعالى في تاريخه: و هذا الذي سقط من الجانب الشامي هو الذي بناه الحجاج الثقفي، و سقطت أيضا درجة السطح. اه كلامه، فقوله هذا صحيح مطابق للحقيقة.

ثم أمر السلطان مراد رحمه الله تعالى ببناء الكعبة المشرفة، فتم بناؤها في شهر رمضان سنة أربعين و ألف على صفة بناء الحجاج رحمه الله تعالى، فعمارة السلطان مراد للكعبة هي العمارة الأخيرة إلى يومنا هذا.

### مميزات بناء السلطان مراد

ليس في بناء السلطان مراد الرابع الكعبة من شيء يخالف البناءات السابقة حتى يمتاز عنها، بل إنه بناها على الصفة التي كانت سابقا و هي صفة بناء الحجاج الذي بناها كما بنتها قريش، لكن لا بأس أن نذكر هنا طرفا من كيفية بنائها لها لنمشي كما سبق على وتيرة واحدة. و هو هذا:

١- بنى السلطان مراد الكعبة كما كانت سابقا سواء بسواء من غير زيادة شيء أو نقص منها أي بنى على الأساس السابق تماما، فإنه لما هدم بقية الكعبة لم يتعرض لهدم أصلها أبدا، بل بنى على نفس الأساس الأول.

٢- كانت عمارة السلطان للكعبة سنة (١٠٤٠) هجرية.

٣- بين عمارة السلطان مراد و بين عمارة الحجاج للكعبة (٩٦٦) سنة.

٤- كان أول ما هدم من الكعبة بسبب السيل في آخر يوم الخميس عشرين من شعبان سنة (١٠٣٩).

٥- كان ابتداء العمل في العمارة بعد تمام الهدم في ضحى يوم الأحد ٢٣ جمادى الثانية سنة (١٠٤٠) ففي هذا اليوم بنى أساس بعض الجدران بحضور أمير مكة و كبار الناس. و سبب تأخرهم في الشروع في البناء اشتغالهم بإحضار الآلات و الأدوات من الخارج فالمواصلات لم تكن كأيامنا هذه، كما كانوا يشتغلون بتنظيف المسجد من آثار السيل و هدم الكعبة و لم تكن لديهم الآلات الميكانيكية لسرعة العمل.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٢٨

٦- هدموا الكعبة كلها، لكن لم يصلوا في الهدم إلى الأساس بل إلى المدماك الذي على وجه الأرض ليكون العمل عليه حتى لا يزيد البناء و لا ينقص.

٧- هدموا باقى أحجار الأركان و ما بينها ما عدا الحجر الأسود فقد أبقوه في محله و لم يحركوه عن محله أبدا، و ذلك يوم الثلاثاء ثالث جمادى الثانية سنة (١٠٤٠).

- ٨- رفعوا حجر الركن اليماني الذي هو محل الاستلام و وضعوه داخل الستارة الخشبية التي أداروها على الكعبة، و ذلك في يوم الثلاثاء ثالث جمادى الثانية سنة (١٠٤٠) و في هذا اليوم أيضا قلعوا أحجار الشاذروان.
- ٩- نصبوا ساترا من الخشب حول الكعبة ليشغل العمال خلفها كما عمل ابن الزبير رضى الله عنهما، و كان الشروع في عمل الساتر يوم الخميس ٢٦ من رمضان سنة (١٠٣٩)، ثم في يوم الأربعاء غرة شعبان سنة (١٠٤٠) رفعوا جميع الستائر التي نصبوها حول الكعبة.
- ١٠- حصل استفتاء للعلماء في وضع الساتر حول الكعبة هل يجوز وضعه أم لا؟
- ١١- استغرقت عمارتها نحو ستة أشهر.
- ١٢- كان الانتهاء من عمارة كل ما يتعلق بالكعبة في اليوم الثاني من ذى الحجة سنة (١٠٤٠).
- ١٣- وضعوا الحجر الذي يستلمه الناس بالركن اليماني في محله الأول، و ذلك في يوم الاثنين غرة رجب سنة (١٠٤٠).
- ١٤- أصلحوا ما حول الحجر الأسود إصلاحا تاما، و كان البدء في إصلاح ما حوله يوم الثلاثاء التاسع من شهر رجب سنة (١٠٤٠) و تمام عمله كان في منتصف ليلة الجمعة ثاني عشر رجب من السنة المذكورة.
- ١٥- و أنهم لم يهدموا الكعبة إلى أساسها و إنما هدموا إلى المدماك الذي على وجه الأرض فقط ثم بنوا على هذا المدماك.

### التفصيلات الوافية عن بناء السلطان مراد الرابع للكعبة

نحمد الله تعالى أن قيض لنا رجالا من كبار العلماء كالعلامة الشيخ محمد بن علان المكي صاحب التصانيف القيمة في تقييد أعمال بناء السلطان مراد الرابع للكعبة يوما بيوم حيث كان موجودا في ذلك الحين بمكة و معاصرا للسلطان التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٢٩ المذكور، فيحق لنا أن نطلق على البيانات التي سجلها العلامة المذكور و تناقلها المؤرخون «يوميات ابن علان المكي عن بناء الكعبة». و هذه البيانات طويلة التفصيل تقع في أكثر من خمسين صفحة، لكن في ذكرها فائدة كبيرة، و ليعلم العالم الشرقى و الغربى شدة عناية المسلمين ببيت الله الحرام و بلده الأمين، من أول وضع البيت الشريف و تأسيسه إلى قيام الساعة، فسبحان الواحد القهار الذي بيده ملكوت السموات و الأرض، و الذي سخر من شاء لما شاء، فهو على ما يشاء قدير.

و لما كان الشيخ عبد الله الغازى رحمه الله تعالى ذكر هذه البيانات في تاريخه المسمى «إفاداة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام» و تاريخه هذا يعد من أوسع كتب التاريخ عن مكة المشرفة، و هو بين أيدينا نطالع فيه على الدوام، و لما كان المذكور رحمه الله تعالى صديقا و محبا لنا بل كان لنا بمثابة الوالد الشفوق، و كان يسكن معنا في محل واحد بباب الزيادة بمكة، فقد أحببنا نقل ما نحتاجه من تاريخه في غالب أبحاث كتابنا هذا.

فقد ذكر الغازى في تاريخه رحمه الله تعالى و أحسن جزاءه و ألحقنا به على الإيمان الكامل غير مفتونين و لافاتنين ما نصه:

و أما بناء السلطان مراد فسببه سقوط الجدار الشامى و الجدار الشرقى إلى حد الباب، و الجدار الغربى نحو ثلثيه من البيت الشريف، و كان ذلك بعد عصر يوم الخميس لعشرين من شعبان سنة تسع و ثلاثين و ألف.

قال العصامى: و فى يوم الأربعاء تاسع عشر شعبان سنة تسع و ثلاثين و ألف نشأت على مكة و أقطارها سحابة غريبة مدلهمة الأهاب حالكة الجلباب، فلم تزل تجتمع إلى وقت الزوال، فأبرقت و أرعدت و أرخت غزاليها و أغدقت و استمرت تهطل ساعتين و درجتين فأقبل السيل من سائر النواحي و ثلم السد الذى يلى جبل حراء المسمى جبل النور ثلثة كبيرة، و علا عليه فدخل المسجد الحرام و ساق ما وجد على طريقه من جمال و رجال و مال و أحمال و غير ذلك، و أخرج ما فيها من الأثاث و غيره، و هدم غالبيتها، فامتأ المسجد الحرام ماء و أهلك الرجال و الأطفال، و كان أكثر الهالكين الأطفال الذين بقرؤون القرآن مع فقهاءهم، و تعلق بعضهم بالأماكن المرتفعة، و ارتفع على بعض السلاسل الحرمية، فوصل الماء إليهم و أهلك الجميع، و كان من هلك به خمسمائة

من بنى آدم خاصة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٣٠

و من الحيوان كثيرا. ثم بات المطر يهطل إلى نصف الليل، فلما كانت آخر ساعة قبل المغرب من يوم الخميس العشرين من الشهر المذكور، سقط جانب الحجر من البيت، فسقط جميع ما بناه الحجاج منها، و من الجانب الشرقي إلى حد الباب، و من الجدار الغربي نحو النصف أيضا، و لله الأمر من قبل و من بعد. انتهى.

و قال العلامة السنجاري رحمه الله في منائح الكرم: إنه في عام ألف و تسعة و ثلاثين في دولة الشريف مسعود بن إدريس بن حسن بن أبي نمى والى مكة كان سقوط البيت الشريف، و ذلك أنه كان يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر شعبان من السنة المذكورة وقع مطر شديد و دخل المسجد الحرام، و أغرق أمه من الناس.

قال الشيخ محمد على بن علان الصديقي: و يقدر من مات في الليل و النهار نحو ألف إنسان، و بات تلك الليلة السيل بالمسجد إلى الصبح و دخل البيوت و أخرج أمتعه العالم إلى أسفل مكة و بلغ الماء في الحرم إلى طوق القناديل.

قال الشيخ محمد المذكور: و كان ابتداء المطر في الساعة الثانية من اليوم المذكور و ما زال المطر يكثر و يقل إلى قبيل العصر، فاشتد و نزل مع المطر برد كثير، قال ابن علان: و ذكر لي بعض الناس أنه ذاق ماء ذلك البرد فكان مالحا أو مرا، و لما أن أصبح الصباح ثاني يوم المطر، نزل مولانا الشريف و أمر بفتح سرب باب إبراهيم بحضرته و (السرب بفتحيتين، بيت في الأرض كما في المختار و هو ما نسميه اليوم بالسرداب) و خرج الماء إلى أسفل مكة. فلما كان عصر يوم الخميس قبيل الغروب نهار عشرين من شعبان سقط الجانب الشامي من الكعبة بوجهيه، و أخذ معه من الجدار الشرقي إلى حد الباب، و من الغربي من الوجهين نحو السدس. هذا و الذي سقط من الجانب الشامي هو الذي بناه الحجاج بن يوسف الثقفي، و كانت لها وقعة عظيمة مهيلة، فنزل مولانا الشريف مسعود بنفسه و أمر بالتنظيف و إفراز الحجارة بعد أن رفع الميزاب و ما وجده من قناديل الذهب المعلقة، و كانت عشرين قنديلا، أحدها مرصع باللؤلؤ و غيره من المعادن، و وضعت في بيت الشيخ جمال الدين بن قاسم الشيبى الحجبى، بعد أن ضبط ذلك بحضرة صاحب مكة، فأخذه إلى منزله بالصفاء و هو من أوقاف السلطان مراد خان على الحجاز، فوضعه في مخزن و ختم عليه بخاتم صاحب مكة مولانا الشريف مسعود، و أجلس عليه حرسا كل ذلك قبل الغروب.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٣١

### حزام الكعبة الذى أرسله السلطان أحمد خان

قال العلامة أحمد الأسدى رحمه الله في أخبار الكرام: و حصل قبل ذلك بسنين عديدة تشقق بالجدار الشامي ثم ازداد في زمن السلطان أحمد والد السلطان مراد فرفع إليه ذلك، و أنه يحتاج للتعمير، فأرسل حينئذ السلطان أحمد حزاما يشد به البيت الشريف و أنفق عليه نحو ثمانين ألف دينار. و ذكر السيد أحمد دحلان في السالنامة الحجازية أن السلطان أحمد بن السلطان محمد بن مراد بن سليم الثانى بن سليمان بن سليم الدول فاتح مصر، أراد أن يجعل حجارة الكعبة المعظمة ملبسة واحدا بالذهب و واحدا بالفضة، فمنعه شيخ الإسلام المولى محمد بن سعد الدين، و قال له: هذا يزيل حرمة البيت، و لو أراد الله سبحانه و تعالى لجعله قطعة من الياقوت فكف عن ذلك. انتهى.

و ذكر السنجاري أيضا في حوادث سنة ألف و عشرين قصة الحزام الذى أرسله السلطان أحمد خان مفصلا فنذكرها أولا ثم نذكر بناء البيت الشريف من الكتاب المذكور، قال رحمه الله: و في أيام السلطان أحمد خان وقع عمل نطاق الكعبة المشرفة، و ملخص ذلك كما ذكره شيخ مشائخنا العلامة شهاب الدين أحمد بن علان الصديقي، أنه لما بلغ حضرة السلطان أحمد خان ما أصاب الجدارين الشرقي و الغربي و جدران الحجر من التصدع أراد هدم البيت الشريف، فمنعه من ذلك علماء الروم، و قيل له يمكن حفظ هذه



الجدران بنطاق يلم هذا التشعث، فجعلوا النطاق من النحاس الأصفر و غلفوه بالذهب مكتوب فيه بالرسم «لا إله إلا الله محمد رسول الله» و فى بعضها «لا إله إلا الله محمد حبيب الله» إلى غير ذلك من الألفاظ الحسنة و الآيات الشريفة مثل «حسبنا الله و نعم الوكيل» و وصل به أمير الحاج المصرى سادس ذى الحجة الحرام سنة ألف و عشرين، فأمر مولانا الشريف بأن يتلقى ذلك علماء مكة و رؤساؤها و مشائخ زواياها من الحجون بعد صلاة العصر، فتوجهوا إلى ذلك المحل و لا قوا الجمال المحملة للنطاق.

فإن أمير الحاج جعل النطاق فى صندوق من خشب و حملوه على صفته المحفة بين جملين، فدخلوا بهم مكة بعد صلاة العصر على أربعة و عشرين بعيرا و الزفاف بين أيديهم و العلماء أمامهم حتى وصلوا به إلى باب السلام، و كان الشريف قد أمر بفراغ دار الميرزا مخدوم لرئيس العمارة حسن باشا، فنزل الدار المذكورة و وضعت الأحمال ببيت الله الحرام يوم السابع، ثم رفعت إلى قاعة الكتب من دار الشيخ

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٣٢

عبد الكريم القطبى عند باب الفهود، و حضر قاضى مكة السيد محمد و قاضى المدينة إسماعيل، و قاضى بيت المقدس سابقا العلامة القاضى المنقارى المقدسى، و شيخ الحرم إسماعيل آغا، و أمين جدة محمد بيك، و أمراء الحج الثلاثة المصرى و الشامى و اليمانى، و مفتى السادة الحنفية الشيخ عبد الرحمن المرشدى و أخوه القاضى أحمد، و القاضى نجم الدين المالكى و مفتى السادة الشافعية محمد بن علان. و جاء فاتح البيت الشريف و فتح البيت فدخل المعمار و رأى الخلاف و خرج و استأذن الشريف فيما جاء بصدد، فأذن له الشريف بقوله: ما أمركم به السلطان فاعلوه لا أمركم و لا أنهاكم، و فى الثانى و العشرين من ذى الحجة من السنة المذكورة شرعوا فى تركيب هلال المنبر و كانوا قد وصلوا به و بقنديل الكعبة و ميزاب جديد من حضرة الأبواب العالية، و كان أعلا المنبر مبنا بالآجر، فهدم ذلك و جعلوا له ألواحا ركبت فيها بالفضة المطلية بالذهب و تم عمله فى الرابع و العشرين من ذى الحجة، و فى اليوم الخامس و العشرين منها فتحوا الكعبة و وضعوا الميزاب الجديد على العتيق و شدوه ربطا، و فى الحادى و العشرين ركبو السقايل حول الكعبة و ذبح المعمار أربعين شاة و تصدق بها عدد أبواب المسجد الحرام، و شرعوا فى النطاق السفلى ليلة السبت ثانى محرم سنة ألف و اثنين و عشرين و أتموه فى الليلة بعده و وضعوا له أعمدة ركبو أسفلها فى الشاذروان بالرصاص، و فى ليلة الأحد شرعوا فى النطاق العلوى إلى أن أتموه. انتهى.

رجوع إلى قصة بناء البيت، قال السنجارى: و لما كان يوم السبت ثانى عشرين شعبان نزل مولانا الشريف إلى الحرم و اجتمع إليه علماء البلد و حضر أعيان الناس و حضر حسين آغا الشاوش من قبل صاحب مصر محمد باشا فوقع السؤال من مولانا الشريف عن عمارة ما و هى من الكعبة المشرفة هل يؤمر بالمسارعة إلى عمارتها و يعمر فى الحال ولى الأمر الذاب عن سرحها؟ و من أى مال يكون التعمير، بمال قناديل الكعبة أم بمال غير ذلك؟ و كان من حاضرى المجلس الشيخ خالد البصرى المالكى و القاضى عبد الله بن أبى بكر الحنبلى، و القاضى أحمد بن عيسى المرشدى الحنفى و غيرهم من علماء مكة، فانعقد رأى الجماعة بالمبادرة بعمارتها من مال الكعبة و يعرض الأمر على الأبواب و لا يمنع أحد من المسلمين أن يعمرها من ماله إذا لم يكن فيه شبهة و أن ذلك لا يتوقف على العرض على السلطان. و لما أجمع رأى الحاضرين على هذا أمر مولانا الشريف أن يكتب صورة سؤال و يضع العلماء عليه خطوطهم ليعث به إلى الأبواب ثم قاموا من ذلك

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٣٣

المجلس و فرش لهم بساط فى باب الرحمة، قال فى تحصيل المرام: الآن يعرف هذا الباب بباب الشريف، لأن الشريف سرور كان يخرج من هذا الباب إلى بيته الذى بأجباد، و طلبوا منى كتاب الشيخ أحمد بن حجر الهيتمى المسمى بالمناهل العذبة فى إصلاح ما و هى من الكعبة فأحضرته لهم فأخذ مولانا الشيخ تاج الدين المالكى و جلس يقرأ عليهم عشرة أيام و الحاضرون يسمعونه فلما وصلوا إلى المطلوب كتبوا سؤالا- كما قلناه أولا من المبادرة إلى العمارة بمن له على الحرمين الشريفين إمارة و أن ذلك يعمر من مال البيت

الشريف و يكتب بذلك الواقع إلى الأبواب، قال ابن علان: ثم ظهر لى أن المخاطب بالعمارة إنما هو سلطان الزمان و ناشر العدل و الأمان سلطان الإسلام و المسلمين و كان إذ ذاك مولانا السلطان مراد خان أعزه الله، فراجعت بعض الفقهاء المفتين و عرضت عليه ما يؤخذ منه ذلك فأبى الرجوع، فرجعت عما رأيته من الأمر الموافق لهم و ألغيت الرسالة المسماة بنشر ألوية التشريف بالإعلام و التعريف عن له عمارة ما سقط من البيت الشريف، فاتفق أن مولانا الشريف أمر بتغيير السؤال لأمر اقتضى ذلك، فغير بعبارة أخرى و كتب الجماعة كما كتبوا أولاً و كتبت عليه و المخاطب بهذا العرض إلى عمارة الكعبة الغراء سلطان الإسلام المكرم مولانا السلطان مراد خان ثم نائبه مولانا الشريف، و هذا السؤال و ما معه من العروض أرسل صحبة أحمد جادوش من جماعة حسين آغا و معه النورى على سنجقदार اليمن، و كان خروجهم يوم الاثنين الرابع و العشرين من شعبان. و فى يوم الثلاثاء الثانى و العشرين من رمضان ورد من مصر آغا و معه النورى على سنجقदार اليمن و أخبرا بوصول الآغا رضوان بيك معمار أعلى المسجد و أنه خلفه، فدخل رضوان بيك و معه السيد هيزع و معه قفطان لمولانا الشريف و ذلك ليلة الجمعة خامس عشرين رمضان. قال ابن علان:

فأحيط على الكعبة بخشب و خصت و ألبست ثوبا من الدولى الأخضر فوق الخشب و الخصف و كان إلباسها لهذا الثوب سابع شوال من السنة المذكورة و صار الناس يطوفون حوله على هذه الحالة بعد أن توجه القاصد بالخبر على الأبواب السلطانية. قال من الأرج المسكى: أرسل الشريف مسعود إلى جدة لتحصيل خشب يجعل على الكعبة لسترها إلى أن يشرعوا فى العمارة، فوصل الخشب من جدة فى آخر شهر رمضان و حصلوا خشبا آخر من مكة و ستروا جميع ما سقط منها و جعلوا بابا لطيفا من خشب فى الجهة الشرقية. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٣٤

قال العلامة الحلبي فى السيرة: و لما وصل الخبر إلى صاحب مصر جمع العلماء و الفقهاء و عرض عليهم ذلك فاتفق رأيهم على المبادرة بعمارته و تعين لذلك من الصناجق رضوان بيك المعمار، فورد مكة صحبة مولانا السيد محمد أفندى قاضى المدينة المنورة و قد عين لذلك.

قال الإمام على بن عبد القادر الطبرى فى تاريخه: إن الأمير رضوان بيك دخل مكة يوم السابع عشر من شوال و معه القفطان و دخل السيد محمد المذكور فى سادس عشر ربيع الثانى متوليا قضاء المدينة و عمارة الكعبة و كان وروده مكة من البحر و معه قائمة سلطانية و خلعة عثمانية فقرأت القائمة بالحطيم و حضر مولانا قاضى مكة و السيد عبد الكريم بن إدريس نائب مولانا الشريف. ثم طلعا بالخلعة إلى مولانا الشريف فلبسها بالمعابذة لمرض منعه من الظهور و الحضور. انتهى.

و لما كان ليلة الثلاثاء من عشرين ربيع الثانى انتقل مولانا الشريف مسعود إلى رحمة الله و دفن بالمعلاة بقبة السيدة خديجة رضى الله عنها، و تولى مكانه الشريف عبد الله بن حسين بن نمى، هذا هو جد العبادلة و به يسمون العبادلة و ذوى عبد الله، فخلع عليه الأمير رضوان بيك قفطان الولاية بنظر القاضى محمد قاضى المدينة، و لما كان يوم السبت ثالث عشر جمادى الثانية و قيل يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى حضر مولانا القاضى و رضوان بيك المعمار و المعلم على بن شمس الدين المكى المهندس و المعلم محمد على بن زين الدين و أخوه المعلم عبد الرحمن، فعرض عليهم بناء الكعبة المشرفة، فالتزموا بناءها على الوجه الأكمل، فسجل القاضى ذلك عليهم، ثم ذكر المعلم محمد على بن زين الدين أن مراده نصب أخشاب حول البيت و يجعل عليها ستورا يمنع من مشاهدة الهدم، فاختلف رأى الحاضرين فمنهم المبيح و منهم المانع و من المانعين الشيخ محمد بن علان و له رسالة فى منع وضع الساتر لوجه الكعبة. و انقضى المجلس على الاتفاق على نصب الساتر، و أفتى بالجواز جماعة من الأعيان: كالشيخ خالد المالكى و الشيخ عبد العزيز الزمزمى مفتى الشافعية و غيرهما. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٣٥

**صورة الاستفتاء الذي قدمه رضوان آغا لعلماء مكة الأعلام**

كما ذكره العلامة أيوب صبرى فى مرآة الحرمين ما قولكم، رضى الله عنكم و نفع بعلومكم المسلمين فى بناء البيت الشريف زاده الله شرفا و كرما، هل يجب ستره عن أعين الناس لأجل البناء و الفعال حفظا للحرمة و رعاية لزيادة الأدب و إن ضاق الحال بالطائفتين على وجه أفضل، أم يجوز بناؤه مكشوبا من غير حائل و ستره لأجل أن ذلك فيه كمال الرفق بالمعلمين و البنائين من حيث التمكن من البناء على وجه المطلوب؟ و هل الستر من حيث هو واجب أم مندوب مستحب أم كيف الحال؟ بينوا لنا ذلك.

**جواب الشيخ أحمد بن محمد آق شمس الدين المدرس الحنفى**

الحمد لله ربنا اغفر لنا ذنوبنا و إسرافنا فى أمرنا، لا ريب فى كون ستر البيت الشريف زاده الله شرفا و تعظيما حال بنائه مندوبا إليه و ذلك غير مانع عن حصول كمال فضيلة الطواف و لا يمنع أيضا من المشاهدة، و أما بناؤه مكشوبا من غير ستره فغير لائق بوجه من الوجوه و ليس هو من الأدب، و الله سبحانه و تعالى أعلم و هو المسئول أن يستر عيوبنا و يغفر ذنوبنا. حرره الفقير أحمد بن محمد آق شمس الدين المدرس الصديقى الحنفى.

**جواب الشيخ خالد بن أحمد المالكى**

الحمد لله ستر البيت عن أعين الناظرين حال بنائه مندوب ندبا متأكدا لا واجبا و الطواف وراء الستر ليس هو مفضولا، بل الستر قام مقام البيت فلا يمنع من كمال فضيلة الطواف بل و لا يمنع من المشاهدة لأن كسوة البيت جعلت لمنع أعين الناظرين إليها و هذا الستر كذلك بل هذا أكد لأن النظر إلى البيت حال بنائه أفزع من النظر إليه مستورا، و الله سبحانه و تعالى أعلم. نمقه الحقير إلى الله خالد بن أحمد بن محمد بن عبد الله المالكى الجعفرى. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٣٦

**جواب السيد زين العابدين بن عبد القادر الطبرى الشافعى**

الحمد لله ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ستر البيت الشريف عند الشروع فى بنائه بل و عند الشروع فى مقدمات ذلك كهدم ما يحتاج إلى هدمه منه مندوب إليه و مما ينبغى و ليس بواجب و ذلك لاقتداء بفعل عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما، و من كان فى عصره من أجلاء الصحابة، رضى الله عنهم، فإنه لما أن عمر الكعبة الشريفة جعل عليها ساترا بإشارة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، و قد نقل ذلك العلامة الأزرقى فى عدة مواضع من تاريخه فقال فى أثناء باب ما جاء فى بناء ابن الزبير للكعبة ما نصه: فهدموا و أعانهم الناس فما ترجلت الشمس حتى ألصقتها كلها بالأرض من جوانبها جميعها و كان هدمها يوم السبت للنصف من جمادى الآخر سنة أربع و ستين و لم يقرب ابن عباس مكة حتى هدمت الكعبة و حتى فرغ منها و أرسل إلى ابن الزبير لا تدع الناس بغير قبلة و انصب لهم حول الكعبة أخشابا و اجعل عليها الستور حتى يطوف الناس من ورائها و يصلوا إليها ففعل ذلك ابن الزبير. انتهى. و قال فى موضع آخر ما نصه: و كان بناؤون بينون من وراء الستر و الناس يطوفون من خارج. انتهى. و قال فى موضع آخر ما نصه: و نصب الخشب حول البيت ثم سترها و بنوا من وراء الستر. انتهى.

فهذه النصوص كلها صريحة فى أن الساتر المذكور مندوب إليه و ليس فيها دلالة على أنه إنما كان عند الشروع فى البناء بل يحتمل أنه جعل عند الشروع فى مقدمات ذلك كالهدم و هو الظاهر اللاتق بحرمة البيت الشريف التى أمرنا بها و لا شك أنه لو هدم و بنى

من غير وجود ساتر بينه وبين الأعين لسقطت هيئته من قلوب كثير من الناس ممن لا ينظر إلا إلى الصور و يترتب عليه هتك حرمة. و قد أجمع العلماء على استحباب كسوة الكعبة و استمرارها عليها و القصد من ذلك سترها عن الأعين لما يلزم على عده من المحذور المذكور فليكن هذا الساتر كذلك بل أولى لأن رؤية الكعبة المشرفة منهدمه منشقة أفضع من رؤيتها مجردة عن أثوابها و من زعم أن الساتر المذكور مما لا ينبغي فعله فقد حاد عن طريق الصواب و أخطأ من وجوه عديدة لا يسعها هذا الجواب، و الله سبحانه و تعالى أعلم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٣٧

حرره الفقير زين العابدين بن عبد القادر الحسيني الطبري الشافعي أمام المقام الشريف.

كذا في مرآة الحرمين لأيوب صبري قال السنجاري: ثم وقع اجتماع ثاني بالحطيم مع جملة الأعيان المذكورين و سأل مولانا الشريف عبد الله بن حسن في هدم الجدار اليماني فإنه كان قائما فدار الكلام ثم اقتضى الحال بالإشراف عليه من خلف الخشب و الإشراف على بقية الجدران فأشرف غالب الجماعة و معهم مولانا الشريف و نصب المعلمون الميزان فوجدوه خارجا عن الميزان قدر أربعة أذرع فاقتضى رأى الجماعة إلى هدم بقية الجدارين الشرقي و الغربي ثم ينظر في اليماني فإن زاد في الميل هدم و إلا فلا، و انصرف الناس على هذا الرأى بعد أن سجل ذلك و بعد يومين من هذا المجلس رفع سؤال إلى العلماء مضمونه إذا شهد المهندسون بخراب الجدر اليماني هل يهدم أم لا؟

### صورة الاستفتاء الذي قدمه رضوان آغا لعلماء مكة

#### بخصوص هدم الجدار اليماني كما ذكره العلامة أيوب صبري في مرآة الحرمين

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين و مرجع الخاص و العام من المسلمين و قطع بوجودهم دابر المفسدين و عمر بهداهم شعائر الإسلام للمهتدين في الجدار اليماني من البيت الشريف زاده الله تشريفا و تعظيما، الذي يظهر في بادى النظر للعوام أنه مستقيم و الحال أنه مائل داخل أعلاه و بارز أسفله من رأس الركن الذي على الحجر الأسود إلى المدماك الذي تحت الحجر الأسود نصف ذراع و من نحو نصف الجدار المذكور ذراع كامل و من محل وصول الميزان في المدماك المذكور إلى أرض المكان قدر الميل ثلث ذراع أيضا فيكون الميل من رأس الركن إلى أرض المطاف نصف ذراع و ثلث ذراع و من قرب الحجر الأسود المحل الثاني في الوزن ذراع كامل و من المحل الثالث في الوزن الذي بالقرب من وسط الجدار ذراع و ثلث، كل ذلك بذراع القماش الحديد و قد ظهر كل ما ذكر أعلاه من الميل في الأماكن الموزونة بالمشاهدة لكل من حضر من العلماء و المهندسين و المعلمين و غيرهم، و شهد أرباب الخبرة من المهندسين و المعلمين و العارفين ببناء عقارات الجدار المذكور و ما كان مثله خصوصا من المنحوت إذا مال نحو سدس ذراع يجب هدمه و لا يجوز بقاؤه سواء كان ذلك في محل مملوك أو محل موقوف أو مال يتيم و إنهم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٣٨

يوجبون ذلك و ذكروا أن هدم الجدار اليماني من البيت من أوجب الواجبات لما في هدمه من المصالح الواجبة في تعظيم البيت الشريف زاده الله تعالى شرفا و لما في بقاءه من خلاف ذلك نعوذ بالله منه فهل يجوز لمن له ولاية العمارة من جانب السلطنة العثمانية خلد الله دولتها و أيد صولتها أن يهدم هذا الجدار اليماني المذكور ليقيمه و يقيم بناء البيت الشريف جميعه على الوجه الذي يليق به من إتقان العمارة و تحسينها الواجب ذلك في حق البيت الشريف زاده الله تعالى مهابة و تكريما و زاد من عظمه و أكرمه تشريفا و تعظيما أم لا- يجوز ذلك و الحال ما ذكر أم كيف الحال؟ بينوا ذلك بياننا شافيا أثابكم الله الجنة بمنه و جزاكم عن الإسلام و المسلمين خيرا.

**جواب الشيخ خالد بن أحمد المالكي**

حيث كان الحائط المذكور بالصفة المذكورة عن العدول المذكورين في السؤال و أرباب الخبرة من أهل الصناعة و غيرهم فهدمه و تجديده أولى بل متعين لأنه أحق من الهدم الصادر من سيدنا عبد الله بن الزبير لأن قضية ابن لاذبير كانت محتاجة إلى الترميم فقط كما أشار إليه هو رضى الله تعالى عنه و هذه محتاجة إلى الهدم و البناء سيما مع الانهدام و الهدم الكائنين في الثلاثة الأرباع إذ ابن الزبير رضى الله عنه و من خالفه في القضية يقولون بالهدم في قضيتنا أولى و الله سبحانه و تعالى أعلم ...  
نمقه الفقير خالد بن أحمد بن محمد بن عبد الله المالكي الجعفرى.

**جواب الشيخ عبد العزيز بن محمد الزمزمى الشافعى**

الحمد لله و لا- حول و لا- قوة إلى بالله حيث كان الجدار المذكور من البيت الشريف زاده الله تعالى تشريفا و تعظيما بالجملة المشروحة في السؤال المشاهدة للعمل من الرجال و شهد بخراجه أرباب الخبرة الموثوق بهم في كل حال الذى يغلب على الظن فيهم عدم تهمته في هدم ما كان حالى من البقاء و لا غرض لهم في تخريب أدنى جزء منه خوفا من الله يوم اللقاء فهدمه بعد تحقق ما ذكر جائز بل واجب على من فوض له السلطان الأعظم خلد الله سعادته و أيد سيادته و أقام به شعائر الدين و قطع بسيطه رقاب المعتدين عمارة بيت الله العظيم و إعادته على الأسلوب القديم و بناء جدرانه على ما كانت عليه و إحكامها بكل وجه يمكنه  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٣٩

التوصل إليه فذلك من أعظم شعائر الإسلام و بقاء ما كان خرابا منه على حاله مع إمكان إزالته من موجبات شرور الفجرة الطغام و قد صرح علماؤنا رضى الله عنهم بجواز هدم ما تحقق خرابه من البيت الحرام و ما نصوا عليه لا يجوز مخالفته و من خالف أقوال العلماء كان ممقوتا عند الله و خلقه أعاذنا الله من ذلك و سلك بنا أحسن المسالك و الله سبحانه و تعالى أعلم.  
حرره الفقير عبد العزيز بن محمد الزمزمى الشافعى.

**جواب الشيخ أحمد بن محمد آق المدرس**

الحمد لله ربنا اغفر لنا ذنوبنا و إسرافنا فى أمرنا، لا ريب فى أن الواجب على كل مسلم تعظيم هذا البيت الشريف زاده الله من التعظيم و التكريم و التبجيل و التشرية و قد شاهدنا نحن و الجم الغفير من العلماء و الولاة حقيقة ما ذكر فى السؤال من الجواب و لم يزل يبلغنا كل يوم الثقاة السالكين منهم الصواب أنه يتداعى إلى السقوط ما لم يتداركه أمره مع شهادة المعلمين الموثوق بهم بخراجه و بقاءه من بنائه إلى حال سقوطه ألف عام إلا خمسة و عشرين عام أو فى معجزة و لما أراد الله خرابه خرب و إذا تحقق ما ذكر و لم يكن إبقاء شىء منه على حاله بمال و جب هدمه بغاية الإجلال و الإعظام و مزيد التوقير و الاحترام و شكرت مساعى من فوضت إليه هذه الخدمة الجليلة المقدر من قبل من فوض له ذلك مولانا السلطان العظيم الفخار دامت سلطنته العظمى ما دام الفلك الدوار و يجتهد على عمارته و إعادته على الأسلوب الحسن و بناء جدرانه على ما كانت عليه مهما أمكن و غير لائق البقاء ما كان خرابا على حاله مع إمكان إزالته و قد نص العلماء على جواز هدم ما تحقق خرابه من البيت الشريف إذا لم يكن بقاءه نسال الله تعالى أن يوفقنا و من تشرف بهذه الخدمة إلى ما يحبه و يرضاه و يكون عوننا لكل منا فى أولاه و أخراه و أن يرينا الحق حقا و يرزقنا اتباعه و يرينا الباطل باطلا و يوفقنا لاجتنابه. و الله أعلم.

نمقه الفقير أحمد بن محمد بن آق شمس الدين المدرس الصديقى الحنفى السهروردى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٤٠

### جواب الشيخ عبد الله بن أبي بكر بن ظهيرة القرشي

الحمد لله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. نعم جوابي كذلك سلك الله بالقائم بخدمة هذا البيت الشريف أحسن المسالك.

الفقيه الحقيير عبد الله بن أبي بكر بن ظهيرة القرشي الحنبلي. انتهى ما في مرآة الحرمين.

قال ابن علان: وفي ضحى يوم السبت خامس عشرين جمادى الأول فتح مقام إبراهيم و وضعت فيه الكسوة الشريفة و في يوم الأحد سادس عشرين شهره وصلوا في الهدم إلى باب الكعبة فرفعوا الباب و وضعوه في بيت السيد محمد أفندي شيخ حرم المدينة المشرفة. و في ضحى يوم الأحد ثالث عشر جمادى الآخر رمى أساس الجدار الشامى و بعض أساس الجدار الغربى مما يلى الحجر، بكسر الحاء، و حضر صاحب مكة مولانا السيد عبد الله بن حسن و غيره من الأعيان و باشر مولانا الشريف شيئا من العمل و تبعه الأعيان فى ذلك، و فى هذا اليوم وضعوا عتبة الباب ثم شرعوا فى البناء و هيئت القراءة فى المقامات الأربعة و ذبح ثور و كبشين على باب السلام و كذا على باب الصفا و كذا على باب الزيادة و كذا على باب إبراهيم. و فى يوم الأحد غرة رجب وضع الحجر اليماني فى ركنه بعد أن صمخ بالعنبر و المسك و بخر بالعود. و فى السابع من رجب حضر مولانا الشريف و بعض أبناء عمه و جملة من الأعيان و أرباب العمارة و أرادوا قلع الحجر الأسود لتمكينه فى محله على وجه الكمال، فما أمكن، و غاية ما قدروا عليه رفع الحجر الذى فوقه و أخبرنى مولانا الشيخ عبد العزيز الزمزمى و كان حضر هذا المجلس معهم أنه رأى باطن الحجر و أن لونه أشهب و أنه مربع كترية مفتاح الدار. و فى التاسع من رجب جعلوا أخشابا ستروا بها ما حاذى الحجر الأسود ثم أخرجوا الحجر الأعلى و نقلوه إلى محل آخر و أخذ المعلم عبد الرحمن بإصبع الحديد ما أطاف بالحجر مما كان عليه من الفضة و الجير و الخارج يتلقاه السيد محمد بن الشريف عبد الله صاحب مكة بمحرمة فى يده فينما هم كذلك و كان من بيده المعول قرض بلا تأن فإذا الحجر الأسود تشظى نحو أربع شظايا من وجهه و تفرقت منه و كادت أن تسقط فعند ذلك حضر السيد محمد على بن بركات فلما رأى ما أهاله من الأمر

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٤١

الشديد، قال: يا أمة الإسلام إن أخرج الحجر الأسود تفرقت أجزاءه و لا و الله تقدرين على ضمها و جمعها و يترتب على ذلك أمر عظيم أصلحوا هذا الذى انزعج منه. فقال المعلم محمد بن شمس الدين: الحجر الذى عليه الحجر الأسود خارج و فى بقائه خلل لأنه ركن البيت و عليه عتبة الباب فأمر ناظر العمارة للمعلم ابن شمس الدين باتباع قوله و هو مصمم على رفع الحجر عن مكانه، ثم وافق على ذلك قهرا ثم شرعوا فى إصلاح ما تكسر منه و إصقاؤه و أصلحوا ما خرج منه بعد تعب كثير، و كان إتمام العمل ليلة الجمعة بعد مضى نصفها، و بعد إتمام العمل رفعوا الأخشاب المانعة من تقبيل الحجر الأسود و أسفر الحجر عن محياه و قبله المسلمون و حياه. و فى خامس عشرين رجب أزيل الخشب الساتر لوجه البيت فظهرت جهة الباب، و فى غرة شعبان و كان يوم الأربعاء رفع جميع الساتر و فى ثانى شعبان ركبوا الميزاب فى سطح الكعبة و حضر لتركيبه جماعة من الأكابر، و بعد النصف من شعبان شرعوا فى تركيب السقف الأول إلى أن تم، ثم شرعوا فى تركيب السقف الثانى فتم يوم السبت سادس عشرين شعبان، و فى ضحى يوم الجمعة غرة رمضان ألبست الكعبة الشريفة ثوبها، و كان ذلك بعد الشروق، و فى يوم الاثنين رابع رمضان أتموا ترصيم سطح الكعبة، و فى يوم الثلاثاء ثانى عشر رمضان شرعوا فى هدم ظاهر الحجر، بكسر الحاء، ثم شرعوا فى ترميم الحرم و إصلاحه إصلاحا تاما، و ما هل هلال ذى القعدة إلا و قد تم إصلاح جميع الحرم و لله الحمد. و انتهى العمل فى عشر من ذى القعدة و فرشت الحصبا و حصل السرور لجميع أهل الإسلام، بذلك انتهى ملخصا من رسالة الإمام على بن عبد القادر الطبرى ذيل بها كتابا له سماه الأقوال المعلمة فى وقوع الكعبة المعظمة.

انتهى ما فى منائح الكرم.

وقال الطبرى فى الإتحاف: و فى تاسع شوال تخلخلت أحجار أخرى و تحركت الفضة التى فيها فجاؤا بالمعلم محمود الدهان الساكن برباط ربيع فنظر بعد رفع الفضة فإذا الحجر التصقت أجزاءه و تحتها خلا بحيث من أراد قلع بعضه تمكن من ذلك، فصنع مركبا ملأ به ما اتصل به من الخلل بين الحجارة و عمل ذلك بعد صلاة الظهر إلى ما بعد الصلاة منه فى يومين، و فى أول ذى الحجة عند الظهر دهن الحجر بدهان و طلاه بالسندورس فصلح متخللة، و فى يوم العشرين من ربيع الثانى من السنة المذكورة عمل فيه عملا يسيرا و أصلح ما يحتاج فيه الإصلاح كل ذلك بعمل محمود الدهان. انتهى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٤٢

و رأيت رسالة للشيخ محمد على بن علان الصديقى الشافعى فى عمارة البيت الشريف المسمى بأبناء المؤيد الجليل مراد ببناء بيت الوهاب الجواد، فأحبت أن أخص منها أشياء من هذا الموضوع فإن فيها فوائد لم يذكرها المؤرخون.

قال الشيخ ابن علان رحمه الله: سقط من البيت الشريف الجدار الشامى بوجهيه و انجبد معه من الجدار الشرقى إلى حد الباب الشامى و لم يبق سواه و عليه قوام الباب و من الجدار الغربى من الوجهين نحو السدس و من هذا الوجه الظاهر فقط منه نحو الثلثين و بعض السقف و هو الموالى للجدار الشامى و سقطت درجة السطح و كان سقوطه كذلك بعيد العصر يوم الخميس العشرين من شعبان سنة تسع و ثلاثين و ألف، و نقل ما فيها من القناديل إلى بيت السادن و علق باقى أخشاب سقفه خوفا عليه من السقوط. و استمرت أبنية الكعبة الباقية على ما هى عليه لم يجعل فى محل الساقط ما يستر الباقي من أخشاب و نحوها حتى تكرر دخول البس بالحمام اللاتى تقصدنها من المسجد إلى داخل الكعبة و تنجيس أرض الكعبة بدماء الحمام و تقدير أرضها بفضلات الحمام من الريش و الأرجل. فلما تكرر ذلك و تكرر الكلام منا مع غير واحد من جماعة الشريف و من غيرنا أيضا أمر صاحب مكة بعد أن استعان على ذلك بإغاة جدة، فأرسل له بأعواد و آلات أخر و أمر أن يستر ذلك، فجاء مهندس مكة على بن شمس الدين بأخشاب من جذوع النخل و قطع نصف العرض من طرف الجذع و وضع رأس كل فى رأس الآخر و ربطه بالزواير ثم بالمسامير الحديد و جعله تحت الشاذروان و نقر فيه لأخشاب سواص و زنانير سمرها فى هذه الأخشاب و جعلها أطواقا ثلثة تطيف بالكعبة لتمسكها و صفح ما بين أعواد السواص من جهة الجدار الساقطة إلى أعلا البيت و ستر به البيت كله، و كان شروعهم فى ذلك يوم الخميس ٢٦ من رمضان فى صبح النهار و إتمامه فى يوم الأحد ٢٣ من شوال و صبغوا لذلك ثوبا دوليا صبغوه بالأخضر و ركبوا فيه الطران الذى كان على الكعبة بعد أن وصلوه و خيطوه بمكانه و ألبسوه الكعبة صبح يوم الخميس لسابع شوال.

وقد ألفت لهذا العمل مؤلفا خاصا سميته فتح الكريم الفتاح فى حكم ما سد به البيت الحرام من حصر و خشب و ألواح، و بينت فيه عملهم البنيان و عدد الأعواد و بيان أصحابها و الحصر المسدود بها باقى العمل و أصحابها. و كل ذلك أيضا مبسوط فى تاريخنا الكبير و تقتصر فى هذه العجالة على التلخيص و زيد المقالة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٤٣

و فى يوم الثلاثاء ٢٢ من شوال وصل من الديار المصرية و معهم قاصد من العرب صحبته الذى أرسله صاحب مصر ليعمل السد المذكور الذى عمله صاحب مكة إلا أنه من أصل البيت من غير زيادة أصلا و هو رضوان آغا، و صحبته السيد على بن هيزع و جماعة آخرون هجانون و مع الآغا رضوان قفاطين السلطانية و براءات خاقانية لصاحب مكة بتوليته شرافة مكة و المدينة و أعمالهما و كان دخوله بمكة يوم السبت ٢٦ من شهر شوال فألبس الشريف الخلع السلطانية و أعطاه المكاتب المنيفة فقرأها فى الحرم الشريف بعد أن عربها القاضى أحمد بن آق شمس الدين المدرس بالمرادية.

و شرع رضوان فى تنظيف المسجد من الطين الذى غشيه و ملأه، و كان انتهاء عمله بالمسجد الحرام من قطع الطين و غربلته و إخراج بعض حصى المسجد منه و فرش فيه يوم الثلاثاء ٢٩ من ذى القعدة الحرام و مع هذا فقطع أيضا أرض الشارع فإنها علت و نظف بركة

المصرى من الطين الذى امتلأ فى أسفلها من السيل و سوى أرض المدرج عند جمرة العقبة و أصلح بعض خراب فى العين بالبنا و التقليل و رضم أحجارا وجدت فى حفر الشارع وراء جدر المسجد الشرقى و استمر فى هذه الأعمال إلى سادس ذى الحجة فحفر عن أرض المروء و بنى الجدار الشامى من زقاق القرارة النازل عليها.

و أرسلوا فى أوائل ذى القعدة قاصدا آخر لطلب آلات لعمارة الكعبة من الأخشاب و غيرها.

و لما كان أواخر ذى القعدة وصل المركب الذى جهزه صاحب مصر لعمل سد الكعبة و فيه من الآلات كما ذكر لى كاتب جده المحروسه الشهاب أحمد بن على القبانى (٩٨) سوخيا مجوز و سبعة و ستون سوخيا مفرد و أربعة و عشرون سوير و تسعة و خمسون زنارا و عشرة قرايا و قاضن و اثنا عشر لوح خشب بكر و دوامس و محمسات و مائتا عصى شون و كورتين كبار بلدى محلول و ثلاثة عشر حبلا بهروزيا و سحيفا و مائتا مكنل أعلاف و مائة سرفانية و هى المكاتل التى تحمل على ظهور الجمال و ثلاثة و عشرون أقتاب جمال و سبع فراد ليف سلب مفتول و أربع ربط قب و خمس قرمان تركية و خمسة و عشرون مسحاء و ثمانون لوجا و هو نحاس مدور للبكر و ثلاث عشرة قفه مسامير و اثنين و عشرين قضيب حديد معجز هذه آلات سد الكعبة و وصل جملة من النجارة من مصر أيضا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٤٤

و فى يوم الثلاثاء ١٤ ربيع الثانى أمر الأمير رضوان بتنظيف المصنع السلطانى و هو بلسق بركة الشامى فى المعلاة، و أن يهيا ليوضع فيه الحطب و الفحم و حجر النورة و تصليح مصانعها و دفع لكل من أصحاب حجر النورة و الحطب و الفحم ثمنا عينه فى قنطار كل بإشارة على بن شمس الدين المهندس فاستقلوه و لم يرضوا به.

و جئت للأمير رضوان إلى منزله و أعطيته رسالتى (فتح القدير فى الأعمال التى يحتاج إليها من جعل له الملك على البيت ولاية التعمير) و سألتنى الأمير رضوان عن حكم الحطب و الفحم و حجر النورة و آلات عمارة الكعبة إذا امتنع أصحابها من الثمن الذى عينه ابن شمس الدين أيجوز أن يؤخذ بثمينه و إن لم يرضوا به؟ فقلت:

لا يجوز مال المسلم إلا برضاه و أخذ شىء على الوجه المذكور حرام و ما طلب فيه صاحبه مما ذكر ثمنا معينا إن لم يرض إلا به و لم يرض بما دفعتموه له ففى غيره عنه غنى و المنفق فى الخير لا ينبغى فيه المماحكة خصوصا البيت السعيد و أخذ ما لم يرض صاحبه بما يدفع له حرام و واجب تنزيه بيت الله من الحرام تعظيما لحرمة الله و من يعظم حرمة الله فهو خير له عند ربه، و انصرفت عنه، و بلغنى أنه أُلزم أصحاب الآلات المذكورة بالحكم أن يرضوا بما يدفع لهم مما قال ابن شمس الدين فالتزموا بذلك و الحكم لله.

و فى يوم الثلاثاء (٢١) من ربيع الثانى وصل الخبر بدخول غراب ابن سويدان جده المحروسه و فيه من آلات العمارة كما أملاه على كاتب جده المحروسه الشهاب القبانى خمسمائة لوح دبسى و مائة زنار و خمسة عشر كريك عشيم و ثلاثمائة لاطه و أربعة تراكه و تسعون سواحى مجوز و سوخى مفرد و قرايا واحد و مائتا تمساح رصاص و خمسة عشر قنطارا حديدا خاما و عشرة قناطر مسمار و ثمانية سحل ليف و ألف و أربعمائة عصى شون و مائة و أربعون قتب جمال و خمسة قناطر صلب و ثلاثمائة طست و سطل من النحاس.

و فى يوم الأربعاء شرع النجارون فى شغل الأخشاب التى يطيفون بها من الطواف على قدر حاجتهم و يكون أخذه من الطواف نحو ستة أذرع من جدار البيت إلى الطواف من جهاته كلها و قطعوا أطراف رؤوس الخشب كما تقدم فى عمل ما سد به الكعبة و استمر فى هذا الدائر القرافى و يجعل عليه من صفائح الخشب ما يمنع من وصول الناس للعملة و شرعوا فى هذا العمل فى زيادة باب إبراهيم أمام رباط الخوزى و عملوا أيضا تحت الرواق بين الزيادة المذكورة و صحن المسجد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٤٥

و نشروا أيضا لاطات من الأخشاب ألواحا تحت الرابطة المذكور مما يلى وجه الكعبة.



و في يوم السبت سد فم العتبة من تحت ريع الملك الأشرف قانصوه الغورى بعد أن نظفت بإفراج التراب الذى جمعه السيل فيها منذ نظفها حسن باشا عام عشرين و ألف لما وضع حزام البيت و ميزابه و أخرج منها حسن باشا فيما قيل عشرين ألف حمار و كان ابتداء فتحها من جهة باب الزيادة تحت الشيخ عبد الكريم القطبى مفتى الحنفية سابقا و نظفوا أيضا من تحت باب العتبة من ريع الغورى ما يليه من الدبل الذى يجرى فيه الماء المجتمع من العتبة من جهة الغلق و أعمالها و هو دبل ينصب آخره بقرب حوش خدام المسجد فى رأس الزقاق الذى ينفذ على مقبرة الشبيكة و يحاذى باب دبل العتبة البازان السفلى و كان يستقى منه ثم دمر من السيل الواقع عام ٣٩ و الله يعمر من يعمره و يجرى فيه الماء كما كان ينتفع به فقراء ذلك المكان.

و فى ٢٧ ربيع الثانى وصلوا بأول الأحجار الكبار التى اقتطعوها للكعبة الشريفة من جبل الشبيكة قرب الشيخ محمود و طول الحجر نحو ذراع و نصف و سمكه نحو ذراع فجىء بثلاثة منه و وضعت بقرب باب العمرة.

و فى يوم الأربعاء حضر مولانا السيد محمد الناظر على العمارة و الأمير رضوان و شيخ الحرم المكى مولانا شمس الدين عتاق و المهندس على بن شمس الدين و أطافوا بالكعبة و على بن شمس الدين يحسن هدم ما بقى من الجدر و يقول إن أحجارها تكلس بعضها و كان من كلام السيد أن لا يرفع من أحجارها حجرا إلا بعد ظهور اضطراره للهدم و احتياجه الحاجة التامة و بالتحليف مع ذلك لمدعى ذلك فى شىء من أحجارها تعظيما لبيت الله تعالى و احتراماً له، و تفتت بعض الأحجار و تآكل أطرافه لا يضر إذا كان البناء ثابتاً و انصرفوا على ذلك.

و فى يوم الجمعة هلال جمادى الأولى شرع العملة فى تبريح أحجار الكعبة فرصوا الصغار منها فيما بين صف الحنفية الأول و حاشية المطاف و نقل العتالون الأحجار الكبار و فرقوها فى صحن المسجد و نقلوا الجباب إلى ما تحت السليمانية من الأروقة الغربية، و هكذا إلى قرب باب الزيادة. و شرع الحجارون فى نحت الأحجار الجدد التى قطعوها لإكمال البناء بها و كان نحتهم تحت المدرسة الباسطية وراء مقام الحنفى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٤٦

و فى ضحوة اليوم المذكور دعى فاتح البيت و سئل عن قائمة قناديل البيت فقال: لا قائمة لها عندى أصلاً و أحضر كتبه الحرم فقال كل منهم ما حضرنا ذلك و لا عندنا فيه شىء فدعى عبد الرحمن بن أبى البقا فأحضر دفتره بخط أخيه عقيل فيه ضبطها فى عام تسعة عشر و ألف أيام قضاء السيد محمد أفندى بمكة و دفتر آخر بخط عبد الرحمن نفسه فيه ضبطها فى موسم سنة (١٠٣٧) سبع و ثلاثين و ألف على عهد ولاية شريف مكة الشريف أحمد بن عبد المطلب و حاصله أن عدة قناديل الذهب تسعة عشر و أن قناديل الفضة ثلاثة و ثلاثون، فقال الفاتح: ما أطالب إلا بما تضمنه الخط الثانى دون الأول لأن البيت كان بيد السادن قبلى و قال الثلاثة و الثلاثون الفضة ليست كذلك كلها بل معظمها هكذا و فيها نحاس مموه بالفضة و فيها زجاج و تكسر بعضه فاقضى رأى المذكورين تأخير البحث فيها إلى الاجتماع على صاحب البلاد الشريف و يبرز فيها رأيه المنيف.

و فى يوم الاثنين صعد السيد محمد بن السيد محمود الحسين قاضى المدينة المنورة و ناظر العمارة الشريفة و الأمير و قاضى مكة المكرمة و شيخ حرمة و فاتح البيت و آغا جدة إلى صاحب مكة و طلبت القناديل فأحضرت من بيت الفاتح و قرئ الدفتر المكتوب على عهد الشريف أحمد بن عبد المطلب و فيه عدة القناديل و ضبط وزن كل و مجموع قناديل الذهب منها تسعة عشر قنديلا فوجدت فى العدد كذلك من غير نقص و وجدت قناديل الفضة كذلك أى ثلاثة و ثلاثون كما هو مكتوب و تسلم القناديل كلها بالديوان الشريف بحضور من ذكر مولانا شيخ الحرم و ناظره و انصرفوا.

ثم اجتمعت بالمهندس فرأيته و الها و العا بهدم الجدار اليمانى الباقى بعد الهدم بالسيل و أنه لا يحسن عملاً إلا بذلك فخوفته من انتهاك الحرمة و أنه لا يجوز أن يهدم منه إلا ما دعت الضرورة إليه أو الحاجة الحاقه و السلطان إنما أناب فى عمل ما تهدم دون هدم القائم، و أمر عمل الكعبة هدماً و بناء موقوف على ما يصدر من رأى السلطان و رأيته مصراً على هدم الجدار المذكور و جميع ما بقى

من جدر الكعبة و بنيتها على خيط عمله، ثم اجتمعت على السيد محمد الناظر على العمارة فبعد أن ذكرت له ما ذكر و نقولا آخر في منع ما لم تثبت الضرورة أو الحاجة الحاقة إلى هدمه و قلت له: إن بناء الكعبة تابع لهندسة جبريل و ظل السكينة الذي بنى عليه الخليل و أعانه عليه إسماعيل لا خيط العملة، فقال: الأمر كما ترون و لا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٤٧

نهدم منها إن شاء الله تعالى إلا ما ثبت بالضرورة ضرورية هدمه أو حاق الحاجة إليه و ما بقى ندعه على ما هو عليه حتى يسقط فيهيء الله له من يقوم بعمارتها و ألفت رسالة سميتها إيضاح تلخيص بديع المعاني في بيان منع هدم جدار الكعبة اليماني أعطيت نسخة منها للسيد محمد ناظر العمارة و أخرى لقاضي مكة المكرمة و أخرى لشيخ حرماها.

و في عاشر جمادى الأولى شرعوا في كشط الحصى عن وجه الأرض من محاذة الوقادين إلى محاذة دكة الفقيه النزيلي و قد أعدوا ذلك لوضع النورة و تخميرها فيها و أسفل منها و أداروا عليها أخشابا أقاموها ثم سمروها في خشب معترض بها و قد شرعوا في وقيد النورة في المصانع من ١٨ شهر ربيع الثاني.

و في خامس عشر جمادى عمل النشارون في نشر الخشب و الحجارون في قطع الأحجار من جبل الشبيكة و النحاتون في نحتها و إصلاحها و الحماره في نقل النورة على ظهور الحمير إلى المحل المهيأ لها و ينقلونها و هي حجارة و يصفونها في المحل المذكور من المسجد.

و في يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الأولى اجتمع بالمسجد الحرام الأمير رضوان على مولانا السيد محمد و دار الكلام بينهما في الشروع في عمارة الكعبة فقال السيد: ننتظر المعمارية و العملة الواصلين لذلك من مصر و رأى رضوان البدار من غير انتظار و انفض المجلس على أن يشرعوا يوم السبت (٢٢) من الشهر المذكور في وضع الأخشاب المطيفة بالبيت الآخذة بقدر ستة أذرع من الطواف ثم رأوا تأخير العمل للأخشاب إلى يوم الأحد لأنه يوم شريف كان فيه بدء العالم.

و في صبيحة (٢٣) يوم الأحد اجتمع على صاحب بلد الله الحرام السيد و الأمير و جمع من الشرفاء و ناس من الفقهاء و حضر قاضي بلد الله الحرام مولانا حسين أفندي و ناظر المسجد الحرام مولانا شمس الدين عتاق و استؤذن الشريف في مباشرة عمارة الكعبة الشريفة فأذن فيها و في أن يطاف من الدائر بها بأخشاب قدر ستة أذرع و سمكه نحو قامته الأولى فأذن به و عينوا لمباشرة العمل على بن شمس الدين و محمد زين فقالا: نتولى عمل البيت و عمارته لكن بشرط إطاعة الناظرين بتوسعة أجر العمال فقال رضوان: نفعل ذلك، فأحضروا ثلاث خلع واحدة لرئيس النجارين المعلم سليمان الصحراوى المصرى و واحدة لابن شمس الدين و أخرى لابن زين، و تفرق الجمع و حمل جماعة الأمير آلات العمارة من الجبال

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٤٨

و المسامير و السطول و الحلل إلى سقاية العباس و ذبحوا أغناما يسيرة على بعض الأبواب و شرعوا في وضع الأخشاب المطيفة و تسميرها.

و في اليوم المذكور شرع النجارون أيضا في عمل سقالة من الخشب يصعد عليها البنا إلى جدر الكعبة و جعلوا مبدأها مما يسامت الباب الغربى للكعبة و ذلك بأن تقام أخشاب و يسمر بينها عوارض و ترمى عليها أخشاب طوال يوضع طرفها الثانى على عوارض أخرى على قوائم تحتها و هكذا إلى جدر سطح الكعبة، و بعد انتهائها تسمر في الطول خشب عوارض بعرض السقالة و مجموع ما سمر (٧٢) منه و صعد عليها العتالة فأنزلوا بعض الأحجار ثم في الحال صعدوا عليها بالأحجار و كل من الحجارين في نحتهم و النشارين في نشرهم على حالهم.

و في يوم الثلاثاء شرعوا في إصلاح الأحجار الساقطة من البيت و نحت ما يحتاج للإصلاح منها.

و في عصر يوم الأحد هلال جمادى الآخرة صعد السيد و رضوان فرأيا سطح البيت و جداره الباقية و ألقى عندهم على بن شمس

الدين أنه لا بد من هدمها والسيد وكل أمر ذلك إلى الله تعالى.

و في صبيحة يوم الاثنين اجتمع كل من مولانا السيد و الأمير بالحطيم و حضر السيد على بن بركات فصعد معه الأمير إلى سطح الكعبة و أراه المكان و أرسل إلى مولانا السيد محمد و أنا بقبة الشراب المعروفة بقبة الفراشين و أشار إلى بأن أصدع إلى سطح الكعبة و أرى ما هنالك و توجهت لذلك فأشار على الأمير و السيد على بانتظار وصولي فجلسوا فوصلت فرأيت سقف البيت مفارقة لجدار اليماني نحو خمسة أصابع و رأيت انصداعا في الجدار الذي يحذو الباب و بمحاذاة من الجدار الغربي فقال لي الأمير و نحن على السطح: ماذا ترون؟ فقلت: هذه الأحجار المفارقة و الخربة و الشعثة تزال لتحقق الضرر فيها و يقتصر على الأمر الضروري فقال المهندس: هذا الذي بأعلاها إنما حدث من انبعاج أسفلها فتأثر هذا منه، ثم عدنا إلى السيد فسألني، فأخبرته بما رأيت و بما قلت و زدت حينئذ أن هدم باقي الجدار يتوقف على ثبوت أن ذلك الأمر عن انبعاج الأسفل، فقال الأمير: وزن بعض البناء الجدار من محل الحزام فرأى خروجاً على أن ما تحت الحجر الأسود تحتاج إلى الإصلاح. و تكلم رضوان، فقلت له: أنا رجل من أهل العلم و أتكلم التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٤٩

بمقتضى العلم و لا أبالي مما يلحقني في ذلك من الأعراض الدنيوية و الحق على النفوس ثقيل، و انصرفت.

و في يوم الجمعة اجتمع في الحطيم ملك البلاد و السيد عبد الله و ولده محمد و أحمد و أشرف آخرون و ناظر العمارة مولانا السيد محمد الحسين الأنقوري النائب في ذلك مناب السلطان الأعظم و مولانا الأفندي حسين الشهير بمتولى زاده، و مولانا ناظر المسجد الحرام شمس الدين عتاقى و الأمير رضوان، و حضر جمع من فقهاء البلد الحرام و أعيانه منهم خالد المالكي و عبد العزيز الزمزمي و القاضي أحمد بن آق شمس الدين المدرس بالمرادية المفتي الحنفي و تاج الدين المالكي و أحمد بن جعفر الواعظ و الفقير إلى الله تعالى. فدار الكلام في جواز هدم باقي الجدار الباقية بعدما انهدم من السيل و المنع منه، فمال جمع إلى ما قال المهندس من هدمه و ملت إلى تحريم هدم ما لم تدع ضرورة أو حاجة حاقة و نحوت منحى ابن عباس في المنع من ذلك، و دخلوا البيت الحرام و خرجوا و طال الكلام و الجدل بين قاضى مكة المكرمة و بين الأمير فقال مولانا السيد الناظر على العمارة لابن شمس الدين و لابن زين: إن كنتم صادقين في دعواكم خراب هذه الجدار و أنها لا صلاحية فيها للبقاء فاحلفا على وفق دعواكم و أيد ذلك قاضى مكة و قام و مشى إلى الحجر الأسود و قال: تقدما إلى الحجر فامتنعا عن الحلف و قالوا: إن هدمتم فاهدموا و إلا فاتركوا، نحن لا نحلف ثم اقتضى رأى مولانا السيد أحمد و الحاضرين من أن نهدم ما بقى من الجدار الشرقى و من الجدار الغربى و يبقى اليماني و يصمد بما يحرسه من السقوط من دراية و إمامة و بينى الساقط و المهودوم ثم ينظر بعد لحال الجدار اليماني فيعامل بما يبدو فيه، و رضوا كلهم بذلك و حكم به القاضى الشرعى و انفصل المجلس عليه و كتب صورته القاضى أحمد بن عيسى بن مرشد نائب أفندى مكة بأمره و انصرفوا على ذلك.

و في يوم السبت شرع العملة في إخراج باقى خشب السقف و فى ضحوة النهار شرعوا فى هدم الجدار الشرقى مما يحاذى البيت.

و فى يوم الأحد شرعوا فى هدم الجدار الغربى و نقض الأخشاب التى عملت فى محل الجدار الساقطة بالسيل و فيه عزم البناء على هدم الجدار اليمانى و زعموا أنه ضرورى الهدم و نظموا فى ذلك سؤالا كتب لهم عليه بالجواز خالد المالكي

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٥٠

و عبد العزيز الزمزمى و القاضى أحمد المدرس و عبد الله الحنبلى و قالوا: المفتى أسير السؤال.

و فى يوم الأحد المذكور نصبوا البكرات و أخرجوا بها عمودين من العمدة الثلاثة التى عليها بساتل أخشاب السقف و وضعوهما عند محل الحجارين أمام الباسطية و هما سالمان سوى يسير من رأس أحدهما الذى يلى الأرض تأكل بالمياه عند غسل البيت و عند دخول بعض السيول لجوفه و أما البساتل التى عليها فمنها ما رأوه منكسرا فألقوه مع رث خشب البيت بين سقاية العباس و فيه الشراب و منها ما ليس كذلك فوضعوه فى حاشية المطاف مما يقارب مقام الحنفي إلى محاذاة ما بين اليمانيين. و فيه هدموا بعض الجدار

الشرقي ورموا أحجاره من أعلا الجدار إلى ما أطاف به الخشب من الطواف و تركوا حمل العتالين له من أعلا الجدار و حملوه من وجه الأرض.

و فى يوم الاثنين شرعوا فى هدم الجدار اليمانى الذى أفتاهم بجواز هدمه من ذكرنا و الأمر لله الواحد القهار.

و فى يوم الثلاثاء أخذوا فى هدم باقى الجدار. و فى يوم السبت نصبوا أخشابا بطول شبابيك مقام إبراهيم عليه السلام، من الجوانب ما عدا جانب الباب و سمروها و نقلوا إلى ذلك الكسوة الحمراء و السوداء فجعلوا حزمتين أسفل و عليهما البرقع و من فوقهما حزمتان أخريان. و فيه وصلوا بالهدم إلى ما فوق عتبة الباب العليا و تعسر عليهم إخراج بعض أحجار الهدم حتى عالجوا بالمعاول و الصفايح الحديد فى حجر من الجدار اليمانى من الظهر فما تم خروجه إلا بين صلاتى العصر و المغرب، و كان للعملة عند إلقائه من محله جلبه ملأت المسجد صراخا.

و فى يوم الأحد قلعوا العتبة التى على أعلى الباب و وضعوها عند العمدة بمحل نحاتى الأحجار و أخرجوا درفتى باب الكعبة الشريفة و حملوها على الرؤوس واحدة بعد الأخرى و وضعوها فى الخلوّة التى تحت بيت مرزا مخدوم مسكن ناظر العمارة و كان ذلك ضحوه النهار.

و فيه قلعوا أحجار الشاذروان و هى رخام فيها حلق نحاس مموهة بالذهب لإدخال البريم فيها، و هو بموحدة فراء فتحية بوزن فعيل، الجبل المبروم الذى يحيط به أسفل كسوة الكعبة و فيها مسامير لإلصاقها بما تحتها و كان ذلك من عمل مولانا السلطان أحمد خان بمباشرة حسن بن مراد شيخ الحرم المكى حينئذ.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٥١

و فيه رفعوا الحجر الذى فيه الركن اليمانى الذى هو محل الاستلام للطائف و ألقوا حجر الركن فى داخل ما أطاف عليه الأخشاب من الطواف و هدموا باقى أحجار الأركان و ما بينهما و ما أبقوا سوى الحجر الأسود و ما فوقه و ما تحته و ما بجانيه و نصبوا أخشابا على ظهر الحجر الأسود و سمروا طرفها الأعلى و كأنه لمنع أن يرقى أحد من ذلك المحل إلى العملة.

و فيه ابتداءوا فى طحن الجص فى المصنع السلطانى عند بركة الشامى و تم أيضا مطابخ الجير للأعمال السلطانية، و قد كان الجير يؤتى به أحجارا على ظهر الحمير إلى داخل المسجد و تطفى عند باب القبلة، ثم تركوا ذلك و صاروا يطفونه عند مطبخه و يأتون به دقيقا. و فى يوم الخميس نظفوا أسفل الجدر و وجهها لصحة أساسها و كمال أحكامه بحيث منع البنائين مما أرادوا من هدمه و قربوا بعض الأحجار إلى محل البناء.

و فى يوم الخميس نظفوا أسفل الجدر و وجهها لصحة أساسها و كمال أحكامه بحيث منع البنائين مما أرادوا من هدمه و قربوا بعض الأحجار إلى محل البناء.

و فى يوم الجمعة اجتمعوا على السيد محمد ناظر العمارة الشريفة فأكرمنا على عادته بالطيب و غيره أكرمه الله و ذكر لنا أنه وقع فى سره أن انقلاب ماء زمزم عما كان فيه من المرارة إلى الحلاوة علامة على أن ما صنع بالبيت من الهدم حسن و فيه التفاؤل بصلاح الحال و بالحلاوة بعد المرارة، و كان صلى الله عليه و سلم يحب الفال الحسن.

و أشرت على مولانا السيد محمد ناظر العمارة بأن يأمر البناء بغسل الأحجار قبل البناء بها لاحتمال عروض ما ينجسها من هذه المدة من هر أو كلب أو طير، و قد صرح الفقهاء بنذب غسل حصا الحمار لذلك، و أيضا فقد قال تعالى:

وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ فَاسْتَحْسِنْ ذَلِكَ و أشار به عليهم ففعلوا لكن فى كبار الأحجار المنحوتة دون أحجار الوجه الثانى و الحشو و كأنهم استقلوا ذلك و غسلوها بالماء الحلو دون ماء زمزم لأنهم زعموا أنه يؤثر فى إضعاف الجص و الجير.

و فى يوم السبت نحت الحجارون من محل استلام الناس للركن اليمانى قدر أصابع قالوا لأن من فوقه كان قد انفلقت منه قديما فلقة، ففتحوا فى بطن الحجر ما يساوى تلك الفلقة المفقودة، و إن فات لذلك لمس ما تشرف بأيدى الأنبياء و الصحابة و التابعين و العلماء

و الصالحين من وجه ذلك الركن.

و فى يوم الأحد ٢٣ جمادى الآخرة شرعوا فى وضع الأحجار فى بناء الكعبة، وضعوها على الأساس من بعض الأطراف، و حملت فيه أحجارا على كاهلى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٥٢

تشرفا بذلك و اتباعا لسيد الخلائق صلى الله عليه و سلم و رأيت البناء يعملون فى الجانب الشامى و هذا المدماك غير معدود من مداميك الكعبة المعدودة، لأنه وراء الشاذروان وعدة المداميك فوقه إلى منتهى سمكها فى بناء ابن الزبير (٢٥) مدماك، و قد بنيت فى هذا البناء كذلك.

و فى التاريخ المذكور سئلت عن الخشب البارز من الكعبة: أيجوز أن يتخذ منه مسابح أم لا؟ فأجبت بأن ما صلح منه لإعادته إليها و جب ذلك فيه على الوجه الممكن و لو بأن تجعل نشارته مع الطين و الخشبة فيه مكان اللبن فى جدارها و ما لا تقع فيه البتة دفن فى موضع منها أو فى المسجد صونا له عن الابتذال و قياسا على دفنه صلى الله عليه و سلم للجذع الذى يخطب عنده ثم تركه للمنبر، و أيضا فى عمل ذلك منه تعريض للامتحان فإنه إذا انقطع سلك تعرض للابتذال. و الله أعلم.

و فى يوم الاثنين وضعت العتبة السفلى التى بسمت الشاذروان و فى أسفل جدار البيت من وجهه دبل صغير، قال على بن شمس الدين أنه رأى ذلك من الجانب الشامى و ما وقف على منتهاه و لا عرف منتهاه فدك فى هذا البناء و قال: إن الخلل الذى لحق الجدار منه.

و فى يوم الثلاثاء جاءوا بالأحجار التى اقتطعوها من الجبل الشيبكى وراء مشهد العارف بالله الشيخ محمود بن إبراهيم بن أدهم نفع الله بهما و نحتوها و أصلحوها عند مقام المالكى و حملوها العتالة إلى قرب جدار الكعبة و هذا المدماك هو الذى يستره الشاذروان.

ثم اجتمع الناس فى الحطيم للدعاء، و جاء مولانا الشريف و معه أولاده و ناظر المسجد الحرام و رضوان فدعى لمولانا السلطان مراد على العادة ثم لمولانا الشريف ثم لبقية المسلمين و كان رضوان أمر بعض أتباعه أن يعد فى عشرين حلة نورة، و فى عشرين مكتلا

حجارة، فلما أتم الدعاء توجه الشريف و من ذكر أجمع إلى الكعبة الشريفة و حمل المذكورون ما ذكر تبركا و اتباعا، و دعوا لمولانا السلطان و عادوا إلى محمل الدعاء من الحطيم فأخرج الأمير رضوان من جيبه رقعة صغيرة فيها أسماء من يريد إلباسهم الأثواب و هم:

مولانا الشريف صاحب مكة، و قاضى الشرع و ناظر المسجد الحرام و حاكم البلد السياسى القائد جوهر بن ياقوت الحسنى و فاتح البيت الحرام كل خلعة خلعة، و ألبسوا من أفتاهم بجواز هدم الكعبة من الجدر القائمة أثوابا، فالحنبلى أخذوا منه قطنية بيضاء و

الحنفى أخذوا منه صوفا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٥٣

له و ألبسوهما و وضعوا كلا منهما بدل الثوب عشرة غروش، و أما الشافعى و المالكى فلما طلب منهما كاللذين قبلهما لم يجدا شيئا فأخذ لكل منهما صوفا أحمر و ألبس الشافعى و لم يحضر المالكى فقبضه له أحمد بن جعفر الرومى ثم أعاد أبو السرور العجيمى

الدعاء لمن ذكر أولا و انصرفوا، و أمر عند كل مقام من المقامات الأربعة أن يقرأ جماعة القرآن، فلما أتم كل ما عليه أدخلوا جوف الكعبة و ختموا فيما بقى من وسطها القرآن الشريف و دعوا لمولانا السلطان و أعطى كل قارئ نحو الثلاثين محلقا و فيه ذبحوا أربعة

ثيران و بعض الغنم. و فى وقت الضحى تشرفت بنقل الأحجار الشريفة على كاهلى إلى البنية المنيفة و دك بها البناء باطن الجدر.

و فى يوم الأحد شرعوا فى المدماك الثانى و سمكه (٢٢) قيراطا من ذراع العمل، و بدءوا فيه من الجانب الشرقى و فيه صبوا رصاصا على وجه أسفل الجدار اليمانى لىساوى المتآكل منه باقى الجدار فى سمته.

و فى يوم الاثنين غرة رجب الحرام وضعوا الحجر الذى بطرفه محل استلام الطائفين من الركن اليمانى و كان طرف الحجر الذى تحته انكسر من أعلاه فوضع محل ذلك من الرصاص المذاب ما يساوى به مع باقى الأحجار سمتما، و كان تمام وضع الحجر و تسويته عند

العصر من اليوم المذكور و جاء الفاتح بقليل من الصندل المذاب فى زبدية و صمخ به محل الاستلام و ما يقاربه، و فيه وضعوا حجر

الركن الغربي الشامي و نصبوا أحجار الجدار الشامي، و فيه قال مراد آغا ناظر العمارة للبناء عبد الرحمن بن زين: أتقن بناءك فإن هؤلاء البناء يذهبون و لا- يبقى من البناء بمكة إلا- أنت و ينسب إليك كل ما يظهر في البناء من خلل. و دعاه لهذا القول أنه رأى الحجارة المنحوتة ليست في التلاحم على غايته بخلافها في بناء ابن الزبير رضى الله تعالى عنه، فإنه لا يكاد بين الحجرين فيه. و في عملهم هذا بين الحجرين نحو نصف إصبع و ذلك مظنة لدخول ماء السيل منه و إن كحل وجهه بالجص فقد ينحل عند مكث السيل مع أن جدار ابن الزبير رضى الله تعالى عنه كان ذا وجهين.

و في يوم الثلاثاء كمل نصب أحجار المداك الثاني من جوانبه الأربعة و شرعوا في دك ما وراء ذلك.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٥٤

و في يوم الأربعاء كنت واقفا مع مولانا السيد محمد الناظر على العمارة المطهرة على سقاييل البناء مما يلي جهة اليمن فأخبرته أنى شرعت في قراءة صحيح البخارى رواية بعد صلاة العصر من أوائل شهر جمادى الآخرة فأشار بأن يختم في داخل البيت و ندعو عقب ختمه لمولانا سلطان الإسلام و المسلمين فيكون ختم في البيت كل من القرآن و صحيح البخارى، و دعى لمولانا السلطان عقب كل منهما. و فيه حملت النورة و الأحجار و دك بها الجدار اليماني. و فيه عملوا حديدة نحو ذراع على هيئة الخفاف قالوا ليحكموا له الغلاف الذى يريدونه الحجر الأسود.

و في يوم الخميس وضعت عتبة الباب الشريف بمحلها و في الحجر نقب مستدير من ظاهرها إلى نحو نصفها ثم بعد ذلك هو مشقوق إلى آخر الحجر على صورة نصف الدائرة نقر ذلك ليخرج ما قد يتحصل في داخل الكعبة من السيل عن و كف السقف أو نحوه. و في يوم الخميس بعد الظهر نقلت العتالة العمدة الثلاثة من محلها السابق و ردف.

باب الكعبة العليا إلى وسط الكعبة و جعلت بعضها على بعض في منتصف الكعبة و جعلت طرفا مما يلي الجدار اليماني و آخر مما يلي الشامي قالوا ليتمكن من العمدة عند الوصول إلى محلها من غير تعب و وضعوا عليها يوم السبت صفائح الخشب و ستموا أطرافها حفظا لها من نجاسة طير و وسخ عمارة.

و في يوم السبت عمل البناء الأحجار على المداك الثالث و زرع سمك أحجاره عشرون قيراطا و فيه الباب الشريف الشرقى، و فيه رسموا باب الكعبة الغربى و هو بحذاء الباب الشرقى في الجدار الغربى.

و في يوم الأحد أكمل نصب الأحجار المنحوتة في المداك الثالث من جميع جهاته ما عدا محل الحجر الأسود. و فيه نجر النجارون الأخشاب الصحيحة من البيت و أصلحوها، فعادت حسنة المظهر في غاية الجدة. و فيه موه الصايغ الفضة المصفح بها النحاس المجعول غلافا للحجر الأسود.

و في يوم الاثنين انتهى الدك ما كان بين الجدار و ما في أصل الكعبة من الرضم و على وجهه الرخام المفروش من جانب اليمن. و فيه أدخلوا الحجرين الشبيكين المنقور ما بينهما بقدر موضع الحجر الأسود، و أحدهما راكب على الثاني، فدخلوا بهما على العتالة إلى محاذاة الحجر الأسود من المحيط به الخشب، و أدخلوا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٥٥

بين الحجرين ما أعدوه للحجر الأسود و قاسوه و عرفوا عملهم و أمروا الصائغ بإتمام تمويه الذهب في باقى اليوم، فقال: ما يتيسر إلا في غد و شرع البناء في المداك الرابع و زرع سمكه ثمانية عشر قيراطا بدؤوا فيه من الجانب الشامى.

و في يوم الثلاثاء بعد الإشراق جاء السيد محمد الناظر على العمارة و ولده و الأمير رضوان و معهم ما أعدوه للحجر الأسود من المصفح بالفضة المموهة بالذهب فجاءوا بصفائح من خشب مسمر بعضها إلى بعض في أعواد من ورائها، فسدوا بذلك ما كان مفتوحا بحذاء الحجر الأسود لتقبيله و قلع الحجر الذى على الحجر الأسود المطيق على أعلاه و المطيف به طرفه من الجانب اليماني، فوضعوا أخشابا على طرف جدر الكعبة و دحرجوا عليها ذلك الحجر حتى نزل إلى حذاء الكعبة، فحملة العتالة و أبرزوه، ثم وصل

الشيخ عبد العزيز الزمزمي مع فاتح البيت ثم مولانا العلامة شيخ الحرم المكي وقاضي مكة حسين أفندي، وكان حاضرا مصطفى آغا جدة و كاتب البندر المذكور الشهاب أحمد القباني، ثم حضر مولانا الشريف صاحب مكة و معه ولداه محمد و السيد أحمد و السيد علي بن بركات و آخرين من السادة الأشراف، فلما رفع الحجر الكبير الذي على ظهر الحجر الأسود و قصد ابن شمس الدين رفعه من محله و رفع الحجر تحته فأخذ عبد الرحمن بن الزين البنا إصبعاً من حديد و صار يقلع به ما ظهر على الحجر الأسود من فضة و جير فقرص به في وسط الحجر و اتكأ، فإذا انقطع وجه الحجر الأسود و انقشر عما تحته و تفارقت فيما بينها و كادت تسقط فسقط في أيدي القوم. و دعا السيد علي بن بركات فقال لهم: يا أمه الإسلام تحروا فإنكم إن أخرجتم الحجر الأسود من مكانه تفرقت أحجاره، و لا- و الله تقدرتون على جمعها و إعادة الحجر كما كان فيحصل ضرر شديد، و سكتنا في أمر هدم الجدران و وكلنا ذلك إلى ذممكم.

و أما هذا فلا نسكت عليه، و ابن شمس الدين و ابن زين يبيان إلا في رفعه و رفع الحجر من تحته و لو جرى ما جرى، و يدعيان أن الحجر تحته خارج عن ميزان عمله، و أنه محل الركن و له اتصال بالباب، و هو محل التردد إلى البيت فلا يمكن بقاؤه. فقال السيد علي: بفرض ما يقول البناء المتقنون يعقدون العقود و بينون عليها القصور و يعتقدون الجدر الخراب و بينون ما يريدون. فلما رأى الأمير رضوان أن تفقش أجزاء الحجر أمرهما بما قال السيد علي و أطاعا ورد الحجر الذي تحته في الحال بعبته إلى بيته، و أمرا أن يجعلوا من فوق الحجر حجرا يعتقه و يكون عليه مدار العمل ثم و قد بسطت الكلام في هذا المقام في كتابي العمل المفرد من فضل و تاريخ

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٥٦

الحجر الأسود و لون ما يستتر من الحجر الأسود بالعمارة في قدر الكعبة أبيض بياض حجر المقام و ذرع طوله نصف ذراع بذراع العمل و عرضه ثلث ذراع و نقص منه قيراط في بعضه قالوا لتأكل المحل منه و سمكه أربعة قرايط و عليه سيور من فضة واحد من أول ما غاب من رأسه من جهة الباب مستدير إلى مثله مما يلي الجانب اليماني في وسط سمكه و عليه سيران من فضة محيطان بعرضه إلى طرف السير من الوجه الثاني، و في عرض الحجر ثلاثة شطوب مستطيلة واحد من جهة الباب و آخر من جهة الركن اليماني و سرى إلى آخر الحجر من هذا الجانب.

و الثالث في الوسط سوا و بعد الاتفاق على بقائه عمل مركب يلصق به ما تفرق عنه من أجزائه، فطبخوا عنبراً و لاذنا فقلت لهم: ضعوا فيه لسكا فمغ من ذلك ابن شمس الدين و طبخوا ذلك طبختين مرتين و أعادوا به الفتات من الحجر إليه، و غسلوه بعده بالماورد الأزدي. و باشر في ذلك مولانا الشريف و ولده و السيد علي و باقي الأكابر الحاضرين. و بعد إتمام اللصاق جاءوا بالطوق الذي صنعوه للحجر الأسود و قاسوا إذا كان يمكن عمله على الحجر مع بقاءه، فأوا إمكانه ثم أعرضوا عنه بالمرء، ثم قرأت الفاتحة لمولانا السلطان و انصرف القوم. و قبيل صلاة العصر دخلت حذاء الحجر الأسود عند السيد الناظر و الأمير رضوان فأخبروا أن الأحجار ما التصقت بما لصقت به و أن اللصاق ذاب من حر الشمس و أن معلما وعدهم أن يصلح ذلك بالليل ففرحوا.

و في ليلة الأربعاء سرحوا شموعا كثيرة بعضها على جدر الكعبة و ثلاث مركبيات منها أمام الحجر الأسود. و جاء الجمال محمد بن يوسف الحكاك أحد الوقادين بالمسجد الحرام و بوابيه و معه ابن بهاء الدين الملتاني و كان أبوه نجار المسجد فغسل الوقاد الأحجار بعد قلعهما بالزيت الطيب ثم بالماء الحار عن الإذن و العنبر الذي ألصق به أحجاره أولا و فعل ذلك و على حذاء الحجر ستارة تمنع رؤية العمل و ركب قلنوني و اسبيداجا بعلبكي و سندورسا و أضاف إليه مسكا و عنبرا لطيب العرف و قليل من الفحم للسواد.

و أخبرني الوقاد أن عدة فلق الحجر الكبار نحو ثلاثة عشر، و الكبار منها أربعة، و الباقي صغار بالنسبة إليها و شرع في الإلصاق بذلك المركب بعد نحو سدس الليل و أتم العمل عند مضي نصف الليل.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٥٧

و في صبيحة الأربعاء، دخلت فرأيت الأحجار عادت بحسن اللصاق إلى ما كانت عليه في الجملة، إلا أنه حدث الآن تنوء في بعض

الأحجار حال وضعه فصار خارجا عن سطح الحجر فيؤلم من يسجد على الحجر سيما من غير ترو.

و أخبرني الجمال الوقاد أن لون ما انكشفت عنه الأحجار من الحجر الأسود أخضر زيتي، و قال غيره: فيه شوب صغيرة كالمحجب بالزعفران.

و في صبيحة اليوم المذكور قاس سليمان النجار ما بقى بين أعلا الحجر الأسود و الحجر الذى فوقه و قطع ذلك ليأخذ النحاس بقدره من الطوق الذى أرادوه فيصنح بالفضة و يموه بعده بالذهب.

و فيه بنى البناء فى المداكك الثالث من الجانب اليماني و الجانب الغربى، و أتم البناء المداكك الثانى بأعلى دكة البيت سوى الحجر الذى فى حذاء الحجر الأسود.

و فى ليلة الخميس جاءوا بحرف لسد ما بين الحجر الأسود و الذى فوقه و سمكه ذلك نحو أربع أصابع و عليها فضة و أرادوا إلحام طرف الفضة بطرف الحجر الأسود و أن يكون ذلك لمصب مذاب الفضة على أطراف الحجر فأبى الذى عمل اللصاق منه، و قال: إن فعلنا ذلك تفككت الأحجار الملتصقة و لا يقدر على إعادتها فتركوا ذلك و أخذوا فى حك الفضة بالمبرد عن أطراف الحجر.

و من عجيب آيات الحجر أنه يؤتى بالمبرد صحيحا قويا فما هو إلا- أن يبرد به قليلا- تلف و أثر ذلك فى يد العامل فتركوا البرد و قطعوا تلك الفضة بالقدم، و أخبرت أن المتحصل من الفضة ليلتئذ نحو ثلاثة دراهم، و كذا المتحصل قدر ذلك أول يوم من قلعه. و فى يوم الخميس شرعوا أيضا فى العمل المذكور فى الحجر و أخذ البناء فى بناء الأحجار التى فوق الحجر الأسود و بجوانبه، و أتموا بها المداميك الموازية لها و شرع باقى البناء من الركن الغربى إلى اليماني فبنوا باقى الجدار و دكوا باطنه.

و فى ليلة الجمعة حضر كل من مولانا السيد و الأمير إلى فناء البيت و أسرجوا الشموع و حضر الوجيه ابن زين لسد ما بين الحجر الأسود و الحجر الذى من فوقه فأخذ خشبة سمكها أربعة أصابع بطول ذلك و عرضه وضعها بداخل ذلك المكان، بعد أن ملأه بالحص فأحكم عملها فيه ثم ضرب النجارون مسامير الفضة فى الصفيحة الفضة المموهه بالذهب على وجه الخشبة و بقيت فضة من طوقه الأول من أسفل الحجر نحو ثلثه و عمل بالفضة المموهه بالذهب ما عدا من ذلك، و تم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٥٨

عملهم بعد مضى نحو ثلث الليل و حضره شيخ الحرم و السيد على بن بركات و السيد أحمد بن مولانا الشريف و استحسنا ذلك و رفع الحجاب للطائفين عن تقبيل الحجر عند نصف الليل، فقبل الناس الحجر و حمدوا الله تعالى. و بعد صلاة الحنفى الصبح أعاد النجارون سد ما فتحوه من المطيف من الخشب إلى هذا المكان لعمله، فعاد كما كان و تم عملهم ذلك عند طلوع الشمس، و ألبس كل من الصايغ و هو على اليماني صبي قاسم بن مهار و من الصايغ فى إصااق أجزاء الحجر و هو ابن بهاء الدين الملتانى خلعة و امتنع عن ذلك محمد الحكاك فيما قال لى. و قد حكيت هذه القضية و جعلت لها تاريخا من قولى:

الحجر الأسود مازال سنه نورا

و فضله و مجده عن النبي مأثورا

شاهد صدق للذى قبله لا زورا التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ٢-٣؛ ص ١٥٨

يأتى قيامه له عينان خذ مسطورا

محمدًا قبله فاسأل به خبيرًا

فزاد فى تشريفه و زاده تشهيرا

و هو يمين الله فى أرض له مشهورا

و كم لو آ رفعة أتاحه منشورا

لما بنوا البيت الذى به أنلنا النورا



و جددوه كله و عمروا تعميرا  
و رمموا بعنبرو أكثروا العبيرا  
مع لاذن به أصلحو الحجر المذكورا  
فألصقوا أحجاره و حبروا تحبيرا  
لما بدا الصدع بدامن إصبع مدورا  
دار على جوانب مذهب منها الجيرا  
و فضة دارت به من قدم تدويرا  
شدا بن زيد يده عليه إذا ديرا  
تفتت أحجاره عن بعضه تكسيرا  
و بعد إلصاق لها و أتقنوا الأمورا  
ساج عبير عنبرو قد ذكا عبيرا  
و كان ما قد جبروا يفارق التحبيرا  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٥٩ أتاهم معلمكم بصنع ذا مخبورا  
فقال لا بأس و ذأعيده مجبورا  
ألم صدعه بما يذهب التكسيرا  
سر بهذا سيدزاد به سرورا  
كذاك رضوان الأمير أكرم به أميرا  
لأن في ذا خدمة لله يعطى النورا  
فواعده أن يجبى و تابعا مذكورا  
قبيل عتمة فجامعتنا أجورا  
و المير و الأمير قد بالنور زاد النورا  
جاؤوا بشمع عدة و نوروا التنويرا  
و حجرا قد ستروا بثوبهم تستيرا  
وقت اصطناع صانع قد أتنن الجبورا  
جا بالآت بها قد لصق المكسورا  
أجزاؤه كأنهما قد شكت تكسيرا  
عادت كما كانت سوا فاسأل فتى بصيرا  
كأنه الآن و قدلم به الكسورا  
هو قبل صدع ما ترى صدعا و لا فطورا  
فانصر إلهى سيدى سلطاننا المنصورا  
مراد خان لم يزل بعزه مشهورا  
و لا يزال ملكه فى عزه مجبورا  
عمر بيت ربنا فزاده تعميرا

و الحجر الأسود قد جبره تجبيرا  
 أن تبغ عام صنعه و يومه المبرورا  
 صبح الثلاثاء تاسع من رجب شهورا  
 و ختم أمر صنعه فى جمعة مبرورا  
 ثانى عشر رجب و اليد رضاء النورا  
 عند انتصاف ليله ثم عطا سرورا  
 و عامه لا يا أخى تاريخه المسطورا  
 و كان أمر الله قدرا يا أخى مقدورا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٦٠ ذى أنه أرخ لهاذا العمل المذكورا

ثم الصلاة أبدأتور الديقورا  
 على النبى محمد من أسس الخيورا  
 و آله و صحبه من ألبسوا الحيورا  
 و وارث و تابع و من أنيل نورا  
 ما زال بيت الله فى أعلا السنا معمورا

و فى يوم السبت شرعوا فى وضع أحجار المدماك الخامس و ذرع سمكه ثمانية عشر قيراطا و ابتدأوا فيه من الجانب الشامى و أتموا  
 نصب أحجار الجانب كلها فيه و باقى الجهات فى اليوم بعده.

و فيه جاؤوا بالقبان لتقبين ما يحتاجون إلى إدخاله فى البناء من الحديد فإنهم جعلوا فى طرف كل ركن حديدة معكوسة الرأس من  
 الطرفين و نقروا لرأسها فى الأحجار و أدخلوها فى ذلك و صبوا عليها الآتك و من هذا المدماك عملوا الحديد دون ما تحته من  
 المداميك.

و فيه شرع النجارون فى نجر أخشاب الدفن و هى أربعة أدوار بقدر بناء البيت أجمع فنقروا أطراف الخشب و ألصقوا البعض البعض و  
 جعلوا لكل دفين طوقين واحد وراء آخر و هو من الداخل من وراء الحجر الشيبكى المنحوت الموجه به وجه الجدار من الخارج من  
 فوق الباب فأخذوا لذلك ما صلح من دفنها التى كانت فيها و كملوا الباقي بما كان فى سقف البيت.

و فى يوم الأحد و فيما قبله وصلت أخشاب ساج أخذت من بيوت جدة المعمورة لسقف البيت الشريف.  
 و فى يوم الاثنين نحت الحجارون الحجر الكبير الذى على طرفه الحجر الأسود و هو الذى أراد ابن شمس الدين تنحيته عن مكانه و  
 أبى الله إلا إبقاءه فبقى.

و فيه جاءت أخشاب من ساج من جدة. و فيه شرعوا فى المدماك السادس و ذرع سمكه ثمانية عشر قيراطا من الجانب الشرقى من  
 جهة الباب و تم نصب أحجاره و عملوا فى الغربى و دكوا ما وراء الوجه من الجدار اليمانى. و فيه و فيما قبله عمل النجارون قواعد  
 لتوضع على العمدة من أعلاها تحت السقف.

و فى هذه الأيام صارت الحمر تدخل فى المسجد إلى محل تخمير النورة عند مقام الحنبلى و على ظهورها النورة و البطحاء و إدخال  
 البهيمة التى لا يؤمن تلويثها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٦١

المسجد بغير ضرورة حرام و بها مكروه صرح به أصحابنا و ما ذكر ليس من الضرورة فى شىء لإمكان وضعها عن البهائم عند باب  
 المسجد و حمل العملة له من ثم، و لكن الأمر لله.

و في يوم الأربعاء شرعوا في المدماك السابع و ذرع سمكه سبعة عشر قيراطا و فيه صعد السيد نائب السلطان في العمارة الشريفة و الأمير رضوان إلى سطح المسجد و رأيا ما يحتاج للبياض من قبه فغزموا على الشروع فيه يوم السبت.

و في يوم الخميس بنوا من المدماك السابع الجدار الغربي و شرعوا في اليماني منه و ابتدؤوا منه بما يحاذي أعلى الركن الأسود و فيه أتم الحجارون نحت الحجر الذي عليه الحجر الأسود.

و في يوم السبت عمل المبيضون في بياض قبب سطح المسجد و كان قد بيضه حسن باشا لما جاء بالحزام من قبل مولانا السلطان أحمد بن محمد فيما أحب.

فعملوا في هذا اليوم أربع قبب بدأوا مما يلي باب العمرة، و أخبرت بأن كل قبة تبيض بثلاثة أراذب من الجص و قد بلغنى أن جملة ما أنفق في ثمن الجص في عمارة الكعبة و تبيض المنائر و القبب فوق أربعة آلاف دينار و في الخشب فوق سبعة آلاف.

و فيه شرع البناء في المدماك الثامن و ذرع سمكه سبعة عشر قيراطا أيضا و نصف قيراط و بدأوا فيه من الجانب الشامي. و في يوم الأحد أتموا المدماك الثامن و كان انتهاء دكه بعد الظهر.

و في يوم الاثنين ألصقوا باب الكعبة الخشب المصفح بالفضة المصطنعة بالتحلية صورة و آلات متلاصقة و أنه من عمل السلطان عليه الرحمة و الرضوان، و كذلك الخشبة التي في أعلاها الباب الشريف فيها و بها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم.

و جاؤا بالباب الشريف الذي كان أولا و هو من عمل السلطان سليمان فأوقفوا الدرفتين و تركوا وضع درف الباب العليا عليها إلى وقت ضحوه النهار حتى عمل الحدادون سكرجات حديد لأعلى الباب و أسفله و حضر وقت إقامته مع الناظر على العمارة مولانا السيد و الأمير رضوان و أفندى مكة حسين و شيخ الحرم و مؤلف هذا التاريخ و فاتح البيت و بعض خدام البيت.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٦٢

و فيه شرع البناء في المدماك التاسع و ذرع سمكه سبعة عشر قيراطا و بدأوا فيه من الركن العراقي ثم من الغربي. و الفقير و لله الحمد و المنه يحمل الأحجار و النورة في هذا العمل من الضحوه الكبرى إلى الظهر كل يوم طالبا ثواب الله تعالى حقه لنا بمنه.

و في يوم الثلاثاء أتم الحدادون السكرجات فوضعت التحتيتان في محلها من عتبة الباب السفلى بعد أن بنيت بالنورة و صغار الأحجار ثم بالأقونة و وضع الرخام الذي على وجهه الباب عليها و نقر في الرخام لمحل السكرجتين بقدرهما حتى لا يتحرك الباب منها من مكانه و وضعوا درف الباب العليا و فتحوا الباب الشريف فانفتح كما كان و وضع على الباب الشريف قفله و كان وضعه مع أذان الظهر.

و في يوم الأربعاء شرعوا في المدماك العاشر و ذرع سمكه ستة عشر قيراطا و نصف قيراط.

و في صبح الخميس نظف العمل ما على أمام البيت من الجباب و غيره و رفع العتالة كبار الأحجار الباقية فيه و ذلك إلى حد المعجنة فرفعوا الأخشاب التي كانت مطيفة بذلك المكان و جعل منتهى الأخشاب إلى حد المعجنة و أحكم سدها بما يمنع الوصول إلى ما ورائها من ذلك المكان. و فيه شرعوا في المدماك الحادي عشر و ذرع سمكه ثمانية عشر قيراطا و ابتدأوا فيه من جهة الحجر.

و بعد العصر نظفت أرض الكعبة مما يلي بابها الشرقي من وراء العمدة المجمعولة بنسق الكعبة و ذلك مما بها من خشب و آلات و ذلك ليختم في صبيحة النهار بعده صحيح البخاري فإنه قارب التمام و أن الختم يكون تمه حينئذ.

فلما كان بعد فراغى من درس التفسير بعد العشاء أرسل إلى مولانا السيد محمد الناظر على العمارة و قال: إن الأمير رضوان أرسل إلى عند صلاة العشاء أن جمعا من فقهاء مكة أنكروا ختم صحيح البخاري بالكعبة بأنه لم يسبق إلى ذلك فأرسل إليه السيد يقولون بحرمه ذلك أم بكرهته؟ فقال: سألتهم فقالوا: لا و إنما هذا أمر ما سبقت به عادة، فقال السيد: هذا لا يمنع فهل رجلا منكم يقرأ الصحيح و يختمه عن جوف الكعبة و ما في الخير إلا خير و ترك فعل الشيء فيما سلف لا يقتضى المنع منه إذا لم يرق للمنع وجه، ثم التقى السيد معه بعد صلاة ركعتي الطواف عند المقام و طال بينهما الكلام قال السيد: إن الحامل له على

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٦٣

موافقتهم ما في نفسه من أفتاكم بالحق أنه لا يجوز هدم جدار الكعبة القائمة الصحيحة قال: وانفصل الأمير معه على إرسال المفتاح صبيحة وافترقنا وذهبت إلى منزلي وراجعت المواد فإذا هي شاهدة عدل بجواز قراءة السنة في جوف الكعبة و لا سند لمن غير من وجه الحق إلا الحسد فتمت و قمت عند السحر و كتبت سؤالاً في ذلك و أنه هل يمنع من أراد من أهل العلم بالحديث من ختم صحيح البخارى بالبيت الحرام و الدعاء بعده لمولانا السلطان بالنصر و لمولانا الشريف بالتأييد و للمسلمين أجمعين؟ فكتب حينئذ على ضوء الشمعة صاحبنا الفهامة أحمد بن محمد الخطيب الحضرمي الشافعي ما حاصله لا شبهة أن علم الحديث النبوي أفضل العلوم بعد علم التفسير و قراءته قرينة و أفضل أماكن القرب الكعبة و لا مساغ لإنكار ذلك بعدما علم أنه من أفضل العلوم. و كتب أيضا حينئذ كذلك الشيخ الحاسب الفرضي محمد يبري الحنفي و زاد: و إن كنا لم نسمع بمثله. و كتب مولانا القاضي شهاب الدين أحمد بن شمس الدين المدرس الحنفي المفتي و زاد: و غير جميل المنع من قراءة ألفاظ رسول الله صلى الله عليه و سلم في بيت الله تعالى. و توجهت بعد صلاة الشافعي الصبح إلى مولانا السيد و أريته كتابة الباقي على نور العلم السالمين من ظلمة الحسد فأشار بأن أعود له بعد صلاة الحنفي ففعلت فأرسل إلى الأمير رضوان و طلب مفتاح ما أطاف بالبيت فأرسل به مع بعض أتباعه و قال: هذا المفتاح، فقال السيد: نحن ما نريد نتحدث في جوف الكعبة بكلام الناس و لا بسيرة الملوك و أخبارهم بل نقرأ كلام سيد المرسلين و حبيب رب العالمين صلى الله عليه و سلم و ندعو عقب ذلك لمولانا السلطان و الشريف و المسلمين، فنزل السيد و ولده و نزلت صحبتهم فلما كنا عند منتهى الدرجة لمنزله إذا بالمنتصبين في منع ذلك حسدا و هم خالد و عبد العزيز و تاج الدين المالكي و أحمد بن جعفر الرومي و علي بن خالد واقفون ثم سألهم السيد عن حاجتهم بعد أن بدأهم بالسلام فأعلموه أنها إنكار عليه و على هذا الخير الذي خصصنا به فتكلم عليهم السيد و أثنى و قال لهم: إنكم متعصبون و انقلبوا و لم ينالوا من مرادهم شيئا و ردهم الله بغيظهم فدخلنا الكعبة الشريفة و صلينا ركعتين فحضر مولانا العارف بالله تعالى الشيخ تاج الدين النقشبندی و مولانا الأفندي الأعظم حسين و نائبه مفتي الحنفية و مولانا شيخ الحرم عتاقى زاده و جمع كثير من العلماء و عدد من الأتقياء الفلحاء و جلسنا فيما يلي الباب عند هذا مجتمع درفتيه من وراء العمدة و دخل كثير من الناس و شرعت في صحيح البخارى من باب ما يجوز في تفسير النورية و كتب الله

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٦٤

بالعربية و غيرها إلى آخر الكتاب، و دعونا أجمعين بالنصر لسلطان الإسلام و المسلمين و بعد تمام القراءة و الدعاء خرجنا إلى خارج البيت مما أطاف به الأخشاب من الجانب الغربي فقسما فيه الطيب و البخور و الريحان و كان يوما مشهودا، و ألفت مؤلفا سميته القول الحق و النقل الصريح بجواز أن يقرأ في جوف الكعبة الحديث الصحيح.

و في يوم السبت يوم عيد المعراج أصبح ابن شمس الدين من جدة و قد عين لسقف الكعبة من خشب الساج من بيوت جدة و ارتكب في جمعه ما يجازيه الله عليه في عرصات القيامة فكم أخرج بيتا و هدم وقفا و البيت في غنى عن ذلك، و قد كان بغير سقف في بناء إبراهيم عليه السلام و قد ألهم الله قريشا و هم في الجاهلية أن لا يدخلوا في البيت شيئا غصبيا و أن إخراج أذرع منها إلى الحجر أهون من إدخالهم ذلك فيه فانتبه أيها النبيه.

و فيه شرعوا في المداك الثاني عشر و ذرع سمكه ستة عشر قيراطا.

و في يوم الأحد شرعوا في عمل خشب السقف و نشر صفائحه و أخبرني شيخ المعلمين للنجارة أنه أربع فجوات كل فجوة اثنان و عشرون عودا فيكون مجموع أعوده ثمانية و ثمانين عودا عدد ما كان فيها أولا و على الأعود صفائح أخشاب مسمرة عليها من ظهرها. و في يوم الاثنين شرعوا في المداك الثالث عشر و ذرع سمكه ستة عشر قيراطا أيضا. و فيه شرعوا في بسط رخام السطح على وجه الأرض ليأخذوا قياسه و رقموا ما بين الحجر و ما يليه كما فعل نظيره في الأحجار المنحوتة من أحجار المداميك.

و في يوم الثلاثاء رفعوا السرادق الذي كان على أحجار الكعبة. و فيه أتموا المداك الثالث عشر و منه الشروع في النصف الثاني من

مداميك الكعبة.

و في يوم الأربعاء هلال شعبان رفعوا الستارة عن الأخشاب التحتية و طووها إلى نحو نصفها من أسفلها فظهرت غرة وجه البيت الشريف و حمد الله الناس على كشف ما ستر عنهم. و فيه عمل النجارون للقواعد على العمدة من أعلاها ما أحسنوا في صنعه و نقرأ في كل منها ما سعتة عشرة قراريط. و فيه أشار على مولانا السيد محمد الناظر على العمارة أن أصنع تاريخا يكون فيه بناء البيت على وفق المراد فأنشأت في ذلك قولي:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٦٥ خير بيت في البرايا و العباد كعبة لله في أم البلاد  
ما لها بعد ضريح المصطفى من شبيهه في كمال و انفراد  
عمر السلطان سلطان الوري ناصر للشرع مولانا مراد  
عمر الكعبة كلا يرتجى فيه برا من كريم خير هاد  
عمر البيت و أحياء بنى كله لله مولانا مراد  
قام في الخدمة في ذا سيدحاكم الشرع على وفق السداد  
في بلاد المصطفى و اسم له كسمى جداله خير العباد  
إن ترم تاريخ عام كملت بحروف كعقود للجياد  
مع جواد قد أتى تاريخه جدد البيت على وفق المراد  
و في يوم الجمعة بسط المرخمون باقى النصف الثانى من رخام السطح للكعبة.

و في يوم السبت رفعوا باقى النصف الثانى من الستارة و طووها إلى منتهائها و صارت الكعبة بادية من غير سترة يمنع عن رؤيته محياها.  
و فيه شرعوا في المداك السابع عشر و ذرع سمكه و سمك السادس عشر خمسة عشر قيراطا كما أن ذرع سمك كل من الرابع عشر  
و الخامس عشر أربعة عشر قيراطا و نصف.

و في يوم الأحد عادوا لتبييض قب سطح المسجد بعد تركهم لذلك ثلاثة أيام.

و في يوم الثلاثاء وصلوا إلى المداك الذى عليه بساتل أخشاب السقف الأول و هى ثلاثة و فيه وصل كاتب جدة المحروسة الشهاب  
أحمد القباني و معه بعض أخشاب السقف الباقي و وصل بالبستل قطعة من دقل مركب نحو ثلثة حمل من جدة على عجلتين مقدمين  
و مثلهما مؤخرين و جرت باثنى عشر جملا و أدخلت القطعة من باب الصفا حملها اثنا عشر رجلا و وضعوها أمام مقام المالكي.  
و فيه شرع المبيضون في بياض منارة باب الحزورة و ربطوا أعواد الحبال بدور المنارة و أرخوا حبالا على قدر سمت عملهم حتى أتموا  
بياضها في نحو خمسة أيام.

و في يوم الأربعاء رجع الشهاب القباني إلى جدة لباقي الدقل و هما قطعان منه وصلت إحداهما إلى الرغامة في طريق جدة و الأخرى  
بجدة مظنة وصولهما لمكة إلى بعد مضي جمعة من نزوله.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٦٦

و بقى من مداميك البيت نحو ستة، و ذرع سمك كل من المداك الثامن عشر و التاسع عشر خمسة عشر قيراطا.

و في يوم الخميس ركبو أربع بكرات بحبالها لتطليح أخشاب البساتل لسقف الكعبة.

و في يوم الجمعة عاشر شعبان شرع المرخمون في ترصيص رخام الوزرة من الكعبة من جهاتها كما في نظيره من رخام سطح الكعبة.  
و في يوم السبت أصعدوا بالدوار على البكرة الخشبية الكبيرة التى جاءت من جدة و وضعوا طرفها على الجدرين الشرقى و الغربى و  
فيه شرعوا في بناء الشاذروان بدأوا فيه من تحت الحجر الأسود. و فيه عند العصر أقاموا واحدا من العمدة للكعبة بالدوار و أجلسوه على  
القاعدة من الحجر و جعلوا على الحجر الذى تحته طوقا من حديد صبوا فيه الرصاص المذاب ليربط بينه و بين العمود الخشبي.

و في يوم الأحد أقاموا العمود الثاني و الثالث بما أقيم به العمود الأول.

و في يوم الاثنين وصلت الخشبتان الباقيتان بجدة و طريقها، فأحدهما حملت على خمسة عشر جملا و ألقينا عند باب إبراهيم، و دخل بها الحمال فأصعدهما العملة و الناس بالدوار إلى طرف الجدار للكعبة.

و في يوم الثلاثاء وضعوا البستل الأول من البساتل للسقف الأول في محله من الجدر ثم الآخرين منها و بنوا على المداك المحيط بها و هو المداك العشرون و ذرع سمكه تسعة قراريط و هو أصغرها ذرعا.

و في يوم الأربعاء تم بناء المداك العشرين و تم الشاذرون من الجدار اليماني و من الجدار الشرقي.

و في يوم الخميس بنى المداك الحادي و العشرون.

و في يوم السبت دهنوا عمد الكعبة الثلاثة بالجير و الزعفران و طلوا ذلك بغر الجلود و أنكره شيخ الحرم بأن غر الجلود يصنع من فضلات جلود الميتة و أعضائها و ربما يكون فيه شيء من أجزاء الخنزير و لصاق الدهان ممكن بالطيب الطاهر من الصمغ و السنودرس. و قال كذلك إسماعيل الدهان و كان دهان العمدة في أيام، و أخبرني المباشر بعمل ذلك محمود الهندي أنه عمل في ذلك بخمسة و عشرين رطلا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٦٧

من غر الجلود و بعشرة أرتال من الأشراس الشامي ألصق به ست طاقات بفته على العمدة ثم صبغها بلون العمدة ثم دهنها بستة أرتال سندورس و رطل دهن نפט.

و فيه بنى المداك الثاني و العشرون خشب الأول التحتى سوى شقة منه من جهة الحجر، بكسر المهملة منها يكون رأس درجة السطح.

و فيه بنى المداك الثالث و العشرون و ذرع سمك كل من المداك الحادي و العشرون إلى الرابع و العشرون أربعة عشر قيراطا.

و فيه رفعوا الستارة الخضراء بعد أن طووها بأعلى الخشب المستدير بيناء الكعبة.

و في يوم الثلاثاء وضعوا البساتل الثلاثة للسقف الثاني على أعلى البساتل بحزم خشب على حذاء العمدة جوف الكعبة.

و فيه بنوا المداك الرابع و العشرين الذي فيه البساتل العليا و عند غروب الشمس صعد السقا و على ظهره الوعل إلى ظهر الكعبة فصب من الوعل الماء على أحشاب السقف التحتى لتنظيفه.

و في يوم الأربعاء أتموا المداك الرابع و العشرين و فيه عمل المرخمون عملهم و النشارون في صفائح السقف الثاني و النجارون في عمل خشبه و عدة خشبه كالسقف تحته.

و فيه ابتدؤوا وضع الأهله النحاس المموهه بالذهب على قيب سطح المسجد قيل و كلفه كل واحد عملا و غيره سبعة ذهب و عدتها نحو الثلاثين، و حوضوا حوضا من النورة لما يدك به الآجر على خشب سقف البيت و جاءوا بآجر لذلك و لا يخفى ما فيه، فإنه يصطنع بالسرجين و النار لا تطهر عند الأئمة الثلاثة، و إنما تطهر عند الإمام أبي حنيفة في رواية عنه فينبغي تنزيه بيت الله تعالى و أن لا يدك إلا بالطاهر المتفق على طهره من صغار الأحجار كما كان، و كان الأولى لو وضعوا لذلك آجرا طاهرا خالصا من الشبهه، و من يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب.

و في يوم الخميس شرعوا في المداك الخامس و العشرين و ذرع سمكه ثلاثة عشر قيراطا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٦٨

و في يوم السبت نقل النجارون خشب السقف الثاني و شرع البناء في وضعها فوضعها و عمل النجارون في شغل قطع درج السطح للكعبة و هي ست مرات تدور دوران درج المنارة، و لما ركبوها حاروا في أمرها حتى أرشدهم مهندس مصر عبد الرحمن.

و في يوم الأحد دكوا السطح بالآجر المذكور و الحكم لله على ظهر خشب السقف و تم السقف الثاني فأخرج الأمير الكسوة الحمراء

من المقام الإبراهيمي فنشرت عند باب أجياد بصحن المسجد و خيط متقطعها و أخرجت الكسوة السوداء من المقام و وضعت في سبيل المؤيد شيخ و بعد العصر أدخلت الكسوة الحمراء التي لسقفه و وضعت فيه في حلق صغار حددت في هذه العمارة و ركبت لتغني عن دق المسامير بجوانب الكسوة و بطنها.

و في يوم الاثنين خيط باقي الكسوة الحمراء فيه دك البناء السطح بعد أن تركوا عملها مدة و عملوا في الجانب اليماني.

و في يوم الثلاثاء ترك المبيضون بياض قب السطح و بياضوا داخل البيت من تحت سقفه إلى محل الوزرة عوض الرخام الذي كان فيه أولا- و طبقوا بأحجار شبيكية ما كانوا تركوه من المداميك العليا طريقا للعمل في صعودهم إلى سطح البيت و أتموا دك المداميك إلى محاذة الحجر الشبيكي.

و في يوم الأربعاء طنف بالآجر المذكور الجدر من الجوانب الأربع و في وقت الضحى منه جاء العملة بالميزاب و هو من خشب في ذرع نحو ثلاثة أذرع و نصف البارز منه مصفح بالفضة المملأة بالذهب و اللازورد مكتوب فيه اسم مهديه مولانا السلطان أحمد خان، عليه الرحمة و الرضوان، و كان وصوله لمكة عام عشرين و ألف مع حزام البيت، فجاؤوا يحملونه من بيت رضوان، فلما وصلت الحملة إلى أسفل السقالة نزل مولانا السيد محمد ناظر العمارة فتلقاه و حملة على مقدم رأسه و نزل لذلك شيخ الحرم و الأمير رضوان، فحموله حتى أوصلوه لمحلة من الجدار و أسلموه للبناء، و بعد تمام عمله و بنائه دعى لمولانا السلطان بالتأييد و النصر و لصاحب مكة بالإعانة و انصرف القوم و ما تصدق عند ذلك بدافق و قد كان حسن باشا لما وضعه في عمارته لمولانا السلطان أحمد كشح الذهب و الفضة على؟؟؟ شكر الله على هذه المنة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٦٩

و في يوم الخميس صعد المبيضون إلى سطح الكعبة فيضوا الطنف الآجر أجمع بدأوا فيه بالجانب الشرقي من الحجر- بالفتح- إلى الحجر- بكسر الحاء-، ثم من اليماني حتى أتموا بياضه أجمع في عصر ذلك اليوم، و ذلك قدر أحد و ثمانين ذراعا.

و في يوم الجمعة هلال رمضان عند طلوع الشمس أخرجت الكسوة السوداء و نشرت أمام باب الصفا و ما يقاربه ثم حمل كل ربع في حملة و صعد بها إلى السطح ثم فتح الفاتح المقام الإبراهيمي و أخرج منه البرقع فصعد به الأمير رضوان إلى أعلى السطح و أرسلت شقو الكسوة من الجوانب الأربع بدئ بالشرق منها و أرسل البرقع إلى حذاء الباب من أعلاه، ثم شممت الكسوة من باقى الأركان و نزل الأمير و أحضرت عشر خلع لمولانا صاحب مكة اثنتان ثم للحاكم السياسى القائد جوهر بن ياقوت، ثم لفاتح البيت، ثم لاثنين من شواویش الأمير رضوان، ثم لواحد من جماعة السيد، ثم لابن زين و أخيه، ثم لابن شمس الدين، ثم لسليمان شيخ النجارين. و بعد انفضاض المجلس عاد فاتح البيت إلى السيد محمد الناظر و هو بالحطيم و عاد الأمير رضوان فجاؤوا بخلعة ألبسوها شيخ خدام الكعبة و بعد عصر اليوم ألبسوا شيخ الحجارين المصارية خلعاً.

و في يوم السبت فرشوا رخام سطح البيت عليه من وقت الضحى.

و في يوم الأحد أتموا عمل الشاذروان من الجهة الغربية و هى آخر جهات عمله و كان قد تكسر من رخامه عشرة فأبدلوا برخام جديد وضعوه في الجانب الغربى.

و في يوم الثلاثاء صعد جمع من المرخمين إلى سطح الكعبة و معهم لاقونه، و شرع النجارون في تفكيك أخشاب السقايل.

و فيه شرع البناء في تهيئه أحجار لبناء مقدم مقام الحنبلى و محرابه لعتق الأول جدا، و تم عمل المبيضين لداخل الكعبة، و شرع المرخمون في نصب رخام الوزرة و ابتدأ عملهم من الجانب اليماني من جهة الحجر الأسود.

و في يوم الأربعاء شرع مهندس مصر في هدم الجدر القبلى من مقام الحنبلى، و كان حجره شميسيا فأبدل بالشبيكي و أتموا فيه معظم العمل.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٧٠

وفي يوم السبت عاد المبيضون إلى قبب سطح المسجد وتوجه كل من السيد والأمير والمهندس المصري وابن شمس الدين إلى دار أم المؤمنين خديجة، رضی الله عنها، فعرّفوا ما يحتاج منها للعمارة، وقد ذكرت أعمالها كلها في كتابي النضحات الأريحية في متعلقات بيت أم المؤمنين السيدة خديجة، وفيه هدموا مقدم المقام المالكي وكان حجر شمسيا فأبدلوه بالشبيكي.

وفي يوم السبت نصب درجة السطح للكعبة. وفي يوم الأحد نظفوا باطن الحجر وجوانبه عما كان فيه، وشرعوا في بناء جداره وبشره المهندس عبد الرحمن المصري ومعه فالح الطباطي وابتدأوا في عمله من الجانب العراقي فهدموا منه أربع تركيبات إلى الأرض و انكشف تحت الرخام حجر صوان شبيكي لعله من أحجار الكعبة التي أخرجت من بناء ابن الزبير لها في عمل الحجاج فإن الأزرقى ذكر أنه دفن ذلك في جوف الكعبة والذي وجد في باطنها أحجار صغار مرضومة.

وفي يوم الثلاثاء عمل البناء في الحجر وهدم جداره شيئا فشيئا كلما هدموا شيئا بنوا ما وراءه.

وفي يوم الأربعاء زادوا من سمك الجدار القبلي لمقام الحنبلي فزادوا مسافة، وكذا زادوا مثل ذلك في مقام المالكي وكان تمام بناء وجه جدار الحجر يوم الخميس.

وفي يوم السبت وضعوا أحجار رفرفة عليه بمكانها وهي منقورة فيها أسماء من له في الحجر عمارة من خليفة أو ملك، وكل ذلك من عمارة الملك الأشرف قانصوه الغوري في أوائل القرن العاشر، وقد بسطت ذلك في كتابي تنبيه ذوى النهى والحجر على فضائل وأعمال الحجر، وفقدت منه رخامة فأبدلت برخامة ملساء.

وفي يوم الأحد شرع البناء في هدم وجه الجدار الباطني المحاذي للكعبة وبدأوا فيه من الجانب الغربي ليتصل العمل ببعضه ببعض.

وفي يوم الاثنين عمل المرخمون في الوزرة وقد جاودوا على ترخيم كل ذراع منه بثلاثين محلقا.

وفي يوم الاثنين شرعوا في بناء جدار قدر قامه من أسفل درجة سطح الكعبة وتم وجه الجدار للحجر الباطن.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٧١

وفي يوم الأربعاء شرع المرخمون في ترخيم وزرة الجدار الشرقي وعمل الحدادون لدرجة باب السطح بابا.

وفي يوم الخميس كمل المهندس المصري ما بين مسافات جدار الحجر عند الظهر. وأحضر المعلم محمود الهندي إلى الحجر الأسود وجعلت ستارة وأقطع من الحجر فيما قال لي ثلاثة عشر قطعة كبارا والصغار جدا كثير فجمع بعضها ببعض بمركه الذي صنعه لذلك وجعلها في باطنه وألصق الكبار على وجه الحجر ويقال:

أنه فقد من الحجر ثلاثة أحجار والعلم عند الله.

وفي يوم الجمعة عمل المرخمون في جوف الكعبة عملهم، وعند العصر كتبوا محضرا أرسلوه إلى عزيز مصر فيه شهادة المكين بحسن عمارة البيت المعادة.

وفي يوم السبت سدوا الباب الغربي بحجارة شبيكية وتمت عند الغروب وبقي من وجهه الباطن ومن دكة قليل وفتحوا من حينئذ الباب الشرقي وقد قارب الترخيم التمام.

وفي يوم الأحد تم دك الباب الغربي وترخيم الوزرة وما بقي إلا ترخيم أرضها فإن رخامها وإن لم يقلع من محله إلا أنه تأثر في الجملة فشرع فيه المرخمون.

وفي يوم الأربعاء فتحوا باب الكعبة لباقي الترخيم وفيه زاد البناءون من سمك مقام المالكي مدماك وكان تمام عمله عند العصر من هذا اليوم.

وفي يوم جَد المرخمون في عملهم وبعد صلاة العصر أتموا ذلك.

وفي يوم السبت الثامن من شوال حضر المرخمون إلى الحجر فنصبوا خشبتين في عرض باب الحجر ونصبوا خيمة وسطه فرخموا وجه جدار الحجر على أتم الوجوه وشرعوا في ترميم المتكسر من رخام الطواف بإخراج القطع المتكسرة وإبدالها بسالم من ذلك.



و فى يوم الأحد بنى البناء ما بين السليمانية و بيت مرزا مخدوم جدارا مستقيلاً بالحجر الغشيم و أعلاه بالشيكى المنحوت و عجنوا النورة لعملهم ذلك تحت أروقة باب الزيادة التى بين المصحفين.

و فيه شرع المنقلون فى تكحيل صفة المطاف و ممشى باب السلام و باب الزيادة و باب العمرة و باب إبراهيم و باب الحزورة و باب الصفا و فرشاة الأبواب فى أيام عديدة عيت فى أصله.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٧٢

و فى يوم الأحد دخلت الحمر على ظهورها الحصى الذى يفرش به المسجد الحرام و كبتة عند مقام الحنبلى و ما يحاذيه و دخولها مع عدم أمن تلويثها المسجد بالبول و الروث حرام لا سيما و لا ضرورة إليه و ترك فرش الحصى عليه كله أهون من تنجيسه و إبقاء أثر النجس فيه فإنهم لم يتبعوا ذلك و لا غسلوا أثره و الأمر لله.

و فيه عاد المعلم محمود الهندى فأصلح فى الحجر الأسود كما فعل فى رمضان قال لأن أجزاء الحجر لا تمكث مع المركب فلا بد من تفقدها و إلا تذهب أجزاء الحجر و كان عمله المذكور عند صلاة الظهر و تم عمله ثانى يوم فى الوقت المذكور من اليوم قبله.

و فى يوم الأربعاء أتم المبيضون بياض قبب الجانب الشامى من قبب السطح و لم يبق سوى قبب زيادة باب الزيادة الشامية و يبضوا منارة باب العمرة فى يوم و نصف.

و فيه أصلح النجارون خلل درجة الكعبة بإبدال الخشبتين و بإبدال درجة من درجها.

و فيه أصلح المرخمون باب الحجر الشرقى بقلعه و إبدال الخراب بالصالح و قلعوا الرخام المتكسر فى المعجنة.

و فى يوم السبت تم إصلاح درجة الكعبة و جرت بعد العصر إلى محلها.

و فى يوم الأحد غرة ذى القعدة الحرام فتحت الكعبة و صعد المرخمون لجلاء رخام الوزرة. و فيه يبضوا قبب زيادة باب الزيادة.

و فى يوم الجمعة شرع المرخم ينقر فى حجر من رخام الكعبة تاريخا لعمارة الكعبة، صاغ ألفاظه مولانا السيد محمد بن السيد محمد الحسين الأنقورى نائب السلطان فى عمارة البيت الشريف و صورته «بسم الله الرحمن الرحيم ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، تقرب بتجديد هذا البيت العتيق إلى الله سبحانه و تعالى خادم الحرمين المحترمين و سائق الحجاج بين البرين و البحرين السلطان مراد خان بن السلطان أحمد خان بن السلطان محمد خان خلد الله ملكه و أيد سلطنته فى أواخر شهر رمضان المبارك المنتظم فى سلك شهور سنة أربعين و ألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل التحية».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٧٣

و فى يوم الأربعاء أخذوا الأقونة جعلوها تحت جدر طنط السطح لثلا يدخل ماء المطر فيها إلى الخشب تحتها فتعمل فيه الأرضة.

و فيه جدد النجارون أخشابا للمحكمة الشرعية.

و فى يوم السبت تم تبيض منارة باب الزيادة و عمل المرخمون فى جلاء رخام الشاذروان.

و فيه أدخلوا الحمر المسجد لنقل بعض أوساخ طاهرات منه و صارت تروث فيه و تبول و الحكم لله و ما ندرى ما نقول.

و فيه شرعوا فى بياض منارة الملك الأشرف قايتبائى و أتموها فى يومين و قليل.

و فى يوم الخميس تم نقر التاريخ.

و فى يوم الجمعة جىء به إلى بيت السيد الناظر على العمارة و فيه عمل النجارون كرسيا ليصعد منه للكعبة و يعقد عليه الخدمة حال خياطة شيخهم لثوبها.

و فى يوم السبت أعطى الحجر المنقور فيه التاريخ للدهان فحلاه بالذهب و أتم عمله.

و فى يوم الاثنين حضر مولانا الشريف و مولانا السيد محمد و السيد حسين و ولداه و مولانا السيد محمد الناظر على العمارة و مولانا الأندى و شيخ الحرم و الأمير و جىء من بيت شيخ الحرم بنحو سخاتين و بعد الدعاء فتحت الأولى فأقمنا منها عشرون فنديلا من

الذهب العين واحد مصطنع باللؤلؤ والثانية أخرج منها ثلاثون قنديلا من الفضة فدعاء الأمير فاتح البيت محمد الشيبى و أسلمه ذلك بحضرة الجمع و أشهد عليه أنه تسلم ذلك و صار فى ضمانه ثم دعا شيخ الوقادين فجاء ليعلقها فى أماكنها ثم جرت الدرجة إلى الباب و صعد مولانا الشريف و أولاده و الأمير.

و فيه بنى المرخمون الحجر الذى نقر فيه التاريخ قبالة الباب الشرقى.

و فى يوم السبت حضر شيخ الحرم و أولاده مولانا الشريف و الأمير و الفاتح و بعض الخدام للبيت فأصعدوا سطولا من ماء زمزم و غسلوا بذلك الكعبة و بخروها و انصرفوا فى ضحوه النهار.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٧٤

و فى يوم الاثنين جلا المرخمون من وجه الحجر- بكسر الحاء- ما عليه من الزيت الحلو و الغبار و كذا أعادوا الجلاية فى آخر النهار.

و فى يوم الخامس و العشرين من ذى القعدة جاء ابن شمس الدين و فالح فكحلوا بالنورة ما بين الفضة المصفح بها الخشب فى خذى الباب و كحلوا كل ما كان يحتاج إلى التكهيل.

و فى يوم هلال ذى الحجة أصلحوا الحجر الأسود و دهنوه بسواد و سندروس.

و فى ثانى الشهر عملوا محل شعل النار عند الأهل و الأعياد من أعلا مقام الشافعى و كان قد سقط فى أثناء السنة فأصلح فى هذا اليوم و هو آخر عملهم فى هذا البيت الحرام و المسجد المحرم زيد من الإجلال و الإحترام. انتهى ما نقل من رسالة الشيخ ابن علان الصديقى.

قال فى تحصيل المرام: و هذا البناء هو الباقي لعصرنا و هو من أجل مفاخر بنى عثمان جمل الله بدولتهم الزمان، و نظم الفاسى فى شفاء الغرام:

بنى الكعبة الغراء عشر ذكرتهم و ربتهم حسب الذى أخبر الثقة

ملائكة الرحمن آدم ابنه كذاك خليل الله ثم العمالقة

و جرهم يتلوهم قصى قريشهم كذا ابن زبير، ثم حاج لاحقة

و ذيله بعضهم بقوله:

و خاتمهم من آل عثمان بدرهم مراد المعالى أسعد الله شارقه

و بيت آخر:

و من بعدهم من آل عثمان قد بنى مراد حماه الله من كل طارقة

و قال العلامة على بن عبد القادر الطبرى فى الأرج المسكى و قد كنت نظمت أسماء من عمر البيت الشريف فقلت:

بنى البيت خلق و بيت الإلهمدى الدهر من سابق يكرم

ملائكة، آدم، ولده خليل، عمالقه، جرهم

قصى، قريش، و نجل الزبير و حجاج بعدهم يعلم

و سلطاننا الملك المرتضى مراد هو الماجد المكرم المنعم

أدام الإله لنا ملكه و أبقاه خالقنا الأعظم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٧٥

و نظم العلامة محمد على بن علان الصديقى ثلاثة أبيات جمع فيها بناء الكعبة المعظمة و هى هذه:

بنى الكعبة الأملاك، آدم، ولده شيب، إبراهيم، ثم العمالقة

و جرهم قصى مع قريش و تلوهم هو ابن زبير، ثم حجاج لاحقه

و من بعد هذا قد بنى البيت كله مراد بن عثمان فشيده رونقه  
 ذكر السيد أحمد دحلان فى سالنامته و للقاضى تاج الدين المالكى مؤرخا لعمارته و ممتدحا معمرها بقوله:  
 هنيئا لملك خصه الله و اجتبى و صداه للبيت العتيق مجده  
 بنى البيت بعد ابن الزبير و لم يفز سواه بهذا الفخر لا زال سعده  
 مليك أقام الله أيام ملكه و لا زال خفاقا مدى الدهر بنده  
 مليك ملوك الأرض طرا عبيده تدين له شرقا و غربا و جنده  
 مليك حياه الله فخرا و سؤدد اوصيتا مده لا ينال وحده  
 بتعمير بيت الإله على يدى من اختاره رب العلى دام رشده  
 فدونك تاريخا لعام بنائه و فيا بضبط العام حين تعده  
 مراد بنى بيت الإله و زاده سناء بهاء يزدهى زيد مجده  
 و له رحمه الله تاريخها نثرا أسس بنيانه على تقوى من الله و هدى ثم نظمه فقال:  
 تاريخه أسس بنيانه على هدى تقوى من الله  
 ذكره العلامة نور الدين الموسوى فى كتاب نزهة المجالس.

### فوائد تتعلق بهذا الباب:

الفائدة الأولى: قال السنجارى فى منائح الكرم: لطيفة بل منقبة شريفة مما تفرد به شيخ مشايخنا العلامة خاتمة المحققين الشيخ محمد بن علان الصديقى المكى رحمه الله أنه قرأ البخارى فى جوف الكعبة بطرفه فى مدة هذه العماره كما رأيت به بخطه و هو مما لا يتفق لغيره من الأئمة. انتهى.

أقول: ذكر الشيخ أحمد الشماخ فى ترجمه الشيخ عبد الله البصرى أنه أقرأ فى جوف الكعبة الشريفه صحيح البخارى سنة تسع و مائه و ألف، و كان فى داخلها عماره و كذلك أقرأه فى داخلها مرة أخرى سنة تسع عشرة و مائه و ألف، و كان أمر بتجديد بابها مولانا السلطان أحمد و القائم بذلك صاحب جده و شيخ الحرم التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٧٦ الشريف و كذلك أقرأ مسند الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله جميعه فى الروضة الشريفه عند رأس الجناب المعظم صلى الله عليه و سلم، فى ست و خمسين مجلسا و ذلك فى سنة ألف و مائه و إحدى و ثلاثين.

مما قيل فى تاريخ هدم السيل للكعبة المشرفة، و بناء السلطان مراد الرابع لها ما يأتى:  
 اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هذه الآية تتضمن بحساب الأجد على تاريخ وقوع هدم الكعبة و هو سنة (١٠٣٩) ألف و تسعة و ثلاثين هجرية، و فى تاريخ الهدم قال الإمام فضل الطبرى:

سئلت عن سيل أتى و البيت منه قد سقط

متى أتى قلت لهم تاريخه كان غلط

(١٠٣٩) هـ

و قال بعضهم فى هدم الكعبة أيضا:

لا غرو أن الذنب أوجب مامما أرى و رأيت منى فقط

فأخذت من تاريخه من هجره و حسبته فوجدت صحته غلط

(١٠٣٩) هـ

وقيل فى تاريخ بناء السلطان مراد المذكور للكعبة بعد السيل المذكور:

مراد بنى بيت الإله و زاده سناء بهاء يزدهى زيد

وقيل أيضا فى ذلك:

تاريخه أسس بنيانه على هدى تقوى من الله

### عدد حجرات الكعبة الظاهرة فى هذا البناء

بناء الكعبة المشرفة بهذا الشكل الحالى هو من بناء السلطان مراد الرابع من سلاطين آل عثمان، بناها رحمه الله تعالى و أحسن إليه سنة (١٠٤٠) أربعين و ألف من الهجرة بسبب السيل الكبير الذى دخل المسجد الحرام فهدمها، و لم تزل هذه البناية قائمة إلى اليوم على أحسن حال، فهى بناية قوية متينة ثابتة الأركان و البنيان و لله الحمد، و هى مبنية بالحجرات الكبيرة السوداء المشوبة بالزرقة، المأخوذة من نفس جبال مكة القوية الصخرية الصماء.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٧٧

و مثل هذه الحجارة يسمونها عندنا بمكة «الحجر الشيكى» نسبة إلى جبل الشيكى بقرب الشيخ محمود بجرول الذى كانوا يقتطعون الحجارة منه للكعبة، و نعتقد أن جبل الشيكى هو الذى نسميه الآن بجبل الكعبة لأن حجارتها تقطع منه لصلابتها.

و حجرات الكعبة فيها الكبير و الصغير، فأكبر حجاراتها طوله (١٩٠) مائة و تسعون سنتيمترا، و عرضه (٥٠) خمسون سنتيمترا، و رأسه (٢٨) ثمانية و عشرون سنتيمترا، و يطلق البنائون بمكة على رأس الحجر «مخ الحدة» بفتح الحاء المهملة. و أصغر حجاراتها طوله نحو (٥٠) خمسون سنتيمترا، و عرضه (٤٠) أربعون سنتيمترا تقريبا.

و لقد انتهزنا فرصة تجريد الكعبة كلها من كسوتها عند تجديد و عماره سقفها، فأحصينا جميع حجراتها الشيكية الجبلية صغيرها و كبيرها، الظاهرة من خارجها فقط مما يلى ثوبها و كسوتها، و ذلك فى يوم الاثنين الثامن و العشرين من شهر رجب سنة (١٣٧٧) سبع و سبعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، فوجدنا عدد حجراتها الظاهرة فقط من أعلى السطح إلى نفس الشاذروان فى أرض المطاف كما يأتى فى هذا الجدول:

عدد الحجارة بالأرقام/ عدد الحجارة بالكتابة/ ملحوظات

٤١٩/ أربعمائة و تسعة عشر/ فى جميع الجدار الشرقى للكعبة الذى فيه الباب.

٤٤٩/ أربعمائة و تسعة و أربعون/ فى جميع الجدار الغربى للكعبة الذى بظهرها.

٤٢٨/ أربعمائة و ثمانية و عشرون/ فى جميع الجدار الجنوبى الذى هو بين الركن الأسود و الركن اليمانى.

٣١٨/ ثلاثمائة و ثمانية عشر/ فى جميع الجدار الشمالى الذى فيه الميزاب على حجر إسماعيل.

فتكون جملة الحجارة الشيكية الجبلية الظاهرة من خارج الكعبة المشرفة من أعلاها إلى أسفلها ما عدا حجارة الشاذروان هى (١٦١٤) ألف و ستمائة و أربعة عشر حجرا، من الحجرات الشيكية الجبلية السوداء.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٧٨

و اعلم: أن هذا العدد هى للحجرات الظاهرة من خارج جدران الكعبة التى هى من وراء كسوتها السوداء، أما الحجرات التى هى مبنية مع نفس الجدران فلا يمكن عددها مطلقا لعدم ظهور شىء منها، و الذى يغلب على ظننا أنه يوجد فى بناء الكعبة أضعاف هذا العدد من الحجارة، لأن عرض جدارها تسعون سنتيمترا- أى ما يقارب مترا واحدا- فبناء عرض جداره بهذا القياس لا بد أن يحتوى على شىء كثير من الحجارة. أما حجارة الشاذروان البيضاء فقد ذكرنا عددها عند الكلام على مبحث الشاذروان فراجع فى محله.

## قوة بناية السلطان مراد الرابع للكعبة

لقد ذكرنا فيما تقدم أن خليل الله إبراهيم عليه أفضل الصلاة و التسليم كان بنى الكعبة بالرضم أى حجارة بعضها فوق بعض من غير طين و لا نورة ثم بنتها كذلك من أتى من بعده، فلما كانت بناية قريش بنتها بالطين و الحجارة الصغيرة و كذلك كان بناء عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما، و بناية الحجاج الثقفى غفر الله تعالى لنا و له و عفا عنا و عنه.

أما بناية السلطان مراد خان الرابع فلقد كانت بالحجارة الصماء الطويلة و بالجص و النورة البلدية التى من مكة المكرمة، و كانت الحجارة التى بنيت بها من الجبال الشديدة الصلابه التى بمكة، و كان بعض الحجارة طولها مترا واحدا و بعضها نصف متر و بعضها أقل و بعضها أطول كما بينا و أحصينا عدد حجارتها، و كما هذه البناية المحكمه ظاهرة للعيان أمام أنظار الناس.

إنه إلى عامنا هذا عام (١٣٨٤) ألف و ثلاثمائة و أربع و ثمانين قد مر على بنيته للكعبة (٣٤٤) ثلاثمائة و أربع و أربعين سنة لم تخرج منها قطعة صغيرة من الحجارة لا من أسفلها و لا من أعلاها من جهه السقف، و لو لا أن سقف الكعبة محمل على أعواد خشبية لم يحتج السقف إلى تجديد فى زماننا هذا، لذلك نعتقد أن هذه البناية ستدوم إلى نحو ألفى سنة أيضا أى إلى قيام الساعة إن شاء الله تعالى و الله تعالى أعلم.

اللهم زد بيتك هذا تشريفا و تعظيما و مهابة و تكريما و اجعل بلدك الأمين فى أمن و أمان و رضاء و اطمئنان و اجعل أهله من المغفورين المقبولين لديك و اجعلهم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٧٩

من الآمين يوم الفزع الأكبر من غضبك و النار آمين يا رب العالمين، و صلى الله تعالى و سلم على النبى الأمين و على آله و صحبه أجمعين.

انظر: صورة رقم ٧٧، للكعبة المشرفة الموجودة اليوم، بناية السلطان مراد الرابع

انظر: صورة رقم ٧٨، السلطان مراد الرابع أحد مجددى بعض بناء الكعبة المشرفة

## ترجمة السلطان مراد الرابع

ولد الغازى السلطان مراد الرابع ابن السلطان أحمد ابن السلطان محمد سنة ألف و ثمانية عشره هجرية، و قيل سنة ألف و إحدى و عشرين، تولى السلطنة و بويع له باتفاق الآراء من العلماء و الوزراء فى يوم الأحد رابع عشر ذى القعدة سنة اثنتين و ثلاثين و ألف، و كان عمره يومئذ إحدى عشر سنة و سبعة أشهر، و قيل أربعة عشره سنة و هو السابع عشر من سلاطين آل عثمان، و أعظمهم شجاعه و قوة و همه و يلقب بفتح بغداد، و هو الذى غزا بلاد العجم لأن سلطانها الشاه عباسا كان قد أخذ كثيرا من البلدان التابعة لآل عثمان حتى أخذ بغداد أيضا فجرد السلطان مراد جيشا عظيما لمحاربتة و توجه هو بنفسه لقتاله و ذلك سنة ألف و أربعين ففتح بلاد العجم، ثم توجه بنفسه أيضا لفتح بغداد سنة ثمان و أربعين و ألف ففتحها بعد أن حاصرها أربعين يوما و دخلها العسكر ثم دخلها السلطان فى أثرهم و قتلوا من العجم نحو ثلاثين ألفا و أسروا من رؤسائهم كثيرا و بذلك ضعفت شوكت العجم و زالت قوتهم.

و كان السلطان مراد رحمه الله تعالى كثير الإحسان لأهل الحرمين و أمر مصر و غيرها من الجهات بإجراء حبوبهم و إرسال غلات أوقافهم و كان يحثهم بذلك على الدوام. و كان أيضا كثير الالتفات إلى أخبار الرعية مطلقا، و كان كثير البحث عن أحوال و لاء البلدان لا- يغفل عنهم بحيث صار الولاية لا يجاوزون حدا، و فى زمانه وقع السيل العظيم بمكة المشرفة سنة تسع و ثلاثين و ألف و دخل المسجد الحرام و بسببه انهدمت الكعبة المعظمة، فقام بتعميرها و بنائها سنة أربعين و ألف هجرية، و هذا من أعظم مناقبه و أفخر أعماله، و هو الذى أمر بإبطل القهاوى فى جميع ممالكة و منع شرب الدخان و استعمال النشوق، و كان يجازى على ذلك.

و لقد كان بطلا من الأبطال قوى الجأش متين الساعد، ذكر أنه أرسل إلى مصر درقه نحو إحدى عشرة طبقه ضربها بعود فثبت فيها و أصدر أمره إلى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٨٠

العساكر المصرية بإخراج العود منها و أن من أخرجه يزداد في علوفته فحاولوا إخراجها فعجزوا عن ذلك، ثم إنه أرسل أيضا قوسا إلى مصر و أصدر أمره إلى العساكر بجر هذا القوس و زيادة علوفه من يفعل ذلك فحاولت العساكر جره فلم يقدرُوا، ثم علق الدرقة بالديوان السلطاني بمصر و علق القوس بباب زويلة.

توفي السلطان مراد رحمه الله تعالى في شوال سنة ألف و تسع و أربعين هجرية، و عمره ثمانية و عشرون عاما، و قيل إحدى و ثلاثون، و مدة ولايته سبعة عشر سنة، و دفن في تربة والده السلطان أحمد خان رحمهما الله تعالى.

انتهى ملخصا من خلاصة الأثر بصحيفة (٣٣٦) و من الفتوحات الاسلاميه بصحيفة (١٣٠) في الجزء الثاني، و من قاموس الأعلام بصحيفة (٤٢٥٤) في الجزء السادس تأليف شمس الدين سامي و هو باللغة التركية، و لقد جاءت ترجمته أيضا في صحيفة (٥٤٨) من كتاب نقد التواريخ باللغة التركية.

و جاء في كتاب تحفة الخطاطين باللغة التركية أن السلطان المذكور رحمه الله تعالى كان شاعرا و كان خطاطا يكتب الخط الحسن حتى اشتهر بذلك، و أن السيد إبراهيم زاده أفندي الذي كان في زمانه نظم قصيدة ذكر فيها كثيرا من آثاره الخطية و ما له من البراعة التامة في الخط.

و نحن لهذه المناسبة ذكرنا ترجمة صغيرة لهذا السلطان و وضعنا صورته في صحيفة ٢٧٥ من كتابنا تاريخ الخط العربي و آدابه المطبوع بمصر.

و لقد جاء ترجمة السلطان مراد المذكور في كتاب «تلخيص التاريخ العثماني المصور» و هو كتاب صغير به بعض رسوم السلاطين، فنحن نذكر هنا منه نبذة تضاف إلى ترجمته هنا و هي: جلس السلطان مراد الرابع المذكور على تخت الملك سنة (١٠٣٢)، و هو في الثانية عشرة من عمره، فأصبحت إدارة الملك في يد والدته «ماه بيكر» الملقبة بكوسم سلطان، فلما بلغ أشده أخذ زمام السلطنة بيده و صار يتجول بنفسه في الليل متنكرا و منع الفحش و شرب الخمر و ضرب على أيدي الظالمين و العابثين بالفساد، و في سنة (١٠٤٩) توفي السلطان مراد المذكور بعلة النقرس و هو في سن الثلاثين، فكانت مدة سلطنته ستة عشر عاما. انتهى من الكتاب المذكور.

فكانه عمر الكعبة المشرفة و هو في سن العشرين بنفسه لا بواسطة والدته، فسبحان واهب المكرمات لمن يشاء رحمه الله تعالى رحمة الأبرار و جزاه عن أعماله

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٨١

العظيمة خير الجزاء. و بعد أن انتهى من عمارة الكعبة المشرفة في سنة (١٠٤٠) ألف و أربعين هجرية جدد في هذه السنة المذكورة أيضا عمارة مسجد مزدلفة كما هو مكتوب في محرابه و قد قرأناه بأنفسنا حينما ذهبنا إلى مزدلفة في شهر صفر سنة (١٣٨٤) هجرية و هي العمارة الموجودة في زماننا هذا، لكن في سنة (١٣٧٧) هجرية زادوا في ارتفاع مسجد مزدلفة بمقدار قامه واحدة تقريبا، و يا ليتهم ما زادوا في ارتفاعه شيئا ليرى الحاضرون في المشعر الحرام الحجاج الذاهبون إلى عرفات و الراجعون منها.

### بيان بأسماء السلاطين من آل عثمان الذين قاموا بتعمير الحرمين الشريفين

- ١- السلطان سليمان خان الأول بن السلطان سليم.
- ٢- السلطان سليم خان الثاني بن السلطان سليمان.
- ٣- السلطان مراد خان الثالث بن السلطان سليم.

- ٤- السلطان محمد خان الثالث بن السلطان مراد خان.
  - ٥- السلطان أحمد خان الأول بن السلطان محمد.
  - ٦- السلطان مراد خان الرابع بن السلطان أحمد.
  - ٧- السلطان مصطفى خان الثاني بن السلطان محمد.
  - ٨- السلطان عبد الحميد خان الأول بن السلطان أحمد.
  - ٩- السلطان محمود خان الثاني بن السلطان عبد الحميد.
  - ١٠- السلطان عبد المجيد خان بن السلطان محمود.
  - ١١- السلطان عبد العزيز خان بن السلطان محمود.
  - ١٢- السلطان عبد الحميد خان الثاني بن السلطان عبد المجيد.
  - ١٣- السلطان محمد رشاد خان الخامس.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٨٢

### رفع الراية على قلاع الحرمين

منذ قيام سلاطين آل عثمان العظام بخدمة الحرمين المحترمين المستوجبة للافتخار و استمرار إجراء الأحكام الشرعية باسم السلطنة السنية فيها و قيام الجنود العثمانيين بالمحافظة على أرواح و أموال سكان البلدتين المذكورتين لم ترفع الراية العثمانية لا على القلاع و لا على الثكنات العسكرية إلى تاريخ اليوم (١٢٩٦).

إن عدم رفع الراية على القلاع الشاهانية بالحرمين الشريفين فى الواقع كان من مقتضيات مراسم الاحترام للبلاد المقدسة. و لكن نظرا لعدم وجود أى علامة تدل على الحكومة التى تحكم فيها و هى قبله كافة الموحدين و نظرا لأن هذا موجب لمحاذير عديدة فى المستقبل قررت الحكومة العثمانية رفع الراية على القلاع و الثكنات بمكة المكرمة و المدينة المنورة بعد أن اقترن هذا القرار بتصويب من السلطان عبد العزيز خان. انتهى مترجما من كتاب مرآة مكة المكرمة لأيوب صبرى من المجلد الأول صحيفة (٥٠).

و لا يستبعد من سلاطين آل عثمان شدة احترامهم للحرمين الشريفين، فإن الناظر اليوم إلى بناء المسجد الحرام القديمة الموجودة فى زماننا هذا، يجد أن جميع أروقة المسجد الحرام و قبابها أقل ارتفاعا من ارتفاع الكعبة المشرفة، و ذلك احتراماً لها، رحمهم الله تعالى جميعاً.

و انظر إلى الحكاية الآتية: فلقد أراد أيضا السلطان أحمد بن السلطان محمد بن مراد بن سليم الثانى من سلاطين آل عثمان أن يهدم الكعبة حين تصدع جدارها الشرقى و جدارها الغربى و بينها و يجعل حجارها ملبسة واحدا بالذهب و واحدا بالفضة فمنعه العلماء من ذلك و قالوا: يمكن حفظ هذه الجدران بنطاق يلم هذا الشعث فعلم لها نطاقا من النحاس الأصفر مغلفا بالذهب، و أنفق عليه نحو ثمانين ألف دينار، و جرى تركيبه عليها فى أواخر عام العشرين بعد الألف و أوائل العام الذى بعده كما جاء ذلك فى الملحقات التى بآخر الجزء الأول من تاريخ الأزرقى المسمى «أخبار مكة و ما جاء فيها من الآثار» المطبوع بالمطبعة الماجدية بمكة المكرمة سنة (١٣٥٢) هجرية و الذى منع السلطان أحمد المذكور من عمل ذلك هو شيخ الإسلام محمد بن سعد الدين، و قال له: إن هذا يزيل حرمة البيت، و لو أراد الله سبحانه و تعالى لجعل بيته الحرام قطعة من الياقوت. فكف السلطان عن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٨٣

ذلك. انتهى من كتابنا "مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام" المطبوع بمطبعة الحلبي بمصر.

و مما يروى عن أحد سلاطين آل عثمان الأتراك: أنه لما ذهب لينام فى غرفته نومه ليلا وجد فيها مصحفا معلقا على جدارها، فوقف

عند المصحف بأدب واحترام ولم ينم إلى أن أصبح، وقد نسينا اسم هذا السلطان. إن جميع سلاطين آل عثمان، رحمهم الله تعالى كان إيمانهم قويا راسخا لا يميلون إلى سفاسف الأمور وإلى الفسق والفجور، و كانوا يحترمون العلم وأهله والصالحين والفضلاء، لذلك تولاهم الله بعنايته و رعايته ففتح لهم الفتوحات و نصرهم على أعدائهم نصرًا مبينًا.

### الزمن الذي بين بنايات الكعبة

لا- نريد الخوض في بيان السنوات التي كانت بين كل بناية من البنائات السابقة للكعبة المعظمة بيت الله الحرام، من بناء آدم عليه السلام إلى آخر البنائات التي مضى الكلام عليها، لأن ذلك يرجع إلى العصور الأولى البعيدة التي لا تدرك، فمن يعلم كم مضى ما بيننا وبين آدم من آلاف السنين أو ملايين السنين، إلا الله جل جلاله خالق الأرض و السموات، فهو تعالى وحده علام الغيوب، يعلم ما كان و ما يكون، هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شيء عليم، يعلم ما يلج في الأرض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها و هو معكم أينما كنتم و الله بما تعملون بصير.

و إنما نذكر ما بين أشهر البنائات الخمسة من السنوات و هي: بناء إبراهيم عليه السلام، و بناء قريش، و بناء ابن الزبير، و بناء الحجاج، و بناء السلطان مراد الرابع فنقول:

اعلم أن بين بناء إبراهيم عليه السلام لبيت المقدس، أى تجديده له و بين بنائه للكعبة أربعين سنة كما هو الحديث الصحيح، و بين بنائه للكعبة و بين بناء قريش لها (٢٦٤٥) سنة خمس و أربعين و ستمائة و ألفين من السنين، كما نقله البخارى فى تاريخه عن الحلبي، و بين بناء قريش و بين بناء ابن الزبير اثنتان و ثمانين سنة، و بين بناء ابن الزبير و عمارة الحجاج الثقفى عشر سنين، و بين عمارة الحجاج و عمارة السلطان مراد الرابع تسعمائة و ست و ستين سنة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٨٤

### الجال التي أخذت منها الحجارة لبناء الكعبة

حينما بنى آدم عليه السلام الكعبة ضرب جبريل بجناحه الأرض فأبرز عن أس ثابت على الأرض السفلى فقذفت فيه الملائكة من الصخر ما لا يطيق حمل الصخرة ثلاثون رجلا.

فبناه من خمسة أجبل من: لبنان، و طور زيتاء، و طور سيناء، و الجودى، و حراء حتى استوى على وجه الأرض كما فى الأزرقى. قال الثعالبي: طور زيتاء و طور تيناء هما جبلان ببيت المقدس. اه. أما لبنان فجبل بقرب الشام و يقال له جبل الأولياء. انتهى من شرح عامود النسب و هو كتاب مخطوط غير مطبوع.

قال فى مختار الصحاح: و الجودى جبل بأرض الجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام. انتهى. و أما طور سيناء فبمصر، و حراء بمكة.

جاء فى نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى أن عبد الله بن عمر قال: أربعة أجال مقدسة بين يدي الله تعالى: طور تيناء، و طور زيتاء، و طور سيناء، و طور تيماناء. فأما طور تيناء فدمشق، و أما طور زيتاء فبيت المقدس، و أما طور سيناء فهو الذى كان عليه موسى عليه السلام، و أما طور تيماناء فمكة اه.

نقول: (إن قيل): كيف أمكن إتيان الصخور من تلك البلاد إلى مكة؟

(فالجواب): أنه ما دام النقل كان بواسطة الملائكة فلا يستحيل ذلك عليهم، و هذا قوم لوط عليه السلام لما لم يؤمنوا به و لم يسمعوا إلى نصيحته رفع جبريل قراهم على جناحيه و كانت خمس مدائن إلى السماء ثم أسقطها مقلوبة على الأرض.

(و إن قيل): إذا كان جبريل عليه السلام ضرب الأرض بجناحه حتى ظهر أساس الكعبة على الأرض السفلى فى بناء آدم عليه السلام



ثم قذفت الملائكة بالصخر فيه، فكيف بقيت هذه الجبال على حالتها و لم تفن من قذف الملائكة صخورها في أساس البيت الواصل إلى تخوم الأرض السفلى؟

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٨٥

(فالجواب): علم ذلك عند ربي فهو علام الغيوب، فمن يعلم كيف كانت حالة الأرض و الجبال في بدء خلقها و في عهد آدم عليه السلام، فلا يعلم بحقيقة كل شيء إلا الله سبحانه و تعالى.

(و إن قيل): ما سبب حفر الملائكة لأساس بيت الله الحرام في عهد آدم عليه الصلاة و السلام إلى الأرض السفلى مع أن العادة جرت أن يجعل أساس البيوت تحت الأرض إلى نحو مترين أو ثلاثة أو خمسة؟

(فالجواب): الله أعلم بكل ذلك أيضا ليس لنا أن نحكم بالعقل و التخمين، لكن لا يبعد أن يكون ذلك لتشريف كل أرض من الأرضين السبعة، كما لا يبعد أن يكون ذلك لا تجاه السكان المؤمنين من كل طبقة من الأرض إلى الكعبة في صلاتهم سواء كانوا من الجن أو من غيرهم من المخلوقات التي لا يعلم بهم إلا الخلاق العظيم. و الله تعالى أعلم.

و في ما ذكره الإمام الأزرقى في تاريخه ما يؤيد كلامنا هذا، فإنه روى عن مجاهد قال: إن هذا الحرم حرم ما حذاؤه من السموات السبع و الأرضين السبع، و إن هذا البيت رابع أربعة عشر بيتا في كل سماء بيت و في كل أرض بيت، و لو وقع وقع بعضهن على بعض. اه.

(و إن قيل): ما سبب أخذ الحجارة لبناء الكعبة من جبال البلدان المذكورة مع أن الحجاز فيها من الجبال ما لا يعد و لا يحصى، بل إن نفس مكة و ما حولها كلها جبال؟

(فالجواب): ليكون لهذه البلدان و الجبال شرف المساهمة في بناء بيت الله الحرام، و لتعود ذلك بالبركة إليها من دون البلدان الأخرى.

(و إن قيل): لما ذا لم تؤخذ الصخور و الأحجار لأساس الكعبة و بنائها من جبل أبي قبيس كما أخذت من الجبال المذكورة مع أنه أول جبل وضع على وجه الأرض و أنه جبل عظيم صلب الحجارة؟

(فالجواب): الله تعالى أعلم بذلك فإنه لم يتكلم أحد على هذه المسألة لا من العلماء و لا من المؤرخين. هذا ما ظهر لنا من المعانى في هذا المبحث. و الله تعالى أعلم بحقيقة كل ذلك فهو جل جلاله لا تخفى عليه خافية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٨٦

و أما الجبال التي أخذت منها الحجارة لبناء الكعبة في عهد إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام فخمسة أيضا: حراء، و تبير، و لبنان، و طور سينا، و الجبل الأحمر.

و قيل هي الخمسة الجبال التي أخذت منها الصخر في عهد آدم عليه السلام و قد تقدم ذكرها.

(فإن قيل): كيف أخذت الملائكة من هذه الجبال الخمسة لبناء أساس الكعبة في عهد إبراهيم عليه السلام بينما أنهم قد ملأوا أساسها في عهد آدم عليه السلام بصخور هذه الجبال؟

(فالجواب): أن قذف الصخور في الأساس الأول في عهد آدم كان إلى الأرض السفلى، و لما جاء طوفان نوح رفعت الكعبة و محى أثر محلها، و لا يبعد أن تكون الأرض ارتفعت أيضا من الطوفان إلى زمن إبراهيم الخليل، و كان قذف الصخور عند بنائه للبيت حينما بوأ الله له مكانه إلى ظهور أساس آدم على وجه الأرض، و ربما كان عمق هذا الأساس الثاني أساس إبراهيم نحو مائة متر. و الله تعالى أعلم بالغيب.

و أما الجبال التي أخذت منها الصخور لبناء الكعبة في عهد قريش، و في عهد ابن الزبير، فهي من نفس جبال مكة لا غير كما جاء في تاريخ الأزرقى أن قريشا أخذت حجارة الكعبة حين بنتها من سبعة جبال و هي: حراء، و تبير، و المقطع، و قافية الخندمة، و جبل عند

الثنية البيضاء التي في طريق جدة، و جبل مقلع الكعبة، و من المفجر بين منى و مزدلفة و كل هذه الجبال داخل حدود الحرم. قال الأزرقى: فهذه الجبال السبعة التي يعرفها أهل العلم من أهل مكة أنها مقلع الكعبة: قال مسلم بن خالد: و لم يثبت عندنا أنها بنيت من غير هذه الأجل. انتهى.

فقوله: و لم يثبت عندنا أنها بنيت من غير هذه الأجل، أى فى بناء قريش و ابن الزبير فقط.

و من أراد بيان مواقع هذه الجبال فليراجع تاريخ الأزرقى عند الكلام على ما جاء فى مقلع الكعبة.

(فإن قيل): لماذا لم تبني قريش الكعبة و لم يبنيها ابن الزبير من نفس الجبال التي بناها منها آدم و إبراهيم، عليهما الصلاة و السلام؟

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٨٧

(فالجواب): إن وضع الأساس الأول لآدم و وضع الأساس الثانى لإبراهيم من جبال بعض البلدان كان بواسطة الملائكة للنبيين الكريمين، فلا صعوبة عليهم فى نقل الصخور الكبار من البلاد البعيدة الى مكة المشرفة، مع إمكان رؤية الملائكة و التحدث معهم للأنبياء، عليهم الصلاة و السلام.

أما فى بناء قريش و ابن الزبير فلا يحتاج الأساس إلى قذف الصخور فيه، لأنه ثابت و ظاهر أمام أعينهم فهم يركزون بناءهم عليه، فلا يحتاجون إلا إلى الحجارة العادية فى بناء البيوت فأتوا بها من جبال مكة القريبة إليهم، و هؤلاء لم يكونوا أنبياء حتى تخدمهم الملائكة و حتى يمكن التفاهم بينهم.

فقريش أخذت الحجارة لبناء الكعبة من الجبال السبعة المذكورة كما نفهم، و الله تعالى أعلم لصلابة أحجارها فما كل جبل تصلح حجارته للبناء و هم بالخيار من أى جبل شاءوا أخذوا الحجارة منه.

أما ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما، فقد أحب أن يبني الكعبة من حيث بنتها قريش كما هو صريح عبارة الإمام الأزرقى رحمه الله تعالى فإنه يروى عن ابن جريح: أنه لما أراد ابن الزبير هدم الكعبة سأل رجالا- من أهل العلم من أهل مكة من أين كانت قريش أخذت حجارة الكعبة حين بنتها فأخبر أنهم بنوها من الجبال السبعة المتقدم ذكرها، و هذه الجبال السبعة لا تخرج عن حدود الحرم. هذا ما فتح الله به علينا فى هذا المبحث فالحمد لله أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا. و نسأله الهداية و التوفيق و الرحمة و الإحسان، و العفو و الغفران، و العفو و العافية آمين يا أرحم الراحمين، و صلى الله على النبى الأسمى و على آله و صحبه و سلم.

### بناء الكعبة إلى قيام الساعة

إذا تأملت و تفكرت و وجدت أن هذه الكعبة المشرفة أعظم دليل على وجود الله و وحدانيته و قدرته و عظمته و قهره و سلطانه حيث أنها منذ الآف السنين و الأعوام قائمة محاطة بالتعظيم و الإجلال من جميع أجناس البشر و ستبقى كذلك حتى قيام الساعة كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم. فقد روى الشيخان و النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة. و أخرج أحمد عن ابن عمرو نحوه و زاد و يسلبها حليها و يجردها من كسوتها فلكنى أنظر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٨٨

إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته أو معوله. و روى الأزرقى عن أبى هريرة يحدث أبا قتادة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: يبائع للرجل بين الركن و المقام و لن يستحل هذا البيت إلا أهله فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب تأتي الحبش فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا و هم الذين يستخرجون كتبه.

جاء فى تاريخ الأزرقى ما خلاصته: عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة. و عن عبد الله بن عمرو بن العاصى أنه كان يقول: كأنى به أصيلع أفيدع قائما عليها يهدمها بمسحاته، قال مجاهد: فلما هدم ابن الزبير الكعبة جئت أنظر هل أرى الصنعة التي قال عبد الله بن

عمرو: فلم أرها. و عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال: استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه فكأنى أنظر إليه حبشياً أصيلع أصييع قائماً عليهما يهدمها بمسحاته. و عن حفصة رضى الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ليؤمن هذا البيت حبش حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأوسطهم و ينادى أولهم آخروهم فخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذى يخبر عنهم، فقال رجل لجدى: أشهد ما كذبت على حفصة و لا كذبت حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أمية: فلما جاء جيش الحجاج لم نشك أنهم هم حبش، و قال صلى الله عليه وسلم: اتركوا الحبشة ما تركتكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة. انتهى من الأزرقى.

قال شيخنا المحدث الشهير الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى رحمه الله تعالى فى شرحه على كتابه «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» فى الجزء الخامس عند الكلام على حديث «يخرّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة» ما يأتى:  
قال ابن الجوزى: (فإن قيل): ما السر فى حراسة الكعبة من الفيل و لم تحرس فى الإسلام مما صنع بها الحجاج و القرامطة و ذو السويقتين؟

(فالجواب): أن حبس الفيل كان من أعلام النبوة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم و دلائل رسالته لتأكد الحجّة عليهم بالأدلة التى شوهدت بالبصر قبل الأدلة التى ترى بالبصائر. اهـ.

قال شيخنا رحمه الله تعالى: و قد تقدم ما هو كالجواب لما أشار إليه ابن الجوزى فى هذا الكلام و هو ما سقناه من أن عدم أمن الحرم فى قرب الساعة إنما

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٨٩

وقع لإرادة الله تعالى خراب الدنيا و لا بد منه لمصير أهل الجنة دار الكرامة، جعلنا الله و من نحبه من أهلها و متعنا فيها بالنظر إلى ربنا جل و علا و مصير أهل الكفر إلى النار دار الإهانة، أعادنا الله تعالى منها و من الكفر و كلما يجر إليه. انتهى المراد من الشرح المذكور.

و قوله هنا: «و قد تقدم ما هو كالجواب الخ...» يشير إلى كلامه الذى ذكره قبل هذه الجملة و هو: و لا ينافى تخريب ذى السويقتين الكعبة قوله تعالى: أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّأْمُونًا... الخ لأن الأمن باق للحرم إلى قرب القيامة و خراب الدنيا، فحينئذ يأتى ذو السويقتين فيخرّبها. انتهى.

نقول: إن من أعظم الأسرار الإلهية أنه لم يرد فى التاريخ قط و لم يسمع أبدا منذ بدء الخليقة أن أحدا من الجبابرة أو الملوك ادعى أن الكعبة الشريفة و ما حولها من المطاف ملكه أو ملك أجداده بل إن المشركين مع ما نصبوا حولها من الأصنام كانوا يقرون بأنها بيت الله الحرام و يطوفون بها و يعظّمونها.

و ليس فى قدره أحد أن يبنى بيتا مثله يخلد إلى الأبد و يبقى أساسه من أول الدنيا إلى آخرها، و لقد بنى بعضهم مثله فكان ما له سرعة الخراب و الزوال و كان جزاؤه الهلاك و الوبال. فإن أبرهه بنى بيتا فى صنعاء اليمن لم يبن مثله سماه القليس، طوله فى السماء ستون ذراعاً و أنفق عليه من الأموال ما لا يقدر، يريد بذلك جرف حاج العرب عن بيت الله الحرام إلى القليس، فجاءه رجلان من العرب فتغوطا فيه فغضب أبرهه من ذلك و قال: لا أنتهى حتى أهدم بيتهم الذى بمكة. فساق الفيل إلى بيت الله الحرام ليهدمه فمنعه الله تعالى و سلط عليهم طيرا أبابيل حتى هلك هو و جميع جيشه و قصته مشهورة، ثم إن العباس بن الربيع الحارثى الذى ولاه أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور اليمن هدم القليس فأصاب منه مالا كثيرا و كنزا عظيما، و قد جاء وصف القليس و قصة أبرهه فى تاريخ الأزرقى فراجع إن شئت.

و ذكر الغازى فى تاريخه: أن أحد أجداد خالد بن برمك بنى بيتا عارض به الكعبة و جعل حول أرواقته ثلاثمائة و ستين مقصورة يسكنها خدامه و قوامه و كان من يليه يسمى برمكا يعنى والى مكة فكان أهل مملكته يحجونه و يطوفون به.

و ذكر أيضا أن ظالم بن أسعد بنى لغطفان بيتا على قدر الكعبة فكانوا يحجونه إليه، فأغار عليهم زهير بن جناب الكلبى فقتل ظالما و هدم بناءه. اه ملخصا من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٩٠

تاريخ الغازى فسبحان الذى جعل بيته الحرام فى بلده الأمين، و غمره بالبركات و الخيرات، و أحاطه بالأنوار و الأسرار، و الحمد لله الذى من أهله و جيرانه و حفنا بلطفه و عفوه و غفرانه.

### الحجرات الرخام المكتوبة داخل الكعبة

توجد فى داخل الكعبة تسعة أحجار من الرخام مكتوبة بالخط الثلث بالحفر على الحجر إلا حجرا واحدا فإنه مكتوب بالخط الكوفى لا بالحفر على الحجر، و إنما كل حرف و كل كلمة تتكون من عدة قطع من الرخام الملون الثمين ملصقة بعضها إلى جانب بعض على قاعدة الخط الكوفى المربع، و كل هذه الأحجار مكتوبة بعد القرن السادس للهجرة، كما يظهر فى تواريخها الآتية، ثم وضع فى داخلها فى وقتنا هذا حجر واحد كتب فيه تاريخ عمارة سقفى الكعبة و ترميمها، التى وقع فى عصرنا كما ذكرنا ذلك مفصلا فى هذا الكتاب، و بذلك صار عدد الأحجار المكتوبات فى باطن الكعبة المشرفة تسع أحجار كلها من الرخام الأبيض، و قد أحصيناها بحسب ترتيب وضعها فى جدار الكعبة، مبتدئين فى عدها و ذكرها من يمين الداخل من الباب، و كل هذه الرخامات مرتفعة عن رخام أرض الكعبة بمقدار (١٤٤) مائة و أربعة و أربعين سنتيمترا، ما عدا الحجر العاشر الموضوع فوق عقد باب الكعبة من الداخل فإنه يرتفع بأكثر من مترين. و إليك نص الكتابة الموجودة فى كل حجر منها كما يأتى و هو:

(الحجر الأول) يقع فى الجدار الشرقى على يمين الداخل من باب الكعبة، و ليس فى هذا الجدار الشرقى حجر مكتوب غير هذا الحجر، و طوله تسعون سنتيمترا، و قد كتب فيه ما يأتى:

«بسم الله الرحمن الرحيم، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، أمر بتجديد ترخيم داخل البيت مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى خلد الله ملكه يا رب العالمين، بتاريخ مستهل رجب الفرد عام أربع و ثمانين و ثمانمائة من الهجرة».

(و الحجر الثانى) يقع فى وجه جدار باب الدرجة الداخلية للكعبة الموصلة إلى سطحها، و هذه الدرجة فى الركن الذى على يمين الداخل و يسمى «بالركن الشمالى» و ليس فى جدار الكعبة الشامى حجر مكتوب غير هذا الحجر، و طول

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٩١

هذا الحجر تسعة و خمسون سنتيمترا، و عرضه ستة و أربعون سنتيمترا، و قد كتب فيه ما يأتى:

قد بدا التعمير فى بيت الإله قبله الإسلام و البيت الحرام

أم خاقان الورى مصطفى خان دام بالنصر العزيز المستدام

بادرت صدقا إلى التعمير ذإنما كان بإلهام السلام

و ارتجت من فضله سبحانه أن يجازيها به يوم القيام

قال تاريخا له قاضى البلدهمته أم سلطان الأنام

بمباشرة أحمد بيك شيخ الحرم المكى، فى سنة تسع و مائة و ألف هـ.

(و الحجر الثالث) يقع على يمين الجدار الغربى، أى الجدار الذى خلف الكعبة المقابل لبابها، و طول هذا الحجر تسعة و ثلاثون سنتيمترا، و عرضه ثلاثون سنتيمترا. و قد كتب فيه ما يأتى:

«أمر بعمارة البيت المعظم الإمام الأعظم أبو جعفر المنصور، المستنصر بالله أمير المؤمنين بلغه الله أقصى آماله، و تقبل منه صالح أعماله فى شهور سنة تسع و عشرين و ستمائة و صلى الله على سيدنا محمد و آله و سلم».

(و الحجر الرابع) يقع في الجدار الغربي أيضا، أى الجدار الذى خلف الكعبة، وهذا الحجر مربع تقريبا طوله مائة و اثنان سنتيمترا، و عرضه خمسة و تسعون سنتيمترا.

في وسط هذا الحجر مربع، و في وسط المربع دائرة كبيرة قطرها سبعون سنتيمترا، كتب فيها ما يأتى:

«أمر بتجديد رخام هذا البيت المعظم العبد المفقر إلى رحمة ربه، يوسف بن عمر بن على رسول. اللهم أیده بعزیز نصرک، و اغفر له ذنوبه برحمتک».

و كتب في زاوية المربع اليمنى من الأعلى كلمة «يا رحمن» و في اليسرى كلمة «يا رحيم». و كتب في زاوية اليمنى من تحت كلمة «يا كريم» و في اليسرى «يا غفار» و يدور بهذا المربع أربعة أسطر. كتب في السطر الأعلى «بسم الله الرحمن الرحيم رب أوزعنى». و كتب في السطر الأيمن «أن أشكر نعمتك التى أنعمت على و على والدى». و كتب في السطر الأسفل «و أن أعمل صالحا ترضاه».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٩٢

بتاريخ شوال سنة. و كتب في السطر الأيسر «ثمانين و ستمائة. و صلى الله على سيدنا محمد و آله».

قال في تاريخ الكعبة روى الفاسى في شفاء الغرام: إن رخام الكعبة عمّر سنة (٥٥٠) خمسين و خمسمائة، و هذه العمارة من جهة الوزير جمال الدين الأصبهاني المعروف بالجواد وزير صاحب الموصل. و من ذلك أنه جدد رخام الكعبة بأمر الملك المظفر صاحب اليمن، و اسمه مكتوب على رخامة في وسط الجدار الغربى من الكعبة و ذلك في شوال سنة (٦٨٠) ثمانين و ستمائة. قال ابن فهد: و هو أول ملك كتب اسمه فى الكعبة. انتهى من تاريخ الكعبة.

(و الحجر الخامس) يقع فى الجدار الغربى أيضا، أى الجدار الذى خلف الكعبة، فى مواجهة الداخل من الباب، و هذا الحجر مربع ضلعه اثنان و ستون سنتيمترا، و قد كتب فيه «لا إله إلا الله محمد رسول الله» و ذلك بالخط الكوفى المربع، و لفظ الجلالة مكتوب فى وسط المربع بالحجارات الحمراء الغامقة، و من عجيب أمر هذه الرخامة أنك إذا وقفت أمامها لا تعرف ما فيها من الكتابة، و إذا بعدت عنها قليلا قرأتها بوضوح تام. لكن اختلف هذا الأمر بعد رفعها من جدار الكعبة عند ترميمها فى عصرنا الحاضر، فإنهم لما وضعوها فى محلها ثانيا بالجدار لم توضع بصفة فنية كأول مرة لذلك لا يظهر فيها الآن ذلك السر العجيب، و صارت تقرأ من القرب كما تقرأ من البعد، كما أن لفظ الجلالة صار مكتوبا فى الوسط بالحجارات السوداء أى بعكس المرة السابقة.

و هذا الحجر ليس قطعة واحدة و إنما هو يتألف من عدة قطع من الرخام الملون الممتاز النادر، فيوجد فيه من الرخامات البيضاء (٨٢) قطعة، و من الرخامات السوداء (٨٣) قطعة، و من الرخامات الخضراء (٣) قطع، و من الرخامات الحمراء الغامقة (٨) قطع، و قطعة واحدة بنية اللون، و كلها قطع صغيرة.

و لقد أردنا أخذ صورة هذه اللوحة الكوفية بعد رفعها من جدار الكعبة، لكن لم تتمكن من ذلك لتفرق قطع أحجارها الصغار، ثم بعد جمعها ثانية و وضعها فى محلها بالجدار، لم نتجاسر بأخذ صورتها من داخل الكعبة تأدبا و احتراماً و تعظيماً.

و نحن لم نهتد فى بادئ الأمر إلى هذه اللوحة العجيبة، فإننا عندما عددنا الأحجار المكتوبة فى جدران الكعبة المعظمة كان عددها «كذا» فلما رجعنا لعددها بعد أيام صارت زائدة عن العدد الأول، فصرنا نكرر عددها فأحيانا تنقص لوحة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٩٣

واحدة و أحيانا تزيد لوحة واحدة، حتى طرأ علينا الشك بل إن أحد أصدقائنا من سدنة الكعبة اتهمنا بالوسواس لكثرة عدنا لهذه الأحجار فقد عددناها أكثر من اثني عشر مرة. و أخيرا هدانا الله تعالى إلى الكتابة الموجودة فى هذه اللوحة، ففى إحدى المرات أردت الخروج من الكعبة فعند وصولى قرب بابها التفت إلى الورا لأ-كلم أحد العمال الموجودين بها، إذا ببصرى يقع على هذه اللوحة و قد ظهرت الكتابة بها واضحة جليئة، فمشيت صوبها بدون أن أرفع بصرى عنها، حتى قربت منها اختفت الكتابة، ثم بعدت عنها إلى موضعى الأول عند الباب إذا بالكتابة تظهر ظهورا تاما، ثم قربت منها فإذا بالكتابة تخفى، فتحقق لدينا أن الإنسان إذا بعد عن

هذه اللوحة ظهرت الكتابة التي فيها، و إذا قرب منها اختفت الكتابة، ثم أريتها لبعض الإخوان فتعجبوا من هذا الأمر غاية العجب، و لما كنا واثقين بأن هذه اللوحة لو قلعت من موضعها فإن هذا السر الموجود فيها يذهب بتاتا، فقد حذرنا العامل المختص بقلع الرخامات و تنظيفها ثم وضعها في أماكنها، أن لا- يمس هذه الرخامة و لا يقلعها من محلها مطلقا، فإن قلعها فإنه لن يقدر على إرجاعها كسابق وضعها فيختفى منها هذا السر العجيب الذي اكتشفنا في وقتنا هذا. و لكن مع الأسف الشديد كان هذا العامل معتدا بنفسه و مهارته، فقلع هذه اللوحة ثم أرجعها إلى مكانها الأول، لكن بغير الوضع السابق و الترتيب الأول، فاختفى عنها ذلك السر العجيب اختفاء تاما و صارت الكتابة التي فيها تقرأ من القرب و العبد على حد سواء، و كان أمر الله قدرا مقدورا.

و نحن نعتقد أنه لم ينتبه من السابق إلى أمر هذه الرخامة أحد مطلقا، حتى نفس سدنة الكعبة الذين بيدهم مفتاحها و يكثر دخولهم فيها، لا يعرفون عن هذه الرخامة أنها مكتوبة بل إن الشيخ حسين عبد الله باسلامة صاحب كتاب «تاريخ الكعبة المعظمة» رحمه الله تعالى لم يكتشف الكتابة التي في هذه الرخامة، فإنه قال في كتابه المذكور عند الكلام على ألواح الرخام المكتوبة في داخل الكعبة إن عدد هذه الألواح سبعة، ثم ذكر نص ما هو مكتوب في كل لوحة منها، فلو أنه اهتدى إلى هذه اللوحة التي كتب فيها «لا إله إلا الله محمد رسول الله» بالخط الكوفي المربع لذكرها و أشار إليها، بل لتكلم عنها قبل جميع الألواح لما لها من القيمة الفنية الممتازة و سر تركيبها العجيب فرحم الله من كتبها و ركبها و من قرأها بل و من قلعها أيضا فإنه قلعها بحسن نية. و الحمد لله الذي وفقنا لاكتشافها و تسجيل سرها العجيب.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٩٤

(و الحجر السادس) يقع في الجدار الغربي أيضا، أي الجدار الذي يقع خلف الكعبة، و هذا الحجر مربع ضلعه اثنان و سبعون سنتيمترا، و في هذا الحجر أربعة أسطر، كل سطر مقسم إلى قسمين، بينهما فاصل على صفة أبيات الشعر. و إليك ما كتب على هذا الحجر:

ففي السطر الأول مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. تقرب بتجديد هذا البيت المعظم العتيق إلى الله.

و في السطر الثاني مكتوب: سبحانه و تعالى، خادم الحرمين و سائق الحجاج بين البحرين و البحرين السلطان بن السلطان مراد خان. و في السطر الثالث مكتوب: ابن السلطان أحمد خان بن السلطان محمد خان، خلد الله تعالى ملكه و أيد سلطنته، في آخر شهر رمضان المبارك.

و في السطر الرابع مكتوب: المنظم في سلك شهور سنة أربعين بعد الألف من الهجرة النبوية عليه أفضل التحية.

(و الحجر السابع) يقع في الجدار الغربي أيضا، أي الجدار الذي خلف الكعبة، و طول هذا الحجر ثلاثة و سبعون سنتيمترا، و عرضه تسعة و ثلاثون سنتيمترا، و في هذا الحجر أربعة أسطر كتب فيها ما يأتي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، ربنا تقبل منا، أمر بتجديد سقف البيت الشريف، و جميع داخل الحرم و خارجه، مولانا السلطان ابن السلطان محمد خان، خلد الله خلافته، سنة سبعين و ألف».

(و الحجر الثامن) يقع في الجدار الغربي أيضا، أي الجدار الذي خلف الكعبة، و طول هذا الحجر ثمانية و سبعون سنتيمترا، و عرضه ستة و أربعون سنتيمترا، و قد كتب فيه ما يأتي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، تقرب إلى الله بتجديد رخام هذا البيت المعظم المشرف، العبد الفقير إلى الله تعالى السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسباي، خادم الحرمين الشريفين، بلغه الله آماله، و زين بالصالحات أعماله، بتاريخ سنة ست و عشرين و ثمانمائة».

(و الحجر التاسع) يقع فوق عقد باب الكعبة من داخلها، مرتفع عن أرض الكعبة بأكثر من مترين، و طوله ثلاثة أمتار تقريبا، و عرضه

نحو نصف متر.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٩٥

و هو ليس بحجر واحد، بل إنه ثلاثة أحجار أو أربعة.

وقد كتب عليها بعض جمل صغيرة بالخط الكوفى لم تتمكن من قراءتها عند إخراجها من محلها و وضعها بالأرض، لكثرة أشغالنا، بحيث نسينا أمرها حتى رفعت ثانية فوضعت فى محلها الأصيلى فوق الباب من الداخل.

نقول: لقد انتهينا و لله الحمد من نقل جميع الرخامات المكتوبة التى فى داخل الكعبة المشرفة، فى اليوم الثامن من شهر شعبان سنة (١٣٧٧) سبع و سبعين و ثلاثمائة و ألف هجرية، بعد أن أخرجناها من داخل الكعبة عند تجديد سقفيها و ترميم داخلها فى شهر شعبان من العام المذكور.

و لقد أخذنا صورتها الفوتو جرافية فى التاريخ المذكور أيضا، بعد أن أخرجناها من الكعبة المشرفة و وضعناها بقرب منبر المسجد الحرام، ثم أرجعناها إلى داخل الكعبة لتوضع فى محلاتها عند الترميم، و لولا ذلك لما تجاسرنا بأخذ صورها من داخل بيت الله الحرام. فالحمد لله على توفيقاته المتتالية و نعمائه المتواليه.

و هذه الصور موجودة فى مكتب مشروع التوسع لم تتمكن من أخذها مع الأسف، كما لم تتمكن من أخذ صور الأحجار فى داخل الكعبة المشرفة لتعذر ذلك علينا.

### الكتابة الموجودة على عقد باب الكعبة

و أما ما هو مكتوب فوق عقد باب الكعبة من الخارج فهو هذا: مكتوب بأعلى باب الكعبة سطران بخط الثلث الواضح الجميل على ألواح من الذهب الخالص.

(فالسطر الأول) مكتوب فيه قوله تعالى: **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا.**

(و السطر الثانى) مكتوب فيه ثلاثة آيات و هى:

لقد رقم الحنكار بابا لبيته له كل مخلوق يصلى و يسجد

و خلف ذخر الأجر من بعد جده بنى ملك عثمان أحمد يحمد

فقل فيه مدحا ما استطعت مؤرخا «بتجديده بالبيت قد فاز أحمد»

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٩٦

أى أنه حصل تجديد خدور باب الكعبة فى سنة (١١١٨) ثمان عشرة و مائة و ألف فى عهد السلطان أحمد خان الثالث أحد سلاطين آل عثمان.

و لم نر من أشار و وضح ما هو مكتوب بأعلى باب الكعبة، و قد وفقنا الله تعالى إلى قراءة كل ذلك بعد أن صعدا على سلم طويل من الخشب حتى وصلنا فوق باب الكعبة و قرأنا كل ذلك و كتبناه، و ذلك فى خامس يوم من شوال سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف، و قد تكلمنا على ذلك بتفصيل تام فى مبحث «عمل باب للكعبة المشرفة» فراجعه إن شئت.

### تحلية الكعبة

المكانة المشرفة السامية للكعبة المشرفة فى قلوب الناس جاهلية و إسلاما لا لتحليتها بالذهب و الفضة بل هى لذاتها التى أودعها الله فيها سواء بنيت بالحجارة المرضومة أم بالإسمنت المسلح لأنها بيت الله و قبله المسلمين و ما بنيت إلا بأمر الله سبحانه و تعالى الغنى

عن العالمين.

و أن ما نراه فيها من التحلية و الهدايا بالنقدين و نفيس الجواهر، إنما هو من قبيل التشرف بخدمتها و احترامها رجاء التقرب إلى الله تعالى و طلب رحمته و مغفرته، و ليس فى ذلك من بأس فهذا خليل الله إبراهيم صلوات الله عليه و سلامه عليه و على نبينا و جميع الأنبياء و المرسلين و آل كل منهم أجمعين، لما أمره الله عز و جل ببناء الكعبة المشرفة حفر فى باطنها على يمين من دخلها حفرة كالبئر عمقها ثلاثة أذرع تكون خزائنها يلقى فيها ما يهدى إليها، فالإهداء إليها مطلوب و الأجر عليها من الله ثابت مضمون.

و لئن كان مؤلف هذا الكتاب محمد طاهر بن عبد القادر الكردى المكى كاتب مصحف مكة المكرمة عاجزا عن إهداء الذهب و الفضة للكعبة المشرفة، فإنه يسأل الله العظيم الحليم الكبير المتعال أن يتقبل منه خدماته لهذه الكعبة الطاهرة المقدسة من الناحية العلمية و التاريخية و أن يسعده و ذريته سعادة أبدية فى الدنيا و الآخرة من كافة الوجوه و أن يختم حياته على الإيمان الكامل و على نظافة و طهارة و راحة تامة عند الموت و أن لا يميته حتى يقر عينه بأهله و أولاده و كافة أصدقائه و مشايخه و أن يغنيه و من يلوذ به عن سواه بفضل الواسع إنه سميع مجيب الدعاء أمين. و صلى الله و سلم على النبى الأسمى الأمين و على آله و صحبه أجمعين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٩٧

فبقول و بالله التوفيق:

١- أول من حلى الكعبة فى الجاهلية بالذهب عبد المطلب بن هاشم جد النبى صلى الله عليه و سلم، و ذلك أنه أمر فى المنام أن يحفر زمزم فى موضعها الذى هى فيه فجاء بالمعول و معه ابنه الحارث ليس له يومئذ ولد غيره فحفر حتى بدا له الطى طى البئر كبر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب و هما الغزالان اللذان دفنتهما جرحم حين خرجت من مكة و وجد فيها أسيفا و دروعا و سلاحا ثم حفر حتى أنبت الماء فى القرار ثم بحرهما حتى لا ينزف ثم بنى عليها حوضا فكان هو و ابنه ينزعان فيملآن ذلك الحوض فيشرب منه الحاج.

فضرب عبد المطلب الأسياف على باب الكعبة و ضرب فوقه أحد الغزالين و جعل الغزال الآخر فى جب الكعبة الذى يجعل فيه ما يهدى إليها. هذا ما ذكره الأزرقى.

٢- تحلية عبد الله بن الزبير، رضى الله عنهما، فإنه بعد أن أتم بناء الكعبة جعل عليها و على أساطينها صفائح الذهب و ذلك سنة أربع و ستين من الهجرة و هو أول من حلى الكعبة فى الإسلام.

٣- تحلية عبد الملك بن مروان باب الكعبة بالذهب كما ذكره الشيخ حسين باسلامة فى مؤلفه نقلا عن الفاسى و ذلك فى العمارة التى عملها بالمسجد الحرام سنة خمس و سبعين.

٤- تحلية الوليد بن عبد الملك بن مروان. قال الغازى نقلا عن الأزرقى:

أرسل الوليد بستة و ثلاثين ألف دينار يضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب و على أساطينها و على الميزاب و على أركانها من الداخل. اه.

و قال أيضا نقلا عن شفاء الغرام: إن الوليد صرف فى ميزاب الكعبة و سقفها ما كان فى يد نبى الله سليمان عليه الصلاة و السلام، من ذهب و فضة و كان قد احتمل على بغل قوى فتنفسخ تحتها فضرب منها الوليد حلية الكعبة و كانت قد احتملت إليه من طليطلة من جزيرة الأندلس و كانت لها أطواق من ياقوت و زبرجد. انتهى.

و الظاهر أن ذلك كان سنة إحدى و تسعين حينما أمر بتوسيع المسجد الحرام، و كان إذا عمل المساجد زخرفها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٩٨

٥- تحلية الخليفة العباسى الأمين محمد بن هارون الرشيد فإنه أرسل بثمانية عشر ألف دينار ليضرب بها صفائح الذهب على باب الكعبة و جعل مساميرها و حلقتى الباب و أعتابه من الذهب كما ذكره الأزرقى، و لم نر فى أى سنة أرسل تلك الدنانير لتحلية الكعبة،



و الأمين محمد تولى الخلافة بعد موت أبيه فى سنة إحدى و تسعين و مائة و اسمه محمد و لقبه الأمين.

٦- تحلية المتوكل العباسى جعفر بن المعتصم بن الرشيد فإنه لما بلغه من حجة الكعبة أن زاويتين من زواياها تأكل ذهبهما أرسل المتوكل إلى إسحاق بن سلمة الصايغ بذهب و أمره بعمل ذلك فكسر إسحاق تلك الزوايا و أعادها من الذهب و عمل منطقة من فضة ركبها فوق إزار الكعبة من الداخل عرضها ثلثا ذراع، و جعل لها طوقا من الذهب متصلا بهذه المنطقة، و ألبس عتبة الباب الخشب بالفضة. قال إسحاق: فكان مجموع الزوايا و الطوق الذهب ثمانية آلاف مثقال و منطقة الفضة و ما على الباب و ما حلى به المقام سبعين ألف درهم. انتهى ما ذكره الأزرقى.

بويح المتوكل بالخلافة فى أواخر سنة (٢٣٢) و قتل سنة سبع و أربعين و مائتين.

٧- تحلية المعتضد العباسى أحمد المعتضد بالله بن طلحة بن المتوكل المذكور كتب الحجة إليه أن أحد الولاة بمكة قلع أيام الفتنة سنة (٢٥١) إحدى و خمسين و مائتين ما على عضادتي باب الكعبة من الذهب فضربه دنائير و صرفها على الفتنة فكانوا يسترون العضادتين بالدباج.

و أن عامل مكة سنة (٢٦٨) ثمان و ستين و مائتين قلع أيضا أيام الفتنة مقدار الربع من الذهب من أسفل باب الكعبة و ما على أنف الباب من الذهب و استعان به على دفع تلك الفتنة و جعل بدل ما أخذه فضة موهة بالذهب فإذا تمسح الحجاج به أيام الحج انكشفت الفضة فأمر المعتضد بإعادة جميع ذلك. ذكره الفاسى فى شفاء الغرام.

و الخليفة المعتضد المذكور هو الذى زاد فى المسجد الحرام بإدخال دار الندوة فيه جهة باب الزيادة و بنى عنده المنارة و ما يتبعه من الأروقة و السقوف و دامت عمارته ثلاث سنوات و كان ذلك سنة (٢٨١) إحدى و ثمانين و مائتين و قد توفى سنة (٢٨٩).

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ١٩٩

٨- تحلية المقتدر العباسى أبو محمد، على المقتدر بالله بن المعتضد بالله، و ذلك أنه فى سنة (٣١٠) عشر و ثلاثمائة أمر عامله على مكة أن يلبس جميع الأسطوانة الأولى التى تلى باب الكعبة الذهب لأن التى تليها ملبسة بصحائف الذهب و بقيتها مموها. ذكره ابن فهد.

و قال الغازى نقلا عن الفاسى: أن أم المقتدر العباسى هى التى أمرت غلامها (لؤلؤا) أن يتوجه إلى مكة و أن يلبس جميع أسطوانات البيت الشريف ذهابا ففعل ذلك فى سنة عشر و ثلاثمائة. انتهى.

و المقتدر ولى الخلافة سنة (٢٩٥) ثم خلع ثم أعيد ثم خلع ثانيا ثم أعيد ثالثا و استمر حتى قتل فى شوال سنة (٣٢٠).

٩- تحلية الوزير جمال الدين المعروف بالجواد الأصبهانى وزير «مودود بن زكى» صاحب الموصل أنفذ رجلا من جهينة يقال له الحاجب و ذلك سنة (٥٤٩) تسع و أربعين و خمسمائة إلى مكة و معه خمسة آلاف دينار ليعمل بها صحائف الذهب و الفضة فى أركان الكعبة من الداخل. اهـ.

بعض المؤرخين يقول: أنفذ الوزير جمال الدين حاجبه، و بعضهم يقول: أنفذ رجلا من جهينة يقال له الحاجب و هو ما ذكر الشيخ حسين باسلامة رحمه الله تعالى فى كتابه «تاريخ الكعبة».

قال أستاذنا المرحوم يوسف أحمد الخطاط الكوفى الشهير مفتش الآثار العربية بمصر فى كتابه «المحمل و الحج» عن الوزير جمال الدين المذكور أنه هو الذى جدد مسجد الخيف بمنى، و بنى حجر إسماعيل و زخرف الكعبة و بنى المسجد الذى على عرفات و عمل بعرفات مصانع الماء و بنى سورا على المدينة إلى غير ذلك من الأعمال النافعة المجيدة.

و وصى إذا مات أن يدفن بالمدينة المنورة فمات سنة (٥٥٩) تسع و خمسين و خمسمائة فحمل إليها عن طريق مكة و دفن بجوار قبر النبى صلى الله عليه و سلم، بينه و بين القبر الشريف نحو خمسة عشر ذراعا، و نودى فى كل بلد نزله بالصلاة عليه و لما أرادوا الصلاة عليه بالحلة أنشد شاب:

سرى نعشه فوق الرقاب و طالماسرى جوده فوق الركاب و نائله

يمر على الوادى فتثنى رماله عليه و بالوادى فتثنى أرامله

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٠٠

و من أراد زيادة الاطلاع على أعمال الوزير المذكور فعليه بمراجعة صحيفه ٦٨ من الجزء الثانى من كتاب ابن الوردى. انتهى ملخصا.  
و الوزير جمال الدين المذكور، رحمه الله تعالى، هو الذى قام بعمل باب الكعبة مصفحا بالذهب و الفضة باسم الخليفة العباسى المقتفى لأمر الله سنة (٥٥١) و قد جعل الوزير جمال الدين باب الكعبة القديم بعد قلعه تابوتا لنفسه يدفن فيه كما ذكرنا ذلك عند الكلام على باب الكعبة المشرفة. فانظر رحمك الله إلى قوة إيمانه و اعتقاده و إلى إجماع الناس على حبه و الدعاء له حتى بعد موته.  
اللهم وفقنا لما تحبه و ترضاه آمين.

١٠- تحلية الخليفة العباسى المقتفى لأمر الله، فقد عمل بابا للكعبة بالذهب و الفضة بواسطة الوزير جمال الدين المتقدم ذكره و ذلك سنة (٥٥١) إحدى و خمسين و خمسمائة.

١١- تحلية الملك المظفر صاحب اليمن حلاها بستين رطلا من الفضة ضربها صفائح على باب الكعبة، و ذلك لما حج سنة (٦٥٩) تسع و خمسين و ستمائة.

١٢- تحلية الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر، فإنه عمل بابا للكعبة و حلاه المعظمة بخمس و ثلاثين ألف درهم سنة (٧٣٣) ثلاث و ثلاثين و سبعمائة.

١٣- تحلية الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فإنه عمل بابا للكعبة و أصلحوا تحلية هذا الباب مرارا و ذلك سنة (٧٦١) إحدى و ستين و سبعمائة.

١٤- تحلية الملك الأشرف شعبان حفيد الملك محمد بن قلاوون صاحب مصر، فإنه حلى باب الكعبة فى سنة (٧٧٦) ست و سبعين و سبعمائة، ذكره الغازى نقلا عن الفاسى.

١٥- تحلية ناظر الحرم الشريف بىرم خوجه، فإنه حلى الكعبة بالفضة المطلية بالذهب، فمقدار الفضة التى طليت بها ألف و ستمائة قفلة، و مقدار الذهب الذى حلى بها سبعون أفلوريا. ذكره الغازى نقلا عن ابن فهد، و لم يبين السنة التى حصل ذلك فيها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٠١

١٦- تحلية السلطان سليمان خان القانونى، فقد عمل بابا للكعبة و حلاه بحلية كثيرة من الفضة و الذهب، كما عمل ميزاب الكعبة المحلى بالذهب و ذلك سنة (٩٦٤) أربع و ستين و تسعمائة. و قد تكلمنا عنه عند ميزاب الكعبة.

قال الغازى فى تاريخه نقلا عن السنجارى: و قدر ما فيه من الذهب ألف و مائتين و ثمانين أشرفيا بعمله تاريخه، و من الفضة نحو أربعة قناطير تعجز قليلا.

اه.

١٧- تحلية السلطان مراد خان الرابع، فإنه عمل بابا للكعبة المشرفة و ذلك بعد بنائه لها بسبب السيل الذى هدمها بخمس سنين، و قد حلى الباب بالفضة و الذهب فكان وزن الفضة مائة و ستة و ستون رطلا، و وزن الذهب البندقى ألف دينار، و قد ركبوا الباب على الكعبة فى ثلاثة أيام حتى صار محكما ثابتا، و كان عمله سنة (١٠٤٥) خمس و أربعين و ألف.

١٨- تحلية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود مؤسس المملكة العربية السعودية، رحمه الله تعالى، فإنه أمر بتجديد باب الكعبة المشرفة مصفحا بالذهب و الفضة و بعد انتهاء عمل الباب ركب فى الكعبة باحتفال عظيم و ذلك فى ٢٣ ذى القعدة سنة (١٣٧٠) سبعين و ثلاثمائة و ألف و قلع الباب القديم الذى عمله السلطان مراد الرابع.

و نختم هذا الفصل بأن كل من حلى ميزاب الكعبة بالنقدين أو جعل منهما طوقا للحجر الأسود يعتبر أنه ممن عمل فى تحلية الكعبة

المشرفة.

## الكراسى التي كانت موجودة في الكعبة

بمناسبة الكلام على الكرسي الذي كان في الكعبة المشرفة زمن عمر رضى الله تعالى عنه، نذكر هنا جلوس رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا على الكرسي، فلقد جاء في الجزء الأول من كتاب «الترايب الإدارية و العمالات و الصناعات و المتاجر و الحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلية» تأليف العلامة الحافظ المحدث الشهير الشيخ عبد الحى الكتانى الفاسى، المطبوع بالمطبعة الأهلية بدارب الفاسى بالرباط ببلاد المغرب الأقصى سنة (١٣٤٤) هجرية.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٠٢

جاء في هذا الكتاب بعنوان «اتخاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكرسي» بصحيفة ٩٧ من الجزء الأول ما نصه:

ذكر الدارقطنى فى العلل من حديث على قال: كنت آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل غداة إذا تنحنح دخلت، و إذا سكت لم أدخل، قال: فخرج إلى فقال: حدث البارحة أمر، سمعت خشخشة فى الدار و ذكر قصة فيها، فإذا بجرى للحسن تحت كرسي لنا، و فى المشرع الروى: الكرسي هو الذى يجلس عليه و قيل: لا يفضل عن مقعد القاعد.

ذكر جلوس النبى صلى الله عليه وسلم على الكرسي فى صحيح مسلم و سنن النسائى و النص لمسلم عن حميد بن هلال قال: قال أبو رفاعه العدوى: انتهيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم و هو يخطب فقلت: يا رسول الله رجل غريب يسأل عن دينه لا يدرى ما دينه، قال:

فأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم و ترك خطبته حتى انتهى إلى، فأتى بكرسي حسبت قوائمه حديدا، قال: فقعد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم و جعل يعلمنى مما علمه الله ثم أتى خطبته فأتى آخرها.

(و قلت): الحديث المذكور غفل السيوطى فى الجمع و الهندى فى الكنى فاقصرا على عزوه للطبرانى فى الكبير و أبى نعيم، مع أنه كما علمت فى مسلم و أخرجه البخارى فى الأدب المفرد، و فيه جلوسه صلى الله عليه وسلم على كرسي قوائمه من حديد حتى فى المسجد و الناس ينظرون، ففيه جواز ذلك و أنه لا يعد مذموما و قد قربت مرة إلى رجل من الصالحين كرسيا لجلوسه فأبى و رأى أنه من التشبه المذموم.

و قد ترجم البخارى فى الأدب المفرد باب الجلوس على السرير، فذكر قصة جلوس معاوية على سرير، و قول أبى قره: جلست مع ابن عباس على سرير، و قول أبى حمزة: كنت أقعد مع ابن عباس فكان يقعدنى على سريره فقال لى:

أقم عندى حتى أجعل لك سهما من مالى فأقمت عنده شهرين، و قصة جلوس أنس مع أمير البصرة الحكم على سرير، و قصة أبى رفاعه العدوى السابقة عن مسلم، و فيها فأتى بكرسي خلت قوائمه من حديد، قال حميد: و لكن زاد أراه خشبا أسود حسبته حديدا فقعد عليه.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٠٣

و عن موسى بن دهقان قال: رأيت ابن عمر جالسا على سرير عروس عليه ثياب حمراء، و عن عمران بن مسلم قال: رأيت أنسا جالسا على سرير واضعا إحدى رجله على الأخرى. و الله أعلم.

و قد ذكر المبرد فى الكامل فى قصة حبس عمر بن الخطاب للحطية على هجوه للزبير قال: إن عمر دعا بكرسي فجلس عليه، و دعا بالحطية فأجلس بين يديه، و دعا بالة القطع يوهمه أنه عامل على قطع لسانه الخ ... القصة.

و فى سنن النسائى عن عبد خير قال: شهدت عليا دعا بكرسي فقعد عليه، ثم دعا بماء فى تور فغسل يديه ثلاثا الخ .. القصة.

و فى تاريخ الوزير جودت باشا التركى نقلا عن تاريخ واصف أفندى التركى:

أن سيدنا يوسف عليه السلام كان يجرى الأحكام و هو جالس على كرسيه، و أن سيدنا سليمان عليه السلام كان ينفذ الأحكام أيضا و هو على كرسى مرتفع، و أن سيدنا معاوية اتخذ لنفسه دائرة خصوصية كان يجلس فيها على كرسى مثل التخت و يجرى الأحكام. اه. و أخرج أبو نعيم فى الحلية عن يحيى بن أيوب عن الكنانى رسول عمر إلى هرقل، و كان يقال له جثامه بن مساحق بن الربيع بن قيس الكنانى قال: جلست فلم أدر ما تحتى فإذا تحتى كرسى من ذهب فلما رأته نزلت عنه، فضحك فقال لى: لم نزلت عن هذا الذى أكرمناك به؟ فقلت: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم ينهى عن مثل هذا. انظر ترجمه جثامه بن مساحق من فضائل الصحابة من كثر العمال. فانظر كيف جلس على الكرسى أولا ثم نزل عنه، لا لأنه كرسى، بل لما رآه من ذهب، فلو وجده من غيره مما يباح استعماله لاسترسل جالسا عليه. و الله أعلم. انتهى من الكتاب المذكور.

### الكعبة المشرفة و هندستها

لقد نشرنا مقالة مهمة عن اتجاه المسلمين إلى الكعبة المعظمة فى صلواتهم أينما كانوا فى جريدة البلاد السعودية التى تصدر بمكة المكرمة و ذلك بتاريخ ٢٠ جمادى الثانية سنة (١٣٧١) للحجرة بعنوان (الكعبة المشرفة و هندستها) و لما كانت هذه التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٠٤

المقالة فريدة فى بابها دقيقة فى معناها، أحببنا ذكرها و إعادة نشرها مع ما جاءنا من الجواب عليها من مصلحة المساحة المصرية، حبا فى نشر العلم و تنوير الأذهان، فلنذكر أولا نص مقالتنا فى الجريدة المذكورة و هو:

الكعبة المعظمة: هى قبة المسلمين يتجهون إليها فى صلواتهم أينما كانوا من بقاع الكرة الأرضية، قال الله تعالى: جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ و قال أيضا: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ، و قال صلى الله عليه و سلم: «ينزل الله عز و جل على هذا البيت كل يوم و ليلة عشرين و مائة رحمة، ستون منها للطائفين، و أربعون للمصلين و عشرون للناظرين».

و لما كانت لهذه الكعبة التى بناها خليل الله إبراهيم عليه السلام منزلة سامية فى قلوب كافة المسلمين كان حقا علينا أن ندرسها من كافة النواحي الدينية و التاريخية. و لقد خطرت فى بالنا نقطة دقيقة مهمة أحببنا عرضها على أنظار إخواننا المسلمين و هى: أن إبراهيم الخليل صلوات الله و سلامه عليه و على جميع الأنبياء و المرسلين بنى هذه الكعبة الغراء على الأساس الذى عرفه الله تعالى أن بينها عليه فبناها حسب الأمر الإلهي «فهل يدل اتجاه أركانها و موضع بابها على نفس الجهات الأربع و هى الشرق و الغرب و الجنوب و الشمال» أم لا؟.

نرجو من حضرات العلماء الأجلاء و أرباب الهندسة و الفلك «إفادة دقيقة مبنية على القواعد العلمية و الآلات الفلكية العصرية على وجه الضبط و اليقين لا- على الحدس و التخمين، كما نرجو منهم بيان موقع جبل حراء و جبل الرحمة بعرفات من الكعبة المشرفة بالضبط و بيان مواقع الحارات و الشوارع بمكة المكرمة بالنسبة لجهة الكعبة المشرفة، بمعنى إلى أى درجة يكون ميل كل حارة إلى الجهات الأربع و موقع الكعبة من الجهات أيضا».

و لقد ذكر بعض العلماء «أن بعض البلدان يصلون إلى جهة باب الكعبة، و بعض البلدان يصلون إلى الجهة المقابلة للباب، و بعض البلدان يصلون إلى جهة الميزاب، و بعض البلدان يصلون إلى الجهة المقابلة للميزاب» و لكن لا ندرى هل ذكروا ذلك فى باب الظن أو اليقين و من رأينا أن ذلك راجع إلى أهل الهندسة و أهل الفلك، فعسى أن نطلع على إفادتهم المبنية على القواعد و الأصول المرعية، و ليس ذلك بمستنكر فإن لله عز و جل حكما دقيقة قد تهتدى إلى شىء منها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٠٥

عقول البشر و قد تتيه فيها. ففي نتيجة الحكومة المصرية رسم يبين اتجاه القبلة في مدينة القاهرة مع بيان درجة انحراف القبلة من الجنوب نحو الشرق و درجة سمتها من الشمال نحو الشرق أيضا، كما في مصلحة المساحة المصرية خبراء يعرفون اتجاه القبلة في أى مكان بالديار المصرية.

و هذا هرم الجيزة الأكبر بمصر، فإن الذين بنوه أقاموا بنيانه على أساس عجيب و دقة متناهية، فقد ذكر علماء الآثار أن الهرم الأكبر الذى هو البناء الوحيد فى العالم من نوعه هو أدق بناء فى العالم من حيث توجيه زواياه نحو الجهات الأصلية، و مما يزيد فى شأنه من هذه الناحية أن زوايا قاعدته تواجه بالضبط الشمال و الشرق و الجنوب و الغرب، و أن انعكاسات الشمس عن أوجه الهرم تشير بالدقة إلى الأيام التى يحدث فيها الانقلاب الشتوى و الاعتدال الربيعى و الانقلاب الصيفى و الاعتدال الخريفى، و قد قام فى السنوات الأخيرة كثير من العلماء بدراسات وافية عن تاريخ الهرم و هندسة بنائه لا نرى لازما لسرد ما توصلوا إليه و إنما ذكرنا ما تقدم تنبيها للوعى العلمى و استنهاضا لهمم العلماء فى النظر إلى ما وضعه الله تعالى من خفايا الأمور و الأسرار فى مخلوقاته كما قال عز شأنه فى محكم كتابه العزيز: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ\* وَ إِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ\* وَ إِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ\* وَ إِلَى الْمَأْرُضِ كَيْفَ سُطِحَتْ\* فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْهَدَايَةَ وَ التَّوْفِيقَ آمِينَ.

انتهى نص مقالتنا فى الجريدة، و لنذكر الآن إجابة مصلحة المساحة المصرية عليها، و هذا نصها:

«حضرة الأستاذ محمد طاهر الكردى الخطاط بالمعارف العامة بمكة المكرمة، السلام عليكم و رحمة الله. بالإشارة إلى خطابكم المؤرخ ٢١ رجب سنة (١٣٧١) الموافق ١٦ أبريل سنة (١٩٥٢) نرجو الإحاطة بأننا قمنا بدراسة موضوع الأسئلة الواردة فى مقالكم عن تاريخ الكعبة الشريفة و هندستها من واقع الأعمال التى قامت بها مصلحة المساحة أخيرا بمكة المكرمة، و فيما يلى الرد عما يدخل فى اختصاص هذه المصلحة:

١- تبين من الأعمال المساحية التى عملت أخيرا أن أركان الكعبة الشريفة لا تتجه إلى اتجاه معين، و أن حوائطها ليست متعامدة تماما، و تختلف أطوالها عن بعضها البعض، كما تميل هذه الحوائط عن الجهات الأربع بحوالى (٥٧) درجة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٠٦

٢- يقع غار حراء فى الشمال الشرقى من نقطة وسط الكعبة، و ينحرف اتجاهه عنها بنحو (٤٢) درجة من الشمال و هو على خط عرض ٢٢ ٢٧ ٢١ شمالا، و خط طول ٣٠ ٥١ ٣٩ درجة شرقا. و يقع جبل الرحمة فى الجنوب الشرقى من نقطة وسط الكعبة و ينحرف اتجاهه عنها بنحو ٦٤ درجة من الجنوب نحو الشرق و هو على خط عرض ٨ ٢١ ٢١ درجة شمالا و خط الطول ٢٧ ٥٨ ٣٩ درجة شرقا. و أما نقطة وسط الكعبة و هى نقطة تقابل قطريها فتقع على خط عرض ١٥ ٢٥ ٢١ درجة شمالا، و خط الطول ٣١ ٤٩ ٣٩ شرقا.

و مرفق بهذا لوحة مكة مقياس ١٠٠ / ١ مبنيا عليها مواقع الأمكنة المذكورة مؤشرا عليها بالخط الأحمر.

٣- و قد قمنا بتبيان الاتجاه نحو الكعبة من الشمال الحقيقى نحو الشرق بالدرج على حافة لوحة المسجد الحرام و ما حوله مقياس ١ / ٥٠٠ المرفقة بهذا بحيث يمكن تعيين الاتجاه نحو الكعبة فى أى مكان و ذلك بتوصيل خط من نقطة منتصف الكعبة إلى هذا المكان و مده حتى يقابل حافة اللوحة فىكون الدرج المبين بها عند نقطة التقابل هو مقدار انحراف الكعبة فى هذا المكان من الشمال نحو الشرق. و ينحرف الشمال المغناطيسى عن الشمال الحقيقى فى مكة المكرمة بدرجتين نحو الشرق، فإذا أريد استعمال البوصلة يطرح هذا المقدار من الانحراف الحقيقى المستخرج من اللوحة فىكون الناتج هو مقدار انحراف الكعبة عن الشمال المغناطيسى للمكان المطلوب.

٤- و نظرا لأن المسافة بين نقطة منتصف الكعبة و كل من الباب أو الميزاب أو أى مكان آخر بها صغيرة جدا تكاد لا تذكر إذا ما قورنت ببعدها المسافة بين الكعبة و أى بلد من البلدان الأخرى التى تقام بها الصلاة فإن هذه المسافة لا تؤثر فى اتجاه المصلى، و على ذلك تصبح الكعبة كلها كأنها نقطة واحدة بالنسبة للمصلى فى أى بلد آخر.

هذا هو نص إجابته مصلحة المساحة المصرية، وحيث أن هذه الإجابة هي من الأهمية بمكان بالنسبة لكل مسلم فقد رأينا من اللازم أن نضعها في مؤلفاتنا كلها وبالله التوفيق. انتهى من كتاب إرشاد الزمرة لمناسك الحج والعمرة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٠٧

### اختلاف بنايات الكعبة و ترميمها

لقد تقدم أن الكعبة المعظمة بنيت إحدى عشرة مرة، منذ بناء الملائكة و آدم عليه السلام إلى بناء السلطان مراد بن السلطان أحمد عام ألف و أربعين من الهجرة، فإذا دققنا النظر رأينا أن ما وقع لبيت الله الحرام من البنائات الإحدى عشرة منذ آلاف السنين والأعوام ليس بشيء يذكر، وإن مكته سليما قائما دهرًا طويلا ما هو إلا كرامة له، و سر اختصه الله به فلو كثر خرابه و ترميمه كل وقت لأدى ذلك إلى تهاون الناس باحترامه و تعظيمه.

أما اختلاف البنائات فيه بالصفة التي ذكرناها فيما تقدم فليس في ذلك بأس ما دام البناء لم يخرج عن الأساس الأول و لم يتحول عن قواعد إبراهيم عليه السلام، فاتباع الأساس هو الشرط الأول، أما البناء على صفة مخصوصة فإنه لم يرد من الشارع، فهذه قريش نقصت من طوله من جهة الحجر لقله النفقة الحلال التي جمعوها لبنائه و طولت من ارتفاعه و رفعت بابه عن الأرض و سقفته و لم يكن له سقف، و قد كان النبي صلى الله عليه و سلم يشتغل معهم في بنائه و هو حينئذ في الخامسة و الثلاثين من عمره الشريف.

ثم نقص عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما بناء قريش و بنى الكعبة على الصفة التي تمنها رسول الله صلى الله عليه و سلم فإنه قال لعائشة رضى الله عنها: «يا عائشة لو لا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه و أزرته بالأرض و جعلت له بابين بابا شرقيا و بابا غربيا فبلغت به أساس إبراهيم» رواه البخارى في صحيحه، فبموجب هذا الحديث الذى سمعه ابن الزبير من خالته عائشة بنى الكعبة بعد احتراقها تحقيقا لأمنية النبي صلى الله عليه و سلم و رغبته و جعل له بابين لاصقين بالأرض أحدهما للدخول و الآخر للخروج، و جعل لها أربعة أركان بعد أن كان لها ركنان فقط و كان إذا طاف استلم الأركان الأربعة جميعا و قال: إنما كان ترك استلام هذين الركنين الشامى و الغربى لأن البيت لم يكن تاما «أى أن جداره الذى من جهة الحجر كان مدورا من غير أركان» فلم تزل الأركان الأربعة حتى قتل رضى الله عنه و جعل في بطنه درجة من خشب يصعد منها إلى سطحها و جعل ارتفاعها من الأرض للسماء سبعة و عشرين ذراعا.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٠٨

قال الأزرقى في تاريخه: و كانت الكعبة يوم هدمها ابن الزبير ثمانية عشر ذراعا فى السماء، و لما أن بلغ ابن الزبير بالبناء ثمانية عشر ذراعا قصرت بحال الزيادة التى زاد من الحجر فيها و استسمح ذلك إذ صارت عريضة لا طول لها فقال: قد كانت قبل قريش تسعة أذرع حتى زادت قريش فيها تسعة أذرع طولا فى السماء فأنا أزيد تسعة أذرع أخرى فبناها سبعة و عشرين ذراعا فى السماء.

و الحقيقة أن ابن الزبير قد أحسن فى زيادة ارتفاعها للسماء و حتى يكون ارتفاعها ملائما لطولها و عرضها و بذلك يكون شكل الكعبة جميلا، و لا حرج فى الزيادات المستحسنة اللاتئة ما دام البناء على قواعد إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام.

و لما قتل ابن الزبير و دخل الحجاج الثقفى مكة استأذن من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان أن يرد الكعبة على ما كانت عليه فى الجاهلية فأمره عبد الملك أن يهدم ما زاده ابن الزبير و أن يسد بابها الغربى، و يجعلها كسابق عهدنا ظنا منه أن ابن الزبير إنما بناها على حسب رغبته و اجتهاده، فلما تبين له أنه بناها للحديث السابق الذى سمعه من خالته عائشة رضى الله عنها، ندم على هدمها و ردها على البنيان الأول و جعل ينكت منكسا بقضيب فى يده ساعة طويلة ثم قال: وددت و الله لو أنى تركت ابن الزبير و ما تحمل من ذلك.

فأنت ترى أن هذه البناءات كلها مبنية على أساس إبراهيم عليه السلام أما الزيادات التي حصلت فيها فإنما هي زيادات في صفة البناء لا في الأساس والقواعد.

أما بناء الكعبة لخراب أصابها فإنه يجب بناؤها و تعمیرها وإصلاحها إذ لا يعقل تركها على خرابها وهي قبله المسلمين وبيت الله المعظم، و فيما يأتي من قول عبد الله بن الزبير دليل واضح على هذا، و ناهيك بعبد الله بن الزبير الذي أبوه من العشرة المبشرين بالجنة و أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عن الصحابة أجمعين، فقد روى الأزرقى فى تاريخه: أن ابن الزبير لما أراد أن يهدم الكعبة و بينها دعا وجوه الناس و أشرفهم و شاورهم فى هدمها فأشار عليه ناس غير كثير بهدمها و أبى أكثر الناس هدمها، و كان أشدهم عليه إباء عبد الله بن عباس فقد قال له: دعها على ما أقرها عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم فإنى أخشى أن يأتى التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٠٩

بعدك من يهدمها فلا تزال تهدم و تبنى فيتهاون الناس فى حرمتها و لكن أرقعها، فقال ابن الزبير: و الله ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه و أمه فكيف أرقع بيت الله سبحانه و أنا أنظر إليه ينقض من أعلاه إلى أسفله حتى أن الحمام ليقع عليه فتتناثر حجراته، ثم أجمع على هدمها و كان يجب أن يكون هو الذى يرداها على ما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم على قواعد إبراهيم و على ما وصفه رسول الله صلى الله عليه و سلم لعائشة رضى الله عنها. اه.

و لما عزم على هدمها خرج أهل مكة منها إلى منى فأقاموا بها ثلاثة أيام خوفا من أن ينزل عليهم عذاب لهدمها، و لم يقرب ابن عباس مكة حين هدمت حتى فرغ منها و أرسل إلى ابن الزبير يقول له: لا تدع الناس بغير قبلة انصب لهم حول الكعبة الخشب و اجعل عليها الستور حتى يطوف الناس من ورائها و يصلون إليها ففعل ابن الزبير ذلك.

و لقد أراد أمير المؤمنين هارون الرشيد أو أبوه المهدي أو جده المنصور أن يهدم الكعبة و يرداها إلى بناء ابن الزبير لكنه حينما سأل إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضى الله عنه عن ذلك منعه و قال له: ناشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا- تجعل بيت الله ملعبة للملوكة لا يشاء أحد أن يهدمه إلا هدمه و بناه فتذهب هيئته من صدور الناس.

و لقد أراد أيضا السلطان أحمد بن السلطان محمد بن مراد بن سليم الثانى من سلاطين آل عثمان أن يهدم الكعبة حين تصدع جدارها الشرقى و جدارها الغربى و بينها و يجعل حجارتها ملبسة واحدا بالذهب و واحدا بالفضة فمنعه العلماء من ذلك و قالوا يمكن حفظ هذه الجدران بنطاق يلم هذا الشعث فعمل لها نطاقا من النحاس الأصفر مغلفا بالذهب و أنفق عليه نحو ثمانين ألف دينار و جرى تركيبه عليها فى أواخر عام العشرين بعد الألف و أوائل العام الذى بعده كما جاء ذلك فى الملحقات التى بآخر الجزء الأول من تاريخ الأزرقى المسمى «أخبار مكة و ما جاء فيها من الآثار» المطبوع بالمطبعة الماجدية بمكة المكرمة سنة (١٣٥٢) هجرية و الذى منع السلطان محمدا من ذلك هو شيخ الإسلام المولى محمد بن سعد الدين و قال له: هذا يزيل حرمة البيت و لو أراد الله سبحانه و تعالى لجعله قطعة من الياقوت، فكف السلطان عن ذلك، كما ذكره الغازى نقلا عن السالنامة الحجازية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢١٠

فالكعبة المشرفة إذا حدث فيها خلل أو صدع أو حرق أو وقوع بعض جدرانها و حجارتها، فإنه تجب المبادرة إلى تعمیرها و إصلاحها إصلاحا تاما محكما من المال الحلال و بشتى مواد البناء الطاهرة من حجارة و طين و نورة و إسمنت و حديد و غير ذلك، فإن الله تعالى يحسن إلى المصلحين و يأجرهم على أعمالهم، و هذا الوليد بن المغيرة قال لقريش حينما أرادوا بناء الكعبة و لكنهم هابوا هدمها:

أتريدون بهدمها الإصلاح أم الإساءة؟ قالوا: بل نريد الإصلاح، قال: فإن الله لا يهلك المصلحين، ثم ارتقى الوليد على جدار البيت و معه الفأس فقال: اللهم إنا لا نريد إلا الإصلاح ثم هدم و هدمت قريش معه.

و لو أراد الله تعالى أن لا يمسها مخلوق بالتعمير و الإصلاح لجعلها قطعة واحدة من الجواهر الثمينة و الأحجار الكريمة، لا تزحزحها

الرياح ولا يؤثر فيها حدثان الزمان، حتى يرث الله الأرض و من عليها و هو خير الوارثين، و لكنه جل جلاله و تقدست أسماؤه وضع بيته الحرام بمكة و خص من شاء من عباده برفع قواعده و تعميره، و توجه بالهيبة و الجلال حتى يطوف به السعداء من أهل الأرض كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور.

و لقد خص الله تعالى بيته الحرام بالمهابة و التعظيم، و الإجلال و التكريم، و أحاطه بالأسرار القدسية، و الأنوار الإلهية، يقف عنده الزائر خاشعا خاضعا، و يطوف به الجبار ذليلا متواضعا، و يقوم لديه المذنب منكسرا باكيا، و يتهلل المضطر إلى الله أمامه راجيا داعيا فعندها تستجاب الدعوات و تقال العثرات و تسكب العبرات. قال بعض الفضلاء:

في البيت أنواع فضل لست أحصرها و صاحب البيت أدري بالذي فيه

من جاءه خائفا من سوء زلته فإن للبيت ربا سوف يحميه

و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا رأى البيت يقول: «اللهم زد هذا البيت تشريفا و تعظيما و تكريما و مهابة و زد من شرفه و كرمه ممن حجه و اعتمره تشريفا و تعظيما و تكريما و برا». و كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا رأى البيت قال: اللهم أنت السلام و منك السلام فحينما ربنا بالسلام.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢١١

### صفة أشهر بنايات الكعبة المعظمة كيفية بناء إبراهيم عليه السلام

بنى إبراهيم عليه الصلاة و السلام الكعبة بحجارة بعضها فوق بعض من غير طين و لا-جص، و حفر فى باطنها على يمين من دخلها حفرة عميقة كالبرق يلقى فيها ما يهدى إليها تكون خزائنها لها، و كان عمقها ثلاثة أذرع كما ذكره الأزرقى، و لم يجعل للكعبة سقفا و لا بابا من خشب أو غيره و إنما ترك لمكان الباب فتحة فى جدارها الشرقى للدلالة على وجه البيت. فأول من جعل للكعبة بابا يغلق أسعد الحميرى، و هو من تبع أحد ملوك اليمن قبل البعثة بزمن بعيد، و هو أول من كساها كسوة كاملة و نحر عندها.

و السبب فى بنائها بتلك الكيفية أنهم كانوا على الفطرة لا يعرفون الخيانة و لا السرقة، و ما كان عندهم من الأموال و الذهب و الفضة ما يسرق، و ما كانوا يسكنون فى تلك العصور الأولى كما نسكن نحن فى البيوت المنيعة و القصور المشيدة.

و قد كان بناء إبراهيم للكعبة من خمسة جبال من طور سيناء و طور زيتاء و لبنان و الجودى و حراء.

فطور زيتاء و طور تيناء: هما جبلان ببيت المقدس قاله الثعالبي. أما لبنان:

فجبل بالشام و يقال له جبل الأولياء. اه من شرح عامود النسب و هو مخطوط غير مطبوع.

و كانت الملائكة تأتيه بالحجارة من تلك الجبال، فكان هو بينى و إسماعيل يناوله الحجارة، فبناها على أساس آدم و هذا الأساس حجارته من جبل حراء كانت الملائكة تأتي بها و تقذف فيه و هو المسمى بالقواعد، و قد جعل إبراهيم عليه السلام للكعبة ركنين فقط: الركن الأسود و الركن اليمانى و لم يجعل لها أركاناً من جهة الحجر بل جعلها مدورة على هيئة نصف دائرة كجدار الحجر، و جعل الحجر إلى جنبها عريشا من أراك تقتحمه غنم إسماعيل فكان زربا لغنمه، و جعل الباب لاصقا بالأرض و غير مبوب، و جعل ارتفاعها من الأرض فى السماء تسعة أذرع، و جعل عرض جدار وجهها الذى فيه الباب اثنين و ثلاثين ذراعا، و عرض

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢١٢

الجدار المقابل له إحدى و ثلاثين ذراعا، و عرض الجدار الذى فيه الميزاب جهة الحجر اثنين و عشرين ذراعا و عرض الجدار المقابل له عشرين ذراعا. و ما ذكره صاحب كتاب تاريخ الكعبة المعظمة بأن إبراهيم عليه السلام جعل لها بايين هو و هم منه، و الصواب أنه جعل لها بابا واحدا فقط كما يظهر ذلك عند التأمل فى كتب التاريخ.



وقد يتساءل بعضهم: لم بنى سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الكعبة المعظمة بالرضم من غير طين ولا جص ولم يجعل لها سقفا من الخشب أو غيره، ولم لم يجعل لها بايين أحدهما للدخول والآخر للخروج، ولم جعل حجر إسماعيل مدورا، وجعله من شجر الأراك ولم يبنه بالرضم، ولماذا ما كسى البيت الحرام بعد الفراغ من بنائه؟.

(فالجواب) والله تعالى أعلم بالصواب: هو أن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه بنى الكعبة الغراء بالرضم من غير طين ولا جص ومن غير سقف ولا-باب لأن ذلك العصر القديم لم يكن فيه شيء من وسائل البناء وأسباب الحضارة فمن أين يأتي بالأدوات الحديدية المختلفة لحفر الأرض وخط الطين ونشر الخشب ودق المسامير؟ وما دام لم يكن بمكة سوى إبراهيم وابنه عليهما الصلاة والسلام، ونفر من قبيلة جرهم، وما دام باطن الكعبة ترابا وجدرانها من حجارة الصخور، فلا لزوم لعمل سقف لها ولا لعمل باب يغلقت عليها، كما لا لزوم لعمل مدخلين فيها للدخول وللخروج لقلّة السكان بمكة.

وأما جعله حجر إسماعيل مدورا كما هو الآن فليتناسب شكله شكل جدار الكعبة المقابل للحجر الذي كان مدورا أيضا ولينتهي إليه حدود البيت. وأما جعله من شجر الأراك من غير أن يجعله مبنيا بالرضم فليعلم أنه تابع للبيت ومن حدوده من غير أن يدخل في ذات بنائه.

ولم يكس البيت لأنه لم يؤمر بذلك، ثم لم تكن مكة عامرة بالناس إنما بها نفر من جرهم وما كانوا يعرفون صناعة النسيج في ذلك الزمن حتى يخطوا له ثوبا.

وعلى كل حال فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يعملون شيئا مما له مساس في الدين إلا بأمر الله تعالى. هذا ما ظهر لنا والله أعلم بالغيب.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢١٣

### كيفية بناء قريش

وأما قريش فقد بنت الكعبة قبل بعثته رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين على الأشهر، أى سنة خمس و ثلاثين من ولادته عليه الصلاة والسلام.

ولقد اشترك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قريش في بناء بيت الله المعظم فكان يحمل الحجارة على كتفه ولما وصل البناء إلى محل الحجر الأسود اختلفوا فيما بينهم على من يضعه في مكانه ثم اتفقوا على أن يضعه النبي الأمي الأمين فوضعه صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة وأحكم محله كما هو مفصل في كتب السير، ثم إن قريشا نقصوا من عرض الكعبة من جهة الحجر ستة أذرع و شبرا لقلّة النفقة الحلال التي جمعوها لعمارتها وأداروا على الحجر جدارا قصيرا يطوف الناس من ورائه، وجعلوا بابها مرتفعا عن الأرض وكسوه بالحجارة حتى لا تدخل السيول فيها وحتى يدخلوا فيها من شاءوا ويمنعوا من أرادوا، وجعلوا الباب مصراعا واحدا وأبقوا فيها جب الكعبة: أى خزانتها التي يلقي فيها ما يهدى إليها، وجعلوا في داخلها ست دعائم في صفين في كل صف ثلاث دعائم، وجعلوا لها سقفا وميزابا من الجهة الشمالية مصبه على حجر إسماعيل عليه السلام، وكانت قبل ذلك بلا سقف وجعلوا ارتفاعها من الأرض إلى السماء ثمانية عشر ذراعا، وجعلوا لها ركنين ولم يجعلوا لها أركانا من جهة الحجر بل جعلوها مدورة على صفة بناء إبراهيم عليه السلام، وكان الناس كذلك يبنون بيوتهم مدورة تعظيما للكعبة، فأول من بنى بيتا مربعا حميد بن زهير فقالت قريش: ربع حميد بيتا إما حياة وإما موتا، وبعد أن تم بناؤها كسوها كسوة معتبرة.

ولقد كان أول من جعل للكعبة سقفا بعد إبراهيم عليه السلام، قصى بن كلاب فإنه سقفاها بخشب الدوم الجيد وجريد النخل حين بناها، ثم صارت بعده بلا سقف إلى أن بنتها قريش فسقفتها بخشب الدوم وجريد النخل أيضا، وقصى بن كلاب هو الجد الرابع

للنبي صلى الله عليه وسلم.

و كان سبب بناء قريش للكعبة أن امرأة منهم أجمرت الكعبة، أي بخرتها، و المجرمة المبخره، فطارت شرارة من مجمرتها في كسوتها فاحترقت و تصدعت و توهنت جدرانها من كل جانب، و كانت الكعبة قبل بناء قريش مبنية برضم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢١٤

يابس ليس بمدرد تدلى الكسوة على الجدر من خارج و تربط من أعلى الجدر من باطنها فبنتها قريش بالطين و الذى بناها لهم اسمه «باقوم الرومى».

### كيفية بناء ابن الزبير

أما عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فإنه بعد أن استخار الله تعالى ثلاثة أيام هدم الكعبة كلها حتى ألصقها و سواها بالأرض و كشف عن أساس إبراهيم عليه السلام فوجده داخلا فى حجر إسماعيل نحو من ستة أذرع و شبر فبناها على أساسه و على ذرعه لدليل استند عليه و هو الحديث الذى سمعه من خالته عائشة رضى الله عنها، و هو جاء فى صحيح مسلم فى كتاب الحج فى باب نقض الكعبة و بنائها عن سعيد بن ميناء قال: سمعت عبد الله بن الزبير يقول: حدثتني خالتي - يعنى عائشة - قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة لو لا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض و جعلت لها بايين، بابا شرقيا و بابا غربيا، و زدت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة. فلما بناها ابن الزبير زاد فى طولها إلى السماء حتى صار سبعا و عشرين ذراعا ليتناسب مع عرضها، و جعل لها بايين لاصقين بالأرض من جهتي الشرق و الغرب أحدهما يدخل منه و الآخر يخرج منه، و جعل طول كل منهما أحد عشر ذراعا و جعل لكل منهما مصراعين، و جعل للكعبة أربعة أركان و قد كان لها ركنان فقط الركن الأسود و الركن اليماني، فكانت أركانها الأربعة تستلم فى زمانه حتى قتل رضى الله تعالى عنه، و جعل لها درجة فى بطنها فى الركن الشامى من خشب معرجة يصعد فيها إلى ظهرها و حلاها بالذهب، و جعل فى سطحها ميزابا يسكب فى الحجر، قيل إن ابن الزبير بنى الكعبة بالقصة، بفتح القاف، أى الجص أتى بها من صنعاء، و قيل إنه بناها بالرصاص المذاب المخلوط بالورس: و هو نبت أصفر يزرع باليمن و يصبغ به.

(فإن قيل): لم كانت أركان الكعبة الأربعة تستلم فى زمانه، و لم تكن تستلم قبل ذلك و لا بعد وفاته؟

(فتقول و الله تعالى أعلم): لما كان بناء قريش لم يتم على قواعد إبراهيم عليه السلام حيث نقصوا من عرض الكعبة من جهة الحجر نحو ستة أذرع لم يستلم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢١٥

رسول الله صلى الله عليه وسلم الركنين اللذين من جهة الحجر فلم يستلمها أحد من الصحابة اقتداء به صلى الله عليه وسلم.

فلما بنى عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما الكعبة على أساس إبراهيم صلوات الله و سلامه عليه رأى باجتهاده و اجتهاد بعض كبار الصحابة الموجودين فى زمانه أن يستلموا جميع أركان الكعبة ما دامت أقيمت على قواعد إبراهيم كما كان يتمنى النبي صلى الله عليه وسلم بناءها على قواعد.

فلما قتل ابن الزبير رضى الله عنهما و هدم الحجاج ما زاده ابن الزبير من الكعبة فبناها على أساس قريش ترك الناس استلام أركانها الأربعة و لزموا استلام الركنين فقط الأسود و اليماني كما كان ذلك فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لا يزال الناس كذلك إلى أن تقوم الساعة.

هذا ما فهمناه مما ورد فى صحيح البخارى فى كتاب بدء الخلق بعد قصة مجيء إبراهيم عليه السلام بهاجر و إسماعيل إلى مكة و بنائه

للبيت الحرام. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٢-٣؛ ص ٢١٥

د جاء فيه أن ابن أبي بكر أخير عبد الله بن عمر عن عائشة رضى الله عنهم زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألم ترى أن قومك بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟ فقلت: يا رسول الله ألا تردّها على قواعد إبراهيم؟ فقال: لو لا حدثان قومك بالكفر، فقال عبد الله بن عمر: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا- أن البيت لم يتم على قواعد إبراهيم. اه. فمن قول ابن عمر رضى الله عنهما استنتجنا ما ذكره الله تعالى أعلم. وهذا الحديث فى صحيح مسلم أيضا فى كتاب الحج.

هذا فلما فرغ عبد الله بن الزبير من بناء الكعبة خلق جوفها بالعنبر والمسك و لطح جدارها بالمسك من الخارج من أعلاها إلى أسفلها و سترها بالديباج و قيل بالقباطى، و هى ثياب من كتان تعمل بمصر و كان ذلك اليوم يوما مشهودا لم ير يوم كان أكثر عتقا و لا أكثر بدنة منحورة و لا شاء مذبوحه من ذلك اليوم، و خرج ابن الزبير ماشيا حافيا و خرج معه كثير من قريش مشاة حتى وصلوا إلى مسجد عائشة بالتنعيم فأحرموا بالعمرة شكرا لله تعالى على ما وفقهم لبناء بيته الحرام على الصفة التى بناها إبراهيم عليه الصلاة و السلام.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢١٦

و سبب بناء ابن الزبير الكعبة أن رجلا- فى أيام الحصار أوقد نارا فى بعض الخيام المضروبة فى المسجد الحرام فطارت شرارة فى الخيمة فمشى الحريق حتى أخذ فى كسوة الكعبة فاحترقت و احترق الركن الأسود أيضا و ذلك سنة أربع و ستين هجرية.

### كيفية بناء الحجاج الثقفى

#### إشارة

أما الحجاج بن يوسف الثقفى فإنه بعد محاصرة ابن الزبير و قتله كتب إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يخبره أن ابن الزبير زاد فى الكعبة ما ليس منها و أحدث فيها بابا آخر و استأذنه فى رد ذلك على ما كان عليه فى الجاهلية فكتب إليه عبد الملك أن يسد بابها الغربى و يهدم ما زاد فيها ابن الزبير من الحجر و يكبسها على ما كانت عليه، ففعل الحجاج ذلك و هدم من الكعبة ستة أذرع و شبرا مما يلي الحجر فقط و بناها على أساس قريش و ترك سائرهما لم يحرك منها شيئا و بذلك اتسع الحجر و جعل لها أربعة أركان على هيئة بناء ابن الزبير و سد الباب الغربى الذى فى ظهرها و نقص من طول الباب أربعة أذرع و شبرا فصار طوله ستة أذرع و شبرا، و رفع الباب الشرقى عن الأرض و ذلك سنة أربع و سبعين هجرية.

و لا- تظن أن الحجاج حسد ابن الزبير على بنائه الكعبة أو أراد محو آثار بنائه لأنه وقف فى وجهه و حاربه كلا، فإن امتداد الأيدى بالتلاعب ببيت الله تعالى لن يكون من أحد من المسلمين لغرض نفسانى و معاندة لخصم، و إنما إخباره عن بناء ابن الزبير رضى الله عنهما للكعبة لأمر المؤمنين عبد الملك بن مروان واجب لأنه نائبه فى الحجاز فلا بد أن يخبره بكل ما حدث من الأمور، و يدل على ما ذكر ما جاء فى صحيح مسلم فى كتاب الحج فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك و يخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العدول من أهل مكة فكتب إليه عبد الملك أنا لسنا من تلطخ ابن الزبير فى شىء الخ .. فهذه الجملة من الحجاج تدل على حكمه بصواب بناء ابن الزبير الكعبة لكن عبد الملك بن مروان لم يرض بذلك.

فكل شىء فيها من بناء ابن الزبير رضى الله عنه إلا الجدار الذى فى الحجر فإنه من بناء الحجاج و كذلك ما تحت عتبة الباب الشرقى إلى الأرض و الدرج الموصلة لسقف الكعبة من داخلها و البابان اللذان عليها هما أيضا من بناء و عمل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢١٧

الحجاج، و لقد بقيت الكعبة على عمارة الحجاج إلى زمن السلطان مراد كما سيأتى.

و كان حجر إسماعيل فى بناء إبراهيم عليهما السلام، و فى بناء ابن الزبير صغيرا و مقداره فىهما واحدا أما فى بناء قريش و فى بناء الحجاج فكان واسعا و مقداره فىهما واحدا بالصفة التى هو عليها اليوم، لأن الحجاج بنى الكعبة بالصفة التى بنتها قريش و هى كانت نقصت من الكعبة من جهة الحجر ستة أذرع و شبرا و بذلك اتسع الحجر.

### سبب بناء الحجاج الكعبة

يظن بعضهم أن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان لم يأمر الحجاج بهدم ما زاده ابن الزبير فى الكعبة إلا للخصومة التى كانت بينهما، و لكن هذا الظن ليس فى محله، و يبعد على جميع المسلمين و بالأخص أهل القرن الأول الذين هم خير القرون أن تمتد أيديهم إلى بيت الله الحرام بالهدم و البناء اتباعا لهوى النفس و نکالا- بالخصم، بل إنهم لا يجروون على بنائه و تعميره إلا فى حالة الاضطرار و النهاية القسوى و بعد الاستشارة و استفتاء العلماء.

و حقيقة الأمر: أن عبد الملك بن مروان ما أمر الحجاج بذلك إلا ظنا منه أن ابن الزبير لما احترقت الكعبة فى أيام حصاره هدمها و بناها على حسب رغبته و اجتهاده و يدل على ذلك ما ذكره الإمام الأزرقى فى تاريخه فإنه قال: فلما فرغ الحجاج من هذا كله، أى بناء الكعبة وفد بعد ذلك الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك: ما أظن أبا خبيب، يعنى ابن الزبير سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمع منها فى أمر الكعبة، فقال الحارث: أنا سمعته من عائشة، قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: سمعتها تقول:

قال لى رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن قومك استقصروا فى بناء البيت و لو لا حدثه عهد قومك بالكفر أعدت فيه ما تركوا منه فإن بدا لقومك أن بينوه فهلمى لأريك ما تركوا منه، فأراها قريبا من سبعة أذرع، و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: و جعلت لها بايين موضوعين على الأرض: بابا شرقيا يدخل الناس منه و بابا غربيا يخرج الناس منه» قال عبد الملك بن مروان: أنت سمعتها تقول هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين أنا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢١٨

سمعت هذا منها. قال: فجعل ينكت منكسا بقضيب فى يده ساعة طويلة ثم قال: وددت و الله أنى تركت ابن الزبير و ما تحمل من ذلك. انتهى من الأزرقى.

فهذا دليل واضح أن عبد الملك ما كان يعلم أن ابن الزبير بنى الكعبة بموجب الحديث الذى سمعه من خالته عائشة رضى الله عنها، فلما ثبت ذلك عنده و تحقق لديه ندم على فعله، فإذا تأملت فى الحديث المذكور لمع لك بارق المعجزة النبوية، فى قوله صلى الله عليه و سلم لعائشة: «فإن بدا لقومك أن بينوه فهلمى لأريك الخ...» معجزة باهرة على أن الكعبة ستبنى بعد وفاته، و فى إخباره لها بذلك بالأخص إشارة إلى أن بناءها يكون فى حياتها و أن الذى سيبنها هو من أقاربها فإن عبد الله بن الزبير هو ابن أختها أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنه و قد تحقق كل ذلك، و كلتا الإشارتين تحققتا بعد موته صلى الله عليه و سلم بثلاث و خمسين سنة.

### كيفية عمارة السلطان مراد الرابع

أما عمارة السلطان مراد الرابع ابن السلطان أحمد من سلاطين آل عثمان، فسببها أنه فى الساعة الثانية العريية من صباح يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر شعبان عام ألف و تسع و ثلاثين نزل مطر عظيم بمكة المكرمة و ضواحيها لم يسبق له نظير، فدخل السيل المسجد الحرام و وصل إلى ارتفاع مترين عن قفل باب الكعبة، و فى عصر اليوم التالى أى يوم الخميس سقط الجدار الشامى من الكعبة بوجهيه و انجذب معه من الجدار الشرقى إلى حد الباب الشامى و لم يبق سواه و عليه قوام الباب، و من الجدار الغربى من الوجهين نحو السدس و من هذا الوجه الظاهر فقط منه نحو الثلثين و بعض السقف و هو الموالى للجدار الشامى.

و يقول محبنا و جارنا المؤرخ الثقة الشيخ عبد الله الغازي الهندي المكي رحمه الله تعالى في تاريخه: و هذا الذي سقط من الجانب الشامي هو الذي بناه الحجاج الثقفي و سقطت أيضا درجة السطح. اه كلامه، فقوله هذا صحيح مطابق للحقيقة.

ثم أمر السلطان مراد رحمه الله تعالى ببناء الكعبة المشرفة فتم بناؤها في شهر رمضان سنة أربعين و ألف على صفة بناء الحجاج رحمه الله تعالى، فعمارة السلطان مراد للكعبة هي العمارة الأخيرة إلى يومنا هذا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢١٩

و اعلم أن بين بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة و بين بناء قريش (٢٦٤٥) ألفى سنة و ستمائة و خمسا و أربعين سنة، كما نقله البخاري في تاريخه عن الحلبي.

أما بين بناء قريش و بين بناء ابن الزبير، فاثنتان و ثمانون سنة، و بين بناء ابن الزبير و عمارة الحجاج الثقفي عشر سنين، و بين عمارة الحجاج و عمارة السلطان مراد تسعمائة و ست و ستون سنة.

و من أراد الوقوف على تفاصيل عمارات الكعبة كلها فليراجع كتب التاريخ، فإننا لم نذكر هذه الخلاصات لبعض العمارات إلا للمناسبة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين (و بعد) فيقول محمد طاهر بن عبد القادر بن محمود الكردي المكي الخطاط كاتب مصحف مكة المكرمة و واضع التفسير المكي غفر الله تعالى له و لوالديه و للمسلمين كافة، أنه لما كانت الأنفس المهذبة تميل عادة إلى الشعر، و تستحلي سماع القريض و إنشاده خصوصا ما كان منه سهلا مستملحا فقد عملنا منظومة لطيفة في صفة أشهر البنايات للكعبة المعظمة، و أشهرها خمسة و هي:

١- بناية خليل الله إبراهيم عليه الصلاة و السلام.

٢- بناية قريش.

٣- بناية عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما.

٤- بناية الحجاج بن يوسف الثقفي.

٥- بناية السلطان مراد خان الرابع من سلاطين آل عثمان.

ثم أضفنا إليها ما وقع في زماننا هذا من تجديد سقفي الكعبة المعظمة «الأعلى و الأدنى» و ترميمها من الداخل و الخارج، و كان ابتداء العمل في بيت الله الحرام في اليوم الثامن عشر من شهر رجب سنة (١٣٧٧) ه ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية، و ذلك تنفيذاً لأمر حضرة صاحب الجلالة ملكنا المعظم، الملك سعود بن عبد العزيز الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية وفقه الله تعالى و أعزه، حيث بلغه حصول تصدع في سقفي الكعبة المشرفة و خلل في أعواد السقفين، فأمر بتشكيل هيئة علمية مضافاً إليها بعض المهندسين المعماريين، و بعد رفع القرار منهم لجلالته بضرورة المبادرة للإصلاح و آرائهم في طريقة العمل.

أمر جلالتة حفظه الله تعالى وزير الدولة الشيخ محمد عوض بن لادن بتنفيذ القرار المشار إليه بجد و إخلاص، فباشرنا هذا العمل المبرور بهمة و نشاط ليلا و نهاراً، و قد كان الناس من أهل مكة و غيرهم من المقيمين بها يبادرون في خدمة بيت الله الحرام بنقل الحجارة و رفع التراب و الأخشاب، بإخلاص عظيم و فرح كبير، مسبحين و مهللين و مكبرين في غدوهم و رواحهم.

و لقد تشرف صاحب هذه المنظومة محمد طاهر الكردي الخطاط و ولده عبد الرحمن الكردي بالخدمة و البناء قليلاً في الكعبة المطهرة، و بالوقوف على العمل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٢١

فيها يوماً فيوما حتى انتهاء العمارة، كما فصلنا بيان كل ذلك في كتابنا «التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم» الذي سنطبعه قريباً إن

شاء الله تعالى.

و كان انتهاء العمل فى الكعبة المشرفة تماما فى اليوم الثامن والعشرين من شهر شعبان من السنة المذكورة سنة (١٣٧٧) هجرية. و بمناسبة الانتهاء من عمارة سقفى الكعبة المشرفة، ما عدا بعض الأعمال الخفيفة، دعا مليكنا «سعود» حفظه الله تعالى، سفراء و وزراء الدول العربية و الإسلامية لحضور الاحتفال بانتهاء العمل فى الكعبة المعظمة.

و فى صباح يوم الأحد الثانى عشر من شعبان من السنة المذكورة حضر إلى المسجد الحرام مليكنا المعظم «سعود» و بصحبته جمع كبير من العلماء و الأمراء و الوزراء و السفراء و كثير من أهل مكة و غيرهم، فدخلوا الكعبة المعظمة وصلوا فيها و كل واحد دعا ربه بما أراد و أحب، و قد عطر مليكنا، حفظه الله تعالى، و الحاضرون جدران الكعبة بالعطر الأسمى الغالى، ثم ألقى مليكنا أدام الله توفيقه خطبة قصيرة من جوف الكعبة حمد الله و أثنى عليه على ما وفقه لعمارة بيته الحرام، و قد تشرف صاحب هذه المنظومة و مؤلفها بتعطير جدار الكعبة، شرفها الله تعالى، و كان يقرأ فى جوف الكعبة مدة وجود الناس بها فى هذا اليوم فى ميكروفون الإذاعة بعض الآيات القرآنية المناسبة للمقام مع التسيح و التهليل و التكبير. و الحمد لله رب العالمين.

و يظن بعض الناس أنه حصل فى جدران الكعبة المشرفة تصدع و تشقق و خلل، كلا إن جدران الكعبة مبنية بالحجارة القوية الصماء المأخوذة من جبال مكة المشرفة، قد يبلغ طول بعض حجارتها مترا واحدا مع العرض المناسب، و بعضها أقل من المتر، كما بينا ذلك فى تاريخنا المذكور، بل لقد بينا عدد ما يوجد فى بناء جدران الكعبة من الحجارات من الجهات الأربعة. إن بناء جدران الكعبة المعظمة قوية متينة إلى أقصى حد، إن بناها سيبقى و يدوم، إن شاء الله تعالى، إلى ألف سنة. و هذا البناء الحالى الموجود اليوم هو بناء السلطان مراد خان الرابع أحد سلاطين آل عثمان الأتراك، رحمه الله تعالى و أجره و ثوابه، بناها فى سنة (١٠٤٠) ألف و أربعين هجرية حينما سقطت الكعبة بسبب السيل العظيم الذى دخل المسجد الحرام، كما بينا كل ذلك بالتفصيل التام فى تاريخنا المذكور.

إن بناية الكعبة الحالية لا يؤثر فيها ضرب المدافع.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٢٢

نسأل الله تعالى أن يتقبل من جلاله مليكنا المعظم هذا العمل الجليل و أن يعمر قلبه بالإيمان و التقوى، كما نسأله عز شأنه أن يجعل هذا العمل المبرور فاتحة خير و يمن و أمن و رخاء علينا و على كافة البلاد الإسلامية بفضلله و رحمته آمين.

و نسأله و هو أكرم مسؤول أن لا يشقينا بعد أن أسعدنا بخدمة بيته المطهر، و أن يجعلنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا، بفضلله و عظيم رحمته آمين، و صلى الله على سيدنا محمد أبى القاسم الأمين و على آله و صحبه أجمعين.

فى ١٨ شعبان سنة ١٣٨٦ هـ.

أول كانون الأول سنة ١٩٦٦ م

المؤلف محمد طاهر الكردى المكى الخطاط بوزارة المعارف و عضو اللجنة التنفيذية لعمارة الكعبة و توسعة المسجد الحرام بمكة المكرمة

### منظومة فى صفة أشهر بنايات الكعبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا ما كنا نعلمه نعمنا أولانا

نشكره شكر الذليل المفتقر إلى العزيز و الغنى المقتدر

سبحانه جل تعالى الله من التجا إليه لا ينسأه  
ثم صلاته مع السلام على النبي و آله الكرام  
(و بعد) هذى نبذة لطيفه و طرفه بديعه ظريفه  
فى صفة البنا لبيت الله تعظيمه فرض بلا تناهى  
كنا طبعنا هذه المنظومه ثم أعدنا طبعها منظومه  
من بعد أن زدنا عليها نظما ببعض أبيات تزيد الفهما  
و قد جعلنا حجمها صغير الكن حوت من أمرها كثيرا  
و ما رأينا فى بناء الكعبة منظومه تكون كالقلادة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٢٣ فنحمد الله على التوفيق فقد أرانا مسلك الطريق

\*\*\*

إيماننا أقوى من الصخر الأصم يعجز عن تعبيره جرى القلم  
فالقلب عامر بذكر الله و الفكر سايح بأى الله  
تحدثا بنعمة الله لنا لقد ذكرنا ما تراه علنا  
و نستعيد الله من شر الحسد و غمز ناقد و نافث العقد  
نسأله زيادة التوفيق حتى نجوز كامل الطريق  
أعنى الصراط المستقيم إذ ورد فى أول القرآن نعم ما ورد  
فمن هداه الله للصراط كان سعيدا وافر النشاط  
ما أحسن الإيمان و التوفيقا و العلم و اليقين و التحقيق  
فالعالم العامل مجلى الظلم و العلم نور من أجلّ النعم  
و أن نكون فى نشاط مستمر لطاعة الله العزيز المقندر  
و قوة خارقة للعاده حتى تؤدى واجب العباده  
عساه أن يقبلنا بفضلته و أن يثينا بوجوده بذله  
فإنه رب عظيم الشأن كثير عفو واسع الإحسان  
فكيف لا نحسن ظننا به و الله عند ظن عبده به  
و هل لنا رب سواه نلجأ إليه - كلاً - إليه نلجأ  
سبحان من أطعم عبده و لا يطعمه العبد، فجل و علا  
فهو الذى أنفق ما أنفقته مذ خلق الكون، فما أخلقه  
ما نقص الإنفاق شيئا منه و الخير و الرزق جميعا منه  
هل يعقل النقص لمن يقول للشىء «كن» فجل من يقول  
سبحانه المهيم الرزاق الملك العظيم و الخلاق  
فالحمد لله الذى هدانا لدينه الحق، فقد أنجانا  
من ظلمات الجهل و الضلال و زادنا فى العلم و النوال

\*\*\* أسماء من بنى الكعبة \*\*\*

لقد بنى بيت الإله الأكرم عشر و واحد مضوا من قدم ملائكتك الرحمن، ثم آدم ثم ابنه شيث، كما قد يعلم ثم خليل الله إبراهيم صلاتنا عليه و التسليم التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٢٤ كذا العماليق، و أيضا جرهم ثم قصى، فقريش، يفهم و ابن الزبير، و كذا الحجاج و فى مراد الرابع، انبلاج لم بين بيت الله غير من ذكر أسماؤهم معروفة لم تستتر هذا الذى روى لنا التاريخ و نحن نروى ما روى التاريخ و العلم عند الله سبحانه الذى نعم النصير و هو خير منقذ

\*\*\*

لقد ذكرنا نحن فى تاريخنا بيان وصف ما بنوه من بنا مفصلا بناء كل منهم فانظره فيه فهو حقا مغنم لأنه «تاريخنا قويم» محرر منقح فخيم لكن هنا اقتصرنا الوصف الخمسة من البناء قطفا لأنها شهيرة فى الكتب فائقة الوصف بغير حجب ثم أضفنا حادث التجديد لسقف بيت ربنا الحميد فى عصرنا هذا و شاهدناه و قد خدمناه، تعالى الله فخذ إليك وصف ما ذكرنا من البناءات لتروى عنا

### صفة بناء إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام الكعبة

قد أمر الله الخليل بالسفر من زوجته «ساره» دفعا للضرر سافر إبراهيم بإسماعيل و أمه «هاجر» كن نبلا أتى إلى مكة من بلاده و ذا قضاء الله فى مراده على البراق ركبوا يدلهم جبريل للطريق إذ يؤمهم وضعهم مكان بيت الله ممثلا دوما لأمر الله يقول ربى إننى أسكنت ذريتى و ههنا وضعت فالطف بهم و أجمعهم بالناس لتذهب الوحشة باستئناس و ارزقهم من ثمرات الروض ليشكروا رب السما و الأرض و بعد ذا عاد إلى بلاده يرشده الله إلى سداه لم يكتشف قبل خليل الله مكة فافهم يا رفيع الجاه

\*\*\*

ترك هاجر و إسماعيل بمكة قاما بها نزىلا و كان عندهم جراب تمر و قربة الماء بهذا القفر



و ليس فى مكة أنس و بشرفى ذلك العصر و لا فىها أثر التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكرىم، ج ٢-٣، ص: ٢٢٥ لماء أو بناء أو حىوان و ذاك تقدير من الرحمن إلا عضاة الشوك فى وادىها تسقى من الأمطار فى نادىها و الشوك و السعدان فىها يكترلىومنا هذا بها منتشر و حىث أن الماء منها قد نفذو عطش إسماعىل حتى ما رقد و وصلت حالته للموت و أمه قد حكمت بالفوت فقد سعت بىن الصفا و المروه لسبع مرات، لها من حكمه عسى ترى شخضا لده الماء أو مطرا يأتى به السماء فسمعت صوتا فقالت أسمع صوتك فأدركنى عساك تنفع فجاى جبرىل لها و ضربا برجله الأرض لكىما تشربا فنبتت زمزم فوق التراب ثم أحاطتها بجمع التراب خوف انسياب الماء فوق الأرض فوقفت مكانها «كالحوض» لو أنها قد تركتها تجرى كانت معىنا كالىون تجرى كما أتى ذلك فى الحديث من قول خىر الرسل المبعوث فشربت مع ابنا و روىت و شكرت خالقها و قوىت و بعث الله إلیها نفران جرهم كىما یقیموا زمرا نشأ إسماعىل فىما بىنهم یخرج للصدى دواما معهم ثم تزوج لدهم فافهم برعله بنت مضاض الجرهمى جاىته باثنى عشر ابنا و هم تناسلوا و كثروا و حكموا فعمرت مكة من ذاك الزمن و أصبحت «أم القرى» نعم الوطن صارت شهيرة لدى الأجناس يؤمها للحج كل الناس فىها من الخىرات و الأرزاق و النعم العظمى من الرزاق و كل ذا من دعوة الخلىل كما هو الصرىح فى التنزیل

\*\*\*

ثم أتى إبراهىم للزىارة عدة مرات فخذ أخباره كىما یرى ولده الحىبب إبان النجبىنجب النجبىا ثم أتى إلیه أمر الله أن بىنى الكعبة بىت الله قد بوأ الله له مكانه فقر عىنا إذ رأى إحسانه فقام بىنى بىته الحراما ثم دعا لحجه الأناما ساعده فى ذاك إسماعىل و هو النبى الصادق النبىل التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكرىم، ج ٢-٣، ص: ٢٢٦ و الحجر الأسود فىه وضعافى ركنه المعروف خىرا صنعا حتى إذا طال به الجدران و ما أتم حده البنىان قام على المقام و هو ارتفعابه، فأكمل البنا و أبدعا

و رسخت قدمه على الحجر ليومنا هذا يرى فيه الأثر  
و كل ذا معجزة الخليل مكرمة من ربنا الجليل  
لم يبن بالطين و لا بالجص و إنما بالرضم جافى القص  
\*\*\*

و بعد أن تم له البناء و قد بدا للكعبة البهاء  
و النور و الطهر مع الجلال طافوا به كأمر ذى الجلال  
أذن فى الناس أذان الحج فالمسلمون بادروا للحج  
ليشهدوا منافعا و ليوفوا نذورهم و حوله يطوفوا  
و من يعظم حرمت الله فإن ذاك من تقى الإله  
و إن جبريل الأمين ذهب مع الخليل إبراهيم المجتبى  
إلى المشاعر العظام كى يرى مناسك الحج فيتبعه الورى  
و فى البخارى جاء بالتفصيل بناء بيت ربنا الجليل  
تراه فى كتاب بدء الخلق فانظره و اتبع طريق الحق  
بناه حسب ما بناه آدم فكم به طافت قديما أمم  
بناه بالرضم بغير طين و قد أتى تعظيمه فى الدين  
حفر فى باطنه خزانه لكل ما يهدى له صيانه  
و جعل الحجر إلى جانبه مدورا كما هو الآن به  
و جعل الباب بلصق الأرض و قاسه بالطول ثم العرض  
و ما له سقف و لا ميزاب و لا له باب و لا بواب  
\*\*\*

و اعلم بأن الله جل شأنه أكرم بيته و أعلا شأنه  
من سالف العصور و الأزمان حتى تقوم ساعة الزمان  
أحاطه بأروع الأسرار و حفه بالعز و الإكبار  
و خصه بهيبة و عظمه ما للملوك مثله من عظمه  
و جاء فى الحديث ما معناه ينزل الله تعالى الله  
لييته المحفوف بالكرامه فى كل يوم بل و كل ليله  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٢٧ عشرين رحمة مضافا لمائه ينالها قوم هم خير فئه  
منقسم للطائفين نصفها و للمصلين يخص ثلثها  
و الناظرون البيت يأخذون عشرين و هو سدسها يقينا  
فكيف و هو قبلة الأنام و مركز الإيمان و الإسلام  
فبيت ربى قائم العماد إليه ترنوا أعين العباد  
\*\*\* انظر: صورة رقم ٧٩، باب غرفة بئر زمزم  
و صورة رقم ٨٠، الحجر الأسود حينما قلنا عنه الطوق الفضى القديم

و صورة رقم ٨١، المؤلف يريد تقبيل الحجر الأسود

و صورة رقم ٨٢، مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام

### صفة بناء قريش الكعبة قبل بعثة النبي صلى الله عليه و سلم بخمس سنين

و قبل بعثة النبي قد بنت قريش الكعبة حين و هنت  
فجمعوا من أطيب الأموال حتى يقيموها من الحلال  
و جنبوها كل مال خبثا من شبهة أو غيرها ملوثا  
فلا ربا فيه و لا ما جمعان ميسر أو مهر بغى و ضعا  
فانظر إلى فعل قريش و هي في جهالة ففضلهم لا يختفى  
و بعد جمعهم لمال طيب من خير كسب و حلال طيب  
قاموا إلى بنائها و شمروا عن ساعد الجد بخير ظفروا  
فنقصوا من الأساس الأول جدارها الشامي بغير جدل  
فاتسع الحجر بذاك النقص و كان قبل ضيقا كالخرص  
و جعلوا ارتفاعها إلى السماء رفعوه ضعف ما تقدا  
و عملوا أيضا لها ركنين كسابق العهد بغير مين  
و قد أداروا حائطا بالحجر مدورا مكلا بالطهر  
و سقّفوها خشبا ملائما و وضعوا داخلها دعائم  
ست دعائم على صفتين مذكورة حقا بدون مين  
و عملوا الدرج من داخلها ليصعد الناس بها لسطحها  
و ركّبوا الميزاب فوق السطح مصبه في الحجر خوف النضح  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٢٨ و رفعوا الباب عن الأرض كما تراه في زماننا معلما  
و كان مصراعا بدون شك فافهم و قاك الله عيش الضنك  
ثم كسوها كسوة جميلة لاثقة فازوا بذي الفضيلة  
و حضر البناء سيد البشر مستسهلا في كتفه حمل الحجر  
فرفع الركن إلى محله بيده و قد رضوا بحله  
صلى عليه ربنا و سلما ما دامت الأرض و ما دام السما  
و في البخارى و مسلم ورد بنا قريش فاحفظن ما ورد  
\*\*\* صفة بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما الكعبة  
و ابن الزبير بعدهم بناها حين و هت و ضعفت قواها  
على أساس ما بنى الخليل حيث له قد ثبت الدليل  
في عام أربع و ستين بنى و شكر الله على هذا البنا  
و ستر الكعبة بالأخشاب عند البنا فجاء بالصواب  
فزادها طولاً إلى السماء سبعا و عشرين بلا امتراء

و جعل الأركان فيها أربعة كانت إلى مماته مستلمه  
و وضع الميزاب فوق سطحها ووضعها الأول من مصبها  
يصعد فوق سطحها بالدرجة عملها من خشب معرجه  
و جعل البابين مصراعين كليهما بالأرض لاصقين

\*\*\*

فبابها الشرقي للدخول و بابها الغربي للأفول  
و أنه جعل في باطنها أعمدة ثلاثة تحملنها  
فلا تزال هذه داخلها اليومنا هذا على محلها  
عطرها بعنبر و مسك داخلها و خارجا بالمسك  
ثم كساها كسوة معتبرة لائقة بالكعبة المطهره  
و هملوا و كبروا تكبيراً و اعتقوا و نحروا كثيرا  
و خرجوا لمسجد التنعيم لعمرة تكمله النعيم  
هذا البنا ثم بناء الثقفى قد وردا في (مسلم) فاستكشف  
ففي «كتاب الحج» جا وصفهما و جاء في التاريخ أيضا فافهما

\*\*\*

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٢٩

### صفة بناء الحجاج بن يوسف الثقفى الكعبة

ثم بناها الثقفى الحجاج بينهما قد وقع اللجاج  
بأمر عبد الملك المروان فقام بينها بلا توان  
فهدم الجدار صوب الحجر ثم بناها كقريش فادر  
فاتسع الحجر كما قد كانا و سع الناس به مكانا  
و سد بابها الذى فى ظهرها و رفع الباب الذى فى وجهها  
أبقى لها الأركان لم يغير أربعة كانت و ما زالت ترى  
و قد بنى فى بطنها ذاك الدرج بحجر و ليس فيه من حرج  
بنيانه كان لعام أربع من بعد سبعين فأرخ و اسمع  
ثم ابن مروان لهدمها ندم بعد دليل ابن الزبير أن علم

### صفة بناء السلطان مراد خان الرابع الكعبة و هو البناء الحالى الموجود اليوم

و آخر البناء جاء بالوصف فى عام أربعين بعد الألف  
بسبب السيل الذى قد دخلا للمسجد الحرام حتى وصلا  
لقفل باب الكعبة المشرفة فوقعت منها الجدار متلفه  
فقام بالتعمير سلطان الورى مراد بن أحمد فحررا

من آل عثمان الكرام النجباء فقد روى التاريخ عنهم عجا  
و ستروها بستارة الخشب عن أعين الناس و ذا عين الأدب  
حتى إذا ما تمت العماره قاموا برفع خشب الستاره  
فكان ما بناه وفق ما بنى الثقفى الحجاج فاذا بالمنى  
من غير ما زياده أو نقص روى لنا التاريخ ذا بالنص  
و منذ ذاك العصر حتى يومنا ما قد جرى شىء لبيت ربنا  
إلا باصلاح و بالترميم يا فوز من عمر بالتكريم  
أحاطه الله بثوب العظمه و قد حمى حدوده و حرمة  
فهذه خلاصه مختصره جاء تك فى منظومه مسطره  
تنبيك عن بناء بيت الله قره عين المؤمن الأواه  
و من أراد أن يرى التفصيلا بنفسه و يحفظ المنقولاً  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٣٠ فليقرأ التاريخ حتى ينظر ابعينه على الذى قد غبرا

\*\*\*

و الحمد لله الذى وفقنا لوضع «تاريخ قويم» حسنا  
تاريخ «مكة و بيت الله» محرر الضبط به نباهى  
فلم يؤلف مثله تاريخ منقح فيا له تاريخ  
فيه من الأبحاث و الأخبار ما فيه فاشكر نعمه الغفار  
تحدثا نقول هذا بالنعم فالشكر لله يزيد فى النعم

\*\*\*

فالبلد الأمين أعنى «مكة» أم القرى و قد يقال «بكة»  
أجدر ما يخدم من بلاد لأنها شريفه التلاد  
قد اعتنى بها كثير الناس من خلفا و من ملوك الناس  
و كيف لا، و من أتاها أمانا من أقام مخلصا نال المنى  
فبيت ربنا عظيم القدر و نوره سار كضوء البدر  
قد وضع الله من الأسرار فيه فلا تخفى على الأبرار  
أحاطه بالبر و الإجلال و كيف و هو بيت ذى الجلال  
من جاءه و كان حقا مؤمنا بالله و الرسول كان آمنا  
و الحسنات عنده بالضعف و الله يعطى من يشاء بالألف  
فهو الكريم الواسع الإحسان ذو الطول و الفضل عظيم الشان  
لا يقنط المذنب من رحمته لا يكتفى الغنى من نعمته  
سبحانه من خالق عظيم جل تعالى الله من حلیم  
من سلم الأمر إليه سلما و من دعاه مخلصا ما ندما  
\*\*\* انظر: صورة رقم ٨٣، الكعبة المشرفة و حولها ألوف المصلين

## بيان ما وقع من العمارة في الكعبة المشرفة في عصرنا الحاضر و ذلك في عام (١٣٧٧) من الهجرة

باسم الإله الخالق العظيم تبارك اسم ربنا الكريم  
من استوى في عرشه كما استوى من غير بحث لا و لا كيف استوى  
ثم صلاة الله و السلام على الذى أرسله السلام  
نبينا «محمد» ما ساء قطمن الذى عليه جبريل هبط  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٣١ و آله و صحبه الكرام ذوى التقى و قادة الأنام  
\*\*\*

(و بعد) هذا رجز منظوم موضح بيانه مفهوم  
يبحث عن مسألة التجديد لسطح بيت ربنا المجيد  
بيت عتيق طاهر الأركان بناه إبراهيم خير بان  
صلى عليه الله ما دام البناء طاف طائف حوالى البنا  
و حيثما كان البنا من البشر بالطين و النورة و الما و الحجر  
لا بد أن يحدث فيه الخلل و الضعف فالاصلاح حتما أفضل  
فلو أراد الله ذو الجلال لبيته المحفوف بالجلال  
أن لا تمسه أيادى البشر و لا تضره سيول المطر  
جعله من معدن تخين أو لؤلؤ أو جوهر ثمين  
لكنما عادات دنيانا لها قواعد تسير فى نظامها  
\*\*\*

فبيت ربى حف بالأسرار و بالبها و وافر الأنوار  
قد ابتناه أمم و عمروا و أصلحوا خرابه و اعتمروا  
عدة مرات كما تقدم ما بيانها فاحفظه كيما تغنما  
من ذاك ما وقع فى زماننا تجديد سقف البيت حيث و هنا  
فاجتمع الناس مع العمال و صعدا فوق السطوح العالى  
ليبت رب العزة العظيم الملك القدوس، الرحيم  
بعد صدور الأمر بالتعمير بوافر الأجره للأجير  
من المليك الصالح الكريم (سعود) ذى الخيرات و التفخيم  
فنفذ الأمر الكريم العالى «محمد بن لادن» المفضل  
فى صبح يوم الجمعة الثامن عشر من رجب الفرد و فى عام أفر  
سبع و سبعين و ثلثمائة و ألف عام عدها و أثبت  
فبعد وضعهم ستاره الخشب على جوانب البيت و ذاك فى رجب  
حالا أتى «الأمير فيصل» الذى ولى عهد للبلاد الجهد  
بدأ بالهدم قليلا فنزل و ترك الناس يتمون العمل

فأهل مكة و أهل مصر و غيرهم فاعلم بدون حصر  
 قاموا بكشف السقف و الأطراف مما يلي جدرانها اللطاف  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٣٢ و قلعوا حجارة الرخام و كشفوا الأخشاب بالتمام  
 و اشتغلوا بهممة و عزم و نية صادقة و حزم  
 و ذكرهم كلمة الشهادة بأدب فنعم هذى العاده

\*\*\*

و بعد ذاك وضعوا الأعواد للسقف الأعلى راقبوا السداد  
 تعداده إحدى و عشرون أتى عودان أيضا فى الجدار ثبنا  
 تمتد بين الجدر الشرقى و بين جدر الكعبة الغربى  
 ثم أتوا بخشب الألواح و فرشوا فوقها يا صاح  
 و سمك كل لوحه من الخشب مقدار بوصتين يا أبا العرب  
 و فوق ذاك فرشوا المشمعاو فوقه قماش قلع و ضعا  
 و فوق هذا القلع رمل مختلطنورة محبوكة و منضبط  
 و فوق هذا وضعوا الآجر قوالبا قوالبا محصورا  
 أتوا بطوبه من «العاقول» مما يلي مدينة «الرسول»  
 و فوق الآجر أتوا بالطين مختلطا بالنورة الثخين  
 و فوقه حجارة الرخام ناصعة البياض كالغمام  
 و صب بينها الرصاص الذائب يبقى كما شاء الإله الغالب

\*\*\*

و السقف الآخر أزالوا خشبه حيث رأوا قدمه و عطبه  
 أعواده ثلاثة غلاظنذكرها ليفهم الحفاظ  
 عودان منها صالحان للبقاو الثالث التالف إذ تشققا  
 و ذا هو العود الذى فى الوسط فاعرف مكانه بدون غلط  
 فأبدلوا هذا بعود صلب عود غليظ و قوى صعب  
 تمتد هذى كامتداد الأولى بين الجدارين ترى موصولا  
 و فوقها قد فرشوه بالخشب نظيفة مرصوفة جنبا لجنب  
 و ليس فى خشب هذا السقف طين و لا طوب فهذا و صفى  
 سببه وقوع ماء المطر للسقف الأعلى لا لهذا فأشكر  
 و دهنوا السقفين بالقطران للحفظ من سوس و من ديدان  
 ثم أعادوا دهنه بالبويه بياض مثل القطن أو كالشمعة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٣٣ فى يوم الاثنين لعشرين رجب وزده واحدا ترى فيه العجب  
 اشتغل العمال بالتنقيب حبا لبيت ربنا الجليل  
 فعملوا من الجهات الأربعة طائفة طائفة موزعه

من خارج البيت من الجدران من سطحه للأرض خذ بياني  
فنقبوا بين الحجار ما و هي من التراب و الحصا حتى استوى  
فملأوا الفراغ باللاقونه و الجص و الرمل كذاك النوره  
حتى أتموا سائر الجهات فرجعوا بوافر الهبات

\*\*\*

ثم أتوا بعد صلاة الجمعة ثالث شعبان لجوف الكعبة  
قاموا يزيلون من الجدران الجص و النورة بالإحسان  
و أخرجوا كل الرخام الدائر بالجدران إذ لها كالساتر  
ثم أعادوه كما قد كانا ما غيروا لحجر مكانا  
لأن كل ما من البيت خرج يصران حتما ليس فيه من حرج  
و الارتفاع للرخام فأدر ثلاث أمتار و نصف متر  
و بعدها إلى علو السقف منقل بنورة كالعرف  
تسع رخامات بها كتابه و الباقي موضوع بلا خلايه  
أما رخام نفس أرض البيت ما قلعه لاستواء السميت  
لكنهم قد وضعوا رخاما فوق رخام الأرض «استلهاما»  
و أصلحوا درجه إصلاحا كما ينالوا الفوز و الفلاحا  
و اشتغلوا بالليل و النهار لسرعة الانجاز و العمار  
و دهنوا أخشاب هذا السقف ببويه الزيت اعتمد لوصفي  
و بعد الانتهاء أعادوا كسوته من داخل و خارج مثبته  
و قد أناروا داخلا بالكهربا و الكهرا حديث عهد نصبا  
كيما يروا في ضوئها و يعملوا بالجد و النشاط حيث اشتغلوا  
فبيت ربى ليس فيه منفذ للضوء غير الباب، نعم المنفذ  
و البيت زاهر البها و النور لذكور رب العزة الغفور  
و الحق أنه بنى بناينا تقبل الله لنا البناينا  
و كان يوم انتهاء الكعبه أمن علينا ربنا بالتوبه  
ثامن و العشرين من شعبان لا تأسن من رحمة الرحمن  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٣٤ من بعد ألف و ثلاثمائة سبع و سبعين مضت للهجره  
و جاء للكعبه حتى ينظر امليكننا و الأمرا و الوزرا  
صلوا بها و حمدوا الوهابا و قد دعوا ربهم التوبا  
و سبحوا و هللوا و كبروا فى جوفها و الجدران عطروا  
و خرجوا مستبشرين فرحوا كل يهنئ أخاه مرحا  
فكان هذا أعظم الأعياد قد عمت الأفراح فى البلاد  
أقامت الحكومه السنه للناس جمعا حفلة بهيه



و أكرمت كل الذين اشتغلوا في بيت رب البيت فيه عملوا  
و أجزلت عطاء كل السدنه حجاب بيت الله نعم السدنه  
تقبل الله الكبير المتعال بفضلله العظيم خالص الفعال

### (ختم المنظومة بالدعاء)

يا رب من أخلص للبلاد و خدمه العباد في ذا الوادي  
وفقه و انصره و شد أزروه من نوى الشر احتمله وزره  
و كل من بغى و من تزندقحوّله عنا مغربا و مشرقا  
و انصر ملوك المسلمين كلهم و رؤساءهم و من واصلهم  
و اهلك طغاة المشركين الكفرة و من يريدهم فأهلك عسكره  
يا رب و ارفع راية الإسلام على ربوع الأرض بالسلاام  
و انشر على بلادنا الأمانا و الخير و الرخاء و الإحسانا  
يا رب أنت المحسن العظيم و إنك الرحمن و الرحيم  
لقد دعوناك و أنت المرتجى فاقبل دعا الذى أتاك و ارتجا  
و لنختم المنظوم بالصلاة على نبينا الشريف الذات  
«محمد» من كان يرفع الحجر فى كتفيه حجرا بعد حجر  
عند بناء البيت فى زمانه كذا خليل الله فى أوانه  
عليهما الصلاة و السلام و الأنبياء و هم الكرام  
و آلهم و صحبهم جميعا و كل من تابعهم مطيعا  
انظر: صورة رقم ٨٤، قطعة خطية كتبها مؤلف هذه المنظومة سنة ١٣٥٧ هـ

### (ناظم هذه القصيدة)

(و بعد) هذا رجز منظوم مستملح مستظرف مفهوم  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٣٥ فى صفة البناء و التعمير لبيت رب العزة الكبير  
و إنه نظم عظيم الشأن بلا مثيل ما له من ثان  
نظمه طاهر الكردي لقبه الخطاط و المكي  
كتبها بخطه الجميل حفظ من حاسده الثقليل  
يا رب و اغفر لمحمد طاهرو لأبيه و هو عبد القادر  
و اغفر لأمه و لبنيه و امنحه من فضلك ما يغنيه  
و استره يا رب و وسع رزقه من غير طغيان و حقق عتقه  
و افتح عليه فى العلوم و العمل حتى ترى عليه آثار العمل  
و اجعله ممن قد أقام الشرعا و قد أقام الصلوات جمعا  
يا رب من برك لا يستغنى أفض على عبدك يا ذا المن

من كل خير باطنا و ظاهرا و اجعله فى الدارين حقا طاهرا  
 أعماله من الهوى مجردة يرجو من الله بلوغ مقصده  
 و العفو و الراحة عند الموت و الرزق و الخير و حسن البخت  
 و الستر و الصحة ثم العافيه و نعماء و ابله و وافيته  
 يسأله الثبات جوف القبر و الفوز بالجنة يوم الحشر  
 و الأمن و الأمان فى الدارين و اليسر فى أموره بالهين  
 و أن يكون قلبه و نفسه كاسمه و أن يدوم أنسه  
 و ستر الله له عيوبه و والديه و عفا ذنوبه  
 و جعل الباقي من حياته أحسن ما مر إلى مماته  
 و اختتم حياته بخير حال يا حى يا قيوم ذا الجلال  
 و اغفر لكل المسلمين ذنبهم «يا ربنا» و أصلح لهم أحوالهم  
 فأنت «يا رب» غنى عنا و عن جميع الخلق فاعف عنا  
 و الحمد لله فى البدء و فى الختام و الشكر لله على الدوام  
 فكم له من نعم لا تحصى تزداد بالشكر كما جا نصا  
 فهو الكريم المحسن العظيم خالقنا الرحمن و الرحيم  
 الملك القدوس و السلام المؤمن المهيمن العلام  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٣٦ و أشرف الصلاة و السلام على النبى و آله الكرام  
 «محمد» من لا نبى بعده أيدى الله تعالى وحده  
 فهو الذى أشرقت الدنيا به و فاح فى الأرجاء عرف طيبه

\*\*\*

قد تمت الرسالة اللطيفة منظومة فى الكعبة الشريفة  
 نكر الصلاة و التسليما على النبى و آله تكريما  
 و الحمد لله جزيل الحمد رب العباد ذى الثنا و المجد  
 قد كان نظم هذه «الرساله» بمكة التى بها «الرساله»  
 فى عام ألف و ثلاثمائة سبع و سبعين مضت للهجره  
 أبياتها خمس و خمسون و زديها ثلاثمائة عدا تجد  
 إلى هنا منظومتي قد انتهت و صححت أبياتها فانظمت

\*\*\* نظم هذه الأرجوزة اللطيفة، محمد طاهر بن عبد القادر بن محمود الكردي المكي الخطاط كاتب مصحف مكة المكرمة و  
 مؤلف «التفسير المكي» غفر الله تعالى له و لوالديه و لجميع المسلمين و المسلمات و المؤمنين و المؤمنات آمين.  
 نظمها بمكة المشرفة فى رمضان المبارك بعد الانتهاء من تجديد سقف الكعبة المشرفة. سبحان رب العزة عما يصفون و سلام  
 على المرسلين و الحمد لله رب العالمين سنة ١٣٨٠ هـ.

## إشارة

الحجر الأسود و يقال له «الركن» باعتبار أنه موضوع في الركن الأهم من البيت الحرام، و هو الركن الذى يتدئ الطواف منه، و هو الركن الشرقى، و ارتفاعه من أرض المطاف متر واحد و نصف المتر ليتمكن كل إنسان من تقبيله ما عدا الطفل الصغير، و لونه أبيض ما عدا ما يظهر منه فإنه مسود من أثر الحريق الذى وقع فى الكعبة فى عهد قريش و ابن الزبير، و الذى يظهر منه بعض قطع صغيرة و هو محاط بطوق من الفضة الخالصة السميكة. و طوله نحو ذراع داخل فى بنيان الكعبة فما كان داخل البنيان فهو أبيض مورد، و ما ظهر منه من القطع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٣٧

المتكسر فهو مسود من الحريق المتقدم. هكذا جاء وصفه فى كتاب «الإشاعة لأشراط الساعة» عن محمد بن نافع الذى رآه حينما قلعه القرمطى فى سبع ذى الحجة سنة سبع عشرة و ثلاثمائة. بل ذكروا فى التاريخ أن مقدار طول الحجر الأسود نصف ذراع بذراع العمل و عرضه ثلث ذراع و نقص منه قيراط فى بعضه قالوا لتأكل ذلك منه و سمكه أربعة قرايط و عليه سيور من فضة و فى عرضه ثلاثة شطوب مستطيلة. انتهى.

و جاء فى تاريخ الأزرقى عند الكلام على بناء ابن الزبير للكعبة، قال عكرمة:

فرأيت الحجر الأسود فإذا هو ذراع أو يزيد. انتهى منه و هذه هى الحقيقة التى لا مرأى فيها.

و جاء فيه أيضا بصحيفة ١٣٦ و طول الركن ذراعان قد أخذ عرض جدار الكعبة و مؤخر الركن داخله فى الجدر مضرس على ثلاثة رؤوس. قال ابن جريج:

فسمعت من يصف لون مؤخره الذى فى الجدر قال بعضهم: هو مورد و قال بعضهم: هو أبيض. اه.

نقول: و الذى يظهر منه الآن فى زماننا و نستلمه و نقبله ثمانى قطع صغار مختلفة الحجم أكبرها بقدر التمرة الواحدة، تساقطت منه حين الاعتداءات عليه من بعض الجهال و المهووسين فى الأزمان السابقة، و قد كان عدد القطع الظاهرة منه خمسة عشر قطعة و ذلك منذ خمسين سنة أى أوائل القرن الرابع عشر للهجرة، ثم نقصت هذه القطع بسبب الإصلاحات التى تحدث فى إطار الحجر الأسود، فما صغر ورق حجمه عجن بالشمع و المسك و العنبر و وضع أيضا على الحجر الكريم نفسه، و لقد زاد سواد هذه القطع من كثرة وضع العطورات و الخلق عليه دائما و أبدا و الله تعالى أعلم.

و فى زمن ابن جبير الأندلسى أى فى سنة (٥٧٨) كان فى الحجر الأسود الكريم أربع قطع ملصقة بسبب قلع القرامطة له و كسره، هكذا مذكور فى رحلة ابن جبير.

و أمر الحجر الأسود يرجع إلى عهد إبراهيم الخليل، عليه الصلاة و السلام، فإنه لما كان بينى البيت المعظم و ابنه إسماعيل ينقل له الحجارة على رقبته و يناوله و وصل إلى موضع الركن الأسود، قال إبراهيم لإسماعيل: أبغنى حجرا أضعه هاهنا يكون للناس علما يتدؤون منه الطواف، فذهب إسماعيل يطلب له حجرا و رجع و قد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٣٨

جاءه جبريل بالحجر الأسود، و كان الله عز و جل استودع الركن أبا قبيس حين أغرق الله الأرض زمن نوح، و قال: إذا رأيت خليلي بينى بيتي فأخرجه له، فقال إسماعيل: يا أبى من أين لك هذا؟ قال: جاءنى به من لم يكلنى إلى حرك جاء به جبريل، فلما وضع جبريل الحجر فى مكانه بنى عليه و هو حينئذ يتلألأ تلالؤا من شدة بياضه، فأضاء نوره شرقا و غربا، و يمنا و شاما، فكان نوره يضىء إلى منتهى أنصاب الحرم من كل ناحية من نواحي الحرم، و إنما شدة سواده لأنه أصابه الحريق مرة بعد مرة فى الجاهلية و الإسلام، فإنه احترق باحترق الكعبة حتى اسود، و توهنت من ذلك الكعبة زمن قريش فقاموا على هدمها و بنائها، ثم احترق أيضا فى عصر ابن

الزبير رضى الله عنهما، باحترق الكعبة فتفلق ثلاث فلق، فشدّه ابن الزبير بالفضة حينما بنى الكعبة، فسواده كان من الحريق. هذا ما ذكره الأزرقى فى تاريخه، فيفهم من هذا أن الحجر الأسود لم يكن من جنس حجارة البيت، بل ولا من جنس باقى الحجارات، كما يفهم أيضا مما ذكر من أن الله تعالى استودع الحجر الأسود جبل أبى قبيس حينما عم الطوفان الأرض فى زمن نوح، عليه الصلاة والسلام. إن الحجر الأسود كان فى الكعبة فى بناياتها السابقة لبناء إبراهيم، أى فى بناء الملائكة و فى بناء آدم و فى بناء ابنه شيث، عليهم الصلاة والسلام، و على كل حال سواء ثبتت البنايات السابقة المذكورة أم لم تثبت فقد أتى به جبريل عليه الصلاة والسلام من حيث كان.

### أصل الحجر الأسود من الجنة

جاء فى أول تاريخ الأزرقى عن وهب بن منبه: أن الله تعالى لما تاب على آدم عليه الصلاة والسلام، أمره أن يسير إلى مكة فطوى له الأرض و قبض له المفاوز فصار كل مفازة يمر بها خطوة، و قبض له ما كان فيها من مخاض ماء أو بحر، فجعله له خطوة، فلم يضع قدمه فى شىء من الأرض إلا صار عمرانا و بركة حتى انتهى إلى مكة، و كان قبل ذلك قد اشتد بكأوه و حزنه لما كان فيه من عظيم المصيبة، حتى أن كانت الملائكة لتحزن لحزنه و لتبكي لبكائه، فعزاه الله تعالى بخيمة من خيام الجنة و وضعها له بمكة فى موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٣٩

و تلك الخيمة ياقوته حمراء من يواقيت الجنة فيها ثلاثة فناديل من ذهب من تبر الجنة فيها نور يلتهب من نور الجنة و نزل معها «الركن» و هو يومئذ ياقوته بيضاء من ربض الجنة ... إلى آخر كلامه، أى من أرض الجنة.

و جاء فيه من رواية عبد الله بن ليلى أنه قال: بلغنى أن ابن عباس قال: لما أهبط الله سبحانه آدم عليه السلام إلى الأرض أهبطه إلى موضع البيت الحرام، و هو مثل الفلك من رعدته، ثم أنزل عليه الحجر الأسود - يعنى الركن - و هو يتلألأ من شدة بياضه، فأخذه آدم عليه السلام، فضمه إليه أنسا به، ثم نزلت عليه العصا فقبل له: تخط يا آدم، فتخطا فإذا هو بأرض الهند و السند فمكث بذلك ما شاء الله، ثم استوحش إلى الركن، فقبل له: احجج، قال: فحج فلقيته الملائكة، فقالوا: بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام. انتهى من تاريخ الإمام الأزرقى.

و قد جاء فيه جملة روايات بهذا المعنى، اكتفينا بما ذكر خوف الإطالة.

و لقد ورد فى نزول الركن من الجنة بعض أحاديث نسردها هنا و هو: روى الترمذى و أحمد و الحاكم و ابن حبان أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال: «إن الركن و المقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله تعالى نورهما و لو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق و المغرب».

و روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك و النساء عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «الحجر الأسود من الجنة»، و روى أحمد و غيره: «الحجر الأسود من الجنة و كان أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك» و روى الطبرانى فى معجمه الكبير عن ابن عباس «الحجر الأسود من حجارة الجنة و ما فى الأرض من الجنة غيره و كان أبيض كالماء و لو لا ما مسه من رجس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا برئ». و روى ابن خزيمة فى صحيحه عن ابن عباس «الحجر الأسود ياقوته بيضاء من ياقوت الجنة و إنما سودته خطايا المشركين يبعث يوم القيامة مثل أحد يشهد لمن استلمه و قبله من أهل الدنيا».

و روى الخطيب بإسناد ضعيف «الحجر يمين الله فى الأرض يصافح بها عباده». و جاء فى تاريخ الأزرقى عن مجاهد أنه قال: «الركن من الجنة و لو لم يكن من الجنة لفنى». و جاء فيه أيضا عن عطاء عن ابن عباس، رضى الله عنهما، أنه قال: ليس فى الأرض من الجنة إلا الركن الأسود و المقام فإنهما جوهرتان من

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٤٠

جوهر الجنة، و لو لا ما مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله عز وجل.

وجاء فيه أيضا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله عز وجل يبعث الركن الأسود له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق. وجاء فيه أيضا: عن عبد الملك بن جريج عن أبيه أنه قال: كان سلمان الفارسي قاعدا بين الركن وزمزم والناس يزدحمون على الركن فقال لجلسائه: هل تدرون ما هو؟ قالوا: هذا الحجر، قال: قد أرى ولكنه من حجارة الجنة أما والله نفس سلمان بيده ليجيئن يوم القيامة له عينان ولسان وشفتان يشهد لمن استلمه بالحق.

وجاء فيه أيضا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أكثرنا من استلام هذا الحجر فإنكم توشكون أن تفقدوه بينما الناس يطوفون به ذات ليلة إذ أصبحوا وقد فقدوه إن الله عز وجل لا يترك شيئا من الجنة في الأرض إلا أعاده فيها قبل يوم القيامة.

وجاء فيه أيضا عن عكرمة قال: إن الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن لم يدرك بيعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله.

وجاء فيه أيضا عن يوسف بن ماهك قال: قال عبد الله بن عمرو: إن جبريل عليه السلام نزل بالحجر من الجنة وأنه وضعه حيث رأيتم وإني لم تزلوا بخير ما دام بين ظهرانيكم فتمسكوا به ما استطعتم فإنه يوشك أن يجيء فيرجع به من حيث جاء به. وفي كتاب الإضاءة في أشراط الساعة عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والمقام ورؤيا النبي في المنام. إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في الركن الأسود.

قال في الجامع اللطيف: معنى كون الحجر الأسود يمين الله في الأرض: أن من صافحه كان له عند الله عهد، وقال فيه: ونقل عن المحب الطبري أن كل ملك إذا قدم عليه الوافد قبل يمينه فنزل الحجر منزلة يمين الملك ولله المثل الأعلى.

على أنه لو لم يرد في الحجر الأسود شيء من الأحاديث، لكفى له شرفا كونه في ركن بيت الله المعظم، وإجماع الناس على احترامه وتعظيمه آناء الليل وأطراف النهار جاهلية وإسلاما، وفيه يقول أبو طالب:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٤١ وبالْحجر المسود إذ يمسخونه إذا اكتنفوه بالضحي والأصائل  
انظر: صورة رقم ٨٥، الحجر الأسود خاليا من الطوق الفضي القديم ١٣٧٥ هـ

فحجر في بيت الله الحرام، جاء به جبريل ووضعه إبراهيم الخليل، ثم وضعه خاتم الأنبياء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بيده فيه أيضا، وقبله هو والأنبياء والمرسلون، والأصفياء والمتقون، ويتمسح به عامة الناس من جميع الأجناس منذ وجوده بالبيت إلى أن تقوم الساعة، لجددير بكل احترام وتعظيم، وتقبيل وتسلم.

على أن هذا الركن الكريم سواء كان من الجنة أو من الأرض، فهو حجر لا يضر ولا ينفع، وما اكتسب هذا الشرف والإحترام إلا من الأديان السماوية، وانظر إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كيف يخاطب هذا الحجر الكريم حين تقبيله ويقول: «والله إنني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولو لا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك» وفي روايته «كان عمر بن الخطاب إذا بلغ موضع الركن قال: أشهد أنك حجر لا تضر ولا تنفع وأن ربي الله الذي لا إله إلا هو، ولو لا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحك ويقبلك ما قبلتك ولا مسحتك».

ومن الأسرار الدقيقة: أن أهل الجاهلية على كثرة عبادتهم للأحجار والأصنام لم يرد قط في التاريخ أنهم عبدوا الحجر الأسود أو حجر المقام أو نفس الكعبة.

ونرى والله تعالى أعلم أن ذلك كان لحكمة إلهية جلية وهي: أن الله تعالى لم يقدر في سابق الأزل عبادة هذه الأشياء المقدسة

حتى لا- تدخل ضمن قوله عز شأنه في آخر سورة الأنبياء: **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** \* لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ فتأمل.

ثم إن في تقبيل المسلمين و استلامهم للحجر الأسود نقطة دقيقة أخرى و هي:

أن تقع أفواههم موضع فم رسول الله صلى الله عليه و سلم و فم الأنبياء الذين قبله، عليهم الصلاة و السلام، و أن تلمس أيديهم ما لمستته أيديهم الشريفه من هذا الحجر المكرم، و أى مسلم إذا خطرت بباله هذه النقطة لا يبادر بتقبيله و استلامه.

قال بعض العلماء المحدثين في هذا المعنى و قد قبل الحجر الأسود مرارا:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٤٢ لدى الحجر المقبل في طواف بيت الله نلت لدى دخولي

من التقبيل ما أرجو لنفسي به أمتنا يدوم مع الوصول

لتقبيل الرسول له فأعظم بشيء مسه بدن الرسول

صلاة دائمة عليه بها أعطى الفلاح مع القبول

ثم للحجر الأسود مغزى خاص و رمز تعبدى، ذلك أن المسلمين إذا أتوا من كل فج عميق لأداء فريضة الحج، فطافوا ببيت الله الحرام و اجتمعوا على تقبيل هذا الحجر الأسود، فكأنهم بذلك يبايعون الله و رسوله و يقدمون لهما الطاعة و الإيمان بهما، و فى هذا نهاية الخضوع و الامتثال.

و أيضا أن فى الطواف بالبيت و استلام الركن الأسود، إشعار بالوحدة الإسلامية و استمساك بالرابطة المحمديه، فالمسلمون فى حالة البعد يتوجهون فى صلاتهم إلى هذا البيت الحرام، و فى حالة القرب و الوصول يطوفون حوله يعوذون برب هذا البيت، و يلتفون حول ركنه المنيع، القائم فى السلام مقام الراية فى الحرب، و لسان حالهم يقول: **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** \* وَ لَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. و ما أجمل و أبهى منظر الطائفين حول البيت الحرام و هم يهللون و يكبرون و يدعون ربهم بنية خالصة و قلب خاشع خاضع، فإنهم و الحالة هذه يشبهون الملائكة الذين يطوفون حول العرش يسبحون بحمد ربهم. فالحمد لله على نعمة الإيمان و الإسلام و كفى بها من نعمة.

و من أدق الأسرار التى قد تغيب عن الكثيرين: أن بقعة الكعبة و ما حولها من المطاف طاهرا نقيلا لا تخلوا لحظة واحدة من ليل أو نهار من العبادة، لا أثر للعصيان و ارتكاب الذنوب فى هذه البقعة منذ قديم الزمان جاهلية و إسلاما إلى قيام الساعة، لذلك تفضل على جميع البقاع، فهيننا لأهلها و لمن وصل إليها و لمن عرف مكانتها و قدسيتها و طهارتها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٤٣

### لون الحجر الأسود

لا يمكن أن نصف لون الحجر الأسود الكريم عن مشاهدة بسبب دخوله الآن فى بناء نفس الكعبة المشرفة اللهم إلا ما يظهر لنا اليوم من بعض قطعه و هى سوداء بسبب الحريق الذى أصابه و لكن نصف لونه من الأحاديث الواردة و من ما جاء فى التاريخ. أما طوله فقد تقدم عن عكرمه أنه رأى الحجر الأسود فى بناء ابن الزبير الكعبة فإذا هو ذراع أو يزيد كما جاء فى تاريخ الأزرقي.

أما الأحاديث فقد تقدم جملة منها، و نأتى هنا بحديث واحد فقط و هو يكفى. فقد روى الإمام أحمد و غيره أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «الحجر الأسود من الجنة و كان أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك».

و لا يخفى أنه صلى الله عليه و سلم قد رأى نفس الحجر الأسود بأكمله حينما كان يحمل الحجارة على كتفه الشريف عند بناء قريش

الكعبة، و هو الذى وضعه فى محله بيده الشريفه حينما حكمته قريش فى شأن وضعه و رفعه لمحله فحكم بما أَرْضَى الجميع. و أما التاريخ، فقد جاء فى تاريخ الإمام الأزرقى عند بناء ابن الزبير الكعبة عن شرحبيل عن أبى عون عن أبىه قال: رأيت الحجر الأسود قد انفلق و اسود من الحريق فأنظر إلى جوفه أبيض كأنه الفضة. اه. و جاء فيه أيضا عند هذا البناء عن منصور بن عبد الرحمن الحجبى عن أمه قالت: كان الحجر الأسود قبل الحريق مثل لون المقام، فلما احترق اسود. قال: فلما احترقت الكعبة تصدع بثلاث فرق فشدته ابن الزبير بالفضة. انتهى.

و نقول أيضا: أما فى زماننا هذا الذى نكتب هذا التاريخ فيه و هو عام (١٣٧٦) فليس فى الحجر الأسود، أى فى القطع الصغيرة الظاهرة منه شىء من البياض مطلقا و لا- مثقال ذرة، أما ما كان من الحجر الكريم الداخلى فى بناء الكعبة فهو كله أبيض لا شك فيه ما عدا رأسه فقد اسود من الحريق المتقدم كما هو مذكور هنا. و الله تعالى أعلم.

و قال ابن جبير فى رحلته التى كانت سنة ثمان و سبعين و خمسمائة عن مشاهدته للحجر الأسود حينما وصل إلى مكة فى السنة المذكورة ما يأتى:

و فى القطعة الصحيحة من الحجر الأسود مما يلى جانبه الذى يلى يمين المستلم له إذا وقف مستقبلة نقطة بيضاء صغيرة مشرقه تلوح كأنها خال فى تلك الصفحة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٤٤

المباركة و فى هذه الشامة البيضاء أثر أن النظر إليها يجلو البصر. انتهى كلام ابن جبير رحمه الله تعالى.

و جاء فى كتاب «الإشاعة لأشراط الساعة» عند الكلام على قلع القرامطة الحجر الأسود فى سنة (٣١٧) من الهجرة ما يأتى:

و قال محمد بن نافع الخزاعى: تأملت الحجر الأسود و هو مقلوع فإذا السواد فى رأسه فقط و سائر أبيض، و طوله قدر عظم الذراع. اه. و جاء فى الجامع اللطيف لابن ظهيرة القرشى ما يأتى:

قال القاضى عز الدين بن جماعة: و قد رأيت أول حجاتي سنة ثمان و سبعمائة و به نقطة بيضاء ظاهرة لكل أحد، ثم رأيت البياض بعد ذلك قد نقص نقصا بينا.

انتهى.

و قال العلامة ابن خليل المتوفى فى منسكه الكبير: و قد أدركت فى الحجر الأسود ثلاث مواضع بيضاء نقيه فى الناحية التى إلى باب الكعبة المعظمة إحداها و هى أكبرهن قدر حبة الذرة الكبيرة، و الأخرى إلى جنبها و هى أصغر منها، و الثالثة إلى جنب الثانية و هى أصغر من الثانية تأتى قدر حبة الدخن ثم إنى أتلمح تلك النقط فإذا هى كل وقت فى نقص. انتهى بنصه. انتهى من الجامع اللطيف.

نقول: لا- يبعد أن يكون نقص بياض النقط التى كان بالحجر الأسود فى قول ابن جماعة و ابن خليل تفسيرا لكلامه صلى الله عليه و سلم المتقدم «... و كان أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك» و الله تعالى أعلم.

ذكر صاحب كتاب «تاريخ الكعبة المعظمة» قال: قال ابن علان: و لون ما استتر من الحجر الأسود بالعمارة فى جدر الكعبة أبيض بياض المقام يعنى مقام الخليل إبراهيم صلى الله عليه و سلم و ذرع طوله نصف ذراع بذراع العمل و عرضه ثلث ذراع و نقص منه قيراط فى بعضه و سمكه أربعة قرايط و عليه سيور من الفضة واحد من أول ما غاب من رأسه من جهة الباب مستديرا إلى مثله مما يلى الجانب اليمانى فى وسط سمكه و عليه سيران من فضة محيطان بعرضه إلى طرف السير من الوجه الثانى ... إلى آخر كلامه.

و ابن علان المذكور هو العلامة الشيخ محمد بن علان الصديقى، و كان حاضرا بمكة فى عمارة السلطان مراد الرابع للكعبة سنة (١٠٤٠) أربعين و ألف من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٤٥

الهجرة، فعليه يكون قد شاهد نفس الحجر الأسود فى هذه العمارة فهو يخبر هنا عن مشاهدته، و قوله: «أن ما استتر من الحجر الأسود

بالعمارة في جدر الكعبة أبيض بياض مقام إبراهيم الخليل» هو معقول و صحيح و مطابق للحقيقة، لأن الحجر الأسود طويل نحو ذراع، و هو داخل في بناية ركن الكعبة و ما كان ظاهرا منه في صدر الإسلام إلا رأسه، كما لا يظهر منه في عصرنا هذا إلا بعض قطع صغيرة و قد اسود رأسه من أثر حريق الكعبة في عهد قريش و في عهد ابن الزبير، فهذه القطع الصغيرة الظاهرة اليوم كسرت من رأسه المحترق، فيكون ما دخل من الحجر الأسود في بناية الكعبة أبيض بياضا يشبه بياض حجر مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام الموجود أمام الكعبة المشرفة بجوار بئر زمزم، لم يتأثر المستتر منه بالاحتراق و لا بالشمس و الهواء و لا بغير ذلك، لأنه مستور و محفوظ غير ظاهر.

فقول ابن علان عن لون الحجر الأسود مطابق لما رواه الإمام الأزرقى في تاريخه: عن منصور بن عبد الرحمن الحجبي عن أمه قالت: كان الحجر الأسود قبل الحريق مثل لون المقام فلما احترق اسود، قال: فلما احترقت الكعبة تصدع بثلاث فرق فشدته ابن الزبير بالفضة. انتهى من الأزرقى.

و لا يمكن الإخبار بلون ما كان مستورا من الحجر الأسود إلا عن مشاهدة، و لا تمكن المشاهدة إلا إذا هدم من الكعبة مكان الحجر لا سمح الله، و هذا لا يكون إلا نادرا بعد مرور مئات السنين و الأعوام، فالعلامة الشيخ محمد بن علان أخبر بذلك عند مشاهدته للحجر الأسود في العمارة الكبيرة للكعبة عندما هدمها السيل في زمن السلطان مراد الرابع. و كان يحضر على الدوام عند الكعبة لمشاهدة بنائها و كتابة مذكراته و يومياته عن بنائها و عندما وصل الإصلاح في مكان الحجر الأسود كان يقف عنده مع الأمير رضوان و ناظر الحرم، و أن المذكور قرأ جزءا من صحيح البخارى في جوف الكعبة عند انتهاء بنائها و عمارتها التي حصلت في زمنه.

و للعلامة ابن علان المذكور تأليف قيمة، منها: كتاب «القول الحق و النقل الصريح بجواز أن يقرأ في جوف الكعبة الحديث الصحيح» و منها: «العمل المفرد في فضل و تاريخ الحجر الأسود» و منها «أنباء المؤيد الجليل مراد ببناء بيت الوهاب الجواد» و منها «شرح رياض الصالحين» و هو أربع مجلدات، و منها «شرح كتاب

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٤٦

الأذكار» و هو أربع مجلدات أيضا، و غير ذلك من المؤلفات رحمه الله تعالى و أحسن جزاءه.

### علة تسمية الركن ب الحجر الأسود

تقدم أن لون الركن الشريف أبيض مورد، و كان في عهد إبراهيم عليه السلام يتلأأ من شدة بياضه و قد أضاء نوره الجهات الأربع، ثم طمس الله نوره ليتمكن التقرب منه.

و لم نر أحدا ذكر علة لتسميته بالحجر الأسود، و نحن نذكر هنا ما قد فتح الله به علينا بفضل الواسع فنقول:

١- قد يكون سمي بذلك من باب أسماء الأضداد، أو من سيادته على جميع الأحجار.

٢- و قد يكون بسبب اسوداد رأسه من أثر الحريق الذي حصل للكعبة في الجاهلية و الإسلام.

٣- و قد يكون تسميته بذلك بسبب خطايا بني آدم و ما مسه من رجس الجاهلية. كما جاء ذلك صريحا في بعض الأحاديث المتقدمة، لكن هذا أمر معنوي لا يمكن إدراكه بالعقل، فيكون من قبيل الفسق و الفجور يذهب نور الإيمان من وجه الإنسان.

٤- سمي الركن «بالحجر الأسود» من ابتداء الأمر من قديم الزمان، بدون نظر إلى علة، على قاعدة الأسماء لا تعلق. و الله تعالى أعلم.

### تقبيل الأيدي عند استلام الركن

قال الإمام الأزرقى في تاريخه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدى حدثنا مسلم بن خالد عن ابن جريج عن عطاء قال: رأيت عبد الله



بن عمر و أبا هريرة و أبا سعيد الخدري و جابر بن عبد الله إذا استلموا الحجر قبلوا أيديهم، قال ابن جريج: قلت له: و ابن عباس؟ قال: و ابن عباس حسبت كثيرا.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدى حدثنا عبد الله بن يحيى السهمي قال:

رأيت عطاء بن أبي رباح و عكرمة بن خالد و ابن أبي مليكة يطوفون بعد العصر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٤٧

و يصلون و رأيتهم يستلمون الركن الأسود و اليماني و يقبلون أيديهم و يمسحون بها و جوههم و ربما استلموا و لا يمسحون بها أفواههم و لا وجوههم.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدى حدثنا عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عن عبد الله ابن أبي زياد قال: رأيت عطاء و مجاهدا و سعيد بن جبير إذا استلموا الركن قبلوا أيديهم.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدى عن الزنجي عن ابن جريج قال: قال عمرو بن دينار: جفا من استلم الركن و لم يقبل يده، قال ابن جريج: و أخبرت أن النبي صلى الله عليه و سلم كان إذا طاف على راحلته يستلم الركن بمحجنه ثم يقبل طرف المحجن.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدى حدثنا سفيان أنه سمع حميد بن حيان قال: رأيت سالم بن عبد الله إذا استلم يضع يده على خده أو جبهته قال سفيان:

و رأيت أيوب بن موسى إذا استلم الركن يضع يده على جبهته أو على خده.

حدثنا أبو الوليد قال حدثني جدى عن سفيان عن عبد الكريم عن مجاهد قال:

لا بأس أن تستلم الحجر من قبل الباب. انتهى من تاريخ الأزرقى.

نقول: و من عادة أهل مكة إلى يومنا هذا أن بعضهم إذا صافح إنسانا قبل يد نفسه، و الظاهر أن هذه العادة قديمة العهد ناشئة من تقبيل الأيدي إذا استلموا الحجر الأسود كما تقدم. و الله تعالى أعلم.

جاء في كتابنا «إرشاد الزمرة لمناسك الحج و العمرة» عند الكلام على سنن الطواف ما نصه: التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ٢-٣؛ ص ٢٤٧

سنن الطواف كثيرة منها أن يستقبل الطائف الحجر الأسود قبل البدء بالطواف إذا كان المطاف خاليا، و أن يستلمه بيده اليمنى ثم يقبله بفمه قبله خفيفه ثم يضع جبهته عليه و يفعل ذلك في كل مرة، فإن عجز عن التقبيل بيده اليمنى فباليسرى، فإن عجز عن استلامه استلمه بنحو عود ثم قبل ما استلم به، فإن عجز عن استلامه أشار إليه بيده أو بشيء فيها ثم قبل ما أشار به، و لا يشير بالفم إلى التقبيل، و لا يزاحم للتقبيل بل تحرم المزاحمة و الاستلام إن آذى غيره أو تأذى غيره، و لا يستحب للنساء في الطواف استلام و لا تقبيل للحجر الأسود و الركن اليماني إلا عند خلوه المطاف.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٤٨

(و منها) أن يستلم الركن اليماني بيده و يقبل يده بعد استلامه، فإن عجز عن استلامه أشار إليه بيده أو بشيء فيها لكن لا يقبل ما أشار به للركن اليماني، و ظاهر كلام النووي و غيره تقبيل ما أشار به إليه أيضا، أما الركن الشامي و الركن العراقي فلا يسن تقبيلهما و لا استلامهما.

قال البجيرمي في حاشيته: و قد ثبت أنه صلى الله عليه و سلم قبل الحجر الأسود و ثبت أنه استلمه بيده ثم قبلها، و ثبت أنه استلمه بمحجنه فقبل المحجن، و لم يثبت أنه صلى الله عليه و سلم قبل الركن اليماني و لا قبل يده حين استلمه، و لم يستلم الركنين المقابلين للحجر، أى الركن الشامي و الركن العراقي، اه. فالركن العراقي جهة باب العمرة و الشامي جهة باب الزيادة كما هو ظاهر في رسم الكعبة، اه.

ثم ذكرنا هناك في كتابنا المذكور بقیة سنن الطواف و لم نأت بها لعدم تعلقها بهذا المبحث.

### بقاء الحجر الأسود إلى يوم القيامة

يتعلق أمر هذا الحجر الأسود الكريم ببيت الله الحرام، فإنه منذ بنائه الأول أتى بهذا الحجر فوضعه في ركنه، إذن فهو مرتبط به و يبقى ببقائه إلى يوم القيامة، و يدل على ذلك ما يأتي: روى الأزرقى في تاريخه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «أول ما يرفع الركن و المقام و رؤيا النبي في المنام» و فيه أيضا عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أكثروا استلام هذا الحجر فإنكم توشكون أن تفقدوه بينما الناس يطوفون به ذات ليله إذ أصبحوا و قد فقدوه، إن الله عز و جل لا يترك شيئا من الجنة في الأرض إلا- أعاده فيها قبل يوم القيامة». و فيه أيضا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «إن الله تعالى يرفع القرآن من صدور الرجال و الحجر الأسود قبل يوم القيامة».

و جاء في كتاب الإشاعة لأشراط الساعة عن ابن عمر رضى الله عنهما قال:

«لا- تقوم الساعة حتى يرفع الركن» و جاء فيه أيضا عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة» رواه الشيخان و أخرج أحمد عن ابن عمر نحوه و زاد «و يسلبها حليها و يجرداها من كسوتها، فلكأنى أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته أو معوله» و معنى السويقتين: تصغير الساقين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٤٩

أى دقيق الساقين، و الأصيلع تصغير أصلع و هو صغير الرأس، و الأفيدع تصغير الأفع و هو من فى يديه اعوجاج.

و فى تاريخ الأزرقى أيضا عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم قال: «أترك الحبشة ما تركتكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة».

إلى غير ذلك مما ورد من الأحاديث التى سنشرها أيضا فى المناسبة الآتية إن شاء الله تعالى.

و هذه الأحاديث و إن كان أكثرها فى تخريب الكعبة فإنها تشمل الحجر الأسود أيضا لتعلقه بها تعلقا شديدا فهو معها منذ بنائها الأول و يكون فيها إلى قيام الساعة، و الظاهر من الأحاديث المتقدمة أن الحجر الأسود يرفع من الكعبة قبل تخريبها، و رفعه علامة لقيام الساعة، و الله تعالى أعلم.

نقول: و من مميزات الحجر الأسود أنه مهما قبلته الأفواه و مسحته الأيدي لا يتغير شكله و صورته و لا ينحت منه شىء مطلقا، فهو أصلب من الحديد بآلاف المرات، إنه ليس كالأحجار العادية، بل فيه سر إلهى يشرفه عن جميع الأحجار حسا و معنى، و لو كان قابلا للإنحاث و التفتت لرأيناه متغير الصورة و الشكل، و كيف لا يكون الحجر الأسود كذلك و قد أتى به جبريل عليه السلام و وضعه فى محله المعلوم خليل الله إبراهيم عليه أفضل الصلاة و التسليم، و قبله الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و الأولياء الكرام، و الصالحون العظام، كما قبله ملايين الملايين من البشر، و لمسوه و مسحوه بأيديهم، من العهد الإبراهيمى إلى عهدنا هذا، و يكون كذلك إلى قيام الساعة. فالحمد لله رب العالمين الذى من علينا بالإيمان و العلم و التوفيق.

### الرد على من يقول بأن الحجر الأسود من النيازك

لم نسمع مطلقا أن أحدا فى العصور الغابرة و الأزمان السابقة قال إن الحجر الأسود من النيازك أى يشبه الصواعق أو النجوم المتبلورة الساقطة من السماء، و إنما سمعنا فى عصرنا هذا من يتوهم ذلك و يذهب هذا المذهب، و منهم أستاذنا الكبير الفاضل الأستاذ يوسف أحمد مفتش الآثار العربية سابقا بمصر و محيى الخط الكوفى هناك فى عصرنا الحاضر، فإنه يقول فى كتابه «المحمل و الحج»

بصحيفة ١٠٣ ما نصه:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٥٠

«و لا ندرى إن كان الحجر الأسود وصل إلى العرب من طريق النيازك أى: ما يرى فى السماء كنجوم متساقطة كما فى المنجد، أو من طريق آخر». اهـ.  
و يقول أيضا فى صحيفة ١٠٤ ما خلاصته:

«إن إبراهيم عليه الصلاة و السلام وضع الحجر الأسود إما أن يكون تذكارا لصدعه بأمر ربه ببناء البيت المعظم، و إما أن يكون للعهد الذى أخذه على نفسه و ولده بجعل هذا البيت مثابة للناس، و إما أن يكون قد أقامه حجة عليه و على ولده بأن هذا البيت قد انتقل من ملكيتهم إلى الله تعالى، و جعل لونه أسود لسهولة تعيينه و تحديد مكانه». انتهى كلامه.

هكذا يقول الأستاذ يوسف أحمد رحمه الله تعالى عن الحجر الأسود و قوله غير صحيح كما سنبين ذلك، و المذكور نعرفه حق المعرفة و أنه من خيار الناس و أفاضلهم و لا يتهم بزيف أو فساد رأى، و لا يقدر فى حقه إذا أخطأ فى هذه المسألة فإنه لم يطلع على ما ورد من الأحاديث فى حق الحجر الأسود، كما أنه لم يطلع على ما رواه المؤرخون عن بناء إبراهيم الخليل الكعبة و وضع الحجر الأسود فيه أو اطلع و لم يقتنع بقولهم، فلو اطلع على كل ذلك لما قال عنه ما قال، فالأستاذ يوسف رحمه الله تعالى نظر إلى الحجر الأسود كما ينظر إلى بعض الآثار القديمة، فكتب عنه ما بدا له عن طريق الاستنتاج، فنفسه متشعبة بالأبحاث الأثرية، فكم تقلبت بين يديه مئات الأحجار القديمة عندما كان مفتشا للآثار بمصر ليبدى رأيه فيها و يقيد ملاحظاته عليها.

لكن لما كان الحجر الأسود المبارك الميمون غير تلك الأحجار العادية، و جب علينا أن نبين الحقيقة حتى لا يبقى أدنى شبه لدى أحد من الناس، و ليرتفع عن توهم ذلك الشك و الالتباس فنقول و بالله التوفيق:

إننا نرد قول الأستاذ الذى جاء بصحيفة ١٠٤ من كتابه المذكور «من أن إبراهيم عليه الصلاة و السلام لم يضع الحجر الأسود فى البيت إما تذكارا لقيامه ببنائه، و إما للعهد الذى أخذه على نفسه و ولده بجعل هذا البيت مثابة للناس، و إما لإقامة الحجة عليهم بأن هذا البيت قد انتقل من ملكهم إلى الله تعالى».

فنقول: إن كل ذلك ليس بصحيح و غير معقول و لا- يليق أن يصدر منه كأستاذ كبير، فما معنى أن يضع الحجر الأسود فى البيت كتذكار لبنائه، أو جعله فيه ليكون مثابة للناس، فهل إذا لم يضعه لا يكون مثابة لهم، مع أن الله سبحانه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٥١

و تعالى هو الذى جعله كذلك كما فى الآية الكريمة: **وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَ أَمْنَا فَكَيْفَ غَابَتْ عَنْهُ هَذِهِ الْآيَةُ الصَّرِيحَةُ، وَ أَمَا قَوْلُهُ جَعَلَهُ لانتقال البيت من ملكهم إلى ملك الله تعالى فهذه أسمح مما تقدم، ألم يقرأ قوله تعالى: **وَ إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَ طَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَ الْقَائِمِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ** فبيت الله بينه خليل الله بأمر الله، كيف يعقل أن يدعى ملكيته، ثم يقول: «و قد جعل إبراهيم لون الحجر أسود لسهولة تعيينه و تحديد مكانه» هذا القول لا أصل له مطلقا، فالحجر الأسود كان أشد بياضا من الثلج حينما وضعه إبراهيم عليه الصلاة و السلام فى البيت و أنه كان يتلألأ نورا حتى أضاء مسافات الحرم البعيدة من كل الجهات كما هو مذكور فى الأحاديث المتقدمة، و أنه لم يسود إلا من حريق البيت الذى وقع فى الجاهلية و الإسلام.**

و لا- يخفى أن خليل الله إبراهيم ما بنى البيت الحرام إلا- بأمر الله و ما وضع الحجر الأسود إلا بأمره تعالى أيضا و من هنا جاء الأمر بتقبييل الحجر الأسود و استلامه، و لم يطلب منا استلام حجارة الكعبة المشرفة، ثم إن حجارتها قد تتغير و تتبدل كلما هدمت و بنيت و لكن الحجر الأسود لم يتبدل و لن يتبدل إلى يوم القيامة، فتأمل فمسألة دينية كهذه أما كان الأجدر بالأستاذ المذكور أن يرجع إلى الكتاب و السنة بدل أن يسترسل فى وهمه و تخيلاته؟

و أما ما جاء بصحيفة ١٠٣ من كتابه المذكور من قوله: «و لا ندرى إن كان الحجر الأسود وصل إلى العرب من طريق النيازك أو من

طريق آخر» فقلوه هذا خلط و خطأ محض، فالحجر الأسود جاء به جبريل لإبراهيم عليهما الصلاة والسلام حين بناء البيت و أنه نزل من الجنة كما هو مذكور في الأحاديث المتقدمة، فأين حرمة حجر جاء به جبريل أمين الوحي من حجر يؤخذ من الأرض؟ و من قال أن الحجر الأسود من النيازك فقلوه مردود بالأدلة التالية:

١- ما ورد فيه من الأحاديث بأنه من الجنة، و قد تقدم ذكرها.

٢- أنه لم يسمع قط من يقول بذلك لا في الجاهلية و لا في الإسلام.

٣- لو لم تكن ميزة خاصة للحجر الأسود لما وضعه إبراهيم عليه السلام في بيت الله الحرام، و تلك الميزة هي كونه من الجنة أتى به جبريل الأمين و وضعه في بيت الله بأمر الله.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٥٢

٤- لو كان الحجر الأسود من النيازك كالصواعق الحديدية لذاب و فنى من كثرة لمس الناس له هذه الآلاف السنين، كما هو الشأن في المواد الحديدية كما روى الأرقى عن مجاهد أنه قال: «الركن من الجنة و لو لم يكن من الجنة لفنى». بهذه الأدلة القوية يبطل قول القائل أن الحجر الأسود أصله من النيازك.

ثم من أين لإبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يفتش في وقت البناء في البرارى و القفار و السهول و الصخار على حجر نزل من النيازك كالصاعقة ليضعه في «بيت الله الحرام المعظم» و ليس بمكة كلها في أيامه غير نفر من قبيلة جرهم، ثم لماذا يضع في الكعبة المشرفة حجر أصله من الصواعق و هل له حرمة تبرر أن يستلمها الأنبياء و جميع الناس هذه الآلاف السنين؟ كلا ثم كلا.

و إنما المعقول أن يكون للحجر الأسود ميزة خاصة بأن يكون نزل من الجنة حتى يستحق أن يوضع في بيت الله الحرام المطهر، و ليكون بمثابة يمين الله في الأرض يقبله المؤمنون إخلاصا و طاعة و إيمانا برب العالمين.

و لئن افتخر الغربيون بما لديهم من الآثار القديمة، فإنه يحق للعرب بل للمسلمين قاطبة أن يفتخروا بهذا الحجر الأسود المبارك الذى مرت عليه آلاف السنين و قبله و استلمه الأنبياء و المرسلين، و عموم المسلمين و عامة الناس من كافة الطبقات و الأمم. و فيما تقدم كفاية للمنصف العادل و المؤمن الصادق و الله الهادى إلى سواء الطريق.

و إننا نكرر القول بأن الأستاذ يوسف أحمد الذى يقول في كتابه المتقدم أن الحجر الأسود ربما كان من النيازك الساقطة من السماء رجل صاحب دين و استقامة و فضل و كرم لا يتهم بالزيف و الإلحاد، فإنى أعرفه حق المعرفة و اجتمعت به كثيرا بمصر و أعرف ابنه المحترم أيضا، و لكنه قال ذلك عن حسن قصد و نية حسنة فقد غلبت عليه في هذه المسألة مهنة الاشتغال بالآثار القديمة ففاته أن يتحقق منها من الوجهة العلمية و الدينية، و قد قيل في المثل: «لكل جواد كبوة و لكل عالم هفوة» فرحمه الله رحمة واسعة و أسكنه فردوس جناته و غفر لنا و له ألحقنا به على حسن الخاتمة و صالح الأعمال إنه بعباده لطيف خبير.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٥٣

و بمناسبة ذكر النيازك الساقطة من السماء، نذكر الحكاية التى أوردها ابن بطوطة في رحلته و هذا نصها: و سألتى السلطان «أى سلطان بركى» في هذا المجلس فقال لى: هل رأيت قط حجرا نزل من السماء؟ فقلت: ما رأيت ذلك و لا سمعت به، فقال لى: إنه قد نزل بخارج بلدنا هذا حجر من السماء ثم دعا رجالا و أمرهم أن يأتوا بالحجر فأتوا بحجر أسود أصم شديد الصلابه له بريق قدرت أن زنته تبلغ قنطارا، و أمر السلطان بإحضار القطاعين فحضر أربعة منهم، فأمرهم أن يضربوه، فضربوا عليه ضربة رجل واحد أربع مرات بمطارق الحديد فلم يوثروا فيه شيئا من أمره، ثم أمر برد الحجر إلى حيث كان. انتهى من ابن بطوطة.

و مثل هذا ما جاء في الجزء الثانى من تاريخ الخميس: أنه في سنة اثنتين و ثلاثين و أربعمائه وقع ببلاد خوزستان قطعة حديد من الهواء وزنها مائة و خمسون طنا فكان لها دوى عظيم أسقط منها الحوامل، فأخذها السلطان و أراد أن يعمل منها سيفا فكانت الآلات لا تعمل فيها و كل آلة ضربوها بها تكسرت. انتهى من الكتاب المذكور.

## الزحام على تقبيل الحجر الأسود

يسن تقبيل الحجر الأسود اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم لكن بشرط أن لا يؤذى المستلم غيره فإن حصل ذلك حرم تقبيله لحدوث الضرر له أو لغيره، وعندئذ يكفي أن يشير إلى الحجر الأسود بيده و يقبل يده.

جاء في تاريخ الأزرقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب: «يا عمر إنك رجل قوى و إنك تؤذى الضعيف فإذا رأيت خلوة فاستلمه و إلا فكبر و امض». و جاء فيه أيضا عن هشام بن عروة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يستلم إذا وجد فجوة فإذا اشتد الزحام كبر كلما حاذاه. و جاء فيه أيضا عن عطاء أنه سمع ابن عباس يقول: إذا وجدت على الركن زحاما فلا تؤذ و لا تؤذى.

و جاء فيه أيضا: كان طاووس قل ما استلم الركنين إذا رأى عليهما زحاما. قال ابن عباس: لا تؤذ مسلما و لا يؤذيك إن رأيت منه خلوة فقبله أو استلمه و إلا فامض.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٥٤

و أما ما يكون من الحجاج فى موسم الحج من ازدحامهم الشديد على تقبيل الحجر الأسود، و أنهم لا يبالون بحصول الأذى لهم أو لغيرهم، فإننا نرى لهم نوع عذر فى ذلك فإنهم قد أتوا من بلاد بعيدة يقصدون هذا البيت المقدس أفلا يحق لهم أن يقبلوا الحجر الأسود و لو مرة واحدة لكل فرد منهم حتى تلمس شفتاه موضع شفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، و حتى لا تبقى حسرة فى قلب من رجع إلى بلده و لم يستلم الحجر الأسود المبارك و لم يعرف شكله.

و الذى نذهب إليه و الله تعالى أعلم أنه بدأ التزاحم على الركن منذ ظهور الإسلام من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ورد فى تقبيله من الأحاديث، و قد أفرد الإمام الأزرقى رحمه الله تعالى فى تاريخه فصلا لذلك فقال: (الزحام على استلام الركن الأسود و الركن اليماني) فجاء فيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يدع الركن الأسود و الركن اليماني أن يستلمهما فى كل طواف أتى عليهما قال:

و كان لا يستلم الآخرين. اه.

نقول و الله تعالى أعلم: إن عدم استلام الركنين الآخرين «العراقى و الشامى» كان لعدم وجودهما فى بناء قريش الكعبة فإنها بنت جدارها المقابل لحجر إسماعيل مدورا ليس فيه الركنان المذكوران كما كان ذلك فى عهد إبراهيم عليه الصلاة و السلام أيضا، فلما بنى ابن الزبير رضى الله عنهما الكعبة جعل لهذا الجدار ركنين «العراقى و الشامى» فصار للكعبة أربعة أركان فلما بناها الحجاج جعلها كذلك.

و جاء فيه أيضا: أن ابن عمر رضى الله عنهما كان لا يدع الركنين «أى الركن الأسود و الركن اليماني» فى كل طواف طاف بهما حتى يستلمهما، لقد زاحم على الركن مرة فى شدة الزحام حتى رجع فخرج فغسل عنه ثم رجع فعاد يزاحم فلم يصل إليه حتى رجع الثانية فخرج فغسل عنه، ثم رجع فما تركه حتى استلمه.

و جاء فيه أيضا: عن سالم بن عبد الله يقول: إن عبد الله بن عمر كان لا يترك استلام الركنين فى زحام و لا غيره حتى رأته زاحمنا عنه يوم النحر و أصابه دم فقال: قد أخطأنا هذه المرة، و جاء فيه أيضا: عن طلحة بن يحيى قال: سألت القاسم بن محمد عن استلام الركن فقال: استلمه و زاحم عليه يا ابن أخى فقد رأيت ابن عمر يزاحم عليه حتى يدمى، و جاء فيه أيضا: عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن ابن عوف: كيف صنعت يا أبا محمد فى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٥٥

استلام الحجر، و كان قد استأذنه فى العمرة فقال: كلا قد فعلت استلمت و تركت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أصبت. انتهى كل

ذلك من الأزرقى.

فعلية نرجو الله سبحانه و تعالى العفو و الغفران فى ازدحام الحجاج و غيرهم على تقبيل الحجر الأسود خصوصا و أنهم يرضون بطيب خاطر بحصول الأذى لهم فى سبيل ذلك، و أنهم يعدون أنفسهم سعداء إذا فازوا بتقبيله و هو كذلك إن شاء الله، ففضل الله عظيم و رحمته واسعة.

(تنبيه) إن ما عمله عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من محافظته على استلام الركنين فى كل طوفة طاف بهما و أنه لا يتركهما حتى فى شدة الزحام، هذه خصوصية له لا يطلب من أحد أن يزاحم على الركنين اقتداء به، فهو رضى الله عنه من أجلاء الصحابة له اجتهاده و عمله فإنه كان شديد المحافظة على كل ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه و سلم و تتبع أفعاله. فقد جاء فى زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم عند حديث «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل» أن الزبير بن بكار قال: كان ابن عمر يحفظ ما سمع من رسول الله صلى الله عليه و سلم و يسأل من حضر إذا غاب عن قوله و فعله و كان يتتبع آثاره فى كل مسجد صلى فيه، و كان يعترض براحلته فى طريق رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم عرض ناقته فيه و كان لا يترك الحج، و كان إذا وقف بعرفة يقف فى الموقف الذى وقف فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و فى الزهد للبيهقى بسند صحيح عن عمر ابن محمد بن يزيد بن عبد الله بن عمر سمعت أبى يقول: ما ذكر ابن عمر رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا بكى و لا مر على ربعم إلا غمض عينيه. انتهى من زاد مسلم من الجزء الرابع. فرجل هذا حاله يجب أن نعتبر بحاله رضى الله عنه و عن جميع الصحابة.

### الترغيب فى استلام الركنين

يستحب أن يستقبل الإنسان الحجر الأسود بوجهه فيستلمه بيمينه أولا أى يمسحه بها ثم يقبله قبله خفيفة من غير صوت و يسجد عليه بوضع الجبهة، فإن عجز عن التقبيل لرحمة أو غيرها اقتصر على استلامه بيده اليمنى أى يمسحه بيده ثم يقبلها، فإن عجز عن الاستلام أشار بيده أو أشار بما فيها من نحو خشبة أو عصا ثم يقبل ما أشار به من يده أو غيره.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٥٦

جاء فى تاريخ الأزرقى عن ابن جريج أنه قال: و أخبرت أن النبى صلى الله عليه و سلم كان إذا طاف على راحلته يستلم الركن بمحجنه ثم يقبل طرف المحجن، و المحجن العصا المنعطفة الرأس، هذا بالنسبة للحجر الأسود.

و فى الأزرقى أيضا عن عباد بن جعفر قال: رأيت ابن عباس رضى الله عنهما جاء يوم التروية و عليه حلة مرجلا رأسه فقبل الركن الأسود و سجد عليه، ثم قبله و سجد عليه ثلاثا. اهـ.

ذكر الغازى فى تاريخه عند الكلام على بناء السلطان مراد أنه فى يوم الاثنين غرة رجب الحرام سنة (١٠٤٠) وضعوا الحجر الذى بطرفه محل استلام الطائفين من الركن اليمانى و كان طرف الحجر الذى تحته انكسر من أعلاه فوضع فى محل ذلك من الرصاص المذاب ما يساوى به مع باقى الأحجار سمتا و كان تمام وضع الحجر و تسويته عند العصر من اليوم المذكور و جاء الفاتح بقليل من الصندل المذاب و ضمخ به محل الاستلام و ما يقاربه. انتهى من الغازى.

أما إلصاق قطع الركن اليمانى و تسميرها الذى ذكره ابن جبير فى رحلته، فقد كان فى عهد الفاطميين فى سنة (٥٥٩) تسع و خمسين و خمسمائة عندما تضعع الركن، كما جاء ذلك فى تاريخ مكة للسباعى بصحيفة ١٤٧.

و جاء فيه أيضا بصحيفة ١٥١ نقلا عن الدحلان فى وقائع سنة (٥٩٢) اثنتين و تسعين و خمسمائة أن ريحا سوداء عظيمة عصفت بمكة عند خروج الحجاج منها و كان فيها رمل أحمر أصاب الناس و سقطت أحجار من ركن الكعبة اليمانى، و ينقل أبو شامة فى ذيل الروضتين أن الذى سقط من الركن قطعة واحدة، و أن الكعبة تحركت مرارا و أن ذلك لم يعهد من قبل. انتهى منه.

و جاء في شفاء الغرام للفاسي: قال ابن الأثير في أخبار سنة (٥١٥) خمس عشرة و خمسمائة، فيها تضعع الركن اليماني من البيت الحرام، زاده الله شرفا و انهدم بعضه، و ذكر مثل ذلك المؤيد صاحب حماه في أخبار سنة خمس عشرة و خمسمائة.

و قال أبو عبيد البكري في كتابه المسالك و الممالك: و حدث جماعة أن في سنة (٤٣٣) ثلاث و ثلاثين و أربعمائه انكسرت من الركن اليماني فلقه قدر إصبع و غفل الناس عن سدها فصارت عند قوم من أهل مكة من الحسينين فوق و باء التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٥٧

عظيم بمكة عام و موت و كان لا يلبث المريض فوق ثلاثة أيام، و هلك في أهل الدار الذي اتهم أن الفلقه فيها ثمانية عشر إنسانا، فرأى بعض الصالحين المجاورين من أهل خراسان في نومه أن يتفقد ما ذهب من الكعبه و يرد فيرفع الله عنهم الوباء فردت إلى موضعها فارتفع الوباء. انتهى من شفاء الغرام.

نقول: الظاهر مما تقدم أن حجر الركن اليماني الذي يقع فيه الاستلام قديم يرجع عهده إلى بناء عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما، فهو الذي نقض البيت كله ثم بناه بناء جديدا، أما الحجاج الثقفي فإنه هدم من جداره الذي في حجر إسماعيل ستة أذرع و شبرا ثم بناه و ترك سائر جدرانها، فبقى الركن اليماني كما هو لم يحصل فيه شيء.

و قد بقيت هذه البناية على ما هي عليه إلى زمن السلطان مراد الرابع الذي بنى الكعبه من جديد سنة (١٠٤٠) أربعين و ألف من الهجرة و اضطروا إلى نقل حجر الركن اليماني من موضعه للإصلاح و البناء.

فعلى ما تقدم يكون حجر الركن اليماني يقع فيه الاستلام يرجع عهده إلى بناء ابن الزبير فلذلك و لحرمة نفس الركن إذا وقعت منه قطعة أرجعوها إلى محلها و أحكموا إصلاحها بالمسامير و الرصاص زيادة في التحفظ. و الله تعالى أعلم.

### ما يقال عند استلام الحجر الأسود

قال العلامة محب الدين الطبري في كتابه «القرى لفاصد أم القرى» فيما يقال عند استلام الركن الأسود ما نصه:

عن ابن جريج قال: أخبرت أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم قال: يا رسول الله كيف نقول إذا استلمنا؟ قال: قولوا: باسم الله و الله أكبر إيمانا بالله و تصديقا لإجابة محمد صلى الله عليه و سلم. أخرجه الشافعي.

و عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا استلم الركن قال: بسم الله و الله أكبر، أخرجه أبو ذر و الأزرقى. و عنه أنه كان إذا استلم الحجر قال: اللهم إيماننا بك، و وفاء بعهدك و تصديقا بكتابك و سنة نبيك، و يصل على النبي صلى الله عليه و سلم و يستلمه. و عن علي عليه السلام أنه كان إذا استلم الحجر قال: الله أكبر اللهم إيماننا بك و تصديقا بكتابك و اتباعا لستك و سنة نبيك. أخرجهما أبو ذر.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٥٨

و عن عبد الكريم بن أبي أمية قال: يقال عند استلام الركن اليماني: اللهم إجابة دعوة نبيك و اتباع رضوانك و على سنة نبيك صلى الله عليه و سلم.

و عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب كان يقول إذا كبر لاستلام الحجر: باسم الله و الله أكبر على ما هدانا الله لا إله إلا الله وحده لا شريك له آمنت بالله و كفرت بالطاغوت و اللات و العزى، و ما يدعى من دون الله، إن وليي الله الذي نزل الكتاب و هو يتولى الصالحين. أخرجهما الأزرقى. انتهى من كتاب الطبري المذكور.

قال العلامة الشيخ ابن علان في يومياته المذكورة في الجزء الأول من تاريخ الغازي و في آخر الجزء الأول من تاريخ الأزرقى ما نصه: و في يوم الأحد ٢٩ جمادى الثانية سنة (١٠٤٠) ألف و أربعين هجرية شرعوا في وضع المدماك الثاني و سمكه ٢٢ قيراطا ثم صبوا الرصاص على وجه أسفل الجدار اليماني ليساوى المتآكل منه باقى الجدار في سمته.

و في يوم الاثنين غرة رجب من السنة المذكورة وضعوا الحجر الذي بطرفه محل استلام الطائف من الركن اليماني، و كان طرف الحجر الذي تحته انكسر من أعلاه فوضع في محل ذلك من الرصاص المذاب ما يساوي به باقي الأحجار سمتا، و وضعوا حجر الركن الغربي الشامي و نصبوا أحجار الجدار الشامي. انتهى المراد منه.

أما الركن اليماني فيستحب أن يستلمه بيده ثم يقبل يده، و لا يستحب تقبيل الركن المذكور، و لا يخفى أنه فرق بين الركنين، ففضل الركن الأسود أعظم من الركن اليماني، لأن الركن اليماني ليس في مزيه سوى أنه ركن البيت الثاني من عهد إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، و أما الركن الأسود فهو الركن الأول من ذلك العهد أيضا، و فيه مزيه أخرى و هي وجود الحجر الأسود فيه، يقول ابن جبير في رحلته التي كانت سنة (٥٧٨) من الهجرة أنه انصدعت قطعة من الركن اليماني فسمرت بمسامير فضة و أعيدت كأحسن ما كانت عليه و المسامير فيها ظاهرة. اهـ.

نقول: إن مسامير الفضة لا زالت إلى عصرنا هذا موجودة، فإننا ذهبنا إلى الكعبة المشرفة لرؤية مسامير الركن اليماني، صباح يوم الأربعاء التاسع عشر من ربيع الأول عام ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف فوجدنا فيه أكثر من ثلاثين مسمارا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٥٩

من الفضة رأس أكبرها كحدقه عين الإنسان و أصغرها كحبه العدس، و في الركن اليماني عدة قطع انكسرت من حجارتها الأصلية القديمة فأعيدت إلى محلاتها و ألصقت فيها إصاقا محكما بالمسامير الفضة و الرصاص.

روى الأزرقي عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: على الركن اليماني ملكان موكلان يؤمنان على دعاء من يمر بهما و أن على الأسود ما لا يحصى. أخرج الحاكم أنه صلى الله عليه و سلم قال: ما انتهيت إلى الركن اليماني قط إلا وجدت جبريل عليه السلام، عنده فقال: قل يا محمد قلت: و ما أقول؟ قال: قل: اللهم إني أعوذ بك من الكفر و الفاقة و مواقف الخزي في الدنيا و الآخرة، ثم قال جبريل عليه السلام:

إن بينهما سبعين ألف ملك فإذا قال العبد هذا قالوا آمين. و أخرج أبو داود: ما مرت بالركن اليماني إلا و عنده ملك ينادي يقول: آمين آمين، فإذا مررت به فقولوا: اللهم آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النار. و جاء في تاريخ الأزرقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ما مرت بالركن اليماني إلا وجدت جبريل عليه قائما. و جاء في أيضا عن عثمان «ابن ساج» قال: و بلغني عن عطاء قال: قيل يا رسول الله رأيتك تكثر استلام الركن اليماني، قال: فقال إن كان قاله ما أتيت عليه قط إلا- و جبريل قائم عنده يستغفر لمن استلمه. و جاء فيه أيضا عن مجاهد أنه قال: من وضع يده على الركن اليماني ثم دعا استجيب له قال: قلت له: قم بنا يا أبا الحجاج فلنعمل ذلك ففعلنا ذلك.

و في تاريخ الأزرقي أن عبيد بن عمير قال لابن عمر رضي الله عنهما: إني أراك تراحم على هذين الركنين، فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: إن استلامهما يحط الخطايا حطا. و أخرج الترمذي حديثا عن عبد الله بن عمر بهذا المعنى أيضا. و أخرج الإمام أحمد و ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر أيضا عن النبي، صلى الله عليه و سلم قال: مسح الحجر الأسود و الركن اليماني يحط الخطايا حطا. و أخرج القاضي عياض في الشفاء أن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: ما من أحد يدعو عند هذا الركن الأسود إلا استجاب الله له. و روى ابن ماجه و الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: استقبل النبي صلى الله عليه و سلم الحجر ثم وضع شفتيه عليه بيكي طويلا ثم التفت فإذا هو بعمر بن الخطاب بيكي فقال: يا عمر ههنا تسكب العبرات.

و روى الأزرقي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: إن الله عز

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٦٠

و جل يبعث الركن الأسود له عينان يبصر بهما و لسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق.



## فضل الملتزم و الدعاء فيه

الملتزم: هو ما بين الحجر الأسود و باب الكعبة، قال ابن عباس: الملتزم و المدعى و المتعوذ ما بين الحجر و الباب، قال الأزرقى: ذرع الملتزم و هو ما بين باب الكعبة و حد الركن الأسود أربعة أذرع.

و المستجاب: هو ما بين الركن اليماني و الباب المسدود الذى فى ظهر الكعبة. قال مجاهد: قال معاوية بن أبى سفيان: من قام عند ظهر البيت فدعا استجيب له و خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

روى القاضى عياض فى الشفاء عن ابن عباس، رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «ما دعا أحد بشيء فى هذا الملتزم إلا استجيب له». قال مجاهد: رأيت ابن عباس و هو يستعيد ما بين الركن و الباب، و قال أيضا: ما بين الركن و الباب يدعى الملتزم و لا يقوم عبد ثم فيدعو الله، عز و جل بشيء إلا استجاب له، و عن عطاء عن ابن عباس قال: من التزم الكعبة ثم دعا استجيب له، فقيل له: و إن كانت استلامه واحدة؟ قال: و إن كانت أو شك من برق الخلب. و معنى الخلب بضم الخاء و فتح اللام المشددة الذى لا مطر فيه. و عن مجاهد ألصق خديك بالكعبة و لا تضع جبهتك، و عن عمرو بن شعيب عن أبيه قال: طفت مع عبد الله بن عمرو فلما جئنا دبر الكعبة قلت: ألا تتعوذ؟ قال:

أعوذ بالله من النار ثم مضى حتى استلم الحجر فقام بين الركن و الباب ثم وضع صدره و وجهه و ذراعيه و كفيه بسطا و قال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يفعل.

انظر: صورة رقم ٨٦، و يشير السهم إلى الملتزم و هو حائط الكعبة.

نقول: مما لا شك فيه أن الله تعالى يستجيب دعاء المضطر أينما كان و لو فى رؤوس الجبال أو فى وسط البحار، فإنه تعالى أمر بالدعاء بصريح آية: وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ و آية: ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً فَإِنِ الدَّعَاءُ هُوَ عَيْنُ الْعِبَادَةِ، فإذا دعا العبد ربه فى أى موضع كان بذلة و انكسار، فقد أقر بوحدانيته و قدرته و فضله و إحسانه، و كرمه و حلمه و عفوه و غفرانه، و من أقر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٦١

بكل ذلك لربه كان إليه أقرب و بنيل مطالبه و زوال بلائه حقيق و أجدر، فإنه تعالى وحده هو المرتجى و الملتجأ، و أنه كاشف الهم و الكرب، و أنه أرحم الراحمين.

فمن التجأ إلى الله الكبير المتعال بقلب خالص و عزم صادق، فى أى مكان كان، صار جديرا باستجابة دعائه و قبول تضرعه و كشف غمته، فكيف بالإنسان إذا دعا ربه و هو عند بيته الحرام، و بين الركن و المقام و المشاعر العظام، أنه أولى باستجابة دعوته و الفوز بعفوه و رحمته. اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا و رحمتك أرجى من أعمالنا. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

## الحوادث التى مرت على الحجر الأسود

لا نريد أن نأتى هنا عن أصل الحجر الأسود و لا عن وضعه فى البيت الحرام و لا عن تقيله و استلامه و فضله و احترامه لأن كل ذلك تقدم بيانه، و إنما نحب أن نذكر هنا باختصار ما مر عليه من الحوادث من حريقه و قلعه و التعدى عليه بكسر جزء منه للاحتفاظ به للتبرك أو للتذكار.

و لنبدأ من صدر الإسلام، أما ما كان قبله من أن جرهما أو بنى إياد بن نزار حين أخرجوا من مكة أخذوا الحجر الأسود فدفنوه فى بئر زمزم أو غيره فدلتهم على موضع دفنه جددة امرأة قصى بن كلاب، فإننا لم نطمئن إلى هذا الخبر الذى رواه بعضهم، و لئن كان هذا الخبر صحيحا فتكون هذه الواقعة هى الأولى و الأخيرة للحجر الأسود، قبل الإسلام و الله تعالى أعلم فنقول و بالله تعالى التوفيق و هو

حسبي و نعم الوكيل و لا حول و لا قوة إلا بالله.

١- أن الحجر الأسود حدث فيه تصدع بسبب حريق الكعبة الذي وقع في عهد ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما سنة أربع و ستين من الهجرة، لأن الحجر احترق معها حتى تشطب ثلاث فرق، و لذلك ربطه و شده ابن الزبير بالفضة فيكون هو أول من ربطه بها، و هذه أول حادثه وقعت للحجر الأسود.

أما حريق الكعبة في زمن قريش فلم يكن الحريق قويا شديدا كما وقع في عهد ابن الزبير، بسبب أن الكعبة قبل بناء قريش كانت مبنية بالرضم فقط، فكانت الثياب التي هي بمثابة الكسوة توضع عليها تسدل سدا على جدارها و لم يكن لها سقف حتى يكون فيها أخشاب تزيد النار التهابا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٦٢

لذلك لم يحدث على الحجر الأسود في هذا الحريق شيء مطلقا و لو حدث فيه شيء لجا ذكروه فقد كان الحجر الكريم في بناء قريش ظاهرا لجميع الناس، و ذلك لما بنت قريش الكعبة و اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود في محله، جاء رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يبعث بعد فبسط رداء ثم وضع الركن بيده فوقه و قال لهم: «لتأخذ كل قبيلة بناحية الثوب، ثم قال: ارفعه جميعا» ثم ارتقى النبي صلى الله عليه و سلم على جدار الكعبة و رفع القوم إليه الركن فوضعه صلى الله عليه و سلم بيده الشريفه في موضعه.

فمن هنا نستنتج أنه لو كان في الحجر شيء لكان ظاهرا لجميع الناس و لبادروا بإصلاحه و لذكر ذلك في التاريخ.

٢- ثم في زمن هارون الرشيد كانت الفضة التي ربط بها ابن الزبير الحجر الأسود قد تزلزلت و تخلخلت، فأمر هارون الرشيد رحمه الله تعالى سنة (١٨٩) تسع و ثمانين و مائة بالحجارة التي بينها الحجر الأسود أن تثقب بالماس فتثقب من فوقها و من تحتها ثم أفرغ فيها الفضة.

٣- ثم لما جاء أبو طاهر القرمطي مكة و عمل فيها هو و أصحابه أمورا منكرا ضرب بعضهم الحجر الأسود بدبوس فكسره ثم قلعه و ذهبوا به معهم إلى بلادهم هجر و هي قرية مشهورة من أعمال البحرين، و ذلك سنة (٣١٧) سبع عشرة و مائة من الهجرة فمكث عندهم حتى آخر سنة (٣٣٩) تسع و ثلاثين و ثلاثمائة فأتى به سنبر بن الحسن القرمطي إلى مكة فوضعه بيده في محله من الكعبة يوم النحر من السنة المذكورة قبل حضور الناس من منى للطواف و السعي، و قال سنبر بعد رد الحجر الأسود: أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئة الله، و نظر الناس إلى الحجر فتبينوه و قبلوه و استلموه و حمدوا الله تعالى على ذلك، و قد عمل القرامطة على الحجر ضبة من الفضة تضبط الشقوق التي حدثت عليه يوم قلعه، فكانت مدة مكثه عند القرامطة بالأحساء اثنتين و عشرين سنة إلا أربعة أيام، قال الفاسي: و قد بذل بحكم التركي مدبر الخلافة ببغداد للقرامطة على رد الحجر الأسود خمسين ألف دينار فأبوا و قالوا: أخذناه بأمر و لا نرده إلا بأمر، و قيل: إن المطيع العباسي اشتراه بثلاثين ألف دينار من القرامطة، و قال ابن فهد: إن أبا القاسم المسناني ذكر أن المقتدر العباسي اشتراه من أبي سعيد الجنابي بثلاثين ألف دينار ورد هذه الرواية، هذا ما جاء في كتاب تاريخ الكعبة المعظمة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٦٣

و نحن نقول و الله تعالى أعلم بالغيب: أن مسألة شراء الحجر الأسود بثلاثين ألف دينار أو أكثر أو أقل غير صحيح في رأينا، و الصحيح عندنا ما قاله القرامطة لبحكم التركي حينما بذل لهم خمسين ألف دينار «أخذناه بأمر و لا نرده إلا بأمر» و الدليل على صحة رأينا: هو أن سنبر بن الحسن القرمطي هو الذي أتى بالحجر الأسود إلى مكة و وضعه بيده في محله الأصلي من الكعبة بحضور أمير مكة يومئذ، فلو أنه حصل شراء الحجر الأسود لدفعه القرامطة إلى من اشتراه، و كان الذي اشتراه منهم هو الذي يأتي به إلى مكة و يضعه بنفسه في موضعه من الكعبة. هو رأينا و الله تعالى أعلم بغيبه.

و سبب أخذ القرامطة الحجر الأسود ثم رده ثانيا إلى الكعبة: هو أنهم عزموا على تحويل الحج إلى بلادهم «هجر» و صرف الناس عن الكعبة إليهم لذلك حافظوا على الحجر الأسود لديهم و ضبيوه بالفضة، فلما مكث عندهم اثنتين و عشرين سنة بدون فائدة و مات أبو

طاهر القرمطى رئيس القرامطة ردوا الحجر الأسود إلى مكة و وضعوه فى محله من الكعبة.

ولزيادة الإيضاح نذكر ما قاله البتونى رحمه الله فى كتابه «الرحلة الحجازية» عن القرامطة و أخذهم الحجر الأسود و هو: و فى أيام المقتدر العباسى ظهرت فى العراق طائفة القرامطة و هم قوم ينسبون إلى موالاة محمد ابن الحنفية بن على كرم الله وجهه، و يكفرون من لم يكن على مذهبهم. و أول من ظهر منهم أبو طاهر القرمطى و قد بنى دارا فى هجر «بفتحيتين» و هى قرية مشهورة من أعمال البحرين، سماها دار الهجرة، و أراد أن ينقل الحج إليها، لذلك كان يقصد الطرق الموصلة إلى مكة و يفتك بحجاج بيت الله الحرام، فانقطع الحج فى أيامه خشية منه، و سار القرمطى إلى مكة فى عسكر كثيف أيام الحج و دخل بخيله و رجله إلى الحرم و وضع السيف فى الطائفين و العاكفين و الركع السجود على بغته منهم، و قتل فى مكة و شعابها نحو ثلاثين ألفا و اقتلع باب الكعبة و جرده مما كان عليه من صفائح الذهب و أخذ جميع ما فى خزينة بيت الله الحرام من المجوهرات الثمينة، و اقتلع الحجر الأسود من مكانه و انصرف به إلى بلاده بعد أن هدم قبة زمزم، و بقى مكان الحجر خاليا يتبرك الناس بمحله.

و بعد موت أبى طاهر رأى قومه أن من المستحيل تحويل الحج عن الكعبة إلى بلادهم، فقام سنبر بن الحسن القرمطى بالحجر إلى مكة و كان يحيط به برواز من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٦٤

الفضة يضبط بعض القطع التى تكسر منه حين قلعه فوضع فى مكانه على الحالة التى تراه عليها الآن. انتهى من كتاب الرحلة الحجازية. فهذه نبذة وافية عن أخذ القرامطة الحجر الأسود المكرم.

فالحمد لله على هدايته لنا للإسلام و الشكر له على جعله لنا من سكان بلده الأمين و بيته الحرام، و صلى الله و سلم على رسوله النبى الأسمى و على آله المطهرين الكرام و صحابته البررة الفخام.

٤- ثم إن حجة البيت الشريف قلعوا الحجر الأسود منه الذى أتى به سنبر القرمطى ليجعلوا له طوقا جديدا من الفضة، فعملوا له ذلك و شدوه به شدا محكما كما كان قديما حينما عمله ابن الزبير، رضى الله عنهما فكان فيه من الفضة ثلاثة آلاف و سبعة و تسعون درهما و نصف درهم و ذلك بعد إرجاع سنبر الحجر بيضعة أشهر، أى فى سنة (٣٤٠) أربعين و ثلاثمائة.

٥- أخذ داود بن عيسى بن فليته أمير مكة طوق الحجر الأسود الذى كان به و ذلك قبيل عزله سنة (٥٨٥) خمس و ثمانين و خمسمائة.

٦- و فى سنة (٣٦٣) ثلاث و ستين و ثلاثمائة بينما الناس فى وقت القيلولة و شدة الحر و ما يطوف إلا رجل أو رجلان، إذ جاء رجل عليه طمران مشتمل على رأسه فدنا من الركن الأسود و ضربه بالمعول ضربة شديدة حتى خفته الخففة التى فيه ثم رفع يده ثانيا يريد ضربه فابتدره رجل من أهل اليمن رآه و هو يطوف قطعنه طعنة عظيمة بالخنجر حتى أسقطه فأقبل الناس من نواحي المسجد فنظروه فإذا هو رجل رومى جاء من أرض الروم، و قد جعل له مال عظيم على إخراج الركن و إحضاره معه، ثم أخرجوه من المسجد الحرام و جمعوا حطبا كثيرا فأحرقوه بالنار. اه. ذكره ابن فهد القرشى فى إتحاف الورى.

٧- و فى سنة (٤١٣) ثلاث عشرة و أربعمائة قام رجل فقصد الحجر الأسود فضربه ثلاث ضربات بدبوس و تبخش وجه الحجر من تلك الضربات و تساقطت منه شظايا مثل الأظفار و تشقق و خرج أسمر يضرب إلى صفرة محببا مثل الخشخاش، ثم جمع بنوا شيبه الفتات و عجنوه بالمسك و الشمع و حشوا الشقوق و طلواها من ذلك. اه. ذكره الفاسى، قال الشيخ باسلامة رحمه الله تعالى فى كتابه «تاريخ الكعبة»: و ذكر ابن الأثير هذه القصة فى إخبار سنة (٤١٤) و ساق القصة بتمامها و قال: كان هذا الرجل من ملاحدة المصريين الذين استغواهم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٦٥

الحاكم العبيدى قال: و بعد أن ضرب الرجل الحجر الأسود بالدبوس قال: إلى متى يعبد هذا الحجر و لا محمد و لا على يمنعى عما

أفعله فإنى أريد اليوم أن أهدم هذا البيت.

قال: و خافه الحاضرون و تراجعوا عنه و كاد أن يفلت، و كان على باب المسجد عشرة من الفرسان على أن ينصروه، فاحتسب رجل من أهل مكة و ثار به فوجاه بخنجر و احتوشه الناس فقتله ثم تكاثروا عليه فقطعوه و أحرقوه بالنار و قتل جماعة ممن شاركوه و عاونوه و أحرقوا بالنار، و كان الظاهر منهم عشرين رجلا غير ما خفى منهم فثارت الفتنة فأطفأها أمير مكة يومئذ أبو الفتوح، ثم إن بنى شيبة جمعوا ما سقط من الحجر الأسود و عجنوه بالمسك و اللك و حشوا الشقوق و طليت من ذلك. انتهى. و اللك بضم اللام هو ما يسمى بمصر الشمع الأحمر و هو الشمع الذى يختم به على الظروف و الطرود البريدية. ذكر البتوني فى كتابه «الرحلة الحجازية» عن هذه الحكاية أنها وقعت فى سنة (٤١١) ثم قال:

و يزعمون أن الحاكم بأمر الله الفاطمى هو الذى كان أرسل ذلك الرجل حتى إذا كسر الحجر الأسود أمكنه تحويل وجهه المسلمين عن الكعبة إلى مسجده بجوار باب الفتوح بالقاهرة. اه.

٨- و فى منائح الكرم: أنه فى عشر التسعين و تسعمائة جاء رجل أعجمى بدبوس فى يده فضرب الحجر الأسود، و كان حاضرا الأمير ناصر جاش فوجا ذلك الأعجمى بالخنجر فقتله.

٩- و فى تاريخ مكة للأستاذ السباعى بصحيفة ٣٤٣ عند الكلام على بناء السلطان مراد للكعبة سنة (١٠٤٠) أنه فى أثناء عملهم فيما يحيط بالحجر الأسود انفلت الحجر إلى أربع شظايا فهالهم ذلك و أزعجهم فبادروا إلى جمع الشظايا بمركب عجنوه بالغبير و اللادن فتماسك إلى أمد غير طويل ثم تكك فعالجوه بمركب من قلفونية و اسبيداج و سندروس و مسك فتماسك أمدًا ثم عاد إلى التفكك فجىء بالمعلم محمود الدهان فاتخذ له مركبا خاصا تماسكت به القطع تماسكا تاما.

١٠- و فى آخر شهر محرم سنة (١٣٥١) إحدى و خمسين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة فى عصرنا الحاضر جاء رجل فارسى من بلاد الأفغان فاقطع قطعة من الحجر الأسود و سرق قطعة من ستارة الكعبة و قطعة فضة من مدرج الكعبة الذى التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٦٦

هو بين بئر زمزم و باب بنى شيبة، فشر به حرس المسجد الحرام فاعتقلوه ثم أعدم عقوبة له، كما أعدم من تجرأ قبله على الحجر الأسود بقلع أو تكسير أو سرقة حيث أصبح حكم الإعدام على أمثال هؤلاء سنة متبعة.

ثم إنه فى آخر ربيع الثانى حضر جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ملك المملكة العربية السعودية رحمه الله تعالى، من الطائف إلى مكة لوضع تلك القطعة موضعها من الحجر الأسود فعمل الأخصائيون معجونا لتثبيت تلك القطعة ثم أخذها جلالته و وضعها بيده فى محلها. انتهى كل ذلك مختصرا من تاريخ الكعبة المعظمة.

فيعلم مما تقدم سبب ظهور القطع الصغيرة من الحجر الأسود الكريم، و الحمد لله بعد الحادث الأخير إلى عامنا هذا لم يقع عليه شىء، و قد وضعت حكومتنا الموقفة على الحجر الأسود جنديا خاصا لحراسته يقف بجواره فلا يفارقه، كما وضعت أيضا جنديا على مقام إبراهيم عليه السلام، فكل جندى يقف على الحراسة ساعة واحدة أو ساعة و نصف ثم يأتى غيره فيقف هذه المدة ثم يأتى غيره و هكذا ليلا و نهارا.

### الرد على من يقول أن القرامطة استبدلوا الحجر الأسود

من المعروف فى التاريخ أن أبا طاهر القرمطى وافى مكة فى سابع ذى الحجة سنة سبع عشرة و ثلاثمائة، و فعل فيها هو وقومه أمورا منكرة، و أمر أبو طاهر جعفر بن أبى علاج البتاء بقلع الحجر الأسود فقلعه لأربع عشرة خلت من ذى الحجة من السنة المذكورة، و ذهب به معه إلى بلاده هجر و بقى موضعه من الكعبة المعظمة خاليا يضع الناس فيه أيديهم للتبرك ثم إن سنبر بن الحسن القرمطى وافى مكة بالحجر الأسود سنة تسع و ثلاثين و ثلاثمائة فوضعه بيده فى موضعه من الكعبة و قال: أخذناه بقدر الله و رددناه بمشيئة

الله، و ذلك يوم النحر من السنة المذكورة الخ ...

فبعض المغفلين يظن أن القرامطة استبدلوا الحجر الأسود بحجر آخر حينما رده إلى الكعبة، فهذا الظن في غير محله، و هو مردود بأمرين تاريخي و ديني، فالأمر التاريخي: أن التقى الفاسي ذكر في شفاء الغرام بعد أن ساق قصة القرامطة، ورد سنبر القرمطي الحجر الأسود، و وضعه بيده في موضعه بالكعبة ما نصه:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٦٧

«و نظر الناس إلى الحجر فتبينوه و قبلوه و استلموه و حمدوا الله تعالى، و كان رد الحجر الأسود في موضعه قبل حضور الناس لزيارة الكعبة يوم النحر، و كانت مدة كينونته عند القرمطي و أصحابه اثنتين و عشرين سنة إلا أربعة أيام، هذا معنى كلام المسبحي. اه.»

فقله: و نظر الناس إلى الحجر فتبينوه و قبلوه الخ .. صريح في أن الناس لم يستلموه إلا- بعد التحقق منه و التثبت من عدم تغييره و تبديله، و لا يخفى أن مدة إقامة الحجر الأسود عند القرامطة هي اثنتان و عشرون سنة، و هذه المدة لا تحتمل موت جميع أهل مكة الذين أخذ الحجر الأسود أمام أعينهم، ثم إن الحجر الأسود له مميزات خاصة ما كانت خافية على أهل ذلك العصر، و إن خفى علينا الآن بسبب الطوق الفضي العظيم المضروب عليه حتى إنه لا يظهر منه اليوم إلا بعض قطع صغار و هي ثمانية قطع.

جاء في كتاب الإشاعة لأشراط الساعة أن محمد بن نافع الخزاعي قال:

تأملت الحجر و هو مقلوع فإذا السواد في رأسه فقط و سائره أبيض و طوله قدر عظم الذراع. اه. و رؤيته للحجر كانت حينما قلعه القرمطي، و انظر في صحيفه (١٢٦) كيف يصفه بعضهم أيضا.

و أما الأمر الديني: فقد روى الأزرقى عن عائشة رضی الله عنها، أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أكثروا استلام هذا الحجر فإنكم توشكون أن تفقدوه بينما الناس يطوفون به ذات ليلة إذ أصبحوا و قد فقدوه إن الله عز و جل لا يترك شيئا من الجنة في الأرض إلا أعاده فيها قبل يوم القيامة».

و روى أيضا عن عثمان أنه قال: و حدثت عن مجاهد أنه قال: «كيف بكم إذا أسرى بالقرآن و رفع من صدوركم و نسخ من قلوبكم و رفع الركن»، قال عثمان: و بلغني عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: «أول ما يرفع الركن و القرآن و رؤيا النبي صلى الله عليه و سلم في المنام». و روى أيضا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «إن الله تعالى يرفع القرآن من صدور الرجال و الحجر الأسود قبل يوم القيامة».

و روى أيضا عن يوسف بن ماهك أنه قال: «إن الله تعالى جعل الركن عيد أهل هذه القبلة، كما كانت المائدة عيداً لبني إسرائيل و إنكم لن تزالوا بخير ما دام بين ظهرانيكم، و إن جبريل وضعه في مكانه يأتيه فيأخذه من مكانه».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٦٨

و جاء في كتاب «القرى لقاصد أم القرى» للإمام الطبري عن ابن مسعود أنه قال: أكثروا من زيارة هذا البيت قبل أن يرفع و ينسى الناس مكانه، و أكثروا من تلاوة القرآن قبل أن يرفع، قالوا: هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال؟ قال: يسرى عليها ليلا فتصبح صفرا أو قفرا حتى ينسوا لا إله إلا الله فيقولون كما نقول قولاً و نتكلم به، و يرجعون إلى شعار الجاهلية و كلامهم. أخرج الأزرقى. انتهى من الطبري.

و جاء في الإشاعة في أشراط الساعة: عن ابن عمر رضی الله عنهما، قال:

«لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن و المقام و رؤيا النبي في المنام». أخرج السجزي. و قد تقدم بعض الأحاديث في هذا المعنى. فيعلم من كلام النبي صلى الله عليه و سلم المتقدم: أن الحجر الأسود نفسه يبقى في موضعه من الكعبة إلى يوم القيامة، فيرفع عندئذ بواسطة الملائكة، فلا يفقد بطريقة السرقة و لا بالاعتداء.

هذا ما يؤمن به المسلمون و هم أدري بأمور دينهم، و لا عبرة بكلام غيرهم من أهل الشك و الشرك و من أهل النفاق و الشقاق.

بقى علينا من بحث الحجر الأسود نقطة مهمة يجب ذكرها، وهي: أن الأستاذ يوسف أحمد مفتش الآثار العربية سابقا بالديار المصرية ومحبي الخط الكوفي هناك في عصرنا الحاضر، رحمه الله، يقول في كتابه المحمل والحج بصحيفة (١٠٣) ما نصه: «ولا ندري إن كان الحجر الأسود وصل إلى العرب من طريق النيازك أو من طريق آخر» ويقول في صحيفته (١٠٤) من الكتاب المذكور ما ملخصه: «إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وضع الحجر الأسود إما أن يكون تذكارا لصدعه بأمر ربه ببناء البيت المعظم، وإما أن يكون للعهد الذي أخذه على نفسه وولده بجعل هذا البيت مثابة للناس، وإما أن يكون قد أقامه حجة عليه وعلى ولده بأن هذا البيت قد انتقل من ملكيتهم إلى الله تعالى، وجعل لونه أسود لسهولة تعيينه وتحديد مكانه». اهـ. هكذا يقول الأستاذ يوسف أحمد رحمه الله تعالى عن الحجر الأسود في كتابه المذكور.

ونحن مع احترامنا للأستاذ يوسف أحمد رحمه الله كأحد مشايخنا الذين أخذنا عنهم الخط العربي حين إقامتنا بمصر، وأنه رجل من خيار الناس وأفاضلهم، لا؟؟؟نا إلا أن نرد قوله بيانا للحقيقة فنقول: يظهر لنا أن الأستاذ يوسف أحمد لم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٦٩

يطلع على ما ورد من الأحاديث في حق الحجر الأسود، وأنه لم يقتنع بما رواه المؤرخون عن كيفية وضع إبراهيم عليه السلام له وإلا لما قال ما قال عنه في كتابه، بل إنه نظر إلى الحجر الأسود كما ينظر إلى بعض الآثار القديمة فكتب عنه ما بدا له على طريقة الاستنتاج، ونحن لا نتهمة قط، وهو رجل الاستقامة والفضل والذكاء، وإنما نلتمس له العذر لأن نفسه متشعبة بالأبحاث الأثرية، فكم تقلبت بين يديه مئات الأحجار القديمة عندما كان مفتشا للآثار بمصر ليبدى رأيه فيها و يقيد ملاحظاته عليها، لكن لما كان الحجر الأسود المبارك غير تلك الأحجار، وجب علينا أن نبين حقيقته حتى لا يبقى أدنى شبهة لدى أحد من الناس فنقول:

لما بلغ إبراهيم عليه الصلاة والسلام في بناء البيت إلى موضع الحجر الأسود جاء به جبريل عليه السلام، فوضعه في مكانه وبنى عليه إبراهيم وهو حينئذ يتلأأ تلاًأ من شدة بياضه فأضاء نوره شرقا وغربا ويمنا وشاما فكان نوره يضيء إلى منتهى أنصاب الحرم من كل ناحية من نواحي الحرم، وإنما كان سواده من خطايا بني آدم، كما جاء في الحديث وهذا أمر معنوي لا يدركه كل فرد، وقد اسود أيضا من إصابته بالحريق مرة بعد مرة في الجاهلية والإسلام كما تقدم بيانه في بناء قريش و بناء ابن الزبير الكعبة.

فالحجر الأسود ليس من النيازك كما يظنه الأستاذ يوسف أحمد، وإنما هو والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة نزل بهما جبريل عليه السلام، و لو لا أن الله تعالى أطفأ نورهما لأضاء ما بين السماء والأرض كما جاء ذلك صريحا في بعض الأحاديث، قال ابن عباس: «و لو لا- أن الله طمس ضوء الحجر الأسود لما استطاع أحد أن ينظر إليه». وقال مجاهد: «الركن من الجنة و لو لم يكن من الجنة لفنى».

وكما أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، رفع قواعد البيت بأمر الله، فقد وضع الحجر الأسود فيه بأمره عز شأنه أيضا، لا للعل التي ذكرها الأستاذ يوسف أحمد، قال عكرمة: «إن الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن لم يدرك بيعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله». وقال ابن عباس: «الركن يمين الله في الأرض يصافح بها عباده كما يصافح أحدكم أخاه».

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٧٠

ولقد جاء في فضل الحجر واستلامه أحاديث كثيرة لا لزوم لسردها حتى لا يطول الكلام، نسأل الله التوفيق والهداية للصواب.

انظر: صورة رقم ٨٧، الحجر الأسود و تظهر منه ثمانى قطع في زماننا اليوم

### أصل القرامطة و مذهبهم

حيث أن هؤلاء الطائفة لهم ذكر في كتابنا هذا عند اقتلاعهم الحجر الأسود و انتهاكهم لحرمه مكة و البيت الحرام، نذكر هنا طرفا عن أصلهم و أخبارهم.

فقد جاء في تاريخ الخميس عن القرامطة عند الكلام على خلافة المقتدر بالله ما يأتي:

و في المواقف: لقبوا بالقرامطة لأن أولهم الذي دعا الناس إلى مذهبهم رجل يقال له حمدان قرمطة، و هي إحدى قرى واسط، لقبوا بسبعة ألقاب:

(١) بالقرامطة لما مر، (٢) و بالباطنية لقولهم بباطن الكتاب دون ظاهره، فإنهم قالوا للقرآن ظاهر و باطن و المراد منه باطنه لا ظاهره المعلوم من اللغة و نسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة اللب إلى القشر، (٣) و بالحرمية لإباحتهم الحرمات و المحارم، (٤) و بالسبيعة لأنهم زعموا أن النطقاء بالشرائع أى الرسل سبعة آدم و نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و محمد و محمد المهدي سابع النطقاء، (٥) و بالبابية إذ تبع طائفة منهم بابك بن عبد الكريم الحرمي في الخروج بأذربيجان، (٦) و بالمحمرة لبسهم الحمرة في أيام بابك، (٧) و بالإسماعيلية لإبائهم الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق و هو أكبر أبنائه.

و في الملل و النحل لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني لهم ألقاب كثيرة على لسان كل قوم، فبالعراق يسمون الباطنية و القرامطة و المزدكية، و بخرسان التعليمة و الملحدة و هم يقولون: نحن إسماعيلية لأننا نميز عن فرق الشيعة بهذا الاسم و بهذا الشخص. انتهى من تاريخ الخميس.

و لقد تكلم الخضرى رحمه الله تعالى في كتابه «محاضرات الخضرى» عن بعض الطوائف و منهم القرامطة، نذكر هنا طرفا من أخبارهم نقلا عن الكتاب المذكور باختصار فنقول:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٧١

ظهر في أواخر دولة المعتمد بالله بن المتوكل بن المعتصم المتوفى لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة (٢٧٩) تسع و سبعين و مائتين من الهجرة، رجل بسواد الكوفة قدم إليها من نواحي خوزستان و كان يظهر الزهد و التقشف و يأكل من كسبه و يكثر الصلاة، فأقام على ذلك مدة و أعلم الناس أنه يدعو إلى إمام من أهل البيت، و كان يزداد في أعين الناس نبلا بما يظهره من الزهد ثم مرض. و كان في القرية رجل يلقبونه «بكرميته» لحمرة عينيه و هو بالنبطية أحمر العين فحمل هذا المريض إلى منزله و وصى أهله بالإشراف عليه و العناية به فلم يزل مقيما عنده حتى برئ فكان «كرميته» يدعو الناس إلى مذهبه حتى أجابه جمع كثير من الأكره (جمع آكار بالتشديد و هو الحراث) و كان يأخذ من كل من دخل في مذهبه دينارا بزعم أنه للإمام، و اتخذ من أهل القرية نقباء اثني عشر، فاشتغل الزراع هناك عن أعمالهم بما رسم لهم من الصلوات الكثيرة التي أخبرهم أنها مفروضة عليهم.

و كان للهيصم في تلك النواحي ضياع فوقف على تقصير أكرته في العمارة، فسأل عن ذلك فعلم بخبر الرجل فوجه في طلبه فأخذ و جرى به إليه فحبسه و اشتغل بشربه فرقت إحدى جوار الهيصم للرجل فأخذت مفتاح الحجر التي حبس فيها من تحت رأس الهيصم و فتحت الباب و أخرجه ثم أعادت المفتاح إلى مكانه، فلما أصبح الهيصم فتح الباب ليقتل الرجل فلم يجده، و شاعت تلك الحادثة في الناس فافتتنوا به و قالوا رفع ثم ظهر في ناحية أخرى، و أشيع بين الناس أنه لا يمكن أحدا أن يناله بسوء فعظم في أعينهم و مع ذلك فإنه خاف على نفسه و خرج إلى الشام و أطلق على نفسه اسم الرجل الذي آواه و هو «كرميته» ثم خفف فقيل قرمط و لمن تبعه القرامطة ثم إنه فشا مذهب القرامطة في سواد الكوفة و السلطان لاه عنهم، لا يفكر في تغيير شيء مما هم عليه حتى كان منهم ما كان من الكوارث العظمى التي حلت بالأمة الإسلامية و حتى أخيفت السبل و قطع طريق الحاج.

ثم ظهر بالبحرين رجل يقال له أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، و جنابه من ساحل فارس يدخل إليها في المراكب في خليج من البحر الفارسي و بين المدينة و البحر ثلاثة أميال، و قبالتها في وسط البحرين جزيرة خارك، نشأ بها أبو سعيد هذا و كان رقاقا فنفي عن جنابه فخرج إلى البحرين فأقام بها تاجرا و جعل يستميل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٧٢

العرب إلى نحلته فاستجاب له أهل البحرين و ما والاها و قوى أمره فقتل ما حوله من أهل القرى و فعل كذلك بالقطيف و أظهر أنه

يريد البصرة و أقبل إليها بجموعه في سنة (٢٨٧) سيع و ثمانين و مائتين، فأرسل إليه المعتضد جيشا فهزمه أبو سعيد الجنابي و قتل الأسرى، ثم سار الجنابي بعد الواقعة إلى «هجر».

و أيضا أرسل المعتضد بالله العباسي جيشا يقوده مولاة شبل غلام أحمد بن محمد الطائي إلى الكوفة لمحاربة هؤلاء المارقين الذين انتشر مذهبهم و كثر أتباعهم، فظفر بهم شبل غلام أحمد الطائي، و أسر رئيسا لهم يقال له أبو الفوارس و قدم به على المعتضد، فسأله المعتضد: هل تزعمون أن روح الله تعالى و أرواح أنبيائه تحل في أجسادكم فتعصمكم من الزلل و توفقكم لصالح العمل؟ فقال: يا هذا إن حلت روح الله فينا فما يضرك و إن حلت روح إبليس فما ينفعك فلا- تسأل عما لا- يعينك و سل عما يخصك. فقال المعتضد: ما تقول فيما يخصني؟ قال: أقول إن رسول الله صلى الله عليه و سلم مات و أبوكم العباس حي فهل طلب بالخلافة أم هل بايعه أحد من الصحابة على ذلك، ثم مات أبو بكر فاستخلف عمر و هو يرى موضع العباس و لم يوص إليه، ثم مات عمر و جعلها شورى في ستة أنفس و لم يوص إليه و لا أدخله فيهم. فيما تستحقون أنتم الخلافة و قد اتفق الصحابة على دفع جدك عنهم؟ فأمر به المعتضد فقتل.

و لما تابع جيش المعتضد إلى من بسواد الكوفة سعى داعية قرمط زكرويه بن مهرويه في استغواء كلب بن وبرة بواسطة أولاده فأجابه بعض بطونهم و بايعوا سنة (٢٩١) ابن زكرويه المسمى يحيى و المكنى بأبي القاسم و لقبوه الشيخ و زعموا أنه محمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق و زعم لهم أن له بالبلاد مائة ألف تابع و سمي أتباعه الفاطميين. فقصدهم شبل مولى المعتضد المذكور من ناحية الرصافة فاغتروه و قتلوه و أحرقوا مسجد الرصافة و اعترضوا كل قرية اجتازوا به حتى بلغوا بلاد الشام و كانت إذ ذاك في حوزة خمارويه بن أحمد بن طولون و ينوب عنه فيها طعج بن جف فقَاتلهم مرارا فهزموه.

هذا ما كان من أمر هؤلاء القرامطة في حياة المعتضد بالله، فقد ظهروا في ثلاثة مواضع، بالبحرين و العراق و الشام، و قد توفى المعتضد لثمان بقين من ربيع الآخر سنة (٢٨٩) و كان ولي عهده ابنه المكتفى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٧٣

و في أيام المقتدر بالله بن المعتضد الذي بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفى في ذي القعدة سنة (٢٩٥) خمس و تسعين و مائتين، كان رئيس القرامطة أبو طاهر سليمان الجنابي بن أبي سعيد الحسن الجنابي الذي تقدم ذكره و الذي قتل سنة (٣٠١) إحدى و ثلاثمائة، و كان قد استولوا على هجر و الأحساء و القطيف و سائر بلاد البحرين، فلما تولى أبو طاهر تتابعت غزواته إلى جهة البصرة و كانت أشد غزواته لها سنة (٣١١) فإنه سار إليها في ألف و سبعمائة من القرامطة و دخلها و قتل حاميتها و وضع السيف في أهلها و أقام بها سبعة عشر يوما يحمل منها ما يقدر عليه من المال و الأمتعة و النساء و الصبيان ثم عاد إلى بلده، و توجه منها إلى طريق الحاج ليلقاهم عند رجوعهم إلى مكة، فأوقع بالقافلة العظمى من الحجاج القتل و النهب و أخذوا جمالهم و أمتعتهم و أموالهم و النساء و الصبيان و من نجا منهم مات من الجوع و العطش في موضعه ثم عاد أبو طاهر إلى هجر، فطلب أمير المؤمنين المقتدر بالله من أبي طاهر أن يطلق من عنده من أسرى الحاج فأطلقهم، و طلب ولاية البصرة و الأهوار فلم يجبه المقتدر.

ثم خرج الحجاج من بغداد يريدون الحج فسار معهم جعفر بن ورقاء الشيباني و كان على أعمال الكوفة و طريق مكة و معه ألف رجل من بنى شيبان و سار معهم أيضا قواد السلطان بستة آلاف رجل، فلقيهم أبو طاهر القرمطي فهزمهم فرجعوا إلى الكوفة فتبعهم أبو طاهر إلى باب الكوفة ثم دخلها و أقام بها ستة أيام ثم عاد إلى «هجر» بعد أن حمل معه ما قدر على حمله من الأموال فخاف أهل بغداد أن يهجم عليهم أبو طاهر.

و في سنة (٣١٥) سار أبو طاهر نحو الكوفة أيضا و استولى عليها، ثم قصد الأنبار و استولى عليها أيضا و هزم جيش المقتدر، و جاء شخص إلى علي بن عيسى الوزير و أخبره أن في جيرانه رجلا من شيراز على مذهب القرامطة يكتب أبا طاهر بالأخبار، فأحضره و سأله فاعترف و قال: ما صحبت أبا طاهر إلا لما صح عندي أنه على الحق و أنت و صاحبك كفار تأخذون ما ليس لكم و لا بد لله من



حجة في أرضه وإمامنا محمد بن فلان بن فلان بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق المقيم ببلاد المغرب ولسنا كالرافضة و  
الاثني عشرية الذين يقولون بجهلهم أن لهم إماما ينتظرونه و يكذب بعضهم لبعض فيقول قد رأيتته و سمعته و هو يقرأ و لا ينكرون  
بجهلهم و غباوتهم أنه لا يجوز أن يعطى من العمر ما يظنونونه فقال له الوزير: قد

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٧٤

خالطت عسكرينا و عرفتهم فمن فيهم على مذهبك؟ فقال: و أنت بهذا العقل تدبر الوزارة كيف تطمع منى أن أسلم قوما مؤمنين إلى  
قوم كافرين يقتلونهم؟ لا أفعل ذلك فأمر به فضرب ضربا شديدا و منع الطعام و الشراب فمات بعد ثلاثة أيام.

ثم سار أبو طاهر و عثى في أرض الجزيرة نهباً و قتلاً إلا من اعتصم منه بالأمان و الفدية و جيوش السلطان لا تؤثر فيها أثراً و تخاف أن  
تقدم عليه فلما تم له ما أراد من الجزيرة عاد إلى الكوفة و منها دخل هو و أصحابه البرية بعد أن خافوا السبل و أهلكوا العدد الجم.

و كانت هذه الانتصارات سببا في ظهور من كان بالسواد ممن يعتقد مذهب القرامطة و يكتم اعتقاده خوفا فأظهروا اعتقادهم و اجتمع  
منهم بسواد الكوفة أكثر من عشرة آلاف رجل و ولوا أمرهم رجلا- يعرف بحريث بن مسعود و اجتمعت طائفة أخرى بعين التمر و  
نواحيها في جمع كثير و ولوا أمرهم رجلا- يعرف بعيسى بن موسى و كانوا يدعون إلى المهدي و سار عيسى إلى الكوفة و نزل  
بظاهرها و جبي الخراج و صرف عمال السلطان على السواد و سار حريث إلى أعمال الموفقى و بنى بها دارا سماها دار الهجرة و  
استولى على تلك الناحية فكان أصحابه ينهبون و يقتلون و يسبون.

فأرسل المقتدر إلى حريث بن مسعود و من معه هارون بن غريب و إلى عيسى بن موسى و من معه بالكوفة صافيا البصرى فأوقع كل  
منهما بمن أرسل إليه من القرامطة و أسر منهم خلق كثير و قتل أكثر ممن أسر و أخذت أعلامهم و كانت بيضاء كتب عليها «و نريد  
أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين» فأدخلت بغداد منكوسة و اضمحل أمر من السواد منهم و  
كفى الله الناس شرهم و إن كان ذلك مما يعجل بخراب القرى و إتلاف المزارع.

و في سنة (٣١٧) سبع عشرة و ثلاثمائة فعل أبو طاهر ما هو أشنع و أدهى و ذلك أنه سار بجنده إلى مكة فوافاها يوم التروية فلم يرع  
حرمة البيت الحرام بل نهب هو و أصحابه أموال الحجاج و قتلوهم حتى في المسجد الحرام و في البيت نفسه و قلع الحجر الأسود و  
أنفذه إلى هجر فخرج إليه أمير مكة في جماعة من الأشراف فسألوه في أموالهم فلم يشفعهم فقاتلوه فقتلهم أجمعين و قلع باب البيت و  
طرح القتلى في بئر زمزم و دفن الباقيين في المسجد الحرام حيث قتلوا بغير غسل و لا كفن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٧٥

و لا صلى على أحد منهم، و أخذ كسوة البيت فقسماها بين أصحابه و نهب دور مكة. و لم يحصل في التاريخ أن انتهكت حرمة هذا  
البيت إلى هذا الحد حتى أن المهدي عبيد الله العلوي لما علم ذلك كتب إلى أبي طاهر ينكر عليه ذلك و يلومه و يلعنه و يقيم عليه  
القيامة يقول: قد حققت على شيعتنا و دعاء دولتنا اسم الكفر و الإلحاد بما فعلت، و إن لم ترد على أهل مكة و على الحجاج و غيرهم  
ما أخذت منهم و ترد الحجر الأسود إلى مكانه و ترد كسوة الكعبة فأنا برىء منك في الدنيا و الآخرة فلما وصله هذا الكتاب أعاد  
الحجر الأسود و استعاد ما أمكنه من أموال أهل مكة فردته و قال: إن الناس اقتسموا كسوة الكعبة و أموال الحجاج و لا أقدر على  
منعهم. انتهى كل ذلك من كتاب محاضرات الخضرى.

و قصة قتل أبي سعيد الجنابى الذى تقدم ذكره مذكورة في تاريخ الخميس فقد جاء فيه ما نصه: و في سنة (٣٠١) قتل أبو سعيد  
الجنابى رأس القرامطة قتله مملوك له صقلبي راوده في الحمام ثم خرج فاستدعى قائدا من أصحاب الجنابى فقال:

السيد يطلبك فلما دخل قتله و خرج فطلب آخر فقتله حتى قتل أربعة من رؤسائهم و استدعى الخامس فلما دخل فظن لذلك فأمسك  
بيد الخادم و صاح الناس و صاح النساء فقتلوه. انتهى منه. و جاء فيه أيضا أنه في سنة اثنتين و ثلاثين و ثلاثمائة مات الطاغية القرمطى  
أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابى في هجر بالجدري لا رحمه الله. انتهى.

بقيت هنا مسألة صغيرة عنهم و هي: لماذا تمادت القرامطة في طغيانهم و أغوائهم بدون أن تقضى عليهم جيوش أمير المؤمنين الذي كان في زمنهم نقول:

إن أمير المؤمنين أو من ينوب عنه في البلدان ما قصرُوا في محاربتهم و لكن لم يكن في ذلك الزمن الأسلحة الحديثة و لا الطائرات و لا-الأوتومبيلات و لا-أساطيل البحر و البر، كما لم يكن لديهم الراديو و التلغراف و التليفون و وسائل المخابرات السريعة ليقمعوا المارقين و الخارجين سريعاً قبل استفحال أمرهم. فإلى أن يرسلوا رسولا إلى جهة ليأتى بالخبر اليقين و الأمر الحازم و الإمدادات من مال و أسلحة و جيش و طعام يسرع الباغون و الخارجون عن الطاعة بتنفيذ خططهم التي رسموها فيستولوا على بعض البلدان و يتقوا بما يأخذونه منها من المال و الأمتعة و الرجال، ثم إذا التقى هؤلاء بجيش الخليفة فالحرب سجال و النصر بيد الله ينصر من يشاء و هو القوى العزيز. هذا رأينا و الله تعالى أعلم بالغيب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٧٦

اللهم أعز الإسلام و المسلمين و اجمع كلمتهم و شتات أمرهم، و وفقهم لاتباع دينك القويم و صراطك المستقيم، و أهلك الكفرة و المشركين، و اخذلهم أينما كانوا، و اضرب عليهم الذلة و المسكنة و الضعف و الهوان، و آغف عَنَّا و آغفِرْ لَنَا و آرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

آمين، و صلى الله و سلم على النبي الأُمى و على آله و صحبه أجمعين.

بعد أن كتبنا جميع ما تقدم، عثرنا على كتاب مطبوع بمصر اسمه «كشف أسرار الباطنية و أخبار القرامطة» لمؤلفه العلامة محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادى اليمانى من أهل القرن الخامس للهجرة، عن الباطنية و القرامطة، فرأينا أن ننقل منه بعض الصحائف المهمة، ليطلع المسلمون كيف تكون الدسائس من أعداء الإسلام، و كيف يغوى الدخلاء و المنافقون الجهلاء ضعاف العقول، حتى أنهم مهما أتوا من الحيل و الطرق الشيطانية، فلا يقدرُونَ أن ينالوا من الدين الإسلامى الحنيف شيئا، لأنه دين قوى متين، تكفل الله العزيز الحميد بحفظه إلى قيام الساعة، كما هو صريح قوله: يُرِيدُونَ لِيطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. و إليك ما جاء فى الكتاب المذكور:

بسم الله الرحمن الرحيم، قال محمد بن مالك رحمه الله عليه: اعلموا أيها الناس المسلمون، عصمكم الله بالإسلام و جنبنا و إياكم طرق الآثام، و أصلحكم و أرشدكم، و وفقكم لمرضاته و سدّدكم إنى كنت أسمع ما يقال عن هذا الرجل الصليحي كما يسمعون، و ما يتكلم به عليه من سىء الإذاعة و قبح الشناعة، فإذا قال القائل: هو يفعل و يصنع، قلت: أنت تشهد عليه غدا، فيقول: ما شهدت و لا عاينت بل أقول كما يقول الناس.

فكنت أتعجب من هذا أولا، و لا أكاد أصدق و لا أكذب، ما قد أجمع عليه الناس و نطقت به الألسن، فتارة أقول هذا ما لا يفعله أحد من العرب و العجم، و لا سمع به فيما تقدم من سالف الأمم، إنما هذه عداوة له من الناس للمال الذى بلغه من غير أصل و لا أساس، و كنت كثيرا ما أسمع يقول: «حكم الله لنا على من يظلمنا و يرمينا بما ليس فينا». فرأيت أن أدخل فى مذهبه، لأتيقن صدق ما قيل فيه من كذبه، و لأطلع على سرائره و كتبه، فلما تصفحت جميع ما فيها و عرفت معانيها رأيت أن أبرهن على ذلك ليعلم المسلمون عمدة مقالته، و أكشف

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٧٧

لهم عن كفره و ضلالته، نصيحة لله و للمسلمين، و تحذيرا ممن يحاول بغض هذا الدين، و الله موهن كيد الكافرين. فأول ما أشهد به و أشرحه، و أبينه للمسلمين و أوضحه أن له نوابا يسميهم الدعاء المأذونين، و آخرين يلقبهم المكلمين تشبيها لهم لكلاب الصيد، لأنهم ينصبون للناس الجبال، و يكيدونهم بالغوائل، و ينقبضون عن كل عاقل، و يلبسون على كل جاهل، بكلمة حق يراد بها الباطل، يحضونه على شرائع الإسلام من الصلاة و الزكاة و الصيام، كالذى يثر الحب للطير ليقع فى شركه، فيقيم أكثر من سنة

يمعنون به و ينظرون صبره و يتصفحون أمره، و يخدعونه بروايات عن النبي صلى الله عليه و سلم محرفة، و أقوال مزخرفة، و يتلون عليه القرآن على غير وجهه، و يحرفون الكلم عن مواضعه، فإذا رأوا منه الانهماك و الركون و القبول و الإعجاب بجميع ما يعلمونه و الانقياد بما يأمرونه، قالوا حينئذ: اكشف عن السرائر، و لا ترض لنفسك و لا تقنع بما قد قنع به العوام من الظواهر، و تدبر القرآن و رموزه، و اعرف مثله و ممثلوه، و اعرف معاني الصلاة و الطهارة، و ما روى عن النبي صلى الله عليه و سلم بالرموز و الإشارة، دون التصريح في ذلك و العبارة، فإنما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة، لمثولات محجوبة، فاعرف الصلاة و ما فيها، وقف على باطنها و معانيها، فإن العمل بغير علم لا ينتفع به صاحبه.

فيقول: عم أسأل؟ فيقولون: قال الله تعالى: **أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ فَالزَّكَاةُ مَفْرُوضَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً، وَ كَذَلِكَ الصَّلَاةُ مِنْ صِلَاهَا مَرَّةً فِي السَّنَةِ، فَقَدْ أَقَامَ الصَّلَاةَ بِغَيْرِ تَكَرُّارٍ، وَ أَيْضًا فَالصَّلَاةُ وَ الزَّكَاةُ لِهَمَا بَاطِنٌ، لِأَنَّ الصَّلَاةَ صِلَاتَانِ، وَ الزَّكَاةَ زَكَاتَانِ، وَ الصُّومَ صُومَانِ، وَ الْحَجَّ حِجَابَانِ، وَ مَا خَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ ظَاهِرٍ إِلَّا وَ لَهُ بَاطِنٌ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ وَ ذَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَ بَاطِنَهُ، وَ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ.**

ألا ترى أن البيضة لها ظاهر و باطن، فالظاهر ما تساوى به الناس و عرفه الخاص و العام، و أما الباطن فقصر علم الناس به عن العلم به، فلا يعرفه إلا القليل، من ذلك قوله: **وَ مَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ وَ قَوْلُهُ: وَ قَلِيلٌ مَا هُمْ وَ قَوْلُهُ: وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ فَالْأَقْلُ مِنَ الْأَكْثَرِ الَّذِينَ لَا عَقُولَ لَهُمْ وَ الصَّلَاةُ وَ الزَّكَاةُ سَبْعَةُ أَحْرَفٍ، دَلِيلٌ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ عَلَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا، لِأَنَّهُمَا سَبْعَةٌ**

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٧٨

أحرف، فالمعنى بالصلاة و الزكاة ولاية محمد و علي، فمن تولاهما فقد أقام الصلاة و آتى الزكاة. فيوهمون على من لا يعرف لزوم الشريعة و القرآن و سنن النبي صلى الله عليه و سلم فيقع هذا من ذلك المخدوع بموقع الاتفاق و الموافقة، لأنه مذهب الراحة و الإباحة، يريحهم مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله، و يبيح لهم ما حظر عليهم من محارم الله، فإذا قبل منهم ذلك المغرور هذا، قالوا له: قرب قربانا يكون لك سلما و نجوى، و نسأل مولانا يحط عنك الصلاة و يضع عنك هذا الإصر فيدفع اثني عشر ديناراً، فيقول ذلك الداعي: يا مولانا! إن عبدك فلان قد عرف الصلاة و معانيها فاطرح عنه الصلاة و ضع عنه هذا الإصر، و هذا نجواه اثنا عشر ديناراً، فيقول: اشهدوا أني قد وضعت عنه الصلاة و يقرأ له: **وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقْبَلُ إِلَيْهِ أَهْلُ هَذِهِ الدَّعْوَةِ يَهْتَنُونَ، وَ يَقُولُونَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَضَعَ عَنْكَ وَ زَرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ.**

ثم يقول له ذلك الداعي الملعون بعد مدة: قد عرفت الصلاة و هي أول درجة، و أنا أرجوا أن يبلغك الله إلى أعلى الدرجات، فاسأل و ابحث فيقول: عم أسأل؟ فيقول له: سل عن الخمر و الميسر اللذين نهى الله تعالى عنهما أبو بكر و عمر لمخالفتها على علي و أخذهما بالخلافه دونه، فأما ما يعمل من العنب و الزبيب و الحنطة و غير ذلك فليس بحرام، لأنه مما أنبت الأرض و يتلو عليه: **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَ يَتْلُو عَلَيْهِ: لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.**

و الصوم الكتمان فيتلو عليه: **فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصِيئْهُ يَرِيدُ كِتْمَانَ الْأُتْمَةِ فِي وَقْتِ اسْتِتَارِهِمْ خَوْفًا مِنَ الظَّالِمِينَ وَ يَتْلُو عَلَيْهِ: إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا فلو كان عني بالصيام ترك الطعام، لقال فلن أتعلم اليوم شيئاً فدل على أن الصيام الصموت** فحينئذ يزداد ذلك المخدوع طغيانا و كفرا و ينهمك إلى قول ذلك الداعي الملعون لأنه أتاه بما يوافق هواه و النفس أماره بالسوء.

ثم يقول له: ادفع النجوى تكون لك سلما و وسيلة حتى نسأل مولانا يضع عنك الصوم فيدفع اثني عشر ديناراً فيمضى به إليه فيقول: يا مولانا! عبدك فلان

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٧٩

قد عرف معنى الصوم على الحقيقة فأبج له الأكل برضان، فيقول له: قد وثقتة و أمنتة على سرائنا؟ فيقول له: نعم، فيقول: قد وضعت عنه ذلك.

ثم يقيم بعد ذلك مدة فيأتيه ذلك الداعي الملعون، فيقول له: قد عرفت ثلاث درجات فأعرف الطهارة ما هي، و معنى الجنابة ما هي في التأويل، فيقول: فسر لي ذلك، فيقول له: اعلم أن معنى الطهارة طهارة القلب، و أن المؤمن طاهر بذاته، و الكافر نجس لا يطهره الماء و لا غيره، و أن الجنابة هي موالاة الأضداد أزداد الأنبياء و الأئمة، فأما المنى فليس بنجس، منه خلق الله الأنبياء و الأولياء و أهل طاعته، و كيف يكون نجسا و هو مبدأ خلق الإنسان، و عليه يكون أساس البنيان فلو كان التطهير منه من أمر الدين لكان الغسل من الغائط و البول أوجب لأنهما نجسان، و إنما معنى: **وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا** معناه: **فَإِنْ كُنْتُمْ جَهْلَةً بِالْعِلْمِ الْبَاطِنِ فَتَعَلَّمُوا** و اعرفوا العلم الذي هو حياة الأرواح كالماء الذي هو حياة الأبدان قال الله تعالى: **وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**. و قوله: **فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ \* خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ** فلما سماه الله بهذا دل على طهارته، و يوهمون ذلك المخدوع بهذه المقالة، ثم يأمره ذلك الداعي أن يدفع اثني عشر ديناراً و يقول: يا مولانا! عبدك فلان قد عرف معنى الطهارة حقيقة و هذا قربانه إليك فيقول: اشهدوا أني قد حلت له ترك الغسل من الجنابة.

ثم يقيم مدة فيقول له هذا الداعي الملعون: قد عرفت أربع درجات و بقي عليك الخامسة، فاكشف عنها فإنها منتهى أمرك و غاية سعادتك و يتلو عليه:

**فَلَا تَغْلَمْ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ** فيقول له: ألهمني إياها و دلني عليها، فيتلو عليه: **لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَ كَيْفَ بَصَرِكُمْ** اليوم حديد. ثم يقول له: أتحب أن تدخل الجنة في الحياة الدنيا فيقول: و كيف لي بذلك؟ فيتلو عليه: **وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى** و يتلو عليه: **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**.

و الزينة هاهنا ما خفى على الناس من أسرار النساء التي لا يطلع عليها إلا المخصوصون بذلك، و ذلك قوله: **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ** و الزينة مستورة غير مشهورة ثم يتلو عليه: **وَ حُورٌ عِينٌ \* كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ** فمن لم ينل الجنة في الدنيا لم ينلها في الآخرة، لأن الجنة مخصوص بها ذوو الألباب،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٨٠

و أهل العقول دون الجهال، لأن المستحسن من الأشياء ما خفى، و لذلك سميت الجنة جنة لأنها مستجنة، و سميت الجن جنا لاختفائهم عن الناس، و الجنة المقبرة لأنها تستر من فيها، و الترس المجن لأنه يستتر به، فالجنة هاهنا ما استتر عن هذا الخلق المنكوس، الذين لا علم لهم و لا عقول فحينئذ يزداد هذا المخدوع انهماكا و يقول لذلك الداعي الملعون: تلتطف في حالي، و بلغني إلى ما شوقتنى إليه، فيقول: ادفع النجوى اثني عشر ديناراً تكون لك قربانا و سلما، فيمضى به فيقول: يا مولانا! إن عبدك فلان قد صحت سريرته و صفت خبرته، و هو يريد أن تدخله الجنة، و تبلغه حد الأحكام، و تزوجه الحور العين، فيقول له: قد وثقتة و أمنتة؟ فيقول: يا مولانا! قد وثقتة و أمنتة و خبرته، فوجدته على الحق صابرا و لأنعمك شاكرا.

فيقول: علمنا صعب مستصعب، لا يحمله إلا- نبي مرسل، أو ملك مقرب، أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان، فإذا صح عندك حاله فاذهب به إلى زوجتك فاجمع بينه و بينها، فيقول سمعا و طاعة لله و لمولانا، فيمضى به إلى بيته فيبيت مع زوجته حتى إذا كان الصباح قرع عليهما الباب و قال: قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس، فيشكر ذلك المخدوع و يدعو له، فيقول له: ليس هذا من فضلي هذا من فضل مولانا، فإذا خرج من عنده تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة فلا يبقى منهم أحد إلا بات مع زوجته كما فعل ذلك الداعي الملعون.

ثم يقول له: لا- بد لك أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا فادفع قربانك فيدفع اثني عشر ديناراً و يصل به، و يقول: يا مولانا! إن

عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الأعظم و هذا قربانه، حتى إذا جن الليل و دارت الكؤوس و حميت الرؤوس و طابت النفوس أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم، فيدخلن عليهم من كل باب و أطفالوا السرج و الشموع و أخذ كل واحد منهم ما وقع عليه في يده ثم يأمر المقتدى زوجته أن تفعل كفعل الداعي الملعون و جميع المستجيبين، فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له، فيقول له: ليس هذا من فضلى، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكروه و لا تكفروه، على ما أطلق من وثاقتكم، و وضع عنكم أوزاركم، و حط عنكم آصاركم، و وضع عنكم أثقالكم، و أحل لكم بعض الذى عليكم جهالككم و ما يلقاها إلا الذين صبروا و ما يلقاها إلا ذو حظ عظيم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٨١

قال محمد بن مالك رحمه الله تعالى: هذا ما اطلعت عليه من كفرهم و ضلالتهم، و الله تعالى لهم بالمرصاد، و الله تعالى على شهيد بجميع ما ذكرته، مما اطلعت عليه من فعلهم و كفرهم و جهلهم، و الله يشهد على بجميع ما ذكرته عالم به، و من تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله و لعنة اللاعنين و الملائكة و الناس أجمعين، و أخزى الله من كذب عليهم، و أعد له جهنم و ساءت مصيرا، و من حكى عنهم بغير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله و قوته إلى حول الشيطان و قوته، فأديت هذه النصيحة إلى المسلمين حسب ما أوجبه الله على من حفظ هذه الشهادة، فإن الله سبحانه أمر بحفظ الشهادة و مراعاتها و أدائها إلى من لم يسمعها، قال الله سبحانه و تعالى: سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْئَلُونَ و الله أسأله أن يتوفانا مسلمين، و لا ينزع عنا الإسلام بعد إذ آتانا الله بمنه و رحمته.

### المقالة فى أصل هذه الدعوة الملعونة و مبدئها

و قد رأيت أيها الناس وفقنا الله و إياكم للصواب، و جنبنا و إياكم طرق الكفر و الارتياب، أن أذكر أحبال هذه الدعوة الملعونة لثلا يميل إلى مذهبهم مائل، و لا يصبوا إلى مقاتلتهم لبيب عاقل، و يكون فى هذا القدر من الكلام فى هذا الكتاب إنذارا لمن نظره، و أعدارا لمن وقف عليه و اعتبره.

(باب) اعلموا يا إخوانى فى الإسلام أن لكل شىء من أسباب الخير و الشر و النفع و الضر و الداء و الدواء أصولا، و للأصول فروعا، و أصل هذه الدعوة الملعونة التى استهوى به الشيطان أهل الكفر و الشقوة، ظهور «عبد الله بن ميمون القداح» فى الكوفة، و ما كان له من الأخبار المعروفة، و المنكرات المشهورة الموصوفة، و دخوله فى طريق الفلسفة و استعماله الكتب المزخرفة، و تمشيته إياها على الطغام، و مكيدته لأهل الإسلام.

و كان ظهوره فى سنة ست و سبعين و مائتين من التاريخ للهجرة النبوية، فنصب للمسلمين الجبانل، و بغى لهم الغوائل، و لبس الحق بالباطل، و مكر أولئك هو بيور و جعل لكل آية من كتاب الله تفسيرا، و لكل حديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم تأويلا، و زخرف الأقوال، و ضرب الأمثال، و جعل لآى القرآن شكلا يوازيه، و مثلا يضاويه، و كان الملعون عارفا بالنجوم متضلعا بجميع العلوم يريدون ليطفثوا نور الله بأفواههم و الله متم نوره و لو كره الكافرون فجعل أصل دعوته

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٨٢

التى دعاها، و أساس بنيته التى بناها، الدعاء إلى الله و إلى رسوله و يحتج بكتاب الله و معرفة مثله و ممثوله، و الاختصاص لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه بالتقديم و الإمامة و الطعن على جميع الصحابة، بالسب و الأذى و قد روى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: «لعن الله من سب أصحابى» و قال عليه السلام: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» و قال صلى الله عليه و سلم: «من سب أصحابى فقد سبنى، و من سبنى فقد سب الله، و من سب الله كبه الله على وجهه فى النار» فأفسد بتمويه قلوب الجهال، و زين لهم الكفر و الضلال، و له شرح يطول فيه الخطاب غير أنى أختصر و فيما أشرحه كفاية و اعتبار لأولى الألباب و الأبصار.

و كان هذا الملعون يعتقد اليهودية و يظهر الإسلام، و هو من اليهود من ولد الشلعلع من مدينة بالشام يقال لها سلمية، و كان من أحبار

اليهود و أهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب، و كان صائغا يخدم (شيعة) إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، و كان حريصا على هدم الشريعة المحمدية، لما ركب الله في اليهود من عداوة الإسلام و أهله، و البغضاء لرسول الله صلى الله عليه و سلم فلم ير وجهها يدخل به على الناس حتى يردهم عن الإسلام ألطف من دعوته إلى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كان قد خرج في أيام قرمط البقار، و كان اسمه أو لقبه لأنه كان يقرمط في سيره إذا مشى، و لذلك نسب أهل مذهبه و مذهب ابن ميمون إلى قرمط، لأنهما اجتماعا و عملا ناموسا يدعوان إليه، و كانا يعرفان بالنجوم و أحكام الأزمان، فدلها الوقت على تأسيس ما عملاه، فخرج ميمون إلى الكوفة و أقام بها مدة، و له أخبار يطول شرحها، مما كان منه و من علي بن فضل و المنصور صاحب مسور و أبي سعيد الجنابي و أنا أشرح ذلك عند انتهائي إليه إن شاء الله تعالى، و أما قرمط البقار فإنه خرج إلى بغداد فقتل هنالك لا رحمه الله.

(باب) ذكر ما كان من القداح و عقبه لعنه الله و من تعلق بسببه و دخل في ضلالته و مذهبه، و كان أول أولاده عبيد و هو المهدي ثم «محمد» و هو القائم ثم «الظاهر» إسماعيل المنصور ثم «المعز» ثم «العزیز» ثم «الحاكم» ثم «الظاهر» ثم «معد المستنصر» هؤلاء الذين ينسبون إليه إلى عصرنا هذا، فانتسبوا إلى ولد الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، و انتحالهم إليه انتحال كاذب، و ليس لهم في ذلك برهان، و أهل الشرف ينكرون ذلك فإنهم لم يجدوا لهم في

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٨٣

الشرف أصلا مذكورا، و لا عرفوا لهم في كتاب الشجرة نسبا مشهورا، بل الكل يقصيه عن الشرف و ينفيه عن النسب، إلا من دخل معهم في كفرهم و ضلالتهم، فإنه يشهد لهم الزور، و يساعدهم في جميع الأمور، و قد زعموا أنهم من ولد محمد إسماعيل بن جعفر الصادق و حاش لله ما كان لمحمد إسماعيل من ولد، و لا عرف ذلك من الناس أحد، بل هم كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

الدليل على ذلك و على بطلان ما ذكروه أنهم يقولون معدا المستنصر بن الظاهر ابن الحاكم ابن العزيز ابن المعز ابن المنصور ابن القائم ابن المهدي و هو عبيد بن ميمون، ثم يقولون ابن الأئمة المستورين من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق، فإذا سألتهم سائل عن هؤلاء المستورين حادوا عن الجواب، و كان للسائل لهم الارتباب، و قالوا هم أئمة قهروا ففتسروا، و لم يؤمروا بإظهارهم و لا ذكرهم لأحد، و هذا من أعظم الشواهد على بطلان ما ذكروه و انتسبوا إليه.

و الدليل على أنهم من ولد اليهود، استعمالهم اليهود في الوزارة و الرئاسة، و تفويضهم إليهم تدبير السياسة ما زالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين و أموالهم، و ذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد.

(باب) خروج ميمون القداح من سلمية إلى الكوفة و قد ولد عبيد و هو الذي يسمونه عبيد الله المهدي فأقاما بالكوفة مدة طويلة حتى تهيأ لهما ما كانا يطلبان، و إلى أن أجابهما إلى ذلك تسعة رهط يفسدون في الأرض و لا يصلحون، منهم علي بن فضل الجدني اليماني، و أبو القاسم بن زاذان الكوفي المسمى المنصور عند كونه في اليمن في مسور، و أبو سعيد الجنابي صاحب الأحساء و البحرين، و أبو عبد الله الشيعي صاحب كتامة في الغرب، و الحسن بن مهران المسمى بالمقنع الخارج فيما وراء النهر من خراسان، و محمد بن زكريا الخارج في الكوفة، و لا بد أن أذكر أصح خبر كل واحد منهم مختصرا إن شاء الله تعالى.

(باب) ذكر أبي سعيد الجنابي لعنه الله كان فيلسوفا ملعونا ملك البحرين و الإمامة و الأحساء، و ادعى فيها أنه المهدي القائم بدين الله، فاستفتح .. و دخل مكة، و قتل الناس في المسجد الحرام، و منع الناس من الحج، و اقتلع الركن و راح به إلى الأحساء، و قال في ذلك شعرا:

و لو كان هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار من فوقنا صبا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٨٤ لأننا حججنا حجة جاهلية مجللة لم نبق شرقا و لا غربا

و إنا تركنا بين زمزم و الصفاجانتر لا تبغى سوى ربها ربا

و له لعنة الله أشعار بالقدر فى ذلك تركتها اختصارا، و كان دخوله مكة سنة سبع عشرة و ثلاثمائة و قتل فيها ثلاثة عشر ألفا عليه لعنة الله.

انتهى من كتاب كشف الأسرار الباطنية و أخبار القرامطة، المطبوع بمصر ١٣٥٧ على حساب ناشره و مصححه السيد عزت العطار، و هو كتاب يقع فى أربع و أربعين صحيفة، و نحن نقلنا من صحيفه ١١ إلى صحيفه ٢١ و تركنا الباقي حتى لا يطول بنا الكلام.

### وضع الأطواق على الحجر الأسود

سبب وضع الأطواق الفضية على الحجر الأسود و ربطه بالفضة الخالصة، هو حصول تصدع و تشطيب فيه و كان أول حدوث ذلك فى أيام خلافة ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما بسبب حريق الكعبة المعظمة الذى حصل فى أيام الحصار، و ذلك أن رجلا أوقد نارا فى بعض الخيام المضروبة فى المسجد الحرام فطارت شرارة فى الخيمة فمشى الحريق حتى أخذ فى كسوة الكعبة فاحترقت و احترق الركن الأسود أيضا و ذلك سنة (٦٤) أربع و ستين هجرية، فتصدع الحجر الأسود بثلاث فرق، فربطه ابن الزبير بالفضة، ثم وقع على الركن جملة حوادث مما تقدم ذكرها زادت من تصدعه و تفلقه، لذلك كان أمراء المؤمنين و السلاطين الأقدمون لا يلمسون الحجر الكريم فى عمارتهم للكعبة إلا برفق و حذر، حتى أنه فى عمارة السلطان مراد الرابع التى حصلت سنة (١٠٤٠) تركوا الحجر الأسود فى محله خوفا من تفرق أجزائه و أحكموا البنيان حوله إحكاما.

هذا سبب وضع أطواق الفضة على الحجر الأسود، و لنذكر هنا عدد ما وضع عليه من الأطواق و اسم واضعها غير ناظرين إلى اختلاف أشكالها و وزن أحجامها فنقول و بالله التوفيق:

١- عبد الله بن الزبير رضى الله عنه: و هو أول من ربط الحجر بالفضة لما أصابه الحريق فى عهده سنة (٦٤) أربع و ستين من الهجرة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٨٥

٢- هارون الرشيد: و ذلك عندما اعتمر سنة (١٨٩) تسع و ثمانين و مائة من الهجرة حيث تزلزلت الفضة التى حول الركن، فأمر بالحجارة التى بينها الحجر الأسود أن تنقب فنقبت بالماس من فوقها و من تحتها ثم أفرغ فيها الفضة.

٣- القرامطة: فإنهم لما أتوا مكة فى سابع ذى الحجة سنة (٣١٧) سبع عشرة و ثلاثمائة و فعلوا بها أمورا منكرا عظيمة، قلعوا الحجر الأسود من موضعه، ضربه أحدهم بدبوس فقلعه من محله لأربع عشر خلت من ذى الحجة من السنة المذكورة فذهبوا به إلى بلادهم، ثم فى يوم النحر سنة (٣٣٩) تسع و ثلاثين و ثلاثمائة ردوه إلى محله، وافى به سنبر بن الحسن القرمطى، فإنه لما جاء بفناء الكعبة و معه أمير مكة أظهر الحجر الأسود من سفظ (و هو وعاء كالقفة) و عليه ضبة فضة قد عملت من طوله و عرضه تضبط الشقوق التى حدثت عليه بعد اقتلاعه، فوضع سنبر الحجر بيده فى محله و شده الصانع بالجص الذى أحضره معه لهذا الغرض، ثم قال سنبر: أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئة الله.

٤- سندن الكعبة: ثم فى سنة (٣٤٠) ثلاثمائة و أربعين من الهجرة أى بعد إرجاع سنبر الحجر الأسود ببضعة أشهر قلعه الحجة آل الشيبى و عملوا له طوقا من فضة أحكموه عليه إحكاما و كان فيه ثلاثة آلاف و سبعة و تسعون درهما و نصف من الفضة.

٥- و فى سنة (٥٨٥) خمس و ثمانين و خمسمائة أخذ أمير مكة داود بن عيسى بن فليته الحسنى طوق الحجر الأسود قبيل عزله من مكة و لم نقف نحن على من وضع بدله طوقا آخر.

٦- و فى سنة (١٠٩٧) سبع و تسعين و ألف فى أوائل ربيع جعل شيخ الحرم «و لم نعرف اسمه» على الحجر الأسود طوقا من الفضة، و الظاهر أن أحمد باشا الذى أصلح الشاذروان و أمر بالحجر السماق فوضع تحت الركن الأسود مما يلي الأرض كما جاء بصحيفه ١٤٧ من تاريخ الكعبة.

٧- السلطان عبد المجيد خان: أرسل في سنة (١٢٦٨) ثمان و ستين و مائتين و ألف طوقا من الذهب الخالص للحجر الأسود وزنه نحو عشر أقات فجعلوه عليه بعد أن قلعوا الطوق القديم، و قد كان في غاية الإتقان من النقش و الزخرفة و كتب عليه آية الكرسي و غيرها من الآيات و هذه أول مرة طوق الحجر الأسود بالذهب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٨٦

٨- السلطان عبد العزيز خان: أرسل في سنة (١٢٨١) إحدى و ثمانين و مائتين و ألف طوقا من الفضة فجعل على الحجر الأسود بعد أن قلع الطوق الذهب المذكور.

٩- السلطان محمد رشاد خان: أرسل في سنة (١٣٣١) إحدى و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف من الهجره طوقا من الفضة فجعل على الحجر الأسود، و قد بقي هذا الطوق على الحجر إلى سنة (١٣٧٥) هجرية.

١٠- مليكنا المعظم، الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية: أمر حفظه الله تعالى بعمل طوق جديد من الفضة الخالصه، ففي يوم الأربعاء الثاني و العشرين من شهر شعبان قبيل صلاة المغرب وضع هذا الطوق الملك سعود المذكور بيده الكريمة على الحجر الأسود و قد كنت أنا محمد طاهر الكردي مؤلف هذا الكتاب واقفا بجواره ممسكا بالطوق الجديد لتثبته على الركن الأسود بعد أن قلنا الطوق الفضي القديم الذي كان وضعه السلطان محمد رشاد خان المذكور. و لا يفوتنا أن نسجل في تاريخنا هذا أن والد الملك سعود المذكور الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس الدولة السعودية رحمه الله تعالى و أحسن مثواه، كان قد أصلح جزءا في طوق الحجر الأسود القديم الذي قلناه و ذلك سنة (١٣٦٦) هجرية و بالدعاء بالرحمة و الغفران لهذا الملك الراحل الصالح المصلح، و بالتوفيق و العز و التأييد لابنه العظيم مليكنا الملك سعود نختم هذا الفصل، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم، سبحانه ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.

### تطويق الحجر الأسود بالذهب و الفضة

أول من طوق الحجر الأسود بالفضة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه و سببه أن الكعبة احترقت في أيامه، فاحترق الركن الأسود معها، و انصدع ثلاث فرق، فشده ابن الزبير بالفضة. روى أبو عون عن أبيه قال: رأيت الحجر قد انفلق و اسود من الحريق فأنظر إلى جوفه أبيض كأنه الفضة، قال ابن جريج: فسمعت من يصف لون مؤخره الذي في الجدر، قال بعضهم: هو مورد، و قال بعضهم:

هو أبيض، ثم في سنة ألف و مائتين و ثمان و ستين هجرية طوقه بالذهب السلطان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٨٧

عبد المجيد خان، و هي أول مرة طوق الحجر الأسود بالذهب، ثم في سنة ألف و مائتين و إحدى و ثمانين طوقه بالفضة السلطان عبد العزيز خان، ثم في سنة ألف و ثلاثمائة و إحدى و ثلاثين غيرت تلك الفضة بالفضة التي هي عليه الآن و ذلك في زمن السلطان محمد رشاد خان، رحمه الله تعالى ثم جرى إصلاح في طوق الحجر، و ذلك سنة ألف و ثلاثمائة و ست و ستين هجرية، و إليك صورة الحجر الأسود و هو مطوق بالفضة، و هو عدة قطع كما هو ظاهر في الرسم.

انظر: صورة رقم ٨٨، للحجر الأسود أخذت منذ أربعين سنة تقريبا

و قد تكسر لاعتداء بعض المجرمين عليه عدة مرات كما جاء ذلك في التواريخ، و قد ظهرت منه في هذه الصورة خمسة عشر قطعة، و لكن الذي هو ظاهر منه في أيامنا هذا قطع قليلة و سببه اعتداء بعضهم عليه في عصرنا الحاضر أيضا فتطيرت منه شظايا عندئذ. ثم جمع ما تكسر و خلط ببعض الأجزاء من نحو الشمع و أعيد إلى موضعه، بعد أن لقي المعتدى الجزاء الصارم. لهذا أحيط هذا الحجر الكريم بالفضة صونا له و لم يترك منه إلا بعض قطع صغار يقبله الناس. على أن نفس الحجر الأسود بأكمله داخل في بناء الكعبة المشرفة.

نقول: و للحجر الأسود مغزى خاص و رمز تعبدى و حكمة بالغة، ذلك أن المسلمين الذين يأتون لأداء فريضة الحج و شهود المنافع



في تلك البقاع الطاهرة، إذا طافوا ببيت الله الحرام و قبلوا هذا الحجر الأسود و استلموه بأيديهم، فكأنهم بذلك يصفحون الله عز و جل، و يقدمون له الطاعة و الإيمان به و برسوله. و قد قال عكرمة: «إن الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن لم يدرك بيعة رسول الله صلى الله عليه و سلم فمسح الحجر فقد بايع الله و رسوله» و في هذا نهاية الخضوع و الامتثال لأمر الله تعالى.

و في الطواف بالبيت و استلام الحجر الأسود إشعار بالوحدة الإسلامية و استمساك بالرابطه المحمديه فالمسلمون في حالة البعد يتوجهون في صلاتهم إلى هذه القبلة الحريمه، و في حالة القرب و الوصول يطوفون حولها يعوذون برب هذا البيت و يلتفون حول ركنه الأسود القائم في السلام مقام الرايه في الحرب و لسان حالهم يقول: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ\* وَ لَتَكُنَّ مِنْكُمْ

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٨٨

أُمَّهُ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

و في تقبيل المسلمين و استلامهم للحجر الأسود نقطه دقيقه، و هي أن تقع أفواههم موضع فم رسول الله صلى الله عليه و سلم و أن تلمس أيديهم ما لمست يده الشريفه من هذا الحجر المكرم، و أي مسلم إذا خطرت بباله هذه النقطه لا يبادر بتقبيله و استلامه؟ ...

### المحافظة التامة على قطع الحجر الأسود إن كسر منه شيء

(و اعلم) بأنه لو اعتدى سفيه أو مخبول على الحجر الأسود المكرم، فضره بشيء حتى انكسر منه بعضه، فإنهم يحافظون على تلك الأجزاء و الفتات تمام المحافظة، بأن يعجنوه بمواد من الشمع الأحمر و العطر و بعض الأجزاء فيضعونه في محله أيضا، فما كان منه مفتتا أو قطعاً صغيره كالنواة مثلا- يعجن و لا- يظهر منه شيء ثم يلصق بمحل الحجر الأسود فيرجع إليه، و ما كان منه قطعاً كبيره كالليمونه مثلا فيعجن و يوضع في محله أيضا لكنهم يبرزون منه جزء ليكون ظاهراً للناس ليقبلونه، فهذا هو سبب ظهور بعض القطع من الحجر الأسود، مع العلم بأن جرم الحجر الأسود كله داخل في باطن ركن الكعبه المعظمه، و لذلك يختلف ظهور أجزاء الحجر الأسود المتكسره في بعض الأزمنه.

### شاذروان الكعبه

#### إشارة

قال في المصباح المنير ما نصه:

الشاذروان (بفتح الذال) من جدار البيت الحرام و هو الذي ترك من عرض الأساس خارجاً و يسمى تازيرا لأنه كالإزار للبيت. انتهى منه.

فالشاذروان الموجود الآن في داخل بناء الكعبه المشرفه هو من بناء السلطان مراد الرابع عند بنائه الكعبه سنة (١٠٤٠) ألف و أربعين هجرية كما تقدم تفصيل ذلك، و ليس مرادنا أن السلطان المذكور هو الذي اخترع وضع الشاذروان في الكعبه، بل إن الشاذروان كان موجوداً منذ القدم في البنايه السابقه كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً في هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٨٩

فالشاذروان: هو الحجارة المائله الملتصقه بأسفل الكعبه المحيطه بها من جوانبها الثلاثه، أما الجانب المقابل لحجر إسماعيل فيه كدرجة واحده مسطحه يقف عليها بعضهم للتضرع و الدعاء ملصقا بطنه بالكعبه و رافعا يديه فوق رأسه، و هي بطول جدار الكعبه و

ارتفاعها عن الأرض أحد عشر سنتيمترا و عرضها أربعون سنتيمترا.

و اختلف فى الشاذروان هل هو من البيت أم لا كما سيأتى الكلام عنه.

و السبب الذى لم يوضع الشاذروان فى هذه الجهة هو أن هذه الجهة من جدار الكعبة إلى نحو منتصف حجر إسماعيل هى حدودها حينما بناها سيدنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام فنقصتها قريش حين بنائها. و كذلك لم يوضع الشاذروان أسفل باب الكعبة بل فيه كدرجة واحدة مسطحة أيضا يقف عليها الناس للتضرع فى الملتزم و طول هذه الدرجة ثلاثة أمتار و خمس و أربعون سنتيمترا.

و نحن لم نر فى التاريخ شيئا مذكورا عن أول من عمل الشاذروان للكعبة المشرفة، و لكن الأستاذ البتونى ذكر فى "رحلته الحجازية" عند الكلام على شكل الكعبة بصحيفة ١٠٥ شيئا عن الشاذروان نقله هنا بنصه، قال رحمه الله تعالى:

"و الشاذروان معناه ما يحيط بالسلسيل، و كانوا يطلقونه فى العمارات المصرية القديمة على محيط النافورات التى كانت فى وسط القاعات الكبرى، و على ظنى أنه هنا من أثر عمارة الحجاج، أقامه ليقى جدار البيت المعظم من تأثير الأمطار و السيول التى كانت و لا تزال تنزل بكثرة إلى المطاف، و دليلنا على ذلك إنما هو لفظه الفارسى الذى لا بد أن يكون من وضع عملة من الفرس استحضرهم الحجاج بن يوسف لعمارته. و لا يبعد أن يكون ذلك من عهد ابن الزبير، و يؤيده ما ورد فى الأغانى من أن ابن سريج سئل عن تعلم الغناء على القاعدة التى كان يغنى عليها مع أنها ما كانت معروفة عند العرب، فقال: إنه تعلمها من عملة الفرس كان ابن الزبير استحضرهم لبناء الكعبة، و كانوا يتغنون بأغنية لطيفة فأخذها عنهم و أضاف نغماتها على النغمات العربية و غنى بها. و على كل حال فالشاذروان و الميزاب لفظان أعجيبان، و لم يرد ذكرهما على مدته صلى الله عليه و سلم." انتهى ما أورد الأستاذ محمد ليب البتونى فى الرحلة الحجازية.

قال العلامة ابن خلدون فى مقدمته عن الشاذروان، عند الكلام على المساجد و البيوت العظيمة فى العالم ما يأتى:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٩٠

و يعرض هنا إشكال قوى، لمنافاته لما يقوله الفقهاء فى أمر الطواف، و يحذر الطائف أن يميل على الشاذروان الدائر على أساس الجدر من أسفلها، فيقع طوافه داخل البيت بناء على أن الجدر إنما قامت على بعض الأساس و ترك بعضه و هو مكان الشاذروان، و كذا قالوا فى تقبيل الحجر الأسود لا بد من رجوع الطائف من التقبيل حتى يستوى قائما لثلا يقع بعض طوافه داخل البيت، و إذا كانت الجدران كلها من بناء ابن الزبير و هو إنما بنى على أساس إبراهيم، فكيف يقع هذا الذى قالوا؟

و لا مخلص من هذا إلا بأحد أمرين: إما أن يكون الحجاج هدم جميعه و أعاده و قد نقل ذلك جماعة، إلا أن العيان فى شواهد البناء بالتحام ما بين البناءين و تحيير أحد الشقيين من أعلاه عن الآخر فى الصنعة يرد ذلك، و إما أن يكون ابن الزبير لم يرد البيت على أساس إبراهيم من جميع جهاته، و إنما فعل ذلك فى الحجر فقط ليدخله فهى الآن مع كونها من بناء ابن الزبير ليست على قواعد إبراهيم، و هذا بعيد و لا محيص من هذين و الله تعالى أعلم. انتهى من مقدمة ابن خلدون.

أما بناء الشاذروان و أنه من نفس البيت: فلم نر من تكلم عنه الكلام الشافى من العلماء و المؤرخين، فبعضهم قال أنه من الكعبة، و بعضهم قال ليس من الكعبة كما سيظهر فيما سيأتى.

و الذى نجنح إليه أن الشاذروان من الكعبة، و نستدل على هذا بما جاء فى تاريخ الإمام الأزرقى المتوفى فى النصف الأول من القرن الثالث للهجرة، فقد قال عند ذكر بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ما نصه: فلما هدم ابن الزبير الكعبة و سواها بالأرض كشف عن أساس إبراهيم فوجدوه داخل فى الحجر نحو من ستة أذرع و شبر كأنها أعناق الإبل آخذ بعضها بعضا كتشبيك الأصابع بعضها ببعض يحرك الحجر من القواعد فتتحرك الأركان كلها، فدعا ابن الزبير خمسين رجلا من وجوه الناس و أشرافهم و أشهدهم على ذلك الأساس، قال:

فأدخل رجل من القوم يقال له عبد الله بن مطيع العدوى عتله كانت فى يده فى ركن من أركان البيت فتزعزت الأركان جميعا، و

يقال: أن مكة كلها رجفت رجفة شديدة حين زعزع الأساس و خاف الناس خوفا شديدا حتى ندم كل من كان أشار على ابن الزبير بهدمها و أعظموا ذلك إعظاما شديدا و أسقط في أيديهم. فقال لهم ابن الزبير: اشهدوا. ثم وضع البناء على ذلك الأساس و وضع التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٩١

حدات الباب باب الكعبة على مدماك على الشاذروان اللاصق بالأرض و جعل الباب الآخر بإزائه في ظهر الكعبة مقابله و جعل عتبه على الحجر الأخضر الطويل الذى فى الشاذروان الذى فى ظهر الكعبة قريبا من الركن اليمانى و كان بناؤون بينون من وراء الستر و الناس يطوفون من خارج، فلما ارتفع البنيان إلى موضع الركن ... إلى آخر الكلام. اه.

و قال فى تاريخه أيضا عند الكلام على سيول وادى مكة فى الجاهلية ما نصه:

عن محمد بن عبد العزيز أن وادى مكة سال فى الجاهلية سيلا عظيما و خزاعة تلى الكعبة و أن ذلك السيل هجم على أهل مكة فدخل المسجد الحرام و أحاط بالكعبة و رمى بالشجر بأسفل مكة و جاء برجل و امرأة ميتين ففرفت المرأة كانت تكون بأعلا مكة يقال لها "فارة" و لم يعرف الرجل، فبنت خزاعة حول البيت بناء أداروه عليه و أدخلوا الحجر فيه ليحصنوا البيت من السيل، فلم يزل ذلك البناء على حاله حتى بنت قريش الكعبة، فسمى ذلك السيل سيل فارة و سمعت أنها امرأة من بنى بكر. اه.

فعلى هذا يكون أصل الشاذروان من عمل خزاعة و حذت قريش حذوها فأبقت الشاذروان حين بنائها الكعبة. و الله تعالى أعلم. انتهى كل ذلك من تاريخ الإمام الأزرقى رحمه الله تعالى و جزاه عنا خير الجزاء لتأليفه هذا التاريخ المهم عن أخبار مكة الذى أصبح عمدة لدى العلماء و المؤرخين.

و نستنتج من كلام الأزرقى جملة أمور، منها:

(١) أن أصل الشاذروان هو من عمل خزاعة حينما كان أمر الكعبة إليها، بنته حولها ليحصنوها من السيل و أن هذا البناء بقى على حاله حتى بناء قريش للكعبة.

(٢) أن الشاذروان كان فى بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما، بدون شك، و أن الشاذروان اللاصق بالأرض هو على نفس الأساس الأول الذى كشفه ابن الزبير، و إن لم يأت ذكره فى بناء قريش للكعبة، و الحجاج الثقفى لم يتعرض للشاذروان مطلقا حينما هدم الكعبة، فإنه هدم منها ما زاده فيها ابن الزبير و هو الجانب الذى من جهه حجر إسماعيل و سد الباب الغربى، و رفع التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٩٢

الباب الشرقى عن الأرض كما كان فى بناء قريش، و ترك بقيه الكعبة على بناء ابن الزبير.

(٣) أن عتبه الباب الشرقى و عتبه الباب الغربى كانتا مرفوعتين عن الأرض بنحو شبر و لم تكونا متساويتين بالأرض، كما هو ظاهر من صريح عبارة الأزرقى المتقدمه.

(٤) تأكد ابن الزبير من ظهور أساس إبراهيم عليه الصلاة و السلام و دعوته خمسين رجلا من أشراف الناس و أعيانهم ليشهدوا على ذلك، و هو ما يطلب شرعا فى كل أمر مهم، نفيا عن التهمة و الشك.

(٥) حجب البناء عن أعين الناس بوضع الستارة حول الكعبة و الناس يطوفون من خارجها، و فى ذلك فائدتان: ستر البناء من فضول أعين الناس حتى لا يحصل تهاون بحرمه الكعبة، و قيام البناء على هدوء و سكينه بدون تشويش و اعتراض.

و مثل هذا يحدث فى عصرنا فى البلدان الأخرى عند إقامة التماثيل و بناء الصور الرمزية و نحوهما.

(٦) اختيارهم عند بناء الكعبة الأحجار الثمينه الجميله لوضعها فيها كما جاء فى صريح العبارة "و جعل عتبه على الحجر الأخضر الطويل الذى فى الشاذروان" و هم أهل القرون الثلاثة الأولى خير القرون، و منها أخذ الولاة و السلاطين أن يضعوا الأحجار الكريمة الثمينه على الكعبة و ما حولها، كالرخامة الخضراء تحت ميزاب الكعبة الموضوعه فى سنة إحدى و أربعين و مائتين، و كالرخامات الصفرة الموضوعه بأعلى الشاذروان الذى فوق الحفرة التى عند باب الكعبة حين عمارة المطاف سنة إحدى و ثلاثين و ستمائة كما هو

مكتوب على الحجر الأزرق الذي تحت الرخامات الصفر، و كالحجر الأحمر الصغير الموضوع في باطن الحفرة المذكورة، فمثل هذه الأشياء لم توضع إلا لقيمتها الثمينة و لندرة وجودها. و ستتكلم عنها إن شاء الله تعالى بعد هذا الفصل.

هذا ما ظهر لنا عن الشاذروان و الله تعالى أعلم بالصواب، و لا نظن أن أحدا كتب عنه بمثل ما كتبنا فالحمد لله على توفيقاته و نعمائه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٩٣

### حكم الشاذروان بالنسبة للطواف

بقي علينا أن نذكر ما قاله العلماء و المؤرخون عن الشاذروان تكملته للبحث من جميع الوجوه:

فقد جاء في كتاب "الفقه على المذاهب الأربعة" للعلامة الشيخ عبد الرحمن الجزيري عند الكلام على تعريف القبلة ما نصه:

و ليس من الكعبة الحجر و لا الشاذروان و هما معروفان لمن كان بمكة و سيأتي بيانها في كتاب الحج إن شاء الله تعالى، فمن كان بمكة و استقبل الحجر أو الشاذروان فأن صلاته لا تصح عند ثلاثة من الأئمة و خالف الحنابلة فانظر مذهبهم تحت الخط (ثم ذكر مذهبهم فقال): الحنابلة قالوا أن الشاذروان و ستة أذرع من الحجر و بعض ذراع فوق ذلك من الكعبة، فمن استقبل شيئاً من ذلك صحت صلاته.

انتهى من كتاب الفقه المذكور، و لم يذكر في كتاب الحج عن الحجر و الشاذروان إلا بيان حكم الطواف بالنسبة إليهما فلم نر ما يوجب نقل كلامه هنالك.

أما قول المؤرخين عن الشاذروان، فهو يتلخص فيما ذكره المؤرخ الكبير الشيخ عبد الله الغازي في تاريخه، و هذا نصه.

(الفائدة الخامسة) في ذكر شاذروان الكعبة: قال الفاسي في شفاء الغرام أما شاذروان الكعبة فهو الأحجار الملاصقة بالكعبة التي عليها البناء المسنم المرخم في جوانبها الثلاثة الشرقي و الغربي و اليماني و بعض حجارة الجانب الشرقي لا بناء عليه و هو شاذروان أيضاً.

و أما الحجارة الملاصقة بجدار الكعبة الذي يلي الحجر فليست شاذروانا لأن موضعها من الكعبة بلا ريب.

و الشاذروان هو ما نقصته قريش من عرض جدر أساس الكعبة حتى ظهر على الأرض كما هو عادة الناس في الأبنية أشار إلى ذلك الشيخ أبو حامد الإسفرائيني و ابن الصلاح و النووي و نقل ذلك عن جماعة من الشافعية و غيرهم كالمحب الطبري

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٩٤

و ذكر أن الشافعي أشار إلى ذلك في الأم و نقل عنه أنه قال: إن طاف عليه أعاد الطواف. انتهى.

و قد اختلف العلماء في حكم الشاذروان فذهب الشافعي و أصحابه إلى وجوب الاحتراز منه و عدم أجزاء طواف من لم يحتز منه و هو مقتضى مالك على ما ذكر ابن شاش و ابن الحاجب و شارحه الشيخ خليل و تلميذه صاحب الشامل و غيرهم من متأخري المالكية و أنكر ذلك بعض متأخري المالكية و لم يثبت في المذهب.

و مذهب الحنابلة أن الاحتراز منه مطلوب إلا أن عدم الاحتراز لا يفسد الطواف.

و مذهب أبي حنيفة أنه ليس من البيت على مقتضى ما نقل القاضى شمس الدين السروجي من الحنفية عنهم و هو اختيار جماعة من محققى العلماء على ما ذكر القاضى عز الدين بن جماعة.

قال الفاسي: قلت: ينبغي الاحتراز منه لأنه إن كان من البيت كما قيل فالاحتراز منه واجب و إلا فلا محذور في ذلك كيف و الخروج من الخلاف مطلوب و هو هنا قوى. و الله أعلم.

قال: و لم أدر متى كان ابتداء البناء في الشاذروان و لم بين مرة واحدة و إنما بنى دفعات منها في سنة اثنين و أربعين و خمسمائة و لم أدر ما بنى منه في هذه السنة، و منها في نيف و ثلاثين و ستمائة على ما ذكر ابن خليل في منسكه و منها في آخر عشر الستين و ستمائة أو في أوائل عشر السبعين و ستمائة لأن القاضى بدر الدين بن جماعة ذكر أنه رأى الشاذروان في سنة ست و خمسين و ستمائة و هي

مصطبة يطوف عليها بعض العوام ورآه في سنة إحدى و ستين و قد بنى عليه ما يمنع من الطواف عليه على هيئته اليوم هكذا نقل عنه ولده عز الدين فيما أخبرني به عنه خالي.

و ذكر القاضي عز الدين بن جماعة فيما أخبرني عنه خالي أيضا أن ارتفاع الشاذروان عن أرض المطاف في جهة باب الكعبة ربع ذراع و ثمن ذراع، و عرضه في هذه الجهة نصف و ربع، و ذكر الأزرقى أن طول الشاذروان في السماء ستة عشر إصبعا و عرضه ذراع و قد نقص عرضه كما ذكر الأزرقى في بعض الجهات، و أفتى المحب الطبري عالم الحجاز في وقته بوجوب إعادة مقداره على ما ذكره

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٩٥

الأزرقى و له في ذلك تأليف نحو نصف كراس سماه استقصاء البيان في مسألة الشاذروان. انتهى ما ذكره الفاسى.

و فى تحصيل المرام: و أخرج عبد الله بن الزبير لما بنى الكعبة الشاذروان و قيل:

أخرجته قريش لأجل استمساك البناء و ثباته. قال: فعلى هذا القول يكون الشاذروان من البيت و هو قول جمهور الشافعية و جمهور المالكية. و قال أبو حنيفة:

إنه ليس من البيت لأنه لم يرد حديث صحيح أنه من البيت إلا من عموم قوله صلى الله عليه و سلم لعائشة: إن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم فقال الجمهور: إن الاقتصار شامل للحجر و الشاذروان و خص أبو حنيفة الحجر دون الشاذروان. انتهى ما فى تاريخ الغازى، و مما تقدم يظهر للقارئ الكريم أصل الشاذروان و حقيقته.

### عدد مرات بناء الشاذروان و إصلاحه

تقدم أن الشاذروان كان فى بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنه، و الله تعالى أعلم كم مرة حصل فى الشاذروان بناء أو إصلاح إلى زمن الإمام الأزرقى، و من زمنه إلى زمن التقى الفاسى و بينهما نحو ستمائة سنة كما قاله الشيخ حسين باسلامة صاحب تاريخ الكعبة المعظمة رحمهم الله جميعا، فىكون عدد مرات بناء الشاذروان و إصلاحه بعضه أو كله كما يأتى تقريبا:

(١) كان الشاذروان فى بناء عبد الله بن الزبير سنة أربع و ستين هجرية.

(٢) طلى على الشاذروان الجص و المرمر فى أيام جد الأزرقى كما صرح بذلك فى تاريخه فى نهاية الجزء الأول.

(٣) بنى بعض الشاذروان فى سنة (٥٤٢) كما قاله الفاسى.

(٤) و قد بنى أيضا فى سنة (٦٣٦) كما ذكره الفاسى أيضا.

(٥) و قد بنى أيضا فى سنة (٦٦١) كما ذكره الفاسى أيضا.

(٦) و قد بنى أيضا فى سنة (٦٧٠) تقريبا كما ذكره الفاسى أيضا.

(٧) و قد بنى أيضا فى سنة (٨٣٨) عمره سودون المحمدى كما ذكره ابن فهد.

(٨) و قد بنى أيضا فى سنة (٨٤٦) فى شهر محرم كما ذكره ابن فهد أيضا.

(٩) و قد بنى أيضا فى سنة (١٠٤٠) مع بناء الكعبة المشرفة زمن السلطان مراد رحمه الله تعالى و جزاه خير الجزاء، و قد شرعوا فى بناء

الشاذروان فى اليوم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٩٦

الحادى عشر من شعبان من السنة المذكورة، و أتوا ببناءه فى اليوم الثالث من رمضان من السنة المذكورة أيضا.

(١٠) و قد بنى أيضا فى سنة (١٠٩٨) أصلحه أحمد باشا و أمر بالحجر السماق فوضع تحت الركن الأسود مما يلى الأرض، كما ذكره السنجارى.

هذا مختصر ما وقفنا عليه في بناء وإصلاح شاذروان الكعبة سواء كان ذلك الجزء منه أو لجميعة، وقد عددنا ذلك بالأرقام حتى الرقم العاشر، ولكن ليس المراد أنه حصل البناء والإصلاح في الشاذروان عشر مرات - كلا- فربما كان أكثر من ذلك، وإنما نحن لم نقف فيه على أكثر مما ذكرناه. والله تعالى أعلم بالغيب.

ولا يخفى أن صفة البناء تختلف في كل عصر و زمان، و صفة بناء الشاذروان على الكعبة في زماننا هي معروفة و مشاهدة لأعيننا، و أما صفته فيما مضى من عصر الصحابة فالله تعالى أعلم بها، و على أى صفة كان بناؤه فهو شاذروان، و ما ذكره الفاسي عند بنائه في أوائل عشر السبعين و ستمائة بقوله: هي مصطبة يطوف عليها بعض العوام ثم بنى عليه ما يمنع الطواف عليه على هيئة اليوم، دليل على أن صفة بنائه كانت تختلف.

و نحن إلى يومنا هذا نستعمل عمل الشاذروان في غالب المنازل و البيوت الكبيرة من الخارج أى من الشارع صوتنا لها من مياه الأمطار و عجالات العربات، بل إننا نستعمله في جميع أماكن الضوء المبلطة بالطباطب و في جميع الأحواض و الحنفيات و هو الذى نسميه بلغة البنائين "الإفريز" بكسر الهمزة و الراء و إسكان الفاء و الزاى، و طول هذا الإفريز في أماكن الضوء و نحوها شبر واحد أو أقل، و قد يكون أطول في بعض المحلات، و هذا العمل شائع من قديم الزمان في الحجاز و في غير الحجاز، و هو موجود بمصر في زماننا هذا في جميع المساجد و الجوامع عند أماكن الضوء فهو كما يقول صاحب الرحلة الحجازية كان مستعملا في العمارات المصرية القديمة على محيط النافورات.

### مقاس الشاذروان و عدد حجراته و عدد الحلقات به

قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء و اللغات: الشاذروان هو بناء لطيف جدا ملصق بحائط الكعبة، و ارتفاعه عن الأرض في بعض المواضع نحو شبرين و في

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٩٧

بعضها نحو شبر و نصف، و عرضها في بعضها نحو شبرين و نصف و في بعضها نحو شبر و نصف. انتهى من تاريخ الكعبة.

و جاء فيه: و ذكر إبراهيم رفعت باشا في مرآة الحرمين أن ارتفاع الشاذروان في الجهة الشمالية (٥٠) سنتيما في عرض (٣٩) و من الجهة الغربية ارتفاعه (٢٧) سنتيما في عرض (٨٠) و من الجهة الجنوبية ارتفاع (٢٤) سنتيما في عرض (٨٧) و من الجهة الشرقية ارتفاعه (٢٢) سنتيما في عرض (٦٦). انتهى من تاريخ الكعبة.

قال مؤلف مرآة الحرمين المذكور: و قد حققته بالمقاس من حجاتي الأربع "أى سنة ١٣١٨ و ١٣٢٠ و ١٣٢١ و ١٣٢٥ هجرية."

و حجارة الشاذروان في عصرنا الحاضر كلها من حجر الرخام الأبيض القوى الصلب، و هي متفاوتة الحجم منها الصغير و الكبير و المتوسط، و قد بنى الشاذروان على دفعات مرارا عديدة و على صفات مختلفة كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى.

أما عدد حجارة الشاذروان التى حول الكعبة فى القرن الثالث من الهجرة أى:

فى عهد الإمام الأزرقى فهو ثمانية و ستون حجرا فى ثلاثة من جوانبها كما ذكره فى تاريخه "أخبار مكة" و قد بين بالتفصيل كل ذلك رحمه الله تعالى و جزاه عن المسلمين خيرا.

و أما عدد حجراته فى عهدنا هذا فهو أربعة و ستون حجرا بجعل الرخامات الصفر التى عددها ثمانية أحجار حجرا واحدا باعتبار أنها متلاصقة بجوار بعضها فحسبناها كالحجر الواحد، أما لو جعلناها كما هى ثمانية أحجار فإنه يكون عدد حجارة الشاذروان حينئذ واحدا و سبعين حجرا، و هذه الحجارات الصفر موضوعة بأعلى الحفرة التى عند باب الكعبة و سنتكلم عنها إن شاء الله تعالى بعد هذا الكلام و قد ذكرناها أيضا فى كتابنا "مقام إبراهيم عليه السلام" المطبوع بمطبعة مصطفى البابى الحلبي و شركاه بمصر القاهرة.

و أما حلقات الشاذروان فهى حلقات مثبتة قوية من النحاس الأصفر جعلت لربط كسوة الكعبة الخارجية فيها حتى لا تتحرك و ترتفع

بفعل الهواء، و عدد هذه الحلقات حول الكعبة في الشاذروان ثمانية و أربعون حلقة كما قاله المرحوم إبراهيم رفعت باشا في كتابه " مرآة الحرمين " و المذكور توفي في عهدنا هذا قريبا رحمه الله تعالى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٩٨

أما عدد هذه الحلقات في أيامنا فهو إحدى و أربعون حلقة و قد نقصت هذه الحلقات عن أيام مؤلف مرآة الحرمين المذكور لتقدم العهد عليها فتتخلخل عن أماكنها ثم تخرج و لا يوضع بدلها، و محلات الحلقات الخارجة ثابتة واضحة في حجارة الشاذروان. و قد وفقنا الله لعد حجارة الشاذروان وعد الحلقات الموجودة بها، في يوم السبت حادى عشر محرم الحرام عام ألف و ثلاثمائة و ستة و سبعين من الهجرة فنحمد الله على توفيقاته المتواليه و نعمائه المتتاليه و نسأله المزيد من كل ذلك بفضلله و منه و رحمته و إحسانه إنه حلیم کریم و بر رحيم.

### الرخامات الصفراء التي ب الشاذروان

موضوع على شاذروان الكعبة بأعلى الحفرة التي عند باب الكعبة، رخامات صفر نفيسة جدا، نادرة الشكل و المثال، لونها لا يضرب إلى الصفرة الخالصة و إنما هو أصفر مائل إلى الحمرة قليلا، تتخللها نقوش بديعة جدا، لونها أصفر فاقع أكسب الرخامات حسنا و جمالا، كل ذلك من أصل الخلقه.

و هذه الرخامات ثمانية أحجار، متقاربة الأحجام، متلاصقة ببعضها كل حجر منها مستطيل الشكل أكبرها طوله ٣٣ سنتيمترا، و عرضه ٢١ سنتيمترا، و كلها مرصوفة و موضوعة بأعلى الشاذروان في محل على هيئة المربع، طوله ٧٤ سنتيمترا و كذلك عرضه. و الظاهر أنها وضعت في محلها فوق الشاذروان حين عمارة المطاف التي كانت سنة إحدى و ثلاثين و ستمائة حسبا هو مكتوب بالنقر على الحجر الأزرق الذي تحت الرخامات الصفر و هو حجر ثمين من الرخام الأزرق الصافي، طوله ٦٩ سنتيمترا، و عرضه ٣٢ سنتيمترا فيكون قد مضى على هذه الرخامات الصفر و الرخامة الزرقاء إلى عامنا هذا، عام ١٣٨٧ من الهجرة (٧٥٦) سنة. و الله تعالى أعلم.

انظر: صورة رقم ٨٩، للثمانية الأحجار الصفر الظاهرة

فهذه الرخامات الصفراء التي على الشاذروان تكون من أفخم الآثار العربيه و أغلاها و أندرها، فلو لم تكن من القدر و القيمة بمكان لما وضعها ولاة الأمر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٩٩

الأقدمون في أشرف بقعه عند الكعبة المعظمة، و هم أهل القرون الثلاثة الأولى، فكانوا أعرف منا بنفائس الأشياء و جواهرها و اختيار الأمكنة لحفظها و صيانتها و كانت أعمالهم الجليله في غاية من الجودة و الإتقان تمر عليها مئات السنين و الأعوام، و هي على حالها ما أصابها تلف و لا خراب و لا تترجح عن مكانها.

و نحن لم نغم بالكشف عما يوجد بالحجر و المطاف من الرخام النادر الوجود، فلو قمنا و بحثنا لعثرنا على أشياء ثمينة جدا مما يدلنا على عناية الملوك و السلاطين الأقدمين بهذا المكان المقدس و البقعة الطاهرة المباركة، و ما ذكرنا هذه الرخامات الصفر إلا للمناسبة.

و قبل أن نختم هذا الفصل نشير إلى قيمة الرخامات الصفر عند ذوى الخبرة من رجال الآثار القديمة، فإننا لا نبالغ إن قلنا: أن قيمة بعضها قد تبلغ نحو من ألف جنيه مصرى بل أكثر.

و لا نعتقد أن أحدا ممن كان قبلنا و لا ممن هو في عصرنا التفت إلى هذه الرخامات، و لا توصل إلى ملاحظتنا فيها، هذه الملاحظات الدقيقة الفنيه فالحمد لله على التوفيق.

واعلم أنه كان بعض رخامات صفراء و خضراء و حمراء و غيرها من الرخامات الثمينه النادره الوجود في الدنيا موجوده في داخل الكعبه المشرفه، على أرضها و على جدرانها إلى سنه (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية. فلما كان في هذه السنه حصل تجديد سقف الكعبه المشرفه كما حصل فرش أرض الكعبه المشرفه من الداخل بالرخام فهذا الفرش غطى على بعض الرخامات الثمينه في أرض الكعبه المشرفه، مع العلم بأن جميع أحجار الشاذروان الرخاميه البيضاء الصلبه القويه النادره الوجود هو من عمل و بناء السلطان مراد الرابع من سلاطين آل عثمان الأتراك.

فإنه رحمه الله تعالى بنى الشاذروان عندما بنى الكعبه المعظمه سنه (١٠٤٠) ألف و أربعين هجرية. رحمه الله تعالى و رضى عنه و جعل الجنة مسكنه و مأواه بفضلته و رحمته أمين.

و نرى أن الحكمة من وجود الشاذروان أسفل الكعبه المعظمه، و الله تعالى أعلم، أولا أن تكون بنايه بيت الله الحرام بكيفيه خاصه تمتاز عن بقيه بناء بيوت البشر، و ثانيا أن وجود الشاذروان أسفل الكعبه يمنع من التصاق الطائفين بالبيت التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٠٠

الحرام، و هذا هو الأدب اللائق بالطائفين الكرام، و لو لم يكن الشاذروان موجودا بالكعبه لالتصق الطائفون بها و احتكوا بكسوتها أشد الاحتكاك، عند كثرة الزحام وقت الطواف، و هذا يؤدي حتما إلى تمزق كسوتها تمزقا بالغا، و ليس ذلك من اللائق ببيت الله الحرام.

هذا ما نراه من الحكمة، و الله تعالى أعلم بالغيب.

مع العلم بأن حجارات هذا الشاذروان هي من حجارة المرمر الأصلية القويه و المتينه جدا و في هذا الشاذروان بعض قطع من حجاراته الصفراء تعد تحفه نادره لا يوجد مثلها لدى الملوك مطلقا، لأنها منقوشه نقشا طبيعيا و مزخرفه زخرفه خلقيه من وسطها و أعماقها، و عدد هذه الحجارة ثمانيه و هي واقعه فوق الشاذروان بجوار باب الكعبه. و قد تكلمنا عنها بالتفصيل في الجزء الثالث من هذا الكتاب (صفحة ١٧) كما تكلمنا عنها في كتابنا المطبوع "مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام".

قال الله سبحانه و تعالى: **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ**، قال بعضهم عند هذه الآيه: يحتمل أن تكون من تبعيضيه أو زائده في الإثبات على مذهب الأبخفس أو بمعنى في، و كل بعيد، و الأقرب أنها بمعنى عند. اه. و المقام هو بفتح الميم من قام يقوم: موضع القيام، و أما المقام بالضم فهو من أقام يقيم.

و اختلفوا في المراد بالمقام فقيل: المسجد كله مقام إبراهيم، و قيل: الحرم كله مقام إبراهيم و قيل: جميع مشاهد الحج كمنى و مزدلفه و عرفه، و قيل: المقام هو الحجر الذي وضعته زوجته إسماعيل تحت قدم إبراهيم عليه السلام حين غسلت رأسه، و قيل: مقام إبراهيم هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام عند بناء الكعبه، و كان يرتفع به كلما ارتفع البناء و إلى هذا أشار صاحب نظم عمود النسب بقوله:

و كلما طال البناء ارتفعابه المقام في الهوا و رفعا

به القواعد و فيه قدم تشبهها للهاشمى قدم

و حين بالحج الخليل أذناو في كلا أذنيه إصبعا ثنى

أيضا كأطوال الجبال ارتفعابه و كل من يحج أسمعا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٠١

فهذا القول الأخير هو الصحيح المعول عليه حيث يفهم من الآيه أنه مقام مخصوص و ذلك بالنظر إلى الأمر بالصلاة عنده، أما بالنظر إلى معناه اللغوي فإنه يصدق بجميع الأماكن التي قام عليها إبراهيم عليه السلام، و من تأمل قوله تعالى:

**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ**



مُصَلَّى ظهر له ذلك جلياً.

و يؤيد صحة هذا القول الأخير: ما حدث جابر عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لما طاف النبي عليه الصلاة والسلام قال له عمر: هذا مقام أبينا قال: نعم. قال: أفلا نتخذة مصلى؟ فأنزل الله عز وجل: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى. وفي روايه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالمقام و معه عمر، فقال: يا رسول الله أليس هذا مقام أبينا إبراهيم قال: بلى، أفلا نتخذة مصلى؟ قال: لم أؤمر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت الآية. " وفي البخارى عن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب: "وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث قلت: يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى فنزلت: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ... الخ الحديث. " وعن جابر أنه قال: "استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن، فرسل ثلاثاً و مشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين. "

قال ابن كثير في تفسيره: و هذا قطعة من الحديث الطويل الذى رواه مسلم فى صحيحه من حديث حاتم بن إسماعيل. فالخلاصة: أن مقام إبراهيم عليه السلام هو الحجر الذى كان يقوم عليه لبناء البيت الحرام لما ارتفع جداره، و كان إسماعيل يناوله الحجارة فيضعها بيده و كلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة و هو واقف عليه حتى انتهى إلى وجه البيت. و نحن نجزم بهذا القول جزماً مؤكداً للمرين:

(الأمر الأول): لقد أجمعت الأمة المحمدية أن المراد بآية: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى أن يكون حجر المقام الموجود الآن بقرب بئر زمزم أمام الكعبة بين المصلى و بين الكعبة و هذا المقام هو الذى غاصت فيه قدما إبراهيم الخليل صلوات الله و سلامه عليه كما هو ظاهر عند رفع الستارة التى تغطيه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٠٢

(و الأمر الثانى): أن حجر المقام هذا هو الذى كان يرتفع بإبراهيم صلى الله عليه وسلم حين بنائه الكعبة كما جاء ذلك صريحاً فى صحيح البخارى فى كتاب بدء الخلق بعد باب قصة يأجوج و مأجوج و هو أمر معقول و معجزة واقعة فى محلها، و ذلك أن طول إبراهيم الخليل كان كأمثالنا فلو لم يجعل الله له هذا المقام المقدس معجزة يرتفع و يمشى به فى الهواء كيفما شاء سيدنا إبراهيم حين البناء فكيف كان يكمل بناء البيت إذا ارتفع جدارانه عن القامة و ليس عنده سلم يقف عليه و لا أخشاب أو أدوات النجارة ليعمل له كرسي أو مصعداً يصعد عليه و يبنى فإن الدنيا كانت فى أوائل عهدها لم تتقدم فى وسائل العمران بعد.

فما دام البيت بيت الله عز و جل فهو ييسر لخليله سبيل البناء و قد جعل له هذا المقام بمنزلة سقالة البنائين يتوصل به إلى ما ارتفع عنه من الجدار ليتم بناء تكرمه و معجزة لخليله و صفيه و قد ألان له حجر المقام حتى غاصت فيه قدماه معجزة أخرى و ليكون ذلك آية و دلالة تبقى إلى يوم القيامة فى محله الأول عند بيته المحرم و نستدل من أثر القدمين فى المقام أن سيدنا إبراهيم لم يكن يلبس نعلاً فى رجليه عند بناء البيت و الله تعالى أعلم بالغيب.

فعلم مما ذكر أن المراد بالمقام الحجر الذى قام عليه إبراهيم عليه الصلاة و السلام لبناء البيت لا- الحجر الذى وضعت زوجته ابنة إسماعيل تحت قدمه حين غسلت رأسه.

فالسنة: أن تكون الصلاة خلف المقام بأن يكون المقام بين المصلى و الكعبة، و لا تشترط مقابلة عينه و محاذاته، لأن حجم المقام الذى هو الحجر صغير نحو ذراع لا يكفى أن يكون مصلى لشخص واحد، فمن صلى وراء المقام فقد أتى بالسنة و إن لم يقف خلف الحجر بالتمام، لأن ما قارب الشئ يعطى حكمه، فهذا كالإمام و المأمومين فهؤلاء و هم جمع كبير يطلق عليهم أنهم صلوا كلهم وراء الإمام. فلو اشترطنا على المصلى مقابلة عين الحجر للزم أن يصلى الناس خلفه فرداً فرداً لصغره، و فى ذلك من الحرج و المشقة ما لا يخفى.

انظر: صورة رقم ٩٠، مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام

و لقد نزل المقام و الركن مع أينا آدم عليه السلام من الجنة و هما ياقوتتان من ياقوتها، فقد روى الترمذى و أحمد و الحاكم و ابن حبان أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٠٣

"إن الركن و المقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله تعالى نورهما، و لو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق و المغرب." و لقد كان من معجزات إبراهيم عليه السلام أن صار الحجر تحت قدميه رطبا فغاصت فيه قدماه، و قد بقى أثر قدميه ظاهرا فيه من ذلك العصر إلى يومنا هذا و إن تغير عن هيئته الأصلية بمسح الناس بأيديهم قبل وضع الحجر فى المقصورة النحاسية، و العرب تعرف ذلك فى جاهليتها قال أبو طالب عم النبي صلى الله عليه و سلم فى قصيدته اللامية المشهورة التى قالها حين تحالفت قريش على بنى هاشم فى أمر النبي عليه الصلاة و السلام و أول هذه القصيدة:

و لما رأيت القوم لا ودّ عندهم و قد قطعوا كل العرى و الوصائل

و ثور و من أرسى تبيرا مكانه و راق لبر فى حراء و نازل

و بالبيت حق البيت من بطن مكة و بالله إن الله ليس بغافل

و بالحجر المسود إذ يمسخونه إذا اكتنفوه بالضحى و الأصائل

و موطى إبراهيم فى الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

فيكون هذا الحجر المقام، و الحجر الأسود أقدم أثر محترم لدى المسلمين بالاتفاق، إذ بيننا و بين إبراهيم عليه السلام نحو أربعة آلاف سنة.

و مما هو جدير بالذكر و الالتفات: أن العرب فى جاهليتها مع عبادتهم الأحجار و بالأخص حجارة مكة و الحرم، لم يسمع عنهم أن أحدا عبد الحجر الأسود، أو حجر المقام مع عظيم احترامهم لهما و محافظتهم عليهما.

و لقد تأملنا فى سر ذلك و سببه، فظهر لنا أن ذلك من عصمة الله تعالى فإنهما لو عبدا من دون الله فى الجاهلية، ثم جاء الإسلام بتعظيمهما باستلام الركن الأسود، و الصلاة خلف المقام، لقال المنافقون و أعداء الدين أن الإسلام أقر احترام بعض الأصنام، و أنه لم يخلص من شائبة الشرك، و لتمسك بعبادتهما من كان يعبد أحدهما من قبل.

فلهذا حفظ الله تعالى هذين الحجرين الكريمين من أيام إبراهيم عليه السلام إلى يوم القيامة من عبادة أهل الجاهلية لهما، كما حفظ بيته الحرام من عبادتهم أيضا، و لا يخفى أن هذه نقطة دقيقة لا يتنبه لها كل أحد.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٠٤

### منظومة السيوطى فى موافقات عمر رضى الله عنه

بمناسبة ما قاله عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله عليه و سلم عن اتخاذ المقام مصلى نقول: فأمر الله سبحانه و تعالى باتخاذ مصلى و نزل فى ذلك آية: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى.

إن موافقات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه للوحى كثيرة جمعها الجلال السيوطى فى منظومة سماها "قطف الثمر فى موافقات عمر" و هى منظومة مطبوعة و حدها، و هى أيضا موجودة فى كتاب "زاد المسلم فيما انفق عليه البخارى و مسلم" بالجزء

الخامس و نحن نقلها منه و هى هذه بأكملها:

الحمد لله و صلى الله على نبيه الذى اجتباه

يا سائلى و الحادثات تكثر عن الذى وافق فيه عمر

و ما يرى أنزل فى الكتاب موافقا لرأيه الصواب

خذ ما سألت عنه في أبيات منظومة تأمن من شتاب  
 ففى المقام و أسارى بدرو آيتى تظاهر و ستر  
 و ذكر جبريل لأهل الغدرو آيتين أنزلا فى الخمر  
 و آية الصيام فى حل الرفث و قوله نساؤكم حرث يبث  
 و قوله لا يؤمنون حتى يحكموك إذ بقتل أفتى  
 و آية فيها لبدر أو به و لا تصل آية فى التوبة  
 و آية فى النور هذا بهتان و آية فيها بها الاستئذان  
 و فى ختام آية فى المؤمنين تبارك الله بحفظ المتقين  
 و ثلثه من فى صفات السابقين و فى سواء آية المنافقين  
 و عددوا من ذاك نسخ الرسم لآية قد نزلت فى الرجم  
 و قال قولاً هو فى التوراة قد نبهه كعب عليه فسجد  
 و فى الأذان الذكر للرسول رأيت فى خبر موصول  
 و فى القرآن جاء بالتحقيق ما هو من موافق الصديق  
 كقوله هو الذى يصلى عليكم أعظم به من فضل  
 و قوله فى آخر المجادلة لا تجد الآية فى المخالفة  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٠٥ نظمت ما رأيت منقولاً و الحمد لله على ما أولى

### ذرع ما بين مقام إبراهيم و بين الكعبة و ما حولها

#### إشارة

لقد ذرعا فى أول جمادى الأولى سنة (١٣٧٧) سبع و سبعين و ثلاثمائة و ألف، ما بين شاذروان الكعبة و بين أول شباك مقام إبراهيم عليه السلام المقابل للكعبة و للحفرة التى عندها، فكان القياس أحد عشر متراً.

و أما قياس ما بين المقام و بين الكعبة و ما حولها بالأذرع، فقد جاء فى الجزء الأول من تاريخ الفاسى المسمى "شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام" ما نصه:

روينا عن الأزرقى بالسند المتقدم فى تاريخه أنه قال: و ذرع ما بين الركن الأسود إلى مقام إبراهيم عليه السلام تسعة و عشرون ذراعاً و تسعة أصابع، و ذرع ما بين الكعبة من وسطها إلى المقام سبع و عشرون ذراعاً، و ذرع ما بين شاذروان الكعبة إلى المقام ست و عشرون ذراعاً و نصف، و من الركن الشامى إلى المقام ثمانية و عشرون ذراعاً و سبع عشرة إصبعا، ثم قال: و من المقام إلى حرف بئر زمزم أربع و عشرون ذراعاً و عشرون إصبعا. انتهى.

ثم قال القاضى عز الدين بن جماعة فيما أخبرنى به عند خالى: و من صدر الشباك الذى داخله المقام إلى شاذروان الكعبة عشرون ذراعاً و ثلثاً ذراعاً و ثمن ذراع يعنى بذراع الحديد المتقدم ذكره، و قد حررنا بعض ما حرره الأزرقى فى هذا المعنى فكان ما بين ركن الكعبة الذى فيه الحجر الأسود و بين الركن اليمانى من أركان الصندوق الذى فيه المقام من داخل الشباك الذى فيه الصندوق أربعة و عشرون ذراعاً إلا سدس ذراع، و كان ذرع ما بين وسط جدار الكعبة الشرقى إلى وسط الصندوق المقابل له اثنين و عشرون ذراعاً إلا ربع ذراع، و كان ما بين ركن الكعبة الشامى الذى يلي الحجر، بسكون الجيم و ركن الصندوق الشامى ثلاثة و عشرون ذراعاً، و

كان مما بين ركن الصندوق الشرقي إلى ركن البيت الذي فيه بئر زمزم المقابل له خمسة عشر ذراعاً إلا ثلث ذراع، و كل ذلك بذراع الحديد المتقدم ذكره. و لم نجد شيئاً مؤلفاً عن مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام. و الله سبحانه و تعالى وفقنا لوضع كتاب عن ذلك اسمه "مقام إبراهيم عليه السلام" و هو مطبوع بمطبعة الحلبي بمصر.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٠٦

### صفة المقام

كنا نعتقد أن مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام الموجود في باطن الصندوق الخشبي و المغطى بستارة حريرية مكتوبة منقوشة، و الذي يحيط بجوانبه الأربعة شباك من الحديد المضروب باللون الأخضر المقابل لباب الكعبة المعظمة، هو حجر كبير لا يمكن أن يحمله أقل من بضعة رجال، و كنا نظن أن ما بقي من أثر قدمي خليل الله إبراهيم عليه الصلاة و السلام شيء يسير بقدر ما يظهر أقدام الإنسان في الأرض الترابية، و لكن جاء الأمر بعكس ما كنا نعتقد و نظنه بعد مشاهدتنا له برؤية العين، و ذلك في اليوم السابع و العشرين من شهر شعبان سنة ألف و ثلاثمائة و سبع و ستين هجرية، كما سنبين ذلك.

و قبل أن نذكر كلامنا يجب أن نسوق عبارات المؤرخين فيه لمقارنته عباراتنا بعباراتهم، و نسأل الله التوفيق و الهداية إلى الصواب، فإنه لا حول و لا قوة إلا بالله.

قال الإمام الأزرقى المتوفى في حدود الأربعين بعد المائتين من الهجرة في كتابه القيم النفيس "أخبار مكة و ما جاء فيها من الآثار" في الجزء الثاني بصحيفة (٢٩) عند ذكر ذراع المقام ما نصه: قال أبو الوليد- يعني نفسه- و ذرع المقام ذراع، و المقام مربع سعة أعلاه أربعة عشر إصبعا في أربعة عشر إصبعا من أسفله مثل ذلك، و في طرفيه من أعلاه و أسفله طوقا ذهب، و ما بين الطوقين من الحجر من المقام بارز بلا ذهب عليه، طوله من نواحيه كلها تسعة أصابع و عرضه عشرة أصابع عرضاً في عشرة أصابع طولاً، و ذلك قبل أن يجعل عليه هذا الذهب الذي هو عليه اليوم من عمل أمير المؤمنين المتوكل على الله، و عرض حجر المقام من نواحيه أحد و عشرون إصبعا، و وسطه مربع، و القدمان داخلتان في الحجر سبعة أصابع و دخولهما منحرفتان، و بين القدمين من الحجر إصبعا، و وسطه قد استدق من التمسح به، و المقام في حوض من ساج مربع حوله رصاص ملبس به، و على الحوض صفائح رصاص ملبس بها و من المقام في الحوض إصبعا، و على المقام صندوق ساج مسقف و من وراء المقام ملبس ساج من الأرض في طرفيه سلسلتان تدخلان في أسفل الصندوق و يقفل فيهما قفلان. انتهى كلام الإمام الأزرقى في تاريخه المذكور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٠٧

و قال ابن جبير الأندلسي في رحلته، و كان قد حج سنة ثمان و سبعين و خمسمائة ما نصه: و هذا المقام الكريم الذي داخل هذا القبو هو مقام إبراهيم صلى الله عليه و سلم، و هو حجر مغشى بالفضة و ارتفاعه مقدار ثلاثة أشبار، و سعته مقدار شبرين، و أعلاه أوسع من أسفله، و أثر القدمين و أثر الأصابع بين، ثم قال: لموضع المقام قبة مصنوعة من حديد موضوعة جانب قبة زمزم فإذا كان في أشهر الحج و كثر الناس رفعت القبة الخشب و وضعت قبة الحديد. انتهى كلام ابن جبير الأندلسي.

و روى التقى الفاسي في شفاء الغرام عن القاضي عز الدين بن جماعة أنه قال:

حررت لما كنت مجاوراً بمكة سنة ثلاث و خمسين و سبعمائة مقدار ارتفاع المقام عن الأرض فكان سبعة أثمان الذراع و أعلى المقام مربع من كل جهة ثلاثة أرباع الذراع، و موضع غوص القدمين ملبس بالفضة، و عمقه من فوق الفضة سبعة قراريط و نصف قيراط من ذراع القماش المستعمل بمصر. انتهى كلام ابن جماعة كما رواه الفاسي.

و قال الشيخ حسين بن عبد الله باسلامة المتوفى في عصرنا في كتابه "تاريخ عمارة المسجد الحرام" بصحيفة (١٥١) ما نصه: و أما صفة حجر المقام و مقاسه فهو حجر رخو من نوع حجر الماء و لم يكن من الحجر الصوان، و هو مربع على وجه الإجمال، و مساحته

ذراع يد في ذراع يد طولاً و عرضاً و ارتفاعاً أو نحو خمسين سنتيمتراً في مثلها طولاً و عرضاً و ارتفاعاً، و في وسطه أثر قدمي إبراهيم الخليل صلى الله عليه و سلم، و هي حفرتان على شكل بيضوي مستطيل قد حفرهما الناس بمسح الأيدي و وضع ماء زمزم فيهما مرات عديدة فتتج من كثرة مرور الأيدي محو أثر القدمين و استبدل موضعهما حفرتان كما دلت على ذلك الروايات المتقدمة في أول الباب، و قد رأيت حجر المقام بعيني سنة اثنتين و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف بصحبة المرحوم صاحب الفضيلة رئيس السدنة في تلك السنة الشيخ محمد صالح بن أحمد بن محمد الشيبى فوجده مصفحاً بالفضة و هو موضوع على قاعدة و شكله مربع كما وصفته و لونه بين البياض و السواد و الصفرة و رأيت أثر القدمين.

و هنا أذكر زيادةً على ما تقدم ما ورد في أثر القدمين من الأخبار و الروايات، فروى الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري عن ابن الجوزي أنه قال: و إن أثر قدميه يعني إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام في المقام كرقم الباني، و لم تزل التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٠٨

آثار قدمي إبراهيم حاضرة في المقام معروفة عند أهل مكة حتى قال أبو طالب في قصيدته المشهورة:

و موطئ إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

و في موطأ ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن أنس قال: رأيت المقام فيه أصابع إبراهيم و أخمص قدميه غير أنه أذهب مسح الناس بأيديهم. و أخرج الطبري في تفسيره عن قتادة في هذه الآية: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ أنه قال: إنما أمروا أن يصلوا عنده و لم يؤمروا بمسحه قال: و لقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه و أصابعه فيها فما زالوا يمسحونه حتى اخلولق و انمحي. انتهى كلام الشيخ حسين باسلامة في تاريخه المذكور.

### وصفنا ل مقام إبراهيم

هذا ما ذكره هؤلاء المؤرخون عن صفة مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام نقلناه بالحرف الواحد من غير أن نشرحه أو نعلق عليه بحاشية اكتفاء بذكاء أولى العلم و المعرفة، و اعتماداً على ما سنوضحه هنا من التفصيل التام و البيان الدقيق فنقول و بالله التوفيق: إننا لما شرعنا في تأليف كتابنا هذا عن مقام إبراهيم عليه السلام و ما كان أحد سبقنا إلى مثله من قبل، حصلت عندنا رغبة شديدة و ميل عظيم إلى مشاهدة نفس المقام الكريم، فالتمسنا فتح مقصورة المقام لنا من حضرة صاحب السمو الملكي ولي عهد المملكة العربية السعودية الأمير المعظم "سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل" حفظه الله فصدر أمر سموه الكريم بفتح مقصورة مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام الذي هو أمام الكعبة المشرفة لتنظر إليه و نكتب عنه الحقيقة بالتفصيل التام خدمة للدين و العلم، ليعرف المسلمون حقيقة المقام الكريم الذي هو مستور عن أعينهم فنقول:

إنه في صباح يوم الأحد السابع و العشرين من شعبان سنة ألف و ثلاثمائة و سبع و ستين هجرية جاء إلى المسجد الحرام السادن الثاني لبيت الله المعظم صاحب السعادة الشيخ عبد الله ابن المرحوم الشيخ عبد القادر الشيبى صحبة ابنه الفاضل الشيخ عبد العزيز لغسل الكعبة المشرفة حسب العادة و لفتح مقام إبراهيم عليه السلام لنا، فدخلنا أولاً بيت الله الحرام و تشرفنا بغسل داخله بالزمزم بعطر، التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٠٩

و كان معنا صاحب السعادة الشيخ محمد صالح قزاز ابن المرحوم عبد الرحمن قزاز مدير شؤون الحج، و حضرات الأفاضل الكرام السيد هاشم نائب الحرم رئيس مجلس إدارة الحرم، و الشيخ عمر عبد الجبار رئيس شرطة الحرم، و الشيخ صالح باخطة رئيس القسم الإداري بالأمن العام و السيد عبد الله ابن المرحوم السيد محمد علي الدباغ، و الشيخ عبد الله ابن الشيخ أحمد الباز، و بعض الخدمة الخاصة، ثم بعد انتهائنا من غسل الكعبة المعظمة توجه بنا سادنها سعادة الشيخ عبد الله الشيبى المذكور إلى مقصورة مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام ففتحتها بحضور مندوب رئاسة القضاء الشيخ عبد العزيز العقيلي و حضور الشيخ عبد الله ابن المرحوم الشيخ أمين

ميرداد و حضور الجماعة المذكورين و حضور جمع غفير من أهل مكة و الحجاج القادمين إليها.

و بعد تنظيف المقام من الأتربة و الغبار دخلت أنا محمد طاهر الكردي المكي الخطاط مؤلف هذا الكتاب إلى داخل الصندوق الذي فيه نفس حجر مقام إبراهيم عليه السلام لإجراء البحث الدقيق عليه و مكثت في داخل الصندوق نحو ساعة و نصف، أي تسعين دقيقة تقريباً و حجر المقام الشريف بهيئته بين يدي ثم طلبت من صديقنا الشيخ عمر عبد الجبار المذكور أن يجلس بجانبى داخل الصندوق ليساعدنى فى مسك الأوراق و ضبط القياسات فجلس بجوارى ملتصقا بى لضيق الصندوق، و قد جلس أمامنا جمع كثير و من ذكرنا أسماءهم يشاهدون أبحاثنا الدقيقة حول المقام الكريم.

و إليكم بيان ذلك بالتفصيل التام و التحقيق الكامل بتوفيق الله تعالى:

لقد وجدنا حجر مقام إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام مثبتاً فوق قاعدة صغيرة من الرخام المرمر بقدر قياس نفس المقام الشريف طولاً و عرضاً. و أما ارتفاعها فنلاته عشر سنتيمتراً، و قد استمسك المقام بهذه القاعدة، بواسطة الفضة التى تحيط بنفس المقام مع جزء من هذه القاعدة، حتى صار المقام ثابتاً فيها ثبوتاً قوياً بحيث لا يمكن تحريكه قط.

انظر: صورة رقم ٩١ بالفوتوغرافيا لمقصورة مقام إبراهيم عليه السلام يوم فتحها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣١٠

ثم إن هذه القاعدة الصغيرة ثابتة ثبوتاً محكماً جداً فى وسط قاعدة كبيرة من الرخام المرمر أيضاً تشبه البركة طول ضلعها من جميع الجهات متر واحد، و ارتفاعها من الأرض ستة و ثلاثون سنتيمتراً و لون الرخامتين أبيض.

و يحيط بهذه القاعدة الكبيرة صندوق من الخشب كهيئته الهرم الرباعى ارتفاعه نحو القامة، و ليس به منافذ مطلقاً سوى الباب الذى يرى منه المقام الكريم، و هو فى الجهة الشرقية، و هذا الصندوق ملبس كله من الظاهر بصفائح الفضة مكتوب عليه من الجهة الشرقية فقط ما يأتى:

"بسم الله الرحمن الرحيم و به الهداية إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بَيْنَكَ مَبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا " كتبه الحافظ إسماعيل الزهدى أدرنوى خوجه، كتبه عام ألف و مائتين و ثمان و عشرين.

و باب الصندوق مصفح من الظاهر بالفضة أيضاً، و قد كتبت عليه هذه العبارة: صاحب الخيرات و الحسنات سلطان البرين و فاتح الحرمين الغازى السلطان محمود خان بن عبد الحميد خان، دام ملكه سنة ألف و مائتين و ثمان و عشرين هجرية.

و الذى يظهر لنا من هذه العبارة: أن الذى أمر بتلييس هذا الصندوق بصفائح الفضة هو السلطان محمود خان المذكور، و أما الصندوق من الداخل فهو خشب عادى بلونه الطبيعى لا أثر فيه لكتابة أو نقش.

و هذا الصندوق مغطى كله من قمته إلى الأرض بكسوة من الحرير مكتوب فيها بعض آيات قرآنية كتبها مؤلف هذا الكتاب سنة ألف و ثلاثمائة و ثمان و أربعين، و صنعت بدار الكسوة بمكة المشرفة فى السنة المذكورة، و من هذه السنة إلى الآن لم تغير الكسوة، ثم يحيط بهذا الصندوق الشباك الحديد المضروب باللون الأخضر من الجهات الأربع.

أما مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام: فهو حجر ليس بصوان لونه ما بين الصفرة و الحمرة، و هو إلى البياض أقرب، و يمكن أن يحمله أضعف الرجال.

فقد روى الإمام الأزرقى فى الجزء الثانى من تاريخه صحيفه (٢٨) أن أمير المؤمنين المهدي حج سنة ستين و مائة فنزل دار الندوة، فجاء عبيد الله بن عثمان بن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣١١

إبراهيم الحجبى بالمقام مقام إبراهيم فى ساعة خالية نصف النهار مشتملاً عليه، فقال للحاجب: ائذن لى على أمير المؤمنين فإن معى

شيئا لم يدخل به على أحد قبله و هو يسر أمير المؤمنين. فأدخله عليه فكشف عن المقام فسر بذلك و تمسح به و سكب فيه ماء ثم شربه و قال له: اخرج و أرسل إلى بعض أهله فشريوا منه و تمسحوا به ثم أدخل فاحتمله و رده مكانه و أمر له بجوائز عظيمة و أقطعه خيفا بنخله يقال له ذات القوبع فباعه من منيرة مولاة المهدي بعد ذلك بسبعة آلاف دينار. اه.

و أما حجم حجر المقام الكريم: فهو يشبه المكعب، ارتفاعه عشرون سنتيمترا، و طول كل ضلع من أضلاعه الثلاثة من جهة سطحه ستة و ثلاثون سنتيمترا و طول ضلعه الرابع ثمانية و ثلاثون سنتيمترا، فيكون مقدار محيطه من جهة السطح مائة و ستة و أربعين سنتيمترا. و أسفل المقام أوسع بقليل من أعلاه، فيكون مقدار محيطه من جهة القاعدة نحو: مائة و خمسين سنتيمترا.

و في هذا الحجر الشريف غاصت قدما خليل الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام مقدارا كبيرا إلى نصف ارتفاع الحجر، فعمق إحدى القدمين عشرة سنتيمترات، و عمق الثانية تسعة سنتيمترات، و لم نشاهد أثرا لأصابع القدمين مطلقا فقد انمحي من طول الزمن و مسح الناس بأيديهم، و أما موضع العقبين: فلا يتضح إلا لمن دقق النظر و تأمل، و حافة القدمين الملبستين بالفضة أوسع من بطنهما من كثرة مسح الناس بأيديهم.

و طول كل واحدة من القدمين من سطح الحجر و الفضة سبعة و عشرون سنتيمترا، و عرض كل واحدة منهما أربعة عشر سنتيمترا، أما قياسهما من باطن القدمين من أسفل الفضة النازلة فيهما، فطول كل واحدة منهما اثنان و عشرون سنتيمترا، و عرض كل واحدة منهما أحد عشر سنتيمترا.

و ما بين القدمين فاصل مستدق نحو سنتيمتر واحد و قد استدق هذا الفاصل من أثر مسح الناس له بأيديهم للتبرك، و كذلك اتسع طول القدمين و عرضهما من أعلاهما بسبب المسح أيضا و مع أنه قد مر على حجر المقام الشريف أكثر من أربعة آلاف سنة، فإن معالمه و هيئة القدمين واضحة لم تتغير و لم تتبدل، و تبقى كذلك إلى يوم القيامة، مصداقا لقوله تعالى: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣١٢

و حجر المقام كله ملبس بالفضة الخالصة، فلا تظهر حقيقة الحجر إلا من باطن حفرة القدمين و جوانبهما، و أن باطنهما غير مستو، بل فيهما بعض نتوءات صغيرة، و قد كتب على الفضة حول القدمين من سطح المقام آية الكرسي بخط الثلث الواضح الجميل، و كتب عليها من الجوانب بخط الثلث أيضا ما يأتي: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا و لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ و هَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* و آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً و إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. ثم كتب بعد ذلك: "أمر بتجديد صحيفة القدم الشريف ابتغاء لمرضاة الله تعالى، و محبة لصاحبه مولانا السلطان مصطفى خان ابن السلطان محمد خان دام عزه و نصره سنة (١١١٣) سنة ألف و مائة و ثلاثة عشر" و يوجد على الفضة شيء من النقش أما ما نزل من الفضة في حفرة القدمين، فليس عليه شيء لا من الكتابة و لا من النقش.

و لما كان المقام الشريف ملبسا كله بالفضة و ثابتا ثبوتا قويا لا يتحرك لم يظهر لنا هل فيه شطب و كسر أم لا و نحمد الله تعالى أن وفق سلاطين المسلمين و ملوكهم للعناية و الاهتمام بهذا المقام الإبراهيمي الشريف، و يحق للمسلمين و العرب أن يفخروا بهذا المقام الأثري القديم المقدس.

و الذي نستنتج من رؤيتنا للقدمين الشريفين أن سيدنا إبراهيم لم يكن يلبس نعلا في رجله حال بناء البيت، بل كان حافيا لأن الأرض كانت نظيفة طاهرة لا توجب لبس النعل و نحوه، حيث لم يكن بمكة في زمنه عليه الصلاة و السلام سوى جماعة قليلة من قبيلة جرهم. و لقد كان طول سيدنا إبراهيم الخليل صلوات الله و سلامه عليه كطول الرجل العادي في زماننا، لا بالطويل و لا بالقصير، و لذلك كان نبينا محمد يشبه جده إبراهيم صلى الله و سلم عليهما و على جميع الأنبياء و المرسلين فقد ورد في صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق عند وصف موسى و إبراهيم عليهما السلام صريح قول نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ضمن الأحاديث مرارا (فمنها) قال: "و رأيت إبراهيم و أنا أشبه ولده به ... الخ،" ("و منها") و أنا أشبه ولد إبراهيم به ... الخ، ("و منها") أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم ...

الخ "يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم.

و لقد ذكر بعض العلماء: أن قدم نبينا محمد يشبه قدم إبراهيم الخليل صلوات الله و سلامه عليهما، و إلى ذلك أشار ناظم عمود النسب بقوله:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣١٣ و كلما طال البناء ارتفعابه المقام فى الهوا و رفعاه به القواعد و فيه القدم تشبهها للهاشمى قدم

و هو حق لا شك فيه لما تقدم من الأحاديث الصحيحة، و لما يدل عليه شكل القدمين اللتين على المقام الكريم. و كان أبو جهم بن حذيفة القرشى الذى حضر بناء الكعبة المعظمة مرتين: فى بناء قريش، و فى بناء ابن الزبير يقول: ما رأيت شيئا يشبه قدم النبى صلى الله عليه وسلم بقدم إبراهيم التى كنا نجدها فى المقام. اه.

و قال قوم من بنى مدلج و هم من أشهر العرب معرفة بالقيافة بالآثار و العلامات لعبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم حينما كفله بعد وفاة أمه آمنه: احتفظ بمحمد فإننا لم نرقدا ما أشبه بالقدم التى فى مقام إبراهيم منه. فكان عبد المطلب يحبه حبا شديدا لا يأكل طعاما إلا يقول: على بابى صلوات الله و سلامه عليه و على آله و أصحابه و أنصاره و أزواجه و ذريته. نقول: و يا ليتنا كنا فى زمانه صلوات الله و سلامه عليه حتى نكون من جملة خدمه و حملة نعله الشريف و الحمد لله الذى أسعدنا بالإيمان به و بمحبته و محبة آله و أصحابه كلهم.

### موضع المقام

اختلف العلماء فى موضع المقام، فقد أخرج البيهقى فى سننه عن عائشة رضى الله عنها أن المقام كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم و زمان أبى بكر موصفا بالبيت ثم أخره عمر بن الخطاب، و نقل المحب الطبرى عن الإمام مالك فى المدونة أنه قال: كان المقام فى عهد إبراهيم عليه السلام فى مكانه اليوم، و كان أهل الجاهلية ألقوه بالبيت خيفة السيل فكان كذلك فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم و أبى بكر فلما ولى عمر رده. و روى الأزرقي عن ابن أبى مليكة أن موضع المقام الآن هو موضعه فى الجاهلية و فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم و الخليفين بعده إلى أن السيل ذهب به فى خلافة عمر رضى الله عنه فجعل فى وجه الكعبة حتى قدم عمر فرده إلى مكانه بمحضر من الصحابة رضى الله عنهم. و روى السنجارى فى كتابه "مناجى الكرم عن الإمام النووى" أنه قال: هذا الموضع الذى فيه المقام اليوم هو الموضع الذى كان فيه فى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣١٤

الجاهلية و فى زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم و بعده إلى عصرنا لم يتغير. إلا أنه جاء السيل زمن عمر رضى الله عنه- و ذكر القصة- ثم قال: و هو الآن فى الموضع الذى كان فيه.

و قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى: و كان المقام فى عهد إبراهيم عليه السلام لزق البيت إلى أن أخره عمر رضى الله عنه إلى المكان الذى هو فيه الآن أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن عطاء و غيره و عن مجاهد أيضا و قد أخرج ابن أبى حاتم بسند صحيح عن ابن عيينه قال: كان المقام فى صقع البيت فى عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم فحوله عمر فجاء سيل فذهب به فرده عمر إليه.

قال سفيان: لا- أدرى أكان لا صقا بالبيت أم لا. قال الحافظ ابن حجر بعد ذكر ما تقدم: و لم ينكر الصحابة فعل عمر و لا من جاء بعدهم فصار إجماعا، و كان عمر رأى أن بقاءه يلزم منه التضييق على الطائفتين و المصلين فوضعه فى مكان يرتفع به الحرج و تهيأ له ذلك لأنه الذى كان أشار باتخاذ مصلى. و قال الحافظ عماد الدين بن كثير فى تفسيره فى سورة البقرة عند قوله تعالى: وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى مَا نَصَّه: و قد كان هذا المقام ملصقا بجدار الكعبة قديما و مكانه معروف



اليوم إلى جانب الباب مما يلي الحجر يمنة الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك، و كان الخليل عليه السلام لما فرغ من بناء البيت وضعه إلى جدار الكعبة أو أنه انتهى عنده البناء فتركه هناك و لهذا- و الله أعلم- أمر بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف و ناسب أن يكون عند مقام إبراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه، إنما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أحد الأئمة المهديين و الخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباعهم و هو أحد الرجلين اللذين قال فيهما رسول الله صلى الله عليه و سلم: " اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر و عمر " و هو الذى نزل القرآن بوفاته فى الصلاة عنده، و لهذا لم ينكر ذلك أحد من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين. و جاء فى تفسير ابن كثير أيضا فى سورة النساء عند آية: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا أَنْ ابْنِ مَرْدَوَيْهِ رَوَىٰ مِنْ طَرِيقِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فَتَحَ مَكَّةَ وَ أَخَذَ مِنْ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ وَ فَتَحَ بِابِهَا وَ غَمَسَ بِالْمَاءِ التَّمَاتِيلَ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا أَخْرَجَ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَ كَانَ فِي الْكَعْبَةِ فَأَلْزَقَهُ فِي حَائِطِ الْكَعْبَةِ ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذِهِ الْقَبْلَةُ " ... الخ و الرواية المذكورة بكاملها فى المجلد الثانى من التفسير بصحيفة (٤٩٢) فليراجعه من شاء

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣١٥

فإننا نقلنا منه هذه الجملة بصورة مختصرة لنستشهد بأن المقام كان فى الكعبة.

و ذكر العمرى فى مسالك الأبصار أن موضع المقام كان موضع الخلق، أى الحفرة الملاصقة للكعبة. ثم قال: و صلى الله عليه و سلم عنده حين فرغ من طوافه ركعتين و أنزل الله تعالى عليه: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّىٰ ثُمَّ نَقَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ فِيهِ الْآنَ وَ ذَلِكَ عَلَى عَشْرِينَ ذِرَاعًا مِنَ الْكَعْبَةِ ... الخ، و ذكر ابن سراقه ما نصه: أن ما بين الباب يعنى باب الكعبة و مصلى آدم عليه و على نبينا الصلاة و السلام حين فرغ من طوافه و أنزل الله عليه التوبة أرجح من تسعة أذرع، و هناك كان موضع مقام إبراهيم، و صلى النبي صلى الله عليه و سلم عنده حين فرغ من طوافه ركعتين و أنزل عليه: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّىٰ ثُمَّ نَقَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ فِيهِ الْآنَ وَ ذَلِكَ عَلَى عَشْرِينَ ذِرَاعًا مِنَ الْكَعْبَةِ لثَلَاثًا يَنْقُطِعُ الطَّوْفَ بِالْمُصَلِّينَ خَلْفَهُ ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ السَّيْلُ فِي أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَسْفَلِ مَكَّةَ فَأَتَى بِهِ وَ أَمَرَ عُمَرَ بِرَدِّهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعَهُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ. اه من تاريخ عمارة المسجد الحرام.

### أرجح الأقوال فى موضع المقام

لقد ذكرنا هذه الأقوال فى موضع المقام بنصها و لفظها من غير تعليق عليها، ثم رأينا أن نأتى هنا بأرجح الأقوال على رأينا و ما نميل إليه فنقول و بالله العون و التوفيق.

إذا لا- حظت ما تقدم عن حد المسجد الحرام قديما، و أن مكان البيت كان ربوة مرتفعة عن الأرض ذات الرمال و الحصى، و أن إبراهيم عليه السلام ما بنى الكعبة بالطين و لا بالجص و إنما رضمها رضمًا و لم يسقفها، و تصورت أن أهل الجاهلية كانوا يجلسون فى ظل الكعبة و يقعدون حولها يتذاكرون شؤونهم العامة، و أنه لم يكن جيند للمسجد الحرام على صغره سور و لا حائط حتى بنى عمر بن الخطاب جدارا قصيرا بعد أن زاد فيه و وسعه.

ظهر لك أن أرجح الأقوال المتقدمة و أقربها إلى الصواب هو ما رواه البيهقى فى سننه من أن المقام كان فى زمن النبي صلى الله عليه و سلم و زمن أبى بكر ماصقا بالبيت حتى أخره عمر بن الخطاب و ما ذكره أيضا ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى بأن المقام كان فى عهد إبراهيم عليه السلام لزق البيت إلى أن أخره عمر إلى المكان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣١٦

الذى هو فيه الآن، و ما قاله أيضا ابن كثير فى تفسيره بأن المقام كان ماصقا بجدار الكعبة قديما و مكانه معروف اليوم إلى جانب

الباب مما يلي الحجر، وكان الخليل عليه السلام لما فرغ من بناء البيت وضعه إلى جدار الكعبة أو أنه انتهى عنده البناء فتركه هناك، وأنه أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ... الخ كلامه المتقدم وهو كلام حسن جيد للغاية، وما ذكره ابن كثير أيضا في تفسيره من رواية ابن مردويه أن مقام إبراهيم كان في الكعبة فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فألزقه في حائط الكعبة وذلك حينما دخل الكعبة يوم فتح مكة.

ولقد رجحنا هذه الأقوال الأربعة مما تقدم، لأن المعقول أن إبراهيم عليه السلام لا بد أن يضع الحجر الذي قام عليه في بناء البيت الحرام بلزقه وجواره لا أن يضعه بعيدا عن البيت حينما اتفق وهو ياقوته من يواقيت الجنة ومقامه الذي كان يقوم عليه وأيضا لا بد أن الله تعالى أمره بحفظه وعدم التفريط فيه حيث يأتي في آخر الزمان خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم فيؤمر هو وأمه بالصلاة عنده وقبلتهم البيت المعظم. ويؤيد كلامنا هذا ما جاء في الجزء الثاني من تاريخ الأزرقى أن إبراهيم عليه السلام قام على المقام حينما أذن في الناس بالحج، فلما فرغ من التأذين أمر بالمقام فوضعه قبله فكان يصلى إليه مستقبل الباب ثم كان إسماعيل بعده يصلى إليه إلى باب الكعبة ... الخ.

فلدى التأمل في هذه النقطة يظهر جليا أن إبراهيم عليه السلام جعل الحجر الذي قام عليه لبناء الكعبة بلصقتها ولا يبعده عنها بمسافة أذرع مخصوصة إلا لسبب وأي سبب لذلك في أيامه وأيضا أن أهل الجاهلية كانوا ألصقوا المقام بالبيت خيفة السيل بل وضعوه في جوف الكعبة حتى أخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فألزقه في حائطها كما تقدم بيان ذلك، فما الذي يدعو أهل الجاهلية إلى إبعاد ذلك الحجر الأثرى المحترم عن الكعبة ووضع في هذا المحل الذي هو عليه الآن كما في رواية السنجاري المتقدمة ولا أحد منهم يتعبد عنده، بل لو أبعده عن البيت لكان المعنى أنهم لم يعتبروه ولم يحترموا حيث رموه في آخر ساحته عند أبواب بيوتهم المحيطة بالبيت، وكيف يقع ذلك منهم وهم الذين يعتقدون أنه ذلك الحجر المقدس الذي عليه أثر قدمي إبراهيم الخليل عليه السلام، وقد قال أبو طالب فيه وفي الحجر الأسود:

و بالحجر المسود إذ يمسخونه إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣١٧ وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل فلما جاء الإسلام أكد احترامهما وجعل لهما مغزى خاصا ورمزا تعبديا وإن كان الحجر الأسود أعظم حرمة من المقام، فإنه يمين الله في الأرض وإنه يبعث يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بالحق كما ورد ذلك. وقد تقدم أن الحجر الأسود والمقام هما من ياقوت الجنة.

وفي الأزرقى عن مجاهد أنه قال: يأتي يوم القيامة الركن والمقام كل واحد منهما مثل أبي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالموافاة. اهـ. فيكون الحجر الأسود والمقام من أقدم الأحجار الأثرية الدينية المحترمة، حيث مر عليهما آلاف السنين والأعوام، وسيبقيان في موضعهما ياذن الله حتى قيام الساعة، ففي الأزرقى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكثروا استلام هذا الحجر فإنكم توشكون أن تفقدوه، بينما الناس يطوفون به ذات ليلة إذ أصبحوا وقد فقدوه، إن الله عز وجل لا يترك شيئا من الجنة في الأرض إلا أعاده فيها قبل يوم القيامة).

وفي الأزرقى أيضا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "إن الله تعالى يرفع القرآن من صدور الرجال والحجر الأسود قبل يوم القيامة."

### ما ورد في كتاب شفاء الغرام عن موضع المقام في الجاهلية والإسلام

نحب أن نذكر هنا زيادة في الإيضاح ما ذكره الفاسي في كتابه "شفاء الغرام" مفصلا عن موضع المقام في الجاهلية والإسلام، فقد جاء في الجزء الأول منه ما نصه:

روينا عن الأزرقى بالسند المتقدم إليه قال: حدثني جدى قال: حدثنا عبد الجبار ابن الورد قال: سمعت ابن أبى مليكة يقول: موضع المقام هو هذا الذى هو به اليوم هو موضعه فى الجاهلية وفى عهد النبى صلى الله عليه وسلم و أبى بكر و عمر رضى الله عنهما، إلا أن السيل ذهب به فى خلافة عمر فجعل فى وجه الكعبة حتى قدم عمر فرده بمحضر من الناس.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣١٨

و ذكر الأزرقى ما يوافق قول ابن أبى مليكة فى موضع المقام عن عمرو بن دينار و سفيان بن عيينة مثل ما حكاها عنهما الأزرقى بالمعنى.

و نقل المحب الطبرى فى القرى عن مالك ما يخالف ذلك لأنه قال: و قال مالك فى المدونة: كان المقام فى عهد إبراهيم صلى الله عليه وسلم فى مكانه اليوم و كان أهل الجاهلية ألصقوه بالبيت خيفة السيل، فكان كذلك فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم و عهد أبى بكر، فلما ولى عمر رده بعد أن قاس موضعه بخيوط قديمة قيس بها حين أخروه. انتهى.

ثم قال المحب: و فى هذا مناقضة ظاهرة لما ذكره الأزرقى عن ابن أبى مليكة و سياق لفظ حديث جابر الصحيح الطويل و ما روى نحوه شهد لترجيح قول ابن أبى مليكة، و ذلك قوله: ثم تقدم إلى مقام إبراهيم و قرأ: وَ اتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فجعل المقام بينه و بين الكعبة، و المتبادر إلى الفهم منه عند سماع هذا اللفظ أنه لم يكن حينئذ ملصقا بالبيت، لأنه لا يقال فى الصرف تقدم إلى كذا فجعله بينه و بين كذا إلا فيما يمكن أن يقدمه أمامه و أن يخلفه خلفه، و إن كان ملصقا تعين التقديم لا غير. انتهى باختصار. و قد ذكرنا فى أصل هذا الكتاب بقية كلام المحب و كلاما لمالك فى المعنى و بينا ما فيه الصواب و الله أعلم.

و ذكر موسى بن عقبه فى مغازيه، و أبو عروبة فى الأوائل له و الفاكهى فى كتابه ما يوافق ما ذكره مالك فى أن المقام كان فى وجه الكعبة لاصقا فى الجاهلية، قال موسى بن عقبه: فإن قال فيما روينا عنه و كان زعموا أن المقام لاصق فى الكعبة فأخره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكانه هذا. انتهى.

و ذكر ذلك فى خبر فتح مكة، و أما أبو عروبة فإن قال فيما روينا عنه حدثنا سلمة قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن حميد الأعرج عن مجاهد قال:

كان المقام إلى جنب البيت و كانوا يخافون عليه من السيول و كان الناس يصلون خلفه. انتهى باختصار لقصة رد عمر للمقام إلى موضعه الآن و ما كان بينه و بين المطلب ابن أبى وداعة السهمى فى موضعه الذى حرره المطلب، و قال أبو عروبة أيضا: حدثنا سلمة قال: حدثنا عبد الرزاق قال: إن ابن جريج قال: سمعت عطاء

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣١٩

و غيره من أصحابنا يزعمون أن عمر رضى الله عنه أول من رفع المقام فوضعه فى موضعه الآن و إنما كان من قبل الكعبة. انتهى. و أما الفاكهى فقال: حدثنا عبد الله بن أبى سلمة قال: حدثنا عبد الجبار بن سعيد عن ابن أبى سبرة عن موسى ابن سعيد عن نوفل بن معاوية الديلى قال:

رأيت المقام فى عهد عبد المطلب ملصقا بالبيت مثل البهار، و روى الفاكهى بسنده إلى عبد الله بن سلام خبرا فيه أذان إبراهيم على المقام للناس بالحج فلما فرغ أمر بالمقام فوضعه قبلته فكان يصلى إليه مستقبل الباب، و فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم مكة من المدينة فكان يصلى إلى المقام و هو ملصق بالكعبة حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و قال الفاكهى حدثنا الزبير بن أبى بكر قال: حدثنا يحيى بن محرر بن توبان عن سليم عن ابن جريج عن عثمان بن أبى سليمان عن سعيد بن جبير أنه قال:

كان المقام فى وجه الكعبة و إنما قام إبراهيم عليه حين ارتفع البنيان فأراد أن يشرف على البناء، قال: فلما كثر الناس خشى عمر ابن

الخطاب أن يطؤوه بأقدامهم فأخره إلى موضعه الذى هو به اليوم حذاء موضعه الذى كان قدام الكعبة.

وقال الفاكهى: حدثنا يعقوب بن حميد ابن كاسب قال: حدثنا عبد العزيز بن محرز عن هشام بن عروة عن أبيه قال عبد العزيز: أراه عن عائشة أن المقام كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم إلى سقع البيت. قال الفاكهى: وقال المكيون: كان بين المقام وبين الكعبة ممر العنز. انتهى.

وليس فيما ذكره مالك و ابن عقبه و أبو عروبة و الفاكهى من كون المقام كان عند الكعبة بيان موضعه عند الكعبة، إلا أن فى الخبر الذى رواه الفاكهى عن سعيد بن جبير مما يفهم منه تقريب بيان موضع المقام عند الكعبة، إلا أن فيه ما يقتضى أن موضعه الآن هذا موضعه الذى كان به قدام الكعبة، و المقام الآن فى جوف الصندوق الذى فى جوف الشباييك الأربعة المتقدم ذكرها، و يحاذى الصندوق الذى فيه المقام من وجه الكعبة ذراعان بالحديد و نحو خمسة قراريط بذراع الحديد أيضا المقدم ذكره، و الذراعان هما نصف الحفرة المرخمة الملاصقة لشاذروان الكعبة و نصف الحفرة المشار إليه هنا هو النصف الذى يلي الحجر، بسكون الجيم، و ما زاد على الذراعين من القراريط التى هى كمال ما يحاذى الصندوق الذى فيه المقام و هى إلى طرف الحفرة مما يلي الحجر، بسكون الجيم، و إذا كان كذلك فيكون موضع المقام عند الكعبة تخميناً. و الله أعلم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٢٠

و فيما بين نصف الحفرة مما يلي الحجر، بسكون الجيم و القراريط الزائدة على الذراعين، لأن ذلك يحاذى الصندوق الذى فيه المقام الآن، و إذا كان كذلك فهو يوافق قول من قال أن موضع المقام الآن حذاء موضعه عند الكعبة. و الله أعلم.

و ذكر الفقيه محمد بن سراقه العامرى فى كتابه دلائل القبلة فى موضع المقام عند الكعبة ما يخالف قول من قال: إن موضعه الذى بحذاء موضعه عند الكعبة، و نص ما ذكره ابن سراقه و من الباب يعنى باب البيت إلى مصلى آدم عليه السلام حين فرغ من طوافه و أنزل الله عليه التوبة و هو موضع الخلق من إزار الكعبة أرجح من تسعة أذرع، و هناك كان موضع مقام إبراهيم عليه السلام و صلى صلى الله عليه وسلم عنده حين فرغ من طوافه ركعتين و أنزل الله عليه: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ثُمَّ نَقَلَهُ صلى الله عليه وسلم إلى الموضع الذى هو فيه الآن و ذلك على عشرين ذراعاً من الكعبة لثلاثين قطع الطواف بالمصلين خلفه أو يترك الصلاة خلفه لأجل الطواف حين كثر الناس و ليدور الصف حول الكعبة و يرى الإمام من كل وجه. ثم حملة السيل فى أيام عمر و أخرجه من المسجد فأمر عمر رضى الله عنه برده إلى موضعه الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه و بين موضع الخلق و هو مصلى آدم و بين الركن الشامى ثمانية أذرع. انتهى.

و قد سبق بعض ما ذكرناه عن ابن سراقه فى الباب الثامن من هذا الكتاب عند بيان مصلى آدم عليه السلام، و هذا يقتضى اتخاذ موضع مصلى آدم و موضع الخلق و موضع المقام عند الكعبة و هو على مقتضى ما ذكر ابن سراقه فى ذرع ما بينه و بين ركن الكعبة الذى يلي الحجر، بسكون الجيم، يكون على ذراعين و ثلثى ذراع بالحديد من طرف الحفرة إلى جهة الحجر، بسكون الجيم، و على هذا فيكون موضع المقام عند الكعبة خارجاً عن الحفرة فى مقدار ذراعين و ثلثى ذراع، و على مقتضى ما قيل من أن موضعه اليوم حذاء موضعه عند الكعبة، يكون موضعه عند الكعبة فى مقدار نصف الحفرة التى تلى الحجر، بسكون الجيم، و الله أعلم بالصواب.

و أما الموضع الذى ربط فيه المقام عند الكعبة لما ذهب به السيل فقد بينه الفاكهى لأنه قال: فصل و ذكر عن بعض المكيين، أن الموضع الذى ربط عنده المقام فى وجه الكعبة بأستارها إلى أن حج عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرده و ذلك أن يقصد الطائف من الحجر الشامى فى حجارة شاذروان الكعبة إلى أن يبلغ

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٢١

الحجر السابع فإذا بلغ الحجر السابع فهو موضعه و إلا فهو التاسع من حجارة الشاذروان أيضا. انتهى.

و ذكر الفاكهى فى موضع آخر من كتابه ما يقتضى أن هذا علامة للموضع الذى ذكر عبد الله بن السائب المخزومى أنه رأى النبى

صلى الله عليه وسلم يصلى عنده يوم فتح مكة و ذكر الأزرقي مثل ذلك و الله أعلم. و ما ذكره ابن سراقه من أن النبي صلى الله عليه و سلم رد المقام إلى موضعه الآن يشهد له ما ذكره ابن عقبة، و ما سأذكره مخالف لما ذكره سعيد بن جبير و عطاء و غيرهم من أن عمر رضى الله عنه أول من رده إلى موضعه الآن و ذكر الفاكهي خبرا يقتضى أن الولاة حولته إلى مكانه هذا، و هذا يفهم أن الذى رده غير عمر رضى الله عنه.

فيتحصل فيمن رده إلى موضعه الآن ثلاثة أقوال: أحدها: أنه النبي صلى الله عليه وسلم، و الثانى: أنه عمر، و الثالث: غير عمر و الله أعلم. و المشهور أنه عمر و ورد الخبر الذى ذكره الفاكهي عن سعيد بن جبير ما يفهم أن رد عمر للمقام إلى موضعه الآن لثلاث تطؤه الناس و المعروف أن رد عمر له إلى موضعه الآن لكون السيل المعروف بسيل أم نهشل، أزاله عن موضعه الأول و الله أعلم. و ذكر الفاكهي خبرا يقتضى أن رجلا من آل عابدين عبد الله بن مخزوم قال: قال لعمر: أنه يعلم موضع المقام الأول و المعروف أن الذى قال ذلك لعمر هو المطلب بن أبى وداعة السهمي كما ذكر الأزرقي و الفاكهي و غيرهما. و الله أعلم.

و ما ذكره ابن سراقه فى ذرع ما بين موضع المقام الآن و وجه الكعبة لا يستقيم لنقص ما ذكره ابن سراقه فى ذلك عما ذكره الأزرقي فيه نقصا كثيرا و الذراع الذى حرره ابن سراقه ذراع اليد، و كذلك الأزرقي و فيما ذكره ابن سراقه نظر من غير هذا الوجه، و ذكر ابن جبير فى أخبار رحلته ما يقتضى أن الحفرة المرخمة فى وجه الكعبة علامة موضع المقام فى عهد الخليل عليه السلام، إلى أن رده النبي صلى الله عليه وسلم إلى الموضع الذى هو الآن مصلى و فى هذا نظر لأن موضع المقام الآن هو موضعه فى عهد الخليل عليه السلام من غير خلاف علم فى ذلك، و أما الخلاف فى موضعه اليوم هل هو موضعه فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر ابن أبى مليكة أو لا كما قال مالك. و الله أعلم.

و فى كلام ابن جبير نظر من وجه بيناه فى أصل هذا الكتاب و الله أعلم، و لم أر فى تاريخ الأزرقي ذكر السنة التى رد فيها عمر المقام إلى موضعه هذا لما غيره

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٢٢

عنه السيل، و هو سنة سبع عشرة من الهجرة على ما ذكره ابن جرير و كذا ابن الأثير فى كامله، و قيل: سنة ثمان عشرة. ذكره ابن حمدون فى تذكرته. و الله أعلم بالصواب. انتهى كل ذلك من شفاء الغرام.

### وضع المقام فى مكانه الحالى

كان وضع مقام إبراهيم عليه السلام فى مكانه الذى هو فيه الآن من عمل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و ذلك أنه جاء سيل أم نهشل فى خلافته سنة سبع عشرة من الهجرة إلى مكة من أعلاها، فدخل المسجد الحرام و كان سيلا عظيما بحيث اقتلع المقام من موضعه و ذهب به، فلما جف الماء و جدوه بأسفل مكة، فأتى به و ألصق فى وجه الكعبة و ربط بأستارها، و كان عمر يومئذ بالمدينة، فلما بلغه ذلك هاله الأمر و ركب من ساعته فزعا إلى مكة، فدخلها بعمرة فى رمضان من السنة المذكورة، فلما دخل المسجد الحرام و وقف على حجر المقام قال: أنشد الله عبدا عنده علم فى هذا المقام. فقال المطلب بن أبى وداعة السهمي رضى الله عنه: أنا يا أمير المؤمنين عندى علم بذلك، فقد كنت أخشى عليه مثل هذا الأمر، فأخذت قدره من موضعه إلى الركن و من موضعه إلى باب الحجر، و من موضعه إلى زمزم بمقاط و هو عندى فى البيت، فقال له عمر: فاجلس عندى، و أرسل إليها، فأتى بها فمدها فوجدها مستوية إلى موضعه هذا، فسأل الناس و شاورهم، فقالوا: نعم هذا موضعه، فلما استثبت ذلك عمر رضى الله عنه أمر به، فأعلم ببناء تحت المقام ثم وضعه، فهو فى مكانه هذا إلى اليوم. اه من الأزرقي باختصار.

و المقاط بالكسر: جبل مثل القمط فهو مقلوب منه، و القمط: جبل يشد به قوائم الشاة عند الذبح و كذا ما يشد به الصبي فى المهد. اه من مختار الصحاح.

و لقد أمر عمر بن الخطاب المطلب بن أبي وداعة بالجلوس عنده زيادة في الاحتياط و التثبيت، و لأن ذلك ادعى للتصديق و نفى الشبهة و إن كان المطلب بن أبي وداعة لا يتهم في كلامه.  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٢٣

### ترجمة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

#### إشارة

قال صاحب كتاب " زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم " فى الجزء الخامس عن ترجمته رضى الله تعالى عنه ما نصه:  
و أما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد ألفت التأليف فى ترجمته، و لتبرك بقليل منها فأقول: هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح ابن عدى بن كعب القرشى العدوى أبو حفص، و أمه خنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم. قال الزبير: كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أشرف قريش و إليه كانت السفارة فى الجاهلية و ذلك أن قريشا كانت إذا وقعت بينهم حرب أو بينهم و بين غيرهم بعثوه سفيرا و إن نافرهم منافرا أو فاخرهم مفاخر رضوا به و بعثوه منافرا و مفاخرا. أسلم بعد أربعين رجلا و إحدى عشرة امرأة فكان إسلامه عزا ظهر به الإسلام بدعوة النبى صلى الله عليه و سلم فقد أخرج أبو يعلى من طريق أبي عامر العقدى عن خارجة عن نافع عن ابن عمر قال: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر بن الخطاب أو بأبى جهل ابن هشام و كان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب. و أخرجه عبد بن حميد و أخرجه الدارقطنى عن أنس رفعه:

اللهم أعز الدين بعمر أو بعمر بن هشام فى حديث طويل فأجاب الله تعالى دعاءه فى عمر رضى الله عنه. قال ابن عبد البر فى الاستيعاب: و شهد عمر بدرا و بيعه الرضوان و كل مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه و سلم و توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو عنه راض. و قال ابن الأثير فى أسد الغابة: شهد عمر بن الخطاب مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بدرا واحدا و الخندق و بيعه الرضوان و خير و الفتح و حينا و غيرها من المشاهد و كان أشد الناس على الكفار فلما أسلم كان إسلامه فتحا على المسلمين و فرجا لهم من الضيق، قال عبد الله بن مسعود: و ما عبدنا الله جهرة حتى أسلم عمر.

و أخرج أحمد من رواية صفوان ابن عمرو عن شريح بن عبيد قال: قال عمر:

خرجت أتعرض لرسول الله صلى الله عليه و سلم فوجدته سبقنى إلى المسجد فقمتم خلفه فاستفتح سورة الحاقفة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت: هذا و الله شاعر كما قالت قريش قال: فقرا: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ فقلت: كاهن قال: وَ لَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَدَّكَّرُونَ حتى ختم السورة قال: فوقع الإسلام فى قلبى كل موقع. و هو رضى الله عنه أحد فقهاء التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٢٤

الصحابة و ثانى الخلفاء الراشدين و أحد العشرة المشهود لهم بالجنة و أول من سمي أمير المؤمنين و ولى الخلافة بعد أبى بكر بويح له بها يوم مات أبو بكر رضى الله عنه باستخلافه له سنة ثلاث عشرة فصار بأحسن سيرة أنزل نفسه من مال الله منزلة رجل من الناس و فتح الله له الفتوح بالشام و العراق و مصر، و دون الدواوين فى العطاء و رتب الناس فيه على سوابقهم و كان لا يخاف فى الله لومة لائم، و هو الذى نور شهر الصوم بصلاة الإشفاع فيه و أرخ التاريخ من الهجرة الذى بأيدى الناس إلى اليوم و هو أول من اتخذ الدرّة و كان نقش خاتمه "كفى بالموت واعظا يا عمر" و كان آدم شديد الأدمة طوالا كث اللحية أصلع أعسر أيسر يخضب بالحناء و الكتم هكذا ذكره زر بن حبيش، و مكث فى الخلافة عشر سنين و نصفا حتى قتل شهيدا قتله غلام المغيرة بن شعبه العليج، له خمسمائة و

تسعة و ثلاثون حديثا اتفق البخارى و مسلم على عشرة منها و انفرد البخارى بتسعة و مسلم بخمسة عشر. روى عنه أبناؤه عبد الله و عاصم و عبيد الله و علقمة بن وقاص، و عن ابن عمر مرفوعا أن الله جعل الحق على لسان عمر و قلبه، و لما دفن قال ابن مسعود: ذهب اليوم بتسعة أعشار العلم. استشهد فى آخر سنة ثلاث و عشرين و دفن فى الحجرة النبوية فى أول سنة أربع و عشرين و هو ابن ثلاث و ستين و صلى عليه صهيب، و كان رضى الله عنه من المحدثين أى الملهمين فى الصحيحين من رواية عائشة و أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر. و قد تقدم هذا الحديث فى حرف اللام فى الجزء الثانى من متن زاد المسلم. و موافقاته رضى الله عنه للوحى كثيرة جمعها الجلال السيوطى فى منظومة سماها قطف الثمر فى موافقات عمر و هاهى بتمامها:

الحمد لله و صلى الله على نبيه الذى اجتبه

يا سائلى و الحادثات تكثر عن الذى وافق فيه عمر التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ٢-٣؛ ص ٣٢٤

و ما يرى أنزل فى الكتاب موافقا لرأيه الصواب

خذ ما سألت عنه فى آيات منظومة تأمن من شتات

ففى المقام و أسارى بدرو آتيت تظاهر و ستر

و ذكر جبريل لأهل الغدرو آتيت أنزلا فى الخمر

و آية الصيام فى حل الرفث و قوله نساؤكم حرث بيت

و قوله لا يؤمنون حتى يحكموك إذ بقتل أفتى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٢٥ و آية فيها لبدر أو به و لا تصل آية فى التوبة

و آية فى النور هذا بهتان و آية فيها بها الاستئذان

و فى ختام آية فى المؤمنين تبارك الله بحفظ المتقين

و ثلثه من فى صفات السابقين و فى سواء آية المنافقين

و عددوا من ذاك نسخ الرسم لآية قد نزلت فى الرجم

و قال قولاً هو فى التوراة قد نبهه كعب عليه فسجد

و فى الأذان الذكر للرسول رأيت فى خبر موصول

و فى القرآن جاء بالتحقيق ما هو من موافق الصديق

كقوله هو الذى يصلى عليكم أعظم به من فضل

و قوله فى آخر المجادلة لا تجد الآية فى المخالفة

نظمت ما رأيت منقولاً و الحمد لله على ما أولى اه

أقول: و مما هو صريح منها فى موافقه ما أنزل فى القرآن ما أخرجه البخارى فى كتاب التفسير من صحيحه فى تفسير سورة البقرة فى باب: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ عن أنس قال: قال عمر: وافقت الله فى ثلاث أو وافقنى ربي فى ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى، زاد فى كتاب الصلاة فى باب ما جاء فى القبلة فنزلت: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ و قلت: يا رسول الله يدخل عليك البر و الفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب قال: و بلغنى معاتبه النبى صلى الله عليه و سلم بعض نسائه فدخلت عليهن قلت:

إن انتهيتن أو لبيدن الله رسوله صلى الله عليه و سلم خيرا منكن حتى أتيت إحدى نسائه قالت: يا عمر أما فى رسول الله صلى الله عليه و سلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت فأنزل الله: عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ الْآيَةَ، و نزل القرآن

بموافقته أيضا في أسارى بدر و في تحريم الخمر و من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ضرب صدر عمر بن الخطاب لعنه الله عنه حين أسلم ثلاث مرات و هو يقول:

اللهم أخرج ما في صدره من غل و أبدله إيمانا يقولها ثلاثا. و من حديثه أيضا قال:

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن الله جعل الحق على لسان عمر و قلبه. و روى من حديث عقبه بن عامر و أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: لو كان بعدى نبي لكان عمر.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٢٦

و قصة إسلامه رضى الله تعالى عنه على يد أخته فاطمة بنت الخطاب المكناة أم جميل و لقبها أميمة رضى الله تعالى عنها زوج سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة خبرها عجيب، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: أخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في تاريخه أبو نعيم في طريقه و من طريق إسحاق بن عبد الله عن أبان بن صالح عن مجاهد عن ابن عباس قال: سألت عمر عن إسلامه قال:

خرجت بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام فإذا فلان بن فلان المخزومي فقلت له: أرغبت عن دين آباءك إلى دين محمد قال: قد فعل ذلك من هو أعظم عليك حقا منى قال: قلت: و من هو؟ قال: أختك و ختنك قال: فانطلقت فوجدت الباب مغلقا و سمعت همهمة قال: ففتح لى الباب فدخلت فقلت: ما هذا الذى أسمع؟ قالت:

ما سمعت شيئا فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأسها فقالت: قد كان ذلك على رغم أنفك، قال: فاستحييت حين رأيت الدم و قلت: أرونى الكتاب فذكر القصة بطولها. و روى الواقدى عن فاطمة بنت مسلم الأشجعية عن فاطمة الخزاعية عن فاطمة بنت الخطاب أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول "لا- تزال أمتى بخير ما لم يظهر فيهم حب الدنيا فى علماء فساق و قراء جهال و جابرة فإذا ظهرت خشيت أن يعمهم الله بعقاب" فنسأله تعالى أن لا يعمنا و جميع من نحبه بذلك العقاب.

و مناقبه رضى الله عنه جمه و الحكايات عنه فى عبادته و سيرته و زهده و شدته فى الدين ممتعة لو ذكرناها لطلال بنا الحديث و خرجنا عن المقصود. و بالله تعالى التوفيق و هو الهادى إلى سواء الطريق. انتهى من الكتاب المذكور.

### فضل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

و لقد جاءت أحاديث صحيحة كثيرة فى فضل عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فى الصحيحين و غيرهما تقتصر على بعضها على سبيل التبرك لا على سبيل الحصر و التعداد:

فقد جاء فى صحيح البخارى فى باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم فى باب مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه: عن محمد بن سعد بن أبى وقاص عن أبىه، قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه و سلم و عنده نسوة من قريش يكلمنه و يستكثرنه عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٢٧

فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله صلى الله عليه و سلم فدخل عمر و رسول الله صلى الله عليه و سلم يضحك فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله. فقال النبي صلى الله عليه و سلم: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندى فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، فقال عمر: فأنت أحق أن يهين يا رسول الله ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن أتهيننى و لا تهين رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلن: نعم أنت أفظ و أغلظ من رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إيها يا ابن الخطاب و الذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجعك. انتهى منه.

و فى البخارى أيضا: عن ابن أبى مليكة أنه سمع ابن عباس يقول: وضع عمر على سريره فتكفنه الناس يدعون و يصلون قبل أن يرفع و



أنا فيهم فلم يرعنى إلا رجل أخذ منكى فإذا على فترحم على عمر و قال: ما خلفت أحدا أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك، و ايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، و حسبت أنى كنت كثيرا أسمع النبى صلى الله عليه و سلم يقول: ذهبت أنا و أبو بكر و عمر، و دخلت أنا و أبو بكر و عمر. و خرجت أنا و أبو بكر و عمر.

و فيه أيضا: عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: صعد النبى صلى الله عليه و سلم إلى أحد و معه أبو بكر و عمر و عثمان فرجف بهم فضره برجله قال: اثبت أحد فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيدان.

و فيه أيضا: عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يك فى أمتى أحد فإنه عمر، زاد زكرياء بن أبى زائدة عن سعد عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال: قال النبى صلى الله عليه و سلم: لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمتى منهم أحد فعمرو. انتهى منه.

و فيه أيضا: عن ابن أبى مليكة عن المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر جعل يألم، فقال له ابن عباس و كأنه يجزعه: يا أمير المؤمنين و لئن كان ذاك لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه و سلم فأحسنت صحبتته، ثم فارقتة و هو عنك راض، ثم صحبت أبو بكر فأحسنت صحبتته ثم فارقتة و هو عنك راض، ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم، و لئن فارقتهم لتفارقهم و هم عنك راضون قال: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله صلى الله عليه و سلم و رضاه فإنما ذاك من الله تعالى من به على، و أما ما ذكرت من صحبة أبى بكر و رضاه فإنما ذاك من الله جل ذكره من به على و أما ما ترى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٢٨

من جزعى، فهو من أجلك، و أجل أصحابك، و الله لو أن لى طلاع الأرض ذهابا، لافتديت به من عذاب الله عز و جل قبل أن أراه. انتهى من البخارى.

و نكتفى بهذا القدر، ففضل أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم معروف، و ما من مسلم إلا و هو يحبهم محبة عظيمة أكثر من نفسه و أولاده، كيف و هم قد فازوا بمشاهدة رسول الله صلى الله عليه و سلم و سعدوا بخدمته و خدمته هذا الدين السمع الحنيف. اللهم صل على عبدك و نبيك "محمد" و على آله الأطهار و صحابته الأخيار، و أزواجه المصونات الطاهرات أمهات المؤمنين، و سلم تسليما كثيرا.

### عمر بن الخطاب و بعض أعماله

روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل على حمص عمير بن سعد، فلما مضت السنة، كتب إليه عمر أن أقدم علينا، فلم يشعر عمر إلا و قد قدم عليه ماشيا حافيا عكازته بيده و أدواته و مزودة و قصعته على ظهره فلما نظر إليه عمر قال له: يا عمير أجدبنا أم البلاد بلاد سوء فقال: و لمه يا أمير المؤمنين و قد جئت إليك بالدينيا أجزها بقرابها، فقال له: و ما معك من الدينيا قال: عكازة أتوكأ عليها و أدفع بها عدوا إن لقيته و مزود أحمل فيه طعامى و أداة أحمل فيها ماء لشرابى و لظهورى، فو الله يا أمير المؤمنين ما الدينيا بعد إلا تبع لما معى فقام عمر من مجلسه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبى بكر رضى الله عنهما فبكى و دعا ثم عاد إلى مجلسه فقال: ما صنعت فى عملك يا عمير؟ فقال: أخذت الإبل من أهل الإبل و الجزية من أهل الذمة عن يد و هم صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء و المساكين و أبناء السبيل فو الله يا أمير المؤمنين لو بقى عندى منها شىء لآتيتك به.

فقال عمر: عد إلى عملك يا عمير قال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تردنى إلى أهلى فأذن له فأتى أهله فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار و قال له:

اختبر لى عميرا و أنزل عليه ثلاثة أيام حتى ترى حاله أهو فى سعة أم فى ضيق فإن كان فى ضيق فادفع إليه الدينانير فأتاه حبيب فنزل

عليه ثلاثة أيام فلم ير له عيشا إلا- الشعير و الزيت فلما مضت الثلاثة الأيام دفع إليه الدنانير و قال: قد بعث بها أمير المؤمنين إليك فدعى بفرو خلق لامراته فجعل يصير منها الخمسة الدنانير و الستة و السبعة و يبعث بها إلى إخوانه من الفقراء إلى أن أنفدها فقدم حبيب على عمر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٢٩

و قال: جئتكم يا أمير المؤمنين من عند أزهدي الناس و ما عنده من الدنيا قليل و لا كثير و لما رجع عمير من عند أهله أمر له عمر بوسقين من طعام و ثوبين فقال: يا أمير المؤمنين أما الثوبان فأقبلهما و أما الوسقان فلا حاجة لي بهما فعند أهلي صاع من بر و هو كافيهما حتى أرجع إليهم.

و روى أن عمر رضى الله عنه صر أربعمائه دينار و قال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تربص عنده في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فذهب بها الغلام إليه و قال له: يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: اجعل هذه في بعض حوائجك فقال: وصله الله و رحمته ثم دعا بجارية و قال لها: اذهبي بهذه السبعة إلى فلان و بهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفدها فرجع الغلام إلى عمر و أخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل فقال: انطلق بها إلى معاذ بن جبل و انظر ما يكون من أمره، فمضى إليه و قال له كما قال لأبي عبيدة بن الجراح ففعل معاذ كما فعل أبو عبيدة فرجع الغلام و أخبر عمر فقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض رضى الله عنهم أجمعين.

### قتل عمر رضى الله عنه و ما قاله عند موته

جاء في صحيح البخارى في فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم في باب مناقب عثمان بن عفان رضى الله عنه: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن حصين عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة، وقف على حذيفة بن اليمان و عثمان بن حنيف، قال: كيف فعلتما أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق، قالوا: حملناها أمرا هي له مطيئة، ما فيها كبير فضل، قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق قال: قالوا:

لا، فقال عمر: لئن سلمنى الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدى أبدا، قال: فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب، قال: إنى لقائم ما بينى و بينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، و كان إذا مر بين الصفين قال استووا، حتى إذا لم ير فيهن خلل تقدم فكبر، و ربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعتة يقول: قتلنى أو أكلنى الكلب حين طعنه فطار العليج بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يمينا و لا شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٣٠

رجل من المسلمين طرح عليه برنسا، فلما ظن العليج أنه مأخوذ نحر نفسه، و تناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلى عمر، فقد رأى الذى أرى، و أما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون، غير أنهم قد فقدوا صوت عمر و هم يقولون:

سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس انظر من قتلنى فجال ساعة، ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصنع، قال: نعم، قال: قاتله الله لقد أمرت به معروفا الحمد لله الذى لم يجعل ميتتى بيد رجل يدعى الإسلام، قد كنت أنت و أبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، و كان أكثرهم رقيقا، فقال: إن شئت فعلت، أى إن شئت قتلنا، قال: كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم و صلوا قبلتكم و حجوا حجكم فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه و كأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقاتل يقول: لا بأس، و قائل يقول:

أخاف عليه، فأتى بنيذ فشربه فخرج من جوفه ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جوفه فعلموا أنه ميت فدخلنا عليه و جاء الناس يشنون عليه، و جاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه و سلم و قدم فى الإسلام ما قد علمته، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفاف لا- على و لا- لى، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض قال: ردوا على الغلام، قال: ابن أخى ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك، و أتقى لربك، يا عبد الله بن عمر انظر ما على من الدين، فحسبوه فوجدوه ستاً و ثمانين ألفاً أو نحوه، قال: إن وفى له مال آل عمر فأده من أموالهم، و إلا فسل فى بنى عدى بن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل فى قريش، و لا تعدهم إلا غيرهم، فأدعنى هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام، و لا تقل أمير المؤمنين فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً، و قل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم و استأذن، ثم دخل عليها، فوجدتها قاعدة تبكى، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام و يستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسى، و لأوثرن به اليوم على نفسى، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال:

ارفعونى، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك قال: الذى تحب يا أمير المؤمنين أذنت قال: الحمد لله ما كان منى شىء أهم إلى من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملونى ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لى فأدخلونى، و إن ردتنى ردونى إلى مقابر المسلمين، و جاءت أم المؤمنين حفصة و النساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا، فولجت عليه، فبكت عنده ساعة، و استأذن الرجال فولجت

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٣١

داخلا لهم فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوصى يا أمير المؤمنين استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء نفر أو الرهط الذين توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو عنهم راض، فسمى علياً و عثمان و الزبير و طلحة و سعدا و عبد الرحمن، و قال يشهدكم عبد الله بن عمر، و ليس له من الأمر شىء، كهيئته التعزية له، فإن أصابت المرأة سعدا فهو ذاك، و إلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإنى لم أعزله عن عجز و لا- خيانه، و قال: أوصى الخليفة من بعدى، بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، و يحفظ لهم حرمتهم، و أوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوؤا الدار و الإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، و أن يعفى عن سيئهم، و أوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردة الإسلام و جباه المال و غيظ العدو، و أن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، و أوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب و مادة الإسلام أن يؤخذ من حواشى أموالهم و يرد على فقرائهم، و أوصيه بدمه الله و ذمه رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يوفى لهم بعهدهم، و أن يقاتل من وراءهم و لا يكلف إلا طاقتهم، فما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى، فسلم عبد الله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قلت: ادخلوه. فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمرى إلى على، فقال طلحة: قد جعلت أمرى إلى عثمان، و قال سعد: قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبراء من هذا الأمر فنجعله إليه و الله عليه و الإسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفجعلونه إلى و الله على أن لا آلو عن فضلكم قالوا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه و سلم و القدم فى الإسلام ما قد علمت، فالله عليك، لأن أمرتك لتعدلن، لأن و أمرت عثمان لتسمعن و لتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه فبايع له على، و ولج أهل الدار فبايعوه. انتهى من البخارى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٣٢

**ترجمة المطلب بن أبى وداعة السهمى رضى الله تعالى عنه**

المطلب بن أبي وداعة السهمي رضى الله تعالى عنه الذى أخذ قياس موضع مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام من موضعه إلى الركن الأسود، و من موضعه إلى باب الحجر، و من موضعه إلى بئر زمزم كما تقدمت قصته.

أخذ هذا القياس "بالمقاط" بكسر الميم، جبل مثل القمط فهو مقلوب منه، و القمط، بكسر القاف جبل يشد به قوائم الشاة عند الذبح، و كذا ما يشد به الصبي فى المهد، كما جاء فى مختار الصحاح.

و المطلب السهمي صحابي جليل روى عن النبي صلى الله عليه و سلم بعض أحاديث و ذكره ابن سعد فى مسلمة الفتح. و قال الواقدي: نزل المدينة و له بها دارا و بقى دهرا.

و قال أبو عبيد: له صحبة و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم و حديثه فى مسند أحمد بسند صحيح إلى عكرمة بن خالد عن المطلب بن أبي وداعة قال: رأيت النبي صلى الله عليه و سلم يسجد فى النجم ... الحديث، و فى آخره قال المطلب: فلا أدع السجود فيها أبدا. انتهى ملخصا عن الإصابة فى تمييز الصحابة.

قال الإمام الأزرقى فى تاريخه عند الكلام على ما جاء فى القيام فى الطواف ما نصه:

حدثنا أبو الوليد، حدثنى أحمد بن ميسرة المكي، قال: حدثنا عبد المجيد بن أبي رواد قال: سألت أبي عن القيام فى الطواف فقال: كان عبد الكريم بن أبي المخارق أول من نهانى عن ذلك، قال: أخذت بيده فاحتبسته لأسأله عن شيء فأنكر على ذلك نكرة شديدة و وعظنى فيه بأشياء قال: فبعثنى ذلك على مسألته، فأخبرت أن المطلب بن أبي وداعة خرج نحو البادية ثم قدم فرأى ناسا قياما فى الطواف يتحدثون فأنكر ذلك ثم قال "اتخذتم الطواف أنديئة. قال أبى: ثم سألت نافعاً مولى ابن عمر، فقلت: هل كان ابن عمر يقوم فى الطواف؟ فقال:

لا- رأيت قائما فيه حتى يفرغ منه، إلا- عند الحجر و الركن اليماني فإنه كان لا يدعها أن يستلمها فى كل طواف طاف. انتهى من الأزرقى.

نقول: يكفى المطلب بن أبي وداعة السهمي شرفا أن أمير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنهما وضع مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام فى موضعه على القياس الذى أخذه المطلب السهمي رضى الله عنه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٣٣

و انظر إلى حكمه البارى جل جلاله، فى إلهام المطلب بن أبي وداعة ليأخذ قياس موضع المقام قياسا محررا تاما بجبل احتفظ به عنده فى بيته، و ذلك خوفا أن يذهب به السيل فلا يعرف موضعه بالضبط كما أخبر هو بذلك عن نفسه عندما تحدث مع عمر بن الخطاب رضى الله عنهما. فتأمل رحمك الله فى قوله تعالى:

فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ لَتَرَى الْحِكْمَةَ رَبَّانِيَةً جَلِيَّةً وَاضِحَةً كَالشَّمْسِ الْمَشْرِقَةِ.

### اهتمام عمر رضى الله عنه بأمر المقام

فإن قيل: لماذا لما بلغ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه و هو بالمدينة أن السيل المسمى "بسيل أم نهشل" اقتلع المقام من محله و ذهب به إلى أسفل مكة، ركب من ساعته فزعا و أتى مكة.

نقول: إن مقام إبراهيم عليه السلام شأنه خطير، أليس الله تعالى قال فى حقه: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَ قَالَ: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ فَهُوَ مَقَدَّسٌ لَا يَسْتَهَانُ بِأَمْرِهِ، وَ هُوَ كَالْحِجْرِ الْأَسْوَدِ يَرْتَبِطُ أَمْرُهُمَا بِالْكَعْبَةِ الْمَشْرُفَةِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَخَلِيقٌ بِعَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنْ يَحْضُرَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ سَرِيْعًا عِنْدَمَا بَلَغَهُ خَبْرُ السَّيْلِ الَّذِي اقْتَلَعَ الْمَقَامَ مِنْ مَحَلِّهِ وَ ذَهَبَ بِهِ إِلَى أَسْفَلِ مَكَّةَ أَلَيْسَ أَنَّ عَمْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَتَمَنَّى أَنْ يَجْعَلُوا الْمَقَامَ مُصَلًى قَبْلَ نَزْوْلِ آيَةٍ: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ، فَكَيْفَ لَا يَبَادِرُ

بالحضور إلى مكة لينظر بنفسه في أمره.

حدث جابر عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم وقال: لما طاف النبي صلى الله عليه وسلم قال له عمر: هذا مقام أئبنا. قال: نعم. قال: أفلا نتخذة مصلى؟ فأنزل الله عز وجل وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى.

و في رواية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالمقام ومع عمر، فقال: يا رسول الله أليس هذا مقام أئبنا إبراهيم؟ قال: بلى. قال: أفلا نتخذة مصلى. قال: لم أؤمر بذلك. فلم تغب الشمس حتى نزلت الآية.

و في البخارى عن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب: وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث. قلت: يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ... إلى آخر الحديث.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٣٤

و الذى جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يهتم بشأن المقام فيركب من ساعته فزعا قاصدا مكة أربعة أمور: الأمر الأول: خوفه على المقام الكريم هل حدث فيه خدش أو كسر من أثر السيل الذى جره إلى أسفل مكة أم لا، و هو المقام المقدس المحترم، مقام بانى الكعبة خليل الله "إبراهيم" عليه الصلاة والسلام.

الأمر الثانى: لا بد من وقوف ولى أمر المسلمين و أمامهم بنفسه على هذا الأمر الخطير، فلو أرسل مندوبا من طرفه من المدينة ليأتيه بخبر المقام، لكان عليه أن ينتظر مندوبه نحو عشرين يوما بالدواب ذهابا و إيابا حتى يرجع إليه من مكة فيخبره عن أمر المقام، لأن المسافة بين مكة و المدينة بسير الإبل نحو عشرة أيام.

و هذا مما لا يشفى غليله، و لم يكن فى أيامه رضى الله تعالى عنه "لا سلكى" حتى يتخبر مع مكة برقيا بالتلغراف.

الأمر الثالث: لو فرضنا أنه أرسل من طرفه مندوبا إلى مكة، و انتظر رجوعه بالخبر اليقين، ثم يرسله ثانيا إلى مكة ليلبغ عامله عليها أوامره التى يجب اتباعها فى شأن المقام، لاستلزم ذلك مدة لا تقل عن ثلاثين يوما فى حالة الإسراع. ففى كل هذه الأيام قد تنقطع الصلاة خلف المقام، و قد أمرنا الله تعالى بالصلاة خلفه، فإن لم تنقطع الصلاة فلا بد من حصول التشويش بين المصلين خلفه و الطائفتين حول البيت حيث أن المقام لما أتوا به من جهة المسفلة جعلوه فى وجه البيت و ربطوه بأستاره. فعليه رأى عمر رضى الله عنه اختصارا للوقت المبادرة بالسفر بنفسه إلى مكة ليرجع كل شىء على ما كان عليه قبل هجوم السيل و اقتلعه للمقام.

الأمر الرابع: أن اقتلاع السيل للمقام و ذهابه إلى أسفل مكة لأمر يوجب التشويش و الاهتمام العظيم، لأن محله كان من عهد النبي صلى الله عليه وسلم و عهد خليفته أبى بكر رضى الله تعالى عنه، و عمر قد لا يعرف بالضبط نقطة محله و موضعه، و قد لا يعرفها بالضبط أيضا أحد من أهل مكة، و هو رضى الله عنه الحريص كل الحرص على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم خطوة خطوة، و المحافظة على كل شىء كان فى زمنه عليه الصلاة و السلام، فلا يدرى هل يجد عند أحد الصحابة بمكة علما تاما و قياسا محررا عن محل المقام أم لا.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٣٥

كل هذا كان يشغل ذهن عمر و فكر عمر رضى الله تعالى عنه و أكرمه بوسع فضله و إحسانه، و كل هذا دفع عمر دفعا ليبادر بالسفر فزعا من ساعة ما بلغه خبر السيل الذى هجم على المسجد الحرام فاقتلع المقام من محله و ذهب به.

وصل عمر رضى الله عنه إلى مكة فى رمضان سنة سبع عشرة من الهجرة محرما بعمرة، و قد نزل فى دار ابن سباع، فلما دخل المسجد الحرام و قد غبى موضع المقام و عفاه السيل، دعا عمر بالناس فقال: أنشد الله عبدا عنده علم فى هذا المقام فقال المطلب بن أبى وداعة السهمى: أنا يا أمير المؤمنين عندى علم بذلك، فقد كنت أخشى عليه هذا فأخذت قدره من موضعه إلى الركن ... إلى آخر القصة المتقدمة.

فلما استوثق عمر من خبر المطلب بن أبى وداعة، و استثبت ذلك بعد سؤاله الناس أيضا و مشاورتهم أمر بالمقام فوضع فى محله

المضبوط المحرر بإجماع الصحابة و على مرأى و مشهد منهم.

روى الأزرقى فى تاريخه عن عبد الله بن صفوان أنه قال: أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه عبد الله بن السائب العابدى و عمر نازل فى دار ابن سباج، بتحويل المقام إلى موضعه الذى هو فيه اليوم، قال: فحوله ثم صلى المغرب، و كان عمر قد اشتكى رأسه، قال: فلما صليت ركعة جاء عمر فصلى ورائى.

قال: فلما قضى صلاته قال عمر: أحسنت. فكنت أول من صلى خلف المقام حين حول إلى موضعه. و روى الأزرقى أيضا عن عبد الله بن السائب و كان يصلى بأهل مكة: قال: أنا أول من صلى خلف المقام حين رد فى موضعه هذا، ثم دخل عمر و أنا فى الصلاة فصلى خلفى صلاة المغرب. انتهى.

نقول: لقد استنتجنا مما تقدم ما يأتى:

(١) أن سيل أم نهشل الذى اقتلع المقام من محله، كان إما فى شهر رمضان أو فى أواخر شعبان، حيث أنه بعد مجيء السيل مباشرة كتبوا إلى عمر رضى الله تعالى عنه عن أمر اقتلاع المقام، فوصول الكتاب إليه مع الرسول حامل الكتاب يحتاج إلى نحو عشرة أيام بسير الدواب، و وصول عمر إلى مكة يحتاج إلى عشرة أيام أيضا، فصار ما بين مجيء السيل إلى المسجد الحرام و وصول عمر رضى الله عنه إلى مكة عشرون يوما، و كان وصوله فى شهر رمضان سنة (١٧) من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٣٦

الهجرة، و مع الأسف لم يذكر فى التاريخ يوم مجيء السيل و لا يوم دخول عمر مكة.

(٢) لم يذكر فى التاريخ هل عند وصول عمر رضى الله عنه محرما بالعمرة طاف و سعى أو لا أم أنه قدم أمر المقام على ذلك و نحن نرى أنه رضى الله تعالى عنه قدم الطواف و السعى أولا حتى يتحلل من إحرامه أولا ثم ينظر فى أمر المقام، لأن تحية المسجد الحرام الطواف و الطواف للمحرم يعقبه السعى، و لا يعقل أن عمر رضى الله عنه يدخل المسجد الحرام و هو محرم فيترك الطواف و السعى و يبدأ بأمر المقام.

(٣) أن اجتماع عمر رضى الله تعالى عنه بالناس فى المسجد الحرام بشأن المقام و التثبيت من محله كان بعد صلاة العصر أو قبل المغرب بنحو ساعة أو أقل، بدليل ما ذكره الأزرقى من قول عبد الله بن صفوان.

(٤) أن عمر رضى الله تعالى عنه لم يضع بنفسه المقام فى موضعه، وإنما أمر عبد الله بن السائب العابدى الذى كان يصلى بأهل مكة بتحويل المقام إلى موضعه فحوله المذكور ثم صلى المغرب بالناس، فكان هو أول من صلى خلف المقام حين رده إلى موضعه، فلما صلى ابن السائب ركعة جاء عمر فصلى وراءه، و تأخر عمر عن اللحاق بالإمام ابن السائب فى أول الصلاة كان لعذر من شكايه رأسه، و هذا أيضا هو السبب فى عدم وضعه المقام بنفسه فى محله، كما هو صريح عبارة الأزرقى.

(٥) معنى قول عمر رضى الله تعالى عنه لعبد الله بن السائب العابدى أمام أهل مكة: أحسنت، و ذلك بعد الفراغ من الصلاة، أى لقد أحسنت فى الإحرام بالصلاة بدون أن تنتظر حضورى.

و يؤخذ من إقرار عمر بهذا الأمر و رضائه به، أن الإمام الراتب للصلاة أولى بالتقدم للصلاة بالناس من ولى المسلمين.

نعم لو أحب ولى الأمر التقدم للصلاة بالناس فهو عندئذ أحق بالتقدم من الإمام الراتب، لأن الولاية و العزل راجع إليه. و الله تعالى أعلم.

فإن قيل: لم أمر عمر رضى الله عنه عبد الله بن السائب بوضع المقام إلى محله بعد التثبيت و التحرى عن موضعه و لم يأمر غيره بذلك؟.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٣٧

نقول: لأن عبد الله بن السائب صحابى جليل و قد كان شريك رسول الله صلى الله عليه و سلم فى الجاهلية.

ولأنه كان من قراء القرآن المهرة و عنه أخذ أهل مكة القراءة كما سيأتى ذلك فى ترجمته.  
فكانوا فى صدر الإسلام يفضلون أهل القرآن لأنهم كانوا يعملون بما يعلمون قال عمر رضى الله عنه "أما إن نبيكم صلى الله عليه و سلم قال: إن الله سبحانه يرفع بهذا القرآن أقواما و يضع به آخرين" رواه الأزرقي فى تاريخه و رواه مسلم فى صحيحه.  
(٦) أن عمر رضى الله تعالى عنه لما عرف محل المقام و ثبت عنده ذلك بحضور الصحابة العدول رضى الله تعالى عنهم أمر ببناء تحت المقام ثم وضعه عليه كما تقدم بيان ذلك، فلا يزال المقام مرتفعا فوق رخامة بيضاء إلى يومنا هذا، و مقدار ارتفاعه عن الأرض نحو نصف متر تقريبا.

فيكون أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه هو أول من وضع المقام على بناء مرتفع عن الأرض و قد أحسن صنعا بذلك أثابه الله تعالى عليه، لأن حجر المقام مقدس مكرم، و لأن الله تعالى أمرنا بالصلاة عنده، فينبغى رفعه عن الأرض نحو ذراع أو أكثر فلا يلقى به على الأرض، و على ذلك جرت العادة إلى يومنا هذا. فرضى الله عن عمر بن الخطاب الذى قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه و سلم "إن الله جعل الحق على لسان عمر و قلبه" رواه أحمد و الترمذى و غيرهما.  
و قال أيضا "لقد كان فيما قبلكم محدثون فإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر" رواه البخارى و مسلم، و محدثون بفتح الدال المشددة أى ملهون.

### ترجمة عبد الله بن السائب العابدى رضى الله عنه

نذكر هنا ترجمته ملخصا من كتاب الإصابة فى تمييز الصحابة، و من كتاب الاستيعاب فى أسماء الأصحاب، و هى كما يأتى:  
هو عبد الله بن السائب بن أبى السائب، و اسم أبى السائب صيفى بن عائذ ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشى المخزومى القارىء.  
كان عبد الله من قراء القرآن، أخذ عنه أهل مكة القراءة، و عليه قرأ مجاهد و غيره من قراء أهل مكة،  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٣٨

فلهذا كان يصلى بأهل مكة و لهذا أمره أمير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه بتحويل المقام إلى موضعه كما تقدمت الإشارة إليه.  
و قد روى مسلم لعبد الله بن السائب حديثا من رواية محمد بن عباد ابن جعفر عنه أنه شهد النبى صلى الله عليه و سلم فى الفتح قرأ فى صلاة الصبح سورة المؤمنين ...

الحديث، و علقه البخارى لعبد الله بن السائب و أسنده فى التاريخ، و أسند البخارى بسند صحيح من طريق ابن أبى مليكة رأيت عبد الله بن عباس وقف على قبر عبد الله بن السائب.

و أخرج له أبو داود و النسائى من رواية عطاء عنه شهدت العيد مع النبى صلى الله عليه و سلم ... الحديث، و حديث: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول بين الركنتين: رَبَّنَا آتِنَا فى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فى الآخِرَةِ حَسَنَةً ... الآية. اه.

و من حديث عبد الله بن السائب هذا قال: شهدت رسول الله صلى الله عليه و سلم صلى الصبح بمكة فافتتح بسورة المؤمنين فلما أتى على ذكر موسى و هارون أخذته سعلة فرقع.

قال هشام بن محمد الكلبي: و كان شريك رسول الله صلى الله عليه و سلم فى الجاهلية عبد الله بن السائب.

و قال الواقدي: كان شريك رسول الله صلى الله عليه و سلم فى الجاهلية السائب بن أبى السائب.

و قال غيرهما: كان شريك رسول الله صلى الله عليه و سلم فى الجاهلية قيس بن السائب و قد جاء بذلك كله الأثر.

و كان عبد الله بن السائب يسكن مكة و توفى بها قبل قتل ابن الزبير بيسير كما فى الاستيعاب.

و قال فى الإصابة: مات عبد الله بن السائب بمكة فى إمارة ابن الزبير و صلى عليه ابن عباس رضى الله تعالى عن الجميع.

انتهى ذلك ملخصا من الكتابين المذكورين بتصرف و زيادة.

فيهم من الرواية السابقة: أن المقام كان في موضعه الآن قبل سيل أم نهشل، و عمر رضى الله عنه ما وضعه إلا موضعه الأول، و هذا يوافق قول ابن أبي مليكة، و قول العمري، و قول ابن سراقه، و قد تقدمت أقوالهم، و سواء كان المقام

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٣٩

قبل السيل في مكانه الآن أم لا، فقد وضعه أحد الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد السيل المذكور في المكان الذى هو فيه الآن بعد مشاورة الصحابة رضى الله عنهم و إجماعهم على موافقته، فنحن مأمورون باتباعهم و التمسك بطريقتهم.

و لئن كان عمر آخر المقام إلى هذا المكان الذى هو فيه الآن مخافة التضييق على الطائفين و المصلين كما ذكره ابن حجر العسقلاني في قوله المتقدم، فقد أصاب عمر عين الحق، و وفق أعظم توفيق، و هذا يعد من مناقبه العظمى، فلو لم يؤخر المقام إلى موضعه هذا كيف كان اليوم حال الطائفين مع المصلين وراء المقام و هو بجوار الكعبة. و لو كان عمر في زماننا و رأى هذا الازدحام العظيم في المطاف، و المسجد الحرام على اتساعه الكبير يموج بالآلاف الحجاج موج البحر، لأمر بتأخير المقام إلى أبعد من ذلك. و الله تعالى أعلم.

و الحقيقة أن فضائل عمر رضى الله عنه لا تعد، و مناقبه لا تحصى و من الذى يحصى مناقب رجل ينزل القرآن وفق رأيه حتى هنا في اتخاذ المقام مصلى. و كفاه شرفا قوله صلى الله عليه و سلم: "لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر،" و قوله عليه الصلاة و السلام: "إن الله جعل الحق على لسان عمر و قلبه،" و معنى: جعل هنا: أجرى، فجزاه الله و جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الإسلام و المسلمين خير الجزاء، و وفقنا لاتباعهم، و حشرنا في زمرةهم آمين.

### ذرع مقام إبراهيم

قال الإمام الأزرقى في تاريخه: قال أبو الوليد: و ذرع المقام ذراع، و المقام مربع سعة أعلاه أربعة عشر إصبعا في أربعة عشر إصبعا و من أسفله مثل ذلك و في طرفيه من أعلاه و أسفله طوقا ذهب و ما بين الطوقين من الحجر من المقام بارز بلا ذهب عليه، طوله من نواحيه كلها تسع أصابع و عرضه عشر أصابع عرضا في عشر أصابع طولاً و ذلك قبل أن يجعل عليه هذا الذهب الذى هو عليه اليوم من عمل أمير المؤمنين المتوكل على الله و عرض حجر المقام من نواحيه إحدى و عشرون إصبعا، و وسطه مربع و القدمان داخلتان في الحجر سبع أصابع و دخولهما منحرفتان، و بين القدمين في الحجر إصبعا و وسطه قد استدق من التمسح به و المقام في حوض من ساج مربع حوله رصاص ملبس به و على الحوض صفائح

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٤٠

رصاص ملبس بها و من المقام في الحوض إصبعا و على المقام صندوق ساج مسقف و من وراء المقام ملبن ساج في الأرض في طرفيه سلسلتان تدخلان في أسفل الصندوق و يقفل فيهما بقفلان. انتهى من تاريخ الأزرقى.

### الذهب الذى على مقام إبراهيم

قال الإمام الأزرقى في تاريخه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدى قال:

سمعت عبد الله بن شعيب بن شيبه بن جبير بن شيبه يقول: ذهبنا نرفع المقام في خلافة المهدي فانثلم قال: و هو من حجر رخو يشبه السنن فخشينا أن يتفتت أو قال يتداعى فكتبنا في ذلك إلى المهدي فبعث إلينا بألف دينار فضببنا بها المقام أسفله و أعلاه و هو



الذهب الذى عليه اليوم، قال: سمعت يوسف بن محمد العطار يحدث عن عبد الله بن شعيب نحوه، قال: و لم يزل ذلك الذهب عليه حتى ولى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله فجعل عليه ذهاباً فوق ذلك الذهب أحسن من ذلك العمل فعمل فى مصدر الحج سنة ست و ثلاثين و مائتين فهو الذهب الذى عليه اليوم و جعل فوق ذلك الذهب الذى كان عمله المهدي و لم يقلع عنه، و أخبرنى غير واحد من مشيخه أهل مكة قالوا: حج المهدي أمير المؤمنين سنة ستين و مائة فنزل دار الندوة فجاء عبد الله بن عثمان بن إبراهيم الحجى بالمقام مقام إبراهيم فى ساعة خالية نصف النهار فستحل عليه فقال للحاجب: ائذن لى على أمير المؤمنين فإن معى شيئاً لم يدخل به على أحد قبله و هو يسر أمير المؤمنين فأدخله عليه فكشف عن المقام فسر بذلك و تمسح به و سكب فيه ماء ثم شربه و قال له: أخرج و أرسل إلى بعض أهله فشريوا منه و تمسحوا به ثم أدخل فاحتمله وردة مكانه و أمر له بجوائز عظيمة و أقطعه خيفاً بنخله يقال له: ذات القوبع فباعه من منيرة مولاة المهدي بعد ذلك بسبعة آلاف دينار. انتهى من الأزرقى.

### تطويق المقام بالذهب و الفضة

أول من طوق مقام إبراهيم عليه السلام، أى الحجر الذى كان يقوم عليه عند بناء البيت الحرام بالذهب، أمير المؤمنين محمد المهدي العباسى، و ذلك سنة مائة و إحدى و ستين، فإنه لما بلغه أن المقام قد مر عليه زمان طويل، و يخشى عليه أن يتداعى أو يتداعى بعث بألف دينار فضبوه بها، ثم فى سنة مائة و تسع و سبعين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٤١

رأى هارون الرشيد أن الفضة التى ضبب بها الحجر تخلخلت، فأمر بضبطه و إصلاحه فثقب الحجر بالماس و سكب فيه فضة، ثم إن أمير المؤمنين جعفر المتوكل أمر أن يجعل فوق ذلك الذهب ذهب أحسن منه، فضبوه به و أحكموا شدة و ضبطه، و ذلك سنة ست و ثلاثين و مائتين، ثم إن الحجة سدن البيت الحرام ذكروا لعامل مكة على بن الحسن العباسى أن المقام تسلفت أحجاره و يخشى عليه، فأمر أن يعمل له طوقان طوق من ذهب و طوق من فضة، و ذلك فى المحرم سنة ست و خمسين و مائتين فأحضر المقام إلى دار الإمارة و أذيت له العقاقير بالزئبق و شد بها شداً جيداً حتى التصق، و كان قبل ذلك سبع قطع، و كان الذى شده بيده فى السنة المذكورة بشر الخادم مولى أمير المؤمنين المعتمد العباسى ثم حمل المقام بعد تركيب الطوقين عليه و لصقه و شده إلى موضعه و كان ذلك يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول سنة ست و خمسين و مائتين. قال الفاسى: و هذا ملخص ما ذكره الفاكهى.

و روى صاحب كتاب إتحاف فضلاء الزمن: أن إبراهيم بيك عمّر المقام و جدد ما كان محتوياً على موضع قدم إبراهيم عليه الصلاة و السلام بالفضة المطلية بالذهب، و صب الرصاص بين الفضة و الحجر، حتى أحكموا الفضة، و شدوا أحجار القدم، و ذلك فى سنة ألف و مائة و اثنتى عشرة هجرية.

### ما ذكره إبراهيم رفعت باشا فى كتابه مرآة الحرمين عن مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام و ما كتب عليه

١- مقام إبراهيم. هو مقامه المعروف بالمسجد الحرام و هو أقوى الأقوال.

قال تعالى: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَ نرى أن الآية صريحة فى أن المصلى بعض المقام، أى موضع القيام و الحجر لا يصلح أن يكون مصلى لصغره فالمقام مكان غيره أكبر منه و لعل الحجر المعروف الآن بمقام إبراهيم كان موضوعاً فى مكان قيامه علامة عليه ملخص من الفقرة الأولى ص ٢٤٢ و ٢٤٣ مرآة الحرمين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٤٢

٢- قياس المقام، الحجر و تحلته. قال الفاضى عز الدين بن جماعة: حررت لما كنت مجاوراً بمكة سنة ٧٥٣ مقدار ارتفاع المقام عن

الأرض فكان ٧/٨ الذراع و أعلى المقام مربع من كل جهه ٣/٤ الذراع و موضع غوص القدمين ملبس بالفضة و عمقه من فوق الفضة سبع قراريط و نصف من ذراع القماش المستعمل فى مصر. اه.

و أول ما حلّى المقام فى خلافة المهدي العباسى لأنه رفع فانتم لرخواوة حجره فكتب الحجة إلى المهدي يعرفونه بذلك و أنهم يخشون عليه أن يتفتت فبعث المهدي فى سنة ١٦١ بألف دينار أو أكثر فضيبوا بذلك المقام من أعلاه و أسفله فلما كان فى خلافة المتوكل زاد فى تضييب المقام سنة ٢٣٦ و مقدار ما زاده ٨٠٠٠ مثقال من الذهب و ٧٠٠٠٠ درهم من الفضة و كان ذلك فوق حليته الأولى. ثم إن جعفر بن الفضل عامل مكة و محمد بن جاثم قلعا حلية المتوكل و ضرباها دنانير ليستعينا بها على ما قيل فى حرب إسماعيل بن يوسف العلوى الذى خرج و أفسد بمكة و الحجاز فى سنة ٢٥١ و لم تزل حلية المهدي على المقام إلى أن قلعت عنه فى محرم سنة ٢٥٦ لأجل إصلاحه لأن الحجة ذكروا لعامل مكة على بن الحسن العباسى أن المقام و هى و تسللت أحجاره و يخشى عليه و سأله فى تجديد عمله و تضييبه حتى يشتد فأجابهم لسؤالهم و زادهم ذهبا و فضة إلى حليته الأولى فعمل له طوقان من ذهب فيهما ١٩٩٢ مثقال و طوق من فضة و أحضر المقام إلى دار الأمان و أذيت له العقاقير بالزئبق و شد بها شدا جيدا حتى التصق و كان قبل ذلك سبع قطع زال عنها الالتصاق لما قلعت الحلية عنه سنة ٢٥٥ أو ٢٥٦ لأجل إصلاحه و كان الذى شده بيده فى هذه السنة بشر الخادم مولى أمير المؤمنين المعتمد العباسى و حمل المقام بعد لصقه و تركيب الحلية عليه لشده إلى موضعه و كان ذلك فى يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ٢٥٦. اه الفقرة الثانية مرآة الحرمين.

٣- موضع المقام و المصلى خلفه. قال التقى الفاسى: روى الأزرقى عن ابن أبى مليكة أن موضع المقام الآن هو موضعه فى الجاهلية و فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم و الخليفين رضى الله عنهما بعده إلا أن السيل سيل أم نهشل سنة ١٧ ه ذهب به فى خلافة عمر رضى الله عنه فجعل فى وجه الكعبة الجهة الشرقية إلى منها الباب الخ ... منقول من تاريخ الأزرقى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٤٣

قال التقى الفاسى: المقام الآن تحت قبة عالية من خشب قائمه على أربعة أعمدة دقيقة من حجارة منحوتة بينها أربعة شباييك من حديد بين كل عمودين شباك و من الجهة الشرقية يدخل إلى المقام و القبة مزخرفة من باطنها بالذهب، و مما يلى السماء مبيضة بالنورة. و أما المصلى الذى هو خلف المقام فعليه ظل قائمه على أربعة أعمدة، منها عمودان عليهما القبة إذ هى متصله بالقبة و الظلة مزخرف سقفها من الباطن بالذهب و مبيض أعلاه بالنورة و أحدث وقت صنع فيه ذلك شهر رجب سنة ٨١٠ ه و اسم الملك الناصر فرج صاحب الديار المصرية و الشامية مكتوب فيه بسبب هذه العمارة، و اسم الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر مكتوب فى الشباك الشرقى بسبب عمارته له فى سنة ٧٢٨ ه و مقام إبراهيم فى وسط القبة بين شباييكها الأربعة الحديدية و يحيط بالمقام قبة من الحديد مقصورة مثبتة فى الأرض برصاص مصبوب بحيث لا يستطيع قلع القبة التى فوقه إلا بالمعاول و شبها و لعل هذه القبة الحديدية هى التى كانت توضع فوقه عند قدوم الحجاج إلى مكة صونا له لكونها أشد تحملا للزحام و الاستلام على ما ذكره ابن جبير فى رحلته سنة ٥٧٩ ه و قد ذكر ما يدل على أن المقام لم يكن ثابتا بل كان تارة يجعل فى الكعبة و تارة فى موضعه الآن فى قبة من خشب فإذا كان الموسم أبدل بها القبة الحديدية.

قال التقى الفاسى: و ما عرفت حتى جعل المقام ثابتا فى القبة على صفته التى هو عليها الآن و أما القبة التى فوق القبة الحديدية التى فى جوفها المقام، فأظن أن الملك المسعود صاحب اليمن و مكة أول من بناها. اه.

و قد جدت قبة المقام فى سنة ٩٠٠ ه و كذلك فى سنة ١٠٤٩ ه و نقشها بالذهب فى ١٠٧٢ ه سليمان بك و الى جدة و مكة من قبل السلطان محمد كزلاى سلطان مصر و قد رأيت مكتوبا على القبة من الجهة الجنوبية أمر بتجديد هذا المقام الشريف - كلام كثير - الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى عن نصره فى ١٥ رجب سنة ٩٠٠ ه و مكتوبا عليها فى الجهة الغربية المقابلة لباب الكعبة أمر بتجديد هذا المقام المعظم، السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان و على الجهة الشمالية بقبه أجداده سنة ١٠٤٩ ه و قد قست

المسافة التي بين المقصورة التي على المقام و جدار الكعبة الذي فيه الباب من الوسط فإذا هي ١٥ / ٤٠ مترا و دخلت المقصورة مع المطوف فوضع من ماء زمزم على أثر القدمين و شربنا منه في التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٤٤

حجتنا هذه سنة ١٣١٨ هـ و كان خليقا بى و بالمطوف أن نتجنب التبرك بالآثار و الشرب من مواضع الأقدام و أن ندع هذه البدعة جانبا و لا- نفعل عند هذا الأثر سوى ما فعله رسول الله صلى الله عليه و سلم من الصلاة عنده امتثالا لأمر الله تعالى: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضِئًا و لكن كنت فى هذا الوقت لما تنضح معلوماتى الدينية فى الحج و مشاعره و لم أكن وقفت تمام الوقوف على تأثير البدع السيء فى الدين و قد دعانى الإنصاف إلى ذكر الواقع و دعانى البصر بالدين إلى إنكار ما حصل.

### الأحجار الأثرية المفروشة خلف مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام

جاء فى تاريخ الغازى ص ٢٢٠ من الجزء الأول:

و نقل العلامة ابن خليل فى منسكه الكبير أن الحجرين الكبيرين المفروشين خلف المقام الذى يقف المصلى عليهما قد صلى عليهما بعض الصحابة.

و فى منائح الكرم و فى سنة (١٠٨٨) ورد بعض المغاربة من البحر فى أواسط شعبان المعظم بحجر سماق طوله ذراعين و شىء، و طلعه إلى مكة على عجل زعموا أنهم أخذوه من بعض كنائس النصارى، و أنهم بذلوا للمغاربة دراهم لها صورة فامتنعوا من ذلك و أرسلوه ليجعلوه فى الحرم، و أرادوا وضعه خلف مقام سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام.

و رفع أحد الحجرين الموضوعين هناك فى مصلى الإمام الشافعى، فرفع فى ذلك سؤال إلى مفتى مكة فى هذا العصر و هو الشيخ عبد الله بن المنلا- فروخ الحنفى، فذكر لى أنه أجابهم بما ذكر المنلا- رحمه الله السندى عن بعض من أدركه من أئمة المقام أن الحجرين المفروشين خلف المقام اللذين يقف المصلى عليهما قد صلى عليهما بعض الصحابة، انتهى كلام المنلا، فأمر نائب الحرم الشريف فدفن ذلك الحجر فى المسجد فدفن خلف مقام الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه. ثم فى سنة ١٠٩٨ يوم الثلاثاء ثانى محرم أمر أحمد باشا بإصلاح نصوص اختلت فى الشاذروان و أمر بالحجر السماق المدفون بإخراجه فوضعه تحت الركن الأسود مما يلي الأرض و دفن ما كان فى ذلك الموضع من الرخام بعد قلعه. انتهى. انتهى من تاريخ الغازى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٤٥

### التحقيق التام عن موضع المقام

لقد تقدم من الكلام ما فيه الكفاية عن مقام خليل الله إبراهيم عليه الصلاة و السلام، غير أن الله سبحانه و تعالى فتح علينا فهم مسألة دقيقة عنه و هى:

أن المشهور لدى المؤرخين و جميع الناس أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه هو الذى وضع المقام فى هذا المحل الآن الذى هو أمام باب الكعبة بجوار بئر زمزم، و ذلك عند ما ذهب سيل أم نهشل بالمقام. و هذا كلام صحيح لا شك فيه.

غير أن عمر رضى الله عنه ما وضع المقام إلا فى نفس المحل الذى كان فيه قبل أن يذهب به سيل أم نهشل، أى وضعه فى الموضع الذى كان المقام فيه فى عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم و فى عهد خليفته أبى بكر رضى الله تعالى عنه بدليل ما رواه الإمام الأزرقى أن عمر لما حضر من المدينة إلى مكة لأجل وضع المقام فى محله و دخل المسجد الحرام وقف عنده و قال: "أنشد الله عبدا عنده علم فى هذا المقام" فقال المطلب بن أبى وداعة السهمى رضى الله عنه: أنا يا أمير المؤمنين عندى علم بذلك، فقد كنت أخشى

عليه مثل هذا الأمر، فأخذت قدره من موضعه إلى الركن و من موضعه إلى باب الحجر و من موضعه إلى زمزم بمقاط و هو عندي في البيت. فقال له عمر: فاجلس عندي و أرسل إليها، فأتى بها فمدتها فوجدتها مستوية إلى موضعه هذا، فسأل الناس و شاورهم فقالوا: نعم هذا موضعه، فلما استثبت ذلك عمر أمر به فأعلم ببناء تحت المقام ثم وضعه فهو في مكانه هذا إلى اليوم. اه.

فظاهر كلام الأزرقي و صريح عبارته أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لم يضع المقام في محله الذى هو فيه اليوم باجتهاد من نفسه، و إنما وضعه فى محله الأول بعد السؤال ممن يعرف محله تمام المعرفة، و بعد أن أحضر الصحابى الجليل المطلب بن أبى وداعة السهمى رضى الله عنه الحبل الذى قاس به موضع المقام من كل جهة قبل أن يذهب به سيل أم نهشل و قد ألهم الله تعالى المطلب بن أبى وداعة أن يأخذ القياس فربما يحتاجون إليه فى مثل هذا اليوم و قد وقع تخمينه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٤٦

فعمر رضى الله تعالى عنه و أرضاه بعد أن عرف محل المقام على قياس المطلب بن أبى وداعة، سأل أيضا الصحابة العدول الحاضرين معه عند الكعبة المشرفة فشهدوا بأن هذا هو موضع المقام، فعندئذ أمر ببناء تحت المقام ثم وضعه فى محله على هذا البناء.

فإن قيل: لم يسأل عمر الصحابة رضى الله عنهم جميعا عن موضع المقام و محله الأصلي، و هو الذى يعرف محله حق المعرفة فإنه ليس بغريب عن مكة، بل هو الذى قال: "يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى" فنزلت آية:

وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فِجَاءَ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى حَسَبِ مَا كَانَ يَرْجُو وَ يَتَمَنَى، فغير معقول أن لا يعرف عمر محل المقام بالضبط؟

نقول: نعم إن عمر رضى الله تعالى عنه يعرف موضع المقام حق المعرفة ما فى ذلك شك، و لكنه أراد بسؤال أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم أمرين مهمين دقيقين:

الأمر الأول: تكريمهم باستشارتهم و محافظته على اعتبارهم و مقامهم، و حتى لا يقال إنه يقطع الأمور بدون أخذ رأيهم و موافقتهم، و الاستشارة سنة مؤكدة فى جميع الأمور، و هى فى الأمور المهمة الدينية أشد طلبا و أكد.

و الأمر الثانى: أن عمر رضى الله عنه سأل صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم فى المسجد الحرام عن موضع المقام و محله و هو أعرف منهم بذلك، حتى يتثبت من الأمر بشهادة غيره و يظهر ذلك كالشمس فى رابعة النهار لمن حضر من الصحابة الكرام فى المسجد الحرام، فلا يتهمه أحد من المنافقين و الأعداء أنه وضع المقام هنا بدون أخذ رأى الصحابة و لا استشهاد أحد منهم.

فعمله هذا رضى الله تعالى عنه هو عين الصواب و عين الحكمة، و لقد وافق الحاضرون من أجلاء الصحابة رضى الله عنهم ممن شهد بدرا و أحدا و غيرهما من المشاهد، على أن موضع المقام و محله هو ما ذكره المطلب بن أبى وداعة السهمى رضى الله تعالى عنه، فأمضى عمر شهادتهم و وافق على رأيهم و حكمهم، فكان ذلك إجماعا تاما منهم رضى الله عنهم أجمعين، فنحن مأمورون باتباعهم و التمسك بطريقتهم.

و انظر أيها القارئ الكريم رحمتنا الله و إياك، كيف خدم صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم ديننا الحنيف السليم من كل شائبة، و كيف أنهم حافظوا على أصوله و فروعه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٤٧

و مسائله و أموره، فرضى الله عنهم و أرضاهم و وفقنا لاتباع سنتهم، فكلهم كالنجوم الزاهرة بأيهم اقتدينا اهتدينا.

و انظر إليهم رضى الله عنهم كيف جمعوا القرآن العظيم لأول مرة فى التاريخ و قد كان مفرقا فى الألواح و العظام و صدور الرجال، ما جمعه اعتمادا على أن أحدهم يقول: عندي آية كذا أو سورة كذا و كلهم أتقياء عدول، بل جمعه آية آية بشهادة الشهود، فلقد كان زيد بن ثابت رضى الله عنه لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شاهدان.

أخرج ابن أشتة فى المصاحف عن الليث بن سعد قال: أول من جمع القرآن أبو بكر و كتبه زيد، و كان الناس يأتون زيد بن ثابت

فكان لا يكتب آية إلا بشاهدى عدل ... الخ، وأخرج ابن أبى داود من طريق هشام ابن عروة عن أبيه:

أن أبا بكر قال لعمر و لزيد: اقعدا على باب المسجد فمن جاء كما بشاهدين على شىء من كتاب الله فاكتباه. اه. انظر كتابنا المطبوع " تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه."

هكذا كانت الصحابة رضى الله عنهم يحتاطون فى كل شىء من أمور ديننا الحنيف الذى اختاره الله تعالى لنا كما هو صريح قوله: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ.**

بقيت علينا مسألة دقيقة يجب أن نعرفها بصورة واضحة، و هذه المسألة تشمل على ثلاث أحوال:

الحالة الأولى: أين كان المقام فى عهد إبراهيم عليه الصلاة و السلام؟

الحالة الثانية: أين كان المقام فى الجاهلية؟

الحالة الثالثة: أين كان المقام فى عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم؟

(أما فى الحالة الأولى) فالذى نراه أن إبراهيم عليه الصلاة و السلام بعد أن فرغ من بناء البيت وضعه إما داخل الكعبة أى فى الحفرة التى حفرها فى بطنها على يمين الداخل و كان عمقها ثلاثة أذرع لتكون بمثابة الخزانة يوضع فيها ما يهدى للكعبة، و إما وضعه لزق الكعبة عند بابها، فلا يعقل أنه وضعه فى محله اليوم بقرب زمزم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٤٨

بعيدا عن الكعبة بمسافة أذرع بدون سبب، و أى سبب لذلك و لم يأمره الله تعالى بالتوجه إليه حين الصلاة كما أمر الأمة المحمدية بذلك.

فإذا علمنا أن حجر المقام ياقوته من يواقيت الجنة كالحجر الأسود، و أن خليل الله إبراهيم عليه الصلاة و السلام قام عليه حين بناء الكعبة، و قام عليه أيضا حينما أذن فى الناس بالحج كما أمره الله تعالى، و أن قدميه راسختان على هذا المقام و أنه من الآيات البينات كما فى صريح الآية.

علمنا أن إبراهيم لا يفرط فى هذا المقام المكرم و يبعده عن الكعبة إلى جهة زمزم، بل إنه بعد أن انتهى من غرضه منه حفظه فى الحفرة التى فى باطن الكعبة أى فى الجب، ليبقى دهرا طويلا حتى يأتى نبي آخر الزمان سيدنا "محمد" صلى الله عليه و سلم حيث يأمره الله تعالى بالصلاة عنده، هكذا أطلع الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام بعد أن بنى البيت ما سيكون فى شأن المقام فى آخر الزمان، و هكذا حفظ لنا إبراهيم مقامه الكريم المقدس الذى فيه أثره الخالد كما أمره الله تعالى، فإن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام لا يفعلون شيئا فى أمور الدين إلا بوحي و إلهام من الله الملك العزيز العلام.

ثم إن إسماعيل عليه الصلاة و السلام لم يحرك المقام و لم يخرج من جوف الكعبة، لأنه يعرفه حق المعرفة فلماذا يخرج من موضعه و هو لم يؤمر بالصلاة خلفه، و إنما حافظ عليه محافظة تامه و كذلك أولاده من بعده.

(أما فى الحالة الثانية) فإنه لما مر على بناء إبراهيم عليه السلام للبيت نحو ألفى سنة تقريبا و اشتهر أمر المقام و وجود أثر القدمين فيه و كثر الناس بمكة و أطرافها، صار أهل الجاهلية فى شوق عظيم لرؤية هذا المقام المقدس كما أن المسلمين اليوم فى شديد الشوق لرؤيته و هو محجوب تحت الصندوق و الستارة الكثيفة، فكانوا أحيانا يخرجونه من جوف الكعبة فيضعونه بلزقها عند الباب، أى فى محل الحفرة الموجودة بالجانب الأيمن من الباب، فيشاهدونه جميعا و يحترمونهم أشد الاحترام، كيف لا، و هو التراث العربى المقدس الباقي لهم من بنى الكعبة الأول إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام، و أحيانا يرجعونه إلى جوف الكعبة أيضا بحسب ما تقتضيه المصلحة و خوفا عليه من السيول.

و لا يعقل أنهم إذا أخرجوا المقام من جوف الكعبة أن يضعوه فى محله اليوم بقرب زمزم، أى فى آخر حدود المسجد الحرام فى

ذلك العهد قبل الإسلام، و ما

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٤٩

الداعى لإبعاده عن الكعبة و هم لا يصلون عنده، بل إنهم لا يعرفون الصلاة و كفيئتها، فعبادتهم كانت للأصنام، و الأصنام بكثرة عند الكعبة و ما حولها.

و من المعجزات الباهرات أن أهل الجاهلية مع عبادتهم للأوثان و الأصنام بمختلف أنواعها، لم يسمع قط أنهم عبدوا حجر المقام أو الحجر الأسود أو الكعبة، و هذا سر من الأسرار الدقيقة لا يخفى على العلماء العاملين و ذوى الأبواب.

(و أما الحالة الثالثة) فقد قيل كان المقام فى أول عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم أى قبل فرض الصلوات الخمس بلزق البيت عند الباب أى فى محل الحفرة، و قيل: كان المقام فى داخل الكعبة فلما كان يوم فتح مكة أخرجه رسول الله صلى الله عليه و سلم منها فوضعه بلزق الكعبة أى فى محل الحفرة أيضا، فلما أنزل الله تعالى عليه: **وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضِيًّا** نقله صلى الله عليه و سلم إلى الموضع الذى هو فيه الآن بقرب زمزم، لئلا ينقطع الطواف بالمصلين، و حتى لا يحصل ضيق على الطائفين و المصلين.

فبقى المقام فى محله الذى هو فيه اليوم فى عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم و فى عهد أبى بكر و فى عهد عمر رضى الله تعالى عنهما، فلما جاء سيل أم نهشل فى عهد عمر ذهب بالمقام إلى أسفل مكة، فأتوا به و ربطوه بأستار الكعبة عند الحفرة المذكورة، و أرسلوا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخبرونه بذلك، فركب من ساعته فرعا و أتى مكة فوضع المقام فى محله هذا الذى هو فيه اليوم بعد أخذ رأى صحابه رسول الله صلى الله عليه و سلم و التثبت التام عن محله و موضعه و لم ينكر أحد منهم فعل عمر و لا من جاء بعدهم فصار ذلك إجماعا.

فعلم من كل ما تقدم أن محل المقام الذى هو فيه الآن عند زمزم، هو محله الأصلى الذى كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم و فى عهد أبى بكر و فى عهد عمر رضى الله تعالى عنهم أجمعين، و جزاهما الله تعالى عن الأمة المحمدية خير الجزاء، و إلى عهدنا هذا لم يتغير موضعه و لن يتغير إلى أن تقوم الساعة إن شاء الله تعالى.

فإن قيل: إن المقام بعد الإسلام كان ينقل من محله فيوضع أحيانا فى جوف الكعبة؟

نقول: نعم حصل ذلك مرتين:

الأول: فى زمن القرامطة سنة (٣١٧) للهجرة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٥٠

و الثانى: فى زمن ابن جبير كما ذكره فى رحلته حينما وصل مكة للحج سنة (٥٧٩) للهجرة، كما سنذكر ذلك الآن.

و لكن إذا أخرج المقام من الكعبة فإنه لا يوضع إلا فى موضعه الأصلى الأول، و لم يسمع قط أن المقام إذا أخرج من الكعبة يوضع فى غير محله و يصلى عنده فلو حصل هذا لذكره أصحاب التواريخ بدون شك.

و إليك تفصيل الحالتين المذكورتين:

فالمرة الأولى: أنه لما كانت فتنة القرامطة و وصلوا إلى مكة فى اليوم السابع أو اليوم الثانى من ذى الحجة سنة (٣١٧) سبع عشرة و ثلاثمائة، و حملوا معهم الحجر الأسود إلى بلادهم حين رجوعهم، أرادوا أيضا أن يحملوا معهم "مقام إبراهيم" عليه الصلاة و السلام، فغيبه حجة الكعبة و سدنتها فى بعض شعاب مكة، فلما سكنت فتنتهم و رجعوا إلى بلادهم، أحضرته السدنة فوضعه فى محله الأصلى المعروف لدى كافة الناس.

و المرة الثانية: لما كان المقام فى القرن السادس لم يكن ثابتا فى موضعه الأصلى الذى هو بجوار بئر زمزم، فإنهم كانوا يرفعونه أحيانا لسبب من الأسباب فيضعونه فى جوف الكعبة فى مدخل درجتها الموصلة إلى سطحها و يقفون عليه باب الدرجة. فإذا أحضروه منها وضعوه فى محله الأصلى و لا يضعونه فى محل آخر مطلقا.

و كان للمقام قبتان:

إحداهما: قبة من الخشب توضع عليه في غير أوقات الحج.

و ثانيتهما: قبة من الحديد توضع عليه في وقت موسم الحج، لكون هذه القبة الحديدية أحمل و أقوى للازدحام و الاستلام، كما ذكره ابن جبير رحمه الله تعالى في رحلته و ذلك حسبما رآه عند وصوله إلى مكة للحج في شهر رجب سنة (٥٧٩) تسع و سبعين و خمسمائة هجرية.

فمهما رفعوا المقام في جوف الكعبة فإنه عند إخراجه منها يضعونه في محله الأصلي، و لم يذكر في التاريخ قط أن المقام وضع في مكان غير مكانه الأصلي، فموضعه هو المحل الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم، و إلى عهدنا هذا لم يتغير محله هذا و لن يتغير إن شاء الله تعالى حتى قيام الساعة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٥١

و اعلم أيها القارئ الكريم رحمتنا الله تعالى و إياك و جعل الجنة مأوانا و مأواك، أن هذا المبحث النفيس الفريد لا تجده في كتاب غير هذا الكتاب، فالحمد لله الذي ألهمنا لكتابته بفضل العظيم الواسع، و ذلك في اليوم الثالث عشر و الرابع عشر من شهر رجب سنة ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية، و صلى الله و سلم على خاتم الأنبياء نبينا "محمد" كما صلى و سلم على أبي الأنبياء "إبراهيم" و على جميع الأنبياء و المرسلين و آل كل منهم و صحابته أجمعين، و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.

### كسوة المقام

يظهر و الله تعالى أعلم أن وضع الكسوة على المقام من اختراع دولة آل عثمان فقد كان من عادة سلاطينهم أن يكسوا مقام إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام الذي هو بجوار الكعبة بكسوة سوداء مطرزة بأسلاك الفضة المموهة بالذهب على شكل ستارة باب الكعبة المعظمة و توضع هذه الكسوة على التابوت الخشبي الذي هو داخل الشباك الحديد فوق حجر المقام، و كانت هذه الكسوة تأتي سنويا مع كسوة الكعبة من مصر زمن الدولة العثمانية، و أحيانا كانت تأتي كسوة المقام في كل خمس سنين مرة، ثم انقطعت كسوة المقام منذ سنوات عديدة إلى اليوم، و الكسوة التي على المقام الآن هي قديمة لها أكثر من سبعة عشر سنة.

و الحقيقة أن وضع كسوة فوق المقام تحجب الحجر المكرم بدعة منكرة ما فعلتها الصحابة و لا التابعون و لا من بعدهم، و إنما حدث ذلك في زمن الدولة العثمانية، على أنه لو كان تحتها ضريح لقلنا تلك عادة جارية، و لو كان تحتها سر من الأسرار، أو كان المقام يتأثر من ضوء الشمس و القمر لقلنا: يجب ستره حتى لا ينكشف السر و لا يتضرر المقام من الضوء.

أما و حيث كان تحتها ذلك الحجر المكرم المحترم الذي قال الله تعالى في حقه:

وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ، و قال جل جلاله: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ يَجِبُ رَفْعُ السِّتَارَةِ عَنْهُ لِيَنْظُرَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ الْمَقْدَسِ الَّذِي أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ خَلْفَهُ، و ليعرفوا أنه حجر لا غير، فتغطية المقام بالكسوة توقع الناس في الجهل بحقيقته، و توجب لهم الوسواس و انشغال البال في تصور شكله و هيئته.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٥٢

فحبذا لو رفعت الستارة عن المقام و رفع التابوت الخشبي الذي فوقه، ثم يعمل صندوق من الزجاج الشفاف القوي، و يوضع فوق المقام و يربط ربطا جيدا، حتى لا يحركه السيل إذا دخل إليه، و بذلك يصير المقام ظاهرا للناس، محفوظا من وصول الأيدي و الأتربة إليه، و لا شك أن هذا عمل جليل يحمده كافة المسلمين.

و يستحسن أيضا إحاطة المقصورة من الداخل من جهاتها الأربع بألواح الزجاج و إنارتها ليلا بالمصابيح الكهربائية ليكون منظرها جميلا جدا خصوصا في وقت الحج، و لتكون المقصورة نظيفة من الغبار و محفوظة من وصول الخطابات و الأوراق التي يرميها العوام

و الجهلة من الحجاج فيها.

### الكسوة العراقية للكعبة

جاء في كتاب مدارس مكة للأستاذ ناجي معروف البغدادي ما نصه:

ذكر أن ابن جبير في رحلته كسوة الكعبة يوم النحر سنة (٥٧٩) هجرية فقال: سبقت كسوة الكعبة المقدسة من محلة الأمير العراقي إلى مكة على أربعة جمال، تقدمها القاضي الجديد بكسوة الخليفة السوادية و الرايات على رأسه، و الطبول تهز وراءه. فوضعت الكسوة على السطح المكرم أعلى الكعبة، فلما كان يوم الثلاثاء ثالث عشر من الشهر المبارك المذكور، اشتغل الشيبون بإسبالها خضراء يانعة، تقيد الأبصار حسنا، في أعلاها رسم أحمر واسع مكتوب في الصفح إلى المقام الكريم حيث الباب المكرم و هو وجهها المبارك بعد البسمة، إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِنَكَّةَ ... الآية.

و في سائر الصفحات اسم الخليفة و الدعاء له، و تحف بالرسم المذكور طرتان حمراوان بدوائر صفراء بيض، فيها رسم بخط رقيق يتضمن آيات من القرآن و ذكر الخليفة أيضا، فكملت كسوتها و شمرت أذيالها الكريمة صونا لها من أيدي الأعاجم و شدة اجتذابها و قوة تهافتهم و انكبابهم عليها، فلاح للناظرين منها أجمل منظر، كأنها عروس جلست في السندس الأخضر. اه منه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٥٣

### وجوب صون المقام

منذ أن أمر الله عز و جل بالصلاة خلف المقام في قوله: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَ جب علينا أن نتعهده بالحفظ و الوقاية بكل الوسائل المصونة له كما نحافظ على الحجر الأسود، و لنا في أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسوة حسنة، فقد اهتم و فزع و هو بالمدينة حينما بلغه أن السيل اقتلع المقام من موضعه، و ركب من ساعته حتى قدم مكة و أصلح من شأن المقام كما تقدمت الإشارة إليه، و أن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما حين هدم البيت جعل الحجر الأسود في دياج و أدخله في تابوت و أقفل عليه و وضعه عنده في دار الندوة، فلما بلغ البناء موضع الركن أمر بوضعه فيه كما ذكره الأزرقى في تاريخه، و ما ذاك إلا محافظة عليه و حرصا على صيانته، فالمقام مثله يجب صونه، و هؤلاء أهل الجاهلية كانوا وضعوه في جوف الكعبة حرمة له و حرصا عليه كما تقدم بيان ذلك، بل حتى بعد الإسلام كان المقام يجعل أحيانا في جوف الكعبة كما ذكره الفاسى في شفاء الغرام عن ابن جبير الأندلسى.

و لئن كان المقام في صدر الإسلام موضوعا على الأرض ظاهرا للناس فقد كان ذلك العصر المبارك عصر دين و علم و أمانة و شرف و أخوة و اتلاف فلا خوف على المقام و لا على غير المقام، أما في عصورنا المظلمة التي فسد فيها الزمن و ظهرت الفتن و قلت الأمانات و كثرت الخيانات و انتشر الدجالون و المحتالون فكيف لا يخاف على المقام و غير المقام؟ فكم من مرة تعدى أهل الخبال و الإجرام على الحجر الأسود فضرروه بالحديد حتى خرج منه بعض القطع فليس ببعيد إذا أن يتعدى على المقام بعض أهل الجرأة و الإفساد ممن أغواهم الشيطان بسرقة أو تكسيره إذا لم يكن في حرز مكين.

### وضع المقام في مقصورة

كان المقام في أرض المطاف من أيام إبراهيم عليه السلام إلى ما بعد الإسلام معروضا في أرض المطاف تأتي عليه السيول و الأمطار و معرضا للمس و اللمس فلا بد بمرور هذه الأحقاب الطويلة و العصور البعيدة أن يتغير نوعا ما و أن تتسع فتحتا القدمين و أن تمح آثار أصابع الخليل إبراهيم عليه السلام خصوصا و قد أظهر



التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٥٤

الإسلام فضله وازدحم الناس على استلامه وإن لم يؤمروا بذلك ما لم يحفظ في مكان لا- تصل إليه الأيدي، لذلك عملت له مقصورة عليها قبة و وضعت فوق المقام فبذلك صار في حرز مكين مأمون العاقبة، و لقد كان حجر المقام موضوعا على كرسى ملبس بصفائح الرصاص، ثم في سنة إحدى وأربعين ومائتين أمر أمير المؤمنين محمد المستنصر بالله بإبدال صفائح الرصاص بصفائح فضة، كما ذكر ذلك الإمام الأزرقى في تاريخه أخبار مكة.

و لم يعرف بالضبط أول من وضع له تابوتا، غير أنه قيل: إن أقرب وقت صنع فيه ذلك سنة عشر وثمانمائة، بمعنى أنه صنعت للمقام مقصورة ثابتة لا تنتقل ولا تتحرك، و إلا فقد كانت للمقام قبة قبل هذا التاريخ، فقد ذكر ابن جبير الأندلسى في رحلته- و قد حج سنة خمسمائة وثمانية و سبعين للهجرة- صفة المقام، ثم قال: لموضع المقام قبة مصنوعة من حديد موضوعة إلى جانب زمزم، فإذا جاءت أشهر الحج و كثرت الناس رفعت القبة الخشب و وضعت القبة الحديد. اه.

ثم إننا رأينا على أحد أعمدة المقام كتابة تدل على تجديد عمارته سنة ثمان و خمسين و ثمانمائة، و ذكر ابن فهد في تاريخه: أنه في سنة ثمان و عشرين و سبعمائة عمّر ابن هلال الدولة الشباييك الحديد المطيفة بالمقام. اه، ثم تجدد سقف المقام و قبه سنة تسعمائة ثم تجدد تعمير المقام سنة تسعمائة و خمسة عشر، و قام بتعميره محمد بن عبد الله الرومى بأمر الملك الأشرف قانصوه الغورى، ثم تجدد تعمير المقام بأمر الملك سليمان خان ابن السلطان سليم خان كما هو مكتوب فى أعلى المقام المواجه لباب الكعبة و الملك سليمان هذا هو الذى أهدى للمسجد الحرام المنبر الرخام الموجود به الآن، ثم تجدد تعميره سنة إحدى و ألف، ثم تجدد تعميره بأمر السلطان مراد بن أحمد خان سنة ألف و تسع و أربعين، ثم إن الأعام محمد كزلاار السلطان محمد بن إبراهيم خان أنفق على نقش قبه بالذهب و الألوان، و ذلك سنة ألف و اثنتين و سبعين، و لما حصل خلل فى رفرق المقام جدده محمد بيك سنة ألف و تسع و تسعين ثم إبراهيم بيك قام بتعمير جميع المقام و بنى أرضه بالرخام، و غير القبة و نقشها بالذهب، و شد حجر المقام و أحكمه بالفضة، و جدد موضع قدم إبراهيم عليه السلام بالفضة المطلية بالذهب، و ذلك سنة ألف و مائة و اثنتى عشرة، ثم إن محمد أفندى المعمار غير صندوق حجر المقام و أبدله بخشب و جلى صفائحه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٥٥

الأولى ثم أعاده، و ذلك سنة ألف و مائة و ثلاث و ثلاثين، ثم إن السلطان عبد العزيز العثمانى زاد فى ارتفاع قبة المقام نحو ذراع و نصف، و أمر بترميم المسجد الحرام، و ذلك سنة ألف و مائتين و تسع و سبعين، و لا ندرى هل عمل فيه أحد بعده شيئا أم لا؟. جاء فى هامش تاريخ الأزرقى المطبوع بالمطبعة الماجدية بمكة المشرفة سنة ١٣٧٥ ه سابع و خمسين و ثلاثمائة و ألف من الجزء الثانى عند ذكر ذرع المقام ما نصه: و فى عام ألف و مائتين و خمس و عشرين للهجرة حج سعود عبد العزيز الحجة السابعة، قال ابن بشر: و فى تلك الحجة كشف سعود القبة التى فوق صخرة مقام إبراهيم، و صارت الصخرة و القدمان الشريفتان بارزتين، و رآها الناس من أهل مكة و غيرهم، و رأيتها و هى صخرة بيضاء مربعة، طولها نحو الذراع و عليها سبيكة صفراء لا أدرى أذهب أم صفر مستديرة بالصخرة مكتوب فى السبيكة:

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا و لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ و هَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* و آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً و إِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ \* ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا و مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ و عَلَى الْقَدَمِينَ الشَّرِيفِينَ تَرَاب، و لا رأيت ما حو اليهما، و بين السبيكة و رأس الصخرة التى فيها القدمان نحو أربع أصابع. اه. باللفظ من هامش تاريخ الأزرقى.

و فى زماننا هذا، و نحن فى القرن الرابع عشر للهجرة، المقام موجود فى داخل تابوت خشبى عليه ستارة من الحرير مكتوب فيها آيات قرآنية و يحيط بالتابوت شباييك نحاسية مثبته على أربعة أعمدة بغاية الضبط و الإحكام، و على السقف قبة صغيرة ظريفة.

و لا ندرى من بنى هذه المقصورة بشكلها الحاضر هل هى من تعميرات إبراهيم بك التى أجزاها سنة ألف و مائة و اثنتى عشرة، أم

من إصلاحات السلطان عبد العزيز من سلاطين آل عثمان في زيادة ارتفاع قبة المقام كما ذكرناه؟ أم بنيت فيما بعد ذلك؟ و الظاهر أن سعود عبد العزيز المتقدم ذكره حينما كشف قبة المقام سنة (١٢٢٥) خمس و عشرين و مائتين و ألف لم يهدم مقصورة المقام كلها و لم يتعرض للشبائيك الحديدية، و إنما أزال القبة و سقف المقام و رفع الستارة و التابوت التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٥٦

الخشبي الذي فوق حجر المقام فقط كما يعلم ذلك لدى التأمل. و الله تعالى أعلم.

### فوائد وضع المقام في مقصورة

لوضع المقام في مقصورة أو نحوها لا تصل إليه أيدي الناس ثلاث فوائد:

الأولى: وقايته من التلف و التغيير بسبب احتكاك الناس به و مسحهم له، و بسبب الأمطار و الأتربة و الأهوية و غيرها، و لو كان محفوظا أيام الجاهلية داخل شيء لما تكسر و لما احتاج إلى إصلاح و شد كما تقدم بيان ذلك عند تطويق المقام بالذهب أو الفضة.

الثانية: حفظه من سرقة أو تكسيه ممن لا-ديانة له و لا-عقل كما حدث للحجر الأسود مرارا. و أشهر الحوادث في ذلك حادثة القرامطة الذين استولوا على مكة سنة ثلاثمائة و سبعة عشر هجريه و قتلوا فيها يوم التروية ثامن ذى الحجة الحجاج قتلا و طرحوهم في بئر زمزم ثم أرادوا أخذ المقام فلم يظفروا به، لأن سدن الكعبة أخفوه في شعاب مكة فاغتاظوا من ذلك و قلعوا الحجر الأسود و أخذوه معهم إلى بلدتهم (هجر) بالبحرين ثم في سنة (٣٣٩) تسع و ثلاثين و ثلاثمائة ردوا الحجر الأسود إلى مكة، و ذلك في خلافة المطيع لله الفضل بن المقتدر. و قال العلامة ابن ظهيرة القرشي رحمه الله في كتابه (الجامع اللطيف) ما نصه: و يروى أن رجلا يهوديا أو نصرانيا كان بمكة يقال له جريج فأسلم ففقد المقام في ذات ليلة فوجد عنده و كان أراد أن يرسله إلى ملك الروم فأخذ منه و قتل.

الثالثة: حفظ الناس من الوقوع في البدعة إذا استلموه أو مسحوه بأيديهم فإن مسح المقام أو تقبيله و كذلك الأعتاب و الأبواب و الشبائيك و إدخال الأيدي في حلقاتها بدعة لم يأت به الدين الحنيف و لم يفعلها أحد من الصحابة و التابعين و لا من العلماء و الصالحين، و إنما السنة الصلاة خلف المقام فقط من غير مسحه أو تقبيله، اللهم إلا الركن الأسود و الركن اليماني فإنه يسن مسحهما و استلامهما.

فقد روى الأزرقى في تاريخه أن عبيد بن عمير قال لابن عمر: إني أراك تراحم على هذين الركنين، فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: (إن استلامهما يحط الخطايا حطا) و روى فيه أيضا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه و سلم (أنه كان لا يدع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٥٧

الركن الأسود و الركن اليماني أن يستلمهما في كل طواف أتى عليهما، قال:

و كان لا يستلم الآخرين) و روى فيه أيضا عن عكرمة قال: (كان عمر بن الخطاب إذا بلغ موضع الركن قال: أشهد أنك حجر لا تضر و لا-تنفع و أن ربى الله الذى لا-إله إلا-هو، و لو لا-أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يمسحك و يقبلك ما قبلتك و لا مسحتك).

على أنه يشترط في مسحهما و تقبيلهما عدم حصول الأذية و الضرر، فقد روى الأزرقى في تاريخه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لعمر بن الخطاب: (يا عمر إنك رجل قوى و إنك تؤذى الضعيف فإذا رأيت خلوة فاستلمه، و إلا فكبر و امضى) و روى فيه أيضا عن عطاء أنه سمع ابن عباس يقول: إذا وجدت على الركن زحام فلا تؤذ و لا تؤذ.

فينبغي للمسلم أن يكون على بصيرة من أمر دينه القويم، و أن يتبع منهج السلف الصالح الذين مشوا على الصراط المستقيم، حتى لا يقع فيما يقع فيه العوام و الجهلة، و إذا أمكنه إرشاد أحد بالتى هي أحسن لم يحرم من الأجر و الثواب، فالدال على الخير كفاعله.

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان باللطف واللين كان أسرع إلى القبول والامتثال، وإذا كان بالعنف والغلظة كان أدعى إلى النفور والعداوة، قال الله تعالى: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

### الرد على من يقول: أن المقام كان مدفونا

يقول الأستاذ محمد لبيب البتونى فى كتابه "الرحلة الحجازية" بصحيفة ١٢٥ من الطبعة الثانية عن حجر مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام ما نصه:

"وكان هذا الحجر قبل الإسلام موضوعا بالمعجن إلى جوار الكعبة ثم أبعدها بعد الفتح حتى لا يكون هناك أثر للوثنية بالمرء، ودفن بمكانه الحالى، وبنى عليه فيما بعد القبة الحالية. ويقولون إن تحته آلة البناء التى كان يعمل بها إبراهيم فى الكعبة." اه.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٥٨

نقول: المعجن هو الحفرة الواقعة فى أرض المطاف على يمين باب الكعبة المشرفة و كان حجر المقام فى هذه الحفرة، لكن قوله: "ثم أبعدها بعد الفتح حتى لا يكون هناك أثر للوثنية بالمرء" غير صحيح مطلقا، فالمقام لم يبعده عن الحفرة لمحو آثار الوثنية، و البعد بين الحفرة التى كان فيه المقام ومكانه الحالى الذى هو فيه إلى اليوم لا يتجاوز أحد عشر مترا، فالذى يبعده فى الحفرة يبعده هنا أيضا فهذه المسافة القصيرة لا تطرد العابد عن وثنه، لكن لم يسمع فى التاريخ قط أن العرب فى جاهليتها عبدوا حجر المقام أو الحجر الأسود أو الكعبة مع أنهم كانوا يعبدون الأحجار، وهذا سر من الأسرار الإلهية وكرامة واضحة للحجرين الشريفيين و الكعبة المقدسة، على أنهم كانوا يحترمون كل ذلك و يقدسونه بدون عبادة لأحد منها.

و أما قوله: "و دفن بمكانه الحالى" غير صحيح أيضا، فإن حجر المقام لم يدفن تحت الأرض مطلقا فى الجاهلية و لا فى الإسلام، بل كان موضوعا فى أرض المطاف أحيانا و فى جوف الكعبة أحيانا أخرى، ثم فى مكانه الحالى.

و أما قوله: "و يقولون أن تحته آلة البناء التى كان يعمل بها إبراهيم فى الكعبة" هذا القول أيضا لا صحة له أبدا، لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يبن الكعبة بالطين و لا بالنورة و الجص، و إنما بناه بالرضم أى بحجارة بعضها فوق بعض كما أوضحنا ذلك فى محله، فمثل هذا البناء لا يحتاج إلى آلات و أدوات كما لا يخفى.

فما هذا القول إلا وهم و خيال لا حقيقة لهما، و انظر كيف جعل الله عز شأنه هذه الأحجار و هذا البناء البسيط محرمة مقدسة لدى جميع العالم، و جعل لها فى قلوب المؤمنين مكانة سامية، فسبحانه من إله عظيم الشأن واسع الفضل و الإحسان لا إله إلا هو العزيز الغفار.

### اقتراح المؤلف فى مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام

لقد كان مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى الجاهلية و صدر الإسلام مكشوبا بدون غطاء يراه الخاص و العام، و منذ نحو خمسة قرون عندما كان الحجاز و جميع الممالك الإسلامية تحت حكم الدولة التركية العثمانية، و من هذا التاريخ جعلت الحكومة التركية صندوقا خشبيا على نفس مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام و جعلت على هذا الصندوق ستارة من الحرير الجيد منقوشة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٥٩

بالذهب و الفضة عليها بعض الآيات القرآنية فأصبح هذا الشكل كأنه تابوت وضع على مقبرة.

فنترح رفع هذا الصندوق الخشبي و ما عليه من الستارة ليكون المقام الكريم مكشوبا يراه جميع الناس من أهل البلاد و الحجاج و أن يجعل فى داخل مقصورة المقام زجاج سميكة يحيط بالمقصورة من جميع الجهات بحيث لا يكون له منفذ لدخول الغبار و رمى

الأوراق فيه ليحفظ هذا المقام الكريم من كل شيء، وأن تجعل في داخل المقصورة لمبات كهربائية قوية تنير هذا المقام الكريم ليلا، وبذلك يكون المقام تحت أنظار المسلمين كافة، فإنه لا معنى لحجبه وستره عن أعين الناس.

### الأحجار الثلاثة التي صارت معجزة لرسول الله الثلاثة

بمناسبة الكلام على حجر المقام الذي صار معجزة خالدة لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، نذكر هنا على سبيل الاستطراد الحجر الذي فر بثوب موسى كليم الله و صار معجزة له أيضا صلى الله عليه وسلم، وكذلك نذكر الحجر الذي كان يسلم على نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم فنقول:

جعل الله عز وجل معجزات أنبيائه دلالة وبرهانا على صدق دعواهم حتى يستسلم قومهم للإيمان بهم، وسخر لهم ما شاء من أنواع الجمادات حتى يفهم العقلاء وخواص البشر ما لهم من المكانة السامية والمنزلة العليا عند الله عز وجل.

فإن الإنسان إذا كان في شك من أمر ثم رأى آية من الآيات اطمئن إليها وصدق من جاء بها. ولقد خص الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بكثير من المعجزات وأنواع شتى من خوارق العادات مما لا يعد ولا يحصى، فلقد وقع من الأمور شيء كثير وسيقع جميع ما أخبرنا به واحدة فواحدة حتى تقوم الساعة.

فكم من المغيبات ذكراف بعضها مضى وبعض سيرى

ومعجزات المصطفى ليست تعدو في الشفا منها كثير قد ورد

ونحن هنا لا نريد بيان معجزات الأنبياء، ولكن نريد ذكر الأحجار الثلاثة التي كانت معجزة للأنبياء الثلاثة الذين ذكرناهم عليهم الصلاة والسلام.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٦٠

فأما حجر مقام إبراهيم خليل الله فقد ذكره الله تعالى بقوله: **وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضِيًّا** وهو واقع أمام الكعبة المشرفة بقرب بئر زمزم، وهو حجر مربع الشكل طوله نحو ذراع وسأتي وصفه بالتفصيل قريبا إن شاء الله تعالى.

وأما حجر موسى كليم الله فقد ذكره الله تعالى بقوله: **وَ إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ**.

وهذا الحجر طوله نحو ذراع ومربع الشكل أيضا، ومعنى مربع أى مكعب له أربعة أوجه وهو الحجر الذي فر بثوب موسى عليه الصلاة والسلام حينما وضعه عليه وأراد الغسل، فقد روى البخارى فى كتاب بدء الخلق عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن موسى كان رجلا حيا ستيلا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فأذا من آذاه من بنى إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدره وإما آفة وإن الله أراد أن يبرأه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وأن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول:

ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل فأروه عريانا أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فو الله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا فذلك قوله:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا أَنْتَهَى**.

فتأمل أن النبى صلى الله عليه وسلم ليحلف بأن الحجر لندبا من أثر ضربه وهذه معجزة أخرى فإن المعروف أن الحجر يكسر العصا لأنها لينه ولكن هنا عصا موسى أثر فى الحجر وتركت فيه علامات الضرب كما أن ارتفاع حجر المقام بإبراهيم لبناء البيت معجزة وأثر قدميه فيه معجزة ثانية، ولا نتكلم عن معجزة عصا موسى لأننا نحن فى صدد معجزة الحجارات فقط.

وأما سلام الحجر على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو ثابت كما فى قوله: **"إِنِّى لِأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يَسْلَمُ عَلَى قَبْلِ أَنْ**

أبعث "رواه مسلم و أحمد و الترمذى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٦١

قال العلماء: سلام هذا الحجر على رسول الله صلى الله عليه و سلم كان خاصا بقبل البعثة كما هو صريح الحديث، و أما بعد البعثة فإن كثيرا من الأحجار كانت تسلم عليه.

و لم يحفظ من هذه الأحجار الثلاثة شىء سوى حجر المقام ليكون آية خاصة لإبراهيم عليه السلام و ذلك مصداقا لقوله تعالى: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ.

و إذا تأملنا أيضا قوله: وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ نجد أن كل ذلك منقبة لجنس الأحجار فإنها لما تشرفت بخدمة أنبياء الله تعالى حصل لها شرف القبول و التكريم، فكيف إذا بالمؤمنين الذين آمنوا بهم و آزرهم و نصرهم لا شك أن لهم شرفا كبيرا و قدرا رفيعا.

(و اعلم) أن سلام الأحجار على النبي صلى الله عليه و سلم سلام حقيقى و قدرة الله تعالى سالحة على ذلك. و مثله ارتفاع المقام و نزوله و مشيه بإبراهيم فى الهواء حول الكعبة. و مثله هروب حجر موسى بثوبه ثم وقوفه أمام الملائكة من بنى إسرائيل ثم نداء موسى للحجر و طلبه ثوبه منه بقوله: ثوبى حجر ثوبى حجر ثم تأديه للحجر بأن ضربه بعصاه حتى ظهر فيه أثر العصا، كل ذلك وقع من هذه الحجارة على الحقيقة معجزة و كرامة للأنبياء عليهم الصلاة و السلام.

و ما حنين الجذع إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ببعيد حينما جعلوا له منبرا فقد كان الجذع يصيح صياح الصبى و يئن أنينه بل يقول جابر بن عبد الله رضى الله عنهما:

سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبي صلى الله عليه و سلم فوضع يده عليها فسكنت. و انظر حديثه فى حنين الجذع من صحيح البخارى فى كتاب بدء الخلق فى باب علامات النبوة فى الإسلام.

و مما يلحق بما تقدم ما رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق فى الباب المذكور أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: تقاتلكم اليهود فتلطون عليهم ثم يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله، و جاء فى صحيح مسلم حديث بهذا المعنى أيضا فالحديث الثابت يدل صراحة أن الحجر يتكلم بكلام يسمعه الناس و يفهمونه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٦٢

و فى صحيح البخارى فى كتاب بدء الخلق فى الباب المذكور أيضا عن علقمة عن عبد الله قال: كنا نعد الآيات بركه و أنتم تعدونها تخويفا ... إلى أن قال:

فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه و سلم و لقد كنا نسمع تسييح الطعام و هو يؤكل.

فمعجزات الأنبياء عليهم الصلاة و السلام لا تنحصر، و فى ما تقدم كفاية للمؤمن العاقل، فلا تسمعن إلى قول من يؤول ذلك نسال الله السلامة من الفتن ما ظهر منها و ما بطن، فثبت اللهم قلوبنا على دينك و اشرح صدورنا لطاعتك و عبادتك آمين يا رب العالمين.

### أول تفكير فى تاريخ الإسلام لنقل مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام عن موضعه الأسمى

لقد فكرت حكومتنا السعودية فى نقل مقام إبراهيم عليه الصلاة و التسليم عن موضعه الأسمى الذى يبعد عن باب الكعبة المعظمة بمقدار اثنى عشر مترا، و تأخيره عن موضعه الأول إلى ما يقابله بمقدار الأمتار المذكورة تقريبا لتوسعة المطاف، و ذلك فى سنة (١٣٧٧) سبع و سبعين و ثلاثمائة و ألف هجرية بعد الانتهاء من تجديد سقف الكعبة المعظمة.

لقد عزمت الحكومة فى نقل هذا المقام الكريم عزا أكيدا حتى أنها بنت مقصورة جديدة عند باب بنى شيبه بمقدار المقصورة الأولى التى فى داخلها حجر المقام، ثم رجعت و أبطلت هذه الفكرة و هدمت هذه المقصورة الجديدة فى أسرع وقت بعد أيام من بنائها و

ذلك في يوم الأحد الموافق ٢٥ شوال سنة (١٣٧٧) هجرية تنازلا على الرأي العام، فإن جميع الناس في داخل المملكة و في خارجها لم يرضوا ذلك، قائلين: إن هذا المقام الكريم وضعه نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم في هذا المحل المعروف أو وضعه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فيه، لا يجوز نقله من محله الأصلي و وضعه في مكان آخر، و لا ينبغي لنا ذلك و نحن في آخر الزمان مغمورين في بحر الفتن و الشرور و الفساد.

ثم إن بعض العلماء في المملكة السعودية رأى أنه لا بأس بنقل مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام من محله الأصلي و تأخيره إلى محل آخر توسعه للناس في حال

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٦٣

الطواف، و رأى بعضهم عدم جواز نقله من محله الأصلي مطلقا، فألف بعضهم في جواز نقله مؤلفا، كما ألف بعضهم في عدم جواز نقله مؤلفا أيضا، فظهر في محرم سنة (١٣٧٨) هجرية رسالة صغيرة مطبوعة اسمها "مقام إبراهيم" عليه الصلاة و السلام و هل يجوز تأخيره عن موضعه عند الحاجة لتوسيع المطاف. ألفها الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني مدير مكتبة الحرم المكي، حكم في رسالته هذه بجواز نقل المقام عن موضعه.

ثم إن فضيلة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان، قام فألف كتابا في الرد على رسالة المعلمي اليماني المذكور، و سماه (نقض المباني من فتوى اليماني و تحقيق المرام فيما يتعلق بالمقام) و قد طبع هذا الكتاب في محرم سنة (١٣٨٣) هجرية بالقاهرة.

ثم إن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية ألف كتابا في الرد على كتاب الشيخ سليمان بن عبد الرحمن المذكور، سماه (نصيحة الإخوان ببيان بعض ما في نقض المباني لابن حمدان من الخبط و الخلط و الجهل و البهتان) و في آخر هذا الكتاب تلى رسالة أخرى اسمها (الجواب المستقيم في جواز نقل مقام إبراهيم) لسماحة المفتي المذكور أيضا.

ثم ظهر كتاب رابع اسمه (سبيل السلام في إبقاء المقام) لفضيلة الشيخ إبراهيم نياس الكاولخي شيخ الإسلام بجمهورية السنغال، برهن فيه على وجوب إبقاء المقام الكريم في محله الأصلي كما هو ظاهر من عنوان كتابه.

هذه هي الكتب التي ظهرت عن شأن نقل مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام في زماننا هذا عند توسعه المطاف لأول مرة في هذا التاريخ، و لم يكن في العصور الماضية من يخوضون في هذه المسألة مطلقا منذ ظهور الإسلام إلى اليوم، و مما يجدر بالذكر أن حكومتنا السعودية إلى وقت طبع هذا التاريخ القويم، لم تبد رأيا حاسما في مسألة نقل مقام إبراهيم عليه الصلاة و التسليم من محله، و الظاهر أنها صرفت النظر عنه و خيرا ما فعلت، فإنه و إن رأى بعضهم جواز نقل المقام الكريم من محله إلى محل آخر توسعه للناس، فبقاؤه في محله الأصلي أولى و أفضل، لمرور أربعة عشر قرنا عليه، و لثلا نثر تبليغ أفكار المسلمين في جميع الأقطار، و نحن في زمان الفتن و الشرور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٦٤

نسأل الله تعالى أن يحفظنا من الفتن ما ظهر منها و ما بطن، و أن يؤلف بين المسلمين و ينصرهم على أعدائهم، و أن يختم حياتنا على الإيمان التام و اليقين الكامل و العمل الصالح، و نحن على طهارة و نظافة، براحة تامة، في أبرك الأوقات و أشرق الساعات، و في بلده الطاهر الأمين، بفضل و رحمته آمين.

### وضع زجاج على مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام و رفع المقصورة الحديدية التي كانت عليه

لقد قررت رابطة العالم الإسلامي التي تعقد في موسم الحج من كل عام رفع المقصورة الحديدية التي كانت موضوعة فوق مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام منذ مئات السنين، و بوضع بدلا عنها زجاج قوى جميل على نفس المقام الكريم مع بقائه في محله الأصلي من غير تحريكه و لا زحزحته عن موضعه أبدا، و نرى أن هذا القرار هو نعم القرار، فيه راحة المسلمين بتوسعة المطاف، مع

بقاء المقام الكريم في محله الأصلي القديم.

ولقد نشر هذا القرار في الصحف المحلية، فقد ذكرت جريدة المدينة المنورة الصادرة بتاريخ ٨ صفر سنة ١٣٨٥ هجرية عن قرار المجلس ما يأتي:

أعلنت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة أن المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي قد اتخذ في جلسته الحادية عشرة المنعقدة بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٣٨٤ قرارا خاصا بمقام إبراهيم عليه السلام، وفيما يلي نصه:

تفاديا لخطر الزحام أيام موسم الحج وحرصا على الأرواح البريئة التي تذهب في كل سنة تحت أقدام الطائفين الأمر الذي ينافي سماحة الشريعة الإسلامية ويسرها و عدم تكليفها النفس البشرية أكثر مما في وسعها يقرر المجلس الموافقة على المشروع الآتي و رفعه إلى الجهات السعودية المختصة ...

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. أما بعد: فبناء على ما من الله تعالى به على حكومته هذه المملكة العربية السعودية من التوفيق لتوسعة الحرمين الشريفين توسعة لم يسبق لها مثيل في التاريخ الإسلامي و بناء على ما أفاء الله على هذه البلاد المقدسة في عهد هذه الحكومة الرشيدة من الخير العظيم والفضل العميم و ما يسره من توطيد الأمن في ربوع هذه الديار الإسلامية و تيسير

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٦٥

السبل لأداء فريضة الله على عباده في الحج إلى بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس و أمنا فقد أصبح عدد من يؤم البيت الحرام لأداء هذه الفريضة أضعافا مضاعفة عن ما كان عليه في الماضي حتى صار المسجد الحرام رغم هذه التوسعة العظيمة يضيق بالوافدين إليه و من المأمول إن شاء الله أن يزداد عدد الحجيج في المستقبل عاما بعد عام، و إن أشد ما يقع الزحام و الضيق الآن بعد توسعة المطاف هذه التوسعة الكبيرة التي شكرها المسلمون جميعا لحكومته هذه البلاد في الجزء من المطاف الذي يقع بين الركن الذي فيه الحجر الأسود، و بين مقام إبراهيم و يحصل بسبب ذلك الزحام للطائفين على اختلاف أنواعهم، من الحرج و المشقة ما الله تعالى به عليم. كما يقع الخلل في هذه العبادة الشريفة و هي الطواف الذي هو أحد أركان الحج التي لا يتم الحج إلا بها، لفقدان ما يطلب به في هذه العبادة من الخشوع و الخضوع و التذلل لله تعالى و صدق التوجه إليه حتى أن المرء لينسى من شدة الزحام و المضايقة، أن في عبادة الله عز و جل لا- يهتم إلا- بتخليص نفسه و تخليص من معه إن كان معه من يحتاج إلى التخليص من الضعفة و الخصام و المشاتمة و العراك و المضاربة بالأيدي، بل لقد زاد الأمر على ذلك و أدى إلى الموت الزؤام و إزهاق بعض الأرواح من الضعفة و الشيوخ و النساء دهسا بالأرجل كما حصل ذلك في السنوات الأخيرة و في هذه السنة بالذات حيث قد مات في المطاف بسبب الزحام عدد من الأنفس، و قد ارتفعت هذه الشكوى إلى الله تعالى ثم إلى ولاة الأمور في هذه المملكة من كل من شاهد بعيني رأسه هذه الأخطار العظيمة و المضار الجسمية التي تلحق الطائفين في هذا الجزء من المطاف مطالبين و ملحين بوجوب إيجاد حل سريع لهذه المشكلة التي هي على جانب كبير من الأهمية و الخطورة و على ضوء هذه الحوادث البالغة الخطورة و التي لا يجوز لأهل العلم و حماة الشريعة الإسلامية السكوت عليها، و التغاضي عنها لأن من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم فقد طلب سماحة رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ طرح هذه القضية على بساط البحث في جلسة المجلس المنعقدة في مساء يوم الاثنين الموافق (٢٤-١٢-١٣٨٤) هجرية أن يبدى حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء المجلس التأسيسي آراءهم فيه على هدى نصوص كتاب الله تعالى و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم و أحكام الشريعة السمحة التي جاءت بالخير و الرحمة و رفع الضيق و الحرج عن هذه الأمة الإسلامية. و بعد البحث و المذاكرة و تداول الرأي بين الجميع تقررت الموافقة بإجماع الآراء على ما يأتي:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٦٦

١- بالنظر لما تدعو إليه الضرورة في أيام مواسم الحج من توسعة المطاف في الجزء الذي بين الحجر الأسود و مقام إبراهيم فإنه يجب

على الفور حلا لهذه المشكلة العظيمة إزالة جميع الزوائد الموجودة حاليا في هذا الجزء من المطاف كالهيكل القائم على مقام إبراهيم عليه السلام و كالعقد المسمى باب بنى شيبه لأن جميع هذه الزوائد لا تمت إلى مقام إبراهيم بأى صلة، كما أن الهيكل الموجود حاليا فوق مقام إبراهيم لم يكن موجودا في صدر الإسلام إنما هو من المحدثات التي أحدثت في القرون الوسطى كما هو مدون في كتب التاريخ و معظم الزحام إنما ينشأ من وجود هذه الزوائد التي لا ضرورة لبقائها بل بإزالتها يزول عن الطائفين و القائمين و الركع السجود الكثير من الضيق و الحرج و المشقة و ذلك عملا بمقتضى قوله تعالى: **وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** و قوله تعالى: **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ و قوله تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ و خَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا و حديث: (يسروا و لا- تعسروا) و غيره من الأحاديث الشريفة الواردة في هذا المعنى.**

٢- و أن يجعل مقام إبراهيم عليه السلام بدلا من الهيكل الحالى بعد إزالته صندوق من البلور السميكة القوى على قدر الحاجة فقط، و يكون مدورا و بارتفاع مناسب لثلاث طائفون، و بذلك تحصل التوسعة لهذا الجزء من المطاف و يزول كثير من الحرج و المشقة و الضيق كما يتسنى للكثير من العامة رؤية مقام إبراهيم من غير أن تصل أيديهم إليه و معرفة المقام على حقيقته و أن الحجر الذى كان يقوم عليه إبراهيم عند رفع القواعد من البيت لأن كثير من العوام يظنون أن بداخل الهيكل الموجود حاليا قبرا لإبراهيم عليه السلام.

٣- أن يتقدم بالتماس باسم رابطة العالم الإسلامى إلى حكومة جلاله الملك فيصل المعظم رجاء تنفيذ جميع ما ذكر على الفور و قبل حلول موسم الحج القادم، و بالله التوفيق.  
انتهى من الجريدة المذكورة.

هذا ما قرره رابطة العالم الإسلامى بشأن مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام الذى هو أمام باب الكعبة المعظمة، و إننا نأمل أن نضع صورة القاعدة الزجاجية البلورية فى آخر هذا الكتاب إذا تمكنا من أخذ صورتها، إن شاء الله تعالى.  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٦٧

### تجديد مقصورة مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام

كنا اقترحنا فى كتابنا "مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام" المطبوع بمطبعة مصطفى البابى الحلبي و أولاده بمصر فى سنة (١٣٦٨) هجرية لأول مرة، و ذلك بصحيفة ١٣١ بأن ترفع الحكومة السعودية الستارة و التابوت الخشبى من فوق المقام الكريم، و تغطيه بغطاء زجاجى قوى سميكة، و تقدمنا أيضا بهذا الاقتراح إلى الجهات المختصة.

ثم قام مشروع توسعة المسجد الحرام بعد ذلك أى فى سنة (١٣٧٥) هجرية إلى وقتنا هذا و قد أوشك على الانتهاء، و الآن و ما زال المشروع قائما عزمنا حكومة السعودية على كشف مقام سيدنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام و رفع الستارة و التابوت الخشبى أى الصندوق من فوق، و إزالة المقصورة الحديدية عنه توسعة للمطاف لراحة الطائفين، و وضع غطاء زجاجى عليه، ليظهر هذا المقام الشريف الكريم لكافة الناس مدى الأيام و الأعوام.

و بالفعل فقد نجح اقتراحنا و لله الحمد، و ذلك بعد تسعة عشر عاما من طبع كتابنا المذكور، فلكل أجل كتاب، و لكل شىء وقت معلوم، لقد بقى هذا المقام الكريم بجوار الكعبة المعظمة منذ آلاف السنين معجزة ظاهرة خالدة، و كرامه و ذكرى لخليل الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام، و زيادة فى تكريمه و تشريفه أمرنا الله تبارك و تعالى أن نصلى عند مقامه الشريف، كما جاء ذلك صريحا فى سورة البقرة فى قوله تعالى: **وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ و هو واقع أمام باب الكعبة المعظمة، فالناس يصلون عنده منذ نزول هذه الآية الكريمة إلى قيام الساعة فما أعظم هذه المنقبة و ما أعظم هذه الذكرى لخليل الله تعالى صلى الله عليه و سلم، و إذا تأملت فى قوله تعالى فى سورة آل عمران: **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا و هُدًى لِّلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ****



مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ظهر لك فضل البيت الحرام و مقام إبراهيم عليه السلام، فما أكرم خليل الله تعالى على ربه عز و جل.

إذا تأملت في هاتين الآيتين الكريمتين تسبح في آفاق بعيدة من ملكوت الله تعالى، و يظهر لك كثير من دقائق الأمور الخافية على غيرك.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٦٨

فلقد أحسنت حكومتنا السعودية في كشف هذا المقام الكريم، و وضع غطاء زجاجي عليه، مع المحافظة على محله الأصلي و عدم زحزحته عنه، ليظهر للعالم الإسلامي حقيقة هذا المقام الكريم، فإن العوام يظنون هذا المقام عبارة عن موضع قبر خليل الله إبراهيم عليه أفضل الصلاة و السلام و التسليم، و بعضهم يظن أن موضع صلاته و عبادته، و ليس الأمر كذلك بل إنه عبارة عن حجر من جنس الرخام، طلع فوقه سيدنا إبراهيم صلوات الله و سلامه عليه، لبنى عليه بيت الله الكريم بعد أن ارتفع جدرانها، فإنه ما كان يستطيع البناء و هو واقف على الأرض فكان هذا المقام بمثابة السلم و السقالة الخشبية التي يعملها بناؤون للوقوف عليه عند البناء، و لم يكن في وقته صلى الله عليه و سلم بمكة من يعرف صنع السلالم و السقالات، لقله الناس و قرب عهدهم بالإقامة و السكنى بها، و المعيشة البدائية و عدم معرفتهم لأمر الحاضرة و المدينة. فكان هذا المقام الكريم إذا صعد عليه سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة و التسليم للبناء، ينتقل به بأمر الله تعالى يمينا و شمالا، و يرتفع به إلى الأعلى و ينزل به إلى الأرض حسب طلبه و رغبته. فلما أكمل صلى الله عليه و سلم بناء الكعبة المعظمة، أمر الله تعالى أن يؤذن في الناس بالحج، فقام صلى الله عليه و سلم مرة أخرى على هذا المقام الكريم فأذن في الناس بالحج، أى نادى في الناس بالحج إلى هذا البيت الحرام، كما جاء ذلك صريحا في قوله تعالى في أوائل سورة الحج: **وَ أذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** لما أمره الله تعالى بالأذان قال عليه الصلاة و السلام: يا رب كيف أبلغ الناس و صوتي لا ينفذهم، فقال له جل جلاله: ناد و علينا البلاغ، فقام على حجر المقام فقال: يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه، فبلغ صوته أرجاء الأرض و أسمع من فى الأرحام و الأصلاب، و أجابه كل من كتب الله تعالى له أن يحج إلى يوم القيامة: **لييك اللهم لييك**. و الله على كل شىء قدير "فمعجزات الأنبياء عليهم الصلاة و السلام كثيرة لا تعد و لا تحصى، و إلى بناء البيت الحرام و الأذان على المقام، أشار صاحب عمود النسب رحمه الله تعالى بقوله:

و كلما طال البناء ارتفعابه المقام فى الهوا و رفعا

به القواعد و فيه القدم تشبهها للهاشمى قدم

و حين بالحج الخليل أذناو فى كلا أذنيه إصبعا ثنى

أيضا كأطوال الجبال ارتفعابه و كل من يحج أسمعا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٦٩

فلما قام سيدنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام على حجر مقامه غاصت قدماه الشريفتان فيه غوصا عميقا بمقدار نصف ارتفاع الحجر تقريبا، لبقى هذا الأثر المبارك الشريف إلى قيام الساعة، و لقد حافظ سيدنا إبراهيم الخليل صلوات الله و سلامه عليه على حجر المقام بعد انتهائه من بيت الله الحرام و أذانه فى الناس بالحج، فوضعه فى أشرف مكان و أكثره أمنا، و ضعه عند بيت الله الحرام الذى لا تمتد إليه يد بسوء، فكان فى داخل الكعبة المعظمة، و أحيانا كانت قريش تضعه بجوارها ملاصقا لها، آلاف السنين حتى جاء الإسلام فلما أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالصلاة عنده، أخروه إلى منتهى المطاف من جهة باب الكعبة، حتى يتمكن المصلون عنده من الصلاة بدون تشويش و يتمكن الطائفون أيضا من الطواف بدون التعثر بالمصلين، فرضى الله تعالى عنمن كان السبب فى تأخيره إلى محله اليوم، فلو بقى المقام بجوار الكعبة إلى اليوم فكيف كانت حالة الطائفين و المصلين عنده، و نحن نرى هذا الازدحام العظيم فى المطاف فى مواسم الحج فى زماننا هذا.

واعلم أن قدمي خليل الله إبراهيم تشبهان تماما قدمي نبينا "محمد" صلوات الله تعالى و سلامه عليهما و على جميع الأنبياء و المرسلين و آل كل واحد منهم و صحابتهم أجمعين، كما أثبتته العلماء الأعلام، و كما تقدم هنا من قول القائل:

به القواعد و فيه القدم تشبهها للهاشمي قدم

أما ما يرى من توسع فتحتي القدمين في حجر المقام الكريم، فقد حصل ذلك من كثرة مسح الناس له بأيديهم للتبرك منذ آلاف السنين. و قد كانت آثار أصابع قدمي الخليل عليه الصلاة و السلام ظاهرة واضحة على المقام الكريم حتى بعد ظهور الإسلام، فقد جاء في موطأ ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: رأيت المقام فيه أصابع إبراهيم و أخصم قدميه غير أنه أذهب مسح الناس بأيديهم. اه. و لقد أشار أبو طالب عم نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم إلى هذا المقام و الحجر الأسود الشريفين، في قصيدته اللامية المشهورة التي أولها:

و لما رأيت القوم لا ودّ عندهم و قد قطعوا كل العرى و الوصائل

قال هذه القصيدة حين تحالفت قريش على بني هاشم في أمر النبي صلى الله عليه و سلم، و أشار أبو طالب إلى الحجر الأسود و المقام في قصيدته المذكورة بقوله:

و بالحجر المسود إذ يمسخونه إذا اكتنفوه بالضحي و الأصائل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٧٠ و موطئ إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل و اعلم أن سيدنا إبراهيم خليل الله تعالى باني البيت الحرام، لم يكن عند بنائه الكعبة المعظمة و قيامه على هذا المقام، يلبس في رجله نعلان لأنه في أقدس بقعه مباركة و أطهر مكان، إذ كانت أرض مكة و ما حولها من حدود الحرم و ما بعدها أيضا، طاهرة نظيفة تغسلها الأمطار من الغبار و أوراق الأشجار البرية، فلم يكن بمكة في أيامه صلى الله عليه و سلم تلك الأيام الغابرة أناس، إلا نحو ثلاثين بيتا متباعدة في الجبال و المغارات حول الكعبة المشرفة، و لم تكن لديهم من الحيوانات إلا القليل من الغنم لا تتجاوز الخمسين رأسا، و كلها كانت لقبيلة جرهم، فكيف تنتجس الأرض فلا روث و لا نجاسة. ثم بعد سنوات من إقامة سيدنا إسماعيل بن خليل الله إبراهيم عليهما الصلاة و السلام ازداد سكان مكة بلد الله الأمين، شيئا فشيئا بالتدريج، من بلاد اليمن أولا لقربها من مكة، ثم من غيرها من جميع أطراف الأرض بمرور الأيام و الأعوام خصوصا بعد انتشار الإسلام، حتى امتلأت مكة المكرمة شرفها الله تعالى في عصرنا هذا من جميع الأجناس، و نحن بيننا و بين زمان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام أكثر من أربعة آلاف سنة.

و الذي يدلنا أن سيدنا إبراهيم عليه أفضل الصلاة و التسليم، كان عند بنائه للبيت الحرام حافيا لا يلبس نعلان، هو وجود آثار أصابعه صلى الله عليه و سلم و أخصم قدميه في حجر مقامه الكريم، و قد كانت ظاهرة واضحة فيه إلى ما بعد ظهور الإسلام، كما يدل عليه الرواية المتقدمة عن أنس رضي الله تعالى عنه، و كما يدل عليه أيضا قول أبي طالب في قصيدته اللامية و قد تقدم ذكره و هو:

و موطئ إبراهيم في الصخرة رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

فقوله "حافيا غير ناعل" صريح بذلك من غير شك، و أبو طالب هو عم نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم و هو من سادات العرب و وجهاء مكة، بيننا و بينه اليوم ألفان من الأعوام، و بينه و بين سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام مثل ذلك بل أكثر.

واعلم أيضا أن الحجر الأسود و المقام هما ياقوتتان من يواقيت الجنة، أنزلهما الله تعالى إلى الأرض تكرمه لبيته الحرام، و لخليله عليه السلام، و لعباده المؤمنين الكرام، بعد أن أخفى سرهما و نورهما عن الناس، و لو لا ذلك لملا الدنيا نورا و بهاء، و لما تمكن الناس من النظر إليهما تماما لشدة صفاء نورهما و لقوة و هج إشعاعهما، فسبحان الذي جعل لبعض الأشياء فضلا و كرامة. و يفهم هذا جليا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٧١

من معنى قوله صلى الله عليه و سلم "لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت إلى الأرض لملاأت الأرض من ريح المسك و لأذهبت ضوء الشمس و القمر" رواه الطبراني، هذا ما نعتقده و الله سبحانه و تعالى أعلم، فقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "إن الركن

والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله تعالى نورهما و لو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب" رواه الترمذى و أحمد و الحاكم و ابن حبان رحمهم الله تعالى.

و إليك البيان بالتفصيل عن إزالة المقصورة الحديدية القديمة لمقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام، و رفع الستارة و الصندوق الخشبي من فوقه، و وضع الزجاج القوى عليه، مع شباك حديدى جديد، أى مقصورة حديدية جديدة بدلا عن الأولى:

و لقد أنيط هذا العمل بمكتب مشروع توسعه المسجد الحرام بمكة المكرمة برئاسة سعادة الشيخ محمد صالح القزاز، فابتدؤوا فى العمل من صباح يوم السبت الموافق الحادى عشر من شهر رجب سنة (١٣٨٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و ثمانين هجرية، فأحاطوا مقصورة المقام الكريم بالأخشاب من جميع الجهات الأربعة و جعلوا فيها بابا للدخول و الخروج، و هذه الإحاطة بالأخشاب تمكن العمال من الاشتغال فى المقام بدون تشويش من الناس الذين يجتمعون عنده، فلا يدخل عليهم من باب الأخشاب إلا العمال و الخدم، و بعض الأشخاص من الموظفين الكبار، و الفضلاء من العلماء و الوجهاء، و لقد دخلناه مع الداخلين و لله الحمد، لنكتب عنه هذا المبحث الفريد فى كتابنا هذا الذى يطبع الآن فى بيروت، و فى كتابنا الآخر أيضا المطبوع بمصر و هو كتاب "مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام" عند إعادة طبعه قريبا للمرة الثانية إن شاء الله تعالى، و هذه هى المرة الثانية فى حياتنا ندخل هذا المقام الكريم، و أما المرة الأولى فقد دخلناه منذ عشرين عاما أى فى سنة (١٣٦٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و ستين هجرية، و ذلك بأمر ملكى عندما بدأنا فى تأليف كتابنا "مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام" فالحمد لله رب العالمين، و صلى الله و سلم على جميع الأنبياء و المرسلين. و بمناسبة إحاطة المقام الكريم بالأخشاب نقول: إن سيدنا عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما هو أول من أحاط الكعبة المعظمة بالأخشاب عند بنائه لها، و ذلك سنة (٦٤) أربع و ستين من الهجرة، حرمة للكعبة المعظمة أولا، و ليتمكن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٧٢

العمال من الاشتغال فى البناء براحة تامة بدون تشويش عليهم من الناس المجتمعين، فصار الناس يتبعون سنته فى البناءات المحترمة المهمة إلى يومنا هذا، فنعمت البدعة هذه البدعة الحسنة، و رضى الله تعالى عن صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم أجمعين.

ثم إنه فى اليوم المذكور و هو يوم السبت ١١ رجب من السنة المذكورة أزالوا باب بنى شيبه و هو العقد القائم خلف مقام إبراهيم عليه أفضل الصلاة و التسليم، و بجوار بئر زمزم و المنبر، و هو الذى كان يسمى قديما منذ صدر الإسلام بباب السلام، و الذى يسن الدخول منه إلى المسجد الحرام، فقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يدخل منه إلى المسجد الحرام و يخرج منه أيضا، و قد كان باب بنى شيبه حد المسجد الحرام من الجهات الثلاثة، فى زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم و زمن أبى بكر رضى الله عنه، و ما وراء ذلك هو من زيادات الخلفاء أمراء المؤمنين، رضى الله تعالى عنهم، و سمى هذا الباب بباب بنى شيبه لوقوع دورهم فى مواجهته، و كذلك دخول و خروج رسول الله صلى الله عليه و سلم منه إلى المسجد الحرام لوقوع داره فى جهته أيضا، فمحل باب بنى شيبه الذى أزيل اليوم هو حد المسجد الحرام و حد المطاف القديم أيضا، و مرادنا بالقديم هو الذى حصل فيه الزيادة اليوم فى زماننا لأن المسجد الحرام كان هو المطاف القديم سواء بسواء، فلما زاد الخلفاء فى المسجد الحرام عملوا حدا للمطاف القديم، و فى زماننا هذا زادوا فى المطاف القديم و وسعوه لكثرة الناس. بينا ذلك بالتفصيل التام فى هذا الكتاب، و لقد تكلمنا عن باب بنى شيبه فى غير هذا المحل من هذا الكتاب (و بعد إزالة باب بنى شيبه وضع مكانه رخام أسود إشارة إلى محله).

ثم إنه فى يوم الأحد ١٢ رجب سنة ١٣٨٧ هجرية قاموا بإزالة المقصورة الحديدية المحيطة بالمقام الكريم على صاحبها أفضل الصلاة و التسليم، و هذه المقصورة القديمة أى نفس الشباك الحديدى طولها ثلاثة أمتار و عرضها مثل ذلك، و ارتفاعها مثل ذلك، و مساحة المصلّى الذى يلي المقصورة مثل ذلك أيضا أى ثلاثة أمتار.

ثم فى يوم الاثنين ١٣ رجب من السنة المذكورة قاموا برفع ما بقى من الأنقاض و الأحجار و الأتربة حتى بلغوا الأساس القديم، و لقد وجدوا أن المقام الشريف مركب على قاعدة من الحجر المربع طوله خمسون سنتيمترا و عرضه مثل

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٧٣

ذلك، قد جس هذا الحجر بأربعة أسافين من الحجارة الضخمة، تثبيتاً له حتى لا يتزحزح عن مكانه، فلم يمس العمال هذا الحجر بسوء بل لم يزل في مكانه وهذا الحجر ينزل عن سطح أرض المطاف بنصف متر، و يظن الذي رأى هذا الحجر أنه من وضع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه والله تعالى أعلم.

فقولنا "حتى بلغوا الأساس القديم" أى: بلغوا جوانب الأساس من غير أن يمسوا نفس الأساس، ومن غير أن يحركوا نفس حجر المقام الكريم، فكل شىء قديم بقى على ما هو عليه.

ولقد وجدوا فى هذا المحل قطعة من خشب الساج القوى طولها ٢٧ سنتيمتراً و عرضها ١٦ سنتيمتراً و سمكها، أى غلظها اثنين من السنتيمترات مكتوب فيها حفراً بالحديد ما يأتى:

"سلطان عبد العزيز خان حضر تلى زمان سلطنتلى إماره مكة مكرمه الشريف عبد الله باشا حضر تلى، حقى باشا زاده أحمد عزت باشا حضر تلى.

جدد ... مهندس عبد العزيز نظارت معمارى محمد صديق كابللى معرفتلى خليل إبراهيم ... معلمى رصاص مصرى محمد بن إبراهيم سنه ١٢٨١ هـ صفر."

انتهى ما كان مكتوباً على القطعة الخشبية، وهذا النوع من الخشب يقال له "الساج" وهو نوع لا يوجد أقوى منه من الأخشاب، فلا يدخل فيه السوس ولا يأكله التراب، فإذا نظرنا إلى تاريخ وضع هذه القطعة الخشبية فى المقام الكريم وهو سنة (١٢٨١ هـ) وإلى هذه السنة التى وقع فيها إصلاح المقام الكريم، وهى سنة (١٣٨٧ هـ) رأينا أنه قد مر على هذه القطعة الخشبية أكثر من مائة عام، وهى سليمة سالمة من السوس والتآكل كما رأيناها بأنفسنا.

والكلمات التى لم تتمكن من قراءتها فى هذه القطعة الخشبية وضعنا بدلاً عنها بعض النقط كما تراها هنا، لأن هذه الكتابة مكتوبة باللغة التركية و بحروف عربية، بخلاف اللغة التركية فى عصرنا اليوم فإنهم يكتبونها بالحروف اللاتينية، فلقد استبدلت الأتراك الحروف العربية بالحروف اللاتينية بعد الحرب الأولى، أى:

من سنة (١٣٤١) ألف و ثلاثمائة و إحدى و أربعين هجرية تقريباً، أى بعد سقوط الخلافة الإسلامية من أيديهم.

(و اعلم) أن القطعة الخشبية من الساج التى وجدت فى داخل المقام الكريم، لم توضع هناك منذ يوم وضع المقصورة الحديدية القديمة فوق المقام الشريف، وإنما

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٧٤

وضعت فيه فى زمن حكم السلطان عبد العزيز خان من آل عثمان الأتراك سنة (١٢٨١) هجرية كما هو مذكور صريحاً فى القطعة الخشبية، فالسلطان عبد العزيز خان رحمه الله تعالى و أحسن إليه، أمر فى هذه السنة المذكورة بتطويق الحجر الأسود بالفضة، كما أمر بترميم المسجد الحرام، و أمر أيضاً بزيادة رفع قبة مقصورة المقام الكريم، فرفعوها نحو ذراع و نصف، حتى لا تمس الرفارف التى حول المقصورة من الأعلى رؤوس الناس فأراد القائم على هذه الأعمال فى المسجد الحرام تسجيل هذا العمل للسلطان المذكور، فوضع القطعة الخشبية المذكورة بعد أن كتب عليها التاريخ مع الجملة المذكورة، فى أشرف مكان و آمنه و هو داخل مقام سيدنا إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة و السلام. و الله تعالى أعلم، فرحم الله تعالى المتقدمين منا و رحمنا إذا عدنا إليهم بفضلهم و كرمهم آمين.

ثم فى يوم الثلاثاء ١٤ رجب من السنة المذكورة رفعوا الغطاء الداخلى الذى كان موضوعاً فوق المقام الشريف، و هو صندوق خشبى عليه ستارة من الحرير المكتوب، ثم عملوا حول المقام الكريم من الأرض إلى أعلاه، قاعدة من الرخام تحيط به، و هى على شكل سداسى تقريباً، طولها مائة و ستون سنتيمتراً، و عرضه مائة و عشرة سنتيمتراً، و ارتفاعه خمسة و سبعون سنتيمتراً، و الصندوق المذكور

كله ملبس بالفضة، وقد كتب عليها بعض آيات قرآنية، ونحن ذكرناها بالتفصيل في كتابنا المطبوع بمصر وهو كتاب "مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام" وفيه بيانات كثيرة عن هذا المقام الكريم فليرجع إليه من شاء.

ثم في يوم الأربعاء ١٥ رجب من السنة المذكورة، صار يشتغل العمال بتكميل تركيب القاعدة الرخامية الجديدة المذكورة، و الرخام لونه أسود مأخوذ من جبال تبعد عن مكة المشرفة بنحو مائة كيلومتر.

ثم في يوم الخميس ١٦ رجب من السنة المذكورة وضعوا قاعدة نحاسية مدورة مثقوبة من وسطها زنتها ستمائة كيلو، و الثقب على قدر ما يظهر المقام الكريم فقط، و قطر الثقب أربعون سنتيمترا، و فوق القاعدة النحاسية وضعوا الغطاء الزجاجي على نفس المقام الكريم، ثم ركبوا عليه المقصورة الحديدية الجديدة و هي الشباييك، و هي أصغر حجما من المقصورة القديمة الأولى، فطولها متر واحد و ستون سنتيمترا، و عرضها متر واحد و عشرة سنتيمترات، و ارتفاعها إلى هلالها ثلاثة أمتار، أي أن حجم المقصورة الجديدة أصغر من المقصورة القديمة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٧٥

لتوسعه المطاف، و قد اشتغلوا يوم الخميس إلى منتصف ليلة الجمعة في العمل في الإصلاح و تثبيت المقصورة في الأرض.

ثم في يوم الجمعة ١٧ رجب من السنة المذكورة، عملوا في تنظيف ما حول المقام الكريم مما بقي من آثار العمل و الشغل، حتى صار المكان في نظافة تامة ليس فيه أثر للأتربة و الغبار، و الحمد لله رب العالمين.

ثم في يوم السبت ١٨ رجب من السنة المذكورة، رفعوا الأخشاب التي أحاطوا بها مقصورة المقام الكريم في ابتداء العمل، ثم بعد عصر هذا اليوم المذكور صار الاحتفال برفع الستارة عن مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام، و ذلك بحضور جلالة الملك المعظم فيصل بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، و بحضور السادة الأمراء و العلماء و الوزراء، و أعضاء المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، و أعيان البلاد و فضلائها و جمع غفير من الناس. ثم قبل غروب الشمس من اليوم المذكور بنحو ساعة، حضر إلى المسجد الحرام جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود سعود فطاف بالبيت الحرام ثم قصد المقام فضلى عنده ركعتي الطواف، ثم قام يكشف الستارة عن غطاء هذا المقام الكريم إيذانا بانتهاء العمل فيه، و ترك الناس يوالون الصلاة عند هذا المقام الكريم كما كانوا، عملا بقوله تعالى: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضَمًّا ثُمَّ أُعْطِيَ جلالته مفتاح المقصورة الجديدة لآل الشيبى سدة الكعبة المعظمة و قد عملوا للمقصورة الجديدة قفلا جديدا، فالحمد لله الذى أرانا هذه التجديدات و التوسيعات العظيمة في المسجد الحرام و في البلد الحرام، و وفقنا لتأليف أعظم تاريخ لمكة المكرمة و أصح تاريخ لمقام سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، و الكتابان مطبوعان بفضله و رحمته و إحسانه و منته.

انظر: صورة رقم ٩٢، الكعبة المعظمة

انظر: صورة رقم ٩٣، المقصورة الجديدة لمقام إبراهيم عليه السلام

انظر: صورة رقم ٩٤، المقصورة الحديدية الجديدة لمقام إبراهيم عليه السلام

و إليك بعض البيانات أيضا عن تجديد مقصورة المقام الكريم و الغطاء الزجاجي بالتفصيل:

لقد قام مشروع توسعة المسجد الحرام بمكة المكرمة، بعمل الغطاء الزجاجي لمقام سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، في فرنسا في مصنع خاص هناك لعمل

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٧٦

الكريستال "أى لصنع البللور" فصنعوا هذا الغطاء بصفة خاصة تناسب لهذا المقام الشريف، و قد استغرق صنع هذا الغطاء ستة آلاف ساعة، و إليك وصف هذا الغطاء:

(١) شكله كالقبة نصف كرة، في أعلاها في الوسط حلقة جميلة كالسدادة من نفس البللور.

- (٢) وزنه ألف و سبعمائة و خمسون كيلو جراما.  
 (٣) و ارتفاعه متر واحد و ثلاثون سنتيمترا.  
 (٤) و سمكه و غلظه عشرون سنتيمترا من كل الجهات.  
 (٥) و قطره من أسفله من الداخل أربعون سنتيمترا.  
 (٦) و قطره من أسفله من الخارج ثمانون سنتيمترا.  
 (٧) محيط دائرته من أسفله متران و واحد و خمسون سنتيمترا.  
 (٨) و القاعدة النحاسية التي فوقها الغطاء البللورى زنتها ستمائة كيلو جراما.

(٩) و لهذا الغطاء الزجاجى البللورى قاعدة نحاسية خاصة مخروقة من الوسط، موضوعة على القاعدة الرخامية السوداء للمقام الكريم، ثم وضع هذا الغطاء البللورى فوق القاعدة النحاسية زيادة فى تثبيته و تقويته، فصار المقام الكريم له منظر جميل و هو يرى بوضوح من الغطاء البللورى.

إننا أخذنا جميع هذه المعلومات مع الشكر من سعادة الشيخ صالح باخطمه مساعد المدير العام لمكتب مشروع توسعة المسجد الحرام، كلل الله تعالى أعمالنا و أعمالهم بالنجاح و التوفيق التام بفضلله و إحسانه آمين، و الحمد لله رب العالمين، و صلى الله و سلم على سيدنا "محمد" و على آله و أصحابه أجمعين.

(و لنختم) هذا المبحث الفريد بما يأتى:

إن أهل مكة الكرام يحق لهم أن يحتفلوا اليوم بتجديد مقصورة مقام سيدنا خليل الله إبراهيم عليه الصلاة و السلام، يحق لهم أن يحترموا و يعظموا هذا المقام الكريم، و أن يفتخروا ببقاء هذا الأثر العظيم الخالد فى بلدهم المقدس منذ آلاف السنين.  
 إن إبراهيم صلوات الله و سلامه عليه، هو الذى بنى فى بلدهم الأمين بيت الله الحرام، و هو الذى اكتشف بلدهم "مكة" و أسكن فيها من ذريته ابنه إسماعيل و أمه هاجر عليهما الصلاة و السلام، و لأجلهما نبع ماء زمزم فى بلدتهم و ما يزال التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٧٧

موجودا عندهم إلى قيام الساعة، فكأن سيدنا إسماعيل عليه الصلاة و السلام أب العرب قاطبة.

فلما بنى سيدنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام الكعبة المعظمة، قام فوقف على مقامه المذكور فارتفع به فى الهواء، فصار يؤذن فى الناس بالحج، فصار الناس من تلك العصور البعيدة يقصدون من كل فج عميق بلدتهم الطاهرة "مكة" للحج و العمرة، فى أيام معلومات فى مواسم الحج من كل عام، و أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام حرم مكة فى حدودها المعروف إلى اليوم، و صيرها بلدا آمنا، و هو الذى دعا بالخير و الرزق و البركة كما جاء ذلك صريحا فى الكتاب و السنة. فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، فى سورة البقرة: **وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَ بئسَ المصيرُ\*** **وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ\*** **رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ آرِنَا مَنَاسِكَنَا وَ تَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ\*** **رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يَعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يَزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.**

و قال عز و جل فى سورة إبراهيم: **وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ\*** **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَلْنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ\*** **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ.**

إلى غير ذلك مما لو ذكرناه لطال بنا المقام، فأنت إذا تأملت هذه الآيات المباركة علمت أن الله تعالى لم يعامل كفار أهل مكة

كعاملته لكفار غيرهم في دار الدنيا، بل إنه عز وجل بمحض فضله ورحمته يمتعهم في الدنيا ثم يعذبهم بما يستحقون في الآخرة، كما هو مبرع قوله تعالى هنا في هذه الآيات: قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. هكذا ميز الله تبارك وتعالى أهل بيته الحرام وأهل بلده الأمين "مكة المكرمة" عن جميع الأجناس، أفلا يحق لهم أن يحتفلوا بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٧٨

التي لديهم في بلدتهم المقدسة، وأن يفتخروا بتواضع بهذه الأمور التي شرفهم الله تعالى بها، وأن يكونوا سادة الناس وأفضل الأجناس؟ بلى والله إنه ليحق لهم كل ذلك رغم أنف الحسدة، الذين ينكرون الحق ولا يقرون بالفضل لغيرهم. نسأل الله تبارك وتعالى لهم ولكافة المسلمين القبول والتوفيق والرحمة والإحسان، إنه تعالى واسع الفضل وعميم الإحسان، وأن يجعل مكة والمدينة وسائر بلاد المسلمين، في أمن وأمان وخير ورخاء، وأن يعاملنا بما هو أهله لا بما نحن أهله، إنه سبحانه وتعالى مجيب الدعاء آمين.

ثم بعد كتابة ما تقدم شرح الله تعالى صدرنا لعمل منظومة مختصرة في تجديد مقصورة المقام الكريم، وإليك هذه الأرجوزة:  
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كثير الحمد والشكر لله بغير عد

ثم الصلاة والسلام السرمدى على نبينا الحبيب "أحمد"

خير البرية نبي الرحمة وخير شافع لهذى الأمة

وآله وصحبه الكرام قادتنا فى حالك الظلام

(و بعد) هذه نبذة منظومه لطيفة رائعة مفهومه

تبحث عن تجديد شباك المقام أعنى مقام من له خير مقام

وهو خليل الله إبراهيم صلى عليه ربنا الكريم

مقامه هذا أمام الكعبة إذ كان حقا بانيا للكعبة

هذا المقام فى الكتاب ذكراو منذ أعصر تراه ستر

قد وضعوه داخل الصندوق و فوقه الشباك بالتحقيق

فلا يرى المقام فى المقصوره لأنه كالأطرفة المحصوره

مرت عليه حقب من الزمن وهو بداخل الستور قد سكن

لا يعرف الناس عن المقام غير قليل من ذوى الأفهام

ثم بدا للملك السعودى "الفيصل" المحنك المجدود

أن يكشف المقام للأنام ليعرفوا حقيقة المقام

فأصدر الأمر و بذل العطا ليعملوا من الزجاج كالغطا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٧٩ يوضع فوق حجر المقام و فوق الشباك بانتظام

يظهر للناس و يبقى سالما لا تصل الأيدى إليه دائما

و حضر المليك يوم السبت و إنه شههم كبير البخت

للمسجد الحرام فى الأصيل ثامن عشر رجب الجزيل

من عام سبع و ثمانين يلى ألف و ثلثمائة مكمل

و شاهد المقصورة الجديدة موضوعه محكمة سديده  
 فوق المقام للمقام منظرله جمال الشكل و هو بهر  
 فحمد الناس له هذا العمل و الله لا يضيع للعبد العمل  
 قد حفل الناس بهذا اليوم فيا له من مشهد و يوم  
 فالحمد لله على التمام و الشكر للتوفيق و الإنعام  
 هذى خلاصه عن المقام و قد ذكرنا وافر الكلام  
 نثرا قبيل هذه المنظومه بكلمات دائما مفهومه  
 ثم الصلاة و السلام العاطر على النبي و هو حقا طاهر  
 و آله و صحبه الأبرار و التابعين منهج الأخيار  
 و كل من مشى على آثارهم و إننى أمشى على أقدامهم  
 يا رب و اختتم لى بخير العمل عند الممات و بخير الأمل  
 و آخر الدعاء لنا يا ربنا الحمد لله فقد زال العنا

### المصلى الجديد بالمسجد الحرام

لقد ذكرنا فى هذا الكتاب إزالة المقامات الأربعة التى كانت للشافعية و الحنفية و المالكية و الحنابلة، و كل مقام عبارة عن مصلى،  
 أزيلت و انتهى الأمر. ثم إنه فى سنة (١٣٨٦) ألف و ثلاثمائة و ست و ثمانين هجرية، بنت الحكومة السعودية مصلى واحدة فقط فى  
 المسجد الحرام، بجوار بئر زمزم و المنبر و بقرب المقام، ليصلى تحتها بعض الناس فى وقت الظهيرة، فطول هذه المصلى ستة أمتار و  
 نصف متر، و عرضها ثلاثة أمتار و ٦٥ سنتيمترا، و ارتفاعها ثلاثة أمتار و عشرة سنتيمترات، و هى تحتوى على اثنى عشر من الأعمدة.  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٨٠  
 فحبذا لو بنى فى كل جهة من جهات المسجد الحرام مصلى مثل هذه المصلى، ليصلى الناس تحتها اتقاء لحرارة الشمس.

### قدم أينا آدم عليه السلام

و بمناسبة الكلام على حجر مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام الذى غاصت فيه قدماه، نقول: ذكر ابن بطوطة فى رحلته التى كانت  
 سنة (٧٢٥) خمس و عشرين و سبعمائة من الهجرة أنه يوجد فى أعلى جبل سرنديب بالهند قدم أينا آدم عليه الصلاة و السلام فقد  
 قال فيها ما نصه: و بمغارة الخضر يترك الزوار ما عندهم و يصعدون منها ميلين إلى أعلا الجبل حيث القدم، و أثر القدم الكريمة قدم  
 أينا آدم صلى الله عليه و سلم فى صخرة سوداء مرتفعة بموضع فسيح و قد غاصت القدم الكريمة فى الصخرة حتى عاد موضعها  
 منخفضا و طولها أحد عشر شبرا، و أتى إليها أهل الصين قديما فقطعوا من الصخرة موضع الإبهام و ما يليه و جعلوه فى كنيسة بمدينة  
 الزيتون و يقصدونها من أقصى البلاد، و فى الصخرة حيث القدم تسع حفر منحوتة يجعل الزوار من الكفار فيها الذهب و اليواقيت و  
 الجواهر فترى الفقراء إذا وصلوا مغارة الخضر يتسابقون منها لأخذ ما بالحفر و لم نجد نحن بها إلا يسير حجيرات و ذهب أعطيناها  
 الدليل، و العادة أن يقيم الزوار بمغارة الخضر ثلاثة أيام يأتون فيها إلى القدم غدوة و عشيا و كذلك فعلنا. انتهى كلام ابن بطوطة.  
 نقول: إن ما ذكره ابن بطوطة فى رحلته من أن طول قدم أينا آدم عليه الصلاة و السلام أحد عشر شبرا هو معقول ليست فيه مبالغة،  
 فقد روى الشيخان و الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال "خلق الله آدم على صورته و  
 طوله ستون ذراعا ثم قال: اذهب فسلم على أولئك نفر و هم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك و تحية



ذريتك فذهب فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك و رحمة الله فزادوه و رحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم في طول ستين ذراعا فلم تزل الخلق تنقص بعده حتى الآن."

فإذا قارنا طول قامه آدم عليه الصلاة و السلام و هو ستون ذراعا كما في هذا الحديث الصحيح مع طول قدمه و هو أحد عشر شبرا نجد بينهما نسبة معقولة و تناسبها مقبولا. و الله تعالى أعلم بالغيب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٨١  
و نقول أيضا: إننا لا نجزم بصحة غوص قدم أبينا آدم عليه الصلاة و السلام في الصخرة إلا إذا كان هناك نص صريح به و لا نفيه أيضا فإن ذلك من الجائز. و أما ما يشاع من أن نبينا محمدا صلى الله عليه و سلم إذا مشى غاصت قدماه في الصخرة فليس له أصل، فقد قال العزيزي في شرحه على الجامع الصغير في الجزء الثالث عند حديث: "كان صلى الله عليه و سلم أحسن الناس صفة و أجملها ... الخ" ما نصه: قال العلقمي:

تنبيه، قال صاحبنا العلامة محمد بن يوسف الدمشقي: ذكر كثير من المداح أن النبي صلى الله عليه و سلم كان إذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه، و لا وجود لذلك في كتب الحديث البتة. انتهى منه، جاء في كتاب "تاريخ المساجد الأثرية" للأستاذ حسن عبد الوهاب بصحيفة "٢٥٦" من الجزء الأول عند الكلام على مدرسة قايتباي بالقرافة الشرقية ما نصه: و يجاور قبر قايتباي قبته صغيرة نحاسية مذهبة تحتها حجر أسود به أثر قدمين يقال أنهما للنبي صلى الله عليه و سلم، كما يوجد بجوار القبر الآخر قبته أخرى خشبية على شكل مسلة بها حجر عليه أثر قدم يقال أنه قدم الخليل إبراهيم عليه السلام. و كلاهما غير صحيح، لأنه يوجد بمصر أقدام أخرى متفاوتة المقاس، كما توجد أقدام منها في القدس و الطائف و القسطنطينية. و كذلك في الأقطار الإسلامية أقدام منسوبة إلى آدم بالهند، و الخليل بالحرم المكي، و موسى بظاهر دمشق، و عيسى ببيت المقدس.

و قد نص جماعة من حفاظ المحدثين على ما استفاض و اشتهر خصوصا على ألسنة الشعراء و المداح من أن قدم النبي صلى الله عليه و سلم غاصت في الحجر لا أصل له، كما أن للإمام السيوطي إجابة على سؤال رفع إليه عن هذه الأقدام بأنه لم يقف في ذلك على أصل و لا سند و لا رأى من خرج في شيء من كتب الحديث، كما أنكره كثير من العلماء و أثبت بعضهم، و قيل عن هذه الأحجار: إن السلطان قايتباي اشتراها و أوصى بجعلها عند قبره. انتهى من الكتاب المذكور.

و حيث لم يثبت غوص قدم النبي صلى الله عليه و سلم لم يثبت أيضا ما يقال إنه بلحف مسجد الخيف بمنى في غار المرسلات حجر به أثر رأس النبي صلى الله عليه و سلم، كما في صحيفة ٣٦٦ من تاريخ القطبي و لم يثبت أيضا ما يقال أنه بقرب دار أبي بكر أو دكانه بمكة حجر مبني في الجدار في وسطه حفرة مثل محل المرفق يزعمون أن النبي صلى الله عليه و سلم اتكأ عليه فغاص مرفقه الشريف في ذلك الحجر كما في صحيفة (٣٦١) من التاريخ المذكور على أن غوص أقدام الأنبياء عليهم الصلاة و السلام من أهون معجزاتهم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٨٢  
و أسهلها و لكن لا يمكن إثباته إلا بدليل واضح، و لم يثبت ذلك إلا لأبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام، حيث غاصت قدماه عند الكعبة المعظمة إلى اليوم و الذي أمرنا الله تعالى بالصلاة عنده كما في صريح آية: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ. و إن شاء الله تعالى سيأتي الكلام عن أبينا آدم و أمنا حواء عليهما الصلاة و السلام ربما عند الكلام على مدينة جدة فراجع إن شئت.

### أقدام إدريس و عيسى عليهما الصلاة و السلام

يقول مؤلف "الرحلة الحجازية" فيها عند الكلام على المسجد الأقصى بصحيفة (١٦٥) ما يأتي:  
و على ظهر الصخرة من جهة الشرق آثار اثني عشر قدما كان النصراني في القرون الوسطى ينسبون لها إلى عيسى عليه السلام، فلما تغلب

المسلمون على بيت المقدس قالوا إنها آثار قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار عليها ليلة الإسراء، ومع ما هي عليه من عدم النظام و أنها على خط مستقيم تقريبا وهو ما لا يمكن السير عليه لفتحها ما بين الرجلين، فإنها تكاد يكون شكلها واحدا وهو ما لا ينطبق على شكل القدمين، خصوصا و أنها أصغر بكثير من الأقدام المنسوبة له صلى الله عليه وسلم مما ذكرناه فى صحيفة (١٢٥) من هذا الكتاب. و من هذا و ذاك ترى أنها كلها موضوعه لا أثر لها من الصحة، يؤيد ذلك أنه لم يرد فى ديننا الحنيف ما يشير إلى شىء من ذلك بالمره، و بجوار هذه الأقدام أثر قدم آخر ينسبونه إلى إدريس عليه السلام، و يوجد بجانب الصخرة من الجهة الغربية بجوار الدرايزين خزانة من الفضة فيها قطعة من الحجر عليها أثر قدم ينسبونه أيضا إلى نبينا صلوات الله و سلامه عليه و فيها أيضا بعض شعرات من لحيته الشريفة. انتهى من الكتاب المذكور.

و إليك ما ذكره مؤلف الكتاب المذكور بصحيفة (١٢٥) التى أشار إليها فإنه قال فيها: و يزعم النصارى أنه "أى القدم الذى بقبة الصعود بجبل الزيتون بالقدس الشريف" لعيسى عليه السلام و هم يقدسونه و يحترمونه، و من ذاك أتى احترام المسلمين لآثار تلك الأقدام التى ينسبونها إلى النبى صلى الله عليه وسلم، كما نراه فى قبة السيد البدوى بطنطا، و فى جامع المؤيد و مسجد قايتباى بالقاهرة، و فى قبة الآثار النبوية فى الآستانه، و فى خزانة الآثار النبوية بقبة الصخرة ببيت المقدس، و فى مسجد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٨٣

إبراهيم بحبرون، و على صخرة بيت المقدس آثار أقدام غير منتظمة يدعون أنها آثار الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أسرى، و إلى جوارها أثر قدم ينسبونه إلى سيدنا إدريس عليه السلام، و المسلمون هناك يقدسونها جميعا كما يقدسون أثر قدم عيسى عليه السلام التى تراها فى محراب على يمين منبر المسجد الأقصى، و يقول النصارى: إن المسلمين فصلوها عن أختها التى فى قبة الصعود و وضعوها بمكانها هذا، و يقال أن فى (محطة قدم) التى فى جنوب دمشق أثر أقدام غائصة فى الصخرة ينسبونها إلى موسى عليه السلام و ذكرها ابن جبير فى رحلته، و قد رأيت فى الفصل الرابع و الثلاثين من كتاب محاضرة الأوائل للسكتوارى أن أول موضع أهبط الله فيه آدم جبل سرنديب و فيه أثر قدم آدم عليه السلام غائص فى الصخرة طوله سبعون شبرا الخ ... انتهى من الرحلة الحجازية.

### تغيير سقف الكعبة و ترميمها فى العهد السعودى فى وقتنا الحاضر

#### إشارة

فى أول محرم الحرام سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبعة و سبعين هجرية، حصل للسقف الأعلى لبيت الله الحرام خراب يحتاج إلى تغييره كله، و أن سقفه الأدنى الذى هو من الخشب فقط قد تلف من فعل الأرضة و السوس، و أن جدرانها تحتاج إلى ترميم، و كل ذلك يحتاج إلى المبادرة لإصلاحه.

فأمر الملك السابق سعود بن عبد العزيز بتشكيل هيئة علمية و هيئة فنية من المهندسين المعماريين، للنظر فيما وقع بالكعبة المطهرة، و هم: الشيخ عبد الملك بن إبراهيم رئيس هيئات الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و الشيخ عبد الله بن جابر، و السيد علوى بن عباس المالكى المدرس بالمسجد الحرام، و الشيخ محمد بن على الحر كان، و الشيخ محمد بن لادن مدير الإنشاءات العمومية، و الشيخ محمد صالح القزاز، و المعلم الشيخ حسين عجاج، و المهندسين الفنيين طارق الشواف و طه القرملى. فقاموا بالكشف الدقيق و دخلوا الكعبة المعظمة فى صباح يوم السبت السابع من شهر المحرم من السنة المذكورة، و وجدوا الأمر كما ذكر، و رفعوا قرارهم بذلك و على الإثر صدر الأمر إلى مدير الإنشاءات العمومية صاحب المعالى الشيخ محمد بن عوض بن لادن الحضرمى، بالقيام بعمارة سقفى الكعبة المشرفة و تغييرهما و تجديدهما، و بترميم ما يحتاج إلى ترميمه من الداخل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٨٤

و الخارج، بحيث تكون الكعبة كأنها عادت جديدة من قوة العمارة و متانة الشغل و العمل.

### خلاصة الأمر الملكي للإصلاح

- و خلاصة الأمر الملكي الصادر في أواخر شهر المحرم سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبعة و سبعين هجرية، القاضي بعمارة سقفي الكعبة المطهرة و ترميمها و إصلاحها هي فيما يأتي:
- (١) رفع السقف الأعلى للكعبة المشرفة بتاتا و تجديد عمارته.
  - (٢) تجديد السقف الأدنى لقدم أحشابه و تأكلها.
  - (٣) عمل "ميدة"، "بكسر الميم، بين السقفين تحيط بجميع جدرانها.
  - (٤) ترميم الجدران الأصلية ترميما جيدا.
  - (٥) إصلاح الرخام المحيط بجدران الكعبة من باطنها.
  - (٦) ترميم و إصلاح الدرج التي في باطن الكعبة المؤدية إلى سطحها.
  - (٧) يجب مراعاة عدم بروز شيء من التعمير و الإصلاح عن الكعبة المشرفة و جدرانها و أطرافها.
  - (٨) عدم تذهيب أو تفضيض أو تمويه سقف الكعبة المطهرة.
  - (٩) جميع الترميم و التعمير يكون بالمواد البلدية.
  - (١٠) جميع ما يصرف على الكعبة المعظمة يكون من الكسب الحلال الطيب.
- هذه هي خلاصة الأمر الملكي، و بموجبه جرى العمل في الكعبة المشرفة كما يأتي تفصيله.

### الأخذ في الأسباب لإصلاح الكعبة

و قد بدؤوا في ليلة السبت الحادي و العشرين من جمادى الثانية سنة (١٣٧٧) سبع و سبعين و ثلاثمائة و ألف هجرية، من بعد صلاة العشاء بساعة واحدة، أقاموا أحشابا حول الكعبة المشرفة لستر العمارة فيها عن أعين الناس، فما زالوا يشتغلون بإقامة الأحشاب حولها من هذه الليلة المذكورة إلى يوم الاثنين الثالث و العشرين من الشهر المذكور، حتى سترت الكعبة عن أعين الناس تماما من أرض المطاف إلى سطح الكعبة، بل إلى ما فوق السطح بنحو متر واحد و نصف المتر، ما عدا موضع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٨٥

الحجر الأسود و موضع الركن اليماني فلم يطوقوهما بالأخشاب بل جعلوهما مكشوفين ليتمكن الناس من استلامهما، و أما جدار حجر إسماعيل عليه السلام فلم يحيطوه بالأخشاب، و إنما أحاطوا الكعبة من هذه الجهة من داخل الحجر أي من فتحته الشرقية و الغربية و جعلوا الممر الموصل إلى الكعبة و إلى السقائل التي عملوها من جهة الحجر للصعود منها إلى سطحها جسرا من الخشب عرضه نحو مترين، ممتدا من جانب منبر المسجد الحرام من يمينه على استقامة واحدة إلى جهة الجدار الشرقي للكعبة، و جعلوا باب الجسر بجانب باب المنبر، و أوقفوا على بابه طائفة من الجنود للمحافظة على نظاف الصعود إلى الكعبة، فلا يصعد بها كل واحد حرصا على مصلحة العمل و الشغل، و جعلوا هذا الجسر الخشبي مرتفعا على أرض المطاف بنحو قامتين، فكان الطائفون يطوفون حول الستارة الخشبية المحيطة بالكعبة فإذا وصلوا عند المنبر، مروا تحت هذا الجسر ليمتوا طوافهم.

مع العلم بأنهم قد أنزلوا ثوب الكعبة من فوقها و طووه و جعلوه أسفل المطاف، أي تحت الشاذروان حتى لا يتلف و لا يتسخ، فلما انتهت عمارة الكعبة جعلوه عليها. و لقد تكلمنا عن ستر الكعبة بالأخشاب حين عمارتها مفصلا تفصيلا تاما في مبحث آخر فراجع إن

شت.

## فتح الكعبة لأخذ القياسات

ثم إنه في صباح يوم السبت المذكور فتح سدنة الكعبة المشرفة بابها لأخذ قياس باطنها من جميع الجهات على الوجه المطلوب بواسطة المهندسين المصريين المنتدبين للعمل في الكعبة، فتشرف بالدخول فيها الشيخ محمد بن لادن مدير الإنشاءات العامة، والشيخ محمد صالح باخطة المدير المساعد لمكتب مشروع توسعة المسجد الحرام، والشيخ عبد الله بن سعيد مدير العمل والعمال بالمكتب المذكور، والشيخ عبد القادر نائب الحرم وكيل مدير إدارة الحرم، ومؤلف هذا الكتاب محمد طاهر بن عبد القادر الكردي عضو اللجنة التنفيذية لتوسعة المسجد الحرام واثان من المهندسين المصريين فقط.

فبعد صلاة ركعتين فيها والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، قاموا بالنظر إلى المواضع التي تحتاج إلى الإصلاح والترميم، وأخذ قياس باطنها من جميع جهاتها الداخلية، وقياس بابها وما بين الأعمدة الثلاثة التي وضعها عبد الله بن الزبير رضى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٨٦

الله تعالى عنهما وغير ذلك، فلما أتموا عملهم بأدب واحترام لائقين ببيت الله الحرام، خرجوا منه لأخذ الاستعداد للإصلاح والتعمير، ولقد انتظروا إلى ما بعد النصف من رجب بعد أن أحضروا الأخشاب والأعواد والبطحاء والنورة وجميع الأدوات والآلات اللازمة للبناء والتعمير فوضعوها في المسجد الحرام، ثم بدؤوا في العمل والتعمير كما سيأتي بيانه.

و رب سائل يقول: ما سبب تأخير العمل في الكعبة المشرفة إلى هذا الوقت وقد صدر الأمر الملكي بالتعمير من شهر محرم من السنة المذكورة فنقول: سبب التأخير كان انتظارا لبرودة الجو واعتدال الهواء ودخول فصل الشتاء، أما في الأشهر الأولى للعام الهجري المذكور فالحر عندنا شديد لا يمكن معه عمارة سقفي الكعبة وليس هناك ساتر يقي العمال من الشمس. وإليك وصف العمارة المذكورة مع العلم بأن العمل كان في الكعبة المشرفة من المغرب إلى بعد نصف الليل، ولقد مدوا فوق الأخشاب التي تستر سطح الكعبة المشرفة عن أعين الناس أسلاك الكهرباء، ثم علقوا فوقها المصابيح الكهربائية للإضاءة ليلا وقت الشغل.

انظر: صورة رقم ٩٥، الكعبة محاطة بالخشب لتجديد سقفها

## البدء في تجديد السقف الأعلى ل لكعبة

فلما كان ضحى يوم الجمعة الثامن عشر من شهر رجب من السنة المذكورة سنة (١٣٧٧) هجرية، ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين الموافق للثامن عشر أيضا من شهر الدلو سنة (١٣٣٦) ألف و ثلاثمائة و ست و ثلاثين شمسية، و الموافق للسابع من شهر فبراير سنة (١٩٥٨) ألف و تسعمائة و ثمان و خمسين ميلادية، حضر إلى المسجد الحرام ولي عهد المملكة العربية السعودية صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - جلاله الملك حاليا-، نيابة عن أخيه الملك السابق سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن و قد كان غائبا في مدينة الرياض و لم يستطع الحضور بنفسه لمرض ألم به و كان برفقه سمو الأمير فيصل و سمو الأمير الحسن بن محمد الخامس ولي عهد المملكة المغربية، يحف بهما الأمراء والعلماء والوزراء، و بعد أن تشرف الجميع بدخول بيت الله الحرام و الصلاة و الدعاء في جوفه، صعدوا من السقالة الخشبية إلى سطح البيت الحرام، و ذلك في الساعة الرابعة العربية من صباح يوم الجمعة المذكورة أي قبل الصلاة بنحو ساعتين.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٨٧

و كان في استقبال سموه على سطح الكعبة المشرفة الشيخ محمد بن لادن (بكسر الدال) المعجزة و سكون النون مدير الإنشاءات

العمومية، و الشيخ محمد صالح القزاز مدير مكتب مشروع التوسعة، و الشيخ محمد صالح بن عبد الله باخطمه "بضم فسكون" المدير المساعد للمكتب المذكور، و الشيخ عبد الله بن سعيد مدير العمل و العمال بالمكتب المذكور أيضا، و الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي "الخطاط" مؤلف هذا التاريخ و هو عضو في اللجنة التنفيذية لتوسعة المسجد الحرام، و كثير من الفضلاء الذين حضروا مبكرين.

ثم إن سمو الأمير "فيصل" حفظه الله تعالى و أدام توفيقه أخذ بيده مطرقة فسمى الله تعالى و أثنى عليه و بدأ بهدم جزء قليل من إفريز سطح الكعبة المشرفة إيذانا ببدء الهدم و الإصلاح، فتبعه كافة الحاضرين بالهدم و قلع رخام السطح، و هو يسبحون الله تعالى و يكبرونه و يحمّدونه، و كان مؤلف هذا التاريخ يقرأ جهرا بعض الآيات القرآنية و يردد كثيرا هذه الجملة "اللهم إنا لا نريد إلا الإصلاح و أنت تحب المصلحين".

ثم إن سمو الأمير "فيصل" نزل من سطح الكعبة المعظمة مع حاشيته و من حضر معه، و بقى الناس يرفعون أنقاض الهدم من حجارة و رخام و نورة و خلافها إلى أن قرب وقت صلاة الجمعة فنزل الجميع استعدادا للصلاة ثم عاودوا العمل من بعد صلاة العصر إلى قبيل المغرب و هم في حالة التسييح و التكبير و التهليل، و قد تشرف مؤلف هذا الكتاب بالعمل مع الناس في رفع أنقاض السطح نسأل الله القبول و العفو و العافية و الستر في الدارين بفضل و رحمته.

هذا و لقد حضر إلى سطح الكعبة المعظمة مندوب دائرة الإذاعة العربية السعودية تلميذنا الفاضل النجيب الأستاذ عباس فائق الغزوي، لتسجيل تسييح الناس و تهليلهم حين العمل، و تسجيل مشاعرهم و فرحهم بعمارة بيت الله الحرام التي لا تقع إلا نادرا بعد مئات السنين، فسجل مندوب الإذاعة شيئا من كلمات بعض الفضلاء من فوق سطح الكعبة المشرفة، و قد سجل المذكور لمؤلف هذا الكتاب محمد طاهر بن عبد القادر الكردي كلمته التي ارتجلها على السطح إجابة على سؤاله هذا "ما هو تاريخ الإصلاحات التي أدخلت على الكعبة الشريفة؟"

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٨٨

فأجابه إجابة مختصرة لأن الوقت لا يتسع للتطويل و صلاة الجمعة في انتظارنا، فأذاع عنا هذه الجملة الآتية:

لقد حصلت إصلاحات كثيرة في بناية الكعبة المشرفة منذ بنائها الأول في عهد خليل الله "إبراهيم" عليه الصلاة و السلام، لأنها من بناء البشر و عمل الإنسان، و هذا معرض للخراب و قابل للإصلاح، فلو أراد الله عز شأنه ألا تمتد إليها أيدي البشر لخلقها قطعة واحدة من الجواهر فلهذا فإنه كلما حصل في الكعبة شئ من الخراب كما هو العادة في البنايات بادر الخلفاء و السلاطين و الملوك و ذووا الشأن في إصلاحه قبل أن يتفاقم، فإذا احتاج الأمر إلى تجديد بنائها كلها بادروا إلى ذلك، و أجروا الإصلاحات و العمارات بأنفسهم بكل أدب و احترام.

و لقد بنيت الكعبة المشرفة إحدى عشرة مرة، فأول من بناها على الأشهر خليل الله "إبراهيم" عليه الصلاة و السلام منذ أربعة آلاف سنة تقريبا، و آخر من بناها السلطان مراد خان الرابع رحمه الله تعالى، بعد أن هدمها السيل العظيم الذي دخل المسجد الحرام، و كان ذلك سنة ألف و أربعين من الهجرة، و هي هذه البناية الموجودة الآن، ثم حصلت بعده إصلاحات و ترميمات متعددة.

و أما إصلاحها في هذا اليوم المبارك و في هذه اللحظة اللطيفة، فإنه لتغيير سقفها الأعلى و بعض ما يحتاج إلى الإصلاح من الداخل و الخارج، و ذلك بحضور سمو الأمير فيصل ولي العهد المعظم و رئيس مجلس الوزراء، و بصحبته ضيفه الكريم سمو الأمير الحسن بن محمد نجل جلالة ملك المغرب، و بوجود بعض الشخصيات البارزة و الجمهور الكريم و وجود المشرف العام على مشروع توسعة المسجد الحرام و عمارة الكعبة المشرفة، و وجود مدير مكتب التوسعة.

و إن شاء الله تعالى عما قريب سنطبع الكتاب الذي شرعنا في تأليفه عن تاريخ بلد الله الأمين و بيته المطهر و توسعة المسجد الحرام، و سينشر هذا الكتاب بحول الله تعالى في أنحاء العالم الإسلامي، ليقفوا على الحقيقة التامة و المعلومات الصحيحة الوافية، نسأل الله

تعالى القبول و الرضا و الفوز بالجنة و النجاة من النار بفضلته و رحمته.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، و تب علينا إنك أنت التواب الرحيم، و صلى الله على سيدنا "محمد" و على آله و صحبه و سلم.

انتهت إجابتنا على سؤال مندوب الإذاعة السعودية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٨٩

و لقد كان الشغل ليلا و نهارا في الكعبة المشرفة منذ ابتداء العمارة فيها إلى انتهائها من داخلها و خارجها، و ذلك حتى انتهوا من العمل سريعا، و لهذا فقد مدوا أسلاك الكهرباء على سطح الكعبة و علقوا عليها المصابيح الكهربائية للإضاءة على العمال في الليل، و بعد الانتهاء من العمارة من خارج الكعبة المشرفة و عند إرادة العمل في جوفها أدخلوا المصابيح الكهربائية أيضا في داخلها للإضاءة على العمال ليلا و نهارا، لأنه ليس في الكعبة المعظمة منافذ لدخول الضوء غير بابها، و النور الذي يدخل من الباب لا يكفي لإضاءة جميع الجهات في باطنها، لذلك كان العمال الذين يشتغلون في داخلها في حاجة شديدة لإيقاد المصابيح الكهربائية ليلا و نهارا. و هذه هي أول مرة توضع المصابيح الكهربائية في الكعبة المشرفة في التاريخ. و بعد انتهاء العمارة رفعت جميع المصابيح من الكعبة بتاتا لعدم الحاجة إليها، فإن الكعبة المعظمة لا تفتح ليلا مطلقا إلا للضرورة القصوى جدا و هي نادرة الوقوع، أما إذا فتحت في طرفي النهار فإن الضوء الذي يدخل من بابها يكفي الناس الذين يدخلونها للصلاة و الدعاء و التضرع.

و في ليلة السبت التاسع عشر من شهر رجب من السنة المذكورة اشتغل الناس أيضا إلى نصف الليل في رفع أنقاض السقف الأعلى، حتى لم يبق شيء و كشف السقف كشفا تاما، و كانت الحجارة و النورة و الأخشاب القديمة التي تخرج من السقف ترمى في داخل حجر إسماعيل تحت الميزاب و هذه الجهة كما قلنا محاطة أيضا بالأخشاب لستر العمل عن أعين الناس.

و قد جرى رفع الأنقاض و كشف السقف في وقت قصير و بغاية السرعة لأن العمل كان من كافة الناس من أهل مكة و فضلائها و غيرهم ممن كان موجودا بها من جميع الأجناس، فكانوا جميعا يشتغلون في بيت الله الحرام بغاية الفرح و السرور و هم يسبحون الله تعالى و يذكرونه، و يحمدهونه على ما أنعم عليهم من خدمة بيته المطهر، فلو كان الشغل من جانب العمال فقط الذين يأخذون أجرا يوميا على عملهم لما انتهى العمل بهذه السرعة.

ثم في صباح يوم السبت المذكور ابتدؤوا في تركيب الميدات على الحيطان الأربعة في كل جانب ميده واحدة، و عملوا في تنظيف الأمكنة و الجدران، و باشر المهندسون في عمل وزن السقف بآلة هندسية خاصة لتكون جهة ميزاب الكعبة المشرفة مائلة و منخفضة قليلا عن الجهات الأخرى لنزول مياه الأمطار و سيلانها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٩٠

من الميزاب إلى حجر إسماعيل عليه الصلاة و السلام، و قد عملوا الترتيبات اللازمة لتركيب أعواد السقف، و قد اشتغلوا في هذا العمل لغاية منتصف ليلة الأحد، و قد أحضروا جميع هذه الأعواد الطوال الغلاظ من مدينة جدة.

ثم في صباح يوم الأحد عشرين رجب من السنة المذكورة ابتدؤوا في تركيب أعواد السقف، و قرب المغرب انتهوا من تركيبها، ثم ابتدؤوا في ربط الأعواد بجدران الكعبة بالحجر و النورة البلدية.

و عدد أعواد هذا السقف أحد و عشرون عودا غليظة قوية، رؤوسها في الجدار الشرقي و في الجدار الغربي، و عودان آخران وضع عود تحت رؤوس هذه الأعواد في الجدار الشرقي، و عود وضع تحت رؤوسها الأخرى في الجدار الغربي، و بهذين العودين يكون جميع أعواد هذا السقف ثلاثة و عشرون عودا، طول كل واحدة من هذه الأعواد عشرة أمتار و أربعين سنتيمترا و بعضها عشرة أمتار و عشرة سنتيمترا، بما في ذلك الركوز على الجدران، و تحت هذه الأعواد في الوسط كمرتان منفصلتان رأسهما في الجدار الشمالي و في الجدار الجنوبي، الكمرة الأولى لحمل السقف الأعلى و الكمرة الثانية لحمل السقف الأسفل، طول كل واحدة من الكمرتين اثنا عشر

مترا و عشرين سنتيمترا، بما في ذلك مقدار الركوز و الركوب على الجدار.

أو بعبارة أخرى يفهمها المعلمون في البناء نقول: إن حامل السقف من الوسط هو حمال رئيسي من الخشب المسمى "دوجلس"، "بضم الدال الممدودة و سكون الجيم عرض (٢٦ \* ٢٦) و محمل بالدكم على العمدان الأصلية الوسطى، و تحته فرش مثله على العمدان الراسية.

هذه العبارة كتبها عن لسان المعلمين المصريين الذين اشتغلوا في بناء الكعبة المشرفة.

و في ليلة الاثنين الحادي و العشرين من رجب من السنة المذكورة فرشوا فوق أعواد السقف ألواح الخشب الطويلة التي سمك الواحدة منها بوصتان، و قد تم في هذه الليلة تطبيق جميع هذه الألواح الخشبية فوق الأعواد على أحسن ما يرام.

ثم بدأوا في صباح هذا اليوم ببناء الحائط القصير المحيط بالسطح، و يسمى "بالإفريز" كما يسمى أيضا "بالطنف" و هو يرتفع عن رخام السطح بنحو ثمانين سنتيمترا، و قد أحكموا بناء إحكاما جيدا بالإسمنت و النورة البلدية و الحجارات،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٩١

و قد تشرف أيضا بالبناء في هذا المحل محمد طاهر بن عبد القادر الكردي مؤلف هذا التاريخ مع ولده "عبد الرحمن الكردي" أنبته الله نباتا حسنا و أسعده في الدنيا و الآخرة بفضلته و رحمته، كما بدأوا أيضا في صباح هذا اليوم بتنقيل جدران الكعبة المشرفة بعمال آخرين كما سنفصل ذلك إن شاء الله تعالى قريبا.

و في ليلة الثلاثاء الثاني و العشرين من شهر رجب من السنة المذكورة، أتموا بناء الحائط القصير المحيط بالسطح المسمى "بالإفريز" و أحكموا بناءه تماما.

ثم بدأوا في صباح هذا اليوم بأخذ الاستعداد اللازم لتجديد السقف الثاني للكعبة المقابل لأرضها كما سيأتي تفصيله. لذلك فإنهم لم يشتغلوا في السقف الأعلى "أي السطح" في هذا اليوم الذي هو يوم الثلاثاء الثاني و العشرين من رجب، و لا في يوم الأربعاء و لا في يوم الخميس أيضا.

و كان بناء الحائط الدائر بالسطح المسمى "بالطنف" و "بالإفريز" بالطوب الأحمر "الآجر" الذي أتوا به من مصنع العاقول بالمدينة المنورة، و هو مصنع عظيم مجهز بالآلات الميكانيكية و الأدوات الحديثة، يخرج القوالب الطوب الممتازة الجيدة القوية، فبنوا هذا الإفريز من هذا الطوب و الآجر الممتاز بالنورة البلدية و الإسمنت، و قد وضعوا هذا الطوب مرصوصة بجانب بعض، لكن بين كل طوبة و طوبة فجوة صغيرة حشوها بالنورة.

و طول الواحدة من هذا الآجر ٢٢ سنتيمترا، و عرضها ١١ سنتيمترا، و سمكها ٦ سنتيمترات.

و لا ندري بالضبط كم وضعوا من هذا الطوب "الآجر" في إفريز السطح، و نعتقد أنه لا يزيد عن خمسمائة طوبة، و في غرة شعبان وضعوا أسفل هذا الإفريز الرخامات كما سيأتي بيانه.

### استبدال المربيع الخشبية التي بسطح الكعبة بالحديد

كانت كسوة الكعبة المشرفة الخارجية تربط بأعلى سطحها في مربيع خشبية عددها أربعة، في كل جهة من السطح خشبة واحدة مثبتة في طنف السطح، أي في الإفريز، و المربيع هي أربعة أعواد مربعة الشكل طول كل منها بطول السطح

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٩٢

فالكسوة تربط على هذه الأعواد ثم تسدل على الكعبة. هذه هي العادة في ربط الكسوة من قديم الزمان.

فلما كانت عمارة سقفي الكعبة في العهد السعودي استبدلت هذه المربيع الخشبية القديمة التي بسطح الكعبة بأسياخ حديدية قوية، و كيفية ذلك كما يأتي:

أنهم لما بدأوا في صباح يوم الاثنين الحادى والعشرين من شهر رجب سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية، فى بناء الحائط القصير المحيط بسطح الكعبة المشرفة المسمى "بالطنف" كما يسمى أيضا "بالإفريز" وضعوا فى الليلة التالية و هى ليلة "الثلاثاء" الثانى والعشرين من رجب، الأسيخ الحديدية لتعليق أستار الكعبة عليها بدلا عن المرايع الخشبية التى كانت تستعمل لهذا الغرض، و عدد هذه الأسيخ ثمانى قطع، فى كل جهة من الجهات الأربعة للسطح قطعان من الأسيخ، قد غرز طرفا كل واحدة منهما فى باطن الإفريز حتى خرجا من الجهة الأخرى و عكفا عليها، و محيط كل قطعة من هذه الأسيخ الثمانية ١٠ سنتيمترات، و زيادة فى تقوية هذه الأسيخ ربطوها بقطع من الأسيخ الصغيرة تسمى "كانات"، أى حاملات، قياس (١٤ مللى) و عدد هذه الكانات ثمانية و أربعون قطعة، كل قطعة مغروزة فى جدار الإفريز تحمل الأسيخ الثخينة و ممسكة لها حتى لا تنثنى من ثقل الكسوة ثم فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رجب من السنة المذكورة و هى سنة (١٣٧٧) هجرية، دهنوا أولا، ألواح خشب السطح بالبوية الحمراء الممزوجة بالسلقون الذى يمنع وصول الأرضة و السوس للخشب، ثم فرشوا فوق البوية الحمراء القماش القلع "بكسر القاف و سكون اللام" المسمى "بالمشمع" و لونه أخضر و هو قماش يعمل منه الخيام لمتانته و قوته، فرشوا هذا القماش على جميع السطح من فوق ألواح الخشب، ثم فرشوا فوق هذا القماش القلع طبقة من الجبس الأبيض، ثم وضعوا فوق الجبس الأبيض طبقة واحدة من قوالب الطوب الأحمر القوى و هو "الآجر" و قد أحضروه من مصنع العاقول الذى يبعد عن المدينة المنورة بنحو نصف ساعة أو أقل بالسيارة، و قد أنشئ هذا المصنع من بضعة أعوام.

ثم فى يوم السبت السادس والعشرين من شهر رجب من السنة المذكورة، وضعوا فوق قوالب الطوب أى الآجر الخلطة و هى الطين المخلوطة بالنورة البلدية الممتازة بصفة محكمة و قاعدة هندسية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٩٣

ثم فى يوم الأحد السابع والعشرين من شهر رجب من السنة المذكورة فرشوا فوق هذه الخلطة حجارة الرخام أى المرمر الأبيض الممتاز، و قد انتهوا من فرش الرخام على السطح ليلة الثلاثاء التاسع والعشرين من رجب من السنة المذكورة.

### وضع الرخام على سطح الكعبة

قلنا أنهم وضعوا فى يوم الأحد السابع والعشرين من شهر رجب من السنة المذكورة سنة (١٣٧٧) هجرية حجارات الرخام أى المرمر الأبيض فوق سطح الكعبة المشرفة، و نذكر هنا الآن صنعة هذه الرخامات و عددها و هى كما يلى:

فرش سطح الكعبة المعظمة بنفس الرخام الأبيض الذى كان عليه سابقا، و ذلك بعد تنظيفه و إصلاح أطرافه لكن بعضهم أخذ من هذه الرخامات القديمة شيئا للتبرك فنقص بذلك رخام السطح، لهذا فإنهم بعد وضعهم الرخام القديم فوق السطح ثانيا وضعوا رخاما جديدا بدلا عما نقص منه.

و عدد رخامات السطح القديمة و الجديدة هو (٢٢٤) مائتان و أربعة و عشرون رخامة، و هذا غير رخامات إفريز السطح التى سيأتى بيانها، و جميع رخامات السطح مربعة الشكل، ما عدا أربعة و أربعين رخامة فمستطيلة و هى التى تحيط بالمربعات فى أواخر السطح، و الرخامات المربعة طول بعضها (٦٦) سنتيمترا فى عرض (٥٦) سنتيمترا، و طول بعضها (٧١) سنتيمترا فى عرض ٦٠ سنتيمترا. فيكون عدد جميع رخامات السطح ما بين صغير و كبير، مع جميع رخامات إفريز السطح التى سيأتى بيانها هو (٢٨٢) مائتان و اثنتان و ثمانون رخامة.

### صب الرصاص بين رخام سطح الكعبة



ثم فى يوم الاثنين الثامن و العشرين من رجب من السنة المذكورة، ابتدؤوا يشتغلون فى صب الرصاص بين فجوات رخام السطح لشدة الاستمساك و الثبوت، مع اشتغالهم أيضا فى جهات أخرى من السطح فأحضروا جميع الأدوات اللازمة لصب الرصاص فوق سطح الكعبة المشرفة، و أوقدوا "دافور الكاز" فلما اشتغل وضعوا فوقه الإناء الذى بداخله قطع الرصاص النظيف، فلما ذاب الرصاص صاروا يأخذون منه فى وعاء خاص شيئا فشيئا و يصبونه بحذر و عناية فى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٩٤

أطراف الرخامات، أى فى الفجوات التى تركوها بينها لصب الرصاص، و لا بد أن تكون هذه الفجوات بين الرخام ناشفة يابساً ليس بها رطوبة الماء، لأن الرصاص المذاب إذا وصل إليه شىء من الماء يتطاير فيحدث لمن حوله أضراراً بليغة من الحروق. و قد أحكموا صب الرصاص بين رخامات سطح الكعبة إحكاماً تاماً لئلا تتسرب مياه الأمطار إلى باطنها، و كان صب الرصاص بواسطة المعلمين من أهل مكة.

### وضع الرخام فى طنف السطح

ثم فى ليلة الأربعاء الأول من شهر شعبان من السنة المذكورة سنة (١٣٧٧) هجرية، ابتدؤوا فى وضع الرخام فى أسفل الإفريز المحيط بالسطح، أى أنهم وضعوا هذا الرخام ملصقا برخام السطح مرتفعا عنه على جدار الإفريز "الطنف" بمقدار خمسة و عشرين سنتيمتراً فى الجهات الأربعة، ثم من فوق هذه الرخامات إلى أعلى الطنف "الإفريز" عملوه بالنورة.

و قد قلنا فيما تقدم أن هذا الإفريز قد بنى بالطوب الأحمر "الآجر" قبل وضع هذه الرخامات عليه، فالذى عملوه فى غرة شعبان هو وضع هذا الرخام فى أسفله فقط، لجمال منظر رخام السطح من جميع جهاته.

و عدد الرخامات الموضوعه على إفريز السطح "الطنف" فقط من الجهات الأربعة هو (٥٨) ثمانية و خمسون رخامة و هذه الرخامات كلها مستطيلة الشكل، و طول بعضها (٥٦) سنتيمتراً، و عرضها (٦٠) سنتيمتراً، و بعضها (٧٠) سنتيمتراً.

أما عرضها فلا يختلف مطلقاً فكلها متساوية العرض و مقداره (٢٥) سنتيمتراً.

فإذا جمعنا عدد رخامات هذا الإفريز مع عدد رخامات نفس السطح التى تقدم الكلام عنها، كان مجموع الرخامات فوق سطح الكعبة هو (٢٨٢) مائتان و اثنتان و ثمانون رخامة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٩٥

### إصلاح فتحة باب الدرج الذى بالسطح

ثم عندما فرشوا ألواح الخشب فوق أعواد السطح الأعلى فى يوم الاثنين الحادى و العشرين من رجب من السنة المذكورة سنة (١٣٧٧) هجرية، أصلحوا فتحة باب الدرج الذى بأعلى السطح، أصلحوها من نفس خشب الكعبة القديم الصالح الذى لم يطرأ عليه السوس و الأرضه، و فتحة الباب واقعه فى الركن الشامى من السطح أى فوق الدرج الذى يباطن الكعبة تماماً، تبعد عن الجدار الشرقى بـ متر واحد، و عن الجدار الشامى الذى فيه الميزاب بعشرين سنتيمتراً.

و أبدلوا غطاء هذه الفتحة القديم بغطاء من الخشب السميك، و جعلوا عليه تليسة جديدة من المعدن، و طول هذا الغطاء (١٨٥) مائة و خمسة و ثمانون سنتيمتراً و عرضه (١١٠) مائة و عشرة سنتيمترات، أما طول نفس فتحة الدرجة فهو (١٢٧) مائة و سبعة و عشرون سنتيمتراً، و عرضها (١٠٤) مائة و أربعة سنتيمترات، أى أن قياس الغطاء أكبر من نفس الفتحة و هذا هو المعقول، حتى لا تجد المياه منفذاً لتسربها إلى باطن الكعبة.

فإذا أقيمت فتحة الدرج بهذا الغطاء فلا تنزل من مياه الأمطار إلى جوف الكعبة قطرة واحدة.

### تجديد السقف الثانى للكعبة مما يلى الأرض

و فى صبح يوم الثلاثاء الثانى و العشرين من شهر رجب سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية، فتح سدنة الكعبة بابها، فأدخل العمال فى جوفها الأعواد الطوال لتركيبها بعضها ببعض، أى لعمل السقايل حتى تصل من أرض الكعبة إلى السقف الخشبي، أى السقف الثانى المقابل لأرض الكعبة، و ذلك لإصلاح ما عطب و تآكل من أخشابه، بعد أن رفعوا قناديل الكعبة المعلقة، و بعد أن رفعوا ستارتها الداخلية الحمراء.

ثم فى يوم الأربعاء الثالث و العشرين من شهر رجب من السنة المذكورة نظروا إلى أخشاب هذا السقف فوجدوها كلها تالفة تحتاج إلى تغييرها و استبدالها بأخشاب جديدة قوية، أما أعواد هذا السقف التى تحمل هذه الأخشاب و عددها ثلاثة أعواد، فقد وجدوها صالحة جيدة ما عدا العود الثانى الذى بالوسط فقد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٩٦

كان مكسورا، فأخرجوا هذا العود المكسور بعد أن نشره بالمنشار إلى ثلاث قطع، ثم استبدلوا هذا العود بعود مثله، قوى غليظ فوضعوا مكانه، و العودان الآخران القديمان بقيا على حالهما لم يغيرا مطلقا لقوتهما و صلابتهما.

و هذه الأعواد الثلاثة كلها قوية صلبة و غليظة جدا، طول كل واحدة منها عشرة أمتار و خمسة عشر سنتيمترا، و قطر كل منها أربعين سنتيمترا، و تمتد رؤوس هذه الأعواد الثلاثة من الجدار الشرقى للكعبة إلى الجدار الغربى، أى كامتداد رؤوس أعواد السقف الأول. و فى صباح يوم الخميس الرابع و العشرين من شهر رجب من السنة المذكورة قاموا بكنس داخل الكعبة المشرفة و تنظيفها و إخراج ما تساقط فيها من الأخشاب القديمة و المسامير و الأحجار و الأتربة، و رموا كل ذلك فى داخل حجر إسماعيل عليه السلام فى جهة الميزاب.

ثم بعد تركيب العود الجديد الذى وضع فى مكان العود المكسور، قاموا بتطبيق ألواح الخشب الجديدة المتينة فوق هذه الأعواد الثلاثة و سمروها عليها بعد مسحها و تنظيفها حتى صارت ناعمة، و سمك كل لوحة من هذه الأخشاب الجديدة بوصة واحدة أو بوصتان (نحن نشك فى ذلك) و لم يوضع فوق هذه الأخشاب شىء من الطين أو الرخام غير أنهم ضربوه بالبوية الزيتية كما سيأتى تفصيله إن شاء الله تعالى. و بهذا ينتهى تجديد هذا السقف الثانى، و انتهاء العمل فيه كان فى ليلة الجمعة الخامس و العشرين من شهر رجب من السنة المذكورة، و لهذا السقف بابان صغيران، أحدهما من الجهة الشرقية و ثانيهما من الجهة الجنوبية، يتوصل إليهما من باطن درج الكعبة الداخلية.

و السبب فى عدم وضع طين أو حجر أو رخام فوق خشب هذا السقف، هو عدم الاحتياج إلى ذلك لأنه ليس سطحها للبيت الحرام، فسطحه هو السقف الأول الذى يلى السماء، فلا تدخل مياه الأمطار إلى هذا السقف الثانى، فالسطح هو الذى يتلقى المياه، و إنما عملوا هذا السقف محافظة على الوضع القديم منذ صدر الإسلام من وجود سقنين للكعبة مع العلم بأنه لا يوضع فى هذا السقف شىء أبدا. و الله تعالى وحده الذى يعلم حكمه حدوث هذا السقف الثانى، فهو علام الغيوب لا يخفى عليه شىء فى الأرض و لا فى السماء.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٩٧

### دهن ما بين السقف بالبوية

ثم ابتدؤوا فى يوم الاثنين الثامن و العشرين من شهر رجب من السنة المذكورة فى دهن ما بين السقنين أى على الأعواد و الأخشاب

بالقطران الأسود لحفظها من السوس والأرضة، وبعد الانتهاء من ذلك تركوه حتى يجمد القطران و ينشف. ثم فى اليوم السادس من شهر شعبان من السنة المذكورة، دهنوا من بين السقفين خشب السقف العلوى بالبوية البيضاء.

### تنقيـل جدران الكعبة من الخارج

لم يحصل ولله الحمد تصدع و تشقق فى جدران الكعبة المشرفة مطلقا لا من الخارج و لا من الداخل، و إنما الذى حصل هو و هن فى النورة التى بين حجاراتها من خارجها، فظهر بينها مفاجأة بعرض الإصبع، و هذا هو الذى يحتاج إلى التنقيـل و هو إصلاح ما بينها و ملئها بالنورة و الجص، و أما ما حصل من داخل الكعبة فهو و هن أيضا فى بعض الرخامات المكسوة بها الجدران، و هذا أيضا يحتاج إلى إصلاح و ترميم، خصوصا ما حدث الآن عند تعمير السقفين من الخدوشات.

و أما السقفان "الأعلى و الأدنى" فقد تصدعا و ظهر فيهما التلف و التآكل و الحمد لله الذى هدانا لتجديدهما تجديدا تاما كاملا. أما نفس جدران الكعبة المعظمة فقوية و متينة و ضخمة البناء و لله الحمد، و نعتقد أنها تمكث سليمة صحيحة كما هى عليه الآن نحو ألف عام، و كيف لا تكون كذلك و عرض بنائها، أى "سمك جدرانها" متر واحد، و حجاراتها من الصخور الصماء القوية، يبلغ طول بعضها مترين و مترا و ما بين ذلك، و قد بنيت بإخلاص و حسن نية و من المال الحلال مع التكبير و التهليل و التسييح و التقديس.

ففى صباح يوم الاثنين الحادى و العشرين من رجب من السنة المذكورة، باشر المعلمون و العمال فى تنقيـل جدران الكعبة من الخارج من جهاتها الأربعة من أعلى السطح إلى الشاذروان بأرض المطاف مع استمرار الشغل و التعمير فى السطح بواسطة عمال آخرين، و التنقيـل كلمة عربية. قال فى مختار الصحاح فى مادة "نقل": "و قد نقل ثوبه من باب نصر أى رقعته، و أنقل خفه أى أصلحه، و نقله أيضا تنقيلا. اه. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ٢-٣؛ ص ٣٩٨

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٩٨

و جميع هؤلاء المعلمين و العمال من أهل مكة ليس فيهم غريب مطلقا، لأنهم أعرف من غيرهم بصنعة التنقيـل يتقنونه إتقاناً تاماً من سابق العصور، و عددهم تسعة و عشرين شخصا أسماؤهم كما يأتى:

(١) عبد القادر مجلد، (٢) سعيد درويش، (٣) سليمان لبان، (٤) عبد الكريم مجلد، (٥) عبد الشكور خيمى، (٦) إبراهيم مجلد، (٧) محمد حنفى، (٨) عبد السلام خيمى، (٩) معتوق خياط، (١٠) محمود صابر، (١١) جمال فارسى، (١٢) عبد الرحمن على، (١٣) أحمد حريرى، (١٤) سراج بنون، (١٥) عبد الله حريرى، (١٦) محمد عبد الرحمن، (١٧) عبد الجبار منشى، (١٨) محمد رفيع، (١٩) عبد الله أبو عسيده، (٢٠) سعيد تنو، (٢١) عبد المطلب عبد الله، (٢٢) عبد الجليل عصلوب، (٢٣) سليم هبو، (٢٤) عبد الوهاب خيمى، (٢٥) محمد صابور، (٢٦) سليمان حمزة جلال، (٢٧) أحمد مده، (٢٨) يحيى عبد الشكور، (٢٩) حسن إسماعيل.

هؤلاء هم المنقلون المكيون الذين اشتغلوا فى تنقيـل جدران الكعبة المطهرة زادها الله تعالى شرفا و تعظيما.

و التنقيـل عبارة عن تملية ما بين حجارات الكعبة المشرفة من الفراغ و الفجوات بمعجون "اللاقونه" أولا ثم يحشونه من الظاهر بالجص و النورة البلدية و الإسمنت.

و اللاقونه هى معجون يصنع من النورة و القطن مخلوطا بزيت السمسم، يدقون الجميع دقا ناعما عدة ساعات حتى يختلط الجميع بعضه ببعض خلطا جيدا، و يمتزج مزجا تاما حتى يصير كالمعجون، فعندئذ يأخذون منه بأصابعهم و يحشون الفراغ و الفجوات التى بين الحجارات، و يضعون أيضا مع اللاقونه غلاظ المسامير لشدة التماسك، و بعد تملية الفراغات و الفجوات باللاقونه، يضعون عليها معجون الجص و النورة و الإسمنت، ثم يملسونه تمليسا جيدا ناعما حتى يتساوى التنقيـل بمستوى الحجارات، بهذه الصفة كانت التنقيـل فى جدران الكعبة المشرفة.

وقد وجدنا في الجدار الشرقي للكعبة الذي فيه الباب ثلاث فتحات دائرية و مثلها في الجدار المقابل له، قطر دائرة كل فتحة نحو أربعين سنتيمترا، و كل واحدة منها متباعدة عن أختها بنحو مترين، و كلها تبعد عن السطح بمقدار مترين تقريبا، يعني أن هذه الفتحات موضع رؤوس أعواد السقف الثاني، و كانت هذه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٣٩٩

الفتحات مسدودة بصفائح الرصاص، فعند التنقيب أخرجت هذه الصفائح من الفتحات و سدت بالحجارة و النورة. هذا و لقد انتهوا من عمل تنقيب جدران الكعبة المشرفة في يوم الأحد خامس شعبان سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية، و كان ابتداء عملهم فيه كما قلنا يوم الاثنين الحادي و العشرين من شهر رجب من السنة المذكورة، و الحمد لله رب العالمين.

### العمل في داخل الكعبة و ترميمها

ثم بدؤوا في العمل داخل الكعبة المشرفة من الترميم و الإصلاح بعد صلاة الجمعة في اليوم الثالث من شهر شعبان سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية.

و كان قبل ذلك أي عند عمارة السقف الثاني للكعبة قد رفعوا ستارها الحريري الحمراء التي بداخلها، كما رفعوا جميع القناديل و الطاسات المعلقة في جوفها محافظة عليها، و كان ذلك في يوم الاثنين الحادي و العشرين من شهر رجب من السنة المذكورة، بعد أن عملوا في هذا اليوم أيضا السقايل الخشبية في جوف الكعبة للصعود عليها وقت الشغل، و هذه السقايل تبدأ من أرض الكعبة إلى أن تصل إلى السقف.

و كان قد عملوا صندوقين كبيرين طول كل منهما مترا واحدا و نصف متر، و عرضه ثمانون سنتيمترا، و ارتفاعه كذلك، عملوا هذين الصندوقين لحفظ قناديل الكعبة و ستارتها الداخلية فيهما، و كان عدد هذه القناديل و الطاسات المعلقة في جوفها ما بين صغير و كبير نحو ثمانون قنديلا كما عدناها بأنفسنا، على أن هذه القناديل الثمينة لا تسرح و لا تستعمل، و إنما هي هدايا للكعبة تجب المحافظة عليها.

و الشغل في جوف الكعبة المعظمة يكون فيما يأتي:

(١) إخراج الجبس و النورة القديمة من أعلى جدران الكعبة إلى أسفل ثم إصلاحها.

(٢) إخراج الرخامات المحيطة بجدرانها إلى ارتفاع ثلاثة أمتار و نصف متر ثم وضعها في أماكنها بعد تنظيفها و إصلاحها.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٠٠

(٣) إصلاح المدرج التي بداخل الكعبة الموصلة إلى سطحها من أن تخرج درجة واحدة عن موضعها.

(٤) إصلاح عتبة الكعبة من داخلها مع الباب.

هذه هي الأعمال التي تحتاج إلى الإصلاح و الترميم في داخل الكعبة المشرفة، مع أنه لم يمس حجارات بناء الكعبة المشرفة بشيء من الترميم و الإصلاح مطلقا، لا من الجدران الخارجية و لا من الجدران الداخلية، لقوة ذات البناء و متانتها، فلم يخرج حجر واحد من محله للإصلاح و الترميم.

فبدؤوا بالعمل في جوف الكعبة المطهرة أولا بإخراج الرخامات التي كسيت بها جدران الكعبة من الجهات الأربعة إلى ارتفاع ثلاثة أمتار و نصف متر و جميع هذه الرخامات منقوشة نقشا خفيفا لا يلهي الناظرين إليها، و غالبها منقوش بشيء من أنواع الثمار، كالعنب و الموز و التين، و بين هذه الرخامات ثمانية رخامات عليها كتابات بينها في مبحث خاص فراجع إن شئت.

فأخرجوا جميع هذه الرخامات و وضعوها بجهة الركن اليماني لا في أرض المطاف، و إنما وضعوها فوق الممر الخشبي الدائر بالكعبة من الجهات الأربعة و المرتفع عن أرض المطاف إلى باب الكعبة في جميع الجهات ليسهل الدخول و الخروج إليها، بل يوجد مثله

ثلاث ممرات أو أربعة، كل واحد فوق الآخر إلى علو السطح، عملوا ذلك حينما عملوا السقايل الخشبية من خارج الكعبة جهة حجر إسماعيل عليه الصلاة والسلام الموصلة إلى سطحها، وذلك في أوائل شهر رجب سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية كما تقدم بيانه.

ثم بدأوا بعد إخراج الرخامات التي بجوف الكعبة، في إخراج الجبس و النورة القديمة، من أعلا جدرانها إلى أسفلها من الجهات الأربع، ثم أدخلوا جميع أدوات العمارة و آلات الشغل في جوف الكعبة، فقاموا بوضع الرخامات القديمة التي أخرجوها من جدرانها في نفس أماكنها و محلاتها، و كذلك الرخامات المكتوبة فقد وضعوا كل رخامة منها في موضعها تماما بدون تغيير، فثبتوا كل ذلك في الجدران تثبيتا تاما، و قد زادوا رخامة واحدة كبيرة كتبوا عليها تاريخ هذه العمارة و وضعوها في الجدار الجنوبي الذي هو بين الركنين، و سيأتي إن شاء الله تعالى نص ما كتب على هذه الرخامة عند مبحث الرخامات المكتوبة التي بداخل الكعبة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٠١

كما قاموا بترميم الحيطان، أي الجدران، و تنقيتها بالمونة البلدية النظيفة الممتازة بالجبس و النورة، فكانوا يشتغلون بأدب و احترام و إخلاص و صدق نية، تقريبا إلى رب هذا البيت الكريم و رب العرش العظيم، و كانوا في حالة ذكر و تسبيح و تهليل طول الوقت، لا يتكلمون بكلام الدنيا إلا- ما هو ضروري بقدر اللزوم و ما هو في مصلحة العمل، و كان كثير من الفضلاء و الكبراء يحملون أواني الطين و النورة و الحجارة و الماء بأنفسهم إلى البنائين، و لقد تشرف و سعد إن شاء الله تعالى بخدمة الكعبة المعظمة مؤلف هذا التاريخ، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط كاتب مصحف مكة المكرمة مع ولده "عبد الرحمن" فاشتغلنا بحمل الحجارة و النورة و بنينا شيئا قليلا فيها على سبيل التبرك بالخدمة، مع التشرف بحضورنا يوميا في الكعبة المشرفة للوقوف على العمل، فالحمد لله الذي وفقنا لهذا و هو تعالى أكرم من أن يردنا خائبين، و لقد انتهى المهم من الأعمال في داخل الكعبة في يوم السبت الحادى عشر من شعبان من السنة المذكورة و في أثناء هذه المدة، أي في السادس من شعبان من السنة المذكورة، دهنوا خشب السقف الثانى من داخل الكعبة بالبوية السلقون البرتغالى و هم على السقايل الخشبية، و السلقون هو بويه بين الأحمر و الأصفر و الزرنيخى. أما الأشغال الكثيرة فقد دام فيها إلى نهاية شعبان من السنة المذكورة كما سنبين ذلك فيما يأتى.

### حضور جلالة الملك السابق سعود إلى الكعبة المشرفة

قلنا أن الأعمال المهمة الكبيرة كوضع الرخامات كلها في أماكنها و إصلاح جدران الكعبة من داخلها، قد انتهت في يوم السبت الحادى عشر من شهر شعبان من السنة المذكورة و هي سنة ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية، و لم يبق إلا الأشياء الصغيرة و هي ستنتهى شيئا فشيئا كما سيأتى بيان كل ذلك.

لهذا فقد اعتبروا هذا اليوم هو يوم الانتهاء من عمارة سقفى الكعبة المشرفة و من إصلاح و ترميم باطنها، لذلك فقد حضر جلالة الملك السابق "سعود بن عبد العزيز آل سعود" من الرياض إلى مكة المكرمة و دخل الكعبة المطهرة في آخر اليوم المذكور قبل المغرب بنصف ساعة للإشراف على وضع آخر حجر من الرخام في جدار الكعبة المشرفة و هو الحجر الذى نقش فيه اسمه و تاريخ هذه العمارة، و حتى ينظر بنفسه إلى هذه العمارة التي كان هو الأمر بها، و كان مؤلف هذا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٠٢

الكتاب "محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي" في مدة مكث جلالتة في الكعبة يهلل و يكبر و يسبح الله تعالى في ميكرفون الإذاعة السعودية الذى وضعوه في داخل الكعبة عند بابها، فكانت هذه التهليلات و التسيحات تذاع على العالم الإسلامى في كافة الأرجاء.

ثم إنه بعد صلاة المغرب من ليلة الأحد الثانى عشر من شهر شعبان من السنة المذكورة سنة (١٣٧٧) هجرية قاموا بزيلون الأخشاب و

السقايل التي حول الكعبة من الخارج و التي ركبوها عند ابتداء العمل في تجديد سقفى الكعبة، فاشتغلوا في إزالتها من بعد صلاة المغرب حتى الفجر فأزالوها كلها من حول الكعبة المشرفة، ما عدا الممر الخشبي الذي يتدئ من عند المنبر و ينتهى إلى باب الكعبة، مع الطريق الخشبي الممتد أمام باب الكعبة إلى ركن الحجر الأسود، فبقيت الستارة الخشبية في هذه الجهة فقط، لكن لا إلى سطح الكعبة و إنما إلى علو قامه واحدة، و ذلك لحجب أعين الناس عن إتمام الشغل الباقي داخل الكعبة، فبقيت الكعبة المشرفة مكشوفة بدون ستارة ظاهرة بحجارتها أمام الناس من فجر يوم الأحد إلى وقت الضحى العالى من هذا اليوم، ثم إنه قبل الظهر بساعتين من هذا اليوم ألبسوا الكعبة ثوبها من الخارج حسب العادة، و بهذا يعد العمل في الكعبة الشريفه منتهيا تقريبا.

ثم في صباح يوم الأحد المذكور الثاني عشر من شعبان من السنة المذكورة سنة (١٣٧٧) هجرية، الذي يعد فيه انتهاء العمل من الكعبة، حضر جلالة الملك "سعود بن عبد العزيز" إلى المسجد الحرام و طاف بالكعبة ثم دخل فيها و صلى ركعتين بعد أن فرش مؤلف هذا الكتاب سجاده لجلالته ليصلى عليها، و كان معه الأمراء و الوزراء و العلماء و السفراء و الأعيان، و بعد أن صلوا في الكعبة و دعوا و تضرعوا إلى الله تعالى قام جلالة الملك و من بمعيته بتعطير جدران الكعبة المشرفة و قد بدى في وجوههم الفرح و السرور، ثم إن جلالته ألقى كلمة من جوف الكعبة عند بابها بواسطة الإذاعة السعودية، موجهة لشعبه الكريم و العالم الإسلامى يبشرهم فيها بتعمير بيت الله الحرام و الانتهاء منه و هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه و على آله و من والاه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٠٣

(أما بعد) فإننا نحمد الله سبحانه و تعالى على ما أنعم به علينا من عمارة بيته الحرام هذا البيت الذى جعله الله مثابة للناس و أمنا، و نسأله القبول و المزيد من فضله و التوفيق، و ندعوه بدعوة الخليل إبراهيم عليه السلام (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) و نرف هذه البشرى من موقفنا هذا من جوف الكعبة المطهرة إلى عموم المسلمين فى مشارق الأرض و مغاربها، و نسأله تعالى أن يهدينا و يلمنا رشدنا و يتقبل منا، و أن يجمع كلمة المسلمين و العرب على ما يصلح دينهم و دنياهم إنه سميع مجيب.

ثم بعد أن انتهى جلالته من خطابه الكريم من ميكروفون الإذاعة و هو واقف عند باب الكعبة المشرفة من الداخل استأذن من جلالته أحد سدنة الكعبة الفضلاء و هو الشيخ طلحة الشيبى فى إلقاء كلمة نيابة عن جميع سدنة الكعبة بمناسبة الانتهاء من عمارتها، فأذن له جلالته فألقى خطبة قصيرة لطيفة تناسب هذا المقام الكريم.

و بعد ذلك خرج جلالته و من حضر بمعيته من الكعبة المشرفة إلى القصر الملكى العامر بمكة المكرمة، فأمر أن تقام حفلة كبرى بعد ظهر هذا اليوم، و هو يوم الأحد، الثاني عشر من شهر شعبان من السنة المذكورة سنة (١٣٧٧) هجرية، فحضر هذه المأدبة الكبرى جمع كبير من الأمراء و الوزراء و العلماء و السفراء و من وجهاء البلاد و أعيانها، بمناسبة الانتهاء من تعمير الكعبة المشرفة.

ثم أمر جلالته بإقامة مأدبة أخرى فى اليوم التالى، و هو يوم الاثنين الثالث عشر من شعبان، خاصة للمعلمين و العمال و البنائين و المباشرين و كل من ساهم فى عمارة الكعبة المشرفة و المسجد الحرام، ابتهاجا بتعمير بيت الله الحرام فأقيمت هذه المأدبة بالطابق الثانى من عمارة المسعى، و قد نحرروا لهذه المأدبة عشرة من الإبل و ذبحوا خمسين شاة، مع بضعة أكياس من الرز.

ثم أمر جلالته بطبع نشرة صغيرة عن ذكرى عمارة الكعبة المشرفة و انتهائها فى اليوم الثانى عشر من شعبان سنة ألف و ثلاثمائة و سبعة و سبعين هجرية، فطبع هذه النشرة بمطابع دار الأصفهاني و شركاه بجدة، بإشراف مؤلف هذا التاريخ محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط غفر الله تعالى له و لوالديه و لعموم المسلمين آمين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٠٤

و لقد حضر جلالة الملك السابق فى الكعبة المشرفة قبل وضع كسوتها الداخلية عليها ليرى الشغل فى ترميمها و إصلاحها، و لم توضع

الكسوة الداخلية الحمراء في سقف الكعبة و جدرانها الداخلية إلا في مساء يوم الثلاثاء الرابع عشر من شعبان من السنة المذكورة و هي سنة "١٣٧٧" هجرية، و انتهوا من وضعها في يوم الأربعاء الخامس عشر من شعبان، بعد أن خاطوا منها ما يحتاج إلى الخياط.

### إصلاح ميزاب الكعبة

و في يوم الخميس التاسع من شعبان سنة "١٣٧٧" ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين للهجرة، قاموا بإصلاح ميزاب الكعبة المشرفة الذي عمله السلطان عبد المجيد خان بن السلطان محمود خان أحد سلاطين آل عثمان رحمه الله تعالى، عمله في سنة (١٢٧٣) ألف و مائتين و ثلاث و سبعين هجرية، و هو الميزاب الموجود على الكعبة في عصرنا الحاضر، و من قدمه يرى كأنه جديد و هو متين و قوى للغاية، و هذا الميزاب هو من الذهب الخالص النظيف، مبطن من الداخل بالفضة الخالصة السميكة، يعني أن الذهب محيط بالفضة من بطنه و جانبيه، أما علو الميزاب فهو مفتوح لا غطاء عليه، و بين الذهب و الفضة خشب سميكة من جانبيه و بطنه الأسفل، و كل ذلك مسمر بمسامير من الذهب الخالص.

و هذا الميزاب على شكل المستطيل، على وجهه قطعة من الذهب الخالص مدلاة متحركة إلى الأمام و الخلف و تسمى هذه القطعة "باللسان" و تسمى أيضا "بالبرقع" و قياس هذا الميزاب كما يأتي:

طول الميزاب ٢٥٨ سنتيمترا- مائتان و ثمانية و خمسين سنتيمترا- بما هو داخل في جدار الكعبة و عرض بطنه ٢٦ سنتيمترا- ست و عشرون سنتيمترا- و ارتفاع كل من جانبيه ٢٣ سنتيمترا- ثلاثة و عشرون سنتيمترا- و دخوله في جدار السطح ٥٨ سنتيمترا- ثمانية و خمسون سنتيمترا- و المقدار الذي دخل في جدار الكعبة عليه حجر كبير غليظ طوله خمسة أشرار و عرضه شبران- أي طوله متر واحد و عشرون سنتيمترا تقريبا، و عرضه نصف متر تقريبا- و مثبت في الجدار ثبوتا جيدا قويا لا يتزحزح شعرة واحدة مطلقا كأنه جبل راسخ كما جربناه ذلك بأنفسنا، فرحم الله من عمله و من وضعه و من أصلحه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٠٥

و لقد كتب على جوانب الميزاب و لسانه على الذهب تاريخ عمله و تجديده بخط الثلث الجميل البديع ما يأتي:

كتب على لسان الميزاب المعلق بوجهه ما يأتي: "بسم الله الرحمن الرحيم" و تحت البسمله كلمة "يا الله." و كتب على يمين الميزاب ما يأتي: "جدد هذا الميزاب المنير لوجه الله الكريم الخبير، سلطان البرين و البحرين، المفتخر بخدمة الحرمين الشريفين، السلطان الغازي عبد المجيد خان بن السلطان الغازي." ...

و كتب على شمال الميزاب ما يأتي "محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان، بعدما و هن الميزاب الذي جدده جده السلطان الأعلى أحمد خان عليه رحمة المنان سنة (١٠٢١) هـ اللهم رب هذا." ...

و كتب تحت الميزاب ما يأتي: "البيت الحرام، أيد ببقاء دولته الإسلام، ما طاف بيتك الأنام، و احفظه من جميع الآلام، بجاه نبينا" محمد "عليه الصلاة و السلام، و هذا التجديد سنة ثلاث و سبعين و مائتين و ألف هجرية."

هذا ما كتب على الميزاب نقلناه بأنفسنا من الميزاب، في صبح يوم السبت التاسع عشر من رجب سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبعة و سبعين هجرية، و ذلك عند تجديد سقفي الكعبة، و كنا نقف عند الميزاب على الممر الخشبي الذي عمل مع السقايل الخشبية التي حول الكعبة عند ابتداء هذه العمارة، و لو ذلك لما تمكنا من الوقوف على ما كتب على هذا الميزاب، و بهذه الكيفية أيضا أمكن إصلاح هذا الميزاب كما سنبين موضع إصلاحه فيما يأتي:

و هذا الميزاب كما قلنا إنه قوى متين للغاية ليس في ذاته أي خراب، و لكن ما يحتاج فيه للإصلاح هو المسامير التي هي من الفضة الخالصة الواقفة على أطراف الميزاب من الأعلى لمنع جلوس الحمام عليها، فقد اعوجت من طول الزمان فأخرجوها و عملوا مسامير مثلها من الفضة أيضا و وضعوها في محلها الأصلي من الميزاب و أخرجوا أيضا الخشب الذي على قاعدة الميزاب و بطنه، لأنه تلف

من طول الزمان و استبدلوه بخشب قوى جديد، و لم يعملوا فى الميزاب من الإصلاح شيئاً غير ما ذكرناه من استبدال الخشب و المسامير و ذلك فى اليوم التاسع من شهر شعبان من السنة المذكورة سنة "١٣٧٧" هجرية و الذى قام بإصلاح الميزاب صائغ محترم من أهل مكة اسمه الشيخ محمد نشار، أحسن الله إليه و إلينا بوابل نعمه و خيراته، و فضله و إحسانه إنه بعباده لطيف خير أمين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٠٦

### إصلاح جانبى جدار باب الكعبة و عتبتها

ثم فى ليلة الجمعة السابع عشر من شعبان سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية، أخرجوا باب الكعبة أى المصرعين الذين يسميان فى عرفنا "بالدرفتين" فأصلحوا الجدار الذى وراءهما، و بعبارة أخرى يفهمها المعلمون أصلحوا أكتاف الباب من الجانبين، و جددوا تجليد العتبة العليا التى فوق الباب من داخل الكعبة بخشب من النوع الجيد السميك.

كما أخرجوا الأبيات المكتوبة على ألواح من الذهب الخالص و المشتهة على الخشب الذى فوق عتبة الباب العليا من خارج الكعبة، فأصلحوا هذه الألواح الذهبية و سمروها ثانيا فى مكانها الأول، و لقد أخذنا لهذه الأبيات صورة فوتوغرافية بعد أن أخرجنا الألواح الذهبية و وضعناها عند منبر المسجد الحرام و بعد أن أخذنا لها الصورة أرجعناها فى محلها.

ثم فى يوم الأحد التاسع عشر من شعبان من السنة المذكورة، عملوا عتبة باب الكعبة السفلية، أى البسطه التى عند مدخل الباب و فرشوها بالرخام الأبيض الذى أخرج من جدار داخل الكعبة، و وضعوا فوق هذا الرخام قضيبين من الحديد على شكل نصف دائرة، لتمشى عليهما عجلتا مصراعى الباب ليسهل فتحهما و قفلهما.

### إصلاح درج الكعبة التى فى داخلها

و فى يوم الأحد التاسع عشر من شعبان من السنة المذكورة سنة (١٣٧٧) هجرية أصلحوا الدرج إلى داخل الكعبة الموصل إلى سطحها، و هذا الدرج نصفه الأسفل من الرخام أى إلى علو ثلاثة أمتار و نصف متر، ثم ما كان من الدرج بعد هذا فهو من ألواح الخشب السميك الثخين إلى أن تصل إلى السطح.

فرموا الدرجات الرخامية بالنورة و الإسمنت، و أصلحوا من الدرجات الخشبية و الساتر الخشبي الذى وراءها ما يحتاج إلى إصلاح، مع العلم بأنهم لم يغيروا درجته واحدة و لم يرفعوا شيئاً عن مكانه، لا من الدرجات الرخامية و لا من الدرجات الخشبية، و إنما أصلحوا ما يحتاج إلى إصلاحه فقط لا غير.

و نحن قد تكلمنا فى مبحث آخر عن هذا الدرج فلا نكرر الكلام هنا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٠٧

### دهن أعمدة ابن الزبير التى بجوف الكعبة و وصفها

لقد تكلمنا فى مبحث آخر عن الأعمدة الثلاثة التى هى من خشب الساج القوى المتين، و التى وضعها عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فى جوف الكعبة حين عمارته لها ليحمل سقفها، و الباقية فى داخلها إلى يومنا هذا. و هنا نتكلم عنها من جهة شكلها و صفتها بالتحقيق التام، حيث رأيناها من أسفلها إلى أعلاها، بواسطة السقايل التى عملت فى وقتنا الحاضر لعمارة سقفى الكعبة المشرفة و ترميم باطنها، فوصفنا لها يكون عن مشاهدة بأعيننا و التحقيقات التامة التى عملناها عنها بأنفسنا. فالحمد لله على هذه التوفيقات العظيمة المتتالية علينا من فضله الواسع، كما أننا نتكلم عنها فيما جرى فيها من ترميمها و دهانها و هو كما يأتى:



إنه في يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية، بدؤوا في تنظيف هذه الأعمدة الثلاثة التي وضعها عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما في داخل الكعبة لحمل السقف، فنظفوها من أعلاها إلى أسفلها، ثم في المواضع المتآكلة و الأخراق الظاهرة فيها، بسبب مرور أكثر من ألف و ثلاثمائة عام عليها، معجون الجبس المختلط بالزيت أو السبيداج يعجن بالزيت المغلى و هو زيت الكتان و يوضع عليه قليل من السلقون لينشف سريعا، ثم يسد به الأخراق و الأштاب و الفجوات التي على الأخشاب، ثم يسوى بسطح الخشب و يصنفر حتى يكون ناعما في الشكل ثم يدهن بعد ذلك بأى لون كان. ثم إنهم في يوم الأحد السادس و العشرين من شهر شعبان من السنة المذكورة، دهنوا هذه الأعمدة الثلاثة بالبوية الزيتية البنية. هذا ما حصل في هذه الأعمدة الثلاثة المباركة الأثرية القيمة، من دهنها بالبوية بعد معجون السبيداج و لم يكن فيها غير ذلك، و إليك فيما يأتى وصف هذه الأعمدة:

طول هذه الأعمدة الثلاثة التي وضعها عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما في الكعبة هو كما يأتى:

س / متر

٣ / ٧ طول العمود الأول الذى هو مما يلي حجر إسماعيل عليه الصلاة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٠٨

و السلام.

٠ / ٧ طول العمود الثانى بالوسط.

١٢ / ٧ طول العمود الثالث المقابل لباب الكعبة مما يلي الحجر الأسود.

٤٤ / ٠ قطر كل عامود من هذه الأعمدة الثلاثة المذكورة.

مع العلم بأن هذا القياس هو من رخام أرض الكعبة إلى رأس كل عمود، أما مقدار ما هو مغروز على أرض الكعبة فلم نطلع عليه، ربما كانت هذه الأعمدة مغروزة نحو نصف متر أو أقل أو أكثر الله تعالى أعلم به، و تحت أسفل كل عمود من هذه الأعمدة الثلاثة قاعدة مربعة منقوشة ضلعها (٧٥) سنتيمترا، و يوجد على رأس كل عمود من هذه الأعمدة الثلاثة جلبة "بضم الجيم: "من الحديد الثخين، سمك بوصة واحدة في عرض أربع بوصات. و معنى الجلبة فى عرفنا الطوق من الحديد، رأينا كل ذلك بأعيننا و قسنا كل ذلك بأنفسنا.

و اعلم بأن فوق كل عمود من هذه الأعمدة الثلاثة تاج من الخشب الجيد، و فوق كل تاج كابولى طوله متران و ٤٠ \* ٢٥ سنتى، و الكابولى عبارة عن ألواح من الساج الهندى. و مركب على هذا الكابولى العود الذى تحت الأعواد الثلاثة للسقف الثانى، الذى أحد طرفيه فى الجدار الشمالى جهة حجر إسماعيل، و طرفه الثانى فى الجدار الذى بين الركنين، و هذا العود موضوع فوق الكابولى على صورة الارتكاز لا على صورة الحمل، و قياس التيجان الثلاثة التى على الأعمدة الثلاثة هو كما يأتى:

س / متر

٥٠ / ٠ ارتفاع كل تاج من التيجان الثلاثة.

٥٥ / ٠ عرض أعلى كل تاج.

٤٠ / ٠ عرض أسفل كل تاج.

و هذه التيجان الثلاثة مزخرفة و هى تشبه التيجان الرخامية التى توضع على رؤوس الأعمدة الرخامية التى فى المساجد و غيرها. و لقد استنتجنا من شكل هذه التيجان الخشبية أنها عملت بالهند، أو صنعها العمال الهنود بمكة المكرمة، فى عمارة السلطان مراد الرابع رحمه الله تعالى للكعبة المشرفة سنة (١٠٤٠) ألف و أربعين هجرية. و الله تعالى أعلم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٠٩

ثم إنه في يوم السبت الخامس والعشرين من شهر شوال من السنة المذكورة (١٣٧٧) هجرية، وضعوا على كل عمود من هذه الأعمدة الثلاثة، ثلاثة أطواق من الفضة على قدر القامة فقط، ففي أسفل كل عمود طوق واحد، و فوق ذلك بقليل طوق ثاني، و فوق ذلك بقليل على قدر القامة طوق ثالث، و عرض كل طوق من هذه الأطواق التسعة سبعة سنتيمترات تقريبا، ما عدا الثلاثة الأطواق العليا فعرض كل منهما ضعف ذلك.

### فرش أرض الكعبة بالرخام

ثم في يوم الأحد السادس والعشرين من شهر شعبان المعظم من السنة المذكورة (١٣٧٧) هجرية، فرشوا أرض الكعبة الغراء بالرخام من غير أن يقلعوا من الرخام القديم شيئا، أي فرشوا في أرضها رخاما جديدا فوق الرخام القديم، فكان ارتفاع الرخام الجديد عن القديم بمقدار خمسة سنتيمترات تقريبا.

و يا ليت أنهم لم يفرشوا رخاما جديدا فوق الرخام القديم لثلاثة أمور:

(الأول): أن الرخام القديم هو من أجود الرخام وبعضها نادر الوجود.

(الثاني): عدم حصول أي خراب في الرخام القديم، بل إنه قوى و سليم و جميل للغاية.

(الثالث): أن أرض الكعبة من داخلها علت بمقدار خمسة سنتيمترات أو أكثر بسبب فرش الرخام الجديد فوق الرخام القديم، و لكن قد كان ذلك و لا حيلة لنا، و نحن ذكرنا هذا الأمر لتسجيل ما حصل في تاريخنا هذا.

### الانتهاء التام من عمارة الكعبة

في ليلة الاثنين السابع والعشرين من شهر شعبان سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية، رفعوا الجزء الصغير الباقي من الستارة الخشبية التي تقابل وجه الكعبة من خارجها، فرفعوا في هذه الليلة هذا الجزء من الستارة الخشبية، بحيث ما جاء الصباح إلا و لم يبق منها شيء مطلقا، لانتهاء العمل من الكعبة المشرفة فلم تبق هناك حاجة للستارة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤١٠

ثم في صباح يوم الاثنين المذكور، علقوا قناديل الكعبة في مكانها الأول بين الأعمدة بجوف الكعبة المطهرة، ثم كنسوها و نظفوها من أثر الشغل و العمل و كان مؤلف هذا الكتاب يتشرف بالكنس و التنظيف أيضا. و بذلك انتهى العمل في الكعبة المشرفة داخلها و خارجها تمام الانتهاء، فلم يبق فيها شيء يحتاج إلى الإصلاح مطلقا، فالحمد لله رب العالمين.

ثم إنه في يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شعبان من السنة المذكورة، قام سدنة الكعبة المشرفة بغسلها غسلا جيدا بماء زمزم المعطر حسب العادة المتبعة في كل عام في مثل هذا اليوم من هذا الشهر و قد تشرف أيضا مؤلف هذا التاريخ محمد طاهر الكردي الخطاط بغسل الكعبة مع الحاضرين، نسأل الله رضاه و عفو و عافيته. و بهذا انتهينا من كل شيء في الكعبة المطهرة زادها الله تعالى شرفا و تعظيما و مهابة و تكريما. و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.

### نقل ما في حجر إسماعيل من الأحجار و الأتربة و الأخشاب

قلنا فيما تقدم أنهم كانوا يجمعون التراب و الأحجار و الأخشاب القديمة و غيرها، مما يخرج من سقف الكعبة المشرفة و ما حولها و ما في داخلها، في حجر إسماعيل من جهة الميزاب، بعدما كانوا يضعونها في الزناويل و هي القفاف المعمولة من الخوص، يوضع فيها التراب و الأحجار و نحوها ثم يحمل و يرمى في مكان ما، و احتراما للشغل في الكعبة المطهرة غلفوا كل قفة من ظاهرها بقماش

أبيض.

و بعد أن تجمع الشيء الكثير في حجر إسماعيل مما خرج من الكعبة و قد انتهت عمارتها، نقلوا كل ذلك إلى جهة الصفا موضع السعى أمام درج الصفا و على جانبها الأيمن، في أربعة مواضع أو ستة، كل موضع بنى على شكل مستطيل أجوف قائم من الأرض إلى السماء في علو بضعة أمتار، نقلوه بواسطة أكياس من الخيش توضع فيها الأتربة و الأحجار و الأخشاب و النورة و المسامير القديمة التي خرجت من الكعبة في عمارتها، ثم يصلون بها إلى جهة درج الصفا فيطرحونها في المواضع المبنية المذكورة، و هذه المواضع ليس لها منافذ إلا من رؤوسها فكانوا يرمونها فيها من رؤوسها.

كل ذلك حرمة لما خرج من الكعبة و لثلا يفتتن بها العوام، كما كان يفعل الأقدمون ذلك عند عمارة الكعبة المشرفة، كعبد الله بن الزبير حينما وضع ما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤١١

خرج من الكعبة عند عمارته لها في باطنها و كبسه فيه، و كذلك السلطان مراد الرابع حينما عمّر الكعبة الغراء وضع ما خرج منها في نفس المسجد الحرام في الدكتين اللتين في باب الزيادة.

### أسماء المشرفين على العمل و حضورهم يومياً في الكعبة

و مما يجب التنويه عنه ذكر الرجال المشرفين على هذه العمارة و حضورهم يومياً في الكعبة المشرفة ما عدا سدنة الكعبة المشرفة الفضلاء فهؤلاء كانوا يفتحون الكعبة المشرفة يومياً و يجلسون أمام بابها و أسماؤهم كما يأتي:

(١) المعلم الكبير وزير الدولة الشيخ محمد عوض بن لادن، بكسر الدال المهملة، مدير الإنشاءات العمومية.

(٢) سعادة الشيخ عبد الله بن خثلان، أمين العاصمة و نائب رئيس اللجنة التنفيذية لتوسعة المسجد الحرام.

(٣) سعادة الشيخ محمد صالح القزاز، مدير مكتب مشروع توسعة المسجد الحرام.

(٤) سعادة الشيخ عبد الله بن سعيد، عضو اللجنة التنفيذية لتوسعة المسجد الحرام، و مدير العمل و العمال بمكتب مشروع التوسعة.

(٥) مؤلف هذا التاريخ، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط عضو اللجنة التنفيذية لتوسعة المسجد الحرام، و مدير قسم التأليف و الآثار التاريخية بمكتب مشروع التوسعة.

هؤلاء كانوا يحضرون يومياً للإشراف على العمارة، و يجلسون أحياناً فوق سطحها إذا كان العمل في السطح، و أحياناً يجلسون في داخل الكعبة أو أمام بابها مع سدنتها الفضلاء إذا كان العمل في داخلها أو حولها.

أما سعادة الشيخ محمد صالح باخطة المدير المساعد لمكتب مشروع التوسعة، فقد كان يحضر إلى الكعبة المشرفة بعض الأحيان، حيث لا يتمكن من الحضور يومياً لكثرة أشغاله بالمكتب المذكور.

و أما الذين يحضرون من أهل مكة و غيرهم من مختلف أجناس العالم الإسلامي، بل و من جميع أطراف المملكة العربية السعودية إلى الكعبة المشرفة في مختلف الأيام و الأوقات، للنظر إلى كيفية العمل فيها، و للتشرف بالخدمة في حمل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤١٢

شيء من الأحجار و الطين و الأخشاب و نحوها و لو زما قصيراً، فهؤلاء كثيرون مدفوعون بالعوامل الدينية و التشرف بالخدمة الذاتية، لهذا البيت الكريم الذي جعله الله مثابة للناس و أمناً، و أطعم أهله من الجوع و آمنهم من الخوف، كما هو في صريح القرآن العظيم و كيف لا يتشوق الناس إلى رؤية عمارة هذا البيت الحرام، الذي يطوفون حولها آناء الليل و أطراف النهار، و يتضرعون عنده إلى رب هذا البيت الكريم و رب العرش العظيم و رب السموات و الأرض، عسى أن يتداركهم بلطفه و رحمته و عفوه و غفرانه و فضله و هو سبحانه و تعالى بعباده لطيف خبير.

فعمارة البيت الحرام لا تقع كل سنة مرة، ولا تقع في العمر مرة، وإنما تقع بعد مئات السنين مرة واحدة، ففوات مشاهدتها من وقيمت في زمانه، وهو حاضر بمكة المشرفة، حسرة و أي حسرة.

نسأل الله العلي العظيم الكبير المتعال أن يوفقنا و يقبلنا، و أن يعفو و يغفر لكل من شاهد عمارة بيته و قام بخدمته و لمن حصل له عذر فلم يتمكن من المشاهدة و الخدمة، فإنه تعالى قادر على أن يغفر لجميع المؤمنين و المؤمنات و أن يبدل سيئاتهم حسنات، و أن يعطي كل سائل مسألته من غير أن ينقص من ملكه مثقال ذرة، و كيف يتصور نقصان شيء من ملكك من يقول للشيء "كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء و إليه ترجعون."

سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد، يحيى و يميت، و هو على كل شيء قدير. اللهم صل على محمد و على آل محمد و سلم تسليمًا كثيرًا.

### العمال الذين اشتغلوا في عمارة الكعبة

لقد اشتغل في عمارة الكعبة المشرفة بداخلها و سقفها و جانبها، معلمون و مهندسون و عمال عاديون من كافة الطبقات، و أغلب المهندسين و العمال الفنيين هم من أهل مصر، ثم من أهل مكة خصوصًا المتقلون الذين اشتغلوا بتنقيط جدران الكعبة هؤلاء كلهم من أهل مكة، أما العمال العاديون فمن كافة أجناس المسلمين المقيمين بمكة المشرفة منهم من اشتغل بالأجر اليومية و هم الفقراء و منهم من اشتغل احتسابًا لله تعالى، كما اشتغل و خدم و لو زمنًا يسيرًا بعض فضلاء أهل البلاد ابتغاء وجه الله تعالى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤١٣

و الجميع كانوا يشتغلون بأدب و احترام لائقين ببيت الله الحرام، و غالبهم لا يشتغل إلا و هو على وضوء كامل و كانوا لا يتكلمون بأمر الدنيا إلا بقدر الحاجة، و أكثرهم يشتغل و هو يسبح الله تعالى و يذكره و يدعو و يستغفره و كانوا في نشوة عظيمة من الفرح و النشاط، و السرور و الإخلاص، و كيف لا و هم في أشرف بقعه و أقدس مكان على وجه الأرض.

"ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، و تب علينا إنك أنت التواب الرحيم، و اعف عنا و اغفر لنا و ارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين."

### كلمة ختام

و مما يجب علينا ذكره في هذا المقام التحدث بألطف الله سبحانه و تعالى، و توفيقه التام في عمارة بيته الحرام، و ذلك بأنه لم يحدث و لله الحمد أية حادثة لأحد ممن يشتغل في هذه العمارة الشريفة منذ ابتداء العمل إلى يوم انتهائه، بل إنه لم ينزل في أيام العمل مطر مطلقًا على مكة المكرمة، فلو نزل المطر و العمل جار في سقف الكعبة و هو مكشوف لحصل ضرر في الطين و النورة و الشغل الطرى، لكن الله جل جلاله تداركنا بتوفيقه الكبير، و تدارك العمال الذين يشتغلون في الكعبة باللطف و المعونة التامة، حتى انتهت كل شيء على ما يرام و لله الحمد. فالحمد لله على نعمائه العظمى و ألطافه الخفية.

و إن شاء الله تعالى سندكر هذه البناية مع جميع بنايات الكعبة في منظومة خاصة.

### الإذاعة تؤدي واجبها من فوق سطح الكعبة المشرفة

قامت مديرية الإذاعة السعودية بأداء واجبها في نشر أخبار تغيير سقف الكعبة المشرفة أولاً فأولاً و خطوة خطوة، فأرسلت مندوبًا من طرفها إلى المسجد الحرام لإذاعة الأخبار عن مباشرة العمل في تغيير سقف الكعبة، فوصل مندوبها الأستاذ "عباس فائق الغزاوي" فرقى

إلى سطح الكعبة ووقف على السقايل الخشبية المحيطة بجوانب الكعبة المشرفة في انتظار حضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد المعظم الأمير "فيصل بن عبد العزيز" آنذاك للبدء في تعمير بيت الله الحرام، وقد اجتمع على سطحه الأعلى المهندسون والعمال وبعض الناس من كافة الطبقات من

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤١٤

المكيين وغيرهم ومن ضمنهم مؤلف هذا الكتاب "محمد طاهر بن عبد القادر الكردي" عفا الله تعالى عنهما. فلما كانت الساعة الرابعة العربية بحسب توقيت مكة المكرمة، الموافقة للساعة التاسعة والنصف الإفريقية، أي قبل صلاة الجمعة بساعتين ونصف ساعة، من اليوم الثامن عشر من شهر رجب سنة (١٣٧٧) سبع وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية قمرية، و ١٨ من شهر الدلو سنة (١٣٣٦) هجرية شمسية، و ٨ من شهر فبراير سنة (١٩٥٨) ميلادية، حضر صاحب السمو الملكي الأمير "فيصل" المذكور إلى المسجد الحرام، فتشرف بدخول الكعبة المعظمة أولاً و صلى فيها ركعتين، ثم صعد إلى سطح الكعبة المطهرة من الخشب المدرج المعمول كالسالم لصعود الناس والعمال من خارج الكعبة من فوق حجر إسماعيل إلى أعلى الكعبة، فبدأ سموه الكريم بهدم جزء صغير من إفريز سطح الكعبة الشريف من جهة الركن الغربي بمطرقة في يده وبعد ذلك تتابع الناس بالهدم وقلع رخام السطح. وكانت الإذاعة السعودية تواصل أخبار العمل، و تسأل كبار الموجودين فوق السطح عن شعورهم فيما يجري بيت الله الحرام من التعمير والإصلاح، فيجيبون وقد أخذتهم نشوة الفرح والعزيمة الصادقة في خدمة البيت الحرام "كلنا نحب الإصلاح و تعمير الخراب الواقع في الكعبة المطهرة قبله عموم المسلمين كافة."

ولقد أظهر التسجيل الذي حصلت عليه الإذاعة أصوات الجمهور من عليه طبقات البلاد، الذين أخذوا يشاركون في الإصلاح بحماس منقطع النظير، وإخلاص عظيم وأدب تام لائق ببيت الله الحرام، وكانوا وهم يشتغلون يرددون كلمتي الشهادة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" و يقرؤون آية: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وكانوا يقولون "اللهم إنا لا نريد إلا الإصلاح وإنك تحب المصلحين."

فكان ذلك تسجيلاً تاريخياً استغرقت إذاعته ساعة ونصف ساعة من فوق سطح الكعبة المشرفة.

### الإذاعة السعودية تسأل مؤلف هذا الكتاب

ثم توجه مندوب الإذاعة الأستاذ عباس فائق الغزاوي إلى مؤلف هذا الكتاب "محمد طاهر الكردي" و هما فوق سطح الكعبة المشرفة فسأله ما يأتي:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤١٥

س: ما هو تاريخ الإصلاحات التي أدخلت على الكعبة المشرفة؟

ج: فأجبنا على سؤاله إجابة مختصرة، لأن الوقت لا يتسع للتطويل و صلاة الجمعة في انتظارنا، فأذاع عنا هذه الجملة الآتية و هي: لقد حصلت إصلاحات كثيرة في بناية الكعبة المشرفة منذ بنائها الأول في عهد خليل الله "إبراهيم" عليه الصلاة والسلام، لأنها من بناء البشر و عمل الإنسان، وهذا معرض للخراب و قابل للإصلاح، فلو أراد الله عز شأنه أن لا تمتد إليها أيدي البشر لخلقها قطعة واحدة من الجوهر.

فعلى ذلك فإنه كلما حصل في الكعبة شيء من الخراب كما هو العادة في البنائات، بادر الخلفاء و السلاطين و الملوك و ذوو الشأن في إصلاحه قبل أن يتفاقم، فإذا احتاج الأمر إلى تجديد بنائها كلها بادروا إلى ذلك، و أجروا الإصلاحات و العمارات بأنفسهم بكل أدب و احترام.

ولقد بنيت الكعبة المشرفة إحدى عشرة مرة، فأول من بناها على الأشهر خليل الله "إبراهيم" عليه الصلاة والسلام منذ أربعة آلاف

سنة تقريبا، و آخر من بناها السلطان مراد خان الرابع رحمه الله تعالى بعد أن هدمها السيل العظيم الذي دخل المسجد الحرام و كان ذلك سنة ألف و أربعين من الهجرة، و هي هذه البناية الموجودة الآن، ثم حصلت بعده إصلاحات و ترميمات متعددة. و أما إصلاحها في هذا اليوم المبارك و في هذه اللحظة اللطيفة فإنه لتغيير سقفها الأعلى و بعض ما يحتاج إلى الإصلاح من الداخل، و ذلك بحضور سمو الأمير (فيصل) ولي العهد المعظم و رئيس مجلس الوزراء، و بصحبه ضيفه الكريم سمو الأمير "الحسن بن محمد" نجل جلالة ملك المغرب، و بوجود بعض الشخصيات البارزة و الجمهور الكريم و وجود المشرف العام على مشروع توسعه المسجد الحرام و عمارة الكعبة المشرفة، و وجود مدير مكتب التوسعة.

و إن شاء الله تعالى عما قريب سنطبع الكتاب الذي شرعنا في تأليفه عن تاريخ بلد الله الأمين و بيته المطهر و توسعه المسجد الحرام، و سينشر هذا الكتاب بحول الله تعالى في أنحاء العالم الإسلامي ليقفوا على الحقيقة التامة و المعلومات الصحيحة الوافية، نسأل الله تعالى القبول و الرضى و الفوز بالجنة و النجاة من النار بفضل و رحمته.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤١٦

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، و تب علينا إنك أنت التواب الرحيم، و صلى الله على سيدنا "محمد" و على آله و صحبه و سلم.

انتهت إجابتنا على سؤال مندوب الإذاعة السعودية.

و بهذا تكون الإذاعة السعودية قامت بواجبها لأول مرة في نشر أخبار عمارة الكعبة المقدسة من فوق سطحها، و بهذا يحق لها أن تفتخر على جميع إذاعات العالم و لقد وقعت الإذاعة من سطحها ثلاث مرات:

(١) في صباح يوم الجمعة الثامن عشر من شهر رجب سنة ألف و ثلاثمائة و سبعة و سبعين هجرية، لمناسبة الابتداء في هدم سقف الكعبة.

(٢) في صباح يوم السبت التاسع عشر من شهر رجب من السنة المذكورة، لمناسبة الابتداء في عمارة السقف.

(٣) في مساء يوم الاثنين الحادى و العشرين من شهر رجب من السنة المذكورة و ذلك قبيل المغرب، لمناسبة إذاعة دعاء عام شامل لجميع المسلمين في أقطار المعمورة، تلاه مؤلف هذا الكتاب "محمد طاهر الكردى" غفر الله له و لوالديه و للمسلمين آمين و طبعا بعد انتهاء هذه العمارة الشريفة لن تتكرر إذاعتها لشيء من الأخبار من فوق سطح الكعبة المعظمة.

اللهم كما قدرت في سابق الأزل بعمارة بيتك المحرم و توسيع المسجد المكرم، فعمر قلوبنا بطاعتك و نور بصائرنا بنور معرفتك، و وسع على أهل بلدك الأمين و سائر بلاد المسلمين، من الرزق الحلال الواسع و الخير العميم، فإنك واسع الفضل و الإحسان يا عزيز يا كريم، و صلى الله على نبينا "محمد" و على آله و صحبه.

### دعاء مؤلف هذا الكتاب المذاع من فوق سطح الكعبة

و في يوم الاثنين الحادى و العشرين من شهر رجب سنة (١٣٧٧) سبع و سبعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة رأينا أن ننتهز وجودنا فوق سطح الكعبة المعظمة و وجود العمال و فضلاء أهل البلاد و كلنا نشغل في العمل لتجديد سطحها، أن نتضرع إلى الله الحميد المجيد، و أن ندعوه بدعاء شامل عام لجميع المسلمين، أن يصلح أحوالنا و أن يعم بلاد المسلمين كافة بالخير و الرخاء و الأمن و الأمان، فإن الدعاء إذا صدر من قلب سليم خاشع و في يوم ميمون و وقت مبارك

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤١٧

كان ذلك أدعى للاستجابة، و هل نجد أفضل بقعة من نفس بيت الله الحرام و فوق سطحه المرفوع.

و في يوم الاثنين المبارك و قبيل المغرب، و نحن نشغل في تجديد سقفه الأعلى المعمور، رفعنا أكف الضراعة و الابتهاج إلى الله

الملك العزيز الكبير المتعال بقلب خاشع، نحن ندعوا و جميع الحاضرين يرددون معنا الدعاء و يؤمنون على ما نقول، و لقد بدأنا بالحديثين القدسيين الشهيرين، حيث يكون لهما وقع كبير في نفوس السامعين، و ختمناهما بالدعاء الشامل لعموم المسلمين حسبما يأتي:

و لقد أذيع الحديثان مع الدعاء من الإذاعة السعودية في صباح يوم الأحد الثاني عشر من شهر شعبان سنة ألف و ثلاثمائة و سبعة و سبعين من الهجرة و إليك كل ذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر الغفاري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم فيما يروى عن الله تبارك و تعالى أنه قال "يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسى و جعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم، يا عبادى كلكم جائع إلا- من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم، يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم، يا عبادى إنكم تخطئون بالليل و النهار و أنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم، يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى و لن تبلغوا نفعى فتنفعونى، يا عبادى لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا، يا عبادى لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا، يا عبادى لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل واحد مسألته، ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفىكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه."

و روى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:

"قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتنى و رجوتنى غفرت لك على ما كان منك و لا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤١٨

لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة."

بسم الله الرحمن الرحيم قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ\* اللَّهُ الصَّمَدُ\* لَمْ يَلِدْ و لَمْ يُولَدْ\* و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا و ارزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ و الْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ و مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ و بئسَ الْمَصِيرُ\* و إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ و إِسْمَاعِيلُ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا\* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا\* و يُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ و بَيْنَ و يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاتٍ و يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا نستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم و نتوب إليه. شهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و أولوا العلم قائما بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد و هو على كل شىء قدير.

اللهم لك الحمد كالذى نقول و خيرا مما نقول، اللهم لك الحمد حمدا يوافى نعمك و يكافى مزيدك و كرمك. الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله.

اللهم إنا ندعوك و نحن نخدم بيتك الحرام، و نشغل بتجديد سقفه المرفوع، فى هذا اليوم الأغر.

اللهم إنك أمرتنا بدعائك، و وعدتنا بإجابتك، و قد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا.

اللهم إنا ندعوك فى هذه اللحظة المباركة، و نحن على سطح بيتك الحرام، و نتضرع إليك و أنت الملك القدوس السلام و نطمع فى برك و إحسانك و رحمتك، و أنت البر الرحيم الكبير المتعال.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤١٩

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً، و يقيناً صادقاً، و قلباً خاشعاً، و لساناً ذاكراً، و رزقاً حلالاً واسعاً، و علماً غزيراً نافعا، و توبةً قبل الموت، و راحةً عند الموت، و مغفرةً و رحمةً و عفواً عند الحساب.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، و تحول عافيتك، و فجاءة نعمتك، و جميع سخطك.

اللهم إنا نسألك رضاك و الجنة، و نعوذ بك من سخطك و النار.

اللهم يا من لا تنفعه الطاعة و لا تضره المعصية، هب لنا ما لا ينفعك، و اغفر لنا ما لا يضرك يا واسع المغفرة.

اللهم نور قلوبنا و قبورنا، و بصائرنا و أبصارنا، أغننا بحلالك عن حرامك، و بطاعتك عن معصيتك، و بفضلك عن سواك.

اللهم حبب إلينا الإيمان و زينه في قلوبنا، و كره إلينا الكفر و الفسوق و العصيان، و اجعلنا من الراشدين.

اللهم استرنا في الدنيا و الآخرة بستر ك الذي لا ينكشف، و اجعلنا من التوابين المتطهرين.

اللهم اختم لنا بخاتمة أهل الخير و السعادة، و هون علينا سكرات الموت، حتى لا نجد له تعباً و لا نصيباً، و اجعل موتنا على شهادة و طهارة و نظافة، بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم يسر أمورنا، و اشرح صدورنا، و نور قلوبنا، و افتح لنا أبواب رحمتك و فضلك، يا مجيب الدعوات يا الله.

لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات و رب الأرض رب العرش الكريم.

اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته، و لا هماً إلا فرجته، و لا كرباً إلا كشفته، و لا فساداً إلا أصلحته و لا مريضاً إلا شفيته، و

لا شاكياً إلا عافيته، و لا حاجةً من حوائج الدنيا و الآخرة إلا قضيتها بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٢٢٠

اللهم أعز الإسلام و المسلمين، و وفقهم للتمسك بالدين، و ارفع عنهم التنازع و الشقاق و النفاق، و اهدهم إلى الخير و محاسن الأخلاق، و أكثر فيهم من العلماء العاملين، و الأتقياء المخلصين، و الأبرار المقربين.

اللهم أهلك الكفرة و المشركين، و اجعل بأسهم بينهم إلى يوم الدين، و فرق كلمتهم، و شتت شملهم، و دمر ديارهم يا رب العالمين.

اللهم وفق ملوك المسلمين و رؤساءهم و أمراءهم و وزراءهم إلى الخير و الطريق المستقيم، و وفقهم لخدمة رعاياهم و بلادهم و

اقذف في قلوبهم الخوف منك، حتى يتعدوا عن الظلم و الاستبداد، و نور بصائرهم حتى يروا طريق الرشاد و وجههم إلى كل ما ينفع

العباد و البلاد، و ألن قلوبهم للضعفاء و الفقراء، و أرشدهم إلى المصالح العامة و الخاصة، و اجعل المحبة متبادلةً بينهم و بين شعوبهم

و رعاياهم، و توجههم بتاج العز و الكرامة، و انصرهم على أعداءهم يا رب العالمين.

اللهم تقبل هذا العمل المبرور، عمارة بيتك المطهر، و عمارة المسجدين الحرامين بمكة و المدينة، من عبدك الخاضع لجلالك و

أمرك، الذي وليته على عبادك، خادم الحرمين الشريفين "سعود بن عبد العزيز" و وفقه لنصرة دينك القويم و خدمة العباد و البلاد،

و توجه بتاج العز و الكرامة، و وفق أخاه ولي عهده "فيصل بن عبد العزيز" إلى طرق الخير و الرشاد، و ارحم اللهم عبدك مؤسس

المملكة السعودية الأول "عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود" الذي فكر قبل كل أحد في توسعة المسجدين الحرامين و وضع لهما

خطتهما.

اللهم اغفر له و ارحمه و تجاوز عنه و اجزه عن الإسلام خير الجزاء، و وفق اللهم جميع أمرائنا و وزرائنا و المسؤولين في دوائرننا و

أمورنا لخدمة العامة و الخاصة في جميع مرافق الحياة.

اللهم اجعل هذا البلد الأمين، و بلد خاتم المرسلين، و جميع بلاد المسلمين، آمنة رخيئة عامرة بالتقوى و الخيرات، و اسقمهم غيثاً مغيثاً

هنيئاً مريئاً و لا تجعلهم من القانطين.

اللهم أنبت لنا الزرع، و أدر لنا الضرع، و أنزل علينا من بركات السماء، و أنبت لنا من بركات الأرض. و اكشف عنا من الغلاء و البلاء،

و الأمراض و الوباء، ما لا يكشفه غيرك، و لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك و لا يرحمنا.



التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٢١

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك و نبيك الذي أرسلته رحمة للعالمين، سيدنا "محمد" خاتم الأنبياء والمرسلين كما صليت وسلمت وباركت على خليلك "إبراهيم" الذي رفع قواعد هذا البيت الحرام، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وآلهم وصحبهم أجمعين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

### بعض الآيات والتكبيرات التي أذاعها مؤلف هذا الكتاب

وفي ضحى يوم الأحد حادى عشر من شهر شعبان سنة ألف و ثلاثمائة وسبع وسبعين هجرية، رأينا أن نتشرف بإذاعة بعض الآيات القرآنية الواردة في حق بيت الله الحرام، مصحوبة بالتكبير والتهليل، كل ذلك لمناسبة انتهاء عمارة الكعبة المشرفة وتليسيها ثوبها بحضور جلالة الملك المعظم.

فقبل حضور جلالتنا بدقائق معدودة صعدنا إلى منبر المسجد الحرام وتلونا هذه الآيات الآتية أمام ميكروفون الإذاعة الذى وضع فوق المنبر الرخامى وإليك نص الآيات مع التهليل والتكبير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ\* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ\* وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ\* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ\* رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٢٢

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ\* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ\* رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ\* رَبَّنَا إِنِّي أَسِيءْتُكَ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ\* رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ\* الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ\* رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ\* رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ، وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدْفُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ\* وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ\* وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ\* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ\* ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَنَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَيَلِطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ\* ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ، وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ\* حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَوِيعٍ\* ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ\* لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر و لله الحمد.

سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

شهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و أولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم\* و إنا على ذلك من الشاهدين يا رب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٢٣

لا- إله إلا- الله وحده لا- شريك له، له الملك و له الحمد و هو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب

العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات و رب الأرض رب العرش الكريم.

الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله. الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا كما يحب ربنا و يرضى، ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

سبحان الله و بحمده سبحان الله العظيم. حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت و هو رب العرش العظيم. لا إله إلا الله و لا نعبد إلا إياه

مخلصين له الدين و لو كره الكافرون، لا إله إلا الله صدق وعده و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده. اللهم صل على محمد و على آل

محمد كما صليت على إبراهيم و على آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد.

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

غُفِرَ لَكُمْ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ\* لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَ

لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا

عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ\* اللَّهُ الصَّمَدُ\* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ\* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ

أَحَدٌ\* اللَّهُ الصَّمَدُ\* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ\* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ\* اللَّهُ الصَّمَدُ\* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ

يُولَدْ\* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

انتهى.

### قراءة القرآن و الحديث فى جوف الكعبة (بعد الانتهاء من عمارتها)

مما لا- شك فيه أن الإنسان إذا عمل عملا عظيما فريدا من الناحية الشرعية أو من الناحية الاجتماعية، فإنه يكاد يطير من الفرح و

السرور، كما و أن أية أمة إذا انتصرت على أخرى فى الحرب تقيم لذلك الزينات و الحفلات و الولائم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٢٤

و من هنا استحب شرعا سجود الشكر عند تجدد نعمة أو اندفاع نقمة، كما هو عند الشافعية و الحنابلة و الحنفية، أما المالكية فقالوا

سجدة الشكر مكروهة و إنما المستحب عند حدوث نعمة أو اندفاع نقمة صلاة ركعتين.

هذا و إن عمارة الكعبة و المسجدين الحرامين، أحق بإظهار الفرح و السرور و عمل الخيرات و الصدقات، لذلك لما انتهى و فرغ عبد

الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه و عن أبيه أحد المبشرين بالجنة من بناء الكعبة زادها الله شرفا و تعظيما و مهابة، فى سابع عشر من

رجب سنة (٦٥) خمس و ستين قال "من كانت لى عليه طاعة فليخرج فليعتمر من التنعيم فمن قدر أن ينحر بدنه فليفعل و من لم يقدر

على بدنه فليذبح شاة و من لم يقدر فليصدق بقدر طوله" ثم خرج ابن الزبير ماشيا حافيا و خرج الناس معه مشاء حفاة حتى اعتمروا

من التنعيم شكرا لله سبحانه و تعالى، و لم ير يوما كان أكثر عتيقا و لا أكثر بدنه منحورة و لا شاة مذبوحة و لا صدقة من ذلك اليوم،

و نحر ابن الزبير رضى الله عنهما مائة بدنة كما هو مذكور فى تاريخ الأزرقى.

و لما أرسل أمير المؤمنين المتوكل على الله شيخ الصنائع إسحاق بن سلمة الصايغ و أرسل معه أكثر من ثلاثين رجلا- إلى مكة

المكرمة و معهم كثير من الذهب و الفضة و الرخام و الآلات، لوضع الذهب على الزوايا الداخلية للكعبة، و عمل منطقة من فضة توضع فوق إزار الكعبة في تربيعها كلها منقوشة مؤلفة جليئة ناتئة، و عمل طوق من ذهب منقوش تتصل بمنطقة الفضة، و تلبس الرخام المنقوش الذي كان في أعلى هذه المنطقة الفضية بالذهب الرقيق الذي يتخذ للسقوف و تغيير خشبة عتبة الكعبة بقطعة من خشب الساج و تلبسها صفائح الفضة.

إلى غير ذلك من الإصلاحات في مكة و في الكعبة المشرفة و في المسجد الحرام و في منى، فلما فرغ إسحاق بن سلمة المذكور من جميع الأعمال في النصف من شعبان سنة (٢٤٢) اثنتين و أربعين و مائتين، دخلوا الكعبة المعظمة فطيبوا جدرانها و أرضها، و أحضر لهم الحجة في ذلك اليوم أجزاء القرآن الكريم ففترقوها بينهم و قرأوا فيها حتى ختموا القرآن و أجافوا باب الكعبة عليهم - أي ردوه عليهم - عند فراغهم من ختم القرآن، فدعوا و دعا من حضر الطواف و ضجوا بالتضرع و البكاء إلى الله عز و جل، و دعوا لأمر المؤمنين و لولاء عهود المسلمين و لأنفسهم و لجميع المسلمين، فكان يومهم مشهورا شريفا حسنا كما حكاه الإمام الأزرقي.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٢٥

و لا يخفى أن الثلاثة القرون الأولى في الإسلام هم خير القرون بنص الحديث الصحيح.

و لما انتهوا من بناء الكعبة المشرفة حسب أمر السلطان مراد الرابع في سنة (١٠٤٠) أربعين و ألف، ختم العلامة خاتمة المحققين الشيخ محمد بن علان الصديقي المكي صحيح البخاري في جوف الكعبة مما يلي بابها الشرقي في جمع من العلماء و الفضلاء في صبيحة النهار و كان أمير مكة يومئذ معهم، كما ذكره الشيخ عبد الله الغازي في تاريخه.

قال العلامة ابن علان: فدخلنا الكعبة الشريفة و صلينا ركعتين، فحضر الشيخ تاج الدين النقشبندی، و الشيخ حسين و نائبه مفتي الحنفية، و شيخ الحرم عتاقى زاده، و جمع كثير من الصلحاء و من الأتقياء، و جلسنا فيما يلي الباب عند حذاء مجتمع درفته من وراء العمدة، و دخل كثير من الناس الكعبة، و شرعت من صحيح البخاري من باب ما يجوز من تفسير التوراة و كتب الله بالعربية و غيرها إلى آخر الكتاب، و دعونا أجمعين بالنصر لسلطان الإسلام و المسلمين و بعد تمام القراءة و الدعاء خرجنا إلى خارج البيت مما أطاف به الأخشاب من الجانب الغربي فقسمناه فيه الطيب و البخور و الريحان و كان يوما مشهودا، و ألفت مؤلفا سميته:

"القول الحق و النقل الصريح بجواز أن يقرأ في جوف الكعبة الحديث الصحيح."

انتهى من تاريخ الغازي عند الكلام على بناء السلطان مراد الكعبة.

و قال الغازي أيضا في تاريخه: ذكر الشيخ أحمد الشماخ في ترجمته الشيخ عبد الله البصري أنه قرأ في جوف الكعبة صحيح البخاري سنة (١١٠٩) تسع و مائة و ألف و كان في داخلها عمارة، و كذلك قرأه في داخلها مرة أخرى سنة (١١١٩) تسع عشرة و مائة و ألف و كان أمر بتجديد بابها مولانا السلطان أحمد و القائم بذلك صاحب جدة و شيخ الحرم. انتهى منه.

نقول: لقد اعترض بعض العلماء المعاصرين لبناء الكعبة في عهد السلطان مراد العلامة المحقق الشيخ محمد علي بن علان لقراءته صحيح البخاري في جوف الكعبة بعد انتهاء بنائها حيث لم يعمل مثله فيما سبق و أجاز بعضهم قراءته حيث ما هنالك دليل للمنع، فترك فعل الشيء فيما سلف لا يقتضى المنع منه إذا لم يرق للمنع وجه، و قد كان أمير مكة يومئذ مع القائلين بالجواز و أغلظ القول على من منع القراءة و نسبهم إلى الحسد و التعصب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٢٦

و مما لا شك فيه أن قراءة القرآن أو الأحاديث الصحيحة أو الدعاء للمسلمين و ولانهم في جوف الكعبة على سبيل النادر ليس فيه شيء مطلقا، و ذلك في بعض المناسبات القوية، أما تدريس القرآن أو الحديث بدون مناسبة قوية في جوف الكعبة فلا شك في عدم جوازه و وجوب منعه، حيث يشبه ذلك الكتابات و المدارس، فتقل هيئة الكعبة و هي لم تتخذ لذلك، بل هي للقبلة و الطواف و الالتجاء إلى الله تعالى بأستارها و الدعاء فيها و في جوانبها و ملتزمها و الله تعالى أعلم بالصواب، و إليه المرجع و المآب، و الصلاة و

السلام على النبي الأُمى الأواب، و على الآل و الذرية و الأصحاب.

هذا و لقد اقترحنا على بعض كبار المسؤولين عند الشروع فى تجديد سقف الكعبة المعظمة و ترميمها، و ذلك فى سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية أن يجتمعوا مع عامة الناس فى المسجد الحرام عند الكعبة المعظمة بعد الانتهاء من العمل فيها، للدعاء و الاستغفار و التضرع إلى الله تعالى و الالتجاء إليه، و طلب العفو و الغفران و إصلاح الحال و الأحوال و رفع ما نزل من الشدة و البلاء، و نصر المسلمين على أعداء الدين. و لكن مع الأسف الشديد لم يلتفتوا لاقتراحنا هذا، ففرق بين زماننا و الأزمان الماضية، فسبحان مغير الأحوال و مدبر الأمور لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

### مقاييس الكعبة المشرفة و حدود المطاف قبل التوسعة السعودية و ما يتعلق بهما "مع بيان ارتفاعات بعض جبال مكة"

#### إشارة

لقد قمنا فى شهر رجب سنة (١٣٦٧) سبع و ستين و ثلاثمائة و ألف هجرية، عند تأليف كتابنا "مقام إبراهيم عليه السلام" بأخذ قياسات الكعبة المعظمة و ما حولها من المطاف فأخذناها و وضعنا بيانها فى الكتاب المذكور المطبوع بمصر. و اطلعنا أيضا على ما ذكره إبراهيم رفعت باشا مؤلف كتاب "مرآة الحرمين" رحمه الله تعالى عن بعض القياسات المتعلقة بالكعبة و المطاف فقط، و لم نعلم درجة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٢٧

صحته ما ذكره، فقد شككنا فيما ذكره و شككنا أيضا فى القياسات التى أخذناها بأنفسنا، لأن كلينا لسنا من المهندسين المختصين. و حيث أنه فى زماننا هذا قد أحضرت الحكومة العربية السعودية طائفة من كبار المهندسين المصريين، لعمارة و تجديد سقفى الكعبة المشرفة و لتوسعة المسجد الحرام و توسعة شوارع مكة المكرمة، و حيث أننا أيضا أحد أعضاء اللجنة التنفيذية لتوسعة المسجد الحرام، و نحن نشغل بهذا التاريخ القويم فقد رأينا من الواجب أن نأخذ جميع قياسات الكعبة و المطاف و كل ما يتعلق بهما بل و غير ذلك من مساحة المسجد الحرام و جبال مكة و المسعى و كل ما له اتصال "بمكة" بلد الله الأمين، من قسم المهندسين بمكتب مشروع التوسعة، و بذلك ينقطع الشك باليقين، و نعطي القوس باربها.

فطلبنا من صديقنا المهندس الأستاذ "فؤاد سعيد المصرى" أن يعطينا جميع البيانات الخاصة بقياسات الكعبة المشرفة. و هذه البيانات لا توجد فى غير هذا الكتاب، و سنذكرها بعد قياسات الكعبة المعظمة فى بناء إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام، و بعد قياساتها فى بناء قريش، و بعد قياساتها فى بناء عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما، و بعد قياساتها فى بناء الحجاج بن يوسف الثقفى رحمه الله تعالى. فإن هذه القياسات للبنىات الأربع المذكورة قد أخذناها من تاريخ مكة للإمام الأزرقى رحمه الله تعالى و رضى عنه الذى هو من أهل القرن الثانى.

و إليك قياسات البنائات الأربع للكعبة المشرفة مأخوذة من تاريخ الأزرقى:

#### قياسات الكعبة المعظمة

فى البنائات الأربع المذكورة نقلا عن تاريخ الأزرقى عدد الأذرع قياس الكعبة فى بناء إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام

٩ ارتفاع الكعبة من الأرض للسماء.

٣٢ عرض الجدار الشرقى الذى فيه الباب.

٣١ عرض الجدار الغربى.

- ٢٢ عرض الجدار الذى فى حجر إسماعيل.
- ٢٠ عرض الجدار الذى بين الركن الأسود و الركن اليمانى.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٢٨
- عدد الأذرع قياس الكعبة فى بناء قريش قبل البعثة بخمس سنين
- ١٨ ارتفاع الكعبة من الأرض للسماء.
- ٢٤ عرض الجدار الشرقى الذى فيه الباب.
- ٢٤ عرض الجدار الغربى.
- ٢٢ عرض الجدار الذى فى حجر إسماعيل.
- ٢٠ عرض الجدار الذى بين الركن الأسود و الركن اليمانى.
- عدد الأذرع قياس الكعبة فى بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما
- ٢٧ ارتفاع الكعبة من الأرض للسماء.
- ٣٢ عرض الجدار الشرقى الذى فيه الباب.
- ٣١ عرض الجدار الغربى.
- ٢٢ عرض الجدار الذى فى حجر إسماعيل.
- ٢٠ عرض الجدار الذى بين الركن الأسود و الركن اليمانى.
- عدد الأذرع قياس الكعبة فى بناء الحجاج بن يوسف الثقفى
- ٢٧ ارتفاع الكعبة من الأرض للسماء.
- ٢٤ عرض الجدار الشرقى الذى فيه الباب.
- عدد الأذرع قياس الكعبة فى بناء الحجاج بن يوسف الثقفى
- ٢٤ عرض الجدار الغربى.
- ٢٢ عرض الجدار الذى فى حجر إسماعيل.
- ٢٠ عرض الجدار الذى بين الركن الأسود و الركن اليمانى.
- لقد انتهينا من ذكر قياسات الكعبة المشرفة فى بنايات الأربع المذكورة نقلا عن تاريخ الإمام الأزرقي الذى هو من أهل القرن الثانى للهجرة. و الآن نذكر قياسات الكعبة المشرفة و أبعادها و كل ما يتعلق بها بالأمتار المعروفة المستعملة فى زماننا، نقلا عن المهندسين المصريين الذين حضروا إلى مكة المشرفة فى عصرنا الحاضر لتجديد سقفى الكعبة المشرفة بأمر الحكومة العربية السعودية. و إليك بيانات جميع ذلك بالتفصيل التام:
- سنتيمتر/ متر/ بيان المواضع التى أخذت قياساتها
- ١/ ٨٤ ارتفاع باب الكعبة المعظمة من أرض المطاف.
- ٣٤ / ٠ طول القفل الذى على باب الكعبة.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٢٩
- سنتيمتر/ متر/ بيان المواضع التى أخذت قياساتها
- ٩ / ٨٤ مقدار ما بين أول الحفرة التى كانت عند باب الكعبة إلى أول شباك مقام إبراهيم.
- ٥ / ٦٠ مقدار ما بين أول الحفرة المذكورة إلى أول فتحة حجر إسماعيل يعنى إلى انتهاء ضلع الكعبة.

٨٠ / ٤ / مقدار ما بين أول الحفرة المذكورة إلى ركن الحجر الأسود.  
 ٦٠ / ٠ / مقدار ما بين أول الحفرة إلى أول عتبة باب الكعبة، وقد سدت الحفرة سنة (١٣٧٧).  
 ١٠٠ / ١ / طول الشاذروان من عند الحجر الأسود إلى جهة الملتزم. و سيأتي الكلام على الشاذروان.  
 ٩٥ / ١٢ / ارتفاع جدار الكعبة من جهة وجهها الذي فيه الباب، من أرض المطاف إلى أعلا السطح.  
 ٩٥ / ١٢ / ارتفاع جدارها الذي بظهرها المقابل للسوق الصغير، من أرض المطاف إلى أعلا السطح.  
 ٩٥ / ١٢ / ارتفاع جدارها الذي فيه الميزاب جهة حجر إسماعيل، من أرض المطاف إلى أعلا السطح.  
 ٩٥ / ١٢ / ارتفاع جدارها الذي هو بين الركن الأسود و الركن اليماني، من المطاف إلى أعلا السطح.  
 قد يجوز زيادة هذا الارتفاع بضع سنتيمترات و كذلك نقصانه، و ذلك بسبب تغيير رخام أرض المطاف، و مقدار ما يوضع فيه من الطين و النورة قليلا كان أو كثيرا، فتنبه لهذه المسألة.

### المسافة بين الركن الأسود و اليماني مثلا:

٧١ / ١١ / عرض جدار الكعبة من الخارج من جهة وجهها من الشرق، أي من الركن العراقي إلى الركن الأسود بدون الشاذروان.  
 ٩ / ١٢ / عرض جدارها من الخارج من جهة ظهرها أي من الغرب، أي من الركن الشامي إلى الركن اليماني بدون الشاذروان.  
 ٠ / ١٠ / عرض جدارها من الخارج الذي فيه الميزاب، أي من الركن العراقي إلى الركن الشامي بدون الشاذروان.  
 ١٧ / ١٠ / عرض جدارها من الخارج الذي بين الركنين، أي من الركن التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٣٠  
 سنتيمتر / متر / بيان المواضع التي أخذت قياساتها اليماني إلى الركن الأسود بدون الشاذروان.  
 و المسافة بين الركن العراقي و الركن الشامي بالشاذروان ١١ متر و ٢٠ سم.  
 و المسافة بين الركن الأسود و الركن اليماني بالشاذروان ١١ متر و ٣٥ سم.  
 و المسافة بين الركن الأسود و العراقي بالشاذروان ١٢ متر و ٨٠ سم.  
 و المسافة بين الركن اليماني و الشامي بالشاذروان ١٣ متر و ٣٠ سم.

### طول المسافة بالسلم بالدرج

٧٩ / ٩ / عرض جدار الكعبة من الداخل من جهة وجهها، أي من الركن العراقي إلى الركن الأسود.  
 ١١ / ١٠ / عرض جدارها من الداخل من جهة ظهرها من الغرب، أي من الركن الشامي إلى الركن اليماني.  
 ٩٨ / ٧ / عرض جدارها بالسلم من الداخل الذي فيه الميزاب، أي من الركن العراقي إلى الركن الشامي.  
 ١٧ / ٨ / عرض جدارها من الداخل الذي بين الركنين، أي من الركن اليماني إلى الركن الأسود.  
 ٧٣ / ٨ / مقدار ما بين طرفي الجدار الدائر بحجر إسماعيل.  
 ٤٧ / ٨ / مقدار ما بين وسط جدار حجر إسماعيل و بين جدار الكعبة.  
 ١٢ / ١ / مقدار ارتفاع جدار حجر إسماعيل من أرض المطاف.  
 ٥٦ / ١ / مقدار عرض جدار حجر إسماعيل "أي سمكه".

- ٣٢ / ٢ / طول السلم.
- ٥١ / ١ / عرض السلم.
- ٣٢ / ٢ / طول جدار درجة الكعبة الداخلية التي في الركن العراقي.
- ٥١ / ١ / عرض جدار درجة الكعبة الداخلية التي في الركن العراقي.
- ٥٠ / ٨ / ارتفاع جدار درجة الكعبة الداخلية التي في الركن العراقي من أرض الكعبة إلى السقف الأول.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٣١
- سنتيمتر / متر / بيان المواضع التي أخذت قياساتها
- ١٣ / ١ / طول باب درجة الكعبة الداخلية التي في الركن العراقي (الباب مصراع واحد أى درفة واحدة).
- ٨٦ / ١ / ارتفاع باب درجة الكعبة الداخلية التي في الركن العراقي.
- ٢٧ / ١ / طول فتحة الدرجة الواقعة بسطح الكعبة.
- ٤ / ١ / عرض فتحة الدرجة الواقعة بسطح الكعبة.
- ٨٥ / ١ / طول غطاء فتحة الدرجة الواقعة بسطح الكعبة.
- ١٠ / ١ / عرض غطاء فتح الدرجة الواقعة بسطح الكعبة.
- ١٠٠ / ٢ / طول فتحة باب الكعبة الشرقى.
- ٢٠ / ٣ / ارتفاع فتحة باب الكعبة الشرقى.
- ٢٧ / ١ / مقدار ما بين سقفي الكعبة.
- ٨٥ / ١٠ / ارتفاع الإفريز المحيط بسطح الكعبة و يسمى "بالظنف."
- ٩٣ / ١٠ / عرض جدار الكعبة من جميع الجهات "أى مقدار سمك الجدار."
- ٥٠ / ٨ / مقدار ما بين أرض الكعبة إلى السقف الأول.
- ١٠٣ / ٧ / طول العمود الأول الذى وضعه ابن الزبير بداخل الكعبة مما يلى حجر إسماعيل.
- ١٠٠ / ٧ / طول العمود الثانى الذى وضعه ابن الزبير بداخل الكعبة و الذى هو بالوسط.
- ١٢ / ٧ / طول العمود الثالث الذى وضعه ابن الزبير بداخل الكعبة مما يلى الحجر الأسود و المقابل للباب.
- ٤٤ / ١٠ / قطر كل عمود من هذه الأعمدة الثلاثة المذكورة.
- ٢٠ / ٧ / مقدار ما بين أرض الكعبة إلى رأس كل عمود من الأعمدة الثلاثة المذكورة.
- ٥٠ / ١٠ / ارتفاع كل تاج الذى على رأس كل عمود من الأعمدة الثلاثة المذكورة.
- ٥٥ / ١٠ / عرض أعلا التاج الذى على رأس كل عمود من الأعمدة الثلاثة.
- ٤٠ / ١٠ / عرض أسفل التاج الذى على رأس كل عمود من الأعمدة الثلاثة.
- ٣٥ / ١ / مقدار ما بين رأس كل عمود من الأعمدة الثلاثة المذكورة إلى
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٣٢
- سنتيمتر / متر / بيان المواضع التي أخذت قياساتها
- السقف الأول.
- ٥٣ / ٢ / طول ميزاب الكعبة الذى يصب على حجر إسماعيل بما هو داخل فى جدار الكعبة.
- ٢٦ / ١٠ / عرض الميزاب المذكور.

٢٣ / ٠ / ارتفاع الميزاب المذكور.

٥٨ / ٠ / دخول الميزاب في جدار الكعبة.

٥٠ / ٣ / ارتفاع ما هو مكسو من جدار الكعبة بالرخام الأبيض من باطنها هو ٣٥٠ سنتيمترا، أى ثلاثة أمتار و نصف متر، و ما بعد ذلك إلى السقف فمعمول بالنورة.

\*\*\* سنتيمتر / متر / حدود المطاف القديم و هو على شكل بيضوى

٥٠ / ١١ / من جدار الكعبة من جهة و جهها الذى فيه الباب إلى آخر حدود المطاف القديم، أى إلى مقام إبراهيم.

٦٥ / ١٦ / من جدار الكعبة من جهة ظهرها المقابل للسوق الصغير إلى آخر حدود المطاف القديم.

٢٠ / ١٥ / من جدار الكعبة الذى هو بين الركنين الأسود و الركن اليمانى إلى آخر حدود المطاف القديم.

٠٠ / ١٢ / من وسط جدار حجر إسماعيل عليه السلام إلى آخر حدود المطاف القديم.

\*\*\* سنتيمتر / متر / (حدود المطاف الجديد و هو على شكل دائرة)

٨٠ / ٢٦ / من جدار الكعبة من جهة و جهها الذى فيه الباب إلى آخر حدود المطاف الجديد، أى إلى مقام إبراهيم عليه السلام.

٤٠ / ٢٧ / من جدار الكعبة من جهة ظهرها المقابل للسوق الصغير إلى آخر حدود المطاف الجديد.

٧٠ / ٢٦ / من جدار الكعبة الذى هو بين الركن الأسود و الركن اليمانى إلى آخر حدود المطاف الجديد.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٣٣

سنتيمتر / متر / (حدود المطاف الجديد و هو على شكل دائرة)

٦٥ / ١٦ / من وسط جدار حجر إسماعيل عليه السلام إلى آخر حدود المطاف الجديد.

٢ / ٢ / طول الحفرة التى كانت عند باب الكعبة ثم ردمت فى ٢ شعبان سنة ١٣٧٧ هـ.

١٠ / ١ / عمق الحفرة التى كانت عند باب الكعبة ثم ردمت فى ٢ شعبان سنة ١٣٧٧ هـ.

٢٨ / ٠ / عمق الحفرة التى كانت عند باب الكعبة ثم ردمت فى شعبان سنة ١٣٧٧ هـ.

٥٠ / ١ / مقدار ارتفاع الحجر الأسود و الركن اليمانى عن أرض المطاف.

٠٠ / ٢ / مقدار عرض الملتزم من أول الركن الأسود إلى أول باب الكعبة.

٩٢ / ١ / مقدار ارتفاع باب الكعبة عن أرض المطاف.

٩٠ / ١ / مقدار طول الحجر المخروق من الوسط لخروج ماء الغسيل داخل الكعبة الذى هو على عتبة بابها.

٣ / ٠ / مقدار قطر دائرة الخرق الذى بوسط الحجر المذكور.

١٣ / ٢ / مقدار فتحة حجر إسماعيل من الجهة الشرقية التى بها باب الكعبة.

٧٠ / ٢ / مقدار فتحة حجر إسماعيل من الجهة الغربية.

\*\*\* سنتيمتر / متر / البيانات

٩٠ / ١٢ / عرض الكعبة المشرفة من الركن الشامى إلى الركن اليمانى مأخوذ مع ستارة الكعبة المشرفة.

٢٠ / ١١ / عرض الكعبة المشرفة من الركن اليمانى إلى ركن الحجر الأسود مأخوذ مع ستارة الكعبة المشرفة.

٩٠ / ١٢ / عرض الكعبة المشرفة من ركن الحجر الأسود إلى الحجر الأسود مأخوذ مع ستارة الكعبة المشرفة.

١٠ / ١١ / عرض الكعبة المشرفة من الركن العراقى إلى الركن الشامى مأخوذ مع ستارة الكعبة المشرفة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٣٤

سنتيمتر / متر / البيانات



١٠ / ٦٨ طول مسافة طوفة واحدة أى شوط واحد فقط حول الكعبة المشرفة بالقرب منها.

١٥٧ / ٢١ طول محيط جدار حجر إسماعيل عليه الصلاة والسلام.

١٥٢ / ١ عرض جدار حجر إسماعيل.

٢٣ / ١ ارتفاع جدار حجر إسماعيل من الداخل (فعرض جدار الحجر أكثر من ارتفاعه).

١٦٥ / ٢ مقدار الفتحة الشمالية لحجر إسماعيل.

١٦٥ / ٢ مقدار الفتحة الغربية لحجر إسماعيل.

١٥٥ / ٨ طول أرض حجر إسماعيل من وسط جداره إلى الكعبة مقابل ميزابها.

٩٠ / ٤ مقدار عرض فتحة باب بنى شيبه.

٨٠ / ١ عرض جدار باب بنى شيبه أى عرض الجدار القائم الواحد ٩٠ سنتيمتر.

٧٠ / ٦ عرض باب بنى شيبه بما فى ذلك الجدار و الفتحة.

٩٠ / ٣٠ مقدار ما بين جدار الحجر إلى أول ظهر المنبر الذى نقل من محله الحالى فى أواخر سنة (١٣٨٢) ألف و ثلاثمائة و اثنين و

ثمانين هجرية لتوسعه المطاف.

بعض القياسات لمشاعر الحج التى ذكرها إبراهيم رفعت باشا المصرى رحمه الله تعالى فى كتابه "مرآة الحرمين"

متر الأماكن و المواقع

٤٠٥ من الصفا إلى المروة، نقول و هذا غلط و الصحيح ما ذكرناه عن قياسه.

١٠٤٢ من باب بنى شيبه إلى باب مقبرة المعلاة.

٢٣٨٧ من باب مقبرة المعلاة إلى سبيل الست، نقول و هذا السبيل لا وجود له اليوم.

٣١٢٠ من سبيل الست إلى حجرة العقبة.

١١٦ من حجرة العقبة إلى الحجرة الوسطى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٣٥

متر الأماكن و المواقع

١٥٦ من الحجرة الوسطى إلى الحجرة الصغرى.

٣٥٢٨ من حجرة العقبة إلى نهاية وادى محسر.

٣٨١٢ من نهاية وادى محسر إلى أول المأزمين.

٤٣٧٢ من أول المأزمين إلى علمى الحرم من جهة عرفة.

١٥٥٣ من علمى الحرم إلى علمى عرفة.

١٥٥٣ من علمى عرفة إلى سفح جبل الرحمة.

انتهى ما ذكره إبراهيم رفعت باشا فى كتابه المذكور عن بعض القياسات، و هى قياسات غير محررة تماما فقد يزيد بعضها بضعة أمتار

و قد ينقص عنها بضعة أمتار فقط، و المذكور رحمه الله تعالى معذور فى ذلك لأنه أخذ هذه القياسات فى موسم الحج وقت ازدحام

الحجاج و كثرتهم، فلا يتمكن الإنسان فى هذا الازدحام العظيم من أخذ القياسات على الوجه المطلوب.

خط طول مكة شرفها الله تعالى هو (٣٩ درجة و ٤٩ دقيقة و ٣٠ ثانية).

خط عرض مكة شرفها الله تعالى هو (٢١ درجة و ٢٥ دقيقة).

ارتفاع محلة المعابدة بأعلا مكة عن سطح البحر الأحمر هو (٣١١ مترا).

ارتفاع موضع الخروج إلى جدة بجهة جروول بعد القشلة عن سطح البحر الأحمر هو (٢٧٨ متراً).

متر ارتفاع بعض الجبال

٤٢٠ ارتفاع جبل أبي قبيس عن سطح البحر الأحمر.

٦٣٤ ارتفاع جبل حراء "أى جبل النور" عن سطح البحر الأحمر.

٧٥٩ ارتفاع جبل ثور عن سطح البحر الأحمر.

٨٨٣ ارتفاع جبل ثقبه بالمعابده "أى جبل الرخم" عن سطح البحر الأحمر.

٣٤٠ ارتفاع جبل الرحمة بعرفات، عن سطح البحر الأحمر.

٨٣٦ ارتفاع جبل سعد بشرق شمال عرفات عن سطح البحر الأحمر.

١٧٥٠ المسافة بين مسجد نمره و جبل الرحمة بعرفات.

٣٥٠٠ المسافة بين مكة إلى أول حجرة العقبة بمنى عن طريق الشيبه.

٩٣٥ طول السد القديم جهة جبل حراء "أى جبل النور."

١٠٣٠ طول السد الجديد جهة جبل حراء.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٣٦

متر ارتفاع بعض الجبال

٣٩٤ المسافة بين الصفا و المروة، أى إلى منتهى حدودهما.

٣٧ المسافة بين الصفا و دار الأرقم "أى إلى بابها."

\*\*\* كيلومتر بيان المسافات بين مكة و بعض البلدان الحجازية و المواقع

نذكر هنا المسافات بين مكة و بعض المواقع عن طريق البر بالكيلومتر و هى كما يأتى:

٤٥٠ المسافة من مكة إلى المدينة المنورة.

٧٢ المسافة من مكة إلى جدة.

١٣٥ المسافة من مكة إلى الطائف.

٩٥٧ المسافة من مكة إلى الرياض.

٨ المسافة من مكة إلى منى.

٥ المسافة من مكة إلى مزدلفة.

٧ المسافة من مزدلفة إلى مسجد نمره.

٢ المسافة من مسجد نمره إلى عرفات هى (١٧٥٠ متراً) يعنى من مسجد نمره إلى جبل الرحمة.

٢١٢ المسافة من مكة إلى رابغ.

٤٠ المسافة من رابغ إلى مستورة.

١٩٨ المسافة من مستورة إلى المدينة المنورة.

انتهينا من ذكر القياسات المضبوطة المحررة السليمة إن شاء الله تعالى من الغلط و الخطأ لأن ذلك مأخوذ من بيانات المهندسين

المصريين الذين أحضرتهم الحكومة العربية السعودية لعماره و تجديد سقفى الكعبة و ترميمها و لبناء المسجد الحرام و توسعته.

لكن لا بأس أن نذكر هنا ما قاله العلامة الفاسى فى كتابه "شفاء الغرام" عن قياس المطاف بالذراع الحديدى فى زمانه، لتظهر المقارنة

بين قياسه بالأذرع و قياسنا بالأمتار. فقد قال رحمه الله تعالى فى كتابه المذكور ما يأتى:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٣٧

وقد اعتبر بعض أصحابنا بحضورى مقدار ما بين منتهى ذلك و بين الكعبة المعظمة من جميع جوانبها فكان مقدار ما بين الحجر الأسود و عرف البلاط المحاذى له على الاستواء فى الجهة اليمينية خمسة و عشرين ذراعا إلا ثلث ذراع.  
و ما بين الحجر الأسود و طرف البلاط المحاذى لوسط مقام الحنابلة اثنين و عشرين ذراعا و ثلث ذراع، و ما بين الحجر و جدار زمزم ثلاثون ذراعا و ثلثا ذراع.

و ما بين الركن الشامى الذى يقال له العراقى و آخر تدوير المطاف المسامت له إلى الجهة الشرقية أربعة و عشرون ذراعا و نصف.  
و من الركن الشامى إلى آخر البلاط المحاذى له فى الجهة الشامية سبعة و ثلاثون ذراعا و ربع ذراع.  
و من وسط جدار الحجر إلى آخر البلاط الذى أمام مقام الحنفية اثنان و عشرون ذراعا.  
و ما بين الركن الغربى و آخر البلاط المحاذى له من الجهة الشامية و الغربية ثلاثون ذراعا.  
و ما بين نصف الجهة الغربية من الكعبة و آخر البلاط المقابل لذلك على الاستواء مثل ذلك.  
و ما بين الركن اليمانى و آخر البلاط المقابل له من الجهة الغربية تسعة و عشرون ذراعا إلا ثلث ذراع.  
و ما بين الركن اليمانى و آخر البلاط المقابل له من جهته اليمنى سبعة و عشرون ذراعا و ثلث ذراع، و كذلك ما بين وسط الجهة اليمانية من الكعبة و آخر البلاط المحاذى له.  
و الذراع المحرر به هو الذراع الحديد المتقدم ذكره.  
انتهى من شفاء الغرام.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٣٨

### مقدار الذراع و الميل و الفرسخ و نحوها

جاء فى أول كتاب قاموس الأمكنة و البقاع المسمى "معجم البلدان" للأستاذ على بهجت عن مقدار البريد و الفرسخ و الميل ما نصه:  
(مقدمة) فى تفسير الألفاظ التى يتكرر ذكرها فى هذا القاموس و فى كتاب الفتوح نقلا عن ياقوت و هى البريد و الفرسخ و الميل و الكورة و الإقليم و المخلاف و الأستان و الرشاقة و الطسوج و العرض و الأباذ و السكة و المصر و القهندز و الرىض.  
قال ياقوت: فأما البريد ففيه خلاف، ذهب قوم إلى أنه بالبادية اثنا عشر ميلا و بالشام أو خراسان ستة أميال، و قيل: السفر الذى يجوز فيه قصر الصلاة أربعة برد ثمانية و أربعون ميلا بالأميال الهاشمية التى فى طريق مكة.  
و خبرنى بعض من لا يوثق به لكنه صحيح النظر و القياس، أنه إنما سميت خيل البريد بهذا الاسم أن بعض ملوك الفرس أعتاق عنه رسل بعض جهات مملكته، فلما جاءته الرسل سألتها عن سبب بطئها فشكوا من مروا به من الولاة، و أنهم لم يحسنوا معونتهم، فأحضرهم الملك و أراد عقوبتهم، فاحتجوا بأنهم لم يعلموا أنهم رسل الملك، فأمر أن تكون أذنان خيل الرسل و أعرافها مقطوعة لتكون علامة لمن يمرون به ليزيحوا عنهم فى سيرهم، فقيل بريد أى قطع، فعرب فقيل خيل البريد.  
و أما الفرسخ فقد اختلف فيه أيضا، فقال قوم: هو فارسى معرب، و أصله فرسنك. و قال اللغويون: الفرسخ عربى محض، يقال: انتظرتك فرسخا من النهار أى طويلا، و قد روى فى حديث حذيفة: ما بينكم و بين أن يصب عليكم الشر فراسخ إلا موت رجل (يعنى عمر بن الخطاب)، فلو قيل قد مات صب عليكم الشر فراسخ، قال ابن شميل فى تفسيره: و كل شىء دائم كثير فرسخ.  
قال ياقوت: و أنا أرى أن الفرسخ من هذا أخذ لأن الماشى يستطيله و يستديمه، و أما حده و معناه فلا بد من بسط يتحقق به معناه و معنى الميل معا.

قالت الحكماء: استدارة الأرض فى موضع خط الاستواء ثلاثمائة و ستون درجة، و الدرجة خمسة و عشرون فرسخا، و الفرسخ ثلاثة

أميال، و الميل أربعة آلاف ذراع، فالفرسخ اثنا عشر ألف ذراع، و الذراع أربعة و عشرون إصبعا و الإصبع ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى ظهور بعض.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٣٩

و قيل: الفرسخ اثنا عشر ذراع بالذراع المرسله بذراع المساحة، و هي الذراع الهاشمية و هي ذراع و ربع بالمرسل تسعة آلاف ذراع و ستمائة ذراع.

و قال قوم: الفرسخ سبعة آلاف خطوة، و لم أر لهم خلافا، في أن الفرسخ ثلاثة أميال أقول: و قد نظم ابن الحاجب المتوفى في سنة ٦٤٦ هجرية في هذا المعنى أبياتا هي:

إن البريد من الفراسخ أربع و لفرسخ فثلاث أميال ضعوا

و الميل ألف أي من الباعات قل و الباع أربع أذرع تستبع

ثم الذراع من الأصابع أربع من بعدها العشرون ثم الإصبع

ست شعيرات فظهر شعيرة منها إلى بطن لأخرى توضع

ثم الشعيرة ست شعرات غدت من شعر بغل ليس عن ذا مدفع

و أما الميل فجزء من ثلاثة أجزاء من الفراسخ، و قيل: الميل ألفا خطوة و ثلاثمائة و ثلاثون خطوة و أما أهل اللغة فالميل عندهم مدى البصر و منتهاه.

قال ابن السكيت: و قيل للأعلام المبنية في طريق مكة أميال، لأنها بنيت على تقدير مدى البصر من الميل إلى الميل، و لا نعى بمدى

البصر كل مرثى فإننا نرى الجبل من مسيرة أيام، إنما نعى أن ينظر الصحيح البصر ما مقداره ميل، و هي بنية ارتفاعها عشرة أذرع، أو

قريبا من ذلك و غلظها مناسب لطولها، قال ياقوت:

و هذا عندي أحسن ما قيل فيه.

انتهى من الكتاب المذكور.

### سبب تسمية الميل بالميل

و في باب المفعول فيه من حاشية ابن غازي على الألفية "الطيفة" ذكر أبو حيان عن السهيلي عن قاسم بن ثابت قال: سمي الميل ميلا

لأنهم كانوا ينصبون على الطرق أميالا- كانوا يعرفون بها الخطى التي مشوها، فيجعلون على رأس كل ثلاثة آلاف ذراع بناء كهية

الميل يكتبون فيه العدد الذي مشوه.

و قال هشام لأعرابي كان يسير معه: انظر في الميل كم مشينا و كان الأعرابي أميا لا يقرأ فنظر ثم جاء فقال: فيه مخطف و حلقة و ثلاثة

كأطياء الكلبة و هامة كهامة القطا، فضحك هشام و علم أن في الميل خمسة. اه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٤٠

و هذا يدل على عبرهم للطرق و ضبطهم المسافات للذاهب و الجائي، و معقول أنهم ما عرفوا و عبروا بالفرسخ و الميل حتى كتبوا

الأعداد و رسموها خشية الغلط.

و انظر المصباح المنير للغيومي، و في الخطط للمقريزي ص ٣٣٩ ج ١ أن عبد العزيز بن مروان كانت له و هو على مصر ألف جفنة كل

يوم تنصب حول داره و كانت له مائة جفنة يطاف بها على القبائل على العجل. اه. و هذا يدل على نجر الطرف و ترصيفها لتجرى فيها

العجل.

## ابتكارات الرسوم الأربع للكعبة

لقد وفقنا الله تعالى إلى وضع صور ورسوم للبنىات الأربعة الشهيرة للكعبة المعظمة، وضعنا كل صورة منها بالصفة التي وردت في كتب التاريخ المعتمدة المهمة، فنحن أول من ابتكر هذه الصور للكعبة المشرفة، ولم يسبق لغيرنا أن وضع مثل هذه الصور فله الحمد والشكر على توفيقاته المتواليه و نعمائه المتتالية علينا، أما بناية السلطان مراد الرابع للكعبة التي كانت في سنة (١٠٤٠) فإننا لم نتعرض لرسمها، لأنها لم تكن بناية مستقلة بصفة خاصة، بل إن بناية السلطان المذكور كانت على صفة ما قبله من البناية و هي بناية الحجاج الثقفي لم تخالفها في شيء مطلقا.

ثم بعد أن وفقنا الله تعالى لابتكار تلك الصور للبنىات الشهيرة الأربعة، وفقنا أيضا عز شأنه و جل جلاله لوضع منظومة لطيفة من بحر الرجز في بيان تاريخ هذه البنايات بصورة مختصرة تكون سهلة الحفظ لطلبه العلم، و كان كل ذلك في أوائل عام (١٣٦٧) من الهجرة.

ولقد طبعنا هذه الصور، و المنظومة المذكورة في بلاد الهند في أواخر السنة المذكورة، ثم كررنا طبعهما في كتابنا "مقام إبراهيم عليه السلام" في السنة التي تلى العام المذكور بمصر القاهرة، ثم كررنا أيضا طبعهما بعد أن نقحناهما وزدنا عليهما من الفوائد مع كتاب تاريخ القطبي المسمى "الإعلام بأعلام بيت الله الحرام" و ذلك في عام (١٣٧٠) من الهجرة.

ثم إننا وضعناهما أيضا في كتابنا هذا بعد إدخال التحسينات و الزيادات و تدقيق النظر فيهما بالتصحيح و العناية حتى اطمئن القلب إلى إكمالهما على الوجه المطلوب الصحيح.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٤١

فسبحان الملهم للصواب و إليه المرجع و المآب.

## شكل الكعبة من الخارج و الداخل

لقد أجاد الأستاذ محمد لبيب البتونى صاحب الرحلة الحجازية رحمه الله تعالى، و وصف شكل الكعبة من الداخل و الخارج. لذلك رأينا نقل كلامه من رحلته المذكورة هنا و هذا نصه:

الكعبة الآن من الخارج على التعديل الذى رجع إليه الحجاج، و هو ما كانت عليه مدة النبى صلى الله عليه و سلم، ذات شكل مربع تقريبا، مبنى بالحجارة الزرقاء الصلبة. و يبلغ ارتفاعها خمسة عشر مترا، و طول ضلعها الذى فيه الميزاب و الذى قبالة عشرة أمتار و عشرة سنتيمترات، و طول الضلع الذى فيه الباب و الذى يقابله اثنا عشر مترا. و بابها على ارتفاع مترين من الأرض، و يصعد إليه بواسطة مدرج يشبه مدرج المنبر. و المدرج الحالى من الخشب المصفتح بالفضة أهدها إلى الكعبة أحد أمراء الهند، و لا يوضع فى مكانه منها إلا- إذا فتح بابها للزائرين فى الاحتفالات الكبرى. و هى غالبا لا- تزيد عن خمس عشرة مرة فى السنة. و فيما عدا ذلك ترى هذا المدرج بجوار قبة زمزم من جهة باب بنى شيبه، و يصعدون إليها بسلم صغير من الخشب. و فى الركن الذى على يسار باب الكعبة الحجر الأسود على ارتفاع متر و خمسين سنتيمترا من أرضية المطاف.

و يحيط بالكعبة من خارجها قصة من البناء فى أسفلها، متوسط ارتفاعها خمسة و عشرون سنتيمترا، و متوسط عرضها ثلاثون سنتيمترا، و تسمى بالشاذروان و هى من أصل البيت تركت خارجه عنه فى بناء قريش لها قبل الإسلام لاختصارهم فى بنائها.

و الشاذروان معناه ما يحيط بالسلسيل، و كانوا يطلقونه فى العمارات المصرية القديمة على محيط النافورات التى كانت وسط القاعات الكبرى.

و على ظنى أنه هنا من أثر عمارة الحجاج، أقامه ليقى جدار البيت المعظم من تأثير الأمطار و السيول التى كانت و لا تزال تنزل بكثرة

إلى المطاف، و دليلنا على ذلك إنما هو لفظه الفارسي الذي لا- بد أن يكون من وضع عمله من الفرس استحضرم الحجاج بن يوسف لعمارتها. و لا يبعد أن يكون ذلك من عهد ابن الزبير، يؤيده ما ورد في الأغاني من أن ابن سريح سئل عن تعلم الغناء على التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٤٢

القاعدة التي كان يغني عليها مع أنها ما كانت معروفة عند العرب؟ فقال: إنه تعلمها من عمله من الفرس كان ابن الزبير استحضرم لبناء الكعبة، و كانوا يتغنون بأغنية لطيفة فأخذها عنهم و أضاف نغماتها على النغمات العربية و غنى بها. و على كل حال فالشاذروان و الميزاب لفظان أعجميان و لم يرد ذكرها على مدته صلى الله عليه و سلم. و يسمون زوايا البيت الخارجية بالأركان: فالشمال منها يسمونه بالركن العراقي لأنه إلى جهة العراق، و الغربي يسمونه الشامي لأنه متجه إلى جهة الشام، و القبلي يسمونه اليماني لاتجاهه إلى اليمن و فيه حجر يسمونه الحجر الأسود، و الشرقي يسمونه بالركن الأسود لأن فيه الحجر الأسود، و هو حجر صقيل بيضاوي غير منتظم و لونه أسود يميل إلى الاحمرار و فيه نقط حمراء و تعاريج صفراء، و هي أثر لحام القطع التي كانت تكسرت منه، و قطره نحو ثلاثين سنتيمترا، و يحيط به إطار من الفضة عرضه عشرة سنتيمترات و المسافة التي بين ركن الحجر و باب الكعبة يسمونها الملتزم، و هو ما يلتزمه الطائف في دعائه.

و يخرج من منتصف الحائط الشمالي الغربي من أعلاه الميزاب "المزباب" و يقال له ميزاب الرحمة، و هو من عمل الحجاج وضعه على سطحها حتى لا تقف عليه مياه الأمطار، و كان من نحاس فغيره السلطان سليمان القانوني سنة ٩٥٩ هـ بآخر من الفضة، و تجدد في سنة ١٠٢١ هـ مدة السلطان أحمد بغيره من الفضة المنقوشة بالميناء الزرقاء تتخللها النقوش الذهبية. و قد رأيت محفوظا في دار الآثار السلطانية الخصوصية بالآستانة. و في سنة ١٢٧٣ أرسل إليها السلطان عبد المجيد ميزابا من الذهب و هو الموجود بها الآن. و قبالة الميزاب من الخارج يوجد الحطيم: و هو قوس من البناء طرفاه إلى زوايتي البيت الشمالية و الغربية، و يبعدان عنهما بمسافة مترين و ثلاثة سنتيمترات. و يبلغ ارتفاعه مترا و ستمه مترا و نصف و هو مغلف بالرخام المنقوش و في محيطه من أعلاه كتابة محفورة بالخط المعلق فيها آيات قرآنية و تاريخ من قام بعمارتها. و مسافة ما بين منتصف هذا القوس من داخله إلى منتصف ضلع الكعبة ثمانية أمتار و أربع و أربعون سنتيما، و الفضاء الواقع بين الحطيم و حائط البيت هو ما يسمونه بحجر إسماعيل (بكسر الحاء و سكون الجيم) و قد كان يدخل منه ثلاثة أمتار تقريبا في الكعبة في بناء إبراهيم، و الباقي كان زريبة لغنم هاجر و ولدها، و يقال إن هاجر و إسماعيل مدفونان به.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٤٣

أما الكعبة من الداخل: فشكلها مربع مشطور الزاوية الشمالية، و هي التي على يمين الداخل، و بهذه الشطرة باب حقيير اسمه باب التوبة يوصل إلى سلم صغير يصعد به إلى سطحها.

و بوسطها من الداخل ثلاثة أعمدة من العود القاقلي، عليها مقاصير ترتكز على حائط الميزاب من جهة و حائط الحجر الأسود من جهة أخرى و قطر كل عمود نحو ثلاثين سنتيمترا. و هذه الأعمدة من زمن عبد الله بن الزبير و قيمتها أكبر من أن يقدر لها ثمن و يقال إن عليها كتابة محفورة فيها و لكني لم أرها. و قد ذكر أنه كان بالكعبة قبل الإسلام ستة أعمدة و لا أدري إن كانت من البناء أو من الخشب. و يغطي سقف الكعبة و حوائطها من الداخل كسوة من الحرير الوردى عليها مربعات مكتوب فيها (الله جل جلاله) قد أهداها إليها السلطان عبد العزيز رحمه الله. و في قبالة الداخل من الباب محراب كان يصلي فيه النبي عليه الصلاة و السلام. و يحيط ببناء البيت من الداخل إزار من الرخام المعجز على ارتفاع نحو مترين، و قد وضع في الحائط الغربي ألواح محفور في الأول منها (بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا البيت المعظم العبد الفقير إلى رحمة ربه يوسف بن عمر بن علي رسول، اللهم أيده يا كريم بعزير نصرك و اغفر له ذنوبه برحمتك يا كريم يا غفار يا رحيم). و مكتوب حول هذه اللوحة (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ و على والديّ و أن أعمل صالحا ترضاه لي بتاريخ سنة ثمانين و ستمائة و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم)

و إلى جواره لوحة مكتوب فيها (أمر بتجديد سقف البيت الشريف و جميع داخل الحرم و خارجه مولانا السلطان ابن السلطان محمد خان سنة سبعين و ألف). ثم لوحة أخرى فيها (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، تقرب إلى الله تعالى بتجديد رخام هذا البيت المعظم المشرف العبد الفقير إلى الله تعالى السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسباي خادم الحرمين الشريفين بلغه الله آماله و زين بالصالحات أعماله بتاريخ سنة ست و عشرين و ثمانمائة). و فى لوحة أخرى (بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة البيت المعظم الإمام الأعظم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين بلغه الله أقصى آماله و تقبل منه صالح أعماله فى شهر سنة تسع و عشرين و ستمائة و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم). ثم لوحة أخرى منقوش فيها (بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا البيت العتيق المعظم الفقير إلى الله سبحانه و تعالى خادم الحرمين الشريفين مؤمن الحجاج فى البرين و البحرين السلطان التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٤٤)

بن السلطان مراد خان ابن السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان خلد الله تعالى ملكه و أيد سلطته فى آخر شهر رمضان المبارك المسطر فى سلك شهر سنة أربعين بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و التحية) و فى الجدار الشرقى لوح مكتوب فيه (أمر بتجديد داخل البيت السلطان الملك أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه يا رب العالمين، عام أربع و ثمانمائة من الهجرة) و فى الجدار الشمالى مكتوب على باب التوبة هذه الأبيات:

قد بدا التعمير فى بيت الإله قبله الإسلام و البيت الحرام  
أم خاقان الورى مصطفى خان خان دام بالنصر العزيز المستدام  
بادرت صدقا إلى التعمير ذاإنما كان بإلهام السلام  
و ارتجت من فضله سبحانه أن يجازيها به يوم القيام  
قال تاريخا له قاضى البلدهمته أم سلطان الأتام

بمباشرة أحمد بك فى سنة تسع و مائة و ألف، و بلغنى أن فى البيت حجرا مكتوبا بالكوفى و يقال إنه قديم جدا و أنه من القرن الأول للهجرة، و إن صح ذلك كان من عمل الحجاج بن يوسف و بجانب الباب على يسار الداخل طاولة من الخشب مغطاة بستارة من الحرير الأخضر موضوع عليها كيس مفاتيح الكعبة، و هو من الأطلس الأخضر المزركش بالقصب، يأتى إليها سنويا من مصر مع الكسوة الشريفة. معلق بسقف البيت كثير مما بقى من الذخائر التى أهديت إليه، و من ذلك عدة مصابيح ذهبية و فضية لا تقل عن مائة و منها مصباحان ذهبيان مرصعان بالجواهر أهداهما للكعبة السلطان سليمان القانونى سنة (٩٨٤) انتهى من الرحلة الحجازية للبنونى.

و هو يقول بهامش الرحلة عند هذه الأبيات ما نصه: "من هذا الشعر يمكنك أن تحكم على مقدار تأخر اللغة العربية ببلاد العرب و خصوصا فى القريضة منها حوالى القرن الحادى عشر للهجرة". اه. و نحن نقول كلامه هذا غير صحيح فاللغة العربية لم تتأخر ببلاد العرب مطلقا لا فى النثر و لا فى القريضة، و هذه الأبيات لم يقلها أحد من العرب لا من الحجازيين و لا من غيرهم، و إنما هى من قول بعض علماء الأتراك كما لا يخفى ذلك على أهل الذوق، بل يعلم ذلك من صريح عبارة البيت الخامس و هو "قال تاريخا له قاضى البلد" أى قاضى بلدة مكة و قد جرت العادة فى زمن الدولة العثمانية التركية أن يرد قاضيا من دار السلطنة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٤٥

فغالب علماء غير العرب لا تكون لهم القدرة التامة لقول الشعر البليغ، و ليس هذا مما يقدح فيهم و لا ينقص من مقدارهم، بل إن كثيرا من علماء العرب ليست لهم ملكة كافية لقول الشعر.

قال أمير الشعراء أحمد شوقي بك المصري المتوفى سنة إحدى وخمسين بعد الثلاثمائة والألف في كتابه "أسواق الذهب" في وصف الكعبة والمسجد الحرام ما نصه:

الساحة الكبرى، و الدار اللوم، و الموسم الحاشر، المتندي و المؤتمر، و متابئة الزمر، إبرء المجر، و نجم المصحح، قبله البدوى في قفره، و وجهة القروى في كفره، حرم الله المطهر و بيته العتيق المستر، الذى وجه إليه الوجوه، و فرض على عباده أن يحجوه، نظرت إليه المساجد فى كل خمس، و قامت إليه قيام الحرياء إلى الشمس، بناه الله بمكة على فضاء زكى لم يتنفس فيه الناس، و خلا إلا من جحر أدكناس، فلا لدينا سحبت عليه غرورها، و لا النفوس نقلت فيه شرورها، و لا الحياة أزأرتة باطلها و زورها.

لو شاء الله لبنى بيته بمصر على نهر فياض، و واد كله قطع الرياض، و لو شاء الله لا تخذ بيته بالشام، بين الجداول المظلمة، و الربى المكلمة، و الغصون المهدلة، و القطوف المذلمة، و لو شاء الله جلت قدرته لرفع بيته على أنوف الجبابرة، ملوك الأعصر الغابرة، و فوق هام آلهتهم و هى ممهدة منضدة، فى الغرف المشيدة و القباب الممردة.

و لكنه تعالى نظر إلى أم القرى، فرأى بها ذلا- لعز سلطانه و افتقارا إلى غناه و إحسانه، و رأى خشوعا يستأنس به الإيمان، و تجردا تسكن إليه العبادة، و رأى انفرادا يجرى فى معنى التوحيد، فأمر إبراهيم حواريه و نبيه، و خليله و صفيه، أن يرفع بذلك الوادى ركن بنيته، و ينصب بين شعبه منار و حدانيتها.

بنيان قام بالضعف و القوة، و نهض على كاهل الكهولة و ساعد الفتوة، و اشتركت فيه الأبوّة و البنوة، فكنت ترى إبراهيم يزاول، و إسماعيل بين يديه يناول، حتى بنيا بيتا أعياء المعاول و عجز عنه الذى دمر تدمر و أبلى بابل، فانظر إلى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٤٦

صفائح الباطل كيف باد، و إلى آجر الحق كيف أفنى الآباد، و تأمل عجائب صنع البنية، و كيف ظفرت لبنه التوحيد بصخرة الوثنية. بنى البيت و إذا الجلال حجه و أستاره، و الحق حائطه و جداره، و التوحيد مظهره و مناره، و البنيون بناته و عماره، و الله عز و جل ربه و جاره، اطلعت به مكة اطلاق المشكاة بالمصباح، فزهر فضاء البراح، و انتظم الهضاب و البطاح، أضوا من الشمس ذباله، و أبهر من القمر هاله، فى منازل الشرف و الجلالة، قد حاز الله له من نباهة الذكر و فخامة الشأن، ما لم يحز لتقديم من معالم الحق و لا حديث، بر العبادة، و فضيلة الحج، و شرف البانى و روعة العتق و جلاله التاريخ.

يقول الغواة: لو كانت الكعبة من فضة أو ذهب، و يقولون: لو كانت كعب النصارى فى عواصم الغرب رفعة بناء، و ديباجة فن و وشى زخرف. و أقول للغواة: لو تركت الكعبة على فطرتها الأولى فلم يطول بناؤها، و لم تزين بالذهب أجزاءها، و لم تتعدد فى الزخرف أشياءها، لكان بعقريتها أليق، و بروحانيتها أشبه و أخلق، فى تقدير قدسها غاية و نهاية. انتهى من كتاب أسواق الذهب.

### و للأديب المكي الشهير الأستاذ سراج الخراز فى الكعبة المشرفة:

رمز الخلود و كعبة الإسلام كم فى الورى لك من جلال سام يهوى البناء إذا تقادم عهده و أراك خالدة على الأيام فى كل عام حول بابك وقفه للناس من عرب و من أعجام فإذا الحجيج توافدت أفواجه و تراحمت فى البيت أى زحام أبصرت ثم عرى الإخاء و طيده و شهدت حقا قوة الإسلام و إذا الصلاة دنت رأيت صفوفهم بحرا يموج برقع و قيام متهللين يحوطهم من ربهم نور الهدى الحاص لكل ظلام فى الركن و الحجر المقدس فى الورى سران قد دقا على الإفهام



كم لأمسى و مقبل لكليهما عن طاعة منه و عن إعظام  
و هو الذى تعنو لصرح جلاله صيد الملوك و عليه الحكام  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٤٧

### قصيدة أمير الشعراء فى البيت الحرام

قال أمير الشعراء أحمد شوقى بك رحمه الله تعالى فى كتابه دول العرب و عظماء الإسلام فى البيت الحرام ما يأتى:  
دار عليها ميسم من القدم حجت على أول خف و قدم  
مهد الهدى فى الأولين ركنها و حصنه فى الآخرين صحنها  
تلك جباه الرسل فى ترابها و خد إبراهيم فى محرابها  
غنية عما كساها أسعد فى الدهر و هو بالثناء أسعد  
و كم جلاها فى اليماني المسبل من قبلت منه و من لم تقبل  
لا تلمس و شيها ضريرارب عروس تلعن الحريرا  
تواضعت بين شعاب الوادى لم تتخذ تبذخ الأطواد  
لم تبين بالصفاح و الصوان و لا علت تعالى الإيوان  
لا يد خوفو أرهقت فيها البشر و لا سليمان لها الجن حشر  
بل صنع شيخ مقبل مزاول أعين بابتن يافع مناوول  
قد رفعها حجرا فوق حجرو وضعها فيها على اليمن الحجر  
الله يوحى و الأمين يشهدو تخشع الأرض و يعلو المعهد  
حتى تجلت قبة الإيمان محدودة الظل على الزمان  
و ركنها كامن فى أم القرى تطوى القباب و القصور و القرى  
دعائم من خشية و تقوى على تطاول الزمان تقوى  
و ما بنى الحق له الثبوت و ما بنى الباطل عنكبوت  
تقبل الله من الحوارى و اختص بالبيت و بالجوار  
و اختار من عباده قبائل ليت يهدو نهم السبيل  
أولو الإله الكرماء عهدا النازلوا البيت العتيق مهذا  
الراضعو زمزم فى الهواجر و هى تدر من بنان هاجر  
غرة آبائهم الذبيح و الأمهات جرهم الصبيح  
أبناء إسماعيل حول بكه توضع منهم شعاب مكة  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٤٨ بيتهمو محبوبه مفاخره أوله نبوة و آخره

### موضع الحطيم

قال الأنزرقى عن ابن جريج ملخصا: الحطيم ما بين الركن و المقام و زمزم و الحجر، فسمى هذا الموضع الحطيم، لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمان و يستجاب فيه الدعاء على الظالم للمظلوم، فقل من دعا هنالك على ظالم إلا هلك، و قل من حلف هنالك

إثما إلا- عجلت له العقوبة، فكان ذلك يحجز بين الناس عن الظلم و يتهيب الناس الأيمان، فلم يزل ذلك كذلك حتى جاء الله بالإسلام فأخذ الله ذلك لما أراد إلى يوم القيامة. انتهى منه.

نقول: يعلم مما ذكر أن الحطيم هو ما كان في وجه البيت، فيما بين الركن الأسود و حجر إسماعيل طولاً، و أما عرضاً فإلى زمزم و المقام، و هو جزء من حد المسجد الحرام قديماً من الجهة الشرقية.

و هذا معقول: لأن العائد بيت الله الحرام لا بد و أن يأتيه من قبل وجهه حتى يقف أمامه، و وجه البيت هو ما فيه الباب، و الله تعالى يقول: **وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا.**

و قال بعضهم: الحطيم هو الحجر، بكسر الحاء المهملة، لأنه حطم من البيت أى كسر منه، لكن هذا القول ضعيف فإن ما حطم من البيت إنما كان فى بناء قريش الكعبة حيث نقصوا من طولها من جهة حجر إسماعيل، و كان هذا البناء و للنبي صلى الله عليه و سلم من العمر نحو خمس و ثلاثين سنة فكان يحمل معهم الحجارة لبناء الكعبة. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ٢-٣؛ ص ٤٤٨ لقول الصحيح المعتمد هو كلام الإمام الأزرقى المذكور، من أن الحطيم هو ما بين ركن الحجر الأسود و حجر إسماعيل و المقام و زمزم. فهذا الموضوع هو الذى كانوا يطلقون عليه الحطيم من زمن الجاهلية قبل بناء قريش الكعبة و قبل أن يحطم من البيت الحرام شىء كما هو صريح كلام الإمام الأزرقى و كفى به حجة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٤٩

### موضع خزانة الكعبة

ننقل هنا ما ذكرناه فى كتابنا "مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام" المطبوع بمصر عن خزانة الكعبة المشرفة فقد قلنا هناك أن إبراهيم عليه الصلاة و السلام لما بنى الكعبة المشرفة حفر فى باطنها على يمين من دخلها حفرة عميقة كالبر و جعل عمقها ثلاثة أذرع يلقى فيها ما يهدى إليها من المتاع و الحلى و الذهب و الفضة و الطيب و غير ذلك، فهذه الحفرة تسمى بخزانة الكعبة و بالجب، و بالغبغ، و بالأخسف، و كان يسمى مال الكعبة بالإبرق.

فلما أن بنتها قريش قبل البعثة بخمس سنوات أبقوا جب الكعبة فى مكانه و نصبوا عليه هبل، و هو أعظم أصنام قريش، كان عمرو بن لحي قدم به من هيت من أرض الجزيرة، و نصبه على الجب فى بطن الكعبة و أمر الناس بعبادته، و ذلك قبل بناء قريش، فلما بنتها و ضعت هبل على الجب كما كان سابقاً.

و لم نر أحداً من المؤرخين ذكر شيئاً عن جب الكعبة فى بناء ابن الزبير و فى بناء الحجاج هل أبقوه فيها كما كان أم طمروه و ردموه؟ و الذى نراه و الله تعالى أعلم بالغيب أن جب الكعبة ردم بالحجارة فى بناء ابن الزبير أو كان كذلك فى بناء الحجاج إلى يومنا هذا، لأن أرض الكعبة من الداخل مرتفعة الآن عن أرض المطاف ارتفاعاً موازياً لعتبة بابها، فقد كبست بالحجارة التى فضلت من أحجار الكعبة حين بناء الحجاج، و كان أول من فرشها بالرخام الوليد بن عبد الملك.

فلما ردموا جب الكعبة فى باطنها، جعلوا خزانتها فى دار شيبه بن عثمان بن أبى طلحة، فصارت هدايا الكعبة توضع فى هذه الدار التى كانت إلى جنب دار الندوة عند المسجد الحرام.

يقول الأزرقى: دار شيبه بن عثمان هى إلى جنب دار الندوة و فيها خزانة الكعبة و هى دار أبى طلحة عبد الله بن عبد العزى ابن عثمان بن عبد الدار و لها باب فى المسجد الحرام. انتهى.

نقول: و موضع دار الندوة هى باب الزيادة مع الرحبة، و أما باب بنى شيبه قديماً فهو باب السلام و مكانه الآن موضع العقد القائم عند مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام. و لقد استنتجنا ذلك من الحوادث الواردة فى كتب التاريخ

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٥٠

المعتمدة فمنها: أن ابن الزبير لما هدم البيت، عمد إلى ما كان فيه من حلية، فوضعها في خزنة الكعبة في دار شيبه بن عثمان. ومنها: أن أحد ملوك التبت حين أسلم بعث بصنمه الذي كان يعبد هدية إلى الكعبة. و كان من الذهب الخالص، و كان مكللا بالجواهر و اليواقيت، و كان على سرير من فضة، فوصل كل ذلك إلى مكة، و نصب فيها ثلاثة أيام ليراه الناس، ثم استلمته الحجة فجعلوه في خزنة الكعبة في دار شيبه بن عثمان، و سذكر هذه القصة في أواخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

ومنها: أن محمد بن جعفر بن محمد أرسل إلى الحجة فتسلف منهم من مال الكعبة خمسة آلاف دينار، ليستعين بها على فتنه أصحاب المقنع الذين ظهروا بمكة ثم قضاها عنه أمير المؤمنين المأمون، فقبضتها الحجة، وردوها في خزنة الكعبة.

ومنها: أن بني عبد الدارين قصي بن كلاب كانت لهم دار الندوة، و دار شيبه بن عثمان، و هي إلى جنب دار الندوة، و فيها خزنة الكعبة.

فيعلم مما ذكرناه أن خزنة الكعبة كانت في بئر داخلها من أيام إبراهيم عليه السلام إلى أن بناها ابن الزبير رضی الله عنهما، فقدم الخزنة في بطن الكعبة، و نقلها إلى دار شيبه بن عثمان، فصارت هداياها تحفظ في داره. أما الآن فليس للكعبة مال يحتفظ به، و ليس فيها من الهدايا إلا ما هو معلق بسقفها من داخلها، و لم نسمع منذ مدة طويلة أن أحدا أهدى إلى الكعبة شيئا، و نظن أن آخر هداياها كان في سنة أربع و تسعين بعد الألف و هي خمسة قناديل أرسلتها ملكة بندر آشي في إمارة الشريف سعيد بن بركات فعلفت بها، و الله تعالى أعلم.

انتهى من كتابنا مقام إبراهيم عليه السلام.

نقول: يعلم مما تقدم عن خزنة الكعبة و عن بنائها الذي كان في عهد قريش و في أيام ابن الزبير رضی الله تعالى عنه، بأنه عند إرادة تجديد بنائها هدموها حتى بلغوا أساس إبراهيم عليه الصلاة و السلام و قواعد، و هي صخر أمثال الخلف من الإبل فبنوا عليه. يعلم من كل ما تقدم أنه لم يبق لخزنة الكعبة من أثر و ليس فيها شيء مدفون، و أن كل ما في الكعبة من ذهب و أشياء ثمينة إنما هو في داخلها ظاهر أمام أعيننا.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٥١

لكن هنا إشكال لم نفهمه و هو: ورد في الحديث الذي رواه أبو داود الطيالسي بسند صحيح "يباع للرجل بين الركن و المقام و أول من يستحل هذا البيت أهله فإذا استحلوه فلا- تسأل عن هلكة العرب ثم تجيء الحبشة فيخربونه خرابا لا- يعمر بعده و هم الذين يستخرجون كنزه."

و ورد في الحديث أيضا الذي رواه أبو داود من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه و سلم "اتركوا الحبشة ما تركوكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة."

فنحن لم نفهم المراد من كنز الكعبة في الحديث و الحال أنه لا كنز لها مدفون تحتها اليوم.

اللهم إلا إن فسرنا الكنز بما هو معلق في سقفها من الأشياء الثمينة و ما فيها من الذهب و الفضة المضروبين على مصراعي بابها على ميزابها و على بعض أعمدها الداخلية، و هذا التفسير هو صريح الحديث الذي رواه أحمد من حديث ابن عمر رضی الله تعالى عنهما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة و يسلب حليها و يجردها من كسوتها ... الحديث" و الله تعالى أعلم.

و على كل حال فقد آمننا بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، نسأل الله الثبات و التوفيق و الهداية إلى أقوم طريق، فإننا لا نملك لأنفسنا نفعا و لا ضرا، و الله لطيف بعباده يرزق من يشاء و هو القوى العزيز.

تقدم الكلام على أن خليل الله و نبيه إبراهيم عليه الصلاة و السلام لما بنى الكعبة جعل لها ركنين فقط " ركن الحجر الأسود و الركن اليماني " و جعل جدار الكعبة من جهة حجر إسماعيل مدورا ليس فيه ركنان. فلما بناها عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما جعل لها أربعة أركان، ركنين من جهة حجر إسماعيل و ركنين من الجهة المقابلة كما كانا في السابق.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٥٢

و كثير من الناس يشكل عليه اسم الركنين اللذين جعلهما ابن الزبير، لذلك رأينا أن نتكلم عن أركان الكعبة المشرفة بتفصيل تام و أن نبين محلاتها في رسم صورتها.

فنقول و بالله التوفيق و عليه الاتكال و هو حسبنا و نعم الوكيل و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم. و لنبدأ بالأركان بالترتيب على حسب مشروعية الطواف، أي بجعل الكعبة على يسار الطائف بها:

"الأول: "الركن الأسود، سمي به لأن فيه الحجر الأسود، و يسمى أيضا بالركن الشرقي، و منه يبتدأ الطواف.

"و الثاني: "الركن العراقي، سمي بذلك لأنه إلى جهة العراق و يسمى هذا الركن أيضا بالركن الشمالي نسبة إلى جهة الشمال، و بين هذا الركن و الركن الأسود يقع باب الكعبة.

"و الثالث: "الركن الشامي، سمي بذلك لأنه إلى جهة الشام و المغرب، و يسمى هذا الركن أيضا بالركن البحري و بالركن الغربي. و بين هذا الركن و الركن العراقي يقع حجر إسماعيل الذي يصب فيه ميزاب الكعبة.

"و الرابع: "الركن اليماني، سمي باليماني لاتجاهه إلى اليمن، و في صبح الأعشى قال ابن قتيبة: سمي بذلك لأنه بناه رجل من اليمن يقال له ابن أبي سالم و الله تعالى أعلم.

و في شفاء الغرام سمي الركن اليماني فيما ذكره العيني لأن رجلا من اليمن بناه اسمه أبي بن سالم و أنشد:

لنا الركن في البيت الحرام وراثته بقيه ما أبقى أبي بن سالم

و نحن نقول كلام ابن قتيبة بعيد الاحتمال لم نر أحدا ذكره، و الأقرب إلى الصحة التسمية الأولى لاتجاهه إلى اليمن، كما أن كل ركن ينسب إلى بقيه الجهات. فالركن الأسود يطلق عليه الركن الشرقي لوقوعه جهة الشرق، و العراقي يطلق عليه الركن الشمالي لوقوعه جهة الشمال، و الشامي يطلق عليه الركن الغربي لوقوعه جهة الغرب، و اليماني لوقوعه جهة اليمن. و كل ذلك مطابق لواقع الحال لا يخفى على أهل مكة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٥٣

و قد يطلق على الركن اليماني و الركن الأسود اليمانيان، و على الركن الشامي و الركن العراقي الشاميان و ربما قيل الغريبان على جهة التغليب. و إذا أطلق الركن فالمراد به الركن الأسود فقط.

و لا يخفى أن هذا مبحث نفيس مهم، و قد يقع كثير في الغلط بين اسمي الركنين الواقعيين في طرفي جدار حجر إسماعيل "العراقي و الشامي" حتى أن القلقشندي غلط فيهما في كتابه صبح الأعشى بصحيفة ٢٥١ و كلنا يجوز عليه السهو و الغلط.

لكن بفضل الله تعالى و توفيقه قد أوضحنا هنا إيضاحا ليس للشك فيه مجال.

و لم نر لأحد بيانا أوضح من بياننا و عززناه برسم جميع الأركان في الصورة المذكورة فالحمد لله رب العالمين.

### أركان الكعبة الأربعة

للكعبة اليوم أربعة أركان و قد كان في العصر الغابر في عهد إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام حينما بناها جعل لها ركنين فقط الركن الأسود و الركن اليماني و جعل مؤخر الكعبة من جهة حجر إسماعيل عليه السلام مدورا على هيئة نصف دائرة. فبقيت الكعبة المعظمة على هذه الهيئة في بناء العمالقة لها و في بناء جرهم و في بناء قصي و في بناء قريش الذي كان قبل بعثته صلى الله عليه و

سلم بخمس سنين.

فلما بنى عبد الله بن الزبير الكعبة المشرفة رضى الله تعالى عنهما سنة أربع و ستين من الهجرة جعل لها أربعة أركان الركنين الأولين المذكورين و الركنين العراقي و الشامى اللذين من جهة الحجر، فكانت هذه الأركان الأربعة تستلم فى زمانه إلى أن قتل رضى الله تعالى عنه فرجع الناس إلى استلام الركنين الأولين الأساسيين الركن الأسود و الركن اليمانى.

فما زالت الكعبة المشرفة من عصره إلى يومنا هذا بأربعة أركان، و ترتيب هذه الأركان بالنسبة لمن طاف حول الكعبة و جعلها على يساره كما يأتى:

(١) ركن الحجر الأسود و هو قبل باب الكعبة و هو معروف.

(٢) فالركن العراقى و هو بعد باب الكعبة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٥٤

(٣) فالركن الشامى و هو بعد ميزاب الكعبة.

(٤) فالركن اليمانى و هو قبل الحجر الأسود و هو معروف أيضا.

### الحفرة التى عند باب الكعبة المشرفة

تكلم كثير من العلماء عن الحفرة التى هى على يمين باب الكعبة المشرفة التى يبلغ طولها مترين، و عرضها (١١٢) سنتيمتر، و عمقها ٢٨ سنتيمترا، و التى تقع تقريبا فى وسط الجدار الشرقى للكعبة.

و نأتى هنا بتفصيل تام نسأل الله تعالى الهداية إلى الصواب.

فقد قيل: إنها المعجن، عجن فيها إسماعيل عليه السلام الطين لبناء البيت الحرام، فهذا القول غير صحيح و بعيد الاحتمال لأمرين:

الأول: أن إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام ما بنيا الكعبة المشرفة بالطين و لا بالجص و إنما رضماها رضما و لم يسقفاها، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

"أما و الله ما بناه بقصه و لا- مدر و لا- كان معهما من الأعوان و الأموال ما يسقفانه، و لكنهما أعلماه فطافا به" رواه الأزرقى فى تاريخه. و القصة بالفتح:

الجص، و المدر بفتحيتين: الطين أو التراب المتبلد. قاله فى المصباح المنير.

الثانى: لو فرض أن إسماعيل كان يعجن الطين للبناء للزم أن يعجنه عند كل جهة من الجهات الأربع للبيت، حتى لا يحمله و يدور حول البيت فيتعب، على أن هذا الموضع صغير لا يكفى لعجن الطين الكثير اللازم لبناء البيت الحرام.

فعلم مما ذكرناه بأن ما قيل: أن الحفرة هى معجن إسماعيل عليه السلام غير صحيح.

و قيل: إن هذه الحفرة هى مصب لغسيل الكعبة. قاله ابن جبير فى رحلته، فهذا القول لا يطابق الحقيقة و الواقع كما هو مشاهد عندنا، و لربما سأل ابن جبير عنها بعض من لا خبرة له فأفهمه ذلك أو رأى بالمصادفة غسل الكعبة و امتلاء الحفرة من الماء فظنها كذلك، و لو كانت الحفرة لأجل تجمع ماء غسيل الكعبة لكان المعقول أن تجعل عند بابها تحت العتبة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٥٥

و قيل: إن شطر الحفرة الملاصق للكعبة هو موضع مقام إبراهيم عليه السلام قبل أن ينقله عمر رضى الله عنه، و هو أيضا موضع المقام حينما أخذه سيل أم نهشل إلى أسفل مكة فلما جاء عمر من المدينة نقله منه إلى موضعه الآن فهذا القول غير بعيد، بل هو الصواب، كما علم ذلك مما سبق فى تحقيق موضع المقام.

و قيل: إن الحفرة هى مصلى جبريل بالنبى صلى الله عليه و سلم حين فرضت الصلوات الخمس، قد ذكر ذلك كثير من العلماء منهم



مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام عشرة أمتار إلا أربعة عشر سنتيمتراً وفي هذه الحفرة يمكن أن يصلي أربعة رجال براحة تامة بدون تزاحم.

فإن قال قائل: هل كانت مساحة أرض هذه الحفرة في عهد الصحابة رضي الله عنهم كمساحتها اليوم أم لا؟

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٥٧

نقول: المعقول أن تكون مساحة هذه الحفرة في صدر الإسلام كمساحتها اليوم، وذلك أن هذه الحفرة على مساحتها اليوم يمكن أن يصلي فيها أربعة أشخاص كما تقدم، وهذه الحفرة هي موضع مصلى جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهي أيضا موضع حجر مقام إبراهيم عليه السلام الذي يبلغ طوله ذراع واحد.

فإذا حسبنا أن هذا المقام الذي يبلغ ذراعا واحداً بشخص واحد، والنبي صلى الله عليه وسلم هو الثاني وجبريل عليه السلام هو الثالث، كان الباقي هو مكان الرجل الرابع، وإذا فرضنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى في هذه الحفرة يتقدم أحيانا بخطوة أو خطوتين، أو يتأخر أحيانا كذلك بخطوة أو خطوتين فهذا القدر من التقدم أو التأخر إذا حسبناه بمكان الرجل الرابع، ظهر لنا بوضوح تام أن مساحة هذه الحفرة اليوم هي نفس مساحتها في صدر الإسلام.

فالمتران اللذان هما طول الحفرة يكفیان لصلاة أربعة رجال، والمتر والعشرة السنتيمترات التي هي عرض الحفرة هي مقدار ما يتمكن المصلي من الركوع والسجود.

فعليه تكون مساحة الحفرة في زماننا هي مساحتها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بدون شك ولا ريب، والله تعالى أعلم بغيبه. وإن سأل سائل: هل محل هذه الحفرة كان معروفاً من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام وفي عهد الجاهلية قبل الإسلام أم لا؟

فنقول: إن محل هذه الحفرة لم يكن له ذكر قبل الإسلام مطلقاً، لا في عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام ولا في عهد الجاهلية، لأنه لم يكن هناك أمر يوجب إسناد الحفرة ونسبتها إليه، غير أنه كان يعرف في الجاهلية أن حجر مقام إبراهيم كان يوضع أحيانا في شطر من الحفرة كما كان كذلك في عهد النبيين الكريمين إبراهيم الخليل وإسماعيل الذبيح عليهما الصلاة والسلام، وأحيانا كان يوضع داخل الكعبة المعظمة. فلما جاء الإسلام، وفرضت الصلوات الخمس، وصلى جبريل إماماً بالنبي عليه الصلاة والسلام في محل الحفرة ليعرفه كيفيتها، وكان النبي عليه الصلاة والسلام أيضاً إذا دخل الكعبة وأراد أن يركع خارجها صلى عند باب الكعبة أي في هذا الموضع كما سيأتي بيانه.

حافظ المسلمون على هذا المحل من ذلك الوقت إلى اليوم وصار لها شأن يذكر.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٥٨

وإن قيل: لماذا كان يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم في محل الحفرة؟ ولماذا كانوا يجعلون حجر مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام في هذا المحل أيضاً؟

نقول: مما لا ريب فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في جميع نواحي الكعبة، ليقنتدى المسلمون بفعله صلى الله عليه وسلم، فالكعبة في ذاتها قبله المسلمين كافة أينما كانوا في مشارق الأرض ومغاربها. لكنه عليه الصلاة والسلام كان إذا خرج من الكعبة صلى ركعتين عند باب الكعبة كما جاء ذلك في مسند الإمام أحمد عن ابن عباس أن الفضل بن عباس أخبر أنه دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل في الكعبة ولكنه لما خرج، نزل فصلى ركعتين عند باب الكعبة. اهـ.

وجاء في شفاء الغرام: وقال القاضي عز الدين بن جماعة في هذا المعنى فيما أخبرني به خالي عنه قال: - يعني أحمد بن حنبل - حدثنا هشيم قال: أخبرنا عبد الملك عن عطاء قال: قال أسامة بن زيد: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فجلس فحمد الله وأثنى عليه وهلل وخرج ولم يصل.

ثم دخلت معه في اليوم الثاني فقام و دعا ثم صلى ركعتين ثم خرج فصلى ركعتين خارجا من البيت مستقبلا وجه الكعبة ثم انصرف و قال: هذه القبلة.

اه.

نقول: كان هذا في ثاني يوم الفتح.

و جاء فيه أيضا: و روى البخارى و مسلم عن أسامة بن زيد أيضا: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها و لم يصل حتى خرج فلما خرج ركع قبل البيت ركعتين و قال: هذه القبلة.

قوله: قبل البيت: هو بضم القاف و الباء، و يجوز إسكان الباء، و معناه على ما قيل ما استقبلك فيها و قيل مقابلها.

فصلاته عليه الصلاة و السلام عند الكعبة كما ورد كانت في محل هذه الحفرة بدون شك، لأنه كان في محلها مقام إبراهيم، و لأنه في هذا المحل أيضا صلى به جبريل الصلوات الخمس حين فرضت، و لأن هذا المحل و ما بعده إلى جهة حجر إسماعيل هو أصلح محل للصلاة من جهة وجه الكعبة إلى يومنا هذا و بيان ذلك:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٥٩

(١) هو أن الإنسان إذا صلى في مواجهة باب الكعبة تحت عتبتها، فإنه لا يتمكن من الخشوع و الخضوع في الصلاة لمرور الناس أمام المصلي ليقفوا على الباب يدعون ربهم تحت عتبة بابه، و هو مكان استجابة الدعاء.

(٢) و إذا صلى عند الملتزم و هو على شمال مستقبل باب الكعبة، و هو المكان الذى بين الباب و الركن الأسود، و مقداره متران فقط، فإنه لا- يتمكن المصلي أيضا من الخشوع و الخضوع لمرور الناس أمامه و وقوفهم فى الملتزم للدعاء و التضرع، و هو مكان الإجابة أيضا.

فعليه يكون أحسن و أصلح مكان للصلاة فى وجه الكعبة يتمكن المصلي فيه من الخشوع و الخضوع و الراحة، هو المكان الواقع على يمين مستقبل باب الكعبة إلى جهة حجر إسماعيل، ففى هذا المكان يقع محل الحفرة و هو قريب من الباب، فما بين أول هذه الحفرة و بين أول الباب إلا ستون سنتيمترا.

و لما كان أيضا هذا المحل يوضع فى شطره حجر مقام إبراهيم عليه السلام، و كان أيضا هذا المحل هو موضع صلاة جبريل بالنبي عليه الصلاة و السلام، كان هذا المكان أفضل مكان لصلاة رسول الله صلى الله عليه و سلم حين خروجه من الكعبة.

أما لماذا كانوا يجعلون حجر المقام فى شطر هذه الحفرة من قبل الإسلام؟ فعلة ذلك نفس السبب الذى ذكرناه عن صلاة النبي صلى الله عليه و سلم فى هذه الحفرة، فإن هذا مقام كريم و هو من الآيات البينات كما قال الله تعالى: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَ هُوَ الْحَجَرُ الَّذِى كَانَ يَقُومُ عَلَيْهِ خَلِيلُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ لَبِئْسَ لِبْنَاءِ الْكَعْبَةِ، فينبغى أن يكون محله عند الكعبة. و ليس من المعقول أن يوضع عند عتبة باب الكعبة، و لا أن يوضع على يسار الباب عند الملتزم، لأن عتبة الباب و موضع الملتزم هما محل وقوف الناس للدعاء و التضرع ليلا و نهارا على الدوام.

فلو وضع حجر المقام فى هذين المحلين لحصل التضيق على الناس، و لكان المقام معرضا للإهانة و التلذذ تحت أرجل الناس، فوضعه على يمين باب الكعبة فى محل الحفرة هو عين الصواب و الحكمة. هذا ما كان قبل الإسلام فى عهد الجاهلية أما بعد ظهور الإسلام و بعد أن أمر الله سبحانه و تعالى المسلمين أن يصلوا خلف المقام كما فى صريح الآية الكريمة وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَ الصَّوَابِ أن ينقله من الحفرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٦٠

تعالى عنه فيضعه فى محله الآن بقرب زمزم فى مقابل الحفرة أيضا، حتى لا يحصل تشويش على المصلين الذين يصلون خلفه من الطائفين الذين يطوفون حول البيت.



فخلاصة القول: أن هذه الحفرة التي هي عند الكعبة المشرفة، إنما هي موضع مصلى جبريل بالنبي صلى الله عليه و سلم حين فرضت الصلوات الخمس.

و هي أيضا موضع مصلى النبي عليه الصلاة و السلام إذا خرج من الكعبة، و أيضا هي موضع حجر مقام إبراهيم عليه السلام من قبل الإسلام كما قدمنا تفصيل كل ذلك.

فعليه يكون على يمين باب الكعبة محل المقام الذي هو من الآيات البينات، و مصلى نبينا الكريم عليه الصلاة و السلام و يكون على يسار بابها الملتزم و هو محل استجابة الدعاء بلا ريب، و أما باب الكعبة فهو باب بيت الله الكبير المتعال، فمن وصل إليه بقلب سليم و نية خالصة، فقد دخل في رحمة الله تعالى فليشرب بالقبول و السعادة إن شاء الله.

فافهم هذا المبحث النفيس الذي لا تجده في كتاب غير هذا الكتاب.

فالحمد لله الذي وفقنا لهذا و ما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله. و صلى الله على النبي الأُمى و على آله و صحبه و سلم.

### سد الحفرة و ردمها

لقد تقدم الكلام عن الحفرة التي عند باب الكعبة المعظمة بتفصيل تام مع ذكر قياسها طولاً و عرضاً و عمقاً بما لا يوجد في غير هذا الكتاب، و الآن نتكلم عن ردم هذه الحفرة و سدها و طمرها حتى تساوت بأرض المطاف، و سبب ذلك وقوع بعض الحجاج فيها وقت الطواف عند اشتداد الزحام في موسم الحج، فرأت حكومتنا السعودية سد هذه الحفرة و طمرها للسبب المذكور، و ذلك عند الانتهاء من تجديد سقف الكعبة المشرفة.

ففي ضحى يوم الخميس الثاني من شهر شعبان سنة (١٣٧٧) سبع و سبعين و ثلاثمائة و ألف هجرية الموافق عشرين من شهر فبراير سنة (١٩٥٨) ميلادية، قام بعض العمال المصريين بسدها، فردموها أولاً بالنورة القديمة التي أخرجت من سطح الكعبة عند هدمه، ثم وضعوا فوقها الرمل النظيف المغسول بماء زمزم، ثم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٦١

وضعوا فوق الرمل الطين المخلوط بالنورة على صفة العجين اللين، ثم فرشوا فوقه حجارة الرخام البيضاء حتى تساوت هذه الحفرة بأرض المطاف، فالرخامات البيضاء في نفس موضع الحفرة، و قد أحيطت بخط أسود من الرخام ليكون حداً للحفرة، و قد انتهوا من ردمها و سدها قبل صلاة الظهر من اليوم المذكور.

و كان ردم هذه الحفرة بحضور فضيلة العلامة الشيخ عبد الله بن دهب رئيس المحكمة الشرعية الكبرى بمكة و بحضور سعادة الشيخ عبد الله بن خثالان و وكيل رئيس اللجنة التنفيذية لتوسعة المسجد الحرام، و بحضور سعادة الشيخ عبد الله بن سعيد عضو اللجنة التنفيذية المذكورة و مدير العمل في مشروع التوسعة، و بحضور محمد طاهر بن عبد القادر الكردي الخطاط مؤلف هذا الكتاب و عضو اللجنة المذكورة.

غفر الله تعالى لهم و عاملهم بفضله و رحمته، و سترهم في الدنيا و الآخرة بستره الجميل الذي لا ينكشف أمين، و صلى الله على أبي القاسم الأمين سيدنا "محمد" و على آله و صحبه أجمعين، و الحمد لله رب العالمين.

### الحجر المكتوب الذي في داخل الحفرة

و يوجد في جدار الشاذروان في داخل الحفرة، حجر مكتوب طوله سبعون سنتيمتراً، و عرضه أربعة و ثلاثون سنتيمتراً، و هذا نص ما هو مكتوب فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بعمارة المطاف الشريف، سيدنا و مولانا الإمام الأعظم، المعرض للطاعة على سائر الأمم، أبو جعفر

المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين، بلغه الله آماله و زين بالصلاحات أعماله، و ذلك في شهور سنة إحدى و ثلاثين و ستمائة، و صلى الله على سيدنا "محمد".

هذا ما كتب على الحجر الموجود بداخل الحفرة التي عند باب الكعبة المشرفة، و قد أبقينا هذا الحجر في محله بالحفرة عند سدها فلا يزال بها إلى الآن، و أبو جعفر المنصور المذكور في هذا الحجر، ليس هو أبو جعفر المنصور والد أمير المؤمنين محمد المهدي الذي زاد في المسجد الحرام سنة سبع و ثلاثين و مائة من الهجرة، ثم زاد فيه بعده ولده المهدي أيضا، و إنما هو شخص آخر اتفقا في الاسم، فالمذكور في الحجر كان في القرن السابع، و أما والد المهدي فقد كان في القرن الثاني.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٦٢

و ليس أبو جعفر المذكور في الحجر هو أول من أمر بعمارة المطاف و لا هو آخر من بناه، فلقد عمّر المطاف مرارا قبله و بعده، و إنما أهل الزمن الماضي وجدوا هذا الحجر فاحتفظوا به، كما نحن احتفظنا به اليوم فلم نرفعه عن محله عند سد الحفرة. و الله تعالى أعلم بالغيب.

### لماذا لم تكن الكعبة قطعة من الجواهر

الكعبة المشرفة بنيت بالحجارة منذ بنائها الأول إلى اليوم كما تبنى سائر بيوت الناس، غير أن بيوتهم مجردة عن كل أمر معنوي، و بيت الله عليه المهابة و الإجلال بحيث تطأطئ له رؤوس الجبابرة و الأكاسرة، و تخشع له قلوب القساء و الطغاة و تدمع لديه أعين المخبتين و العصاة، كيف لا؟ و قد بنيت بأمر الله، و رفع قواعدها إبراهيم خليل الله فبناية قامت بأمره تعالى و رضائه كيف لا تتوجه إليها قلوب العباد في جميع البلاد، و من الأسرار الدقيقة و الحكم البليغة أن الكعبة المشرفة ما بنيت مرة من المرات إلا و تسابقت على بنائها و الاشتغال برفع حجارتها و ترابها الأنبياء و الملوك و الأمراء و العلماء و الصالحون و العظماء بمحبة و إخلاص لا بالقهر و الإكراه تقربا إلى الله عز شأنه و جلت قدرته.

إذا فالكعبة الغراء ليست في حاجة إلى أن تبنى بالفضة و الذهب و لو شاء الله لجعلها قطعة واحدة من الجواهر و لكنه لم يفعل ذلك، بل وضع فيها من الأسرار المعنوية و المهابة و الجلال ما تنجذب إليها أفئدة الناس منذ وضعها الله تعالى إلى أن تقوم الساعة و لقد أراد السلطان أحمد بن السلطان محمد بن مراد بن سليم الثاني من سلاطين آل عثمان أن يهدم الكعبة حينما تصدع جدارها الشرقي و جدارها الغربي و بينها و يجعل حجارتها ملبسة واحدة بالذهب و واحدة بالفضة فمنعه العلماء و قالوا له: هذا يزيل حرمة الكعبة و لو أراد الله لجعلها قطعة من الياقوت فكف عن ذلك. فالمسلمون في مشارق الأرض و مغاربها إنما يعبدون رب هذا البيت فقط لا البيت نفسه، فإذا عظموه و وفدوا إليه و توجهوا إليه في صلواتهم فإنما ذاك امتثالا- لأمره سبحانه و تعالى. و لم يسمع قط عن العرب قبل الإسلام أنهم عبدوا نفس الكعبة أو الحجر الأسود أو حجر المقام، مع ما كانوا عليه من عبادة الأصنام و الأحمجار، و لا شك أن ذلك من الحكمة الدقيقة و العصمة القوية من الله سبحانه و تعالى، حتى يسلم كل ذلك من الشائبات، فلو عبد المشركون ذلك،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٦٣

ثم جاء الإسلام باحترامها و تعظيمها لقالوا إن الإسلام جاء بتأييد ما نحن عليه.

و انظر إلى قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما قبيل الحجر الأسود: "إني أعلم أنك حجر لا تضر و لا تنفع و لو لا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقبلك ما قبلتك."

### تسمية البيت الحرام بالكعبة

ذكر الغازي في تاريخه عن ذلك ما نصه: و في تسمية البيت بالكعبة أقوال، فقيل: لتكعبه أي تربعه يقال: برد مكعب إذا طوى مربعا، و

قيل: لعلوه، و منه سمي الكعب كعبا لتوثه و خروجه من جانب القدم يقال: تكعبت الجارية إذا خرج نهداها، و قيل: لانفرادها عن البيوت و ارتفاعها.

و ذكر الأزرقي في تاريخه أن الناس كانوا بينون بيوتهم مدورة تعظيما للكعبة، فأول من بنى بيتا مربعا حميد بن زهير فقالت قريش: ربع حميد بيتا إما حياة و إما موتا. انتهى من الغازي.

نقول: إن كل ما قيل عن تسمية البيت الحرام بالكعبة إنما هو تعليقات و همية، و الذي نراه أن نمشى على القاعدة المعروفة (الأسماء لا تعلق) فالكعبة هي بيت الله الحرام بنص القرآن الكريم **جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ... الآية.**

فلقد أطلق الله عز شأنه الكعبة على بيته المعظم قبل وجود القائنين بهذه التعليقات في الدنيا.

و كذلك تسمى الكعبة بالبيت العتيق كما في الآية: **وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** اللهم أعتق رقابنا من النار، و أدخلنا الجنة مع الأبرار، يا عزيز يا غفار، بفضلك و إحسانك و رحمتك يا أرحم الراحمين آمين.

### الشمسيات التي كانت توضع على الكعبة

المراد بالشمسية هو شبه مظلة كانت تصنع بشكل مخصوص و تزين بالجواهر النفيسة بما لا يقدر بثمن، و توضع في وجه الكعبة أي: في أعلا بابها تعظيما و تجميلا لمنظرها كما سنوضح ذلك فيما يأتي. و هل المراد بالشمسية التي كانت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٦٤

توضع في وجه الكعبة ما نسميه اليوم ببرقع باب الكعبة أي الستارة المخصوصة الجميلة التي توضع على بابها أم لا؟ الله أعلم بذلك. و إليك ما جاء عن الشمسية:

جاء في كتاب "المحمل و الحج" ما نصه: و جاء في كتاب "إعطاء الحنفاء" للمقريزي بعد أن تكلم على الشمسية التي نصبها المعز في يوم عرفه سنة (٣٦٢) اثنتين و ستين و ثلاثمائة ما نصه: أول من عمل الشمسية للكعبة أمير المؤمنين "جعفر المتوكل على الله" فبعث بسلسلة من ذهب كانت تعلق مع الياقوتة التي بعثها المأمون و صارت تعلق كل سنة في وجه الكعبة، و كان يؤتى بالسلسلة في كل موسم و فيها شمسية مكللة بالدر و الياقوت و الجواهر قيمتها شيء كثير، فيتقدم بها قائد يبعث به من العراق فتدفع إلى حجة الكعبة و يشهد عليهم بقيدها فيعلقونها يوم سادس الثمان فتكون على الكعبة ثم تنزع يوم التروية. اه. ص ٩٣. انتهى من كتاب المحمل.

و قد ذكر مؤلف هذا الكتاب جميع الشمسيات التي أهديت إلى الكعبة المعظمة عند الكلام على هدايا الكعبة نلخص من كلامه ما يفى بالغرض التام في هذا الباب، و إننا نعتمد كثيرا على مؤلف الكتاب المذكور أستاذنا يوسف أحمد رحمه الله تعالى لأنه من كبار الأساتذة المصريين و كان مفتشا للآثار العربية و هو الذي أحيا الخط الكوفي في مصر، فقد كان يدرسه بكلية الآداب بالجامعة المصرية و يدرسه بمدرسة تحسين الخطوط العربية الملكية بالقاهرة فهو لذلك أكثر الناس تحقيا لمثل هذه الأمور.

و ها نحن نلخص من كتابه المذكور ما يملأ هذا الباب و هو:

بعث عبد الملك بن مروان للكعبة المشرفة بشمستين و قد حين من زجاج.

و بعث جعفر المتوكل على الله بشمسية من ذهب مكللة بالدر الفاخر و الياقوت الرفيع و الزبرجد تعلق بسلسلة من الذهب في وجه البيت كل موسم.

و مما أهدى إلى الكعبة طوق من ذهب مكلل بالزمرد و الياقوت مع ياقوتة كبيرة خضراء زنتها ٢٤ مثقالا، أرسله بعض ملوك السند لما أسلم في سنة ٢٥٩ هجرية فعرض أمره على "المعتمد على الله" فأمر بتعليقه في البيت الشريف.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٦٥

و في سنة ٢٩٤ أرسل الخليفة "المعتمد" إلى الكعبة بهدايا و في جملتها شمسية جعل فيها جواهر نفيسة فما أن وصلت القافلة التي

تحمل الخزائن و الأموال و شمسية الخليفة إلى "فيد" بليدة في منتصف طريق مكة من الكوفة حتى لاقاهم "زكروية القرمطي" فقاتلهم و انتصر عليهم، و لم ينج منهم إلا اليسير، و أخذ حريمهم و أموالهم فندب "المكتفي" لقتاله القائد "وصيفا" و انتهى الأمر بالانتصار عليه و أسره.

و قال ابن زولاق ما ملخصه: وصل المعز لدين الله إلى قصره بمصر في رمضان من سنة ٣٦٢، و بعدما استقر و قابل الأعيان، و قبل هداياهم، نصب في يوم عرفه الشمسية التي عملها للكعبة على إيوان قصره وسعتها ١٢ شبرا في ١٢ شبرا، و أرضها ديباج أحمر، و دورها ١٢ هلال ذهب، في كل هلال أترجه ذهب مسبك جوف كل أترجه ٥٠ درة كبار كبيض الحمام، و فيها الياقوت الأحمر و الأصفر و الأزرق، و في دورها كتابة آيات الحج بزمرد أخضر قد فسر، و حشو الكتابة در كبير لم ير مثله، و حشو الشمسية المسك المسحوق يراها الناس في القصر و من خارج القصر لعلو موضعها.

و قال في كتاب "الذخائر و التحف": "و قد أدخل من الذهب في هذه الشمسية الكبيرة ٣٠ ألف مثقال ذهبا، و ٢٠ ألف درهم مخرقة و ٣٦٠٠ قطعة جوهر من سائر ألوانه و أنواعه. اه ٣٨٥ مقريزي.

و جاء في كتاب "الفاطميون في مصر" تحت عنوان "الكسوة التي عملها المعز للكعبة" ما نصه:

و يتبين لنا مدى ثروة مصر في ذلك الوقت من وصف الكسوة التي أمر "المعز" بعملها للكعبة، كما يبين لنا هذا أيضا كيف نافست مصر بغداد، بل كيف تفوقت عليها و على غيرها من المراكز الإسلامية. ففي يوم عرفه أمر المعز بنصب الكسوة التي اتخذها للكعبة على الإيوان الذي جعله لعقد الجلسات الرسمية.

و كانت هذه الكسوة مربعة الشكل من ديباج أحمر، وسعتها ١٤٤ شبرا، و كانت في حافاتا ١٢ هلالا ذهبيا في كل هلال أترجه ذهبي، و في داخل كل منها ٥٠ درة تشبه بيض الحمام في الكبر، كما كان فيها الياقوت الأحمر و الأصفر و الأزرق.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٦٦

و قد نقش في حافاتا الآيات التي وردت في الحج بحروف الزمرد الأخضر و زينت هذه الكتابة بالجواهر الثمينة. و كانت هذه الكسوة معطرة بمسحوق المسك، و كانت موضوعة في القصر بحيث يراها جميع الناس من داخل القصر أو خارجه.

و قد قال حضرة الأستاذ المؤلف ما ملخصه: إن هذه الشمسية هي كسوة الكعبة، و أنها مربعة الشكل وسعتها ١٤٤ شبرا، و أن لفظه "شمسية" التي استعملها المقريزي يريد بها طبعا الستور التي كانت تكسى الكعبة بها.

و قال نقلا- عن "كترمير" أن لفظه "شمسية" تطلق على نافذة مربعة في أعلى الحوائط، كما قال "ابن بطوطة" في رحلته عن جامع دمشق، و كما جاء في نفح الطيب عن جامع قرطبة، و عن جامع مراکش.

فإذا علم الإنسان أن مقاس أضلاع الكعبة التي تكسى بالديباج هي ٩٢ / ٩ م عن الضلع الشمالي، و ٢٥ و ١٠ م عن الضلع الجنوبي، و ٨٨ / ١١ م عن الضلع الشرقي الذي فيه الباب، و ١٥ و ١٢ م عن الضلع الغربي، كما هو وارد في صفحة ٧٩ من كتابنا هذا، و مجموع أطوالها هو ٢٠ و ٤٤ مترا.

و إذا راجع ما كتبه المقريزي من أن سعة الشمسية ١٢ شبرا في ١٢ شبرا و مقاس الشبر هو ٢٣ ر. س. م تقريبا فتكون ١٢ شبرا تساوي ٢ / ٧٦ م مع أن الكسوة لا بد و أن يكون مجموع طولها ١٤٤ / ٢٠ م.

و إذا أنعمنا النظر فيما قاله المقريزي أيضا من أن بدورها ١٢ هلالا- ذهبا و في دورها كتابة آيات قرآنية، نجد أن هذه الشمسية مستديرة، أي نصف كرة كما هي الحال في الشمسيات الموجودة الآن بين ظهرانينا، و هي المظلة.

أما كون الشمسية هي ما يوضع في نافذة، كما ورد عن جامعي قرطبة و مراکش، فغير معقول أن يكون الشباك مكلل بالذهب و الجواهر، و يكون منسوجا من الحرير!

على أن ما ورد في نفح الطيب يفهم منه أن الشمسية مكورة كرمانة و هذا نصه ... "و ذكر أن صومعة قرطبة ... و في أعلى ذروتها"

أى الصومعة "ثلاث شمسيات، و يسمونها "رمانه" ملصقة في السفود البارز في أعلاها من النحاس الثتان منها ذهب إبريز، و الثالثة وسطى بينهما من فضة إكسير، و فوقها سوسنة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٦٧

من ذهب مسدسة فوقها رمانه ذهب صغيرة في طرف الزجاج البارز بأعلى الجو " ... و فيه (أى فى جامع مراکش) من شمسيات الزجاج و درجات المنبر و المقصورة ما لو عمل فى السنين العديدة لاستغرب تمامه.

و قد سبق أن قلنا أن (المتوكل على الله) أرسل شمسية من ذهب مكللة بالدر و الياقوت و الزبرجد، تعلق بسلسلة من الذهب فى وجه البيت فى كل موسم.

و كذلك أرسل الخليفة (المعتضد) فى سنة ٢٩٤ إلى الكعبة شمسية تحوى جوهرا نفيسا.

ثم ذكر صاحب كتاب "المحمل و الحج" ما جاء فى كتاب "إتعاظ الحنفاء للمقريزى" ما نصه:

و قال أيضا: و غدا المعز لصلاة عيد النحر فى عساكره و انصرف فى زيه فلما وصل إلى القصر أذن للناس عليه فدخلوا و الشمسية منصوبة على حالها فلم يبق أحد حتى دخل من أهل مصر و الشام و العراق، فذكر أهل العراق و أهل خراسان و من يواصل الحج أنهم لم يروا قط مثل هذه الشمسية. و ذكر أصحاب الجوهر و وجوه التجار أنه لا يثمن ما فيها، و أن شمسية بنى العباس كان أكثرها مصنوعا و شبيها و أن مساحتها مثل ربع هذه.

و كذلك كانت شمسية "كافور" التى عملها لمولاه "أو نوجور" ابن الإخشيد و كان يسير بها إلى الحرم.

هذا و لقد علق أستاذنا الكبير يوسف أحمد مؤلف كتاب "المحمل و الحج" رحمه الله تعالى على ما جاء فى كتاب "الفاطميون فى مصر" تحت عنوان الكسوة التى عملها المعز للكعبة، هامش كتابه المحمل و الحج بما نصه:

اللفظ الذى استعمله المقريزى هنا هو "شمسية" و يريد به طبعا الستور التى كانت تكسى بها الكعبة. و قد تناول "كترمير" الكلام على اشتقاق هذا اللفظ فى المجلد الثانى من تاريخ "المماليك فى مصر" الذى عربيه، كذا عن المقريزى و يعرف باسم كتاب "السلوك فى معرفة دول الملوك" و تبع لما ذكره "كترمير" نجد هذا اللفظ "شمسية" مستعملا فيما يأتى:

(١) نافذة مربعة فى أعلا الحوائط، تترك مفتوحة عادة، أو تزين بزجاج حسبما يشاء المرء من مرور الهواء أو الضوء فقط "رحلة ابن بطوطة طبع و ترجمه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٦٨

ديفريمى و سانجيتى "باريس سنة ١٩١٤ ج ١ ص ١٩٩ و فى هذه الرحلة يقول ابن بطوطة فى وصفه لجامع دمشق أن به ٧٤ من شمسيات الزجاج. و جاء ذكر شمسيات الزجاج فى عبارة "المقرى" عن جامع قرطبة فى كتابه "نفع الطيب" ج ١ ص ٢٩٣ و عند كلامه على المسجد الجامع بمراكش ورد فى نفس هذا الجزء ص ٢٦٧ ما يأتى:

و فى أعلاه ثلاثة شمسيات تسمى رمانات و فى كتاب هست المسمى مراكش و فاس صحيفة ٢٦٥ جاء لفظ شمسية و يراد بها النافذة.

(٢) مظلة: فقد جاء فى تاريخ ابن خلدون أن الخليفة خرج من خيمته و عليه الشمسية، و هنا أقول أن "كترمير" استعمل فى هذا الموضوع لفظ PARASOL و معنى هذا المظلة الخاصة بالسيدات، و كان أفضل استعمال لفظ AMBRELLA الدال على المظلات التى يستعملها الرجال لأنها أكبر و أصلح لاستعمال الخليفة.

(٣) الكسوة أو الستور، فقد جاء ذلك فى المقريزى فى خطه "نقلا- عن ابن ميسر فى تاريخ مصر ص ٤٤" و عن الأول أخذ "كترمير" فإنا نجد فى المقريزى أن المعز أمر بنصب الشمسية، يراد بها هنا كما قدمنا الكسوة التى معناها الستور التى عملها للكعبة على إيوان القصر. انظر ترجمه "كترمير" لكتاب السلوك للمقريزى المجلد الثانى الجزء الأول ص ٢٨٠ و ٢٨١. اه من التعليقات.

انتهى ما نقلناه من كتاب "المحمل و الحج".

## هدايا الكعبة و معاليقها و أموالها

تكلمنا عن بناء سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام للكعبة و أنه حفر في باطنها حفرة عمقها ثلاثة أذرع على يمين من دخلها، و هذه الحفرة هي بمثابة الخزانة لها ليلقى فيها ما يهدى إليها من حلى أو ذهب أو فضة أو طيب أو غير ذلك، و تسمى هذه الحفرة "بالجب" و كانت تسميه جرهم "البئر الأخسف" و قد تكلمنا على سبب هذه التسمية عند الكلام على جب الكعبة، و تسمى أيضا "بالغيب".

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٦٩

و لم نر في التاريخ عن أول رجل أهدى للكعبة و وضع هديته في هذا الجب بعد بناء إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام، و لكنهم ذكروا أنه كان فيه مال على عهد جرهم.

جاء في تاريخ الكعبة نقلا عن مروج الذهب في أخبار الفرس ما يأتي:

"و كانت الفرس تهدي إلى الكعبة أموالا في صدر الزمان و جواهر، و قد كان ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب و جواهر و سيوفا و ذهبا كثيرا فدفن في زمزم." اه.

نقول: يجوز أن يكون هذان الغزالان و السيوف هي التي أخرجها من بئر زمزم عبد المطلب بن هاشم لما أمر بحفرها، و يجوز أن يكون الغزالان و السيوف هي التي دفنتها جرهم حين خرجت من مكة و الله تعالى أعلم، فإن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم وجد فيها غزالين من ذهب، كما وجد فيها أسيافا قلعية و دروعا و سلاحا، فضرب عبد المطلب الأسياف على باب الكعبة و ضرب فوقه أحد الغزالين من الذهب.

ذكر صاحب تاريخ الخميس: أن الغزالين اللذين هما من الذهب، و اللذين وجدتهما عبد المطلب في بئر زمزم حين حفرها فعلقهما بالكعبة قد سرقتهما من الكعبة جماعة من قريش، و ذلك أنهم كانوا في ليلة من الليالي يشربون الخمر و فيهم أبو لهب و معهم القيان و لما فنيت أسباب طربهم عمدوا إلى باب الكعبة و سرقوا الغزالين و باعوهما من تجار قدموا مكة بالخمر و غيرها و اشتروا بثمانهما جميع ما في العير من الخمر بالمرءة و اشتغلوا بالطرب و اللهو شهرا و لم يدر من سرق حتى مر العباس بن عبد المطلب في ليلة من الليالي بباب الدار التي تلك الجماعة فيها فسمع القيان يغنين بقصة سرقة الغزالين من باب الكعبة و يبعهما من أهل القافلة و أخبر بها العباس قريشا فأخذوهم و ضربوهم و قطعوا أيدي بعضهم ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحاج. انتهى من تاريخ الخميس.

و جاء في تاريخ الكعبة أيضا نقلا عن الفاسي: أن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي القرشي أول من جعل في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب و الفضة ذخيرة للكعبة. اه.

و جاء في تاريخ الأزرقى "أن النبي صلى الله عليه و سلم وجد في الجب الذي كان في الكعبة سبعين ألف أوقية من ذهب مما كان يهدى إلى البيت و أن علي بن أبي طالب كرم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٧٠

الله وجهه قال: يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يحركه ثم ذكر لأبي بكر فلم يحركه."

و جاء في تاريخ الأزرقى عن الحسن أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:

لقد هممت أن لا أدع في الكعبة صفراء و لا بيضاء إلا قسمتها فقال له أمير من كعب: و الله ما ذلك لك فقال عمر: لم؟ فقال: إن الله عز و جل قد بين موضع كل شيء و أقره رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال عمر: صدقت. و جاء فيه أيضا عن شقيق بن سلمة قال: جلست إلى شيبه بن عثمان في المسجد الحرام فقال: جلس إلي عمر بن الخطاب رضى الله عنه مجلسك هذا فقال: لقد هممت أن لا أترك فيها صفراء و لا بيضاء إلا قسمتها يعني الكعبة قال شيبه فقلت له: إنه قد كان لك صاحبان لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و

سلم و أبو بكر رضى الله عنه فقال عمر: هما المرءان أقتدى بهما.

وجاء فى تاريخ الأزرقى أيضا عن بعض الحجبة أنه قال فى سنة ثمان و ثمانين و مائة أن ذلك المال بعينه كان فى خزانه الكعبة ثم لا أدرى ما حاله بعد، و جاء فيه أيضا عن مشيخة أهل مكة و بعض الحجبة أن الحسين بن الحسن العلوى عمد إلى خزانه الكعبة فى سنة مائتين فى الفتنة حين أخذ الطالبون مكة فأخذ مما فيها مالا عظيما و انتقله إليه و قال: ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعا لا يتنفع به نحن أحق به نستعين به على حربنا.

و جاء فيه أيضا عن مسافع بن عبد الرحمن الحجبى قال: لما بويج بمكة لمحمد بن جعفر بن محمد بن على بن حسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم فى الفتنة فى سنة مائتين حين ظهرت الميضة بمكة "و هم أصحاب المقنع سموا بذلك لتبييضهم ثيابهم" أرسل إلى الحجبة فتسلف منهم من مال الكعبة خمسة آلاف دينار و قال: نستعين بها على أمرنا فإذا أفاء الله علينا رددناها فى مال الكعبة فدفعوا إليه و كتبوا عليه بذلك كتابا و أشهدوا فيه شهودا فلما خلع نفسه و رفع إلى أمير المؤمنين المأمون تقدم الحجبة و استعدوا عليه عند أمير المؤمنين فقضاهم أمير المؤمنين عن محمد بن جعفر خمسة آلاف دينار و كتب لهم بها إلى إسحاق بن عباس بن عباد ابن محمد و هو وال على اليمن فقبضتها الحجبة و ردوها فى خزانه الكعبة. اه.

أما ما علق فى الكعبة و ما أهدى إليها من غير النقدين فكما يأتى:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٧١

(١) قرنا الكبش الذى فدى به إسماعيل و الذى ذبحه أبوه إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام. فقد جاء فى تاريخ الأزرقى عن صفيه بنت شيبه أن امرأة من بنى سليم ولدت عامتهم قالت لعثمان بن طلحة: لم دعاك النبى صلى الله عليه و سلم بعد خروجه من البيت؟ قال: قال لى: إني رأيت قرنى الكبش فى البيت فنسيت أن آمرك أن تخمرهما فإنه لا ينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل مصليا. قال عثمان: و هو الكبش الذى فدى به إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. و جاء فيه أيضا عن عمرو بن قيس أنه كان يقول: كان قرنا الكبش فى الكعبة فلما هدمها ابن الزبير و كشفها و جدوها فى جدار الكعبة مطلين بمشق قال: فتناولهما فلما مسهما همدا من الأيدى.

(٢) صحيفة قريش التى علقوها فى الكعبة فى محرم عام سبع من النبوة، و هى الصحيفة التى كتبوا فيها يتعاقدون على بنى هاشم و بنى المطلب أن لا ينكحوا إليهم و لا ينكحوهم و لا يبيعوا منهم شيئا و لا يتبايعوا منهم ... الخ حينما جمع أبو طالب بنى هاشم و بنى المطلب فأدخلوا رسول الله صلى الله عليه و سلم شعبهم و منعوا قريشا من قتله، كما هو مذكور فى كتب السير.

(٣) هلالان بعثهما عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث بهما إليه من مدائن كسرى حينما فتحها. كما فى تاريخ الأزرقى.

(٤) الصحيفة الخضراء التى بعثها السفاح فعلقت فى الكعبة كما فى تاريخ الغازى.

(٥) الياقوتة التى بعثها المأمون التى كانت تعلق فى كل موسم بسلسلة من الذهب فى وجه الكعبة، كما فى تاريخ الغازى.

(٦) طوق من ذهب مكمل بالزمرد و الياقوت مع ياقوتة خضراء أرسلها ملك السند لما أسلم و ذلك سنة تسع و خمسين و مائتين و عرض ذلك على المعتمد على الله فأمر بتعليقها فى البيت الشريف فعلقها، كما ذكره الغازى نقلا عن الفاكهى.

(٧) القصبه الفضية التى فيها بيعه جعفر أمير المؤمنين المعتمد على الله، و بيعه أبى أحمد الموفق بالله ابن أخى المعتمد على الله، قدم لها الفضل بن عباس فى موسم سنة إحدى و ستين و مائتين و كان وزن الفضة ثلاثمائة و ستين درهما و عليها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٧٢

خارجا من ذلك ثلاثة أزارير بثلاث سلاسل من فضة فعلقت القصبه مع معاليق الكعبة، ذكره الغازى نقلا عن الإعلام.

(٨) الشمستين و القدحين من قوارير بعثها عبد الملك بن مروان و ضرب على الأسطوانة الوسطى الذهب من أسفلها إلى أعلاها صفائح، ذكره الغازى عن الأزرقى.

(٩) السرير الزينبي و هلالين بعث ذلك الوليد بن يزيد و كتب عليها اسمه.

ذكره الغازي عن الأزرقى.

(١٠) القارورة الفرعونية التي بعثها أبو جعفر. ذكره الغازي عن الأزرقى.

(١١) الصنم الذى من الذهب الذى بعثه ملك من ملوك التبت، و صفة هذا الصنم أنه من ذهب فى صورة إنسان على رأسه تاج من الذهب مكلل بخرز الجواهر و الياقوت الأحمر و الأخضر و الزبرجد و كان على سرير من فضة فرشه الديقاج و على أطرافه أزرار من ذهب و فضة مرخاة فى وجه السرير. فلما أسلم ذلك الملك أهدى السرير و الصنم إلى الكعبة فبعث به إلى أمير المؤمنين عبد الله المأمون هدية للكعبة و المأمون يومئذ بمرو من خراسان فبعث به المأمون إلى الحسن بن سهل بواسط و أمره أن يبعث به إلى الكعبة فبعث به إلى نصير بن إبراهيم الأعجمى رجل من أهل بلخ من القواد فقدم به مكة فى سنة إحدى و مائتين فلما حج الناس و صدروا من منى نصب نصير السرير و ما عليه من الفرشة و الصنم فى وسط رحبة عمر بن الخطاب بين الصفا و المروة فمكث ثلاثة أيام منصوبا و معهم لوح من فضة مكتوب فيه "بسم الله الرحمن الرحيم هذا سرير فلان بن فلان ملك التبت أسلم و بعث بهذا السرير هدية إلى الكعبة فاحمدوا الله الذى هداه للإسلام" ثم دفعه إلى الحجبة و أشهد عليهم بقبضته فجعلوه فى خزانه الكعبة فى دار شيبه بن عثمان فلما حارب يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومى و الى مكة إبراهيم بن موسى أرسل إلى الحجبة فأخذ السرير و ما عليه منهم فاستعان به على حربه و ضربه دنانير و دراهم و قال: أمير المؤمنين يخلفه لها و ذلك سنة اثنتين و مائتين و بقى التاج و اللوح فى الكعبة إلى اليوم أى فى عصر الأزرقى. انتهى باختصار من تاريخ الغازي المنقول من الأزرقى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٧٣

(١٢) القصبان اللتان علقهما فى الكعبة هارون الرشيد فى سنة (١٨٦) ست و ثمانين و مائه و فيهما بيعه ابنه محمد و عبد الله و ما عقد لهما و ما أخذ لهما و عليهما من العهود، مما هو مذكور بالتفصيل فى كتب التاريخ.

(١٣) الشمسة التى بعثها أمير المؤمنين جعفر و هى عملت من الذهب المكلل بالدر الفاخر و الياقوت الرفيع و الزبرجد بسلسلة من ذهب تعلق فى وجه الكعبة فى كل موسم. كما ذكر فى تاريخ الكعبة.

(١٤) القناديل التى بعثها المطيع العباسى كلها فضة خلا قنديلا منها فإنه كان ذهباً زنته ستمائة مثقال و ذلك سنة (٣٥٩) تسع و خمسين و ثلاثمائة. ذكره الغازي نقلاً عن الفاسى.

(١٥) القناديل الذهبية و الفضية التى بعثها المنصور صاحب اليمن و ذلك سنة (٣٦٢) اثنين و ستين و ثلاثمائة. ذكره مؤلف كتاب المحمل و الحج.

(١٦) القناديل و المحاريب التى أهداها إلى الكعبة صاحب عمان زنه كل محراب أكثر من قنطار و قناديل فى نهاية الأحكام، و سميت المحاريب فى الكعبة مما يلى بابها. ذكره المرحوم الشيخ باسلامة فى كتابه تاريخ الكعبة، و ذلك سنة (٤٢٠).

(١٧) القناديل الأربعة من الذهب و زنها عشرة أرتال بثمانية عشر ألف دينار أهداها إلى الكعبة و كساها رجل من التجار يقال له: ابن إمشت الفارسى و ذلك سنة اثنتين و ثلاثين و خمسمائة كما ذكره صاحب تاريخ الخميس، و نظن ابن أمشت هو الذى يقال له رامشت فربما سقطت حرف الراء من المطبعة فى تاريخ الخميس عند الطبع.

(١٨) القناديل الذهب و الفضة التى أهداها الملك المنصور عمر بن على بن رسول صاحب اليمن فى سنة (٦٣٢) اثنين و ثلاثين و ستمائة. كما هو مذكور فى تاريخ الكعبة.

(١٩) الحلقتان اللتان أهداهما الوزير على شاه وزير السلطان أبى سعيد بن خدابنده ملك التتر و ذلك سنة (٧١٨) ثمان عشرة و سبعمائة، و الحلقتان المذكورتان من الذهب مرصعتان بالؤلؤ و البلخس كل حلقة زنتها ألف مثقال فى كل حلقة ست لؤلؤات فاخرات بينهما ست قطع بلخس فاخر فعلقنا على باب



التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٧٤

الكعبة زمنا قليلا ثم رفعتا وأخذهما رميئة بن أبي نمي، كما ذكر في تاريخ الكعبة.

قال في كتاب المحمل و الحج: البلخش من توابع الياقوت في القيمة و هو دونه في الشرف و أنواعه ثلاثة أحمر و يسمى المعقرب و أخضر زبرجدى و أصفر و رسى و الأحمر هو أجودها، و يوجد البلخش في جزيرة سيلان. راجع نخبة الدهر لشيخ الربوة، و في فريدة العجائب أنه حجر صلب شفاف كالياقوت في جميع أحواله و منافعه. انتهى من الكتاب المذكور.

(٢٠) القناديل الكبار التي أرسلها السلطان شيخ أويس بغداد و ذلك في سنة (٧٧٠) سبعين و سبعمائة فعلمت في الكعبة زمنا يسيرا ثم أخذها أمير مكة عجلان بن رميئة، و عدد هذه القناديل أربعة، اثنان منها من الذهب و اثنان من الفضة. ما جاء في تاريخ الكعبة.

(٢١) المصباحان الذهبيان اللذان أهداهما السلطان سليمان القانوني سنة (٩٨٤) أربع و ثمانين و تسعمائة، و هما مصباحان ذهبيان مرصعان بالجواهر معلقان بسقف الكعبة. ذكره محمد لبيب البتونى في الرحلة الحجازية و قال: إنه معلق بسقف البيت كثير مما بقى من الذخائر التي أهديت إليه. انتهى من الكتاب المذكور.

نقول: ذكر صاحب الرحلة الحجازية المذكور أن السلطان سليمان القانوني أهدى المصباحين المذكورين في سنة ٩٨٤ و هذا التاريخ غلط لأن السلطان سليمان المذكور توفي سنة (٩٧٣) ثلاث و سبعين و تسعمائة فالمعقول أن يكون الإهداء قبل وفاته من هذه السنة مع العلم أن مدة سلطنته ثمانية و أربعين سنة.

و نقول أن الأستاذ محمد لبيب المذكور هو مؤلف الرحلة الحجازية و قد حج بمعية سلطان مصر الخديوى عباس باشا حلمى سنة (١٣٢٧) سبعة و عشرين و ثلاثمائة و ألف، و حيث إنه كان بصحبة سلطان مصر المذكور و كان عازما على تأليف كتاب في هذه الرحلة فقد تيسر له الوقوف على كثير من الأمور فلذلك رأى بنفسه المصباحين المذكورين و نعتقد أنهما لا يزالان معلقين في الكعبة إلى اليوم، حيث لم يمض عليهما زمن بعيد.

(٢٢) القناديل التي أرسلها السلطان مراد سنة (٩٨٤) أربع و ثمانين و تسعمائة و عددها ثلاثة قناديل من ذهب مرصعة بالجواهر لتعلق اثنان منها في سقف الكعبة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٧٥

و الثالث في الحجرة النبوية تجاه الوجه الشريف، و السلطان مراد هو أول من علق قناديل الذهب في الحرمين الشريفين من آل عثمان. ذكره الغازى نقلا عن القطبى في كتاب الإعلام.

نقول: السلطان مراد المذكور هو مراد الثالث بن السلطان سليم خان جلس على تخت الملك سنة (٩٨٢) و توفي سنة (١٠٠٣) رحمه الله تعالى.

(٢٣) القناديل التي أرسلتها ملكة بندر آشى سنة (١٠٩٤) أربع و تسعين و ألف، و عددها خمسة قناديل من الذهب علق في الكعبة و ذلك في إمارة الشريف سعيد بن بركات. ذكره الغازى نقلا عن الطبرى في الإتحاف.

و من الهدايا القيمة الغربية، ما جاء في كتاب "المحمل و الحج" ما نصه:

(٢٤) و قال ابن زولاق ما ملخصه: وصل المعز لدين الله تعالى إلى قصره بمصر في رمضان من سنة (٣٦٢) اثنين و ستين و ثلاثمائة هجرية، و بعدما استقر و قابل الأعيان و قبل هداياهم نصب في يوم عرفة الشمسية التي عملها للكعبة على أبواب قصره، و سعتها ١٢ شبرا في ١٢ شبرا، و أرضها ديباج أحمر، و دورها ١٢ هلال ذهب، في كل هلال أترجة ذهب مسبك، جوف كل أترجة ٥٠ درة كبارا كبيض الحمام، و فيها الياقوت الأحمر و الأصفر و الأزرق و في دورها كتابة آيات الحج بزمرد أخضر قد فسر، و حشو الكتابة در كبير لم ير مثله و حشو الشمسية المسك المسحوق يراها الناس في القصر و من خارج القصر لعلو موضعها.

اه. و قد ذكر صاحب الكتاب المذكور نقلا عن كتاب الذخائر و التحف: أنه أدخل في هذه الشمسية ثلاثون ألف مثقال ذهبا و

عشرون ألف درهم مخرقة، و ثلاثة آلاف و ستمائة قطعة جوهر من سائر ألوانه و أنواعه. اه. و ذكر أيضا نقلا عن كتاب إتعاض الحنفاء للمقریزی: أن المعز غدا لصلاة عيد النحر في عساكره و انصرف في زيه، فلما وصل إلى القصر أذن للناس عامة، فدخلوا و الشمسية منصوبة على حالها، فلم يبق أحد حتى دخل من أهل مصر و الشام و العراق، فذكر أهل العراق و أهل خراسان و من يواصل الحج أنهم لم يروا قط مثل هذه الشمسية و ذكر أصحاب الجواهر، و وجوه التجار: أنه لا يثمن ما فيها. انتهى.

(٢٥) و قد قال المقریزی في كتابه "إتعاض الحنفاء" ما يأتي:

إن أول من عمل الشمسية للكعبة أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله، فبعث بسلسلة من ذهب كانت تعلق مع الياقوتة التي بعثها المأمون و صارت تعلق

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٧٦

كل سنة في وجه الكعبة، و كان يؤتى بالسلسلة في كل موسم و فيها شمسية مكللة بالدر و الياقوت و الجوهر قيمتها شيء كثير، فيتقدم بها قائد يبعث به من العراق، فتوضع إلى حجة الكعبة و يشهد عليهم بقيدها فيعلقونها يوم سادس الثمان فتكون على الكعبة ثم تنزع يوم التروية. اه من كتاب "المحمل و الحج".

و المراد بالشمسية المذكورة ستارة من الديداج الأحمر مربعة الشكل مساحتها ١٤٤ شبرا حسب الوصف المذكور، تعلق على باب الكعبة. و قد ذكر صاحب كتاب المحمل و الحج للشمسية ثلاث معان:

(١) تطلق على النافذة المربعة في أعلى الحائط.

(٢) تطلق على المظلة التي نستعملها في عصرنا للوقاية من الشمس و المطر.

(٣) تطلق على الكسوة أو الستور، و قد استشهد بما يدل على كل ذلك في كتابه.

و ذكر فيه أيضا: أن جعفرا المتوكل على الله بعث بشمسية من ذهب مكللة بالدر الفاخر، و الياقوت الرفيع و الزبرجد، تعلق بسلسلة من الذهب في وجه البيت كل موسم. انتهى من كتاب المحمل و الحج.

يقول الشيخ حسين باسلامة رحمه الله تعالى في كتابه تاريخ الكعبة: و يوجد الآن معاليق كثيرة في سقف الكعبة غير أني لا أعلم عن حقيقتها هل هي معمولة من ذهب أو فضة أو نحاس، كما أن آل الشيبى سدنه الكعبة المعظمة لا يعلمون بالضبط عن حقيقتها لقدم عهد تعليقها و لعدم تعهدهم لها بالتمسيح و التنظيف أجيالا و ربما أنها من عهد بناء الكعبة الأخير إلى الآن لم تنقل من موضعها " و يقصد بالبناء الأخير الذي كان في سنة (١٠٤٠) قال: و لذلك تعذر على أن أصفها وصفا صحيحا و الله أعلم بحقيقتها. "اه.

و نحن نقول أيضا أننا دخلنا البيت الحرام مرارا و لكن لم نتحقق فيما هو معلق بسقفه حيث دخلناه للصلاة فيه و ما كان يخطر ببالنا إذ ذاك أننا نؤلف عنه هذا الكتاب.

انظر: صورة رقم ٩٦، معاليق الكعبة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٧٧

## ما علق من الصحائف في الكعبة

### إشارة

كان معلقا في جوف الكعبة المعظمة سبعة أنواع من الصحائف و هي:

(١) المعلقات السبع.

(٢) صحيفة قريش.

(٣) عهد الأمين و عهد المأمون.

(٤) عهد المعتمد لولديه.

(٥) شكوى الخليفة العباسي أبي جعفر عبد الله ابن الإمام القادر بالله يشكو إلى الله تعالى أرسلان الفساسيري. و إليك تفصيل كل ذلك:

ذكر أستاذنا المرحوم يوسف أحمد مؤلف كتاب "المحمل و الحج" و مفتش الآثار العربية و محيي الخط الكوفي بجميع أنواعه بمصر، في كتابه المذكور عن الصحائف التي علقت في الكعبة المشرفة ما نصه:

المعلقات قصائد اختارها العرب من شعر فحولهم و ذهبوها على الحرير، و ناطوها بأستار الكعبة تشريفا لها، و تعظيما لمقامها، و اعترافا بمتانة ألفاظها و حسن سبك معانيها، حتى أصبحت العرب تترنم بها في نواديبها، و تفخر بها في حاضرها و باديها.

و قد اختلف المؤرخون في وجه تسميتها بالمعلقات، فقال "ابن عبد ربه" صاحب العقد "الوابن رشيق" صاحب العمدة و "ابن خلدون" صاحب التاريخ، و كثير سواهم، ممن نقل عن الصدر الأول من نقله الأخبار: أن العرب قد بلغ من تعظيمهم إياها أن علقوها بأستار الكعبة فسميت بالمعلقات. و قيل: إن وجه التسمية بذلك لعلوقها بأذهان صغارهم قبل كبارهم و مرؤوسهم قبل رؤسائهم عناية بحفظها و الاحتفاظ بها. و قد أنكر الأول "أبو جعفر النحاس" و أكبر أمر تعليقها بأستار الكعبة و كما اختلفوا في وجه التسمية اختلفوا في عدد أصحابها، فمنهم من يجعلها سبعا، و منهم من يجعلها ثمانى، و من يزيد بها إلى عشر. و أصحابها جميعا هم:

(١) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر، مات سنة ٨٠ قبل الهجرة و ٥٦٥ للمسيح.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٧٨

(٢) طرفه بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك، مات سنة (٧٠) قبل الهجرة و ٥٥٠ أو ٥٥٢ للمسيح.

(٣) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني، مات سنة ١٤ قبل الهجرة و ٦٠٨ للمسيح.

(٤) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب، مات سنة ٥٢ قبل الهجرة و ٥٧٠ للمسيح.

(٥) ليبد بن ربيعة بن عامر بن مالك، مات سنة ٤٠ قبل الهجرة و ٦٦٠ للمسيح.

(٦) عنترة بن شداد و قيل أنه عمرو بن شداد، و قيل عنترة بن شداد بن عمرو، مات سنة ٢٢ قبل الهجرة و ٦٠٠ للمسيح.

(٧) الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد بن عبد الله، مات سنة ٥٢ قبل الهجرة و ٥٧٠ للمسيح.

(٨) الأعشى ميمون بن قيس بن جندل، مات سنة ٧ للهجرة و ٦٢٩ للمسيح.

(٩) النابغة الذبياني زياد بن معاوية بن ضباب بن جناب بن يربوع، مات سنة ١٨ قبل الهجرة و ٦٠٤ للمسيح.

(١٠) عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم. مات سنة ٥٦٥ و قيل سنة ٦٠٥ للمسيح.

و من يجعلها ثمانى، يضيف إلى أصحابها، بعد السبعة الأولين النابغة و من يقول أنها عشر، يضيف إليهم "الأعشى و عبيد" و على ذلك مشى أبو زكريا التبريزي في كتابه "القصائد العشر الطوال." انتهى من كتاب المحمل و الحج.

و مما علق في الكعبة صحيفة قريش التي كتبها لمقاطعة بني هاشم و بنى المطلب، فقد جاء في تاريخ الخميس في الجزء الأول ما يأتي:

و في المواهب اللدنية: و لما رأت قريش عز النبي صلى الله عليه و سلم بمن معه و عز أصحابه بالحبشة و إسلام عمر و فشو الإسلام في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبي صلى الله عليه و سلم فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بنى هاشم و بنى المطلب و أدخلوا رسول الله صلى الله عليه و سلم شعبهم و منعه ممن أراد قتله فأجابوه لذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا و ائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم و بنى المطلب: أن لا يناكحوهم و لا يبايعوهم و لا يخالطوهم و

لا يقبلوا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٧٩

منهم صلحا أبدا حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل، وكتبوا في صحيفة بخط منصور بن عكرمة بن هشام وقيل بغيض بن عامر فشلت يده وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة و انحاز بنو هاشم و بنو المطلب إلى أبي طالب و دخلوا معه شعبه إلا أبا لهب فكان مع قريش و أقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا.

و قال أبو سعد: سنتين حتى جهدوا و كانت قريش قد قطعت عنهم الميرة و المادة و كان لا يصل إليهم شيء إلا سرا و كانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم.

و في المواهب اللدنية: ثم قال رجال في نقض الصحيفة فأطلع الله نبيه على أمر الصحيفة على أن الأرضة أكلت جميع ما فيها من القطيعة و الظلم فلم تدع إلا اسم الله فقط فأخبرهم أبو طالب بذلك فلما أنزلت لتمزق وجدت كما قال عليه السلام فأخرجوهم من الشعب و ذلك في السنة العاشرة.

و أورد في المنتقى تقاسم قريش على معاداة بنى هاشم و بنى المطلب في السنة الثامنة من النبوة. و في سيرة اليعمرى حاصره أهل مكة في الشعب فأقام محصورا دون ثلاث سنين هو و أهل بيته و خرج من الشعب و له تسع و أربعون سنة.

و في الاستيعاب حصرتهم قريش في الشعب بعد المبعث بست سنين و مكثوا في ذلك الحصار ثلاث سنين و خرجوا منه في أول سنة خمسين من عام الفيل و توفي أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر و توفيت خديجة بعده بثلاثة أيام و قد قيل غير ذلك و ولد عبد الله بن عباس في الشعب قبل خروج بنى هاشم منه، و قيل: إنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين و كان ابن ثلاث عشرة سنة يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم. انتهى من تاريخ الخميس.

و قال في كتاب المحمل و الحج: و مما علق في الكعبة نقلا عن ذيل تاريخ دمشق ما يأتي:

كان "أرسلان الفساسيري" قد اعتقل الخليفة العباسي القائم بأمر الله أبا جعفر عبد الله بن الإمام القادر بالله في الحديث، فكتب هذا رقعة و أنفذها إلى مكة مستعديا إلى الله تعالى على الفساسيري، و علقته هذه الرقعة على الكعبة و لم ترفع عنها إلا بعد أن ورد الخبر بخروجه من الاعتقال و عوده إلى داره و هلاك عدوه "الفساسيري" و قد عنوانها "إلى الله العظيم، من المسكين عبده" و هذه صورة ما

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٨٠

كان مكتوبا بها بعد البسملة "اللهم إنك العالم بالسرائر، و المطلع على مكنون الضمائر. اللهم إنك غني بعلمك و اطلاعك على خلقك عن إعلامي، هذا عبد من عبيدك قد كفر نعمتك و ما شكرها، و ألفى العواقب و ما ذكرها أطغاه حلمك، و تجبر بأناتك حتى تعدى علينا بغيا، و أساء إلينا عتوا و عدوا. اللهم قل الناصر، و اعتر الظالم، فأنت المطلع العالم، و المنصف الحاكم. بك نعتر عليه، و إليك نهرب من يديه، فقد تعزز علينا بالمخلوقين، و نحن نعتر بك يا رب العالمين. اللهم إنا حاكمناه إليك، و توكلنا في إنصافنا منه عليك، و رفعنا ظلامتنا هذه إلى حرمك، و وثقنا في كشفها بكرمك فاحكم بيننا بالحق، و أنت خير الحاكمين. و أظهر اللهم قدرتك فيه، و أرنا ما نرتجيه، فقد أخذته العزة بالإثم اللهم فاسلبه عزه و ملكنا بقدرتك ناصيته، يا أرحم الراحمين. و صل يا رب على محمد و سلم و كرم. "اه. ذيل تاريخ دمشق ص ١٠٧. انتهى.

و مما علق في الكعبة أيضا عهد المعتمد لولديه: فقد ذكر صاحب كتاب "المحمل و الحج" بصحيفة ١٩٦ نقلا عن الطبري في الجزء العاشر ما نصه:

و في شوال من سنة (٢٦١) إحدى و ستين و مائتين بايع المعتمد بولاية العهد لابنه جعفر و لقبه "المفوض إلى الله" و ولاه المغرب و الشام و الجزيرة و الموصل و أرمينية و طريق خراسان و مهرجا نقذق و حلوان و ضم إليه موسى بن بغا و ولى أخاه "أبا أحمد الموفق"

العهد بعد جعفر و ولاء المشرق و بغداد و السواد و الكوفة و طريق مكة و المدينة و اليمن و كسكر و كور دجلة و الأهواز و فارس و أصبهان و قم و الكرج و الدنبور و الرى و زنجان و قرونى و خراسان و طبرستان و جرجان و كرمان و سجستان و السند و ضم إليه " مسرورا البلخى."

و عقد لكل واحد منهما لواء من أسود و أبيض، و شرطه إن حدث به حدث الموت، و جعفر لم يكمل للأمر أن يكون الأمر لأبى أحمد، ثم لجعفر و أخذت البيعة على الناس بذلك، و فرقت نسخ الكتاب و بعث بنسخة مع "الحسن بن محمد" ليعلقها فى الكعبة. انتهى من المحمل و الحج.

و مما علق فى الكعبة عهد محمد الأمين و عهد عبد الله المأمون و لى هارون الرشيد. فقد جاء فى كتاب "المحمل و الحج" ما نصه: كان هارون الرشيد قد عقد لابنه "محمد" ولاية العهد فى شعبان سنة (١٣٧) ثلاث و سبعين و مائة و سماه "الأمين" و ضم إليه فى سنة (١٧٥) الشام و العراق، ثم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٨١

بايع لعبد الله "المأمون" بالرقعة فى سنة (١٨٣) مائة و ثلاث و ثمانين و ولاء من حد همدان إلى آخر المشرق.

و حج هارون الرشيد فى سنة (١٨٦) مائة و ست و ثمانين و معه محمد و عبد الله ولداه، و أشخص ولده القاسم إلى "منبج" فأنزله إياها، فلما قضى مناسكه كتب لعبد الله المأمون كتابين أجهد الفقهاء و القضاة آراءهم فيهما. أحدهما على "محمد" بما اشترط عليه من الوفاء بما فيه من تسليم ما ولى عبد الله من الأعمال، و صير إليه من الضياع و الفلات و الجواهر و الأموال و الآخر نسخة البيعة التى أخذها على الخاصة و العامة، و الشروط لعبد الله على "محمد" و عليهم.

و جعل الكتابين فى البيت الحرام بعد أخذه البيعة على "محمد" و إشهاده بها الله و ملائكته عليه و من كان فى الكعبة معه من سائر ولده و أهل بيته و مواليه و قواده و وزرائه و كتابه و غيرهم و جعل الشهادة بالبيعة و الكتاب فى البيت الحرام، و طلب إلى الحجة فى حفظهما، و منع من أراد إخراجهما و الذهاب بهما فلما رفع الكتاب ليعلق وقع فليل إن هذا الأمر سريع انتقاضه قبل إتمامه. ثم ذكر صاحب كتاب المحمل و الحج، نص كتابى الأمين و المأمون، لكننا لم نقل منه ذلك، و إنما نقلناه من تاريخ الإمام الأزرقى. و إليك ما جاء فيه و هو: و شخص أمير المؤمنين هارون الرشيد من الرقة يريد الحج يوم الاثنين لسبع ليال بقين من شهر رمضان سنة ست و ثمانين و مائة فلم يدخل مدينة السلام و نزل منزلا منها على سبعة فراسخ على شاطئ الفرات يقال له: الدارب و قد بنى له بها منزل ثم شخص خارجا و معه الأمين و لى العهد محمد بن أمير المؤمنين و المأمون و لى العهد من بعده عبد الله بن أمير المؤمنين و معه جميع وزرائه و قرابته فعدل إلى المدينة من الربة و قدمها فأقام بها يومين لم يصنع فى الأول منهما شيئا إلا الصلاة فى المسجد و التسليم على النبى صلى الله عليه و سلم و جلس فى اليوم الثانى فى المقصورة حيال المنبر فأمر بالمقصورة فغلقت كلها و دعا بدفاتر العطاء فأخرج يومه ذلك لأهل العطاء ثلاثة أعطية و بدأ بالعطا بنفسه فبودى باسمه و وزن له عطاؤه فجعله فى كفه ثم فعل ذلك بالأمين و المأمون، ثم بنى هاشم المبدئين فى الدعوة على غيرهم فأعطوا كذلك عشيتهم.

ثم قام إلى منزله فأصبح غاديا من المدينة الشريفة إلى مكة المعظمة فلما قدمها عزل العثمانى صهره محمد بن عبد الله عن صلاة مكة و لى مكانه سليمان بن جعفر بن سليمان فلما كان قبل التروية بيوم واحد بعد الصبح صعد المنبر فخطب

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٨٢

خطبة الحج ثم فتح له باب فدخله وحده ليس معه غيره و قام مسرورا على باب البيت و أجيف أحد المصرعين فمكث فيه طويلا فى جوف الكعبة ثم دعا بالمأمون عبد الله ففعل به مثل ذلك ثم دعا بسليمان بن أبى جعفر ثم دعا بالفضل بن الربيع ثم بعيسى ابن جعفر و جعفر بن جعفر و جعفر بن موسى أمير المؤمنين فدخلوا عليه جميعا ثم دخل بعدهم الحارث و أبان و محمد بن خالد و عبيد بن يقطين و نظرائهم و دعا بيحيى بن خالد و لم يكن حاضرا فأتى به معجلا حتى دخل و دعا بجعفر بن يحيى ثم كتب وليا العهد كل

واحد منهما على نفسه كتاباً لأمر المؤمنين فيما أخذ على كل واحد منهما لصاحبه و تؤكد فيه عليهما بخط يده. وحضرت الصلاة صلاة الظهر من قبل فراغهم فنزل أمير المؤمنين فصلى بهم الظهر ثم عاد إلى الكعبة فكان فيها إلى أن فرغوا من الكتابين و أحضروا الناس سوى من سمينا قاضي مكة محمد بن عبد الرحمن المخزومي و أسد بن عمرو قاضي مدينة الشريفة و بعض من حجة البيت ثم حضرت صلاة العصر عند فراغهم فنزل أمير المؤمنين فصلى بهم ثم طافوا سبعا ثم دخلوا منزله من دار العجلة و أمر بحشر من حضر من الهاشميين و غيرهم ليشهدوا على الكتابين و أرسل إلى سليمان بن أبي جعفر و عيسى بن جعفر و جعفر بن موسى و قد كانوا انصرفوا فردوا من منازلهم فجاءوا متضجرين و أخرج إليهم الكتابين و قد وضع عليهما الطين و ليس من الخواتيم إلا خاتما ولى العهد فقرئنا على جميع من حضر ليشهدوا عليه و لم يثبت فى الكتابين إلا أسماء من كان فى الكعبة حيث كتب الكتابان و لم يختم غيرهم و لم يكن الكتابان طينا و لا طوبا و لا ختما فى جوف الكعبة ثم أمر أمير المؤمنين بعد أن شهدوا على الكتابين أن يعلقا فى داخل الكعبة قبالة بابها مع المعاليق التى فيها حيث يراها الناس و ضمنهما الحجة و استحلفهم على حفظهما و القيام بهما و أن يصونوهما و يعلقوهما فى وقت الحج منشورين و صنع لهما قصبان من ذهب فكللوهما بفصوص الياقوت، و الزبرجد و اللؤلؤ ثم انصرف أمير المؤمنين بعد قضاء نسكه فسار مقتصدا لم يعد المراحل حتى وافى الكوفة. انتهى من الأزرقى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٨٣

### نص الكتاب الذى كتبه محمد بن أمير المؤمنين هارون الرشيد المعلق فى جوف الكعبة

ذكر الأزرقى نص الكتاب المذكور فى تاريخه و هو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين كتبه له محمد بن هارون أمير المؤمنين فى صحة من بدنه و عقله و جواز من أمره طائعا غير مكره إن أمير المؤمنين هارون و لاني العهد من بعده و جعل لى البيعة فى رقاب المسلمين جميعا و لى أخى عبد الله بن أمير المؤمنين هارون العهد و الخلافة و جميع أمور المسلمين بعدى برضاء منى و تسليم طائعا غير مكره. و ولاء خراسان بثغورها و كورها و جنودها و خراجها و طرزها و بريدها و بيوت أموالها و صدقاتها و عشرها و عشورها و جميع أعمالها فى حياته و بعد وفاته فشرطت لعبد الله هارون أمير المؤمنين على الوفاء بما جعل له أمير المؤمنين هارون من البيعة و العهد و ولاية الخلافة و أمور المسلمين بعدى و تسليم ذلك له و ما جعل له من ولاية خراسان و أعمالها و ما أقطعه أمير المؤمنين هارون الرشيد من قطعة و جعل له من عقده أو ضيعة من ضياعه و عقده أو ابتاع له من الضياع و العقد بما أعطاه فى حياته و صحته من مال أو حلى أو جواهر أو متاع أو كسوة أو رقيق أو منزل أو دواب أو قليل أو كثير فهو لعبد الله بن أمير المؤمنين موفرا عليه مسلما له و قد عرفت ذلك كله شيئا شيئا باسمه و أصنافه و مواصفه أنا و عبد الله هارون أمير المؤمنين فإن اختلفنا فى شىء منه فالقول فيه قول عبد الله بن هارون أمير المؤمنين لا- أتبعه بشىء من ذلك و لا- آخذه منه و لا- أنتقضه صغيرا و لا كبيرا و لا من ولاية خراسان و لا غيرها مما ولاء أمير المؤمنين من الأعمال و لا أعزله عن شىء منه و لا أخلفه و لا أستبدل به غيره و لا أقدم قبله فى العهد و الخلافة أحدا من الناس جميعا و لا أدخل عليه مكروها فى نفسه و دمه و لا- شعره و لا بشره و لا خاص و لا عام من أموره و ولايته و لا أمواله و لا قطائعه و لا عقده و لا غير عليه شيئا بسبب من الأسباب و لا آخذه و لا أحدا من عماله و كتابه و ولاء أمره ممن صحبه و أقام معه بمحاسبة و لا أتبع شيئا مما جرى على يديه و أيديهم فى ولايته خراسان و أعمالها و غيرها مما ولاء أمير المؤمنين فى حياته و صحته و من الجباية و الأموال و الطرز و البريد و الصدقات و العشر و العشور و غير ذلك و لا أمر بذلك أحدا من الناس و لا أرخص فيه لغيرى و لا أحدث فيه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٨٤

نفسى بشىء أمضيه عليه و لا ألتمس فيه قطيعته و لا أنقص شيئا مما جعل له هارون أمير المؤمنين و أعطاه فى حياته و خلافته و سلطانه من جميع ما سميت فى كتابى هذا و آخذ له على و على جميع الناس البيعة و لا أرخص لأحد من الناس كلهم فى جميع ما ولاء و لا

في خلعه و لا في مخالفته و لا أسمع من أحد من البرية في ذلك قولا و لا أرضى بذلك في سر و لا علانية و لا أغمض عليه و لا أتغافل عليه و لا أقبل من بر من العباد و لا فاجر و لا صادق و لا كاذب و لا ناصح و لا غاش و لا قريب و لا بعيد و لا أحد من ولد آدم عليه السلام من ذكر و لا- أنثى مشورة و لا- مكيدة و لا- حيلة في شيء من الأمور سرها و علانيتها و حقها و باطلها و باطنها و ظاهرها و لا سبب من الأسباب أراد بذلك إفساد شيء مما أعطيت عبد الله بن هارون أمير المؤمنين من نفسى و أوجبت له على و شرطت و سميت في كتابى هذا و أراد به أحد من الناس أجمعين سوءا أو مكروها أو أراد خلعه أو محاربتة أو الوصول إلى نفسه و دمه أو حرمه أو سلطانه أو ماله أو ولايته جميعا أو فرادى مسرين أو مظهرين له أن أنصره و أحوطه و أدفع عنه كما أدفع عن نفسى و مهجتى و دمي و شعرى و بشرى و حرمى و سلطانى و أجهز الجنود إليه و أعينه على كل من غشه و خالفه و لا أسلمه و لا أتخلى منه و يكون أمرى أمره في ذلك واحدا أبدا ما كنت حيا و إن حدثت بأمر المؤمنين حدث الموت و أنا و عبد الله بن أمير المؤمنين بحضرة أمير المؤمنين أو أحدنا أو كنا غائبين عنه جميعا مجتمعين كنا أو متفرقين و ليس عبد الله بن هارون أمير المؤمنين فى ولايته بخراسان فعلى لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين فى ولايته بخراسان فعلى لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين أن أمضيه إلى خراسان و أسلم له ولايتها و أعمالها كلها و جنودها و لا أعوقه عنها و لا أحبسها قبلى و لا فى شيء من البلدان دون خراسان و أعجل أشخاصه إلى خراسان واليا عليها و على جميع أعمالها منفردا بها مفوضا إليه جميع أعمالها كلها و أشخص معه جميع من ضم إليه أمير المؤمنين من قواده و جنوده و أصحابه و كتابه، و عماله، و مواليه، و خدمه، و من تبعه من صنوف الناس بأهلهم و أموالهم و لا أحبس عنه أحدا منهم و لا أشركه معه فى شيء منها أحدا و لا أرسل عليه أمينا، و لا كاتبا و لا بندارا و لا أضرب على يديه فى قليل و لا كثير و أعطيت هارون أمير المؤمنين و عبد الله بن هارون على ما شرطت لهما على نفسى من جميع ما سميت و كتبت فى كتابى هذا عهد الله و ميثاقه و ذمة أمير المؤمنين و ذمتى و ذمم آبائى، و ذمم المؤمنين، و أشد ما أخذ الله عز و جل على النبيين و المرسلين و خلقه أجمعين من عهده و موثيقه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٨٥

و الأيمان المؤكدة التى أمر الله عز و جل بالوفاء بها و نهى من نقضها و تبديلها فإن أنا نقضت شيئا مما شرطت لهارون أمير المؤمنين و لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين و سميت فى كتابى هذا أو حدثت نفسى أن أنقض شيئا مما أنا عليه أو غيرت أو بدلت أو حدثت أو غدرت أو قبلت من أحد من الناس صغيرا أو كبيرا برا أو فاجرا ذكرا أو انثى جماعة أو فرادى فبرئت من الله سبحانه و من ولايته و من دينه و من محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم و لقيت الله عز و جل يوم القيامة كافرا به مشركا و كل امرأة هى اليوم لى أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثا البتة طلاق الحرج و على المشى إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة نذرا واجبا لله تعالى فى عنقى حافيا راجلا لا يقبل الله منى إلا الوفاء بذلك و كل مال هو لى اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة هديا بالغ الكعبة الحرام و كل مملوك هو لى اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحرارا لوجه الله تعالى و كل ما جعلت لأمر المؤمنين و لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين و كتبت و شرطته لهما و حلفت عليه و سميت فى كتابى هذا لازما لى الوفاء به لا أضمر غيره و لا أنوى إلا إياه فإن أضمرت أو نويت غيره فهذه العهود و الموثيق و الأيمان كلها لازمة لى واجبة على و قواد أمير المؤمنين و جنوده و أهل الآفاق و الأمصار و عوام المسلمين براء من بيعتى و خلافتى و عهدى و ولايتى و هم فى حل من خلعى و إخراجى و من ولايتى عليهم حتى أكون سوقه من السوق و كرجل من عرض المسلمين لا حق لى عليهم و لا ولاية و لا تبعه لى قبلهم، و لا بيعه لى فى أعناقهم و هم فى حل من الأيمان التى أعطونى براء من تبعتها و وزرها فى الدنيا و الآخرة.

شهد سليمان بن أمير المؤمنين المنصور، و عيسى بن جعفر، و جعفر بن جعفر، و عبد الله بن المهدي و جعفر بن موسى أمير المؤمنين، و إسحاق بن موسى أمير المؤمنين، و إسحاق بن عيسى بن على و أحمد بن إسماعيل بن على، و سليم بن جعفر بن سليمان، و عيسى بن صالح بن على، و داود بن عيسى بن موسى و يحيى بن عيسى بن موسى و داود بن سليمان بن جعفر، و خزيمه بن حازم، و هرثمة

بن أعين، و يحيى بن خالد و الفضل بن يحيى و جعفر بن يحيى و الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين و العباس بن الفضل ابن الربيع مولى أمير المؤمنين، و عبد الله بن الربيع مولى أمير المؤمنين، و القاسم بن ربيع مولى أمير المؤمنين، و دقاقة بن عبد العزيز العيسى، و سليمان بن عبد الله بن الأصم، و الربيع بن عبد الله الحارثي و عبد الرحمن ابن أبي السمراء الغساني و محمد بن عبد الرحمن قاضي مكة، و عبد الكريم بن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٨٦

شعيب الحجبي و إبراهيم بن عبد الله الحجبي، و عبد الله بن شعيب الحجبي و محمد بن عبد الله بن عثمان الحجبي و إبراهيم بن عبد الرحمن بن نبيه الحجبي، و عبد الواحد بن عبد الله الحجبي، و إسماعيل بن عبد الرحمن بن نبيه الحجبي، و أبان مولى أمير المؤمنين، و محمد بن منصور، و إسماعيل بن ضبيح، و الحارث مولى أمير المؤمنين، و خالد مولى أمير المؤمنين و كتب في ذى الحجة سنة ست و ثمانين و مائة. انتهى من الأزرقى.

### نص الكتاب الذى كتبه عبد الله بن أمير المؤمنين هارون الرشيد

و ذكر الأزرقى نص الكتاب المذكور فى تاريخه و هو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين كتبه له عبد الله بن هارون أمير المؤمنين فى صحه من عقله و جواز من أمره و صدق نية فيما كتب فى كتابه و معرفه ما فيه من الفضل و الصلاح له و لأهل بيته و لجماعه المسلمين إن أمير المؤمنين هارون و لآنى العهد و الخلافة و جميع أمور المسلمين فى سلطانه بعد أخى محمد بن هارون أمير المؤمنين و ولانى فى حياته و بعده ثغور خراسان و كورها و جميع عمالها من الصدقات و العشر و العشور و البريد و الطرز و غير ذلك و اشترط لى على محمد بن أمير المؤمنين الوفاء بما عقد به من الخلافة و الولاية للعباد و البلاد بعده و ولانى خراسان و جميع أعمالها و لا يعرض لى فى شىء مما أقطعنى أمير المؤمنين أو ابتاع لى من الضياع و العقيد و الدور و الرباع أو ابتعت منه من ذلك و ما أعطانى أمير المؤمنين هارون من الأموال و الجواهر و الكساء و المتاع و الدواب فى سبب محاسبه و لا تبع لى فى ذلك و لا لأحد منهم أبدا و لا يدخل على و لا على أحد ممن كان معى و منى و لا عمالى و لا كتابى و من استعنت به من جميع الناس مكروها فى دم و لا نفس و لا شعر و لا بشر و لا مال و لا صغير و لا كبير فأجابه إلى ذلك و أقر به و كتب له به كتابا و كتبه على نفسه و رضى به أمير المؤمنين هارون و قبله و عرف صدق نيته فشرط لعبد الله هارون أمير المؤمنين و جعلت له على نفسى أن أسمع لمحمد بن أمير المؤمنين و أطيعه و لا أعصيه، و أنصحه و لا أغشه، و أوفى ببيعته و ولايته، و لا أغدره و لا أنكث، و أنفذ كتبه، و أموره و أحسن مؤازرته و مكانته، و أجاهد عدوه فى ناحيتى بأحسن جهاد ما و فى لى بما شرط لى و لعبد الله هارون أمير المؤمنين و سماه فى الكتاب الذى كتبه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٨٧

لأمير المؤمنين، و رضى به أمير المؤمنين و قبله و لم يتقصى شيئا من ذلك و لا ينقص أمرا من الأمور التى اشترطها لى عليه هارون أمير المؤمنين و إن احتاج محمد بن هارون أمير المؤمنين إلى جند و كتب إلى يأمرنى بأشخاصهم إليه أو إلى ناحية من النواحي أو إلى عدو من أعدائه خالفه أو أراد نقص شىء من سلطانه و سلطانى الذى أسنده هارون أمير المؤمنين إلينا و ولانا أن أنفذ أمره و لا أخالفه و لا أقصر فى شىء إن كتب به إلى و إن أراد محمد بن أمير المؤمنين أن يولى رجلا من ولده العهد و الخلافة من بعدى فذلك له ما و فى لى بما جعل لى أمير المؤمنين هارون فاشترط لى عليه و شرطه على نفسه فى أمرى و على إنفاذ ذلك و الوفاء له بذلك و لا أنقض ذلك و لا غيره و لا أبدله و لا أقدم فيه أحدا من ولدى و لا قريبا و لا بعيدا من الناس أجمعين إلا أن يولى هارون أمير المؤمنين أحدا من ولده العهد من بعدى فيلزمنى و محمدا الوفاء بذلك و جعلت لأمير المؤمنين و محمد بن أمير المؤمنين على الوفاء بما اشترطت و سميت فى كتابى هذا ما وفى له محمد بن أمير المؤمنين و لمحمد بن أمير المؤمنين هارون بجميع ما اشترط لى



هارون أمير المؤمنين عليه في نفسى و ما أعطانى أمير المؤمنين هارون من جميع الأشياء المسماة في الكتاب الذى كتبه له عبد الله و ميثاقه و ذمة أمير المؤمنين و ذمتى و ذمم آبائى و ذمم المؤمنين و أشد ما أخذ الله عز و جل على النبيين و المرسلين و خلقه أجمعين من عهوده و موثيقه و الأيمان المؤكدة التى أمر الله عز و جل بالوفاء بها فإن نقضت شيئاً مما شرطت و سميت فى كتابى هذا له أو غيرت أو بدلت أو نكثت أو غدرت فبرئت من الله تعالى و من ولايته و من دينه و من محمد رسوله صلى الله عليه و سلم و لقيت الله سبحانه يوم القيامة كافراً مشركاً به و كل امرأه هى اليوم لى أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثاً البتة طلاق الحرج و كل مملوك لى اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله تعالى و على المشى إلى بيت الله الحرام الذى بمكة ثلاثين حجة نذراً واجبا على و فى عنقى حافياً راجلاً لا يقبل الله منى الوفاء به و كل مال هو لى اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة هدياً بالغ الكعبة و كل ما جعلت لعبد الله هارون أمير المؤمنين و شرطت فى كتابى هذا لازم لى لا أضمر غيره و لا أنوى سواه شهد تسمية اليهود فى ذلك الذين شهدوا على محمد بن أمير المؤمنين.

فلم يزل الشرطان معلقان فى جوف الكعبة حتى مات هارون الرشيد أمير المؤمنين و بعدما مات بستتين فى خلافة محمد بن الرشيد ثم كلم الفضل ابن الربيع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٨٨

محمد بن عبد الله الحجبى أن يأتيه بهما فترعهما من الكعبة و ذهب بهما إلى بغداد فأخذهما الفضل فخرقهما و أحرقهما بالنار. انتهى كل ذلك من الأزرقى.

قال صاحب كتاب المحمل و الحج: إن هذا مذكور فى كتاب صبح الأعشى فى الجزء الرابع عشر.

### عقاب المعتدى على مال الكعبة

لو لم يرض الله عز و جل الغنى عن العالمين الإهداء إلى الكعبة لما حفر خليله عليه الصلاة و السلام فى داخلها حين بناء الجب العميق ليجعل فيه ما يهدى للكعبة من المال و الحلوى و الطيب و غير ذلك، فإذا كان التعدى على مال الغير حرام غير لائق، فإن التعدى على مال الكعبة المعظمة أشد حرمة و أقبح فعلاً. روى الإمام الأزرقى فى تاريخه عن عبد الله بن زرارة: أن مال الكعبة يدعى "الأبرق" و لم يخالط مالا- قط إلا- محقه و لم يرزأ منه أحد قط من أصحابنا إلا- بان النقص فى ماله، و أدنى ما يصيب صاحبه أن يشدد عليه الموت، قال: و لم يزل من مضى من مشيخة الحجة يحذرون أبناءهم و يخوفونهم إياه و يوصونهم بالنتزه عنه و يقولون: لن تزالوا بخير ما دمتم أعهف عنه، و إن كان الرجل ليصيب منه الشيء فيضعه ذلك عند الناس. اه.

و جاء فى تاريخ الأزرقى أيضاً: أن النبى صلى الله عليه و سلم وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من ذهب مما كان يهدى إلى البيت و أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يحركه ثم ذكر لأبى بكر فلم يحركه. اه.

و جاء فيه أيضاً: عن أبى وائل شقيق بن سلمة قال: جلست إلى شيبه بن عثمان فى المسجد الحرام فقال: جلس إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مجلسك هذا فقال: لقد هممت أن لا أترك فيها صفراء و لا بيضاء إلا قسمتها قال شيبه:

فقلت له: إنه قد كان لك صاحبان لم يفعلاه رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبو بكر رضى الله عنه فقال عمر: هما المرءان أقتدى بهما. اه.

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم و صاحبه أبو بكر و عمر رضى الله عنهما لم يتصرفوا فى مال الكعبة فيما ينفع المسلمين، فكيف يطيب لغيرهم أن تمتد أيديهم فيه بدون حق، و إذا كان مشيخة الحجة فى القرون الأولى يحذرون أبناءهم من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٨٩

التقرب في مال الكعبة و هم القائمون بخدمتها فإن التحذير يكون أكد في الأزمنة الأخيرة، و ما تجرأ أحد في التصرف بمالها إلا رأى و بال ذلك عليه. فقد روى الأزرقى في تاريخه أن جرهما جعلت على جب الكعبة رجلا منهم يحرسه فينا رجل ممن ارتضوه عندها إذ سولت له نفسه فانتظر حتى إذا انتصف النهار و قلصت الظلال و قامت المجالس و انقطعت الطرق و مكة إذ ذاك شديد الحر بسط رداءه ثم نزل البئر فأخرج ما فيها فجعله في ثوبه فأرسل الله عز و جل حجرا من البئر فحبسه حتى راح الناس فوجدوه فأخرجوه و أعادوا ما وجدوه في ثوبه في البئر فسميت تلك البئر الأخسف، فلما أن خسف بالجرهمى و حبسه الله عز و جل بعث الله عند ذلك ثعبانا و أسكنه في ذلك الجب في بطن الكعبة أكثر من خمسمائة سنة ... الخ. اه من الأزرقى. و جاء فيه أيضا عند نصيحة مضاض بن عمرو الجرهمى لقومه حينما استخفوا بأمر البيت و الحرم: إنه كان للبيت خزانة بئر في بطنه يلقى فيها الحلى و المتاع الذى يهدى له و هو يومئذ لا-سقف له فتواعد له خمسة نفر من جرهم أن يسرقوا ما فيه فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم و اقتحم الخامس فجعل الله عز و جل أعلاه أسفله و سقط منكسا فهلك و فر الأربعة الآخرون فعند ذلك مسحت الأركان الأربعة، و قد بلغنا في الحديث أن إبراهيم خليل الله مسح الأركان الأربعة كلها أيضا، و بلغنا في الحديث أن آدم مسح قبل ذلك الأركان الأربعة، فلما كان من أمر هؤلاء الذين حاولوا سرقة ما فى خزانه الكعبة ما كان بعث الله حية سوداء الظهر بيضاء البطن رأسها مثل رأس الجدى فحرس البيت خمسمائة سنة لا يقربه أحد بشيء من معاصى الله إلا أهلكه الله تعالى و لا يقدر أحد أن يروم سرقة ما فى الكعبة ... الخ. انتهى.

هذا ما كان فى عهد جرهم و أما ما حدث فى عهد قريش فقد روى الأزرقى أيضا عن شيبه بن عثمان الذى أسلم يوم الفتح على أصح الروايات أنه قال:

حضرت الوفاة فتى منا من أصحابنا من الحجة بالبوابة من قرن "فى طريق الطائف و نجد" فاشتد عليه الموت جدا فمكث أياما ينزع نزعا شديدا حتى رأوا منه ما غمهم و أحزنهم من شدة كربه فقال له أبوه: يا بنى لعلك أصبت من هذا الأبرق يعنى مال الكعبة قال: نعم يا أبت أربعمائة دينار فقال أبوه: اللهم إن هذه الأربعمائة دينار على فى أنضر مالى أو ديها إليها قال: فسرى عنه ثم لم يلبث الفتى أن مات. انتهى من الأزرقى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٩٠

و رب قائل يقول: إذا كان الله عز و جل عاقب المعتدين على مال الكعبة فيما مضى، فلم لا يعاقبهم عليه فيما بعد الإسلام؟ فنقول: لقد كانت العقوبة تعجل على من كان قبلنا، و كان ينزل عليهم أنواع البلايا كالجراد و القمل و الضفادع و الصيحة و الخسف و المسخ و غير ذلك، و كانوا يقرضون موضع النجاسة فى الثوب أو فى البدن، و كانوا يؤاخذون على الخطأ و النسيان، فرفع الله كل ذلك عن أمه محمد صلى الله عليه و سلم و عاملهم بكثير من الفضل و الرحمة و العفو و اللطف فى الدنيا و الآخرة فهى أمه مرحومة و خير الأمم و نبيهم محمد خير الأنبياء و خاتمهم صلوات الله و سلامه عليه و على إخوانه الأنبياء و المرسلين و أصحابتهم أجمعين. و لنختم هذا الفصل بهذه الآيات البيئات ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا و لا تحمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَ لَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَ اغْفِرْ عَنَّا وَ اغْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

### حكم التصرف فى مال الكعبة

روى الأزرقى فى تاريخه: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من ذهب مما كان يهدى إلى البيت و أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يحركه ثم ذكر لأبى بكر فلم يحركه. و روى الأزرقى أيضا عن شقيق بن سلمة قال: جلست إلى شيبه بن عثمان فى المسجد الحرام فقال: جلس إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مجلسك هذا فقال: لقد هممت أن لا أترك فيها صفراء و لا بيضاء إلا قسمتها- يعنى الكعبة- قال شيبه فقلت له: إنه قد كان لك صاحبان لم يفعلاه رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبو بكر رضى الله عنه فقال عمر: هما المرءان أقتدى

بهما. انتهى.

قال العلامة ابن ظهيرة القرشي في كتابه "الجامع اللطيف في فضل مكة و أهلها و بناء البيت الشريف" عند ذكر كنز الكعبة و الحكم فيه ما نصه: أقول: قال المحب الطبري لما أخبر شيبه أن النبي صلى الله عليه و سلم و أبا بكر لم يتعرضا للمال رأى عمر أن ذلك هو الصواب و كأنه رأى حينئذ أن ما جعل في الكعبة يجرى مجرى الوقف عليها فلا يجوز تغييره، أو رأى ترك ذلك تورعا حين أخبر أنه تركه صاحبه مع رؤيته جواز

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٩١

إنفاقه في سبيل الله لأن صاحبيه إنما تركاه للعدو الذي تضمنه حديث عائشة رضي الله عنها. انتهى.

و قال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله تعالى: يحتمل أن يكون تركه صلى الله عليه و سلم لذلك رعاية لقلوب قريش كما ترك بناء الكعبة على قواعد بناء إبراهيم، و يؤيده ما وقع عند مسلم في بعض طرق الحديث "و لا نفقت كنز الكعبة في سبيل الله و لجعلت بابها بالأرض" و هذا التعليل هو المتفق عليه فإنفاقه جائر كما جاز لابن الزبير بناؤها على قواعد إبراهيم لزوال سبب الامتناع. انتهى من الجامع اللطيف.

و قال ابن ظهيرة أيضا في كتابه المذكور، فروع:

(الأول): تختص الكعبة الشريفه بما يهدى إليها و ما ينذر لها من الأموال و امتناع صرف شيء منها إلى الفقراء و المصالح إلا أن يعرض لها نفسها عمارة فيصرف فيه و إلا فلا يغير شيء عن وجهه تبه عليه الزركشي من الشافعية.

(الثاني): إذا نذر شمعا يشعله فيها أو زيتا و نحوه وضعه في مصابيحها و إن كان لا يستعمل فيها بيع و صرف الثمن في مصالحها. صرح به الماوردي. انتهى من الجامع اللطيف و لم نذكر بقية الفروع لعدم تعلقها بهذا المبحث.

و جاء في تاريخ الكعبة ما نصه: قال التقى الفاسي تعليقا على أخذ مال الكعبة: أنه لا يجوز أخذ شيء من حلية الكعبة لا للحاجة و لا للتبرك لأن ما جعل للكعبة و سبل لها يجرى مجرى الأوقاف و لا- يجوز تغييرها من وجوها أشار إلى ذلك المحب الطبري في القرى. انتهى.

و لقد ذكرنا في مبحث تطيب الكعبة أن الإمام النووي رحمه الله تعالى قال:

لا يجوز أخذ شيء من طيب الكعبة لا للتبرك و لا لغيره و من أخذ شيئا لزمه رده فإن أراد التبرك أتى بطيب من عنده فمسحها به ثم أخذه. انتهى. نقول: فإذا كان لا يجوز أخذ شيء من طيب الكعبة فإنه لا يجوز أخذ شيء من حلى الكعبة أو مالها أو هداياها من باب أولى، لكن لنا نحن في هذا الأمر رأى نحب أن نذكره بالتفصيل فنقول و بالله التوفيق و المعونة و الحول و القوة:

التصرف فيما يهدى إلى الكعبة من مال و حلى و غيرهما للمصلحة جائر بلا خلاف كما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى، و كما يفهم ضمنا من تركه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٩٢

صلى الله عليه و سلم ما وجده من الذهب في جب الكعبة و أنه لم يحركه حينما قال له علي بن أبي طالب: "لو استعنت بهذا المال على حربك" فلو لم يكن جائزا لبين له رسول الله صلى الله عليه و سلم صراحة حرمة التصرف فيه، و حكمه سكوته عليه الصلاة و السلام حينما قال له علي بن أبي طالب ذلك إما رعاية لقلوب قريش كما ترك بناء الكعبة على قواعد إبراهيم مثلما ذكره ابن حجر، و إما أخذا بالعزيمة و زيادة في التعفف لقوته المعنوية الروحية فإن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام لا يتبعون الرخص إلا لإرشاد أممهم، فإذا كانت الأيدي قد امتدت إلى مال الكعبة و هداياها بينما رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبو بكر و عمر رضي الله عنهما لم يتصرفوا بشيء من ذلك، فكيف لو تصرفوا فيها بشيء. نظن أنه ما كان يبقى اليوم في الكعبة شيء حتى الكسوة كانوا يمزقونها و هي عليها.

ثم إن التصرف في مال الكعبة وهداياها وجليها على أربعة أنواع:

الأول: التصرف فيها بدون حق إما للسرقة أو للاغتصاب أو نحوهما فهذا حرام و غير جائز بلا خلاف.

الثاني: التصرف فيها للاضطرار كأخذ سدنتها شيئاً للحاجة الشديدة فرأينا جواز ذلك لهم بشرطين أن ينسد جميع أسباب الرزق عليهم، و أن يكون أخذهم منه بالمعروف أى بقدر الضرورة و على سبيل الاقتراض و الأمانة فإذا تيسرت أحوالهم ردوا ما أخذوه فى محله.

الثالث: التصرف فيها لمصالح الكعبة نفسها أو لمصالح المطاف و المسجد الحرام فقط من عماره و ترميم، فرأينا جواز ذلك عند خلو بيت مال المسلمين أو عند عدم وجود المال الحلال.

الرابع: التصرف فيها فى سبيل المصلحة العامة للمسلمين كعند نشوب حرب أو وجود قحط فى البلده (لا قدر الله ذلك) و الناس فى فقر و احتياج، فرأينا جواز ذلك، فإذا كان أكل الميتة جائز عند الاضطرار فالتصرف فى مال الكعبة جائز للاضطرار بجميع أنواعه هذا رأينا الخاص فى جميع ما ذكرناه و ما رأينا لأحد كلاما فيه، و الله تعالى أعلم.

و نستأنس لكلامنا المذكور بما يفهم مما رواه الإمام الأزرقى فى تاريخه عن سعيد بن يسار الخزاعى عن ابن عمر أنه كان فى دار خالد بن أسيد بمكة فجاءه رجل فقال: أرسل معى بحلى إلى الكعبة فقال له: ممن أنت؟ قال: من أهل العراق

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٩٣

قال: ما أحققكم يا أهل العراق أما فيكم مسكين أما فيكم يتيم أما فيكم فقير إن كعبة الله لغنية عن الذهب و الفضة و لو شاء الله لجعلها ذهبا و فضة، قال ابن يسار فكان معى حلى بعثت بها إلى الكعبة فقلت له و أنا مستحى فقال: و أنت أيضا ثم قال لى كما قال للآخر. انتهى من الأزرقى.

و خالد بن أسيد، بفتح الهمزة هو أخ أمير مكة عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب القرشى الأموى وواه رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة و هو ابن إحدى و عشرين سنة و ذلك عند مخرجه إلى غزوة حنين فى العشر الأول من شوال سنة ثمان من الهجرة فهو أول أمير ولى مكة و لم يزل عتاب بن أسيد أميرا على مكة إلى أن مات و كانت وفاته يوم مات أبو بكر رضى الله عنهما و قيل بل يوم جاء نعى الصديق إلى مكة.

### التعدى على أموال الكعبة وهداياها

لو لم يتصرف الناس فى أموال الكعبة بعذر أو بغير عذر على سبيل التعدى من قبل الإسلام و بعده، لكان اليوم فيها من الأموال الطائلة ما لا يحسب و من الهدايا الثمينة ما لا يقدر، و يظن صاحب كتاب تاريخ الكعبة أن كل ذلك ذهبت فى العمارة التى وقعت سنة (١٠٤٠) أى التى كانت زمن السلطان مراد خان الرابع كما ذكره بصحيفة ٢٠٧ من الكتاب المذكور.

و نحن نرى فى هذه المسألة غير ما رآه و نذهب إلى غير ما ذهب إليه فإنه لا يخفى على من اطلع فى التاريخ أن سلاطين آل عثمان كانوا يعظمون الكعبة المشرفة و جميع المشاعر غاية التعظيم و كانوا يهدون إليها مختلف الهدايا الثمينة، فلا يعقل أن يذهب ما فى الكعبة من الأموال و الهدايا فى عمارة السلطان مراد خان الرابع التى كانت سنة (١٠٤٠). فقد ذكر نفس صاحب تاريخ الكعبة فى كتابه هذا عند الكلام على بناء السلطان مراد خان الرابع أنه لما سقط الجدار الشامى من الكعبة المشرفة و بعض الجدارين الشرقى و الغربى و سقطت درجة السطح و ذلك بعد صلاة العصر من يوم الخميس عشرين شعبان سنة (١٠٩٣) وقع الضجيج العام و الانزعاج فى قلوب الناس فخرج أمير مكة الشريف مسعود بن إدريس من داره فرعا إلى المسجد الحرام و حضر معه السادة الأشراف و فاتح البيت و العلماء و الفقهاء و الصلحاء فأمر الأمير بإخراج ما فى الكعبة خشية عليها من الضياع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٩٤

فأخرجوا القناديل و كانت عشرين قنديلا من الذهب أحدها مرصع باللؤلؤ و غيرها من المعادن و الميزاب فوضعت فى دار فاتح البيت

الحرام بالصفاء بحضور أمير مكة في مخزن و ختم عليه بختم الأمير و القاضي و نائب الحرم و أجلس عليه حرسا ... الخ و في تاريخ الغازي بعد ذكر القناديل الذهب قال: و ثلاثة و ثلاثون قنديلا من الفضة و الظاهر أن هذه القناديل الفضة سقطت سهوا من قلم صاحب تاريخ الكعبة قال:

ثم وضعت كل هذه الأشياء في الكعبة بعد تمام بنائها. فكيف إذا تضيع ما في الكعبة في هذه العماره. و لكننا نرى أن الأحداث التي كانت تتوالى على مكة المشرفة من قديم الزمان و رحى الحرب التي دارت فيها مرارا عديدة هي السبب التي جعلت الأيدي تعبت بأموال الكعبة و هداياها و ها نحن نذكر هنا باختصار بعض تلك الحوادث مما وقفنا عليها فنقول:

(١) جاء في تاريخ الأزرقى عن مجاهد أنه قال: كان في الكعبة على يمين من دخلها جب عميق حفره إبراهيم خليل الرحمن و إسماعيل صلوات الله و سلامه عليهما حين رفع القواعد و كان يكون فيه ما يهدى للكعبة من حلى أو ذهب أو فضة أو طيب أو غير ذلك و كانت الكعبة ليس لها سقف فسرق منها على عهد جرهم مال مرة بعد مرة و كانت جرهم ترضى لذلك رجلا يكون عليه يحرسه فيينا رجل ممن ارتضوه عندها إذ سولت نفسه فانظر حتى إذا انتصف النهار و قلصت الظلال و قامت المجالس و انقطعت الطرق و مكة إذ ذاك شديدة الحر بسط رداءه ثم نزل في البئر فأخرج ما فيها فجعله في ثوبه فأرسل الله عز و جل حجرا من البئر فحسبه حتى راح الناس فوجدوه فأخرجوه و أعادوا ما وجدوا في ثوبه في البئر فسميت تلك البئر بالأخسف فلما أن خسف بالجرهمي و حبسه الله عز و جل بعث الله عند ذلك ثعبانا و أسكنه في ذلك الجب في بطن الكعبة أكثر من خمسمائة سنة يحرس ما فيه فلا يدخله أحد إلا رفع رأسه و فتح فاه فلا يراه أحد إلا ذعر منه و كان ربما يشرف على جدار الكعبة فأقام كذلك في زمن جرهم و زمن خزاعة و صدرا من عصر قريش حتى اجتمعت قريش في الجاهلية على هدم البيت و عمارته فحال بينهم و بين هدمه حتى دعت قريش عند المقام عليه و النبي صلى الله عليه و سلم معهم و هو يومئذ غلام لم ينزل عليه الوحي بعد فجاء عقاب فاختطفه ثم طار به نحو أجياد الصغير. انتهى من الأزرقى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٩٥

(٢) و جاء في تاريخ الأزرقى أيضا: أن الحسين بن الحسن العلوى عمد إلى خزانه الكعبة في سنة مائتين في الفتنة حين أخذ الطالبيون مكة فأخذ مما فيها مالا عظيما و انتقله إليه و قال: ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعا لا ينتفع به نحن أحق به نستعين به على حربنا. اه منه.

(٣) و جاء فيه أيضا: عن مسافع بن عبد الرحمن الحجبي قال: لما بويع بمكة لمحمد بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم في الفتنة في سنة مائتين حين ظهرت المبيضة بمكة " و هم أصحاب المقنع " أرسل إلى الحجة فتسلف منهم من مال الكعبة خمسة آلاف دينار و قال: نستعين بها على أمرنا أفاء الله علينا رددناها في مال الكعبة فدفعوا إليه و كتبوا عليه بذلك كتابا و أشهدوا فيه شهودا فلما خلع نفسه و رفع إلى أمير المؤمنين المأمون تقدم الحجة و استعدوا عليه عند أمير المؤمنين فقضاهم أمير المؤمنين المأمون تقدم الحجة و استعدوا عليه عند أمير المؤمنين عن محمد بن جعفر خمسة آلاف دينار و كتب لهم بها إلى إسحاق بن عباس بن عباد بن محمد و هو وال على اليمن فقبضتها الحجة و ردها في خزانه الكعبة. اه منه.

(٤) و جاء في شفاء الغرام للفتى الفاسى أنه كتب حجة البيت إلى أمير المؤمنين المعتضد العباسى أن أحد الولاة بمكة قلع أيام الفتنة سنة (٢٥١) ما على عضادتي باب الكعبة من الذهب فضربه دنانير و صرفها على الفتنة و أن عامل مكة سنة (٢٤٨) قلع أيضا أيام الفتنة مقدار الربع من الذهب من أسفل باب الكعبة و ما على أنف الباب من الذهب و استعان به على دفع تلك الفتنة، فأمر المعتضد بإعادة جميع ذلك. اه منه.

(٥) و جاء في تاريخ الأزرقى: لما حارب يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي والى مكة إبراهيم بن موسى أرسل إلى الحجة فأخذ

السريير الفضة و ما عليه من الفرشة و أزارير الذهب و الفضة المرخاة على وجه السريير و الصنم الذهب الذى فوقه و الذى أرسل كل ذلك أحد ملوك التبت هدية إلى الكعبة المشرفة فاستعان به على حربه و ضربه دنائير و دراهم و قال: أمير المؤمنين يخلفه لها و ذلك سنة (٢٠٢) اثنتين و مائتين. اه منه.

(٦) و جاء فى تاريخ الكعبة: أنه فى سنة (٣١٧) سبع عشرة و ثلاثمائة دخل أبو طاهر القرمطى مكة المشرفة يوم التروية من ذى الحجة و هو اليوم الثامن فدخلوا المسجد الحرام و أسرفوا فى قتل الحجاج و أسرهم و نهبهم. قيل: قتلوا فيه ألفا التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٩٦

و سبعمائة. و قيل: ثلاثة عشر ألفا من الرجال و النساء و هم متعلقون بالكعبة و ردموا بهم زمزم حتى ملأوها و فرش بهم المسجد الحرام و ما يليه و صعد أبو طاهر بنفسه على باب الكعبة و أخذ حليها و هتك أستارها و قسم كسوتها بين أصحابه و أمر بقلع ميزابها و كان من الذهب الإبريز و أخذ أموال الناس و أقام هو و أصحابه بمكة أحد عشر يوما ثم انصرف إلى بلده هجر و حمل معه الحجر الأسود و بقى موضع الحجر من الكعبة خاليا يضع الناس فيه أيديهم للتبرك و بقى الحجر عندهم نحو اثنين و عشرين سنة ثم ردوه إلى الكعبة رده سنبر بن الحسن القرمطى. انتهى منه باختصار و من أراد الوقوف على حادثة القرمطى فعليه بمراجعة كتب التاريخ و نحن إنما ذكرنا هذه النبذة لأخذه أموال الكعبة.

(٧) و جاء فيه أيضا: أنه فى سنة (٤٦٢) أخذ أمير مكة أبو هاشم محمد بن جعفر المعروف بابن أبى هاشم الحسن قناديل الكعبة و ستورها و صفائح الباب لما لم يصله شىء من جهة المستنصر العيديدى. اه.

(٨) و جاء فيه أيضا: أن الوزير على شاه بعث سنة (٧١٨) حلقتين من ذهب مرصعتين باللؤلؤ و البلخش كل حلقة زنتها ألف مثقال و فى كل حلقة ست لؤلؤات فاخرات و بينهما ست قطع بلخش فاخر هدية للكعبة فعلقتا عليها ثم أخذهما أمير مكة الشريف رميته ابن أبى نمى. اه منه.

(٩) و جاء فيه أيضا: أن السلطان شيخ أويس بغداد أرسل أربعة قناديل كبار اثنان منها ذهب و اثنان فضة و ذلك سنة (٧٧٠) هدية للكعبة فعلقت بها ثم أخذها أمير مكة الشريف عجلان بن رميته. اه.

(١٠) و جاء فيه أيضا: أن أمير مكة داود بن عيسى بن فليته أخذ ما فى الكعبة من أموال و طوقا كان يمسك الحجر الأسود و ذلك سنة (٥٨٦).

(١١) و جاء فيه أيضا: أن أبا الفتوح الحسن بن جعفر العلوى حين خرج عن طاعة الحاكم بأمر الله و دعا لنفسه بالإمامة و تلقب بالراشد أخذ من حلية الكعبة و ضربها دنائير و دراهم و هى التى تسمى الفتحة و أخذ بعد ذلك المحاريب التى أهداها للكعبة صاحب عمان. اه.

أى تلك المحاريب التى زنة كل محراب أكثر من قنطار أهداها صاحب عمان بعد سنة (٤٢٠) من الهجرة كما ذكره أبو عبيد الله البكرى فى كتابه المسالك و الممالك. اه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٩٧

(١٢) و جاء فى كتاب المحمل و الحج: أن شيوخ سدة البيت الشريف كانوا إذا احتاجوا اختلسوا من أموال الكعبة و هداياها ما يسدون به خللهم و يدفع به فقرهم و احتياجهم (قال فى هامش الكتاب المذكور) قال القطب الحنفى: أدركنا فى أيام الصبا و قد خفت القناديل من شيوخ الكعبة من كان يتهم بذلك لفقره و احتياجه (ثم ساق حكاية لا نحب ذكرها) قال: و افتقد مرة أمير من أمراء جدة قنديلا علقه فى البيت قريبا فسأل الشيخ عن ذلك و أراد إهانتة فلم يقدر و تكلم عنه الناس و كان الشيخ يقول: المحافظة على بنية الإنسان أوجب من المحافظة على قناديل معلقة فى الكعبة لا ينفعها تعليقها و لا يضرها فقدها و قد وصلنا إلى حد المخمصة فنعذر فى ذلك إن وقع فعله منا. انتهى منه.

هذه الحوادث ذكرناها هنا لمعرفة ما كان يقع من السلب والنهب وتمتد أيدي من قل دينه إلى مال الكعبة وهداياها، أو من يتصرف فيها بالأكل منها بالمعروف من سدنتها الفقراء، أو من يضطر إلى أخذها من أمراء مكة لأسباب قهرية. وقد جاء ذكر غالب هذه الأشياء عند الكلام على هدايا الكعبة ومعاليقها وأموالها.

### فضل النظر إلى الكعبة

قال الطبري رحمه الله تعالى في كتابه "القرى لقاصد أم القرى" ما نصه:  
 و عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه و سلم: النظر إلى البيت الحرام عبادة، أخرجه صاحب مشير الغرام. و عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:  
 النظر إلى الكعبة محض الإيمان. و عن مجاهد أنه قال: النظر إلى الكعبة عبادة.  
 و عن سعيد بن المسيب قال: من نظر إلى الكعبة إيمانا و تصديقا خرج من الخطايا كيوم ولدته أمه.  
 و عن عطاء قال: النظر إلى البيت يعادل عبادة سنة، قيامها و ركوعها و سجودها. و عن ابن السائب المدني قال: من نظر إلى الكعبة إيمانا و تصديقا تحات عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر. أخرجهما صاحب مشير الغرام.  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٩٨  
 و عنه قال: النظر إلى البيت عبادة. و الناظر إليه بمنزلة الصائم القائم المخبت المجاهد في سبيل الله. أخرج الأزرقي، و المخبت: الخاضع الخاشع المتواضع.  
 انتهى من كتاب الطبري المذكور.

### فضل الطواف بالبيت الحرام

روى الإمام الأزرقي في تاريخه عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (ينزل الله عز و جل على هذا البيت كل يوم و ليلة عشرين و مائة رحمة:  
 ستون منها للطائفين و أربعون للمصلين و عشرون للناظرين).  
 قال حسان بن عطية: فظنرنا فإذا هي كلها للطائفين فإن الطائف هو يطوف و يصلي و ينظر. اه.  
 نقول: و هذا مأخوذ من قوله صلى الله عليه و سلم: "الطواف حول البيت مثل الصلاة إلا أنكم تتكلمون فيه فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير" رواه الترمذي و غيره.  
 فالأصناف الثلاثة المذكورون هم الذين ينطبق عليهم قوله تعالى: وَ عَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْعَاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ.

و لقد نظمنا ما ورد في الحديث المتقدم من تقسيم الرحمة النازلة على البيت الحرام بقولنا:

و جاء في الحديث ما معناه ينزل الله تعالى الله

ليئته المحفوف بالكرامة في كل يوم بل و كل ليلة

عشرين رحمة مضافا لمائة ينالها قوم همو خير فئة

منقسم للطائفين نصفهاو للمصلين يخص ثلثها

و الناظرون البيت يأخذوناعشرين و هو سدسها يقينا

و روى الأزرقي في تاريخه أن أنس بن مالك قدم المدينة فركب إليه عمر بن عبد العزيز فسأله عن الطواف للغرباء أفضل أم العمرة؟

قال: بل الطواف.

روى الإمام الأزرقى فى تاريخه عن عطاء قال: سمعت ابن عباس يقول: النظر إلى الكعبة محض إيمان، و روى فيه أيضا أن حماد بن أبى سلمة قال: الناظر إلى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٤٩٩

الكعبة كالمجتهد فى العبادة فى غيرها من البلاد، و روى فيه أيضا عن ابن عمر أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: "من طاف بالبيت كتب الله عز و جل له بكل خطوة حسنة و محاسنه سيئة" و روى فيه أيضا عن مجاهد أنه قال: ما بين الركن و الباب يدعى الملتزم و لا يقوم عبد ثم فیدعو الله عز و جل بشيء إلا استجاب له. و روى فيه أيضا عن ابن عباس قال: من التزم الكعبة ثم دعا استجيب له فقيل له: و إن كانت استلامه واحدة قال: و إن كانت أو شك من برق الخلب. و روى فيه أيضا عن عمرو بن شعيب عن أبيه قال: طفت مع عبد الله بن عمرو فلما جئنا دبر الكعبة قلت: ألا تتعوذ؟ قال: أعوذ بالله من النار ثم مضى حتى استلم الحجر فقام بين الركن و الباب ثم وضع صدره و وجهه و ذراعيه و كفيه بسطا و قال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يفعل. و قال مجاهد:

الصق خديك بالكعبة و لا تضع جبهتك.

فبيت ربنا عظيم القدر و نوره سار كضوء البدر

قد وضع الله من الأسرار فيه فلا تخفى على الأبرار

أحاطه بالبر و الإجلال و كيف و هو بيت ذى الجلال

سبحانه من خالق عظيم جل تعالى الله من حلیم

من سلم الأمر إليه سلما و دعاه مخلصا ما ندما

### هبة الكعبة و ما يقال عند النظر إليها

مما لا شك فيه أن الله تعالى قد وضع فى بيته الحرام من الأسرار ما لا يعلمها إلا هو، و قد حفيها بالأنوار و البركات الظاهرة و الباطنة، و بذلك صار لها فى قلوب المؤمنين من الهيبة و الإجلال ما لا يوصف بالقلم، و أكثر ما يكون ذلك لدى القادم الزائر، فإنه يقف لأول رؤيته لها خاشعا مندهشا، و يختلف الخوف و الخشوع و الهيبة و الإجلال باختلاف أحوال الإنسان كل بحسب معرفته بربه، فموقف العالم العامل غير موقف العالم المهمل، و موقف الجاهل المستقيم غير موقف الجاهل الفاسد، و هكذا موقف كل واحد منهم فى جميع العبادات.

قال البتونى فى رحلته الحجازية: و من الغريب أن كل من يقع بصره لأول و هله على الكعبة تراه فى دهشة كبيرة، لا لكون بصره وقع على شيء لم يتعود النظر إليه، و لكن ما يعتريه من الخشية و الرهبة. فترى هؤلاء المشاهدين تأخذهم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٠٠

هزة كبيرة من هذا المنظر المهيب، و منهم من يقف لحظة فى مكان المتأدب المستكين المتصاغر أمام هذه العظمة الكبرى، و منهم من يصرخ بصوت الخوف و لسانه يلهث بكلمات منفصلة عن بعضها، و منهم من يجهش بالبكاء فلا تسمع له غير نحيب يخنق معه صوته و تتقطع منه أنفاسه، و على كل حال فنسبة خوف الإنسان من ربه على نسبة من قوة دينه و متانة يقينه. انتهى منه.

و كيف لا تكون الكعبة كذلك و رسول الله صلى الله عليه و سلم دعا لها بالتشريف و التعظيم و المهابة و التكریم كما سيأتى، ثم هى موضع الرحمة و مستنزل البركات، و مهبط الملائكة و مكان موقفهم، و عندها الملتزم و المتعوذ و المستجار، و هى مقصد الأنبياء و الأتقياء، و ملجأ الصالحين و الأبرار.



و أما ما يقال عند النظر إلى البيت الشريف لأول مرة، فقد ورد في ذلك بعض الأدعية المأثورة ذكرها الإمام الأزرقى في تاريخه و نحن نذكرها بحذف أسانيدنا فنقول:

كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا رأى البيت رفع يديه فقال: "اللهم زد هذا البيت تشريفا و تعظيما و تكريما و مهابة، و زد من شرفه و كرمه ممن حجه و اعتمره تشريفا و تعظيما و برا." "

و كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا رأى البيت يقول: "اللهم أنت السلام و منك السلام فحينا ربنا بالسلام" و كان بعض الصحابة رضى الله عنه يقول ذلك أيضا.

حدث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "ترفع الأيدي في سبع مواطن: في بدء الصلاة، و إذا رأيت البيت، و على الصفا و المروة، و عشية عرفة، و بتجمع و هو مزدلفة، و عند الجمرتين، و على الميت" انتهى منه.

### تعظيم الكعبة في الجاهلية

الكعبة المشرفة معظمة بين الأنعام من حين بنائها الأول و هي كذلك إلى قيام الساعة، و كان الفرس يحترمونها من قديم الزمان و يهدون إليها أموالا و جواهر، و قد كان ساسان بن بابك أهدى إليها غزالين من ذهب و جواهر و سيوفا و ذهبا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٠١

كثيرا فدفن في زمزم، دفنها فيما بعد ملك جرهم مضاض بن عمرو في ليلة مظلمة خوفا عليها من جرهم حيث تهاونوا بحرمة مكة و الحرم حتى أكلوا أموال الكعبة.

و الفرس كانوا يحجون إلى الكعبة، و في ذلك يقول أحد شعرائهم بعد الإسلام:

و ما زلنا نحج البيت قدماو نلقى بالأباطح آمينا

و ساسان بن بابك سار حتى أتى البيت العتيق يطوف دينا

فظاف به و زمزم عند بئر لإسماعيل تروى الشارينا

و قال غيره:

زمزم الفرس على زمزم و ذاك من سالفها الأقدم

و لقد تعبد اليهود في الكعبة على دين إبراهيم و النصرى على دين المسيح عليهما الصلاة و السلام، و قد وضعوا في الكعبة صورة و تماثيل منها صورة إبراهيم و إسماعيل و عيسى و أمه و صور بعض الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، فلما كان يوم فتح مكة دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم البيت فأرسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب فجاء بماء زمزم ثم أمر بثوب فبل بالماء و أمر بطمس تلك الصور فطمست و أمر بإزالة الأصنام التي على الكعبة.

فلو لا- إجماعهم على قدسية الكعبة و تعظيمهم لها ما وضعوا صور الأنبياء في داخلها فإن الأشياء المقدسة الغالية ما توضع إلا في أشرف موضع و أظهر مكان.

و كان أهل الجاهلية لا يستحلون حرمتها و لا يستخفون بحقها خوفا من أن يهلكهم الله تعالى فكانوا يتواصون بذلك. جاء في تاريخ الأزرقى ما تلخصه:

كانت العماليق هم ولاء الحكم بمكة فضيعوا حرمة البيت الحرام، و استحلوا فيه أمورا عظاما و نالوا ما لم يكونوا ينالون، فقام رجل منهم يقال له عموق فقال: يا قوم ابقوا على أنفسكم فقد رأيتم و سمعتم من هلك من صدر الأمم قبلكم قوم هود و صالح و شعيب فلا تفعلوا، و تواصلوا فلا تستخفوا بحرم الله و موضع بيته، و إياكم و الظلم و الإلحاد فيه، فإنه ما سكنه أحد قط فظلم فيه و ألحد إلا قطع الله دابرهم و استأصل شافتهم، و بدل أرضها غيرهم، حتى لا يبقى لهم باقية، فلم يقبلوا ذلك منه.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٠٢

ثم إن جرهما قدموا مكة فكان مضاض بن عمرو ملكهم و المطاع فيهم، و كان السמידع ملك قطورا فأقاموا بها مع العماليق و بنوا بمكة البيوت و اتسعوا في المنازل و كثروا على العماليق فنازلوهم فممنعتهم جرهم و أخرجوهم من الحرم كله فكانوا في أطرافه لا يدخلونه، فقال لهم صاحبهم عموق: ألم أقل لكم لا تستخفوا بحرمه الحرم فغلبتموني؟

ثم إن جرهما استخفوا بأمر البيت و الحرم و ارتكبوا أمورا عظاما، و أحدثوا فيه أحداثا لم تكن، فقام مضاض بن عمرو بن الحارث فيهم فقال: يا قوم احذروا البغي فإنه لا بقاء لأهله قد رأيتم من كان قبلكم من العماليق استخفوا بالحرم فلم يعظموه و تنازعوا بينهم و اختلفوا حتى سلطكم الله عليهم فأخرجتموهم فتفرقوا في البلاد، فلا- تستخفوا بحق الحرم و حرمة بيت الله، و لا- تظلموا من دخله و جاءه معظما لحرمته، أو آخر جاء بايعا لسلعته و راغبا في جواركم، فإنكم إن فعلتم ذلك تخوفت أن تخرجوا منه خروج ذل و صغار، حتى لا يقدر أحد منكم أن يصل إلى الحرم و لا إلى زيارة البيت الذي هو لكم حرز و أمن و الطير يأمن فيه.

قال قائل منهم يقال له مجذع: من الذي يخرجنا منه، ألسنا أعز العرب و أكثرهم رجالا و سلاحا؟ فقال مضاض بن عمرو: إذا جاء الأمر بطل ما تقولون.

فلما طالت ولاية جرهم استحلوا من الحرم أمورا عظاما و نالوا ما لم يكونوا ينالون و أكلوا مال الكعبة الذي يهدى إليها سرا و علانية، نصب ماء زمزم و ذهب، و قام مضاض بن عمرو و بعض ولده في ليلة مظلمة فحفر في موضع بئر زمزم و أعرق ثم دفن فيه الأسياف و الغزالين الذهب اللذين كانا في الكعبة، ثم سلط الله على جرهم عمرو بن عامر بن حارثة ابن ثعلبة الذي يقال له مزقياء بن ماء السماء حيث خرج هو وقومه من مأرب إلى أن وصل مكة يريد الإقامة بها مدة سيرة، فأبت جرهم عليهم ذلك و قالوا لهم: ما نحب أن تنزلوا فتضيقوا علينا مراتعنا و مواردنا فارحلوا عنا حيث أحببتهم، فاقتتل الفريقان ثم انهزمت جرهم فلم ينفلت منهم إلا الشريد، و كان مضاض بن عمرو قد اعتزل جرهما و لم يعن جرهما في ذلك و قال: كنت أحذركم هذا.

ثم أقام بعد ذلك ابن ثعلبة بمكة و ما حولها في قومه و عساكره حولاً فأصابتهم الحمى و كانوا في بلد لا يدرون فيه ما الحمى، فأشارت إليهم طريفة الكاهنة أن يتفرقوا في الممالك و البلدان ففترقوا فمنهم من لحق بعمان و منهم من لحق بحوران

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٠٣

و بالشام و منهم من لحق بالعراق، و منهم من لحق ببيثرب بالمدينة و هم الأوس و الخزرج و هم الأنصار. أما خزاعة فلم ترحل فكانت بالأراك من بطن مر "أى بقرب مكة" فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر و هو لحي فولى أمر مكة و حجابة الكعبة، فحازت خزاعة بالحجابه و ولاية أمر مكة و فيهم بنو إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة و السلام، فأقامت خزاعة على ما كانت عليه من ولاية البيت و الحكم بمكة ثلاثمائة سنة، و هى التى قاتلت بعض التابعه الذين جاءوا لهدم البيت حتى أرجعوهم إلى حيث أتوا، ثم كان من أمر قصي بن كلاب الجد الرابع للنبي صلى الله عليه و سلم مع خزاعة من الحرب ما كان بسبب حيازته حجابة البيت و ولاية أمر مكة من طرف حليل دون خزاعة حتى تداخلت قبائل العرب بالصلح بينهم بأن تكون الحجابه و الولاية لقصى و ألا تخرج خزاعة عن مساكنها من مكة.

و جاء في تاريخ الأزرقى عن ابن جريج قال: الحطيم ما بين الركن و المقام و زمزم و الحجر، و كان إساف و نائلة رجل و امرأة دخلا الكعبة فقبلها فيها فمسخا حجرين فأخرجا من الكعبة فنصب أحدهما في مكان زمزم و الآخر في وجه الكعبة ليعتبرا بهما الناس و يزدجروا عن مثل ما ارتكبا، قال: فسمى هذا الموضع الحطيم لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمن و يستجاب فيه الدعاء على الظالم للمظلوم، فقل من دعا هنالك على ظالم إلا هلك و قل من حلف هنالك، إلا عجلت له العقوبة فكان ذلك يحجز بين الناس عن الظلم و يتهيب الناس الأيمان، فلم يزل ذلك كذلك حتى جاء الله بالإسلام فأخّر الله ذلك- لما أراد- إلى يوم القيامة.

حدثني جدى قال: حدثنا مسلم بن خالد الزنجى عن ابن نجيح عن أبيه أن ناسا كانوا في الجاهلية حلفوا عند البيت على قسامه و كانوا

حلفوا على باطل ثم خرجوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق نزلوا تحت صخرة فبينما هم قائلون إذ أقبلت الصخرة عليهم فخرجوا من تحتها يشتدون فانفلقت بخمسين فلقه فأدركت كل رجل منهما فلقه فقتلته و كانوا من بنى عامر بن لؤى قال الزنجي: فكان ذلك الذى أقل عددهم فورث حويطب بن عبد العزى عامة رباعهم.

روى معمر عن قتادة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لقريش: إنه كان ولاه هذا البيت قبلكم طسم فاستخفوا بحقه و استحلوا حرمة فأهلكهم الله، ثم وليته بعدهم جرهم فاستخفوا بحقه و استحلوا بحرمة فأهلكهم الله، فلا تهاونوا التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٠٤

به و عظموا حرمة، و عن صفوان الوهطى قال: بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:

سكن مكة حى من العرب كانوا يكرون الظلال و يبيعون الماء فأبدلها الله تعالى بهم قريشا فكانوا يظلمون فى الظلال و يسقون الماء. قال الأزرقى: و كانت مكة لا يقر فيها ظالم و لا باغ و لا فاجر إلا نفى منها، و كان نزلها بعهد العماليق و جرهم جابرة فكل من أراد البيت بسوء أهلكه الله فكانت تسمى بذلك الباسة "أى المهلكة" و ما حادثة الفيل بخافية على أحد. انتهى باختصار و تصرف من تاريخ الأزرقى رحمه الله تعالى.

و هذا قريش لما أرادوا أن يبنوا الكعبة بعد أن احترقت هابوا هدمها فقال لهم الوليد بن المغيرة: أتريدون بهدمها الإصلاح أم الإساءة؟ قالوا: بل نريد الإصلاح قال: فإن الله لا يهلك المصلحين، قالوا: من الذى يعلوها فيهدمها. قال الوليد بن المغيرة: أنا أعلوها فأهدمها، فارتقى الوليد على جدار البيت و معه الفأس فقال: اللهم إنا لا نريد إلا الإصلاح ثم هدم، فلما رأت قريش ما هدم منها و لم يأتهم ما يخافون من العذاب هدموا معه، و لم يبنوها إلا من المال الحلال و من أطيب كسبهم.

و من تعظيمهم للكعبة المشرفة كما ذكره الإمام الأزرقى أن الناس كانوا يبنون بيوتهم مدورة تعظيما للكعبة، فأول من بنى بيتا مربعا حميد بن زهير فقالت قريش: ربيع حميد بيتا إما حياة و إما موتا. و ذكر أيضا: أن شيبه بن عثمان كان يشرف فلا يرى بيتا مشرفا على الكعبة إلا أمر بهدمه. و ذكر أيضا: أن عمر بن الخطاب لما قدم مكة رأى حول الكعبة بناء قد أشرف عليها فأمر بهدمه و قال لهم: ليس لكم أن تبنوا حولها ما يشرف عليها.

و ذكر أيضا: أن العباس بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس لما بنى داره التى بمكة على الصيارفة حيال المسجد الحرام أمر القوم ألا يرفعوا بناءها فيشرفوا به على الكعبة إعظاما لها، و أن الدور التى كانت تشرف على الكعبة هدمت و خربت إلا دار العباس هذه فإنها على حالها إلى اليوم. و ذكر أيضا عن يوسف بن ماهك قال: كنت جالسا مع عبد الله بن عمرو بن العاص فى ناحية المسجد الحرام إذ نظر إلى بيت مشرف على أبى قبيس فقال: أبيت ذلك قلت: نعم. فقال: إذا رأيت بيوتها "يعنى بذلك مكة" قد علت أخشباها و فجرت بطونها أنهارا فقد أزف الأمر. انتهى كل ذلك من تاريخ الأزرقى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٠٥

اللهم اغفر لنا تهاوننا و قلة أدبنا فى بلدك الأمين و بيتك الحرام المعظم، فأنت الرب العزيز الأكرم الغنى عن العالمين.

و بمناسبة عدم تعليه الدور و البيوت فى العصور السابقة على الكعبة المشرفة تعظيما و احتراما لها نذكر هنا بعض ما يشبه ذلك، فقد جاء فى أواخر الجزء الثانى من كتاب "حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة" للإمام السيوطى رحمه الله تعالى، أنه فى سنة تسع عشرة و ثمانمائة أمر الملك المؤيد الخطباء إذا وصلوا إلى الدعاء له فى الخطبة، أن يهبط من المنبر درجة ليكون اسم الله و سوله فى مكانة أعلى من المكان الذى يذكر فيه السلطان، فصنع ذلك الحافظ ابن حجر بالجامع الأزهر و ابن النقاش بجامع ابن طولون، قال ابن حجر: و كان مقصد السلطان فى ذلك جميلا. انتهى منه.

نقول: إن ما ذكر يشبه فعل الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم فى صعود منبر النبى صلى الله عليه و سلم للخطبة، فقد كان لهذا المنبر ثلاث درجات كما فى صحيح مسلم، فالثالثة العليا تسمى المجلس، و أن النبى صلى الله عليه و سلم كان يجلس على المجلس و

يضع رجله على الدرجة الثانية، فلما ولي أبو بكر رضى الله عنه قام على الدرجة الثانية و وضع رجله على الدرجة السفلى، فلما ولي عمر رضى الله عنه قام على الدرجة السفلى و وضع رجله على الأرض، فلما ولي عثمان رضى الله عنه فعل ذلك ست سنين من خلافته ثم علا إلى موضع النبي صلى الله عليه وسلم.

فانظر رحمك الله تعالى إلى هذا الأدب الرفيع من الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مماته و مع بعضهم أيضا، فكل واحد منهم يعرف فضل الآخر و يعترف بمكانته و مقداره، رضى الله تعالى عنهم أجمعين، و انظر أدب الملك المؤيد رحمه الله تعالى كيف أمر الخطباء أن يهبطوا من المنبر درجة حين الدعاء له ليكون اسم الله تعالى و رسوله فى درجة أعلى من درجة الدعاء له، و لقد قرأنا فى التاريخ أن أحد سلاطين آل عثمان "لا نذكر اسمه الآن" دخل ليلا فى حجرة نومه فرأى مصحفا معلقا على الجدار المقابل لنومه فلم ينم و ما زال واقفا على رجله تأدبا و احتراما للقرآن العظيم حتى أدركه الصبح "و إنما الأعمال بالنيات."

فهذه الأمور الدقيقة و بهذه الآداب العلية، رفع الله قدرهم و مكانتهم و قوى ملكهم و سلطتهم و أدخل الرعب فى قلوب أعدائهم، أما نحن فى هذه الأزمنة المتأخرة القريبة من قيام الساعة، فقد أهملنا آداب الدين و الشريعة، بل إننا أهملنا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٠٦

الفروض و تهاونا بالواجبات، فلم يعبأ الله بنا و سلط علينا الأعداء حتى تكدر عيشنا، فلا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم، اللهم تداركنا برحمتك و حول حالنا إلى أحسن الأحوال بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين آمين.

و من تعظيمهم للكعبة أنه لما فرغت قريش من بناء الكعبة كان أول من خلع الخف و النعل فلم يدخلها بهما الوليد بن المغيرة إعظاما لها فجرى ذلك سنة فكانوا لا يدخلون الكعبة بحذاء و إنما يضعونها تحت الدرجة، قال عطاء بن السائب:

رأيت سعيد بن جبير رضى الله عنه يطوف فإذا دخل الحجر وضع نعليه على جدر الحجر، و قال عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما: إن كانت الأمة من بنى إسرائيل لتقدم مكة فإذا بلغت ذا طوى خلعت نعالها تعظيما للحرم.

و لقد كانت القبائل من عمالق و جرهم و خزاعة و قريش و غيرهم يسكنون فى شعاب مكة و يتركون حول الكعبة احتراما لها و تعظيما لشأنها فلا يجترئ أحد أن يبنى بجوارها دارا و لا جدارا، فلما آل الأمر إلى قصى بن كلاب جمع قومه بطون قريش و أمرهم أن يبنوا حول الكعبة بيوتا من جهاتها الأربعة و قال لهم: إن سكنتم حول الكعبة هابتكم الناس و لم تستحل قتالكم و الهجوم عليكم، فبنوا بيوتهم حولها، فكان ذلك أول بدء البنيان حول الكعبة. و ستتكلّم إن شاء الله تعالى عن تعظيم الحرم بعد هذا، و هل كان تعظيم الحرم إلا إكراما للكعبة بيت الله الحرام.

و انظر كيف أرسل الله الصاعقة على أهل الشام الذين كانوا يرمون الكعبة بالمنجنيق الذى نصبوه على أخشى مكة أبى قبيس و الأحمـر و هو قعيقعان فاحترقت بسبب ذلك، قال الإمام الأزرقى فى تاريخه: و كان احتراقها بعد الصاعقة التى أصابت أهل الشام بعشرين ليلة.

قال فى الجامع اللطيف لابن ظهيرة ما نصه: روى أن الحجاج بن يوسف لما نصب المنجنيق على أبى قبيس بالحجارة و النيران و اشتعلت النار فى أستار الكعبة، جاءت سحابة من نحو جدة يسمع فيها الرعد و يرى البرق فمطرت فلم يجاوز مطرها الكعبة و المطاف، فأطفأت النار و أرسل الله عليهم صاعقة فأحرقت منجنيقهم فتداركوه. قال عكرمة: و أحسب أنها احترقت تحته أربعة رجال، فقال الحجاج: لا يهولنكم هذا فإنها أرض صواعق فأرسل الله صاعقة أخرى فأحرقت المنجنيق و أحرقت معه أربعين رجلا و ذلك فى سنة ثلاث و سبعين فى أيام

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٠٧

عبد الملك بن مروان، قال الجدر و الحجاج: ما قصد التسلط على البيت و إنما تحصن به ابن الزبير ففعل ذلك لإخراجه. انتهى من الكتاب المذكور.

وجاء في تاريخ الخميس بصحيفة (٣٠٥) ما يأتي: وفي زبده الأعمال وبعض المناسك: روى أن الحجاج بن يوسف نصب المنجنيق على أبي قبيس ورمى الكعبة بالحجارة والنيران حتى تعلقت بأستار الكعبة وأشعلت فجاءت سحابة من نحو جدة مرتفعة يسمع منها الرعد ويرى فيها البرق واستوت فوق الكعبة والمطاف فأطفأت النار وسال الميزاب في الحجر ثم عدلت إلى أبي قبيس فرمت بالصاعقة وأحرقت منجنيقهم وأحرقت تحته أربعة رجال فقال الحجاج: لا يهولنكم هذا فإنها أرض صواعق فأرسل الله صاعقه أخرى فأحرقت المنجنيق وأحرقت معه أربعين رجلا وذلك في سنة ثلاث وسبعين في أيام عبد الملك بن مروان فأمسك وكتب بذلك إلى عبد الملك وهي البيت بسبب ما أصابه من حجارة المنجنيق ثم هدم الحجاج بأمر عبد الملك ما زاد ابن الزبير في الكعبة وبناه. انتهى من الكتاب المذكور.

نقول: وهنا نمسك القلم، ففيما تقدم عبرة وعظة كافيتان لذوى الأبصار، فإذا كان المنتقم الجبار قد أهلك الأمم السابقة الذين تهاونوا بحرمة بيته الحرام، فكيف بنا ونحن قد تهاونوا بحرمة البيت والحرم، و تهاونوا بأمر ديننا القويم و تركنا سنة نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، فظهر فينا الفساد وكثرت الموبقات وفشا فينا الظلم والرشوات، ولئن لم ينتقم الله منا ولم يهلكنا كما أهلك الأمم السابقة، فإنه قد سلط علينا الأعداء، ورفع عنا البركة والرخاء وقضى علينا بأنواع الأمراض والبلاء، وأمات قلوبنا فلا ينفع فيها الوعظ والإرشاد، وجعل على بصائرنا غشاوة فلا نهتدى إلى ما ينفعنا، ونزع منا الرحمة فلا يرحم بعضنا بعضا، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم يا رحمن يا رحيم يا حي يا قيوم إليك نلجأ وبك نستغيث وبك نعوذ، فارفع مقتك وغضبك عنا وعاملنا بما أنت أهله من العفو والكرم لا بما نحن نستحقه، اللهم ارفع عنا الوباء والبلاء والغلاء، وأنزل علينا من بركات السماء وأخرج لنا من بركات الأرض، وافتح لنا أبواب الخير والهداية والصلاح، واكشف عن قلوبنا الغشاوة حتى نبصر الطريق القويم ونمشى على صراطك المستقيم، وأصلح جميع أحوالنا وأعمالنا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٠٨

بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين، و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، و سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

### تطيب الكعبة

الطيب وهو العطر استعمله الإنسان منذ العصور القديمة وهو من أحسن كماليات الإنسان تستروح به النفس وينشرح له الصدر، والتعطر والنظافة من أفضل عادة العرب ومثله البخور بالعود والصندل واللبان وغيرها، وقد حث الدين الإسلامي على ذلك بأن يستعمله الإنسان في نفسه ولدى حضور الاجتماعات والجمعة والأعياد وعند كل مناسبة لطيفة، والسرفى ذلك التجب والإقبال وعدم الكراهة والنفور. روى الأزرقى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت:

"طيبوا البيت فإن ذلك من تطهيره،" وقالت أيضا: "لأن أطيب الكعبة أحب إلى من أن أهدى لها ذبا وفضة" وذلك لأن الطيب نفعه أكثر فتطيب رائحة الكعبة على الدوام فتستروح الأنفس إليها، كما أن طيبها ينتقل إلى الناس كلما قربوا منها ولمسوها، أما الذهب والفضة فلا ينتفع بهما سوى سدننها فقط.

ولما كانت الكعبة المشرفة لها من التقديس والتعظيم في النفوس، وأن الناس يتلمسونها ويطوفون بها آناء الليل والنهار و يجتمعون عندها للصلاة والدعاء والتضرع كانت أدعى إلى تطيبها وتبخيرها، فكان في الجاهلية يهدى إليها الخلق والمجمر، وكان العرب يطيبونها داخلا وخارجا بل حتى كانوا يطيبون معها قرني الكبش الذى فدى به إسماعيل وذبحه إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهما فقد كانا محفوظين داخل الكعبة معلقين بالجدر تلقاء من دخلها إلى أن هدمها ابن الزبير فلما أراد أن يتناولهما همدا من الأيدي كما ذكره الإمام الأزرقى.

و ما احترقت الكعبة في أيام قريش قبل البعثة بخمس سنين على أشهر الأقوال إلا من تبخيرها و تجميرها، فإن امرأه من قريش ذهبت تجمر الكعبة فطارت من مجمرتها شرارة فاحترقت كسوتها و كانت الكسوة عليها ركاما بعضها فوق بعض فاحترقت الكعبة و توهنت جدرانها و تصدعت، فهدمتها قريش و بنتها بناء قويا كما هو مفصل بيانه في محله، و معنى التجمير التبخير.

و هذا عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فإنه لما فرغ من بناء الكعبة المشرفة خلقها من داخلها و خارجها من أعلاها إلى أسفلها و كساها القباطى كما في

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٠٩

تاريخ الأزرقى، و معنى خلقها: طلاها بضرب من الطيب، فكان ابن الزبير أول من خلق جوف الكعبة.

و روى الأزرقى أن عبد الله بن الزبير كان يجمر الكعبة كل يوم برطل من مجمر و يجمر الكعبة كل جمعة برطلين من مجمر. اه.

و روى الأزرقى أن معاوية رضى الله عنه بعث من الشام إلى شيبه بن عثمان بكسوة من ديباج و قباطى و حبرة و كتب إليه أن يجرد الكعبة و يكسوها و يخلقها، قال: فرأيت شيبه جردها حتى لم يترك عليها شيئا مما كان عليها و خلق جدرانها كلها و طيبها ثم كساها تلك الكسوة التى بعث بها معاوية إليها و قسم الثياب التى كانت عليها على أهل مكة و كان ابن عباس حاضرا فى المسجد الحرام و هم يجردونها قال: فما رأيته أنكر ذلك و لا كرهه. اه. قال عطاء بن يسار:

و كانت الكعبة قبل هذا لا تجرد إنما يخفف عنها بعض كسوتها و تترك عليها حتى كان شيبه بن عثمان أول من جردها و كشفها. اه.

جاء فى تاريخ القطبى ما يأتى: و ذكر حجة الكعبة المهدى أنه تراكت على الكعبة كسوة كثيرة أثقلتها و يخاف على جدرانها من ثقلها، فأمر بنزعها فنزعت حتى بقيت مجردة، و وجدوا كسوة هشام من الدياتج الثخين و كسوة من قبله من ثياب اليمن، فجردت الكعبة منها و على جدرانها من داخلها و خارجها بالغالية و المسك و العنبر.

و صعد الخدم على سطح الكعبة و صاروا يسكبون قوارير الغالية الممسكة المطيبة على جدران الكعبة إلى أن استوعبها، ثم كسيت ثلاث كساوى من القباطى و الخز و الدياتج، و قسم المهدى فى الحرمين الشريفين أموالا عظيمة و هى ثلاثون ألف درهم وصل بها معه من العراق، و ثلثمائة ألف دينار وصلت إليه من مصر، و مائتا ألف دينار وصلت إليه من اليمن و خمسين ألف ثوب فرق جميع ذلك على أهل الحرمين.

جاء فى تاريخ عمارة الكعبة: أن السنجارى روى فى تاريخه أن السلطان قايتباى أمر فى سنة (٨٨٤) أربع و ثمانين و ثمانمائة بغسل الكعبة و تطيبها ظاهرا و باطنا، فحضر شريف مكة الشريف محمد بن بركات و قاضى مكة برهان الدين بن ظهيرة، و جردت الكعبة و غسلت ظاهرا و باطنا و طيبت بماء الورد و المسك ثم أعيد ثوبها. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥١٠

و روى الأزرقى عن أبى نجیح أن معاوية رضى الله عنه أجرى للكعبة وظيفه الطيب لكل صلاة و كان يبعث لها بالمجمر و الخلق فى الموسم و فى رجب و أخدمها العبيد ثم اتبعت ذلك الولاية. اه. و هو أول من أجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال.

و جاء فى تاريخ الغازى: لما حج المهدى العباسى سنة (١٦٠) رفع إليه أنه قد اجتمع على الكعبة ثياب كثيرة حتى أنها أثقلتها و يخشى على الجدران من ذلك فأمر بتجريدتها ثم ضمخها من خارجها و داخلها بالغالية و المسك و العنبر ثم كساها بثلاثة أبواب قباطى و خز و ديباج و هو جالس فى المسجد مما يلي دار الندوة. انتهى.

و فى هذه السنة المذكورة أمر المهدى المذكور بالمسجد الحرام و زاد فيه الزيادة الأولى قال الأزرقى: و أخبرنى عبد الله بن إسحاق الحجبى عن جدته فاطمة بنت عبد الله قالت: حج المهدى فجرد الكعبة و طلا جدرانها من خارج بالغالية و المسك و العنبر قالت: فأخبرنى جدك تعنى زوجها محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الحجبى قال: صعدنا على ظهر الكعبة بقوارير من الغالية فجعلنا نفرغها على جدران الكعبة من خارج من جوانبها كلها و عبيد الكعبة قد تعلقوا بالبكرات التى تخاط عليها ثياب الكعبة و يطلون بالغالية

جدرانها من أسفلها إلى أعلاها. اه.

قال المرحوم الشيخ حسين باسلامة في كتابه تاريخ الكعبة المعظمة ما نصه: ثم صار ذلك الطيب يهدى للكعبة من سائر الملوك و السلاطين و الأمراء إلى أن صارت ولاية الحرمين الشريفين تابعة لسلاطين آل عثمان فصار الطيب و البخور يأتي سنويا من القسطنطينية من ضمن المرتبات التي خصصت للحرمين الشريفين و استمر ذلك إلى نهضة الشريف الحسين ثم صار يصرف لرئيس السدنة من صندوق وزارة المالية شيئا من النقود مع مخصص غسيل الكعبة المعظمة برسم الطيب و العمل جار على ذلك إلى العصر الحاضر. انتهى.

و نحن بدورنا سألنا فضيلة رئيس سدنة الكعبة المشرفة عن عطر الكعبة فأجابنا بمثل ما ذكره المرحوم الشيخ حسين باسلامة، و قال: إن حكومتنا السعودية تدفع لنا ثمن العطر و البخور مقدار ألفي ريال سعودي سنويا، و قال: تطيب كافة جدران الكعبة من جهاتها الأربعة بعطر الورد بعد خلطه بماء الورد و يطلق البخور في أثناء ذلك من المجرمة التي توضع في محل خاص بوسط الكعبة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥١١

هذا ما وقفنا عليه من تطيب الكعبة. و أما حكم أخذ طيب الكعبة فقد ذكر الإمام النووي رحمه الله تعالى بأنه لا يجوز أخذ شيء من طيب الكعبة لا للتبرك و لا لغيره و من أخذ شيئا من ذلك لزمه رده فإن أراد التبرك أتى بطيب من عنده فمسحها به ثم أخذه. و روى عن سعيد بن جبير أنه كان يكره أن يؤخذ من طيب الكعبة يستشفى به، و قال عطاء: كان أحدنا إذا أراد أن يستشفى به جاء بطيب من عنده فمسح به الحجر ثم أخذه.

### عدم خلو الكعبة من الطائفين

من الأسرار الإلهية العجيبة الدقيقة في بيته الحرام و الكعبة المعظمة المشرفة المكرمة أنها لا تخلو قط من الطواف و الطائفين آتاء الليل و أطراف النهار حتى في وقت نزول المطر و هجوم السيل إلى المسجد الحرام و في شدة الحر و البرد و هذا النوع من العبادة فريد في بابه في الحياة الدنيا. قال الحافظ محب الدين الطبري في كتابه "القرى لقاصد أم القرى" ما نصه:

و قد قيل إن الكعبة شرفها الله تعالى منذ خلقها عز و جل شأنه و جل جلاله ما خلت من طائف يطوف بها من إنس أو جن أو ملك، و قال بعض السلف:

خرجت يوما في هاجرة ذات سموم فقلت: إن خلت الكعبة عن طائف في حين فهذا ذلك الحين، و رأيت المطاف خاليا فدنوت فرأيت حية عظيمة رافعة رأسها تطوف حول الكعبة. ذكره ابن الصلاح في منسكه. انتهى من الطبري.

و جاء في شفاء الغرام للفاسي: قال السهيلي: لما ذكر بناء ابن الزبير للكعبة و في الخبر أنه سترها حتى وصل إلى القواعد فطاف الناس بتلك الأستار فلم تخل قط من طائف، حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما اشتدت الحرب و اشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة إلا جمل يطوف بها. انتهى منه.

قال العلامة القنطري في تاريخه المسمى "الإعلام بأعلام بيت الله الحرام" في الباب الأول ما نصه: و كنت أشاهد قبل الآن في زمن الصبا خلو الحرم الشريف و خلو المطاف من الطائفين حتى أني أدركت الطواف و حدى من غير أن يكون معي أحد مرارا كثيرة، أترصده خليا لكثرة ثوابه بأن يكون الشخص الواحد يقوم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥١٢

بتلك العبادة وحده في جميع الدنيا و هذا لا يكون إلا بالنسبة إلى الإنسان فقط، و أما الملائكة فلا يخلو منهم المطاف الشريف. ثم قال بعد بضعة أسطر: حكى لى والدى رحمه الله أن أحد الصالحين رصد الطواف أربعين عاما ليلا و نهارا ليفوز بالطواف وحده،

فأرى بعد هذه المدة خلو المطاف الشريف فتقدم ليشرع في الطواف و إذا بحية تشاركه في ذلك الطواف، فقال لها: من أنت من خلق الله؟ قالت: أنا أرصد ما رصدت قبلك بمائة عام، فقال لها: حيث أنت من غير البشر فإنى فزت بالانفراد بهذه العبادة و أتم طوافه. انتهى من تاريخ القطبي.

أما ما جاء في موطأ الإمام مالك عند الكلام على "الصلاة بعد الصبح و العصر في الطواف" و هو: و حدثني عن مالك عن أبي الزبير المكي أنه قال: لقد رأيت البيت يخلو بعد صلاة الصبح و بعد صلاة العصر ما يطوف به أحد، فإننا لم نفهم هذا الكلام حق الفهم، فإن وقع هذا فهل روى مثله أحد من المحدثين و المفسرين و المؤرخين أم لا، ثم إن وقع ذلك فمن الذى أبطل هذه العادة حتى صار الناس يطوفون بالبيت في كل وقت و حين حتى بعد الصبح و بعد العصر إلى يومنا هذا بل إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى. جاء في الجامع اللطيف لابن ظهيرة القرشي: و عن مجاهد قال: كان كل شىء لا يطيقه الناس من العبادة يتكلفه ابن الزبير رضى الله تعالى عنه، فجاء سيل فطبق البيت فامتنع الناس من الطواف فجعل ابن الزبير يطوف سباحة، و ذكر القاضى عز الدين بن جماعة عن جده أنه طاف بالبيت سباحة و كان كلما حاذى الحجر الأسود غطس لتقبيله، و ذكر أن بعض المكين أخبره أنه اتفق له مثل ذلك. انتهى منه.

نقول: مسألة الطواف سباحة لا يزال بعض الناس بمكة إلى اليوم يطوفون سباحة بالكعبة المعظمة عند دخول السيل العظيم إلى المسجد الحرام و ممن طاف سباحة في السيل الكبير الذى دخل المسجد الحرام سنة (١٣٦٠) ستين و ثلاثمائة و ألف صديقنا الفاضل السيد محمد الهادى بن علوى عقيل من أهالى مكة المشرفة و الساكن بباب الزيادة. و لقد خلا المطاف من الطائفين بعض الأوقات فى عصرنا هذا بعد صلاة الظهر فقط و ذلك عند ضرب الألغام و إثارها عند الصفا لتكسير الجبل لتوسعة المسجد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥١٣

الحرام و الشارع، فإنهم كانوا يخرقون الجبل أولا بالآلات الثاقبة قد يبلغ مائتى ثقب و قد يبلغ ثلاثمائة ثقب، ثم يملأون هذه الثقوب بالديناميت و فى كل منها فتيل يكون طرف الفتيلة خارجا عن الثقب ثم يشعلونها و يتعدون عنها فإذا وصلت النار من الفتيلة إلى الديناميت ثار و فجر تلك الثقوب فتكسر الصخور و تتطاير الأحجار إلى مسافة بعيدة فى كل جهة. لذلك قبيل إشعال الفتيل بدقائق ينذر الذين يشتغلون بالألغام الناس لبيتعدوا و يختبئوا فى البيوت و تحت السقوف و أن لا يجلس أحد فى طاقات و شبائيك منازلهم المطله على مواضع الألغام خوفا من إصابتهم بالحجارات المتطايرة عند إثارة الألغام، و يكون هناك الجنود أيضا فى الشارع يصفرون بصفارات الإنذار بقرب إثارها، و يمنعون الناس من المرور بقربها، فإذا ثارت الألغام خلت الشوارع و الأماكن القريبة منها من الناس.

و لما كان المسجد الحرام قريبا من جبل الصفا و كانت الكعبة بوسط المسجد المكشوف غير المسقوف، فإنه عند إثارة الألغام يهرب الناس من الطواف حول الكعبة و يستترون فى أروقة المسجد الحرام و جدرانه، و لا يترك حفظه المسجد الحرام و جنوده أن يطوف أحد بالكعبة و لا أن يقربوا الحجر الأسود و لا أن يمشوا فى صحن المسجد خوفا من إصابة أحد بالأحجار المتطايرة عند إثارة الألغام بعد صلاة الظهر مباشرة.

ففى هذا الوقت فقط يخلو المطاف عيانا من الطائفين مدة لا تتجاوز نصف الساعة. و إليك صورة خلو المطاف و صحن المسجد من الناس.

انظر: صورة رقم ٩٧، المطاف خاليا من الناس

و إليك صورة الحجر الأسود و قد وضعت عليه الستارة لوقايتها و حفظه و الستارة عبارة عن سلم خشبي كما تراه فى الصورة و هو لا يعنى شيئا فوقاية الله تعالى أعظم و أكمل.



انظر: صورة رقم ٩٨، صحن المسجد خاليا من الناس

و في هذه الحالة تحافظ حكومتنا السنية على الحجر الأسود فقد أمرت أن يوضع عليه فراش مطوى عدة طيات ثم يوضع فوق الفراش لوح من الحديد و يربط بستارة الكعبة من الجانبين بالجبال، لحفظه و صيانتته و ذلك خوفا من إصابته بحجارة الألغام التي تتطاير و لكن لم يحصل و لله الحمد أن شيئا منها وصل إلى صحن التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥١٤

المسجد و المطاف. و قد تكلمنا أيضا على ستر الحجر الأسود خوفا عليه من الألغام عند الكلام على ستر الكعبة في حرب ابن الزبير. و قد بدأت إثارة الألغام لتكسير جبل الصفا قرب المسجد الحرام من ابتداء العمل في توسعة المسجد الحرام و ذلك من سنة (١٣٧٥) خمس و سبعين و ثلاثمائة و ألف.

### الطواف في الجاهلية

كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت سبعا، و كانوا يجعلون الكعبة عن يمينهم حين الطواف، و يستلمون الحجر الأسود في البدء و الختام، و كانوا يفتحون البيت يوم الاثنين و يوم الخميس، و لا يدخلونه بحذاء بل يضعون نعالهم تحت الدرجة تعظيما له، و كانوا يطوفون بالبيت عراة. فقد روى الأزرقى في تاريخه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: فكانت قبائل من العرب من بنى عامر و غيرهم يطوفون بالبيت عراة: الرجال بالنهار، و النساء بالليل فإذا بلغ أحدهم باب المسجد قال للحمس: من يعير مصونا من يعير معوزا فإن أعاره أحمسى ثوبه طاف به و إلا ألقى ثيابه باب المسجد ثم دخل للطواف فطاف بالبيت سبعا عريانا، و كانوا يقولون: لا نطوف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب ثم يرجع إلى ثيابه فيجدها لم تحرك فيأخذها و يلبسها، و لا يعود بعد ذلك إلى الطواف عريانا و لم يكن يطوف بالبيت عريان إلا الضرورة من غير الحمس: فأما الحمس فكانت تطوف في ثيابها، إلى آخر ما ذكره الأزرقى من عاداتهم و أحوالهم تفصيلا في تاريخه فراجع إن شئت.

ثم لما جاء الإسلام منع من الطواف بالبيت عريانا، فإنه لما حج أبو بكر بالناس في الحجة التي أمره النبي صلى الله عليه و سلم قبل حجة الوداع أذن يوم النحر في الناس لا يحج بعد العام مشرك و لا يطوف بالبيت عريان. ذكره البخارى في صحيحه في أواخر كتاب بدء الخلق.

جاء في تاريخ الأزرقى رحمه الله تعالى: أن امرأة جاءت يوما لتطوف بالبيت و كان لها جمال و هيئة، فطلبت ثيابا عادية فلم تجد من يعيرها فلم تجد بدا من أن تطوف عريانة فنزعت ثيابها باب المسجد ثم دخلت المسجد عريانة فوضعت يدها على فرجها و جعلت تقول:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥١٥ اليوم يبدو بعضه أو كله و ما بدا منه فلا أحله

قال: فجعل فتيان مكة ينظرون إليها و كان لها حديث طويل و قد تزوجت في قريش. انتهى من الأزرقى.

تقول: و قائلة هذا البيت هي ضباعة بنت عامر بن قرط القشيرية و قد أسلمت و هاجرت رضى الله تعالى عنها و خلاصة قصة طوافها بالبيت عريانة:

أنها كانت عند عبد الله بن جدعان ثم رغب فيها هشام بن المغيرة، فطلبت الطلاق من ابن جدعان لتتزوج، فاشتراط عليها لطلاقها أن تنحر مائة ناقه سوء الحدق، و أن تغزل خيطا يمد بين أخشى مكة، و أن تطوف بالبيت عريانة فعرضت هذه الشروط على هشام فتكفل لها بذلك، و قال لها: أنا أسأل قريشا أن يخلو لك البيت ساعة لتطوفى عريانة. فلما ذهبت لتطوف جعلت تخلع ثوبا ثوبا و هي تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله

حتى نزعت ثيابها ثم نشرت شعرها فغطى بطنها، و ظهرها حتى صار في خلخالها فما استبان من جسدها شيء و أقبلت تطوف بالبيت و

هي تقول هذا الشعر.

وقد جاءت ترجمتها وقصتها في كتاب "الإصابة في تمييز الصحابة" فارجع إليها إن شئت.

جاء في صحيح البخارى في باب مناقب الأنصار في باب أيام الجاهلية: عن قيس بن أبي حازم، قال: دخل أبو بكر على امرأة من أحسن يقال لها زينب، فرآها لا تكلم فقال: ما لها لا تكلم، قالوا: حجت مصمتة، قال لها: تكلمى فإن هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية، فتكلمت فقالت: من أنت، قال: امرؤ من المهاجرين، قالت: أى المهاجرين؟ قال: من قريش، قالت: من أى قريش أنت؟ قال: إنك لسؤول، أنا أبو بكر، قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذى جاء الله به بعد الجاهلية؟ قال: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم قالت: وما الأئمة؟ قال: أما كان لقومك رؤوس و أشراف يأمرونهم فيطيعونهم؟ قالت: بلى، قال: فهم أولئك على الناس. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥١٦

### الجلوس فى الحجر و المطاف فى الجاهلية

كان المطاف و حجر إسماعيل عليه السلام فى زمن الجاهلية مجلسا عاما يجتمعون فيهما و يجلسون بفناء الكعبة و ظلها يتذكرون فى مختلف شؤونهم، أما المجلس الخاص الذى يعقده كبار القوم و أشرفهم للنظر فى الأمور المهمة فقد كان فى دار الندوة. روى الإمام الأزرقي فى تاريخه عن جده أنه قال: كان المسجد الحرام محاطا بجدار قصير غير مسقف و كان الناس يجلسون حول الكعبة بالفداء و العشى يتبعون الأفياء فإذا قلص قامت المجالس. اه. و قلص الظل بمعنى نقص.

و روى الإمام الأزرقي أيضا فى تاريخه عن ابن جريج أنه قال: كنا جلوسا مع عطاء بن أبى رباح فى المسجد الحرام " و حدوده فى ذلك العهد هو نفس المطاف اليوم " فتذاكرنا ابن عباس و فضله و على بن عبد الله ابن عباس فى الطواف و خلفه ابنه محمد بن على فعجبنا من تمام قامتهما و حسن وجوههما فقال عطاء: و أين حسنهما من حسن عبد الله ابن عباس ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة و أنا فى المسجد الحرام طالعا من جبل أبو قبيس إلا ذكرت وجه ابن عباس و لقد رأيتنا جلوسا معه فى الحجر إذ أتاه شيخ قديم بدوى من هذيل يهدج على عصاه فسأله عن مسأله فأجابه فقال الشيخ لبعض من فى المجلس: من هذا الفتى؟ فقالوا: هذا عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب فقال الشيخ: سبحان الذى مسح حسن عبد المطلب إلى ما أرى، فقال عطاء: سمعت ابن عباس يقول: سمعت أبى يقول: كان عبد المطلب أطول الناس قامه و أحسن الناس وجها ما رآه قط شىء إلا أحبه و كان له مفرش فى الحجر لا يجلس عليه غيره و لا يجلس معه عليه أحد و كان الندى من قريش حرب بن أمية فمن دونه يجلسون حوله دون المفرش فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو غلام يدرج ليجلس على المفرش فجبذوه فبكى فقال عبد المطلب:

و ذلك بعدما حجب بصره ما لا بنى يبكى؟ قالوا له: إنه أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه فقال عبد المطلب: دعوا ابنى فإنه يحس بشرف أرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغ عربى قط، قال: و توفى عبد المطلب و النبى صلى الله عليه و سلم ابن ثمان سنين و كان خلف جنازته يبكى حتى دفن بالحجون.

و روى الأزرقي أيضا عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما قالت: لما نزلت تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ جاءت أم جميل بنت حرب بن أمية

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥١٧

امرأة أبى لهب و لها ولولؤه و فى يدها فخر فدخلت المسجد و رسول الله صلى الله عليه و سلم جالس فى الحجر و معه أبو بكر رضى الله عنه فأقبلت و هى تلملم الفهر فى يدها و تقول:

مذمما أئينا، و دينه قلينا، و أمره عصينا، قالت فقال أبو بكر رضى الله عنه: يا رسول الله هذه أم جميل و أنا أخشى عليك منها و هى

امرأة فلو قمت، فقال: إنها لن ترانى وقرأ قرآنا اعتصم به، ثم قرأ: وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّشِيئًا قَالَتْ: فجاءت حتى وقفت على أبى بكر رضى الله عنه و هو مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم تره فقالت: يا أبا بكر فأين صاحبك، قال: الساعة كان هاهنا قالت: إنه ذكر لى أنه هجانى و ايم الله إنى لشاعرة و إن زوجى لشاعر و لقد علمت قريش أنى بنت سيدها، قال سفيان قال الوليد فى حديثه: فدخلت الطواف فعثرت فى مرطها فقالت: نفس مذمم، فقال النبى صلى الله عليه و سلم: ألا ترى يا أبا بكر ما يدفع الله تعالى به عنى من شتم قريش يسمونى مذمما و أنا محمد فقالت لها أم حكيم ابنة عبد المطلب: مهلا يا أم جميل، إنى لحصان فما أكلم، و ثقاف فما أعلم و كلتانا من بنى العم، ثم قريش بعد أعلم.

انتهى من تاريخ الأزرقى.

و معنى قول أبى بكر "يا رسول الله هذه أم جميل و أنا أخشى عليك منها و هى امرأة فلو قمت" أى هذه امرأة لو أساءت إليك نفع فى حرج عظيم، فإننا لا نقدر على ضربها و الانتقام منها لأنها امرأة، و التعدى على المرأة ليس من الشهامة و المروءة، كما أننا لا نصبر على امرأة تتعدى عليك، فلو قمت يا رسول الله و تواريت عنها لاسترحنا من أمرها. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إنها لن ترانى، و بالفعل أنها لما وقفت عليهما ما رأته، فكانت هذه المعجزة ثبتت مكانة رسول الله صلى الله عليه و سلم و قوت عزته و نصره.

### استحباب الدخول فى الكعبة

اعلم أنه يستحب الدخول إلى الكعبة المشرفة بأدب و خشوع و أن يصلى فيها، و الأفضل أن يقصد مصلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فإذا دخل البيت مصلى حتى يكون بينه و بين الجدار الذى قبل وجهه قريبا من ثلاثة أذرع فيصلى. ثبت ذلك فى صحيح البخارى، و يدعو فى جوانبه و هذا بحيث لا يؤذى أحدا و لا يتأذى هو، فإن حصل الإيذاء له أو لغيره حرم دخوله، فإذا دخل البيت فليكن شأنه الدعاء

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥١٨

و التضرع و لا يشتغل بالنظر إلى ما يليه فإنه فى بيت الله تعالى الذى قال فيه:

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا. و يستحب أيضا أن يكثر من دخول الحجر و يقال له الحطيم فإنه من البيت و دخوله سهل، و الدعاء فيه تحت الميزاب مستجاب، روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت "كنت أحب أن أدخل البيت فأصلى فيه فأخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم بيدي فأدخلنى الحجر و قال "صلى فيه إن أردت دخول البيت فإنما هو قطعة من البيت" و يستحب الشرب من ماء زمزم و التضلع منه، أى الامتلاء منه. فقد روى عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال "ماء زمزم لما شرب له" و عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال فى ماء زمزم "إنها مباركة و أنها طعام طعم و شفاء سقم" رواه مسلم.

و يستحب لمن أراد الشرب منه أن يستقبل القبلة و يقول: اللهم إن بلغنى أن نبيك محمدا قال "ماء زمزم لما شرب له" و إنى أشربه لتشفينى أو ترزقنى علما أو مالا- أو ذرية أو غير ذلك من الحاجات ثم يسمى الله تعالى و يشرب، و يستحب نقله تبركا، فإن النبى صلى الله عليه و سلم استهدها من سهيل ابن عمرو، و كفا هذا الماء المبارك شرفا أنها تخرج من تحت الكعبة المعظمة و من الصفا و المروءة. اه.

و جاء فى تاريخ الأزرقى: عن ابن جريج عن نافع مولى ابن عمر قال: كان ابن عمر إذا قدم مكة حاجا أو معتمرا فوجد البيت مفتوحا لم يبدأ بشىء أول من أن يدخله. اه.

و روى الأزرقى عن جده عن مسلم بن خالد الزنجى أحد فقهاء مكة قال:

رأيت صدقة بن يسار يدخل البيت كلما فتح فقلت له: ما أكثر دخولك البيت يا أبا عبد الله؟ قال: و الله إنى لأجد فى نفسى أن أراه

مفتوحا ثم لا أصلى فيه.

انتهى منه.

نقول: إن كثرة الدخول إلى الكعبة المعظمة أو قلتها راجع إلى حال الشخص نفسه، فإن آنس من نفسه الرغبة الشديدة في دخولها مع مراعاة كامل الأدب في كل مرة و في كل وقت تفتح فيه الكعبة، فإنه يطلب له الدخول في كل مرة مهما تكرر دخوله، وهذه الحالة لا تكون إلا للعلماء الصالحين.

و ما رواه البخارى في صحيحه بأن ابن عمر رضى الله عنهما كان يحج كثيرا و لا يدخل الكعبة. فهذا أمر يرجع إلى اجتهاد ابن عمر و هو الحريص على تتبع آثار

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥١٩

النبي صلى الله عليه و سلم، فعدم دخوله لا بد أن يكون لحكمة دقيقة، و ربما كانت حتى لا يظن الناس أن دخول الكعبة من مناسك الحج لا يتم إلا بدخولها و الله تعالى أعلم.

و لا ينبغي أن يفهم مما تقدم أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لم يدخل الكعبة قط، فقد دخلها رضى الله عنه حال حياة النبي صلى الله عليه و سلم كما يعلم ذلك من كتب الأحاديث و السير، فقد روى البخارى في صحيحه في كتاب المغازى في باب دخول النبي صلى الله عليه و سلم من أعلى مكة: عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفا أسامة بن زيد و معه بلال و معه عثمان بن طلحة من الحجة، حتى أناخ في المسجد فأمره أن يأتى بمفتاح البيت، فدخل رسول الله صلى الله عليه و سلم و معه أسامة بن زيد و بلال و عثمان بن طلحة، فمكث فيه نهارا طويلا ثم خرج، فاستبق الناس فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالا وراء الباب قائما، فسأله أين صلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأشار له إلى المكان الذى صلى فيه، قال عبد الله: فنسيت أن أسأله كم صلى من سجدة. اه.

أما إذا كان الشخص من العوام ممن لا يأنس من نفسه الرغبة الشديدة في دخوله بل يتساوى لديه الدخول و عدمه، فهذا الأفضل له عدم كثرة الدخول حتى لا يحصل منه التهاون بحرمتها.

و هذا التفصيل يكون أيضا في جميع أنواع العبادات كقراءة القرآن و كثرة الصلاة.

و يصلى الداخل في أى نواحيها شاء، فقد جاء في صحيح البخارى في كتاب الحج عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان إذا دخل الكعبة مشى قبل الوجه حين يدخل و يجعل الباب قبل الظهر، يمشى حتى يكون بينه و بين الجدار الذى قبل وجهه قريبا من ثلاث أذرع، فيصلى يتوخى المكان الذى أخبره بلال أن رسول الله صلى الله عليه و سلم صلى فيه، و ليس على أحد بأس أن يصلى في أى نواحي البيت شاء.

و الأفضل أن يصلى في الموضع الذى فيه صلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد صلى فيها ركعتين يوم دخلها في فتح مكة، و موضع مصلاه قبل الجدار الغربى بثلاثة أذرع قرب الركن اليمانى و كان باب الكعبة خلف ظهره.

فإذا دخل المرء البيت الحرام و مشى قبل وجهه حتى يكون بينه و بين الجدار الغربى الذى أمامه نحو ثلاثة أذرع و يكون ظهره على باب البيت فقد وقف موقف

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٢٠

رسول الله صلى الله عليه و سلم في صلاته و لا بد أن تقع أعضاؤه في مكان موقفه عليه الصلاة و السلام.

و صلاة النبي صلى الله عليه و سلم في الكعبة كان يوم الفتح لا فى حجة الوداع و صلى فيها ركعتين خفيفتين، و قد ذكر التقي الفاسى أن عليه الصلاة و السلام دخل الكعبة أربع مرات بعد الهجرة، و هو يوم الفتح و ثانى يوم الفتح و فى حجة الوداع و فى عمرة القضاء قبل فتح مكة بسنة. قال: و فى كل من هذه الدخولات خلاف إلا الدخول الذى فى يوم الفتح.

و نرى أن الحكمة في صلاة النبي صلى الله عليه و سلم في الكعبة حين دخولها أحياناً، و عدم صلاته حين دخوله إليها أحياناً و اكتفائه بالتكبير و التهليل و حمد الله و الثناء عليه، هي أن لا يظن أحد أن الصلاة عند دخولها في كل مرة واجب، فإنه صلى الله عليه و سلم كل فعله و حركاته عن حكمة جزاه الله عن أمته خير الجزاء. و قد ذكر الإمام البخاري في صحيحه الأحاديث الواردة في دخول النبي صلى الله عليه و سلم الكعبة و صلاته فيها و بوب لذلك أربعة أبواب.

و أما الطواف بالكعبة من داخلها فغير مشروع، بل لا يصح مطلقاً لأنه يشترط في الطواف أن يكون خارج الكعبة و أن يكون خلف جدار حجر إسماعيل عليه السلام، و أما آداب دخولها التي ينبغي مراعاتها فقد بيناها في المبحث الآتي.

### فضل دخول الكعبة المعظمة

يستحب دخول بيت الله الحرام اقتداء برسول الله صلى الله عليه و سلم و بفعل الصحابة و التابعين و من بعدهم، قال الفاسي: و قد اتفق الأئمة الأربعة على استحباب دخول البيت، و استحسّن مالك كثرة دخولها لأن في مناسك ابن الحاج قال ابن حبيب: و أخبرني مطرف عن مالك أنه سئل عن الصلاة في البيت و عن دخوله كلما قدر عليه الداخل، فقال له: ذلك واسع حسن. انتهى. و لقد ورد في فضل ذلك ما ذكره الفاسي في شفاء الغرام بما ملخصه: التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ٢-٣؛ ص ٥٢٠

ي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من دخل البيت فصلّى فيه دخل في حسنة و خرج من سيئة مغفوراً له. و في لفظ: من دخل البيت خرج مغفوراً له. و روى الفاكهي أخباراً في فضائل دخول البيت، فقد روى عن هند بن أوس أنه قال: حججت فلقيت ابن عمر فقلت: إني أقبلت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٢١

من الفج العميق أردت البيت العتيق، و أنه ذكر لي أن من أتى بيت المقدس يصلّى فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فقال ابن عمر: رأيت البيت من دخله فصلّى فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

و قال عطاء: لأن أصلى ركعتين في البيت أحب إلي من أن أصلى أربعاً في المسجد الحرام. و قال الحسن البصري في رسالته المشهورة: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

من دخل الكعبة دخل في رحمة الله عز و جل و في حمى الله تعالى و في أمن الله عز و جل، و من خرج خرج مغفوراً له. انتهى من شفاء الغرام.

نقول: إننا نعتقد أن من دخل بيت الله عز و جل تبركا و تعظيماً و طلباً لفضله و مغفرته، فإنه يخرج منه مغفوراً له مقضى الحاجات إن عاجلاً أو آجلاً، فإن الله تعالى أكرم من أن يردّ داخل بيته المطهر عبده الضعيف الفقير المحتاج بدون إكرام و جائزة، فالله عز شأنه لا تضره المعاصي و لا تنفعه الطاعات، و مهما أعطى لعباده و غفر لهم فلا ينقص من ملكه و فضله مثقال ذرة، فلو دخل مخلوق إلى بيت ملك أو أمير لاجئاً أو طامعاً فإنه يخرج قرير العين، فكيف بمن يدخل بيت ملك الملوك الكبير المتعال الذي بيده مقاليد السموات و الأرض، و إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى، فعلى قدر حسن ظن العبد بربه يكون حظه و سعده، و إذا كان الداخل إلى الحرم المكي آمناً بصريح قوله تعالى: و مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا فالداخل إلى نفس بيت الله الحرام يكون أشدّ أمناً لأنه واقع في نقطة مركز دائرة الحرم. اللهم إنا لا نستغنى من فضلك و برك و عافيتك و رحمتك و عفوك و غفرانك لا في الدنيا و لا في الآخرة، فعاملنا بما أنت أهله يا أرحم الراحمين و يا أكرم الأكرمين آمين. و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم.

### آداب دخول الكعبة

لا يخفى على كل عاقل ما ينبغي من الآداب لمن يدخل بيوت الملوك و الأمراء، فكيف إذا لدخل بيت ملك الملوك و رب الأرباب

الخالق العظيم مالك الملك ذي الجلال والإكرام.

وقبل كل شيء ينبغي لداخل البيت الحرام أن يحسن ظنه بالله وأنه سبحانه وتعالى أكرم من أن يردّه خائبا صفر اليدين، والدنيا كلها لا تساوى عند الله جناح بعوضة، ثم ينبغي له مراعاة كامل الآداب وحبذا لو اغتسل في بيته و توضأ

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٢٢

و تطيب ليدخل الكعبة المعظمة طاهرا نظيفا متطيبا، فالإغتسال و التطيب لكل مجتمع سنه مطلوبه، و دخول الكعبة أولى بذلك لأنها محل اجتماع الناس و ازدحامهم للدخول، فإذا دخلها فلا يلتفت إلى يمينه أو يساره و لا إلى ما حوله على سبيل العبث و الفضول، إلا إذا أراد التحقق من بحث علمي أو أمر يهمه أو أى شىء يتعلق بالكعبة نفسها من بناء و إصلاح فلا بأس من ذلك مع مراعاة الأدب و الخشوع. روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت: عجا للمراء المسلم دخل الكعبة كيف يرفع بصره قبل السقف، ليدع ذلك إجلالا- لله تعالى و إعظاما، دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم الكعبة فما خالف نظره موضع سجوده حتى خرج منها، أخرجه البيهقي فى سننه و الحاكم فى المستدرک. و لا ينبغي معانقة الأعمدة التى فى داخل الكعبة أى أسطواناتها حيث لم يفعلها رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا أحد من أصحابه بل إذا دخلها يمشى قبل وجهه حتى إذا كان بينه و بين الجدار ثلاثة أذرع صلى ركعتين خفيفتين ثم يدعو الله و يثنى عليه بما هو أهله و يهلل و يكبر و يستغفر الله و يصلى على النبى صلى الله عليه و سلم، كما ينبغي له أن لا يكتر من الصلاة و الدعاء إذا كان هناك زحام شديد لأن ذلك يذهب بالخشوع و استحضار القلب لمرور الناس حوله و تدافعهم عليه، و إذا كان واقفا فى مصلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فليصل ركعتين خفيفتين ثم لينتقل إلى محل آخر للدعاء و الاستغفار لأن غيره ينتظر فراغه ليصلى فى نفس مصلى النبى صلى الله عليه و سلم.

و ينبغي مراعاة الرفق و السهولة فى دخول الكعبة حتى لا يحصل منه أذى لغيره، فإن تحقق الضرر و الأذى منه أو له لم يدخل، لأن دخول الكعبة سنه غير مؤكده، و أما الأذى فحرام، و لا- يطلب الإتيان بالسنة بارتكاب المحرم، و ما يحصل من الاندفاع و التراحم الشديد لدخول الكعبة حين فتحها من جهلة الناس فهذا خطأ فاحش و من الصعب إفهام العوام ذلك، على أن لهم نوع عذر و هو التشرف بدخول بيت الله المعظم عسى أن يكونوا من الآمنين يوم القيامة، فنتيهم حسنة لا يقصدون الأذى لبعضهم و إن وقع ذلك اضطرارا و يتحملونه و يصفحون عن بعضهم، و إنما الأعمال بالنيات، فنسأل الله لنا و لهم جميعا العفو و الغفران و الفضل و الإحسان و الموت على الإيمان إنه بعباده لطيف خبير.

أما ما يشاع على ألسنة العوام و الجهال من أن من دخل الكعبة لا يجوز له أن يمشى على الأرض حافيا، و لا أن يحكى ما رآه فى الكعبة، و لا أن ينظر إلى سقفها

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٢٣

و من نظر إلى سقفها لا- بد و أن يحصل له العمى، و نحو ذلك من الأوهام الخيالية، فهذا لا أصل له و هو كلام فارغ و وسواس من الشيطان الرجيم فينبغى التحرز من مثل هذه الأوهام و التخيلات و الله الهادى إلى سواء السبيل.

و من اللطائف المناسبة ذكره هنا: أن الأديب المصرى الكبير الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى رحمه الله تعالى ذكر فى كتابه "رحلة الحجاز" التى كانت تقريبا سنة (١٣٤٨) ثمان و أربعين و ثلاثمائة و ألف هجرية، أنه لما عاد إلى مصر من الحجاز سأله أمه عن دخوله الكعبة المشرفة بما يأتى:

قالت له: هل دخلت الكعبة؟ قال فقلت لها "بلى دخلناها بصفه خاصه."

فقلت لى "طوبى لك، لا تخبر أحدا بما رأيت فيها احذر."

فسألته عن السبب فقالت لى: إن من يرى الكعبة من الداخل لا يقص على غيره ما يرى.

قلت لها: و لكنها خالية و لا شىء فيها، كان فيها أوثان من الجاهلية فأخلاها منها النبى صلى الله عليه و سلم.

فقلت لى: إيوه، خليك على كده، كل من سألك عنها تقول له: لم أر شيئا.

فقلت لها: ولكنها حقيقة خالية.

قالت لى: تمام مضبوط، بارك الله فيك.

فقلت لها: إنى لا أكذب ولا أدعى، هى حقيقة كما أقول خالية.

فقلت لى: إيوه، تمام، أهو كده، الله يزيدك عقلا.

فأمسكت، و لم أرلى حيله، و ها أنا ذا أقول للقراء إن الكعبة لا شىء فيها، فليصدقوا أو لا يصدقوا، و ليكونوا كأمى، و ليدعوا لى، أو فليضنوا على بالدعاء كما يشاؤون. انتهى محاوره المازنى مع أمه.

نقول: ماذا يظن القارئ الكريم أن يكون داخل الكعبة، هل يكون فيها فراش وثير، أم كراسى مصفوفة مبطنه بالحرير، أم يكون فيها من أدوات الزينه و الصور و الرسوم، ما يلهى المؤمن المسلم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٢٤

إن الكعبة المعظمة بيت الله الكبير المتعال، جعلت للعبادة و الدعاء و التفكير، و إظهار الذلة و المسكنة و الانكسار، و الخضوع و البكاء و الاعتبار، فلا ينبغى أن يكون فيها ما يشغل داخلها عما جاء لأجله، فداخلها سعيد مغفور له، و الله تعالى أعز و أجل من أن يرد له دعاء أو يخيب أمله.

قال الفاسى فى شفاء الغرام: و أما ما يطلب فى الكعبة من الأمور التى صنعها النبى صلى الله عليه و سلم فهو: التكبير و التسيح و التهليل و التحميد و الثناء على الله عز و جل و الدعاء و الاستغفار، لأحاديث وردت فى ذلك.

منها: ما روينا عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما دخل البيت دعا فى نواحيه كلها و لم يصل حتى خرج فلما خرج ركع قبل البيت ركعتين و قال: هذه القبلة. أخرجه البخارى و مسلم.

و فى مسلم عن ابن جريج قلت لعطاء ما نواحيه أفى زواياه، قال: بل فى كل قبلة من البيت. و عند النسائى فى هذا الحديث "سبح فى نواحيه و كبر." و قوله:

قبل البيت و هو بضم القاف و الباء الموحدة و يجوز إسكان الباء كما فى نظائره، و معناه على ما قيل ما استقبلك فيها و قيل مقابلها. اه. ثم قال الفاسى بعد بضعة أسطر مما تقدم: و من الأحاديث الواردة فى المعنى الذى أشرنا إليه، ما روينا فى سنن النسائى أيضا من حديث أسامة بن زيد أنه دخل مع النبى صلى الله عليه و سلم البيت فمضى يعنى النبى صلى الله عليه و سلم حتى إذا كان بين الأسطوانتين اللتين تليان باب الكعبة جلس فحمد الله و أثنى عليه و سأله و استغفره ثم قام حتى أتى ما استقبل من دبر البيت فوضع وجهه و خده عليه فحمد الله و أثنى عليه و سأله و استغفره ثم انصرف إلى كل ركن من أركان الكعبة فاستقبله بالتكبير و التهليل و التسيح و الثناء على الله و المسألة و الاستغفار ثم خرج. انتهى باختصار.

قال: و روينا من حديثه أيضا فى سنن النسائى قال: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم البيت فجلس فحمد الله و أثنى عليه و كبر و هلل ثم قام إلى ما بين يديه من البيت فوضع صدره عليه و خده و يديه ثم هلل و كبر و دعا ثم فعل ذلك بالأركان كلها ثم خرج. انتهى باختصار.

و أخرجه أحمد أيضا عن ابن عباس قال: دخل النبى صلى الله عليه و سلم الكعبة و فيها ست سوارى فقام عند كل سارية فدعا و لم يصل. أخرجه البخارى و مسلم و أحمد بن حنبل. انتهى كل ذلك من شفاء الغرام.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٢٥

و قال الفاسى فى شفاء الغرام أيضا: و أما آداب دخول الكعبة فكثيرة منها:

الاجتسال، لما روينا عن عبد الكريم بن أبى المخارق. و منها: نزع الخف و النعل، لما روينا فى سنن سعيد بن منصور عن عطاء و

طاووس و مجاهد، و كره مالك دخولها بالخفين و النعلين و هو قول الحنابلة. و منها: أنه لا يرفع بصره إلى السقف، لحديث في ذلك رويناه عن عائشة أخرجه الحاكم من المستدرک و قال:

صحيح على شرط الشيخين، و قد تقدم هذا الحديث في الباب التاسع و هو هذا:

"روى الحاكم في المستدرک و البيهقي في سننه عن سالم بن عبد الله أن عائشة قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها."

و إنما كره رفع البصر في الكعبة لأنه يولد الغفلة و اللهو عن القصد، أشار بذلك المحب الطبري في القري. و منها: أنه لا يزاحم زحمة شديدة يتأذى بها أو يؤذى بها أحدا، أشار إلى ذلك النووي و غيره. و منها: أن لا يكلم أحدا إلا لضرورة أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر. و منها: أن يلزم قلبه الخشوع و الخضوع و عينيه الدموع إن استطاع ذلك و إلا- حاول صورتها، ذكر هذين الأمرين المحب الطبري و هذا لفظه. و منها: أن لا يسأل مخلوقا لما رويناه عن سفيان بن عيينة قال: دخل هشام بن عبد الملك الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال: سألني حاجتك قال: أستحي من الله أن أسأل في بيته غيره، و ذكر الفاكهي ما يقتضى أن التارك بسؤال هشام في الكعبة غير سالم ابن عبد الله لأنه قال: حدثنا محمد بن أبي عمر قال: قال سفيان بن عيينة: سمعت بعض من يذكر أن بعض الخلفاء، هشام بن عبد الملك أو غيره دخل الكعبة عام حج فلم يدع في الكعبة غير منصور الحجى، فقال له هشام: سل حاجتك، قال منصور: ما كنت لأسأل غير الله في بيته فلم يسأله شيئا، انتهى، و حكم النساء في دخولهن الكعبة حكم الرجال من غير خلاف أعلمه في ذلك. انتهى من شفاء الغرام.

### الصلاة في داخل الكعبة

قال العلامة ابن ظهيره القرشي الحنفى في كتابه "الجامع اللطيف في فضل مكة و أهلها و بناء البيت الشريف" عند آخر الكلام على كثر الكعبة و الحكم فيه ما نصه: فروع، ثم ذكر الفرع الأول و الثانى و الثالث و نحن لم نذكر هذه الثلاثة التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٢٦

لعدم تعلقها في هذا الفصل لكن نذكر هنا الفرع الرابع و هو المقصود فقد قال رحمه الله تعالى ما نصه:

(الفرع الرابع) تصح صلاة الفرض و النفل عندنا في الكعبة من غير كراهة بجماعة و غيرها و تجوز فوق سطحها من غير ساتر مع الكراهة.

و مذهب الإمام الشافعى رحمه الله كمنهنا في جواز الفرض و النفل في باطن الكعبة بل هو الأفضل عنده لكن يشترط في الفريضة ألا يرجو المصلى جماعة خارج الكعبة. قال الشافعى رحمه الله: ما تفوتنى فريضة في جماعة فأصلبها في موضع أحب إلى من بطن البيت لأن البقاع إذا فضلت بقربها منه فبطنها أفضل منها، و أما صحة الصلاة على سطحها فيشترط أن يكون إمام المصلى شاخص قدر ثلثي ذراع تقريبا من جدار الكعبة و هو الصحيح من مذهبه، و مذهب الإمام مالك رضى الله عنه عدم جواز الفريضة في جوف البيت و كذلك السنن المؤكدة كالعيدين و الوتر و ركعتي الفجر و ما أشبهها على مشهور مذهبه و أما النفل فيجوز و أما الصلاة على سطحها فالمشهور عنده المنع، و مذهب الإمام أحمد رضى الله عنه أن صلاة الفريضة في الكعبة لا تصح و فى النافلة خلاف بين أصحابه و الأصح الصحة و كذا الحكم فى السطح عندهم فى الفريضة و النافلة. انتهى كلام ابن ظهيره.

و هنا نذكر باختصار حكم الصلاة فى جوف الكعبة فرضا كانت أو نفلا عن المذاهب الأربعة، جاء فى الجزء الأول من كتاب "الفقه على المذاهب الأربعة" للعلامة الشيخ عبد الرحمن الجزيرى ما نصه:

"الحنابلة قالوا: "إن صلاة الفرض لا تصح فى جوف الكعبة و لا على ظهرها إلا إذا وقف فى منتهاها و لم يبق وراءه شىء منها، أو وقف خارجها و سجد فيها، أما صلاة النافلة و الصلاة المندورة فتصح فيها و على سطحها إن لم يسجد على منتهاها، فإن سجد على



منتهاها لم تصح صلاته مطلقا، لأنه يصير في هذه الحالة غير مستقبلي لها.

"والمالكية قالوا: "تصح صلاة الفرض في جوفها إلا أنها مكروهة كراهة شديدة، وندب له أن يعيدها في الوقت أما النفل فإن كان غير مؤكد ندب أن يصله فيها، وإن كان مؤكدا كره ولا يعاد، وأما الصلاة على ظهرها فباطلة إن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٢٧

كانت فرضا، وصحيحة إن كانت نفلا غير مؤكدا، وفي النفل المؤكد قولان متساويان.

"والشافعية قالوا: "إن الصلاة في جوف الكعبة صحيحة فرضا كانت أو نفلا، إلا أنها لا تصح إذا صلى إلى بابها مفتوحا، وأما الصلاة على ظهرها فإنه يشترط لصحتها أن يكون أمامه شاخص منها يبلغ ثلثي ذراع بذراع الآدمي.

"والحنفية قالوا: "إن الصلاة في جوف الكعبة وعلى سطحها صحيحة مطلقا، إلا أنها تكره على ظهرها لما فيه من ترك التعظيم. انتهى من الكتاب المذكور.

### صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة

روى ابن عباس عن أسامة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل في الكعبة، وروى بلال أنه صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة. وهذا البحث تناوله العلماء والأجلاء ورجحوا رواية بلال.

وإليك خلاصة ما ذكروه نقلا عن شفاء الغرام فقد جاء فيه ما يأتي:

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر: رواية ابن عمر عن بلال أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة، أولى من رواية ابن عباس عن أسامة، أنه لم يصل، لأنها زيادة مقبولة وليس قول من قال من لم يفعل بشهادة... إلى آخر كلامه.

وقال السهيلي في الروض الأنف: وأما دخوله صلى الله عليه وسلم الكعبة وصلاته فيها فحديث بلال أنه صلى فيها، وحديث ابن عباس أنه لم يصل فيها، وأخذ الناس بحديث بلال لأنه أثبت الصلاة وابن عباس نفاها، وإنما يؤخذ بشهادة المثبت لا بشهادة النافي، ومن تأول قول بلال أنه صلى أي دعا فليس بشيء، لأن في حديث ابن عمر أنه صلى فيها ركعتين، ولكن رواية ابن عباس ورواية بلال صحيحتان، لأنه عليه الصلاة والسلام دخلها يوم النحر فلم يصل، ودخلها في الغد فصلى فيها، وذلك في حجة الوداع، وهو حديث مروى عن ابن عمر بإسناد حسن أخرجه الدارقطني وهو من فوائده. انتهى.

وقال الشيخ محيي الدين النووي: أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال لأنه مثبت فمعه زيادة علم فوجب ترجيحه قال: وأما نفي أسامة فيشبه أنهم لما دخلوا الكعبة أغلقوا الباب واشتغلوا بالدعاء فرأى أسامة النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ثم اشتغل أسامة في ناحية من نواحي البيت والنبي صلى الله عليه وسلم في ناحية وبلال قريب منه ثم صلى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٢٨

النبي صلى الله عليه وسلم فرآه بلال لقربه منه ولم يره أسامة لبعده واشتغاله بالدعاء وكانت صلاته خفيفة فلم يرها أسامة لإغلاق الباب مع بعده واشتغاله بالدعاء وجاز له نفيها عملا بظنه، وأما بلال فتحققها وأخبر بها والله أعلم. انتهى من شرح مسلم.

وقال في المجموع وهو شرح المذهب: قال العلماء: الأخذ برواية بلال في إثبات الصلاة أولى لأنه مثبت وقد على النافي فإن بلالا كان قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى معه وراقبه في ذلك فرآه صلى و كان أسامة متباعدة مشتغلا بالدعاء والباب مغلق ولم ير الصلاة فوجب الأخذ برواية بلال لأن معه زيادة علم.

انتهى.

وقال المحب الطبري: وقد اختلف بلال وأسامة في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في البيت وحكم العلماء ترجيح حديث بلال لأنه أثبت وضبط ما لم يضبطه أسامة والمثبت مقدم على النافي ثم قال: ويحتمل أن يكون أسامة غاب عنه بعد دخوله لحاجة فلم

يشهد صلاته و قد روى ابن المنذر عن أسامة أن النبي صلى الله عليه و سلم رأى صوراً في الكعبة فكنت آتية بماء في الدلو يضرب به الصور فأخبر أنه كان يخرج لنقل الماء و كان ذلك في يوم الفتح و صلاته صلى الله عليه و سلم في الكعبة إنما كانت يوم الفتح لا في حجة الوداع. قال أبو حاتم بن حبان: و الأشبه عندى أن يحمل الخبران على دخولين متغايرين أحدهما يوم الفتح و صلى فيه و الآخر في حجة الوداع و لم يصل فيه من غير أن يكون بينهما تضاد. انتهى.

و قال القاضي عز الدين بن جماعة في هذا المعنى فيما أخبرني به خالي عنه:

قال:- يعنى أحمد بن حنبل - حدثنا هشيم قال: أخبرنا عبد الملك عن عطاء قال أسامة بن زيد: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم البيت فجلس فحمد الله و أثنى عليه و كبر و هلل و خرج و لم يصل ثم دخلت معه في اليوم الثاني فقام و دعا ثم صلى ركعتين ثم خرج فصلى ركعتين خارجاً من البيت مستقبل وجه الكعبة ثم انصرف و قال: هذه القبلة. و كذلك رواه أحمد بن منيع في مسنده و الدارقطني و غيرهم و هو كلام شاف كاف في الجمع بين الأحاديث، فحمد الله على التوفيق للجمع به فإن ذلك من أجل الفوائد، فإن بعض كبار العلماء قال: يحتمل أن يكون أسامة غاب عنه صلى الله عليه و سلم بعد دخوله لحاجته فلم يشهد صلاته. اهـ.

ثم قال الفاسي بعد بضعة أسطر من الكلام المتقدم ما يأتي: و مما لعله أن يكون مرجحاً لذلك أيضاً "أى لحديث بلال" من حيث المعنى على ما ظهر لى،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٢٩

أن الكعبة المعظمة كالمسجد الحرام في استحباب التحية لمن دخلها، و التحية للمسجد الحرام الطواف لمريده أو الصلاة فيه و الطواف بالكعبة من داخلها غير مشروع، فلم يبق لها تحية إلا الصلاة فيها كتحية سائر المساجد، فكيف يدخلها النبي صلى الله عليه و سلم و لا يصلى فيها مع بعد عهده من دخولها، فإنه من حين هاجر إلى المدينة لم يدخلها، و بين هجرته و دخوله هذا ثمان سنين، و مع طول مكثه صلى الله عليه و سلم في الكعبة من دخوله هذا فإن في صحيح مسلم من حديث ابن عمر في قصة دخول النبي صلى الله عليه و سلم الكعبة و من معه، أنهم لبثوا في البيت ملياً قال النووي: أى طويلاً، و في البخارى عن ابن عمر من رواية نافع أن النبي صلى الله عليه و سلم مكث نهاراً طويلاً في الكعبة حين دخلها يوم الفتح، و طول المكث بمكان يستدعى الجلوس فيه غالباً، و يبعد كل البعد أن النبي صلى الله عليه و سلم لم يجلس في الكعبة في دخوله هذا، أو أن يجلس فيها بغير صلاة و قد نهى صلى الله عليه و سلم فيما صح عنه الداخل إلى المسجد عن الجلوس فيه من غير صلاة.

و مما يؤيد كونه صلى الله عليه و سلم صلى في الكعبة في دخوله هذا إغلاق الباب عليه فيه كما في الصحيحين و غيرهما من حديث ابن عمر، للحكمة التي ذكرها العلماء في إغلاق الباب في دخوله هذا، و هي لئلا يكثر الناس عليه فلا يتمكن من الصلاة في الكعبة على ما يريد صلى الله عليه و سلم، و قيل: الحكمة في ذلك ليصلى صلى الله عليه و سلم إلى كل جهة من الكعبة، فإن الباب إذا كان مفتوحاً و ليس أمامه قدر مؤخرة الرحل لم تصح الصلاة إليه، لعدم استقبال شيء من الكعبة، ذكر هذين القولين المحب الطبري في القرى، و استظهر القول الأول و ذكر أنه يتأيد بكون النبي صلى الله عليه و سلم لم يصل في الكعبة أكثر من ركعتين على ما صح عنه. انتهى باختصار من شفاء الغرام للفاسي. و قد أطال رحمه الله تعالى الكلام على هذا البحث، و لكننا رأينا الاقتصار على ما قدمناه أحسن، فخير الكلام ما قل و دل.

### عدد دخول النبي صلى الله عليه و سلم الكعبة بعد الهجرة

لم نبحت عن عدد دخول النبي صلى الله عليه و سلم للكعبة قبل هجرته إلى المدينة، و المعقول أنه دخلها عدة مرات قبل البعثة و قبل الهجرة أيضاً فقد كان الناس يدخلونها قبل الإسلام.

قال الشيخ حسين باسلامة في كتابه "تاريخ الكعبة المعظمة": "روى ابن سعد في الطبقات عن عثمان بن طلحة قال: كنا نفتح الكعبة في

الجاهلية يوم الاثنين

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٣٠

والخميس، فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلظت له و نلت منه فحلم عني، ثم قال "يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت" فقلت: لقد هلكت قريش يومئذ و ذلت قال "بل عمرت و عزت يومئذ" و دخل الكعبة فوعدت كلمته منى موقعا ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال، فلما كان يوم الفتح قال "يا عثمان انتنى بالمفتاح" فأتيته به، فأخذه منى ثم دفعه إلى و قال "خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف،" قال: فلما و لیت ناداني فرجعت إليه فقال "ألم يكن الذي قلت لك" قال: فذكرت قوله لى بمكة قبل الهجرة "لعلك ستري هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت" فقلت: بلى أشهد أنك رسول الله، انتهى من الكتاب المذكور.

و أما دخوله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة، فقد جاء فى كتاب شفاء الغرام للفاسى عن ذلك ما خلاصته: أما عدد دخول النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة بعد هجرته فروينا فى ذلك أخبارا يتحصل من مجموعها، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة بعد هجرته أربع مرات و هو: (١) يوم فتح مكة (٢) و فى ثانى يوم الفتح (٣) و فى حجة الوداع (٤) و فى عمره القضية.

و فى كل من هذه الدخولات خلاف إلا الدخول الذى فى يوم الفتح، و نشير إلى الأخبار الواردة فى هذه الدخولات.

(١) فأما دخوله صلى الله عليه وسلم الكعبة فى يوم الفتح، فروينا فى صحيح مسلم و غيره كما سبق فى حديث ابن عمر، و لفظ حديثه عند مسلم: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فنزل بفناء الكعبة و أرسل إلى عثمان بن طلحة فجاء بالمفتاح ففتح الباب، ثم دخل النبي صلى الله عليه وسلم و سلم و بلال و أسامة بن زيد و عثمان بن طلحة و ذكر الحديث و لا تضاد بين حديث ابن عمر هذا و حديثه فى صحيح مسلم الذى قال فيه: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح على ناقه لأسامة حتى أناخ بفناء الكعبة ثم دخل عثمان بن طلحة فقال: انتنى بالمفتاح ... الحديث فى صفة دخول النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة و صلواته فيها لأن المراد بعام الفتح فى هذا الحديث يوم الفتح كما فى الحديث السابق لأن الأحاديث تفسر بعضها بعضا و المجمع منها يرد إلى المبين و قد أشار الإمام النووي إلى اتفاق الخبرين لأنه قال فى شرح مسلم قوله: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فنزل بفناء الكعبة هذا دليل على أن هذا المذكور فى أحاديث الباب من دخوله صلى الله عليه وسلم الكعبة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٣١

و صلواته فيها كان يوم الفتح و هذا لا خلاف فيه و لم يكن يوم حجة الوداع.

انتهى، و فى هذا الدخول وقع الاختلاف فى كون النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه.

(٢) و أما دخوله صلى الله عليه وسلم فى ثانى يوم الفتح، ففى مسند أحمد بن حنبل ما يدل له، لأنه قال: حدثنا هشيم قال: أخبرنا عبد الملك عن عطاء قال: قال أسامة بن زيد دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فجلس فحمد الله و أتنى عليه و كبر و هلل و خرج و لم يصل، ثم دخلت معه فى اليوم الثانى فقام و دعا ثم صلى ركعتين ثم خرج فصلى ركعتين خارجا من البيت مستقبل وجه الكعبة ثم انصرف و قال: هذه القبلة.

(٣) و أما دخوله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع، فروينا فى سنن أبى داود و ابن ماجه و جامع الترمذى و المستدرک للحاكم من رواية إسماعيل بن عبد الملك بن أبى الصغير عن ابن أبى مليكة عن عائشة، و سبق ذلك فى الترجمة التى قبل هذه الترجمة مع بيان ما فى الحديث من الوهن و الله أعلم بالصواب. اهـ.

نقول: إن لفظ الحديث الذي قال الفاسي عنه أنه سبق في الترجمة عن عائشة رضي الله تعالى عنها هو هذا: قالت: "خرج النبي صلى الله عليه وسلم من عندي وهو قرير العين طيب النفس، فرجع إلى وهو حزين، فقلت له فقال: إني دخلت الكعبة ووددت أني لم أدخلها، إني أخاف أن أكون أتعبت أمتي من بعدي."

(٤) و أما دخوله صلى الله عليه وسلم في عمرة القضية، فذكر المحب الطبري في القرى عن عروة بن الزبير و سعيد بن المسيب ما يقتضى ذلك، لأنه قال في باب العمرة وهو الباب الثامن والثلاثون في ترجمته عليها بما جاء في عمرة الحديبية و عمرة القضية: وعن هشام عن أبيه أن خراش بن أمية حلق رأس النبي صلى الله عليه وسلم عند المروة ثم دخل البيت، و عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى نسكه دخل البيت فلم يزل فيه حتى أذن بلال بالظهر على ظهر الكعبة، و أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا فلما كان ظهر اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو بن حويطب بن عبد العزى و رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في مجلس الأنصار يتحدث مع سعد بن عبادة فقال: يا محمد قد انقضت أجلك فاخرج عنا، قال: و ماذا عليكم لو تركتموني فأعرست عندكم و صنعت لكم طعاما؟ و كان قد تزوج بميمونة الهلالية من طريقه و ذكر مناشدة سهيل النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج من مكة و خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى سرف و تعريسه فيه بميمونة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٣٢

و لم يذكر المحب الطبري من خرج هذا الخبر و لا الخبر الأول و هما يقتضيان دخول النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة في عمرة القضية، و خبر سعيد ابن المسيب أصرح لما فيه من القضايا التي وقعت في عمرة القضية على ما جاء في غير هذا الخبر و هي تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بميمونة و سؤال سهيل بن عمرو النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج من مكة و جواب النبي صلى الله عليه وسلم له على نحو ما في هذا الخبر.

و لست واثقا بصحة ما فيه من دخول النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة و أذان بلال الظهر عليها و على تقدير صحتها فلأنهما يخالفان ما روينا في الصحيحين عن إسماعيل بن أبي خالد قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى: أدخل النبي صلى الله عليه وسلم في عمرته؟ قال لا، انتهى. و المراد بهذه العمرة عمرة القضية على ما قال العلماء كما قال النووي منهم في شرح مسلم و غيره و سيأتي ذكر السبب الذي لأجله لم يدخل النبي صلى الله عليه وسلم في هذه العمرة و لم أر أحدا من أهل العلم قال بدخول النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة في عمرة القضية كما هو مقتضى هذين الخبرين و إنما ذكرناهما لغرابتهما، انتهى كل ذلك مختصرا من كتاب شفاء الغرام للفاسي.

### منع بعض الناس عن دخول الكعبة

نرى أحيانا سدنة الكعبة يمنعون بعض الناس عن دخول الكعبة عند فتحها و يدفعونهم عن بابها دفعا، و هم معذرون في ذلك، فكل اجتماع و ازدحام لا بد أن يقع فيه تدافع و اشتداد، و الظاهر أن هذه الحالة مأخوذة عن عادة قريش في الجاهلية، و إليك بيان ذلك: لما بنى إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام الكعبة جعل فتحه بابها لاصقا بالأرض، فلما بنتها قريش جعلوا بابها مرتفعا عن الأرض و كبسوها بالحجارة حتى يدخلوا فيها من شاؤوا و يمنعوا من أرادوا، و حتى لا يدخلها السيل.

ففي تاريخ الأزرقى: لما بنت قريش الكعبة قال أبو حذيفة بن المغيرة: يا معشر قريش ارفعوا باب الكعبة حتى لا يدخل عليكم إلا بسلم فإنه لا يدخل عليكم إلا من أردتم فإن جاء أحد ممن تكهون رميت به فيسقط فكان نكالا لمن رآه ففعلت قريش ذلك و ردموا الردم الأعلى و صرفوا السيل عن الكعبة و كسوها لوصائل.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٣٣

و في رواية: فلما وضعوا أيديهم في بنائها قالوا: ارفعوا بابها من الأرض و اكبسوها حتى لا تدخلها السيول و لا ترقى إلا بسلم و لا يدخلها إلا من أردتم إن كرهتم أحدا دفعتموه ففعلوا ذلك.

و فيه أيضا عند باب ما جاء في فتح الكعبة عن سعيد بن عمرو الهذلي عن أبيه قال: رأيت قريشا يفتحون البيت في الجاهلية يوم الاثنين والخميس و كان حجابهم يجلسون عند بابه فيرتقى الرجل إذا كانوا لا يريدون دخوله فيدفع و يطرح و ربما عطب- أى هلك- و كانوا لا يدخلون الكعبة بحذاء يعظمون ذلك و يضعون نعالهم تحت الدرجة. انتهى من الأزرقى.

فعلم مما ذكر أن قسوة بنى شيبه على بعض الناس عند دخولهم الكعبة عادة وراثية مأخوذة من قريش، و بنو شيبه يضطرون أحيانا إلى استعمال القسوة و العنف، و ذلك عندما يتوسمون في الشخص أن الأولى عدم دخوله البيت الحرام لما يظهر عليه من الشدة و القوة بحيث يتحقق منه الأذى لغيره من الضعفاء في داخل الكعبة، أو أنهم يمنعون الناس من الدخول إذا رأوا داخل الكعبة قد امتلأ بهم، فينتظرون خروجهم حتى يسمحوا بدخول غيرهم.

و الازدحام و الاحتكاك في دخول الكعبة عند فتحها أمر ضرورى لا- بد من وقوعه، خصوصا في زماننا هذا الذى ازدادت مكة المكرمة بالناس و العمران زيادة لم تكن تتصورها منذ ربع قرن، كما يقع التصادم على بابها أيضا بسبب دخول الناس فيها و خروجهم منها في وقت واحد، فلو كان لها بابان للدخول و باب للخروج كما كان في عهد عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما لما حصل التصادم و التدافع.

و لا حيلة في منع التصادم و التزاحم في دخول الكعبة، اللهم إلا إذا كثر فتحها و انتظمت المواعيد، كأن تفتح في كل أسبوع مرة أو مرتين يوم الاثنين و يوم الجمعة، كما كان في العهود السابقة، و أن يخصص الدخول كل مرة لطائفة من الناس لا يدخلها غيرهم. فعندئذ قد يرتاح الناس في دخولهم الكعبة المشرفة، و لكن أنى يكون ذلك.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٣٤

### أخذ الأجرة على دخول الكعبة

الكعبة المشرفة هي بيت الله الحرام، و بيت الله غير مملوك لأحد إلا للواحد الأحد جل و علا، فهو إذا بيت عام لكل من آمن بالله و رسوله، فالمسلمون يلجأون إليه طلبا في عفو الله و مغفرته و رحمته و إحسانه، و لكل مسلم الحق في دخول بيت ربه و خالقه، و الوقوف على بابه، و التعلق بأستاره، و من هنا قالوا لا يجوز أخذ الأجرة على دخول البيت الحرام أى على وجه الاشتراط، أما على وجه البر و الصلة و الهدية و الهبة فلا بأس.

و لقد ذكر الفاسى في كتابه "شفاء الغرام" حكم أخذ الأجرة على ذلك بصحيفة ١٢٩ من الجزء الأول منه و هذا نص كلامه: و لنختم هذه الترجمة بحكم سدانة الكعبة و حكم ما يأخذه سدنتها ممن يدخلها، و للمحب الطبرى في ذلك كلام شاف فنذكره و نص كلامه: الحجابة منصب بنى شيبه و لاهم رسول الله صلى الله عليه و سلم إياها كما ولى السقاية للعباس ثم قال: و سدانة البيت خدمته و تولى أمره و فتح بابه و إغلاقه و يقال: سدن يسدن سدانة فهو سادان و الجمع سدنة ثم قال العلماء: لا يجوز لأحد أن ينزعها منهم قالوا:

و هي ولاية رسول الله صلى الله عليه و سلم و أعظم مالك أن يشرك معهم غيرهم قلت: و لا- يبعد أن يقال هذا إذا حافظوا على حرمة و لازموا في خدمته الأدب أما إذا لم يحافظوا على حرمة فلا يبعد أن يجعل عليهم مشرف يمنعمهم من هتك حرمة و ربما تعلق الجاهل الغبى البذى المعكوس الفهم بقوله صلى الله عليه و سلم: "و كلوا بالمعروف" فاستباح أخذ الأجرة على دخول البيت و لا خلاف بين الأمة في تحريم ذلك و أنه من أشنع البدع و أقبح الفواحش و هذه اللفظة إن صحت رواية فيستدل بها على إقامة الحرمة لأن أخذ الأجرة ليس من المعروف و إنما الإشارة و الله أعلم إلى ما يقصدون به من البر و الصلة على وجه التبرر فلهم أخذه و ذلك أكل بالمعروف لا محالة أو إلى ما يأخذونه من بيت المال على ما يقومون به من خدمته أو القيام بمصالحة فلا يحل لهم منه إلا قدر ما يستحقونه و الله أعلم ثم قال بعد أن ذكر أحاديث تتعلق بالحجر بسكون الجيم: و فيها ما يقتضى أن سبب رفع قريش لباب الكعبة

ليمنعوا من شأؤوا و في قوله صلى الله عليه و سلم: فعل ذلك قومك ليدخلوا من شأؤوا و يمنعوا من شأؤوا و قوله: و ألصق بابها بالأرض دلالة على أن الناس غير محجوبين عن البيت و أنه لا التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٣٥

يحل منعهم و ما يأخذه السدنة على ذلك لا يطيب لهم إلا بطيب نفس من الدافعين و إنما تجب أجرتهم على ما يتولونه من القيام بمصالحة من بيت المال.

قال أبو العالية الرباحي في قوله: فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ قال: السهم المضاف إلى الله تعالى إنما هو لبيت الله تعالى و أكثر أهل العلم على أنه أضاف الخمس إلى نفسه لشرفه و سهم الله و سهم رسول الله صلى الله عليه و سلم واحد. انتهى من شفاء الغرام.

و قال صاحب كتاب التراتيب الإدارية: قال المحب الطبري في الباب الثامن و العشرين من كتاب القرى: ربما تعلق بعض الجهال به في جواز أخذ الأجر على دخول الكعبة و لا خلاف في تحريمه و أنه من أشنع البدع، و هذا أى قوله: فكلوا مما يصل إن صح احتمال أن معناه ما يأخذونه من بيت المال على خدمته و القيام بمصالحة و لا يحل لهم إلا قدر ما يستحقونه و ما يقصدون به من البر و الصلة على وجه التبرر بهم، فلهم أخذه و في ذلك أكل بالمعروف. اهـ.

و حكى على هذا الزرقاني في شرح المختصر الإجماع، و وجهه: أن أخذ الأجر إنما يجوز على ما يختص الإنسان بمنفعته و الانتفاع به، و البيت لا يختص به أحد دون أحد، فلا يجوز لهم أخذ الأجر على فتحه، و إنما لهم الولاية على فتحه و إغلاقه في الأوقات التي جرت العادة بفتحها، و لا يجوز لهم إغلاقه و منع الناس دائما، قاله الشيخ أبو عبد الله الحطاب الرعيني المكي المالكي في شرح المختصر.

ثم قال: و الظاهر و إن لم أقف على نص أن حكم فتح المقام و أخذ الأجر عليه كذلك.

و قال الحطاب في باب النذر من شرح المختصر أيضا: و المحرم إنما هو نزع المفتاح منهم لا منعهم من انتهاك حرمة البيت و ما فيه قلة أدب فهذا واجب لا خلاف فيه، لا كما يعتقد الجهلة أنه ولاية لأحد عليهم و أنهم يفعلون في البيت ما شأؤوا فهذا لا يقوله أحد من المسلمين. انتهى من التراتيب الإدارية.

### المواضع التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم حول الكعبة

جاء في كتاب الجامع اللطيف لابن ظهيرة بعنوان: فصل في ذكر المواضع التي صلى فيها صلى الله عليه و سلم حول الكعبة و بيانها ملخصة كما نقله الفاسي عن القرى للمحب الطبري مع زيادة أدلة ما نصه:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٣٦

الأول: خلف مقام الخليل عليه السلام لما رواه جابر في صفة حجه صلى الله عليه و سلم من قوله: ثم نفر إلى مقام إبراهيم فقراً: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، و جعل المقام بينه و بين البيت ثم صلى الركعتين.

الثاني: تلقاء الحجر الأسود عند حاشية المطاف كما في النسائي من حديث المطلب بن أبي وداعة.

الثالث: قريبا من الركن الشامي مما يلي الحجر، بسكون الجيم كما في سنن أبي داود من حديث عبد الله بن السائب.

الرابع: عند باب الكعبة كما في تاريخ الأزرقى من حديث ابن عباس قال صلى الله عليه و سلم: أمني جبريل عند باب الكعبة مرتين. قال الفاسي و يحتمل ثلاثة وجوه:

(الأول): أن يكون صلى و جاء الباب.

(الثاني): أن يكون في الحفرة المرخمة التي عند باب الكعبة على يمينه.

(الثالث): أن يكون في الملتزم و هو بعيد، و الوجه الأول أقرب لأنه عند الباب حقيقة، و إنما نبهنا على ذلك لأن الشيخ عز الدين بن

عبد السلام و الشيخ أحمد بن موسى بن العجيل ذكر أن مصلى جبريل بالنبي صلى الله عليه و سلم فى الحفرة المرخمة، و لم أقف على كلام ابن عجيل. و أما كلام ابن عبد السلام فنقله ابن جماعة. انتهى. قال ابن جماعة بعد ذلك عن ابن عبد السلام: و لم أر ذلك لغيره و فيه بعد لأنه لو كان صحيحا لنبهوا عليه بالكتابة فى الحفرة، و لما اقتصروا على من أمر بعمل المطاف و الله أعلم. انتهى.

الخامس: تلقاء الركن الذى يلى الحجر من جهة المغرب جانحا إلى جهة الغرب قليلا بحيث يكون باب المسجد المعروف اليوم بباب العمرة خلف ظهره كما فى مسند أحمد و سنن أبى داود و غيرهما من حديث المطلب بن أبى وداعة أنه رأى النبى صلى الله عليه و سلم يصلى مما يلى باب بنى سهم، و الناس يمرون بين يديه، و باب بنى سهم هو باب العمرة المذكور.

السادس: فى وجه الكعبة كما فى الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم لما خرج من البيت صلى قبل البيت ركعتين، و قال: هذه القبلة كما تقدم. قال المحب الطبرى: وجه الكعبة يطلق على بابها و لهذا قيل للمحاذى له خلفها دبر الكعبة، و يطلق على جميع الجانب الذى فيه الباب و هو

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٣٧

المتعارف و الظاهر أن هذا الموضوع تلقاء المقام فى فناء الكعبة بحيث يكون المقام خلف ظهر المصلح فيه. ثم قال: و يحتمل على بعد أن يكون الموضوع الرابع يعنى المتقدم عند باب الكعبة، قال ابن جماعة: و قد ورد تفصيل وجه الكعبة على غيره من الجهات، فعن ابن عمر البيت كله قبلة و قبلته و جهة فإن فاتك ذلك فعليك بقبلة النبى صلى الله عليه و سلم تحت الميزاب و مثله عن عمرو بن العاص، و المراد بقبلة النبى صلى الله عليه و سلم قبلة بالمدينة الشريفة. انتهى.

السابع: بين الركنين اليمانيين ذكره ابن إسحاق فى سيرته فى قصة طويلة.

قال الفاسى: و لم يعينه المحب. و يحتمل أن يكون عليه السلام صلى إلى وسط الجدار كما نقله ابن سراقه و يكون عند الرخامة التى فى الشاذروان المكتوب فيها اسم الملك لاجين أنه عمل المطاف و يحتمل أن يكون مائلا عن الوسط إلى جهة الحجر الأسود أو إلى جهة الركن اليمانى.

الثامن: فى الحجر للحديث الصحيح بينما النبى صلى الله عليه و سلم يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عقبه بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنقه صلى الله عليه و سلم فخنفه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر و أخذ بمنكبه و دفعه عنه عليه السلام و قال: أ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ... الآية قال المحب الطبرى: و لا يبعد أن تكون صلاته صلى الله عليه و سلم تحت الميزاب، فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: صلوا فى مصلى الأخيار و اشربوا من شراب الأبرار، فقيل له: ما مصلى الأخيار و ما شراب الأبرار؟ فقال: تحت الميزاب و ماء زمزم، و هو صلى الله عليه و سلم سيد الأخيار، و لا يبعد أن تكون الإشارة إليه صلى الله عليه و سلم.

انتهى كل ذلك من كتاب الجامع اللطيف لابن ظهيرة رحمه الله تعالى.

نقول: و ما جاء فى الكتاب المذكور عند الأمر السابع من أن النبى صلى الله عليه و سلم صلى بين الركنين اليمانيين "أى بين الركن الأسود و الركن اليمانى" صلى هنا ليستقبل بيت المقدس قبل أن يؤمر باستقبال الكعبة فكان عليه الصلاة و السلام يصلى بين الركنين جاعلا الكعبة بينه و بين بيت المقدس، و لا يخفى أن هذا من كمال عقله و قوة فطنته صلى الله عليه و سلم، و يشبه هذا صلاتنا اليوم عند مقام إبراهيم مستقبلين نفس الكعبة و بيننا و بينها المقام.

قال ابن كثير فى تفسيره فى الجزء الأول ص ١٨٩ ما يأتى: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان بمكة يصلى بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة و هو مستقبل صخرة بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٣٨

تعذر الجمع بينهما فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس، فاستمر الأمر على ذلك بضعة عشر شهرا، و كان يكثر الدعاء و الابتهاج أن يوجه إلى الكعبة التى هى قبلة إبراهيم عليه السلام، فأجيب إلى ذلك و أمر بالتوجه إلى البيت العتيق، فخطب رسول الله صلى الله عليه

و سلم الناس فأعلمهم ذلك. انتهى ملخصاً منه.

### أول من أدار الصفوف حول الكعبة

الصلاة من أجل العبادات فيها التسبيح والتقديم والدعاء والتضرع، وإليها تسكن قلوب الأنبياء والمرسلين والصالحين المخلصين قال الله تعالى: **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**، وكان عليه الصلاة والسلام "إذا حَزَّ به أمر صلى" رواه الإمام أحمد وأبو داود، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرءة عيني في الصلاة"** رواه الإمام أحمد والنسائي وغيرهما.

فالصلاة قرءة كل مؤمن تقى وكل مخلص نقى، وهي عند الكعبة المشرفة أشد قرءة لهم وأعظم لذة لديهم، فلحظة الصلاة وانتظارها عند بيت الله الحرام لا يعادلها شيء مطلقاً، ولا يعرف ذلك إلا الخاشعين ذوى البصائر المنورة والقلوب المفتحة. لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيتها

و كان أول من أدار الصفوف حول الكعبة خالد بن عبد الله القسرى لما ولاه على مكة أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان المتوفى فى سنة ست وثمانين من الهجرة، وذكر ذلك الإمام الأزرقى فى تاريخه بالتفصيل وهذا نصه:

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى عن سفيان بن عيينة قال: أول من أدار الصفوف حول الكعبة خالد بن عبد الله القسرى حدثنى جدى قال: حدثنى عبد الرحمن بن حسن بن القاسم بن عقبه الأزرقى عن أبيه قال: كان الناس يقومون شهر رمضان فى أعلا المسجد الحرام تركز حربة خلف المقام بربوة فيصلى الإمام خلف الحربة والناس وراءه فمن أراد صلى مع الإمام ومن أراد طاف بالبيت وركع خلف المقام، فلما ولى خالد بن عبد الله القسرى مكة لعبد الملك بن مروان وحضر شهر رمضان أمر خالد القراء أن يتقدموا فيصلوا خلف المقام وأدار الصفوف حول الكعبة وذلك أن الناس ضاق عليهم أعلا المسجد فأدارهم حول الكعبة فقبل له:

نقطع الطواف لغير المكتوبة قال: فأنا أمرهم يطوفون بين كل ترويحتين سبعا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٣٩

فأمدهم فتصلوا بين كل ترويحتين بطوف سبع، فقبل له: فإنه يكون فى مؤخر الكعبة وجوانبها من لا يعلم بانقضاء طواف الطائف من مصل وغيره فتهيأ للصلاة فأمر عبيد الكعبة أن يكبروا حول الكعبة يقولون: الحمد لله والله أكبر فإذا بلغوا الركن الأسود فى الطواف السادس سكتوا بين التكبيرتين سكتة حتى يتهيأ الناس ممن فى الحجر ومن فى جوانب المسجد من مصل وغيره فيعرفون ذلك بانقطاع التكبير ويصلى ويخفف المصلى صلاته ثم يعودون إلى التكبير حتى يفرغوا من السبع ويقوم مسمع فينادى: الصلاة رحمكم الله، قال: وكان عطاء بن أبى رباح وعمرو بن دينار ونظراؤهم من العلماء ويرون ذلك ولا ينكرونه.

حدثنى جدى عن مسلم بن خالد الزنجى وسعيد بن سالم قالاً: حدثنا ابن جريج قال: قلت لعطاء: إذا قل الناس فى المسجد الحرام أحب إليك أن يصلوا خلف المقام أو يكونوا صفا واحداً حول الكعبة قال: بل يكونوا صفا واحداً حول الكعبة قال: وتلى: **وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ**. انتهى من الأزرقى.

وهنا جاء فى هامش هذه الصحيفة ما نصه: ذكر السنجارى فى بعض أولياته أن الحجاج أول من أطاف الناس حول الكعبة للصلاة وكانوا يصلون صفاً. ونقل عن الزركشى أن أول من فعله عبد الله بن الزبير، ويمكن الجمع بين الكلامين بأن ابن الزبير فعله أولاً ثم خالد بعد قتله. انتهى من هامش كتاب الأزرقى.

قال الشيخ حسين بن عبد الله باسلامة المكي رحمه الله تعالى فى كتابه "تاريخ عمارة المسجد الحرام" بصحيفة ٢٠ عند هذا الكلام ما نصه: هذا حاصل ما جاء فى كون خالد بن عبد الله القسرى هو أول من أمر الناس بالصلاة حول الكعبة المعظمة صفوفاً دائرة، ولم ينكر عليه أحد من فقهاء التابعين فى ذلك العصر المنير بأهل الفضل والعلم مثل عطاء بن أبى رباح، وعمرو بن دينار، ونظراؤهما.



و كان ذلك في الفريضة و التراويح جماعة بإمام واحد، و لم ينكر عليه إلا ما كان من أمر التشويش و عدم علم من كان طائفا أنه قد قامت الصلاة، فعمل ذلك الترتيب الذي يظهر عليه التكليف، و لكن كان ذلك مؤقتا لينما يألف الناس ذلك الوضع. و علم من ذلك أيضا أنهم كانوا قبل إمارة خالد القسرى يصلون في جهة واحدة من المسجد الحرام و هي الجهة الشرقية خلف مقام إبراهيم صلى الله عليه و سلم و أن الجهات الثلاثة الأخرى كانت خالية من المصلين في الفريضة جماعة، و ظهر من عمل خالد التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج 2-3، ص: 540

هذا فوائد حسنة و سنة مستحبة لكونه هو الذي سن هذه السنة و عم عموم المسجد الحرام بالمصلين جماعة واحدة بإمام واحد و قد ارتضى عمله كبار الفقهاء من التابعين و غيرهم من علماء السلف الصالح و لو كان في عمله هذا ما يخالف الشريعة لأنكره العلماء و إذا فرضنا أن الذي منعهم من الإنكار هو خشية بطشه، فقد كان في وسعهم إنكاره بعد عزله من إمارة مكة. و قد أتيت بهذه الفائدة هنا ليعلم القارئ أول من أدار الصفوف حول الكعبة المعظمة جماعة و السنة التي وضع ذلك فيها و الله أعلم. انتهى من تاريخ المسجد الحرام.

### مدة صلاة النبي صلى الله عليه و سلم إلى بيت المقدس

روى البخارى و مسلم في صحيحهما و اللفظ للبخارى "كان رسول الله صلى الله عليه و سلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله عز و جل: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَتُوجِهْ نَحْوَ الْكَعْبَةِ و قال السفهاء من الناس و هم اليهود: مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فصلى مع النبي صلى الله عليه و سلم رجل ثم خرج بعد ما صلى، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال هو: يشهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و أنه توجه نحو الكعبة فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة."

أخرجه البخارى في أربعة مواضع من صحيحه، و أخرجه مسلم في كتاب المساجد، و راوى الحديث هو البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه.

بيت المقدس هو بوزن المجلس، أى بفتح الميم و كسر الدال المهملة و هو مصدر كالمراجع أو مكان القدس و هو الظهر أى المكان الذى يظهر العابد من الذنوب أو يظهر العبادة من الأصنام.

و يقال أيضا بيت المقدس، بضم الميم و فتح القاف و تشديد الدال المفتوحة، و يقال البيت المقدس على الصفة و الأشهر بيت المقدس بالإضافة البيانية كمسجد الجامع.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج 2-3، ص: 541

و المراد بالصلاة إلى بيت المقدس نفس الصخرة كما هو صريح فى بعض الأحاديث، و قوله "فمر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر نحو بيت المقدس" أى يصلون نحو بيت المقدس.

و كان تحول النبي صلى الله عليه و سلم إلى الكعبة فى الصلاة بالمدينة المنورة، فى طبقات ابن سعد أنه عليه الصلاة و السلام صلى ركعتين من الظهر فى مسجده بالمسلمين ثم أمر أن يتوجه إلى المسجد الحرام فاستدار إليه و دار معه المسلمون.

و يقال أنه عليه الصلاة و السلام زار أم بشر بن البراء بن معرور فى بنى سلمة فصنعت له طعاما و حانت الظهر فصلى عليه الصلاة و السلام بأصحابه ركعتين ثم أمر فاستدار إلى الكعبة و استقبل الميزاب فسمى مسجد القبلتين. قال ابن سعد قال الواقدي: هذا أثبت عندنا.

و لقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقع فى روعه و يتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة لأنها قبله أبى إبراهيم عليه الصلاة و

السلام فكان يدعو إلى السماء طلبا للوحي فحقق الله تعالى مطلبه و مناه.

و فى حديث الطبرى من طريق ابن جريج قال: أول ما صلى إلى الكعبة ثم صرف إلى بيت المقدس و هو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر فصلى بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا ثم وجهه الله تعالى إلى الكعبة.

و كان صلى الله عليه و سلم إذا استقبل بيت المقدس فى صلاته بمكة يجعل الكعبة بينه و بينها، أى كان يصلى بين الركن الأسود و الركن اليماني، فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن قبلته صلى الله عليه و سلم بمكة كانت بيت المقدس لكنه لا يستدبر الكعبة بل يجعلها بينه و بينها. اهـ.

انتهى باختصار من شرح "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم" و الشرح و المتن كلاهما لشيخنا العلامة المحدث الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى رحمه الله تعالى و جزاه عنا خير الجزاء.

### أمر الكسوة الخارجية للكعبة المعظمة

#### إشارة

قلنا أن إبراهيم الخليل عليه و على نبينا محمد و على جميع الأنبياء و المرسلين الصلاة و السلام، لما بنى الكعبة مع ابنه إسماعيل، بناه بالرزم حجارة بعضها فوق

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٤٢

بعض بدون حص و لا-نورة و لم يجعل لها سقفا و لا بابا يفتح و يغلق بل جعل فى جهتها الشرقية مكانا مفتوحا علامة على الباب و على أنه وجه الكعبة و كذلك لم يجعل عليها كسوة. و السبب فى ذلك أولا لم يؤمر بذلك، ثانيا من أين يأتى بالقماش أو الجلد، أو الخسف الكثير فى ذلك الزمن الذى لم يكن بمكة كلها سوى قبيلة من جرهم. هذا ما نراه و الله تعالى أعلم. فالشئ فى ابتداء الأمر يقع على الفطرة ثم يأخذ فى التحسين تدريجيا شيئا فشيئا هذا هو سنه الكون، و القصد من تغطية الكعبة بالكسوة تكريمها و تجميلها.

و قد اختلفوا فى أول من كساها فقيل إسماعيل عليه الصلاة و السلام، و قيل عدنان بن أدد، و قيل تبع الحميرى و هذا القول الأخير هو الشائع و هو ما نذهب نحن إليه أيضا، لأن ما علناه لإبراهيم عليه السلام من عدم وضعه الكسوة على البيت نعلله أيضا لابنه إسماعيل عليهما الصلاة و السلام، و نعلله أيضا لعدنان بن أدد، فإن مكة فى تلك العصور الغابرة كانت قليلة السكان لا يرد إليها سوى قليل من المأكولات و اللوازم الضرورية من جهة اليمن، فمن أين لهم القماش أو الحصر الكثير الكافى لستر الكعبة، إذا فالقول القائل بأن تبع الحميرى هو أول من كسا البيت هو القول الأصح، و يؤيده ما ذكره الإمام الأزرقى فى تاريخه من الروايات الآتية. و الكلام قد يطول بنا عن كسوة الكعبة المشرفة، لذلك جعلنا هذا المبحث فى ستة أقسام:

### القسم الأول: كسوة الكعبة فى العصر الجاهلى

#### إشارة

(١) كسوة تبع الحميرى، و هو أول من كسا بيت الله الحرام على الأصح كما بينا ذلك هنا، لهذا جعلناه الأول فى الترتيب ممن كسوا الكعبة.

روى الأزرقى فى تاريخه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه نهى عن سب أسعد الحميرى و هو تبع و كان هو أول من كسا الكعبة.

و روى أيضا عن محمد بن إسحاق أنه قال: بلغني عن غير واحد من أهل العلم أن أول من كسا الكعبة كسوة كاملة تبع و هو أسعد أرى في النوم أنه يكسوها فكساها الأنطاع ثم أرى أن يكسوها فكساها الوصائل ثياب حبرة من عصب اليمن و جعل لها بابا يغلق و قال أسعد في ذلك:

و كسونا البيت الذي حرم الله ملاء معضدا و برودا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٤٣ و أقمنا به من الشهر عشا و جعلنا لبابه إقليدا

و خرجنا منه نؤم سهيلا قد رفعنا لواءنا معقودا

انتهى من الأزرقى. و الإقليم هو المفتاح، و الأنطاع هو الجلود.

و أما العصب فقد قال صاحب كتاب المحمل و الحج فبرود يمانية يعصب غزلها أى يجمع و يشد ثم يصبغ بعضه و ينسج من غير المصبوغ فيأتى موسى.

و أما الملاء فثياب حبرة من عصب، و الوصائل ثياب موصله من صنع همدان باليمن، و قيل أنها ثياب حمر مخططة يمانية. انتهى من الكتاب المذكور.

قالوا: و كساها تبع بالخصف أيضا و هو حصير من خوص النخل، و فى مسالك الأمصار أنها ثياب غلاظ. اه.

و تبع و هو أسعد الحميرى هو أحد ملوك اليمن قبل البعثه بزمن بعيد، فهو أول من كسا الكعبة و نحر عندها و أول من جعل لها بابا يغلق. قال ابن ظهيره القرشى فى الجامع اللطيف نقلا عن القطبى فى الإعلام: أنه من يوم موت تبع الحميرى إلى اليوم الذى بعث فيه نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ألف سنة لا تزيد و لا تنقص. و الله تعالى أعلم.

### ترجمة تبع و هو أسعد الحميرى

تبع هذا هو أحد ملوك اليمن قبل البعثه بزمن بعيد أى بألف سنة كما سيأتى فى آخر هذا الكلام، و حمير بكسر الحاء و إسكان الميم و فتح الياء قبيلة شهيرة كائنه فى اليمن ورد فى حقهم حديث رواه أبو هريره رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "رحم الله حميرا أفواههم سلام و أيديهم طعام و هم أهل أمن فإيمان" رواه الإمام أحمد و الترمذى، و سببه أن رجلا قال: يا رسول الله إلعن حميرا فأعرض عنه ثم ذكره. جاء فى الجامع اللطيف نقلا عن القطبى فى الإعلام ما نصه:

أما قصه تبع فذكر "القطبى فى الإعلام" أنه كان من الخمسة الذين دانت لهم الدنيا بأسرها، و كان كثير الوزراء فاختر منهم واحدا و أخرجه لينظر فى ملكه، و كان إذا أتى بلدة يختار من حكماؤها عشرة رجال، و كان معه من العلماء و الحكماء مائة ألف رجل هم الذين اختارهم من البلدان و لم يكونوا محسوبين من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٤٤

الجيش، ثم إنه قصد مكة فلما انتهى إليها لم يخضع له أهلها كخضوع غيرهم و لم يعظموه فغضب لذلك و دعا وزيره و شكى إليه فعلهم، فقال: إنهم عرب لا يعرفون شيئا و لهم بيت يقال له الكعبة و هم معجبون به، فنزل الملك بعسكره بطحاء مكة و عزم على هدم البيت و قتل الرجال و نهب النساء و سبيهم، فأخذ الصداع و تفجر من عينيه و أذنيه و منخره و فمه ماء متتن فلم يصبر عنده أحد طرفه عين من شدة التن فقال لوزيره: اجمع العلماء و الحكماء و الأطباء فلم يقدروا على الجلوس عنده، و عجزوا عن مداواته و قالوا: نحن نقدر على مداواة ما يعرض من أمور الأرض، و هذا من السماء لا نستطيع له ردا، ثم اشتد أمره و تفرق الناس عنه فلما أقبل الليل جاء أحد العلماء لوزيره فقال: إن بينى و بينك سرا فإن كان الملك يصدقنى فى حديثه عالجتة، فاستبشر الوزير بذلك و جمع بينه و بين الملك فلما خلا قال له العالم: أيها الملك أنت نويت لهذا البيت سوءا قال: نعم، فقال له العالم:

أيها الملك نيتك أحدثت لك هذا الداء، و رب هذا البيت عالم بالأسرار فبادر و ارجع عما نويت، فقال الملك: قد أخرجت ذلك من قلبي و نويت لهذا البيت و أهله كل خير فلم يخرج العالم من عنده إلا و قد عافاه الله تعالى من علته فأمن بالله من ساعته و خلع على الكعبة سبعة أثواب و هو أول من كسا الكعبة كما سأذكره بعد إن شاء الله تعالى ثم خرج إلى يثرب و ليس بها يومئذ بيت و إنما فيها عين ماء فنزل عند العين ثم إن العلماء و الحكماء أخرجوا من بينهم أربعمائه و هم أعلمهم و تبايعوا أن لا يخرجوا من يثرب و إن قتلهم الملك فلما علم الملك بذلك سألهم عن الحكمة التي اقتضت إقامتهم في هذه البلدة؟ فقالوا: أيها الملك إن ذلك البيت و هذه البقعة يشرفان برجل يبعث في آخر الزمان اسمه محمد و وصفوه ثم قالوا: طوبى لمن أدركه و آمن به، و نحب أن ندركه أو يدركه أولادنا فلما سمع الملك بذلك هم بالمقام معهم فلم يقدر على ذلك فأمر بعمارة أربعمائه دار على عدد العلماء و أعطى كل واحد منهم جارية و أعتقها و وزجه بها و أعطاهم مالا جزيلا (ثم كتب) كتابا و ختمه بخاتم من ذهب و دفعه إلى عالمهم الكبير الذي أبرأه من علته و أمره أن يدفعه إلى محمد صلى الله عليه و سلم إن أدركه، و أن يوصي بذلك أولاده ثم أولادهم (و كان الكتاب) أما بعد: فإنني آمنت بك و بكتابك الذي ينزل عليك، و أنا على دينك و سنتك و آمنت بربك و بكل ما جاء من ربك من شرائع الإيمان و الإسلام فإن أدركتك فيها و نعمت، و إلا- فاشفع لي و لا- تنسني يوم القيامة فإنني من أمتك الأولين و قد بايعتك قبل مجيئك و أنا على ملتك و مله إبراهيم أبيك عليه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج 2-3، ص: 545

السلام (ثم نقش عليه): لله الأمر من قبل و من بعد و كتب عنوانه: إلى محمد بن عبد المطلب نبي الله و رسوله و خاتم النبيين و رسول رب العالمين صلى الله عليه و سلم من تبع الأول حمير بن وردع ثم سار من يثرب إلى بلاد الهند فمات بها و كان من يوم موته إلى اليوم الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه و سلم ألف سنة لا تزيد و لا تنقص. قال ابن ظهيرة:

و كان الأنصار من أولاد أولئك العلماء و الحكماء (فلما ظهر خبره) صلى الله عليه و سلم بمكة أرسلوا إليه كتاب تبع مع رجل منهم يقال له أبو ليلي إلى مكة فوجد النبي صلى الله عليه و سلم في قبيلة بنى سليم، فعرفه رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال له: أنت أبو ليلي، فقال: نعم، قال: معك كتاب تبع الأول، قال: نعم، و بقي أبو ليلي متفكرا ثم دفع الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فدفعه رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى علي بن أبي طالب فقراه عليه فلما سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم كلام تبع قال: مرحبا بالأخ الصالح ثلاث مرات ثم أمر أبا ليلي بالرجوع إلى المدينة يبشرهم بقدمه عليه السلام.

قال ابن ظهيرة: فلما هاجر النبي صلى الله عليه و سلم إلى المدينة سأله أهل القبائل أن ينزل عليهم و صاروا يتعلقون بزمام ناقته و هو يقول: خلوها فإنها مأمورة حتى جاءت إلى دار أبي أيوب الأنصاري و كان من أولاد العالم الذي شفى تبع برأيه. انتهى كل هذا من الجامع اللطيف. فقوله: أن تبع الحميري أحد الخمسة الذين دانت لهم الدنيا بأسرها، هذا على رأى من يقول: أن من ملك الدنيا كلها خمسة، و قيل هم أربعة: مؤمنان: ذو القرنين و سليمان، و كافران: نمروذ و بختنصر. و ذو القرنين هو الإسكندر الرومي.

و ذكر الإمام الأزرقي في تاريخه قصة تبع الحميري في موضعين "الموضع الأول" في باب ما جاء في ولاية قصي بن كلاب البيت الحرام و أمر مكة بعد خزاعة، قال في هذا الباب ما نصه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدى قال: حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن ابن جريج و عن ابن إسحاق يزيد أحدهما على صاحبه قال: أقامت خزاعة على ما كانت عليه من ولاية البيت و الحكم بمكة ثلاثمائة سنة و كان بعض التبايعه قد سار إليه و أراد هدمه و تخريبه فقامت دونه خزاعة فقاتلت عليه أشد القتال حتى رجع ثم آخر فكذلك. و أما تبع الثالث الذي نحر له و كساه و جعل له غلقا و أقام عنده أياما ينحر كل يوم مائة بدنة لا يرزأ هو و لا أحد من أهل عسكره شيئا منها يردها الناس في الفجاج و الشعاب فيأخذون منها حاجتهم ثم تقع عليها الطير فتأكل ثم تتنابها السباع إذا أمست لا يرد عنها

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج 2-3، ص: 546

إنسان و لا- طير و لا- سبع ثم رجع إلى اليمن إنما كان في عهد قريش فلبث خزاعة على ما هي عليه و قريش إذ ذاك في بنى كنانة متفرقة ... الخ.

انتهى ما ذكره الأزرقى عن تبع في هذا الباب.

"و أما الموضع الثانى "فهو فى باب مسير تبع إلى مكة شرفها الله تعالى فقد قال فيه ما نصه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى ابن إسحاق قال: سار تبع الأول إلى الكعبة و أراد هدمها و تخريبها و خزاعة يومئذ تلى البيت و أمر مكة فقامت خزاعة دونه و قاتلت عنه أشد القتال حتى رجع ثم تبع آخر فكذلك، و أما التبايعه الذين أرادوا هدم الكعبة و تخريبها فثلاثة و قد كان قبل ذلك منهم من يسير فى البلاد فإذا دخل مكة عظم الحرم و البيت، و أما التبع الثالث الذى أراد هدم البيت فإنما كان فى أول زمان قريش قال: و كان سبب خروجه و مسيره إليه أن قوما من هذيل من بنى لحيان جاؤوه فقالوا: إن بمكة بيتا تعظمه العرب جميعا و تفد إليه و تنحر عنده و تحجه و تعتمره و أن قريشا تليه فقد حازت شرفه و ذكره و أنت أولى أن يكون ذلك البيت و شرفه و ذكره لك فلو سرت إليه و خربت و بنيت عندك بيتا ثم صرفت حاج العرب إليه كنت أحق به منهم قال: فأجمع المسير إليه.

قال الأزرقى: حدثنى جدى قال: حدثنا سفيان بن عيينه عن موسى بن عيسى المدينى قال: لما كان تبع بالدف من جمدان بين أمج و عسفان دفت بهم دوابهم و أظلمت الأرض عليهم فدعا أحبارا معه من أهل الكتاب فسألهم فقالوا:

هل هممت لهذا البيت بشيء قال: أردت أن أهدمه، قالوا له: خيرا أن تكسوه و تنحر عنده فأنجلت عنهم الظلمة و إنما سمي الدف من أجل ذلك. ثم رجع إلى حديث ابن إسحاق قال: فسار حتى إذا كان بالدف من جمدان بين أمج و عسفان دفت بهم الأرض و غشيتهم ظلمة شديدة و ريح فدعا أحبارا كانوا معه من أهل الكتاب فسألهم فقالوا: هل هممت لهذا البيت بسوء؟ فأخبرهم بما قال له الهذليون و بما أراد أن يفعل فقالت الأحبار: و الله ما أرادوا إلا هلاكك و هلاك قومك إن هذا بيت الله الحرام و لم يرد أحد قط بسوء إلا هلك قال: فما الحيلة؟

قالوا: تنوى له خيرا أن تعظمه و تكسوه و تنحر عنده و تحسن إلى أهله ففعل فأنجلت الظلمة و سكنت الريح و انطلقت بهم ركابهم و دوابهم، فأمر تبع بالهذليين فضربت أعناقهم و صلبهم و إنما فعلوا ذلك حسدا لقريش على ولايتهم البيت ثم التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٤٧

سار تبع حتى قدم مكة فكانت سلاحه بقعيقعان فيقال فبذلك سمي قعيقعان و كانت خيله بأجباد و يقال إنما سميت أجباد أجبادا بجباد خيل تبع، و كانت مطابخه فى الشعب الذى يقال له شعب عبد الله بن عامر بن كريز فلدلك سمي الشعب المطابخ، فأقام بمكة أياما ينحر فى كل يوم مائة بدنة لا يرزأ هو و لا أحد ممن فى عسكره منها شيئا يرداها الناس فيأخذون منها حاجتهم ثم تقع الطير فتأكل ثم تتناهب السباع إذا أمست لا يصد عنها شيء من الأشياء إنسان و لا طائر و لا سبع يفعل ذلك كل يوم مقامه أجمع، ثم كسا البيت كسوة كاملة أرى فى المنام أن يكسوها فكساها الأنطاع، ثم أرى أن يكسوها فكساها الوصايل ثياب حبرة من عصب اليمن، و جعل لها بابا يغلق و لم يكن يغلق قبل ذلك، و قال تبع فى ذلك و فى مسيره شعرا:

و كسونا البيت الذى حرم الله ملاء معصبا و برودا

و أقمنا به من الشهر عشرا و جعلنا لبابه إقليدا

و خرجنا منه نؤم سهيلا قد رفعنا لواءنا معقودا

و مما تقدم من قوله "بين أمج و عسفان" فقد جاء فى هامش تاريخ الأزرقى ما نصه: أمج ذكر السهمودى نقلا عن الأسدى أن أمج بعد خليص بجهة مكة بميلين، قال: و بعده بميل وادى الأزرق و يعرف بعيران، و أمج لخزاعة. اه.

قلنا: و خليص قرية فى وادى فاطمة أما عسفان فهى المرحلة الثانية للقوافل الصادرة من مكة إلى المدينة، و تبعد عن مكة ستة و

ثلاثون ميلا. اه.

انتهى كل ذلك من تاريخ الأزرقى المسمى "أخبار مكة و ما جاء فيها من الآثار."

و ما تقدم من أن سلاح تبع كانت بقيقعان فلذلك سمي بقيقعان و أن خيله كانت بأجباد فلذلك سمي أجبادا. فقد جاءت علة أخرى لتسميتها بذلك أيضا ففى موضع آخر من تاريخ الأزرقى أن عمرو بن الحارث بن مضاض الجهمى الذى بلغ من العمر عتيا يذكر لأبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى حين اجتمع به قبيل الإسلام أنه سمي أجباد أجبادا قال: لأنها جادت بالدماء يوم التقينا نحن و قطورا. و سمي قعيقعان قعيقعان لتقعقع السلاح فى ظهورنا لما طلعا عليهم منه.

و عمرو بن الحارث المذكور هو القائل:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس و لم يسمر بمكة سامر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٤٨ بلى نحن كنا أهلها فأزالنا صروف العوادي و الجدود العواثر

فانظر رحمك الله كيف وضع الله تعالى هيبه بيته الحرام و محبته و تعظيمه فى قلوب عباده منذ أقامه فى الأرض للعبادة، و لو لم يكن كذلك لما حج إليه الناس من كل فج عميق، فسبحان من بيده مقاليد السموات و الأرض فهو رب هذا البيت و رب كل شىء.

(٢) لم يذكر المؤرخون من كسا الكعبة بعد تبع الحميرى الذى هو أول من سن هذه السنة الحسنه، و الذى نعتقه أن الناس بعد أن رأوا كسوة تبع على الكعبة لم يتركوها مجردة قط، و هذا هو المعقول.

روى الأزرقى عن ابن أبى مليكة أنه قال: بلغنى أن الكعبة كانت تكسى فى الجاهلية كسى شتى: كانت البدنه تجلل الحبرة و البرود و الأكسية و غير ذلك من عصب اليمن و كان هذا يهدى للكعبة سوى جلال. البدن هدايا من كسى شتى خز و حبرة و أنماط فيعلق فتكسى منه الكعبة و يجعل ما بقى فى خزائه الكعبة فإذا بلى منها شىء أخلف عليها مكانه ثوب آخر و لا ينزع مما عليها شىء و كان يهدى إليها خلوق و مجمر و كانت تطيب بذلك من بطنها و من خارجها. اه.

و روى أيضا عن النوار بنت مالك بن صرمة أم زيد ابن ثابت قالت: رأيت على الكعبة قبل أن ألد زيد بن ثابت و أنا به نسيء مطارف خز خضراء و صفراء و كرارا و أكسية من أكسية الأعراب و شقاق شعر. و الكرار الحيش الرقيق. واحدها كر. اه.

و روى أيضا عن عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم السلمى قال: نذرت أمى بدنه تنحرفا عند البيت و جللتها شقتين من شعر و وبر فنحرت البدنه و سترت الكعبة بالشقتين و النبى صلى الله عليه و سلم يومئذ بمكة لم يهاجر فأنظر إلى البيت يومئذ و عليه كسى شتى من وسائل و أنطاع و كرار و خز و نمارق عراقية أى ميسانية كل هذا قد رأيت عليه. انتهى من الأزرقى.

(٣ و ٤) كسوة قريش و كسوة أبى ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم و كان اسمه فى الجاهلية (بجيرا) فسماه رسول الله صلى الله عليه و سلم عبد الله. كما ذكره صاحب كتاب المحمل و الحج نقلا عن الأغانى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٤٩

روى الأزرقى قال: حدثنى جدى قال: حدثنا عبد الجبار ابن الورد قال:

سمعت ابن أبى مليكة يقول: كانت قريش فى الجاهلية ترافد فى كسوة الكعبة فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها من عهد قصى بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم و كان يختلف إلى اليمن يتجر بها فأثرى فى المال فقال لقريش: أنا أكسو و حدى الكعبة سنه و جميع قريش سنه فكان يفعل ذلك حتى مات يأتى بالحبرة الجيدة من الجند فيكسوها الكعبة فسمته قريش "العدل" لأنه عدل فعله بفعل قريش كلها فسموه إلى اليوم العدل و يقال لولده بنو العدل. اه من الأزرقى، و الجند بفتحيتين بلد بأرض السكاسك باليمن.

(٥) كسوة خالد بن جعفر بن كلاب، فقد ذكر الحافظ ابن حجر فى فتح البارى روى الفاكهى فى كتاب مكة من طريق مسعر عن جده

قال: أصاب خالد بن جعفر بن كلاب لطيمة في الجاهلية فيها نمط من ديباج فأرسل به إلى الكعبة فنيط عليها، قال الحافظ: فعلى هذا هو أول من كسى الكعبة الديباج ثم قال:

و روى الدارقطني في المؤتلف أن أول من كسى الكعبة الديباج نائلة بنت حبان والدة العباس بن عبد المطلب كانت أضلت العباس صغيرا فنذرت إن وجدته أن تكسو الكعبة الديباج و ذكر الزبير بن بكار أنها أضلت ابنها ضرار ابن عبد المطلب شقيق العباس فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت فرده عليها رجل من جذام فكست الكعبة ثيابا بيضاء.

قال الحافظ: وهذا محمول على تعدد القصة. انتهى من تاريخ الكعبة. و معنى اللطيمة العير التي تحمل الطيب و بز التجار و ربما قيل لسوق العطارين لطيمة. اه من مختار الصحاح.

(٦) كسوة نائلة بنت حبان والدة العباس بن عبد المطلب، و هي التي ذكرنا قصتها في رقم (٥) قال ابن ظهيرة في كتابه الجامع اللطيف: و هي أول عربية كستها الحرير.

### القسم الثاني: كسوة الكعبة في الإسلام

(٧) كسوة النبي صلى الله عليه و سلم: فقد كساها الثياب اليمانية و قد كانت كسوتها على عهده الأنطاع و المسوح.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٥٠

(٨) كسوة أبي بكر رضى الله عنه: كساها القباطى و هي جمع قبطية ثوب رقيق أبيض من ثياب مصر كأنه منسوب إلى القبط و الضم خاص بالثياب و الكسر خاص بالناس، و تسميتها بالقباطى ليس لاحتكار أقباط مصر لهذا النوع من النسيج و لكنه اصطلاح اتفق عليه. كما ذكر في كتاب المحمل و الحج.

(٩) كسوة عمر بن الخطاب رضى الله عنه: كساها القباطى أيضا من بيت المال من مصر و كان يكتب إلى مصر لتحاك له فيها، قال ابن ظهيرة في الجامع اللطيف: كان عمر بن الخطاب ينزع ثياب الكعبة كل سنة فيقسمها على الحجاج.

(١٠) كسوة عثمان رضى الله عنه: كساها القباطى أيضا و كان يطلبها من مصر كعمر بن الخطاب، رضى الله عن الجميع. قال صاحب كتاب المحمل و الحج: و قد كساها عثمان سنة برودا يمانية أمر عامله على اليمن بعملها و هو يعلى بن منبه. قال: و وضع عثمان على الكعبة كسوتين إحداهما فوق الأخرى و هو أول من فعل ذلك في الإسلام. اه.

أما على بن أبى طالب رضى الله عنه، فقد قال صاحب كتاب المحمل و الحج: إن التاريخ لم يذكر عنه شيئا و لعل حروبه في تمهيد أمر الدولة قد شغلته عن ذلك. اه. و نحن نقول و لهذا السبب نفسه لم يحج رضى الله عنه بالناس بعد الخلافة أيضا.

(١١) كسوة عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، ففي تاريخ الأزرقى: كان ابن عمر يجلل بدنه بالأنماط فإذا نحرها بعث بالأنماط إلى الحجبة فيجعلونها على الكعبة قبل أن تكسى الكعبة. اه.

و قال ابن ظهيرة في كتابه الجامع اللطيف: و كساها عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضى الله عنهما ما كان يجلل به بدنه من القباطى و الحبرات و الأنماط.

انتهى. الحبرات بكسر الحاء و فتح الباء جمع حبرة كعنبه برد يمان. قال فى المصباح: و الأنماط جمع نمط بفتحيتين و هو ثوب من صوف يطرح على اليهودج.

قاله فى المنجد و له معان أخر.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٥١

### القسم الثالث: كسوة الكعبة في عصر بنى أمية

(١٢) كسوة معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه: فقد كساها كسوتين فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء، و تكسى القباطى فى أواخر شهر رمضان لعيد الفطر.

قال صاحب كتاب المحمل و الحج: و كانت الكعبة تلبس الديباج الأحمر يوم التروية و لا يخاط، و يترك الإزار عليها حتى يذهب الحاج لثلا يخرقونه، فإذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الإزار و أوصلوه بالقميص الديباج فلا يزال عليها إلى يوم ٢٧ رمضان فتكسى الكسوة الثانية و هى من القباطى. اه.

(١٣) كسوة عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما: فإنه لما فرغ من بناء الكعبة المشرفة سنة أربع و ستين خلّقها من داخلها و خارجها من أعلاها إلى أسفلها و كساها القباطى و قيل الديباج الخسروانى فكان يبعث بالكسوة إلى مصعب بن الزبير كل سنة فكانت تكسى يوم عاشوراء كما ذكره الأزرقى، لكن عبارة صاحب كتاب المحمل و الحج فقد كان يبعث إلى أخيه مصعب ليرسل إليه الكسوة كل سنة. و فرق بين العبارتين كما لا يخفى.

و يدل على ذلك ما جاء فى كتاب الدرّة الثمينه فى تاريخ المدينة لابن النجار، المطبوع بآخر الجزء الثانى من كتاب "شفاء الغرام" عند الكلام على ذكر الستارة التى كانت على صحن مسجد المدينة ما نصه:

أنبأنا ذاكر بن كامل عن الحسن بن أحمد بن محمد الحداد عن أبي نعيم الحافظ عن أبي جعفر الخلدى، قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحمن المخزومى قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنى محمد بن الحسن بن زباله قال: حدثنى حسين بن مصعب قال: أدركت كسوة الكعبة يؤتى بها المدينة قبل أن تصل إلى مكة فتنتشر على الرضراض فى المسجد ثم يخرج بها إلى مكة، و ذلك سنة إحدى و ثلاثين أو اثنتين و ثلاثين و مائة. انتهى من الكتاب المذكور.

قال فى مختار الصحاح: الرضراض "بفتح الراء" ما دق من الحصى، و رضاض الشىء، بضم الراء، فتاته، و كل شىء كسرتة فقد ررضته.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٥٢

(١٤) كسوة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان: كساها الديباج الخسروانى أيضا و يزيد هو الذى أخدم أيضا العبيد للكعبة كما أخدمهم لها قبله أبوه معاوية رضى الله تعالى عنه.

(١٥) كسوة الحجاج بن يوسف الثقفى: كساها الديباج الخسروانى أيضا، قال صاحب كتاب المحمل و الحج: و لعله فعل ذلك تكفيرا عما أتاه من رميها بالمنجنق فى قتاله ابن الزبير.

(١٦) كسوة عبد الملك بن مروان، كساها الديباج. قال الأزرقى: فكان يبعث به كل سنة من الشام، فيمر به على المدينة فينشر يوما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم على الأساطين هاهنا و هاهنا ثم يطوى و يبعث به إلى مكة و كان يبعث بالطيب إليها و بالمجمر و إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم.

(١٧) كسوة هشام بن عبد الملك، قال صاحب كتاب المحمل و الحج: كساها هشام ديباجا غليظا و أغلب كسوة من كان قبله من متاع اليمن. قال: و قال الماوردى: و كساها بنو أمية فى بعض أيامهم الحلل التى كانت على أهل "نجران" فى جزيتهم و الديباج من فوقها. اه.

### القسم الرابع: كسوة الكعبة فى عصر العباسيين

(١٨) كسوة أمير المؤمنين محمد المهدي: قال مؤلف كتاب المحمل و الحج فيه ما نصه:

و فى سنة (١٥٩) أمر المهدي بصنع كسوة من القباطى للكعبة شاهداها الفاكهى و قال عنها "و رأيت كسوة من قباطى مصر مكتوبا



عليها بسم الله بركة من الله، مما أمر به عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أصلحه الله محمد بن سليمان أن يصنع في طراز تنيس كسوة الكعبة على يد الخطاب بن مسلمة عاملة سنة تسعة وخمسين ومائة "مقريزي ص ١٨١ و رأى الفاكهي أيضا كسوة أخرى باسم المهدي مصنوعة سنة (١٦٢) قال: وفي سنة (١٦٠) نزع "المهدي" الكسوة التي كانت على الكعبة و كساها كسوة جديدة و ذلك لأن حجة الكعبة أنهوا إليه أنهم يخافون على الكعبة أن تهدم لكثرة ما عليها من الكسوة فأمر أن يكشف عنها ما عليها من الكسوة حتى بقيت مجردة ثم طلى البيت كله بالخلوق بالغالية و المسك و العنبر ... الخ. اه.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٥٣

(١٩) كسوة هارون الرشيد، قال صاحب كتاب المحمل و الحج فيه ما نصه:

و قال الفاكهي: و رأيت أيضا كسوة لهارون الرشيد من قباطى مصر مكتوب عليها "بسم الله بركة من الله للخليفة الرشيد عبد الله هارون أمير المؤمنين أكرمه الله مما أمر به الفضل بن الربيع أن يعمل في طراز تونه سنة تسعين و مائة" انتهى من الكتاب المذكور. و هو نقلا عن المقريزي ص ١٨١ و رأى الفاكهي أيضا كسوة أخرى مصنوعة باسم هارون الرشيد سنة (١٩١).

(٢٠) كسوة الفضل بن سهل ذى الرياستين و طاهر بن الحسين: قال صاحب كتاب المحمل و الحج فيه ما نصه "و قال الفاكهي أيضا و رأيت كسوة مما يلي الركن الغربى يعنى من الكعبة مكتوبا عليها "مما أمر به السرى ابن الحكم و عبد العزيز بن الوزير الجروى بأمر الفضل بن سهل ذى الرياستين و طاهر بن الحسين سنة سبع و تسعين و مائة" انتهى من الكتاب المذكور و هو نقلا عن المقريزي ص ١٨١.

(٢١) كسوة المأمون بن هارون الرشيد، قال صاحب كتاب المحمل و الحج فيه ما نصه: ثم إن المأمون بن هارون الرشيد أمر أن تكسى الكعبة ثلاث مرات "أى فى السنة" تكسى الديقاج الأحمر يوم التروية، و القباطى أول رجب، و الديقاج الأبيض فى ٢٧ رمضان. ابتدأ المأمون سنة (٢٠٦) حين قالوا له: الديقاج الأحمر يتخرق قبل الكسوة الثانية فسأل مبارك الطبرى مولاه و هو على بريد مكة و صوافيها عن أحسن ما تكون فيه الكعبة فقال له فى الديقاج الأبيض ففعله قال:

و فى مرآة الحرمين أمر أن لا يسدل عليها إلا كسوة واحدة، ثم قال: و قال الفاكهي "و رأيت شقة من قباطى مصر فى وسطها إلا أنهم كتبوا فى أركان البيت بخط دقيق أسود مما أمر به أمير المؤمنين المأمون سنة ست و مائتين. "اه من كتاب المحمل و الحج و هو نقلا عن المقريزي ص ١٨١.

ثم قال أيضا "ثم رفع إلى المأمون أيضا أن إزار الديقاج الأبيض يتخرق و يبلى فى أيام الحج من مس الحجاج قبل أن يخاط عليها إزار الديقاج الأحمر فى عاشوراء فزادها إزارا من ديباج أبيض، تكساه يوم التروية فيستر به ما تخرق من الإزار الذى كسيته إلى أن يخاط عليها إزار الديقاج الأحمر فى العاشوراء. "انتهى كل ذلك من المحمل و الحج. و هذا الكلام و أكثر منه موجود فى تاريخ الأزرقى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٥٤

(٢٢) كسوة أبى السرايا الأصفر، قال فى كتاب المحمل و الحج فيه ما نصه:

و فى سنة (٢٠٠) مائتين قدم مكة حسين بن حسن الأقطس الطالبى و ملكها و دخل الكعبة و جردها من جميع الكسى، و أخذ جميع ما كان عليها و كساها ثوبين رقيقين من قر أحدهما أصفر و الآخر أبيض، كان أبو السرايا بعث بهما إليها مكتوب عليهما "بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على محمد و على أهل بيته الطيبين الطاهرين الأخيار، أمر أبو السرايا الأصفر بن الأصفر داعية آل محمد بعمل هذه الكسوة لبيت الله الحرام، و أن تطرح عنها كسوة الظلمة من لدى العباس "ثم أخذ أموالا كثيرة من أهل مكة و صادرهم أبادهم. انتهى من الكتاب المذكور.

(٢٣) كسوة أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله، قال صاحب كتاب المحمل و الحج فيه ما نصه:

ثم رفع إلى جعفر المتوكل على الله في سنة (٢٤٠) أن إزار الديدياج الأحمر يبلى قبل هلال رجب من مس الناس و تمسحهم بالكعبة فزادها إزارين مع الإزار الأول فأذال قميصها الديدياج الأحمر و أسبله حتى بلغ الأرض ثم جعل الإزار فوقه في كل من شهرين إزارا. اه. قال الأزرقى: معنى أذال "بالذال المعجمة": "أسبل. قال صاحب المحمل: ثم نظر الحجة فإذا الإزار الثاني لا يحتاج إليه فوضع في تابوت الكعبة و كتبوا إلى المتوكل أنه يكفى إزار واحد مع ما أذيل من قميصها، فصار يبعث بإزار واحد فتكسى به بعد ثلاثة أشهر و يكون الذيل ثلاثة أشهر. ثم في سنة (٢٤٣) أمر المتوكل بإذالة القميص القباطى حتى بلغ الشاذروان الذى تحت الكعبة. قال الماوردى: ثم كسى المتوكل أساطينه الديدياج و قد عدت الكساوى التى كسيت بها الكعبة من سنة (٢٠٠) إلى سنة (٢٤٤) فإذا هى مائة و سبعون ثوبا. راجع تاريخ مكة. ثم عاد الخلفاء العباسيون ببغداد إلى شعارهم الأسود فألبسوا الكعبة الديدياج الأسود. انتهى كل ذلك من كتاب المحمل و الحج.

و فى سواد كسوة الكعبة المعظمة يقول المهلهل الديماطى:

يروق لى منظر البيت العتيق إذابدا الطرفى فى الإصباح و الطفل

كأن حلته السوداء قد نسجت من حبة القلب أو من أسود المقل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٥٥

(٢٤) قال صاحب المحمل و الحج نقلا عن صبح الأعشى فى الجزء الرابع ص ٢٨١ ما نصه: و قد حكى المؤيد صاحب حماة فى تاريخه أن الفاطميين خلفاء مصر فى إمارة أبى الحسن جعفر من السليمانيين على مكة فى سنة (٣٨١) كسوا الكعبة البيضاء. اه.

(٢٥) قال صاحب كتاب المحمل و الحج نقلا عن المقرئى ص ١٨١ ما نصه:

"و قال المسبحى فى حوادث سنة (٣٨٤): و فى ذى القعدة ورد يحيى بن اليمان من (تنيس) و (ديماط) و (الفرما) بهديته و هى أسفاط و تخوت و صناديق مال و خيل و بغال و حمير و ثلاث مظال و كسوتان للكعبة." اه.

(٢٦) قال صاحب كتاب المحمل و الحج فيه ما نصه: و فى سنة (٣٩٧) كسى الحاكم بأمر الله الكعبة القباطى البيض و بعث مالا لأهل الحرمين. اه.

(٢٧) و قال فى الكتاب المذكور: و فى سنة (٤٢٣) بعث الظاهر لإعزاز دين الله بكسوة الكعبة فكسيت. اه.

(٢٨) و قال أيضا فى الكتاب المذكور: و فى الفترة التى بين سنى ٤٣٧-٤٤٤ للهجرة عين الكسوة التى على الكعبة "ناصرى خسرو" و كتب عنها فى رحلته فى سوريا و فلسطين و بلاد العرب التى كتبها باللغة الفارسية و ترجمت إلى الفرنسية ما ترجمته ملخصا: "كانت الكعبة مضاءة بأربع شبابيك موضوعة فى الزوايا الأربع و مغشاة بزجاج شفاف ليمنع المطر فى تخلله إلى الكعبة، الظاهر من تخلله إلى الشبابيك." و الميزاب موجود فى منتصف الجنب البحرى و طوله ثلاثة أذرع مغشى بكتابات ذهبية.

أما الكسوة فكانت بيضاء مجزعة عليها شريطان بعرض ذراع و ارتفاع الكسوة بين الشريطين نحو عشرة أذرع، و الأجزاء الموجودة فوق و تحت هذه الأشرطة كان لها نفس المقاس و بهذا الوضع كانت تظهر الكعبة كأنها مقسمة إلى أقسام ثلاثة، كل قسم حسب تقديرى الشخصى عشرة أذرع تقريبا، و على وجوه الكسوة الأربع كانت ترى محاريب منسوجة بالحرير الملون و عليها رسومات بالخيوط الذهبية، و على كل وجهه ثلاث محاريب مزر كمشة، و المحراب الأوسط هو الأكبر، أما الاثنان الآخران المكتنفان له فمقاسهما أقل، و عليه فقد كان عدد المحاريب المرسومة على الأجناب الأربعة اثنى عشر محرابا. اه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٥٦

انتهى من كتاب المحمل و الحج، ثم قال مؤلفه عند هذا الكلام: و زخرفة الكسوة بالمحاريب قد بقيت مستمرة بعد "ناصرى خسرو" المذكور إلى سنة ٥٦١ حيث عاينها "أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى" مؤلف كتاب "ألف باء" و قد قال عنها ما ذكرناه له فى

صحيفة ١٨٣ من كتابنا هذا.

نقول: و ما أشار إليه أستاذنا المؤلف المذكور رحمه الله تعالى عما ذكره بصحيفة ١٨٣ من كتابه عن مشاهدة أبو الحجاج يوسف الكعبة و كل ما رآه في سنة ٥٦١ فإننا ننقل هنا الجزء الخاص عن الكسوة فقط فقد قال ما نصه: و البيت مستور كله بالديباج إلا موضع الباب و موضع الحجر الأسود و لون أستاره أخضر منسوج فيها صور المحاريب في كل محراب منها على صفرها مكتوب طرة قد قطعت من الخلدى الأحمر و خيطة على الأستار، حروفها تقرأ على البعد لعظمها مكتوب بعد البسملة: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ... الآية هذا ما أمر بعمله فلان ابن فلان عام كذا يعنى صاحب بغداد و هو يرسل كسوتها كل عام مع أشياء سوى هذه من الأسباب يطول بذكرها الكتاب قال:

أراها الله رأى العين عبدشديد الشوق للبلد الحرام

فيشفى سقمه بطواف بيت كريم عند زمزم و المقام

قال: و قد ذكرت بعض وصف البيت فى قصيد مطول أقول فيه:

و قد حلوا أعاليه بتبرو قد بسطوا أسافله رخاما

و قد جعلوا له بابا و قفلا و حلوا بابه ورقا و ساما

إلى آخره و هو فوق مائه بيت، انظره فى التكميل.

انتهى ما ذكره صاحب كتاب المحمل و الحج بصحيفة ١٨٣.

(٢٩) كسوة الصليحي صاحب اليمن و مكة. قال ابن ظهيرة: و ذلك فى زمن الحاكم العبيدى و المستنصر العبيدى، قال مؤلف كتاب المحمل و الحج فيه ما نصه: و فى سنة (٤٥٥) دخل "على بن محمد بن على" أبو كامل الصليحي إلى مكة و ملكها و استعمل الجميل مع أهلها و أمن الحاج فى أيامه، و أظهر العدل و الإحسان و طبقت قلوب الناس له فأثنوا عليه خيرا و رخصت الأسعار و كان متواضعا، و كسى البيت الحرام بثياب بيض من الحرير الصينى، ورد حلى البيت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٥٧

إليه و كان بنو أحسن قد أخذوها و حملوها إلى اليمن، فابتاعها الصليحي منهم و أعادها. راجع ابن الأثير، و النجوم الزاهرة. انتهى.

(٣٠) كسوة أبى النصر الاسترابادى سنة ٤٤٦ و كانت بيضاء من عمل الهند. ذكره صاحب المحمل و الحج.

(٣١) كسوة محمود بن سبكتكين. قال صاحب المحمل و الحج نقلا عن النجوم الزاهرة ما نصه: و فى السنة المذكورة أى سنة (٤٤٦) ورد إلى مكة إنسان أعجمى يعرف بسلا من جهة جلال الدولة ملكشاه و دخل و هو على بغلة بمركب ذهب و على رأسه عمامة سوداء و بين يديه الطبول و البوقات، و معه لبيت كسوة ديباج أصفر و عليها اسم "محمود بن سبكتكين" و هى من استعماله و كانت مودعة بنيسابور من عهد (محمود) المذكور عند إنسان يعرف بأبى القاسم الدهقان، فأخذها الوزير نظام الملك منه و أنفذها مع المذكور. انتهى منه.

(٣٢) كسوة رامشيت. قال صاحب كتاب المحمل و الحج نقلا عن مرآة الحرمين ما نصه:

و كساها فى سنة (٥٣٢) الحبرات و غيرها الشيخ أبو القاسم رامشيت صاحب الرباط المشهور بالمسجد الحرام و كانت كسوته بثمانية عشر ألف دينار مصرية على ما قال ابن الأثير و قيل بأربعة آلاف دينار. اه.

و جاء فى تاريخ الخميس: أن رامشيت هو رجل من التجار فارسى كسا الكعبة لأنه لم يأتها كسوة فى ذلك العام لأجل اختلاف الملوك، قال: و جعل فى الكعبة أربعة قناديل ووزنها عشرة أرطال بثمانية عشرة ألف دينار و صاحب التاريخ لم يذكر اسم الرجل لكنه ذكر له ابن رامشيت الفارسى. انتهى منه.

(٣٣) كسوة أحمد الناصر لدين الله. قال صاحب كتاب المحمل و الحج نقلا عن الإعلام ما نصه:

ثم إن الناصر لدين الله أبا العباس أحمد، كسى الكعبة فى آخر أيامه الديباج الأسود و كانت تكسى الديباج الأبيض من زمن المأمون.

اه. قال: و كسيت في زمنه أيضا كسوة خضراء ثم سوداء. انتهى منه.

(٣٤) كسوة منصور بن ربيعة شيخ الحرم. قال صاحب كتاب المحمل والحج ما نصه:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٥٨

قال الفاسي: و قد استمرت الكسوة السوداء إلى الآن سنة (٨١٢) إلا أنه في سنة (٦٤٣) هبت ريح شديدة قطعت الكسوة فكسيت ثيابا سوداء من القطن، كساها بها منصور بن ربيعة شيخ الحرم. انتهى منه.

لكن قال صاحب تاريخ الكعبة اسم الذي كساها منصور بن منعة البغدادي شيخ الحرم، فالظاهر أنه حصل غلط في كتاب المحمل و الحج بدل أن يقول ابن منعة قال ابن ربيعة. والله تعالى أعلم.

### القسم الخامس: كسوة الكعبة في عصر المماليك البحرية و الشراكسة

(٣٥) كسوة الظاهر بيبرس. قال صاحب كتاب المحمل والحج ما نصه: و في سنة (٦٦٦) ست و ستين و ستمائة كسى الكعبة السلطان الظاهر بيبرس البندقداري و عمل لبابها مفتاحا و سير قافلة الحج من البر بدلا عن صحراء عيذاب و لما حج في سنة (٦٦٧) غسل الكعبة بيده بماء الورد و قد رؤى بباب الكعبة محرما يأخذ بأيدي ضعفاء الرعية ليصعدوا و عمل الستور الديقاج للكعبة و للحجرة النبوية. اه.

(٣٦) قال صاحب كتاب المحمل والحج: و في عاشر ذى الحجة من سنة (٧٧٥) كسيت الكعبة الشريفة كسوة قصيرة فوق الكسوة الأولى و هي بيضاء و سوداء فلما كان في سادس عشر الشهر أخرجت الكسوة و كسيت بها الكعبة من داخل. انتهى.

(٣٧) قال صاحب كتاب المحمل والحج ما نصه: و قال السمهودي في كتابه "وفاء الوفا" نقلا عن شفاء الغرام: و في عشر السنين و سبعمائة في دولة السلطان الصالح إسماعيل بن الملك الناصر "محمد بن قلاوون" اشترى قرية من بيت المال بمصر و وقفها على كسوة الكعبة الشريفة في كل سنة، و على كسوة الحجرة الشريفة المقدسة و المنبر الشريف في كل خمس سنين مرة. اه. هذا ما ذكر في الكتاب المذكور و لم يذكر هل السلطان المذكور كسا الكعبة أم لا، لكن الظاهر أنه كساها ما دام وقف القرية التي اشتراها على كسوة الكعبة.

والله تعالى أعلم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٥٩

(٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٢) لقد جمعنا هذه الأعداد الخمسة المتسلسلة في مكان واحد، لأن الكلام الآتي مرتبط بعضه ببعض و منقول من كتاب واحد، فلا يستحسن قطعه و ذكر كل شيء بمفرده و هذا هو، نذكره برمته و لفظه:

قال صاحب كتاب المحمل والحج نقلا عن صبح الأعشى من الجزء الرابع بصحيفتي ٢٨١ و ٢٨٣ ما نصه:

والذي جرى عليه الحال في زمننا إلى آخر الدولة الظاهرية "برقوق" (المتوفى سنة ٨٠١) و أوائل الدولة الناصرية ولده (فرج) أن الكعبة تكسى الديقاج الأسود مسبله من أعلى الكعبة إلى أسفلها مرقوبا بأعليها طراز رقم بالبياض من أصل النسيج مكتوب فيه إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِيَكَّةَ مُبَارَكًا... الآية و على الباب برقع من نسبة ذلك مرقوم فيه بالبياض.

ثم في سنة... و ثمانمائة في الدولة الناصرية فرج بن برقوق غير الطراز من لون البياض إلى لون الصفرة فصار الرقم في السواد بحريز أصفر مقصب بالذهب، و لا يخفى أنه أنفس من الأول، و الثاني أبهج منه لشدة مصادة ما بين البياض و السواد، ثم جعل بعض جوانب الكسوة ديباجا، أسود على العادة و بعضها كمخا أسود بجامات مرقوم فيها بالبياض "لا إله إلا الله و محمد رسول الله".

ثم جعل بعد ذلك برقع البيت من حريز أسود منشورا عليه المخايش الفضة الملبسة بالذهب فزاد نفاسته و علا قيمته. ثم في سنة (٨١٤) جعل وجهه الباب من الكسوة كمخا أزرق بجامات مكتوب فيها... "والله العالم ما كان و ما يكون." اه.

و في سنة (٨١٩) جعلت الجامات المصنوعة من الحريز الأبيض في جميع الكسوة من تحت و إلى أسفل بعد أن انقطعت أربع سنين و

استمرت الجامات في كسوة الكعبة خمس سنين متوالية بعد هذه، ثم أزيلت و عوض عنها جامات سود في سنة (٨٢٥).

و عمل في سنة (٨١٩) المذكورة لباب الكعبة ستارة عظيمة الحسن لم يسبقها مثلها.

و الذى استقر عليه الحال في زمننا أنها لا تلبس في كل سنة غير كسوة واحدة، و ذلك أن الكسوة تعمل بمصر على النمط المتقدم، ثم تحمل صحنه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٦٠

الركب إلى مكة، فيقطع ذيل الكسوة القديمة على قدر قامه من جدار الكعبة و يظهر من الجدار ما كان تحته و يبقى أعلاها معلقا حتى يوم ... فتخلع الكسوة العتيقة و تعلق الجديدة مكانها، و يكسى المقام من نسبة كسوة الكعبة، و يأخذ بنو شيبه الحجة الكسوة العتيقة فيهدونها للحجاج و لأهل الآفاق و قد زاد رفردهم فيها من حين حصلت المغالاة في كسوة الكعبة و برقعها على ما تقدم.

اللهم زد هذا البيت تشريفا و تعظيما و تكريما و مهابة. انتهى كل ذلك من كتاب المحمل و الحج و هو عن صبح الأعشى.

(٤٣) قال صاحب كتاب المحمل و الحج نقلا عن الإعلام ما نصه: و في سنة (٨٢٦) جدد الأشرف "برسباى" الكسوة الحمراء داخل الكعبة الشريفة، و كساها من داخل، و أزال الكسوة القديمة و كانت للناصر حسن بن محمد بن قلاوون.

و جاءت الكسوة على يد الزينى (عبد الباسط ناظر الجيش صاحب الباسطية التى على باب العجلة عن يسار الداخل إلى المسجد الحرام). اه.

قال فى هامش كتاب المحمل و الحج نقلا عن الإعلام بصحيفة ٢٤٨: كان عبد الباسط ناظرا على أوقاف كسوة الكعبة بمصر فعملها و نماها إلى أن فاضت و كثرت فى زمانه. و كانت له سحابة للفقراء تنصب لهم فى الطريق ليستظلوا تحتها، و كانوا يحملون على جمال فى شقافد أعدها لهم، و كانوا يسقون الماء العذب كلما احتاجوا إليه و يطعمون الخبز الطرى و البقسماط و كان يطبخ لهم فى المناهل و يذبح الغنم فى الذهاب من مصر إلى مكة و فى مدة الإقامة بها و العودة منها إلى مصر مع الإحسان إليهم و إلى غيرهم و أصلح كثير من درب الحجاز. اه.

(٤٤) قال فى كتاب المحمل و الحج نقلا عن الإعلام ما نصه: و فى سنة (٨٤٨) وصل مع الركب المصرى رسول سلطان العجم "شاه رخ مرزا" بكسوة للكعبة و صدقة لأهل مكة، فكسيت الكعبة من داخلها بتلك الكسوة من يوم عيد الأضحى، و فرقت الصدقة على أهل الحرمين. انتهى.

و السلطان شاه رخ هو صاحب شيراز.

(٤٥) قال فى كتاب المحمل و الحج نقلا عن الإعلام ما نصه: و فى سنة (٨٥٢) وصلت إلى مكة كسوة لحجر إسماعيل عليه الصلاة و السلام مع كسوة البيت الشريف لأنه لم تجر بذلك عادة قبل هذا فوضعت فى البيت الشريف ثم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٦١

كسى بها الحجر من داخله فى العشر الأخير من ذى الحجة سنة (٨٥٣) بعد أن حفظت فى جوف الكعبة سنة كاملة. اه.

(٤٦) قال فى كتاب المحمل و الحج نقلا عن الإعلام ما نصه: و فى سنة (٨٥٦) وصل إلى مكة أمر من الملك الظاهر "جقمق" يتضمن إخراج ما على الكعبة الشريفة من كسوتها الداخلية المنسوبة إلى الأشرف "برسباى" و الكسوة المنسوبة إلى "شاه رخ مرزا" و إبقاء الكسوة المنسوبة إلى (جقمق) وحدها ففعلوا ذلك. اه.

(٤٧) قال فى كتاب المحمل و الحج نقلا عن الإعلام ما نصه: ثم إن الملك الناصر "أبا سعيد خوش قدم" الذى ولى مصر فى شهر رمضان من سنة ٨٦٥ و المتوفى فى سنة ٨٧٢ كسى الكعبة فى أول ولايته على العادة و لكن كانت كسوة الجانب الشرقى أو الجانب الشامى بيضاء بجامات سود، و فى الجامات التى بالشرقى بعض من الذهب. اه.

(٤٨) قال صاحب كتاب المحمل و الحج نقلا عن كتاب ابن إياس فى الجزء الثانى صحيفة ١٤٦ ما نصه: و فى سنة (٨٧٨) وصل الحاج

إلى مصر و صحبتهم ابن أمير مكة و القاضي ابن ظهيرة و ولده و أخوه و معهم "رستم" أمير الحاج العراقي و القاضي اللذان بعث بهما "حسن الطويل" و صحبتهما كسوة الكعبة المشرفة و أمر أهل المدينة و مكة أن يخطبوا فيها باسم العادل "حسن الطويل" فسجنهما السلطان في برج بالقلعة. اه.

(٤٩) قال صاحب كتاب المحمل و الحج نقلا عن كتاب ابن إياس في الجزء الثالث بصحيفة ٧٧ ما نصه: و في سنة (٩٢٢) أرسل السلطان قانصوه الغوري الكسوة و الصدقات لأهل مكة و المدينة على يد الطواشي "مرهف" و لم يحج أحد من المصريين قاطبة بسبب فتنه ابن عثمان. انتهى.

### القسم السادس: كسوة الكعبة في عهد الدولة العثمانية

#### إشارة

(٥٠) قال صاحب كتاب المحمل و الحج و هو نقلا- عن كتاب الإعلام و كتاب ابن إياس في الجزء الثالث ما نصه: في سنة (٩٢٣) ثلاث و عشرين و تسعمائة أرسل السلطان سليم مع الأمير مصلح الدين بك بالصدقات و كسوة الكعبة الشريفة، و كسوة ضريح النبي صلى الله عليه و سلم، و كسوة ضريح سيدنا إبراهيم الخليل عليه التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٦٢ الصلاة و السلام، و صنع للمحمل الشريف كسوة، و قد تباهى في كسوة الكعبة و زركش البرقع إلى الغاية و كذلك في كسوة المحمل اه.

نقول قوله: "و كسوة ضريح سيدنا إبراهيم الخليل" هذا غلط و الصحيح:  
"و كسوة مقام إبراهيم الخليل."

فهذا المقام أمام الكعبة المشرفة بجوار زمزم و هو يكسى بكسوة جميلة، و أما ما ذكره من كسوة ضريح سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام فضريحه بالخليل بالقدس. و ربما أراد هذا المعنى. قال مؤلف كتاب المحمل و الحج هنا عند ذكر السلطان سليم بالهامش نقلا عن الإعلام ما نصه: لما انتصر السلطان سليم على قانصوه الغوري و دخل حلب و سمع الخطيب يقول في تعريفه "بخدم الحرمين الشريفين" سجد لله شكرا و قال: "الحمد لله الذي يسر لي أن صرت خادما الحرمين الشريفين" و أضمر خيرا كثيرا و إحسانا جميلا لأهل الحرمين، و أظهر الفرح و السرور بتلقيه بخادما الحرمين. انتهى.

ثم قال صاحب كتاب المحمل و الحج بعد أن ذكر كسوة السلطان سليم ما نصه: لما استولت الدولة العثمانية على مصر و الحجاز اختصت بكسوة البيت الداخلي و كسوة الحجر النبوية الشريفة علاوة على الشمع الكبار و الصغار التي تسرح داخل الكعبة و خارجها، و في مقامات المسجد الحرام و المآثر الشريفة، و كذا طيب الكعبة و بخورها كعطر الورد و ماء الورد و العنبر و الند، و كذلك الحبال التي تلزم لربط أستار الكعبة، كانت كل هذه الأشياء ترسل سنويا مع المحمل الشامى.

قال: و اختصت مصر بكسوة الكعبة الخارجية و بقيت مصر تصنع أقمشة الكسوتين الداخلية و الخارجية كلها إلى عام ١١١٨ حيث أمر السلطان أحمد بن السلطان محمد الرابع بحياكة كسوة الكعبة الداخلية التي ترسل من قبل السلطان عام توليه الملك في استنبول، فصنعت فيها و أرسلت في العام التالى إلى مكة عن طريق مصر، فاخصت استنبول من ذلك الوقت بحياكة الكسوة الداخلية.

قال: و استمر سلاطين آل عثمان في إرسالها على النحو المذكور إلى عهد السلطان "عبد العزيز بن السلطان محمود الثانى" حيث انقطعت الدولة العثمانية عن إرسال الكسوة الداخلية و بقيت الكسوة التي أرسلها السلطان المشار إليه عام (١٢٢٧) في الكعبة إلى يومنا

هذا. نقل هذا الكلام صاحب كتاب المحمل و الحج من هامش تاريخ مكة للأزرقي بصحيفة ١٧٢. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٦٣

نقول: إن هذه الكسوة الداخلية للكعبة التي أرسلها السلطان عبد العزيز المذكور كانت لا تزال موجودة في داخل الكعبة من ذلك الزمن إلى سنة (١٣٦٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و ستين للهجرة، ثم رفعت هذه الكسوة البالية عندما أمر جلاله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى بعمل كسوة خاصة لداخل الكعبة المشرفة فوضعت داخلها في السنة المذكورة.

و لا يخفى على المطلع في كتابنا هذا عند كلامنا على كسوة الكعبة أننا تركنا تعداد من كساها من بعد رقم (٥٠) أي من بعد إرسال السلطان سليم الكسوة اكتفاء بما تقدم و بما سنذكره الآن، و نحب أن ننبه القارئ الكريم أن لا يظن أن عدد كسوة الكعبة المشرفة يكون بعدد من كساها، كلا بل إن كل ملك و سلطان يكسوها كل عام مدة بقائه في الحكم. فعلى هذا يكون كل منهم يكسوها مرارا عديدة، هذا و الذي سنذكره الآن، هو كلام مفيد مختصر كتبه حضرة صاحب المعالي الأستاذ رشدي ملحس من كبار رجال الديوان في المملكة العربية السعودية في الهامش الذي كتبه على تاريخ الأزرقي عند طبعه بالمطبعة الماجدية بمكة المكرمة سنة ١٣٥٢، فإنه قال حفظه الله تعالى في الجزء الأول بصحيفة ١٧١ في آخر الكلام على كسوة الكعبة في الإسلام ما نصه:

" و يضاف إلى ذلك رواية الفاكهي من طريق مسعر عن جسر قال: أصاب خالد بن جعفر بن كلاب لطيمة في الجاهلية فيها نمط من ديباج فأرسل به إلى الكعبة فيط عليها فعلى هذا هو أول من كسا الكعبة الديباج. و روى الدارقطني في المؤتلف أن أول من كسا الكعبة الديباج نائلة بنت حيان والدة العباس بن عبد المطلب كانت أضلت العباس - و على رواية ضرار شقيق العباس - صغيرا فذرت إن وجدته أن تكسوا الكعبة الديباج.

قال ابن حجر بعد أن ذكر هذه الروايات جميعها: و حصلنا في أول من كساها الديباج على ستة أقوال: (١) خالد (٢) أو نائلة (٣) أو معاوية (٤) أو يزيد (٥) أو ابن الزبير (٦) أو الحجاج، و يجمع بينها بأن كسوة خالد أو نائلة لم تشملها كلها و إنما كان فيما كساها شيء من الديباج، و أما معاوية فلعله كساها في آخر خلافته فصادف ذلك خلافة ابنه يزيد، و أما ابن الزبير فكأنه كساها ذلك بعد تجديد عمارتها فأوليتها بذلك الاعتبار لكن لم يداوم على كسوتها الديباج،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٦٤

فلما كساها الحجاج بأمر عبد الملك استمر ذلك فكأنه أول من داوم على كسوتها الديباج في كل سنة. اه.

قلنا: و قد كسيت في بدء خلافة الناصر العباس كسوة خضراء ثم كسيت في زمنه أيضا كسوة سوداء فاستمر لونها أسود إلى الآن.

و لما ضعف أمر العباسيين صارت ترسل الكسوة تارة من اليمن و أخرى من مصر إلى أن استقرت في مصر فصارت ترسل الكسوة الخارجية السوداء إليها سنويا. و كان كلما يتجدد ملك أو سلطان يرسل للكعبة بكسوة داخلية من الحرير الأحمر فلما استولت الدولة العثمانية على مصر و الحجاز اختصت الدولة المشار إليها بكسوة البيت الداخلية و كسوة الحجرة النبوية علاوة على الشمع الكبار و الصغار التي تسرح داخل الكعبة و خارجها و في مقامات المسجد الحرام و المآثر الشريفة و كذا طيب الكعبة و بخورها كعطر الورد و ماء الورد و العنبر و الند، و كذلك الحبال التي تلزم لربط أستار الكعبة كانت كل هذه الأشياء الأخيرة ترسل سنويا مع المحمل الشامي.

و اختصت مصر بكسوة الكعبة الخارجية، و بقيت مصر تصنع أقمشة الكسوة الداخلية و الخارجية كلها إلى عام ١١١٨ حيث أمر السلطان أحمد بن السلطان محمد الرابع بحياكة كسوة الكعبة الداخلية التي ترسل من قبل السلطان عام توليه الملك في استنبول، فصنعت فيها و أرسلت في العام التالي إلى مكة عن طريق مصر، فاخصت استنبول من ذلك الوقت بحياكة الكسوة الداخلية، و استمر سلاطين آل عثمان في إرسالها على النحو المذكور إلى عهد السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود الثاني حيث انقطعت الدولة العثمانية عن إرسال الكسوة الداخلية و بقيت الكسوة التي كان أرسلها السلطان المشار إليه عام ١٢٧٧، في الكعبة إلى يومنا هذا.

ولما دخل الإمام سعود الكبير بن عبد العزيز آل سعود الحجاز انقطعت مصر عن إرسال الكسوة الخارجية، فكساها الإمام المشار إليه عام ١٢٢١ من القز الأحمر ثم كساها في الأعوام التالية بالديباج والقيلان الأسود وجعل إزارها وكسوة بابها من الحرير الأحمر المطرز بالذهب والفضة. ولما استردت الدولة العثمانية الحجاز عادت مصر إلى إرسال الكسوة الخارجية كالسابق.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٦٥

وفي عامي ١٣٣٢ و ١٣٣٣ هـ وذلك عقب إعلان الحرب العامة منعت الحكومة الإنكليزية إرسال المحمل المصري إلى الحجاز بسبب انحياز الدولة العثمانية بجانب ألمانيا وحلفائها، ولكنها، أي إنكلترا كانت تسمح بإرسال الكسوة والصرّة فقط، فقد كان مأموروا المحمل الملكيون وإمامه يحملون الكسوة والصرّة فيأتون بها إلى مرفأ جدة، حيث يسلمونها إلى وكيل أمير مكة ثم يقفلون راجعين إلى مصر. وقد كانت العادة المتبعة إلى عام ١٣٣٢ أن يكتب اسم السلطان العثماني فقط على الحزام، وفي عام ١٣٣٣ هـ أضيف إلى جانب اسم السلطان العثماني، هذه العبارة "و الأمر بها السلطان الكامل حسين" إشارة إلى السلطان حسين كامل الذي تولى السلطنة المصرية حينذاك وقد كسيت الكعبة بهذه الكسوة بعد أن نزع عنها الحكومة المحلية في الحجاز العبارة المذكورة. وفي السنة التالية، أي عام ١٣٣٤ كان الملك حسين بن علي أعلن الثورة ضد الدولة العثمانية فعادت مصر إلى إرسال المحمل مع الكسوة حسب العادة القديمة و بقيت ترسل الكسوة طيلة هذه السنين إلى عام ١٣٤١ حيث نشب خلاف بين مصر والحجاز بشأن البعثة الصحية وكان المحمل المصري وصل إلى جدة في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة. ولما رفض الملك حسين قبول البعثة رجع المحمل ومعه الكسوة إلى مصر. وكانت الدولة العثمانية أرسلت عام ١٣٣٤ كسوة خارجية للكعبة مع الشريف علي حيدر باشا لإكساء الكعبة عند استرداد مكة، فبقيت الكسوة المذكورة في المدينة المنورة إلى هذا العام، أي ١٣٤١، فجلبها الملك حسين من المدينة وكساها الكعبة وفي عام ١٣٤٢ حسم الخلاف بين البلدين وعادت المياه إلى مجاريها فأرسلت مصر الكسوة الخارجية المعتادة.

وفي عام ١٣٤٣ دخل جلاله الملك عبد العزيز آل فيصل آل سعود إلى مكة المكرمة فتأخر مجيء الكسوة التي تأتي من الديار المصرية بسبب الحرب التي كانت قائمة بين جيوش جلاله الملك عبد العزيز وبين جيوش الملك علي بن الحسين بين جدة وبحرة فاستعير عنها بكسوة من صنع الأحساء. وفي عام ١٣٤٤ كانت الحرب انتهت بانسحاب حكومة جدة فوردت الكسوة من مصر، ولكنها انقطعت عن إرسالها منذ السنة التالية أي عام ١٣٤٥ هـ بسبب توتر العلاقات بين البلدين فأمر جلاله الملك عبد العزيز أيده الله بإعداد كسوة فاخرة في اليوم الخامس من شهر ذي الحجة فصنعت من الجوخ الأسود الفاخر مبطن بالقلع المتين. وفي السنة التالية أي عام ١٣٤٦ أسس جلالته دارا خاصة للكسوة والصناعة في محله

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٦٦

أجساد بمكة المكرمة، فكانت هذه الدار أول مؤسسة شيدت لحياكة الكسوة في الحجاز، و جلب للدار المذكورة عمال من الهنود لعدم وجود من يحسن صناعة الحياكة في داخل البلاد، وبقي هؤلاء في الدار المذكورة إلى هذا العام أي عام ١٣٥٢ هـ حيث حل مكانهم فريق من أهل البلاد حذقوا و تمرنوا خلال المدة الماضية على الحياكة. وقد شرعوا في العمل في هذا الشهر الذي نكتب فيه هذا التعليق. انتهى كلام الأستاذ رشدي ملحق الذي بهامش تاريخ الإمام الأزرقى.

نقول: قوله في نهاية كلام الأستاذ المذكور وهو "وقد شرعوا في العمل في هذا الشهر الذي نكتب فيه هذا التعليق" يعني به شهر شوال عام ١٣٥٢ من الهجرة، ونقول أيضا: وبعد أن زال سوء التفاهم بين المملكة العربية السعودية والمملكة المصرية أعادت الحكومة المصرية كسوة البيت المعظم وذلك في سنة (١٣٥٥) خمس وخمسين و ثلاثمائة و ألف، ولا زالت الكسوة الخارجية له تأتي من مصر إلى يومنا هذا.

وهنا يستحسن ذكر كسوة الشريف الحسين الذي توفي رحمه الله تعالى في سنة (١٣٤٨) هجرية التي ذكر الأستاذ رشدي ملحق هنا وإليك بيان ذلك بالتفصيل:



## كسوة الشريف الحسين بن علي

تقدم الكلام على كسوة الكعبة المعظمة بيت الله الحرام في عهد الجاهلية و الإسلام إلى عصرنا هذا، و نحب أن نذكر أمر الكسوة التي تنسب إلى الشريف الحسين بن علي أمير مكة المشرفة و ملك الحجاز الأسبق رحمه الله تعالى لما في ذلك من الطرافة التاريخية فنقول و بالله التوفيق:

جاء في كتاب "تاريخ الكعبة المعظمة" للمرحوم الشيخ حسين عبد الله باسلامة المتوفى سنة (١٣٥٦) هجرية بصحيفة (٢٨٨) عن ذلك ما نصه:

و أما ما كان من أمر كسوة الكعبة المعظمة أثناء الحرب العامة فإليك تفصيل ذلك:

فلما وقعت الحرب العامة في يوم ٨ رمضان سنة ١٣٣٢ هـ اثنين و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة الموافق لسنة أربع عشرة و تسعمائة و ألف ميلادية،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٦٧

جاءت كسوة الكعبة من مصر على حسب العادة في نهاية السنة المذكورة و ألبست الكعبة بها، ثم لما دخلت الحكومة العثمانية في الحرب العالمية و انضمت مع حزب ألمانيا و النمسا ضد الإنكليز و حلفائها عملت كسوة للكعبة المعظمة ظنا منها أن الحكومة الإنكليزية ستمنع الحكومة المصرية من إرسال كسوة الكعبة بناء على إعلانها وضع الحماية على مصر و كانت الكسوة التي عملتها في غاية الجمال و المتانة و الظرف و الإتقان مع عموم لوازمها و توابعها المزركشة بالأسلاك الفضية المموهة بالذهب و أرسلتها في السكة الحديدية برا من الآستانة إلى المدينة المنورة، غير أن الحكومة المصرية لم تمنع إرسال الكسوة المعتادة بل أنها أرسلتها في عام (١٣٣٣) ثلاث و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف هجرية و وضعت على الحزام اسم السلطان حسين كامل سلطان مصر مضافا إلى اسم السلطان محمد رشاد خان سلطان تركيا العثماني، فاتفق أمير مكة المكرمة في ذلك العصر الشريف الحسين بن علي مع والي الحجاز و قومندانة من قبل الحكومة العثمانية غالب باشا على إخراج تلك القطعة التي عليها اسم سلطان مصر، و وضع القطعة القديمة التي عليها اسم السلطان محمد رشاد خان فقط، فقام آل الشيبى بذلك العمل، و بقيت تلك الكسوة التي أرسلت من الآستانة بالمدينة المنورة إلى سنة (١٣٤١) ألف و ثلاثمائة و إحدى و أربعين هجرية.

فلما أعلن أمير مكة الشريف الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون الثورة على الحكومة التركية، باسم استقلال البلاد العربية و فصلها عن حكم الحكومة التركية في فجر يوم السبت الموافق ٩ من شهر شعبان سنة ١٣٣٤ هـ أربع و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف، الموافق ٤ يولييه سنة ١٩١٤ سنة أربع عشرة و تسعمائة و ألف ميلادية، أرسلت الحكومة المصرية كسوة الكعبة المعظمة حسب المعتاد و استمرت في إرسالها إلى سنة ١٣٤٠ هـ أربعين و ثلاثمائة و ألف، ثم وقع خلاف بين الحكومة المصرية و بين الشريف الحسين ملك الحجاز سنة ١٣٤١ هـ إحدى و أربعين و ثلاثمائة و ألف، و ذلك أنه لما وصل المحمل المصري في باخرة خاصة إلى جدة يصحب معه كسوة الكعبة، و حنطة الجراية و حرس المحمل، و بعثة طيبة، منع الشريف الحسين دخول البعثة الطيبة إلى مكة المكرمة فوقع الخلاف و رجع المحمل من ثغر جدة في مركبه بكل ما معه من حنطة الجراية و كسوة الكعبة و غير ذلك من الصرور و المرتبات و الصدقات، و ذلك في آخر شهر ذي القعدة من السنة المذكورة، فلما رأى ذلك الشريف الحسين أبرق إلى المدينة المنورة و أمر أميرها بأن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٦٨

يرسل كسوة الكعبة التي أودعتها الحكومة التركية بها إلى ثغر (رابغ) على الفور ثم أرسل إحدى بواخره التي بجدة المسماة (رشدى)

إلى ثغر رابغ لنقل الكسوة من رابغ إلى جدة، و فعلا نقلت الكسوة من المدينة إلى رابغ و منها إلى جدة بغاية السرعة، ثم نقلت من جدة إلى مكة و وصلت في اليوم الذي تكسى فيه الكعبة المعظمة، و هو اليوم العاشر من شهر ذى الحجة سنة ١٣٤١ هـ إحدى و أربعين و ثلاثمائة و ألف، و كسيت بها الكعبة.

و قد حدث من ذلك ضجة عظيمة في مصر خصوصا في الصحافة المصرية و صاروا في حيرة من جراء إحضار تلك الكسوة بتلك السرعة المدهشة لكونهم لم يعلموا أنها كانت حاضرة بالمدينة المنورة منذ بضع سنين، حتى أن بعض الجرائد المصرية ذكرت: بأنها بحثت في عموم أساطل البحر الأحمر عن معامل تصنع كسوة الكعبة في ظرف عشرة أيام، يعنى من يوم رجوع المحمل مع الكسوة من ثغر جدة إلى يوم حضور الكسوة من رابغ إلى جدة، فلم يجد فيما هو أعظم من ثغر رابغ معمل يستطيع صنع ذلك بل و لا معامل أوروبا لم يكن في استطاعتها أن تعمل كسوة للكعبة على حسب المعتاد في مدة عشرة أيام، و إنما هو عمل مدبر، و سبب ذلك أن مكاتب روتر بجدة أ برق بأنه وردت كسوة الكعبة إلى جدة من ثغر رابغ.

ثم بعد ذلك عمل الشريف الحسين كسوة الكعبة من (القيلان) نسجت في العراق احتياطا لما عساه إذا أتت سنة ١٣٤٢ هـ اثنتين و أربعين و ثلاثمائة و ألف، و لم يحل الخلاف الواقع بينه و بين الحكومة المصرية و امتنت الحكومة المصرية من إرسال كسوة الكعبة أن يكسوها بها. فلما أتى موعد مجيء الكسوة من مصر في ذلك العام، جاءت الكسوة كالعادة و كسيت بها الكعبة المعظمة و بقيت الكسوة القيلان محفوظة. فلما كان عام ١٣٤٣ هـ ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة استولى جلاله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود على مكة المكرمة، و بسبب الحرب الذي وقع بينه و بين الشريف الحسين أولا، ثم بعد تنازل الشريف الحسين عن الملك لابنه الملك علي وقعت معه ثانيا، و استمرت إلى منتصف جمادى الآخرة من عام ١٣٤٤ هـ أربع و أربعين و ثلاثمائة و ألف، امتنت الحكومة المصرية في أثناء ذلك عن إرسال كسوة الكعبة العائدة لعام ١٣٤٣ هـ ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و ألف، فكساها جلاله الملك عبد العزيز ذلك العام

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٦٩

بالكسوة (القيلان) التي عملها الشريف الحسين بالعراق المتقدم ذكرها. انتهى كل ذلك من تاريخ "تاريخ الكعبة المعظمة." و يقول الغازي بصحيفة ٣٧٤ من الجزء الثالث من تاريخه: و في صباح يوم عيد الأضحى من عام (١٣٤٣) ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و ألف، كسيت الكعبة الشريفة كسوة جديدة من صنع الأحساء في الديار النجدية. انتهى.

فلما كان عام (١٣٤٤) من الهجرة و انتهت الحرب بانسحاب الملك علي بن الحسين من الحجاز و ذلك في يوم الأحد ٤ جمادى الثاني سنة (١٣٤٤) من الهجرة الموافق ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٥ ميلادية، و استتب أمر الحجاز لجلاله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود، أرسلت الحكومة المصرية كسوة الكعبة المعظمة مع المحمل و ما يتبعه من جند و غير ذلك فكسيت بها الكعبة في ذلك العام ثم في موسم ذلك العام وقعت حادثة المحمل بمنى و لطف الله سبحانه و تعالى بحجاج بيته المعظم من شر تلك الحادثة بفضل ما استعمله جلاله الملك عبد العزيز آل سعود من الحكمة و المخاطرة بنفسه في تلك الليلة التي هي ليلة الموقف بعرفة ٩ ذى الحجة سنة (١٣٤٤) هجرية، و كان حجاج بيت الله تعالى مكتظين بين منى و عرفات و كانت مقذوفات حرس المحمل من مدافع و رشاشات و بنادق تمطر نيرانها هنا و هناك، و الحمد لله على لطفه في تلك الليلة.

فلما كان عام (١٣٤٥) من الهجرة و حان وقت مجيء الكسوة من مصر منعت الحكومة المصرية إرسال الكسوة المعتادة للكعبة المعظمة مع عموم العوائد مثل الحنطة و الصرور و ما شاكل ذلك التي هي من أوقاف أصحاب الخير على أهل الحرمين منذ مئات السنين و لم تملك منها الحكومة المصرية شيئا سوى النظارة عليها بسبب أنها الحاكمة على البلاد. و لم تشعر الحكومة السعودية بذلك إلا في غرة ذى الحجة من السنة المذكورة، فصدرت إرادة جلاله الملك عبد العزيز المعظم بعمل كسوة للكعبة بغاية السرعة، فقام رجال العمل ممن تخصصوا لهذا الأمر و في مقدمتهم وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان الحمدان و عملوا كسوة من الجوخ

الأسود الفاخر مبطنه بالقلع القوي و عمل حزام الكعبة بآله التطريز و كتبت الآيات عليه بالقصب الفضى المموه بالذهب الوهاج مع ستاره الباب "البرقع" و لم يأت اليوم الموعود لكسوة الكعبة و هو يوم النحر عاشر ذى الحجة من عام ١٣٤٥ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٧٠  
خمس و أربعين و ثلاثمائة و ألف إلا- و الكعبة المعظمة لاسبه تلك الكسوة التي عملت فى بضعة أيام. انتهى كل ذلك من تاريخ الكعبة المعظمة.

### جدول بيان الأيام التي كانت تكسى فيها الكعبة المعظمة

العصور/ الأيام

عصر الملك تبع الحميرى و ما بعده/ تكسى الكعبة إذا تمزقت الكسوة الأولى سواء كانت من القماش أو الحصرى أو الجلود.  
عصر النبى صلى الله عليه و سلم و ما قبله/ تكسى يوم عاشوراء.

أيام بنى هاشم/ تكسى يوم التروية "ثامن ذى الحجة" و يعلق عليها الإزار يوم عاشوراء.

عصر ابن عمر/ تكسى يوم النحر "عاشر ذى الحجة".

عصر معاوية بن أبى سفيان/ تكسى يوم عاشوراء و فى آخر رمضان.

عصر المأمون/ تكسى أول رجب و فى ٢٧ رمضان، و فى يوم التروية.

من بعد القرن السادس تقريبا إلى عصرنا الحاضر/ تكسى مرة واحدة و ذلك فى صباح يوم النحر من كل عام إلى وقتنا هذا و هو سنة ألف و ثلاثمائة و سبعة و ثمانين هجرية و الله أعلم بما يكون عليه الحال فى المستقبل.  
جاء عن بنى هاشم المذكورين أعلاه فى كتاب "معالم تاريخ الجزيرة العربية" ما يأتى:

و هناك عائلة ثالثة تدعى بالهواشم من الأشراف الحسينيين تداولوا حكم مكة وقتا طويلا مليئا بالفتن و الحروب إلى أن أزيلت دولة العبيديين من مصر على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٩٨ هـ ١١٧٤ م) فزالت باستيلاء صلاح الدين على الحجاز سيطرة الهواشم عن مكة و وليها أمير حسنى من فرع آخر.  
انتهى منه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٧١

### خاتمة مسألة الكسوة

إلى هنا انتهينا من أمر كسوة الكعبة المعظمة، و هذا المبحث و إن طال، فإن الإنسان لا- يمل من قراءته و لا- يسأم من البحث فى تفصيلاته، و لقد رأينا أن نختم مسألة الكسوة ببعض الفوائد التى تزيد فى معلومات القارئ الكريم فنقول و بالله تعالى التوفيق:  
اعلم أن سبب وضع الكسوة على الكعبة الشريفة مرتين أو ثلاثا فى العام فى العصور الماضية هو أن القماش الذى تصنع منه الكسوة لم يكن من القوة و المتانة التامة بحيث يبقى عليها طول العام ثم بعد أن وقف على صنع الكسوة عشر قرى بمصر و بعد أن تقدمت صناعة النسيج و الأقمشة أتقنوا صنع الكسوة بحيث صارت من القوة و المتانة و الثخن ما يجعلها تمكث على الكعبة عاما واحدا بدون أن يحصل عليها التلف اللهم إلا ما تصل إليها أيدي الناس من أسفلها فقد يحصل فيه تمزيق لكثرة لمس الأيدي لها. و الله تعالى أعلم.  
و حاصل أمر الكسوة كما قال القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى أن الذى كسيتها الكعبة الأنطاع، و حبرات اليمن و البرود و الكرار، و الأنماط و النمارق، و مطارف الخز الأخضر و الأصفر و الأكسية و شقاق الشعر و الوبر، و غير ذلك.

انتهى منه.

انظر: صورة رقم ٩٩، الكعبة المعظمة وعلينا كسوتها الجديدة

قال الشيخ حسين باسلامة في كتابه "تاريخ الكعبة المعظمة" بصحيفة ٢٦٠ ما نصه:

كسيت الكعبة في مبدء خلافة الناصر العباسي كسوة خضراء وعلينا كانت تكسى ذلك من قبل. و الله تعالى أعلم.  
و كسيت في زمنه أيضا كسوة سوداء فاستمرت فيما أحسب تكسى الديقاج الأسود إلى الآن. انتهى كلامه. وقوله: إلى الآن أي: إلى عصرنا هذا الذي نحن فيه، لأن المذكور كان معاصرا لنا فقد توفي رحمه الله تعالى في ١٦ جمادى الثانية سنة (١٣٥٦) من الهجرة. و الذي يجب أن ننبه إليه الأذهان، إلى أن معرفة عدد المرات التي كسيت الكعبة المعظمة منذ الكسوة الأولى في العصور الغابرة إلى عامنا هذا أمر مستحيل،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٧٢

و لا يتعلق عدد كسوتها بعدد السنين التي مضت، فقد تكسى الكعبة أحيانا في السنة الواحدة مرتين أو ثلاثة كما مر بيانه.  
و لقد عدت كساوى الكعبة من سنة (٢٠٠) إلى سنة (٢٤٤) فبلغ عددها (١٧٠) كسوة كما ذكره الإمام الأزرقى في تاريخ مكة، فإذا بلغت كسوتها مائة و سبعين كسوة في أربع و أربعين سنة فقط، فكم يبلغ عددها منذ أن كساها تبع الحميرى لأول مرة إلى عامنا هذا؟  
الله أعلم بذلك فليتنبه القارئ الكريم إلى هذه النقطة الدقيقة و ليتنبه أيضا إلى أن كل ما تقدم من أمر كسوة الكعبة إنما هو لكسوتها الخارجية، و أما كسوة الكعبة الداخلية التي تكسى من جوفها، فسيأتى الكلام عنها في مبحث خاص إن شاء الله تعالى.  
إلى هنا انتهينا من تاريخ كسوة الكعبة المعظمة و لله الحمد.

و قد طال هذا المبحث لكن ماذا نعمل فالحال يقتضى ذلك، و كل مسألة من أمر الكسوة مهمة يلزم معرفتها على الوجه الصحيح.  
و لنبدأ الآن فيما يتعلق بأمر الكسوة من ناحية أخرى كالاحتفالات التي كانت تعمل عند وصولها فنقول و بالله التوفيق:  
الظاهر بيبرس ملك مصر هو الذى أمر لأول مرة أن يطوفوا بالمحمل و بكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة، و ذلك سنة (٦٧٥) ستمائة و خمس و سبعين هجرية و كان يوما مشهودا ثم استمر الحال على ذلك إلى يومنا هذا.  
و هو الذى جعل الفضة أربعة من كل مذهب قاض و لم يعهد ذلك قبله، و هو الذى أمر بإراقة الخمر، و إبطال المفسدات، و إسقاط المكوس، و كانت له صدقات كثيرة، و كان يرتب في أول رمضان مطابخ لأنواع الأطعمة للفقراء و المساكين، و قد بنى بالقاهرة بالجمالية بقرب باب النصر مسجده العظيم المبارك المعروف باسمه "جامع بيبرس" و له أعمال جليله و ذكر حسن.

### وصف ابن جبير كسوة الكعبة و عدد قطعها

يقول ابن جبير الأندلسى رحمه الله تعالى في رحلته التي كانت سنة (٥٧٨) ثمان و سبعين و خمسمائة هجرية حينما وصل إلى مكة في السنة المذكورة عن الكسوة و عدد قطعها ما يأتى:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٧٣

و كسوة الكعبة المقدسة من الحرير الأخضر حسبما ذكرناه و هى أربع و ثلاثون شقة، فى الصفح الذى بين الركن اليمانى و الشامى منها تسع، و فى الصفح الذى يقابله بين الركن الأسود و العراق تسع أيضا، و فى الصفح الذى بين العراقى و الشامى ثمان، و فى الصفح بين اليمانى و الأسود ثمان أيضا، و قد وصلت كلها فجاءت كأنها ستر واحد يعم الأربعة جوانب و قد أحاط بها من أسفلها تكيف مبنى بالجص فى ارتفاعه أزيد من شبر و فى سعته شبران أو أزيد قليلا فى داخله خشب غير ظاهر و قد سمرت فيه أوتاد حديد فى رؤوسها حلقات حديد ظاهرة و قد أدخل فيها مرس من القنب غليظ مفتول و استدار بالجوانب الأربعة بعد أن وضع فى أذيال مسطور حجر السراويلات و أدخل فيها ذلك المرس و خيط عليه بخيوط من القطن المفتولة الوثيقة و مجتمع السطور فى الأركان

الأربعة مخيط إلى أزيد من قامه ثم منها إلى أعلاها تتصل بعري من حديد تدخل بعضها في بعض و استدار أيضا بأعلاها على جوانب السطح تكيف ثان وقعت فيه أعالي الستور في حلقات حديد على تلك الصفة المذكورة فجاءت الكسوة المباركة مخيطة الأعلى والأسفل وثيقة الأزرار لا تخلع إلا من عام إلى عام عند تجديدها فسبحان من خلد لها الشرف إلى يوم القيامة لا إله سواه. انتهى من رحلة ابن جبير.

و يقول ابن جبير أيضا في مكان آخر من رحلته ما يأتي:

و في يوم النحر المذكور سبقت كسوة الكعبة المقدسة من محلته الأمير العراقي إلى مكة على أربعة جمال تقدمها القاضي الجديد بكسوة الخليفة السوادية و الرايات على رأسه و الطبول تهر و راءه و ابن عم الشيبى محمد بن إسماعيل معها لأنه ذكر أن أمر الخليفة نفذ بعزله عن حجاب البيت لهنات اشتهرت عنه و الله يطهر المكرم بمن يرضى من خدامه بمنه و هذا ابن العم المذكور هو أشبه طريقة منه و أمثل حالا و قد تقدم ذكر ذلك في العزلة الأولى فوضعت الكسوة في السطح المكرم أعلى الكعبة فلما كان يوم الثلاثاء الثالث عشر من الشهر المبارك المذكور اشتغل الشيبون بإسبالها خضراء يانعاً يقيد الأبصار حسنا في أعلاها رسم أحمر واسع مكتوب فيه في الصفح الموجه إلى المقام الكريم حيث الباب المكرم و هو وجهها المبارك بعد البسملة إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ... الآية و في سائر الصفحات اسم الخليفة و الدعاء له و تحف بالرسم المذكور طرتان حراوان بدوائر صغار بيض فيها رسم بخط رقيق يتضمن آيات من القرآن و ذكر الخليفة أيضا فكملت كسوتها و شممت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٧٤

أذبالها الكريمة صونا لها من أيدي الأعاجم و شدة اجتذابها و قوة تهافتها عليها و انكبابها فلاح للناظرين منها أجمل منظر كأنها عروس جلست في السندس الأخضر أمتع الله بالنظر إليها كل مشتاق إلى لقائها حريص على المثل بفنائها بمنه. انتهى من رحلة ابن جبير. يقول ابن جبير الأندلسي رحمه الله تعالى في رحلته التي كانت سنة (٥٧٨) ثمان و سبعين و خمسمائة هجرية يصف كسوة الكعبة حينما وصل إلى مكة في السنة المذكورة ما يأتي:

و ظاهر الكعبة كلها من الأربعة الجوانب مكسو بستور من الحرير الأخضر و سداها قطن و في أعلاها رسم بالحرير الأخضر فيها مكتوب: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِنَكَّةَ ... الآية و اسم الإمام الناصر لدين الله في سعته قدر ثلاثة أذرع يطيف بها كلها قد شكل في هذه السطور من الصنعة الغريبة التي ببصرة أشكال محاريب رائقه و رسوم مقروءة مرسومة بذكر الله تعالى و بالدعاء للناصر العباس المذكور الأمر بإقامتها و كل ذلك لا يخالف لونها و عدد السطور من الجوانب الأربعة أربعة و ثلاثون سطرا و في الصفحين الكبيرين منها ثمانية عشر و في الصفحين الصغيرين ستة عشر و له خمسة مضاfer و عليها زجاج عراقي بديع النقش أحدها في وسط السقف و مع كل ركن مضوى و الواحد منها لا يظهر لأنه تحت القبو المذكور بعد و بين الأعمدة أكواس من الفضة عددها ثلاثة عشر و إحداها من ذهب و أول ما يلقي الداخل على الباب عن يساره الركن الذي خارجه الحجر الأسود و فيه صندوقان فيهما مصاحف و قد علاهما في الركن بويبان من فضة كأنهما طاقان ملصقان بزواية الركن و بينهما و بين الأرض أزيد من قامه و في الركن الذي يليه، و هو اليماني كذلك لكنهما انقلعا و بقى العود الذي كانا ملصقين عليه و في الركن الشامي كذلك و هما باقيان و في جهة الركن العراقي كذلك و عن يمينه الركن العراقي و فيه باب يسمى باب الرحمة يصعد منه إلى سطح البيت المكرم و قد قام له قبو فهو متصل بأعلى سطح البيت داخله الأدرج و في أوله البيت المحتوى على المقام الكريم فوجد للبيت العتيق بسبب هذا القبو خمسة أركان و في سعة صفحية قاتان و هو محتوى على الركن العراقي بنصفين من كل سطح و ثلثا قناة هذا القبو مكسوان بسرقة الحرير الملون كأنه قد لف فيه ثم وضع، و هذا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٧٥

المقام الكريم الذي داخل هذا القبو هو مقام إبراهيم صلى الله على نبينا و عليه و سلم. انتهى من رحلة ابن جبير.

### وصف صاحب كتاب "المحمل والحج" كسوة الكعبة المشرفة

قال صاحب كتاب المحمل والحج المتوفى سنة (١٣٦٢) اثنين وستين و ثلاثمائة و ألف هجرية في كتابه ما نصه: هي ثمان ستائر من الحرير الأسود المكتوب بالنسيج في كل مكان منه "لا إله إلا الله محمد رسول الله" دالات بعضها في قلب بعض. و طول الستارة منها ١٥ مترا، و كل ستارتين تعلقان على جهة من جهات الكعبة، فتريطان من أعلاهما في حلقات من الحديد، ثبتت في سقف الكعبة ثم تريطان إلى بعضهما بواسطة عرى و أزرة، و تثبتان من أسفل في حلقات وضعت في الشاذروان، و هكذا كلما وضعت ستارة تثبت في التي بجوارها بواسطة هذه الأزرة حتى إذا انتهت كلها صارت كالقميص المربع الأسود. ثم يوضع على محيط البيت المعظم، فوق هذه الستائر فيما دون ثلثها الأعلى حزام يسمى "رنكا" مركب من ثمانى قطع مصنوعة من المخيش المذهب، مكتوب فيها بالخط الثلث العربى الجميل آيات قرآنية كتبها مع غيرها من أعمال الكسوة الشريفه المرحوم "عبد الله بك زهدى" في زمن المرحوم "إسماعيل باشا" الخديوى جد حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك "فاروق الأول" حفظه الله. انتهى منه. ثم ذكر صاحب الكتاب المذكور جميع الآيات القرآنية المكتوبة على الكسوة في جميع جهات الكعبة.

### الاحتفال بوصول كسوة الكعبة من الآستانة إلى مصر القاهرة

قال صاحب كتاب المحمل والحج نقلا عن الجبرتى في الجزء الثالث ما نصه: وفي شهر جمادى الثانية من سنة (١٢١٦) ست عشرة و مائتين و ألف وصلت كسوة الكعبة من الآستانة إلى مصر فنادوا بمرورها، فركب الأعيان و المشايخ و الأثاير و عثمان كتحدا أمير الحج، و جميع الجاويشيه و العساكر، و القاضى و نقيب الأشراف، و أعيان الفقهاء و ذهبوا إلى بولاق، و أحضروها و هم أمامها، و فردوا التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٧٦ قطع الحزام المصنوعة من المخيش ثلاث قطع و الخمسة مطوية، و كذلك البرقع، و مقام الخليل، كل ذلك مصنوع بالمخيش العال، و الكتابة غليظة مجوفة متقنة، و باقى الكسوة فى سحاحير على الجمال و عليها أعطية جوخ أخضر. ففرح الناس بها و كان يوما مشهودا. و قد استغرقت صناعتها بالقسطنطينية زهاء ٣٠ يوما و قد وصلت من الآستانة إلى اسكندرية فى ١١ يوم فقط. انتهى من الكتاب المذكور.

### وصف صاحب كتاب (المحمل والحج) للاحتفال بمرور الكسوة فى شوارع القاهرة

قال صاحب كتاب المحمل والحج نقلا عن الجبرتى ما نصه: و فى ٨ من شوال سنة (١٢١٣) ثلاث عشرة و مائتين و ألف نودى فى الأسواق بموكب كسوة الكعبة المشرفة من قرا ميدان، و التنبيه باجتماع الوجاقات و أرباب الأثاير و خلافهم على العادة فى عمل الموكب، فلما أصبح يوم السبت اجتمع الناس فى الأسواق و طريق المرور و جلسوا للفرجة، فمروا بذلك و أمامها الوالى و المحتسب و عليهم القفاطين و البيئات و جميع الأثاير بطولهم و زمورهم و كاساتهم ثم برطلمين كتحدا، و أمامه نفر لينكجيرية من المسلمين نحو ٢٠٠ أو أكثر و عدة كثير من نصارى الأروام بالأسلحة و الملازمين بالبراقع و هو لابس فروة عظيمة ثم مواكب القلقان، ثم موكب ناظر الكسوة و هو تابع مصطفى كتحدا الباشا و خلفه النوبة التركية. فكانت هذه الركبة من أغرب المواكب و أعجب العجائب لما اشتملت عليه من اختلاف الأشكال، و تنوع الأمثال و اجتماع الملل، و ارتفاع السفل، و كثرة الحشرات، و عجائب المخلوقات و اجتماع الأضداد، و مخالفة الوضع المعتاد. انتهى من الكتاب المذكور.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٧٧

### وصف صاحب كتاب (مرآة الحرمين) للاحتفال بالكسوة في شوارع القاهرة

جاء في مرآة الحرمين وصف الاحتفال بمصر عند نقل كسوة الكعبة المعظمة من مصنعها بالخرنفس إلى ميدان القلعة فمسجد سيدنا الحسين، و نحن نأتى به هنا للذكرى التاريخية- فقد جاء فيه ما نصه:

في شهر ذى القعدة من كل سنة كانت تتفق نظارة الداخلية مع نظارة المالية على اليوم الذى يحتفل فيه بنقل الكسوة من ميدان محمد على بعد أن تنقل إليه من مصنعها بالخرنفس إلى المسجد الحسينى و يصدق الخديوى على ذلك اليوم و يصدر الأمر من رئيس مجلس النظار بتعطيل مصالح الحكومة و دواوينها فيه و ينشر ذلك بالجريدة الرسمية و تتناقله الجرائد و تخبر نظارة الداخلية نظارة الحربية و محافظة العاصمة بذلك ليكون الضباط و الجند و رجال الشرطة على استعداد تام للاحتفال بالكسوة فى ذلك اليوم، و ترسل المحافظة إلى العلماء و الأعيان و كبار التجار تذاكر الدعوة لحضور الاحتفال الذى يكون فى الغالب من الساعة التاسعة صباحا إفرنجى. و فى سنة (١٣٢٢) اثنتين و عشرين و ثلاثمائة و ألف، تأخر إلى الساعة العاشرة لرغبة سمو الخديوى فى ذلك، و قبل أن يحين الموعد بساعة يصطف الجنود بميدان القلعة تجاه المصطبة التى هنالك حاملين أسلحتهم و يتوافد المدعوون و يستقبلهم هنالك وكيل المحافظة و مندوبوها و يجلسون كل فى مجلسه فالعلماء فى الميمنة و خلفهم الأعيان و التجار و المندوب العثماني و حضرات النظار و الأمراء "البرنسات" و كبار الموظفين بالديوان الخديوى وقتئذ و فى الميسرة خلفهم كبار العسكريين و الملكيين و الكل مرتد لباس التشريفية الكبرى "يتركب من بنطلون" أسود ذى شريط مقصب و ستره سوداء موشاة بالقصب و سيف له علاقة و حزام قصبي و قفاز أبيض و فى الصدر الأوسمة "النياشين" المختلفة هذا لباس الملكيين أما العسكريون فيلبسون لباسهم المعروف و فى الساعة المحددة يحضر سمو الخديوى فى عربة يجرها أربعة جياد على يساره رئيس النظار و أمامه اثنان من أقدم النظار و خلف عريته عربات نقل مأمورية الياوران و كبار رجال المعية و يحيط به فرسان الحرس الذين يبلغون (١٤٨).

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٧٨

معظمهم عسكر و قليل منهم صف ضباط و بينهم أربعة ضباط واحد منهم عن يمين العربة و آخر عن يسارها و ثالث أمامها يتقدمه "جاويش" قسم من الحرس و رابع خلف العربة يقود القسم الأكبر من الحرس و حينما ينزل سمو الخديوى من العربة تحييه القوة العسكرية و يطلق رجال المدفعية- الطوبجية- ٢١ مدفعا و تصدح الموسيقى بالسلام المعتاد و الخديوى متجه نحو العسكر يحيط به النظارة و رجال المعية رافعا يديه بالتحية ثم يجلس وسط مكان الاستقبال و يحيى الحاضرين و بعد دقائق يأخذ مأمور تشغيل الكسوة بزمام الجمل الذى عليه المحمل و يدور به ثلاث دورات ثم يتجه إلى مكان الاستقبال فيقوم سمو الخديوى من مجلسه و ينزل إلى السلم الأول من المصطبة و الناس محتشدون حوله و إذ ذاك يتقدم إليه مأمور الكسوة بكيس مفتاح الكعبة و قد بسطه على كفيه فيتناوله سموه و يقبله و يتلوه فضيلة قاضى مصر و إذ ذاك يدعو الشيخ السنباطى دعاء المحمل و مقدم هدايا الكسى إلى أربابها دعوات خيرية و جيزة ثم يسير المأمور بعض خطوات و الكيس على يديه ثم يعتلى جواده و يسير من خلفه المحمل على جملة فكسوة الكعبة و كسوة مقام سيدنا إبراهيم الخليل قد بسطت كل قطعة منهما على أنصاف دوائر حديدية ركبت فى قائمين من الخشب يحمل كل قائمين جملة من الخفراء و يمرون بين يدي الخديوى و يذهبون بها إلى المسجد الحسينى مخترقين شارع محمد على فوق السلاح فالدرب الأحمر فباب زويلة المعروف ببوابة المتولى فالغورية فالسكة الجديدة و يصاحب الكسوة "أورطه" من الرجال ليحفظوا النظام و يمنعوا الناس من التزاحم عليها مع رجال الشرطة الذين ينتشرون فى طول الطريق و لا تبرح (الأورطه) مكانها أمام المسجد الحسين حتى تدخل الكسوة جميعها إليه. و بعد أن تمر الكسوة بين يدي الخديوى بميدان محمد على يستعرض سعادة "السردار" أو نائبه الجيش و يمر من أمام سموه الفرسان فالمدفعية فالرجالة فالقسم الطبى و بعد المرور يثنى على الجيش و نظامه و يؤمر بتبليغ ذلك إلى

الضباط و العساكر ثم يصافح "السردار" و قاضى مصر و أكابر الحاضرين ثم يركب عربته إلى قصر عابدين مارا بالصليبة فالخضيري فميدان السيدة زينب فشارع الدواوين فشارع الشيخ عبد الله و عند تحرك العربى يضرب ٢١ مدفعا تحية و إيذانا بانتهاء الحفلة و إذ ذاك ينصرف الحضور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٧٩

و يحضر هذا الاحتفال أمير الحج و أمين الصرة مشاهدين فقط و يتوجهان بعد الاحتفال إلى المسجد الحسين ليستقبلا الكسوة هنالك و بعد أن تدخل يزوران قبر الحسين، معهما السدنة و رئيسهم ثم يشربان القهوة فى حجرة الرئيس و ينصرفان. الكسوة بالمسجد الحسين: تبقى الكسوة بالمسجد حوالى نصف شهر فى خلاله يخاط بعض قطعها ببعضها لأنها تصنع قطعاً كثيرة و يحضر كثير من سكان القاهرة ليتبركوا بها و يرى نفسه سعيداً من يخطب جزءاً منها و يتسابق الناس فى تقديم النذور و العطايا إلى المنوبين بخياطتها و قد سمعت أنه لا يسمح لبعض المتبركين بمس الكسوة إلا نظير جعل يدفعونه "كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً."

الإشهاد بتسليم الكسوة: فى شهر ذى القعدة يرسل ناظر المالية إلى قاضى مصر كتاباً رسمياً يطلب فيه إليه انتداب قاض و كاتبين لتحرير إشهاد بتسليم الكسوة فى وقت يعينه الناظر و كذلك يكتب ناظر المالية إلى الأمير و الأمين ليحضرا إلى المسجد الحسين و يشهدا تحرير الإشهاد فى الموعد المضروب و ساعة اجتماعهم يكتب إشهاد بتسليم الكسوة إلى المحمل الذى يتسلمها بالفعل و توضع فى صناديق أعدت لذلك و من وقت أن يتسلمها تكون فى عهدته إلى أن يسلمها بمكة إلى الشيخ الشيبى أمين مفتاح الكعبة و يأخذ منه صكاً بالتسليم. و قد قدمنا لك فى مبتدأ الرحلة الأولى صورة الإشهاد فى صحيفة ٦.

إشهاد تسليم الصرة: و بمثل هذه الطريقة يكتب إشهاد شرعى بتسليم الصرة إلى أمينها يحرق بحجرة ناظر المالية يحضره الأمير و الأمين و صراف الصرة و كاتبها الأول و اثنان من موظفى الوزارة.

### إعداد قطر السكة الحديدية للمحمل و ركبته و أمتعته:

#### إشارة

قبل السفر بمدة ترسل مصلحة السكة الحديدية إلى أمير الحج بواسطة الداخلية ليحدد ساعة يحضر فيها إلى المصلحة ليبين ما يلزمه من العربات و يحدد المواعيد التى تقوم فيها القطارات حتى يكون كل ذلك مهياً وقت السفر. و الذى يلزم المحمل و ركبته قطاران يوضع فى إحدهما الأمتعة و الحيوانات و الخدم و يسافر فى الأكثر عند تمام الساعة الثانية عشرة ليلاً و يصل إلى السويس بعد (٩) ساعات. و يقل الثانى المحمل و موظفيه و الحجاج و يقوم عادة فى مشرق الشمس أو قبل ذلك حسبما يسمح به نظام سير القطارات و يصل السويس فى (٦) ساعات و ١٥ دقيقة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٨٠

و هذان القطاران يحضران إلى العباسية قبل السفر بيوم و يقفان بين الخمس السرايات، و تكنه رجال المدفعية الآن تكنه الفرسان الإنجليز و رجال مدفعتهم، و كانت الأمتعة كلها توضع فى القطارين من محطة العباسية و لكن وردت مكاتبه من جيش الاحتلال إلى محافظة مصر بأن الأهالى يحدثون ضوضاء و جلبه عند وضع الأمتعة بالقطارين و يتفوتون هنالك و طلبوا اختيار مكان آخر تشحن فيه القطارات فأجيبوا إلى ما رغبوا و صارت أمتعة الموظفين و الخدم السائرين و المحمل يشحن بها القطار فى محطة مصر. أما أمتعة العسكر فى العباسية ثم إن السكة الحديدية عملت بعد ذلك رصيفاً أمام الثكنة-القشلاق-الحمراء، بالعباسية ينزل منه المحمل و



ركبه من ملكيين و عسكريين فقطعت شكوى المحتلين و أراحت الناس.

### الاحتفال بخروج المحمل و سفره:

يعين أمير الحج يوم الاحتفال بسفر المحمل و تصدق على ذلك المعية السنية و تخبر نظارة الداخلية نظارتى المالية و الحربية و المحافظة باليوم المعين ليستعد الشرطة و الجند كما سبق و فى هذا اليوم تعطل مصالح الحكومة و دواوينها. و الشوارع التى يمر منها المحمل و الكسوة تكون حافلة بالمشاهدين و كذلك الشرفات و الرواش و ظهور المنازل و تسمع منهم الدعوات إلى الله أن يسهل لهم تأديته الحج و زيارة النبي صلى الله عليه و سلم. و قد جرت العادة أنه بعد تعيين أمير الحج و أمين الصرة تحتفل طوائف الضوئية، و العكامية، و الفراشين و السقاين، و تحضر كل طائفة و معها رئيسها إلى منزل أمين الصرة بالحال التى سيأتى بيانها. انتهى كل ذلك من كتاب مرآة الحرمين. نقول: قوله هنا " بالحال سيأتى بيانها " لم نر نقل البيان الذى ذكره صاحب الكتاب المذكور بعد الكلام المتقدم خوفا من التطويل.

### الاحتفال بدخول كسوة الكعبة إلى مكة المشرفة

ذكر الغازى فى تاريخه نقلاً عن كتاب "الإتمام على أعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام" للشيخ حسن الشيبى ما نصه: أما احتفال كسوة الكعبة المعظمة فإنه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٨١

يجرى بمصر عند تمام شغل الكسوة فتقل أولاً بالاحتفال من محل شغلها إلى جامع سيدنا الحسين بن على رضى الله عنه ثم تنقل ثانياً بالاحتفال من الجامع المذكور إلى محل تبريز جيش المحمل المصرى حين السفر إلى الحجاز. و أما فى مكة المكرمة: فما كانوا يجرون لها احتفالاً رسمياً إلى سنة إعلان الدستور فى الحكومة العثمانية و فى سنة إعلان الدستور أمر خديوى مصر عباس حلمى باشا بأن يجرى لها احتفال رسمى عند دخولها فى مكة المكرمة فمن سنتها عندما يدخل المحمل مكة المكرمة تدخل الكسوة معه بالاحتفال المحمل إلى أن تصل للتكية المصرية فيدخلونها هناك و يبقى المحمل فى محله بعد أن يخلعوا ثيابه الرسمية و الجيش يذهب إلى خيامه خارج البلد فى حارة جرو و فى اليوم الثانى من الصباح يأتى أمير الحج المصرى و أمير الجيش و أمين الصرة المصرية و معهم جيوش المحمل خيالة و مشاة معهم الموسيقى العسكرية و البلدية يصدحان إلى التكية المصرية و يأخذون ثوب الكعبة المشرفة و يحملونه بصناديقه المحترمة بالتكبير و التهليل و الاحترام و يصطف العساكر المشار إليهم خلفه و أمامه و كذا معهم من طرف الحكومة السنية طائفة من البوليس و الجاندرمة و الموسيقتان المذكورتان إلى أن يوصلوه إلى بيت صاحب المفتاح الشيبى شيخ السدنة فيتقابلهم الفاتحون مع شيخهم و يتسلمونها منهم و يجلسون أمير الحج المصرى و أمين الصرة المصرية و سائر مأمورى جيش المحمل المصرى بالألبسة الرسمية فى بيت مفتاح الكعبة المشرفة عند شيخ السدنة الفاتحين و يقدم لهم الشرابات ثم تتلى الدعوات الشريفة لمقام الخلافة العظمى ثم يقرأون الفاتحة و به تختم المراسم المعتادة. انتهى من تاريخ الغازى.

### (الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة)

بحمد الله تعالى قد استوفينا الكلام على الكسوة الخارجية للكعبة، و هذا مبحث خاص نعقده للكسوة الداخلية لها و هذه لا تكون إلا نادراً لذلك جعلناها فى مبحث مستقل، بخلاف الكسوة الخارجية فإنها تكون فى كل عام مرة، بل كانت فى حدود القرن الثانى و ما

بعده من الإسلام توضع على الكعبة في العام مرتين أو ثلاثة و سبب ذلك: أن الكسوة الخارجية معرضة للتلف السريع لخفة القماش في تلك الأزمان و عدم متانته و ثخانتها، كما تؤثر فيه الشمس و المطر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٨٢

و الغبار و الهواء، فإن الكعبة المشرفة في وسط المسجد الحرام تحت السماء لا يحجبها شيء و لا يقع ظل شيء عليها. أما الستارة الداخلية فهي محفوظة داخل الكعبة في حرز مكين لا يصل إليها الغبار و لا التراب و لا المطر و لا الشمس، فهي إن ذابت و همدت فإنما ذلك من مفعول مرور الزمن عليها. لهذا لا تحتاج الكسوة الداخلية إلى استبدالها في كل عام فتكسى بها الكعبة من الداخل كل عدة أعوام مرة لسبب من الأسباب، و قد كان كل سلطان من سلاطين آل عثمان رحمهم الله تعالى يأمر بالكسوة الداخلية للكعبة المشرفة في عام توليه الملك و جلوسه على تخت السلطنة و كانت تحاك هذه الكسوة الداخلية في استانبول منذ أمر بذلك السلطان أحمد خان بن السلطان محمد الرابع و ذلك سنة (١١١٨) ألف و مائة و ثمان عشرة إلى زمن السلطان عبد العزيز خان ابن السلطان محمود الثاني حيث انقطعت الدولة العثمانية عن إرسالها و بقيت داخل الكعبة الكسوة التي أرسلها السلطان عبد العزيز المذكور في عام توليه الملك و هو عام (١٢٧٧) إلى سنة (١٣٦٣) ثلاث و ستين و ثلاثمائة و ألف هجري، ثم رفعت هذه الكسوة البالية عند وضع الكسوة الداخلية التي أمر بعملها الملك عبد العزيز آل السعود رحمه الله تعالى و وضعها في الكعبة في السنة المذكورة. و لم نقف على سبب تأخر الأتراك عن إحضار الكسوة الداخلية للكعبة نحو مائة عام، مع أن بين هذا السلطان و بين خروج الحجاز من أيدي الأتراك سنة (١٣٣٤) نحو أربعة سلاطين أو خمسة و هذه الكسوة الداخلية التي أرسلها السلطان عبد العزيز المذكور كانت حمراء و لم نعلم عن سبب اختيارهم لهذا اللون، لكن المعقول أن يكون لون الكسوة الداخلية لونا مفرحا فاتحا لا غميقا قاتما لأن الكعبة لا نافذة فيها و لا فتحات غير الباب فيلزم أن تكون ستارتها الداخلية بلون يضيء داخلها نوعا ما كالأحمر الوردى و الأصفر الفاقع و البنفسج السماوى.

قال في الرحلة الحجازية: يغطى سقف الكعبة و حوائطها من الداخل كسوة من الحرير الوردى عليها مربعات مكتوب فيها "الله جل جلاله" قد أهداها إليها السلطان عبد العزيز. اه.

قال الغازى في تاريخه نقلا عن كتاب "الفتوحات الكوازية": "كان وصول هذه الكسوة لمكة سنة ألف و مائتين و تسعين و بعدما كسيت هذه الكسوة أرسلوا الكسوة القديمة الداخلية إلى الآستانة. ثم قال الغازى: قال الشيخ عبد الله أفندى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٨٣

باشا أعيان زاده في رحلته المسماة "بالفتوحات الكوازية في السياحة إلى الأراضى الحجازية": "بلغنا في منى يوم الأربعاء عاشر ذى الحجة سنة (١٢٩٠) تسعين و مائتين و ألف أن الكعبة المعظمة كسيت ظاهرا و باطنا و من المعلوم أن كسوتها الظاهرة في كل عام تجدد و أما الكسوة الداخلية فهي من عهد المرحوم السلطان الغازى عبد المجيد خان و قد جدها هذه السنة مولانا السلطان عبد العزيز خان، و في عصر يوم الخميس سلخ محرم ١٢٩١ وصلت في جدة الكسوة القديمة التي كانت داخل الكعبة في عهد المرحوم السلطان عبد المجيد خان فلما سمع بقدمها قائم مقام جدة الأفخم على بك لبس ثيابه الرسمية هو و قاضى جدة و كبار الضباط و المحافظين و المأمورين المخصوصين و جملة من العسكر و خطباء جدة و أئمتها و وجوهها و تجارها و معهم البيارق و الأعلام و الدفوف و صدحت الموسيقى و اصطفت العساكر صفوفها فأدخلوها بغاية التبجيل و الاحترام و هم يتلون الصلاة على خير الأنام و القائم مقام الأفخم ماسك بيده زمام الجمل الحامل كسوة بيت الله الحرام حتى أدخلوها في الزورق و توجه القائم مقام معها و القاضى و جملة من المأمورين المعتمدين فكانوا أربعة زوارق و مضوا بها إلى المركب الذى هو من مراكب النمسا يتوجهون بها لدار السلطنة السنية. انتهى من الغازى.

و لا يخفى على القارئ أن هذه الرواية فيها اختلاف ظاهر فهي تقول أن الكعبة كسيت ظاهرا و باطنا سنة ١٢٩٠ و ذلك بأمر السلطان

عبد العزيز خان و التي كانت قبلها هي كسوة السلطان عبد المجيد خان، و نحن نقول الأصح ما روينا من أن السلطان عبد العزيز خان هو الذي أرسل الكسوة الداخلية للكعبة عام ١٢٧٧ و هو عام جلوسه على سرير الملك و تخت السلطنة و هي الكسوة الموجودة بداخل الكعبة إلى يومنا هذا، أما السلطان عبد المجيد خان فعلى حسب عادة السلاطين العثمانيين فقد أرسل الكسوة الداخلية عام توليه الملك سنة ١٢٥٥ فلما توفي تولى بعده السلطان عبد العزيز في العام المذكور. و الظاهر أن مؤلف الفتوحات الكوازية لم يستوثق مما بلغه.

و لإتمام هذا المبحث نقول: إن صاحب كتاب تاريخ الكعبة قال فيه عن الكسوة الداخلية ما خلاصته نقلا عن التقى الفاسي: أرسل السلطان حسن كسوة داخلية للكعبة في سنة (٧٦١) إحدى و ستين و سبعمائة قال: و بلغني أنه كان في جوف الكعبة قبلها كسوة للملك المظفر صاحب اليمن، و الملك المظفر أول من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٨٤  
كسى الكعبة من الملوك بعد انقضاء دولة بنى العباس من بغداد سنة (٦٥٩) و استمر يكسوها عدة سنين مع ملوك مصر و انفرد بكسوتها في بعض السنين و كان المتولى لذلك غالبا. انتهى.

و جاء في كتاب "المحمل و الحج" ما خلاصته:

و في سنة ٨٢٦ جدد الأشرف "برسبای" الكسوة الحمراء داخل الكعبة الشريفة، و أزال الكسوة القديمة و كانت للناصر حسن بن محمد بن قلاوون. و في سنة ٨٤٨ وصل مع الراكب المصري رسول سلطان العجم "شاه رخ مرزای" بكسوة داخلية للكعبة فكسيت بها يوم عيد الأضحى.

و في سنة ٨٥٦ كسى الملك الظاهر "جقمق" الكعبة كسوة داخلية و أمر بإخراج ما في داخلها من كسوة الأشرف "برسبای" و كسوة سلطان العجم "شاه رخ مرزای". انتهى ملخصا من الكتاب المذكور.

و في تاريخ مكة للسباعي بصحيفة ٢٣١ أن السلطان قايتباي كسا الكعبة من الداخل في عام (٨٨٣) من الهجرة.

نقول: و بعد هذا التاريخ صار سلاطين آل عثمان رحمهم الله تعالى يرسل كل منهم كسوة داخلية للكعبة من الآستانة في أول جلوسه على تخت السلطنة و الملك كما ذكرنا ذلك في أول هذا الفصل.

ثم بعد زوال حكم آل عثمان الأتراك عن الحجاز و البلاد العربية سنة (١٣٣٤) هجرية، لم يرسل أحد من ملوك المسلمين كسوة داخلية للكعبة المشرفة.

انظر: صورة رقم ١٠٠، الكعبة من الداخل و عليها كسوتها الحمراء المهداة من السلطان عبد العزيز خان العثماني

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٨٥

انتهى بعون الله تعالى الجزء الثالث و يتلوه الجزء الرابع، و أوله:

الآيات المكتوبة على حزام الكعبة المشرفة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٨٧

## المحتويات

الموضوع / رقم الصفحة

عمارات حجر إسماعيل / ٥

الرخامة الخضراء التي بالحجر / ٨

نقش أرضية حجر إسماعيل / ١١

- الكتابة التي في أعلى جدار الحجر / ١٣
- الخطيم و حجر إسماعيل و ما كتب عليه / ١٥
- بيان جهة بيت المقدس / ١٦
- الرخامات الصفر التي على الشاذروان / ١٧
- البنائة الخامسة و السادسة: بناء جرهم و العمالقة الكعبة / ١٨
- الكعبة في عهد خزاعة / ١٩
- البنائة السابعة: بناء قصي بن كلاب الكعبة / ٢٠
- ترجمة قصي بن كلاب / ٢١
- البنائة الثامنة: بناء قريش الكعبة / ٢٤
- وضع رسول الله صلى الله عليه و سلم الحجر الأسود بيده في محلة الكعبة / ٣٣
- الخلاصة في كيفية بناء قريش / ٣٨
- مميزات بناء قريش / ٣٩
- ترجمة الوليد بن المغيرة المخزومي / ٤١
- ترجمة قريش / ٤٣
- ترجمة باقوم الرومي / ٤٤
- البنائة التاسعة: بناء عبد الله بن الزبير الكعبة / ٥٤
- حرب ابن الزبير رضى الله عنه / ٥٤
- حرب ابن الزبير و قتله / ٥٥
- الحرب بالمنجنيق / ٥٧
- الحرب بالدبابات / ٥٨
- بناء ابن الزبير الكعبة / ٥٨
- بكاء عبد الله بن عمرو بن العاص على احتراق الكعبة / ٦٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٨٨
- الموضوع / رقم الصفحة
- سبب بناء ابن الزبير الكعبة على قواعد إبراهيم / ٧١
- ما جاء في صحيح مسلم عن بناء ابن الزبير و الحجاج الكعبة / ٧٢
- ابتداء هدم الكعبة و انتهاء بنائها في عهد ابن الزبير / ٧٤
- باب الكعبة الغربية / ٧٤
- حكم استقبال القبلة عند هدم الكعبة المشرفة / ٧٨
- الخلاصة في كيفية بناء ابن الزبير / ٧٩
- مميزات بناء ابن الزبير / ٨١
- أنين الكعبة من ضرب المنجنيق / ٨٢
- ترجمة عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما / ٩٣

- اختلاف العلماء فى بعض المسائل الدينية / ١٠٢
- اختلاف الناس فى بعض الأمور الحيوية / ١٠٥
- الاختلاف فى استعمال السكة الحديدية / ١٠٦
- الاختلاف فى استعمال البخار فى الأسطول / ١٠٦
- الاختلاف فى استعمال التدفئة و أنابيب الماء و تشييد المنازل العالية / ١٠٧
- الاختلاف فى استعمال الشوكة و السكين فى الأكل / ١٠٧
- الاختلاف فى لبس البنطلونات / ١٠٨
- الاختلاف فى استعمال النظارات / ١٠٨
- الاختلاف فى استعمال أحواض الاغتسال / ١٠٨
- الاختلاف فى استعمال المطابع / ١٠٩
- الاختلاف فى أكل الملح و الموز و البطاطس و الطماطم / ١٠٩
- الاختلاف فى قبول البنات فى المدارس / ١١٠
- الاختلاف فى استعمال الكهرباء / ١١٠
- الاختلاف فى استعمال السيارات و العربات / ١١٠
- الاختلاف فى استعمال الشمسية / ١١١
- الاختلاف فى استعمال الصابون / ١١١
- الاختلاف فى بناء برج إيفل بباريس / ١١٢
- الاختلاف فى الانتقال من الأحياء القديمة / ١١٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٨٩
- الموضوع / رقم الصفحة
- الاختلاف فى تعليم البنات / ١١٣
- البنية العاشرة: بناء الحجاج الثقفى الكعبة / ١١٤
- سبب بناء الحجاج الكعبة / ١١٤
- الخلاصة فى كيفية بناء الحجاج الثقفى / ١١٦
- ما كان من العمارة فى الجدار الذى بناه الحجاج / ١١٧
- وجوب الطواف من وراء جدار الحجر / ١١٧
- مميزات بناء الحجاج / ١١٨
- ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفى / ١١٨
- حكاية الحجاج مع الأعرابي / ١٢١
- نقل الحجاج إلى العراق / ١٢١
- حكاية الحجاج مع الغضبان / ١٢٣
- البنية الحادية عشرة: بناء السلطان مراد الرابع الكعبة / ١٢٦
- الخلاصة فى كيفية بناء السلطان مراد الرابع / ١٢٦

- مميزات بناء السلطان مراد/ ١٢٧
- التفصيلات الوافية عن بناء السلطان مراد الرابع للكعبة/ ١٢٨
- حزام الكعبة الذى أرسله السلطان أحمد خان/ ١٣١
- صورة الاستفتاء الذى قدمه رضوان آغا لعلماء مكة الأعلام/ ١٣٥
- جواب الشيخ أحمد بن محمد آق شمس الدين المدرس الحنفى/ ١٣٥
- جواب الشيخ خالد بن أحمد المالكي/ ١٣٥
- جواب السيد زين العابدين بن عبد القادر الطبرى الشافعى/ ١٣٦
- صورة الاستفتاء الذى قدمه رضوان آغا لعلماء مكة/ ١٣٧
- جواب الشيخ خالد بن أحمد المالكي/ ١٣٨ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٢-٣ ؛ ص ٥٨٩
- اب الشيخ عبد العزيز بن محمد الزمزمى الشافعى/ ١٣٨
- جواب الشيخ أحمد بن محمد آق المدرس/ ١٣٩
- جواب الشيخ عبد الله بن أبى بكر بن ظهيرة القرشى/ ١٤٠
- عدد حجارات الكعبة الظاهرة فى هذا البناء/ ١٧٦
- قوة بناية السلطان مراد الرابع للكعبة/ ١٧٨
- ترجمة السلطان مراد الرابع/ ١٧٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٩٠
- الموضوع/ رقم الصفحة
- بيان بأسماء السلاطين من آل عثمان الذين قاموا بتعمير الحرمين الشريفين/ ١٨١
- رفع الراية على قلاع الحرمين/ ١٨٢
- الزمن الذى بين بنايات الكعبة/ ١٨٣
- الجيال التى أخذت منها الحجارة لبناء الكعبة/ ١٨٤
- بقاء الكعبة إلى قيام الساعة/ ١٨٧
- الحجارات الرخام المكتوبة داخل الكعبة/ ١٩٠
- الكتابة الموجودة على عقد باب الكعبة/ ١٩٥
- تحلية الكعبة/ ١٩٦
- الكراسى التى كانت موجودة فى الكعبة/ ٢٠١
- الكعبة المشرفة و هندستها/ ٢٠٣
- اختلاف بنايات الكعبة و تعميرها/ ٢٠٧
- صفة أشهر بنايات الكعبة المعظمة/ ٢١١
- كيفية بناء قريش/ ٢١٣
- كيفية بناء ابن الزبير/ ٢١٤
- كيفية بناء الحجاج الثقفى/ ٢١٦
- سبب بناء الحجاج الكعبة/ ٢١٧

- كيفية عمارة السلطان مراد الرابع / ٢١٨
- منظومة في صفة أشهر بنايات الكعبة / ٢٢٢
- الحجر الأسود / ٢٣٦
- أصل الحجر الأسود من الجنة / ٢٣٨
- لون الحجر الأسود / ٢٤٣
- علة تسمية الركن بالحجر الأسود / ٢٤٦
- تقيل الأيدي عند استلام الركن / ٢٤٦
- بقاء الحجر الأسود إلى يوم القيامة / ٢٤٨
- الرد على من يقول بأن الحجر الأسود من النيازك / ٢٤٩
- الزحام على تقيل الحجر الأسود / ٢٥٣
- الترغيب في استلام الركنين / ٢٥٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٩١
- الموضوع / رقم الصفحة
- ما يقال عند استلام الحجر الأسود / ٢٥٧
- فضل الملتزم و الدعاء فيه / ٢٦٠
- الحوادث التي مرت على الحجر الأسود / ٢٦١
- الرد على من يقول أن القرامطة استبدلوا الحجر الأسود / ٢٦٦
- أصل القرامطة و مذهبهم / ٢٧٠
- المقالة في أصل هذه الدعوة الملعونة و مبدئها / ٢٨١
- وضع الأطواق على الحجر الأسود / ٢٨٤
- تطويق الحجر الأسود بالذهب و الفضة / ٢٨٦
- المحافظة التامة على قطع الحجر الأسود إن كسر منه شيء / ٢٨٨
- شاذروان الكعبة / ٢٨٨
- حكم الشاذروان بالنسبة للطواف / ٢٩٣
- عدد مرات بناء الشاذروان و إصلاحه / ٢٩٥
- مقاس الشاذروان و عدد حجراته و عدد الحلقات به / ٢٩٦
- الرخامات الصفر التي بالشذروان / ٢٩٨
- منظومة السيوطي في موافقات عمر رضى الله عنه / ٣٠٤
- ذرع ما بين مقام إبراهيم و بين الكعبة و ما حولها / ٣٠٥
- صفة المقام / ٣٠٦
- وصفنا لمقام إبراهيم / ٣٠٨
- موضع المقام / ٣١٣
- أرجح الأقوال في موضع المقام / ٣١٥

- ما ورد فى كتاب شفاء الغرام عن موضع المقام فى الجاهلية و الإسلام / ٣١٧  
 وضع المقام فى مكانه الحالى / ٣٢٢  
 ترجمة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه / ٣٢٣  
 فضل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه / ٣٢٤  
 عمر بن الخطاب و بعض أعماله / ٣٢٨  
 قتل عمر رضى الله عنه و ما قاله عند موته / ٣٢٩  
 ترجمة المطلب بن أبى وداعة السهمى رضى الله تعالى عنه / ٣٣٢  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٩٢  
 الموضوع / رقم الصفحة  
 اهتمام عمر رضى الله عنه بأمر المقام / ٣٣٣  
 ترجمة عبد الله بن السائب العابدى رضى الله عنه / ٣٣٧  
 ذرع مقام إبراهيم / ٣٣٩  
 الذهب الذى على مقام إبراهيم / ٣٤٠  
 تطويق المقام بالذهب و الفضة / ٣٤٠  
 ما ذكره إبراهيم رفعت باشا فى كتابه مرآة الحرمين عن مقام إبراهيم / ٣٤١  
 الأحجار الأثرية المفروشة خلف مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام / ٣٤٤  
 التحقيق التام عن موضع المقام / ٣٤٥  
 كسوة المقام / ٣٥١  
 الكسوة العراقية للكعبة / ٣٥٢  
 وجوب صون المقام / ٣٥٣  
 وضع المقام فى مقصورة / ٣٥٣  
 فوائد وضع المقام فى مقصورة / ٣٥٤  
 الرد على من يقول: أن المقام كان مدفونا / ٣٥٧  
 اقتراح المؤلف فى مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام / ٣٥٨  
 الأحجار الثلاثة التى صارت معجزة لرسول الله الثلاثة / ٣٥٩  
 أول تفكير فى تاريخ الإسلام لنقل مقام إبراهيم / ٣٦٢  
 وضع زجاج على مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام / ٣٦٤  
 تجديد مقصورة مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام / ٣٦٧  
 المصلّى الجديد بالمسجد الحرام / ٣٧٩  
 قدم أبينا آدم عليه السلام / ٣٨٠  
 أقدام إدريس و عيسى عليهما الصلاة و السلام / ٣٨٢  
 تغيير سقف الكعبة و ترميمها فى العهد السعودى / ٣٨٣  
 خلاصة الأمر الملكى للإصلاح / ٣٨٤



- الأخذ في الأسباب لإصلاح الكعبة / ٣٨٤
- فتح الكعبة لأخذ القياسات / ٣٨٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٩٣
- الموضوع / رقم الصفحة
- البدء في تجديد السقف الأعلى للكعبة / ٣٨٦
- استبدال المرابيع الخشبية التي بسطح الكعبة بالحديد / ٣٩١
- وضع الرخام على سطح الكعبة / ٣٩٣
- صب الرصاص بين رخام سطح الكعبة / ٣٩٣
- وضع الرخام في طنف السطح / ٣٩٤
- إصلاح فتحة باب الدرج الذي بالسطح / ٣٩٥
- تجديد السقف الثاني للكعبة مما يلي الأرض / ٣٩٥
- دهن ما بين السقف بالبوية / ٣٩٧
- تنقيط جدران الكعبة من الخارج / ٣٩٧
- العمل في داخل الكعبة و ترميمها / ٣٩٩
- حضور جلالة الملك السابق سعود إلى الكعبة المشرفة / ٤٠١
- إصلاح ميزاب الكعبة / ٤٠٤
- إصلاح جانبي جدار باب الكعبة و عتبتها / ٤٠٦
- إصلاح درج الكعبة التي في داخلها / ٤٠٦
- دهن أعمدة ابن الزبير التي بجوف الكعبة و وصفها / ٤٠٧
- فرش أرض الكعبة بالرخام / ٤٠٩
- الانتهاء التام من عمارة الكعبة / ٤٠٩
- نقل ما في حجر إسماعيل من الأحجار و الأتربة و الأخشاب / ٤١٠
- أسماء المشرفين على العمل و حضورهم يومياً في الكعبة / ٤١١
- العمال الذين اشتغلوا في عمارة الكعبة / ٤١٢
- كلمة ختام / ٤١٣
- الإذاعة تؤدي واجبها من فوق سطح الكعبة المشرفة / ٤١٣
- الإذاعة السعودية تسأل مؤلف هذا الكتاب / ٤١٤
- دعاء مؤلف هذا الكتاب المذاع من فوق سطح الكعبة / ٤١٦
- بعض الآيات و التكبيرات التي أذاعها مؤلف هذا الكتاب / ٤٢١
- قراءة القرآن و الحديث في جوف الكعبة / ٤٢٣
- مقاييس الكعبة المشرفة / ٤٢٦
- قياسات الكعبة المعظمة / ٤٢٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٩٤

الموضوع / رقم الصفحة

مقدار الذراع و الميل و الفرسخ و نحوها / ٤٣٨

سبب تسمية الميل بالميل / ٤٣٩

ابتكارات الرسوم الأربع للكعبة / ٤٤٠

شكل الكعبة من الخارج و الداخل / ٤٤١

وصف الكعبة و المسجد الحرام / ٤٤٥

قصيدة أمير الشعراء فى البيت الحرام / ٤٤٧

موضع الحطيم / ٤٤٨

موضع خزائن الكعبة / ٤٤٩

أركان الكعبة المعظمة / ٤٥١

أركان الكعبة الأربعة / ٤٥٣

الحفرة التى عند باب الكعبة المشرفة / ٤٥٤

سد الحفرة و ردمها / ٤٦٠

الحجر المكتوب الذى فى داخل الحفرة / ٤٦١

لماذا لم تكن الكعبة قطعة من الجوهر / ٤٦٢

تسمية البيت الحرام بالكعبة / ٤٦٣

الشمسيات التى كانت توضع على الكعبة / ٤٦٣

هدايا الكعبة و معاليقها و أموالها / ٤٦٨

ما علق من الصحائف فى الكعبة / ٤٧٧

نص الكتاب الذى كتبه محمد بن أمير المؤمنين هارون الرشيد / ٤٨٣

نص الكتاب الذى كتبه عبد الله بن أمير المؤمنين هارون الرشيد / ٤٨٦

عقاب المعتدى على مال الكعبة / ٤٨٨

حكم التصرف فى مال الكعبة / ٤٩٠

التعدى على أموال الكعبة و هداياها / ٤٩٣

فضل النظر إلى الكعبة / ٤٩٧

فضل الطواف بالبيت الحرام / ٤٩٨

هيبة الكعبة و ما يقال عند النظر إليها / ٤٩٩

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٩٥

الموضوع / رقم الصفحة

تعظيم الكعبة فى الجاهلية / ٥٠٠

تطيب الكعبة / ٥٠٨

عدم خلو الكعبة من الطائفين / ٥١١

الطواف فى الجاهلية / ٥١٤

- الجلوس فى الحجر و المطاف فى الجاهلية / ٥١٦
- استحباب الدخول فى الكعبة / ٥١٧
- فضل دخول الكعبة المعظمة / ٥٢٠
- آداب دخول الكعبة / ٥٢١
- الصلاة فى داخل الكعبة / ٥٢٥
- صلاة النبى صلى الله عليه و سلم فى الكعبة / ٥٢٧
- عدد دخول النبى صلى الله عليه و سلم الكعبة بعد الهجرة / ٥٢٩
- منع بعض الناس عن دخول الكعبة / ٥٣٢
- أخذ الأجرة على دخول الكعبة / ٥٣٤
- المواضع التى صلى فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم حول الكعبة / ٥٣٥
- أول من أدار الصفوف حول الكعبة / ٥٣٨
- مدة صلاة النبى صلى الله عليه و سلم إلى بيت المقدس / ٥٤٠
- أمر الكسوة الخارجية للكعبة المعظمة / ٥٤١
- القسم الأول: كسوة الكعبة فى العصر الجاهلى / ٥٤٢
- ترجمة تبع و هو أسعد الحميرى / ٥٤٣
- القسم الثانى: كسوة الكعبة فى الإسلام / ٥٤٩
- القسم الثالث: كسوة الكعبة فى عصر بنى أمية / ٥٥١
- القسم الرابع: كسوة الكعبة فى عصر العباسيين / ٥٥٢
- القسم الخامس: كسوة الكعبة فى عصر المماليك البحرية و الشراكسة / ٥٥٨
- القسم السادس: كسوة الكعبة فى عهد الدولة العثمانية / ٥٦١
- كسوة الشريف الحسين بن على / ٥٦٦
- بيان الأيام التى كانت تكسى فيها الكعبة المعظمة / ٥٧٠
- خاتمة مسألة الكسوة / ٥٧١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٣، ص: ٥٩٦
- الموضوع / رقم الصفحة
- وصف ابن جبير كسوة الكعبة و عدد قطعها / ٥٧٢
- وصف صاحب كتاب "المحمل و الحج" كسوة الكعبة المشرفة / ٥٧٥
- الاحتفال بوصول كسوة الكعبة من الآستانة إلى مصر القاهرة / ٥٧٥
- وصف صاحب كتاب (المحمل و الحج) للاحتفال بمرور الكسوة فى شوارع القاهرة / ٥٧٦
- وصف صاحب كتاب (مرآة الحرمين) للاحتفال بالكسوة فى شوارع القاهرة / ٥٧٧
- الاحتفال بدخول كسوة الكعبة إلى مكة المشرفة / ٥٨٠
- الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة / ٥٨١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥

## [الجزء الرابع]

## الآيات المكتوبة على حزام الكعبة المشرفة

نذكر هنا نوعين مما يكتب على حزام الكعبة المشرفة بخيوط من الذهب الخالص: فالنوع الأول ما كان يكتب قبل نصف قرن تقريباً، و النوع الثاني مما كتب في عصرنا أى فى سنة (١٣٨٧) فالكتابة على حزام الكعبة المشرفة من النوع الأول قال عنه الغازى فى تاريخه عند الكلام على كسوة الكعبة و الكتابة التى على حزامها ما نصه:

ثم يوضع على محيط البيت معظم فوق هذه الستائر فيما دون ثلثها الأعلى حزام مركب من أربع قطع مصنوعة من المخيش المذهب (مكتوب فيه من الجهة الشرقية التى فيها باب الكعبة) بسم الله الرحمن الرحيم. وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ، وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

(و مكتوب فى الجهة التى تليها من جهة الحجر الأسود) بسم الله الرحمن الرحيم قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِّلنَّاسِ لِلَّذِي بَنَاهُ مَبْرَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَإِذْ بَوَّأْنَا إِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ \* وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ.

(و مكتوب فى الجهة المقابلة للمقام المالكى) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ \* ثُمَّ لِيُقْضَىٰ لَهُمْ وَأَلْفَوْهُم نُدُورَهُمْ وَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ.

(و مكتوب فى الجهة الرابعة و هى التى بها الميزاب) فى أيام دوله مولانا السلطان الأعظم ملك ملوك العرب و العجم السلطان محمد الخامس خان ابن السلطان عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان الغازى ابن السلطان عبد الحميد خان بن السلطان أحمد خان بن السلطان محمد خان ابن السلطان إبراهيم خان بن السلطان مراد خان بن السلطان عثمان خان خلد الله ملكه. انتهى من تاريخ الغازى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦

و النوع الثانى، مما كتب (على الحزام) فى عصرنا أى فى سنة ١٣٨٧ هـ و هو ما يأتى:

من الجهة الشرقية التى فيها الباب: وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ، وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

و تحت هذا مكتوب فى سطر واحد فى وسط الثوب: تم صنع هذه الكسوة بالجمهورية العربية المتحدة فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر و أهديت إلى الكعبة المشرفة فى عهد خادم الحرمين الشريفين سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية سنة ١٣٧٧ هـ.

و مكتوب من الجهة الشمالية فيما بين الركنين: بسم الله الرحمن الرحيم قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِّلنَّاسِ لِلَّذِي بَنَاهُ مَبْرَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ \* قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ.

و مكتوب على الحزام من الجهة الغربية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ\* وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ\* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ\* ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ.

و مكتوب عليه من الجهة الشمالية من جهة حجر إسماعيل:

وَ يُؤْفُوا نُذُورَهُمْ وَ لِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَرَجُ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَ لَا فُسُوقَ وَ لَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَ مَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ. يَا حَنَّانَ يَا مَنَّانَ يَا دِيَانَ يَا سَبْحَانَ. بِسْمِ اللَّهِ

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٧

الرحمن الرحيم وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى.

و اعلم بأنه قد جرت العادة ذكر اسم ملك مصر الذي أهديت الكسوة إلى الكعبة المشرفة في عهده على ستاره الكعبة المشرفة في الجهة الشرقية أى فوق بابها، و فى عصرنا الحاضر حيث تصنع كسوة الكعبة المشرفة بمكة المكرمة يكتب اسم ملك المملكة العربية السعودية على الكسوة.

انظر: صورة رقم ١٠١، جزء من حزام الكعبة المشرفة و تظهر فيه بعض الآيات القرآنية.

هذا و قد صنعت كسوة الكعبة المشرفة بمكة المكرمة لأول مرة فى سنة ١٣٤٦ هجرية و استمر صنعها بمكة بضع سنوات فلما تحسنت العلاقات بين المملكة العربية السعودية و الحكومة المصرية أقفل المصنع بمكة لتعهد الحكومة المصرية بإرسال الكسوة كالعادة المتبعة ثم حصل سوء التفاهم بين الحكومتين أيضا فانقطع إرسال الكسوة من قبل الحكومة المصرية و فتحت الحكومة السعودية مصنع الكسوة بمكة مرة ثانية فى سنة ١٣٨٢ هـ. و استمر ذلك إلى عامنا هذا أى سنة ١٣٨٧ هـ، و لقد نجح مصنع الكسوة بمكة بعناية و إخلاص سعادة السيد أحمد مجاهد و كيل وزارة الحج و الأوقاف. فلقد أبدى جهودا جبارة و عناية فائقة فى النهضة بهذا المصنع الفريد، زاده الله تعالى توفيقا و نجاحا آمين.

أصلح الله تعالى أحوال المسلمين و نصرهم على أعداء الدين آمين. و قد جاء فى تاريخ الحجاز للشيخ حسين محمد نصيف رحمه الله تعالى أن المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود لما أخذ الحجاز و دخل مكة فى عام (١٣٤٣ هـ) أمر بصنع كسوة الكعبة المشرفة فى أجياد و صنعت بها و أرسلت إلى مكة فكسيت بها الكعبة و ذلك لوجود الحصار و الحرب بينه و بين الشريف الحسين ملك الحجاز الأسبق رحمهما الله تعالى، و عدم تمكن الحكومة المصرية من إرسال الكسوة تلك السنة.

### كتابة أسماء الملوك فى كسوة الكعبة

تقدم الكلام على أن أول من كسا الكعبة المشرفة أسعد الحميرى و هو تبع، كساها الأنطاع و الوصائل من ثياب حبرة من عصب اليمن، ثم تبعه الناس فى كسوتها فى الجاهلية و الإسلام، فكانت تكسى بمختلف الأكسية كالحرير و الليف و الملاءة و الوصائل و الأنطاع و الحبرات و القباطى و الخز و الديقاج.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٨

و من المعلوم أن صناعة كسوتها كانت فى رقى و تقدم حسب تدرج الناس فى المدينة و الحضارة إلى أن وصلت فى عصرنا الحاضر بهذا الشكل الجميل. و لم تكن فى الكسوة نقوش و لا كتابة مطلقا فى العصور الأولى لعدم تقدم الصناعات و قلّة معرفة الناس للكتابة، حتى أواخر القرن الثانى للهجرة، فإنه بعد هذا العصر بدأ الناس يكتبون على كسوة الكعبة المشرفة أسماء الأمرين بكسوتها. و لنذكر بعض ما ورد عن ذلك فى التاريخ:

فقد قال صاحب تاريخ الكعبة المعظمة: جاء فى الرحلة الحجازية نقلا عن الفاكهى فى أخبار مكة أنه قال: رأيت كسوة مما يلى الركن

الغربي من الكعبة مكتوبا عليها "مما أمر به السرى بن الحكم و عبد العزيز بن الوزير الجرومى بأمر الفضل بن سهل ذى الرآستين، و طاهر بن الحسين، سنه سبع و تسعين و مائه..."  
 أى من الهجرة.

قال: و رأيت شقة من قباطى مصر فى وسطها مكتوبا فى أركانها بخط رقيق أسود "مما أمر به أمير المؤمنين المأمون سنه ست و مائتين".

قال: و رأيت كسوة من كساوى المهدي مكتوبا عليها "بسم الله بركة من الله لعبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، مما أمر به إسماعيل بن إبراهيم أن يصنع من طراز تنيس على يد الحكم بن عبيد. اثنين و ستين و مائه."

قال: و رأيت كسوة من قباطى مصر مكتوبا عليها "مما أمر به عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أصلحه الله محمد بن سليمان أن يصنع من طراز تنيس كسوة الكعبة، على يد الخطاب بن سلمة عامله. سنه تسع و خمسين و مائه."

قال: و رأيت أيضا كسوة لهارون الرشيد من قباطى مصر مكتوبا عليها:

"بسم الله بركة من الله للخليفة الرشيد عبد الله هارون أمير المؤمنين أكرمه الله، مما أمر به الفضل بن الربيع أن يعمل من طراز تونه. سنه تسعين و مائه." اه.

قال البتوني صاحب كتاب "الرحلة الحجازية: "و من أعمال تنيس قرية يقال لها "تونه" كانت تصنع بها كسوة الكعبة أحيانا. اه.

و لقد بعث أبو السرايا من الكوفة كسوتين من قز رقيق إحداهما صفراء و الأخرى بيضاء كسيت بهما الكعبة فى أول المحرم سنه مائتين من الهجرة كتب على كل منهما ما يأتى "بسم الله الرحمن الرحيم، و صلى الله على سيدنا محمد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٩

و على أهل بيته الطيبين الأخيار، أمر أبو السرايا الأصفر بن الأصفر داعية آل محمد صلى الله عليه و سلم، بعمل هذه الكسوة لبيت الله الحرام."

و قال صاحب تاريخ الكعبة أيضا نقلا عن التقى الفاسى: أنه أدرك كسوة الكعبة المعمولة سنه خمس و عشرين و ثمانمائة و قد رأى ما كتب على طرازها "أى على حزامها" من الآيات القرآنية، و قال: لقد كتب عليها من الجهة الشرقية قوله تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ - إِلَى - فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنَّا عَنِ الْعَالَمِينَ و كتب فى الجهة الغربية: وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ - إِلَى - إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ و كتب فى الجهة اليمانية: جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ - إِلَى - وَ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

و كتب فى الجهة الشامية اسم صاحب مصر و أمر بعمل هذه الكسوة و هذا الطراز المذكور فى نحو الربع الأعلى من البيت. اه.

و قال فى تاريخ الكعبة أيضا: أن ابن جبير ذكر فى رحلته التى كانت سنه ثمان و سبعين و خمسمائة، أنه رأى الكسوة الجديدة التى وضعت على الكعبة المشرفة فى اليوم الثالث عشر من ذى الحجة من السنة المذكورة، و أنها كانت خضراء يانعة، فى أعلاها رسم أحمر واسع مكتوب فى الصفح الموجه إلى المقام الكريم حيث الباب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ... الآية و فى سائر الصفحات اسم الخليفة و الدعاء له، و تحف بالرسم المذكور طرتان حمراوان بدوائر صغار بيض، فيها رسم بخط رقيق يتضمن آيات من القرآن و ذكر الخليفة أيضا. اه.

و قال فى تاريخ الكعبة أيضا: جاء فى كتاب تحصيل المرام أن كسوة الكعبة المشرفة الآن من حرير أسود و بطانتها من قطن أبيض ثم ذكر ما كتب عليها من الآيات القرآنية- قال:- و بين الركن الغربى و الشامى مكتوب "بسم الله الرحمن الرحيم، مما أمر بعمل هذه الكسوة الشريفة العبد الفقير السلطان فلان."

و قال أيضا: و نقل عن تحصيل المرام أنه قال:- و فى مدة الوهابية لما استولوا على مكة كانوا يكسونها حرير أسود من غير كتابه، و أميرهم سعود صاحب الشرق نحو سبع سنين. اه.

وجاء في كتاب "الرحلة الحجازية" للبتونى وصف كسوة الكعبة المشرفة و ما هو مكتوب فيها، ثم قال: و مكتوب على حزامها من الجهة التى فيها الباب و كان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٠

ذلك فى عصر السلطان محمد رشاد الخامس العثمانى. اه. و السلطان المذكور توفى بعد سنة ألف و ثلاثمائة و ثلاث و ثلاثين من الهجرة.

انتهى كل ذلك باختصار من كتاب "تاريخ الكعبة المعظمة".

هذا و لا يزال تكتب أسماء الملوك على كسوة الكعبة الشريفة إلى زماننا و عصرنا، و لما استولى جلاله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود رحمه الله تعالى على الحجاز و لم تأت الكسوة من مصر حسب العادة لبعض الأسباب، أمر جلالته بصنع الكسوة فى نفس مكة المكرمة فمسجوها بها و كتبوا اسم جلالته عليها من الجهة الشمالية أى من جهة حجر إسماعيل عليه الصلاة و السلام، و كتبوا فى الجهات الأخرى الآيات القرآنية، و هذا ما كتب على الكسوة من الجهة الشمالية "هذه الكسوة صنعت فى مكة المباركة المعظمة بأمر خادم الحرمين الشريفين جلاله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية أيدته الله تعالى بنصره سنة ألف و ثلاثمائة و ست و أربعين هجرية على صاحبها أفضل التحية و أتم التسليم".

ثم لما حصل الاتفاق بين المملكتين "المصرية و السعودية" فى شهر رمضان سنة ألف و ثلاثمائة و خمس و خمسين من الهجرة و رجعت مصر إلى إرسال كسوة الكعبة فى كل عام حسب المعتاد، صار يكتب على الكسوة الشريفة ما يأتى "أمر بصنع هذه الكسوة الشريفة لكعبة بيت الله الحرام، صاحب الجلالة ملك مصر فاروق الأول، و أهديت لها فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية سنة ألف و ثلاثمائة و خمس و خمسين هجرية".

انظر: صورة رقم ١٠٢، الكعبة المشرفة و يظهر فيها ستارة بابها بوضوح تام

هذا ما كان من أمر كتابة أسماء السلاطين و الملوك على كسوة الكعبة المشرفة، و فى الحقيقة أن كتابة الأسماء على كسوة الكعبة المعظمة و عدم كتابتها على حد سواء، غير أن كتابتها تكون أفضل من الناحية التاريخية، و ليعلم أن عمل الكسوة منوط بولى أمر المسلمين فهو المطالب بها. نسأل الله تعالى أن يلبسنا فى الدنيا ثوب الغنى و العفة و العلم و التقوى و لِيَأْسُ التَّقْوَى ذَلِكْ خَيْرٌ و أن يكسوننا فى الآخرة من حلل الجنة بفضلته و رحمته إنه تعالى كريم عظيم، واسع الفضل و الإحسان. و صلى الله على نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١١

### الإشهاد الشرعى بتسليم كسوة الكعبة

قال مؤلف كتاب المحمل و الحج: جرت العادة أن يكتب إشهاد شرعى بتسليم الكسوة من مأمور تشغيلها إلى المحمل - من فى عهدته المحمل و الكسوة - ليوصلها إلى البيت الحرام و يذكر فى هذا الإشهاد أجزاء الكسوة و مادتها و أوصافها و هو أثر تاريخى، و هى لا تختلف فى سنة عنها فى أخرى إلا - فى جودة ما تصنع منه - ثم ساق المؤلف رحمه الله تعالى نص الإشهاد الشرعى بتسليم الكسوة الشريفة نقلا عن مرآة الحرمين - و صورته كما يلى:

هذا نص إشهاد شرعى حرر فى سنة (١٣٢١) إحدى و عشرين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة بمحكمة مصر الكبرى الشرعية فى يوم الثلاثاء ١٥ ذى القعدة سنة ١٣٢١ الموافق ٢ فبراير سنة ١٩٠٤ إذن فضيلتو قاضى أفندى مصر حالا لحضرة الشيخ محمد ناجى أحد أعضاء المحكمة المذكورة بسماع ما يأتى ذكره فيه و لكاتبه هما الشيخ محمد سعيد و محمد مصطفى أفندى الكاتب كلاهما بالمحكمة المذكورة بكتابة ما يأتى ذكره فيه، فلدى حضرة العضو المومى إليه بحضور الكاتبين المذكورين بالمجلس المنعقد بمسجد

سيدنا و مولانا الإمام أبى عبد الله الحسين رضى الله تعالى عنه الكائن بمصر المحروسة بالقرب من خان الخليلي و الجامع الأزهر بقسم الجمالية فى الساعة العاشرة صباحا من اليوم المرقوم أشهد على نفسه الحاج محمد أحمد المحاملى الساكن بالدرب الأصفر بالقسم المذكور ابن المرحوم أحمد مصطفى بن مصطفى شهوده الإشهاد الشرعى و هو بأكمل الأوصاف المعتبرة شرعا أنه قبض و استلم و استوفى و وصل إليه من حضره عبد الله فائق بك مأمور تشغيل الكسوة الشريفة حالا الساكن بشارع المحجر بقسم الخليفة بمصر ابن المرحوم إسماعيل بك الحاضر هو معه بهذا المجلس جميع كسوة بيت الله الحرام المشتملة على ٨ أحمزة و ٤ رنوك مركبة على حملين من الثمانية أحمال الآتى ذكرها فيه، مزرکشة الثمانية أحمزة و الأربعة رنوك بالمخيش الأبيض و الأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود و الأطلس الحرير الأخضر المبطن بالبفت الأبيض و النوار القطن المركبات الثمانية أحمزة المذكورة على ثمانية أحمال حرير أسود مكتوب و مبطن بالبفت الأبيض و النوار و القطن، اثنان من الثمانية أحمال المذكورة كل منها تسعة أثواب، كل ثوب منها طوله ٢٦ ذراعا بالذراع البلدى طول كل ذراع منها ٥٧ سم و كسر، و اثنان من الثمانية أحمال

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٢

المذكورة كل منهما ٨ أثواب من الأثواب المذكورة و الأربعة أحمال باقى الثمانية أحمال المذكورة اثنان منها سبعة أثواب و نصف من الأثواب المذكورة، و الاثنان الباقيان كل منهما ستة أثواب و نصف من الأثواب المذكورة، و ستارة لبيت الله الحرام المعبر عنها بالبرقع المزرکشة بالمخيش الأبيض و الأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود و الأطلس الحرير الأخضر و الأحمر المبطنه بالبفت الأبيض و النوار القطن و الأطلس الحرير الأخضر بها خمسة شراريب حرير أسود و قصب و كتير و مخيش و ستة أذرة (كذا) فضة مطلية بالبندقى الأحمر، و ١٢ شرابة صقيرة حرير أحمر و قصب و كتير و ١٢ شمسية مزرکشة على الحرير الأحمر. و كسوة مقام سيدنا و مولانا إبراهيم خليل الرحمن عليه و على نبينا أفضل الصلاة و أتم التسليم المبطنه بالبفت الأبيض المزرکشة بالمخيش الأبيض و الأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود و الأطلسى الحرير الأخضر و الأحمر بها أربعة شراريب حرير أسود و قصب و كتير و مخيش و عشر شمسيات مزرکشة بالمخيش الأبيض و الأصفر المطلى بالبندقى الأحمر بها سحج قطن شبكة بقيطان قطن و أزرة شراريب من قطن هندی أحمر و أصفر و بها ترتر أحمر. و كيس مفتاح بيت الله الحرام المزرکش بالمخيش الأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الأطلس الحرير الأخضر به ترتر ملون و كتير أصفر مبطن بالأطلس الحرير الأخضر به شرابان قصب و كتير و قيطان قصب. و ستارة باب سطح بيت الله الحرام المعروف بباب التوبة داخل بيت الله الحرام المزرکشة بالمخيش الأبيض و الأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود و الأطلس الأخضر و الأحمر المبطنه بالبفت الأبيض و النوار القطن و الأطلس الحرير الأخضر بها ترتر. و ستارة باب مقصورة سيدنا و مولانا إبراهيم الخليل المشار إليه المزرکشة بالمخيش الأبيض و الأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود و الأخضر و الأحمر. بها خمسة أزرة فضة مطلية بالبندقى الأحمر و عشر شمسيات مزرکشة بالمخيش الأبيض و الأصفر على الأطلس الحرير الأحمر، بها عشرة شراريب صغيرة حرير و قصب المبطنه بالبفت الأبيض و الأطلس الحرير الأخضر.

و ستارة باب منبر الحرم الشريف المكى المزرکشة بالمخيش الأبيض و الأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود و الأخضر المبطنه بالبفت الأبيض و النوار القطن و الأطلس الحرير الأخضر.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٣

و ثلاثة مجاديل أى حبال قطن احتياج تعليق الكسوة الشريفة على بيت الله الحرام.

و إحدى و أربعين عصفورة- أى حبل قطن مجدول- احتياج الحلق.

و غلايتين من النحاس مغطاتين مملوءتين بماء الورد الباش احتياج غسل بيت الله الحرام. حسب المعتاد قبضا و تسليما و استيفاء و وصولا شرعيات، حسب اعتراف المشهد المذكور بذلك يوم تاريخه بهذا المجلس، بحضور كل من سعادة إبراهيم رفعت باشا أمير



الحج الشريف، و حضرة أحمد زكى بك مدير الأموال المقررة بنظارة المالية المصرية حالا، و أمين الصرة فى هذا العام، و حضرة السيد محمود البيلاوى شيخ مسجد و مقام سيدنا و مولانا أبى عبد الله الحسين رضى الله تبارك و تعالى عنه، و محمد عمر أفندى الكاتب و أمين مخزن مصلحة الكسوة.

العارف كل منهم للمشهد المذكور عينا و اسما و نسا و أنه الحاضر بهذا المجلس و اتصافه بالأوصاف المعتربرة شرعا. و على المشهد المذكور الخروج من عهده ذلك جميعه و تسليمه من له ولاية ذلك بمكة المشرفة حسب المعتاد فى ذلك. صدر ذلك بحضور و شهادة من ذكر أعلاه فى يوم الأربعاء و سادس عشر ذى القعدة الموافق ثالث فبراير المرقوم. اه. انتهى صورة الإشهاد الشرعى. و يعطى لمحرر الإشهاد الذى يتدبه القاضى ثلاث جنيهاً و مائتين و ثمانين مليما، منها ٨٨٠ مليما نقدية و مائة و أربعين قرشا ثمن فروه ٢ و ١٠٠ قرش ثمن فرجيه جوخ اه. انتهى من كتاب المحمل و الحج.

### حكم التصرف فى كسوة الكعبة

اختلف العلماء فى بيع الكسوة القديمة للكعبة المشرفة، فمنهم من أجاز بيعها و منهم من منع. و القول المعتمد الجواز، و نستدل عليه بما يأتى:

روى الأزرقى فى تاريخه: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان ينزع كسوة البيت فى كل سنة فيقسمها على الحاج فيستظلون بها على السمر بمكة، و روى أيضا أن شيبه بن عثمان دخل على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فقال: يا أم المؤمنين إن الكعبة تجتمع عليها الثياب فتكثر فعمد إلى يار فحفرها و نعمقها فندفن فيها ثياب الكعبة لكي لا تلبسها الحائض و الجنب. قالت عائشة:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٤

ما أصبت و بئس ما صنعت لا تعد لذلك فإن ثياب الكعبة إذا نزع عنها لا يضرها من لبسها من حائض أو جنب، و لكن بعها و اجعل ثمنها فى سبيل الله تعالى و المساكين و ابن السبيل. انتهى من تاريخ الأزرقى.

نقول: قول أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها: "لا يضرها من لبسها من حائض أو جنب" مشروط بخلوها من الكتابات القرآنية و من كلمة التوحيد و من أسماء الله الحسنى. و إذا لم تكن الكسوة من الحرير بالنسبة للرجال. قال القاضى ابن ظهيرة رحمه الله تعالى فى كتابه "الجامع اللطيف" ما نصه:

"فروع"، الأول: يجوز بيع ثياب الكعبة عندنا إذا استغنت عنه و قال ابن جماعة من فقهاء الشافعية و غيرهم: و يجوز الشراء من بنى شيبه لأن الأمر مفوض إليهم من قبل الإمام نص عليه الطرسوسى من أصحابنا فى شرح منظومته و وافقه السبكي من الشافعية ثم قال: و عليه عمل الناس و المنقول عن ابن الصلاح أن الأمر فيها إلى الإمام يصرفها فى بعض مصارف بيت المال بيعا و إعطاء، و استدل بما تقدم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و فى قواعد صلاح الدين خليل بن كيكلى أنه لا يتردد فى جواز ذلك الآن لأجل وقف الإمام ضيعة معينة على أن يصرف ريعها فى كسوة الكعبة و الوقف بعد استقرار هذه العادة و العلم بها فينزل لفظ الواقف عليها، و استحسّن النووى الجواز أيضا. قال الجدر رحمه الله: هذا فى الستور الظاهرة و أما الستور الداخلة فلا تزال بل تبقى على ما هى عليه لأن الكلام إنما هو فى الستور التى جرت العادة أن تغير فى كل عام فلو قدر جريان العادة بمثل ذلك فى الستور الباطنة سلك بها مسلك الظاهرة.

انتهى من الجامع اللطيف.

قال نجم الدين الطرسوسى فى منظومته:

و ما على الكعبة من لباس إرث جاز بيعه للناس

و لا يجوز أخذه بلا شر الأغنياء لا و لا للفقراء

وقال القطب في كتابه الإعلام: قال الإمام فخر الدين رحمه الله تعالى في كتاب الوقف من فتاواه: ديباج الكعبة إذا صار خلقا يبيعه السلطان و يستعين به في أمر الكعبة لأن الولاية فيه للسلطان لا لغيره.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٥

وقال القطب في الكتاب المذكور أيضا: والذي يقتضيه القياس أن العادة استمرت قديما بأنها تبدل كل سنة و تأخذ بنو شيبه تلك العتيقة فيتصرفون فيها بالبيع و غيره. و الذي يظهر لى أن كسوة الكعبة الشريفة إن كانت من قبل السلطان من بيت مال المسلمين فأمرها راجع له يعطيها لمن شاء من الشيبين أو غيرهم، و إن كانت من أوقاف السلاطين و غيرهم فأمرها راجع إلى شرط الواقف فيها فهى لمن عينها له، و إن جهل شرط الواقف فيها عمل فيها بما جرت العوائد السابقة كما هو الحكم فى سائر الأوقاف، و كسوة الكعبة الآن من أوقاف السلاطين و لم يعلم شرط الواقف فيها، و قد جرت عادة بنى شيبه أنهم يأخذون لأنفسهم الكسوة العتيقة بعد وصول الكسوة الجديدة فيبقون على عادتهم فيها و الله تعالى أعلم. انتهى من الإعلام.

و لنختتم هذا الفصل بما ذكره العلامة المحقق الشيخ حسين بن عبد الله باسلامة مؤلف كتاب "تاريخ الكعبة المعظمة" فنيما ذكره يزول كل إشكال عند بعض العلماء. قال رحمه الله تعالى فى كتابه المذكور بعد أن ساق العبارة التى نقلناها هنا من الإعلام ما نصه:

"هذا حاصل ما وقفت عليه من أمر جواز تصرف آل الشيبى فى كسوة الكعبة المعظمة من بيع و إهداء و غير ذلك و أما ما كان يأخذه أمراء مكة من كسوة الكعبة فالذى أعلمه فى العصر الحاضر أن أمراء مكة يأخذون ستارة باب الكعبة و الحزام و ثوب مقام إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام، و آل الشيبى يأخذون كسوة الكعبة و ستارة باب التوبة الذى هو باب الدرجة فى داخل الكعبة المصعدة إلى سطحها و ستارة باب مقام الخليل صلى الله عليه و سلم و ذلك كان فى إمارة الشريف عون الرفيق و الشريف على بن عبد الله و الشريف الحسين بن على فى إمارته و استقلاله، و ربما كان الأمر كذلك فى إمارة من تقدم قبل إمارة من أدركتهم من الأمراء مثل الشريف عبد المطلب و الشريف الحسين بن محمد ابن عون و الشريف يحيى بن سرور و الشريف غالب و غيرهم من أمراء مكة إلى الذى ذكره التقى الفاسى فيما تقدم فى هذا الباب، ثم لما استولى جلاله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية حفظه الله على الحجاز أنعم على آل الشيبى بجميع كسوة الكعبة من ستارة و حزام و غير ذلك سواء حال مجيء الكسوة من مصر أو الكسوة التى أمر جلالته بعملها فى المعمل الذى أنشأه فى أجياد كما تقدم تفصيله.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٦

فبعمله هذا أزال كل إشكال عند بعض الفقهاء القائلين بأن أمر بيع كسوة الكعبة و تصرف آل الشيبى راجع إلى شرط الواقف أو أمر السلطان. و عليه صارت الكسوة حق من حقوق آل الشيبى يتصرفون فيها كيف شأؤوا و ذلك وفقا لإرادة جلاله الملك المعظم و رأى معظم الفقهاء القائلين بجواز البيع.

و أما تقسيم الكسوة بين آل الشيبى فكلهم فيها سواء الشيخ و الشاب و الطفل و الذكر و الأنثى تقسم بينهم بالسوية ما عدا رئيسهم صاحب المفتاح فله سهمان و ذلك باتفاقهم جميعا و هذه قاعدتهم من قديم الزمان إلى العصر الحاضر على ما علمت و الله تعالى أعلم. انتهى من تاريخ الكعبة المعظمة.

و هنا نبين تواريخ بعض من ذكرهم من الأشراف، فالشريف عون الرفيق توفى سنة (١٣٢٣) بالطائف، فتولى بعده الشريف على بن عبد الله ثم عزل فى آخر رمضان سنة (١٣٢٦) فتولى بعده الشريف الحسين بن على من قبل الخليفة السلطان رشاد خان الخامس فى السنة المذكورة فمكث فى الإمارة إلى سنة (١٣٣٤) و فيها قام بثورته المعروفة على الأتراك الموجودين بالحجاز فانتصر عليهم و استقل بالبلاد إلى سنة (١٣٤٣) ففياها استولى على الحجاز جلاله الملك عبد العزيز آل سعود رحمهم الله جميعا و نكتفى بتواريخ هؤلاء حتى لا نخرج عن المقصود فيطول بنا الكلام.

هذا و نقول: لو مشينا بقول القائل: "لا يجوز قطع شىء من كسوة الكعبة و لا بيعه و لا شراؤه و من حمل شيئا من ذلك فعليه رده و لا

عبرة بما يتوهمه البعض من أنهم يشتركون ذلك من بنى شبيهة فإنهم لا يملكونه ... "نقول: لو مشينا على هذا القول فأين يضع الشيبون هذه الكساوى المتعددة المتجددة كل عام، ولا يمكن لهم أن يستهلكوا كسوة واحدة في عام واحد بالاستعمال فهي ليست قليلة بل تبلغ القناطير وعلى أى وجه يكون استعمالهم لها وكلها مكتوب فيها كلمة التوحيد والآيات القرآنية. فالحاصل أن جواز بيع الكسوة حكم معتمد وعليه العمل من قديم الزمن.

ثم إن الحكومة السعودية منعت بيع كسوة الكعبة المشرفة و عوضت آل الشيبى عنها بمبلغ من المال سنويا. وذلك من سنة ١٣٧٨ ألف و ثلاثمائة و ثمان و سبعين هجرية.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٧

### صورة وقيية السلطان خان على كسوة الكعبة

هذه صورة الوقفية التي وقفها السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان من سلاطين آل عثمان رحمهم الله جميعا التي وقفها على كسوة الكعبة المعظمة و ذلك سنة ٩٤٧ هجرية فقد وقف عشرة من القرى بمصر لينفق ريعها على الكسوة الشريفة في مكة المشرفة و في المدينة المنورة. و قد نقلنا هذه الصورة من كتاب "المحمل و الحج" فقد ذكر فيه ما نصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذى رفع القبة الخضراء، و وضع بساط الغبراء، و سمك فى سماءه الأفلاك، و ملك فى أرضه الأملاك ففتح مناهج الملك و الدوله الغراء بيمن وقاية السلاطين، و حسن رعاية الأمراء، و جعل الكعبة البيت الحرام لشعائر الدين الزهراء."

فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ.

و استسعد بحجة يوم الجمرات، ثم الصلاة و السلام على سيد الأنبياء محمد أعلم الرسل الأعلام و الأنبياء، و على آل الكرام الأتقياء، و أصحابه العظام الأصفياء، نمقه العبد المحتاج إلى عفو ربه الصمد، محمد بن قطب الدين محمد القاضي بالعساكر المظفرة المنصورة فى ولاية أنطولى.

أما بعد فهذه وثيقة أنيقة بديعة المعانى و البيان، هادية منمقة أنيقة بليغة المباني و التبيان، توارى عباراتها راحا رحيقا، بل هى أصفى، و تجارى استعاراتها مسكا سحيقا، بل هى أزكى، يشعر عما هو الحق القاطع ما حواه فحواها، و يخبر عما هو الصدق الساطع، ما أده مؤداها، و هو أنه قد بان لكل ذى عقل سديد، أن الدنيا الدنية فنطرة العابرين، و رباط المسافرين، يحل هذا و يرحل ذاك و لا يدرى أحد إلا و يمتطى صهوتى أدهم الليل و أشهب النهار، و يسير مع السائرين إلى منتهى الآجال و الأعمار، و هى للموعظة كما قال سيد الكائنات عليه أفضل الصلوات:

"استمعوا و عوا من عاش مات، و من مات فات، و كل ما هو آت آت فلا ريب أن العاقل من اعتبر من الرواحل و اتخذ فيها لرحيله ذخيرة و زادا، و ادخر لمقامه الباقي عدة و عتادا، بالصدقات التى ينال بها النجاة، و يتوسل بها إلى الجنات، على ما نطق به القرآن، و حديث رسول الرحمن، حيث قال عز من قائل: إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ و قال عليه الصلوات التامات "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٨

من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له "ألا و هى الوقف.

فلما تفكر فى جميع ذلك السلطان الأعظم، و الخاقان الأكمل الأكرم ظل الله فى أرضه، و خليفته على خليفته فى رفعه و خفضه، علوى العلاء- من آل عثمان عثمانى المحيا، من سلاطين الزمان سلطان البحرين و البرين العرض، القائم بالسنة و الغرض، عاشر المجددين لدين الإسلام بأحسن المعاشر، و عاشر السلاطين العثمانية كالعقد العاشر، السلطان بن السلطان بن السلطان

سليمان شاه "ابن السلطان" سليم خان "ابن السلطان" بايزيد خان "لا زالت حديقه حقيقه العالمين منضرة بماء حياته و نماء ذاته، و حديقه العالمين منورة بضياء صفاته، و بيضاء سناء حسناته، و بلغ أرواح آباءه و أجداده الرحمه و سقاها بالكوثر و أسبغ عليهم نعم غفرانه و أنذر و رأى منها فى نفسه النفيسه نعم الله تعالى جزيله، لا يسع شكرها على ذاته الكريمه، منه منة جميله ليس فى طوقه ذكرها أراد استقرارها بالأوقات القاره، و استمرارها بالإداره الداره، متفكرا فى قول الملك الخلاق: ما عندكم ينقد و ما عند الله باق و نظر فى قول "الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" و عالما بأن تعظيم الكعبه المستوره بالأستار الشريفه العالیه و تشريفها فى الحج يوجب الجنة، و يصير الهدف السائر من العذاب و الجنة، و سائما فى قلبه الفسح من قول الرسول "من زارنى و جبت له شفاعتى" أن يستشف منه بتكريم قبره بالأستار، بل بتشريف مراقده الأتباع و ستر مرآشد الأشياح، أيضا بالإزار تنزيلا إياه منزله الزيارة الدائمه، و الخدمه القائمه، على مر الدهور و الأعصار فإن تلك المواضع و إن كانت جرت العاده بسترها لكنها كانت بالأموال المتطرقة، و بالأثمان المتفرقة، فأحب أن يكون ما يصرف إلى هذه الآثار الشريفه، من الأموال المتميزه المتبركه المنيفه، فعين لهذا أجمل أملاكه و أسبابه، و أجمل أمواله و أكسابه، فلذلك قد قال لدى المولى الفاضل، التحرير الكامل، مصباح رموز الدقائق، مفتاح كنوز الحقائق، كشاف المشكلات، حلال المعضلات، الموقع أعلى هذا الكتاب، يسر الله له حسن المآب، بقوله الشريف و لطفه اللطيف العارى عن الاعتساف، الحاوى على الإقرار و الاعتراف، الذى يجوز الشرع لاحتوائه على ما يغير الأصل و الفرع و حكى بأنه قد وقف أوقافا و سبها و حبس أملاكا و كملها، على النمط الأسمى، و على الطريق المشروع الأكمل، لتكون لهذه المصلحه أوقافا قاره و إدارات داره، فى الدنيا العاجله، و مفيده له فى يوم الجزاء و الآجله، و تكون عدّه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٩

معدّه لغده عن أمسه رمزيه لا تفارقه فى رسمه، و تغيرها جسره من العذاب و جنه يكون جزاءها مثل الحج المبرور الجنة، و تكون باعته للرفاعه و موجبه للشفاعه، منها جميع القرى الثلاث المسماة بيسوس و أبو الغيث و حوض بقمص الواقعة بالولاية المصريه التى كان حاصل منها فى السنه الواحده مبلغ (٨٩٠٠٠) درهم و منها جميع القرى السبع الجديده الواقعة فى الولاية الشريقه بالديار المصريه، أولها:

قرية "سلحه كان" حصل منها فى تلك السنه (٣٠٤٩٤) درهما.

ثانيهما: قرية "سيرو بجنجه" حاصلها فيها مبلغ (٧١٨٢٠) درهما.

ثالثها: قرية "قريش الحجر" حاصل فيها مبلغ (٥١٣٠٤) درهما.

رابعها: قرية "منايل و كوم رحان" حاصل ما فيها مبلغ (٣٧٨٤٠) درهما.

خامسها: قرية "بجام" حاصل ما فيها (١٤٩٣٤) درهما.

سادسها: قرية "منيه النصرى" حاصل ما فيها مبلغ (٦٠٨٥٨) درهما.

سابعها: قرية "بظاليا" و حاصلها فيها (١٠٤٨٤) درهما.

يكون جميع النقود المزبوره فى تلك السنه المسفوره مبلغ (٣٦٥١٥٢) درهما فضيا محاذيا بنصف القطعه رايجا فى الوقت أيد الله تعالى دولته من سكها باسمه السامى، و رفه رعاياه بعدله المتوفر النامى، وقف جميع القرى المزبوره المستغنيه عن التعريف و التحديد، و التبيين و التوصيف لشهرتها فى مكانها، عند أهاليها و جيرانها، و لكونها مشروحه و معلومه فى الدفاتر السلطانيه و المناشير الخاقانيه يحمله ما لها من الحدود و الحقوق و ما ينسب إليها بالأصالة و الحقوق، و المراسم و المرافق، و المداخل و الطرائق خلا ما يستثنى منها شرعا من المساجد و المعابد، و المنابر، و المراقده، و المقابر و الأملاك و الأوقاف، و سائر ما يعرف مينا بينه بالأسامى و الأوصاف.

و سلم جميعها إلى من ولاه عليها بموجب الشرع المنصوص، و نصبه للخدمه بالأمانه و الاستقامه فى هذا الخصوص و تسلمها هو منه للتصرف فيها بالوجه الصداد على ما هو المراد، تسليمها و تسلمها صحيحين شرعيين.

ثم عين السلطان الفايق على حذافير السلاطين في الآفاق، بالاستهلاك والاستحقاق والسابق في مضامير التدابير بمكارم الأخلاق، و مراسم الإشفاق لا زالت شمس سعادته أبدية الإشراق، و ما برحت نجوم سلطنته محمية عن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٠

الانمحاق، مما يحصل من تلك القرى الموقوفة المذكورة على حسب التخمين التي مدارها حصل السنة المشروحة المزبورة فالتعيين على هذه النسبة في جميع الأعوام قلت المحصولات أو حلت بتفاوت الشهور و الأيام مبلغ (٢٧٦٢١٦) درهما لأستار ظاهر الكعبة الشريفة شرفها الله تعالى في كل سنة مرة على ما جرت به العادة القديمة في السنين الماضية القديمة طبقا على هذا التخمين بعد الصرف المذكور في السنة مبلغ (٨٨٩٣٦) درهما.

و شرط أن يحفظ ذلك الباقي بحفظ المتولى تمام ١٥ عاما فيكون عدد الجمع في هذا العام على التخمين التام مبلغ ثلاثة عشرة مائة ألف درهم و أربعين درهما (٥٥٢، ٣٠٠، ١) فعين من هذا الباقي في المحفوظ المجموع المستور لأستار المواضع التي تجدد في انقضاء كل ١٥ عاما مرة، و بعد تجديدها المزبور لا تجدد كل سنة بل تروح إلى انقضاء ١٥ عاما آخر، ثم تجدد مرة أخرى كذلك فثم إلى أن ينقض الدهر و يتم لكل مرة من تلك المرات، و في كل كرة من هذه الكرات، بالتخمين المزبور، و التعيين المذكور مبلغ (٧٥٠٣٧٠) درهما فزيا رايجا في الوقت و تلك المواضع التي يصرف إليها هذا المقدار في ١٥ عاما مرة و هي داخل الكعبة الشريفة، و الروضة المطهرة المنيفة، أعنى بها التربة المنورة لسيد الكونين، و رسول الثقلين، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة و السلام إلى يوم القيامة، بالمدينة المنورة، و المقصورة المعمورة في الحرم الشريف، و المنبر المنيف فيه و محرابه محراب التهجد، و الأستار الأربعة لنفس الحرم الشريف و محراب ابن العباس و قبره و قبر عقيل بن أبي طالب و حضرة الحسن و حضرة عثمان بن عفان و فاطمة بنت أسد رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، و ما زاد بعد هذا و هو مبلغ (٥٨٢٦٧٠) درهما لاحتمال أن يقع في بعض السنين النقصان بسبب الشراق و طوارق الحدثان، لأن هذا بالتخمين، و إن لزم في بعض السنين جبر النقصان، فليجير من هذا الفضل ذاك الزمان، و إن وجد في انقضاء المدة و بعد الصرف شيء مما يزيد و يفضل سواء أكان هذا المقدار، أو أكثر منه أو أقل فليستتر بالموجود المزبور الملك المناسب للوقف من العقار، الواقع في موضع الرغبة و الاشتهار، ليكثر محصول الوقف، و توفير مواضع الصرف، بإلحاق هذا المشتري و المتاع بسائر الأوقاف و استغلاله معها و صرف غلاته إلى المصارف الميمنة بالأوصاف و تنمية الوقف و تقويته بهذا التكثير و تمشيته و توسعته بذلك التوفير، و هذا بعد رعاية شرط أنه إن وقعت المضايقة في هذا الوقف أو في الوقف الآخر الذي وقفه السلطان أيضا على مصالح الفقراء الذاهبين

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢١

إلى الحجاز، و على حمالهم و على سائر مهماتهم، و كتب له و قفيه مستقلة مشتملة على هذه الشروط و القيود، تكون مرعية بالخلود و الأبود، يلزم أن يعين كل واحد الآخر من الجانبين بزوائده، و بفضائل عوائده بإتمام ما يهم و يلزم له و بتكميله لدفع مضايقته و ضرورته و إسناده و إقرارا و اعترافا صحيحين شرعيين مصدقين محققين مرعيين، وفقا صحيحا و حبا صريحا مرعيا، حاويا على الحكم بصحته أصلا و فرعا على وجه يقتد به دينا و شرعا، وغب رعايته شرائط الحكم و التبجيل. و في حصول الوقف و التسهيل لدى المولى الفضل النحرير الكامل الموقع أعلا هذا الصك الديني، و الحفظ اليقيني، و فتح الله تعالى أبواب الحقوق بمفاتيح أقلامه، و أحكم الأمور بثبوت أحكامه، فصار وفقا لازما مسلسلا متفق عليه على مقتضى الشرع و مرتضى أحكامه بحيث لا يرتاب صحته و ابتراهم لوقوع حكم المولى المومى إليه على رأى من رآه من الأئمة الماضيين المجتهدين، رضوان الله عليهم أجمعين. عالما بالاختلاف الجارى بينهم في مسألة الوقف علم خلوده بخلود السماوات، و أبوده بإبواد الكائنات، إلى أن يرث الله الأرض و من عليها و هو خير الوارثين فلا يحل بعد ذلك لأحد يؤمن بالله و رسوله و اليوم الآخر ينقضه أو يبطله أو يحوله أو يبدله فلا يملك بعد ذلك المؤمن، أو خائفا من الله المهيمن، بعدما سمع قول رب العالمين: **الَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** و أجر الواقف بعد ذلك على أرحم

الراحمين. جرى ذلك و حرر بالأمر العالى الخاقانى، لا زال عاليا فى صف المظفر المنخرط فى سلك شهور سنة سبع و أربعين و تسعمائة من هجره من لا نبى بعده. و صلى الله عليه و على آله و صحبه الذين و فوا عهده. انتهى من صحيفة ٢٨٥ من مرآة الحرمين نقلا- عن مرآة مكة لحضرة أمير اللواء البحرى العثمانى أيوب صبرى باشا، ثم قال الأستاذ يوسف أحمد صاحب كتاب "المحمل و الحج" ما نصه:

أقول: رجوت حضرت صديقى المؤرخ البحاثه صاحب العزه محمد رمزى بك المفتش بالماليه سابقا أن يبحث عن أسماء البلاد العشر الواردة فى هذه الوقفيه و هل هى موجوده إلى الآن كلها أو بعضها و هل تغيرت الأسماء؟ فتفضل علىّ بهذا البيان الطريف الآتى، فله منى و من جميع المسلمين خالص الشكر و وافر الثناء.

العدد/ اسم القرية/ البيان

١/ بيسوس / هى القرية التى تعرف اليوم باسم "باسوس" بمركز

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٢

العدد/ اسم القرية/ البيان

قليوب مديرية القليوبية.

٢/ أبو الغيث / تعرف باسم "أبو الغيط" بالمركز المذكور.

٣/ حوض بقمص / هو الحوض الذى يعرف اليوم باسم "حوض بقميس" بأراض ناحية مرصفا بمركز بنها بمديرية القليوبية.

٤/ سلكه / هى اليوم إحدى قرى مركز المنصورة بمديرية الدقهلية.

٥/ سرو بجنجه/ صوابه "سرو بججه" و هى القرية التى تعرف اليوم باسم "السرو" بمركز فارسكور بمديرية الدقهلية.

٦/ قريش الحجر / هى القرية التى تعرف اليوم باسم "أويش الحجر" بمركز المنصورة بمديرية الدقهلية.

٧/ منايل و كوم رحان/ هى القرية التى تعرف اليوم باسم المنايل بمركز شيبين القناطر بمديرية القليوبية.

٨/ بجام/ هى اليوم إحدى قرى مأمورية ضواحي مصر.

٩/ منية النصارى / هى القرية التى تعرف اليوم باسم منية النصر بمركز دكرنس بمديرية الدقهلية.

١٠/ بطاليا/ بالبحث لم أجد بين أسماء البلاد المصرية قديمها و حديثها قرية بهذا الاسم و إنما يوجد اسم قريب منه و هو "طاليا"

إحدى قرى مراكز أشمون بمديرية المنوفية كما أنه كان يوجد قديما قرية اسمها "بتالى" بولاية الغربية و لم أستدل على موقعها. و

على كل حال فهاتان القريتان هما خلاف قرية "بطاليا" المذكورة فى الحجة بأنها من ولاية الشرقية اه.

انتهى كل ذلك من كتاب "المحمل و الحج".

### كيفية تركيب كسوة الكعبة عليها

غالب الناس يظنون أن كسوة الكعبة المشرفة يصعدون بها إلى سطحها من الدرج التى هى فى باطنها و هذا هو المعقول، لكن لما

كانت الدرج التى فى داخلها ضيقة لا تسع إلا لشخص واحد يصعد أو ينزل، و كانت الكسوة فى ذاتها مبطنه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٣

ثقيلة ثخينه طويله، فإنه يستحيل و الحالة هذه الصعود بها من الدرجة الضيقة التى فى باطن الكعبة.

فكيفية تركيبها عليها هى: أنهم يحضرون الكسوة الجديدة التى جاءت من مصر، فيفرشونها فى أرض المسجد الحرام قطعة قطعة، ثم

يخيطون قطع كل جهة من الكعبة و حدها مع خياطة الآيات القرآنية التى على الحزام، حتى إذا انتهت خياطتها طووا قطع كل جهة

و حدها و لفوها لفا محكما، ثم يربطونها بالحبال و يكون رجال على سطح الكعبة يدلون الحبال إلى أرض المطاف، ثم يربطون قطع

الكسوة بهذه الجبال ثم يجرونها إلى أعلا سطح الكعبة و يضعون على إفريز جدرانها أى "طرفها" كل قطعة تناسب جهة من الجهات الأربعة و يرتبونها تمام الترتيب و يحكمون ربطها على مواسير الحديد الثابتة فى إفريز جدران الكعبة، و هذا يكون فى اليوم الثامن من ذى الحجة فى كل عام.

فإذا كان صباح العاشر من ذى الحجة "أى صباح يوم عيد الأضحى" بعد نزول بعض الحجاج من عرفات إلى مكة للطواف و السعى، يصعدون إلى سطح الكعبة فيرخون الثوب القديم إلى أرض المطاف، ثم يسدلون فى إثره الثوب الجديد و يأخذون القديم إلى منزل السدنة، ثم بعد ذلك يخيطنون قطع الثوب الجديد و هو على الكعبة شيئاً فشيئاً عدة أيام إلى أن تتم الخياطة. هذه هى كيفية تركيب الكسوة فى كل عام، و الكسوة ثمانية قطع، أى لكل جهة من جهات الكعبة الأربعة قطعان منها تخاطان ببعضهما، و كذلك حزام الكعبة فإنه ثمانية قطع أيضاً، و البقش المربعة الفاصلة بين آيات الحزام المكتوب فيها "يا حنان يا منان" و عددها أربعة و توضع مع سطر الحزام بين الآيات القرآنية.

و هناك أربع بقش أيضاً مكتوب فى كل واحدة منها سورة الصمد بتمامها، و توضع فى أركان الكعبة الأربعة من تحت حزامها، و كل هذه القطع تخاط على الكسوة بعد وضعها على الكعبة المشرفة، بواسطة مقعد من الخشب معمول على هيئة الكرسي يربط بالجبال ثم يدلى من سطح الكعبة إلى موضع الخياطة بعد أن يجلس فوقه الخياط المناط به هذا الأمر.

انظر: صورة رقم ١٠٣، وضع الكسوة الجديدة فوق الكعبة و خياطتها

نسأل الله تعالى أن يكسوننا من حلال الجنة و يزيننا بلباس التقوى بفضله و رحمته و كرمه و إحسانه، إنه تعالى عظيم الفضل و الإحسان.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٤

انظر: صورة رقم ١٠٤، المسجد الحرام و يرى بعض الناس فوق سطح الكعبة المعظمة استعداداً لتليسيها كسوتها الجديدة

### برقع الكعبة المعظمة أى ستارة بابها

لم نعلم بالضبط من أحدث برقع الكعبة و لا متى حدث بالضبط و هل برقع الكعبة هو نفس الشمسيات التى كانت توضع فى وجه الكعبة و التى جعلنا لها مبحثاً خاصاً أم لا؟ الله أعلم بذلك، و الذى يعلم مما سيأتى أن البرقع حدث فى أول القرن التاسع من الهجرة، و الذى يظهر لنا و الله تعالى أعلم أن أهل الجاهلية و القرون الأولى بعد الإسلام إذا وضعوا كسوة على الكعبة تركوا الباب بدون ستارة فقد كانوا على الفطرة، فلما اتسعت مدارك الناس و تذوقوا حلاوة الدنيا اخترعوا برقع باب الكعبة و تفننوا فى تحسينه و تجميله. و برقع الكعبة هو الستارة التى توضع على وجه بابها.

و يكون طولها و عرضها بقدر فتحة الباب طولاً- و عرضاً بل تزيد قليلاً حتى يعمّ ستر الباب تماماً عند إسدالها و إرخائها. و بعض المؤرخين كالشيخ عبد الله الغازى رحمه الله تعالى يسميه عند الكلام عنه فى تاريخه "البردة" فيقول: البردة التى توضع على باب الكعبة- و قصده من "البردة" هو البرقع، فقوله "البردة" بفتح الباء الموحدة لا بضمها، و أصل هذه الكلمة تركية، و لكن ينطقها الأتراك بالباء المغلظة المفتوحة التى تحتها ثلاث نقط، لا نقطة واحدة، و معناها عندهم الستارة، و لا يخفى أن العربى إذا نطق بهذه الكلمة يضم الباء المخففة المضمومة و يقصد بها معناها اللغوى و هو "الكساء".

و الذى جعلنا أن نكتب فصلاً خاصاً عن برقع الكعبة و لم نلحقها بكسوتها، لأن لبرقعها شكلاً فريداً يتسم بجماله و دقة رسمه و نقشه، و إليك ما كتبه التاريخ عنه:

قال فى تاريخ الغازى ما نصه: و قال فى التحصيل: البردة التى توضع على باب الكعبة هى من حرير أسود مكتوبة بالفضة المذهبة و ذلك الكتابة بعض آيات من القرآن و مكتوب أيضاً فيها أمر بعمل هذه البردة السلطان فلان و تسدل على باب البيت ليلة الاثنين و ليلة الجمعة أى من عصر يوم الأحد و عصر يوم الخميس إلى المغرب و يسمونها أهل مكة "البرقع" و لم أعلم متى حدثت و لا من

أحدثها،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٥

و ذكرها الفاسى فى شفاء الغرام و نصح: و عمل فى هذه السنه و هى سنه تسعه عشر و ثمانمائه لباب الكعبه ستاره عظيمه الحسن أحسن من الستائر الأول التى شاهدناها.

قال السهمودى: و فى عشر التسعين و سبعمائه اشترى السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون قرية من بيت مال المسلمين بمصر و وقفها على كسوة الكعبه المشرفه فى كل سنه و على كسوة الحجره و المنبر النبوى فى كل خمس سنين، و ذكرها التقى الفاسى و الزين المراغى إلا أنه قال فى كسوة الحجره فى كل ست سنين مره تعمل من الديباج الأسود و مرقوما بالحرير الأبيض و لها طراز منسوج بالفضه المذهبه دائر عليها إلا كسوة المنبر فإنها بتفصيص أبيض. انتهى ما فى تحصيل المرام. هذا ما ذكره الشيخ الغازى رحمه الله فى تاريخه.

نقول: ظهر من الكلام المتقدم أن برقع الكعبه كان يعمل منذ قرون بشكل مخصوص و يتفنون فى تحسين شكله و منظره، و كان البرقع معروفًا قبل سنه (٨١٩) و لكن لم يعرف من أحدثه و لا تاريخ حدوثه بالضبط.

و قد تكلم عن كسوة الكعبه و برقعها مؤلف كتاب صبح الأعشى قال مؤلف كتاب "المحمل و الحج" ناقلا عن صبح الأعشى من الجزء الرابع صحيفه ٢٨١ و ٢٨٣ ما ملخصه: كانت الكعبه تكسى الديباج الأسود كسوة مسبله من أعلاها إلى أسفلها مرقوما بأعليها طراز رقم بالبياض من أصل النسيج مكتوب فيه: **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِنَكَّةٍ مُّبَارَكًا ...** الآيات، و على الباب برقع من نسبه ذلك مرقوم فيه بالبياض، و ذلك فى آخر الدوله الظاهرية "برقوق" و أوائل الدوله الناصرية ولده "فرج" و الظاهر برقوق توفى سنه ٨٠١ ثمانمائه و واحد.

ثم قال: و فى سنه ... و ثمانمائه فى الدوله الناصرية فرج بن برقوق غير الطراز من لون البياض إلى لون الصفرة فصار الرقم فى السواد بحريه أصفر مقصب بالذهب ... إلى أن قال: ثم جعل بعد ذلك برقع البيت من حريه أسود منشورا عليه المخايش الفضة الملبسه بالذهب فزاد نفاسته و علاقيمته. قال: ثم فى سنه ٨١٤ جعل وجهه الباب من الكسوة "كمخا أزرق" بجامات مكتوب فيها ... و الله العالم ما كان و ما يكون "ثم قال: و عمل فى سنه ٨١٩ لباب الكعبه ستاره عظيمه الحسن لم يسبقها مثلها. انتهى من كتاب "المحمل و الحج" الناقل من صبح الأعشى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٦

و قد ذكر إبراهيم باشا رفعت صاحب كتاب مرآة الحرمين ما فى برقع الكعبه من الذهب و الفضة و الحرير فليراجع من شاء، كما ذكر فى التاريخ نص الآيات القرآنيه التى كتبت فى البرقع ما رأينا من الضرورة ذكرها هنا.

و قد تباهى السلطان سليم فى عمل كسوة الكعبه و زر كسوة البرقع للغاية حينما أرسلها لمكة سنه ٩٢٣.

انظر: صورة رقم ١٠٥، الكعبه المشرفه و يظهر فيها ستاره بابها بوضوح تام.

ثم لما اختصت مصر بصنع كسوة الكعبه الخارجيه و إرسالها سنويا إلى مكة المشرفه و ترقى العلوم و الفنون فيها، و برعوا فى فن الخط العربى و فن الزخرفه و الرسم و النفس، تفننوا فى تجميل الكسوة و البرقع حتى صاروا فى زماننا فى أحسن شكل و أبهى منظر. اللهم زد بيتك المحرم تشريفا و تعظيما و تكريما و مهابه، و أمتنا مسلمين و أدخلنا فى عبادك الصالحين و ارض عنا و أصلح أحوالنا آمين يا رب العالمين و صلى الله على محمد أبى القاسم الأمين و على آله و صحبه أجمعين.

### خدم الكعبه و أغوات المسجد الحرام

أول من رتب العبيد لخدمه الكعبه المشرفه معاويه رضى الله تعالى عنه هذا ما ذكره المؤرخون، و الظاهر أنهم كانوا عبيدا أرقاء لا



خصيانا، قالوا: و أول من اتخذ الخصيان يزيد بن معاوية.

قال في المنجد: طَوْش الرجل مطل غريمه، الذكر خصاه، و الطواشى الخصى جمع طواشيه (مولد و قيل أعجمي). انتهى منه.

و يطلق على الخصى طواشى كما يطلق عليه فى الحجاز "أغا" فيقولون:

أغوات الحرم، أى طواشيه المسجد الحرام و الآغا، بمد الهمزة عند الأعاجم معناها الرجل الثرى صاحب النفوذ، فربما من هنا أطلق الأعاجم على طواشيه المسجد الحرام كلمة "الأغا" لما كان لهم من السلطة و النفوذ فأخذها عنهم الحجازيون فأطلقوها عليهم حتى صار كالعلم عليهم. و يوجد كتاب اسمه تاريخ الأغوات لإبراهيم الأغا بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، مقيد بها تحت نمرة (١٤٩) فراجعه إن شئت. و هو كتاب صغير باللغة التركية و لكنه ليس تاريخاً للأغوات بالمعنى الصحيح، و إنما هو عبارة عن مقتطفات فى تراجم بعض الأغوات، و لقد أخذ

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٧

سعادة السيد أحمد مجاهد و كيل وزارة الحج و الأوقاف الذى طبع هذا التاريخ على نفقته صورة فوتوغرافية لصفحات الكتاب المذكور.

روى البخارى فى أول كتاب النكاح فى باب تزويج المعسر الذى معه القرآن: عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: كنا نغزوا مع النبى صلى الله عليه و سلم ليس لنا نساء فقلنا: يا رسول الله ألا نستخصى؟ فنهانا عن ذلك.

و روى أيضا فى الباب الذى بعده أى فى باب ما يكره من التبتل و الخصاء:

عن سعد بن أبى وقاص يقول: رد رسول الله صلى الله عليه و سلم على عثمان بن مظعون: التبتل و لو أذن له لاختصينا.

و قد وردت ثلاثة أحاديث أيضا فى هذا المعنى فى الباب المذكور.

جاء فى شرح كتاب "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم" فى آخر الجزء السادس عند حديث "نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن التبتل" ما ملخصه:

إن الصحابة رضى الله عنهم لما قالوا للنبي صلى الله عليه و سلم ... "ألا نختصى" نهاهم عن الاختصاء نهى تحريم لما فيه من تعذيب النفس و التشويه و إبطال معنى الرجولية و تغيير خلق الله و كفر نعمته، لأن خلق الشخص رجلا من النعم العظيمة، فإذا أزال ذلك فقد تشبه بالمرأة و اختار النقص على الكمال.

انظر: صورة رقم ١٠٦، دكة الاغوات بالمسجد النبوى الشريف

قال المهلب: و إنما نهى النبى صلى الله عليه و سلم عن التبتل من أجل أنه مكاثر بهم الأمم يوم القيامة، و أنه فى الدنيا يقاتل بهم طوائف الكفار، و فى آخر الزمان يقاتلون الدجال، فأراد صلى الله عليه و سلم أن يكثر النسل. اه. فالاختصاء فى الآدمية حرام صغيرا كان أو كبيرا. انتهى ملخصا من شرح زاد المسلم.

قال ابن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى فى فتح البارى على صحيح البخارى فى كتاب النكاح فى باب ما يكره من التبتل و الخصاء ما ملخصه:

الخصاء هو: الشق على الأنثيين و انتزاعهما، قال و النهى عن ذلك نهى تحريم بلا- خلافا فى بنى آدم لما تقدم، و فيه أيضا من المفساد تعذيب النفس و التشويه مع إدخال الضرر الذى قد يفضى إلى الهلاك، و فيه إبطال معنى الرجولية و تغيير خلق الله و كفر النعمة، لأن خلق الشخص رجلا من النعم العظيمة فإذا أزال ذلك فقد تشبه بالمرأة و اختار النقص على الكمال.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٨

قال القرطبي: الخصاء فى غير بنى آدم ممنوع فى الحيوان إلا لمنفعة حاصله فى ذلك كتطيب اللحم أو قطع ضرر عنه. و قال النووى: يحرم خصاء الحيوان غير المأكول مطلقا، و أما المأكول فيجوز فى صغيره دون كبيره، و ما أظنه يدفع ما ذكره القرطبي من إباحة ذلك

في الحيوان الكبير عند إزالة الضرر.

ثم قال: و أخرج الطبراني من حديث ابن عباس قال: شكا رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم العزوبة فقال ألا نختصى؟ قال: ليس منا من خصى أو اختصى.

انتهى من فتح الباري بتصرف و اختصار.

نقول: ظهر مما تقدم أن الاختصاء في بني آدم حرام صغيرا كان أو كبيرا، و كذلك في الحيوان غير المأكول، لما فيه من قطع نسله و تعذيبه بدون فائدة، و أما في الحيوان المأكول فيجوز إخصاء صغيره حتى يسمن و يطيب لحمه، و أما الكبير المأكول فيحرم إخصاؤه لما فيه من التعذيب، و لعدم الفائدة من إخصائه، فإن لحم الكبير لا يطيب بالإخصاء.

و حرمة إخصاء الآدمي الصغير تقع على الفاعل لا على المخصى "بفتح الميم" فإن كان الآدمي كبيرا و رضى باختصائه فالحرمة تقع عليه، و قد يشترك معه في الإثم الفاعل لأنه أعان على معصيته.

فإن قال الكبير: اختصيت خوف الوقوع في الزنا مثلا، نقول له: إنك عصيت الشارع صلى الله عليه و سلم الذي نهى عن الاختصاء لما في ذلك من قطع النسل و التعذيب، و أما الوقوع في الزنا فقد يغفر الله تعالى لمن تاب و عمل صالحا كما هو الشأن في كل معصية، فرضاء الله تعالى و عفوه لا يتوقفان على الاختصاء و تعذيب النفس.

و نرى أن جميع هؤلاء الطواشى و الأغوات إنما حصل لهم الاختصاء في حال الصغر و هم لا يعقلون، فالحرمة تقع على من فعل بهم ذلك، و مهما أتوا من المبررات و الأعذار فإنها لا تقبل شرعا، و الحمد لله الذي قلّ عمل ذلك في زماننا هذا حتى كاد أن يندرس.

جاء في كتاب "التراتب الإداري" بصحيفة ٤٤٠ من الجزء الثاني ما نصه:

نقل المنجور في شرح المنهج عن ابن رشد: أن أول من استخدم الخصيان في الإسلام معاوية. و وجدت ذلك في البيان و التحصيل بلفظ، قيل: إن معاوية هو

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٩

أول من اتخذ المقاصير في الجوامع، و أول من قام على نفسه حرسا، و أول من قيدت بين يديه النجائب، و أول من اتخذ الخصيان في الإسلام، و أول من بلغ درجات المنبر خمس عشرة مرقاة.

و في تحفة المحبين و الأحباب فيما للمذنبين من الأنساب لدى كلامه على الأغوات من حرف الألف أول من استخدم الخصيان في الإسلام معاوية و قد كان لرسول الله صلى الله عليه و سلم خادما خصيا و الله أعلم أن خصاه كان خلقيا، و قد صرح الجمهور من العلماء بكرهته و أحكامهم مذكورة في كتب الفقه، و قد حررها العلامة عبد القادر الطبري المكي في كتابه نشأة السلافة في شأن الخلافة و أطال فيهم المقال. انظره فإنه كتاب مفيد جدا. و أول من استخدمهم في المسجد النبوي و المسجد المكي بالحرمين الشريفين صلاح الدين الأيوبي ه.

ثم نقل الكلام على أصل استخدامهم من رسالة تحفة المحبين للمجبوب في تنزيه مسجد الرسول من كل خصى و محبوب للعلامة جمال الدين القطان، و من التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للحافظ السخاوي فانظر كلامهم في التحفة، و قد وقفت على رسالة للحافظ السيوطي سماها أكام العقيان في أحكام الخصيان و التوصية بهم، عقد فيها فصلا قال فيه ذكر الصحابة منهم و ترجم لمابور و سندر مولى زبناغ الجدامي، و ذكر في ترجمته الأخير أنه قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم أوصى بي فقال: أوصى بك كل مسلم، ثم جاء إلى أبي بكر فعاله حتى مات، ثم لقي عمر فقال: إن شئت أن تقيم عندي أجريت عليك مالا- فانظر إلى أي المواضيع أحب إليك لأكتب لك فاختر مصر فلما قدم على عمرو بن العاص أقطعه أرضا واسعة و دارا، و عمر سندر إلى زمن عبد الملك بن مروان، و ذكره محمد بن الربيع الجيزي في كتاب الصحابة الذين دخلوا مصر و أن لأهل مصر عند سندر حديثين. اه. انتهى من الكتاب المذكور.

جاء في كتاب "التراتب الإداري" بصحيفة ٤٤٥ من الجزء الثاني عند باب في المَجُوب ما نصه:

ترجم في الإصابة لمابور القبطي الخصى قريب مارية القبطية أم ولد النبي صلى الله عليه وسلم قدم معها من مصر، فنقل عن الطبري أنه رضى لمكانته منها أن يجب نفسه فقطع ما بين رجله حتى لم يبق له قليل ولا كثير الحديث، قال الشيخ الطيب في شرح الألفية: لا منافاة بن كونه أهدها خصيا و كونه جب نفسه لاحتمال أنه أهدها فاقد

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٠

الخصيتين مع بقاء الذكر وهو الذي قطع، و ترجم في الإصابة لأبي مريم الخصى فقال: له إدراك ذكره ابن منده، وأخرج من طريق الأوزاعي عن سليمان بن موسى قال: قلت لطاووس: إن أبا مريم الخصى أخبرني وقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أحلني على غير خصي. ونحوه في أسد الغابة وقال: أخرجه ابن منده وأبو نعيم ه. وفي نور النبراس: لا أعلم في الصحابة خصيا إلا هذا مابور و آخر يقال له سند.

قال الأزرقى عند "ذكر كسوة الكعبة في الإسلام:" "و كان أول من أخدم الكعبة يزيد بن معاوية وهم الذين يسترون البيت هكذا ذكره الأزرقى وذكر أيضا أن معاوية هو الذي أخدمها العبيد. وكلتا العبارتان مذكورتان في صحيفة واحدة من تاريخ الأزرقى فلم نفهم معنى الأولى في تقديم العبيد لخدمة الكعبة هل هي لمعاوية أو لابنه يزيد، وكيف يمكن الجمع بين الروايتين.

وقال صاحب كتاب "مرآة الحرمين:" "أول من رتب الأغوات في المسجد أبو جعفر المنصور اه والله تعالى أعلم بالغيب.

وجاء في تاريخ الخميس أن سليمان بن عبد الملك بن مروان كان شديد الغيرة وهو الذي خصى المخنثين بالمدينة اه.

والذي نفهمه أنه كان للكعبة خدم في الجاهلية، فيكون معنى أول من رتب العبيد للكعبة أي في الإسلام، أما في الجاهلية فقد روى الأزرقى أيضا عند الكلام على حج أهل الجاهلية ما نصه ... وكانت الإفاضة في الجاهلية إلى صوفة "أي كان على الحج" و صوفة رجل يقال له أخزم بن العاص بن عمرو بن مازن بن الأسد، وكان أخزم قد تصدق بآب له على الكعبة يخدمها، فجعل إليه حبشية ابن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الخزاعي الإفاضة بالناس على الموقف، و حبشية يومئذ يلي حجاب الكعبة وأمير مكة يصطف الناس على الموقف فيقول حبشية: أجز صوفة فيقول الصوفي: أجزوا أيها الناس فيجوزون، ويقال: إن امرأة من جرهم تزوجها أخزم بن العاص بن عمرو بن مازن بن الأسد وكانت عاقرا فنذرت إن ولدت غلاما أن تصدق به على الكعبة عبدا لها يخدمها ويقوم عليها، فولدت من أخزم الغوث فتصدقت به عليها فكان يخدمها في الدهر الأول مع أخواله من جرهم فولى الإجازة بالناس لمكانه من الكعبة وقالت أمه حين أتمت نذرها و خدم الغوث بن أخزم الكعبة:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣١ إني جعلت رب من بتيه ربيطة بمكة العلية

فباركن لي بها إلهي واجعله لي من صالح البرية

فولى الغوث بن أخزم الإجازة من عرفه و ولده من بعده في زمن جرهم و خزاعة حتى انقرضوا. انتهى من تاريخ الأزرقى.

فعلم مما تقدم أن تقديم العبيد للكعبة المعظمة كان من أيام الجاهلية الأولى، وأن المراد بالعبيد ليس هو الرقيق المملوك ولا من الخصيان كالطواشى المعروفين في زماننا، بل المراد تقديم أى رجل حر للكعبة يقوم بخدمتها وربما كان من أبناء الرؤساء والذوات المحترمين كابن صوفة المذكور الذى كانت له إمارة الحج.

وحبذا لو أن حكومتنا السعودية أحالت هؤلاء الطواشى "أغوات المسجد الحرام" إلى المعاش و أكرمهم بمعيشة هنيئة مدة حياتهم جزاء لهم على خدماتهم لبيت الله المعظم و استبدلت بهم من فضلاء الناس الأحرار خدما للكعبة المشرفة، و بذلك تكون حكومتنا قد سنت سنة حسنة مدى الدهر، لأن غالب الأغوات من العوام الجهلاء، و فى بعضهم غباوة زائده و ضعف فى العقل - يقول الإمام القزوينى فى كتابه عجائب المخلوقات: إن الإنسان إذا خصى يضعف بدنه بخلاف كثير من الحيوانات.

ولا نعلم بالضبط متى كان استخدام الطواشى "الخصيان" فى المسجدين الحرامين بمكة و المدينة، قال صاحب مرآة الحرمين: و أول

من رتب الأغوات في المسجد الحرام أبو جعفر المنصور اه لكن نحن لا نرى أن أبا جعفر المنصور المتوفى في سنة ١٥٨ قد فعل ذلك و نستدل على كلامنا هذا بأنه لو فعله أبو جعفر المنصور لذكره الإمام الأزرقى في تاريخه بدون شك فقد توفى في منتصف القرن الثالث بل قبله بسنوات معدودة، و إنما نرى أن استخدام الأغوات في المسجد الحرام كان بعد استخدامهم في المسجد النبوى الذى كان فى أول دولة الأكراد فى زمن السلطان نور الدين الشهيد استنتاجا مما جاء فى تاريخ الغازى المخطوط بخط يده بصحيفة ٦٢٢ من الجزء الأول و هو نقلا عن كتاب "إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن" و هذا ما نصه: و فى سنة (٥٥٧) سبع و خمسين و خمسمائة من الهجرة حسّنا للسلطان نور الدين الشهيد أن يرسل بعض خدم طواشيته إلى المدينة المنورة ليكونوا سدة لقبر رسول الله صلى الله عليه و سلم و الحرم المحترم فاستحسن ذلك، إلا أنه قال: كيف نعمل شيئا ما سبقنا إليه أحد من الخليفة قبلنا فما زالوا به حتى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٢

واقفهم إلى ذلك، فجعل اثنى عشر طواشيا لا غير و شرط أن يكونوا حفاظا للقرآن الكريم و لربع العبادات متعينين لذلك و أن يكونوا حبوشا فإن لم يكونوا فأرواما فإن عدموا فتكارنة و إن لم يوجدوا فهنودا، فاستمر الأمر مستقيما مدة ثم ما زال فى فقد شيء بعد شيء حتى صار الآن من الهنود و صاروا عامية ليسوا بأهل علم و كانوا اثنى عشر فعادوا فوق الأربعين، فسبحان من يغير و لا يتغير و أنكر علماء المدينة ذلك و ألفوا فيه تآليف و لكن يد الخلافة لا تطاولها يد. "انتهى من تاريخ الغازى.

فيؤخذ مما تقدم أن الطواشية لم يكونوا خدما بالمسجد النبوى بالمدينة إلا فى سنة (٥٥٧) هجرية و يشترط فيهم أن يكونوا حفظة للقرآن الكريم و لربع العبادات من الفقه، فقياسا على ذلك يمكن أن نقول و نستنتج أن استخدام الطواشية لم يكن بالمسجد الحرام بمكة قبل السنة المذكورة و إنما حدث بعدها تقليدا على ما فى المسجد النبوى منهم، و مما يقوى قولنا هذا أن العلامة ابن جبير الأندلسى الذى كان بمكة شرفها الله تعالى سنة (٥٧٩) تسع و سبعين و خمسمائة و حج فيها لم يذكر فى رحلته القيمة المعترية أنه رأى بالمسجد الحرام طواشية و خصيانا يقومون بالخدمة، مع أنه لم يترك شيئا عن مكة و الكعبة و المسجد الحرام إلا و ذكره، و هو قد مكث بمكة المكرمة للحج ثمانية أشهر. و الرحالة ابن بطوطة الذى وصل إلى مكة فى حجته الأولى سنة (٧٢٥) خمس و عشرين و سبعمائة ذكر فى رحلته خدمة المسجد النبوى و لم يذكر خدمة المسجد الحرام فقال عنهم بصحيفة ٧٣ و خدام هذا المسجد الشريف، أى المسجد النبوى و سدنته فتيان من الأحابيش و سواهم و هم على هيئات حسان و صور نظاف و ملابس ظراف و كبيرهم يعرف بشيخ الخدام و هو فى هيئة الأمراء الكبار و لهم المرتبات بديار مصر و الشام يؤتى إليهم بها كل سنة ... اه.

على أن اتخاذ الطواشى و الخصيان كان قبل الإسلام فقد ذكر الأستاذ أحمد زكى باشا الملقب بشيخ العروبة فى حاشية على كتاب "الرق فى الإسلام" بصحيفة ٩٩ ما نصه: كان اتخاذ الطواشية قبل الإسلام، فإن ناريسس و هو من أعظم قواد المملكة الرومانية الشرقية كان خصيا، و مثله بوظيفار "قطفور" مولى يوسف عليه الصلاة و السلام، و مثلهما أوريجانس مفسر التوراة الذى ولد بالاسكندرية فى سنة (١٨٧) سبع و ثمانين و مائة ميلادية قد جب مذاكير نفسه لثلاث تكون أخلاقه عرضة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٣

للكشك و الربية، و غيرهم كثيرون. اه المترجم. انتهى من حاشية الكتاب المذكور. و جاء فى تاريخ الخميس فى الجزء الثانى: أنه كان فى دار أمير المؤمنين المقتدر بالله الذى قتل سنة (٣٢٠) أحد عشر ألف غلام خصيان غير الروم و الصقالبة و السود. انتهى.

و قد كان للطواشية "الخصيان" نفوذ كبير لدى أسيادهم العظماء، و فى ذلك يقول مؤلف كتاب "الرق فى الإسلام" بصحيفة ٩٨ ما يأتى: و لا يجهل أحد ما كان للطواشية "الخصيان" من الشأن الأكبر و النفوذ المهم فى القسطنطينية و فى مصر القاهرة، ففى بلادنا "أى مصر" كان أعظم القوم و سراهم يتملقون و يتلفون إلى الماس آغا طواشى والده عباس باشا، و خليل آغا طواشى سعيد باشا، ثم خليل آغا المشهور طواشى والده الخديوى السابق، و كلهم قد جاؤا من بلادهم فى أحقر الحالات و أنكدها، فساق الله لهم السعادة و

رزقهم الغنى الوافر و الثروة الطائلة.

انتهى من الكتاب المذكور و المذكورون هنا عباس و سعيد و الخديوى السابق كلهم من سلاطين مصر المتأخرين.  
و فى تاريخ الغازى أن السلطان الملك الأشرف برسباى أرسل فى سنة (٨٣٥) إلى السلطان صلاح الدين أبى المظفر محمد بن قندو هدية من القاهرة صحبة بعض الطواشيء، فلما وصل إلى السلطان قبلها و عوض عنها بهدية قيمة و لكنه مات فى أثناء ذلك فقام ابنه المظفر أحمد و أمضى هدية أبيه و زاد من عنده هدية أخرى من ضمنها خدام طواشيء. انتهى.  
و لنذكر هنا أسماء بعض الطواشى الذين عثرنا عليهم فى التاريخ، و هناك كثيرون منهم لكن لم نبحث عنهم فى الكتب لنقيد أسماءهم.

عدد/ اسم الطواشى / الملاحظات

١/ بوطيفار "قطفور" هو مولى نبى الله يوسف عليه الصلاة و السلام.

٢/ نارسيس / كان قبل الإسلام، و كان من قواد المملكة الرومانية الشرقية.

٣/ مابور القبطى / قدم مع مارية القبطية إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم.

٤/ أوريغانس / مفسر التوراة، ولد سنة ١٨٧ / ميلادية.

٥/ منويل الخصى / كان قائد جيش الروم لأخذ الاسكندرية من المسلمين فقتله عمرو بن العاص و فتح الاسكندرية

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٤

عدد/ اسم الطواشى / الملاحظات

مرة ثانية.

٦/ فتح / كان خصيا و هو حاجب يزيد بن معاوية

٧/ كافور الإخشيدي / كان خصيان حبشيا أسود اشتراه إخشيد، فصار فيما بعد ملكا على مصر.

٨/ مؤنس المظفرى / ولى سلطنة العراق.

٩/ ألماس آغا/ هو طواشى والده الخديوى عباس باشا الثانى سلطان مصر و باش آغا السراى الخديوية.

١٠/ كاظم آغا/ هو باب آغا والده الخديوى عباس باشا سلطان مصر.

١١/ خليل آغا/ هو طواشى الخديوى سعيدى باشا سلطان مصر.

١٢/ خليل آغا/ هو طواشى والده الخديوى السابق لمصر "أى إسماعيل باشا ثم توفيق باشا" و كان زعيم الأغوات و كبيرهم و هو

صاحب مدرسة خليل آغا الشهيرة بمصر.

١٣/ أبا عبد الله محمد الغرناطى المعروف بالتراس / جب نفسه خوفا من الوقوع فى معصية و صار من خدمة المسجد النبوى كان

موجودا فى عهد ابن بطوطة كما ذكره فى رحلته أى فى سنة (٧٢٥) من الهجرة.

١٤/ جوهر آغا/ كان وزير مكة و كان موجودا بها فى عام (١١٠٩) كما ذكره الغازى فى تاريخه بصحيفة ٦٦١ من الجزء الأول و هو

الذى أوفدته الدولة العلية العثمانية بالمرسوم الشاهانى بولاية الشريف سعيد بن سعد مكة فاستقبلوه استقبالا عظيما و ذلك سنة

(١١١٣) كما ذكره الغازى أيضا بصحيفة ٢٥٣ من الجزء الثانى من تاريخه.

١٥/ درويش آغا/ وزير أمير مكة الشريف أحمد بن سعيد بن زيد فى سنة (١١٨٤) من الهجرة. أى وزيره و عامله على ينبع.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٥

عدد/ اسم الطواشى / الملاحظات

١٦/ رفعت آغا/ هو خليفة خليل آغا طواشى والده الخديوى إسماعيل باشا المذكور، فى إدارة وقفه الكبير بعد موته.

١٧/ بلال آغا/ خليفة رفعت آغا بعد موته.

١٨/ عبد الفتاح آغا/ شيخ الأغوات بالمسجد الحرام بمكة من سنة ١٣٢١ تقريبا.

١٩/ بهرام آغا/ رئيس أغوات قصر يلدز بالآستانة في زمن السلطان عبد الحميد المتوفى سنة (١٣٢٨) هجرية.

٢٠/ نادر آغا/ رئيس أغوات قصر يلدز بالآستانة في أواخر زمن السلطان عبد الحميد أيضا المتوفى سنة (١٣٢٨) هجرية.

انظر: صورة رقم ١٠٧، خليل آغا الطواشى المشهور

و الطواشى كثيرون في كل عصر و لكن لا يذكر التاريخ إلا عظماءهم و من يشار إليهم كمن ذكرناهم هنا، و لقد كان سلاطين آل عثمان و سلاطين مصر و كبار العظماء و الأغنياء يقتنونهم في قصورهم و منازلهم لاطمئنانهم لهم على النساء حينما كنّ محجبات أما اليوم و قد انتشر السفور بينهن و اختلطن بالرجال زالت دولة الطواشى حتى لا تكاد تذكر.

و هذا الجدول ليس القصد منه حصر جميع أسماء الأغوات، و إنما هذه الأسماء بحسب ما وصل إلى علمنا، و هناك كثير من الأغوات لم نطلع على أسمائهم، في بعض الأقطار الإسلامية سابقا، و أما اليوم فقد انقرض جنسهم.

و بهذه المناسبة نذكر قصة صغيرة لأحد الأغوات للدلالة على ما كان لهم من السلطة في قصور أسيادهم، نقلها باختصار عن مجلة المصور التي تصدر بمصر في عدد ١٥٧٦ بتاريخ ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٧٤ هجرية- و هي:

لما انضم "خليل آغا" إلى حاشية والده إسماعيل باشا خديوى مصر، لم يمض وقت طويل حتى ظفر بثقتها فقربته إليها و منحه سلطات مطلقة في الإشراف على تربية الأمراء و الأميرات و تعهد مختلف شؤونهم التعليمية و الأخلاقية، فأصبح ذا سلطان و نفوذ لا يستطيع أحد أن يرد له كلمة أو يعصى له أمرا.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٦

و كان خليل آغا حريصا على تنشئة الأمراء و الأميرات نشأة أخلاقية قويمه كريمة، غيرا على أن لا يصاب أحدهم في كرامته أو تخدش سمعته، حتى لقد بلغ في غيرته عليهم أن تطاول و صفع مرة إحدى الأميرات لأنها غابت خارج القصر مدة تزيد على المدة التي حددها لها عند خروجها، و ثار لهذا الحادث الأمراء و غضبت الأميرات، و لكن والده إسماعيل باشا وقفت إلى جانبه و دافعت عنه و أيدته في موقفه، فمرّت العاصفة بسلام.

و لما تولى مصر توفيق باشا انتهزت الأميرة التي صفعها خليل آغا الفرصة وسعت لدى توفيق باشا بإعدامه فأصدر أمره بذلك و ترك له الخيار في أن يموت بالسيف أو بجرعة السم، فجرع خليل آغا كأسا من السم الزعاف ففضى نجه.

و خليل آغا هذا هو صاحب و مؤسس المدرسة المشهورة باسمه "مدرسة خليل آغا" التي كانت بأول شارع الدراسة بجوار جامع الأزهر الشريف ثم نقلت إلى جهة أخرى حين تنظيم الشوارع و توسعتها، و كان لهذه المدرسة أكبر الفضل في تعليم كثير من كبار رجال الدولة في الجيل الماضى و لا تزال المدرسة قائمة في تعليم أبناء الأمة إلى اليوم.

و لقد استطاع خليل آغا أن يجمع ثروة كبيرة من الأراضى و البيوت و العمارات، ثم وقفها من بعده على أعمال البر و الفقراء من الأغوات و العتقاء، و بلغت مساحة الأرض التي وقفها ألف و ثمانمائة فدان، و تعدّ أوقافاته من الأوقاف الكبيرة ذات الإيراد الكبير الوفير، رحمه الله عليه و جزاه خير الجزاء. انتهى.

و من عجائب ما كان للأغوات من الصولة و المكانة، ما رواه صديقنا الأستاذ أحمد السباعى في كتابه "تاريخ مكة" بصحيفة ٢٥٧ حيث يقول:

و من غرائب ما يذكر أن بشير آغا الطواشى من مماليك السلطان مراد "أى الرابع" حج في عام (١٠٤٩) و كان يحمل تفويضا من السلطان بعزل و تولية من يرى توليته و عزله في البلاد التي يمر بها، فلما انتهى إلى مصر خرج و إليها للقاءه في ظاهرها و قبل ركبته و مشى بين يديه إلى أن أذن له بالركوب، فلما انتهى خبر ذلك إلى الشريف زيد في مكة عزّ عليه أن يمشى في ركاب الطواشى،

فاستشار الشيخ عبد الرحمن المحجوب، و كان من رجال العلم الصالحين، فقال له: اسأل الله أن يكفيك ذلك فاستجيبت دعوته، لأن بشير آغا ما كاد يصل إلى مكة حتى سبقه إليها خبر وفاة السلطان مراد و بذلك بطل مفعول التفويض الذي يحمله،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٧

و دخل بشير آغا فقابله مقابلة عادية و صافحه ثم ركض زيد بفرسه حتى تقدم عليه و عزاه في السلطان فتضاءل بشير آغا لأنه كان يظن أن خبر الوفاة مجهول في مكة.

انتهى.

و من غرائب ما وقع في عصرنا مما يكون عظة و عبرة، ما حدثنا به رئيس سدة الكعبة المشرفة صاحب السيادة و السعادة الشيخ محمد ابن الشيخ محمد صالح بن أحمد الشيبى، أنه رأى أن والى الحجاز التركي أحمد راتب باشا يقبل يد شيخ أغوات المسجد الحرام بمكة عبد الفتاح آغا و ذلك سنة (١٣٢٥) تقريبا، ثم رأى أن عبد الفتاح آغا المذكور يقبل يد مدير الشرطة العام بمكة مهدي بك و ذلك في سنة (١٣٤٧) سبع و أربعين و ثلاثمائة و ألف تقريبا أى بعد أن استولى على الحجاز جلاله الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله تعالى فسبحان المعز المذل.

و يذكر الأستاذ السباعى في كتابه أيضا بصحيفة ٢٩١ عن الأغوات ما نصه:

و في عهد مبارك "الذى تولى إمارة مكة في عام ١١٣٢" ثارت فتنة بين أغوات المدينة و رجال حاميتها من المعسكر، و ذلك أن رجلا من توابع الأغوات أراد الانخراط في سلك الجندية فحيل بينه و بين ذلك، فغضب لأجله أغوات المسجد و أغلظ بعضهم القول لرجال الحامية، فنارت الفتنة و تحصن الأغوات بالمسجد، فأراد قاضى المدينة أن يتوسط للصلح فامتنع الأغوات من الحضور إلى المجلس و لعلمهم خافوا ذلك، فاعتبرهم القاضى عصاء للشرع و أمر بقتالهم في المسجد فقاتلوه فيه و بذلك عطلت صلاة الجماعة، ثم ما لبث الأغوات أن طلبوا الأمان فأبى رجال الحامية إلا بتقديم كبارهم إلى مكة ليرى الشريف مبارك رأى الشرع فيهم فقبلوا ذلك، و تقدم من كبارهم خمسة أو ستة أشخاص اعتقلتهم الحامية و أرسلتهم إلى الشريف مبارك في مكة فثبتت إدانتهم لديه فكتب إلى الخليفة بذلك فجاءت الموافقة بعقوبه بعضهم و نفي الآخرين. و أراد الأغوات أن يثاروا لنفسهم فاتصل بعضهم بعاصمة الخلافة في تركيا و أقنعوا المسؤولين بأنهم كانوا مظلومين و أن أسباب الفتنة كانت سعاية أهل المدينة على رأسهم عبد الكريم البرزنجى و كان من جملة علمائها فصدر الأمر بقتل المذكور و بعض المتهمين معه ففر البرزنجى إلى جدة، فقبض عليه حاكمها و نفذ فيه حكم الإعدام و دفن "بحارة المظلوم" نسبة إليه. انتهى كل ذلك من "تاريخ مكة" للسباعى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٨

و لقد كان قديما للأغوات شأن كبير في الدولة العثمانية حتى أنها تنتدب بعضهم للأمر المهمة، فمن ذلك ما ذكر الغازى في تاريخه المخطوط في الجزء الثانى بصحيفة ٢٥٣ أن أمير مكة الشريف سعد عرض على الدولة العلية العثمانية إقامة ولده الشريف سعيد مقامه فأجابته إلى ذلك في شهر ذى القعدة سنة (١١١٣) ثلاث عشرة و مائة و ألف و جاءت المراسيم بولاية الشريف سعيد مع أغاة مخصوص فأدخلوه مكة بموكب عظيم، و جلس في الحطيم الشريف سعيد و صاحب جدة و القاضى و المفتى و أعيان الناس، فورد الأغاة إلى الحطيم بالأمر السلطانى و التشريف لللبس الشريف سعيد و لبس أرباب المناصب على جرى العادة و جلس للتهنئة و مدحه الشعراء بقصائد، و لما كان يوم السبت طلع الأغاة الوارد بالقفطان بخلعه سمور و كتاب آخر خاص لمولانا الشريف سعيد و ألبسه الفرو الوارد له من الأبواب السلطانية زيادة في الإكرام و العناية. انتهى من تاريخ الغازى.

و جاء في كتاب "الجداول المرضية" أن قطب الدين بن علاء الدين خوارزم شاه المتوفى سنة (٦١٧) سبع عشرة و ستمائة دخل عليه رجل من خدمة حجرة النبى صلى الله عليه و سلم فعظمه و أجلسه بجانبه و صار يأخذ يده و يتبرك و يمر بها على وجهه اه.

فهذا الملك عمل على حد قول الشاعر:

أمر على الديار ديار سلمى أقبل ذا الجدار و ذا الجدارا

و ما حب الديار شغفن قلبى و لكن حب من سكن الديارا

و جاء فى العدد (١٩) من روايات الهلال بمصر الخاص بالانقلاب العثمانى، الصادر فى شهر رمضان عام ١٣٦٩ هـ، الموافق لشهر يولية عام ١٩٥٠ م عند الكلام على "حريم قصر يلدز" بالآستانة و معنى كلمه "يلدز" فى اللغة التركيه "النجم" و قصر يلدز جنه الدنيا كان هو مقر سلاطين آل عثمان، فقد جاء فى العدد المذكور عمن كان فى هذا القصر من الخصيان و الأغوات فى زمن السلطان عبد الحميد خان الذى كان فى حدود سنه (١٣٠٠) ألف و ثلاثمائة من الهجره ما نصه:

و فى كل قصر من قصور النساء طائفه من الخصيان و الجوارى و السرارى للخدمه و التدريب، و على الخصيان رئيس يسمونه الباش آغا، و قد تداول هذا المنصب غير واحد فى زمن عبد الحميد آخرهم نادر آغا، و صاحب هذا المنصب من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٩

أكبر أصحاب النفوذ و السطوة لثقه السلطان فيه و ركونه إليه، و قد مر زمن كان الباش آغا فيه أقوى شوكة فى الدوله من أكبر الوزراء.

و ذكروا أن زكى باشا أرادت الدوله إرساله قائدا لعساكرها فى طرابلس الغرب، فجاء لوداع الباش آغا و هو يومئذ بهرام آغا، فدخل عليه و هو فى مجلس حافل فوقف بين يديه و قال: "يا مولاي إن الدوله عيّنت عبدكم قائدا على عساكرها فى طرابلس الغرب، و لى أمنيّه ألتمس من عنايتكم تحقيقها لتكون لى حرزا من ريب الدهر، و هى تقبيل يديكم الشريفه" ففقهه بهرام آغا و قال له: "متى وصل قدركم أن يتعدى رجلى إلى يدي."؟

و يذكرون من نوادر هذا الآغا أنه خرج إلى ظاهر السراى فى الوقت الذى وصل الروسيون الغزاة فيه إلى سان استفانو، و ساد الفزع الأكبر، و شغل السلطان بتدبير ما يؤول إليه العرش العثمانى الذى أورثه إياه آباؤه و أجداده العظام، فدخل عليه الآغا و قال له: "لا يهتم مولانا الأعظم، فقد خرجت إلى ظاهر القصر، و نظرت يمينا و شمالا فوجدت جميع ما انتهى إليه بصرى هو ملك جلالتك فلا تحزن فإنه يكفيننا."

و من أدله نفوذ أولئك الخصيان أن بهرام هذا منع عبد الحميد من إرسال جند عثمان إلى مصر فى أثناء الحوادث العرابيه، و كانت إنجلترا قد أوغزت إليه أن يفعل ذلك ليحتل مصر مكانها، فزعم الآغا المذكور أن السلطان إذا أرسل جنودا إلى مصر لم يبق فى يلدز من يحافظ على حياته.

و يلى الباش آغا من الخصيان طبقه المصاحبين، و اشتهر منهم جماعة كبيره كان لهم شأن فى زمن عبد الحميد. انتهى من الكتاب المذكور.

هذا و لما كان لأغوات المسجد الحرام فيما سبق شأن كبير، كان تعيين أحدهم شيخا و رئيسا عليهم لا بد أن يكون من قبل السلطان و أن يصدر له بذلك مرسوم سلطانى، و قد ذكر القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى صوره من المراسيم السلطانيه بذلك لكنها خاصه بأغوات المسجد النبوى- و نحن نذكر هنا نص كلامه فى كتابه المذكور مع نص المرسوم السلطانى- قال رحمه الله تعالى:

و قد جرت العاده أن يكون له خادم من الخصيان المعبر عنهم بالطواشييه يعين لذلك من الأبواب السلطانيه، و يكتب له توقيع فى قطع الثلث "بالمجلس السامى" بالياء، مفتتحا "بالحمد لله."

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٠

و هذه نسخه توقيع شريف من ذلك:

الحمد لله الذى شرف بخدمه سيد الرسل الأقدار، و فضل بالتأهل للدخول فى عداد كرمه بخدمته من اختاره لذلك من المهاجرين و الأنصار، و جعل الاختصاص بمجاوره حرمه أفضل غاية تهجر لبلوغها الأوطان و الأوطار، و عجل لمن حل بمسجده الشريف تبوأ



أشرف روضة ترددها البصائر و ترددها الأبصار.

نحمده على نعمه التي أكملها خدمة نبيه الكريم، و أفضلها التوفّر على مصالح مجاورى قبر رسوله الهادى إلى الحق و إلى طريق مستقيم، و أجملها الانتظام فى سلك خدمه حرمه لأنها بمنزلة واسطة العقد الكريم النظيم، و نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مزلفة لديه مقربة إليه، مدخرة ليوم العرض عليه، و نشهد أن سيدنا محمدا عبده و رسوله أشرف نبي بعث إلى الأسود و الأحمر، و أكرم من أنار ليل الشرك بالشرع الأقرم، صلى الله عليه و على آله و أصحابه الذين فخرت الحبشة بهجرتهم الأولى، و نجا النجاشى بما اتخذ عندهم من السابقة الحسنه و اليد الطولى، و أولى بلالهم من السبق إلى خدمه أشرف الأنبياء عليه و عليهم أفضل الصلاة و السلام، أفضل ما يولى، صلاة لا يزال شهابها مرشدا، و ذكرها فى الآفاق مغيرا و منجدا، و سلم تسليما كثيرا.

و بعد، فإن أولى ما أعتد عليه من أفاء الله عليه من نعمه و أفاض عليه من ملابس كرمه، و شرف قدره بأن أهله لخدمه سيد الرسل بل لمشيخة حرمه، و خصه برتبة هى أسنى الرتب الفاخرة، و أجمع الوظائف لشرف الدنيا و الآخرة، من رجحه لذلك دينه المتين، و ورعه المكين، و زهده الذى بلغ به إلى هذه الرتبة التى سيكون بها- إن شاء الله تعالى- و جيتها فى الدنيا و الآخرة و من المقربين.

و لما كان فلان هو الذى أدرك من خدمه سيد الرسل غاية سؤله، و زكت عند الله هجرته التى كانت على الحقيقة إلى الله و رسوله، و سلك فى طريق خدمته الشريفة أحسن السلوك، و انتهت به السعادة إلى خدمه رسول الله صلى الله عليه و سلم ليعرض بجوهرها الأعلى عن عرض خدمه الملوك، و فاز من مجاورة الحجره الشريفة بما عظمت عليه به المنه، و حل به مما بين القبر و المنبر فى روضة من رياض الجنة، و أقام فى مقام جبريل، و مهبط الوحى و التنزيل، يتفيا ظلال الرحمه الوارفة، و يتهيا من تلك النعمة بالعارفة بعد العارفة تعين أن يكون هو المحلى بعقود مشيخة ذلك الحرم، و المتولى لمصالح هذه الطائفة التى له فى التقدم عليهم أثبت قدم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤١

فرسم بالأمر الشريف لا- زال ... أن تفوض إليه المشيخة على خدام الحرم الشريف النبوى: للعلم بأن العامل الورع، و الكافل الذى يعرف أدب تلك الوظيفة: من خدمه الرسول صلى الله عليه و سلم على ما شرع، و الزاهد الذى آثر جوار نبيه على ما سواه، و الخاشع الذى نوى بخدمه الدخول فى زمرة من خدمه فى حياته " و لكل امرئ ما نواه."

فليستقر فى هذه الوظيفة الكريمة قائما بأدابها، مشرفا بها نفسه التى تشبثت من خدمته الشريفة بأهدابها، سالكا فى ذلك ما يجب، محافظا على قواعد الورع فى كل ما يأتى و ما يجتنب، قاصدا بذلك وجه الله الذى لا يخيب لراج أملا، و لا يضيع أجر من أحسن عملا، ملزما كلا من طائفة الخدام بما يقربه عند الله زلفى، و يضاعف الحسنه الواحدة سبعين ضعفا، هاديا من ضل فى قوانين الخدمه إلى سواء السبيل، مبديا لهم من آداب سلوكه، ما يغدو لهم منه أوضح هاد و أنور دليلا، و فيه من آداب دينه ما يغنى عن تكرار الوصايا، و تجديد القضايا، و الله تعالى يسدده فى القول و العمل، و يوفقه لخدمه سيد المرسلين صلى الله عليه و سلم و قد فعل بمنه و كرمه. انتهى من كتاب صبح الأعشى من المجلد الثانى عشر.

و لم نر القلقشندى ذكر فى كتابه المذكور صورة مرسوم سلطانى لأغوات المسجد الحرام، و سببه و الله تعالى أعلم أنه كان للمسجد النبوى أغوات فى زمانه فقد أرسلوا إليه الطواشيه سنة (٥٥٧) كما سبق الكلام عليه، و أما المسجد الحرام و إن كان به خدم لكن لم يكونوا طواشيه، فطواشيه المسجد الحرام حدث فيما بعد ذلك، و القلقشندى صاحب كتاب صبح الأعشى مولود سنة (٧٥٦) فالظاهر إما أنه إلى هذا الوقت لم يكن فى المسجد الحرام طواشيه، و إما أنه لم يعثر على صورة مرسوم سلطانى لهم. و الله تعالى أعلم. و لأغوات المسجد الحرام كثير من الأوقاف المرصوده لهم فى بعض البلدان كبغداد و البصرة و الشام و المغرب.

### أغوات المسجد الحرام فى عصرنا هذا

عدد أغوات المسجد الحرام فى عصرنا هذا (٢٤) أربعة و عشرون شخصا عليهم شيخ و نقيب. فمن أعمالهم القيام بتنظيف دائرة

المطاف و ما يليها فقط ليلا و نهارا، و القيام بخدمة الخطيب حال الخطبة على المنبر، و لهم لباس خاص يعرفون

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٢

به، كما لهم نظام مستقلون به، و كل منهم له لقب خاص اصطلاحا عليه فيما بينهم، يحترمون شيخهم و لا يخرجون عن أمره مطلقا. و كنا نرغب أن تأتي بنظامهم و القوانين التي يمشون عليها بدقة تامة، لكن صرفنا النظر عن ذلك حتى لا يطول بنا الكلام.

## مبدأ الرق و الاسترقاق

نكتب هذا الفصل بمناسبة ما ذكرنا عن أغوات المسجد الحرام (أى الطواشى) قال فى المصباح المنير ... "و الرق بالكسر العبودية و هو مصدر رق الشخص يرق من باب ضرب فهو رقيق ... و يطلق الرقيق على الذكر و الأنثى و جمعه أرقاء ... إلخ. "اه. و قال بعضهم فى الرق هو: حرمان الشخص من حريته الطبيعية و صيرورته ملكا للغير، و فى عرف الفقهاء: عبارة عن عجز حكى شرع فى الأصل جزاء عن الكفر، و النخاسة بيع الرقيق و الدواب، و النخاس البياع أى الدلال.

و مبدأ الاسترقاق يرجع إلى العصور الأولى منذ نشأة الاجتماع الإنسانى، و هو أمر طبيعى للبشر فالقوى يستخر الضعيف لخدمته، و منذ ظهور الحروب على وجه الأرض و التطلع إلى تملك البلدان و الأقوام اتسع نطاق الاسترقاق و العبودية.

فكان الرق عند قدماء المصريين و الهنود و الأشوريين و الفرس و الصينيين و العبرانيين و اليونانيين "الإغريق" و الرومانيين و غيرهم، و الأرقاء عند هؤلاء الأمم أنواع و أقسام و لهم نظام و قوانين عند كل أمه منهم يعاملونهم بموجبها ذكرها الأستاذ أحمد شفيق بك المصرى فى كتابه "الرق فى الإسلام" و هو كتاب صغير الحجم يقع فى ١١٢ صحيفة، ألفه المذكور باللغة الفرنسية و ترجمه الأستاذ أحمد زكى إلى اللغة العربية و قد طبع الطبعة الأولى سنة ١٣٠٩ هجرية الموافق لسنة ١٨٩٢ ميلادية بالمطبعة الأهلية الأميرية ببلاط بمصر، و الحق أنه كتاب قيم وفق فيه المؤلف أعظم توفيق، و زاد من قيمته التعليقات و الحواشى التى كتبها فيه مترجمة إلى اللغة العربية الأستاذ أحمد زكى، و نظنه هو شيخ العروبة "أحمد زكى باشا" فيما بعد.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٣

و قد بين المؤلف فى كتابه حكم الاسترقاق فى بعض الديانات و كذلك فى الديانة الإسلامية التى حثت على حسن معاملته الأرقاء و على عتقهم. و يستحسن أن نذكر ما قاله المؤلف المذكور رحمه الله تعالى فى الفرع الخامس بصحيفة ٩٣ عن خلاصة ما تقدم من كتابه المذكور و هو هذا بنصه:

من الآيات القرآنية الشريفة و الأحاديث النبوية الكريمة و أقوال الأئمة و شواهد التاريخ التى سردناها فى المطالب السابقة، يتضح أن الديانة الإسلامية قد حصرت من غير شك و لا مراء حدود الاسترقاق و عملت على إنضاب منبعه، إذ حثت شروطا و فرضت قيودا لا بد منها لوقوع الاسترقاق، و بينت الطرق و أوضحت الوسائل التى يكون بها الخلاص من ربقته، فإذا اتفق لشخص مع كل هذه الوسائط و وقع القضاء المحتوم عليه فأوقعه فى الاسترقاق، فقد رأينا أن الشريعة الإسلامية لا تتخلى عنه و لا تتركه و شأنه، بل تبسط عليه جناح حمايتها و لواء رعايتها فتعتبره جديرا بالشفقة خليقا بالمرحمة لما تراه فيه من الضعف و المسكنة، و لذلك وردت فيها الوصايا التى تفرض على الموالى أن يعاملوا أرقاءهم كما يعاملون أنفسهم، و أن يسعوا فى إسعادهم و نعومة بالهم و تأديبهم و تهذيبهم و تعليمهم، و أن لا يزدروا بهم و لا يضيعوا من قدرهم، و أن يزوجهم أو يتزوجوهن تعجيلا لتخليصهم من ربقه الرق و إيرادهم موارد الحرية.

هذا و إن العتق الذى جئت فقط على ذكر قواعده العمومية و أصوله المهمة على وجه الإجمال لهو و الحق يقال من أفخر ما يفخر به الإسلام، فإن شريعتنا المحمدية قد سعت فى تقويض دعائم الاسترقاق و تدمير معالمه، و لكن كيف العمل؟ هل كان الموافق المبادرة بتحريم أمر امتزجت به عوائد العالم كله منذ ما وجد الاجتماع الإنسانى و توالى عليه الأيام و الأعوام و الشهور و الدهور، إلا أن ذلك كان يجز وراه بلا شك انقلابا عظيما فى نظام الاجتماع، و فتنه كبيرة فى نفوس الأمم و الأقوام.

فلهذا جاءت شريعة الإسلام بهذه الغاية من طريق آخر تزول أمامه الصعوبات و تتذلل العقبات، بدلا من تهيج العقول و إثارة الخواطر و الأفكار، بإلغاء الاسترقاق مرة واحدة، فخطوب المسلمون بأن يتقربوا إلى الله تعالى بعق العبيد المساكين في ظروف كثيرة و أحوال متنوعة. و حث النبي صلى الله عليه و سلم كثيرا على السعى في نوال هذه الغاية الجليلة، و لذلك جاءت قواعد العتق في غاية السعة و نهاية اليسر،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٤

بحيث يتسنى دائما للرقيق أن يجد فيها طريقا يساعده على الخلاص من الاستعباد إذا طلب ذلك بل و لو لم يطلبه.

انتهى من كتاب "الرق في الإسلام" و هو كلام عليه طلاوة و حلاوة كما لا يخفى.

نقول: إن من أهم ما عثرنا عليه صورة العقد الذي أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بكتابته و يتضمن عتق مولاه أبي رافع رضی الله عنه، و هو صورة فريدة للعتق النبوي أحببنا نقلها هنا. و إليك نص العبارة:

### صورة عقد عتق أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم

جاء في كتاب التراتيب الإدارية في الجزء الأول ما نصه: قال القاضي ابن باديس في شرح مختصر ابن فارس نقلا عن العمدة لأبي عبد الله التلمساني:

الصحيح في اسمه أسلم لأجل عقد عتقه و نصه بخط الحكم المنتصر بالله أمير المؤمنين بن عبد الرحمن الناصر المرواني "بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من محمد رسول الله لفتاه أسلم إني أعتقك لله عتقا مبتولا. الله أعتقك و له المنّ على و عليك فأنت حر لا سبيل لأحد عليك إلا سبيل الإسلام و عصمة الإيمان شهد بذلك أبو بكر و شهد عثمان و شهد علي و كتب معاوية بن أبي سفيان كان في الكتاب معاوية. ما كان بخط الحكم."

قال الشيخ أبو عبد الله: كتبه من منقول نقل من خط الحكم ه. فهذا عقد في عتق نبوي بنصه من الذخائر المكنونة و الكنوز الثمينه فتلقه شاكرا و للمغاربة ذاكرة حيث إن كلا من الحكم المنتصر و صاحب العمدة و فوائد الدرر مغاربة، و كأنه لم يقف عليه أحد من أعلام المشرق فلذلك لا تراه في مدوناتهم الأثرية.

و سيأتي في باب الوقف ما يقتضى أن الصحابة كانوا يكتبون أوقافهم و سياق بعض نصوصها فانتظره في محله (ز قلت) انتهى من كتاب التراتيب الإدارية.

و مما يلحق بهذا الفصل من باب الاستطراد: أنه في سنة (١٢٧١) إحدى و سبعين و مائتين و ألف من الهجرة جاء أمر من دار السلطنة العثمانية إلى الوالي التركي بمكة كامل باشا بمنع بيع الرقيق علنا في الأسواق تنفيذا لمعاهدة خاصة بين الدولة العثمانية و بعض الدول الأوروبية فبلغه كامل باشا لدلالى الرقيق فلما علم أهالى مكة بذلك نادوا بالجهاد و اجتمع طلبة العلم في بيت رئيس العلماء الشيخ

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٥

جمال شيخ و طلبوا إليه أن لا يرضخ لما يخالف الشرع و أن ينتقل معهم إلى دار القاضي ليمنع صدور ذلك الأمر، فلما مشت جموعهم في الشوارع انضم إليهم الجمهور و نادوا بالثورة و اشتبكوا مع الأتراك في قتال عنيف و امتد القتال إلى المسجد الحرام فقتل فيه عدة أشخاص من الفريقين، فلما انتهت الأخبار إلى الشريف عبد المطلب و كان بالطائف غضب للأمر و جمع جموعه من القبائل لإعانة الأهالى في مكة ضد الترك، فخف الأتراك إلى جدة و تحصنوا بها و أعلن كامل باشا في جدة أن المراسيم السلطانية قد وصلت إليه بعزل عبد المطلب و تولية الشريف محمد بن عبد المعين بن عون ... الخ ما ذكره الأستاذ السباعي بصحيفة ٣٧٥ من كتاب "تاريخ مكة." و تؤخذ من هذه الرواية جملة أمور لا تخفى على العاقل اللبيب.

جاء في الجزء الأول من كتاب كنز الرغائب في منتخبات الجوائب المطبوع سنة (١٢٨٨) ثمان و ثمانين و مائتين و ألف من الهجرة بالآستانه عن اقتناء الجوارى ما يأتي:

لا يخفى أن تملك الجوارى السود بالآستانه يعد من النقم لا النعم، فأبين الآن سببه بالتفصيل، و هو أن جميع هؤلاء النساء يعتقدن بالجن و العفريت، و يتشاءمن و يتطيرن، و كل واحدة منهن لها في الشهر يوم معلوم ينتابها فيه الجن، فإذا زارها طلبت أن تذهب إلى زعيمتها و قدوتها لكي تبخرها و تعزم عليها، و إلا- فإنها تلزم الفراش و تمارض و لا تأتي شيئاً من الأعمال، و متى ذهبت لزمها أن تنقد الزعيمة ريالاً مجدياً، و إذا كان لصاحب العيلة جارية واحدة استوحشت منه و من عيلته و داره، و طلبت أن تشفع بأخرى لتؤانسها و تحمل عنها أثقال الخدمة، فإذا حضرت الثانية و كانت من غير بلادها و جنسها، وقع بينهما الخصام و النزاع، فأدى ذلك إلى بيع إحداهما، فإن كانت من بلادها و جنسها تألفتا على الشر و الخباثت، و لا سيما إذا كان في الدار خادم من الرجال، و من عادتتهن أنهن لا يخرجن إلى السوق لشراء ما يلزم لصاحب الدار من نحو المأكولات و المشروبات، فيضطر في هذه الحالة إلى أن يكون عنده خادم مخصوص لهذا أو أنه يذهب بنفسه و يشتري ما لزمه، فهذه حالة الجوارى السود اللاتي يقع عليهن البيع و الشراء في

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٦

الآستانه لكونهن أسيرات، فمن سمع من الإفرنج بأن نوعاً من جنس بنى آدم يباع و يشترى، استعظم ذلك و عدّه مغيراً للإنسانية، و الحال أنه أسر للمشتري (بكسر الراء) لا للمشتري (بفتح الراء)، فإن الأول هو الذي يشقى و يعنى بوجود الجوارى، في حالة كونهن منعمات مترفها، لا يخرجن من الديار إلا للنتزه، و لا يأتين من الأعمال إلا ما طاب لهن، و شر ما في القضية أنه لا بد منهن، إذ لم تجر العادة عند متوسطى الحال من أصحاب العيال، أن يستخدموا نساء من النصارى، و إنما يجوز ذلك لرجال الدولة، و زد على ذلك أن مفتشى الضبطية صاروا الآن يفتشون السفن التي يجلب فيها الجوارى، فإذا ظفروا بطائفة منهن أحضروهن إلى ديوان الضبطية، و هناك يحجز عليهن و يمنع من البيع، فالظاهر أن الدولة عازمة على منع جلب الرقيق رأساً، و هو من بعض المآثر التي تبديها في هذه الأيام.

و لكن إذا كان هذا الأمر واجبا عندها و جب أيضاً أن يمنع البيع من بيوت النخاسين، مع أنا نرى النخاسين لا يتحاشون من البيع أصلاً، فالأولى إذا أن تمنع البيع و الجلب معاً أو تتركهما معاً، و في الحالة الأولى يقع الناس في داهية من الحاجة إلى الجوارى، كما وقعوا في داهية من الحاجة إلى وجود الديار، إذ ليس في الآستانه من الخوادم من يسد مسد الجوارى، فنحتاج و الحالة هذه إلى استخدام نساء النصارى أو اليهود، إذ ليس من المحتمل أن يأتينا نساء من الأناضول أو غيرها للخدمة.

و سبب ذلك فيما قيل لى أن صاحب العيلة إذا استخدم نساء من البيض، فربما تاقت نفسه إلى إحداهن فيتزوجها، فتكون ضرة على زوجته الأولى، فلهذا كان من هم النساء المتروجات هنا أن يقتصرن على الجوارى السود، فكأنهن يزعمن أن الرجال البيض لا يشتهون النساء السود، و لعل عدم استخدام نساء النصارى هو أيضاً من هذا القبيل، أعنى لكيلا يكون سبباً في عشق الرجال لهن فالظاهر أن الرجال هنا لا- هم لهم إلا- النزو على النساء، أو أن النساء لما كن لا يفكرن إلا في الرجال لعدم اشتغالهن بشيء من أمور المعاش، يحسبن الرجال مثلهن، و مهما يكن من صحة أحد هذين الاحتمالين، فالهمم الآن أن يتبصر في قضية هؤلاء الجوارى، و في الاستغناء عنهن من قبل أن يقال لنا أن يبعهن صار محظوراً، و قد طالما تمنينا أن تكون الآستانه سالمة من هذه المصيبة، كما سلمت تونس بل مصر أيضاً قد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٧

أشرفت على السلامة منها، إذ يقال أن الرقيق فيها متى شاء التلخص من الرق ذهب إلى ديوان الضبطية و طلب العتق فيعتق في الحال، مع أن أهل تونس و مصر يمكنهم الاستغناء عن الجوارى السود بنساء الأرياف، أما في الآستانه فلا غنى عنهن، فلا بد لصاحب العيلة

العتيق أن يصير أسيرا باستخدام واحدة أو اثنتين من هؤلاء الأسيرات.

فبقى لنا أن نسأل هنا هل تدارك هذا الأمر منوط بالجوائب أو بالمجلس البلدى أو بالدولة؟ فإن رجح الأمر إلينا قلنا: أن استخدام النساء بالأجرة أولى من شراء الرقيق، فإن المرأة متى كانت مستأجرة حرصت على أجزتها فقامت بواجب خدمتها أتم قيام، و صانت أمتعة البيت عن الكسر و الابتذال، بخلاف الجوارى فإنهن عفك لا يحسن شيئا من الخدمة، و لا يأتين عملا إلا تكلفا، و لا يزلن فى تسخط و دمدمه، ما عدا كونهن مميزات بزيارة الجن، و لكن من أين الحصول على الخوادم بالأجرة، إذا كانت العادة لا- تسوغ استخدام نساء من الأناضول، و لا- من النصارى و لا- من اليهود و لا- من التور- العجر- كما أنها لا تسوغ العمل لصاحبة البيت و لا لبناتها، فإن النساء إنما خلقن هنا للزينة فقط، فقد أعجزتنا الحيلة فى أمر هؤلاء الجوارى، كما أعجزتنا فى الديار و ترتيب الأسواق، فلم يبق لنا إلا تفويض ذلك إلى المجلس البلدى، جيران سكنى الآستانه فى هذه الأوقات صارت أمرا شاقا و تعباً باثقا، إذ على فرض أن يكون الإنسان فيها ذا وظيفة، فلا يجد فيها ما يأكل و لا ما يشرب و لا ما يركب و لا ما يسكن، فأينما توجه فى طلب ما يعوزه وجد دونه مصاعب و مشاقا، خلافا لبلاد أوربا، فإن الصعوبة فيها إنما هى فى تحصيل الوظيفة، فمتى حصل عليها فقد حصل على كل ما يتمناه و يشتهيه، فما دامت هذه الحال عندنا هكذا، فألف معلم و أستاذ و مترجم، فى دار الفنون و مجلس المعارف لا يغنون شيئا، و إنما هى أمانى يتشاغل بها الذين لا شغل لهم، إذ لو كان مرادنا الجد فى أسباب التمدن، لوجب علينا أن نفكر بادئ بدء، فى أن الآستانه قد خلت عن عشرة آلاف دار فى الأقل، و أنه ليس فى كل خمسمائة دار قائمة فيها دكان واحد تباع فيه البقول الطيبة أو الفاكهة الناضجة أو الخبز الخاص، و إنما هو سداد من عوز، فأى نفع يحصل من تكثير المكاتب و الكتب و المترجمين، إذا كان بائع الخضراوات ليس عنده عرق من البقول، و قد نرى أن كثيرا ممن ساسوا البلاد و ضبطوها أحسن ضبط، لم يكونوا يعلمون بوجود أو ميروس و فرجيل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٨

و راسين و شلر و شكسير، فأهم ما نحتاج إليه إنما هو الهمة، لا الترجمة و ترتيب الأسواق و الدكاكين و لا تكثير المترجمين. انتهى من الكتاب المذكور.

### بيع الرقيق فى الآستانه

جاء فى الجزء الأول من كتاب كنز الرغائب من منتخبات الجوائب المطبوع سنة (١٢٨٨) ثمان و ثمانين و مائتين و ألف من الهجره بالآستانه عن بيع الرقيق فى الآستانه ما يأتى:

قد تقرر فى خواطر أصحاب البيوت الموسرين و غير الموسرين بالآستانه، أنه لا بد من شراء الجوارى البيض و السود لخدمتهم أو للتمتع بهن، فتجد فى بيت الموسر عدة منهن، و الغالب أن الجوارى السود يخدمن فى المطبخ، و أما الجوارى البيض فإنهن يستخدمن فى تنظيف الحريم، و الفرش و الخياطة و ما أشبه ذلك، و من العادة أنه متى أراد أحد أن يشتري واحدة من هذه الجوارى أبقاها عنده يومين أو ثلاثة للتجربة، فتظهر الجارية فى خلال ذلك غاية الخضوع و الانقياد و الاجتهاد فى أشغال البيت و الحرص على تنظيف آنيته و فرشه، و يظن الإنسان أنه قد ظفر بضالته التى يطلبها، حتى إذا أدى ثمنها تخلقت بأخلاق أخرى، فتتقاعس عن العمل، و تأخذ فى تعداد محاسن البيت الذى كانت فيه أولا فتقول إنى كنت هناك آكل كذا و أشرب كذا، و كنت أتزهر فى الحدائق و أتتعلم فى الحمام و أخرج إلى الأسواق، و كان لى جارية، مخصوصة لخدمتى، لأن سيدى الأول كان يفضلنى على جميع جواريه، بل كان يحببنى حتى غارت زوجته منى فخاصمته لأجلنى، و حيث كان له منها بنون و بنات لم يسعه إغضابها فباعنى، و هو إلى الآن يحببنى و يود أنى أعود إليه، ثم تأخذ فى استعمال حيل و مكائد تستميل بها قلب سيدها الثانى إليها، فتتبعه إلى مواضع خلوته و راحتها، لأنها تعلم أنها إذا علقت منه تعتق، فلذا تجعل أقصى همها و إربها فى الحصول على الحرية من هذا الوجه، فإن من يملك جارية لا يعتقها

إلا إذا عقلت منه، و إذا كان قد مضى عليها في خدمته سبع سنين و ربما أعتقها لوفاء نذر عليه، و ذلك كأن يقول: إني إذا حصلت على منصب أو تزوجت فلانة أعتقت إحدى جواري، فإذا علمت أن سيدها معرض عنها ملت الإقامة عنده، فتأخذ في كسر آئنته و إتلاف حاجته، و فعل ما يعيظه و يعيظ زوجته رجاء أن يبيعها، فإذا سألتها سيدتها لأى شيء كسرت الحاجة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٩

الفلائية، قالت لها: إن ثمنى أغلى من ثمنها، و إن هى إلا حويجة فما ينبغى أن تشغلى خاطر ك بها، و لا تزال تأتي مثل هذه الأفعال حتى يضطر سيدها أو سيدتها إلى بيعها، و لا- يكون ذلك إلا بخسارة و هى من ألف قرش إلى ألف و خمسمائة هذا فى الجوارى السود، أما فى الجوارى البيض فأضعاف هذا المبلغ.

و هنا مفسدة قد تواطأ عليها الذين يبيعون الرقيق، و هى أنهم يغرون هؤلاء الجوارى بعدم الإقامة عند من يشتريهن، فإذا عزم أحدهم على بيع واحدة منهن، قال لها: لا تمكثى عند سيدك إلا إذا أرضاك تمام الرضى، فإذا كان لا يرضيك فاطلبى منه أن يبيعهك و أنا أرى لك موضعا آخر يليق بك، و القصد من ذلك منفعة نفسه لا منفعة الجارية، لأن مالك الجارية إذا أراد بيعها فإنما يبيعها فى الغالب لمن اشتراها منه، و ذلك لا يكون إلا بوضع من ثمنها الأصلي كما تقدم، و مع أن أقصى مرام هؤلاء الجوارى هو التفريق ما بين الرجل و زوجته، أو إفساد بنيه إن كان له بنون، أو إفساد امرأته حتى يستحوذن عليها، فما أحد من أصحاب البيوت تنبه إلى الآن لاستئصال هذا الشر، فتراهم أبدا مدخلين جارية و مخرجين أخرى، و هذا مع عسر الأحوال فى هذه الأوقات من أعجب العجائب، و الظاهر أنه لا- علاج لهذا الداء، لأن النساء الفقيرات من الترك يستنكفن من الخدمة بل يحسبها معرة فلا يكون بد و الحالة هذه لأصحاب البيوت من شراء هؤلاء الجوارى المفضى إلى خراب بيوتهم، فكم لعمري من بيت خرب بسببهن، إما بتطليق الرجل زوجته و أم أولاده فى حب واحدة منهن، و إما بإسرافه عليهن إن رضيت الزوجة بالإقامة معه، و إما أنهم يحرقن البيت بما فيه تشفيا من حنقهن على سيدتهن، و إما لسبب آخر و لا أكثر من الأسباب التى تخرب بها البيوت العامرة.

على أنك إذا تأملت فى أصل بيع هؤلاء الجوارى، علمت أنه فاسد لا يسوغه مسوغ سوى العادة، إذ هو مخالف للإنسانية فضلا عن كونه مغاير للدين أما الجوارى من الجركس، فكل يعلم أن أهلهم و أقاربهم هم الذين يبيعونهن، و ذلك لعدة أسباب: أحدها: أن الجراكسة فى الزمان القديم كانوا يغيرون على أعدائهم و يسبون منهم و كانوا يبيعون السبي، ثم اختلط سيهم بذراريهم فلم يهتمهم تميز أحدهما عن الآخر.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٠

و الثانى: أنهم كانوا يزعمون أن بيع الجوارى و الغلمان فى الممالك العثمانية الإسلامية، أولى من إقامتهم تحت الحكومة الروسية. و الثالث: و لعله أعظم الأسباب أنه يبلغهم عن دار الخلافة أنها دار عز و سعادة و ثروة و وجاهة، فإذا باعوا ذريتهم لأحد من عظمائها ترجوا أن ذلك يكون فى المستقبل مفيدا لهم، فضلا عن فائدة الثمن، حتى أن البنات ليلتمسن من آبائهن بالباح أن يبيعوهن، إذ يزعمن أنهم متى جئن إلى دار الخلافة وجدن جميع أبواب الحظ و الرفاهية مفتحة لهن، فيلبسن الديباج، و يتحلين بالماس و الزمرد و الياقوت و الدر و المرجان، و يتنعمن فى الحمام و يتنزهن فى الحدائق، و يركبن الكروسات البهية، و يتكفن على الأرائك المزخرفة، و يرقدن على فرش مرفوعة محشوة بريش النعام، و يتلذذن بأفخر الطعام، و يقوم بين أيديهن عدة من الوصائف.

فأين هذه العيشة من عيشة الجبال، و رعاية الماشية و جمع الحطب، و حمل الأحمال الثقيلة، مع التقشف و التردى بأخلاق الشباب، و تحمل حر الصيف و برد الشتاء، و فى الحقيقة فإن كثيرا من أمانى هؤلاء الجوارى قد صح و وقع فعلا، و كثيرا من أولئك الآباء الذين طابت نفوسهم عن بيع ذريتهم قد انتفعوا بغياهم عنهم أكثر من نفعهم بحضورهم عندهم، فإن الأب متى عرف أن بنته استقرت فى دار أحد الأمراء و حظيت عنده انتابها حيناً فحيناً، و نال من فواضل سيدها ما يطيب عيشه به، و لقد بلغنا عن كثير من هؤلاء الجوارى أنهم يعترفن جهرا بأنهن حرائر، و أن بعض أقاربهن هم الذين باعوهن، لنفع كل من الفريقين، إلا- أنهم يخترن عيشة الأسر على عيشة

الحرية، فإنهن في حالة الحرية مجهودات لا يظهرن لهن مع جهدهن حسن و لا جمال، فما يتصين و الحالة هذه أحدا من الناس، بخلاف ما إذا ترفهن و تنعمن في حالة الأسر، فإنهن يطمعن حينئذ في أن ينتقلن من دار إلى صرح، و من غنى إلى أغنى، إلى أن يتمتعن بجميع لذات المعيشة، فبقى لنا أن نسأل أهل الرشد و الإنصاف هل يجوز للأب أن يبيع أولاده لأجل هذا النفع، أم يجوز إبقاء هذه العادة الذميمة مراعاة لشهوات الأغنياء القادرين على مشتري الجوارى، و هل أحد بذل جهده عند شراء واحدة منهن في تحقيق معرفه حالها ليعلم هل هي حرة أو سبي؟ كلا، و إنما هي نهمه البطرين المترفين على تملك هذا الجيل، لما تقرر في عقولهم من أن وصائف السراية السلطانية منه، فيتهاقون عليهن كيفما اتفق.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥١

لعمري إن من ولد في دار الإسلام مسلما لجدير بأن يكون حرا و إن كان أبوه أو جده أسيرا، و لكن متى كان هذا الأسر و أين الدليل عليه، و كيف أمكن للجرا كسة أن يحفظوا علم ذلك عندهم منذ مائتي سنة، و كثيرا ما ترى أحدهم قادم إلى الآستانة و معه أطفال صغار يشبهونه خلقا و هيئة فإذا أشبعته أحدهم باعه في الحال، فكيف يمكن أن يحكم بأن أصل هؤلاء الأطفال أسرى و هم يشبهونه؟ و هب أن أصلهم من السبي فكان من الواجب أن كل من يضع قدمه في أرض الآستانة يصير حرا، و مع أن الدولة العلية قد نهت عن بيع الجرا كسة منذ سنتين فأكثر، و بذلك طبلت جرنالات الإفرنج المنشورة فيها و زمرت، فلم يزل هذا الأمر مباحا لكل واحد، فكل من أراد أن يشتري جارية بكرا كانت أو ثيبه و جدها على طرف الثمام.

و أما تشريف الجوارى السود لهذه الأوطان فله سببان:

أحدهما: أن سكان البلاد المجاورة لبلادهم يخطفونهن خطفا، ثم يأتون بهن إلى بعض الجهات التي يروج فيها بيعهن و يبيعنهن بثمان بخس.

و الثاني: أن قبائل بلاد السودان الذين دأبهم القتال و شن الغارات و النهب، متى ظفرت قبيلة بأخرى باعت نساءها و أولادها و أفنت رجالها.

و الذي يفهم من كلام الجوارى أن أولئك القبائل مسلمون، فإذا أخذنا بقولهن و اعتبرنا طريقة الخطف حكما بأن بيعهن حرام قطعا، و إذا فرضنا أن تلك القبائل ليسوا على الإسلام، فالسياسة تقتضى منع هذه التجارة الذميمة، فإن الدولة الروسية قد حررت جميع من كان في بلادها على حالة العبودية و كان مقدارهم عظيما، و كذلك دولة أمريكا الشمالية حاربت سكان الجنوب أربع سنين لإبطال العبودية من أرضها، مع أن أهل الجنوب كانوا من ذوى قرابتهم، و الآن لا يوجد في روسية و أميركا أحد رقيقا، فكلهم نالوا الحرية التامة، فأجدر بالدولة العلية أن تعتق من في بلادها من العبيد و الإماء و إننا أجدر الناس جميعا بهذا العمل الخيري من عدة أوجه: أولها: أن هؤلاء الجوارى لا يحسن الخدمة اللازمة لأصحاب العيال، فإنهن لا يعرفن الخياطة، و لا غسل الثياب، و لا تنظيف الديار، و لا تنضيد فرشها، حتى الطبخ لا يدرين منه شيئا معجبا لذى الذوق السليم، مع أنهن إنما يشتريهن له.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٢

و الثاني: أن عددهن بالنسبة إلى عبيد أمريكا قليل جدا، و إن يكن في كل دار من ديار الآستانة واحدة منهن أو أكثر، إذ داخل المملكة خال بحمد الله منهن، فلا تكاد ترى لهن هناك عينا و لا أثرا، و إن رأيت فإنما يكون في بيت أحد المأمورين الذين ساروا من الآستانة إلى بعض المدن في خدمة ما للدولة، فإنهم إذا استخدموا في الخارج نقلوا معهم من كان عندهم بالآستانة من العبيد و الجوارى و الأتباع.

و الثالث: أن هؤلاء الجوارى شكسات الأخلاق متكبرات لا يقبلن التأديب و التربية، إذ يزعمن أن النبي صلى الله عليه و سلم كان من السود، و هذا مسبب عن أحد أمرين إما لاعتقادهن أن اللون الأسود خير من اللون الأبيض، حتى أنهن يبنزن البيض بحمر الآذان، و إما لأن أهل الآستانة يدعون جنس السود غربا ما عدا الجوارى اللاتى كن في مكة، و المدينة، فإنهن يعرفن أن هذا الزعم باطل، إلا أنهن

يكتمن ما عرفه من هذه الحقيقة.

والرابع: إنك لا تكاد ترى واحدة منهن سليمة في العقل والبدن، أما في العقل فلأنهن جميعا يعتقدن بوجود روح من الأرواح التي تتولى أفعال بنى آدم في زعمهن، و يقال له بلغتهن برى، فيزعمن أنه يتنابهن في المنام و يأمرهن و ينهاهن، فيقول لهن مثلا: لا تمكثن في هذه الدار فإنكن تبتلين فيها بشر و سوء، فمهما تكن المرأة منهن مستريحة في الأعمال و الأشغال عند أحد، فإذا رأت الروح ينهاها عن الإقامة عنده طلبت منه أن يبيعها، و لهن يوم معلوم في السنة يجتمعن فيه و يبدن من الكلام و الحركات ما يعجب منه، فمنهن من تنطق بالمغيبات، و منهن من تلطم صدرها و تبخع نفسها كما تفعل العجم في يوم عاشوراء، و منهن من تدبح ضحية لوفاء نذر، و منهن من تضرب بالدف أو تغنى، كل ذلك لإرضاء البرى و إيفاء ما اقترحه عليهن، و أما في البدن فلأن هواء إسلامبول شديد عليهن، فإذا بلغن سن الكهولة لا يصلحن لشيء من الخدمة.

و الخامس: أنه قد صار من العادة في هذه الأيام الأخيرة، أن ذات المقام من الحرائر تستحى من أن تستصحب إلى الأسواق و الشوارع امرأة سوداء، و إنما تؤثر الجوارى البيض، لأن أصل مشترى السود للمطبخ.

و السادس: أنه يظهر أن الدولة العلية يعينها إبطال العبودية، فقد نهت عن بيعهن في المزاد، إلا أن النخاسين لما لم يكن عليهم رقيب دائم من طرف

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٣

الضابطية، و كان حب الكسب مستحوذا على قلوبهم من أى وجه كان، لم يكن ليردعهم عن المزاد نهى و لا أمر، فهم يأتونه اليوم كما كانوا يأتونه في السابق، و عندى أن البيع في البيوت و فى المزاد على حد سواء كلاهما خبيث.

و السابع: هو أن هؤلاء الجوارى لا يخرجن إلى السوق لشراء ما يلزم لمالكهن من المأكل و المشروب، و إنما يخرجن للتنزه أو للحمام، فإذا لزم للمالك شيء من ذلك تعين عليه أن يذهب بنفسه و يشتريه، أو أنه يستخدم رجلا مخصوصا، و حينئذ تقوم الحيل و المكائد المفضية إلى الفساد بينه و بينهن.

و هناك أسباب أخرى عديدة توجب على كل ذى هممة و مروءة، أن يسعى فى إبطال هذه العبودية من الديار الإسلامية، و فى اتخاذ طريقة تغنى عنها. انتهى من الكتاب المذكور.

نقول: لقد كان بيع الأرقاء من نساء و رجال و أطفال أمرا شائعا فى جميع المملكة العربية السعودية إلى مدة قريبة ثم إنه فى سنة (١٣٨١) ألف و ثلاثمائة و إحدى و ثمانين هجرية أبطلت الحكومة السعودية بيع كل ذلك و منعت بيع الرقيق بتاتا، و لقد أحسنت فى ذلك لأن وجود الرقيق فى عصرنا لا يقره ديننا الحنيف لعدم توفر شروط الرق الآن.

## الاسترقاق

و يعجبنا ما كتبه السيد رشيد رضا رحمه الله تعالى عن التسرى الصحيح فى الإسلام فقال ما نصه: كل ما كانت عليه الأمم القديمة و كل ما عليه الأمم الحاضرة من التسرى و اتخاذ الأخذان فهو فى شرع الإسلام من الزنا المحرم قطعاً الذى يستحق فاعله أشد العقاب، و كل من يستبيح هذا الفجور الخفى و ما هو شر منه من السفاح الجلى فهو برىء من دين الإسلام. و أما التسرى الشرعى المباح فى الإسلام فهو خاص بسبايا الحرب الشرعية إذا أمر إمام المسلمين الأعظم خليفه الرسول صلى الله عليه و سلم باسترقاقهن، و إنما يكون له أن يأمر بذلك إذا ثبت عنده بمشاوره أهل الحل و العقد، أن المصلحة فيه أرجح من المنّ عليهن بالعتق، و من افتداء أسرى المسلمين و سباياهم بهنّ، إن وجد عند الأعداء سبايا و أسرى منا. فليس الاسترقاق واجبا فى الإسلام، لكنه يباح إذا كان فيه المصلحة التى لا يعارضها مفسدة راجحة، و لكل حكومة إسلامية أن تمنعه بل منعه من مقاصد الإسلام

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٤



العامه، و الاسترقاق المعهود فى هذا العصر للسود و البيض كله باطل فى الإسلام، فالتسرى بالنساء اللاتى يختطفهن النخاسون أو يبيعهن الآباء و الأقربون أو يغريهن التجار و القوادون، كله عصيان لله و لرسوله. انتهى كلامه نقلا عن كتاب حاضر العالم الإسلامى.

### إحرام الكعبة فى موسم الحج

معنى إحرام الكعبة إلباسها الإزار الأبيض من أسفلها إلى ما فوق الحجر الأسود بقليل، و ذلك قبيل الطلوع إلى عرفات بأيام أى فى اليوم السابع من ذى الحجة، فلبس الكعبة الإحرام كما يلبسه المحرم بالنسك، و فى ذلك من التجاوز اللفظى ما لا يخفى، إذ ليس من المعقول أن يراد بإحرامها حقيقة الإحرام المراد به شرعا، و سبب إحرام الكعبة فى الموسم هو المحافظة على كسوتها الأصلية حتى لا تصل إليها أيدي الحجاج فتتمزق من كثرة لمسهم بأيديهم كما سيظهر ذلك مما سيأتى.

جاء فى رحلة ابن جبير الأندلسى التى كانت سنة (٥٧٨) ثمان و سبعين و خمسمائة هجرية عن إحرام الكعبة المشرفة ما يأتى: و فى هذا اليوم المذكور الذى هو السابع و العشرون من ذى القعدة شمريت أستار الكعبة إلى نحو قامه و نصف عن الجدار من الجوانب الأربعة و يسمون ذلك إحراما لها فيقولون: أحرمت الكعبة. و بهذا جرت العادة دائما فى الوقت المذكور من الشهر، و لا تفتح من حين إحرامها إلا بعد الوقفة، فكان ذلك التشمير للسفر، إيذانا بقرب وقت وداعها المنتظر، لا جعله الله آخر وداع و قضى لنا إليها بالعودة و تيسير سبل الاستطاعة بعزته و قدرته.

ثم قال ابن جبير بعد هذا الكلام بسبعة أسطر: و فى يوم إحرام الكعبة المذكور أفلعت عن موضع المقام المقدس- يعنى مقام إبراهيم عليه السلام- القبة الخشبية التى كانت عليه و وضعت عوضها قبة الحديد إعدادا للأعاجم المذكورين، لأنها لو لم تكن حديدا لأكلوها أكلا فضلا عن غير ذلك، لما هم عليه من صحة النفوس شوقا إلى هذه المشاهد المقدسة و تطارحهم بإحرامهم عليها، و الله تعالى ينفعهم ببنياتهم بمنه و كرمه. انتهى من رحلة ابن جبير.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٥

و مثل ما تقدم قال ابن بطوطة فى رحلته أيضا عن إحرام الكعبة و كانت حجته سنة (٧٢٨) هجرية و هذا نص كلامه فى اليوم السابع و العشرين من ذى القعدة:

تشم ستارة الكعبة الشريفة إلى نحو ارتفاع قامه و نصف من جهاتها الأربع صونا لها من الأيدي أن تنتهبها و يسمون ذلك إحرام الكعبة و هو يوم مشهور بالحرم الشريف و لا تفتح الكعبة المقدسة من ذلك اليوم حتى تنقضى الوقفة بعرفة.

انتهى. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ٢-٤؛ ص ٥٥

ول: و أما إحرام الكعبة فى عصرنا هذا، فإن سدنتها يعلقون عليها إزارا من قماش "البفتة البيضاء" يحيط بها من جميع الجهات من أسفلها و يكون ارتفاع القماش نحو قامه أو أكثر بقليل، و ذلك فى اليوم السابع من ذى الحجة فى كل عام.

و لم نعلم متى كان ابتداء وضع الإحرام عليها و ما سبب ذلك، و الذى نظنه أن ابتداء عمل ذلك كان بعد الإسلام إما فى زمن يزيد بن معاوية أو فى زمن المأمون، فقد روى الأزرقى عن جده قال: كانت الكعبة تكسى فى كل سنة كسوتين كسوة ديباج و كسوة قباطى، فأما الديباج فتكساه يوم التروية فيعلق عليها القميص و يدلى و لا يخاط، فإذا صدر الناس من منى خيط و ترك الإزار حتى يذهب الحجاج لثلا- يخرقونه، فإذا كان العاشوراء علق عليها الإزار فوصل بالقميص، فلا تزال هذه الكسوة الديباج عليها حتى يوم السابع و العشرين من شهر رمضان فتكسى القباطى للفطر.

انظر: صورة رقم ١٠٨، المسجد الحرام و ترى فيه الكعبة المعظمة و قد وضعوا فى أسفلها إزارا من القماش الأبيض تشبيها بالإحرام قال: فلما كانت خلافة المأمون رفع إليه أن الديباج يبلى و يتخرق قبل أن يبلغ الفطر و يرقع حتى يسمح فسأل ابن مبارك الطبرى مولاه و هو يومئذ على بريد مكة و صوافيها: أى كسوة الكعبة أحسن فقال له: البياض. فأمر بكسوة من ديباج أبيض فعملت فعلفت سنة

(٢٠٦) فأرسل بها إلى الكعبة، فصارت الكعبة تكسى ثلاث كسا: الديداج الأحمر يوم التروية، و تكسى القباطى يوم هلال رجب، و جعلت كسوة الديداج الأبيض التى أحدثها المأمون يوم ٢٧ من شهر رمضان للفطر، فهى تكسى إلى اليوم ثلاث كسا.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٦

قال: ثم رفع إلى المأمون أيضا أن إزار الديداج الأبيض الذى كساها يتخرق و يبلى فى أيام الحج من مس الحجاج قبل أن يخاط عليها إزار الديداج الأحمر الذى يخاط فى العاشور، فبعث بفضل إزار ديداج أبيض تكساه يوم التروية أو يوم السابع فيستر به ما تخرق من الإزار الذى كسوته للفطر إلى أن يخاط عليها الديداج الأحمر فى العاشور ... إلى آخر كلام الإمام الأزرقى و لم نقله كله لأن فيما تقدم كفاية للاستدلال و الاستنتاج.

نقول: نستنتج مما تقدم أن إحرام الكعبة منذ العصور السابقة كان بسبب كثرة مس الحجاج للكسوة و تمسحهم بها فتتخرق و تلتف من ذلك، فصونا لكسوتها الأصلية و محافظة عليها، يعمل للكعبة إزار بقدر قامه واحدة تقريبا يحيط بها من جميع جوانبها، و لون الإزار يكون دائما أبيض كما كان فى عهد المأمون و إلى عصرنا هذا هو كذلك تحرم الكعبة بالإزار الأبيض. و كانت تكسى به يوم ٢٧ ذى القعدة، أو سابع ذى الحجة أو ثامن و هو يوم التروية.

و نستنتج أيضا أن إحرام الكعبة فى موسم الحج لم يكن زمن الجاهلية و إنما حدث بعد الإسلام إما فى زمن يزيد بن معاوية أو فى عهد المأمون كما تقدم الكلام عن ذلك. و الله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب.

(و الخلاصة) أن سدن الكعبة المعظمة آل الشيبى الفضلاء، يضعون الإزار الأبيض على الكعبة المشرفة فى صباح اليوم السابع من شهر ذى الحجة فى كل عام إلى اليوم حسب العادة القديمة، فإذا رآها الناس على هذه الصفة قالوا: قد أحرمت الكعبة، و علموا فى يوم إحرامها و وضع الإزار الأبيض حولها من أسفلها أن ذلك اليوم هو اليوم السابع من الشهر بيقين ثابت، و أن تاسع ذى الحجة و هو يوم الوقوف بعرفة سيكون يوم كذا، و يستعدون للخروج إلى عرفات. و سدن الكعبة و فقهم الله تعالى و أدام عليهم الخيرات لا يحيطونها بالإزار الأبيض من أسفلها إلا بعد غسل داخلها بماء زمزم الممزوج بالعطر فى صباح اليوم السابع من ذى الحجة من كل عام، و هى عادة حسنة جروا عليها من عصور قديمة، ليعلم الناس يوم الوقوف بعرفة على التحقيق فلا يداخلهم الشك و الظنون، و إذا نظرنا أنه لم يكن قد ظهرت الجرائد و المجلات فى البلاد، و لم تكن الإذاعات و الراديو موجودة فى العصور السابقة، علمنا أن وضع الإزار الأبيض على الكعبة المعظمة فى اليوم السابع

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٧

من ذى الحجة تعيين يوم الوقوف، فسبحان الملهم و الموفق إلى سبيل الخير و الرشاد.

### تجريد الكعبة من كسوتها عند تجديدها

ما هناك بأس من تجريد الكعبة المعظمة من كسوتها القديمة لتليسها كسوة جديدة، فقد كانت فى عهد إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام بدون كسوة حتى جاء تبع الحميرى فكساها فهو أول من كساها على أشهر الأقوال.

و كان فى الجاهلية إذا بلى شىء من كسوة الكعبة يطرح فوقها ثوب آخر، قال فى الإعلام: روى الأزرقى عن ابن مليكة قال: كان يهدى للكعبة هدايا فإذا بلى شىء منها جعل فوقه ثوب آخر و لا ينزع مما عليها شىء اه. و لا يخفى الآن أن بقاء الثياب الخلقه الممزقة البالية على بيت الله الجليل ليس من الذوق السليم و لا يستحسنه أرباب العقول و ذو الألباب، و أهل الجاهلية معذرون بالنسبة لزمانهم، و ما كان إبقاؤهم للثياب البالية على الكعبة إلا عن اعتقاد و حسن نية. فلما جاء الإسلام تنورت الأفكار و ترقى المدارك، فكان أول من جرد الكعبة لتنظيفها و تخفيف ثياب الجاهلية عنها و إلباسها كسوة جديدة مع تطيبها بالعطر الغالى هو شيبه بن عثمان بن أبى طلحة الحجبى الذى ينتهى إليه نسب سدن الكعبة و هم الشيبون. فقد روى الأزرقى عن عطاء بن يسار قال: كانت قبل هذا لا

تجرد- يعنى الكعبة- إنما يخفف عنها بعض كسوتها و تترك عليها حتى كان شيبه بن عثمان فهو أول من جردها و كشفها اه. و روى الأزرقى فى تاريخه أيضا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان ينزع كسوة البيت فى كل سنة فيقسمها على الحاج فيستظلمون بها على السمر بمكة، و روى أيضا عن عبد الجبار بن الورد المكى قال: سمعت ابن أبى مليكة يقول:

كانت على الكعبة كسى كثيرة من كسوة أهل الجاهلية من الأنطاع و الأكسية و الكرار و الأنماط فكانت ركاما بعضها فوق بعض فلما كسيت فى الإسلام من بيت المال كان يخفف عنها الشيء بعد الشيء و كانت تكسى فى خلافة عمر و عثمان رضى الله عنهما القباطى يؤتى به من مصر غير أن عثمان رضى الله عنه كساها سنة برودا يمانية أمر بعملها عامله على اليمن يعلى بن منبه فكان أول من ظاهر لها كسوتين، فلما كان معاوية كساها الديباج مع القباطى فقال شيبه بن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٨

عثمان: لو طرح عنها ما عليها من كسى الجاهلية فخفف عنها حتى لا يكون مما مسه المشركون شىء لنجاستهم فكتب فى ذلك إلى معاوية بن أبى سفيان و هو بالشام فكتب إليه أن جردها و بعث إليه بكسوة من ديباج و قباطى و حبرة، قال: فرأيت شيبه جردها حتى لم يترك عليها شيئا مما كان عليها و خلق جدرانها كلها و طيبها ثم كساها تلك الكسوة التى بعث بها معاوية إليها و قسم الثياب التى كانت عليها على أهل مكة و كان ابن عباس حاضرا فى المسجد الحرام و هم يعجدونها قال: فما رأته أنكر ذلك و لا كرهه.

حدثنى محمد بن يحيى عن الواقدى عن ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير بن شيبه قال: جرد شيبه بن عثمان الكعبة قبل الحريق فخلقها و طيبها قلت: و ما تلك الثياب؟ قال: من كل نحو كرار و أنطاع و خيرا من ذلك و كان شيبه يكسو منها حتى رأى على امرأة حائض من كسوته فدفنها فى بيت حتى هلكت- يعنى الثياب-.

حدثنى محمد بن يحيى عن الواقدى عن إبراهيم بن يزيد عن ابن أبى مليكة قال: رأيت شيبه بن عثمان جرد الكعبة فرأيت عليها كسوة شتى كرار و أنطاعا و مسوحا و خيرا من ذلك. حدثنا محمد بن يحيى عن الواقدى عن عبد الحكيم بن عبد الله بن أبى فروة عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار قال: قدمت مكة معتمرا فجلست إلى ابن عباس فى صفة زمزم و شيبه بن عثمان يومئذ يجرد الكعبة قال عطاء بن يسار: فرأيت جدارها و رأيت خلوقها و طيبها و رأيت تلك الثياب التى أخبرنى عمر بن الحكم السلمى أنه رآها فى حديث نذر أمه البدنة قد وضعت بالأرض فرأيت شيبه بن عثمان يومئذ يقسمها أو قسم بعضها فأخذت يومئذ كساء من نسج الأعراب فلم أر ابن عباس أنكر شيئا مما صنع شيبه بن عثمان قال عطاء بن يسار: و كانت قبل هذا لا تجرد إنما يخفف عنها بعض كسوتها و تترك عليها حتى كان شيبه بن عثمان أول من جردها و كشفها. و أخبرنى محمد بن يحيى قال: حدثنى هشام بن سليمان المخزومى عن ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير بن شيبه أنه قال: جرد شيبه بن عثمان الكعبة قبل الحريق من ثياب كان أهل الجاهلية كسوها إياه ثم خلقها و طيبها قلت: و ما كانت تلك الثياب؟ قال: من كل، كرار و أنطاعا و خيرا من ذلك و كان شيبه يقسم تلك الثياب فرأى على

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٩

امرأة حائض ثوبا من كسوة الكعبة فرفعه شيبه فأمسك ما بقى من الكسوة حتى هلكت- يعنى الثياب-.

ثم قال الإمام الأزرقى: سمعت غير واحد من مشيخة أهل مكة يقول: حج المهدي أمير المؤمنين سنة ستين و مائة فجرد الكعبة و أمر بالمسجد الحرام فهدم و زاد فيه الزيادة الأولى، و أخبرنى عبد الله بن إسحاق الحجبي عن جدته فاطمة بنت عبد الله قالت: حج المهدي فجرد الكعبة و طلى جدرانها من خارج بالغالية و المسك و العنبر قالت: فأخبرنى جدك- تعنى زوجها محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الحجبي. قال: صعدا على ظهر الكعبة بقوارير من الغالية فجعلنا نفرغها على جدران الكعبة من خارج جوانبها كلها و عبيد الكعبة قد تعلقوا بالبكرات التى تخاط عليها ثياب الكعبة و يطلون بالغالية جدرانها من أسفلها إلى أعلاها قال أبو محمد الخزاعي: أنا

رأيتها و قد غير الجدر الذى بناها الحجاج مما يلى الحجر و قد انفتح من البناء الأول الذى بناه ابن الزبير مقدار إصبع من دبرها و من وجهها و قد رهم بالجص الأبيض - و معنى رهم أى: طلى بالجص -.

و حدثنى جدى قال: حج المهدي أمير المؤمنين سنة ستين و مائة فرغ إليه أنه قد اجتمع على الكعبة كسوة كثيرة حتى أنها قد أثقلتها و يخاف على جدرانها من ثقل الكسوة فجردها حتى لم يبق عليها من كسوتها شيئا ثم ضمخها من خارجها و داخلها بالغالية و المسك و العنبر و طلى جدرانها كلها من أسفلها إلى أعلاها من جوانبها كلها ثم أفرغ عليها ثلاث كسى من قباطى و خز و ديباج و المهدي قاعد على ظهر المسجد مما يلى دار الندوة ينظر إليها و هى تطلّى بالغالية و حين كسيت.

ثم لم يحرك و لم يخفف عنها من كسوتها الشىء حتى كان سنة المائتين و كثرت الكسوة أيضا عليها جدا فجردها حسين بن حسن الطالبى فى الفتنة و هو يومئذ قد أخذ مكة ليالى دعت المبيضة إلى أنفسها و أخذوا مكة فجردها حتى لم يبق عليها من كسوتها شيئا، قال جدى: فاستدرت بجوانبها و هى مجردة فرأيت جدات الباب الذى كان ابن الزبير جعله فى ظهرها و سده الحجاج بأمر عبد الملك فرأيت جداته و عتبه على حالها و عددت حجراته التى سد بها فوجدتها ثمانية و عشرين حجرا فى تسعة مداميك فى كل مدامك ثلاثة أحجار إلا المدامك الأعلى فإن فيه أربعة أحجار. رأيت الصلة التى بنى الحجاج مما يلى الحجر حين هدم ما زاد ابن الزبير قال: فرأيت تلك الصلة بينه فى الجدر و هى كالمثيرة من الجدر الآخر، قال

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٠

إسحاق: و رأيت جدارتها كلون العنبر الأشهب حين جردت فى آخر ذى الحجة من سنة ثلاث و ستين و مائتين و أحسبه من تلك الغالية، و قال: و كان تجريد الحسين بن الحسن إياها أول يوم من المحرم يوم السبت سنة مائتين، ثم كساها حسين بن حسن كسوتين من قز رقيق إحداهما صفراء، و الأخرى بيضاء مكتوب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على محمد و على أهل بيته الطيبين الطاهرين الأخيار أمر أبو السرايا الأصفر بن الأصفر داعية إلى محمد بعمل هذه الكسوة لبيت الله الحرام، قال أبو الوليد: و ابتدأت كسوتها من سنة المائتين و عدتها إلى سنة أربع و أربعين و مائتين: مائة و سبعون ثوبا، قال محمد الخزاعى:

و أنا رأيتها و قد عمر الجدر الذى بناه الحجاج مما يلى الحجر فانفتح من البناء الأول الذى بناه ابن الزبير مقدار نصف إصبع من وجهها و من دبرها و قد رهم بالجص الأبيض و قد رأيتها حين جردت فى آخر ذى الحجة سنة ثلاث و ستين و مائتين فرأيت جدارتها كلون العنبر الأشهب من تلك الغالية. انتهى كلام الإمام الأزرقي عن تجريد الكعبة المشرفة، و قد نقلنا كلامه كله لما فيه من الفوائد المتعددة.

ثم رأينا أن الإمام السيوطى رحمه الله تعالى ذكر فى كتابه "حسن المحاضرة" أنه فى اليوم الثامن عشر ربيع الآخر سنة (٦٤٤) أربع و أربعين و ستمائة هبت ريح عاصفة شديدة بمكة فألقت ستارة الكعبة المشرفة فما سكنت الريح إلا و الكعبة عريانة قد زال عنها شعار السواد و مكثت إحدى و عشرين يوما ليس عليها كسوة. انتهى من الكتاب المذكور.

و الظاهر أن هذه الريح كانت أشد عاصفة بمكة حتى ألقت بستارة الكعبة، و لم تمكث بدون ستارة هذه المدة الطويلة إلا لأنها مزقت تمزيقا بحيث احتاجت إلى إصلاحها مدة طويلة. و الله يعلم كم ألحقت هذه الريح بالناس من الخسارة. نسأل الله السلامة و العافية.

و فى تاريخ القطبى أنه فى سنة (٨٤٣) ثلاث و أربعين و ثمانمائة حينما أجرى الأمير سودون العمارة بالمسجد الحرام جرد الكعبة من كسوتها لإصلاح سقفها و خشبها فاستمرت مجردة يومين و ليلتين يشاهد الناس أحجارها إلى أن أكمل ترميمها و إصلاحها، ثم أعيدت الكسوة عليها فى ضحى يوم الاثنين لثمان بقين من شهر صفر من السنة المذكورة. اهـ.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦١

أما فى زماننا هذا فقد بقيت الكعبة الشريفة مكشوفة بدون ستارة و لا ثوب، بسبب تجديد سقفها الذى كان بدؤه فى يوم الجمعة

الثامن عشر من شهر رجب سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية، و كان انتهاؤه يوم السبت الحادى عشر من شهر شعبان من السنة المذكورة.

لكن الكعبة لم تظهر للناس مكشوفة منذ بدء عمارتها إلى انتهائها بسبب إحاطتها كلها بالخشب من أرض المطاف إلى ما فوق سطحها بنحو متر و نصف متر، و إنما ظهرت الكعبة مكشوفة للناس تماما منذ إزالة الخشب عنها، بعد انتهاء ترميمها و عمارة سقفيها كما فصلنا ذلك فى محله، و ذلك من بعد المغرب من ليلة الأحد الثانى عشر من شهر شعبان من السنة المذكورة إلى ضحى اليوم المذكور فقط، أى إلى قبل الظهر بساعتين، فإنه فى ضحى هذا اليوم ألبسوها ثوبها الأسود فسترت حجارتها عن أعين الناس، و قد تركوها كذلك ليلة واحدة و جزءا من النهار، لينظر الناس إلى عمارتها.

### الكلام على من يهدم الكعبة فى آخر الزمان

قال الإمام الأزرقى: حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى قال: حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد ابن العاص السعدي عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أنه قال: اخرجوا يا أهل مكة قبل إحدى الصليمن قيل: و ما الصيلمان قال: ربح سوداء تحشر الذرة و الجعل، قيل: فما الأخرى؟ قال: تجيش البحر بمن فيه من السودان ثم يسيلون سيل النمل حتى ينتهوا إلى الكعبة فيخربونها و الذى نفس عبد الله بيده لأنظر إلى صفته فى كتاب الله أفصح أصيلع قائما يهدمها بمسحاته، قيل له: فأى المنازل يومئذ أمثل؟ قال: الشعف يعنى رؤوس الجبال.

حدثنى جدى عن ابن عيينة عن زياد بن سعد عن ابن شهاب عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة.

حدثنى جدى قال: حدثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه كان يقول: كأنى به أصيلع أفيدع قائما عليها يهدمها بمسحاته قال مجاهد: فلما هدم ابن الزبير الكعبة جئت أنظر هل أرى الصفة التى قال عبد الله بن عمرو: فلم أراها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٢

حدثنى جدى قال: حدثنا ابن عيينة عن هشام بن حسان عن حفصة بنت سيرين عن أبى العالبيّة عن على بن أبى طالب أنه قال: استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم و بينه فكأنى أنظر إليه حبشيا أصيلع قائما عليها يهدمها بمسحاته.

حدثنى جدى قال: حدثنا ابن عيينة عن أمية بن صفوان بن عبد الله ابن صفوان عن جده عبد الله بن صفوان عن حفصة أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:

ليؤمن هذا البيت حبش حتى إذا كانوا ببسداء من الأرض خسف بأوسطهم و ينادى أولهم آخرهم فخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذى يخبر عنهم، فقال رجل لجدى: أشهد ما كذبت على حفصة و لا كذبت حفصة على رسول الله صلى الله عليه و سلم قال أمية: فلما جاء جيش الحجاج لم نشك أنهم هم حبش.

حدثنى مهدي ابن أبى المهدي قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله مولى بنى هاشم قال: حدثنا سعيد بن سلمة عن موسى بن جببير بن شيبه عن أبى أمامة بن سهل عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: اتركوا الحبشة ما تركوكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة.

حدثنى جدى قال: حدثنا ابن عيينة عن موسى بن أبى عيسى المدينى قال: لما كان تبع بالدف من جمدان دفت بهم دوابهم و أظلمت عليهم الأرض فدعا الأحبار فسألهم فقالوا: هل هممت لهذا البيت بشىء؟ قال: أردت أن أهدمه قالوا: فانو له خيرا تكسوه و تنحر عنده ففعل فانجلت عنهم الظلمة قال: و إنما سمي الدف من أجل ذلك.

حدثنى جدى قال: حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج أخبرنى رجل عن سعيد بن إسماعيل أنه سمع أبا هريرة يحدث أبا قتادة

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

يباع للرجل بين الركن والمقام و لن يستحل هذا البيت إلا أهله فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب و تأتي الحبش فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا و هم الذين يستخرجون كنزه. انتهى من تاريخ الأزرقى.

### ستر الكعبة المشرفة بالأخشاب

الكعبة المشرفة واقعة بوسط المسجد الحرام مكشوفة تحت السماء، لا يسترها شيء عن الشمس و المطر و الرياح.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٣

و لم تستر الكعبة كلها بالخشب منذ بناء إبراهيم خليل الله عليه الصلاة و السلام إلى يومنا هذا إلا ثلاث مرات فقط، و تفصيل ذلك كما يأتي:

المرء الأولى: حين بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما، فإنه لما هدمها حتى ألصقها بالأرض من جميع جوانبها، و ذلك فى يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة أربع و ستين هجرية أرسل إليه عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما و كان غائبا من مكة يقول له: لا تدع الناس بغير قبله انصب لهم حول الكعبة الخشب و اجعل عليها الستور حتى يطوف الناس من ورائها و يصلون إليها، ففعل ذلك ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما و عن جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين.

و المرء الثانية: حين بناء السلطان مراد الرابع، فإنه وقع مطر عظيم بمكة و ضواحيها لم يسبق له مثل، و نزل معه برد كثير فهجم السيل على مكة و دخل المسجد الحرام فامتأ بالماء حتى بلغ إلى ما فوق باب الكعبة، أى بلغ ارتفاع الماء أكثر من أربعة أمتار، فانهدم بسببه جدران الكعبة المشرفة كما بينا تفصيله فى محله، و كان ذلك فى التاسع عشر و فى العشرين من شهر شعبان سنة (١٠٣٩) تسع و ثلاثين و ألف هجرية، فشرع المهندس على بن شمس الدين يستر حول الكعبة بأخشاب من جذوع النخل استعدادا لبناء الكعبة و عمارتها، و استمر العمل فى ذلك سبعة عشر يوما- من ٢٦ رمضان إلى ١٣ شوال من السنة المذكورة- ثم ألست هذه الأخشاب ثوبا صبغ باللون الأخضر.

و المرء الثالثة: ما وقع فى عصرنا هذا، فإنه لما أمر الملك السابق سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، بتعمير سطح الكعبة المعظمة زادها الله شرفا و مهابة و إجلالا و إصلاح ما فيها من خراب.

قام بمباشرة هذا العمل الجليل المبارك معالى الشيخ محمد بن لادن الحضرمى المكى يساعده فى ذلك الشهم الكريم سعادة الشيخ عبد الله بن سعيد، بضم السين المهملة و فتح العين و تشديد الياء المكسورة. فأحضروا قبل كل شيء الخشب و النجارين و جميع ما يلزم من العمال و الأدوات.

فلما كان ليلة السبت لإحدى و عشرين من جمادى الثانية سنة (١٣٧٧) سبع و سبعين و ثلاثمائة و ألف هجرية، و لأحد عشر من شهر يناير سنة (١٩٥٨) ثمان و خمسين و تسعمائة و ألف ميلادية، و لعشرين من شهر الجدى سنة (١٣٣٦) ست

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٤

و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف شمسية، قاموا فى هذه الليلة بتركيب الأخشاب حول الكعبة المشرفة، و ذلك بعد صلاة العشاء فى المسجد الحرام و خروج الناس منه حتى لم يبق فيه إلا قليل منهم، أى فى الساعة الثالثة العربية بحسب توقيت مكة التى تغيب فيها الشمس فى الساعة الثانية عشرة تماما، فالساعة الثالثة العربية بمكة ليلا توافق الساعة الثامنة الإفرنجية.

مع العلم بأن أذان العشاء بمكة يكون بالضبط الساعة الواحدة و النصف، و لا- يختلف ميعاد أذان المغرب و أذان العشاء عن الوقت المذكور بالحجاز مطلقا لا صيفا و لا شتاء. و تختلف أوقات الصلوات الأخرى حسب دوران الفلك.

أما فى مصر فأوقات الصلوات فيها تختلف على الدوام بالساعات الإفرنجية ما عدا أذان الظهر فإنه يكون عند الساعة الثانية عشرة

إفريقية و قد تنقص عنها أو تزيد بضع دقائق بحسب الصيف و الشتاء.

فكان ابتداء وضع الأخشاب حول الكعبة المعظمة فى الساعة الثالثة العربية من ليلة السبت المذكور، و قد استمر العمل فى تركيب الأخشاب فانتهوا من تركيبها فى منتصف ليلة الأربعاء الموافق ٢٥ من الشهر المذكور، فتم ستر الكعبة المعظمة كلها إلى ما فوق سقفها بـ متر واحد و نصف متر بالأخشاب فى الوقت المحدد تماما من الليلة المذكورة، ثم قاموا بعمارة سقف الكعبة كما بينا ذلك فى غير هذا المحل، فلما انتهوا منها أزالوا جميع الأخشاب المحيطة بالكعبة فى ليلة الأحد الثانى عشر من شعبان من السنة المذكورة فما جاء فجر هذه الليلة إلا و قد أزيلت الستارة الخشبية كلها، ثم فى ضحى اليوم المذكور ألبسوا الكعبة ثوبها الأسود، زادها الله تعالى تشريفا و تعظيما و مهابة.

جاء فى تاريخ الكعبة المعظمة ما يأتى: ذكر الطبرى فى الإتحاف أنه فى سنة (١٠٧٣) ألف و ثلاث و سبعين من الهجرة، انكسرت خشبة من سقف الكعبة فاقتضى الحال إلى كشف السقف و إزالة تلك الخشبة و عمر السقف عمارة جديدة، و أحاطوا الكعبة بسقاييل الخشب من الأرض إلى السقف و ستروا على المعلمين بالخصف من خارج السقاييل إلى أن تم العمل، و كان ذلك على يد سليمان بك صنجق جدة و قد فوض إليه مشيخة الحرم و نظارة العمارة اه.

و جاء فيه أيضا ما يأتى: ذكر السنجارى فى منائح الكرم أنه فى يوم الخميس غرة ربيع الثانى سنة (١٠٩٩) ألف و تسع و تسعين من الهجرة، عمّر "محمد بك"

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٥

شيئا من أخشاب الكعبة و طلعوا أرتالا- من جدة جعلوها حول الكعبة من الخارج و ركبوا الكسوة فيها، لتغيير إفريز السطح من التى تربط فيه الكسوة فإنه استأكل فيه، و جددوا رفرق مقام الشافعى لخلل وقع فيه و لم يزلوا إلى أن خلصوا منه. انتهى باختصار من تاريخ الكعبة.

و الحقيقة: أن ستر الكعبة المشرفة بالأخشاب أو بالقماش عن أعين الناس حال تعمیرها و إجراء الإصلاح فيها أمر لازم معقول مطلوب، ففى سترها فائدتان:

الأولى: عدم ظهور شىء من العمارة فيها يشغل قلوب الطائفين و المصلين.

و الثانية: أن فى سترها عن أعين الناس وقت العمارة، ضمانا من تقليل هيبته من قلوب الجهلة و العوام، و حفظا من وسوسة الشيطان لبعضهم بما لا يسوغه الشرع الحنيف.

فستر الكعبة من تمام الأدب و هو عين الصواب و الحكمة، و إذا كان فى بعض البلدان يستر المهندسون و العمال بعض الأشغال المهمة كإقامة التماثيل و نحوها بالأخشاب، لئلا يظهر نوع العمل أو يظهر سر المهنة و لئلا يودى إلى تشويش القائمين بالعمل من أنظار الناس و لغطهم، حتى ينتهوا منه تماما، ثم يكشفون الستارة.

فبیت الله المعظم أولى و أجدر بالستر حين إجراء العمارة فيه، لیتم العمل بهدوء و طمأنينة، و لئلا ينشغل المصلون و الطائفون بالنظر إلى العمل فتصرف قلوبهم عن الخشوع المطلوب فى هذا المكان المقدس. نسأل الله العظيم الحليم أن يسترنا فى الدارين، و أن يعمر قلوبنا بالإيمان و التقوى، و أن يوفقنا للأعمال الصالحة، و يختم حياتنا بها "اللهم توفنى مسلما و ألقنى بالصالحين" آمين يا رب العالمين، و صلى الله على نبينا "محمد" أبى القاسم الأمين و على آله و صحبه أجمعين، و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.

### مقدار ما استعمل من الأخشاب و العواميد لستر الكعبة

مما يجب أن نذكر هنا مقدار ما صرف لستر الكعبة المشرفة عند تغيير سقفها فى زماننا هذا، من الأخشاب و العواميد و يقال لها"

المرايع و العروق " و المسامير و الحبال، من جميع جوانب الكعبة مع السقائل بمشاياتها من أرض المطاف إلى ما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٦

فوق سقف الكعبة بمترا واحد و نصف المتر، مع العلم بأنه كان بين الكعبة و بين تركيب ألواح الخشب حولها ثلاثة أمتار من الثلاث الجهات، أما من جهة حجر إسماعيل فيبينها و بين الخشب أربعة أمتار. و سبب الزيادة من هذه الجهة أن الناس يصلون إلى الكعبة بكثرة تحت الميزاب فلزم زيادة بعد المسافة من هذه الجهة.

فمقدار ما استعمل لستر الكعبة المشرفة كما أخبرنا بذلك رئيس النجارين المشرف على أعمال المسجد الحرام المسمى "سالم بن عبود" بضم العين و الباء و تخفيفها هو كما يأتي:

استعمل من ألواح الخشب أربعة آلاف لوح تقريبا، و طول بعض هذه الألواح أربعة أمتار و بعضها خمسة أمتار، و عرض بعضها خمسة عشر سنتيمترا و بعضها عشرين سنتيمترا.

و استعمل من العواميد، أي المرايع، التي تركب عليها هذه الأخشاب، ثمانية آلاف عمود تقريبا.

و استعمل من المسامير ستمائة كيلو تقريبا، و الكيلو عبارة عن ثلاثمائة درهم و بضعة دراهم.

و استعمل من الحبال في ربط العواميد و المرايع نحو ألف ربط، و مقدار الربطة الواحدة بعضها أربعة أمتار و بعضها خمسة أمتار تقريبا.

و قد اشتغل في تركيب هذه الستارة الخشبية حول الكعبة شرفها الله تعالى نحو مائة و ثمانون شخصا من النجارين و العمال، و قد شاهدنا بأنفسنا كل هذه الأعمال، نسأل الله تعالى عفوه و غفرانه إذا أسأنا الأدب في المسجد الحرام و عند بيته المعظم. إنه بعباده لطيف خبير.

### عمد نطاق للكعبة المشرفة

الظاهر و الله تعالى أعلم أنه لم يعمل للكعبة زادها الله شرفا و تعظيما، نطاق، بكسر النون، يشد به جدرانها إلا مرة واحدة فقط، و ذلك كما ذكره الأسدی:

أنه حصل في أوائل القرن الحادي عشر للهجرة تشقق بالجدار الشامي "أي الذي في ناحية حجر إسماعيل" و قد ازداد في عام (١٠١٩)

تسعة عشر و ألف، حيث وقع مطر بمكة جاء على إثره السيل فدخل المسجد الحرام، فانهلته مياه الأمطار

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٧

إلى داخل الكعبة من سطحها، و أصاب الجدران الشرقية و الغربية و جدران الحجر تصدع.

فأراد السلطان أحمد بن السلطان محمد هدم البيت الشريف، و أن يجعل حجارة هذه الجدران للكعبة المعظمة ملبسة واحدا بالذهب و واحدا بالفضة. فمنعه العلماء من ذلك و قالوا له: يمكن حفظها بنطاق يلم هذا الشعث، فعمل لها نطاقا من النحاس الأصفر مغلفا بالذهب، أنفق عليه نحو ثمانين ألف دينار، و جرى تركيبه في أواخر عام (١٠٢٠) و أوائل عام (١٠٢١) اه.

فهذا النطاق هو النطاق الوحيد الذي عمل في العام المذكور لحفظ جدران الكعبة المشرفة من السقوط، فلم يسبق عمل مثله قبل ذلك، و لم يعمل مثله للكعبة بعد ذلك إلى عصرنا هذا.

و الحقيقة أن عمل نطاق للكعبة تحزم به من وسطها، و تشد به جدرانها عند وهنها لا بأس به، لكنه عمل موقت لا يدوم طويلا، لذلك دام هذا النطاق على الكعبة تسعة عشر سنة، فلما كان صباح يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر شعبان عام (١٠٣٩) ألف و تسعة و ثلاثين للهجرة، وقع مطر عظيم بمكة دخل على إثره سيل كبير إلى المسجد الحرام و وصل إلى أعلا باب الكعبة، فانهدمت و سقطت جدرانها بسبب ذلك، فقام بتعميرها السلطان مراد خان الرابع ابن السلطان أحمد خان من سلاطين آل عثمان رحمهم الله تعالى، و لم يذكر



أحد من المؤرخين من أخذ هذا النطاق حينما هدمت الكعبة المشرفة في هذا السيل الكبير، هل أخذه سدنة الكعبة أم أخذه سلطان ذلك الزمن، الله تعالى أعلم بذلك فهو علام الغيوب ذو الجلال والإكرام لا إله إلا هو العزيز الغفار.

### ستر الكعبة في حرب ابن الزبير

مما لا شك فيه أن الحرب بين عبد الله بن الزبير رضى الله عنه وبين الحصين بن نمير كانت بواسطة المنجنيق والعزادات أى الآلات الحربية لرمى الحجارات والصخور، فقد فرض الحصين على أصحابه عشرة آلاف صخرة يرمونها كل يوم، فلهذا كان من الواجب على ابن الزبير رضى الله عنه وهو متحصن بالمسجد الحرام و بجوار الكعبة المعظمة أن يحافظ عليها أشد المحافظة، لأنه لا يؤمن من وقوع الحجارة عليها الآتية من أخشى مكة جبل أبي قبيس و جبل قعيقعان، فهو لذلك

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٨

قد ستر الكعبة بالواح من خشب الساج وغيرها، كما جاء ذلك في كتاب "الإمامة والسياسة" عند الكلام على غلبة ابن الزبير رضى الله عنهما و ظهوره، وهذا نص ما جاء فيه:

قال: و ذكروا أن أبا معشر قال: حدثنا بعض المشيخة الذين حضروا قتال ابن الزبير قال: لما نزل الحصين بمكة و غلب عليها كلها إلا المسجد الحرام قال: فإني لجالس مع ابن الزبير و معه من القرشيين عبد الله بن مطيع و المختار ابن أبي عبيد و المسور بن مخرمة و المنذر بن الزبير و مصعب بن عبد الرحمن ابن عوف فى نفر من قريش قال: فقال المختار بن عبيد: و هبت رويحة و الله إنى لأجد النصر فى هذه الرويحة فاحملوا عليهم قال: فحملوا عليهم حتى أخرجوهم من مكة و قتل المختار رجلا و قتل ابن مطيع رجلا قال: فجاءه رجل من أهل الشام فى طرف سنان رمحه نار قال: و كان بين موت يزيد بن معاوية و بين حريق الكعبة إحدى عشر ليلة ثم التحمت الحرب عند باب بنى شيبه فقتل يومئذ المنذر بن الزبير و رجلا من إخوته و مصعب بن عبد الرحمن بن عوف و المسور بن مخرمة و كان الحصين قد نصب المجانيق على جبل أبي قبيس و على قعيقعان فلم يكن أحد يقدر أن يطوف بالبيت و أسند ابن الزبير ألواحا من الساج إلى البيت و ألقى عليها القذائف و الفرش فكان إذا وقع عليها الحجر نبا عن البيت فكانوا يطوفون تحت تلك الألواح فإذا سمعوا صوت الحجر حين يقع على الفرش و القذائف كبروا و كان طول الكعبة فى السماء ثمانية عشر ذراعا و كان ابن الزبير قد ضرب فسطاطا فى ناحية من المسجد فكلما جرح أحد من أصحابه أدخله ذلك الفسطاط. انتهى من الإمامة و السياسة.

و الساج: شجر عظيم صلب الخشب.

نقول: و يشبه ما تقدم، ما يقع الآن من ستر الحجر الأسود بالفراش الثخين المطوى عدة طيات مع وضع قطعة لوح من الحديد فوق الفراش ثم ربطه بالحبال على أستار الكعبة المشرفة، و ذلك خوفا من الحجارة المتطايرة من جبل الصفا بسبب تكسيهه بواسطة الألغام و ذلك لتوسعة المسجد الحرام، ابتداء من سنة (١٣٧٥) خمس و سبعين و ثلاثمائة و ألف، و تسمى بالتوسعة السعودية و قد تقدم الكلام عنها، و الألغام جمع لغم بفتحيتين و هو يستعمل لتفجير الصخور و الأحجار العظام و ذلك بأن يثقب عدة ثقوب فى الصخر و الجبل القوى بمقاب، ثم تحشى هذه الثقوب بالديناميت و المواد المتفجرة، و توضع فى الثقوب فتائل تمتد إلى خارج

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٩

الثقوب قليلا، ثم تشعل هذه الفتائل من طرفها، فتسرى النار فيها إلى أن تصل إلى الديناميت فى الثقوب فتثور الألغام و تنفجر فتطير قطع الصخور و الأحجار من الجبل، و قبل إشعال الفتائل ينذر الناس جنود الشرطة لبيتعدوا و يهربوا خوفا من أن تصيبهم الأحجار المتطايرة.

و يكون ذلك فى الغالب بعد صلاة الظهر مباشرة فى المسجد الحرام. و قد تكلمنا على ستر الحجر الأسود فى عصرنا عند توسعة المسجد الحرام فى مبحث عدم خلو الكعبة من الطائفين.

فإن قيل: لماذا لم تستر الحكومة السعودية الكعبة المشرفة خوفاً عليها من الحجارة المتطايرة عن إثارة الألغام كما سترها ابن الزبير رضی الله عنه؟

نقول: إن حجارة الألغام في تكسير الصفا اليوم إنما هي أحجار تتناثر في جميع الجهات في جهة الشوارع والمسجد الحرام في مدة لا تتجاوز الربع ساعة فقط، فلا خوف منها مطلقاً على الكعبة المشرفة وإنما ستر الحجر الأسود زيادة في الاحتياط لحفظه.

أما ستر الكعبة المعظمة في حرب ابن الزبير رضی الله تعالى عنه وعن أبيه، فهو واجب وجوباً أكيداً، لأنه متحصن بنفس المسجد الحرام وخيام جيشه منصوبة بوسطه عند الكعبة، وعدوه الحصين بن نمير قد نصب المنجنيق على جبل أبي قبيس وعلى جبل قيعقان "جبل هندي" لرمي الحجارة من الجبلين المتقابلين على موضع ابن الزبير وهو المسجد الحرام وقد فرض على جنوده أن يرموا كل يوم عشرة آلاف صخرة. فلا بد أن هذه الصخور تأتي المسجد الحرام وتصيب الكعبة المشرفة، فهنا يجب العمل على وقاية الكعبة المشرفة من صخور المنجنيق بقدر المستطاع فسترها ابن الزبير كما تقدم.

ومع ذلك فقد وهنت الكعبة من حجارة المنجنيق وأصابها أيضاً الحريق فهدمها ابن الزبير رضی الله عنه وبنائها من جديد كما تقدم تفصيل ذلك. اللهم زد بيتك هذا تشریفاً وتعظيماً ومهابةً، واحفظه وجيرانه في بلدك الأمين من كل ضرر وأذى، وارض عنا واسترنا بسترک الجمیل فی الدنيا و فی الآخرة بفضلک و رحمتک یا أرحم الراحمین آمین، و صلی الله و سلم علی النبی الأمی و علی آله و صحبه أجمعین.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٧٠

### ما وجد في الكعبة من الكتابات القديمة

نذكر هنا ما وجد في الكعبة من الكتابات القديمة مما هو قبل ظهور الإسلام.

جاء في تاريخ الغازي ما نصه: ووجد قريش كتاباً بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من اليهود فإذا فيه: أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشابها مبارك لأهلها في الماء واللبن.

ووجد في المقام أي محله كتاب آخر مكتوب فيه: مكة بيت الله يأتيها رزقها من ثلاث سبل. ذكره الحلبي.

وفي كلام بعضهم وجد حجر مكتوب فيه ثلاثة أسطر، السطر الأول: أنا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر. وفي الثاني: أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت له اسماً من أسمائي فمن وصله وصلته ومن قطعه بئته. وفي الثالث: أنا الله ذو بكة خلقت الخير والشر فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه.

وفي تاريخ الأزرقى: وجد في حجر في الحجر كتاب من خلقه الحجر: أنا الله ذو بكة الحرام وصنعتها يوم صنعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى تزول أخشابها مبارك لأهلها من اللحم والماء. وعن مجاهد قال: وجد في بعض الزبور: أنا الله ذو بكة جعلتها بين هذين الجبلين وصنعتها يوم صنعت الشمس والقمر حففتها بسبعة أملاك حنفاء وجعلت رزق أهلها من ثلاثة سبل فليس يؤتى أهل مكة إلا من ثلاثة طرق أعلى الوادي وأسفله وكداء وباركت لأهلها في اللحم والماء. انتهى من تاريخ الغازي. وهذا الذي عثروا عليه في الكعبة من الكتابات، غير ما كان فيها من الأصنام والصور التي وضعها المشركون والتي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإزالتها يوم فتح مكة شرفها الله تعالى.

فقد جاء في تاريخ الإمام الأزرقى أنه كانت في بطن الكعبة صوراً وتماثيل، فلما كان يوم فتح مكة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فأرسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب فجاء بماء زمزم ثم أمر بثوب فبلّ بالماء وأمر بطمس تلك الصور فطمست. اهـ.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٧١

وفي البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت ... الخ. وفي سنن أبى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب وهو بالطحاء أن يأتى الكعبة فيمحوها كل صورة فيها فلم يدخلها حتى محيت الصور ... الخ اهـ.

فكان فى الكعبة كما فى الأزرقى صور الأنبياء و صور الشجر و صور الملائكة، فكان فيها صورة إبراهيم خليل الرحمن و إسماعيل، و صورة عيسى بن مريم و أمه، أى تمثال مريم مزوقا فى حجرها عيسى ابنها قاعدا مزوقا. و كان فيها أيضا قرنى الكبش الذى فدى به الذبيح إسماعيل، و كان فيها حمامة من عيدان. انتهى من الأزرقى.

### فرش أرض الكعبة بالرخام

قال الإمام الأزرقى فى تاريخه: قال أبو الوليد: و أرض الكعبة مفروشة برخام أبيض و أحمر و أخضر عدد الرخام ستة و ثلاثون رخامة منها أربع خضر بين الأساطين و بين صدرى الكعبة عرض كل رخامة ذراع و أربع أصابع و عرضهن من عرض كراسى الأساطين و من الجدار الذى فيه الباب- باب الكعبة- إلى الرخام الأخضر الذى بين الأساطين ست عشرة رخامة منها ست بيض و سبع حمر طولهن سبعة أذرع و خمسة عشر إصبعا و بين جدار الدرجة و بين الرخام الأخضر ثلاث رخامات منها اثنتان بيضاوان و واحدة حمراء طول كل رخامة منها أربعة أذرع و نصف، و ست عشرة رخامة ثمان بيض و ثمان حمر طول كل رخامة سبعة أذرع و تسع أصابع و أطرافهن فى حد الرخام الأخضر الذى بين الأساطين و الجدرين و أطرافهن فى الجدر الذى يستقبل باب الكعبة منها رخامة بيضاء عرضها ذراعان و إصبعا ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى موضعها و هى الثالثة من الرخام البيض من حد الركن اليمانى و طرفها فى الأسطوانة الأولى من حيال باب الكعبة و عند عتبة باب الكعبة رخامتان: خضراء و حمراء مفروشتان. انتهى من تاريخ الأزرقى.

و إن شاء الله تعالى سنذكر فرش أرض الكعبة بالرخام فى عصرنا الحاضر أى فى سنة (١٣٧٧).

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٧٢

### صفة المسامير التى كانت فى مال كعبة

قال الإمام الأزرقى فى تاريخه: قال أبو الوليد: و فى الألواح التى تلى الملتزم ثلاثة، و فى الألواح التى بين الركن اليمانى و الركن الأسود و هى التى تلى الركن اليمانى ثلاثة، و منها مسمار فى بطن الكعبة على ثلاثة أذرع و نصف و فى بقية الألواح مسمار أو مسماران و المسامير مفضضة مقبوة منقوشة تدوير كل مسمار سبع أصابع، و المسامير من بطن الكعبة على أربعة أذرع و نصف و فوق الإزار إزار من الرخام منقوش مدار فى جوانب البيت كله و فى نقشه حبل غير منقوش بذهب و بين هذه الإزار الذى فيه الحبل إزار صغير كما يدور البيت منقوش عليه بماء الذهب من تحت الإفريز الذى تحت السقف و الإفريز من فسيفسا منقوش واصل بالسقف.

### صفة باب الكعبة فى عهد الأزرقى

قال الإمام الأزرقى فى تاريخه: و ذرع طول باب الكعبة فى السماء ستة أذرع و عشرة أصابع و عرض ما بين جداريه ثلاثة أذرع و ثمانى عشرة إصبعا و الجدران و عتبة الباب العليا و نجاف الباب ملبس صفائح ذهب منقوش، و فى جدار عضادتى الباب أربع عشرة حلقة من حديد مموهة بالفضة متفرقة فى كل جدار سبع حلق يشد بها جوف الباب من أستار الكعبة و فى عتبة باب الكعبة ثمانية عشر مسمارا منها أربعة على الباب و أربعة عشر فى وجه العتبة و المسامير حديد ملبسة ذهابا مقبوة منقوشة تدوير حول كل مسمار سبع أصابع و ملبن باب الكعبة الذى يطأ عليه من دخلها داخل فى الجدار عشر أصابع و الملبن ساج ملبس صفائح ذهب و عرض وجه

الملين عشر أصابع و عرض وجهه الآخر أربع أصابع و فى الملبن من المسامير ستة و أربعون مسمار منها سبعة فى أعلا الملبن و هى تلى العتبة، و فى الجانب الأيمن تسعة عشر مسمارا و فى الجانب الأيسر عشرون مسمارا و المسامير مقبوة ملبسة ذهباً منقوشة تدوير حول كل مسمار منها سبع أصابع، و ذرع طول باب الكعبة فى السماء ستة أذرع و عشر أصابع و هما مصراعان عرض كل مصراع ذراع و ثمانى عشرة إصبعا و عود الباب ساج و غلظه ثلاث أصابع فإذا غلقا فعرضهما ثلاثة أذرع و نصف، و فى مصراع ست عوارض و العوارض من ساسم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٧٣

و ظهر الباب من داخل ملبس صفائح فضة، و فى المصراع الأيمن من داخل غلق رومى و أم الغلق ملبسة فضة و طول الغلق أربع عشرة إصبعا و فى المصراع الأيسر حلقة فضة يكون فيها غلق الباب إذا غلق، و فى الباب الأيسر سكرة و وجه الباب ملبس صفائح ذهب منقوشة و صفائح ساذج ما بين المسامير التى فى العوارض صفائح مربعة منقوشة فى كل مصراع خمس صفائح و تدوير حول الصفائح الساذج صفائح منقوشة و فى الباب الأيسر أنف الباب ملبس ذهباً منقوشاً طرفاه مربعان و على الأنف كتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم و مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ... الآية محمد رسول الله، و عدد المسامير مائتا مسمار منها مائة كبار منها فى العوارض اثنان و سبعون مسمارا فى كل عارضة ستة مسامير، و فى كل مصراع عشرة مسامير و بين كل عارضتين مسماران فى طرفى الباب و منها حول خرتة الباب التى يدخل فيها الرومى اثنا عشر مسمارا صغارا، و منها فى المصراع الأيمن مسماران من فضة ساذج موهان تدوير حول كل مسمار ست أصابع و بينهما حاجز يفتح فيه الغلق الرومى الداخلى و ما بين المسامير تسع أصابع و المسامير مقبوة ملبسة ذهباً و هى منقوشة تدوير كل مسمار سبع أصابع و المسامير الصغار التى فى المصراع الأيسر خمسون مسمارا و هى مضروبة حول الصفائح المربعة المنقوشة التى بين العوارض، حول كل صفيحة عشرة مسامير و المسامير ملبسة ذهباً مقبوة منقوشة و هى على صفائح ساذج عرض الصفائح إصبعا كما يدور حول الصفيحة المنقوشة و رجلا-البابين حديد ملبسان ذهباً و فى المصراعين سلوقتان فضة موهتان و فى السلوقتين لبنتان من ذهب مربعتان و فوق اللبنتين صغيرتان و فى طرف السلوقتين حلقتا ذهب سعة كل حلقة ثمان أصابع و هما حلقتا قفل الباب و هما على ذراعين و ستة عشر إصبعا من الباب.

انتهى من تاريخ الأزرقى.

### وجود سقنين للكعبة

للكعبة إلى يومنا هذا سقنان بينهما نحو قامه كما رأينا ذلك بأنفسنا، و لم نعلم لماذا عمل السقف الثانى داخل الكعبة، و من الذى عمله لأول مرة، أما قریش فلم يجعلوا للكعبة سقنين حين بنائها، فالظاهر أنه من عمل عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه عند بنائه لها، و لكن يعرض علينا إشكال، و هو أن ابن الزبير جعل التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٧٤

فى سطح الكعبة أربعة روازن "أى فتحات" لدخول الضوء و النور فى جوف الكعبة فعمل السقف الثانى فى داخل الكعبة يمنع دخول الضوء لجوفها، و يمكن أن ندفع هذا الإشكال بأنه جعل فى السقف الثانى أيضا روازن مقابل الروازن التى فى السقف الأعلى لينفذ الضوء منهما إلى جوف الكعبة.

فإن قيل: ما فائدة السقف الثانى من الداخل؟

نقول: ربما كان لوضع بعض أمانات الكعبة و هداياها و بعض الأشياء المتعلقة بها، أو لتزيين وجه السقف الثانى المقابل لأرض الكعبة بالذهب و الفضة و الألوان و الزخارف. و الله تعالى أعلم بذلك.

و نقول أيضا عن السقنين للكعبة: أنه لم يذكر أحد من المؤرخين من أول من عمل سقنين للكعبة المشرفة، غير أن الإمام الأزرقى

المولود في القرن الثاني للهجرة قال "في باب ذرع البيت من الخارج" ما نصه "و الكعبة لها سقفان أحدهما فوق الآخر" و قال أيضا في الباب الذي بعد الباب المذكور ما نصه "و على الروازن رخام كان ابن الزبير أتى به من اليمن من صنعاء يقال له البلق و بين السقفين فرجة." انتهى كلامه.

فعلم من هنا صريحا بأنه كان للكعبة سقفان أحدهما فوق الآخر، في عهد ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما بدون شك. بقى علينا أن نعرف هل كان للكعبة سقف واحد أم سقفان في بناء قريش الذي كان قبل بناء ابن الزبير، فالظاهر أنه كان للكعبة في بناء قريش سقف واحد فقط لا غير، أما قبل بناء قريش إلى عهد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، فإنه لم يكن للكعبة إلا سقف واحد فقط بدون شك و لا ريب، و أما خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام فإنه حين بناء الكعبة لم يجعل لها سقفا مطلقا كما بينا ذلك في محله.

فعلية نرى أن السقفين للكعبة كانا من عمل عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما، و نرى أن علّة ذلك هي وضع هدايا الكعبة المشرفة بينهما، لأن خزائن الكعبة التي كانت في أرضها من عصور قديمة قد ردمت عند بناء قريش للكعبة. و الله تعالى أعلم بالغيب.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٧٥

و لقد ذكر الإمام الأزرقى المولود بمكة في القرن الثاني للهجرة، السقفين للكعبة في تاريخه. قال عند باب ذرع البيت من الخارج: و الكعبة لها سقفان أحدهما فوق الآخر.

ثم قال في ذرع الكعبة من داخلها: و ذرع طول الكعبة في السماء من داخلها إلى السقف الأسفل مما يلي باب الكعبة ثمانية عشر ذراعا و نصف، و طول الكعبة في السماء إلى السقف الأعلى عشرون ذراعا، و في سقف الكعبة أربع روازن نافذة من السقف الأسفل للضوء، و على الروازن رخام كان ابن الزبير أتى به من اليمن من صنعاء يقال له البلق، و بين السقفين فرجة، و ذرع التحجير الذي فوق ظهر سطح الكعبة ذراعا و نصف ... الخ انتهى من تاريخ الأزرقى.

نقول: و لقد أسعدنا الله تعالى في دخولنا بيته الحرام، فقد دخلنا الكعبة المشرفة في صباح يوم الاثنين الثامن عشر من شهر رجب سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف، مع بعض إخواننا الفضلاء منهم سعادة الشيخ صالح باخطمه و السيد محمد الهادى عقيل و الشيخ عبد الله العقلا و الشيخ محمود نتو و الشيخ إسماعيل جمال و غيرهم، و بعد أن صلينا ركعتين داخلها و دعونا الله تبارك و تعالى بما ألهمنا به، قمنا بغاية الأدب بكتابه بعض ما في داخل الكعبة و طلعا إلى سطحها و دخلنا بين السقفين للتحقق منهما و إليك شيء من وصفهما:

إذا صعد الإنسان من درج الكعبة الداخلى فقبل وصوله إلى السطح بنحو قامه يرى أمامه بابا صغيرا و عن يساره بابا مثله، و كلاهما يدخل إلى ما بين سقفي الكعبة، و مسافة ما بين السقفين (١٢٠) مائة و عشرون سنتيمترا و قد قسنا ذلك بأنفسنا. و قد نوهنا عن بحث أعواد السقفين في مبحث "عدد أعواد سقف الكعبة" فليراجع هناك.

و السقف الأول الذى يعلو أرض الكعبة مكسو بالقماش الأحمر المكتوب أى من نفس قماش الكسوة الداخلية الحمراء للكعبة. أما السقف الثانى الذى فوق السقف الأول فليس مكسو بالقماش و لا بغيره و لا يوجد به نقش و لا زخرفة بل يظهر خشبه و أعواده مجردة من كل زينه، و ذلك عندما يدخل المرء بين السقفين و ينظر إليه.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٧٦

و لقد ذكر الإمام الأزرقى عن نقش سقف الكعبة بصحيفة ١٩٧ فى الجزء الأول من تاريخه: و الجوائز منقوشة بالذهب و الزخرف، و سقف الكعبة منقوش بالذهب و الزخرف، و يدور تحت السقف إفريز منقوش بالذهب و الزخرف، و تحت الإفريز طوق من فسيفسا. انتهى كلامه.

و الجوائز جمع جائز و هو خشبة معترضه بين حائطين - قاله في المنجد - فانظر رحمك الله إلى عناية أهل القرون الأولى ببيت الله الحرام.

### كيفية وضع الكسوة على الكعبة الشريفة

يظن الناس أن كسوة الكعبة توضع في داخلها أولاً - ثم ترفع إلى سطحها من درجتها التي في داخلها، لكن ليس الأمر كذلك، لأن درجة الكعبة التي في داخلها والتي توصل إلى سطحها ضيقة جداً بحيث لا يتسع إلا لمرور رجل واحد فقط، فالطولوع إلى سطحها والنزول منه يكون رجلاً رجلاً فقط.

و الكسوة كما هي معروفة تشتمل على عشر قطع بما في ذلك من ستارة باب الكعبة من الخارج و ستارة باب درجتها من الداخل، و كل قطعة منها كبيرة جداً بحيث يستحيل رفعها إلى السطح من الدرجة الداخلية الصغيرة الضيقة. لذلك يكون رفع الكسوة إلى سطح الكعبة بالكيفية الآتية:

بعد وصول الكسوة من مصر إلى مكة شرفها الله تعالى تنشر في المسجد الحرام بالحصوة قطعة قطعة، و ترتب قطعها و يخطط ما يحتاج إلى خياطة، ثم تلف كل قطعة و توضع بجوار الكعبة من جميع جهاتها الأربعة، ثم تدلى حبال قوية من سطح الكعبة من كل جانب من جوانبها، فتربط بها كل قطعة وحدها ثم يسحبها الرجال إلى سطحها و توضع في طرف الجدار، كل قطعة في المكان المناسب لها من الكعبة من غير أن يحل رباطها. و ذلك في صباح اليوم الثامن من شهر ذي الحجة.

و تبقى القطع على حالتها في طرف الجدران من سطح الكعبة إلى اليوم العاشر و هو يوم عيد النحر، ففي صباح هذا اليوم المبارك يطلع بعض الناس إلى سطح الكعبة، فيحلون الأربطة الملفوفة حول قطع الكسوة الجديدة المطوية، كما يحلون أربطة الكسوة القديمة من أماكنها من فوق السطح، فتسقط القديمة إلى أرض المطاف، و في نفس اللحظة ينزلون الكسوة الجديدة بأثر القديمة من فوقها، فبهذه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٧٧

الكيفية لن تكون الكعبة المشرفة عارية عن الكسوة لحظة واحدة حين لباسها الثوب الجديد في كل عام.

و لا بد من ظهور شيء قليل من جدرانها في هذا الوقت لعدم استكمال خياطة الثوب الجديد، ثم يشتغلون بضعة أيام بخياطة قطع الكسوة بعضها ببعض و هي على نفس الكعبة، و الخياط يجلس على كرسي خاص يتدلى من سطحها بالجبال على مواضع الخياطة و ينزل شيئاً فشيئاً إلى أسفل حتى ينتهي من خياطة القطعتين، فينتقل إلى جهة أخرى لخياطة بقية القطع حول الكعبة.

و لا تكون الخياطة إلا من الصباح المبكر كل يوم إلى الضحى العالى حيث تشتد حرارة الشمس، فعندئذ يقف العمل، فالكعبة تقع في الفضاء معرضة للشمس و العمل عند اشتداد حرارة الشمس متعذر.

هذه هي كيفية وضع الكسوة على الكعبة المشرفة في كل عام.

انظر: صورة رقم ١٠٩، وضع الكسوة الجديدة فوق الكعبة و خياطتها

### تفرقة الرجال عن النساء في الطواف و في المسجد الحرام

جاء في صحيح البخارى في كتاب الحج في باب طواف النساء مع الرجال:

و قال عمرو بن علي: حدثنا أبو عاصم قال ابن جريج: أخبرنا قال: أخبرني عطاء إذ منع ابن هشام النساء الطواف مع الرجال، قال: كيف يمنعهن و قد طاف نساء النبي صلى الله عليه و سلم مع الرجال، قلت: أبعدهن الحجاب أو قبل؟ قال: أي لعمري لقد أدركته بعد الحجاب، قلت: كيف يخالطن الرجال، قال: لم يكن يخالطن، كانت عائشة رضي الله عنها تطوف حجرة من الرجال لا تخالطهم، فقالت امرأة:

انطلقى نستلم يا أم المؤمنين قالت: عنك، وأبت وكن يخرجن متنكرات بالليل فيطفن مع الرجال و لكنهن كن إذا دخلن البيت قمن حتى يدخلن وأخرج الرجال. و كنت آتى عائشة أنا و عبيد بن عمير، و هى مجاورة فى جوف ثبير، قلت: و ما حجابها؟ قال: هى فى قبة تركية لها غشاء، و ما بيننا و بينها غير ذلك، و رأيت عليها درعا موردا. انتهى.

قال الغازى فى الجزء الثانى من تاريخه: كان الرجال و النساء يطوفون معا مختلطين، حتى ولى مكة خالد بن عبد الله القسرى لعبد الملك بن مروان، ففرق بين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٧٨

الرجال و النساء فى الطواف، فأجلس عند كل ركن حرسا معهم السياط يفرقون بين الرجال و النساء، فهو أول من فرق بينهما. انتهى من الغازى.

و روى الغازى فى الجزء الثانى من تاريخه: أن على بن الحسن الهاشمى الذى تولى أمر مكة فى خلافة المهتدى بن الواثق، هو أول من فرق بين الرجال و النساء فى جلوسهن فى المسجد الحرام، فقد أمر بحبال تربط بين الأساطين التى يقعدن عندها تفصل بينهن و بين الرجال. انتهى.

و نظن أن ذلك كان بعد سنة (٢٥٥) خمس و خمسين و مائتين.

## الترغيب فى الحج و العمرة

### إشارة

اعلم أن الحج خامس أركان الإسلام، فرض فى السنة السادسة من الهجرة كما هو المشهور، و قيل: فى الخامسة، و قيل: قبل الهجرة. و الحج فرض عين مرة واحدة فى العمر على التراخى، و كذلك العمرة و قد يجبان أكثر من مرة لعارض كندر و هو يكفر الصغائر و الكبائر حتى التبعات على المعتمد.

و قد حج صلى الله عليه و سلم قبل النبوة و بعدها و قبل الهجرة حججا لا يدرى عددها، و حج بعد الهجرة حجة الوداع لا غير بإجماع المسلمين، و كذلك اعتمر قبلها عمرا لا يدرى عددها، و أما بعدها فعمرة فى رجب، و ثلاثا بل أربعا فى ذى القعدة، أى:

فى ثلاثة أعوام؛ لأنه فى حجة الوداع، كان فى آخر أمره قارنا، و عمرة فى شوال كما صح فى أبى داود، و عمرة فى رمضان كما فى البيهقى. و فرضية الحج و العمرة واردة صريحا فى الكتاب و السنة، أما الكتاب فقد قال الله تعالى: **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** و قال: **وَأَتُّمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ** و قال أمرنا نبيه إبراهيم عليه السلام: **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ \* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ الْفَقِيرَ \* ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ \* ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ** إلى آخر الآيات.

و أما السنة فقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "من حج لله فلم يرفث و لم يفسق رجع كيوم ولدته أمه" رواه البخارى وغيره، و روى ابن حبان عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه و سلم قال "إن الحاج حين يخرج من بيته لم يخط خطوة إلا- كتب الله له بها حسنة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٧٩

و حط عنه بها خطيئة. فإذا وقفوا بعرفات باهى الله بهم ملائكته يقول: انظروا إلى عبادى أتونى شعثا غيرا أشهدكم أنى غفرت ذنوبهم، و إن كانت عدد قطر السماء و رمل عالج. و إذا رمى الجمار لم يدر أحد ما له حتى يتوفاه الله تعالى يوم القيامة، و إذا حلق شعره فله

بكل شعرة سقطت من رأسه نور يوم القيامة، فإذا قضى آخر طوافه بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. "اه. و قال عليه الصلاة و السلام: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما و الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" رواه الشيخان، و قال: "تابعوا بين الحج و العمرة فإنهما ينفيان الفقر و الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد، و الذهب و الفضة. و ليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة" رواه أحمد و غيره. و قال: "من حج عن أبيه أو أمه فقد قضى عنه حجته. و كان له فضل عشر حجج" رواه الدارقطني. و قال: "إذا لقيت الحاج فسلم عليه و صافحه، و مره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته فإنه مغفور له" رواه أحمد. و قال: "اللهم اغفر للحاج و لمن استغفر له الحاج. رواه الحاكم، و قال:

صحيح الإسناد. و يستحب الإكثار من العمرة لا سيما في رمضان، لما أخرجه ابن حبان و غيره: "عمرة في رمضان تعدل حجة معي" و في رواية البخاري: "تقضى حجة، أو حجة معي."

و يستحب أن يحج الإنسان عن نفسه بعد حجة الإسلام ثانية و ثالثة، فقد ورد: "من حج حجة فقد أدى فرضه، و من حج ثانية فقد دأب ربه و من حج ثالثة حرم الله جسده على النار."

و في الحديث القدسي: "إن عبدا صححت له جسمه و أوسعت عليه معيشته تمضى عليه خمسة أعوام لا يفد إلى محروم." و هناك

أحاديث كثيرة وردت في هذا الشأن اكتفينا بما ذكرناه بغية الاختصار.

انتهى من كتابنا إرشاد الزمرة لمناسك الحج و العمرة. و إليك صورة بعض الحجج.

انظر: صورة رقم ١١٠، الحجج في عرفات

و اعلم: أن الأيام المعلومات المذكورة في سورة الحج هي: عشر ذى الحجة على الأصح، و الأيام المعدودات المذكورة في سورة البقرة هي: أيام التشريق، و هي الثلاثة الأيام بعد يوم النحر. و يسمى اليوم الثامن من ذى الحجة يوم التروية، و اليوم التاسع من يوم عرفة و اليوم العاشر منه يوم النحر، و اليوم الحادي عشر منه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٨٠

يوم القرّ بفتح القاف و تشديد الراء، و اليوم الثاني عشر منه يوم النفر الأول، و اليوم الثالث عشر منه يوم النفر الثاني.

## أسرار الحج و مزاياه

نقل هنا ما ذكرناه في كتابنا المطبوع بمصر "إرشاد الزمرة لمناسك الحج و العمرة" و هو كما يأتي:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: وَ إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَ طَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْقَائِمِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ\* وَ أذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَ عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ\* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَ يُذَكِّرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَ اطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ\* ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَ لِيُطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (سورة الحج ٢٦-٢٩).

يرتبط الحج بالكعبة المعظمة منذ بنائها الأول، فهو لذلك من الأمور الدينية القديمة العهد جدا، و قد حج كثير من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، و كان أهل الجاهلية يحجون و يقفون بعرفات و يبيتون بمزدلفة و يمكنون بمنى، و كانوا يصنعون للحجاج طعاما أيام الموسم بمكة و منى. و لما حج سيدنا يونس عليه السلام كان يؤثر عنه: لييك كاشف الكرب لبيك.

و لئن كان الحج خامس أركان الإسلام في الترتيب فإنه جامع لمعانيها كلها، كدين الإسلام فإنه أتى آخرا و لكنه جمع حقائق الأديان كلها، و هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده كما يقول في كتابه العزيز: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا وَ يَقُول: وَ مَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ.

و ما كان الحج خامس الأركان تريبا في الحديث إلا لكونه واجبا في العمر مرة على المستطيع، بخلاف الصلاة و الزكاة و الصيام فإنها



تتكرر على الدوام، إما يومياً وإما سنوياً.

فالحج هو أكبر مؤتمر إسلامي دائر بدوران السنين والأعوام إلى يوم القيامة، وهو أوسع وأشرف مجمع ديني، وأعظم وأفخم ناد صحراوي، يعقد بأمر إلهي

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٨١

و بوازع الإيمان القوى مرة كل عام، وأعضاء هذا المؤتمر الأكبر هم جميع المؤمنين على اختلاف طبقاتهم وتنوع شعوبهم وأممهم لا فرق بين الكبير والصغير، والأمير والحقير، والغني والفقير، والعالم والجاهل، والعامل والعاطل، وكل منهم بالوحدة العامة، و يهدف إلى التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.

ولقد كان الإفرنج والحكومات الأجنبية يتخوفون ويهابون الإسلام لأمرين خطيرين:

الأول: الحج إلى بيت الله الحرام، الذي هو بمثابة الوحدة الإسلامية، التي تجمع كلمتهم وتقوى عزائمهم.

والثاني: الخلافة، وهي التي يستندون إليها، ويرتبطون بها ويستظلون تحت لوائها، فهي مركز سلطانتهم ومصدر نفوذهم. وانظر كتاب "حاضر العالم الإسلامي" لمستر لوثرروب سنودارد الأمريكي صحيفه (٢٨٧) في الفصل الثاني بعنوان "الجماعة الإسلامية" فقد بسط الكلام عن الحج والخلافة بما يشفي الغليل.

أما الخلافة فلا نتكلم عنها، وأما الحج فكيف لا يخافون منه وهو العامل الأكبر في التعاون والتعاقد والرابطة، أليس يقول الله تعالى: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ فَأَي مَنفَعَةٍ أَكْبَرُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ تَقْوِيَةِ الرَّابِطَةِ الدِّينِيَّةِ، وربط الشعوب المختلفة بعضها ببعض، الذين أتوا من كل فج عميق، ففي إطلاق لفظ المنافع في الآيه، دليل واضح على تعميمها، فيدخل كل ما له منفعة للمسلمين، كالأموال الوطنية، والعلمية، والثقافية، والاجتماعية، والانسانية والتجارية، وغير ذلك.

والحق يقال: أن الناظر في يوم عرفه إلى تلك الجموع المحتشدة وإلى ذلك البحر الزاخر من المسلمين الذين أتوا يوحدون الله ويلبون دعاءه، من مشارق الأرض ومغاربها، ومن مختلف الأجناس واللغات، ليندهش اندهاشا ويستغرب عجبا، ويزداد إيمانا بالله تعالى وبقدرته وعظمته "وما راء كمن سمعا".

فلئن شرعت صلاة الاستسقاء باجتماع الناس بأطفالهم ودوابهم وحيواناتهم لإنزال القطر والمطر ولئن جعلت أيضا صلاة الجمعة فرضا لوعظ الناس وإرشادهم لأموال دينهم وديارهم، فإن يوم عرفه لأعظم من الاستسقاء والجمعة، وهو أفضل الأيام على الإطلاق، ولذلك كان صبيحة ليلتها هو العيد الأكبر للمسلمين في جميع الأقطار، وكيف لا يكون كذلك والله عز شأنه يتجلى على هذا الجمع الغفير من الأمة المحمدية بالرحمة والغفران والفضل والإحسان، والعق من النار، بل

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٨٢

حتى يباهى بهم الملائكة، ذلك يوم اختلط العربي بالعجمي، والأبيض بالأسود، والحيوان بالبشر، وصار كل واحد يدعو الله مخلصا بقلبه، سائلا له بلسانه ولغته، ساكبا من العبرات والدموع ما يبلغه أعلى مراتب الخضوع والخشوع.

كلهم في ذلك اليوم لا يرجون إلا الله، ولا يدعون إلا إياه، نشيدهم الروحي "لييك اللهم لييك" و شعارهم الديني "لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون"، قد تركوا أوطانهم وفارقوا أولادهم، وكشفوا رؤوسهم، ونزعوا ثيابهم، وأبدلوا بالإحرام الأبيض كالأكفان، ووقفوا في ذلك الصحراء الواسع، امتثالا لأمر الله وابتغاء لمرضاته.

فمن أسرار الحج أن يكون هذا الموقف العظيم والمحشر الأصغر يوم عرفه، في فضاء متسع و صحراء مترامية الأطراف، مجردة عن الدور والبيان.

و أن تكون هذه الجموع البشرية في صحة تامة أيام الحج، مع كثرة عددهم وتعرضهم للشمس والهواء والغبار والتراب الناشئ من كثرة انتقالاتهم بشتى وسائل الركوب من سيارات وجمال ودواب أخرى، ومع كونهم يستظلون بالخيام وتحت الهوادج وبين

الصخور و الأحجار الكبار، و ما ذاك إلا- لأنهم تركوا الوسوس و الأوهام فى هذه الأيام، فلا- بهمهم إلا- الاجتهاد فى العبادة و الإخلاص فى الدعاء و الشكر و الفرح بأداء هذه الفريضة المقدسة.

و من أدق أسرار الحج أن الرؤيا المنامية فى ليالى عرفة و مزدلفه و منى تختلف عنها فى بقية الليالى الأخرى، كما يعرف ذلك أرباب البصائر و العلماء العاملين كل واحد بحسب استعداده من حسن نيته و نظافة قلبه و درجة صلاحه.

و إن من أعظم الدليل على فضل يوم عرفة على سائر الأيام نزول هذه الآية الجليلة فيه التى فى أول سورة المائدة و هى: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَإِنهَا نَزَلَتْ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَ كَانَ يَوْمَ عَرَفَةَ بَعْدَ الْعَصْرِ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ سَنَةَ عَشْرٍ، وَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَاقِفَ بَعْرَةَ عَلَى نَاقَتِهِ الْعُضْبَاءِ، فَكَادَ عَضُدُ النَّاقَةِ يَنْقُدُ مِنْ ثِقَلِهَا فَبَرَكَتْ.**

روى الأئمة عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين آية فى كتابكم تقرأونها، لو علينا أنزلت معشر اليهود، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: و أى آية قال: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا** فقال عمر: **إني لأعلم اليوم الذى**

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٨٣

نزلت فيه، نزلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم بعرفة فى يوم جمعة، لفظ مسلم و عند النسائي "ليلة جمعة". نقلنا هذه الرواية من تفسير القرطبي.

و لا يخفى أن هذه الآية الكريمة أعظم بشارة و أكبر فرح للمسلمين لاشتمالها على ثلاث مسائل كل واحدة أعظم من أختها كما هى ظاهرة من منطوق الآية:

(١) أن الله تعالى قد أكمل لنا ديننا الحنيف.

(٢) قد أتم علينا نعمته من جميع الوجوه.

(٣) قد اختار لنا بنفسه دين الإسلام القويم، كل ذلك بمحض فضله و رحمته.

و لما جرت العادة أن البشائر الكبرى، و الأخبار المهمة العمومية، تكون بالإعلان عنها على رؤوس الأشهاد بشتى الطرق و الوسائل، تكرم الله عز شأنه أن يكون نزول هذه الآية الجليلة فى يوم عرفة، لاجتماع كافة المسلمين فيه و حضور رسول الله صلى الله عليه و سلم بينهم لينتشر ذلك فيهم بسرعة البرق، فيعم البشر و السرور و الفرح و الجور للمسلمين جميعاً فى وقت واحد.

و يفهم من هذه الآية قرب انتقال رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الدار الآخرة، فما دام الدين الإسلامى قد كمل و أدى النبى رسالته للناس و بلغهم ما أنزل إليه، فليلحق بالرفيق الأعلى، و ليسترح من تعب الدنيا.

و فى نزول هذه الآية الكريمة حكمه كبرى، و هى اطمئنان المسلمين إلى أن دينهم قد كمل فلا يحتاج إلى زيادة شىء، فلو لم تنزل هذه الآية، و مات رسول الله صلى الله عليه و سلم لخطر فى البال و جال فى الصدور، أن دين الإسلام ربما لم يكمل، و أنه لو لم يمت صلى الله عليه و سلم لتوالى نزول الآيات القرآنية، و ازدادت أحكام الديانة الإسلامية، فلهذه الآية الجليلة موقع عظيم، و معنى دقيق لا يغيب على ذوى الأبواب.

و هنا نمسك عنان القلم عن الاسترسال فى هذا المعنى، فلو أردنا أن نتكلم عن مزايا الحج و أسرارها، لاحتجنا إلى أن نضع فيه مؤلفاً خاصاً، و فى هذا القدر كفاية للفضلاء. **وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.**

انتهى من كتاب إرشاد الزمرة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٨٤

قال الطبري رحمه الله تعالى في كتابه "القرى لقاصد أم القرى" ما نصه: تقدم في الباب الأول حديث "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما،" و حديث "تابعوا بين الحج والعمرة،" و حديث "الحاج والعمار وفد الله،" و حديث "من مات حاجا أو معتمرا،" و أحاديث تتضمن الحج والعمرة.

و عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه، أن عمر استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة، فأذن له و قال: لا تنسنا من دعائك و أشركنا في دعائك أخرجه أبو داود.

و أخرجه أحمد بزيادة، و لفظه: عن عمر أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة، فأذن له، و قال: يا أخي لا تنسنا من دعائك. و في لفظ: يا أخي أشركنا في دعائك، قال:

ما أحب أن يكون لي بها ما طلعت عليه الشمس. لقوله "يا أخي" أخرجه كذلك الحافظ السلفي و صاحب الصفوة، و أخرجه ابن حرب الطائي، و لفظه:

أشركنا في صالح دعائك و لا تنسنا.

و عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن العمرة الحج الأصغر. أخرجه ابن الحاج في منسكه. انتهى من كتاب الطبري المذكور.

### إتيان العمرة في شهر رجب

إتيان العمرة في شهر رجب من الأمور القديمة بعد الإسلام، قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره عند قوله تعالى:

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ... الآية ما نصه:

و إنما كانت الأشهر المحرمة أربعة ثلاثة سرد، و واحد فرد، لأجل أداء مناسك الحج و العمرة فحرم قبل أشهر الحج شهرا و هو ذو القعدة لأنهم يقعدون فيه عن القتال و حرم شهر ذي الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج، و يشتغلون فيه بأداء المناسك، و حرم بعده شهرا آخر و هو المحرم ليرجعوا فيه إلى أقصى بلادهم آمنين، و حرم رجب في وسط لأجل زيارة البيت و الاعتمار به لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب فيزوره، ثم يعود إلى وطنه فيه آمنا. انتهى من تفسير ابن كثير.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٨٥

و ذكر بعض المؤرخين أن أهل مكة قد اعتادوا إتيان العمرة في شهر رجب، و ذكروا لذلك علته و هي أن أصل هذه العمرة الرجبية يرجع إلى فراغ عبد الله بن الزبير من بناء الكعبة و كان ذلك في اليوم السابع و العشرين من شهر رجب حيث خرج هو و أهل مكة بعد الفراغ من البناء حتى اعتمروا من التنعيم شكرا لله عز و جل. قالوا: فبقيت تلك العمرة سنة عند أهل مكة يشاركهم في ذلك بعض القبائل الموالية لمكة مثل بجيلة و زهران و غامد حيث يبادرون بالحضور إلى مكة في شهر رجب لإتيان العمرة فيه و يجلبون معهم الحبوب و الطعام و السمن و العسل و الزبيب و اللوز و نحو ذلك، فينتفع أهل مكة منهم و ينتعش السوق بهم.

هكذا ذكر بعض المؤرخين، و لا ندرى متى بطلت هذه العادة من أهل مكة فقد كانوا يأتون بالعمرة الرجبية إلى ما بعد زمان ابن بطوطة الذي ذكر هذه العمرة في رحلته التي كانت سنة (٧٢٥) هجرية فعليه تكون هذه العادة فيهم إلى ما بعد القرن الثامن. و الله تعالى أعلم متى تركوها.

أما في عصرنا فلم نسمع قط بالعمرة الرجبية بمكة، و إنما العادة عندنا الزيارة الرجبية، فقد كان الركب يمشى إلى المدينة المنورة في شهر رجب و لا تزال هذه العادة إلى اليوم حتى في بعض البلدان النائية كمصر و الشام فإنهم يأتون لزيارة المدينة في شهر رجب، و لم نعلم عن أصل هذه الزيارة الرجبية أيضا شيئا.

و الذي نراه عن أصل العمرة الرجبية هو غير ما ذكره بعض المؤرخين و أرباب الرحلات من أن أصله يرجع إلى إتيان ابن الزبير العمرة

فى يوم ٢٧ رجب بعد فراغه من بناء الكعبة، فإن اعتمار ابن الزبير كان شكراً لله تعالى على توفيقه لبناء بيته الحرام، و بزوال هذه العلة و عدم تكرار البناء و الهدم فى زمانه لم يبق وجه لإتيان العمرة فى رجب.

و نرى أن اعتمار الناس فى شهر رجب له سبب غير ما تقدم و هو ما ذكره العلامة الطبرى فى كتابه "القرى لقاصد أم القرى"، "فقد جاء فيه عند الكلام على عمرة رجب ما خلاصته:

عن ابن عمر و ابن عباس رضى الله تعالى عنهم أن النبى صلى الله عليه و سلم اعتمر أربع عمر إحداهن فى رجب و قد تقدم الحديثان فى فصل عدد عمره صلى الله عليه و سلم، و عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يعتمر فى رجب كل عام و يتبع فى ذلك فعل عمر و عثمان و كلاهما كانا يعتمران فى رجب و يرونه شهراً حراماً من أوسط الشهور،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٨٦

و أحق أن يعتمر فيه لتعظيم حرمت الله تعالى. أخرجه أبو ذر فى منسكه، و فى رواية أنه كان يعتمر فى رجب و يهدى قال نافع: و ليس الهدى بواجب إنما كان هدى تطوع.

و عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تعتمر من المدينة فى رجب و تهل من ذى الحليفة.

و روى الواقدى عن أشياخه أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه اعتمر فى رجب سنة إحدى عشرة و دخل مكة ضحوة النهار فأتى منزله و أبوه أبو قحافة جالس على باب داره فقيل له: هذا ابنك فنهض قائماً و عجل أبو بكر أن ينيخ راحلته فنزل عنها و هى قائمة فجعل يقول: يا أبة لا تقم ثم التزمه و قبل بين عيني ابن قحافة و جعل الشيخ يبكى فرحاً بقدومه و جاءه و الى مكة عتاب بن أسيد و سهيل بن عمرو و عكرمة بن أبى جهل و الحارث بن هشام فسلموا عليه سلام عليك يا خليفة رسول الله و صافحوه جميعاً فجعل أبو بكر يبكى حين يذكرون رسول الله صلى الله عليه و سلم ... إلى آخر كلام الواقدى.

قال ابن الصلاح: و روى الاعتمار فى رجب عن جماعة من السلف، و عن أبى إسحاق السبيعي أنه سئل عن عمرة رمضان فقال: أدركت أصحاب عبد الله لا يعدلون بعمرة رجب. و هذا كله لا يعدل الحديث الصحيح فى عمرة رمضان. انتهى كل ذلك من كتاب الطبرى المذكور.

نقول: هذا ما نراه أصلاً فى العمرة الرجبية. و الله تعالى أعلم.

و بمناسبة الكلام على الاعتمار فى شهر رجب نذكر ما جاء فى رحلة ابن جبیر عن كيفية اعتمار أهل مكة فى رجب و نذكر أيضاً ما جاء فى كتاب الطبرى "القرى لقاصد أم القرى" عن عمرة الحريق. و لتكلم عن هذه العمرة أولاً:

قال الإمام الطبرى بصحيفة (٥٧٩) من كتابه المذكور ما نصه:

ذكر الإمام أبو عبد الله محمد بن الحاج المالكي فى منسكه المترجم بكتاب المنهاج قال الشيخ أبو محمد مكى بن أبى طالب رحمه الله تعالى: كانوا إذا كان ليلة عاشوراء اجتهد الناس فى الطواف و الصلاة، و أخذ سكان مكة فى شعابها فى الحريق يوقدون النيران على جيف إبل الحاج ليذهب عنهم ريحها و لو تكلفوا إخراجها لطال عليهم لكثرة الجيف، و يوقدون على الجبال المشرفة على البيت سنة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٨٧

لهم ثم يصبح الناس إلى العمرة فلذلك تسمى "عمرة الحريق" ثم يخرج الناس إلى ثور و هو الجبل الذى فيه الغار الذى ذكره الله تعالى فى القرآن و بين ثور و بين مكة ثلاثة أميال. انتهى من الكتاب المذكور.

## العمرة الرجبية

أما ما ذكر ابن جبیر عن كيفية اعتمار أهل مكة فى شهر رجب، فأليك ما جاء فى رحلته:

قال ابن جبير الأندلسي عنها في رحلته التي كانت سنة (٥٧٨) ثمان و سبعين و خمسمائة ما يأتي:

و هذا الشهر المبارك "أى رجب" عند أهل مكة موسم من المواسم العظيمة و هو أكبر أعيادهم، و لم يزالوا على ذلك قديما و حديثا يتوارثه خلفا عن سلف متصلا ميراث ذلك إلى الجاهلية لأنهم كانوا يسمونه متصل الأسنة و هو أحد الأشهر الحرم و كانوا يحرمون القتال فيه، و هو شهر الله الأصم كما جاء فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و العمرة الرجبية عندهم أخت الوقفة العرفية لأنهم يحتفلون لها الاحتفال الذى لم يسمع بمثله و يبادر إليها أهل الجهات المتصلة بها فيجتمع لها خلق عظيم لا يحصيهم إلا الله عز و جل فمن لم يشاهدها بمكة لم يشاهد مرأى يستهدى ذكره غرابه و عجبا. شاهدنا من ذلك أمرا يعجز الوصف عنه.

و المقصود منه الليلة التى يستهل فيها الهلال مع صبيحتها و يقع الاستعداد لها من قبل ذلك بأيام فأبصرنا من ذلك ما نصف بعضه على جهة الاختصار و ذلك لأننا عاينا شوارع مكة و أزقتها من عصر يوم الأربعاء و هى العشيء التى ارتقب فيها الهلال قد امتلأت هودج مشدودة على الإبل مكسوة بأنواع كساء الحرير و غيرها من ثياب الكتان الرفيعة بحسب سعة أحوال أربابها و وفرهم و كل يتأثق و يحتفل بقدر استطاعته فأخذوا فى الخروج إلى التنعيم ميقات المعتمرين فسالت تلك الهودج فى أباطح مكة و شعابها، و الإبل قد زينت تحتها بأنواع التزيين و أشعرت بغير هدى بقلائد رائقة المنظر من الحرير و غيره ربما فاضت الأستار التى على الهودج حتى تسحب أذيالها على الأرض و من أغرب ما شاهدنا من ذلك هودج الشريفه جمانة بنت فليته عمت الأمير مكثر، فإن أذيال ستره كانت تسحب على

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٨٨

الأرض انسحابا و غيره من هودج حرم الأمير و حرم قواده إلى غير ذلك من هودج لم نستطع تقييد عدتها عجزا عن الإحصاء فكانت تلوح على ظهور الإبل كالباب المضروبة فيخيل للناظر إليها أنها محلة قد ضربت أبنيتها من كل لون رائق و لم يبق ليلة الخميس المذكور بمكة إلا من خرج للعمرة من أهلها و من المجاورين و كنا فى جملة من خرج ابتغاء بركة الليلة العظيمة فكنا لا نتخلص إلى مسجد عائشة من الزحام و انسداد ثنيات الطريق و النيران قد أشعلت بحافتى الطريق كله و الشمع يتقد بين أيدي الإبل التى عليها هودج من يشار إليه من عقائل نساء مكة. فلما قضينا العمرة و طفنا و جئنا للسعى بين الصفا و المروة و قد مضى هدو من الليل أبصرناه كله سراجا و نبراسا و قد غص بالساعين و الساعيات على هودجهن فكنا لا نتخلص إلا بين هودجهن و بين قوائم الإبل لكثرة الزحام و اصطكاك الهودج بعضها على بعض فعائنا ليلة هى أغرب ليالى الدنيا فمن لم يعاين ذلك لم يعاين عجبا يحدث به و لا عجبا يذكره مرأى الحشر يوم القيامة لكثرة الخلائق فيه محرمين مليون داعين الله عز و جل ضارعين. و الجبال المكرومة التى بحافتى الطريق تجيبهم بصدائها حتى سكت المسامع و سكبت من هول تلك المعاينة المدامع و ذابت القلوب الخواشع و فى تلك الليلة ملئ المسجد الحرام كله سرجا فتلا نورا و عند ثبوت رؤية الهلال عند الأمير أمر بضرب الطبول و الدبادب و البوقات إشعارا بأنها ليلة الموسم. فلما كانت صبيحة الخميس خرج إلى العمرة فى احتفال لم يسمع بمثله انحشد له أهل مكة عن بكره أبيهم فخرجوا على مراتبهم قبيلة قبيلة و حارة حارة شاكين فى الأسلحة فرسانا و رجاله فاجتمع منهم عدد لا يحصى كثرة يتعجب المعان لهم لوفور عددهم فلو أنهم من بلاد جمه لكانوا عجبا فكيف و هم من بلد واحد و هذا أول الدلائل على بركة البلد فكانوا يخرجون على ترتيب عجيب فالفرسان منهم يخرجون بخيلهم و يلعبون بالأسلحة عليها و الراجله يتواثبون و يتشاقفون بالأسلحة فى أيديهم حرابا و سيوفا و حجفا و هم يظهرون التضاعن بعضهم لبعض و التضارب بالسيوف و المدافعة بالحجف التى يستجون بها و أظهروا من الحدق بالنقاف كل أمر مستغرب و كانوا يرمون بالحراب إلى الهواء و يبادرون إليها لققا بأيديهم و هى قد تصوبت أسنتها على رؤوسهم و هم فى زحام لا يمكن فيه المجال و ربما رمى بعضهم بالسيوف فى الهواء فيتلقونها قبضا على قوائمها كأنها لم تفارق أيديهم إلى أن خرج الأمير يزحف بين قواده و أبنائه أمامه و قد قاربوا من الشباب و الرايات تخفق أمامه و الطبول و الدبادب بين يديه و السكينة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٨٩

تفيض عليه و قد امتلأت الجبال و الطرق و الثنيات بالنظارة من جميع المجاورين فلما انتهى إلى الميقات و قضى غرضه أخذ في الرجوع و قد ترتب العسكران بين يديه على لعهم و مرحهم و الراجلة على الصفة المذكورة من التجاول و قد ركب جملة من أعراب البوادي نجبا صهبا لم ير أجمل منظرا منها و ركابها يسابقون الخيل بها بين يدي الأمير رافعين أصواتهم بالدعاء له و الثناء عليه إلى أن وصل المسجد الحرام. فطاف بالكعبة و القراء أمامه و المؤذن الزمزمي يفرد في سطح قبة زمزم رافعا عقيرته بتهنئته بالموسم و الثناء عليه و الدعاء له على العادة. فلما فرغ من الطواف صلى عند الملتزم ثم جاء إلى المقام و صلى خلفه و قد أخرج له من الكعبة و وضع في قبته الخشبية التي يصلى خلفها. فلما فرغ من صلاته رفعت له القبة عن المقام فاستلمه و تمسح به ثم أعيدت القبة عليه و أخذ في الخروج على باب الصفا إلى المسعى و انجفل بين يديه. فسعى راكبا و القواد مطيفون به و الراجلة الحراة أمامه.

فلما فرغ من السعى استلت السيوف أمامه و أحدثت الأشياع به و توجه إلى منزله على هذه الحالة الهائلة مزحفا به و بقي المسعى يومه ذلك يموج بالساعين و الساعيات فلما كان اليوم الثاني و هو يوم الجمعة كان طريق العمرة في العمارة قريبا من أمسه راكبين و ماشين رجالا- و نساء و النساء الماشيات المتاجرات كثيرا يسابقن الرجال في تلك السبيل المباركة تقبل الله من جميعهم بمنه. و في أثناء ذلك يلقى الرجال بعضهم بعضا فيتصافحون، و يتهادون الدعاء و التغافر بينهم و النساء كذلك و الكل منهم قد لبس أفخر ثيابه و احتفل احتفال أهل البلاد للأعياد و أما أهل البلد الأمين فهذا الموسم عيدهم لهم يعثون به و له يحتفلون و في المباهاة فيه يتنافسون و له يعظمون و فيه تنفق أسواقهم و صنائعهم يقدمون النظر في ذلك الاستعداد له بأشهر. انتهى من رحلة ابن جبير.

و جاء في تاريخ الغازي المسمى إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام ما يأتي:

قال ابن بطوطة: و أهل مكة يحتفلون بعمرة رجب الاحتفال الذي لا يعهد مثله و هي متصله ليلا و نهارا، و أوقات الشهر كله معمورة بالعبادة و خصوصا أول يوم منه. و يوم خمسة عشر و السابع و العشرين فإنهم يستعدون لها قبل ذلك بأيام شاهدتهم في ليلة السابع و العشرين منه و شوارع مكة قد غصت بالهوادج عليها كساء الحرير و الكتان الرفيع كل أحد يفعل بقدر استطاعته و الجمال مزينة مقلدة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٩٠

بقلائد الحرير و أسناد الهوادج ضافية تكاد تمس الأرض فهي كالقباب المضروبة و يخرجون إلى ميقات التنعيم فتسيل أباطح مكة بتلك الهوادج و الجبال تجيب بصداها إهلال المهللين فترق النفوس و تنهمل الدموع. فإذا قضوا العمرة طافوا بالبيت و خرجوا إلى السعى بين الصفا و المروة بعد مضي شيء من الليل و المسعى متقد السرج غاص بالناس و الساعيات في هوداجهن و المسجد الحرام يتلألأ نورا و هم يسمون هذه العمرة بالعمرة المكية لأنهم يحرمون بها من أكمة أمام مسجد عائشة رضی الله عنها بمقدار غلوة على مقربة من المسجد المنسوب إلى على رضی الله عنه.

و أهل الجهات الموالية لمكة مثل بجبله و زهران يبادرون لحضور العمرة و يجلبون إلى مكة الحبوب و السمن و العسل و الزبيب و الزيت و اللوز فترخص الأسعار بمكة و يرغد عيش أهلها و تعمهم المرافق. انتهى من تاريخ الغازي و هو مخطوط غير مطبوع.

### الزيارة الرجبية

لم نقف على علة زيارة الناس للنبي صلى الله عليه و سلم في شهر رجب و تسمى إلى اليوم الزيارة الرجبية، و الظاهر أن هذا حدث تبعا لزيارة البيت الحرام من السابق، فقد قال ابن كثير في تفسيره عن آية: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ... ما نصه:

و حرّم رجب في وسط الحول لأجل زيارة البيت و الاعتماد به، لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب، فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمنا اه.

فمن هنا درج الناس على هذا المنوال إلى يومنا هذا، فيأتي بعضهم من جهة العراق و الشام و اليمن إلى مكة المشرفة للاعتمار ثم يذهبون إلى زيارة النبي صلى الله عليه و سلم، كما يقوم بعضهم من نفس مكة و أطرافها إلى المدينة المنورة للزيارة في شهر رجب، و يستعدون لها قبل وقتها بأيام و غالبا يذهبون على الدواب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٩١

### وجوب الحج و العمرة

قال الله تعالى: **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** و قال: **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ.**

اعلم أن الحج و العمرة عند الشافعية و الحنابلة كل واحد منهما فرض عين في العمر مرة واحدة على الفور، أما عند الحنفية فالحج فرض عين في العمر مرة واحدة على الفور عند أبي يوسف و على التراخي عند محمد و العمرة سنة مؤكدة، و أما عند المالكية فالحج فرض عين في العمر مرة واحدة على الفور و العمرة سنة مؤكدة على المعتمد.

قال في شرح الخرشي: و أما العمرة فهي سنة في العمر مرة على المشهور و هي آكد من الوتر، و قيل: فرض كالحج و به قال الشافعي. انتهى.

و لقد حج رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل النبوة و بعدها و قبل الهجرة حججا لا يدرى عددها و حج بعد الهجرة حجة الوداع لا غير بإجماع المسلمين، و كذلك اعتمر قبلها عمرا لا يدرى عددها، و أما بعدها فعمرة في رجب و ثلاثا بل أربعا في ذى القعدة- أى في ثلاثة أعوام لأنه في حجة الوداع كان في آخر أمره قارنا- و عمرة في شوال كما صح في أبي داود و عمرة في رمضان كما في البيهقي.

و الحج يكفر الصغائر و الكبائر حتى التبعات على المعتمد، و قد ورد في الحج و العمرة كثير من الأحاديث. منها ما رواه الشيخان: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما و الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" و منها ما رواه أحمد و غيره: "تابعوا بين الحج و العمرة فإنهما ينفيان الفقر و الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد و الذهب و الفضة و ليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة." إلى غير ذلك من الأحاديث المذكورة في كتب الفقه.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "أبها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، و إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، قال: يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ اَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ، و قال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، و مطعمه حرام و مشربه حرام و غذى بالحرام، فأنتى يستجاب لذلك." رواه مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٩٢ إذا حججت بمال أصله سحت فما حججت و لكن حجت العير لا يقبل الله إلا كل سالحة ما كل حج لبيت الله مبرور

### سنن الحج و العمرة في المذهب الشافعي

اعلم أن سنن الحج كثيرة:

منها: الغسل عند إرادة الإحرام بحج أو عمرة أو بهما معا، فإن عجز عن الغسل تيمم، و يسن الغسل للإحرام حتى الحائض و النفساء و حتى غير المميز.

و منها: التطيب في البدن عند إرادة الإحرام قبل النية و بعد الغسل للذكر و الأثني غير الصائم، و لا يضر استدامة الطيب بعد الإحرام و لا انتقاله من محل إلى محل آخر بواسطة العرق، أما لو أخذه من بدنه ثم رده إليه لزمته الفدية.

و منها: الغسل لدخول مكة لمحرم بحج أو عمرة أو بهما معا.

و منها: الغسل للوقوف بعرفة، و الأفضل كونه بعد الزوال من تاسع ذي الحجة.

و منها: الغسل للمبيت بمزدلفة إن لم يغتسل بعرفة.

و منها: الغسل للوقوف بالمشعر الحرام، و هو جبل بطرف المزدلفة، و يسمى قرح.

و منها: الغسل لرمي الجمار الثلاث في أيام التشريق الثلاث، فيغتسل لرمي كل يوم منها غسلا. أما رمي جمرة العقبة يوم النحر، فلا يغتسل له، إن اغتسل للوقوف بالمشعر الحرام.

و منها: ركعتان سنة الإحرام بعد الغسل له، ثم ينوي بعدهما بالحج أو بالعمرة أو بهما.

و منها: ركعتان بعد أي طواف كان.

و منها: طواف القدوم لحلال أو حاج دخل مكة قبل الوقوف بعرفة. أما المعتمر إذا طاف للعمرة فلا يسن له طواف القدوم.

و منها: المبيت بمنى ليلة التاسع حال ذهابه إلى عرفة لأنه للاستراحة لا للنسك.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٩٣

و منها: أن يجمع بين الليل و النهار في الوقوف بعرفة في اليوم التاسع، فلو خرج من عرفة بعد الزوال من يوم التاسع فقد أدرك الوقوف.

و منها: الأفراد و هو تقديم الإحرام بالحج و الفراغ من أعماله على الإحرام بالعمرة و الإتيان بأعمالها فلو لم يقدم الحج على العمرة لم يكن مفردا.

و منها: التلبية عند الإحرام أو عند تغاير الأحوال كصعود و هبوط و ركوب و اختلاط رفقته و عقب الصلوات و يكثر منها ما دام محرما، و يرفع صوته بها إن لم يؤذ غيره. و وقت التلبية من حين إحرامه إلى أن يرمى جمرة العقبة يوم النحر.

و أما سنن العمرة: فإنه يسن لها ما يسن للحج إلا في بعض المسائل التي لا تكون إلا للحج و هي معروفة في كتب الفقه، فلا لزوم لبيانها هنا.

و لفظ التلبية كما يأتي:

لييك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك، إن الحمد و النعمة لك و الملك لا شريك لك، يقولها ثلاث مرات، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه و سلم بأى صيغة كانت، و الإبراهيمية أفضل، ثم يسأل الله الجنة و يستعيذ به من النار، و معنى لبيك: أنا مقيم على طاعتك إقامة بعد إقامة و إجابة بعد إجابة، و سن وقفه لطيفة على الثالثة و على لبيك بعد لا شريك لك، و وقفه على الملك و قبل لا شريك لك.

و سن أن يدعو بعد ذلك بما أحب، كأن يقول: (اللهم إنى أسألك رضاك و الجنة و أعوذ بك من سخطك و النار)، و أن يقول: (اللهم اجعلنى من الذين استجابوا لك و لرسولك و آمنوا بك، و وثقوا بوعدك و وفوا بعهديك و اتبعوا أمرك، اللهم اجعلنى من وفدك الذين رضيت و ارتضيت، اللهم يسر لى أداء ما نويت و تقبل منى يا كريم). و ليحذر الملبى فى حال تلبيته مما يفعله بعض الجهلة من الضحك و اللعب، و ليكن مقبلا على ما هو بصدده، فإن أقبل على الله تعالى بقلبه أقبل الله عليه، و إن أعرض أعرض الله عنه، فالله تعالى غنى عن العالمين.



و من لطائف قول أبي نواس رحمه الله تعالى في التلبية ما يأتي:

إلهنا ما أعدلكم مليك كل من ملك

لييك قد لبيت لك لبيك إن الحمد لك

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٩٤ و الملك لا شريك لك ما خاب عبد سألك

أنت له حيث سلك لولاك يا رب هلكت

لييك إن الحمد لك و الملك لا شريك لك

و الليل لما أن حلكت و السابحات في الفلك

على مجارى المنسلك كل نبي أو ملك

و كل من أهل لك سبح أو لبي فلك

يا مخطئا ما أغفلتك عجل و بادر أجلك

و اختم بخير عملك لبيك إن الحمد لك

و الملك لا شريك لك و الحمد و النعمة لك

هذه القصيدة لو قرأها جماعة من الحجاج بصوت واحد و نغم جميل كان لها تأثير في نفوس السامعين خصوصا حين الدفع عن عرفات إلى مزدلفة.

و أما التكبير فإنه يسن للحاج أن يكبر عقب الصلوات من ظهر يوم النحر إلى صبح آخر أيام التشريق، و صيغته المسنونة هي:  
الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله و الله أكبر، الله أكبر الله أكبر و لله الحمد، الله أكبر كبيرا، و الحمد لله كثيرا، و سبحان الله بكرة و أصيلا، لا إله إلا الله، و لا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين و لو كره الكافرون، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، و الله أكبر. انتهى من كتاب إرشاد الزمرة.

### [الميقات الزماني و المكاني]

للحج ميقتان: زماني و مكاني، فالميقات الزماني هو شوال و ذو القعدة و عشر ليال من ذي الحجة، أي من أول ليلة عيد الفطر إلى ما قبل فجر يوم النحر بما يسع الوقوف بعرفة فمن أحرم قبل فجره بلحظة و هو بعرفة فقد أدرك الحج، ثم يأتي ببقية أعماله.

و الميقات المكاني الذي يجب عنده الإحرام الداخلك حرم مكة معروف في جميع الأطراف، و هو خمسة مواضع، نظمها بعضهم بقوله:  
قرن يللم ذات عرق كلها في البعد مرحلتان من أم القرى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٩٥ و لذي الحليفة بالمراحل عشرة و بها لجحفة ستة فاخبر ترى

فميقات المتوجه من المدينة ذو الحليفة، بضم الحاء و فتح اللام، و هو المعروف بآبار على و هي أبعد المواقيت من مكة، و أقربها إلى المدينة و قد ترى منها.

و ميقات المتوجه من الشام و مصر و المغرب و السودان من جهة البحر، الجحفة بضم الجيم و سكون الحاء و لما كان السيل أزالها أبدلت برباغ.

و ميقات المتوجه من تهامة اليمن يللم.

و ميقات المتوجه من نجد الحجاز و نجد اليمن و من الطائف قرن، بفتح القاف و سكون الراء، و يقال لها قرن المنازل، و هي على مرحلتين من مكة لنجد، و هي تعادل السيل الكبير يحرم منه أهل نجد الآن، و قد توهم بعضهم أن قرن المنازل هو قرن الثعالب، و ليس ذلك بصحيح، بل هما موضعان، فقرن الثعالب قريب من عرفات، و ليس من المواقيت، و قرن المنازل هو الموازي للسيل الكبير،

و هو الميقات المعروف.

و ميقات المتوجه من المشرق، أى الإقليم الذى تشرق الشمس من جهته، و هو شامل للعراق و غيره ذات عرق، بكسر العين و سكون الراء، قرية خربة على مرحلتين من مكة أيضا.

و الميقات المكانى للعمرة هو ميقات الحج، و الميقات الزمانى لها جميع السنه.

و الأفضل أن يحرم الشخص من أول الميقات، و يجوز من آخره فلو أحرم حلال بالحج فى غير وقته كأن أحرم به فى رمضان انعقد عمره مجزئه عن عمره الإسلام على الصحيح، سواء كان عالما أو جاهلا لأن الإحرام شديد التعلق و اللزوم، أما لو كان محرما بعمره ثم أحرم بحج فى غير أشهره، فإن إحرامه لم ينعقد حجا لكونه فى غير أشهره، و لا عمره لأن العمره لا تدخل على العمره.

و من كان مقيما بمكة مكيا كان أو غربيا، فميقاته للحج و لو بقران: نفس مكة، لا سائر الحرم، فإن فارق بينها و أحرم بالحج أساء و لزمه الدم لأن ميقاته هو البلد و قد تركه، فإن عاد إليها قبل الوقوف سقط الدم، و قيل ميقاته للحج كل الحرم لأن مكة و سائر الحرم فى الحرمه سواء و الصحيح هو الأول، و ميقاته للعمرة أدنى الحل، فمن أحرم بالعمره من مكة و تم أفعالها و لم يخرج إلى الحل أجزاء و لزمه الدم، و متى خرج إلى الحل قبل أن يطوف سقط عنه الدم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٩٦

و ميقات العمره لمن هو خارج الحرم ميقات الحج، و من بالحرم يلزمه الخروج إلى أدنى الحل و لو بخطوة، فإن لم يخرج و أتى بأفعال العمره أجزاءه فى الأظهر و عليه دم، فلو خرج إلى الحل بعد إحرامه سقط عنه الدم، و قيل لا يجزئه لأن العمره أحد النسكين، فيشترط فيها الجمع بين الحل و الحرم كالحج فإنه لا بد فيه من الحل و هو عرفه.

و أفضل جهات الحل لإتيان العمره: الجعرانه و هى على طريق الطائف، و ماؤها أعذب المياه، فالتعميم المسمى بمسجد عائشه، و هو أقرب جهات الحل إلى مكة، و غالب الناس بمكة يأتى بالعمره منها، فالحديبيه و تسمى الآن "بالشميسى" على طريق جدّه و هى إلى مكة أقرب، و سميت حديبيه لشجره حذاء كانت هناك، و عندها حصلت بيعه الرضوان، و من سلك طريقا فى بر أو بحر لا ينتهى إلى ميقات، فإن حاذى ميقاتا أحرم من محاذاته، أو ميقاتين فالأصح أن يحرم من محاذاه أبعدهما من مكة، و إن لم يحاذ شيئا من المواقيت أحرم على مرحلتين من مكة.

و من مسكنه بين مكة و الميقات فميقاته مسكنه، و من بلغ ميقاتا غير مريد نسكا ثم أراد فميقاته موضعه و إن بلغه مريدا للنسك، و إن أراد إقامة طويله ببلد قبل مكة لم تجز مجاوزته إلى جهه الحرم بغير إحرام، فإن أحرم و لم يعد إليه لزمه الدم و لو كان معذورا. انتهى من كتاب إرشاد الزمره.

## خطب الحج

اعلم أنه يستحب للإمام أو نائبه أن يخطب فى كل خطبه من خطب الحج يخبر الناس بما بين أيديهم من المناسك و يعلمهم الأحكام إلى الخطبه الأخرى، و يسن فى الحج أربع خطب:

الأولى: يوم السابع من ذى الحجه بمكة، و يسمى يوم الزينه لتزيينهم فيه هوادجهم، و الثانية: يوم عرفه، و الثالثة: يوم النحر بمنى، و الرابعة: يوم النفر الأول بمنى أيضا، و كل هذه الخطب الأربع إفراد، و بعد صلاة الظهر إلا التى بعرفات فإنها خطبتان و قبل صلاة الظهر و بعد الزوال.

١- فيخطب الإمام أو منصوبه بعد صلاة الظهر فى اليوم السابع بمكة يأمر الناس فيها بأن يتأهبوا إلى الذهاب إلى منى فى الغد، و هو يوم الثامن المسمى يوم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٩٧

التروية لأنهم يتروون فيه الماء: أى يأخذونه معهم. و يعلمهم المناسك التى بين أيديهم إلى الخطبة المشروعة يوم عرفة بنمرة. ٢- و يخطب خطبتين يوم عرفة بمسجد إبراهيم- و هو مسجد نمرة- الخطبة الأولى قبل أذان الظهر، يبين لهم كيفية الوقوف و شرطه و آدابه حتى الدفع من عرفات إلى مزدلفة، و غير ذلك من المناسك التى بين أيديهم إلى الخطبة التى تكون بمنى يوم النحر بعد الزوال، و يحرضهم فيها على الإكثار من الدعاء و التهليل و التلبية و غير ذلك من الأذكار فى الموقف، و يخفف هذه الخطبة لكن لا يبلغ تخفيفها تخفيف الثانية، فإن كان فقيها قال: هل من سائل و إن لم يكن فقيها لم يتعرض للسؤال، فإذا فرغ من هذه الخطبة جلس للاستراحة قدر سورة الإخلاص ثم يقوم للخطبة الثانية و يخففها جدا و يأخذ المؤذن فى الأذان مع شروع الإمام فى هذه الخطبة الثانية بحيث يفرغ منها مع فراغ المؤذن من الأذان، فإذا فرغ من الخطبتين نزل فصلى بالناس الظهر ثم العصر جامعا بينهما، ثم يروح إلى عرفة و يقف.

٣- و يخطب يوم النحر بمنى بعد صلاة الظهر، و يعلم الناس الرمي و الإفاضة و غيرهما من المناسك، و يستحب لكل أحد من الحجاج حضور هذه الخطبة، و يستحب لهم و للإمام الاغتسال لها و التطيب إن كان قد تحلل التحللين أو الأول منهما. ٤- و يخطب بعد صلاة الظهر يوم النفر الأول بمنى أيضا، و هو اليوم الأوسط من أيام التشريق، و يودع الحجاج و يعلمهم جواز النفر و ما بعده و من طواف الوداع و غيره و يحثهم على طاعة الله تعالى، و على أن يختموا حجهم بالاستقامة و الثبات على التقوى، و أن يكونوا بعد الحج خيرا منهم قبله، و تسمى هذه الخطبة خطبة الوداع- بفتح الواو-.

### دعاء عرفة

لقد كنا ألفتنا رسالة صغيرة فى دعاء يوم عرفة و طبعت فى سنة (١٣٧١ هـ) و الآن أحببنا نقلها هنا تكملة للفائدة العامة و لنذكر أولا خطبة هذه الرسالة و بعدها نذكر الدعاء إن شاء الله تعالى و هى هذه:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين، أما بعد: فلما كان يوم عرفة أفضل الأيام و دعاؤه أفضل الدعاء، أحببت أن أجمع فى هذه الرسالة من الأدعية الواردة و غيرها ما ينشرح له صدر كل مسلم حينما يدعو ربه عز و جل فى يوم عرفة ذلك اليوم العظيم، و وقت الدعاء فى يومها يكون من بعد الزوال و بعد صلاة الفريضة، و إذا انشرح صدر الحاج للدعاء فليدع ربه الكريم بما أراد بأى لسان كان فإن ذلك من علامات القبول، و ليحزم بالإجابة فإن الله أعظم و أجل من أن يرد حاجة عبده المؤمن فى ذلك اليوم المشهود، و هو الذى يتجلى فيه على عباده بأنواع البر و الإحسان، و اللطف و الرحمة، و كيف لا- يكون كذلك و هو أرحم الراحمين و الغنى عن العالمين، لا تنفعه طاعتنا و لا تضره معصيتنا، و لقد أعطى و أنفق منذ خلق السموات و الأرض و ما نقص من ملكه مثقال ذرة:

نسأل الله الكريم الحليم رب العرش العظيم العفو و العافية و الصحة التامة و البر و الإحسان و اللطف و الغفران و القبول و التوفيق و الراحة عند الموت و العفو عند الحساب آمين. و صلى الله على النبي الأمي و على آله و صحبه أجمعين.

رجب ١٣٧١ مؤلفها و كاتبها محمد طاهر الكردى الخطاط كاتب مصحف مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم. شهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و أولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم و أنا على ذلك من الشاهدين يا رب. لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد و هو على كل شىء قدير اللهم اجعل فى بصرى نورا و فى سمعى نورا و فى قلبى نورا. اللهم اشرح لى صدرى و يسر لى أمرى اللهم إنى أعوذ بك من وسواس الصدر و شتاب الأمر و شر فتنة القبر و شر ما يلج فى الليل و شر ما يلج فى النهار و شر ما تهب به الرياح و شر بوائق الدهر.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٩٩

اللهم لك الحمد كالذي نقول وخيرا مما نقول اللهم لك صلاتي و نسكى و محياى و مماتى و إليك مآبى و لك رب تراثى اللهم  
إنى أعوذ بك من عذاب القبر و وسوسة الصدر و شتات الأمر اللهم انى أعوذ بك من شر ما تهب به الريح.

اللهم لك الحمد حمدا يوافق نعمك و يكافئ مزيدك و كرمك. أحمذك بجميع محامدك ما علمت منها و ما لم أعلم. و  
أستغفرك من ذنوبى كلها ما علمت منها و ما لم أعلم. الحمد لله على ما أولانا. الحمد لله على ما أعطانا. الحمد لله الذى هدانا لهذا و  
ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله. الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا كما يحب ربنا و يرضى. اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا و لا  
يغفر الذنوب إلا- أنت. يا من لا- تنفعه الطاعة و لا- تضره المعصية هب لى ما لا ينفعك و اغفر ما لا يرضك يا واسع المغفرة. اللهم  
أذقنى برد عفوك و حلاوة مغفرتك و لذة طاعتك و تقبل منى صالح الأعمال. و اعصمنى عن الخطأ و الزلل فيما بقى من عمرى. و  
افتح لى أبواب رحمتك و زودنى التقوى و التوفيق. و اجعلنى أتقلب فى رضائك و نعمك ما حييت. و ألبسنى ثوب الصحة و العافية  
ما بقيت يا أرحم الراحمين و يا خير مسؤول. ربنا آتانا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار. اللهم إنى ظلمت نفسى  
ظلما كثيرا و إنه لا- يغفر الذنوب إلا- أنت فاعفر لى مغفرة من عندك و ارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم اغفر لى مغفرة من  
عندك تصلح بها شأنى فى الدارين. و ارحمنى رحمة منك أسعد بها فى الدارين. و تب على توبته نصوحا لا أنكثها أبدا. و ألزمنى  
سبيل الاستقامة لا- أزيغ عنها أبدا. اللهم انقلنى من ذل المعصية إلى عز الطاعة. و أغنى بحلالك عن حرامك و بطاعتك عن  
معصيتك و بفضلك عن سواك. و نور قلبى و قبرى. و أعزنى من الشر كله و اجمع لى الخير كله. اللهم استودعتك دينى و أمانتى  
و قلبى و بدنى و خواتيم عملى و جميع ما أنعمت به على. فأنت خير حافظا و أنت أرحم الراحمين اللهم إنى أسألك إيمانا كاملا.  
و يقينا صادقا. و قلبا خاشعا. و لسانا ذاكرا. و رزقا حلالا و اسعيا. و توبة قبل الموت و راحة عند الموت. و مغفرة و رحمة و عفوا عند  
الحساب. اللهم إنى أعوذ بك من الشك و الشرك و الشقاق و النفاق و سوء الأخلاق. و سوء المنظر و المنقلب فى المال و الأهل و  
الولد. اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك و تحول عافيتك و فجاءة نعمتك و جميع سخطك. اللهم أصلح لى دينى الذى هو  
عصمة أمرى.

و أصلح لى دنياى التى فيها معاشى. و أصلح لى آخرتى التى فيها معادى. و اجعل الحياة زيادة لى فى كل خير. و اجعل الموت راحة  
لى من كل شر. اللهم اغفر لى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٠٠

خطئى و عمدى و هزلى و جدى و كل ذلك عندى. اللهم اغفر لى ما قدمت و ما أخرت و ما أسررت و ما أعلنت أنت المقدم و أنت  
المؤخر و أنت على كل شىء قدير. اللهم إنى أسألك رضاك و الجنة و أعوذ بك من سخطك و النار. اللهم إنى أعوذ بك من فتنه  
القبر و من فتنه المحيا و الممات. اللهم إنى أعوذ بك من الهم و الحزن و أعوذ بك من العجز و الكسل و أعوذ بك من الجبن و  
البخل و أعوذ بك من غلبة الدين و قهر الرجال. اللهم إنى أعوذ بك من علم لا- ينفع و عمل لا يرفع و دعاء لا يسمع. اللهم فاطر  
السموات و الأرض ضجت لك الأصوات بصنوف اللغات يمجدونك و يسألونك الحاجات. و حاجتى إليك أن تحبب لى و أن  
تلحقنى بالصالحين ممن ذاقوا حلاوة طاعتك و فازوا برضائك و دخلوا فى رحمتك و غنموا فضلك و إحسانك و نالوا كرمك و  
عفوك. يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث فأصلح لى شأنى كله و لا تكلنى إلى نفسى طرفه عين. لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا  
الله رب العرش العظيم لا- إله إلا- الله رب السموات و رب الأرض و رب العرش الكريم. اللهم حبب إلينا الإيمان و زينه فى قلوبنا و  
كره إلينا الكفر و الفسوق و العصيان و اجعلنا من الراشدين. اللهم اقم لنا من خشيتك ما يحول بيننا و بين معاصيك. و من طاعتك  
ما تبلغنا به جنتك. و من اليقين ما يهون علينا مصائب الدنيا. و متعنا بأسماعنا و أبصارنا و قوتنا ما أحبتنا و اجعله الوارث منا و اجعل  
ثأرنا على من ظلمنا. و انصرنا على من عادانا. و لا تجعل مصيبتنا فى ديننا. و لا تجعل الدنيا أكبر همنا و لا مبلغ علمنا. و لا تسلط علينا  
من لا يرحمنا.

اللهم استرنا في الدنيا والآخرة بسترِكَ الذى لا ينكشف. واجعلنا من التوابين المتطهرين الذين تحبهم وترضى عنهم. واختم لنا بخاتمة أهل الخير والسعادة. وهون علينا سكرات الموت حتى لا نجد له تعباً ولا نصيباً. واجعل موتنا على طهارة ونظافة وشهادة وهيئة حسنة يا أرحم الراحمين. اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعيًا مشكوراً وذنبا مغفوراً وعملاً صالحاً مقبولاً وتجارة لن تبور. اللهم لا تجعل هذا آخر عهدى من هذا الموقف العظيم ومن هذا المشهد المبارك واجعلنى فيه من الفائزين المقبولين. اللهم يا مجيب الدعوات يا قاضى الحاجات يا خالق الأرض والسموات. أنت الله الذى لا إله إلا أنت الواحد الأحد الفرد الصمد. الوهاب الذى لا يبخل والحليم الذى لا يعجل. لا راد لأمرِكَ ولا معقب لحكمِكَ.

أسألك أن تشرح صدرى وتنور قلبى وتيسر أمرى. وأسألك رضاك والجنة والهدى والرشاد وحسن الخاتمة. اللهم لا تدع لنا فى مقامنا هذا ذنبا إلا غفرته ولا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٠١

هما إلا فرجته ولا كرباً إلا كشفته. ولا ديناً إلا قضيته ولا عدواً إلا كفيته. ولا فساداً إلا أصلحته. ولا مريضاً إلا شفيته ولا شاكياً إلا عافيته. ولا حاجةً من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها بفضلِكَ ورحمتِكَ يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وفقهم للتمسك بالدين. وارفح عنهم التنازع والشقاق والنفاق. واهدهم إلى الصراط المستقيم ومحاسن الأخلاق. وأكثر فيهم من العلماء العاملين. والأتقياء المخلصين والأبرار المقربين. وأهلك اللهم الكفرة والمشركين واجعل بأسهم بينهم إلى يوم الدين. وفرق كلمتهم وشتت شملهم ودمر ديارهم يا رب العالمين.

اللهم وفق ملوك المسلمين ووزراءهم وأمرأهم وولاتهم إلى الخير وإلى ما يعود نفعه للرعية. اللهم وفقهم لمعرفة شريعتك ونصرة دينك القويم واقذف فى قلوبهم الخوف منك حتى يتعدوا عن الظلم والاستبداد. ونور بصائرهم حتى يروا طريق الرشاد فيشتغلوا بما ينفعهم وينفع العباد والبلاد. وألن قلوبهم للضعفاء والفقراء.

وجهمهم إلى المصالح العامة والخاصة. واجعل المحبة متبادلة بينهم وبين شعوبهم وراعيهم. وتوجههم بتاج العز والكرامة. وانصرهم نصراً ميبناً على أعداء الدين يا رب العالمين.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا فى الدين ولإخواننا فى الله. ولجامع هذه الأديعة وطابعها وناشرها. وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات. الأحياء منهم والأموات فى مشارق الأرض ومغاربها آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد أبى القاسم الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

بحمد الله تعالى وتوفيقه وفضله قد تم دعاء يوم عرفة وتليه جملة من الفوائد فى مناسك الشافعى جامعها وكاتبها محمد طاهر

الكردى الخطاط سنة ١٣٧١

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٠٢

## أنواع النسك

النسك والمناسك جمع منسك، بفتح السين وكسرهما، وبالفتح مصدر وبالکسر اسم لموضع العبادة، مأخوذ من النسك، وهى الذبيحة المتقرب بها، ثم اتسع فيه فصار اسماً للعبادة والطاعة، ومنه قيل للعباد: ناسك، وقد غلب إطلاقها على أفعال الحج لكثرة أنواعها، ولما تتضمنه كثرة الذبائح المتقرب بها. انتهى من كشف القناع.

واعلم أن الحج والعمرة يؤديان على ثلاثة أوجه:

الأول: الأفراد، وهو: أن يحرم بالحج، وبعد الفراغ من أعماله يخرج من مكة إلى أدنى الحل فيحرم بالعمرة ويأتى بأعمالها.

و الثاني: التمتع، و هو: أن يحرم بالعمرة و يأتي بأعمالها ثم يحرم بالحج و يأتي بأعماله، سواء كانت العمرة في أشهر الحج أو قبله على المعتمد، لكن الذي يوجب الدم على المتمتع، هو أن يحرم بالعمرة من ليس من حاضري المسجد الحرام في أشهر الحج من الميقات، و بعد الفراغ من أعمالها يحرم بالحج من مكة من عامه و إن كان أجيرا فيهما لشخصين، فمن لم يحج من عامه الذي اعتمر فيه لا شيء عليه، و على من حج من عامه لكن عاد إلى ميقات عمرته أو مثل مسافته، و كذا إلى ميقات دون مسافته ميقاته و أحرم بالحج، و كذا لو عاد إلى الميقات محرما به قبل تلبسه بنسك، لأن المقصود قطع تلك المسافة محرما، و لأن المقتضى لإيجاب الدم هو ربح الميقات، و قد زال بعوده إليه. و أما حاضروا المسجد الحرام فلا دم عليهم، و هم المستوطنون محلا دون مرحلتين من الحرم، و لا دم على من أحرم بالعمرة في غير أشهر الحج و إن أتى بأعمالها فيها و حج من عامه كأن أحرم بها في آخر رمضان و أتى ببقية أعمالها في شوال. و دم التمتع يجب بالإحرام بالحج، و إذا أراقه بعد الفراغ من العمرة و قبل الإحرام بالحج جاز، لا قبل الفراغ من العمرة، و لكن الأفضل إراقته يوم النحر للاتباع و خروجا من خلاف من أوجبها فيه. و إذا فرغ المتمتع من أفعال العمرة صار حلالا، و حل له الطيب و اللباس و النساء و كل محرمات الإحرام، سواء كان ساق الهدى أم لا.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٠٣

و الثالث: القران، و هو: أن يحرم بالحج و العمرة معا في أشهر الحج أو يحرم بالعمرة و قبل الشروع في أعمالها يحرم بالحج، فتندرج أعمال العمرة في أعمال الحج، فيجزئ عنهما، طواف واحد و سعى واحد و حلق واحد. و إنما يجب الدم على القارن إن لم يكن من حاضري المسجد الحرام، و إن لم يرجع إلى الميقات الذي أحرم منه بعد دخول مكة و قبل الوقوف بعرفة.

و أفضل هذه الوجوه الثلاثة: الأفراد إن اعتمر من عامه أى مما بقى من ذى الحجته الذى هو شهر حجه، ثم التمتع، ثم القران. و قد يكون القران أفضل من الأفراد، إذا لم يعتمر بعد الحج فى عامه، فإن تأخير العمرة عن سنة الحج مكروه. و لا يجب على المكي إذا قرن إنشاء الإحرام من أدنى الحل، كما لو أفرد العمرة على الأصح، بل يحرم من جوف مكة إدراجا للعمرة تحت الحج فى الميقات كما أدرجت أفعالها فى أفعاله، و مثل المكي الآفاقي إذا كان بمكة و أراد القران. و لو استوطن غريب مكة فهو حاضر بلا خلاف، و إن استوطن مكي العراق أو غيره فليس بحاضر بالاتفاق. انتهى من كتابنا (إرشاد الزمرة لمناسك الحج و العمرة). و انظر صورة الحجاج و هم فى عرفات. انظر: صورة رقم ١١١، الحجاج فى عرفات.

### بعض فوائد فى المناسك على المذهب الشافعى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و صحبه أجمعين. اعلم أن من دخل مكة و كان محرما بالحج أو قارنا و سعى بعد طواف القدوم أجزاءه و وقع ركنا و حسب له من سعى الحج فإذا نزل من عرفات فإنه يطوف طواف الإفاضة و يكره له أن يعيد السعى ثانيا. و يسن الوقوف بعرفة إلى غروب الشمس فلو فارقتها قبل الغروب و لم يعد إليها سن له دم لفوات الجمع بين الليل و النهار فإن عاد و لو ليلا لم يسن له الدم.

و المبيت بمزدلفة واجب فلو تركه لزمه دم و المراد من المبيت بها وجوده فيها لحظة من نصف الليل الثانى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٠٤

و ينبغى للحاج إذا وصل إلى منى من عرفات أن يقطع التلبية بأول حصاة يرميها لجمرة العقبة و يكبر بدل التلبية، فإذا فرغ من الرمي ذبح أضحيته أو هديه أو فديته، فإذا فرغ من النحر حلق رأسه أو قصير و الحلق أفضل، ثم نزل إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة و هذا

الترتيب مستحب فلو خالف فقدم بعضها على بعض جاز.

واعلم أن للحج تحللين فالتحلل الأول يحصل بفعل اثنين من ثلاثة و هي رمى جمرة العقبة و طواف الإفاضة المتبوع بالسعي إن لم يكن سعي بعد طواف القدوم و الحلق أو التقصير، فيحل له حينئذ محرمات الإحرام ما عدا ما يتعلق بالنساء من عقد النكاح و المباشرة بشهوة و الوطء.

انظر: صورة رقم ١١٢، المسجد الحرام

و التحلل الثاني يحصل بفعل الثلاثة المذكورة كلها فيحل له حينئذ جميع محرمات الإحرام حتى ما يتعلق بالنساء و يجب عليه الإتيان بما بقى من الحج و هو الرمي و المبيت بمنى. و أما العمرة فليس لها إلا تحلل واحد و هو يحصل بالفراغ من أعمالها كلها. يدخل وقت ذبح الأضحية و الهدى إذا مضى قدر صلاة العيد و خطبتين معتدلتين بعد الشمس يوم النحر و يبقى إلى غروب الشمس من آخر أيام التشريق و هي الثلاثة المتصلة بعاشر ذى الحجة.

و يدخل وقت ذبح الدم الواجب في الحج بسبب التمتع أو القران أو اللبس أو غير ذلك من حين وجوبها بوجود سببها و لا تختص بيوم النحر و لا غيره لكن الأفضل فيما يجب منها في الحج أن يذبحه يوم النحر بمنى في وقت الأضحية و الحرم كله منحر حيث نحر منه أجزاء في الحج و العمرة لكن السنة في الحج أن ينحر بمنى لأنها موضع تحلله و في العمرة بمكة لأنها موضع تحلله أيضا. و لا يجزئ في الفدية أو الأضحية أو الهدى إلا الجذع من الضأن و هو ما له سنة على الأصح و قيل ستة أشهر و قيل ثمانية أشهر. و الثني من المعز و هو ما له سنتان و قيل سنة. و الثني من البقر و هو ما له سنتان. و الثني من الإبل و هو ما له خمس سنين كاملة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٠٥

و يجزئ ما فوق الثني و الجذع و هو أفضل و يجزئ الذكر و الأنثى و لا يجزئ فيها معيب بعيب يؤثر في نقص اللحم تأثيرا بينا و لا يجزئ ما قطع من أذنه جزء بين و يجزئ الخصى و ذاهب القرن و التي لا أسنان لها إذا لم تكن هزلت. و تجزئ الشاة عن واحد و البدنة عن سبعة و البقرة عن سبعة سواء كانوا أهل بيت واحد أو أجنب و لو كان بعضهم يريد اللحم و بعضهم يريد الأضحية جاز.

و أفضلها أحسنها و أسمنها و أطيبها و أكملها و الأبيض أفضل و الشاة أفضل من المشاركة بسبع بدنة.

يدخل وقت رمى جمرة العقبة بنصف ليلة النحر بعد الوقوف بعرفة و يبقى إلى آخر أيام التشريق الثلاثة.

و يدخل وقت رمى كل يوم من أيام التشريق بزوال شمس و يبقى إلى آخر أيام التشريق الثلاثة و لا يصح الرمي بعد أيام التشريق أصلا بل يلزمه دم بترك ثلاث حصيات فأكثر و يجوز الرمي ليلا على المعتمد.

و من ترك رمى يوم أو يومين من أيام التشريق عمدا أو سهوا أو جهلا تداركه في باقي الأيام منها و كذا يتدارك رمى يوم النحر في باقي الأيام إذا تركه و لا شيء عليه في كل ذلك. و كيفية الرمي عما فات و عن يومه تكون هكذا أن يرمى الجمرة الصغرى ثم الوسطى ثم العقبة ثم يرجع لرمي يومه فيبدأ بالصغرى ثم الوسطى ثم العقبة.

و من عجز عن الرمي بنفسه لنحو مرض و آيس من القدرة على الرمي في أيام التشريق أن يستنيب من يرمى عنه فالنائب يرمى أولا عن نفسه ثم يرمى عن المستنيب.

### اقترح لمؤلف هذا التاريخ

لا يخفى أن القاصدين إلى بيت الله الحرام لأداء منسك الحج و العمرة، هم جموع زاخرة من الحجاج يأتون من جميع الأقطار و الممالك و البلدان في كل عام، على اختلاف طبقاتهم و مذاهبهم لذلك نقترح على أولى الأمر و السلطة أن يأمرؤا بتشكيل لجنة رسمية من كبار علماء المذاهب الأربعة ليضعوا كتابا مبسطا عن أحكام الحج و العمرة يمكن صلاحيته لعامة الناس بدون تعقيد و لا

تشويش، و أن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٠٦

يتوخا فيه اليسر والتسهيل وتقريب المذاهب ما وسعهم الشرع الشريف، رحمة و تخفيفا على عامة الناس و جهالهم. فقد روى الشيخان أحسن الله تعالى إليهما "أنه صلى الله عليه وسلم ما سئل عن شيء يومئذ قدم ولا أخر إلا قال: افعل ولا حرج" و أنه قيل له في الذبح و الحلق و الرمي و التقديم و التأخير فقال: لا حرج، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقصد بذلك التيسير و الرحمة بالناس في أعمال الحج الكثيرة، و هو الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا. كما نقترح ترجمة هذا الكتاب الذي تضعه هذه اللجنة المعتبرة المحترمة، إلى عدة لغات: أى بعدد لغات أجناس الحجاج و طبعه على نفقة الحكومات الإسلامية. كما نقترح أيضا أن توفد كل حكومة مع حجاجها عددا كافيا من العلماء ليرشدوا عوام الحجاج إلى مناسك الحج و ليعلموهم الأحكام بنفس لغاتهم فيكون ذلك أذعى إلى نشر الدين و التعليم بين كافة طبقات الحجاج و أجناسهم. قال الله تعالى في أول سورة إبراهيم: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ.

و يعجبنا في هذا الصدد ما ذكره العلامة شاه ولي الله الدهلوي المتوفى سنة (١١٨٠) هجرية رحمه الله تعالى في كتابه "عقد الجيد في أحكام الاجتهاد و التقليد" ما ملخصه: أن العامى الصرف ليس له مذهب و إنما مذهبه فتوى المفتى، ثم قال: و في عمدة الأحكام من كشف البزدوى: يستحب للمفتى الأخذ بالرخص تيسيرا على العوام، و فيه أيضا في كتاب الكراهية: سؤر الكلب و الخنزير نجس خلافا لمالك و غيره و لو أفتى بقول مالك جاز، قال: و فى القنية: ينبغى للمفتى أن يأخذ باليسر فى حق غيره خصوصا فى حق الضعفاء، لقوله صلى الله عليه و سلم لأبى موسى الأشعري و معاذ حين بعثهما إلى اليمن: يسرا و لا تعسرا. انتهى منه.

نقول: هذا كلام حسن جدا و معقول جدا و هو لا يخرج عن حد الشرع الشريف قيد شعرة، فالعامى ليس له مذهب خاص و هو إذا انتسب لمذهب من المذاهب الأربعة إنما هو انتساب صوري لا حقيقى فهو إذا سمع من أبيه أو أخيه أو عمه أو ذويه أنه شافعى أو حنفى مثلا فهو يقلده و يقول مثله، و لا يدري ما مذهب الشافعى و لا الحنفى و لا المالكى و لا الحنبلى إنما هو يقلد تقليدا أعمى، خصوصا عوام زماننا، فالأفضل للعالم الفاضل و المرشد العاقل إذا سأله أحد من العوام الجهال عن حكم من الأحكام، أن يفتيه بحسب ما يعلم من الحكم الشرعى فى المسألة من غير نظر إلى مذهب السائل، كما عليه أن يفتى بحسب حال السائل

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٠٧

من فقر أو غنى، أى إذا ارتكب السائل شيئا من محظورات الإحرام و أوجب أحد المذاهب عليه الفدية و أوجب مذهب آخر عليه التصدق من طعام فعلى العالم العاقل أن يفتى بحسب حال السائل فإن كان فقيرا يقول له: تصدق بكذا و إن كان غنيا يقول له: اذبح فدية فالدين يسر لا عسر. و ليس من المعقول و لا من المقبول أن نكلف الحاج الفقير بذبح شاء بينما هناك أحد المذاهب الأربعة يجوز له إخراج مد من الطعام مثلا فيكون هذا امتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم حيث قال:

"يسروا و لا تعسروا. و بشروا و لا تنفروا" رواه الشيخان و غيرهما.

فتيسير الأمور و الأخذ بالرخص فى أحكام الحج بالنسبة إلى العوام و الجهال أمر واجب. خصوصا فى زماننا هذا الذى انتشر فيه الجهل و عدم المعرفة فى أمور الدين انتشارا فاضحا حتى لدى أهل المدارس العصرية مما لا يدرس فيه الكتاب و السنة على الوجه المطلوب و الله الهادى إلى سواء السبيل.

### بعض أحكام الحج و العمرة على المذهب الشافعى

قلنا أن الحج خامس أركان الإسلام، فرض فى السنة السادسة من الهجرة كما هو المشهور و قيل: فى الخامسة و قيل: قبل الهجرة، و هو يكفر الصغائر و الكبائر على المعتمد، فرحمة الله واسعة و هو الكريم العظيم قادر على إرضاء أصحاب الحقوق عن خصمائهم يوم



القيامه.

فالحج عند الشافعية فرض عين مرة واحدة في العمر على التراخي و كذلك العمرة، و قد يجبان أكثر من مرة لعارض كندر.  
(و أما عند الحنفية) ففرض عين في العمر مرة واحدة على الفور عند أبي يوسف و على التراخي عند محمد، و العمرة سنة مؤكدة.  
(و أما عند المالكية) فالحج فرض عين في العمر مرة واحدة على الفور، و العمرة سنة مؤكدة على المعتمد. قال في شرح الخرشى: و  
أما العمرة فهي سنة في العمر مرة على المشهور، و هي آكد من الوتر و قيل: فرض كالحج، و به قال الشافعي.  
اه.

(و أما عند الحنابلة) فالحج و العمرة كل واحد منهما فرض عين في العمر مرة واحدة على الفور.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٠٨

و اعلم أنه يندب الإكثار من العمرة و تتأكد في شهر رمضان باتفاق الأئمة الثلاثة، و أما المالكية فقالوا يكره تكرار العمرة في السنة مرتين إلا- لمن كان داخلا- مكة قبل أشهر الحج، و كان ممن يحرم عليه مجاوزة الميقات حلالا فإنه لا يكره له تكرارها، بل يحرم بعمرة حين دخوله و لو كان قد تقدمت له عمرة في هذا العام، فإذا أراد دخول مكة في أشهر الحج دخل بحج لا بعمرة، و أما فعل العمرة مرة ثانية في عام آخر فهو مندوب و لا فرق عندهم بين رمضان و غيره فلا تتأكد فيه.

و اعلم أنه صلى الله عليه و سلم قد حج قبل النبوة و بعدها و قبل الهجرة حججا لا يدرى عددها، و حج بعد الهجرة حجة الوداع لا غير بإجماع المسلمين، و كذلك اعتمر قبلها عمرا لا يدرى عددها و أما بعدها فعمرة في رجب، و ثلاثا بل أربعا في ذى القعدة أى في ثلاث أعوام لأنه في حجة الوداع كان في آخر أمره قارنا، و عمرة في شوال كما صح في أبي داود و عمرة في رمضان كما في البيهقي.

و فرضية الحج و العمرة واردة صريحا في الكتاب و السنة، و أما الكتاب فقد قال الله تعالى: **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** و قال: **وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ** و قال أمرا نبيه إبراهيم عليه السلام: **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا أُوْتُوكَ رِجَالًا وَّ عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ \* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَّ يُذَكِّرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَّ أَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ \* ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَّ لِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَّ لِيُطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ \* ذَلِكَ وَّ مَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ...** إلى آخر الآيات.

و أما السنة فقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من حج فلم يرفث و لم يفسق رجع كيوم ولدته أمه" رواه البخارى و غيره، و روى ابن حبان عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "إن الحاج حين يخرج من بيته لم يخط خطوة إلا- كتب الله له بها حسنة و حط عنه بها خطيئة فإذا وقفوا بعرفات باهى الله بهم ملائكته يقول: انظروا إلى عبادى أتوني شعئا غبرا أشهدكم أنى غفرت ذنوبهم، و إن كانت عدد قطر السماء و رمل عالج و إذا رمى الجمار لم يدر أحد ما له حتى يتوفاه الله تعالى يوم القيامة و إذا حلق شعره فله بكل شعرة سقطت من رأسه نور يوم القيامة، فإذا قضى آخر طوافه بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه." اه.

قال فى المصباح المنير: رمل عالج جبال متواصلة يتصل أعلاها بالدهناء، و الدهناء بقرب اليمامة و أسفلها بنجد و يتسع اتساعا كثيرا قال البكرى: رمل عالج

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٠٩

يحيط بأكثر أرض العرب اه. و قال صلى الله عليه و سلم: "إن الله تعالى يباهى ملائكته عشية عرفه بأهل عرفه يقول: انظروا إلى عبادى أتوني شعئا غبرا" رواه أحمد و الطبرانى.

و قال عليه الصلاة و السلام: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما و الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" رواه الشيخان و قال: "تابعوا بين الحج و العمرة فإنهما ينفيان الفقر و الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد، و الذهب و الفضة. و ليس للحجة المبرورة ثواب إلا

الجنة" رواه أحمد وغيره. وقال:"من حج عن أبيه أو أمه فقد قضى عنه حجته و كان له فضل عشر حجج" رواه الدارقطني. وقال:" إذا لقيت الحاج فسلم عليه و صافحه و مره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته فإنه مغفور له" رواه أحمد. وقال:"اللهم اغفر للحاج و لمن استغفر له الحاج" رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

و يستحب الإكثار من العمرة لا سيما في رمضان، لما أخرجه ابن حبان وغيره:"عمرة في رمضان تعدل حجة معي" و في رواية البخارى:"تقضى حجة أو حجة معي".

و يستحب أن يحج الإنسان عن نفسه بعد حجة الإسلام ثانية و ثالثة فقد ورد:

"من حج حجة فقد أدى فرضه، و من حج ثانية فقد دأين ربه و من حج ثالثة حرم الله جسده على النار."

و في الحديث القدسي:"إن عبدا صححت له جسمه و أوسعت عليه معيشته تمضى عليه خمسة أعوام لا يفد إلى محروم" و هناك أحاديث كثيرة وردت في هذا الشأن اكتفينا بما ذكرناه بغية الاختصار.

و اعلم أن وقفه الجمعة لها مزية على غيرها لأن الأعمال تشرف بشرف الزمان كما تشرف بشرف المكان، و يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع فيكون العمل فيه أفضل فقد ورد:"إذا كان يوم عرفه جمعة غفر الله لجميع أهل الموقف" و ورد أيضا:"أفضل الأيام يوم عرفه و إذا وافق يوم جمعة فهو أفضل من سبعين حجة في غير يوم الجمعة" أخرجه رزين. و قال عليه الصلاة و السلام:"إن في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم و هو قائم يصلى يسأل الله تعالى فيها خيرا إلا أعطاه إياه" رواه مسلم و أحمد و غيرهما.

و قد كانت وقفته صلى الله عليه و سلم في حجة الوداع يوم الجمعة لأن الله تعالى إنما يختار له الأفضل و لهذا اشتهر وصف الحج بالأكبر إذا كانت الوقفة يوم الجمعة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١١٠

و اعلم أن للحج ميقتين، زمانيا و مكانيا. فالميقات الزمانى: هو شوال و ذو القعدة و عشر ليال من ذى الحجة أى يتدئ من أول ليلة عيد الفطر إلى ما قبل فجر يوم عيد النحر بما يسع الوقوف بعرفة فلو أحرم بالحج قبل هذا الوقت أو بعده فلا يصح حجا و لكن ينعقد عمره.

و الميقات المكانى الذى يجب عنده الإحرام حرم مكة و هو معروف فى جميع الأطراف و سيأتى بيانه.

(و الميقات المكانى للعمرة) هو ميقات الحج و الميقات الزمانى لها جميع السنة فيجوز الإحرام بالعمرة فى كل وقت من غير كراهة و فى يوم النحر و أيام التشريق لغير الحاج. و أما الحاج فلا يصح إحرامه لعمرته ما دام محرما بالحج و كذا لا يصح إحرامه بعد التحليلين ما دام مقيما بمنى للرمى فإذا نفر من نفر الثانى أو الأول جاز أن يعتمر فيما بقى من أيام التشريق لكن الأفضل أن لا يعتمر حتى تنقضى أيام التشريق. و من كان مقيما بمكة فميقاته للحج مكة و ميقاته للعمرة أدنى الحل و قد أقت النبى صلى الله عليه و سلم مواقيت الإحرام فى حجة الوداع كما قاله الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، و حجة الوداع كانت فى السنة العاشرة، و من أحرم بالحج و العمرة معا فاعمال العمرة تدرج فى أعمال الحج. و طواف الإفاضة هو ما وقع بعد الوقوف بعرفة و يسمى أيضا طواف الركن، و طواف الزيارة.

و اعلم أن الحج و العمرة يؤديان على ثلاثة أوجه:

الأول: الأفراد و هو: أن يحرم بالحج، و بعد الفراغ من أعماله يخرج من مكة إلى أدنى الحل بالعمرة و يأتى بأعمالها.

و الثانى: التمتع و هو: أن يقدم العمرة على الحج، سواء كانت العمرة فى أشهر الحج أو قبله على المعتمد، و يأتى بأعمالها، ثم يحرم بالحج، و يأتى بأعماله.

الثالث: القران و هو: أن يحرم بالحج و العمرة معا فى أشهر الحج، أو يحرم بالعمرة و قبل الشروع فى أعمالها يحرم بالحج ثم يعمل عمل الحج. و أفضل هذه الأوجه الأفراد ثم التمتع ثم القران.

واعلم أن بعض الحجاج يقع في خطأ عظيم بأن يحرم من الميقات بحج أو عمره متحررا من ثيابه لابسا ثوبى إحرامه، ثم يبدو له قبل وصوله مكة أو بعد وصوله إليها وقبل الشروع فى أعمال حجه أو عمرته أن يتوجه إلى زيارة المدينة المنورة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١١١

فيفك إحرامه ويلبس ثيابه وقد يأتى النساء ويمس الطيب معتقدا أنه حلال، وأنه لا شىء عليه فى ذلك، ثم بعد الزيارة يستأنف إحراما آخر بحج أو عمره معتقدا أن إحرامه الأول صار لاغيا، مع أنه لا يزال باقيا يجب عليه إتمامه وقضاؤه إن أفسده، ولقد أخطأ فى هذا العمل من وجوه:

الأول: إقدامه على رفض ما أحرم به، وإبطاله فى زعمه بدون مسوغ شرعى.

الثانى: ارتكاب ما هو محظور بالإحرام من لبس الثياب، وترك الواجبات وقد يأتى بما يفسد النسك.

الثالث: إقدامه بعد عودته من الزيارة على إحرام آخر.

فيجب على الحجاج أن يتموا ما أحرموا به من حج أو عمره، لقوله تعالى:

وَ أَنْتُمْوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ حَتَّى يَكُونَ حَجُّهُم مَبْرُورًا وَسَعِيَهُمْ مَشْكُورًا، وَقَدْ نَبِهَ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ الشَّيْخُ "مُحَمَّدُ حَسَنِينُ مَخْلُوفٌ" رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ "دَلِيلُ الْحَاجِّ".

واعلم أن فى الحج ثلاثة أطوف: طواف القدوم، و طواف الإفاضة و طواف الوداع، وهذا خلاف طواف التطوع، فطواف القدوم سنة، فلو تركه لم يلزمه شىء و طواف الإفاضة ركن لا- يصح الحج إلا- به ولا- يجبر بدم ولا غيره، و طواف الوداع واجب مستقل على المعتمد، فلو تركه لزمه دم، و محل طواف القدوم عند دخول الحاج مكة، و محل طواف الإفاضة بعد الوقوف بعرفة، و بعد نصف ليلة النحر، و محل طواف الوداع عند إرادة السفر من مكة.

واعلم أن للحج تحللين:

(فالتحلل الأول) يحصل بفعل اثنين من ثلاثة و هى: رمى جمرة العقبة و طواف الإفاضة المتبوع بالمسعى إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم و الحلق أو التقصير، فيحل له حينئذ محرمات الإحرام، ما عدا ما يتعلق بالنساء: من عقد النكاح و المباشرة بشهوة و الوطء. (و التحلل الثانى) يحصل بفعل الثلاثة المذكورة كلها فيحل له حينئذ جميع محرمات الإحرام، حتى ما يتعلق بالنساء و يجب عليه الإتيان بما بقى من أعمال الحج و هى: الرمى و المبيت بمنى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١١٢

و أما العمرة فلها تحلل واحد، و هو فعل أعمالها كلها، وهذا فى غيره عمرة الفوات. و أما هذه فلها تحللان:

الأول: يحصل بالطواف المتبوع بالسعى و إن لم يكن سعى أو بالحلق أو التقصير.

و الثانى: يحصل بفعل ما بقى منهما ولا يفسد الإحرام إلا الوطء فى الفرج.

و من ترك ركنًا من أركان الحج غير الوقوف بعرفة أو ترك ركنًا من أركان العمرة لم يحل من إحرامه حتى يأتى به فيستمر محرما و لو سنين، لأن الطواف و السعى و الحلق لا آخر لوقتها.

و من ترك واجبا من واجبات الحج أو العمرة عمدا أو سهوا أو جهلا لزمه دم. و من ترك سنة من سنتهما لم يلزمه شىء.

و الأيام المعلومات المذكورة فى سورة الحج: هى عشر ذى الحجة على الأصح، و الأيام المعدودات المذكورة فى سورة البقرة هى: أيام التشريق و هى الثلاثة بعد يوم النحر، و يسمى اليوم الثامن من ذى الحجة يوم التروية، و اليوم التاسع منه يوم عرفة، و اليوم العاشر منه يوم النحر، و اليوم الحادى عشر منه يوم القر، و اليوم الثانى عشر منه يوم النفر الأول، و اليوم الثالث عشر منه يوم النفر الثانى.

و من أراد زيادة الاطلاع على أحكام الحج و العمرة فعليه بمراجعة كتابنا "إرشاد الزمرة لمناسك الحج و العمرة على المذهب الشافعى" و هو كتاب مطبوع بمطبعة مصطفى البابى الحلبي و أولاده بالقاهرة، أو عليه أن يطالع كتب الفقه.

## معنى الحج لدى الطوائف المختلفة

الحج في اللغة: القصد، و شرعا: قصد بيت الله الحرام للنسك أى: أعمال الحج من النية و الطواف و السعى و الوقوف بعرفة و الحلق و ترتيب معظم الأركان، و ذلك في وقت مخصوص من كل سنة، هذا هو الحج في الديانة الإسلامية.

و أمكنة الحج معروفة، ففي مكة المشرفة يكون الطواف و السعى، و في عرفات يكون الوقوف، و في مزدلفة يكون المبيت، و في منى يكون المبيت و رمى الجمار، و المسلمون في جميع هذه الأعمال لا يقصدون عبادة الأمكنة و لا الأحجار، و إنما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١١٣

يقومون بأداء هذه الأعمال امتثالاً لأمر الله عز و جل و اقتداء بعمل نبينا "محمد" صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم.

أما معنى الحج لدى بقية الديانات و الشعوب الأخرى فيختلف عما عليه المسلمون اختلافا عظيما. و قد أوضح كل ذلك مؤلف "الرحلة الحجازية" فرأينا نقل كلامه للإحاطة و نحمد الله أن هدانا للإسلام و عمّر قلوبنا بالإيمان الكامل و اليقين التام. قال رحمه الله في كتابه المذكور بصحيفة (١٥٠) من الطبعة الثانية ما نصه:

الحج في اللغة: القصد و رجل محجوج أى مقصود، و في اصطلاح المسلمين:

قصد مكة لأداء المناسك في زمن مخصوص من كل سنة قمرية، و واحده حج، و تطلق على السنة فيقال عمر هذا الصبي سبع حجج أى سبعة سنين.

و هو سنة قديمة جدا في الأمم، و الغرض منه على كل حال أمر ديني محض، و إن كان الاجتماع فيه لا يخلو من فائدة دنيوية، تزيد في رقى الأمة أدبيا و ماديا.

و قد كان المصريون قبل أربعين قرنا يحجون إلى هيكل معبودهم إيزيس، بمدينة سايس (صا) و فتاح في منفيس، و آمون في طيبة.

و اليونان كانوا يحجون قبل المسيح بخمسين قرنا إلى هيكل ديانا في أفسوس.

ثم انتقلوا في بدء القرن الثاني قبل المسيح إلى حج معبد مينا رفا في أثينا، و جوبيتر في أولمبيا. و اليابان يحجون من عهد بعيد إلى هيكل عظيم مشهور في ولاية أسجى و تجب زيارته عندهم على كل فرد منهم في عمره و لو مرة واحدة:

فيتوجهون إليه بلباس أبيض على شكل مخصوص، و سوادهم يقصدونه عراة ليس عليهم إلا ما يستر عورتهم، و يقطعون إليه كل المسافة ركضا. و الصينيون يحجون إلى هيكل المعبود تيان من زمن بعيد جدا. و الهنود لا يزالون يحجون إلى هيكل جاغرنا أو

هيكل الورا في حيدرآباد و هو محفور في الصخر على طول فرسخين، و كذلك يحجون إلى هيكل بوذا بجزيرة منا قرب سيلان. و هم يكثرون من الطواف حول هياكلهم و لهم بحيرات مقدسة يتبركون بمياهها مثل بحيرة مادن قرب بحر قزوين. و اليهود يحجون من

القرن الرابع عشر قبل المسيح إلى المكان الذي به تابوت العهد و كانوا يحجون إليه ثلاث مرات في السنة. و كان ذلك أكبر سبب لعمار أورشليم حتى أحرقتها الامبراطور طيطوس الروماني و أجلى اليهود عنها سنة ٧٠ مسيحية، و ما زالوا بعيدين عن مدينة بيت

المقدس حتى استولت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١١٤

العرب عليها سنة ٦٣٦ م (سنة ١٦ هجرية) فأقرهم عمر رضى الله عنه مع النصارى على ما كان لهم في بيت المقدس. و لما قامت الحروب الصليبية قطعت عليهم طريق حجهم إلى أن استولت دولة بنى عثمان على أورشليم في سنة ١٥١٧ م فأمنت الطرق و مهدت

السبل إلى بيت المقدس، و هم يحجون الآن إلى قطعة من السور القديم لهيكل سليمان في الجهة الغربية من المسجد الأقصى و يسمونها البراق. أما النصارى فإنهم يحجون إلى بيت المقدس من سنة ٣٠٦ للمسيح، أى منذ سارت هيلانة أم الامبراطور قسطنطين إلى

أورشليم و ابنت بها كنيسة القبر المقدس المشهورة باسم كنيسة القيامة و كانوا يخرجون إليه من غرب أوروبا باحتفال عظيم، و كان

رئيس الجهة الديني يزود كلا- منهم بعضا و رداء من الصوف الخشن فيلبسه لوقتته، و كان لهم على طول طريقهم تكايا و أديرة يأوون إليها مدة سفرهم، و إذا وصل الحاج إلى بيت المقدس، يلتحف برداء يحمله معه ليكون له كفنا عند موته. فلما استولى السلجوقيون على بيت المقدس قلّ حجاج الإفرنج إلى أورشليم و حولوا وجوههم إلى كنيسة القديس بطرس و بولس في روما، و في تريف بجرمانيا و يزعمون أن بالأخيرة قميص المسيح الذي كان يلبسه.

و قد بلغ عدد حجاجها سنة ١٨١٤ مليوناً و مائة ألف نفس من الإفرنج و هم يحجون أيضا إلى كنيسة لورد، في جنوب فرنسا بعد أن شاع في أوربا أن السيدة مريم العذراء ظهرت لاثنتين من رعاة هذه المدينة و الزائرون لهذه الكنيسة يشربون من ماء ينبع قريبا منها يسمى باسمها و يعتقدون إلى اليوم بأن فيه شفاء للناس و يرسلون منه إلى جميع أقطار المسكونة للتبرك و الاستشفاء. و لم تكثر حجاج بيت المقدس إلا بعد عمل السكة الحديدية إليها من يافا.

و العرب كانت تحج إلى الكعبة قبل الإسلام بنحو خمسة و عشرين قرناً لأنهم كانوا يعتقدون أنها بيت الله على ما كانوا عليه من اختلاف الآلهة و تعدد الديانات و تغاير المذاهب. و كانوا يقصدونها سنويا للطواف بها من غير أن يدعيها لنفسه فريق منهم دون الآخرين، لأنها كانت عندهم بيتا لله الذي هو إله العالمين.

و رغما من شيوع عبادة الأوثان في سواد قبائل العرب فإنه لم يرد عنهم أنهم عبدوا هيكل الكعبة. انتهى المراد من الرحلة الحجازية، ثم تطرق المؤلف إلى عبادة الأحجار و احترامها أيام الجاهلية أضربنا عن ذكرها هنا لعدم تعلقها بهذا الفصل.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١١٥

## لباس الإحرام في الحج و العمرة

### إشارة

يحرم على كل محرم ذكر بحج أو عمرة لبس ما يحيط بجميع بدنه أو بجزء منه، سواء كان المحيط بخياطة أو بغير خياطة فإن لبس شيئا من ذلك و جب عليه الفدية، فيلبس المحرم إزارا و رداء من أى قماش كان و الأبيض أفضل الألبسة، و الإزار هو: ما يستر نصفه الأسفل، و الرداء هو: ما يوضع على الكتفين فيكون هيئة المحرم كهيئة من هو داخل الحمامات بالفوطه، و يقال لها المنشفة أو البشكير، و لبس الإزار شائع في بلاد اليمن و في بلاد السودان فغالبيهم لا يلبس السروال و متزهرهم عبارة عن قطعة من القماش نحو مترين بدون خياطة يلفونها على نصفهم الأسفل من السرة إلى ما تحت الركبتين، و مثلهم أهل جاوه و بعض الهند فهؤلاء أيضا لا يلبسون السروال و إنما يلبسون إزارا مخيطا يسمونه "الفوطه" و هي مخيطة من الجانب كالكيس لكنها مفتوحة من الرأسين، و هذه لا يصح بها الإحرام كما لا يخفى.

و لنقل هنا باختصار ما ذكره الأستاذ محمد لبيب البتونى رحمه الله تعالى عن اللباس في كتابه "الرحلة الحجازية" منذ قديم الزمن فقد قال ما ملخصه:

كان الناس قديما يصنعون ملابسهم من القطن أو الكتان أو جلود الحيوان بحال بسيطة جدا، و المصريون كانوا يستعملون في أول أمرهم المتر ثم البرنس و هو قطعة من القماش تلقى على الأكتاف، و تربط بحزام و ترسل إلى الركبتين في العامة أو إلى أسفل منها في الخاصة، حتى إذا ترقى الدولة في عمرانها أطلوا من ذلك البرنس إلى الكعبين و لبسوا من تحته قميصا لا أكمام له أخذوه عن الأثيوبيين سكان أثيوبيا و هي مملكة قديمة حبشية، و كانوا في مبدأ أمرهم يلونون ملابسهم بلون واحد "أخضر أو أزرق أو أحمر" ثم انتهوا باستعمال كثير من الألوان في ثيابهم مع ما كانوا يوشون به دواثرها بالأشرطة المنقوشة.

أما الأشوريون فقد كانوا يشتملون بقطعة كبيرة من القماش و يمرون بها من تحت إبطهم الأيمن و يغطون بها الصدر ثم يرسلونها على

الكتف الأيسر حيث يثبت طرفها إما بعقدة أو بمشبك، ثم غيروا هذا الزى بأن لبسوا قميصا صغيرا و من فوقه شىء يشبه العباءة، و الأعجام كانوا يزيدون على ذلك سراويل واسعة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١١٦

و اليونان كانوا يلبسون رداء طويلا واسعا و يمرون به من تحت إبطهم الأيمن بعد أن يلفوا به وسطهم ثم يرسلونه على ظهرهم بعد أن يغطوا به كتفهم الآخر ثم صاروا يشملون به الجسم جميعه، ذلك بأنهم كانوا يأتون بهذا الرداء الطويل و يربطون طرفيه ثم يدخلون ذراعهم الأيمن مع الرأس من فتحة ما بينهما بحيث تكون العقدة على الكتف الأيسر ثم يلف الجسم بياقي هذه الشملة و يسمونها شيون CHION كما تراه إلى اليوم في عرب البادية المصرية خصوصا عرب المغرب، و لا شك في أنهم أخذوا هذا الزى من الرومانيين أو القرطاجيين و لبث فيهم على بداوته إلى الآن، و هذا الشكل منه صور كثيرة على الآثار الرومانية. و توجد في كثير من المتاحف بعض تماثيل بلباسهم القديم.

و كان أبسط تلك الملابس شكلا و نوعا ملابس الأثوريين الذين هم إخوان الكلدانيين الذين خرج منهم سيدنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام لأن كليهما من الجنس السامى، و عليه فلباس الإحرام كان هو بذاته ذلك اللباس البسيط الذى كان يلبسه إبراهيم عليه السلام حين أمر الله تعالى بالحج قائلا: وَ أذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ و ما زالت هذه السنة قائمة في حج بيت الله إلى الآن.

و أما كونه أبيض فلأن لون البياض شعار الطهارة و النظافة و إلا فالغرض من الإحرام لبس غير المخيط مطلقا إشارة إلى أن الإنسان خرج إلى ربه من زخارف الدنيا و ما فيها إلى بساطة الوجود و بداوته، فهذا الزى يستوى فيه الصعلوك و الملوك و يشترك فيه جميع الطوائف و الأجناس، و بهذا الزى تقريبا يخرج الإنسان من الدنيا و يستقر في جوف القبر، ففي هذا الزى عبرة و حكمة لا تخفيان على ذوى الأبالب. انتهى باختصار من "الرحلة الحجازية".

### الحكمة في لباس الإحرام بالحج أو بالعمرة

قلنا الحج هو: قصد بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج أو العمرة، و من أركان الحج و العمرة الإحرام مع نية الدخول فيهما أو في أحدهما، حتى يعرف الحاج أو المعتمر بلباس إحرامه و هيئته و شكله من بين سائر الناس.

فإذا نظر الإنسان إلى هذا الحجيج الأعظم في جبل عرفات يوم الوقوف، يشبه جموعهم بيوم المحشر بعد بعث الناس من قبورهم، و قد اختلط الأمير بالفقير

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١١٧

و الكبير بالصغير و العالم بالجاهل. فالحكمة من لباس الإحرام فى النسك إذا هو تشبيه هذا الحجيج. المجموعين فى يوم الوقوف بعرفات، يبعث الأموات من قبورهم ليوم المحشر للحساب و الجزاء فلباس الإحرام يكون للحجاج بمثابة الأكفان للأموات، فكما أن الأموات إذا كفنوا و وضعوا بجوار بعضهم فى ساحة واحدة، لا يتميز بعضهم عن بعض و لا يعرف الأمير من الفقير، و لا الجاهل من العالم، و لا الصالح من الفاسق، كذلك يكون حكمة الإحرام فى الحج حتى لا يتميز الرئيس من المرؤوس و لا التابع من المتبوع، و لا الأمير من الصغير، و لا السيد من العبد.

فإن الإنسان إذا نظر فى يوم عرفة إلى هذا الحجيج الأعظم، فإنه يرى جميع الناس مجردين من ثيابهم العادية، و كلهم بشكل واحد و هيئة واحدة يرتدون الإزار و الرداء، مكشوفى الرؤوس لا يلبسون فى أرجلهم سوى نعال خفيفة، فلا يلبسون عمامة أو عقالا على رؤوسهم و لا يلبسون ثيابا مخيطة من الجبة و القفطان، و لا من المشالح "العبايات" فوق الثياب، و لا من السراويل و البنطلونات، و إنما الجميع بلباس واحد و هيئة واحدة، و يدعون كلهم بلسان واحد لييك اللهم لييك، لييك لا شريك لك لييك، إن الحمد و

النعمة لك لك و الملك لا شريك لك.

فالحج بلباس الإحرام، و ترك الطيب و النساء و أطايب الطعام، معناه التجرد من الدنيا و شهواتها، و التفرغ التام لعبادة الملك القدوس السلام، من أداء الفروض و السنن، و التلبية و التهليل و التسييح و الاستغفار للعزير الغفار بصدق و إخلاص و الالتجاء إلى الكبير المتعال بالدعاء و التضرع و لزوم باب بيته الحرام، مدة دوام نسك الحج. عسى أن يتقبل الله عز و جل منا هذا التضرع و الدعاء فى المشاعر العظام، لنسعد بذلك فى الدارين بفضل و رحمته، إنه هو الغفور الرحيم.

فالحج إلى بيت الله الحرام، و الوقوف بالمشاعر العظام، بهيته المخصوصة و هى لباس الإحرام، هو شعار جميع المسلمين، ليميزوا بهذا الركن الخامس العظيم عن أعداء الدين، و لتركوا بلباس الإحرام، جميع علامات التمييز الدنيوى و جميع المعاصى و الآثام، و الله عز و جل أكرم من أن يرد عباده الحجاج الكرام، الذين يقصدون بيت الله الحرام و يتوبون إلى التواب الرحيم، عند بيته الكريم بصدق و إخلاص خائبين صفر اليدين.

فالله تبارك و تعالى هو أكرم الأكرمين و أرحم الراحمين لا إله إلا هو العزيز الغفار.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١١٨

و مما لا يخفى لدى أهل الدنيا أن الإنسان إذا أراد المثل بين يدي الملوك، لا بد له أن يرتدى لباس التشرية، و هو ثياب خاصة للمثول بين أيديهم، فلا يدخل على الملوك رجل رث الثياب سقيم الإهاب أشعث أغبر.

أما الوصول إلى بيت الله عز و جل و الوقوف على بابه، فله ثياب خاصة، ثياب بسيطة لا تكليف فيها و لا تزين، ثياب يليق بداخل بلد الله الأمين، و لباس صالح لمن يقف على عتبة باب بيت الله المطهر، و بهيته يخالف عادات الملوك و نظم أبواب الدولة، بحيث تكون هذه الهيئة ميسورة للكبير و الصغير و الجليل و الحقير، لأنه لا يمنع أحد عن باب الواحد الأحد، فإنه أرحم الراحمين عظيم الفضل واسع الإحسان.

فحكمة تجرد الإنسان من الثياب التى ألفتها و ارتدائه لباس الإحرام الأبيض عند دخوله بلد الله أو عند إرادة الحج أو العمرة، هى التجرد من العادات الدنيوية، و التشبه بحال الأموات الذين مضوا إلى لقاء ربهم، و التفكير فى البعث و النشور، فإن ذلك مما يلين القلوب و يشرح الصدور و يقرب العبد من ربه، حتى يعود بعد ذلك إلى العمل الصالح و ما ينفعه فى الدار الآخرة يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ\* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

و ما أحلى لباس الإحرام على الحجاج و هم داخلون به مكة و المسجد الحرام و واقفون به فى منى و مزدلفة و عرفات، يدعون الله تعالى و ينادونه بلفظ "لييك اللهم لييك" و ما أجمل هذا اللباس و هم على عرفات فى صعيد واحد، لا فرق بين الصعلوك و الوزير، و لا بين الغنى و الفقير، و لا بين الكبير و الصغير، و لا بين الأعمى و البصير، و لا بين العربى و الأعجمى، و لا بين الأبيض و الأسود، و لا بين العالم و الجاهل.

اتحد الكل فى الزى و الشكل، كما اتحدوا فى عبادة الحكم العدل، فى هذا البلد الأمين، و فى هذه الصحراء الواسعة، امتثالا لأمر الله و ابتغاء مرضاته، فيتجلى الله تعالى على هذا الجمع الغفير من الأمة المحمدية بالرحمة و المغفرة و الفضل و الإحسان، و هو الغنى عن العالمين.

هذا هو الدين الإسلامى الحنيف، و هو الدين السمع المعقول المقبول اللطيف، كلما توغل الإنسان فى معرفته و العلم بأحكامه، كلما قوى إيمانه و اطمئن قلبه و ازداد حبا فيه و معرفته بربه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١١٩

فحكمة لباس الإحرام لدى المسلمين عند إرادة النسك، ترمى إلى الاتحاد فى القول و العمل، و إلى ترك الفوارق البشرية حتى لا يزدري بعضهم بعضا، و حتى يكونوا عباد الله إخوانا، و تشير إلى تذكر الآخرة ليعمل الإنسان لها يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ\* إِلَّا مَنْ

أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

فانظر رحمك الله إلى هذه الحكمة الجليلة اللطيفة المعقولة المقبولة، ثم انظر إلى ما اخترعه في هذا العصر بعض الإفرنج المنبوذين الوقحين من تجردهم من اللباس بالكليّة، فتعروا تماما كما ولدتهم أمهاتهم على زعم أن لا تكون هناك فوارق بين البشر، مع أنهم قد جعلوا بفعلهم هذا القبيح السمج فوارق كبيرة بينهم وبين كافة البشر، فبذهم الناس و امتنعوا من مخالطتهم، حتى اضطروا إلى أن يتخذوا لهم مدينة خاصة يقيمون فيها ليل نهار حفاة عراء كالحيوانات البهم، فهل هؤلاء يعدون من البشر؟ - كلا والله - فإنهم كالأنعام بل هم أضل، فقد انسلخوا من جميع الأديان كما انسلخوا من جميع العادات البشرية فلا حياء ولا مروءة ولا شهامة، بل لقد حرمهم الله تعالى من متاع الدنيا وزينتها، من الأكل النظيف و الشرب السائغ اللطيف، و من الثياب الفاخرة، و السرور و المقاعد الوثيرة، و الفرش الناعمة و الزينات المتنوعة البهيجة، و من جميع ملذات الدنيا و متاعها، ما حرم الله كل ذلك عليهم، و لكنهم بأنفسهم حرموا أنفسهم، و اختاروا عيشة الهمجية الحيوانية على العيشة الهنيئة البشرية، فهم محرومون من كل متعة في الدنيا و الآخرة. و إليك ما جاء عنهم:

ذكرت "مجلة المصور" بعدد (١٦٦٠) التي صدرت في القاهرة في ٢٦ ذى الحجة سنة ١٣٧٥ الموافق ٣ أغسطس سنة ١٩٥٦ عن طائفة العراء الذين اتخذوا لهم مدينة خاصة، و قد تعروا حتى لا تكون فوارق بين البشر على زعمهم.

ذكرت هذه المجلة تحت عنوان "الجمال بغير احترام" بقلم الأستاذ صالح جودت ما يأتي:

دخلت مرة إحدى مستعمرات العراء و أعترف - رغم أنني من أضعف الرجال أمام الجمال - أنني خرجت يومئذ و قد فطنت إلى حقيقة كبرى، و هي أن أول شروط الجمال هو احترام المرأة الجميلة لجمالها و أدركت أن المرأة الجميلة، حينما تتعري أمام عيون الناس، تفقد كل شروط الجمال، و أولها الاحترام.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٢٠

تذكرت هذه الحكاية حين قرأت أخيرا أن لأنصار مذهب العراء مستعمرة مساحتها خمسة و عشرين فدانا في ضاحية و يلاند، على مقربة من مدينة أونتاريو.

و قد أعلنت جمعية العراء التي تشرف على شؤون هذه المستعمرة أنها ستفتح أبوابها للجماهير لمدة ٢٤ ساعة، و قالت: إن غايتها من هذا العرض العام هي أن تثبت أن جميع الشعوب تستطيع أن تعيش في سلام ... لأن الناس إذا تجردوا من ثيابهم، التي تحمل مظاهر التفرقة و الاختلاف في الثروات و الطبقات و الجنسيات ... أصبحوا جميعا سواسية متشابهين لا يميز أحدهم على الآخر شيء.

ترى ... ألم يجد هؤلاء الأمريكيين سيلا إلى محاولة إزالة الفوارق بين البشر إلا عن طريق جماعة فقدت كل شرائط الجمال و أولها الاحترام. انتهى من المجلة المذكورة.

نسأل الله السلامة و العافية من كل ما ينفر عن الخلق و الخالق، و الحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيرا من خلقه. اللهم ثبت قلوبنا على دينك و اختم حياتنا بخير، و متعنا بسمعنا و أبصارنا، و عقولنا و أفكارنا، و نور قلوبنا و بصائرنا، و اشرح صدورنا و أفئدتنا، بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم.

### الأصنام التي كانت في الكعبة أيام الجاهلية

من عجيب أمر الله تعالى، أن بيته الحرام، كان و لم يزل مقدسا معظما من قديم الزمن، فلم يذكر قط في التاريخ، أن أحدا من أهل الجاهلية كان يعبد الكعبة، كانوا يحترمونها و يطوفون بها، لكن لا يعبدونها قط، و إنما كانوا يضعون فيها و فيما حولها أصنامهم، التي يعبدونها من دون الله، فلما كان يوم فتح مكة، و قد أظهر الله الإسلام و أعلى كلمته، أمر صلى الله عليه و سلم بتطهير الكعبة من الأصنام و رميها و تكسيها.



و إليك ما ذكره صاحب كتاب "تاريخ الخميس" عن كيفية رمي الأصنام و عددها، فقال ما نصّه:

و ذكر ابن هشام أيضا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم دخل البيت يوم الفتح، فرأى فيه صور الملائكة و غيرهم، و رأى إبراهيم مصورا في يده الأزلام يستقسم بها، فقال:

قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام، ما شأن إبراهيم و الأزلام ما كان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٢١

إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست.

و عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما قدم مكة أبا أن يدخل البيت، و فيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، و أخرجوا صورة إبراهيم و إسماعيل في أيديهما الأزلام، فقال: قاتلهم الله لقد علموا أنهما ما استقسما بها قط، ثم دخل البيت، فكبر في نواحي البيت، و لم يصل، و في رواية: صلى فيه.

و في الاكتفاء عن ابن عباس، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها و حول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي صلى الله عليه و سلم يشير بقضيب في يده إلى الأصنام و هو يقول: جاء الحق و زهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا. فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع ذلك الصنم لقفاه، و لا أشار لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم إلا وقع.

و في رواية: يشير إلى الصنم، بقوس في يده، و هو آخذ بسيتها و هو يقول:

جاء الحق و زهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا، و قل جاء الحق و ما يبدئ الباطل و ما يعيد، فيقع الصنم لوجهه، و كان أعظمها هبل، و هو و جاء الكعبة حذاء مقام إبراهيم لاصقا بها، و قال تميم بن أسد الخزاعي:

و في الأصنام معتبر و علم لمن يرجو الثواب أو العقابا

و في «المواهب اللدنية»: و كان حول البيت ثلاثمائة و ستون صنما، فكلما مرّ صلى الله عليه و سلم بصنم أشار إليه ... الخ، رواه البيهقي.

و في رواية أبي نعيم: قد أوثقها الشياطين بالرصاص و النحاس.

و في تفسير العلامة ابن النقيب المقدسي: أن الله تعالى أعلمه أنه قد أنجزه و عده بالنصر على أعدائه، و فتح له مكة، و أعلى كلمته و دينه، و أمر إذا دخل مكة أن يقول: جاء الحق و زهق الباطل، فصار صلى الله عليه و سلم يطعن الأصنام التي حول الكعبة بمحجنه و يقول: جاء الحق و زهق الباطل، فيخر الصنم ساقطا، مع أنها كلها كانت مثبتة بالحديد و الرصاص، و كانت ثلاثمائة و ستين صنما بعدد أيام السنة.

قال ابن عباس: و لما نزلت الآية، يوم الفتح، قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه و سلم: خذ مخضرتك ثم ألقها، فجعل يأتي صنما صنما، و يطعن في عينه أو

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٢٢

بطنه بمخضرتة، و يقول: جاء الحق و زهق الباطل، فينكب الصنم لوجهه، حتى ألقاها جميعا، و بقى صنم خزاعة فوق الكعبة، و كان من قوارير أو صفر، و قال:

يا علي، إرم به. فحملة - عليه السلام - حتى صعد و رمى به و كسره، فجعل أهل مكة يتعجبون. انتهى كلام «المواهب اللدنية».

و في "الرياض النضرة": "روى عن علي أنه قال: حين أتينا الكعبة، قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم: اجلس فجلست إلى جنب الكعبة، فصعد على منكبى، فذهبت لأنفض به، فرأى ضعفا منى تحته، قال لي: اجلس فجلست، فنزل عني، و جلس لي رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال لي: اصعد على منكبى. فصعدت على منكبى، فنهض بي، و إنه يخيل إلى أنى لو شئت لثلث أفق السماء

حتى صعدت البيت.

و في شواهد النبوة: سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم عليا، حين صعِد منكبه: كيف تراك؟ قال علي: أراني كأن الحجب قد ارتفعت، و يخيل إلى أنى لو شئت لنتل أفق السماء. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: طوبى لك تعمل للحق، و طوبى لى أحمل للحق، أو كما قال. انتهى.

قال: فصعدت البيت و كان عليه تمثال صفر أو نحاس و هو أكبر أصنامهم، و تنحى رسول الله، فقال لى: ألق صنمهم الأكبر، و كان موتدا على البيت بأوتاد حديد إلى الأرض، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إيه إيه عالجه، جاء الحق و زهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا، فجعلت أزاوله أو قال أعالجه عن يمينه و عن شماله و من بين يديه و من خلفه، حتى إذا استكمنت منه، قال لى رسول الله: اقدف به، فقدفت به فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت. و زاد الحاكم: فما صعدت حتى الساعة. و يروى أنه كان من قوارير. رواه الطبرانى و قال: خرّجه أحمد، و رواه الزرندى و الصالحانى.

ثم إن عليا أراد أن ينزل، فألقى نفسه من صوب الميزاب، تأدبا و شفقه على النبي صلى الله عليه و سلم، و لما وقع على الأرض تبسم، فسأله النبي صلى الله عليه و سلم عن تبسمه، قال: لأنى ألقيت نفسى من هذا المكان الرفيع و ما أصابنى ألم، قال: كيف يصيبك ألم و قد رفعك محمد و أنزلك جبريل؟ انتهى من "تاريخ الخميس".

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٢٣

## مشروعية الأذان و كيفيته

### إشارة

بمناسبة ما ذكرنا عن مبدأ المساجد و المآذن و المحاريب، يستحسن أن نذكر هنا مشروعية الأذان و مبدئه فنقول و بالله التوفيق:

شرع الأذان فى السنة الأولى من الهجرة و قيل فى الثانية، و الأذان و الإقامة من خصائص هذه الأمة الكريمة المرحومة، و للمؤذن ثواب كثير و أجر كبير، كيف لا و هو يدعو الناس لإقامة الصلوات و يدلهم على الخير، قال صلى الله عليه و سلم: «المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة» رواه مسلم. و قال: «لا يسمع مدى صوت المؤذن جن و لا إنس و لا شىء إلا شهد له يوم القيامة» رواه البخارى. و قال: «إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان و له ضراط حتى لا يسمع التأذين» رواه البخارى و مسلم.

جاء فى كتاب «نور اليقين» للأستاذ محمد الخضرى - رحمه الله تعالى - عن بدء الأذان ما يأتى:

... "و متى حان وقت الصلاة فلا بدّ من عمل يتبّه الغافل، و يذكر الساهى، حتى يكون الاجتماع عاما، فأتمر النبي عليه الصلاة و السلام مع الصحابة فيما يفعل لذلك، فقال بعضهم: نرفع رايه إذا حان وقت الصلاة ليراها الناس. فلم يرضوا بذلك لأنها لا تفيد النائم و لا الغافل، و قال الآخرون: نشعل نارا على مرتفع من الهضاب فلم يقبل أيضا، و أشار آخرون ببوق، و هو ما كانت اليهود تستعمله لصلواتهم. فكرهه رسول الله صلى الله عليه و سلم لأنه لم يكن يحبّ تقليد اليهود فى عمل ما، و أشار بعضهم بالناقوس، و هو ما يستعمله النصارى، فكرهه الرسول أيضا، و أشار بعضهم بالنداء، فيقوم بعض الناس إذا حانت الصلاة و ينادى بها، فقبل هذا الرأى.

و كان أحد المنادين عبد الله بن زيد الأنصارى، فبينما هو بين النائم و اليقظان، إذ عرض له شخص و قال: ألا أعلمك كلمات تقولها عند النداء بالصلاة؟ قال:

بلى، فقال له: قل الله أكبر الله أكبر مرتين، و تشهد مرتين، ثم قل حى على الصلاة مرتين، حى على الفلاح مرتين، ثم كبر ربك مرتين، ثم قل لا إله إلا الله. فلما استيقظ توجه إلى النبي صلى الله عليه و سلم و أخبر خبر رؤياه، فقال: إنها لرؤيا حق، ثم قال له: لقن ذلك بلالا، فإنه أندى صوتا منك. و بينما بلال يؤذن، إذ جاء عمر يجزّ رداءه، فقال: و الله لقد رأيت مثله يا رسول الله، و كان بلال

أحد مؤذنيه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٢٤

بالمدينة و الآخر عبد الله بن أم مكتوم، و كان بلال يقول في أذان الصبح، بعد حى على الفلاح، الصلاة خير من النوم مرتين، و أقره الرسول على ذلك.

انتهى المراد من «نور اليقين».

و فى "تاريخ الخميس": "و فى هذه السنه- أى فى السنه الأولى من الهجره- شرع الأذان، قال ابن المنذر: إن النبى صلى الله عليه و سلم كان يصلى بغير أذان، منذ فرضت الصلاة بمكة إلى أن هاجر إلى المدينة، و كان الناس بها كما فى السير و غيرها إنما يجتمعون إلى الصلاة لتحتين مواقيتها من غير دعوه. انتهى.

### أذان بلال فوق الكعبة يوم فتح مكة

قال الإمام الأزرقى فى تاريخه: حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، قال:

حدثنا عبد الجبار بن الورد المكى، عن ابن أبى مليكه، قال: لما كان يوم الفتح رقى بلال فأذن على ظهر الكعبة، فقال بعض الناس يا عباد الله ألهذا العبد الأسود أن يؤذن على ظهر الكعبة، فقال بعضهم: إن يسخط الله عليه هذا الأمر يغيره فأنزل الله عز و جل: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى الْآيَةَ. و أخبرنى جدى، عن محمد بن إدريس الشافعى، عن الواقدى عن أشياخه، قالوا: جاءت الظهر يوم الفتح، فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بلالا- أن يؤذن بالظهر فوق ظهر الكعبة، و قريش فوق رؤوس الجبال، و قد فرّ وجوههم، و تغيّبوا خوفاً أن يقتلوا، فمنهم من يطلب الأمان و منهم من قد أومن، فلما أذن بلال رفع صوته كأشد ما يكون، قال: فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله، تقول جويرية بنت أبى جهل قد لعمرى رفع لك ذكرك، أما الصلاة فسنصلى، و والله ما نحب من قتل الأحبة أبداً، و لقد جاء إلى أبى الذى كان جاء إلى محمد من النبوة فردها و لم يرد خلاف قومه.

و قال خالد بن أسيد: الحمد لله الذى أكرم أبى فلم يسمع بهذا اليوم. و كان أسيد مات قبل الفتح بيوم، و قال الحارث بن هشام: و اثكلاه، ليتنى مت قبل أن أسمع بلالا ينهق فوق الكعبة. و قال الحكم بن أبى العاص: هذا والله الحدث الجليل أن يصيح عبد بنى جمح ينهق على بنى أبى طلحة. و قال سهيل بن عمرو: إن كان هذا سخطا لله فسيغيره الله. و قال أبو سفيان بن حرب: أما أنا فلا أقول شيئاً، لو قلت شيئاً لأخبرته هذه الحصاة. فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبره خبرهم، فأقبل حتى وقف عليهم، فقال: أما أنت يا فلان فقلت كذا، و أما أنت يا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٢٥

فلان فقلت كذا، و أما أنت يا فلان فقلت كذا، فقال أبو سفيان: أما أنا يا رسول الله فما قلت شيئاً، فضحك رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال أبو الوليد: و كان بلال لا يتام من بنى السباق ابن عبد الدار، أوصى به أبوهم إلى أمية بن خلف الجمحى، و أمية الذى كان يعذبه، و كان اسم أخيه كحيل بن رباح. انتهى من الأزرقى.

### أذان بلال بعد موت النبى صلى الله عليه و سلم

جاء فى «تاريخ الخميس» ما نصه: قال إبراهيم التيمى: لما توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم أذن بلال و رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يقبر، فكان إذا قال، أشهد أن محمداً رسول الله، انتحب الناس فى المسجد، فلما دفن قال له أبو بكر: أذن. قال: إن كنت إنما أعتقتنى لأن أكون معك، فسيبلى ذلك، و إن كنت إنما أعتقتنى لله فخلنى و من أعتقتنى له. قال: ما أعتقتك إلا لله. قال: فإني لا

أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فذلك إليك. قال: فأقام حتى خرجت بعوث الشام، فخرج معهم، حتى انتهى إليها. و عن سعيد بن المسيب، قال: لما كانت خلافة أبي بكر تجهز بلال ليخرج إلى الشام. فقال له أبو بكر: ما كنت أراك يا بلال تدعنا على هذه الحال، فلو أقمت معنا فأعتتنا؟ قال: إن كنت إنما أعتقتني لله عز وجل فدعني أذهب إليه، وإن كنت إنما أعتقتني لنفسك، فاحبسني عندك. فأذن له فخرج إلى الشام فمات بها. وقد اختلف أهل السير أين مات. قال بعضهم: بدمشق، وقال بعضهم: بحلب سنة عشرين، وقيل: سنة ثمان عشرة وهو ابن بضع وستين سنة.

و في «المنتقى»: قال أبو بكر لبلال: أعتقتك، و كنت مؤذنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، و بيدك أرزاق رسله و وفوده، فكن مؤذنا لي، كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم و كن خازنا لي، كما كنت خازنا له. فقال له. يا أبا بكر صدقت، كنت مملوكك فأعتقتني، فإن كنت أعتقتني لتأخذ منفعتي في الدنيا، فخلني أخدمك. و إن كنت أعتقتني لتأخذ الثواب من الرب، فخلني و الرب. فبكى أبو بكر، و قال: أعتقتك لأخذ الثواب من المولى، فلا أعجلها في الدنيا. فخرج بلال إلى الشام، فمكث زمانا فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال له: يا بلال جفوتنا، و خرجت من جوارنا، فاقصد إلى زيارتنا. فانتبه بلال و قصد المدينة، و ذلك بقرب موت فاطمة. فلما انتهى إلى المدينة، تلقاه الناس، فأخبر بموت فاطمة، فصاح، و قال: بضعة النبي. ما أسرع ما لقيت بالنبي صلى الله عليه وسلم. و قالوا له: اصعد فأذن. فقال: لا أفعل بعدما أذنت

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٢٦

لمحمد صلى الله عليه وسلم. فألحوا عليه فصعد، فاجتمع أهل المدينة، رجالهم و نساؤهم و صغارهم و كبارهم، و قالوا: هذا بلال، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يريد أن يؤذن لنسمع إلى أذانه. فلما قال: الله أكبر الله أكبر، صاحوا و بكوا جميعا، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله ضجوا جميعا، فلما قال: أشهد أن محمد رسول الله، لم يبق في المدينة ذو روح إلا بكى و صاح، و خرجت العذارى و الأبقار من خدورهن يبكين، و صار كيوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرغ من أذانه، فقال: أبشركم أنه لا تمس النار عينا بكت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ثم انصرف إلى الشام، و كان يرجع في كل سنة مرة، فينادى بالأذان إلى أن مات. انتهى من «تاريخ الخميس».

فانظر رحمك الله تعالى، إلى حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم، لرسول الله صلى الله عليه وسلم، اللهم صل على سيدنا محمد و على آله و أصحابه و ذريته و سلم تسليما كثيرا، و أعطه الوسيلة و الفضيلة و الدرجة الرفيعة و ابعته مقاما محمودا الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد، و اجزه عنا أفضل ما جازيت نبيا عن قومه و رسولا عن أمته آمين. التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم؛ ج ٢-٤؛ ص ١٢٦

### عدد المؤذنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم

جاء في «تاريخ الخميس» في الجزء الثاني، عن عدد المؤذنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نصه: و أما مؤذنوه، عليه الصلاة و السلام، فأربعة: اثنان بالمدينة: بلال بن رباح و اسم أمه حمامة، و هو مولى أبي بكر الصديق، و هو أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم يؤذن بعده لأحد من الخلفاء، إلا أن عمر، لما قدم من الشام حين فتحها، أذن بلال، فتذكر الناس النبي صلى الله عليه وسلم. قال أسلم، مولى عمر: فلم أر باكيا أكثر من يومئذ. و توفي بلال سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة أو عشرين بداريا، بباب كيسان، و له بضع و ستون سنة. و قيل دفن بحلب و قيل بدمشق.

و عمرو بن أم مكتوم القرشي الأعمى، و في «معالم التنزيل» اسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي، و كذا في «الكشاف» و زاد فيه أم مكتوم أم أبيه، هاجر إلى المدينة قبل النبي صلى الله عليه وسلم، و سيجيء موت بلال و ابن أم مكتوم في الفصل الثاني، في الخاتمة، في خلافة عمر بن الخطاب.

و أذن له عليه السلام بقاء سعد بن عائذ، أو ابن عبد الرحمن المعروف بسعد القرظي و بالقرظي مولى عمار، بقى إلى ولاية الحجاج، و ذلك سنة أربع و سبعين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٢٧

و بمكة أبو محذورة و اسمه أوس الجمحي المكي - أبوه معير - بكسر الميم و سكون العين المهملة و فتح التحتية، مات بمكة سنة تسع و خمسين، و قيل تأخر بعد ذلك.

و كان أبو محذورة منهم، يرجع الأذان، و يثنى الإقامة، و بلالا لا يرجع و يفرد الإقامة، فأخذ الشافعي بإقامة بلال، و أهل مكة أخذوا بأذان أبي محذورة و إقامة بلال، و أخذ أبو حنيفة و أهل العراق بأذان بلال و إقامة أبي محذورة، و أخذ أحمد و أهل المدينة بأذان بلال و إقامته، و خالفهم مالك في موضعين: إعادة التكبير و تشيئة لفظ الإقامة. انتهى كل ذلك من «تاريخ الخميس».

جاء في «تاريخ الخميس»: و في الصفوة عن قاسم بن عبد الرحمن: أول من أذن بلال بن رباح، مولى أبي بكر، و اسم أمه حمامة، أسلم قديما، فعذبه قومه، و جعلوا يقولون له: ربك اللات و العزى. و هو يقول: أحد أحد. فأتى عليه أبو بكر، فاشتره بسبع أواق، و قيل بخمس، و قيل بسلام أسود، فأعتقه فشهد بدرا و أحدا و المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هو أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه و سلم، و كان يؤذن له حضرا و سفرا، و كان خازنه على بيت ماله.

ثم جاء فيه بعد سطر: قال محمد بن إسحاق: كان أمية بن خلف يخرج بلالا إذا حميت الظهيرة في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد و تعبد اللات و العزى.

فيقول بلال، و هو على ذلك: أحد أحد. و مرّ أبو بكر يوما على أمية بن خلف، و هو يعذب بلالا، فقال لأمية: ألا تتقى الله عز و جل في هذا المسكين، حتى متى؟

فقال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى. فقال أبو بكر: أفعل، عندى غلام أسود، أجد منه و أقوى على دينك، أعطيكه به. قال أمية: قد قبلت. قال: هو لك. فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك و أخذ بلالا.

و جاء أيضا في كتاب «الترايب الإدارية» في صحيفة ٧٤، من الجزء الأول، عن عدد المؤذنين لرسول الله صلى الله عليه و سلم ما نصه: في صحيح مسلم، كان لرسول الله صلى الله عليه و سلم مؤذنان، بلال و ابن أم مكتوم. و قال عياض يعني في وقت واحد. و إلا فقد كان له عليه السلام غيرهما، أذن له أبو محذورة في مكة، و رتبه لأذانه، و سعد القرظ، أذن بقاء ثلاث مرات، و لكن هذان لازما الأذان بالمدينة. و قلت: و في مختصر ابن يونس الفقهى: قال ابن حبيب: و قد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٢٨

أذن للنبي صلى الله عليه و سلم أربعة: بلال و أبو محذورة و ابن أم مكتوم و سعد القرظ اه بواسطة أبي الحسن على المدونة. و في «السيرة الحلبية» و أذن بين يديه صلى الله عليه و سلم زياد بن الحارث الصدائي و عبد العزيز بن الأصم أذن بين يديه مرة واحدة. قلت: عدّ عبد العزيز بن الأصم من جملة مؤذنيه فيه ما فيه، و إن وقع لجماعة من المتأخرين، و أصله ما في مسند الحارث بن أبي أسامة، عن ابن عمر: كان للنبي صلى الله عليه و سلم مؤذنان:

أحدهما بلال و الآخر عبد العزيز بن الأصم، و لكن قال في «الإصابة»: هو غريب جدا، و فيه موسى بن عبيد ضعيف، ثم ظهرت لى علتة، و هو أن أبا قرّة موسى بن طارق أخرج مثله، و زاد: و كان بلال يؤذّن بليل يوقظ النائم، و كان ابن أم مكتوم يتوخى الفجر فلا يخطه، فظهر من هذه الرواية أن عبد العزيز اسم ابن أم مكتوم، و المشهور في اسمه عمرو، و قيل عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم، فالأصم جد أبيه، نسب إليه في هذه الرواية. و في «شرح أنموذج اللبيب» للشمس محمد الرضى المصرى المالكي، روى أصحاب السنن: أن مؤذنيه عليه السلام كان عددهم أربعة.

و عددهم في «نور النبراس» كذلك أربعة، ثم قال: و زيد عليهم أيضا اثنان، فصاروا ستة. و الأربعة: بلال و عبد الله ابن أم مكتوم و

سعد القرظ و أبو محذورة أوس، و الاثنان زياد بن الحارث الصدائي فإنه أذن مرة و أقام فى صلاة الصبح، و كان بلال غائبا، فأراد أن يقيم، فقال عليه السلام إن أخا صداء أذن. من أذن فليقم.

و السادس عبد العزيز بن الأصم أذن مرة. اه ما نقله.

قال بعضهم: كان المؤذنون فى زمانه عليه السلام مؤذنين بلال و ابن أم مكتوم. فلما كان زمن عثمان جعلهم أربعة، و زاد الناس بعده، و روى، لما مات عليه السلام ترك بلال الأذان، و لحق بالشام، و لم يؤذن لأحد بعده، عليه السلام، و روى أنه كان يأتى كل عام المدينة لزيارته، عليه الصلاة و السلام، لما أن عاتبه، عليه الصلاة و السلام، فى المنام. و قال له: أنت جفوتنا يا بلال، لم لا تزورنا؟ و لما أن ذهب بلال إلى الشام، أتى بسعد القرظ. كان يؤذن بقاء، ثم صار يؤذن بمسجده، عليه الصلاة و السلام، اه راجع بقيته فيه.

(فائدة) أخرج ابن سعد و ابن أبى شيبه، عن القاسم بن عبد الرحمن: أول من أذن، فى الإسلام، بلال. و أخرجه أبو الشيخ، عن ابن عباس، و زاد: أول من أقام عبد الله بن زيد.

و انظر خير البشر بأذان خير البشر.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٢٩

و فى «خطط المقريزى»: قال الواقدى: كان بلال يقف على باب رسول الله صلى الله عليه و سلم، يعنى بعد الأذان، فيقول: السلام عليك يا رسول الله. و ربما قال السلام عليك، بأبى أنت و أمى، يا رسول الله، حى على الصلاة، حى على الصلاة، السلام عليك يا رسول الله.

قال البلاذرى: و قال غيره: كان يقول: السلام عليك يا رسول الله و رحمته الله و بركاته، حى على الصلاة، حى على الفلاح، الصلاة يا رسول الله. فلما ولى أبو بكر الخلافة، كان سعد القرظ يقف على بابه، فيقول: السلام عليك يا خليفة رسول الله و رحمته الله و بركاته، حى على الصلاة، حى على الفلاح، الصلاة يا خليفة رسول الله.

قلت: ظفرت بمؤذن سابع له عليه السلام، و هو ثوبان، فقد أخرج عبد الرزاق فى مصنفه، عن ثوبان مولى النبى صلى الله عليه و سلم قال: أذنت مرة، فدخلت على النبى صلى الله عليه و سلم فقلت: قد أذنت يا رسول فقال: لا تؤذن حتى تصبح. ثم جئته أيضا فقلت: قد أذنت. فقال: لا تؤذن حتى ترى الفجر، ثم جئته الثالثة، فقلت: قد أذنت. فقال: لا تؤذن حتى تراه هكذا، و جمع بين يديه ثم فرقهما، انظر «كنز العمال» فهذا مؤذن سابع له عليه السلام و قد ظفرت بمؤذن ثامن فى "خطط المقريزى" جاء أن عثمان بن عفان كان يؤذن بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم عند المنبر.

اه منها ص ٤٣ من الجزء الرابع طبع مصر سنة ١٣٢٦.

و لم أر من ذكر عثمان و لا ثوبان المذكور فى المؤذنين، فإن معظم الأئمة اقتصر على أربعة، و منهم من عددهم خمسة، و هو المشهور لدى المتأخرين. و أما عددهم سبعة أو ثمانية، كما ذكرنا، فلم أسبق إليه و الحمد لله. و قد نظم أسماء خمسة دون عبد العزيز بن الأصم البرماوى، فقال كما فى حاشية الرهونى على الزرقانى:

لخير الورى خمس من الغر أذنوا بلال ندى الصوت بدءا يعين  
و عمرو الذى أم لمكتوم أمه و بالقرظ أذكر سعدهم إذ بين  
و أوس أبو محذورة و بمكة زياد الصداء نجل حارث يعلن  
و نظمهم الشيخ التاودى ابن سودة أيضا فقال:

عمرو و بلال و أبو محذورة سعد زياد خمسة مذكورة

قد أذنوا جميعهم للمصطفى نالوا بذلك رتبة و شرفا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٣٠

«تنبيه»: أبو محذورة أمره المصطفى عليه الصلاة والسلام بالأذان بمكة عند منصرفه من حنين، فلم يزل يؤذن فيها، وبقى الأذان بمكة في نسل أبي محذورة و أولاده، قرنا بعد قرن، إلى زمن الشافعي. انظر ترجمته في تهذيب النووي. انتهى كل ذلك من كتاب «الترتيب الإدارية».

### تحسين الصوت بالأذان

كما يسن تحسين الصوت في قراءة القرآن، يسن تحسينه في الأذان، لأن الصوت الحسن يحرك القلوب، و يوقظ النفس عن غفلتها، و يطرد الملل و السآمة عن الفؤاد. و نحن في هذه الأزمان الأخيرة أحوج ما نكون إلى ما يدفعنا إلى العمل، فالصوت الحسن في قراءة القرآن أو النداء بالأذان أو إلقاء الخطب و المواعظ و التدريس، له مفعول كبير جدا في إيقاظ النفوس و تنشيط الهمم، و كما يوجد أنكر الأصوات يوجد أرق الأصوات. و هذا رسول الله صلى الله عليه و سلم، لما أخبره عبد الله بن زيد الأنصاري، أن شخصا علمه بين اليقظة و المنام كلمات الأذان، قال له: لئن ذلك بلالا فإنه أندى صوتا منك كما تقدم بيانه.

روى مسلم عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال له: «يا أبا موسى لو رأيتني و أنا أستمع لقراءة تك البارحة؟ فقال: أما و الله، لو أعلم أنك تستمع قراءتي لحببته لك تحبيرا» و فيه قال عليه الصلاة والسلام: «لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود» و روى الزهري عن أبي سلمة «كان عمر إذا رأى أبا موسى، قال: ذكّرنا ربنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده». و جاء في الصحيحين، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال: ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن. رواه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه.

قال شيخنا العلامة المحدّث الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، رحمه الله تعالى، في شرحه لكتاب «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري و مسلم» عند هذا الحديث ما ملخصه:

(تنبيه) يستحب تحسين الصوت بقراءة القرآن، دون تكلف، و حكي النووي الإجماع عليه لكونه أوقع في القلب، و أشد تأثيرا، و أرق لسامعه، فإن لم يكن القارئ حسن الصوت، فليحسنه ما استطاع، هذا إذا لم يخرج عن التجويد المعتمد عند أهل القراءات، فإن خرج عنه، لم يف تحسين الصوت، بسبب قبح الأداء،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٣١

فحكم القراءة بالتلحين أي التطريب، الكراهة عندنا معشر المالكية، كما أشار له خليل في مختصره، بقوله عاطفا على المكروهات، و قراءة بتلحين أي تطريب صوت لا يخرج عن حد القراءة، فإن خرج عن حدها حرم اتفاقا. قال الأبي: تحسين الصوت به غير قراءته بالألحان، فتحسين الصوت تزيينه بالترتيل و الجهر.

قال القاضي عياض: لم يختلف في أن تحسين الصوت بالقراءة مندوب إليه، و الأحاديث في ذلك محمولة على التحزين و التشويق. و اختلف في الترجيع و قراءته بالألحان، فكرهه مالك و الأ-كثر لأنه خارج عن ما وضع له القرآن من الخشية و الخشوع، و أجازه أبو حنيفة و جمع من السلف، و الأحاديث في ذلك، لأنه لا يزيد النفس رقة و حسن توقع، و قاله الشافعي في التحزين. اه.

قال النووي في «الروضة»: و أما القراءة بالألحان، فقال الشافعي في «المختصر»: لا بأس بها، و في رواية مكروهة، قال جمهور الأصحاب: ليست على قولين، بل المكروه أن يفرط في المد، و في إشباع الحركات، حتى يتولد من الفتحة ألف و من الضمة واو و من الكسرة ياء أو يدغم في غير موضع الإدغام، فإن لم ينته إلى هذا الحد فلا كراهة، فإذا أفرط على الوجه المذكور، فهو حرام يفسق به القارئ، و يآثم به المستمع، لأنه عدل به عن نهجه القويم، كما قاله النووي، و غيره، و قالوا: إنه هو مراد الشافعي.

و نحن نقول: إن كل ما ذكره الأئمة الأجلاء و العلماء الفضلاء، رحمهم الله تعالى، في معنى مثل هذا الحديث المتقدم في حكم قراءة القرآن بالصوت الجميل الحسن، يمكن معرفته و علمه و الإحاطة به بالقارئ و السامع اللذين لهما ذوق حسن و دين و ورع ليحكما

بالعدل والاعتدال، ويميزا بين الصوت الحسن الجميل بطبيعته، وبين التغنى بالقرآن غناء، فهذا له حكم وذاك له حكم، وفي الحديث الصحيح الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس... إلخ».

ومما لا يختلف فيه الاثنان: أن كل إنسان خلقه الله بصفة وهيئة خاصة حتى لا يشبهه زيد بعمر «و جل من لا شبيه له سبحانه وتعالى» فكل إنسان خلقه الله إما جميلا وإما قبيحا، وجعل صوته كذلك إما حسنا جذابا وإما قبيحا منفرا، ثم القبح والجمال يتفاوتان في الدرجات والكيفية، فالصوت الحسن الرنان، بطبيعة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٣٢

الخلقة، يزداد حسنا وجاذبية، كلما ازداد صاحبه من العلم والمعرفة وحفظ أصول التجويد والقراءات، فعليه لا يمكن أن ننكر القراءة بكل صوت حسن جميل، ونقبل الصوت الخالي من التأثير في النفوس.

وكما خص الله عز وجل البشر بالوجه الحسن أو القبيح وبالصوت الحسن أو المنكر خص كل جنس منهم بصوت ونغم مخالف للأجناس الأخر، فمثلا، قراءة القرآن في الإذاعة بالراديو من الجنس المصرى يكون بصوت وترتيب، غير قراءته من الجنس العراقى أو الجنس المغربى أو الجنس التكرونى- السودانى- أو الجنس اليمنى، أو الجنس الشنقيطى أو أى جنس من الأجناس الإسلاميه الذين يتكلمون باللغه العربيه فقط. وهؤلاء كلهم طبعاً تكون قراءتهم غير قراءة الأعجم كالفرس والأفغان والهندستان ونحوهم. فكل جنس من النوعين «العربى والأعجمى» قراءته للقرآن غير قراءة الآخر، وصوته وألحانه غير صوت وألحان الآخر، وأن كل جنس منهم لا بد وأن تكون مخارج حروف القرآن غير مخارج الآخر ولو بشيء قليل، وأن كل جنس من هؤلاء الأجناس إذا قرأ القرآن بصوته الطبيعى، فلا بد من حدوث بعض تغيير عن قواعد علم التجويد المعروفة، لدى علماء الحجاز ومصر وغيرهم، بحكم الاضطراب والخلقة الأصلية. فهل نحكم على كل من حسن صوته بالقراءة أنه خرج عن القواعد، ونحكم على صفة قراءته إما بالحرمة أو الكراهة أو غير ذلك- كلا- والله- وهل لا يختار شريعتنا الغراء إلا الصوت الخالى والخاوى من التأثيرات المرغبه، فى الاستماع، والمجردة من كل جاذبيه، تجذب النفوس وتوقظ القلوب وتشرح الصدور- كلا والله- كما أن شريعتنا السماويه السمحاء لا تفضل القراءة التى اتخذت للهو والتلذذ النفسانى فقط، ولكن خير الأمور الوسط لا إفراط ولا تفريط.

خير الأمور الوسط الوسيطو شرّها الإفراط والتفريط

ونرى أن القراءة المصرية، فى الإذاعة والراديو الآن، فى عصرنا هذا، خير القراءات، وأحسنها صوتاً، وأجملها وقعاً فى النفوس، و أشرحها للصدور وأبسطها للأرواح.

وكل ما يقال عن صفة قراءة القرآن الكريم بالصوت الحسن يقال أيضاً عن الأذان للصلوات الخمس بالصوت الحسن، لما لذلك من التأثير البالغ فى القلوب، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخبره عبد الله بن زيد الأنصارى أن شخصاً علمه بين

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٣٣

اليقظة والمنام كلمات الأذان، قال له لقن ذلك بلالاً فإنه أندى صوتاً منك. كما تقدم بيانه.

قال الإمام النووى فى «كتاب الأذكار»: (فصل): ويستحب ترتيل الأذان ورفع الصوت به، ويستحب إدراج الإقامة ويكون صوتها أخفض من الأذان، ويستحب أن يكون المؤذن حسن الصوت ثقة مأموناً خبيراً بالوقت متبرعاً. انتهى منه.

ومما يناسب هذا المبحث، أن عبد الله ذا الجادين المزنى، رضى الله تعالى عنه، كان رجلاً صيتاً. وكان يقوم فى المسجد فيرفع صوته بالقرآن، فقال عمر: يا رسول الله، ألا تسمع إلى هذا الأعرابى يرفع صوته بالقرآن فيمنع الناس من القراءة؟ فقال: دعه يا عمر، فإنه خرج مهاجراً إلى الله وإلى رسوله.

وخبر إسلام وموت عبد الله ذى الجادين المذكور فى «تاريخ الخميس» وفى غيره، فإنه لما مات، نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرة، وأبو بكر وعمر يدليانه إليه، وهو يقول: أدليا إلى أخاكما، فلما هياها لشقه ووضع فى اللحد قال: اللهم إني قد



أمسيت راضيا عنه فارض عنه. يقول عبد الله بن مسعود: يا ليتني كنت أنا صاحب هذه الحفرة.  
و البجاد على وزن كتاب الكساء الغليظ الجافى. انتهى.

## الأذان الشرعى

هذا العنوان أى- الأذان الشرعى - أخذناه من «مجلة الاثنين» الآتية، وفيها المقالة المذكورة و ليس هنا أذان شرعى و غير شرعى، فالأذان بمعناه و كلماته المعروفة واحد، ليس فارق فيه إلا باختلاف أصوات المؤذنين بالتحسين و غيره، و فى جميع العالم الإسلامى، لا تتغير كلمات الأذان و لا تتبدل مطلقا، فإن حصل فيه تغيير بزيادة أو نقص فى كلماته فلا يسمى أذانا شرعيا.  
و إليك ما ذكرته «مجلة الاثنين»، التى تصدر بمصر، و هذه المقالة كانت بعنوان (الأذان الشرعى)، و مع الأسف، أننا لم نعثر على غلاف المجلة، حتى نكتب تاريخها، و رقم عددها، و ليس ذلك بمهم، و المقصود نفس المقالة المنشورة، و إليك نصها:  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٣٤

قضيت ثلاثة أيام فى قرية، استمتعت فيها، بالفجر الباسم، و لم تكن تعليمات وزارة الأوقاف، عن الأذان الشرعى، قد وصلت إلى مؤذن القرية، و لهذا كان لا- يزال صوته الشادى يتسلل، من نافذة غرفة النوم، و هو يعلن للمؤمنين: (الصلاة خير من النوم) و كانت أذنى تتفتح لهذا الصوت الصّداح، و هو يسرى فى سكون الليل، يحمل معه إلى قلبى الخشوع، و خشية الله.

قارنت هذا الأذان بالأذان الذى أمر به اليوم، فآمنت أن ترتيل الصلوات، فى جميع الأديان، لم يكن عبثا. إن التلاوة تنفذ إلى الأذان، و أما الترتيل، بالصوت الحسن، فينفذ إلى القلب، و شتان بين أن تؤمن بسمعك، و بين أن تؤمن بقلبك ...

و قد ذكرنى هذا برجل انكليزى التقيت به فى إنجلترا فى سنة (١٩٥٠) خمسين و تسعمائة و ألف ميلادية، و قدم نفسه لى، على أنه مسلم، و حملنى إثم الظن على التفكير فى أنه أسلم فرارا من زوجته، و لكنه قطع على الاسترسال فى هذا الإثم، لأنه أعلمنى أنه أسلم هو و زوجته و ولده و بنته ... فقلت فى نفسى: لعل قسم المخبرات أخرجته من دينه ليكون عينا من عيون، على الأمم العربية أو رؤساء المسلمين، و رغبت فى أن أخلص من التظن و الوقوف على حقيقة إسلامه، فقص على قصته فقال: كنت قد رحلت إلى القاهرة لعمل استصحبت معى عائلتى ...

و سحرتنا الأحياء القديمة فاتخذناها مقاما ... و أرقت ذات ليلة فصحوت، و سمعت مؤذنا ينادى للناس للصلاة ... و كان صوته حسنا و رخيما، و كان النغم شجيا و رهيبا ... و كلما مدّ المؤذن فى نداءه للصلاة كلما شعرت برهبة و خشوع ...

و شاركتنى زوجتى سماعه فى الليالى التالية، التى حرصنا أن لا نضيع منها ليلة ...  
و شعرنا أن هذا المؤذن يدفنا ليلة بعد أخرى إلى الدخول فى زمرة المسلمين ... و لم نكن فى حاجة إلى الإقناع، فبمجرد أن تعلمنا نظرية التوحيد فى الإسلام، أسلمنا ... ثم وقفنا بعد ذلك على أسرار هذا الدين ...» و دعانى الرجل إلى بيته فرأيت أهله يقيمون الصلاة كما يقيمها فقهاء المسلمين ...

كانت لهذه القصة عبرة فى نفسى لأنى و أنا حدث لم أطرب لصوت مؤذن القرية، و حدانى تفكيرى الساذج أن أطالب «الملأ» بالمسجد أن يوقف ذلك المؤذن، و أنا أعطيه كل مصروف الشهر- و كان عشرة قروش- ليخلص الناس من صوته الأجدس!

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٣٥

«الملأ»- بضم الميم و تشديد اللام الألف:- العالم المدرس فى لغة غير العرب.

و المقصود هنا إمام و خطيب المسجد.

و ضحك «الملأ» من سذاجتى، و شكانى لوالدى، و كانت (علقه) آمنت بعدها أن صوت هذا المؤذن ليس هو أنكر الأصوات!  
كان الحادثان يتراقصان دائما أمامى، حتى فوجئت يوما بالأذان الجديد ... و تساءل الناس، و تساءلت لماذا لجأنا إلى هذا التجديد؟

فقبل لنا: إن هذا هو الأذان الشرعي، و إنما بقينا طوال القرون الماضية في بدعة، و كل بدعة في النار! و القول بأن الأذان كان يؤدي بهذا الطريق الجديد في صدر الإسلام قول يمكن التأمل فيه دون نكرانه، لأنه لم يكن هناك طريق بعد لكتابة الألحان أو تصوير الأنغام ... و نحن إن رجعنا لكتاب الأغاني وجدناه وضح كيف كانت تغني الأصوات. و قد حاول كل ملحن أن يستنبط طريقة التأديء، مما كتب في الأغاني ففشل، و ذلك لسبب واحد، هو أن تصوير اللحن لا يمكن أن يكون بالألفاظ ... فإذا كان هذا هو الواقع، فالقول، بأن الأذان كان يؤذن منذ ألف و أربعمائة سنة على هذا الوجه، قول يتردد فيه الفكر قبل التسليم به ... و رجعت إلى أنصار هذا التغيير الجديد، فقالوا لي ... يحرم التغني في الأذان لأنه ورد في الحديث أن «الأذان جزم» أي لا مد فيه، و رجعت إلى تفسير هذا الحديث فوجدت فيه أقوالا عدة، أقربها للعقل قولهم «الأذان جزم» أي مقطوع المد، فلا تقول «الله أكبر» بالمد، لأنه استفهام ... ثم قالوا: إن الأذان لا ترجيع فيه، و رجعت إلى تفسير هذا، فقالوا: إن الترجيع هو أن يخفض المؤذن صوته بالشهادتين، ثم يرجع فيرفعه بهما.

و هذا هو الذي يحدث الآن، على عكس ما قال الفقهاء، و قالوا إنه لا يحل فيه (التغني) أي بتغيير كلماته بزيادة حركة أو حرف أو مد. و كل هذا لا يتناول الأذان في طريقته الأولى، فإن الغناء له طريقته و هي ترديد المقاطع مرات عدة، بألحان مختلفة، يصحبها كثير من «الشخلة» إذا أراد المغني إثارة عوامل المرح في السامع ... أو يصحبها كثير من الآهات الحزينة إذا أراد المغني إثارة عوامل الشجن ... و في كثير من الأحوال يلجأ المغني إلى اختيار مقاطع الكلمة الواحدة ليؤديها مرات في وقفات متعددة. و هذا التغني الذي يمتنع قطعاً على المؤذن أن يفعله ... و لكن المؤذن كان يرتل الأذان كما يرتل القرآن الآن، فيأخذ بمجامع القلوب و يوحى بالخشية و الخشوع.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٣٦

و مع كل ذلك فإني أسأل السيد وزير الأوقاف، و هو المهيم على هذا: لقد حرم المتقدمون أخذ الأجر على الأذان و الإمامة، فلما ذا أصبحنا و ليس هناك من يؤم الناس أو يؤذن فيهم إلا- أجيرا، و الذي يعين هذا الأجير هو السيد وزير الأوقاف؟ أليس هذا لأن المتأخرين رأوا أنه بمراعاة أوقات الصلاة و الاشتغال بالإمامة أو الأذان يقل اكتسابه عما يكفيه لنفسه؟ و نحن الآن لا نعيش في البادية التي يذهب فيها الصوت العادي إلى أبعد الحدود، و إنما نعيش في ضوضاء الآلة الحديثة، التي يقتضى معها أن يمد المؤذن في صوته، و ينوع نغماته و يطيل فيها، حتى يصل إلى سمع السامعين. لقد اختار الرسول، عليه الصلاة و السلام، بلالا لصوته الحسن، و ليس لحسن الصوت من وظيفة إلا تأدية النغم، فهذا الاختيار نفسه له دلالة على وجوب تنعيم الأذان و ترتيله.

الحق أني لا أجد سندا يقنعني بوجوب هذا التغيير دعونا نعود للقديم حتى لا نحرم المؤمنين من نعمة الصوت الحسن الذي يذكرنا بخشية الله، و ليكن الأذان الشرعي بجوار المنبر إيذانا بحلول وقت الصلاة ...

### قصة الأذان

و عندما هاجر النبي صلى الله عليه و سلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة «يثرب» حيث استقرت أحوال المسلمين و قويت شوكة الإسلام، و وضع أساس الدولة الإسلامية، جعل المسلمون يقيمون فرائضهم، لا يخافون أذى و لا يخشون فتنه، و كانوا يتحنون أوقات الصلاة فيجتمعون لتأديتها.

و لما كان أمرهم شوري بينهم، اجتمعوا يوما، يتباحثون في طريقه، لدعوة المصلين لأداء هذه الفريضة في أوقاتها، فاقترح بعضهم أن يوروا نارا، إذ كانت هذه العادة شائعة عند كرماء العرب، فكانوا يوقدون النار، ليسترشد بها الضال في الصحراء. و كان الكريم، الذي يوقد مثل تلك النار، يعدها من مفاخره و مساره إذا ما استرشد بها الساري، و من مآثور مفاخرهم في هذا قول بعضهم:

أوقد فإن الليل ليل قزو الريح يا غلام ريح صر

لعل أن يبصرها المقرآن جلبت ضيفا فأنت حرّ

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٣٧

قام في وجه هذا الرأي اعتراض، يوضح وجه الشبه، بين هذه النار و بين نار الفرس، التي كان لا يخمد أوارها، و التي كان يذهب الفرس للتبرك بها و عبادتها.

ثم أدلى بعضهم بفكرة أخرى و هي: أن يوضع بوق ينفخ فيه فيسمعه المسلمون و هنا ... «كقرن اليهود» و قال ثالث «أو لا تتخذون ناقوسا يسمعه القاصي و الداني» فقال آخر «كناقوس النصارى» و تعددت الآراء ... و لم يبت في هذه المسألة، و افترق القوم. و في اليوم الثاني اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه و سلم، و جاء عبد الله بن زيد و قصّ على رسول الله رؤياه في ليلته، و هي أنه سمع أذانا يدعو للصلاة، فصدقه و أمره بالأذان ففعل، فلما سمع عمر الصوت، و كان منتحيا ناحية من المسجد، أقبل على رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال: «أو لا تبعثون رجلا آخر يصلح له»، فلما فرغ عبد الله بن زيد من أذانه، قال له رسول الله: «قم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها، فإنه أندى صوتا منك».

و لقد جاء في صحيح البخارى و في تفسيره عن هذه الرواية صفحة (٧٨) الجزء الأول ما يؤيد ذلك، و هذا نصه:

«حدثنا محمود بن غيلان قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا ابن جريح، قال:

أخبرني نافع أن ابن عمر كان يقول: كان المسلمون، حين قدموا المدينة، يجتمعون فيتحنون الصلاة، ليس ينادى لها، فتكلموا يوما في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا، مثل ناقوس النصارى، و قال بعضهم: بل بوقا، مثل قرن اليهود، فقال عمر: أو لا تبعثون رجلا ينادى الصلاة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا بلال قم فناد بالصلاة».

فنزلت الآية الكريمة: وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَ لَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ثم أسفر النداء و نزلت فيه الآية الكريمة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ.

و كان يسمع الأذان في المدينة، خمس مرات في اليوم، يدعو للصلاة في أوقاتها، .... يرتل الأذان ترتيلا حسنا و بصوت جميل.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٣٨

و ليس للصلاة- غير المفروضة- أذان، فلقد جاء في كتاب «الوجيز في فقه الإمام الشافعي» للإمام الغزالي: «و لا أذان في غير مفروضة، كصلاة الخسوف، و الاستسقاء، و صلاة الجنائز، و العيدين، بل ينادى لها: الصلاة جامعة».

و للأذان فضل كبير في التخلص من الشيطان و من شره، فقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان حتى لا يسمع التآذين فإذا قضى النداء أقبل ... إلى نهاية الحديث».

و له فضل عظيم في حقن الدماء، فلقد كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا غزا قوما لم يكن يغزوهم حتى يصبح و ينظر، فإن سمع أذانا كف عنهم و إن لم يسمع أغار عليهم.

و لقد جاء في صحيح البخارى، عن أنس بن مالك أنه قال: «خرجنا إلى خيبر فانتبهنا إليهم ليلا، فلما أصبح و لم يسمع أذانا ركب و ركب خلف أبي طلحة، و إن قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه و سلم، قال: فخرجوا إلينا بمكاتلهم و مساحيهم فلما رأوا النبي صلى الله عليه و سلم قالوا: محمد و الله محمد و الخميس، قال فلما رأهم رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:

الله أكبر، الله أكبر. خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

و لما كان للغناء أثره، و للصوت الجميل وقعه في القلوب، رأى من القديم أن يكون المؤذن حسن الصوت، جميله، ليكون أدعى إلى أن يستمع إليه الناس، و لا ينفرون من سماعه. و لقد جاء في كتاب "الوجيز" للإمام الغزالي، في صفة المؤذن ما يأتي:

"و يشترط في المؤذن أن يكون مسلما عاقلا- ذكرا، فلا- يصح أذان كافر أو امرأة أو مجنون أو سكران مخبط. و يصح أذان الصبي المميز، و ليكن المؤذن صيتا حسن الصوت ليكون أرق لسامعه."

و جمال الصوت فى الأذان يرجح صاحبه، حتى أن النبى صلى الله عليه و سلم رجح أذان بلال على أذان عبد الله بن زيد، و الصوت النكير يزرى بصاحبه، فلقد سمع عمر بن عبد العزيز رجلا يؤذن بصوت أجش فقال له: «أذن أذانا سمحا و إلا فاعتزلنا». و الليل فى سكونه و هدوئه عظمته، و للمؤذن فى مآذنته جلاله و روعته، يبعث الصوت بأعذب الألحان و أشجى النغمات بأطيب الدعوات و الصلوات، فيحملها النسيم إلى الأسماع، و يرددها الفضاء، فتبعث النشاط فى الأبدان، فتقوى على الإيمان، و توقن بأن الصلاة خير من النوم، فتهب من رقادها و تهرع إلى المساجد تؤدى الفرائض.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٣٩

و ليس أدل على ما للصوت الجميل، فى الأذان، من عظيم الأثر، فى النفوس، و الحث على التقوى، و الصلاح و العبادة، من أن تستمع الأذان، بعد منتصف الليل، من على مآذن المساجد الكبيرة، فإن ذلك يبعث فى نفسك روعة الحق و جلال الإيمان.

### المؤذنون و المؤقتون فى المسجد الحرام اليوم

المؤذنون و المكثرون فى المسجد الحرام يبلغ عددهم اليوم اثنين و عشرين شخصا، و رئيس المؤذنين فى وقتنا الحاضر هو الشيخ الفاضل يعقوب بن يوسف شاكر و يبلغ من العمر نحو السبعين. و قد اختص بالأذان فى المسجد الحرام منذ مائتى سنة خمس عوائل و هم: عائلة شاكر، و عائلة البصنوى، و عائلة بدر، و عائلة جودة، و عائلة البصمجي.

أما التوقيت بالمسجد الحرام، أى معرفته دخول وقت الصلوات الخمس للأذان، سواء كانت بواسطة المزولة أو الساعة الزمنية، فيختص به بيت «الرئيس» فقط بفتح الراء و كسر الياء المشددة.

و القائمون اليوم بالتوقيت من بيت الرئيس رجلان هما: الشيخ رضوان بن عبد السلام الرئيس، و الشيخ أسعد بن عبد السلام الرئيس. فإذا دخل وقت الصلاة أذن أحدهما على سطح زمزم قبل هدم المكان الذى كان على بئر زمزم، أو فى المكبرية المعمولة الآن فيتبعه كافة المؤذنين على مآذن المسجد الحرام، أما الآن فالمؤذن واحد و يسمع فى كافة المكان بواسطة المذياع، كما أنهما كانا ممن يقيمون للصلوات بعد الأذان.

جاء فى هامش تاريخ الأزرقى فى صحيفة ٧٨، من الجزء الثانى منه، ما يلى:

و كان رئيس المؤذنين يؤذن فى منارة باب العمرة فى زمن الفاكهى، و يتبعه سائر المؤذنين.

ثم صار رئيس المؤذنين فى زمن الفاسى يؤذن، فى منارة باب السلام، ثم صار يؤذن الأوقات الخمسة على قبة زمزم إلى هذا اليوم. انتهى منه.

نقول: و الفاكهى المذكور، هو أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهى، توفى فى أواخر القرن الثالث أى فى سنة (٢٨٠) تقريبا، و له فى تاريخ مكة، مؤلف قيم،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٤٠

عليه و على تاريخ الأزرقى يعتمد المؤرخون فى نقل الأخبار. و تاريخ الفاكهى توجد منه نسخة فى بعض خزائن أوروبا، و تاريخ الأزرقى مطبوع طبع مكة، و أما الفاسى، فهو تقى الدين محمد بن أحمد بن على الفاسى المكى، توفى فى الثلث الأول من القرن التاسع أى فى سنة (٨٣٢) و له فى تاريخ مكة كتاب جليل عظيم الفائدة اسمه «شفاء الغرام» و قد طبع قريبا.

### الكعبة المشرفة

#### درج الكعبة الخارجية الموصلة إلى بطنها

لما بنت قريش الكعبة، قبل البعثة بخمس سنوات، جعلوا باب الكعبة المشرفة مرتفعا عن الأرض حتى لا تدخلها السيول، و لا يدخلها إلا من أرادوا، و كان بابها قبل ذلك ملتصقا بالأرض.

و لما كان باب الكعبة، يعلو عن الأرض، بنحو مترين، و ليس عليه درجة مبنية من الخارج، فإنه لا يمكن طلوعها إلا بمرقاة، و هي الدرج أو السلم. و المرقاة إليها نوعان في عصرنا الحاضر: نوع يشبه السلم الصغير يرقى منه إلى الكعبة شخصا شخصا، و هذا السلم يستعمل بعد افتتاح الكعبة، بصفة خاصة، فلا يسمح بالدخول فيها، إلا لقليل من الناس. و نوع يشبه الدرج يرقى منه إليها جماعات جماعات، و يوجد من هذا النوع مدرجان بجوار بئر زمزم، فإذا فتحت الكعبة لعموم الناس دفعوا أحدهما، حتى يسندوه إلى باب الكعبة، فيشتد الزحام في الصعود عليها، لكن أحد هذين النوعين قد تلف فلم يبق له من أثر كما سيأتي بيانه.

فدرجة الكعبة الخارجية من النوعين معمول من الخشب السميكة القوي، و هو يشبه منابر المساجد غير أن هذه ثابتة في مكانها، و المدرج يتحرك بعجلات تحته، فيدفع من محله إلى أن يسند إلى باب الكعبة، فيطلع الناس عليها، فإذا أغلق بابها، يدفع المدرج ثانيا، حتى يصل إلى محله الأول. و نحن هنا نذكر عدد مدرج الكعبة من عهد الإمام الأزرقى إلى اليوم و هو كما يأتي:

(١) قال الغازي رحمه الله تعالى في تاريخه، نقلا عن الإمام الأزرقى، أنه قال:

طول درجة الكعبة، التي يصعد عليها الناس إلى بطن الكعبة، من الخارج، ثمانى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٤١

أذرع و نصف، و عرضها ثلاثة أذرع و نصف، و فيه من الدرج ثلاث عشرة درجة و هي من خشب الساج اه.

(٢) و قال أيضا، نقلا عن الطبرى، فى الإتحاف: أن فى سنة ثمانى عشرة و ثمانمائة أرسل المؤيد الجركسى منبرا حسنا إلى المسجد الحرام، و درجة يصعد عليها إلى الكعبة، و وصل ذلك فى الموسم اه.

(٣) و قال أيضا نقلا عن السنجارى، فى «المنايح»: و فى شهر رمضان سنة ألف و سبع و تسعين جدد شيخ الحرم درجة الكعبة، و جعل لها حاجزا من خشب، و كان أول الدخول عليها يوم الجمعة سادس عشر رمضان. اه.

نقول: إن شيخ الحرم المذكور، فى ذلك العهد، اسمه أحمد باشا، فهو شيخ الحرم و والى جدة من قبل الدولة التركية.

(٤) و قال أيضا: نقلا عن «إتحاف فضلاء الزمن» ما ملخصه: أرسل من الهند حسين حميدان درجة للكعبة، فوصلت إلى جدة عام ستة عشر و مائة و ألف، فامتنع عن قبولها والى جدة سليمان باشا، و قال: لا أركبها على الكعبة. فبقيت بجدة إلى سنة سبع و عشرين و مائة و ألف فاشتراها محمد باشا المعمار، والى جدة، و بعث بها إلى مكة، فركبها على الكعبة فى يوم الخميس رابع عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة، و رفعوا الدرجة التى كانت قبلها و التى عملها أحمد باشا. ثم فى يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة، أمر الشريف برفع الدرجة، التى بعثها محمد باشا المعمار، و إعادة الدرجة القديمة، التى كانت قبلها، لعدم استئذان السلطنة التركية، و استئذان الشريف، فحفظت فى بيت الشيخ عبد القادر الشيبى ثم أرسلوا يستأذنون السلطان فى تركيبها. و فى افتتاح سنة اثنين و ثلاثين و مائة و ألف أعادوا الدرجة الأولى، التى أرسلها محمد باشا المعمار، و رفعوا القديمة. و قد أمر إبراهيم باشا، والى جدة، بتلوينها و زخرفتها. انتهى ملخصا.

(٥) و قال الغازي أيضا فى تاريخه: أرسل إلى مكة نواب مدارس محمد منور خان بالهند، درجة للكعبة من خشب الساج، و ذلك فى سنة أربعين و مائتين و ألف و فيها إحدى عشرة درجة. انتهى.

نقول: هذه الدرجة لا تزال إلى اليوم موجودة بالمسجد الحرام، يصعد الناس عليها، عند دخولهم الكعبة المعظمة، و محل هذه الدرجة بجوار جدار بئر زمزم، من جهة مقام إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، و عليها اسم راسلها و التاريخ المذكور.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٤٢

و عرض هذا المدرج متران و ارتفاعه عن الأرض إلى سطح الدرجة العليا متران أيضا، و طوله خمسة أمتار. و قد تطرق الخلل فى هذا

المدرج، و ظهر فيه القدم، و أصلح مرارا، فقد مرت عليه مائة و أربعون سنة، و لا يزال مستعملا إلى يومنا. (٦) و قال الغازي أيضا نقلا- عن كتاب «أخبار الصناديد» للشيخ نجم الغني بن عبد الغني، نلخصه فيما يأتي: أرسل إلى مكة نواب رامفور كلب عليخان،- و رامفور بلدة بين دلهي و حيدر آباد بالهند- درجة للكعبة المشرفة. من خشب. و ذلك سنة ثلاثمائة و ألف. و فيها أربع عشرة درجة، لكن لم تستعمل إلا بعد استئذان الدولة العلية التركية، و كانت مخصوصة لصعود النساء إلى الكعبة يوم نوبتهن ثم ترك استعمالها بتاتا. و كانت هذه الدرجة مصفحة بألواح الفضة، و قد بلغت قيمتها، بما فيها من الفضة، (٨٥٣٦٤) خمسة و ثمانين ألفا و ثلاثمائة و أربع و ستين روبيه هندية. اه.

نقول: إن صرف هذا المبلغ الكبير، في عمل مدرج للكعبة المشرفة، أمر لا يستهان به، خصوصا إذا عرفنا أن قيمة الفضة، في ذلك الزمن، كانت مرتفعة و هذا المدرج، كان موجودا، إلى ما بعد سنة (١٣٦٥) ثم حصل فيه تلف و خراب، فتصرف آل الشيبى في فضته و خشبه فلم يبق له اليوم من أثر، و كان محلّه بجوار المدرج السابق.

(٧) و في ابتداء الشروع في توسعة المسجد الحرام، أى فى أوائل سنة خمس و سبعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، أمر جلاله الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية، أدام الله توفيقه، بعمل مدرج فخم لائق بمكانة بيت الله العظيم. فعمل هذا المدرج بمصر القاهرة، من الخشب القوى المتين، الملبس بصفائح الفضة المزركشة، و فيه من النقوش العربية المذهبة ما يبهر الناظر، فوصل هذا المدرج أو الدرج، أو عبارة أخرى «السلم» من مصر إلى مكة المشرفة، فى يوم الأربعاء خامس ذى الحجة سنة (١٣٧٦) ألف و ثلاثمائة و ست و سبعين من الهجرة.

و فى صباح يوم الخميس سادس ذى الحجة من السنة المذكورة، استعمل هذا المدرج لأول مرة من صنعه، فصعد عليه جلاله مليكنا المعظم، و معه بعض رؤساء

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٤٣

الوفود القادمة من أنحاء العالم الإسلامى لأداء فريضة الحج، فدخلوا الكعبة المشرفة و قاموا بغسلها ثم خرجوا. و المدرج المذكور يشتمل على اثنتى عشرة درجة، و هو بديع الصنع، جميل المنظر، يعد تحفة نادرة، و آية من آيات الرسم و الزخرفة.

### درج الكعبة الداخلية الموصلة إلى سطحها

تقدم أن بناء إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، الكعبة لم يكن بالطين و لا- بالنورة و لا بالجص، بل كان بالرضم حجارة بعضها فوق بعض، و لم يكن لها سقف و لا باب يقفل، فما دام البناء على هذه الصورة لا سقف للكعبة، فلا تحتاج إلى عمل درجة للصعود إلى سطحها.

فلما كان قصى بن كلاب الجد الرابع للنبي صلى الله عليه و سلم و بنى الكعبة، جعل لها سقفا من خشب الدوم، و جريد النخل، و ذلك قبل ولادته، عليه الصلاة و السلام، بنحو مائة و خمسين سنة. ثم صارت بعده بلا سقف إلى أن بنتها قريش.

فلما بنتها قريش سقفتها بخشب الدوم، و جريد النخل أيضا، و بنتها بالطين، و لا يزال إلى اليوم، بناء بعض البيوت بالحجاز، تسقف بجريد النخل و جذوعه، و جعلوا درجة من الخشب، فى بطنها من الركن الشامى، يصعد منها إلى ظهرها.

و كان بناؤهم لها قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، أى بعد ولادة النبي صلى الله عليه و سلم بخمس و ثلاثين سنة.

ثم لما بنى عبد الله بن الزبير، رضى الله تعالى عنهما، الكعبة سنة أربع و سبعين من الهجرة، جعل فى داخلها درجة، فى ركنها الشامى، على يمين الداخل يصعد فيها إلى سطحها، جعلها من خشب معرجة.

فلما هدم الحجاج بن يوسف الثقفى ما زاده ابن الزبير فى الكعبة، من جهة حجر إسماعيل، كان من ضمن ما هدم الدرجة التى بناها

ابن الزبير في تلك الجهة، فلما بناها الحجاج بنى أيضا درجة في باطنها، في ركنها الشامي، على يمين من دخلها أيضا. وقد بقيت عمارة الحجاج للكعبة، إلى زمن السلطان مراد الرابع،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٤٤

ففي عهده هدمت من أثر السيل الكبير، الذي دخل المسجد الحرام، فبناها بناية جديدة محكمة سنة ألف و أربعين من الهجرة و هي العمارة الموجودة في زماننا هذا.

فاعلم مما تقدم، أن عمل الدرجة الداخلية للكعبة، كان منذ عمل السقف لها لأول مرة، كما هو المعقول، و أن موضع درجتها هو الركن الشامي، على يمين الداخل فيها، منذ بناء قريش الكعبة إلى الآن.

و لقد وصف الإمام الأزرقى، المتوفى في منتصف القرن الثالث الهجرى، في تاريخه، درجة الكعبة الموصلة لسطحها التي كانت موجودة في زمانه فقال:

و في الكعبة، إذا دخلتها على يمينك درجة، يظهر عليها إلى سطح الكعبة، و في مربعة مع جدرى الكعبة، في زاوية الركن الشامى منها، داخل في الكعبة من جدرها، الذى فيه بابها، ثلاثة أذرع و نصف، و ذرع الجدر الآخر الذى يلي الحجر ثلاثة أذرع و نصف، و ذرع باب الدرجة في السماء ثلاثة أذرع و نصف، و ذرع عرضه ذراع و نصف، و بابها ساج فرد أعسر، و هو في حد جدار الكعبة، و كان ساجه باديا ليس عليه ذهب و لا فضة، حتى أمر به أمير المؤمنين، المتوكل على الله، فضربت على الباب صفائح من فضة، و جعل له غلق من فضة، في المحرم سنة سبع و ثلاثين و مائتين.

و على الباب ملبن ساج، ملبس فضة، و في الباب حلقة فضة، و على الباب قفل من حديد فى الملبن، الذى يلي جدار الكعبة، و باب الدرجة عن يمين من دخل الكعبة مقابله، و طول الدرجة فى السماء من بطن الكعبة عشرون ذراعا، و عدد أضفارها ثمانية و أربعون ضفرا، و فيها ثمان مستراحات، و عرض الدرجة ذراع و أربع أصابع، و فى الدرجة ثمانى كواء داخله فى الكعبة، منها أربع حيال الباب، و أربع حيال الأسطوانة، التى تلى الجدر الذى يلي الحجر، و على بابها، الذى يلي سطح الكعبة، باب ساج طوله ذراعا و نصف، و عرض ذلك الباب ذراعا.

انتهى من الأزرقى.

و يظهر من الكلام الآتى، أن درجة الكعبة، التى كانت من عمل الحجاج التقفى، و التى كانت موجودة فى زمن الأزرقى قد تلفت و غيروها بأخرى، فقد قال الغازى فى تاريخه: و من ذلك ما ذكره السنجارى فى حوادث سنة تسع و مائة و ألف: و لما كان يوم الخميس، سادس محرم منها، طلع مولانا الشريف و القاضى المتولى فى هذه السنة، و جماعة من الفقهاء، و حضرة البيك صاحب جدة، و أشرفوا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٤٥

على سطح الكعبة، و حقق المهندسون خراب السقف، عند القاضى، بموجب الأمر الوارد من الأبواب، و لما كان يوم الأحد، ثالث عشر محرم، شرعوا فى إصلاح سقف الكعبة فأخرجوا السقف المنكسر، و ظهر أن الدرجة الصاعدة إلى السطح محتاجة إلى التعمير، فاستمر العمل فيها و غيروا الدرجة، و جعلوا فيها سبع درج رخام، و الباقى من خشب الساج، و فرغوا منها أوائل ربيع الأول، و ذبح صاحب جدة، يوم فراغ العمارة، نحو من أربعين شاة، و فرقها على المساكين، و فرق شيئا من الدراهم على فقهاء المكاتب بالحرم و بعض الفقهاء. انتهى من تاريخ الغازى.

### عدد درج الكعبة التى بداخلها

لقد أحصينا بأنفسنا درج الكعبة، التى فى بطنها، الموصلة إلى سطحها، فى يوم تغيير سقف الكعبة، و ذلك فى اليوم الثامن عشر من

شهر رجب سنة (١٣٧٧) سبع و سبعين و ثلاثمائة و ألف هجرية، فكان عدد الدرج خمس و ثلاثون درجة، بعضها من المرمر، و بعضها من الخشب، فعدد الدرج المرمر ثلاث عشرة درجة، و ما بعدها من الدرج إلى سطحها، فكلها من الخشب الساج القوي الغليظ، و عدد هذه الدرجات الخشبية اثنتان و عشرون درجة. و يختلف عرض الدرج، فبعضها ثلاثة و ستون سنتيمترا، و بعضها خمسة و ستون، و بعضها سبعون، و بعضها خمسة و سبعون سنتيمترا. و أما ارتفاع الدرج فمختلف أيضا، فبعضها ٢٤ سنتيمترا، إلى ٣٥ سنتيمترا. لذلك كان محل الدرج ضيقا، فلا يمكن الصعود عليها، إلا رجلا رجلا، و لا لزوم إلى توسعتها، لندرة الصعود عليها، فلا يصعد عليها إلا مرة واحدة في كل عام، و ذلك لإلباس الثوب على الكعبة وقت الحج، أو إذا احتاج الأمر إلى إصلاح شيء فوق السطح. و صفة درجها تختلف عن صفة درج المنارة، فدرج المنارة حلزونية و دائرة عليها من أعلاها إلى أسفلها، و أما درج الكعبة، فإنك تطلع، على كل بضعة من الدرج باستقامة واحدة، ثم تلف قليلا و تصعد باستقامة معتدلة أيضا بضعة درج أخرى، و هكذا حتى تصل إلى سطحها.

و في الدرج درابزين من الخشب، من بعد البسطة الثالثة إلى السطح، لحفظ الصاعد من الوقوع، و لهذا الدرج باب من داخل الكعبة بمصراع واحد «أى درفة»

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٤٦

واحدة» يسمونه الناس باب التوبة، و على هذا الباب قفل عادي، و مغطى بستارة تشبه ستارة باب الكعبة من الخارج، و على فتحة هذه الدرج، التي هي فوق السطح، غطاء محكم من المعدن، و ذلك لسد الفتحة، صيانة من نزول ماء المطر منها إلى داخل الكعبة. و قبل الوصول إلى السطح من الدرج المذكورة، بنحو قامه، توجد فتحتان صغيرتان: إحداهما أمام الصاعد و الأخرى على يساره، و لكل منهما باب صغير من الخشب، و الفتحتان تدخلان إلى ما بين سقفى الكعبة. اللهم اعف عنا و اغفر لنا و ارحمنا و نجنا من النار، و ارفع درجاتنا في الدنيا و الآخرة، و نسألك اللهم الدرجات العلا في الجنة و نعوذ بك من النار بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين، و صلى الله على نبينا «محمد» و على آله و صحبه و سلم.

### وصف درج الكعبة في عصرنا

درج الكعبة الداخلية الموصلة إلى سطحها، واقعة في الركن، الذى على يمين الداخل للكعبة، أى فى الركن الشمالى مما يلي باب الكعبة، و هذه الدرج محجوبة فى البناء، غير ظاهرة، و لها باب عليه قفل خاص يقفل و يفتح، و ليس فيها شباك أى طاقة و لا منفذ، لذلك صارت الدرج ظلاما، يحتاج الصاعد إلى سطح الكعبة، إلى السراج و الضوء، و مسبل على باب الدرج، ستارة حريرية جميلة، مكتوبة و منقوشة بالذهب و الفضة.

فالدرج مبنية على أربعة جدران، اثنان منها أصل جدار الكعبة و هما:

جدار وجه الكعبة، و جدار حجر إسماعيل، و الجداران الآخران، مبنيان للدرج، من داخل الكعبة، من أرضها إلى سطحها، فعرض الجدار الأول من هذين الجدارين، الذى فيه باب الدرج، متران و خمسة و عشرون سنتيمترا، و عرض الجدار الثانى المتصل به، متر واحد و نصف متر.

و قد أخذنا هذا القياس حينما تشرّفنا بدخول بيت الله الحرام فى صباح يوم الجمعة الموافق للتاسع و العشرين من شهر جمادى الأولى سنة (١٣٧٧) سبع و سبعين و ثلاثمائة و ألف هجرية، نسأل الله تعالى عفوه و عافيته و غفرانه و رحمته

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٤٧

و فضله و إحسانه، إنه بعباده لطيف خبير، و بإجابة دعائهم و قبول تضرعهم لجدير.

و صلى الله على النبي الأسمى «محمد» و على آله و صحبه و سلم.



## روازن الضوء في سطح الكعبة

لم يكن في سقف الكعبة قبل بناء ابن الزبير، رضى الله تعالى عنهما، روازن، فلما هدمها و بناها من جديد، جعل فيها أربع روازن، يدخل الضوء منها لجوف الكعبة المشرفة، و الروازن جمع روزنة بفتح الراء و الزاى و هى الكوة، و هى معرّبة كما فى مختار الصحاح. قال الأزرقى فى تاريخه: قال أبو الوليد: و فى سقف الكعبة أربع روازن: منها روزنة حيال الركن الغربى، و الثانية حيال الركن اليمانى، و الثالثة حيال الركن الأسود، و الرابعة حيال الأستوانة الوسطى، و هى التى تلى الجدار بين الركن الأسود و الركن اليمانى. و الروازن مربعة، فى أعلاها رخام يمانى، يدخل منه الضوء إلى بطن الكعبة. انتهى من تاريخ الأزرقى.

و قال أيضا فى موضع آخر: و فى سقف الكعبة أربع روازن نافذة من السقف الأعلى إلى السقف الأسفل، و على الروازن رخام كان ابن الزبير أتى به من اليمن من صنعاء يقال له البلق، و بين السقفين فرجة. انتهى منه.

و البلق بفتحيتين سواد و بياض و كذا البلقة بضم الباء و سكون اللام كما فى مختار الصحاح.

نقول: و هذه الروازن الأربعة كانت باقية فى سطح الكعبة إلى سنة (٨٤٣) ثلاث و أربعين و ثمانمائة، ففى هذه السنة المذكورة، عمل الأمير سودون المحمدى، بأمر الملك الأشرف برسباى، بعض تميمات فى المسجد الحرام، و فى الكعبة المشرفة، فأصلح حجارة داخل الكعبة، و أخرج الروازن الأربعة من السطح، التى كانت تستعمل للضوء، و سدّ محلها من السطح، حتى لا يدخل شىء من المطر إلى جوفها، و جدد سقف الكعبة، فلم يبق بعد ذلك أثر مطلقا للروازن الأربعة إلى اليوم، و قد انتهى من عمل التميميات الإصلاحات فى اليوم الثانى عشر من شهر صفر من السنة المذكورة. و قد ذكر هذا فى كتاب «تاريخ الكعبة المعظمة» بصحيفة (٢٣٥)، و فى كتاب «الجامع اللطيف» لابن ظهيرة القرشى بصحيفة (٤٨).

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٤٨

نقول: و ليس فى سطح الكعبة اليوم روازن تضىء جوف الكعبة مطلقا، ما عدا روزنة واحدة «أى فتحة واحدة» بجهة الميزاب فوق درجتها الداخلية، و لها غطاء محكم، تفتح عند الصعود من الدرجة إلى السطح، فلا يدخل منها الضوء و لا المطر داخل الكعبة؛ لأنها لم تجعل لذلك و إنما جعلت منفذا للسطح فقط.

## الأعمدة الثلاثة التى بداخل الكعبة

مما لا يخفى أن الأعمدة توضع فى داخل البيوت أو الغرف لحمل سقوفها، و بيت الله الحرام لما بناه إبراهيم عليه الصلاة و السلام، لم يجعل له، سقفا، لأنه بناه بالرضم أى حجارة بعضها فوق بعض، بدون طين و لا نورة، و لم يكن له باب أيضا. إذا ما دامت الكعبة فى عهده لا سقف لها فلا تحتاج إلى أعمدة فى داخلها.

فلما بنتها قريش و سقفتها سقفا مسطحا. جعلوا فيها ست دعائم فى صفين، فى كل صف ثلاث دعائم، من الشق الشامى، الذى يلى حجر إسماعيل عليه السلام، إلى الشق اليمانى لتحمل سقفيها، و نقصوا من عرضها، من جهة حجر إسماعيل، ستة أذرع و شبرا، لقلّة النفقة الحلال، التى جمعوها لعمارتها، و جعلوا ارتفاع الكعبة، من خارجها، من الأرض إلى أعلاها، ثمانية عشر ذراعا، و كانت قبل ذلك تسعة أذرع، و رفعوا بابها عن الأرض أربعة أذرع و شبرا، ثم كسوها و جعلوا لها سلما يصعد عليه إلى بطنها، كما ذكره الإمام الأزرقى.

فلما بنى الكعبة عبد الله بن الزبير، رضى الله عنهما، بناها على أساس إبراهيم عليه الصلاة و السلام، فجعلها عريضة، أى زاد من جهة حجر إسماعيل ستة أذرع و شبرا، و هذا المقدار كانت نقصته قريش، حين بناء الكعبة، و زاد فى ارتفاعها من الأرض إلى أعلاها تسعة أذرع، فصار ارتفاعها سبعة و عشرين ذراعا، و جعل لها بابين لاصقين بالأرض: أحدهما للدخول و الآخر للخروج، و جعل ابن الزبير

في الكعبة ثلاث دعائم فقط في صف واحد، و كانت قريش في الجاهلية جعلت فيها ست دعائم في صفين كما ذكرنا ذلك. و لا ندري لماذا لم يجعل ابن الزبير، رضى الله عنهما، في الكعبة ست دعائم في صفين كما جعلتها قريش، بل كان المعقول أن يجعل فيها ثمان دعائم، لأنه زاد في بنيته لها ستة أذرع و شبرا، من جهة الحجر، فهذه الزيادة كانت تحتاج إلى وضع دعامين. الله تعالى أعلم بذلك. و ربما كان سبب وضع ثلاث دعائم داخل الكعبة لقوة البناء و متانتها، فقد قيل: إنه بناها،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٤٩

رضى الله عنه، بالرصاص المذاب، و أما قريش فبنتها بالطين، و كانت قبل ذلك مبنية بالرضم.

قال صاحب الرحلة الحجازية: و بوسط الكعبة من الداخل ثلاثة أعمدة من العود القاقلى، عليها مقاصير، تركز على حائط الميزاب، من جهة، و حائط الحجر الأسود من أخرى، و قطر كل عمود نحو ثلاثين سنتيمترا، و هذه الأعمدة من زمن عبد الله بن الزبير، و قيمتها أكبر من أن يقدر لها ثمن. انتهى.

و معنى العود القاقلى: أى من عود الهيل، و الهيل: حب عطرى حجمه كحجم حب البنّ و هو يطبخ معه فى القهوة فى الحجاز و يوضع فى الطعام، و يمضغه الناس لطيب النكهة، و يسمونه بمصر «حبهان» و بعضهم يسميه حب الهال، و لما كان الهيل من العطريات فإن عود شجره يكون ثمين جدا.

و قال الغازى: و فى تذكّار الحجاز للشيخ عبد العزيز صبرى: إن فى داخل الكعبة ثلاثة أعمدة من العود الماوردى، قطر الواحد منها ٢٥ سنتيمترا، و هى منصوبة صفا واحدا، فى وسط البيت من الشمال إلى الجنوب. انتهى.

نقول: إن ما ذكره صاحب كتاب الرحلة الحجازية، و صاحب كتاب تذكّار الحجاز، من أن الثلاثة الأعمدة الموجودة اليوم بداخل الكعبة و التى وضعها عبد الله بن الزبير، رضى الله تعالى عنهما، من العود القاقلى أو من العود الماوردى، قد يكون غير صحيح، و بعيد الاحتمال، فى نظرنا، و ذلك لأمرين:

الأول: من أين يستحضر ابن الزبير هذه الأعمدة العطرية؟ و لا توجد إلا فى بلاد الهند، و لم تكن سبل المواصلات فى ذلك الزمن سهلة كما هى فى عصرنا.

و الثانى: لا- نعلم هل لشجرة القاقولة «الهيل» أو لأشجار الورد أغصان و أصول غليظة طويلة بحيث يمكن استخراج الأعواد منها للسقوف أم لا، و الظاهر أن أشجارهما قصيرة. و الله تعالى أعلم.

و لقد توهم صاحبا الكتابين المذكورين فظنا أن تلك الأعمدة الثلاثة من العود القاقلى أو العود الماوردى لما لها من الرائحة الزكية، و أما علمنا فإن هذه الرائحة مكتسبة من كثرة تعطير الكعبة المشرفة، من داخلها و خارجها، و الله تعالى أعلم بالصواب.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٥٠

و لقد ذكر الإمام الأزرقى، رحمه الله تعالى فى تاريخه، ذرع ما بين هذه الأعمدة الثلاثة التى سماها بالأساطين، فقال فيه ما نصه:

و ذرع ما بين الجدار، الذى يلي الركن الأسود و الركن اليمانى، إلى الأسطوانة الأولى، أربعة أذرع و نصف، و ذرع ما بين الاسطوانة الأولى إلى الأسطوانة الثانية، أربعة أذرع و نصف، و ذرع ما بين الأسطوانة الثانية إلى الأسطوانة الثالثة أربعة أذرع و نصف، و ذرع ما بين الأسطوانة الثالثة إلى الجدار الذى يلي الحجر ذراعان و ثمانى أصابع، و بين الأساطين من المعاليق سبعة و عشرون معلاقا، و المعاليق فى ثلثى الأساطين، و المعاليق فى عمد حديد، و سلاسل المعاليق فضة، و بين الجدار، الذى بين الحجر الأسود و الركن اليمانى إلى الأسطوانة الأولى، أحد عشر معلاقا، و من الأسطوانة الأولى إلى الأسطوانة الثانية ثمانى معاليق، فيها تاجان، و من الأسطوانة الثانية إلى الأسطوانة الثالثة، ثمان و بقيتها موهة، ثم أمرت السيدة، أم أمير المؤمنين، فى سنة عشر و ثلاثمائة، غلامها لؤلؤا بأن يلبسها كلها ذهباً، و هذه المعاليق على ما وصفنا إلى سنة تسع و ثلاثين و مائتين.

قال الغازى فى تاريخه المخطوط، بصحيفة (١٥٠) ما نصه: و فى سنة ألف و مائتين و واحدة، أرسل مولانا السلطان عبد الحميد الأول

خمسین إقۀ من الفضة، و أمر أن تجعل صفائح مموهۀ بالذهب، و يطوّق بها بعض العواميد، التي في داخل الكعبۀ المعظمۀ، ففعلوا ذلك و طوّقوها بحضور الشريف سرور، و حضور الوزير شيخ الحرم المكي، و هو والى جدۀ، و بقيۀ المأمورين من رجال الدولۀ. ذكره السيد أحمد دحلان في سالنامته. انتهى منه.

نقول: المراد بقوله "و يطوّق بها بعض العواميد التي في داخل الكعبۀ المعظمۀ" نفس الأعمدۀ الثلاثة التي هي من عهد عبد الله بن الزبير، رضى الله تعالى عنهما، بدون شك، إذ لا يوجد، في جوف الكعبۀ، غير هذه الأعمدۀ الثلاثة الأثرية الباقية من ذلك العهد إلى اليوم.

و لقد حصل في هذه الأعمدۀ الثلاثة المباركۀ ما يقتضى إصلاحها، فأصلحت في عهدنا الحاضر، كما ذكره الشيخ حسين باسلامۀ، رحمه الله تعالى، في كتابه «تاريخ الكعبۀ المعظمۀ» حيث قال فيه ما نصه:

و مما حصل من المرمّات المذكورۀ، أنه وقع في سنۀ (١٣٣٢) اثنتين و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف، في أسفل الأعمدۀ الخشب الثلاثة، التي بداخل الكعبۀ المعظمۀ،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٥١

القائم عليها بساتل سقف الكعبۀ، أشطاب و تصديع، حصل ذلك من مياه غسيل الكعبۀ، و من دخول السيول إلى جوفها، لأن هذه الثلاثة الأعمدۀ هي من عهد الخليفة عبد الله بن الزبير بن العوام، رضى الله تعالى عنهما، فأعلم رئيس السدنة، المرحوم الشيخ محمد صالح الشيبى أمير مكة الشريف الحسين بن على بذلك، فحضر الشريف الحسين المشار إليه إلى الكعبۀ في ضحوة يوم الاثنين الموافق ١٣ ربيع الأول من السنۀ المذكورۀ، و كان في استقباله بالكعبۀ رئيس السدنة المذكورۀ و السادن الثانى الشيخ عبد القادر بن على الشيبى و بعض السدنة. ثم أحضروا بعض أهل الخبرة من النجارين، و كنت أنا مؤلف هذا الكتاب ممن حضر بمعية رئيس السدنة المشار إليه، فتقرر عمل أخشاب أشبه بالطاب، على طول القامة، تحاط بأسفل كل عامود من الأعمدۀ الثلاثة، و تسمر فيها بغاية الإلتقان، فعمل ذلك فعلا، و هي لا تزال على هذه الحالة إلى اليوم، انتهى من كتاب تاريخ الكعبۀ المعظمۀ. قوله: «على هذه الحالة إلى اليوم...» أراد المؤلف باليوم عهده و زمانه الذى هو عصرنا هذا فإنه رحمه الله تعالى طبع كتابه المذكور سنۀ (١٣٥٤) هجرية.

و نقول أيضا: إنه لما أسعدنا الله عز و جل بدخول بيته الحرام في يوم الاثنين لثمان عشرة خلت من شهر رجب سنۀ (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف، نظرنا إلى الثلاثة الأعمدۀ الخشبية الموجودة في الكعبۀ المعظمۀ من عهد عبد الله بن الزبير، رضى الله تعالى عنهما، فوجدناها أنها من الأخشاب الجيدة القوية النادرة، و لا نبالغ إن قلنا: إنه لا يوجد مثلها قط اليوم، بتية اللون تميل إلى السواد قليلا لوجودها داخل الكعبۀ و عدم تعرضها للضوء و الشمس، و قد ظهر عليها القدم لمرور السنين، و الغالب أنه من الخشب الآبنوس، و هو كما قال في المنجد: شجر عظيم صلب العود أسوده، أو أنها من خشب الساج الذى كان يستعمل بكثرة في ذلك الزمان، قال في المنجد: الساج شجر عظيم صلب الخشب.

و محيط كل عامود منها متر واحد و نصف المتر، و لكل منها قاعدة مربعة خشبية منقوشة بالحفر على الخشب، و بين كل عامود متران و ٣٥ سنتيمتر، و بين العامود الذى بقرب الجدار من جهة حجر إسماعيل و الجدار متر واحد، و بين الأعمدۀ الثلاثة، و كذلك ما بينها و بين الجدارين المتقابلين - جدار ما بين الركنين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٥٢

و الجدار الذى في جهة حجر إسماعيل عليه السلام - مدّاد معلق فيه قناديل و مباخر فضية متنوعه، مهداة إلى الكعبۀ المعظمۀ. و يمتد على الأعمدۀ الثلاثة حامل، يمتد طرفاه إلى داخل الجدارين المذكورين، و هو مكسو مثل كسوة السقف و الكسوة الداخلية للكعبۀ.

و هذه الأعمدۀ الثلاثة مرتفعة إلى السقف الأول، الذى يلي داخل الكعبۀ، و لا ينفذ من هذا السقف إلى السقف الأعلى، الذى يلي

السماء، و لكن جعلت عدة أخشاب بعضها فوق بعض، على رؤوس هذه الأعمدة الثلاثة، من داخل السقفين، إلى أن تصل إلى السقف الأعلى، فتكون هذه الأعمدة الثلاثة بهذه الصفة حاملة للسقفين المذكورين.

### عدد أعواد سقف الكعبة

ذكر الغازي في تاريخه عند الكلام على بناء السلطان مراد الرابع الكعبة في سنة (١٠٤٠) ألف و أربعين من الهجرة ما نصه: و في يوم الأحد شرعوا في عمل خشب السقف و نشر صفايحه، و أخبرني شيخ المعلمين للنجارة، أنه أربع فجوات و كل فجوة اثنان و عشرون عودا، فيكون مجموع أعواده ثمانية و ثمانين عودا، عدد ما كان فيها أولا، و على الأعواد صفائح أخشاب مسمره عليها من ظهرها. انتهى ما ذكره الغازي.

نقول: إنه في صباح يوم الاثنين لثمانى عشره خلت من شهر رجب سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف، أسعدنا الله تعالى بفضلله و رحمته بدخول بيته الحرام، و تشرّفنا بالصعود إلى سطحه، و دخلنا بين السقفين للكعبة فرأينا أعواد السقف الأول و أعواد السقف الثانى كثيرة، لكن لا- ندرى هل هي كما ذكره الغازي أم لا، فإننا ما أحببنا المكث بين السقفين كثيرا لعدّ أعوده، تأدبا و احتراما، و لا- يوجد ثقل على السقف الثانى مطلقا، حيث ليس عليه شىء، بخلاف السقف الذى فوقه، المقابل للسماء، فإن الناس يطلعون عليه، لربط الكسوة الجديدة لكل عام، كما أنه مبلط بالرخام الأبيض حتى لا ينفذ منه ماء المطر إلى داخل الكعبة.

و المسافة بين السقفين هي (١٢٠) مائة و عشرون سنتيمترا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٥٣

### الإصلاحات و الترميمات فى الكعبة المشرفة

لقد وقع كثير من الترميمات و الإصلاحات فى الكعبة المشرفة، و نحن نقل ذلك باختصار، من كتاب «مرآة الحرمين» و من كتاب «تاريخ الكعبة المعظمة» و ذلك من بعد بناء ابن الزبير و الحجاج، فنقول و بالله الحول و القوة:

أرسل الوليد بن عبد الملك، من الشام، الرخام الأحمر و الأخضر و الأبيض، ففرشت به و أزرت جدرها من الداخل، و لما انفتح الجدار الشمالى، الذى أقامه الحجاج من بقية البناء، رمم ذلك بالجص الأبيض، و كان مقدار الفتح نصف إصبع.

و بعد سنة مائتين، رفعت الفسيفساء، التى كان معمولا بها سطح الكعبة، لأنها ما كانت تمنع مياه المطر أن تتسرب إلى داخلها، و وضع مكانها المرمر المطبوخ بالجص.

و فى سنة إحدى و أربعين و مائتين، فى زمن المتوكل، قلعت العتبة السفلى لباب الكعبة، و كانت قطعتين من خشب الساج، اندثرتا من طول الزمان، و أبدل بها قطعة من خشب الساج، و ألبس صفائح الفضة، و كذلك جدد المتوكل رخام الكعبة، و أزرها بالفضة، و ألبس سائر حيطانها و سقفها الذهب.

و فى سنة اثنتين و أربعين و خمسمائة أصلح، من قبل الوزير جمال الدين الجواد، سقفها و المدرج، الذى فى بطنها، و كذلك أصلح رخامها، حوالى سنة خمسين و خمسمائة من قبل الوزير المذكور أيضا.

و فى سنة تسع و خمسين و خمسمائة أصلح الركن اليمانى، فى عهد الفاطميين، و فى سنة تسع و عشرين و ستمائة عمل بعض إصلاحات فى الكعبة المستنصر العباسى، و فى سنة ثمانين و ستمائة جدد رخامها الملك المظفر صاحب اليمن.

و فى سنة أربع عشرة و ثمانمائة أصلح بعض سقفها و روازنها، و ذلك عقب مطر عظيم، و فى سنة خمس و عشرين و ثمانمائة، و التى بعدها أيضا، أمر الملك الأشرف برسباى بإصلاحات جزئية فى سقفها و روازنها و رخامها و الأخشاب، التى فيها حلق الحديد، التى تربط بها الكسوة، و فى سنة تسع و تسعمائة زمن السلطان سليمان حصل ترميم فى الكعبة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٥٤

و في زمن السلطان أحمد الأول، الذي تولى السلطنة سنة اثنى عشرة و ألف، حدث بعض التصدع في جداريها الشرقي والغربي، و في جدار حجر إسماعيل، فأراد هدمها، فمنعه علماء الروم و أشاروا عليه بعمل نطاق يلم الشعب، فعمل نطاقين من نحاس أصفر مغلف بالذهب، فركب النطاق السفلى على الكعبة، في ليلة السبت ١٢ محرم سنة (١٠٢٢)، و وضعت له أعمدة ثبت أسفلها بالرصاص في الشاذروان، و في ليلة الأحد شرعوا في وضع النطاق العلوى حتى أتموه.

و في سنة تسع و ثلاثين و ألف انهدمت الكعبة، ما عدا الجهة اليمانية، بسبب نزول المطر الغزير، و دخول السيل، إلى المسجد الحرام، فجدد بناءها السلطان مراد خان الرابع، فتم بناؤها سنة أربعين و ألف.

قال صاحب «تاريخ الكعبة المعظمة» ما يأتي:

و أما ما وقع من الترميمات، بعد عمارة السلطان مراد خان، فقد ذكر الطبرى المكي في «الإتحاف» أنه في سنة (١٠٤٥) خمس و أربعين و ألف، ورد المعمار رضوان بك، لعمارة سقف الكعبة، و كان الشريف عرض ذلك إلى السلطان، لما أخبره الحجة - آل الشيبى - و المهندسون بذلك، فجاء الأمر بإصلاح ما تحتاج إليه، و أن يحدد بابها، و يرسل الباب العتيق إليه. فلما وصل رضوان بك المذكور إلى مكة عقد مجلسا بالحرم الشريف، و حضر البكرى و قاضى المدينة حنفى زاده، و حضر أمير مكة و الفقهاء، و بعد أن قرأوا القرآن، قاموا إلى الكعبة و أشرفوا على ذلك، و شرع المعمار الأمير رضوان بك في عمله، في أوائل شهر المحرم من السنة المذكورة، و فرش سطح الكعبة الشريفة بالرخام الأبيض.

و من ذلك ما ذكره السنجارى، في «مناخ الكرم»: أنه في يوم الخميس غرة ربيع الثانى سنة (١٠٩٩) تسع و تسعين و ألف هجرية، عمّر محمد بك شيئا من أخشاب الكعبة، و طلعوا أرتالا- من جدة، جعلوها حول الكعبة من الخارج، و ركبوا الكسوة فيها، لتغيير إفريز السطح، من التى تربط فيه الكسوة، فإنه استأكل فيه، و جددوا رفرق مقام الشافعى، لخلل وقع فيه، و لم يزلوا إلى أن خلصوا منه. و روى أيضا، أنه في يوم الجمعة ١٩ محرم الحرام سنة (١١٠٠) ألف و مائة ه طلع الشريف، أمير مكة، سطح الكعبة للإشراف على إفريز الكعبة، التى تربط فيه الكسوة، لإخبار المعلمين له، بأنه استأكل، و يحتاج إلى تغيير. و قد جاء الأمر من السلطان لعمارة ما يحتاج إليه من الكعبة، و إبلاغه ما يصرف على ذلك،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٥٥

فاتفق أن وجبت الجمعة، و دخل الخطيب و هو أى الشريف فى الكعبة فصلى فى جوفها.

و ذكر أيضا أنه فى اليوم السادس من ذى القعدة سنة (١١٠٦) ست و مائة و ألف نزل الشريف أمير مكة، و فتحت الكعبة له، و أشرف على جدار بها، يحتاج إلى ترميم، و تبادل خشبة فى الكعبة، فأمر بذلك، و تمت الخشبة يوم ٧ ذى القعدة من هذه السنة. و ذكر فى حوادث سنة ١١٠٩ أنه لما كان يوم الخميس ٦ محرم طلع الشريف أمير مكة، و القاضى المتولى فى هذه السنة، و جماعة من الفقهاء، و متصرف جدة، و أشرفوا على سطح الكعبة، و حقق المهندسون خراب السقف، عند القاضى، بموجب الأمر العالى، و لما كان يوم الأحد ١٣ محرم شرعوا فى إصلاح سقف الكعبة، فأخرجوا السقف المنكسر، و ظهر أن الدرجة المصعدة إلى السطح محتاجة إلى تعمیر، فاستمر العمل فيها، و غيروا الدرجة، و جعلوا فيها سبع درج رخام، و الباقى من خشب الساج. فرغوا منها أوائل ربيع الأول، و ذبح صاحب جدة، يوم فراغ العمارة، نحو من أربعين شاة، و فرّقها على المساكين و فرّق شيئا من الدراهم على فقهاء المكاتب بالحرم و بعض الفقهاء.

و فى يوم الخميس ٢٦ ذى الحجة سنة (١١١٨) ثمانى عشرة و مائة و ألف حضر إيواز بك، من جدة إلى مكة، و اجتمع بشريف مكة و أميرها و القاضى و أمير الحاج غيطاس بك، و فتح لهم الشيخ «محمد الشيبى» الكعبة للنظر فيما تحتاجه من التعمير و الترميم فأجروا جميع الإصلاحات اللازمة.

و في يوم السبت ١٤ ذى القعدة سنة (١١٣٦) ست و ثلاثين و مائة و ألف، ورد أمر سلطاني، يتضمن ترميم الكعبة و المسجد الحرام و المدرسة السلطانية، فدخل الكعبة أمير مكة و قاضيها و بعض العلماء، فأرأوا موضع الخراب بها، و أحضروا المعلمين و البنائين، و صاروا يأخذون بأيديهم أواني الجبس و النورة و يناولونها المعلمين ساعة من النهار.

و نقل الشيخ عبد الله غازي، عن بعض علماء مكة، أنه في سنة (١٢٠١) سنة واحد و مائتين و ألف، أرسل السلطان عبد الحميد الأول خمسين إقه من الفضة، و أمر أن تجعل صفائح مموهة بالذهب، و يطوق بها بعض العواميد، التي في داخل الكعبة المعظمة، ففعلوا ذلك و طوقوها بحضور أمير مكة الشريف سرور، و بحضور الوزير شيخ الحرم المكي، و هو والي جدة و بقيه المأمورين و رجال الدولة. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٥٦

و لم يوجد لهذه الصفائح في العصر الحاضر أثر و لم أفق على خبر نزعها و متى كان.

و في سنة (١٢٥٣) ثلاث و خمسين و مائتين و ألف أصلحوا فرش الكعبة، و فرشوا فيها الحجر المرمر، الذي جاء من استانبول، و في سنة (١٢٥٩) تسع و خمسين و مائتين و ألف أصلحوا الأحجار، التي حول الحجر الأسود، و كذلك بعض أحجار باطن الكعبة، و في سنة خمس و تسعين و مائتين و ألف فرش سطح الكعبة بألواح المرمر، و في سنة سبع و تسعين و مائتين و ألف جدد فرش الكعبة، و غير بعض أخشاب سقفها، و أصلح بعضها، كما ذكره مدير الحرم المكي السابق، أمين أفندي أمصيلي «أما سيه لي» في رساله ألفها باللغة التركية، في بيان خدمات آل عثمان للحرمين الشريفين.

و في سنة (١٣١٦) ست عشرة و ثلاثمائة و ألف، في عهد الشريف عون الرقيق، تسرب من سقف الكعبة إلى جوفها شيء من ماء المطر، و مكث فيها حتى ظهرت منها رائحة كريهة بسببه، فلما بلغ ذلك رئيس السدنة الشيخ «محمد صالح الشيبى»، و كان بالطائف، أرسل ابنه، الشيخ محمد، إلى مكة، ففتح الكعبة فأزالوا الماء المستنقع، و أصلحوا الرخام المتصدع. في سطح الكعبة، و سدوا مواقع الخلل سدا محكما، و دام العمل نحو نصف شهر.

و في سنة (١٣٢٨) ثمان و عشرين و ثلاثمائة و ألف في عهد الشريف «الحسين بن على بن محمد بن عون» ملك الحجاز الأسبق، حصل وهن في المربيع الخشب، بسطح الكعبة، التي يعلق فيها ثوب الكعبة، فأبدلوا تلك الأخشاب بأربعة مربيع من خشب، أتوا بها خصيصا لذلك، بواسطة رئيس السدنة، الشيخ «محمد صالح الشيبى» و ذلك لتعذر وجود مثل تلك الأخشاب بالحجاز.

و في سنة (١٣٣٢) اثنتين و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف حصل في أسفل الثلاثة الأعمدة الخشب، التي بجوف الكعبة، و التي هي باقية من عهد «عبد الله بن الزبير»، رضى الله تعالى عنهما، تصدع و تشقق بسبب غسيل الكعبة، و دخول السيول إلى جوفها، فعلم بذلك الشريف «الحسين بن على» أمير مكة في ذلك الوقت، فحضر إلى المسجد الحرام في ضحوة يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول من السنة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٥٧

المذكورة، و كان في استقباله رئيس السدنة الشيخ «محمد صالح الشيبى» و بعض السدنة و فتحوا له الكعبة الشريفه، و حضر بعض أهل الخبرة من النجارين، فأحاطوا كل عمود من الأعمدة الثلاثة، من أسفلها بأخشاب طوال، على قدر القامة، و سمروها فيها بغاية الإقتان، فهي لا تزال إلى اليوم على هذه الحالة. انتهى من «تاريخ الكعبة المعظمة».

نقول: و في يوم ٢٦ شعبان سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية قطعوا الرؤوس المزخرفة فقط، لهذه الأخشاب الطوال، التي تحيط بكل من الأعمدة الثلاثة المذكورة، ثم إنه في أوائل شهر شوال من سنة ١٣٧٧، ركبو تسعة أطواق من الفضة، محيطه بالثلاثة الأعمدة المذكورة، لكل عامود ثلاثة أطواق، زيادة في استمساكها و تقويتها. نقول: و ما يظنه بعضهم بأنه حصل ترميم قليل بأعلى الركن الشرقى للكعبة المشرفة، و ذلك في شعبان سنة ١٣٣٤ هجرية، بسبب وصول شظية من المدفع، الذي رمى من قلعة أجياد، أيام حرب الشريف حسين بن على مع الحكومة التركية فليس ذلك بصحيح. و إنما وقع هو أنه في عصر يوم ٢٣ شعبان من السنة

المذكورة سنة (١٣٣٤) ألف و ثلاثمائة و أربع و ثلاثين هجرية، بينما الحرب دائرة، بين الشريف حسين المذكور و بين الأتراك المتحصنين في القلعة، التي على جبل أجياد، وقعت شظية من المدافع، التي كانت ترمى من القلعة المذكورة على جنود الشريف، في ثوب مكة المعظمة، بقرب حزامها المكتوب من جهة الركن الأسود، فظهر الدخان من الثوب، ففرغ الناس و أسرع فضيلة الشيخ محمد بن محمد صالح الشيبى «رئيس سدة الكعبة» بالحضور إلى المسجد الحرام، و اجتمع الناس عليه، ففتح الكعبة المشرفة، و صعدوا إلى سطحها، و أطفأوا النار، التي على الثوب بالماء، إطفاء تاما، ثم نزلوا، و قد وقف الرمي من العسكرين، لما شاهدوا الحريق في ثوب الكعبة، احتراماً و إجلالاً لها، هذا ما حصل على جزء صغير من ثوب الكعبة في هذه الواقعة بدون قصد.

أما نفس الكعبة المطهرة، فلم يحدث لها أى شىء يحتاج إلى ترميم مطلقاً، إلى سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية، ففي شهر رجب من هذه السنة، حصل فيها إصلاحات كثيرة، و تغيير تام لسقفها "الأعلى و الأدنى" و ذلك في عهد الحكومة العربية السعودية في عصرنا الحاضر، و إليك تفصيل ذلك في المبحث الآتى، كما شاهدناه بأنفسنا، و وقفنا على عمارتها خطوة خطوة، و جزءاً

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٥٨

جزءاً، و لله الحمد، نسأل الله الغفور الرحيم، رب هذا البيت الكريم، و رب السموات و الأرض و رب العرش العظيم، أن يجعلنا و ذريتنا من سعداء الدارين بفضلته و رحمته آمين، و صلى الله و سلم على النبي الأمى أبى القاسم الأمين و على آله و صحبه أجمعين.

### سطح الكعبة و أرضها من الداخل

بحمد الله تعالى، لقد تشرفنا بدخول الكعبة المشرفة، و الصعود إلى سطحها العلوى، و ذلك في ضحى يوم الاثنين الثامن عشر من شهر رجب سنة ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف، و إليك وصف سطحها الشريف:

أرض الكعبة من الداخل مرصوفة بحجارة المرمر، و أما سطحها الأعلى مما يلي السماء فمفروش بالحجر الرخام الأبيض الثخين. و السطح محاط بإفريز ارتفاعه إلى ٨٠ سنتيمتراً، من جهة الميزاب، و فى الجهات الأخرى، أقل من ذلك، تبعاً لانحدار السطح إلى جهة الميزاب، و هذا الإفريز مبلط بالنورة.

و فوق السطح مرايبع من الخشب و هى الأعواد الغليظة المربعة الطويلة التي تربط فيها كسوة الكعبة المعظمة، و عددها أربعة أعواد، فى كل جهة عود واحد، كل عود لاصق فى الإفريز المحيط بالسطح من الجوانب الأربعة، و كل عود داخل طرفاه فى جدار الإفريز بإحكام تام، حتى لا يتزحزح من موضعه، إذا ربطت فيه الكسوة الثقيلة، و هذه الأعواد الخشبية الحالية وضعت فى سنة (١٣٢٨) ثمان و عشرين و ثلاثمائة و ألف، بدلا من الأعواد، التي كانت قبلها و تلفت، كما ذكره الغازى، رحمه الله تعالى فى تاريخه فقد قال فيه ما نصه:

قال الشيخ حسين باسلامة فى «تاريخ الكعبة المعظمة»: ذكر مدير الحرم المكى السابق، أمين أفندى أمصلى، فى رسالته ألفها باللغة التركية، فى بيان خدمات آل عثمان للحرمين الشريفين، أنه فى سنة (١٢٥٣) ثلاث و خمسين و مائتين و ألف أصلحوا فرش الكعبة و فرشوا الحجر المرمر، الذى جاء من استانبول. و فى سنة (١٢٥٩) تسع و خمسين و مائتين و ألف، أصلحوا الأحجار التي حول الحجر الأسود، و كذلك بعض أحجار باطن الكعبة. و فى سنة (١٢٩٥) خمس و تسعين و مائتين و ألف، فرش سطح الكعبة بألواح المرمر، و فى سنة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٥٩

(١٢٩٧) سبع و تسعين و مائتين و ألف، جدد فرش الكعبة و غير بعض أخشاب سقف الكعبة و أصلح بعضها اه.

و فى الفتوحات الإسلامية للسيد أحمد دحلان: و فى سنة (١٢٩٩) تسع و تسعين و مائتين و ألف، عمّر السلطان عبد الحميد خان فى الكعبة المعظمة و فرش باطنها بالرخام اه، و فى سنة (١٣١٦) ست عشرة و ثلاثمائة و ألف، فى إمارة الشريف عون الرفيق، وقع خراب

في فرش الرخام، الذي على سطح الكعبة، فعمل الصنّاع لذلك معجوناً من النورة و زلال البيض و الإسمنت و غير ذلك، و أصلحوه، و مكث العمل فيه نحو نصف شهر، و في سنة (١٣٢٨) ثمان و عشرين و ثلاثمائة و ألف، حصل خراب و وهن في مرايع الخشب التي يعلق فيها ثوب الكعبة، بسطح الكعبة، فعمل بدلها أربعة مرايع، من خشب خصيصاً لذلك، و لا تزال تلك المرايع على حالها إلى اليوم.

و في كتاب «المحمل و الحج» قال ابن فضل الله العمري في كتابه «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» ما يأتي:  
و لما حججت سنة (٧٣٨) ثمان و ثلاثين و سبعمائة، صعدت أنا و أمراء الركب المصري، لتلييس الكعبة الشريفة، حتى كنا على سطحها، فرأيت مبلطاً بالمرمر و الرخام الأبيض، و من جوانبه جدر قصار فيها حلق لربط الستور، تجرّ فيها الكسوة بحبال، ثم تربط في تلك الحلق. انتهى من الكتاب المذكور.

و في سنة (١٣٣٢) اثنتين و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف، وقع في أسفل أعمدة الخشب، التي بداخل الكعبة المعظمة، القائم عليها بساتل سقف الكعبة، أشطاب و تصديع، و هذه الثلاثة الأعمدة هي من عهد الخليفة عبد الله بن الزبير، رضى الله عنهما، فأحضروا بعض أهل الخبرة من النجارين، فتقرر عمل أخشاب أشبه بالطاب، على طول القامة، تحاط بأسفل كل عامود، من الأعمدة الثلاثة، و تسمر فيه، بغاية الإثقان. فعمل ذلك فعلاً، و هي لا تزال على هذه الحالة إلى اليوم.

انتهى ما في «تاريخ الكعبة المعظمة» بحذف و اختصار. انتهى منه، و إن شاء الله تعالى سيأتي الكلام في محله على تغيير رخام سطح الكعبة و فرشه برخام جديد في عصرنا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٦٠

### وصف رخام الكعبة في عصر ابن جبير

يقول ابن جبير الأندلسي في رحلته، التي كانت سنة (٥٧٨) ثمان و سبعين و خمسمائة هجرية، يصف أرض الكعبة الشريفة، المفروشة بالرخام، و ذلك حينما دخلها في السنة المذكورة، ما يأتي:

و إذا انفتح باب الكعبة كبر الناس، و علا ضجيجهم، و نادوا بالسنة مستهله:

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك و مغفرتك، يا أرحم الراحمين، ثم يدخلون بسلام آمنين.

و في الصفح المقابل للداخل فيه، هو من الركن اليماني إلى الركن الشامي، خمس رخامات منتصبات طولاً، كأنها أبواب تنتهي إلى مقدار خمسة أشبار من الأرض، و كل واحدة منها نحو القامة، الثلاث منها حمر، و الاثنان خضراوان، في كل واحدة منها تجزيع بياض، لم ير أحسن منظراً منه، كأن فيها تنقيط، فتتصل بالركن اليماني منها الحمراء، ثم تليها بخمسة أشبار الخضراء، و الموضع الذي يقابلها متقهقراً عنها بثلاثة أذرع، هو مصلى النبي صلى الله عليه و سلم، فيزدحم الناس على الصلاة فيه تبركاً به، و وضعهن على هذا الترتيب، و بين كل واحدة و أخرى القدر المذكور، و يتصل بينهما رخام أبيض، صافي اللون، ناصع البياض، قد أحدث الله، عز و جل، في أصل خلقتها، أشكالاً غريبة مائلة إلى الزرقفة، مشجرة مقصنة، و في التي تليها مثل ذلك بعينه من الأشكال، كأنها مقسومة. فلو انطبقتا لعاد كل شكل يضافح شكله. فكل واحدة شقة الأخرى لا محالة، عندما نشرت انشقت على تلك الأشكال، فوضعت كل واحدة بإزاء أختها، و الفاصل منها بين كل خضراء و حمراء رخامتان، سعتها خمسة أشبار، لا الأشبار المذكورة أو الأشكال فيها تختلف هيأتها، و كل أخت منها بإزاء أختها، و قد شدت جوانب هذه الرخامات تكافيف، غلظها قدر إصبعين من الرخام المجزع، من الأخضر و الأحمر المنقطين، و الأبيض ذى النحيلان، كأنها أنابيب مخروطية، يحار الوهم فيها، فاعترضت، في هذا الصفح المذكور من فرج الرخام الأبيض، ست فرج، و في الصفح، الذي عن يسار الداخل، و هو من الركن الأسود إلى اليماني أربع رخامات، اثنتان خضراوان و اثنتان حمراوان، و بينهما خمس فرج، من الرخام الأبيض، و كل ذلك على الصفة المذكورة، و في الصفح، الذي عن



يمين الداخل،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٦١

وهو من الركن الأسود إلى العراقي، ثلاث: اثنتان حمراوان وواحدة خضراء، ويتصل بها ثلاث فرج من الرخام الأبيض. وهذا الصفح هو المتصل بالركن، الذي منه باب الرحمة، وسعته ثلاثة أشبار وطوله سبعة وعضادته، التي عن يمينك، إذا استقبلته، رخامة خضراء في سعة ثلثي شبر، وفي الصفح الذي من الشامي إلى العراقي ثلاث: اثنتان حمراوان وواحدة خضراء. ويتصل بها ثلاث فرج من الرخام الأبيض، على الصفة المذكورة، ولكل هذا الرخام المذكور طرتان: واحدة على الأخرى، سعة كل واحدة منهما قدر شبرين، ذهب مرسوم في اللازوردى، قد خط فيه خط بديع، وتتصل الطرتان بالذهب المنقوش على نصف الجدار الأعلى، والجهة، التي عن يمين الداخل، لها طرة واحدة، وفي هاتين الطرتين بعض مواضع دارسة، وفي كل ركن من الأركان الأربعة، مما يلي الأرض، رخامتان خضراوان صغيرتان، تكتنفان الركنين، وتكتنف أيضا كل ما بين من الفضة الذين في كل ركن، كأنهما طاقان عضارتان من الرخام الأخضر، صغيرتان على قدر نقيسها، وفي أول كل صفح من الصفحات المذكورة، رخامة حمراء، وفي آخره مثلها، والخضراء بينهما على الترتيب المذكور، إلا الصفح الذي عن يسار الداخل، فأول رخامة تجدها متصلة بالركن الأسود رخامة خضراء، ثم حمراء إلى كمال الترتيب الموصوف. انتهى من رحلة ابن جبير.

### غسل الكعبة المشرفة

لا يخفى أن كل شيء في الدنيا معرض للاتساخ، والكعبة المعظمة المشرفة مصانة محفوظة عن الأوساخ فلا نوافذ فيها ولا فتحات سوى الباب، بل هي دائما تعطر، من قديم الزمان جاهلية وإسلاما، ولكن قد يطرأ عليها ما يوجب تنظيفها وغسلها من الغبار الذي تأتي به الرياح، ومن ازدحام الناس على زيارتها والدخول في باطنها، لذلك هي لا تحتاج إلى تنظيف وغسل سوى مرتين أو ثلاثا في السنة.

ومن المعلوم أن الكعبة، من زمان بانيتها الأول، بعد الطوفان، وهو الخليل سيدنا إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، لا تحتاج إلى غسل و تنظيف، لأنها بنيت بالرضم، حجارة بعضها فوق بعض، بدون طين ولا نورة، ولم يكن لها سقف ولا باب من خشب أو حديد، وكانت أرضها الداخلية رملا أو حصباء، فهي الحالة هذه، لا تحتاج إلى غسل ولا تنظيف ويكفي لغسلها من الأتربة نزول المطر

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٦٢

عليها، لكن بعد بنائها بالطين وتسقيفها وجعل الباب عليها لا بد من تنظيفها كما تنظف الدور والبيوت.

وكان أول من غسل الكعبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى عن ابن عمر، رضى الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة، يوم الفتح، أمر بلالا، فرقى على ظهر الكعبة، فأذن بالصلاة، وقام المسلمون وتجردوا في الأزر وأخذوا الدلاء، وارتجزوا على زمزم، فغسلوا الكعبة، ظهرها وبطنها، فلم يدعوا أثرا، من آثار المشركين، إلا محوه وغسلوه. اهـ.

قال صاحب كتاب «تاريخ الكعبة المعظمة»: وهذا رواه السنجاري في كتاب منائح الكرم، نقلا عن التقى الفاسى، وهو رواها عن الفاكهي. اهـ.

نقول: فمن هنا، جرت العادة بغسل الكعبة من ذلك التاريخ إلى اليوم، وهي تغسل في العام مرتين، بماء زمزم، مضافا إليه ماء الورد، ثم يطيبونها بالعطر، ويخرونها بالعود والعنبر والند، وغالبا يكون ذلك بحضور ولاية الأمور وكبار رجال الدولة. وقد تشرفنا بغسلها ولله الحمد سنة (١٣٦٧) سبع وستين وثلاثمائة ألف، يوم أن فتحوا لنا مقصورة مقام إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، بأمر جلالة الملك المعظم سعود بن عبد العزيز نصره الله تعالى.

قال الغازي في تاريخه: ذكر الشيخ حسن بن عبد القادر الشيبى في كتابه «الإتمام على أعلام الأنام» كيفية غسل الكعبة المعظمة فقال:

أما غسل الكعبة المعظمة في السنة فمرتان، مرة في أواخر ذى القعدة، و في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول مرة. و كفيته أنه في صباح اليوم المذكور، بعد الإشراق، يفتح سدنة الكعبة المعظمة، و يأتونه بغلاية فيها ماء الورد، و عطر الورد، و بخور العنبر و الند، الذي يأتي مع المحمل الشامى، و يعتمدون بشيلان، يحضرها شيخ السدنة، و من قبل مراسم الغسل، يعطى شيخ السدنة خبرا إلى مولانا أمير مكة المكرمة و رؤساء المأمورين، و تحضر مكانس، من طرف مديرية الأوقاف الهمايونية، بالحرم الشريف المكي، و يأتى شيخ الزمامة بسطول، و يملأ-السقاؤون من بئر زمزم، و يأتون بها إلى تحت باب الكعبة المعظمة، و هناك تملأ السطول، و تناول إلى من هو واقف في باب الكعبة، و يسلمها للذى فى داخلها، و هناك يمسك سيدنا أمير مكة المكرمة فى يده مكنسة، و كذلك إن حضر أحد من أنجال سيدنا الأمير، يستحضر له مكنسة،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٦٣

و كذلك مولانا قاضى مكة المكرمة، و سائر المأمورين، و يغوطون بشيلان، ثم يتبدأ أولا بصب السطول من عند مولانا أمير مكة و أنجاله، ثم تصب السطول و تملأ فى سائر أطراف الكعبة المعظمة للجمع، و تخرج الفارغة من السطول و تدخل ملائة، و هكذا إلى أن يتم الغسل، ثم يملأ- من العطر و ماء الورد فى طاسات، و يدهن بها جدار الكعبة، مولانا الأمير المشار إليه، و حضرات أنجاله، و يبخر بالعنبر و الند حضرة مولانا القاضى، فكل من أراد كذلك، ثم إن سيدنا الأمير، المشار إليه، أحيانا يقذف من المكانس المغسول بها البيت إلى الحجاج الواقفين عند الباب، بحسب التبرك، ثم يدعو لهم أحد السدنة الشيبين دعاء، ثم تختم مراسم الغسل، و يخرجون منها، ثم إن السدنة ينشّفون المبلول بالإسفنج و يزدون تطيرا و تبخيرا و يغلقون الباب. انتهى من الغازى.

و قال صاحب كتاب «تاريخ الكعبة المعظمة» عند غسل الكعبة المعظمة ما يأتى: أما غسل الكعبة، فى العصر الحاضر، فهو يجرى فى العام مرتين: مرة قبل الحج، و مرة بعد سفر الحجاج من مكة، و غالبا يكون الغسل، فى المرة الأولى، فى أواخر ذى القعدة، و ربما كان فى أول ذى الحجة من سنة، و المرة الثانية غالبا يكون غسل الكعبة فى اليوم الثانى عشر من ربيع الأول.

أما كيفية الغسل فإليك تفصيله: و هو أنه فى صباح اليوم المعين لغسل الكعبة المعظمة، يحضر رئيس سدنة الكعبة المعظمة إلى الحطيم، بعد شروق الشمس بلحظة، و معه السدنة آل الشيبى، فيفتح باب الكعبة المعظمة، ثم يأتى أتباع السدنة بقلال فيها ماء الورد، و قوارير فيها عطر الورد، و بالمباخر و العنبر، و العود، و الند، و يؤتى بالأزر، و هى تكون غالبا من النوع الذى يسمى (بالشال الكشميرى) لأجل الاتزار بها حال غسل الكعبة المعظمة.

و قد جرت العادة أن يدعو رئيس السدنة ولاء الأمر من ملوك أو أمراء، أو ولاء، و وزراء الدولة و القاضى، و رؤساء الدوائر، إلى غسل الكعبة، و قبل حضورهم بلحظة تكون كل مواد الغسل حاضرة، و تحضر مديرية الأوقاف عادة المكانس، و يحضر شيخ الزمامة الموكلين بسقاية الحاج ماء زمزم، سطولا مملوءة من ماء زمزم، إلى الكعبة، فيستلمها منهم السدنة و أتباعهم و يدخلونها الكعبة المعظمة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٦٤

و بعد استكمال كل ذلك، بداخل الكعبة المعظمة، يحضر المدعوون لغسل الكعبة، بداخل الكعبة، و يأخذ كل واحد منهم إزارا فيرتدى به، ثم يحمل المكنسة و يباشر الجميع غسل الكعبة المعظمة بماء زمزم، مضافا إليه ماء الورد، ثم إتمام غسل أرض الكعبة، و بعض أطراف جدارها السفلى، يباشرون مسح جدارها، إلى ارتفاع قامه الإنسان، بماء الورد أولا، ثم يطيونها بعطر الورد، و يوضع ذلك فى طاسات من معدن أبيض أو بلور، و بعد انتهاء عمل الطيب بالعطر يضعون العنبر، و العود، و الند، فى مباخر بديعة فاخرة و تبخر بها عموم أطراف الكعبة و جميع جوانبها، بعد تجفيف أرضها بالإسفنج، و بعد إتمام غسل الكعبة المعظمة و تطييبها، يقسم السدنة تلك المكانس على الناس المجتمعين عند باب الكعبة.

و قد حضر جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود غسل الكعبة المعظمة بنفسه عدة مرات، و باشر غسلها بيده

الميمونة، و حضر معه في كثير من المرات غسل الكعبة، ولى عهد المملكة العربية السعودية، صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد العزيز و نائبه العام صاحب السمو الملكي رئيس مجلس الوكلاء الأمير فيصل بن عبد العزيز و أصحاب السمو إخوان جلالته الفخام، و بعض أنجاله المباركين و بعض الأسرة الكريمة، و رجال الدولة، و قضاته. انتهى من الكتاب المذكور.

نقول: و لقد سألتنا رئيس سदन الكعبة المشرفة في وقتنا الحاضر و هو صاحب السيادة و السعادة الشيخ محمد بن محمد صالح بن أحمد الشيبى حينما كنا بمنزله العامر، تلبية لدعوته لنا للغداء، و ذلك يوم السبت السادس عشر من رجب عام ١٣٧٦ هـ سألناه عن عدد المرات التي تغسل فيها الكعبة في السنة، فقال: تغسل الكعبة مرتين في السنة: إحداها بعد النصف الثاني من شهر شعبان، إما في اليوم الخامس و العشرين منه أو في السابع و العشرين، و ثانيتهما في اليوم السابع من ذى الحجة.

اللهم اغسل خطايانا و أبدل سيئاتنا حسنات بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين. و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٦٥

### تلقى الناس لماء المطر تحت ميزاب الكعبة

و بمناسبة الصلاة في الحجر، تحت ميزاب الكعبة، فإن الناس إلى اليوم يتلقون ماء المطر النازل من ميزاب الكعبة، على سبيل البركة، و نذكر هنا ما جاء في رحلة ابن جبير، التي كانت سنة (٥٧٨) ثمان و سبعين و خمسمائة، فقد ذكر فيها عن ذلك، ما يأتي:

و مما يجب أن يثبت و يؤثر، لبركة معانته و فضل مشاهدته، أن في يوم الجمعة التاسع عشر من جمادى الأولى، بعد صلاة العصر، و مع العشى، جاء مطر، و تبادر الناس إلى حجر إسماعيل، فوقفوا تحت الميزاب المبارك، متجردين عن ثيابهم، يتلقون الماء الذي يصبه الميزاب برؤوسهم و أيديهم و أفواههم، مزدحمين عليه ازدحاما عظيما، أحدث ضوضاء عظيمة، كل يحرص على أن ينال جسمه من رحمة الله نصيبا، و دعاؤهم قد علا، و دموع أهل الخشوع منهم تسيل، فلا تسمع إلا ضجيج دعاء أو نشيج بكاء. و النساء قد وقفن خارج الحجر، ينظرون بعيون دوامع و قلوب خواشع، يتمنين ذلك الموقف لو ظفرن به، و كان بعض الحجاج المتأخرين المشفقين بيل ثوبه بذلك الماء المبارك، و يخرج إليهن و يعصره في أيدي البعض منهن، فتلقينه شربا و مسحاً على الوجوه و الأبدان. و تمادت تلك السحابة المباركة إلى قريب المغرب، و تمادى الناس على تلك الحال من الازدحام، على تلقي ماء الميزاب بالأيدي و الوجوه و الأفواه، و ربما رفعوا الأواني ليقع فيها، فكانت عشية عظيمة، استشعرت النفوس فيها الفوز بالرحمة، ثقة بفضلهم و كرمهم، و لما اقترن بها من القرائن المباركة: فمنها أنها كانت عشية الجمعة، و فضل اليوم فضله، و الدعاء فيها يرجى من الله تعالى قبوله، لما ورد فيها من الأثر الصحيح، و أبواب السماء تفتح عند نزول المطر، و قد وقف الناس تحت الميزاب، و هو من المواضع التي يستجاب فيها الدعاء، و طهرت أبدانهم رحمة الله النازلة من سمائه، إلى سطح بيته العتيق، الذي هو حيال البيت المعمور. و كفى بهذا المجتمع الكريم و المنتظم الشريف، جعلنا الله ممن طهر فيه من أرجاس الذنوب، و اختص من رحمة الله تعالى بذنوب، و رحمته واسعة تسع عباده المذنبين، إنه غفور رحيم. انتهى من رحلة ابن جبير.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٦٦

و مما يناسب هذا المقام، ما ورد في تاريخ الأزرقى: أن داود بن عجلان طاف مع أبي عقال، في مطر قال: و نحن رجال، فلما فرغنا من سبعا، أتينا نحو المقام، فوقف أبو عقال دون المقام، فقال: ألا أحدثكم بحديث تسرون به أو تعجبون به؟

قلنا: بلى قال: طفت مع أنس بن مالك و الحسن و غيرهما في مطر، فصلينا خلف المقام ركعتين، فأقبل علينا أنس بوجهه، فقال لنا: استأنفوا العمل فقد غفر لكم ما مضى، هكذا قال لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و طفنا معه في مطر. انتهى منه.

نقول: لا يزال الناس إلى اليوم، إذا جاء المطر يقفون تحت ميزاب الكعبة، يتلقون الماء النازل، من سطح الكعبة، بأجسامهم للتبرك، و

للمطر عندنا بمكة فرحة و نشوة يستبشر الناس به كثيرا. جاء في كتاب «الأذكار» للإمام النووي ما نصه: روى الشافعي رحمه الله تعالى، في الأم بإسناده حديثا مرسلًا عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش و إقامة الصلاة و نزول الغيث».

قال الشافعي: و قد حفظت عن غير واحد طلب الإجابة عند نزول الغيث و إقامة الصلاة. انتهى.

ورد: «ثنتان لا تردان الدعاء عند النداء و تحت المطر» عند النداء أي: الأذان للصلاة، رواه الحاكم في «المستدرک»، قال العزیزی: إسناده ضعيف لكن له شواهد.

و في صحيح مسلم، عن أنس، رضى الله عنه، قال: «أصابنا و نحن مع رسول الله صلى الله عليه و سلم مطر، فحسر رسول الله صلى الله عليه و سلم ثوبه، حين أصابه المطر، فقلنا: يا رسول الله لم صنعت؟ قال: «لأنه حديث عهد بربه» قال العزیزی: أي بتكوين ربه إياه، و معناه أن المطر رحمة، و هي قريبة العهد بخلق الله تعالى له فيتبرك بها. انتهى.

قال الشيخ الحفنى في حاشية على العزیزی عند كلمة «و تحت المطر» أي فلا- بد أن يبرز له، و بعضهم قال الأولى ذلك، و إلا فيستجاب الدعاء وقت نزول المطر أشد إجابة من غيره. انتهى.

نقول: إذا كان الدعاء يستجاب عند نزول المطر مطلقا في أي موضع كان، فإن الدعاء يكون أكثر إجابة و أرجى قبولا عند نزوله في الأوقات المباركة و الأمكنة المقدسة، عند الأذان للصلاة، و بين الأذان و الإقامة و عند التقاء الجيوش، و نزوله بمكة، و في المسجد الحرام حول الكعبة، و بعرفات عشية الوقوف، و نحو ذلك و فضل الله واسع و رحمته عظيمة، و الله تعالى عند حسن ظن عبده به

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٦٧

و الأعمال بالنيات، و الصدق في الطلب، و الدعاء و الإخلاص في التضرع، و الخشوع يوجبان القبول و الإجابة.

### ميزاب الكعبة و عدده

لما بنى خليل الله إبراهيم عليه الصلاة و السلام، البيت المعظم، بناه على ربوة بالرضم، حجارة بعضها فوق بعض، بدون طين و لا حص و لا إسمنت، و لم يجعل له بابا يفتح و يغلق، و إنما ترك مكانه فتحة، للدلالة على وجه البيت، كما أنه لم يجعل له سقفا، و ما دام البيت، لا سقف له، فلا يمكن وضع ميزاب عليه، و فائدة الميزاب جريان ماء المطر منه حتى لا يخرب السقف، و حيث لا سقف و لا باب للكعبة المشرفة، فإن المطر ينزل على أرضها، و يخرج من فتحة الباب، و من شقوق حجارة الجدران، التي بالرضم فلا خوف عليها من المطر، و لم تبني كذلك إلا على الفطرة الأولى، و لعدم وجود أناس كثيرين بمكة المشرفة.

فلما كثر الناس، و تدرجوا في معرفة بعض الأمور، جعلوا للكعبة المعظمة سقفا و ميزابا و بابا يفتح و يغلق، فأول من جعل لها سقفا، بعد سيدنا إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، قصي بن كلاب، الجد الرابع لنا محمد صلى الله عليه و سلم، فإنه سقفها بخشب الدوم و جريد النخل حين بناها، ثم صارت بعده بلا سقف، إلى أن بنتها قريش، فسقفتها بخشب الدوم و جريد النخل أيضا، و لا يزال تسقيف بعض البيوت و المنازل في الحجاز إلى عصرنا، بخشب الدوم و جذوع النخل و جريدها.

فيعلم بالضرورة من تسقيف الكعبة المشرفة أنه لا بد من وضع ميزاب على سطحها.

و اعلم أن تغيير ميزاب الكعبة أو تغيير شيء مما يتعلق بها يكون لأمرين: إما أن يكون الميزاب أو الشيء قد اعتراه ضعف أو خراب، و إما أن يكون ذلك بقصد التشرف بخدمه بيت الله الحرام، رجاء المثوبة، من عند الله عز و جل، في كلا الأمرين الأجر و الثواب، فصاحب الخير لا يعدم الخير.

و هنا نذكر ميازيب الكعبة، منذ العهد القديم إلى اليوم، فنقول:

(١) الميزاب الذي وضعه قصي بن كلاب، الجد الرابع للنبي صلى الله عليه و سلم، و ذلك حينما بنى الكعبة و سقفها، و لم يذكره

المؤرخون، لكن نحن ذكرناه استنتاجا من تسقيفه لها.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٦٨

(٢) الميزاب، الذى وضعتة قريش، حينما بنت الكعبة، قبل نبينا محمد صلى الله عليه و سلم، بخمس سنين على أشهر الأقوال. فبعد تسقيفها جعلوا لها ميزابا، مصبه على حجر إسماعيل، عليه الصلاة والسلام، و لا يزال إلى اليوم، مكان جميع ميازيب الكعبة، التى توضع عليها، هو مكان الميزاب الذى وضعتة قريش فيه.

(٣) الميزاب، الذى وضعه عبد الله بن الزبير، رضى الله عنهما، حينما بنى الكعبة و سقفها، و ذلك سنة أربع و ستين من الهجرة.

(٤) الميزاب، الذى وضعه الحجاج بن يوسف الثقفى، فإنه هدم من الكعبة ما زاده ابن الزبير فيها، و هو من جهة حجر إسماعيل، و بالضرورة فقد أزال جميع جدار الكعبة، الذى من جهة الحجر، و الذى فيه ميزاب ابن الزبير، كما أزال من الجدار الشرقى و الجدار الغربى ستة أذرع، من كل منهما فقط، من جهة الحجر، ثم بناها على أساس قريش. فلا بد إذا أنه وضع ميزابا جديدا، بدل ميزاب ابن الزبير، الذى مضى عليه عشر سنين، و كان بناء الحجاج لها سنة أربع و سبعين من الهجرة. و لم يذكره المؤرخون أيضا، لكن ذكرناه، استنتاجا من واقع الحال.

(٥) الميزاب، الذى وضعه الخليفة الأموى، الوليد بن عبد الملك بن مروان، فقد بعث إلى و اليه على مكة، خالد بن عبد الله القسرى، بستة و ثلاثين ألف دينار، جعلها صفائح من الذهب، فيضرب منها على باب الكعبة، و على الأساطين، التى بداخلها، و على أركانها من الداخل، و على مزابها.

فالوليد بن عبد الملك هو أول من ذهب البيت فى الإسلام، كما هو أول من حلّى الميزاب بالذهب، و كان ذلك سنة (٩١) إحدى و تسعين هجرية حينما أمر بتوسعة المسجد الحرام.

قال الأزرقي: و طول الميزاب أربعة أذرع، و سعته ثمانى أصابع، فى ارتفاع مثلها، و الميزاب ملبس صفائح ذهب داخله و خارجه. و كان الذى جعل عليه الذهب الوليد بن عبد الملك. اه.

و قال مؤلف كتاب "المحمل و الحج" عن ميزاب الوليد بن عبد الملك: إنه فى سنة خمس و خمسين و أربعمائة، أخذ بنو الطيب هذا الميزاب، و حملوه إلى اليمن، فابتاعه صاحب اليمن الذى امتلك مكة أيضا فى السنة المذكورة و ردّه إلى مكانه. انتهى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٦٩

(٦) الميزاب، الذى عمله أبو القاسم إبراهيم، المعروف «برامشت» ابن الحسين الفارسى، صاحب الرباط المشهور، بمكة، وصل به إلى مكة خادمه مثقال، بعد موته، فركب على الكعبة سنة (٥٣٩) تسع و ثلاثين و خمسمائة.

(٧) الميزاب، الذى عمله الخليفة المقتفى بالله، أبو عبد الله محمد بن أحمد العباسى، فركب على الكعبة، بعد قلع ميزاب رامشت، و ذلك فى سنة (٥٤١) إحدى و أربعين و خمسمائة أو فى التى بعدها.

(٨) الميزاب، الذى عمله الشريف رميثة. قال الغازى فى تاريخه، نقلا عن «تحصيل المرام» و هذا عن القرشى، أنه قال: "و عمل الشريف رميثة صاحب مكة ميزابا. "اه و لم يزد على ذلك شيئا، و نحن لم نقف فى تاريخ على ميزاب رميثة، إلا على هذه الجملة التى رواها الغازى. و الشريف رميثة، تولى إمارة مكة عشر سنين، مع أخيه حميضة، و خمس سنين مع أخيه عطيقة، و تولاهما منفردا نحو خمس عشرة سنة، و كان أول توليته مع أخيه حميضة بعد وفاة أبيهما سنة (٧٠١) و توفى رميثة سنة (٧٤٦) فكانت مدة ولايته على مكة ثلاثين سنة. و الله تعالى أعلم بغيبه، فلا ندرى ميزابه كان فى أى سنة.

(٩) الميزاب، الذى عمله الناصر لدين الله، أبو العباس أحمد العباسى، و عمله من الخشب المبطن بالرصاص، فى الموضع الذى يجرى فيه الماء، أى من باطن الميزاب، و أما ظاهره، مما يبدو للناس، فهو مطلى بصحائف الفضة، و كان عمل هذا الميزاب بمعرفة الأمير سودون باشا، أثناء عمارته للمسجد الحرام، و ذلك سنة (٧٨١) إحدى و ثمانين و سبعمائة.

(١٠) الميزاب، الذى عمله السلطان سليمان القانونى، عمله من الفضة المطلية بالذهب، فركب على الكعبة المشرفة بعد قلع الميزاب السابق، و ذلك سنة (٩٥٩) تسع وخمسين و تسعمائة، و أمر السلطان المذكور بنقل الميزاب القديم إلى خزانه الروم، فتعرض له بنو شيبه، فأعطوا فى مقابل ذلك وزنه فضة من بندر جدة.

(١١) الميزاب، الذى ورد من مصر، و كان من الذهب فوضع بدل الميزاب الفضة، و أخذ الأول إلى الخزانه العاليه للتبرك به، و ذلك سنة (٩٦٢) اثنتين و ستين و تسعمائة، ذكره مؤلف كتاب «المحمل و الحج».

استأذنا الفنان يوسف أحمد، مفتش الآثار العربيه، و محيي الخط الكوفى بمصر، و مدرسه بمدرسه تحسين الخطوط الملكيه، و بكنية الآداب بالجامعه المصريه،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٧٠

رحمه الله تعالى، لكن الأستاذ المذكور لم يذكر اسم راسل الميزاب، و الذى استنتجناه، من سياق الكلام، أن هذا الميزاب، الذى ورد من مصر، كان من طرف السلطان سليمان القانونى أيضا، لأن مصر كانت تابعه للدولة العثمانيه، فالسلطان المذكور، بعد أن عمل الميزاب السابق، الذى هو من الفضة، رأى أن يبدله بميزاب من الذهب، فإن هذا أكمل بمقامه و هو خليفه المسلمين و أن يحتفظ بالميزاب السابق فى خزانه الدوله، بعد أن مكث على سطح الكعبه ثلاث سنوات.

و السلطان سليمان المذكور، لقب بالقانونى لأنه فى زمانه، وضعت قوانين للحكومه، عينت فيها مراتب الدوله و مناصبها. جلس السلطان سليمان القانونى، على تخت الملك، فى سنة (٩٢٦) و توفى سنة (٩٧٣) و عمره أربع و سبعون سنة. و كان أعظم ملوك الأرض و دولته أقوى الدول و قد افتتح كثيرا من الأقاليم و البلدان.

(١٢) الميزاب، الذى عمله السلطان أحمد خان الأول، ابن السلطان محمد الثالث، و ذلك لما بلغه حدوث تصدع فى جدار الكعبه المشرفه، بسبب السيل، الذى دخل المسجد، فأرسل نطاقا من الفضة المطليه بالذهب، ليشد به البيت الحرام، و ميزابا للكعبه، كما أرسل أيضا صحيفه من الذهب، توضع على وجه باب الكعبه، مكتوب عليها قوله تعالى: **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ...** الآية. و صفائح مطليه بالذهب لأعلى المنبر و غير ذلك، أرسل كل ذلك صحبه حسن آغا المعمر و ذلك سنة (١٠٢١) إحدى و عشرين و ألف، كما هو مكتوب فى حجر أبيض، فى الشاذروان، على يمين الحفره التى بجانب باب الكعبه. قال مؤلف كتاب "المحمل و الحج": "هذا الميزاب من الفضة منقوش بالذهب و المينا اللازوردية.

و السلطان أحمد خان الأول، جلس على تخت الملك سنة (١٠١٢) اثنتى عشر و ألف، و كان عمره أربع عشره سنة، و قد توفى سنة (١٠٢٦) فكانت مدته سلطنته أربع عشره سنة، و هو الذى سن قانون وراثه السلطنه للأكبر و الأرشد من آل عثمان.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٧١

(١٣) الميزاب، الذى عمله السلطان عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان، و هو من الذهب الخالص، و عليه كتابه جميله جدا من الجهات الثلاث، بقلم الخطاط الشهير عبد الله الزهدى، الذى توفى بمصر سنة (١٢٩٦) رحمه الله تعالى، و قد تم هذا الميزاب مع الكتابه عليه سنة (١٢٧٣) ثلاث و سبعين و مائتين و ألف فى القسطنطينيه «الآستانه».

يقول الشيخ حسين باسلامه، رحمه الله تعالى، فى كتابه «تاريخ الكعبه المعظمه» نقلا عن تحصيل المرام: إن هذا الميزاب فيه خمسون رطلا من الذهب بحسب التخمين، و جىء به من الآستانه صحبه الحاج رضا باشا، و ركب على الكعبه سنة (١٢٧٦) ست و سبعين و مائتين و ألف، و والى مكه يومئذ الشريف عبد الله بن محمد عبد المعين بن عون، رحم الله الجميع، و أرسلوا الميزاب القديم إلى الآستانه ليحفظ فى متاحفها.

و يقول الغازى فى تاريخه: كان الشريف عبد الله بن محمد المذكور فى دار السلطنه «أى الآستانه» فلما مات والده، و جهت الدوله العثمانيه إماره مكه للشريف عبد الله المذكور، و ذلك فى شهر رمضان عام (١٢٧٤)، و مكث فى دار السلطنه لقضاء بعض مهماته،

إلى أن توجه إلى مكة، في شهر ربيع الأول سنة (١٢٧٥)، و دخل مكة في موكب عظيم، و جاء معه بميزاب الكعبة محلى بالذهب، لم ير الراؤون أحسن منه، بعثه السلطان عبد المجيد خان و أرسلوا القديم إلى دار السلطنة. اه.

نقول: هذا الميزاب، الذى أرسله السلطان عبد المجيد خان، لا يزال موجودا، إلى يومنا هذا، و لا تزال صورته الجميلة البديعة باقية على حالته الأصلية، لأنه عمل بنية خالصة، و بالذهب الخالص، فرحم الله الأقدمين، الذين إذا عملوا عملا أتقنوه.

و مما يجب ذكره أنه فى شهر محرم سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف، ثار هواء شديد، ففتق قطعة من ثوب الكعبة الجديد، الذى خيط عليها، قريبا من جهة حجر إسماعيل، فألقى بهذه القطعة على هذا الميزاب المذكور، فالتوى و تعطف منها، لسان الميزاب المتدلى فقط، و لم تحدث هذه القطعة الثقيلة أى ضرر على الميزاب مطلقا، حتى أنه لم يتحرك قيد شعرة عن محله، فانظر رحمك الله إلى قوة البناء و إخلاصهم فى إحكام وضعه، ثم إن مديرية الأوقاف أصلحت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٧٢

لسان الميزاب المعوج، فى يوم الأربعاء حادى عشر من ربيع الثانى، من السنة المذكورة.

و السلطان عبد المجيد خان صاحب هذا الميزاب البديع، الذى فيه خمسون رطلا من الذهب الخالص، هو الذى أرسل أيضا الطوق الذهبى للحجر الأسود سنة (١٢٤٨) ثمان و ستين و مائتين و ألف، و كان وزن هذا الطوق عشر إقات من الذهب الصافى، و قد كان على الحجر ثلاث عشرة سنة، ثم قلع و وضع بدلا عنه الطوق الفضى، الذى أرسله السلطان عبد العزيز خان سنة (١٢٨١) فرحم الله الجميع و جزاهم خير الجزاء.

و فى تقويم أم القرى التى تصدر بمكة المكرمة، بورقة يوم الجمعة ١٩ شوال عام ١٣٦٦، مذكور أن السلطان عبد المجيد المذكور، كان يمتلك أثنى ساعة، منذ عرفت الساعات، فقد صنعت هذه الساعة، فى لندن سنة ١٨٤٤ ميلادية، من ذهب عيار ٢٢ قيراطا، و كان قطرها خمس بوصات، و كان ميناؤها من حجر "عين الهر" و هو نوع من أثمان أنواع الأحجار الكريمة، و عقاربها مرصعة بالألماس و اللالكى، و ظهرها مصنوع من البلور الفاخر، يكشف عن آلتها، و قد حفرت فيه نقوش بديعة، و كان بها جرس يدق كل ساعة، و قد بلغت تكاليفها "١٢٢٠٠" من الجنيهات أى الذهبية. اه.

فإذا كان مثل هذا السلطان ينفق على ساعة واحدة أكثر من اثنى عشر ألف جنيه، فلا نستكثر منه، رحمه الله تعالى، أن يجعل فى سبيل الله ميزاب الكعبة و طوق الحجر الأسود من الذهب الخالص. ففى المثل "و عن الملوك فلا تسل."

### عمل باب الكعبة المشرفة

لا نريد أن نتكلم عن بناء الكعبة المشرفة قبل إبراهيم الخليل، عليه الصلاة و السلام، لأن تلك العصور غابرة بعيدة، و إنما نتكلم عن بنائه و بناء من بعده، فنقول: إن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام، لما بنى الكعبة بناها بالرضم، حجارة بعضها فوق بعض من غير طين و لا نورة، و لم يجعل لها سقفا و لا بابا، و إنما ترك لمكان الباب فتحة فى جدارها الشرقى، للدلالة على وجه البيت، و ما دام بناؤه لها كان على هذه الصفة فلا ضرورة لوضع باب عليها. ذكر الفاسى، أنه لما انهدم بناء إبراهيم بنت جرهم الكعبة، و جعلوا لها بابا بمصرعين و قفلا، فعلى هذا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٧٣

تكون جرهم بنت الكعبة قبل العمالق، و روى الأزرقى العكس، و الله تعالى أعلم، و نحن رأينا، أن بناء جرهم و بناء العمالق لا بد و أن يكون على غرار بناء إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، أى بنوها بالرضم، بدون سقف لها، و لا باب، لأن حالة تلك العصور بدائية على الطبيعة الأولى، لذلك ذكرنا هنا، أول من عمل بابا للبيت، تبع الحميرى، و الله تعالى أعلم بالغيب.

(١) فأول من جعل للكعبة بابا يغلق أسعد الحميرى، و هو تبع، أحد ملوك اليمن، قبل البعثة بزمن بعيد، و هو أيضا أول من كساها

كسوة كاملة و نحر عندها.

(٢) قريش لما بنتها، جعلوا لها بابا مرتفعا عن الأرض، و لم تبق الكعبة بدون باب بعد ذلك، و إنما كان يجدد لها الباب.

(٣) عبد الله بن الزبير، رضى الله عنهما، لما بناها جعل لها بابين لاصقين بالأرض، و جعل لكل منهما مصراعين، و هو كذلك إلى اليوم.

(٤) الحجاج بن يوسف الثقفى، فإنه لما بناها، سد الباب الغربى، و رفع الباب الشرقى عن الأرض، و ذلك سنة أربع و سبعين.

(٥) عمل الخليفة العباسى، المقتفى لأمر الله، بابا للكعبة، بواسطة الوزير جمال الدين، و ذلك سنة خمسمائة و إحدى و خمسين عمله مصفحا بالذهب و الفضة، و قلع الباب القديم، و جعله تابوتا لنفسه، يدفن فيه.

(٦) عمل الملك المظفر، صاحب اليمن، بابا للكعبة، لما حج سنة تسع و خمسين و ستمائة، و جعل عليه صحائف الفضة زنتها ستون رطلا.

(٧) عمل الناصر محمد بن قلاوون، صاحب مصر، بابا للكعبة، و حلاه بخمس و ثلاثين ألف درهم، و ركبه فى الكعبة، ثانى عشر فى الحجة سنة ثلاث و ثلاثين و سبعمائة.

(٨) عمل الناصر حسن بن محمد بن قلاوون بابا للكعبة، من خشب الساج، و ذلك سنة إحدى و ستين و سبعمائة. و قد أصلحوا تحلية هذا الباب مرارا.

(٩) عمل السلطان سليمان خان القانونى، بابا للكعبة، و حلاه بحلية كثيرة، و ذلك سنة أربع و ستين و تسعمائة.

(١٠) عمل السلطان مراد خان الرابع ابن السلطان أحمد خان، بابا للكعبة، و ذلك بعد عمارته لها بخمس سنين، فركب عليها، بمحفل كبير، و ذلك فى يوم الخميس عشرين من شهر رمضان سنة خمس و أربعين و ألف، و جعل فيه من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٧٤

الحلية الفضية ما زنته مائة و ستون رطلا، بالذهب البندقى، بما قيمته ألف دينار، و استمروا ثلاثة أيام فى تركيب هذا الباب حتى صار محكما ثابتا.

و نقل الشيخ حسين باسلامة عن السنجارى أنه قال فى تاريخه ما ملخصه: أنه فى آخر ذى القعدة، سنة تسع عشرة و مائة و ألف، قلعوا خدود باب الكعبة، و الطراز الذى من الذهب الخايف، فأصلحوا كل ذلك، و كتبوا على الطراز تاريخا، ذكروا فيه أنه تجديد السلطان أحمد خان، و ذلك بحضور الشريف عبد الكريم، و شيخ الحرم الأمير إيواز بك، و السيد يحيى بن بركات، و قاضى الشرع و بعض المعلمين. انتهى منه. لكن السنجارى لم يبين أى السلطان أحمد خان يعنيه. فنحن نقول: إن الذى يعنيه السنجارى هو السلطان أحمد خان الثالث، حيث جلس هذا، على تخت الملك، سنة خمس عشرة و مائة و ألف. و إن شاء الله سنذكر بعد هذا المبحث نصّ الكتابة المنقوشة على الطراز المذهب فى زمن السلطان أحمد.

(١١) عمل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، رحمه الله تعالى، بابا للكعبة مصفحا بالذهب و الفضة، فركب عليها باحتفال كبير، و ذلك فى يوم ٢٣ من ذى القعدة سنة سبعين و ثلاثمائة و ألف، و قلع الباب القديم الذى كان عمله السلطان مراد خان الرابع، و لم يجعل الملك عبد العزيز قفلا جديدا للباب لصلاحيه القفل القديم.

انظر: صورة رقم ١١٣، ستارة باب الكعبة انظر: صورة رقم ١١٤، رأس مفتاح الكعبة المعظمة و قد كتب فى أسفل مصراعى هذا الباب الجديد ما يأتى:

"أمر بصنع هذا الباب جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ملك المملكة العربية السعودية سنة (١٣٦٣) فكان بين صدور الأمر الملكى بصنع هذا الباب للكعبة المشرفة و بين تركيبه سبعة أعوام."

قال بعضهم، فى الالتجاء إلى الله تعالى، عند باب بيته الحرام:



لذذا الباب كلماخفت ضيق المناهج

فهو باب مجرب لقضاء الحوائج

و قال مؤلف هذا الكتاب محمد طاهر الكردي الخطاط غفر الله تعالى له و لوالديه:

لذرب البيت يا من قد أساو التزم "بالملتزم" مستأنسا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٧٥ كم أتى فيما مضى من مذنب قام يدعو ربه مما أسا

دامع العين ذليلا خاشعا جاهرا يدعو و طورا هامسا

كم نبى كم رسول قد أتى يعبد الله تعالى غلسا

كم تقى صالح أو عالم عامل لاذ هنا فاستأنسا

ها هنا يشكو ضعيف ظلمه و هنا يرجو فقير بثسا

و هنا يخضع جبار له سطوة كبرى و ملك أسسا

قم بباب الله و اطلب فضله من رجا ما خاب و أبشر فعسى

إن خير الناس من جا تائباعائذا بالله يرجو قبسا

### عمل قفل و مفتاح لباب الكعبة

القفل تابع لنفس الباب، فمتى كان الباب كان القفل و مفتاحه، و القفل يشمل الضبة الخشبية و يشمل القفل الحديد بجميع أشكاله و أنواعه. و قد سبق أن تكلمنا عن تجديد باب الكعبة المعظمة، و هنا نتكلم عن تجديد قفل الباب و مفتاحه، و لا ندرى هل يكون تجديد القفل تابعا لتجديد باب الكعبة أم لا على كل حال نذكر هنا ما وقفنا عليه فى بعض كتب التاريخ فنقول:

(١) تقدم فى البحث السابق أن أسعد الحميرى، و هو تبع، أول من جعل للكعبة بابا يغلق، و معنى هذا أنه وضع عليه قفلا، و هو الضبة الخشبية بالطبع.

(٢) قريش حينما بنوا البيت جعلوا له بابا و كان يغلق و يفتح، و معنى هذا أيضا أنهم جعلوا له ضبة خشبية، و هو قفل زمانهم.

(٣) عبد الله بن الزبير، حينما بنى البيت، كان يغلق بالضبة لقرب عهده بقريش.

(٤) الحجاج بن يوسف الثقفى، لما بنى البيت، كان يغلق بالضبة، كعهد ابن الزبير.

(٥) قال ابن فهد: بعث المعتصم بالله العباسى، سنة تسع عشرة و مائتين، للكعبة، قفلا فيه ألف دينار.

(٦) عمل الملك المظفر صاحب اليمن لما حج سنة خمس و خمسين و ستمائة بابا و قفلا للكعبة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٧٦

(٧) قفل و مفاتيح أهدها إليها الملك الظاهر بيبرس، صاحب مصر، و المظنون أن ذلك كان حينما حج سنة (٦٦٧) سبع و ستين و ستمائة هجرية.

(٨) قال الغازى: لما استتاب الشريف حسن بن عجلان، سنة أربع و ثمانمائة فى صفر فى الحكم بمكة، الأمير بيسق، لسفره إلى حلى، عمل المذكور بمكة بعض أعمال لم يرض بها الشريف حسن فنقم عليه، منها: أنه عمل قفلا و مفتاحا فى جمادى الأولى من السنة المذكورة، لباب الكعبة، و ركه عليها، و أخذ القفل و المفتاح اللذين كانا على الكعبة، فأخذ الشريف حسن منه القفل و المفتاح القديمين و أعادهما إلى الكعبة. انتهى.

(٩) القفل و المفتاح، لباب الكعبة المشرفة، فى عصرنا هذا، فقد أمر بصنعهما السلطان عبد الحميد خان فى سنة (١٣٠٩) تسع و ثلاثمائة و ألف.

و لقد أسعدنا الله عز و جل بالصعود إلى باب الكعبة المعظمة، في ضحى يوم الأربعاء سبع و عشرين من شهر رجب سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف، و ذلك للتحقق من القفل و المفتاح الموجودين اليوم على باب الكعبة المعظمة. و إليك أيها القارئ الكريم وصفهما:

فالقفل المذكور طويل، مضلع بستة أضلاع، و هو من الحديد، طوله ثمانية و ثلاثون سنتيمترا، و عرض كل ضلع من أضلاعه الستة ثلاث سنتيمترات، فيكون محيط أضلاعه ثمانية عشر سنتيمترا، و في كل ضلع من أضلاعه الستة قطعة رقيقة من النحاس الأصفر، طولها نحو ثمانية سنتيمترات و عرضها نحو سنتيمترين، مكتوب بالحفر في كل منها بالخط الثلث الجميل جدا ما يأتي:

فعلى القطعة الأولى من النحاس الأصفر مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله و على القطعة الثانية منه: نصر من الله و فتح قريب. إنا فتحنا لك فتحا مبينا.

و على القطعة الثالثة منه: أمر بهذا القفل الشريف مولانا السلطان المعظم. و على القطعة الرابعة منه: و الخاقان الأفخم السلطان الغازى عبد الحميد خان. و على القطعة الخامسة منه: خلّد الله ملكه إلى منتهى الدوران. و على القطعة السادسة منه: سنة تسع و ثلاثمائة و ألف.

أما مفتاح هذا القفل فإليك وصفه و شكله: فهو طويل يشبه يد الهاون من طرفيه، أما ما بينهما فغلظه كغلظ الإصبع الصغير "أى البنصر"، و طول المفتاح أربعون سنتيمترا و ربما نقص نصف سنتيمتر فقط، و رأسه دائرية كشق الرّحى،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٧٧

و قطر دائرة الرأس ثلاث سنتيمتر و نصف، و سمكها أى غلظها سنتيمتر واحد فقط، و رأس المفتاح مشقوق ثلاث شقوق متساوية.

### و من الحكايات المناسبة لقفل الكعبة و مفتاحه ما يأتي:

روى الإمام الأزرقى فى تاريخه: أن عائشة سألت أن يفتح لها باب الكعبة ليلا، فأبى عليها شيبه بن عثمان، فقالت لأختها أم كلثوم، ابنة أبى بكر، انطلقى بنا حتى ندخل الكعبة، فدخلت الحجر، و فى رواية أخرى أن عائشة سألت النبى صلى الله عليه و سلم أن يفتح لها الباب ليلا، فجاء عثمان بن طلحة بالمفتاح إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله إنها لم تفتح بليل قط. قال: فلا تفتحها، ثم قال لعائشة: إن قومك لما بنوا البيت قصرت بهم النفقة، فتركوا بعض البيت فى الحجر، فادخلى الحجر فصلى فيه. انتهى من الأزرقى.

و مما يلحق بهذا، ما رواه الغازى فى تاريخه و فى سنة ألف و ثلاث و ثمانين أراد إسحاق أفندى، الوارد من جهة الروم، صحبة الحج، و كان من كبار الدولة، أن يدخل الكعبة الشريفه ليلا، فأراد الشيخ عبد الواحد بن محمد الشيبى الحجبى أن يفتح له البيت، فتعسر فتحه، فدعا بحداد، نعت له بالمعرفة، فأمره بفش القفل، فاضطربت يده و ما قدر. قال الشيخ عبد الواحد: فأصغيت، و إذا بالباب كان يدفع من داخل البيت، و أحسست بالدفع و القوة المانعة، قال: فصرفت الناس، و قلت:

أيها الناس إن هذا البيت بيد الله، يفتحه لمن يريد. فانصرف الناس و منهم إسحاق أفندى و لم يتيسر له الدخول. اه.

و معنى فش القفل: فتحه بحيلة بغير مفتاح.

و يشبه هذه الحكاية ما رواه لنا رئيس سدة الكعبة المشرفة فى وقتنا الحاضر، و هو فضيلة الشيخ محمد بن محمد صالح بن أحمد الشيبى، البالغ من العمر الآن (٨٤) عاما و ذلك حينما كنا بمنزله العامر تلبية لدعوته لنا للغداء، فى أواخر شهر رجب سنة ١٣٧٦ هجرية فقد قال:

أمرنى والدى أن أفتح الكعبة ليلا، بعد العشاء بساعة، لدخول ابنه راتب باشا التركى، والى الحجاز، و ذلك فى سنة (١٣٢٢) ألف و ثلاثمائة و اثنتين و عشرين هجرية، فذهبت صحبة محمود بن محمد عيد، و كيل والدى فى الأعمال

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٧٨

الخصوصية، إلى المسجد الحرام، لفتح الكعبة، فلما فتحتها وأرادت دخولها، وقع رجل، كان واقفا بجوارى، يريد الدخول، فوقع من عتبة باب الكعبة إلى الأرض، ولم يحصل له ضرر ولا أذى، ثم نهض وامتنع عن الدخول، وجلس بعيدا عند زمزم، فلما انتهت الزيارة، وقفل باب الكعبة، سألت الرجل عما حصل له، فقال: لما أردت دخول الكعبة أحسست بيد ناعمة دفعتني في صدرى، فوقعت على الأرض، ولم يحصل لى أى ألم، وأصابتنى رهبة شديدة، فعلمت أن ذلك كان بسبب أننى ارتكبت أمرا محظورا، قبيل حضوري إلى بيت الله الحرام، ولقد تبت ورجعت إلى الله تعالى، من هذه الساعة، فأسال الله أن يغفر لى زلتى و يقبل توبتى.

نقول: لا- يستبعد وقوع الحكايتين المذكورتين، لأن بيت الله عز شأنه، فيه من الأسرار ما لا نعلمه، وهو عامر بعبادة خلقه من إنس و جن و ملك فى كل لحظة ليلا و نهارا. فقد جاء فى شفاء الغرام: روى الأزرقى بسنده إلى وهب بن منبه قال: وقرأت فى كتاب من الكتب الأولى ذكر فيه الكعبة فوجد فيه: أنه ليس من ملك بعثه الله إلى الأرض إلا أمره بزيارة البيت، فينقض من تحت العرش محرما مليا حتى يستلم الحجر، ثم يطوف سبعا ويركع فى جوفه ركعتين ثم يصعد. اه.

وجاء فى تاريخ الأزرقى: عن عثمان بن يسار قال: بلغنى و الله أعلم أن الله تعالى إذا أراد أن يبعث ملكا من الملائكة لبعض أموره فى الأرض، استأذنه ذلك الملك فى الطواف بالبيت فهبط الملك مهلا.

وجاء فيه أيضا: عن وهب بن منبه أن ابن عباس أخبره أن جبريل وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم و عليه عصابة خضراء قد علاها الغبار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا الغبار الذى أرى على عصابتك أيها الروح الأمين؟ قال: إنى زرت البيت فازدحمت الملائكة على الركن، فهذا الغبار الذى ترى مما تثير بأجنتها. انتهى.

وجاء فى كتاب "القرى لقاصد أم القرى" لمحب الدين الطبرى ما نصه:

و عن سعيد بن جبير أن عائشة قالت: يا رسول الله كل نسائك دخل البيت غيرى، قال: فانطلقى إلى قرابتك شبيهة يفتح لك الكعبة. فأنته، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: و الله ما فتحت بليل قط فى جاهليته و لا إسلام، و إن أمرتنى أن أفتحها فتحتها. قال: لا. ثم قال: إن قومك قصرت بهم النفقة فقصرروا فى البنيان، و إن الحجر من البيت فاذهبى فصلى فيه. أخرجه أحمد و سعيد بن منصور و أبو ذر.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٧٩

قال الغازى: و فى سادس عشر ذى الحجة سنة (١١٣٦) ست و ثلاثين و مائة و ألف، طلب عثمان باشا أبو طوق، فتح البيت الشريف بالليل، فتوقف الشيخ عبد القادر بن عبد المعطى الشيبى، فغضب الباشا، و أرسل يعرف الشريف بذلك، فغضب الشريف على عبد القادر، لعدم اعتناؤه بالوزير، فعزله و ولى عمه الشيخ أحمد بن عبد الواحد الشيبى منصبه- و الشريف المذكور اسمه الشريف عبد الله بن سعيد- ثم فى الحادى عشر ذى القعدة سنة سبع و ثلاثين و مائة و ألف، عزل باكير باشا أحمد الشيبى، عن حجابة البيت الشريف، و ولاها لابن أخيه عبد القادر الشيبى، و سببه ورود الأمر السلطانى فولاه بمضمون ذلك. اه.

نقل الغازى رحمه الله تعالى، من كتاب "إتحاف فضلاء الزمن" ما ملخصه:

أنه فى محرم سنة ألف و مائة و اثنتين و عشرين اجتمع الشيخ سعيد المنوفى بالشلبى حميدان، وزير مكة، و قال له: إن الشريف يأمرك أن تصنع له مفتاحا يضاهى مفتاح الكعبة الشريفة. فأرسل الشلبى عثمان إلى كمال الصايغ، و أخبره بمراد الشريف، و طلب منه عمل المفتاح، فصنعه له على المطلوب، بحيث لا يفرق أحد بين المفتاح الأصلي و المفتاح التقليدى، فوشى بعضهم به إلى الشريف، فأمر بإحضاره و طلب منه المفتاح، فجاء به، فأرسل الشريف إلى الشيخ عبد الواحد الشيبى، و سلمه المفتاح، فتعجب الشيخ عبد الواحد من هذا المفتاح، الذى هو مطابق للمفتاح الأصلي، الذى يحتفظ به، فحينئذ طلب الشريف الشلبى عثمان و سأله عن حقيقة هذا المفتاح، فقال: صنعته لكم، حيث جاءنى الشيخ سعيد المنوفى، و قال لى: إن الشريف يأمرك أن تصنع مفتاحا يشبه مفتاح الكعبة، فامتثلت

الأمر. فأمر الشريف بحل وظائف الشيخ سعيد المنوفى، وإخراجه من البلد، فشفع فيه السيد عبد المحسن بن أحمد بن زيد، فعفا عنه، و كان مقصود الشيخ سعيد أن يرسل المفتاح لسلطان الهند. اهـ.

وجاء فى الجزء الثانى، من تاريخ الغازى ما خلاصته: أنه لما استولى على مكة الملك سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، صاحب اليمن، أخ السلطان صلاح الدين، و ذلك فى رمضان سنة (٥٨١) إحدى وثمانين و خمسمائة طلع أمير مكة يومئذ مكث بن عيسى على جبل أبى قبيس، و أغلق باب بيت الله الحرام، و أخذ المفتاح معه، فأرسل إليه سيف الإسلام يطلب منه المفتاح، فامتنع من إرساله، فقال سيف الإسلام لرسوله: قل لصاحبك إن الله نهانا عن أشياء فارتكبناها، و قال النبى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٨٠

صلى الله عليه و سلم: لا تأخذوا المفتاح من بنى شيبه، فأخذه و نستغفر الله تعالى، فبعث إليه بالمفتاح.

قال الغازى: و ذكر السنجارى أيضا فى "منايح الكرم" قصة أخذ المفتاح، و هذا نصه:

قال صاحب الوقائع أن مكثرا أخذ مفتاح الكعبة، لما صعد قلعه أبى قبيس، فأرسل طغتكين، إلى شيخ السدنة، و قال له: خذ المفتاح و هاته و إلا أخذناه منك، فإن الله أمرنا بأمر فتر كناها، و نهانا عن أمور فارتكبناها، و إن كان المفتاح لكم نأخذه منكم، و نستغفر الله تعالى، فبعث إليه شيخ السدنة بالمفتاح. انتهى من تاريخ الغازى.

و جاء فى "تاريخ الكعبة المعظمة:" و ذكر فى حوادث سنة (٩٧٦) أنه لثلاث بقين من رمضان، فتح الشيخ عبد الواحد الشيبى الكعبة المشرفة للنساء، على جرى العادة، فسرق من حجره مفتاح الكعبة، و هو مصفح بالذهب، فوعدت الضجعة و أغلقت أبواب الحرم، و فتشت الناس، فلم يظفروا به، ثم وجده سنان باشا باليمن، مع رجل أعجمى، فأخذه و قرره و كبس داره، فوجد عنده المفتاح و غيره من سرقات، أقر بها فقطع رأسه، و أعاد المفتاح إلى الشيخ عبد الواحد، و عبد الواحد الشيبى هذا غير عبد الواحد الذى تقدم ذكره فزمنهما مختلف.

و مما يلحق بهذه الحكاية ما جاء فى رحلة ابن جبير الأندلسى التى كانت سنة (٥٧٨) من الهجرة، أنه لما أراد زعيم الشيبين فتح باب الكعبة المعظمة، لسيف الإسلام الأمير طغتكين بن أيوب، أخى صلاح الدين، بعدما صعدوا إلى سلمها، الذى يوضع أمام الباب، سقط مفتاح من كفه، فى ذلك الزحام، فوقف وقفه دهشة مذعورا، و وقف الأمير على المدرج، لكنهم وجدوه سريعا، ففتحوا الباب و دخلوا الكعبة. انتهى.

### الكتابة التى بأعلى باب الكعبة

ما كنا نظن أنه توجد كتابة بأعلى باب الكعبة، على العقد، من الخارج، لعدم ظهور شىء، بسبب برقع باب الكعبة،- أى الستارة التى عليه- لكن ظهر لنا جزء يسير من الكتابة مصادفة، لانحسار البرقع، عن أعلى الباب قليلا. و لما كان عقد الباب عاليا، أكثر من خمسة أمتار، لم تتمكن من قراءة ما هو مكتوب عليه،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٨١

خصوصا و المطاف مزدحم بالطائفين من الناس، فقد انشغل بالناس كثيرا لمعرفة الكتابة، حتى يسر الله تعالى لنا الوصول إلى ما فوق الباب الشريف فقرأناها بكل هدوء و راحة.

و لقد كانت هذه الكتابة، فى عهد السلطان أحمد خان الثالث، أحد سلاطين آل عثمان، و ذلك حينما جدد حدود باب الكعبة، و الطراز الذهب الخايف، كما سبق بيان ذلك، فى مبحث "عمل باب للكعبة المشرفة."

و إليك تفصيل ما قمنا بتحقيق قراءة الكتابة المذكورة على عقد الباب:

إنه فى يوم السبت خامس عيد الفطر سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف، ذهبنا، قبيل الظهر، إلى المسجد الحرام، و قد أخذنا

معنا سلما طويلا، يصل من أرض المطاف إلى أعلى باب الكعبة المشرفة، لقراءة ما هو مكتوب في أعلى عقد باب الكعبة، بعد استئذان فضيلة الشيخ محمد الشيبى، سادن بيت الله الحرام، فصعدنا السلم، فإذا على عقد الباب مكتوب سطران بخط الثلث الواضح الجميل، على ستة ألواح رقاق من الذهب الخالص النظيف، و الكتابة باللون الأسود، من نفس الذهب لا بالبوية، و هذه الألواح الذهب مسمرة على خشبة ثخينه، ممتدة من أول الباب إلى آخره، أى بمقدار عرض الباب بل أكثر من ذلك، بحيث تزيد على اليمين، بنحو شبر، و عن اليسار مثل ذلك، و داخله فى نفس البناء، أى أن الخشبة غير بارزة خارج البناء، و طول هذه الخشبة نحو مترين و ثلاثين سنتيمترا، و عرضها نحو نصف متر كما قسنا بنفسنا.

(فالسطر الأول): مكتوب على ثلاثة ألواح من الذهب، مسمر كل لوح منها بطرف الآخر بالطول، على خشبة العقد المذكورة، و طول كل لوح منها تسعون سنتيمترا، و عرض كل واحدة منها أربع و عشرون سنتيمترا. و قد كتب على الثلاثة الألواح التى تمثل السطر الأول ما يأتى:

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بَكَكَ مُبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٨٢

(و السطر الثانى): مكتوب على ثلاثة ألواح أيضا من الذهب، مسمرة على خشبة العقد المذكورة، طول كل لوح و عرضه مثل ألواح السطر الأول تماما، بدون زيادة و لا نقصان.

و قد كتب على هذه الثلاثة الألواح التى تمثل السطر الثانى ثلاثة أبيات و هى هذه:

لقد رمم الحنكار بابا لبيته له كل مخلوق يصلى و يسجد

و خلف ذخر الأجر من بعد جده بنى ملك عثمان أحمد يحمده

فقل فيه مدحا ما استطعت مؤرخا بتجديده بالبيت قد فاز أحمد

هذا هو نص السطرين المكتوبين على عقد باب الكعبة المشرفة، فى الألواح الستة الذهبية، و ليس فيها تاريخ كتابة هذه الألواح بالأرقام، اكتفاء بالسطر الأخير "بتجديده بالبيت قد فاز أحمد" فإنه يكون على حساب الأبجدية سنة (١١١٨) ثمان عشرة و مائة و ألف. فإن مجموع حساب كلمة "بتجديده" هو ٤٢٨ و مجموع حساب "بالبيت" هو ٤٤٥ و مجموع "قد" هو ١٠٤ و مجموع حساب "فاز" هو ٨٨ و مجموع حساب "أحمد" هو ٥٣ فإذا جمعنا كل هذه الأرقام كان الناتج (١١١٨) و هو عام تجديد خدود باب الكعبة، فى زمن السلطان أحمد خان، و معنى كلمة "حنكار" فى الشطر الأول، من الأبيات، لقب من ألقاب الملوك السابقين.

و اعلم أن عقد باب الكعبة مستقيم تمام الاستقامة، ليس فيه تدوير و لا انحناء، كما كان كذلك من سابق الأزمان المتقدمة.

و عتبة الباب عبارة عن حجر واحد مستقيم أملس، من حجارات مكة القوية الصماء، طوله كطول الباب مائة و تسعون سنتيمترا، و عرضه تسعة و ثلاثون سنتيمترا، و ارتفاعه سبعة و عشرون سنتيمترا، و فى وسط هذه الحجر خرق مدور، قطر دائرته ثلاث سنتيمترات، جعل بمثابة ميزاب يخرج منه الماء، إلى أرض المطاف، عند غسل داخل الكعبة، و من هذا الحجر الذى هو عبارة عن عتبة باب الكعبة، إلى أرض المطاف مائة و اثنان و تسعون سنتيمترا، ثم من عتبة الباب، أى من هذا الحجر، إلى منتهى ارتفاع الباب، ثلاثة أمتار و سبعة سنتيمترات.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٨٣

فيعلم من كل ما تقدم أن الكتابة، التى على عقد باب الكعبة، و التى هى فى الألواح الستة، من الذهب، ترتفع عن أرض المطاف بمقدار خمسة أمتار و نصف متر تماما.

و أما الدرجة الواحدة، التى يقف عليها الناس للدعاء، تحت باب الكعبة، فإنها ترتفع عن أرض المطاف بثمان سنتيمترات فقط.

نقول: لم نجد أحدا من المؤرخين اطلع على ما كتب فوق عقد باب الكعبة، و ذكر نص ما هو مكتوب عليه غيرنا و لله الحمد، فلأول مرة يظهر التحقيق التام في هذا البحث، فالحمد لله على توفيقاته المتواليه و نعمائه المتتاليه، و نسأله المزيد من فضله الواسع، و إحسانه العميم إنه هو العلي الكبير، و صلى الله على النبي الأمي "سيدنا محمد" و على آله و صحبه و سلم.

### انتقال مفتاح الكعبة من شخص لآخر قبل الإسلام

تقدم أن خليل الله إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، لما بنى الكعبة بناها بالرضم، حجارة بعضها فوق بعض من غير طين و لا نورة، و لم يجعل لها سقفا و لا بابا، و إنما ترك لمكان الباب فتحة في جدارها الشرقي، للدلالة على وجه البيت الحرام. فما دامت الكعبة بنيت بالحجارة فقط، و كانت بدون سقف فلا تحتاج إلى وضع باب عليها و لا إلى مفتاح، فمتى صار لها باب و مفتاح، كان المفتاح بيد أحد كبار أهل مكة فكان أمينا عليه.

فأول من جعل للكعبة بابا يغلق تبع الحميري و هو أسعد، أحد ملوك اليمن، قبل البعثة بزمن بعيد، كما أنه هو أول من كساها و نحر عندها. و معنى أنه جعل للكعبة بابا يغلق، أي كان للباب مفتاح، و الله تعالى أعلم، كان في يد أي رجل، فمن جملة من كان المفتاح بيده قديما خليل بن حبشية ابن سلول الخزاعي، و خليل "بالحاء المهملة" يومئذ يلي الكعبة و أمر مكة، و قد خطب ابنته حبي قصى بن كلاب بن مرة، و هو الجد الرابع للنبي صلى الله عليه و سلم فعرف خليل نسب قصى، و رغب فيه، فزوجه ابنته حبي، فولدت لقصى عبد الدار، و هو أكبر ولده، و عبد مناف و عبد العزى و عبد بن قصى، فكان خليل يفتح البيت، فإذا اعتل أعطى ابنته حبي المفتاح، ففتحته، فإذا اعتلت أعطت المفتاح زوجها قصيا أو بعض ولدها فيفتحه، و كان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٨٤

قصي يعمل في حيازته إليه، و قطع ذكر خزاعة عنه، فلما حضرت حليلا الوفاء، نظر إلى قصي، و إلى ما انتشر له من الولد من ابنته، فرأى أن يجعلها في ولد ابنته، فدعا قصيا فجعل له ولاية البيت، و أسلم إليه المفتاح و كان يكون عند حبي فلما هلك خليل، أبت خزاعة أن تدعه و ذاك، و أخذوا المفتاح من حبي، فمشى قصي إلى رجال من قومه من قريش، و بنى كنانة، و دعاهم إلى أن يقوموا معه في ذلك و أن ينصروه و يعضدوه، فأجابوه إلى نصره، و أرسل قصي إلى أخيه لأمه، رزاح بن ربيعة، و هو ببلاد قومه من قضاة يدعوه إلى نصره، و يعلمه ما حالت خزاعة بينه و بين ولاية البيت، و يسأله الخروج إليه بمن أجابه من قومه، فقام رزاح في قومه، فأجابوه إلى ذلك، فخرج رزاح بن ربيعة و معه إخوته من أبيه حسن و محمود و جلهمة بن ربيعة بن حرام، فيمن تبعهم من قضاة، في حاج العرب مجتمعين، لنصرة قصي و القيام معه، فلما اجتمع الناس بمكة، خرجوا إلى الحج، فوقفوا بعرفة و بجمع، و نزلوا منى، و قصي مجمع على ما أجمع عليه من قتالهم، بمن معه من قريش و بنى كنانة، و من قدم عليه، مع أخيه رزاح من قضاة، فلما كان آخر أيام منى، أرسلت قضاة إلى خزاعة، يسألونهم أن يسلموا إلى قصي ما جعل له خليل، و عظموا عليهم القتال في الحرم، و حذروهم الظلم و البغي بمكة، و ذكروهم ما كانت فيه جرمهم و ما صارت إليه، حين ألدوا فيه بالظلم و البغي، فأبت خزاعة أن تسلم ذلك، فاقتتلوا بمفضي مأزى منى قال: فسمى ذلك المكان المفجر، لما فجر فيه و سفك فيه من الدماء، و انتهك من حرمة، فاقتتلوا قتالا شديدا، حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعا، و فشت فيهم الجراحات، و حاج العرب جميعا، من مضر و اليمن، مستكفون ينظرون إلى قتالهم، ثم تداعوا إلى الصلح، و دخلت قبائل العرب بينهم، و عظموا على الفريقين سفك الدماء و الفجور في الحرم، فاصطلحوا على أن يحكموا بينهم رجلا- من العرب، فيما اختلفوا فيه، فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن الليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، و كان رجلا شريفا، فقال لهم: موعدكم فناء الكعبة غدا. فاجتمع إليه الناس و عدوا القتلى، فكانت في خزاعة أكثر منها في قريش و قضاة و كنانة، و ليس كل بنى كنانة قاتل مع قصي، إنما كانت مع قريش من بنى كنانة قبائل يسيرة. و اعتزلت عنها بكر بن عبد مناة قاطبة. فلما اجتمع الناس، بفناء الكعبة، قام يعمر بن عوف فقال: ألا إني قد شذخت ما كان بينكم من دم تحت قدمي هاتين،

فلا تباعة لأحد على أحد في دم، و إنى قد حكمت لقصى بحجابه الكعبة و ولاية أمر مكة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٨٥

دون خزاعة، لما جعل له حليل، و أن يخلى بينه و بين ذلك، و أن لا تخرج خزاعة عن مساكنها من مكة، قال: فسمى يعمر من ذلك اليوم الشداخ، فسلمت ذلك خزاعة لقصى، و عظموا سفك الدماء فى الحرم، و افترق الناس، فولى قصى بن كلاب حجابه الكعبة، و أمر مكة، و جمع قومه من قريش من منازلهم إلى مكة، يستعز بهم، و تملك على قومه فملكوه، و خزاعة مقيمة بمكة، على رباعهم و سكناتهم، لم يحركوا و لم يخرجوا منها، فلم يزالوا على ذلك حتى الآن، و قال قصى فى ذلك و هو يتشكر لأخيه رزاح بن ربيعة:

أنا ابن العاصمين بنى لؤى بمكة مولدى و بها ربيت

ولى البطحاء و قد علمت معدو مروتها رضيت بها رضيت

و فيها كانت الآباء قبلى فما شويت أخى و لا شويت

فلست لغالب إن لم تأثل بها أولاد قيدير و النبييت

رزاح ناصرى و به أسامى فلست أخاف ضيما ما حييت

فكان قصى أول رجل من بنى كنانة أصاب ملكا، و أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابه، و الرفادة، و السقاية، و الندوة، و اللواء، و القيادة، فلما جمع قصى قريشا بمكة سمى مجمعا و فى ذلك يقول حذافه بن غانم الجمحى يمدحه:

أبوهم قصى كان يدعى مجمعابه جمع الله القبائل من فهر

هم نزلوها و المياه قليلة و ليس بها إلا كهول بنى عمرو

يعنى خزاعة. قال إسحاق بن أحمد: و زادنى أبو جعفر محمد بن الوليد بن كعب الخزاعى:

أقمنا بها و الناس فيها قلايل و ليس بها إلا كهول بنى عمرو

هموا ملأوا البطحاء مجدا و سؤدداو هم طردوا عنها غواة بنى بكر

و هم حفروها و المياه قليلة و لم يستق إلا بكد من الحفر

حليل الذى عادى كنانة كلها و رابط بيت الله فى العسر و اليسر

أحازم إما أهلكن فلا تزل لهم شاكرا حتى توسد فى القبر

و يقال من أجل تجمع قريش إلى قصى سميت قريش قريشا. انتهى من تاريخ الأزرقى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٨٦

و جاء فى تاريخ القطبى المسمى بالإعلام: لما هلك حليل أوصى بمفتاح البيت الشريف لابنته حبي، فقالت: لا أقدر على السدانة، فجعلت ذلك لأبى غبشان، و كان سكييرا يحب الخمر، فأعوزه فى بعض الأوقات ما يشربه من الخمر، فباع مفتاح البيت بزق خمر، فاشتره منه قصى، و سار فى الأمثال "أخسر صفقة من أبى غبشان" فلما صار المفتاح إلى قصى تناكرته خزاعة و كثر كلامها عليه، فأجمع على حربهم و إخراجهم من مكة ... الخ القصة. انتهى المراد منه.

و قال الغازى فى تاريخه ما نصه: و فى "منايح الكرم" فلما دنت وفاة حليل، جعل مفتاح الكعبة إلى ابنته حبي، و أمرها أن تبعث إلى أخيها المحترس، و أشرك أبا غبشان الملكانى معها، فى تنفيذ وصايتها، فأعطت حبي المفتاح لأبى غبشان الخزاعى، و هو سليم بن عمرو بن لؤى بن ملكان، و قالت: لست أهلا لخدمتها.

فلما رأى قصى ذلك، قال لولدها عبد الدار: اطلب منها المفتاح، و حمله على ذلك، و أنه أحق بها، لمجدهم. فقالت: و من يكفينى أبا غبشان، فقال قصى: أنا أكفيكه. و كان أبو غبشان سكييرا، فأعوزه الخمر يوما، فباع المفتاح من قصى بزق خمر و كبش، فأشهد عليه قصى، و أخذ منه المفتاح، و أعطاه لعبد الدار، فصار المفتاح بيد قصى و ولده، و ضرب المثل بأبى غبشان فى خسران الصفقة، فيقال:

"أخسر صفقة من أبي غبشان" فلما آل أمر المفتاح إلى قصى، تناكرت عليه خزاعة، بعد موت حليل، و آذوه بالكلام، فكلم قصى رجالا من قريش، وقال:

إنا معاشر قريش أحق بأمر مكة من خزاعة. نحن فرع إسماعيل، و صريح ولده، فقالوا: صدقت و لكن من يعينك عليهم؟ فكتب إلى أخيه لأمه رزاح بن ربيعة يستنصره، و يطلب منه الإعانة، فأجابه إلى ذلك. انتهى. اه.

قال القطبي في تاريخه المسمى بالإعلام ما ملخصه: و كان قصى أول من ملك من بني كعب، أصاب ملكا أطاعه به قومه، و له كلمات حكم تؤثر عنه، منها:

من لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان، و من طلب فوق قدره استحق الحرمان. و قد اجتمع لقصى ما لم يجتمع لغيره من المناصب، فكان بيده الحجابة و السقاية و الرفادة و الندوة و اللواء و القيادة.

فهذه كلها اجتمعت في قصى، فلما كبرت سنّه و ضعف بدنه، قسمها بين أولاده، و كان عبد الدار أكبر أولاده، و كان عبد مناف أشرف زمان أبيه، فقال قصى لعبد الدار لألحقنك يا بني بالقوم، و إن شرفوا عليك. فأعطاه الحجابة و سلم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٨٧

إليه مفتاح البيت، و قال: لا يدخل رجل منهم الكعبة، حتى تكون أنت تفتحها له، و أعطاه السقاية و اللواء، و قال: لا يشرب أحد إلا من سقائتك، و لا- يعقد لواء قريش لحربها إلا- أنت بيدك، و جعل له الرفادة، و قال: لا يأكل أحد في هذا الموسم طعاما إلا من طعامك، و كانت الرفادة خرجا تخرجه قريش من أموالها، في كل موسم، فتدفعه إلى قصى، فيصنع به طعاما للحاج، فيأكله من لم يكن له سعة و لا زاد. و كان قصى فرض ذلك على قريش حين جمعهم.

ثم قال القطبي في تاريخه الإعلام: فجعل قصى، كلما كان بيده من أمر قومه لعبد الدار، و كان قصى لا يخالف و لا يرد عليه شيء صنعه لعظم شأنه و نفاذ سلطانه. قال ابن إسحاق: ثم إن قصيا هلك، فقام على أمر قومه بنوه من بعده، ثم إن بني عبد مناف: هاشما و عبد شمس و المطلب و نوفلا، أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار من الحجابة و اللواء و السقاية و الرفادة، و رأوا أنهم أولى بذلك منهم، لشرفهم عليهم و فضلهم، و تفرقت قريش فكانت طائفة منهم يرون أن بني عبد مناف أحق من بني عبد الدار، و طائفة يرون إبقاء بني عبد الدار على ما جعله قصى لأبيهم.

فأجمعوا على الحرب، ثم اصطلحوا على أن تكون السقاية و الرفادة لبني عبد مناف، و الحجابة و اللواء و الندوة لبني عبد الدار، و تحالفوا على ذلك. انتهى ما ذكر من الإعلام.

ثم جعل عبد الدار الحجابة إلى ابنه عثمان بن عبد الدار.

و قال بعض المؤرخين: قسّم قصى، أمر مكة، بين ابنه عبد الدار و عبد مناف، فأعطى عبد الدار الحجابة أى السدانة و اللواء و الندوة، و أعطى عبد مناف السقاية و الرفادة و القيادة.

و هذا الاختلاف غير مهم، و الذى يعيننا حجابة الكعبة و سدانتها، و قد أجمعوا على أنها جعلت بيد عبد الدار.

و قصى بن كلاب المذكور بنى أيضا الكعبة المشرفة بنيانا قويا، لم بين أحد ممن سبقه مثله، فبناها و سقفها بخشب الدوم الجيد و بجريد النخل، و يكون قصى الجد الرابع للنبي صلى الله عليه و سلم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٨٨

هذا ما كان من أمر مفتاح الكعبة قبل الإسلام، و أما ما كان من أمره بعد الإسلام، و بعد فتح مكة، الذى كان صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان سنة ثمان من الهجرة، فقد ورد ذلك مفصلا في كتب الحديث و التفسير و التاريخ و لنذكر شيئا عن ذلك فقد جاء في كتاب "تاريخ الكعبة المعظمة" ما نصه:

قال ابن كثير في تفسيره في معنى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا و قد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية



نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، و اسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب القرشى العبدري حاجب الكعبة المعظمة، و هو ابن عم شيبه بن عثمان بن أبي طلحة، الذى صارت الحجابة في نسله إلى اليوم، أسلم عثمان هذا في الهدنة، بين صلح الحديبية، و فتح مكة، هو و خالد بن الوليد و عمرو بن العاص، و أما عمه عثمان بن أبي طلحة، فكان معه لواء المشركين، يوم أحد، و قتل يومئذ كافرا، و إنما نبهنا على هذا النسب، لأن كثيرا من المفسرين قد يشتبه عليه هذا بهذا، و سبب نزولها فيه لما أخذ من رسول الله صلى الله عليه و سلم مفتاح الكعبة يوم الفتح ثم رده عليه. انتهى من الكتاب المذكور.

و قال فيه أيضا ما نصه: فروى ابن سعد، في الطبقات، عن عثمان بن طلحة، قال: كنا نفتح الكعبة في الجاهلية، يوم الاثنين و الخميس، فأقبل النبي صلى الله عليه و سلم يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلظت له، و نلت منه، فحلم عني، ثم قال: "يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت" فقلت:

لقد هلكت قريش يومئذ و ذلت. قال: "بل عمرت و عزت يومئذ" و دخل الكعبة، فوعدت كلمته منى موقعا، ظننت يومئذ، أن الأمر سيصير إلى ما قال، فلما كان يوم الفتح، قال: "يا عثمان اتنى بالمفتاح،" فأتيته به، فأخذه منى، ثم دفعه إلي، و قال: "خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف." قال: فلما وليت ناداني فرجعت إليه، فقال: "ألم يكن الذى قلت لك" قال: فذكرت قوله لى بمكة قبل الهجرة: "لعلك ستري هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت" قلت: بلى أشهد أنك رسول الله. انتهى من الكتاب المذكور.

و من أراد زيادة التوضيح فلينظر فيما كتبناه فى ترجمة شيبه بن عثمان و عثمان بن طلحة. نقول: و الحقيقة أن حكم الله عز و جل، فى وضع مفتاح بيته الحرام فى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٨٩

بنى شيبه، هو عين الصواب و الحكمة، و ذلك حتى لا يحصل فى ذلك نزاع و شقاق بين المسلمين، فلا يطمع فيه سلطان و لا ملك و لا أمير و لا عالم و لا صالح و لا غنى و لا فقير، و ما دام البيت بيت الله فصاحب البيت يضع مفتاحه حيث شاء.

### ترجمة شيبه بن عثمان و عثمان بن طلحة

نقل هنا خلاصة ترجمته من كتاب "تاريخ الكعبة المعظمة" للشيخ حسين باسلامه، رحمه الله تعالى و هى: ينتهى نسب سدة الكعبة المشرفة و هم الشيبون فى عصرنا هذا إلى شيبه بن عثمان بن أبي طلحة. و قد أسلم شيبه عام الفتح على أصح الروايات، و له صحبة و رواية عن النبي صلى الله عليه و سلم و شهد حينا و قيل أسلم بحنين.

قال الزبير: كان شيبه قد خرج مع رسول الله صلى الله عليه و سلم، يوم حنين مشركا، يريد أن يغتال رسول الله صلى الله عليه و سلم غزوة، فأقبل يريده، فرآه رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: "يا شيبه هلم لا أم لك" فقتل الله فى قلبه الرعب، و دنا من رسول الله صلى الله عليه و سلم و وضع يده على صدره، ثم قال: "أخسئ عنك الشيطان" فأخذه و نزع فقتل الله فى قلبه الإيمان، فأسلم و قاتل مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان ممن صبر معه يومئذ و كان من خيار المسلمين.

و دفع رسول الله صلى الله عليه و سلم مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، و إلى ابن عمه شيبه بن عثمان بن أبي طلحة، و قال: "خذوها خالدة تالدة إلى يوم القيامة يا بنى أبي طلحة لا يأخذها منكم إلا ظالم" قال: فبنوا أبي طلحة هم الذين يلون سدانة الكعبة، دون بنى عبد الدار، قال ابن عبد البر: شيبه هذا هو جد بنى شيبه، حجة الكعبة إلى اليوم، دون سائر الناس أجمعين، و هو أبو صفيه بنت شيبه، توفي فى آخر خلافة معاوية سنة (٥٩) و قيل بل توفي فى أيام يزيد، و ذكره بعضهم فى المؤلفه قلوبهم، و هو من فضلائهم اه.

و روى ابن سعد، عن هودة، عن عوف، عن رجل من أهل المدينة، قال:

دعا النبي صلى الله عليه وسلم شيبه بن عثمان فأعطاه مفتاح الكعبة، فقال: "دونك هذا فأنت أمين الله على بيته" قال مصعب الزبيري: دفع إليه و إلى عثمان بن طلحة، و قال:

"خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة لا يأخذها منكم إلا ظالم."

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٩٠

و ذكر الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه يوم الفتح لعثمان، و أن عثمان ولي الحجابة إلى أن مات فوليها شيبه فاستمرت في ولده. و روى ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، قال: أسلم العباس و شيبه و لم يهاجرا. أقام العباس على سقايته و شيبه على حجابته. و قال يعقوب بن سفيان: أقام شيبه للناس الحج سنة تسع و ثلاثين. قال خليفة: و كان السبب في ذلك أن عليا، رضى الله عنه، بعث قثم بن عباس ليقم للناس الحج، و بعث معاوية، رضى الله عنه، يزيد بن شجرة، فتنازعا، فسعى بينهما أبو سعيد الخدري، رضى الله عنه، و غيره فاصطلحا على أن يقيم الحج شيبه بن عثمان و يصلى بالناس. مات شيبه بن عثمان سنة تسع و خمسين و قال ابن سعد عاش إلى خلافة يزيد بن معاوية.

أما عثمان بن طلحة بن أبي طلحة فقد نزلت آية: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا فِي شَأْنِهِ، قال ابن كثير، رحمه الله تعالى، في تفسيره، في معنى هذه الآية: و قد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، و اسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي العبدري حاجب الكعبة المعظمة، و هو ابن عم شيبه بن عثمان بن أبي طلحة الذي صارت الحجابة في نسله إلى اليوم، أسلم عثمان هذا في الهدنة بين صلح الحديبية و فتح مكة هو و خالد بن الوليد و عمرو بن العاص، و أما عمه عثمان بن أبي طلحة، فكان معه لواء المشركين، يوم أحد، و قتل يومئذ كافرا، و إنما تبهنا على هذا النسب لأن كثيرا من المفسرين قد يشبهه عليه هذا بهذا.

و بعد أن ذكر ابن كثير، رحمه الله، سبب نزول الآية المذكورة، روى من طريق ابن جرير، عن ابن جريج، في الآية، قال: نزلت في عثمان بن طلحة، قبض منه رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة فدخل في البيت يوم الفتح، فخرج و هو يتلو هذه الآية: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا فِي شَأْنِهِ، فمد عثمان إليه فمدفح إليه المفتاح، قال: و قال عمر بن الخطاب: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة، و هو يتلو هذه الآية: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا فِي شَأْنِهِ، ما سمعته يتلوها قبل ذلك.

حدثنا القاسم، حدثنا الحسن، حدثنا الزنجي بن خالد، عن الزهري، قال:

دفعه إليه، و قال: أعينوه قال: و روى ابن مردويه، من طريق الكلبي، عن أبي

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٩١

صالح، عن ابن عباس، في قوله عز و جل: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا قَالَ: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دعا عثمان بن طلحة، فلما أتاه، قال:

"أرني المفتاح" فأتاه به، فلما بسط يده إليه قام إليه العباس، قال: يا رسول الله بأبي أنت و أمي اجمعه لي مع السقاية. فكف عثمان يده، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"أرني المفتاح يا عثمان" فبسط يده يعطيه، فقال العباس مثل كلمته الأولى، فكف عثمان يده، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عثمان إن كنت تؤمن بالله و اليوم الآخر فهاته" فقال: هاك بأمانة الله. قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم و فتح باب الكعبة، فوجد في الكعبة تمثال إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، معه قداح يستقسم بها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما للمشركين قاتلهم الله و ما شأن إبراهيم و شأن القداح" ثم دعا بجفنة فيها ماء، فأخذ ماء فغمسه فيه، ثم غمس به تلك التماثيل، و أخرج مقام إبراهيم، و كان في الكعبة فألزقه في حائط الكعبة، ثم قال: "يا أيها الناس هذه القبلة" قال: ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

فطاف بالبيت شوطاً أو شوطين، ثم نزل عليه جبريل، فيما ذكر لنا برد المفتاح، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا حَتَّىٰ فَرَّغَ مِنَ الْآيَةِ. هذا ما ذكره عماد الدين بن كثير، في تفسيره، عن سبب رد رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة و أن ذلك كان بأمر الله تعالى.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني، في فتح الباري، و روى ابن عائد من مرسل عبد الرحمن بن سابط، أن النبي صلى الله عليه وسلم دفع مفتاح الكعبة إلى عثمان فقال: "خذوها خالدة مخلدة إنني لم أدفعها إليكم، ولكن الله دفعها إليكم ولا ينزعها منكم إلا ظالم." و من طريق ابن جريح أن علياً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: اجمع لنا الحجاب والسقاية، فنزلت: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا فِدَعَا عِثْمَانَ، فقال:

"خذوها يا بني شبيهة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم" و روى الفاكهي من طريق محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، لما ناول عثمان المفتاح، و قال له: "غيبه" قال الزهري: فلذلك يغيب المفتاح اه. قوله: خالدة تالدة، الخالدة كلمة معروفة، و التالدة هي القديم الأصل و هي ضد الطارف، أي هو لكم مقسوم من الأزل. و معنى "غيبه": "أي احتفظ به و لا تهمل شأنه.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٩٢

نقول: لو لم يفصل الله عز و جل في أمر مفتاح الكعبة بقوله: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا و أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه لرجل مخصوص و يبقى في ذريته إلى يوم القيامة، لتلاعب الملوك و أمراء مكة في ذلك، بحسب أغراضهم، فكان في كل زمن و عصر يؤخذ المفتاح من فلان و يعطى لفلان. و قد يحدث بسببه من الفتن و التنافس ما لا يتصور، فكان من الحكمة البليغة أن فصل الله أمر المفتاح، و جعله في آل الشيبى إلى يوم القيامة. و بهذا انتهى الخلاف في ذلك بتاتا، فالبيت بيت الله، يعطى مفتاحه لمن يشاء من عباده، فيجب على الشيبين الكرام أن يحمداوا الله عز و جل و يشكروه في كل عصر و أوان، على هذه النعمة الكبرى و المفخرة العظيمة، و أن يكونوا أكثر الناس تعظيماً و احتراماً لهذه الكعبة المشرفة، التي كانت سبباً في عزهم و رفعتهم و كم يكون جميلاً و شريفاً إذا اتسموا بسمات أهل العلم كشيخ السدنة الشيخ على بن محمد بن أبي بكر الشيبى المولود سنة ٧٥٥، و كالعلامة شيخ الحجة محمد بن عمر بن محمد العبدري الشيبى المولود سنة ٥٤٣ فقد ترجم لهما السخاوى في كتابه "الضوء اللامع" كما قال صديقنا الأستاذ الكبير شاعر جلاله مليكنا المعظم الأستاذ أحمد إبراهيم الغزاوى فيما يكتبه بقلمه البليغ بعنوان (مطالعات و تعليقات) بجريدة البلاد السعودية بتاريخ ٦ جمادى الثانية عام ١٣٧٥. نسأل الله لنا و لهم الهداية و التوفيق و السير على أقوم طريق.

ربنا آتانا في الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار آمين يا رب العالمين و صلى الله على سيدنا "محمد" أبى القاسم و على آله و صحبه أجمعين.

## تاريخ سدانة الكعبة المشرفة

### إشارة

و هذا المبحث كتبه لنا سادن بيت الله الحرام، صديقنا النبيل الأستاذ الجليل، فضيلة الشيخ طلحة بن حسن الشيبى وفقه الله تعالى. سدانة الكعبة المشرفة، هي حجابتها، من فتح بابها و غلقه، و تلبسها و سائر خدماتها، متعلق أمرها بسدنتها و حجبها بنى أبى طلحة العبدريين الحجبيين. لا- يجوز لأحد المداخله فى أدنى شؤون بيت الله الحرام، لأنها ولاية من الله و رسوله، و لا- تقاس بغيرها من الوظائف. و هذه الوظيفة على موجب ما هو معلوم ثابتة لهم جاهلية و إسلاماً.

انظر: صورة رقم ١١٥، لوحة موجودة فى دار بنى شيبه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٩٣

### السدانة قبل الإسلام

منذ أن رفع سيدنا إبراهيم الخليل، وابنه إسماعيل، عليهما أجزل صلاة و تسليم، قواعد البيت، بأمر الله تعالى، كما أخبرنا القرآن الكريم وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ، وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ\* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ\* وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ و لما انتهى بناء البيت، بقى إسماعيل بمكة يعنى بشؤون البيت، حتى قبض، و يقال إنه دفن بالحجر عليه السلام. ثم توارث أبناء إسماعيل، شرف سدانة الكعبة المشرفة، مدة طويلة. ثم اغتصبها منهم جيرانهم و أخوالهم جرهم، ثم اغتصبها خزاعة من جرهم. ثم استردها منهم قصى بن كلاب و هو من أبناء إسماعيل، و هو الجد الرابع للنبي صلى الله عليه و سلم.

### قصى بن كلاب

كان يلي أمر البيت حين ذاك، حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي. و ابن إسحاق قال: ثم إن قصى بن كلاب، خطب إلى حليل بن حبشية ابنته حبي، فوجه، فولدت له عبد الدار و عبد مناف، و عبد العزى، و عبد قصى. فلما انتشر ولد قصى، و كثر ماله و عظم شرفه، هلك حليل. فرأى قصى أنه أولى بالكعبة و بأمر مكة من خزاعة و بنى بكر. و أن قريشا فرعه إسماعيل بن إبراهيم، و صريح ولده، فكلم رجالا- من قريش و بنى كنانة، و دعاهم إلى إخراج خزاعة و بنى بكر من مكة، فأجابوه. فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه، كتب إلى أخيه من أمه،- و كان ببلاد الشام- رزاح بن ربيعة و معه إخوته: حن بن ربيعة، و محمود بن ربيعة، و جلهمة بن ربيعة فجاؤوا، فيمن تبعهم من قضاة، في حاج العرب، و هم مجمعون لنصرته. قال ابن إسحاق: و خرجت له خزاعة و بنو بكر فاقتتلوا قتالا شديدا بالأبطح، حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعا، ثم إنهم تداعوا إلى الصلح، و إلى أن يحكموا بينهم رجلا من العرب، فحكّموا يعمر بن عوف بن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٩٤

كعب بن عامر، من ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. ففضى بينهم بأن قصيا أولى بالكعبة و بأمر مكة من خزاعة، و أن كل دم أصابه قصى من خزاعة و بنى بكر موضوع يشدخه تحت قدميه، و أن ما أصابت خزاعة و بنو بكر من قريش و كنانة و قضاة، ففيه الدية مؤداة، و أن يخلي بين قصى و بين الكعبة.

فعند ذلك آل أمر مكة، و عادت سدانة الكعبة إلى قصى، و كانت عند قريش وظائف فيها العز و الشرف، و هى السدانة و دار الندوة و اللواء و الرفادة و السقاية، و كان قصى حازها كلها دون قومه.

### عبد الدار

لما كبر قصى ورقّ عظمه، جعل ما بيده، من أمر قومه، لولده البكر، عبد الدار. فأقام أمره فى قومه. ثم إن بنى عبد مناف و هاشم و المطلب و نوفلا- أجمعوا على أن يأخذوا ما بيد بنى عبد الدار من الحجابة و اللواء و السقاية و الرفادة، و رأوا أنهم أولى بذلك. فتعاقدوا و تعاهدوا و غمسوا أياديهم فى الطيب، فسّمى حلفهم: حلف المطّيين. و تعاهد بنو مخزوم و بنو سهم و بنو عدى مع بنى عبد الدار، و تحالفوا على عدم تسليم ما بيدهم، فسموا الأحلاف، ثم تداعوا للصلح و تحاجز الناس. و اتفقوا على أن تكون الحجابة و اللواء

و دار الندوة لبنى عبد الدار و السقاية و الرفادة لبنى عبد مناف.

### السدانة في الإسلام

أشرفت شمس الإسلام، يوم فتح مكة، و أخذ نبينا، محمد صلى الله عليه و سلم، من عثمان بن طلحة بن أبي طلحة الحجبي، سادن الكعبة، المفتاح، و فتح بابها، و دخل، و طهرها من الأصنام، و غسلها بيده الشريفه (و اسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي) فسأله العباس، رضى الله تعالى عنه، أن يضم إليه السدانة مع السقاية، فنزل قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** فرد صلى الله عليه و سلم المفتاح لعثمان بن طلحة، و تلا عليه الآية الشريفه، و أيده بالأحاديث الشريفه، فقال صلى الله عليه و سلم لعثمان و ابن عمه شيبه بن عثمان بن أبي طلحة:

(هاك مفتاحك يا عثمان، غيبوه)، و قال لهما: (خذوها يا بنى أبي طلحة خالدة تالدة إلى يوم القيامة لا ينزعها منكم إلا ظالم)، و قال: (إنى لم أدفعها لكم و لكن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٩٥

الله دفعها لكم)، و قال: (إن لله بيتا أمركم عليه)، و قال: (إن لله بيتا فاحترموه)، و قال: (كل مأثرة تحت قدمي هاتين، إلا سدانه البيت و سقايه الحاج).

روى أن الحكمة فى أخذ المفتاح من عثمان، المقصود منه التشريع، فأخذه صلى الله عليه و سلم، حتى يرد به بأمر الله تعالى لأنه ما ينطق عن الهوى **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى \* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**.

(لطيفة): حينما نزلت الآية الشريفه بعد موقعة حنين: **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِلَّذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ** إلى آخر الآية جاء عثمان إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال: يا رسول الله الذى لله لمن؟ فضحك النبى صلى الله عليه و سلم و قال له: لحجبه بيت الله بنى عبد الدار و خمس خمسه من الغنائم و أعطها له. ذكره البيضاوى فى تفسيره، و الله أعلم.

### عثمان بن طلحة

عثمان بن طلحة، اختلف فى زمن إسلامه، أكان قبل الفتح أم بعده؟ قال العلامة القسطلانى فى "المواهب اللدنيه" و فى "الطبقات" لابن سعد: عن عثمان بن طلحة، قال: كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين و الخميس، فأقبل النبى صلى الله عليه و سلم يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلظت عليه و نلت منه فحلم على ثم قال:

يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي، أضعه حيث شئت. فقلت: لقد هلكت قريش يومئذ و ذلت. قال: بل عمرت و عزت، و دخل الكعبة. فوعدت كلمته منى موقعا، ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال، فلما كان يوم الفتح، قال: يا عثمان ائتني بالمفتاح فأتيته به، فأخذه منى ثم دفعه إلى، و قال: خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم. يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف. قال: فلما وليت ناداني، فرجعت إليه فقال: ألم يكن الذى قلت لك؟ فذكرت قوله لى بمكة، قبل الهجرة "لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت"، فقلت: بلى أشهد أنك رسول الله.

و الصحيح أن إسلام عثمان كان قبيل الفتح. قال ابن إسحاق: حدثني من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما حينما أسلما- يعنى أن عثمان كان مع خالد بن الوليد و عمرو بن العاص حين أتيا إلى النبى صلى الله عليه و سلم بالمدينة مسلمين قبيل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٩٦

الفتح- و يروى أن النبي صلى الله عليه و سلم قال حينما أقبلوا عليه بالمدينة: (رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها). و مات عثمان سنة ٤٢ هجرية عقيما لا عقب له.

### شبية بن عثمان بن أبي طلحة

قال ابن عبد البر في الاستيعاب: شبية بن عثمان بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري الحنظلي المكي، يكنى أبا عثمان و قيل أبا صفيه، و أبوه عثمان بن أبي طلحة يعرف بالأوقص، قتله علي بن أبي طالب، رضى الله عنه، يوم أحد كافرا، و اسم أبيه أبو طلحة عبد الله بن عبد العزى. أسلم شبية يوم فتح مكة، و شهد حينما، و قيل: بل أسلم بحنين. قال الزبير: كان شبية قد خرج مع رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم حنين مشركا، يريد أن يغتال رسول الله صلى الله عليه و سلم فرأى من رسول الله غرة، فأقبل يريد، فرآه رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قال: يا شبية هلم، لا أم لك، فقذف الله في قلبه الرعب، و دنا من رسول الله صلى الله عليه و سلم، و وضع يده على صدره، ثم قال:

اخسئ عنك الشيطان، فأخذه و نزع في صدره، فقذف الله في قلبه الإيمان فأسلم و قاتل مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان ممن صبر معه.

و شبية هذا هو جد حجة اليوم، و إليه ينتسب الشيبون، و هو أبو صفيه بنت شبية. قال الحافظ ابن حجر في "الإصابة": "قال ابن السكن: أمه أم جميل بنت عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، و هى أخت مصعب بن عمير، قال البخارى، و غير واحد: له صحبة، و أسلم يوم الفتح، و كان أبوه ممن قتل بأحد كافرا، و لبنته صفيه، بنت شبية صحبة و رواية. و روى ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة قال: أسلم العباس و شبية و لم يهاجرا. أقام العباس على السقاية و شبية على الحجابة. قال يعقوب بن أبى سفيان: أقام شبية للناس الحج، سنة تسع و ثلاثين، و كان السبب فى ذلك أن عليا بعث قثم بن العباس ليقم للناس الحج، و بعث معاوية يزيد بن شجرة، فتنازعا، فسعا بينهما أبو سعيد الخدرى و غيره و اصطلحا على أن يقيم الحج شبية بن عثمان و يصلى بالناس مسافع بن عبد الله بن شبية، و عبد الرحمن بن الزجاج و آخرون. روى شبية عن النبي صلى الله عليه و سلم، و عن أبى بكر و عمر و مات سنة تسع و خمسين، على أصح الروايات، فتولّى أكبر أولاده من بعده و هو مصعب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٩٧

و قد روى الكازرونى فى فتاويه، و البخارى فى تاريخه، قال: إن تقدم السدانة فى أكبرهم سنا من فعله صلى الله عليه و سلم، لأنه دفع المفتاح، فى يوم الفتح، إلى عثمان، لأنه أكبرهم سنا، مع وجود شبية بن عثمان بن أبى طلحة، فلما هاجر عثمان إلى المدينة المنورة، دفع المفتاح إلى ابن عمه شبية، فلما رجع عثمان إلى مكة، أخذ المفتاح منه، و بقى فى يده إلى أن مات.

### عبد الله بن شبية الأعجم

قال الغازى فى الجزء الثانى من تاريخه، نقلا عن ابن فهد، ما ملخصه: أن خالد بن عبد الله القسرى فى ولايته لمكة، عن سليمان بن عبد الملك، أحدث حدثا منكرا، فقام إليه عبد الله بن شبية الأعجم، فأمره بالمعروف و نهاه عما فعل، فغضب خالد غضبا شديدا، و أخاف الرجل، فخرج إلى سليمان بن عبد الملك، يشكو إليه و يتظلم منه. فشكى إليه أمره. فكتب سليمان إلى خالد أن لا يتعرض له فى أمر يكرهه. فلما جاء الكتاب إلى خالد أخذه فوضعه. ثم أرسل بعد ذلك إلى عبد الله بن شبية يسأله أن يفتح له الكعبة، فى وقت لم ير ذلك عبد الله بن شبية، فامتنع عليه، فدعى به فضربه مائة سوط على ظهره، فخرج عبد الله بن شبية، هو و مولى له، على راحلتين، فأتى سليمان، فكشف عن ظهره بين يديه، و قال له: هذا الذى أوصيته به. فقال: إلى من تختار أكتب له؟ قال: إلى خالك محمد بن

هشام. قال: فكتب إليه إن كان خالد ضربه بعد أن وصل إليه كتابي وقرأه فاقطع يده. وإن كان ضربه و لم يقرأ كتابي فاقدته منه، فقدم بالكتاب على محمد بن هشام، فدعا بالقسري، فقرأه عليه، فقال: الله أكبر، يا غلام أئت بالكتاب. فأتى به مختوما لم يقرأه. فأخرجه محمد بن هشام إلى باب المسجد، وحضره القرشيون والناس، فجردته ثم أمر به أن يضرب، فضرب مائة سوط. فقال الفرزدق في ذلك بعض أبيات لا داعي لذكرها. انتهى.

ذكر ابن حزم وابن عبد البر، جماعة من الشيبين في زمانه، وعاشا إلى بعد نصف المائة الخامسة، وكذا ذكر العلامة القلقشندي في كتابه صبح الأعشى وعاش إلى سنة (٨٢١).

جاء في كتاب التراتيب الإدارية: (ولا دالة لزعمهم انقراضهم - أي بني شيبه - في إعدام معاوية عبيدا لأن إعدامها غير ولاية، فتحها، كما هو معلوم،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٩٨

و كثيرا ما يقع، في كلام المؤرخين كالأزرقى والفاكهى، ذكر الحجة، ثم الخدمة، بما يدل على التباير بينهما). انتهى ملخصا.

### شجرة النسب

في آخر القرن الثالث عشر من الهجرة، توفي زين العابدين بن محمد بن عبد المعطى، وخلفه ابنه محمد وهو طفل صغير، ولم يوجد من آل شيبه ولد ذكر غيره، وجميع آل شيبه الحاليين، هم من نسله، قال الشيخ حسين بن عبد الله باسلامه، رحمه الله تعالى، في كتابه "تاريخ الكعبة المعظمة" ما نصه: هذه سلسلة آل الشيبى أسردها كما وجدتها في دار المفتاح، الذى جعل فى هذا العصر، مسكنا لرئيس السدنة على لوحة مكتوبة بخط بديع، بماء الذهب. ابتدأت هذه السلسلة من صاحب الفضيلة مولانا المرحوم الشيخ عبد القادر بن على بن محمد بن زين العابدين بن محمد بن عبد المعطى الذى تولى السدانة سنة ١١٠٤ هـ، بن عبد الواحد الذى تولى السدانة سنة ١٠٨٠ هـ، بن محمد جمال الدين بن القاسم بن أبى السعود أبى بكر فخر الدين بن محمد جمال الدين بن عمر بن سراج الدين بن محمد بن على بن غانم بن محمد بن مفرج بن محمد بن يحيى بن عبيدة بن حمزة بن بركات بن شيبه بن عبد الله بن عبد بن شعيب بن جبير بن شيبه بن عثمان بن أبى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب القرشى. هذه سلسلة النسب ومنها يعلم أن آل الشيبى يجتمعون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصى بن كلاب. وقد تولى رئاسة السدنة، للكعبة المعظمة، كثير من آل شيبه ممن لم يذكر اسمه فى سلسلة النسب المقدم ذكره: منهم غانم و على من أبناء غانم بن محمد بن مفرج. و محمد بن على، ينتمى نسبهما إلى يحيى بن عبيدة بن حمزة و أحمد الطيب من أولاد سراج الدين بن على.

### محمد بن زين العابدين

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم؛ ج ٢-٤؛ ص ١٩٨

ل الشيخ حسين بن عبد الله باسلامه، رحمه الله تعالى، فى كتابه "تاريخ الكعبة المعظمة" ما نصه: و أما محمد بن زين العابدين بن محمد بن عبد المعطى الشيبى، الذى هو جد آل شيبه الحاليين المعاصرين لنا، فقد توفى والده زين العابدين فى أواخر القرن الثانى عشر فى الهجرة، وهو طفل، و تولى سدانة الكعبة،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ١٩٩

بعد زين العابدين عبد القادر الشيبى ابن عم محمد المشار إليه. و فى سنة ١٢١٠ هـ توفى عبد القادر عقيما. و بذلك آلت السدانة إلى محمد بن زين العابدين وهو يومئذ حديث السن و لم يوجد من آل شيبه ولد ذكر غيره. و كان أمير مكة فى ذلك العصر الشريف

غالب بن مساعد، فأخذ الشيخ محمد بن زين العابدين إلى داره و كفله، و اعتنى بتربيته كأولاده، و أكرمه إلى أن كبر و تولى أمر السدانة ثلاثا و أربعين سنة. و كان عالما فاضلا، و له رسالة في مناسك الحج، على مذهب الإمام الشافعي نظما، و توفي سنة ١٢٥٣ هـ، و خلف من الذكور ستة أولاد و هم عبد القادر و سليمان و جعفر و أحمد و عبد الله و علي.

فتولى بعد وفاته، رئاسة السدنة أكبر أولاده الشيخ عبد القادر بن محمد سنة ١٢٥٣ هـ، و مكث بيده المشيخة و مفتاح الكعبة، سبع سنين، و توفي سنة ١٢٦٠ هـ. فتولى بعده أخوه سليمان و توفي سنة ١٢٦١ هـ، فتولى بعده أخوه جعفر، و توفي سنة ١٢٦٢ هـ. فتولى بعده أخوه الشيخ أحمد، و توفي سنة ١٢٧٤ هـ. ثم تولى بعده أخوه الشيخ عبد الله، و توفي سنة ١٢٩٦ هـ. و قد توفي الشيخ علي بن محمد في حياة أخيه الشيخ عبد الله المشار إليه، و لم يل السدانة. فهؤلاء الطبقة الأولى من أولاد الشيخ محمد بن زين العابدين.

### الطبقة الثانية

أول من تولى رئاسة السدنة، منهم الشيخ عمر بن جعفر، و توفي سنة ١٣٠٤ هـ. ثم تولى بعده رئاسة السدنة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله، و مكث رئيسا على سدنة الكعبة إلى سنة ١٣١١ هـ. فأخذ منه المفتاح، و عزل من رئاسة السدنة في تلك السنة. و سبب ذلك أنه وقع بين أمير مكة الشريف عون الرفيق بن محمد بن عبد المعين بن عون و بين والي ولاية الحجاز، في ذلك العصر عثمان نوري باشا، نزاع و مشاحنات في السلطة، و دخل في ذلك النزاع الشيخ عبد الرحمن الشيبى المشار إليه، و انضم إلى حزب والي الحجاز عثمان نوري باشا، كما انضم إلى حزبه مفاتي مكة، و رئيس السادة العلوية، و نائب الحرم، و بعض من لهم شخصية بارزة من الأشراف، و رفع كل من الشريف عون الرفيق و عثمان نوري باشا الأمر إلى السلطان عبد الحميد خان العثماني بن عبد المجيد خان، صاحب الولاية و السلطنة على الممالك العثمانية و الحجاز، في ذلك العصر، و استعان عثمان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٠٠

نوري باشا على الشريف عون الرفيق بمضبطة من الذوات المتقدمة أسماؤهم ضد الشريف عون الرفيق. فانجلت المعركة بفوز الشريف عون الرفيق على أخصامه، و كان النصر حليفه في ذلك، فصدر أمر السلطان بعزل والي الحجاز عثمان نوري باشا، و بعزل الذوات الموقعين في تلك المضبطة، و نفيهم جميعا من الحجاز. و نفذ الأمر و عزل الجميع من وظائفهم، و نفوا من الحجاز، غير أن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الشيبى، فقد لطف به و لم ينف من الحجاز، و إنما بارح مكة المكرمة، و سكن الهدا، و هي قرية صغيرة واقعة بسفح جبل كراء، الذى هو بشرق مكة، و واقع بين مكة و الطائف، و هو من سلسلة جبال السروات، و يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ٢٢٠٠ مترا، و يبعد عن مكة نحو ٣٥ ميلا، و بينه و بين الطائف نحو ٨ أميال. و مكث الشيخ عبد الرحمن بالهدا إلى أن توفي سنة ١٣٢٠ هـ، و دفن فيها. و كان شهما كريما محبا للخير، و هو من السدنة، الذين أدركت رئاستهم و عرفتهم شخصا. ثم تولى سدانة الكعبة و رئاسة السدنة، بعده الشيخ محمد صالح بن أحمد بن محمد الشيبى سنة ١٣١١ هـ بعد عزل ابن عمه الشيخ عبد الرحمن الشيبى المتقدم ذكره، و كان شهما هماما، فقد تولى رئاسة مجلس الشيوخ، في عهد الملك الشريف الحسين بن علي سنة ١٣٣٥ هـ، و كان ذا رأى ثاقب، و فكر واسع، و قد مكث رئيسا للسدنة ٢٤ سنة، إلى أن توفي بمكة يوم النحر، عشر ذى الحجة سنة ١٣٣٥ هـ، و كانت ولادته في أول عام ١٢٧١ هـ، و قد بلغ من العمر ٦٤ سنة.

ثم تولى بعده الشيخ عبد القادر بن علي بن محمد الشيبى، رئاسة السدنة سنة ١٣٣٥ هـ، و كان شهما هماما وديعا سموحا، له إقبال على الناس، محبا للخير، و جيها. و قد باشر عدة وظائف منها رئاسة مجلس الشيوخ، في عهد الملك الشريف الحسين بن علي، و ترأس عدة مجالس في حكومة جلاله ملك المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، و كانت له عند جلاله الملك عبد العزيز آل سعود منزلة عالية، و مكث رئيسا للسدنة ١٦ سنة، إلى أن توفي في اليوم العاشر من شهر رمضان سنة



١٣٥١ هـ. و كانت ولادته في منتصف سنة ١٢٧١ هـ. وقد بلغ من العمر ثمانين سنة، و بوفاته انتهت الطبقة الثانية الذين هم أحفاد الشيخ محمد بن زين العابدين الشيبى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٠١

و أما الطبقة الثالثة من السدنة، الذين هم أبناء الأحفاد، فهم رئيس السدنة الحالى الشيخ محمد بن محمد صالح بن أحمد بن محمد بن زين العابدين، ولد سنة ١٢٩٣ هـ. و تولى رئاسة السدنة فى اليوم الحادى عشر من شهر رمضان سنة ١٣٥١ هـ بعد وفاة المرحوم صاحب الفضيلة مولانا الشيخ عبد القادر بن على المتقدم ذكره، و هو لا يزال فى رئاسة السدنة إلى اليوم. و قد أدركت كثيرا من آل الشيبى ممن لم يتولوا رئاسة السدنة فمنهم من أدركته المنية و منهم من هو على قيد الحياة. أما من أدركتهم و عرفتهم بالذات ممن لم تصل إليهم رئاسة السدنة، و قد أدركتهم الوفاة منهم: الشيخ زين العابدين بن عبد الله بن محمد الشيبى، توفى فى بلاد المغرب سنة ١٣٣٠ هـ. ثم الشيخ محمد سعيد بن عبد الله بن محمد الشيبى، توفى سنة ١٢٤٠ هـ. ثم الشيخ عبد الغنى بن عبد الله بن محمد الشيبى، توفى سنة ١٣٤٢ هـ ثم الشيخ جعفر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الشيبى، توفى بالطائف سنة ١٣٤٣ هـ. ثم الشيخ حسن بن عبد القادر بن على الشيبى، توفى سنة ١٣٤٣ هـ بالطائف.

و أما الموجودون من آل الشيبى فى العصر الحاضر الذين هم سدنة الكعبة المعظمة فهم رئيس السدنة الحالى الشيخ محمد المتقدم ذكره، و من الطبقة الثالثة الشيخ عبد الله بن عبد القادر بن على بن محمد بن زين العابدين الشيبى، ولد بمكة المكرمة سنة ١٢٩٧ هـ. و هو السادن الثانى بعد رئيس السدنة الحالى، و قد تقلد عدة وظائف فى حكومة جلاله الملك عبد العزيز المعظم، و هو الآن حين تحرير هذا المؤلف، نائب مجلس الشورى الثانى، و رئيس هيئة المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين، و رئيس هيئة الإسعاف الطبى، و هو صاحب جاه و إقبال و مكارم أخلاق و همه فى الأعمال و سخاء، و له حرمة و مكانة و له من الأولاد الذكور ... الخ.

انتهى كلام الشيخ عبد الله باسلامة نقلناه بتصرف. ثم قال الشيخ باسلامة:

فهؤلاء السدنة آل شيبه بن عثمان بن أبى طلحة الحجبى، المشبوت نسبهم، المعروفون عند أهل مكة خاصة و عند المسلمين عامة، بأنهم سدنة الكعبة المعظمة، جاهلية و إسلاما، فى عهد عبد الدار بن قصى إلى عهد شيبه بن عثمان، إلى هذا العصر، الذى نحرر فيه هذا المؤلف، و هم محل تجلته و احترام و إكرام و سؤدد و فخار، جاهلية و إسلاما، كما دلت على ذلك الأخبار الواردة فى حقهم، فى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٠٢

أصح المصادر، و هم لا يزالون أصحاب و جاهة فى هذا العصر، عند عموم الملوك و السلاطين و الأمراء و بالأخص عند كل ممن تولى خدمة الحرمين الشريفين، أو إمارة مكة المكرمة، و عند عموم المسلمين، حيث بيتهم من أشرف بيوت قريش و وظيفتهم من أعظم الوظائف الإسلامية. و لا يزال وجودهم من معجزات رسول الله صلى الله عليه و سلم التى أخبر أمته بها بقوله: خذوها يا بنى أبى طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم. فبقاء آل شيبه، و خلود سدانة الكعبة بأيديهم، و عدم نزعها منهم أو إسنادها إلى غيرهم، طيلة هذه القرون، مع تبدل الولاة و الحكام على هذه البلاد، من عهد رسول الله و الخلفاء الراشدين المهديين و خلفاء بنى أمية و عبد الله بن الزبير و خلفاء بنى العباس و الفاطميين و ملوك الجراكسة و سلاطين عثمان و أمراء مكة من الأشراف، من عهد الشريف قتادة و أبى نمى إلى الملك الشريف الحسين بن على، و حكم الملك سعود الأول إلى جلاله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، فى العصر الحاضر، بل و فى حكم المتغلبين من قرامطة و يمينين و غيرهم. فلا شك و لا شبهة، أنها معجزة من أعظم المعجزات الخالدة للرسول، المحسوسة الظاهرة ظهور الشمس فى رابعة النهار. انتهى كلام الشيخ باسلامة.

و نحن نستعين بالله سبحانه و تعالى لنستكمل البقية الآن فنقول: إن الشيخ عبد الله بن عبد القادر بن على، قد أصبح نائب مجلس الشورى، حيث أن رئيس الشرف لمجلس الشورى حينذاك هو صاحب السمو الملكى الأمير فيصل آل سعود، نائب جلاله الملك

المعظم عبد العزيز آل سعود، رحمه الله تعالى. كما منح لقب الوزير المفوض، ثم توفى الشيخ عبد الله في منتصف رمضان سنة ١٣٧١ هـ رحمه الله تعالى. أما الشيخ محمد بن محمد صالح بن أحمد بن محمد بن زين العابدين الشيبى، فقد توفى في الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٢ هـ.

وقد لبث في رئاسة السدنة حول ثلاثين عاما، وكان رحمه الله، عذب الحديث، حازما في الأمور، ولم يخلف أولادا، وبوفاته انتهت الطبقة الثالثة. فتولى من الطبقة الرابعة بعده الشيخ أمين بن عبد الله الشيبى سنة ١٣٨٢ هـ وهو السادن الأول، وناظر وقف آل الشيبى، وعضو مجلس الشورى حاليا. والشيخ أمين المذكور له اطلاع واسع في الثقافة العامة، صريح محب لمحبيه، أمتعته الله بالصحة والإقبال ولد سنة ١٣٢٥ هـ وله من الأولاد الذكور الدكتور فيصل أمين الشيبى وعدنان أمين الشيبى والسدنة الموجودون حاليا كلهم من الطبقة الرابعة نذكرهم حسب ترتيب السن وهم:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٠٣

الشيخ أمين المتقدم ذكره والشيخ عمر بن جعفر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الشيبى، وهو السادن الثانى للكعبة المشرفة، وأولاده محمد سعيد و عبد المحسن و خالد و قد ولد الشيخ عمر سنة ١٣٣١ هـ. ثم الشيخ طه الشيبى، ولد سنة ١٣٣٣ هـ وله من الأولاد عبد القادر و حسن و حسين و عبد الملك و محمد و عادل و ممدوح. ثم الشيخ عاصم الشيبى، ولد سنة ١٣٣٧ هـ و تحصيل على الشهادة العالمية، ثم تحصيل على إجازة التدريس فى القضاء العالى من الأزهر و هو الآن من أساتذة الجيل، يساهم بنشاطه فى حقل التدريس، و له من الأولاد سعود و محمد على. ثم الشيخ زين العابدين ولد سنة ١٣٣٩ هـ. و فى السادس من شهر ذى الحجة عام ١٣٨٣ هـ أراد القدوم من المدينة إلى مكة للمشاركة فى غسل الكعبة المشرفة، مع بقية السدنة فى اليوم السابع من ذى الحجة، كما هى العادة سنويا، ولأداء مناسك الحج، ولكنه توفى فى الطريق إلى مكة، وهو بملايس الإحرام، قاصدا الحج، وذلك عقب حادث أليم وقع على سيارته فى الطريق، فكان لوفاته حزن عميق لدى محبيه و معارفه، لما اشتهر به من حلو الحديث، و حب الخير للجميع، و له من الأولاد محمد صالح و عبد الوهاب و عبد اللطيف و عبد الله و مصطفى و زينى.

انظر: الصور أرقام ١١٦، الشيخ عبد القادر بن على الشيبى، و رقم ١١٧ الشيخ عبد الله الشيبى سادن الحرم، و رقم ١١٨ أمين بن عبد الله الشيبى رئيس السدنة، و رقم ١١٩ الشيخ عمر بن جعفر الشيبى السادن الثانى للحرم، و رقم ١٢٠ ثلاثة من آل الشيبى، و رقم ١٢١ عاصم بن عبد الله الشيبى بين ولديه، و رقم ١٢٢ سراج بن عبد الله الشيبى

ثم الشيخ طلحة بن حسن الشيبى ولد سنة ١٣٤٠ هـ. و تحصل على الشهادة التوجيهية عام ١٣٤٣ هـ من مدرسة تحضير البعثات بمكة (العزيمية الثانوية) ثم عكف على الدراسة الخاصة فى المسجد الحرام، و هو الآن الوكيل الأول للمدرسة العزيمية الثانوية بمكة، بعد أن قام بالتدريس فيها سنوات طويلة. فقد خدم التعليم حول عشرين عاما، بذل فيها الكثير من الجهد والنصح، و له من الأولاد عثمان و عبد الرحمن و سليمان و عبد الله و إبراهيم و زهير و ناصر و هو صديق عزيز على ساهم فى إعداد هذه البحوث، مساهمة تذكر فتشكر، جزاه الله خيرا.

ثم الشيخ سراج الشيبى ولد سنة ١٣٤٤ هـ، و هو من موظفى إدارة الحرم الشريف بمكة، و له من الأولاد عمر و فهد.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٠٤

ثم الشيخ عبد العزيز الشيبى ولد سنة ١٣٤٨ هـ، و هو عضو فى إدارة الحرم الشريف بمكة و هو المشرف على وقف آل الشيبى و له من الأولاد طلال و هشام و محمد و أحمد. و بهذا انتهى ذكر الطبقة الرابعة و أبنائهم.

و يلاحظ أن الجميع هم إخوة، ما عدا الشيخ عمر و الشيخ طلحة، فهم أبناء عمومة لهم.

و عدد أفراد العائلة فى عامنا الحالى عام ١٣٨٤ هـ اثنان و ثمانون شخصا، نصفهم من الذكور تقريبا حسب ما مر.

## عاداتهم

وقد جرت العادة أن يوضع المفتاح لدى أكبرهم سنا وهو السادن الأول. وعند فتح الكعبة يشعر السادن الأول جميع السدنة (الكبار منهم طبعاً) بوقت كاف ليتمكنوا من الحضور جميعاً، إن أمكن ذلك، أو بعضهم. وليس للكعبة الآن مواعيد معينة تفتح فيها، إلا المواعيد التي تغسل فيها من الداخل، وهي تغسل مرتين في العام: المرة الأولى في صباح ٢٧ شعبان والثانية صباح ٧ الحجة من كل عام، فإذا كان يوم غسل الكعبة يحضر جميع السدنة، ويفتح الباب، و ينتظرون وصول ولاة الأمر، وكثيراً ما يجرى هذا الحفل، تحت رئاسة سمو الأمير فيصل المعظم، وعند تشريفه يصل داخل الكعبة ركعتين، هو ومن يكون بمعيته من الأمراء أو الضيوف، ثم يصب ماء زمزم ممزوجاً بماء الورد، ثم تمسح الجدار بعطر الورد أو بعطر العود، وتبخر بالعود وبذلك تنتهي مراسم الغسيل. وغسل الكعبة قديم من عام الفتح، حيث طهر النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة من الأصنام وغسلها بيده الشريفه. أما مواعيد فتح الكعبة في الأزمنة الماضية فقد تكلم عنها الباحثة الرحالة ابن جبير.

## ترجمة خالد بن عبد الله القسري المتقدم ذكره

تولى خالد بن عبد الله القسري ولاية مكة المشرفة مرتين، في خلافة عبد الملك بن مروان، ثم في خلافة ابنه سليمان، وكان أيضاً قبل ذلك واليا على الشام، وهو

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٠٥

أول من استصبح في المسجد الحرام حول الكعبة، كما هو أول من فرق بين الرجال والنساء في الطواف، أجلس عند كل ركن من أركان الكعبة حرساً معهم السياط يفترقون بين الجنسين. وسبب ذلك أنه لما بلغه قول الشاعر:

يا حبذا الموسم من موفدو حبذا الكعبة من مشهد

و حبذا الآتي يزاحمنا عند استلام الحجر الأسود

قال خالد: أما إنهن لا يزاحمنك بعد هذا وأجلس عند كل ركن حرساً بأيديهم السياط يمنعون النساء أن تختلط بالرجال.

ومثل هذا ما حكاه الزمخشري في خالد: قال لما بلغ خالد ما قاله رجل من موالى الأنصار:

ليتني في المؤذنين نهاري إنهم يبصرون ما في السطوح

فيشيرون أو يشير إليهم بالهوى كل ذات دلّ مليح

أمر بهدم المنائر، وفي هذا هجاه الفرزدق بثلاثة أبيات.

وخالد القسري هو الذي أدار الصفوف حول الكعبة، فقد كان الناس يصلون التراويح في رمضان، في أعلى المسجد الحرام، وتركز حربة خلف مقام إبراهيم بربوة، فيصلى الإمام خلف الحربة، والناس وراءه، فمن أراد صلى مع الإمام، ومن أراد طاف وركع خلف المقام.

فلما ولي خالد القسري مكة، من قبل عبد الملك بن مروان، وحضر شهر رمضان، أمر خالد الأئمة أن يتقدموا فيصلوا خلف المقام وأدار الصفوف حول الكعبة، لأن أعلى المسجد ضاق بالناس، فقليل له: تمنع بذلك الناس من الطواف.

قال: فإنما أمرهم يطوفون بين كل ترويحتين بطواف سبعا، وقد رتبهم في صلاة التراويح والطواف بالبيت، بحيث تنقضى الصلاة مع طلوع الفجر، وقد ذكر الإمام الأزرقى تفصيل ذلك.

ولقد أجرى خالد القسري من عين ثقبه بجبل ثبير، في طريق منى ماء عذبا، تجرى إلى المسجد الحرام، وتسكب في فسقية من رخام بين زمزم والمقام، وأراد بذلك أن يصرف الناس عن شرب ماء زمزم فلم يبلغ بغيته، لأن أهل مكة أعرضوا عن ماء هذه العين و

رغبوا في زمزم، فلما رأى خالد ذلك صعد المنبر يخطب فيهم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٠٦

و يؤنبهم على ذلك فلم يلتفتوا لكلامه. انتهى باختصار و تصرف من تاريخ الغازي و غيره.

و لخالد بعض أعمال مستنكرة: منها ما نلخصه من تاريخ الغازي: و هو أنه لما بعث خالد القسري سعيد بن جبير بعد أن شدّه وثاقا إلى الحجاج، قال له رجل من أهل الشام: إن الحجاج قد أندر به و أشعر به من قبلك فما عرض له، فلو جعلته بينك و بين الله لكان أزكى من كل عمل يتقرب به إلى الله تعالى. قال خالد، و ظهره إلى الكعبة قد استند إليها: و الله لو علمت أن عبد الملك لا يرضى عني إلا بنقض هذا البيت حجرا حجرا لنقضته في مرضاته. و سعيد بن جبير هو أحد الأعلام السابقين أخذ العلم عن عبد الله بن عباس و عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم، قال له ابن عباس: حدّث، فقال: أحدث و أنت ههنا؟ فقال: أليس من نعمه الله عليك أن تحدّث و أنا شاهد، فإن أصبت فذاك و إن أخطأت علمتك، سعيد بن جبير و قصته مع الحجاج مذكورة في تاريخ ابن خلكان و غيره.

و منها: أنه أحدث حدثا منكرا، فقام إليه طلحة بن عبد الله بن شيبه من بني عبد الدار بن قصي. و قيل بل هو عبد الله بن شيبه الأعجم، فأمره بالمعروف و نهاه عما فعل، فغضب عليه خالد غضبا شديدا، و أخاف الرجل، فخرج إلى سليمان بن عبد الملك يشكوه و يتظلم منه، فكتب سليمان إلى خالد أن لا يتعرض له بأمر يكرهه، فلما أخذ خالد الكتاب وضعه، و بعد ذلك طلب من عبد الله بن شيبه أن يفتح له الكعبة فامتنع عليه، فضربه خالد مائة سوط على ظهره، فخرج عبد الله بن شيبه و أتى سليمان فكشف عن ظهره بين يديه و قال له: هذا الذي أوصيته بي.

فكتب سليمان إلى خاله محمد بن هشام أن يقتص لعبد الله من خالد القسري، فأخرجه محمد بن هشام إلى باب المسجد و أمر بضربه مائة سوط بعد تجريده و حضر الناس و القرشيون.

و منها: إيصاله الماء من عين ثقبه بجبل ثبير إلى المسجد الحرام، بين زمزم و المقام، و أراد أن يحمل الناس للشرب منه و ترك ماء زمزم، فلم يمثّل الناس أمره و خطب في أهل مكة و أنبهم في كلامه على ذلك فلم يلتفتوا إلى كلامه و كان يذم ماء زمزم و يسميها أم جعلان و لا يشرب منها. و تفصيل هذه الحادثة في تاريخ الغازي.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٠٧

و منها: أنه كان يجهر و يأمر بسبّ علي بن أبي طالب فوق المنابر، و أثنى على الحجاج ثم أمر بلعنه، و أنه في سبيل طاعة بني أمية كان يقول: لو كنت أعلم أن هذه الوحوش لو نطقت و لم تقرّ بالطاعة لأخرجتها من الحرم. انتهى ملخصا من تاريخ الغازي.

هذه الأمور مما يجرح في خالد القسري و يؤاخذ بها. لكن صدقنا الأستاذ السباعي في كتابه "تاريخ مكة" يستبعد وقوع مثل هذه الأعمال من خالد القسري و يقول ربما أشاعها بعضهم انتقاما منه أو من بني أمية لأن هذه الجراءة لا تتفق مع الدين.

و لقد كدنا أن لا نصدق كل ذلك في خالد القسري، لكن رأينا في تاريخ ابن خلكان ما يؤيد ذلك و لا سبيل إلى تكذيبه، و نحن نلخص هنا ما ذكره ابن خلكان في ترجمته فقد جاء فيه: هو خالد بن عبد الله بن يزيد البجلي ثم القسري، بفتح القاف و سكون السين المهملة و بعدها راء نسبة إلى قسر بن عبقرو، و هي بطن من بجيلة، كان أمير العراقيين من قبل هشام بن عبد الملك الأموي، و ولى قبل ذلك سنة تسع و ثمانين للهجرة، و لجده يزيد صحبه مع رسول الله صلى الله عليه و سلم، و خالد معدود من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة و البلاغة، و كان جوادا كثير العطاء، و كانت أمه نصرانية، و ذكر أبو الفرج الأصبهاني، أن خالدا كان من شقّ الكاهن، و هو خالد بن عبد الله بن أسد بن يزيد بن كرز، و ذكر أن كرزاً كان دعيا و أنه كان من اليهود، فجنى جناية فهرب إلى بجيلة فانتسب فيهم، و كرز، بضم الكاف و سكون الراء و بعدها زاء.

قال ابن خلكان: كان شقّ المذكور ابن خالة سطيح الكاهن المبشّر بالنبى صلى الله عليه و سلم، و كان شقّ و سطيح من أعاجيب الدنيا: فكان شقّ نصف إنسان و لذلك سمي بشقّ فكانت له يد واحدة و رجل واحدة، و أما سطيح فكان جسدا ملقى، لا جوارح له، و كان

وجهه في صدره، و لم يكن له رأس و لا عنق، و كانت ولادة شق و سطيح في يوم واحد، و فتح عليهما في علم الكهانة ما هو مشهور عنهما و عاش كل واحد منهما ستمائة سنة. اه.

أما خبر وفاة خالد القسري: فقد ذكر الطبري في تاريخه ما ملخصه: أن هشاما ولى خالد العراق سنة خمس و مائة، ثم عزله و ولى له يوسف بن عمر الثقفي و هو ابن عم الحجاج، و سبب عزل خالد، أن امرأة أخته فقالت: أصلح الله التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٠٨

الأمير إني امرأة مسلمة، و إن عاملك فلانا المجوسى و ثب على فأكرهنى على الفجور و غضبني نفسى. فقال لها خالد: كيف وجدت قلفته؟

فكتب بذلك حسان النبطى إلى هشام، فكتب هشام إلى يوسف بن عمر و كان باليمن بولاية العراق و محاسبه خالد عماله، و أمره أن يستخلف ابنه الصيلى على اليمن، فخرج يوسف، فى نفر يسير، حتى قدم الكوفة سحرا، ثم أخذ خالد و عماله و حاسبه و حبسه و عذبه، ثم قتله فى أيام الوليد بن يزيد. قيل إنه وضع قدميه بين خشبتين و عصرهما حتى انقصفتا، ثم رفع الخشبتيين إلى ساقيه و عصرهما حتى انقصفتا، ثم إلى وركيه، ثم إلى صلبه، فلما انقصف صلبه مات، و هو فى ذلك لا ينطق و لا يتأوه. و كان ذلك فى المحرم سنة ست و عشرين، و قيل فى ذى القعدة سنة خمس و عشرين و مائه، بالحيرة و دفن فى ناحية منها ليلا.

و الحيرة، بينها و بين الكوفة فرسخ، كانت منزلة آل النعمان بن المنذر ملوك العرب. انتهى كل ذلك من تاريخ ابن خلكان.

### كيس مفتاح الكعبة و الكراسى التى كانت فى داخلها

لم نقف على من أحدث كيسا خاصا لمفتاح الكعبة، و لا متى حدث.

و الظاهر أنه حدث ذلك، عندما اختصت مصر بصنع كسوة الكعبة المشرفة، فعمل كيس المفتاح تبعا لكسوة الكعبة، و كسوة مقام إبراهيم، و ستارة باب الكعبة، و ستارة باب التوبة، أى الباب الموصل لسطح الكعبة من داخلها، و الله تعالى أعلم بغيبه، و زخرفة كيس المفتاح و تحسين منظره تابعا لكسوة الكعبة و كل ذلك يكون فى مصر.

قال الغازى فى تاريخه نقلا عن الرحلة الحجازية: و بجانب باب الكعبة، على يسار الداخل، طاولة من الخشب، مغطاة بستارة من الحرير الأخضر، موضوع عليها كيس مفتاح الكعبة، و هو من الأطلس الأخضر المزركش بالقصب، يأتى إليها سنويا من مصر مع الكسوة الشريفة.

و صفة هذا الكيس كما ذكره مؤلف مرآة الحرمين، رحمه الله تعالى، حيث يقول: هذا الكيس من الأطلس الساسى الأخضر، الذى مقاسه ذراع و ثمن، و موضوع عليه مخيش فضة، ملتبس بالذهب البندقى الأصفر، الذى زنته (٤٥) خمس و أربعين مثقالا و كنتير ششخانة أبيض، و ترتر فضة أبيض مثقالين، و هو

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٠٩

مبطن بالأطلس الساسى الأخضر، و مركب عليه قيطان بشرابتيين مصنوعتين من قصب، و مخيش عقادى أصفر، و كنتير ششخانة. و قد نقش فى إحدى جهتيه إنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأماناتِ إلى أَهْلِها و فوق ذلك و تحته: أمر بعمل هذا الكيس المبارك مولانا السلطان محمد الخامس، و فى الجهة الأخرى فى الوسط قوله تعالى: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ و فوق ذلك و تحته جدد هذا أفندينا عباس حلمى باشا خديوى مصر سنة (١٣٢٧) سبع و عشرين و ثلاثمائة و ألف هجرية. انتهى.

انظر: صورة رقم ١٢٣، كيس من الحرير المطرز من الوجهين لمفتاح باب الكعبة المعظمة

و ما جاء فيما تقدم، من أن كيس المفتاح، يوضع على طاولة من الخشب، مغطاة بستارة من الحرير الأخضر، فى جوف الكعبة، على يسار من دخلها، هذه الطاولة أو بعبارة أخرى هذا الكرسي، هو موضوع من قديم الزمان، داخل الكعبة، ربما كان موضوعا فيها قبل

الإسلام، فقد روى البخارى فى صحيحه فى كتاب الحج، عن واصل، عن أبى وائل، قال: جلست مع شبيهة على الكرسي فى الكعبة، فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر، رضى الله عنه، فقال: لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء و لا بيضاء إلا قسمته. قلت: إن صاحبك لم يفعل. قال: هما المرآن أقتدى بهما. اه.

و شبيهة المذكور هنا هو شبيهة بن عثمان بن أبى طلحة الذى ينتهى إليه نسب سدنة الكعبة فى عصرنا و إليه ينسبون فيقال لهم الشيبون، و قد أسلم شبيهة عام الفتح على أصح الروايات و قد ذكرنا ترجمته.

و الظاهر، و الله تعالى أعلم، أن الكرسي الذى كان فى الكعبة قديما كان لجلوس كبير سدنة الكعبة عليه، عند فتحها، و لا بأس من ذلك، ما دام المرء جالسا بالأدب اللائق، ببيت الله الحرام، و بالأخص من كان من سدنته أو خدمه.

و لقد ذكر الأزرقى فى تاريخه، عند الكلام على ذرع الكعبة من داخلها، أنه كان فى الكعبة ثلاثة كراسى، و ذكر وصفها، و لكننا لم نفهم تماما معنى كلامه، و لا بأس أن نسوق عبارته بنصها للإحاطة. قال رحمه الله تعالى: و فى الكعبة ثلاثة كراسى من ساج " و هو ضرب من الشجر " طول كل كرسي فى السماء ذراع و نصف، و عرض كل كرسي منها ذراع و ثمانى أصابع فى مثلها، و الكراسى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢١٠

ملبسة ذهباً و فوق الذهب ديباج و تحت الكراسى رخام أحمر بقدر سعة الكرسي، و طول الرخام فى السماء سبع أصابع، و على الكراسى أساطين متفرقة ملبسة:

الاسطوانة الأولى، التى على باب الكعبة، ثلثها ملبس صفائح ذهب و فضة، و بقيتها مموهة، و ذرع غلظها ثلاثة أذرع، و الاسطوانة الثانية، و هى الوسطى من الأساطين، ملبسة صفائح ذهب و فضة، و ذرع غلظها ثلاثة أذرع، و الاسطوانة الثالثة، و هى التى تلى الحجر، ثلثها ملبس صفائح ذهب و بقيتها مموهة، و ذرع غلظها ذراعان و نصف، و فوق الأساطين كراسى ساج مربعة منقوشة بالذهب و الزخرف، و على الكراسى ثلاث جوايز ساج، أطرافها على الجدر الذى فيه باب الكعبة، و أطرافها الأخرى على الجدر الذى يستقبل باب الكعبة و هو دبرها، و الجوايز منقوشة بالذهب و الزخرف، و سقف الكعبة منقوش بالذهب و الزخرف، و يدور تحت السقف إفريز منقوش بالذهب و الزخرف، و تحت الإفريز طوق من فسيفساء. انتهى كلام الأزرقى.

فنحن لم نفهم معنى كلام الإمام الأزرقى فهما تاما، فهل الكراسى الثلاثة التى ذكرها الأزرقى هى مثل الكراسى المعروفة فى عصرنا، بمعنى أن الكرسي هو ما يقعد عليه، بقطع النظر عن شكله و كيفية صنعه و تعدد أنواعه، أم له معنى آخر فى عرف زمانه، ثم ما معنى وضع الكراسى على رخام أحمر، و أرض الكعبة كانت مفروشة بالرخام فى زمانه، و ما معنى وضع الأساطين على الكراسى و وضع كراسى آخر فوق الأساطين أيضا، و ما معنى وضع الجوايز على الكراسى أطرافها على الجدارين المتقابلين الشرقى و الغربى، فهل معنى الجوايز وضعه أخشاب طوال عرضا على الكراسى ليعلق عليها بعض الأشياء، أم المقصود منها شىء آخر؟ و النتيجة التى فهمناها أن هذه الكراسى لم تكن للجلوس و القعود. و الله تعالى أعلم بالغيب.

أما فى عصرنا الآن: فإنه لا يوجد كرسي فى الكعبة يصلح للجلوس عليه، و لكنه يوجد فيها طاولة كالكراسى و هى من الخشب العودى، بنى اللون، مسدس الأضلاع، طول كل ضلع نحو خمسين سنتيمترا و ارتفاعه من الأرض نحو متر واحد، و على أضلاعه كتابات محفورة على نفس الخشب، و الظاهر أنه من عهد السلطان عبد الحميد الأول. و هذه الطاولة معمولة لوضع كيس مفتاح الكعبة عليها، و كذلك بعض الأشياء الصغيرة كمبخرة و عطر و نحوهما.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢١١

ثم بعد أيام من كتابة هذا نظرنا إلى الكرسي الموجود الآن فى داخل الكعبة المشرفة لتتحقق عنه أكثر. و إليك وصفه بدقة تامة:

لقد ذكرنا أنه يوجد الآن في الكعبة كرسى من الخشب، و هنا نذكر وصف هذا الكرسى فنقول: الكرسى الموجود فى عصرنا الحاضر فى داخل الكعبة المشرفة، عمل سنة (١٢٧٥) هجرية، و هو سداسى الشكل متساوى الأضلاع يشبه كراسى الفوانيس الكبيرة، يضع فيه سدنة الكعبة بعض الأشياء الخفيفة كقفل بابها و مفتاحه و كيس المفتاح و زجاجة العطر و نحو ذلك، و طول كل ضلع من أضلاعه الستة نصف متر، و ارتفاعه ثمانون سنتيمترا، و هو مسدود من جميع جوانبه ما عدا جانب واحد الذى فيه الباب و هو مصراعان " درفتان " و قد كتب بالحفر على نفس خشب الكرسى فى كل جانب من جوانبه الستة ما يأتى:

(١) جدد هذا الصندوق فى عهد سلطان المسلمين و خليفة.

(٢) رسول رب العالمين مولانا السلطان الغازى عبد.

(٣) المجيد بن المرحوم السلطان محمود خان اللهم انصره.

(٤) نصرنا تعزبه الدين و كان المباشر يومئذ الحاج.

(٥) رضا فريق باشا المأمور بإيصال ميزاب الكعبة المعظمة غفر الله له.

(٦) و للمسلمين فى سنة خمس و سبعين و مائتين و ألف هجرية.

هذا ما كتب على جوانب الكرسى، و يظهر من السطر الأول من جملة "جدد هذا الصندوق" أنه كان فى داخل الكعبة كرسى قبل هذا الكرسى حصل فيه خراب من قدم العهد، فرفعوه و عملوا بدلا عنه هذا الكرسى.

### مواعيد فتح الكعبة فى الجاهلية و الإسلام

لما كانت الكعبة المعظمة بيت الله الحرام، و أقرب موضع لإجابة الدعاء، و إليهما يلجأ الخائف المدعور و المظلوم و المقهور، و الفقير العسير، و المذنب الكسير، و عندها تسكب العبرات، و ينتظر تفريج الكربات من رب البيت الكريم الحليم، و البر التواب الرحيم، ذى الجلال و الإكرام، كان الدخول إليها أكد لراحة الضمير، و أشد اطمئنانا للقلوب، و لو لم يطلب الدخول إلى الكعبة، لم يجعل خليل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢١٢

الله إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، لها بابا، حينما أقام بناءها، و رفع قواعدها، فإذا كانت بيوت الملوك و الوجهاء محلا للأمن و الإكرام، كان بيت الله، عز شأنه، أفضل مكان للإكرام و الإحسان و العفو و الغفران، و كان بلده الأمين أحسن موقع للأمن و الأمان و الراحة و الاطمئنان، فاقصدوا بلد الله الأمين لأداء فريضة الحج و العمرة تكونوا من الفائزين، و تشرفوا بدخول بيته الحرام و اسكبوا فيه عبرات التوبة و الندم، و اطلبوا من فضله العميم و كرمه العظيم، ينشر لكم ربكم من رحمته و يهئ لكم من أمركم مرفقا، و تكونوا من الأمنين يوم الفزع الأكبر.

فالدخول إلى بيت الله، بالأدب و السكينة، مطلوب مرغوب، و قد جرت العادة بذلك حتى أيام الجاهلية. قال الإمام الأزرقي، فى تاريخه: أخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن عبد الله بن يزيد، عن سعيد ابن عمرو الهذلى، عن أبيه، قال: رأيت قريشا يفتحون البيت فى الجاهلية يوم الاثنين و الخميس، و كان حجابهم يجلسون عند بابه، فيرتقى الرجل، إذا كانوا لا يريدون دخوله، فيدفع و يطرح، و ربما عطب، و كانوا لا يدخلون الكعبة بحذاء، يعظمون ذلك و يضعون نعالهم تحت الدرجة، أخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن أشياخه، قالوا: لما فرغت قريش من بناء الكعبة، كان أول من خلع الخف و النعل، فلم يدخل بهما، الوليد بن المغيرة، إعظاما لها، فجرى ذلك سنة. انتهى من الأزرقي.

و نقل هنا تفصيل مواعيد فتح الكعبة المشرفة من كتاب "المحمل و الحج" فقد جاء فيه ما نصه:

كانت الكعبة فى الجاهلية تفتح يوم الاثنين، و يوم الجمعة، و قبل يوم الخميس عوضا عن الجمعة و أما فى الإسلام فكانت تفتح يوم الجمعة، و ترك يوم الاثنين، ثم أعيد فتحها فى يوم الاثنين.

وقال ابن جبير في رحلته سنة ٥٧٩ هـ أنها تفتح يوم الاثنين، و يوم الجمعة إلا في رجب فتفتح في كل يوم. اه. وقد تفتح في أى وقت لمن يريد زيارتها من الحجاج، نظير أتاوة يتقاضاها أمين المفتاح هناك، و يكون ذلك مسورا في اليوم العاشر للرجال، و في الحادى عشر منه للنساء. و مواعيد فتحها كالاتى:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢١٣

في يوم ١٠ المحرم للرجال، و في يوم ١١ منه للنساء.

في ليلة ١٢ ربيع الأول للدعاء لجلالة الملك ابن السعود، و لا يدخلها الزوار.

في يوم ١٢ ربيع الأول للرجال، و في ليلة ١٣ منه للنساء.

في يوم ٢٠ ربيع الأول لغسلها.

في أول جمعة من رجب للرجال، و في اليوم التالى للنساء.

في ليلة ٢٧ رجب للدعاء لجلالة الملك ابن السعود.

في يوم ٢٧ رجب للرجال، و في المساء للنساء.

في ليلة نصف شعبان للدعاء.

في يوم ١٥ شعبان للرجال، و في المساء للنساء.

في يوم الجمعة الأولى من رمضان للرجال، و في اليوم التالى للنساء.

في ليلة ١٧ رمضان للدعاء لجلالة الملك.

في آخر جمعة من رمضان للدعاء أيضا.

في نصف ذى القعدة للرجال، و في اليوم التالى للنساء.

في ٢٠ ذى القعدة لغسلها.

و تفتح على سبيل الخصوصية لبعض الأعيان، و تفتح لمن يريد الزيارة بعد أن يدفع ريالاً لمن يتولى فتح الباب، و إذا كان الزائر غنيا يدفع بضعة جنيهات، و بعض الناس ينتهز فرصة غسل الكعبة و يدخل مع الغاسلين.

في ٢٨ ذى القعدة تؤزر الكعبة بإزار أبيض في أسفلها، و هذا اليوم الأخير ليس بيوم دخول عام، و إنما يدخلها القيم و أمير الحج المصرى و أتباعهما المعينون في ذلك، لتعليق الكسوة الجديدة. و لا ينصب سلم للدخول و إنما يدخل من تكلف الصعود بمعين أو بخفة أعضاء، و على باب أحد خدم الأمير يمنع الناس من الدخول إلا أن الناس يكثرونه، فإن منعوا من جانب، دخلوا من جانب آخر، و ربما يتعامى عن البعض، و يحصل لكثير من الناس في ذلك المكان سوء أدب، من ضرب أو شتم، فالأولى عدم الدخول إلا لمن تيسر له ذلك عفوا. انتهى كل ذلك من كتاب "المحمل و الحج".

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢١٤

و لقد ذكر الأستاذ السباعى حفظه الله تعالى في كتابه "تاريخ مكة" أن الملك المسعود، صاحب مصر، الملك الكامل الأيوبى و كان في اليمن اتصل به الشريف راجح بن قتادة، و استشاره ضد أخيه الحسن و زين له أن يحتل مكة، فذهب المسعود إليها و احتلها في اليوم الرابع من ربيع الأول سنة (٦١٩) تسع عشرة و ستمائة، أو في التى بعدها، و ظل فيها إلى ما بعد فراغه من الحج، ثم توجه إلى اليمن بعد أن أناب أحد قواده. قال السباعى: و سهل المسعود على الحجاج أمر دخول الكعبة، فأمر بجعل بابها مفتوحا ليلا و نهارا، مدة مقام الحج فيها، و أطلق لسدنة الكعبة من بنى شيبه مالا لقاء ما كانوا يأخذونه بإغلاق الباب و فتحه لمن أرادوا، و تحاشيا من زحام الناس لقصر المدة التى كانوا يفتحون فيها الباب، و عظم ما يناله الناس من إرهاق و ضرب و موت. انتهى منه.



و نظن و الله تعالى أعلم أن هذه هي أول مرة تفتح الكعبة ليلا و نهارا فلم نسمع بحصول ذلك لا من قبل و لا من بعد. نقول: لقد سألتنا صاحب الفضيلة صاحب مفتاح بيت الله الحرام عن مواعيد فتحه في أيامنا، فأجابنا بأنه ليس هناك تحديد لفتح الكعبة في أيام أو مواعيد مخصوصة إلا بطلب من صاحب الجلالة، أو من أرباب المصالح من شخصيات الحجاج أو تفتح لسبب قوى من الأسباب الداعية لذلك، و الفتح يجرى عادة من رئيس بنى شيبه صاحب مفتاح بيت الله الحرام. أما الفتحات و تخصيصها للرجال أو النساء، فقد جرت العادة من السابق أن يكون يوما للرجال و يوما للنساء، و ذلك في الفتحات العامة التي تتلو الفتحات الخاصة عادة. هذا نص جواب سادن بيت الله الحرام، مع العلم بأن مواعيد فتح الكعبة المشرفة لم يرد فيها أمر شرعى، و إنما هي عادة اصطلاح عليها الشيبون.

### وصف فتح الكعبة و دخول الناس فيها

يقول ابن جبير الأندلسي، في رحلته التي كانت سنة (٥٧٨) ثمان و سبعين و خمسمائة هجرية، يصف فتح الكعبة و دخول الناس فيها ما يأتي:

و باب الكعبة الكريم يفتح كل يوم اثنين و يوم جمعة، إلا في شهر رجب فإنه يفتح في كل يوم. و فتحه أول بزوغ الشمس. يقبل سدنة البيت الشيبون، فيبادر منهم من ينقل كرسيًا كبيرًا شبه المنبر الواسع، له تسعة أدراج مستطيلة، قد التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢١٥

وضعت له قوائم من الخشب متضامنة مع الأرض، لها أربع بكرات كبار مصفحة بالحديد لمباشرتها الأرض، يجرى الكرسي عليها، حتى يصل إلى البيت الكريم، فيقع الأعلى متصلًا بالعتبة المباركة من الباب، فيصعد زعيم الشيبين إليه، و هو كهل جميل الهيئة و الشارة، و بيده مفتاح القفل المبارك، و معه من السدنة من يمسك في يده سترا أسودا، تفتح يديه به أمام الباب، خلال ما يفتحه الزعيم الشيبى المذكور، فإذا فتح القفل، قبل العتبة، ثم دخل البيت وحده، و سد الباب خلفه، و أقام قدر ما يركع ركعتين، ثم يدخل الشيبون و يسدون الباب أيضا، و يركعون، ثم يفتح الباب و يبادر الناس بالدخول، و في أثناء محاولة فتح الباب الكريم، يقف الناس مستقبلين إياه بأبصار خاشعة، و أيد مبسوطة إلى الله ضارعة. و إذا انفتح الباب كبر الناس و علا ضجيجهم، و نادوا بالسنة مستهلة: اللهم افتح لنا أبواب رحمتك و مغفرتك يا أرحم الراحمين ثم يدخلون بسلام آمنين.

و يقول ابن جبير، في مكان آخر، من رحلته ما يأتي: و في هذه الأيام- أى بعد نزول الناس من منى في النفر الثاني و انتهاء أعمال الحج- يفتح البيت الكريم كل يوم للأعاجم العراقيين و الخراسانيين، و سواهم من الواصلين مع الأمير العراقي، فظهر من تراحمهم و تطارحهم، على الباب الكريم، و وصول بعضهم على بعض، و سباحة بعضهم على رؤوس بعض، كأنهم في غدير من الماء، أمر لم ير أهول منه، يؤدي إلى تلف المهج، و كسر الأعضاء، و هم في خلال ذلك لا يباليون، و لا يتوقفون، بل يلقون بأنفسهم على ذلك البيت الكريم، في فرط الطرب و الارتياح كاللقاء الفرائش بنفسه على المصباح، فعادة أحوال السرو اليمينين، في دخولهم البيت المبارك، على الصفة المتقدمة الذكر، حال تودة و وقار، بالإضافة إلى هؤلاء الأعاجم الأغنام، نفعهم الله بنياتهم، و قد فقد منهم في ذلك المزرحم الشديد، من دنا أجله، و الله يغفر للجميع، و ربما زاحمهم، في تلك الحال، بعض نسائهم، فيخرجن و قد نضجت جلودهن طبخا، في مضيق ذلك المعتزل، الذى حمى بأنفاس الشوق و طيشه، و الله ينفع الجميع بمعتقدده و حسن مقصده بعزته.

و يقول ابن جبير، في موضع آخر من رحلته، يصف قبائل السرو من اليمن في الكعبة، ما يأتي: و إذا فتح باب الكعبة، فهم الداخولون بسلام، فتراهم، في محاولة دخولهم، يتسلسلون كأنهم مرتبطون بعضهم ببعض، يتصل منهم على هذه الصفة، الثلاثون و الأربعون إلى مزيد من ذلك، و السلاسل منهم يتبع بعضهم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢١٦

بعضاً، وربما انفصمت بواحد يميل عن المطمع المبارك إلى البيت الكريم، فيقع الكل لوقوعه، فيشاهد الناظر لذلك مرأى يؤدي إلى الضحك، ثم ذكر صلاتهم العجيب. انتهى.

و يقول ابن جبير أيضاً عن دخول قبائل السرو من اليمن الكعبة ما يأتي:

فلما كان يوم الاثنين السابع والعشرين من الشهر المذكور، شهر ذى القعدة، فتح البيت العتيق، و تولى فتحه من الشيبين ابن عم الشيبى المعزول، هو أمثل طريقة منه، على ما يذكر، فزادهم السرو للدخول على العادة، فجاءوا بأمر لم يعهد فيما سلف، يصعدون أفواجا حتى يغص الباب الكريم بهم، فلا يستطيعون تقدماً ولا تأخراً، إلى أن يلجوا على أعظم شقة، ثم يسرعون الخروج فيضيق الباب الكريم بهم، فينحدر الفوج منهم على المصعد، و فوج آخر صاعد فيلتقيه و قد ارتبط بعضهم إلى بعض، فربما حمل المنحدرون في صدور الصاعدين، و ربما وقف الصاعدون للمنحدرين، و تضاعطوا، إلى أن يميلوا، فيقع البعض على البعض، فيعابن النظارة منهم مرأى هائلا، فمنهم سليم و غير سليم، و أكثرهم إنما ينحدرون و ثبا على الرؤوس و الأعناق، و من أعجب ما شاهدناه في يوم الاثنين المذكور، أن صعد بعض من الشيبين، أثناء ذلك الزحام، يرومون الدخول إلى البيت الكريم، فلم يقدرُوا على التخلص، فتعلقوا بأستار حافتي عضادتي الباب، ثم إن أحدهم تمسك بإحدى الشرائط القينية، الممسكة للأستار، إلى أن علا الرؤوس و الأعناق، فوطئها و دخل البيت، فلم يجد موطئا لقدمه سواها، لشدة تراحمهم و تراكمهم، و انضمام بعضهم إلى بعض. و هذا الجمع الذي وصل منهم، في هذا العام لم يعهد قط مثله فيما سلف من الأعوام، و لله القدرة المعجزة لا إله سواه.

انظر: صورة رقم ١٢٤، دخول الناس في الكعبة المشرفة

أما كيفية دخول النساء الكعبة المشرفة، فلقد ذكر ابن جبير في رحلته ما يأتي:

و في اليوم التاسع والعشرين من رجب، و هو يوم الخميس أفرز البيت الكريم للنساء خاصة، فاجتمعن من كل أوب، و قد تقدم احتفالهن لذلك بأيام، كاحتفالهن للمشاهد الكريمة، و لم تبق امرأة بمكة إلا حضرت المسجد الحرام ذلك اليوم، فلما وصل الشيبون لفتح البيت المطهر، على العادة، أسرعوا في الخروج منه، و أفرجوا للنساء عنه، و أفرج الناس لهن عن الطواف و عن الحجر، و لم يبق التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢١٧

حول البيت المبارك أحد من الرجال، و تبادر النساء إلى الصعود، حتى كاد الشيبون لا يخلصون بينهن، عند هبوطهم من البيت الكريم، و تسلسل النساء بعضهن ببعض، و تشابكن حتى تواقعن، فمن صائحة و معولة و مكبرة و مهللة، و ظهر من تراحمهن من السرو اليمنين، مدة مقامهم بمكة، و صعدوهم يوم فتح البيت المقدس، و أشبهت الحال، و تمادين على ذلك صدرا من النهار، و انفسحن في الطواف و الحجر، و تشفين من تقبيل الحجر، و استلام الأركان. و كان ذلك اليوم عندهن الأكبر، و يومهن الأزهر، نفعهن الله به، و جعله خالصا لكريم وجهه، و بالجملة فهن مع الرجال مسكينات مغبنات، يرين البيت الكريم، و لا يلجنه، و يلحظن الحجر المبارك، و لا يستلمنه، فحظهن من ذلك كله النظر و الأسف المستطير مستشعر، فليس لهن سوى الطواف على البعد. و هذا اليوم، الذي هو من عام إلى عام، فهن يرتقبنه أشرف الأعياد، و يكثرن له من التأهب و الاستعداد، و الله ينفعهن في ذلك بحسن النية و الاعتقاد بمنه و كرمه. انتهى كل ما ذكر من رحلة ابن جبير.

## الطواف و آدابه و شروطه

### الأذكار المأثورة في الطواف و آدابها

ذكرنا في كتابنا "إرشاد الزمرة لمناسك الحج و العمرة" عند الكلام على سنن الطواف، ما نصه: فمن سننه أن يأتي بالأذكار المأثورة فيه، فيقول عند استلام الحجر الأسود في أول طوافه و كذا في كل طوفة: بسم الله و الله أكبر، اللهم إيماناً بك و تصديقاً بكتابك و

وفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم.

و أن يقول قبالة البيت "اللهم إن البيت بيتك و الحرم حرمك و الأمن أمنك و هذا مقام العائذ بك من النار." و أن يقول بين اليمينين أى الركن اليماني و الحجر الأسود "اللهم إنى أسألك العفو و العافية فى الدين و الدنيا و الآخرة، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار، اللهم فتننى بما رزقتنى و بارك لى فيه و احفظنى فى كل غائبة يا مجير إنك على كل شىء قدير" و أن يقول فى حالة الرمل فى الأشواط الثلاثة الأول "اللهم اجعله حجا مبرورا، و ذنبا مغفورا وسعيا مشكورا، و تجارة لن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢١٨

تبور، يا عزيز يا غفور" و إن كان معتمرا قال "اللهم اجعلها عمرة مبرورة و ذنبا مغفورا" ... إلخ. و يقول فى الأشواط الأربعة الباقية "رب اغفر و ارحم و تجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة" ... إلخ. و أن يقول عند الركن العراقى و هو المقابل لباب العمرة "اللهم إنى أعوذ بك من الشك و الشرك و الشقاق و النفاق و سوء الأخلاق و سوء المنقلب فى الأهل و المال و الولد." و يقول إذا انتهى إلى الميزاب "اللهم أظننى فى ذلك يوم لا ظل إلا ظلك، و اسقنى بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شربة هنيئة مريئة لا أظمأ بعدها أبدا يا ذا الجلال و الإكرام، اللهم إنى أسألك الراحة عند الموت و العفو عند الحساب." روى ابن ماجه، عن أبى هريرة، رضى الله عنه، أن النبى صلى الله عليه وسلم، قال: «من طاف بالبيت سبعا و لم يتكلم إلا بسبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر و لا حول و لا قوة إلا بالله، محيت عنه عشر سيئات و كتبت له عشر حسنات و رفع له بها عشر درجات» الحديث. و أخرج أبو داود، أن النبى صلى الله عليه وسلم، قال "ما مررت بالركن اليماني إلا و عنده ملك ينادى، يقول: آمين آمين، فإذا مررت به فقولوا "اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار." و عن عطاء قال: قيل يا رسول الله، نراك تكثر من استلام الركن اليماني، قال "ما أتيت عليه قط إلا و جبريل قائم عنده يستغفر لمن يستلمه." و عن مجاهد أنه قال "ما من إنسان يضع يده على الركن اليماني و يدعو إلا استجيب له، و إن بين الركن اليماني و الركن الأسود سبعين ألف ملك لا يفارقونه هم هنالك منذ خلق الله البيت."

جاء فى حاشية البجيرمى ما نصه: روى إمامنا الشافعى، رضى الله عنه، عن ابن عمر، رضى الله عنهما، قال "استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا، و كان صلى الله عليه وسلم إذا استلم الحجر قال: بسم الله و الله أكبر، و قال بينهما: أى بين الركن اليماني و الحجر: ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار" و لم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم شىء من الأذكار فى غير هذا المحل حول الكعبة و لم يستلم الركنين المقابلين للحجر اه. من الحاشية. و اعلم أنه لم يكن للكعبة فى زمنه صلى الله عليه وسلم غير الركنين: الركن الأسود و الركن اليماني فقط، حيث كان جدارها المقابل لحجر إسماعيل مدورا، فلما بنى عبد الله

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢١٩

بن الزبير، رضى الله عنهما، الكعبة جعل لها أربعة أركان فكانت تستلم كلها فى زمانه إلى أن قتل رضى الله تعالى عنه. و أما آداب الذكر و الدعاء فى الطواف، فلا يخفى ذلك على الإنسان الكامل، و نأتى هنا بشىء على سبيل الذكرى. فمن الآداب: أن يذكر الله تعالى و هو حاضر القلب، لأنه يناجى الله تعالى، و يدعو، كما فى الصلاة، و هو مطلع عليه، فقد ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم و غيره الذى أوله "بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل ... إلخ" فهذا الرجل هو جبريل جاء يسأل النبى عليه الصلاة و السلام عن الإيمان و الإسلام و الساعة، فلما سأله أيضا عن الإحسان أجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

و منها: عدم قطع الذكر ليتكلم مع غيره و هما يطوفان بكلام دنيوى إلا فى حالة الاضطرار. و منها: عدم التشويش على غيره برفع

الصوت.

جاء في شفاء الغرام للفاسي: رويانا في مسند الدارمي بسند صحيح عن عائشة، قالت: إنما جعل الطواف بالبيت ورمى الجمار والسعي بين الصفا والمروة لإقامة ذكر الله، ورويانا فيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه، وأخرجه المحب الطبري في القرى عنها مرفوعا وزاد بعد قوله ذكر الله تعالى: وإن لم يقترن بها ذكر بالقول، ثم قال: وينبغي للذاكر في الطواف والتالي أن لا يزيد في رفع صوته على إسماع نفسه لثلاثا- يشوش على غيره، واستدل على ذلك بما تقوم به الحجّة، ثم قال: وفي معنى الطائف من كان في المسجد، قريبا من المطاف، ينبغي له أن لا يرفع صوته بتلاوة ولا ذكر، لثلاثا يشوش على الطائفين. اه. انتهى من شفاء الغرام.

أما آداب الطواف فكثيرة، ولنذكر ما كتبناه في كتابنا "إرشاد الزمرة لمناسك الحج والعمرة" وهو: يكره في الطواف الأكل والشرب وكرهه الشرب أخف، الكلام إلا لضرورة، ورفع صوته بقراءة أو ذكر، لثلاثا يشوش على غيره، وتشبيك الأصابع وفرقتها، وجعل يديه وراء ظهره مكتفا، والضحك والمزاح لأنه خلاف الأدب، ومدّ نظره إلى ما لا يحل له النظر إليه من امرأة وأمرأة وحرص الصورة، واحتقار من يراه من الضعفاء والعوام إلى غير ذلك مما هو مخالف للأدب فإنه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٢٠

متلبس بعبادة ربه، في أظهر مكان وأشرف موضع، فينبغي إظهار الحرمة والخشوع والخضوع وملازمة الأدب، فإن الطواف كالصلاة. انتهى.

جاء في كتاب القرى لقاصد أم القرى، للإمام الطبري، عند مبحث إباحة الكلام في الطواف ما نصه:

عن ابن عباس، رضى الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الطواف بالبيت مثل الصلاة، إلا أنكم تتكلمون فيه، فمن تكلم فلا يتكلم إلا بخير». أخرجه الترمذي.

وعن طاووس، عن رجل أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، قال: الطواف بالبيت صلاة، فأقلوا من الكلام. أخرجه أحمد والنسائي. وأخرجه الشافعي عن طاووس، عن ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الطواف بالبيت صلاة، ولكن الله أحلّ فيه المنطق، فمن نطق فيه فلا- ينطق إلا- بخير. أخرجه سعيد بن منصور أيضا كذلك. وأخرجه عن ابن عباس موقوفا، قال: الطواف بالبيت ... الحديث بنحو الحديث الأول.

وعنه أنه قال: إذا طفت بالبيت فأقلّ الكلام فإنك في صلاة.

وعن أبي سعيد الخدري أنه كان يقول لبيته: إذا طفت بالبيت فلا- تلغوا ولا تهجروا ولا تقاصوا أحدا إن استطعتم، وأقلوا الكلام. أخرجهما سعيد بن منصور.

وعن ابن عمر، رضى الله عنهما، أنه قال: أقلوا الكلام في الطواف، فإنما أنتم في الصلاة. أخرجه النسائي، وأخرجه الشافعي عن عمر، وقال: في صلاة.

وعن عطاء قال: طفت خلف ابن عمر و ابن عباس، فما سمعت واحدا منهما متكلمتا حتى فرغ من طوافه.

وكان عطاء يكره الكلام في الطواف، إلا الشيء اليسير منه، إلا ذكر الله تعالى، وقراءة القرآن. أخرجه الشافعي.

وعن عروة بن الزبير قال: حججت مع ابن عمر، فالتقينا في الطواف، فسلمت عليه، ثم خطبت إليه ابنته، فما ردّ عليّ جوابا، فغممني ذلك، وقلت في نفسي: لم يرضني لابنته. فلما قدمنا المدينة جئته مسلما، فقال لي: ما فعلت فيما كنت ألقيته إليّ؟ فقلت: لم ترد عليّ جوابا، فظننت أنك لم ترضني لابنتك. قال:

تخطب إلي في مثل ذلك الموضع، ونحن نترأى الله عز وجل. ثم قال: بل قد رضيتك، فزوجني، أخرجه الآجري في مسألة الطائفين بسنده.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٢١

ثم قال الإمام الطبري في كتابه المذكور بعد ما تقدم: و اعلم أن التحدث في الطواف على غير النحو المتقدم في الفصل قبله، خطأ كبير، و غفلة عظيمة، و من لابس ذلك فقد لابس ما يمقت عليه، خصوصا إن صدر ممن ينسب إلى العلم و الدين، فإنه إذا أنكر على من دونه احتج به، فصار فتنة لكل مفتون. و من آثر محادثة المخلوق في أمر الدنيا، و الإقبال عليه و الإصغاء لحديثه، على ذكر خالقه، و الإقبال عليه، و على ما هو متلبس به من عبادته فهو غيبين الرأي، لأن طوافه بجسده و قلبه لاه ساه، قد غلب عليه الخوض فيما لا يعنيه، حتى استرسل في عبادته كذلك، فهو إلى الخسران أقرب منه إلى الربح، و مثل هذا خليق بأن يشكوه البيت إلى الله عز و جل و إلى جبريل، و لعل الملائكة تتأذى به، و كثير من الطائفين يتبرمون منه، فعلى الطائف أن يبذل جهده في مجانبته ذلك. انتهى من الكتاب المذكور.

و إلى هذا المعنى يشير القائل:

يا من يطوف ببيت الله بالجسد و الروح في بلد  
ماذا فعلت و ما أنت فاعله مهرج في اللقا للواحد الأحد  
إن الطواف بلا قلب و لا بصرة على الحقيقة لا يشفى من الكمد

### إباحة بعض الأمور في الطواف

يباح بعض الأمور في الطواف لعارض، مما لا يخلّ بآدابه، و مما هو من باب الخير و الاضطرار، كالأمر الآتي:

جاء في كتاب "القرى لقاصد أم القرى" للإمام الطبري ما ملخصه:

و عن ابن عمر رضی الله عنهما، أنه كان يطوف بالبيت، فأقيمت الصلاة فصلی مع القوم، ثم قام فبنى على ما مضى من طوافه، و عن عطاء أنه كان يقول في الرجل يطوف بعض طوافه، ثم تحضر الجنزة، قال: يخرج يصلى عليها، ثم يرجع، فيقضى ما بقى من طوافه. و عن مجاهد في الرجل يطوف، ثم تقام الصلاة و لم يفرغ من أسبوعه، قال: يصلى، ثم يقضى ما بقى عليه، أخرج جميع ذلك سعيد بن منصور. و عن عطاء و إبراهيم قالوا- فيمن رجع و هو يطوف بالبيت: يخرج فيتوضأ. قال إبراهيم يبنى على طوافه من المكان الذي قطع منه. و قال عطاء: إن فعل ذلك أجزأه، و أحب أن يستقبل ذلك من الحجر، و عن الحسن أنه كان يقول

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٢٢

فيمن قطع الطواف لأجل الرّعاف: يستقبل طوافه، و لا يعتدّ بما فعل. أخرجه سعيد بن منصور.

و عن حميد بن زيد قال: رأيت ابن عمر يطوف بالبيت، ففعد قبل أن يفرغ من طوافه، من حرّ أخرجه الأزرقى. و أخرجه سعيد بن منصور بزيادة. و لفظه:

رأيت ابن عمر طاف بالبيت ثلاثة أطواف أو أربعة، ثم جلس يستريح و غلام له يروح عليه، فقام فبنى على ما مضى من طوافه.

و عنه قال: رأيت ابن عمر بعدما كبر، طاف فأعيا، فاستراح، ثم بنى على ما مضى من طوافه. أخرجه سعيد أيضا.

و عن عطاء عن ابن عباس، رضی الله عنهما، قال: إذا طاف بالبيت تطوعا ثم شاء، أن يقطعه قطعه، غير أن لا ينصرف إلا عن وتر: خمس، أو ثلاث، أو شوط. أخرجه سعيد بن منصور.

و عن يزيد بن أبي زياد قال: رأيت أبا جعفر و الحسن و على بن عبد الله و سعيد بن جبیر و مجاهدا يتكلمون في الطواف، و بين الصفا و المروة. و عن عبد الملك بن أبي سليمان، قال: كنا نستفتى سعيد بن جبیر، و نكلمه و نحن نطوف. أخرجهما سعيد بن منصور. و هذا الكلام منه محمول على ما تقدم من أنواع الخير.

و عن إسماعيل بن عبد الملك قال: رأيت سعيد بن جبیر يتكلم في الطواف و يضحك. أخرجه أبو الوليد الأزرقى.

و هذا محمول على ضحك راجع إلى ما ذكرناه من أنواع الخير، كسرور في طاعة و قربة، أو حسن إقبال على أخ في الله تعالى، لا

تفكها و تعجبا، و غفلة عن الله تعالى. و الله أعلم. اه.

و المراد بالضحك هنا: التبسم لا الضحك المصحوب بالقهقهة.

و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم شرب فى الطواف. أخرجه أبو حاتم و الشافعى. و عن أبى مسعود الأنصارى، أن النبي صلى الله عليه و سلم عطش و هو يطوف بالبيت، فقال: على بذنوب من ماء زمزم، فصب عليه، ثم شرب و هو يطوف بالبيت أخرجه الدار قطنى. و عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه شرب و هو يطوف فجلس على جدار الحجر، أخرجه الشافعى و البيهقى. انتهى من كتاب القرى للطبرى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٢٣

### ذكر الله و قراءة القرآن فى الطواف

جاء فى تاريخ الأزرقى ما نصه: حدثنى جدى عن الزنجى، عن ابن جريج، قال: قال عطاء: من طاف بالبيت فليدع الحديث كله، إلا ذكر الله تعالى، و قراءة القرآن. حدثنى جدى، قال حدثنا يحيى بن سليم، قال حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لرجل و هو فى الطواف: كم تعد يا فلان، ثم قال، تدرى لم سألتك؟ قال: الله و رسوله أعلم. قال: لكى تكون أحصى لعدك. حدثنى جدى، عن مسلم بن خالد، عن ابن أبى نجیح، قال: كان أكثر كلام عمر و عبد الرحمن بن عوف، فى الطواف: ربنا آتانا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار.

حدثنى جدى، قال: حدثنا سفيان، عن إبراهيم بن ميسرة، قال: كنت أطوف مع طاووس فسألته عن شيء فقال: ألم أقل لك؟ قال: قلت: لا أدري، قال: ألم أقل لك إن ابن عباس قال: إن الطواف صلاة فأقلوا فيه الكلام.

حدثنا إسحاق، قال حدثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدى، قال حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، أنه قدم مكة فطاف سبعا، فقرأ فيه بالسبع الطوال، ثم طاف سبعا آخر فقرأ فيه بالمئين، ثم طاف سبعا آخر فقرأ فيه بالمشانى، قال الخزاعى إسحاق بن أحمد: حدثنا أبو عبيد الله، قال حدثنا سفيان بإسناده مثله، و زاد، ثم طاف سبعا آخر فقرأ بالحواميم، ثم طاف سبعا آخر فقرأ إلى آخر القرآن، حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى قال، حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، قال: القراءة فى الطواف شيء أحدث.

حدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنى زهير بن محمد، عن عبد الله بن عبد الله بن توبة، عن عبد الله بن عمر، أنه قيل له: يا أبا عبد الرحمن، ما لنا نراك تستلم الركنتين استلاما لا نرى أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم يستلمهما؟ قال: إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يستلمهما و يقول:

استلامهما يمحو الخطايا، و سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: من طاف سبعا يحصيه كتب الله له بكل خطوة حسنة، و حطت عنه سيئة و رفعت له درجة، ثم صلى ركعتين كان له كعتق رقبة. و قال فى كتابه: و أخبرنى يحيى بن سليم، عن إسماعيل بن أمية قال: لئن عشت و طالت بك حياتك لترين الناس يطوفون حول الكعبة و لا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٢٤

يصلون، قال: و سمعت غير واحد من الفقهاء يقولون: بنى هذا البيت على سبع و ركعتين.

حدثنى جدى عن سعيد بن سالم، عن طلحة بن عمرو الحضرمى، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: حج آدم فطاف بالبيت سبعا، فلقيته الملائكة، فقالوا: بر حجك يا آدم إنا قد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام، قال: فما كنتم تقولون فى الطواف؟ قالوا: كنا نقول: سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر.

قال آدم: فزيدوا فيها و لا حول و لا قوة إلا بالله قال: فزادت الملائكة فيها ذلك.

قال: فلما حج إبراهيم، عليه السلام، بعد بنائه البيت، فلقيته الملائكة فى الطواف، فسلموا عليه، فقال لهم إبراهيم: ماذا تقولون فى

طوافكم؟ قالوا: نقول قول أدم سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فأعلمناه ذلك فقال: زيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله. فقال إبراهيم: زيدوا فيها العلي العظيم. ففعلت الملائكة. انتهى من الأزرقى.

نقول: إن ذكر الله تعالى أو قراءة القرآن حال الطواف بالبيت الحرام إنما هو سنة، فمن طاف ولم يذكر الله تعالى ولم يقرأ شيئاً من القرآن صح طوافه سواء كان فرضاً أو نفلاً، لكن فاتته فضيلة الذكر والقراءة. ومثل الطواف في ذلك السعى.

## الدعاء و آدابه

لما كانت مواضع الإجابة هي عند الكعبة المشرفة، وفي الملتزم والحجر والركنين والمقام وغيرها، كان من اللازم أن تأتي بشيء في فضل الدعاء وآدابه، ترغيباً في تقرب العبد الضعيف الآبق، إلى الرب الكريم الجليل الخالق، حتى لا يئس المذنب من رحمة الله، ولا يقنط المسرف من عفو الله، فالله تعالى، الذي لا تنفعه الطاعات، ولا تضره المعاصي، عند حسن ظن عبده به. فنقول وبالله الاعتماد:

الدعاء مطلوب من جميع المؤمنين من الطائع والعاصي، والعالم والجاهل، والغني والفقير، قال الله تعالى في كتابه العزيز وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ وَقَالَ عَزَّ شَانُهُ: ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٢٥

يَرْشُدُونَ. ولا شك أن أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالدعاء هو عين الرحمة والإحسان منه تبارك وتعالى، وعندى أنه أمر عام يشمل البرّ والفاجر، والمسلم والكافر، لأن الكافر وإن لم يؤمن بنبينا "محمد" صلى الله عليه وسلم فإنه يعلم بيقين أن له ربا خلقه فسواه ورزقه وأعطاه، فهو يرجع إليه في كل أموره، والمسلم مهما عظمت خطاياها، فهو أولى وأحرى بالتضرع إلى الله عز شأنه، وتعالى عظمتها، ليكشف عنه سوءه ويرفع عنه البلاء بفضلته ورحمته، إنه بعباده لطيف خبير، وبإجابة دعائهم لجدير، جل جلاله ولا إله غيره والله أكبر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدعاء هو العبادة" رواه الترمذى وغيره، وهو حديث حسن صحيح، فالعبد إذا دعا ربه فهو يقتر بروبيته، ويعترف له بعبوديته، ويؤمن بعظمتته وجلاله، ويلجأ إليه بضعفه واحتياجه، ويسأله من خيرى الدنيا والآخرة ما يجعله سعيداً فيهما، فهذا لا شك يعتبر عين العبادة وحقيقة الإيمان.

وكم ورد في القرآن العظيم، من الدعوات المتنوعة، عن الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وكم ورد في كتب الحديث من الدعوات المهمة الجامعة، لخيرى الدنيا والآخرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلو أردنا جمع الدعوات النبوية، لاحتجنا إلى تأليف كتاب خاص، ونحن هنا في صدد الترغيب في الدعاء وآدابه، حتى يدعو كل إنسان ربه بلغته، ويلجأ إليه كل امرئ بعزمه وحسن نيته، فليسأل المرء ربه كل ما أهمه من الأمور، صغيرها وكبيرها، فإنه تعالى بيده خزائن السموات والأرض، ولقد أنفق ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، ما نقص من ملكه مثقال ذرة، وكيف يتصور النقصان في خزائن من يقول للشئء كن فيكون، جل جلاله ولا إله غيره والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي هذه المعنى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن يمين الله ملائى لا يغيبها نفقة سحاء الليل والنهار، أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما فى يمينه وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض" رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة، رضى الله عنه.

فسبحان الذى بيده ملكوت السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم، الذى يحتاج إليه جميع الخلق وهو الغنى عن العالمين، فالحمد لله الذى زين قلوبنا بنور الإيمان، وأثار بصائرنا بنور المعرفة، وهدانا إلى الصراط المستقيم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٢٦

واعلم، أنه كما توجد أماكن و أزمان هي أقرب لاستجابة الدعاء، تكون هناك آداب تستدعى استجابة الدعاء أيضا، لمن رعاها و حافظ عليها، فعلى قدر الهمم تتوالى النعم، و إن رحمة الله قريب من المحسنين. فمن آداب الدعاء، التضرع و الخشوع بنية صادقة، و الإخلاص و الإلتجاء إليه تعالى بإخلاص و حسن ظن، و الدعاء بالكلام العادى، فلا يتكلف السجع و مراعاة قواعد النحو أو الصرف، و لا ينتقى الكلمات الفصيحة البليغة، لأن كل ذلك ينافى الخشوع و صفاء المناجاة، مع خالق البرايا، و العليم بما فى صدور العالمين، و أن من علامات تحقيق الإجابة انشراح الصدر، و توجه القلب إلى الدعاء، فهذه إشارة و بشارة بالقبول من الله الكريم المتعال. و إن أرجى دعاء للاستجابة هو دعاء المضطر، لأنه بلغ إلى حالة قصوى فى الإحتياج و الإبتلاء، فالله سبحانه و تعالى يرفع عنه ما نزل، و يفرج كربته بفضلته و رحمته، لشدة اضطراره و احتياجه إلى غوث الله تعالى، فارج الهم، و كاشف الكرب، و إلى هذا تشير الآية الكريمة: **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا.**

و كذلك دعاء المظلوم، و دعاء الوالدين، و دعاء السلطان العادل فى رعيته، و العالم بعلمه، و التقى الصالح القائم بعبادة ربه، و كل من التجأ إلى ربه، بقلب سليم و نية صادقة، يرى أثر استجابة دعائه، و كشف الضر و البأساء عنه. و كلما كان المؤمن متقربا إلى الله تعالى بالعبادة و الأعمال الصالحة، كان دعاؤه قريب الاستجابة و كان الله له عوناً فى جميع حالاته.

و الحديث الصحيح الآتى أعظم دليل على ذلك، فقد روى أبو هريرة، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إن الله تعالى قال: من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، و ما تقرب إلى عبدى بشىء، أحب إلى مما افترضته عليه، و لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، و بصره الذى يبصر به، و يده التى يبطش بها، و رجله التى يمشى بها، و لئن سألتنى لأعطينه، و لئن استعاذنى لأعيذنه" رواه البخارى فى صحيحه.

فهنيئا لعبد، هذا حاله مع ربه، و هل بعد هذه السعادة سعادة؟ اللهم أرض عنا، و اغفر لنا و ارحمنا، و عافنا و اعف عنا، و اجعلنا ممن يقومون بما افترضته عليهم، و يتقربون إليك بالنوافل، حتى تحبنا فتعطينا ما نسال، و تعيذنا مما نستعيذك منه،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٢٧

و تكون فى عوننا فى الدنيا و الآخرة، بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين، و صلى الله و سلم على أبى القاسم الأمين، و على آله و صحبه أجمعين.

واعلم أن أبلغ الدعاء ما كان عن صمت، أى أن الإنسان، إذا بلغ به الحزن أقصاه، لم يقدر على الإفصاح عنه، لأن لسانه لا يطاوعه بالكلام، و إنما يتضرع إلى الله عز شأنه بقلبه، و يدعوه فى سره، و يشكو بثه و حزنه إلى الله، و يستعين به على كشف بلواه، قال الشاعر:

و يمنعنى الشكوى إلى الله علمه بجملة ما ألقاه قبل أقول

و الله تعالى عليم بما فى الصدور، قال تعالى: **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَ نَعَلَّمْهُ مَا تُوسِّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** و إذ كان الله سبحانه و تعالى هو الذى خلقنا، و هو السميع البصير، فلا يتوقف فى الإستجابة إلى رفع الصوت و الجهر بالدعاء، فهو عز شأنه لا تخفى عليه خافية: **يَعْلَمُ مَا يَلْجُجُ فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** \* له ملك السماوات و الأرض و إلى الله ترجع الأمور \* **يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ.**

فالحمد لله الذى أذقنا حلاوة الإيمان و العلم و العمل، و رزقنا حسن الظن به و عظيم الأمل، و أنار لنا طريق الهدى، و أبان لنا الصراط المستقيم، و سلك بنا مسالك أهل النهى و التقى فى الطريق القويم، الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم.



وإن من أعظم أسباب الدعاء، و حصول الخير، و انفراج الكرب و الشدائد، هو أكل الحلال، و اجتناب الحرام و ما فيه الشبهة. و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً"، و إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ اَعْمَلُوا صَالِحاً وَ قَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ثم ذكر الرجل، يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب. و مطعمه حرام، و مشربه حرام، و ملبسه حرام، فأتى يستجاب له. رواه مسلم.

اللهم اغننا بحلالك عن حرامك و بطاعتك عن معصيتك و بفضلك عن سواك.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٢٨

و مما ينبغي لنا التنبيه عليه، هو أن الإنسان يجب أن يحسن الظن بربه عز و جل، و أن لا ييأس من رحمته، و لا يقنط من عفوه و غفرانه، فلا يقول في نفسه كيف أدعو ربي و أنا المنغمس في الذنوب و المعاصي، فإن ذلك من تلاعب الشيطان به، حتى يبعده عن رحمة الله تعالى، و هل التوبة جعلت إلا لأرباب المعاصي و الذنوب؟

و إن الله تعالى ليفرح بعبده التائب الذي أناب إليه و رجع، و هو الثواب الرحيم.

أنا المذنب الخطاء و العفو واسع و لو لم يكن ذنب لما وقع العفو

و ما أحلى قول رسول الله صلى الله عليه و سلم، في هذا المعنى المروي في الصحيحين، و هو:

"أن عبداً أصاب ذنباً و قال: ربي أذنبت فاغفره، فقال ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب و يأخذ به، غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً فقال:

ربي أذنبت آخر، فاغفر لي، قال: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب و يأخذ به، غفرت لعبدي، ثم أصاب ذنباً فقال: ربي أذنبت آخر فاغفر لي. قال: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب و يأخذ به، قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء." رواه البخاري و مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

فهل بعد هذا الحديث الشريف يتطرق اليأس إلى قلب عبد مؤمن عالم بسعة عفو الله تعالى و عظيم رحمته و لطفه بعباده؟ فالله عز شأنه واسع الفضل العظيم الإحسان، لا تنفعه طاعاتنا و لا تضره معاصينا، اللهم عاملنا بما أنت أهل من اللطف و الكرم، و العفو و الإحسان، بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين.

هذا، و لقد أردنا أن نذكر كثيراً من الأدعية النبوية الواردة في كتب الحديث، و لكن ذلك مما يؤدي إلى التويل، علاوة على ما هي مذكورة في كتب الأدعية، و لا بأس أن نذكر هنا بضعة من الدعوات النبوية الهامة الجامعة لخير الدنيا و الآخرة، مما لها تناسب مع حياتنا هذه في هذا الزمن الأخير و هي هذه:

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "دعوة ذي النون إذ دعا ربه و هو في بطن الحوت لا- إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له." رواه الترمذي.

و عن أبي أمامة، رضي الله عنه: قال دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً، قلت: يا رسول الله دعوت بدعاء كثير لم يحفظ منه شيئاً، فقال: "ألا أدلكم ما يجمع ذلك كله، تقول اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيك

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٢٩

محمد صلى الله عليه و سلم، و نعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك صلى الله عليه و سلم، و أنت المستعان، و عليك البلاغ، و لا حول و لا قوة إلا بالله." رواه الترمذي.

و عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: "اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، و أصلح لي دنياي التي فيها معاشي." رواه مسلم.

و عن أبي بكر، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال: "دعوات المكروب، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى

نفسى طرفه عين، و أصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت. "رواه أبو داود فى "السنن".  
 و عن ابن عباس، رضى الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، كان يقول، عند الكرب: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات و رب الأرض و رب العرش الكريم." و فى رواية لمسلم: أن النبى صلى الله عليه و سلم كان إذا حزبه أمر قال ذلك رواه البخارى و مسلم.

و عن على، رضى الله عنه، أن مكاتبا جاءه، فقال: إني عجزت عن كتابتي فأعنى، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله صلى الله عليه و سلم: لو كان عليك مثل جبل دينا أداه الله عنك، قل: "اللهم اكفني بحلالك عن حرامك و اغنى بفضلك عن سواك." رواه الترمذى.

و عن ابن عمر، رضى الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، أنه قال: "اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك و تحول عافيتك، و فجاءة نعمتك، و جميع سخطك." رواه مسلم و غيره.

و عن ابن مسعود، رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: "اللهم إني أسألك الهدى و التقى و العفاف و الغنى." رواه مسلم و غيره.

و عن عائشة، رضى الله عنها، عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، أنه قال: "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك و بمعافاتك من عقوبتك، و أعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك." رواه مسلم و غيره.

و عن أنس بن مالك، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "اللهم إني أعوذ بك من الهم و الحزن، و العجز و الكسل، و الجبن و البخل، و ضلع الدين و غلبة الرجال." رواه البخارى و مسلم و غيرهما.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٣٠

و عن أبى موسى الأشعرى، رضى الله عنه، أن النبى صلى الله عليه و سلم، قال: "اللهم اغفر لى خطيئتي و جهلى و إسرافى فى أمرى و ما أنت أعلم به منى، اللهم اغفر خطيئى و عمدى، و هزلى و جدى و كل ذلك عندى، اللهم اغفر لى ما قدمت و ما أخرت، و ما أسررت و ما أعلنت، أنت المقدم و أنت المؤخر و أنت على كل شىء قدير." رواه البخارى و مسلم.

### بعض القوائد فى التضرع

لقد أتينا فيما تقدم ببعض الأدعية النبوية الجامعة لخيرى الدنيا و الآخرة، و هنا نأتى ببعض القوائد فى التضرع إلى الله تعالى، فلكل دعاء ميزة خاصة، و لكل واحد طريقة فى التضرع و الدعاء، كما قال الله تعالى: وَ اٰخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولَى الْأَلْبَابِ \* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. و لا- تظن أن الفقير يحمل وحده على كتفيه متاعب الحياة و همومها، كلا و إنما الخلق جميعا فى ذلك سواء، فقد تختلف درجات الهموم و أنواعها:

كل من فى الوجود يحمل هماغير أن الهموم مختلفات

فالسلطان و الأمير، و الإمام و المأموم، و الغنى و الفقير، و العزيز و الحقير، و الجاهل و العالم، و المظلوم و الظالم، و العزيز و الذليل، و الصحيح و العليل، و المشغول و العاطل، كل منهم يحمل فى قرارة نفسه من الهم و الحزن ما لا يعلم به الآخر. فهذا يشكو فقره، و ذاك يألم من مرضه، و الآخر يتأفف من صديقه، و الرابع يستجير من رئيسه، و الخامس يبكى فقيدا افتقده، و السادس لا يهنأ بنوم، لكساد تجارته و خسارته، و هكذا حال جميع الناس إلى يوم القيامة، من أول خلقهم إلى يوم القيامة:

كل من لاقيت يشكو دهره ليت شعري هذه الدنيا لمن

لذلك جاء في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "تعوذوا بالله من جهد البلاء و درك الشقاء و سوء القضاء و شماتة الأعداء" رواه أبو هريرة رضي الله عنه.

و كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الهم و الحزن، و من العجز و الكسل، و من الجبن و البخل، و من غلبة الدين و قهر الرجال، و من كثير من الأمور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٣١

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من كل ذلك، و يلجأ إلى الله تعالى فيما أهمه، فنحن أحق و أولى بالابتهاج إلى الله الكريم المتعال، فسبحان من أودع في كل قلب ما أشغله، اللهم اشغل قلوبنا فيما خلقتنا له، و لا تشغلنا بما تكفلت لنا به يا أرحم الراحمين، فنحن الضعفاء و أنت القوى العزيز.

إذا كنت في أمر وضقت بحمله و أصبحت في عسر و أمسيت في حرج

تضرع إلى الله الكريم و لا تمل إلى غيره فالله يأتيك بالفرج

و إليك بعض القصائد في التضرع، فإن في ذكرها استئناسا للنفس، و انشراحا للصدر، و اطمئنانا للقلب، و نرجو بذلك استئزال الرحمة و الإحسان، من الله الواحد الأحد، الكبير المتعال، السميع البصير و البر الرحيم الودود، الذي هو بعباده لطيف خبير.

(قال بعضهم في التضرع إلى الله تعالى):

لأبتهلن تحت الظلام بدعوة متى يدعها داع إلى الله يسمع

تغلغل من بين الضلوع نشيجهاله شافع من عبرة و تضرع

إلى فارح الكرب المجيب لمن دعا فزعت بكربي إنه خير مفرع

فيا خير مدعو دعوتك فاستمع و مالي شفيع غير فضلك فاشفع

(و قال بعضهم):

طرقت باب الرجا و الناس قد رقدوا و بت أشكو إلى مولاي ما أجد

و قلت يا أملى في كل نائبه و من عليه لكشف الضر أعتد

أشكو إليك أمورا أنت تعلمها ما لي على حملها صبر و لا جلد

و قد مددت يدي بالذل مفتقرا إليك يا خير من مدت إليه يد

فلا تردنها يا رب خائبة في بحر جودك يروى كل من يرد

(و قال بعضهم):

يا من يرى ما في الضمير و يسمع أنت المعد لكل ما يتوقع

يا من يرجي للشدائد كلها ما من إليه المشتكى و المفزع

يا من خزائن جوده في قول كن أمنن فإن الخير عندك أجمع

مالي سوى فقري إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقري أذفع

مالي سوى قرعى لبابك حيلة و لئن رددت فأى باب أقرع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٣٢ و من الذي أدعو و أهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يمنع

حاشا لجودك أن تقنط عاصيا الفضل أجزل و المواهب أوسع

إن كان لا يرجوك إلا محسن فالمذنب العاصي إلى من يرجع

(و قال بعضهم):

يا رب ما زال لطف منك يشملني وقد تجدد بي ما أنت تعلمه  
فاصرفه عني كما عودتني كرمافمن سواك لهذا العبد يرحمه  
(و قال محمد طاهر الكردي مؤلف هذا الكتاب):

زدني بفرط الخير منك تشكراو الطف بما قدرته فيما جرى  
يا من له عنت الوجوه جميعها رحماك فالعبد الذليل تحيرا  
إن لم يكن لي منك لطف شامل أو فضل إحسان على مكررا  
فمن الذي أرجو لكشف بليتي أو من إليه أميل من بين الوري  
و الكل مفتقر إليك وسائل من فيض جودك أن تقطرا  
لا أرتجى أحدا سواك و أنت لي نعم الملاذ و من رجاك استبشرا  
إني سألتك و الهموم تراكمت و الدهر عاند و الزمان تنكرا  
حاشا تخيب من رجاك مؤلامهما جنى أو كان فيك مقصرا

اللهم يا فتاح يا عليم، يا رحمن يا رحيم، يا عزيز يا غفور، يا عالما ما في الصدور، يا من لا يخفى عليه شيء في الأرض و لا في  
السماء، يا مجيب الدعاء، يا راحم عبدة داود، يا كاشف ضر أيوب، يا مفرج حزن يعقوب، ارفع عنا ما نزل و حقق لنا جميع الأمل، و  
فرج عنا كل هم و غم، فإنك أنت العزيز الأكرم، اللهم إنا نسألك فرجا قريبا، و صبورا جميلا، و رزقا واسعا، و علما نافعا، و صحة و  
عافية، و الحفظ من جميع البلاء و السلامة من كل شر، و الأمن من كل خوف، و التوفيق للطاعات، و الثبات على الإيمان، و حسن  
الختام، و نسألك رضاك و الجنة و نعوذ بك من النار، ربنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النار، و نسألك اللهم  
أن تصلي و تسلم على نبيك محمد و على آل محمد كما صليت و باركت على إبراهيم و على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد  
مجيد.

(و ما أحلى قول من قال):

فكم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الذكي  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٣٣ و كم يسر أتى من بعد عسرو فرج كربة القلب الشجي  
و كم أمر تساء به صباحا و تأتيك المسرة بالعشى  
إذا ضاقت بك الأحوال يومافثق بالواحد الفرد العلى  
(و قول بعضهم):

و لرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا و عند الله منها المخرج  
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت و كان يظنها لا تفرج  
(و قال الآخر):

كن عن همومك معرضا و كل الأمور إلى القضا  
فلربما اتسع المضيق و ربما ضاق الفضا  
و لرب أمر مسخطلك في عواقبه رضا  
الله يفعل ما يشاء فلا تكن متعرضا  
(و لبعضهم):

أترك الفكر في الأمور و دعها فكمما قدّرت تكون الأمور  
كل فكر و كل رأى و حزم غير مجد إذا جرى المقدور  
(و قال آخر):

عسى ما ترى لا يدم و إن ترى له فرجا مما ألم به الدهر  
عسى فرج يأتي به الله إنه له كل يوم فى خليقته أمر  
إذا لاح عسر فارح يسرا فإنه قضى الله أن العسر يتبعه اليسر  
(و ما أظرف قول الطغرائى):

لا تجزعن إذا ما الأمر ضقت به ذرعا و نم و توسد فارغ البال  
فبين غفوة عين و انتباهتها يغير الله من حال إلى حال  
(و قال بعضهم):

تصبر إن عقبى الصبر خير و لا تجزع لنائبة تنوب  
فإن اليسر بعد العسر يأتى و عند الضيق تنكشف الكرب  
و كم جزعت نفوس من أمورأتى من دونها فرج قريب  
(و قال بعضهم):

إذا ما رماك الدهر يوما بنكبة فهىء لها صبرا و أوسع لها صدرا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٣٤ فإن تصارييف الزمان عجيبه فيوما ترى عسرا و يوما ترى يسرا  
(و قال بعضهم):

كل الحوادث قد تمر على الفتى و تزول حتى لا تكون بباله  
فالحمد لله فى السراء و الضراء.

و لنختتم هذا الباب بالأحاديث الآتية، عسى أن ننتفع بها نحن، و جميع المسلمين، فإن رجاءنا فى كرم الله تعالى لعظيم، و إن حسن  
ظننا به، سبحانه و تعالى، لكبير، و الأحاديث الآتية نقلناها من "الأربعين النووية" و هى كما يأتى:  
عن أنس، رضى الله تعالى عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول "قال الله تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتنى و  
رجوتنى غفرت لك على ما كان منك و لا أبالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك، يا ابن آدم لو  
أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لآتيتك بقرابها مغفرة." رواه الترمذى، و قال: حديث حسن صحيح.

و عن أبى هريرة، رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه و سلم، قال "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة  
من كرب يوم القيامة، و من يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا و الآخرة، و من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا و الآخرة، و الله فى  
عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه، و من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، و ما اجتمع قوم فى بيت من  
بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم، إلا- نزلت عليهم السكينة، و غشيتهم الرحمة و حفتهم الملائكة، و ذكرهم الله فيمن  
عنده، و من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه." رواه مسلم بهذا اللفظ.

و عن جابر بن عبد الله، رضى الله عنهما، قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها، كالسورة من  
القرآن، و يقول "إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إنى أستخيرك بعلمك، و أستقدرك  
بقدرتك، و أسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر و لا أقدر، و تعلم و لا أعلم و أنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا

الأمر خير لي في ديني و معاشي و عاقبة أمري، أو قال: عاجل أمري و آجله فاقدته لي و يسره لي، ثم بارك لي فيه، و إن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني و معاشي و عاقبة أمري،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٣٥

أو قال: عاجل أمري و آجله فاصرفه عني و اصرفني عنه، و اقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به، قال: و يسمى حاجته." و عن أبي هريرة، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، و تعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، و الكلمة الطيبة صدقة، و بكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، و تميط الأذى عن الطريق صدقة." رواه البخاري و مسلم.

و عن أبي عبد الله النعمان بن بشير، رضى الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم، يقول: "إن الحلال بين و إن الحرام بين، و بينهما أمور مشتهيات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه و عرضه، و من وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا و إن لكل ملك حمى، ألا و إن حمى الله محارمه، ألا و إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا و هي القلب." رواه البخاري و مسلم.

و عن أبي حمزة أنس بن مالك، رضى الله تعالى عنه، خادم رسول الله صلى الله عليه و سلم، عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" رواه البخاري و مسلم.

و عن أبي رقية تميم بن أوس الداري، رضى الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله عليه و سلم، قال:

"الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله و لكتابه و لرسوله و لأئمة المسلمين و عامتهم" رواه مسلم.

و عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود، رضى الله تعالى عنه، قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هو الصادق المصدوق، إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه، أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقه، مثل ذلك، ثم يكون مضغة، مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، و يؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، و أجله، و عمله، و شقى أو سعيد. فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه و بينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، و إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه و بينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها. رواه البخاري و مسلم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٣٦

و عن ابن عمر، رضى الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: "كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع و هو مسؤول عن رعيته و الرجل راع في أهله و هو مسؤول عن رعيته و المرأة راعية في بيت زوجها و هي مسؤولة عن رعيته و الخادم راع في مال سيده و هو مسؤول عن رعيته و الرجل راع في مال أبيه و هو مسؤول عن رعيته فكلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته" رواه الشيخان في صحيحهما و اللفظ للبخاري.

و عن أبي العباس عبد الله بن عباس، رضى الله تعالى عنهما، قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه و سلم يوماً فقال: يا غلام إنني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله، و إذا استعنت فاستعن بالله و اعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، و إن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام و جفت الصحف. رواه الترمذي و قال حديث حسن صحيح.

و في رواية غير الترمذي: احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، و اعلم أنما أخطأك لم يكن ليصيبك و ما أصابك لم يكن ليخطأك و اعلم أن الفرج مع الكرب، و أن مع العسر يسرا.

و عن أبي ذر الغفاري، رضى الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه و سلم، فيما يرويه عن ربه عز و جل، أنه قال: يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم

جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادى كللكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم، يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم، يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم و جنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم و جنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم و جنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندى، إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادى إنما هى أعمالكم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٣٧

أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه. رواه مسلم. إلى هنا نكتفى بما تقدم من الأحاديث النبوية الشريفة الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة، و الحمد لله الذى سعدنا بكتابتها ونقلها، نسعد أيضا، إن شاء الله تعالى بالعمل بها، فإننا نرجو أن يتغمدنا الله تعالى برحمته فى الدنيا والآخرة، إنه واسع الفضل العظيم الإحسان، و صلى الله على النبى الأمى و على آله و صحبه و سلم.

### الطواف راكبا و دخول المواشى و الدواب المسجد الحرام

لما كان المسجد الحرام و شوارع مكة على غير هذه الصفة، أى كان بشكل يمكن دخول المسجد بالدواب فى سابق العصور، فقد طاف رسول الله صلى الله عليه و سلم فى يوم فتح مكة من السنة الثامنة من الهجرة راكبا و استلم الحجر الأسود بمحجته و هو راكب، و روى الإمام الأزرقي فى تاريخه، عن ابن جريج، قال: و أخبرت أن النبى صلى الله عليه و سلم كان إذا طاف على راحلته يستلم الركن بمحجنه ثم يقبل طرف المحجن " و المحجن العصا المنعطفة الرأس."

و روى أيضا، عن هشام بن عروة، عن أبيه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال لعبد الرحمن بن عوف: كيف فعلت يا أبا محمد فى استلام الركن الأسود؟ قال: كل ذلك أستلم و أترك. قال: أصبت. و إن رسول الله صلى الله عليه و سلم طاف فى حجة الوداع على بعير يستلم الركن بمحجنه يكره أن يضرب عنه الناس. و فى الصحيحين عن عائشة، رضى الله عنها، أن النبى صلى الله عليه و سلم طاف راكبا كراهية أن يصرف الناس عنه، و فى رواية طاف حجة الوداع حول الكعبة. على بعيره كراهية أن يصرف الناس عنه. أخرجه مسلم.

و روى مسلم فى صحيحه، عن أبى الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول:

طاف النبى صلى الله عليه و سلم فى حجة الوداع على راحلته بالبيت، و بين الصفا و المروة، ليراه الناس و ليشرف، و لم يطف رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا أصحابه بين الصفا و المروة إلا طوافا واحدا. اه، أى لم يسعوا بعد طواف الإفاضة حيث إنهم لما دخلوا مكة محرمين بالحج و طافوا طواف القدوم و سعوا بعد الطواف، فمن دخل مكة و كان محرما بالحج أو قارنا، و سعى بعد طواف القدوم أجزاء ذلك و وقع ركنه، و يكره

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٣٨

له إذا وقف بعرفات، ثم طاف طواف الإفاضة، أن يعيد السعى، لأن السعى ليس من العبادات المستقلة، التى يشرع تكرارها و الإكثار منها، بخلاف الطواف فإنه مشروع فى غير الحج و العمرة.

جاء فى العقد الثمين فى فضائل البلد الأمين للحضراوى: أن عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، مرّ على رواحل مناخة بفناء الكعبة، فقال: لو يعلم الركب ماذا يرجعون إليه بعد المغفرة لقرّت أعينهم، ما وضعت خفا و لا رفعت إلا ترفع له درجة و يحط عنه خطيئة. أخرجه أبو ذر الهروى فى منسكه. انتهى منه.

و جاء في كتاب القرى للطبرى عن عمرو بن دينار، قال: طاف رجل على فرس فمنعوه فقال: أتمنعوني أن أطوف على كوكب، قال فكتب في ذلك إلى عمر، رضى الله عنه، فكتب عمر أن امنعوه. أخرجه سعيد بن منصور.

قال الطبرى: و لعل المنع لما فى الخيل من الخيلاء و التعاضم. انتهى من كتاب القرى.

نقول: إن رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فى غاية الصواب و الحكمة، فالطواف و إن كان جائزا حال الركوب، فإنه غير لائق أن يطوف الإنسان راكبا، و غيره يطوف ماشيا، ثم لو كثر الركبان فى المطاف لتعذر الطواف على المشاة، و ذهب عن قلوبهم الخشوع لالتفاتهم الدائم على الركبان، حتى لا- تدوسهم الدواب، و أيضا لا يلبق الطواف راكبا فى أقدس مكان، و ما كان طواف رسول الله صلى الله عليه و سلم راكبا إلا لبيان جواز ذلك فحكمه حكم الشرب قائما.

و فى الطبرى، و عن أم سلمة، أنها شكت لرسول الله صلى الله عليه و سلم أنها تشتكى، فقال: طوفى من وراء الناس و أنت راكبة. قالت: فظفت و رسول الله صلى الله عليه و سلم حيثئذ يصلى إلى جنب البيت، و هو يقرأ: وَ الطُّورِ\* وَ كِتَابٍ مَسْطُورٍ. أخرجه.

و عند البخارى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، أراد الخروج، و لم تكن أم سلمة طافت بالبيت، و أرادت الخروج، فقال لها صلى الله عليه و سلم: إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفى على بعيرك و الناس يصلون ففعلت، فلم تصل حتى خرجت.

و عنها أنها قدمت مكة و هى مريضة، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال:

طوفى وراء المصلين و أنت راكبة، قالت: فسمعت النبى صلى الله عليه و سلم و هو عند الكعبة يقرأ:

وَ الطُّورِ أخرجه النسائى. و فى البخارى أيضا حديث بهذا المعنى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٣٩

و فيه و فيما قبله دلالة على أن صلاته صلى الله عليه و سلم كانت بقاء الكعبة، و أن طوافها وراء المصلين. و الظاهر أنه كان يؤم بهم، و أن الصلاة كانت صلاة الصبح. و فيه أن من طاف راكبا يتوخى خلوة المطاف، لئلا يهوش على الطائفين. و فيه أن الركوب إنما يكون لعذر، فإن لم يكن عذر فالأفضل أن يطوف راجلا.

و عنها أنها قالت: يا رسول الله، ما طفت طواف الخروج. فقال صلى الله عليه و سلم: إذا أقيمت الصلاة فطوفى على بعيرك من وراء الناس. أخرجه النسائى.

قال الطبرى: هذه الأحاديث كلها تدل على جواز الركوب فى الطواف، و خصه مالك بالضرورة، استدلالا بحديث أحمد و أبى داود، و بقوله: "ليراه الناس، و ليشرف عليهم." و اختاره الشافعى مطلقا، مع كراهية. و عند مالك و أبى حنيفة:

إن قرب أعاد، و إن بعد فعليه دم، انتهى منه.

و قال الإمام الزرقانى، فى شرحه على موطأ الإمام مالك بن أنس، عند حديث أم سلمة، ما نصه: و فيه جواز طواف الراكب لعذر، و يلحق به المحمول للعذر، أما بلا عذر فمنعه مالك و كرهه الشافعى لقوله تعالى: وَ لِيُطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ و من طاف راكبا لم يطف به إنما طاف به غيره، و ركوبه صلى الله عليه و سلم إنما كان للعذر، ففى أبى داود عن ابن عباس: قدم النبى صلى الله عليه و سلم مكة و هو يشتكى فطاف على راحلته، و فى حديث جابر عند مسلم أنه صلى الله عليه و سلم طاف راكبا ليراه الناس و ليسألوه، فيحتمل أنه فعل ذلك للأمرين، و كذا ركوب أم سلمة للعذر... إلخ انتهى من الزرقانى.

و ذكر الغازى فى تاريخه: أنه فى سنة (٥٨٠) ثمانين و خمسمائة، حج الشيخ أبو بكر بن الشيخ يحيى الغياتى، فطاف بالكعبة راكبا على بغلة، و حوله نحو ثلاثمائة فقيه يمشون و يطوفون بطوافه. انتهى.

و لم نر ترجمة للشيخ أبو بكر المذكور، و الظاهر أنه من كبار العلماء العاملين، بدليل أن ثلاثمائة فقيه يمشون بمشيه و يطوفون بطوافه، و أن له مكانة كبيرة فى بلاده، و فى غيرها، حتى أذنوا له بالطواف راكبا على بغلة، و لا بد كان له عذر قوى فى ركوب البغلة فى الطواف، و الله تعالى أعلم بالغيب.



و ذكر الفاسى، فى تاريخه شفاء الغرام، فى الباب الثالث عشر، ما يأتى: قال:

"أى السهلى" لما ذكر بناء ابن الزبير للكعبة، و فى الخبر أنه سترها، حتى وصل إلى القواعد، فطاف الناس بتلك الأستار، فلم تخل قط من طائف، حتى لقد ذكر أن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٤٠

يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحرب، و اشتغل الناس، فلم ير طائف يطوف بالكعبة إلا جمل يطوف بها. انتهى.

و ممن دخل المسجد الحرام راكبا أبو طاهر القرمطى، عامله الله بما يستحق، و ذلك سنة (٣١٧) سبع عشرة و ثلاثمائة من الهجرة، فقد دخل مكة، هو و أصحابه، يوم التروية، و هو اليوم الثامن من ذى الحجة، فأسرفوا فى قتل الناس و الحجاج، فكان الناس يطوفون حول البيت و السيوف تأخذهم، و كان أبو طاهر سكران، راكبا فرسا له، و بيده سيف مسلول، فصفر لفرسه فبال عند البيت.

و روى الغازى فى تاريخه نقلا عن خلاصة الكلام، ما ملخصه: أنه فى سنة (٨١٠) عشر و ثمانمائة، فى يوم الجمعة خامس ذى الحجة، حصلت فتنة فى المسجد الحرام، انتهكت فيها حرمة المسجد الحرام، لما حصل فيه من القتال بالسلاح، و إدخال الخيل فيه، و طول مقامها و روثها فيه، و إراقة الدماء، و كان القائد الذى وقعت الفتنة بسببه اسمه جراد فلقد هجم فى ذلك اليوم جماعة من القواد، و دخلوا المسجد الحرام، من باب إبراهيم، راكبين خيولهم، لابسين لامة الحرب، إلى أن انتهوا إلى المقام الحنفى، فلقبهم الترك و الحجاج و قاتلوهم، إلى أن وصلوا سوق المعلافة، أسفل مكة. و لما كان آخر النهار، أمر أمير الحاج بتسمير أبواب المسجد الحرام، إلا باب السلام، و باب الدريية و باب مدرسة المجاهدية، و أدخل جميع خيله المسجد الحرام، و جعلها فى الرواق الشرقى، قريبا من منزله برباط الشرابى، المسمى الآن برباط قايتباى، و باتت الخيل بالمسجد الحرام حتى الصباح، ثم أحمد شريف مكة الفتنة، و نادى فى الناس بالأمان فاطمثنوا، قال بعضهم: و لا أعلم فتنة أعظم منها بعد القرامطة. انتهى باختصار من تاريخ الغازى.

و لقد ذكر هذه الواقعة صديقنا الأستاذ أحمد السباعى فى كتابه "تاريخ مكة" و قال إنها وقعت فى عام (٨١٧)، و الغازى يقول إنها وقعت فى عام (٨١٠) و الله تعالى أعلم.

و روى الغازى أيضا فى تاريخه نقلا عن الفاسى، ما ملخصه: أنه فى سنة (٧٦٦) ست و ستين و سبعمائة، حصل غلاء عظيم بمكة، و تعرف هذه السنة بألم الجرب، لإصابة المواشى بالجرب، فاستسقى الناس بالمسجد الحرام فلم يسقوا، و قد أحضرت المواشى إلى المسجد للاستسقاء، و أدخلت فيه، و وقفت جهة باب

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٤١

العمرة إلى مقام المالكية، ثم فرج الله تعالى هذه الشدة عن الناس، فضلا منه و رحمة. انتهى.

و ذكر القطبى، فى تاريخه، المتوفى سنة (٩٨٨) ثمان و ثمانين و تسعمائة، أن أحد الشيوخ المعمرين الصدوقين من أهل مكة، أخبره بأنه شهد الأطباء تنزل من جبل أبى قبيس إلى الصفا، و تدخل من باب الصفا إلى المسجد الحرام، ثم تعود لخلوه من الناس. انتهى. هذا ما أمكن جمعه مما يتعلق دخول الدواب المسجد الحرام، و إذا اطلعنا على ما يشبه ذلك نلحقه هنا أيضا إن شاء الله تعالى، و الله تعالى الموفق للصواب و إليه المرجع و المآب.

### قياس طوفة واحدة حول الكعبة

أى قياس شوط واحد حولها قال العلامة حسين بن محمد الديار بكرى الكردى، فى كتابه "تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس" بصحيفة ١٢١ من الجزء الأول: أنه ذرع بنفسه طوفة واحدة حول الكعبة و الحجر فكان مائة و سبعة و أربعون ذراعا و ثلاث أصابع اه. نقول: فيكون على ذلك ذرع الطواف الكامل لسبعة أشواط هو: ألف و تسعة و عشرون ذراعا و إحدى و عشرون إصبع، قال فى صحيفة ١١٩: و الذراع أربع و عشرون إصبعاً مضمومة سوى الإبهام، و الإصبع ست شعيرات، و الشعيرة ست شعرات من شعر البغل اه.

و لقد كان ذرع المؤلف المذكور للكعبة و أركانها سنة (٩٣١) إحدى و ثلاثين و تسعمائة من الهجرة.

و مما يناسب ما ذكر، ما جاء في كتاب الطبري "القرى لقاصد أم القرى" ما نصه: و عن محمد بن فضيل، قال: رأيت ابن طارق في الطواف و قد انفرج له أهل الطواف، و عليه نعلان مطوقتان، فحرروا أطوافه في ذلك الزمان، فإذا هو يطوف في اليوم و الليلة عشرة فراسخ. أخرجه أبو الفرج في مثير الغرام. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٤٢

نقول: و لقد سألنا، المهندس المصري، الذي فرش أرض المسجد الحرام بالمرمر الرخام، في زماننا، قبل التوسعة السعودية ببضع سنوات، عن مقدار قياس طوافه واحدة حول الكعبة بالمتري.

فأخبرنا أنه قاس الجهات الأربع للكعبة المشرفة، و من بعد حجر إسماعيل، أي من خارجه، فكان القياس ستة و ستين مترا.

فهذا هو قياس طوفة واحدة، فإذا ضربنا هذه الأمتار في سبعة أشواط كان خارج الضرب (٤٦٢) مترا أربعمائة و اثنين و ستين مترا، هذا هو قياس الطواف الكامل لسبعة أشواط.

نقول: إننا قمنا بذرع طوفة واحدة فقط، حول الكعبة، في الخامس من شوال سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف هجرية، فكان قياسها نحو سبعين مترا، مع العلم بأن الإنسان، كلما قاس قريبا من الكعبة، نقص القياس، و كلما قاس بعيدا عنها، زاد القياس، لذلك قد يختلف قياس الذرع بين شخصين، باختلاف موضع القياس، في أرض المطاف، كما يختلف القياس بذراع اليد بحسب طولها و قصرها.

و يلزم للإنسان في إتمام طوافه سبعة أشواط نحو عشرين دقيقة، إذا مشى الإنسان مشيا معتدلا، و قد تزيد الدقائق أو تنقص، بحسب البطء و الإسراع، و القرب من البيت أو البعد عنه، لذلك فإن قياس طوفة واحدة من آخر حدود المطاف بعد توسعته في زماننا الحاضر يكون أكثر من كل ما ذكرناه.

قال الفاسي في الجزء الأول من "شفاء الغرام" عن مقدار الطواف ما نصه:

و أما مقدار الطواف بالكعبة فذكره الأزرقى و سليمان بن خليل، و بينهما في ذلك اختلاف، لأن الأزرقى ذكر أن طواف سبع بالكعبة ثمانمائة ذراع و ست و ثلاثون ذراعا و عشرون إصبعا. انتهى. و ذكر سليمان بن خليل، أن ذرع موضع الطواف مائة ذراع و سبعة أذرع. انتهى. و ما ذكره ابن خليل، في مقدار موضع الطواف، يقتضى أن يكون سبعا بالكعبة سبعمائة ذراع و تسعة، بتقديم التاء على السين، و أربعين ذراعا، و ذلك ينقص عما ذكره الأزرقى في مقدار ذلك سبعة و ثمانين ذراعا و عشرين إصبعا، و الله أعلم بالصواب. و ذكر ابن خرداذبة ما يوافق ما ذكره ابن خليل، لأنه قال: و دور البيت مائة ذراع و سبعة أذرع. انتهى. و لعل ابن خليل قلده في ذلك و الله أعلم. انتهى من كتاب شفاء الغرام.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٤٣

نقول: إن ما ذكره الإمام الأزرقى، من قياس الطواف، و ما ذكره سليمان بن خليل من قياسه أيضا فيه فرق كبير عن الحقيقة، التي ذكرناها، فيما تقدم قبل قولهما، و هنا خطأ بين واضح، لأن أرض الكعبة، و ما حولها من المطاف، لم يتغير منذ زمن الجاهلية و الإسلام إلى يومنا هذا، و لن يتغير إن شاء الله تعالى أبدا، إلى أن تقوم الساعة. و الظاهر، و الله تعالى أعلم، أن كل واحد منهما غلط في حساب الأذرع عند قياسه، أو حصل خطأ من الكاتب عند نقل الكلام، و لو كان هناك فرق قليل بين القياس لم ننظر إليه، لكنه فرق عظيم بين الكلامين في القياس و مكان المطاف هو هو، لم يتغير منذ عهد إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، إلى اليوم، و الله تعالى أعلم، فرضى الله تعالى عنا و عنهم أجمعين.

و اعلم: أن كل ما تقدم من قياس الطوفة الواحدة أو قياس السبعة أشواط، إنما هو بحسب نفس أرض المطاف الأصلي القديم، و أما بعد توسعة المطاف الآن، في وقتنا هذا، فإن مقدار الطوفة الواحدة، و مقدار السبعة أشواط، يكون أكثر إذا طاف الإنسان في التوسعة

الجديدة من المطاف، لبعدها قليلا عن الكعبة، و توسعة المطاف في وقتنا هذا هو أول توسعة له، و قد كانت هذه التوسعة في شهر رمضان من سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية كما تكلمنا عن ذلك بالتفصيل في غير هذا المحل، فكلما قرب الطائف من الكعبة المشرفة نقصت مسافة الطوفة الواحدة، و كل ما بعد عنها زادت المسافة، و هذا أمر يعرفه كل من وقف في الطواف، و نظر إلى المطاف بعين رأسه، فتأمل هذا المبحث، و افهمه جيدا، فإنك لا تجده في كتاب غير هذا الكتاب. و الله تعالى أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب.

### عمارة المطاف و فرشته

كان المطاف و حجر إسماعيل، عليه الصلاة و السلام، في زمن الجاهلية، مجلسا عاما، يجتمعون بفناء الكعبة و ظلها، يتذاكرون في مختلف شؤونهم، و كان لعبد المطلب مفرش، في الحجر، لا يجلس عليه غيره، و كان الندى من قريش "أى الكريم الجواد" حرب بن أمية، فمن دونه يجلسون حوله، دون المفرش، فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هو غلام يدرج، ليجلس على المفرش، ف جذبوه فبكى، فقال عبد المطلب، و ذلك بعد ما حجب بصره، غلاما لابنى يبكى؟ قالوا له: إنه أراد أن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٤٤

يجلس على المفرش فمنعوه، فقال عبد المطلب: دعوا ابني فإنه يحس بشرف، أرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغ عربى قط، و قد توفي عبد المطلب و النبي صلى الله عليه و سلم ابن ثمان سنين و كان خلف جنازته، يبكى حتى دفن بالحجون. اه من الأزرقى.

و المطاف و الحجر لم يكونا مفروشين بالرخام أو البلاط، زمن الجاهلية، و إنما كانا ترابا و رملا، من نفس تربة مكة. فأول من حسب أرضية المسجد الحرام عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، أى فرشها بالحصاء، و المقام و الحجر داخل فى المسجد الحرام، و كان أول بدئه بذلك بالمسجد النبوى، فقد سئل ابن عمر عن ذلك، فقال: مطرنا ليلة فخرنا لصلاة الغداة، فجعل الرجل منا يحمل فى رداءه من الحصاء، فيفرشه على البطحاء، و يصلى عليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم ذلك، قال: ما أحسن هذا البساط، ثم أمر عمر بن الخطاب فى خلافته بتحصيله من وادى العقيق.

قال الغازى، فى تاريخه، نقلا عن درر الفرائد: أول من بلط المطاف عبد الله بن الزبير، رضى الله عنهما، لما بنى الكعبة، و فرغ من بنائها، بقيت معه من الحجارة بقية، ففرش بها حول البيت، نحوا من عشرة أذرع، و تبعه غيره ففرش باقى المطاف. اه. و كانت عمارة ابن الزبير للكعبة سنة (٦٤) أربع و ستين.

و قال ابن بطوطة، فى رحلته، التى كانت سنة (٧٢٥) خمس و عشرون و سبعمائة: و المطاف مفروش بالحجارة السود، و يصير بحر الشمس كأنها الصفائح المحماء، و لقد رأيت السقائين يصبون الماء عليها، فما يجاوز الموضع، الذى يصب فيه، إلا و يلتهب الموضع من حينه. و أكثر الطائفين فى ذلك الوقت يلبسون الجوارب. انتهى كلامه.

و فى سنة (٨٤٦) ست و أربعين و ثمانمائة أذيب الرصاص، و جعل بالحفر، التى بأرض المطاف.

و ذكر الفاسى فى "شفاء الغرام" فى الجزء الأول، فى أواخر الباب الثانى و العشرين، عن المطاف ما يأتى: المطاف المذكور فى كتب الفقهاء، و هو ما بين الكعبة و مقام إبراهيم الخليل، عليه السلام، و ما يقارب ذلك من جميع جوانب الكعبة، و قد أشار إلى تعريفه، بما ذكرناه الشيخ أبو محمد الجوينى، فيما نقله عنه ابن الصلاح، فى منسكه، لأنه قال: قال الشيخ أبو محمد: المطاف المعتاد، الذى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٤٥

يستنكر و يستبعد مجاوزته، هو ما بين الكعبة و المقام، و فى كل جانب فى العادة أمارات منصوبة لا يكاد الناس يخرجون عنها. انتهى.

قلت: و هذا الموضع مفروش بالحجارة المنحوتة حول الكعبة من جوانبها، و عمل ذلك دفعات، حتى صار على ما هو عليه اليوم، و كان مصيره هكذا فى سنة ست و ستين و سبعمائة، و المعمول منه فى هذه السنة جانب كبير جدا، و هاتان العمارتان، من جهة الملك

الأشرف شعبان، صاحب مصر، و عمر الطواف من ملوك مصر الملك المنصور لاجين المنصوري، و اسمه مكتوب بسبب ذلك في رخامة، بين الركن اليماني و الحجر الأسود، و عمره من الخلفاء المستنصر العباسي، في سنة إحدى و ثلاثين و ستمائة، و اسمه مكتوب بسبب ذلك في الحفرة، التي عند باب الكعبة، و قد بين الفاكهي، أول من فرش الحجارة، في موضع الطواف، و مقدار ذلك، و ما كان يضع في موضعه، لأنه قال: ذكر فرش الطواف بأى شيء هو، قال بعض المكيين: إن عبد الله بن الزبير، لما بنى الكعبة، و فرغ من بنائها، و خلقها و طلاها بالمسك، و فرش أرضها من داخلها، بقيت من الحجارة بقية ففرش بها حول الطواف كما يدور البيت نحو من عشرة أذرع، و ذلك الفرش باق إلى اليوم، إذا جاء الحاج في الموسم، جعل على تلك الحجارة رمل من رمل الكتيب، الذي أسفل مكة، يدعى كتيب الرضة، و ذلك أن الحجة يشتركون له رملا كثيرا، فيجعل في الطواف، و يجعل الرمل فوقه، و يرش بالماء حتى يتلبد، و يؤخذ بقية ذلك الرمل، فيجعل في زاوية المسجد، الذي يلي باب بنى سهم، فإذا خف ذلك الرمل، أعادوه عليه، و يرشوا عليه الماء، حتى يتلبد، فيطوف الناس عليه، فيكون ألين على أقدامهم في الطواف، فإذا كان الصيف، و حمى ذلك الرمل، من شدة الحر، أمر غلمان زمزم و غلمان الكعبة، أن يستقوا من ماء زمزم، في قرب، ثم يحملونها على رقابهم، حتى يرش به رمل الطواف، فيتلبد و يسكن حره، و كذلك أيضا يرشون الصف الأول، و خلف المقام، كما يدور الصف حول البيت. انتهى.

نقل الغازي عن ابن فهد: أنه في سنة (٨٨١) إحدى و ثمانون و ثمانمائة عملوا الرصاص بأرض المطاف، حول الكعبة، و غيروا رخام الحجر داخلا و خارجا.

و نقل الغازي عن الإعلام: أنه في سنة (٩٦١) إحدى و ستون و تسعمائة بعد أن فرغ ناظر الحرم أحمد حلي من تجديد سطح البيت الشريف، شرع في تسوية فرش المطاف ببلاط جديد، أى رخام، فإن أحجاره انفصلت، و صارت بين كل التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٤٦

حجرين حفرا، كانت تلك الحفرة تسد تارة بالنورة، و تارة بالرصاص، و تسمر بمسامير الحديد، فأزال ما بين الأحجار من الحفرة، و نحت طرف الحجر إلى أن ألصقه بطرف الحجر الآخر، من جوانبه الأربعة، و استمر في فرش المطاف على هذا الأسلوب، إلى أن فرغ من ذلك، و أصلح أبواب المسجد الشريف و فرش المسجد جميعه بالجص. اه. و كان عمل أحمد حلي، بأمر السلطان سليمان خان، رحمهم الله جميعا. و في شهر صفر سنة (٨٩٤) أربع و تسعون و ثمانمائة أمر ناظر الحرم، قاضى القضاة، جمال الدين أبا السعود بن ظهيرة، بحفر جميع حاشية المطاف، و إصلاحه بإخراج البطحات، التي بها، و ذلك بسبب وقع المطر و دخول السيل إلى المسجد، فحفرت و أخرج منها بطحات كثيرة مخلوطة بالتراب، فغربلت و بطحت الحاشية ببعض البطحات، و فرق باقيها بالمسجد في الأماكن المحتاجة لذلك، و كان إكمال العمل في أوائل شهر ربيع الأول من السنة المذكورة اه. و في يوم الثلاثاء ثالث عشر رمضان سنة (٩١٨) ثمانى عشرة و تسعمائة أمر الأمير الباش بإذابة الرصاص في المسجد الحرام، في أماكن في المطاف، و عند المزولة، فتم ذلك في يوم واحد. و في شهر ذى القعدة سنة ٩٢٠ عشرون و تسعمائة رصص أرض المطاف الخواجة ابن عباد الله، و أصلح مجرى السيل و المسعى، حسب المرسوم، الذي ورد لنائب جدة، بتفويضه ذلك، و أرسل لهذا العمل رصاصا، وصل إلى جدة، قالوا عنه أنه خمسون قنطارا، فوصل بعضه لمكة.

و أول من فرش المطاف بالحجارة الجبلية المنحوتة، هو الوزير الأعظم سنان باشا، و ذلك سنة (٩٨٠) تسعمائة و ثمانين هجريه أو في التي قبلها أو في التي بعدها.

قال القطبي في تاريخه: فمن آثاره الخاصة بالوزير الأعظم "سنان باشا" في المسجد الحرام هو: تعميره حاشية المطاف، و كانت من بعد أساطين المطاف الشريف، دائرة حول المطاف، مفروشة بالحصى، يدور بها دور حجارة منحوتة، مبنية حول الحاشية بالحجر الصوان المنحوت، ففرشت به في أيام الموسم، و صار محلا لطيفا دائرا بالمطاف، من بعد أساطين المطاف، و صار ما بعد ذلك مفروشا بالحصى الصغار، كسائر المسجد خاص به، ذكره الله بالصالحات و أدام الله له العز و السعادات.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٤٧

ومنها تعمير سبيل في التنعيم، أنشأها وأمر بإجراء الماء إليها، من بئر بعيدة عنها، يجرى الماء منها إلى السبيل في ساقية، مبنية فيما بينهما بالجص والنورة، وعين لها خادما يسقى من البئر، ويصب في الساقية فيصل الماء إلى السبيل، يشرب منه ويتوضأ به المعتمرون، والواردون والصادررون، ويدعون له بالنصر والتأييد، وعين مصاريف ذلك من ريع أوقاف له بمصر. انتهى من تاريخ القطبي.

وفي سنة (١٠٠٣) ه ثلاث و ألف قلعوا حجارة المطاف، وكانت من الحجر الصوان، ففرشت في الحاشية، التي تلي المطاف، وفرشوا المطاف بالمرمر.

وفي سنة (١٠٠٦) ه ست و ألف فرش جميع أرض المطاف بالرخام الأبيض الناصع الجميل، السلطان محمد خان، من سلاطين آل عثمان، فرش المطاف كله إلى العمدة المطيفة به، وقد قال، في ذلك، العلامة أسعد أفندي، مفتي الديار الرومية، وفي مدح سلاطين آل عثمان، قصيدة تقتطف منها ما يخص فرش المطاف بالمرمر للسلطان محمد خان فإنه قال:

فرش المطاف بمرمر بصفاه يحكى المسجد

كالبدر أشرق نوره إذ جن ليل أسود

كالكوكب الدرى فى أوج السعادة يوقد

إلى أن قال:

فلأجل تاريخ له قال ابن سعد أسعد

زان المطاف بمرمر ملك الأنام محمد

وفي سنة (١٠٧٢) ه اثنتان و سبعون و ألف زاد فى حاشية المطاف، فرشاً بالحجر المنحوت، زيادة قليلة، سليمان بيك صنع جده، والمراد بحاشية المطاف هو الخارج من أعمدة المطاف.

ثم إننا لم نبحت عن أصلح المطاف بذلك، وربما كتبنا عنه فى مبحث آخر من كتابنا هذا، لكن لا- نتذكره الآن، فقد حصل إصلاحات و ترميمات بالمسجد الحرام كله بعد السنة المذكورة مرارا. والله تعالى أعلم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٤٨

### حدود المطاف بالأعمدة والأساطين ثم إزالتها بتاتا فى عصرنا

لا يخفى أن المطاف، كان هو حد المسجد الحرام، فى زمن الجاهلية، و صدر الإسلام، إلى أن حصلت التوسعة فيه، و المطاف نسميه الآن "بالصحن:" و هو مفروش بالرخام الأبيض، و قد ذكرنا قياسه بالمترا.

و لم يكن المسجد الحرام، الذى حد نفس المطاف، محاطا بجدار، و إنما كانت الدور محدة به من كل جانب، و قد جعلوا بين كل دارين طريقا ينفذ منه إلى المسجد، فعليه تكون الإضاءة للطائفتين بوضع المصباح على هذه الدور.

فأول من استصبح لأهل الطواف فى المسجد الحرام، عقبه بن الأزرق بن عمرو الغساني، و كانت داره لاصقة بالمسجد الحرام، من ناحية وجه الكعبة، و المسجد يومئذ ضيق، فكان يضع على حرف داره أو جدر داره مصباحا كبيرا، يستصبح فيه، فيضىء له وجه الكعبة و المقام و أعلى المسجد، و ما زال أولاده يضعون المصباح على حرف الدار، حتى كان خالد بن عبد الله القسرى، فمنعهم من ذلك، و وضع هو مصباح زمزم مقابل الركن الأسود، و ذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان، أى فى عام (٧٥).

قال الأزرقى: فلم يزل مصباح زمزم على عمود طويل مقابل الركن الأسود، الذى وضعه خالد بن عبد الله القسرى، فلما كان محمد بن سليمان على مكة، فى خلافة المأمون سنة (٢١٦) ست عشرة و مائتين، وضع عمودا طويلا مقابله، بحذاء الركن الغربى، فلما ولى مكة

محمد بن داود، جعل عمودين طويلين، أحدهما بحذاء الركن اليماني، والآخر بحذاء الركن الشامي، فلما ولى هارون الواثق بالله أمر بعمد من الشبه "و هو نوع من النحاس" طوال عشرة، فجعلت حول المطاف يستصبح عليها لأهل الطواف، وأمر بثمان ثريات كبار يستصبح فيها، وتعلق في المسجد الحرام في كل وجه اثنتان. اه من الأزرقى.

ثم قال أيضا: قال الخزاعي أخبرني أبو عمران موسى بن منويه قال: أخبرني الثقة أن هذه العمدة الصفر كانت في قصر بابك الخرمي، بناحية أرمينية، كانت في صحن داره يستصبح فيها، فلما خذله الله وقتل بابك، وأتى برأسه إلى سامرا، وطيف به في البلدان، وكان قد قتل خلقا عظيما من المسلمين، وأراح الله منه، هدمت داره وأخذت هذه الأعمدة التي حول البيت الحرام في الصف الأول، ومنها التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٤٩

في دار الخلافة أربعة أعمدة، وبعث بهذه الأعمدة المعتمد بالله أمير المؤمنين، في سنة مائتين و نيف و ثلاثين، فهذا خبر الأعمدة الصفر، التي حول الكعبة، وهي عشرة أساطين، وكانت أربع عشرة اسطوانة فأربع في دار الخلافة بسامرا. انتهى من الأزرقى. وذكر الفاسي نقلا عن الفاكهي: أن أول من استصبح بالسرّج في المسجد الحرام عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، وذلك سنة سبع عشرة من الهجرة.

فاعلم مما تقدم، أن أعمدة المطاف و أساطينه، ما وضعت حوله، إلا لتعليق مصابيح الاستضاءة عليها، وتكون في الوقت نفسه علامة على حد المسجد الحرام، الذي كان زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم و زمن أبي بكر، رضى الله تعالى عنه، وما وراء ذلك فهو من الزيادات.

قال الغازي نقلا- عن تحصيل المرام، وهذا نقلا- عن القرشي، قال عز الدين ابن جماعة: و الأساطين التي حول المطاف الشريف أحدثت للاستضاءة بالقناديل، التي تعلق بينها، بعد العشرين و سبعمائة و كانت من خشب، ثم جعلت من حجارة سنة (٧٤٩) تسع و أربعين و سبعمائة، ثم ثارت ريح عاصفه سنة (٧٥١) إحدى و خمسين و سبعمائة فألقتها ثم جددت فيها. انتهى ما ذكره القرشي. وقال الغازي نقلا عن ابن فهد، أنه قال: في حوادث سنة (٧٣٦) ست و ثلاثين و سبعمائة، و فيها جعلت الأساطين، التي حول المطاف، و جعل بعضها بالحجارة المنحوتة الدقيقة، و الباقي آجر مجصص، و جعل بين كل من الأساطين خشبة ممدودة، راكبة عليها و على المقابلة لها، لأجل القناديل، التي يعلق، لأجل الاستضاءة حول الكعبة، عوض الأخشاب، التي كانت في هذا المكان على صفة الأساطين. و قال: في حوادث سنة (٧٤٩) تسع و أربعين و سبعمائة اجتهد الأمير فارس الدين، في إصلاح المسجد الحرام، و جدد الأعمدة، المتخذة حول المطاف. انتهى.

وقال الغازي و في درر الفرائد: أن السلطان سليمان العثماني غير الأساطين، التي حول المطاف، و كانت من حجارة، بأعمدة من نحاس في سنة (٩٨٢) اثنتين و ثمانين و تسعمائة، و بينها أخشاب ممدودة لتعلق فيها القناديل حول المطاف، و عدة النحاس ثلاثون، و في جهة زمزم في آخر الأساطين عمودا رخام، و في آخر الأساطين من الجهة الأخرى من جهة المنبر عمودا رخام. انتهى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٥٠  
وقال الغازي: قال الصباغ: أقول و قد جدد محمد عزت باشا، في زمن السلطان عبد المجيد خان، عمودين من رخام، من جهة باب بنى شيبه، على حافة الصحن، عليها أعمدة من حديد منقور لها، بين الأساطين، متصله تلك الأعمدة بالأساطين القديمة، و قد غيرت أيضا الأخشاب، التي بين الأساطين، التي حول المطاف بأعمدة من حديد، تعلق فيها القناديل و بين كل عمودين سبع قناديل. انتهى.

و الظاهر أن ذلك كان حوالي سنة (١٢٥٧) سبع و خمسين و مائتين و ألف، حيث حصل في المسجد الحرام، بعض إصلاحات، في زمن السلطان عبد المجيد خان رحمه الله تعالى.

و لم نسمع أنه حصل بعد ذلك شيء في أعمدة المطاف، اللهم إلا من إصلاح بعضها إصلاحا بسيطا لا يذكر، أو من ضربها بالبوية الزيتية.

انظر: صورة رقم ١٢٥، الحجر الأسود و يرى كحدقة العين وسط الكعبة المعظمة و بابها و حجر إسماعيل، و يظهر أيضا أعمدة المطاف القديم التي في حدوده قبل التوسعة

### توسعة المطاف لأول مرة في التاريخ

كان المطاف الأول هو نفس المسجد الحرام، من عهد إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، إلى السنة الرابعة من خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، أى إلى السنة السابعة عشرة للهجرة. ففي هذه السنة زاد عمر رضى الله عنه، فى المسجد الحرام، و هى أول زيادة حصلت فيه، و بقيت حدود المسجد الحرام، الأول، الذى هو نفس المطاف، محفوظة معلومة إلى عصرنا هذا، رغم تكرار الزيادة فى المسجد الحرام، فالمطاف الأول هو هو، لم يفكر أحد من سلاطين المسلمين و ملوكهم أن يوسعوه و يزيدوا رقعته. فلما كان فى زماننا هذا رأى الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية، أن يوسع المطاف، حرصا على راحة الحجاج فى موسم الحج، فأصدر أمره الكريم بتوسعة المطاف، و هدم المقامات الأربعة، التى فى أطراف المطاف. أما هدم المقامات المذكورة فقد تكلمنا عنها فى محلها بما فيه الكفاية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٥١

و أما توسعة المطاف: فإنه فى الأسبوع الأخير من شهر شعبان سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين من الهجرة، ابتدوا فى قلع الرخامات، التى بعد المطاف، و المحيطة به، و حفروا الأرض المحيطة بالمطاف، لتساوى به، بعد وضع الرخامات عليها، كما أنهم قلعوا فى الأسبوع الأول من شهر رمضان من السنة المذكورة سنة (١٣٧٧) هجرية، الأعمدة الخضر، التى كانت فى حدود المطاف الأول و علامة عليه، ثم بدؤا، بعد حفر الأرض، فى فرشها بالإسمنت، ثم فى وضع الرخامات عليه حتى تساوى هذا المطاف الجديد، بالمطاف القديم، و صار على سمتة و بلصقه، و مقدار مساحة الجديد كمقدار مساحة القديم تقريبا. و انتهوا من فرش المطاف الجديد بالرخام فى النصف الأول من شهر شوال من السنة المذكورة.

فلو تأملنا لوجدنا أن مكان توسعة المطاف أى "المطاف الجديد" هو نفس المكان الذى زاده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فى المسجد الحرام سنة (١٧) سبع عشرة من الهجرة، فلا تنقص هذه التوسعة فى المطاف و لا تزيد عن مقدار ما زاده عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فى المسجد الحرام، إلا بمقدار قليل نحو مترين أو ثلاثة فقط لا غير.

فالمطاف الجديد يتدئ من الخط الأسود، الذى يدور حول الكعبة المشرفة، فلقد اقترحنا على القائمين بالتوسعة وضع رخام أسود حول المطاف القديم كله، ليكون فارقا بين المطاف القديم و المطاف الجديد، لبيان كل منهما، و هنا مسألة لا بد من ذكرها، فلقد جاء فى كتاب "شفاء الغرام" فى الجزء الأول بصحيفة ٣١٨ ما نصه:

و ينبغى للطائف أن لا يخرج عن هذا المكان فى طوافه، لأن فى الجواهر لابن شاش على مذهب الإمام مالك: لا يطوف من وراء زمزم و لا من وراء السقائف، فلو فعل مختارا أعاد ما دام بمكة، فإذا رجع إلى بلده فهل يجزيه الهدى أم يلزمه الرجوع للمتأخرين قولان. انتهى. و نحوه لابن بشير و ابن الحاجب فى مختصره، و قد بسطنا هذه المسألة فى أصل هذا الكتاب، و السقائف أروقة المسجد الحرام.

انتهى من شفاء الغرام.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٥٢

المطاف القديم هو على شكل بيضوي، من أصل الوضع الطبيعي في بادئ الأمر، و سببه أيضا وجود حجر إسماعيل، عليه الصلاة و السلام، في جهة واحدة من الكعبة المشرفة، و هي الجهة الشماليه، فالطائف يطوف بلسق الكعبة من الجهات الثلاث، فإذا وصل إلى الجهة الشماليه صار يطوف من وراء جدار حجر إسماعيل، أى مبتعدا عن الكعبة من هذه الجهة بمقدار عشرة أمتار تماما، لأن من شروط الطواف أن يكون من وراء جدار الحجر. فلهذا كان المطاف القديم، على شكل بيضوي، بطبيعته الحال، لا بفعل فاعل. كما ستراه في الرسم الآتي.

و إليك بيان طول المطاف القديم من الجهات الأربع محررا مضبوطا ضبطا تاما بالأمتار.

سنتيمتر / متر / طول المطاف القديم من الجهات الأربع

١١ / ٥٠ / طول المطاف القديم من جدار الكعبة الذى فيه الباب من جهة الشرق إلى أول مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام.

١٦ / ٦٥ / طول المطاف القديم من جدار الكعبة من ظهرها أى من الجهة الغربية.

٢٢ / ٣ / طول المطاف القديم من جدار الكعبة من تحت ميزابها أى من الجهة الشماليه، بما فيه حجر إسماعيل و سمك جداره.

١٥ / ٢٠ / طول المطاف القديم من جدار الكعبة الذى بين الركنين من الجهة الجنوبيه.

هذا هو قياس طول المطاف القديم بالأمتار، و هو قياس مضبوط محرر لا يحتمل الشك، لأننا أخذناه من نفس المهندسين المصريين الذين اشتغلوا فى توسعة المطاف فى زماننا سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية.

و أما المطاف الجديد فهو على شكل دائرة كاملة الاستدارة و قد كان هذا الشكل الدائرى من عمل المهندسين المصريين الذين أشرفوا على توسعة المطاف، كما ستراه فى الرسم الآتي.

و إليك بيان طول هذا المطاف الجديد من الجهات الأربع محررا مضبوطا تاما بالأمتار:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٥٣

سنتيمتر / متر / طول المطاف الجديد من الجهات الأربع

١٥ / ٣٠ / طول المطاف الجديد من الجهة الشرقية للكعبة، أى من مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام.

١٠ / ٧٥ / طول المطاف الجديد من الجهة الغربية، أى من جهة ظهر الكعبة.

٤ / ٦٥ / طول المطاف الجديد من الجهة الشماليه، أى من جهة حجر إسماعيل عليه الصلاة و السلام.

١١ / ٥٠ / طول المطاف الجديد من الجهة الجنوبيه، أى من جهة الركنين الأسود و اليماني.

هذا هو قياس طول المطاف الجديد بالأمتار، و هو قياس محرر مضبوط لا يحتمل الشك، لأننا أخذناه من نفس المهندسين المصريين الذين اشتغلوا فى توسعة المطاف فى زماننا سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين من الهجرة. و بإضافة مقدار القديم على المطاف الجديد، يظهر مقدار كامل المطافين.

و لقد قسمنا هذه الدائرة إلى أربعة أقسام متساوية كما هو ظاهر فى الرسم، لنبين مقدار طول المطاف القديم، و طول المطاف الجديد، من الجهات الأربع، و هو رسم صحيح مضبوط مطابق للحقيقة، أخذناه من المهندسين المصريين الذين اشتغلوا فى توسعة المطاف من أواخر شهر شعبان إلى أوائل شهر شوال من سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية، فالحمد لله على التوفيق. انظر: صورة رقم ١٢٦، المطافين القديم و الجديد.

## الحج

### الحج فى الجاهلية و بعض عادات العرب فيه



جاء في كتاب "مرآة الحرمين" تأليف إبراهيم رفعت باشا، في الجزء الأول، عن حج أهل الجاهلية و بعض عاداتهم، ما يأتي:  
 من زمن مديد و العرب في جاهليتها تحج إلى بيت الله الحرام و كانوا على دينين "حله و حمس." "فالحمس قريش و من والاها من  
 كنانة و خزاعة و الأوس و الخزرج و قضاة و جديلة و غطفان و عدوان و غيرهم من قبائل العرب، سموا بذلك  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٥٤

لتحمسهم في دينهم، و الحماسة: الشجاعة، و الأحمس: الشجاع، أو لأنهم احتموا بالحمساء، و هي الكعبة. و كانت قريش، إذا زوّجت  
 عربيا من بناتهم، شرطوا عليه أن كل من ولدت منه فهو أحمسي، على دينهم و يرون أن ذلك أحفظ لشرفهم و أبسط لسلطانهم. و  
 كانت لهم في العرب ميزة، لم تكن لغيرهم، و منشأ ذلك فضل فيهم، و كمال في أخلاقهم، فقد كانوا حلفاء متآلفين، و بكثير من  
 شريعة إبراهيم متمسكين، و لم يكونوا كالأعراب الأجلاف، و لا- كمن لا- يوقره دين، و لا- يزينه أدب. و كانوا يختنون أولادهم، و  
 يحجون البيت، و يقيمون المناسك، و يكفنون موتاهم، و يغتسلون من الجنابة و تبرأوا من الهرطقة، و تباعدوا في المناكح، من البنت و  
 بنت البنت و الأخت و بنت الأخت، غيرة و بعدا من المجوسية.

و نزل القرآن، بتوكيد صنيعهم، و حسن اختيارهم. و كانوا يتزوجون بالصدّاق و الشهود و يطلقون ثلاثا، و لذلك قال عبد الله بن  
 عباس و قد سأله رجل عن طلاق العرب فقال: كان الرجل يطلق امرأته تطلقه، ثم هو أحق بها، فإن طلقها اثنتين فهو أحق بها أيضا،  
 فإن طلقها ثلاثا، فلا سبيل له إليها. و لذلك قال الأعشى:

أيا جارتى بينى فإنك طالقة كذاك أمور الناس غاد و طارقة

و بينى فقد فارقت غير ذميمة و مومقة منا كما أنت وامقة

و بينى فإن البين خير من العصاو أن لا ترى لى فوق رأسك بارقة

و كان من عادة الحمس، إذا أحرموا، أن لا- يأثقوا الأقط، و لا- يأكلوا السمن، و لا يسلوه- لا يطبخوه و لا يعالجوه- و لا يمشوا  
 اللبن، و لا يأكلوا الزبد، و لا يلبسوا الوبر و لا الشعر، و لا يغزلوه أو ينسجوه أو يستظلوا به ما داموا حرما. و ما كانوا كذلك يأكلون شيئا  
 من نبات الحرم، و كانوا يعظمون الأشهر الحرم و لا يخفرون فيها الذمة و لا يظلمون، و كانوا يطوفون بالبيت عليهم لباسهم، و كانوا إذا  
 أحرم الرجل منهم، في الجاهلية و أول الإسلام، فإن كان من أهل البيوت، نقب نقبا في ظهر بيته، فمنه يدخل و منه يخرج. و ما زالوا  
 كذلك، و حتى بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه و سلم فأحرم عام الحديبية، فدخل بيته، و كان معه رجل من الأنصار، فوقف  
 الأنصارى بالباب، فقال له: ألا تدخل؟ فقال الأنصارى: إني أحمسي يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: و أنا أحمسي  
 ديني و دينك سواء فدخل الأنصارى مع رسول الله صلى الله عليه و سلم من الباب. و في ذلك نزل قوله تعالى:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٥٥

و لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

و قال الحمس لأنفسهم: لا- تعظموا شيئا من الحل، كما تعظمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمكم، و قالوا قد  
 عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم، فتركوا الوقوف على عرفه و الإفاضة منها، و جعلوا موقفهم بطرف الحرم، من جهة نمره،  
 يظنون به عشية عرفه، و يفيضون منه إلى المزدلفة، فإذا عمت الشمس رؤوس الجبال، وقفوا، و كانوا يقولون: نحن أهل الحرم لا نخرج  
 من الحرم و نحن الحمس. فعلوا ذلك و أقرت سائر العرب على الوقوف بعرفه و الإفاضة منها، و تلك شريعة إبراهيم يعرفونها حق  
 المعرفة، و لكن ترفعهم و مغالاتهم تنكب بهم عن سبيلها، فشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله.

و منشأ ذلك الغلو أن الله تعالى، لما أهلك أبرهة الحبشى، صاحب الفيل، و سلط عليه الطير الأبايل- الجماعات- عظمت جميع  
 العرب قريشا و أهل مكة، و قالوا:

أهل الله قاتل عنهم و كفاهم مؤونة عدوهم، فازدادوا في تعظيم الحرم، و المشاعر الحرم، و الشهر الحرم، و وقروها، و رأوا أن دينهم

خير الأديان و أحبها إلى الله تعالى.

وقالت قريش و أهل مكة: نحن أهل الله، و بنو إبراهيم خليل الله، و ولادة البيت الحرام و سكان حرمه و قطانه، فليس لأحد، من العرب، مثل حقنا، و لا مثل منزلتنا. و لا تعرف العرب لأحد مثل ما تعرف لنا، فابتدعوا، عند ذلك، أحداثا في دينهم، أداروها بينهم، فكان منها ما تقدم و منها، أنهم ما كانوا يجيزون لأحد من الحلء- من ليسوا بحمس- أن يطوف بالبيت أول طوافه، إلا إذا لبس ثوبا أحمسيا يشتره أو يستأجره أو يستعيه، فإذا ما أتى الواحد منهم باب المسجد، رجلا كان أو امرأة قال: من يعير مصونا، من يعير ثوبا إلخ...؟ فإن وفق لثوب أحمسي لبسه و طاف به، و إن لم يوفق ألقى ثيابه بباب الكعبة من الخارج، ثم دخل للطواف عريانا. فيبدأ بأساف- صنم- ليستلمه ثم يستلم الركن الأسود ثم يأخذ يمينه و يطوف، جاعلا الكعبة عن يساره، فإذا ختم طوافه سبعا، استلم الركن، ثم استلم نائلة- صنم- فيختم بها، ثم يخرج، فيجد ثيابه، كما تركها لم تمس، فيأخذها و يلبسها، و لا يعود بعد ذلك إلى الطواف عريانا، و كانت النساء يلبسن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٥٦

درعا مفرج المقاديم و المآخير. و منهن من تتخذ سيورا، تعلقها في حقوتها، و تستتر بها و تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله

و كانت العادة، أن يطوف العراء، من الرجال نهارا و من النساء ليلا. و كان من له فضل ثياب من الحلء و لم يجد ثوبا أحمسيا يطوف فيه، طاف في ثيابه التي قدم بها من الحل، فإذا ما أتم طوافه نزعها فجعلها لقا يطرح بين إساف و نائلة، فلا يمسه أحد و لا ينتفع بها، حتى تبلى، من وطء الأقدام و الشمس و الرياح و المطر.

قال ورقة بن نوفل يذكر اللقا:

كفى حزنا كرى عليه كأنه لقا بين أيدي الطائفين حريم

و كان من خبر الطواف عريا، أنه جاءت امرأة يوما، و كانت ذات هيبه و جمال، فطلبت ثيابا فلم تجد، و تحتم عليها الطواف عريانه، فنزعت ثيابها بباب المسجد، ثم دخلت عريانه و قد وضعت يديها على فرجها، و جعلت تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله و ما بدا منه فلا أحله

أختم مثل العقب باد ظله كأن حمى خبير تملّه

فجعل فتیان مكة ينظرون إليها و تزوجت من قريش.

عادة سيئه و بدعه شيعه، أبى الإسلام إلا هدمها و القضاء عليها، فبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم في سنة تسع على بن أبى طالب إلى أبى بكر، أمير الحج، ليؤذن في الناس بأربع: لا يطوف بالبيت عريان و لا تدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، و لا يجتمع مسلم و مشرك في الحرم بعد عامهم هذا، و من كان له عند النبي صلى الله عليه و سلم عهد، فعهده إلى مدته و من لم يكن له عهد فعهده أربعة أشهر. و ذلك ما جاء في الآيات من سورة الأعراف و سورة التوبة ففي الأولى: يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ \* قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَ فِي الثَّانِيَةِ: بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* فَسِ-يُحُوا فِي الْمَارِضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَ أَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ إِلَى أَنْ يَقُولَ: إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُواكُمْ شَيْئًا وَ لَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَ فِيهَا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٥٧

يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَ قَالَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ:

إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ.

وكان، من عادة أهل الجاهلية، أن يدخلوا الكعبة لابسين أحذيتهم، حتى سنّ لهم، الوليد بن المغيرة، خلع الخف والنعل، إذا ما دخلوا. فاستن العرب بسنته إعظاما للكعبة وإجلالا. وكان، من عاداتهم أيضا، إذا اقترب موسم الحج، أن يخرج مريدوه، والذين يرجون إليه تجارة من ديارهم، إلى عكاظ، فيوافوه، مستهل ذي القعدة، و يقيموا فيه عشرين ليلة، تقوم فيها أسواقهم، و تنفق سلعهم، و تنحاز كل قبيلة إلى منزل، أعدوه للقري، فأقاموا عليه الرايات. و استدعوا إليه الأضياف، يستقبلهم القادة منهم و الأشراف، فيترولونهم أهلا و سهلا و مرعى خصبا. و تختلط القبائل بعضها ببعض في بطن السوق متناشدين و متبايعين.

فإذا ما مضت العشرون، انصرفوا إلى مجنئ، فأقاموا بها عشرة، أسواقهم فيها قائمة و تجارتهم رائجة، فإذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا إلى ذي المجاز، فأقاموا به ثمان ليال، يروجون فيها البضاعة، ثم يخرجون من ذي المجاز إلى عرفة، يوم التروية، و سموه بذلك لأنه ينادى بعضهم بعضا، بذى المجاز، أن ترووا من الماء، لأنه لا ماء بعرفة و لا بالمزدلفة. و كان يحضر هذه المواسم من يتبغى مع الحج التجارة، أما من أراد فحسب، فيخرج متى شاء.

و كان أهل مكة يخرجون يوم التروية، بعد أن يترووا من الماء، فتزل الحمس في طرف الحرم من نمرة يوم عرفة، و الحلّة تقف بعرفة، و كذلك كان يفعل النبي صلى الله عليه و سلم قبل الهجرة، يترك الحمس إلى الحلّة، و كانوا لا يتبايعون يوم عرفة و لا أيام منى، فما أن جاءت الحنيفة أحلت ذلك، قال تعالى: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ. و كانت الحلّة تفيض من عرفة يوم عرفة إذا طفلت الشمس للغروب، و الحمس يفيضون من نمرة، في الوقت نفسه، فيلتقون جميعا في المزدلفة، و يبيتون بها، حتى إذا طلع الفجر، و اختلط بياض النهار بظلام الليل، وقف الجميع على قرح، حتى تطلع الشمس على رؤوس الجبال، كأنها عمائم الرجال، فيدفعوا من المزدلفة إلى منى، و كانوا يقولون: أشرق ثبير كما غير و في إفاضة الحمس نزل قوله تعالى: ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَ اسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فجعلت الإفاضة للجميع من عرفة و خطب بذلك النبي صلى الله عليه و سلم،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٥٨

في حجة الوداع، يوم عرفة، فكان مما قال: و إنا لا ندفع من عرفة حتى تغرب الشمس، و يحل فطر الصائم، و ندفع من مزدلفة غدا، إن شاء الله، قبل طلوع الشمس، هدينا مخالف لهدى أهل الشرك و الأوثان.

و كان أهل الجاهلية يرون أن من أفجر الفجور العمرة، في أشهر الحج، و يقولون: إذا برا الدبر و عفى الوبر و دخل صفر حلت العمرة لمن اعتمر. يعنون دبر الإبل، التي حجوا عليها، و وبرها فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة، و اعتمر عمره كلها في ذي القعدة عمرة الحديبية و عمرة القضاء و عمرة من الجعرانة.

و كان يعظّمون الحرم و الأشهر الحرم، فلا يعد بعضهم على بعض فيها، و يلقي الرجل قاتل أخيه و أبيه فلا يتعرّض له بسوء، و كان الرجل، إذا أحدث الحدث فقتل أو لطم أو ضرب، اتخذ من لحا شجر الحرم قلادة لصنعتة و قال: أنا صرورة فلا يقتص منه، و قد أبطل الإسلام ذلك فقال النبي صلى الله عليه و سلم: لا صرورة في الإسلام و أن من أحدث حدثا أخذ بحدته.

و الذي سنّ لهم تلك الشرائع الخرقاء هو عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الخزاعي، الذي غير دين الحنيفة، دين إبراهيم عليه السلام، و كان سيّدا شريفا مطاعا في قومه، يطعم الطعام، و يحمل المغرم، و كل ما قال فهو دين متّبِع لا يعصى. و هو الذي جاء بهبل، من أرض الجزيرة، فجعله في الكعبة، و جعل عنده عشرة أقداح يستقسمون بها، في كل قدح منها كتابة يعملون بما تضمّنته. فكان مكتوبا في أحدها أمرني ربي و في آخر نهاني و ثالث غفل، فإذا أراد الرجل أمرا أو سفرا أخرج هذه الأقداح الثلاثة فضرب بها، فإن خرج الأولى مضى، و إن كان الثاني نكص، و إن طلع الثالث أعاد الكرة حتى يخرج الأمر أو الناهي، أما السبعة الباقية فمكتوب على أحدها الفعل، و في ثان نعم، و في ثالث لا، و في رابع منكم، و في خامس من غيركم، و في سادس ملصق، و في سابع المياه، فإذا أرادوا أن يختنوا غلاما أو ينكحوا أيما أو يدفنوا ميتا ذهبوا إلى هبل بمائة درهم و جزور، ثم قالوا للغاضرة بن حبشية بن سلول بن

كعب بن عمرو الخزاعي، الذي إليه أمر القداح:

هذه مائة درهم و جزور و لقد أردنا كذا أو كذا، فاضرب لنا على فلان بن فلان فإن كان كما قال أهله خرج "الفعل" أو "نعم" أو "منكم" فما خرج من ذلك انتهوا إليه في أنفسهم و إن خرج "لا" ضرب على المائة فإن خرج "منكم" كان

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٥٩

منهم وسيطا و إن خرج "من غيركم" كان حليفا و إن خرج "ملصق" كان دعيا نفيا، فمكثوا زمانا و هم يخلطون حتى جاء الإسلام بتحريم ذلك قال تعالى:

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمُؤْتِيَةُ وَالِدُ إِلَى أَنْ يَقُولَ: وَأَنْ تَشْتَقِيَهُمْ بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَمْ فِسْقٌ وَقَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

و عمرو هذا، هو الذي غير تلبية إبراهيم، فبينما هو يسير على راحلته، في بعض مواسم الحج، و هو يلبي. إذ تمثّل له إبليس، في صورة شيخ نجدى، على بعير أصهب، فسايره ساعة، ثم لبى إبليس، فقال: لبيك اللهم لبيك. فقال عمرو بن لحي مثل ذلك، فقال إبليس: لبيك لا شريك لك، فقال عمرو مثله، فقال إبليس:

إلا- شريك هو لك، فاستنكر ذلك عمرو، فقال إبليس: بعده ما يصلحه: إلا شريك هو لك تملكه و ما ملك، فقال عمرو: ما أرى بهذا بأسا. فما زالت كذلك حتى ردها الإسلام إلى ما كانت عليه في شريعة إبراهيم "لبيك اللهم لبيك."

لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد و النعمة لك و الملك. لا شريك لك.

و من عادة العرب في جاهليتهم- كما حكاه الفاكهي- أن الصبيّة، إذا بلغت، ألبسها أهلها من الثياب أحسن ما يجدون، و جعلوا عليها من الحلّى ما يقدرون، و دخلوا بها، المسجد الحرام، سافرة الوجه، فتطوف بالبيت، و الأبصار تنروا إليها، و الناس يتساءلون: من هذه؟ فإن كانت حرة قالوا: فلانة بنت فلان، و إن كانت مولدة قالوا: مولدة فلان قد بلغت أن تخدر في بيتها، و أراد أهلها أن تستكنّ في كنفها، فإذا قضت طوافها خرجت، تشيعها الأبصار العفيفة، فإذا ذاك يرغب في نكاحها إن كانت من الحرّاء، و في شرائها إن كانت من الإماء، و بعد أن تصل إلى بيتها تحتجب فيه، فلا تخرج منه إلا إلى بيت زوجها، أو إلى حظيرة سيدها. فكانوا يعطون للخطيب فرصة يتعرّف فيها جمال المخطوبة، و جعلوا ذلك في جوار البيت ليأمنوا النظرات الخبيثة.

و كانت الإفاضة في الجاهلية إلى صوفة بن أخزم بن العاص، و كان له ولد تصدق به على الكعبة يخدمها، فجعل إليه حبشياً بن سلول الخزاعي، الإفاضة بالناس، من أجل نذره الذي نذر، و كان إلى حبشياً حجابة الكعبة، و إمرة مكة. فحينما يقف الناس في الموقف يقول حبشياً:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٦٠

أجز يا صوفة. فيقول صوفة: أجزوا أيها الناس، فيجوزون. و ولي الإفاضة بعده ولده أخزم، الذي نذره للكعبة، و قام بخدمتها مع أخواله من جرهم، و أعقب أخزم على الإفاضة ولده من بعده، في زمن جرهم و خزاعة، حتى انقرضوا، و صارت الإفاضة في عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر، في زمن قريش، في عهد قصي. و كانت من بنى عدوان في آل زيد بن عدوان، يتوارثونها، حتى جاء الإسلام، و كان عليها أبو سيارة العدواني، الذي أفاض بالمشرّكين، في سنة ثمان. و أفاض أمير مكة عتّاب بن أسيد بالمسلمين.

و كان حزنه البيت يكرّمون الحجّاج في الجاهلية، فروى عن هاشم بن عبد مناف أنه كان يقول لقريش إذا حضر الحاج: يا معشر قريش إنكم جيران الله و أهل بيته، خصكم الله بذلك، و أكرمكم به، ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره، فأكرموا أضيافه و زوّار بيته يأتونكم شعثا غيرا من كل بلد.

و روى مثل هذا عن قصي بن كلاب بن مرة، فكان كل قرشي يخرج خرجا من ماله، في كل موسم من مواسم الحج، يعطيه لمن يقوم بالرفادة- إطعام الحجّاج- من قريش، فيصنعه طعاما للحجّاج، أيام الموسم بمكة و منى، و بقي ذلك- مدة في عهد الإسلام- حكاه

الأزرقى.

## إنساء الشهور

(إنساء الشهور: تأخيرها عن أماكنها الفطرية)، والنسئ مصدر من قول القائل: نسأت في أيامك، ونسأ الله في أجلك أى زاد الله في أيام عمرك و مدته حياتك حتى تبقى فيها حيا، و كل زيادة حدثت في شىء فالشىء الحادث فيه الزيادة بسبب ما حدث فيه نسيء، و لذلك قيل للبن إذا أكثر بالماء نسيء و قيل للمرأة الحبلى: نسوء، و نسئت المرأة لزيادة الولد فيها، و قيل: نسأت الناقه و أنسأتها إذا زجرتها ليزداد سيرها.

و كان أهل الجاهلية، إذا ما رغبوا فى القتال، فى شهر المحرم، أخروه إلى صفر، و أحلوا القتال فى المحرم، و سموا صفر المحرم، و ربيع الأول صفر. و هكذا حتى يكون ذو الحجة، فى نهاية السنة، الشهر المحرم، و كانوا يفعلون هذا سنة و يتركونه سنة، فكان ذو الحجة يعود إلى مكانه لأول بعد أربع و عشرين سنة، و أول من أنسأ الشهور من مضر مالك بن كنانة ثم ابنه ثعلبة ثم أخوه الحرث بن مالك المعروف

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٦١

بالقلمس ثم سرير بن الحارث، ثم كانت النساء فى بنى فقيم من بنى ثعلبة حتى جاء الإسلام. و كان آخر من نسأ منهم أبو ثمامة جنادة بن عوف ابن أمية بن عبد بن فقيم، و هو الذى جاء فى زمن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، إلى الركن الأسود، فلما رأى الناس يزدحمون عليه، قال: أيها الناس أنا له جار فأخروا عنه، فخفقه عمر بالدره ثم قال: أيها الجلف الجافى قد أذهب الله عزك بالإسلام.

و كان، الذى إليه أمر النساء، يقوم بفناء الكعبة، يوم الصدر، و الناس حوله متجمعون فيقول، إذا أراد أن لا يحلوا المحرم: أيها الناس لا تحلوا حرماكم و عظموا شعائركم فإنى أجاب و لا أعاب و لا يعاب لقول قلته. فهناك يحرمون المحرم ذلك العام، و إذا ما كانت السنة التى يريدون الإنساء فيها يقول: أيها الناس قد أنسأت العام صفر الأول يعنى المحرم- و كانوا يسمونه صفر الأول و صفر صفر الثانى- فيطرحونه من الشهور، و لا يعتدون به، و يتدثون العدة، فيقولون، لصفر و شهر ربيع الأول: صفرين، و يقولون لشهر ربيع الآخر و لجمادى الأولى: شهرى ربيع، و يقولون لجمادى الآخر و لرجب: جمادين و يقولون لشعبان: رجب، و لرمضان:

شعبان، و لشوال: رمضان، و لذى القعدة شوال، و لذى القعدة، و لصفر الأول و هو المحرم الذى أنسأه: ذا الحجة فيحججون تلك السنة فى المحرم. و يبطل من هذه السنة شهرا ينسأه. و كانوا ينسئون عاما و يتركون آخر، فكان يقع فى كل شهر من شهور السنة حجتان فى عامين، و كانوا يحلون، فى الأشهر الحرم، دماء المحلين: طيء و خثعم، لأنهم كانوا يعدون على الناس فيها، من بين العرب، فيغزونهم و يطلبون بثأرهم و لا يقفون عن حرماها، كما كان يفعل سائر العرب من الحلبه و الحمس، فإنهم ما كانوا يعتدون فى شهر حرام، و لو لقى أحدهم قاتل أبيه أو أخيه، و لا يستاقون مالا إعظاما لحرمة هذه الشهور.

بقى الأمر على هذا المنوال، حتى كانت سنة ثمان من الهجرة، فجاء الحج فى ذى القعدة و حج المسلمون و المشركون، فى هذا العام، فدفعوا معا. فكان المسلمون، فى ناحية، يدفع بهم عتاب بن أسيد، و يقف بهم المواقف لأنه أمير مكة من قبل النبى صلى الله عليه و سلم، و كان المشركون، ممن لهم عهد، و من ليس لهم عهد، فى ناحية أخرى، يدفع بهم أبو سياره العدوانى، على أتان له، عوراء رسنها من ليف.

فلما كانت سنة تسع، وقع الحج فى ذى الحجة، فأرسل النبى صلى الله عليه و سلم أبا بكر الصديق، رضى الله عنه، إلى مكة، أميرا على الحج، بعد أن علمه المناسك، و أمره

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٦٢

بالوقوف على عرفه، وعلى جمع -المزدلفة- ثم نزلت سورة براءة، بعد سفر أبي بكر، إلى مكة بالحجيج، فبعث بها النبي صلى الله عليه وسلم مع علي، رضى الله عنه، وأمره إذا خطب أبو بكر وفرغ من خطبته، قام فقرأ على الناس سورة براءة ونذ إلى المشركين عهدهم - حسب ما قدمنا- وقال: لا يجتمعن مسلم ومشرك على هذا الموقف بعد عامهم هذا، وكان أبو بكر، رضى الله عنه، يخطب الناس ويصلى بهم ويقف المواقف ويدفع منها بالحجيج.

ومما تضمنته سورة التوبة إبطال النسيء قال تعالى فيه: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ \* إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. انتهى من الجزء الأول من كتاب "مرآة الحرمين".

### معنى النسيء

تقدم أن من عادات أهل الجاهلية إنساء الشهور، على وجه الاختصار، فأحبينا أن نفضل هنا معنى ذلك بالتفصيل حتى يكون واضحاً كل الوضوح، فنقول والله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل: جاء في الجزء الأول من "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويرى ما نصه: يقال إن عمرو بن لحي وهو خزاعة - ويقال اسمه عمرو بن عامر الخزاعي - هو أول من نسا الشهور، وبحر البحيرة، وسبب السائبة، وجعل الوصيعة، والحامي.

وهو أول من دعا الناس إلى عبادة هبل، قدم به معه من هيت. ومعنى النسيء أنهم ينسئون المحرم إلى صفر، ورجب إلى شعبان. وكان جملة ما يعتقدونه من الدين تعظيم الأشهر الحرم الأربعة، وكانوا يتخرجون فيها من القتال. وكانت قبائل منهم يستبجحونها فإذا قاتلوا في شهر حرام، حرموا مكانه شهراً من أشهر الحل، ويقولون: نسي الشهر.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٦٣

وحكى ابن إسحاق صاحب السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام أن أول من نسا الشهور على العرب، وأحل منها ما أحل، وحرم ما حرم، العلمس.

وهو حذيفة بن ققيم بن عامر بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمه.

ثم قام بعده ولده عباد، ثم قام بعد عباد ابنه قلع، ثم قام بعد قلع ابنه أمية، ثم قام بعد أمية ابنه عوف ثم قام بعد عوف ابنه أبو ثمامة جنادة، وعليه ظهر الإسلام.

فكانت العرب إذا فرغت من حجها، اجتمعت عليه بمنى، فقام فيها على جمل، وقال بأعلى صوته: "اللهم إني لا أخاف ولا أعاف، ولا مرد لما قضيت.

اللهم إني أحللت شهر كذا- ويذكر شهراً من الأشهر الحرم، وقع اتفاقهم على شن الغارات فيه- وأنسأته إلى العام المقبل- أى: أخرت تحريمه- وحرمت مكانه شهر كذا من الأشهر البواقى."

وكانوا يحلون ما أحل، ويحرمون ما حرم.

وفى ذلك يقول عمير بن قيس بن جدل الطعان، من أبيات يفتخر:

ألنا الناسين على معدشهور الحل نجعلها حراما التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ؛ ج ٢-٤ ؛ ص ٢٦٣

حكى السهيلي فى كتابه المترجم "بالروض الأنف" أن نسي العرب كان على ضربين: أحدهما تأخير المحرم إلى صفر، لحاجاتهم إلى شن الغارات وطلب الثأر، والثانى تأخير الحج عن وقته، تحريماً منهم للسنة الشمسية. فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يوماً، حتى يدور الدور فى ثلاث و ثلاثين سنة، فيعود إلى وقته. فلما كانت السنة التاسعة من الهجرة، حج بالناس أبو بكر الصديق، رضى الله عنه،

فوافق حجه في ذى القعدة، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام القابل، فوافق عود الحج إلى وقته، في ذى الحجة، كما وضع أولاً- فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجه، خطب فكان مما قال في خطبته صلى الله عليه وسلم: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، يعني أن الحج قد عاد في ذى الحجة ... انتهى من كتاب نهاية الأرب.

وجاء في تاريخ الأزرقى عن إنساء الشهور أيضاً ما نصه:

قال الكلبي: فكان أول من أنسا الشهور من مضر مالك بن كنانة، وذلك أن مالك بن كنانة نكح إلى معاوية بن ثور الكندي وهو يومئذ في كنده، وكانت

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٦٤

النساء، قبل ذلك، في كنده، لأنهم كانوا قبل ذلك ملوك العرب من ربيعة ومضر، وكانت كنده من أرداف المقاول، فנסأ ثعلبة بن مالك، ثم نسا بعده الحارث ابن مالك بن كنانة وهو القلمس، ثم نسا بعده سرير بن القلمس، ثم كانت النساء في بنى فقيم من بنى ثعلبة، حتى جاء الإسلام، وكان آخر من نسا منهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن عبد بن فقيم، وهو الذى جاء في زمن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، إلى الركن الأسود، فلما رأى الناس يزدحمون عليه قال: أيها الناس أنا له جار فأخزوا عنه فخفقه عمر بالدره ثم قال: أيها الجلف الجافى قد أذهب الله عزك بالإسلام. فكل هؤلاء قد نسا في الجاهلية، والذى ينسا لهم، إذا أرادوا أن لا يحلوا المحرم، قام بفناء الكعبة يوم الصدر فقال:

أيها الناس لا- تحلوا حرمتكم وعظموا شعائركم فإنى أجب ولا أعاب ولا يعاب لقول قلته فهناك يحرمون المحرم ذلك العام. وكان أهل الجاهلية يسمون المحرم صفر الأول و صفر الآخر فيقولون: صفران و شهر ربيع و جماديان و رجب و شعبان و شهر رمضان و شوال و ذو القعدة و ذو الحجة، فكان ينسا الإنساء سنة و يترك سنة، ليحلوا الشهور المحرمة، و يحرموا الشهور، التى ليست بمحرمة. و كان ذلك من فعل إبليس، ألقاه على ألسنتهم، فأروه حسنا، فإذا كانت السنة، التى ينسا فيها، يقول فيخطب بفناء الكعبة. و يجتمع الناس إليه يوم الصدر فيقول: أيها الناس إنى قد أنسات العام صفر الأول- يعنى المحرم- فيطرحونه من الشهور و لا يعتدون به، و يبتدئون العدة فيقولون لصفر و شهر ربيع الأول: صفرين، و يقولون لشهر ربيع الآخر و لجمادى الأولى: شهرى ربيع، و يقولون لجمادى الآخرة و لرجب جمادين، و يقولون لشعبان رجب و لشهر رمضان شعبان، و يقولون لشوال شهر رمضان، و لذى القعدة شوال، و لذى الحجة ذا القعدة، و لصفر الأول، و هو المحرم الشهر الذى أنساها، ذا الحجة. فيحجون تلك السنة فى المحرم، و يبطل فى هذه السنة شهرا ينسها، ثم يخطبهم فى السنة الثانية، فى وجه الكعبة، أيضا فيقول: أيها الناس لا تحلوا حرمتكم، و عظموا شعائركم، فإنى أجب ولا أعاب، و لا يعاب لقول قلته، اللهم إنى قد أحللت دماء المحلين طيء و خثعم، فى الأشهر الحرم، و إنما أحل دماءهم، لأنهم كانوا يعدون على الناس فى الأشهر الحرم، من بين العرب، فيغزونهم و يطلبون بثأرهم، و لا يقفون عن حرمت الأشهر الحرم، كما يفعل غيرهم من العرب. فكان سائر العرب، من الحلة و الحمس، لا يعدون فى الأشهر الحرم على أحد، و لو لقى أحدهم قاتل أبيه أو أخيه. و لا يستاقون مالا، إعظاما

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٦٥

للشهور الحرم، إلا خثعم و طيء، فإنهم كانوا يعدون فى الأشهر الحرم. فهناك يحرمون، فى تلك السنة، المحرم، و هو صفر الأول، ثم يعدون الشهور على عدتهم التى عدوها فى العام الأول، فيحجون فى كل شهر حجتين، ثم ينسا فى السنة الثانية فينسا صفر الأول فى عدتهم هذه، و هو صفر الآخر فى العدة الثانية، حتى تكون حجتهم فى صفر أيضا حجتين. و كذلك الشهور كلها حتى يستدير الحج فى كل أربع و عشرين سنة إلى المحرم الذى ابتدأوا منه الإنساء يحجون فى الشهور كلها فى كل شهر حجتين، فلما جاء الله بالإسلام أنزل فى كتابه: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُوْنَهُ عَامًا وَيَحْرَمُوْنَهُ عَامًا لِيُوَاطُّوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ

اللَّهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ.

فلما كان عام فتح مكة، سنة ثمان، استعمل النبي صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، على مكة. ومضى إلى حنين فغزا هوازن، فلما فرغ منها، مضى إلى الطائف، ثم رجع عن الطائف إلى الجعرانة، فقسم بها غنائم حنين في ذي القعدة ثم دخل مكة ليلا معتمرا فطاف بالبيت وبين الصفا والمروة، من ليلته، ومضى إلى الجعرانة فأصبح بها كبائت، فأنشأ الخروج منها، راجعا إلى المدينة، فهبط من الجعرانة في بطن سرف، حتى لقي طريق المدينة من سرف، ولم يؤذن للنبي صلى الله عليه وسلم في الحج تلك السنة، وذلك أن الحج وقع تلك السنة في ذي القعدة. ولم يبلغنا أنه استعمل عتابا على الحج، تلك السنة، سنة ثمان، ولا أمره فيه بشيء. فلما جاء الحج حج المسلمون والمشركون، فدفعوا معا، فكان المسلمون في ناحية يدفع بهم عتاب بن أسيد ويقف بهم المواقف لأنه أمير البلد، وكان المشركون ممن كان له عهد ومن لم يكن له عهد في ناحية يدفع بهم أبو سياره العدواني على أتان عوراء رسنها ليف، قال: فلما كان سنة تسع، وقع الحج في ذي الحجة، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق، رضى الله تعالى عنه، إلى مكة واستعمله على الحج، وعلمه المناسك، وأمره بالوقوف على عرفه، وعلى جمع، ثم نزلت سورة براءة خلافاً لأبي بكر، فبعث بها النبي صلى الله عليه وسلم مع علي، عليه السلام، وأمره، إذا خطب أبو بكر وفرغ من خطبته، قام على فقرأ على الناس سورة براءة. ونبذ إلى المشركين عهدهم وقال:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٦٦

لا يجتمعن مسلم ومشرك على هذا الموقف بعد عامهم هذا وكان أبو بكر، رضى الله تعالى عنه، الذى يخطب على الناس ويصلى بهم ويدفع بهم في المواقف، فلما كان سنة عشر أذن الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم في الحج، فحج رسول الله حجة الوداع- وهى حجة التمام- فوقف بعرفة فقال: يا أيها الناس إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض فلا شهر ينسأ ولا عدة تخطأ، وإن الحج في ذي الحجة، إلى يوم القيامة. انتهى من تاريخ الأزرقى.

و حديث: (إن الزمان قد استدار كهيئته ... إلخ) مذكور بتمامه فى الصحيحين البخارى ومسلم، وقد أتينا به عند الكلام على خطبة حجة الوداع.

### ذكر السنين التى يضرب بها المثل

بمناسبة ما تقدم نذكر هنا السنين الهجرية، التى كان يضرب بها المثل، أما ما كان فى الجاهلية، كعام الفيل، فلم نتكلم عن ذلك. جاء فى الجزء الأول، من نهاية الأرب فى فنون الأدب، للتويرى ما نصه:

الأعوام التى يضرب بها المثل هى:

١- عام الجراد: كان سنة ثمان من الهجرة.

٢- عام الرمادة: كان سنة ثمانى عشرة من الهجرة، فى خلافة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، أصاب الناس فيه قحط حتى صارت وجوههم فى لون الرماد من الجوع. وقيل: كانت الريح تسفى ترابا كالرماد لشدة ييس الأرض، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى التاريخ.

٣- عام الرعاف: كان سنة أربع وعشرين من الهجرة، سمي بذلك لكثرة ما أصاب الناس فيه من الرعاف.

٤- عام الجماعة: كان سنة أربعين من الهجرة. فيه سلم الحسن بن على، رضى الله عنهما، الخلافة لمعاوية، فاجتمعت الكلمة فيه.

٥- عام الجحاف: كان سنة ثمانين من الهجرة، وقع بمكة سيل عظيم ذهب بالإبل وعليها الحمول.

٦- عام الفقهاء: وهو سنة أربع وتسعين من الهجرة. فيها مات على بن الحسين زين العابدين، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق، رضى الله



التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٦٧

عنهم، و سعيدي بن السيب، و عروة بن الزبير و عطاء بن يسار، و سعيدي بن زيد بن ثابت. و فيه قتل الحجاج بن يوسف الثقفي سعيدي بن جبير.

٧- سنين خالد: يضرب بها المثل في الجذب. و هو خالد بن عبد الملك ابن الحارث المعروف بأبي مطير. كان قد تولى لهشام بن عبد الملك المدينة سبع سنين، و توالى القحط فيها، حتى أجلى أهل البوادي.

٨- سنة عشر و مائة: مات فيها قرينان في الزهد: الحسن البصري و محمد بن سيرين، و قرينان في الشعر: جرير و الفرزدق.

٩- سنة ست و خمسين و ثلاثمائة: مات فيها جماعة من الملوك و هم شمكير بن زياد صاحب طبرستان و جرجان و معز الدولة ابن بويه، و كافور الإخشيدي صاحب مصر، و نقفور ملك الروم، و أبو علي محمد بن إلياس صاحب كرمان، و سيف الدولة ابن حمدان، ممدوح المتنبى، و الحسن بن فيرزان صاحب أذربيجان. انتهت من كتاب نهاية الأرب.

### أمر الإفاضة في الجاهلية و الإسلام

جاء في كتاب مرآة الحرمين ما نصه:

و كانت الإفاضة في الجاهلية إلى صوفة بن أخزم بن العاص، و كان له ولد، تصدق به على الكعبة يخدمها. فجعل إليه حبشية بن سلول الخزاعي، الإفاضة بالناس، من أجل نذره، الذي نذر. و كان إلى حبشية حجاب الكعبة و إمرة مكة. فحينما يقف الناس في الموقف يقول حبشية: أجز يا صوفة فيقول صوفة: أجزوا أيها الناس فيجوزون، و ولي الإفاضة بعده ولده أخزم، الذي نذره للكعبة، و قام بخدمتها مع أخواله من جرهم، و أعقب أخزم على الإفاضة ولده من بعده، في زمن جرهم و خزاعة، حتى انقرضوا، ثم صارت الإفاضة في عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضر في زمن قريش في عهد قصي. و كانت من بني عدوان في آل زيد بن عدوان، يتوارثونها، حتى جاء الإسلام، و كان عليها أبو سياره العدواني الذي أفاض بالمشركين في سنة ثمان، و أفاض أمير مكة عتاب بن أسيد بالمسلمين. انتهى من الجزء الأول من كتاب مرآة الحرمين.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٦٨

و أما أمر الإفاضة في الإسلام، فإنه يسن للإمام، إذا غربت الشمس و تحقق غروبها، أن يفيض من عرفات و يفيض الناس معه إلى مزدلفة، و يؤخروا صلاة المغرب، بنية الجمع إلى العشاء بمزدلفة، بشرطه المعروف في كتب الفقه. و يسن أن لا يدفع أحد من الحجيج حتى يدفع الإمام أو نائبه، فإن دفع قبله صح لکن کره ذلك.

فإذا وصلوا إلى مزدلفة باتوا بها و جمعوا منها حصيات جمره العقبة، و بعد صلاة الفجر يقفون بجبل قرح، يذكرون الله تعالى، ثم يدفعون إلى منى قبيل طلوع الشمس، اقتداء برسول الله صلى الله عليه و سلم، و امتثالاً لأمر الله سبحانه و تعالى لقوله:

فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَاِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ.

### ذكر من حج من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام

لا يعرف عدد الأنبياء، عليهم الصلاة و السلام، منذ أن خلق الله الدنيا، و ذلك بنص القرآن الكريم قال تعالى في سورة النساء: وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا\* رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِيَلْمَا يُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا.

فأول الأنبياء آدم، عليه السلام، و آخرهم نبينا "محمد" صلى الله عليه وسلم.

فاختلفوا في عددهم، ف قيل: مائة ألف و أربعة و عشرون ألفا، و قيل: ألفا ألف و مائتا ألف و خمسة و عشرون ألفا، و قيل غير ذلك. و

الرسول منهم ثلاثمائة و ثلاثة عشر، و المذكورون منهم، في القرآن الكريم، خمسة و عشرون مجموعون في هذين البيتين و هما:

في "تلك حجتنا" منهم ثمانية من بعد عشر و يبقى سبعة و هموا

إدريس هود شعيب صالح و كذاذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

فقوله "في تلك حجتنا" يشير الناظم، رحمه الله تعالى، إلى الآيات الأربعة، التي في سورة الأنعام، و هي: وَ تِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا

إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَزَعْنَا مِنْ نِسَائِهِ إِنْ رَبَّنَا لَكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ \* وَ هَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَ نُوْحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ

ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُُلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى وَ إِبْرَاهِيمَ كُلًّا مِمَّن

الصَّالِحِينَ \*

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٦٩

وَ إِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونسَ وَ لوطاً وَ كلاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ فهذه الآيات الأربعة جمعت أسماء ثمانية عشر من الأنبياء و أسماء سبعة

منهم مذكورة في البيت الثاني، فصار الجميع خمسة و عشرون نبيا و هم المذكورون في القرآن المجيد.

أما عدد أولى العزم منهم ف خمسة و هم: نوح، و إبراهيم، و موسى، و عيسى، و محمد عليهم و على جميع إخوانهم الأنبياء و المرسلين

أفضل الصلاة و أتم التسليم.

و قيل هم أكثر من خمسة فهؤلاء الخمسة، من أولى العزم، مجموعون في أول سورة الأحزاب في قوله تعالى: وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ

مِيثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا صلوات الله و سلامه عليهم، و على جميع

الأنبياء و المرسلين، و آل كل منهم و صحاباتهم أجمعين.

قال النحويون و جميع أسماء الأنبياء أعجمية أى من أوضاع غير العرب، فهي ممنوعة من الصرف للعلمية و العجمة، إلا أربعة و هم

محمد، و صالح، و شعيب، و هود، فهذه الأربعة عربية و لهذا صرفت، و الحق بهذا في الصرف شيث، و نوح، و لوط. و قد نظم ذلك

بعضهم فقال:

إلا أن أسماء النبيين سبعة لها الصرف في إعراب من يتشدد

فشيت و نوح ثم هود و صالح شعيب و لوط و النبي محمد

صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين.

و الفرق بين النبي و الرسول: هو أن النبي إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ ما أوحى الله إليه، و الرسول قد يستعمل مرادفا له، و قد

يختص بمن هو صاحب كتاب فيكون أخص من النبي. و قيل النبي إنسان أنزل عليه شريعة من عند الله، بطريق الوحي، تتضمن تلك

الشريعة بيان كيفية تعبدته لله تعالى، فإذا أمر بتبليغها إلى الغير يسمى رسولا، و قيل الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة مجددة يدعو

الناس إليها، و النبي يعمه، فالنبي أعم من الرسول و كلامنا هنا فيمن حج منهم يشمل النبي و الرسول.

و اعلم أن أربعة من الأنبياء سريانويون و هم: آدم، و شيت، و إدريس، و نوح و أربعة منهم من العرب و هم: هود، و صالح، و شعيب، و

محمد. أول أنبياء بنى إسرائيل موسى و آخرهم عيسى، صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين. و اعلم أيضا أن إبراهيم الخليل، عليه

الصلاة و السلام، هو جد غالب الأنبياء و المرسلين. قال ابن كثير في تاريخه: فكل نبي بعث بعده فهو من ذريته، و كل كتاب نزل من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٧٠

السماء على نبي من الأنبياء من بعده فعلى أحد نسله و عقبه، خلعه من الله تعالى و كرامة له. انتهى.

و قد ذكرنا أسماء الأنبياء الذين ليسوا من نسل إبراهيم الخليل عند ترجمته. هذا و لما كان آدم، عليه الصلاة و السلام، هو أول من بنى

الكعبة المشرفة، صار الحج من الشرائع القديمة، وإن لم يكن بهذه الكيفية، التي أخذناها، من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فعليه يكون آدم، عليه السلام، هو أول من حج من الأنبياء، فإذا كان الحج فرض على جميع الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، بالكيفية التي أمرهم الله تعالى بها، فقد حج كلهم بلا ريب، وإذا كان مفروضاً على بعضهم، فقد حج هؤلاء أيضاً، فلما جاء طوفان نوح عليه السلام، وعم الأرض الغرق، لم يبق للبيت الحرام من أثر إلا- مكانه، حيث كان ربوة حمراء، فجاء إبراهيم الخليل، عليه السلام، فبنى الكعبة المعظمة وعلمه الله المناسك، وأمره أن يدعو الناس إلى الحج، وإلى هذا تشير الآية الكريمة: وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ، والآية الأخرى التي بعدها وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ قالوا وحجت بعد ذلك الأنبياء والأمم، وكان إبراهيم يحجه كل سنة على البراق، روى عن ابن عباس، رضى الله عنهما، قال: كانت الأنبياء، عليهم السلام، يدخلون الحرم مشاة حفاةً ويطوفون بالبيت ويقضون المناسك حفاة مشاة. اهـ.

وفي تاريخ الغازي: وعن مجاهد: إن موضع البيت كان قد خفي ودرس من الغرق أيام الطوفان، فصار موضعه أكمة حمراء مدورة، لا يعلوها السيل، غير أن الناس يعلمون أن موضع البيت فيما هنالك ولا يثبتونه، وكان المظلوم يأتي من أقطار الأرض ويدعو عنده، فقل أنه من دعا هنالك إلا استجيب له. وعن ابن عمر، رضى الله عنهما إن الأنبياء كانوا يحجون ولا يعلمون مكانه، حتى بوأه الله تعالى للخليل إبراهيم، وأعلمه مكان البيت. انتهى من تاريخ الغازي.

روى عن عبد الله بن الزبير، رضى الله عنهما، أنه قال: حج البيت ألف نبي من بنى إسرائيل، لم يدخلوا مكة، حتى وضعوا نعالهم بذي طوى. وروى عن عبد الله بن ضمرة السلولى أنه قال: ما بين الركن إلى المقام إلى زمزم قبر سبعة وسبعين نبياً جاؤوا حجاجاً فقبروا هنالك. وروى عن عثمان بن ساج أنه قال:

أخبرني صادق أنه بلغه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مرّ بفج الروحاء سبعون نبياً على نوق

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٧١

حمر، خطمهم الليف، لبوسهم العباء، وتلبيتهم شتى. وروى عن مجاهد أنه قال:

حج خمسة وسبعون نبياً، كلهم قد طاف بالبيت، وصلى في مسجد منى، فإن استطعت ألا تفوتك الصلاة في مسجد منى فافعل. قال ابن إسحاق: لم يبعث الله نبياً بعد إبراهيم إلا وقد حج. وروى عن وهب بن منبه أنه قال: قرأت في بعض الكتب الأولى، أنه ليس من ملك يبعثه الله تعالى إلى الأرض، إلا- أمره بزيارة البيت، فينقض من تحت العرش محرماً ملبياً حتى يستلم الحجر ثم يطوف سبعا بالبيت ثم يركع في جوفه ركعتين ثم يصعد.

ونحن هنا نذكر من حج من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حسبما وقفنا عليهم، في كتب التاريخ، وورد ذكرهم في الأثر، وهناك كثير منهم حجوا وطاقوا بالبيت الحرام. وهنا ننقل باختصار ما جاء في كتاب "القرى لقاصد أم القرى" للإمام الطبري فنقول وبالله العون والتوفيق:

(١) حج آدم عليه الصلاة والسلام، عن ابن عباس، أن آدم، عليه السلام، حج أربعين حجة من الهند على رجله. قيل لمجاهد: أفلا كان يركب؟ قال:

وأي شيء كان يحمله؟ وعن عطاء بن أبي رباح: أن آدم هبط بأرض الهند ومعها أربعة أعواد من الجنة، فهي هذه التي يتطيب بها الناس. وأنه حج هذا البيت وطاق بين الصفا والمروة وقضى مناسك الحج. وعن عثمان بن ساج قال: أخبرني سعيد أن آدم، عليه السلام، حج على رجله، سبعين حجة ماشياً، وأن الملائكة لقيته بالمأزمين فقالوا: برّ حجك يا آدم. لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام. والمأزمان موضع بين عرفه ومزدلفة وهو المضيق في الجبال.

(٢) و حج نوح عليه الصلاة والسلام، قال عروة بن الزبير: بلغني أن البيت وضع لآدم، عليه السلام، يطوف به، وأن نوحاً قد حج به و

جاءه و عظمه قبل الغرق.

٣ و ٤ و ٥) قال وهب بن منبه: خطب صالح في الذين آمنوا معه، فقال لهم: إن هذه دار قد سخط الله عليها و على أهلها. فاطعنوا منها فإنها ليست لكم بدار، قالوا: رأينا لرأيك تبع فمرنا نفعل. قال: تلحقون بحرم الله تعالى و أمنه، لا أرى لكم دونه، فأهلوا من ساعتهم بالحج و أحرموا في العباء، و ارتحلوا قلصا حمرا مخظمة بحبال الليف، ثم انطلقوا آمين البيت الحرام، حتى التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٧٢

وردوا مكة، فلم يزالوا بها حتى ماتوا، فتلك قبورهم في غربي الكعبة بين دار الندوة و دار بني هاشم، و كذلك فعله هود و من آمن و شعيب و من آمن معه.

٦ و ٧ و ٨) و حج إبراهيم و إسماعيل و إسحاق، عليهم الصلاة و السلام، قال محمد بن إسحاق ما ملخصه: أن إبراهيم عليه الصلاة و السلام، حج بإسماعيل و من معه من المسلمين من جرهم، و هم سكان الحرم يومئذ مع إسماعيل و هم أصهاره، و وقف بهم المواقف كما علمه جبريل، عليه السلام، و أراه المناسك، حتى إذا فرغ من الحج كله، انصرف إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، راجعا إلى الشام فتوفى بها. و قال مجاهد: حج إبراهيم و إسماعيل ماشيين و قال أيضا: و حج البيت إسحاق و سارة من الشام.

٩) و حج يونس عليه الصلاة و السلام، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (من ضمن حديث صحيح): كأنى أنظر إلى يونس على ناقة حمراء، خطام ناقته ليف خلبة، و عليه جبة من صوف، مارًا بهذا الوادى مليبا. و عن مجاهد قال: حج البيت سبعون نيا فيهم موسى، عليه السلام، عليه عباءتان قطوانيتان، و فيهم يونس يقول: "لييك كاشف الكرب لبيك."

١٠) و حج موسى عليه الصلاة و السلام، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (من ضمن حديث صحيح): ... كأنى أنظر إلى موسى يرمى الجمره على ناقة حمراء خطامها من ليف و عليه جبة من صوف.

و عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: كأنى أنظر إلى موسى بن عمران في هذا الوادى محرما يلبي بين قطوانيتين. القطوانية عباءة بيضاء و قصيرة الخمل، و يقال كساء قطوانى.

و عن مجاهد قال: حج موسى النبي صلى الله عليه و سلم على جمل أحمر، فمرّ بالروحاء عليه عباءتان قطوانيتان، مؤتزرا بإحدهما مرتديا بالأخرى، و طاف بالبيت ثم طاف بين الصفا و المروة، إذ سمع صوتا من السماء "لييك عبدى أنا معك." قال: فخر موسى ساجدا.

١١) و حج عيسى عليه الصلاة و السلام، قال ابن عباس، رضى الله عنهما: أتى على هذا الوادى عيسى و موسى و صالح، و ذكر غيرهم من الأنبياء على بكرات خطمهم الليف أزهرهم النمار و أرديتهم العباء يحجون البيت العتيق.

و عن أبى هريرة، رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: لا تقوم الساعة حتى يمر عيسى بن مريم بطن الروحاء حاجا أو معتمرا يلبي،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٧٣

لييك اللهم لبيك- فأيكم لقيه فليقل أبو هريرة يقرئك السلام- و لا يخفى أن نبينا "محمدًا" خاتم النبيين، صلوات الله و سلامه عليه و عليهم أجمعين، قد حج مرارا قبل البعثة، كما حج حجة الوداع قبل موته صلى الله عليه و سلم، و سندر فيما بعد حجة الوداع. هذا ما ورد من الأحاديث أو من الأثر في حق بعض الأنبياء، عليهم الصلاة و السلام، الذين حجوا، و هناك كثير منهم حجوا و طافوا بالبيت و لكن لم يرد عنهم شيء.

و فى هذا القدر كفاية- ذكرنا كل ذلك من كتاب القرى للطبرى باختصار- و يوجد ذلك فى تاريخ الأزرقي أيضا.

١٢) أما نبينا "محمد" صلى الله عليه و سلم فقد ذكر العلماء، أنه قد حج قبل النبوة و بعدها و قبل الهجرة حججا لا يدري عددها، و حج بعد الهجرة حجة الوداع لا- غير بإجماع المسلمين، و كذلك اعتمر قبل الهجرة عمرا لا يدري عددها، و أما بعدها فعمرة فى

رجب، و ثلاثا بل أربعا في ذى القعدة،- أى في ثلاثة أعوام- لأنه في حجة الوداع كان في آخر أمره قارنا، و عمره في شوال كما صح في أبى داود و عمره في رمضان كما في البيهقي.

فكان من حج و اعتمر من الخلائق المكلفين المؤمنين، إنما هو امتثالا لأمر الله سبحانه و تعالى: **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** و كل ذلك حبا في رضائه عز شأنه، بالطواف حول بيته المطهر، و الإقامة ببلده الأمين المقدس. فالحمد لله الذى جعلنا من هذا الصنف، و نسأله تعالى أن يوفقنا لتعظيم شعائر الله و احترام الأمكنة المقدسة و الأدب فيها.

### ذكر من حج بالناس من عام فتح مكة إلى عام ثلاثمائة و خمس و ثلاثين من الهجرة

لقد تقدم ذكر من حج من الأنبياء، عليهم الصلاة و السلام، و الخلفاء و أمراء المؤمنين أيضا و نوابهم، أى من كان أميرا على الحج في سنوات متعاقبة، و ذلك من عام فتح مكة المشرفة إلى عام خمس و ثلاثين و ثلاثمائة من الهجرة، و ذلك نقلا عن تاريخ المسعودى المسمى "مروج الذهب و معادن الجوهر" للعلامة أبى الحسن على

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٧٤

ابن الحسين المسعودى، رحمه الله تعالى، الذى كان موجودا في العام المذكور. أما من حج بالناس بعد ذلك فلم نبحث عنه. و قد سرد المسعودى في تاريخه ذلك سردا، و نحن وضعنا ما ذكره بنصه هنا، لكن وضعناه في قالب بديع على صفة الجدول، لتسهيل معرفته و ليصل القارئ الكريم سريعا إلى غرضه.

ففى عام الفتح سنة ثمان من الهجرة حج بالناس عتاب بن أسيد، رضى الله عنه. الذى استعمله رسول الله صلى الله عليه و سلم على مكة، و قيل بل حج الناس أوزاعا ليس عليهم أحد، و فى العام التاسع حج أبو بكر، رضى الله تعالى عنه، بالناس و قد خرج من المدينة فى ثلاثمائة رجل، و بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم عشرين بدنة هدايا، و ساق أبو بكر معه خمس بدنان، و إليك ما ذكره المسعودى فى تاريخه فى الجدول الآتى، و قد بدأنا بحج رسول الله صلى الله عليه و سلم بالناس سنة عشر من الهجرة. و هو هذا:

عدد/ السنة الهجرية/ اسم من حج بالناس/ ملاحظات

١/ ١٠/ رسول الله صلى الله عليه و سلم/ حج بالناس و هذه الحجّة هي حجة الوداع

٢/ ١١/ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه/ حج بالناس فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه

٣/ ١٢/ أبو بكر رضى الله تعالى عنه/ حج بالناس

٤/ ١٣/ عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه/ حج بالناس فى خلافة عمر رضى الله عنهما

٥/ ١٤/ عمر بن الخطاب رضى الله عنه/ حج بالناس فى خلافته

٦/ ١٥/ ...../ لم يذكر المؤلف من حج بالناس فى هذه السنة

٧/ ١٦/ إلى/ عمر بن الخطاب رضى الله عنه/ حج بالناس إلى سنة ثلاث و عشرين ثم قتل آخر ذى الحجّة

٨/ ٢٤/ عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه/ حج بالناس، فى خلافة عثمان رضى الله عنه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٧٥

عدد/ السنة الهجرية/ اسم من حج بالناس/ ملاحظات

٩/ ٢٥/ عثمان بن عفان رضى الله عنه/ حج بالناس إلى سنة أربع و ثلاثين ثم توفى بعد منتصف ذى الحجّة سنة ٣٥

١٠/ ٣٥/ عبد الله بن عباس رضى الله عنهما/ حج بالناس بأمر عثمان و هو محصور

١١/ ٣٦/ عبد الله بن عباس رضى الله عنهما/ حج بالناس فى خلافة على كرم الله وجهه

١٢/ ٣٧/ عبد الله بن عباس و سحره الرهاوى/ حج بالناس عبد الله بن عباس بأمر على بن أبى طالب و سحره الرهاوى بأمر معاوية

- ١٣ / ٣٨ / قثم بن عباس نائب مكة من قبل علي / حج بالناس في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه
- ١٤ / ٣٩ / شيبه بن عثمان / حج بالناس في خلافة علي رضي الله عنه
- ١٥ / ٤٠ / المغيرة بن شعبه / حج بالناس عن كتاب يقال أنه افتعله فيما قيل حيث كان النزاع بين معاوية و الحسين
- ١٦ / ٤١ / عتبة بن أبي سفيان / حج بالناس ثم حج بعده مروان بن الحكم
- ١٧ / ٤٤ / معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه / حج بالناس
- ١٨ / ٤٥ / مروان بن الحكم / حج بالناس
- ١٩ / ٤٦ / عتبة بن أبي سفيان / حج بالناس
- ٢٠ / ٤٧ / عتبة بن أبي سفيان / حج بالناس
- ٢١ / ٤٨ / مروان بن الحكم / حج بالناس
- ٢٢ / ٤٩ / سعيد بن العاص / حج بالناس
- ٢٣ / ٥٠ / معاوية بن أبي سفيان / حج بالناس
- ٢٤ / ٥٢ / سعيد بن العاص / حج بالناس عامين
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٧٦
- عدد / السنة الهجرية / اسم من حج بالناس / ملاحظات
- ٢٥ / ٥٤ / مروان بن الحكم / حج بالناس
- ٢٦ / ٥٥ / مروان بن الحكم / حج بالناس
- ٢٧ / ٥٦ / عتبة بن أبي سفيان / حج بالناس
- ٢٨ / ٥٧ / الوليد بن عتبة / حج بالناس عامين
- ٢٩ / ٥٩ / عثمان بن أبي سعيد / حج بالناس
- ٣٠ / ٦٠ / عمرو بن سعيد بن العاص / حج بالناس
- ٣١ / ٦١ / الوليد بن عتبة بن أبي سفيان / حج بالناس عامين
- ٣٢ / ٦٣ / عبد الله بن الزبير / حج بالناس إلى سنة إحدى و سبعين، حج بالناس الحجاج و قتل عبد الله بن الزبير
- ٣٣ / ٧٤ / الحجاج بن يوسف / حج بالناس
- ٣٤ / ٧٥ / عبد الملك بن مروان / حج بالناس
- ٣٥ / ٧٦ / أبان بن عثمان بن عفان / حج بالناس إلى سنة ثمانين
- ٣٦ / ٨١ / سليمان بن عبد الملك بن مروان / حج بالناس
- ٣٧ / ٨٢ / أبان بن عثمان بن عفان / حج بالناس
- ٣٨ / ٨٣ / هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن مغيرة المخزومي / حج بالناس إلى سنة خمس و ثمانين
- ٣٩ / ٨٦ / العباس بن الوليد بن عبد الملك / حج بالناس
- ٤٠ / ٨٧ / عمر بن عبد العزيز بن مروان رضي الله عنه / حج بالناس
- ٤١ / ٨٨ / الوليد بن عبد الملك / حج بالناس
- ٤٢ / ٨٩ / عمر بن عبد العزيز / حج بالناس
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٧٧

- عدد/ السنة الهجرية/ اسم من حج بالناس / ملاحظات  
رضى الله تعالى عنه
- ٩٠ / ٤٣ / عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه / حج بالناس
- ٩١ / ٤٤ / الوليد بن عبد الملك / حج بالناس
- ٩٢ / ٤٥ / عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه / حج بالناس
- ٩٣ / ٤٦ / عثمان بن الوليد بن عبد الملك / حج بالناس
- ٩٤ / ٤٧ / مسلمة بن عبد الملك / حج بالناس
- ٩٥ / ٤٨ / الوليد بن عبد الملك / حج بالناس
- ٩٦ / ٤٩ / أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم / حج بالناس
- ٩٧ / ٥٠ / سليمان بن عبد الملك / حج بالناس
- ٩٨ / ٥١ / عبد العزيز بن عبد الله بن خالد ابن أسيد بن العاص بن أمية / حج بالناس
- ٩٩ / ٥٢ / أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم / حج بالناس
- ١٠٠ / ٥٣ / أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم / حج بالناس
- ١٠١ / ٥٤ / عبد العزيز بن عبد الله أمير مكة / حج بالناس
- ١٠٢ / ٥٥ / عبد الرحمن بن الضحاك الفهرى / حج بالناس
- ١٠٣ / ٥٦ / عبد الله بن كعب بن عمير بن سيع ابن عوف بن نصر بن معاوية / حج بالناس عامين
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٧٨
- عدد/ السنة الهجرية/ اسم من حج بالناس / ملاحظات  
النضرى
- ١٠٥ / ٥٧ / إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى / حج بالناس
- ١٠٦ / ٥٨ / هشام بن عبد الملك / حج بالناس
- ١٠٧ / ٥٩ / إبراهيم بن هشام المخزومى / حج بالناس إلى سنة اثنتى عشرة و مائة
- ١١٣ / ٦٠ / سليمان بن هشام بن عبد الملك / حج بالناس
- ١١٤ / ٦١ / خالد بن عبد الملك بن أمية / حج بالناس
- ١١٥ / ٦٢ / محمد بن هشام بن إسماعيل بن الوليد بن المغيرة / حج بالناس
- ١١٦ / ٦٣ / الوليد بن يزيد بن عبد الملك / حج بالناس و هو ولى عهد
- ١١٧ / ٦٤ / خالد بن عبد الملك / حج بالناس
- ١١٨ / ٦٥ / محمد بن هشام بن إسماعيل / حج بالناس
- ١١٩ / ٦٦ / مسلمة بن هشام أبو شاكر و قيل ابن عبد الملك / حج بالناس
- ١٢٠ / ٦٧ / محمد بن هشام بن إسماعيل / حج بالناس إلى سنة أربعة و عشرين
- ١٢٥ / ٦٨ / يوسف بن أبى الحجاج بن يوسف / حج بالناس
- ١٢٦ / ٦٩ / عمر بن عبد الله بن عبد الملك / حج بالناس
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٧٩

- عدد/ السنة الهجرية/ اسم من حج بالناس / ملاحظات
- ٧٠ / ١٢٧ / عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز / حج بالناس
- ٧١ / ١٢٨ / عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز / حج بالناس
- ٧٢ / ١٢٩ / عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان / حج بالناس
- ٧٣ / ١٣٠ / محمد بن عبد الملك بن مروان / حج بالناس
- ٧٤ / ١٣١ / عروة بن محمد بن عطية السعدي / حج بالناس بكتاب افتعله على لسان عمه عبد الملك و هو والى الحجاز و اليمن لمروان بن محمد، قال المسعودي "فهذا آخر ما حج بنو أمية"
- ٧٥ / ١٣٢ / داود بن علي بن عبد الملك بن العباس بن عبد المطلب / حج بالناس
- ٧٦ / ١٣٣ / زياد بن عبد الله الحارثي / حج بالناس
- ٧٧ / ١٣٤ / عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس / حج بالناس
- ٧٨ / ١٣٥ / سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس / حج بالناس
- ٧٩ / ١٣٦ / أبو جعفر المنصور / حج بالناس و فيها بويغ لأبي جعفر المنصور
- ٨٠ / ١٣٧ / إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس / حج بالناس
- ٨١ / ١٣٨ / الفضل بن صالح بن علي / حج بالناس
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٨٠
- عدد/ السنة الهجرية/ اسم من حج بالناس / ملاحظات
- ٨٢ / ١٣٩ / العباس بن محمد بن علي / حج بالناس
- ٨٣ / ١٤٠ / أبو جعفر المنصور / حج بالناس
- ٨٤ / ١٤١ / صالح بن علي / حج بالناس
- ٨٥ / ١٤٢ / إسماعيل بن علي / حج بالناس
- ٨٦ / ١٤٣ / أبو جعفر المنصور / حج بالناس
- ٨٧ / ١٤٤ / لم يذكر المؤلف من حج بالناس في هذه السنة
- ٨٨ / ١٤٥ / السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب / حج بالناس
- ٨٩ / ١٤٦ / عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي بن علي بن عبد الله بن العباس / حج بالناس
- ٩٠ / ١٤٧ / أبو جعفر المنصور و قيل محمد بن إبراهيم بن علي بن علي بن عبد الله بن العباس / حج بالناس
- ٩١ / ١٤٩ / عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي / حج بالناس
- ٩٢ / ١٥٠ / عبد الصمد بن علي / حج بالناس
- ٩٣ / ١٥١ / محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي / حج بالناس
- ٩٤ / ١٥٢ / أبو جعفر المنصور / حج بالناس
- ٩٥ / ١٥٣ / المهدي محمد بن عبد الله بن محمد بن علي / حج بالناس
- ٩٦ / ١٥٤ / محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي / حج بالناس
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٨١
- عدد/ السنة الهجرية/ اسم من حج بالناس / ملاحظات



- ٩٧/١٥٥/ عبد الصمد بن علي / حج بالناس
- ٩٨/١٥٦/ العباس بن محمد بن علي / حج بالناس
- ٩٩/١٥٧/ إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي / حج بالناس
- ١٠٠/١٥٨/ إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي / حج بالناس
- ١٠١/١٥٩/ يزيد بن منصور بن عبد الله بن شهر بن يزيد بن مثوب الحميري / حج بالناس
- ١٠٢/١٦٠/ الهادي بن موسى بن المهدي / حج بالناس و هو ولي عهد
- ١٠٣/١٦٢/ إبراهيم بن جعفر بن أبي جعفر / حج بالناس
- ١٠٤/١٦٣/ علي بن المهدي / حج بالناس
- ١٠٥/١٦٤/ صالح بن أبي جعفر / حج بالناس
- ١٠٦/١٦٥/ صالح بن أبي جعفر / حج بالناس
- ١٠٧/١٦٦/ محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي / حج بالناس
- ١٠٨/١٦٧/ إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي / حج بالناس
- ١٠٩/١٦٨/ علي بن محمد المهدي / حج بالناس
- ١١٠/١٦٩/ سليمان بن أبي جعفر المنصور / حج بالناس
- ١١١/١٧٠/ هارون الرشيد / حج بالناس
- ١١٢/١٧١/ عبد الصمد بن علي / حج بالناس
- ١١٣/١٧٢/ لم يذكر المؤلف من حج بالناس في هذه السنة
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٨٢
- عدد/ السنة الهجرية/ اسم من حج بالناس / ملاحظات
- ١١٤/١٧٣/ هارون الرشيد/ حج بالناس و خرج محرما من عسكره إلى مكة
- ١١٥/١٧٤/ هارون الرشيد/ حج بالناس إلى سنة ١٧٩ "تسع و سبعين و مائة"
- ١١٦/١٨٠/ موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي / حج بالناس
- ١١٧/١٨١/ هارون الرشيد/ حج بالناس
- ١١٨/١٨٢/ موسى بن عيسى / حج بالناس
- ١١٩/١٨٣/ العباس بن محمد المهدي / حج بالناس
- ١٢٠/١٨٤/ إبراهيم بن المهدي / حج بالناس
- ١٢١/١٨٥/ منصور بن المهدي / حج بالناس
- ١٢٢/١٨٦/ هارون الرشيد/ حج بالناس
- ١٢٣/١٨٧/ عبد الله بن العباس بن علي. و قيل منصور بن المهدي / حج بالناس
- ١٢٤/١٨٨/ هارون الرشيد/ حج بالناس
- ١٢٥/١٨٩/ العباس بن موسى بن عيسى بن محمد بن علي / حج بالناس
- ١٢٦/١٩٠/ علي بن الرشيد/ حج بالناس
- ١٢٧/١٩١/ العباس بن عبيد الله بن جعفر بن أبي جعفر المنصور/ حج بالناس عامين

١٢٨ / ١٩٣ / داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي / حج بالناس

١٢٩ / ١٩٤ / علي بن الرشيد / حج بالناس

١٣٠ / ١٩٥ / داود بن عيسى بن موسى / حج بالناس

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٨٣

عدد/ السنة الهجرية/ اسم من حج بالناس / ملاحظات

١٣١ / ١٩٦ / العباس بن موسى / حج بالناس إلى سنة ثمان و تسعين و مائة

١٣٢ / ١٩٩ / محمد بن داود بن عيسى بن محمد بن علي / وثب ابن الأفطس العلوي من مكة فقبض عليه فتنحى محمد بن داود و لم

يمض إلى عرفه و خرج الناس فوقفوا بغير إمام فلما كانوا بالمزدلفة طلع عليهم ابن الأفطس فأقام لهم باقي حجتهم

١٣٣ / ٢٠٠ / المعتصم بن إسحاق / حج بالناس

١٣٤ / ٢٠١ / إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي / حج بالناس

١٣٥ / ٢٠٢ / إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم / حج بالناس و هو أول طالبى أقام

للناس الحج فى الإسلام على أنه أقام متغلباً عليه لا مولى من قبل خليفة. كان ممن سعى فى الأرض بالفساد و قتل أصحاب إبراهيم بن

عبيد الله الحجبى و غيره فى المسجد الحرام و يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومى و غيره من أهل العبادة.

١٣٦ / ٢٠٣ / سليمان بن عبد الله بن جعفر بن سليمان بن علي / حج بالناس

١٣٧ / ٢٠٤ / عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله / حج بالناس عامين

١٣٨ / ٢٠٦ / أبو عيسى بن الرشيد / حج بالناس عامين

١٣٩ / ٢٠٨ / صالح بن الرشيد / حج بالناس و معه زبيدة إلى سنة عشرة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٨٤

عدد/ السنة الهجرية/ اسم من حج بالناس / ملاحظات

و مائتين

١٤٠ / ٢١١ / إسحاق بن العباس بن محمد بن علي / حج بالناس

١٤١ / ٢١٢ / المأمون / حج بالناس

١٤٢ / ٢١٣ / أحمد بن العباس / حج بالناس

١٤٣ / ٢١٤ / عبيد الله بن عبد الله / حج بالناس

١٤٤ / ٢١٥ / عبد الله بن عبيد الله / حج بالناس

١٤٥ / ٢١٦ / لم يذكر المؤلف من حج بالناس فى هذه السنة

١٤٦ / ٢١٧ / سليمان بن عبد الله بن علي / حج بالناس

١٤٧ / ٢١٨ / صالح بن العباس بن محمد / حج بالناس عامين

١٤٨ / ٢٢٠ / صالح بن العباس / حج بالناس عامين

١٤٩ / ٢٢٢ / محمد بن داود بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب / حج بالناس إلى سنة ست و عشرين و

مائتين

١٥٠ / ٢٢٧ / جعفر المتوكل بن المعتصم بن الرشيد / حج بالناس

١٥١ / ٢٢٨ / محمد بن داود بن عيسى / حج بالناس إلى سنة خمس و ثلاثين و مائتين

١٥٢ / ٢٣٦ / محمد المنتصر / حج بالناس و معه جدته شجاع

١٥٣ / ٢٣٧ / علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور / حج بالناس

١٥٤ / ٢٣٨ / عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن / حج بالناس إلى سنة إحدى و أربعين و مائتين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٨٥

عدد/ السنة الهجرية/ اسم من حج بالناس / ملاحظات

موسى بن علي بن عبد الله بن عباس

١٥٥ / ٢٤٢ / عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام / حج بالناس إلى سنة أربع و أربعين و مائتين

١٥٦ / ٢٤٥ / محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام / حج بالناس إلى سنة ثمان و أربعين و مائتين

١٥٧ / ٢٤٩ / عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس / حج بالناس

١٥٨ / ٢٥٠ / جعفر بن الفضل بن موسى بن عيسى بن موسى و يلقب بساسان / حج بالناس

١٥٩ / ٢٥١ / إسماعيل بن يوسف العلوي / حج بالناس و لكن بطل الحج إلا يسيرا لأن إسماعيل هذا طلع على الحاج و هم بعرفة في

جموعه فقتل من المسلمين خلقا عظيما حتى زعموا أنه كان يسمع بالليل تلبية القتلى و كان شأنه في الفساد عظيما.

١٦٠ / ٢٥٢ / كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر بن المنصور / حج بالناس

١٦١ / ٢٥٣ / عبد الله بن محمد بن سليمان بن عبد الله الرس / حج بالناس

١٦٢ / ٢٥٤ / علي بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن / حج بالناس عامين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٨٦

عدد/ السنة الهجرية/ اسم من حج بالناس / ملاحظات

محمد بن علي

١٦٣ / ٢٥٦ / كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر بن المنصور / حج بالناس

١٦٤ / ٢٥٧ / الفضل بن العباس بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي / حج بالناس عامين

١٦٥ / ٢٥٩ / إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن بويه / حج بالناس عامين

١٦٦ / ٢٦١ / الفضل بن العباس بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي / حج بالناس إلى ثلاث و ستين و مائتين

١٦٧ / ٢٦٤ / هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى / حج بالناس إلى سنة ثمان و سبعين و مائتين "خمسة عشر

عاما متواليه"

١٦٨ / ٢٧٩ / أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن داود بن عيسى بن موسى / حج بالناس إلى سنة سبع و ثمانين و مائتين "تسع حجج

متواليه"

١٦٩ / ٢٨٨ / محمد بن هارون بن العباس بن إبراهيم بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور / حج بالناس

١٧٠ / ٢٨٩ / الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد بن علي / حج بالناس إلى سنة خمس و ثلاثمائة

١٧١ / ٣٠٦ / أحمد بن العباس بن محمد / حج بالناس عامين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٨٧

عدد/ السنة الهجرية/ اسم من حج بالناس / ملاحظات

بن عيسى بن سليمان بن محمد بن إبراهيم الإمام و هو المعروف بأخي أم موسى الهاشمية قهرمانه شغب أم المقتدر بالله

١٧٢ / ٣٠٨ / إسحاق بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد الله / حج بالناس إلى سنة إحدى عشرة و ثلاثمائة

١٧٣ / ٣١٢ / الحسن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس / حج بالناس  
 ١٧٤ / ٣١٣ / أبو طالب عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز بن عبد الله بن العباس بن محمد / حج بالناس خليفة لعمه الحسن  
 ١٧٥ / ٣١٤ / عبد الله بن عبيد الله بن سليمان بن محمد الأكبر / حج بالناس  
 ١٧٦ / ٣١٥ / عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد المعروف بأبي أحمد الأزرق / حج بالناس خليفة الحسن بن عبد العزيز بن  
 العباس عامين

١٧٧ / ٣١٧ / وفي هذه السنة دخل القرامطة مكة / دخل سليمان بن الحسن صاحب البحرين مكة، وقد حضر عمر بن الحسن بن عبد  
 العزيز المقدم نسبه إليه لإقامة الحج خليفة لأبيه فكان من أمر الناس ما كان، و لم يتم حج في موسم سنة سبع و عشرة و ثلاثمائة هذه  
 من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٨٨

عدد/ السنة الهجرية / اسم من حج بالناس / ملاحظات

أجل حادثة القرامطة لعنهم الله إلا لقوم يسير غدروا فتم حجهم دون إمام و كانوا رجالة.

١٧٨ / ٣١٨ / عمر بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي / حج بالناس خليفة لأبيه الحسن بن عبد العزيز

١٧٩ / ٣١٩ / جعفر بن علي بن سليمان / حج بالناس و هو خليفة الحسن بن عبد العزيز

و من ٣٢٠ إلى ٣٣٥ / عمر بن الحسن بن عبد العزيز كما هو موضح ذلك أمام اسمه هنا/ حج بالناس و هو خليفة لأبيه المذكور أيضا.  
 و لم يزل يحج بالناس إلى سنة (٣٣٥) خمس و ثلاثين و ثلاثمائة و هو على قضاء مكة في هذا الوقت و هو جمادى الآخرة من السنة  
 المذكورة و هي سنة (٣٣٥) و إليه قضاء مصر و غيرها.

انتهى كل ذلك من آخر الجزء الثاني من تاريخ المسعودي، ببعض تصرف يسير، و من ذلك وضعنا كلامه في هذا الجدول المرتب.

### ذكر بعض من حج من الخلفاء والملوك

نذكر هنا بعض من حج من الخلفاء و الملوك بعد مبايعتهم للخلافة، أما حجهم قبل الخلافة فلم نتعرض له، و ذلك نقلا باختصار عن  
 تاريخ الشيخ عبد الله الغازي، رحمه الله تعالى، المسمى "إفادة الأنام بذكر بلد الله الحرام" و هو كتاب مخطوط بخط المؤلف نفسه  
 غير مطبوع، فقد جاء فيه و في غيره ما ملخصه:

(١) حج بالناس أبو بكر، رضى الله عنه، في سنة اثنتي عشرة من الهجرة.

(٢) و حج بالناس عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، جميع خلافته، إلا السنة الأولى، فقد حج بالناس عبد الرحمن بن عوف، رضى الله  
 عنه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٨٩

(٣) و حج بالناس عثمان بن عفان، رضى الله عنه، في سنة خمس و عشرين. قال الطبرى: فلم يزل يحج إلى سنة أربع و ثلاثين ثم حصر  
 في داره و حج عبد الله بن عباس بالناس. اهـ.

أما علي بن أبي طالب، رضى الله تعالى عنه، فلم يتفق له الحج بالناس بعد الخلافة لانشغاله في الحروب.

(٤) و حج بالناس معاوية بن أبي سفيان، رضى الله عنه، حج بالناس في سنة أربع و أربعين و في سنة خمسين.

(٥) و حج بالناس عبد الله بن الزبير، رضى الله عنهما، قال الطبرى: لما بويع له حج ثمانى حجج متواليات.

(٦) و حج بالناس عبد الملك بن مروان في سنة خمس و سبعين بعد قتل ابن الزبير.

(٧) و حج بالناس الوليد بن عبد الملك، في سنة خمس و تسعين، و قال الطبرى:

سنة إحدى و تسعين.

(٨) و حج بالناس سليمان بن عبد الملك، في سنة سبع و تسعين.

(٩) و حج بالناس هشام بن عبد الملك، في سنة ست و مائة.

(١٠) و حج بالناس الوليد بن يزيد بن عبد الملك، في سنة ست عشرة و مائة.

(١١) و حج بالناس أبو جعفر المنصور، في سنة أربعين و مائة. قال الطبري: حج المنصور في سنة (١٤٠) و في سنة (١٤٤) و في سنة (١٤٧) و في سنة (١٥٢) و في سنة (١٥٨).

(١٢) و حج بالناس محمد المهدي بن المنصور، في سنة ستين و مائة، و في سنة أربع و ستين و مائة.

(١٣) و حج بالناس هارون الرشيد بن المهدي تسع حجات متفرقات، أولها سنة (١٧٠) سبعين و مائة و سنة (١٧٣) و (١٧٤) و (١٧٥) و (١٧٧) و (١٧٩) و (١٨١) و (١٨٦) و (١٨٨) من الهجرة.

(١٤) و حج الملك المعظم عيسى بن العادل بن أبي بكر بن أيوب، في سنة إحدى عشرة و ستمائة.

(١٥) و حج الملك المظفر ملك اليمن، في سنة خمس و خمسين و ستمائة.

(١٦) و حج الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر، في سنة سبع و ستين و ستمائة.

(١٧) و حج الملك المجاهد أنس بن السلطان العادل كتبغا المنصوري صاحب مصر و الشام، سنة أربع و تسعين و ستمائة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٩٠

(١٨) و حج الملك الناصر محمد بن قلاوون، ثلاث حجات في سنة (٧١٢) اثني عشر و سبعمائة، و في سنة (٧١٩) و في سنة (٧٣٢) هجرية.

(١٩) و حج ملك التكرور موسى بن أبي بكر، في سنة أربع و عشرين و سبعمائة.

(٢٠) و حج الملك المجاهد صاحب اليمن، في سنة اثنتين و أربعين و سبعمائة، و في سنة ٧٥١.

(٢١) و خرج للحج الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون في سنة ثمان و سبعين و سبعمائة، لكنه قتل في أيلة جهة العقبة.

(٢٢) و حج السلطان قايتباي، في سنة أربع و ثمانين و ثمانمائة.

(٢٣) و حج أحد سلاطين الأعاجم، في سنة ست و سبعين و ألف. فأرسل الشريف سعد رسله إلى جدة يهنئونه بالوصول.

(٢٤) و حجت ملكة بهو بال بالهند سكندر بيكم، في سنة ثمانين و مائتين و ألف.

(٢٥) و حجت ملكة بهو بال بالهند سلطان جهان بيكم، في سنة أحد و عشرين و ثلاثمائة و ألف.

(٢٦) و حج عباس حلمي باشا خديوي مصر، في سنة سبع و عشرين و ثلاثمائة و ألف و ذلك في زمن أمير مكة الشريف الحسين بن علي، الذي صار فيما بعد ملك الحجاز في عصرنا هذا.

انتهى ما نقلناه من تاريخ الغازي بغاية الاختصار جدا، و قد يكون هناك بدون شك من حج من الملوك و لم يذكرهم الشيخ الغازي في تاريخه، بدليل أنه لم يذكر من حج منهم في الزمن الذي بين هارون الرشيد و بين الملك المعظم عيسى، و هو أكثر من أربعمائة سنة.

و في هذا التاريخ مذكور ما عمله كل ملك و سلطان و وزير، قدم للحج في الحرمين الشريفين، من أعمال البر و الخير و الصدقات و الإحسان بتفصيل تام، لم نقل كل ذلك مع ما فيه من الفوائد و الدرس خوفا من التطويل، و لهذا السبب نفسه لم نتعرض لذكر من حج من الأمراء و الوزراء و العلماء و الأعيان و كبار الناس، و لم نذكر أيضا من حج من الملوك و الرؤساء في عصرنا هذا، حيث لم نتبه لهذا الأمر من قبل حتى نقيده لدينا و نسجله عندنا فنوكل ذلك إلى غيرنا من المؤرخين.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٩١

و لقد أتينا بهذه النبذة استنهاضا لهمم الملوك و الرؤساء و الأمراء و الوزراء و الأعيان في المبادرة لأداء فريضة الحج، و الله الموفق و إليه المرجع و المآب.

و لا يفوتنا أن نذكر هنا حج ملك الحجاز الأسبق الشريف الحسين بن علي، رحمه الله تعالى، بالناس، و كذلك الملك عبد العزيز آل سعود، رحمه الله تعالى، حج بالناس بعد أن تولى على الحجاز، ثم حج بالناس بعده ابنه الملك سعود بن عبد العزيز، و كذلك حج بالناس أخوه الملك فيصل بن عبد العزيز و حج بهم قبل أن يكون ملكا، و ذلك في سنة ١٣٨٣ من الهجرة. وفق الله تعالى الجميع لمرضاته و تقبل منا و منهم صالح الأعمال.

### حجة الوداع نقلا عن تاريخ الخميس

كانت حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة، سميت هذه الحجة بحجة الوداع، لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يودع الناس فيها، كما هو صريح لفظ خطبته "أما بعد أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفى هذا ... الخ."

و بالفعل فقد ودع صلى الله عليه و سلم هذه الدنيا الفانية و لحق بالرفيق الأعلى، بعد رجوعه من حجة الوداع إلى المدينة، و ذلك يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة، صلى الله عليه و علي آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا. إننا نحب أن نطول الكلام عن حجة الوداع للنبي صلى الله عليه و سلم لما يعود على القارئ الكريم بالمنافع الجمّة، و لقد ورد وصف حجة الوداع- بفتح الواو- في كثير من الكتب، اخترنا أن ننقل ما ورد عنها من كتابين:

(١) تاريخ الخميس، (٢) و مرآة الحرمين. و مع أن كلا منهما أتى في وصفها بالشرح الوافي التام، لم تقتصر في النقل عن أحدهما، بل نقلنا ما جاء فيهما بالحرف و النص، لأن في كل منهما من الفوائد المهمة ما لا يستغنى عنه طلاب العلم، و لا بأس في إطالة الكلام ما دام هناك منافع متعددة و متنوعة. فنقول و بالله التوفيق و عليه الاعتماد و التكلان:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٩٢

جاء في تاريخ الخميس في الجزء الثاني عن حجة الوداع- بفتح الواو- ما نصه:

و في هذه السنة "أى في السنة العاشرة" كانت حجة الوداع، و تسمى حجة الإسلام و حجة التمام و حجة البلاغ، و كره ابن عباس أن يقال: حجة الوداع، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أقام بالمدينة يضحى كل عام و يغزو المغازي. فلما كان في ذى القعدة سنة عشر من الهجرة، أجمع على الخروج إلى الحج، قال ابن سعد: لم يحج غيرها منذ تنبأ إلى أن توفاه الله.

و في البخارى، عن زيد بن أرقم، أن النبي صلى الله عليه و سلم غزا تسع عشرة غزوة، و أنه حج بعدما هاجر حجة واحدة و هى حجة الوداع و لم يحج بعدها. قال ابن إسحاق: و أخرى بمكة. و قيل حج بمكة حجتين. و هذا بعد النبوة، و ما قبلها لا يعلمه إلا الله، و أخرج الترمذى، عن جابر بن عبد الله، حج رسول الله صلى الله عليه و سلم ثلاث حجّات: حجتين قبل أن يهاجر و حجة بعدما هاجر معها عمرة. هذا لفظ الدارقطنى و ابن ماجه و الحاكم و صححه على شرط مسلم. قال الشيخ محب الدين الطبرى: لعل جابر أشار إلى حجتين بعد النبوة. و قال ابن حزم: حج رسول الله و اعتمر قبل النبوة و بعدها، و قبل الهجرة و بعدها، حججا و عمرا لا يعلمها إلا الله.

و كذا قال أبو الفرج في كتاب مثير الغرام، و قال السهيلي، في شرح السيرة: لا ينبغي أن يضاف إليه في الحقيقة إلا حجة الوداع. و إن حج مع الناس، إذ كان بمكة، فلم يكن ذلك الحج على سنة الحج و كماله، لأنه صلى الله عليه و سلم كان مغلوبا على أمره، و كان الحج منقولا عن وقته، فقد ذكر أن أهل الجاهلية كانوا ينقلون الحج عن حساب الشهور الشمسية، و يؤخرونه في كل سنة أحد عشر يوما، و قد كان النبي صلى الله عليه و سلم أراد أن يحج مقفله من تبوك، و ذلك إثر فتح مكة بيسير، ثم ذكر أن بقايا المشركين

يحبون و يطوفون بالبيت عراء، فأخّر الحج حتى نبتذ إلى كل ذى عهد عهده، و ذلك فى السنة التاسعة، ثم حج فى العاشرة بعد إمعاء رسوم الشرك كذا فى البحر العميق.

و فى الاستيعاب: لم يحج رسول الله من المدينة، غير حجته الواحدة، و هى حجة الوداع، و ذلك فى سنة عشر من الهجرة. و فى سيرة اليعمرى: حج صلى الله عليه و سلم بعد فرض الحج حجة واحدة، و قبل ذلك مرتين، و اعتمر صلى الله عليه و سلم أربع عمر، كلها فى ذى القعدة، إلا التى مع حجته واحدة منهن فى ذى القعدة عام الحديبية، سنة ست من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٩٣

الهجرة، و صدوا فيها، فتحلل فحسبت له عمره، و الثانية فى ذى القعدة من العام المقبل و هى سنة سبع و هى عمره القضاء، و الثالثة فى ذى القعدة سنة ثمان، و هى عام الفتح من جعرانه، حيث قسّم غنائم حنين، و الرابعة مع حجته الكبرى سنة عشر، و كان إحرامها فى ذى القعدة، و أعمالها فى ذى الحجة. كذا رواه البخارى فى صحيحه، عن أنس و كذا فى منهاج النووى. و لما أراد رسول الله صلى الله عليه و سلم حجة الوداع خرج من طريق الشجرة، و عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يخرج من طريق الشجرة و يدخل من طريق المعرس و هو موضع معروف على ستة أميال من المدينة، كذا فى منهاج النووى، و هو أسفل من المسجد، الذى بطن الوادى.

و أن رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا خرج إلى مكة، يصلى فى مسجد الشجرة، و إذا رجع صلى بذى الحليفة، بطن الوادى، و بات حتى يصبح. رواه البخارى، و ذو الحليفة ماء لجشم على ستة أميال من المدينة، قاله النووى، و قال ابن حزم: إنه على أربعة أميال و قيل سبعة، و فى شرح مختصر الوقاية للشمنى، فسّر ابن شجاع الميل بثلاثة آلاف ذراع و خمسمائة ذراع إلى أربعة آلاف، و فى الصحاح الميل من الأرض منتهى مد البصر، عن ابن السكيت، و فى شرح الكنز ثلاث فراسخ أربعة آلاف بذراع محمد بن فرج الشاشى طولها أربعة و عشرون إصبعا، و عرض كل إصبغ ست حبات شعير ملصقة ظهر البطن.

و فى الينابيع: الميل ثلث فرسخ، و الفرسخ اثنا عشر ألف خطوة، و كل خطوة ذراع و نصف، بذراع العامة، و هو أربعة و عشرون إصبعا. و مسجد ذى الحليفة يسمى مسجد الشجرة، و قد خرب و به البئر، التى تسميها العوام بئر على، و ينسبونها إلى على بن أبى طالب، لظنهم أنه قاتل الجن بها. و هو كذب كذا فى تشويق الساجد، و ذو الحليفة هو الميقات لأهل المدينة، و لمن مرّ به من غيرهم، و هو أبعد المواقيت، و هناك منزل رسول الله صلى الله عليه و سلم و اردا و صادرا، فخرج صلى الله عليه و سلم من المدينة مغتسلا مدهنا مترجلا فى ثوبين إزار و رداء و ذلك يوم السبت لخمس بقين من ذى القعدة فصلى الظهر بذى الحليفة.

و فى المواهب اللدنية، ثبت فى الصحيحين، عن أنس: صلينا مع النبى صلى الله عليه و سلم الظهر بالمدينة أربعة و العصر بذى الحليفة ركعتين.

صّرح الواقدى: بأن خروجه صلى الله عليه و سلم كان يوم السبت لخمس بقين من ذى القعدة و كان وقت خروجه من المدينة بين الظهر و العصر، و كان أول ذى الحجة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٩٤

يوم الخميس و كان دخوله مكة صبح أربعة إلى رابع ذى الحجة كما ثبت فى صحيح حديث عائشة و ذلك يوم الأحد. و فى سيرة اليعمرى: دخل مكة يوم الأحد بكرة. و هذا يؤيد أن خروجه من المدينة كان يوم السبت كما تقدم فىكون المكث فى الطريق ثمان ليال، و هى المسافة الوسطى. و خرج معه، عليه السلام، تسعون ألفا و يقال مائة ألف و أربعة عشر ألفا، و يقال أكثر كما حكاه البيهقى.

و كانت الوقفة يوم الجمعة، و أخرج صلى الله عليه و سلم معه نساءه كلهن فى الهودج و أشعر هديه و قلده. و فى سيرة اليعمرى: خرج فى حجة الوداع نهارا بعد ما ترجل و ادهن و تطيب و بات بذى الحليفة، و قال: أتانى الليلة آت من ربى، و قال: صل بهذا

الوادى المبارك و قل عمره في حجة فأحرم بهما قارنا.

و سئل جابر بن عبد الله عن حجة رسول الله، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن في الناس، في العاشرة، أن رسول الله حاج، فقدم المدينة بشر كثير، كلهم يلتمس أن يأتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعمل مثل عمله، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله كيف أصنع؟ قال: اغتسلي و استشرى و احرمي فصلّي رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين، في مسجد ذى الحليفة، ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به على البيداء كان إلى مد البصر، الناس من راكب و ماش و عن يمينه مثل ذلك و عن يساره مثل ذلك و من خلفه مثل ذلك فأهّل بالتوحيد "لييك اللهم لييك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد و النعمة لك، و الملك لا شريك لك."

و أهّل الناس بهذا و لزم رسول الله تليته، قال: لسنا ننوي إلا الحج و لسنا نعرف العمرة.

و عن ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل مكة من الثنية العليا يعنى كداء، و هو المشهور بالمعلاة، و يخرج من الثنية السفلى يعنى كدى- كذا رواه البخارى- و في سيرة اليعمرى و نزل على الحجون، و في مناسك الكرمانى روى أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة صبيحة اليوم الرابع من ذى الحجة، و أقام بها محرماً إلى يوم التروية، ثم راح إلى منى محرماً بذلك الإحرام. قال جابر: حتى إذا أتينا البيت معه، استلم الركن، فرمل ثلاثاً، و مشى أربعاً، ثم تقدم إلى مقام إبراهيم، فقرأ: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَجَعَلَ

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٩٥

المقام بينه و بين البيت، فصلى فيه ركعتين. و كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين:

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ أَسْبُوعًا فَأَحْصَاهَا كَانَ كَعَتَقِ رَقَبَةٍ. رواه الترمذى كذا فى المشكاة. قال جابر: ثم رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا منه قرأ: إِنَّ الصَّفاَ وَ المَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ وَ قال: أبدأ بما بدأ الله به، فرقى عليه، حتى رأى البيت فاستقبله، فوحد الله و كبره و قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد، و هو على كل شىء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده. ثم دعا، قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة حتى انصبت قدماه فى بطن الوادى، حتى إذا صعدنا مشى، حتى أتى المروة، ففعل عليها كما فعل على الصفا، حتى أتم السعى على المروة. و فى سيرة اليعمرى سعى راكباً. انتهى.

قال جابر، قال: لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى، و جعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدى، فليحلّ و ليجعلها عمرة. فقام سراقه بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله ألعامنا هذا أم للأبد؟ فشبك رسول الله أصابعه واحدة فى الأخرى و قال: "دخلت العمرة فى الحج مرتين لا بل للأبد أبد."

و قدم على من اليمن بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد فاطمة ممن حل، و لبست ثياباً صبيغاً، و اكتحلت، فأنكر ذلك عليها فقالت: أبى أمرنى بهذا.

قال على: فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرشاً على فاطمة، للذى صنعت، مستفتياً لرسول الله، فيما ذكرت عنه، فأخبرته أنى أنكرت ذلك عليها، فقال:

صدقت صدقت، ماذا قلت حين فرضت الحج؟ قال: قلت اللهم إنى أهّل بما أهّل به رسولك، قال: فإن معى الهدى فلا تحل. و كانت جملة الهدى، الذى قدم به على من اليمن، و الذى أتى به النبى صلى الله عليه وسلم مائة، فحلق الناس كلهم، و قصرُوا، إلا النبى صلى الله عليه وسلم و من كان معه هدى.

فلما كان يوم التروية، توجهوا إلى منى، فأهلوا بالحج، و ركب النبى صلى الله عليه وسلم فصلى بها الظهر و العصر و المغرب و العشاء و الفجر، و مكث قليلاً- حتى طلعت الشمس، و أمر بقبه من شعر تضرب له بنمرة، فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس، أمر بالقصواء



فرحلت له، فأتى بطن الوادى، فخطب الناس فقال: إن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٩٦

دماءكم و أموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا، ألا كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، و دماء الجاهلية موضوعة، و إن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا فى بنى سعد فقتلته هذيل، و ربا الجاهلية موضوعة، و أول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله و استحلتتم فروجهن بكلمة الله و لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك، فاضربوهن ضربا غير مبرح، و لهن عليكم رزقهن و كسوتهن بالمعروف.

و قد تركت فيكم ما أن تصلوا بعده، إن اعتصمتم به، كتاب الله، و أنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت و أدت و نصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء و ينكتها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات، ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، و لم يصل بينهما شيئا، ثم ركب، حتى الموقوف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرة و جعل جبل المشاء بين يديه فوقف مستقبل القبلة، و كان يوم الجمعة و كان واقفا إذ نزل عليه: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ الْآيَةَ. و فى بحر العلوم، فبركت ناقته، من هيبه القرآن.

قال جابر: فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس، و أردف أسامة خلفه و دفع شق القصواء الزمام حتى أن رأسها ليصيب مورك الرحل، و يقول بيده اليمنى:

أيها الناس السكينة السكينة، كلما أتى جبلا من الجبال، أرخى لها قليلا، حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب و العشاء بأذان و إقامتين، و لم يستبح بينهما شيئا، ثم اضطجع حتى طلع الفجر، فصلى الفجر حين تبيّن الصبح و ركب القصواء، حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة، و دعا الله و كبره و هلله و وحده، فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا فدفع، قبل أن تطلع الشمس، و أردف الفضل بن عباس و كان رجلا حسن الشعر أبيض و سيما، فلما دفع رسول الله صلى الله عليه و سلم، مرت ظعن البحرين، فطلق الفضل ينظر إليهن، فوضع صلى الله عليه و سلم يده على وجه الفضل، فحوّل الفضل وجهه إلى الشق الآخر، ينظر فحوّل صلى الله عليه و سلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل، فصرف وجهه من الشق الآخر ينظر حتى أتى بطن محسر فحرك قليلا.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٩٧

و فى شفاء الغرام، ذكر المحب الطبرى و ابن خليل سمي محسرا؛ لأن فيل أصحاب الفيل حسر فيه أى أعياء. و أهل مكة يسمونه وادى النار، زعموا أن رجلا اصطاد فيه غزاله فتزلت نار فأحرقته و الله أعلم.

و ليس وادى محسر من مزدلفة و لا من منى و هو مسيل ما بينهما و فى المشكاة:

وادي محسر من منى.

ثم قال المصنف، رحمه الله تعالى، بعد بضعة أسطر: و فى المشكاة عن عباس بن مرداس أن رسول الله صلى الله عليه و سلم دعا لأمتة، عشية عرفة، بالمغفرة، فأجيب بأنى قد غفرت لهم، ما خلا المظالم، فإنى آخذ للمظلوم من الظالم، قال: أى ربى إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة، و غفرت للظالم. فلم يجب عشيته، فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل. قال فضحك رسول الله صلى الله عليه و سلم أو قال تبسم فقال له أبو بكر و عمر: بأبى أنت و أمى، إن هذه لساعة ما كنا نضحك فيها، فما الذى أضحكك؟- أضحك الله سنك- قال: إن عدو الله إبليس، لما علم أن الله عز و جل، قد استجاب دعائى، و غفر لأمتى، أخذ التراب فجعل يحثو على رأسه، و يدعو بالويل و الشبور، فأضحكنى ما رأيت من جزعه. رواه ابن ماجه و البيهقى فى كتاب البعث و النشور.

قال جابر: ثم سلك الطريق الوسطى، التى تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة، التى عند الشجرة فرماها بسبع حصيات مثل حصى الخذف، يكبر مع كل حصاة منها، من بطن الوادى، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر بيده ثلاثا و ستين بدنه، و أعتق ثلاثا و ستين

رقبة، عدد سني عمره، ثم أعطى عليا ما بقي إلى تمام المائة. وقد كان صلى الله عليه وسلم أتى ببعضها و قدم على بشيء منها من اليمن.

و في حياة الحيوان: نحر بيده في حجة الوداع، ثلاثا و ستين بدنه، و أعتق ثلاثا و ستين رقبة، ثم حلق رأسه بمنى جانبه الأيمن ثم الأيسر، حالقه معمر بن عبد الله العدوي، و قيل اسمه خراش بن أمية بن ربيعة الكلبي.

و في منهاج النووي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منى، ثم أتى الجمره، و لم يزل يلبى حتى رمى، ثم أتى منزله بمنى و نحر، ثم قال للحلاق: خذ، و أشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس. و في المناسك للكرمانى: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رمى جمره العقبة، رجع إلى منزله بمنى، ثم دعا بذبائح فذبح، ثم دعا بالحلاق فأعطاه شقه الأيمن فحلقه، فدفعه إلى أبي طلحة، ليفرقه بين الناس، ثم أعطاه شقه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٩٨

الأيسر فحلقه، ثم دفعه إلى أبي طلحة ليفرقه بين الناس، قيل: أصاب خالد بن الوليد شعرات من شعرات ناصيته صلى الله عليه وسلم. و في الشفاء: كانت شعرات من شعره، عليه السلام، في قلنسوة خالد، فلم يشهد بها قتالا إلا رزق النصر.

قال جابر: و أشرك صلى الله عليه وسلم عليا في هديه ثم أمر من كل بدنه بيضعة، فجعلت في قدر، فطبخت، فأكلا من لحمها و شربا من مرقها، ثم ركب صلى الله عليه وسلم فأفاض إلى البيت، و صلى الظهر بمكة، فأتى بنى عبد المطلب، و هم يسقون على زمزم، فقال:

انترعوا بنى عبد المطلب، فولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم، لنزعت معكم، فناولوه دلو، فشرب منه، و طاف صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على راحلته بالبيت و بالصفاء و المروة ليراه الناس و ليشرف و يسألوه. فإن الناس قد غشوه.

و كان صلى الله عليه وسلم لا يستلم في طوافه، إلا الحجر الأسود، و الركن اليماني. و عن الزبير قال: سأل رجل ابن عمر عن استلام الحجر، قال: رأيت رسول الله يستلمه و يقبله رواه البخاري، و عن ابن عمر، قال: لم أر النبي صلى الله عليه وسلم يستلم من البيت إلا الركنين اليمينيين متفق عليه. و عن ابن عباس، قال: طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على بعير يستلم الركن بمحجن متفق عليه. و عن أبي الطفيل، قال: رأيت رسول الله يطوف بالبيت على بعير و يستلم الركن بمحجن معه، و يقبل المحجن رواه مسلم. ذكر الأحاديث الأربعة في المشكاة. انتهى من "تاريخ الخميس".

### حجة الوداع نقلا عن كتاب مرآة الحرمين

و جاء في كتاب مرآة الحرمين: تأليف إبراهيم باشا رفعت في الجزء الأول ما نصه: قد رأينا أن نسوق إليك أيها القارئ حجة صلى الله عليه وسلم ثم نردفها بالأحكام الفقهية في شرائع الحج، حسب ما سطر في كتب المذاهب المختلفة، و إنما قدمنا حجة صلى الله عليه وسلم، لأنها السراج الوهاج، الذي اقتبس منه الفقهاء، و لأنها الحكم عند اختلاف الآراء فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما و قد اعتمدنا في ذلك على ما كتبه الإمام ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ في كتابه "زاد المعاد في هدى خير العباد" فإنه خير ما كتب في هذا الموضوع على ما علمنا.

حجة الوداع: لا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم لم يحج، بعد هجرته إلى المدينة، سوى حجة واحدة، و هي حجة الوداع، و لا خلاف أنها كانت سنة عشر.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٩٩

و اختلف هل حج قبل الهجرة، فروى الترمذي عن جابر بن عبد الله، رضى الله عنه، قال: حج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث حجج، حجتين قبل أن يهاجر و حجة بعدما هاجر و معها عمره، قال الترمذي: هذا حديث غريب- تفرد به راو واحد- من حديث سفيان قال: و

سألت محمداً -يعنى- البخارى- عن هذا فلم يعرفه من حديث الثورى، و فى رواية لا يعدّ هذا الحديث محفوظاً. و لما نزل فرض الحج، بادر رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الحج، من غير تأخير، فإن فرض الحج تأخّر إلى سنة تسع أو عشر، و أما قوله تعالى: وَ أَتَمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنَّهَا وَإِنْ نَزَلَتْ سَنَةٌ سِتْ عَامَ الْحَدِيثِ، فليس فيها فريضة الحج، و إنما فيها الأمر بإتمامه، و إتمام العمرة، بعد الشروع فيهما، و ذلك لا يقتضى وجوب الابتداء.

و لما عزم رسول الله صلى الله عليه و سلم على الحج، أعلم الناس أنه حاج، فتجهزوا للخروج معه، و سمع بذلك من حول المدينة، فقدموا يريدون الحج مع رسول الله صلى الله عليه و سلم، و وافاه فى الطريق خلائق لا يحصون، فكانوا من بين يده و من خلفه و عن يمينه و عن شماله مد البصر، و خرج من المدينة نهاراً بعد الظهر، لست بقين من ذى القعدة، بعد أن صلى الظهر بها أربعاً، و خطبهم قبل ذلك خطبة علمهم فيها الإحرام و واجباته و سننه، قال ابن حزم: و كان خروجه يوم الخميس. قال ابن القيم:

و الظاهر أنه كان يوم السبت- أنظر أدلة كل منهما ب زاد المعاد- و بعد أن صلى و خطب ترجل - مشط رأسه- و ادهن و لبس إزاره و رداءه و خرج بين الظهر و العصر فتزل بذى الحليفة- الخريظة ٥٧- فصلى بها العصر ركعتين ثم بات بها، و صلى بها المغرب و العشاء و الصبح و الظهر، فصلى بها خمس صلوات، و كان نساؤه كلهن معه، و طاف عليهن تلك الليلة، فلما أراد الإحرام اغتسل غسلًا ثانياً، لإحرامه غير غسل الجماع الأول، ثم طيبتة عائشة بيدها بذريعة و طيب، فيه مسك فى بدنه و رأسه، حتى كان و يبص المسك، يرى فى مفارقه و لحيته، ثم استدامه و لم يغسله، ثم لبس إزاره و رداءه، ثم صلى الظهر ركعتين، ثم أهلّ بالحج و العمرة فى مصلاه، و لم ينقل عنه أنه صلى للإحرام ركعتين غير فرض الظهر، و قلّد قبل الإحرام بدنه نعلين، و أشعرها فى جانبها الأيمن فشق صفحة سنامها و سلت الدم عنها. و قد ساق ابن القيم بضعة و عشرين دليلاً كلها صحيحة صريحة فى أنه صلى الله عليه و سلم حج قارناً، و ذكر أنه أخطأ فى عمرة النبي صلى الله عليه و سلم خمس طوائف، و وهم فى حجه خمس طوائف، و غلط فى إحرامه خمس طوائف، و بين آراء كل طائفة، و ساق أدلتها ثم كرّ عليها بالنقض. و كتابته فى هذا الموضوع أمتع ما

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٠٠

كتب فراجعها فى كتابه "زاد المعاد" من صفحة ١٨٣ إلى صفحة ٢٠٢ من الجزء الأول طبع الحلبي بمصر. و لبد رسول الله صلى الله عليه و سلم رأسه بالغسل- بوزن كفل- و هو ما يغسل به الرأس من خطمي و نحوه، يلبد به الشهر، حتى لا ينتشر، و أهلّ فى مصلاه ثم ركب على ناقته و أهلّ أيضاً ثم أهلّ لما استقلت به على البيداء. قال ابن عباس، رضى الله عنهما: و ايم الله لقد أوجب فى مصلاه و أهلّ حين استقلت بن ناقته و أهلّ، حين علا على شرف البيداء، و كان يهلّ بالحج و العمرة تارةً و بالحج تارةً، لأن العمرة جزء منه، فمن ثمة قيل: قرن، و قيل: تمتع و قيل: أفرد ثم لبي فقال: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد و النعمة لك و الملك، لا شريك لك،" و رفع صوته بهذه التلبية حتى سمعها أصحابه، و أمرهم بأمر الله له، أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية، و كان حجه على رحل لا فى محمل و لا هودج و لا عمارية و زاملته تحته. و اختلف فى جواز ركوب المحرم فى المحمل و الهودج و العمارية و نحوه على قولين: هما روايتان عن أحمد، رحمه الله، أحدهما الجواز و هو مذهب الشافعى و أبى حنيفة، رحمهما الله، و الثانى المنع و هو مذهب مالك. ثم إنه صلى الله عليه و سلم خيّرهم عند الإحرام بين الأنساك الثلاثة- الحج أو العمرة أو هما معاً- ثم ندبهم، عند دنوّهم من مكة، إلى فسخ الحج و القران إلى العمرة لمن لم يكن معه هدى ثم حتم ذلك عند المروة.

و ولدت أسماء بنت عميس زوجة أبى بكر، رضى الله عنهما، بذى الحليفة محمد بن أبى بكر فأمرها رسول الله صلى الله عليه و سلم أن تغتسل و تستنفر و تستتر بثوب و تحرم و تهلّ، و كان فى قصتها ثلاث سنن: إحداها غسل المحرم، و الثانية أن الحائض تغتسل لإحرامها، و الثالثة أن الإحرام يصح من الحائض. ثم سار رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يلبي تلبيته المذكورة، و الناس معه يزيدون فيها و ينقصون، و هو يقرهم و لا ينكر عليهم و لزم تلبيته.

فلما كانوا بالروحاء، رأى حمار وحش عقيراً، فقال: دعوه فإنه يوشك أن يأتى صاحبه. فجاء صاحبه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم

سلم، فقال: يا رسول الله شأنكم بهذا الحمار؟ فأمر رسول الله أبا بكر، رضى الله عنه، فقسمه قسمين بين الرفاق. وفي هذا دليل على جواز أكل المحرم، من صيد الحلال، إذ لم يصد له لأجله.

و أما كون صاحبه لم يحرم فعله لم يمرّ بذي الحليفة، فهو كأبي قتادة في قصته.

و تدل هذه القصة على أن الهبة لا تفتقر إلى لفظ: و هبت لك، بل تصح بلفظ يدل

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٠١

عليها، و تدل على قسمته اللحم مع عظامه بالتحري، و تدل على أن الصيد يملك بالإثبات، و إزاله امتناعه، و أنه لمن أثبت له لا لمن أخذه، و على حل أكل لحم الحمار الوحشى، و على التوكيل فى القسمة، و على كون القاسم واحدا. ثم مضى، حتى إذا كان بالإثابة، بين الرويته و العرج، إذا طبى واقف فى ظل شجرة، فيه سهم، فأمر رجلا أن يقف عنده، لا يريه أحد من الناس حتى يجاوزوا. و الفرق بين قصة الطبى و قصة الحمار، أن الذى صاد الحمار كان حلالا، فلم يمنع من أكله، و هذا لم يعلم أنه حلال، و هم محرمون، فلم يأذن لهم فى أكله، و وكل من يقف عنده لثلا يأخذه أحد حتى يجاوزوا. و فيه دليل على أن قتل المحرم للصيد يجعله بمنزلة الميتة، فى عدم الحل، إذ لو كان حلالا لم تضع ماليته، بل كان للحلال أن ينتفع به. ثم سار حتى إذا نزل بالعرج و كانت زاملته و زامله أبى بكر واحدة، و كانت مع غلام لأبى بكر، فجلس رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبو بكر إلى جانبه و عائشة إلى جانبه الآخر و أسماء أختها إلى جانب أبيها، و أبو بكر ينتظر الغلام و الزامله، إذ طلع الغلام ليس معه البعير، فقال: أين بعيرك؟ فقال: أضلته البارحة. فقال أبو بكر: بعير واحد تضلّه، قال: فطفق يضربه و رسول الله صلى الله عليه و سلم يبتسم و يقول: أنظروا إلى هذا المحرم ماذا يصنع، و ما يزيد رسول الله على أن يقول ذلك و يبتسم، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى إذا كان بالأبواء أهدى له الصعب بن جثامة عجز حمار وحشى، فرده عليه، فقال: إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم. فلما مرّ بوادى عسفان قال: يا أبا بكر أى واد هذا؟ قال: وادى عسفان، قال: لقد مرّ به هود و صالح على بكرين أحمرين خطمهم الليف و أزرهم العباء و أرديتهم النمار يلبون يحجون البيت العتيق، و ذكره الإمام أحمد فى المسند، فلما كان بسرف حاضت عائشة، رضى الله عنها، و قد كانت أهلت بعمرة، فدخل عليها النبى صلى الله عليه و سلم و هى تبكى، قال: ما يبكيك؟ لعلك نفست، قالت نعم. قال: هذا شىء قد كتبه الله على بنات آدم، افعلنى ما يفعل الحاج، غير أن لا تطوفى بالبيت.

و قد جاء فى صحيح مسلم، عن جابر، رضى الله عنه، قال: أهلت عائشة بعمرة حتى إذا كانت بسرف عركت - حاضت - ثم دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم على عائشة فوجدها تبكى فقال: ما شأنك؟ قالت: شأنى إنى قد حضت و قد أحل الناس و لم أحل و لم أطف بالبيت و الناس يذهبون إلى الحج الآن، فقال: إن هذا أمر قد كتبه الله على بنات آدم فاغتسلى، ثم أهلى بالحج. ففعلت و وقفت المواقف كلها، حتى إذا طهرت، طافت بالكعبة و بالصفاء و المروة، ثم قال: قد حلت من

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٠٢

حجك و عمرتك. قالت: يا رسول الله! إنى أجد فى نفسى، أنى لم أطف بالبيت، حتى حججت. قال: فاذهب بها يا عبد الرحمن فأعمرها من التنعيم. و قد تنازع العلماء فى قصة عائشة، هل كانت متمتعة أو مفردة، و الصواب أنها كانت متمتعة محرمة بالعمرة فقط. و إذا كانت متمتعة، فهل رفضت عمرتها و انتقلت إلى الأفراد بالحج أو أدخلت عليها الحج و صارت قارئة بإدخاله عليها؟ و الصواب الثانى، و هل العمرة التى أتت بها من التنعيم كانت واجبة أو لا؟ و الصحيح أنها كانت نافلة تطيبها لقلبها و جيرا لها. و إلا فطوافها و سعيها وقع عن حجها و عمرتها و كانت متمتعة، ثم أدخلت الحج على العمرة فصارت قارئة، و اختلفوا هل كان طهرها يوم عرفه أو يوم النحر. و حديث عائشة السابق يؤخذ منه أصول عظيمة من أصول المناسك:

(١) اكتفاء القارن بطواف واحد و سعى واحد.

(٢) سقوط طواف القدوم عن الحائض، كما أن حديث صفيه أصل فى سقوط طواف الوداع عنها.

(٣) أن إدخال الحج على العمرة جائز كما يجوز للطاهر و أولى المعذورة لأنها محتاجة إلى ذلك.

(٤) أن الحائض تفعل أفعال الحج كلها إلا أنها لا تطوف بالبيت.

(٥) أن التنعيم من الحل.

(٦) جواز عمرتين في سنة واحدة بل في شهر واحد.

(٧) أن المشروع في حق المتمتع إذا خاف الفوات أن يدخل الحج على العمرة و حديث عائشة أصل فيه.

(٨) أنه أصل في العمرة المكية و ليس مع من يستحبها غيره، فإن النبي صلى الله عليه و سلم لم يعتمر هو و لا أحد ممن حج معه من مكة خارجا منها، إلا عائشة وحدها، فجعل أصحاب العمرة المكية قصة عائشة أصلا لقولهم و لا دلالة لهم فيها، فإن عمرتها، إما أن تكون قضاء للعمرة المرفوضة عند من يقول: أنها رفضتها، فهي واجبة قضاء لها، أو تكون زيادة محضة و تطيبا لقلبها عند من يقول: أنها كانت قارئة و أن طوافها و سعيها أجزاء عن حجها و عمرتها، و لنعد إلى سياق حجه صلى الله عليه و سلم.

فلما كان بسرف قال لأصحابه: من لم يكن معه هدى فأحب أن يجعلها عمرة فليفعل و من كان معه هدى فلا. و هذه رتبة أخرى، فوق رتبة التخيير، عند

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٠٣

الميقات. فلما كان بمكة أمر أمرا حتما من لا هدى معه أن يجعلها عمرة و يحل من إحرامه، و من معه هدى أن يقيم على إحرامه، و لم ينسخ ذلك شيء البتة، بل سأله سراقه بن مالك عن هذه العمرة التي أمرهم بالفسخ إليها، هل هي لعامهم ذلك أو للأبد؟ قال: بل للأبد، و أن العمرة قد دخلت في الحج إلى يوم القيامة، و قد روى عنه صلى الله عليه و سلم الأمر بفسخ الحج إلى العمرة أربعة عشر صحابيا و أحاديثهم كلها صحاح (انظر الأحاديث و أذار المخالفين و الرد عليها في زاد المعاد من ص ٢٠٩ إلى ٢٢٥ ج ١) ثم نهض صلى الله عليه و سلم إلى أن نزل بذي طوى، و هي المعروفة الآن بآبار الزاهر، فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذى الحجة، و صلى بها الصبح، ثم اغتسل من يومه، و نهض إلى مكة فدخلها من أعلاها، من الثنية العليا التي تشرف على الحجون، و كان في العمرة يدخل من أسفلها، و في الحج دخل من أعلاها، و خرج من أسفلها، ثم سار حتى دخل المسجد و ذلك ضحى.

و ذكر الطبراني أنه دخله من باب بنى عبد مناف، الذي يسميه الناس اليوم، باب بنى شيبه، أو باب السلام، ثم استقبل البيت و دعا، و ذكر الطبراني: أنه كان إذا نظر إلى البيت قال: اللهم زد بيتك هذا تشريفا و تعظيما و تكريما و مهابة. و روى عنه أنه كان عند رؤيته يرفع يديه و يكبر و يقول: اللهم أنت السلام، و منك السلام، حيناً ربنا بالسلام، اللهم زد هذا البيت تشريفا و تعظيما و تكريما و مهابة، و زد من حجّه أو اعتمره تكريما و تشريفا و تعظيما و برا، و هو مرسل. و لكن سمع هذا سعيد بن المسيب من عمر بن الخطاب، رضی الله عنه، يقوله. فلما دخل المسجد عمد إلى البيت و لم يركع تحية المسجد، فإن تحية المسجد الحرام الطواف.

فلما حاذى الحجر الأسود استلمه و لم يراحم عليه و لم يتقدم عنه، إلى جهة الركن اليماني، و لم يرفع يديه و لم يقل: نويت بطوافي هذا الأسبوع كذا و كذا. و لا افتتحه بالتكبير كما يكبر للصلاة، كما يفعله من لا علم عنده، بل هو من البدع المنكرات، و لا حاذى الحجر الأسود بجميع بدنه، ثم انفتل عنه و جعله على شقه، بل استقبله و استلمه، ثم أخذ عن يمينه، و جعل البيت عن يساره، و لم يعرف عنه عند الباب، و لا- تحت الميزاب، و لا- عند ظهر الكعبة و أركانها، و لا وقت الطواف، ذكر معين، لا بفعله و لا بتعليمه بل حفظ عنه بين الركنين رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. و رمل في طوافه هذا ثلاثة الأشواط الأول، و كان يسرع مشيه و يقارب بين خطاه، و اضطبع بردائه، فجعله على أحد كتفيه، و أبدى كتفه الآخر و منكبه، و كلما حاذى الحجر الأسود،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٠٤

أشار إليه، و استلمه بمحجنه، و قبل المحجن، و المحجن: عصا محنية الرأس، و ثبت عنه أنه استلم الركن اليماني، و لم يثبت عنه أنه قبله، و لا قبل يده عند استلامه، و لكن ثبت عنه أنه قبل الحجر الأسود، و ثبت عنه أنه استلمه بيده، فوضع يده عليه، ثم قبلها، و ثبت

عنه أنه استلمه بمحجن. فهذه ثلاث صفات، و روى عنه أيضا: أنه وضع شفتيه عليه طويلا ييكي. و ذكر الطبراني عنه بإسناد جيد أنه كان إذا استلم الركن اليماني قال: بسم الله و الله أكبر، و كان كلما أتى على الحجر الأسود قال: الله أكبر، و روى عن عمر أنه قبل الحجر و سجد عليه و أن رسول الله صلى الله عليه و سلم فعل ذلك. و روى عن ابن عباس أنه قبل الركن اليماني ثم سجد عليه ثم قبله ثم سجد عليه ثلاث مرات. و لم يستلم صلى الله عليه و سلم و لم يمس من الأركان إلا اليمانيين فقط. فلما فرغ من طوافه جاء إلى خلف المقام فقرأ: وَ اتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَصَلَّى ركعتين، و المقام بينه و بين البيت، قرأ فيهما بعد الفاتحة بسورتى الإخلاص، فلما فرغ من صلاته أقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه ثم خرج إلى الصفا من الباب الذي يقابله. فلما قرب منه قرأ: إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ أبدأ بما بدأ الله به، و في رواية أبدأوا على الأمر ثم رقى عليه، حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة فوحد الله و كبره و قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد و هو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك و قال مثل هذا ثلاث مرات.

و قام ابن مسعود على الصّيدع، و هو الشق الذي في الصفا، فقيل له: ها هنا يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هذا و الذي لا إله غيره مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة.

ذكره البيهقي. ثم نزل إلى المروة يمشى، فلما انصبت قدماه في بطن الوادي، سعى حتى إذا جاوز الوادي و أصدع مشى - هذا الذي صح عنه في ذلك اليوم- قبل الميلين الأخضرين في أول السعي و آخره، و الظاهر أن الوادي لم يتغير عن وضعه. هكذا قال جابر عنه في صحيح مسلم، و ظاهر هذا أنه كان ماشيا.

و قد روى مسلم في صحيحه عن ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول:

طاف النبي صلى الله عليه و سلم، في حجة الوداع، على راحلته بالبيت، و بين الصفا و المروة ليراه الناس، و ليشرف. و لم يطف رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا أصحابه بين الصفا و المروة إلا طوافا واحدا، قال ابن حزم: لا تعارض بينهما لأن الراكب إذا انصب به بعيره فقد انصب كله و انصبت قدماه أيضا مع سائر جسده، قال ابن القيم: و عندى وجه آخر للجمع بينهما أحسن من هذا و هو أنه سعى ماشيا أولا، ثم أتم سعيه راكبا،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٠٥

و قد جاء ذلك مصرحا به، ففي صحيح مسلم عن أبي الطفيل قال: قلت لابن عباس أخبرني عن الطواف بين الصفا و المروة راكبا أسنة هو؟ فإن قومك يزعمون أنه سنة، قال: صدقوا و كذبوا، قال: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم كثر عليه الناس يقولون: هذا محمد، حتى خرج عليه العواتق من البيوت، قال: و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يضرب الناس بين يديه، فلما كثر عليه، ركب و المشى أفضل.

و أما طوافه بالبيت عند قدومه فاختلف فيه، هل كان على قدميه أو كان راكبا؟ و الصحيح أنه طافه على قدميه، لأنه ثبت عنه الزمل فيه، و هو إنما يكون من المشى، و أن الركوب كان في طواف الإفاضة. و كان صلى الله عليه و سلم إذا وصل إلى المروة، رقى عليها، و استقبل البيت و كبر الله وحده، و فعل كما فعل على الصفا، فلما أكمل سعيه عند المروة، أمر كل من لا هدى معه، أن يحل حتما و لا بد قارنا كان أو مفردا، و أمرهم أن يحلوا الحل كله، من وطء النساء و الطيب و لبس المخيط، و أن يبقوا كذلك إلى يوم التروية، و لم يحل هو من أجل هديه و هناك قال: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى و لجعلتها عمرة، و هناك دعا للمحلفين بالمغفرة ثلاثا و للمقصرين مرة و هناك سأله سراقه بن مالك بن جعشم عقيب أمره لهم بالفسخ و الإحلال هل ذلك لعامهم خاصة أو للأبد؟ فقال: بل للأبد. و لم يحل أبو بكر و لا عمر و لا علي و لا طلحة و لا الزبير من أجل الهدى، و أما نساؤه صلى الله عليه و سلم فأحلن و كن قارنات إلا عائشة فإنها لم تحل، من أجل تعذر الحل عليها بحيضها، و فاطمة حلت لأنه لم يكن معها هدى، و علي، رضى الله عنه، لم يحل من أجل هديه، و أمر من أهل ياهلال كإهلاله صلى الله عليه و سلم أن يقيم على إحرامه، إن كان معه هدى،

و أن يحل إن لم يكن معه هدى.

و كان يصلى مدة مقامه بمكة، إلى يوم التروية، بمنزله، الذى هو نازل فيه، بالمسلمين، بظاهر مكة، فأقام، بظاهر مكة، أربعة أيام، يقصر الصلاة يوم الأحد و الاثنين و الثلاثاء و الأربعاء، فلما كان يوم الخميس ضحى توجه بمن معه من المسلمين إلى منى، فأحرم بالحج، من كان أحل منهم من رجالهم، و لم يدخلوا إلى المسجد فأحرموا منه، بل أحرموا و مكة خلف ظهورهم، فلما وصل إلى منى نزل بها و صلى بها الظهر و العصر و بات بها، و كان ليلة الجمعة، فلما طلعت الشمس سار منها إلى عرفة، و أخذ على طريق ضب، على يمين طريق الناس اليوم، و كان من أصحابه الملبى و منهم المكبر و هو يسمع ذلك و لا ينكر على هؤلاء و لا على

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٠٦

هؤلاء، فوجد القبّة قد ضربت له بنمرة بأمره، و هى قرية شرقى عرفات، و هى خراب اليوم، فنزل بها حتى إذا زالت الشمس أمر بناقته القصواء فرحلت، ثم سار حتى بطن الوادى من أرض عرنة.

فخطب الناس على راحلته، خطبة عظيمة، قرّر فيها قواعد الإسلام، و هدم فيها قواعد الشرك و الجاهلية، و قرر فيها تحريم المحرمات، التى اتفقت الملل على تحريمها، و هى: الدماء و الأموال و الأعراض، و وضع فيها أمور الجاهلية تحت قدميه، و وضع فيها ربا الجاهلية كله و أبطله، و أوصاهم بالنساء خيرا، و ذكر الحق الذى لهن و عليهن، و أن الواجب لهن الرزق و الكسوة بالمعروف، و لم يقدر ذلك بتقدير، و أباح للأزواج ضربهن إذا أدخلن إلى بيوتهن من يكرهه أزواجهن، و أوصى الأمة فيها بالاعتصام بكتاب الله، و أخبر أنهم لن يضلوا ما داموا معتصمين به ثم أخبرهم أنهم مسؤولون عنه و استنطقهم بما ذا يقولون و بما ذا يشهدون فقالوا: نشهد أنك قد بلغت و أدت و نصحت. فرجع إصبعة إلى السماء و استشهد الله عليهم ثلاث مرات، و أمرهم أن يبلغ شاهدهم غائبهم. و سيأتى نص الخطبة فى الكلام على حج الجاهلية، فلما أتمها، أمر بلالا فأذن، ثم أقام الصلاة فصلى الظهر ركعتين، أسرّ فيهما بالقراءة، و كان يوم الجمعة، فدل على أن المسافر لا يصلى جمعة، ثم أقام فصلى العصر ركعتين أيضا، و معه أهل مكة، و صلوا بصلاته قصرا و جمعا، بلا ريب، و لم يأمرهم بالإتمام و لا- بترك الجمع و من قال: أنه قال لهم "أتموا صلاتكم فإنما قوم سفر، فقد غلط فيه غلطا بينا، و وهم و هما قبيحا،" و إنما قال لهم ذلك فى غزاة الفتح، بجوف مكة، حيث كانوا فى ديارهم مقيمين.

و لهذا كان أصح أقوال العلماء: أن أهل مكة يقصرون و يجمعون بعرفة كما فعلوا مع النبى صلى الله عليه و سلم، و فى هذا أوضح دليل على أن سفر القصر لا يتحدد بمسافة معلومة، و لا بأيام معلومة، و لا تأثير للنسك فى قصر الصلاة البتة، و إنما التأثير لما جعل الله سببا، و هو السفر. هذا مقتضى السنّة و لا وجه لما ذهب إليه المحدّدون.

فلما فرغ من صلاته ركب، حتى أتى الموقف فوقف فى ذيل الجبل، عند الصخرات، و استقبل القبلة، و جعل جبل المشاة بين يديه، و كان على بعيره، فأخذ فى الدعاء و التضرّع و الابتهاج، إلى غروب الشمس، و أمر الناس أن يدفعوا عن بطن عرنة و أخبر أن عرفة لا تختص بموقفه ذلك بل قال: وقفت هاهنا و عرفة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٠٧

كلها موقف، و أرسل إلى الناس أن يكونوا على مشاعرهم، و يقفوا بها، فإنها من إرث أبيهم إبراهيم. و كذلك هناك، أقبل ناس من أهل نجد، فسألوه عن الحج، فقال: الحج يوم عرفة من أدرك قبل صلاة الصبح فقد أدرك الحج.

أيام منى ثلاثة أيام التشريق فمن تعجل فى يومين فلا- إثم عليه و من تأخر فلا- إثم عليه لمن اتقى و كان فى دعائه رافعا يده إلى صدره، كاستطعام المسكين، و أخبرهم أن خير الدعاء دعاء يوم عرفة، و ذكر من دعائه صلى الله عليه و سلم فى الموقف: اللهم لك الحمد، كالذى نقول، و خيرا مما نقول، اللهم: لك صلاتى و نسكى و محياى و مماتى و إليك مآبى و لك ربى تراثى، اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر، و وسوسة الصدر، و شتات الأمر، اللهم إنى أعوذ بك من شر ما تجىء به الريح. ذكره الترمذى.

و مما ذكر من دعائه هناك: اللهم إنك تسمع كلامي، و ترى مكاني، و تعلم سرى و علانيتي، و لا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير، و الوجع المشفق المقرّ المعترف بذنوبي، أسألك مسألة المسكين، و أبتهل إليك ابتهاج المذنب الدليل، و أدعوك دعاء الخائف الضرير، من خضعت لك رقبتة، و فاضت لك عيناه، و ذلّ جسده، و رغم أنفه لك، اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقياً، و كن بي رؤوفاً رحيماً، يا خير المسؤولين و يا خير المعطين.

ذكره الطبراني.

و ذكر الإمام أحمد من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه و سلم يوم عرفه "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد بيده الخير، و هو على كل شيء قدير."

و ذكر البيهقي، من حديث علي، رضی الله عنه، أنه صلى الله عليه و سلم قال: أكثر دعائي و دعاء الأنبياء من قبلي بعرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد، و هو على كل شيء قدير.

اللهم اجعل في قلبي نورا، و في صدري نورا، و في سمعي نورا، و في بصري نورا، اللهم اشرح لي صدري، و يسر لي أمري، و أعوذ بك من وسواس الصدر، و شتات الأمر، و فتنة القبر، اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج في الليل، و شر ما يلج في النهار، و شر ما تهبّ به الرياح، و شر بوائق الدهر. و أسانيد هذه الأدعية فيها لين، و هناك أنزلت عليه: اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٠٨

و رَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا و هناك سقط رجل من المسلمين عن راحلته، و هو محرم، فمات. فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يكفن في ثوبه، و لا- يمس بطيب، و أن يغسل بماء و سدر، و لا يغطي رأسه و لا وجهه. و أخبر أن الله تعالى يبعثه يوم القيامة يلبي. فلما غربت الشمس و استحکم غروبها، بحيث ذهب الصفرة، أفاض من عرفه، و أردف أسامة بن زيد خلفه، و أفاض بالسكينة، و ضم إليه زمام ناقته، حتى إن رأسه ليصيب طرف رحله، و هو يقول: أيها الناس عليكم السكينة، فإن البر ليس بالإيضاع، أي ليس بالإسراع، و أفاض من طريق المأزمين، و دخل عرفه من طريق ضب. و هكذا كانت عادته، صلوات الله و سلامه عليه، في الأعياد أن يخالف الطريق، ثم جعل يسير العنق، و هو ضرب من السير ليس بالسرير و لا البطيء، فإذا وجد فجوة، و هو المتسع، نصّ سيره أي رفعه، فوق ذلك، و كلما أتى ربوة، من تلك الربا، أرخى للناقعة زمامها قليلا، حتى تصعد، و كان يلبي في مسيره ذلك لا يقطع التلبية، فلما كان في أثناء الطريق نزل، صلوات الله و سلامه عليه، فبال و توضأ وضوءا خفيفا، فقال له أسامة:

الصلاة يا رسول الله. فقال: المصلّي أمامك، ثم سار حتى أتى المزدلفة، فتوضأ وضوء الصلاة، ثم أمر المؤذن بالأذان، فأذن المؤذن ثم أقام فصلى المغرب، قبل حطّ الرحال، و تبريك الجمال، فلما حطوا رحالهم، أمر فأقيمت الصلاة، ثم صلى العشاء الآخرة، بإقامة بلا أذان، و لم يصل بينهما شيئا، و قد روى أنه صلاهما بأذنين و إقامتين، و روى بإقامتين بلا أذان، و الصحيح أنه صلاهما بأذان و إقامتين، كما فعل بعرفة، ثم نام حتى أصبح، و لم يحيى تلك الليلة و لا صح عنه في إحياء ليلتي العيدين شيء، و أذن، في تلك الليلة، لضعفة أهله، أن يتقدموا إلى منى، قبل طلوع الفجر، و كان ذلك عند غيبوبة القمر. و أمرهم أن لا يرموا الجمره حتى تطلع الشمس، فلما طلع الفجر صلاها في أول الوقت، لا قبله، قطعا بأذان و إقامة يوم النحر، و هو يوم العيد، و هو يوم الحج الأكبر، و هو يوم الأذان براءة من الله و رسوله من كل مشرك، ثم ركب حتى أتى موقفه عند المشعر الحرام فاستقبل القبلة و أخذ في الدعاء و التضرع و التكبير و التهليل و الذكر، حتى أسفر جدا، و ذلك قبل طلوع الشمس، و هنالك سأله عروة بن مضر الطائي، فقال يا رسول الله: إني جئت من جبلى طيء أكللت راحلتي، و أتعبت نفسي، و الله ما تركت من جبل، إلا وقفت عليه، فهل لي من حج؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من شهد صلاتنا هذه، فوقف معنا، حتى ندفع، و قد وقف بعرفة قبل ذلك، ليلا أو



التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٠٩

نهاراً، فقد تم حجه وقضى تفته. قال الترمذى: حديث حسن صحيح. وبهذا احتج من ذهب إلى أن الوقوف بمزدلفة والمبيت بها ركن كعرفة. وقد وقف صلى الله عليه وسلم في موقفه، وأعلم الناس أن مزدلفة كلها موقف، ثم سار من مزدلفة مردفاً للفضل بن عباس وهو يلبي في مسيره، وانطلق أسامة بن زيد على رجليه، في سباق قريش، وفي طريقه ذلك أمر ابن عباس أن يلتقط له حصى الجمار سبع حصيات ولم يكسرها، من الجبل تلك الليلة، كما يفعل من لا علم عنده، ولا التقطها بالليل، فالتقط له سبع حصيات من حصى الخذف، فجعل يفضهن في كفه ويقول: أمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو في الدين، وإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين. وفي طريقه تلك، عرضت له امرأة من خثعم جميلة، فسألته عن الحج عن أبيها، وكان شيخاً كبيراً لا يستمسك على الرحلة، فأمرها أن تحج عنه. وجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فوضع يده على وجهه، وصرفه إلى الشق الآخر - وكان الفضل وسيماً - فقيل: صرف وجهه عن نظرها إليه وقيل:

صرفه عن نظره إليها، والصواب أنه فعله للأمرين، فإنه في القصة جعل ينظر إليها وتنظر إليه، سأله آخر هنالك عن أمه فقال: إنها عجوز كبيرة وإن حملتها لم تستمسك وإن ربطتها خشيت أن أقتلها فقال: رأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيه؟ قال: نعم. قال: فحج عن أمك. فلما أتى بطن محسر، حرك ناقته، وأسرع السير، وهذه كانت عادته في المواضع التي نزل فيها بأس الله بأعدائه، فإن هنالك أصاب أصحاب الفيل ما قص الله علينا، ولذلك سمي ذلك الوادى وادى محسر، لأن الفيل حسر فيه، أى أعيب وانقطع عن الذهاب، وكذلك فعل في سلوكه الحجر، وديار ثمود، فإنه تقنع بثوبه وأسرع السير، و"محسر" برزخ بين منى وبين مزدلفة لا من هذه ولا من هذه و"عرنة" برزخ بين عرفة والمشعر الحرام، فبين كل مشعرين برزخ ليس منهما، فمنى من الحرم وهى مشعر، و محسر من الحرم وليس بمشعر، ومزدلفة: حرم ومشعر، وعرنة ليست مشعراً ولا حرماً، وعرفة: حل ومشعر. وسلك صلى الله عليه وسلم، الطريق الوسطى، بين الطريقتين، وهى التى تخرج على الجمره الكبرى، حتى أتى منى، فأتى جمره العقبة، فوقف، فى أسفل الوادى، وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه، واستقبل الجمره وهو على راحلته، فرماها راكباً بعد طلوع الشمس، واحده بعد واحده، يكبر مع كل حصاة، وحينئذ قطع التلبية. وكان فى مسيره ذلك يلبي حتى شرع فى الرمي، ورمى وبلال وأسامة معه، أحدهما أخذ بخطام ناقته، والآخر يظله بثوب من

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣١٠

الحرم، وفى هذا دليل على جواز استئلال المحرم بالمحمل ونحوه، إن كانت قصة هذا الإضلال فى يوم النحر ثابتة، وإن كانت بعده فى أيام منى، فلا حجة فيها. وليس فى الحديث بيان أى زمان كانت والله أعلم. ثم رجع إلى منى، فخطب الناس خطبةً بليغة، أعلمهم فيها بحرمه يوم النحر وتحريمه وفضله عند الله، وحرمة مكة على جميع البلاد، وأمر بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله، وأمر الناس بأخذ مناسكهم عنه، وقال: لعللى لا أحج بعد عامى هذا. و علمهم مناسكهم، وأنزل المهاجرين والأنصار منازلهم، وأمر الناس أن لا يرجعوا بعده كفاراً، يضرب بعضهم رقاب بعض، وأمر بالتبليغ عنه، وأخبر أنه، رب مبلغ أوعى من سامع، وقال فى خطبته: لا يجنى جان إلا على نفسه، وأنزل المهاجرين عن يمين القبلة، والأنصار عن يسارها، والناس حولهم، وفتح الله له أسماع الناس، حتى سمعها أهل منى فى منازلهم، وقال فى خطبته تلك: اعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم، وودع حينئذ الناس، فقالوا: حجة الوداع. وهناك سئل عن حلق قبل أن يرمى، فقال: لا حرج، قال عبد الله بن عمر: ما رأيته سئل صلى الله عليه وسلم يوماً عن شىء إلا قال: افعلوا ولا حرج، قال ابن عباس: إنه قيل له صلى الله عليه وسلم فى الذبح والحلق والرمي والتقديم والتأخير قال: لا حرج، وقال أسامة بن شريك: خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم حاجاً وكان الناس يأتونه فمن قائل يا رسول الله! سعيت قبل أن أطوف أو أخرت شيئاً وقدّمت فكان يقول: لا حرج لا حرج، إلا على رجل اعترض عرض رجل مسلم، وهو ظالم، فذلك الذى حرج وهلك، وقوله: سعيت قبل أن

أطوف في هذا الحديث ليس بمحفوظ - و المحفوظ: تقديم الرمي و النحر و الحلق بعضها على بعض، ثم انصرف إلى المنحر بمنى، فنحر ثلاثا و ستين بدنة، بيده، و كان ينحرها قائمة معقولة يدها اليسرى، و كان عدد هذا الذي نحره، عدد سنى عمره، ثم أمسك، و أمر عليا أن ينحر ما بقى من المائة، ثم أمر عليا، رضى الله عنه، أن يتصدق بجلالها و لحومها و جلودها فى المساكين، و أمره أن لا يعطى الجزار فى جزارته شيئا منها، و قال: نحن نعطيه من عندنا، و قال: من شاء اقتطع. و قد نحر صلى الله عليه و سلم بمنحره بمنى، و أعلمهم أن منى كلها منحرة، و أن فجاج مكة طريق و منحرة، و فى هذا دليل، على أن النحر لا يختص بمنى، بل حيث نحر من فجاج مكة أجزاءه. كما أنه لما وقف بعرفة، قال: وقفت هاهنا و عرفة كلها موقف، و لما وقف بمزدلفة قال: وقفت هاهنا و مزدلفة كلها موقف. و سئل صلى الله عليه و سلم أن يبني له بناء يظله

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣١١

من الحر؟ فقال: لا، منى مناخ لمن سبق إليه. و فى هذا دليل على اشتراك المسلمين فيها، و أن من سبق إلى مكان فهو أحق به، حتى يرتحل عنه، و لا يملكه بذلك.

فلما أكمل رسول الله صلى الله عليه و سلم نحره، استدعى بالحلاق، فحلق رأسه. فقال للحلاق، و هو معمر بن عبد الله، و هو قائم على رأسه بالموسى، و نظر فى وجهه و قال: يا معمر! أمكنتك رسول الله صلى الله عليه و سلم من شحمة أذنه و فى يدك الموسى. فقال معمر: أما و الله يا رسول الله إن ذلك لمن نعمة الله على، و منه، قال: أجل.

و قال صلى الله عليه و سلم للحلاق: خذ، و أشار إلى جانبه الأيمن، فلما فرغ منه، قسم شعره بين من يليه، ثم أشار إلى الحلاق فحلق جانبه الأيسر، ثم قال: هاهنا أبو طلحة فدفعه إليه، هكذا وقع فى صحيح مسلم. و قد دعا صلى الله عليه و سلم للمحلقين بالمغفرة، ثلاثا و للمقصرين مرة، و حلق كثير من الصحابة بل أكثرهم، و قصير بعضهم. و هذا مع قوله تعالى: لَتَذُخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ زُؤَسِيكُمْ و مُقَصِّرِينَ و مع قول عائشة، رضى الله عنها، طيبت رسول الله، لإحرامه قبل أن يحرم، و لإحلاله قبل أن يحل، دليل على أن الحلق نسك و ليس بإطلاق من محظورات الإحرام.

ثم أفاض صلى الله عليه و سلم إلى مكة، قبل الظهر، راكبا، فطاف طواف الإفاضة، و هو طواف الزيارة، و هو طواف الصدر. و لم يطف غيره، و لم يسع معه. هذا هو الصواب، و قد خالف فى ذلك ثلاث طوائف: طائفة زعمت أنه طاف طوافين:

طوفا للقدم سوى طواف الإفاضة، ثم طاف للإفاضة، و طائفة زعمت أنه سعى مع هذا الطواف لكونه قارنا، و طائفة زعمت أنه لم يطف فى ذلك اليوم و إنما أخر طواف الزيارة إلى الليل. - و قد بين ابن القيم منشأ هذه الأقوال و خطأها فى كتابه زاد المعاد من ص ٢٣٩ إلى ٢٤٢ - و لم يرمل صلى الله عليه و سلم فى هذا الطواف، و لا فى طواف الوداع، و إنما رمل فى طواف القدوم، ثم أتى زمزم بعد أن قضى طوافه و هم يسقون، فقال: لو لا أن يغلبكم الناس لتزلت فسقيت معكم. ثم ناولوه الدلو فشرب و هو قائم فقيل: هذا نسخ لنيه عن الشرب قائما، و قيل: بل بيان منه لأن النهى على وجه الاختيار و ترك الأولى و قيل: بل للحاجة و هذا أظهر. و هل كان فى طوافه هذا راكبا أو ماشيا؟ و اختلف أين صلى الله عليه و سلم الظهر يومئذ؟ فى الصحيحين عن ابن عمر أنه صلى الله عليه و سلم أفاض يوم النحر، ثم رجع فصلى الظهر بمنى، و فى صحيح مسلم عن جابر، أنه صلى الله عليه و سلم صلى الظهر بمكة، و كذلك قالت عائشة:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣١٢

و قد رجح جماعة قول عائشة و جابر و رجح آخرون قول ابن عمر رضى الله عنه أنظر وجه الترجيح زاد المعاد أول ص ٢٤٣. و قد طافت عائشة فى ذلك اليوم طوفا واحدا، و سعت سعيًا واحدا، أجزاءها عن حجها و عمرتها، و طافت صافية ذلك اليوم، ثم حاضت فأجزأها طوافها ذلك عن طواف الوداع، و لم تودع فاستقرت سنته صلى الله عليه و سلم فى المرأة الطاهرة، إذا حاضت قبل الطواف أن تقرن و تكنفى بطواف واحد و سعى واحد، و إن حاضت بعد طواف الإفاضة اجتزأت به عن طواف الوداع. ثم رجع صلى الله عليه

و سلم إلى منى من يومه ذلك، فبات بها فلما أصبح انتظر زوال الشمس، فلما زالت مشى من رحله إلى الجمار، و لم يركب فبدأ بالجمرة الأولى، التي تلى مسجد الخيف، فرماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة، يقول مع كل حصاة: الله أكبر. ثم يقدم على الجمرة أمامها حتى أسهل، فقام مستقبل القبلة، ثم رفع يديه، و دعا دعاء طويلا، بقدر سورة البقرة، ثم أتى إلى الجمرة الوسطى، فرماها كذلك، ثم انحدر ذات اليسار، مما يلي الوادى، فوقف مستقبل القبلة رافعا يديه يدعو قريبا من وقوفه الأول، ثم أتى الجمرة الثالثة و هى جمرة العقبة، فاستبطن الوادى، و استعرض الجمرة، فجعل البيت عن يساره و منى عن يمينه، و استقبل البيت وقت الرمي كما ذكره غير واحد من الفقهاء، فلما أكمل الرمي رجع من فورهِ و لم يقف عندها فليل: لضيق المكان بالجبل و قيل و هو أصح: أن دعاءه كان فى نفس العبادة، قبل الفراغ منها، فلما رمى جمرة العقبة فرغ الرمي، و الدعاء فى صلب العبادة، قبل الفراغ منها، أفضل منه بعد الفراغ منها. و يغلب على الظن أنه كان يرمى قبل الصلاة ثم يرجع فيصلى.

و مما تقدم، تعلم أن حجة النبي صلى الله عليه و سلم، تضمنت ست وقفات للدعاء: الموقف الأول على الصفا، و الثانى على المروة، و الثالث بعرفة، و الرابع بمزدلفة، و الخامس عند الجمرة الأولى، و السادس عند الجمرة الثانية.

و خطب صلى الله عليه و سلم الناس بمنى خطبتين: خطبة يوم النحر و قد تقدمت، و الخطبة الثانية فى أوسط أيام التشريق فليل: هو ثانى يوم النحر و هو أوسطها، أى خيارها، و احتج لذلك بحديث سري بنت نبهان قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:

أتدرون أى يوم هذا؟ قالت: و هو اليوم الذى تدعون يوم الرؤوس. قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: هذا وسط أيام التشريق، هل تدرون أى بلد هذا؟ قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: هذا المشعر الحرام. ثم قال: إني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣١٣

هذا، ألا- و إن دماءكم و أموالكم و أعراضكم عليكم حرام كحرمه يومكم هذا فى بلدكم هذا، حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا- فليبلغ أدناكم أقصاكم ألا هل بلغت. فلما قدمنا المدينة، لم يلبث إلا قليلا، حتى مات صلى الله عليه و سلم. رواه أبو داود.

و يوم الرؤوس هو ثانى يوم النحر بالاتفاق. و استأذنه العباس بن عبد المطلب أن يبيت بمكة ليالى منى من أجل سقايته فأذن له، و استأذنه رعاء الإبل فى البيوتة، خارج منى، عند الإبل، فأرخص لهم، أن يرموا يوم النحر ثم يجمعوا رمي يومين، بعد يوم النحر، يرمونه فى أحدهما، قال مالك: ظننت أنه قال فى أول يوم منهما ثم يرمون يوم النحر، و قال ابن عيينة: فى هذا الحديث رخص للرعاء أن يرموا يوما، و يدعوا يوما، فيجوز للطائفتين بالسنة ترك المبيت بمنى.

و أما الرمي فإنهم لا- يتركونه بل لهم أن يؤخروه إلى الليل، فيرمون فيه، و لهم أن يجمعوا رمي يومين فى يوم، و إذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد رخص لأهل السقاية و للرعاء فى البيوتة، فمن له مال يخاف ضياعه أو مريض يخاف من تخلفه عنه، أو كان مريضا لا تمكنه البيوتة، سقطت عنه، بتبنيه النص على هؤلاء. و لم يتعجل صلى الله عليه و سلم فى يومين، بل تأخر، حتى أكمل رمي أيام التشريق الثلاثة، و أفاض يوم الثلاثاء بعد الظهر، إلى المحصب، و هو الأبطح، و هو خيف بنى كنانة، فوجد أبا رافع قد ضرب فيه قبته هنالك، و كان على ثقله توفيقا من الله عز و جل، دون أن يأمره به صلى الله عليه و سلم، فصلى الظهر و العصر و المغرب و العشاء، و رقد رقدة ثم نهض إلى مكة، فطاف للوداع ليلا- سحرا، و لم يرمل فى هذا الطواف، و أخبرته صفية أنها حائض، فقال: أحابستنا هى؟ فقالوا له: إنها قد أفاضت، قال: فلننفر إذا، و رغبت إليه عائشة تلك الليلة أن يعمرها عمرة مفردة فأخبرها أن طوافها بالبيت و بالصفا و المروة قد أجزأها عن حجها و عمرتها، فأبت إلا أن تعتمر عمرة مفردة، فأمر أخاها أن يعمرها من التنعيم، ففرغت من عمرتها ليلا، ثم وافى المحصب مع أخيها، فأتيا فى جوف الليل، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: فرغتما؟ قالت: نعم، فنادى بالرحيل فى أصحابه، فارتحل الناس ثم طاف بالبيت، قبل صلاة الصبح، و قد اختلف فى التحصيب أسنة هو أو منزل اتفاق على قولين.

و هاهنا ثلاث مسائل:

هل دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت في حجته أم لا؟ و هل وقف بالملتزم أو لا؟ و هل صلى الصبح ليلة الوداع بمكة أو خارجا عنها؟ و الذي تدل عليه سنته أنه لم يدخل

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣١٤

البيت في حجته و لا في عمرته و إنما دخله عام الفتح، و أنه لم يقف بالملتزم إلا عام الفتح و أنه صلى صلاة الصبح بمكة عند البيت، و سمعته أم سلمة يقرأ فيها بالطور، ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة. فلما كان بالروحاء لقي ركبا فسلم عليهم و قال: من القوم؟ فقالوا: المسلمون. فمن القوم؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفعت امرأة صبيبا لها من محفة فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: نعم و لك أجر، فلما أتى ذا الحليفة بات بها، فلما رأى المدينة كبر ثلاث مرات و قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد، و هو على كل شيء قدير، آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده، و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده، ثم دخلها نهارا من طريق المعرس، و خرج من طريق الشجرة.

هديه صلى الله عليه وسلم في الهدايا: أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنم، و أهدى الإبل، و أهدى عن نساءه البقر، و أهدى في مقامه و في عمرته و في حجته. و كانت سنته تقليد الغنم دون إشعارها، و كان إذا بعث بهديه و هو مقيم و لم يحرم عليه شيء كان منه حلالا. و كان، إذا أهدى الإبل، قلدتها و أشعرها، فيشق صفحة سنامها اليمنى يسيرا حتى يسيل منها الدم. قال الشافعي، رضى الله عنه: و الإشعار في الصفحة اليمنى، كذلك أشعر النبي صلى الله عليه وسلم و كان إذا بعث بهديه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رسوله، إذا أشرف على عطب شيء منه، أن ينحره ثم يصبغ نعله في دمه، ثم يجعله على صفحته، و لا يأكل منه هو و لا أحد من رفقته، ثم يقسم لحمه. و منعه من هذا الأكل سدا للذريعة، فإنه لعله ربما قصر في حفظه، ليشارف العطب فينحره و يأكل منه، فإذا علم أنه لا يأكل منه شيئا اجتهد في حفظه، و شرك بين أصحابه في الهدى، فالبدنة عن سبع و البقرة كذلك، و أباح لسائق الهدى ركوبه بالمعروف إذا احتاج إليه، حتى يجد ظهرا غيره، و قال علي، رضى الله عنه: يشرب من لبنها ما فضل عن ولدها.

و كان هديه صلى الله عليه وسلم نحر الإبل قياما، مقيدة معقولة اليسرى على ثلاث، و كان يسمي الله عند نحره، و يكبر، و كان يذبح نسكه بيده، و ربما و كل في بعضه، كما أمر عليا، رضى الله عنه، أن يذبح ما بقى من المائة. و كان إذا نحر الغنم وضع قدمه على صفائحها، ثم سمي و كبر و نحر، و قد تقدم أنه نحر بمنى و قال: إن فجاج مكة كلها منحر، و قال ابن عباس: مناخر البدن بمكة و لكنها نزهت عن الدماء و منى من مكة، و كان ابن عباس ينحر بمكة. و أباح صلى الله عليه وسلم أن يأكلوا من هداياهم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣١٥

و ضحاياهم، و يتروودوا منها، و نهاهم مرة أن يدخروا منها بعد ثلاث، لدافئة دفت عليهم ذلك العام من الناس، فأحب أن يوسعوا عليهم. و روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع لثوبان: أصلح هذا اللحم، قال: فأصلحته فلم يزل يأكل منه حتى بلغ المدينة، و كان ربما قسم لحوم الهدى، و ربما، قال: من شاء اقتطع فعل هذا و فعل هذا، و كان من هديه صلى الله عليه وسلم ذبح هدى العمرة عند المروة، و هدى القران بمنى، و كذلك كان ابن عمر يفعل. و لم ينحر هديه صلى الله عليه وسلم قط إلا بعد أن حل و لم ينحره قبل يوم النحر و لا أحد من الصحابة البتة، و لم ينحره أيضا إلا بعد طلوع الشمس و بعد الرمي، فهي أربعة أمور مرتبة يوم النحر: أولها الرمي ثم النحر ثم الحلق ثم الطواف، و هكذا رتبها صلى الله عليه وسلم و لم يرخص في النحر قبل طلوع الشمس البتة، و لا ريب أن ذلك مخالف لهديه، فحكمه حكم الأضحية إذا ذبحت قبل طلوع الشمس فإنها لا تجزئ. انتهى من كتاب مرآة الحرمين.

ثم ذكر صاحب "مرآة الحرمين" شيئا من أحكام الحج على المذاهب الأربعة و لم نر نقل ذلك حتى لا يطول بنا الكلام، فإن ذلك من اختصاص كتب الفقه.

## ما في حجة الوداع من المعاني الجليلة

إن في حجة الوداع معاني جليلة و أمورا دقيقة، تظهر للمتأمل المتفكر من أولى الأبواب، فمنها: أنه في يوم عرفه من حجة الوداع، نزلت هذه الآية الجليلة، التي في أول سورة المائدة، و هي قوله تعالى: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا**.

فقد نزلت هذه الآية الكريمة في يوم جمعة، و كان يوم عرفه، بعد العصر، في حجة الوداع، سنة عشر من الهجرة، و رسول الله صلى الله عليه و سلم واقف بعرفة، على ناقته العضاء، فكاد عضد الناقة ينقذ من ثقلها فبركت.

روى الأئمة عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر فقال:

يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تفرؤونها، لو علينا أنزلت، معشر اليهود، لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال: و أى آية؟ قال: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا**. فقال عمر: إنى لأعلم اليوم الذى أنزلت فيه، نزلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم بعرفة في يوم جمعة، لفظ مسلم و عند النسائي "ليلة الجمعة" نقلنا هذه الرواية من تفسير القرطبي.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣١٦

و لا يخفى، أن هذه الآية الكريمة، أعظم بشارة و أكبر فرح للمسلمين، لاشتمالها على ثلاث مسائل، كل واحدة أعظم من أختها، كما هي ظاهرة من منطوق الآية:

(١) أن الله تعالى قد أكمل لنا ديننا الحنيف.

(٢) قد أتم علينا نعمته من جميع الوجوه.

(٣) قد اختار لنا بنفسه دين الإسلام القويم، كل ذلك بمحض فضله و رحمته.

و لما جرت العادة أن البشائر الكبرى، و الأخبار المهمة العمومية، تكون بالإعلان عنها على رؤوس الأشهاد، بشتى الطرق و الوسائل، تكرم الله عز و شأنه أن يكون نزول هذه الآية الجليلة في يوم عرفه، لاجتماع كافة المسلمين فيه، و حضور رسول الله صلى الله عليه و سلم بينهم، لينتشر ذلك فيهم بسرعة البرق، فيعم البشر و السرور و الفرح و الجور للمسلمين جميعا في وقت واحد.

و يفهم من هذه الآية قرب انتقال رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الدار الآخرة، فما دام الدين الإسلامى قد كمل و أدى النبى رسالته للناس و بلغهم ما أنزل إليه، فليلحق بالرفيق الأعلى، و ليسترح من تعب الدنيا.

و فى نزول هذه الآية الكريمة حكمة كبرى، و هى اطمئنان المسلمين إلى أن دينهم قد كمل فلا يحتاج إلى زيادة شىء، فلو لم تنزل هذه الآية، و مات رسول الله صلى الله عليه و سلم لخطر فى البال و جال فى الصدور: أن دين الإسلام ربما لم يكمل، و أنه لو لم يمت صلى الله عليه و سلم لتوالى نزول الآيات القرآنية، و ازدادت أحكام الديانة الإسلامية، فلهذه الآية الجليلة موقع عظيم، و معنى دقيق لا يغيب على ذوى الأبواب. اه.

هذا و إن فى حجة الوداع معاني جليلة، و مسائل دقيقة، كما فيها أمور مهمة واضحة، و الباحث عنها فى كتب الفقه و الحديث و التاريخ يجد فيها كثيرا من المسائل الدينية، و الأمور الاجتماعية، و الإنسانية الكاملة، من يوم خروجه صلى الله عليه و سلم من المدينة إلى يوم رجوعه إليها من حجته هذه.

و لقد كان من معجزاته صلى الله عليه و سلم، و ما أكثرها، أن خطبته البليغة الجامعة، فى يوم النحر فى هذه الحجة، كان الناس يسمعونها و هم فى منازلهم و أماكنهم. فقد روى أبو داود و النسائي، عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه و سلم و نحن بمنى، ففتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول و نحن فى منازلنا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣١٧

## خطبة حجة الوداع

اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب في حجته في عرفات، وذلك أنه بعد أن زالت الشمس، خرج من قبته، التي ضربت له بنمرة، فركب ناقته القصواء، و سار حتى أتى بطن الوادي، من أرض عرنة (بالنون)، فخطب الناس و هو على راحلته خطبةً بليغةً عظيمةً، فلما أتمها أمر بلالا فأذن ثم أقام الصلاة فصلى الظهر ركعتين، ثم أقام فصلى العصر ركعتين أيضاً، و معه أهل مكة، و صلوا بصلاته قصراً و جمعا و لم يأمرهم بالإتمام و لا بترك الجمع.

فلما فرغ من صلاته ركب حتى أتى الموقف فوقف على بعيره في محل مسجد الصخرات بقرب جبل الرحمة و أخذ في الابتهاال و التضرع و الدعاء إلى غروب الشمس.

فلما غربت الشمس، غروبا تاما، أفاض عليه الصلاة والسلام، من عرفه، و أردف أسامة بن زيد خلفه، و أفاض بالسكينة، و ضم إليه زمام ناقته، حتى إن رأسه ليصيب طرف رحله، و هو يقول: "أيها الناس عليكم السكينة فإن البر ليس بالإيضاع - أي ليس بالإسراع -". فلما كان في أثناء الطريق، نزل صلى الله عليه وسلم، فبال و توضأ وضوءاً خفيفاً، فقال له أسامة: الصلاة يا رسول الله فقال: المصلّي أمامك، ثم سار حتى أتى الزدلفة، فتوضأ وضوء الصلاة، ثم أمر المؤذن بالأذان، فأذن المؤذن ثم أقام فصلى المغرب، قبل حطّ الرحال و تبريك الجمال، فلما حطوا رحالهم أمر فأقيمت الصلاة، ثم صلى العشاء الآخرة بإقامة بلا أذان، و لم يصل بينهما شيئاً. و قد روى أنه صلاهما بأذنين و إقامتين، و روى بإقامتين بلا أذان، و الصحيح أنه صلاهما بأذان و إقامتين كما فعل بعرفة، ثم نام، فلما طلع الفجر، صلى الصبح بأذان و إقامة، و هو يوم عيد الأضحى، يوم الحج الأكبر، ثم ركب ناقته القصواء حتى أتى المشعر الحرام، و هو موضع معروف بمزدلفة، فاستقبل القبلة، و أخذ في الدعاء و التضرع و التهليل و التكبير و الذكر حتى أسفر جدا.

و الظاهر و الله تعالى أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخطب بمزدلفة لضيق الوقت و لكونه ليلاً، و الناس مشغولون بحطّ الرحال و النوم، حين الوصول إليها من عرفه بعد العشاء، أي في نحو الساعة الثانية العربية، و مشغولون بشدّ الرحال إلى منى بعد صلاة الصبح، فليست هنالك فرصة للخطبة، و لكنه لما وقف بالمشعر الحرام و هو

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣١٨

جبل قرح للدعاء و الذكر قال: "هذا قرح و هو الموقف و جمع كلها موقف" و يعنى بجمع المزدلفة فهو اسم لها.

فلما أسفر الصبح و ظهر الضياء بحيث ترى الإبل مواضع خفافها، سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منى، و أردف الفضل بن عباس خلفه، و هو يلبى في مسيره، و انطلق أسامة بن زيد على رجليه في سباق قريش، و في طريقه ذلك أمر ابن عباس أن يلتقط له حصى الجمار، سبع حصيات، و لم يكسرهما من الجبل، و لا التقطها ليلاً.

فلما وصل إلى منى، أتى جمرة العقبة، فوقف في أسفل الوادي، و جعل البيت عن يساره و منى عن يمينه (أي استقبال وجه الجمرة و الجبل الذي كان خلفها) فرماها و هو على راحلته بعد طلوع الشمس يكبر مع كل حصاة.

ثم إنه صلى الله عليه وسلم رجع إلى منى، فخطب الناس خطبةً بليغةً، أعلمهم فيها بحرمة يوم النحر، و حرمة مكة، و علمهم مناسكهم و فتح الله له أسماع الناس، حتى سمعوا خطبته و هم في منازلهم، و ودّع حينئذ الناس فقالوا حجة الوداع.

و قد خطب صلى الله عليه وسلم بمنى خطبتين: إحداهما يوم النحر، و الثانية في أوّس أيام التشريق أي ثاني يوم النحر. و في حجته ست وقفات للدعاء:

(١) على الصفا، (٢) و على المروة، (٣) و بعرفات، (٤) و بمزدلفة، (٥) و عند الجمرة الأولى، (٦) و عند الجمرة الثانية.

و لقد ذكر صاحب "مرآة الحرمين" خطبة حجة الوداع بصحيفة ٣١٨ من الجزء الأول فقال: فلما كانت سنة عشر أذن الله عز و جل لنبيه صلى الله عليه وسلم في الحج، فحج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، التي أسلفنا لك تفصيلها، و خطب خطبته

المشهوره بعرفه، و ذكر فيها النسئ و أبطله، و لما تضمنته هذه الخطبه من الشرائع الحكيمه و النصائح القيمه نوردها لك بنصها و فصها كما رواها ابن هشام فى سيرته و هى:

"الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نتوب إليه و نعوذ به من شرور أنفسنا، و من سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له و من يضل فلا هادى له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله. أوصيكم عباد الله بتقوى الله، و أحثكم على طاعته، و أستفتح بالذى هو خير، أيها الناس، اسمعوا قولى، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم، بعد عامى هذا،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣١٩

بهذا الموقف أبدا، أيها الناس إن دماءكم و أموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمه يومكم هذا و كحرمه شهركم هذا، و إنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، و قد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، و إن كل ربا موضوع، و لكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون و لا تظلمون. قضى الله أنه لا ربا و أن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله، و أن كل دم كان فى الجاهليه موضوع، و أن أول دماءكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب- و كان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هذيل- فهو أول ما أبدا به من دماء الجاهليه.

أما بعد: أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، و لكنه إن يطع فيما سوى ذلك، فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم، أيها الناس إن النسئ زياده فى الكفر، يضل به الذين كفروا، يحلونهم عاما و يحرمونه عاما، ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله و يحرموا ما أحل الله، و إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات و الأرض، و إن عدة الشهور عند الله اثنا عشره شهرا، منها أربعة حرم ثلاث متواليه و رجب مضر الذى بين جمادى و شعبان.

أما بعد: أيها الناس فإن لكم على نسائك حقا و لهن عليكم حقا، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، و عليهن أن لا يأتين بفاحشه مبينه، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع، و تضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن و كسوتهن بالمعروف، و استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عندكم عوان لا يمكن لأنفسهن شيئا، و إنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، و استحلتتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولى فإنى قد بلغت. و قد تركت فيكم، ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمرا بينا: كتاب الله و سنه نبيه. أيها الناس اسمعوا قولى و اعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم و أن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا- ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم. اللهم هل بلغت. فذكر لى أن الناس قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: اللهم اشهد."

قال ابن إسحاق: حدثنى ليث بن أبى سليم، عن شهر بن حوشب الأشعري، عن عمرو بن خارجة، قال: بعثنى عتاب بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فى حاجه، و رسول الله صلى الله عليه و سلم واقف بعرفه فبلغته، ثم وقفت تحت ناقه رسول الله صلى الله عليه و سلم، و إن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٢٠

لغامها ليقع على رأسى، فسمعتة و هو يقول: أيها الناس إن الله قد أدى إلى كل ذى حق حقه و إنه لا تجوز وصيه لوارث، و الولد للفراش و للعاهر الحجر، و من ادعى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله و الملائكه و الناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا. انتهى من الجزء الأول من كتاب "مرآة الحرمين."

و ما ورد فى هذه الخطبه، من قوله صلى الله عليه و سلم: و إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات و الأرض ... إلى آخر السطرين، هذه الجملة وردت فى الصحيحين و هى أول حديث طويل أحببنا ذكره لما فيه من الفوائد، فى البخارى أوله "الزمان قد استدار ... إلخ" و فى مسلم "إن الزمان قد استدار ... إلخ" و إليك نص الحديث:

"الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم و رجب مضر، الذى بين جمادى و شعبان، أى شهر هذا؟ قلنا الله و رسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى. قال: فأى بلد هذا؟

قلنا: الله و رسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس البلدة؟ قلنا: بلى. قال: فأى يوم هذا؟ قلنا: الله و رسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى. قال: فإن دماءكم و أموالكم و أعراضكم عليكم حرام، كحرمه يومكم هذا، فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا، و ستلقون ربكم فىسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدى ضلالا، يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا- ليلخ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه، ثم قال: ألا- هل بلغت مرتين." رواه البخارى و مسلم عن أبى بكره، رضى الله عنه.

### وقفه الجمعة بعرفات

اعلم أن وقفه الجمعة لها مزية على غيرها لأن الأعمال تشرف بشرف الزمان، كما تشرف بشرف المكان، و يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع فيكون العمل فيه أفضل فقد ورد "إذا كان يوم عرفه يوم جمعه غفر الله لجميع أهل الموقف" و ورد أيضا "أفضل الأيام يوم عرفه، و إذا وافق يوم جمعه فهو أفضل من سبعين حجة فى غير يوم الجمعة" أخرجه رزين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٢١  
و قال عليه الصلاة و السلام: "إن فى الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم و هو قائم يصلى يسأل الله تعالى فيها خيرا إلا أعطاه إياه" رواه مسلم و أحمد و غيرهما.

و قد كانت وقفته صلى الله عليه و سلم فى حجة الوداع يوم الجمعة، لأن الله تعالى إنما يختار له الأفضل و لهذا اشتهر وصف الحج بالأكبر إذا كانت الوقفة يوم الجمعة. انتهى من كتابنا "إرشاد الزمرة لمناسك الحج و العمرة."

هذا و من المستحسن المرغوب أن نذكر السنوات التى حصلت فيها وقفه عرفات بيوم الجمعة كما بينها و أحصاها صديقنا الفاضل السيد هاشم نحاس فى رسالته المسماة "فوائد فى أداء نسك الحج و العمرة" و إليك بيانها فى هذا الجدول مع بيان الوقفة فى الأيام الأخرى اعتبارا من عام (١٣٤٩) ألف و ثلاثمائة و تسعة و أربعين هجرية إلى غاية عام (١٣٨٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاثة و ثمانين هجرية، كما ذكره صديقنا المذكور فى الرسالة المذكورة و هو هذا البيان:

أيام الوقوف الأعوام

يوم الجمعة فى الأعوام الآتية: ١٣٥٠ و ١٣٥٨ و ١٣٦٣ و ١٣٧١ و ١٣٧٤ و ١٣٧٩ و ١٣٨٢

يوم السبت فى الأعوام الآتية: ١٣٥٥ و ١٣٦٠ و ١٣٦٥

يوم الأحد فى الأعوام الآتية: ١٣٥٢ و ١٣٦٨ و ١٣٧٣ و ١٣٧٦ و ١٣٨١

يوم الاثنين فى الأعوام الآتية: ١٣٤٩ و ١٣٥٧ و ١٣٦٢ و ١٣٧٨

يوم الثلاثاء فى الأعوام الآتية: ١٣٥١ و ١٣٥٤ و ١٣٥٩ و ١٣٦٧ و ١٣٧٠ و ١٣٧٥ و ١٣٨٠ و ١٣٨٣

يوم الأربعاء فى الأعوام الآتية: ١٣٥٦ و ١٣٦٤ و ١٣٧٢

يوم الخميس فى الأعوام الآتية: ١٣٥٣ و ١٣٦١ و ١٣٦٦ و ١٣٦٩ و ١٣٧٧

هذا ما أحصينا من أيام الوقوف بعرفات فى مدى ربع قرن من عصرنا و لم نر أحدا ذكر من ذلك شيئا غير صديقنا السيد هاشم نحاس، جزاه الله تعالى خير الجزاء، و قد علمت مما تقدم أن وقفه رسول الله صلى الله عليه و سلم فى حجة الوداع بعرفات كانت يوم الجمعة، و ربما كانت معرفة أيام الوقوف بعرفات ميسورا لدى الباحث عن طريق المحاكم الشرعية، لأنها تتحرى ثبوت هلال ذى الحجة شرعيا



في كل عام. والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٢٢

### ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم من منى إلى عرفات عن طريق ضب ثم رجوعه منها من طريق المأزمين

لقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من منى إلى عرفات عن طريق ضب، وهو يبدأ من مزدلفة إلى حدود عرفات بمعنى أنه صلى الله عليه وسلم خرج من موضع نزوله بمنى، من وسطها في خط مستقيم، إلى أن وصل إلى مزدلفة، فجعل موضع مسجدها اليوم عن يساره فمر مستقيماً، حتى وصل إلى عرفات، وهذا هو طريق ضب.

وبعد الوقوف بها وغروب الشمس من ذلك اليوم دفع من عرفات إلى مزدلفة في خط مستقيم جاعلاً موضع مسجد نمرة على يساره، فمر عن طريق المأزمين.

ويبدأ هذا الطريق من بعد بستان عرفة الذي يعرف بستان "عين زبيدة" وهذا البستان قبيل مسجد نمرة بقليل للذهاب إلى عرفات، إن هذا البستان يقع في أواخر الحرم بينه وبين مسجد نمرة نحو مائتي متر ومن هذا البستان تظهر عرفات. ومعنى المأزم المضيق بين الجبلين فيكون طول المأزمين من بعد مسجد نمرة بقليل إلى أول حدود مزدلفة.

قال في مختار الصحاح: "والمأزم المضيق وكل طريق بين جبلين مأزم، وموضع الحرب أيضاً مأزم، ومنه سمي الموضع الذي بين المشعر وبين عرفة مأزمين، الأصمعي المأزم في سند مضيق بين جمع وعرفة وفي الحديث: "بين المأزمين" انتهى منه.

واعلم بأن المسافة من جمرة العقبة إلى نهاية وادي محسر (٣٥٢٨) متراً، ومن نهاية وادي محسر إلى أول المأزمين (٣٨١٢) متراً، ومن أول المأزمين إلى علمي الحرم من جهة عرفة (٤٣٧٢) متراً.

فرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب إلى عرفات من طريق ضب ورجع منها عن طريق المأزمين، فعل هذا كفعله حين ذهابه إلى صلاة العيد من طريق ورجوعه منها عن طريق آخر، وذلك ترويحاً للنفس، ولتعمم بركته صلى الله عليه وسلم جميع الأرجاء. والله تعالى أعلم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٢٣

### نزول النبي صلى الله عليه وسلم في غار جبل نمرة في الحج

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وصل إلى منى، في حجته، يأمر أن تضرب له قبة في نمرة بعرفات، فإذا قام من منى صباح يوم عرفة، متوجهاً إلى عرفات، نزل في الغار الذي بأصل جبل نمرة، قبيل المسجد، فإذا زالت الشمس نزل من الغار إلى نمرة، ليصلي الظهر والعصر بالناس. يعني أنه صلى الله عليه وسلم كان ينزل أولاً بالغار المذكور، ثم يقوم منه فينزل من قبة المضروبة له بنمرة.

فقد ذكر الأزرقي، عن ابن جريج، قال: سألت عطاء، أين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوم عرفة؟ قال: بنمرة، منزل الخلفاء، إلى الصخرة الساقطة بأصل الجبل عن يمينك وأنت ذاهب إلى عرفة، يلقي عليها ثوب يستظل به صلى الله عليه وسلم.

قال الأزرقي: وتحت جبل نمرة غار أربعة أذرع في خمسة أذرع، ذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينزله يوم عرفة، حتى يروح إلى الموقف، وهو منزل الأئمة إلى اليوم. والغار داخل في جدار دار الإمارة، في بيت في الدار، ومن الغار إلى مسجد عرفة ألفاً ذراعاً وإحدى عشر ذراعاً، ومن مسجد عرفة إلى موقف الإمام عشيّة عرفة ميل، يكون الميل خلف الإمام إذا وقف وهو حيال جبل المشاة. انتهى من الأزرقي.

نقول: أما موقفه صلى الله عليه وسلم، عشيّة عرفة، ففي مسجد الصخرات الذي هو بقرب جبل الرحمة وهو موضع معروف إلى اليوم.

و أما كلام الإمام الأزرقي "أن الغار داخل في جدار الإمارة، في بيت في الدار" فهذا الوصف بحسب زمانه، فقد كان وادي عرنة في ذلك الوقت عامرا بالمزارع والبساتين والعيون، وقد مضى على وفاته، رحمه الله تعالى، إلى يومنا هذا، أكثر من "ألف و مائة عام" فلم يبق للدار و الجدار و البيت أى أثر أو علامة مطلقا، اللهم إلا الغار، فإن الغيران لا تزول حتى تزول الجبال عن مواضعها. و لم نر من تعقب كلام الإمام الأزرقي، من المؤرخين، و لا من بحث عن الغار الذى ذكره أحد من العلماء و الباحثين. لذلك أحبنا البحث عن الغار المذكور، و التحقق التام عنه، لندكره فى تاريخنا الذى نضعه عن مكة المشرفة اليوم، و هذا هو التحقق الذى عملناه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٢٤

فلقد يسّر الله تعالى لنا التجوّل، فى بعض وادي عرنة- بالنون-، و الجبال القريبة من مسجد نمرة، و العلمين القديمين، لبيان حدود الحرم من الحل، للبحث عن الغار نزل فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم عرفه، قبل الزوال، عند مجيئه من منى، و الذى ذكره الإمام الأزرقي هنا. فقد تجولنا ثلاث مرات فى المكان المذكور، مع دليلين خبيرين من العرب، يعرفان هذه الأماكن و الغيران، الموجودة فيها، و ذلك بعد النصف الثانى من شهر شوال سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، فوجدنا ما يأتى:

إذا وصل الإنسان، من منى إلى قبيل مسجد نمرة بعرفات، و سار مع الجبل، الذى عن يمينه، و هو جبل كثير الصخور و الحجارة، بعضها فوق بعض، من أصل الخلقه، فمن ذلك تتكوّن المغارات- أى الغيران-. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ٢-٤؛

ص ٣٢٤

بل أن يصل الإنسان إلى منتهى الجبل، الممتد كاللسان فى الرمل بنحو (١٦٠) مترا مائة و ستين مترا، يجد على يمينه، على ارتفاع نحو قمتين، مغارة كبيرة فى أصل الجبل، من الصخور الكبار، تسع نحو عشرة أشخاص بل أكثر، و فى وسط أرض الغار صخرة كبيرة و أخرى أصغر منها متصلتان ببعضهما، و للغار بابان أحدهما صغيرة و هو الذى يقابل القبلة، و عرضه مائة و ثلاثون سنتيمترا، و الباب الثانى كبير و هو الذى يقابل عرفات و عرضه متران، و أمام هذا الباب صخرة كبيرة نازلة إلى الأرض، بها ثلاثة حفر طبيعية أو أربعة، كل حفرة كدائرة رأس الإنسان، واحدة فوق الأخرى تشبه الدرجة، و من هذه الحفر يسهل الطلوع إلى الغار، على أن الصعود إليه ميسور من البابين، و إن لم تكن هذه الحفر. و سقف هذا الغار يتكون من صخرتين كبيرتين جدا، متصلتان ببعضهما، من وسط السقف، كهيئة الجمولون، على شكل مثلث، و طول هذا الغار ستة أمتار، و سيع من مدخله الكبير، و ضيق من مدخله الصغير، و من وراء هذا الغار، من الجهة المقابلة للجبل، غار آخر كبير، يسع نحو خمسة عشر شخصا، و الفاصل، بين هذا الغار و بين الغار المذكور، إحدى صخرتى سقفه، التى تلى الجبل، و مدخل، هذا الغار من المدخل الصغير للغار الذى تكلمنا عنه. فهذان الغاران بجوار بعضهما تماما، و لا يوجد فى الجبل أكبر من هذين الغارين المتجاورين، و كلاهما يسع لنحو ثلاثين شخصا، و تحت هذا الغار مباشرة، جهة الباب الكبير، غار آخر صغير، تتجه فتحته إلى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٢٥

عرفات، و هو غار على وجه الأرض غير مرتفع فى الجبل و سقفه صخرة واحدة كبيرة، طوله أقل من ثلاثة أمتار و عرض فتحته متران. و فى هذا الجبل غيران كثيرة متعددة و لا يعلم بالتحقيق التام نفس الغار الذى نزله رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم عرفه فى هذا الجبل، لكننا نظن، غالب الظن الذى نطمئن إليه، أن هذا الغار الكبير الذى ذكرناه هو الغار الذى نزله رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم عرفه لجملة أمور و هى:

(١) أن وصف هذا الغار الكبير يقرب من وصف الإمام الأزرقي له.

(٢) أن هذا الغار يقع تقريبا أمام العلمين القديمين الدالين على انتهاء حدود الحرم، و لا نستبعد أن ينزل النبى صلى الله عليه و سلم عند مفرق الحل من الحرم، أى عند حدودهما- و الله تعالى أعلم- و البعد بين هذا الغار و بين العلمين المذكورين (٤٣٠) مترا، أربعمائة و ثلاثون مترا، و قد يزيد البعد و قد ينقص عن هذه الأمتار بحسب استقامة أخذ القياس أو انحرافه.

٣) و البعد بين هذا الغار و بين جدار مسجد نمرة القبلى (١١٣٠) مترا هو ألف و مائة و ثلاثون مترا، و هو قريب مما ذكره الأزرقى، فإن المتر الواحد يساوى ذراعين تقريبا، فقد ذكروا أن ذراع اليد يساوى ثمانية و خمسون سنتيمترا. و قد يزيد البعد و قد ينقص عن هذه الأمتار بحسب استقامة أخذ القياس أو انحرافه.

٤) أن الجالس فى هذا الغار يرى من مدخله الكبير، أى بابه، مسجد نمرة و جبل عرفات، أى جبل الرحمة، الذى يقف عليه الحجاج، المسمى بـ "القرين" و يرى مسجد الصخرات الذى تحت جبل الرحمة، الذى وقف فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم عشية يوم عرفه، بل يرى ميدان عرفات كله. فكأن النبى صلى الله عليه و سلم جلس فى هذا الغار، ليشاهد جبل عرفات، و مسجد نمرة، و مسجد الصخرات، و حدود الحل من الحرم.

٥) أن هذا الغار الكبير هو أقرب الغيران إلى مسجد نمرة، و هذا ما يوافق الرغبة النبوية، فإنه صلى الله عليه و سلم، حينما زالت الشمس نزل من هذا الغار، إلى موضع مسجد نمرة، فصلى فيها الظهر و العصر، ثم ذهب إلى عرفات، فوقف فى مسجد الصخرات، حتى غربت الشمس، ثم دفع إلى مزدلفة، و لذلك سمي هذا الجزء الأخير من الجبل بجبل نمرة لقربه من نمرة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٢٦

٦) أن هذا الغار هو الغار الذى يلائم رسول الله صلى الله عليه و سلم أولا: أنه مرتفع مشرف على ساحة عرفات كلها، ثانيا: أن مدخله الكبير يقابل عرفات و هو بيت القصيد و منتهى الرحلة، و أن مدخله الصغير يقابل مكة و القبلة، ثالثا: أن هذا الغار هو أوسع غار فى الجبل، فإنه يأخذ فى جوفه نحو عشرة أنفس، و النبى صلى الله عليه و سلم لا بد و أن يكون معه نحو هذا العدد من كبار الصحابة، لا يفارقونه فى السفر، و يتشرفون بالقرب منه، كالخلفاء الراشدين الأربعة و غيرهم من كبار الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، رابعا: أن بجوار هذا الغار غار آخر، متصل به، يفصل بينهم الصخرة، التى بوسطهما، و طولهما واحد، و كل منهما يسع بقدر الآخر من الأشخاص، فلو كان مع النبى صلى الله عليه و سلم ثلاثون من الصحابة لاستظلوا فيهما بغاية الراحة و بدون أن يتعدوا عن بعضهم. و من عجيب أمر الغيران فى الجبال أنها تكون فى الصيف فى وقت الظهيرة باردة منعشة، لا يشتد على الجالس فى داخلها و طأة الحر و القيظ.

هذا رأينا فى الغار الذى نزله رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم عرفه قبل الظهر و هذه أدلتنا فى تحقيقه، و لا يعلم الغيب إلا الله الواحد الأحد سبحانه و تعالى، و نزوله صلى الله عليه و سلم فى الغار المذكور لا يمنع من أنه نزل أيضا فى قبته من شعر التى أمر أن تضرب له بنمرة.

و ما نظن أن أحدا قبلنا طرق هذا الباب أو بحث عن هذه المسألة على أنها مسألة لا دخل لها فى المناسك مطلقا، فالحمد لله رب العالمين أولا و آخرا، و هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شىء عليم.

### فائدة مهمة

بمناسبة ما تقدم من الكلام على حديث "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات و الأرض ... إلخ" نذكر ما يأتى زيادة و توضيحا لمعنى الحديث الشريف، و هو مبحث مهم جدا قلما يعثر الإنسان عليه فى كتاب و هو هذا:

قال ابن حجر فى حاشيته على إيضاح النووى فى المناسك على المذهب الشافعى عند الكلام على ما يتعلق بوجوب الحج، عند قوله: (فرع): إذا وجدت شرائط وجوب الحج و جب على التراخي ما نصه:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٢٧

(قوله على التراخي): أى لا على الفور، فلمن وجب عليه الحج بنفسه أو نائبه، أن يؤخر بعد سنة الإمكان، لأن الحج فرض سنة ست كما صححه الشيخان فى السير، و نقله فى المجموع عن الأصحاب أو خمس كما جزم به الرافعى هنا، أو ثمان كما قاله الماوردى.

و بعث صلى الله عليه و سلم أبا بكر، رضى الله عنه، سنة تسع فحج بالناس، و تأخر معه مياسير أصحابه، كعثمان، رضى الله عنه، و عبد الرحمن بن عوف، من غير شغل بحرب، و لا خوف من عدو، حتى حجوا معه صلى الله عليه و سلم سنة عشر، و قيس به العمرة. و نازع فى الاستدلال بذلك ابن الحاج المالكى بما حصله: أن حج، أبى بكر و على و غيرهم، تلك السنة، إنما كان تبررا كحجه صلى الله عليه و سلم قبل الهجرة، أى فإنه صح أنه حج قبلها حجتين. بل قال فى فتح البارى الظاهر أنه صلى الله عليه و سلم لم يترك الحج مدة مقامه بمكة قبل الهجرة، و بأنه لا مجوز لتقدمهم بحج الفرض قبله مع آية: لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، و إذا أمر من ضحى قبله بأضحىة أخرى فكيف الحج.

و بقول جمع منهم مجاهد و عكرمة المخزومى أن حجهم تلك السنة صادف القعدة، أى و يؤيده قول السهيلي لا ينبغي أن يضاف إليه صلى الله عليه و سلم إلا حجة الوداع و إن حج مع الناس بمكة، لأنه لم يكن على سنة الحج، لما ذكر أنهم كانوا ينقلونه عن وقته على حساب الشهور الشمسية، و يؤخرونه فى كل سنة أحد عشر يوما، و إنما وافقهم و هو بمكة لأنه كان مغلوبا، على أمره، و لما فرض أراداه عند رجوعه من تبوك، بعد فتح مكة، فذكر حج بقايا المشركين و طوافهم عراء، فنبد إليهم عهدهم فى السنة التاسعة، ثم حج فى العاشرة بعد انحاء رسوم الشرك. انتهى ملخصا.

قال بعضهم: و حينئذ وافق وقوفه تاسع الحجة، فمن ثم أعلمهم فى خطبته "بأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات و الأرض" و أن الأمر عاد إلى ما وضع الله عليه بحساب الأشهر، و بأن أبا بكر، رضى الله تعالى عنه، إنما خرج بعده، على ناقه رسول الله صلى الله عليه و سلم، رسولا- لا أميرا للتأذين بسورة براءة فى منى و غيرها إعلاما بنبد العهود، إذ جرت عادتهم أنه لا يبلغ ذلك عن العظماء، إلا من هو من جلدتهم و أقاربهم الأدينين، فخطب أبو بكر يوم التروية و علمهم المناسك ثم على التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٢٨

براءة حتى ختمها، ثم فعلا كذلك يوم النحر، ثم يوم النفر الأول، روى ذلك كله النسائي، و بأن المشركين كانوا يحجون فى محرم سنتين و صفر كذلك و هكذا، فكان حج سنة ثمان فى القعدة و أميره عتاب بن أسيد أمير مكة، رضى الله تعالى عنه، و كذا حج سنة تسع و أميره أبو بكر رضى الله عنه، ثم فى العاشر خرج صلى الله عليه و سلم و أصحابه، و فيهم أبو بكر، و على لحقهم بمكة فحجوا لفرضهم، و أخبرهم صلى الله عليه و سلم فى خطبته بما أوجب تأخره من أن الزمان قد استدار، أى وقت الحج استدار إلى وقته الأصلية فى زمن الأنبياء، و هو الحجة، و أن عدم وقوعه فى وقته هو سبب تأخره، فلما صادف وقته لم يتأخر، و لك رد جميع ما قاله بأن الحج فرض سنة خمس أو ست أو ثمان، كما تقرر.

و على كل، فإما أن نقول: أنه فرض ابتداء إيقاعه فى الحجة، كما كان قديما، أو فيما يوقعه فيه أهل مكة ثم نسخ فى العاشرة، فإن قال بالأول لزمه أنه صلى الله عليه و سلم أذن فى حج فاسد، لأنهم إذا كانوا يوقعونه فى غير وقته يكون فاسدا، فكيف مع ذلك يأذن فيه سنة ثمان و يؤمر عتابا، و سنة تسع و يؤمر أبا بكر، و لا يقاس هذا بحجته صلى الله عليه و سلم فيه قبل الهجرة، لما قدمته عن السهيلي، أنه كان مغلوبا على أمره، و لم يكن أنزل عليه صلى الله عليه و سلم فيه شىء، فكان يوافقهم، كما ثبت عنه أنه كان يوافقهم فى صوم عاشوراء، قبل أن ينزل عليه فيه شىء، فلا- يقاس حاله حينئذ بحاله بعد فرضه، و بيان الحكم له و قدرته على عدم موافقتهم بأمر أصحابه، بأن لا يقفوا معهم بل فى وقته صلى الله عليه و سلم بعد فتح مكة سنة ثمان فى رمضان لم يكن يخشى من أحد شيئا بل دانت له العرب بأسرها.

فظهر اندفاع جميع ما قاله ابن الحاج على هذا التقدير الأول، فإن حج أبى بكر و من معه كان فرضا واقعا فى شهر الحجة، و مع ذلك آخر مياسير الصحابة كما مرّ، و إن قال بالثانى اندفع ما قاله أيضا، لأن الحج فى القعدة قبل نسخه على ذلك التقدير كان صحيحا، و مع ذلك آخر المياسير المذكورين، فنتج من ذلك أن الحج على التراخى على كل من التقديرين، و أنه لا يمكن على التقدير الأول الذى هو الظاهر، بل المتعين أن يقال أن حج عتاب و أبى بكر و من معهما كان فى ذى القعدة، بل الصواب أنه فى الحجة، كما يدل

عليه خبر ابن مردويه، من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: كانوا يجعلون عاما شهرا و عاما شهرين، يعنى يحجون فى شهر واحد مرتين فى سنتين، ثم يحجون فى الثالث فى التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٢٩

شهر آخر غيره، قال: فلا يقع الحج فى أيام الحج إلا فى كل خمس و عشرين سنة، فلما كان حج أبى بكر وافق ذلك العام شهر الحج فسماه الله الحج الأكبر. انتهى.

و أخرجه الطبرانى فى أوسطه عنه بنحوه، لكن فيه أنهم كانوا لا يصيرون الحج إلا فى كل ست و عشرين سنة مرة واحدة، و هو النسب الذى ذكره الله تعالى فى كتابه، و على هذا أعنى أن حج أبى بكر رضى الله عنه، كان فى الحجة و أيده طائفة منهم أحمد، و أنكر ما مرّ عن مجاهد و استدلل بأنه صلى الله عليه و سلم أمر عليا فنادى يوم النحر لا يحج بعد العام مشرك، و فى رواية و اليوم يوم الحج الأكبر، و قد قال تعالى:

وَ أَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ فسماه يوم الحج الأكبر، فدل على أن هذا الأذان الذى هو نداء على، رضى الله عنه، سنة تسع وقع فى ذى الحجة و هو المدعى، و استبعاد ابن الحاج و أهل مذهبه تقدّم غيره صلى الله عليه و سلم عليه فى قاعدة من قواعد الإسلام، يقيمها الله على يديه، لا وجه لاستبعاده إلا لو كان حج الناس فى التاسعة و بغير إذنه صلى الله عليه و سلم، و أما بعد أن أذن لهم و أمر عليهم أفضل أصحابه، و جعله خليفته، إعلاما بأنه الخليفة الأكبر بعده، فلا استبعاد فى ذلك، سيما و القول بعدم وقوع حج أبى بكر و من معه فى تلك السنة فرضا، يلزم عليه المحذور الذى قدمته إن كان عدم وقوعه فرضا لكونه فى ذى القعدة، فإن ادعى أنه لغير ذلك فلا وجه له، فتأمل ذلك فإنه مهم، و به يندفع قول بعض متأخرى المالكية صوب أصحابنا أنها لم تكن فرضا لأنها كانت فى ذى القعدة، و استبعدوا أن يتقدم أحد عليه صلى الله عليه و سلم فى ذلك، و قياس هذا على التقدم بالأضحى لا وجه له، فإن المضحى ذبح قبل الوقت بغير أمره صلى الله عليه و سلم و لم يوجد ذلك فى أبى بكر و من معه، و ما ذكر من أن المشركين كانوا يؤخرون الحج و كان يقع فى غير وقته، و كان لا يصادف وقته إلا فى ما مرّ، فيما رواه ابن مردويه و الطبرانى، و أنه صلى الله عليه و سلم أشار فى خطبته بقوله: إن الزمان إلى آخره إلى رد ما كانوا عليه، كل صحيح، لكنه لا يقتضى أن حج أبى بكر كان فى ذى القعدة، و لا أن تأخره صلى الله عليه و سلم إلى العاشرة إنما كان لأجل ذلك، لما هو ظاهر أن حج سنة ثمان أو تسع و إن وافق الحجة كما قدمناه أنه الأصح بل الصواب، لكنه صلى الله عليه و سلم أخر عنه إعلاما أن الحج على التراخي أو لعذر لكن الأصل عدمه.

و قوله: إن الزمان إلى آخره ليس لبيان عذره بالتأخير، إذ لا يسلم ذلك إلا و ثبت أن التاسع صادفت ذى القعدة، فإذا ثبت خلاف ذلك لم يجز أن يكون كذلك، بل لبيان رد ما كانت عليه عادة الجاهلية قبل سنة تسع، بل ثمان، إن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٣٠

ثبت أن الحج فيها كان بأمره صلى الله عليه و سلم، و أنه أمر عتاب عليه، فاشدد بهذا المبحث يديك، فإنه من النفائس التى يتعين أن يعتنى بتحقيقها و تحريرها وفقنا الله لذلك و أمثاله آمين.

انتهى من حاشية ابن حجر على إيضاح النووى، رحمهما الله تعالى، و جزاهما و العلماء خير الجزاء، عن الأمة المحمدية، و هذا مبحث دقيق نفيس، ينبغى قراءته بتأن و تأمل.

### تنظيف طريق الحج من أشجار الشوك

لقد كانت مكة و الحرم مليئة بأشجار السلم، أى الأشجار الشوكية، خصوصا فى طريق الحج، من مكة إلى عرفات، من قديم العصور و الدهور، و ما زال الناس يقطعونها تدريجيا عن أماكن سكناهم، و عن طريق مرورهم، حتى لم يبق منها إلا القليل، و هى بعيدة عن

جادة طريق الحج، ونحن قد أدركنا شيئاً من هذه الأشجار الشوكية، في طريق الحج من بعد منى، وكان تؤذى بعض راكبي الشقاف والهوارج على الجمال، وذلك في سنة (١٣٤١) ألف و ثلاثمائة وإحدى وأربعين هجرية.

ولقد ذكر العلامة قطب الدين الحنفي المتوفى سنة (٩٨٨) رحمه الله تعالى، في تاريخه عن قطع أشجار الشوك من الحرم ما يأتي: ثم عمر الأمير سودون المذكور ما بقي من المواضع المأثورة في منى، وفي المشعر الحرام بمزدلفة، ومسجد نمره بعرفة، و قطع جميع أشجار السلم والشوك، الذي كان بين المارين في طريق عرفة، وكانت تمزق كسوة الشقاف والمحابر، عند مزاحمة جمال الحاج، في ذلك المحمل، وكانت الحرامية تكمن تحت الأشجار، وتنهب جميع ما تظفر به من الحجاج، وتخطف منهم جميع ما تقدر عليه. فقطع الأمير سودون جميع تلك الأشجار، وأزال الصخار الكبار، ونظف الطريق وسعها، وشكره الحجاج على ذلك، ودعوا له، حيث كانت تضر في طريق المسلمين، وإلا فشجر الحرم لا يعضد ولا يقطع، فرحمه الله تعالى وأثابه الحسنى، وكذلك الأمير خوش كلدى، نائب جده في عصرنا، في حدود سنة خمسين وتسعمائة، قطع أشجار السلم ما بين المأزمين وكسر الأحجار، في سفح الجبلين، ومهد ووسع الطريق للحجاج، ورفع بذلك عنه شر السراق الذين كانوا يكمنون خلف تلك الأشجار

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٣١

والأحجار، وشكره الناس، أثابه الله تعالى. وسيأتى شيء من عماراته فيما بعد إن شاء الله تعالى. انتهى من تاريخ القطبى.  
نقول: إن مكة المشرفة ممثلة بأشجار السلم الشوكية من قبل عهد إبراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام، إلى أوائل عصرنا الحاضر، أما اليوم، فلقد أصلحت الطرقات، وعبدت ومهدت بالإسفلت، وجعلت طريقاً للسيارات، فسبحان مغير الحال والأحوال الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

### حكم قطع شجر الحرم ونباته

ما زال الناس، جاهلية وإسلاماً، إلى يوم القيامة يعظمون الحرم، ويجتنبون قطع شجره. ففى الصحيحين عن أبى شريح، رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، فقولوا: إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما قد أذن لى ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها اليوم، كحرمتها بالأمس و ليلغ الشاهد الغائب».

وفيهما أيضاً عن ابن عباس، رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى، ولم يحل لى إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاها. فقال العباس بن عبد المطلب: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم وليوتهم. فقال صلى الله عليه وسلم: إلا الإذخر».

جاء فى تاريخ الغازى نقلاً عن كتاب «مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار»: وما زال الناس فى الجاهلية والإسلام يعظمون هذا الحرم ويجتنبون قطع شجره. قال الواقدى: لما أرادت قريش البنيان قالت لقصي: كيف نصنع فى شجر الحرم؟ فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة فى ذلك، فكان أحدهم يحرف بالبنيان حول الشجرة حتى تكون فى منزله.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٣٢

قال: وأول من ترخص فى قطع شجر الحرم عبد الله بن الزبير، قال السهيلي:

ابتنى ابن الزبير دور القعيقعان، وترخص فى قطع شجر الحرم، وجعل دية كل شجرة بقره. وكذلك روى عن عمر أنه قطع دوحه، كانت فى دار أسد بن عبد العزى، وكانت أطرافها تنال ثبات الطائفين بالكعبة، وذلك قبل أن يوسع المسجد، فقطعها ووداها. اه. انتهى من الغازى.

واعلم أنه يحرم على المحرم وغيره قطع حشيش الحرم أو شجره الرطب الذى ينبت بنفسه، ولا ينبت الناس، عند الأئمة الأربعة إلا اليابس عند الثلاثة، ولا فرق بين الأخضر واليابس عند مالك.

ويباح التعرض للإذخر والسنا بالقطع وغيره، ويباح رعى الدواب فى حشيش الحرم وشجره، والانتفاع بما تساقط من ورق الشجر، أو انكسر من غير فعل آدمى عند الأئمة الأربعة، وحرمة قطع الشجر والحشيش تكون فى حرم مكة وحرم المدينة، أما ضمان ذلك وجزاؤه فهو مختص بحرم مكة فقط، عند الأئمة الأربعة، وكالحرم المدنى فى ذلك وادى وج بالطائف.

وإليك تفصيل حكم قطع شجر الحرم ونباته فى مذهبنا، نقله من كتابنا «إرشاد الزمرة لمناسك الحج والعمرة» على المذهب الشافعى. فقد جاء فيه ما نصه:

لا يجوز لمحرم ولا لحلال، سواء كان من أهل الحرم أم لا، قطع أو قلع شجر الحرمين ونباتهما ومثلهما وادى وج بالطائف. ولا يحرم صيد النقيع، ولا يملك نباته، ويضمن ما أتلفه منه، لأنه ممنوع منه.

قال الرافعى: و ضمانه بالقيمة، وهو ليس بحرم بل هو الحمى الذى حماه رسول الله صلى الله عليه وسلم لنعم الصدقة والجزية. وجاء فى الجزء الثانى من كتاب «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» للسهمودى ما ملخصه: الحمى لغة الموضع الذى فيه كلاً يحمى ممن يرعاه. و شرعا موضع من المرات، يمنع من التعرض له، ليتوفر فيه الكلاً فترعاه مواش مخصوصة، والنقيع - بالنون المفتوحة والقاف المكسورة -، و حمى النقيع على عشرين فرسخا من المدينة، وهو صدر وادى العقيق، وهو أخصب موضع هناك، وهو ميل فى بريد فيه شجر، ويستأجم حتى يغيب فيه الراكب، وفيه مع ذلك كثير من العضاة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٣٣

والفرقد والسدر والسيال والسلم والطلح والسمر والعوسج. وفى هذا الكتاب تفصيل كثير من الحمى فراجع إن شئت. اه.

وقال ابن حجر فى حاشية الإيضاح: والنقيع - بالنون - هو فى ديار بنى مزينة على نحو عشرين ميلا من المدينة. اه.

وجاء فى "المصباح المنير" عند كلمة نقيع. ومنه قيل لموضع بقرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ونقيع، وهو فى صدر وادى العقيق، وحماه عمر، رضى الله عنه، لا بل الصدقة. قال فى العباب: والنقيع موضع فى بلاد مزينة على عشرين فرسخا من المدينة، وفى حديث: حمى عمر غرز النقيع لخيلى المسلمين. وقد صحفه المحدثون فقالوا: البقيع بالباء وإنما البقيع بالباء موضع القبور، والغرز بفتحين: نوع من ثمام بوزن نبت يسمد به خصاص البيوت، الواحدة ثمامة اه من المصباح باختصار.

فالفرق بين العبارتين لا يخفى، فابن حجر يقول: النقيع على عشرين ميلا من المدينة، والمصباح يقول أنه على عشرين فرسخا منها ومن المعلوم أن الفرسخ ثلاثة أميال فتأمل. ولقد سألنا بعض الفضلاء من أهل المدينة عن النقيع فقال أنه يبعد عن المدينة إلى جهة الجنوب بنحو مرحلة. اه.

واعلم أن حرمة قطع شجر حرم مكة ونباته ثبت بالإجماع، والخبر فى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة قال: "إن هذا البلد حرام بحرمه الله لا يعضد شجره ولا ينفر صيده" وقيس بمكة باقى الحرم.

وأما حرم المدينة فلقوله صلى الله عليه وسلم: "إن إبراهيم حرم مكة وإنى حرمت المدينة ما بين لابتيها، لا يقطع عضاها ولا يصاد صيدها" اللابتان تشبیه لابه، وهى أرض ذات حجارة سود، وهما شرقى المدينة وغربها، فحرمها ما بينهما عرضا، وما بين جبلها غير واحد طولاً، وعضاها بهاءين جمع عضاها أى شجرها وهو بكسر العين بوزن كتاب كما فى المصباح.

وأما وادى وج الطائف فلقوله صلى الله عليه وسلم: "إلا أن صيد وج وعضاها - يعنى شجره - حرام محرم." رواه البيهقى بإسناده عن ابن الزبير بن العوام، رضى الله عنه، وسمى المكان باسم وج بن عبد الحى من العمالقة، قاله الدميرى، وأما النقيع فلأن النبى صلى الله عليه وسلم حماه لنعم لصدقة والجزية.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٣٤

واعلم: أن الضمان مختص بحرم مكة لأنه للنسك، ولا فرق في الشجر بين ما نبت بنفسه و ما استنبتته الناس كالنخيل، بخلاف النبات فإنه لا يحرم منه إلا ما لا يستنبتته الناس، والشجر ما كان له ساق، والنبات ما لا ساق له. ومحل الحرمة في الشجر الرطب غير المؤذى، أما اليبس الذى لا يخلف و المؤذى كالشوك و العوسج، و هو ضرب من الشوك، و إن لم يمنع المرور، فلا يحرم قطعه و لا قلعه و لا يتعلق بقطعه ضمان كالحيوان المؤذى.

و لو غرست شجرة حرمية فى حل أو عكسه اعتبر منبتها الأصل، و لو كان الأصل فى الحرم و الأغصان فى الحل حرم قطعها لا رمى صيد عليها أو كان الأصل فى الحل و الأغصان فى الحرم حل قطعها لا رمى صيد عليها، و لو نقل شجرة من الحرم إلى الحل لزمه ردها، أو إلى محل آخر من الحرم فلا، فإن جفت بالنقل ضمنها و إن نبتت فى الموضع المنقول إليه فلا ضمان، فلو قلعه قالع، لزم القالع الجزاء ابقاء لحرمة الحرم، و لو غرس فى الحل نواة شجرة حرمية، ثبت لها حرمة الأصل، و كذا كل ما تولد من حرمية، و لو فى الحل، فله حكم الحرمية، و لو غرس فى الحرم نواة أو غصنا من شجرة حلية لم تصر حرمية نظرا للأصل، فلو قلعه هو أو غيره فلا شىء عليه بلا خلاف.

فإن كان أصل الشجرة فى الحرم و أغصانها فى الحل حرم قطع أغصانها و وجب فيه الضمان، و إن كان أصلها فى الحل و أغصانها فى الحرم فلا- شىء فى قطع أغصانها، و لو كان بعض أصل الشجرة فى الحل و بعضه فى الحرم فجميعها حكم الحرم، و لو انتشرت أغصان شجرة حرمية و منعت الناس الطريق أو آذنتهم جاز قطع المؤذى منها، و لو احتاج إلى ما يحرم من شجر الحرم لحفظ محترم، و لم يقم غيره مقامه، فالذى يتجه إباحة ذلك بشرط الضمان لحفظ المعصوم الذى يجوز دخوله الحرم، و لحفظ بناء الكعبة من السقوط لا لغيره من حفظ بستان و دار، و لو كان موقوفا، إلا لاضطرار.

و الحاصل أن التحريم و الضمان عام فى جميع شجر الحرم سواء نبت بنفسه أو زرعه الآدمى كالتين و التفاح و النخل و العنب و السفرجل و سواء كان مثمرا كما ذكرناه أو غير مثمر.

و أما غير الشجر من نبات الحرم فهو نوعان:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٣٥

النوع الأول: ما زرعه الآدمى كالحنطة و الشعير و الذرة و البقول و الخضروات فيجوز لمالكه قطعه و لا جزاء عليه، و إن قطعه غيره فعليه قيمته لمالكه و لا شىء عليه للمساكين، و هذا لا خلاف فيه.

و النوع الثانى: ما لم ينبت الآدمى، و هو أربعة أصناف:

(١) الإذخر و هو مباح فيجوز قطعه و لو للبيع بلا خلاف، لحديث ابن عباس و لعموم الحاجة إليه.

(٢) الشوك فيجوز قطعه و قلعه كما سبق.

(٣) ما كان دواء كالسنا و نحوه فيجوز قطعه و قلعه. و لو لم يوجد المرض بأن ادخره لمرض فى المستقبل فبعضهم جوز أخذه إذا احتاجه للدواء، و لم يخصه الماوردى بل عممه، و جعله مباحا مطلقا كالإذخر.

(٤) الكلاً بالهمز يقع على الرطب و اليبس و الحشيش يقع على اليبس و العشب و الخلا: بالقصر اسم للرطب.

فيحرم قطع و قلع الكلاً الرطب، فإنه قلعه لزمته الفدية و هو مخير بين إخراجها طعاما و الصيام، هذا إذا لم يخلف المقلوع فإن أخلق فلا ضمان على الصحيح، و أما الكلاً اليبس فلا شىء عليه فى قطعه كما سبق فى الشجر اليبس، فلو قلعه و لم يفسد أصله و منبته لزمه الضمان لأنه لو لم يقلعه لنبت ثانيا، و إن فسد جاز قلعه و أخذه.

و يجوز تسريح البهائم فى حشيش الحرم و شجره لترعى، فلو أخذ الحشيش لعلف البهائم جاز على الأصح، و لا شىء عليه، و الظاهر جواز أخذه لعلفها، و لو فى المستقبل، و أن من لا بهيمة عنده لا يجوز له أخذه لما سيملكه و يحرم أخذه للبيع أو غيره إلا الإذخر و لو للبيع كما تقدم، و كالأذخر غيره إذا احتاج إليه و لو للتسقيف كما اعتمده الإسنى.



و يجوز قطع و قلع ما ينبت بنفسه إن كان مما يتغذى به كالبقلة و الرجله للحاجة إليه و لأنه فى معنى الزرع، و لا يقطع لذلك إلا بقدر الحاجة، و لو يجوز قطعه للبيع لمن يعلق به لأنه كالطعام الذى قدم للضيف أبيع له أكله لا يبعه. و يجوز أخذ أوراق شجر الحرم، بلا خبط، لئلا يضربه بخلافه بالخبط، لأن خبطه حرام، إن ضر الشجرة، بحيث كسر أغصانها، و إلا فلا، و يجوز أخذ ثمره،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٣٦

و إن كانت الأشجار مباحة كالأراك، و يقال لثمره: الكبث، - بفتح الكاف - و نحوه عود السواك لغير البيع. أما للبيع فلا يجوز، مثل السواك و ثمر الشجر فى عدم جواز أخذه للبيع أوراق الشجر كما هو الظاهر. قال ابن حجر فى حاشيته على الإيضاح: و لو جهل البائع الحرمة عذر، لأنه ذلك مما يخفى على العوام، بل على كثير من المتفقهة، فيجوز الشراء منه، و لكن يجب على من علم منه ذلك بيان تحريمه عليه. اه.

و حرم المدينة و وج الطائف كمكة فى حرمة الصيد و الشجر و النبات و نحو التراب دون الضمان لأنهما ليسا محللا للنسك. فكل ما حرم بمكة حرم بالمدينة و وج الطائف غير أنه ضمان فيهما. و أما النقيع - بالنون - فليس بحرم و إنما هو الحمى الذى حماه النبى صلى الله عليه و سلم لنعم الصدقة و الجزية فيحرم إتلاف شجره و حشيشه فإن أتلفه أحد فالأصح أنه تلزمه القيمة، و لا يحرم صيده بالاتفاق. و جزاء قطع شجر حرم مكة و نباته المذكور فى كتب الفقه.

### حكم نقل تراب الحرم و أحجاره

ذكرنا فى كتابنا "إرشاد الزمرة لمناسك الحج و العمرة" على المذهب الشافعى، عن ذلك ما يأتى:  
يحرم نقل تراب، و لو محرقا، من الحرمين أو أحجارا، أو ما عمل من طين إحداهما كالأباريق و غيرها، إلى الحل، و لو للحرم الآخر، فيجب رده إلى الحرم و إن انكسر الإناء كما ظاهر، فإن لم يفعل فلا ضمان عليه، و بالرد تنقطع الحرمة كدفن بصاق المسجد. قال البيهقى فى حاشيته على الخطيب: و عند أبى حنيفة يجوز تلك و الأباريق الآن ليست من طين الحرم بل من طين الحل اه. كلامه.

و قال فى عمدة الأبرار: و ما وجد فى الحرم من الأوانى و شك أهو من ترابه أم لا، فإن غلب على الظن كونه منه حرم، و إلا فلا، كما فى التحفة. اه.

و أما نقل تراب الحل و أحجاره إلى الحرم فخلاف الأولى كما فى المجموع لئلا يحدث لها حرمة لم تكن، و لا يقال أنه مكروه لأنه لم يرد فيه نهى صحيح صريح و مثل الحرمين فيما ذكر وج الطائف.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٣٧

و أما ماء زمزم فإنه يجوز نقله، بل يسن تبركا به للاتباع "فإن عائشة، رضى الله عنها، حملت من ماء زمزم فى قوارير و قالت: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم حمله فى الأداوى و القرب" أخرجه الترمذى فى جامعه. و عن ابن عباس، رضى الله عنهما "أن رسول الله صلى الله عليه و سلم استهدى سهيل بن عمرو من ماء زمزم فبعث له براويتين" أخرجه الطبرانى بسند رجاله ثقات. و روى أن كعب الأبحار حمل من ماء زمزم اثنتى عشرة راوية إلى الشام.

و الرواية كل دابة يستقى الماء عليها، كذا فى المصباح، و فى صحيح مسلم، عن أبى ذر، رضى الله عنه "أن النبى صلى الله عليه و سلم قال فى ماء زمزم: إنها مباركة و إنها طعام طعم و شفاء سقم" و روى جابر عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال "ماء زمزم لما شرب له."

و ورد "أن النبى صلى الله عليه و سلم كان إذا أراد أن يتحف الرجل بتحفة سقاه من ماء زمزم" و كيف لا- يكون لماء زمزم من

الفضل و البركة، و هي التي تقع في المسجد الحرام عند الكعبة المشرفة، و لا تبعد عنها إلا بمقدار خمسة عشر مترا تقريبا و تنبع من تحتها، و هي التي أخرجها جبريل لنبي الله إسماعيل و هو طفل رضيع، فماء زمزم ليس كالماء العادي، بل خصه الله تعالى بسر عجيب، فمن شرب منه على الريق، بحيث امتلئت بطنه منه، فإنه لا يضره بل ينفعه ذلك كما هو مجرب. و من عجب أمر زمزم أن من شربه من نفس البئر، كان له طعم، و من شربه من الدلو كان له طعم، و من شربه في الأواني الطينية كان له طعم، و من شربه بعد تبريده كان له طعم. و أحسن حالات شربه و ألذها و أطعمها و أهونها، أن يشربه الإنسان من الدلو حين إخراجها من البئر.

### الحوادث الواقعة في الكعبة و المطاف

نذكر هنا بعض الحوادث التي وقعت في الكعبة و المطاف بحسب ما تيسر لنا الوقوف عليها لأنها مما يلفت النظر و يوجب الاهتمام لقدسية البيت و شرف المكان.

فقد روى الطبري في كتابه "القرى لقاصد أم القرى" في الباب الخامس و الثلاثين أن حكيم بن حزام ولد في الكعبة و لا يعهد أحد ولد في الكعبة غيره، و كان مولده قبل الفيل بثلاث عشرة سنة أو اثنتي عشرة سنة، و توفي بالمدينة في خلافه معاوية، رضي الله عنه، سنة أربع و خمسين هجرية، و عاش مائة و عشرين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٣٨

سنة ستين في الجاهلية و ستين في الإسلام، و أسلم عام الفتح، روى أنه لما حج في الإسلام أهدى مائة بدنة قد جملها بالحبر و كفها عن أعجازها، و أهدى ألف شاء، و وقف بمائة و صيف بعرفة في أعناقهم الفضة منقوش فيها عتقاء الله عن حكيم بن حزام. اه. بتصرف و اختصار من الكتاب المذكور.

و روى الإمام الأزرقى في تاريخه، عن عبد الله بن أبي سليمان، عن أبيه: أن فاختة ابنة زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، و هي أم حكيم بن حزام دخلت الكعبة و هي حامل فأدركها المخاض فيها فولدت حكيم في نطع و أخذ ما تحت مبرها فغسل عند حوض زمزم و أخذت ثيابها التي ولدت فيها فجعلت لقا. اه منه. و المثير - بفتح الميم و سكون الثاء و كسر الباء -: الموضع التي تلد فيه المرأة - و معنى لقا: أى لقاها لا يمسه أحد - فقد كان في الجاهلية من طاف من غير الحمس بالبيت في ثيابه التي جاء بها من الحل ألقاها بعد طوافه بين إساف و نائلة فلا يمسه أحد و لا ينتفع بها حتى تبلى من وطء الأقدام و من الشمس و الرياح و المطر.

نقل الأزرقى في الجزء الأول من تاريخه في صحيفة ١٦١ عند ذكر جب الكعبة و مالها، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: كان في الكعبة على يمين من دخلها جب عميق حفره إبراهيم، خليل الرحمن، و إسماعيل، عليهما السلام، حين رفعا القواعد. و كان يوضع فيه ما يهدى للكعبة من حلى أو ذهب أو فضة أو طيب أو غير ذلك، و كانت الكعبة لها سقف، فسرق منها على عهد جرهم مال مرة بعد مرة، و كانت جرهم ترتضى لذلك رجلا - يكون عليه يحرسه، فبينما رجل ممن ارتضوه عندها، إذ سولت له نفسه، فانتظر حتى إذا انتصف النهار، و قلصت الظلال، و قامت المجالس و انقطعت الطرق، و مكة إذ ذاك شديدة الحر، بسط رداءه ثم نزل في البئر، فأخرج ما فيها، فجعله في ثوبه، فأرسل الله، عز و جل، حجرا من البئر، فحبسه حتى راح الناس فوجدوه فأخرجوه و أعادوا ما في ثوبه في البئر. فسميت تلك البئر الأخسف، فلما انخسف بالجرحمى و حبسه الله عز و جل، بعث الله عند ذلك ثعبانا، و أسكنه في ذلك الجب في بطن الكعبة أكثر من خمسمائة سنة يحرس ما فيه، فلا يدخله أحد إلا رفع رأسه و فتح فاه، فلا يراه أحد إلا ذعر منه، و كان ربما يشرف على جدار الكعبة، فأقام كذلك في زمن جرهم، و زمن خزاعة، و صدرا من عصر قريش، حتى اجتمعت قريش في الجاهلية على هدم البيت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٣٩

وعمارته، فحال بينهم وبين هدمه، حتى دعت قريش عند المقام عليه، والنبى صلى الله عليه وسلم معهم وهو يومئذ غلام لم ينزل عليه الوحي بعد، فجاء عقاب فاخطفه ثم طار به نحو أجياد الصغير. اه.

ونقل الأزرقي في الجزء الأول من تاريخه بصحيفة (١٠٦) ما نصه: عن حويطب بن عبد العزى، قال: كانت في الكعبة حلق أمثال لجم البهم، يدخل الخائف فيها يده فلا يريه أحد، فجاء خائف ليدخل يده فاجتذبه رجل فشلت يده، فلقد رأيت في الإسلام إنه لأشمل. اه.

### الطواف بالبيت عراء

وجاء في تاريخ الأزرقي بعد أن ذكر أن العرب كانت تطوف بالبيت عراء إلا الخمس ما نصه:

جاءت امرأة أيضا تطوف عريانة، وكان لها جمال، فرآها رجل فأعجبته، فدخل الطواف وطاف في جنبها لأن يمسه، فأدنى عضده من عضدها فالتزقت عضده بعضدها، فخرجا من المسجد من ناحية بنى سهم هارين على وجوههما، فزعين لما أصابهما من العقوبة، فلقيهما شيخ من قريش خارجا من المسجد فسألتهما عن شأنهما، فأخبراه بقصيتيهما فأفتاهما أن يعودا فيرجعا إلى المكان الذي أصابهما فيه ما أصابهما فيدعوان ويخلصان إلى أن لا يعودا، فرجعا إلى مكانهما، فدعوا الله سبحانه وتعالى وأخلصا إليه أن لا يعودا، فافتزقت أعضادهما فذهب كل واحد منهما في ناحية. اه.

وجاء في تاريخ الغازي المسمى «إفاده الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام»:

ناقلا عن ابن فهد أنه مات في جوف الكعبة من الزحام أربعة و ثلاثون نفسا وذلك سنة خمسمائة وإحدى وثمانين هجرية.

وذكر الغازي في تاريخه أيضا أنه في سنة إحدى وثمانين وثمانمائة مات من الزحام بالكعبة خمسة وعشرون شخصا. اه.

وفي سنة ثلاثمائة وسبع عشرة وافى مكة أبو طاهر القرمطي في سابع ذى الحجة وعمل فيها هو أصحابه أمورا منكرا، فمنها أنه أمر بقلع ميزاب الكعبة، وكان من الذهب الإبريز، فطلع رجل يقلعه فأصيب من أبي قبيس بسهم في

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٤٠

عجزه فسقط فمات، وقيل بل وقع على رأسه فمات. ومنها غير ذلك ليس هنا محل بيانه.

وجاء في تفسير ابن كثير عند قوله تعالى: إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ما نصه: قلت: ذكر محمد بن إسحاق في "كتاب السيرة" أن إسافا و نائلة كانا بشرين، فزنيا في داخل الكعبة، فمسخا حجرتين، فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس، فلما طال عهدهما عبدا، ثم حولا إلى الصفا والمروة، فنصبا هنالك فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما. اه المراد منه.

وقال الإمام الأزرقي في تاريخه: إن جرهم لما طغت في الحرم، دخل رجل منهم بامرأة منهم الكعبة ففجر بها، ويقال: إنما قبلها فيها، فمسخا حجرتين، واسم الرجل إساف بن بغاء، واسم المرأة نائلة بنت ذئب، فأخرجا من جوف الكعبة، وعليهما ثيابهما، فجعل أحدهما بلصق الكعبة والآخر عند زمزم، وإنما نصبا هنالك ليعتبر بهما الناس، فلم يزل أمرهما يدرس حتى جعلوا اثنين يعبدان، وكانت ثيابهما كلما بليت أخلفوا لهما ثيابا، ثم أخذ الذي بلصق الكعبة فجعل مع الذي عند زمزم وكانوا يذبحون عندهما ويتمسحون بهما، وكان الطائف إذا طاف بالبيت يبدأ بأساف فيستلمه، فإذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها، فكانا كذلك، حتى كان يوم الفتح، فكسرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما كسر من الأصنام، وقيل بعدما أخرجا من الكعبة نصب أحدهما على الصفا والآخر على المروة للاعتبار، ثم تقادم عهدهما حتى صارا يمسحان يتمسح بهما من وقف على الصفا والمروة، ثم صاروا اثنين يعبدان فلما صار أمر مكة والحجابه إلى قصى بن كلاب حولهما من الصفا والمروة فجعل أحدهما بلصق الكعبة والآخر في موضع زمزم، ويقال جعلهما جميعا في موضع زمزم، وقيل اسم الرجل إساف بن عمرو، واسم المرأة نائلة بنت سهيل من جرهم. انتهى من تاريخ الأزرقي بتصريف واختصار.

وذكر الغازي في تاريخه ناقلًا عن ابن فهد: أنه في صبح يوم الجمعة ثاني ذى الحجة سنة خمس وأربعين وثمانمائة مات بالطواف

من الزحمة سبعة أنفس.

و في تاريخ الكعبة المعظمة للشيخ حسين باسلامة جملة حوادث وقعت على الحجر الأسود، فذكر منها ما له علاقة بهذا الفصل. فإنه بينما الناس في وقت القيلولة و شدة الحر و ما يطوف إلا رجل أو رجلان سنة ثلاثمائة و ثلاث و ستين،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٤١

فإذا رجل عليه طمران مشتمل على رأسه يسير رويدا، حتى دنا من الركن الأسود، و لا يعلم ما يريد، فأخذ معولا و ضرب الركن ضربة شديدة حتى خفته الخفتة التي فيه، ثم رفع يده ثانيا يريد ضربه، فابتدره رجل من السكاسك من أهل اليمن، حين رآه و هو يطوف، فطعنه طعنة عظيمة حتى أسقطه، فأقبل الناس من نواحي المسجد فأخرجوه من المسجد الحرام و جمعوا حطبا كثيرا و أحرقوه بالنار. و في عشر التسعين و التسعمائة جاء رجل أعجمي بدبوس في يده فضرب الحجر الأسود فكان الأمير ناصر جاوش حاضرا فوجأ ذلك الأعجمي بالخنجر فقتله.

و ذكر الغازي في تاريخه، أن والي مكة الشريف أحمد بن محمد الجازاني قتل في الطواف في الشوط الثالث، قتله جماعة من الأتراك بمواطأة من أخيه حميضة، و ألقى بالمعجنة التي بجوار الكعبة، فصار الرجال و النساء يأتون إليه و يشتمونه و يذكرون قبائح ما فعله، ثم إن أخاه الشريف حميضة أمر الباشا عبد الله المصري مشيع الطرحاء أن يدفنه فحمله بحاله إلى المعلى و دفنه على أخيه مهيزع ببعض ثيابه بلا غسل و لا صلاة، و لم يشيعه أحد بل حضر دفنه رجلان فقط. اه.

و أكبر حادثة وقعت في المطاف و المسجد الحرام حادثة القرامطة. فإنهم لما أتوا مكة في سابع ذي الحجة سبع عشرة و ثلاثمائة ارتكبوا فيها من الفظائع و المنكرات ما لا يوصف. فقد دخل، عدو الله، أبو طاهر القرمطي، المسجد الحرام مع قومه، و هو سكران، راكب فرسا له، و بيده سيف مسلول، فصفر لفرسه فبال عند البيت، و أسرف هو و أصحابه في قتل الحجاج. و كان الناس يطوفون حول البيت و السيوف تأخذهم، و كان على بن مايويه يطوف بالبيت و السيوف تأخذه فما قطع طوافه و هو ينشد:

ترى المحيين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

و قتل في المسجد الحرام ألف و سبعمائة، و قيل ثلاثة عشر ألفا من الرجال و النساء و هم متعلقون بالكعبة و ردم بهم زمزم حتى ملئوها، و فرش بهم المسجد الحرام و ما يليه، و قيل دفن البقية في المسجد بلا غسل و لا صلاة ... الخ، ما رواه الحافظ ابن فهد القرشي في إتحاف الوري في حوادث عام ٣١٧.

و مما يناسب المقام: ما رواه الغازي في تاريخه، أنه في سنة ألف و ثلاث و ثمانين أراد إسحاق أفندي الوارد من جهة الروم صحبة الحج، و كان من كبار الدولة، أن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٤٢

يدخل الكعبة الشريفة ليلا، فأراد الشيخ عبد الواحد بن محمد الشيبى الحجبى أن يفتح له البيت فتعسر فتحه فدعا بحداد نعت له بالمعرفة، فأمره بفش القفل - أى بفتحه بأى وسيلة - فاضطربت يده و ما قدر فقال له الشيخ عبد الواحد، فيما أخبرني الثقة، ما بالك؟ فقال له: ألا تسمع ما أسمع؟ قال الشيخ عبد الواحد، فأصغيت و إذا بالباب كان يدفع من داخل البيت و أحسست بالدفع و القوة المانعة. قال فصرفت الناس، و قلت: أيها الناس إن هذا البيت بيد الله يفتح لمن يريد.

فانصرف الناس، و منهم إسحاق أفندي و لم يتيسر له الدخول. اه منه.

فمما علق في جوف الكعبة:

(١) المعلقات السبع، و هي قصائد من فحول شعراء العرب.

(٢) صحيفة قریش، و فيها شروطهم على مقاطعة بنى هاشم و بنى المطلب سنة سبع من النبوة.

(٣) كتابان لهارون الرشيد، أحدهما بالولاية لابنه الأمين، ثانيهما بالولاية لابنه المأمون و جعلهما بالبيت الحرام حينما حج سنة ١٨٦، و

في خلافة الأمين أخذنا من الكعبة إلى بغداد و أحرقا بالنار.

(٤) عهد المعتمد لولديه و ذلك سنة ٢٦١ هجرية.

(٥) استرحام من الخليفة العباسي القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله ابن الإمام القادر بالله في الحديث المتوفى سنة ٤٦٧ يشكو إلى الله تعالى أرسلان الفساسيري حيث اعتقله، فلما هلك هذا رفع الاسترحام من الكعبة الشريفة. اه. انتهى باختصار من كتاب المحمل و الحج.

### دخول السيارات إلى المسجد الحرام في زماننا

و مما وقع في المسجد الحرام بمكة في زماننا هذا، أى في الليلة الرابعة من شهر المحرم سنة (١٣٧٨) ألف و ثلاثمائة و ثمان و سبعين هجرية، أنه وقع حريق هائل بمكة المشرفة في الليلة المذكورة، بمحلة قاعة الشفا، بالقرب من باب العتيق، و من باب الباسطية، حرق فيه نحو أربعون منزلا- بما فيها من الأمتعة، و حرق مثلها أيضا من الدكاكين بما فيها من البضائع المختلفة و مات في هذا الحريق عدة أشخاص، كما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٤٣

فصلنا بيان هذا في الكلام على سبب بناء المسجد الحرام بالقباب في مبحث خاص بعنوان "الحريق الثاني بقرب المسجد الحرام." وقع هذا الحريق و الناس في صلاة العشاء، في الليلة المذكورة، و دام إلى قبل الفجر بساعة واحدة، و قام الناس فرعين لإطفاء هذا الحريق العظيم، و جاء رجال الشرطة و رجال الإطفاء بمكة و انضم إليهم مطافئ جدة و مطافئ المطار بسيارات الإطفاء أى "أوتومبيلات الإطفاء" و أرسلت إدارة عين زبيدة و إدارة القصور و وزارة الدفاع رجالها و ناقلات الماء لحصار النار و إطفائها. و لما كانت الأزقة متلاصقة بجوار المسجد الحرام، اضطروا إلى إدخال سيارات الإطفاء و ناقلات الماء إلى نفس المسجد الحرام و إيقافها بساحته عند باب العتيق و باب الباسطية، أى بجهة المنازل التى تحترق و من السيارات التى بالمسجد الحرام مدوا خراطيم المياه و أخرجوها من باب القطبي و باب الباسطية و باب العتيق لحصار النار، في محلة قاعة الشفا، و عدم سريانها إلى الأماكن المجاورة، كما أتت سيارات أخرى للإطفاء من خارج المسجد من جهة الشبيكة و وقفت عند مدخل قاعة الشفا، و مدوا خراطيم المياه إلى المنازل التى تحترق لإطفاء النار حتى حاصروها و أطفئوها قبل الفجر بساعة واحدة. كما بينا ذلك مفصلا في محله، و لو لا لطف الله تعالى لا تحترق جانب كبير من مكة "إن الله بالناس لرؤوف رحيم." ففى هذه الحادثة تكون السيارات أى "الأوتومبيلات" دخلت المسجد الحرام لأول مرة فى التاريخ و مكثت تتردد فيه أسبوعا واحدا حتى اطمئنوا إلى خمود النار تحت الدمار و الهدميات. و من المصادفات الحسنة، أنه فى هذه الجهة، قامت الهدميات و العمل جار فى توسعة المسجد الحرام، فالطريق ممهد بطبيعة الحال و لم يكن إلا مساعدات قليلة لاجتياز هذه السيارات الضخمة، و لقد دخلت هذه السيارات إلى المسجد الحرام من جهة المسعى بقرب الصفا أى من "باب على" المقابل لبئر زمزم فتمشى بالمسجد حتى تقف بالقرب من باب الباسطية، ثم تمتد منها خراطيم المياه إلى محلات الحريق.

و إن من أعظم لطف الله تعالى و قوف الهواء فى هذه الليلة و قوفا تاما، فلو تحرك الهواء لاشتعلت النار أكثر و امتد الحريق إلى جهات متعددة فى البلدة. فالحمد لله الذى قدر هذا و لطف فيه "إن الله بالناس لرؤوف رحيم."

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٤٤

### ذكر بعض الحوادث المتفرقة

ذكر الغازي نقلا عن "تحصيل المرام: "و فى سنة (١٠٨١) إحدى و ثمانين و ألف يوم الجمعة دخل رجل أعجمى المسجد، و السيف

فى يده، و الخطيب يخطب، فصرخ على الخطيب، و أشار إليه بالسيف، و قال: أنا المهدي. فدفعه الناس عن الخطيب و ضرب الأعمى حتى مات و حرقوه بالمعلى. انتهى.

و ذكر السنجارى فى "منايح الكرم" هذه الحادثة بأبسط من هذا و هذه عبارته: و فى سنة (١٠٨١) يوم الجمعة السادس و العشرين من رمضان دخل المسجد رجل أعمى، بيده سيف، و الخطيب يخطب، و هو ينادى بالفارسية ما معناه أنه المهدي، و جلس فى صحن الطواف إلى أن فرغ الخطيب، فلما أراد أن ينزل قصده الأعمى بالسيف، و أراد ضربه، فرد فى وجهه باب المنبر، و كان الخطيب ذلك اليوم القاضى محمد بن موسى القليوبى المكى، فتلاحقته العامة من العساكر و المجاورين، فضربوا الأعمى بالسيوف إلى أن أثنونه جراحة، و سحبوه إلى أن أخرجوه من باب السلام، ثم جرت العامة من أولاد السوق إلى المعلاة، و جعلوا عليه قمامة و أحرقوه فيها. و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم.

و فيه أيضا و فى سنة (١١٢٣) يوم الجمعة رابع عشر ذى القعدة تعرض للخطيب رجل من السوق، و فى يده جنبيه مسلولة، فعند وصول الخطيب إلى المنبر ضربه بها فتلقى عنه المرقى، و فعل هكذا ثانيا و ثالثا و المرقى يتلقاها، ثم هرب الخطيب و صعد الرجل المنبر، و السكينة فى يده، يومى بها إلى من طلع إليه، فطلع إليه رجلا: تركى و عبد زنجى، و مسكوه و أنزلوه من المنبر، ف وقعت فيه العامة ضربا و أخرجوه من المسجد و أثنوه إلى أن مات. انتهى.

و فى سنة ألف و مائتين و ثمانية و أربعين خرج بعد العشاء، ليلة الجمعة، رجل بالمسجد الحرام، و عظ الناس، و أخبر أن المهدي يخرج غدا. فارتجت البلد لذلك.

فلما كان وقت الجمعة، امتنع الخطيب من الخطبة، إلا- أن يحضر الأمير و العساكر حول المنبر، فأجيب لذلك. و كان خطيب تلك الجمعة السيد محمد ميرة، فلما صعد المنبر أتى الشخص المدعى أنه المهدي، فاستقبلته العساكر، و قبضوا عليه و حبسوه إلى أن ينظروا أمره، بعد صلاة العصر. فلما جاء وقت صلاة العصر، لم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٤٥

يجدوه فى الحبس، و الحديد الذى كان مربوطا به، محطوط محلّه، كذا فى نزهة الفكر للشيخ الحضراوى. انتهى.

و فى خلاصة الكلام و فى شهر رجب سنة (١٢٠٣) وقعت حادثة بمكة و هى أن يوم الجمعة، كان الخطيب الشيخ عبد السلام الحرشى، فتعرض له عند المنبر بنقالى، قيل مجنون، قبل الصلاة، و ضربه سكيناً قطع به أمعاءه، فكانت هى القاضية. و وقع فى المسجد ضجة عظيمة، حتى أشاع بعض العوام أن المهدي المنتظر ظهر بين الركن و المقام، و عما قليل زال الالتباس، و تقدم خطيب آخر فخطب، و صلى بالناس، و أمر مولانا الشريف غالب، أمير مكة، بصلب ذلك القاتل، فصلب. انتهى.

و فى تاج تواريخ البشر: و فى ثانى جمعة من رمضان من سنة (١٢٩٦) ألف و مائتين و ست و تسعين بينما الخطيب، على المنبر بالمسجد الحرام، إذ جاء رجل سنادى، من ناحية باب الصفا، يشتد و يسعى حتى رقا المنبر، و فى يده سيف بحدين، فتلقاه المبلّغ، فضربه الرجل فى جبهته، فبرك عليه المبلّغ حتى دحرجه، فوكزه الناس و ضربوه، ثم وصلوا به إلى الديوان، و قد اضطرب المسجد الحرام فى تلك الساعة، فقائل هذا المهدي و قائل غير ذلك، و لما قضيت الصلاة ضربه نحو مائتين من السياط ثم وضعوه فى الخشب، و أرسلوه إلى الطائف لأمر مكة المكرمة الشريف حسين بن محمد بن عون، فلما وقف بين يديه، قال له: أنت المهدي؟

قال: لا، و لكنى رجل أقرأ و ردا و إذا قرأتها يصير بى حال، فكتبت بعض المواعظ و قصدي أعطيها للخطيب ليعظ بها الناس فضربونى، و جرح نفسه مكبر الخطيب، فقال أمير مكة: هذا رجل مجنون و وضعه فى السجن. انتهى.

قال الغازى فى الجزء الأول من تاريخه: و فى سنة (١٠١٢) اثنتى عشر و ألف، ظهر التباك و الدخان بأرض الحجاز و مكة و الشام فى هذا التاريخ و لم يعرف قبل ذلك، كذا فى تحصيل المرام.

ثم قال فيه أيضا: و مما كان فى دولة مولانا الشريف مسعود أنه منع الناس من التظاهر بشرب الدخان، فرفع من القهاوى و الأسواق، و

صار حاكمه يقبض على من يراه عنده من الأطواق، و كان ذلك في سنة (١١٤٩) تسع و أربعين و مائة و ألف.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٤٦

نقول: في سنة (١٣٣٨) ثمان و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة تقريبا، وجدت أول ما كينه لعمل الثلج بمكة، شرفها الله تعالى، و قبل هذه السنة لا يعرف الثلج بمكة، و إنما كان يبرد الماء بتعرضه للهواء في الأواني الطينية و الفخارية، كالأزيار و القلل المسماة في الحجاز "الشّراب" بكسر الشين المعجمة، و من بعد عام (١٣٥٠)، أي في عصر الحكومة السعودية، كثرت مصانع الثلج بمكة، و جميع المملكة تدريجيا، حتى صار الآن بمكة وحدها عدة مصانع للثلج.

### بعض ما حصل بمكة و ما حولها من القتال و النهب

نذكر هنا بعض ما حصل بمكة من القتل و القتال و غيره مما يخل بالأمن و الأمان، و نذكر ذلك من تاريخ الغازي، رحمه الله تعالى، لأنه جامع لأشتات الأخبار، و لا نذكر ما يأتي من قبيل التشهير و النيل من أهل الزمان السابق، غفر الله لنا و لهم، بل نذكره لتقارن بين ما كان سابقا من الخوف و عدم الاطمئنان، و بين ما نحن فيه من الأمن و الأمان، بفضل الله تعالى و رحمته، فتزداد شكرا لله تعالى ليزيدنا من بزه و إحسانه و فضله و رحمته. و قد حصل قتال بين الجن و بين بنى سهم من قريش زمن الجاهلية ذكر ذلك الإمام الأزرقى في تاريخه لكن لا نزيد ذكره هنا و ربما نذكره في موضع آخر من الكتاب.

و قد جاء في تاريخ الغازي: أنه في سنة (٢٩٩) تسع و تسعين و مائتين كانت واقعة بين عجم بن حاج و بين الأجناد بمنى، ثانی عشر ذی الحجة و أصابت الحجاج من عودتهم عطش شديد، فمات منهم جماعة، و حكى أن أحدهم كان يبول في كفه و يشربه.

و في سنة (٣٥٥) خمس و خمسين و ثلاثمائة قطعت بنو سليم الطريق على الحجيج من أهل مصر، و أخذوا منهم عشرين ألف بعير بأعمالها، و عليها من الأموال و الأمتعة ما لا يقوّم كثيره، و بقى الحجاج في البوادي فهلك أكثرهم، كذا في حسن المحاضرة، ذكره في "تحصيل المرام".

و ذكر ابن فهد أيضا هذه الواقعة في حوادث سنة خمس و خمسين و ثلاثمائة و هذا نصه: و فيها نهبت بنو سليم حاج مصر و الشام، و كانوا عالما كثيرا، و أخذ جميع ما كان معهم من الأموال، و كان ما لا حدّ له، لأن كثيرا من الناس، من أهل الثغور و الشام، هربوا خوفا من الروم بأموالهم و أهليهم، و قصدوا مكة ليسيروا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٤٧

منها إلى العراق فأخذوا و قتل أمير الركب و هلك من الناس ما لا يحصى و تمزقوا في البرارى و لم يسلم إلا القليل ورد على الحاج بعض ما أخذ منهم في السنة التي بعدها. انتهى.

و قال ابن فهد أيضا في حوادث سنة (٣٩٥) خمس و تسعين و ثلاثمائة و فيها أصاب حاج العراق رياح و أهوال، و طرحت العرب من خفاجة الحنظل في المياه، فهلكوا عطشا ثم أخذوهم و نهبوهم. انتهى.

و في سنة (٤١٠) أربعمائة و عشرة قتل بمكة هادي المستجاشي، و كان ظهر، في آخر أيام الحاكم العبيدي صاحب مصر، و صار يدعو إلى عبادة الحاكم، فحكى عنه أنه سب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و بصق على المصحف الشريف، و سار في البوادي، يدعو إلى أن قتله الله تعالى، و ذلك أنه لما وصلها و نزل على أبي الفتوح، و أعطاه الزمام، و صار يطوف بالكعبة، فكلما رآه المجاورون، مضوا إلى أبي الفتوح، و ذكروا له شأنه، و أنه لا يستتاب. فقال: هذا قد نزل على و أعطيته الزمام. فقالوا: لا يصح أن يعطى الزمام. فدافعهم أبو الفتوح، فاجتمع الناس عند باب الكعبة، و ضجوا إلى الله تعالى، و بكوا، ففضى الله تعالى بإرسال ريح سوداء حتى أظلمت الدنيا و صار للكعبة نور كنور الترس و لم يزل كذلك يرى ليلا و نهارا على حالة واحدة، مدة سبعة عشر يوما. فلما رأى أبو الفتوح ذلك، أمر بالغريم و غلام له مغربي، فضربت أعناقهما و صلبا، و لم يزل المغاربة يرجمونهما بالحجارة، حتى سقطا إلى

الأرض، فجمعوا لهما حطبا وأحرقوهما. كذا في "درر الفرائد".

و في تاريخ ابن فهد، بعد قوله: وأعطيته الذمام، فقالوا: إن هذا سب و بطق. فسأله عن ذلك فأقر به، و قال: قد تبت، فقال المجاورون: توبة هذا لا تصح، و قد أمر النبي صلى الله عليه و سلم بقتل ابن خطل، و هو متعلق بأستار الكعبة، و هذا لا يصح أن يعطى الذمام، و لا ينبغي إلاقته. انتهى.

و فيه أيضا و في سنة (٤٨٦) ست و ثمانين و أربعمئة حج الناس من الشام، فلما قضا حجههم، و عادوا سائرين، أرسل إليهم أمير مكة محمد بن أبي هاشم عسكريا فلحقوهم، بالقرب من مكة، فنهوا كثيرا من أموالهم و جمالهم، فعادوا مستغيثين به، و أخبروه و سألوه أن يعيد إليهم ما أخذ منهم، و شكوا إليه بعد ديارهم، فلم يغتهم بما فيه كبير جدوى، و أعاد بعض ما أخذوه منهم، فلما يسوا التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٤٨

منه عادوا من مكة على أقبح صفة، فلما بعدوا عن مكة ظهر عليهم جموع من العرب، في عدة جهات، فضايقوهم على مال أخذوه من الحاج، بعد أن قتل منهم جماعة و أفره، و هلك كثير بالضعف و الانقطاع، و عاد السالم منهم على أقبح صورة في حالة عجيبة. انتهى.

و في سنة (٥٣٩) تسع و ثلاثين و خمسمئة نهب أصحاب هاشم بن فليته أمير مكة الحجاج، بالحرم الشريف، و هم يطوفون، و ذلك نصفه كانت بين أمير الحاج و بين هاشم أمير مكة كذا في "تحصيل المرام".

و في سنة (٥٤٤) أربع و أربعين و خمسمئة كان أمير الحاج العراقي قيمان الأرجواني، فلما وصل الحاج إلى مكة، طمع أمير مكة فيهم، و استزرى بقيمان فطمع العرب، و وقفت في الطريق، و بعثوا يطلبون رسومهم. فقال قيمان للحاج:

المصلحة أن يعطوا و نستكفي شهرهم. فامتنع الحاج من ذلك، فقال لهم: فإذا لم تفعلوا فلا تزوروا السنة رسول الله صلى الله عليه و سلم، فاستفتوا عليه، و قالوا نمضى إلى سنجر، فنشكو منك. فسار بهم إلى أن وصلوا إلى مضيق، بين مكة و المدينة، خرج عليهم العرب، من بنى زغب، بعد العصر، يوم السبت رابع عشر المحرم من سنة خمس و أربعين، فقاتلوهم، فكثرت العرب، و ظهر عجز قيمان عنهم، فطلب لنفسه أمانا، و استولوا على الحجاج، فأخذوا من الأموال و الثياب و الجمال ما لا يحصى، و أخذوا من الدنانير ألوف كثيرة. فتحدث جماعة من التجار أنه أخذ من هذا عشرة آلاف و من هذا عشرون ألفا و من هذا ثلاثون ألفا، و أخذ من خاتون أخت مسعود ما قيمته مائة ألف دينار، و تقطع الناس، و هربوا على أقدامهم يمشون في البرية، فماتوا من الجوع و العطش و العرى، و قيل إن النساء طين أجسادهن لستر العورة، و ما وصل قيمان إلى المدينة، إلا في نفر قليل، و تحملوا منها إلى البلاد، و أقام بعضهم مع العرب، حتى توصل إلى البلاد. كذا في "إتحاف الوري من أخبار أم القرى".

و في سنة (٥٥٦) خمسمئة و ست و خمسين، حج الناس، فحصلت فتنه و قتال، بين صاحب مكة و أمير الحج، فرحل الحجاج و لم يقدر بعضهم على طواف الإفاضة قال ابن الأثير: و كان ممن حج و لم يطف جدته أم أبيه فأتت في العام القابل و طافت و أحرمت بحجة أخرى و أهدت. انتهى ذكره أبو الفرس كذا في "تحصيل المرام".

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٤٩

و في "إتحاف الوري" و في سنة ثلاث و ثمانين و خمسمئة (٥٨٣) وقعت فتنه بعرفة، في يوم عرفة، بين العراقيين و الشاميين، و كان قد اجتمع هذه السنة حاج بالشام من بلاد العراق و الموصل و ديار الجزيرة و خلاط و بلاد الروم و مصر و غيرها، ليجمعوا بين زيارة القدس و مكة، و جعل الأمير عليهم شمس الدين محمد بن عبد الملك بن محمد، المعروف بابن المقدم، أحد أكابر الأمراء الصلاحية، بعد طلبه الإذن من صلاح الدين، فساروا إلى عرفات سالمين، و قضا في ذلك المشاعر و أدوا الواجب و السنة، فلما كان عشية عرفة تجهز هو أصحابه، ليسيروا من عرفات، فأمر بضرب كوسائه، التي هي إمارة الرحيل، فضربها أصحابه، و رفع علم السلطان صلاح الدين، فأرسل إليه أمير الحاج العراقي مجبر الدين طاشتكين، ينهاه عن الإفاضة من عرفات قبله، و يأمره بكف أصحابه عن ضرب كوسائه، و قال: هذا موضع لا يرفع فيه إلا علم الخليفة. فقال ابن مقدم: فالسلطان مملوك أمير المؤمنين، و نحن مماليك



السلطان، وليس لي معك تعلق، أنت أمير الحج العراقي و أنا أمير الحج الشامي، و كل منا يفعل ما يراه و يختار. و أمر غلمانهم فأطلقوا العلم و سار و لم يقف و لم يسمع قوله، فلما رأى طاشتكين إصراره على مخالفته، ركب في أصحابه و أجناده، و تبعه من غوغاء الحاج العراقي، و بطاليهم و طماعتهم، العالم الكبير و الجم الغفير، و قصدوا حاج الشامي مهولين عليه، فلما قربوا منه ركب ابن المقدم أيضا بمن معه من الشاميين، فاقتتلوا و قتل من الفريقين جماعة، و خرج الأمر عن الضبط، و عجزوا عن تلافيه، فهجم جماعة العراقيين على حجاج الشام و فتكوا بهم، و قتلوا منهم جماعة و نهبت أموالهم، و سبى جماعة من نسائهم، إلا أنهم رددت عليهم. و جرح ابن المقدم عدة جراحات، و كان يكف أصحابه عن القتال، و لو أذن لهم لانتصف منهم، و زاد، و لكنه راقب الله تعالى و حرمة المكان و اليوم، و أثنى بالجراحة، و أصابه سهم في عينه، فخر صريعا، فأخذه طاشتكين إلى خيمته، و أنزله عنده ليمرضه، و ليستدرك الفارط في حقه، و ساروا تلك الليلة من عرفات. فلما كان الغد يوم الخميس، يوم عيد الأكر، مات ابن المقدم بمنى، و صلى عليه بمسجد الخيف، و حمل إلى المعلاة، و دفن، و رزق الشهادة بعد الجهاد و شهود فتح بيت المقدس، رحمه الله تعالى، و أخذ طاشتكين شهادة الأعيان، أن الذنب لابن المقدم، و قوى المحضر في الديوان و أقام الحاج الشامي بمنى، على أسوأ حال. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٥٠

و في سنة (٦٩٨) ثمان و تسعين و ستمائة حصل للحجاج تشويش في سفرهم بالعطش و الجوع، و تشويش عظيم بعرفات، و هو شتم في نفس مكة، و نهب خلق كثير، و أخذت ثيابهم التي عليهم، و قتل خلق، و جرح جماعة، و حصل لأبي نمى، صاحب مكة، من الجمال المنهوبة خمسمائة جمل، و كانت تباع لحوم الجمال بعد رحيل الحجاج بمكة، و أكثرهم المجاورين احترزوا من أكل لحوم الجمال، بسبب ذلك النهب. كذا في "درر الفرائد".

و في سنة (٧٣٠) ثلاثين و سبعمائة في يوم الجمعة و أربع عشر من ذى الحجة قتل الأمير الخازندار سيف الدين ألدمر بن عبد الله الناصري بمكة، و كان من خبر ذلك، أن أمير الركب العراقي، في هذه السنة، كان من أهل توريز، يعرف بمحمد الحجيج، تقرب من أولاد جوبان، فترقى بهم إلى معرفة السلطان أبي سعيد، فعظم أمره و جعله من ندمائه، و بعثه رسولا إلى مصر غير مرة، فأعجب به السلطان، و لاقى بخاطره، إلى أن بلغه أنه يعرض في مجلس أبي سعيد شيء ذكره مما يكرهه السلطان، فتنكر له و أسر ذلك في نفسه، فلما بلغه عنه أنه صار أمير الركب العراقي، كتب إلى الشريف عطيفة بن أبي نمى سرا لأن يتحيل في قتله، فلم يجد بدا من امتثال ما أمره به.

و أطلع ولده مبارك ابن عطيفة و من يثق به على ذلك. و تقدم إليهم بأعمال الحيلة فيه، فلما قضى الحاج النسك، عاد منهم الأمير علم الدين سنجر الجادلي إلى مصر، و معه جماعة، في يوم الأربعاء ثاني عشر ذى الحجة، و تأخر الأمير سيف الدين خاصى ترك أمير الحاج و الأمير سيف الدين ألدمر أمير خازندار، و الأمير أحمد بن خاله السلطان، ليصلوا بمكة صلاة الجمعة، و معهم بقية حجاج مصر، فلما حضروا للجمعة، و صعد الخطيب المنبر، أراد الشريف عمل ما رسم به، فأخذ العبيد في إثارة الفتنة بين الناس بذلك، و أول ما بدأ به، أن عبثوا ببعض حاج العراقي، و خطفوا شيئا من أموالهم، بباب المسجد الحرام، باب إبراهيم. و كان الشريف عطيفة جالسا إلى جانب الأمير خاصى ترك أمير الركب، فصرخ الناس بالأمير الدمري، و ليس عنده علم بما كتب به السلطان إلى الشريف عطيفة، و كان مع ذلك شجاعا حاد المزاج قوى النفس، فنهض و معه أصحابه و جماعة من المماليك، و قد تزايد صراخ الناس، و أتى الشريف رميته، و قبض بعض قواده و أصدقائه، فلاطفه الشريف، فلم يسكن، و اشتد صياح الناس، فركب الشريف مبارك بن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٥١

عطيفة في قواد مكة باله الحرب، و ركب جند مصر، فبادر خليل ولد الأمير الدوادار، ليطفى الفتنة، و ضرب أحد العبيد فرماه العبيد بحربة فقتله، فلما رأى أبوه ذلك اشتد غضبه، و حمل بنفسه لأخذ ثار ولده فرمى الآخر بحربة فمات.

و يقال بل صدف الشريف مبارك بن رميته و عمه عطيفة، و قد قصد أمير ركب العراقي، و عليه آله حرب، فقال له: ويلك تريد أن

تثير فتنة؟ و هم ضربه بالدبوس، فضربه مبارك بحربة كانت في يده أنفذاها في صدره، فخر صريعا، وقضى، وقضى الله معهما بالشهادة لجماعة آخرين منهم مملوك للأمير أدمر وأمير عشرة يعرف بابن الناجي، وجماعة نسوة. ورمى مبارك بن عطيفة بسهم في يده فشلت، وركب أهل مكة سطح الحرم ورموا الأمير أحمد و من معه بالحجارة وقد اتفرغ نشابة بين يديه، هو و من معه، ورمى بها، حتى خلص أيضا. و فرّ أمير الركب العراقي، ودخلت الخيل المسجد الحرام، وفيها جماعة من بني حسن ملبسين غايرين، و اختبئ الناس بأسرهم، و تفرق الناس، وركب بعضهم بعضا، ونهب الناس أموالا كثيرة، و جرت أمور عجيبة و صلى الناس الجمعة، و السيوف تعمل، و خرج الناس إلى المنزلة- المنزلة موضع النزول- و الخيل في أثرهم، يضربون بالسيوف يمينا و شمالا، و ما أن وصلوا إلى المنزلة و في العين قطرة. و دخل الأمراء، بعد الهزيمة، إلى مكة لطلب الثأر، و خرجوا فارين مرة أخرى، ثم بعد ساعة جاء الأمراء خائفين، و بنو حسن و غلمانهم أشرفوا على ثنية كدى من أسفل مكة، و تحير الشريف عطيفة في أمره، و ما زال يدارى الأمر حتى خرج الحاج بأجمعهم من مكة، و أمروا بالرحيل و توجهوا إلى بلادهم. و لولا سلم الله كانوا أنزلوا عليهم، و لم يبق من الحاج مخبر. و وقف أمير الركب المصريين في وجوههم فأمر بالرحيل. فاخبتب الناس و جعل أكثر الناس يترك ما ثقل من أحمالهم و نهب الحاج بعضهم بعضا. ذكره ابن فهد.

و في سنة (٧٤٣) سبعمائة و ثلاث و أربعين كان بعرفة فتنة و قتال عظيم، بين الأشراف و أمير الحج. و قتل من الترك نحو ستة عشر رجلا و من الأشراف نفر يسير. و بعد الوقوف توجهوا إلى مكة، و تحصنوا بها، و تركوا الحضور إلى منى في أيامها، و دخل الحاج مكة قبل النفر الأول، و فوات الكثير من الناس المناسك بسبب هذه الفتنة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٥٢

و في سنة (٧٤٤) سبعمائة و أربع و أربعين وقعت أيضا فتنة بين أمير الحاج و أهل مكة و قتل جماعة و خمدت الفتنة. و في سنة (٧٨٥) سبعمائة و خمس و ثمانين وقعت فتنة بين حاج التكرور و المغاربي و بين حجاج العراق و اليمن زمن الحج و قتل فيها نحو ألف إنسان. ذكره في "خلاصة الكلام".

و في سنة (٧٩٧) سبع و تسعين و سبعمائة في يوم التروية، حصل في المسجد الحرام جفلة، بسبب مناقرة وقعت بين بعض القوادين المعروفين بالعمرة و بين أمير الركب ابن الزين، فثارت الفتنة و صارت قتال، ظفر فيه القواد و نهبت أموال كثيرة للحاج و قتل بعضهم، و نهبت الظهران، عرب من هذيل، الحاج في ليلة عرفة بطريق عرفة عند المأزمين، و رحل الحاج بأجمعهم من منى في النفر الأول. ذكره ابن فهد.

و في سنة (٨١٠) ثمانمائة و عشرة في يوم الجمعة خامس ذي الحجة، حصل بالمسجد الحرام، فتنة انتهكت فيها حرمة المسجد، لما حصل فيه من القتال بالسلح، و إدخال الخيل، و إراقة الدماء، و روث الخيل فيه و طول مقامها فيه.

و سبب ذلك، أن أمير الحج المصري أدب بعض غلمان القواد على حمل السلاح لتهيئه عن ذلك، و حبسه، فرغب بعض مواليه في إطلاقه، فامتنع، فلما قام الناس، لصلاة الجمعة، من اليوم المذكور، هجم جماعة من القواد و دخلوا المسجد الحرام، من باب إبراهيم، راكبين خيولهم، لابسين لأمة الحرب، إلى أن انتهوا إلى مقام الحنفى. فلقبهم الترك و الحجاج، من باب إبراهيم، راكبين خيولهم، لابسين لأمة الحرب، إلى أن انتهوا إلى مقام الحنفى. فلقبهم الترك و الحجاج، و قاتلوهم إلى أن وصلوا سوق المعلافة، أسفل مكة. و ظهر المصريون و انتهب بعض دور القواد من المصريين، بالسوق المذكور، و سوق المسعى، و بعض بيوت مكة. و لما كان آخر النهار أمر أمير الحاج بتسمير أبواب المسجد الحرام، إلا باب السلام، و باب الدريية، و باب مدرسة المجاهديية، لأن أمير الركب و من معه يدخلون منه. و أدخل جميع خيله المسجد الحرام، و جعلت في الرواق الشرقي، قريبا من منزله برباط الشرايبي، المسمى الآن برباط قايتباي. و باتت الخيل بالمسجد الحرام حتى الصباح، و لم يعلم أن المسجد الحرام انتهك مثل هذه الواقعة، فذهب جماعة من أعيان مكة إلى أمير الحاج المصري، و أخبروه أنه أخطأ في أمساك القائد و ضربه، فأمر بإطلاقه،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٥٣

و التمسوا من الشريف إخماد الفتنة، فبعث ولده الشريف أحمد إلى أمير الحاج، فخرج من عنده، و نادى بالأمان، فاطمأنت الناس و أمنت بعد جراحات كثيرة حصلت للفريقين، قال بعضهم و لا أعلم فتنة أعظم منها بعد القرامطة و كان القائد الذي وقعت الفتنة بسببه يقال له جراد و اتفق أن تلك السنة كانت غلاء فقال بعض الأدباء في ذلك:

وقع الغلاء بمكة و الناس أضحووا في جهاد

و الخير قل فهاهم يتقاتلون على جراد

و فيه تورية لطيفة. كذا في خلاصة الكلام و تحصيل المرام.

و في سنة (٨٧٤) أربع و سبعين و ثمانمائة في ليلة الأحد خامس عشر ربيع الثاني، وجدت سعادة أم الهدى بنت القاضي نور الدين على ابن بركات بن ظهيرة القلاشي مقتولة على فراشها بالخنق، فاتهم بذلك جواربها، فدفعوا إلى الوالي، فأقرت اثنتان منهن بأنهما قتلاها خنقا و أخذتا ذهباً و مصاعاً و ثياباً، فأعادتا ذلك، و كانتا قبل ذلك استعانتا بجارية أجنبية، في شراء سم، فأسقياه لستهما في لبن، فتوجعت من ذلك، و كانت معللة به إلى أن حصلت لها الشهادة، رحمها الله تعالى، فلما كان في يوم الثلاثاء السابع عشر، أشهر قطع الوالي الأذن اليمنى، من كل واحدة من جارتيتها إلى الشحمة، و قطع مارن أنفيهما و سمرتا تسمير عطب على جملين، و بيض وجهيهما بالنورة، و دير بهما غالب شوارع البلد و أزقتها، ثم شنقتا على درب باب المعلاة، و تركتا عليه إلى ثاني تاريخه، ثم دفتتا. و أما الجارية التي اشترت السم فإنه بيض وجهها بالنورة و عزرت مقبوبة على حمار. انتهى كذا في "الإتحاف".

و في "منايح الكرم"، و في سنة تسعمائة و اثنين و ثلاثين (٩٣٢) ورد من مصر سليمان الرئيس، متوجها إلى اليمن، و معه نحو أربعة آلاف عسكري، جهزهم الوزير أعظم إبراهيم باشا، صاحب مصر، لأخذ اليمن مددا لمن سبق من الباشاوات، فوصلوا جدة في شهر رمضان من السنة المذكورة، و صار العسكر يتعرضون العرب بالنهب، فانقطع الميرة عن مكة، بسبب ذلك، و حصل بها غلاء لذلك، ثم وصلت طائفة من العسكر إلى مكة، و أخرجوا الناس من بيوتهم، و سكنوها، و كثر أذاهم، فتسلطت عليهم العربان، و قتلتهم في طريق جدة، و أينما وجدوهم، إلى أن قتلوا تاجرين عظيمين، من تجار مكة، ظنا بهم أنهم من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٥٤

العسكر، فمنع الشريف حسن العربان بعد القتل، لكن بعدها ألح فيهم القتل و امتلأ طريق جدة منهم. فبعث الشيخ محمد بن عراق جماعة، فدفنوا ما في الطريق من جثث القتلى، و لما كثر العسكر المذكور بمكة نصبوا ييارقهم في المسجد الشريف، من باب السلام إلى باب علي، فشكى الناس ذلك إلى الشيخ محمد بن عراق، فجلس الشيخ في المسجد، و دعا الأمير خير الدين و بعض رؤساء العسكر، و نهزهم، و أمرهم بالخروج من بيوت الناس، فأكبوا على رجله يقبلونها، و قالوا:

مقصودنا الحج و نتوجه. فقال لهم الشيخ: اذهبوا إلى منى فإن بها دورا خالية، فاسكنوها. فامتلأ أمره و خرجوا إلى منى و قتلوا بعض المفسدين منهم، امتثالا لأمر الشيخ محمد. و كان ذلك بإشارة من النبي صلى الله عليه و سلم للشيخ، فإنه كان بالمدينة، فأمر النبي صلى الله عليه و سلم بالمسير إلى مكة، قال له: توجه إلى مكة لإصلاحها. فورد مكة سادس شوال و صادف هذه الفتن و الشيخ محمد بن عراق هذا ترجمه العلامة الفربي في أخبار المائة العاشرة و أما سليمان الرئيس فاستولى على محصول جدة فكان نصفه للسلطنة لأمر مكة، و كان المحصول في ذلك العام تسعين ألف دينار ذهباً. و كان الشريف خرج من مكة و نزل الدكناء، فجاءه الخبر و وصل إليه أمين جدة على جاووش، و اعتذر إليه بغلبة سليمان، فقبله و أمره بالرجوع إلى جدة. انتهى.

و في سنة (١٠٠١) ألف و واحد حصل للحجاج نهب كثير، من شخص من أشرف مكة، كان عاصيا على بني عمه، بشرذمه معه، يتعرضون للحجاج، فأعان الله أمير الحج المصري على بيك، فقبض عليه و على طائفته، و هم غافلون ليلة تحت بعض الجبال بعيدا عن الطريق المسلوكة، و أحاط عليه بالعساكر و نزل بهم من الجبل إلى الحج، و جلس على كرسيه و نادى كل من ضاع له شيء من

الحجاج ليحضر، و أقام يوما بحضرة القاضى فردوا جميع ما أخذ عليهم. ذكره فى "تاريخ البشر."

و فى سنة (١٠٢٩) ألف و تسع و عشرين وقع طرد فى المسجد الشريف، و ذلك أن جبليا من عسكر الشريف، دخل المسجد و ترك سيفه عند هندی، فجاء رجل تركى اختصم معه، و سب الهندی، فثار له الهندی بالسيف، و قتل التركى، و ثارت الناس على الهندی، فطردهم إلى باب الصفا، فلم يزالوا به حتى ضربه بعضهم بإبريق، فزلق فتكاثروا عليه، فضربه بعضهم بسلاح فمات، و أخرج من المسجد هو و التركى مقتولين. كذا فى "منايح الكرم."

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٥٥

و فى سنة (١١١٨) ألف و مائة و ثمانى عشرة فى إمارة الشريف عبد الكريم، لما كان يوم عرفه، حصل بين المحملين مشاجرة فى التقدم عند النفر. أوجبت المراماة بالرصاص، مع أن القانون القديم، أن التقدم لمحمل الحاج المصرى، ثم لما رأى حضرة الشريف ما وقع، أرسل بعض الأشراف إلى الأمراء، لتسكين الفتنة، لحفظ الحجاج و تخلف هو عن وقت نفره المعتاد إلى العشاء، إلى أن سكنت الفتنة، و شد الحاج كله، و لم يبق أحد من أهل مكة و غيرهم. ذكره فى "الإتحاف."

و فى سنة (١٢٧٢) اثنين و سبعين بعد الألف و المائتين ورد التنبيه من كامل باشا الذى كان مقيما بجدة، لقائم مقامه بمكة، أن يجمع دلالى الرقيق، و يمنعهم من بيع الرقيق، بمقتضى أمر جاء لكامل باشا من الدولة، ففعل قائم مقام الباشا ما أمره به. فصار للناس من ذلك انزعاج و اضطراب، و صاروا يقولون: كيف يمنع بيع الرقيق الذى أجازته الشارع؟ و هاج الناس هيجانا شديدا، فاجتمع جماعة من طلبة العلم عند الشيخ جمال، و كان رئيس العلماء، و قالوا: نذهب إلى القاضى و نذاكره فى ذلك، ليراجع كامل باشا و هو يراجع الدولة فى ذلك، فاجتمع معهم، و هم ذاهبون إلى بيت القاضى، خلق كثير من غوغاء الناس، فلما دخلوا على القاضى، فرع منهم و هرب، و دخل إلى بيت حريمه، فزاد هيجان الناس و اضطرابهم، و هاج بسبب ذلك بعض العساكر الضابطية، الذين كانوا فى دار الحكومة، و رأوا بعض الناس حاملين السلاح، و يقولون: الجهاد. فثار من ذلك فتنة عظيمة، و صار الرمي بالبندق من الفريقين، و انتشرت الفتنة و رمى البندق فى الأسواق و الطرقات، و صار القتل لكثير من العسكر و غيرهم. و توقف بعض العسكر مع بعض أهل البلد، فى المسجد الحرام، و صاروا يترامون بالبندق، و قتل فى المسجد أناس من ذلك الرمي، ففرع بعض الناس إلى الشريف منصور بن الشريف يحيى بن سرور، و هو فى داره، و سأله تسكين هذه الفتنة، فأطلق مناديا فى مكة، لمنع الناس من الفتنة، فامتثلوا أمره، و أمن الناس و تحفظ على العساكر الشاهانية، و اطلع كثيرا منهم القلعة، و كذلك الشريف عبد الله بن ناصر أدخل كثيرا من العساكر فى دار الشريف محمد بن عون، و سكنت الفتنة. ذكره فى "خلاصة الكلام."

و فى شهر شوال سنة (١٣٢٤) ألف و ثلاثمائة و ست و عشرين، حدثت بمكة، فتنة كادت أن تفضى إلى محنة عظيمة، و سبب ذلك أن الحكومة أمرت أحمد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٥٦

القبورى أن يعمر الجدار المحيطة بالمقابر، دافعا للروايح الكريهة، الحادثة من أوساخ الناس فى القهاوى الكائنة، ثم فإنهم كانوا يتغيطون هناك، و أمره أيضا أن يعمر القبور المتهدمة، فقال لهم: أنا رجل فقير من أين أعمر ذلك؟ فقالوا: مما تقبضه من أهل الأموات، و إن لم تفعل فقد وجدنا غيرك من يقوم بهذه الخدمة. و كان يأخذ على حفر قبر الميت ما يشاء من غير معارض له، على ذلك، و على الخصوص فى زمن الحج من الحجاج. ثم بعد هذه القضية شرع يطلب الزيادة عن المعتاد، و يشدد فى الطلب من الفقراء، و شاع بين الناس أن الحكومة أمرت للقبورى أن يأخذ على كل جنازة تدفن فى المعلاة خمسة ريالات مجيديات، يأخذ منها واحد لنفسه، و الأربعة الباقية يصرفها فى العمارة المذكورة. و اتفق فى تلك المدة أن جاءت جنازة فقير من التكرور، فطلب القبورى منهم ما اعتاده فى حفر القبر، و قال: إني مجبور على أخذ ذلك. فامتنعوا و تضاربوا، و قصدوا الحميدية، و انضم إليهم جماعة من الذين أشاعوا الخبر المذكور، و هو أن الحكومة أمرت بأخذ خمسة ريالات مجيدى على كل جنازة و صاروا يصيحون: باطل باطل،

إلى أن وصلوا عند الوالي، فقال: لم أمر بذلك. فرجعوا من عنده، ولكن أثار الفتنة بعض المفسدين، فهاجموا بالسلاح على دائرة الحكومة و على بعض المواقع العسكرية، و رمى بالرصاص فيما بين الصفا و باب الوداع و بالمسجد الحرام، و قتل عدة أنفار من العسكر، و عدة من الرعايا، إلى أن خمدت الفتنة، آخر النهار، بهمة بعض الأشراف، و وكيل الإمارة الشريف محمد بن أحمد بن عبد المجيد الحمودي العبدلى و غيرهم من الأعيان. ثم بعد أيام بحثت الدولة الدولة عن سبب هذه الفتنة و شررها، و قبضت على شيخ الفتنة أحمد القبورى، و نحو عشرين من أعوانه، و من بينهم فى ذلك أيضا محمد على بن عبد الواحد، الذى كان كاتباً للشريف عون أولاد ثم كاتباً للشريف على، فى مدة إمارته، فقبض عليه أيضا و نفوا إلى الآستانة و حبسوا هناك مدة مات فيها محمد على، ثم أرجعوا إلى المحاكمة، ثانيا فى بيروت، ثم أطلق سراحهم، و رجعوا مكة بعد سنة تقريبا. ذكره فى "نزهة الأنظار و الفكر." انتهى كل ما ذكره من تاريخ الغازى.

نقول: إن ما ذكرناه هنا من الأحداث التى وقعت بمكة ليس من باب حصر الوقائع، فلو عددنا كل ما وقع من صدر الإسلام إلى اليوم لاحتجنا إلى مؤلف خاص. و إنما ذكرنا ما تقدم لنقارن بين الزمن الماضى و الزمن الحاضر. و يجب علينا أن نحمد الله تعالى ليل نهار على نعمة الأمن و الأمان الشامل لجميع مملكتنا، و لا التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٥٧

نبالغ أن قلنا أنه لا توجد مملكة كالمملكة العربية السعودية فى شمول الأمن لجميع أطرافها، و ما ذلك أولا إلا بفضل الله و رحمته عز شأنه و تقديست أسماؤه، ثم بحسن نيته جلاله مليكنا المعظم "سعود بن عبد العزيز آل سعود" و عنايته التامة بجميع مرافق المملكة، أدام الله عليه توفيقاته و أدام عزه و نصره.

### الأمن و الأمان فى العهد السعودى

كان الحجاز، فى العهود السابقة، مضطرب الأحوال، من جهة الأمن و الأمان، و ذلك بسبب كثرة الحروب و الخصومات، بين الحكام و الولاة من قديم الزمان، حتى أن الحرب لتكون فى منطقة الحرم، بل تكون أحيانا فى داخل المسجد الحرام، فيموج الناس موجا و يضطربون اضطرابا، إلى أن تسكن الفتنة أو ينتصر أحد الخصمين من حكام مكة.

و أما عن خوف الحجاج، فى موسم الحج، فى كل عام، فحدث عن ذلك ما شئت، فما كان الحجاج يأمنون على أنفسهم و لا على أموالهم، مع ما يدفونه من الأتاوى لمشايخ العربان و رؤسائهم، و مع ما يصحبهم من الجنود و الحرس المسلحين، مع كل ذلك أيضا، كان الحجاج، إذا وصلوا إلى أرض الحجاز، عن طريق البر أو البحر، يعترهم الخوف و الوجل، ما داموا فى طرق الحج و الزيارة، بل كان الحاج إذا أراد الخروج إلى الحج يودعه أهله و داع من لا يعود إلى وطنه ثانيا.

لهذا كله جعلت الحكومات السابقة، منذ القرن الخامس تقريبا، أسوارا بمكة و بجدة و بالمدينة، فقد كان بمكة سور بجهة المعلا، و سور بجهة الشبيكة، و سور بجهة المسفلة، و رب قائل يقول: لماذا هذه الأسوار الثلاثة لمكة، بينما جرت العادة أن تكون البلدة لها سور واحد فقط، يحيط بها من جميع الجهات؟

فنقول: إن الله تعالى أحاط بلده الأمين "مكة" بالجبال من جميع جهاتها، و جعل لها من أصل الخلق ثلاثة منافذ، طريق من جهة المعلا، و طريق من جهة المسفلة، و طريق من جهة الشبيكة، فعلى هذه الجهات الثلاثة جعلت هذه الأسوار، فيكون كل سور مبنى بالعرض، أحد طرفيه فى الجبل الذى عن اليمين و طرفه الثانى فى الجبل الذى يقابله عن الشمال، و فى كل سور باب يفتح و يقفل. و لقد هدمت هذه الأسوار كلها و لم يبق لها أثر الآن مطلقا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٥٨

ثم إن الحكومة التركية العثمانية، لما كان الحجاز تحت حكمها، بنت فوق التلال الصغيرة، جملة قلاع صغيرة فيما بين جدة و مكة و

فيما بين مكة و المدينة و في بعض الطرق التي يجتازها الأعراب، و هذه القلاع تكون أسطوانية الشكل تسع نحو عشرين جنديا فقط، فكان فيما بين مكة و جدة نحو عشر قلاع من هذه القلاع الصغيرة، لم يبق منها الآن شيء ما عدا أطلال قلعة أو قلعتين.

كما بنت الحكومة التركية أيضا ثلاث قلاع كبيرة بمكة:

(١) قلعة أجياد: و هذه لا زالت موجودة إلى اليوم و بها جنود.

(٢) قلعة جبل هندی: و هذه لا زالت أيضا موجودة.

(٣) قلعة فلفل أي جبل لعلع: و قد هدمت هذه القلعة و بنى مكانها دارا للأسلحة.

كما بنت الحكومة المذكورة بمكة أيضا قشلاق جرو للجنود، و لا زالت موجودة إلى اليوم عامرة بالجنود، و قشلاق آخر بأجياد. و هذه لا زالت موجودة أيضا، و هي الآن بقرب وزارة المالية و بعض الدوائر الحكومية.

و كان بعض حكام مكة، بينون بجبل أبي قبيس، دورا للحرب، يتحصنون فيها بالرجال و الأسلحة ضد خصومهم، و منذ أن تولى جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله تعالى، على الحجاز، سنة (١٣٤٣ هـ) حصل الأمن فيها بصورة منقطعة النظر، بحيث لا توجد الآن مملكة على وجه الأرض في الأمن و الأمان مثل المملكة العربية السعودية، فقد بسط الأمن ذراعيه في أطراف المملكة سهلها و جبالها، يمشى المرء وحده في أي بقعة ليلا أو نهارا و هو آمن على نفسه و على ما معه من المال. و تأتي هذه آلاف المؤلفات من الحجيج في موسم كل عام على الحرمين الشريفين، فلا يرون إلا الراحة و الطمأنينة و الأمان.

إن هذا الأمن الواقع بأطراف المملكة العربية السعودية هو حديث الخاص و العام، داخل المملكة و خارجها، و لا يزال إلى اليوم رجالنا المعمرون الذين شاهدوا الحالتين من الحضرة و البدو، يتفكحون في المجالس بما كانت حالة البلاد من الخوف و التعدي على الحجاج، و ما أصبحت الآن من الأمن و الطمأنينة في طول البلاد و عرضها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٥٩

و لا شك أن ذلك راجع أولا إلى رحمة الله تعالى بعباده و عظيم فضله و إحسانه، ثم إلى يقظة حكومتنا السنية و حرصها على راحة شعبها و رعاياها، و توجد الآن في جميع الطرق بالمملكة مركز متفرقة للشرطة. فبين مكة و جدة توجد نحو عشرة مراكز للشرطة، و هذه المراكز بنيت منذ أربع سنوات على شكل بيوت صغيرة- أو بعبارة أخرى- على شكل "فيلات" جميلة في كل منها بضع من الجنود، و ليست هذه المراكز كالقلاع الصغيرة التي كانت مبنية في الطريق فإن هذه بنيت للحرب مع المعتدين من البدو، و أما هذه المراكز الحديثة فإنها وضعت للمحافظة على الطريق و على المسافرين و مراقبة السيارات، حتى لا تخرج عن حدود السير فتقع من الحوادث ما لا يحمد عقباه.

نسأل الله الكريم أن يجزي عنا حكومتنا السنية خير الجزاء، و أن يؤيد حضرة صاحب الجلالة ملكنا العظيم بالعز و النصر و أن يوفقه لكل ما فيه صالح العباد و البلاد آمين.

### بعض الأمور العجيبة التي وقعت بمكة

إن ما نذكره هنا من الأمور العجيبة و الأحوال الغريبة، التي حصلت بمكة المكرمة من الأمطار و السيول و الرياح و الصواعق و أشبهها، إنما هو للعتة و الاعتبار و التذكر و الافتقار، فسبحان الذي يلطف بعباده فيما جرت به المقادير.

و ليس ذكرنا هذه الأمور من قبيل الحصر و التعداد، فقد يكون هناك من الحوادث ما غفل التاريخ عن ذكرها، و إننا لا نتعرض هنا لذكر الحوادث التي وقعت بمكة بسبب الحروب، لأننا أهملنا ذكر جميع الحروب، التي وقعت بمكة، من الأزمنة السابقة، لأن ذلك من اختصاص المؤرخين السياسيين. و الحمد لله الذي عافانا من الاشتغال بالسياسة حتى نتفرغ لما هو الأصلح لمثلنا ففي الصحيحين "كل ميسر لما خلق له" و إن ما نذكره هنا من الأمور العجيبة الواقعة بمكة فقط، فقد نقلناه من تاريخ العلامة الشيخ عبد الله الغازي المكي

المتوفى فى اليوم الخامس من شهر شعبان سنة (١٣٦٥) خمس و ستين و ثلاثمائة بعد الألف لأذن تاريخه كالقاموس المحيط جامع لأكثر كتب التاريخ.

و نحن هنا لا ننقل من تاريخه نص كلامه، و إنما ننقل منه زبده مختصرة جدا حتى لا يطول بنا الكلام.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٦٠

فقد جاء فى الجزء الأول منه فى الباب الثامن، ما ملخصه فى هذا الجدول، الذى نحن عملناه و رتبناه لسهولة المطالعة:

السنة الهجرية بالأرقام/ السنة بالحروف/ الحوادث الخاصة

١٥٤/ أربع و خمسين و مائة/ وقعت صاعقة فى المسجد الحرام فقتلت خمسة أشخاص.

٥٨١/ إحدى و ثمانين و خمسمائة/ مات فى جوف الكعبة من الزحام أربعة و ثلاثون شخصا.

٥٩٢/ اثنين و تسعين و خمسمائة/ بعد خروج الحاج من مكة هبت ريح سوداء عمت الدنيا و وقع على الناس رمل أحمر، و وقعت من الركن اليماني و تحرك البيت الحرام مرارا.

٥٩٧/ خمسمائة و سبع و تسعين/ نقلا عن كتابه "إتحاف الورى بأخبار أم القرى" حل الوباء بالطائف من أول شهر رجب من السنة المذكورة إلى أول رمضان، حتى ما بقى بالطائف ساكن، و كان الطاعون الذى نزل بهم إذا ظهرت علامته فى أبدانهم لا يتجاوزون خمسة أيام و من جاوزها لم يهلك، و امتلأت مكة بأهل الطائف، و بقيت ديارهم مفتحة، و اقمشتهم مطروحة، و دوابهم فى مرعاها، و كان الغريب فى تلك المدة إذا مر بأرضهم فتناول شيئا من أموالهم و دوابهم و طعامهم أصابه الطاعون من ساعته، و إذا مر و لم يأخذ شيئا سلم من ذلك، فحمى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٦١

السنة الهجرية بالأرقام/ السنة بالحروف/ الحوادث الخاصة

اللّه تعالى أموالهم فى تلك المدة لمن بقى منهم و لمن ورثهم ... الخ.

٦٠٠/ ستمائة تقريبا/ جاء سيل بمكة و وقعت صاعقة على جبل أبى قبيس فقتلت رجلين، و وقعت صاعقة أخرى بمسجد الخيف فقتلت رجلا واحدا، و وقعت صاعقة ثالثة فى الجعرانة قتلت رجلين، و صاعقة هلك بها بعض مؤذنى الحرم، و صاعقة بالمسجد الحرام قتلت خمسة أشخاص.

٦١٧/ سبع عشرة و ستمائة/ مات بالمسعى من الزحام أناس من الحجاج.

٦٤٤/ أربع و أربعين و ستمائة/ هبت ريح عاصفة شديدة بمكة، فألقت ستارة الكعبة المشرفة حتى صارت عريانة، و مكثت كذلك أحد و عشرين يوما.

٦٦١/ إحدى و ستين و ستمائة/ عطش الناس بعرفة و كان يوما شديد الحر، حتى بيعت سخلة الماء بأربعة دنانير، و المراد بالسخلة القرية الصغيرة جدا.

٦٧٧/ سبع و سبعين و ستمائة/ مات بباب العمرة من الزحام ثمانون شخصا، و ذلك أنه، عند خروج الحاج إلى العمرة، بعد صلاة الصبح، اعترضهم جمل فى آخر الزقاق الضيق فزحم بعضهم بعضا فقتل منهم فى وقته خمسة و أربعون،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٦٢

السنة الهجرية بالأرقام/ السنة بالحروف/ الحوادث الخاصة

و نقل كثير إلى منزله و مات عند أهله.

٦٩٥/ خمس و تسعين و ستمائة/ وقعت صاعقة على مأذنة باب على فى المسجد الحرام، فمات منها الشيخ تاج الدين على بن محمد الكازرونى المؤذن.

٧٣٢/ اثنتين و ثلاثين و سبعمائة/ فى أواخر ذى الحجة وقعت بمكة امطار و صواعق، منها صاعقة نزلت على أبى قبيس فقتلت رجلا، و أخرى بالخيف فقتلت رجلين، و ثالثة بالجعرانة فقتلت رجلين أيضا.

٧٤٩/ سبعمائة و تسع و أربعين/ وقع بمكة و الطائف و جدة و عامة بلاد الحجاز و بواديها، و باء عظيم و جافت البلاد و هلك كثير من الجمال، قيل لم يبق بجده سوى أربعة انفاس، و خلت الطائف و لم يبق فيها إلا القليل، و كان يموت من أهل مكة فى كل يوم نحو من عشرين نفسا، فدام الحال مدة ثم ارتفع و كان هذا الوباء عاما فى جميع البلاد، و بديار مصر كان أعظم.

٧٥٠/ خمسين و سبعمائة/ وقعت بمكة ريح سوداء و مطر و صاعقة، وقعت بسببها جميع الأعمدة، التى حول المطاف، و التى جددها فارس الدين فلم يبق منها غير عمودين.

٧٧١/ إحدى و سبعين و سبعمائة/ فى الليلة الثانية من جمادى الأولى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٦٣

السنة الهجرية بالأرقام/ السنة بالحروف/ الحوادث الخاصة

سقطت مئذنة باب الحزورة- أى باب الوداع- فى ليلة مطيرة و كفى الله شرّها فلم يحصل منها أى ضرر لأحد، فأمر الملك الأشرف شعبان بن حسين صاحب مصر بعمارتها.

٨٢٥/ ثمانمائة و خمس و عشرين/ فى اليوم السابع و العشرين من ذى الحجة هجم سيل على المسجد الحرام و نزلت صاعقة بالطندباوى بأسفل مكة فقتلت أربعة أشخاص.

٨٤٥/ خمس و أربعين و ثمانمائة/ صبح اليوم الثانى من ذى الحجة مات سبعة أشخاص فى الطواف من الزحام.

٨٦٠/ ستين و ثمانمائة/ حصل بمزدلفة مطر عظيم، فوقع فيها برد كبار، كل واحدة قدر الحظلة.

٨٧٦/ ست و سبعين و ثمانمائة/ وقعت صاعقة بالردم من مكة فقتلت امرأة مصرية و رجل مقديشيا.

٨٨١/ إحدى و ثمانين و ثمانمائة/ مات من الزحام بالكعبة خمسة و عشرون شخصا

٨٨٢/ ثمانمائة و اثنين و ثمانين/ و فى أوائل هذه السنة وقع بمكة موت عظيم، و كان المرء يمرض يوما أو يومين، مات فى هذه الواقعة جماعة من أهل مكة و الغرباء.

و كذلك فى هذه السنة وقع بجده طاعون مات من أهلها كثيرون، حتى أغلقت أبواب كثيرة، و كان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٦٤

السنة الهجرية بالأرقام/ السنة بالحروف/ الحوادث الخاصة

فى بعض الأيام يصلى على الستين ميتا فى الجامع، و قد بلغ عدد الأموات كل يوم أكثر من مائة.

٨٨٣/ ثلاث و ثمانين و ثمانمائة/ حصل مطر بمكة، فنزلت صاعقة مات منها صايغ كان يتوضأ بداره بالمسقلة.

٨٩٧/ سبع و تسعين و ثمانمائة/ حصل بعرفات مطر و ريح شديدة، و نزلت صاعقة فقتلت رجلين من العرب و كانت ساعة مهولة.

٩٠٥/ خمس و تسعمائة/ وقعت صاعقة بمكة فمات منها شخص نجار و غشى على آخر و أحرقت بعض خشب طاقات من بيت الحلبى.

٩٠٦/ ست و تسعمائة/ وقع بمكة مطر و معه برد بقدر بيض النعام و بقدر البطيخة الصغيرة و أنها وزنت ثلاثة أرتال أو خمسة.

٩٠٨/ ثمان و تسعمائة/ وقع بمكة مطر و ريح قوى، وقع بسببه بالمطاف أسطوانتين من الحجارة و بعض درابزين الدور الثانى من منارة باب السلام.

٩٠٩/ تسع و تسعمائة/ فى التاسع عشر من ذى القعدة حصل بمكة مطر و رعد قوى نزلت منه صاعقة فمرت على مئذنة السلطان قايتباى فوقعت رأسها على رأس جمل فشجته فذبحوه، و انفصلت من الصاعقة جزء فصبوا عليه الماء فلم تنطف بل زادت



التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٦٥  
السنة الهجرية بالأرقام/ السنة بالحروف/ الحوادث الخاصة  
اشتعالا فلما صبوا عليه الخل طفت.

٩٢١/ تسعمائة و إحدى و عشرين/ في السابع عشر من شوال حصل مطر و سيل بمكة و نزل برد عظيم فوق العمرة في طريق الوادي حتى صار ركاما، و صار الجمالون يحملونه في المكاتل و يبيعونه مدة ثلاثة أيام، بل استمر وجود البرد في ذلك المكان نحو جمعيتين و كان حجمه كالبيضة.

٩٨٩/ تسع و ثمانين و تسعمائة/ بينما الناس و الحجاج بمنى نزلت أمطار غزيرة و انحدرت السيول من كل جانب على الحج الشامي، حتى غرق جميعا، و غرق معه من المصريين من نزل معه، و ذهبت جمالهم و أموالهم في الأودية، و تخطفها العربان.

١٠٢٣/ ثلاث و عشرين بعد الألف/ وقع بمكة مطر عظيم فنزل فيه برد كبار كل برده أكبر من شربة الماء.

١٠٣٩/ تسع و ثلاثين بعد الألف/ في آخر يوم الأربعاء تاسع شعبان حصل مطر بمكة، ثم جاء سيل عظيم كبير، فدخل المسجد الحرام و الكعبة المشرفة، و سقطت جدرانها ثم بناها السلطان مراد بناء جديدا.  
و قد مات في هذا السيل نحو ألف إنسان.

١٠٤٣/ ألف و ثلاث و أربعين/ وقع الموت بمكة في الخيول، حتى فئيت، فلم يبق منها بمكة إلا فرس

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٦٦

السنة الهجرية بالأرقام/ السنة بالحروف/ الحوادث الخاصة  
واحد، أخذوها لشريف مكة، و صارت الأشراف تتركب الحمير.

١٠٥٣/ ثلاث و خمسين بعد الألف/ وقع سيل عظيم بعرفات و استمر من الظهر إلى المغرب، فلما نفر الناس عاقهم السيل المعترض، من تحت العلمين عن المرور، و منعهم من دخول الحرم، فاستمر الناس وقوفا إلى آخر الليل، حتى خف قليلا فقطعوه بغاية المشقة.

١٠٧٩/ تسع و سبعين بعد الألف/ في صباح اليوم الحادي عشر من ذي القعدة بعد طلوع الشمس بساعتين ظهر في عين الشمس ضوء هائل كالنجم فامتد إلى جهة المغرب، و حصل على بصر من رآه غشاوة، فارتعدت منه الفرائص و انزعجت منه القلوب، و في ضوئه زرقه و حمرة و صفرة، ثم ذهب طرفاه و بقي الوسط و اتسع في العرض، فخرج منه صوت كالرعد و لم يكن في السماء غيم و لا سحاب و استمر ساعة ثم اضمحل الباقي من ذلك الشعاع.

١٠٨٠/ ثمانين بعد الألف/ في اليوم التاسع و العشرين من رمضان وقعت صاعقه بمكة بالشبيكة قتلت رجلا واحدا.

١٠٩١/ إحدى و تسعين بعد الألف/ في ثاني عشر ذي الحجة، وقع بمكة سيل عظيم، فسالت الأودية،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٦٧

السنة الهجرية بالأرقام/ السنة بالحروف/ الحوادث الخاصة  
و خربت منه دور كثيرة، و أتلقت أموال لا- تحصي، و غرق نحو ثلاثمائة نفس، و قد علا- السيل باب الكعبة المعظمة، و دفع جملا

محملا في طريقه، فأدخله المسجد الحرام، حتى صار فوق المنبر، فلم يزل فوقه حتى صبح اليوم الثاني.

١١٣٦/ ست و ثلاثين و مائة و ألف/ في اليوم التاسع من ذي الحجة و الناس واقفون بعرفات هبت عليهم ريح شديدة مظلمة بحيث صاروا لا يرون بعضهم بعضا ساعة فلكية، فكانوا كالحيارى، و ألقت الريح الخيام و نزل مطر شديد يبرد كبار، و أقبلت السيول من الجبال، فهرب الناس و تركوا أثقالهم، فكانت ساعة عظيمة الهول، و بعد أن هدأت الريح، و كف المطر، و ضعف السيل، نفرت الناس إلى مزدلفة، و قد لحقهم من التعب و المشقة ما لحقهم.

١١٥٩/ تسع و خمسين و مائة و ألف/ حصل مطر عظيم بمنى، و الناس بها في الحج، فجاء سيل كبير، و ذهب بكثير من الأموال و

الحجاج، و كان ذلك آخر الليل، وقد أظلمت الدنيا، حتى لم ير الإنسان من بجانبه، فأصبح الناس نافرين إلى مكة و هم فى غاية التعب و المشقة، و كانوا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٦٨

السنة الهجرية بالأرقام/ السنة بالحروف/ الحوادث الخاصة

يمرون بأشخاص، من ذكور و إناث و أطفال، قد طمهم السيل.

١٢٣٠/ ألف و مائتين و ثلاثين/ حصل بجدة طاعون، و مات فيه خلق كثير لا يحصى، حتى قيل إنه بلغ قريبا من ثمانية آلاف نفس، ما بين ذكر و أنثى و حر و عبد و صغير و كبير، حتى حصل إشكال فى أمر الوراثة فى من مات سابقا و من مات بعده و بالأخص فيمن كان غائبا فى الآفاق.

١٢٧٨/ ثمان و سبعين و مائتين و ألف/ فى اليوم من جمادى الأولى جاء مطر كأفواه القرب بمكة، ثم هجم السيل، قبل صلاة الصبح، و دخل المسجد الحرام دفعة واحدة، حتى صار كالبحر، و طفحت بثر زمزم، و غرقت الكتب، و غرق أناس داخل المسجد و خارجه، و انجس الشيخ عبد الرحمن الرئيس فوق قبة زمزم ذلك اليوم.

١٢٨١/ ألف و مائتين و إحدى و ثمانين/ حصل و باء بمكة، و كان ابتداءه ثانى يوم النحر، و استمر سبعة أيام، و كثر الموت إلى أن بلغ من يموت فى اليوم نحو ألف نفس، ثم انتقل هذا الوباء إلى بعض البلدان الأخرى البعيدة.

١٢٨١/ إحدى و ثمانين و مائتين و ألف/ مات بمنى من الزحام عند الجمره ثلاثة أشخاص.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٦٩

السنة الهجرية بالأرقام/ السنة بالحروف/ الحوادث الخاصة

١٢٨٦/ ست و ثمانين و مائتين و ألف/ فى النصف من صفر انقض كوكب من السماء، بعد العشاء الآخرة، أضاءت منه الدنيا، و سمع لوقوعه مثل رمى المدافع، بقوة ثلاث مرات، حتى فرقعت الجبال لدويها، و قد سمع ذلك من مكة إلى الجعرانة.

١٢٨٨/ ألف و مائتين و ثمان و ثمانين/ حصل فى شهر رجب، بالمدينة المنورة، و باء مات منه كثيرا من الناس، فصدرت الأوامر من الأستانة و مصر بإرسال الأطباء، و عمر كرتينة بمكة بالزاهر للقادمين من المدينة المنورة، و أمر أمير مكة أربعة من الفقهاء المجدين لحفظ القرآن الكريم، أن يمشوا فى أطراف مكة من وراء العمران، من جهة المصافى بأجباد مازين من أعالي الجبال، إلى جبل حراء، فطريق العشر، فالزاهر، فالحفار، فبركة ماجن بالمسفة، إلى أن يصلوا إلى المصافى بأجباد و هو موضع ابتداء سيرهم، و أن يخطموا القرآن الكريم من أوله إلى آخره من مبتدأ سيرهم إلى انتهاء سيرهم، و ذلك تحصينا لمكة من هذا الوباء، فلما أتموا عملهم جاؤوا إلى حجر إسماعيل، عند الكعبة المشرفة، و قرأوا أيضا بعض سور من القرآن العظيم، الذى فيه شفاء و رحمة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٧٠

السنة الهجرية بالأرقام/ السنة بالحروف/ الحوادث الخاصة

للمؤمنين. و اجتمع العلماء و الناس و قرأوا صحيح البخارى عند البيت الحرام، و ابتهلوا إلى الله تعالى أن يرفع عنهم و عن سائر المسلمين سوء فتداركهم الله برحمته و حفظهم من الوباء.

١٢٨٨/ ثمان و ثمانين و مائتين و ألف/ ليلة الرابع و العشرين من ذى القعدة ظهرت بمكة، فى الساعة الرابعة من الليل، حمرة فى السماء بين المشرق و الشمال، إلى الساعة السادسة، و كانت مثل لهب النار، حتى فزع الناس و العساكر الشاهانية إلى جهة المعابدة لظنهم أنه من حريق بعض الدور.

١٢٩٠/ تسعين و مائتين و ألف/ فى آخر اليوم السابع من رجب جاءت ريح شديدة بمكة منعت رؤية البيت الحرام، فانزعج الناس و ارتجت قلوبهم.

## ما وقع بمكة من الرخاء و الغلاء و القحط و الوباء

السنة الهجرية بالأرقام / السنة بالحروف / الحوادث الخاصة

٦٤ / أربع و ستين / فى حصار ابن الزبير، رضى الله عنهما، بلغ قيمة الدجاجة بمكة عشرة دراهم، و المد من الذرة بعشرين درهما، مع العلم بأن الدينار فى ذلك الزمن يساوى عشرة دراهم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٧١

السنة الهجرية بالأرقام / السنة بالحروف / الحوادث الخاصة

٢٥١ / إحدى و خمسين و مائتين / بلغ الخبز بمكة ثلاثة أواق بدرهم، و رطل اللحم بأربعة دراهم، و شربة الماء بثلاثة دراهم، و بلغ الخبز عشرة أرتال بدينار مغربى، ثم تعذر وجوده، فأشرف الناس و الحجاج على الهلاك، فأرسل الله عليهم من الجراد ما ملئ الأرض ثم يسر الله الأمر على أهل مكة.

٤٥١ / إحدى و خمسين و أربعمئة / كان بمكة رخص لم يشاهد مثله حتى بلغ مائتى رطل من التمر و الزبيب بدينار.

٥٦٩ / تسعة و ستين و خمسمائة / كان بمكة غلاء كبير أكل الناس فيه الجلود و العظام و الدم، و مات أكثر الناس ثم فرج الله تعالى عليهم.

٥٧٩ / تسعة و سبعين و خمسمائة / لحق بأهل مكة جهد كبير، و أضر بهم القحط، و أهلك المواشى الجرب، فحرض القاضى الناس على صيام ثلاثة أيام، ثم اجتمع الناس كافة للإستسقاء بالمسجد الحرام، و فتحت الكعبة، و أخرج مقام إبراهيم من جوفها، و وضع على عتبها، و أخرج منها مصحف عثمان، رضى الله عنه، و نشر بإزاء المقام، فصلى القاضى بالناس صلاة الإستسقاء ثلاثة أيام حتى لطف الله بسكان حرمة و فرج عنهم.

٦١٤ / أربع عشرة و ستمائة / بيع بمكة مدة شهرين ربع مد من الحب بدينار ذهب، و تعرف هذه السنة بسنة أم لحم.

٦٢٧ / سبعة و عشرين و ستمائة / بلغ السعر بالطائف عشرين صاعا بدينا و السمن مئان بدينار ملكى، و التمر ستة أمنان بدرهم، و العسل سبعة أمنان مكية بدينار ملكى، فإذا رخص السعر بالطائف رخص بمكة أيضا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٧٢

السنة الهجرية بالأرقام / السنة بالحروف / الحوادث الخاصة

٦٥١ / إحدى و خمسين و ستمائة / كثر الحجاج فى أيام موسم الحج فعطش الناس عطشا شديدا فبيعت بمكة شربة الماء بدرهم، و الشاه بأربعين درهما، و بيع الشعير و الدخن بالطائف مد و ربع بدينار.

٦٩٥ / خمسة و تسعين و ستمائة / اشتد الغلاء بمكة حتى بيعت غرارة القمح فى مكة بألف و مائتى درهم.

٧٠٧ / سبعة و سبعمئة / بلغت بمكة غرارة الحنطة ألفا و خمسمائة درهم، و الذرة أكثر من سبعمئة، و الغرارة اللوبية المصرية مقدارها غرارتان مكيتان و نحو نصف غرارة، و يحتمل أن تكون الغرارة المشار إليها هى الغرارة المكية و الله تعالى أعلم، نقله الغازى عن ابن فهد.

٧٢٥ / خمسة و عشرين و سبعمئة / كان بمكة رخاء بيع أردب القمح المصرى بثمانية عشر درهما كاملية و الشعير باثنى عشر درهما.

٧٣٨ / ثمان و ثلاثين و سبعمئة / بيعت و بية الدقيق الفاخر بتسعة دراهم، و السمن خمسة أرتال بدرهم، و العسل أربعة أرتال بدرهم، و اللحم أربعة أرتال بدرهم، و العجوة اثنتى عشر رطلا بدرهم.

٧٤٤ / أربعة و أربعين و سبعمئة / حصل غلاء عظيم بمكة فبيعت اللوبية من الشعير بدينار، و الرطل البقسماط بثلاث دراهم، و اللوبية من الدقيق بخمسين درهما و الأردب الحب بمائتى درهم.

٧٦٠/ ستين و سبعمائة/ خلت مكة خلوا عظيمًا، و تفرق الناس في سائر الأقطار من الغلاء و جور الحكام.

٧٦٦/ ستة و ستين و سبعمائة/ كان بمكة غلاء عظيم حصل منه للناس كرب و شدة قال ابن فهد: و عدم الحب حتى لم يوجد في

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٧٣

السنة الهجرية بالأرقام/ السنة بالحروف/ الحوادث الخاصة

مكة شىء منه و أقام السوق نحو الشهر لم يوجد فيه حب و لا تمر إلا قليل من اللحم و الخضر، و عز وجود الأقوات بها فهلك جماعة كثيرة جوعاً اه.

قيل إن الناس أكلوا الميتة، و ذلك أنه وجد بمكة حمار ميت، و فيه أثر السكاكين، و أصيبت المواشى بالجرب، و تعرف هذه السنة بسنة أم الجرب، و استسقى الناس بالمسجد الحرام فلم يسقوا، و أحضرت المواشى إلى المسجد للاستسقاء، و أدخلت فيه، و وقفت بجهة باب العمرة إلى مقام المالكية، ثم فرج الله هذه الشدة عن الناس. و ذلك أن بعض خواص الأمير بيبفا، المعروف بالخاصكى مدير المملكة بالديار المصرية، عرف ما عليه الناس بمكة من الشدة و التعب، فأمر من فوره بإرسال ألف أردب من القمح الجدى إلى مكة عن طريق البر، و أرسل إليها عن طريق البحر إحدى عشرة ألف أردب أيضاً، و فرقت كلها على الناس بمكة أحسن تفرقة و فرحوا بذلك و دعوا له.

٧٨٣/ ثلاث و ثمانين و سبعمائة/ غلت الأسعار بمكة و بلغت وية الدقيق إلى خمسين درهماً و أكثر، و وية الشعير إلى أربعين درهماً، و حصل بالحرمين، و غيرهما من بلاد الحجاز في آخر هذه السنة قحط عظيم، و مات كثير من الأشراف و غيرهم من الجوع و أكلت الجلود.

٨١٥/ خمسة عشر و ثمانمائة/ وقع في أيام الناصر فرج بن برقوق غلاء عظيم بمكة بحيث بيعت غرارة الحنطة بعشرين ديناراً ذهباً، و الغرارة حمل جمل معتدل، و كان الغلاء عاماً في جميع المأكولات، بحيث بيعت البطيخة الواحدة بدينار ذهب، ثم رفع الله تعالى تلك الشدة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٧٤

السنة الهجرية بالأرقام/ السنة بالحروف/ الحوادث الخاصة

٨٢٢/ اثنتين و عشرين و ثمانمائة/ عم الغلاء بمكة و عدت الأقوات و أكلت القطط و الكلاب، حتى فقدت، فأكل بعض الناس الآدميين، و كثر الخوف منهم، حتى امتنع كثير من النزول إلى ظاهر مكة، خشية أن يؤكلوا، و هلك الفقراء و افتقر الأغنياء، ذكره في "منائح الكرم".

٩٤٣/ تسعمائة و ثلاث و ستين/ أكل الناس فيها حب الثمام، و جعلوه خبزاً.

و الثمام كما جاء في "مختار الصحاح" نبت ضعيف له خوص أو شبيهه بالخوص و ربما حشى به و شد به خصائص البيوت، الواحدة ثمامة.

٩٧٨/ تسعمائة و ثمان و سبعين/ اشتد الغلاء بمكة حتى أكلت الموتى و الدواب ثم تدارك الله الناس بلطفه.

١٠٠٧/ ألف و سبعة/ وصل الأردب المصرى من القمح ثمانية عشر ديناراً، و فيه أكل الناس لحوم الكلاب و القطط، و كان الفقراء يأخذون دم الشاه و يجعلونه في إناء على النار ثم يستعلمونه.

١٠٣٢/ ألف و اثنين و ثلاثين/ وقع غلاء عظيم دام سنة واحدة فبلغت كيله الدخن أحد عشرة محلقاً.

١٠٧٢/ ألف و اثنين و سبعين/ حصل بمكة غلاء شديد بسبب كثرة الجراد، حتى كسى جدران البيوت فأجمعها و أعقب ذلك و بء عظيم.

١٠٧٩/ ألف و تسع و سبعين/ اشتد الغلاء بمكة و الطائف، فاتفق أعيان مكة على طبخة ديشيه للفقراء تعطى لهم صباحاً و مساءً.

فكانوا يطبخون يومياً أربع أرداب و تفرق عليهم بالمعلاء، و قد اشتد الحال من شعبان إلى ذى الحجة، حتى أكلت الناس الرمم و الدماء و العظام، ثم تدارك الله تعالى، فوردت المراكب المصرية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٧٥

السنة الهجرية بالأرقام/ السنة بالحروف/ الحوادث الخاصة

١١١٥/ ألف و مائة و خمسة عشر/ حصل غلاء فوصلت كيله الحب إلى قرش و كذلك الأرز، و وصل رطل السمن نصف قرش، و ازداد الغلاء شيئاً فشيئاً حتى وصل أردب الحب إلى عشرين أحمر، إلى أن وصلت كيله الحب المكى نصف ريال، و تساوى سعر الطائف بسعر مكة، و عدم السمن و لحقت بالناس شدة، ثم جاءهم الفرج من الله تعالى بورود المراكب المصرية و فيها سبعة آلاف أردب جراية مقسومة بين مكة و المدينة.

١١١٨/ ألف و مائة و ثمانية عشر/ اشتد الكرب بمكة و عز كل شىء من الأقوات و غيرها من الحطب و الفحم و الملح، بسبب قطع الطريق بين جدة و مكة لحصول حرب، بين الشريف و بعض العربان فى الطريق. و قد ذكر هذه الحادثة الشيخ زين العابدين الشمام فى قصيدة بها خمسة عشر بيتاً، نذكر منها:

الحمد لله مبيد الدهور عالم ما يخفى بطى الصدور

مسير الأفلاك فى أفقهاو مجرى الفلك بماء البحور

فقد جرى بمكة محنة قد عمت الدنيا و فى كل دور

جرى غلاء ما سمعنا به و لا مضى فى سالفات العصور

قد أذهب الأرواح حتى لقد ضاقت على الموتى فسيح القبور

و قد غدا من عظم أهواله كل فتى منا عديم الشعور

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٧٦

السنة الهجرية بالأرقام/ السنة بالحروف/ الحوادث الخاصة

إلى أن قال:

و نسأل الرحمن سبحانه يفرج الكرب و يمحو الشرور

و عامنا قد صح تاريخه ألا إلى الله تصير الأمور

١١٤٠/ أربعين و مائة ألف/ صارت كيله البر الهميس بالطائف بأربعة ديوانية، و النقرة الصافية بسبعة ديوانية، و الشعير بديوانين و نصف، و العسل الرطل بأربعة ديوانية، و التمر بديوانى و نصف، و الزبيب النعمانى بأربعة ديوانية، و الفواكه كثيرة و رخيصة للغاية. و كان صرف القرش بأربعين ديوانية، و الأحمر بقرشين، و المشخص بأربعة قروش، و الريال بقرشين و ثمن. اه.

١١٣٦/ ستة و ثلاثين و مائة ألف/ فى تاريخ الغازى: لما تولى القضاء بمكة الشيخ عبد القادر المفتى سنة (١٣٣٦) ستة و ثلاثين و مائة ألف فرض على كتاب المحكمة الشرعية أن يكتبوا الحجة بخمسة ديوانية، و من قبل كانوا يكتبونها بقرش و بقرشين اه.

نقول: حبذا لو فهمنا مقدار القرش و الديوانى و الريال و المشخص الذى كان السابقون يتعاملون بها، و لو أمكننا المقارنة بين عملتهم و عملتنا ليينا الحساب الدقيق هنا، فالريال كان عندهم بقرشين و ثمن، بينما الريال عندنا باثنين و عشرين قرشا فياليت الموازين و المكايل و القياسات و النقود كانت فى البلدان موحدة على الدوام، لكن دوام الحال من المحال.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٧٧

السنة الهجرية بالأرقام/ السنة بالحروف/ الحوادث الخاصة

١٢١٩/ ألف و مائتين و تسعة عشر/ وقع غلاء شديد بمكة و اشتد على الناس الجوع و ذلك فى أواخر شهر ذى الحجة من السنة

المذكورة، ثم دخلت سنة عشرين و الحالة تزداد سوءا في كل يوم، حتى لقد بلغت كيله القمح و الأرز مشخصين، و بلغ الرطل من السكر و الشحم و الزيت ريالين، و الرطل من البن و التمر ريالا، و الرطل من السمن ريالا و نصف ريال، و كيله الزبيب ثلاث ريالات، و رطل اللحم نصف ريال، و لقد باع الناس حليهم و أثاثهم بأبخس الأثمان ليشتروا ما يأكلون، ثم ازداد الحال سوءا حتى عدت الأقوات و أكل الناس بذور العطارين كبزر الخشخاش و زبيب الهوى و بذر التمر الهندي و النوى و الصمغ العربي، و شرب الناس الدم المسفوح و أكلوا الجلود و الكلاب و القطط و كل حيوان يدب، و دام الحال هكذا إلى آخر سنة العشرين ثم تدارك الله الناس بلطفه و جاء الفرج بعد الشدة.

### و مما شاهدناه و رأيناه من الأحوال في مكة المكرمة

نقول: إنه في سنة (١٣٣٤) ألف و ثلاثمائة و أربع و ثلاثين هجرية حصل غلاء كبير في مكة المكرمة، بسبب قيام أمير مكة الشريف الحسين بن علي الذي صار فيما بعد ملكا على الحجاز، رحمه الله تعالى، على حرب الدولة العثمانية التركية و إخراج الأتراك من الحجاز. و قد تم له ما أراد، فإنه في هذه السنة المذكورة قلت الأرزاق من مكة المشرفة، بسبب عدم ورود الحبوب و البضائع من البحر، فانعدم السكر من مكة، و انعدمت الحنطة و بعض الأشياء أيضا، فكان الناس يأكلون حب الدخن و حب الذرة - بضم الذال المعجمة و فتح الراء المخففة - و هي حبوب مستديرة بيضاء أكبر من الدخن قليلا، و يسمونها في الحجاز "الضرة" - بضم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٧٨

الضاد المعجمة و فتح الراء المخففة - فهذان النوعان من الحبوب يأتيان مكة من طريق اليمن.

أما شرب الشاي و نسيمه بالحجاز "الشاهي" فقد صار الناس يشربونه بأنواع الحلويات كالحلاوة الليمونية و النعناعية و غيرهما، أما المدينة المنورة فكان الناس يشربونه بالرطب أو التمر لكثرة عندهم، و صار بعض الناس يشربون الشاي مرا - كأهل بخارى و يعملونه خفيفا جدا - كل ذلك لعدم وجود السكر في البلاد، و لقد بلغت قيمة أقه السكر أو السكر الرأس المخروطي جنيها إفرنجيا ذهابا، أما والدنا، رحمه الله تعالى، فما كان يعجبه شرب الشاهي بشيء من الحلويات أو التمر، و إنما كان يمزجه بالحليب فقط، و يضع عليه قليلا من الملح. و كان البدو يأتون صباحا بالحليب في ماعون خاص من أطراف مكة كمنى فما دونها فيبيعونه بمكة، و كانت الأغنام رخيصة قد يباع الواحد بريال أو يزيد قليلا، و ذلك لقله الدارهم في أيدي الناس.

أما غاز الاستصباح فقد انعدم من البلاد، و صار وجوده قليلا، فكانت الحكومة العربية الهاشمية، أي حكومة الشريف الحسين بن علي، رحمه الله تعالى، تخصص لكل حارة تنكة واحدة من "الغاز" فكانت أمانة العاصمة، في ذلك الحين، تدفع لكل حارة من حارات مكة تنكة واحدة من الغاز، و لا تباع للشخص الواحد أكثر من ربع أقه أو ثمن أقه فقط، فكان الزحام على مباسط الغاز شديد جدا، و لا يخفى أن تنكة الغاز لكل حارة لا تكفيهم، فاهتدى الناس إلى وسيلة للإضاءة، في غاية الطرافة، مع رخصتها و قلة تكاليفها و في المثل "الحاجة أم الاختراع". فكان غالب الناس يأتون بكاسة شرب الماء التي من الزجاج فيملؤون ثلثها من الماء، و يملؤون الثلث الباقي بزيت السمسم، ثم يأتون بقطعتين من الصفيح، أي "التنكة" فيقصونهما، بقدر فم الكاسة، و يجعلون أطرافهما معكوفة، حتى تقف فوق الكاسة، و يضعونهما على شكل الصليب أي مثل علامة (+) و يلحمونهما بهض، ثم يخرقونهما من الوسط، فيجعلون في هذا الخرق فتيلة من القماش أو من القيطان، ثم يغمسون الطرف الفوقاني في الزيت، و يرمون باقي الفتيلة في بطن الكاسة التي فيها الماء و الزيت، و يضعون هذه الكاسة فوق كرسي صغير مربع، في وسط الغرفة، و في الغروب، في وسط الغرفة، و في الغروب يشعلون هذه الفتيلة بالكبريت. هكذا كانت الإضاءة في ذلك العام، و لا يخفى أن الزيت إذا اختلط

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٧٩

بالماء علا فوqe. و كانت علب الكبريت في تلك الأيام، في أحجام مستديرة كالأسطوانات الصغيرة، و أعواده لم تكن من الخشب، بل

كانت من الفتيلة الرفيعة المشمعة، و كل علبه أعوادها كانت ملونه بعدة ألوان.

فسارت أحوال الناس على هذا المنوال و تعبوا قليلا، لكن لم يدم هذا التعب أكثر من عام واحد بل أقل، ثم انفجرت الأزمة و جاء اليسر بعد العسر حيث انتهت الحرب العالمية الأولى العظمى، فكان الناس، إلى وقت قريب، يطلقون على هذه السنة المذكورة سنة "الضرة" حيث أكلوا فيها دقيق الذرة و دقيق الدخن. فدوام الحال من المحال.

### و مما شاهدناه و رأيناه أيضا من الأحوال في مكة المكرمة

نقول: إنه لما تولت الحكومة السعودية للمرة الثانية على الحجاز في شهر ربيع سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و أربعون هجرية، و مرت سنوات على ذلك، حدثت أزمة شديدة في البلاد، أي ابتداء من سنة (١٣٥٦) تقريبا، و دامت هذه الأزمة سنوات عديدة إلى سنة (١٣٦٥) تقريبا، فكانت الحكومة السعودية لا تقدر أن تدفع رواتب الموظفين، إلا في كل ثلاث أو أربعة أشهر مرة واحدة، فتعب الناس أشد التعب، و رأوا ألوان الشدائد، لكنهم صبروا صبر الكرام، و فوضوا أمورهم إلى الملك العزيز العلام، حتى انفجرت هذه الأزمة بسلام. فكانت الحكومة السعودية، إذا أمرت بصرف الرواتب كان يوم صرفها يوم عيد و فرح عندهم و إذا سمع الناس الإشاعات حول صرف الرواتب لا يصدقونها أبدا، إلا إذا شاهدوا صرف الرواتب بأعينهم و قبضوها بأيديهم، و لقد مرت على الناس حوادث كثيرة و حكايات عديدة، بسبب هذه الشدة ما زالوا يتناقلونها فيما بينهم، و يتحدثون بها إلى الآن. بعد مرور هذه العاصفة الطويلة، التي دامت سنوات عديدة، أتى الله بالفرج العظيم، و أبدل ذلك العسر بيسر كبير، فتبدلت أحوال الناس، و انتعشت مرافق حياتهم، و صارت الأموال لدى بعضهم بدون حساب و قد صار بعضهم مليونيرا و طبعا هناك طبقة فقيرة، و هي الأكثرية، و هذه سنة الله في خلقه، فالحمد لله على كل حال و سبحان مغير الحال و الأحوال.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٨٠

### التسعيرة و مقاومة الاحتكار

في هذه الأزمنة المتأخرة في البلاد، كثر جشع بعض التجار، فصار الريح المعقول، بل الكسب المضاعف لا يرضيهم، و لا يقنعوا إلا إذا جاءهم عشرة أضعاف ربح على رأس المال و أصل قيمة البضاعة، و كذلك كثر احتكار الأطعمة في البلدان رجاء زيادة الأسعار في المستقبل، مع علمهم بأن احتكار الطعام حرام شرعا، على أن الله تعالى ينتقم من هؤلاء الجشعين و المحتكرين انتقاما ليس بالفظيع المخيف، و إنما هو انتقام بلطف من وراء ستار، فكم نرى و نسمع من ذهاب أموالهم في غير طريقها، كالحريق و السرقات و كثرة الأمراض التي يضطرون إلى بذل الأموال الكثيرة في المعالجة، و كتبسيط الرطوبة و السوس و الدود، في كل ما هو مخزون من أنواع الدقيق و الحبوب و فساد الأطعمة، و مع ذلك لا ينتهون عن غفلتهم و تهاونهم، بل أنهم يعرفون كيف يصرفون هذه الأطعمة الفاسدة بالبيع على الفقراء و المساكين: و لهم في ذلك حيل هم أدري بها.

و قد ورد النهي و التحذير عن الغش و الاحتكار، فقد قال صلى الله عليه و سلم: "من غشنا فليس منا" رواه مسلم عن ابن عمر و أبي هريرة، رضى الله عنهما.

و قال صلى الله عليه و سلم: "إحتكار الطعام في الحرم إحداد فيه" رواه أبو داود. و قال عليه الصلاة و السلام: "إحتكار الطعام بمكة إحداد" رواه الطبراني.

قال العلامة الحفنى في حاشيته على الجامع الصغير عند الحديثين المذكورين ما نصه: قوله: "إحتكار... الخ" هو شراء ما يقتات و حبسه إلى الغلاء فهو حرام و لو في غير الحرم، و خص الحرم لأن الإثم به أشد، أما لو اشترى غير طعام أو طعاما غير مقتات بقصد

ادخاره إلى الغلاء لم يحرم، و خرج بالشراء ما لو كان عنده بر مثلا يأكله فادخره إلى الغلاء فلا يحرم، و كذا لو اشتراه بقصد أن يبيعه حالا أو في زمن الرخاء فلا حرمة. انتهى من الحاشية المذكورة.

و من المستحسن أن نذكر هنا ما دار في أحد مجالس الشرع الحنيف في العصور السابقة من النظر في أمر التسعيرة و مقاومة الاحتكار، فقد جاء في كتاب "مثل عليا من قضاء الإسلام" تأليف الأستاذ محمود الباجي و المطبوع بتونس سنة (١٣٧٦) هجرية ما يأتي:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٨١

من قضاة الإسلام البارزين الذي ولى القضاء ببلاد شرق الأندلس، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، شهد فيه القاضى عياض بأنه جال ببلاد المشرق نحو ثلاثة عشر عاما، و هو في درجة واحدة مع القاضيين عياض بن موسى اليحصبي، و أبي بكر بن عبد الله بن العربي. و قد عرف الناس فضل الباجي في الأدوار الأخيرة من حياته و بعد وفاته، لأنه كان صلبا في رائه قويا في معارضاته، لا يخضع إلا للحق و لا يخشى في سبيله لومة لائم. و قد جر عليه هذا الخلق الأبي، محنا و مقاومات و فتنا، غير أنها لم تنل من نفسه الكبيرة شيئا. و لم تحمله على تغيير سلوكه.

و من شعره قوله:

إذا كنت أعلم علما يقيناً بأن جميع حياتي كساعة

فلم لا أكون ضنينا بها أو أجعلها في صلاح و طاعة

دخل الحاجب، يستأذن على ابن عبدوس، والى الحسبة، و كان أبو الوليد يطالع كتاب الموطأ، و قد وضعه على محمل من الأبنوس المطعم بالأصداف، فأذن للوالى بالدخول، و لم يدخل الجمهور الذي و قد يتبع الوالى. و كان متألما من باعة الأطعمة و الجالين للأسواق. و بعد إفشاء السلام و التحية، قال الوالى للقاضى: أن سوق المدينة يجتاز أزمت متعاقبة، بسبب اضطراب الأسعار و عدم استقرارها، و يحدث أن ترتفع الأسعار دفعة واحدة، فيطمع الجالبون فى الأرباح و تكثر الواردات، و تهبط الأسعار هبوطا فاحشا، فيخسر الجالبون و تضعف الثقة بالسوق.

و إنى أوشك أن أحمل الناس على سعر موحد، و قد جئت للتحصيل على الموافقة الشرعية، و رأى الأسد، للمولى القاضى. و على الامتثال و الطاعة.

فقد القاضى، أبو الوليد، لتوه، مجلس الاستشارة الشرعية، للبت فى هذا المشكل الشرعى. و بعد بسط نظرية الوالى افتتح المجادلة. فقال شيخ أهل الشورى: "إن مالكا يرى أنه إذا كان للناس سعر غالب و أراد بعضهم أن يبيع بأعلى من ذلك فإنه يمنع. أما إذا أراد أن يبيع بأقل فقد روى عن مالك رأيان: رأى بالمنع على اعتبار أنه إذا أراد الرجل إفساد السوق فحط عن سعر الناس فيقال له: إما لحقت بسعر الناس و إما رفعت بضاعتك.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٨٢

و حجة مالك: ما روى عن عمر بن الخطاب من أنه مر بحاطب بن أبى بلتعة و هو يبيع زيبيا بالسوق فقال له عمر: إما أن تزيد فى السعر، و إما أن ترفع من سوقنا لأن بعيرا قدمت من الطائف تحمل زيبيا فلو عرفوا السعر الذى تبع به لقصدا مدينة أخرى و أعرضوا عن البيع."

و قال ثانى المستشارين: "إنه يجب أن يفرق بين الجالين، فلا يسعر عليهم شىء مما جلبوه للبيع، و بين التجار أصحاب الحوانيت و الأسواق، الذين يشترون من الجالين جملة، و يبيعون بالتفصيل. و هذا رأى، ذهب إليه عبد الله بن عمر، و القاسم بن محمد و سالم بن عبد الله، الذين يرون أن أصحاب الحوانيت و الأسواق، لا- يتركون على البيع باختيارهم، إذا أغلوا على الناس، و لم يقتنعوا من الربح بما يشبه. و على صاحب السوق أن يعرف ما يشترون به، فيجعل لهم من الربح بما يشبه و ينههم أن يزيدوا على ذلك. و يعاقب من خالف الأوامر."



وقال ثالث المستشارين "أن ابن حبيب، وابن المسيب، ويحيى بن سعيد، والليث، وربيعة، يرون أن التحديد لا يجري جزافاً وإنما يكون مبنياً على تقدير الأرباح المنسبة."

وقال رابع المستشارين "إني على رأى الإمام الشافعى، الذى يحجر التداخل فى التسعير و الأسعار، لأن الناس مسلطون على أموالهم ليس لأحد أن يأخذها أو شيئاً منها، بغير طيب أنفسهم، إلا فى المواضع التى تلتزمهم، وهذا ليس منها و حجة الشافعى ما روى عن أبى هريرة من أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله سعر لنا: فقال: بل الله يرفع و يخفض، و إنى لأرجو أن ألقى الله و ليست لأحد عندى مظلمة."

بعد التداول بين شيوخ الشورى و القاضى أبى الوليد، و استعراض النصوص العامة و الخاصة، حكم أبو الوليد بما أتى:  
أولاً: لما كان المعتر هو السعر الذى عليه الجمهور و الأكثرية العامة من أصحاب الحوانيت و الأسواق، فإن الواحد و العدد اليسير إذا انفردوا بالحط أمروا باللحاق بالسعر العام أو ترك البيع، و إذا انفردوا بالزيادة لم يؤمروا بالحط و لم يؤمر الجمهور بالترفع إلى متوهم، لأن المعتر حال الجمهور، و على نسبة ثمن الجمهور تقوم المبيعات.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٨٣

ثانياً: و لما كان الجالبون هم الممّونون للأسواق، و ليس بهم من الوقت ما يسمح لهم بالاحتكار و التلاعب بالأسعار فهم أحرار فى بيعهم بأى ثمن أرادوا.

ثالثاً: و لما كانت الضرورة تدعو إلى تيسير الواردات من القمح و الشعير فإن هذين النوعين لا يخضعان للتسعير الجبرى.

رابعاً: و على كل الأحوال، فإن التسعير يتم باجتماع و جوه أهل السوق من كل صنف و غيرهم من الأجنب عن السوق استظهاراً على صدقهم، و يقع سؤالهم عن أثمان الشراء و أثمان البيع و على أساس مراعاة المصلحة العامة و الخاصة يتم التسعير مع تجنب الإجحاف و الإكراه.

خامساً: و إذا امتنع الناس من بيع ما يجب عليهم بيعه، فإنهم يؤمرون بالواجب، و يعاقبون على تركه، و كذلك كل من وجب عليه أن يبيع بثمان المثل فامتنع، لأنه يجوز إخراج الشئ من ملك صاحبه قهراً بثمانه، للمصلحة العامة، كما فى الشفعة.

سلم كاتب القضاء صكاً، يشتمل على نص الحكم، الذى أصدره القاضى أبو الوليد إلى والى الحسبة ابن عبدوس، فقام بتنفيذه طبق نصه، و استقرت الأسواق و اعتدلت الأسعار و كثرت الواردات، و اختفى شبح الإحتكار، و لم تعد المعروضات مهددة بالإنهيار أو بالغلاء الفاحش.

و بلغ الأمر إلى علم خليفة الأندلس، فوجه إلى قضاء الأقاليم، نسخاً من حكم القاضى أبى الوليد، للتأمل منه، سعياً وراء توحيد العمل بما اقتضاه.

هذا مثل أحكام الإسلام، فى نظام البيع و الشراء و العرض و الطلب، و وسائل مقاومة الإحتكار، و التعريف الجبرى و حفظ التوازن بين القدرة على الإستهلاك و التوريد المأمون، و قد عالج الإسلام هذه المشاكل الدقيقة، التى لا يخلو من أخطارها زمان و لا مكان، و وضع لها الحلول الموفقة، و فرض من التدابير الحازمة ما حفظ به استقرار الأثمان، و الربح المناسب للتاجر و الجالب. و بسط الرخاء و جعله فى متناول الجميع.

و التشريع الإسلامى الصالح لكل جيل، و المسائر بمبادئه و نظمه القويمه لكل تطور بشرى، تناول فى نصوصه و أفضيته الروابط التى تربط الإنسان بنفسه و تربطه بمحيطه العائلى و تربطه بمجتمعه، ثم تربطه بالحياة العامة فى جميع مظاهرها و مختلف

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٨٤

نواحي نشاطها، و أى قانون اتسع لأحوال المعاملات كما اتسع لها القانون الإسلامى، و أى قضاء كان له ثراء فى فقهه، و دقة فى تصويره، و عمق فى نظره كقضاء الإسلام.

و إن تعجب فعجب لهؤلاء الذين يسرعون بالالتجاء إلى أنظمة وضعها الناس، و قواعد اصطاحت عليها العوائد و نظريات لم تمحصها التجارب، و لم تصقلها العقول و الأجيال، و يزهدون فيما خلفه لهم الإسلام من تراث كبير و مجد عريض.

لقد أصدر أبو الوليد الباجي حكمه في الفترة التي بين أواخر القرن الرابع و أوائل القرن الخامس و في أزهر عهود الأندلس، و ألمع حقه من تاريخها الحافل، و جاء ذلك الحكم دقيقا في نصه، حازما في تدابير، حكيما في مراميه، و دل على ما كان سائدا من الانسجام بين ديوان القضاء العدلي، و ديوان الحسبة و مقام الخلافة، و على بساطة الاجراء، و سرعة البت. انتهى من الكتاب المذكور.

### إبطال المكوس و الجمارك

نقول: بمناسبة ذكرنا للمكوس و العشور، أن بعض الملوك و السلاطين الأتراك كانوا قد رفعوا و منعوا أخذ العشور و المكوس "أى الجمرک" على جميع البضائع و الحاجيات المستوردة إلى بلادهم - فمن جملة ذلك - ما هو ثابت على أحد أعمدة المسجد الحرام بالجهة الغربية، أى أن العمود الرخامى الموجود بين باب الباسطية و باب العمرة مكتوب عليه، بالنقر على نفس الرخامة، أن أحد الملوك قد أمر بإبطال جميع المكوس من الحرمين الشريفين، فمنع أخذ العشور على جميع أنواع ما يرد إلى مكة المشرفة من الحبوب و الأغنام و الدجاج و غير ذلك ... الخ.

و لم نقدر على معرفة تاريخ الكتابة فى هذه الرخامة، كما لم نقدر على معرفة اسم الملك الذى أمر بذلك، لارتفاع الكتابة على الرخامة عن أرض المسجد الحرام، و لم نجد سلما فى تلك الساعة لنصعد عليه و نطلع على كل ذلك حرفيا، فنظن أن ذلك كان من القرن التاسع أو العاشر من الهجرة.

يقول صديقنا الأستاذ أحمد السباعى فى كتابه "تاريخ مكة" و قد حدثنا الدحلان فيما ذكر عن سنى الفتنة فقال: أن قيمة الكيلة من القمح و الأرز كانت تبلغ مشخصين و أن الرطل من السكر و الشحم و الزيت كانت تبلغ قيمته ريالين و لا نعرف فداحة هذا الغلاء إلا إذا قارنا هذه الأسعار بما يورده الدحلان نفسه عن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٨٥

أسعار مثلها فى أيام الرخاء فهو يقول أن الكيلة تبلغ قيمتها خمسة ديوانية و الكيلة تعادل الصاع تقريبا و قيمة الرطل من العسل و الزبيب أربعة ديوانية. و الذى أعرفه فى عهد طفولتى أن الهللة الواحدة و هى ربع القرش الحالى كانت تساوى ثلاثين ديوانيا و كانت العملة الدارجة فى هذا العهد الذى ندرسه هى النقد العثمانى و من أنواعه كما يذكر الدحلان المشخص و يساوى ريالين و الأحمر و يساوى قرشين و القرش الشرك و يساوى أربعين ديوانيا و بذلك كانوا يشترون سبع كيلات من القمح بقرش واحد. و الذى يعرفه المضمرون بضمين أن القرش نوعان - قرش الصاغ - و هو (١٢٠) ديوانيا - و القرش الشرك - و هو أربعين ديوانيا، و الريال المجيدى يساوى (٢٠) قرشا صاغا و ٦٠ شركا. و من أغرب ما يروى عن تكاليف العيش فى هذا العهد - إذا استثنينا أيام الغلاء - ما يذكره الغازى نقلا عن الطبرى و السنجارى أن أحد الأئمة فى المسجد لما حجر عليه و قد كبر سنه رتبوا له نفقته اليومية و هى قرشان و فى هذا ما يدل على متوسط نفقة الشخص فى هذا العهد. انتهى منه.

نقول: "إن القرش الصاغ و القرش الشرك - بضمين - هما من اصطلاح الأتراك، فمعنى القرش أى القرش السليم الذى لم ينقص قيمته، لذلك يقال فلان صاغ سليم، أى أنه صحيح سليم معافى، و معنى الشرك "بضمين" البالى الواهى أى غير سليم، فالقرش الصاغ قيمته أكثر من القرش الشرك، و اليوم لم يبق لهذه المصطلحات من أثر لزوال حكم الأتراك من جميع البلاد الإسلامية. و لقد أدركنا التعامل بالقرش الصاغ و القرش الشرك و الديوانى و المتاليك و البارة فى طفولتنا، و لكن نسينا اليوم ذلك العهد لطول الزمن فلم يبق فى ذاكرتنا سوى الأسماء.

يطلق على المسجد الحرام مسجد الكعبة: فقد جاء في صحيح البخارى، فى كتاب التوحيد، فى باب قوله: وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنى سليمان، عن شريك بن عبد الله أنه قال: سمعت ابن مالك يقول:

"ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر " ...إلى آخر حديث الإسراء الطويل.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٨٦

قال العلامة ابن ظهيره القرشى، رحمه الله تعالى، فى كتابه "الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها و بناء البيت الشريف" ما نصه: اعلم أن الله تبارك و تعالى قد ذكر المسجد الحرام فى كتابه العزيز فى نحو خمسة عشر موضعا. فإذا تقرر هذا، فقد اختلف فى المراد بالمسجد الحرام، الذى تتعلق به المضاعفة فى قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث ابن الزبير السابق " و صلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى مسجدي."

ف قيل جميع بقاع الحرم، و قيل المراد الكعبة و ما فى الحجر من البيت، و يؤيده ما أخرجه النسائى، عن أبى هريرة، رضى الله عنه: " صلاة فى مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا الكعبة، " و قيل المراد الكعبة و ما حولها من المسجد. و جزم به النووى و قال: أنه الظاهر، و قيل: المكان الذى يحرم على الجنب المكث فيه.

و نقل، عن الإمام تقى الدين بن أبى الصيف اليمنى، أن المضاعفة تختص بالمسجد المعد للطواف، لأنه المنصرف عند الإطلاق فى العرف. قال: و لا يضير رواية الكعبة، و لهذا قال الغزالي: لو نذر صلاة فى الكعبة فصلى فى إرجاء المسجد جاز. انتهى.

و رجح الطبرى، رحمه الله، أن المضاعفة مختصة بمسجد الجماعة. و قال: أنه يتأيد بقوله، عليه السلام: مسجدي هذا، لأن الإشارة فى حال مسجد الجماعة، فينبغى أن يكون المستثنى كذلك، فإنه قيل: قد ورد، عن ابن عباس، رضى الله عنهما، أن حسنات الحرم كلها، الحسنه بمائة ألف، فعلى هذا يكون المراد بالمسجد الحرام، فى حديث الاستثناء، الحرم كله.

نقول، بموجب حديث ابن عباس، أن حسنة الحرم مطلقا بمائة ألف، لكن الصلاة، فى مسجد الجماعة، تزيد على ذلك. و لهذا قال بمائة صلاة فى مسجدي و لم يقل حسنة. و صلاة فى مسجده بألف صلاة، كل صلاة بعشر حسنات، فتكون الصلاة فى مسجد صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف حسنة و تكون فى المسجد الحرام بألف حسنة. و على هذا يكون حسنة الحرم بمائة ألف، و حسنة المسجد الحرام بألف

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٨٧

ألف و يلحق بعض الحسنات ببعض، أو يكون ذلك مختصا بالصلاة خاصة فيها.

و الله أعلم. انتهى بنصه.

قال الجد رحمه الله: و حاصل هذه العبارات، مع اختلافها، يرجع إلى ترجيح هذا القول، ثم قال: و هذا التضعيف يحصل بصلاة المنفرد و تزيد الحسنات بصلاة المكتوبة فى جماعة، على ما جاء أنها تعدل سبعا و عشرين درجة، و هذا، فيما يرجع إلى الثواب، و لا يتعدى ذلك إلى الإجزاء عن الفوائت، حتى لو كان عليه صلاتان فصلى فى المسجد الحرام صلاة لم تجزئه عنهما. و هذا لا خلاف فيه، انتهى. و قد اختلف العلماء فى هذا الفضل هل يعم الفرض و النفل أو يختص بالفرض، فمذهبنا، و مشهور مذهب مالك، أنه يختص بالفرض، و التعميم مذهب الشافعى، رضى الله عنه، كما صرح به النووى، رحمه الله تعالى، فإن قيل لا عموم فى لفظ الحديث لما أنه نكرة فى سياق الإثبات، و يؤيده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: أفضل صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة، أوجب بأنه و إن كان نكرة فى سياق الإثبات فهو عام لأنه فى معرض الامتنان. قال الجد، رحمه الله، فإن قيل كيف يقال أن المضاعفة تعم الفرض و النفل، و قد تطابقت نصوص الأصحاب و نص الحديث على أن فعل النافلة فى بيت الإنسان أفضل، إلا ما استثنى كالعيد و ركعتي الطواف، فالجواب ما قيل لا- يلزم من المضاعفة فى المسجد أن يكون أفضل من البيت، إذ فضيلة المسجد المذكور، من حيث

التضعيف، وفضلتها في البيت من حيثة أخرى تربو على التضعيف. انتهى.

أقول: هذا التفضيل بالنسبة إلى الرجال، و أما الإناث، فالصلاة في البيت، مطلقاً، لهن أفضل، لا سيما في هذا الزمان لكثرة الفساد سواء كانت المرأة عجوزاً أم شابة. ونقل الشيخ ولي الدين العراقي، في شرح تقريب الأسانيد، أن التضعيف في المسجد الحرام يختص بالمسجد، الذي كان في زمن النبي، عليه الصلاة والسلام، بل يشمل جميع ما زيد فيه، لأن المسجد الحرام يعم الكل، بل المشهور عند أصحابنا أن التضعيف يعم جميع مكة، بل جميع الحرم الذي يحرم صيده كما صححه النووي.

و أما المدينة فيختص التضعيف بالمسجد، الذي كان في زمنه، عليه السلام، ثم قال لكن يشكل على هذا ما في تاريخ المدينة أن عمر، رضى الله عنه، لما فرغ من الزيادة في مسجد النبي عليه السلام، قال: لو انتهى إلى الجبائنة لكان مسجد التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٨٨

رسول الله عليه السلام، و في رواية أخرى: لو مد إلى ذى الحليفة لكان منه، و عن أبي هريرة، رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لو زيد في هذا المسجد ما زيد لكان الكل مسجدي. و في رواية أخرى: أو بنى إلى صنعاء، و في أخرى: ما زيد في مسجدي فهو منه و لو بلغ ما بلغ فإن صح ذلك فهو بشرى حسنة. انتهى باختصار. انتهى من الجامع اللطيف لابن ظهيرة.

### مقدار فضل الصلاة في المسجد الحرام بالحساب

قال ابن ظهيرة رحمه الله تعالى في كتابه "الجامع اللطيف" ما نصه: فائدتان:

الفائدة الأولى: قد حسب النقاش المفسر فضل الصلاة في المسجد الحرام على مقتضى حديث تفضيل الصلاة فيه على غيره بمائة ألف، فبلغت صلاة واحدة في المسجد الحرام، عمر خمس و خمسين سنة و ستة أشهر و عشرين ليلة و صلاة يوم و ليلة. و هي خمس صلوات، في المسجد الحرام، عمر مائتي سنة و سبع و سبعين سنة و تسعة أشهر و عشر ليال. انتهى كلامه.

انظر: صورة رقم ١٢٧، المسجد الحرام و الناس و قوف فيه يصلون حول الكعبة المشرفة من جهاتها الأربعة

الفائدة الثانية: قال الشيخ بدر الدين بن الصاحب الأتاري: إن كل صلاة في المسجد الحرام فرادى بمائة ألف صلاة، كما ورد في الحديث، و كل صلاة فيه جماعة بألفي ألف صلاة و سبعمائة ألف صلاة و الصلوات الخمس فيه بثلاث عشر ألف صلاة و خمسمائة صلاة، و صلاة الرجل منفرداً في وطنه، غير المسجدين المعظمين، كل مائة سنة بمائة ألف و ثمانين ألف صلاة، و كل ألف سنة بألف ألف صلاة و ثمانمائة ألف. فتلخص من هذا أن صلاة واحدة في المسجد الحرام جماعة، يفضل ثوابها على ثواب من صلى في بلده فرادى، حتى بلغ عمر نوح النبي عليه السلام، بنحو الضعف و سلام على نوح في العالمين، و هذه فائدة تساوى دجلة. ثم قال: هذا إذا لم يضاف إلى ذلك شيئاً آخر من أنواع العبادات، فإن صام يوماً و صلى صلوات الخمس جماعة، فعل فيه أنواعاً من البر و قلنا بالمضاعفة فهذا مما يعجز الحساب عن حصر ثوابه. انتهى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٨٩

### هل تتضاعف السيئات بالحرم أم لا؟

قال ابن ظهيرة في كتابه "الجامع اللطيف" ما يأتي: قال بعض العلماء: أن السيئات بالحرم تتضاعف كتضاعف الحسنات، و هو مذهب ابن مسعود و ابن عباس، رضى الله عنهما، قال به مجاهد أيضاً و الإمام أحمد بن حنبل و لهذا كان مقام ابن عباس بغير مكة. و الصحيح، عند جماهير أهل العلم، عدم المضاعفة، لكن السيئة فيه أعظم منها في غيره بلا ريب. ثم على قول أن السيئة تتضاعف، فقيل تضعيفها الحسنات بالحرم، و قيل بل كخارجها، و حرر بعض العلماء النزاع في هذه المسألة فقال:

القائل بالمضاعفة أراد مضاعفة مقدارها، أي غلظها، لا كميتها في العدد، فإن السيئة جزاؤها سيئة، لكن السيئة تتفاوت، فالسيئة في حرم

الله وبلده، على بساطه أكبر وأعظم منها في غيره، وليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في موضع بعيد عنه. فإنه قيل يرجع النزاع أيضا إذ لا فرق بين أن تكون السيئة مغلظة و هي واحدة، و بين أن تكون مائة ألف سيئة عددا، فالجواب أنه قد جاء: من زادت حسناته على سيئاته في العدد دخل الجنة، و من زادت سيئاته على حسناته في العدد دخل النار، و من استوت حسناته و سيئاته عددا كان من أهل الأعراف. انتهى كل ما تقدم من الجامع اللطيف لابن ظهيرة.

انظر: صورة رقم ١٢٨، المسجد الحرام. و انظر: صورة رقم ١٢٩، المسجد الحرام قديما

### باب بنى شيبه

باب بنى شيبه، محله هو محل العقد القائم خلف مقام إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، و هو عقد على شكل نصف دائرة، مبني على عمودين من حجر الرخام المتين، مزين بنقوش بديعة.

و هذا العقد هو محل السكة الضيقة النافذة من بين بيوت قريش إلى المسجد الحرام. فإن قريشا، لما بنت بيوتها حول الكعبة، على قدر حاشية المطاف، جعلوا بين كل دارين من دورهم مسلكا ينفذ منه إلى بيت الله الحرام، فكان هذا العقد هو محل السكة النافذة، و بجواره كانت دار شيبه بن عثمان الحجبي، سادن الكعبة المعظمة، التي دخلت في توسعه المهدي للمسجد، لذلك نسب الباب إليه، فقليل:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٩٠

"باب بنى شيبه." و يقال له أيضا، باب السلام. فهو قديم، من أيام الجاهلية، و لا يزال موضعه محفوظا إلى الآن. و قد ورد في كتب الحديث و التاريخ أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يدخل المسجد الحرام من هذا الباب، و يخرج منه، و سبب ذلك، كما ظهر لنا و الله تعالى أعلم، أن النبي صلى الله عليه و سلم كانت إقامته بمكة، إما بدار خديجة رضى الله عنها، بزقاق الحجر أو بدار عقيل، بسوق الليل، أو كان ينزل بالأبطح جهة المعلا. فالآتي من هذه الأماكن لا بد و أن تكون وجهته قبل باب الكعبة، فيدخل المسجد من باب بنى شيبه بطبيعة الحال، و أيضا، فإن هذا الباب مقابل لباب بيت الله الحرام و الله تعالى يقول: وَأَتُوا بُيُوتَ مَنْ أَبْوَابِهَا فَكَانَ الْأَفْضَلُ الدُّخُولَ لِلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ. و لذلك يستحب الدخول للمسجد، لكل قادم، من هذا الباب، الذي كان يسمى قديما بباب السلام. فالقادم إذا دخل من أى أبواب المسجد الحرام، و مر للطواف من هذا العقد، أى باب بنى شيبه، فقد أتى بالسنة و عمل بالأدب المطلوب.

انظر: صورة رقم ١٣٠، العقد القائم في مواجهة الكعبة و هو محله باب بنى شيبه

### المسافة بين باب بنى شيبه و جبل الرحمة بعرفات

قال الغازي في الورقة التابعة لصحيفة (٣٨٦) ما نصه:

فائدة: المسافة بين باب بنى شيبه شرقى المسجد الحرام و جبل الرحمة بعرفة هي ٢١٣٦٧ مترا بهذا التفصيل:

متر

١٠٤٢ من باب بنى شيبه إلى باب مقبرة المعلاة.

٢٣٨٧ من باب مقبرة المعلاة إلى سبيل الست.

٣١٢٠ من سبيل الست إلى جمره العقبة.

٣٥٢٨ من جمره العقبة إلى وادى محسر أى طول منى.

٣٨١٢ من نهاية وادى محسر إلى أول المأزمين أى طول المزدلفة، و وادى محسر هو بضم الميم و فتح الحاء المهملة و تشديد السين

المهملة و كسرهما و يقال له وادى النار.

٤٣٧٢ من أول المأزمين إلى العلمين المحدين للحرم أى طول المأزمين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٩١

متر

١٥٥٣ من أول العلمين المحدين للحرم إلى العلمين المحدين لأول عرفة من جهة مكة أى طول وادى عرنة.

١٥٥٣ من أول علمى عرفة إلى سفح جبل الرحمة.

٢١٣٦٧ المجموع

ذكره العلامة إبراهيم رفعت باشا، فى "مرآة الحرمين" وقال: اعتمدنا فى ذكر هذه المسافات على ما ذكره التقي الفاسى، فى كتابه "شفاء الغرام" و الأزرقى، فى كتابه "تاريخ مكة"، و المسافة المذكورة فيهما بذراع اليد، و تارةً بذراع الحديد، المستعمل فى قياس القماش بمصر فى عهد الفاسى بعد القرن الثامن.

وقد استنتجنا مقدار ذراع الحديد من قياس الفاسى لجدر الكعبة و مقارنته بقياسنا لها و لم يحصل فى جدرها تغيير من عهد الفاسى إلى الآن، فكان ذراع الحديد ٥٦١ / ٧ سنتيا، و رأينا الفاسى قاس بعض الأماكن بالذارعين الحديدى و اليدوى، فاستنتجنا مقدار ذراع اليد فإذا هو ٤٩ سنتيا تقريبا. قال: و لا يخفى عليك أن تقدير المسافات فى هذه الأمكنة محتمل للنقص و الزيادة باعتبار ما فى الأرض من نشوز و انخفاض و استقامة و انثناء، فإن رأيت مخالفا فلا تنكر، فمنشأ الخلاف ما ذكرنا. انتهى.

### صلاة الجمعة فى المسجد الحرام

قال الدكتور محمد حسين هيكل رحمه الله تعالى، فى كتابه "فى منزل الوحي" عن صلاة الجمعة، فى المسجد الحرام، ما نصه: "المسجد الحرام مثابة المسلمين الذين يفتدون إلى مكة من أقطار الأرض جميعا فى أشهر الحج، و هو مثابتهم، ما أقاموا بأمر القرى: يفتدون إليه لصلاة الفجر و عند الظهر و يعودون إليه لصلواتهم الأخرى و للطواف بالبيت كلما هوت نفوسهم إلى التطوف به. و هم يقضون فيه الساعات الطوال يتحدثون أثناء النهار و يستمعون إلى جماعة من الفقهاء يحدثونهم فى الإسلام و يفقهونهم الدين قطعا من الليل. و إن منهم لمن يقضى فيه يومه يجاور البيت، و منهم من ينصرف نهاره إلى شؤون الحياة، فإذا أقبل الظلام فضى بالمسجد ليله يقوم إلا قليلا، يذكر الله كثيرا،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٩٢

و لا ينال من النوم إلا القدر الذى يكفيه لسعى النهار و تهجد الليل. لذلك قل أن يصلى بغير المسجد الحرام أحد من المقيمين بمكة على كثرة مساجدها. و ما رأيت أحدا أقام بهذه المساجد مصليا على كثرة مروى بها و وقوفى عندها، و لا تقام بها صلاة الجمعة مطلقا. و من ذا الذى تطاوعه نفسه و هو بمكة على أن يصلى بمسجد غير المسجد الحرام و الاجتماع منعقد على أن مثوبة الصلاة فيه تزيد على مثوبة الصلاة بغيره أضعافا مضاعفة. و هذا الإجماع صحيح أساسه. فالإسلام دين جماعة و دعوة للجماعة، و لا شىء يمقتة الإسلام كالخروج على الجماعة فى غير حق. و لا تجد الجماعة بمكة مكانا كالمسجد الحرام مقام بيت الله لتقوم بفروض الله فيه.

انظر: صورة رقم ١٣١، الكعبة المعظمة و منظر الحرم المكى فى أوقات الصلاة من الحج.

و صلاة الجمعة بالحرم من أروع مظاهر الإيمان فى الجماعة الإسلامية، هذا الإيمان القوى فى بساطته، البالغ فى قوته، الذى يجمع بين الحرية و النظام جمعا لم أقف على ما يقرب من رفعتة فى أى من الملل و النحل الحديثة أو القديمة التى اطلعت عليها. و لقد رأيت فى أسفارى الكثيرة ببلاد يدين أهلها بغير الإسلام من شعائر العبادة و من نظم الجماعة ما فيه مهابة و رهبة و نظام، و لقد حضرت صلاة الجمعة فى بلاد إسلامية شتى، و لكنى لم أر فى شىء من ذلك، ما قد يقرب فى جلال مظهره و قوة روعته، و فى جمعة بين الحرية و

النظام، و بين الاعتداد بالذات و الإسلام لله، ما رأيت في صلاة الجمعة بالمسجد الحرام، و لم يطبع شيء من ذلك كله من الأثر العميق في نفسى ما طبعته صلاة الجمعة بالمسجد الحرام من أثر بالغ في عمقه، فما أفتأ كلما أذكره أشعر به متغلغلا في أطواء روحى يسمو بها إلى ذروة الإيمان و يرقى بها إلى ما فوق مستوى الإنسانية الذى نألفه " ...إلى آخر كلامه، انتهى من كتاب "منزل الوحي".

### وحي صلاة الجمعة في المسجد الحرام

أنظر، رحمك الله تعالى ما توحى به صلاة الجمعة، في المسجد الحرام، لبعض العلماء و الفضلاء و قادة الفكر، من الأمور المهمة الدقيقة المتصلة بصميم حياة المسلمين اليوم. فهذا هو الدكتور المصرى محمد حسين هيكل، رحمه الله تعالى، يقول في كتابه "في منزل الوحي" بعد أن صلى الجمعة في المسجد الحرام ما نصه:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٩٣

"أما صلاة الجمعة في الحرم فقد اهتز لها كل وجودى، و قد أثارت أمام ذهنى صورة مجسمة من المعانى السامية كنت أقدمتها من قبل، و لكنى لم أكن ألمسها لمسا ماديا، و لم أكن أراها بارزة بالوضوح الذى رأيتها به أثناء هذه الصلاة و لا إثرها. و لقد جلست مكاني و الناس ينصرفون من المسجد أفكر فيما رأيت فلا أجد من مزيد التفكير فيه إلا مزيدا فى تأثرى به و إكبارى له. و لو لا أن جاء صاحبى يدعونى لمغادرة المسجد إلى الدار لأقمت حيث كنت مسترسلا فى التفكير ملتصقا بالعبارة البالغة منه. و ما أكبرها عبرة و ما أبلغها عظة!

و أبلغ أثر تركته هذه الصلاة فى نفسى هذا النظام الكامل لعشرات ألوف يخطئها العد عن الإسلام به، و إيمان بوجوبه، و حب إياه، و إقبال عليه، فما هى ذى عشرات الألوف تقف وراء الإمام صامتة خاشعة متجهة بكل قلوبها إلى الله مؤمنة إيمانا كاملا بكل كلمة و كل حرف من هذه السبع المثانى التى يتلوها الإمام إذ يتلوا سورة الفاتحة ثم تتلوا هذه السبع المثانى من بعدها لحمد رب العالمين الرحمان الرحيم مالك يوم الدين لا تعبد إلا إياه، و لا تستعين إلا إياه، تستهديه الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم فلم يغضب عليهم و لم يضلوا.

و ها هى ذى عشرات الألوف من كل الأجناس و الألوان و اللغات ينتظمها إيمان واحد بهذا الذى تتلو، إيمان لا يتلجلج و لا يكبو، فإذا سمعت التكبير للركوع ركعت جميعا مؤمنة تسبح بحمد ربها العظيم الذى تؤمن به و تقدسه و إذا سمعت التكبير للسجود تسبح بحمده كرة أخرى.

و ها هى ذى تعيد الركعة الثانية حمدها و تسبيحها و استغفارها ربها و عبادتها إياه و اسعانتها به فى مثل نظامها فى الركعة الأولى، و تتوجه كل هذه الألوف فى هذا النظام الذى يأخذ بالقلوب و الأفئدة إلى بيت الله من جوانبه الأربع.

أى جيش جيش الإيمان هذا! و أية قوة فى العالم تستطيع أن تغلب هذا الجيش أنه عرف كيف ينظم الحياة مثل نظام الصلاة الجامعة، و أن يجعل الإيمان قواما لنظام الحياة كما أنه قوام هذه الصلاة! ألا لو أن ذلك كان و اجتمع من فى الأرض جميعا لما غلب قوما ذلك إيمانهم و ذلك نظامهم و ذلك سموهم إلى الله و هذه عبادتهم إياه وحده لا شريك له.

الإيمان قوام هذا النظام البالغ فى كماله، الذى جمع الأروبي و الإفريقي و الآسيوي و أهل الأرض جميعا فى صعيد واحد. و الإيمان هو الذى جعلهم اخوة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٩٤

متفاهمين على تباين لغاتهم و اختلاف أجناسهم، و إيمانهم له كل هذا السلطان لأنه إيمان تجرد من كل سوى الفكرة السامية، لا تشوبها شائبة و لا تندس إليها غايه من غايات هذه الحياة الدنيا. الفكرة المجردة من كل مطمع و من كل هوى إلا رضا الله يستعذب المسلمون التضحية بكل شيء فى سبيله، التضحية بالهناة و الطمأنينة، و بالمال و الجاه، و بكل ما فى الحياة، بل بالحياة نفسها.

و هذه الفكرة السامية يؤمن عشرات الألوف هؤلاء و يؤمن بها المسلمون جميعا، تتلخص في كلمتين اثنتين هما أبلغ و أقوى ما عرفت الإنسانية منذ وجدت، و لا يمكن أن تعرف أبلغ و لا أقوى منهما إلى أن بيد الله الأرض و ما عليها: الله أكبر. نعم: هاتان الكلمتان هما أبلغ ما عرفت الإنسانية، و ما يمكن أن تعرف.

هما مظهر السمو الإنساني على ما يتصل به الإنسان من سائر الكائنات. و هما مظهر سمو النفس و قوتها، فلا يعترها، ضعف و لا يززع منها سلطان. يكفي أن يحيط الإنسان بمعنى هاتين الكلمتين كاملا، و أن يؤمن به إيمانا صادقا، ليتصل بالله اتصالا صحيحا و ليرقى الاتصال فوق الأمل الخادع، و فوق الغرور الكاذب، و فوق كل ما في الحياة الدنيا.

إننا نحن المسلمين لنسمع هاتين الكلمتين و لنقولهما في كل يوم عشرات المرات: نسمعهما مرات ساعة الأذان، و نسمعهما و نقولهما مرات حين الصلاة، و نرددهما في مناسبات كثيرة و تؤمن بهما حقا، لكن الكثيرين منا يؤمنون بهما و لا- يحيطون بمعناها إحاطة إدراك تام و شعور متنبه لهذا المعنى.

فما أعظم سلطان المال و ما أكبر حكم أصحابه! نعم! لكن الله أكبر، و ما أعظم سلطان هذا الملك الحاكم فوق العباد! نعم! لكن الله أكبر، و ما كان سلطان رومية و امتداد إمبراطوريتها! نعم! لكن الله أكبر، و ما أعظم سلطان الإمبراطورية البريطانية التي لا تغيب الشمس عن أملاكها! نعم! لكن الله أكبر!

و ما أعظم سلطان أوربا سلطانا تحكم به الشرق و تتحكم به في مصير العالم كله! نعم! لكن الله أكبر.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٩٥

فإذا أنت اتصلت بالله وحده، و عبدته وحده، و استعنته وحده، لم يكن للمال و لا للملك و للإمبراطورية البريطانية و لا لأوربا و لا لقوة من القوى بالغا ما بلغ كبرها أى سلطان عليك.

و ما هذه القوى جميعا و هى لا تساوى عند الله جناح بعوضة! و إن من التجديف حين نذكر أن الله أكبر من كل كبير و أعظم من كل عظيم، أن نذكر هذه القوى الضئيلة في حياة الكون و التي تبدو اليوم و تختفى غدا، و تقوى اليوم و تضعف غدا، و توجد اليوم و تنعدم غدا.

يبتلع البحر من الأرض ما شاء الله أن يبتلع، و يذهب الأقوياء فلا يبقى لهم بعد ذهابهم إلا ذكر قوتهم، لكن الأرض إلى يسير عليها هؤلاء يعيشون و يأكلون و إلى تراها يرجعون، ما أكبرها! لكن الله أكبر. و الشمس ما أكبرها! لكن الله أكبر.

و الوجود كله من محسوس نشهده و غائب نتوسمه ما أكبره! لكن الله أكبر! وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

و عبادة الله و الإستعانة به تقضيانك علم ما خلق، و السعى في مناكب الأرض، و إدراك أسرار الحياة. و أنت أعظم اتصالا بالله كلما كنت من هذا العلم و هذا السعى و هذا الإدراك أكبر حظا. و إيمانك الحق بهاتين الكلمتين ينقلب إيمانا آليا لا ينفع و لا يضر إذا لم تسع و لم تدرك و لم تتصل بنوره العظيم. إذا علمت هذا و علمت به و دأبت لتدرك عظمة الله في خلقه مما نرى، و ما نحس و ما يجاوز إحساسنا، إذن فلن يغلبك غالب و أنت فرد. فأما إن علمته أمه و عملت به آمنت عن إدراك صحيح بأن الله أكبر، فقد حق لها أن تتولى هدى العالم إلى الحق في أسمى صورة و أرقى درجاته، هدى يصل بالإنسانية إلى ما تبغى من مجد الإخاء في الله، إخاء هو وحده الجدير بالإنسانية حين تبلغ من التقدم درجة حسنى.

ما بال هذه الألوف المؤلفه من المسلمين الذين يصلون الجمعة في الحرم، ثم ما بال إخوانهم الملايين من المسلمين المنتشرين في بقاع الأرض جميعا، و هم يؤدون صلاتهم في هذا النظام البالغ و يسمعون هاتين الكلمتين و يكررون في صلاتهم:

"الله أكبر" مرات و عشرات المرات، ما بالهم فيما هم فيه من ضعف و جمود و خضوع لسلطان الغير و حكمه؟! فكرت في هذا حين



أويت إلى الدار و اعتكفت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٩٦

في غرتي. فكرت فيه متألماً ثائراً بهؤلاء الذين أوتوا أسباب القوة فضعفوا و هانوا، و أوتوا سبيل العزة فذلوا و استكانوا. و كيف لا تثور النفس حين ترى هذا النظام البالغ ثم ترى ما هم فيه من هوان و فوضى، و من شأن من ينتظمهم الإيمان السليم به أن يكونوا العزة و القوة. و لم ألق عسراً في الوقوف على علتهم، فظامهم هذا ينقصه الروح و لذلك غاضت حياته، فانقلب آلياً، فانقلبت على أهله غايته. و هذا هو السبب فيما هم فيه و ما سيظنون فيه، حتى يغيروا ما بأنفسهم ليغير الله ما بهم.

الروح ينقص هذا النظام و لا ريب الروح المستمد من الإيمان الكامل. أليس رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: "لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" و الأكثر من هؤلاء المصلين لا يفكر أحدهم في أخيه و لا يحب إلا نفسه. هو لم يحضر إلى مكة و لم يفرض الحج و لم يستو مع الناس في صلاة الجماعة بالحرم ليكون لإخوانه المؤمنين كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، بل جاء إلى مكة حاجاً و حضر صلاة الجماعة ابتغاء المغفرة لنفسه و الثواب لنفسه دون تفكير في المؤمنين ممن حوله، و ليس هذا شأن المسلمين اليوم و في هذا العصر الأخير و كفى، بل هو شأنهم "مع الشيء الكثير من الأسف" منذ مئات السنين التي خلت: منذ انتقل الأمر بينهم من الشورى إلى الاستبداد، و من الاجتهاد إلى التقليد و من الاستهانة بالموت إلى حب الحياة، و من عبادة الله وحده إلى عبادة المال و أرباب المال. من ذلك اليوم البعيد عنا، حينما كان تاريخ الأمة الإسلامية ما يزال مزدهراً، بدأت الأثرة تبلغ من المسلمين أن صار أحدهم لا يعرف إلا نفسه و لا يحب إلا نفسه.

و يحسب مع ذلك أنه يستطيع الوصول إلى رضا الله باعتزاز إخوانه المؤمنين، و بالانقطاع عن التفكير في أمر نفسه. و من يومئذ نسي المسلم أنه إذ يقول و هو يصلي لله: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**، أنه يتحدث عن نفسه و عن إخوانه المؤمنين، و كأنما خيل إليه في غرور أنه بهذه الصيغة يعظم نفسه و هو يخاطب ربه.

و حيثما بلغت الأثرة من النفوس هذا المبلغ ضعف إيمانها و تزعزع يقينها و تعلقت بالحياة و أذعنت خاضعة لكل سلطان يملك عليها أسباب المادة في الحياة.

هنالك تزوى الروح و يضمحل سلطانها على النفس. و هنالك تتهلهل أواصر الاتصال بين المؤمنين و تضعف أخوتهم فيضعفوا جميعاً. و هنالك تصير حياتهم حياة أفراد تنتهي بالموت لا حياة أمة تتصل على الزمان و لها في شهادتها و في موتها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٩٧

أعلام مجد و عزة تتعلق بها و تضحي للاحتفاظ بما شادوا من هذا المجد، و لإكباره و المزيد منه.

انظر: صورة رقم ١٣٢، صلاة الجمعة حول الكعبة المشرفة في العام ١٣٧٢ هـ

و ذكرت و أنا أفكر في هذا و في مثله، أولئك المسلمين الأولين الذين كانوا يجيئون للصلاة عند الكعبة كما نجىء نحن للصلاة عندها اليوم، فيصدهم المشركون و يؤذونهم و يبالبغون في تعذيبهم، لم يكن يومئذ حول الكعبة مسجد معمور تحيط به هيبه الإسلام شأن المسجد الحرام اليوم، بل لم يكن حولها مكان مسور، إنما حرمها متصلاً بالطريق و متصلاً بالمساكن، اتصال المسعى بين الصفا و المروة في وقتنا الحاضر. مع ذلك كان المسلمون الأولون يذهبون إلى الصلاة متحدين متضامنين و هم يعلمون أنهم معرضون للأذى و للموت، و أن تحابهم و تضامنهم يجعلانهم أكثر للموت و للأذى تعرضاً. و لقد كثر عدد المسلمين بمكة قبل الهجرة، و اعتر الإسلام بحمزة بن عبد المطلب و بعمر بن الخطاب، و جعل عمر يدفع من أذى المشركين للمسلمين ما يستطيع دفعه، مع ذلك ظل المشركون على عداوتهم للنبي و أصحابه و إيذائهم إياهم، و ظل المسلمون على تضامنهم و حبهم بعضهم لبعض في الله، و صبرهم على الأذى في سبيل الحق و إيمانهم بأن النصر لهم ما صبروا، يذهبون إلى حرم الكعبة للصلاة مستهينين بالأذى و بالموت، مؤمنين بأنهم رجل واحد فلا يموتون ما بقي منهم من ينادى مؤمناً: "لا إله إلا الله الله أكبر" محباً إخوانه في الله، موقناً أنه لا يكمل إيمانه حتى يحب

لأخيه ما يحب لنفسه.

و لم يكن هذا الحب الصادق الذى يكمل به الإيمان حب عاطفة هو جاء، يرى صاحبها فى الإلقاء بيده إلى التهلكة استهانةً بالموت، بل كان حب تعقل و روية و حرص على معرفة الحياة و ما فيها إلى غاية ما يبلغ المرء من معرفتها فى ذلك العهد.

كان المسلمون يجتمعون بالرسول فى كل يوم يتشاورون، و كانوا ينتظسون أخبار المشركين ليقتلوا على دخائل نفوسهم، و كانوا ينافسونهم فى العلم بالأمر ليدفعوا حجتهم بالحجة و قوتهم بما يستطيعون من قوة.

لم يكن أحدهم يرى فى الإسلام لله و التوكل عليه ما يصرفه عن التفكير ليومه و غده، و لشد أزر وليه و دفع عدوه، بل كانوا يرون فى الإيمان بالله و الإسلام له سموا على كل إذعان لغير الله، و استهانة بكل مجهود و كل مشقة لبلوغ هذا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٩٨

السمو، و بذلك كانوا حربا على كل ضعف فى أنفسهم كما كانوا حربا على قوة خصومهم. من أجل ذلك استلوا من نفوسهم كل سلطان للأثرة عليها، فقوى اعتداد الفرد منهم بنفسه و حبه لإخوانه، و بذلك كانوا الغالبين.

و كان لهذا الاعتداد بالنفس مع انكار الذات أثره فى أولى المواهب و أهل الزعامة منهم. لم يكن أحد من هؤلاء يرضى إذا آمن بشيء أن يكتفئ إيمانه مخافة ما يجره إعلان هذا الإيمان عليه من أذى، و لم يكن أحدهم ينتظر حتى يرى أين تكون منفعته ليكيف بوحيا رأيه أو عقيدته، بل كانوا جميعا يؤمنون بأن العقيدة و الرأى معا ملك مشاع للجماعة، فيجب أن يطالعا الفرد بما يرى، و أن يحاول اقناعها به فى صراحة و شجاعة و إيمان. لهذا نجم منهم القادة و أولو الرأى، و توارى من جماعتهم المراؤون و المنافقون الذين يريدون أن يتخذوا من كل شيء، حتى من الرأى و الإيمان به، مطية أهوائهم و وسيلة منافعهم. و لذلك آمنوا بأن الروح من عند الله و أن الحياة الإنسانية متصلة بكلمة الله، و أن الله خلق الإنسان على صورته، فهو من ثم روح قبل أن يكون مادة، و حياته من ثم فكرة متصلة بالروح، و ليست حركة آليه، و لا حركة فطرية كحركة النبات، و لا حركة سلقية كحركة الحيوان.

و حيثما آمن الإنسان بأن الحياة فكرة استهان بالموت فى سبيل الفكرة. و من استهان بالموت عنت له الحياة. و كلما ازدادت الفكرة سموا ازداد صاحبها استهانة بالحياة و سموا لذلك عليها. و الجماعة التى تعيش من أجل فكرة إنسانية سامية و لا تخشى الموت فى سبيلها، تصل من القوة إلى حيث لا يغلبها غالب. كذلك كان شأن الجماعات الإنسانية فى كل العصور، و كذلك كان شأن الجماعة الإسلامية الأولى. كان الإيمان بالوحدانية يملأ نفوس أهلها، حتى ليصغر كل ما فى الحياة إلى جانبه. و كانوا يعلنون إيمانهم هذا و لا يكتمونونه، لم يكن يصرفهم عنه وعد و لا- وعيد، و لم تكن ترد الصادقين منهم تضحية و إن عظمت، و إن بلغت التضحية بالحياة، بذلك نصرهم الله و فتح لهم فتحا مينا.

### كيفية الخطبة فى المسجد الحرام

لم يرد شيء فى حق الخطيب أن يكون على صفة من اللبس و الهيئة، غير أنه كما لا يخفى يسن لمن حضر صلاة الجمعة أن يغتسل و يتطيب و يلبس أحسن ثيابه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٣٩٩

ففى الحديث "من اغتسل يوم الجمعة فأحسن غسله و تطهر فأحسن طهوره و لبس من أحسن ثيابه و مس ما كتب الله له من طيب أهله ثم أتى الجمعة و لم يبلغ و لم يفرق بين الاثنين غفر له ما بينه و بين الجمعة الأخرى" رواه ابن ماجه.

فإذا كان هذا يطلب من كافة الناس فيكون الخطيب أو الإمام أولى بذلك فقد قال الإمام الشافعى، رحمه الله تعالى، فى الأم "و أحب الإمام من حسن الهيئة ما أحب للناس و أكثر منه و أحب أن يعتم فإنه كان يقال إن النبى صلى الله عليه و سلم كان يعتم و لو ارتدى ببرد فإنه كان يقال أن النبى صلى الله عليه و سلم كان يرتدى ببرد كان أحب إلى "اه.

روى الإمام الشافعي، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على عصا إذا خطب؟ قال: نعم، كان يعتمد عليها اعتماداً. وروى ابن ماجه، عن عماره بن سعد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب في الحرب خطب على قوس و إذا خطب في الجمعة خطب على عصا. اهـ.

فالمطلوب من الخطيب و الإمام، حسن الشكل، و جمال اللبس المباح، مع الحشمة و الوقار، في حدود التواضع.

و ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يوم الجمعة يدعو لنفسه، كما لم يكن أحد من الخلفاء الراشدين يدعو لنفسه على المنبر. ثم لما كان عصر الخلفاء العباسيين و صار الخطيب غير الخليفة أمر أمير المؤمنين محمد الأمين بن هارون الرشيد أن يدعى له على المنبر. ذكر ذلك كثير من المؤرخين، قال الإمام السيوطي، رحمه الله تعالى، في كتابه "الأوائل" أول من دعى بلقبه على المنبر و كتب به هو الأمين. اهـ.

هذا، و بمرور الزمن و السنين، تطور الناس و تغيرت الأوضاع، و صارت لهم عادات و تقاليد و مظاهر يتبعونها و يمشون على نظمها، و هنا من اللازم علينا أن نسوق ثلاث روايات عن كيفية خطبة الجمعة و خطبة العيد في المسجد الحرام في عصور مختلفة للإحاطة و العلم بها، ناقلين كل ذلك عن تاريخ "عمارة المسجد الحرام" للشيخ حسين باسلامة، رحمه الله تعالى، فقد قال فيه ما نصه:

١- و ذكر ابن جبير في رحلته و في وصف الكيفية، التي كانت تتبع في خطبة الجمعة، بمكة المكرمة، و كيفية الخطيب، و صعوده على المنبر، و موضع المنبر في عصره، و إليك ما قاله "في يوم الجمعة، يلصق المنبر إلى صفح الكعبة الشريفة، فيما بين الحجر الأسود و الركن العراقي. و يكون الخطيب مستقبلاً المقام الكريم،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٠٠

فإذا خرج الخطيب أقبل لابسا ثوبا أسود معتمًا بعمامة سوداء و عليه طيلسان أسود، و كل ذلك من كسوة الملك الناصر و عليه الوقار و السكينة و هو يتهدى، بين رايتين سوداوين، يتمسكهما رجلان من المؤذنين، و بين يديه أحد القوم، في يده الفرقة مفتول يفضه في الهواء فيسمع له الصوت عال يسمعه من كان داخل الحرم و خارجه. فيكون إعلانا بخروج الخطيب و لا يزال كذلك إلى أن يقرب من المنبر فيقبل الحجر الأسود و يدعو عنده ثم يقصد المنبر و رئيس المؤذنين بين يديه لابسا السواد و على عاتقه السيف ممسكا له بيده، و تركز الرايتان عن جانب المنبر، فإذا صعد أول درجة من المنبر قلده المؤذن السيف، فيضرب بنعل السيف ضربة على الدرج، يسمع بها الحاضرون. و هكذا على سائر الدرج فإذا استوى في علياه استقبل الناس و سلم عليهم، ثم يقعد و يؤذن المؤذن على قبة زمزم، فإذا فرغ من خطبته صلى و انصرف على الوضعية التي أتى بها. ثم يعاد المنبر إلى مكانه ازاء المقام. اهـ.

هذا ما كان من حالة المنبر و الخطيب في عهد ابن جبير في القرن السادس.

٢- و أما حالة الخطيب، في عهد الدولة العثمانية على الحجاز، فكان يأتي يوم الجمعة، عند الزوال إلى المسجد الحرام، فيدخل المدرسة الواقعة، بين باب بازان و باب على، المسماة "بقبة الساعات" حيث وضعت في ذلك العصر فيها ساعتان كبيرتان للتوقيت. فيصلى فيها ركعتين. و من عادة الخطيب في ذلك العصر أن يرتدى جبة واسعة الأكمات تسمى "الفرجية" و يعتم بعمامة من الشاش الأبيض، على كيفية هندية، مصنوعة من القماش الحرير الملون، و مبطنة بالخيزران اللطيف.

و تلف العمامة الشاش عليها لفا منتظما متراصا بعض الطيات على بعض و تسمى تلك اللفة "بالمدرج". ثم يأتي المرقى، إلى المدرسة المذكورة، يحمل الطيلسان و العصا، التي يعتكز عليها الخطيب، حال صعوده المنبر، و هذه العصا، داخلها سلاح من نوع السلاح الأبيض، رفيع السلة أشبه بسنان الرمح يسمى "بالغدارة" و هذا المرقى، هو من ضمن المبلغين بالمسجد الحرام، قد تخصص لهذه الوظيفة.

فيضع المرقى، الطيلسان على رأس الخطيب فوق العمامة، فيلتف به الخطيب، و يخرج من المرساة المذكورة ميمما نحو المنبر، فإذا بلغ الحصوة الموالية لرواق المدرسة، التي كان بها، وجد هناك بيرقين أي "رايتين"، من الحرير الأحمر، و نفرين من أغوات الحرم، و

نفرين من مشدّي الحرم، فإذا وصل إليهم ساروا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٠١

جميعاً أمام الخطيب، يتقدمهم المرقّي حامل عصا الخطيب، ثم يتبعه حاملان البيرقين "الرايتين"، ثم أغوات الحرم ثم المشدّية. و يسرون على هذه الحالة، إلى أن يصلوا المنبر، فإذا وصلوه ركزوا البيرقين على باب المنبر، و وقف الأغاوان عند باب النبر أيضاً، ثم ترفع الستارة الخضراء، المزركشة بأسلاك الفضة المموهة بالذهب، الموضوعه على باب المنبر، و يسلم المرقّي العصا إلى الخطيب، فيصعد الخطيب على درج المنبر و خلفه المرقّي. فإذا وصل الخطيب أعلى المنبر جلس على مسطبه، و قام المرقّي، في وسط درج المنبر، و أذن أذان الجمعة الثاني، تابعا ذى ذلك رئيس المبلغين من قبه زمزم. فإذا أتم الأذان، قام الخطيب وشع في الخطبة الأولى. فإذا أتمها جلس. فيقوم المرقّي و يصل على النبي صلى الله عليه و سلم رافعا بها صوته. فتمت أتمها قام الخطيب و ألقى الخطبة الثانية، حتى إذا بلغ فيها ذكر النبي صلى الله عليه و سلم جهر المرقّي بالصلاة عليه، ثم إذا بلغ الخطيب ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم جهر المرقّي بالترضى عنهم، فإذا ذكر الخطيب اسم الخليفة أو السلطان أو الملك جهر المرقّي بالدعاء له بالنصر و الظفر و التأييد. اه.

هكذا، كانت صفة الخطبة في عصر سلاطين آل عثمان، و في عهد الشريف الحسين بن علي، ملك الحجاز، أي إلى سنة (١٣٤٣) ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و ألف. و كان يوضع في أعلى المنبر رايتان خضراوان صغيرتان مزركشتان بأسلاك الفضة المموهة بالذهب.

٣- و أما خطبة عيد الفطر في ذلك العصر، فقد كان الخطيب، الذي تكون عنده نوبة خطبة عيد الفطر، من بين عموم خطباء المسجد الحرام، يستعد في داره بالشربات و المرطبات لاستقبال الوافدين عليه في داره فيجلس بعد صلاة فجر ذلك اليوم فإذا صار الإسفار أتاه شيخ الخطباء، مع فريق من خطباء المسجد الحرام، ثم رئيس المؤذنين، مع طائفة منهم، ثم فريق من أغوات الحرم ثم بعض المشدّية و جميع من عموم خدم المسجد الحرام. فإذا تم اجتماع هؤلاء، في دار الخطيب، دارت عليهم كؤوس المرطبات. فإذا أشرقت الشمس خرجوا صفوفاً، مع الخطيب، على الترتيب الآتي: المرقّي ثم المشدّية ثم أغوات الحرم ثم المؤذنون ثم الخطباء حول الخطيب و هو بينهم لابسا "الفرجية" و العمامة المدرّج و عليه الطيلسان على حسب ما وصفنا ذلك في خطبة الجمعة، ثم يعجّون بالتكبير المسنون في العيدين، و هم سائرون إلى أن يبلغ الخطيب الموضع، الذي يؤم الناس فيه، و هو في

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٠٢

الغالب، يكون عند مصلى جبريل، أمام الكعبة المعظمة، بين باب الكعبة و الركن العراقي، الذي يلي حجر إسماعيل. فإذا وقف الخطيب في مصلاه أعلن رئيس المبلغين، من قبه زمزم رافعا بها صوته (صلاة العيد أثابكم الله ثلاثاً، ثم الصلاة رحمكم الله) و يتبعه المبلغون، اللذين هم في علو مقام الحنفي، فإذا أتم الصلاة، صعد الخطيب على المنبر و ألقى خطبة العيد على الترتيب، الذي ذكرناه في خطبة الجمعة. اه.

قال: و أما حالة الخطيب في عصر جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود- أي منذ توليه على الحجاز عام (١٣٤٣) ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و ألف- فهي في غاية البساطة، و ذلك أنه، متى فرغ المؤذن من أذان الجمعة الأول، أتى الخطيب وحده إلى المنبر، و عليه رداء و عمامة. ثم صار من عام ١٣٤٩ تسع و أربعين و ثلاثمائة و ألف، اللباس الرسمي، لجميع الموظفين، العباءة و الغتره و العقال، غير أن أهل العلم، لا يلبسون العقال.

قال: لا فرق بينه و بين سائر أهل العلم في شكل الملابس، لا من جهة النوع و لا من جهة الشكل، فمتى وصل المنبر، وجد هناك اثنين من أغوات الحرم واقفين عند باب المنبر، فيحمل العصا المعتادة للخطابة و يصعد المنبر، فإذا بلغ أعلاه، جلس على مسطبه و قام المؤذن على قبه زمزم في أذان الجمعة الثاني، فإذا فرغ من الأذان، قام الخطيب و ألقى خطبة الجمعة. و لم يكن له مرقّي، كما كان

سابقا، فهو يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم و يترضى عن الصحابة و يدعو للمسلمين عامة بدون أن يذكر اسم جلاله الملك كما كان فى السابق حسبما تقدم، فإذا أتم الخطيب خطبته نزل من المنبر و وقف للصلاة بالناس فيقيم المكبر على قبة زمزم الصلاة، و يتبعها المكبر، الذى فى علو مقام الحنفى، فإذا تم التكبير أحرم الإمام بالصلاة. اهـ.  
و هذه الكيفية لا زالت إلى يومنا هذا بمكة و هى خالية من المظاهر و الفخفة التقليدية، و الله الهادى، إلى سواء الصراط.

### منبر المسجد الحرام

كان الخلفاء و الولاة يخطبون بمكة المشرفة، منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الحرام، قياما على أقدامهم، على الأرض، فى وجه الكعبة بلصقتها، و فى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٠٣

حجر إسماعيل، عليه الصلاة و السلام، إلى خلافة أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان، رضى الله عنه.

و سبب الخطبة فى وجه الكعبة و هو جهة بابها، أن حد المسجد الحرام، فى بدء الإسلام، و ما قبله، هو المطاف المفروش بالرخام الأبيض، المحيط بجوانب الكعبة المشرفة، الذى نسميه الآن بالصحن. و ما دام الناس يتجهون إلى الكعبة، فبالضرورة يكون موقف الخطيب على المنبر، بلصق الكعبة و وجهه إليهم. ثم لما حصلت الزيادات، فيما بعد فى المسجد، جعلوا مكان المنبر فى آخر حدود المطاف، إلى جوار مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام، جهة باب الكعبة أيضا.

قال الأزرقى، فى تاريخه: أول من خطب بمكة على المنبر أمير المؤمنين، معاوية بن أبى سفيان، و هو منبر صغير على ثلاث درجات، قدم به من الشام، لما حج و هو أول من أتى به إلى مكة. ثم قال الأزرقى: و ذلك المنبر، الذى جاء به معاوية، ربما خرب فكان يعمر و لا يزداد، حتى حج هارون الرشيد، فأهدى له منبر منقوش عظيم عال فى تسع درجات، أهده له عامله على مصر موسى بن عيسى. فكان منبر مكة. و جعل المنبر القديم بعرفة. ثم أمر الواثق العباسى، لما أراد الحج، أن يعمل له ثلاث منابر: منبر بمكة و منبر بمنى و منبر بعرفة.

هذا ما ذكره الأزرقى و ذكره الفاكهى أيضا و زاد أن المنتصر بن المتوكل العباسى، لما حج فى خلافة أبيه، جعل له منبرا عظيما فخطب عليه بمكة ثم خرج و خلفه بها. انتهى.

و ذكر القرشى ذلك و زاد قال: ثم جعل بعد ذلك عدة منابر للمسجد الحرام.

اهـ.

و ها نحن نذكر منابر المسجد الحرام، من عهد معاوية، رضى الله عنه، إلى اليوم نقلا عن كتاب الشيخ حسين باسلامة و الشيخ عبد الله غازى، رحمهما الله تعالى، فنقول:

(١) المنبر الذى وضعه أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان، رضى الله عنه، فى المسجد الحرام قدم به من الشام لما حج، لكن لا ندرى هل كان ذلك فى حجته الأولى سنة أربع و أربعين أم فى حجته الثانية سنة خمسین على ما يقال.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٠٤

(٢) المنبر الذى وضعه فيه أمير المؤمنين هارون الرشيد لما حج لكن لا ندرى فى أى حجته جاء بالمنبر، فإنه كان كثير الحج، قال السنجارى حج بالناس تسع حجيج متفرقة أولها كان سنة سبعين و مائة.

(٣) المنبر الذى وضعه أمير المؤمنين الواثق بالله العباسى لما حج.

(٤) المنبر الذى وضعه المنتصر بن المتوكل العباسى لما حج فى خلافة أبيه.

(٥) المنبر الذى عمله وزير المقتدر بالله العباسى و كان منبرا عظيما تكلف عمله ألف دينار، فلما وصل المنبر مكة أحرقه المصريون

حتى لا يخطب عليه للخليفة المقتدر بالله و خطبوا لصاحب مصر المنتصر العبيدي.

(٦) المنبر الذي عمل في دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر سنة ٧٦٦.

(٧) المنبر الذي بعث به الملك الظاهر برقوق صاحب مصر سنة ٧٩٧.

(٨) المنبر الذي أرسله شيخو صاحب مصر خطب عليه يوم التروية و ذلك سنة ٨١٥.

(٩) المنبر الذي أرسله الملك المؤيد الجركسي صاحب مصر سنة ٨١٨. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٢-٤ ؛ ص ٤٠٤  
( المنبر الذي ذكره الغازي في تاريخه أنه كان موجودا بالمسجد الحرام قبل سنة ٨٣٠ و كان محله عند مقام إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، و كانت له عجالات فعند وقت الخطبة يجر حتى يسند إلى الكعبة فيقوم عليه الخطيب، ثم في السنة المذكورة جاء مرسوم صحبة الحاج يتضمن جملة أشياء:

منها ترك المنبر في مكانه عند المقام و أن يخطب الخطيب عليه في هذا المكان، فلا- يجر إلى جانب الكعبة، لأنه عند جره على عجالاته يزعج الكعبة إذا أسند إليها.

(١١) المنبر الذي أرسله الملك الناصر خوش قدم صاحب مصر سنة ٨٦٦.

(١٢) المنبر الذي أرسله الملك الأشرف قايتباي الظاهر صاحب سنة ٨٧٧.

(١٣) المنبر الذي وصل إلى مكة فركب في جهة باب السلام و ذلك سنة ٨٧٩.

و عند إلقاء الخطبة يجر المنبر إلى المطاف فيخطب عليه.

(١٤) المنبر الذي عمله السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان من سلاطين آل عثمان، فإنه في سنة ٩٦٦ ست و ستين و تسعمائة بعث السلطان سليمان بهذا المنبر، المصنوع من الحجر الرخام الناصع البياض، و هو رشيق الصورة يقف كالدمية اللطيفة، تتجلى فيه روعة الفن و دقة الصنعة و اتقان التركيب بحيث أنه يعد الآن آية من آيات الفنون الجميلة، و أن أكثر ما يلفت نظر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٠٥

المدقق الخبير بالفنون الجميلة، النقوش العجيبة و الزخرفة البديعة المحفورة في نفس حجر الرخام، كيف أنهم حفروها فيه في ذلك الزمن الذي لم تستكمل فيه الصناعات الدقيقة جميع أدواتها و آلاتها، و لكن ذلك لا يستبعد على دولة آل عثمان و سلاطينهم الفخام، و هذه آثارهم في الحرمين الشريفين و غيرهما شاهدة على ما لهم من التقدم المطرد في الصناعات الدقيقة و الاختراعات العجيبة.

و لا يزال هذا المنبر إلى اليوم، و قد مر عليه أكثر من أربعمائة عام قويا متينا حافظا لرونقه و شكله الجميل، على أنه معرض للشمس و المطر و السيول و الغبار، آناء الليل و أطراف النهار، لأنه واقع قرب المطاف، لا يحجبه سقف و لا جدار، فهو بجوار مقصور مقام إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، بينه و بينها أربعة أمتار.

و عدد درجاته، من بابه إلى موضع جلوس الخطيب، أربع عشرة درجة و يبلغ طوله ٥٨٠ سنتيمترا و عرضه ١٨٦ سنتيمترا (هذا القياس أخذناه بأنفسنا).

أما مقدار ارتفاع هذا المنبر، من أرض المطاف إلى هلال قبته، فيبلغ اثني عشر مترا تقريبا، كما قاله الشيخ عبد الله باسلامة في كتابه، رحمه الله تعالى.

و كانت أول خطبة خطبت عليه هي خطبة عيد الفطر خطبها السيد أبو حامد النجاري أما تركيب الهلال عليه فقد كان سنة (١٠٢٠) أرسله السلطان أحمد خان فركب عليه.

انظر: صورة رقم ١٣٣، المنبر الحالي

و من عجب أمر هذا المنبر الجميل ما رواه الغازي، في تاريخه، نقلا عن كتاب "تحصيل المرام" و هذا نقلا عن تاريخ السيد مصطفى

بن سنان الشهير بجنايبي أنه قال "لما كانت سنة خمس و ستين و تسعمائة أمر الملك المجاهد، سليمان بن سليم خان، بعمل المنبر، الذى بالمسجد الحرام، و أن يعمل من رخام فى طرز بديع.

فلما حفروا مكان الأساس ظهر رجلان ميتان مدفونان بما عليهما من السلاح. و لم يفقد منهما شىء، فاختلف الناس فى أمرهما. و أما أنا فلم أشك فى كون أحدهما عبد الله بن عثمان، لأنه استشهد مع ابن الزبير و خفى أثره و دفن فى المسجد، خوفاً أن ينشبه أصحاب الحجاج، و الآخر عبد الله بن صفوان. " و العلم لله. انتهى من الغازى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٠٦

و الظاهر، و الله أعلم، أنه لم يعمل للمسجد الحرام منبر من حجر الرخام غير هذا المنبر، و كل ما تقدم ذكره من المنابر كانت من الخشب، لذلك كانت تتلف سريعاً. و سيبقى، هذا المنبر أيضاً، إلى ما شاء الله، لأنه من الحجر الرخام القوي، محكم الصنعة، راسخ الأساس. جزى الله واضعه فى المسجد الحرام خير الجزاء و غفر لنا و له آمين.

نقول: و قد نقل منبر المسجد الحرام الذى وضعته الدولة التركية العثمانية منذ مدة طويلة من مكانه الأصلي إلى الموضع الحالى و قد أخروه بضعة أمتار، إلى نحو سبعة أمتار تقريباً لتوسعة المطاف و ذلك سنة ١٣٨٣ هـ. و بمناسبة منبر المسجد الحرام نذكر استطراداً اتخاذ منبر لرسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة المنورة زيادة فى الفائدة، و إليك بيان ذلك:

### اتخاذ المنبر لرسول الله صلى الله عليه و سلم

بمناسبة ما ذكرناه عن منبر المسجد الحرام، نذكر هنا منبر رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة المنورة، و ذلك استطراداً للعلم و المعرفة فنقول و بالله تعالى التوفيق:

جاء فى كتاب "التراتب الإداري" بصحيفة ٦٧ من الجزء الأول ما نصه:

روى البخارى، عن جابر بن عبد الله، أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله صلى الله عليه و سلم: يا رسول الله! ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه. فإن لى غلاماً نجاراً، قال:

إن شئت، فعملت له المنبر فلما كان يوم الجمعة قعد النبي صلى الله عليه و سلم على المنبر الذى صنع له.

قال ابن بشكوال فى كتاب "ما انبهم من الأسماء" اسم هذا الغلام النجار مينا، قال: و يقال: إن الذى صنع المنبر لرسول الله صلى الله عليه و سلم مولى العاصى بن أمية صنعه من طرفاء ثلاث درجات، فلما قدم المدينة زاد فيه، و قيل صنعه ميمون النجار، و قيل صنعه صباح غلام العباس بن عبد المطلب، و ذكر ابن فتحون قبيصة المخزومي فى كتابه و قال هو الذى عمل غلامه منبر النبي صلى الله عليه و سلم.

و فى المقدمات لابن رشد، و فى سنة سبع، اتخذ النبي صلى الله عليه و سلم المنبر، و قيل فى سنة ثمان، عمله له سعد بن عباد، و قيل غلام لامرأة من الأنصار و قيل غلام للعباس بن عبد المطلب. قال ابن رشد: و لعلهم اجتمعوا كلهم على عمله. (زقلت) ترجم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٠٧

فى الإصابة إبراهيم النجار، فذكر عن الطبرانى فى الأوسط عن جابر أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يخطب إلى جذع فذكر الحديث فى اتخاذ المنبر و فيه فدعا رجلاً فقال: ما اسمك؟ قال: إبراهيم، قال: جد (خد) فى صنعته، استدركه أبو موسى و قال فى رواية أخرى أن اسم النجار باقوم، فيحتمل أن يكون إبراهيم اسمه و باقول لقبه، قال الحافظ: على تقدير الصحة و إلفى الإسناد العلاء بن سلمة الرواسى و قد كذبه.

و ترجم فى الإصابة به الباقوم المذكور، فذكر أنه بالميم، و يقال باللام، و وصفه بالنجار. ثم نقل أن باقوم النجار كان رومياً و هو الذى بنى لقريش الكعبة - انظر ص ١٤١- و ترجم فيها أيضاً لكلا مولى العباس بن عبد المطلب فذكر أن ابن سعد خرج بسند فيه

الواقدي، عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يخطب إلى جذع في المسجد قائما، فقال: إن القيام قد شق علي. فقال له تميم الداري: ألا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام؟ فشاور المصطفى المسلمين في ذلك فرأوا أن يتخذوه، فقال العباس بن عبد المطلب: أن غلاما، يقال له كلاب، اعلم الناس. فقال: مره أن يعمل. وفي صبح الأعشى أول من عمل المنبر تميم الداري، عمله للنبي صلى الله عليه وسلم و كان قد رأى منبر الكنائس بالشام ه.

قال الحافظ السيوطي في التوشيح على قول المصطفى: مر غلامك النجار يعمل لي أعواد ما نصه: هل صانعه ميمون و صحح، أو باقول بلام، أو باقوم بميم، أو صباح بصاد فموحدة كغراب، أو قبيصة أو كلاب مولى العباس، أو تميم الداري، أو ميناء بميم فنون فهمز كميقات، تسعة أقوال و هل في سنة سبع أو ثمان ه.

و أنشد محدث الشام، الشيخ عبد الباقي الحنبلي الأثري، في ثبته "رياض الجنة" لشيخه محدث الشام نجم الدين الغزي الشافعي قوله:

صانع منبر المدينة الذي كان عليه يخطب النبي

صلى و سلم عليه دائما إلهنا المهيم العلي

قيل اسمه ميمون أو باقول أو باقوم أو تميم الداري

وقيل إبراهيم أو قبيصة والقول الأول هو القوى

قال الشيخ عبد الباقي و زدت متبعا فقلت مينا:

صباح قيصر بأقدمهم كلامهم أرفى هو القوى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٠٨

ثم قال في التوشيح، و كان ثلاث درجات، إلى أن زاده مروان، في خلافة معاوية، ست درجات، بسبب أن معاوية كتب إليه أن يحمله إليه، فقلعه، فأظلمت طيبة، و كسفت الشمس، حتى رأوا النجوم فخرج مروان فخطب فقال: إنما أمرني أمير المؤمنين لأن أرفعه، فدعا نجارا فزاده الست، فقال إنما زدت به أذكر الناس أخرجه الزبير بن بكار في أخبار طيبة من طرق، قال ابن النجار فاستمر على ذلك إلى أن أحرق المسجد النبوي سنة ٦٥٤ فاحترق، فكان إشارة إلى زوال دولة بني العباس إذ انقضت عقبه بقليل في فتنة التتر ه.

انظر: صورة رقم ١٣٤، المنبر القديم

و في المنهل الأصفاء، أنه احترق أول ليلة من رمضان عام ٦٥٤، و كان ذلك أعظم المصائب على الناس. و للحافظ محمد بن ناصر الدين الدمشقي تأليف سماه «عرف العنبر في وصف المنبر» ذكره له الروادني في صلته انظره.

(فائدة) في التوشيح للأسيوطي: كان اليهود يسمون الأسبوع كله سبتا و قد وقع ذلك في حديث أنس في الاستسقاء فحدث في الإسلام تسميته جمعة نظرا لليوم الأشرف. (زقلت). جاء في تاريخ الأزرقى ما نصه: حدثنا أبو الوليد قال:

حدثني جدي، عن الزنجي، عن عمرو بن دينار، قال: رأيت منبر النبي صلى الله عليه وسلم في زمان ابن الزبير ببطن عرفة حيث يصلى الإمام الظهر و العصر عشية عرفة، مبنيا بحجارة صغيرة، قد ذهب به السيل، فجعل ابن الزبير منبرا من عيدان. انتهى.

و جاء في تاريخ الخميس ما نصه: و في هذه السنة، على ما في أسد الغابة، أو السابعة أو التاسعة من الهجرة اتخذ المنبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أثل الغابة. و في رواية من طرفاء الغابة. روى أنه صلى الله عليه وسلم بنى مسجده سقوفا على جذوع النخل، و كان إذا خطب يقوم إلى جذع من جذوعه، فصنع له منبر. و في خلاصة الوفاء: أشهر الأقوال أن الذي صنع المنبر باقوم بموحدة وقاف، و هو باني الكعبة لقريش.

وقيل: باقول باللام بدل الميم. و أشبه الأقوال بالصواب ما قاله الحافظ ابن حجر أنه ميمون. وقيل: صباح غلام العباس وقيل: غلامه كلاب وقيل: ميناء غلام امرأة من الأنصار و نقل ابن النجار، عن الواقدي، أنه درجتان و مجلس. و للدارمي في صحيحه، عن أنس، فصنع له منبر له درجتان و يقعد على الثالثة. و في رواية للدارمي هذه المراقى الثلاث أو الأربع على الشك. و في صحيح مسلم، هذه



الثلاث درجات من غير شك، فأطلق على المجلس درجة. و ليحيى عن ابن أبي الزناد أن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٠٩

النبي صلى الله عليه و سلم كان يجلس على المجلس و يضع رجليه على الدرجة الثانية، فلما ولى أبو بكر قام على الدرجة الثانية، و وضع رجليه على الدرجة السفلى. فلما ولى عمر قام على الدرجة السفلى، و وضع رجليه على الأرض. فلما ولى عثمان فعل ذلك ست سنين من خلافته، ثم علا إلى موضع النبي صلى الله عليه و سلم و لما استخلفت معاوية، زاد في المنبر، فجعل له ست درجات. و كان عثمان أول من كسا المنبر قטיפه، و عن أبي الزناد، قال: فسرت الكسوة امرأة. فأتى بها عثمان، فقال لها: هل سرت؟

قولى الحق. فاعترفت فقطعها. قالوا: فلما قدم معاوية، عام حج، حرك المنبر، و أراد أن يخرج به إلى الشام، إلى دمشق، فكسفت الشمس يومئذ حتى رؤيت النجوم فاعتذر معاوية إلى الناس و قال: أردت أن أنظر إلى ما تحته، و خشيت عليه من الأرضية. قال بعضهم كساه يومئذ قטיפه أو لينة. و فى رواية، أن معاوية كتب إلى مروان بذلك، فقلعه، فأصابتهم ريح فظلمة، بدت فيها النجوم نهارا و يلقي الرجل الرجل يصكه و لا يعرفه. فقال مروان إنما كتب إلى أن أصلحه، فدعا النجارين فعمل هذه الدرجات. و رفعوه عليها و هى، يعنى الدرجات، التى زاداها ست درجات. و لم يزد فيه أحد قبله و لا بعده. و فى تاريخ الواقدي، أراد معاوية سنة خمسين تحويل منبر رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى دمشق الشام فكسفت الشمس يومئذ.

و كلمه أبو هريرة فيه فتركه. فلما كان عبد الملك أراد ذلك فكلمه قبيصة فتركه.

فلما كان الوليد أراد ذلك فأرسل سعيد ابن المسيب إلى عمر بن عبد العزيز فكلمه فتركه فلما كان سليمان قيل له فى تحويله فقال لاه الله أخذنا الدنيا و نعمد إلى علم من أعلام السلام نريد تحويله، ذاك شىء لا أفعله. و ما كنت أحب أن يذكر هذا عن عبد الملك و لا عن الوليد و ما لنا و لهذا. قال ابن النجار، فيما رواه عن أبي الزناد، أنه صار بما زاد فيه مروان تسع درجات بالمجلس. فلما قدم المهدي قال لمالك أريد أن أعيد على حاله فقال له مالك إنما هو من طرفاء الغابة، و قد سمر إلى هذه العيدان، و شد فمتى نزعت خفت أن تتهافت. فانصرف المهدي عن ذلك.

قال ابن زياد و طول منبر النبي صلى الله عليه و سلم خاصة ذراعان فى السماء و عرضه، أى عرض مقعده، ذراع فى ذراع، و تريعه سواء، و عرض درجه شبران، لأن كل درجة شبر، و أن طول المنبر من السماء بعدما زاد فيه أربعة أذرع و صار امتداده فى الأرض سبعة أذرع بتقديم السنين، باضافة عتبة الدكة الرخام، التى المنبر فوقها، و تلك العتبة ذراع. فامتداد المنبر بدونها ستة أذرع. انتهى. و عن جابر بن عبد الله الأنصارى أنه قال: كان المسجد مستقوفا على جذوع نخل و كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤١٠

خطب يقوم إلى جذع منها كما مر و كانت امرأة من الأنصار اسمها عائشة، و كان لها غلام نجار اسمه باقوم الرومى، قالت يا رسول الله: إن لى غلاما نجارا أفلا أمره يتخذ لك منبرا تخطب عليه؟ قال: بلى فأمرته، فاتخذ له منبرا. انتهى. من تاريخ الخميس.

جاء فى كتاب «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» فى الجزء السادس بصحيفة (٥٠٥) ما نصه: و قد روى أبو نعيم حليته فى ترجمة الإمام مالك أن هارون الرشيد استشار مالكا فى أن ينقص منبر النبي صلى الله عليه و سلم و يجعله من جوهر و ذهب و فضة فقال له مالك لا أرى أن تحرم الناس أثر النبي صلى الله عليه و سلم. انتهى منه.

### حين الجذع

جاء فى تاريخ الخميس بعد الكلام على اتخاذ المنبر لرسول الله صلى الله عليه و سلم ما نصه:

و فى رواية سأله رجل عن اتخاذ المنبر فأجابه إليه. و فى هذه الرواية صنع له ثلاث درجات، فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر، قال جابر: سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار. و فى خلاصة الوفاء اضطربت تلك السارية كحنين الناقه الخلوج، أى التى انتزع

ولدها. قال عياض: حديث حنين الجذع مشهور والخبر به متواتر أخرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضع عشر. وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية أن كائنين الصبي وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به. وفي رواية المطلب، حتى تصدع وانشق، حتى جاءه النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت. وفي رواية فنزل النبي صلى الله عليه وسلم ويمسحه بيده حتى سكن أو سكت كالصبي، الذي يسكت ثم رجع إلى المنبر وزاد غيره فقال: قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أبكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسى بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر. هكذا في حديث المطلب. وفي حديث أبي بن كعب، فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليه، فلما هدم المسجد وغير، أخذ ذلك الجذع أبي، وكان عنده في تلك الدار، إلى أن بلى وأكلته الأرضة و عاد رفاتا. وذكر الاسفرايني أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه فجاءه يخرق الأرض، فالتزمه، ثم أمره فعاد إلى مكانه. وفي حديث بريدة قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقتك ويكمل خلقك ويجد ذلك خوصك وتحرك، وإن شئت أغرسك في الجنة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤١١

فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقول فقال: بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله فأكون في مكان لا أبلى فيه يعني، في الجنة فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد فعلت. ثم قال: قد اختار دار البقاء على دار الفناء.

أورده في الشفاء وفي خلاصة الوفا اعتمد المطري في بيان محل الجذع على ما روى ابن زباله، فقال: وكان هذا الجذع عن يمين مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصقا بجدار المسجد القبلي، في موضع كرسى الشمعة اليمنى، التي توضع عن يمين الإمام المصلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم والأسطوانة التي قبلي الكرسى متقدمة على موضع الجذع فلا يعتمد على قول من جعلها في موضع الجذع.

### ترجمة معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه

#### إشارة

بمناسبة ما تقدم ذكره، نأتى بشيء يسير من ترجمته، رضى الله عنه، فقد أسلم معاوية يوم الحديبية و كتم اسلامه عن أبيه و أمه، حتى أظهره يوم فتح مكة.

وقيل بعد الحديبية. وهو من أشرف الصحابة نسبا، جاهلياً وإسلاماً، فإنه من أكابر قريش و يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف، لأن عبد مناف له أربعة أولاد وهم: هاشم جد النبي، عليه الصلاة والسلام، والمطلب جد الشافعي، و نوفل، و عبد شمس، جد عثمان و معاوية، رضى الله عنهما. وكان والد معاوية أبو سفيان من أكابر مكة و أشرفها و كان يحب الفخر في قومه، و من هنا قال صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» و ذلك زيادة في تشريفه.

و كان معاوية، رضى الله عنه، أحد كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صح في مسلم وفي غيره. فقد كان حسن الكتاب، فصيحاً حليماً وقوراً. نقل القاضي عياض، رحمه الله تعالى، أن رجلاً قال للمعاوية بن عمران: أين عمر بن عبد العزيز من معاوية؟ فغضب غضباً شديداً وقال لا يقاس بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد.

معاوية صاحبه و صهره و كاتبه و أمينه على وحي الله. اه.

روى الترمذى و قال أنه حديث حسن: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لمعاوية فقال:

«اللهم اجعله هاديا مهديا» و لا شك أن جميع أديعته، عليه الصلاة والسلام، لأمته، لا سيما لأصحابه، مستجابة.

و أن أم المؤمنين أم حبيبة، رضى الله عنها، زوجة النبي صلى الله عليه و سلم هي أخت معاوية، فصار بذلك صهرا له، عليه الصلاة والسلام، و هو داخل في قوله صلى الله عليه و سلم:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤١٢

«دعوا أصحابي و أصهارى، فإن من حفظنى فيهم كان معه من الله حافظ، و من لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه، و من تخلى الله عنه يوشك أن يأخذه». رواه الإمام الحافظ أحمد بن منيع.

و لقد بشره صلى الله عليه و سلم بالخلافة، فقد روى أبو بكر بن أبى شيبه بسنده إلى معاوية، رضى الله عنه، أنه قال: ما زلت أطمع فى الخلافة منذ قال لى رسول الله صلى الله عليه و سلم «إذا ملكت فأحسن». و أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولى معاوية دمشق الشام، فمكث بها مدة خلافته. و كذلك فعل معه أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضى الله تعالى على الجميع. و لقد أقام معاوية مدة طويلة فى عهد عمر و فى عهد عثمان فى إمارته على دمشق الشام، فلم يشك أحد منه و لا اتهمه بظلم مع كثرة شكايه أهل الأقطار من ولاتهم.

و فى سنة إحدى و أربعين من الهجرة تنازل الحسن بن على أبى طالب، رضى الله عنهما، عن الخلافة و سلم الأمر إلى معاوية، رضى الله عنه، تورعا قطعاً للشر و إطفاء للفتنة، فسمى هذا العام، عام الجماعة، لاجتماع الأمة بعد الفرقة على خليفة واحد.

هذا و لقد رأينا أن نقل ترجمة معاوية، رضى الله تعالى عنه، من كتب الأحاديث، لأنها أصح و أقوى ترجمة من غيرها من الكتب، و لقد وقع اختيارنا فى النقل على كتاب «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» فقد جاء فى الجزء السادس منه عن ترجمته ما يأتى: أما معاوية، رضى الله تعالى عنه، فهو ابن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى، أمير المؤمنين، و أول الملوك فى الإسلام، و قد ولد قبل البعثة بخمس سنين و قيل بسبع و قيل بثلاث عشرة و الأول عشرة و الأول أشهر، و قد حكى الواقدي أنه أسلم بعد الحديبية، و كتم اسلامه حتى أظهره عام الفتح. و انه كان فى عمره القضاء مسلماً، و يعارض هذا ما ثبت فى الصحيحين عن سعد بن أبى وقاص أنه قال: فى العمرة فى أشهر الحج فعلناها.

و هذا يومئذ كافر، يعنى معاوية. و قال الحافظ، فى الإصابة: يحتمل إن ثبت الأول أن يكون سعد أطلق ذلك بحسب ما استصحب من حاله، و لم يطلع على أنه كان أسلم لإخفائه لإسلامه أى عن أبويه. و قد أخرج أحمد من طريق محمد بن على بن الحسين، عن ابن عباس، أن معاوية قال: قصرت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم عند المروة،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤١٣

و أصل الحديث فى البخارى من طريق طاوس عن ابن عباس بلفظ قصرت بمشقص و لم يذكر المروة، و ذكر المروة بعين أنه كان معتمراً. لأنه كان فى حجة الوداع حلق بمنى، كما ثبت فى الصحيحين، عن أنس، و أخرج البغوى من طريق محمد بن سلام الجمحى، عن ابان بن عثمان، كان معاوية بمنى و هو غلام مع أمه إذ عثر فقالت: قم لا رفعك الله. فقال لها اعرابى: لم تقولين له هذا؟ و الله إنى لأراه سيسود قومه. فقالت: لا رفعه الله أن لم يسد إلا قومه.

قال أبو نعيم: كان من الكتبة الحسبة الفصحاء حليما وقورا، و عن خالد بن معدان، فى صفته، أنه كان طويلا أبيض أجلح. و قد صحب النبى، صلى الله عليه و آله و سلم، و كتب له. و ولاه عمر الشام بعد أخيه يزيد بن معاوية بن أبى سفيان و أقره عثمان. ثم استمر فلم يبايع عليا، ثم حاربه و استقل بالشام. ثم أضاف إليها مصر، ثم تسمى بالخلافة، بعد الحكمين، ثم استقل لما صالح الحسن، و اجتمع عليه الناس، فمسى ذلك العام، عام الجماعة. و أخرج البغوى من طريق مبارك ابن فضالة، عن أبيه، عن على بن عبد الله، عن عبد الملك بن مروان قال:

عاش ابن هند، يعنى معاوية، عشرين سنة أميرا و عشرين سنة خليفة، و به جزم محمد بن إسحاق، قال الحافظ، فى الإصابة: و فيه تجوز

لأنه لم يكمل في الخلافة عشرين إن كان أولها قتل على، كرم الله وجهه، و إن كان أولها تسليم الحسن بن علي له فهي تسع عشرة سنة إلا يسيرا.

و في صحيح البخارى، عن عكرمة قلت لابن عباس: أن معاوية أوتر بركعة فقال: إنه فقيه. و في رواية أنه قد صحب رسول الله صلى الله عليه و سلم. و حكى ابن سعد، أن معاوية كان يقول: لقد أسلمت قبل عمره القضية، و لكنى كنت أخاف أن أخرج إلى المدينة، لأن أمة كانت تقول: إن خرجت قطعنا عنك القوت. و ذكر ابن سعد، عن المدائني، قال: نظر أبو سفيان إلى معاوية، و هو غلام، فقال: إن ابني هذا لعظيم الرأس و أنه لخليق أن يسود قومه فقالت هند قومه فقط ثكلته أن لم يسد العرب قاطبة.

و قال المدائني: كان زيد بن ثابت يكتب الوحي، و كان معاوية يكتب للنبي صلى الله عليه و آله و سلم فيما بينه و بين العرب و في مسند أحمد و أصله في مسلم عن ابن عباس قال: قال لى النبي صلى الله عليه و سلم: ادع لى معاوية و كان كاتبه. قال الحافظ ابن عبد البر: ولى عمر، رضى الله تعالى عنه، معاوية على الشام، عند موت أخيه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤١٤

يزيد. و قال صالح ابن الوجيه: فى سنة تسع عشرة كتب عمر إلى يزيد بن أبى سفيان يأمره بغزو قيسارية، فغزاها، و بها بطارقة الروم، فحاصرها أياما، و كان بها معاوية أخوه فتخلفه عليها و سار يزيد إلى دمشق، فأقام معاوية على قيسارية، حتى فتحها، فى شوال سنة تسع عشرة. و توفى يزيد فى ذى الحجة من ذلك العام فى دمشق. و استخلف أخاه معاوية على عمله، فكتب إليه عمر بعهدة على ما كان يزيد يلى من عمل الشام و رزقه ألف دينار فى كل شهر. هكذا قال صالح بن الوجيه و خالفه الوليد بن مسلم.

و نقل ابن عبد البر، فى الاستيعاب، عن أبى إسماعيل محمد بن عبد الله البصرى، قال: جزع عمر على يزيد جزعا شديدا، و كتب إلى معاوية بولايته على الشام.

فأقام أربع سنين و مات عمر، رضى الله تعالى عنه، فأقره عثمان عليها، فى اثنتى عشرة سنة إلى أن مات. ثم كانت الفتنة فحارب معاوية عليا خمس سنين اه.

قال ابن عبد البر: صوابه أربع سنين. و قال غيره: ورد البريد، بموت يزيد، على عمر، رضى الله تعالى عنه، و أبو سفيان بن حرب عنده، فلما قرأ الكتاب بموت يزيد قال لأبى سفيان: أحسن الله عزاءك فى يزيد و رحمه. ثم قال له أبو سفيان: من وليت مكانه يا أمير المؤمنين؟ قال: أخاه معاوية. قال: وصلتك رحم يا أمير المؤمنين. و قال عمر، رضى الله تعالى عنه، إذ دخل الشام و رأى معاوية:

هذا كسرى العرب. و كان قد تلقاه معاوية فى موكب عظيم، فلما دنا منه، قال له: أنت صاحب الموكب العظيم؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: مع ما يبلغنى عنك، من وقوف ذوى الحاجات ببابك؟ قال: مع ما يبلغك من ذلك. قال: و لم تفعل هذا؟ قال: نحن بأرض جواسيس العدو بها كثير، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به، فإن أمرتنى فعلت، و إن نهيتنى انتهيت. فقال لمعاوية: ما أسألك عن شىء إلا تركتنى فى مثل رواجب الضرس، إن كان ما قلت حقا إنه لرأى أريب، و إن كان باطلا إنه لخدعة أديب. قال: فمرنى يا أمير المؤمنين. قال:

لا آمرك و لا أنهاك، فقال عمرو: يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر الفتى عما أوردته فيه. قال: لحسن مصادره و موارد جشمناه ما جشمناه. و ذم معاوية عند عمر يوما فقال: دعونا من ذم فتى قريش، من يضحك فى الغضب و لا ينال ما عنده إلا على الرضا، و لا يؤخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه. روى جبله بن سحيم عن ابن عمر قال: ما رأيت أحدا بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم أسود من معاوية،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤١٥

فقيل له فأبو بكر و عمر و عثمان و على رضى الله عنهم، فقال: كانوا و الله خيرا من معاوية، و كان معاوية أسود منهم و قيل لنافع: ما بال ابن عمر بايع معاوية و لم يبايع عليا؟ فقال: كان ابن عمر لا يعطى يدا فى فرقة و لا يمنعها من جماعة و لم يبايع معاوية حتى

اجتمعوا عليه.

و أخرج أبو يعلى فى مسنده عن سويد بن شعبة بإسناده إلى معاوية، قال:

اتبعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بوضوء، فلما توضأ نظر إلى، فقال:

يا معاوية: إن وليت أمرا فاتق الله واعدل. فما زلت أظن أنى مبتلى بعمل. قال الحافظ فى الإصابة: و سويد فيه مقال، و قد أخرجه البيهقى فى الدلائل من وجه آخر. اه. و قيل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له: إن ملكك فاعدل، و أخرج ابن سعد عن أحمد بن محمد الأزرقى، عن عمرو بن يحيى بن سعيد، عن جده قال: دخل معاوية على عمر بن الخطاب و عليه حلة خضراء فنظر إليه الصحابة. فلما رأى ذلك عمر، قام و معه الدرّة، فجعل ضربا بمعاوية، و معاوية يقول: الله، الله، يا أمير المؤمنين. فيم فيم؟ فلم يكلمه حتى رجع فجلس فى مجلسه، فقالوا له: لم ضربت الفتى و ما فى قومك مثله؟ فقال: ما رأيت إلا خيرا و ما بلغنى إلا خيرا، و لكنى رأيت، و أشار بيده يعنى إلى ما فوق، فأردت أن أضع منه. و ذكر الحافظ بن حجر فى الإصابة بإسناد قوى، من كتاب الزهد، لابن المبارك أن معاوية خرج إلى الحج مع عمر بن الخطاب، و كان من أجمل الناس فقال له عمر فى مراجعة بينهما: سأحدثك ما بك الطافك نفسك بأطيب الطعام و تصبحك حتى تضرب الشمس متنيك و ذوو الحاجات وراء الباب. قال أسلم، مولى عمر، حتى جئنا ذا طوى فأخرج معاوية حلة فلبسها، فوجد عمر منها ريحا كأنه ريح طيب، فقال:

يعمد أحدكم فيخرج حاجا تفلأ، حتى إذا جاء أعظم بلدان الله حرمة، أخرج ثوبه، كأنهما كانا فى الطيب فلبسهما، فقال معاوية: إنما لبستهما لأدخل بهما على عشيرتى، يا عمر و الله لقد بلغنى، إذاك، هاهنا، و بالشام. فالله يعلم أنه لقد عرفت الحياء فى عمر. فترع معاوية الثوبين و لبس ثوبيه اللذين أحرم فيهما. و فى تاريخ البخارى، عن معمر، عن همام بن منبه، قال: قال ابن عباس: ما رأيت أحدا أحلى للملك من معاوية. و نسب الحافظ فى الإصابة لابن أبى الدنيا أن عمر بن الخطاب قال: إياكم و الفرقة بعدى فإن فعلتم فاعلموا أن معاوية بالشام. فإذا و كلمتم إلى رأيكم كيف يستبزه منكم. انتهى من كتاب زاد المسلم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤١٦

### نبذة عن عادات معاوية رضى الله تعالى عنه و هو خليفة

جاء فى الجزء الثانى من تاريخ المسعودى المسمى "مروج الذهب و معادن الجواهر" عن بعض أخلاق و عادات معاوية بن أبى سفيان، رضى الله تعالى عنه، ما نصه:

كان من أخلاق معاوية أنه كان يأذن فى اليوم و الليلة خمس مرات. كان إذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه، ثم يدخل فيؤتى بمصحفه فيقرأ جزأه، ثم يدخل إلى منزله فيأمر و ينهى، ثم يصلى أربع ركعات، ثم يخرج إلى مجلسه فيأذن لخاصة الخاصة فيحدثهم و يحدثونه، و يدخل عليه وزراؤه، فيكلمونه، فيما يريدون من يومهم إلى العشى، ثم يؤتى بالغداء الأصغر و هو فضلة عشائه من جدى باردا و فرخ أو ما يشبهه، ثم يتحدث طويلا ثم يدخل منزله لما أراد، ثم يخرج فيقول: يا غلام أخرج الكرسى. فيخرج إلى المسجد فيوضع فيسند ظهره إلى المقصورة، و يجلس على الكرسى، و يقوم الأحداث، فيتقدم إليه الضعيف و الأعراض و الصبى و المرأة و من لا أحد له، فيقول: ظلمت، فيقول: أعزوه.

و يقول: عدى على. فيقول: ابعثوا معه. و يقول: صنع بى. فيقول: انظروا فى أمره، حتى إذا لم يبق أحد، دخل فجلس على السرير، ثم يقول ائذنوا للناس، على قدر منازلهم، و لا يشغلنى أحد عن رد السلام، فيقال: كيف أصبح أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، فيقول: بنعمة من الله. فإذا استنوا جلوسا قال: يا هؤلاء إنما سميتم أشرافا لأنكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس. ارفعوا إلينا حوائج من لا يصل إلينا، فيقوم الرجل فيقول: استشهد فلان. فيقول: افرضوا لولده، و يقول آخر: غاب فلان عن أهله. فيقول: تعاهدوهم، أعطوهم، افضوا حوائجهم، اخدموهم، ثم يؤتى بالغداء، و يحضر الكاتب، فيقوم عند رأسه و يقدم الرجل فيقول له: اجلس على المائدة. فيجلس

فيمد يده، فيأكل لقمتين أو ثلاثاً، والكاتب يقرأ كتابه فيأمر فيه بأمر. فيقال يا عبد الله اعقب فيقوم ويتقدم آخر، حتى يأتي على أصحاب الحوائج كلهم .. وربما قدم عليه من أصحاب الحوائج أربعون أو نحوهم على قدر الغداء، ثم يرفع الغداء، ويقال للناس أجزوا فينصرفون. فيدخل منزله فلا يطعم فيه طامع حتى ينادى بالظهر، فيخرج فيصلى ثم يدخل فيصلى أربع ركعات. ثم يجلس، فيأذن لخاصة الخاصة، فإن كان الوقت وقت شتاء أتاهم بزاد الحاج من الأخبصة اليابسة والخشكانج والأقراص المعجونة التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤١٧

باللبن و السكر من دقيق السميد و الكعك المنضد و الفواكه اليابسة، و إن كان وقت الصيف أتاهم بالفواكه الرطبة. و يدخل إليه وزراؤه فيؤامرونه فيما احتاجوا إليه بقيه يومهم. و يجلس إلى العصر، ثم يخرج فيصلى العصر، ثم يدخل منزله فلا يطعم فيه طامع حتى إذا كان في آخر أوقات العصر خرج، فجلس على سريره، و يؤذن للناس، على منازلهم، فيؤتى بالعشاء فيفرغ منه مقدار ما ينادى بالمغرب و لا ينادى له بأصحاب الحوائج. ثم يرفع العشاء و ينادى بالمغرب، فيخرج فيصليها ثم يصلي بعدها أربع ركعات يقرأ في كل ركعة خمسين آية يجهر تارة و يخافت أخرى، ثم يدخل منزله فلا يطعم فيه طامع حتى ينادى بالعشاء الآخرة فيخرج فيصلي، ثم يؤذن للخاصة و خاصة الخاصة و الوزراء و الحاشية، فيؤامره الوزراء فيما أرادوا صدرا من ليلتهم، و يستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب و أيامها، و العجم و ملوكها و سياستها لرعيتهما، و سائر ملوك الأمم و حروبها و مكايدها و سياستها لرعيتهما، و غير ذلك، من أخبار الأمم السالفة، ثم تأتيه الطرف الغربية من عند نسائه من الحلوى و غيرها من المآكل اللطيفة. ثم يدخل فينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد، فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك و أخبارها و الحروب و المكايده، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون و قد و كلوا بحفظها و قراءتها، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار و السير و الآثار و أنواع السياسات، ثم يخرج فيصلي الصبح ثم يعود فيفعل ما وصفنا في كل يوم.

و قد كان هم بأخلاقه جماعة بعده، مثل عبد الملك بن مروان و غيره، فلم يدركوا خلقه و لا إتقانه للسياسة، و لا التأنى للأمر و لا مداراته للناس على منازلهم و رفقه بهم على طبقاتهم. انتهى من الكتاب المذكور.

### بعض أعمال معاوية رضي الله تعالى عنه بمكة

كتب الأستاذ السيد أحمد علي بمجلة الحج بتاريخ شوال سنة ١٣٧٧ هـ عن بعض الأعمال، التي قام بها معاوية، رضي الله تعالى عنه، ببلد الله الأمين "مكة" و فيما يلي نص عبارته:  
نظم أمير المؤمنين معاوية في عهد خلافته أمر إمارة الحرم، بتخصيص أموال، من بيت مال المسلمين، لشراء قناديل و زيت و ما يلزم لهما.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤١٨  
و جاء، سنة حجة، بمنبر صغير للحرم، من الشام، و خطب عليه. فكان أول خطيب خطب بحرم مكة على منبر. و كان الخطباء من قبله يخطبون يوم الجمعة قائمين عند وجه الكعبة على الأرض.  
و عمر دار الندوة للنزول فيها إذا حج، ثم صارت مقر نزول الخلفاء الأمويين من بعده إذا قدموا للحج. و أمر بتجديد أنصاب الحرم فكتب إلى عامله بمكة أن يستعين بمحرز بن علقمة، إذا كان حيا، في تحديد معالم الحرم بدقة ففعل.  
و خصص، لخدمة الكعبة، عبيدا بعث بهم من الشام. و اتخذ الخلفاء من بعده إرسال عدد من العبيد كخدم للكعبة، عادة لهم، و رتب لها من يقوم بتطيبها عند كل صلاة من الأطياب المختلفة، التي كان يبعث بها من الشام، في موسم الحج و في شهر رجب.  
و كسيت الكعبة، في عهده، بأمره مرتين في السنة. كسيت بالديباج يوم عاشوراء و بالقباطي في آخر شهر رمضان. و اهتم، رضي الله عنه، بأمر توفير المياه في مكة و أطرافها فأجرى عشر عيون، كلها في أعلى مكة، في المنطقة الممتدة بين حراء إلى الجعفرية المعروفة

الآن، و عين واحدة أجزاها بأسفل مكة. و اتخذ عند كل عين منهلا يرده الأهالي و الحجاج و مزرعة كبيرة و نخيلا. و عنى كذلك بأمر العمران فعمر و اشترى فى الأرض المرتفعة الواقعة بين المروة و القرارة و السوقية عشر قصور منها: دار البيضاء و سميت بهذا الاسم لأنها طليت بالجص الأبيض، و بجوارها "دار الرقطاء" بهذا الاسم لأنها بنيت بالأجر الأحمر و الجص الأبيض، و دار المراحل مخزنا لقدور عظيمه من صفر، يطبخ فيها الطعام للحجاج فى موسم الحج، و فى شهر رمضان لفقراء مكة، و دار بالمسفله، بناها غلام معاوية سعد القصير بحجارة منقوشة فيها صور و أشجار. و يخترق هذه الدار طريق واسع تمر به المحامل و الهوادج، و دار الحدادين، بسوق الليل حيث كانت سوق الفاكهه و الرطب. عرفت باسم دار مال الله، و كانت كالمستشفى مقرا للمرضى، و فى المدعا حيث دار أبى سفيان، كانت رحبة واسعة ترد اليهما القوافل القادمة من السراة و الطائف و الناقلة للحبوب و السمن و العسل. ثم اقطعها معاوية لزياد بنى فيها دارا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤١٩

و أمر معاوية بإرسال نفر من النبط الموجودين بمكة إلى عرنه بعرفات، لعمل الأجر لقصوره و بناياته التى شيدها فى مكة. و عرفت تلك الأرض فيما بعد "باضاء النبط".

هذه لمحاه تصويرية لناحية من نواحي مكة فى عهد الخليفة معاوية، رضى الله عنه، يستطيع الباحث أن يرى من خلالها مكة فيجدها عبارة عن واحات صغيرة انتشرت فى أعلاها، و مناهل يردها الناس و كلها بعيدة عن الحرم، و بها أسواق تباع فيها الفاكهه و الحبوب و العسل و السمن، تنقلها القوافل من الطائف و بلاد السراة، و الروائح الزكية تتصاعد عند كل صلاة من عند الكعبة، و قصور تشرف على الحرم من ناحية مرتفعات المروة. و تجلب كميات الأجر الأحمر من وادى عرنه. انتهى من المجلة المذكورة.

### عدل معاوية و قوة سلطانه

جاء فى كتاب "مثل عليا من قضاء الإسلام" تأليف الأستاذ محمود الباجى عن عدل معاوية، رضى الله عنه، و قوة نفوذ حكمه ما نصه: خرجت الكتيبة الفدائية العاشرة بأمر من الخليفة معاوية، رضى الله تعالى عنه، و طبق خطة وضعتها قيادة السواحل، و كان من بين رجال الكتيبة وضاح بن مسلمة القرشى. و هو بطل من أبطال حرب المكامن و فدائي مغامر لا يستطيع المقام. و لا تغلق دونه الأبواب. و توغل الفدائيون فى أرض العدو يغيرون و يجمعون المعلومات الدقيقة عن الاستحكامات و حركات الجيوش. و مضاربها. و طبيعة الأرض. و مواقعها الهامة. و الحالة الفكرية التى عليها السكان. و مكامن الضعف و القوة فى جهاز الدولة. و سرعان ما افتضح أمر هؤلاء الأغراب عن البلاد فأسرع البعض منهم و اختفى الباقون. غير أن فدائيا من الفارين جعل يتتبع حركات إخوته المقبوض عليهم ليقدم بذلك بيانا للقيادة العامة.

مثل الفدائيون العرب أمام ملك الروم. و باشر بنفسه بحثهم و جعل يسألهم عن برامج القيادة العربية العامة، و عن الغاية من حركة التوسع التى يقوم بها الجيش العربى، و عن المبادئ الأساسية التى يقوم عليها نظام الدولة. و احتدم الجدل بين الملك و بين وضاح بن مسلمة الذى كان يتزعم الفرقة المقبوض عليها و اندس الفدائي الفارين بين الحاضرين يستمع إلى ما يدور بين الملك و زعيم الفرقة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٢٠

صرح وضاح فيما صرح به أمام الملك بأن جيش معاوية قائم برسالة إنسانية لا حدود لها. و لا يقف دونها بحر و لا يابسه، و أنه مكلف خاصة بتطهير المجتمع البشرى، من جشع الإقطاع، و عدوان الملوك و رؤساء الكنائس، و كان رئيس البطارقة واقفا إلى جانب الملك فتحمس و دفعه الغضب إلى الاعتداء على وضاح فلكنه على وجهه لطما مهينا موجعا، و ثارت فى الأسير الكريم أريحته القرشية.

و عزته العربية فصاح قائلا: وا إسلاماه...!!

أين أنت عنا يا معاوية!.

أهملتنا وضيبت ثغورنا. و حكمت العدو فينا.

انقلب الفتى الفدائي الذي كان يشهد هذا الاعتداء عائدا إلى دمشق و أعلم الخليفة بما حدث و أكد له أن وضاحا ما يزال في الأسر. و بادر الخليفة باستدعاء رجل من ساحل دمشق، من مدينه صور، و كان عارفا بالأقاليم المجاورة، كثير الغزوات في البحر، صمل عظيم الحيلة بارع التصرف، يجيد التكلم باللغة الرومية كأحد أبنائها، و جهّز له سفنا تجارية. و أعطاه مالا كثيرا و أوعز له أن يتظاهر بالاتجار مع القسطنطينية. و أن يعمل على إيقاع البطريق الذي اعتدى على الفدائي و ضاح في الأسر، و يحمله إلى دار الخلافة من غير إساءة و لا عنف.

بينما كان المبعوث يقوم بدوره اتصل الخليفة معاوية بملك الروم و عرض عليه مبادلة الأسرى، و عين له من بين الأسرى المسلمين وضاح بن مسلمة، و تمت المبادلة، و دخل وضاح إلى قصر الخلافة فأنعم عليه معاوية بالعطايا و الهدايا و المكافئات، و ظن الفدائي أن خليفته استجاب لندائه و افتداه، و أنعم عليه، و قرت عينه بذلك، و لكنه لم يدر أن الخليفة يهيئ له ترضية أخرى أسمى و أرفع و أرضى من جميع ذلك.

نجح الرائد الصوري في اصطيد البطريق بعد أن تربص به سنه كاملة، و اقتاده في سفينته إلى دمشق، و كان البطريق يرجف خوفا من أن يحكم الخليفة العربي بإعدامه، و ضاقت به السفينة. و أظلمت الدنيا في وجهه، و لم يسكن من روعه تأكيد الرائد له بأن معاوية لا يظلم أحدا و لا يسرف في الاقتصاص.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٢١

مثل البطريق أمام معاوية، و أحضر وضاحا القرشي و الفدائي الذي شهد الاعتداء، و طلب معاوية بمحضر شيوخ الأمة من وضاح أن يقرر دعواه و أن يصف نوع الاعتداء الذي ناله من يد البطريق، و أمر الفدائي أن يشهد بما رأى، و استجوب البطريق فاعترف بالاعتداء، ثم أمر وضاحا بأن يقتص من البطريق الذي لطم وجهه على بساط الملك و انتهك حرمة أميره، و اعتدى على سلطانه و قال: "إننا لم نضيعك أيها الجندي الباسل! و لا أبخنا دمك و عرضك" و عندما اقترب القرشي من البطريق حذره معاوية بأن لا يتجاوز في الاقتصاص القدر الذي ناله من يد خصمه.

و إزاء هذا التحذير اكتفى وضاح بمصافحة غريمه و صرح بالعفو عنه و تقدم بين يدي الخليفة و قال: "ما أضاعك من سودك. و لا خاب فيك أمل من أملك. أنت ملك لا تستصام. تمنع حماك، و تصون رعيتك. "انفض الموكب و تمت المحاكمة، و أكرم الخليفة العربي البطريق الأسير و حمله التحف و الهدايا- و قال له: "ارجع إلى ملكك و قل له: تركت ملك العرب يقيم الحدود على بساطك، و يقتص لرعيته في دار مملكتك و سلطانتك. و أبلغ البطريق الرسالة إلى ملك الروم،" فقال الملك: "هذا و الله أملك الملوك و أدهى العرب. و لقد استحق أن تقدمه العرب عليها فساس أمورها. و الله لو هم بأخذى لتمت له الحيلة على."

تعليق: أي ملك استطاع أن يوفر العدل لرعاياه كمعاوية بن أبي سفيان؟

و أي مواطن وجد الانصاف الذي وجده وضاح القرشي!!؟ فمن أجل لطمه يصاب بها فدائي يهتم الخليفة هذا الاهتمام البالغ، و يجري حركة مبادلة في الأسرى و يجهز السفن للقبض على المعتدى في منطقة نفوذ خارجة عن ملكه، و ينجح في تدبيره فلا يسرف في الانتقام و لا يتعدى الاجراء الجزائي البسيط، ثم يتحدى عدوه بهذا الانعام و حسن المعاملة، و لعل هذا العدل الأموي كان له الأثر البالغ فيما جد بعد هذه الحادثة من فتوحات باهرة و انتصارات ساحقة و من أجل ذلك لقب معاوية بمربي الدول، و سائس الأمم، و راعي الممالك.



تقدم أن حد المسجد الحرام قبل الإسلام هو نفس دائرة المطاف، و لم يكن له سور و لا جدار و إنما كانت بيوت قريش تحيط به على دائرة المطاف. و قد جعلوا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٢٢

بين كل بيتين أو ثلاثة ممرا و منفذا يدخل الناس منه إلى المسجد، فلما زاد عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، أحاط بالمسجد الحرام جدارا، فهو أول من زاد فى المسجد و أول من أحاط بالجدار و لم يذكر المؤرخون أنه عمل له بابا و لكن نحن نقول: أنه رضى الله عنه، عمل له بابا حيث يعلم من سياق الكلام بالضرورة، فما كان محاطا بجدار لا بد أن يكون له منفذ و المنفذ هو الباب، ثم على قدر كبر المسجد تتعدد الأبواب. و لما كان المسجد الحرام أكبر مساجد الدنيا كانت له أبواب كثيرة و عددها خمسة و عشرون بابا، و إليك بيان هذه الأبواب:

عدد/ اسم الباب/ ملاحظات

١/ باب السلام/ و لا ندري لماذا سمي بذلك مع أن باب بنى شيبه الذى أمام مقام إبراهيم هو باب السلام قديما.

٢/ باب قايتباى/ و به مئذنة السلطان قايتباى، سلطان مصر سابقا، و كان يقال له "باب القوارير".

٣/ باب النبى/ سمي بذلك لأن النبى صلى الله عليه و سلم كان يخرج منه و يدخل فيه من منزله بزقاق العطارين و هو منزل خديجه أم المؤمنين، رضى الله تعالى عنها، و يسمى باب الجنائز لأنها كانت سابقا تخرج منه، و يقال له أيضا "باب النساء" و يقال له أيضا باب الحريرين لبيع الحرير فى الدكاكين التى كانت بجواره.

٤/ باب العباس/ و هو ابن عبد المطلب سمي به لأنه يقابل داره التى بالمسعى

٥/ باب على/ و يعرف بباب بنى هاشم، و بباب البطحاء أيضا.

٦/ باب بازان/ و يقال له باب بنى عائذ كما سماه الأزرقى و نحن نسميه باب القره قول أو باب مخفر الشرطة.

٧/ باب البغلة/ و يقال له باب بنى سفيان كما عرفه الأزرقى.

٨/ باب الصفا/ سمي بذلك لأنه يقابله، و يقال له باب بنى مخزوم، و بباب أجياد الصغير.

٩/ باب أجياد/ سمي بذلك لأنه يخرج منه إليه على خط مستقيم.

١٠/ باب الرحمة/ و يقال له باب المجاهديه لأن عنده مدرسه الملك المجاهد صاحب اليمن و يسمى أيضا بباب أجياد.

١١/ باب التكية/ أى التكية المصرية لأنه أمامها، و يقال له باب الشريف

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٢٣

عدد/ اسم الباب/ ملاحظات

عجلان و باب بنى تيم.

١٢/ باب أم هانئ/ و هى ابنة أبى طالب، و يقال له باب الحميدية، و هى دار الحكومة، و يقال له أيضا "باب أجياد الكبير" كما يقال له "باب أبى جهل" و غير ذلك.

١٣/ باب الوداع/ و يقال له باب الحزورة، و باب الحزامية، و باب بنى حكيم بن حزام.

١٤/ باب إبراهيم/ سمي باسم رجل خياط كان عنده اسمه إبراهيم.

١٥/ باب صغير/ بمدرسه الشريف عبد المطلب.

١٦/ باب الداودية/ سمي به لأنه يدخل إلى المسجد من مدرسه الداودية.

١٧/ باب العمرة/ و سمي بذلك لأن المعتمر من التنعيم يرجع من طريق الشيبكه فيدخل المسجد الحرام من هذا الباب غالبا لقربه و

يقال باب بنى سهم، و باب بنى جمع.

١٨/ باب العتيق/ و يقال له باب السدة و باب عمر بن العاص.

١٩/ باب الزمامية/ و هو بين باب العتيق و باب الباسطية.

٢٠/ باب الباسطية/ سمي بها لاتصاله بمدرسة عبد الباسط، و يقال له باب العجلة، و سمي بذلك لدار كانت عنده بناها ابن الزبير على عجل فكانت تبني بالليل و النهار حتى فرغ منها سريعا.

٢١/ باب القطبي/ و هو في جانب رحبة باب الزيادة و كان يقال له أيضا باب الزيادة و القطبي المنسوب إليه هو عبد الكريم القطبي.

٢٢/ باب الزيادة/ و يقال له باب سويقة لأنه يخرج منه إليه.

٢٣/ باب المحكمة/ سمي بذلك لأنه يؤدي إليها.

٢٤/ باب الكتبخانة/ و منه يدخل إلى مكتبة المسجد الحرام.

٢٥/ باب دربيبة/ سمي بذلك لأن به درب صغير ينفذ إلى سويقة.

نقول: لقد ذكر الغازي في الجزء الأول من تاريخه ما نصه: أن الأمير بيسق حينما ناب عمه الشريف حسن بن عجلان حال سفره في الحكم بمكة، و ذلك سنة (٨٠٤) لأربع و ثمانمائة من الهجرة أمر البوابين بالمسجد الحرام أن يلزموا أبوابه، التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٢٤

كما أمر بتنظيف الطرقات من الأوساخ و القمامة، و نقل الكدر التي كانت بسوق الليل و المعلاة، و أن لا يحمل السلاح بمكة، و أمر بإخراج أهل الفساد منها. انتهى.

### بوابو المسجد الحرام

لما اتسع المسجد الحرام و كثرت أبوابه، كان لزاما أن يكون لكل باب من أبوابه المتعددة بواب يحرس المسجد الحرام من دخول الدواب كالفطط و الكلاب، و من ملاحظة بعض الأمور للداخلين و الخارجين، و قد جرت العادة أن يكونوا من الجهلة و من طبقة العوام، لكن من أغرب الأمور التي اطلعنا عليها أن يكون البوابون في المسجد الحرام من الفقهاء و القضاة كما يحكى لنا التاريخ، فقد ذكر رحمه الله تعالى في كتابه المخطوط "إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام" أنه في سنة (٨٣٠) ثلاثين و ثمانمائة وصل إلى مكة مرسوم في موسم الحج صحبه الركب المصري أن تفتح أبواب المسجد الحرام كلها و يعزل البوابون القديمون و كانوا قضاة و فقهاء و يولى على أبواب الحرم بوابون ليس لهم حرفة و لا صناعة و لا شغل فقراء مساكين، فحضر الأمراء و القضاة و قرئ المرسوم و قرر لكل باب بواب و عزل من كان بوابا قبل ذلك من الفقهاء و القضاة و ألزم البواب بملازمة باب الحرم و النوم عليه ليلا و نهارا و أن لا يغيب عنه إلا- لضرورة و أن يتعاهد البواب بابة بالكنس و الرش و التنظيف و منع الكلاب و الجوارى الحاملات لقرب الماء و الحمال من الدخول في المسجد الحرام و استطراره و المرور فيه بغير حاجة، و رسم السلطان أن يقرر لكل بواب عشرة أشرفية معلوما كل عام يحمل له من أوقاف الحرمين صحبه المسافر على مودع الحكم. اه من الغازي.

و هذا المرسوم الذي ينص بفتح أبواب المسجد الحرام كلها كان بناء على مرسوم آخر سبقه في نفس السنة المذكورة ينص فيه بسد أبواب المسجد الحرام بعد انقضاء الموسم إلا- أربعة أبواب: باب السلام، و باب العمرة، و باب إبراهيم، و باب الصفا لا غير، و لم يعرف قط أن أبواب المسجد الحرام أغلقت إلا في هذه الحادثة فصعب على الناس المتعبدون ذلك فالتمسوا من السلطان فتح جميع أبواب المسجد فجاءه ذلك المرسوم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٢٥

ثم ذكر الغازي ما قاله الأديب شهاب الدين أحمد بن سعد بن أحمد الحنفي رحمه الله تعالى يخاطب أهل مصر في غلق أبواب

المسجد الحرام و منبر الخطيب و عزل القاضي، و هو هذا:

يا أهل مصر يا كرام الورى ما بالكم جتتم بأمر عجيب  
أغلقتم الأبواب عن طائف و عن مصلّ داخل من قريب  
و منبر الخطيب أضحى إذامن فرق البيت حزينا كئيب  
و منصب الشرع الشريف الذرى شيبتموه قبل وقت المشيب  
فبالذى شرفكم دائما بخدمه البيت و قبر الحبيب  
مّنوا على سكان أم القرى بعود قاضيهم و قرب الخطيب  
و فتح الأبواب التى غلقت حتى يرى ما كان ضنكا رحيب  
فضلا فقد أصبح جيرانها فى حيرة عظمى و أمر عصب

يشير الأديب المذكور بقوله و منبر الخطيب، إلى أنه ورد الأمر السلطاني بترك المنبر فى مكانه بجوار مقام إبراهيم فلا يجزّ إلى جانب الكعبة و يسند إليها كما كانت العادة بذلك، و بقوله و منصب الشرع، إلى أنه ورد الأمر أيضا بعزل القاضي. و لم يذكر الغازى اسم السلطان الذى أصدر أمره بذلك، و الذى نراه أنه الملك الأشرف أبو النصر برسباى من دولة الجراكسة، و كان سلطانا مهابا ذا شهامة و تدبير، تولى السلطنة يوم الأربعاء ثامن من ربيع الآخر سنة (٨٢٥) خمس و عشرين و ثمانمائة و توفى يوم السبت ثالث عشر ذى الحجة (٨٤١) رحمه الله رحمة واسعة.

أما البوابون فى المسجد الحرام فى وقتنا الحاضر فعددهم ثلاثون شخصا و كلهم من العوام الجهلة و غالبهم من أهل اليمن، و كان فيهم اثنان من الأكراد من جهة السلمانية، أحدهما: اسمه محمود الكردى و هو بواب لباب السلام و لا يزال إلى اليوم. و ثانيهما: اسمه فتح الله الكردى و هو بواب لباب الدريّة الذى بجوار باب السلام. و قد توفى هذا فى شهر شوال عام (١٣٧٥) خمس و سبعين و ألف هجرية رحمه الله تعالى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٢٦

و نرى أن الواجب يقضى أن يكون البوابون للمسجد الحرام من العوام الجهلة لأن هذه الوظيفة من وظائف الخدم ممتنه غير شريفة، يضع الناس لديهم نعالهم و ما يلبسونه فى أرجلهم و بعض حوائجهم، فلا يليق بهذه المهنة الممتنه العلماء و الفقهاء و القضاة. و لا ندرى ما سبب جعل هؤلاء الأعراء الكرماء بوابين للمسجد الحرام، فرحم الله السلطان الذى أبطل هذه العادة السيئة. انظر: صورة رقم ١٣٥، المسجد الحرام و قد ضربت فيه الخيام ليستظل تحتها المصلون

### نصب الخيام فى المسجد الحرام

لا بأس من نصب الخيام فى المسجد و الجوامع، أو وضع الستائر فيها للوقاية من الشمس و المطر و الرياح، فقد ضرب رسول الله صلى الله عليه و سلم خيمة فى مسجده، كما جاء فى صحيح البخارى، فى كتاب الصلاة فى باب الخيمة فى المسجد للمرضى و غيرهم: حدثنا زكرياء بن يحيى قال حدثنا عبد الله بن نمر قال حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت: أصيب سعد يوم الخندق فى الأكل فضرِب النبي صلى الله عليه و سلم خيمة فى المسجد ليعوده من قريب فلم يرعهم و فى المسجد خيمة من بنى غفار إلا الدم يسيل إليهم فقالوا: يا أهل الخيمة ما هذا الذى يأتينا من قبلكم فإذا سعد يغذو جرحه دما فمات فيها. انتهى.

و لنذكر هنا عدد المرات التى نصبت فيها الخيام فى المسجد الحرام بمكة اتقاء لفح الشمس و حرارتها:

فى السنة الثالثة من دخول الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل السعود إلى الحجاز أى فى سنة (١٣٤٥) خمس و أربعين و ثلاثمائة و ألف أمر، رحمه الله تعالى، بوضع سرادقات- الخيام- فى المسجد الحرام حتى تقى الحجاج حرارة الشمس، فاستظل تحتها آلاف

الحجاج تلك السنة فقط، ثم في السنة (١٣٤٦) ست و أربعين و ثلاثمائة و ألف أمر جللته برفع الخيام لعدم صلاحيتها التامة و أن يعمل بدلا عنها مظلات قوية على حافة الأروقة مما يلي صحن المسجد من جميع الجهات. و ما زالت هذه المظلات القماشية موجودة من ذلك التاريخ إلى ما قبل العمارة الحديثة. و قد حصل فيها كثير من التغييرات و الإصلاحات و كانت أولا من خشب على هيئة جملون مكسوة بالقماش ثم رفعوا الأخشاب و أبدلوها بأعمدة التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٢٧

من الحديد تربط بها أسلاك قوية و متصله بنفس جدار الأعمدة التي تحمل قباب المسجد ثم ثبت القماش فوق هذه الأسلاك. و يحدثنا التاريخ أنه سبق أيضا نصب بالمسجد الحرام، فقد ذكر الأزرقى في تاريخه أن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما حينما كان يقاتل الحصين بن نمير تحصن هو و أصحابه في المسجد الحرام و ضربوا فيه خياما و رفاقا يكتنون فيها من حجارة المنجنيق و يستظلون فيها من الشمس فذهب رجل من أصحابه يو قد نارا في بعض تلك الخيام مما يلي الصفا بين الركن الأسود و الركن اليماني فطارت شرارة في الخيمة فاحترقت كسوة الكعبة ... الخ. و روى فيه أيضا عن عثمان بن ساج قال: أخبرتنى عجوز من أهل مكة كانت مع عبد الله بن الزبير بمكة فقلت لها: أخبريني عن احتراق الكعبة كيف كان؟ قالت: كان المسجد فيه خيام كثيرة فطارت النار من خيمه منها فاحترقت الخيام و التهب المسجد حتى تعلقت النار بالبيت فاحترق. انتهى.

و أيضا حصل نصب الخيام في أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله، فإنه حينما أمر بعمارة ما يحتاج لعمارة في المسجد الحرام سنة (٢٧١) إحدى و سبعين و مائتين نصبوا سرادقا سترًا للبنائين و العمال من الناس ليشغلوا بهدوء و راحة.

و ذكر الغازى في تاريخه أنه في سنة (٨١٠) عشر و ثمانمائة أرسل صاحب بنقالة بالهند السلطان غياث الدين أحمد خان أعظم شاه هدية كبيرة إلى أمير مكة الشريف حسن بن عجلان و كان من ضمنها خيام طلب منه إقامتها في صحن المسجد الحرام يستظل الناس و الحجاج تحتها. فنصبت تلك الخيام لكن بعد سفر الحج المصرى رفعت من المسجد لأن الناس كانوا يعثرون بأطنابها. انتهى. و من الأمور المستغربة ما جاء في تاريخ الغازى أيضا أنه كان الباعة يسطون بضائعهم أيام الموسم في المسجد الحرام و ينصبون فيه الخيام على مصاطب، ثم في سنة (٨٣٠) ثلاثين و ثمانمائة وصل مرسوم صحبه الحاج يتضمن منع الباعة من كل ذلك. و المصاطب جمع مصطبة بالصاد و بالسين و هى المكان الممهّد المرتفع قليلا، و لم نقف في التاريخ على غير هذه الحوادث الأربعة لنصب الخيام في المسجد و الله تعالى أعلم.

و اعلم أنه ورد النهى عن البيع و الشراء و طلب الضالة في المساجد، لأن مثل هذه الأمور محلها الأسواق و المحلات، و اختصت المساجد للعبادة: قال صلى الله عليه و سلم: "إذا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٢٨ رأيت من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا له: لا أربح الله تجارتك و إذا رأيت من ينشد فيه ضالة فقولوا: لا ردها الله عليك" رواه الترمذى و الحاكم فى المستدرک و هو حديث صحيح. قال العزیزى: زاد فى رواية مسلم "فإن المساجد لم تبني لهذا."

و روى الإمام الأزرقى فى تاريخه قال: حدثنى جدى قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الكريم الجزرى قال: سمع النبى صلى الله عليه و سلم رجلا فى المسجد يقول: "من دعا إلى الجمل الأحمر قال: لا وجدت" و قال: ألهذا بنيت المساجد ... و عن الأزرقى أيضا حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طاووس "أن النبى صلى الله عليه و سلم سمع رجلا ينشد ضالة فى المسجد الحرام فقال: لا وجدت" فرحم الله السلطان الذى أصدر مرسوما بمنع البيع و الشراء فى المسجد الحرام و جزاه على ذلك خير الجزاء.

و لقد أنعمنا النظر فى سبب عرض الباعة بضائعهم فى المسجد الحرام، فظهر لنا أن الأرض خارج المسجد لم تكن متساوية و المسعى كان واديا منحدرًا عميقًا حتى أن الساعى إذا كان راكبًا حصانه و بيده رمح ظهر رأس الرمح لمن كان بالمسجد، و من المعلوم أن مكة كلها جبال متصله بعضها ببعض فكان جهات المسجد من الخارج فيها نواتى و ربوات و انخفاضات فلا يتسنى للناس عرض

بضايعهم فيها، بخلاف المسجد الحرام الذي أصلح و تساوت أرضه. أما في زماننا فأطراف المسجد الحرام و نفس مكة كلها أرضها ممهدة و أزقتها و شوارعها متساوية من عمل الناس لا من أصل الخلقة، على أنه لا تزال جميع مكة فيها منخفضات و ارتفاعات طبيعية لكن بنسبة قليلة لا تمنع من سهولة السير و المواصلات المحلية.

### وجود المظلات في المسجد الحرام

لم تكن في المسجد الحرام مظلات يستظل تحتها المصلون في وقت الظهيرة في يوم الجمعة أو في موسم الحج، فلما كان في أوائل عهد جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله تعالى، أمر بعمل أشرعه من القماش القوي الثخين، يستظل تحتها المصلون من أهل البلاد و الحجاج فتقيهم من حرارة الشمس. و حسنا فعل رحمه الله تعالى و أجزل ثوابه.

و لنذكر في هذا الموضوع بالتفصيل ما ذكره العلامة الشيخ حسين بن عبد الله باسلامة، رحمه الله تعالى، في كتابه "تاريخ عمارة المسجد الحرام"، فلقد قال عند

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٢٩

الكلام على "عمل المظلات بالمسجد الحرام" ما نصه: بما أنه قد كثر ورود الحجاج في سنة (١٣٤٥) هجرية كثرة عظيمة، حتى بلغ عدد الواردين منهم من جهة البحر مائة و أربعين ألفاً، و من جهة البر ما يربو على ثلاثمائة ألف، و هذا العدد سواء كان من جهة البحر أو البر يندر وقوعه في مواسم الحج الأخرى، و لذلك ضاق المسجد الحرام بالمصلين، فاضطرت الحكومة السعودية أن تضع سرادقات في حساوى المسجد الحرام، لأجل أن يستظل تحتها المصلون من وفود بلد الله الحرام، و يتوقون بظلمتها من ضربة الشمس و حرّ الظهيرة، و نتج من ذلك نفع عظيم لقسم عظيم من المصلين كما هو ظاهر في الصورة الشمسية بهذا الكتاب، فقد وقت تلك السرادقات و الصواوين أكثر من عشرة آلاف من الحجاج كانوا يؤدون صلاتهم في حساوى المسجد الحرام في وقت صلاتي الظهر و العصر، و قد مضى ذلك العام على تلك الحالة.

ثم في سنة (١٣٤٦) صدرت إرادة جلالة ملك المملكة العربية السعودية الإمام عبد العزيز السعود حفظه الله تعالى على وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان الحمدان، بعمل مظلات قوية ثابتة على دائرة الحصوة مما يلي أروقة المسجد الحرام من الجهات الأربعة، ليستظل تحتها المصلون من حجج بيت الله الحرام و يتقونها من حر الظهيرة من ضربة الشمس، و أن يكون في غاية المتانة بحيث لا يزعزعها تيار الهواء، لأنه قد ظهر فعلاً أن الرياح قد عبثت بالسرادقات التي قد نصبت في سنة (١٣٤٥ هـ) مرارا.

فقام وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان بعمل مظلات قوية، قوامها من الخشب الجاوى الثخين على شكل جملون، و كسى ذلك الجملون بالقماش القوي الثخين المنسوج بالقطن الأبيض المسمى بالقلع من أعلاه، و نصبت على حافة الأروقة مما يلي الحساوى بالمسجد الحرام من جهاته الأربعة، فصارت توضع هذه المظلات بالمسجد الحرام في أشهر الحج عند كثرة الحجاج و ازدحام المصلين بالمسجد الحرام، و ترفع بعد سفر الحجاج من مكة إلى أوطانهم. و قد حصلت من هذه المظلات منفعة عظيمة للحجاج، فإنها وقتهم من حر الظهيرة مدة إقامتهم بمكة عند أدائهم صلاتي الظهر و العصر إلى سفرهم إلى أوطانهم، حيث قد استظل تحتها بضعة عشر ألف حاج، و أنفق عليها مبلغ لا يستهان به. انتهى من الكتاب المذكور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٢٣٢

و نختم هذه المقالة بأن الله عز و جل الذى بيده مقاليد السموات و الأرض و هو رب كل شىء يطيل في عمر جلالة ملكنا المعظم حتى يرى المسجد الحرام في ثوبه الجديد من هذه التوسعة المباركة، و حتى يرى مكة المشرفة تزهر بهذه المشاريع العظيمة، و حتى يرى المسلمين جميعاً في كافة الأقطار قد تيقظوا من نومهم و رجعوا إلى أنفسهم فاستمسكوا بشريعتهم الغراء، و اعتصموا بحبل الله فانفتحت كلمتهم و قويت شوكتهم و أنزل الله عليهم بركات السماء و أخرج لهم من بركات الأرض، فصلح دينهم و صلحت دنياهم. و

ما ذلك على الله عزيز، و نسأله الفضل و الرحمة و الرضا و الغفران و العفو و العافية و التوفيق لكل خير، ربنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النار، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

جاء في تاريخ القطبي ما مضمونه: أنه في سنة (٩٨٤) أربع و ثمانين و تسعمائة هجرية، صدر الأمر السلطاني بهدم البيوت و المدارس الملاصقة بجدار المسجد الحرام من جهة باب السلام إلى باب الصفا فما فوق، و ذلك توسيعاً لطريق السيل و دفعا لضرر دخوله إلى المسجد الحرام من ذلك الجانب إذا تراكم، فهدمت تلك المنازل و البيوت توسعة للشوارع. اهـ.

هذا ما ذكره القطبي في تاريخه، فيفهم منه لا بد أنه قد حصل هدم البيوت و الأماكن في مكة من جهات متعددة و في أزمته متفاوتة، و هذا أمر ضروري يحدث في كل بلدة و في كل قطر، و ذلك بحسب ازدياد العمران، و بحسب هندسة و نظام نفس السكان و احتياجهم إلى تعدد الشوارع و المحلات.

و نقول: إن توسعة شوارع مكة المشرفة مع فرشها بالإسفلت أي تبليلها بالزفت و إنارة جميعها بالكهرباء، و عمل عدة نافورات ملونة في وسط بعض ميادينها، كانت فيما بين سنة (١٣٨١) ألف و ثلاثمائة و إحدى و ثمانين هجرية و ما بعدها أي سنة (١٣٨٢) مع تشجير بعض الميادين أيضا- و بعبارة أخرى إن مكة شرفها الله تعالى و أدام خيرها قد تطورت في التعمير و التجميل منذ بدء توسعة المسجد الحرام في سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين هجرية، فسبحان مغير الأحوال و مدبر الأمور، لا إله إلا هو الكبير المتعال.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٣٣

### مكتب توسعة المسجد الحرام

لقد أنشئ هذا المكتب للإشراف على توسعة المسجد الحرام و مراقبة الأعمال و العمال، و يتعلق بهذا المكتب جميع المهندسين و البنائين و التجارين و العمال على اختلاف أجناسهم و أعمالهم، و رئيس هذا المكتب هو سعادة الشيخ محمد صالح القزاز و هو من مكة المشرفة، و هو رجل يفيض بالحيوية و النشاط و الذكاء و المعرفة.

و الرئيس العام لهذا المشروع هو معالي المعلم الشيخ محمد بن لادن و هو من حضرموت، و هو القائم بأعمال مشروع التوسعة للمسجدين الحرامين بمكة المشرفة و بالمدينة المنورة، بل هو القائم بجميع المشاريع الكبيرة الحكومية، و مع أنه لا يعرف القراءة و لا الكتابة، شديد الذكاء عظيم النباهة حاضر البديهة، مستقيم الحال ناجح في الأعمال، فسبحان المعطي الوهاب، و لقد تأسس هذا المكتب في عام (١٣٧٥) هجرية بمكة المكرمة بعد تأليف اللجنة التنفيذية لتوسعة المسجد الحرام.

و لقد تكلمنا عن التعليم في المسجد الحرام و عن أسماء علمائه و مؤلفاتهم و أسماء أدياء مكة المكرمة بما فيه الكفاية فراجع إن شئت.

### توسعة المسجد الحرام في العهد السعودي

#### إشارة

لم نستطع أن نكتب شيئاً عن توسعة المسجد الحرام في العهد السعودي الثاني و ذلك لمرضنا الطويل، و هذه التوسعة هي أعظم توسعة وقعت بمكة المشرفة لشوارعها و للمسجد الحرام و قد تركنا هذا المبحث لمكتب توسعة المسجد الحرام يكتبه بالتفصيل التام بعد انتهاء أعمال التوسعة، لما عندها من المعلومات الوافية و الصور و الرسوم الكثيرة، غير أننا نضع هنا شيئاً من صور توسعة المسجد الشريف و هي هذه.

انظر: الصور أرقام ١٣ مظللة المسعى من الخارج و تبدو فيها عظمة البناء و روعة التصميم، و رقم ١٣٨ الجانب الشرقي من توسعة الحرم

المكي الشريف، ١٣٩ منظر آخر للجانب الشرقي من توسعه الحرم المكي الشريف

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٣٦

و ها نحن نتكلم في هذا المبحث عن بيان هذه الزيادات كلها بالتفصيل التام أولاً، ثم نأتى بخلاصة ذلك لسهولة حفظها و ادراكها، ناقلين عن تاريخ الغازي المسمى "إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام" حيث أن كتابه جامع لأغلب كتب التاريخ، فنقول و بالله التوفيق و عليه الإعتقاد و التكالان:

قال الغازي رحمه الله تعالى، في تاريخه ما نصه: قال العلامة قطب الدين رحمه الله تعالى، في كتابه "الإعلام: "اعلم أن الكعبة الشريفة لما بناها سيدنا إبراهيم عليه السلام، لم يكن حولها جدار و استمرت كذلك من أيام العمالق و جرهم و خزاعة، لا يتجرأ أحد أن يبنى بمكة داراً و لا جداراً احتراماً للكعبة الشريفة. فلما آل أمر البيت إلى قصي بن كلاب و استولى على مفتاح الكعبة جمع قصي قومه و أمرهم أن يبنوا بمكة حول الكعبة الشريفة بيوتاً من جهاتها الأربع و كانوا يعظمون الكعبة أن يبنوا حولها بيوتاً أو يدخلون مكة على جنابها و كانوا يقيمون بها نهاراً فإذا أمسوا خرجوا إلى المحل فقال لهم قصي أن سكتتم حول البيت هابتكم الناس و لم تستحل قتالكم و الهجوم عليكم و بدأ هو و بني دار الندوة في الجانب الثامن و يقال أنها مقام الحنيفة الذي يصلى فيه الآن الإمام الحنفي الصلوات الخمس و قسّم قصي باقى الجهات بين قبائل قريش فبنوا دورهم و شرعوا أبوابها إلى نحو الكعبة الشريفة. و تركوا للطائفتين مقدار المطاف الشريف بحيث يعنى أن القدر المفروش الآن بالحجر المنحوت إلى حاشية المطاف الشريف الآن و جعلوا بين كل دارين من دورهم مسلماً شارعاً فيه باب يسلك منه إلى بيت الله تعالى.

ثم لما ظهر الإسلام و كثر المسلمون استمر الحال على ذلك الوضع من زمن النبي صلى الله عليه و سلم و زمان خليفته أبى بكر الصديق. و لما زاد ظهور الإسلام و تكاثرت المسلمون في زمن أمير المؤمنين عمر الفاروق فرأى أن يزيد المسجد الحرام.

### الزيادة الأولى: زيادة عمر في المسجد الحرام

فأول زيادة زيدت في المسجد الحرام زيادة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فاشترى، رضى الله عنه دوراً حول المسجد و هدمها و أدخلها في المسجد و بقيت دور احتيج إلى إدخالها في المسجد و أبى أصحابها من بيعها فقال لهم عمر: أنتم نزلتم بفناء الكعبة و بنيتم به دوراً و لا تملكون فناء الكعبة و ما نزلت الكعبة في سوحكم و فنائكم. فقوموا الدور و وضع ثمنها في جوف الكعبة، ثم هدمت

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٣٧

و أدخلت في المسجد، ثم طلب أصحابها الثمن فسلم إليهم ذلك. و أمر ببناء جدار قصير أحاط بالمسجد، و جعل فيه أبواباً كما كانت بين الدور قبل أن تهدم.

و جعلها في محاذة الأبواب السابقة.

### الزيادة الثانية: زيادة عثمان في المسجد الحرام

فلما كثر الناس في زمان أمير المؤمنين عثمان بن عفان أمر بتوسيع المسجد و اشترى دوراً حول المسجد هدمها و أدخلها في المسجد و أبى جماعة عن بيع دورهم ففعل كما فعل عمر بن الخطاب و هدم دورهم و أدخلها في المسجد فضح أصحاب الدور و صاحوا فدعاهم و قال: إنما جرأكم على حلمي عليكم. ألم يفعل ذلك بكم عمر؟ فما ضج به أحد و لا صاح عليه و قد احتذيت حذوه فضجرت منى و صحتهم على ثم أمر بهم إلى الحبس فشفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فتركهم. و كانت زيادة عمر بن الخطاب و عمارته للمسجد عقب السيل العظيم سنة سبع عشرة من تخريبه معالم الحرم الشريف يقال لذلك السيل: سيل أم نهشل (استطراد). و

في سنة سبع عشرة أيضا عمل أمير المؤمنين عمر الردم، الذي بأعلى مكة صونا للمسجد، بناه بالضفاير و الصخر العظام و كبسه بالتراب، فلم يعله سيل بعد ذلك، غير أنه جاء سيل عظيم في سنة اثنين و مائتين فكشف عن بعض أحجاره و شوهدت فيه صخار عظيمة كبيرة لم ير مثلها، و الأقدمون يسمون هذا الردم ردم بنى جمح، بضم الجيم و فتح الميم و بعدها حاء مهملة، و هم بطن من قريش نسبوا إلى جمح بن عمرو بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك. و المراد بهذا الردم الموضع الذي يقال له المدعى و هو مكان كان يرى منه البيت الشريف أول ما يرى. و كان الناس خصوصا حين يرد الحج من ثنية كداء و هي الحجون إذا وصلوا ذلك المحل شاهدوا منه البيت الشريف و الدعاء مستجاب عند رؤية بيت الله تعالى و كانوا يقفون هناك للدعاء و أما الآن فقد حالت الأبنية عن رؤية البيت الشريف و مع ذلك يقف الناس للدعاء فيه على العادة القديمة. و عن يمينه و يساره ميلان للإشارة إلى أنه المدعى. و لما ردم هذا المكان صار السيل إذا وصل من أعلى مكة لا يعلو هذا المكان بل كان ينحرف عنه إلى جهة الشمال للبناء الذي بناه عمر فلا يصل هذا السيل إلى المسعى و لا إلى باب السلام إلى الآن. و صارت هذه الجهة من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٤٠

الذهب و على ميزاب الكعبة و على الأساطين التي في باطنها و على الأركان التي في جوفها، و يقال أن الحليّة التي حلاها الوليد بن عبد الملك للكعبة هي ما كانت في مائدة سليمان بن داود عليهما السلام من ذهب و فضة و كانت قد احتملت من طليطلة من جزيرة الأندلس على بغل قوى فتفسخ تحتها و كانت بها أطواق من ياقوت و زبرجد. انتهى.

### الزيادة الخامسة: زيادة أبي جعفر المنصور

الفصل الثاني من ذكر ما زاده العباسيون في المسجد الحرام: أول من عمّر و زاد في المسجد الحرام من الخلفاء العباسيين ثاني الخلفاء أبو جعفر المنصور عبد الله. قال في الإعلام: و في المحرم سنة ثمان و ثلاثين و مائة و قيل: سنة تسع و ثلاثين أمر أبو جعفر المنصور بالزيادة في المسجد الحرام فزيد في شقه الشامي الذي يلي دار الندوة و زاد في أسفله إلى أن انتهى إلى المنارة التي في ركن باب بنى سهم.

و لم يزد في الجانب الأعلى شيئا لاتصاله بمسيل الوادي و لصعوبة البناء فيه و عدم ثباته إذا قوى السيل عليه و لذلك لم يزد في أعلى المسجد و اشترى من الناس دورهم و هدمها و أدخلها في المسجد الحرام و كان الذي ولي عمارة المسجد لأبي جعفر أمير مكة يومئذ من جانبه زياد بن عبد الله الحارثي و كان من شرطية عبد العزيز بن عبد الله بن شافع جد شافع بن عبد الرحمن الشيبى و كان زياد أجحف بدار شيبية بن عثمان و أدخل أكثرها في الجانب الأعلى من المسجد فتكلم مع زياد في أن يميل عنه قليلا ففعل فكان في هذا المحل ازورار في المسجد و أمر أبو جعفر المنصور بعمل منارة هناك فعملت و اتصل عمله في أعلى المسجد بعمل الوليد بن عبد الملك و كان عمل أبي جعفر طاقا واحدا بأساطين الرخام دائرا على صحن المسجد و كان الذي زاد فيه مقدار الضعف مما كان قبله و زخرف المسجد بالفسيفساء و الذهب و زينه بأنواع النقوش و رخم الحجر، بالحاء المكسورة ثم الجيم و هو أول من رخّمه، و كان كل ذلك على يد زياد بن عبد الله الحارثي والى الحرمين و الطائف، من قبل المنصور. و فرغ من عمل ذلك في عامين و قيل في ثلاثة أعوام. و كتب على باب بنى جمح، أحد أبواب المسجد الحرام من جهة الصفا: "بسم الله الرحمن الرحيم، محمد رسول الله، أرسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون. إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك و هدى للعالمين فيه آيات

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٤١

بينات مقام إبراهيم، و من دخله كان آمنا و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، و من كفر فإن الله غنى عن العالمين: أمر عبد الله أمير المؤمنين المنصور بتوسعة المسجد الحرام و عمارته و الزيادة فيه نظرا منه للمسلمين و اهتماما بأمورهم و الذي زاد فيه



الضعف مما كان عليه قبل و فرغ منه و رفعت الأيدي عنه في ذى الحجة سنة أربعين و مائة و ذلك بتيسير الله على أمير المؤمنين و حسن معونته و كفايته و إكرامه له بأعظم كرامة فأعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوى من توسعة المسجد الحرام و أحسن ثوابه و جمع له بين خيري الدنيا و الآخرة و أعز نصره و أيده."

### الزيادة السادسة: زيادة محمد المهدي العباسي

ثم زاد فيه المهدي العباسي ثالث الخلفاء من بني العباس قال في الإعلام: و في سنة ستين و مائة حج أمير المؤمنين المهدي العباسي و قسم في الحرمين الشريفين أموالا عظيمة و هي ثلاثون ألف ألف درهم وصل بها معه من العراق و ثلثمائة ألف دينار وصلت إليه من مصر و مائتا ألف دينار وصلت إليه من اليمن و مائة ألف ثوب و خمسون ألف ثوب فزق جميع ذلك على أهل الحرمين. و استدعى قاضي مكة يومئذ و هو محمد الأوقص بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي و أمره أن يشتري دورا في أعلى المسجد و يهدمها و يدخلها في المسجد الحرام و أعد لذلك أموالا عظيمة فاشترى القاضي جميع ما كان بين المسجد الحرام و المسعى من الدور فما كانت من الصدقات و الأوقاف اشترى للمستحقين بدلها دورا في فجاج مكة و اشترى كل ذراع يكسر في مثله مما دخل في المسجد بخمسة و عشرين دينارا و ما دخل في سيل الوادي بخمسة عشر دينارا فكان مما دخل في ذلك الهدم دار للأزرق و هي يومئذ لاصقة بالمسجد الحرام من أعلاه على يمين الخارج من باب بنى شيبه.

و كان ثمن ناحية منها ثمانية عشر ألف دينار و كان أكثرها داخل في المسجد الحرام في زيادة عبد الله بن الزبير، و دخلت أيضا دار خيرة بنت سباع الخزاعية و كان ثمنها ثمانية و أربعين ألف دينار دفعت إليها و كانت شارع على المسعى يومئذ قبل أن يوءخر المسعى، و دخلت أيضا دار لآل جبير بن مطعم و دار شيبه بن عثمان اشترى جميع ذلك و هدم و أدخل في المسجد الحرام. و جعل دار القوارير رحبة بين المسجد الحرام و المسعى حتى استقطعها جعفر البرمكي من الرشيد لما آلت الخلافة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٤٤

السييل و لا يصل إلى جدار الكعبة الشريفة من الجانب اليماني فكان من جدر الكعبة إلى الجدر اليماني من المسجد المتصل بالوادي تسعة و أربعون ذراعا و نصف ذراع فلما زيدت هذه الزيادة الثانية فيه صار من جدر المسجد أولا إلى الجدر الذي عمل آخرا و هو باق إلى اليوم تسعون ذراعا فوسع المسجد غاية الاتساع و أدخل في قرب الركن اليماني من المسجد في أسفله دار أم هانئ و يقال الآن للباب الذي فتح هناك باب أم هانئ لأن دارها كانت بقرب ذلك الباب داخل المسجد الحرام الآن و من هذا الباب يدخل إلى المسجد أمراء مكة سادتنا الأشراف آل الحسن بن علي بن أبي طالب و كانت عند دار أم هانئ بئر جاهلية حفرها قصي بن كلاب أحد أجداد النبي صلى الله عليه و سلم فأدخلت أيضا تلك البئر في المسجد الحرام و حفر المهدي عوضها بئرا خارج الحزورة يغسلون عندها الموتى من الفقراء و استمر البناء و المهندسون في بناء الزيادة و وضع الأعمدة الرخام، و تسقيف المسجد بالخشب الساج المنقش بالألوان نقرا في نفس الخشب كما أدر كناه. و كان في غاية الزخرفة و الإحكام باقيا فيه لون اللازورد في غاية الصفا و الرونق بالنسبة إلى لازورد هذا الزمان و استمر عملهم إلى أن توفي المهدي لثمان بقين من المحرم سنة تسع و ستين و مائة قبل أن تتم عمارة المسجد على الوجه الذي أراده و عقد الأمر لولده موسى الهادي و كان إكمال المسجد الحرام أول شيء أمر به الهادي. و بادر الموكلون بذلك إلى إتمامه إلى أن تصل بعمارة المهدي و بنوا بعض أساطين الحرم الشريف من جانب باب أم هانئ بالحجارة ثم طليت بالجص. و كان العمل في خلافة الهادي دون العمل في خلافة المهدي في الاستحكام و الزينة و الاهتمام لكن كملت عمارة المسجد الحرام على هذا الوجه الذي كان باقيا إلى هذه الأيام و ما زيد بعد ذلك إلا الزيادتان كما نشرحهما إن شاء الله تعالى و هذه الأساطين الرخام جلبها المهدي من بلاد مصر و الشام و أكثرها مجلوب من بلاد أخميم من أعمال مصر و هي بلدة خراب الآن من بلاد مصر القديمة كثيرة الرخام يجلب منه إلى مصر و إلى غيرها من البلدان الرخام العظيم و الأعمدة اللطيفة المنحوتة و المخروطة من

الرخام الأبيض يقال: أن أكثر رخام المسجد الحرام مجلوب منه و الله أعلم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٤٥

### سبب وجود سقفين للمسجد الحرام في عمارة المهدي

لما وسّع أمير المؤمنين محمد المهدي العباسي المسجد الحرام هذه التوسعة العظيمة في سنتي ١٦٠ و ١٦٤ من الهجرة، جعل له سقفين من خشب الساج القوي، و كان ما بين السقف الأول و السقف الثاني نحو ذراعين.

و الذي نراه في جعل سقفين للمسجد الحرام في عمارة محمد المهدي، هو أن فن العمارة و الزخرفة و النقش كان قد تقدم تقدما عظيما في أيام عبد الملك بن مروان، و بتوالي السنين ازداد فن العمارة و الزخرفة حسنا و تقدما كما بينا ذلك في غير هذا المحل، فأراد "المهدي رحمه الله" أن تكون عمارة المسجد الحرام أقوى و أجمل عمارة عربية ببلد الله الأمين، لذلك أمر المهدي أن يسقف المسجد الحرام بسقفين، السقف الأول: الذي يظل أرض المسجد يكون بالخشب الساج القوي و أن ينقش و يزخرف بالألوان و الذهب بالنقر في نفس الخشب يكون آية في الإبداع و الحسن و الجمال، قال الإمام الأزرقي: و السقف الساج مزخرف بالذهب مكتوب في دورات من خشب، فيه قوارع القرآن و غير ذلك من الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم و الدعاء للمهدي. انتهى.

و أما السقف الثاني: الذي يلي السماء فيكون من خشب الدوم اليماني و خشب الدوم ضخم قوي يبلط السطح بالحصى و النورة. فيكون السقف الثاني الذي يلي السماء يحفظ السقف الأول الذي فيه النقش و الزخرفة بالألوان و الذهب فلا ينزل عليه ماء المطر و لا تفسد برطوبة مياهه.

و هذه نظرية بعيدة في غاية من الدقة و الإحكام، و إن كانت تستلزم مصاريف زائدة و تكاليف عظيمة، فرحم الله أهل الزمان الأول فقد كانوا إذا عملوا شيئا أتقنوه، و في الحديث الصحيح: "إن الله يحب المتقن عمله." هذا ما نراه في تعليل وجود السقفين للمسجد الحرام. و الله تعالى أعلم بالغيب.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٤٨

و كانت دار الندوة بعد ظهور الإسلام و كثرة بناء الدور بمكة دارا واسعة ينزل بها الخلفاء إذا وردوا مكة و يخرجون منها إلى المسجد الحرام للطواف و الصلاة و كان له فناء واسع صار سباطة ترمى فيه القمامة فإذا حصلت الأمطار الغزيرة سال من الجبال التي في يسار الكعبة مثل جبل قيعقان و ما حوله من الجبال سيول عظيمة إلى ذلك الفناء و حملت أوساخه و قمامته إلى دار الندوة و إلى المسجد الحرام و احتيج إلى تنظيف تلك الأوساخ و القمامة من المسجد الشريف كلما سالت سيول هذا الجانب الشمالي و صار ضررا على المسجد الحرام فكتب قاضي مكة يومئذ من قبل المعتضد العباسي القاضي محمد بن عبد الله المقدسي و أمير مكة يومئذ من قبله أيضا عج بن حاج، مولى المعتضد المذكور مكاتبات إلى وزير المعتضد يومئذ و هو عبيد الله بن سليمان بن وهب يتضمن أن دار الندوة قد عظم خرابها و تهدمت و كثيرا ما تلقى فيها القمامة حتى صار ضررا على المسجد الحرام و جيرانه و إذا جاء المطر سالت السيول من بابها إلى بطن المسجد و حملت تلك القمامة إلى المسجد الحرام و أنها لو أخرج ما فيها من القمامة و هدمت و بنيت مسجدا يوصل بالمسجد الحرام أو جعلت رحبة يصلى الناس فيها و يتسع الحجاج بها لكانت مكرمة لم تنهيا لأحد من الخلفاء بعد المهدي و الهادي و منقبة باقية و شرفا و أجرا باقيا على طول الزمان و أن بالمسجد خرابا كثيرا و أن سقفه يسيل منه الماء إذا جاء المطر و أن وادي مكة قد انكسب بالأتربة فعلت الأرض عما كانت و صارت السيول تدخل من الجانب اليماني أيضا إلى المسجد الحرام و لا بد من قطع تلك الأراضي و تمهيدها و تنزيلها إلى حد تمر فيها السيول منحدره عن الدخول إلى المسجد الحرام. و وصل أيضا إلى بغداد سدانة الكعبة و رفعوا أمرهم إلى ديوان الخلافة، أن وجه جدران الكعبة من باطنها قد تشعث، و أن الرخام المفروش في أرضها قد تكسر و أن عضادتي باب الكعبة كانتا من ذهب فوقعت فتنة بمكة في سنة إحدى و خمسين و مائتين بخروج بعض العلويين فقلع

عامل مكة يومئذ ما على عضادتي باب الكعبة من الذهب فضربه دنانير و استعان به على حرب العلوى الذى خرج عليه يومئذ و صاروا يسترون العضادتين بالديباج.

و وقعت أيضا بعدها فتنه بمكة سنة ثمان و ستين و مائتين فقلع عامل مكة يومئذ مقدار الربع من الذهب الذى كان مصفى على باب الكعبة و من أسفله و ما على الأنف الباب الشريف من الذهب و ضربه دنانير و استعان به على دفع تلك الفتنة و جعل بدل الذهب فضة مموهة على الباب الشريف و على أنف الباب المنيف فإذا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٤٩

تمسح الحجاج به أيام الحج تبركا بذلك المكان الشريف ذهب صبغ الذهب و انكشفت الفضة فيجدر تمويهها كل سنة و المناسب إعادة ذلك ذهبا صرفا كما كان و أن رخام الحجر الشريف قد تكسر و يحتاج إلى التجديد و أن بلاط المطاف حول الكعبة الشريفة لم يكن تاما و يحتاج أن يتمم من جوانبها كلها و أن ذلك من أعظم القربات و أكرم المثوبات و قد رفع ذلك إلى الديوان العزيز المبادرة إلى انتهاز ذلك و الأمر راجع إلى دار الخلافة الشريفة و السلام.

فلما أشرف على هذه المكاتبات كاتب الخليفة المعتضد يومئذ الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب الكاتب و كان من أهل الخير له قدم راسخ في قصد الجميل و فعل الحسنات و نية جميلة في إحراز الأجر و المثوبات بادر إلى عرض ذلك على إسماع الخليفة المعتضد و حسن له اغتنام هذه الفرصة و المبادرة إليها و بذل المقذور فيها فبرز أمر المعتضد إليه و إلى غلامه المؤتمر بالحضرة بعمل ما رفع إليه من ترميم الكعبة الشريفة و الحجر و المطاف و المسجد الحرام و أن تهدم دار الندوة و تجعل مسجد يلحق بالمسجد الحرام و توصل به و أن يحفر الوادى و المسيل و المسعى و ما حول المسجد الحرام و يعمق حفرها إلى أن يعود إلى حاله الأول و يجرى ماء السيل فيه و لا يدخل شئ منه إلى المسجد الحرام فيصان المسجد بذلك عن دخول السيول إليه و أن يحكم ذلك غاية الإحكام و يعمر ما تجب عمارته على وجه الإتيان و الاستحكام و أمر أن يحمل من خزائنه مالا عظيما لهذا العمل و أمر قاضى بغداد يومئذ و هو القاضى يوسف بن يعقوب أن يرتب ذلك و يجهز بعمله من يعتمد عليه. و أمر بحمل المال إليه فجهز بعضه نقدا من أيام الحج مع ولده أبى بكر عبد الله بن يوسف و كان مقدما على حوائج دار الخلافة و مصالح طريق الحج و عمارتها و أرسل بباقي المال صحائف سلمها إلى ولده المذكور ليسلمها ممن كتب اسمه في تلك الصحائف و عين معه لهذه الخدمة رجلا يقال له أبو الهياج عميرة بن حيان الأسدى له أمانة و حسن رأى و نية جميلة و سيرة حسنة فوصلا إلى مكة في موسم حج سنة إحدى و ثمانين و مائتين فحلى بالذهب الخالص باب الكعبة الشريفة و حج و تخلف بعد الحج بمكة أبو الهياج المذكور و من معه من العمال و الأعوان و عاد عبد الله بن القاضى يوسف مع الحجاج إلى بغداد ليرسل إليه ما يحتاج إليه من بغداد لتكميل ما أمر من العمارة المذكورة فشرع أبو الهياج فى حفر الوادى و ما حول المسجد الحرام فحفره حفرا جيدا حتى ظهر من درج المسجد الحرام الشارع على الوادى اثنا عشر درجة و إنما كان الظاهر منها خمس درجات

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٥٢

سبيل ماء وسط رواقه و كانت لهذه الزيادة منارة ذكرها التقى الفاسى فى شفاء الغرام، قلت: أما المنارة فلا أدري من بناها و لا متى هدمت و أما السبيل فكان موجودا إلى سنة ثلاث و ثمانين و تسعمائة فهدم عند وصول العمارة السلطانية إليه و أعيد بناؤه سبيلا كما كان و هذه الزيادة الثانية وقعت فى أيام المقتدر العباسى.

انتهى.

انتهى كل ما ذكر من أول الفصل إلى هنا من تاريخ الغازى.

**المسجد الحرام و ما أجرى فيه من زيادات فى العهود الماضية و العصر السعودى الزاهر**

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِنَاءَ مُبَارَكًا.

كان البيت الحرام منذ أن رفع إبراهيم قواعده و إسماعيل قائما في واد بين جبلين من أرض مكة لم يقم فيه بناء غيره و قد تحاشى الناس البناء بقربه تعظيما له و اتخذوا منازلهم في شعاب الأودية بعيدا عنه.

### البناء حول البيت

ظل الأمر على هذا الحال قرونا عديدة إلى أن آل أمر مكة و خدمه البيت إلى (قصي بن كلاب) فأذن للناس في البناء بقربه فأقاموا منازلهم حوله في شكل دائرة تحيط به من جميع الجهات و تركوا مساحة صغيرة حوله هي المعروفة حتى الآن بالمطاف.

### بيت الله بعد ظهور الإسلام و توالي الزيادات

بقى المسجد الحرام محدودا في تلك المساحات الصغيرة حتى بعث الله محمد صلى الله عليه و سلم للناس كافة و انتشر الإسلام و كثر معتنقوه و بدأ عدد الحجاج يتزايد من مختلف الأقطار التي استضاءت بنور الإسلام عندئذ بدأ المسجد يضيق عن استيعاب العدد الكبير من الوافدين الذي يزداد كل عام فبدأت الزيادات فيه تتوالى فكانت:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٥٣

### (زيادة الخلفاء الراشدين و السلف)

- ١- زيادة عمر بن الخطاب رضى الله عنه عام ١٧ هـ.
- ٢- زيادة عثمان بن عفان رضى الله عنه عام ٢٦ هـ.
- ٣- زيادة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه عام ٦٥ هـ.

### (الزيادة و العمارة في العصر الأموي)

- ٤- عمارة عبد الملك بن مروان عام ٧٥ هـ.
- ٥- زيادة الوليد بن عبد الملك عام ٩١ هـ.

### (الزيادة و العمارة في العصر العباسي)

- ٦- زيادة أبي جعفر المنصور العباسي عام ٢٣٧ هـ.
- ٧- زيادة الخليفة محمد المهدي العباسي عام ١٦٤ هـ.
- ٨- عمارة المعتمد بالله العباسي عام ٢٧١ هـ.
- ٩- عمارة المعتضد بالله العباسي عام ٢٨٤ هـ.
- ١٠- زيادة المقتدر بالله العباسي عام ٣٠٦ هـ.

### (عمارة ملوك الشراكسة)

- ١١- عمارة الناصر زين الدين أبي السعادات فرج برقوق ابن قانسوة الشركسي عام ٨٠٧ هـ.
- ١٢- عمارة السلطان قايتباي عام ٨٨٢ هـ.

**(عمارة سلاطين آل عثمان)**

١٣- عمارة السلطان سليمان خان عام ٩٧٢ هـ.

١٤- عمارة السلطان سليم خان عام ٩٨٠ هـ.

١٥- عمارة السلطان مراد خان عام ٩٨٤ هـ.

و لقد كانت زيادة الخليفة محمد المهدي العباسي من أكبر الزيادات في تلك العصور إلى أن جاء العصر السعودي الزاهر فضرب المثل الأعلى في السخاء لتوسعة بيت الله الحرام هذه التوسعة العظيمة التي سوف تخلد أعمالهم المجيدة.

وقفت ساحة المسجد الحرام عند الحد الذي بلغته بعد عمارة السلطان مراد خان عام ٩٨٤ هـ و لكن البناء حوله لم يتوقف بل ظل يزحف إليه حتى اتصلت به

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٥٦

العمرة و الباقيتان باب السلام الكبير و هذه الثلاث الأبواب أبواب رئيسية و بالتوسعة الجديدة (٥١) بابا بين صغير و كبير و على جانبي كل باب سيبلين لسقيا الحجاج من ماء زمزم مباشرة لتخفيف الضغط على البئر في موسم الحج و لقد رؤى في التوسعة الجديدة أنها من طابقين عدا البدروم يصلى فيه الحجاج أيضا أيام الحج، و كذلك في أعلى السطح و بذلك يبلغ عدد المصلين بالمسجد من ٥٠٠ ألف إلى ٦٠٠ ألف مصل.

**تكسية جدار العمارة بالمرمر و الحجر الصناعي**

هذا و قد كسيت جميع جدران العمارة الجديدة بالمرمر و الأحجار الصناعية المزخرفة و الأعمدة الرخامية و الموزايكو. و من المفخر التي تعتر بها المملكة أن جميع الرخام و المرمز قد استخرج من داخل المملكة، حيث يقطع الرخام من جبال المملكة أكثرها على مقربة من مكة و تقطع هذه الأحجار الرخامية بالمقاسات المطلوبة و كذلك صب الأحجار الصناعية المنقوشة بنقوش عربية جميلة. و ذلك في مصنع المرمز الخاص بالمشروع الموجود في جدة و تنقل الأحجار بالسيارات إلى مكة المكرمة.

**المتبقى من المبنى القديم**

أما المبنى القديم فقد تقرر إبقاؤه كأثر من الآثار القديمة بتوجيه من صاحب الجلالة الملك فيصل حفظه الله و تم تنسيق ما بين القديم و الجديد من جميع الجهات.

**مساحة المسجد الحرام بعد التوسعة و ما صرف عليه**

و قد بلغت مساحة الحرم بعد هذه التوسعة حوالي ١٩٠٠٠٠ مائة و تسعون ألف مترا مسطحا. و كانت في الماضي ٢٩١١٢٧ مترا مسطحا و سوف يتكلف هذا المشروع العظيم ثمانمائة مليون ريال. صرف منها للآن ٦٠٠ مليون ريال قامت الدولة السعودية بصرفها من خزيتها دون مشاركة أى دولة دولة من الدول الإسلامية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٥٧

**المطاف**

لقد كان المطاف حول الكعبة يضيق بالحجاج و خاصة عند مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام و عند مبنى بئر زمزم و لتوسعة المطاف

أزيل المبنى الذى فوق بئر زمزم ليكشف عن الكعبة من الجهة الشرقية و لتوسعة المطاف للحجاج و جعل البئر من أسفل ينزل الحجاج إليه بدرج.

### مقام سيدنا إبراهيم الخليل

أما مقام سيدنا إبراهيم الخليل فلقد رأى جلاله الملك فيصل حفظه الله بأن يزال الغطاء الموجود فوق المقام و يعمل بدله غطاء بلورى يغطيه قفص من الحديد المشغول، يكون جميل المنظر و حجمه صغير لتوسعة المطاف. و يتمكن الحجاج من مشاهدة الحجر الذى كان بينى عليه سيدنا إبراهيم الكعبة المشرفة، و عليه آثار أقدامه الشريفة. لأن بعض الحجاج يعتقدون أن سيدنا إبراهيم مدفون فى هذا المكان.

و فى شهر رجب من عام ١٣٨٧ هـ احتفل بانتهاء وضع الغطاء البلورى الجديد الذى صنع من الكريستال النقى و أزاح الستار عن الغطاء الجديد حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم يحيط به مندوبون عن بعض البلاد الإسلامية و رجال السلك السياسى العربى الإسلامى و عدد كبير من رجال الدين من مختلف الدول الإسلامية و كبار رجال الدولة و الشعب السعودى. و قد نقل أيضا المنبر من مكانه إلى ناحية الشرق و بذلك أصبح المطاف واسعا يستوعب الطائفين فى سهولة و يسر.

### الميادين حول الحرم الشريف

#### إشارة

و نظرا لهذه التوسعة العظيمة و ازدياد عدد الحجاج الوافدين من مختلف البلاد بسياراتهم و وسائل انتقالهم فكان من الضرورى إنشاء ميادين فسيحة لوقوف السيارات لحين انتهاء الحجاج من مناسكهم فقد أنشئت حول الحرم الميادين تحقيقا لهذا الغرض. و الحكومة الرشيدة تدرس إنشاء ميادين أخرى حول الحرم الشريف لاستيعاب العدد الضخم من السيارات، و تضاء هذه الشوارع المحيطة بالحرم التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٦٠

### الزيادة التاسعة: زيادة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود

لما كثرت المواصلات و تيسرت سبل الانتقالات فى جميع الأقطار و الممالك، فى زماننا هذا كثر قدوم الحجاج و الزوار و الواردين إلى الحرمين الشريفين، فضاقت المسجده الحرام بمكة المشرفة و ضاقت المسجد النبوى بالمدينة المنورة حتى كان الحجاج يصلون فى موسم الحج فى خارج المسجدين المذكورين.

فلما رأى جلاله مليكنا المعظم الملك سعود بن عبد العزيز وفقه الله تعالى ضيق المسجد الحرام و ازدحامه الشديد بالحجاج أمر حفظه الله تعالى بتوسعة المسجد الحرام بمكة توسعة عظيمة و توسعة شوارع مكة و تجميلها بما يتفق و مكاتها لدى جميع العالم الإسلامى، و قد ابتدوا فى القيام بعمل التوسعة من أول سنة (١٣٧٥) خمس و سبعين و ثلاثمائة و ألف هجرية. و سيأتى بيان هذه التوسعة مفصلا تفصيلا و افيا فى مبحث مستقل، بل سنجعله إن شاء الله تعالى فى جزء خاص مجلد.

كما أن جلالته حفظه الله تعالى أمر بإتمام توسعة المسجد النبوى الذى أمر بتوسعته جلاله والده الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى رحمة واسعة، فتم هذا المسجد الشريف على أحسن ما يرام و قد عمل له احتفال كبير حضره كثير من عظماء المسلمين و علمائهم و أعيانهم.

هذا و لقد نظم بعضهم أسماء من وسع المسجد الحرام بمكة فقال:

من زاد مسجد بيت الله جملتهم قالوا ثمانية إمامهم عمر  
عثمان و ابن الزبير و الوليد كذا المنصور يتبعه المهدي قد ذكروا  
و زاد معتضد باب الزيادة قل و زاد باب خليل الله مقتدر  
و نحن نزيد على هذه الأبيات بيتا رابعا يتضمن توسعة الملك سعود المذكور و هو هذا:  
سعود آل سعود صار تاسعهم جزاهم الله خيرا كلما ذكروا  
و لقد تقدم في أول المبحث ما نظمناه في أسماء هؤلاء.  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٦١

### خلاصة ما تقدم من الزيادات في المسجد الحرام

تكلما فيما سبق عن الزيادات و التوسعات في المسجد الحرام بصورة مفصلة، ثم رأينا من المستحسن جدا أن نأتي هنا بخلاصة ما تقدم عن الزيادات بدون تطويل لسرعة إدراكها و سهولة فهمها، و هذه الخلاصة هي التي طلبتها منها وزارة المالية و الاقتصاد الوطنى فى أول سنة (١٣٧٤) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف و هذا نصها:

يرتبط المسجد الحرام بالكعبة المعظمة ارتباطا وثيقا منذ بنائها الأول فإن حد المسجد الحرام منذ صدر الإسلام و ما قبله هو نفس المطاف المفروش اليوم بالحجر الرخام الأبيض المحيط بجوانب الكعبة الذى نسميه بالصحن، هذه المساحة الصغيرة هي حد المطاف منذ بناء الكعبة الأول مرة، و هي نفسها أيضا حد المسجد الحرام منذ العصور الغابرة، و إلى حده كانت منازل قريش فكانت منازلهم محيطة بالمسجد كأنها جداره و بينها فتحات توصل إليه و إلى الكعبة، حيث لم يكن للمسجد جدار يحيط به، و من كرامة بيت الله الحرام و أسراره أنه لم يحدث قط منذ العصور الغابرة الأولى أى منذ بناء الكعبة، أن ادعى أحد من خلق الله أن أرض الكعبة أو ما حولها من مساحة المطاف ملك له.

ثم إن المسجد الحرام ضاقت مساحته الصغيرة على الناس فى صدر الإسلام لانتشار الإسلام فحصلت فيه عدة مرات من الزيادات و التوسعة من عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إلى يومنا هذا، و ها نحن نحصى تلك المرات كما يأتي:

(١) زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة (١٧) هجرية زاد فيه بعد أن انتهى من موضع حجر مقام إبراهيم عليه السلام فى موضعه الموجود فيه اليوم بعد أن ذهب به سيل أم نهشل إلى أسفل مكة، فاشترى أمير المؤمنين دورا من تلك الدور التى تلاصق المسجد الحرام و هدمها و أدخل أرضها فيه، و بذلك توسع المسجد نوعا ما ثم بنى عمر رضى الله عنه حائطا على المسجد دون القامة و جعل فيه أبوابا، فكانت المصايح التى تضىء بالمسجد توضع على هذا الحائط فكان عمر بن الخطاب رضى الله التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٦٢

عنه أول من وسع المسجد و زاد فيه، و أول من أحاطه بالجدار، و أول من فرش بالحصباء.

(٢) زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة (٢٦) هجرية فقد ضاق المسجد الحرام على المصلين، فاشترى عثمان من الدور الملاصقة للمسجد و هدمها و أدخل أرضها فيه، و لما لم يكن للمسجد رواق فإنه رضى الله عنه جعل له أروقة يستظل الناس تحتها و نعم فعل.

(٣) زيادة عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما سنة (٦٥) هجرية فإنه فى خلافته بعد أن انتهى من بناء الكعبة المشرفة عمّر المسجد و زاد فيه زيادة كبيرة بالنسبة للزيادتين السابقتين، فاشترى دورا و هدمها و أدخل أرضها فى المسجد، و من ضمنها بعض دار الإمام الأزرقى صاحب تاريخ مكة ببضعة عشر ألف دينار إذ كانت لاصقة به.

فكانت مساحة المسجد الحرام مع زيادة ابن الزبير تسعة أجرة، و قد سقّف المسجد الحرام لكن لم يعلم هل سقّفه كله أم بعضه.

(٤) زيادة الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة (٩١ هـ) فإنه أمر بتوسيع المسجد الحرام وعمارته عماراً متينة محكمة قوية، وأحضر له أساطين الرخام من مصر والشام وجعل على رؤوسها صفائح الذهب وسقف المسجد بالساج المزخرف، وجعل له شرفات. وجعل في حائطه الطيقان- العقود-، وجعل في أعلى العقود الفسيفساء. فكانت زيادة الوليد من الجهة الشرقية.

(٥) زيادة أبي جعفر المنصور سنة (١٣٧) هجرية في شهر محرم، فإنه أمر عامله على مكة زياد بن عبد الله الحارثي بتوسيع المسجد الحرام فزاد في شقه الشامي الذي يلي دار الندوة وزاد في أسفله إلى أن انتهى إلى منارة باب العمرة ومنها على خط مستقيم من الجهة الغربية إلى ما يلي باب إبراهيم على حد الحصوة كما ذكر المرحوم الشيخ حسين باسلامة. وقد زاد في المسجد كثيراً عما كان عليه من قبل وزخرفه بالذهب والفسيفساء وأبس حجر إسماعيل بالرخام من داخله وخارجه وأعلاه. فكان أبو منصور أول من ألبسه بالرخام والمرمر. وقد استدام هذا العمل ثلاثة أعوام، فقد بدئ فيه في السنة المذكورة وانتهى منه في ذي الحجة سنة (١٤٠) وفي هذه السنة حج أبو جعفر المنصور وبذل الأموال العظيمة رحمه الله.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٦٣

(٦) زيادة محمد المهدي العباسي سنة (١٦٠ و سنة ١٦٤ هجرية) أي وسع المسجد الحرام مرتين، و توسعته وزيادته في تعادل جميع زيادات من تقدمه حتى صار بضعه الحالي إلى اليوم، ما عدا زيادة باب إبراهيم و زيادة باب الزيادة كما سيأتي تفصيله. (ففي المرة الأولى) لما حج رحمه الله تعالى سنة (١٦٠ هـ) و أتى بالأموال العظيمة التي قدرها المؤرخ بثلاثين ألف ألف درهم- أي بأكثر من ثلاثين مليوناً من الدنانير- استدعى قاضي مكة يومئذ محمد الأوقص المخزومي وأمره أن يشتري دوراً في أعلى المسجد الحرام و يهدمها و يدخل أرضها فيه فاشترى القاضي جميع ما كان بين المسجد الحرام و المسعى من الدور فما كانت من الأوقاف و الصدقات "كالأربطة و يطلق عليها المصريون التكايا" اشترى للمستحقين بدلها دوراً في فجاج مكة، فكان مما أدخل فيه من الدور ما بقي من دار الأزرقى الذي كما ذكرناه من أن ابن الزبير اشترى بعضها و أدخله في المسجد الحرام حينما زاد فيه، و أدخل المهدي في المسجد كثيراً من الدور الشهيرة في الجانب الشرقي.

و كذلك اشترى كثيراً من الدور من الجانب الغربي و أدخلها في المسجد الحرام، و كذلك زاد من الجانب الشمالي، و كذلك من الجانب الجنوبي.

(و في المرة الثانية) لما حج المهدي سنة (١٦٤) رأى أن المسجد الحرام لم يكن مربعاً تمام التربع و أن الكعبة المشرفة لم تقع بوسطه، فجمع المهندسين و مهرة البنائين و أمرهم أن يربعوا المسجد بحيث تكون الكعبة بوسطه تماماً، فاعتذروا باستحالة هذا الأمر و صعوبة تنفيذه لأن الجهة الجنوبية- التي لم يتمكنوا من توسيع المسجد من ناحيتها بها مجرى سيل وادى إبراهيم و خلف المجرى دور و منازل، ففي هدم هذه الدور و تحويل المجرى إلى أرضها قد لا يكون من السهل الميسور و ربما لا يثبت أساس البناء فأصر أمير المؤمنين محمد المهدي رحمه الله و أحسن مثوبته على تنفيذ رغبته و قال لهم: لا بد من ذلك و لو أنفقت جميع بيوت الأموال و صمم على ذلك تصميماً قويا فلما رأى المهندسون قوة عزم أمير المؤمنين نزلوا على إرادته و عملوا على تنفيذ أمره بهمة و نشاط و شمروا عن ساعد الجد بنية صادقة و إخلاص كبير فقاموا بتحويل مجرى سيل وادى إبراهيم عن موضعه بأن نصبوا الرماح على أسطحه الدور من أول الوادى إلى آخره و بينوا ما يهدم من البيوت و الدور و موضع

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٦٤

المسعى و محل السيل و عملوا كل ما من شأنه أن يربع المسجد و أن تكون الكعبة بوسطه، فلما شاهد المهدي رحمه الله رسم ذلك و اطمأن إلى تنفيذ رغبته على الوجه الأكمل توجه إلى العراق و خلف أموالاً عظيمة لشراء البيوت و قيام العمارة. و بذلك صارت هذه التوسعة أضعافاً ما تقدم من الزيادات و لا يزال المسجد الحرام على هذه التوسعة المربعة إلى اليوم و ما حصل من الزيادتين الصغيرتين في المسجد بعده إنما هما خارجتان من التربع كما سيأتي بيانه.



و محمد المهدي هذا كما أمر بتوسعة المسجد الحرام أمر أيضا بتجديد بناء أنصاب و أعلام الحرم. (٧) زيادة المعتضد بالله العباسي سنة (٢٨١) هجرية فإنه أمر بإدخال دار الندوة في المسجد الحرام و كانت محلها رحبة باب الزيادة و عمر بأساطين و طاقات و أروقة مسقفة بالساج المزخرف، و فتح لها اثني عشر بابا بستة عقود كبار و بينهم ستة صغار و بنى فيها منارة، و قد فرغ من ذلك في ثلاث سنين.

(٨) زيادة المقتدر بالله العباسي سنة (٣٠٦) هجرية فإنه أمر بتوسعة المسجد الحرام بإدخال رحبة باب إبراهيم و ما يتبعه من الرواق و سمي بذلك باسم خياط كان يجلس عنده. و أيضا جدد المقتدر بالله أنصاب الحرم. هذه خلاصة أمر توسعة المسجد الحرام و الزيادة فيه ثم لم يحدث منذ أكثر من ألف سنة أن عمل أحد في توسعته أو الزيادة فيه مطلقا، هذا ما كان من أمر التوسعة قديما.

(٩) توسعة جلاله الملك المعظم سعود بن عبد العزيز آل سعود سنة (١٣٧٥) هجرية. لما أراد الله عز شأنه أن يكمل لجلاله وليكننا المعظم "سعود" ملك المملكة العربية السعودية و أن يسعده سعادة أبدية و أن يقوى دعائم ملكه و وفقه لتوسيع المسجدين الحرامين "المسجد النبوي و المسجد الحرام" فإنه حفظه الله بعد أن أتم توسعة المسجد النبوي أمر فوراً بتوسعة المسجد الحرام توسعة تتفق و مكاتته السامية في قلوب كافة المسلمين. و قد بدأ في تنفيذ رغبته الملكية من ابتداء عام (١٣٧٥) و أحضروا له كافة لوازم البناء و العمارة و قاموا بالهدم و البناء من العام المذكور بعد شراء المنازل و الدور، و أن هذه التوسعة ستكون من جميع جهات المسجد الحرام ليسع الآلاف المؤلفه من الحجيج الوافدين إلى بيت الله الحرام في كل سنة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٦٥

و هذه التوسعة هي أكبر و أعظم من جميع التوسعات التي حصلت في المسجد الحرام فيما مضى أي من (١٠٧٠) عاما فإن توسعته تشمل على جميع الجهات من المسجد ليست بالأمر الهين و لا بالأمر العادي، بل أن هذه التوسعة ستتعدى نطاقها إلى توسعة شوارع مكة المشرفة، سواء الشوارع المتصلة بالمسجد الحرام، أم الممتدة إلى جهات البلدة، حتى تظهر مكة المكرمة "بلد الله الأمين" بالمظهر اللائق بها في هذا العصر الحديث، عصر التقدم في جميع نواحي الحياة.

و ستكون أم القرى و المسجد الحرام إن شاء الله تعالى بعد سنوات قليلة عروسه البلاد الإسلامية، و كما يكون لهما من المنظر الظاهري يكون لهما من المخبر و التمسك بالدين ما تقربه عيون المؤمنين في جميع البقاع و ما ذلك على الله بعزير.

### بيان مساحة الزيادات في المسجد الحرام

تقدم الكلام مفصلا و ملخصا عن الزيادات و التوسعات في المسجد الحرام، و هنا رأينا أن نضع مساحة الزيادات بصورة مجمل في جدول خاص مع بيان مساحة كل زيادة بالمتري المربع و هو المسمى «المتري المسطح» و بالذراع الهاشمي المربع أيضا، و لقد اشترك معنا في تحقيق مسائل المساحات بالمتري و الذراع المهندس المصري الأستاذ حسين صيام وفقه الله تعالى و سدد خطاه.

مع العلم بأن مساحة المطاف الذي هو المسجد الحرام القديم من قبل الإسلام هي (٢٠٠٠) ألفان من الأمتار المربعة، و ثمانية آلاف ذراع هاشمي مربع. و المطاف يضاوي الشكل تقريبا. و لا يفوتنا أن ننبه إلى أن معرفة ما زاده عمر بن الخطاب في المسجد وحده، أو ما زاده عثمان بن عفان فهي وحده رضى الله عنهما من المعتذر معرفته معرفة مضبوطة.

و اعلم أن مقدار قياس الذراع الهاشمي هو: (٥٠) خمسون سنتيمترا، و قياس الذراع المعماري هو (٧٥) خمسة و سبعون سنتيمترا، و قياس الذراع الحديدي هو (٥٨) ثمانية و خمسون سنتيمترا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٦٦

عدد/ اسم من زاد في المسجد الحرام/ السنة التي حصلت فيها الزيادة/ بيان مواضع الزيادات/ مقدار الزيادة بالمتري المربع/ مقدار الزيادة

## بالذراع الهاشمي المربع

١/ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه/ فى سنة (١٧) من الهجرة/ زاد رضى الله عنه فى المسجد الحرام بعد انتهائه من وضع حجر مقام إبراهيم عليه السلام فى موضعه الحالى الموجود فيه اليوم، و ذلك بأن اشترى الدور الملاصقة للمسجد الحرام من أصحابها ثم هدمها و أدخل أرضها فى المسجد، ثم أدار حائطا عليه طوله دون القامة و جعل فى هذا الحائط أبوابا للدخول إلى المسجد./ (١٤٠٠) ألف و أربعمئة/ (٥٦٠٠) خمسة آلاف و ستمائة

٢/ عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه/ فى سنة (٢٦) من الهجرة/ زاد رضى الله تعالى عنه فى المسجد الحرام و ذلك بأن اشترى الدور الملاصقة له من أصحابها، ثم هدمها و أدخل أرضها فيه و جعل له أروقة يستظل الناس تحتها./ (١٤٧٥) ألف و أربعمئة و خمس و سبعين/ (٥٩٠٠) خمسة آلاف و تسعمائة

٣/ عبد الله بن الزبير رضى/ فى سنة (٦٥) من/ زاد رضى الله تعالى عنه فى المسجد الحرام/ (٣٢٢٥) ثلاثة/ (١٢٩٠٠) اثني عشرة التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٦٧

عدد/ اسم من زاد فى المسجد الحرام/ السنة التى حصلت فيها الزيادة/ بيان مواضع الزيادات/ مقدار الزيادة بالمتر المربع/ مقدار الزيادة بالذراع الهاشمي المربع

الله تعالى عنهما/ الهجرة/ بعد انتهائه من بناء الكعبة المشرفة، و كانت زيادته كبيرة بالنسبة للزيادتين السابقتين فاشترى دورا و هدمها و أدخل أرضها فى المسجد ثم سقفه./ آلاف و مائتين و خمس و عشرين/ ألفا و تسعمائة

٤/ الوليد بن عبد الملك بن مروان/ فى سنة (٩١) من الهجرة/ زاد فى المسجد الحرام من الجهة الشرقية، و أحضر له أساطين الرخام من مصر و الشام، و جعل على رؤوسها صفائح الذهب و سقف المسجد بالساج المزخرف و جعل له شرفات./ (١٧٢٥) ألف و سبعمائة و خمس و عشرين/ (٦٩٠٠) ستة آلاف و تسعمائة

٥/ أبو جعفر المنصور العباسي/ فى سنة (١٣٧) من الهجرة/ زاد فى المسجد الحرام من الجهة الشامية التى تلى دار الندوة، كما زاد فى أسفله إلى أن انتهى إلى منارة باب الندوة، و من الجهة الغربية إلى ما يلى باب إبراهيم./ (٤٩٥٠) أربعة آلاف و تسعمائة و خمسين/ (١٩٨٠٠) تسعة عشر ألف و ثمانمائة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٦٨

عدد/ اسم من زاد فى المسجد الحرام/ السنة التى حصلت فيها الزيادة/ بيان مواضع الزيادات/ مقدار الزيادة بالمتر المربع/ مقدار الزيادة بالذراع الهاشمي المربع

٦/ محمد المهدي العباسي/ فى سنة (١٦٠) من الهجرة/ زاد فى المسجد الحرام الزيادة الأولى فاشترى دورا كثيرة و أدخلها فى المسجد، لكنه لم يكن متساويا من جميع الجهات/ (٨٣٨٠) ثمانية آلاف و ثلاثمئة و ثمانين/ (٣٣٥٢٠) ثلاثة و ثلاثين ألف و خمسمائة و عشرين

٦/ محمد المهدي العباسي/ فى سنة (١٦٤) من الهجرة/ حج المهدي فزاد فيه الزيادة الثانية إذ رأى أن المسجد لم يكن مربعا تمام الترتيب و أن الكعبة المشرفة لم تقع بوسطه، فأصر أن يربعوا المسجد بحيث تكون الكعبة فى وسطه تماما، و فى سبيل ذلك بذل الكثير من المال فى شراء البيوت و قيام العمارة، و لا يزال المسجد الحرام على هذه التوسعة المربعة إلى اليوم «أى إلى قبل التوسعة السعودية التى حصلت فى زماننا»./ (٦٥٦٠) ستة آلاف و خمسمائة و ستين/ (٢٦٢٤٠) ستة و عشرين ألف و مائتين و أربعين

٧/ المعتضد بالله/ فى سنة (٢٨٠) من/ زاد فى المسجد الحرام فأمر بإدخال دار/ (٢٥٠٠) ألفين/ (١٠٠٠٠) عشرة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٦٩

عدد/ اسم من زاد فى المسجد الحرام/ السنة التى حصلت فيها الزيادة/ بيان مواضع الزيادات/ مقدار الزيادة بالمتر المربع/ مقدار الزيادة

## بالذراع الهاشمي المربع

العباسي / الهجره / الندوة التي محلها باب الزيادة و رحبتها فيه، و عمره بأساطين و طاقات و جعل له أروقة و سقفه بالساج المزخرف و فتح اثني عشر بابا للمسجد. / و خمسمائة / آلاف

٨ / المقتدر بالله العباسي / في سنة (٣٠٦) من الهجره / زاد في المسجد الحرام فأمر بإدخال رحبة باب إبراهيم و ما يتبعه من الرواق، و هذه آخر توسعه للمسجد حتى سنة (١٣٧٥) هجرية من زماننا هذا. / (٩٨٠) تسعمائة و ثمانين / (٣٩٢٠) ثلاثة آلاف و تسعمائة و عشرين

٩ / الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود / في سنة (١٣٧٥) من الهجره / أمر جلالة الملك سعود بن عبد العزيز بتوسيع المسجد الحرام و الزيادة فيه من جميع جهاته، ليسع الآلاف المؤلفه من الحجيج الوافدين إلى بيت الله في كل عام، و كان ذلك بعد الانتهاء من توسعه المسجد النبوي في عصرنا أيضا. فهذه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٧٠

عدد / اسم من زاد في المسجد الحرام / السنة التي حصلت فيها الزيادة / بيان مواضع الزيادات / مقدار الزيادة بالمتر المربع / مقدار الزيادة بالذراع الهاشمي المربع

التوسعة في المسجد الحرام بلا شك هي أكبر و أعظم من جميع التوسعات السابقة فجزاه الله تعالى خير الجزاء و زاده توفيقا و تأييدا، و أثاب جميع من زاد في المسجد الحرام أو المسجد النبوي أو أجرى عمارة و إصلاحا فيهما ثوابا جزيلا إنه تعالى واسع الفضل و الإحسان و هو الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا.

و هنا ينبغي لنا أن نذكر تراجم من زاد في المسجد الحرام، و قد تقدم ذكر بعضهم في المحلات المناسبة، و هنا نضع تراجم من لم يتقدم ذكره، و إليك بيان ذلك.

## ترجمة الوليد بن عبد الملك

جاء في تاريخ الخميس عنه ما ملخصه: بويح للوليد، بالخلافه في يوم الخميس منتصف شوال سنة (٨٦) ست و ثمانين و توفي في منتصف جمادى الآخرة سنة ست و تسعين و دفن بدمشق و تولى دفنه عمر بن عبد العزيز، و كان نقش خاتمه: يا وليد إنك ميت و محاسب، و في المختصر الجامع حج الوليد بالناس سنة (٨٨) و سنة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٧١

(٩١) و سنة (٩٤)، و في دول الإسلام كان الوليد يعطى أكياس الدراهم لتقسم في الصالحين، و كان يختم القرآن في ثلاث، قال إبراهيم بن عبله: كان يختم في رمضان سبع عشرة مرة، قال الوليد: لو لا أن الله تعالى ذكر اللواطه في كتابه ما ظننت أحدا يفعله. و كان الوليد ذا سطوة شديدة لا يتوقف إذا غضب، و كان كثير النكاح و الطلاق يقال أنه تزوج ثلاثا و ستين امرأة، و في عهده حصلت فتوحات عظيمة فكان في كل وقت يصل إليه البريد بخبر فتح بعد فتح و يحمل إليه خمس المغانم و امتلأت خزائنه و عظمت هيئته، حتى أن عماله كانوا يكتبون إليه أن بيوت المال قد ضاقت من مال الخمس فيجيبهم أن ابنوا بها المساجد، و في عهده تقدم فن العمارات و البنايات فكان الناس إذا التقوا تساءلوا عن البناء و الصناعات، و هذه قبة صخرة بيت المقدس فإن ما فيها من النقوش و الفسيفساء و القيشاني يدهش عقول الفنانين و أرباب الصنعة، كل ذلك من عهد الوليد و أبيه عبد الملك بن مروان. ثم من بعدهما حصل فيها بعض تعميمات و إصلاحات.

قال صاحب تاريخ الخميس نقلا عن كتاب دول الإسلام: و الوليد هو الذي بنى جامع دمشق و زخرفه و كان قبله نصفه كنيسة للنصارى و النصف الآخر الذي فيه محراب الصحابة للمسلمين، فأرضى الوليد النصارى بعدة كنائس صالحهم عليها فرضوا ثم هدمه

سوى حيطانه، و أنشأ فيه النسرو القناطر و حلاها بالذهب و أستار الحرير و بقى العمل فيه تسع سنين حتى قيل كان يعمل فيه اثنا عشر ألف مرخم و غرم عليه من الدنانير المصرية زنة قنطار و أربعة و أربعين قنطار بالدمشقى حتى صيره زهه الدنيا و أمر نائبه على المدينة ابن عمه عمر بن عبد العزيز ببناء مسجد النبى صلى الله عليه و سلم و توسيعه و زخرفته ففعل. و هو أول من اتخذ المارستان للمرضى و دار الضيافة و أقام عمر بن عبد العزيز والى المدينة سبع سنين و خمسة أشهر، و شيد مسجد النبى صلى الله عليه و سلم، و بنى الأميال فى الطرقات، و أنفذ إلى خالد بن عبد الله القسرى عامله على مكة ثلاثين ألف مثقال ذهباً فصفح باب الكعبة و الميزاب و الأساطين. انتهى من تاريخ الخميس.

و يقال أن الحلية التى حلاها الوليد بن عبد الملك للكعبة هى ما كانت فى مائدة نبى الله سليمان بن داود عليهما الصلاة و السلام من ذهب و فضة، و كانت قد احتملت من طليطيلة من جزيرة الأندلس على بغل قوى فتفسخ تحتها، و كانت بها أطواق من ياقوت و زبرجد اه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٧٢

و نحن لم نبحت عن قصة مائدة سليمان عليه السلام، فالله تعالى أعلم بذلك.

ثم قال: و فى حياة الحيوان قال الحافظ ابن عساكر: كان الوليد عند أهل الشام من أفضل خلفائهم بنى المساجد بدمشق و أعطى الناس و فرض للمخدومين و قال: لا تسألوا الناس و أعطى كل مقعد خادما و كل أعمى قائدا و كان يبر حملة القرآن و يقضى عنهم ديونهم و بنى الجامع الأموى و هدم كنيسة ما ريوحنا و زادها فيه و ذلك فى القعدة سنة ست و ثمانين و توفى الوليد و لم يتم بناؤه فأتمه سليمان أخوه و كان جملة ما أنفق على بنائه أربعمائة صندوق فى كل صندوق ثمانية و عشرون ألف دينار و كان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل و ما زالت إلى أيام عمر بن عبد العزيز، فجعلها فى بيت المال و اتخذ عوضها حفرا و حديدا. و بنى الوليد قبة الصخرة ببيت المقدس، و بنى المسجد النبوى و وسّعه حتى دخلت الحجرة النبوية فيه. و له آثار حسنة كثيرة جدا و مع ذلك روى أن عمر بن عبد العزيز قال: لما أهدت الوليد أو تكفن فى أكفانه و غلّت يدها إلى عنقه، نسأل الله العفو و العافية من الدنيا و الآخرة. فتحت فى أيام خلافة الوليد الفتوحات العظام، مثل: الهند و السند و الأندلس و غير ذلك. انتهى من تاريخ الخميس.

و قال أيضا بعد هذا الكلام ما نصه: و قوله: أن الوليد بنى قبة الصخرة فيه نظر، و إنما بنى قبة الصخرة عبد الملك بن مروان فى أيام فتنة ابن الزبير لما منع عبد الملك أهل الشام من الحج خوفا من أن يأخذ منهم ابن الزبير البيعة، و كان الناس يقفون يوم عرفه بقبة الصخرة إلى أن قتل ابن الزبير. و عن ابن خلكان و غيره لعلها تشعث فهدمها الوليد و بناها و الله تعالى أعلم اه.

انتهى كل ذلك من تاريخ الخميس.

و فى الأزرقى: فلما كان فى خلافة الوليد بن عبد الملك بعث إلى و إليه على مكة خالد بن عبد الله القسرى بستة و ثلاثين ألف دينار فضرب منها على بابى الكعبة صفائح الذهب و على ميزاب الكعبة و على الأساطين التى فى بطنها و على الأركان فى جوفها قال أبو الوليد: قال جدى: فكلما كان على الميزاب و على الأركان فى جوفها من الذهب فهو من عمل الوليد بن عبد الملك و هو أول من ذهب البيت فى الإسلام اه.

ثم قال بعد بضعة أسطر: قال ابن جريج: و عمل الوليد بن عبد الملك الرخام الأحمر و الأخضر و الأبيض الذى فى بطنها مؤزرا به جدرانها و فرشها بالرخام

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٧٣

و أرسل به من الشام و جعل الجزعة التى تلقى من دخل الكعبة من بين يدي من قام يتوحنى مصلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فى موضعها و جعل عليها طوقا من ذهب فجميع ما فى الكعبة من الرخام فهو من عمل الوليد بن عبد الملك و هو أول من فرشها بالرخام و أزر به جدرانها و هو أول من زخرف المساجد. انتهى من تاريخ الأزرقى.

## ترجمة المعتضد بالله

جاء في تاريخ الخميس ما ملخصه:

المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن ولي العهد الموفق بالله طلحة ابن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هرون الهاشمي العباسي، مولده في سنة (٢٤٢) اثنتين و أربعين و مائتين، كان شجاعا مقداما مهابا ذا سطوة و حزم و رأى و جبروت.

و في سنة (٢٨٦) ظهرت القرامطة بالبحرين فقاتلهم المعتضد.

مات المعتضد يوم الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة (٢٨٩) تسع و ثمانين و مائتين، قالوا: و من عجيب ما ذكر عنه المسعودي إن صح قال: شكوا في موت المعتضد فتقدم الطيب فجس نبضه ففتح عينيه و رفس الطيب برجله فدحاه أذراعا و مات الطيب ثم مات المعتضد من ساعته. انتهى ملخصا من تاريخ الخميس.

جاء عنه في كتاب «محاضرات الخضرى» ما نصه: هو أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الموفق طلحة بن المعتصم و أمه أم ولد اسمها ضرار ولد سنة «لم يذكر الخضرى السنة» و كان عضدا لأبيه الموفق في حوربه و أعماله و ولي العهد بعد وفاة أبيه و بعد خلع المفوض ابن المعتمد سنة (٢٧٩) تسع و سبعين و مائتين و بويح له بالخلافة من اليوم الذى توفى فيه المعتمد على الله لإحدى عشرة بقية من رجب سنة (٢٧٩) تسع و سبعين و مائتين (١٥ أكتوبر سنة ٨٩٢) و لم يزل خليفه حتى توفى لثمان بقين من ربيع الآخر سنة (٢٨٩) تسع و ثمانين و مائتين (١٥ إبريل سنة ٩٠٢) فكانت مدته تسع سنوات و تسعة أشهر و ثلاثة أيام.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٧٤

قال الخضرى: كان المعتضد قوى القلب جريئا و لذلك كان للخلافة في عهده أكثر مما كان في عهد أبيه من الهيبة و إن كان الأمر في الحقيقة جل أن يصلح لأبن وراءهم عدوا لا ينام يريد إفساد ملكهم بما أمكنه و لو أدى ذلك إلى إفساد البلاد كلها. و كان مع شجاعته قليل الرحمة سفاكا للدماء شديد الرغبة في التمثيل بمن يقتله. و له إصلاحات داخلية جليئة منها: أنه أمر برد الفاضل من سهام المواريث على ذوى الأرحام و أمر بإبطال ديوان المواريث. و كان أصحاب التركات يلقون من ذلك عناء و منها اهتمامه بكرى دجيل و هو أحد روافد دجلة و قلع من فوهته صخرا كان يمنع الماء.

قال: و من أهم إصلاحه ما يعرف بالتقويم المعتضدى، و لقد بين هذا التقويم بالتفصيل الأستاذ الخضرى في محاضراته بصحيفة ٤٤٩ فمن أراد الاطلاع على ذلك فليراجع الكتاب المذكور.

و المعتضد هو الذى ترك سامرا و استبدل بها بغداد فضاعت أبتها و خرجت بعد أن كانت تضارع بغداد، بل لم يكن في الأرض كلها أحسن منها و لا أجمل و لا أعظم و لا آنس و لا أوسع ملكا منها، و لما استدبر أمرها جعلت تنقض و تحمل أنقاضها إلى بغداد يعمر بها، فقال ابن المعتز:

قد أقفرت سرمراو ما لشيء دوام

فالنقض يحمل منها كأنها آجام

ماتت كما مات فيل تسل منه العظام

انتهى من محاضرات الخضرى.

## سياسة المعتضد بالله العباسي في الحكم

جاء في الجزء الثالث من كتاب "المطالعة الوافية" عن ذلك ما يأتى: اشتهر الخليفة العباسي المعتضد بالحزم و الجرأة، فكان يصطنع الشدة في السياسة و يؤثرها على الرفق و اللين. و بلغ من حرصه عليها و ولوعه بها أنه كان لا يتركها في ظاهر الأمر إذا بدا له أن يتركها

فى الحقيقة و الواقع. لذلك استطاع أن يحفظ للدولة بعض سطوتها و يمسك عليها شيئاً من هيبة السلطان. برغم عوامل الضعف و الشر التى كانت تعيث فيها و توهن من قوتها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٧٥

و فى القصة التالية يعرض نديمه عبد الله بن حمدون صورةً لأسلوبه فى حفظ الأمن و تأديب العابثين به. قال: كان المعتضد يسير بعسكره فى بعض النواحي و أنا معه. فصاح رجل فى قثاء. فاستدعاه و سأله عن سبب صياحه. فقال: أخذ بعض الجيش شيئاً. فقال: اطلبوهم. فجاءوا بثلاثة أنفس. فسأل الخليفة: أهؤلاء الذين أخذوا القثاء؟ فقال الرجل: نعم فقيدهم فى الحال و أمر بحبسهم. فلما كان من الغد ضرب أعناقهم، فأنكر الناس ذلك و تحدثوا به، و حزن قلبهم. و مضت على ذلك مدة طويلة. فجلست أحادثه ليله، فقال لى: يا عبد الله، هل تعتب الناس على شيئاً؟ عرفنى حتى أزيله. فقلت: كلا يا أمير المؤمنين.

فقال: أقسمت عليك بحياتى إلا صدقتنى. قلت: يا أمير المؤمنين أقول و أنا آمن؟

قال: نعم. قلت: إسراعك إلى سفك الدماء. فقال: و الله ما هرقت دماً قط منذ وليت هذا الأمر إلا بحقه.

قال: فأمسكت إمساك من ينكر هذا الكلام. فقال: بحياتى إلا قلت؟

فقلت: يتحدثون عن قتلك أحمد ابن الطيب، و كان خادمك، و لم تكن له جناية ظاهرة. فقال: ويحك إنه دعانى إلى الإلحاد. فقلت له: يا هذا أنا ابن عم صاحب هذه الشريعة. و أنا الآن منتصب منصبه فكيف أأحد؟ و كان يقول لى: إن الخلفاء لا تغضب. و إذا غضبت لم تر حسن. فلم أستحسن إطلاقه.

فسكت سكوت من يريد الكلام. فقال: فى وجهك كلام. فقلت: الناس ينقمون عليك أمر الرجال الثلاثة الذين قتلتم للقثاء. فقال: و الله ما كان أولئك المقتولون هم الذين أخذوا القثاء. و إنما كانوا لصوصاً حملوا من موضع كذا و كذا. و وافق ذلك أمر أصحاب القثاء فأردت أن أهول على الجيش بأن من عاث منهم و أفسد فى مثل هذا القدر. كانت هذه عقوبتى له. ليكفوا عما فووه. و لو أردت قتلهم لقتلتم فى الحال و الوقت و إنما حبستهم. و أمرت بإخراج اللصوص من غد مغطين الوجوه ليقال أنهم أصحاب القثاء.

فقلت: فكيف تعلم العامة. قال: بإخراجى الجنود الذين أخذوا القثاء أحياء.

و إطلاقى لهم فى هذه الساعة. ثم قال: هاتوا الجنود. فجاءوا بهم و قد تغيرت حالهم. فقال لهم: ما قصتكم؟ فقصوا عليه قصة القثاء. فاستتابهم عن فعل مثل ذلك و أطلقهم فانتشرت الحكاية فزالت التهمة. انتهى من كتاب المطالعة الوافية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٧٦

و من المصادفات الحسنة التاريخية ما عثرنا فى كتاب محاضرات الخضرى بصحيفة ٢٣٨ على بيان دقيق للمصروفات اليومية فى قصر أمير المؤمنين المعتضد بالله، هذا هو الكشف كما فى الكتاب المذكور:

دينار وجوه الصرف و أنواع النفقات

١٠٠٠ أرزاق أصحاب النبوة من الرجال و من برسمهم من البوابين و من يجرى مجراهم.

١٠٠٠ أرزاق الغلمان الخاصة و فيهم الحجاب و خلفاء الحجاب.

١٥٠٠ أرزاق مماليك المعتضد المعروفين بالمماليك الحجرية.

٦٠٠ أرزاق المماليك المختارين.

٥٠٠ أرزاق الفرسان المميزين.

١١٠ أرزاق سبعة عشر صنفاً من المرسومين بخدمة الدار.

- ٥٠ المرتزقة برسم الشرطة بمدينة السلام و الخلفاء عليهم و من يجرى مجراهم.  
 ٣٠٠ أثمان أنزال الغلمان المماليك.  
 ١ / ٢ ٢٥٣ نفقات المطابخ الخاصة و العامة و المخازن و أنزل الحرم و مخازن السودان.  
 ١٠٠ ثمن وظائف شراب الخاصة و العامة و نفقات خزائن الكسوة و الخلع و الطيب و حوائج الوضوء و ما شابه ذلك.  
 ٤ أرزاق السقائين بالقرب.  
 ١٦٧ أرزاق الخاصة و من يجرى مجراهم من الغلمان و المماليك.  
 ١٠٠ أرزاق الحرم من المستخدمين فى شراب العامة و خزائن الكسوة الخ.  
 ١٠٠ أرزاق الحرم.  
 ٤٠٠ ثمن علوفه الكراع فى الاصطبلات الخمسة.  
 ٣ / ٢ ٦٦ ما يصرف من ثمن الكراع و الإبل و ما يتاع من الخيل.  
 ٣٠ أرزاق الفراشين و من جرى مجراهم.  
 ٣ / ٢ ٦٢ ثمن الشمع و الزيت.  
 ٥ أرزاق أصحاب الركاب و الجنائب و السروج.  
 ١ / ٢ ٤٤ أرزاق الجلساء و أكابر الملهمين.  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٧٧  
 دينار وجوه الصرف و أنواع النفقات  
 ٣ / ١ ٢٣ أرزاق المتطبين مع أثمان الأدوية.  
 ٧٠ أرزاق أصحاب الصيد و ثمن الطعم و العلاج للجوارح.  
 ٣ / ٢ ٦١ أرزاق الملاحين.  
 ٤ ثمن نفض و مشاقه.  
 ١٥ صدقة يومية.  
 ٣ / ١ ٣٣ جارى أولاد المتوكل.  
 ٣ / ٢ ١٦٢ جارى ولد الواثق و المهتدى و المستعين و سائر أولاد الخلفاء.  
 ٣ / ٢ ١٦٢ جارى ولد الناصر.  
 ٢٠ أرزاق مشايخ الهاشميين و الخطباء بمدينة السلام.  
 ٣ / ١ ٣٣ جارى جمهور بنى هاشم.  
 ٣ / ١ ٣٣ رزق الوزير و ابنه.  
 ٣ / ٢ ١٥٦ أرزاق أكابر الكتاب و سائر من فى الدواوين و ثمن الصحف و القراطيس و الكاغذ.  
 ٣ / ٢ ١٦٢ رزق القاضى و خليفته و عشرة فقهاء.  
 ٣ / ١ ٣١ خدام المسجدين الجامعين بمدينة السلام.  
 ٥٠ نفقات السجون.  
 ١٠ نفقات الجسرين و أرزاق الجسارين.  
 ١٥ نفقات البيمارستان الصاعدى و أرزاق أطبائه و أثمان الأدوية.

٣ / ١ ٦٩٤٦ المجموع

فهذه وجوه الصرف تبين أن جميع المصروفات التي كانت تصرف في الحضرة كل يوم حوالى سبعة آلاف دينار و في الشهر (٢١٠٠٠٠) و في السنة (٢٥٢٠٠٠٠) دينار و هو مقدار قليل إذا قيس بما كان يرد على حضرة الخلافة في عهد المأمون و المعتصم و لا غرابة في ذلك فإن كثيرا من الأقاليم استقل بإدراته و أمواله المتغلبون و ما بقى لبني العباس لم يعمره العدل و الأمن لكثرة الاضطرابات في الجزيرة و بلاد العراق و فارس.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٧٨

### وصف قصر الخليفة المقتدر بالله العباسي

جاء في الجزء الثالث من كتاب «المطالعة الوافية» نقلا عن الخطيب البغدادي و هو عن كتاب «رسل الملوك لابن الفراء» بتصرف يسير ما يأتي:

أرسل ملك الروم سفيره في وفد إلى الخليفة «المقتدر العباسي» فلما وافى الوفد كان الخليفة مشغولا بتجميل قصره، و إدخال ضروب من الزينة و الإصلاح عليه. فاستضافهم في أحد قصوره البعيدة حتى يفرغ فلما فرغ استدعاهم بعد أن أمر بوقوف الجنود على جانبي الطريق. من القصر إلى دار الخلافة و سار الوفد بين جند لا- يقل عن مائة و ستين ألف فارس و راجل فوق طريق مفروش بالبسط النفيسة و الأنماط الغالية و نوافذه و سطوحه و مسالكه مملوءة بالظارة و دجلة يموج بأنواع السفن و القوارب المزينة بأفضل الزينة إلى دار الخلافة و قد امتلأت الدار بالفرش الجميلة و زينت بالمعدات و الآلات الجليئة النادرة. و رتب الحجاب و خلفاؤهم و الحواشي على حساب طبقاتهم صفين بالثياب الحسنة تحتهم الدواب بمراكب الذهب و الفضة و قد أظهروا العدد الكثيرة و الأسلحة المختلفة و بعدهم الغلمان بالبزة و السيوف و المناطق المحلاة و دخل السفير فرأى الحاجب فظنه الخليفة.

و داخله من أجله هيبه و روعه حتى علم أنه الحاجب فهدأ ثم دخل بعد ذلك دار أحد الوزراء فرأى أكثر مما رآه عند الحاجب فلم يشك أنه الخليفة فقيل له أنه الوزير.

ثم أجلس بين دجلة و البساتين في مجلس حسن إلى أن دعى إلى حضرة الخليفة المقتدر و هو جالس في قصر التاج بعد أن لبس الثياب الديقية المطرزة بالذهب على سرير من أنبوس قد فرش بالديقي المذهب و على رأسه الطويلة و من يمينه السرير تسعة عقود مثل السبح و من يسرته تسعة أخرى من أفخر الجواهر و أعظمها قيمة غلب ضوءها على ضوء النهار، و بين يديه خمسة من ولده: ثلاثة يمينه و اثنان يسره.

فقبل الرسول و ترجمانه الأرض بين يدي الخليفة و وقفا حيث استوقفهما و أديا إليه رسالة ملكهما فاستجاب مما فيها لما رأى أنه الخير ثم خرجا من حضرته بعد أن رسم لهما بالطواف في دار الخلافة و كانت مملوءة من الخدم و الغلمان السود و الحجاب و عدد الخدم سبعة آلاف غلام أسود و فتحت له الخزائن و الأدوات فيها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٧٩

مرتبة كما يفعل بخزائن العروس و عرضت له جواهر الخلافة و كانت منظمه على درج مغشى بالديباج الأسود.

ثم دخل دار الشجرة فكثر تعجبه منها إذ رآها شجرة من الفضة تزن خمسمائة ألف درهم عليها أطياف مصنوعة من الفضة تصفر صفيرا عجيبا كلما جرت حولها حركات خاصة و كان تعجب الرسول منها أوفى من عجبه من كل ما شاهده.

ثم رأى ما علق في قصور الخليفة من الستور و كلها من الديباج المموه بالطرز المذهبة المصورة بالحامات و الفيلة و الخيل و الجمال و السباع. و كان عدد الستور الصنعانية و الأرمينية و الواسطية و السواذج النمقوشة و الديقية ثمانية و ثلاثين ألف ستر.

و في جانب الدار يمينه تماثيل خمسة عشر فارسا فوق خمسة عشر فرسا قد ألبسوا الديباج و غيره و في أيديهم الرماح.



ثم دخل القصر المعروف بالفردوس و هو قصر مملوء بالسلاح من الخوذ و الدروع و القسي و الجعاب. و كان الخدم يسقون الناس الماء المبرد بالثلج و الأشربة المختلفة يطوف مع السفير و أتباعه رئيس الثغور الشامية بسيفه و منطقته و قبائه الأسود إذ كان اللون الأسود هو لون الملابس الرسمية في الدولة العباسية و يرتديه السفراء و الرسل إذا أوفدوا برسالة أو سفروا بين الملوك. انتهى من كتاب المطالعة الوافية.

### ترجمة المقتدر بالله

نذكر ترجمة المقتدر بالله بمناسبة ما زاده في المسجد الحرام كما تقدم بيان ذلك، جاء في تاريخ الخميس عنه ما ملخصه: هو المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن ولي العهد الموفق طلحة بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد الهاشمي العباسي، بويع بالخلافة بعد موت أخيه المكتفي بالله و هو غير بالغ و عمره أربع عشرة سنة، أي في سنة (٢٩٥) خمس و تسعين و مائتين و لم يل أمر الأمة صبي قبله، و ضعف دست الخلافة في أيامه فلم يتم أمره لصغر سنه و تغلب عليه الجند، و اتفق جماعة من الأعيان على خلعه من التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٨٠

الخلافة و تولية عبد الله بن المعتز، و كلموا ابن المعتز في ذلك فأجابهم بشرط أن لا يكون فيها دم، فإنه كان عالما فاضلا دينا أديبا شاعرا فأجابوه لذلك و خلعوا المقتدر من الخلافة و هو مقيم بالحريم داخل دار الخلافة.

و كانت خلافة المقتدر هذه المرة دون السنة، و في سيرة مغلطاي ولي أربعة أشهر ثم عزل ثم أعيد كما سيأتي. ثم بويع بالخلافة عبد الله بن المعتز، فأمر ابن المعتز أن ينصرف المقتدر من دار الخلافة إلى دار محمد بن طاهر كي ينتقل ابن المعتز إلى دار الخلافة، و في هذه الأثناء قاتل أعوان المقتدر أنصار ابن المعتز و أوقع الله في قلوب هؤلاء الرعب. فانصرف المقتدر و أعوانه عليهم، و استفحل أمره و أمسك جماعة ابن المعتز و من قام بنصرته فحبسهم و قتل غالبهم، ثم استقام أمر المقتدر و أعيد للخلافة للمرة الثانية، و لم ينتقل المقتدر من دار الخلافة و لم يغير لقبه و ظفر بأعدائه واحدا بعد واحد، و استمر في الخلافة إلى سنة (٣١٧) سبع عشرة و ثلاثمائة، ثم خلع ثانيا بأخيه القاهر بالله أبي منصور محمد.

كان القاهر بالله المذكور محبوسا، فوصل في الثلث الأخير من ليلة الخامس عشر من المحرم من السنة المذكورة أي سنة (٣١٧) فبايعه يونس و الأمراء و لقبوه بالقاهر بالله، ففي يوم السبت أشهد المقتدر على نفسه بالخلع، و في يوم الأحد جلس القاهر و كتب الوزير عنه إلى الأقطار، و في يوم الاثنين امتلأت دهاليز الدار بالعسكر يطلبون رزق البيعة و رزق سنة أيضا، ثم ارتفعت أصوات الرجال و هجموا على الحاجب نازل و هو بدار الخلافة فقتلوه و صاحوا يا مقتدر يا منصور، فهرب من دار الخلافة، ثم أخرج المقتدر و حضر إلى دار الخلافة و جلس مجلسه، فأتوا بأخيه محمد القاهر المذكور و جلس بين يدي المقتدر فاستدناه المقتدر و قبل جبينه و القاهر يبكي و يقول: الله الله في نفسي يا أمير المؤمنين. فقال له المقتدر و الله لا جرى عليك مني سوء أبدا، فطب نفسا. و أقام القاهر عند أخيه المقتدر مبجلا محترما إلى أن أعيد إلى الخلافة بعد موت أخيه المقتدر.

فلما تولى المقتدر بالله الخلافة للمرة الثالثة، فتح الخزان و بذل الأموال للجند، ثم في سنة (٣١٧) سیر المقتدر ركب الحاج مع منصور الديلمي فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرمطي فقتل الحجيج في المسجد الحرام قتلا ذريعا و هم محرمون و في أزقة مكة و قتل أمير مكة «ابن محارب» و عرى البيت الحرام و قلع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٨١

باب الكعبة و اقتلع الحجر الأسود و أخذه إلى هجر و طرح القتلى في بئر زمزم و دفن الباقي في المسجد الحرام و حيث قتلوا بغير غسل و لا- كفن و لا- صلاة عليهم، و يقال أن القتلى بمكة و بظاها في هذه الواقعة كان أكثر من ثلاثين ألف إنسان و سبي من النساء و الصبيان مثل ذلك و كانت مدة إقامته بمكة ستة أيام و لم يحج أحد و لا وقف بالناس أمام سنة سبع عشرة و ثلاثمائة، و كان بين

المقتدر و القرامطة حرب مستمرة، و بعد عود القرمطى إلى بلاده «هجر» رماه الله تعالى فى جسده و طال عذابه و تقطعت أوصاله و تناثر الدود من لحمه إلى أن مات، و قد تقدم الكلام عن القرامطة.

قال الصولى: كان المقتدر يفرق كل يوم عرفه من الإبل و البقر أربعين ألف رأس و من الغنم خمسين ألف رأس، و يقال أنه أتلّف من الذهب ثمانية ألف ألف دينار فى أيامه، قال الذهبى: إنه كان مسرفاً مبذراً للمال ناقص الرأى أعطى جاريه له الدرّة اليتيمه وزنها ثلاثة مثاقيل و ما كانت تقوم.

و قد قتل المقتدر يوم الأربعاء السابع و العشرين من شوال سنة (٣٢٠) عشرين و ثلاثمائة، فكانت خلافته أولاً و ثانياً و ثالثاً خمسا و عشرين سنة إلا أياماً، و عاش نحو ثلاثين سنة، و كان سخياً مبذراً يصرف فى كل سنة للحج أكثر من ثلاثمائة ألف دينار، و كان فى داره أحد عشر ألف خصيان غير الروم و الصقالبة و السود، و بعد قتل المقتدر تولى الخلافة ثانياً أخوه محمد القاهر المذكور. انتهى من تاريخ الخميس باختصار.

قال الغازى فى تاريخه نقلاً عن ابن فهد ما يأتى: فى حوادث سنة ست و ثلاثمائة و فى أيام المقتدر بالله و هى من سنة خمس و تسعين و مائتين إلى أواخر سنة عشرين و ثلاثمائة، فى وزارة حامد بن العباس رتب على بن عيسى بن الجراح لأن يحمل إلى الحرمين الشريفين و إلى المجاورين بهما و إلى أرباب الوظائف بمكة و المدينة فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار و خمسة آلاف دينار و أربعمائة و ستة و عشرين ديناراً هكذا قال الإمام السروجى فى باب زكاة المال من كتاب الغاية شرح البداية و قال سبط ابن الجوزى أبو المحاسن يوسف: كان المقتدر يصرف فى كل سنة فى طريق مكة و الحرمين ثلاثمائة ألف دينار و نيف و خمسة عشر ألف دينار. انتهى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٨٢

### ترجمة أبى جعفر المنصور

كان للمنصور عدة أولاد كما سيأتى بيانهم إن شاء الله تعالى منهم جعفر الأكبر الذى مات قبل وفاة المنصور فلذلك يكنى المنصور بأبى جعفر.

جاء من محاضرات الخضرى عنه ما يأتى:

هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن على و أمه أم ولد أسماها سلامة ولد بالحميمه سنة (١٠١).

و لما انتقل أبو العباس من الحميمه إلى الكوفة كان فى من معه. و لما أفضت الخلافة إلى أبى العباس كان عضده الأقوى و ساعده الأشد فى تدبير الخلافة. و فى السنة التى توفى فيها أبو العباس عقد العهد لأخيه أبى جعفر، و كان إذ ذاك أميراً على الحج. ثم توفى السفاح و أبو جعفر بالحجاز فأخذ البيعة له بالأنبار ابن أخيه عيسى بن موسى و كتب إليه يعلمه وفاة السفاح و البيعة له فلقبه الرسول بإحدى المنازل عائداً بعد انتهاء الحج.

و قد تمت البيعة له فى اليوم الذى توفى فيه أخوه (٨ يونيه سنة ٧٥٤) و استمر خليفة إلى أن توفى يوم الأحد سابع ذى الحجة سنة (١٥٨) ثمان و خمسين و مائة هجرية (٨ أكتوبر سنة ٧٧٥) ميلادية فكانت خلافته (٢٢) سنة هلالية إلا ستة أيام. انتهى من محاضرات الخضرى.

### تقدير المنصور للعلماء العاملين و الوعاظ

جاء فى الجزء الثالث من كتاب «المطالعة الوافية» عن ذلك ما يأتى: روى إسحاق بن الفضل الهاشمى قال: إنى لعلى باب المنصور يوماً و إلى جنبى عماره بن حمزة، إذ طلع عمرو بن عبيد على حمار، فنزل عن حماره ثم دفع البساط برجله و جلس دونه. فالتفت إلى

عمارة فقال: لا تزال بصرتكم ترمينا منها بأحمق. فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع و هو ينادى. أبو عثمان عمرو بن عبيد. قال: فوالله ما دل على نفسه حتى أرشد إليه فاتكأه يده ثم قال له: أجب أمير المؤمنين جعلت فداك. فمر متوكتا. فالتفت إلى عمارة فقلت. إن الرجل الذي استحمقته قد أدخل و تركنا. فقال: كثيرا ما يكون ذلك. فأطال اللبث. ثم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٨٣

خرج الربيع و هو متوكتى عليه و الربيع يقول: يا غلام هات حمار أبى عثمان. فما برح حتى أتى بالحمار فأقره على سرجه و ضم إليه نشر ثوبه و استودعه الله.

فأقبل عمارة على الربيع فقال: لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل ما لو فعلتموه بولى عهدكم لقضيتم ذمامه، قال: فما غاب عنك مما فعل به أكثر و أعجب. قال عمارة: فإن اتسع لك الحديث فحدثنا. فقال الربيع: ما هو إلا أن سمع الخليفة بمكانه فما أمهل حتى أمر بمجلس ففرش لبودا ثم انتقل إليه و المهدي معه عليه سواده و سيفه ثم أذن له.

فلما دخل عليه سلم بالخلافة. فرد عليه و ما زال يدينه حتى اتكأه فخذه و تحفى به ثم سأله عن نفسه و عن عياله يسميهم رجلا رجلا و امرأة امرأة. ثم قال: يا أبا عثمان عظنا.

فقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وَ الْفَجْرِ \* وَ لِيَالِ عَشْرِ \* وَ الشَّفْعِ وَ الْوَثْرِ \* وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسِيرٍ وَ مَرَّ فِيهَا إِلَى آخِرِهَا وَ قَالَ: إِنَّ رَبِّكَ يَا أَبَا جَعْفَرٍ لِبِالْمِرْصَادِ. قال: فبكى المنصور بكاء شديدا، كأنه لم يسمع تلك الآيات إلا تلك الساعة.

ثم قال: زدنى. فقال: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها. و اعلم أن هذا الأمر الذى صار إليك إنما كان فى يد من كان قبلك. ثم أفضى إليك. و كذلك يخرج منك إلى من هو بعدك. و انى أحذرك ليله تتمخض صبيحتها عن يوم القيامة. قال: فبكى أشد من بكائه الأول حتى رجف جنباه، فقال له سليمان بن مجالد: رفقا بأمر المؤمنين فقد أتعبت منذ اليوم. فرفع عمرو رأسه و قال له: من أنت؟ فقال أبو جعفر: أو لا تعرفه يا أبا عثمان؟ قال: لا.

و لا أبالى ألا أعرفه. فقال له: هذا أخوك سليمان بن مجالد. فقال: هذا أخو الشيطان. ويلك يا ابن مجالد. خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين. ثم أردت أن تحول بينه و بين من أراد نصيحته. يا أمير المؤمنين إن هؤلاء اتخذوك سلما لشهواتهم. فأنت كالأخذ بالقرنين و غيرك يحلب فاتق الله. فإنك ميت وحدك.

و محاسب وحدك، و مبعوث وحدك. و لن يغنى عليك هؤلاء من ربك شيئا.

فقال له المنصور: يا أبا عثمان أعنى بأصحابك استعن بهم. فقال له: أظهر الحق يتبعك أهله. قال: بلغنى أن محمد بن عبد الله بن الحسن كتب إليك كتابا.

قال: قد جاءنى كتاب يشبه أن يكون كتابه. قال: فيما ذا أجبته، قال: أو لست

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٨٤

قد عرفت رأى فى السيف أيام كنت تختلف إلينا و إنى لا-أراه. قال: أجل. و لكن تحلف لى ليطمئن قلبى. قال: لئن كذبتك تقيئة لأحلفن لك تقيئة. قال له: أنت الصادق البار. و قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على زمانك.

فقال: لا حاجة لى فيها. فقال المنصور: و الله لتأخذنها. قال: و الله لا أخذتها.

فقال له المهدي: يحلف أمير المؤمنين و تحلف. فترك المهدي و أقبل على المنصور فقال: من هذا الفتى؟ فقال: هذا ابنى محمد. و هو المهدي، و هو ولى العهد.

فقال: و الله لقد سميتة اسما ما استحقه بعمل. و ألبسته لبوسا ما هو من لبوس الأبرار. و لقد مهدت له أمرا أمتع ما يكون به أشغل ما تكون عنه.

قال المنصور: يا أبا عثمان، هل من حاجة. قال: نعم. قال: ما هى؟ قال:

ألا تبعث إلى حتى آتيك. قال: إذا لا نلتقى. قال: عن حاجتي سألتني ثم ودّعه.

و نهض فلما ولى اتبعه بصره. و أنسأ يقول:

كلكم طالب صيد كلكم يمشى رويد

غير عمرو بن عبيد انتهى من كتاب المطالعة الوافية.

و جاء في تاريخ الخميس عنه ما ملخصه:

هو أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي ثاني خلفاء بني العباس، مولده في سنة (٩٥) خمس و تسعين، و هو أسنّ من أخيه السفاح، و كان المنصور في صغره يلقب بمدرك التراب و بالطويل أيضا، ثم لقب في خلافته بأبي الدوانيق لبخله و لمحاسبة العمال و الصنّاع على الدوانيق و الحيات، و كان مع هذا ربما يعطى العطاء العظيم.

كان أسمر نحيفا طويلا مهابا، خفيف العارضين، معرّق الوجه، رحب اللحية، يخضب بالسواد كأن عينيه لسانان ناطقان. تخالطه أبهة الملوك بزى النساك تقبله القلوب و تتبعه العيون. و كان أفحل بني العباس هيبه و شجاعه و حزما و رأيا و جبروتا، و جمّاعا للمال، تاركا للهو و الطرب، كامل العقل، جيد المشاركة في العلم و الأدب، فقيه النفس. و كان يرجع إلى عدل و ديانه و له حظ من صلاة و تدبّر و كان فصيحاً بليغاً خليقا للإمارة إلا أنه قتل خلقا كثيرا حتى استقام ملكه بويح بالخلافة بعد أخيه السفاح أتمته البيعة و هو بمكة بعهد السفاح لأنه كان حج في تلك السنة و مكث في الخلافة إحدى و عشرين سنة و أحد عشر شهرا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٨٥

كذا في سيرة مغلطاي و فيها حج أبو مسلم الخراساني و وقع منه في حق المنصور أمور نقمها عليه و قتله لما ولى الخلافة.

و المنصور هذا هو الذي بنى بغداد و قتل أبا مسلم الخراساني و اسمه عبد الرحمن و ضرب أبا حنيفة على أن يلي القضاء فامتنع و مات في حبسه كذا في سيرة مغلطاي و هو والد جميع الخلفاء العباسيين.

و في سنة (١٤١) إحدى و أربعين و مائه أمر المنصور بعمارة جدار حجر إسماعيل فعملوه بالرخام و كان قبل ذلك مبنيًا بحجارة بادية ليس عليها رخام كذا في شفاء الغرام.

و قال خليفة و الهيثم و غيرهما: عاش أربعاً و ستين سنة. قال الصولي: دفن ما بين الحجون و بئر ميمون من ذى الحجة سنة ثمان و خمسين و مائه. و في حياة الحيوان: مات ببئر ميمون على أميال من مكة و هو محرم بالحج و كذا في سيرة مغلطاي و هو ابن ثلاث و ستين سنة و كانت خلافته اثنتين و عشرين سنة و ثلاثة أشهر. قال الذهبي: و سار المنصور للحج فأدركه الموت و هو محرم بظاهر مكة و له ثلاث و ستون سنة و تخلف بعده ابنه المهدي. انتهى من تاريخ الخميس.

### اقتصاد المنصور

جاء في محاضرات الخضرى ما نصه: عرف المنصور بميله إلى الاقتصاد في النفقات حتى امتلأت بالأموال خزائنه و لذلك ترك لابنه المهدي ثروة جعلته مدة حكمه هادئ البال ينفق عن سعة و لا يخشى نفادا. و لم يكن المنصور يعطى الشعراء تلك العطايا البالغة حد السرف و إنما كانت أعطياته إلى القلة أميل و كان يراقب أولاده حتى لا يدعهم يميلون إلى السرف.

و كانت أرزاق العمال أيام المنصور (٣٠٠) درهم و لم يزل الأمر على ذلك إلى أيام المأمون فكان أول من سن زيادة الأرزاق الفضل بن سهل.

و على الجملة فلم يرقم في بني العباس مثل المنصور في ثيابه و علو همته و شدته على المريب و اهتمامه بأمر العامة وجدته في بلاطه. و كان فوق ذلك كله فصيحاً بليغاً ما يريد من الكلام عند الحاجة. و كانت القوة الإسلامية في يده و طوع أمره

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٨٦

إلا أنها لم تكن عريئة خالصة كما كان الحال في الدولة الأموية و كانت قوة العرب لعهد لا تزال راجحة. انتهى من المحاضرات.

### اهتمام المنصور بعماله

و جاء في محاضرات الخضرى أيضا ما نصه:

قال المنصور: ما كان أحوجنى إلى أن يكون على بابى أربعة نفر لا يكون على بابى أعف منهم. قيل له: يا أمير المؤمنين من هم؟ قال: هم أركان الملك و لا يصلح الملك إلا بهم، كما أن السرير لا يصلح إلا بأربعة قوائم إن نقصت واحدة تداعى و هى: أما أحدهم فقاض لا- تأخذه فى الله لومة لائم، و الآخر صاحب شرطه ينصف الضعيف من القوى، و الثالث صاحب خراج يستقصى و لا يظلم الرعية فإنى عن ظلمها غنى، و الرابع ثم عض على إصبغه السبابة ثلاث مرات، يقول فى كل مرة: آه، قيل له: و من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة. انتهى منها.

و جاء فيها أيضا: و لى رجلا من العرب حضرموت، فكتب إليه والى البريد أنه يكثر الخروج فى طلب الصيد بيزاة و كلاب قد أعدها. فعزله و كتب إليه:

(ثكلتك أمك و عدمتك عشيرتك ما هذه العدة التى أعددتها للنكايه من الوحش إنا إنما استكفيناك أمور المسلمين و لم نستكفك أمور الوحش، سلم ما كنت تلى من عملنا إلى فلان بن فلان و الحق بأهلك ملوما مدحورا).

و ظفر مرة برجل من كبراء بنى أمية فقال: إنى سائلك عن أشياء فاصدقنى و لك الأمان. قال: نعم. فقال المنصور: من أين أتى بنو أمية حتى انتشر أمرهم؟

قال: من تضييع الأخبار. قال: فأى الأموال وجدوها أنفع؟ قال: الجوهر. قال:

فعند من وجدوا الوفاء؟ قال: عند مواليهم. فأراد المنصور أن يستعين فى الأخبار بأهل بيته، ثم قال: أضع من أقدارهم فاستعان بمواليه. انتهى منها.

و جاء فيها أيضا: و ذكر إبراهيم بن موسى بن عيسى أن ولاة البريد فى الآفاق كلها كانوا يكتبون إلى المنصور أيام خلافته كل يوم بسعر القمح و الحبوب و الأدم و بسعر كل مأكول و بكل ما يقضى به القاضى من نواحيهم و بما يعمل به والى و بما يرد بيت المال و كل حدث و كانوا يكتبون حوادث النهار إذا صلوا المغرب و يكتبون إليه بما كان من كل ليلة إذا صلوا الغداة فإذا وردت كتبهم نظر فيها فإذا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٨٧

رأى الأسعار على حالها أمسك و إن تغير شىء عن حاله كتب إلى والى و العامل هناك و سأل عن العلة التى نقلت ذاك عن سعره فإذا ورد الجواب بالعلة تطف لذلك برفقه حتى يعود سعره ذلك إلى حاله. و إن شك فى شىء مما قضى به القاضى كتب إليه فى ذلك و سأل من حضرته عن عمله، فإن أنكر شيئا عمل به، كتب إليه يوبخه و يلومه. انتهى منها.

### حاضرة الخلافة

و جاء فيها أيضا: لما ولى أبو جعفر انتقل من الأنبار إلى الهاشمية التى أسسها أخوه أبو العباس و أقام بها إلى أن عزم على تأسيس مدينة بغداد، حاضرة بنى العباس الكبرى، و مظهر فخرهم و مدنيتهم. و كان يريد أن يكون بعيدا عن الكوفة فخرج يرتاد مسكنا لنفسه و جنده و بيتنى به مدينة حتى صار إلى موضع بغداد و قال: هذا موضع معسكر صالح هذه دجلة ليس بيننا و بين الصين شىء يأتينا فيها كل ما فى البحر و تأتينا الميرة من الجزيرة و أرمينية و ما حول ذلك و هذا الفرات يجىء فيه كل شىء من الشام و الرقة و ما حول ذلك فنزل و ضرب عسكره على الصراء و هو نهر بين دجلة و الفرات ثم أمر بخطط المدينة على مثال وضعه و هى مدورة الشكل تقريبا

و جعل لها سورين أحدهما داخل و هو سور المدينة و سمكه من السماء (٣٥) ذراعا و عليه أبرجة، سمك كل برج منها فوق السور خمسة أذرع، و على السور شرف. و عرض السور من أسفله نحو عشرين ذراعا. و يليه من الخارج فصيل بين السورين و عرضه (٦٠) ذراعا. ثم السور الأول و هو سور الفصيل و دونه خندق .. و للمدينة أربعة أبواب كل اثنين منها متقابلان. و لكل منها باب دون باب، بينهما دهليز و رحبة تدخل إلى الفصيل الدائر بين السورين.

فالأول باب الفصيل و الثاني باب المدينة فإذا دخل الداخل من باب خراسان عطف على يساره في دهليز أزج معقود بالآجر و الجص عرضه عشرون ذراعا طوله ثلاثون المدخل إليه في عرضه و المخرج منه من طوله يخرج إلى رحبه مادة إلى الباب الثاني طولها (٦٠) ذراعا و عرضها (٤٠) و لها في جنبتيها حائطان من الباب الأول إلى الباب الثاني في صدر هذه الرحبة في طولها الباب الثاني و هو باب المدينة و عن يمينه و شماله في جنبتي هذه الرحبة بابان إلى الفصيلين. و الأبواب الأربعة على صورة واحدة في الأبواب و الفصلاان و الرحاب و الطاقات. ثم الباب الثاني و هو باب

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٨٨

المدينة و عليه السور الكبير فيدخل من الباب الكبير إلى دهليز أزج معقود بالآجر و الجص طوله (٢٠) ذراعا و عرضه (١٢) و على كل أزج من أزاج هذه الأبواب مجلس له درجة على السور يرتقى إليه منها، على هذا المجلس قبة عظيمة ذاهبه في السماء سمكها (٥٠) ذراعا مزخرقة و على رأس كل قبة منها تمثال تديره الريح لا يشبه نظائره و على كل باب من أبواب المدينة الأوائل و الثاني باب حديد عظيم جليل المقدار كل باب منها فردان. انتهى منها.

و جاء فيها أيضا: و ابنتى قصره الذى يسمى الخلد على دجلة و كان موضعه وراء باب خراسان. و مد المنصور من نهر دجيل الأخذ من دجلة و قناة من نهر كرخايا الأخذ من الفرات و جرهما إلى المدينة فى عقود وثيقة من أسفلها محكمة بالصاروج و الآجر من أعلاها فكانت كل قناة منهما تدخل المدينة و تنفذ فى الشوارع و الدروب و الأرباط و تجرى صيفا و شتاء لا ينقطع ماؤها فى وقت. و جر لأهل الكرخ أربعة أنهر يقال لأحدها نهر الدجاج و للثاني نهر القلائين و للثالث نهر طابق و للرابع مهر البرازين. و الكرخ هو أسواق المدينة التى نقلها المنصور من مدينته فى الجهة الجنوبية بين الصراة و نهر عيسى بناها المنصور و رتب كل صنف منها فى موضعه و بنى لأهل الأسواق مسجدا يجمعون فيه و لا يدخلون المدينة و سميت الشرقية لأنها شرقى الصراة و لأبى عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفه نفظويه فى الكرخ:

سقى أربع الكرخ الغوادى بديمه و كل ملث دائم الهطل مسبل

منازل فيها كل حسن و بهجة و تلك لها فضل على كل منزل

انتهى منها.

و جاء فيها أيضا: و فى سنة (١٥١) إحدى و خمسين و مائة بنى المنصور الرصافة للمهدى ابنه و عمل لها سورا و خندقا و ميدانا و بستانا و أجرى لها الماء.

و ربع الرصافة يسمى عسكر المهدي لأن المهدي عسكر به عند شخوصه من الرى.

و بنى المنصور قصره و الجامع فى وسط المدينة و كان فى صدر قصر المنصور إيوان طوله ثلاثون ذراعا و عرضه عشرون و فى صدر الإيوان مجلس عشرون ذراعا فى عشرين و سمكه عشرون و سقفه قبة و عليه مجلس فوقه القبة الخضراء و سمكه فى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٨٩

أول حد عقد القبة عشرون ذراعا فصار من الأرض إلى رأس القبة الخضراء ثمانين ذراعا. و على رأس القبة تمثال فارس عليه فارس بيده رمح.

و قد أنفق المنصور على مدينته هذه ثمانية عشر ألف دينار على ما حكاه ياقوت. و فى بعض الروايات أقل من ذلك. و لما تم

بناؤها حشر إليها المنصور العلماء من كل بلد و إقليم فأمها الناس أفواجا و لم تزل تتعاضم و يزداد عمرانها حتى صارت أم الدنيا و سيدة البلاد و مهد الحضارة الإسلامية في عهد الدولة العباسية و أربى سكانها على مليونين. قال الخطيب البغدادي: لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلاله قدرها و فخامه أمرها و كثرة علمائها و أعلامها و تميز خواصها و عوامها و عظم أقطارها و وسعة أطرارها و كثرة دورها و منازلها و دروبها و شوارعها و محالها و أسواقها و سككها و أزقتها و مساجدها و حماماتها و طرقها و خاناتها و طيب هوائها و عذوبة مائها و برد ظلالها و أفائها و اعتدال صيفها و شتائها و صحة ربيعها و خريفها و زيادة ما حصر من عدد سكانها. و أكثر ما كانت عمارة و أهلا- في أيام الرشيد إذ الدنيا قارة المضاجع دارة الأمراض خصيبة المواقع موردة المشارع. انتهى كل ذلك من محاضرات الخضري.

### حكاية المنصور مع معن بن زائدة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٢-٤ ؛ ص ٤٨٩

من اللطائف ما جاء في محاضرات الخضري ما نصه:

و من مشهورى قواد العرب: معن بن زائدة الشيباني و هو قائد شجاع كان في أيام بنى أمية متنقلا في الولايات و منقطعا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقيين فلما جاءت الدولة العباسية و حوصر يزيد بن عمر بواسط أبلى معه يومئذ بلاء حسنا، فلما سلم يزيد و قتل خاف معن على نفسه من المنصور فاستتر مدة طويلة، حصلت له فيها غرائب، من أظرفها أنه تنكر و ركب جملا يقصد البادية، فيينا هو خارج من باب المدينة تبعه عبد أسود متقلدا سيفا فقبض على خطام جملة، فأناخه و قبض على يدي معن، و قال: أنت طلبة أمير المؤمنين أنت معن بن زائدة فلما رأى الجدم منه أخرج عقد جوهر ثمنه أضعاف ما جعله المنصور لمن يأتي بمعن فقال للأسود: خذه و لا تكن سببا لسفك دمي فتأمله الأسود و قال:

لست أقبلك حتى أسألك عن شيء فإن صدقتني أطلقتك إن الناس وصفوك بالجود فهل وهبت مالك كله؟ قال: لا. قال: فنصفه؟ قال: لا. و لم يزل حتى بلغ

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٩٠

العشر، فقال معن: نعم. فقال له الأسود: أنا رزقي من المنصور كل شهر عشرون درهما. و هذا الجوهر قيمته ألوف دنانير، و قد وهبتك لك و وهبتك لنفسك و لجودك المأثورين عند الناس و لتعلم أن في الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك و لتحق بعد هذا كل جود فعلته و لا- تتوقف عن مكرمة. ثم رمى العقد في حجره و ترك خطام الجمل و ولي منصرفا فقال له معن: قد و الله فضحتني و لسفك دمي أهون علي مما فعلت فخذ ما دفعته لك فإنني في غنى عنه فضحك و قال: أردت أن تكذبني في مقالي و الله لا أخذته و لا أخذت لمعروفى ثمننا و مضى لسبيله. و ما زال معن مستترا، حتى كان يوم الهاشمية، يوم أن ثار الرواندي بالمنصور و هم قوم من أهل خراسان منسوبون إلى بليدة قرب قاشان و كانوا على رأى أبى مسلم صاحب دعوة بنى هاشم يقولون بتناسخ الأرواح و بظهور على رغم الروايات المتناقضة أنهم كانوا يريدون الأخذ بثأر أبى مسلم و يقتلون أبا جعفر فاجتمع منهم زهاء ستمائة و قصدوا نحو المنصور فتنادى الناس و غلقت أبواب المدينة فلم يدخل أحد، فخرج المنصور من قصره. و في ذلك الوقت ظهر معن فانهى إلى أبى جعفر، فرمى بنفسه و ترجل و أدخل خرفة قبائه في منطقتة. و أخذ بلجام دابة المنصور و قال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين إلا رجعت، فإنك تكفى فلم يرجع. و جاء الربيع ليأخذ بلجام الدابة فقال له معن: ليس هذا من أيامك ثم تكاثر عليهم الناس فقتلهم جميعا و شفت تلك الفعلة معنا في نظر أبى جعفر حتى سماه أسد الرجال فقال معن: و الله يا أمير المؤمنين لقد أتيتك و أنا وجل القلب فلما رأيت ما عندك من الاستهانة بهم و شدة الإقدام عليهم رأيت أمرا لم أره من خلق في حرب فشد ذلك من قلبي و حملني على ما رأيت منى. و كان ذلك سببا لإعطائه الأمان و وصله بعشرة آلاف درهم و توليه اليمن. فمكث فيها مدة أحسن فيها السيرة في

أهلها حتى ردهم إلى الطاعة و الجماعة. ثم ولى في آخر أمره سجستان.

ولما كان سنة (١٥١) إحدى وخمسين و مائة كان في داره صناع يعملون له عملا فاندس بينهم قوم من الخوارج فقتلوه بمدينة بست. وكان معن جوادا ممدحا و شاعره الخصيص به مروان بن أبي حفصة له فيه المدح الرائقة كما له فيه المراثي المشجية و من طرف بدائنه أن معنا دخل على المنصور مرة فقال له: إيه يا معن تعطى مروان ابن أبي حفصة مئة ألف درهم على قوله:

معن بن زائدة الذى زادت به شرفا على شرف بنو شيبان

فقال: كلا يا أمير المؤمنين و إنما أعطيته على قوله:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٩١ ما زلت يوم الهاشمية معلنا بالسيف دون خليفه الرحمن

فمنعت حوزته و كنت وقاءه من وقع كل مهند و سنان

انتهى من المحاضرات.

و لقد حج المنصور رحمه الله تعالى في خلافته خمس مرات، قال الغازى في تاريخه نقلا عن ابن فهد: إن المنصور لما حج بالناس سنة (١٣٦) ست و ثلاثين و مائة قبل أن يستخلف و حج معه أبو مسلم الخراسانى و اسمه عبد الرحمن بن سلم، فكان في طريقه يصلح العقبات و يكسو الأعراب في كل منزل و يصل من سأله، و حفر الآبار و سهّل الطريق، و كان الصيت له و كانت الأعراب تقول: هذا المكذوب عليه، و أمر مناديا في طريق مكة برئت الذمة من رجل أوقد ناراً في عسكر الأمير فلم يزل يغذّيهم و يعشّيهم حتى بلغ مكة، و لما وصل الحرم نزل و خلع نعليه و مشى حافيا تعظيما للحرم، و أوقف في المسعى خمسمائة و صيف على رقابهم المناديل يسقون الأشربة من سعى من الحاج بين الصفا و المروة، فلما صدر الناس من الموسم نفر أبو مسلم قبل أبي جعفر كراهة اجتماعهما على الماء فيضر بذلك الناس و التمس بذلك الإرفاق بالناس جميعا. انتهى من الغازى.

### صفات المنصور و أخلاقه

جاء في محاضرات الخضرى ما نصه:

كان المنصور أعظم رجل قام من آل العباس شدة و بأسا و يقظة و ثباتا و نحن نسوق هنا جملة من أخلاقه لترسم صورة هذا الرجل العظيم في الأذهان.

### كيف كان يقضى وقته

كان شغله في صدر النهار بالأمر و النهى و الولايات و العزل و شحن الثغور و الأطراف و أمن السبل و النظر في الخارج و النفقات و مصلحة معاش الرعية، لطحر عالتهم و التلطف لسكونهم و هدئهم. فإذا صلى العصر جلس لأهل بيته إلا من أحل أن يسامره. فإذا صلى العشاء الآخرة نظر فيما ورد عليه من كتب الثغور و الأطراف و الآفاق و شاور سماره من ذلك فيما أرب. فإذا أمضى ثلث الليل قام إلى فراشه و انصرف سماره. فإذا أمضى الثلث الثانى قام من فراشه فأسبغ و ضوءه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٩٢

وصف في محرابه حتى يطلع الفجر ثم يخرج فيصلى بالناس ثم يدخل فيجلس في إيوانه. انتهى.

### وفاة المنصور

جاء في محاضرات الخضرى ما نصه:

في سنة (١٥٨) ثمان و خمسين و مائة حج المنصور شخص من مدينة السلام متوجها إلى مكة في شوال فلما سار من منازل الكوفة



عرض له وجعه الذي توفي به و لم يزل يزداد حتى وصل بستان بن عامر فاشتد به وجعه ثم صار إلى بئر ميمون و هو يسأل عن دخول الحرم و يوصى الربيع بما يريد و توفي في سحر ليلة السبت (٦) ذى الحجة سنة (١٥٨).

و لم يحضره عند وفاته إلا-الربيع الحاجب فكنتم موته و منع النساء و غيرهن من البكاء عليه ثم أصبح فحضر أهل بيت الخلافة، و جلسوا مجالسهم فأخذ الربيع بيعتهم للأمير المؤمنين المهدي و لعيسى بن موسى من بعده ثم دعا بالقواد فبايعوا و توجه العباس بن محمد بن علي و محمد بن سليمان بن علي إلى مكة لبايعا الناس فبايعوا للمهدي بين الركن و المقام.

ثم أخذ من جهاز المنصور و غسله و كفنه ففرغ من ذلك مع صلاة العصر و جعل رأسه مكشوفاً من أجل أنه مات محرماً و صلى عليه عيسى بن موسى و دفن بشيئة المعلاة بعد خلافة مدتها (٢٢) سنة إلا ستة أيام، رحمه الله.

و كان له من الولد ثمان ذكور و بنت. فالذكور محمد المهدي و جعفر الأكبر و أمهما أروى بنت منصور الحميرية و سليمان و عيسى و يعقوب و أمهم فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله و جعفر الأصغر و أمه أم ولد كردية. و صالح المسكين و أمه أم ولد رومية. و القاسم و أمه أم ولد، و قد مات منهم جعفر الأكبر و القاسم قبل وفاة المنصور و البنت اسمها العالية، أمها امرأة من بني أمية و قد تزوج العالية إسحاق بن علي. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٩٣

### ترجمة أمير المؤمنين محمد المهدي

#### إشارة

جاء في تاريخ الخميس عنه ما يأتي:

هو المهدي أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور، هو الثالث من خلفاء بني العباس، ولد سنة (١٢٦) ست و عشرين و مائة، بويح له بالخلافة بعد موت أبيه المنصور بعهد منه إليه «أى فى سنة ثمان و خمسين و مائة».

كان المهدي جواداً ممدحاً مليح الشكل محبباً إلى الرعية شجاعاً خصاماً للزنادقة يتبعهم و يقتلهم فى كل بلد. و بنى جامع الرصافة، و كسا الكعبة القباطي و الخزف و الديداج، و طلى جدرانها بالمسك و العنبر من أسفلها إلى أعلاها. لما شبّ و لاه أبوه على طبرستان و ما يليها و على الرى، و تأدب المهدي و جالس العلماء و تميز، و قيل: إن أباه المنصور غرّم أموالاً عظيمة، و تحيل حتى استنزل و لى العهد أخاه عيسى بن موسى عن المنصب و و لاه للمهدي هذا. انتهى من تاريخ الخميس.

و جاء فى محاضرات الخضرى عنه ما نصه:

هو محمد المهدي ابن المنصور و أمه أروى بنت منصور الحميرية و كانت تكنى أم موسى و ولد سنة (١٢٦) بالحيمية من أرض الشراة و كانت سنّه إذ جاءتهم الخلافة ست سنوات و لما استخلف أبوه كان فتى سنّه عشر سنوات. و لما بلغ مبلغ الرجال كان أبوه يرشحه لولاية العهد فولاه سنة (١٤١) إحدى و أربعين و مائة، و سنّه ١٥ سنة قيادة الجنود المتوجهة إلى خراسان و أمره أن ينزل الرى حينما وقعت فتنة عبد الجبار بن عبد الرحمن عامل المنصور على خراسان. و بعد انتهاء تلك الفتنة أمره بغزو طبرستان. ثم انصرف عائداً من خراسان سنة (١٤٤) أربع و أربعين و مائة، فلقبه أبوه بقرمسين و انصرفاً جميعاً إلى الجزيرة لمراقبة ثغورها و فى هذه السنة بنى المهدي بريطة بنت أبي العباس السفاح.

و فى سنة (١٤٧) سبع و أربعين و مائة، و لاه أبوه العهد و قدمه على عيسى بن موسى. ثم عاد إلى الرى فأقام إلى سنة (١٥١) إحدى و خمسين و مائة، و فيها قدم على أبيه فبنى له و لجنده الرصافة و هى الجانب الشرقى من بغداد و و لاه الحج سنة (١٥٣) ثلاث و خمسين و مائة. و فى سنة (١٥٥) خمس و خمسين و مائة، أسس مدينة الرافقة على طراز بغداد. و لم يزل يستعين به فى الأعمال حتى توفي فى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٩٤

التاريخ الذى تقدم ذكره (٦) الحجّة سنة (١٥٨) ثمان و خمسين و مائة (٧) أكتوبر سنة (٧٧٥). انتهى.

قال ابن كثير فى تاريخه: و كان مولد المهدي فى سنة ست أو سبع و عشرين و مائة، أو فى سنة إحدى و عشرين و مائة، ولى الخلافة بعد موت أبيه فى ذى الحجّة سنة ثمان و خمسين و مائة، و عمره إذ ذاك ثلاث و ثلاثون سنة ولد بالحيمه من أرض البلقاء و توفى فى المحرم من هذه السنة أعنى سنة تسع و ستين و مائة، عن ثلاث أو ثمان و أربعين سنة و كانت خلافته عشر سنين و شهرا و بعض شهر.

و كان أسمر طويلا جعد الشعر على إحدى عينيه نكتة بيضاء قيل على عينه اليمنى و قيل اليسرى. قال الربيع الحاجب: رأيت المهدي يصلى فى ليلة مقمرة فى بهلوله عليه ثياب حسنة فما أدرى هو أحسن أم القمر أم بهوه أم ثيابه فقرا: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ ... الآيات ثم أمرنى فأحضرت رجلا من أقاربه كان مسجوناً فأطلقه و لما جاء خبر موت أبيه بمكة كما تقدم كتم الأمر يومين ثم نودى فى الناس يوم الخميس: الصلاة جامعة فقام فيهم خطيباً فأعلمهم بموت أبيه و قال: إن أمير المؤمنين دعى فأجاب فعند الله أحسب أمير المؤمنين و أستعينه على خلافة المسلمين ثم بايعه الناس بالخلافة يومئذ و قد عزاه أبو دلامة و هنا فى قصيدة له يقول فيها:

عيناى واحدة ترى مسرورة بأمرها جذلى و أخرى تذرف  
تبكى و تضحك تارة و يسوؤها ما أنكرت و يسرها ما تعرف  
فيسوؤها موت الخليفة محرما و يسرها إن قام هذا الأراف  
ما إن رأيت كما رأيت و له أرى شعرا أرجله و آخر ينتف  
هلك الخليفة يال أمه أحمدهم أتاكم من بعده من يخلف  
أهدى لهذا الله أفضل خلافة و لذاك جنات النعيم تزخرف  
لما اتصل بالمهدي خبر وفاة والده بمكة المكرمة، اشتد عليه الحزن و اغرورقت عيناه بالدموع، و قال: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد بكى عند فراق الأختبة. و لقد فارقت عظيما و قلدت جسيما. و بينما كان المهدي جالسا للتعزية بوالده و التهنته بمبايعته، دخل عليه أبو دلامة فأشدد:

عيناى واحدة ترى مسرورة بإمامها جذلى و أخرى تطرف

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٩٥ تبكى و تضحك مرة و يسوؤها ما أنكرت و يسرها ما تعرف

فيسوؤها موت الخليفة محرما و يسرها إذ قام هذا الأراف

فأجزل له العطاء و كان أول من وصله. انتهى.

### بيعة المهدي

قال الخضرى فى محاضراته: بعد أن أخذ الربيع بيعة المهدي على بنى هاشم و القواد الذين كانوا يرافقون المنصور فى حجّه و وجه رسولا إلى مدينة السلام بخبر الوفاة و بعث معه بقضيب النبى صلى الله عليه و سلم و بردته التى يتوارثها الخلفاء و بخاتم الخلافة. فقدمت الرسل يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجّة. و فى ذلك اليوم بايعه أهل مدينة السلام و مكث فى خلافته إلى أن توفى ليلة الخميس لثمان بقين من المحرم سنة (١٦٩) تسع و ستين و مائة، (٤) أغسطس سنة (٧٨٥) خمس و ثمانين و سبعمائة ميلادية، بما سبذان فتكون مدته عشر سنين و شهرا و نصفاً. اه منها.

و قال فيها أيضا: كانت خلافة المهدي مرفّهة عن الناس ما كانوا يلقونه من بعض الشدة أيام المنصور، فقد كان المنصور يؤسس ملكا

له خصوم فكان يكتفى بالريبة و الظنة فيعاقب بهما، و في مثل ذلك كثير ما يؤخذ البريء بالمذنب و المطيع بالعاصي، فلما جاء المهدي كانت الخلافة العباسية قد توطدت، و أنياب العلويين قد كسرت و إن كانت قد بقيت لهم بقايا يتطلعون للخلافة، فهم لا يحتاجون من الاحتراس منهم إلى مثل ما كان المنصور يحتاج إليه في الشدة، فإن كبارهم قد وضعوا تحت نظر الخليفة ببغداد أو الذين كانوا بالمدينة اكتفى بمراقبة الأمير لهم فكانوا يعرضون عليه كل يوم و لذلك كانت حياة المهدي حياة سعيدة لنفسه و لأمته. و هو بعد أبيه يشبه في كثير من الوجوه الوليد بن عبد الملك بعد أبيه.

في أول ولايته أمر بإطلاق من كان في سجن المنصور إلا- من كان قبله تباعه من دم أو قتل و من كان معروفا بالسعى في الأرض بالفساد أو كان لأحد قبله مظلمة أو حتى فالذين أطلقهم هم من كان جرمهم سياسيا أما أرباب الجنایات و المحبوسون لحقوق مدينة فإنهم ظلوا في حبسهم و كان ممن أطلق يعقوب بن داود الذي سيأتي ذكره في كبار الرجال في عهد المهدي. انتهى منها.

و جاء فيها أيضا: و مما أجراه من الإصلاح أمره ببناء القصور في طريق مكة أوسع من القصور التي كان السفاح بناها في القادسية إلى زباله و أمر بالزيادة من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٩٦

قصور السفاح و ترك منازل المنصور التي بناها على حالها و أمر باتخاذ المصانع في كل منهل و هي حيطان بنى و تملأ من مياه الآبار حتى يكون الاستقاء سهلا على رجال القوافل الذين لا ينقطع مرورهم في تلك الجهات، و أمر بتجديد الأميال و البرك و حفر الركايا مع المصانع و جعل لذلك عاملا- خاصا يقوم به. و أمر أن يجري على المجذمين و أهل السجون في جميع الآفاق حتى لا يحتاج المجذمون إلى المشى في الطرق و سؤال الناس فيكونون سببا في انتشار المرض و حتى يكون للمسجونين ما يقوم بأودهم فلا يموتوا جوعا إلا من كان له أهل يسألون عنه و أقام البريد بين مدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم و مكة و اليمن بغالا و إبلا و لم يبق هنالك بريد قبل ذلك و من آثاره زيادته في المسجد الحرام فأدخل فيه دورا كثيرة مما يحيط به. اه منها.

و جاء فيها أيضا: و كان المهدي يجلس للمظالم و تدخل القصص إليه فارتشى بعض أصحابه بتقديم بعضها فاتخذ بيتا له شباك حديد على الطريق يطرح فيه القصص و كان يدخله وحده فيأخذ ما يقع بيده من القصص أولا فأولا فينظر فيه فلا يقدم بعضها على بعض و كان المهدي مغرى بالزنادقة الذين يرفع إليه أمرهم فكان دائما يعاقبهم بالقتل و لذلك كانت هذه التهمة في زمنه وسيلة إلى تشفى من يجب أن يتشفى من عدو أو خصم. و الذي أغراه بذلك ما كان من فتنة المقنع الخراساني كان في إحدى قرى مرو و كان يقول بتناسخ الأرواح فاستغوى بشرا كثيرا و صار إلى ما وراء النهر فوجه المهدي لقتاله عدة من القواد فيهم مفاذ بن مسلم و هو يومئذ على خراسان ثم أفرد المهدي لمحاربه سعيد الحرشي و ضم إليه القواد فاستعد المقنع للحصار في قلعه كش فحاصره سعيد بقلعته و لما اشتد عليه الحصار و أحس بالهلكة شرب سما و أسقاه نساءه و أهله فمات و ماتوا جميعا و دخل المسلمون قلعته و احتزوا رأسه. انتهى من محاضرات الخضري.

قال ابن كثير في تاريخه: و في هذه السنة «أى سنة ستين و مائة» حج بالناس المهدي و استخلف على بغداد ابنه موسى الهادي، و استصحب معه ابنه هارون الرشيد و خلقا من الأمراء منهم يعقوب بن داود على منزلته و مكانته و كان الحسن بن إبراهيم قد هرب من الخادم فلحق بأرض الحجاز فاستأمن له يعقوب بن داود فأحسن المهدي حلته و أجرله جائزته، و فرق المهدي في أهل مكة مالا كثيرا جدا كان قد قدم معه بثلاثين ألف درهم و مائة ألف ثوب و جاء من مصر ثلثمائة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٩٧

ألف دينار و من اليمن مائتا ألف دينار فأعطاهما كلها في أهل مكة و المدينة، و شكت الحجة إلى المهدي أنهم يخافون على الكعبة أن تنهدم من كثرة ما عليها من الكساوي فأمر بتجريدها فلما انتهوا إلى كساوي هشام بن عبد الملك وجدها من ديباج ثخين جدا فأمر بإزالتها و بقيت كساوي الخلفاء قبله و بعده. فلما جردها طلاها بالخلوق و كساها كسوة حسنة جدا، و يقال: أنه استفتى مالكا في إعادة

الكعبة إلى ما كانت عليه من بناءة ابن الزبير، فقال مالك: دعها فإنى أخشى أن يتخذها الملوك ملعبة فتركها على ما هي. وحمل له محمد بن سليمان، نائب البصرة الثلج إلى مكة. وكان أول خليفة حمل له الثلج إليها. ولما دخل المدينة وسع المسجد النبوي وكان فيه مقصورة فأزالها وأراد أن ينقص من المنبر عما كان زاده معاوية بن أبي سفيان فقال له مالك: إنه يخشى أن ينكسر خشبه العتيق إذا زعزع. فتركه وتزوج في المدينة رقية بنت عمرو العثمانية. وانتخب من أهلها خمسمائة من أعيانها ليكونوا حرسا بالطرق وأنصارا وأجرى عليهم أرزاقا غير أعطياتهم وأقطعهم إقطاعا معروفة بهم.

قال ابن كثير في تاريخه: وذكروا أنه هاجت ريح شديدة فدخل المهدي بيتا في داره فألرزق خده بالتراب وقال: اللهم إن كنت أنا المطلوب بهذه العقوبة دون الناس فهذا أنا ذا بين يديك، اللهم لا تشمت بي الأعداء من أهل الأديان. فلم يزل كذلك حتى انجلت. و دخل عليه رجل يوما ومعه نعل فقال: هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهديتهما لك فقال: هاتها فناوله إياها فقبلها ووضعها على عينيه وأمر له بعشرة آلاف درهم فلما انصرف الرجل قال المهدي: والله إنى لأعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير هذه النعل فضلا عن أن يلبسها، ولكن لو رددته لذهب يقول للناس: أهديت إليه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها على فتصدقه الناس لأن العامة تميل إلى أمثالها ومن شأنهم نصر الضعيف على القوى وإن كان ظالما فاشترينا لسانه بعشرة آلاف درهم ورأينا هذا أرجح وأصلح. انتهى من ابن كثير.

روى المسعودي وهو من أهل القرن الثالث للهجرة، في أواخر الجزء الثاني من تاريخه عند ذكر خلافة القاهر بالله - عن العلامة بأخبار بني العباس محمد بن علي العبدى الخراسانى الأخبارى أنه قال: خلا بى القاهر فقال: أصدقنى أو هذه، وأشار إلى بالحربة. فرأيت والله الموت عيانا بينى وبينه، فقلت: أصدقك يا أمير المؤمنين. فقال لى: أنظر يقولها ثلاثا. فقلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: عما

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٩٨

أسألك عنه ولا تغيب عنى شيئا، ولا تحسن القصه ولا تسجع فيها ولا تسقط منها شيئا. قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: أنت علامة بأخبار بني العباس من أخلاقهم وشيمهم من أبي العباس فمن دونه. فقلت: على أن لى الأمان يا أمير المؤمنين. قال: ذلك لك. فقلت: أما أبو العباس السفاح، فكان سريعا إلى سفك الدماء واتبعه عماله فى الشرق والغرب من فعله واستنوا بسيرته ... إلى آخر ما ذكر فى وصف أمراء المؤمنين حتى جاء فى وصف محمد المهدي الذى عمّر المسجد الحرام وزاد فيه هذه الزيادة العظيمة، فقال عنه ما يأتي:

كان المهدي سمحا سخيا كريما جوادا، فسلك الناس فى عصره سبيله وذهبوا فى أمرهم مذهبه واتسعوا فى مساعيهم، وكان من فعله فى ركوبه أن يحمل معه بدر الدنانير والدرهم فلا يسأله أحد إلا أعطاه وإن سكت ابتداءه المفرق بين يديه وقد تقدم بذلك إليه، وأمعن فى قتل الملحدين والمداهنين عن الدين لظهورهم فى أيامه وإعلانهم باعتقاداتهم فى خلافته لما انتشر من كتب مانى وابن دميان و مرقيون مما نقله عبد الله بن المقفع وغيره وترجمت من الفارسية والفهلوية إلى العربية وما صنّف من ذلك ابن أبي العرجاء وحماد عجرد ويحيى بن زياد ومطيع بن إياس من تأييد المذاهب المانية والدنساقيه والمرقونية فكثير بذلك الزنادقة وظهرت آراؤهم فى الناس وكان المهدي أول من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم وأقاموا البراهين على المعاندين وأزالوا شبه الملحدين فأوضحوا الحق للشاكين، وشرع فى بناء المسجد الحرام ومسجد النبى صلى الله عليه وسلم على ما هما عليه إلى هذه الغاية وبنى بيت المقدس وقد كان هدمته الزلازل. انتهى من الكتاب المذكور.

### بين المهدي ومعن بن زائدة

قال سعيد بن مسلم: هدر المهدي دم رجل من أهل الكوفة، كان يسعى فى فساد سلطنته، وجعل لمن دله عليه أو جاء به مائة ألف

درهم. قال: فأقام الرجل حيناً متوارياً ثم إنه ظهر بمدينة السلام، فكان ظاهراً كغائب، خائفاً مترقباً فبينما هو يمشى فى بعض نواحيها، إذ بصر به رجل من أهل الكوفة، فعرفه فأهوى إلى مجامع ثوبه و قال: هذا بغية أمير المؤمنين فأمكن الرجل من قياده، و نظر إلى الموت أمامه فبينما هو على تلك الحالة إذ سمع وقع حوافر من وراء ظهره، فالتفت فإذا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٤٩٩

معن بن زائدة فقال: يا أبا الوليد أجرنى أجاك الله فوقف، و قال للرجل الذى يعلق به: ما شأنك؟ قال: بغية أمير المؤمنين الذى نذر دمه، و أعطى لمن دل عليه مائة ألف. فقال: يا غلام انزل عن دابتك و احمل أخانا، فصاح الرجل: يا معشر الناس! يحال بينى و بين من طلبه أمير المؤمنين. قال له معن: اذهب فأخبره أنه عندى فانطلق إلى باب أمير المؤمنين فأخبره الحاجب، فدخل إلى المهدي فأخبره، فأمر بحبس الرجل، و وجه إلى معن من يحضر به فأتته رسل أمير المؤمنين، و قد لبس ثيابه و قربت إليه دابته، فدعا أهل بيته و مواليه فقال: لا يخلصن إلى هذا الرجل و فيكم عين تطرف. ثم ركب و دخل حتى سلم على المهدي فلم يرد عليه. فقال: يا معن أتجير على؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: و نعم أيضاً، و اشتد غضبه فقال معن: يا أمير المؤمنين قتلت فى طاعتكم باليمن فى يوم واحد خمسة عشر ألفاً، و لى أيام كثيرة قد تقدم فيها بلائى، و حسن عنائى، فما رأيتمونى أهلاً أن تهبوا إلى رجلا واحداً استجار بى؟ فأطرق المهدي طويلاً ثم رفع رأسه و قد سرى عنه.

فقال: قد أجرنا من أجزت. قال معن: فإن رأى أمير المؤمنين أن يصله، فيكون قد أحياه و أغناه. قال: قد أمرنا له بخمسة آلاف. قال: يا أمير المؤمنين إن صلوات الخلفاء على قدر جنيات الرعية، و إن ذنب الرجل عظيم، فأجزل له الصلة. قال: قد أمرنا له بمائة ألف. قال: فتعجلها يا أمير المؤمنين بأفضل الدعاء، ثم انصرف. و لحقه المال، فدعا الرجل، فقال له. خذ حلتك، و الحق بأهلك، و إياك و مخالفة خلفاء الله تعالى.

### شيء من خطب المهدي

و قد قال المهدي يوماً فى خطبة: أيها الناس أسروا مثلما تعلنون من طاعتنا تهتك العاقبة و تحمدوا العاقبة و اخفضوا جناح الطاعة لمن ينشر معدلته فيكم و يطوى ثوب الأمر عنكم، و أحال عليكم السلامة و لين المعيشة من حيث أراه الله مقدماً ذلك على فعل من تقدمه و الله لأعفين عمرى من عقوبتكم و لأحلمن نفسى على الإحسان إليكم قال: فأشرفت وجوه الناس من حسن كلامه ثم استخرج حواصل أبيه من الذهب و الفضة التى كانت لا تحدد و لا توصف كثرة ففرقها فى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٠٠

الناس و لم يعط أهله و مواليه منها شيئاً بل أجرى لهم أرزاقاً بحسب كفايتهم من بيت المال لكل واحد خمسمائة فى الشهر غير الأعطيات. انتهى من ابن كثير.

و جاء فى محاضرات الخضرى عنه ما يأتى: كان المهدي لا يشرب النبيذ و إن كان سماره يشربونه فى مجلسه و كان يسمع الغناء و كان من خلقه الحياء و العفو فكان إذا وقع أحد من خصومه فى يده عفا عنه و كان يتأثر بالقرآن. كان فى حبسه موسى بن جعفر العلوى فقراً مرة فى صلواته: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ فَأْتُمْ صَلَاتِهِ وَ التفت إلى الربيع و أمره بإحضار موسى فلما جرى به قال له: يا موسى إني قرأت هذه الآية فخفت أن أكون قطعت رحمك فوثق لى أنك لا تخرج على. فقال: نعم. فوثق له فخلاه.

و كان خليفة عادلاً يجلس للمظالم بنفسه و بين يديه القضاء فيزيل عن الناس مظالمهم و لو كانت قبله و كان إذا جلس للمظالم قال: ادخلوا على القضاء فلو لم يكن ردى للمظالم إلا للحياء منهم لكفى. قال المسور بن مساور: ظلمنى و كيل المهدي و غصبنى ضيعه لى فأتيت سلاماً صاحب المظالم و أعطيته رقعة مكتوبة فأوصلها للمهدي و عنده عمه العباس بن محمد و ابن علاثة و عافية القاضى فأمر

المهدى بإدخاله و سأله عن مظلمته فأخبره بها فقال له: ترضى بأحد هذين؟

فقال: نعم فقال: تكلم. فقال مساور: أصلح الله القاضي، إن هذا ظلمنى فى ضيعتى، و أشار إلى المهدي فقال القاضي: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ قال: ضيعتى فى يدي. فقال مساور: أصلح الله القاضي، سله صارت إليه الضيعة قبل الخلافة أو بعدها؟ فقال المهدي: بعد الخلافة. فقال القاضي: أطلقها له. قال: قد فعلت. و العدل و الحلم و العفو فى الخلفاء من الصفات التى تدل على أقدارهم و عظم سلطانهم و هكذا كان المهدي مع ما امتاز به من الجود و فصاحة اللسان و كان أبوه قد علمه تعليماً عربياً محضاً فى صغره و قد ألف له المفضل الضبى أمثال العرب و جمع له مختارات شعرهم. و كان يقول: ما تقرب إلى أحد بوسيلة و لا تذرع بذريعة هى أقرب من تذكيره إياى به أسلفت منى إليه، أتبعها أختها، فأحسن ربها لأن منع الأواخر يقطع شكر الأوائل.

و كان المهدي ميالاً إلى السنة يحب ألا يخالف سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم فمن ذلك أنه أمر بنزع المقاصير من مساجد الجماعات و تصيير منابرها إلى المقدار الذى عليه منبر رسول الله صلى الله عليه و سلم و كتب بذلك إلى الآفاق فعمل به. اهـ.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٠١

### من كرم المهدي

نزل المهدي بمنزل «بعيساباد» لما بناها، و أمر أن يكتب له أبناء المهاجرين و أبناء الأنصار، فكتبوا و دعى بنقباثهم و جلس مجلساً عاماً لهم، ففرق ثلاثة آلاف ألف درهم فأغنى كل فقير و جبر كل كسير و فرج عن كل مكروب. ثم قامت الخطباء و دخل الشعراء فأنشده، ففرق فيهم خمسمائة ألف درهم. فكثر الداعى له فى الطرقات و البوادي، و قام فى هذا اليوم مروان بن أبى حفصة فأنشده:

ما يلمع البرق إلا حن مغترب كأنه من دواعى شوقه و صب

ما أنسى لا أنسى غيثاً ظل و ابله على من راحه المهدي ينسكب

شمنا فما أخلفتنا من مخائله سحابة صوبها الأوراق و الذهب

صدقت يا خير مأمون و معتمدنى بأضعاف ما قد كنت أحسب

أعطيت سبعين ألفاً غير متبعها منا و لست بمئان بما تهب

قد لاح للناس بالمهدي نور هدى يضىء و الصبح فى الظلماء يحتجب

خليفة طاهر الأثواب معتصم بالحق ليس له فى غيره أرب

قال الغازى فى تاريخه ما نصه: و فى إتحاق الورى بأخبار أم القرى لابن فهد و فى سنة تسع و خمسين و مائة أو فى التى بعدها، أمر المهدي بنفى كل من بمكة من المغنيين و منع فتيها من الغناء، و أخرج كل من فيها من المشتبهات من النساء بالرجال و المشتبهين من الرجال بالنساء، و منع من لعب الشطرنج و غيره من الأمور التى تجر إلى اللهو و الطرب، و طهرها من كثير من المباحات الملهية عن الصلوات و المشغلة عن اغتنام القرب، و ألزم حجة الكعبة إجلالها و توفيرها و تنزيهاها، و تطيبها للزائرين و تجميرها و فتح بابها بالسكينة و الخشوع، و زجر النساء عن الخروج إلى المسجد متعطرات. اهـ.

و قال أيضاً: و فى سنة ست و ستين و مائة أمر المهدي بإقامة البريد بين مكة و المدينة فأقيم لذلك بغال و إبل و لم يكن هناك بريد قبل ذلك. انتهى من تاريخ الغازى.

إن المهدي رحمه الله تعالى عمل أعمالاً جليلاً، منها أنه بنى فى سنة (١٥٩) هجرية مسجد الرصافة ببغداد، و بنى خندقها. و لقد كسى الكعبة المشرفة مرتين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٠٢

أو ثلاثة، و أمر بتضييب مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام من التلم الذى حصل فيه، و بعث لذلك بألف دينار، فضيبوا بذلك المقام

من أعلاه و أسفله و ذلك سنة (١٦١) من الهجرة و هذا أول ما حلى به المقام.  
و قد زاد المهدي في المسجد النبوي من الجهة الشمالية، و كان بدء البناء سنة (١٦١) و الفراغ منه سنة (١٦٥) هجرية كما جدد مقصورة عثمان بن عفان رضي الله عنه و ربما عمل كثيرا من العمارة أيضا بالحرمين الشريفين.

### شيء من مروءة المهدي و فضله

جاء في مجلة المصور بمصر، في أحد أعدادها بتاريخ ٢٨ رمضان سنة ١٣٦٦ هجرية الموافق ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ ميلادية، مقالة ممتعة لطيفة بعنوان «تاريخ ما أهمله التاريخ» و أول صندوق للبريد، و ذلك بقلم الأستاذ حبيب جاماتي ما نصه:

### أول صندوق للبريد

كان القيظ في ذلك اليوم شديد الوطأة، و الرياح التي هبت على بغداد ساخنة كأنها منبعثة من أفواه البراكين، و الجو قاتما تضيق فيه الصدور و تنقبض. و مع ذلك، فإن الخليفة «المهدي بالله» لم يشأ أن يصد الناس عن بابه، بعد أن نادى المنادى في الليلتين السابقتين، أن ذلك اليوم من الأيام التي يستقبل فيها أمير المؤمنين ذوى الحاجات و يصغى إلى مطالبهم و شكواياتهم، فظل الشاكون و المتذمرون و المحتاجون يروحون و يجيئون من الصباح إلى المساء، و الخليفة ينصف هذا و يعزى ذاك، و ينفخ بالمال هذه و يأمر بإيواء تلك في القصر، فلا يترك أحدا ممن لجؤوا إلى رحابه يغادر المكان إلا راضيا شاكرا.

تلك كانت عادته منذ أن خلف أباه في الملك، عام ١٥٨ للهجرة، الموافق لعام ٧٧٥ للميلاد. فقد كان أبو جعفر المنصور قاسيا لا يلين، عمد في تثبيت دعائم الخلافة لبنى العباس إلى أساليب عنيفة قتل و نفى و شرد الكثيرين بلا شفقة و لا رحمة، حتى تم له ما أراد من توطيد دعائم السلطان. و لكنه حين أشرف على الموت، أخذ على ابنه محمد بن عبد الله «المهدي» عهدا بأن يرد المظالم إلى أهلها التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٠٣

و بأن يتحجب إلى الرعية، و يتسامح مع المسيئين إليه و يبر بالمعوزين و الذين خانهم الحظ في الحياة.  
و وقى المهدي بعهد أبيه، ففتح أبواب السجون و بعث منها من دفنهم فيها أبوه و أعاد إليهم أموالهم و أملاكهم التي جردوا منها. و قد بلغت نحو ستمائة مليون درهم و أربعة عشر مليوناً من الدنانير، و أعلن أنه يرغب في استماع شكايات رعاياه دون أن يكون بينه و بينهم وسيط، و أنه في أيام معينة من أيام الأسبوع، يفتح أبواب قصره ليدخلها من يريد بلا استئذان، ليمثل بين يديه، و يخاطبه في الأمر الذى يشكو منه.

و هكذا أحبه الناس و رفعوا أكف الضراعة إلى الله، أن يطيل عهده و يدفع عنه الأذى!  
كانت الشمس قد أشرقت على المغيب عندما خرج من القاعة آخر واحد من أصحاب الشكايات فى ذلك اليوم الذى اشتدت فيه و طأة القيظ فنهض المهدي متعبا و فى رأسه صداع و فى أذنيه طنين، و توجه لساعته إلى حجره جاريتة المحبوبة «الخيزران» حيث استلقى على الوسائد، طلبا لراحة الجسم و البال.

و أسرع إلى الخيزران تلاطفه و تدلله، و ترطب فمه بالشراب و جبينه بالطور، مرددةً بلهجة عذبة ما تعودت أن تقوله له كل يوم: إنك ترهق نفسك يا أمير المؤمنين، و تحملها فوق طاقتها .. و هل البرّ بالرعية، و الوفاء بالعهد الذى قطعته لأبيك، يقضيان عليك بأن تنهك قواك إلى هذا الحد، و تصنع فوق ما تستطيع؟

فأجاب المهدي: و من يرفق بالناس إذا لم أعمد أنا إلى الرفق بهم؟

عليك أن ترفق بنفسك أولا، و أن يحل وزراؤك محلّك فى الرفق بالناس!

قد يخطئون. و قد يقصرون، و فى خطئهم و تقصيرهم إخلال بالعهد المقطوع!

و لكن الخيزران لم تقتنع، و كانت تحب سيدها و تتفانى فى خدمته و الترفيه عنه. فاستطردت قائلة:

أتظن يا أمير المؤمنين أن جميع الذين يشكون من ظلم، أو فقر، أو من فاقه، يجروون على المجيء إليك فى قصرك، و الدخول عليك فى ديوانك، و المثل أمامك بدون أن تتولاهم الرهبة و يعقد الخوف ألسنتهم؟ كلا .. إن القليل يجروون على

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٠٤

هذا، و الكثير لا- يجروون فأنت إذن ترهق نفسك من أجل فريق من الرعية دون الفريق الآخر و لن يكون هناك ما يضير الرعية لو أعطيت نفسك حقها من الراحة و السكون.

أثارت هذه الكلمات هواجس الخليفة، ففكر مليا، ثم قال:

أعتقدين حقا يا خيزران أن هناك من لا يلبى الدعوة و يطرق بابى، عن خوف أو رهبة؟

مولاي: إننى أخاطبك عن معرفة. عندى الآن امرأة رقيقة الحال أعرفها، أراد أصدقاء أسرتها أن يحملوها على الدخول عليك مع الداخلين فى «أيام الشكوى» و لكنها لم تفعل، و قد عهدت إلى بأن أرفع إليك هذا الرق الذى ضمنته شكايته.

و دفعت الخيزران إلى الخليفة رقا عليه بضعة سطور خطتها يد مرتجفة لم تألف الكتابة للاستجداء، فسأل المهدي:

من هى تلك المرأة، و لماذا لم تذكر اسمها فى الرق؟

إذا أمرت يا أمير المؤمنين، فإننى سأقودها إليك فى هذه اللحظة.

على بها ..

عادت الخيزران و معها امرأة فى مقتبل العمر، عليها ثياب رثة و خرق بالية، و لكنها كاملة القدم مشوقة القوام، يشع الحسن من وجهها النير، و الذكاء من عينيها الكبيرتين فانحنت أمام الخليفة، و تناولت طرف رداءه، و رفعتة إلى شفيتها ...

ما اسمك؟

مزنة!

من أى الناس أنت؟

من نساء بنى أمية؟

انتفض المهدي لذكر الأسرة التى جردها العباسيون من سلطانها و أملاكها، و شتتوا رجالها و نساءها و طاردوها فى المشارق و المغرب. و لكنه شعر بالشفقة تناسب إلى قلبه، أمام تلك البائسة المعدمه، التى تقبل رداءه و تحاول إخفاء عريها تحت الأسمال!

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٠٥

أى نساء بنى أمية أنت؟

أنا امرأة مروان بن محمد الأموى ... إلى هذه الحالة التى تراها يا أمير المؤمنين أوصلنا الدهر الغادر القاسى. فقد أصبحنا لا نأمن أن نخالط الناس، بل نتلمس رزقنا متنكرين خائفين.

فأطرق محمد بن عبد الله المهدي، و تتمم قائلا:

اللهم إننا نعوذ بك من زوال النعم! ثم التفت إلى الخيزران و قال:

خذى مزنة الأموية إلى دارك فهى منذ الساعة فى حماك و حماى، و لتقم عندك معززة مكرمة! و عندما انحنت الأموية ثانية لتلثم طرف الرداء سقطت على يدها دمعته من عين أمير المؤمنين.

و فى اليوم التالى، قال المهدي للخيزران جاريتها المحبوبة:

لقد فطنت بالأمس إلى أمر فاتتى من قبل. و يعود الفضل فى ذلك إليك. فإن مزنة الأموية وجدت من يوصلها إلى الخليفة. و قد



يكون في الدولة كثيرون من الرجال و النساء، لا يجدون من يأخذ بيدهم و يقودهم إلى رحاب المهدي، و لذلك فقد عولت على تسهيل الأمر عليهم، بأن أوفر لهم أسباب الاتصال بي بطريق الكتابة. و إنك يا خيزران بما قلته لي أمس، لتساهمين مساهمة فعالة في تطبيق العهد الذي قطعه لأبي، و في توسيع نطاق البر برعيتي المحبوبة.

و أمر المهدي بأن يوضع على كل باب من أبواب القصر، مثبتا إلى الحائط بمسامير، صندوق كبير مثقوب من أعلاه، لكي يضع فيه كل صاحب شكايه شكايته مدونة في رق أو قرطاس، و احتفظ هو بمفتاح تلك الصناديق، فكان يفتحها كل يوم بنفسه ثلاث مرات، و يطلع على الشكايات و يفحصها واحدة واحدة، و ينصف أصحابها بقدر ما يستحقون الإنصاف.

و جلس المهدي على عرش الخلافة عشرة أعوام، و مات في الحادية و الأربعين من العمر، سنة ١٦٩ للهجرة، الموافقة لسنة ٧٨٥ للميلاد.

و هو أول ما أنشأ- فيما أنشأ- «صندوق البريد» في التاريخ.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٠٦

### وفاء المهدي

في سنة (١٦٩) تسع و ستين و مائة، أراد المهدي الخروج إلى جرجان فلما وصل إلى ماسندان أدركته هناك منيته ليلة الخميس لثمان بقين من المحرم في قرية يقال لها السرور و صلى عليه ابنه هارون لأنه كان في صحبته رحمه الله تعالى و أحسن جزاءه، انتهى كل ذلك من محاضرات الخضرى.

قال ابن بطوطة: و قبر المهدي و بعض الخلفاء الذين وسّعوا المسجد الحرام ببغداد.

### ترجمة هارون الرشيد

#### إشارة

جاء في محاضرات الخضرى ما نصه:

هو هارون الرشيد بن محمد المهدي و أمه أم الهادي ولد بالرى سنة (١٤٥) خمس و أربعين و مائة. و لما شبّ كان أبوه يرشحه للخلافة فولاه مهام الأمور.

جعله أمير الصائفة سنة (١٦٣) و سنة (١٦٥) و في سنة (١٦٤) أربع و ستين و مائة، و لاه المغرب كله من الأنبار إلى أطراف أفريقية فكانت الولاة ترسل من قبله و في سنة (١٦٦) ست و ستين و مائة جعله أبوه ولي عهده بعد الهادي. و في سنة (١٦٩) تسع و ستين و مائة، و هي السنة التي توفي فيها المهدي أراد أن يقدمه على الهادي لما ظهر من شجاعته و علو شأنه فحالت منية المهدي دون ذلك. بويج الرشيد بالخلافة يوم أن مات أخوه الهادي في ١٤ ربيع الأول سنة (١٧٠) سبعين و مائة هـ (١٤) سبتمبر سنة (٧٨٦) ميلادية، و سنة ٢٥ سنة و لم يزل خليفه إلى أن توفي في ثالث جمادى الآخرة سنة (١٩٣) ثلاث و تسعين و مائة هـ. (٢٤) مارس سنة ٨٠٨ م). فكانت مدته (٢٣) سنة و شهرين و ١٨ يوما و كان سنّه إذ توفي ٤٨ سنة انتهى من الكتاب المذكور.

و جاء في تاريخ ابن كثير رحمه الله تعالى: يقال أنه لما مات الهادي في الليل جاء يحيى بن خالد بن برمك إلى الرشيد فوجده نائما، فقال: قم يا أمير المؤمنين فقال له الرشيد: كم تروعنى! لو سمعك هذا الرجال لكان ذلك أكبر ذنوبى عنده. فقال: قد مات الرجل. فجلس هارون، فقال: أشر علىّ في الولايات.

فجعل يذكر ولايات الأقاليم لرجال يسميهم فيولهم الرشيد، فبينما هما كذلك

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٠٧

إذ جاء آخر، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين فقد ولد لك الساعة غلام، فقال: هو عبد الله و هو المأمون. ثم أصبح فصلّى على أخيه الهادى و دفنه بعيساباد، و حلف لا يصلّى الظهر إلا ببغداد. فلما فرغ من الجنازة أمر بضرب عتق أبى عصمه القائد لأنه كان مع جعفر بن الهادى. فزاحموا الرشيد على جسر فقال أبو عصمه: اصبر ووقف حتى يجوز ولى العهد. فقال الرشيد: السمع و الطاعة للأمير فجاز جعفر و أبو عصمه، و وقف الرشيد مكسورا ذليلا، فلما ولى أمر بضرب عتق أبى عصمه، ثم سار إلى بغداد. فلما انتهى إلى جسر بغداد استدعى بالغواصين فقال:

إنى سقط منى ههنا خاتم كان والدى المهدي قد اشتراه لى بمائة ألف، فلما كان من أيام بعث إلى الهادى يطلبه، فألقيته إلى الرسول، فسقط ههنا. فغاص الغواصون وراءه فوجدوه فسر به الرشيد سرورا كثيرا. انتهى من ابن كثير.

و لقد عمل هارون الرشيد كثيرا من الأعمال الجليلة، و لنذكر هنا شيئا من أعماله فى الكعبة المشرفة. فقد قال الإمام الأزرقى عن ذلك ما نصه:

فأما ما كان على الباب «أى باب الكعبة» من عمل الوليد بن عبد الملك من الذهب فإنه رقّ و تفرّق، فرفع ذلك إلى أمير المؤمنين محمد بن الرشيد فى خلافته، فأرسل إلى سالم بن الجراح عاملا كان له على صوافى مكة بشمانية عشر ألف دينار ليضرب بها صفائح الذهب على بابى الكعبة فقلع ما كان على الباب من الصفائح و زاد عليها من الثمانية عشر ألف دينار فضرب عليه الصفائح التى هى عليه اليوم و المسامير و حلقتا باب الكعبة و على الفياريز و العتب و ذلك كله من عمل أمير المؤمنين محمد بن هارون الرشيد و لم يقلع فى ذلك بابى الكعبة و لكن ضربت عليهما الصفائح و المسامير و هما على حالها، قال أبو الوليد: أخبرنى المثنى بن جبير الصواف أنهم حين فرقوا ذهب باب الكعبة وجدوا فيه ثمانية و عشرين ألف مثقال فزادوا عليها خمسة عشر ألف دينار و أن الذى على الباب من الذهب ثلاثة و ثلاثون ألف دينار و قالوا أيضا: إنه لما قلع الذهب عن الباب ألبس الباب ثوبا أصفر. انتهى من الأزرقى.

و لقد أراد هارون الرشيد أن يجعل منبر النبى صلى الله عليه و سلم من الجوهر و الذهب و الفضة فمنعه الإمام مالك رحمه الله تعالى. فقد روى أبو نعيم فى حليته فى ترجمة الإمام مالك: إن هارون الرشيد استشار مالكا فى أن ينقض منبر النبى صلى الله عليه و سلم و يجعله من جوهر و ذهب و فضة، فقال له مالك: لا أرى أن تحرم الناس أثر النبى صلى الله عليه و سلم. انتهى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٠٨

من الجزء السادس بصحيفة (٥٠٥) من كتاب زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم.

روى المسعودى و هو من أهل القرن الثالث الهجرى، فى أواخر الجزء الثانى من تاريخه عند ذكر خلافة القاهر بالله، أن القاهر بالله لما سأل محمد بن على العبدى الخراسانى الأخبارى، أن يصف الخلفاء العباسيين، وصفهم له حتى وصل إلى وصف الرشيد- فقال عنه ما يأتى:

و كان الرشيد مواظبا على الحج و الغزو، و اتخاذ المصانع و الآبار و البرك و القصور فى طريق مكة. و أظهر ذلك بها و بمنى و عرفات و مدينة النبى صلى الله عليه و سلم، فعم الناس إحسانه مع ما قرن به من عدله، ثم بنى الثغور و مدن المدن و حصن فيها الحصون، مثل طرسوس و أذنة و عمر المصيصة و مرعش و أحكم بناء الحرب، و غير ذلك من دور السبيل و المواضع للمرابطين. و اتبعه عماله و سلكوا طريقته و قفته رعيته مقتديا بعمله مستتة بإمامته، فغمط الباطل و أظهر الحق و أنار الإسلام و برز على سائر الأمم.

ثم قال: و كان الرشيد أول خليفة لعب بالصولجان فى الميدان، و رمى بالنشاب فى البرجاس، و لعب بالأ-كرة و الطبطاب و قرّب الحدّاق فى ذلك، فعم الناس ذلك الفعل. و كان أول من لعب بالشطرنج من خلفاء بنى العباس، و النرد و قدم اللعاب و أجرى عليهم الرزق، فسمى الناس أيامه لنضارتها و كثرة خيرها و خصبها أيام العروس، و كثير ممن يجاوز النعت و يتفاوت فيه الوصف. انتهى من تاريخ المسعودى.

قال الخضرى فى محاضراته: كان الرشيد خليفة دينا محافظا على التكاليف الشرعية أتم محافظة. فأما صلاته، فكان يصلى فى كل يوم مئة ركعة إلى أن فارق الدنيا، إلا أن تعرض له علة. و كان له سمير فكه هو ابن أبى مريم المدنى، كان الرشيد لا يصبر عنه و لا يمل محادثته. سمعه مرة يقرأ فى صلاته: وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُوجَعُونَ فقال ابن أبى مريم: لا أدري والله فما تمالك الرشيد أن ضحك فى صلاته، ثم التفت إليه و هو كالمغضب فقال: يا ابن أبى مريم فى الصلاة أيضا؟ ثم قال: إياك و القرآن و الدين و لك ما شئت بعدهما.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٠٩

و أما صدقته فقد كان كل يوم يتصدق من صلب ماله بألف درهم سوى العطايا التى كانت تهطل على الناس منه و لم ير خليفة قبله كان أعطى منه للمال ثم المأمون بعده.

و كان الرشيد يقتفى آثار المنصور و يعمل بها إلا فى بذل المال و كان لا يضيع عنده إحسان محسن و لا يؤخر ذلك فى أول ما يجب ثوابه. و كان يحب الشعر و الشعراء و يميل إلى أهل الأدب و الفقه و يكره المرء فى الدين و يقول: هو شىء لا نتيجة له و بالحرى لا يكون فيه ثواب. و كان يحب المديح و لا سيما من شاعر فصيح و يشتريه بالثمن الغالى. و عطايه للشعراء و الأدباء تكاد تخرج عما يعقل.

انتهى منها.

قال الخضرى فى محاضراته: و لقد كانت قوة المسلمين فى عهد الرشيد ظاهرة ظاهرا بيننا على الروم لما كان يقوم به الرشيد بنفسه من الغزو المتوالى و معه عظماء القواد و كبار رجال الدولة من عرب و موال و خراسانية.

و من شجاعة هارون الرشيد و غيرته الإسلامية ما ذكره الخضرى فى محاضراته حيث قال: كتب نقفور إلى هارون الرشيد ما يأتى: من نقفور ملك الروم إلى الرشيد ملك العرب أما بعد: فإن الملكة التى كانت قبلى أقامتك مقام الرخ و أقامت نفسها مكان البيدق فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل أمثالها إليها لكن ذلك ضعف النساء و حمقهن فإذا قرأت كتابى فاردد ما حصل قبلك من أموالها و افتد نفسك بما يقع به المصادرة لك و إلا فالسيف بيننا و بينك. فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب، حتى لم يمكن أحدا أن ينظر إليه، دون أن يخاطبه. و تفرق جلساؤه خوفا من زيادة قول أو فعل يكون منهم. و استعجم رأى على الوزير من أن يشير عليه أو يستبد برأيه دونه فدعى بدواة و كتب على ظهر الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك و الجواب ما تراه دون أن تسمعه و السلام) ثم شخص من يومه و سار حتى أناخ بباب هرقله ففتح و غنم و اصطفى و أفاد و حزب و حرق و اصطلم فطلب نقفور المودعة على خراج يؤديه كل سنة فأجابه إلى ذلك.

فلما رجع الرشيد من غزوته و صار بالرقعة نقض نقفور العهد و خان الميثاق و كان البرد شديدا فيئس نقفور من رجعتة إليه و جاء الخبر بارتداده عما أخذ عليه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥١٠

فما تهيأ لأحد إخبار الرشيد بذلك إشفاقا عليه و على أنفسهم من الكره فى مثل تلك الأيام فاحتيل بشاعر يكنى أبا محمد عبد الله بن يوسف فقال:

نقض الذى أعطيته نقفورو عليه دائرة البوار تدور

أبشر أمير المؤمنين فإنه فتح أتاك به الإله كبير

فلقد تباشرت الرعية إن أتى بالنقض عنه وافد و بشير

درجت يمينك أن تعجل غزوة تشفى النفوس مكانها مذكور

أعطاك جزيته و طأطأ خده حذر الصوارم و الردى محذور

فأجرته من وقعها و كأنها بأكفنا شعل الغرام تطير  
و صرفت بالطول العساكر قافلا عنه و جارك آمن مسرور  
نقفور إنك حين تغدر إن نأى عنك الإمام لجاهل مغرور  
أظننت حين غدرت إنك مفلت هبلتك أمك ما ظننت غرور  
ألقاك حينك فى زواجر بحره فطمت عليك من الإمام بحور  
إن الإمام على اقتسارك قادر قربت ديارك أم نأت بك دور

ليس الإمام و إن غفلنا غافل عما يسوس بحزمه و يدبر  
ملك تجرد للجهاد بنفسه فعدوه أبدا به مقهور

يا من يريد رضا الإله بسعيه و الله لا يخفى عليه ضمير  
لا نصح ينفع من يغش إمامه و النصح من نصحائه مشكور  
نصح الإمام على الأنام فريضة و لأهلها كفارة و طهور

فلما فرغ الشاعر من إنشاده قال: أو قد فعل نقفور ذلك و علم أن الوزراء قد احتالوا له فى ذلك فكر راجعا فى أشد محنة و أغلظ  
كلفه حتى أناخ بفنائها فلم يبرح حتى رضى و بلغ ما أراد فقال أبو العتاهية:

الأ نادت هرقله بالخراب من الملك الموفق بالصواب

غدا هارون يرعد بالمنايا و يبرق بالمذكرة القضاب

و رايات يحل النصر فيها تمر كأنها قطع السحاب

أمير المؤمنين ظفرت فاسلم و أبشر بالغنيمه و الإياب

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥١١

و لم تقف الحروب بين الطرفين بعد ذلك. و فى سنة (١٨٩١) حصل فداء بين المسلمين و الروم فلم يبق بأرض الروم مسلم إلا فودى  
به و هذا أول فداء كان بين المسلمين و الروم فقال مروان بن أبى حفصه يمدح الرشيد:

و فكت بك الأسرى التى شيدت لها محابس ما فيها حميم يزورها

على حين أعياء المسلمين فكأكها و قالوا سجون المشركين قبورها

انتهى من محاضرات الخضرى.

### حضارة بغداد فى عهد الرشيد

قال الخضرى فى محاضراته: وصلت بغداد فى عهد الرشيد إلى قمة مجدها و منتهى فخارها. أما من حيث العمارة فقد فاقت كل  
حاضرة عرفت لعهدا.

بنيت فيها القصور الفخمة التى أنفق على بناء بعضها مئات الألوف من الدنانير و تألق مهندسوها فى إحكام قواعدها و تنظيم أمكنتها و  
تشديد بنيانها، و صارت قصور الجانب الشرقى بالرصافة تناوح قصور الجانب الغربى. كان فى الشرق قصور البرامكة و ما أنشأوه هناك  
من الأسواق و الجوامع و الحمامات، و بالجانب الغربى كانت قصور الخلافة التى كانت تبهر الناظرين اتساعا و جمالا و امتدت الأبنية  
امتدادا عظيما حتى صارت بغداد كأنها مدن متلاصقة تبلغ الأربعين على جانبى دجلة و استجر العمران فيها لما جاءها من البناء و صار  
سكانها نحو ألفى نسمة حتى ازدحمت بساكنيها و كانت متاجر البلدان القاصية تصلها برا و بحرا تجيئها من خراسان و ما وراءها و من  
الهند و الصين و من الشام و الجزيرة و الطرق إذ ذاك آمنة السيل مطمئنة و كان الرشيد هو و وزراؤه حريصين على ذلك كل

الحرص. انتهى منها.

و أما من حيث ثروة الدولة فقد كان يرد على الخليفة ببغداد ما يبقى من خراج الأقاليم الإسلامية بعد أن تقضى جميع حاجاتها. وقد قدر بعض المؤرخين ذلك بنحو أربع مئة ألف درهم يدخل كله بيت مال الخليفة يصرف منه في مرتبات الوزراء و المساعدين له و الباقي يتصرف فيه حسبما يرى، و هو شئ جسيم. و كان الرشيد أسمح خلفاء بني العباس بالمال، يعطى منه عطاء من لا يخشى فقراً للقصاد و الشعراء و الكتّاب و المنتجعين. و قد جرى على سنته كبار وزرائه و شيوخ دولته و رؤساء قواده حتى امتلأت الأسفار بذكر عطاياهم التي قد

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥١٢

يتردد الإنسان في صحتها و تلك الثروة العظيمة تتداولها الأيدي فتروج التجارة و تقضى الحاجات و تكثر المدنية و على تلك السنة زادت ثروة الناس بتلك المدينة العظمى. و اشتد بهم الترف حتى يقال: أن جعفر بن يحيى بنى قصراً أنفق على بنائه عشرين ألف درهم و تعالى الناس في حاجاتهم و تأفقوا في معيشتهم حتى صارت بغداد تبهر أعين زوارها لما يرونه من بعد الشقة بين ما عندهم و ما يرون من ردائها و بذخ أهلها و انغماسهم في الملاذ و إعطائهم أنفسهم ما تصبوا إليه من اللهو و الخلاعة شأن كل أمة سالت عليها سيول الثروة. انتهى من محاضرات الخضرى.

نقول: لقد كان هارون الرشيد من أغفل الخلفاء العباسيين و كان ملكه واسعاً و خزائنه كثيرة عامرة، و كان يقول للسحابة إذا رآها: أمطرى حيث شئت فخراج الأرض التي تمطرى فيها يجيء إلى - رحمه الله تعالى.

و أما العلم فإن بغداد صارت قبله لطلاب العلم من جميع الأمصار الإسلامية يرحلون إليها ليتموا ما بدؤوا فيه من العلوم و الفنون فهى المدرسة العليا لطلاب العلوم الدينية و العربية على اختلافها فقد كان فيها كبار المحدثين و القراء و الفقهاء و حفاظ اللغة و آداب العرب و النحويين و كلهم قائمون بالدرس و الإفادة لتلاميذهم فى المساجد الجامعة التي كانت تعتبر مدارس عليا لتلقى هذه العلوم و قلما كان يتم الإنسان وصف عالم أو فقيه أو محدث أو كاتب إلا إذا رحل إلى بغداد و أخذ عن علمائها و جميع هؤلاء العلماء كانوا يعيشون عيشاً رغداً مما كان يفيضه عليهم الرشيد و البرامكة و من دونهم من الخير الواسع و البر العميم و لم تكن بغداد بالمقصرة فى علوم الدنيا كالتب و الحكمة و غيرها من سائر الصناعات فقد حشد إليها الأطباء و المهندسون و سائر الصناعات من الأقاليم المختلفة فاستفادوا من علوم من سبقهم من الأمم فى المدينة كالفرس و أهل الهند و أهل الروم و الصائبة و غيرهم و زادوا على تلك العلوم بما منحوا من المواهب العقلية و سرجى الكلام على النهضة العلمية فى بغداد إلى زمن المأمون ... انتهى من المحاضرات.

و قال القطبى فى تاريخه: يروى عن أبى معاوية الضرير قال: أكلت مع الرشيد يوماً ثم صب على يدي من لا أعرفه، ثم قال لى الرشيد: أتدرى من يصب عليك؟ قلت: لا، قال: أنا إجلالا للعلم. اه.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥١٣

### حج الرشيد و حبه للوعظ

كان الرشيد رحمه الله تعالى كثير الحج و الغزو، حج بالناس تسع حجج متفرقة. قال الغازى فى تاريخه، نقلا عن السنجارى فى مناقح الكرم: ذكر ابن الأثير أنه حج فى سنة ثلاث و سبعين و مائة و أحرم بالحج من بغداد. و فى سنة تسع و سبعين و مائة مشى على رجليه من مكة إلى عرفات، و شهد المشاعر كلها ماشياً. و قيل: كان ذلك فى حجته التي كانت سنة سبع و سبعين و مائة، قال فى درر الفرائد: و كان يطوف بين المغرب و العشاء ثلاثة عشر أسبوعاً لا يطيق ذلك أحد ممن كان معه. انتهى من الغازى.

و قال الغازى أيضاً فى تاريخه نقلاً عن ابن فهد: و فى بعض حججات هارون الرشيد دخل الكعبة فرآه بعض الحجة واقفاً على أصابعه و هو يقول: يا من يملك حوائج السائلين و يعلم ضمير الصامتين، إن لكل مسلم منك رداً و جواباً حاضراً، و لكل صامت منك علم

محيط ناطق بمواعيدك الصادقة و أياديك الفاضلة و رحمتك الواسعة، صلى على محمد و على آل محمد و اغفر لنا ذنوبنا و كفر عنا سيئاتنا، يا من لا تضره الذنوب و لا تخفى عليه العيوب و لا تنقصه مغفرة الخطايا، يا من كبس الأرض على الماء، و سد الهواء بالسماء و اختار لنفسه أحسن الأسماء، صلّ على محمد و على آل محمد و خر لي، من خشعت له الأصوات بأنواع اللغات يسألونه الحاجات، إن من حاجتي إليك أن تغفر لي ذنوبي إذا توفيتني و صرت في لحدى و تفرق عنى أهلى و ولدى، اللهم لك الحمد حمدا يفضل كل حمد كفضلك على جميع خلقك، اللهم صل على محمد و على آل محمد صلاة تكون لنا ذخرا و أجرا عند الجزاء الأوفى، اللهم أحيينا سعداء و توفنا شهداء، و جعلنا سعداء مرزوقين، و لا تجعلنا أشقياء محرومين. انتهى من تاريخ الغازي.

قال الخضرى فى محاضراته: و أما حجه فإنه كان لا يتخلف عنه إلا إذا كان مشغولا بالغزو فهو فى كل عام بين غاز و حاج و قد أقام للناس حجهم تسع مرات فى سنى حكمه و هى السنوات (١٧٠ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٧ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٦ و ١٨٨) و كان إذا حجّ حجّ معه مئة من الفقهاء و أبناءهم و إذا لم يحجّ أحجّ عنه ثلاثمائة رجل بالنفقة السابعة و الكسوة الباهرة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥١٤

و كان يسمع و عظ الواعظين و هو عند ذلك رقيق القلب سريع الدمعة، دخل عليه ابن السماك الواعظ فقال له الرشيد: عظنى. فقال: يا أمير المؤمنين اتق الله وحده لا شريك له و اعلم أنك غدا بين يدي الله ربك ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثالث لهما جنة أو نار. فبكى هارون حتى اخضلت لحيته. فأقبل الفضل بن الربيع على ابن السماك، فقال: سبحان الله و هل يتخالج أحدا شك فى أن أمير المؤمنين مصروف إلى الجنة إن شاء الله لقيامه بحق الله و عدله فى عباده و فضله.

فلم يحفل بذلك ابن السماك من قوله له و لم يلتفت إليه، و أقبل على الرشيد فقال:

يا أمير المؤمنين إن هذا- يعنى الفضل بن الربيع- ليس و الله معك و لا عندك فى ذلك اليوم فاتق الله و انظر لنفسك. فبكى هارون حتى أشفق عليه الحاضرون و أفحم الفضل بن الربيع فلم ينطق بحرف. و دخل عليه مرة أخرى فينما هو عنده إذ استسقى ماء فأتى بقله من ماء، فلما أهوى بها إلى فيه ليشربها، قال له ابن السماك: على رسلك يا أمير المؤمنين بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه و سلم لو منعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكى. قال: اشرب هناك الله. فلما شربها، قال له: أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه و سلم لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتريها؟ قال: بجميع ملكى. قال ابن السماك: إن ملكا قيمته شربة ماء لجدير ألا ينافس فيه. فبكى هارون. و لا يزال الملوك بخير ما سمعوا الوعظ و تأثروا به و لا تزال الأمة بخير ما كان فيها من يعظ الملوك و لا يخشى سطوتهم. انتهى من المحاضرات.

و روى: أنه أخلى للرشيد فى بعض حجاته المسعى ليسعى فيه، فتعلق ببغلتة و هو يسعى، عبد الله بن عمر بن عبد العزيز. فوقف له هارون و أقبل عليه. فصاح به: يا هارون فقال: لييك يا عم، قال: ارق إلى الصفا. فلما رقى قال: ارم بطرفك إلى البيت قال: قد فعلت، قال: كم هى؟ يعنى الحجيج، قال: و من يحصيه إلا الله تعالى. قال: فاعلم أن كل واحد من هذه الخلائق يحاسب عن خاصته نفسه و يسأل عنها وحدها يوم القيامة، و أما أنت وحدك فتسأل عنهم أجمعين فانظر كيف يكون جوابك حين تسأل يوم القيامة، فبكى هارون بكاء شديدا، و خدمته يعطونه منديلا بعد منديل و هو يبيلها بدموعه ثم قال له: و أخرى أقولها لك: إن الرجل إذا أساء التصرف فى ماله حجر عليه، فكيف أنت تسرف فى أموال المسلمين و تسيء التصرف فيها و أنت محاسب عليها بين يدي الله تعالى،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥١٥

فازداد بكاءه و أراد جنده أن يطردوه فكفهم عنه إلى أن فرغ من نصائحه و قام عنه بنفسه، و هارون يبكى و يتضرع و يستغفر. انتهى من تاريخ القطبى.

و جاء فيه أيضا: أن هارون الرشيد رأى النبى صلى الله عليه و سلم فى النوم فقال: إن هذا الأمر قد صار إليك فى هذا الشهر، فاغزو حج و وسّع على أهل الحرمين. ففعل هذا كله فى عام واحد أول خلافته. ذكر ذلك الحافظ السيوطى و غيره.

و جاء فيه أيضا: أن في سنة سبعين و مائة حج هارون الرشيد بالناس و فرق مالا كثيرا، و كان حجه ماشيا على اللبود، تفرش له من منزل إلى منزل، و قيل:

إن الحجة التي حج فيها ماشيا هي حجته في سنة سبع و سبعين و مائة. انتهى من تاريخ القطبي.

روى ابن عساكر عن إبراهيم المهدي: قال: كنت يوما عند الرشيد فدعا طباخه فقال: أعندك في الطعام لحم جزور؟ قال: نعم ألوان منه، فقال: أحضره مع الطعام. فلما وضع بين يديه أخذ لقمته منه فوضعها في فيه، فضحك جعفر البرمكي، فترك الرشيد مضغ اللقمة و أقبل عليه. فقال: مم تضحك؟ قال: لا- شيء يا أمير المؤمنين. ذكرت كلاما بيني و بين جارتى البارحة. فقال له: بحقي عليك لما أخبرتنى به. فقال: حتى تأكل هذه اللقمة. فألقاها من فيه و قال: و الله لتخبرني، فقال: يا أمير المؤمنين بكم تقول إن هذا الطعام من لحم الجزور، يقول عليك؟ قال: بأربعة دراهم، قال: لا- و الله يا أمير المؤمنين بل بأربعة ألف درهم، قال: كيف ذلك؟ قال: إنك طلبت من طباحك لحم جزور قبل هذا اليوم بمدة طويلة فلم يوجد عنده. فقلت: لا يخلون المطبخ من لحم جزور، فنحن ننحر كل يوم جزورا لأجل مطبخ أمير المؤمنين، لأننا لا نشترى من السوق لحم جزور.

فصرف من لحم الجزور في ذلك اليوم إلى هذا اليوم أربعمئة ألف درهم، و لم يطلب أمير المؤمنين لحم جزور إلا- هذا اليوم قال جعفر: فضحكت لأن أمير المؤمنين إنما ناله من ذلك هذه اللقمة فهي على أمير المؤمنين بأربعمئة ألف.

قال: فبكى الرشيد بكاء شديدا و أمر برفع السماط بين يديه و أقبل على نفسه يوبخها و يقول هلكت و الله يا هارون و لم يزل يبكي حتى آذنه المؤذنون بصلاة الظهر فخرج فصلى بالناس ثم رجع يبكي حتى آذنه المؤذنون بصلاة العصر و قد أمر بألفي ألف تصرف إلى فقراء الحرمين من كل حرم ألف صدقة و أمر بألفي ألف يتصدق بها في جانبي بغداد الغربي و الشرقي و بألف ألف يتصدق بها على

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥١٦

فقراء الكوفة و البصرة ثم خرج إلى صلاة العصر، ثم رجع يبكي حتى صلى المغرب، ثم رجع فدخل عليه أبو يوسف القاضي فقال: ما شأنك يا أمير المؤمنين باكيا في هذا اليوم؟ فذكر أمره و ما صرف من المال الجزيل لأجل شهوته، و إنما ناله منها لقمته. فقال أبو يوسف لجعفر: هل كان ما تذبحونه من الجزور يفسد أو يأكله الناس؟ قال: بل يأكله الناس. فقال: أبشر يا أمير المؤمنين بثواب الله فيما صرفته من المال الذي أكله المسلمون في الأيام الماضية و بما يسره الله عليك من الصدقة و بما رزقك الله من خشيته و خوفه في هذا اليوم و قد قال تعالى: وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ فَاُولَئِكَ فِيهَا لَهُمْ قُلُوبٌ مَمْلُوءَةٌ بِرِزْقٍ كَثِيرٍ وَ هُمْ فِيهَا مُقَامُونَ. فقال: فأكل منه فكان غداؤه في هذا اليوم عشاء. انتهى من تاريخ ابن كثير.

و جاء في تاريخ ابن كثير أيضا: وعظ أبو النصر الجهني المصاب هارون الرشيد مرة بكلام حسن فقال: اعلم أن الله سائلك عن أمه نبيه فأعد لذلك جوابا، و قد قال عمر بن الخطاب: لو ماتت سخله بالعراق ضياعا لخشيت أن يسألني الله عنها. فقال الرشيد: إنني لست كعمر و إن دهرى ليس كدهره، فقال: ما هذا بمغن عنك شيئا، فأمر له بثلاثمئة دينار، فقال: أنا رجل من أهل الصفة، فمر بها فلتقسم عليهم، أنا واحد منهم انتهى منه.

## حكاية

يحكى أن القاضي يحيى بن أكتهم قال: دخلت يوما على هارون الرشيد و هو مطرق مفكر فقال: أتعرف قائل هذا البيت يا يحيى:

الخير أبقى و إن طال الزمان بهو الشر أخبث ما أوعيت من زاد

فقال: يا أمير المؤمنين إن لهذا البيت لقصة عجيبة يرويها الرواة، فقال:

أخبرني عن هذه القصة قال: يا أمير المؤمنين يزعمون أن أعرابيا قال: كنت في بعض السنين قاصدا مكة في قافلة عظيمة، فلما توسطت

البادية في يوم شديد الحر، سمعت ضجة عظيمة في القافلة ألحقت أولها بآخرها، فسألت عن سبب الضجة فأجبنى رجل من القوم: تقدم تر ما بالناس. فتقدمت إلى أول القافلة فإذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجدع، و هو يخور كما يخور الثور، و يرغبو كرها البعير فهالني أمره و بقيت لا أهدى إلى ما أصنع به. فعدلنا عن طريقه إلى ناحية أخرى، فعارضنا ثانية فعلمت أنه لسبب و لم يجسر أحد من القوم أن يقربه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥١٧

فقلت: أفدى هذا العالم بنفسى و أتقرب إلى الله بخلص هذه القافلة من هذا و أخذت قربة من الماء فتقلدتها و سللت سيفى و تقدمت فلما رآنى قربت منه سكن و بقيت متوقعا منه و ثبة يتلنى فيه فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة فى فيه و صببت الماء كما يصب فى الإناء فلما فرغت القربة تسبب فى الرمل و مضى فعجبت من تعرضه لنا و انصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه و مضينا لقصدنا.

ثم عدنا فى طريقنا ذلك و حططنا فى منزلتنا تلك فى ليله مظلمة مدلهمة فأخذت شيئا من الماء و عدلت إلى ناحية من الطريق فقضيت حاجتى، ثم جلست بعيدا عن القوم أذكر الله تعالى. فأخذتنى عينى فنمت مكانى. فلما استيقظت لم أجد للقافلة حسا و قد ارتحلت و مكثت منفردا لم أر أحدا و لم أهتد إلى ما أفعله و أخذتنى حيرة و جعلت أضطرب و إذا بهاتف أسمع صوته و لا أرى شخصه يقول:

يا أيها الرجل المضل مركبه ما عنده من ذى رشاد يصحبه

دونك هذا البكر منا تركبه و بكرك الميمون حقا تجنبه

حتى إذا ما الليل زال غيبهه عند الصباح فى الفلا تسييه

ففظرت فإذا أنا ببكر قائم عندى، و بكرى إلى جانبى، فأنخته و ركبته و جنبت بكرى، فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لى القافلة و انفجر الفجر و وقف البكر، فعلمت أنه قد حان نزولى، فتحولت إلى بكرى و قلت:

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب و من هموم تضل المدلج الهادى

ألا تخبرنى بالله خالقنا من ذا الذى جاء بالمعروف فى الوادى

و ارجع حميدا فقد أوليتنا فنابوركت من ذى سنام رائح غادى

فالتفت البكر إلى و هو يقول:

أنا الشجاع الذى ألفتنى رمضاو الله يكشف ضر الحائر الصادى

فجدت بالماء لما ضمن حامله تكرا منك لم تسمع بأنكادى

فالحير أبقى و إن طال الزمان بهو الشر أخبث ما أوعيت من زاد

هذا جزاؤك منى لا أضن به فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادى

فعجب الرشيد و أمر بالقصة و الأبيات فكتبت و قال: لا يضيع جميلا أينما وضع.

انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥١٨

### عهد الرشيد بالولاية لابنه المأمون

جاء فى كتاب «الإمامة و السياسة» ما يأتى:

لما اشتدت العلة و تمادى الوجع بهارون الرشيد رحمه الله تعالى ذكر البيعة لابنه عبد الله المأمون و ذلك سنة أربع و تسعين و مائة،



فلما سمعت بذلك زبيده و كان ابنها منه محمد الأمين كرهت منه ذلك و أكرهها حتى ظهر على وجهها أثر الغم، فدخلت على الرشيد يوما تعاتبه في ذلك أشد المعاتبه. فقال لها الرشيد: ويحك إنما هي أمه محمد و رعايه من استرعاني الله تعالى طوقا بعنقي، و قد عرفت ما بين ابني و ابنك، ليس ابنك يا زبيده أهلا للخلافه و لا يصلح للرعايه. قالت: ابني و الله خير من ابنك، و أصلح لما تريد، ليس بكبير سفيه، و لا صغير فھيه، و أسخى من ابنك نفسا، و أشجع قلبا. فقال هارون: ويحك! إن ابنك قد زينه في عينك ما يزين الولد في عين الأبوين، فاتقى الله، فوالله إن ابنك لأحب إليّ، إلا أن الخلافه لا تصلح إلا لمن كان لها أهلا، و لها مستحقا، و نحن مسؤولون عن هذا الخلق، و مأخوذون بهذا الأنام، فما أغنانا أن نلقى الله بوزرهم، و نقلب إليه يائهم، فاقعدى حتى أعرض عليك ما بين ابني و ابنك، فقعدت معه على الفراش.

فدعا ابنه عبد الله المأمون، فلما صار بباب المجلس سلم على أبيه بالخلافه، فأذن له بالجلوس فجلس، و أمر له فتكلم، فحمد الله على ما من به عليه من رؤيه أبيه، و يرغب إليه في تعجيل الفرج مما به، ثم استأذن في الدنو من أبيه، فدنا منه، و جعل يلثم أسافل قدميه، و يقبل باطن راحتيه، ثم انثنى ساعيا إلى زبيده، فأقبل على تقبيل رأسها، و مواضع يديها، ثم انحنى إلى قدميها ثم رجع إلى مجلسه. فقال الرشيد: يا بني إني أريد أن أعهد إليك عهد الإمامه، و أقعدك مقعد الخلافه، فإني قد رأيتك لها أهلا، و بها حقيقا، فاستعبر عبد الله المأمون باكيا، و صاح منتحبا، يسأل الله العافيه من ذلك، و يرغب إليه أن لا يرى فقد أبيه. فقال له يا بني: إني أراني لما بي و أنت أحق، و سلم الأمر لله، و ارض به، و أسأله العون عليه، فلا بد من عهد يكون في يومى هذا. فقال عبد الله المأمون: يا أبتاه، أخى أحق منى و ابن سيدتى، و لا أخال إلا أنه أقوى على هذا الأمر منى، ثم أذن له فقام خارجا، ثم دعا هارون بابنه محمد، فأقبل يجرد ذيله، و يتبختر مشيته، فمشى داخلا بنعليه قد نسي السلام، و ذهل عن الكلام، نخوه و تجبرا، و تعظيما و إعجابا، فمشى حتى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥١٩

صار مستويا مع أبيه على الفراش. فقال هارون: و ما تقول أى بنى، فإني أريد أن أعهد إليك؟ فقال: يا أمير المؤمنين و من أحق بذلك منى، و أنا أسن ولدك، و ابن قره عينك. فقال هارون: اخرج يا بنى، ثم قال لزبيده: كيف رأيت ما بين ابني و ابنك؟ فقالت: ابنك أحق بما تريد، فكتب عهد عبد الله المأمون. ثم محمد الأمين بعده فلما كان سنه خمس و تسعين و مائه توفي الرشيد رحمه الله. انتهى منه.

### حكاية هارون الرشيد مع الأعرابي

جاء في كتاب الإمامه و السياسه ما يأتى:

قال: و ذكروا أن أعرابيا قدم على هارون الرشيد مستجديا فأراد الدخول عليه فلم يمكنه ذلك. فلما رأى أنه لم يؤذن له، أتى عبد الملك بن الفضل الحاجب، فقال له: توصل كتابى هذا إلى أمير المؤمنين. و كان الرشيد قد عهد إلى حاجبه أن لا يحبس عنه كتاب أحد قرب أو بعد، فأعطاه الأعرابى كتابا فيه أربعة أسطر، السطر الأول فيه: الضرورة و الأمل قادانى إليك. و الثانى: العدم يمنع من الصبر.

و الثالث: الانقلاب عنك بلا فائده شماتة الأعداء. و الرابع: فإما «نعم» مثمرة و إما «لا» مريحه. فلما وصل الكتاب إلى الرشيد قال: هذا رجل قد ساقته الحاجه، و وصلت إليه الفاقه، فليدخل. فدخل، فقال له الرشيد: ارفع حاجتك يا أعرابى. فقال الأعرابى: إن مع الحاجه حويجات. فقال له الرشيد: ارفع حاجتك و حويجاتك تقضى كلها. فقال الأعرابى: تأمر لى يا أمير المؤمنين بكلب أصيد به فضحك الرشيد، ثم قال له: قد أمرنا لك بكلب تصيد به. فقال: تأمر لى يا أمير المؤمنين بدابه أركبها. فقال الرشيد: قد أمرنا لك بدابه تركبها. فقال: تأمر لى يا أمير المؤمنين بغلام يخدم الدابه. فقال له الرشيد: قد أمرنا لك بغلام. قال الأعرابى: تأمر لى يا أمير المؤمنين بجاريه تطبخ لنا الصيد، و تطعمنا منه. فقال الرشيد: قد أمرنا لك بجاريتين جاريه تؤنسك، و جاريه تخدمك. فقال الأعرابى:

لا بد لهؤلاء من دار يسكنونها. فقال له الرشيد: قد أمرنا لك بدار. فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين يصيرون فيها عالء على الناس، و على كلالء، لا بد لهم من ضيعة تقيمهم. فقال له الرشيد: قد اقتطعتك مائة جريب عامرة، و مائة جريب عامرة. فقال الأعرابي: و ما الغامرة يا أمير المؤمنين؟ قال الرشيد: غير

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٢٠

معمورة تأمر بعمارتها. فقال الأعرابي: أنا أقطعتك ألف ألف جريب من أرض أخوالي بنى أسد بالحجاز، تأمر بعمارتها، فضحك الرشيد و قال: قد أقطعتكها عامرة كلها. ثم قال الرشيد: تمت حوجاتك كلها يا أعرابي. فقال: نعم، و بقيت حاجتي العظمى فقال له الرشيد: ارفعها تقضى. فقال: أقبل رأسك يا أمير المؤمنين. فقال له الرشيد: هذا لا سبيل إليه. فقال الأعرابي: أتمنعني حقا هو لى، و تدفعني عما بذلت لى يا أمير المؤمنين. فقال الرشيد: هذا الأمر لا يكون يا أعرابي، و لا سبيل إلى مثل هذا. فقال الأعرابي: لا بد من أن أصل إلى حقى، إلا أن أغضبه. فقال الرشيد: يا أعرابي أشتري منك هذا الحق الذى و جب لك.

فقال له الأعرابي: هذا الحق مما لا يشتري، و هل فى الأرض من المال ما يكون ثمنا لهذا أو عوضا منه؟ لا و الذى نفسى بيده ما فى الدنيا صفراء و لا بيضاء يشتري بها هذا. فقال الرشيد: تبعه ببعض ما تراه من الثمن، فإنه لا يكون و لا يتوصل إليه.

فقال الأعرابي: فإذا قد أبيت فأعطني مما أعطاك الله، فأمر له بمائة ألف دينار، فأتى بها إليه. فقال الأعرابي: ما هذه؟ فقيل له: هذه مائة ألف دينار تأخذها.

فقال الأعرابي: هى للغرماء على، و هم أولى بها منى. فضحك الرشيد، ثم أمر له بمائة ألف أخرى. فقال: ما هذه؟ فقيل له: مائة ألف ثانية، و الأولى للغرماء، و هذه لك. فقال الأعرابي: هذه لضعفاء أهلى يصلهم بها أمير المؤمنين فيما أوسع على نفسى؟ فأمر له الرشيد بمائة ألف ثالثة. فقيل له: هذا مائة ألف ثالثة، و سع بها على نفسك فى معيشتك، أرضيت يا أعرابي؟ فقال: نعم رضيت، فرضى الله عنك يا أمير المؤمنين، و ابنى فضالة يقرأ السلام عليك، و يسألك مائة ألف يستعين بها فى نكاحه، و يتزين بها فى دنياه، و إنه قد جمع القرآن و عرف شرائعه و أحكامه، و علم ناسخه و منسوخه، و تفنن فى ضروب من العلم و أحكم أنواع الأدب، و قد جمع الدواقين و الكتب و تبحر فى فهم الحديث و الأثر، قد أخذ من كل علم أهذبه، و من كل ضرب أمحضه إلى لب اللبيب، و عقل الرصين، و علم ثابت، و نظر عجيب، و فضل و دين، يصوم النهار كله و يقوم الليل أكثره، و قد صارخ كثير من الأهل و العيال و عدد من البنين و الصبيان. فقال الرشيد: أو ليس تذكر يا أعرابي أنه يريد الاستعانة على النكاح، و التوسع فى المعاش، ثم أراك تصفه بكثرة العيال و عدد البنين و الصبيان، فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين إنه ذو ثلاث نسوة من حرائر النساء، و تسعة من سرائر الإماء، و هو ذو خمسة من الولد من كل مرة و ذو سبع بنات من كل أمء، و يبغى نكاح الرابعة الحرة استتماما لما

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٢١

أمر الله به فى التنزيل المحكم و أباح فى كتاب الناطق بكلام الصادق. فقال الرشيد:

يا أعرابي قد سألت كثيرا، فهلا سألت مائة ألف درهم فيعطها. قال الأعرابي:

فأعطه يا أمير المؤمنين تسعين ألف دينار أو حططها عنك عشرة آلاف دينار، فقال الرشيد: و الله قد سألت كثيرا و حططت قليلا. قال الأعرابي: إنما سألتك يا أمير المؤمنين على قدرك، و حططت على قدرى، فاختر ما شئت. فقال الرشيد:

يا أعرابي إنما تريد مغالبتى لا غلبتنى اليوم. فأمر له بمائة ألف دينار ذهابا. فقال له أمير المؤمنين: أرضيت يا أعرابي. فقال: ما بقى لى شىء يا أمير المؤمنين إلا الحملان و الكسوة و طوائف الكوفة و تحف البصرة و جوائز الضيافة و حقها. فقال الرشيد: و ما يصلح لك من الحملان يا أعرابي، فقال: أقصد ما يكون دابة للجمال و أخرى للحملان، و ثلاثة للاسترحال، و لا بنى مثل ذلك، و من الكسوة ما لا بد منه من ثياب المهنة و الاستشعار و ما لا غنى عنه من الوطاء و الدثار، مع رائح الثياب التى تكون للجمعة و الجماعات و الأعياد، و لا بنى و بنى ابنى مثل ذلك.

فدعا الرشيد بجعفر بن يحيى وقال: أرحنى من هذا وأمر له بما سأل من الحملان وما أراد من ثياب المهنة والجمال، وأغدق عليه من التحف والطرائف ما ترضيه بها، وأخرجه عنى. فخرج جعفر فأمر له بما سأل وأعطاه ما أراد. ثم انصرف الأعرابي راجعا إلى الحجاز بأموال عظيمة لا يوصف أكثرها ولا يعرف أقلها، وكل هذا يقل عندما عرف من جود الرشيد وسخائه وجزيل عطائه.

### وفاء هارون الرشيد

جاء في محاضرات الخضرى عن وفاته ما نصه: خرج الرشيد من بغداد فى خامس شعبان سنة (١٩٢) قاصدا خراسان عندما بلغه استفحال أمر رافع بن الليث بما وراء النهر واستخلف ابنه محمد الأمين بمدينة السلام وخرج معه ابنه عبد الله المأمون ولم يزل الرشيد فى مسيره حتى وافى مدينة طوس فى صفر سنة (١٩٣) ثلاث وتسعين ومائة، وهناك اشتدت به علته ولحق بربه ليلة السبت ثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة (١٩٣) ثلاث وتسعين ومائة، وصلى عليه ابنه صالح لأن المأمون كان قد سبقه إلى مرو حاضرة خراسان ودفن الرشيد بهذه المدينة وكان للرشيد اثنا عشر ولدا ذكرا وأربع بنات فذكور أولاده: محمد الأمين من زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر، وعلى من زوجته أمة العزيز أم ولد موسى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٢٢

الهادى، و عبد الله المأمون والقاسم المؤمن ومحمد المعتصم وصالح ومحمد أبو عيسى ومحمد أبو يعقوب ومحمد أبو العباس ومحمد أبو سليمان ومحمد أبو على ومحمد أبو أحمد وهم لأمهات أولاد شتى. وتزوج الرشيد بست زوجات مات عن أربع منهن وهن زبيدة وأم محمد بنت صالح المسكين والعباسة وبنت سليمان بن المنصور والجرشيه بنت عبد الله العثمانية. انتهى من محاضرات الخضرى.

وجاء فى تاريخ القطبى: حكى عن الرشيد أنه كان رأى مناما أنه يموت بطوس، فلما وصل إلى طوس، وقد غلب عليه الروعك، عرف أنه ميت، فبكى واختار لنفسه مدفنا وقال: احفروا لى قبرا فى هذا المحل فحفروا له، فقال: قربونى إلى شفيره، فحملوه فى قبه إلى أن نظر إلى القبر، فسالت عبرته وزادت عبرته.

وقال: يا ابن آدم إلى هذا تصوير ولا بد من هذا المصير، وأمر أن ينزل إلى لحده من يقرأ ختمه فيه ففعلوا ذلك. فمات وصلى عليه ابنه صالح وألحد فى القبر بطوس، لثلاث مضمين من جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين ومائة. وتقدم أن مولده بالرى سنة ثمان وأربعين ومائة وكانت مدة ملكه ثلاثا وعشرين سنة وشهرين ونصف رحمه الله تعالى. انتهى من تاريخ القطبى.

### ترجمة السلطان سليمان خان

نذكر ترجمته بمناسبة وضعه للمسجد الحرام منبر الرخام الموجود إلى اليوم، هو السلطان سليمان بن السلطان سليم خان، ولى السلطنة بعد وفاة والده فى سنة (٩٢٦) ست وعشرين وتسعمائة، ومولده سنة تسعمائة، واستمر فى السلطنة تسعا وأربعين سنة فكان عمره أربعا وسبعين سنة وشهرين.

كان غازيا افتتح كثيرا من البلدان. كان أدبيا شاعرا له ديوان بالتركى وآخر بالفارسى. كان مستقيم الحال صادق القول سيد الرأى لا يعرف المكر والنفاق ولا يحبهما.

أما أعماله الخيرية وعمارته للمساجد والمدارس والرباطات «أى التكايا» وإجراء العيون وبناء القلاع فكثيرة لسنا فى صدد حصرها. فمن ضمن أعماله فى مكة شرفها الله تعالى أنه أرسل منبرا من الرخام الأبيض للمسجد الحرام سنة (٩٦٦) وهو منبر جميل الشكل بديع الصنع لا يزال قائما بجوار مقام إبراهيم إلى يومنا هذا. وقد سبق الكلام على هذا المنبر فى محله.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٢٣

وقد عمل أيضا ميزابا لسطح الكعبة محلى بالفضة مطليا بالذهب سنة (٩٥٩) و قد وقف على كسوة الكعبة المشرفة جملة قرى بمصر. و تقدم الكلام على هذه الوقفية.

و من ضمنها صدقات عظيمة كانت ترسل سنويا لأهل الحرمين، و وقف جملة قرى بمصر اشتراها من بيت مال المسلمين و جعل غلتها و ريعها لأهل الحرمين فكانت ترسل فى كل عام ثلاث آلاف أردب من الحنطة لأهل مكة المكرمة و ألفا أردب لأهل المدينة المنورة، و منها صدقات الجوالى و هو جمع جاليه و معناه: ما يؤخذ من أهل الذمة فى مقابلة استمرارهم فى بلاد الإسلام تحت الذمة و عدم جلائهم عنها فكان يخرجها إلى العلماء و الفضلاء من أهل الحرمين الشريفين و من أهل مصر و من المتقاعدين و غيرهم. و من ضمن أعماله العظيمة بمكة: إصلاح و تعمير عين حنين و عين عرفات فإنه رحمه الله أمر بتعمير هذه العين و كانت قد خربت و انقطعت، و إيصالها إلى مكة المشرفة. و عين لهذا العمل الجليل ناظرا يتولى شؤونها اسمه «مصلح الدين مصطفى» من المقيمين و المجاورين بمكة. فقام بهذا العمل خير القيام حتى وصل الماء إلى مكة. ثم إنه اشترى عبيدا سودا و جعل لهم جرايات و علوفات من خزائن السلطنة، برسم خدمة العين، من إخراج أتربة العيون و تنظيف القنوات فكانت خدمة العين خاصة بهؤلاء العبيد و بأولادهم من بعدهم طبقه بعد طبقه. و كل ذلك تم سنة (٩٣١) إحدى و ثلاثين و تسعمائة.

ثم إنه وصل الخبر إلى السلطان سليمان أن الماء بمكة قليل و أنه من المستحسن إصلاح و تعمير (عين زبيدة) لأنها أقوى العيون غير أن قنواتها المبنية و دبولها المطوية مختفية تحت الأرض، تحتاج أولا إلى الكشف عنها و الاهتداء إلى أماكنها ثم إصلاحها و تعميرها. فلما سمعت بهذا الخبر «خاتم سلطان» ابنه السلطان سليمان خان المذكور طلبت من والدها أن يأذن لها بالقيام بتعمير و إصلاح «عين زبيدة» على حسابها الخاص فأذن لها فى ذلك، فعينت للقيام بهذا العمل الأمير الكبير إبراهيم بن تغرى بردى المهمندار ثم الدفتردار بمصر. فسافر الأمير إبراهيم لخدمة هذا المشروع الجليل، فوصل إلى جدة فى أواخر ذى القعدة سنة (٩٦٩) و قد أعطته السلطنة المذكورة أول دفعة للمصروفات خمسين ألف دينار ذهبا. ثم لا يزال يطلب

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٢٤

المصاريف اللازمة من الأبواب السلطانية حتى زاد المصروف على خمسمائة ألف دينار ذهبا. و قد تقدم الكلام على ذلك بالتفصيل. و من ضمن أعمال السلطان سليمان خان بناء أربع مدارس، للمذاهب الأربعة، يدرّس فيها علماء مكة الفقه و علوم الشريعة و العربية. فعين السلطان لهذا الأمر الأمير قاسم أمير جدة. فقام ببناء كل ذلك حول المسجد الحرام، و غير ذلك من البنائات اللازمة للمرافق العامة باسم السلطان سليمان خان. و عين السلطان سليمان خان وظائف للمدرسين و الطلبة من أوقافه بالشام. و عين لكل مدرسه خمسين عثمانية فى كل يوم، و عين للمعيد أربع عثمانيات فى كل يوم، و لكل مدرّس خمسة عشر طالبا لكل طالب عثمانيتين، و للفراش و للبوّاب نصف ذلك.

يجهزها فى كل عام ناظر الأوقاف السلطانية بالشام إلى مكة المكرمة.

إلى غير ذلك من الأعمال السلطانية، فمن أراد استيفاء البحث و التفصيل فليراجع كتب التاريخ و كتاب تاريخ القطبى فإننا كتبنا هذه النبذة من هذا الكتاب.

### حكاية سليمان بن عبد الملك مع أبى حازم

جاء فى كتاب الإمامة و السياسة ما نصه:

قال لما حج سليمان «أى فى سنة ثمان و تسعين» و دخل المدينة المنورة زائرا و معه ابن شهاب الزهري و رجاء ابن حيوة و أقام بها ثلاث أيام، فقال: أما ههنا رجل ممن أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ فقيل له: بلى ههنا رجل يقال له أبو حازم فبعث إليه، فجاءه و هو أقور أعرج، فدخل عليه، فوقف منتظرا للإذن.

فلما طال عليه الإذن، وضع عصيته ثم جلس. فلما نظر إليه سليمان، ازدرتة عينه. فقال له: يا أبا حازم، ما هذا الجفاء الذي ظهر منك، و أنت توصف برؤية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع فضل ودين تذكرك به؟ فقال أبو حازم: و أي جفاء رأيت مني يا أمير المؤمنين؟ فقال سليمان: إنه أتاني وجوه أهل المدينة وعلماؤها وخيارها، و أنت معدود فيهم و لم تأتني. فقال أبو حازم: أعينك بالله أن تقول ما لم يكن ما جرى بيني و بينك معرفة آتيك عليها. قال سليمان: صدق الشيخ، فقال: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ فقال أبو حازم: لأنكم أخرجتم آخرتكم، و عمرتم دنياكم فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب. قال سليمان:

صدقت يا أبا حازم. فكيف القدوم على الآخرة؟ قال: نعم، أما المحسن فإنه يقدم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٢٥

على الآخرة كالعائب يقدم على أهله من سفر بعيد. و أما قدوم المسيء فكالعبد الآبق، يؤخذ فيشد كتفه فيؤتى به إلى سيد فظ غليظ، فإن شاء عفا و إن شاء عذب. فبكى سليمان بكاء شديدا، و بكى من حوله .. ثم قال: ليت شعري ما لنا عند الله يا أبا حازم؟ فقال: أعرض نفسك على كتاب الله، فإنك تعلم ما لك عند الله. قال سليمان: يا أبا حازم، و أين أصيب تلك المعرفة في كتاب الله؟

قال عند قوله تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ \* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ. قال سليمان: يا أبا حازم، فأين رحمة الله؟ قال: رحمة الله قريب من المحسنين. قال سليمان: يا أبا حازم: من أعقل الناس؟ قال أبو حازم: أعقل الناس من تعلم العلم و الحكمة و علمها الناس. قال سليمان: فمن أحمق الناس؟ فقال: من حط في هوى رجل و هو ظالم، فباع آخرته بدنياه غيره. قال سليمان: فما أسمع الدعاء؟

قال أبو حازم: دعاء المحبتين الخائفين. فقال سليمان: فما أركى الصدقة عند الله؟ قال: جهد المقل. قال: فما تقول فيما ابتلينا به؟ قال: أعفنا عن هذا و عن الكلام فيه أصلحك الله قال سليمان: نصيحة تلقيها. فقال: ما أقول في سلطان استولى عنوة بلا مشورة من المؤمنين، و لا اجتماع من المسلمين فسفكت فيه الدماء الحرام، و قطعت به الأرحام، و عطلت به الحدود و نكست به العهود، و كل ذلك على تنفيذ الطينة و الجمع لمتاع الدنيا المشينة، ثم لم يلبثوا أن ارتحلوا عنها، فيا ليت شعري ما تقولون؟ و ماذا يقال لكم؟ فقال بعض جلسائه: بئس ما قلت يا أقور، أمير المؤمنين يستقبل بهذا؟ فقال أبو حازم: اسكت يا كاذب، فإنما أهلك فرعون هامان، و هامان فرعون، إن الله قد أخذ على العلماء لبيئته للناس و لا- يكتمنونه، أي لا يبنذونه وراء ظهورهم. قال سليمان: يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح ما فسدنا؟ فقال: المأخذ في ذلك قريب- يسير يا أمير المؤمنين، فاستوى سليمان جالسا من اتكائه. فقال: كيف ذلك؟ فقال: تأخذ المال من حله، و تضعه و أهله و تكف الأكل عما نهيت، و تمضيها فيما أمرت به. قال سليمان:

و من يطيق ذلك؟ قال أبو حازم: من هرب من النار إلى الجنة، و نبذ سوء العادة، إلى خير العادة. فقال سليمان: اصحبنا يا أبا حازم و توجه معنا، تصب منا و نصب منك. قال أبو حازم: أعوذ بالله من ذلك. قال سليمان: و لم يا أبا حازم؟ قال: أخاف أن أركن إلى الذين ظلموا، فيذيقني الله ضعف الحياة، و ضعف الممات. و قال سليمان: فترورنا؟ قال أبو حازم: إنا عهدنا الملوك يأتون العلماء، و لم يكن العلماء يأتون الملوك، فصار في ذلك صلاح الفريقين، ثم صرنا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٢٦

الآن في زمان صار العلماء يأتون الملوك، و الملوك تقعد عن العلماء، فصار في ذلك فساد الفريقين جميعا قال سليمان: فأوصنا يا أبا حازم و أوجز، قال: اتق الله ألا يراك حيث نهاك و لا يفقدك من حيث أمرك، قال سليمان: ادع لنا بخير فقال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان و ليك فبشره بخير الدنيا و الآخرة، و إن كان عدوك فخذ إلى الخير بناصيته. قال سليمان: زدني. قال: قد أوجزت، فإن كنت وليه فاغتبط، و إن كنت عدوه فاتعظ، فإن رحمته في الدنيا مباحة، و لا يكتبها في الآخرة إلا لمن اتقى في الدنيا، فلا نفع في قوس ترمى بلا وتر. فقال سليمان:

هات يا غلام ألف دينار. فأتاه بها، فقال: خذها يا أبا حازم. فقال: لا حاجة لي بها، لأنني و غيري في هذا المال سواء، فإن سويت بيننا و عدلت أخذت، و إلا فلا، لأنني أخاف أن يكون ثمننا لما سمعت من كلامي، و إن موسى بن عمران عليه السلام لما هرب من فرعون

ورد ماء مدين، و وجد عليه الجاريتين تذودان فقال:

ما لكما معين؟ قالتا: لا. فسقى لهما، ثم تولى إلى الظل. فقال: رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير، و لم يسأل الله أجرا. فلما أعجل الجاريتان الانصراف أنكر ذلك أبوهما. فقال لهما: ما أعجلكما اليوم؟ قالتا: وجدنا رجلا صالحا قويا سقى لنا. قال: ما سمعته يقول؟ قالتا: تولى إلى الظل و هو يقول: رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير. فقال: ينبغى لهذا أن يكون جائعا. تنطلق إحداكما فتقول له: إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا. فأته إحدهما تمشى على استيحاء، أى: على إجلال له. قالت: إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فجزع موسى من ذلك، و كان طريدا فى الفيافي و الصحارى. فقال لها: قولى لأبيك: إن الذى سقى يقول: لا أقبل أجرا على معروف اصطنعته، فانصرفت إلى أبيها فأخبرته. فقال: اذهبي فقولى له: أنت بالخيار بين قبول ما يعرض عليك أبى و بين تركه، فأقبل فإنه يحب أن يراك، و يسمع منك. فأقبل و الجارية بين يديه، فهبت الريح فوصفتها له، و كانت ذات خلق كامل. فقال لها: كوني ورائى، و أرىنى سمت الطريق. فلما بلغ الباب قال: استأذنى لنا، فدخلت على أبيها، فقالت: إنه مع قوته لأمين. فقال شعيب: و بم علمت ذلك؟ فأخبرته ما كان من قوله عند هبوب الريح عليها. فقال: أدخله، فدخل فإذا شعيب قد وضع الطعام، فلما سلم رحب به و قال: أصب من طعامنا يا فتى. فقال موسى: أعود بالله.

قال شعيب: لم؟ قال: لأنى من بيت قوم لا يبيع ديننا بملء الأرض ذهابا. قال شعيب: لا و الله ما طعامى لما تظن، و لكن عادتى و عادة آبائى، نقرى الضيف،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٢٧

و نطعم الطعام. فجلس موسى فأكل. و هذه الدنانير يا أمير المؤمنين إن كانت ثمتنا لما سمعت من كلامى، فإن أكل الميتة و الدم فى حال الضرورة، أحب إلى من أن آخذها. فأعجب سليمان بأمره إعجابا شديدا، فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين، إن الناس كلهم مثله. قال: لا. قال الزهرى: إنه لجارى منذ ثلاثين سنة، ما كلمته قط. فقال أبو حازم: صدقت، لأنك نسيت الله و نسيته، و لو ذكرت الله لذكرته. قال الزهرى: تشتمنى؟ قال له سليمان: بل أنت شتمت نفسك، أو ما علمت أن للجار على الجار حقا. قال أبو حازم: إن بنى إسرائيل لما كانوا على صواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء و كانت العلماء تفر بدينها من الأمراء، فلما رثى قوم من أراذل الناس، تعلموا العلم، و أتوا به الأمراء، استغنت الأمراء عن العلماء، و اجتمع القوم على المعصية، فسقطوا و هلكوا، و لو كان علماؤنا هؤلاء يصونون علمهم، لكانت الأمراء تهابهم و تعظمهم. فقال الزهرى: و كأنك إياى تريد، و بى تعرض؟ قال: هو ما تسمع. قال سليمان: يا أبا حازم عظمى و أوجز، قال: حلال الدنيا حساب و حرامها عذاب، و إلى الله المآب. فاتفق عذابك أو دع. قال: لقد أوجزت، فأخبرنى ما مالك؟ قال: الثقة بعدله و التوكل على كلمه، و حسن الظن به، و الصبر إلى أجله، و اليأس مما فى أيدى الناس. قال يا أبا حازم: ارفع إلينا حوائجك؟ قال: رفعتها إلى من لا تخذل دونه، فما أعطانى منها قبلت، و ما أمسك عنى رضيت، مع أنى قد نظرت فوجدت أمر الدنيا يؤول شيئين: أحدهما لى و الآخر لغيرى. فأما ما كان لى: فلو احتلت عليه بكل حيلة ما وصلت إليه قبل أوانه و حينه الذى قدر لى. و أما الذى لغيرى: فلذلك لا أطعم فيه فكما معنى رزق غيرى كذلك منع غيرى رزقى، فعلام أقتل نفسى فى الإقبال و الإدبار؟ قال سليمان: لا بد أن ترفع إلينا حاجة نأمر بقضائها. قال: فتقضيها؟ قال: نعم. قال: فلا تعطنى شيئا أسألك، و لا ترسل إلى حتى آتيك، و إن مرضت فلا تعدنى، و إن مت فلا تشهدنى. قال سليمان: أبيت يا أبا حازم أبيت. قال: أتأذن لى أصلحك الله فى القيام فإنى شيخ قد زمنت. قال سليمان: يا أبا حازم مسألة ما تقول فيها؟ قال: إن كان عندى علم أخبرتك به، و إلا فهذا الذى عن يسارك، يزعم أنه ليس شىء يسأل عنه إلا و عنده له علم، يريد محمدا الزهرى فقال له الزهرى: عاخذ بالله من شرك أيها المرء. قال:

أما من شرى فستعفى، و أما من لسانى فلا. قال سليمان: ما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٢٨

تقول فى سلام الأئمة من صلاتهم أواحدة أم اثنتان، فإن العلماء لدينا اختلفوا علينا فى ذلك أشد الاختلاف قال: على الخير سقطت،

أريك في هذا بخبر شاف.

حدثني عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه سعد، أنه شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة عن يمينه، حتى يرى بياض خده الأيمن، ثم يسلم عن يساره، حتى يرى بياض خده الأيسر، سلاما يجهر به. قال عامر: وكان أبي يفعل ذلك. وأخبرني سهل بن سعد الساعدي: أنه رأى عمر بن الخطاب و ابن عمر يسلمان من الصلاة كذلك. فقال الزهري: أعلم ما تحدث به أيها الرجل، فإن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعب شديد إلا بالثبوت واليقين. قال أبو حازم: قد علمته و رويته قبل أن تطلع أضراسك في رأسك. فالتفت الزهري إلى سليمان قال: أصلحك الله! إن هذا الحديث ما سمعت به من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قط. فضحك أبو حازم. ثم قال: يا زهري أحطت بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كله؟ قال: لا. قال: فثلاثة أرباع. قال: رويت و بلغني. فقال أبو حازم: فهذا من الثلث الذي لم يبلغك، و بقي عليك سماعه. فقال سليمان: ما ظلمك من حاجك. ثم قام مأذونا له. فأتبعه سليمان ببصره، ينظر إليه، و يعجب به. ثم التفت إلى جلسائه فقال: ما كنت أظنه بقي في الدنيا مثل هذا. قال: ثم انصرف سليمان من الحج قافلا إلى الشام. انتهى من كتاب الإمامة و السياسة.

### ترجمة الأمير سودون المحمدي

لما تولى السلطنة الملك الظاهر جقمق العاشر من ملوك الجراكسة، التفت أول ما ولى إلى مكة المشرفة، فأرسل خلعا و مراسيم للسيد بركات بن حسن عجلان بولاية مكة، و أرسل إليه سودون المحمدي ليكون أميرا على خمسين فارسا من الترك و يقيم بمكة ليشيد بها العمائر، ثم أضيف إليه نظارة المسجد الحرام و العناية بمراقب الحج و غير ذلك. فقام الأمير سودون بما أسند إليه حق القيام بإخلاص و صدق نية.

و لقد ذكر القطبي في تاريخ ما قام به من الأعمال الجليلة نأتي به ملخصا من كتابه، قال: و كان من عمارة الأمير سودون المحمدي بالمسجد الحرام في سنة (٨٤٣) ثلاث و أربعين و ثمانمائة، أنه قلع الرخام الذي على سطح الكعبة الشريفة، و غير جميع أخشابها المتآكلة فجرد الكعبة يومين و ليلتين يشاهد الناس أحجارها إلى التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٢٩

أن أكمل ترميمها و إصلاحها و أعيدت الكسوة عليها. و أصلح أيضا رخام داخل الكعبة و رخام حجر إسماعيل و أصلح مئذنة باب العمرة و مئذنة باب على، و أصلح سقف بعض الجهات من المسجد الحرام، و جعل على كل ميل في المسعى قنديلا بالليل تضىء للناس و كذلك جعل على الصفا و المروة.

و قد عمّر الأمير سودون المذكور بعض المواضع المأثورة في منى و في المشعر الحرام بمزدلفة و مسجد نمره بعرفة، و قطع جميع أشجار السلم و الشوك التي كانت تؤذى المارة في طريق عرفة و تمزق كسوة الشقائف و التي كانت الحرامية تكمن تحتها. و قد أزال الصخار الكبار و نظف طريق الحج و وسعها، إلى غير ذلك من الأعمال الجليلة في بلد الله الحرام رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

### فرش و ترميم المسجد الحرام

#### فرش المسجد الحرام بالبطحاء و غيرها

أول من حصّب أرضية المسجد الحرام- أي فرشها بالحصباء- عمر بن الخطاب رضی الله عنه، و كان أول بدئه بالمسجد النبوي. فقد ورد عن ابن عمر أنه سئل عن ذلك، فقال: مطرنا ليلة فخرنا لصلاة الغداة، فجعل الرجل منا يحمل في رداءه من الحصباء فيفرشه على البطحاء و يصلى عليه. فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال: ما أحسن هذا البساط، ثم أمر عمر بن الخطاب رضی الله

عنه في خلافته بتحصيله من وادي العقيق.

و في كتاب حسن المحاضرة للسيوطي أن مسلمة بن مخلد أمير مصر من قبل معاوية رضى الله عنه لما زاد في جامع عمرو بن العاص الذي بالفسطاط سنة ثلاث و خمسين فرشه بالحصر و كان مفروشا بالحصباء. اه.

فعلم أن فرش أرضية المسجدين الحرامين بمكة و المدينة كان أولا بالحصباء و البطحاء و كانت أرضهما قبل ذلك ترابا من نفس تراب البلدة، ثم فرشت بالحجارة الصخرية السوداء من نفس جبال البلدة أيضا، ثم فرشت بالمرمر الرخام كما هو الآن، ثم فرش فوق الرخام المفارش الهندية الخفيفة، و بالبسط الثقيلة العجمية. و لم يفرش المسجدين الحرامين بالحصر مطلقا. و قد فرش المسجد النبوي بالمفارش العجمية قبل المسجد الحرام لصغره. أما المسجد الحرام فلم يفرش

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٣٠

بالمفارش العجمية الثقيلة الرومية إلا في عصرنا الحاضر. و كان ذلك سنة (١٣٧٤) فرشه المحسن الكبير و التاجر الشهير السيد حسن الشربتلى من أعيان جدة. كل ذلك بحسب التطور العمراني.

أما بقية المساجد في البلدان الإسلامية، فكانت أرضيتها لأول مرة من نفس تراب البلدة، ثم فرشت بالحصباء تقليدا للمسجدين الحرامين بمكة و المدينة و مسجد عمرو بن العاص، ثم فرشت بالحصر و البسط البلدية أو العجمية، لأن كل ذلك ميسور في البلدان الأخرى لأنها بلاد زراعية و غنية. و إليك الأدوار التي مرت بفرش المسجد الحرام.

### وضع الحصى و البطحاء في المسجد الحرام

نقل الغازي عن ابن فهد: أنه في سنة ٨٣٠ جعل شاهين العثماني و رفيقه سعد الدين الفؤي المصري الحصباء و البطحاء في المسجد الحرام، و عمل إصلاحات كثيرة فيه، كما هو مذكور في محل آخر من هذا الكتاب. و كان معهما مراسيم بعمارة المسجد الحرام. يقول ابن جبير في رحلته التي كانت سنة (٥٧٨) بصحيفة ٦٨ ما نصه:

«و موضع الطواف مفروش بحجارة مبسوطة كأنها الرخام حسنا منها سود و سمر و بيض قد ألصق بعضها إلى بعض و اتسعت عن البيت بمقدار تسع خطى إلا- في الجهة التي تقابل المقام فإنها امتدت إليها حتى أحاطت به، و سائر الحرم مع البلاطات كلها مفروش برمل أبيض و طواف النساء من آخر الحجارة المفروشة».

انتهى منه.

و يقول ابن بطوطة في رحلته التي كانت سنة (٧٢٥) بصحيفة ٨٤ ما نصه:

«و موضع الطواف مفروش بحجارة السود محكمة الإلصاق و قد اتسعت عن البيت بمقدار تسع خطى إلا في الجهة التي تقابل المقام الكريم فإنها امتدت إليه حتى أحاطت به، و سائر الحرم مع البلاطات مفروش برمل أبيض و طواف النساء من آخر الحجارة المفروشة» انتهى منه.

و في سنة (١٣١٤) أصلحوا الأحجار المرصوفة على أرض الأروقة و المماشي و رموها المنابر و أبواب المسجد.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٣١

و في سنة (١٣٢٧) دخل المسجد سيل عظيم حصل بسببه خلل في بلاطه و جداره و ميلان في بعض أسطواناته، فقاموا بإصلاح كل ذلك و أصلحوا بلاط الأروقة و الأبواب و المنابر.

و كذلك في سنة (١٣٣٨) و سنة (١٣٤٤) أصلحوا ما خرب من بلاط الأروقة و المماشي و نحو ذلك.

و في سنة (١٣٤٦) صدر أمر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله تعالى بإصلاح عام للمسجد الحرام فرموا فرش أروقة المسجد من جهاته الأربعة و غير ذلك مما هو مذكور في محله.



## فرش المسجد الحرام بالطباطب و الحجارة و الرخام

فى ابتداء سنة (١١٣٤) بدأ المعمار محمد أفندى فى ترميم المسجد الحرام و فرش بعض نواحي باب السلام بالحجارة و كان قصده فرش جميع المسجد بالحجر و قلع جميع الطباطب الذى فيه لأن الحجر أبقى و أقوى من الطباطب.

ثم فى سنة (١١٤٠) فرش المسجد الحرام جميعه بالحجارة المنحوتة. و أزيل ما كان فيه جميع الطباطب. قاله الغازى نقلا عن إتحاف فضلاء الزمن.

و فى سنة (١٢٦٦) فرشت رحبة باب السلام من خارج الباب بالرخام الأبيض و كانت قبل ذلك سقاية يباع فيها الماء. و ربما كشف بعض الناس عورته و استنجى فواجه البيت الشريف. و كانوا يوسخون الحرم فأزيل ذلك جزى الله فاعله خيرا. و كان ذلك فى أيام السلطان عبد المجيد خان.

و فى سنة (١٢٧٩) دخل سيل عظيم للمسجد الحرام حتى وصل إلى قفل باب الكعبة و مات فيه أناس كثيرون و خربت أرضية المسجد و المماشى و حاشية المطاف فورد الأمر من السلطان عبد العزيز خان بإصلاح الحرم الشريف بنظارة الشريف عبد الله ابن المرحوم الشريف محمد بن عون و والى شيخ الحرم الحاج أحمد عزت باشا فشرعوا فى تعميره و أخرجوا جميع ما فى الرواقات و المماشى و حاشية المطاف من الطباطب القديم و أبدلوه بطباطب جديد و أتقنوا إصلاح الحرم إصلاحا تاما.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٣٢

## دكة باب الزيادة

قال الغازى نقلا من بلوغ القرى فى ذيل إتحاف الورى: و فى يوم الخميس تاسع شهر ذى القعدة سنة ٩١٧ بنيت دكة ثانية بالزيادة و هى التى تلى باب الزيادة و جعل فيها باقى ما خرج من الحجر و من بئر زمزم و من مقام الحنفى. و فى سنة (١٢٥٧) أو فى التى بعدها جعلوا ما زاد من الحجارة فى العمارة التى وقعت فى السنة المذكورة دكة عند باب الزيادة و طبطبوا ظاهرها.

## المماشى التى بالمسجد الحرام

نقل الغازى عن منائح الكرم، قال: قال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدى فى بعض مسوداته: و أما المماشى الأربعة، التى أحدها إلى باب السلام و الأخرى إلى باب الصفا و الأخرى إلى باب العمرة و الأخرى إلى باب الحزورة و الجناحان اللذان بجانبى مقام الحنفى و الفرش الذى خلفه و الذى تجاه المنبر كل ذلك محدث بعد أن فرش المطاف بالمرمر و ذلك سنة (١٠٠٣) ألف و ثلاثة. فإنهم كانوا كلما قلعوا شيئا من المطاف جعلوه فى هذه الأماكن، و كذلك المحل الذى جعل مصلى لشريف مكة بصحن المسجد مما يلي أم هانئ انتهى.

نقول: الذى يظهر من الكلام المذكور أن المماشى التى بالمسجد الحرام لم تكن قبل سنة (١٠٠٣) لأنها أحدثت بعد فرش المطاف بالمرمر و نعتقد أنها أحدثت فى عهد السلطان محمد خان الذى أمر بفرش المطاف بالمرمر فى السنة المذكورة أو فى سنة (١٠٠٦) أو فى سنة (١٠١٠) كما ذكرنا ذلك فى محله و الله تعالى أعلم.

و يظهر أيضا من الكلام المذكور أن ما قلع من المطاف من الحجارة و التراب و غيرهما جعلوه فى المماشى و فى الجناحين اللذين بجانبى مقام الحنفى و فى الفرش الذى خلفه و الذى تجاه المنبر.

و فى سنة (١١١٢) عمّر إبراهيم بيك بعض المحلات فى المسجد الحرام منها إصلاح المماشى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٣٣

و في سنة (١٢٥٧) أو في التي بعدها، صدر أمر السلطان عبد المجيد خان بإصلاح المسجد الحرام، فشرعوا في إصلاح أشياء كثيرة منها، أصلحوا المماشي، و زيد في ممشى باب الصفا، و أحدثت ممشاه باب على، و بيضوا جميع الحرم.

### تعمير المسجد الحرام في الدولة العثمانية

من ذكر تجديد آل عثمان الحرم الشريف و تغيير سقفه بقب و انتظامه بهذه الحالة الموجودة الآن و عدد أساطينه و قببه و شرفاته و أبوابه و منائره و ذكر ذرعه

قال العلامة قطب الدين رحمه الله في الإعلام: (اعلم) أن هذه العمارة الموجودة الآن وقعت في أيام السلطان سليم خان عليه من الله الرحمة و الرضوان، و سبب الأمر الشريف بتعمير المسجد الحرام أن الرواق الشرقي منه مال إلى ناحية الكعبة الشريفة، بحيث برزت رؤوس أخشاب السقف من محل تركيبها في جدار المسجد. و ذلك الجدر هو جدر مدرسة قايتباي و جدر المدرسة الأفضلية في شرق المسجد و فارق خشب السقف عن محل تركيبه في الجدر المذكور أكثر من ذراع، و مال وجه الرواق إلى صحن المسجد ميلا ظاهرا بينا. و صار نظار الحرم يصلحون المحل الذي فارق الخشب إما بتبديل خشب السقف بأطول منه، أو بنحو ذلك من العلاج. و أما الرواق الذي ظهر ميله إلى صحن الحرم فترسوه بأخشاب كبار، حفروا لها في أرض المسجد، لأجل أن تمسكه عن السقوط. و استمر الرواق الشرقي متماسكا على هذا الأسلوب في أواخر دولة السلطان سليمان و صدر أمر دولة المرحوم السلطان سليم خان ثم لما كثر ميلان الرواق المذكور عرض ذلك على السلطان المرحوم سليم خان في سنة تسع و سبعين و تسعمائة فبرز الأمر بالمبادرة إلى بناء المسجد الحرام جميعه على وجه الإتقان و الإحكام و أن يجعل عوض السقف قيبا دائرة بأروقة المسجد الحرام ليأمن التآكل فإن خشب السقف كان متأكلا من جانب طرفيه بطول العمد و كان يحتاج بعض السقف إلى تبديل خشبه بخشبه أخرى في كل قليل، إذ لا بقاء للخشب زمانا طويلا مع تكسير بعضه.

و كان له سقفان، بين كل سقف فرجة قدر ذراعين بذراع العمل. و كانت الحيات و الدواب تأوى بين هذين السقفين. فكان من أحسن الرأي تبديل السقوف بالقبب لتمكنها، و دفع مواد الضرر عنها. و وصلت أوامر السلطان إلى نائبه بمصر و هو الوزير سنان باشا فعين الوزير لهذه الخدمة الشريفة أحمد بيك

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٣٤

و أضيف إليه بقيه عمل دبل عين عرفات من الأبطح إلى أسفل مكة على ما يأتي ذكر ذلك، في ذكر عيون مكة إن شاء الله تعالى و أضيفت إليه صنجقيه جده فبعد ورود الأوامر السلطانية إليه أخذ في أهبة السفر و توجه من طريق البحر إلى بندر جده ثم وصل إلى مكة في أواخر سنة تسع و سبعين و تسعمائة. و كانت الأوامر السلطانية و المتكلم عليها من جانب السلطنة مولانا ناظر المسجد الحرام و مدرس مدرسة أعظم سلاطين الأنام ببلد الله الحرام الشيخ حسين الحسيني المالكي ففرح بهذه الخدمة الشريفة و صارت بين مولانا الشيخ و الأمير أحمد بيك غاية الملائمة و الاتفاق و بذلك حصل المراد و جرت عادة الله أن الخير كله في الوفاق و الشر جميعه في الشقاق و وصل لهذه العمارة الشريفة معمار دقيق الأنظار أجمع المهندسون على تقدمه في هذه الصناعة اسمه المعمار محمد جاويش الديوان العالي فاتفق الناظر و الأمين و المعمار على الشروع في هدم ما يجب هدمه إلى أن يوصلوا الأساس فبدأ بالهدم من جهة باب السلام في منتصف ربيع الأول سنة تسعمائة و ثمانين و أخذت المعاول تعمل في رؤوس شرفات المسجد و طبطابه الذي على سقفه إلى أن ينكشف السقف فتتزل أخشابه إلى الأرض و تجتمع في صحن المسجد و ينظف الأرض من نقض البناء و أتربته و تحمل على الدواب و ترمى في أسفل مكة ثم تمال أساطين الرخام إلى أن تنزل بالرفق إلى الأرض و استمروا على هذا العمل إلى أن نظفوا وجه الأرض من ذلك من باب السلام إلى باب على و هو الجانب الشرقي من المسجد ثم كشفوا عن أساسه فوجدوه مختلا فأخرجوا

الأساس جميعه و كان جدرا عريضا نازلا فى الأرض على هيئة بيوت رقعـة الشطرنج و كان موضع تقاطع الجدران على وجه الأرض قاعدة تركيب الأستوانة على تلك القاعدة فشرعوا أولا فى وضع الأساس على وجه الإحكام و الإتقان من جانب باب السلام لست مضين من جمادى الأولى سنة ثمانين و تسعمائة. و اجتمعت من أهالى مكة فى ذلك اليوم من الأشراف و العلماء و الصالحين و الفقراء و باشروا من ذلك العمل شيئا تبركا و قرأت الفواتح و ذبحت الأبقار و الأنعام و الأغنام و تصدق بها على الفقراء و الخدام و وضع الأساس المبارك بإعانة الله تعالى و كان يوما مشهودا مباركا و لله الحمد على هذا الإكرام و له الشكر و الثناء و الحسن فى المبدأ و الختام و كانت الأساطين المبنية سابقا على نسق واحد فى جميع الأروقة فظهر لهم أن ذلك الوضع لا يقوى على تركيب القبة عليها لقله استحكامها إذ القبة يجب أن يكون لها دعائم أربعة قوية تحملها من جوانبها الأربعة فرأوا أن يدخلوا بين أساطين الرخام الأبيض دعائم أخرى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٣٥

تبنى من الحجر الشميسى الأصفر يكون سمكها مقدار سمك أربع أسطوانات من الرخام ليكون مقيما لها من كل جانب فيقوى على تركيب القبة من فوقها و يكون كل صف من أساطين الأروقة الثلاثة فى غاية الزينة و القوة ففى أول ركن من الرواق الأول دعامة قوية مبنية من الحجر الشميسى ثم أسطوانة رخام أبيض من أساطين الرواق السابق عليهما عقد ثم أسطوانة رخام كذلك بينها و بين الذى قبلها عقد آخر، ثم أسطوانة رخام كذلك، ثم دعامة من الحجر الأصفر الشميسى، و هكذا إلى آخر الصف الأول ثم الثانى ثم الثالث، و هكذا فى جميع الأروقة. ثم بنيت القبة على تلك الدعائم و الأساطين فى دور المسجد جميعه. و شرعوا من ركن المسجد الشريف، من جهة باب السلام كما تقدم، و قاسوا تلك الصفوف بخط مستوى، و أزالوا ما كان قبل ذلك من الازورار و الاعوجاج.

و الحجر الشميسى نسبة إلى شمس تصغير شمس جبل بقرب بئر شميسى، و هى حد الحرم من جانب جدء به جيالات صفر تكسر منها هذه الأحجار، و تحمل إلى مكة مسافة ما دون ليلة فكان فى إدخال هذه الدعائم الصفر ما بين الأساطين البيض حكمه أخرى غير الاستحكام و الزينة و هى أن أساطين الرخام الباقية فى المسجد الحرام ما كانت تفى بجوانبه الأربع لأن الجانب الغربى منه احترقت أساطينه الرخام فى أيام الجراكسة كما تقدم و يادخال هذه الدعائم كانت كلها على نسق واحد لأن كل ثلاثة أساطين من الرخام بينها دعامة واحدة من الحجر الأصفر الشميسى، و ذلك فى غالب الأروقة من الجوانب الأربعة. فلما كمل الجانبان من المسجد الحرام، و هما الجهة الشرقية و الجهة الشمالية، جاء خبر وفاة السلطان سليم خان عليه سحائب المغفرة و الرضوان. ثم تولى بعده السلطان مراد خان فأول ما بدأ به أن برز أمره الشريف إلى أمير العمارة أحمد بيك و الشيخ حسين و المعمار فى إنجاز بقية إكمال المسجد الحرام على ما كانوا عليه من العمل السابق و كان قبل وصول الأمر جاء سيل عظيم سنة ثلاث و ثمانين و تسعمائة و كانت ليلة الأربعاء و عاشر جمادى الأولى حتى بلغ المطاف و وصل إلى قفل البيت الشريف و بقى الماء يوما و ليلة بموجب الطين و التراب الكائن بسبب عمارة المسجد و تعطلت الجماعة سبعة أوقات. فبادر الناظر و شريف مكة و القاضى حسين و المعمار و الفقهاء و الأعيان إلى تنظيف الحرم و غسل الكعبة و شرع المعمار فى قطع مسيل وادى إبراهيم من الجانب الجنوبى إلى أن ظهرت عشر درجات كانت مدفونة. فصار السيل إذا أتى انحدر بسهولة إلى المسفلة. و كذلك قطع من جهة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٣٦

باب الزيادة فى الجانب الشمالى و هو ممر سيل قعيقعان و الفلق و القرارة فصار إذا سال سيل قعيقعان و حواليه و جرى إلى باب الزيادة لم يصعد إلى أبواب المسجد بل جعل هناك سردابا واسعا يسمى العنبة- و يسمى مير ياخور لأن الذى قام بعمارته كان مير آخور أى كبير اصطبلى لبعض الملوك و جميع البيوت الكائنة ثمة دبولها و مراحيضها مسلطة عليه فتنحدر بها السيول فى الدبول إلى أسفل مكة من جهة المسفلة و بركة ماجن. انتهى.

ذكره اللبني في شرح رسالته ابن زيدون- يجرى الماء فيه إلى أن يخرج من قرب باب إبراهيم فيسيل إلى أسفل مكة مع السيل الكبير و صان الله تعالى المسجد الحرام بذلك و صارت السيول بعد ذلك تسييل و لم تصل إلى باب المسجد و لم تقرب منه و هذا رأى سديد و عمل مهم نافع ينصان به المسجد الحرام عن دخول السيل إليه غير أنه يحتاج إلى أن يتفقد في كل عامين أو ثلاثة أعوام فيقطع ما علا من الأرض ليستمر المسيل منهبطا دائما لجريان السيل فيه صونا للمسجد الحرام عن دخول ماء السيل إليه في كل سيل يأتي.

و في تلك المدة وصلت الأوامر السلطانية في بقيته إكمال المسجد الحرام على ما كانوا عليه من العمل السابق فشرعوا في ذلك العمل إلى أن أتموا الجانب الغربي و الجنوبي من المسجد الحرام بجميع قبه و شرافاته و درجاته من داخل المسجد الحرام و خارجه في أيام هذا السلطان الأعظم الأكرم و كان ذلك في آخر سنة أربع و ثمانين و تسعمائة فصار المسجد الحرام نزهة للناظر و بغية للخاطر و اخترع الفضلاء لذلك تواريخ عديدة بكل لسان و نظم راقم هذه الأرقام تاريخا يليق أن يكتب في هذا المقام و هو هذا:

جدد السلطان مراد بن سليم مسجد البيت العتيق المحترم

سّر منه المسلمون كلهم دار منشور اللواء و العلم

قال روح القدس في تاريخه عمر سلطان مراد الحرم

و لشيخ الإسلام و ناظر المسجد الحرام مولانا السيد القاضي حسين القاضى المدينة سابقا تاريخ جعله لهذه العمارة كتب نصفه في الوسط الأعلى من صدر الرواق الشرقي المقابل لجهة الكعبة المشرفة و النصف الآخر كتب في صدر الرواق الغربي المطل على الجهة الغربية و هذا نص ما كتب في الجهة الشرقية: باسمه سبحانه إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله و اليوم الآخر و أقام الصلاة و أتى الزكاة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٣٧

و لم يخش إلا- الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين، شرع في عمارة هذا الحرم الشريف و تجديده من اختاره من خلفائه و عبيده المقدس المرحوم السعيد المبرور المغفور له الشهيد سلطان الإسلام و المسلمين خاقان خواقين العالمين، المستفىء بفضل الله ظلال دار النعيم حضرة الملك الأعظم سلطان سليم، نور الله تعالى ضريحه و روح بروائح الجنان روحه، بناه و أكمله و أتقنه و حسنه و جملة وارث الملك الأعظم الإمام الأفخم و الخليفة الأكبر الفطمطم و الملك القاهر العرمم، من ملكه الله شرق البلاد و غربها و جعل طوع يده بلاد عجم الرعايا و عربها و أطلعها سراجا منيرا في المشارق و المغارب و ملكا مرفوعا على هام الكواكب- إلى هنا مكتوب في الجهة الشرقية- و الباقي مكتوب في الجهة الغربية و هذا نصه: و صيره للإسلام حصنا محيطا و جعل ظله المديد على كافة الناس بسيطا و عدله الفريد جميع الوجود مبسوطا و قمع لسلطنته الشريفة طوائف الكفر و العناد و جمع له بين الملك في الدنيا و الفوز في المعاد خليفة الله على كافة العباد و رحمه الله الشاملة لجميع البلاد سلطان سلاطين الزمان خلاصة آل عثمان السلطان ابن السلطان الخنكار الأعظم مراد لا زال الوجود بدوام خلافته عامرا و لا برح الإيمان في أيام سلطنته قويا ظاهرا زاده الله قوة و نصرا و شد بملائكته الكرام أزرا فتاريخ تمامه قد جاء: (أطال الله لمن أتمه عمرا). انتهى.

قال: ثم ورد من الباب الشريف العالي تاريخ لا أعلم من أبدعه و اخترعه و ورد معه حكم سلطاني يتضمن الأمر بكتابته على بعض أبواب المسجد الحرام.

فكتب هذا التاريخ على باب سيدنا العباس إلى باب على رضى الله عنهما، في الجانب الشرقي خارج المسجد. و نقر له في الحجر الشمس و طلى محل الذهب في ذلك المقام ليقراه الخاص و العام و يبقى ذلك النص في الحجر على صفحات الليالي و الأيام و هو هذا:

الحمد لله الذى أسس بانيان هذا الدين المتين بنبي الرحمة و الإرشاد و خصه بمزيد الفضل و الكرامة و الإسعاد و جعل حرم مكة

مطاف لطواف الطائفتين الحاجين من أقاصى البلاد صلى الله عليه و على آله و أصحابه الأجلّة و الأمجاد، و وفق عبده المعتاد بإحكام الأحكام الشريفة و تشييد أركانها على وجه المراد، المذخر ذخر الآخرة المزيد من زاد المعاد، أدام الله ظله الممدود على مفارق العباد، السلطان ابن السلطان ابن السلطان مراد، جعل الله الخلافة فيه و فى أعقابه إلى يوم التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٣٨

التناد لتجديد معالم المسجد الحرام الذى سواء العاكف فيه و الباد، فتم فى افتتاح سلطنته العظمى لا زال للحرمين المحترمين خادما، و لأساس الجور و الاعتساف هادما، بتجديد حرم بيت الله عز و جل بأمره المعزز المبجل و عمر عامر جوده ما تضعع من أركانه بعدما كان ينفض عوالى جدران فجدد جدران البيت العتيق و سوره بأكمل زينته و صونه بعد ما أبلاه الجديدان و أكل عيدان أرضها الأرضة و الديدان، فرغ القباب موضع السطوح المبنية بالأخشاب، و ابتهج لهذه الحسنه الكبرى كل شيخ و شاب، فأذعنوا له بالشرف الباهر و المجد الفاخر تالين قوله تعالى: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ دَاعِينَ لَهُ مِنَ اللَّهِ الْجَمِيلِ وَ الذَّخِرِ الْآخِرِ قَاتِلِينَ اللَّهُم أدمه فى سرير الخلافة محروسا يحفظك من آفة، و ظافرا على من يريد خلافه، مشيدا للمساجد و المدارس مجددا لكل منهدم و دارس، و اجعل بابه للراجين حرما آمنا و جنبه للمحتاجين كفيلا ضامنا يأتون إليه من كل فج عميق، لحرمة البيت العتيق، تقبل الله معطى السؤال بجاه الرسول هذا الدعاء الحرى بالقبول، فلما أسس بنيابه على تقوى من الله و رضوان، جاء مشيد الأركان، حاكيا روضات الجنان، و صار عنوان خلافته، و براعة استهلاله لمنشور سعاده فى أوائل سنة أربع و ثمانين و تسعمائة الهجرية و كان الابتداء بذلك التجديد، بأمر والده الدراج إلى مدارج الملك المجيد، السلطان السعيد يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى بقلب سليم، السلطان سليم ابن السلطان سليمان ابن السلطان سليم ابن السلطان بايزيد ابن السلطان محمد ابن السلطان مراد ابن السلطان أدرخان ابن السلطان عثمان مكنهم الله على سرر فى دار الجنان، و أثل إخلافهم فى مسند الخلافة إلى انقراض الزمان.

و كان الشروع فى الرابع عشر من ربيع الأول من شهور سنة ثمانين و تسعمائة فلما سلم السلطان سليم وديعته بأحسن تسليم، و ارتحل من دار القصور إلى ما هيا الله له فى الجنة من القصور، قبل تمام ما رام، من تجديد المسجد الحرام، و أجلس الله على سرير الخلافة نجله النجيب أحسن إجلاس، و جعل حرمه مثابة للناس، يسر الله له الإتمام بطلعة إقباله وجوده الليلالى و الأيام، و أنام الأنام فى مهد عدله إلى قيام الساعة و ساعة القيام، و أخبرنى الأمير المعظم أحمد بيك أن الذى صرفه فى عمارة المسجد الحرام هدم و بناء و قطعا لأرض المسيل من جهة الجنوبى إلى آخر المسفلة و من جهة باب الزيادة إلى آخر مجرى سرداب العنبة من خاصة أموال السلطنة الشريفة نصرها الله تعالى مائة ألف دينار ذهب جديد سلطانى و ذلك غير

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٣٩

ثمن الأخشاب المحموله من مصر إلى مكة المشرفة و غير ثمن الحديد الصلب لآلات العمارة كالمساحى و المجارف و المسامير و الحديد المحدد رأسه بطول الرواقين و بين الأسطوانتين تحت كل عقد كيلا يجلس طير الحمام و غيره عليه فيلوث المسجد بذرقه و هذا الحديد لتحديد رأسه و تواصله يمنع من جلوس الطير عليه و غير أهله القبب التى عملت بمصر من النحاس و طليت بالذهب و جهزت إلى الحرم الشريف فركت على أعلى القبب فصار لها منظر حسن و زينته عظيمة. انتهى.

### ذكر أساطين المسجد الحرام و قببه و شرفاته و أبوابه و منائره

أما أساطين المسجد الحرام فقال العلامة قطب الدين رحمه الله: اعلم أن أساطين المسجد الحرام قبل هدمها و تجديدها على ما كانت عليه قبل هذه العمارة الشريفة جملتها فى جوانبه الأربعة غير الزياتين أربعمائة أسطوانة و تسع و ستون أسطوانة و ما على أبوابه سبع و عشرون أسطوانة فتكون جملة أساطين الجوانب الأربعة من المسجد الحرام و أساطين أبوابه الشريفة أربعمائة أسطوانة و ست و تسعين أسطوانة بتقديم التاء على السين غير ما كانت من أساطين الزياتين.

فكانت في الجانب الشرقي ثمان وثمانون أسطوانة كلها رخام مخروط ما عدا أسطوانة واحدة في الصف الأوسط عند باب على فإنها من الآجر مبنية بالنورة مبيضة بالجص و كان في الجانب الشمالي و يقال له الشامي مائة أسطوانة و أربع أساطين كلها رخام ما عدا أربع عشرة أسطوانة من آخر الصف الأوسط مما يلي باب العجلة إلى باب السدة فإنها حجارة منحوتة و كان في الجانب الجنوبي و يقال له اليماني مائة و أربعون أسطوانة كلها رخام ما عدا خمسا و عشرين أسطوانة في مؤخر هذا الرواق عند باب أم هانئ فإنها كانت حجارة منحوتة و كان في الجانب الغربي سبع و ثمانون أسطوانة كلها حجارة منحوتة قطع دون الذراع منحوتة في شكل نصف دائرة مركبة على اثنتين منها اثنتين إلى أن يطول في شكل أسطوانة الرخام مسبوكة بينهما بالرصاص في داخلها و وسطها حديد بطول الأسطوانة منحوت مكانه في وسط الحجر مسبوكة عليه بالرصاص عمل ذلك في أيام الملك الناصر فرج بن برقوق لما احترق هذا الجانب الغربي من المسجد الحرام في آخر شوال سنة ٨٠٢ ... كما تقدم شرحه في محله فيكون جميع ما أدر كناه من الأساطين الرخام ثلثمائة و أربعين أسطوانة و جميع ما فيه من الأساطين غير الرخام

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٤٠

مائة و تسعة و عشرون أسطوانة و أما أساطين زيادة دار الندوة فأدر كناها ستا و ستين أسطوانة من جوانبها الأربعة كانت من الحجر الغشيم غير منحوت مطلية بالجص الأبيض من ظاهرها و قد ينكشف عنها الجص فيظهر الحجر الغشيم منها في الجانب الشرقي اثنتا عشرة أسطوانة و في الجانب الشمالي عشرون و في الجانب الغربي إحدى عشرة، و في الجانب الجنوبي ثلاث و عشرون أسطوانة. و أما زيادة باب إبراهيم فقد كان فيها في الرواق سبع عشرة أسطوانة من الحجر المنحوت صفيين متصلين في الرواق القبلي الذي يلي المسجد الحرام اثنتان منها لاصقان برباط رامشت على يمين المستقبل و اثنتان لاصقتان برباط الخوزي على يسار المستقبل. و في الجانب الشمالي ست أساطين و في الجانب الجنوبي ست أساطين إحداها لاصقة بالمنارة التي كانت لهذه الزيادة و لم تكن بالجانب الغربي من هذه الزيادة أساطين.

و أما عدد شرفات المسجد الحرام من داخله فكانت أربعمائة شرافة و سبعة أنصاف شرافات.

و أما الشرافات التي كانت على جدر المسجد من خارجه فهي اثنتان و خمسون شرافة متفرقة على أبواب المسجد الحرام، و فيما بينها دور و ربط و مدارس، متصلة بجدر المسجد الحرام، ليس فيها شرافات. و كانت في زيادة دار الندوة من جوانبها الأربعة التي تلي بطنها اثنتان و سبعون شرافة، و لا شرافة للجهة الخارجة لإحاطة الدور بها. و كانت في زيادة باب إبراهيم، مما يلي بطنها، في ثلاث جهات منها و هي: القبلي و اليماني و الشامي بضع و أربعون شرافة.

و أما أبواب المسجد الحرام فهي تسعة عشر بابا، كانت تفتح على ثمانية و ثلاثين طاقا. و هي باقية على حالها ما عدا باب واحد في زيادة دار الندوة. و كان يفتح على طاقين، فزادها الأمير قاسم أمين بناء المدارس الشريفة السلطانية السلمانية طاقا واحدا، و صار على ثلاث طاقات. فصارت طاقات أبواب المسجد الحرام الآن تسعة و ثلاثون طاقا، في كل طاق درفتان. و سيأتي تفصيلها بعد ذكر الأسطوانات المتجددة في عصرنا هذا.

و الذي اشتمل عليه المسجد الحرام الآن من الأساطين الرخام و الأساطين الصفر الشمسي و القبة و الطواجن و شراريف المسجد الحرام فهي ما نذكره فأما الأسطوانات الرخام فعددها ثلثمائة و إحدى عشرة أسطوانة. ففي جهة شرقي

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٤١

المسجد الحرام و هي ما يقابل باب البيت الشريف اثنتان و ستون أسطوانة رخام و في جهة شامية و يقال له الجانب الشمالي و هو ما يقابل الحجر الشريف إحدى و ثمانون أسطوانة رخاما و في جهة غربية و هو ما يقابل المستجار العظيم أربع و ستون أسطوانة منها ست أسطوانات من الحجر الصوان و الباقي من الرخام و في جهة جنوبية و هو ما يقابل الركبين ثلاث و ثمانون أسطوانة منها إحدى عشرة من الحجر الصوان و الباقي من الرخام و في زيادة دار الندوة خمس عشرة أسطوانة من تلك واحدة من الحجر الصوان و في زيادة

باب إبراهيم ست أسطوانات و أمام الأسطوانات الصفر الشميسى فجملتها مائتان و أربع و أربعون أسطوانة، و هى عبارة عن شكل مثنى أو مسدس أو مربع على حسب ما اقتضاه المكان، و هى فى طول الأسطوانة العليا مقدار الثلث من الحجر الصوان المنحوت، و ثلثاها من الحجر الشميسى المنحوت. فمن ذلك فى شرقى المسجد الحرام ثلاثون أسطوانة، و فى جهة شامية أربع و أربعون أسطوانة، و فى جهة غربية ست و ثلاثون أسطوانة، و فى جهة جنوبية ست و سبعون أسطوانة و أربع فى أركان السمجد، و فى زيادة دار الندوة ست و ثلاثون أسطوانة، و فى زيادة باب إبراهيم ثمانى عشرة.

و أما القبة فعددها مائة و اثنان و خمسون قبة. فمن ذلك فى شرقى المسجد الحرام أربع و عشرون قبة، و فى الجانب الشامى ست و ثلاثون قبة و فى الجانب الغربى أربع و عشرون قبة و فى الجانب الجنوبى ست و ثلاثون قبة و واحدة فى ركن المسجد الحرام من جهة منارة الحزورة و فى زيادة دار الندوة ست عشرة قبة و فى زيادة باب إبراهيم خمس عشرة قبة.

و أما الطواجن فجملتها مائتان و اثنان و ثلاثون طاجنا. ففى الجانب الشرقى ثمانية و ثلاثون طاجنا، و فى الجانب الشمالى تسعة و خمسون طاجنا و فى الجانب الغربى ثلاثة و أربعون طاجنا و فى الجانب الجنوبى أربعة و ستون طاجنا و اثنان تحت منذنة باب السلام و واحد فى ركن المسجد الحرام من جهة باب السلام و واحد فى ركن المسجد من جهة باب العمرة و فى زيادة دار الندوة أربعة و عشرون طاجنا.

و أما الشرافات فجملتها ألف و ثلثمائة و ثمانون شرافة. فمن ذلك فى شرقى المسجد الحرام مائة و اثنان و ستون شرافة، فمن الرخام سبع و عشرون فى وسطهن واحدة طويلة، و من الحجر الشميسى مائة و خمس و ثلاثون، و من جهة شامية ثلثمائة و إحدى و أربعون، فمن الرخام ثمانية و سبعون منها ثلاث طوال و الباقى من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٤٢

الحجر الشميسى، و فى جهة غربية مائتان و أربع، فمن الرخام اثنان و عشرون فى وسطهن واحدة طويلة و الباقى من الحجر الشميسى، و فى جهة جنوبية ثلثمائة و خمس و ثلاثون شرافة، فمن الرخام سبعون فى وسطهن واحدة طويلة و الباقى من الحجر الشميسى، و فى زيادة دار الندوة مائة و إحدى و تسعون من الحجر الشميسى، و فى زيادة باب إبراهيم مائة و ست و أربعون من الحجر الشميسى لا غير. انتهى من تاريخ الغازى.

### جدول عام فى ذكر أسماء من عمر المسجد الحرام من الخلفاء و السلاطين و الملوك و الكبراء

نذكر فى هذا الجدول أسماء بعض من عمّر و بنى و أصلح فى المسجد الحرام، من عهد ظهور الإسلام إلى زماننا هذا، بصورة مجملّة. و أما تفصيل ذلك فقد بيناه فى غير هذا المحل، و قد ذكرنا هنا أسماء الخلفاء و السلاطين و الملوك و غيرهم، ليعلم مبلغ عنايتهم فى تعمير المسجد الحرام و إصلاحه كيف لا، و هو أول مسجد وضع على وجه الأرض و فى بلد الله الأمين و فيه بينه الشريف الطاهر، و هذا هو الجدول:

عدد/ الأسماء/ نبذة عن أعمالهم فى المسجد الحرام/ السنة الهجرية

١/ عمر بن الخطاب رضى الله عنه/ وسّع المسجد الحرام و زاد فيه/ ١٧

٢/ عثمان بن عفان رضى الله عنه/ وسّع المسجد الحرام و زاد فيه/ ٢٦

٣/ عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما/ وسّع المسجد الحرام و زاد فيه/ ٦٥

٤/ عبد الملك بن مروان/ عمّر المسجد و لم يزد فيه شيئاً/ ٧٥

٥/ الوليد بن عبد الملك/ عمّر المسجد الحرام و زاد فيه/ ٩١

٦/ أبو جعفر المنصور/ وسّع المسجد الحرام و زاد فيه/ ١٣٧

- ٧/ محمد المهدي / وسع المسجد الحرام و زاد فيه / ١٦٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٤٣
- عدد/ الأسماء/ نبذة عن أعمالهم في المسجد الحرام/ السنة الهجرية
- ٨/ المعتضد العباسي / وسع المسجد الحرام بإدخال دار الندوة فيه / ٢٧١
- ٩/ المقتدر بالله العباسي / زاد في المسجد الحرام باب إبراهيم / ٣٠٦
- ١٠/ الأمير فارس الدين / جدد الأعمدة التي حول المطاف / ٧٤٩
- ١١/ الملك الأشرف شعبان / ملك مصر و هو الذي بنى منارة باب الوداع حينما سقطت / ٧٧١
- ١٢/ الأمير بيسق الظاهري / عمّر المسجد الحرام بعد احتراقه عمارة عظيمة قوية / ٨٠٤
- ١٣/ الملك الناصر فرج بن برقوق / ملك مصر و هو الذي بنى منارة باب السلام حينما هدمت / ٨١٦
- ١٤/ الأمير مقبل القديدي / عمّر بعض أماكن المسجد الحرام / ٨٢٥
- ١٥/ شاهين العثماني / حرت جميع المسجد الحرام بالبقر و جعل فيه البطحاء و عمّر فيه بعض الأماكن / ٨٣٠
- ١٦/ الملك الأشرف برسباي / ملك مصر و هو الذي بنى منارة باب الزيادة عند سقوطها / ٨٣٨
- ١٧/ الملك الظاهر جقمق / عمّر في المسجد الحرام و في الكعبة بعض الأماكن بواسطة الأمير سودون / ٨٤٣
- ١٨/ الأمير قثم / عمّر سقف بعض الجهات من المسجد الحرام و أماكن متعددة / ٨٤٦
- ١٩/ بيرم خواجه / عمّر بعض المحلات في المسجد الحرام / ٨٥٢
- ٢٠/ الأمير بردبك / عمّر بعض سقوف المسجد الحرام / ٨٥٤
- ٢١/ السلطان قايتباي / بنى مدرسته و منارته الشهيرة بين باب السلام و باب النبي / ٨٨٤
- ٢٢/ الأمير سنقر الجمالي / عمّر بعض السقوف و بعض / ٨٨٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٤٤
- عدد/ الأسماء/ نبذة عن أعمالهم في المسجد الحرام/ السنة الهجرية
- الأماكن في المسجد الحرام
- ٢٣/ أبو السعود بن ظهيرة / حفر حاشية المطاف و عمرها مع بعض الأماكن / ٨٩٤
- ٢٤/ محمد بن عباد الله / عمل بعض الإصلاحات و العمارات و جعل الرصاص في أرض المطاف / ٩١٥ و ٩٢٠
- ٢٥/ الملك قانصوه الغوري / عمّر بعض الجهات في المسجد الحرام / ٩١٧
- ٢٦/ أحمد حليبي / جدّد سطح الكعبة و أصلح أرض المطاف و فرش المسجد جميعه بالجص / ٩٦١
- ٢٧/ السلطان سليمان خان / هو أول من عمّر بالمسجد الحرام من سلاطين الأتراك / ٩٧٢
- ٢٨/ السلطان سليم بن سليمان / هو الذي عمل عمارة المسجد الحرام كله بالقباب / ٩٨٠
- ٢٩/ سنان باشا / فرش حاشية المطاف بالحجر الصوان المنحوت بدلا من الجص / ٩٨٣
- ٣٠/ السلطان مراد بن سليم / هو الذي أكمل عمارة والده بعد وفاته بالمسجد الحرام / ٩٨٤
- ٣١/ السلطان محمد خان / جدّد شاذروان الكعبة و فرش المطاف بالمرمر / ١٠١٠
- ٣٢/ السلطان أحمد بن محمد / أمر بترميم المقامات الأربعة / ١٠١٥
- ٣٣/ السلطان مراد خان الرابع / و هو الذي بنى الكعبة المشرفة و عمر بعض أماكن في المسجد الحرام / ١٠٣٩
- ٣٤/ السلطان محمد خان / بنى المقام الحنفي بالحجر الصوان و بالحجر الأصفر / ١٠٧٢



التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٤٥

عدد/ الأسماء/ نبذة عن أعمالهم في المسجد الحرام/ السنة الهجرية

٣٥/ إبراهيم بك/ عمّر أطراف المسجد الحرام و المماشي/ ١١١٢

٣٦/ محمد أفندي المعمار/ رمّم المسجد الحرام و فرش بعض نواحي باب السلام بالحجارة/ ١١٣٤

٣٧/ السلطان عبد المجيد خان/ عمّر بعض أماكن في المسجد الحرام و نقش عقوده/ ١٢٥٧

٣٨/ الشريف عبد الله بن محمد بن عون/ عمّر بعض أروقة المسجد الحرام و غيرها مما خرّبه السيل/ ١٢٧٩

٣٩/ السلطان عبد العزيز خان/ جدد بناء المقام الحنفي بالحجر الرخام/ ١٢٨٢

٤٠/ السلطان عبد الحميد خان/ نقل المقام الحنبلي من موضعه قرب زمزم إلى محله الآن/ ١٣٠١

٤١/ السلطان محمد رشاد خان/ أمر بتعمير المسجد الحرام كله فعمروه لكنه لم تتم العمارة بسبب قيام الحرب العامة/ ١٣٣٤

٤٢/ الشريف الحسين بن علي/ أمر بإتمام عمارة المسجد الحرام بعد استقلاله بملك الحجاز/ ١٣٣٨

٤٣/ الملك عبد العزيز آل سعود/ قام بعمل كثير من الإصلاحات و التعمير في المسجد الحرام في سنوات مختلفة/ من عام ١٣٤٤ إلى

قبل وفاته

٤٤/ الملك سعود بن عبد العزيز/ قام بتجديد عمارة المسجد الحرام و توسعته بل و توسعة شوارع مكة و تجميلها/ ابتداء من سنة ١٣٧٥

هذا جدول عام لبيان أسماء من أجرى إصلاحات و ترميمات في المسجد الحرام بصفه مختصرة، و لقد ذكرنا في غير هذا المحل

التفصيلات الوافية عن كل ذلك و لا يبعد أننا نسينا ذكر أسماء بعض من عمل في المسجد الحرام، و القصد من هذا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٤٦

الجدول بيان عناية خلفاء المسلمين و ملوكهم بالمسجد الحرام الذي تتضاعف الصلوات و الحسنات فيه.

### ترجمة عبد الملك بن مروان

جاء في تاريخ الخميس عنه ما ملخصه:

هو أول من سمى عبد الملك في الإسلام، بويح بالخلافة بعد موت أبيه في رمضان سنة (٦٥) خمس و ستين. كان حازما في الأمور لا

يكلها إلى أحد و كان قبل الخلافة متعبدا ناسكا عالما فقيها واسع العلم، حتى قيل كان فقهاء المدينة أربعة سعيد بن المسيب و عروة

بن الزبير و قبيصة بن ذؤيب و عبد الملك بن مروان. و في سنة خمس و سبعين حج أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، و فيها

ضربت الدراهم و الدينارين و هي أول ما ضرب في الإسلام و إنما كانت قبل ذلك رومية و كسروية.

قال: و في المختصر الجامع و هو أول من نقش الدراهم و الدينارين بالعربية، أمر بنقشها و كتب عليها "قل هو الله أحد" و كان عليها

قبل ذلك كتابة بالرومية و على الدراهم بالفارسية.

توفي عبد الملك في منتصف شوال و قيل لعشر خلون من شوال سنة (٨٦) ست و ثمانين و دفن بدمشق و صلى عليه ابنه و ولي عهده

الوليد. كان أميره على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، و أميره على مصر و المغرب أخوه عبد العزيز بن مروان.

و في المختصر: و لم يزل ابن الزبير يقيم للناس الحج من سنة (٦٤) إلى سنة (٧٢) و لما ولي عبد الملك بن مروان في سنة (٦٥) منع

أهل الشام من الحج من أجل ابن الزبير و كان يأخذ الناس بالبيعة له إذا حجوا فضج الناس لما منعوا الحج فبنى عبد الملك الصخرة و

كان الناس يحضرونها يوم عرفه و يقفون عندها، و يقال أن ذلك كان سببا للتعريف في مسجد بيت المقدس و مساجد الأمصار، و

ذكر الحافظ في كتاب نظم القرآن: أن أول من سن التعريف في مساجد الأمصار عبد الله بن عباس. انتهى ملخصا من تاريخ الخميس.

نقول: و بمناسبة ما ذكر هنا و قوف الناس بصخرة بيت المقدس يوم عرفه نقل هنا ما جاء في كتاب «القرى لقاصد أم القرى» للحافظ

محب الدين الطبري في

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٤٧

هذه المسألة. فقد جاء فيه بصحيفة (٣٥٠) في عنوان «ما جاء في الوقوف بالمساجد تشبها بالواقفين بعرفة» ما نصه:

عن شعبه، قال: سألت الحكم وحمادا عن اجتماع يوم عرفة في المساجد فقالا: هو محدث، و قال منصور عن إبراهيم: هو محدث، و قال قتادة عن الحسن أول من صنع ذلك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما. أخرجه البغوى فى شرح السنة.

و عن الأثرم قال: سألت أحمد بن حنبل عن التعريف فى الأمصار يجتمعون فى المساجد يوم عرفة فقال: أرجو أن لا يكون به بأس، و قد فعله غير واحد الحسن، و بكر، و ثابت، و محمد بن واسع كانوا يشهدون المساجد يوم عرفة. انتهى من الكتاب المذكور.

نقول: إن هذا الحضور إلى المساجد يوم عرفة لمن لم يتمكن من السفر للحج، إنما هو حسن ظن بالله تعالى رجاء أن يغفر الله لهم و يستجيب دعواتهم عندما يطلع على الواقفين بعرفات و يباهى بهم الملائكة فيغفر الله لهم و يتجاوز عن ذنوبهم العظام و يعتقدهم من النار، فمن بقى فى وطنه لا بأس به إذا حضر يوم عرفة إلى المساجد للتضرع و العبادة رجاء عفو الله و غفرانه. فقد روى عن ابن عمر، رضى الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: لا يبقى أحد يوم عرفة فى قلبه وزن ذرة من الإيمان إلا غفر له. قال رجل: يا رسول الله لأهل عرفة أم للناس عامة؟ قال: بل للناس عامة. اه.

اللهم و اعف عنا و اغفر لنا و ارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

آمين.

و من ضمن أعمال عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى أنه أمر الحجاج الثقفى أن يكسو الكعبة الديباج، كما أمر بعمارة المسجد الحرام عمارة حسنة لكنه لم يوسعه و لم يزد فيه شيئا، و رفع جدار المسجد و سقفه بخشب الساج و جعل على رأس كل أسطوانة خمسين مثقالا من الذهب.

و لقد جلب للمسجد الحرام السوارى فى البحر إلى جدة، و كانت عمارته هذه فى سنة (٧٥) خمس و سبعين هجرية.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٤٨

فقد جاء فى كتاب «تاريخ عمارة المسجد الحرام» لباسلامة المكى رحمه الله تعالى من نصه:

لما كانت خلافة عبد الملك بن مروان الأموى، أمر بعمارة المسجد الحرام و لم يزد فيه شيئا غير أنه رفع جداره و سقفه بالساج و عمّره عمارة حسنة و جعل على رأس كل أسطوانة خمسين مثقالا من الذهب. فكانت عمارته منحصرة فى تجديد البناء و رفع الجدار و تسقيفه بالساج الذى هو أفخر أنواع الخشب و أمته و زينه بالذهب الذى جعله على رؤوس الأسطوانات، و لم يزد فيه شيئا عما كان عليه علاوة على زيادة عبد الله بن الزبير.

هذا ما ذكره مؤرخو مكة، و قال العمرى فى مسالك الأبصار: إن عبد الملك بن مروان جلب إليه السوارى فى البحر إلى جدة و سقفه بالساج و عمّره عمارة حسنة. و لم يذكر أحد غيره أن عبد الملك جلب إليه السوارى من البحر إلى جدة. كما أنه لم ينف ذلك أحد ممن ذكر عمارة عبد الملك. و سبب عمارة عبد الملك للمسجد الحرام لأنه قد تهدم بعضه من حجارة المنجنيق التى رماه بها الحجاج بن يوسف الثقفى حال حصاره لعبد الله بن الزبير حينما استعصم بالمسجد الحرام. و كانت هذه العمارة بعد عمارة الحجاج للكعبة المعظمة بسنة، و ذلك فى سنة (٧٥) خمس و سبعين هجرية التى توافق سنة (٦٩٤) أربع و تسعين و ستمائة ميلادية و الله أعلم. انتهى من الكتاب المذكور.

و كان رحمه الله تعالى يبعث من الشام كل سنة إلى الكعبة الطيب و المعجم و إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم. جزاه الله عن الإسلام و المسلمين خير الجزاء. و هو الذى أمر الحجاج الثقفى أن يهدم من الكعبة ما زاده فيها ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما و يعيدها على ما كانت فى عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم و ذلك سنة أربع و سبعين كما تقدم بيان ذلك بالتفصيل فى محله.

و مما وقع لعبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى، أنه دخل عليه كثير الشاعر فقال عبد الملك: أنت كثير؟ قال: نعم. قال: «أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه». فقال: يا أمير المؤمنين، كل عند محله رحب الفناء شامخ البناء على السناء. ثم أنشأ يقول:

ترى الرجل النحيف فتزدريره و في أثوابه أسد هصور  
و يعجبك الطير إذا تراه فيخلف ظنك الرجل الطير

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٤٩ بغث الطير أطولها رقابوا لم تطل البزاة و لا الصقور  
خشاش الطير أكثرها فراخا و أم الصقر مقلات نزور  
ضعاف الأسد أكثرها زئيرا و أصرمها اللواتي لا تزيرو  
و قد عظم البعير بغير لب فلم يستغن بالعظم البعير  
يقوده الصبي بكل أرض و ينحره على التراب الصغير  
فما عظم الرجال لهم بزین و لكن زينهم كرم و خير

فقال عبد الملك "لله دره، ما أفصح لسانه، و أضبط جناحه و أطول عنانه، و الله إنى لأظنه كما وصف نفسه." انتهى من المطالعة العربية.

قال ابن كثير في تاريخه: لما احتضر عبد الملك دخل عليه ابنه الوليد فبكى فقال له عبد الملك: ما هذا؟ أتحنّ حنين الجارية و الأمة! إذا أنا مت فشمّر و أتزر و البس جلد النمر، وضع الأمور عند أقرانها، و احذر قريشا. ثم قال له: يا وليد اتق الله فيما أستخلفك فيه، و احفظ وصيتي، و انظر إلى أخى معاوية فصل رحمه و احفظنى فيه، و انظر إلى أخى محمد فأمره على الجزيرة و لا تعزله عنها، و انظر إلى ابن عمنا على بن عباس فإنه قد انقطع إلينا بمودته و نصيحتته و له نسب و حق فصل رحمه و اعرف حقه، و انظر إلى الحجاج بن يوسف فأكرمه فإنه هو الذى مهد لك البلاد و قهر الأعداء و خلص لكم الملك و شتت الخوارج. و أنهاك و إخوتك عن الفرقة و كونوا أولاد أم واحدة، و كونوا فى الحرب أحرارا، و للمعروف منارا، فإن الحرب لم تدن منية قبل وقتها، و إن المعروف يشيد ذكر صاحبه و يميل القلوب بالمحبة، و يذل الألسنة بالذكر الجميل و لله در القائل:

إن الأمور إذا اجتمعن مراميهما بالكسر ذو حنق و بطش مفند  
عزت فلم تكسر و إن هى بددت فالكسر و التوهين للمتبدد

ثم قال: إذا أنا مت فادع الناس إلى بيعتك، فمن أبى فالسيف. و عليك بالإحسان إلى أخواتك فأكرمهن و أحبهن إلى فاطمة. و كان قد أعطاها قرطى مارية و الدرّة اليتيمة. ثم قال اللهم احفظنى فيها. فتزوجها عمر بن عبد العزيز و هو ابن عمها.

و لما احتضر سمع غسالا يغسل الثياب فقال: ما هذا؟ فقالوا: غسال، فقال:

يا ليتنى كنت غسالا أكسب ما أعيش به يوما بيوم، و لم أل الخلافة ثم تمثل فقال:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٥٠ لعمري لقد عمرت فى الملك برهه و دانت لى الدنيا بوقع البواتر  
و أعطيت حمر المال و الحكم و النهى و لى سلّمت كل الملوك الجبابر  
فأضحى الذى قد كان مما يسرنى كحلّم مضى فى المزمات الغوابر  
فيا ليتنى لم أعن بالملك ليله و لم أسع فى لذات عيش نواضر  
و قد أنشد هذه الأبيات معاوية بن أبى سفيان عند موته.

و قال أبو مسهر: قيل لعبد الملك فى مرض موته: كيف تجدك؟ فقال:

أجدنى كما قال الله تعالى: وَ لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ الآية. و قال سعيد بن عبد العزيز: لما احتضر عبد الملك أمر بفتح الأبواب من قصره، فلما فتحت سمع قصارا بالوادي، فقال:

ما هذا؟ قالوا: قصار، فقال: يا ليتني كنت قصارا أعيش من عمل يدي، اه.

ثم قال ابن كثير في تاريخه بعد خمسة أسطر من هذا الكلام ما يأتي:

و يروى أنه قال: ارفعوني فرفعوه حتى شم الهواء فقال: يا دنيا ما أطيبك، إن طويلك لقصير و إن كثيرك لحقير، و إنا كنا بك لفي غرور. ثم تمثل بهذين البيتين:

إن تناقش يكن نقاشك يا رب عذابا لا طوق لي بالعذاب

أو تجاوز فأنت رب غفور لمسيء ذنوبه كالتراب

قالوا: و كانت وفاته بدمشق يوم الجمعة و قيل: يوم الأربعاء و قيل: الخميس في النصف من شوال سنة ست و ثمانين، و صلى عليه ابنه الوليد ولي عهده من بعده، و كان عمره يوم مات ستين سنة و قيل أقل و قيل أكثر و دفن بباب الجابية الصغير. انتهى من تاريخ ابن كثير.

### ترجمة المتوكل على الله

جاء في تاريخ الخميس عنه ما ملخصه: هو المتوكل على الله جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد هارون الهاشمي العباسي البغدادي، مولده سنة (٢٠٥) خمس و مائتين، و قيل سبع، بويج بالخلافة بعد موت أخيه الواثق في ذي الحجة سنة اثنتين و ثلاثين و مائتين، و لما استخلف أظهر السنة و تكلم بها في مجلسه و كتب إلى الآفاق برفع المحنة و إظهار السنة و نصر أهلها و أمر بنشر الآثار النبوية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٥١

و في سيرة مغلطاي أمر المتوكل أهل الذمة بلبس العسلى و الزنابير و ركوب السروج بالركب الخشب و أن لا يعتموا، و غير زى نسائهم بالأزر العسلية، و إن دخلن الحمام كان معهن جلاجل، و أمر بهدم بيعتهم المحدثه، و أن يجعل على أبوابهم صور شياطين خشب، و أن لا يستعان بهم في شيء من الدواوين. انتهى ملخصا من تاريخ الخميس.

و في تاريخ ابن كثير ما ملخصه: كان المتوكل محببا إلى رعيته قائما في نصره أهل السنة، و قد شبهه بعضهم بالصديق في قتله أهل الرده لأنه نصر الحق و رده عليهم حتى رجعوا إلى الدين، و بعمر بن عبد العزيز حين ردّ مظالم بني أمية. و قد أظهر السنة بعد البدعة و أحمده أهل البدع و بدعتهم بعد انتشارها و اشتهارها، و قد رآه بعضهم في المنام بعد موته و هو جالس في نور، قال: فقلت: المتوكل، قال:

المتوكل، قلت: فما فعل بك ربك، قال: غفر لي، قلت: بماذا؟ قال: بقليل من السنة أحييتها- و روى الخطيب عن صالح بن أحمد أنه رأى في منامه ليلة مات المتوكل كأن رجلا يصعد به إلى السماء و قائلا يقول:

ملك يقاد إلى ملك عادل متفضل في العفو ليس بجائر

قال الفتح بن خاقان: دخلت يوما على المتوكل فإذا هو مطرق مفكر، فقلت: يا أمير المؤمنين ما لك مفكر؟ فوالله ما على الأرض أطيب منك عيشا و لا أنعم منك بالا. قال: بلى أطيب مني عيشا رجل له دار واسعة و زوجة سالحة و معيشة حاضرة، لا يعرفنا فتؤذيه و لا يحتاج إلينا فنزديه.

قتل رحمه الله تعالى ليلة الأربعاء أول الليل لأربع خلت من شوال سنة سبع و أربعين و مائتين، بالمتوكلية و هي الماحوزية و دفن بالجعفرية، و له من العمر أربعون سنة، و كانت مدة خلافته أربع عشرة سنة و عشرة أشهر و ثلاثة أيام، و كان أسمر حسن العينين نحيف الجسم خفيف العارضين أقرب إلى القصر. و الله سبحانه أعلم. انتهى من تاريخ ابن كثير.

جاء عنه كتاب محاضرات الخضرى ما نصه:

هو جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد و أمه أم ولد خوارزمية يقال لها شجاع ولد في شوال سنة ٢٠٦ ست و مائتين. بقم

الصِّلح و لم يكن بالمرضى عنه فى حياة أخيه، حتى كان الواثق قد و كَل به رجلين هما: عمر بن فرج الرخجى و محمد بن العلاء الخادم فكانا يحفظانه و يكتبان بأخباره فى كل وقت و قد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٥٢

جر عليه ذلك انحراف الوزير محمد بن عبد الملك الزيات فكان لا يلقاه لقاء حسنا و كانت صكاك رزقه لا تختم له إلا بعناء حتى أن عمر بن فرج أخذ منه الصك مرة فرمى به صحن المسجد الذى كان عمر يجلس فيه و كان الذى يصلح من شأنه عند الواثق أحمد بن أبى دؤاد. و لما توفى الواثق، و لم يكن عهد إلى أحد، اجتمع كبراء الدولة: أحمد بن أبى دؤاد القاضى، و محمد بن عبد الملك الوزير، و عمر بن فرج، و أحمد بن خالد الكاتبان و إيتاخ و وصف من قواد الأتراك، و تناظروا فيمن يولونه الخلافة، فأشار محمد بن عبد الملك بمحمد بن الواثق. و كاد الأمر يتم له، إلا أنهم لما جاؤا به، و ألبسوه دراعه سوداء و قلنسوة رصافية، قال لهم وصيف:

أما تتقون الله؟ تولون مثل هذا الخلافة و هو لا تجوز معه الصلاة، ثم أشار ابن أبى دؤاد بجعفر بن المعتصم، فاتفق رأيهم عليه و أحضروه فألبسه أحمد بن أبى دؤاد الطويلة و عممه و قبله بين عينيه، و قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. و بايعه الحاضرون، و لقب بالمتوكل على الله، ثم بايعته العامة. و تم ذلك كله فى اليوم الذى توفى فيه الواثق و هو ٢٤ ذى الحجة سنة (٢٣٢) اثنين و ثلاثين و مائتين (١١ أغسطس سنة ٨٤٧) ميلادية. و استمر خليفه إلى أن قتل ليلة الخميس رابع شوال سنة (٢٤٧) سبع و أربعين و مائتين (١١ ديسمبر سنة ٨٤١) ميلادية فكانت مدته ١٤ سنة و تسعة أشهر و عشرة أيام و كانت سنة إذ قتل ٤١ سنة. انتهى من المحاضرات.

و جاء فيها أيضا: و لقد كان المتوكل ينفر من استعمال أهل الذمة فى الدواوين و يكره أن يظهرها فى الطريق بمظهر المسلمين و لذلك أصدر أمره فى سنة (٢٣٥) خمس و ثلاثين و مائتين، أن يلبسوا زيا خاصا بهم و هو الطيالسة العسليّة و الزنانير و أن تكون لهم سروج خاصة بهم لركوبهم. و نهى أن يستعان بهم فى الدواوين و أعمال السلطان التى يجرى فيها أحكامهم على المسلمين. و نهى أن يتعلم أولادهم فى كتابيب المسلمين، و لا يعلمهم مسلم و كتب منشورا إلى عماله فى الآفاق بذلك كتبه إبراهيم بن العباس الصولى فى شوال سنة (٢٣٥).

قال المسعودى: و كانت أيام المتوكل فى حسننها و نضارتها و رفاهية العيش بها و حمد الخاص و العام لها و رضاهم عنها أيام سراء لا ضراء. كما قال بعضهم:

كانت خلافة المتوكل أحسن من أمن السبيل و رخص السعر و أمانى الحب و أيام الشباب ...

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٥٣

و جاء فيها أيضا: و من مناقب المتوكل أنه لما أحضروا بين يديه أبا الحسن على الهادى ابن محمد الجوادى على الرضا بن موسى الكاظم، كان المتوكل يشرب.

فأجلسه إلى جنبه و عرض عليه الكأس فاستغفى فأعفاه، ثم قال له: أنشدنى شعرا، فأنشده:

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم غلب الرجال فما أغتتهم القلل

و استنزّلوا بعد عز عن معاقلم فأودعوا حفرا يا بئسما نزلوا

ناداهم صارخ من بعدها قبروا أين الأسرّة و التيجان و الحلل

أين الوجوه التى كانت منعمة من دونها تضرب الأستار و الكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طال ما أكلوا دهرا و ما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

و طالما عمّروا دورا لتحصنهم ففارقوا الدور و الأهلين و انتقلوا

و طالما كنزوا الأموال و ادخروا فخلفوها على الأعداء و ارتحلوا

أضحت منازلهم قفرا معطلة و ساكنوها إلى الأجداد قد رحلوا  
فبكى المتوكل حتى بليت دموعه لحيته ثم أمر برفع الشراب و أمر له بأربعة آلاف دينار يقضى بها دينه ورده إلى منزله مكرما. انتهى  
كل ذلك من محاضرات الخضرى.

### ترجمة الأمير مقبل القديدى

فى أوائل سلطنة الملك الأشرف برسباى ثامن ملوك الجراكسة بمصر أرسل إلى مكة شرفها الله تعالى الأمير مقبل القديدى الأشرف  
و ذلك فى حدود سنة (٨٢٤) ست و عشرين و ثمانمائة، و أسند إليه إجراء عمارات و إصلاحات عامة بالمسجد الحرام.  
فعمر الأمير مقبل القديدى الرخام المفروش فى باب الكعبة من الداخل و جعل فيه رخاما جديدا، و أصلح الأساطين التى فى جوف  
الكعبة الشريفة و أحكمها، و حضر من عمارة الكعبة شيخ الكعبة و القضاة الأربعة و ناظر الحرم و المعمار جمال الدين يوسف، و أيضا  
عمر الأمير المذكور باب الجنائز أحد أبواب المسجد الحرام لأنه كان قد سقط ما فوق أحد البابين إلى منتهى المسجد المقابل لرباط  
المراعى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٥٤

"محل مدرسة السلطان قايتباى،" و عمر أيضا أماكن بين باب على و باب العباس و موضع آخر يتصل بباب الأفضلية، و عمر الأمير  
مقبل عدة عقود بالمسجد الحرام، و أحكم الأساطين التى عليها العقود و هى سبعة أساطين فى الرواق الأول و ثمانية فى الذى يليه  
ثلاثة فى الذى يليه و سبعة متصلة بجوار المسجد، و جدد بعض أبواب المسجد و أصلح سقفه. انتهى باختصار من تاريخ القطبى.

### ترجمة قايتباى ملك مصر

جاء فى كتاب «أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول» للإسحاقى ما يأتى:

الملك الأشرف قايتباى المحمودى تولى مصر فى سادس رجب سنة (٨٧٢) اثنتين و سبعين و ثمانمائة هجرية، و للسلطان قايتباى  
محاسن لا تحصى من خيرات و عمارات و مساجد و رباطات و مدارس و أسبله و غير ذلك منها أنه أمر ببناء مسجد الخيف فبنى بناء  
محكما و بوسطه قبة عظيمة و بالمسجد خوخة صغيرة يتوصل منها إلى الجبل الذى فى سفح غار المرسلات و هو الموضع الذى نزل  
فيه سورة المرسلات على النبى صلى الله عليه و سلم.

ثم قال رحمه الله: و من أثر عمارة السلطان قايتباى مسجد نمرة الذى بجبل عرفات. و من آثاره أيضا أنه أمر تاجره، الخواجى شمس  
الدين بن الزمن، أن يبنى مدرسة ملاصقة للحرم المكى. فبنى له مدرسة و أحكم بناءها بالرخام الملون و السقف المذهب، و بها  
شبابيك مطلية على الحرم الشريف، و هى على يسار الداخل من باب السلام. و قرر بها خدمة و طلبه علم للمذاهب الأربعة، و هى باقية  
عامرة لم يحصل بها خلل فى أوضاعها و لا بنائها، و ينزل بها أمير الحاج المصرى.

و مما وقع فى زمن السلطان قايتباى من الأمر المهول و الحادث العظيم حريق المسجد الشريف النبوى على ساكنه أفضل الصلاة و  
السلام و ذلك فى ثالث عشر رمضان سنة ست و ثمانين و ثمانمائة فأرسل أمير المدينة قاصدا إلى مصر لأجل عرض ذلك للسلطان  
قايتباى فتهول لتلك الحادثة العظيمة و توجه إلى عمارة المسجد الشريف و عرف نعمة الله تعالى عليه بتأهيله لهذا الشرف العظيم  
فأرسل نحو من ثلثمائة من أرباب الصنائع و كثيرا من البغال و الحمير و سائر مؤنهم و مبلغا نحو مائة ألف دينار أو أكثر، و جهز المؤمن  
الكثيرة حتى امتلأت البنادر من الخيرات، و أمر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٥٥

بعمارة المسجد الحرام و أن تبني له مدرسة ملاصقة للحرم الشريف و لما تمت العمارة أرسل إلى المدينة المنورة خزائن كتب و جعل

مقرها بالمدرسة و أرسل عدة مصاحف و وقف عدة قرى بمصر تحمل غلالها إلى جيران رسول الله صلى الله عليه و سلم، و المدرسة باقية إلى الآن في غاية الانتظام و هي على يسار الداخل إلى الحرم الشريف النبوي و ينزل بها أمير الحاج الشريف المصري، قال بعض الشعراء:

لم يحترق حرم النبي لريبة تخشى عليه و لا هنالك عار  
لكنما أيدي الروافض لامست ذاك الضريح فطهرته النار

و حج السلطان قايتباي حجة عظيمة (و عن الملوك فلا تسل) و كان واسطة عقد ملوك الجراكسة و أقربهم ميلا إلى قلوب الرعية و أكملهم عقلا و عاشت الرعية في أيامه عيشا رغيدا إلى أن غدر به الزمن الجائر و استيقظت له عيون الليالي الغواير فقدم على ما قدم من عمله و ترك ما جمعه من متاع الدنيا وراء ظهره و أدرج في أكفان عمله، بعدما غسل بدموع فقره و أنزل من سريره إلى قبره. و كان انتقاله إلى رحمة الله تعالى في آخر يوم الأحد لثلاث بقين من شهر ذي القعدة سنة إحدى و تسعمائة و صلى عليه يوم الاثنين و دفن بترتبه، التي أنشأها بالصحراء في حال حياته، و هي في غاية الحسن و بها مساكن للفقراء و أرباب الوظائف و لها أوقاف جارية. و هي مسكونة معمورة إلى الآن، ليس بالصحراء أعمر منها، و كانت مدة سلطنته تسعة و عشرين سنة و أربعة أشهر و لم يملك أحد من الجراكسة قدر مدته.

انتهى من الكتاب المذكور.

و الحقيقة أن للسلطان قايتباي بالحرمين خدمات كثيرة و خيرات عميمة، و كان موقفا لأعمال البر و خدمة المسلمين فرحمه الله تعالى رحمة واسعة، و جزاه عن أعماله خير الجزاء.

### ترجمة الأمير إبراهيم المهندار

هو الأمير إبراهيم بن تغرى بردى المهندار ثم الدفتردار بمصر، كان دفتردار ديوان مصر، و كان فاضلا عالما كاتباً جواداً كريماً، و كان عاقلاً مفكراً مدبراً صادق القول محبا لنظام الأعمال و ترتيبها. انتدبه و أرسلته من مصر إلى مكة، شرفها الله تعالى، ابنه السلطان سليمان خان، من سلاطين آل عثمان، ليقوم بمكة بإصلاح عين زبيدة. و أعطته ابنه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٥٦

السلطان المذكور خمسين ألف دينار ذهباً لهذا العمل. فوصل إلى جدة لثمان بقين من ذي القعدة سنة (٩٦٩) تسع و ستين و تسعمائة ثم وصل إلى مكة و كان محرماً بالحج فقابله أميرها الشريف حسن أبو ندى مقابله تليق بمقامه و مد له سماطاً عظيماً كبيراً فأكل منه هو و خواصه ثم أذن للفقهاء و الفقراء و عامة الناس فأكل الجميع و زاد شيء كثير فرقوه على المساكين.

ثم بعد أداء مناسك الحج قام الأمير إبراهيم المذكور بهمة و نشاط و إخلاص و أمانة بتنظيف الآبار بمكة التي يستقى منها الناس. و حفرها و أخرج ما فيها من التراب فكثرت المياه بها، ثم التفت إلى دبول عين عرفات أي مجاريها، مبتدئاً من أعلا مجرى عين زبيدة من وادي نعمان، و أتى بالعمال و البنائين و المهندسين و جلبهم من الآستانة و مصر و الشام و حلب و اليمن و أحضر الحدادين و الحجارين و القطاعين و النجارين و غيرهم ممن يحتاج إليهم، كما أحضر جميع ما يحتاج إليه من الأدوات من مصر من مكاتل و مساحي و مجاريق و حديد و فولاذ و نحاس و رصاص و غير ذلك، و عين لكل طائفة قطعة من الأرض لحفرها و تنظيف الدبول.

و كان الأمير إبراهيم يظن أنه يفرغ من هذا العمل في أقل من عام واحد، و لكن كان الأمر خلاف ما يظن، حيث وصلوا في العمل صخور صلبة و أحجار من الصوان، فكانوا يوقدون عليها النار مقدار مائة حمل من الحطب الجزل، يوقدونه ليلة كاملة ثم يكسرونها. و هكذا كل يوم و ليلة إلى أن فرغ الحطب من جبال مكة، فصار يجلب من المسافات البعيدة و غلا سعره، و صار الأمير إبراهيم يطلب

من السلطنة في استامبول إمداده بالمصاريف حتى صرف على العمل أكثر من خمسمائة ألف دينار، و حتى تعب الأمير و تعب معه خدمه و أولاده و مماليكه، و لم يتم العمل في حياته بل أتمه غيره، فقد جاءه الأجل المحتوم بمكة في اليوم الثاني من رجب سنة أربع و سبعين و تسعمائة و دفن بالمعلا، و كانت ولادته سنة اثنتين و عشرين و تسعمائة رحمه الله و أحسن إليه.

### وجود سقنين للمسجد الحرام قديما

و الظاهر و الله تعالى أعلم أنهم جعلوا للمسجد الحرام السقف الثاني مما يلي أرضه أى السقف الذى تحت سقف السطح، ليزخرفوه بالذهب، و يدلنا على هذا التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٢-٤ ؛ ص ٥٥٧ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٥٧ ما ذكرناه الإمام الأزرقى في كتابه تاريخ مكة، عند ذكر صفة سقف المسجد و هو: و للمسجد الحرام سقфан أحدهما فوق الآخر، فأما الأعلى منهما فمسقف بالدوم اليماني و أما الأسفل فمسقف بالساج و السيلج الجيد، و بين السقنين فرجة قدر ذراعين و نصف و السقف الساج مزخرف بالذهب، مكتوب في دوارات من خشب فيه، قوارع القرآن و غير ذلك من الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم و الدعاء للمهدى. انتهى كلامه.

فإن قيل: لما ذا لم يكتبوا بسقف واحد للمسجد، و يزخرفوا وجهه الذى يلي الأرض بالذهب، و يكتبوا فيه ما شاءوا؟ نقول: إن الكتابة و النقش و الزخرفة بالذهب و الفضة و الألوان، تحتاج إلى مدة طويلة و إلى مصاريف عظيمة، و لا بد من المحافظة عليها محافظة تامة فلو جعل ذلك فى السقف الأعلى لتعرض كل ذلك للخطر و التلف عندما يطرأ على السقف خلل يؤدي إلى نزول ماء المطر منه إلى أسفل.

أما عمل سقف ثان تحت السقف الأعلى لأجل الكتابة و الزخرفة، فإنه عين الصواب و الحكمة لتكون الكتابة و النقش و الزخرفة محفوظة إلى ما شاء الله تعالى، فالخلل يسرع إلى السقف الأول قبل الثانى.

فانظر رحمك الله إلى بعد نظر أهل القرون الأولى، و عنايتهم بالفنون الجميلة و عنايتهم بالمحافظة عليها.

### التعميرات و الترميمات الواقعة فى المسجد الحرام

تقدم الكلام على من زاد فى المسجد الحرام و وسّعه مفصلا، و هنا نتكلم بصورة مختصرة عن بعض من أجرى من التعميرات و الترميمات فى المسجد الحرام، فإن ذكر ذلك مما يدل على ما لهذا المسجد العظيم من المكانة السامية فى قلوب كافة المسلمين فنقول و بالله تعالى التوفيق: نبتدى من عمل الخليفة عبد الملك بن مروان من سنة (٧٥) خمس و سبعين من الهجرة، أما ما كان قبله من عمل الحجاج و قبل هذا من زيادة عبد الله بن الزبير و زيادة عثمان قبله و زيادة عمر قبل الجميع رضى الله تعالى عنهم، فلا نتكلم عن ذلك اكتفاء بما تقدم الكلام عن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٥٨

أعمالهم فى المسجد الحرام جزاهم الله تعالى خير الجزاء عن خدماتهم للإسلام و المسلمين.

فنقول و بالله التوفيق و منه نستمد العون و المدد فهو الفتاح العليم لا راد لفضله الحسى و المعنوى.

لقد عمّر المسجد الحرام أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان سنة (٧٥) خمس و سبعين من الهجرة، أى بعد عمارة الحجاج للكعبة بعام واحد، و لم يزد عبد الملك فى المسجد شيئا غير أنه رفع جداره و سقّفه بالساج «و هو ضرب من الشجر صلب الخشب» و عمّر عمارة حسنة و جعل على رأس كل أسطوانة مثقالا من الذهب.

و عمّره أيضا الوليد بن عبد الملك بن مروان فى سنة (٩١) أحد و تسعين و نقض عمل أبيه عبد الملك و عمل عملا محكما، و كان



إذا عمل المساجد زخرفها. و لقد ترقت الصناعات في زمنه حتى أن الناس إذا التقوا تساءلوا عن البناء و الصناعات.

و هو أول من نقل الأساطين الرخام للمسجد الحرام من مصر و الشام، و أزر المسجد بالرخام و جعل له شرفات، و جعل على حائطه الطيقان- العقود- و جعل في وجوه الطيقان من أعلاها الفسيفساء. و هو أول من زين بها. و لقد كان الوليد مغرماً ببناء المساجد، ذكر أن عماله كتبوا إليه أن بيوت الأموال قد ضاقت من مال الخمس فكتب إليهم أن ابنوا المساجد، رحمه الله تعالى و أحسن جزاه.

ذكر الغازي في تاريخه نقلاً عن الإعلام ما خلاصته: و في أيام المعتمد على الله سنة (٢٧١) إحدى و سبعين و مائتين وقع وهن في بعض جدران المسجد الحرام من الجانب الغربي قبل زيادة باب إبراهيم و كان في نفس الجدار الغربي من المسجد الشريف باب كان يقال له باب الخياطين و كان بقربه دار تسمى دار زبيدة بنت أبي جعفر المنصور فسقطت تلك الدار على سطح المسجد الحرام فانكسرت أخشابه و انهدمت أسطوانتان من أساطين المسجد الشريف و مات تحت ذلك عشرة أنفس من خيار الناس.

و كان عامله بمكة يومئذ هرون بن محمد بن إسحاق و قاضيها يوسف بن يعقوب القاضي فلما رفع أمر هذا الهدم إلى بغداد أمر أبو أحمد الموفق بالله «و هو أخو أمير المؤمنين المتوكل على الله» عامله على مكة هرون المذكور بعمارة ما تهدم من المسجد الشريف و جهز إليه مالا بسبب ذلك فشرع في عمارته و جدد له

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٥٩

سقفا من خشب الساج و نقشه بالألوان المزخرف و أقام الأسطوانتين الساقطتين و بنى عقودهما و ركب السقف و نصب في أيام عمارته سرداقا بين العمال و البنائين و بين الناس يسترهم عن أعين من بالمسجد إلى أن أكمل ذلك في سنة اثنين و سبعين و مائتين. ثم كتب و نقش على حجرين تاريخ عمارة المسجد الحرام و وضعهما في جدار المسجد، و قد تقدم نص كلام الغازي عن هذه العمارة في آخر الكلام على زيادة محمد المهدي للمسجد الحرام.

و جاء في تاريخ الغازي في الفصل الثالث عند ذكر ما عمرته ملوك الجراكسة في المسجد الحرام ما نصه:

قال في الإعلام: و في أيام الناصر فرج بن برقوق وقع الحريق في المسجد الحرام في ليلة السبت لليلتين بقيتا من شوال سنة اثنتين و ثمانمائة و سبب ذلك ظهور نار من رباط رامشت الملاصق لباب الحزورة من أبواب المسجد الحرام في الجانب الغربي منه و رامشت هو الشيخ أبو القاسم إبراهيم بن الحسين الفارسي وقف هذا الرباط على الرجال الصوفية أصحاب المرقعات في سنة تسع و عشرين و خمسمائة فترك بعض سكان الخلاوى سراجا موقودا في خلوته و برز عنها فسحبت الفارة الفويسقة فتيلة السراج منه إلى خارجه، فأحرقت في الخلوة و اشتعل اللهب في سقف الخلوة و خرج من شباكه المشرف على الحرم الشريف و اتصل بسقف المسجد الحرام و عجز الناس عن طفيه لعلوه و عدم وصول اليد فعم الحريق الجانب الغربي من المسجد الحرام و استمرت النار تأكل من السقف و تسير و لا- يمكن الناس إطفاءها لعدم الوصول إليها بوجه من الوجوه إلى أن وصل الحريق إلى الجانب الشامي و استمر يأكل من سقف الجانب الشمالي إلى أن انتهى إلى باب العجلة و كان هناك أسطوانتان هدمهما السيل العظيم المهول الذي دخل المسجد الحرام في اليوم الثامن من جمادى الأولى من هذا العام يعني عام حريق المسجد الحرام و أخرج عمودين من أساطين الحرم الشريف عند باب العجلة بما عليهما من العقود و السقوف فكان ذلك سببا لوقوف الحريق و عدم تجاوزه عن ذلك المكان و إلا لعم المسجد الحرام جميعه من الجوانب الأربعة فاقتصر الحريق إلى باب العجلة و سلم الله تعالى باقي المسجد الحرام.

و كم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الذكي

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٦٠

فصار ما احترق من المسجد الحرام أكواما عظاما تمنع من رؤية الكعبة الشريفة و من الصلاة في ذلك الجانب من المسجد.

قال الحافظ السخاوي في ذيله على دول الإسلام للذهبي: و في آخر شوال من سنة اثنتين و ثمانمائة وقع بالحرم المكي حريق عظيم على نحو ثلث المسجد الحرام، و لولا العمودان اللذان وقعا من السيل قبل ذلك لاحترق المسجد الحرام جميعه.

و احترق من العمد الرخام مائة و ثلاثون عمودا، صارت كلها كلسا و لم يتفق فيما مضى مثله. و كان وقوع السيل في جمادى الأولى من هذه السنة بعد مطر عظيم الانسكاب كأفواه القرب ثم هجم السيل فامتلا المسجد حتى بلغ القناديل و دخل الكعبة من شق الباب فهدم من الرواق الذى يلي باب العجلة عدة أساطين و خرب منازل كثيرة و مات فى السيل جماعة.

قال الفاسى: ثم قدر الله تعالى عمارة ذلك فى مدة يسيرة على يد الأمير بسق الظاهرى و كان قدومه إلى مكة لذلك فى موسم سنة ثلاث و ثمانمائة و كان هو أمير الحاج المصرى و تخلف بمكة بعد الحج لتعمير المسجد فلما رحل الحاج من مكة شرع فى تنظيف الحرم الشريف من تلك الأكوام التراب و حفر الأرض و كشف عن أساس المسجد الشريف و عن أساس الأسطوانات فى الجانب الغربى من الحرم الشريف المحترق و بعض الجانب الشامى منه إلى باب العجلة فظهر أساس الأسطوانات مثل تقطيع الصليب تحت كل أسطوانة فبناها و أحكم تلك الأساسات على هيئة بيوت الشطرنج تحت الأرض و بناها حتى رفعها إلى وجه الأرض على أشكال زوايا قائمة و قطع من جبل بالشبيكة على يمين الداخل إلى مكة، أحجار صوان صلبة منحوتة على شكل نصف دائرة يصير على آخر منحوت مثله دائرة تامة فى سمك ثلثى ذراع وضعت على قاعدة مربعة منحوتة على محل التقاطع الصليبي على وجه الأساس المرتفع على الأرض و وضعت عليها دائرة أخرى مثل الأولى و وضع بينهما بالطول عمود حديد منحوت له بين الحجرين المدورين و سبك على جميع ذلك بالرصاص إلى أن انتهى طوله إلى طول أساطين المسجد فيوضع عليه حجر منحوت من المرمر هو قاعدة دينك العمودين من فوق طاق بعقد إلى العامود الآخر و بينى ما بين ذلك بالآجر و الجص إلى أن يصل إلى السقف إلى أن تم الجانب الغربى من المسجد الحرام على هذا الحكم و بقيت القطعة التى من الجانب الشامى إلى باب العجلة فأكملوها بالقطع من عمد الرخام الأبيض موصلة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٦١

بالصفائح من الحديد إلى أن لاقوا به العمد التى بناها بالحجر الصوان المنحوت لعدم القدرة على العمد الرخام فصارت الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام بعمد الرخام ثلاثة أروقة و الجانب الغربى وحده بالحجر الصوان المنحوت المدور على شكل عمد الرخام و كملت عمارة هذه العمد فى أواخر شعبان سنة أربع و ثمانمائة و لم يبق غير عمل السقف و آخر عمله لعدم وجود خشب يصلح لذلك بمكة إذ لا يوجد غير خشب الدوم و خشب العرعر و ليس لذلك طول و لا قوة و يحتاج إلى خشب الساج و لا يجلب إلا من الهند أو خشب الصنوبر و السرو و نحو ذلك و لا يجلب إلا من الروم فلزم تأخر إكماله إلى إحضار القدر الذى يحتاج إليه من ذلك الخشب و شكر الناس همه الأمير بسق على سرعة تمام هذا المقدار من العمل فى هذه المدة اليسيرة و مبادرته إلى تنظيف المسجد إلى أن صلح للصلاة فيه و كان ذا همه عالية و حسن توجه و كان كثير الصدقة و الإحسان. و حج الأمير بسق فى ذلك العام و عاد إلى مصر لتجهيز ما يحتاج إليه من خشب سقف الجانب الغربى من المسجد الحرام و وصل إلى مصر فى أوائل سنة خمس و ثمانمائة و كان صاحب مكة يومئذ جد ساداتنا أشرف مكة الآن الشريف حسن بن عجلان. و فى سنة سبع و ثمانمائة قدم إلى مكة الأمير بسق لعمارة سقف الجانب الغربى من المسجد الحرام و غيره مما تشعب من سقف المسجد الشريف من كل جانب، فنهض إلى هذه الخدمة و أحضر الأخشاب المناسبة لذلك، و جلبها من بلاد الروم و هياها لعمل السقف و نقشها بالألوان و زوقها و استعان بكثير من خشب العرعر الذى يؤتى به من جبال الحجاز من جهة الطائف لعدم وجود خشب الساج يومئذ فى مكة و بذل همته و اجتهاده إلى أن سقف جميع الجانب الغربى من المسجد الحرام و أكمله بخشب العرعر المذكور. و عمّر معه بعض الجانب الشامى أيضا إلى باب العجلة فتم عمارة المسجد الشريف على تلك الأسطوانات المنحوتة من الحجر الصوان، و علّق فى تلك الأسقف سلاسل من نحاس و حديد لتعليق القناديل فى الرواق الوسطانى من الأروقة الثلاثة، على حكم سائر المسجد الحرام غير أن الجانب الشرقى و اليمانى و أكثر الشامى إلى باب العجلة كان فى كل عقد من العقود التى تلى صحن المسجد الشريف ثلاث سلاسل أحدها فى وسط كل عقد و الثانى عن يمينه و الثالث عن شماله لتعليق القناديل. و أما هذا الجانب الغربى كانت فيه السلاسل على هذا الحكم فلما احترق هذا الجانب و أعيدت

عقوده لم تتركب فيها هذه السلاسل. ولا أدري هل كانت هذه السلاسل التي هي خارج عن الأروقة تحت

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٦٢

العقود البرانية منها تعلق فيها القناديل أحيانا أم كانت لمجرد الزينة؟ ولم أطلع على ذكر قناديلها ولا كيف كانت ومتى بطلت. و أكملت عمارة سقف الجانب الغربي وما احترق من الجانب الشامي إلى باب العجلة في سنة سبع وثمانمائة وعمر مع ذلك الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام مواضع كثيرة من سقفها كان قد انكسر أعوادها و مال بعضها وكان يسيل منها الماء إلى المسجد الشريف فأصلح الأمير بيسق جميع ذلك بالطباطب والنورة في سطح الأسقف ودكها وسواها وأتقن عملها وعمر ما في صحن المسجد من المقامات الأربع على الهيئة القديمة وبذل في صرف ذلك الأموال العظيمة وشكره الناس على ذلك وكان ذلك في أيام الناصر زين الدين أبي السعادات فرج بن برقوق الجركسي ثاني ملوك الجراكسة. اه. انتهى من تاريخ الغازي.

ثم قال الغازي أيضا عند ذكر عمارة برسباي في المسجد الحرام ما نصه:

قال في تحصيل المرام: وفي سنة خمس وعشرين وثمانمائة تولى السلطان برسباي وكان عامله بمكة الأمير مقبل القديدي، فأمره بعمارة أماكن متعددة في الحرم، قد استولى عليها الخراب. فأحسن بنيانها وجدد كثيرا من سقف المسجد الحرام وأيضا عمر باب الجنائز وذلك في سنة ست وعشرين وثمانمائة. قال النجم عمر بن فهد: وفي هذه السنة أي سنة ست وعشرين وثمانمائة عمر الأمير مقبل القديدي عدة عقود بالمسجد الحرام في الجانب الشامي من الدكة المنسوبة إلى القاضي أبي السعود بن ظهيرة إلى باب العجلة خلف مقام الحنفي وزاد في عرض العقود التي تلي الصحن من هذا الجانب ثلاثة عقود في الصف الثالث، وأحكم الأساطين التي عليها هذه العقود، وهي سبعة في الرواق الأول وثمانية في الذي يليه وثلاثة في الذي يليه وسبع متصلة بجدار المسجد، وجدد من أبواب المسجد الحرام باب العباس وهو ثلاثة طاقات و باب على وهو ثلاثة كذلك، و الباب الأوسط من أبواب الصفا وهو خمسة و باب العجلة وهو واحد وأحد بابي الزيادة وهو الواقع في الركن الغربي من الزيادة ورمم باقي أبواب المسجد وبيض غالبه وأصلح سقفه وكل ذلك على يد الأمير مقبل القديدي والمعمار جمال الدين يوسف. انتهى.

ونقل الغازي عن ابن فهد، أنه في سنة (٨٣٠) ثلاثين وثمانمائة وصل سعد الدين إبراهيم القبطي الفؤي المصري الشهير بابن المرأة مباشرة للديوان بساحل جدة وناظرا عليها وصحبته شاهين العثماني شادا على الديوان ومعهما مراسيم بعمارة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٦٣

المسجد الشريف وترميمه وجعل الحصباء فيه وبطحه. فحرت بالبقر جميع المسجد الحرام وكوم التراب جميعه كيما نأثم رفعت بالفصلة والحمير إلى أسفل مكة وزال الكرش من المسجد و بطح بطحا مغربلة من ذى طوى بأسفل مكة بوادي الطندباوى. وعمرت ثمانية عقود بالجانب الشمالي مما يلي صحن المسجد الحرام ستة تلى الأستوانة الحمراء إلى صوب باب العمرة و اثنتان يليان إلى صوب باب بنى شيبه. وفرغ من ذلك كله فى شعبان، وبيض شاهين المقامات الأربعة ومقام إبراهيم وعقد الصفا، وبنى درجا على أبواب المسجد، مردا للسيل عنه، على باب الزيادة والعجلة والندوة و باب إبراهيم و باب الرحمة و أجياد و الصفا و بقية الأبواب. انتهى.

فقوله: و باب الندوة غلط من الناسخ إذ لا يوجد باب بهذا الاسم، و باب العجلة و كان يقال له باب بنى تيم، و هو المسمى الآن بباب التكية المصرية بجوار باب أم هانئ.

ونقل الغازي عنه أيضا: أنه فى سنة (٨٣٨) ثمان و ثلاثين و ثمانمائة قلع الأمير سودون المحمدى جميع رخام الشاذروان و عوضه بغيره، ثم شرع فى هدم مثذنة باب سويقه، و بناها بناء عاليا. و وصل إليه من القاهرة ستون ذراعا رخاما لمرة الحجر و شاذروان البيت، و خمسون حملا من الجبس لبياض أروقة المسجد الحرام، و عشرة قناطير حديد لعمل مسامير، و أربعون قطعة خشب لشد أروقة المسجد الحرام.

ثم قال الغازي أيضا عن عمارة جقمق الجركسي في المسجد الحرام ما نصه:

و في سنة ثلاث و أربعين و ثمانمائة بيض مئذنة باب الحزورة الأمير سودون المحمدي عامل مكة من قبل السلطان جقمق و بيض مئذنة باب السلام و أصلح مئذنة باب العمرة و رمم أسفل مئذنة باب علي و أصلح سقف المسجد الحرام من تلك الجهة لخرابه و أصلح الرفرف الدائر الذي كان بالمسجد في زمنه و بيض علو مقام إبراهيم و مقام الحنفي و عتبة باب إبراهيم أو قبه، و الأميال التي بالمسعى.

ذكره في تحصيل المرام. انتهى.

و نقل الغازي عن ابن فهد أيضا: أنه في سنة (٨٤٦) شرع الأمير تتم في هدم سقف الرواق الغربي من المسجد الحرام و سقف بعضه، ثم في سنة (٨٤٨) أكمل تنوير بقية سطح المسجد الحرام من ناحية باب الصفا و كتمل سقف جميع الرواق التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٦٤

الغربي من المسجد الحرام و عمّر فيه أماكن و قلع الرخام الذي بأرض حجر إسماعيل جميعه خلا الرخامة الخضراء و أصلحه، و كشف سقف بيت بئر زمزم فأصلحه و سقفه ثانيا.

و نقل الغازي عن مئذع الكرم: أنه في سنة (٨٥٢) عمّر بيرم خواجة ناظر الحرمين قطعة من المسجد الحرام و رمم فيه. انتهى.

و نقل الغازي عن ابن فهد: أنه في سنة (٨٨١) غير رخام حجر إسماعيل داخلا و خارجا، و عمل الرصاص بأرض المطاف حول الكعبة. و نقل الغازي عن العلامة عبد العزيز بن عمر بن تقي الدين ابن فهد المكي في كتابه بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى في حوادث سنة (٨٨٥) أنه في يوم السبت ثالث عشر شهر شوال أو اليوم الذي يليه حضر قاضي القضاة ناظر الحرم الشريف برهان الدين ابن ظهيرة القرشي الشافعي بالمسجد الحرام و حضر الأمير المحتسب سنقر الجمالي و الخواجه كمال الدين الظاهر شاه بندر و كشفوا على أماكن بالرواق الوسطاني من الناحية الغربية من المسجد الحرام و اتفقوا على إصلاح خشبان فيه مكسرين و على إصلاح أماكن في نواحي من سقف أروقة المسجد الحرام ينزف منها ماء المطر. ففي يوم الثلاثاء سادس عشر الشهر كشفوا عن ثلاثة أماكن في الرواق المذكور في مكان ثلاث خشبات و في مكان اثنين و في مكان واحدة و خشبهم صنوبر و أعادوا بدلهم خشبا، و كتمل إصلاح ذلك في نحو جمعة ثم عمل النورة من فوقه.

و نقل الغازي عن بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري المذكور سابقا: أنه في شهر صفر سنة (٨٩٤) أربع و تسعين و ثمانمائة شرع في إصلاح حاشية المطاف بإخراج البطحات التي بها و سببه أنه وقع مطر و سال سيلا يسيرا فدخل من باب العجلة إلى المسجد الحرام و كانت العتبة مسدودة لم تحفر على جرى عاداتها فأمر الناظر قاضي القضاة جمال الدين أبا السعود ابن ظهيرة بحفر جميع حاشية المطاف فحفرت و أخرج منها بطحات كثيرة لكنها مخلوطة بتراب فغربلت و أخرج التراب من المسجد و بطحت الحاشية ببعض البطحات و فرق باقيها بالمسجد في الأماكن المحتاجة لذلك و حفر أيضا الزقاق المتوصل إلى باب السدة فإنه كان ارتفع عن الطريق و منع السيل من التوصل إلى مجرى العتبة التي عند الباب و توصل إلى باب

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٦٥

العجلة فوجد مجرى العتبة مسدودا فدخل المسجد و لعله وصل إلى المطاف فعمل ذلك لأجل هذا. و كان إكمال العمل في أوائل شهر ربيع الأول.

و في شهر جمادى الآخر سنة (٩١٥) عمل الخواجه محمد بن عباد الله الرومي في المسجد أشياء، منها: إن قبه مقام الحنفي هدت و أعيدت بأخشاب جديدة و نورت و بيضت و جعل لها هلال جديد و غير أخشاب الشباييك التي بزمرم و رخم قبة الفراشين و شد الشباييك التي تلي باب الصفا و هي ثلاثة و الشباييك اللذين يليانها أي الشباييك التي من جهة الصفا من جهة الكعبة و هدم التي من جهة مؤخر المسجد و بنى بالآجر و النورة و ذلك للخلل الذي قالوه، و كشط الدهان الذي بعلو مقام الخليل عليه الصلاة و السلام و

السباط المتصل به و أعيد جديدا ثم جعلت القبّة خضراء و أسفلها طراز مذهب و دهن قبّة المقام و السباط و جعل في القبّة ذهب كثير و كذا في أساطين المقام و خشبة المؤخر و غير الأخشاب التي في الدرابزين و صار ذلك لائحاً لمن يريد الزخرفة. انتهى.

و في آخر شهر ذي الحجة سنة (٩١٥) تسعمائة و خمسة عشر أو قبيله شرعوا في هدم جنبابتي باب الدريبة قالوا الخلل في الجدار فهدموا شيئا مما يلي المسجد فقط.

و في يوم السبت رابع شهر محرم سنة (٩١٦) شرع في سقف المسجد من جهة باب الدريبة و هو مدهون بلا ذهب، و في يوم الخميس تاسع شهر ذي القعدة سنة (٩١٧) بنيت دكة ثانية بالزيادة و هي التي تلي باب الزيادة و جعل فيها باقى ما خرج من الحجر و من بئر زمزم و من مقام الحنفى.

ثم قال الغازى أيضا عند ذكر عمارة قانصوه الغورى في المسجد الحرام ما نصه:

قال العلامة قطب الدين رحمه الله في الإعلام: و مما عمره السلطان قانصوه الغورى بمكة المشرفة باب إبراهيم بعقد كبير، جعل علوه قصرا، و في جانبه مسكنين لطيفين و بيوتا معدة للكراء، حول باب إبراهيم.

و وقف الجميع على جهات الخير. قال: و لا يصح وقف ذلك القصر لأنه في هواء المسجد، و كذلك المسكنان لأن أكثرهما واقع في المسجد الحرام. و بنى أيضا ميضأة خارج باب إبراهيم، على يمين الخارج من المسجد، هي بطالة الآن، لأن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٦٦

روائح عفونتها قد تصل إلى المسجد، فيتأذى بها المصلون، فأبطل و غلق قريبا في سنة ثمانين و تسعمائة بالأمر الشريف السلطاني. انتهى.

و في موضع آخر من الكتاب المذكور: و في حدود سنة سبع عشرة و تسعمائة، أرسل السلطان الغورى أميرا من أمرائه يقال له خير بك المعمار، لتعمير زيادة باب إبراهيم. فبنى على باب إبراهيم قصرا مرتفعا مع مراقبه، و جعل حول القصر من خارج المسجد منازل و مساكن و بنى خارج ذلك ميضات تشتمل على مراحض و بركة ماء و وقف ذلك جميعه على جهات خير و بنى من داخل باب إبراهيم على يمين الداخل حاصلا في أرض المسجد و في علوه مسكنا و على يسار الداخل مثله و قرر فيها بعض المستحقين و جعل في الجانب اليماني من هذه الزيادة حاصلا يشتمل على سبيل ماء و صهريج كبير من ماء المطر من سطح المسجد و أبقى الجانب القبلى و الجانب الشمالى على حالهما، و فرغ الأمير خير بك المعمار من ذلك في حدود سنة عشرين و تسعمائة. انتهى.

قال في تحصيل المرام: و أما الرحبة عن الباب و الثلاثة الدرج التي على السوق فهى حادثه في سنة ألف و مائتين و اثنين و ثمانين في دولة السلطان عبد العزيز لأجل منع السيل عن المسجد الحرام. انتهى.

و في درر الفرائد المنظمة عمر السلطان المرحوم قانصوه الغورى في سنة ستة عشرة و تسعمائة باب إبراهيم و وجد فيه لقيه في قبّة كانت هناك و هى مائتا أشرفى مغربى في صندوق و فيه ورقة فيه: نحن عمرنا و تعبنا و ما ظلمنا و إذا خربت هذه القبّة تبنى بهذا المال و كان وزن الأشرفى قفله و نصف و عليه كتابه بالكوفية.

انتهى.

و في شهر رجب سنة تسعمائة و عشرين وصل من مصر مهندس و معمارية لعمارة ما أخذ بالإجارة من وقف عمارة ناظر الخاص الجمالى يوسف ابن كاتب حكيم عند باب إبراهيم ليوصل بعمارة القصر الذى أحدث للسلطان الأشرف قانصوه الغورى على باب إبراهيم قالوا لأن خوندجا حج في هذا العام، ليجعل ذلك حوش، تدخل فيه المحفة. فهدم و عمّر في هذا الشهر و للذى يليه و رأوه ضيقا لا يحصل المقصود، فخرجوا في الطريق أذرع. ذكره عبد العزيز بن فهد في بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٦٧

و من آثار الأشرف الغورى أيضا الترخيم الواقع في حجر البيت الشريف، عمل بأمره في أيامه و اسمه مكتوب فيه و فرغ من عمله عام

سبعة عشر و تسعمائة اه. انتهى كل ذلك من تاريخ الغازى.

ثم ذكر الغازى أيضا فى تاريخه ما وقع من العمارة العظيمة فى المسجد الحرام و من تغيير سقفه الخشبى بالقباب على حسب ما هو موجود فى زماننا هذا و ذلك سنة (٩٨٠) ثمانين و تسعمائة من الهجرة كما ذكرنا ذلك مفصلا فى مبحث خاص بعنوان «عمارة المسجد الحرام بالقباب» فراجعه إن شئت.

و فى يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر رمضان سنة (٩١٨) أمر الأمير الباش برصاص أذيب فى المسجد عند المزولة و عمل فى أماكن فى الطواف و من الظهر بطل ذلك و نقل حطب كثير إلى بيت الأمير فاضل عما اشتغل به و كانوا جاؤا به من باب السلام و لعله من المدعا من الأحمال التى تباع هناك و الله تعالى أعلم.

و فى شهر ذى القعدة سنة (٩٢٠) عشرين و تسعمائة جاء لنائب جده مراسيم و فيها أن الخواجه ابن عباد الله سألنا فى أن يرخص أرض المطاف و يقطع المسعى و مجرى السيل إلى المسجد فأجابه لسؤاله و أرسل إلى جده رصاص، قالوا: إنه خمسون قنطارا. فوصل لمكة بعضه. و أرسل أيضا نائبه الخواجه شمس الدين ابن زين الدين بن أخت الخواجه بن سلامة، فشرع فى ذلك يوم الجمعة ثانى عشر الشهر. انتهى ما فى بلوغ القرى فى ذيل إتحاف الورى.

و نقل الغازى عن الإعلام: أنه سنة (٩٦١) إحدى و ستين و تسعمائة، بعد أن فرغ ناظر الحرم أحمد حلى من تجديد سطح البيت الشريف، شرع فى تسوية فرش المطاف، فإن أحجاره انفصلت و صار بين كل حجرين حفرة. كانت تلك الحفرة تسد تارة بالنورة و تارة بالرصاص و تستمر بمسامير الحديد فأزال ما بين الأحجار من الحفرة و نحت طرف الحجر إلى أن ألصقه بطرف الحجر الآخر من جوانبه الأربعة و استمر فى فرش المطاف على هذا الأسلوب إلى أن فرغ من ذلك و أصلح أبواب المسجد الشريف و فرش المسجد جميعه بالجص. اه.

و نقل الغازى عن مختصر الإعلام للشيخ عبد الكريم القطبى أنه ورد فى موسم سنة (١٠٠٠) ألف من الهجرة فخر الصلحاء المكرمين الشيخ على الخلوتى بأمر شريف سلطانى لا زال نافذا على القاصى و الدانى يتضمن أن سقف مقام إبراهيم الخليل قد أكلته الأرضه و أنه يحتاج إلى إصلاح فلما كشف السقف المزبور

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٦٨

شاهدوا أن الأرضه قد أكلت غالبه و أن المتعين تغيير جميعه و إذا لم يغير سقط فغير جميعه بخشب الساج بشغل مكلف مصنع أحسن من الأول فشرعوا فى العمل المذكور فى جمادى الآخرة سنة واحدة و ألف و تم العمل فى السنة المذكورة. انتهى.

و نقل الغازى عن منائح الكرم: قال العلامة الشيخ عبد الرحمن ابن عيسى المرشدى فى بعض مسوداته، و أما المماشى الأربعة التى أحدها إلى باب السلام و الأخرى إلى باب الصفا و الأخرى إلى باب العمرة و الأخرى إلى باب الحزورة و الجناحان اللذان بجانبى مقام الحنفى و الفرش الذى خلفه و الذى تجاه المنبر كل ذلك محدث بعد أن فرش المطاف بالمرمر و ذلك سنة ألف و ثلاثة فإنهم كانوا كلما قلعوا شيئا من المطاف جعلوه فى هذه الأماكن و كذلك المحل الذى جعل مصلى لشريف مكة بصحن المسجد مما يلى أم هانئ. انتهى.

و نقل الغازى عن منائح الكرم: أنه فى سنة ألف و عشرة (١٠١٠) جدد الشاذروان الملتصق بجدار الكعبة و كان ابتداء عمله فى اليوم السابع من شعبان من السنة المذكورة. و أما ترخيم المقام الحنفى و محرابه فابتدئ فيه من ثالث عشر شوال من السنة المذكورة ثم ترك ترخيم أرضه كذا رأيت من خط الشيخ عبد الرحمن المرشدى، و رأيت فى تاريخ شيخنا السيد محمد الشلى أن فى هذه السنة أعنى سنة ألف و عشرة أمر مولانا السلطان الأعظم محمد خان بترخيم المطاف و أرخ بعض الأروام ذلك بقوله من مثنى الكامل و هو متروك عند العرويين:

زان المطاف بمرمر ملك الأنام محمد

نقل الغازي عن كتاب المنهل العذب، المفرد في الفتح العثماني لمصر، و من ولي إيالة تلك البلد، للعلامة محمد علي بن محمد علان المكي، في ذكر السلطان محمد خان. و من أعماله بمكة وضع الرخام لجميع أرض المطاف إلى العمدة المطيفة به. و كان تمام عمل ذلك عام (١٠٠٦) ست و ألف، و جاء في تاريخ ذلك قصيدة أسعد أفندي المفتي بالديار الرومية، منها قوله في مدح الملوك العثمانيين و مدح السلطان محمد خان:

عمروا مساجد ربنا صنعوا ما أثر تحمد

آثار خيرات لهم فيها عليهم تشهد

ملك الوري سلطاننا نجل المراد محمد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٦٩ و بجده و بجده دين النبي يجدد

فرش المطاف بمرمر بصفاه يحكى المسجد

كالكوكب الدرى فى أوج السعادة يوقد

من طاف مستشهدا يوم القيمة يسعد

الطائفون العاكفون الراكعون السجد

فلأجل تاريخ له قال ابن سعد أسعد

تلك القباب كذا لأساطين إليهم تسند

لا سيما من نسلهم سلطاننا المستمجدوا

لا زال صارم سيفه للظى الضلالة يخمد

الله خلد ملكه و العدل فيه مؤبد

كالبدر أشرق نوره إذ جنّ ليل أسود

نعم المطاف ترابه من غير أرمذ إثمذ

و يطوف بالليل و الأسحار قوم هجد

الله بارك فرشه مع من بناه يخلد

زان المطاف بمرمر ملك الأنام محمد

انتهى.

و بالتأمل فيما سبق من الكلام نرى أن هناك اختلافا بسيطا فى تاريخ فرش المطاف بالرخام، ففى كتاب المنهل العذب المفرد يقول: إن السلطان محمد خان فرش المطاف بالرخام سنة (١٠٠٦) و فى كتاب منائح الكرم يقول: إنه فرش سنة (١٠١٠) و فيه أيضا يقول: نقلا عن مسودات الشيخ عبد الرحمن المرشدى: أنه فى سنة (١٠٠٣) فرش المطاف بالمرمر. فالاختلاف بين هذه الروايات بسيط كما هو ظاهر، و نحن نميل إلى ترجيح ما جاء بكتاب المنهل العذب المفرد. و يمكن الجمع بين الأقوال بأن فرش المطاف بالرخام أول مرة كان لجزء منه، و ثانى مرة فرش بدون إتقان فحصل فيه خلل اقتضى قلعه جميعه و فرش فرشا جميلا فنيا غاية فى الإتقان و الصنعة. و الله تعالى أعلم بالغيب.

و نقل الغازي عن منائح الكرم: أنه فى سنة (١٠٧٢) اثنين و سبعين و ألف، ورد سليمان بيك صنجقا على جدة، و فوض إليه مشيخة الحرم، و نظارة عمارته.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٧٠

وورد معه بمال من الآغا محمد كزلاز مولانا السلطان لعمارة المسجد و المشاعر، فشرع في عمارة المسجد و ترميمه، و بنى مقام الحنفى بالحجر المنحوت الصوان و بالأصفر، و غير قبة زمزم و بناها على الصفة الباقية إلى الآن و نقش مقام إبراهيم بالذهب و أنواع الصبوغ و نقش المقامات كذلك و جعل أعلاها مصفحاً بالرصاص عوض الطبطاب الأول و جعل في أعلا- مقام الإمام الحنفى رصافتين مطلية بالذهب و فى بقية المقامات رصافه رصافه و جعل ثلاث رصافات كبار قبل كل مقام و قبل مقام الحنفى أربعة و الكل مطليات بالذهب، و رمم المنائر السبعة و زاد فى حاشية المطاف فرشاً بالحجر المنحوت زيادة قليلة، و دهن علم المسعى و عين لها ثمانين قنديلا تسرج فى الثلاثة الأشهر رجب و شعبان و رمضان منتشرة من الصفا إلى المروة فى أماكن متفرقة، و عمّر سيلا إلى المسعى ملاصقة للزبازيب التى ترد منها أهل مكة. و عمّر غير ذلك من المشاعر نحو مسجد الخيف، و مسجد نمرة و مسجد مزدلفه و رمم جميع هذه الأماكن و بيضها و كتب اسم الكزلاز محمد آغا صاحب هذه الخيرات فى حجر بالنقر و ألصقه فى جدار مقام الحنفى.

و نقل الغازى عن إتحاف فضلاء الزمن: إنه فى سنة اثنتى عشر و مائة و ألف (١١١٢) عمّر إبراهيم بيك أطراف المسجد الحرام و ما كان محتاجاً للتعير باطنا و ظاهراً و عمّروا المماشى و عمّروا طبطاباً فى باب الزيادة و رمّموا المنارة التى على باب السلام ظاهراً و باطنا و كذلك منارة باب العمرة و منارة الحزورة التى على باب الوداع و الرفرف الذى على باب السلام و جدده بأخشاب جديدة، و عمّر مقام إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام الذى فيه الحجر الشريف الذى كان يقف عليه خليل الله عند بناء البيت فغير جميع المقام و نقضه و جدده و بنى حول الحجر الشريف بالحجر الرخام و النورة و جدد ما كان محتويًا على القدم الشريف بالفضة المطلية بالذهب الأحمر و صبّ الرصاص بين الفضه و الحجر و استحكموا الفضه بها و شدّوا أحجار القدم الشريف و غيروا القبة بأخشاب ساج هندى و رمّموا بالفضه ما كانت ملبسه على القبة الشريفه و سدد بأنواع الدهانات و أوراق الذهب و رمم الدرجة التى تطلع بها إلى المحل المزبور.

و فى خمسة عشر القعدة من سنة (١١٣٣) ألف و مائة و ثلاثة و ثلاثين غير المعمار أفندى صندوق مقام الخليل إبراهيم و هو موضع القدم الشريف أبدله بخشب غير خشبه القديم الأول و جلا صفائحه الأول ثم عاودها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٧١

و فى افتتاح عاشوراء سنة (١١٣٤) ألف و مائة و أربع و ثلاثين بدأ المعمار فى ترميم الحرم الحرام و فرش بعض نواحي باب السلام بالحجارة و الشائع أن قصده يكسر جميع طبطاب الحرم و يبدله بالحجر المفروش فإنها أبقي و الطبطاب مرمته أصعب.

و فى سنة (١١٤٠) ألف و مائة و أربعين فى عشر ربيع الأول فرش الحرم الشريف بالحجارة المنحوتة و أزيل ما كان فيه من الطبطبات جميعه. انتهى ما فى الإتحاف.

و نقل الغازى عن تحصيل المرام: أنه فى سنة (١٢٥٧) ألف و مائتين و سبع و خمسين أو فى التى بعدها حصل ميل لعمودين بين باب البغلة و باب الصفا مما يلى صحن المسجد، فكتب فى ذلك إلى الأبواب. و كان إذ ذاك مولانا السلطان عبد المجيد خان، فبرز الأمر بإصلاحها و إصلاح ما كان فى المسجد الحرام.

فأصلحت بعد هدم القبة و العقود التى فوقها، ثم أعيدت كما كانت. و كان ابتداء هذه العمارة فى ربيع الأول من التاريخ المذكور. و كذلك أصلحوا عموداً و ما فوقه من الرواق الذى وراء مقام الحنفى، و أصلحوا المماشى و زيد فى ممشى باب الصفا، و أحدثت ممشاء باب على، و بيضوا جميع الحرم، و ما زاد من الحجر فى هذه العمارة جعلوه دكة عند باب الزيادة و طبطبوا ظاهرها.

و فى سنة (١٢٦٢) ألف و مائتين و اثنين و ستين أو التى بعدها، بيضوا الحرم و أصلحوا طبطابه و نقشوا عقوده، و نقشوا المقامات و المنبر، و مسحوا هلالاتها، و جعل رفرف على باب السلام من الخارج منقش و ذلك فى زمن والى مكة الشريف محمد بن عون و شيخ الحرم شريف باشا.



و في سنة (١٢٦٦) ألف و مائتين و ست و ستين فرشت رحبة باب السلام من خارج الباب بالرخام الأبيض و كانت قبل ذلك سقاية يباع فيها الماء و ربما بعض الناس كشف عورته و استنجى فواجه البيت الشريف و كانوا يوسخون الحرم فأزيل ذلك جزاهم الله خيرا. و كل ذلك في أيام السلطان عبد المجيد خان.

و في سنة تسع و سبعين و مائتين و ألف (١٢٧٩) ورد الأمر بترميم المسجد الحرام من مولانا السلطان عبد العزيز خان لأن أرض أروقه و مماشيه و حاشية المطاف أى التى خارج الأعمدة النحاس التى يوجد فيها المصابيح قد تحفرت بسبب السيل الذى دخل الحرم فى جمادى الأولى لثمان خلت من سنة ألف و مائتين و ثمان التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٧٢

و سبعين و كان دخوله قبل صلاة الصبح و وصل ذلك السيل إلى قفل باب الكعبة المشرفة و غطى مقام المالكي و تعطلت صلاة الجماعة خمسة أوقات و لم يصل فى الحرم فى ذلك اليوم أحد إلا أناس صلوا صلاة العصر على دكة باب الزيادة، و غرقت أناس كثيرة فى الحرم و كذلك غرقت أناس كثيرة خارج الحرم و حصر الذين ماتوا فى السيل فكانوا فوق العشرين فبعد ذلك ورد الأمر من الدولة العلية و كان إذ ذاك مولانا السلطان عبد العزيز خان بإصلاح الحرم الشريف و النظر فى ذلك لحضرة الشريف عبد الله بن المرحوم الشريف محمد بن عون و والى شيخ الحرم الحاج أحمد عزت باشا فعند وصول الأمر شرعوا فى تعميره فأخرج جميع ما فى الرواقات من الططاب القديم و كذا المماشى و حاشية المطاف و عوضوا ذلك بططاب جديد و لم يعمر مثل هذه العمارة منذ بنى الحرم و إنما كانوا يصلحون ما تقاع من الططاب و فى أقل مدة يتقاع، و أما هذه العمارة فأقنوها غاية الإتقان و كان ابتداء الشروع فى العمل فى ثمانية و عشرين من جمادى الآخرة سنة ألف و مائتين و تسع و سبعين، و أتموا العمل فى غاية ذى الحجة من السنة المذكورة.

انتهى ما فى تحصيل المرام.

و فى سنة (١٣١٤) ألف و ثلاثمائة و أربع عشرة صدر أمر السلطان عبد الحميد خان بن السلطان عبد المجيد خان للوالى أحمد راتب باشا بإجراء ما يلزم للمسجد من عمارة و إصلاح و مرمة و تنظيف و نقوش و ما أشبه ذلك. فقام الوالى المذكور بإجراء كل ما يلزم فعمل أولا نحو خمسين سلما من الخشب الجاوى السميكة، و جعل كل سلم على أربعة قوائم بمقاسات مختلفة فى الطول حسب اللزوم فأول ما ابتدوا به من العمل تنظيف القباب من الغبار و الأوساخ و كذلك تنظيف سطح المسجد الحرام ثم تنظيف الأسطوانات الرخام و عين الوالى لذلك قسما من الجنود التركية فكانوا يستعملون لتنظيف الأسطوانات قطعاً من الخيش يغمسونها فى الماء ثم يكسونها فى الرمل الناعم و يدلكون بها الأسطوانات دلكا جيدا و ربما استغرق تنظيف الأسطوانة الواحدة أسبوعا أو أسبوعين حتى تنجلي و يعود لونها إلى حالته الأصلية و هكذا جرى العمل فى تنظيف عموم الأسطوانات الرخام. و أما الأعمدة المبنية بالحجر الصوان و الحجر الشميسى و عموم عقود المسجد الحرام و جداره فصبغوها بالصبغ الأسود و الأحمر العنابي و الأصفر البرتقالى و الرمادى و رخموا بطون القباب و جدار المسجد الحرام و أصلحوا الأحجار المرصوفة على أرض الأروقة و المماشى و رمموا المنائر و أبواب المسجد و دهنوها مع أخشاب المقامات

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٧٣

باللون الأخضر. و مكثت تلك العمارة نحو سنة و كتب تاريخ العمارة تحت طرة بالذهب باسم السلطان عبد الحميد خان بعلو باب النبى. اه.

و فى سنة (١٣٢٧) سبع و عشرين و ثلاثمائة و ألف دخل المسجد الحرام سيل عظيم و حصل بسبب ذلك ميل فى بعض أسطوانات الرخام مما يلى باب العمرة إلى باب الوداع من الجهة الغربية و من باب أم هانئ إلى باب على من الجهة الجنوبية، و حصل أيضا خلل فى بلاط المسجد الحرام و جداره. فلما كان ابتداء سنة (١٣٣٤) صدر أمر السلطان محمد رشاد خان إلى والى الحجاز غالب باشا،

لإصلاح الخراب الواقع في المسجد الحرام و حضر مهندسان تركيان عن طريق المدينة لهذا الغرض. فأول شيء عمل هو طارات من الخشب الجاوي، على سعة عقود المسجد الحرام لأجل تحميل العقود المركبة على تلك الأسطوانات التي يراد إصلاحها وتعديلها فعملوا نحو عشرين طارة و حملوا عليها العقود المذكورة التي بالجانب الغربي و الجنوبي، و شرعوا في تبديل إحدى الأسطوانات الأمامية الواقعة بالجهة الغربية على حافة الحصوة مما يلي باب إبراهيم فأخرجوها بعد بذل جهود عظيمة و عملوا بدلا عنها أسطوانة صناعية فنية قوامها من الحديد و الإسمنت و مسحوق الآجر و الشعر ثم كسيت بقطع من المرمر ممزوج بمركب فني. و استمر العمل في صنعها نحو شهر ثم أخذوا في تعديل بعض الأسطوانات المائلة من الجهة الغربية فعدلوا منها نحو عشرة و أصلحوا كثيرا من الخراب الواقع في الأروقة و الأبواب و المنائر. و بينما هم سائرون في العمل إذ فاجأهم أمير مكة الشريف الحسين بن علي في فجر يوم السبت تاسع شعبان من السنة المذكورة و هي سنة أربع و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف فأعلن استقلاله بالحجاز و وقع الحرب بينه و بين الأتراك المقيمين في الحجاز و بسبب ذلك وقف العمل إلى أن انتهت الحرب العامة.

ثم في سنة (١٣٣٨) صدر أمر الملك الشريف الحسين بإتمام عمارة المسجد الحرام فقام بالعمل ناظر الحرم و وزير الأوقاف محمد أمين أفندي إمصلي فعدلت بقية الأساطين المائلة و رمم عموم الخراب الواقع بالمسجد الحرام. اه.

و في سنة (١٣٤٤) أربع و أربعين و ثلاثمائة و ألف صدرت إرادة جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بعمارة المسجد الحرام فأصلح كل ما يقتضى إصلاحه من ترميم عموم الخراب الواقع في جدار المسجد و أرضه و أعمدته، و إصلاح المماشي و حاشية المطاف و عموم و الأبواب، و غير ذلك من الإصلاحات

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٧٤

اللازمة للمسجد الحرام. و تمت هذه العمارة بكمال السرعة لحلول موسم الحج. اه.

ثم في سنة (١٣٤٦) صدر أمر جلالة الملك عبد العزيز المذكور بإجراء عمارة عموم المسجد الحرام داخلا و خارجا فقاموا بالعمل و رمموا عموم فرش أروقة المسجد الحرام من جهاته الأربعة و جدار المسجد الحرام داخلا و خارجا و نظفوا القباب و أصلحوا مظلة مقام الحنفي و مظلة مقام إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام و مظلة قبة زمزم و كسوها بالمعدن الأبيض المسمى بالتوتوة- و هو الألمنيوم أو الزنك- و طلوا بالدهان الأخضر كما طلوا أساطين النحاس المحاطة بمدار المطاف بلون أخضر و أصلحوا شاذروان الكعبة و فرشوا حصاوي المسجد الحرام بالحصباء ثم رخموا عموم جدار المسجد الحرام داخلا و خارجا و كذلك الأعمدة المبنية بالحجر الصوان و أبواب المسجد الحرام. انتهى ما نقل من تاريخ عمارة المسجد الحرام للشيخ حسين باسلامة.

نقلنا كل ما تقدم من تاريخ الشيخ عبد الله الغازي رحمه الله تعالى المسمى «إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام» و في الحقيقة لم تقف عمارات آل سعود في المسجد الحرام منذ دخولهم الحجاز، بل أنهم زادوا في المسجد الحرام هذه الزيادة العظيمة حتى صار المسجد الحرام أعظم مساجد الدنيا في السعة و الحرمة على الإطلاق، بل أنهم قاموا بإنشاء مساجد كثيرة بمكة و بالمملكة كلها وفقهم الله تعالى للخيرات آمين.

فانظر رحمك الله إلى هؤلاء المؤرخين الفضلاء الأماناء كيف خدموا المسجد الحرام من الناحية العلمية التاريخية، و بينوا كل شيء في غاية التفصيل و الدقة التامة و لا نعتقد أنه يوجد مسجد أو بلدة على وجه الأرض يكتب عنه ما كتب عن مكة و المدينة و مسجديهما. نسأل القبول و الرضا و العفو و العافية و التوفيق لكل خير و الموت على الإيمان الكامل براحة و نظافة و طهارة و العفو عند الحساب آمين.

### التعميرات الواقعة في نفس المطاف

جاء في تاريخ الغازي ما نصه: قال في درر الفرائد: أول من بلط المطاف عبد الله بن الزبير، رضى الله عنهما، فإنه لما بنى الكعبة و فرغ

من بنائها بقيت معه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٧٥

من الحجارة بقية ففرش بها حول البيت نحواً من عشرة أذرع و تبعه غيره ففرش باقي المطاف. انتهى.

و من تحصيل المرام ذكر الفاسى فى شفاء الغرام و عمارة الرخام الذى من المطاف، عمل ذلك دفعات حتى صار على ما هو عليه اليوم. و كان مصيره هكذا فى سنة سبعمائة و ست و ستين. و ممن عمّره المنتصر العباسى سنة ستمائة و إحدى و ثلاثين، و اسمه مكتوب فى تلك الحفرة التى عند باب الكعبة. و ممن عمّره الملك شعبان صاحب مصر و من خيرات السلطان سليمان تغيير بلاط المطاف القديم و تجديده ببلاط جديد أى رخام، على يد أحمد حلبى فى سنة تسع و خمسين و تسعمائة. و ذكره فى درر الفرائد. انتهى ما فى تحصيل المرام.

و فى تاريخ القطبى: و أما عمارة المطاف الشريف فوقع فى سنة إحدى و ستين و تسعمائة، و كنت قد أمرت بتاريخ يكتب على بعض مواضع المطاف. فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً و هدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم و من دخله كان آمناً تقرب إلى الله تعالى، بتجديد فرش أحجار المطاف، و تسويتها تحت أقدام الطائفين فى الطواف، و تحلية الباب الشريف و الميزاب المعظم الحنيف خليفة الله تعالى الأعظم سلطان الروم و العرب و العجم، من اصطفاه الله تعالى و اجتباه لترميم بيته الحرام و اختاره و ارتضاه بخدمة الركن و المقام السلطان بن السلطان الملك المظفر أبو الفتوحات السلطان سليمان خان، تقبل الله منه صالح الأعمال و بلغه ما يؤمله من السعادة و الإقبال. و لما تم ذلك غرّد بالتاريخ طير الهنا عمّر الله قبلتنا. و قال ابن فهد فى حوادث سنة ست و أربعين و ثمانمائة: و فيها فى سادس عشر شوال أذيب الرصاص و جعل بالحفر التى بأرض المطاف. انتهى من تاريخ الغازى.

ثم فى زماننا أى فى سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين حصل تعمير فى نفس المطاف و ذلك فى عهد الملك سعود بن عبد العزيز ففرشوا أرضه بالرخام المرمر، بل حصلت تعميرات كبيرة جدا فى جميع المسجد الحرام فى هذا العهد، كما ذكر كل شىء فى محله، من هذا التاريخ فارجع إليه فى فسطانه إن شئت.

لما وسّع القائمون على مشروع التوسعة المطاف، لم يكونوا يرغبون فى وضع حد يفصل بين المطاف القديم و المطاف الجديد، فتجادلنا معهم فى هذا الأمر فوجدناهم مصممين عليه، فاقترحنا فى الجريدة التى تصدر بمكة فى سنة (١٣٧٥)

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٧٦

أو بعدها أن لا بد من وضع حد من الرخام الأسود على حدود المطاف القديم ليكون فاصلاً بينه و بين المطاف الجديد، و للمحافظة على حدود كل شىء كما هو الواجب، فعندئذ عملوا الحد الفاصل بينهما. و لكن فضيلة رئيس المحاكم الشرعية بمكة المكرمة الشيخ عبد الله بن عمر بن دهبش رأى جواز توسعة المطاف و أنه لا حاجة لوضع الحد المذكور و قد دعى الملك سعود إلى داره بمكة المكرمة و ألقى كلمة أمام الملك أوضح فيها جواز توسعة المطاف نشرت بالجريدة الرسمية و قد وسع المطاف و لا زال يوسّع حتى تاريخه لزيادة أعداد المسلمين الحجاج.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٧٧

انتهى بعون الله تعالى الجزء الرابع و يتلوه الجزء الخامس، و أوله:

صيغة الدعاء بالمسجد الحرام لملك الحجاز سابقاً

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٧٩

- الموضوع رقم الصفحة
- الآيات المكتوبة على حزام الكعبة المشرفة ٥
- كتابة أسماء الملوك في كسوة الكعبة ٧
- الإشهاد الشرعى بتسليم كسوة الكعبة ١١
- حكم التصرف في كسوة الكعبة ١٣
- صورة وقيء السلطان خان على كسوة الكعبة ١٧
- كيفية تركيب كسوة الكعبة عليها ٢٢
- برقع الكعبة المعظمة أى ستارة بابها ٢٤
- خدم الكعبة و أغوات المسجد الحرام ٢٦
- أغوات المسجد الحرام فى عصرنا هذا ٤١
- مبدأ الرق و الاسترقاق ٤٢
- صورة عقد عتق أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم ٤٤
- اقتناء الجوارى ٤٥
- بيع الرقيق فى الآستانة ٤٨
- الاسترقاق ٥٣
- إحرام الكعبة فى موسم الحج ٥٤
- تجريد الكعبة من كسوتها عند تجديدها ٥٧
- الكلام على من يهدم الكعبة فى آخر الزمان ٦١
- ستر الكعبة المشرفة بالأخشاب ٦٢
- مقدار ما استعمل من الأخشاب و العواميد لستر الكعبة ٦٥
- عمل نطاق للكعبة المشرفة ٦٦
- ستر الكعبة فى حرب ابن الزبير ٦٧
- ما وجد فى الكعبة من الكتابات القديمة ٧٠
- فرش أرض الكعبة بالرخام ٧١
- صفة المسامير التى كانت فى الكعبة ٧٢
- صفة باب الكعبة فى عهد الأزرقى ٧٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٨٠
- الموضوع رقم الصفحة
- وجود سقفين للكعبة ٧٣
- كيفية وضع الكسوة على الكعبة الشريفة ٧٦
- تفرقة الرجال عن النساء فى الطواف و فى المسجد الحرام ٧٧
- الترغيب فى الحج و العمرة ٧٨
- أسرار الحج و مزاياه ٨٠

- فضل العمرة ٨٤  
إتيان العمرة في شهر رجب ٨٤  
العمرة الرجبية ٨٧  
الزيارة الرجبية ٩٠  
وجوب الحج و العمرة ٩١  
سنن الحج و العمرة في المذهب الشافعي ٩٢  
قصيدة أبي نواس في التلبية ٩٣  
[الميقات الزماني و المكاني] ٩٤  
خطب الحج ٩٤  
دعاء عرفة ٩٧  
أنواع النسك ١٠٢  
بعض فوائد في المناسك على المذهب الشافعي ١٠٣  
اقتراح لمؤلف هذا التاريخ ١٠٥  
بعض أحكام الحج و العمرة على المذهب الشافعي ١٠٧  
معنى الحج لدى الطوائف المختلفة ١١٢  
لباس الإحرام في الحج و العمرة ١١٥  
الحكمة في لباس الإحرام بالحج أو بالعمرة ١١٦  
الأصنام التي كانت في الكعبة أيام الجاهلية ١٢٠  
مشروعية الأذان و كيفيته ١٢٣  
أذان بلال فوق الكعبة يوم فتح مكة ١٢٤  
أذان بلال بعد موت النبي صلى الله عليه و سلم ١٢٥  
عدد المؤذنين لرسول الله صلى الله عليه و سلم ١٢٦  
تحسين الصوت بالأذان ١٣٠  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٨١  
الموضوع رقم الصفحة  
الأذان الشرعي ١٣٣  
قصة الأذان ١٣٦  
المؤذنون و المؤقتون في المسجد الحرام اليوم ١٣٩  
الكعبة المشرفة ١٤٠  
درج الكعبة الخارجية الموصلة إلى بطنها ١٤٠  
درج الكعبة الداخلية الموصلة إلى سطحها ١٤٣  
عدد درج الكعبة التي بداخلها ١٤٥  
وصف درج الكعبة في عصرنا ١٤٦

- روازن الضوء في سطح الكعبة ١٤٧
- الأعمدة الثلاثة التي بداخل الكعبة ١٤٨
- عدد أعواد سقف الكعبة ١٥٢
- الإصلاحات و الترميمات في الكعبة المشرفة ١٥٣
- سطح الكعبة و أرضها من الداخل ١٥٨
- وصف رخام الكعبة في عصر ابن جبير ١٦٠
- غسل الكعبة المشرفة ١٦١
- تلقى الناس لماء المطر تحت ميزاب الكعبة ١٦٥
- ميزاب الكعبة و عدده ١٦٧
- عمل باب الكعبة المشرفة ١٧٢
- عمل قفل و مفتاح لباب الكعبة ١٧٥
- الكتابة التي بأعلى باب الكعبة ١٨٠
- انتقال مفتاح الكعبة من شخص لآخر قبل الإسلام ١٨٣
- ترجمة شيبه بن عثمان و عثمان بن طلحة ١٨٩
- تاريخ سدانة الكعبة المشرفة ١٩٢
- السدانة قبل الإسلام ١٩٣
- قصي بن كلاب ١٩٣
- عبد الدار ١٩٤
- السدانة في الإسلام ١٩٤
- عثمان بن طلحة ١٩٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٨٢
- الموضوع رقم الصفحة
- شيبه بن عثمان بن أبي طلحة ١٩٦
- عبد الله بن شيبه الأعجم ١٩٧
- شجرة النسب ١٩٨
- محمد بن زين العابدين ١٩٨
- عاداتهم ٢٠٤
- ترجمة خالد بن عبد الله القسري ٢٠٤
- كيس مفتاح الكعبة و الكراسي التي كانت في داخلها ٢٠٨
- وصف الكرسي الذي في الكعبة في وقتنا الحاضر ٢١١
- مواعيد فتح الكعبة في الجاهلية و الإسلام ٢١١
- وصف فتح الكعبة و دخول الناس فيها ٢١٤
- الطواف و آدابه و شروطه ٢١٧

- إباحة بعض الأمور في الطواف ٢٢١
- ذكر الله و قراءة القرآن في الطواف ٢٢٣
- الدعاء و آدابه ٢٢٤
- بعض القوائد في التضرع ٢٣٠
- الطواف راكبا و دخول المواشى و الدواب المسجد الحرام ٢٣٧
- قياس طوفه واحده حول الكعبة ٢٤١
- عمارة المطاف و فرشته ٢٤٣
- حدود المطاف بالأعمدة و الأساطين ثم إزالتها بتاتا في عصرنا ٢٤٨
- توسعة المطاف لأول مرة في التاريخ ٢٥٠
- مقدار المطافين القديم و الجديد و شكلهما ٢٥٢
- الحج ٢٥٣
- إنساء الشهور ٢٦٠
- معنى النسىء ٢٦٢
- ذكر السنين التي يضرب بها المثل ٢٦٦
- أمر الإفاضة في الجاهلية و الإسلام ٢٦٧
- ذكر من حج من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ٢٦٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٨٣
- الموضوع رقم الصفحة
- ذكر من حج بالناس من عام فتح مكة إلى عام ثلاثمائة و خمس و ثلاثين من الهجرة ٢٧٣
- ذكر بعض من حج من الخلفاء و الملوك ٢٨٨
- حجة الوداع نقلا عن تاريخ الخميس ٢٩١
- حجة الوداع نقلا عن كتاب مرآة الحرمين ٢٩٨
- ما في حجة الوداع من المعانى الجليلة ٣١٥
- خطبة حجة الوداع ٣١٧
- وقفه الجمعة بعرفات ٣٢٠
- ذهاب النبي صلى الله عليه و سلم من منى إلى عرفات عن طريق ضب ثم رجوعه منها من طريق المأزمين ٣٢٢
- نزول النبي صلى الله عليه و سلم في غار جبل نمره في الحج ٣٢٣
- تنظيف طريق الحج من أشجار الشوك ٣٣٠
- حكم قطع شجر الحرم و نباته ٣٣١
- حكم نقل تراب الحرم و أحجاره ٣٣٦
- الحوادث الواقعة في الكعبة و المطاف ٣٣٧
- الطواف بالبيت عراه ٣٣٩
- دخول السيارات إلى المسجد الحرام في زماننا ٣٤٢

- ذكر بعض الحوادث المتفرقة ٣٤٤
- بعض ما حصل بمكة و ما حولها من القتال و النهب ٣٤٦
- الأمن و الأمان فى العهد السعودى ٣٥٧
- بعض الأمور العجيبة التى وقعت بمكة ٣٥٩
- ما وقع بمكة من الرخاء و الغلاء و القحط و الوباء ٣٧٠
- التسعيرة و مقاومة الاحتكار ٣٨٠
- إبطال المكوس و الجمارك ٣٨٤
- المراد بالمسجد الحرام و فضل الصلاة فيه ٣٨٥
- مقدار فضل الصلاة فى المسجد الحرام بالحساب ٣٨٨
- هل تتضاعف السيئات بالحرم أم لا؟ ٣٨٩
- باب بنى شيبه ٣٨٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٨٤
- الموضوع رقم الصفحة
- صلاة الجمعة فى المسجد الحرام ٣٩١
- وحى صلاة الجمعة فى المسجد الحرام ٣٩٢
- كيفية الخطبة فى المسجد الحرام ٣٩٨
- منبر المسجد الحرام ٤٠٢
- اتخاذ المنبر لرسول الله صلى الله عليه و سلم ٤٠٦
- حنين الجذع ٤١٠
- ترجمة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ٤١١
- نبذة عن عادات معاوية رضى الله تعالى عنه و هو خليفة ٤١٦
- بعض أعمال معاوية رضى الله تعالى عنه بمكة ٤١٧
- عدل معاوية و قوة سلطانه ٤١٩
- أبواب المسجد الحرام قبل توسعته فى زماننا ٤٢١
- بوابو المسجد الحرام ٤٢٤
- نصب الخيام فى المسجد الحرام ٤٢٦
- وجود المظلات فى المسجد الحرام ٤٢٨
- اللجنة التنفيذية لتوسعة المسجد الحرام ٤٣٠
- وضع الحجر الأساسى لتوسعة المسجد الحرام ٤٣٠
- مكتب توسعة المسجد الحرام ٤٣٣
- توسعة المسجد الحرام فى العهد السعودى ٤٣٣
- الزيادات فى المسجد الحرام ٤٣٤
- الزيادة الأولى: زيادة عمر فى المسجد الحرام ٤٣٦



- الزيادة الثانية: زيادة عثمان في المسجد الحرام ٤٣٧
- الزيادة الثالثة: زيادة عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام ٤٣٩
- الزيادة الرابعة: زيادة الوليد بن عبد الملك بن مروان ٤٣٩
- الزيادة الخامسة: زيادة أبي جعفر المنصور ٤٤٠
- الزيادة السادسة: زيادة محمد المهدي العباسي ٤٤١
- سبب وجود سقفين للمسجد الحرام في عمارة المهدي ٤٤٥
- ذكر الترميم بالمسجد الحرام في عهد أمير المؤمنين ٤٤٦
- المتوكل على الله ٤٤٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٨٥
- الموضوع رقم الصفحة
- الزيادة السابعة: زيادة المعتضد بالله ٤٤٧
- الزيادة الثامنة: زيادة المقتدر بالله ٤٥١
- المسجد الحرام و ما أجرى فيه من زيادات ٤٥٢
- البناء حول البيت ٤٥٢
- بيت الله بعد ظهور الإسلام و توالى الزيادات ٤٥٢
- المسعى قديما ٤٥٤
- التوسعة الكبرى في العهد السعودي الزاهر ٤٥٤
- مجرى السيل ٤٥٥
- وضع الحجر الأساسي للعمارة الجديدة ٤٥٥
- تفاصيل المسعى ٤٥٥
- قبة الصفا و الأبواب و المنارات ٤٥٥
- تكسية جدار العمارة بالمرمر و الحجر الصناعي ٤٥٦
- المتبقى من المبنى القديم ٤٥٦
- مساحة المسجد الحرام بعد التوسعة و ما صرف عليه ٤٥٦
- المطاف ٤٥٧
- مقام سيدنا إبراهيم الخليل ٤٥٧
- الميادين حول الحرم الشريف ٤٥٧
- دورات المياه (المیضاءات) ٤٥٨
- مجارى السيل و نفق وادى إبراهيم ٤٥٨
- نزع الملكيات و هدمها و تعويض أصحابها من أجل التوسعة ٤٥٨
- مكتبة الحرم الشريف ٤٥٩
- إنارة المسجد الحرام ٤٥٩
- الجسور ٤٥٩

- الزيادة التاسعة: زيادة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ٤٦٠
- خلاصة ما تقدم من الزيادات في المسجد الحرام ٤٦١
- بيان مساحة الزيادات في المسجد الحرام ٤٦٥
- ترجمة الوليد بن عبد الملك ٤٧٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٨٦
- الموضوع رقم الصفحة
- ترجمة المعتضد بالله ٤٧٣
- سياسة المعتضد بالله العباسي في الحكم ٤٧٤
- وصف قصر الخليفة المقتدر بالله العباسي ٤٧٨
- ترجمة المقتدر بالله ٤٧٩
- ترجمة أبي جعفر المنصور ٤٨٢
- تقدير المنصور للعلماء العاملين و الوعاظ ٤٨٢
- اقتصاد المنصور ٤٨٥
- اهتمام المنصور بعماله ٤٨٦
- حاضرة الخلافة ٤٨٧
- حكاية المنصور مع معن بن زائدة ٤٨٩
- صفات المنصور و أخلاقه ٤٩١
- كيف كان يقضى وقته ٤٩١
- وفاة المنصور ٤٩٢
- ترجمة أمير المؤمنين محمد المهدي ٤٩٣
- بيعة المهدي ٤٩٥
- بين المهدي و معن بن زائدة ٤٩٨
- شئ من خطب المهدي ٤٩٩
- من كرم المهدي ٥٠١
- شئ من مروءة المهدي و فضله ٥٠٢
- أول صندوق للبريد ٥٠٢
- وفاة المهدي ٥٠٦
- ترجمة هارون الرشيد ٥٠٦
- حضارة بغداد في عهد الرشيد ٥١١
- حج الرشيد و حبه للوعظ ٥١٣
- عهد الرشيد بالولاية لابنه المأمون ٥١٨
- حكاية هارون الرشيد مع الأعرابي ٥١٩
- وفاة هارون الرشيد ٥٢١

- ترجمة السلطان سليمان خان ٥٢٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٨٧
- الموضوع رقم الصفحة
- حكاية سليمان بن عبد الملك مع أبي حازم ٥٢٤
- ترجمة الأمير سودون المحمدي ٥٢٨
- فرش و تعميم المسجد الحرام ٥٢٩
- فرش المسجد الحرام بالبطحاء و غيرها ٥٢٩
- وضع الحصى و البطحاء فى المسجد الحرام ٥٣٠
- فرش المسجد الحرام بالططاب و الحجارة و الرخام ٥٣١
- دكة باب الزيادة ٥٣٢
- المماشى التى بالمسجد الحرام ٥٣٢
- تعمير المسجد الحرام فى الدولة العثمانية ٥٣٣
- ذكر أساطين المسجد الحرام و قببه و شرفاته و أبوابه و منائره ٥٣٩
- جدول عام فى ذكر أسماء من عمّر المسجد الحرام ٥٤٢
- ترجمة عبد الملك بن مروان ٥٤٦
- ترجمة المتوكل على الله ٥٥٠
- ترجمة الأمير مقل القديدي ٥٥٣
- ترجمة قايتباى ملك مصر ٥٥٤
- ترجمة الأمير إبراهيم المهمندار ٥٥٥
- وجود سقفين للمسجد الحرام قديما ٥٥٦
- التعميرات و الترميمات الواقعة فى المسجد الحرام ٥٥٧
- التعميرات الواقعة فى نفس المطاف ٥٧٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٨٨

### ملحق الصور

- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٨٩
- صورة رقم ٧٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٩٠
- صورة رقم ٧٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٩١
- صورة رقم ٧٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٩٢
- صورة رقم ٧٨

- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٩٣  
صورة رقم ٧٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٩٤  
صورة رقم ٨٠  
صورة رقم ٨١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٩٥  
صورة رقم ٨٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٩٦  
صورة رقم ٨٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٩٧  
صورة رقم ٨٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٩٨  
صورة رقم ٨٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٥٩٩  
صورة رقم ٨٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٠٠  
صورة رقم ٨٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٠١  
صورة رقم ٨٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٠٢  
صورة رقم ٨٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٠٣  
صورة رقم ٨٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٠٤  
صورة رقم ٩١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٠٥  
صورة رقم ٩٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٠٦  
صورة رقم ٩٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٠٧  
صورة رقم ٩٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٠٨  
صورة رقم ٩٥

- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٠٩  
صورة رقم ٩٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦١٠  
صورة رقم ٩٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦١١  
صورة رقم ٩٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦١٢  
صورة رقم ٩٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦١٣  
صورة رقم ١٠٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦١٤  
صورة رقم ١٠١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦١٥  
صورة رقم ١٠٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦١٦  
صورة رقم ١٠٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦١٧  
صورة رقم ١٠٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦١٨  
صورة رقم ١٠٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦١٩  
صورة رقم ١٠٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٢٠  
صورة رقم ١٠٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٢١  
صورة رقم ١٠٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٢٢  
صورة رقم ١٠٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٢٣  
صورة رقم ١١٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٢٤  
صورة رقم ١١١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٢٥

- صورة رقم ١١٢  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٢٦
- صورة رقم ١١٤  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٢٧
- صورة رقم ١١٥  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٢٨
- صورة رقم ١١٦  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٢٩
- صورة رقم ١١٧  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٣٠
- صورة رقم ١١٨  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٣١
- صورة رقم ١١٩  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٣٢
- صورة رقم ١٢٠  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٣٣
- صورة رقم ١٢١  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٣٤
- صورة رقم ١٢٢  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٣٥
- صورة رقم ١٢٣  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٣٦
- صورة رقم ١٢٤  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٣٧
- صورة رقم ١٢٥  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٣٨
- صورة رقم ١٢٦  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٣٩
- صورة رقم ١٢٧  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٤٠
- صورة رقم ١٢٨  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٤١
- صورة رقم ١٢٩

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٤٢

صورة رقم ١٣٠

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٤٣

صورة رقم ١٣١

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٤٤

صورة رقم ١٣٢

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٤٥

صورة رقم ١٣٣

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٤٦

صورة رقم ١٣٤

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٤٧

صورة رقم ١٣٥

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٤٨

صورة رقم ١٣٦

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٤٩

صورة رقم ١٣٧

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٥٠

صورة رقم ١٣٨

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٢-٤، ص: ٦٥١

صورة رقم ١٣٩

## المجلد الثالث

### [الجزء الخامس]

#### صيغة الدعاء بالمسجد الحرام لملك الحجاز سابقا

بعد أن انقضى حكم الأتراك من الحجاز، واستقل الشريف حسين بن علي بالحجاز، سنة (١٣٣٤) أربع و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف،

تقرر أن يدعى له في خطبة الجمعة فوق منبر المسجد الحرام بدعاء خاص و إليك صيغته:

قال الغازي في الجزء الثالث من تاريخه: و في سنة (١٣٣٦) تقرر الدعاء في خطبة الجمعة بعد الترضية على الآل و الصحب بهذا العنوان

«اللهم و قدس أرواح الأئمة المجتهدين، الذين قضوا بالحق و به كانوا عاملين، اللهم آدم نصرحك و عونك و أيد حفظك و صونك،

لعبدك و ابن عبدك، الخاضع لجلالك و مجدك، حامى بلدك الأمين، و مدينة جدة سيد المرسلين، شريف مكة و أميرها، و ملك

البلاد العربية قره كل عين سيدنا و مولانا الشريف الحسين، ابن سيدنا المرحوم الشريف علي بن محمد بن عبد المعين بن عون، و كن

له حافظا و أميناً، و ناصرا و معيناً، و وفقه اللهم لما فيه صلاح البلاد و العباد، و شؤون من من برك و بحرك من أمه سيدنا محمد

أجمعين، على ما تحبه و ترضاه، اللهم أصلح جميع ولاة المسلمين، و أهلك الكفرة و المبتدعة و المشركين، و كل من أراد السوء

بعبادك المؤمنين، اللهم اغفر للمؤمنين و المؤمنات، و المسلمين و المسلمات، الأحياء منهم و الأموات، فى مشارق الأرض و مغاربها آمين يا رب العالمين.

انتهى من تاريخ الغازى. و نحن أيضا كنا نسمع حال الصغر هذا الدعاء، فرحم الله الغازى الذى كان يسكن معنا بباب الزيادة بمكة، و كان يقيد كل شىء يراه فى تاريخه المذكور.

### النوم فى المسجد الحرام

لا بأس بالنوم فى المساجد بشرط أن لا يحصل ضرر من ذلك لأحد و مع مراعاة حرمتها، كأن لا ينام و قد مدّ رجله إلى القبلة، و أن لا ينام فى البقعة التى يكثر فيها المصلون، و أن لا ينام و ليس عليه سروال خوفا من انكشاف عورته، و أن لا ينام فى مكان يحصل منه ضرر لغيره، فالنوم فيها مع أمن الضرر و مراعاة الحرمة لا بأس به.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٦

روى الإمام الأزرقي فى تاريخه عن عمرو بن دينار قال: كنا ننام فى المسجد الحرام زمان ابن الزبير، و عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: أتكره النوم فى المسجد الحرام؟ قال: لا، بل أحبه. انتهى منه.

و عن ابن عمر أنه كان ينام و هو شاب عذب لا أهل له فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم. رواه البخارى و أبو داود و النسائى و أحمد و لفظه: كنا فى زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم ننام فى المسجد و نقيط فيه، و الترمذى و صححه و لفظه: كنا ننام فى المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم و نحن شباب. رواه مسلم بمعناه، و له فى رواية: أبيت فى المسجد.

نقول: إن نوم الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم غير نومنا نحن فى المساجد، فأولئك كانوا يحرصون على أداء الصلوات خلف رسول الله صلى الله عليه و سلم لذلك كانوا ينامون فى مسجده حتى إذا حان وقت الصلاة قاموا إليها.

فإذا قصد الإنسان بالنوم فى المسجد إدراك صلاة الجماعة عند إرادة الصلاة كان له فى ذلك الأجر و الثواب، لأنه لو نام فى غير المسجد قد لا يجد من يوقظه لأداء الصلاة، فما دام الإنسان يراعى عند النوم فى المسجد مراعاة حرمة فلا بأس عندئذ من نومه فيه حتى يأخذ لنفسه قسطا من الراحة خصوصا إذا كان لا يجد له مأوى. نسأل الله التوفيق للخيرات و المبررات آمين.

### الشحاذة فى المسجد الحرام

قال فى رسالته «كشف الزور و البهتان من صنعة بنى ساسان» ما يأتى: اعلم أن هذه الصنعة السفلة الدنية المحرمة شرعا تسمى بالشحاذة و بالشحاذة و بالكديّة و بصنعة بنى ساسان و بصنعة الشيخ فلحس.

قال فى شفاء الغليل للشهاب الخفاجى: شحّات اسم للسائل، و سموا شحّات بالمثلثة و صوابه شحّاذ و شحّاذة من شحذ السيف صقله شبه به الملح، قاله أبو منصور فى الذيل لكن فى شرح الدرّة قال إنه حسن على البدل كما قالوا جثا و جذا و قثمت الشىء و قدمته و لا بدع فى أمثاله.

و قال الشيخ أبو الوفا نصر الهورى: أما شحّات بالمثلثة فهو إبدال من الذال أو المثلثة و لا مانع منه فى القياس.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٧

و قال فيه أيضا كدى بكاف مفتوحة و دال مهملة مشددة بمعنى سأل و أكثر أهل الشرق يقولون المكديّة للسؤال الطوافين على البلاد من قولك حضر فأكدى إذا بلغ الكديّة و لم ينيط ماء. انتهى.

و أما صنعة بنى ساسان فقال فيه أيضا: إنهم طائفة كذابون محتالون على الشحّات بكل ما أمكنهم من الكذب و الحيل و الغدر و دعوى



النسب الكاذب و البكاء المتصنع و قد ذكرهم الحريرى فى آخر المقامات و بينهم و بين حيلهم و أحسن من وصف بنى ساسان و بين حيلهم و أكاذيبهم أبو دلف الخوزجى فى قصيدته التى لم يسبق على منوالها أنظرها فى يتيمة الدهر فى الجزء صفحة ١٧٦. و أما تسميتهم بنى فلحس فقال فى المزهران أنه فلحسا أسأل رجل ملح فى العرب كان يسأل لنفسه ثم يسأل لزوجته ثم يسأل لابنه ثم يسأل لبنته ثم و ثم و ثم إلى أن يسأل لحماره فلذلك ضرب به المثل فى السفالة و النذالة و كل من شابهه يسمى بنى فلحس. و عند عرب العالية يعنى عرب البحرين و القطيف و الكويت و الحسا و ما والاها تسمى الشحاتة بالطرارة و المفرد طزار و لعلها محرفة فى الاشتقاق عن الاضطرار. انتهى من الرسالة المذكورة.

ثم أورد صاحب الرسالة بعض الأحاديث الواردة فى تحريم السؤال و الشحاتة، و تكلم عن أحوال الشحاتين و قصصهم و بعض حيلهم ما أحببنا سردا حتى لا يطول بنا الكلام، و نظن أن هذه الرسالة هى الأولى من نوعها، فهى على صغر حجمها قد أوفت بالمراد و أتت بالحكمة و السداد، كما و هى مطبوعة سنة (١٣٠٥) هجرية.

فالشحاتة، بالذال المعجمة، من أقبح و أرذل العادات، و يكفى أن صاحبها ممقوت مطرود من المجتمع الإنسانى، و الشحاتة غير السائل، فكل شحات سائل و لا عكس، لأن السائل يكون مضطرا للسؤال فإذا وصل إلى حاجته استكفى و قنع، و أما الشحات فقد نبذ الحياء و اتخذ السؤال أبدية لا يتركها إلا إذا تركته الحياة، و كلما أعطى نشط فى الشحاتة و ازداد فى الطمع، و كم من الشحاتين من له ثروة طائلة و أموال عظيمة و دور و عقارات متعددة.

و للشحاتة فى بعض البلدان كمصر أصول و أنظمتها يعرفها أصحابها و يمشون بموجبها و لهم رئيس، و لكل قسم منهم جهة و محلات و أمكنة مخصوصة يجلسون

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٨

فيها للسؤال، و لهم فى صنعته الشحاتة طرق و كفيات يعجز عنها إبليس ليستدروا بها عطف الناس و شفقتهم. و لقد ورد النهى عن السؤال و الشحاتة فى الصحيحين عن أبى هريرة، رضى الله عنه، أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: "لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل و يتصدق خيره له من أن يسأل الناس." و روى البخارى عن الزبير رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "لأن يأخذ أحدكم ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمه من حطب على ظهره فيبيعه فيكف الله بها وجهه- و فى رواية:- فيستعين بثمانها خيره له أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه." و جاء فى الحديث الصحيح: "ما تزال المسألة بالبعد حتى يلقي الله و ما فى وجهه مزعة،" بضم الميم و سكون الزاى أى: ليس فى وجهه قطعة لحم.

نسأل الله السلامة و العافية مما تبلى به كثيرا من خلقه.

قال شيخنا العلامة المحدث الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى رحمه الله تعالى فى شرحه لكتابه "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم" عند الحديث المتقدم: لأن يأخذ أحدكم حبله ... إلخ ما يأتى:

و اعلم أن الأصل فى المسألة عدم الجواز إلا لأحد ثلاثة مذكورين فى حديث أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الزكاه، و لفظه بعد ذكر إسناده عن قبيصة بن مخرق الهلالي، قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم أسأله فيها. فقال: أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها، قال ثم قال: يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، و رجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال: سدادا من عيش، و رجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قومه: لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال: سدادا من عيش، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا. اه بلفظه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٩

قال النووى: الحمالة بفتح الحاء، هى المال الذى يتحملة الإنسان أى يستدينه، و يدفعه فى إصلاح ذات البين كالإصلاح بين قبيلتين و نحو ذلك و إنما تحل المسألة و يعطى من الزكاة بشرط أن يستدين لغير معصية.

و قال أيضا: معنى قوله: قوما أو سدادا القوام و السداد بكسر القاف و السين و هما بمعنى واحد و هو ما يغنى من الشىء و تسد به الحاجة و كل شىء سدوت به شيئا فهو سداد بالكسر و منه قولهم سداد من عوز و معنى حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا، أى يقومون بأمر صاحب الفاقه، فيقولون: لقد أصابته فاقه و الحجا بالقصر العقل. و إنما قال عليه الصلاة و السلام من قومه لأنهم من أهل الخبرة بباطنه. و المال مما يخفى فى العادة فلا يعلمه إلا من كان خبيرا بصاحبه. و إنما شرط الحجا تنبيها على أنه يشترط فى الشاهد التيقظ، فلا تقبل الشهادة من مغفل. و أما إسهاد الثلاثة فقال الجمهور: لا يشترط بل يقبل من عدلين كسائر الشهادات غير الزنى و حمل الحديث على الاستحباب. و قال بعض الشافعية: يشترط إسهاد ثلاثة فى بينة الأسعار فلا يقبل إلا من ثلاثة لظاهر هذا الحديث. و هذا كله محمول على من عرف له مال فلا يقبل قوله فى تلفه و لا عسار إلا بينه، و أما من لم يعرف له مال فالقول قوله فى عدم المال. و قوله عليه الصلاة و السلام: فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا... إلخ هو فى جميع نسخ مسلم هكذا بالنصب كما قاله النووى، و روايه غير مسلم سحت بالرفع و هو واضح، قال النووى: و روايه مسلم صحيحة و فيه إضمار أى اعتقده سحتا أو يؤكل سحتا و الله أعلم. انتهى ملخصا منه.

انتهى من شرح زاد المسلم.

فإن كانت الشحاذة قبيحة فى أى مكان كانت، فإنها أقبح ما تكون فى المساجد و أشد قبحا فى المساجد الثلاث "المسجدين الحرامين و المسجد الأقصى".

و أسمح ما يكون الشحاذ إذا كان قدرا و وقحا و قبيح المنظر و كربه الرائحة إن طردته لا يذهب و إن زجرته لا ينصرف و لا يتأثر، و لقد ابتلى المسجدان الحرامان بمكة و المدينة بمثل هذا الصنف القذر و النوع الوقح من الشحاذين، فى موسم الحج، فتراهم يقفون على أبواب المسجد فى صفين عن اليمين و عن الشمال بحالة قدرة يسدون الطريق على الناس بل يؤذونهم بكثرة إلحاحهم فى الطلب و يمسكون ثيابهم النظيفة بأيديهم القذرة الوسخة، و مهما زجروهم و طردوهم لا ينصرفون، فهذا غير جائز شرعا و لا يستساغ ذوقا، و نكون عرضة للانتقاد فى مواسم الحج، فمثل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٠

هؤلاء لا يتركون هذه الصنعة بالوعظ و الإرشاد و إنما يجبرون على تركها بالقوة و القهر.

فحبذا لو أن بعض الجهات الرسمية نظرت إلى علاج حاسم لهؤلاء، فمن كان منهم صالحا لبعض الأعمال جعلته يشتغل فيما هو قادر عليه، و من كان عاجزا جعلته فى دار العجزة و الضعفاء، و من كان مريضا عاجته مما أصابه، فكل صنف منهم له حكم خاص فى الشريعة الإسلامية الغراء.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما فيه صلاح العباد و البلاد آمين.

## الإيقاد فى المسجدين الحرمين

### إشارة

بمناسبة تطور الإضاءة و التنوير فى المساجد و المنازل فى جميع أقطار الأرض، نذكر هنا تطورات الإضاءة فى المسجدين الحرامين و بالأخص فى المسجد الحرام بمكة المشرفة لأن تاريخنا هذا يتعلق بها فقط. فلقد كان الناس فى العصور الماضية يكتفون ليلا بنور

القمر ثم يستضيئون بإشعال الحطب و النار ثم بسعف النخل و غصون الأشجار اليابسة، ثم صاروا يستضيئون بالشموع و بالزيت، ثم بالغاز بالكهرباء في عصرنا الحاضر. و الله تعالى أعلم بما سيحدث في مستقبل الأيام. و في ذكر الإيقاد بالنار يقول الشاعر العربي القديم: "كأنه علم في رأسه نار" و يقول أحدهم في الذم: قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأهمهم بولى على النار و ها نحن نذكر أولاً نبذة صغيرة في الإيقاد بالمدينة المنورة في صدر الإسلام، ثم نذكر بالتفصيل الإيقاد في المسجد الحرام بمكة المشرفة، فنقول و بالله تعالى التوفيق، فهو الهادى إلى سواء الطريق.

### إيقاد الشموع في المدينة على عهده صلى الله عليه و سلم

جاء في كتاب التراتيب الإدارية في الجزء الأول ما نصه: في السنن عن ابن مسعود قال: رأيت و نحن في غزوة تبوك شعلة من نار في ناحية العسكر فأتبعها أنظر إليها فإذا رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبو بكر و عمر و إذا عبد الله ذو البجادين المزنى قد مات و إذا هم حفروا له و رسول الله صلى الله عليه و سلم في حفرة. و في جامع الترمذى في باب التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١١

الدفن بالليل عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه و سلم دخل قبراً ليلاً فأسرج له سراج ... الحديث. قال الحافظ السيوطى قوله: شعلة نار أى ضوء الشمعة و ذلك أنه أجاب من سأله هل الشمع و قد عنده صلى الله عليه و سلم و أفرد ذلك برسالة سماها مسامرة الشموع في ضوء الشموع. انظر الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيثمى ص ١٢١ و السيرة الحلبية. و في باب الصلاة على الفراش، من الصحيح عن عائشة، قالت: كنت أنام بين يدي النبي صلى الله عليه و سلم و رجلاى في قبلته، فإذا سجد غمزنى، فقبضت رجلى، فإذا قام بسطتها. قالت: و البيوت يومئذ ليس فيها مصابيح. قال الحافظ فى الفتح، و قولها: و البيوت ليس فيها يومئذ مصابيح، كأنها أرادت به الاعتذار عن نومها على تلك الصفة. قال ابن بطال: و فيه إشعار بأنهم صاروا بعد ذلك يستصحبون ه ص ٤١٤ من الجزء الأول، و فى السيرة الشامية جاء أنه صلى الله عليه و سلم كان لا يجلس فى بيت مظلم إلا أسرج له فيه أخرج البزار و أبو الحسن بن الضحاک عن عائشة كان صلى الله عليه و سلم لا يجلس فى بيت مظلم إلا أسرج له فيه سراج، و أخرج ابن سعد عنهما نحوه، و فى البيان و التبيين للجاحظ أن جذيمة الأبرش آخر ملوك قضاة بالحيرة هو أول من رفع الشمع. و فى شرح المنهج للمنجور: أن البرزلى سئل عن جعل الثريا و القناديل فى المسجد فأجاب: أن جعل الحصر و مطلق الاستصباح من باب ترفيع المساجد. و قد ورد ثواب جزيل فى استصباحه. و حكى الزمخشري فى تفسير قوله تعالى: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ... الآية. عن أنس: من أسرج فى مسجد إسراجاً لم تزل الملائكة و حملة العرش تستغفر له ما دام فى ذلك المسجد ضوء. و قال: العمارة تتناول تجديد ما استرم منها و تنظيفها و تنويرها بالمصابيح و تعظيمها و اعتبارها للعبادة و الذكر. و أما كثرة المصابيح فى رمضان فقد طعن فيه بعض المغاربة بأنه بدعة و الصواب أنه من باب ترفيع المساجد. اه. انظر بقيته فى نوازل البرزلى و شرح المنهج و لا بد. انتهى من الكتاب المذكور.

### إيقاد المساجد بالزيت فى عهد النبي صلى الله عليه و سلم

جاء فى كتاب التراتيب الإدارية ص ٨٤ من الجزء الأول ما نصه: فى الاستيعاب: سراج مولى تميم الدارى، قدم على النبي صلى الله عليه و سلم فى خمسة غلمان لتميم و أنه أسرج للنبي صلى الله عليه و سلم بقنديل الزيت، و كانوا لا يسرجون قبل ذلك إلا سعف النخل، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من أسرج مسجداً؟ فقال تميم: غلامى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٢

هذا، فقال: ما اسمه؟ قال: فتح، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بل اسمه سراج، قال: فسماني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سراجا. (وقلت) وخرجه الخطيب بسند ساقه في الإصابة في ترجمته، وفيه كان يسرج مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسعف النخل، فقد منا بالقناديل والزيت والحبال، فأسرجت المسجد. راجع ترجمته في الإصابة. و ترجم في الإصابة أيضا لأبي البراد غلام تميم الداري فقال: ذكره المستغفرى في الصحابة.

وأخرج من طريق محمد بن الحسن بن قتيبة عن سعيد بن زياد بن فائد عن أبيه عن جده عن أبي هند قال: حمل تميم الداري معه من الشام إلى المدينة قناديل وزيتا ومقطا، فلما انتهى إلى المدينة وافق ذلك يوم الجمعة، فأمر غلاما له يقال له أبو البراد فقام فشد المقط "و هو بضم الميم و سكون القاف و هو الحبل" و علّق القناديل و صب الماء فيها و جعل فيها المفتل، فلما غربت الشمس أسرجها، فخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المسجد فإذا هو يزهر فقال: من جعل هذا؟ قالوا: تميم يا رسول الله قال: نورت الإسلام نور الله عليك في الدنيا والآخرة، أما أنه لو كان لى ابنه لزوجتكها، فقال نوفل بن الحارث بن عبد المطلب: لى ابنه يا رسول الله تسمى أم المغيرة بنت نوفل فافعل فيها ما أردت، فأنكحه إياها على المكان، و سنده ضعيف. اه. و فى التجريد للذهبي: أبو البراد غلام تميم الداري ذكر فى حديث منكر. اه.

و فى سنن ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى قال: أول من أسرج فى المساجد تميم الدارى، و قد ذكر الحديث السابق عنه أيضا عيسى بن إسماعيل الرعيني فى كتابه الجامع لما فى المصنفات الجوامع، قال فى تحفه الأكارب: عليه يؤخذ منه أنه إذا وردت مصابيح من عند الكفار و قد كانت معلقة فى كنائسهم و على رؤوس صلبانهم، جاز تعليقها فى مساجد المسلمين، و معتمد الجواز بإباحة الانتفاع بأوانى أهل الكتاب كما هو مقرر فى الشريعة... الخ. انظر بقيته فيها. (زقلت). انتهى من الترايب الإدارية.

### المصابيح فى المسجد الحرام و إضاءتها بالزيت

قال الغازى فى تاريخه ما ملخصه: و أول من أجرى للمسجد زيتا و قناديل معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٣

و قال الأزرقى: أول من استصبح لأهل الطواف فى المسجد الحرام عقبه بن الأزرق بن عمرو الغسانى و كانت داره لاصقة بالمسجد الحرام من ناحية وجه الكعبة و المسجد يومئذ ضيق ليس بين جدر المسجد و بين المقام إلا شىء يسير فكان يضع على حرف داره و جدر داره و جدر المسجد مصباحا كبيرا يستصبح فيه فيضىء له وجه الكعبة و المقام و أعلى المسجد فلم يزل يضع ذلك على حرف داره حتى كان خالد بن عبد الله القسرى الذى كان واليا على مكة فوضع مصباح زمزم مقابل الركن الأسود و ذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان.

فلما كان محمد بن سليمان على مكة فى خلافة المأمون سنة ست عشرة و مائتين وضع عمودا طويلا مقابله بحداء الركن الغربى، فلما ولى مكة محمد بن داود جعل عمودين طويلين أحدهما بحداء الركن اليماني و الآخر بحداء الركن الشامى، فلما ولى هارون الواثق بالله أمر بعمد من شبه (و هو ضرب من النحاس) طوال عشرة فجعلت حول المطاف يستصبح عليها أهل الطواف. و أمر بثمان ثريات كبار يستصبح فيها و تعلق فى المسجد الحرام فى كل وجه اثنتان. اه.

و قال فى صحيفة ٣٣٠: و قال ابن فهد فى حوادث سنة ست و ثلاثين و سبعمائة: و فيها جعلت الأساطين التى حول المطاف و جعل بعضها بالحجارة المنحوتة الدقيقة و الباقي آخر مجصص و جعل بين كل من الأساطين خشبة ممدودة رابعة عليها و على المقابلة لها لأجل القناديل التى يعلق لأجل الاستضاءة حول الكعبة عوض الأخشاب التى كانت فى هذا المكان على صفة الأساطين.

و قال فى حوادث سنة تسع و أربعين و سبعمائة: اجتهد الأمير فارس الدين فى إصلاح المسجد الحرام و وجود الأعمدة المتخذة حول

المطاف. انتهى.

وقال في تحصيل المرام نقلاً عن القرشى: قال عز الدين بن جماعة: والأساطين التي حول المطاف الشريف أحدثت للاستضاءة بالقناديل التي تعلق بينها بعد العشرين و سبعمائة و كانت من خشب ثم جعلت من حجارة سنة تسع و أربعين و سبعمائة ثم ثارت ريح عاصفه سنة إحدى و خمسين و سبعمائة فألقتهما، ثم جدت فيها. انتهى من ذكره القرشى.

و في درر الفرائد أن السلطان سليمان العثماني غير الأساطين التي حول المطاف و كانت من حجارة بأعمدة من نحاس في سنة تسعمائة و اثنين و ثمانين و بينهم أخشاب ممدودة لتعلق فيها القناديل حول المطاف.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٤

ثم ذكر الغازي في صحيفه ٣٣١ و ما بعدها ما يتعلق بعدد الأعمدة النحاس و الرخام.

قال الغازي صحيفه ٣٣٢ ما ملخصه: أقول و قد بطل تسريح القناديل في الحرم الشريف من رابع شعبان سنة ألف و ثلاثمائة و تسع و ثلاثين و جعل بدله الكهرباء و الأتاريك، و علقت المصابيح التي يظهر منها الضوء الكهربائي في المطاف الشريف اثنان و سبعون، و في مقام إبراهيم سبعة، و في الرواق الذي بجهه الصحن دائر ما يدور الحرم مائة و عشرون و في المقام الحنفي أربعة، و في المقام الشافعي أيضا أربعة ... إلى آخر الكلام.

ثم أورد الغازي بالصحيفه المذكوره ما ذكره الشيخ حسين باسلامه في تاريخ عمارة المسجد الحرام عن إضاءة المسجد بالكهرباء و ملخصه:

أن الشريف الحسين رحمه الله تعالى أتى بماكينه الكهرباء و أمر بوضعها بمدرسه أم هانئ أمام دار الحكومه. ثم في سنة (١٣٤٠) أتى بماكينه أخرى وضعت في دار بأجباد، و كان ابتداء الإنارة بها في غرة رمضان سنة (١٣٤٠) ثم نقلت إلى المستودع الذي خلف دار الحكومه الذي يسمى سابقا (فرن الميرى) أي محل الحبس الآن. و ابتدأت الإنارة منه في ٢٨ شوال من السنه المذكوره. ثم في عصر جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود تبرع أحد التجار من أهالي رانكون بماكينه كبيره للمسجد الحرام في سنة (١٣٤٥) و كانت الإنارة بها في غرة ذي القعدة من السنه المذكوره.

ثم في شعبان سنة (١٣٤٧) أمر جلالة الملك عبد العزيز بتجديد عموم اللمبات التي بالمسجد الحرام و بزيادتها حتى تبلغ الألف لمبة فعمل ذلك و لم يهلّ شهر رمضان من السنه المذكوره حتى صار المسجد الحرام مضاء عمومه بالكهرباء.

ثم صدر أمر جلالة الملك أيضا في سنة (١٣٤٩) بشراء ماكينه قويه تضم إلى الماكينه الكبيره الأولى. ثم في سنة (١٣٥٠) وضع على حجر إسماعيل شمعدانات من النحاس الأصفر و عمل على كل شمعدان منها ثلاثة أغصان و علق على كل غصن مصباح كهربائي، و وضع أيضا سته و عشرون أسطوانه في حصاوي المسجد الحرام صنعت بالإسمنت المسلح طول الأسطوانه نحو ثلاثه أمتار و علق على الأسطوانه أربعة مصابيح كهربائية.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٥

و في سنة ألف و ثلاثمائة و ثلاث و خمسين أهدى للمسجد الحرام نواب بهادر بالهند الحاج سر محمد مزمل ماكينه كهرباء عظيمه و تم تركيبها في أواخر شعبان (١٣٥٤) و أضىء بها المسجد الحرام في ابتداء شهر رمضان من السنه المذكوره.

هذا و لما عم إدخال الكهرباء في مكة المشرفه بواسطة المكرمين الشيخ إبراهيم الجفالي و إخوانه: أنير المسجد الحرام و مكة كلها في تاريخ (١٤) شهر صفر عام (١٣٧٣) و وضعت المراوح الكهربائيه بالمسجد الحرام ليستريح الناس من الحر.

و انظر مسأله الإنارة أيضا في عنوان "إضاءة المسجد الحرام بالأتاريك و الكهرباء."

جاء في مجله الهلال المصريه بتاريخ سنة (١٩٣٢) ميلاديه عن عيدان الكبريت ما يأتي:

كان إشعال النار بواسطة ضرب الفولاذ على الحجر الصوان و فوقه قطعته من صوف أو قطن فتشتعل من الشرارة الخارجيه من أثر

## الاحتكاك.

ثم إنه في سنة (١٨٢٩ م) اخترع رجل اسمه (دوكر) من أهل ستوكتن من إنكلترا ولكنها لم تستعمل إلا في سنة (١٨٣٤ م) و أول معمل تأسس لاصطناعها أسسه (روين بارتدج) سنة (١٨٤٢ م) في إنكلترا و سنة (١٨٤٥ م) تأسس معمل آخر في فيينا بالنمسا. ثم كثرت معاملها في أوروبا.

## تدرج الإنسان في الإضاءة

قال في صبح الأعشى: أول من حمل معه الشمع على البغال في الليل من ملوك الديار المصرية محمد بن طنج الإخشيدى. و كانت الشمعة تجعل على مؤخر البغل و فراش راكب أمامها، و هو يلتفت في كل قليل يصلحها، فأبدلها الملوك بعده بهذه الفوانيس التي تحمل على البغال مع الفانوسية أمام ملوك الديار المصرية في الليل.

بمناسبة إضاءة المسجد الحرام أخيرا بالكهرباء، رأينا أن نتكلم على تدرج الإضاءة منذ بدء الخليفة إلى عصرنا هذا و الله تعالى أعلم بما يكون في مستقبل الزمان. فنقول: إن النار يكون من الحطب، و الضوء المبدئي من النار، قال الله تعالى: الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ قِيلَ:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٦

كل الشجر إلا العناب، و قالوا: هو شجر المرخ و العفار فيجعل كالزنك يضرب به على المرخ. ففي الخازن فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين و هما خضراوان، يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار، فنخرج منهما النار، بإذن الله تعالى. و هو قول ابن عباس رضى الله عنهما، فسبحان القادر على كل شىء، فالنار كما هو يكمن في الشجر، يكمن أيضا في الحجر و ذلك باحتكاكه بالحديد، فهدى الله الإنسان لإيقاد ناره في بدء الخليقة، بأن يأتي بقطعة منه نحو القماش، فيضعه فوق الحجر، ثم يضربه بقطعة من الحديد فتخرج منه شرارة يحترق القماش منه فيشعلون به النار و غيره. و لا تزال هذه الطريقة، في كافة الأنحاء، مستعملة خصوصا في توليع السجائر و تسمى "بالولاعة" و لها أنواع و أشكال مختلفة، ثم تدرج الإنسان إلى اختراع أعواد الكبريت للإيقاد و الإشعال، و قد كثر استعماله في زماننا و شاع شيوعا كبيرا لرخصتها و كثرتها و سهولة استعمالها.

فالإضاءة منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا سبعة أنواع و هى كما يلي بالترتيب:

الأول: الحطب، و هو الوسيلة الطبيعية السهلة للإضاءة و الوقود لكثرة وجود الشجر على وجه الأرض. و قد أشرنا إلى قوله تعالى: الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ.

روى الأزرقى في تاريخه: كان قصى بن كلاب قد أوقد بالمزدلفة نارا حيث وقف بها حتى يراها من دفع من عرفته، و روى أيضا عن نافع عن ابن عمر قال:

كانت النار توقد على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبى بكر و عمر و عثمان رضى الله عنهم. اه. أى بالمزدلفة. و فى تاريخ الأزرقى: كان عمر بن عبد العزيز يأمر الناس ليلة هلال المحرم يوقدون النار فى فجاج مكة و يضعون المصاييح للمعتمرين مخافة السرقة. اه. هذا و لا يزال العرب إلى اليوم فى البادية و الجبال يوقدون النار ليلا فى أماكنهم للانتفاع بها و اهتداء الضيف عليهم. و إلى هذا يشير الشاعر بقوله: «كأنه علم فى رأسه نار».

الثانى: الشمعة، و هذه أيضا وسيلة سهلة للإضاءة تأتى فى الدرجة الثانية لأن الشمع يستخرج من عسل النحل، فيجمع على بعضه و يعمل على شكل العصا ثم يغزر بوسطه طولاً ذباله ثم تشعل رأسها فتتير ما حولها و كانت توقد شموع العنبر بين يدي الخلفاء و الأمراء، و تختلف طولها و غلظتها بحسب الحاجة و كم كان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٧

الشعراء يتغزلون بالشموع و يقولون عنها "إنها تلك الحبيبة الرقيقة التي يذوب جسدها في قطرات من الدموع المحرقة و لكنها تظل وفيه مضيئة حتى آخر رمق من حياتها." و يشبه الناس من يتعب نفسه لخدمه غيره، بالشمعة تضىء للناس و تحرق نفسها. قال الأزرقى فى تاريخه عند ذرع مسجد المزدلفة: و الكلام على قرح و هو أكمة مرتفعة كان يوقد عليها فى خلافة هارون الرشيد بالشمع ليلة المزدلفة و كانت قبل ذلك توقد عليها النار بالحطب فلما مات هارون الرشيد أمير المؤمنين كانوا يضعون عليها مصابيح كبار يسرج فيها بقتل جلال فكان ضوءها يبلغ مكانا بعيدا ثم صارت اليوم توقد عليها مصابيح صغار و قتل رفاق ليلة المزدلفة. انتهى من الأزرقى.

نقول: و الشمعة كانت توضع فى آنية خاصة جوانبها كلها زجاج و أسفلها و أعلاها من الصفيح "التنك" حتى لا تطفئها الهواء و تسمى هذه الآنية "بالفانوس" و قد تفنن الناس فى اختراع أنواع الفوانيس بأشكال مزخرفة بديعة قد تبلغ مئات الأنواع. ثم بعضهم يضع فى الفوانيس لمبات الكاز بدلا من الشمع، و بعض الفوانيس خاصة للمبات الكاز فقط و تسمى بالفوانيس الهندية، و قد سبق أن ذكرنا التسريح بالشمع فى داخل "اللله" و قد كان الطلبة يستعملونها ليلا عند حضورهم للدرس فى المسجد الحرام. و إليك صورة بعض هذه الأنواع.

انظر: الصور أرقام ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، و هى لقمرية، و بعض أنواع الأتاريك و الفوانيس التى كان الحرم يضاء بها قديما، بعضها يضاء بالقاز و البعض الآخر بالشموع.

الثالث: الزيت، و هو أيضا وسيلة سهلة للإضاءة تأتى فى الدرجة الثالثة لأنه مستخرج من بعض الحبوب كالسمسم و بعض الثمار كالزيتون، و الإضاءة به قديمة العهد أيضا. فقد قال الله تعالى فى سورة النور: اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ روى أن أول من استصبح الحرم فأجرى له

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٨

القناديل و الزيت من بيت المال: معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه. و روى الأزرقى: أن أول من أثقب النفاطات بين الصفا و المروة فى ليالى الحج و بين المأزمين - مأزى عرفه - أمير المؤمنين أبو إسحاق المعتصم بالله الطاهر بن عبد الله بن طاهر سنة حج فى سنة تسع عشرة و مائتين، فجرى ذلك إلى اليوم اه. و معنى أثقب: أوقد، و النفط دهن قاله فى مختار الصحاح. و قال فى المنجد: النفط دهن معدنى سريع الاحتراق توقد به النار و يتداوى به اه.

و إلى الإضاءة بالزيت يشير الشاعر الفكاهى فى زماننا الأستاذ محمود بيرم التونسي بقوله:

زمان يوقد المصباح فيه بنور الزيت لا بالكهرباء

و لا تتحرك النسوان حتى إلى المرحاض إلا بالغطاء

نعم كانت منازلنا ظلاما و لكن القلوب على صفاء

و كان طعامنا أبدا كثيرا يعرف فى القصاب و فى الدلاء

زمان كان فيه لكل عين حمار ملكه لا بالكراء

و شاء الله أن عشنا و جننا إلى زمن الملاعق و الغلاء

نعم صدق و الله هذا الشاعر الفاضل فإننا بقدر ما نتقدم فى إيجاد الوسائل الكمالية الدنيوية، نتأخر أضعاف ذلك فى عاداتنا و أخلاقنا و أمورنا الدنيوية، فنحن و الحالة هذه يصدق علينا قول الشاعر الحكيم:

زيادة المرء فى دنياه نقصان و ربحه غير محض الخير خسران

اللهم أصلح أحوالنا و يسر أمورنا و وفقنا لما تحبه و ترضاه و اعف عنا و اغفر لنا و ارحمنا ... إلخ السورة.

الرابع: القاز، أو الكاز أو الغاز، و هو البترول المستخرج من الأرض و هو كالماء فى اللون، يوضع فى إناء من الزجاج أو الصفيح يعمل على شكل مخصوص، و لها رأس لولبى يدخل فيها فتيلة كالشريط عرضها من واحد سنتى إلى خمسة سنتيمترات أو أكثر حسب كبرها أو صغرها ثم تغمس الفتيلة فى الإناء و يثبت الرأس عليها ثم تشعل طرف الفتيلة الخارجة من الرأس ثم توضع عليها زجاجة خاصة، و هذا الإناء تسمى باللمبة و لها أشكال مختلفة معروفة لدى الجميع. و هذا النوع من الإضاءة شائع فى زماننا بكثرة لخص ثمنها و سهولة الحصول عليها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٩

الخامس: القمريه، و هى تشعل بالقاز و الفتيل فقط و لها شكل واحد خاص لا يختلف أبدا طولها نحو ثلاثين سنتيمتر، و بداخلها آلة صغيرة أسطوانية الشكل كآلة الساعات تملأ بزئبقك و بغير هذه الآلة لا تشتغل.

و هذه القمريه لا تنطفئ من الهواء و ليس لها زجاجة فى رأسها. فالقمريه كانت شائعة الاستعمال فى الحجاز إلى ما قبل ثلاثين سنه ثم بطل استعمالها بتاتا.

السادس: الأتريك و يسمى باللوكس، و هو شائع الاستعمال كثير الذبوع فى الحجاز و غير الحجاز، و هو يشتعل بالقاز و له فتيلة خاصة منسوجة كالكيس الصغير بالخيط الحريرية بمادة خاصة، و نور الأتريك أبيض قوى الضوء، و هو نوعان منه ما يعلق فى السقوف و منه ما له قاعدة يوضع على الأرض أو على شىء مرتفع.

السابع: الكهرباء، و هى اختراع عجيب يتولد نورها من الاحتكاك لا بالقاز و لا بالزيت، و يرتبط بها أسلاك و ترتبط بهذه لمبات عديدة من الزجاج المفرغ من الهواء و بداخله جزء صغير من سلك رفيع أرفع من الشعرة. و هذا السلك هو الذى يعطى الضوء القوى. فالكهرباء أهم مسألة أثرت فى حياتنا العامه، و لها من القوه ما لا يتصوره العقل، و إذا مس التيار الكهربائى إنسانا قضى على حياته فى الحال.

فعلى قدر قوه التيار الكهربائى تكون قوه نورها، و ليس يعادل النور الكهربائى نور آخر، و أن آلاف المصابيح الكهربائيه يمكن إنارتها أو إطفائها فى لحظه واحده بإدارة أزرار خاص. فالنور الكهربائى آخر ما توصل إليه العقل البشرى فى عصرنا الحاضر. قال فى كتاب القراءة الرشيدة فى الجزء الرابع عن الكهرباء ما يأتى:

من جمله القوى العظيمة التى استخدمها الإنسان فى قضاء حاجاته و مآربه روح من الأرواح الخفيه و سر من أسرار البارى المبدع لا هى بالجسم فتحس و لا- بالريح فتشم بل هى كالروح من أمر ربى لا يظهر منها إلا أثرها و ما تأتية من جلائل الأعمال و يزعمون أنها فى كل كائن و تظهر فيه بالاحتكاك و العرك و بوسائط أخرى كميائيه غير آليه و تسيل و تجرى جريا سريعا فى بعض الأجسام و بطيئا فى غيرها و من الأجسام ما يصدها و يوقفها فلا- تتعداه تلك القوه هى الكهرباء التى استخدمت فى سائر الأعمال كبيرها و صغيرها عظيما و حقيرها و تفردت من غيرها من القوى باجتياز الأبعاد النائية و شق غمار البحار حتى لقد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٠

أصبح بها الإنسان قادر على أن يحدث صديقه بالتلفون و بينهما برزخ بعيد المدى و أن يكاتبه بالتلغراف فى لمحاه مصداقا لقول العامه "غمض عينك و افتحها تر الأمر قد وقع."

و الكهرباء صنفان لا يكاد يؤثر الواحد منهما على انفراده و متى اجتمعا بالملامسه لم يقو شىء على صد تيارهما الجارف بل اجتاز كل ما يعترضهما من العقبات طوع أمر المدبر لهما.

و لما أدرك الناس من صنفي الكهرباء شدة ميلهما إلى التواصل و الاجتماع صنعوا العدد و الآلات بحيث يجمع بين الصنفين متى طلب العمل و يفرق بينهما متى طلب الوقوف فيسيران فى سلكين دقيقتين مجتمعين فى النهايه مفترقين فى المبدأ الذى قد ركب عليه



زر إذا حرك جمع بين السلكين و أثرت الكهرباء تأثيرها المطلوب و إذا أعيد فرق بينهما فانقطع العمل و تغلف الأسلاك و العدد التي تمر فيها الكهرباء بغلاف من الحرير أو المطاط لكيلا تؤذي الناس إذا مسوها. انتهى من الكتاب المذكور.

و من عجيب الاختراعات ما قرأناه في إحدى مجلات الهلال، أنهم اخترعوا مصابيح تضيء بلا كهرباء، بواسطة مادة إذا طلى بها الزجاج ثم أرسلت إليها أمواج لا سلكية ذات ذبذبات عالية توهجت المادة و أضاءت و أضاء زجاجها كما يضيء المصباح بلا كهرباء و لا أسلاك، و قالت المجلة: و من طريف ما استكشف المخترعون صبّ النور كما يصبّ الماء من إناء إلى إناء، و ذلك أنهم كشفوا مادة متفسفرة جديدة إذا وضعوها في السوائل في الليل أضاءت و هم يسكبونها من وعاء إلى وعاء، فيسكب السائل مضيئاً فكأنما يسكنون نورا.

كما أنهم اهتموا إلى صنع مصباح تخرج منه أشعة يركزونها في نقطة فتحت احتزارا كثيرا و من هذه النقطة الحارة يشعلون السجائر و غيرها، كالعدسات التي تفعل هذا في ضوء الشمس. و لكن الجديد أن هذه الأشعة أشعة تقع من الطيف دون الأحمر، و هي تعرف بالأشعة دون الحمراء، و هي تحس و لا ترى، و هي التي تمتاز بأشعة النور الأخرى فتعطيها الدفء و تعطيها الحرارة. و هكذا ذكرت مجلة الهلال و كان غلافها مفقودا لذلك لم نعرف تاريخها و لا رقم عددها، و نظن أنها عدد يناير عام (١٩٥٠) أو الشهر الذي قبله.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢١

و قد بلغنا في وقتنا الحاضر أن الولايات المتحدة و المملكة المتحدة تستعدان في استخدام الذرة لتوليد الكهرباء، و لقد سبقهما إلى هذا الإتحاد السوفيتي فقد أضيئت بعض مدنه بالكهرباء الناتجة من استخدام الذرة.

هذا و لا ندرى ماذا يكون من الاختراعات في المستقبل، فإن الإنسان لا يزال يستمر في التقدم و الاختراعات التي لم يكن يحلم بها، حتى تستكمل الدنيا جميع زخرفها و زينتها، فعندئذ، تأخذ في الفناء و يأتي أمر الله و كأن لم تكن بالأمس.

«و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الإكرام».

### استعمال غاز الاستصباح

يطلق على غاز الاستصباح كلمة «النفط» بفتح النون و سكون الفاء، و في مصر يطلقون عليه «كيروسين»، و يكتب غاز الاستصباح أحيانا «غاز» بالغين، و أحيانا «غاز» بالقاف، و أحيانا «كاز» بالكاف، و أما كلمة «البترول» فهي كلمة شاملة المعنى غاز الاستصباح و البنزين و غيرهما. و أما كلمة «القيز» بكسر القاف أو «الفار» بفتح القاف المسمى «بالإسفلت» و هي المادة السوداء اللزجة، فهو ما يرسب و يبقى بعد تصفية المواد البترولية و الذي يستعمل الآن في سفلته الشوارع و الطرقات.

جاء في الجزء الأول من كتاب كثر الرغائب في منتخبات الجوائب المطبوع سنة (١٢٨٨) ثمان و ثمانين و مائتين و ألف من الهجرة بالآستانه، عن أول استعمال غاز الاستصباح ما يأتي: لا خفاء في أن هذا النور يتخذ من الفحم أو الحطب إذا أوقدا، و إنما الخفاء في أصل اختراعه فنقول على سبيل الإيجاز: إن أول من جرب استخراجها من الفحم قسيس من الإنكليز يقال له: كلاتون أو كليتون، و ذلك سنة (١٧٣٩) ميلادية إلا أن تجربته هذه لم يعمل بها إلى أن قام رجل من كورنول اسمه مردوخ، فباشر هذه العملية و أجرى الغاز في قصبات من حديد و ذلك في سنة (١٧٩٢ م). و بعدها بست سنين أتم عملياته و نور بها أحد المعامل في برمنكهام، إلا أنه كان يعرض لها الخلل أحيانا، ثم في سنة (١٨٠٢) تبه الناس إلى إتقان ذلك و إلى تعميم المنافع منه. و بعدها بسنة نور ملهى الليسيوم بلندرة بالنور المذكور، و في سنة (١٨٠٤ م) و ما بعدها وسع مردوخ دائرة عملياته في منشستر قال: و زعم الفرنسيين أنهم هم مخترعوه، إلا أن الغاز لم يعرف عندهم إلا في سنة (١٨٠٢ م)

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٢

و قد عرفت أن مردوخا صنعه قبل هذا التاريخ بعدة سنين، ثم من سنة (١٨٠٢ م) إلى سنة (١٨٢٢ م) اشتهر استعمال هذا النور و أعجب

الناس به جدا، حتى أن رأس المال الذي جمع لتوفير لندرة فقط بلغ مائة مليون ليرة، و شغلت قصباته الممتدة إلى مواضع مختلفة منها مسافة مائة و خمسين ميلا. قلت: و لكثرة الأنوار فيها يكون الليل في الشتاء أدفاً من النهار فإن عدد فوانيس طرقها فضلا عن أنوار الحوانيت و الديار بلغ في سنة (١٨٤٩) ميلادية (٣٦٠٠٠٠) فانوس. قال: و بعد سنة (١٨٢٢) بسنين قليلة اشتهر استعمال الغاز في سائر مدن المملكة، فنورت به الطرق و الديار و الدكاكين و الملاهي و غيرها، و هو على بقائه و عدم نفاذه أرخص سعرا و أخف كلفه من الشمع و الزيت، فإن رطل الشمع الدون مثلا يساوي ثلاثة أرباع الشلين، و مدة اتقاده لا تزيد على أربعين ساعة، و غالون الزيت (كل غالون يملأ نحو خمس زجاجات من القدر المعتاد) يساوي شلنين، و ينير ما تنير ستمائة شمعة في ساعة واحدة. و الشمع العال أغلى من الدون بثلاثة أضعاف، و ألف مكعب من الغاز يساوي تسعة شلينات، فحاصل ذلك أن ما قيمته من الشمع العال مائة، يكون من الدون خمسة و عشرين، و ما قيمته من الزيت خمسة يكون من الغاز ثلاثة.

و قد عدّه الإنكليز من أجل النعم السماوية التي يتنعم بها الإنسان في الليل، و من أعظم الأسباب الموجبة للأمن و السلامة، و لا سيما في المدن الحافلة. فإن لندرة كانت في الزمن القديم ممنية باللصوص بعد العتمة، فكانت الأولاد تحمل بأيديها مشاعيل و تجرى بها بين أيدي المجتازين، و كانت عادة العسس في أيام الملكة ماري أن يكون معهم أجراس، ينقسون بها تحذيرا للصوص و تخويفا، و في سنة (١٧٦٢) ميلادية وضعت الفوانيس في طرق المدينة و أوقدت بالزيت فقلّت اللصوص. انتهى من الكتاب المذكور.

### بعض ما جاء من الوصف في آلات السرج و الإيقاد

و بمناسبة ما تقدم من أنواع الإضاءة يستحسن أن نذكر هنا شيئا مما ورد من أوصاف آلاف الإضاءة كالكهرباء و السراج و القنديل و الشمعة و نحو ذلك، لما لذلك من التمليح و الطرافة الأدبية. و لقد نقلنا أكثرها من كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للعلامة النويري رحمه الله تعالى فنقول و بالله التوفيق:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٣

قال السيد عبيد المدني من أهل عصرنا الحاضر في الكهرباء ما يأتي:

لا بدع أن أصبو إليك فيبيناسلك بتيار القلوب مكهرب

إن كنت لا تدري الحقيقية فاسمعي ها أنت "سالبة" و قلبي "موجب"

إن كنت "نافية" هواي فإنني أنا "مثبت" في الحب لا أتذبذب

لم لا نكون الكهرباء و هذه آثارها فينا تجدد و تلعب

قال السرى الرفاء في وصف النار:

و التهبت نارنا فمنظرها يغنيك عن كل منظر عجب

إذا رمت بالشرار فاطردت على ذراها مطارد اللهب

رأيت ياقوته مشبكة تطير عنها قراضة الذهب

و قال عبد الله بن المعتز:

كأن الشرار على نارها و قد راق منظرها كل عين

سحالة تسير إذا ما علا فما هوى ففتات اللجين

و على معناه قال العسكري:

أوقدت بعد الهدوء نارها على الطارقين عين

شرارها إن علا نصار لكنه إن هوى لجين

و قال أبو الفتح كشاجم:

كأنما النار و الرماد و قد كاد يوارى من نورها النورا

ورد جنى القطاف أحمر قد ذرت عليه الأكف كافورا

و قال تاج الملوك ابن أيوب:

أما ترى النور و هى تضرم فى أحشاء كانونها و تلتهب

كأنما الفحم فوقها قضب من عنبر و هى تحته ذهب

قال سيف الدين المشد فى الفانوس:

انظر إلى الفانوس تلق مثيرا ذرفت على فقد الحبيب دموعه

يبدوا تلهب جسمه لنحوه و تعد من تحت القميص ضلوعه

و مما قيل فيه أيضا:

و كأنما الفانوس فى غسق الدجى دنف براه شوقه و سهاده

أضلاعه خفيف ورق أديمه و جرت مدامعه و ذاب فؤاده

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٤

### مما قيل فى السراج

من رسالة لأبى عبد الله محمد بن أبى الخصال، جاء منها ما يأتى:

عذرا إليك أيدك الله، فإنى خططت و النوم مغازل، و القر نازل، و الريح تلعب بالسراج، و تصول عليه صولة الحجاج، فطورا تبرزه

سنانا، و تحركه لسانا، و آونة تطويه جئابه، و أخرى تنشره ذؤابه، و تارة تقيمه إبره لهب، و تعطفه بره ذهب، و حيننا تقوسه حاجب فتاه،

ذات غمزه، و تسلطه على سليله، و تديله على خليله، و ربما نصبته أذن جواد و مسخته حدقه جراد، و مشقته حروف برق، بكف و

دق، و لثمت بسناه قنديه، و ألفت على أعطافه منديه، فلاحظ منه للعين، و لا هداية فى الطرس لليدى. انتهى من نهاية الأرب.

### و مما جاء فى الشمعة

قال بعض الشعراء:

و رشيقة بيضاء تطلع فى الدجى صباحا و تشقى الناظرين بدائها

شابت ذوائبها أوان شبابها و اسود مفرقها أوان فنائها

كالعين فى طبقاتها و دموعها و بياضها و سوادها و ضيائها

و قال آخر:

بيضاء أضحكت الظلام فراعها فبكت و أسبلت الدموع بوادرا

جفت دموع جفونها فكأنما كسيت من الطلع النضيد صفائرا

و قال غيره:

جاءت بجسم كأنه ذهب تبكى و تشكى الهوى و تلتهب

كأنها من أكف حاملها رمح لجين سنانه ذهب

و قال الصاحب بن عباد:

و شمعة قدّمت إلينا تجمّع أوصاف كل صب

صفرة لون و ذوب جسم و فيض دمع و حر قلب

و قال بعضهم:

حكنتى و قد أودى بى السقم شمعة و إن كنت صبا دونها متوجعا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٥ ضنى و سهادا و اصفرارا و رقء و صبرا و صمتا و احتراقا و أدمعا

و قال السرى الرفاء:

مفتولة مجدولة تحكى لنا قد الأسل

كأنها عمر الفتى و النار فيها كالأجل

و فتيلة المصباح تحرق نفسها و تضىء للسارى و أنت كذاكا

و قال أبو مروان بن أبى الخصال:

لابنة الزند فى الكوانين جمر كالدرارى فى دجى الظلماء

خبرونى عنها و لا تكتمونى ألدتها صناعة الكيمياء

سبكت محمها صفائح تبرر صعتها بالفضة البيضاء

كلما رفرف النسيم عليها رقصت فى غلالة حمراء

و قال أبو طالب المأمونى:

ما نرى النار كيف أسقمها القمر فأضحت تخبو و طورا تسعر

و غدا الجمر و الرماد عليه فى قميص مذهب و معنبر

و قال أحد الشعراء يمدح بعض الملوك:

وقيت نار الجحيم يا ملكك أربع تسييرانه له نسق

نار شباب تروق نضرتها و نار راح كأنه شفق

و نار سلطان تقارنهما نار قرى لا تزال تأتلق

و قال ابن الرومى:

له ناران قرى و حرب ترى كلتيهما ذات التهاب

و قال إبراهيم بن هرمة:

إذا ضلّ عنهم ضيفهم رفعا له من النار فى الظلماء ألوية حمرا

و قال محمد بن أبى الثابت شاعر اليتيمة:

و مجدولة مثل صدر القنأة تعرت و باطنها مكتسى

لها مقله هى روح لها و تاج على الرأس كالبرنس

إذا غازلتها الصبا حركت لسانا من الذهب الأملس

و تنتج من حيث ما ألقحت ضياء يجلى دجى الحندس

فنحن من النور فى أسعدو تلك من النار فى أنحس

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٦

و قال أبو القاسم المطرّز من جملة أبيات:

و للشموع عيون كلما نظرت تظلمت من يديها أنجم الغسق  
من كل مرهفة الأعطاف كالغصن المياد لكنه عار من الورق  
إني لأعجب منها و هي وادعة تبلى و عيشتها من ضربة العنق  
و من جيد ما قيل في الشمعة، قول الأذجاني:

نمت بأسرار ليل كان يخفيها و أطلعت قلبها للناس من فيها  
قلب لها لم ير عنا و هو مكتمن إلا برقية نار من تراقبها  
سقيمة لم يزل طول اللسان لها في الحي يجنى عليها ضرب هاديها  
غريقة في دموع و هي تحرقها أنفاسها بدوام من تظليها  
تنفست نفس المهجور إذ ذكرت عهد الخليط فبات الوجد يبكيها  
يخشى عليها الردى مهما ألم بهانسيم ريح إذا وافى يحييها  
بدت كنجم هوى في إثر عفرية في الأرض فاشتعلت منه نواصيها  
نجم رأى الأرض أولى أن يبوأها من السماء فأمسى طوع أهلها  
كأنها غرة قد سال شاد منها في وجه دهما يزهيها تجليها  
أو ضرة خلقت للشمس حاسدة فكلما حجبت قامت تحاكيها  
وحيدة كشباة الرمح هازمة عساكر الليل إن حلت بواديها  
ما طنبت قط في أرض مخيمة إلا و أقر للأبصار داجيها  
لها غرائب تبدو من محاسنها إذا تفكرت يوما في معانيها  
كصعدة في خشا الظلماء طاعنة تسقى أسافلها ربا أعاليها  
فالوجنة الورد إلا في في تناولها و القامة الغصن إلا في تشبيها  
صفراء هندية في اللون إن نعتت و القد و اللين إن أتممت تشبيها  
فالهند تقتل بالنيران أنفسها عندها أن ذاك القتل يحييها  
قد أثمرت وردة حمراء طالعة تجنى على الكف إن أهويت تجنيها  
ورد تشاك به الأيدي إذا قطفت و ما على غصنها شوك يوقبها  
ما إن تزال تبيت الليل ساهرة و ما بها غلة في الصدر تظفيها  
صفر غلائلها حمر عمائمها سود ذوائها بيض لياليها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٧ تحي الليالي نورا و هي تقتلها بس الجزاء لعمر الله تجزيها

قدت على قد ثوب قد تبطنها و لم يقدر عليها الثوب كاسيها  
غراء فرعاء ما تنفك قاليه تقس لمتها طورا و تظليها  
شباة شعثة لا تكسى غدائر هالون الشبية إلا حين تبليها  
قناة ظلماء لا تنفك يأكلها سنانها طول طعن أو يشظيها  
مفتوحة العين تغني ليلها سهرانم و إفاؤها إياه يفنيها  
و ربما نال من أطرافها مرض لم يشف منه بغير القطع مشفيها

## مفاخرة بين القنديل و الشمعدان

جاء في الجزء الأول من كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ما نصه: رسالة القنديل و الشمعدان، من إنشاء المولى الفاضل البارع البليغ، تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، سمعتها من لفظه و قرأتها عليه و أجاز لي روايتها عنه. و هي الموسومة بزهر الحنان في المفاخرة بين القنديل و الشمعدان ابتدأها بأن قال: الحمد لله الذي أنار حالك الظلماء، بأنوار بدر السماء، و حلّى جيدها بعقود النجوم، و حرس مشيدها بسهام الرجوم، و جعلها عبرة للاستبصار، و نزهة للأبصار، غشاؤها لآزورد مكلل بنضار، أو أقاحي خميلة تفتحت فيها أزرار الأزهار، تهدي الساري بسواريتها، و تزرى بالدرر أنوار دراريها، كرع في نهر مجرتها النسران، و رتع في مراعي رياضها الفرقدان. أحمدته على نعمه التي لا- يقوم بشكرها لسان، و لا يؤدي واجب حقها إنسان، حمدا يجلب إلى الحامد أنواع الإحسان، و يسوق إلى الشاكر ركائب الخيرات الحسان.

و أصلى و أسلم على سيدنا محمد الذي أنار الله بوجوده ظلمة الوجود، و أظهر بظهوره أفعال الركوع و السجود، صلى الله و سلم عليه و على آله الوافين بالعهود، و على أصحابه أهل الأفضال و الجود، و صلاة و سلاما دائمين إلى اليوم الموعود.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٨

و بعد فإن فنون الآداب كثيرة الشعوب، متباينة الأسلوب، طالما تلاعب الأديب بفنونها بين جد و مجون، و كيف لا و الحديث ذو شجون. و كنت بحمد الله ممن هو قادر على إبراز ملح الأدب، و على إظهار لطائف لغة العرب، فتمثل في خاطري المفاخرة بين الشمعدان و القنديل، و لا- بد من إبراز المفاخرة بينهما في أحسن تمثيل، لأنهما آلتا نور، و نديما سرور، طالما مزقا جلباب الدجى بأضوائهما، و حسما مادة الظلمة بأنوارهما، و طلعا في سماء المجالس بدورا، و أخجلا نور الرياض لما أصدرتا من جوهرهما نورا. سما كل واحد منهما إلى أنه الأصل و أن بمدحه يحسن الفصل و الوصل، و أنه الجوهرة اليتيمة، و البدرية التي ليست لها قيمة، سارت بمحاسنه ركائب الركبان. و نظمت في جيد مجده قلاند العقيان.

انظر: الصورتين رقم ١٤٥، ١٤٦ و هي للإنارة بواسطة الشموع و الشمعدان التي توضح في كل جانب منه شمعة ثم زجاجة كي لا يطفأها الهواء.

فأحببت أن أنظّمها في ميدان المناظرة ليرز كل واحد منهما خصائصه الواضحة و يظهر نقائص صاحبه الفاضحة، و ليتسنى غارب الاستحقاق بالفضيلة، و يؤكد في تقرير فضائله الراجحة دليله، مع أنه لا تقبل الدعاوى إلا بالبرهان، لعمري لقد قيل قدما:

من تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان

فأتلع الشمعدان جيده للمطاوله، و عرض سمهريه اللجيني للمناضلة. و قال:

«استنت الفصل حتى القرعى».

لست بنديم الملوكة في المجالس، كلا و لا الروضة الغناء للمجالس. طالما أهدقت بي عساكر النظار، و وقفت في استحسان هياكلي رؤية الأبصار، و حملت على الرؤوس إذا علقت بأذانك، و جلبت كحلاء المرهفات إذا اسود وجهك من دخانك.

فنضض لسان القنديل نضضة الصل، و ارتفع ارتفاع البازي المطل. و قال:

إن كان فخرک بمجالسة السلاطين، فافتخارى بمجالسة أهل الدين طالما طلعت في أفق المحراب بجما ازداد علا، و ازدانت الأماكن المقدسة بشموس أنوارى حلا، جمع شكلي مجموع العناصر، فعلى مثلى تعقد الخناصر، يحسبني الرائي جوهرة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٩

العقد الثمين، إذ رأى اصفرار لونك كصفرة الحزين، و لقد علوتك في المجالس زمانا، و من صبر على حر المشقة ارتفع مكانا.

فنظر إليه الشمعدان مغضبا، و هم بأن يكون عن جوابه منكبا. وقال: أين ثمنك من ثمنى، و مسكنك من مسكنى صفائح الإبريز، فلذا سموت عليك بالتبريز، تنزه العيون فى حمائل الذهبية، و تسر النفوس ببزوغ أنوارى الشمسية، و لا يملكنى إلا من أوطنته السعادة مهادهما، و قربت له الرئاسة جيادهما، و لقد نفعت فى الصحة و السقم، و ازدادت قيمتى إذا نقصت فى القيم إن انفصمت عراك فلا تشعب، و لا تعاد إلى سبك نار فتصب و تقلب، لست من فرسان مناظرتى، و لا من قرناء مفاخرتى.

فالتفت القنديل التفات الضرغام، و فوّق إلى قرينه سهام الملام. وقال: أنت عندى كئعالة، لا محالة، طالك العنقود، فأبرزت أنواع الحقود و أين الثريا من يد المتناول. أم أين السها من كف المتناول. تالله إنك فى صرفك بصغرك مغلوط. لقد خصصت بالعلو و خصصت بالهبوط. ترى باطنى من ظاهرى مشرقا و تخالنى لخزائن الأنوار مطلقا، فحديث سيادتى مسلسل، و تاج فضائلى بجواهر العلو مكلل.

فلحظة الشمعدان بطرف طرفه، و أرسل فى ميدان المناظرة عنان طرفه.

و قال: إن افتخارك بالعلو غير مفيد، و مزية اختصاصك به ليس له أبهة مزيد، طالما علا القتام و انحطت الفرسان، و مكث الجمر و سما الدخان، و لقد صيرتك كنظر المشنوق حاله، و كضوء السها ذباله، و أنت الخلق بما قيل، و قلب بلا لب و أذن بلا سمع و سلاسلك تشعر بعقلك، و علوك ينبئ عن غلو إسقاط كمثلك، عادل التبر كفه بكفه، و وزنته إذ كان فيه فقه، فاصغ لمفاخرى الجليئة، و استمع مناقبى الجميلة. أطارد جيوش الظلماء برمعى، و أمزق أثواب الديجور بصبحى، جمع عاملى بين طلع النخل، و حلاوة النحل، يتلو سورة النور لسانى، و يقوى فى مصادمة عساكر الليل البهيم جنانى، أسامر المليك خلوة، و يستجلى من محاسنى أحسن جلوة و لله در القائل:

أنظر إلى شمعدان شكله عجب كروضه روضت أزهارها السحب

يطارد الليل رمح فيه من ورق سنانه لهب من دونه الذهب

فمثل هذه المناقب تتلى، و مثل هذه المحاسن تظهر و تجلى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٠

فأضرم نار تبينه فى أحشاء قرينه. فعندها قال القنديل: لقد أطلت الافتخار بمحاسن غيرك، لما وقفت فى المناظرة ركائب سيرك، فاشكر اليد البيضاء من شمعك، و احرص على معرفة قيمتك و وضعك، و أما افتخارك بتلاوة سورة النور، فأنا أحق بها منك إذا محلى الجوامع، و الفرقان بينى و بينك مع أنه ليس بيننا جامع، ففضيلتى فيه بينه، و آية نورى فى سورة النور بينه فاقطع مواد اللجاجة، و اقرأ الآيه المشتملة على الزجاجه، يظهر لك من هو الأعلى، و من بالافتخار الأولى تخالنى دره علق فى الهواء أو كوكبا من بعض كوكب الجوزاء و لله در القائل:

قنديلنا فاق بأنواره نور رياض لم تزل مزهره

ذباله فيه إذا أوقدت حكت بحسن الوضع نيلوفره

لا يحمل الأقداء خاطرى، و لا يغتم مشاهدى و ناظرى، فأنا خلاصة السبك، و التبر الذى لا يفتقر إلى الحك، اشتقاق اسمك من النحوس و من حرمك تقام هياكل الفلوس، لقد عرضت نفسك للمنيه، و انعكست عليك مواد الأمنية، مع أن الحق أوضح من لبه الصباح، و أسطع من ضوء المصباح، و الآن غصصت بريقك و خفيت لوامع بروقك، فهذه الشهباء و الحلبه، و هذه ميادين المناضلة رجبه.

فحار الشمعدان فى الجواب، و جعل ما أبداه أولا- فصل الخطاب فقال القنديل: لا بد من الإقرار بأن قدحى المعلى، و أنى عليك بالتقديم الأولى، و أن مقامى العالى، و نورى المتوالى.

فقال الشمعدان: لا منازعه فيما جاء به الكتاب من تفضيلك، و كونك الكوكب الدرى الذى قصر عن بلوغك باع مثيلك.

فجرح الشمعدان للسلم، و ترفع عن استيطان مواطن الإثم، و شرع يبدى شعائر الخضوع، و ينشر أعلام الأوبة عما قال و الرجوع، و قال: لولا حمية النفوس، ما تجملت بمفاخرنا صفحات الطروس، و لولا القال و القيل، ما ضمنا معرض التمثيل، و لكن أين صفاؤك من كدرى، و أين نظرك من نظرى، خصك الله بنوره، و ذكرك فى فرقانه و زبوره.

فعتها تهللت أساير القنديل، و تبسم فرحا بالتعظيم و التبجيل، و قال:

حيث رجعنا إلى شرع الإنصاف، و إظهار محاسن الأوصاف، ففضلك لا يبارى، و وصفك لا يجارى يحسبك الرأى خميلة نور تفتحت أزهارها، و حديقه نرجس

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣١

أطردت أنهارها، تسرّ بك النفوس، و تدار على نضارتك الكؤوس، و أن اللائق بحالنا طى بساط المنافسه، و اخماد شرر المقابسه، و الاستغفار فيما فرط من كلامنا، و الرجوع إلى الله فى إصلاح أقوالنا و أفعالنا. انتهى كل ذلك من كتاب نهايه الأرب للنويرى.

### إضاءة المسجد الحرام بالقناديل الزيتية

ذكرنا أعمدة المطاف ما وضعت إلا- لتعلق عليها المصابيح و القناديل للطائفين، و هنا نذكر إضاءة عموم المسجد الحرام فنقول: القناديل هى آنية من الزجاج شبه الكورة الكبيرة لها قاعدة صغيرة و لها فتحة متسعة من أعلا غير غطاء تدخل فيها اليد بسهولة، و فى جوف هذه الآنية توضع كأس نصفها مملوء ماء و ربعها مملوء زيتا و الزيت يطفو على الماء و فى وسط هذه ذبالة و فتيلة رفيعة تضاء عند إقبال الليل و عند حافة فتحة الآنية ثلاث عروات تربط فى كل منها سلسله فتعلق فى الأماكن المخصصة لها، و إليك صورة القناديل.

انظر: صورة رقم ١٤٧، القناديل التى كانت تنير المسجد الحرام بالزيت سابقا قبل استعمال الكهرباء

و الإضاءة بهذه الكيفية قديمة العهد، فلما توصلوا إلى استخراج البترول (النفط أو الغاز) بطلت تلك العادة فى عموم الممالك و البلدان. و لقد أحصى الشيخ حسين باسلامة رحمه الله تعالى فى كتابه تاريخ عمارة المسجد الحرام جميع قناديل المسجد الحرام ما عدا قناديل المنارات فكان مجموعها (١٤٢٢) قنديلا، فكانت الإضاءة بالمسجد بالقناديل الزيتية من قديم الزمان إلى سنة (١٣٣٥) ثم أبدلت بالأتاريك و الكهرباء كما سيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى. و يقول أيوب صبرى فى كتابه مرآة الحرمين: أما القناديل التى كانت فى الحرم قبل هذا فقد كان عددها (١٨٢٢) قنديلا.

و أول من أجرى للمسجد الحرام زيتا و قناديل معاوية بن أبى سفيان، رضى الله تعالى عنه، و أول من استصبح بين الصفا و المروة خالد بن عبد الله القسرى فى خلافة سليمان بن عبد الملك فى الحج و فى رجب كما ذكره الأزرقى، و قد ذكرنا عند الكلام على أساطين المطاف و أعمدته أول من استصبح لأهل الطواف فراجع إن شئت.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٢

قال أبو جعفر البنى بتقديم الباء الموحدة فى وصف قنديل:

و قنديل كأن الضوء فيه محاسن من أحب و قد تجلّى

أشار إلى الدجى بلسان أفعى فشمز ذيله خوفا و ولى

و البنى بكسر أوله نسبة إلى حصن بالأندلس و إليه ينسب إلى جعفر المذكور، و بنه أيضا مدينة بل و بنه أيضا قرية من قرى بغداد. انتهى من كتاب قاموس الأمكنة و البقاع.

و ذكر الفاكهى: أن أول من استصبح فى المسجد الحرام فى القناديل فى الصحن محمد بن أحمد بن عيسى بن منصور و يعرف " بكعب البقرة " سنة (٢٥٧) سبع و خمسين و مائتين و جعل عمدا من خشب فى وسط المسجد و جعل بينها حبالا و جعل فيها قناديل



نستصبح فيها اه.

قال الأزرقى: و عدد قناديل المسجد الحرام (٤٥٥) أربعمائه قنديل و خمسة و خمسون قنديلا، و الثريات التى يستصبح بها فى شهر رمضان و فى الموسم ثمان ثريات، أربع صغار و أربع كبار، يستصبح بالكبار منها فى شهر رمضان و فى المواسم، و يستصبح منها بواحدة فى سائر السنة على باب دار الإمارة، و هذه الثريات فى معاليق من شبه (و هو نوع من النحاس) و لها قصب من شبه تدخل هذه القصبه فى حبل ثم تجعل فى جوانب المسجد الأربعة فى كل جانب واحدة يستصبح فيها فى رمضان فيكون لها ضوء كثير ثم ترفع فى سائر السنة، اه.

قال الشيخ حسين باسلامه فى كتابه تاريخ المسجد الحرام: و القناديل التى ذكرها الأزرقى هى وضعت فى خلافة محمد المهدي العباسى فنقصت بمرور الزمن و عدم التفقد لما يطرأ عليها من النقص و العبث و تلاعب الأيدي. اه. و محمد المهدي هو الذى أمر سنة (١٦٤) بتوسعة المسجد الحرام التوسعة الثانية له فجزاه الله خيرا.

و ذكر التقي الفاسى عدد القناديل التى كانت فى المسجد فى زمانه و عن الجهات التى كانت فيها: لم نأت بها هنا خوف التظويل و عدم الحاجة إليها.

و من اللطائف ما قيل:

تراءت قناديل المطاف لناظرى على البعد و الظلماء ذات تناهى

كدائرة من خالص التبر وسطها فتية مسك و هى بيت إلهى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٣

و قد وضع فى حصوة المسجد الحرام مفرقة فى جهاته أعمدة مشجرة على صورة النخلة كانت تعلق فيها القناديل، قال الصباغ فى تحصيل المرام: و مما أحدث فى الحرم من الأعمدة النحاس ستة أعمدة أرسلتها والدته السلطان عبد المجيد خان فى رأسها صورة نخلة من صغر طول كل عمود نحو خمسة أذرع مفرقة بالمسجد الحرام، فأربعة فى مقابلة أركان المسجد و واحدة خلف مقام الحنفى و أخرى مقابلة فى جهة باب الصفا، و ركب كل عمود على قاعدة من حجر طولها نحو ذراع و يعلق فى رأس كل عمود ستة قناديل و ذلك فى سنة ألف و مائتين و نيف و خمسين.

انتهى.

و كانت هذه الأعمدة المشجرة الستة باقية إلى نحو سنة (١٣٦٠) أى فى عهد جلالة الملك عبد العزيز آل السعود رحمه الله تعالى، ثم أزيلت عند تعميم إضاءة المسجد بالكهرباء.

ثم قال الصباغ فى تحصيل المرام أيضا: و قد جعلوا فى عمارة آل عثمان للحرم الشريف فى كل قبة من قيب السقف و فى كل طاجن سلسلة ترخى يعلق فيها القناديل فتعلق فى تلك السلاسل. و الآن فى زماننا فى دولة السلطان عبد العزيز خان و من قبله فى دولة أخيه السلطان المرحوم عبد المجيد خان يعلق فى جميعها برم بلور داخلها قناديل صغار. و زاد السلطان عبد المجيد خان عوارض من حديد وضعت بين الأساطين الأمامية المطلة على الحصى، و علق فى كل عارضة بين الأسطوانات خمسة قناديل توقد من ابتداء رمضان إلى عشرين من ذى الحجة و ذلك فى سنة (١٢٧٤) أربع و سبعين و مائتين و ألف، و جملتها ستمائة برم كل برم داخلها قنديل، و أما ما كان من البرم فى الأروقة فجملتها ثلاثمائة و أربعة و ثمانون برم، و أما التى حول المطاف فجملتها مائتان و ثمانية و ثلاثون، و ذلك خلاف ما فى المقامات و على أبواب المسجد و خارج الأبواب و على المنائر فى أشهر الحج و رمضان. انتهى.

و كان بعض الأماكن فى المسجد تضاء بالشموع إلى أول دخول الملك عبد العزيز آل السعود الحجاز و ذلك سنة (١٣٤٣) اكتفاء بالمصابيح الكهربائية، فقد ذكر المرحوم الشيخ حسين باسلامه نقلا عن الأرج المسكى أنه يسرج فى المسجد الحرام كل ليلة أربعة و عشرون شمعة لكل مقام من المقامات الأربعة اثنتان و الباقية فى المطاف و فى الحجر و هى تسرج من أذان العشاء إلى الساعة الثالثة

من

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٤

الليل ثم تنقل إلى قبة الفراشين وتطفأ ثم تسرج بعد أذان الفجر إلى الإسفار ثم تنقل إلى قبة الفراشين، وهذا يستمر من أول الشهر إلى الليلة الثانية عشر منه ثم يكتفى بضوء القمر إلى الليلة السادسة عشر من الشهر ثم يعاد سراجها في أول الليل و يترك في الصباح اكتفاء بضوء القمر إلى نهاية الشهر و على ذلك طيلة السنة. انتهى.

فاعلم من كل ما تقدم أن الإضاءة بالقناديل كانت إلى سنة (١٣٣٥) ثم استبدلت بالأتاريك والكهرباء كما سيأتي بيانه. ولا يفوتنا أن نسجل هنا أن الطلاب الذين يحضرون الدرس بالليل حلقات حلقات على أساتذتهم ومشايخهم كان غالبهم يأتي معه بشمعة يضعها أمامه و يشعلها عند ابتداء الدرس ليلا ليرى على ضوءها كتابه، وهذه الشمعة كانت توضع داخل آلة تشبه المصباح (تسمى باللاله) و لها زجاجة خاصة توضع عليها حتى لا تنطفئ الشمعة من الهواء، لأن ضوء القناديل الزيتية ضعيف، فلما استبدلت القناديل بالكهرباء ترك الطلبة استعمال الشمعة "أى اللاله" لقوة ضوء الكهرباء.

و إليك صورة اللاله. راجع منظر ٢٠٢، و هو صورة اللاله توضع فيها شمعة ثم يوضع فوقها زجاجة حتى لا تطفأ.

أما الإضاءة في جوف الكعبة إذا فتحت ليلا عند إرادة دخول أحد الكبراء فيها، فإنها تضاء بالشموع و كان السلاطين يهدون إليها شمعدانات و مباخر كلها من الفضة الخالصة، و كان آخر من أهدى إلى الكعبة ذلك السلطان عبد الحميد خان من سلاطين آل عثمان و ذلك سنة (١٣٠٢) اثنتين و ثلاثمائة و ألف. و إليك صورة بعض من الشمعدانات و المباخر. انظر: الصور رقم ١٤٨، ١٤٩ لآلة توضع بداخلها شمعة و فوقها زجاجة حتى لا تطفأ، و شمعدان و مبخر، و صورة رقم ١٥٠ لرسم بديع لمنبر السلطان سليمان خان، و صورة رقم ١٥١ للمصابيح الغازية و الكهربائية المختلفة.

### إضاءة المسجد الحرام بالأتاريك و الكهرباء

سبق في الفصل الذى قبله أن تكلمنا على إنارة المسجد بالقناديل، و نقول هنا: إنه قد أبطلت الإضاءة بالقناديل فى المسجد الحرام و استبدل بها بالأتاريك و الكهرباء من سنة (١٣٣٥) كما سترى تفصيل ذلك.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٥

قال الغازى رحمه الله تعالى فى تاريخه: أقول قد بطل تسريح القناديل فى الحرم الشريف من رابع شعبان سنة تسع و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف و جعل بدله الكهرباء و الأتاريك، و علقت المصابيح التى يظهر منها الضوء الكهربائى فى المطاف الشريف اثنان و سبعون، و فى مقام إبراهيم سبعة و فى الرواق الذى بجهة الصحن فى دائرة الحرم مائة و عشرون و فى المقام الحنفى أربعة و فى المقام الشافعى أيضا أربعة و فى المقام المالكى ثلاثة و فى المقام الحنبلى ثلاثة و فى باب زمزم واحدة و فى داخله واحدة و فى زيادة باب الزيادة أربعة و فى زيادة باب إبراهيم أربعة، فجملة المصابيح الكهربائىة المعلقة فى المسجد الحرام مائتان و ثلاثة و عشرون، و أما الأتاريك فواحدة منها موضوعة فى المطاف الشريف قبال مقام إبراهيم و واحدة فوق الحجر قبال المقام الحنفى و ثلاثة معلقة على أعمدة الحديد إحداهما خلف مقام المالكى و الثانية خلف المقام الحنبلى و الثالثة خلف حصة باب النبى. انتهى.

و قال الشيخ حسين باسلامة فى كتابه تاريخ المسجد الحرام ما نصه: لما استقل الشريف الحسين بن على بالحجاز ترك إضاءة المسجد الحرام بالزيت، أى بالقناديل، و أضاءه بمصابيح اللوكسات و تسمى "الأتاريك" من سنة (١٣٣٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و ثلاثين إلى منتصف سنة (١٣٣٨) ثم إنه فى ٢٨ رجب سنة (١٣٣٨) أنار الشريف الحسين دائرة المطاف بالكهرباء فهو أول من أدخل بالمسجد الحرام اللوكس "الأتاريك" و الكهرباء، مع أن الدولة العثمانية قد أضاءت المسجد النبوى بالمدينة المنورة بالكهرباء عام (١٣٢٨) أى قبل المسجد الحرام بعشر سنوات ... إلخ ثم قال الشيخ حسين باسلامة رحمه الله تعالى: و قد أتى الشريف الحسين بما كينه قوتها ثلاثة

كيلوات، فوضعت في مدرسة أم هانئ أمام دار الحكومة "الحميدية" و كان مجموع عدد اللمبات التي وضعت حول المطاف (١٠٥) و قوة بعض اللمبات خمس و عشرون شمعة و بعضها خمسون شمعة ثم أتى الشريف الحسين أيضا في سنة (١٣٤٠) بما كينه أخرى قوتها ست كيلوات و نصف، و بماتور بقوة ١٣ حصانا فوضعتا في أجياد في الدار التي صارت الآن "مدرسة المعهد السعودي" و كان ابتداء الإنارة بهما في غرة رمضان سنة (١٣٤٠) ثم نقلتا إلى المستودع الذي به دائرة الكهرباء في الوقت الحاضر "أى فى الفرن الميرى" و ابتدأت الإنارة منه فى ٢٨ شوال من السنة المذكورة و كان عدد اللمبات نحو ثلاثمائة لمبة، منها حول المطاف ١١٥ لمبة و الباقي موزع بصورة متناسبة فى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٦

عموم المسجد الحرام فوضع بعضها فى الأروقة و بعضها على الأبواب و دامت إنارة المسجد الحرام على ذلك المنوال إلى سنة (١٣٤٦) من الهجرة، اه.

قال الشيخ حسين باسلامة فى كتابه المذكور ما ملخصه: و فى عصر جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود تبرع أحد تجار الهند المدعو الحاج (داود أتابا) من أهالى رانكون للمسجد الحرام بما كينه كبيرة ذات قوة ثلاثون كيلو وات و ذلك سنة (١٣٤٦) و تم تركيبها فى الفرن الميرى أيضا بجوار مطبعة الحكومة خلف الحميدية و كانت الإنارة بها مع سابقتها فى غرة ذى القعدة من السنة المذكورة.

ثم أمر جلالة الملك عبد العزيز فى شعبان سنة (١٣٤٧) بتجديد عموم اللمبات التى بالمسجد الحرام و بزيادتها و بلوغها ألف لمبة فصار جميع المسجد الحرام مضاء بالكهرباء لكن ظهر أن هذه الماكينة لا تتحمل إضاءة ألف لمبة كما ينبغى فأمر جلالتة بوضع ثلاثين لوكسات "أتاريك" فى المسجد الحرام فاستمرت الإضاءة على ذلك إلى سنة (١٣٤٩) ثم صدر أمر جلالتة بشراء ما كينه قوية تضاف إلى الماكينة السابقة فزادت الإضاءة فى المسجد الحرام، و أمر جلالتة بوضع ست شمعدانات على جدار حجر إسماعيل من النحاس الأصفر على كل شمعدان ثلاثة أغصان فى كل غصن مصباح كهربائى. و وضع أيضا ستا و عشرين أسطوانة صنعت بالإسمنت المسلح فى حساوى المسجد الحرام طول كل أسطوانة نحو ثلاثة أمتار يعلق على كل منها أربع مصابيح كهربائية و بذلك استغنوا عن اللوكسات.

ثم فى سنة (١٣٥٣) أهدي للمسجد الحرام نواب بهادر الحاج سر محمد مزمل الله خان بهادر رئيس أعظم بهيكم بور بالهند ما كينه كهرباء عظيمة بكامل آلاتها و أدواتها، فتم تركيبها فى أواخر شعبان من السنة التالية، و يبلغ عدد اللمبات الكهربائية بالمسجد الحرام من كافة الجهات نحو ألف و ثلاثمائة لمبة على اختلاف أحجامها و تفاوت قوتها. انتهى.

نقول: و لا يزال المسجد الحرام إلى يومنا هذا يضاء بالكهرباء، و قد استبدلت الشمعدانات الست التى كانت على جدار حجر إسماعيل التى لكل منها ثلاثة أغصان المذكورة هنا بخمس شمعدانات من النحاس الأصفر فوق كل شمعدان فانوس واحد يضاء بالكهرباء و ذلك سنة (١٣٧٥) هجرية. و لقد زادت فيه الإنارة الكهربائية زيادة عظيمة حتى صار الحرم الشريف باهرا بالأنوار حسا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٧

و معنى، و ذلك منذ أن قام حضرات الفضلاء آل الجفالى بإنارة بلدة مكة المشرفة عامه و المسجد الحرام خاصة بالكهرباء و شركتهم تسمى ب "الشركة السعودية للكهرباء." و قد كانت إنارة المسجد الحرام بأكملة بالمصابيح الكهربائية عند غروب الشمس من يوم الخميس ١٤ شهر صفر عام (١٣٧٣) ثلاث و سبعون و ثلاثمائة و ألف. و إن شاء الله سيأتى الكلام عن اختراع الكهرباء.

**الحرائق فى المسجد الحرام الحريق الأول للمسجد الحرام**

لقد احترق المسجد الحرام بمكة المكرمة مرة واحدة فقط، و ذلك قبل تجديد بناء المسجد الحرام بالقباب، أى أنه احترق فى سنة (٨٠٢) اثنتين و ثمانمائة هجرية، ظهرت نار من رباط "رامشت"، بالجانب الغربى من المسجد الحرام، فتعلقت بسقف المسجد، و مشى الحريق من الجانب الغربى إلى الجانب الشامى (أى الشمالى) و انتهى الحريق إلى باب دار الصحابة، (أى عند باب الباسطية). و لقد ذكر بعض المؤرخين هذا الحريق، فقال الفاسى فى "شفاء الغرام" عن احتراق المسجد الحرام عند الكلام على ربط مكة المشرفة ما يأتى:

و منها رباط رامشت عند باب الحزورة (أى باب الوداع) و رامشت هو الشيخ أبو القاسم و اسمه إبراهيم بن الحسين الفاسى، وقفه على جميع الصوفية الرجال دون النساء أصحاب المرقعة من سائر العراق، و تاريخه سنة تسع و عشرين و خمسمائة، ظفرت بنسخة كتاب وقفه، و كان قد احترق جانب كبير من هذا الرباط فى الليلة التى احترق فيها المسجد الحرام، و هى ليلة الثامن و العشرين من شوال سنة اثنتين و ثمانمائة.

و أول ما كان الحريق فى البيت الذى على بابه الذى بالمسجد، ثم خرجت النار من شبাকে حتى تعلقت بسطح المسجد، ثم وفق الله غير واحد للتقرب بعمارتها، فعمر منه جانب كبير من سفله، الذى يلى المسجد، و بعض المجمع الذى فوقه، ثم صرف الشريف حسن بن عجلان أمير مكة مائتى مثقال ذهبا لعمارتها، فى أوائل سنة ثمان عشرة و ثمانمائة، فعمر بها جميع ما كان محترقا من الرباط المذكور، من البيوت العلوية، و غير ذلك مما يحتاج إلى العمارة علوا و سفلا،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٨

و صرف من ذلك جانبا فيما يحتاج إليه أمن أبواب بيوت الرباط، و غير ذلك من مصالحه، و جاءت عمارته حسنة. انتهى من شفاء الغرام.

و جاء تفصيل هذا الحادث فى كتاب "تاريخ عمارة المسجد الحرام" للشيخ باسلامة فقال رحمه الله تعالى عنه ما نصه:

مضى على عمارة الخليفة المهدي للمسجد الحرام ستمائة و ثمان و ثلاثون سنة، و هو عروس زمانه، و مفخرة المسلمين، يمتل عظمه العصر الذى تشيد فيه، و ضخامة الدولة، التى أنشأته على تلك الصفة، من متانة بنيانه، و بهجة منظره، و جمال رونقه، و بديع زخرفه، لم يعتره خراب طيلة هذه المدة إلا ما كان من حدوث شىء بسيط ناجم عن انهيار دار زبيدة زوج الرشيد عليه، فتتج من سقوطها عمودين من الجهة الغربية كما تقدم.

حتى كانت ليلة السبت الثامن و العشرين من شهر شوال سنة (٨٠٢) اثنتين و ثمانمائة ظهرت نار من رباط "رامشت"، الواقع بين باب إبراهيم، و باب الوداع، فى الجهة الغربية من المسجد الحرام، و رامشت هو الشيخ أبو القاسم إبراهيم بن الحسين الفارسى قد وقف هذا الرباط على رجال الصوفية فى سنة (٥٢٩)، و سبب ذلك: أنه ترك بعض السكان الخلاوى سراجا موقدا فى خلوته و برز عنها، فسحبت الفأرة الفويسقة فتيلة السراج منه إلى خارجه، فاحترقت الخلوة، و اشتعل اللهب فى سقف الخلوة، و خرج من شباكها المشرف على المسجد الحرام، و اتصل بسقفه، و التهب به، و عجز الناس عن إطفائه لعلوه، و عدم وصول اليد إليه، فعمر الحريق الجانب الغربى من المسجد الحرام، و استمرت النار تأكل من السقف و تسير، و لم يتمكن الناس من إطفائها لعدم الوصول إليها بوجه من الوجوه، إلى أن وصل الحريق إلى الجانب الشمالى، و استمر يأكل من سقف الجانب الشمالى إلى أن انتهى إلى باب العجلة (باب الباسطية).

و كان من لطف الله تعالى بإخماد تلك النار المؤججة، أنه كانت هناك أسطوانتان هدمهما السيل العظيم المهول، الذى دخل المسجد الحرام فى اليوم الثامن من جمادى الأولى من تلك السنة، بما عليها من عقود و سقوف عند باب العجلة، فكان ذلك هو السبب الوحيد لوقوف الحريق عند ذلك الحد، حيث ذلك السقوط كان فصل النار من الاتصال بباقي سقف المسجد الحرام، و بذلك سلم باقى السقف، فصار ما احترق من المسجد الحرام أكواما عظاما، تمنع من وراءها،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٩

من رؤية الكعبة الشريفة، و من الصلاة أيضا في ذلك الجانب من المسجد الحرام.

هذا حاصل ما ذكره مؤرخوا مكة من حادثة الحريق المذكور.

و جاء في "الإعلام" نقلا عن ذيل دول الإسلام للحافظ السخاوي خلاصة ما تقدم ذكره، و زاد عليه بقوله: و احترق من العمدة الرخام مائة و ثلاثون عمودا صارت كلها كلسا، و لم يتفق فيما مضى مثله. قال الفاسي: ثم قدر الله تعالى عمارة ذلك في مدة يسيرة على يد الأمير بيسق الظاهري، و كان قدومه إلى مكة لذلك في موسم سنة (٨٠٣) ثلاث و ثمانمائة، و كان هو أمير الحاج المصري و تخلف بمكة بعد الحج لتعمير المسجد الحرام، فلما رحل الحاج من مكة شرع في تنظيف المسجد الشريف من تلك الأكوام التراب، و حفر الأرض و كشف عن أساس المسجد الحرام، و عن أساس الأسطوانات، في الجانب الغربي من المسجد، و بعض الجانب الشامي منه، إلى باب العجلة، فظهر أساس الأسطوانات، مثل تقطيع الصليب، تحت كل أسطوانة، فبناها و أحكم تلك الأساسات على هيئة بيوت الشطرنج تحت الأرض، و بناها حتى رفعها إلى وجه الأرض، على أشكال زوايا قديمة، و قطع من جبل بالشبيكة على يمين الداخل إلى مكة. و هذا الجبل يسمى في العصر الحاضر (جبل الكعبة) حيث كانت حارة الباب و الشبيكة حارة واحدة قبل انفصالهما: أحجارا صوانا صلبة منحوتة على شكل نصف دائرة، يصير على آخر منحوت مثله دائرة تامة، في سمك ثلثي ذراع، و صففت على قاعدة مربعة منحوتة على محل التقاطع الصليبي، على وجه الأساس المرتفع على الأرض، و وضع عليها دائرة أخرى مثل الأولى، و وضع بينهما بالطول عمود حديد منحوت له بين الحجرين المدورين، و سبك على جميع ذلك بالرصاص، إلى أن انتهى طوله إلى طول أساطين المسجد، فيوضع عليه حجر منحوت من المرمر، هو قاعدة دينك العمودين، من فوق طاق يعقد إلى العامود الآخر، و بنى ما بين ذلك بالآجر و الجص إلى أن يصل إلى السقف.

و سار على ذلك المنوال إلى أن تم الجانب الغربي من المسجد الحرام على هذا الحكم. و بقيت من عمد الرخام، التي تحطمت من الحريق و الهدم، فأوصلوها بالصفائح من الحديد إلى أن تم الجانب الشامي و اتصل بالجانب الغربي، و ذلك لعدم القدرة على إيجاد الأعمدة الرخام، فصارت الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام بأعمدة الرخام، و الجانب الغربي وحده بالأعمدة المعمولة بالحجر الصوان

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٠

المنحوت، المدور على شكل عمد الرخام. و كملت هذه الأعمدة في أواخر شعبان سنة (٨٠٤) و لم يبق غير عمل السقف، فأخر عمله لعدم وجود خشب بمكة يصلح لذلك، حيث لا يوجد غير خشب الدوم، و خشب العرعر، و ليس لذلك الخشب طول و لا قوة، و يحتاج الأمر إلى خشب الساج و هو لا يوجد إلا بالهند، أو خشب الصنوبر و هو لا يوجد إلا في بلاد الروم، فاضطر الأمر إلى تأخير السقف لحينما يجلب الخشب اللازم لذلك من أي القطرين.

و شكر الناس الأمير بيسق على سرعة إتمام هذا القدر من العمل في هذه المدة اليسيرة و مبادرته إلى تنظيف المسجد الحرام و جعله صالحا للصلاة فيه، و كان ذا همية عالية و حسن توجه، و كان كثير الصدقة و الإحسان، ثم حج الأمير بيسق في ذلك العام و عاد إلى مصر، لتجهيز ما يحتاج إليه من الخشب، لإكمال سقف المسجد الحرام، فوصل إلى مصر في أوائل سنة (٨٠٥) هجرية.

ثم في سنة (٨٠٧) قدم إلى مكة الأمير بيسق، لعمارة سقف الجانب الغربي من المسجد الحرام مما تشعب من سقف المسجد الحرام، من بقية الجوانب الأخرى، فنهض إلى هذه الخدمة الشريفة و المنقبة الكبيرة، التي خلدها التاريخ له، طيلة هذه القرون، و ذلك بعد أن أحضر الأخشاب المناسبة لذلك، و جلبها من بلاد الروم، و هيأها للسقف، و نقشها بالألوان و زوّقها، و استعان أيضا بكثير من خشب العرعر، الذي يؤتى به من جبال الطائف، من جهة الحجاز، لعدم كفاية الخشب الذي أتى به، و بذل همته و اجتهاده إلى أن سقف جميع الجانب الغربي من المسجد الحرام، و الجانب الشامي إلى باب العجلة، فتم عمارة المسجد الحرام على تلك الصورة، و علق في تلك السقوف سلاسل من نحاس و حديد، لتعليق القناديل في الرواق الوسطاني، من الأروقة الثلاثة، على حكم سائر المسجد الحرام.

غير أن الجانب الشرقي، و اليماني، و أكثر الشامي إلى باب العجلة، كان في كل عقد من العقود، التي على صحن المسجد الشريف، ثلاث سلاسل: أحدها في وسط كل عقد، و الثاني عن يمينه، و الثالث عن شماله، لتعليق القناديل، كما أنه كان بالجانب الغربي، قبل احتراقه مثلها، فلما عمر لم تعلق فيه السلاسل على حسب ما كان فيه سابقا، بل علق فيه حسبما تقدم ذكره، و عمر مع ذلك في الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام مواضع كثيرة من سقفها، كان قد انكسر أعوادها و أتقن عملها. و عمر في صحن المسجد من المقامات الأربعة، على الهيئة القديمة، و بذل

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤١

في ذلك الأموال العظيمة، و تم ذلك في سنة (٨٠٧) في أيام الناصر زين الدين أبي السعادات فرج بن برقوق بن آنص الجركسي، ثاني ملوك الجراكسة. و أما رباط "رامشت"، الذي صدر منه الحريق، فقد عمره أمير مكة يومئذ الشريف حسن بن عجلان، و جعله رباطا للفقراء كما كان، و صرف عليه من ماله إلى أن عاد أحسن من الأول.

هذا حاصل ما ذكره التقى الفاسي، و القاضي ابن ظهيرة، و قطب الدين الحنفي في "الإعلام" و غيرهم. فظهر لنا مما تقدم، أن ملوك الجراكسة، الذين هم ملوك مصر، في ذلك العصر، لم يكن في استطاعتهم نقل الأساطين المرمر الرخام من مصر إلى مكة المكرمة، لأجل أن يضعوها في المواضع، التي احترقت بالمسجد الحرام، كما فعل ذلك الوليد بن عبد الملك، و أبو جعفر المنصور و محمد المهدي العباسي، و لو كان في استطاعتهم لما تأخروا عن نقلها. و هذا أعظم دليل على قوة عزم الخلفاء الأمويين و العباسيين، أولئك الذين هم غرة جبين ملوك الإسلام، حيث من أتى بعدهم من الملوك، سواء كانوا عربا أو عجماء، لم يصلوا من القوة و العزم إلى ما وصل إليه الأمويون و العباسيون، و سيأتي ما يؤيد ذلك من خبر عمارة سلاطين آل عثمان للمسجد الحرام، و هي العمارة التي لا تزال إلى العصر الحاضر، فإنهم رغما عن أن عمارتهم للمسجد الحرام كانت على غاية من المتانة و الإتقان إلا أنهم لم يأتوا بالأساطين الرخام من مصر أو الشام، لإكمال ما نقص من الأساطين الرخام، فقد عملوا عوضا عنها الأعمدة الثخينة المثمنة و المسدسة و المربعة، و بنوها بالحجر المنحوت من الصوان و الشميسي، مع أن مصر و الشام، في ذلك العصر، كانتا من ضمن ممالكهم، و ربما كانت أدوات النقل في عصرهم أرقى مما كانت في العصرين الأموي و العباسي و الله أعلم.

انتهى من "تاريخ عمارة المسجد الحرام" للشيخ باسلامة رحمه الله تعالى.

### عمارة المسجد الحرام بالقاب بشكله الحاضر في زماننا

تقدم أن الخليفة "محمد المهدي العباسي"، رحمه الله تعالى، و أجزل ثوابه، هو الذي وسع المسجد الحرام، هذه التوسعة العظيمة، و هو الذي جعله مربعا بشكله الحاضر اليوم، و ذلك في توسعته الثانية التي بدأت سنة (١٦٤) أربع و ستين و مائة من الهجرة، و أنه رحمه الله تعالى، أمر بجلب الأساطين و الأعمدة الرخام من الشام

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٢

و مصر، فنقلت بحرا إلى أن وصلت إلى "جدة" يعني إلى الشيبية، التي بقربها و جوارها حيث كانت ساحلا لمكة منذ أيام الجاهلية، و منها حملت تلك الأساطين و الأعمدة الرخام إلى مكة، شرفها الله تعالى، بواسطة العربات ذوات العجل.

و قد جعل رحمه الله تعالى للمسجد الحرام سقفين: السقف الأول كان من الدوم اليماني، و السقف الثاني كان من خشب الساج. و قد نقشه بالنقر على نفس الخشب، و زخرفه بالذهب و الألوان، حتى صار آية في الجمال. و كان ما بين السقف الأول و السقف الثاني، فرجة قدر الذراعين تقريبا، و كان السقف الأعلى مطببا، أي مجصصا بالتراب و النورة، لحفظه من ماء المطر. و قد تقدم عند الكلام على بنائه سبب جعل سقفين للمسجد الحرام. و كان وقوف الأساطين و الأعمدة بواسطة بناء العقود على رؤوسها، لكن لم يكن عليها قباب، و إنما جعل السطح مستويا، من الخشب القوى الجيد، مطببا بالنورة، فيكون بناء الخليفة "محمد المهدي" للمسجد الحرام

كبناء مسجد الشافعي بجدة و الجامع الأزهر بمصر القاهرة في عصرنا الحاضر.

قال الشيخ حسين باسلامه في كتابه "تاريخ عمارة المسجد الحرام: "وقد ذكر العمرى في مسالك الأبصار: ارتفاع جدار المسجد الحرام "أى فى عمارة محمد المهدي" و لم يذكره أحد ممن وقفت على تواريخهم و إتماما للفائدة نذكرها فقال: و ارتفاع جداره فى السماء مما يلى المسعى ثمانية عشر ذراعا، و مما يلى الوادى و الصفا اثنان و عشرون ذراعا، و مما يلى باب بنى جمح "و هو المسمى الآن بباب العمرة" اثنان و عشرون ذراعا، و مما يلى دار الندوة سبعة عشر ذراعا و نصف. انتهى.

قال الشيخ حسين باسلامه، رحمه الله تعالى: و هذا يدل على أن أرض المسجد الحرام لم تكن متساوية، و أما ارتفاع السقف فهو واحد فى عموم جهات المسجد الحرام الأربعة، و الله تعالى أعلم. اه.

نقول: هذا كلام مطابق للحقيقة فأرض مكة كلها غير متساوية، لكونها جبلية و صخرية. ففى بعض الجهات عالية و فى بعضها منخفضة، و فيها بل فى كل محل و مكان، مرتفعات و منحدرات من أصل الخلقة، و ما نراه من الشوارع و المحلات المستوية فقد عمل بفعل فاعل.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٣

و لقد بقيت عمارة "محمد المهدي" على حالها من سنة (١٦٤) هجرية إلى سنة (٩٨٠) أى دامت عمارته ثمانمائة و ست عشرة سنة. ففى هذه السنة تجدد عمارة المسجد الحرام بالقباب، على هذه الصفة الموجودة فى وقتنا الحاضر، أى دامت عمارة "محمد المهدي" ثمانمائة و ست عشرة تماما، و بطبيعة الحال، لا بد أنه حصل فى عمارته ما يوجب إصلاحه و تقويته، كما حصل فى العمارة الجديدة، التى بالقباب، إصلاحات أيضا، و هذا سنة الكون. و كان تجديد بناء المسجد الحرام بالقباب فى زمن العلامة المؤرخ قطب الدين الحنفى صاحب كتاب "الإعلام بتاريخ بيت الله الحرام" المتوفى سنة (٩٨٨) هجرية، رحمه الله تعالى.

و اعلم: أن السبب فى تجديد عمارة المسجد الحرام، و بنائه بالقباب، كما هو فى وقتنا الحاضر، هو: أن الرواق الشرقى مال إلى جهة الكعبة المشرفة، بحيث برزت رؤوس خشب السقف الثانى عن محلها، من جدار المسجد الحرام بنحو ذراع، و المراد بالرواق الشرقى هو من بعد باب على إلى قرب باب السلام، و قد مال وجه الرواق الشرقى إلى صحن المسجد، أى إلى جهة الحصوة ميلا بينا واضحا حتى خشوا سقوطه.

فرفعوا الأمر إلى خليفة المسلمين إذ ذاك و هو السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان، فأمر رحمه الله تعالى بتجديد بناء المسجد الحرام جميعه، بناء محكما متقنا، و أن يكون سطحه قبابا قوية، بدلا عن السقفين الخشبيين. فشرعوا فى منتصف شهر ربيع الأول سنة (٩٨٠) تسعمائة و ثمانين من الهجرة. و قد استمر العمل أربع سنوات، فتم على أكمل وجه. و هذه العمارة لا زالت باقية بقوتها و متانتها إلى يومنا هذا، فرحم الله الأقدمين الذين كانوا مخلصين، فى أعمالهم، غاية الإخلاص، بدون غش و لا تدليس.

هذا و لقد يرى القارئ الكريم فى تاريخ القطبى، عند الكلام على هذه العمارة قوله: "بحيث برزت رؤوس خشب السقف الثالث منه" فقوله: "السقف الثالث" خطأ من الناسخ و غلطه مطبعية، و الصحيح: "السقف الثانى" حيث لم يكن للمسجد الحرام سقف ثالث و إنما كان له سقفان فقط. و حصل مثل هذا الخطأ أيضا فى كتاب "تاريخ المسجد الحرام" للشيخ حسين باسلامه، فإنه رحمه الله تعالى، نقل عن تاريخ القطبى و لم ينتبه لهذه الغلطة، فتأمل.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٤

و هنا يستحسن أن نذكر ما أورد العلامة القطبى المكي، فى تاريخه عن هذه العمارة الجديدة للمسجد الحرام و بنائه بالقباب، لأن هذه العمارة وقعت قبل وفاته بنحو عشرة أعوام، فهو أعرف بها من غيره من المؤرخين، فقد قال رحمه الله تعالى فى تاريخه ما نصه: اعلم أن عمارة المسجد الحرام، زاده الله تعالى شرفا و تعظيما و مهابة و تكريما، من أعظم مزايا الملوك و الخلفاء، و أشرف أكابر

السلطين العظماء، و قد يسر الله تعالى ذلك لسلطين آل عثمان، أيد الله تعالى نصرهم، و خلد سعادتهم مدى الزمان، فوقع الشروع فيها فى أيام السلطان الأعظم، و الخاقان الأكرم الأفخم، خليفة الله فى أرضه، القائم بإقامه سنته و فرضه، ملك البرين و البحرين، سلطان الروم و الترك و العرب و العجم و العراقيين، و صاحب المشرقين و المغربين، خادم الحرمين الشريفين المحترمين، عامر البلدين المكرمين المنيفين، واسطه عقد ملوك بنى عثمان، السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان، أمطر الله تربتهما سحاب الرحمة و الرضوان، و جعل قبرهما روضه من رياض الجنان، و جعل السلطنة كلمه باقيه فى عقبهما إلى يوم الحشر و الميزان.

إلى أن يعود العارضان كلاهما و يحشر فى القتلى كليب لوائد

و سبب الأمر الشريف بتعمير المسجد الحرام، أن الرواق الشرقى، مال نحو الكعبة الشريفه، بحيث برزت رؤوس خشب السقف الثانى منه، عن محل تركيبها من جدر المسجد، و ذلك الجدر هو جدر مدرسه السلطان قايتباى، و جدر مدرسه الأفضليه، التى هى الآن من أوقاف المرحوم ابن عباد الله، فى شرقى المسجد الحرام، و فارق خشب السقف عن موضع تركيبه فى المذكور أكثر من ذراع، و مال وجه الرواق إلى صحن المسجد ميلا ظاهرا بينا، و صار نظار الحرم الشريف يصلحون المحل الذى قد فارق خشب السقف، إما بتبديل الخشب بأطول منه أو بنحو ذلك من العلاج، و أما الرواق الذى ظهر ميله إلى صحن المسجد، فترسوا بأخشاب كبار حفروا لها فى المسجد يمسكه عن السقوط، و استمرّ الرواق الشرقى متماسكا، على الأسلوب المتقدم فى أواخر دوله المرحوم السلطان سليمان خان و صدرا من دوله المرحوم السلطان سليم خان.

ثم لما أفحش ميلان الرواق المذكور، عرض ذلك على الأبواب الشريفه السلطانيه السليميه، سنه تسع و سبعين و تسعمائه، فبرز الأمر الشريف السلطاني

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٥

بالمبادره إلى بناء المسجد الحرام جميعه، على وجه الإتقان و الإحكام، و أن يجعل عوض السقف الشريف قبا دائره بأروقه المسجد الحرام، ليأمن من التآكل، فإن خشب السقف كان متأكلا من جانب طرفيه بطول العمد، و كان يحتاج بعض السقف إلى تبديل خشبه بخشبه أخرى من كل قليل، إذ لا بقاء للخشب زمانا طويلا، مع تكسر بعضه.

و كان له- أى للمسجد- سقفان بين كل سقف نحو ذراعين بذراع العمل، و صار ما بين السقفين مأوى للحيات و الطيور، فكان من أحسن الرأى تبديلها بالقبب، لتمكنها و دفع مواد الضرر عنها، و وصلت أحكام شريفه سلطانيه إلى بكرلبرى مصر يومئذ "الوزير المعظم و المشير المفخم حصره سنان باشا، "أدام الله تعالى سعادته و إقباله، و ضاعف عظمته و إجلاله، أن يعين لهذه الخدمه من أمراء السناجق المستحفظين بمصر، من يخرج من عهد هذه الخدمه الشريفه، و يكون فى غاية الديانه و الأمانه و المعرفه و الخير و الصلاح.

فأمر بكرلبرى يومئذ و هو سنان باشا أمراء مصر أن يقبلوا هذه الخدمه، فما أقدم أحد على تلقيها بالقبول، لكثرة مشقتها و اشتغالهم بأمر دنياهم، و التوغل فيما يعود عليهم نفعه عاجلا من غير مشقه.

نقول: إن الكلمه المتقدمه "بكرلبرى" هى كلمه تركيه تدل على حسب اصطلاح زماننا على "رئيس البكوات" و هو حاكم مصر من قبل الدوله التركيه كما هو ظاهر من كلامه، و "البيك" بكسر الباء و "الباشا" من ألقاب الحكومه التركيه تعطى للكبراء و الممتازين من رجالها، ثم بطل استعمال هذه الألقاب لديهم منذ أن صارت تركيا جمهوريه، و كذلك الحال فى الحكومه المصريه فقد كانت هذه الألقاب مستعمله لديها إلى أن قاموا بثورتهم المعروفه فى سنه (١٣٧١) هجرية.

ثم قال القطبى: و كان من جمله الأمراء المحافظين بمصر كتخدای المرحوم اسكندر باشا الجركسى بكرلبرى مصر سابقا، أفخر الأمراء العظماء و الكبراء ذوى الإحترام "أحمد بك" بارك الله فيه و فى ذويه، و أناله من خيرى الدنيا و الآخره ما يرتجيه، و كان ممن اجتمع فيه هذه الخصال المحموده المطلوبه، من حب الخير و التوجه إلى الله تعالى و قلبه الميل إلى الدنيا و زخارفها، و الميل إلى



## الفقراء والضعفاء

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٦

والعلماء، والتواضع مع الناس وحب المعدلة والاستقامة، مع صدق الخدمة وكمال الديانة، والأمانة والإقدام، وعلو الهمة وفور الاهتمام.

فطلب منه حضرة الوزير المشار إليه هذه الخدمة الشريفة، وأضيف إليه عمل بقيه دبل عين عرفات، من الأبطح إلى آخر المسفلة بمكة المشرفة. فإن السلطنة الشريفة أمرت أن يبنى لها دبل مستقل ولا تجرى في دبل عين حنين، فعينت هذه الخدمة أيضا للأمير أحمد المذكور، و عرض له ذلك إلى الباب الشريف العالی، فوردت الأحكام السلطانية الشريفة له بذلك، حسب ما عرض له، وأضيف إلى الخدمة سنجق جدة المعمورة تعظيما لشأنه وتوفيرا لقدره ومكانه.

وبعد ورود الأحكام الشريفة السلطانية إليه، أخذ في أهبة السفر وتوجه من مصر، عن طريق البحر، إلى بندر جدة، ثم وصل إلى مكة، شرفها الله تعالى، في أواخر سنة تسع وسبعين وتسعمائة، مهتما غاية الاهتمام، سائلا من الله تعالى الإعانة والإمداد التام، وكانت الأوامر الشريفة السلطانية، والمتكلم عليه، من جانب السلطانية المنيفة الخاقانية، هو سيدنا ومولانا ناظر المسجد الحرام ومدرس مدرسة أعظم سلاطين الأنام، بدر الملة والدين، حسين الحسيني، خلد الله سعادتته، وفرح بهذه الخدمة الشريفة الفرح التام، وشد مناطق حزمه، على مناطق عزمه، وقام له في ذلك أحسن قيام، وحصل بين مولانا الناظر والأمير أحمد المشار إليه كمال الملاءمة والاتفاق، وبذلك يحصل تمام النجاح والاتفاق، و جرت عادة الله أن الخير كله في الوفاق، والشر جميعه في الشقاق، ولم يكن الرفق في شيء إلا زانه، ولم يكن العنف في أمر إلا شانه، ومن أراد الرفق بعباد الله وفق الله تعالى به وأعانه.

و وصل لهذه العمارة الشريفة معمار دقيق الأنظار، جليل الآثار، تقدم له مباشرة الأبنية العظيمة، وحصلت له بالتجربة خبرة تامة ومعرفة مستقيمة، أجمع المهندسون على تقدمه في هذه الصناعة، ودقة نظره في لوازم هذه البضاعة، اسمه المعمار محمد جاویش الديوان العالی، وهو إنسان من أهل الخير، عظيم الأمانة، كثير الديانة، مستقيم الرأي، منور الباطن، مشكور السيرة، زاد الله توفيقه وأرشد طريقه.

فاتفق الناظر والأمير والمعمار على الشروع في هدم ما يجب هدمه، إلى أن يوصل إلى الأساس، فشرع أولا في إكمال الدبل المستقل، لإجراء عين عرفات،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٧

والبناء من جهة المدعى، ثم من جهة سويقه، ثم انعطف به إلى السوق الصغير وأكماله إلى منتهاه، وبنى قبة في الأبطح، جعل فيها مقسم ماء عرفات، وركب في جداره بزاييز من النحاس، يشرب منها الماء، ثم بنى مسجدا وسيلا، وحوض ماء للدواب، على يمين الصاعد إلى الأبطح، في قبلي بستان بيرم خوجه الصابر، إلى المرحومة الخاصكية أم سلاطين، طاب ثراها، وبنى مسجدا آخر وسيلا ومتوضا، في انتهاء سوق المعلاة على يسار الصاعد، وكل ذلك من أعمال الخير الجارية النافعة للمسلمين، و عرض ذلك على أبواب السلطنة الشريفة، فأنعمت، على الأمير المشار إليه، بسبعين ألف عثمانى ترقيا في علوفته في مقابلة هذه الخدمة.

ثم شرع في تجديد أروقة الحرم الشريف، بدأ فيه بالهدم من جهة باب السلام، في منتصف ربيع الأول سنة ثمانين وتسعمائة، وأخذت المعاول تعاول في رأس شرفات المسجد وطباطب سقفه، إلى أن ينكشف السقف، فتتزل أخشابه إلى الأرض، وتجمع في صحن المسجد الشريف، وينظف الأرض من نقض البناء وأتربته، ويحمل على الدواب ويرمى في أسفل مكة، في ناحية جبل الفلق، ثم تقام الأساطين الرخام، إلى أن تنزل بالرفق إلى الأرض. واستمروا في هذا العمل إلى أن نظفوا وجه الأرض من ذلك، من باب على إلى باب السلام، وهو الجانب الشرقي من المسجد، ثم كشفوا عن أساسه فوجدوه مختلا، فأخرجوا الأساس، وكان جدارا عريضا نازلا في الأرض، على هيئة بيوت رقع الشطرنج، وكان موضع تقاطع الجدران، على وجه الأرض، قاعدة تركيب الأسطوانة على تلك

القاعدة، فشرع أولا- في موضع الأساس، على وجه الإحكام و الإلتقان، من جانب باب السلام لست مضين من جمادى الأولى سنة ثمانين و تسعمائة، و اجتمعت الأشراف و الكبراء و الأمراء و الفقراء و المشايخ و الصلحاء، تبركا و تيمنا، بالحضور في هذا الخير العظيم، و قرئت الفواتح بالإخلاص من سويداء القلب الصميم، و ذبحت الأبقار و الأنعام و الأغنام، و تصدق بها على الفقراء و الخدم، و وضع الأساس المبارك، بإعانة الله تبارك و تعالى، و كان يوما مباركا مشهودا متيمنا ميمونا مسعودا، و لله الحمد على هذا الإكرام، و له الشكر و الثناء الحسن في المبدأ و الختام.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٨

و كانت الأساطين، المبنية سابقا، على نسق واحد في جميع الأروقة، فظهر لهم أن ذلك الوضع لا يقوى على تركيب القبة عليها، لقلّة استحكامها، إذ القبة يجب أن يكون لها دعائم أربعة قوية تحملها من جوانبها الأربع، فرأوا أن يدخلوا بين أساطين الرخام الأبيض دعائم أخرى تبنى من الحجر الشميسى، يكون سمكها مقدار سمك أربع أسطوانات من الرخام، ليكون مقيما لها من كل جانب، فتقوى على تركيب القبة من فوقها، و يكون كل صنف من أساطين الأروقة الثلاثة في غاية الزينة و القوة.

ففى أول ركن من الرواق الأول دعامة قوية مبنية من الحجر الشميسى، ثم أسطوانة رخام كذلك، ثم دعامة من الحجر الأصفر الشميسى، و على هذا المنوال إلى آخر هذا الصف من أساطين الرواق، ثم الصف الثانى من الرواق الثانى كذلك على هذا المنوال إلى آخر هذا الصف من أساطين الرواق، ثم الصف الثالث من الرواق الثالث على هذا المنوال، و بنيت القبة على تلك الدعائم و الأساطين فى دور المسجد جميعه، و شرعوا من ركن المسجد الشريف، من جهة باب السلام، كما تقدم، و قاسوا تلك الصفوف بخط مستوى، و أزالوا ما كان قبل ذلك من الازورار و الاعوجاج، و الحجر الشميسى نسبة إلى شمس جبل بقرب بئر شميسى، و هى حد الحرم من جانب جدة به جبال صفر، تكسر منها هذه الأحجار، و تحمل إلى مكة مسافة ما دون ليلة.

فكان فى إدخال هذه الدعائم الصفر، ما بين الأساطين البيض، حكمه أخرى غير الاستحكام و الزينة، و هى أن أساطين الرخام، الباقية من المسجد، كانت لا تقوى بجوانبه الأربع، لأن الجانب الغربى احترقت أساطينه الرخام و سقفه، أيام الجراكسة، فى دولة الناصر فرج بن برقوق فى سنة اثنتين و ثمانمائة، و أرسل من أمراءه الأمير سيف الظاهرى إلى مكة المشرفة فعمر الجانب الذى احترق من المسجد الحرام بالحجر الصوان المنحوت، كما قدمنا ذكر ذلك فى محله، و صارت الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام بالحجر و هى " الجانب الشرقى و الجانب اليمانى و الجانب الشامى " على نسبة واحدة أساطينها من الرخام الأبيض.

و أما أساطين الجانب الغربى جميعها فمن قطع الحجارة المنحوتة من الحجر الصوان، غير مناسبة للجوانب الأخرى الآن، فبإدخال هذه الدعائم الصفر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٩

صارت الأساطين كلها على نسبة واحدة، و هى أن كل ثلاث أساطين من الرخام الأبيض يكون رابعها دعامة واحدة من الحجر الأصفر الشميسى، و ذلك فى غالب الأروقة من الجوانب الأربع من المسجد الشريف، و كلها قائمة على أقدامها بغاية الإحكام، كأنها صفوف واقفة بالأدب، حول صحن مسجد بيت الله الحرام، من جهاته الأربع، و هى أعلى من الارتفاع السابق و أرفع، كأنها تنشد بلسان حالها مفتخرة على أمثالها بل تفوق على ما سواها و تطول:

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمهم أعز و أطول

و استمر أمير العمارة الشريفة، حضرة الأمير أحمد المشار إليه، شكر الله سعيه و بارك له و عليه، فى غاية بذل الجد و الاجتهاد، مقرون الحركة بالتوفيق و السداد، يتلطف بالخدم و العمال، و يتفضل عليهم بأنواع الأفضال، و يوصلهم أجورهم كاملة لا يقتطع منها مقتطعا من أحد، و لا يضر بحالة، بل يزيدهم من عنده و يسامحهم بماله، مع كمال الدقة فى الأموال السلطانية، و الحرص على حفظها و عدم التبذير فيها، و أما مال نفسه فيوسع به على الفقراء، و يبذل لهم و للخدام و العمال ما أراد، و يحسن إلى أهل البلاد، مع التواضع و

حسن الخلق و لين الكلام، و مواساة الناس في جميع المهام، و المشى في تشييع الجنائز معهم، و عيادة مرضاهم و سلام القدوم و استجلاب رضاهم، بحيث ترك عظمة الإمارة، و صار من جملة فقراء الناس، لكثرة تواضعه، فأحبه الناس و حمدوه، و شكروا جميله و إحسانه، و ذكروا كثرة تجمله و لطفه، و لقد جاءني إلى منزلي متفضلا مرارا، و أنا من آحاد الفقهاء، بل من أدنى الفقهاء، و ما فعل ذلك إلا- محبة في الله أحبه الله، لا- لأمر يناله مني، فإنه أجل قدرا و أعظم خطرا من ذلك، و ما ذكرته إلا ليعلم حسن تواضعه و تخلقه، و تلبسه بالأوصاف الجميلة و تحققة، فلا جرم أن الله تعالى وفقه لهذه الخدمة السنية الفاخرة، و أتم عمل هذا الخير العظيم على يده، فيكفيه ذلك سعادة في الدنيا و الآخرة، فكم من وزير كبير نبيل، بل ملك عظيم جليل، يتمنى الوقوف في هذه الخدمة مع جلالته، و يعدها من أكبر سعادة دنياه و آخرته، و ما قدرها الله تعالى إلا لمن ظهرت العناية الأزلية في حقه، فاختاره الله تعالى لذلك من بين عباده و اصطفاه من خلقه، و هو هذا الأمير الكريم الصفات، فالله تعالى يعينه على فعل الخيرات، و يسدده في أفعاله و أقواله، و يوفقه للباقيات الصالحات، فلما كمل جانبان من المسجد، و هما الجانب الشرقي و الجانب الشمالي، و حصل خبر انتقال حضرة السلطان سليم إلى دار النعيم، رحمه الله و طيب ثراه و أحسن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٠

إليه في الدار الآخرة، استمر الأمير أحمد، المشار إليه، أحسن الله تعالى إليه في عمله المبرور، و فعله المعمور، بالمعمور مستعينا بالله ولى الأمور.

ثم قال القطبي، بعد ذكر وفاة السلطان سليم، رحمه الله تعالى، و تولية ابنه السلطان مراد بن سليم على عرش السلطنة: كان أول عمل عمله اهتمامه بتكملة عمارة المسجد الحرام، فبرز أمره الشريف العالى إلى أمير العمارة الشريفة، المشار إليه سابقا، افتخار الأمراء الكرام "أحمد بك" أن يبذل جده و جهده في بناء المسجد الحرام، و يسرع في إنجاز عمارته بكمال السعى و الاهتمام. فبادر الأمير المشار إليه، إلى بذل الجهد و الاجتهاد، و توجه بكليته إلى إتمام تمام العمارة في خير البلاد، فأعانه الله على إتمامها، و مدّ بذلك سائر خدامها، إلى أن تم بناء الجانبين الغربي و الجنوبي من المسجد الحرام، بجميع شرافاته و أبوابه و درجاته، من داخل المسجد الحرام و خارجه، في أيام هذا السلطان الأعظم الأكرم، خلد الله ملكه الأقوم، و أيد سلطانه الأفخم، و أفاض عليه سوابغ الفضل و النعم، فتمّ و لله الحمد بسعد طالعه السعيد كل هذا على الوجه الحميد، بحسن توجهه الشريف و قوة عزمه المشيد، و كان ذلك في آخر سنة أربع و ثمانين و تسعمائة، و صار المسجد الحرام نزهة للناظر و بغية للخاطر، و جلاء للنواظر، و صفاء للقلوب و الخواطر، بحيث ما عمّره الخلفاء العباسيون قبل ذلك لا يحسن عنده أن يذكر و يوصف، لأن هذا البناء الشريف أمكن و أزين، و أعلى و أشرف، فكأنه الآن إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، بعقود عالية كأطواق الذهب في الأجياد، و قبب سامية كقباب الأقالل الشداد، و شرافات شريفة مشرفة على المهاد و الوهاد، بل أعلى و أشرف، و أجل و ألطف، و أرفع و أتحف، فبنى ذلك بالرخام الأبيض المرمر، و الحجر الشميسى المنحوت الأصفر، كأنه سبك الذهب أو سبك العسجد و الجواهر، مكتوب على الأبواب، و صدور الأروقة آيات الكتاب، و الاسم السامى السلطاني المستطاب، بحلى الذهب بخط كسلاسل الذهب، على كل موضع ما يناسب من الآيات الشريفة القرآنية، و بالكتابة المنسوبة الفائقة الجميلة، و اختراع الفضلاء لذلك تواريخ عديدة بكل لسان، و اخترت أخصرها لأنه خير مساجد الله، ثم رأيت بعض الفضلاء جعل لهذه العمارة الشريفة تاريخا في بيت مفرد، فأعجبني نظمه لحسن سبكه و استيفاء المعنى فيه فذكرته و هو هذا البيت:

جدد المسجد الحرام مراددام سلطانه و طال أوانه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥١

ثم رأيت تاريخا جعله سيدنا و مولانا شيخ الإسلام، و ناظر المسجد الحرام، و مدرّس أعظم مدارس أعظم سلاطين الأنام، سيد السادات العظام، بدر الملة و الدين مولانا السيد القاضي "حسين الحسيني" قاضي المدينة المنورة سابقا، أدام الله إجلاله، و ضاعف

فضله وإقباله، فأثبتته هنا بحسن إنشائه و لطف مبناه، و سلامة لفظه و بلاغة معناه، و هو هذا باسمه سبحانه: **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**. شرع في عمارة هذا الحرم الشريف و تجديده، من اختاره الله من خلفائه و عبيده، المقدس المرحوم السعيد، المبرور المغفور له الشهيد، سلطان الإسلام و المسلمين، خاقان خواقين العالمين، المستظل بفضل الله في ظلال دار النعيم، حضره الملك الأعظم السلطان سليم، نور الله تعالى ضريحه، و روح بروائح الجنان روحه، بناه و أكمله و أتقنه و حسّنه و جمّله، وارث الملك الأعظم الإمام الأفخم، الخليفة الأ-كبر الغمطم، و الملك القاهر العرمم، من ملكه الله شرق البلاد و غربها، و جعل طوع يده بلاد عجم الرعايا و عربها، و أطلعه سراجا منيرا في المشارق و المغارب، و ملكا مرفوعا على هام الكواكب، و صيّره للإسلام حصنا محيطا، و جعل ظلّه المديد على كافة الناس بسيطا، و عدله الفريد في جميع الوجود مبسوطا، و قمع بسلطنته الشريفة طوائف الكفر و العناد، و جمع له بين الملك في الدنيا و الفوز في المعاد، خليفة الله على كافة العباد، و رحمة الله الشاملة لجميع البلاد، سلطان سلاطين الزمان، خلاصة آل عثمان، السلطان ابن السلطان ابن السلطان، الخنكار الأعظم "مراد" لا زال الوجود بدوام خلافته عامرا، و لا برح الإيمان في أيام سلطنته قويا ظاهرا، و زاده الله قوة و نصرا، و شد بملائكته الكرام أزرا، فتاريخ تماما قد جاء (أطال الله لمن أتمه عمرا). انتهى من تاريخ القطبي.

نقول: الحقيقة أن بناء المساجد و غيرها بالعقود و القباب أقوى و أمتن بكثير من التسقيف بالأخشاب، و مثل العقود و القباب ما يسمى عندنا في الحجاز بـ "الغمس" بضم فسكون، و هذا الغمس لا يكون إلا في بناء الدور الحجرية، و يكون في الطبقة السفلية منها، و لا يزال هذا الغمس موجودا إلى اليوم من بناء أهل الزمن القديم، و جميع البنايات المتصلة بالمسجد الحرام مبنية بـ "الغمس" كخلاوى الزمازمة و ما تحت المحكمة الشرعية و مدرسة محمد باشا و مدرسة الداودية و مدرسة السليمانية و غيرها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٢

و مع الأسف قد بطل في عصرنا هذا استعمال البناء بـ "الغمس" بتاتا، مع أنه قوى يحتمل مئات السنين كما هو مشاهد فيما بقى من البنايات القديمة، بل نعتقد أنه أقوى بكثير من البنايات المسلّحة بالحديد و الإسمنت.

### ما كتب على جدار المسجد الحرام من الخارج من جهة المسعى

و لما تم تجديد عمارة المسجد الحرام، الذي أمر به السلطان سليم، و الذي أتمها بعد وفاته ابنه السلطان مراد، صدر الأمر السلطاني بكتابة نبذة في تاريخ تجديد هذه العمارة، فكتب هذا التاريخ في جدار المسجد الحرام من الخارج من جهة المسعى من الجهة الشرقية، أي من باب العباس إلى آخر باب على.

و إليك نص الكتابة كما ذكرها العلامة القطبي في تاريخه و هو:

ثم ورد من الباب الشريف العالي تاريخ، منظومه كدر النحور و غرب البحور، و نثره كالدر المنثور و الزهر المنشور، بخطبة و تعريفات السلطان الأعظم، في آخره ثلاثة أبيات بالعربي لا- أعلم من أبدعه و اخترعه، و أنشأه و نظمه و رضيّعه، و ورد معه حكم شريف سلطاني، يتضمن الأمر بكتابتها على بعض أبواب المسجد الحرام، فامتثل الأمر الشريف، و كتب هذا التاريخ البديع اللطيف، على باب سيدنا العباس إلى باب على، رضي الله عنهما، في الجانب الشرقي من المسجد الحرام، و نقر له في الحجر الشميسي و طلى بحلى الذهب في ذلك المقام، ليقراه الخاص و العام، و يبقى ذلك النقر في الحجر على صفحات الليالي و الأيام، و هو هذا:

الحمد لله الذي أسس بانيان هذا الدين المتين بنبي الرحمة و الإرشاد، و خصّه بمزيد الفضل و الكرامة و الإسعاد، و جعل حرم مكة مطافا لطوائف الطائفين الحاجين من أقاصى البلاد، صلى الله عليه و على آله و أصحابه الأجلّة الأمجاد، و وفق عبده المعتاد، بأحكام الأحكام الشريفة و تشييد أركانها على الوجه المراد، المدخر في ذخر الآخرة المزيد من زاد المعاد، أدام الله ظلّه الممدود على مفارق العباد، السلطان ابن السلطان ابن السلطان ابن السلطان "مراد" جعل الله الخلافة فيه و في أعقابها إلى يوم التناد، لتجديد معالم المسجد

الحرام الذى سواء العاكف فيه و الباد، فتم فى افتتاح سلطنته العظمى لا زال للحرمين المحترمين خادما، و لأساس الجور و الاعتساف هادما، بتجديد حرم بيت الله عز و جل، بأمره المعزز المبجل،  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٣

و عمر عامر جوده، ما تضعض من أركانه، بعد ما كان ينقض عوالى جدارنه، فجدد جدران البيت العتيق و سوره، بأكمل زينه و صوره، بعد ما أبلاه الجديدان، و أكل عيدان أرضها الأرضه و الديدان، فرغ القباب، موضع السطوح المبنية بالأخشاب و ابتهج بهذه الحسنه الكبرى كل شيخ و شاب فأذعنوا له بالشرف الباهر، و المجد الفاخر، تالين قوله تعالى: **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ دَاعَى اللَّهِ لَهُ بِالْجَمِيلِ وَ الذَّخِرِ الزَّاهِرِ**، قائلين: اللهم أدمه فى سرير الخلافه محروسا بحفظك من آفه، و ظافرا على من يريد خلافه، مشيدا للمساجد و المدارس، مجددا لكل خير منهدم و دارس، و اجعل بابه للراجين حرما آمنا، و جنباه للمحتاجين كفيلا ضامنا، يأتون إليه من كل فج عميق، لحرمة البيت العتيق، تقبل الله معطى السؤال هذا الدعاء الحرى بالقبول، فلما أسس بنيانه على تقوى من الله و رضوان، جاء مشيد الأركان حاكيا روضات الجنان، و صار عنوان خلافته و براهه استهلاله لمنشور سعاده، فى أوائل سنه أربع و ثمانين و تسعمائه الهجرية، و كان الابتداء بذلك التجديد، بأمر والده الدارج إلى مدارج الملك المجيد، السلطان السعيد "يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم" السلطان سليم بن السلطان سليمان بن السلطان سليم بن السلطان بايزيد بن السلطان محمد بن السلطان مراد بن السلطان أورخان بن السلطان عثمان، مكنهم الله على فى دار الجنان، و أثل أخلافهم فى مسند الخلافه إلى انقراض الزمان، و كان الشروع فى الرابع عشر من ربيع الأول من شهور سنه ثمانين و تسعمائه، فلما سلم السلطان سليم وديعته بأحسن تسليم و ارتحل من دار القصور، إلى ما هيا الله له فى الجنة من القصور، قبل تمام مارام، من تجديد المسجد الحرام، و أجلس الله على سرير الخلافه نجله النجيب أحسن إجلاس، و جعل حرمه مثابه للناس، يسر الله له الإتمام بطلعه إقباله وجوده الليالى و الأيام، و أنام فى مهد عدله إلى قيام الساعه و ساعه القيام، و نظم راقم هذه الأرقام، تاريخا يليق أن يكتب فى هذا المقام، و هو هذا:

جدد السلطان مراد بن سليم مسجد البيت العتيق المحترم

سر منه المسلمون كلهم دار منشور اللواء و العلم

قال روح القدس فى تاريخه عمر سلطان مراد الحرم

انتهى من تاريخ القطبى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٤

### مقدار ما صرف فى تجديد عمارة المسجد الحرام بالقباب بأمر السلطان سليم و ابنه السلطان مراد

و هنا يستحسن ذكر ما صرفه السلطان سليم خان و ابنه السلطان مراد خان، رحمهما الله تعالى، على جميع تجديد عمارة المسجد الحرام بالقباب، من ابتداء هدمه إلى انتهاء عمارته، مع ما يلحق ذلك من تهيبط محل السيل حتى لا يدخل المسجد الحرام، و غير هذا من تعميمات و إصلاحات، مع ملاحظه ما كان فى ذلك الزمان من الرخاء و الرخص، و مقدار تفاوت قيمه الجنيه الذهب و الريال الفضة و العملة الدارجه فى تلك الأيام و فى عصرنا الحاضر. و إليك بيان ما صرف فى هذه العمارة، كما ذكره القطبى المكي فى تاريخه، الذى كان متصلا اتصالا وثيقا بحكام الأتراك و الولاة، و الذى كان تجديد العمارة فى زمانه و هو حاضر بمكة المشرفة. فإنه قال رحمه الله تعالى، فى تاريخه ما نصه:

و أخبرنى الأمير المشار إليه، أعظم الله شأنه، و أحسن إليه، أن الذى صرفه فى عمارة المسجد الحرام، هدمها و بناء، و قطعاً لأرض المسيل، من جهة الجنوب إلى آخر المسفلة، و من جهة باب الزيادة إلى آخر مجرى سرداب العنبة، من خاصة أموال السلطنة الشريفة، نصرها الله تعالى "مائة ألف دينار ذهب جديد سلطانى" و ذلك غير ثمن الأخشاب المحمولة من مصر إلى مكة المشرفة، و غير ثمن

الحديد الصلب لآلات العمارة، كالمساحي و المجارف و المسامير و الحديد المحدد رأسه، بطول الرواقين و بين الأسطوانتين تحت كل عقد، كيلا يجلس طير الحمام عليه و غيره فيلوث المسجد بذرقه، و هذا الحديد لتحديد رأسه و توصله يمنع من جلوس الطير عليه، و غير أهله القبة التي عملت بمصر من النحاس، و طليت بالذهب، و جهزت إلى الحرم الشريف، فركبت على أعلى القبة، فصار لها منظر حسن و زينة عظيمة، كأنها صفوف بالأساكف من الذهب، بغاية السكون و الأدب، حول بيت الله تعالى، زاده الله تعالى رفعة و عظمة و مهابة و إجلالا، و أثمان ذلك خارج عن القدر المصروف في العمارة الشريفة، و كان عمل أهله قبة المسجد الحرام بمصر بأمر "بكلربكي" مصر الآن، نائب السلطنة الشريفة بها في هذا الزمان، أمير الأمراء العظام، كبير الكبر الفخام، محيي البلاد و العباد بعدله، سمى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٥

"روح الله المسيح" و الأسماء تنزل من السماء زاد الله شأنه عظما، و أنعش بإحيائه العلماء، و السادات الأجلاء الكراما، و أفاض على أهل الحرمين الشريفين من فيض نيل كرمه الفياض ما يزيد على القياس، و زرع بسحاب معدلته و مرحمته بذر محبته و مودته في قلوب الناس، و أعانه على البر و التقوى، و صانه و حماه عن جميع الأسواء، و أفاض عليه جلائل نعمه الباطنة و الظاهرة، و جمع له بين سعادت الدنيا و الآخرة.

و لما كان هذا المسيح "يعنى الأمير عيسى" نائب السلطنة المذكور أحيا موات مصر و عمّر ما فيها من الخيرات، أبرأ جميع ما بها و بأهلها من الأوصاب، و أنعش أهل الحرمين الشريفين، كما أحيا الموتى روح الله المسيح، و جهز إليهم الصدقات المبرورة السلطانية المرادية، و سرحها إليهم أحسن تسريح، فهم داعون بدوام معدلته، خلود ملك السلطان الأعظم المحسن الجزيل الإحسان حيث ولى رعاياه من يرأف بهم، و ينعم عليهم بالخيرات الحسان، أدام الله سعادته و إقباله، و رقّاه و حفظه و رعاه و حماه من الأسواء و وقّاه. انتهى من تاريخ القطبي.

### عدد أساطين المسجد الحرام و قبابه و عقوده

أما بيان عدد أساطين المسجد الحرام و أعمدته و عقوده و قبابه و شرافاته، فإننا لم نتعرض لذكرها حتى لا يطول بنا الكلام و لا نرى ضرورة توجب ذكرها.

فمن أحب الوقوف على تفاصيل كل ذلك فليراجع كتب التاريخ، و بالأخص كتاب "تاريخ عمارة المسجد الحرام" فقد أتى مؤلفه الشيخ حسين باسلامة المكي، رحمه الله تعالى، بتفصيلات وافية عن كل ذلك من صحيفة (١٠١) إلى صحيفة (١١٢).

ملحوظة: لما وقع الحريق المذكور في السنة المذكورة أمر السلطان برقوق سلطان مصر بعمارة المسجد الحرام و سقفه بخشب الساج كما كان ثم كثر فيه الترميم و الإصلاح حتى آل الخراب فعمره بالقباب السلطان سليم ابن السلطان مراد الثالث.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٦

### الحريق الثاني بقرب المسجد الحرام

بمناسبة ما ذكرناه عن الحريق الذي وقع بمكة سنة (٨٠٢) اثنتين و ثمانمائة من الهجرة، في رباط "رامشت" الكائن في الجهة الغربية من المسجد الحرام بين باب إبراهيم و باب الوداع، قال الفاسي: هو عند باب الحزورة و منه امتدت النار إلى المسجد الحرام فالتهب سقفه و عجز الناس عن إطفائها فأخذت النار الجانب الغربي من المسجد، و لا زالت ما حولها حتى إلى الجانب الشمالي إلى أن انتهت إلى باب العجلة "أى باب الباسطية" و هنا خمدت بإذن الله تعالى و لطفه العظيم كما سبق تفصيل ذلك.

بهذه المناسبة نذكر أيضا الحريق الثاني الذي وقع بمكة بقرب المسجد الحرام و لم يلحقه شيء و لله الحمد، و ذلك في ليلة الاثنين الرابع من شهر محرم سنة (١٣٧٨) ثمان و سبعين و ثلاثمائة و ألف هجرية، فإنه في هذه الليلة بينما الناس في صلاة العشاء بالمسجد الحرام، شبت النار بسبب "إتريك" كان معلقا بدكان في شارع "قاعة الشفا" عند باب الباسطية و باب العتيق، و الإتريك بكسر الهمزة و التاء و الراء، هو سراج يولع بكاز النفط له فتيلة من الحرير الصناعي بقدر بيضة الدجاجة عند إيقاده يكون ضوءه أبيض، و هو شائع الاستعمال في زماننا، فتعلقت النار من هذا الإتريك بستارة الدكان و خشبه و بالبضاعة التي فيها، و منه انتقلت إلى البيت الذي فوقه، ثم إلى البيوت و الدكاكين التي حوله، و بسرعة فائقة التهمت النار هذه البيوت و الدكاكين عن اليمين و الشمال و وصلت إلى قرب باب العمرة، و لقد حضرت جميع المعدات الخاصة بإطفاء الحرائق، مع رجال الإطفاء و جنود الشرطة و أهل النخوة و النجدة من مكة في تلك الليلة، إلى شارع قاعة الشفا و أخذوا يكافحون النيران من جميع الجهات، حتى أنهم أدخلوا سيارات الإطفاء و السيارات، التي تحمل الماء و غيرها، إلى نفس المسجد الحرام، و منه مدّوا خراطيم المياه إلى المحلات، التي يقع فيها الحريق لإطفائها، و هذه هي أول مرة تدخل السيارات أي "الأوتومبيلات" إلى المسجد الحرام من جهة المسعى من "باب على" المقابل لبئر زمزم، و من حسن المصادفات كان العمل قائما في توسعة المسجد الحرام فبطبيعة الحال كان الطريق غير عسير لدخول هذه السيارات من هذا الباب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٧

و انضم إلى مطافى مكة مطافى جدة و مطافى المطار، و أرسلت إدارة عين زبيدة و إدارة القصور و وزارة الدفاع معداتها و رجالها و ناقلات الماء، لتتضم إلى فرق المطافى لحصار النار و إطفائها، فبدلوا جهودا جبارة في مكافحة النيران القوية التي كانت تلتهم كل شيء في سرعة فائقة لا تتصور، حتى خمدت و انطفأت قبل فجر تلك الليلة بساعة واحدة، و لو لا لطف الله تعالى و رحمته لاحتقرت محلّته سويقه و ما يجاورها من محلّة الشامية "إن الله رؤوف بالعباد" لكن لا تزال النار مشتعلة قليلا تحت المنازل المهذومة و تحت الدمار، و لا يزال الجنود و رجال المطافى بمعداتهم يحاصرون الحريق نحو خمسة أيام إلى يوم الجمعة.

و لقد خرجت النساء و الأطفال و الرجال من المنازل التي تخرق و هم مذعورون، بعضهم أخذ ما قدر من ماله و أمتعته، و بعضهم خرج بنفسه و بأهله لا يلوى على شيء، و قصدوا بأمعتهم إلى المسجد الحرام يلتجئون إليه. و بعضهم فقد أهله و ولده فاحترقوا بالنار أو ماتوا تحت هدم الدور و المنازل.

و يقدر عدد الذين أصيبوا في هذا الحريق نحو اثني عشر شخصا، و عدد الذين ماتوا فيه نحو عشرة أنفس، و عدد ما احترق من المنازل بأمعتها و أثاثها أربعة و أربعون منزلا، و عدد ما احترق من الدكاكين سبعة و أربعون دكانا بما فيها من البضائع المختلفة، و قد عمّ الحزن و الأسى أرجاء مكة.

و مما هو جدير بالذكر و الشكر، أنه تكوّنت، إثر هذا الحريق، عدة لجان في مكة و جدة و الطائف و غيرها، لمساعدة المنكوبين في هذه الكارثة بجمع التبرعات من أهل الخير و الفضل.

و إن من أعظم لطف الله تعالى بعباده في هذه الحادثة، هو وقوف الهواء في هذه الليلة و قوفا تاما، فلو تحرك الهواء لاشتعلت النار أكثر فامتد الحريق إلى جهات متعددة في البلدة، فالحمد لله الذي قدر هذا أو لطف فيه "و الله رؤوف بالعباد."

فيكون ما بين هذا الحريق الثاني الذي وقع في زماننا، و بين الحريق الأول الذي وقع في رباط "رامشت" الذي احترق منه المسجد الحرام فعمره أحد سلاطين آل عثمان بالحجر و القباب بدلا عن الأخشاب، هو (٥٧٦) سنة خمسمائة و ست و سبعين سنة تماما، و لقد قلنا أن هذا الحريق هو الحريق الثاني و الحريق الذي وقع في سنة (٨٠٢) هو الحريق الأول، بالنظر إلى أن الحريق كان عظيما هائلا التهمت النيران فيهما نحو مائتي منزل و دكان بما فيها من الأثاث و البضائع، و لم نعد الحرائق

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٨

الصغيرة التي يحترق فيها منزلان أو ثلاثة، و لا- ما يحترق فيها من مساكن القش و العشاش و الصناديق الصفيح، فإن ذلك من

الحوادث الصغيرة التي لا تسلم منها مكة ولا بلدة من البلدان في كل زمان و مكان. نسأل الله اللطيف الخبير أن يحفظ بلده الأمين و سائر بلاد المسلمين من مثل هذه الكوارث العامة و الخاصة بفضلته و رحمته، إنه بعباده لطيف خبير و بالإجابة جدير، و هو سبحانه و تعالى على ما يشاء قدير.

انظر: صورة رقم ١٥٢، للحريق الذي حدث في قاعة الشفا بالشامية بمكة المكرمة

انظر: صورة رقم ١٥٣، لسيارات الإطفاء أثناء الحريق و هي داخل المسجد الحرام

### الحريق الثالث

لقد وقع حريق في يوم الأحد السادس من ربيع الثاني سنة (١٣٨٦) ألف و ثلاثمائة و ست و ثمانين هجرية قبل صلاة الظهر بساعة واحدة، لقد شب هذا الحريق، و اشتعلت النيران بسرعة فائقة، في أخشاب السقائل، الموضوعه بباب السلام، في العمارة الجديدة السعودية للمسجد الحرام، فالتهمت النيران جميع أخشاب العمارة الموجودة هناك، و لحقت الأعمدة الجديدة السعودية للمسجد الحرام حتى سقط منها المرمر المزين بها، و كانت أضرار هذا الحريق جسيمة، و ذهب ضحيته بعض الأشخاص، و لم يحصل و لله الحمد في عمارة المسجد القديم أقل ضرر. و قد ساهمت جمعيات فرق المطافي، في مكة و جدة و الطائف، في إطفاء النيران، بعد أن ظلت مشتعلة مدة ساعتين، ثم طفت و خمدت قبل عصر ذلك اليوم، حتى لم يبق لها أثر و لله الحمد. نسأل الله تعالى أن يحفظ بلده الأمين و أهلها الكرام من الأذى و الأضرار بفضلته و رحمته آمين، و الحمد لله رب العالمين.

### إطفاء الحرائق قديما و حديثا

كانت العادة الجارية منذ قديم الأزمان في كيفية إطفاء الحرائق بواسطة السقائل، فكانوا يحملون القرب و الصفائح من التنك المملوءه بالماء إلى مكان الحريق، و يصعدون إلى المنازل المحترقة فيطفنون النار و لو في الليل، أما الذين ينظرون إلى الحريق فكانوا يرفعون أصواتهم بالدعاء و التكبير، لحديث: إذا رأيتم الحريق فكبروا فإن التكبير يطفئه. رواه ابن عساكر و غيره.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٩

و كان السقاؤون بمكة المكرمة على أتم الاستعداد لطوارئ الحريق و لو ليلا، و بيوتهم معروفة في الحارات و المحلات، فإذا حدث حريق ليلا أو نهارا في محله، سارع أهلها في إخبار السقائل، هؤلاء يحضرون بقربهم إلى الآبار و البازانات، فيفتحونها و يملؤون منها قربهم و يهرولون إلى محل الحريق، يساعدهم في ذلك ذوى المروءة و الشهامة من أهل الحارات، فلا تمضى برهة إلا و قد أطفئ الحريق بإذن الله تعالى و قلما تقع أضرار جسيمة، و أكثر الحرائق تقع في فصل الصيف لجفاف الأعواد و الأخشاب فتشتعل فيها النار في لمح البصر، و أغلب أسباب الحرائق تافهة، إما من عود كبريت أو عقب سيجارة أو شرارة طارت من الهواء و نحو ذلك.

و ظلت الحال كذلك بمكة المشرفة و بالحجاز عامة حتى سنة (١٣٦٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و ستين هجرية، ثم في هذه السنة أرسلت الحكومة السعودية بعثة من مكة المشرفة، مكوّنة من بضعة أشخاص إلى مصر للتخصص في طريقة إطفاء الحرائق، من ضمنها: الزعيم فايز العوفى و هذه صورته، و القائد محيى الدين الصواف، فمكثت البعثة الإطفائية بمصر عاما واحدا ثم رجعت إلى مكة للعمل بها، و بعد ذلك استوردت الحكومة سيارات الإطفاء، و صار للإطفاء إدارة مستقلة، بها جميع أدوات الإنقاذ.

و لبيان الحقيقة كتبنا لمدير عام المطافي، الزعيم فايز العوفى، و هو أول شخص للبعثة المذكورة، أن يكتب إلينا نبذة عن تاريخ وجود المطافي بالطرق الحديثة، فأرسل إلينا حفظه الله تعالى و رجاله من كل سوء، نبذة وافية بالعرض المنشود، و ذلك في ٢٧ جمادى الثانية سنة (١٣٨٢) و برقم ١/١٢٩٤ و هذا نص خطابه:



حضرة الفاضل الأخ طاهر الكردي المحترم، بعد التحية، إشارة لخطابكم حول طلبكم نبذة عن مراحل المطافئ التي تدرجت فيها نحو التقدم. فعليه نعلمكم أن المطافئ تأسست منذ زمن بعيد، وكانت تعتمد على الطلبات اليدوية، ذات العجلات، و بعد ذلك استوردت البلدية سيارات ذات البخاخة و الناقوس، و هيأت البلدية بعثة إلى القاهرة عام ١٣٦٥، مكونة من: السيد فايز العوفى، و السيد محيى الدين الصواف، و السيد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٦٠

على عويضة، و السيد عبد العزيز مراد، و السيد محمد فرحات، و السيد عبد الكريم مرزا، لمدة سنة. و بوصول أول شخص من البعثة، و هو السيد فايز العوفى، أى فى عام (١٣٦٦) استوردت سيارات حريق تدفع الماء بواسطة ماتور خاص لدفع الماء، و تتبع هذه السيارات سيارات وايت لحمل الماء، و فى عام ١٣٦٨ ارتبط هذا الجهاز بمديرية الأمن العام، و أخذ يتقدم بخطى واسعة، بفضل عناية ولاة الأمور، و قائده المخلص الزعيم فايز العوفى، الذى ابتعث إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمدة ستة شهور، استقى خلالها فن الإطفاء و الإنقاذ، و تحصل على شهادة من واشنطن، و شهادة من نيوهافن بولاية كونيتكت، و لما لهذا الجهاز من أهمية فقامت هذه المصلحة باستيراد السيارات ذات المتانة و السرعة الفائقة، بحيث تدفع مائة جالون فى الدقيقة، بسرعة مائة كيلو. و من الممكن أن تدفع الماء إلى قمم الجبال بواسطة الخراطيم الكاوتشوك ذات المنية (الونان) و الوايتات سعة (٢٠٠٠) جالون. و فى عام (١٣٧٤) قامت المصلحة باستيراد المواد الكيماوية المضادة للمواد الملتهبة، و هى بودرة (AB)، و مادة ثانى أكسيد الكربون، و المادة الرغوية المضادة للبنىز و مشتقاته، و الآلات الفنية الحديثة، و سلالم الكلال، و حبال الإنقاذ، و أحزمة الشنكل، و ملاءة الوثب، و كمادات الأكسجين. و بينما كان تعداد فرق المطافئ خمس فرق بالنسبة لأمتهات المدن و هى: مكة، جدة، الرياض، المدينة المنورة، الطائف. بلغ تعدادها فى العام سالف الذكر اثنتى عشرة فرقة. و فى عام (١٣٧٥) قامت المصلحة باستيراد سيارة حريق مزودة بسلم أتوماتيكي طوله ستون قدما، لإنقاذ الأرواح بواسطته، بلغت قيمتها ثمانون ألف ريال، كما قامت المصلحة بتأسيس مدرسة الإطفاء و الإنقاذ، تخرج منها عشرون ضابطا فى الدورة الأولى، و تخرج منها أيضا فى دورتها الثانية عام ١٣٧٧ سبعة عشر ضابطا و قام الزعيم فايز العوفى بتأليف كتاب "الإطفاء و الإنقاذ" درس بمدرسة المطافئ، و يدرس حاليا بمدرسة الشرطة. و فى عام (١٣٧٨) قامت المصلحة باستيراد البدلات المضادة للنار، و هى من نوع الاسبستس، و التى يمكن رجل المطافئ، بعد ارتدائها، اجتياز النار و الدخول فى وسطها و حمل الأشخاص الذين حالت النار دون خروجهم من المنزل أو المكان الذى نشبت فيه النار. و بلغ تعداد الفرق إلى ست عشرة فرقة. و فى عام (١٣٧٩) بلغ تعداد الفرق سبع عشرة فرقة. و فى عام (١٣٨٠) تفضل صاحب الجلالة الملك المعظم بإهداء ثمانى سيارات، من نوع مرسيدس للمطافئ، مزودة بسلم ضخم، و أصانصير

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٦١

و مستحضرات طبية. و هذه السيارات تعتبر أضخم سيارات عرفتها المطافئ، حيث يبلغ طول كل سلم فيها (١٢٠) قدما و كانت لهذه الهدية أثرها الفعال. و فى العام نفسه ضم إلى هذه المصلحة الدفاع المدنى، و انتدب الزعيم فايز العوفى على رأس وفد إلى سويسرا، لتمثيل بلاده، و أصبحت المملكة العربية السعودية عضوا فى منظمة الدفاع المدنى الدولى. و فى عام (١٣٨١) انتدب الزعيم فايز العوفى و القائد محيى الدين الصواف لحضور مؤتمر الدفاع المدنى. و أخذت المنظمة توالى إرسال النشرات الشهرية، منذ أصبحت المملكة عضوا فيها. و فى عام (١٣٨١) انتهى رباط هذه المصلحة بمديرية الأمن العام و أصبحت مديرية عامة مرتبطة بوزارة الداخلية رأسا. و قد بلغ تعداد الفرق بالمملكة ثمانى عشرة فرقة. و فى عام (١٣٨٢) رصدت هذه المديرية موازنة خاصة بالدفاع المدنى، و عند موافقة الجهات العليا على ذلك سيجرى إحداث جهاز الدفاع المدنى و إلحاقه بالمطافئ، و فى النية، إن شاء الله، إنشاء شبكات المياه التى توزع الحنفيات على طول الشوارع العامة، فى أمتهات المدن، و قد تفضل مجلس الوزراء و أصدر أمره بتنفيذ ذلك، ضمن مشاريع شبكات المياه العامة للمدن. و فى هذا العام رصدت مديرية المطافئ فى ميزانيتها مبلغ مائتين و خمسين ألف ريال لشراء زورق

بخارى متوسط الحجم، مزود بأحدث الآلات لمقاومة الحرائق التي تنشب في البواخر والمستودعات التجارية بميناء جدة. فضلا عن وجود فرقة مطافئ برية بميناء جدة. و يجري شراء زورق مماثل لميناء الدمام في العام القادم. كما قامت هذه المديرية باستصدار أمر من المقام السامي، بإلزام أصحاب محطات البنزين، و الورش الميكانيكية، و ورش النجارة، بوضع المضخات اللازمة و الإسعافات الأولية في محلاتهم، و ذلك درءا بينما تصل المطافئ إلى مكان الحادث. و طبق بالفعل، و المطافئ مستعدة لتمرين عمال المحطات و الورش على استعمال المضخات، و سيطبق ذلك بالنسبة لسيارات الأتوبيس و سيارات النقل على اختلاف أنواعها و أحجامها. و مما تقدم يظهر جليا تقدم المطافئ المستمر في بلادنا. هذه نبذة خاطفة عن تاريخ المطافئ و تدرجها نحو التقدم، و الله نسأل التوفيق و السداد للجميع.

مدير عام المطافئ عنه

القائد: محيي الدين الصواف

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٦٢

هذا هو وصف تدرج حالة إطفاء الحرائق عندنا بمكة المشرفة، بل إن هذه الحالة في الإطفاء قديما و حديثا هي حالة جميع الممالك و البلدان، ففي مصر في القاهرة اشتروا في سنة (١٨٨٥) ألف و ثمانمائة و خمس و ثمانين ميلادية آلات بخارية للإطفاء، و استبدلوا جماعة السقائين برجال من البوليس. و لم تعرف بمصر سيارات الإطفاء إلا في سنة (١٩١٣) ألف و تسعمائة و ثلاث عشرة ميلادية، ثم مضت فرقة المطافئ في القاهرة تسير قدما نحو استكمال معداتها حتى أصبحت تضارع أحسن فرق الإطفاء في البلاد الأوروبية. و لقد وقعت في جميع البلدان حرائق كثيرة و كبيرة، في مصر و الشام و العراق و استانبول و المدينة المنورة أيضا، لكن لا نتعرض لذكر شيء غير ما كان بمكة من الحرائق الشهيرة، و ما ذكرنا نبذة عن تاريخ الحرائق إلا بمناسبة ما وقع من الحريق العظيم في قاعة الشفا بمكة المكرمة في عصرنا الحاضر، كما ذكرنا وصفه في هذا الفصل، نسأل الله تعالى عفوه و عافيته و لطفه و رحمته إنه بعباده لطيف خبير.

### تحية المسجد الحرام: الطواف

يسن لداخل أي مسجد من مساجد الدنيا، و لو كان المسجد النبوي بالمدينة، أن يصلي ركعتين، بنية تحية المسجد، أما داخل المسجد الحرام بمكة فإنه يسن له الطواف و هو تحية بيت الله المعظم، لكن إذا دخل المسجد غير مريد الطواف فإنه يصلي ركعتين تحية المسجد.

و بهذا يمتاز حكم المسجد الحرام عن سائر المساجد، فتحية الطواف لأجل البيت الشريف الواقع بوسط المسجد، فالمسجد الحرام محيط بالبيت المطهر و تبع له. روى الأزرقى عن عطاء أنه قال: لما دخل النبي صلى الله عليه و سلم مكة لم يلو و لم يعرج و لم يبلغنا أنه دخل بيتا و لا لوى لشيء و لا عرج في حجته هذه و في عمره كلها، حتى دخل المسجد و لم يصنع شيئا و لا ركع حتى بدأ بالبيت فطاف به، و هذا أجمع في حجته و عمره كلها. انتهى.

### تحية المسجد الحرام و ما يطلب في دخوله

يسن للإنسان، إذا دخل أي مسجد من المساجد، في جميع الأقطار، حتى المسجد النبوي بالمدينة المنورة، أن يصلي ركعتين، قبل أن يجلس أو يشتغل

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٦٣

بشيء، إلا المسجد الحرام بمكة فإن تحيته الطواف، فإذا دخل الإنسان فيه فلا تطلب منه الصلاة و إنما يطلب منه الطواف إن تمكن من

ذلك، فلو دخل وقد منعوا الناس من الطواف لحدث كترقب طواف أحد الملوك صلى ركعتين تحية المسجد. روى الإمام الأزرقي في تاريخه، عن عطاء، قال: لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة لم يلو ولم يعرج ولم يبلغنا أنه دخل بيتا ولا لوى لشيء ولا عرج في حجته هذه وفي عمره كلها حتى دخل المسجد الحرام ولم يصنع شيئا ولا ركع حتى بدأ بالبيت فطاف به وهذا أجمع في حجته وعمره كلها. انتهى.

و السبب في عدم طلب صلاة ركعتي التحية للمسجد الحرام بمكة و طلب الطواف بدلا عنها، هو ما يأتي:

- (١) الإقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم و الصحابة.
- (٢) أنه يوجد في داخل المسجد الحرام بيت الله المعظم، فمن الأدب أن القادم إذا وصل إلى بيت الله أن يلوذ به و يلجأ إليه، و أن يطوف حول بيته، عسى أن يحظى بعفوه و غفرانه و رحمته و إحسانه، و الطواف كالصلاة كما في الحديث.
- (٣) طلب الطواف من الداخل للمسجد الحرام ليميز عن بقية المساجد في جميع الأقطار، كما تميز عنها بالأمن و الأمان و مضاعفة الثواب و الحسنات.

و يستحب إذا وقع بصر الحاج على البيت الحرام، أن يقف و يرفع يديه للدعاء و يقول: «اللهم زد هذا البيت تشريفا و تعظيما و تكريما و مهابة، و زد من شرفه و عظمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا و تكريما و تعظيما و برا. اللهم أنت السلام و منك السلام فحينا ربنا بالسلام» و يدعو بما أحب من أمور الدنيا و الآخرة.

ذكر الفقهاء أن القادم من أعلى مكة يدعو بهذا الدعاء، إذا عاين البيت، من الموضع الذي يقال له: رأس الردم و هو المسمى بالمدعا، فهذا كان في الزمن السابق، قبل حدوث الأبنية بالمدعا، أما الآن فإن الكعبة لا ترى من هذا الموضع لارتفاع الأبنية، و إنما ترى من باب المسجد، فعليه يأتي القادم بهذا الدعاء إذا عاين الكعبة من أي أبواب المسجد كان و من أي مكان كان.

و يستحب الدخول للمسجد الحرام لكل قادم من أي جهة كان، من باب بنى شيبه المسمى قديما بباب السلام، و هو العقد القائم عند مقام إبراهيم، المقابل لباب

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٦٤

الكعبة، لأن البيوت تؤتى من أبوابها، فمكان العقد المذكور مكان باب السلام في الأزمنة السابقة، قبل اتساع المسجد، فالقادم إذا دخل الآن من أي أبواب المسجد و مرّ للطواف من العقد المذكور فقد أتى بالسنة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل منه إلى المسجد و يخرج منه.

و يسن بعد أي طواف، أن يصلى ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام، الذي يقول الله تعالى فيه: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ و يقول: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ و الحنفية و المالكية يرون ركعتي طواف الإفاضة واجبا، و في تركها هدى عند المالكية. و الحكمة في سنه ركعتي الطواف: كأن الإنسان يقول كما أننى طفت بالبيت الحرام امتثالا لأمر الله تعالى، كذلك أصلى إليه امتثالا و إطاعة له جل جلاله.

## إدارة المسجد الحرام

كانت إدارة المسجد الحرام بمكة المشرفة في عهد الأتراك العثمانيين منذ قديم الزمن، تسند عادة إلى الوالى التركى لجده، فيكون الوالى له حق الإشراف التام على إدارة الحرم المكى، و كان يطلق عليه لقب «شيخ الحرم أو مدير الحرم».

و بطبيعة الحال، ما كان الوالى يقدر على النظر فى جميع شؤون المسجد الحرام، و هو يقوم بجده غالبا، و مناط به الأمور المهمة، فكان من الطبيعى أن ينب عنه من يقوم بالإشراف على جميع أمور المسجد الحرام، من نظافة و كنس و خدمة و استقبال كبار الزوّار، و النظر فى أمور الموظفين، الذين يرتبطون بهذه الإدارة، من الأئمة و الخطباء و المؤذنين و الأغوات و الكتبة و الخدمة و البوابين و

المشدين و الزمازمة و الكناسين و الفراشين.

فوكيل الوالى بمكة المشرفة، الذى ينظر إلى شؤون المسجد الحرام، كان من أهالى مكة المشرفة، فإذا ما كان هناك مسألة كبيرة كان من اللازم عليه أن يراجع رئيسه المباشر و هو الوالى ليتلقى أوامره.

فكانت نيابة الحرم سابقا محصورة فى عائلة «نائب الحرم» الشهيرة بمكة اليوم، و ذلك منذ زمن طويل أكثر من مائتى سنة. كم اطلعنا على المستندات

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٦٥

و التقارير الرسمية التى لا تزال موجودة لديهم إلى الآن، فمن ضمن ما اطلعنا عليه حجة شرعية مسجلة تحت ختم و توقيع قاضى مكة، حرسها الله تعالى، فضيلة الشيخ محمد سعد الدين الحنفى، مؤرخه فى غره محرم الحرام سنة (١١٨١) إحدى و ثمانين و مائة و ألف، تتضمن أن أمير مكة الشريف مساعد بن سعيد، قد أقام السيد أحمد بن محمد، قائم مقام شيخ الحرم الحالى، شيخا على السادة الأئمة و الخطباء بالمسجد الحرام، و على جميع خدام الحرم من أغوات و مشدّية و زمازمة و فراشين و كناسين و جميع خدام الحرم، بدون معارضة أحد منهم و لا مخالفة له، مع تفويضه فى استلام ما هو مخصص من أوقاف و خلافها، كما كان عليه أسلافه السابقون. فضيلة قاضى مكة، شرفها الله تعالى، أثبت و أيد هذا الإقرار و الإقامة من شريف مكة و أميرها المذكور ثبوتا شرعيا فى الحجة الشرعية المذكورة.

و لما تولى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله تعالى، على الحجاز فى سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية، أيد إقامة عائلة نائب الحرم على خدمة إدارة المسجد الحرام، كما كانوا فى العهد السابق، فهم ما يزالون فى وظائفهم إلى اليوم، لا يعارضهم فى ذلك معارض.

و يقوم الآن بإدارة المسجد الحرام السيد حسن بن سليمان بن أحمد نائب الحرم. فقد تولّى هذه الإدارة فى شهر ذى القعدة سنة (١٣٧٤) بعد وفاة أخيه السيد هاشم نائب الحرم، و هو يقوم بمساعدة ابنه الأكبر السيد عبد القادر نائب الحرم، فى كل ما يتعلق بالإدارة فى خدمة المسجد الحرام من مراقبته و نظافته و شؤون خدمته.

ففى المسجد الحرام من المراقبين و الفراشين و الكناسين (٢٢٥) شخصا، و من البوابين (٦٥) شخصا، و للمسجد الحرام من المؤذنين و المكبرين (٢٢) شخصا و ذلك فى وقتنا الحاضر، أما منذ خمسين سنة فأكثر فإليك ما ذكره صاحب كتاب مرآة الحرمين:

يقول إبراهيم رفعت باشا رحمه الله تعالى، صاحب كتاب «مرآة الحرمين» الذى حجّ مرارا قبل تأليفه للكتاب المذكور، و قد كان آخر حجته سنة (١٣٢٥) خمس و عشرين و ثلاثمائة و ألف، عن موظفى المسجد الحرام ما يلى:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٦٦

له شيخ هو الوالى عادة (أى الوالى التركى) و نائب، و وكيل للنائب، و مدير يقوم بشؤونه، و فيه من الموظفين ما يقارب سبعمائة منهم (١٠٧) مدرسا يتقاضى ٤٤ منهم مرتبا يتراوح بين (٥٠٠) و (١٠٠) قرش و الباقيون متبرعون بالتدريس، و منهم (٧٩) إماما و خطيبا للحنفية، المتبرعون منهم ٣٤، و يتقاضى (٤٥) منهم مرتبا. و للشافعية (٢٤) إماما و خطيبا، المتبرعون منهم ١٦ و الباقيون بمرتب. و أئمة و خطباء المالكية (١٤)، المتبرعون منهم ثمانية. و للحنبلية (٥) المتبرعون اثنان منهم، و الإمام أو الخطيب يتقاضى مرتبا يختلف بين (٤٠) و (١٠٠) و (٢٠٠) قرش، و منهم (٥٢) خصيا (آغا) من بينهم رئيس و نقيب لهم، و من ذلك (٤١) مؤذنا و (٨) وقادين و (١٢) فراشا و (١٠) محافظين على النظام (مشدين) و (٢٠) كناسا و (٣٠) بوابا و (١١) جنادا (ملاء للماء) و (١٨١) غسالا لقناديل المسجد و (١٨) خادما خدمة سائرة و من ضمنهم (٢٠) لهم مرتبات قديمة، و (١٥) موظفا فى سقاية زمزم إلخ، أما الذين يقومون بخدمة الكعبة فسدنتها من بنى شيبه. و الخدمة فى المسجد الحرام و رائيه فى الأكبر. انتهى من الكتاب المذكور.

فانظر رحمك الله تعالى إلى مقدار المرتبات و المعاشات الشهرية التى ذكرها هنا صاحب «مرآة الحرمين» و التى هى بالقروش، أدناها

أربعون قرشا و أقصاها مائتا قرش، و بين ما نحن اليوم عليه، بحساب الريال لا بحساب القروش، فما أرخص تلك الأيام و ما أعلى هذه الأيام، حتى لقد أصبح قرش ذلك الزمان فى مقابل ريال هذا الزمان بل أكثر، فقد ارتفعت البركة من الأرض، و عمّ الغلاء جميع الأقطار، نسأل الله تعالى أن يعاملنا بما هو أهله فهو أرحم الراحمين واسع الفضل و الإحسان آمين.

قال الشيخ حسين بن عبد الله باسلامه، فى كتابه «تاريخ عمارة المسجد الحرام» عن إدارة المسجد الحرام ما نصّه: كانت إدارة المسجد الحرام فى العصور المتقدمة يقوم بها أمراء مكة المكرمة و ولايتها، و ذلك فى عصر الخلفاء الراشدين، و الخلفاء الأمويين و العباسيين و سلاطين الجراكسة، و كانوا هم المسؤولين، عن كل قصور يحصل من خدمة المسجد الحرام، أمام الخلفاء و الملوك و السلاطين.

فلما صار أمر الحرمين الشريفين بيد سلاطين آل عثمان، عهدوا بذلك أيضا إلى ولايتهم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٦٧

على مكة المكرمة، و أعطوهم لقباً خاصاً و هو «شيخ الحرم» و عينوا لهم نائبا ينوب عنهم فى مراقبة عموم خدمة المسجد الحرام من مؤذنين، و فزاشين، و كئاسين، و بوايين، و وقادين، و مشدّية، و غيرهم، ثم عينوا دائرة للأوقاف و وضعوا لها رئيساً لقبوه «مدير الأوقاف» و وظيفة هذا المدير مع دائرته، القيام بجباية ما هو موقوف بمكة المكرمة على المسجد الحرام، و ما احتوى من مآثر، و صرف المرتبات لعموم موظفى المسجد الحرام، و صرف العوائد السنوية، التى تأتى من الخارج، حسب شرط واقفها من مرور، و مخصّصات و عوائد و حنطة الجراية و ما أشبه ذلك، و لها دفاتر خاصة تسجّل فيها أسماء الموظفين من أئمة، و خطباء، و مؤذنين، و وقادين، و كئاسين، و فزاشين، و مشدّية، و بوايين، و غيرهم. و كذلك سدنة الكعبة المعظمة و أتباعهم من أهل الوظائف، و أغوات الحرم، و تقوم أيضا بصرف عوائد رئيس السدنة الذين هم بنو شيبه بن عثمان الحجبي من طيب و بخور، و ما يلزم لغسيل الكعبة المعظمة، كما تقدم ذكره فى تاريخ الكعبة، و دائرة الأوقاف مرتبطة، من الجهة الإدارية، بشيخ الحرم، الذى هو والى مكة، و من الجهة المالية بنظارة الأوقاف بالآستانة العلية، أى القسطنطينية.

و هكذا العمل، منذ عهد السلطان سليم خان الأول إلى أن استقل الملك الشريف الحسين بن على، فى ٩ شعبان سنة (١٣٣٤) أربع و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف هجرية، بالحجاز. ثم فى عهد الشريف الحسين، سار على هذا العمل، و زاد على خدمة الحرم دائرة شرطة، و عين فيها رئيساً و جنودا غير الشرطة المعتادين، و جعل مهمتهم مراقبة اللصوص و أهل الفساد، و جمع ما سقط من الحجاج، بالمسجد الحرام، و الإعلان عنه.

ثم لما تولى جلالة ملك المملكة العربية السعودية الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود على الحجاز، فى سنة ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية، جعل المسجد الحرام إدارة خاصة، و جعل رئيسها نائب الحرم، و سميت هذه الإدارة «مجلس إدارة الحرم»، و وظيفتها القيام بإدارة شؤون المسجد الحرام، مع مراقبة عموم خدمة المسجد الحرام، و القائم بشؤون هذه الإدارة الآن هو السيد هاشم بن سليمان بن أحمد نائب الحرم.

و بما أن ريع أوقاف الحرمين الشريفين انقطع و روده إلى الحجاز، من عموم الممالك الإسلامية، الذى كان يرد خزينة نظارة الأوقاف العثمانية، و كان يصرف

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٦٨

منه عموم عوائد الخدمة و غيرهم، فقد أصدر إرادته جلالة الملك عبد العزيز السعود المعظم، بصرف عموم مرتبات خدمة المسجد الحرام من صندوق المالية، بعد أن صار تعدلها و زاد فى مرتب البوايين و المؤذنين و غيرهم، ضعف ما كان يصرف لهم فى زمن الحكومة العثمانية.

و أما إدارة الأوقاف، فصارت وظيفتها الآن هى عمارة و مرمة المسجد الحرام، و إدارة شؤون الأوقاف العمومية، و إدارة عموم المساجد الموجودة بمكة المكرمة، و القيام بالمطعم السعودى، و توزيع ما يصدره من الخبز الى كافة المستحقين من الفقراء و غير

ذلك. فهذا ملخص إدارة المسجد الحرام إذ التفصيل يحتاج إلى جزء خاص. انتهى من تاريخ عمارة المسجد الحرام.

### مراقبة المسجد الحرام

جاء في تاريخ الخميس ما نصّه: و كان العباس بن عبد المطلب في الجاهلية رئيساً في قريش، و إليه أمر عمارة المسجد الحرام و السقاية، بعد أبي طالب، أما السقاية فمعروفة، و أما عمارة المسجد الحرام، فكان لا يدع أحداً يشبب فيه، و لا يقول فيه هجراً، و كانت قريش قد اجتمعت و تعاقدت على ذلك، فكانوا له عوناً، و أسلموا ذلك إليه، ذكره الزبير بن بكار و غيره من علماء النسب، حكاه أبو عمرو. و التشبيب ترقيق الشعر بذكر النساء، و كأنه أراد إنشاد ذلك في المسجد. و الهجر بالضم الهديان و القول الباطل و يطلق على الكلام الفاحش، و ذكر شهوده بيعه العقبة، سيجيء في الركن الثاني. انتهى من تاريخ الخميس.

### شرطة المسجد الحرام

الشرطة بضم الشين المعجمة، هي في اصطلاح عرفنا: جنود مختصون بحفظ النظام و الأمن داخل البلدة، و الشرطة معروفون من قديم الأزمان، فجميع الحكومات الصغيرة و الكبيرة، لا بدّ لهم من اتخاذ الشرطة.

أما الشرطة في المسجد الحرام، فأول من أنشأها الشريف حسين بن علي، بعد أن استقلّ بالحجاز، فإنه رحمه الله تعالى، أصدر أمره في سنة (١٣٣٧) سبع و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف هجرية، بجعل قسم من جنود الشرطة في الحرم الشريف باسم «شرطة المسجد الحرام» يناط بها أمر مراقبة المسجد من اللصوص و السفلة،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٦٩

و المحافظة على راحة الحجاج و الطائفين، و الاحتفاظ باللقطات، و ما يسقط من الناس من الدراهم و نحوها، في المسجد الحرام، و تسليمها لأصحابها.

و ما زال مركز شرطة المسجد الحرام موجوداً من ذلك العهد إلى اليوم، و قد ازداد عددهم، و توسعت أعمالهم، في العهد السعودي، لكثرة الحجاج الواردين في كل عام، و قد تعززت قوة شرطة المسجد الحرام، بمركز هيئة الأمر بالمعروف، و جنودها المنتشرين في المسجد أيضاً، و ذلك للمحافظة التامة على من في المسجد الحرام و مراعاة حرمة و عدم التشويش فيه، و لشرطة المسجد الحرام و جنود الهيئة فيه فائدة عظيمة جداً في موسم الحج، و لهم فراسة و دقة نظر في المجرمين و النشالين و اللصوص، و قد أمسكو بكثير منهم ممن يأتي مع الحجاج بقصد السرقة و النشل في وسط المسجد الحرام، فإنهم يندسّون بينهم، خصوصاً في وقت ازدحامهم في الطواف، و استلام الحجر الأسود، و عند المسعى و رمي الجمرات، لأن هذه مواقع الازدحام و غفلتهم عن أنفسهم، و لكن أعين الشرطة و الجواسيس لهم بالمرصاد، و لو لا ذلك لاستفحل الأمر، و اختل الأمن و النظام، فالحمد لله على ذلك.

### صورة بعض ما كتب على جدران أروقة المسجد الحرام من الداخل من جهة الحصوة

لما تمّ عمارة جميع المسجد الحرام بالقباب، كتب على جدرانه من الداخل و الخارج بعض الآيات القرآنية، و أسماء من قام بتعمير المسجد الحرام من الملوك و السلاطين. و نحن نذكر هنا إن شاء الله تعالى، كل ذلك، و إليك بيان ذلك:

جاء في كتاب «تاريخ المسجد الحرام» للشيخ حسين باسلامة المكي، رحمه الله تعالى، ما نصّه: ثم كتب على بعض أبواب المسجد الحرام، و بعض صدور الأروقة، آيات من القرآن الحكيم، بعض الملوك و السلاطين، الذين قاموا بعمارة المسجد الحرام، بخط كنظم الدر، على كل موضع ما يناسبه من الآيات الشريفة.

و كتب تاريخ هذه العمارة الذي حرره و أنشأه قاضي المدينة السيد حسين الحسيني بداخل المسجد الحرام، فكتب نصفه في الوسط

الأعلى من صدر الرواق الشرقي، المقابل لجهة الكعبة الشرقية، التي بها الباب، بخط بارز جميل، نقرا على

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٧٠

الجدار، و النصف الآخر كتب في صدر الرواق الأمامي الغربي، المطل على جهة الكعبة الغربية، بعلو الرواق.

و هذا نص ما كتب في الجهة الشرقية باسمه سبحانه: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ لَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَهَدِّينَ شرع في عمارة هذا الحرم الشريف و تجديده، من اختاره الله من خلفائه و عبيده، المقدس المرحوم السعيد المبرور المغفور له، الشهيد سلطان الإسلام و المسلمين، خاقان خواقين العالمين، المستفىء بفضل الله، ظلال دار النعيم، حضرة الملك الأعظم، السلطان سليم نور الله تعالى، ضريحه و روح بروائح الجنان روحه، بناه و أكمله و أتقنه و حسنه و جمّله، وارث الملك الأعظم، الإمام الأفخم و الخليفة الأكبر الغمظم و الملك القاهر العرمم، من ملكه الله شرق البلاد و غربها، و جعل طوع يده بلاد عجم الرعايا و عربها، و أطلعه سراجا منيرا في المشارق و المغارب، و ملكا مرفوعا على هام الكواكب.

هذا ما كتب على الجهة الشرقية من هذا التاريخ، و كتب الباقي منه على الجهه الغربية، و هو بنصه: «و صير للإسلام حصنا محيطا، و جعل ظلّه المديد على كافة الناس بسيطا، و عدله الفريد في جميع الوجود مبسوطا، و قمع بسلطته الشريفه طوائف الكفر و العناد، و جمع له بين الملك في الدنيا و الفوز في المعاد، خليفة الله على كافة العباد، و رحمه الله الشاملة لجميع البلاد، سلطان سلاطين الزمان، خلاصة آل عثمان، السلطان ابن السلطان، السلطان الخنكار الأعظم مراد، لا زال الجود بدوام خلافته عامرا، و لا برح الإيمان في أيام سلطنته قويا ظاهرا، زاده الله قوة و نصرا، و شيد بملائكته الكرام أزرا، فتاريخ تمامه قد جاء: أطل الله لمن أتمه عمرا». انتهى من تاريخ "عمارة المسجد الحرام".

انظر: الصور أرقام: ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦ و هي للحفريات المكتوبة على الجدران الخارجية للمسجد الحرام في البناية القديمة. و الصورتين رقم ١٥٧، ١٥٨ لأحد الحفريات على مدخل أحد أبواب المسجد الحرام و أحد الجدران الخارجية للمسجد الحرام، و الصورة ١٥٩ لباب الصفا من الخارج في البناية القديمة، و الصورتين رقم ١٦٠، ١٦١ لأحد الحفريات التي على أحد الأبواب و الجدران للمسجد الحرام في البناية القديمة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٧١

انظر: الصور أرقام ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، و هي لبعض الحفريات التي على بعض أبواب و جدران المسجد الحرام قديما، و الصورة رقم ١٦٧ لأحد أبواب المسجد الحرام قديما من الأعلى، و الصورة رقم ١٦٨ لما كان مكتوبا على جدار باب على من الجهة الغربية للصفا، و الصورة رقم ١٦٩ للحفريات الخطية الواضحة لأحد أبواب المسجد الحرام من الخارج في البناية القديمة، و الصورة رقم ١٧٠ لباب السلام و مداخلة الثلاثة من الخارج من البناية القديمة.

### بناء درج أبواب المسجد الحرام قبل عصرنا الحاضر

إذا رجعنا إلى الورا، أي إلى صدر الإسلام، نجد أن أرض مكة، شرفها الله تعالى، قد ارتفعت عن حالتها الأصلية، بمقدار مترين أو ثلاثة، و بعبارة أصح، أن أرض مكة كانت مساوية لأرض المطاف التي حول الكعبة تماما، و قد كانت بيوت أشراف قريش حول المطاف، و كانت جدران ظهورها بمثابة السور للمسجد الحرام، و سبب ارتفاع الأرض، هو نزول الأمطار و جريان السيول، من أعلى مكة، فتمتلى شوارعها و أزقتها من الأحجار و الأتربة و الرمال الآتية مع السيول و الأمطار، و بمرور مئات السنين ارتفعت الأرض شيئا فشيئا إلى أن وصلت إلى هذه الحالة التي هي عليها اليوم.

و لقد كانت العادة في البلدان منذ أربعمائة سنة أن يرفعوا كل عشر سنوات الأتربة التي جات بها السيول و الأمطار، من الجهة الشمالية، و هي باب الزيادة، و من الجهة الجنوبية و هي باب أجياد، حتى لا- تدخل السيول في المسجد الحرام، ثم أهمل ذلك. فارتفعت

الأرض أكثر مما كان. ولا- نزال نشاهد اليوم ارتفاع بعض الجهات والأرضى، بسبب ما يهدم و يردم من البيوت و المنازل و المحلات.

و لقد كان الخارج من المسجد الحرام، من باب إبراهيم، ينزل نحو خمس عشرة درجة، حتى يصل إلى أرض الشارع، ثم ارتفعت الأرض، فدفن منها نحو اثنتي عشرة درجة، فلم يبق إلا سوى أربع درجات. و كان الداخل من باب السلام الكبير، من جهة المسعى، إلى المسجد الحرام، ينزل خمس عشرة درجة، و لا ندري هل كان عدد درجاته من الخارج مثلها أم لا، فإنه لما ارتفعت أرض التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٧٢

المسعى صار الظاهر من الدرجات الخارجية هو درجة واحدة فقط، و ذلك قبل التوسعة السعودية، فلما جاءت هذه التوسعة هدم كل ذلك.

و الخارج من المسجد، من باب الزيادة، كان ينزل ثلاث عشرة درجة، حتى يصل إلى أرض الشارع، ثم ارتفعت الأرض، فدفن منها ست درجات، و ذلك نحو سنه ثلاثمائة و ألف، و الباقي، و هو سبع درجات، كانت موجودة في زماننا.

و قد أدركناها، و كنا نرقى عليها حتى نصل إلى باب المسجد، إلى أن كان آخر شهر شعبان سنة ست و ستين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، ففي هذا التاريخ، فرشت أرض باب الزيادة من خارج المسجد بالتراب و الحصى و النورة الإفريقية المسماة ب «الإسمنت» و بذلك دفن أربع درجات، فصار الباقي منها الآن درجتين يصعد الناس منهما إلى المسجد الحرام، و هكذا بقيت أبواب المسجد الحرام. بل إنه دفن من درج المسجد الحرام، بسبب السيول أيضا، في القرن الثالث للهجرة، سبع درجات، كما ذكره الأزرقى، في الجزء الثاني بالصحائف ٧١ و ٨٨ و ٨٩ من تاريخه، و ذلك في خلافة المعتضد بالله.

انظر: صورة رقم ١٧١، رسم لمكة و الحرم بالفوتوغرافيا من جهة أبي قبيس  
فبناء المساجد في جميع الدنيا يكون على أربعة أنواع:

(١) مسجد أرضى، كالمسجد النبوى بالمدينة المنورة و كالجوامع الأزهر، و المسجد الحسينى، و المسجد الزينبى، بمصر بالقاهرة. فهذه ليس فيها درج، لا من الداخل و لا من الخارج.

(٢) و مسجد نازل فى الأرض، له درج من داخله، و ليس عليه درج من خارجه، و ذلك كمسجد الشافعى بجدة، فعلى أبوابه درج من داخل المسجد، و ليس له درج من الخارج، غير درجة واحدة.

(٣) و مسجد مرتفع عن الأرض، كمسجد المعمار و مسجد عكاش بجدة، و كمسجد المؤيد و المسجد الغورى و المسجد الرفاعى بمصر، ففي أبواب هذه المساجد درج من الخارج، و ليس لها درج من داخل المسجد.

(٤) و مسجد كالبركة و الحوض. يصعد إليه من الخارج بدرج، و يهبط فيه من الداخل بدرج. و هو المسجد الحرام بمكة المشرفة و لا ندري هل له مثل أم أنه مفرد حتى فى شكله و بنائه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٧٣

و لقد ذكر الإمام الأزرقى صفة أبواب المسجد الحرام و عددها و ذرعها، فى الجزء الثانى من تاريخه، و ذكر فى هذا المبحث عدد درجات كل باب من أبواب المسجد الحرام، فى بنائه الذى كان فى زمانه، فمنها أربع درجات و منها ست درجات، و منها سبع درجات، و منها ثمان درجات، و منها عشر درجات، و منها اثنتا عشرة درجة. و نحن لم نذكر جميع ذلك خوف التطويل.

فالذى نستنتج من كلام الأزرقى، رحمه الله تعالى، المتوفى قبل منتصف القرن الثالث، أن درج أبواب المسجد الحرام كانت فى زمانه، و كان بعضها مدفونا، عندما أغرق السيل المسجد و ما حوله، من المسعى و الوادى و الطريق، كما هو صريح عبارته بصحيفة ٧١ من الجزء الثانى.

ثم الذى نذهب إليه، أن درج الأبواب كان أول بنائه فى زمن عبد الله بن الزبير، الذى وسع المسجد الحرام، بعد عمر و عثمان، رضى



الله تعالى عنهم أجمعين، ثم كان في زيادة أبي جعفر المنصور كما كان بناء درج الصفا و درج المروة لأول مرة في عهده و خلافته كما ذكرنا ذلك في محله، ثم كان في زيادة الوليد بن عبد الملك، ثم كان في زيادة أمير المؤمنين محمد المهدي العباسي، رحم الله الجميع و رحمنا معهم، فكل واحد من هؤلاء، الذين زادوا في المسجد الحرام، بنى درج أبواب المسجد الحرام من الناحية التي زاد فيها، أما محمد المهدي فقد زاد في المسجد زيادة عظيمة جدا، من جميع جهاته، و جعله مربعا كما هو في شكله الحاضر اليوم، و ذلك سنة (١٦٠) مائة و ستين، و سنة (١٦٤) مائة و أربع و ستين، فعليه يكون بناء درج أبواب المسجد الحرام، من جميع الجهات الأربع، من عمل محمد المهدي سنة (١٦٤) و هذا مما لا شك فيه.

و ربّ قائل يقول: لماذا لم نسند عمل درج أبواب المسجد الحرام إلى عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان، اللذين زادا في المسجد أيضا، نقول: يجوز أنهما بنيا درجا لأبواب المسجد الحرام، و يجوز أنهما لم يبنيا درجا مطلقا، و قد رجحنا الرأي الأخير لقلّة زيادتهما في المسجد، و صغره في عهدهما، بالنسبة للزيادات العظيمة التي حصلت بعدهما، و ما دام التاريخ لم يذكر لنا أى خبر عن ذلك كله، فالحقيقة التامة مجهولة لدينا. و لا يعلم الغيب إلا الله الواحد القهار، الذي له ملك السموات و الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٧٤

و لا يفوتنا أن نشير إلى أن أرض مكة لم ترتفع، في زمان الخلفاء المذكورين، الذين زادوا في المسجد الحرام، كما ارتفعت أرضها في زماننا هذا، و بين زماننا و زمانهم أكثر من ألف سنة، و معنى هذا أن عدد درج أبواب المسجد الحرام كان قليلا لقلّة ارتفاع الأرض في زمنهم.

و نشير أيضا إلى أن بناء محمد المهدي للمسجد الحرام قد تغير و تجدد بالبناء العثماني الحاضر، بالأعمدة الرخامية و الحجرية و بالقباب، و إن لم يخرج عن حدود بناء محمد المهدي. فعلى هذا و قد تقادم العهد تكون قد ارتفعت الأرض كثيرا عما قبل، و هذا يستلزم بناء درج كثيرة على أبواب المسجد الحرام ليمنع دخول السيل إليه.

جاء في تاريخ الغازي نقلا عن ابن فهد: أنه في سنة (٨٣٠) ثلاثين و ثمانمائة بنى شاهين العثماني درجا على أبواب المسجد الحرام، ترد السيل عنه فبنى على باب الزيادة و العجلة و الندوة و إبراهيم و باب الرحمة و أجياد و الصفا و بقية الأبواب. انتهى كلامه. فباب العجلة هو المسمى الآن باب التكية المصرية بجوار باب أم هانئ.

و جاء في تاريخ الغازي أيضا، نقلا عن السنجاري: أنه في سنة (١٠١٩) تسع عشرة و ألف في رابع شعبان، ورد مكة سليمان آغا، ميرياخور السلطان محمد خان، بمرسوم سلطاني لتعمير العين - إلى أن قال: ثم شرع و صرف همته إلى العين إلى أن أتم كل خلل و جده، و عمّر بقية الأماكن المأثورة بمكة كمسجد الخيف و قبة حراء، و زاد في درج أبواب المسجد الحرام، من خارجه، حتى تمنع السيل من الدخول. انتهى كلام الغازي.

و جاء في هامش تاريخ الأزرقى، بصحيفة ٦٩ من الجزء الثاني، ما نصّه: أما درجات هذه الأبواب من الداخل و الخارج فقد ذكر أيوب صبرى، أن أول من أنشأها ميرخور سليمان و ذلك عام (١٠٩٢). انتهى.

فالظاهر أن هذه العبارة هي توافق عبارة الغازي الذي نقله عن السنجاري، غير أن بينهما اختلافا في التاريخ. فتأمل.

و هنا نقل من تاريخ القطبي، عن مسألة درج المسجد الحرام، حيث أنه جدد بناء المسجد الحرام بالقباب في زمانه، و قد رأى كل ذلك في أوانه، فقال رحمه الله تعالى ما نصّه: و من جملة تعمير الحرم الشريف، حفر خارج المسجد الحرام،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٧٥

من الجانب الجنوبي، الذي هو مجرى السيل الآن، فإن الأرض علت، و امتلأ السيل كله، إلى أسفل مكة بالتراب، إلى أن لم يبق للدخول إلى المسجد من الأبواب، التي في تلك الجهة، إلا في ثلاث درجات، بعد أن كانت نحو خمس عشرة درجة، يصعد منها إلى أن يدخل من الباب إلى المسجد، و كان هذا السيل يقطع و يحمل ترابه إلى خارج البلد من جهة المسفلة، في كل عشرة أعوام مرة،

فغفل عنه نحو ثلاثين عاما، فعلت الأرض، فجاءت سيول طافحة ليلئ الأربعاء، عاشر جمادى الأول، سنئ ثلاث وثمانين و تسعمائئ، فدخلت من أبواب المسجد و امتلأ المطاف الشريف، و وصل الماء إلى حول الكعبئ الشريفئ، و علا إلى أن غطئ الحجر الأسود و جدار الحجر الشريف، و وصل الماء و الطين إلى عتبئ الكعبئ الشريفئ، و علا إلى أن قرب من القفل الباب الشريف، و وقف الماء فى الحرم الشريف يوما و ليلئ، و ما أمكن أداء الصلوات الخمس فتعطلت الجماعة سبعة أوقات، و بادر مولانا شيخ الإسلام ناظر الحرم الشريف، و الأمير المعظم المكرم «أحمد بك» أمير العمارة الشريفئ، بخدامهم و سائر المشدين و خدام الحرم الشريف، و الفقهاء و الأعيان و التجار إلى فتح طريق الماء من أسفل مكئ.

ثم نظفت و غسل داخل البيت الشريف، ثم نظف و غسل المطاف الشريف و مقام الحنفى، ثم أخرجت الأوساخ من الحرم الشريف و كوم الطين أكواما فى المسجد، ثم أخرج ثم فرش المسجد الشريف بالحصباء الجديدة و تعب فى ذلك حضرة الأمير أحمد بك و صرف من ماله مبلغا كبيرا.

ثم شرع فى قطع المسيل و تهيبط أرضه إلى أسفل عشر درجات أو نحوها، من الجانب الجنوبى، من المسجد الحرام، إلى آخر المسفلئ، و هو ممر سيل أعالى مكئ، فصار السيل إذا سال درج بسرعة، و لم يصل إلى أن يمكنه الدخول إلى المسجد الحرام، و فعل ذلك أيضا من جهئ باب الزيادة، فى الجانب الشمالى، و هو ممر سيل قعيقعان و حواليه، و جرى إلى باب الزيادة و لا يصعد إلى باب المسجد، بل يدخل سردابا و اسعا يسمئ العنبئ، و يجرى فيه، إلى أن يخرج من قرب باب إبراهيم، فيسيل إلى أسفل مكئ مع السيل الكبير، و صان الله المسجد الحرام بذلك، و صارت السيول بعد ذلك تسيل و لا تصل إلى باب المسجد و لا تقرب منه، و هذا رأى سديد و عمل مهم نافع، فيصان به المسجد الحرام عن دخول السيول إليه،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٧٦

غير أنه يحتاج إلى أن تنعقد، فى كل عامين أو ثلاثة أعوام، فيقطع ما علا من الأرض، قبل أن يعلو كثيرا فيحتاج إلى قطع كثير و مصرف زائد.

فاللزام على ولى الأمراء سلطان الإسلام و المسلمين، نصره الله تعالى و شيد به قواعد الدين، أن يسنّ لذلك قانونا فيقطع هذا السيل فى كل عامين مرة، ليستمر المسيل منهبطا دائما، لجريان السيل فيه، صونا للمسجد الحرام، عن دخول ماء السيل إليه، فى كل سيل يأتى، و يكون ذلك قانونا مستمرا للسلطين، و يسطر ثواب ذلك فى صحائف هذا السلطان الأعظم نصره الله تعالى.

و كانت اليد البيضاء فى هذه المرة فى هذه الخدمة الشريفئ للأمير المعظم (أحمد بك) المشار إليه، أنعم الله عليه، و أكرم منزلته لديه، و أجرى كل خير بيديه، و يكفيه عند الله هذه المرتبئ العظمى، و المثوبات الجسام الكبرى. انتهى من تاريخ القطبى. هذا ما كان من أمر بناء درج المسجد الحرام، فالحمد لله على توفيقاته المتوالية و نعمائه المتتالية، و نسأل المزيذ من فضله الواسع و إحسانه العميم، و صلى الله على سيدنا (محمد) أبى القاسم الأمين و على آله و صحبه أجمعين.

## المساجد التى بمكئ

### إشارة

توجد بمكئ و حواليتها، شرفها الله تعالى، مساجد كثيرة قديمة و حديثئ، و قد ذكر فى كتب التاريخ مساجدها القديمة، أما المسجد الحرام فهو أشهر مساجدها و أقدمها على الإطلاق، فهو موجود منذ وجود بيت الله الحرام، أى منذ عمارة إبراهيم خليل الله عليه الصلاة و السلام الكعبئ.

أما المساجد الأخرى فكانت بعد ظهور الإسلام، و قلتها و كثرتها تبع لكثرة سكان مكئ و تفرق مساكنها فى الشعاب و الأودية، لهذا

كثر بناء المساجد بها، في عصرنا هذا، في كل محلة و منطقة، كثرة لم يسبق لها مثل من قبل، لزيادة العمران و السكان. نسأل الله أن يزيدنا من الخيرات و البركات و الأمن و الأمان، ظاهرا و باطنا إنه على ما يشاء قدير. هذا و لا نريد الإطالة في ذكر و إحصاء مساجدها كلها، إنما نكتفي بذكر أشهرها و هو كما يأتي:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٧٧

### مسجد الراية

سمى هذا المسجد بمسجد الراية، لأن النبي صلى الله عليه و سلم ركز في موضعه رايته، يوم فتح مكة، و صلى فيه أيضا. ذكر الغازي في تاريخه ما نصّه: و منها مسجد الراية قال في الإعلام: فيه مئذنة ذات دورين، تهدّم رأسها الآن، و يقال لها منارة أبي شامة. و أمامه إلى جانب اليسار بئر معطلة الآن، يقال أنه بئر جبير بن مطعم ابن عدى بن نوفل. و يقال أن النبي صلى الله عليه و سلم ركز رايته يوم الفتح في هذا المسجد. انتهى.

و في تحصيل المرام: و منها مسجد بأعلى الردم، عند بئر جبير بن مطعم، يقال أن النبي صلى الله عليه و سلم صلى فيه و يعرف اليوم بمسجد الراية كما ذكره المحب الطبري. قال الأزرقى: و قد بناه عبيد الله بن عباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، و ذكر السيد يحيى المؤذن في حاشيته، مسجدا بأعلى مكة، على يمين الصاعد إلى المعلا، أمام زاوية الرفاعي، الذي بسوحها دبل عين زبيدة، قال: و هذا هو المسجد الذي شائع عند أهل مكة أنه مسجد الراية. انتهى.

قال الفارسي: و فيه الآن لوحان مكتوبان أحدهما كوفي لا يعرف، و الآخر فيه، أن المستعصم العباسي أمر بعمله في شعبان سنة أربعين و ستمائة، و عمره في أوائل سنة إحدى و ثمانمائة الأمير قطلبك الحسامي، عمارته التي هو عليها الآن.

قال الغازي: و في أول سنة (١٣٦١) لقد أمر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بتجديد عمارة هذا المسجد، و قد عمّر و وسّع من جهته الشرقية، و مقدار الزيادة (١٤) ذراعا تقريبا بذراع اليد. و بينما كان العمال يحفرون الأساس، و يهدمون أحد الجدران عثروا على حجرين من رخام مكتوب في أقدمها ما نصّه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ.

هذا ما أنشأ من فضل الله و هو هذا المسجد المبارك، المعروف بمسجد راية النبي صلى الله عليه و سلم على التحقيق، و جدّد ما كان بجواره من مسجد عتيق الشيخ الصالح، مربى المريدين، قدوة الصلحاء و المجددين، العارف بالله أبو العباس أحمد سنية الشهير بأبي شامة، نفع الله تعالى به في الدنيا و الآخرة، ابتغاء رضوان الله العظيم، و رجاء لما جاء عن سيدنا و مولانا، عليه الصلاة و السلام: من بنى مسجدا لله و لو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة، تقبل الله منه بمنه و كرمه و كان الفراغ منه رابع عشر رجب سنة ثمان و تسعين و ثمانمائة تقبل الله منه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٧٨

و في الثاني ما نصّه: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل من القربات تعمير المساجد و المآثر و زينها بإعلان الشهادتين على فلك المنابر، و قال عزّ من قائل: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعْدَ وَوَقَدَ قَدَمَ عَبْدِ الْأَعْتَابِ السُّلْطَانِيَّةَ بِتَشْيِيدِ مِئْذَنَةِ وَ مَسْجِدِ رَايَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَ السَّلَامِ، بِيَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَ جَعَلَ رَبُّ السَّمَوَاتِ ذَلِكَ فِي صِحَافِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ خَانَ، عَزَّ نَصْرَهُ وَ حَرَسَهُ خَلَّدَ اللَّهُ مَلِكَهُ، فِي شَهْرِ شَعْبَانَ سَنَةِ (١٠٠٠) أَنْتَهَى.

و قد انتهت عمارة هذا المسجد في شهر ربيع الأول سنة (١٣٦١) و كتب على بابي المسجد تاريخا و هذا نصّه: بسم الله الرحمن الرحيم إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَمْرًا بِتَعْمِيرِ هَذَا الْمَسْجِدِ حَضْرَةَ صَاحِبِ الْجَلَالَةِ مَلِكِ الْمَمْلُوكَةِ الْعَرَبِيَّةِ

السعودية عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود في ربيع الأول سنة (١٣٦١).

كنا كتبنا مقالة عن مسجد الراءية، في جريدة "البلاد السعودية"، بتاريخ ٢٥ جمادى الثانية سنة (١٣٧٤) و هذا نصّها:

بمناسبة تجديد عماره مسجد الراءية، الذي بالجودرية، بمكة المشرفة في هذا العام، أحببنا أن نكتب عنه نبذة صغيرة تاريخية فنقول:

سمى هذا المسجد بمسجد الراءية لأن النبي صلى الله عليه و سلم ركز في موضعه رايته يوم فتح مكة و يقال صلى فيه أيضا.

و لقد اختلف العوام في موضع مسجد الراءية، فمنهم من يطلق على المسجد الواقع بالشارع العام، على يمين الصاعد إلى المعلى قبيل

المدرسة السعودية، أنه هو مسجد الراءية، و هذا غلط كما لا يخفى، و الصحيح مسجد الراءية هو المسجد الواقع عند بئر جبير بن مطعم

بن عدى بن نوفل، و كان الناس في قديم الزمان لا يجاوزون هذه البئر في السكن، و ما بعدها خال من الناس.

و هذه البئر واقعة بالجودرية، بين المسجد و الزقاق الضيق الصغير النافذ إلى الطريق العام، قال الإمام الأزرقى: هذه البئر حفرها في

الأول قصى ثم دثرت فاستخرجها جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف و أحياها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٧٩

و هذه البئر في عصرنا الحاضر مهجورة. فحبذا لو تولتها إدارة عين زبيدة و اعتنت بتصليحها و تنظيفها، حتى تكون صالحة للاستعمال،

فإنها بئر أثرية، لها مكانتها في التاريخ.

و مسجد الراءية يسمى أيضا بمسجد الجودرية. و قد حدثت فيه تعميرات كثيرة في أزمان مختلفة، و حصل تعميره في أيامنا مرتين:

المرّة الأولى: كان في أوائل عام (١٣٦١)، ففي النصف من ربيع الثاني من هذا العام صلينا فيه العصر، و كانت العمارة فيه جارية، فرأينا

في ساحته حجرين مكتوبين، عثروا عليهما في أساسه، مضمونهما أنه أمر ببناء هذا المسجد السلطان فلان و أنه بعد إجراء التحقيق ثبت

أن هذا المسجد هو مسجد الراءية.

و أحد الحجرين مؤرخ سنة (٨٩٨) من الهجرة و ثانيهما مؤرخ سنة (١٠٠٠) ألف، لكن مع الأسف لم نقل نص الكتابة عليهما، حيث

لا توجد لدينا جهة مختصة، تعنى بمثل هذه الآثار التاريخية. و المرّة الثانية: العمارة القائمة فيه الآن عام (١٣٧٤) و هى عمارة تفوق

العمارات السابقة بكثير في قوة البناء فقط، و لكن لنا في هذه العمارة رأى و نظرية نذكره في آخر المقترحات الآتية إن شاء الله تعالى.

و بين مسجد الراءية الذى بالجودرية بقرب المدعى و بين مسجد الراءية الذى بالشارع العام بالمعلى نحو (٢٥٠) مائتين و خمسين مترا

تقريبا، و مسجد الراءية الذى بالشارع العام الذى بالمعلى قد هدم مع ما يجاوره من المنازل لتوسعة الشوارع، و ذلك في سنة (١٣٧٩)

هجريه، فلم يبق لهذا المسجد من أثر.

و لنا بهذه المناسبة جملة اقتراحات، و هى:

(١) إنشاء إدارة خاصة تحفظ بالآثار التاريخية عندنا.

(٢) منع العمال من تكسير الأحجار و الصخور المكتوبة حرصا على حفظها و أخبار الجهة المختصة بذلك.

(٣) عمل سجل خاص من قبل مديرية الأوقاف العامة يدون فيه أسماء المساجد و الرباطات و التكايات، مع نبذة تاريخية عن منشأها و

عن كل ما يطرأ عليها من تغيير أو تعمير، ليرجع إلى هذا السجل المؤرخون و أرباب المصالح.

(٤) عمل سجل خاص من قبل أمانة العاصمة يدون فيه أسماء الشوارع القديمة و الجديدة و الأراضى القفرة التى تحيا فيما بعد؛ كما

يدون فيه كل ما يحدث بتفصيل تام.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٨٠

فأمثال هذه السجلات مما ينفع المؤرخين و أصحاب المصالح. و مثل هذا معمول به في جميع الممالك، فإنه يوجد بمصر في قلم

خاص بالمحافظة سجلات تبحث عن أسماء الشوارع و المحلات و الحارات القديمة و الجديدة، و يذكر فيها أى تعديل أو تغيير.

(٥) أن يكون لدى وزارة الحج و الأوقاف العامة مشرف فنى يكون من اختصاصه النظر إلى جميع العمارات و الترميمات و

الإصلاحات، التي تجرى في المساجد و الأماكن الأثرية، بل يكون من اختصاصه حتى ضرب البويات بألوانها المختلفة على المنائر (المآذن) و الجدران، فإن ضرب البويات فن و ذوق، كما أن فرش الرخام الملون في المساجد له هندسة دقيقة و ذوق كبير، و مساجدنا و عمارتنا مرموقة بأنظار عموم العالم من مختلف أجناس الحجاج الذى يكون بينهم العلماء و الفنانون و المهندسون و المعماريون.

(٦) إن العمارة الحديثة لهذا المسجد الأثرى القديم، التي كانت سنة (١٣٧٤) هجرية هي مختلفة تمام الاختلاف عن بناء المساجد في جميع الأقطار، فموضع الصلاة في هذا المسجد من داخله عبارة عن غرفة مستديرة، أما منارته أى مئذنته فلا تشبه مآذن المساجد مطلقاً، فهي عبارة عن عدة حلقات مسطحة، بعضها فوق بعض، يفصل بين كل حلقة و أخرى نحو نصف متر، و الحلقة السفلى أكبر الحلقات ثم ما فوقها أصغر منها ثم تصغر كل حلقة عما تحتها حتى تكون الحلقة العليا أصغر الحلقات. و هذه المئذنة تقع على الشارع العام، يراها كل الناس، و الحجاج إذا نظروا إليها يظنون أن هذه العمارة من دور الملاهي، و هذه المئذنة لا يصعد فوقها أحد للأذان، و إنما يؤذنون عند دخول وقت الصلاة في داخل المسجد و يسمع صوته بواسطة الميكرفون الموضوع على هذه الحلقات.

فنتقترح على وزارة الحج و الأوقاف أن تهدم هذا المسجد و تجدد عمارته على عادة المساجد المعروفة، و نعتقد أن هذا من أوجب الواجبات حتى لا نكون عرضة للمعتزين.

هذا ما طرأ ببالنا الآن من الاقتراحات. و نسأل الله تعالى التوفيق و السداد في جميع أمورنا و الله الهادي إلى صراط السواء.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٨١

### مسجد خالدين الوليد رضى الله عنه

قال الغازى في تاريخه: مسجد خالد بن الوليد هو في الموضع الذى غرز فيه رايته يوم فتح مكة، قال العلامة الشيخ جمال المكي: و قد بنى في هذا الموضع مسجد على يمين الصاعد إلى التنعيم بحارة المسماة الآن بحارة الباب، و هذه العمارة الموجودة الآن عمرت سنة (١٢٨٠) ثمانين و مائتين و ألف بناها حسن أفندي، ناظر التكية، ثم وسّعه رجل هندي في السنة المذكورة. ذكره في تحصيل المرام. انتهى من الغازى.

نقول: و في سنة (١٣٧٦) ستته و سبعين و ثلاثمائة و ألف هجرية هدم مسجد خالد بن الوليد، رضى الله عنه، الذى بحارة الباب، و بنى بناية جديدة فخمة، بمنارة ظريفة جميلة، بواسطة مديرية الأوقاف العامة. و تمّ في السنة التى بعدها و هي سنة (١٣٧٧) و أصبحت الصلوات تقام فيه.

### مسجد الجن

ذكر الغازى في تاريخه: و منها مسجد بأعلى مكة، يقال إنه مسجد الجن، قال الأزرقي: و هو الذى يسميه أهل مكة مسجد الحرس، و إنما سمي مسجد الحرس لأن العسس يجتمعون عنده ليلاً، قال: و هو فيما يقال: الموضع الذى خطه رسول الله صلى الله عليه و سلم لابن مسعود، ليلة استمع عليه الجن. و إن الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فيه. ذكره في الإعلام.

و في إتحاف فضلاء الزمن: و في سنة اثنا عشر و مائة و ألف عمّر إبراهيم بيك مسجد الجن بالمعلاة، لأنه درس و دفن تحت الأرض، مع كثرة السيول و تطاول الأزمان، حتى أنهم غرسوا في ذلك المحل بعض أشجار و بستان كنبق و بعض الريحان، و كانوا يسمونه الجنينا، فأحضرها المهندسين و العلماء و حفروا عن ذلك الموضع، و ظهر محراب المسجد، الذى أسلموا الجن فيه، من تحت الأرض، و بادروا بقطع تلك الأشجار و تنظيف تلك البقعة، ثم بنى فيه مسجد صغير على حده الأصلي، و وضع المحراب على ما كان عليه، و

جعلوا على أعلى المسجد قبة، ثم بنوا مسجدا آخر على سطح المسجد المأثور، مسجدا كبيرا بقبة عظيمة، و جعلوا في جانب القبة طاجنين و محرابا، و سدوا القبة، و فتحوا من أطراف القبة التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٨٢

لأجل الماء، و جعلوا بجانبه جنيئة لطيفة، بابها من داخل المسجد المذكور، الذى خط فيها النبي صلى الله عليه و سلم لعبد الله بن مسعود و نهاه أن يخرج عن هذا الخط و الدائرة، و عمروا هذا المحل أحسن مسجدا بأحسن البنيان. انتهى.

و قال السيد أحمد دحلان فى سالنامته الحجازية: مسجد الجن على يسار الصاعد إلى المعلا، قريب من شعب الحجون، بوسط الطريق، و هو معروف مشهور، و هو فيما اشتهر موضع الخط الذى خطه رسول الله صلى الله عليه و سلم لعبد الله بن مسعود، رضى الله عنه، ليلة استمع عليه الجن و بايعوه، و المأثور هو المحراب، الذى يتخوم الأرض، الذى ينزل إليه بدرج، لا الذى فوقه. انتهى.

و قال فى تحصيل المرام: و فيه نزلت: قُلْ أُوحِيَ ... إلى آخر السورة و هو الآن عمار، و عليه قبة صغيرة. انتهى. أقول: هدمت هذه القبة فى سنة (١٣٤٣).

نقول: لقد حصلت عمارات أخرى فى مسجد الجن و قد شاهدنا العمارة التى حصلت بها فى سنة (١٣٦٢) أو فى التى قبلها و رأينا المحراب القديم الذى كان فى غرفه تحت الأرض و هذه الغرفة صغيرة و هى اليوم غير ظاهرة للعمارة التى حصلت فوقها اليوم. انظر: صورة رقم ١٧٢، مسجد الجن

### مسجد أبى قبيس

على رأس جبل أبى قبيس، و فى قمته، مسجد صغير، يطل على المسجد الحرام، ظاهر لعموم الناس، و من جميع الجهات. فهو كما يقول الشاعر: «كأنه علم فى رأسه نار» و لما كان جبل أبى قبيس أول جبل وضعه الله تعالى فى الأرض، و هو الجبل العظيم المطل المشرف على المسجد الحرام، و كان هذا المسجد، الذى على قمته قائما عليه كالعلم، فقد رأى الشريف الحسين، ملك الحجاز الأسبق، أن يجعل من هذا المسجد، الذى على جبل أبى قبيس علامة أى «ماركة» فى شكل خاص، توضع على بعض الأوراق الرسمية الحكومية، كجوازات السفر و بعض أنواع الطوابع، و إليك صورة هذه العلامة «الماركة».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٨٣

و بناء هذا المسجد على قمة جبل أبى قبيس قديم جدا، يرجع إلى القرن الأول فى الإسلام، لأن الإمام الأزرقى المولود فى القرن الثانى للهجرة قد ذكر هذا المسجد فى تاريخه، فقد قال عنه ما نصه:

و مسجد على جبل أبى قبيس، يقال له مسجد إبراهيم، سمعت يوسف بن محمد بن إبراهيم، يسأل عنه: هل هو مسجد إبراهيم خليل الرحمن، فرأيتة ينكر ذلك و يقول: إنما قيل هذا حديثا من الدهر، لم أسمع أحدا من أهل العلم يثبته.

قال أبو الوليد (أى الأزرقى يعنى نفسه): و سألت أنا جدى عنه، فقال لى:

متى بنى هذا المسجد إنما بنى حديثا من الدهر، و لقد سمعت بعض أهل العلم، من أهل مكة، يسأل عنه: أهذا المسجد مسجد إبراهيم خليل الرحمن، فينكر ذلك، و يقول: بل هو مسجد إبراهيم القبيسى، لإنسان كان فى جبل أبى قبيس.

فقلت لجدى: فإنى سمعت بعض الناس يقول: إن إبراهيم خليل الرحمن حين أمر بالأذان فى الناس بالحج، صعد على جبل أبى قبيس فأذن فوقه، فأنكر ذلك، و قال: لا، لعمرى ما بين أصحابنا اختلاف.

إن إبراهيم خليل الرحمن حين أمر بالأذان فى الناس بالحج قام على مقام إبراهيم، فارتفع به المقام حتى صار أطول من الجبال و أشرف على ما تحته فقال:

أيها الناس أجيئوا ربكم. قال: و قد كنت ذكرت ذلك عند موضع ذكر المقام مفسرا. انتهى من تاريخ الأزرقى.

فعلم مما تقدم أن المسجد، الذي بأعلى جبل أبي قبيس، مسجد قديم، بنى في القرن الأول للهجرة، لأن الإمام الأزرقى المولود في القرن الثاني قد سأل جده عن هذا المسجد، فأجابه بما تقدم، فإذا فرضنا أن الإمام الأزرقى ولد في سنة (١٦٠) من الهجرة، وأن أباه ولد في سنة (١٣٠) وأن جده الذي أخبره عن هذا المسجد، ولد في آخر المائة الأولى، فإنه مما لا شك فيه أن بناية المسجد تكون في النصف الثاني من القرن الأول، لكن لا نعلم في أي سنة بنى بالضبط ولا نعلم اسم الشخص الذي بناه.

ولقد ذكر هذا المسجد ابن جبير الأندلسي في رحلته التي كانت سنة (٥٧٨) ثمان و سبعين و خمسمائة من الهجرة، فقد قال عنه: «و في أعلى جبل أبي قبيس رباط مبارك فيه مسجد و عليه سطح مشرف على البلد الطيبة و منه يظهر حسنها التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٨٤

و حسن الحرم- أي المسجد الحرام- و اتساعه و جمال الكعبة المقدسة القائمة وسطه ... الخ». اه. و لقد ذكر هذا المسجد أيضا ابن بطوطة في رحلته، التي كانت سنة (٧٢٥) خمس و عشرين و سبعمائة من الهجرة، فقد قال عنه عند ذكر جبال مكة:

«و بأعلى جبل أبي قبيس مسجد و أثر رباط و عمارة، و كان الملك الظاهر، رحمه الله تعالى أراد أن يعمره، و هو مطل على الحرم الشريف و على جميع البلد، و منه يظهر حسن مكة، شرفها الله، و جمال الحرم و اتساعه و الكعبة المعظمة» ... الخ.

و قال عنه في موضع آخر: إن أهل مكة من عاداتهم أن يوقدوا المشاعل في أول ليلة من شوال، و يسرجون المصاييح و الشمع على نحو فعلهم في ليلة سبع و عشرين من رمضان، و توقد السرج في الصوامع، من جميع جهاتها، و يوقد على سطح الحرم كله- أي سطح المسجد الحرام- و يوقد على سطح المسجد، الذي بأعلى جبل أبي قبيس، و يقيم المؤذنون ليلتهم تلك في تهليل و تكبير و تسبيح» ... الخ.

اه. و هذه صورة المسجد الذي بأعلى جبل أبي قبيس في عصرنا الحاضر.

انظر: صورة رقم ١٧٣، المسجد الذي بأعلى جبل قبيس

و لا يخفى أن البناء الأول للمسجد غير باق، و لكنهم يجدونه كلما قدم عهده و تهدم، و قد ذكر هذا المسجد أيضا المؤرخ الكبير الشيخ عبد الله غازی، المتوفى في عصرنا هذا في شعبان سنة (١٣٦٥) خمس و ستين و ثلاثمائة و ألف، رحمه الله تعالى في تاريخه المسمى «إفاداة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام» نقلا عن تحصيل المرام، قال عنه ما يأتي: و فوق جبل أبي قبيس مسجد مشرف على الكعبة المعظمة و الحرم، بناه رجل هندي، كما أخبرني بذلك والدي سنة ألف و مائتين و خمس و سبعين، و كانت حجارتة مرضومة في ذلك المحل، يقال أنه مسجد إبراهيم و ليس هو خليل الرحمن إنما هو رجل آخر. انتهى منه.

فعلم مما تقدم أن المسجد الذي بأعلى جبل أبي قبيس قديم يرجع عهده إلى القرن الأول، و لا يزال محله معروفا، و إن تجدد بناؤه في كل عصر و زمن، و لا يزال هذا المسجد عامرا يصلى فيه إلى اليوم، و حوله على الجبل بيوت كثيرة يسكن الناس فيها. و نقترح أن يبنى هذا المسجد العريق في القدم بناية جميلة المنظر، مبتكرة الوضع و الشكل، و أن تشتري الحكومة ما حوله من البيوت و المنازل فتهدمها و تعبد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٨٥

مواقعها، حتى لا يرتفع البنيان حوله فيحجب جمال المسجد، لأن هذا المسجد مطل على المسجد الحرام، و أينما كان الإنسان يراه، لأنه على قمة جبل أبي قبيس، و تجميل مناظر البلدة مطلوب. و الله الموفق للصواب و إليه المرجع و المآب.

هذا و لقد طلبنا من وزارة الحج و الأوقاف أن تعطينا بيانا بجميع المساجد الموجودة بمكة المشرفة سوى المسجد الحرام فجاءنا منها البيان الآتي، فلها منا جزيل الشكر. فإليك أسماء جميع المساجد بمكة المشرفة مع بيان محلاتها و مواقعها و هي:

## بيان بمساجد مكة المكرمة

عدد/ اسم المسجد/ الموقع/ ملاحظات التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٣-٥ ؛ ص ٨٥

١/ مسجد الشهداء/ الشهداء/

٢/ مسجد الدهسة/ المعابدة/

٣/ مسجد ريع المسكين/ المعابدة/

٤/ مسجد أبو وادي/ المعابدة/ (الملاوي)/

٥/ مسجد خندمة (على حجازي)/ المعابدة/ (الملاوي)/

٦/ مسجد السنوسي/ المعابدة/ (الخانسة)

٧/ مسجد حارة يبشر/ المعابدة/

٨/ مسجد عودة المرديسي/ المعابدة/

٩/ مسجد علي بن ستر/ المعابدة/

١٠/ مسجد بن شويش/ المعابدة/

١١/ مسجد المصوم/ المعابدة/

١٢/ مسجد الخليفة/ المعابدة/

١٣/ مسجد الجعدة/ المعابدة/

١٤/ مسجد الأمير بندر بن عبد العزيز/ المعابدة/

١٥/ مسجد مؤمنة/ المعابدة/

١٦/ مسجد الخانسة/ المعابدة/

١٧/ مسجد الراجحي/ المعابدة/ (حي الششة)/

١٨/ مسجد ريع ذاخر/ المعابدة/ المعابدة/

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٨٦

عدد/ اسم المسجد/ الموقع/ ملاحظات/

١٩/ مسجد بن شليويح/ المعابدة/ (حي الروضة)/

٢٠/ مسجد النافع/ المعابدة/ (حي الروضة)/

٢١/ مسجد الهمزاني/ المعابدة/ (الخانسة)/

٢٢/ مسجد الأمير تركي العبد لله/ المعابدة/

٢٣/ مسجد الملاوي/ المعابدة/

٢٤/ مسجد الزهيري/ المعابدة/

٢٥/ مسجد الأميرة منيرة/ المعابدة/ (حي الروضة)/

٢٦/ مسجد عجلان/ المعابدة/ (حي الروضة)/

٢٧/ مسجد سيف بن غانم/ المعابدة/

٢٨/ مسجد العدل/ المعابدة/



- ٢٩ / مسجد بنى عامر / المعابدة /
- ٣٠ / مسجد سعد الجودي / المعابدة / (الخانسة) /
- ٣١ / مسجد الإجابة / المعابدة /
- ٣٢ / مسجد الجميزة / المعابدة /
- ٣٣ / مسجد الحبشى / المعابدة /
- ٣٤ / مسجد بن عبيد / المعابدة / (الملاوى) /
- ٣٥ / مسجد الودانين / المعابدة / (الملاوى) /
- ٣٦ / مسجد الأميرة شاهة / المعابدة / (خريق العشر) /
- ٣٧ / مسجد الأمير عبد الله بن سعود / المعابدة / (خريق العشر) /
- ٣٨ / مسجد القصر العالى / المعابدة / (النوق) /
- ٣٩ / مسجد الشيخ محمود / جرول /
- ٤٠ / مسجد ريع الكحل / جرول /
- ٤١ / مسجد الصواعد / جرول /
- ٤٢ / مسجد الجهنى / جرول / (العتيبة) /
- ٤٣ / مسجد الزاهر / جرول /
- ٤٤ / مسجد ريع الحجون / جرول /
- ٤٥ / مسجد بن سويلم / جرول / (ريع اللصوص) /
- ٤٦ / مسجد ريع اللصوص / جرول / (ريع اللصوص) /
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٨٧
- عدد / اسم المسجد / الموقع / ملاحظات (...)
- ٤٧ / مسجد المجزرة / جرول / (العتيبة) /
- ٤٨ / مسجد دحلة حرب / جرول /
- ٤٩ / مسجد أبو مدافع / جرول / (بجوار مطابع /
- ٥٠ / مسجد العيونى / جرول / (العتيبة) /
- ٥١ / مسجد المبراز (عبد الله السلطان) / جرول /
- ٥٢ / مسجد الطندباوى / جرول /
- ٥٣ / مسجد الشهداء // جرول / (الزاهر) /
- ٥٤ / مسجد ريع الكحل / جرول /
- ٥٥ / مسجد أبو دافع بالشعبة / جرول / (الزاهر) /
- ٥٦ / مسجد الكائن خلف القشلة / جرول /
- ٥٧ / مسجد الحجلة / جرول /
- ٥٨ / مسجد على جميل / جرول /
- ٥٩ / مسجد أبو عويس / جرول / (العتيبة) /

- ٦٠ / مسجد العرفاء / جروول / (العتيبة) /  
 ٦١ / مسجد بن نمشان / جروول / (العتيبة) /  
 ٦٢ / مسجد صالح بوقري / جروول /  
 ٦٣ / مسجد المجزرة / جروول / (العتيبة) /  
 ٦٤ / مسجد الطيشي / جروول /  
 ٦٥ / مسجد الأمير متعب / جروول /  
 ٦٦ / مسجد عيد بن محمد / جروول /  
 ٦٧ / مسجد ملقيه العليا / جروول / (الزاهر) /  
 ٦٨ / مسجد محطة الزاهر / جروول /  
 ٦٩ / مسجد الملك عبد العزيز / جروول / (الزاهر) /  
 ٧٠ / مسجد التكارنة / جروول / (العتيبة) /  
 ٧١ / مسجد السد / جروول / (العتيبة) /  
 ٧٢ / مسجد عبد المحسن / جروول / (ربيع أبي لهب) /  
 ٧٣ / مسجد البخارية / جروول / (الهنداوية) /  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٨٨  
 عدد / اسم المسجد / الموقع / ملاحظات /  
 ٧٤ / مسجد جبل جحيش (الكعكي) / جروول / (قرب المنطقه الخامسة) /  
 ٧٥ / مسجد سوق البرنو الجديد / جروول /  
 ٧٦ / مسجد منصور قرب النافورة / جروول /  
 ٧٧ / مسجد ربيع الكحل / جروول /  
 ٧٨ / مسجد دحله حرب بسفح الجبل / جروول /  
 ٧٩ / مسجد أبو ترابه / الحجون /  
 ٨٠ / مسجد ربيع الحجون الجديد / الحجون /  
 ٨١ / مسجد المدابغه / الحجون /  
 ٨٢ / مسجد حمدان الفرج / العتيبة /  
 ٨٣ / مسجد الحفائر / الحفائر /  
 ٨٤ / مسجد الدهلوي بالحفائر / الحفائر /  
 ٨٥ / مسجد جبل العبادي / الفلق /  
 ٨٦ / مسجد الفلق / الفلق /  
 ٨٧ / مسجد ربيع الحجون / جبل السيدة /  
 ٨٨ / مسجد النقا / الحلقة بالنقا /  
 ٨٩ / مسجد الحلقة / بالنقا /  
 ٩٠ / مسجد بن سليم / الشعب /

- ٩١ / مسجد بركة الشامي / الشعب برحة / مكرر /
- ٩٢ / مسجد الديثاني بخندمة / الشعب /
- ٩٣ / مسجد الجبرت / الشعب /
- ٩٤ / مسجد الراية / شعب عامر /
- ٩٥ / مسجد البدرى / شعب عامر /
- ٩٦ / مسجد طويق / شعب عامر /
- ٩٧ / مسجد بئر الحمام / الشعب /
- ٩٨ / مسجد زاوية الجيلاني / المدعى / (القرارة) /
- ٩٩ / مسجد شعبة النور / السليمانية /
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٨٩
- عدد اسم المسجد / الموقع / ملاحظات /
- ١٠٠ / مسجد الجن / السليمانية /
- ١٠١ / مسجد الجندراوى / السليمانية /
- ١٠٢ / مسجد الجيلاني / السليمانية /
- ١٠٣ / مسجد رباط السليمانية / السليمانية /
- ١٠٤ / مسجد بصير / السليمانية /
- ١٠٥ / مسجد البدوى / الجودرية /
- ١٠٦ / مسجد جبل أبى قيس / القشاشية /
- ١٠٧ / مسجد السبع الأييار / سوق الليل /
- ١٠٨ / مسجد السد بأجباد / أجباد /
- ١٠٩ / مسجد المصافى بأجباد / أجباد /
- ١١٠ / مسجد بئر الغسال بأجباد / أجباد /
- ١١١ / مسجد المراغنة / الشيكه /
- ١١٢ / مسجد جعفر ميرك / الشيكه /
- ١١٣ / مسجد المحجوب / الشيكه /
- ١١٤ / مسجد جبل عمر / الشيكه /
- ١١٥ / مسجد غندورة / حارة الباب / (الحفائر) /
- ١١٦ / مسجد الهندي بريع الرسام / حارة الباب /
- ١١٧ / مسجد الموارعة / حارة الباب /
- ١١٨ / مسجد خالد بن الوليد / حارة الباب /
- ١١٩ / مسجد أم الحاضر / زقاق الحفرة /
- ١٢٠ / مسجد أبو شدادين / المسفلة /
- ١٢١ / مسجد الكعكى / المسفلة /

- ١٢٢ / مسجد سعد بن مستور / المسفلة /  
 ١٢٣ / مسجد بئر سعيده / المسفلة /  
 ١٢٤ / مسجد عبد الباقي بخارى / المسفلة /  
 ١٢٥ / مسجد دحله الرشد / المسفلة /  
 ١٢٦ / مسجد حمزة / المسفلة / العدد مكرر /  
 ١٢٧ / مسجد جامع شارع المنصور / شارع المنصور /  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٩٠  
 عدد / اسم المسجد / الموقع / ملاحظات /  
 ١٢٨ / مسجد سعد بن سويلم / شارع المنصور /  
 ١٢٩ / مسجد النهاري / شارع المنصور /  
 ١٣٠ / مسجد بن معتق //  
 ١٣١ / مسجد على حجازي //  
 ١٣٢ / مسجد المغاربة //  
 ١٣٣ / مسجد باحويرث //  
 ١٣٤ / مسجد بن ناجي //  
 ١٣٥ / مسجد أبو سودان //  
 ١٣٦ / مسجد عباد بن ناشئ //  
 ١٣٧ / مسجد إبراهيم السلیمان //  
 ١٣٨ / مسجد الكمالية //  
 ١٣٩ / مسجد عبد ربه إلياس //  
 ١٤٠ / مسجد بن مليس //  
 ١٤١ / مسجد الحوازم //  
 ١٤٢ / مسجد حى التوفيق //  
 ١٤٣ / مسجد الرحلة //  
 ١٤٤ / مسجد حوض أبو طالب //  
 ١٤٥ / مسجد طلبه البخارى //

١٤٥ / هذا هو مجموع المساجد بمكة المشرفة، و المسجد الحرام لم يدخل فى هذا العدد.

أما المساجد الموجودة بمنى و مزدلفة و عرفات فهى كالاتى:

(١) فى منى مسجداً مسجد الخيف و مسجد الكوثر.

(٢) و فى مزدلفة مسجد واحد هو مسجد مزدلفة.

(٣) و فى عرفه مسجداً مسجد نمره و مسجد الصخرات. و توجد بوسط جبل الرحمة قطعة صغيرة من الأرض المبسوطة يصلّى الناس فيها إذا كانوا على الجبل.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٩١

## المقامات الأربع التي كانت في المسجد الحرام

## إشارة

يوجد بالمسجد الحرام أربع مقامات، ينسب كل واحد منها إلى أحد الأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب، و هي: «المقام الشافعي، و المقام الحنبلي، و المقام الحنفي، و المقام المالكي». يقول الشيخ حسين باسلامة، صاحب كتاب «تاريخ عمارة المسجد الحرام»، رحمه الله تعالى، أنه بحث كثيرا في الكتب، عن اسم أول من أحدث هذه المقامات، و عن سنة حدوثها، فلم يعثر على شيء، و الذي ظهر له، بعد البحث الطويل، أنها حدثت بين القرنين الرابع و الخامس. قال: و ذلك لأن ابن عبد ربه الأندلسي، حينما وصف المسجد الحرام، في كتابه العقد الفريد:

ذكر كل ما احتواه من أروقة و أبواب و سقاية العباس، و غيرها مما أزيل من المسجد الحرام، و لم يذكر المقامات الأربعة. و قد توفي ابن عبد ربه سنة (٣٢٨). فدل ذلك على عدم وجودها في ذلك العصر.

و قد ذكر ابن جبير الأندلسي، في رحلته المقامات الأربعة و وصفها، و كان ذلك في السنة التي حج فيها، و هي سنة (٥٧٨). فدل ذلك على أنها أحدثت قبل ذلك التاريخ. فظهر من ذلك أن حدوث المقامات كان في القرن الرابع أو الخامس ثم ساق الشيخ باسلامة خبر المقامات تفصيلا. اهـ.

و نحن لا نريد أن نأتي هنا بوصف المقامات و شكلها و ما جرى لها من التعميرات و البناءات بالتفصيل، ففي ذلك ضياع للوقت و لا فائدة فيه، بعد أن هدمت في زماننا عام (١٣٧٧) من الهجرة، و كان آخر المقامات هدمها هو المقام الشافعي، الذي كان فوق بئر زمزم، لقد هدم و هدم بناية هذه البئر المباركة في سنة (١٣٨٣) هجرية، لأنها ليست بذلك بال، فلا هي مقامات الأنبياء، عليهم الصلاة و السلام، و لا هي مقامات نفس الأئمة، أصحاب المذاهب الأربعة، أي نفس الإمام الشافعي و الحنفي و الحنبلي و المالكي، و إنما هي مواضع و أماكن أئمة الصلوات الخمس، في المسجد الحرام، على المذاهب الأربعة، و إنما يلزم أن تأتي بما لا بد منه، مما يهتم به الناس، فنقول و بالله التوفيق:

إن ما نراه في مقام الحنفي أنه أحدث، أول ما أحدث، على أربع قوائم، عليها سقف يطلع عليه بسلم، أي على شكل المكبرية التي توجد في عموم مساجد مصر و غيرها، لتبليغ الناس حركات الإمام، و وجود المكبرية أمر ضروري في كل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٩٢

مسجد كبير و جامع متسع، فالمقام الحنفي، أول ما اتخذ، كان بمثابة المكبرية للتبليغ، و الدليل على ذلك صورته، التي هي عليه اليوم، رغم تجديد التعميرات فيه، بخلاف بقية المقامات، و أيضا، لا يزال يرقى عليه المكبرون، الذين يبلغون الناس حركات الإمام، و موقعه في طرف حاشية المطاف، مقابل لميزاب الكعبة، و لم يكن، في ابتداء الأمر، ينسب للحنفي، بل كان يطلق عليه لفظ «المقام» فقط أي مكان إقامة الصلوات، أو مقام مبلغ حركات الإمام، و لما كان المقام، بطبيعة الحال، مسقوفا، كان إمام المسجد الحرام يصلي تحته، و لا يبعد أنه كان حنفي المذهب، فنسب المقام إليه، فأطلقوا عليه «المقام الحنفي» فرقا بينه و بين مقام إبراهيم الخليل، عليه الصلاة و السلام، ثم بمرور الأيام و توالي السنين، و التشيع للمذاهب، أحدثوا أربعة أمكنة حول حاشية المطاف: لكل مذهب من المذاهب الأربعة مكان خاص، و أطلقوا عليها اسم المقامات الأربعة، لكن ليس بينها ما يأخذ صفة المكبرية إلا المقام الحنفي.

و لما كان هذا المقام له أهمية كبرى في تبليغ الناس حركات الإمام إلى عصرنا هذا، فقد اهتم السلاطين و الملوك بتعميره و زخرفته و حسن بنائه، و بالأخص سلاطين آل عثمان، الذين كانوا على مذهب الإمام أبي حنيفة، رحمه الله تعالى.

جاء في تاريخ القطبي المسمى «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» عن تجديد بناء المقام الحنفي، بواسطة الأمير مصلح الدين بك، الذي أرسله السلطان سليم خان، إلى مكة، بالصدقات و الهبات، لأهل الحرمين، و ذلك في شهر القعدة سنة (٩٢٣) تسعمائة و ثلاث و

عشرين هجرية؛ ما نصّه:

و مما جدّده الأمير مصلح الدين المذكور بناء مقام الحنفية، فإنه كان مسقفا على أربعة أعمدة، في صدره محراب عمل سنة (٨٠١) أحد و ثمانمائة، فأراد أن يوسّعه و يجعله قبة، فأمر بعقد مجلس حضر فيه القضاة الأربعة و الأئمة و العلماء و الأعيان، و قال لهم: إن الإمام الأعظم أبا حنيفة، روح الله تعالى روحه الشريف بروائح الروح و الريحان و الرحمة و الرأفة و الرضوان، جدير بأن يكون له في هذا المسجد الحرام مقام يجتمع فيه أهل مذهبه و مقلّده، يكون أوسع من هذا المقام.

فقال بعض العلماء: إنه لا شك في عظم كل واحد من الأئمة، رضوان الله عليهم أجمعين، غير أن تعدّد المقامات في مسجد واحد، لاستقلال كل مذهب بإمام، ما أجازة كثير من العلماء، و إن تعدّد هذه المقامات، في وقت حدوثة، أنكره العلماء

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٩٣

غاية الإنكار في ذلك العهد، و لهم في ذلك العصر رسالات متعدّدة باقية بأيدي الناس إلى الآن، و إن علماء مصر أفتوا بعدم جواز ذلك و خطأوا من قال بجوازه، ثم انفضّ المجلس على غير اتفاق.

ثم ذكر القاضي بديع الزمان ابن الضياء الحنفي: أن جدّه القاضي أبا البقاء ابن الضياء أفتى بجواز ذلك، فشرع الأمير مصلح الدين في إتمام ما قصده، و هدم تلك السقيفة و وسّع المكان و عمل فيه قبة عالية من الحجر الأصفر و الأحمر و الشميسي، و صرف على ذلك ذهابا كثيرا، و استمر مقاما يصلّي فيه إمام الحنفية بالحنفيين، إلى أن غيره الأمير خوش كلدى أمير بندر جدة، و هدم القبة و بنى المقام مربعا ذا طبقتين، جعل الطبقة العليا للمكبرين، لتصل أصواتهم إلى سائر المسجد الحرام، لارتفاع مكانهم، و هو باق إلى الآن على هذا الحكم. انتهى من كتاب تاريخ القطبي.

أما مقام الشافعي، فقد كان موضعه خلف مقام إبراهيم الخليل، عليه الصلاة و السلام، و صفته بترتان عليهما عقد لطيف مشرف من أعلاه، و فيه خشبة معترضة فيها خطاطيف، تعلّق عليها القناديل، بنى بهذه الصفة عام (٨٠٧) ثم أزيل المقام الشافعي عن هذا المكان و حوّل إلى فوق بناء بئر زمزم، ليّسع ما وراء مقام إبراهيم، عليه السلام، للمصلّين و حسنا ما فعلوا. و لم نقف على سنة إزالته، و تحويله إلى فوق بناء بئر زمزم، الذي لا يزال عليه إلى عصرنا الحاضر.

هذا رأينا الخاص في اتخاذ المقامات الأربعة، و الله تعالى أعلم بغيبه، و لا نريد إطالة الكلام على ما حصل فيها من التعميرات و التجديدات، لأنها بدعة مستحدثة، و ليست بذات أهمية، و من أراد الاطلاع على ذلك فليراجع كتب التاريخ.

انظر: صورة رقم ١٧٤، المسجد الحرام و قد ظهرت فيه المقامات الأربعة قبل هدمها في سنة ١٣٧٦ هـ أما كيفية الصلاة في هذه المقامات الأربعة، فقد ذكرها ابن بطوطة، في رحلته، لما حج، و ذلك سنة (٧٢٨)، فقال ما خلاصته: أن يصلّي أولا إمام الشافعية ثم يصلّي بعده إمام المالكية، و يصلّي إمام الحنبلية معه في وقت واحد، ثم يصلّي إمام الحنفية، كل واحد في محرابه، و ترتيبهم هكذا في الصلوات الأربع، و أما صلاة المغرب فإنهم يصلونها في وقت واحد كل إمام يصلّي بطائفة. و يدخل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٩٤

الناس من ذلك سهو و تخليط، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي، و سجد الحنفي بسجود الحنبلي، و تراهم مصيخين كل واحد إلى صوت المؤذن، الذي يسمع طائفته، لئلا يدخل عليه السهو. انتهى.

و قال القاضي ابن ظهيرة في تاريخه في كيفية صلاة الأئمة الأربعة في المقامات:

و أما كيفية الصلاة فيما تقدم من الزمن، فكانوا يصلون مرتين، إلا أن المالكي كان يصلّي قبل الحنفي مدة، ثم تقدم عليه الحنفي بعد التسعين و سبعمائه، ثم قال: و نقل الفاسي، عن ابن جبير، ما يقتضى أن كلا من الحنفي و الحنبلي كان يصلّي قبل الآخر، ثم قال: و أما صلاة المغرب فكانوا يصلونها جميعا، أعنى الأربعة في وقت واحد، فيحصل للمصلّين بسبب ذلك لبس كثير، من اشتباه أصوات المبلّغين، و اختلاف حركات المصلّين، فأنكر العلماء ذلك، و سعى جماعة من أهل الخير عند ولي الأمر إذ ذاك، و هو الناصر بن

برقوق الجركسى صاحب مصر فبرز أمره فى موسم سنة (٨١١) بأن الإمام الشافعى، بالمسجد الحرام، يصلى المغرب بمفرده، فنفذ أمره بذلك، واستمر الحال كذلك إلى أن تولى الملك المؤيد، صاحب مصر، فرسم بأن الأئمة الثلاثة يصلون المغرب، كما كانوا قبل ذلك، فابتدأوا بذلك فى ليلة ٦ ذى الحجة سنة (٨١٠) واستمروا يصلون كذلك. انتهى.

فانظر رحمك الله إلى هذا التعصب الزائد فى المذاهب الأربعة، الذى خرج عن حده، حتى أدى إلى تفرقة الجماعات فى الصلوات، فى نفس المسجد الحرام، وهذا خلاف ما كان عليه السلف الصالح، وأهل القرون الثلاثة الأولى، وهم خير القرون بنص الحديث الشريف، فى الصحيحين: «خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته».

على أن علماء الإسلام لم يسكتوا عن هذا الأمر، فى ذلك الوقت، فإن الشيخ الإمام أبا القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الحباب المالكي أفتى فى سنة (٥٥٠)، بمنع الصلاة بأئمة متعددة، وجماعات مرتبة، بحرم الله تعالى، وقال: وعدم جوازها على مذاهب العلماء الأربعة. وقد أنكر أيضا كثير من العلماء هذا الأمر حينما وصلوا إلى مكة للحج سنة (٥٥١) من أصحاب المذاهب الأربعة. ذكر أسمائهم الشيخ عبد الله باسلامة فى «تاريخ عمارة المسجد الحرام». فراجعه إن شئت.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٩٥

قال صاحب كتاب «مرآة الحرمين»: وأما الوقت الذى حدث فيه تعدد الأئمة فى الصلوات المفروضة، فقال الفاسى: لم أعرفه تحقيقا، ثم نقل ما يدل على أن الحنفى والمالكي كانا مع الشافعى فى سنة (٤٩٧) سبع و تسعين وأربعمائة هجرية، وأن الحنبلى لم يكن فى ذلك الوقت وإنما كان إمام الزيدة، ثم قال:

و وجدت ما يدل على أن إمام الحنبليّة كان موجودا فى عشر الأربعين و خمسمائة، راجع الرسالة، التى كتبها الشيخ جمال الدين القاسمى، فى بدعة تعدد الأئمة.

انتهى من «مرآة الحرمين» هذه خلاصة مفيدة وافيه عن المقامات الأربعة.

والذى أبطل هذه البدعة السيئة وأزالها تماما الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، رحمه الله تعالى، وأحسن إليه، وذلك حينما تولى على الحجاز سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية، فإنه أمر غفر الله لنا وله أن يصلى إمام واحد بالناس فى الصلوات الخمس، وهذه حسنة يؤجر عليها، إن شاء الله تعالى، ولا تزال الصلاة على هذه الحال إلى يومنا هذا، ولله الحمد، ومن أراد الوقوف على وصف المقامات الأربعة، وما حصل فيها من التعميرات فعليه بمراجعة كتاب «مرآة الحرمين» لمؤلفه إبراهيم رفعت باشا رحمه الله تعالى.

### كيفية صلاة الأئمة فى المقامات الأربعة التى كانت سابقا

و ذكر الفاسى، فى الجزء الأول، من تاريخه «شفاء الغرام» عن ذلك، ما يأتى: أما كيفية صلاتهم فإنهم يصلون مرتين، الشافعى ثم الحنفى ثم المالكي ثم الحنبلى. و ذكر ابن جبير ما يقتضى أن المالكي كان يصلى قبل الحنفى، وأدركناه كذلك، ثم تقدم عليه الحنفى، بعد التسعين، (بتقدم التاء على السين) و سبعمائة، واضطرب كلام ابن جبير، فى الحنفى و الحنبلى، لأنه ذكر أن كلا منهما يصلى قبل الآخر، وهذا كله فى غير صلاة المغرب، و أما هى فإنهم يصلونها جميعا فى وقت واحد.

و سبب اجتماعهم فى هذه الصلاة: أنه يحصل للمصلين لبس كثير، بسبب التباس أصوات المبلغين، و اختلاف حركات المصلين، و هذا الفعل ضلال فى الدين، لما فيه من المنكرات، التى لا تخفى إلا على من غلب عليه الهوى. و لم يزل العلماء ينكرون ذلك، قديما و حديثا، نسأل الله زوال البدعة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٩٦

ثم زالت هذه البدعة، بسعى جماعة من أهل الخير فيها، عند ولى الأمر، أثابهم الله تعالى، و ذلك أن فى موسم سنة إحدى عشرة و

ثمانمائة ورد أمر السلطان الملك الناصر فرج، نصره الله تعالى، بأن الإمام الشافعي بالمسجد الحرام يصلي المغرب بمفرده، دون الأئمة الباقين، فنقذ أمره الشريف بمكة كما رسم به، واستمر هذا الحال إلى أن ورد أمر الملك المؤيد أبي النصر شيخ صاحب مصر بأن الأئمة الثلاثة يصلون المغرب، كما كانوا يصلون قبل ذلك، ففعلوا ذلك، وأول وقت فعل فيه ذلك ليلة السادس من ذى الحجة من سنة ست عشرة وثمانمائة، وكذلك تجتمع الأئمة الثلاثة غير الشافعي على صلاة العشاء، في رمضان، و يجتمع أيضا هؤلاء الأئمة الأربعة وغيرهم من الأئمة، بالمسجد الحرام، في صلاة التراويح في المسجد، ويحصل بسبب اجتماعهم في ذلك المنكر القبيح، الذي كان يقع دائما، في صلاة المغرب، وأعظم لكثرة الأئمة فلا حول ولا قوة إلا بالله. انتهى من شفاء الغرام.

نقول: لقد بطلت هذه العادة والله الحمد، وهي تعدد الجماعات في المقامات، وذلك منذ تولى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله تعالى، على الحجاز سنة (١٣٤٣) ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، كما ذكرنا تفصيل ذلك في غير هذا الموضوع.

### حكم صلاة الأئمة المتعددة في المقامات

قال الفاسي في كتابه «شفاء الغرام» ما يأتي:

و أما حكم تعدد صلاة الأئمة في الفرائض في المقامات، فقد ذكر الفاسي في «شفاء الغرام» بعد أن ذكر كيفية صلاة الأئمة في المقامات، ما نصّه:

و أما حكم صلاة الأئمة الثلاثة: الحنفي و المالكي و الحنبلي في الفرائض على الصفة التي يصفونها، فاختلف فيه آراء علماء المالكية، لأن شيخ الإمام أبا القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الحباب المالكي، أفتى في سنة خمسين و خمسمائة، بمنع الصلاة بأئمة متعددة و جماعات مترتبة بحرم الله تعالى، و عدم جوازها على مذاهب العلماء الأربعة.

ثم إن بعض الناس استفتى في ذلك بعض علماء الإسكندرية، فأفتوا بخلاف ما رآه ابن الحباب، و الذي أفتى بذلك شداد بن المقدم و عبد السلام بن عتيق

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٩٧

و الشيخ أبو طاهر بن عوف بن الزهري. و لما وقف ابن الحباب على فتاويهم أملى في الرد عليهم أشياء كثيرة حسنة، و نقل إنكار ذلك عن جماعة من العلماء الشافعية و الحنفية و المالكية حضروا الموسم بمكة سنة إحدى و خمسين و خمسمائة، فمن الشافعية أبو النجيب، مدرّس النظامية، و يوسف الدمشقي صاحب أسعد البهتي، و نقل عنهما أنهما قالوا: و أما صلاة المغرب فهي أشنع و أبشع، و حضره العطارى في بعثة فقهاء نيسابور، و محمد بن جعفر الطائي يعني صاحب الأربعين.

و من الحنفية الشريف الفزنوي، و من المالكية عمر المقدسي، و أقام الدلالة على فسادها، و أنها مخالفة لرأى مالك و أصحابه. و ذكر ابن الحباب: أن أبا بكر الطرسوسي و يحيى الزياتي، شيخ شداد بن المقدم، لم يصليا خلف إمام المالكية، بالحرم الشريف ركعة مع كونه مغموضا عليه. قال: و لا شيء أقبح بن جهل الإنسان بحال شيوخه.

و أما وقت حدوثهم فلم أعرفه تحقيقا، و رأت ما يدل على أن الحنفي و المالكي كانا موجودين في سنة سبع و تسعين و أربعمائة، و أن الحنبلي لم يكن فيه موجودا، و ذلك لأن الحافظ أبا طاهر السلفي حج في هذه السنة و رأى فيها أبا محمد بن العرضي القروي المقرئ، إمام مقام الخليل عليه السلام بالمسجد الحرام، و ذكر أنه أول من يصلي من أئمة الحرم المقدس قبل: المالكية و الحنفية و الزيدية. انتهى.

و وجه الدلالة، من هذا على ما ذكرناه، من أن الحنبلي لم يكن موجودا، في هذه السنة، عدم ذكر السلفي له و ذكره لإمام الزيدية، و لو كان الحنبلي موجودا حينئذ لذكره السلفي، فإنه أولى بالذكر من إمام الزيدية. و الله أعلم. و رأيت ما يدل على أنه كان موجودا في



عشر الأربعين و خمسمائة، و قد ذكرت ذلك في أصل هذا الكتاب. و الله أعلم. و كان بعض المتعصبين على الحنابلة يقطع حطيمهم من مكة، لأن أبا المظفر سبط أبي الفرج ابن الجوزي قال في كتابه «مرآة الزمان»: إن مرجان خادم المقتفى العباسي بعد أن ذكر عنه أنه قال:

قصدي أن أفلح مذهب الحنابلة، لأنه لما حجّ قلع الحطيم، الذي كان لهم بمكة، و بطل إمامتهم بها. اه.  
ثم جاء في هامش الكتاب ما يأتي:

صفه الحطيم خشبتان موصول بينهما بأذرع شبه السلم، تقابلهما خشبتان على تلك الصفة، قد عقدت هذه الخشب على رجلين من الجص، غير بانه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٩٨

الارتفاع، و اعترض في أعلى الخشب فيها خطاطيف حديد، فيها قناديل معلقة من الزجاج. انتهى من «شفاء الغرام».

### هدم المقامات الأربعة التي كانت بالمسجد الحرام

لما صدرت الموافقة الملكية بتوسعة المطاف، و هدم المقامات الأربعة، في زماننا، قاموا بتنفيذ الرغبة الملكية، فهدموا أولاً «المقام الحنبلي» الذي هو بقرب بئر زمزم، و ذلك في ليلة الثلاثاء الحادي و العشرين من شهر شعبان سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية.

ثم هدموا «المقام المالكي» الذي يقع بين المقام الحنبلي و المقام الحنفي، أي كان مقابلاً لظهر الكعبة، و ذلك في ليلة الأربعاء الثاني و العشرين من شهر شعبان من السنة المذكورة سنة (١٣٧٧) هجرية.

ثم هدموا «المقام الحنفي» الذي يقع في الجهة الشمالية و يقابل ميزاب الكعبة، و ذلك بعد عيد الفطر، أي في يوم السبت الثامن من شهر شوال من السنة المذكورة سنة (١٣٧٧) هجرية.

و كان في هذا المقام مكبرات الصوت المسماة «ميكروفونات» ليصل إلى الناس صوت الذي يقيم الصلاة، و يكبر لدى حركات الإمام، فعند هدم هذا المقام نقلوا هذه الميكروفونات إلى المقام الشافعي الذي هو فوق سطح بناء بئر زمزم.

أما المقام الشافعي، فقد تأخر هدمه عن السنة المذكورة سنة (١٣٧٧) هجرية، لأنه ليس له بناء مستقل وحده، كالمقامات الأخرى، فهو يقع فوق بناء بئر زمزم، فهدمه لا يكون إلا بإزالة هذا البناء، ثم الناس في حاجة إلى من يبلغهم حركات الإمام، و مكبرات الصوت فوق هذا البناء، فلا يمكن إزالته لتوسعة المطاف، إلا إذا بنى لمكبرات الصوت موضع خاص ثابت، و لم يتقرر ذلك لدخول موسم الحج و وصول بوادر الحجاج، ثم إنهم هدموا «المقام الشافعي» مع بناء بئر زمزم في سنة (١٣٨٣) هجرية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٩٩

### المزاو و الساعات في المسجد الحرام

#### إشارة

كان معرفة الناس بوقت الزمن و الساعات، في بدء الأمر، بواسطة الشمس، فكانوا يضعون عصا أو نحوها في الأرض، فإذا ظهر ظل الشمس على العصا في الأرض، يعرفون الوقت بموجب هذا الظل طال أم قصر.

أما معرفتهم للوقت بالليل حيث لا-شمس عندئذ، فلهم علامات خاصة بواسطة بعض الأشياء، فبعضهم كان يعرف الوقت بواسطة الشمعة، بأن يقسمها إلى اثنتي عشرة خانة، و يضع على كل خانة رقماً خاصاً من (١-١٢) باعتبار أن الليل اثنتا عشرة ساعة و أن النهار

مثله أيضا.

فبقدر احتراق الخانات في الشمعة يكون عدد الساعات، التي مضت، وكذلك كان يعرفون الوقت بواسطة ماعون من الزجاج كالكأس، يقسمونه إلى اثنتي عشرة خانة كالشمعة، و يضعونه تحت موضع نزول الماء، فينزل الماء في الماعون نقطة نقطة، فبمقدار ارتفاع الماء في خانات الماعون يكون عدد الساعات التي مضت.

وكذلك كانوا يعرفون الوقت بواسطة الساعات الرملية، وهي من الزجاج، مقسم إلى قسمين، على شكل مخروط كالمحقن المسمى بمصر «القمع»، ويتصلان ببعضهما من قاعهما المستدق المخروق بخرق صغير، فيملا الأعلى منهما برمل ناعم و بقدر مخصوص، ثم يترك لينزل الرمل شيئا فشيئا إلى القسم الآخر، فبقدر ارتفاع الرمل في الخانات يكون عدد الساعات التي مضت، هذا بعد تقسيم الزجاج إلى اثنتي عشرة خانة ووضع الأرقام عليها كالشمعة.

انظر: الصور أرقام ١٧٥، الشمس و العصا، و الصورة رقم ١٧٦ للساعة الرملية، و الصورة رقم ١٧٧، للساعة الشمعية.

إن معرفة الزمن و الوقت أمر لازم لكل إنسان عاقل، يدرك عواقب الأمور، و يفهم الخير و الشر، أما المجنون و المعتوه و النائم و الحيوان غير الناطق، فهؤلاء يمر عليهم الزمان و هم لا يشعرون بمروره و لا بمقداره.

و إن أشد من يعينهم مرور الزمن هو: العاشق المترقب الوعد من محبوبه، و المترقب لبيان نتيجة الأطباء في إجراء عملية خطيرة لعزير عليه، و المحبوس الحبس الانفرادي في مكان ضيق محدود، و التلامذة في نتيجة الاختبار، و القائد الأعلى في

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٠٠

انتظار اللحظة الحاسمة في الحرب ببشارة الانتصار، و الموعد من سخي كريم بقضاء حاجته في موعد محدد، و الصائم في اللحظات الأخيرة عند المغرب، و القائم بالأذان لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة، و المنتظر لأمر يهمه في وقت معين.

كل هؤلاء و من يعطف عليهم يهمهم معرفة الوقت و الزمن. نسأل الله الكريم الحليم أن يجعلنا ممن ينتظرون بشائر الخير و الفرح و السرور آمين.

جاء في كتاب «الترايب الإدارية» بصحيفة ٧٨، من الجزء الأول ما نصه:

فائدة قال الحافظ السيوطي في «التوشيح»، في تاريخ ابن عساكر، بسند ضعيف: إن أول من قدّر الليل و النهار اثنتي عشرة ساعة نوح عليه السلام حين كان بالسفينه، و في الإكليل له على قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ ... الآية أصل في علم المواقيت و الهيئه و التاريخ ه. و فيه أيضا على قوله تعالى: وَ قَدَّرَهُ مَنَازِلَ أَصْلَ فِي عِلْمِ التَّوْقِيتِ وَ الْحِسَابِ وَ مَنَازِلَ الْقَمَرِ وَ التَّارِيخِ. اه.

و قد أخرج أبو الشيخ، بسند فيه مجهول، عن ابن الزبير، قال: أخذ الأذان من أذان إبراهيم، و أذن في الناس في الحج، فأذن رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال الشيخ زروق، في حواشي الصحيح: لا يبعد أن يكون أحد المقويات لرؤياهم، حتى سكن إليها دون آرائهم المتقدمة، إذ لا منافاة، و سواء قلنا جاء به الوحي أم لا، لاحتمال أن يكون الوحي ورد بعد ذلك، مؤكدا لما عندهم من الرؤيا و النظر. اه.

و في مخطط مصر للتعليق المقريزي، قال أبو عمرو الكندي، في ذكر من عرف على المؤذنين بجامع عمرو بن العاص بمصر: كان أول من عرف على المؤذنين أبو مسلم سالم بن عامر بن عبد المرادي، و هو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد أذن لعمر، ثم عرف عليهم أخوه شرحبيل بن عامر، و كانت له صحبة و ذكر عن عثمان أنه أول من رزق المؤذنين. (زقلت). انتهى من الكتاب المذكور.

جاء في «مجلة الوحي»، التي تصدر بمصر، بالقاهرة، مقالة بعنوان: «الرسم التوضيحي في المخطوطات الإسلامية» بقلم الأستاذ الفاضل الدكتور أحمد موسى المصري، تناول فيها عدة مسائل، كان من ضمنها مسألة التوقيت، و لقد نقلنا ما كتبه عن هذه المسألة، و تركنا المسائل الأخرى، لعدم الحاجة إليها، في كتابنا هذا. و إليك ما كتبه عن مسألة التوقيت:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٠١

ومما يثبت نجاح المسلمين في العلوم الفلكية و الميكانيكية، التي بنى عليها فن التوقيت بالساعات بعد المزاول، ما تراه في الصورة الرابعة الموجودة في كتاب علم الساعات والعمل بها، تأليف رضوان بن محمد الخراساني، والتي تمثل دائرة و ساعات الليل نظيرتها في النصف الأعلى من الدائرة، حيث ترى قنديلا معلقا بسلك رفيع، و إلى اليسار ثقلان معلقان بسلك آخر، أحدهما توسط ارتفاع الصورة و الآخر قريبا من أسفلها و هما متصلان بالسلك المرتكز على بكره في الركن الأعلى الأيسر. و عند الثقل الأسفل تشاهد طيرا، كان المقصود منه، أن ينقر بمنقاره لتحديد الوقت. أما المجارى الرفيعة، التي توسطت الصورة، حيث النقط البيضاء المستديرة، فهذه كانت طريقا لأثقال تمرّ منها في أوقات معينة، مارة بفتحة في رأس الطائر، الذي ترى عند قدميه وعاء نصف مستدير لجمع هذه الأثقال. انتهى من المجلة المذكورة، و مع الأسف كان غلافها مقطوعا، لذلك لم نعلم تاريخ صدورها و رقم عددها.

و الصورة التي تكلم عنها الأستاذ المذكور فهي تمثل دائرة الساعات. و قد نقلها من كتاب «علم الساعات والعمل بها» تأليف رضوان بن محمد الخراساني، و هذا الكتاب موجود بدار الكتب العربية بالقاهرة.

انظر: صورة رقم ١٧٨، الساعة المائية

و للتوصل إلى معرفة الزمن، طويلا كان أم قصيرا، طرق عديدة، و وسائل شتى، منذ العصور القديمة، فكانوا يعرفون الصباح من صباح الديكة، و يعرفون بعض الأوقات من قيامهم ببعض الأعمال، كالغزل و النسج و القراءة و التسبيح، ثم اخترع المفكرون عدة آلات لضبط الوقت، كالساعات الرملية و تسمى ب "المنكاب" و هي عبارة عن قطعتين متصلتين من الزجاج مخروطيتي الشكل، مجوفتين، بينهما فتحة ضيقة، تملأ إحداهما برمل ناعم فيمر الرمل من الفتحة الضيقة، و يسقط داخل القطعة الأخرى، فإذا فرغت الأولى تقلب الثانية عليها، و قد وضعت علامات على كل قطعة، فإذا وصل الرمل إلى علامة منها عرفوا الوقت بالضبط، و فهموا منها أجزاء الزمن. ثم استبدلوا الماء عوضا عن الرمل في القطعتين المذكورتين، لأن الماء أسهل جريانا في الفتحة الضيقة من الرمل، فتكون سرعة سيلانها مناسبة لمرور الزمن،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٠٢

و هذه الساعات الرملية أو المائية كانت معروفة قبل الميلاد، و كانت تستعمل إلى بعد الإسلام أيضا.

ثم توصل الفلكيون إلى اختراع المزاول ذوات الشاخص المائل، إذ بواسطته يتحصّل على معرفة ساعات النهار. و المزاول هي آلات تعرف بها الساعات الشمسية الحقيقية، بواسطة الظل المحذوف بشاخص على سطح، حيثما اتفق، أي سواء كان مستويا أو منحنيا. و كانت هذه المزاول مستعملة، في جميع البلدان، إلى القرن الثاني عشر للهجرة تقريبا، بل و لا تزال مستعملة إلى اليوم بقلّة، في بعض البلدان كمصر و الحجاز، فقد رأينا في مصر مزولة بالجامع الأزهر و مزولة على جدار جامع المؤيد بباب زويلة من جهة شارع الغورية، و توجد أيضا بالمسجد الأقصى مزولتان شمسيتان: إحداهما في الناحية القبلية الغربية، من مسجد الصخرة، و ثانيتهما على واجهة القنطرة، التي في الجنوب الغربي، من سطح الصخرة، و كتاهما وضعتا في عصرنا الحاضر كما في تاريخ الحرم القدسي. و كذلك توجد بمكة مزولة بالمقام الشافعي، فوق بئر زمزم، و يعمل بها اليوم رئيس المؤذنين إذا كان الوقت بالنهار صحوا لا غيم فيه، و هذه صورة المزولة التي فوق بئر زمزم.

انظر: صورة رقم ١٧٩، مزولة بئر زمزم

ثم إنه حدث إنقلاب عظيم في معرفة الأوقات بالضبط و الانتظام التام، و ذلك بسبب اختراع الساعات الآلية، التي توضع في الجيب و في المعصم و في الحوائط و المكاتب، و قد كثرت و تنوعت أشكالها و ألوانها و أنواعها، و رخصت أثمانها رخصا جعلتها في متناول الغنى و الفقير و الكبير و الصغير.

و أضبط من جميع أنواع الساعات الحركات الفلكية و الدقات القلبية، و هذه مما لا شك فيه راجع إلى خلق المولى سبحانه و تعالى، و

يحضرنا في هذا المعنى بيت من الشعر و هو:

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق و ثوان

اللهم أمتنا على الإسلام و نور قلوبنا و بصائرنا و ارزقنا الصحة و العافية بفضلك و رحمتك يا رحمن يا رحيم يا عظيم يا حليم يا الله.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٠٣

و لنذكر الآن ما جاء في التاريخ عن المزاويل و الساعات التي كانت موجودة بالمسجد الحرام، فنقول: جاء في تاريخ الغازي، نقلا عن الفاسي: إن الوزير الجواد وضع مزولة، و هي التي يقال لها ميزان الشمس، في صحن المسجد الحرام، بينها و بين ركن الكعبة الشامي، الذي يقال له الركن العراقي، ثلاثة و أربعون ذراعا و ثمن ذراع، بذراع الحديد. اه. نقول: الوزير الجواد هو جمال الدين المعروف بالوزير الجواد الأصفهاني المتوفى سنة (٥٥٩) تسع و خمسين و خمسمائة و له أعمال مجيدة بالحرمين الشريفين ذكرناها في ترجمته. و جاء فيه أيضا نقلا عن الأرج المسكي: إن السيد بركات المغربي وضع في سنة (١٠٢٤) أربع و عشرين و ألف مزولة بالبناء المحيط بئر زمزم، و في سقف هذا البناء قبة كبيرة، و بهذا المحل يؤذن رئيس المؤذنين للأوقات.

و جاء فيه أيضا نقلا عن السنجاري: إن الشيخ محمد بن سليمان المغربي صنع مزولة و وضعها في المسجد الحرام، في محل مزولة الوزير الجواد المذكور، حيث خربت هذه المزولة، و قد بنى الشيخ محمد لمزولته بتره، بقدر القامة، حيال الركن الشرقي، على ممشى باب السلام، و ذلك في سادس ذى الحجة سنة (١٠٧٩) تسع و سبعين و ألف، و قال العصامي: وضع العلامة الشيخ محمد بن سليمان المزولة في اليوم الحادي و العشرين من ذى القعدة من السنة المذكورة، ثم إنه في سنة (١٠٨٤) وقع مطر في ليلة النصف من شعبان، فقام جماعة من العسكر فهدموا بتره المزولة، التي بناها الشيخ محمد بن سليمان المذكور فلم يعترض على هدمها. انتهى كل ذلك من تاريخ الغازي.

نقول: إن المزولة المذكورة، التي عملها السيد بركات المغربي، لا زالت موجودة إلى يومنا هذا بالمسجد الحرام، بالمقام الشافعي فوق بئر زمزم، و لا يزال العمل عليها أيضا إلى اليوم.

و لقد قمنا بالكشف عليها و معرفه حقيقتها، و كان طلوعنا إلى سطح بئر زمزم للنظر إليها، في يوم الأحد التاسع عشر من جمادى الثانية سنة ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة.

فهذه المزولة هي من الرخام المرمر الأبيض، طولها نحو ستين سنتيمترا و عرضها نحو خمس و أربعين سنتيمترا، يقسمها إلى نصفين متساويين تماما خط الاستواء الراسي، فنصفها الذي على اليمين مكتوب فيه أسماء البروج الاثني عشر، التي

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٠٤

هي: السرطان، و الأسد، و السنبله، و الميزان، و العقرب، و القوس، و الحمل، و الثور، و الجوزاء، و الجدى، و الدلو، و الحوت.

و مكتوب في النصف الذي على الشمال ما يأتي: «أذن في وضع هذه الوزير حسن باشا، و بأن تكون من عمل الفقير بركات السيد بن محمد الظريف التونسي سنة (١٠٢٣) ثلاث و عشرين و ألف، و ذلك بإشارة الرئيس محمد بن أحمد».

انتهى.

أما جوانب المزولة فمقسومة إلى ساعات و دقائق و درجات، و لقد اشترك معنا، في نقل ما هو مكتوب بهذه المزولة، حضرة الفاضل المحترم الشيخ أسعد حسين الرئيس، الموقت و المؤذن، في المقام الشافعي، بأعلى بئر زمزم.

أما الساعات في المسجد الحرام: فلا نعلم بالضبط متى كان وضع أول ساعة حائطية، في المسجد الشريف، و قد ذكر الغازي، في تاريخه المخطوط بخط يده، رحمه الله تعالى، بصحيفة (٢٥١) أن السلطان عبد المجيد خان أرسل ساعات للمسجد الحرام من الآستانه، و إليك نص عبارته:

و في السالنامة الحجازية: و في سنة (١٢٥٩) تسع و خمسين و مائتين و ألف، صدر الأمر، من مولانا السلطان عبد المجيد خان، بوضع

كتبخانه في المسجد الحرام، و أرسل من دار السلطنة كتب كثيرة فوضعت في القبّة، التي كانت في المسجد، و كانت تلك القبّة تسمى سقاية العباس، و صدر الأمر أيضا، من مولانا السلطان عبد المجيد، بوضع ساعات فلكية في المسجد الحرام، أرسلت من دار السلطنة، في قبّة أخرى في المسجد، و كانت تلك القبّة تسمى قبّة الفّراشين. انتهى.

و قال الغازي بصحيفة ٢٥٢: و ذكر السيد أحمد دحلان في سالنامته، و في سنة ثلاثمائة و ألف هدمت القبتان الكائنتان في المسجد، و هما قبّة الكتب و قبّة الساعات، و ذلك لتضييقهما المسجد، و للخوف من السيل لأنه دخل سنة ثمان و سبعين و مائتين و ألف، و حصل تلف في الكتب، و وضعت الساعات بمحل عمل لها في هواء المسجد الحرام، بين باب علي و باب بازان، و نقلت الكتب في القبّة المتصلة بمدرسة السليمانية، عند باب دريئة، و هذا في إمارة الشريف عون باشا ابن المرحوم محمد بن عون، و ولاية الوزير المفخّم السيد عثمان نوري باشا. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٠٥

و باب بازان المذكور هو الذي كان يسمى باب بني عائذ، و يسمى باب الجنائر ثم سمي باب الكراكون، و هو الباب الذي يلي باب علي من جهة الصفا.

و قال الغازي في صحيفة ٢٥٢ ما ملخصه: و في سنة ألف و ثلاثمائة و واحد جاء عثمان باشا بساعتين كبيرتين، يبلغ طول الواحدة منهما نحو مترين، و وضعهما مع الساعات المنقولة من القبّة، و هما موجودتان إلى الآن، غير أنهما غير صالحتين لعدم تعهدهما بالإصلاح و طول الزمان. قال: و في سنة ١٣٥٢ أمر جلاله الملك المعظم عبد العزيز آل سعود بإحضار ساعة كبيرة مضبوطة، ترى حركاتها من مسافة بعيدة، و يسمع صوت دقاتها كل من بالمسجد الحرام و من حوله، و هي ذات واجهتين: إحداهما مطلّمة على المسجد الحرام، و الأخرى مطلّمة على محلة أجياد، و تضاء ليلا بالكهرباء.

و قد بنى للساعة المذكورة قاعدة فوق دار الحكومة (الحميدية) و تم كل ذلك سنة ١٣٥٢. انتهى من «عمارة المسجد الحرام» للشيخ باسلامة، نقول: لقد هدمت دار الحكومة المذكورة (أى الحميدية) في سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين هجرية لأجل توسعة المسجد الحرام، و إن شاء الله تعالى، سنذكر بعد انتهاء هذه التوسعة عن عدد الساعات التي توضع في المسجد و مواقع أمكنتها.

هذا و نحن قد اقترحنا، في جريدة البلاد السعودية بتاريخ ٦ صفر عام (١٣٧٦) وضع عدة ساعات كبيرة، في كل جهة من داخل المسجد الحرام و خارجه، و كذلك عدة ساعات كبيرة في نفس المسعى، بين الصفا و المروة، و في شوارع مكة المكرمة و ميادينها و مرافقها، و ذلك بعد الانتهاء من عمارة توسعة المسجد الشريف، و توسعة الشوارع إن شاء الله تعالى.

## الساعات الكبيرة و ساعة الجيب

جاء في كتاب «المخترعات وليدة المصادفات» عن الساعات ما يأتي:

عند انبثاق فجر التاريخ، لم يكن للإنسان الأول مأوى، سوى الكهوف و المغارات، و لم يكن له عمل سوى أن يطارد الحيوانات الأبدية، و أن يولى بين يديها هاربا، إن هي كرت عليه مهاجمة، لذلك لم يكن به حاجة كبيرة إلى استعمال الساعات، لإحصاء مرور الزمن، لكن رجل الكهف هذا، كان بالضرورة يلاحظ سير الشمس في قبّة الفلك، و يرى ظلال الأشياء كالأشجار

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٠٦

و الصخور العالية، و هي تمتد أو تتقلص، فكان يكتفى بأن يغرس عصا في الأرض، ثم يضع من حولها حصيات على مسافات معيئة، بحيث يمر عليها ظل العصا شيئا فشيئا، و بذلك كان يستطيع أن يعين الوقت من النهار، و كانت هذه أول خطوة نحو اختراع الساعة. و

كانت الخطوة الثانية، و لم تأت إلا بعد انقضاء عدة قرون، هي صنع الساعة الشمسية، و هي عبارة عن رقعة ترسم فيها دوائر مقسمة تقسيما هندسيا، و في وسطها قضيب رفيع، يقع ظل طرفه على هذه الدوائر، واحدة فواحدة، تبعا لحركة سير الشمس، و كان هذا هو البدء الحقيقي في عمل الساعة، التي تطورت على مر الأجيال، حتى صارت إلى ما هي عليه اليوم.

لكن الساعة الشمسية لا يمكن أن يعرف بها إلا عدد ساعات النهار، في حالة صفاء الجو، أما إذا غامت السماء، فإنها تكون عديمة الفائدة. و لما تدرج الإنسان في سلم المدنية شعر بحاجة إلى آلة تضبط الأوقات بدقة و على جميع الحالات، فجاء دور الساعة المائية «سيليرا» و هي عبارة عن جرة تملأ ماء، و لها ثقب صغير في أسفلها، بحيث ينزل منها الماء قطرة قطرة على نسب مخصوصة، فإذا ما نفذ الماء عرف مقدار الزمن، الذي انقضى، من حين ملئت الجرة إلى حين فرغت، على حسب حجمها. ثم زيد في هذا الاختراع أن اتخذت جرتان: الواحدة، و هي ذات الثقب، فوق أخرى أكبر منها. و جعل في الجرة السفلى عمود مقسم إلى درجات، و بجانبه شارة (عقرب) من جسم خفيف كالفلين، فإذا ما أخذ الماء يتجمع، في هذه الجرة السفلى، و يرتفع حمل الشارة معه تدريجيا و بذلك يمكن تعيين الوقت.

غير أنه ظهر أن هذه الساعة المائية لا تنفع إلا في المناطق الحارة، أما في المناطق الباردة، التي يتجمد فيها الماء في فصل الشتاء، فإنها تكون عديمة الفائدة أيضا.

و حينئذ ظهرت الساعة الرملية، التي لا يزال لها بقايا مستعملة إلى هذه الأيام، و ما زلنا نراها في الصورة المأخوذة عن الجيل الماضي مقرونة إلى ذلك المنجل الكبير الغليظ.

و لسنا نستطيع أن نحدد بالضبط العصر الذي صنعت فيه ساعة ذات دوايب و ميناء. و الراجح أن ذلك كان في القرن الثاني عشر للميلاد. و قد تقدمت العلوم بسرعة، ففي سنة ١٢٨٨ كانت قد ركبت ساعة كبيرة في أحد أبراج و ستمستر، و في سنة ١٣٣٦ كان رئيس دير القديس «سانت البانس» قد زين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٠٧

جدران الدير بساعة كبيرة لا تبين الساعات و الدقائق فحسب بل كانت تبين حركات الأجرام السماوية بكل وضوح. و بعد رده طويل من الزمن، اخترعت الساعة ذات الرقاص، و كان السبب في ذلك أن شابا إيطاليا يدعى «جاليليو جاليلي» كان موجودا يوما في كاتدرائية «بيزا» و كان المصباح الكبير المعلق في سقف الغرفة، يخطر في فضاءها رائحا غاديا، بعد أن تركه الخادم الذي كان ينظفه، و كانت المسافة، التي يقطعها في مسيره، تتقاصر تدريجيا، و كان جاليليو يلاحظ حركاته و يقيسها على نبض يده، و هنا اكتشف تلك الحقيقة الرائعة، و هي أنه إذا علق جسم في الفضاء ثم جذب إلى جهة ما، و ترك يهتز، فإن الزمن الذي يقضيه في قطع المسافات الطويلة هو عين الزمن الذي يقضيه في قطع المسافات القصيرة، و كانت هذه الفكرة هي التي أوحى فيما بعد باتخاذ البندول.

و قد استعملت ساعات الجيب من عصر متقدم يرجع إلى القرن السادس عشر، و في عهد الملكة «إليزابيث» كانت صناعة الساعات قد تقدمت تقدما عظيما، و صارت تصنع من التنك، و تعيش طويلا. و لم تكن في غاية الدقة و الإحكام فحسب، بل كانت أيضا آية في الروتق و الجمال، و شاع استعمالها شيوعا كبيرا حتى أن «شاكسبير» و هو يمثل دور «تشتون» في رواية «كما أحبته» عندما أراد أن ينظر إلى ساعته الشمسية لم يخرج إلا ساعة جيبه. انتهى من الكتاب المذكور.

و جاءت تفصيلات وافية عن «الساعة» بقلم الأستاذ أحمد عابدين نشرت في «مجلة قافلة الزيت» التي تصدر بالظهران بالمملكة العربية السعودية، في العدد الصادر في شهر رجب سنة (١٣٧٧) سبع و سبعين و ثلاثمائة و ألف، بعنوان «قصة اختراع الساعة» و هي كما يأتي: الساعة كما هو معروف عنها، تبين لنا الوقت الذي نعمل و نسير بمقتضاه، و قديما قيل: «الوقت من ذهب» ... و لعل قائل هذه الحكمة كان من رجال الأعمال، الذين يقدرون قيمة الوقت، أو الذين كانوا يشعرون لا إراديا بقدم هذا العصر الذري، الذي أصبحت فيه الدقيقة الواحدة تساوي ألوف الريالات.

فرجال الأعمال اليوم هم الذين يقدرون هذه الحكمة حق قدرها ... فإذا ما فات أحدهم موعد قيام الطائرة أو القطار، أدى ذلك إلى إصابته بخسارة فادحة في الأموال ربما قدرت بملايين الريالات ... و ليعلم القراء الكرام أهمية الوقت،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٠٨

نضرب هذا المثل البسيط ... لقد أعلنت إحدى شركات التليفونات الكبيرة في أمريكا أنها تتلقى في كل يوم حوالى ٤٠ ألف مكالمة تليفونية يستفسر أصحابها عن الوقت، و يعطى الوقت للسائل مضبوطا إلى أقرب جزء من عشرين من الثانية.

كانت أول ساعة أو أول أداة استخدمها الإنسان لمعرفة الوقت هي الساعة الشمسية أو المزولة ... فقد لاحظ الإنسان أن ظله يطول و يقصر، حسب دوران الأرض حول الشمس، فهدها هذا إلى اختراع الساعة الشمسية. و كانت هذه الساعة في أشكال مختلفة بالنسبة للأمم التي استخدمتها، كالمصريين القدماء و الهنود و البابليين.

و بالرغم من أن هذه الساعة قد أفادت مخترعيها، بأن سهّلت لهم معرفة الوقت، إلا أن عملها كان يبطل أثناء الليل أو أثناء احتجاب نور الشمس وراء السحب، الأمر الذى حدا بالإنسان للتفكير باختراع آله تبيّن الوقت فى الليل و النهار. و قد وفق الإنسان، فى بادئ الأمر، إلى ابتكار الساعة الرملية، التى تتكون من زجاجتين ألصقت فوهاتهما معا، و عبّئت إحداهما بالرمل، بينما تركت الزجاجة الثانية فارغة ... و كان عمل هذه الساعة يتم بترك الرمل ينساب من الزجاجة العليا إلى الزجاجة السفلى، حتى تفرغ، فتقلب هذه الساعة بحيث تعود الزجاجة الممتلئة بالرمل هى العليا، و هكذا دواليك ... و كان قياس الوقت يتم أولا بالنظر إلى كمية الرمل الموجودة فى إحدى الزجاجتين، و بعدد المرات التى قلبت فيها هذه الساعة الرملية.

و بتقدّم الزمن اخترعت الساعة المائية. و لعلها أتقن ساعة اخترعت فى الزمن القديم. فقد استخدمها المصريون القدماء و الصينيون و اليونان و البابليون و الرومان و العرب الذين أدخلوا عليها تحسينات جمّة، لا سيّما تلك الساعة الشهيرة التى أهداها هارون الرشيد إلى شارلمان ملك الإفرنج، و كانت هذه الساعة المائية مصنوعة من الذهب الخالص. و قد جاء فى وصف المؤرخين الأوروبيين لهذه الساعة، أنها كانت تتألف من عدة أسطوانات تملأ بالماء الذى يدير مختلف آلتها. و كانت عندما تدق لتعلن الوقت تتساقط منها إلى طست رنان كرات نحاسية بعدد الساعات. و عند الظهر، كانت أبواب الأسطوانات الصغيرة للساعة تفتح دفعة واحدة ليخرج منها اثنا عشر فارسا يدورون على صفحة هذه الساعة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٠٩

و هنالك ساعات عربية أخرى لا تقل شهرة عن هذه الساعة كانت تنصب فى الميادين العامة و تدار بالماء. و من أشهر هذه الساعات، ساعة دمشق و ساعة بغداد. و قد وصف الرحالة العربى الشهير ابن جبير، العملية العجيبة، التى كانت تدار بها هذه الساعة، و كيف كان بالإمكان أيضا معرفة الوقت أثناء الليل بإضاءتها.

أما الساعة الميكانيكية، فقد ورد فى الكتب العربية أن علماء العرب هم الذين اخترعوا هذه الساعة أيضا. فقد جاء فى التاريخ أن الملك الأشرف، أحد السلاطين الأيوبيين، أهدى ساعة آليّة عجيبة إلى صديقه فردريك الثانى الامبراطور الرومانى و ملك صقلية. إلا أن الساعة التى اخترعت بالمعنى المفهوم، أى بميناء و عقارب لم تصنع إلا فى عام (١٣٦٠ م). و قد اخترع هذه الساعة هنرى فيك الهولاندى، و قدمها إلى الملك شارل الخامس، الذى قام بنصبها فى قصره.

و كانت تلك الساعة من الضخامة و ثقل الوزن بمكان، حتى أنها كانت تشتغل بقوة مقدارها ٥٠٠ رطل. و كان لها عقرب واحد يبيّن الساعات فقط.

لقد أخذت صناعة الساعات وقتا طويلا فى تطورها و تقدمها، فكانت بطيئة جدا فى ارتقائها، بل كانت تسير بسرعة السلحفاة فى هذا الميدان. و الدليل على هذا، هو أن عهدا طويلا قد مضى قبل اختراع عقربين للساعة. و لعل السبب فى هذا البطء يرجع إلى احتكار شركة واحدة لهذه الصناعة، و عدم السماح لأى كان بتعلّمها، إلا تحت شروط خاصة قاسية، منها أن يبقى الراغب فى تعلّم هذه

الصناعة تحت التدريب لمدة خمسة أعوام. زد على ذلك أن هذه المهنة انحصرت في بعض العائلات والأسر، و بقيت هذه العائلات لا تبوح بمكنون سرها إلا لمن هم من نسلها، فبقيت يتناقلها الخلف عن السلف في الأسرة الواحدة. ولكن بالرغم من هذا، ظهر أناس آخرون فكروا في اختراع ميزان الزمن، و إدخال التحسينات عليه. ففي نفس الوقت الذي اكتشفت فيها أمريكا أي في عام (١٤٩٢ م)، ظهر مخترع فنان يدعى ليوناردو دي فينشي اختراع الساعة ذات البندول، ولكن لسوء حظ هذا الفنان، لم يقبل أحد على استعمال هذه الساعة، فبقيت تغط في سبات عميق، و عند ما جاء العالم الشهير غاليليو سنة (١٥٨٧ م)، لاحظ حركة إحدى الثريات المعلقة في سقف الكنيسة، كما لاحظ حركتها بالنسبة لنبضات قلبه، فجلب هذا التوافق نظر العالم إلى البندول فأولاه عناية

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١١٠

كبيرة، و بالرغم من هذا، فقد سار الاختراع ببطء، و لم يقدر لساعة البندول أن ترى وجه النور قبل مضي خمسين سنة من ذلك التاريخ، و ذلك عند ما جاء كريستان هو جنز الهولاندي و استعمل البندول، لأول مرة في ساعة ثقيلة، تبعاً مرة كل عدة أشهر. و هكذا وجدت ساعة البندول لأول مرة، و شاع استعمالها في العالم. بقيت هذه الساعة الوحيدة التي تستعمل لمعرفة الوقت حتى قام بيتر هتلتن، و كان صانع أقفال، و اختراع الزنبرك، و كانت هذه أول ساعة يد اخترعت، و كان طولها، في أول الأمر، يبلغ ست بوصات، و يبلغ ثمنها بالعملة الحالية حوالي ١٥٠٠ دولار، و كانت جميع أجزائها مصنوعة من الحديد.

و منذ اختراع هذه الساعة، أخذت صناعة الساعات في التقدم و التحسن، إلى أن أصبحت على ما هي عليه اليوم من تعدد في الأنواع و الأحجام، إذ ما أن أطل القرن الثامن عشر، حتى كانت صناعة الساعات قد تقدمت، و انتقل مركز صنعها من ألمانيا إلى إنكلترا و منها إلى سويسرا، التي تعتبر اليوم من أشهر بلاد العالم في صنع الساعات، و أخيراً انتقلت صناعة الساعات إلى أمريكا، و قد أخذ مهرة صنّاع الساعات في التفنن في عملهم هذا، فاخترعوا ساعات الحائط و اليد و الجيب، و الساعات ذات الأجراس المنبهة و الساعات الكهربائية و الأتوماتيكية، و الساعة الكبيرة و الصغيرة، و غيرها من الساعات، التي أخذت تغزو مختلف حقول الأعمال الفنية، كما أدخلوا عليها فنّ الترصيع و التجميل بالجواهر و الأحجار الكريمة، و صنع الأغلفة من الذهب و غيره من المعادن الثمينة.

و من أغرب الساعات التي اخترعت، في العصر الحديث، تلك الساعة الصغيرة، التي قام صنعها باتخاذ نصف حبة لؤلؤ كقاعدة لها، ثم قام بترصيعها بالأحجار الكريمة و الجواهر. و لكي يرى الإنسان هذه الساعة، كان لا بد له من استعمال النظارة المكبرة. أما أضخم الساعات التي اخترعت ساعة «بيج بن» الشهيرة، و الموجودة فوق مدخل دار البرلمان البريطاني في لندن. لقد بدأت هذه الساعة في الدوران سنة (١٨٥٨ م)، أي قبل مئة سنة. و تقدّر قوة دقات هذه الساعة ب ٤٠٠ رطل، و يبلغ طول عقرب الدقائق فيها ١٤ قدماً. و هي ذات أربعة وجوه: قطر كل منها ٢ / ٢٢١ قدماً. و الغريب في هذه الساعة أنها لم تتوقف عن العمل، منذ أن بدأت بالدوران، كما أنها ظلت تشتغل تحت وطأة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١١١

الغارات الجوية، أثناء الحرب العالمية الثانية، و لم تقف إلا مرة واحدة لمدة ثانية و نصف فقط. و هنالك ساعتان أخريان، تم اختراعهما في عصرنا الحاضر، أولاهما: الساعة الذرية التي تعمل بالطاقة الذرية و التي تضبط الوقت بدقة متناهية، إذ هي لا تقدم أو تؤخر أكثر من ثانية كل ثلاث سنوات، و الساعة العجيبة، التي لا يزيد حجمها عن ساعة اليد العادية، غير أنها تملك من الصفات ما يؤهلها للتربع على عرش الساعات. و إليك المميزات التي تجعل من هذه الساعة أعجوبة فريدة في نوعها: فهي أولاً تشتغل تلقائياً (أتوماتيكياً) أي لا تحتاج إلى تعبئة باليد، و لا تؤثر عليها الهزات و الماء و المغناطيس، و باستطاعتها أن تحل المسائل الجبرية، و مسائل حساب المثلثات، كما أنها تعطيك تاريخ اليوم و اسم الشهر و السنة التي أنت فيها، و تبين موعد طلوع



الشمس و غروبها، و توالى بروج النجوم و الحركة الشمسية.

و إذا كنت راكبا في طائرة أو في سيارة، فتعطيك سرعة الطائرة و السيارة، التي أنت فيها، و حتى سرعة الحصان يمكنها أن تبينها لك إذا كنت ممتطيا ظهره.

و إذا سمعت بأى انفجار قريب أو بعيد فانظر إليها لتعطيك المسافة التي بينك و بين مكان الانفجار. و فيها جهاز خاص يبين مقدار الضغط الجوي، و لا- تنس أيضا أنها تعطيك الوقت بجميع اللغات. و بالإضافة إلى كل ما ذكر، فهي متبه توقعك من نومك في الصباح إذا أردت ذلك. فهي خادم مطيع تعمل ما تؤمر به.

و تتكون هذه الساعة من ٩٠ زنبرك و ١١٠ دواليب و ٧٠ حجرا و ٤٣٠ برغيا و ١٢٠ قطعة أخرى مختلفة. أو لا تعد بعد هذا من أعجب الساعات؟.

كيف تعمل الساعة؟ إذا أخذنا ساعة يد أو ساعة جيب و فتحناها، لوجدنا أنها تتركب من زنبرك ينكمش على وسطه عند تعبثها سواء باليد أو أتوماتيكيا.

و ينحل الزنبرك شيئا فشيئا، بوساطة حركة الرقاص، الذي يحرك مطرقة الساعة يمينا و يسارا، ليضرب أسنان أحد الدواليب، الذي يدير بدوره بقية دواليب الساعة، التي تدير بحركتها العقارب دورة منتظمة، تبين لنا الوقت في الليل و النهار. و الآن بقى أيها القارئ الكريم سؤال واحد هو: كم الساعة الآن من فضلك؟ انتهى من المجلة المذكورة.

و جاء في مجلة «الهلل» الصادرة بالقاهرة في ١٣ ذى القعدة سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين من الهجرة، أى في أول يونيه سنة (١٩٥٨)

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١١٢

ميلادية، أنهم اخترعوا في عامنا هذا ساعة تقوم فيها ذبذبة ذرية (بفتح الذالات المعجمة كلها) من معدن كسيوم و هو «معدن أبيض فضي»، مقام حركة البندول، و تسمى هذه الساعة «الساعة الذرية»، بفتح الذال، و هي أحدث ساعة في العالم، تمشى بدقه بالغه جدا، و قد عملت لقياس سرعة بعض الأشياء، حتى أنهم قاسوا بواسطتها سرعة الدوران الأرضية. انتهى من مجلة «الهلل».

### وضع المزولة في مكانها الجديد

قلنا أن المزولة، التي تعرف بها الأوقات، كانت في المقام الشافعي، بأعلى بنائية زمزم القديمة، من عهد الدولة التركية العثمانية، فلما هدمت هذه البناية، لتوسعة المطاف، جعلوا هذه المزولة الرخامية، فوق قاعدتين صغيرتين بنوهما في أرض المسجد الحرام، عند مدخل زمزم، على ارتفاع قامه واحدة تقريبا، و ذلك في سنة (١٣٨٤) ألف و ثلاثمائة و أربع و ثمانين هجرية، على أن هذه المزاول لمعرفة أوقات الصلوات قد أصبحت في هذا العصر لا فائدة لها لعدم العمل بها، بسبب اختراع الساعات و كثرتها في عصرنا الحاضر، و عظيم رخصها، و دقة سيرها، و ضبط موازيتها، مع انتشار التقاويم و النتائج الزمنية، لمعرفة أوقات الصلوات على الساعات المخترعة. لكن من اللازم أيضا أن يكون في كل زمان رجال يعرفون اصطلاحات هذه المزاول و رموزها، احتياطا في الأمر، فلو حصل خراب في الساعات أو لم يكن عند أحدهم ساعة رجع إلى هذه المزاول لمعرفة الوقت، و هكذا أمور الدنيا لا تبقى على حال. فسبحان الذي يكوّر الليل على النهار و يكوّر النهار على الليل، لا إله إلا هو العزيز القهار.

### ما قيل في وصف آلات التوقيت

و مما يناسب هذا المبحث الظريف، أن نذكر ما قيل في وصف آلات التوقيت قديما و حديثا، فمن تلك الآلات: الاصطرلاب و

المزولة و الطرجهارة، و البنكام، و الساعات المستعملة في عصرنا هذا.

و لقد وصف بعض الأدباء و الشعراء هذه الآلات التوقيتية قديما و حديثا. فمن ما كتب أبو الفرج في وصف اصطربلاب يقول:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١١٣

آثرتك، أيديك الله، ببرهان الحكمة و نسبها، و مدار الفلسفة و قطبها، و مرشد الفكر و مناره، و ميزان الحسن و معياره، و نافى الشك و مزيله، و شاهد الأثير و دليله، مصور الحكمة و ممثلها، و مقسم البروج و معدلها، و موقف النجوم و مسيرها، و جامع الأقاليم و مدبرها، مرآة الحبك، و صورة الفلك، و أمين الكواكب، و حدّ المشارق و المغارب، مما اخترعت العقول تسطيحه، و أتقن الحساب تصحيحه، و تمارت الفطن في ترتيبه، و اصطلحت الحكماء على تركيبه فأوضحت بالنقش تقسيمه، و أبانت بالكتابة رسومه، إلى أن شافهنا بالارتفاع على بعد مسافته، و حصر متفرق الأمور في خرقى عضادته، و احتوى على قطرى الشمال و الجنوب، و أطلع باللفظ على خفيات الغيوب، الملقب بالاصطربلاب، الفاصل بين الخطأ و الصواب. انتهى من نهاية الأرب.

و قال أبو طالب المأمونى فى الاصطربلاب:

و شبيه بالشمس يسترق الأنوار من نور جرمها فى خفاء  
فتراه أدرى و أعلم منها هو فى الأرض بالذى فى السماء  
و قال أيضا فى مزولة:

و عالم بالغيب من غير ماسمع و لا قلب و لا ناظر  
يقابل الشمس فيأتى بماضمونها من خبر حاضر  
كأنها ناجته لما بدالعينها بالفكر و الخاطر  
و ألهمته علم ما يحتوى عليه صدر الفلك الدائر  
انتهى من نهاية الأرب.

قال أبو الفتح كشاجم فى وصف طرجهارة:

روح من الماء فى جسم من الصفر مؤلف بلطيف الحسن و الفكر  
له على الظهر أجفان محجرة و مقلّة دمعها جار على قدر  
تنشأ له حركات فى أسافله كأنها حركات الماء فى الشجر  
و فى أعاليه حساب مفصلة للناظرين بلا ذهن و لا نظر  
إذا بكى دار فى أحشائه فلك خافى المسير و إن لم يبك لم يدر  
و مخرج لك بالأجزاء أطفها من النهار و قوس الليل فى السحر  
مترجم عن مواقيت يخبرنا عنها فيوجد فيها صادق الخبر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١١٤ تقضى به فى وقت الوجوب و إن غطى على الشمس أو غطى على القمر  
و إن سهرت لأسباب تؤرقنى عرفت مقدار ما ألقى من السهر  
محدد كل ميقات تخيره ذوو التخيّر للأسباب و السفر  
انتهى من نهاية الأرب.

و من المستطرف ذكر ما يأتى فى الساعة:

قال إسماعيل صبرى فى الساعة:

كم ساعة آلمنى مسهاو أزعجتنى يدها القاسيه

فَتَشْت فِيهَا جَاهِدًا لَمْ أَجْدْ هَيْهَهُ وَاحِدَةً صَافِيَهُ  
 وَ كَمْ سَقْتَنِي الْمَرْأَتُ لَهَا فَرَحَتْ أَشْكُوها إِلَى التَّالِيهِ  
 فَأَسْلَمْتَنِي هَذِهِ عَنُودًا لِسَاعَةٍ أُخْرَى وَ بِي مَا بِيهِ  
 وَ يَحْكُ يَا مَسْكِينِ هَلْ تَشْتَكِي جَارِحَةَ الظَّفْرِ إِلَى ضَارِيهِ  
 حَازِرٍ مِنَ السَّاعَاتِ، وَ يَلِ لِمَنْ يَأْمَنُ تِلْكَ الْفَنَاءَ الطَّاعِيهِ  
 وَ إِنْ تَجِدُ مِنْ بَيْنِهَا سَاعَةً جَعِبْتَهَا مِنْ غِصَصِ خَالِيهِ  
 فَالهِ بِهَا لَهْوُ الْحَكِيمِ الَّذِي لَمْ يَنْسَهُ حَاضِرُهُ مَاضِيهِ  
 وَ أَمْرٌ كَمَا يَمْرُحُ ذُو نَشْوَةٍ فِي قَلْبِهِ مِنْ تَحْتِهَا الْهَآوِيهِ  
 فَهِيَ وَ إِنْ بَشَتْ وَ إِنْ دَاعَبَتْ مُحْتَالَةً خَتَالَةً عَادِيهِ  
 هَذَا هُوَ الْعَيْشُ فَقَلِّ لِلَّذِي تَجْرَحُهُ السَّاعَةُ وَ الثَّانِيَةَ  
 يَا شَاكِي السَّاعَاتِ اسْمَعْ عَسَى تَنْجِيكَ مِنْهَا السَّاعَةُ الْقَاضِيهِ  
 قَالَ الشَّاعِرُ الْعِرَاقِيُّ الْأَسْتَاذُ مَعْرُوفُ الرِّصَافِيُّ الْمَتُوفِي فِي زَمَانِنَا، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي السَّاعَةِ:

وَ خِرْسَاءٌ لَمْ يَنْطِقْ بِحَرْفٍ لِسَانُهَا سِوَى صَوْتِ عِرْقِ نَابِضٍ بِحِشَاهَا  
 حَكَّتْ لِهَجَّةِ التَّمَتَامِ لَفْظًا وَ لَمْ تَكُنْ لِتَفْصِيحٍ إِلَّا بِالزَّمَانِ لِفَاهَا  
 لَهَا ضَرْبَانٌ فِي الْحِشَا قَدْ حَكَّتْ بِهِ فُؤَادًا تَفْشَاهُ الْهُوَى وَ حَكَهَا  
 جَرَّتْ حَرَكَاتُ الدَّهْرِ فِي ضَرْبَانِهَا وَ بَانَتْ مَوَاقِيتُ الْوَرَى بِعَمَائِهَا  
 عَلَى وَجْهِهَا خَطَّتْ عِلَائِمَ تَهْتَدِي بِهَا النَّاسُ فِي أَوْقَاتِهَا لِمَنَّا  
 مَشَتْ بَيْنَ أُنَاتِ الزَّمَانِ تَقْيِيسَهُ وَ مَا هُوَ إِلَّا مَشِيهَا وَ خَطَّهَا  
 التَّارِيخُ الْقَوِيمُ لِمَكَّةَ وَ بَيْتِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، ج ٣-٥، ص: ١١٥ بِهَا يَتَقَاضَى النَّاسُ مَا يُوْعَدُونَهُ وَ يَرِشِدُ ضَلَالَةَ الزَّمَانِ هَدَايَا  
 غَدَّتْ كَأَخِي الْإِيمَانَ تَأْكُلُ فِي مَعِي وَ مَا أَكَلَهَا إِلَّا التَّوَاءَ مَعَهَا  
 تَدُورُ عَلَيْهَا عَقْرِبُ دُورٍ حَائِرٌ بِتِيهَاءِ غَمَّتْ فِي الظَّلَامِ صَوَاهَا  
 تَرِيكَ مَكَانَ الشَّمْسِ فِي دُورَانِهَا إِذَا حَجَبَتْ عَنْكَ الْغُيُومُ ضِيَاهَا  
 فَأَعْجَبَ بِهَا مَصْحُوبَةٌ جَاءَ صَنْعُهَا نَتِيجَةُ أَفْكَارِ الْوَرَى وَ حَجَّهَا  
 بِنْتِهَا النَّهْيُ فِي الْغَابِرِينَ بِسَيْطَةٍ فَتَمَّ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ بِنَاهَا

### المسعى و ما يتعلق به

### إشارة

جاء في تاريخ الغازي صحيفه ٣٨٨، نقلا عن الأزرقى:

لما بنى المهدي المسجد الحرام، و زاد الزيادة الأولى في المسجد الحرام، و ذلك حينما حج في سنة (١٦٠) للهجرة، اتسع أعلى المسجد و أسفله و شقه الذي يلي دار الندوة الشامي، و ضاق شقه اليماني الذي يلي الوادي و الصفا، فكانت الكعبة في شق المسجد، و ذلك أن الوادي كان داخلا لاصقا بالمسجد، في بطن المسجد اليوم، قال- أي الأزرقى-: و كانت الدور و بيوت الناس من ورائه في موضع الوادي اليوم، إنما كان موضعه دور الناس، و إنما كان يسلكه من المسجد إلى الصفا في بطن الوادي، ثم يسلك في زقاق ضيق

حتى يخرج إلى الصفا من التفاف البيوت، فيما بين الوادى و الصفا، و كان المسعى فى موضع المسجد الحرام اليوم، و كان باب دار عباد بن جعفر عند حد ركن المسجد الحرام اليوم، عند موضع المنارة الشارعة، فى نحو الوادى فيها علم المسعى، و كان الوادى يمر دونها فى موضع المسجد الحرام اليوم ... ثم قال الأزرقى، بعد أن ذكر شيئاً يتعلّق بالزيادة فى هذا الجانب: فابتدأوا عمل ذلك فى سنة سبع و ستين و مائة، و اشتروا الدور و هدموها، فهدموا أكثر دار ابن عباد بن جعفر العائدى، و جعلوا المسعى و الوادى بينهما. انتهى.

قال الغازى فى صحيفة ٣٧٨، نقلاً عن الإعلام للقطبى، و تلخّصه هنا:

و هذه الزيادة الأولى للمهدى فى أعلى المسجد، و كذلك فى أسفله، إلى أن انتهى به إلى باب بنى سهم، و يقال له الآن باب العمرة، و إلى باب الخياطين و يقال له الآن باب إبراهيم، و كذلك زاد من الجانب الشامى إلى منتهاه الآن، و كذلك التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١١٦

زاد فى الجانب اليمانى أيضاً إلى قبة الشراب، و تسمى الآن قبة العباس، و إلى حاصل الزيت. و كان بين جدار الكعبة اليمانى و جدار المسجد الحرام، الذى يلى الصفا، تسعة و أربعون ذراعاً و نصف ذراع و كان ما وراءه مسيل الوادى. فهذه الزيادة كلها الزيادة الأولى للمهدى.

و لما حج المهدى أيضاً فى عام أربع و ستين و مائة شاهد الكعبة ليست فى وسط المسجد، بل فى جانب منه، و رأى المسجد قد اتسع من أعلاه و أسفله و من جانبه الشامى و ضاق من الجانب اليمانى الذى يلى مسيل الوادى، فلما رأى المهدى تربع المسجد الحرام ليس على الاستواء، و رأى الكعبة الشريفة فى الجانب اليمانى من المسجد، جمع المهندسين، و قال لهم: أريد أن أزيد فى الجانب اليمانى من المسجد لتكون الكعبة فى وسط المسجد. فقالوا له: لا يمكن ذلك إلا بأن تهدم البيوت، التى على حافة المسيل، فى مقابلة الجدار اليمانى من المسجد، و ينقل المسيل إلى تلك البيوت، و يدخل المسيل فى المسجد كما قدمناه. و مع ذلك فإن وادى إبراهيم له سيول عارمة، و هو واد حدور، نخاف إن حوّلناه عن مكانه أن لا يثبت أساس البناء فيه على ما نريد من الاستحكام، فتذهب به السيول أو تعلق السيول فيه، فتتصب فى المسجد، و يلزم هدم دور كثيرة، و تكبر المؤونة، و لعل ذلك لا يتم. فقال المهدى: لا بد أن أزيد هذه الزيادة، و لو أنفقت جميع بيوت الأموال. و صمّم على ذلك و عظمت نيته و اشتدت رغبته، فهندس المهندسون ذلك بحضوره، و ربطوا الرماح و نصبوها على أسطحه الدور، من أول الوادى إلى آخره، و ربعوا الوادى من فوق الأسطحه، و طلع المهدى إلى جبل أبى قبيس و شاهد تربع المسجد، و رأى الكعبة فى وسط المسجد و رأى ما يهدم من البيوت، و يجعل مسيلاً محلاً للسعى و شخصوا له ذلك بالرماح المربوطة من الأسطحه، و وزنوا له ذلك مرة بعد أخرى حتى رضى به، ثم توجه إلى العراق و خلف الأموال الكثيرة، لشراء هذه البيوت و الصرف على هذه العمارة العظيمة.

و هذه هى الزيادة الثانية للمهدى فى المسجد الحرام.

قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد فى حوادث سنة سبع و ستين و مائة ما ملخصه: فيها هدمت الدور التى اشترت لتوسعة المسجد الحرام، و الزيادة فيه الزيادة الثانية للمهدى، فهدموا أكثر دار محمد بن عباد، و جعلوا المسعى و الوادى فيها، و هدموا بين الصفا و الوادى من الدور، و حرفوا الوادى فى موضع الدور

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١١٧

حتى أوصلوه إلى مجرى الوادى القديم فى الأجياد الكبير، و هو الآن الطريق الذى يمر منه إلى دور السادة الأشراف أمراء مكة المشرفة، و ابتدأوا من باب بنى هاشم، من أعلى المسجد، و يقال له الآن باب على و وسع المسجد منه إلى أسفل المسجد ... (ثم قال بعد ثلاثة أسطر): فكان من جدر الكعبة إلى الجدر اليمانى من المسجد المتصل بالوادى تسعة و أربعون ذراعاً و نصف ذراع، فلما زيدت هذه الزيادة الثانية فيه، صار من جدر المسجد أولاً إلى الجدر الذى عمل آخراً، و هو باق إلى اليوم، تسعون ذراعاً، فاتسع المسجد غاية الاتساع، و أدخل فى قرب الركن اليمانى من المسجد فى أسفله دار أم هانئ، و يقال الآن للباب الذى فتح هناك باب أم

هانئ، لأن دارها كانت بقرب ذلك الباب، داخل المسجد الحرام الآن، و من هذا الباب، يدخل أمراء مكة إلى المسجد، سادتنا الأشراف آل الحسن بن علي بن أبي طالب. و كانت عند دار أم هانئ، بئر جاهلية، حفرها قصي بن كلاب، أحد أجداد النبي صلى الله عليه و سلم، فأدخلت أيضا تلك البئر في المسجد الحرام، و حفر المهدي عوضها بئرا خارج الحزورة، يغسلون عندها الموتى من الفقراء. و استمر البناء و المهندسون في بناء الزيادة، و وضع الأعمدة الرخام، و تسقيف المسجد بالخشب الساج، المنقش بالألوان نقرا في نفس الخشب، كما أدركناه، و كان في غاية الزخرفة و الإحكام، باقيا فيه لون اللآزورد في غاية الصفا و الرونق بالنسبة إلى لازورد هذا الزمان.

و استمر عملهم إلى أن توفي المهدي لثمان بقين من المحرم سنة تسع و ستين و مائة، قبل أن تتم عمارة المسجد على الوجه الذي أرادته، و عقد الأمر لولده موسى الهادي و كان إكمال المسجد الحرام أول شيء أمر به الهادي، و بادر الموكلون بذلك إلى إتمامه، إلى أن اتصل بعمارة المهدي، و بنوا بعض أساطين الحرم الشريف من جانب باب أم هانئ بالحجارة ثم طليت بالجص. و كان العمل في خلافة الهادي دون العمل في خلافة المهدي في الاستحكام و الزينة و الاهتمام، لكن كملت عمارة المسجد الحرام على هذا الوجه الذي كان باقيا إلى هذه الأيام، و ما زيد بعد ذلك إلا الزيادتان كما نشرحهما إن شاء الله تعالى. و هذه الأساطين الرخام جلبها المهدي من بلاد مصر الشام و أكثرها مجلوب من بلاد أخميم من أعمال مصر، و هي بلدة خراب الآن من بلاد مصر القديمة،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١١٨

كثيرة الرخام، يجلب منه إلى مصر و إلى غيرها من البلدان الرخام العظيم، و الأعمدة اللطيفة المنحوتة المخروطة من الرخام الأبيض، يقال إن أكثر رخام المسجد الحرام مجلوب منه و الله تعالى أعلم. انتهى من الغازي ناقلا عن ابن فهد. و في تاريخ القطبي بصحيفة (٩٨): و أمر المهدي بالأساطين فنقلت من مصر و من الشام و حملت بحرا إلى قرب جدة، في موضع كان في أيام الجاهلية ساحلا- لمكة، يقال لها: الشعبية، فجمعت هناك، لأن مرساه قريب بخلاف بندر جدة، لأن مرساه التي تقف في السفينة بعيدة من البئر، و صارت أساطين الرخام تحمل منها على العجل. و تتحاكى العربان أن بها بقايا أساطين رخام دفنها الريح بالرمل. و الله أعلم بحقيقة ذلك.

قال الغازي في صحيفه (٣٨٩): و الظاهر و الله أعلم، أجزاء السعي بموضع السعي اليوم، و إن كان تغير بعضه عن موضع السعي قبله، لتوالي الناس من العلماء و غيرهم على السعي بموضع السعي اليوم و لا- خفاء في تواليهم على ذلك، كما لا خفاء في شهرة كتاب الأزرقى شرقا و غربا، و إحاطة العلماء المتأخرين عنه بما فيه سيما علماء الحرم، و لو سلم أن من تأخر عن الأزرقى لم يعلموا بما في كتابه فهو معروف عند علماء الحرم و غيرهم، ممن وقع ذلك التغيير في زمنه، لمشاهدتهم له، و ما حفظ عن أحد منهم إنكار ذلك فيكون إجراء السعي، بمحل السعي اليوم، مجمعا عليه عند من وقع التغيير في زمنه، و عند من بعدهم، و الله تعالى أعلم. انتهى.

و قال العلامة القطبي في الإعلام بعدما ذكر تحويل السعي عن موضعه و ههنا إشكال عظيم ما رأيت من تعرض له: و هو أن السعي بين الصفا و المروة من الأمور التعبدية التي أوجبها الله تعالى علينا، في ذلك المحل المخصوص، و لا يجوز لنا العدول عنه، و لا تعتبر هذه العبادة إلا في ذلك المكان المخصوص، الذي سعى رسول الله صلى الله عليه و سلم فيه، و على ما ذكره هؤلاء الثقات أدخل ذلك السعي في الحرم الشريف، و حول السعي إلى دار ابن عباد كما تقدم، و أن المكان الذي يسعى فيه الآن فلا يتحقق أنه بعض من السعي الذي سعى فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم أو غيره فكيف يصح السعي فيه و قد حول عن محله كما ذكر هؤلاء الثقات.

و لعل الجواب عن ذلك أن السعي في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم كان عريضا و بنيت تلك الدور بعد ذلك في بعض عرض السعي القديم، فهدمها المهدي،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١١٩

و أدخل بعضها في المسجد الحرام، و ترك بعضها للسعى فيه، و لم تحول تحويلاً كلياً، و إنما لأنكره علماء الدين من الأئمة المجتهدين، رضوان الله عليهم أجمعين مع توفرهم إذ ذاك، فكان الإمامان أبو يوسف و محمد بن الحسن، رضى الله عنهما، و الإمام مالك بن أنس، رضى الله عنه، موجودين بمكة يومئذ، و قد أقرؤا ذلك و سكتوا عليه، و كذلك من صار بعد ذلك الوقت في مرتبة الاجتهاد، كالإمام الشافعي و أحمد بن حنبل و بقیة المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين فكان إجماعاً منهم، رضى الله عنهم، على صحة السعى من غير نكير نقل عنهم.

قال: و بقي الإشكال في جواز إدخال شيء من السعى في المسجد الحرام، كيف يصير ذلك مسجداً، و كيف يصير حال الاعتكاف فيه. و حلّه بأن يجعل حكم السعى حكم الطريق العام، و قال علماؤنا: يجوز إدخال الطريق في المسجد إذا لم يضر بأصحاب الطريق فيصير مسجداً و يصح الاعتكاف فيه، حيث لم يضر بمن يسعى، فاعلم ذلك. قال القطبي: و هذا ما تفردت ببيانه و لله الحمد على التوفيق لتبيانه. اهـ.

### أصل السعى و حكمته

لم نفهم حكمه معقولة في السعى، مع أن السعى و المشى الطويل بين الصفا و المروة متعب جداً، حتى أن كثيراً من الناس بمكة يحبون أن يأتوا بعمره في رمضان أو غيره، لكن يتقاعسون عنها لأجل تعب السعى، كما لم نفهم الحكمه في رمي الجمار، و الفلسفة في بعض الأمور الدينية، بدون استناد إلى نص أو دليل، لا تنبغى.

و نرى أن مسألة السعى و رمي الجمار و نحوهما أمر تعبدى ليس للعقل فيه مجال، فلقد سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن رمي الجمار، فقال: «الله ربكم تكبرون و ملأه أبيكم إبراهيم تتبعون و وجه الشيطان ترمون». و لهذا قال بعضهم عن رمي الجمار: لو كان قصد بالرمي النكايه لجاز بنحو الشباب، أو الإهانة لجاز بنحو البعر، أو الإكرام لجاز بنحو النقد، فلم يبق إلا التبعيد المحض و اتباع النص.

أما أصل السعى: فسببه أم إسماعيل «هاجر»، و ذلك حينما سعت، و مشت بين الصفا و المروة، حينما خافت على ولدها إسماعيل أن يموت من الجوع و العطش.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٢٠

فقد روى الإمام الأزرقي في تاريخه، عن سعيد بن جبیر، قال: حدثنا عبد الله بن عباس أنه حين كان بين أم إسماعيل بن إبراهيم و بين سارة امرأة إبراهيم ما كان أقبل إبراهيم عليه السلام، بأمر إسماعيل و إسماعيل و هو صغير ترضعه حتى قدم مكة، و مع أم إسماعيل شئ فيها ماء تشرب منها و تدر على ابنها، و ليس معها زاد، يقول سعيد بن جبیر: قال ابن عباس: فعمد بهما إلى دوحه فوق زمزم، في أعلى المسجد، يشير لنا بين البئر و بين الصفة، يقول فوضعهما تحتها، ثم توجه إبراهيم، خارجاً على دابته، و اتبعت أم إسماعيل أثره، حتى أوفى إبراهيم بكداء يقول ابن عباس: فقالت له أم إسماعيل: إلى من تتركها و ابنها؟ قال: إلى الله عز و جل. قالت: رضيت بالله. فرجعت أم إسماعيل تحمل ابنها، حتى قعدت تحت الدوحه، فوضعت ابنها إلى جنبها، و علقت شنتها تشرب منها و تدر على ابنها، حتى فنى ماء شنتها، فانقطع درها، فجاج ابنها، فاشتد جوعه حتى نظرت إليه أمه يتشحط، قال:

فحسبت أم إسماعيل أنه يموت، فأحزنها، يقول ابن عباس: قالت أم إسماعيل: لو تغيبت عنه حتى لا أرى موته. يقول ابن عباس: فعمدت أم إسماعيل إلى الصفا، حين رآته مشرفاً تستوضح عليه، أى ترى أحداً بالوادي، ثم نظرت إلى المروة ثم قالت: لو مشيت بين هذين الجبلين تعلق حتى يموت الصبي و لا أراه. قال ابن عباس: فمشت بينهما أم إسماعيل ثلاث مرات أو أربع و لا تجيز بطن الوادي في ذلك إلا-رتلا- يقول ابن عباس: ثم رجعت أم إسماعيل إلى ابنها، فوجدته ينشغ كما تركته، فأحزنها، فعادت إلى الصفا

تتعلم حتى يموت ولا تراه، فمشت بين الصفا و المروة كما مشت أول مرة، يقول ابن عباس: حتى كان مشيها بينهما سبع مرات. قال ابن عباس: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: فلذلك طاف الناس بين الصفا و المروة، قال: فرجعت أم إسماعيل تطالع ابنها فوجدته كما تركته ينشغ، فسمعت صوتا قد أب عليها، ولم يكن معها أحد غيرها، فقالت: قد أسمع صوتك فأعثنى إن كان عندك خير. قال: فخرج لها جبريل عليه السلام فاتبعته حتى ضرب برجله مكان البئر، يعنى زمزم، فظهر ماء فوق الأرض حيث فحص جبريل، يقول ابن عباس: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: فحاضته أم إسماعيل بتراب، ترده خشية أن يفوتها

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٢١

قبل أن تأتي بشتتها، فاستقت و شربت و درت على ابنها. انتهى من الأزرقى، و معنى ينشغ أى: يشهق حتى يكاد يغمى عليه، فهذا هو أصل السعى.

### بناء العقدين بالصفا و المروة

جاء فى تاريخ الغازى ما نصّه: و ذكر المحب الطبرى أن العقد الذى بالمروة جعل علما لحد المروة، ثم قال: فينبغى للساعى أن يمر تحته و يرقى على البناء المرتفع. انتهى. و العقد الذى بالمروة الآن جدد فى آخر سنة إحدى و ثمانمائة أو فى التى بعدها بعد سقوطه، و عمارته هذه من قبل الملك الظاهر برقوق، و اسمه مكتوب بسبب هذه العماره فى أعلى بناء العقد، و فى الصفا أيضا، و ما أظن أن عقد الصفا بنى، و إنما أظن أنه نور و أصلح.

و كان بالمروة خمس عشرة درجة، على ما ذكر الأزرقى، و ليس بها الآن غير واحدة، و من تحت هذا العقد إلى أول درجة الدكة، التى بالمروة داخل العقد، سبعة أذرع، و من تحت العقد إلى الجدر الذى يستدبره مستقبل القبلة، ثمانية عشر ذراعا و ثلثا ذراع، كل ذلك بذراع الحديد. كذا فى شفاء الغرام. انتهى من تاريخ الغازى.

نقول: لم نقف على من بنى العقد الذى بالصفا و العقد الذى بالمروة، و الظاهر، و الله تعالى أعلم، أن العقدين، بالصفا و بالمروة، بنيا لأول مرة بعد بناء عبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس، عامل مكة من قبل أبى جعفر المنصور، درج الصفا و درج المروة، و ليس كما يظن الشيخ حسين باسلامه، رحمه الله تعالى، مؤلف «تاريخ عماره المسجد الحرام» أن الذى بناهما هو بانى الدرج عبد الصمد بن على المذكور قبل سنه مائة و ثمان و خمسين من الهجرة، فلو كان الأمر كذلك لذكرهما الأزرقى، فى تاريخه، عندما ذكر بناء عبد الصمد ابن على درج الصفا و المروة.

و سبب بناء العقدين، بعد عهد أبى جعفر المنصور، هو معرفه حدّ الصفا و حدّ المروة، فلا يتكلف الساعى الرقى لما بعدهما من الدرج.

و الظاهر، و الله تعالى أعلم، أن العقدين بنيا لأول مرة قبل القرن الثالث، فإن العقدين كانا موجودين فى زمن ابن بطوطه كما صرح بذلك فى رحلته و قد ولد ابن بطوطه سنه ثلاث و سبعمائه.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٢٢

و المصطبة، أى الدكة الواسعة المبنية على درج الصفا و المروة، فطول المصطبة كما ذكره صاحب مرآة الحرمين أربع أمتار فى عرض مترين، و المصطبة بنيت لحكمة عظيمة و هى: أن عدد درج الصفا اثنتا عشرة درجة، و عدد الدرج فى المروة خمس عشرة درجة، و ذلك فيما سبق من الزمان، فلو لم تبين المصطبة الواسعة لتعذر على مرتقى درج الصفا أن يدير نفسه، و هو فى أعلى اثنتى عشرة درجة، لينزل عنها ثانيا قاصدا المروة مثلا، خصوصا عند زحمة الحج و الحجاج، فوجد المصطبة هو لاستراحة الضعفاء، و لدورانهم للرجوع إلى الصفا أو المروة و للدعاء. فرحم الله من نظر إلى مصلحة الناس.

و هنا نذكر ما جاء فى «شفاء الغرام» نقلا عن المحب الطبرى فى شرح الأصل، عن الأبنية التى على الصفا و المروة، و عن العقد الذى

عليهما، فقد قال فيه ما يأتي: وقد بنى على الصفا و المروة أبنية حتى سترتهما، بحيث لا يظهر منهما شيء غير يسير في الصفا. قال: و المروة أيضا في وجهها عقد كبير مشرف، و الظاهر أنه جعل علما لحد المروة، و إلا كان وضعه ذلك عبثا، و قد تواتر كونه حدا بنقل الخلف عن السلف، و تطابق الناسخون عليه، فينبغي للساعي أن يمر تحته و يرقى على البناء المرتفع عن الأرض. انتهى.

قلت: البناء المرتفع الذي أشار إليه المحب كهية الدكة و له درجة، و ذكر الأزرقى و البكرى في ذرع المروة، ما يخالف حالهما اليوم «أما الأزرقى» فإنه قال في الترجمة، التي ترجم عليها، بقوله: ذكر ذرع ما بين الركن الأسود إلى الصفا و ذرع ما بين الصفا و المروة و على المروة خمس عشرة درجة. انتهى، و ذكر في هذه الترجمة درج الصفا، و نص كلامه على الصفا اثنتا عشرة درجة من حجارة. انتهى. «و ذكر البكرى» في درج المروة مثل ما ذكره الأزرقى «و ذكر ابن جبير» أن درج المروة خمس درجات «و ذكر النووى» أن فيها درجتين و الذي فيها الآن واحدة.

و العقد الذي بالمروة جدد بعد سقوطه في آخر سنة إحدى و ثمانمائة أو في التي بعدها، و عمارته هذه من نقل الملك الظاهر برقوق، و اسمه مكتوب بسبب هذه العمارة في أعلى هذا العقد.

و في الصفا أيضا، و ما أظن أن عقد الصفا بنى و إنما أظن أنه نور و أصلح، و سبب ترددي في ذلك أني رحلت من مكة في آخر سنة إحدى و ثمانمائة رحلتى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٢٣

الثانية إلى الديار المصرية و الشامية، و من تحت هذا العقد (إلى أول درجة الدكة التي بالمروة داخل العقد) سبعة أذرع، و من تحت العقد الذي بالمروة إلى الذي يستدبره مستقبل القبلة ثمانية عشر ذراعا و ثلثا ذراع، كل ذلك بذراع اليد، و اتساع هذا العقد ستة عشر ذراعا بذراع الحديد المصرى.

و المروة أفضل من الصفا، على ما قال شيخ الإسلام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، و كذا تلميذه الشهاب القرافي، لكونها تزار من الصفا أربعا و الصفا لا يزار منها إلا ثلاثا، و ما كانت العبادة فيه أكثر فهو أفضل و ذكر القاضى عز الدين بن جماعة أن في ذلك نظرا، و قال لو قيل بتفضيل الصفا لأن الله سبحانه و تعالى عز و جل بدأ به لكان أظهر، و لو قيل بتفضيل المروة باختصاصها بالنحر و الذبح دون الصفا لكان أظهر مما قالاه، و الله أعلم. انتهى من شفاء الغرام.

### هدم درج الصفا القديمة و ما كتب على عقده

و قد باشروا في هدم عقد الصفا يوم الثلاثاء ٢٤ / ١٠ / ١٣٧٧ هـ، أما الدرجات القديمة جدا، و التي كانت مدفونة، منذ عصور عديدة، فقد ظهرت عند حفر أرض الصفا، و ذلك في رجب سنة ١٣٧٧ هـ، ثم إنهم في شوال من السنة المذكورة أخرجوا الدرجات القديمة، و بنوا فوقها الدرجات الجديدة بالإسمنت. و قد عملوا درجات الصفا بالإسمنت في شهر شوال سنة (١٣٧٧) هجرية، و عدد الدرج الجديد من اليمين (١٢) درجة، و عدد الدرج من الشمال (١١) درجة. و كان مكتوبا على عقد الصفا في سطر واحد: بسم الله الرحمن الرحيم: إِنَّ الصَّفاَ وَ المَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَبَّ النَّبِيَّ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ

يفصل هذا السطر في الوسط كلمة لفظ الجلالة «الله» و إليك صورة الصفا و درجه، قبل هدمها، في العمارة السعودية في سنة (١٣٧٦) و يظهر على الدرج العقود الثلاثة.

انظر: صورة رقم ١٨٠، الصفا قديما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٢٤



لم يكن في عصر النبوة درج على الصفا ولا على المروة، وقد بقيا على حالتها الطبيعية إلى زمن أبي جعفر المنصور، المتوفى سنة مائة وثمان و خمسين من الهجرة، ففي عهده بنى عليهما الدرج كما يأتي:

قال الأزرقى، في تاريخه: حدثنا أبو الوليد، قال: حدثني جدى أحمد بن محمد، قال: كان الصفا و المروة يسند فيهما من سعى بينهما و لم يكن فيهما بناء و لا درج، حتى كان عبد الصمد بن على، فى خلافة أبى جعفر المنصور، فبنى درجهما، التى هى اليوم درجهما، فكان أول من أحدث بناءها، ثم كحل بعد ذلك بالنورة فى زمن مبارك الطبرى، فى خلافة المأمون. انتهى منه.

### ترجمة عبد الصمد بن على

و عبد الصمد المذكور هو عبد الصمد بن على بن عبد الله بن العباس، عامل مكة من قبل أبى جعفر المنصور. قال الغازى فى الجزء الثانى من تاريخه، المسمى «إفاداة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام» ما نصه: و ولى مكة عبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس عم المنصور و استمر إلى سنة تسع و أربعين و مائة. انتهى منه. و لقد أصلح درج الصفا و جدد غير مرة.

ثم إنه فى سنة اثنتين و ثمانمائة جدد فرج بن برقوق درجهما، و فى سنة ست و تسعين و مائتين و ألف، جددهما السلطان عبد الحميد الثانى، أحد سلاطين آل عثمان.

قال صاحب كتاب «تاريخ عمارة المسجد الحرام»: بنى عامل أبى جعفر المنصور على مكة عبد الصمد بن على درجا على الصفا اثنتى عشرة درجة، و على المروة خمس عشرة درجة، كحلت بعد ذلك بالنورة، فى زمن مبارك الطبرى، فى خلافة المأمون بن هارون الرشيد العباسى، كما ذكره الأزرقى فى كتابه «أخبار مكة» و الطبرى فى كتابه «الأوائل». اه.

و قال أيضا فى كتابه المذكور ما خلاصته: يقول صاحب مسالك الأبصار:

كان على الصفا اثنتا عشرة درجة، و قال ابن بطوطة فى رحلته: و للصفا أربعة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٢٥

عشرة درجة عليهن كأنها مصطبة، و للمروة خمس عشرة درجة و هى ذات قوس واحد كبير. انتهى. و القوس المذكور هو العقد.

انظر: صورة رقم ١٨١، عقد المروة

و جاء فى عمارة المسجد الحرام، عن التقى الفاسى، أنه قال: الصفا مكان مرتفع من جبل له درج و فيه ثلاثة عقود، و الدرج من أعلى العقود و أسفلها، و بعض الدرج الذى أسفل العقود مدفون، و ذلك ثمان درجات، ثم فرشة مثل بعض الفرشات الظاهرة، التى أمام العقود، ثم درجتان، و ما عدا ذلك ظاهر للعيون، و هو درجة أسفل العقود، ثم فرشة كبيرة ثم ثلاث درجات، ثم فرشة كبيرة هى السفلى الملاصقة للأرض، و ربما علا التراب على هذه، و ما ذكرناه من الدرج المدفون شاهدناه بعد حفرنا عنه، فى شوال سنة أربع و ثمانمائة. انتهى قول الفاسى.

و نحن نقول: إنه لما كانت التوسعة السعودية، فى المسجد الحرام، فى زماننا الحاضر، فعند عمارة نفس المسعى، و إزالة البناء الذى على الصفا و البناء الذى على المروة، انكشفت الدرجات القديمة فى مرتقى المروة، و التى كانت مدفونة من قديم الزمان، حتى ذكرها الفقهاء فى جميع كتب الفقه.

فلما ظهرت الدرجات المدفونة، ذهبنا فى اليوم التاسع من رمضان سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة لمشاهدة هذه الدرجات القديمة المدفونة فى المروة، فوجدناها من الحجارة القوية المستعملة فى مكة، و عددها خمس عشرة درجة، و العقد الذى بوجه المروة قائم على الدرجة العاشرة المدفونة، و كان ارتفاع التراب و الحصى الذى ردم به الدرجات القديمة، التى دفنت تحته، من متر و نصف متر إلى مترين، كما أخذنا قياسه بأنفسنا، فيفهم من هذا أن أرض المسعى قد ارتفعت، منذ بناء الدرجات، التى

كانت موجودة في زمن ابن بطوطة، إلى وقتنا الحاضر، بمقدار مترين.

قال الفاسي في تاريخه «شفاء الغرام» في الجزء الأول، في الباب الثاني والعشرين، في ذكر الأماكن المتعلقة بمناسك الحج، بعد أن ذكر تسعة أمور منها، قال في الأمر العاشر ما يأتي:

(العاشر): الصفا الذي هو مبدأ السعي، وهو في أصل جبل أبي قبيس، على ما ذكره غير واحد من العلماء، ومنهم أبو عبيد البكري والنووي، وهو موضع

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٢٦

مرتفع من جبل له درج، وفيه ثلاثة عقود، والدرج من أعلى العقود وأسفلها، والدرج الذي يصعد من الأولى إلى الثانية منهن بثلاث درجات في وسطها، وتحت العقود درجة، وتحتها فرشة كبيرة، ويليه ثلاث درجات، ثم فرشة مثل الفرشة السابقة تتصل بالأرض، وربما أهيل التراب عليها فغيب، وعرض الفرشة السفلى ذراع ونصف ذراع وقيراطان، وعرض الفرشة العليا التي تحت العقود ذراع وثلاث ذراع، وعرض الثلاث درجات، التي بين الفرشتين، ذراعان ونصف ذراع، كل ذلك بذراع الحديد، وتحت الفرشة السفلى، التي تتصل بالأرض، درج مدفون وهو ثمان درجات، ثم فرشة مثل الفرشة السابقة ثم درجتان، وتحت هاتين الدرجتين حجر كبير يشبه أن يكون من جبل، وهذا الدرج المدفون لم نره إلا في محاذة العقد الأوسط من عقود الصفا.

والظاهر، والله أعلم أن في مقابلة العقدين الأخيرين مثل ذلك.

انظر: صورة رقم ١٨٢، الكتابة المحفورة على عقد المروة

وذراع ما بين وجه العقد الأوسط على الصفا إلى منتهى الدرج المدفون ثمانية عشر ذراعا بالحديد، وكان تحرير ذلك بحضوري، بعد الأمر بالحفر عن الدرج المشار إليها، في سابع عشر شوال سنة أربع عشرة وثمانمائة، وكان ابتداء حفرنا عن ذلك يوم السبت خامس عشر شوال المذكور، وكان الناس يأتون لمشاهدة ما ظهر من الدرج أفواجا أفواجا، وحصل لهم بذلك غبطة وسرور، لأن كثيرا من الساعين لا يرقون في الدرج الظاهر الآن خصوصا الساعي راكبا.

وسبب حفرنا عن ذلك، أنه حاك في نفس بعض فقهاء مكة، في عصرنا، عدم صحة سعي من لم يرق في الدرج الظاهر، لأن بعض متأخري الفقهاء الشافعية قد أشار إلى أن في الصفا درجا مستحدثا ينبغي للساعي الاحتياط بالرقى عليها، إلى أن يستيقن. انتهى بالمعنى، وسيأتي ذكر ذلك بنصه.

وهذا الكلام يوهم أن بعض الدرج الموجود الآن محدث، لأنه ليس هناك درج سواها حتى يحمل الكلام عليها وذاكرني الفقيه المشار إليه، بما حاك في نفسه، فقلت له الظاهر، والله أعلم، أن المراد بالدرج المحدث غير الدرج الظاهر، ويتحقق ذلك بالحفر عنه، فحفرنا حتى ظهر لنا من الدرج ما ذكرناه، وبعيد جدا أن يكون مجموع الدرج المدفون والظاهر محدثا، في غير محل السعي، حتى لا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٢٧

يجزئ الوقوف عليه في السعي، وإنما المحدث بعض الدرج المدفون لكونه في غير محل السعي، على ما يقتضيه كلام الأزرقى.

لأنه قال، فيما روينا عنه، بالسند المتقدم: ذراع ما بين الركن الأسود إلى الصفا مائتا ذراع واثان وستون ذراعا وثمانى عشرة إصبعًا. انتهى. والصفا الذي ذكر الأزرقى ذراع ما بينه وبين الحجر الأسود، هو محل السعي، وما ذكره الأزرقى، في ذراع ما بين الصفا والحجر الأسود، إما أن يكون إلى مبدأ الدرج المدفون تحت العقود، أو إلى العقود، أو إلى ما وراء ذلك، وفي كل الوجوه نظر غير الوجه الثاني.

(أما الأول) فلأن من الحجر الأسود إلى مبدأ الدرج المدفون مائتى ذراع وواحدا وعشرين ذراعا وربع ذراع وثمان ذراع بذراع الحديد، يكون ذلك بذراع اليدين مائتى ذراع وثلاثة وخمسين ذراعا، بذراع اليد، على ما حررناه، وذلك دون ما ذكره الأزرقى،

في مقدار ما بين الحجر الأسود و الصفا بعشرة أذرع إلا ربع، فدل ذلك على أنه لم يرد، لمخالفته المقدار، الذي ذكره، و الله أعلم.  
(و أما الوجه الثالث) فلأن من هذا الحجر الأسود إلى العقد الوسط، الذي بالصفا، مائتي ذراع و تسعة و ثلاثين ذراعا و ربع ذراع و ثمن ذراع بالحديد، يكون ذلك باليد مائتي ذراع و ثلاثة و سبعين ذراعا بتقديم السين و أربعة أسباع ذراع على ما حررناه، و ذلك يزيد على مقدار ما ذكره الأزرقى عشرة أذرع و خمسة أسباع ذراع و ثلاثة أرباع خمس سبع ذراع، فدل ذلك على أنه لم يرد لمخالفته القدر الذي ذكرناه.

(و أما الوجه الرابع) فالنظر فيه كالنظر في الوجه الثالث، لأنه إذا كان الوجه الثالث غير المراد، لما فيه من المخالفة، لما ذكره الإمام الأزرقى، بسبب الزيادة، فكذا الوجه الرابع، غير المراد من باب أولى، لكثرة الزيادة فيه على الزيادة، التي في الوجه الثالث، خصوصا إذا قيل إن المراد موضع جدار البيت المشرف على الصفا، فإن من العقد الأوسط إليه سبعة عشر ذراعا، بتقديم السين، بذراع الحديد، يكون ذلك بذراع اليد تسعة عشر ذراعا، بتقديم التاء، و ثلاثة أسباع ذراع، و الله أعلم.  
و إذا كان في كل من هذه الوجوه نظر، تعين أن يكون المراد الوجه الثاني، لموافقته كلام الأزرقى، لأن من أول الفرشة، التي تحت درجات الثلاث، إلى آخر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٢٨

الفرشة، التي فوقها تحت الدرجة التي تحت العقد الأوسط، عشرة أذرع باليد، و ذلك هو العقد الزائد، على ما ذكره الأزرقى، في مقدار ما بين الحجر الأسود و الصفا، و إنما ذكر الأزرقى، ذرع ما بين الحجر الأسود و الصفا، ليبين أن ما وراء ذلك محل للسعى، و الفرشة السفلى المشار إليها من وراء الذراع المذكور، فتكون محلا للسعى على هذا، و يصح إن شاء الله تعالى، سعى من وقف عليها فلا- يقصر الساعى عنها، و لا- يجب عليه الرقى على ما ورائها، و الله أعلم، و الفرشة المشار إليها هي التي سبق أن التراب يعلو عليها فتفنى.

و أما الكلام الموهوم، بخلاف ذلك، فهو ما ذكره المحب الطبري، في شرح التنبيه، لأنه قال: و بنى في ذيل الصفا درج، فينبغي أن يحتاط مرید السعى بالرقى عليها، فإن الأرض ربت بحيث يرى البيت من غير رقى. انتهى. و من ذلك ما ذكره النووى، في الإيضاح، لأنه قال: إن من واجبات السعى أن يقطع جميع المسافة بين الصفا و المروة فلو بقي منها بعض خطوة لم يصح سعيه، حتى لو كان راكبا اشترط أن تسير دابته حتى تضع حافرها على الجبل أو إليه حتى لا يبقى من المسافة شيء، و يجب على الماشى أن يلصق العقب بأصل ما يذهب منه، و يلصق رؤوس أصابع رجله بما يذهب إليه، فيلصق في الابتداء بالصفا عقبه و بالمروة أصابع رجله، فإذا عاد عكس ذلك. هذا إن لم يصعد، فإن صعد فهو الأكمل.

و قد زاد خيرا و ليس الصعود شرطا، بل هو سنة مؤكدة، و لكن بعض الدرج مستحدث فليحذر أن يخلفها وراءه فلا يتم سعيه و ليصعد بعد أن يستيقن.

و قال بعض أصحابنا: يجب الرقى على الصفا و المروة بقدر قامه، و هذا ضعيف و الصحيح المشهور لا يجب لكن الاحتياط أن يصعد للخروج من الخلاف. انتهى.

و ذكر الأزرقى، ذرع ما بين الصفا و المروة، لأنه قال فيما روينا عنه بالسند المتقدم: و من الصفا إلى المروة طواف واحد سبعمائة ذراع و ستة و ستون ذراعا و نصف يكون السعى بينهما خمسة آلاف و ثلاثمائة ذراع و خمسة و ستين ذراعا و نصف ذراع. انتهى. و قد حررت أنا ذرع ذلك، فجاء من وسط جدار الصفا، و هو من محاذاة نصف العقد الوسط من عقود الصفا إلى الدرج الذي بالمروة من داخله ستمائة ذراع و ثلاثة و سبعون ذراعا بالحديد، بتقديم السين، و سبعة أثمان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٢٩

ذراع، يكون ذلك بذراع اليد سبعمائة و سبعين ذراعا و سبع ذراع، بتقديم السين، في السبعمائة ذراع و في السبعين و في السبع، و من

محاذاة نصف العقد الوسط من عقود الصفا إلى الدرجة العالية بالمروة، التي كهيئة الدكة الكبيرة، من داخل الدرج، ستمائة ذراع و ثمانون ذراعا إلا ثمن ذراع بذراع الحديد، يكون ذلك باليد سبعمائة ذراع و سبعة و سبعين ذراعا، بتقديم السنين في السبعمائة و في السبعة و في السبعين.

و ما ذكره الأزرقى، في مقدار ما بين الصفا و المروة، يدل أنه لم يرد به إلى ما وراء الدرج بالمروة، و إنما مراده إليه أو ما قرب منه، لأنه لو أراد إلى ما وراء الدرج لم يكن المقدار الذى ذكره موافقا لذلك، لما فيه من النقص عن ذلك، و الله أعلم. و ما ذكرناه فى مقدار ما بين وسط عقود الصفا و الدرج، الذى بالمروة، فى اعتبار ذراع ذلك باليد، يقرب مما ذكره الأزرقى فى ذراع ذلك، لأن ما ذكرناه يزيد على ما ذكر الأزرقى ثلاثة أذرع و نصف ذراع و سبع ذراع، و لعل الأزرقى لم يعتبر ما ذكره من الموضع الذى اعتبرناه منه، و إنما اعتبر ذلك من طرف العقد الذى يلي العقد الوسط. و الله أعلم.

و ذراع عقود الصفا الثلاثة أحد و عشرون ذراعا بالحديد إلا ثمن ذراع بالحديد، و طول الدرجة الأخيرة من درج الصفا السفلى، التى تلى الأرض، فى محاذاة الثلاثة عقود، التى بالصفا، اثنان و عشرون ذراعا بالحديد، و ذكر النووى أن عرض فتحة الدرج الذى كان على الصفا نحو خمسين قدما. انتهى.

و ذكر الأزرقى شيئا من خبر درج الصفا و المروة، فنذكر ذلك لإفادته، لأنه قال فيما روينا عنه: حدثنى جدى أحمد بن محمد، قال: كانت الصفا و المروة يسند فيهما من سعى بينهما، و لم يكن بينهما بناء و لا درج، حتى كان عبد الصمد بن على، فى خلافة أبى جعفر المنصور، فبنى درجهما، التى هى اليوم درجهما، فكان أول من أحدث بنائهما، ثم كحل بالنورة فى زمن مبارك الطبرى، و ذلك فى خلافة المأمون. انتهى.

و ذكر الأزرقى أن درج الصفا أربع عشرة درجة، و ذكر ابن جبير أن درج الصفا أربع عشرة درجة، و ذكر النووى أن درج الصفا إحدى عشرة درجة.

و سبب هذا الاختلاف: أن الدرج يعلو عليه التراب فينفخها، و ما أظن النووى شاهد ما ذكره من عدد درج الصفا، و إنما قلّد فى ذلك الأزرقى و غيره من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٣٠

المصنفين، لأنه يبعد أن تعلق الأرض فى عهد النووى إلى اليوم علوا يغيب به من درج الصفا القدر الذى وجدناه مدفونا. و الله أعلم. و يتأيد ذلك بأن سليمان بن خليل، قال فى الرد على أبى حفص بن الوكيل من الشافعية، فى إيجابه الرقى على الصفا و المروة، و تعليقه إيجاب ذلك: بأنه لا يمكن استيضاح ما بينهما إلا بالرقى عليهما. و قد كان هذا قبل أن يعلو الوادى، لأن الدرج كانت كثيرة، و كان الوادى نازلا حتى أنه كان يصعد درجا كثيرا ليرى البيت، حتى قيل: إنه كانت الفرسان فى المسعى و الرماح قائمة معهم، و لا يرى من فى المسجد إلا رؤوس الرماح، فأما اليوم فإنه يرى البيت من غير أن يرقى على شىء من الدرج. انتهى.

و وجه الدلالة من هذا على ما أشرنا إليه، أن عصر سليمان بن خليل و عصر النووى متقاربان، و سليمان مات قبل النووى بنحو خمس عشرة سنة، و إذا كان البيت يرى فى عصره، من غير رقى على الصفا، لعل الأرض، فيكون الحال هكذا فى عصر النووى و الله أعلم. انتهى من كتاب شفاء الغرام.

### الميلان الأخضران بالمسعى

الميلان الأخضران اللذان بالمسعى، وضعا للعلامة على طلب الهرولة بينهما، فى السعى ذهابا و إيابا، فأحدهما كان تحت منارة «باب على» من أبواب المسجد الحرام، لاصقا بجداره من الخارج، من جهة المسعى، و ثانيهما كان متصلا بدار العباس بن عبد المطلب، رضى الله عنه، و تسمى «برباط العباس». و يطلق بعض الفقهاء على الميل الذى تحت منارة «باب على» «الميل الأخضر المعلق». قال ابن

حجر في حاشيته على إيضاح النووى، رحمهما الله تعالى: قال جماعة: إنه كان مبنيًا على متن الطريق، مسامتًا لابتداء السعى الشديد، و كان السيل يهدمه و يزيله عن محله، فرفعه إلى أعلى ركن بالمسجد، و لذلك سمى معلقًا، فوقع متأخرًا عن مبدأ السعى بستة أذرع، لأنه لم يكن موضعًا أليق منه. انتهى من حاشية ابن حجر على الإيضاح. فلذلك تسن الهرولة قبل هذا الميل الأخضر بنحو ستة أذرع. و لقد هدم أحد العلمين الأخضرين في سنة (١٣٧٥) خمس و سبعين و ثلاثمائة و ألف، و هدم العلم الثانى فى السنة التى بعدها و هى سنة (١٣٧٦) و ذلك بسبب توسعه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٣١

المسجد الحرام، ثم إنه فى ... أعادوا وضع العلمين من جديد للغرض المذكور، فوضعوها بالمحل الأصلي الذى كان فيه. انظر: صورة رقم ١٨٣، أحد الميلين الأخضرين من العمارة القديمة. و صورة رقم ١٨٤ أحد الميلين الأخضرين من العمارة القديمة و وضع العلمين الأخضرين ليس حديثًا، بل إنه قديم، حتى أن الإمام الأزرقى، المولود فى القرن الثانى للهجرة، ذكرهما فى تاريخه فقال بصحيفة (٦٢)، من الجزء الثانى: و منها باب العباس بن عبد المطلب و هو الباب الذى عنده العلم الأخضر، الذى يسعى منه من أقبل من المروة يريد الصفا. و قال فى صحيفه (٦٠) الذى يلى باب بنى هاشم، الذى عليه العلم الأخضر، الذى يسعى منه من أقبل من المروة يريد الصفا: فهذا الباب الذى ذكره هو ما نسميه بباب على، و مثل ذلك قال أيضا بصحيفة (٦٣) فعلم من كلام الأزرقى أن وضع الميل الأخضر، فى المسعى للدلالة على الهرولة، كان من قديم الزمن و ليس بمستحدث، و جاء فى صحيفه (٦٠) المذكورة ما يؤيد كلام ابن حجر فى حاشيته على الإيضاح الذى ذكرناه هنا.

و الظاهر أن العلم الأخضر وضع فى أواخر القرن الأول الهجرى، فإن الناس، فى صدر الإسلام، كانوا يعرفون موضع هرولة النبى صلى الله عليه و سلم و الصحابة من بعده، فلما انقرضوا رأوا أن يضعوا موضعها علامة، للدلالة عليها، حتى لا يحدث اختلاف، فوضعوا هذا العلم الأخضر، ثم إنه كلما حدث تجديد و توسعه فى المسجد الحرام، نقلوا هذه العلامة «العلم الأخضر» من موضعه الأصلي إلى ما يقابله تماما، فى محل توسعه الجديد، كما حدث فى زماننا هذا.

قال الغازى صحيفه ٣٨٨: و منها الميلان الأخضران اللذان يهرول الساعى بينهما، فى سعيه بين الصفا و المروة، قال الفاسى: هما العلمان اللذان أحدهما بركن المسجد، الذى فيه المنارة، التى يقال لها منارة باب على، و الآخر فى جدر باب المسجد، الذى يقال له باب العباس، و العلمان المقابلان لهذين العلمين، أحدهما فى دار عباد بن جعفر، و يعرف اليوم بسلمة بنت عقيل، و الآخر فى دار العباس، و يقال لها اليوم رباط العباس. انتهى.

قال ابن فهد: و فى سنة ثلاث و سبعين و خمسمائة أمر أمير المؤمنين، المستضىء بالله، بعمارة الأميال الخضر بالمسعى المعظم. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٣٢

قال الفاسى: و ذكر الأزرقى صفة هذه الأعلام، و أن ذرع ما بين العلم، الذى على باب المسجد، إلى العلم الذى بإزائه على باب دار العباس، و بينهما عرض المسعى خمسة و ثلاثون ذراعا و نصف، قال و من العلم الذى على باب دار العباس إلى العلم الذى عند دار ابن عباد، الذى بحذاء العلم الذى فى حد المنارة، و بينهما الوادى، مائة ذراع و واحد و عشرون ذراعا. انتهى.

قال: و ذكر الأزرقى، ما يقتضى أن موضع السعى، فيما بين الميل الذى بالمنارة و الميل المقابل له، لم يكن مسعى إلا فى خلافة المهدي العباسى، لتغيير موضع السعى قبله، فى هذه الجهة، و إدخاله فى المسجد الحرام، فى توسعه المهدي له ثانيا، لأنه قال: حدثنى جدى، قال: لما بنى المهدي المسجد الحرام، و زاد الزيادة الأولى، اتسع أعلاه و أسفله و شقه الذى يلى دار الندوة الشامى، و ضاق شقه اليمانى الذى يلى الوادى و الصفا، فكانت الكعبة فى شق المسجد، ذلك أن الوادى كان داخلا لاصقا بالمسجد فى بطن المسجد اليوم ... إلخ كلامه. انتهى من الغازى.

جاء فى هامش الجزء الثانى، من تاريخ الأزرقى، بصحيفه (٩٦) أما الميلان الأخضران، فقد عمرهما سودون المحمدي عام (٣٤٧) و

علق حولهما قنديلين للإضاءة اه.

نقول: لقد ذكر القطبي في تاريخه بعض أعمال سودون المحمدى، و من ضمنها وضع القنديل على الميل الأخضر، و ذلك سنة (٨٤٣) ثلاث و أربعين و ثمانمائة، فالتاريخ المذكور هنا بهامش تاريخ الأزرقى غلط و الصواب ما ذكره القطبي.

### تسوية أرض المسعى و تعبيدها

و اعلم أننا إذا نظرنا إلى الوراء، يعنى إلى زمان سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام نجد أن ما بين الصفا و المروة، أى بطن الوادى، كان نازلا عميقا على حسب الطبيعة، قبل أن تمتد الأيدى لإصلاح ما بينهما، ثم لا بد أن ترتفع الأرض قليلا إلى زمان نبينا محمد صلى الله عليه و سلم، لا من فعل البشر، و إنما بفعل الطبيعة، و ذلك بنزول الأمطار و مجيء السيول، التى تسبب نزول الصخور الأحجار، من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٣٣

فوق الجبال، و الأتربة و الرمال من الطريق، فترتفع الأرض عما كانت عليه من قبل شيئا فشيئا.

جاء فى تاريخ الأزرقى، عن جابر بن عبد الله، يحدث عن حجة النبى صلى الله عليه و سلم يقول: ثم نزل عن الصفا حتى إذا انصبت قدماه فى بطن الوادى سعى حتى إذا أضعده من الشق الآخر مشى، اه. و فى تاريخ الأزرقى أيضا عند الكلام على زيادة المهدي الأخيرة: و إنما يسلك من المسجد الحرام إلى الصفا فى بطن الوادى، ثم يسلك فى زقاق ضيق حتى يخرج إلى الصفا من التفاف البيوت، فيما بين الوادى و الصفا. اه.

و يقول ابن حجر فى حاشيته على إيضاح النووى نقلا عن الرضى بن خليل المكي، إن الوادى كان نازلا حتى أن الشخص كان يصعد درجا كثيرة ليرى البيت الحرام، بل قيل إن الفرسان كانت تمر فى المسعى و الرماح قائمة فلا يرى من بالمسجد إلا رؤوسها اه. فالظاهر مما تقدم، و الله تعالى أعلم، أن أرض المسعى كان فيها منحدرات و نزول و طلوع، و لا شك أن ذلك مما لا يريح الساعين، لكن الأجر على قدر المشقة.

لم نر من تكلم عن تسوية أرض المسعى و تعبيده، و الذى نذهب إليه، و الله تعالى أعلم، أن أول ما بدئ بإصلاح أرض المسعى و تسويتها، كان فى زمن أمير المؤمنين محمد المهدي، الذى زاد فى المسجد الحرام، من جميع جهاته، زيادة كبيرة، و الذى كان يقف بنفسه على أعمال المهندسين و الشغالين، و يبدى لهم من الآراء السديدة الجبارة ما يجعلهم حيارى إزاءها، ثم بعد تنفيذ أوامره يشكرونه و يحمدون له رأيه الكريم، حتى أنه من شدة عنايته بالزيادة، فى المسجد الحرام، و رغبته القوية الأكيدة فى تربيعة، و جعل الكعبة المشرفة بوسطه تماما، أمر المهندسين أن ينصبوا الرماح فوق أسطحه الدور، من أول الوادى إلى آخره، و المهدي قائم على جبل أبى قبيس ينظر إلى كل ذلك، فلما اطمأن قلبه إلى هندستهم من فوق الرماح، و عرف ما يدخل فى المسجد، و ما يكون فى الوادى، أقرهم على الوضع المناسب، ثم سافر إلى العراق، بعد أن خلف لهذا العمل الجليل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٣٤

العظيم من الأموال ما لا يعد و لا يحصى. و كانت الزيادة للمهدي مرتين فى سنة مائة و ستين ثم فى سنة مائة و أربع و ستين أيضا كما فصلنا ذلك فى محله.

و قد دخل فى هذه التوسعة جزء من المسعى إلى المسجد الحرام، و من مستلزمات هذه العمارة الواسعة تسوية أرض المسعى و ردم بعض المنخفضات بالأتربة و الحجارات، المتبقية و المتخلفة عن هذه العمارة.

ثم ما زال الحكام يصلحون أرض المسعى كلما حصلت مناسبة لذلك، فقد أصلح فى عهد المأمون فى حدود سنة اثنتين و مائتين، و كذلك فى عهد جعفر المتوكل على الله، فقد أمرت أمه بعزق وادى مكة جميعه، و كذلك فى عهد السلطان قايتباى، و ذلك حينما

حصل التعدى على جزء من أرض المسعى من قبل بعض أتباعه.

إلى غير ذلك مما لا- يتمكن من تتبعه، فأصلاح أرض المسعى و تسويتها و ارتفاعها، كان شيئاً فشيئاً، إلى أن وصلت إلى حالتها الحاضرة اليوم. ففي عصرنا الحاضر فرش أرض المسعى من الصفا إلى المروة بالحجارة، و ذلك بأمر جلاله الملك عبد العزيز آل سعود، رحمه الله تعالى، في سنة خمس و أربعين و ثلاثمائة و ألف، و لا- يخفى أن في كل هذا الأحوال ترتفع أرض المسعى تدريجياً.

أما أرض المسعى الآن، في هذه التوسعة السعودية، فإنها في غاية من الجمال و النظافة مبلط بالإسمنت ليس فيها عيب، و الحق يقال: أن بناء المسعى و تسقيفه بشكله الحاضر، لم يسبق لحكومة من الحكومات السابقة، أن عملت مثله أبداً. نسأل الله تعالى التوفيق و القبول.

### عزم الوالى التركى سابقا على توسعة المسعى

جاء في آخر الجزء الثالث، من تاريخ الغازى، عند الكلام عن ترجمة المشير الحاج محمد حسيب باشا، الذى تولى مكة، من قبل الدولة العثمانية، سنة (١٢٦٤) بعد ذكر ما عمله المذكور من الأعمال العمرانية و غيرها، ما يأتى:  
و لقد أراد المذكور أن يوسع المسعى و يهدمها، ليتسع على الحجاج، حال السعى، و يأخذ من الدور الداخلة فى مشعر المسعى، و يجعل طريقاً فى الذهاب للسعى و آخر للآيب، و نصب جبلاً كان مراده أن يجعل عوضه درابزاناً من الحديد  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٣٥

أو غيره، و هدم بعض الدور الداخلة بالمشعر، فكتب فيه بعض أهالى مكة المشرفة و نقموا عليه، و توجه بالكتب إلى الدولة العلية السيد عبد الله بن عقيل، توجه خفية على ناقة إلى التنعيم، ثم أخذ برا من طريق الحديدية، و توجه إلى الآستانة، و شكاه فأمرت الدولة العلية بعزله سنة (١٢٦٦) ست و ستين و مائتين و ألف فتوجه إلى الآستانة. انتهى من الغازى.  
انظر: صورة رقم ١٨٥، قبة الصفا التى عملت فى العهد السعودى الثانى فى زماننا

### وصف الصفا و المروة

قال الله تعالى: إِنَّ الصَّفاَ وَ المَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ و جبل الصفا واقع أسفل جبل أبى قبيس، مما يقابل ركن الحجر الأسود من الكعبة، و هو جبل صلد أملس، و منه يبدأ السعى، و أما المروة فهى واقعة جهة المدعا، و إليها ينتهى السعى، و جبل المروة رخو بالنسبة لجبل الصفا. قال الغازى: قال الفاسى:  
المروة الموضع الذى هو منتهى السعى و هو فى أصل جبل قعيقعان على ما قال أبو عبيد البكرى، و قال النووى: إنها أنف من جبل قعيقعان اه.

قال إبراهيم رفعت باشا، فى كتابه «مرآة الحرمين»: الصفا هو شبيه بالمصلّى طوله ستة أمتار و عرضه ثلاثة أمتار، مرتفع عن الأرض بنحو مترين، يصعد إليه بأربع درجات، و فى جنوبى هذا المكان أى وراء أربع درجات أخرى صاعده، أقيم عليها ثلاثة عقود فى صف واحد، من الشرق إلى الغرب، و بعد هذه الدرجات الخلفية أصل جبل أبى قبيس، و حول الصفا جدار يحيط به، ما عدا الجهة الشمالية التى منها المرقى. انتهى.

ثم قال فيه أيضاً: و المروة، فى الشمال الشرقى للمسجد الحرام، و هى منتهى المسعى من أصل جبل قعيقعان، يصعد إليها بخمس درجات فقط، بعدها مسطبة طولها أربعة أمتار فى عرض مترين، بعدها مسطبة أخرى عرضها متر واحد ملاصقة لجدار المروة، و من

دون الدرجات الخمس عقد شاهق و الشارع الذى بين الصفا و المروة هو المسعى. انتهى.

قال الغازى فى تاريخه: الصفا الذى هو مبدأ السعى، قال الفاسى: هو فى أصل جبل أبى قبيس، على ما ذكره البكرى و النووى و غيرهما، و هو مكان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٣٦

مرتفع من جبل له درج، و فيه ثلاث عقود، و الدرج من أعلى العقود و أسفلها، و بعض الدرج الذى من تحت العقود مدفون، و ذلك ثمان درجات ثم فرشة مثل بعض الفرشاء الظاهرة تحت العقود، ثم درجتان ما عدا ذلك ظاهر، و هو درجة تحت العقود ثم فرشة كبيرة ثم ثلاث درجات ثم فرشة كبيرة، إلا أن هذه الفرشة السفلى، ربما غيبت بما تعلو عليها من التراب. أقول و هو كذلك إلى الآن موجود، قال الفاسى: و ما ذكرناه من الدرج مدفون، شاهدناه بعد حفرنا عنه، فى شوال سنة أربع عشرة و ثمانمائة.

و سبب حفرنا له أن الشيخ محب الدين الطبرى قال فى شرح التنبيه: و بنى فى ذيل الصفا درج، فينبغى أن يحتاط من بدأ السعى بالرقى عليها. انتهى. و هذا يوهم أن يكون المراد به ما ظهر تحت العقود من الأربع درجات و الفرشتين، كما يمليه بعض فقهاء مكة، فى عصرنا، و ذاكرنى بذلك، فقلت: المراد به غير الدرج الظاهر، و حفرنا عن ذلك فظهر ما ذكرناه. و هذا المدفون ليس محلا للمسعى، و محله الظاهر و يدل على ذلك كلام الأزرقى، فإنه قال: ذرع ما بين الركن الأسود إلى الصفا مائتا ذراع و اثنان و ستون ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا. انتهى.

و حررنا ما بين الحجر الأسود و بين الفرشة السفلى التى يعلو عليها التراب، فجاء مثل ما ذكره الأزرقى، فى ذرع ما بين الحجر الأسود و الصفا، و لم يذكر الأزرقى ذرع ذلك إلا لبيان أن ما وراء ذلك محل للسعى و الفرشة السفلى المشار إليها من وراء الذرع المذكور، فيكون محلا للسعى المذكور، و يصح على هذا، إن شاء الله، سعى من وقف عليها فلا يقصر الساعى عنها، و لا يجب عليه الرقى على ما ورائها و الله تعالى أعلم. انتهى من الغازى.

قال الإمام الأزرقى فى تاريخه عند باب: أين يوقف من الصفا و المروة و حد المسعى ما نصّه: حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى عن الزنجى، عن ابن جريج، قال: قال عطاء: فخرج النبى صلى الله عليه و سلم من باب بنى مخزوم إلى الصفا قال: فبلغنى أن النبى صلى الله عليه و سلم كان يسند فيهما قليلا فى الصفا و المروة غير كثير، فىرى من ذلك البيت، قال: و لم يكن حينئذ هذا البنيان، قلت له: أوصف ذلك لك و سمي حيث كان يبلغ ذلك، قال: لا إلا كذلك كان يسند فيهما قليلا كيف ترى الآن؟ قال: كذلك أسند فيهما، قلت: أفلا أسند حتى أرى البيت؟ قال: لا ثم إلا أن تشاء غير مرة، قال ذلك لى فأما أن يكون حقا عليك فلا و لم يخبرنى أن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٣٧

النبى صلى الله عليه و سلم كان يبلغ المروة البيضاء، قال: كان يسند فيهما قليلا، و لا يبلغ ذلك.

قال ابن جريج: سأل إنسان عطاء أجزئ عن الذى يسعى بين الصفا و المروة أن لا يرقا واحدا منهما، و أن يقوم بالأرض قائما؟ قال: أى لعمرى و ماله، قال ابن جريج: و كان عطاء يقول: استقبل البيت من الصفا و المروة لا بد من استقباله، قال ابن جريج: و أخبرنى ابن طاووس عن أبيه أنه كان لا يدع أن يرقى فى الصفا و المروة حتى يبدو له البيت منهما ثم يستقبل البيت.

انظر: صورة رقم ١٨٦، المؤلف فى المروة عند هدمها يقيس عمق الحفرة

قال ابن جريج أخبرنى نافع: كان عبد الله بن عمر يخرج إلى الصفا فيبدأ به فيرقى حتى يبدوا له البيت فيستقبله لا ينتهى فى كلما حج أو اعتمر حتى يرى البيت من الصفا و المروة، ثم يستقبله منهما، فيبلغ من الصفا قراره فيه قدر قدمى الإنسان قط، بل يعجز عن قدميه حتى يخرج منهما أطراف قدميه، لا يقوم أبدا إلا فيهما فى كل ما حج أو اعتمر، قال: أظنه و الله رأى النبى صلى الله عليه و سلم يقوم فيهما.



قال: و كان يقوم من المروة، قال: لا يأتي المروة البيضاء، يقوم عن يمينه، حتى يصعد فيها، قال ابن جريج: قال عطاء: فسعى به النبي صلى الله عليه و سلم بطن وادى مكة قط.

حدثنا ابن جريج، عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة، و عن أبي جابر البياضي، عن سعيد بن المسيب أنهما قالوا: السنة في الطواف بين الصفا و المروة أن ينزل من الصفا ثم يمشى حتى يأتي بطن المسيل، فإذا جاءه سعى حتى يظهر منه، ثم يمشى حتى يأتي المروة، قال ابن جريج: أخبرني نافع قال: فينزل ابن عمر من الصفا فيمشى حتى إذا جاء باب دار بني عباد سعى، حتى ينتهي إلى الزقاق، الذي يسلك إلى المسجد، الذي بين دار ابن أبي حسين و دار ابنه قرظة، سعيًا، دون الشد و فوق الرملان، ثم يمشى مشيه الذي هو مشيه حتى يرقى المروة، فيجعل المروة البيضاء أمامه و يمينه قال: و لا يأتي حجر المروة، قال ابن جريج:

أخبرنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن السعى فقال: السعى بطن المسيل، قال ابن جريج: و أخبرني جعفر بن محمد عن أبيه أنه سمع جابر بن عبد الله يحدث عن حجة النبي صلى الله عليه و سلم قال: ثم نزل عن الصفا حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا أصعد من الشق الآخر مشى، حدثني جدي قال:

حدثنا سفيان بن عيينة، عن منصور بن المعتمر، عن شقيق ابن سلمة، عن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٣٨

مسروق بن الأجدع، قال: قدمت معتمرا مع عائشة و ابن مسعود، فقلت: أيهما أزم؟ ثم قلت أزم عبد الله بن مسعود، ثم أتى أم المؤمنين فأسلم عليها، فستلم عبد الله بن مسعود الحجر، ثم أخذ على يمينه فرمل ثلاثة أطواف و مشى أربعة، ثم أتى المقام فصلى ركعتين، ثم عاد إلى الحجر فاستلمه، و خرج إلى الصفا، فقام على صدع فيه فلبى، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن إن ناسا من أصحابك ينهون عن الإهلال هاهنا قال: ولكن أمرك به هل تدري ما الإهلال؟ إنما هي استجابة موسى، عليه السلام لربه، عز و جل، قال: فلما أتى الوادي رمل و قال: رب اغفر و ارحم إنك أنت الأعز الأكرم. انتهى.

انظر: صورة رقم ١٨٧، سقف المسعى الجديد في العهد السعودي و هو مبني بالأسمت المسلح

## ذرع ما بين الصفا و المروة

سنذكر هنا، إن شاء الله تعالى، جميع ما ورد في الكتب عن ذرع ما بين الصفا و المروة، ثم بعد ذلك نذكر ذرعه في زماننا هذا بعد عمارة و توسعة المسجد الحرام «التوسعة السعودية».

و ذرع ما بين الصفا و المروة طولا لا يحصل فيه اختلاف لا في الأزمنة السابقة و لا في وقتنا هذا أو بعده، لأن حد السعى من الصفا و حدّه من المروة معروف لا اختلاف فيه.

و ما تراه من الاختلاف في ذرعه إنما هو اختلاف صوري لا حقيقي، نشأ ذلك من أمرين:

الأول: نشأ من اختلافهم في مقدار طول الذراع و نوعه.

الثاني: نشأ من اختلاف مشيهم حين الذرع في المسعى، فقياس الذرع حين المشى على استقامة تامّة في أرض المسعى، غير قياسه عند انحراف المشى و لو يسيرا مع العلم بأن بعضهم يعتبر الذرع من علو الدرج و بعضهم من أسفل الدرج، و مع العلم بأنه كلما ارتفعت الأرض و اندفت درجة كلما زاد في مقدار الذرع، على أن اختلافهم في ذرعه اختلاف بسيط يسير، صوري قليل، لا يذكر.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٣٩

و نسوق إليك أولا عبارات بعض ما ورد عن ذرعه في بعض الكتب، فنقول، و بالله التوفيق:

قال الأزرقى في تاريخه: قال أبو الوليد- يعني نفسه-: و ذرع ما بين الركن الأسود إلى الصفا مائتا ذراع و اثنان و ستون ذراعا و ثمانى عشرة إصبعًا، و ذرع ما بين المقام إلى باب المسجد الذي يخرج منه إلى الصفا مائة ذراع و أربعة و ستون ذراعا و نصف، و ذرع ما

بين باب المسجد الذي يخرج منه إلى الصفا إلى وسط الصفا مائة ذراع واثنا عشر ذراعا ونصف، و على الصفا اثنتا عشرة درجة من حجاره، و من وسط الصفا إلى علم المسعى الذي في حد المنارة مائة ذراع و اثنان و أربعون ذراعا و نصف، و العلم أسطوانة طولها ثلاثة أذرع، و هي مبنية في حد المنارة، و هي من الأرض على أربعة أذرع، و هي ملبسة بفسيفساء، و فوقها لوح طولها ذراع و ثمانى عشرة إصبعاً و عرضه ذراع، مكتوب فيه بالذهب، و فوقه طاق ساج، و ذرع ما بين العلم الذي في حد المنارة إلى العلم الأخضر الذي على باب المسجد و هو المسعى مائة ذراع و اثنا عشر ذراعا، و السعى بين العلمين و طول العلم الذي على باب المسجد عشرة أذرع و أربع عشرة إصبعاً، منه أسطوانة مبيضة ستة أذرع، و فوقها أسطوانة طولها ذراعان و عشرون إصبعاً، و هي ملبسة بفسيفساء أخضر، و فوقها لوح طولها ذراع و ثمانى عشرة إصبعاً، و اللوح مكتوب فيه بالذهب، و ذرع ما بين العلم، الذي على باب المسجد، إلى المروة خمسمائة ذراع و نصف ذراع.

و على المروة خمس عشرة درجة، و ذرع ما بين الصفا و المروة سبعمائة ذراع و ستة و ستون ذراع و نصف، و ذرع ما بين العلم، الذي على باب المسجد، إلى العلم الذي بحدائه، على باب دار العباس بن عبد المطلب، و بينهما عرض المسعى، خمسة و ثلاثون ذراعا و نصف، و من العلم، الذي على باب دار العباس، إلى العلم، الذي عند دار ابن عباد، الذي بحداء العلم، الذي في حد المنارة، و بينهما الوادى، مائة ذراع و واحد و عشرون ذراعا. انتهى من الأزرقى.

و قال الغازى فى تاريخه المخطوط: و فى كتاب مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ما نصه: و ذرع ما بين الصفا و المروة، و هو المسعى، سبعمائة ذراع و ثمانون ذراعا، و من الصفا إلى الميل الأخضر المائل فى ركن المسجد على الوادى، مائة و ثمانون ذراعا، و من الميل الأخضر إلى الميل الأخضر، الذى يازاء دار العباس، التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٤٠

و هو موضع الهرولة، مائة و خمس و عشرون ذراعا، و من الميل الثانى إلى المروة أربعمائة و خمس و سبعون ذراعا، فجميع ما بين الصفا و المروة سبعمائة و ثمانون ذراعا. انتهى من الغازى.

و جاء فى تاريخ الغازى أيضا: ذكر الشيخ باسلامة فى كتابه «تاريخ عمارة المسجد الحرام» أنه ذرع شارع المسعى بالمترا، فقال: من أول الدرج إلى الصفا عند الجدر الواقع فى منتهى الصخرة ١١ مترا و ٦٠ سنتيمترا و عرض أصل الصفا، التى عليها الثلاثة عقود، ١٢ مترا، و من ابتداء درج الصفا إلى العلم الأخضر، الملاصق لمنارة باب على، ٧٤ مترا. و من هذا العلم إلى العلم الأخضر، الواقع فى باب العباس، و هو موضع الهرولة، ٦ أمتار. و من هذا العلم إلى أول درج المروة ٣٤٠ مترا، و عند المروة عقد كبير سعته ٧ أمتار، و من العقد إلى الجدر الواقع فى صدر المروة ٨ أمتار و خمسة و سبعين سنتيمترا.

و على ذلك يكون طول شارع المسعى، من ابتداء درج الصفا إلى ابتداء درج المروة، ٣٧٤ مترا، و من صدر الجدر الذى فى منتهى علو الصفا إلى صدر الجدر، الواقع فى منتهى علو المروة، ٣٩٤ مترا و ٣٥ سنتيمترا.

و على ذلك يكون ذرع العمرى منطبق تمام الانطباق على ما ذرعناه من ابتداء درج الصفا إلى ابتداء درج المروة، و أما ذرع الأزرقى فربما يكون من أول درج الصفا قبل أن يعلو شارع المسعى، حينما كان درج الصفا ١٢ درجة إلى أول درج المروة حينما كان درجها ١٥ درجة اه. انتهى من تاريخ الغازى، و بحث الذرع مستوفى فى كتاب «تاريخ عمارة المسجد الحرام» فراجع إن شئت.

و نحن نرى اليوم بعد التوسعة السعودية التى حصلت فى المسجد الحرام، و بعد عمارة المسعى، و نقض جميع ما تقدم من عمارات الحكومات السابقة، و تسوية أرضه بالإسمنت المسلح لسهولة السعى، أن نذكر بالضبط التام قياس ما بين الصفا و المروة بالمترا، فنقول: إن قياس ما بين الصفا و المروة هو (٣٧٥) ثلاثمائة و خمس و سبعين مترا كما قسناه بأنفسنا و ربما زاد أو نقص بعض من السننيمترات و ذلك بسبب اعوجاج السير أو استقامته و ليس فى ذلك من بأس.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٤١

## تسقيف المسعى و فرشها بالحجارة أو تبيطها بالحجارة

لم يسبق قط أن جعل للمسعى سقف- أى مظلة- يقي الساعين لفتح الشمس و حرارة الجو، إلا فى سنة ١٣٤١ ألف و ثلاثمائة و إحدى و أربعين من الهجرة، فقد أمر صاحب الجلالة الشريف حسين بن على بن محمد بن عون ملك الحجاز، رحمه الله تعالى، بعمل سقيفة للمسعى، لحفظ الساعين من حرارة الشمس، فشرعوا فى عملها و تم إنشاؤها فى شهر شوال من السنة المذكورة، فكانت السقيفة تمتد من باب العباس إلى المروة، أما من الباب المذكور إلى الصفا فإنه لم يسقف لقصر المسافة و جمال المنظر، و كان مكتوبا على السقيفة جملة أبيات لبعض الشعراء:

و لقد مدح بعض الشعراء الشريف الحسين بن على، رحمه الله تعالى، فى تسقيفه المسعى، فمما قاله سعادة الشيخ محمد صالح القزاز مدير مكتب مشروع التوسعتين بمكة المشرفة و المدينة المنورة حاليا فى عهد حكومتنا السنية:

لسيد العرب مولى المجد مفخرة أضحى بها فضله للخلق منشورا  
هو الحسين الذى أمست مآثره عظمى و أصبح فيها الخير مسطورا  
أقام للمشعر الأسنى مظلته حتى غدا كل من يبغيه مسرورا  
بهمة السند القزاز من فخرت به العلا و غدا بالمجد مشهورا  
فيا مليكا أعز الله محتده دم فى سرور بسيف الله منصورا  
و هنا ببشر و إقبال يؤرخه من سعد حكمك صار السعى مشكورا

١٣٤٩ ١١ ٢٩١ ١٧١ ٥٦٧ سنة ١٣٤١

و يعنى القائل: «بهمة السند القزاز» أى ابن عمه الشيخ عبد الوهاب القزاز، رحمه الله تعالى، الذى أشرف على العمل المذكور.

و قد كتبت هذه الأبيات بالأحرف البارزة الكبيرة على لوحة و علقت فى أعلى السقيفة من جهة المروة.

ثم فى سنة (١٣٦٦) ألف و ثلاثمائة و ست و ستين هجرية، أمر صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله تعالى، ملك المملكة العربية السعودية، بتجديد سقيفة المسعى بصفة فنية محكمة، فتم عملها فى السنة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٤٢

المذكورة، فكانت ممتدة بطول المسعى من الصفا إلى المروة، ما عدا الجزء الذى يبلغ طوله ثمانية أمتار و الذى يقع فى باب على فإنه لم يسقف؛ لأنه ميدان متسع و بقاءه بغير سقف أجمل و أحسن، و يبلغ عرض السقيفة كلها عشرون مترا و نصف متر. و قد كتب على هذه المظلة- أى السقف- بخط حسن جميل و بحروف بارزة من النحاس الجيد السميكة مثبت فى لوح من الصاج التخين طولها أربعة أمتار و عرضها متر واحد و أربعون سنتيمترا، فى أربعة أسطر ما أتى: (أنشئت هذه المظلة فى عهد حضرة صاحب الجلالة محيى مجد العرب و المسلمين خادم الحرمين الشريفين الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية. و قد تم إنشاؤها فى عام ألف و ثلاثمائة و ستة و ستين من الهجرة أثابه الله و أدام توفيقه).

انظر: صورة رقم ١٨٨، المظلة الجديدة

و أما فرش المسعى و تبيطه من الصفا إلى المروة بالحجارة المربعة و بناؤها بالنورة فقد كان فى سنة (١٣٤٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و أربعين من الهجرة، فقد أمر جلاله الملك عبد العزيز المذكور بفرشها، من أولها إلى آخرها بالحجارة منعا لإثارة الغبار. فشرعوا برصف المسعى و انتهوا من ذلك فى أواخر ذى القعدة من السنة المذكورة، و هذه أول مرة يفرش فيها المسعى بالحجارة، و كان قبل ذلك ترابا يثور الغبار منه بسبب الساعين، فاستراح الناس و سهل السعى بعد رصفه و تبيطه، فجزى الله الملك عبد العزيز مؤسس الدولة السعودية خير الجزاء.

و مما قاله الأستاذ فؤاد الخطيب:

نصر الله تعالى و رعى ملكك العرب الحسين الأروعا  
مرت الأجيال لم يرفع لهم غيره الظل الذى قد رفعا  
و حمى الإسلام فى خير حمى فهو ظل الدين و الدنيا معا  
ضحج بالشكر و بالحمد له كل من طاف و لبي و دعا  
و جزى القزاز عن همته خير ما يجزى به من نفعا  
صدق الله الذى قال لناليس للإنسان إلا ما سعى  
و قد كتبت هذه الأبيات على لوحه و علقت بأعلى السقيفه من جهة الصفا.  
و مما قاله الأستاذ صبحى بن طه الحلبي:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٤٣ لقد شاد مولى العرب حامى ذمارها عظيم الأيادى و استحق بها الشكرا  
و خلد للتاريخ آيات سؤدد و أشرف أعمال يضيف بها حصرا  
مآثرها جل و أدنى أمورها سقيفه سعى جاءت الآيه الكبرى  
رعى الله بانيتها و رافع سمكها و من مد فيها مكارمها الغرا  
بهمه مولى الفضل قزازنا الذى تولى على أعمالها الرأى و الأمر  
فيا أيها الساعى إلى مشعر الهدى و قيت بها فيح الهواجر و الحرا  
و يا ملكا أعطى المفاخر حقها و كان لنا فى كل نائبة ذخرا  
تباشر بخير قلت فيه مؤرخالدى عهدك المسعى تضاء بالبشرى

أما تسقيف المسعى، و بعبارة أصح و أضخم «تعمير المسعى من أرضه إلى سقفه» بشكله الحاضر اليوم، فقد كان بالإسمنت المسلح  
فى ضمن تعمير المسجد الحرام و توسعته، حسب أمر جلالة مليكنا المعظم الملك سعود بن عبد العزيز، زاده الله توفيقا و عزا، و لقد  
تم تعمير المسعى و تعبيد أرضه و تسقيفه، من أوله إلى آخره، بهذا البناء القوى و الشكل البديع الجميل.  
و إذا كان بعضهم مدح تسقيف الشريف الحسين للمسعى، ذلك التسقيف الذى لم يكن أحسن منه فى ذلك العهد، فإنه و لا شك  
أن عمارة المسعى و تسقيفه الآن، و عمارة المسجد الحرام و توسعته، فى هذا العهد المزدهر، قد يطلق ألسنة جميع الشعراء فى مدح  
مليكنا المعظم الملك سعود بن عبد العزيز، فإنه لم يسبق قط مثل هذه التوسعة و العمارة، كما يطلق ألسنة جميع الناس بالدعاء له و  
الثناء عليه، أدام الله توفيقاته عليه و قبل منه صالح الأعمال.

### عرض المسعى

قال القطبى فى تاريخه: و هنا إشكال ما رأيت من تعرض له، و هو أن السعى بين الصفا و المروة من الأمور التعبدية التى أوجها الله  
تعالى علينا، فى ذلك المحل المخصوص، و لا يجوز لنا العدول عنه، و لا تعتبر هذه العبادة إلا فى ذلك المكان المخصوص، الذى  
سعى رسول الله صلى الله عليه و سلم فيه، و على ما ذكره هؤلاء الثقات أدخل ذلك المسعى فى الحرم الشريف، و حول المسعى إلى  
دار ابن عباد كما تقدم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٤٤

و أما المكان الذى يسعى فيه الآن، فلا يتحقق أنه بعض من المسعى، الذى سعى فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم أو غيره، فكيف  
يصح السعى فيه و قد حول عن محله كما ذكر هؤلاء الثقات.

ولعل الجواب عن ذلك: أن المسعى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عريضا، وبنيت تلك الدور بعد ذلك في عرض المسعى القديم، فهدمها المهدي وأدخل بعضها في المسجد الحرام، وترك بعضها للمسعى فيه، ولم يحول تحويلا كلياً، وإلا لأنكره علماء الدين، من الأئمة المجتهدين، رضوان الله عليهم أجمعين، مع توفرهم إذ ذاك، فكان الإمامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن، رضى الله عنهما، والإمام مالك بن أنس، رضى الله عنه، موجودين يومئذ وقد أقرؤا ذلك وسكتوا، وكذلك من صار بعد ذلك الوقت في مرتبة الاجتهاد كالإمام الشافعي وأحمد بن حنبل وبقية المجتهدين، رضوان الله عليهم أجمعين، فكان إجماعاً منهم، رضى الله عنهم، على صحة السعى من غير نكير نقل عنهم.

وبقى الإشكال في جواز إدخال شيء من المسعى في المسجد، وكيف يصير ذلك مسجداً، وكيف حال الاعتكاف فيه، وحله بأن يجعل حكم المسعى حكم الطريق، فيصير مسجداً ويصح الاعتكاف فيه، حيث لم يضر بمن يسعى فاعلم ذلك، وهذا مما انفردت ببيانه ولله الحمد على التوفيق لتبيانته. انتهى من تاريخ القطبي.

ومما يشبه ما ذكره الإمام القطبي في تاريخه عما أخذ من أرض المسعى وأدخل في المسجد الحرام، فأحدث في زماننا في التوسعة السعودية للمسجد الحرام، وتكسير شيء من جبل الصفا إلى جبل المروة، زيادة في عرض المسعى، وليكون منظره جميلاً في رأي العين، وذلك في سنة (١٣٧٧) هجرية، فإن هذه الحادثة تشبه ما ذكره الإمام القطبي لكن مع الفارق، فما ذكره القطبي عبارة عن إدخال جزء من المسعى في المسجد الحرام، وأما ما نذكره فهو عبارة عن إدخال جزء من جبل الصفا إلى حدود المسعى.

فمما لا شك فيه أن هذا الجزء المأخوذ من جبل الصفا، في زماننا هذا، والمدخول في حدود المسعى، لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام قد سعوا في هذا الجزء المستحدث اليوم، فعلى هذا لا يجوز السعى في هذا الجزء المأخوذ الآن من هذا الجبل، كما لا يجوز السعى بين الدرج الجديدة المستحدثة الآن وبين المروة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٤٥

فلا بد للساعي من المروة أن يصل إلى درج الصفا القديمة المقابلة للحجر الأسود.

فمن أراد الاحتياط لدينه والبراءة لذمته فليترك من جدار المسعى، فيما بين الصفا والمروة، نحو مترين. نقول هذا احتياطاً لديننا وتبرئته لدمتنا، فالنصيحة واجبة لكافة المسلمين من الخواص والعوام. والله تعالى أعلم.

### حالة المسعى قبل التوسعة السعودية

وهنا يستحسن أن نأتي بما قاله، في حال المسعى، الدكتور المصري "محمد حسين هيكل"، في كتابه "في منزل الوحي" قال رحمه الله تعالى فيه ما نصّه:

وأتممنا المسعى سبعا وآن لنا أن ننصرف وأن نتحلل التحلل الأكبر، على أنى وقفت هنيهة، قبل منصرفنا، أمام مقهى من المقاهي القائمة وسط المسعى، وقلت لصاحبي: أفيليق أن تقوم أمثال هذه المقاهي والحوانيت على حافة هذا المكان القدس؟! قال: إنها ليست على حافته، بل هي قائمة داخل حرمة. والذين أقاموها لم يتقوا الله ولم يراعوا حقه، بل اعتدوا عليه عدواناً مبيهاً. والعجب أن منهم من اجترح هذا العدوان تبركاً بأرض هذا المنسك، ناسياً أنه يؤثر بها نفسه ويحرم منها ملايين المسلمين على تعاقب الأجيال.

ولقد ثارت نفسى حقاً لمنظر هذه المقاهي وهذه الحوانيت، التي تتجر في السبح والمنسوجات، وما إليها، مما يتبرك الحجيج به و زاد نفسى ثورة منظر صيارفة النقود، الذين يصكون الأذان بصريير ريبالاتهم السعودية، إعلانا بها عن أنفسهم، ما لهذا المكان الذي يتوجه فيه الناس إلى الله بالتوبة والاستغفار و صرف النقود والجلوس إلى المقاهي وتبادل التجارة! وما لهذا المكان الذي ينسى الناس فيه تجارة الحياة ليتصلوا فيه ببارئهم وهذه الحماقات من تجارة الحياة! أليس من الخير أن تظل لهذا المكان حرمة كاملة وأن تكون الحوانيت في طريق غيره قريب منه، إن لم يكن بد من أن ينصرف الناس بعد استغفار ربهم إلى شرب القهوة وشراء السبحة و

المكحلة و إلى صرف النقود للتبادل!

و ليس ذلك كل ما يثير النفس لحال المسعى، فقد بلغ من إهمال شأنه، و هو منسك من مناسك المسلمين، حدا بعيدا. و اجتياز بعض الطرق إياه و مرور الدواب و العربات و السيارات في هذه الطريق بين الساعين بعض مظاهر هذا الإهمال. فإذا أنت تحدثت في ذلك قيل لك: و ما عساك كنت تقول من عهد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٤٦

قريب و قبل أن ترعى الحكومة الحاضرة هذا المنسك بعنايتها! فقد كان حرما للكلاب تقيم في ظلاله نهارها و ليلها لا يزعجها عن مرقدتها أحد و كأنها حمام الحمى.

لقد كان المسعى، إلى صدر الإسلام، طريقا مستقيما يصل بين ربوتى الصفا و المروة، متصلا بما حوله من فسيح الصحراء و هضابها، و تطل عليه الجبال المحيطة بمكة، أما منذ مئات من السنين، فقد بلغ من طغيان الدور التي أقيمت في حرمة، أن اعوج اعوجاجا، يحول دون رؤية الصفا من المروة أو رؤية المروة من الصفا، كما حال سقفه بين الساعين و فسحة الجو و بهاء السماء، و أحييت كل من الربوتين درجا أحيطت جوانبه الثلاثة بالجدران أما أرضه فقد رصفت بالحجر رصفا غير منتظم.

تثور النفس لهذه الحال التي عليها المسعى. و لو لا أن الناس يحسبونه كذلك منذ وجد، و لو لا أنهم إذ يرونه يشغلهم السعى عما سواه، لقام بينهم من يدعوهم إلى الثورة لإصلاحه، و لإزالة هذه المساس بحرمة مكان يجب أن يحاط بكل تقديس و إجلال. ذلك كان شعورى ساعة منصرفى من المسعى. و ما زال هذا الشعور يحز في نفسى. فلعلنى أجد من يشاركنى فى دعوة المسلمين إلى إصلاح منسك من شعائر الله. و لعلنى أجد من الحكومات الإسلامية استباقا للخيرات لهذه الدعوة. انتهى من كتاب منزل الوحى.

### الحلاقون بالمروة

فى أواخر سنة (١٣٧٥) خمس و سبعين و ثلاثمائة و ألف، هدمت جميع البيوت و المنازل، التي كانت فى المسعى، عند المروة، و تحت هذه الدور و المنازل دكاكين متعددة على الجانبين من اليمين و الشمال، فجميع الدكاكين، التي عند المروة تماما، من جانبيها يشغلها «الحلاقون و الحجامون» يعنى: أن نحو عشرة دكاكين عن يمين المروة و مثلها عن شمالها، مما يلاصق المروة تماما، لا يشغلها سوى الحلاقين «المزنيين» و الحجامين، ليس بينهم أجنبى عن صنعتهم مطلقا، و أن هذا الأمر ليس جديدا مستحدثا فى عصرنا، بل هى عادة اتبعها الحلاقون من قديم الزمان. فلقد قال الإمام الأزرقى المولود بمكة فى القرن الثانى من الهجرة فى تاريخه، عند الكلام على رباع آل داود بن الحضرمى ما يأتى: و من رباعهم أيضا الدار التي عند المروة التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ٣-٥؛ ص ١٤٧

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٤٧

فى صف دار عمر بن عبد العزيز، و وجهها شارع على المروة، الحجامون فى وجهها ... إلخ. اه.

فيعلم صريحا من كلام الأزرقى رحمه الله تعالى أن الحجامين فى زمنه كانوا يشغلون الأماكن التي كانت عند المروة، و نحن نعتقد أن اشتغال الحجامين عند المروة يرجع إلى صدر الإسلام، و صنعة الحجامه تقتضى معرفة الحلاقة.

و السبب فى ذلك معقول، و هو أن المروة هى مكان انتهاء السعى، فعندها يتحلل المحرم بالحج أو بالعمرة، بعد انتهائه من السعى، و التحلل من الإحرام لا يكون إلا بالحلقة أو التقصير. فكان من المعقول و الأحسن أن يكون موضع الحلاقين و المزنيين عند المروة التي ينتهى عندها السعى، ليحلقوا بالموسى أو يقصروا بالمقص رؤوس المحرمين بالنسك، ليتحللوا سريعا من أعمال الحج أو العمرة، مع العلم بأن التحلل بالحلقة لا يشترط فورا بعد السعى و لا عند المروة نفسها، فإنه يجوز للمحرم أن يحلق بعد انتهائه من السعى فى أى

مكان شاء و في أى وقت شاء، لكنه يبقى في حكم الإحرام إلى أن يحلق، فالمبادرة بالحلق، فيها مصلحة لنفس المحرم، و هي أن يكون حرا طليقا من قيود محرمات الإحرام.

انظر: صورة رقم ١٨٩، الحلاقين بالمروة

### موضع الشنق بالمسعى

الشنق، بفتح أوله و سكون ثانيه، في عرف الناس اليوم، هو الصلب، بالفتح، لقد كان موضع الصلب منذ قرون، في المسعى عند المروة، في محل السبيل المصرى للماء، و هذا السبيل كان يبعد عن المروة بنحو سبعين مترا، و قد هدم هذا السبيل في زماننا لتوسعة المسعى.

انظر: صورة رقم ١٩٠، السبيل المصرى الذى كان بظهر بناية إدارة عين زبيدة بالمسعى قبل المروة بقليل

فإذا أرادوا صلب رجل من المجرمين و القتل صلبه و شنقه في موضع هذا السبيل. فقد قال الغازى، في تاريخه، نقلا عن ابن فهد: أنه في سنة (٨١٧) سبع عشرة و ثمانمائة، أنشأ عطية المطير سيلا بالمروة، و كان موضع هذا السبيل، قبل ذلك، معدا للشنق، فقال شعبان الآثرى في ذلك:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٤٨ بمكة دار للشنق ركنها و أضحت سيلا بعد كل بليء

و أضحى لسان الحال منها يقول رضيت من المولى بخير عطية

و قال بعضهم أيضا:

بمسعى رسول الله دار معدة لشنق فصارت للأنام سيلا

انتهى كلام الغازى.

نقول: و لم نبحت عن تاريخ بناء هذا السبيل بالمروة غير أننا نعتقد بيقين أن بناءه كان في عهد الأتراك قبل سنة ألف و ثلاثمائة هجرية. و لقد انتهى عهد الصلب و الشنق بمكة المشرفة و أبدلوه بالقتل بالسيف، و جعلوا مكان القتل بالسيف أمام قصر الحميدية، و هو بجهة الصفا، يبعد عن جبل الصفا كبعد السبيل عن المروة، أى إن قصر الحميدية كان يقابل مدخل أجياد، ثم هدم قصر الحميدية و ما يجاوره في زماننا لتوسعة المسجد الحرام، فصار اليوم قتل المجرم بالسيف أمام باب سعود، أحد أبواب المسجد الحرام، و هو يقابل محل قصر الحميدية الذى هدم الآن للتوسعة، و السبب الذى جعلهم يقتلون المجرم بالسيف أو بالصلب بالصفا و المروة، هو لأجل أن يشاهد الساعون بالمسعى و الخارجون من المسجد الحرام قتل المجرم الآثم، و ذلك ردعا للناس من الفساد و الإفساد، و الحمد لله الذى أبدل الصلب بالسيف فإن السيف أريح للمقتول من الصلب.

انظر: صورة رقم ١٩١، شارع المسعى من جهة الصفا بمكة المشرفة.

### حالة المسعى

إننا لو نظرنا إلى حالة أرض المسعى، فيما بين الصفا و المروة، منذ العصور الأولى، أى منذ عهد خليل الله إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، عند ما جاء بابنه إسماعيل و هو طفل رضيع مع أمه هاجر، عليهما الصلاة و السلام، من فلسطين و أسكنهما بمكة، عند بيت الله الحرام، قبل بنائه له، و لم يكن بمكة يومئذ أحد من الإنس و لا من الحيوانات، ما عدا الجبال و الأحجار و الصخور و أشجار السلم و الشوك.

إذا نظرنا إلى ذلك العهد البعيد، و مكة على حالتها الأولى الطبيعية، لم يلمس شبرا من أرضها يد الإصلاح و التعمير، نجد أن أرض

المسعى فيما بين الصفا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٤٩

والمروءة، لم تكن بهذا الوضع بل كانت كلها منحدرات و منخفضات و مرتفعات بشكل غير منظم، يصعب فيها المشى و الصعود و الهبوط، فيما بين الصفا و المروة، بل و جميع الطرقات بمكة.

فلما استوطن الناس مكة من عهد نبي الله تعالى إسماعيل، عليه الصلاة و السلام، منذ أربعة آلاف سنة تقريبا، جرى الإصلاح فيها بالتدرج، شيئا فشيئا، فى مواضع سكناهم، حول الكعبة المشرفة، و الأماكن القريبة منها، فكانت الإصلاحات فيها قليلا جدا فى عهد جرهم و العمالقة، و هم أول من سكنوا مكة فى عهد نبي الله إسماعيل عليه الصلاة و السلام، و كل ما كثر الناس بمكة زادت الإصلاحات فيها، و لا يمكننا تعيين الأزمنة التى جرى فيها الإصلاح فى طرقات مكة و مواضع عمرانها و لا بأس أن نقسم تلك الأزمنة الإصلاحية على وجه التقريب و التخيل إلى ستة أقسام، و هى كما يأتى:

(١) عهد نبي الله إسماعيل، عليه الصلاة و السلام، ففى هذا العهد جرى شىء بسيط من الإصلاحات فى مواضع سكنى الناس و محلات تجمعهم.

(٢) عهد قريش فى الجاهلية، و لقد جرى الإصلاح بمكة أكثر من العهد الأول، ففى هذا العهد قسم قصى بن كلاب أمور مكة إلى ستة أقسام كما ذكرنا ذلك فى محله.

(٣) عهد ظهور الإسلام، و هذا العهد أكثر من العهدين السابقين تقدما و وعيا، و قد كثر سكان الناس فيه عما مضى، حتى أن بعض كبار الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، قد وسعوا المسجد الحرام عن العهد الأول كما ذكرنا بيان ذلك فى محله.

(٤) عهد التابعين و من بعدهم إلى نحو القرن الخامس للإسلام. ففى هذا العهد تقدم الناس كثيرا فى المسائل الحيوية، و فى أمور الدنيا و جرى الإصلاح فى مواضع سكناهم بمكة و فى طرقاتها، حتى أنهم قد وسعوا المسجد الحرام توسعه عديده، حتى كان بالقياس الموجود فى عصرنا الحاضر، قبل التوسعة السعودية. بل أنهم أصلحوا المسعى أيضا، فيما بين الصفا و المروة، و عملوا درجا للصفا ما زالت موجودة إلى اليوم، لكنها مطمورة تحت الأرض بقرب درج الصفا، كما شاهدناها بأنفسنا عند التوسعة السعودية فى عمارة المسعى، و قد نزلنا على أول هذه الدرجات القديمة و وقفنا عليها و أخذنا صورتنا الفوتوغرافية فى هذه الحالة و إليك هذه الصورة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٥٠

انظر: صورة رقم ١٩٢، المؤلف واقفا على درجات الصفا القديمة منذ مئات السنين

(٥) عهد ما بعد القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجرى و هذا العهد أحسن من جميع العهود السابقة فى تقدم الناس و معرفتهم بأمر الحياة، و حصل فيه بمكة المكرمة من العمران و الإصلاحات ما لم يكن من السابق، حتى أنهم فى هذا العهد أصلحوا المسعى و بنوا درجا على الصفا فى القرن الثامن أو التاسع الهجرى، فلقد قال الإمام العلامة ابن حجر الهيئى المكي، المولود سنة (٩٠٩) تسع مائة و تسع هجرية، فى حاشيته على إيضاح المناسك، للإمام النووى، رحمهما الله تعالى، فى الفصل الثالث، فى السعى و ما يتعلق به، ما نصه: إن درج الصفا كانت كثيرة، و كان الوادى نازلا حتى إن الشخص كان يصعد درجا كثيرة ليرى البيت، بل قيل إن الفرسان كانت تمر فى المسعى و الرماح قائمة فلا يرى من بالمسجد إلى رؤوسها، و أما اليوم فيرى من غير رقى على شىء من الدرج، ثم ذكر أن على الصفا اثنتى عشرة درجة و على المروة خمس عشرة درجة و كان البيت يرى إذا رقى عليها فحالت الأبنية. انتهى من حاشية الإيضاح لابن حجر.

(٦) عهد ما بعد القرن العاشر للهجرة أى ما بعد الألف، أى عصرنا الحاضر و زماننا، و هو سنة (١٣٨٤) ألف و ثلاثمائة و أربع و ثمانين هجرية، فهذا العهد أحسن العهود السابقة فى التقدم و العمران، لا فى الديانة و العبادة، إن هذا العهد عهد الآلات و الكهرباء عهد التقدم و العمران بالمعنى الصحيح، لقد صار الناس يركبون السيارات و القطارات و الدبابات و الطائرات، و صاروا يركبون البواخر و البوارج و الغواصات فى وسط المياه، بل صاروا يطيرون فى الهواء بالطائرات، حتى وصلوا إلى القمر، كما هو شائع مستفيض بيننا، و



الله تعالى أعلم بما يكون في المستقبل من المخترعات الحديثة العجيبة، فقد قال الله تعالى: وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، فلقد حصل في زمان الشريف الحسين بن علي ملك الحجاز الأسبق، رحمه الله تعالى، بعض إصلاحات و ترميمات في أرض المسعى و فرشوها بالبلاط أى بالحجارة الجبلية، و كانت أرضها من قبل ترابا فإذا كثر الحجيج تصاعد منها الغبار، و قد أمر رحمه الله تعالى، بتأليف لجنة من كبار العلماء لتجديد موضع السعى و لعمل مظلة أى صندوق فوق أرض المسعى تقى الساعين حرارة الشمس

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٥١

و وهجها، فتم كل ذلك في سنة ألف و ثلاثمائة و خمس و ثلاثين هجرية (١٣٣٥) تقريبا فجزاه الله تعالى خير الجزاء. ثم حصلت في زماننا، في العهد السعودي الثاني، توسعه المسجد الحرام، و من ضمنها المسعى، فلقد أصلحوا موضع السعى من الصفا و المروة، بما لم يكن في الحسبان. كما أصلحوا أرض المسعى بالإسمنت المسلح، و عما قريب يضعون فوقه الممر، إن شاء الله تعالى، فأصبح منظر المسعى من أجمل المناظر، لم يكن مثله قط في سالف العصور، ولكن هذه الزخارف و القشور لا تغنى من الحق شيئا، فالعبرة بحسن النيات و خلوص الأعمال، ففي الحديث الصحيح: «إن الله لا ينظر إلى صوركم و أموالكم و لكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم» رواه مسلم.

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا صالح الأعمال، و لا ندري هل ستبقى هذه العمارة إلى قيام الساعة، أم ستكون بعدها عمارات و عمارات و عمارات، الله تعالى أعلم بالغيب.

انظر: صورة رقم ١٩٣، المسعى مفروشة بالحجارة الجبلية في عهد الشريف الحسين فإذا نظرنا إلى حالة المسعى منذ العصور الأولى من عهد سيدنا إبراهيم خليل الله عز و جل باني الكعبة المشرفة، و إلى العصور التي بعده، إلى زماننا هذا، علمنا ما نحن فيه من الراحة و اليسر إذا سعيينا بين الصفا و المروة سعى الحج أو العمرة، فإن الساعى فى عصرنا الحاضر يقطع سعيه سبعة أشواط، بين الصفا و المروة، فى نصف ساعة. بينما كان يقطع هذه الأشواط عند ظهور الإسلام و ما بعده من القرون فى ساعة واحدة، و كان يقطع هذه الأشواط بينهما قبل ظهور الإسلام بقرون عديدة فى ساعة و نصف، و السبب فى هذا التفاوت مع أن موضع السعى هو هو لم يتغير و لم يتبدل و لم ينقص و لم يزد، هو أن أرض المسعى فى العصور السابقة كانت مليئة بالأحجار و الصخور، و كان فيها مرتفعات و منخفضات، فكان السعى فيها عسيرا. أما فى عصرنا الحاضر فقد ارتفعت أرض المسعى عن سابق العصور حتى تساوت بأرض الشارع، و صارت مستقيمة معبده بالإسمنت المسلح فكان السعى فيها سهلا ميسورا للجميع. فجزى الله تعالى كل من عمل خيرا فى المسجدين الحرامين و رضى عن كل من يسر أمور المسلمين فى كل زمان و مكان آمين. مع العلم بأن الناس كانوا يسعون على أرجلهم و على الخيل و البغال

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٥٢

و الحمير، و قد شاهدنا فى عصرنا اليوم بعض الملوكة يسعون و هم يركبون السيارات التى تمشى على عجلات أربع.

انظر: صورة رقم ١٩٤، السعى بين الصفا و المروة فى وقتنا الحاضر بعد توسعه السعودية

### تقسيم المسعى طولاً إلى قسمين

لقد كان السعى بين الصفا و المروة مرهقا، فيه مشقة شديدة، و بخاص على الكبار و الشيوخ، فرأينا أن نقترح على الحكومة السعودية من أن تضع حاجزا يقسم المسعى طولاً إلى قسمين: القسم الأول لمن يسعى من الصفا إلى المروة، و القسم الثانى لمن يأتى من المروة إلى الصفا، و ذلك حتى لا يتصادم الساعون مع بعضهم و يدفع بعضهم بعضا، فى اتجاهين مختلفين، فنشرنا هذا الاقتراح فى إحدى الجرائد المحلية بمكة المكرمة، و ذلك فى سنة (١٣٥٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و خمسين هجرية تقريبا. فنفذت الحكومة اقتراحنا المذكور و صار المسعى مقسوما بالطول إلى قسمين، فتفادى الناس الازدحام و التدافع إلى جهتين متضادتين. فالحمد لله على التوفيق.

انظر: صورة رقم ١٩٥، المؤلف و هو واقف على العمل الجارى فى المسعى

## المساجد التى فى حدود الحرم

### إشارة

و هنا نذكر المساجد التى عند حدود الحرم و هى كما يأتى:

(١) مسجد التنعيم.

(٢) مسجد الشميسى.

(٣) مسجد الجعرانة.

(٤) مسجد نمرة بعرفات.

و إليك الكلام على كل ذلك:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٥٣

### مسجد عائشة بالتنعيم

التنعيم مكان معروف، واقع بعد الزاهر و بعد الشهداء، يبعد عن المسجد الحرام بنحو ستة كيلو مترات، و بعد التنعيم بنحو أربع كيلو مترات يقع قبر أم المؤمنين السيدة ميمونة، رضى الله تعالى عنها.

قال الغازى فى صحيفه (٣٥١): و منها مسجد فوق التنعيم، على يمين المستقبل، يقال له مسجد عائشة و هو بعيد عن حد أميال الحرم، و كان يسمى مسجد الهليلج، لشجرة كانت هناك قديما. و قد تهدم هذا المسجد و ما بقى منه إلى آثار جدارات قائمة، فكان المكان الذى أرسل إليه النبى صلى الله عليه و سلم أم المؤمنين عائشة، رضى الله عنها، مع أخيها ليعتمرا منه، و لا يصل إليه المعتمرون الآن، بل يقتصرون على أميال الحرم فيبرزون منها قليلا و يحرمون بالعمرة و يعودون.

و مسجد عائشة، مما يتعين تجديده و تعميده، لأنه من الآثار المباركة القديمة، و قد تركه الناس لتهدمه، و اقتصروا على مساجد مرضومة من الأحجار الصغار، و تهدم و يرضم غيرها، و كلها من وراء الأميال برأى منها، و هناك صهريج عظيم قديم، يمتلى من السيول أيام المطر، يتوضأ المعتمرون منه. انتهى كذا فى الإعلام.

انظر: صورة رقم ١٩٦، مسجد عائشة رضى الله عنها بالتنعيم

و قال العلامة الأسدى فى أخبار الكرام، بعد نقل هذه العبارة، و لعل المساجد التى كانت مرضومة بالأحجار هى التى بنى فيها المسجد الموجود الآن، بناه محمود بك صاحب جدة عام (١٠١٢) اثنى عشر و ألف، على هيئة دكة مرتفعة بعضها، و فيه المحراب يصلى فيه المعتمرون الآن سنه الإحرام و يحرمون و يعودون. انتهى.

و فى منائح الكرم للسنجارى، أمر السنجق محمد بك، سنه إحدى عشرة و ألف، بناء سقف على مسجد العمرة، فبنى فى صدر القبلة. انتهى.

و فى الغازى أيضا، فى صحيفه (٣٩٤) ما ملخصه: التنعيم المذكور فى حد الحرم من جهة المدينة النبوية هو أمام أدنى الحل، على ما ذكره الطبرى، قال:

و ليس بطرف الحل، و ما فسره بذلك تجوز، و أطلق اسم الشىء على ما قرب منه، و أدنى الحل إنما هو من جهته، ليس موضع فى الحل أقرب إلى الحرم منه، و هو على ثلاثة أميال من مكة، و التنعيم أمامه قليلا، فى صوب طريق وادى مر الظهران. انتهى بنصه. و قد

أقيم عند التنعيم علمان، يفصلان الحل من الحرم،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٥٤

ارتفاع كل منهما ستة أمتار و عرضه ثلاثة، و هما مبنيان بالحجر و الملاط الجيد، و الذى بناهما محمد أو أحمد بن المقتدر الراضى بالله سنة (٣١٥) هجرية. انتهى كذا فى مرآة الحرمين، انتهى من الغازى.

قال فى مرآة الحرمين و طول هذا المسجد ١٦ مترا فى عرض ١٥ مترا و ارتفاع ٤ أمتار و مكتوب فى محرابه: بسم الله الرحمن الرحيم إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ... - إلى - مِنَ الْمُهْتَدِينَ، هذا مسجد السيدة عائشة، رضى الله عنها، مجدده السلطان محمود فى أول جمادى الثانية سنة (١٠١١)، و خلف هذا المسجد حوض، أعد لخزن المياه، طوله ٢٤ مترا و عرضه ١٩ مترا و عمقه ٣ أمتار و سطحه مواز لسطح الأرض بالحجر و الملاط و الجيد، و فى كل من الجهة الشمالية و الجنوبية سلم يوصل إلى قاعة يتكون من سبع درجات.

انظر: صورة رقم ١٩٧، موضع صلب خبيب

انظر: صورة رقم ١٩٨، أعلام التنعيم من البعيد

و هناك أيضا صهريج كبير كان يمتلى من السيول و يتوضأ منه المعتمرون و هذا الصهريج قديم ... إلخ حيث ذكر أن سنان باشا الوزير المجاهد، لما حج سنة (٩٧٨) أمر بإصلاح بئر كان قد ملأها التراب، و إقامة ساقية و مجرى هناك، ليجرى الماء من البئر إلى هذا الصهريج و إلى الخزان السابق.

و من وراء هذا المسجد نحو مئات الأمتار إلى جهة الجبل الواقع فى الحل، موضع صلب الصحابى خبيب بضم الخاء المعجمة رضى الله تعالى عنه، صلبه المشركون جهة التنعيم بعد أن أخرجوه من حدود الحرم، و إليك قصته و صورة موضع صلبه رضى الله تعالى عنه.

هذه الصورة فيها بناء ظاهر كأنه منارة صغيرة يقال أنه موضع صلب خبيب و هو يقع بعد مسجد التنعيم بنحو مائتى متر، فى الحل لا فى الحرم بقرب الجبل.

و كانت هذه البناية الصغيرة موجودة إلى سنة (١٣٧٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و سبعين هجرية و قد شاهدناها بأنفسنا ثم لا ندرى هل بقيت فى موضعها أم هدمت بعد ذلك، و غالب الظن أنها هدمت بعد تلك السنة فإننا لم نذهب إلى تلك الجهة و خبيب بضم الخاء المعجمة و بالتصغير هو خبيب بن عدى الأوسى الأنصارى، و هو من السابقين فى الإسلام، قتله المشركون، رضى الله تعالى عنه، بمكة فى التنعيم بالحل و ترجمته فى كتاب الإصابة فى تمييز الصحابة فراجعها هناك إن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٥٥

شئت. و قد صلبه المشركون فى تلك الجهة بعد الخروج من حدود الحرم، لأنهم يحترمون الحرم فلا يقتلون أحدا فيه، و التنعيم هو أقرب حدود الحرم إلى مكة المشرفة لذلك خرجوا به ليقتلوه، رضى الله تعالى عنه، فى جهة التنعيم لأنه أقرب حدود الحل و قد جاء ذكر خبيب، رضى الله تعالى عنه، فى أواخر كتاب رياض الصالحين للإمام النووى فى باب كرامات الأولياء و فضلهم، فراجعه إن شئت و خبيب هو الذى طلب ممن أرادوا قتله أن يدعو حتى يصلى ركعتين فكانت الصلاة سنة لمن بعده لكل مسلم يقتل صبورا فبعد أن صلى خبيب، رضى الله تعالى عنه، ركعتين قال:

فلست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب فى الله كان مصرعى

و ذلك فى ذات الإله و إن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزّع

و جاءت قصته أيضا فى صحيح البخارى.

## الشميسى و مسجده

لا نريد أن نتكلم عن جميع المحطات، الواقعة بين مكة و جدة، لعدم أهميتها، و إنما نتكلم هنا عن محطتين مهمتين: «الأولى» الشميسى «و الثانية» بحرة و عن مسجديهما، و كلاهما كقرية صغيرة لكن الثانية أكبر من الأولى.

فأما الشميسى: فقد كانت تسمى، من قبل الإسلام، بالحديبية باسم بئر هناك و فيها حصلت بيعه الرضوان، كما سيأتى، و هى بضم الحاء و فتح الدال المهملة ثم ياء مخففة و قيل مشددة، و بها الآن بعض أكواخ و جملة من البيوت المبنية باللبن، و لا ندرى متى سميت بالشميسى، و لماذا سميت بهذا الاسم. و المسافة بين المسجد الحرام و بين الشميسى، أربعة و عشرون كيلو مترا، و المسافة بين المسجد الحرام و العلمان الدالان على حدود الحرم اثنان و عشرون كيلو مترا تقريبا، و من العلمين إلى مسجد الشميسى نحو اثنى عشر كيلو متر و يظهران منه فنفس قرية الشميسى «الحديبية»، و مسجدها، العامرة اليوم بالسكان و منازلهم واقعان فى الحل لا فى الحرم، فقول صاحب «تقويم البلدان» عن الحديبية: هو موضع بعضه فى الحل و بعضه فى الحرم. هذا على اعتبار أن الحديبية تمتد من قبل العلمين إلى ما بعد المنازل المسكونة و المسجد، فعلى هذا الاعتبار يمكن أن نقول بعض الحديبية فى الحل و بعضها فى الحرم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٥٦

و فى هذه البقعة، التى فيها المسجد و المنازل تقريبا، نزل رسول الله صلى الله عليه و سلم مع أصحابه فى غزوة الحديبية الشهيرة، و كانوا ألفا و خمسمائة، حينما خرج من المدينة، فى أواخر السنة السادسة، يريد مكة للاعتمار، و قد وصلوا إلى الشميسى من عسفان بأمر النبى صلى الله عليه و سلم، حتى لا يلتقوا بطليعة قريش فى الطريق، التى أتت لصد المسلمين عن التقدم.

ثم إن النبى صلى الله عليه و سلم اختار عثمان بن عفان، رسولا من عنده إلى قريش، حتى يخبرهم مقصده. فتوجه عثمان، و دخل مكة، فبلغ ما حمل، و حبست قريش عثمان من الرجوع، فشاع عند المسلمين أن عثمان قد قتل، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم، حينما سمع ذلك: لا نبرح حتى نناجزهم الحرب. و دعا الناس، للبيعة على القتال، فبايعوه على الموت هناك، تحت شجرة، فسميت بشجرة الرضوان، و هذه البيعة تسمى بيعه الرضوان، التى ورد ذكرها فى آية: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ. و فى خلافة عمر رضى الله عنه أمر بقطع هذه الشجرة لما رأى تبرك الناس بها.

ثم إنه وقع الصلح بين قريش و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم، على أن يرجع من حيث أتى من غير عمرة، فى هذا العام، ثم يأتى العام المقبل فيدخل مكة بأصحابه، فيقيم بها ثلاثة أيام، و غير ذلك من الشروط، فأمر عليه الصلاة والسلام، أصحابه أن يحلقوا رؤوسهم، و ينحروا هديهم، ليتحللوا من عمرتهم.

فلما حال الحول، على عمرة الحديبية، خرج صلى الله عليه و سلم من المدينة بمن كان معه سابقا من الحديبية معتمرا، و تسمى هذه العمرة بعمرة القضاء، فجاء عن طريق مَرَّ الظهران، على مرحلة من مكة، و يسمى اليوم بوادى فاطمة، و دخل مكة من ثنية كداء، فطاف بمن معه، و أمرهم أن يسرعوا فى ثلاثة أشواط من الطواف، إظهارا للقوة، لأن المشركين قالوا: سيطوف اليوم بالكعبة قوم نهكتهم حمى يثرب، فلما أتم المسلمون طوافهم آمنين محلقين رؤوسهم و مقصرين، خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم من مكة يريد المدينة. و كان ذلك فى السنة السابعة. ثم كان فتح مكة المشرفة فى السنة الثامنة، صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان، كما هو مذكور فى كتب السير و من أراد زيادة و توضيحا فليرجع إليها.

و فى الشميسى مسجد صغير، أمر بتعميره السلطان محمود خان، سنة (١٢٥٥) خمس و خمسين و مائتين و ألف من الهجرة، ثم قامت منذ بضع سنوات

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٥٧

مديرية الأوقاف بترميمه و ترخيمه. و وراء هذا المسجد آثار مصلى قديم متهدم، و آثار سبيل للماء، للغادى و الرائح، و مما يلفت

النظر أن أرض هذه المصلى هي سقف لصهريج كبير، كانت تملأ من مياه الأمطار والسيول، ومع أن هذه المصلى والصهريج قد مرّ عليهما نحو ثلاثمائة سنة، فإنه من الصعب الآن إخراج حجر من بنائهما القديم، بينما لم يبق إلا بالحجارة والنورة فقط.

انظر: صورة رقم ١٩٩، أعلام الشميسى قديما

انظر: صورة رقم ٢٠٠، مسجد الشميسى

و بجوار الصهريج بئر كبيرة عميقة، مبنية بناء قويا بالحجارة، تظهر فيها آثار السقاية والاستعمال الكثير، فاستنتجنا من ذلك أن حولها كان عامرا بالمزارع والبساتين، وكان أهلا بالسكان، ورأينا هناك مقابر كثيرة قديمة العهد.

قال الغازي في تاريخه: ومنها مسجد الحديدية، وهو على نحو اثني عشر ميلا من مكة، للذاهب على طريق جدة، بالموضع المسمى بالشميسى. وهذا المسجد موضع الشجرة، التي بايع عندها الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان، عام الحديدية، وأنزل الله تعالى في تلك البيعة: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ. وقد حصل التعمير فيه مرارا، و آخرها التعمير الذي كان سنة ثلاث وستين ومائتين وألف، في مدة السلطان عبد المجيد بن السلطان محمود خان انتهى. ذكره السيد أحمد دحلان في سالنامته، وقال الفاسي:

الحديدية، على ما ذكر النووى في التهذيب، بضم الحاء وفتح الدال وتخفيف الباء، كذا قاله الشافعى وأهل اللغة وبعض أهل الحديث، وقال أكثر المحدّثين، بتشديد الباء، وهما وجهان مشهوران. انتهى.

و في مرآة الحرمين: وبالشميسى مسجد يسمى مسجد الشميسى أو مسجد البيعة، وهو على اليسار، مربع الشكل، طول ضلعه (١٥) مترا، ومبنى بالحجر الأزرق، بناء متينا، ومجصص، وبه ثلاثة أروقة (بواكى)، وقبلته مكتوب فيها:

هذا مسجد بيعة الرضوان، مأثرة من مأثر حبيب المنان، عمّره المليك إلى رحمة الرحمن، المغفور له السلطان محمود خان سنة (١٢٥٤) هـ) أربع وخمسين ومائتين وألف، وبالشميسى بئر عمقها (١٠) أمتار بالتقريب، مبنية بالحجر، وماؤها مقبول. انتهى من الغازي.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٥٨

نقول: إن الحكومة السعودية قد هدمت هذا المسجد في أوائل سنة ١٣٧٩ هـ.

فحبذا لو أن الناس عمروا هذا المكان التاريخى المهم بالسكنى والزراعة، فإننا نعتقد أنه إذا أخرج التراب والحجارة، من هذه البئر المذكورة، ينبع منها ماء غزير عذب، وإن هذا المكان يمتاز بطيب الهواء، وفسحة الأرجاء، والقرب من مكة، ومن حدود الحرم وأعلامه.

## بحرة و مسجدها

و أما بحرة و تسمى «بحرة الرّغاء» و الرّغاء صوت ذوات الخف، فإنها تقع في منتصف الطريق بين مكة وجدة، و المسافة بين المسجد الحرام و بين بحرة تسع و ثلاثون كيلو مترا تقريبا و هي إحدى المحطات الكبرى المهمة من قديم الزمان، و هي في طريق الجمال و السيارات «الأوتومبيلات» كانت بها سابقا بعض عشاش و حظائر للإبل، و بيوت من اللبن و قهاوى و دكاكين، و الآن صاروا يبنون بيوتهم بالحجارة و النورة و الإسمنت. و كانت بحرة، قبل انتشار السيارات بالحجاز، أى إلى عام (١٣٥٠) تقريبا، أكثر بيعا و شراء و حركة من اليوم، و ذلك أنه من قديم الزمان كان المسافرون من الحجاج و أهل البلاد من مكة إلى جدة أو منها إلى مكة يسافرون على الجمال و الشقادف «الهوداج»، فيخرجون منهما في العشي و يسرون الليل كله، فيصبحون، مع الفجر أو مع شروق الشمس، في «بحرة»، فيحطون رحالهم و يستظلون في بيوتها و عشاشها من الشمس، و يستريحون فيها بقية النهار، حتى إذا أقبل العشى شدوا رحالهم، و توجهوا إلى مكة أو جدة و يسرون الليل كله ثم يصبحون بها.

انظر: صورة رقم ٢٠١، مسجد بحرة

أما اليوم فقد ترك الناس السفر بالجمل و الدواب، و استعاضوا عنها بالسيارات، فالمسافة بين مكة و جدة بها ساعة و نصف تقريبا، فالمسافر بها قد يجلس ببحرۃ للراحة لأنها منتصف الطريق بمقدار ما يشرب قليلا من الماء و فنجانا من الشاي و القهوة، أو بمقدار ما يتوضأ و يصلى، ثم يركب سيارته و يتوجه صوب مقصده، و بسبب هذا الحال لم تكن الحركة، و البيع و الشراء فى بحرۃ،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٥٩

كسابق الأيام، و على كل حال فبحرۃ هى المحطة الرئيسة بين مكة و جدة من قديم الزمان إلى اليوم.

ولا ندرى ما سبب تسميتها بذلك على أنه من زمن قديم تسمى «بحرۃ» و لم نقف على تسميتها بغير ذلك. لكن رأينا فى كتاب «رحلة ابن جبیر الأندلسى»، الذى ابتدأ بتقييدها فى يوم الجمعة ثلاثين شوال سنة (٥٧٨) ثمان و سبعين و خمسمائة هجرية، فساح فى الأقطار على متن البحار، حتى أتى الحرمين الشريفين، أن بحرۃ كانت تسمى «قرين» كما يظهر من كلامه فإنه قال: وصلنا إلى جدة ظهر يوم الثلاثاء الرابع من ربيع الثانى من السنة المذكورة، ثم بعد أن وصف جدة و ما بها قال: و فى عشى يوم الثلاثاء الحادى عشر من الشهر المذكور، كان انفصالنا من جدة، قال: و أسرينا تلك الليلة إلى أن وصلنا «القرين» (بضم القاف أو كسرها) مع طلوع الشمس، و هذا الموضع هو منزل الحاج و محط رحالهم، و منه يرحمون و به يريحون اليوم الذى يصبحونه، فإذا كان فى عشي رفقوا و أسروا ليلتهم و صبّحوا الحرم الشريف، زاده الله تعالى تشريفا و تعظيما، و الصادرون من الحج ينزلون به أيضا و يسرون منه إلى جدة، و بهذا الموضع المذكور بئر معينة عذبة، و الحاج بسببها لا يحتاجون إلى التزود بالماء، غير ليلة إسرائهم إليه. قال: فأقمنا بياض يوم الأربعاء مريحين بالقرين، فلما حان العشى رحنا منه محرمين بعمرة، فأسرينا ليلتنا تلك، فكان وصولنا مع الفجر، قرب الحرم، فنزلنا مرتقبين لانتشار الضوء، و دخلنا مكة، حرسها الله تعالى، فى الساعة الأولى من يوم الخميس الثالث عشر لربيع المذكور ... إلى آخر كلامه.

فظهر لنا هنا من كلامه و وصفه أن المقصود من كلمة «قرين» فى عصر ابن جبیر المذكور، هو «بحرۃ» لأن وصفه هذا ينطبق على بحرۃ تمام الانطباق. لكن هل كانت بحرۃ تسمى بقرين فى صدر الإسلام أم لا، الله أعلم بذلك، فإننا لم نبحث عن هذا. و أما فى زماننا فقرين «بضم القاف و كسرها» يطلق على جبل بعرفات و ربما كان جبل الرحمة نفسه، و قول ابن جبیر: إن الحاج يحرم من القرين و أنه هو نفسه مع من معه أحرموا منه بعمرة، حينما قاموا منه قاصدين مكة قوله هذا خطأ، فالحجاج يحرمون من الميقات، و لا يحرمون من جدة أو من بحرۃ، فمن أحرم من أحدهما من الحجاج و جب عليه الدم لتركه الميقات، و أما أهل جدة أو أهل بحرۃ فيحرمون من نفس بلدتهم، و الله تعالى أعلم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٦٠

أما المسجد القديم، الذى ببحرۃ، قيل إن النبى صلى الله عليه و سلم صلى فى موضعه منصرفه من غزوة حنين أو ثقيف أو الطائف و الله تعالى أعلم بصحته، فإننا لا نجزم بذلك بل نشك فيما قيل، و إنما هو كالمساجد الأخرى غير أنها قديمة العهد، فإن قرية كبحرۃ معروفة من قديم الزمان و هى المحطة الكبرى الرئيسة لقوافل الحجاج، و أهلها كلهم مسلمون لا يمكن أن تكون بدون مسجد يصلون فيه.

قال عنها إبراهيم باشا رفعت صاحب كتاب «مرآة الحرمين» ما نصّه:

و بحرۃ تسمى «بحرۃ الرغاء» على يسار الميّم مكة، و بها أكواخ حقيرة، و حظائر للإبل، و قهاوى، و مسجد صغير بمئذنة، بنى أصله النبى صلى الله عليه و سلم منصرفه من غزوة الطائف، سنة ثمان، و صلى فيه كما جاء فى سيرة ابن هشام، و فيها عقب ذلك.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عمرو بن شعيب أنه أقاد، يومئذ ببحرۃ الرغاء، حين نزلها، بدم، و هو أول دم أقيد به فى الإسلام، رجل من بنى ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به. اه.

و هنا قال مؤلف كتاب «مرآة الحرمين»: ولكن فى زاد المعاد فى هدى خير العباد فى غزوة الطائف ما يأتى: ثم خرج رسول الله صلى

الله عليه و سلم من الطائف إلى الجعرانة، ثم دخل منها محرماً ففرض عمرته، ثم رجع إلى المدينة. اه. قال المؤلف المذكور: و الطائف في الجنوب الشرقي لمكة و الجعرانة بينهما، لكنها أقرب إلى مكة، فكيف يتفق مع ذلك أنه مر ببحر منصرفه من غزوة الطائف، مع أنها غربي مكة، و لا تقل المسافة بينهما عن ثلاثين ميلاً، و بين الجعرانة و مكة حوالي عشرة أميال، إننا لذلك نقف موقف الشك فيما رواه ابن هشام، و نقله عنه كثير من المؤرخين حتى يأتينا اليقين. انتهى كلام صاحب مرآة الحرمين.

الجعرانة: هي بكسر الجيم و سكون العين المهملة و تخفيف الراء و هو الأشهر و بهذا ينطق الحجازيون إلى اليوم، و قيل: بكسر الجيم و العين و تشديد الراء.

نقول و الله تعالى أعلم: لا- داعى للشك في هذه المسألة، فإن النبي صلى الله عليه و سلم قد نزل في الحديبية التي تسمى الآن «بالشميسى» مع أصحابه، و نزوله هنا لا شك فيه و قد قدمنا الكلام عنه هنا في أول الفصل، و بين الشميسى و بين بحر خمسة عشر كيلو متراً، فالمسافة قريبة بينهما، و طريق المدينة، للمسافر من مكة، من قديم الزمان، هو عن طريق مّر الظهران، المسمى الآن «بوادى فاطمة» و وادى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٦١

فاطمة واقع عند الكيلو «٢٩» للذهاب إلى جدة، فعسفان ثم المحطات الأخرى، الواقعة في طريق المدينة، و بين عسفان و مكة مرحلتين تقريباً، و عسفان أقرب إلى بحر و وادى فاطمة، فترى هذه الأماكن قريبة بعضها من بعض، و في كل منها طريق يؤدي إلى المدينة المنورة، أما الطريق من مكة إلى المدينة اليوم فهو عن طريق بحر فجدة ثم بقية المحطات، و ذلك بالسيارات و بالجمال أيضاً، و قلّ من يذهب إليها الآن عن طريق عسفان. و هذا الطريق، كان سابقاً يسمى بالطريق السلطاني، و هو أحسنها سيراً و أكثرها ماء، كما ذكر ذلك صاحب «الرحلة الحجازية»، فقد قال: إذا مشت القافلة من مكة من الطريق السلطاني فإنها تمر على المحطات الآتية: وادى فاطمة، عسفان، خليص، القضيمة، رابع، مستورة، ثم ذكر بقية المحطات لا داعى لذكرها هنا.

فعلم مما تقدم أن النبي صلى الله عليه و سلم قد مرّ و أقام بالشميسى أى الحديبية، التي حصلت فيها ببيعة الرضوان بدون شك، و لما كانت بحر و وادى فاطمة في طريق الذهاب إلى المدينة، فمن الجائز أن يكون النبي صلى الله عليه و سلم مرّ بهما في طريقه إلى المدينة، و الله تعالى أعلم.

### الجعرانة و مسجدتها

قال الفاسى في شفاء الغرام: اختلف في ضبط العين و الراء من الجعرانة، فقال النووى في تهذيب الأسماء و اللغات: الجعرانة بكسر الجيم و إسكان العين و تخفيف الراء، هكذا صوابها عند إمامنا الشافعى و الأصمعى و أهل اللغة و محققى المحدثين و غيرهم، و منهم من يكسر العين و يشدد الراء، و هو قول عبد الله بن وهب و أكثر المحدثين، قال صاحب مطالع الأنوار: أصحاب الحديث يشددونها، و أهل الإتقان و الأدب يخطئونهم و يخففون، و كلاهما صواب، حكى إسماعيل القاضى، عن على بن المدينى، قال: أهل المدينة يثقلونها و يثقلون الحديبية و أهل العراق يخففونها. انتهى.

قال الغازى: الجعرانة الموضع الذى أحرم منه النبي صلى الله عليه و سلم لما رجع من الطائف، بعد فتح مكة، هو موضع مشهور، على بريد من مكة، فيما ذكره الفاكهى، كذا في العقد الثمين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٦٢

أخرج الجندى، في فضائل مكة، بسنده إلى يوسف بن ماهك، أنه قال:

اعتمر من الجعرانة ثلاثمائة نبى و كذا ذكره الفاكهى. و في جهة الجعرانة ماء شديد العذوبة، يقال أن النبي صلى الله عليه و سلم

فحص موضع الماء، بيده المباركة، فانبجس فشرب منه النبي صلى الله عليه وسلم و سقى الناس، و قيل: إنه غرز رمحه الميمون، فبقي الماء من ذلك المحل، فشرب منه النبي صلى الله عليه وسلم و سقى الناس. أخرجه الفاكهي.

و إنما سميت جعرانة باسم امرأة من قريش، يقال لها رايطة بنت كعب، و لقبها جعرانة، و هي امرأة أسد بن عبد العزى. قال ابن عباس رضى الله عنهما: إنها هي التي نزل فيها قوله تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ الْآيَةِ. انتهى.

انظر: صورة رقم ٢٠٢، مسجد الجعرانة و بئرها

نقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة، في السنة الثامنة من الهجرة، سار بمن معه إلى الطائف لغزو ثقيف و هوازن، فلما وصل المسلمون الطائف وجدوا الأعداء قد تحصنوا به، فحاصروهم ثمانية عشر يوماً، و لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن الفتح لم يؤذن فيه، استشار نوفل بن معاوية الديلي في الذهاب أو المقام، فقال نوفل: يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقت أخذته و إن تركته لم يضرك، فأمر عليه الصلاة و السلام بالرحيل، و طلب منه بعض الصحابة أن يدعو على ثقيف، فقال: «اللهم اهد ثقيفا و انت بهم مسلمين».

ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة حيث ترك السبي و الغنائم، التي أخذوها في غزوة حنين، و أقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة، و منها اعتمر و دخل مكة ليلا فطاف و استلم الحجر، ثم رجع إليها من ليلته، ثم إنه عليه الصلاة و السلام، أمر بالرحيل فسار الجيش آمنة مطمئنا، حتى دخل المدينة، لثلاث بقين من ذى القعدة من السنة الثامنة.

قال ابن حجر الهيتمي، رحمه الله تعالى في كتابه «تطهير الجنان و اللسان» المطبوع بهامش كتابه «الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع و الزندقة» ما يأتي:

عمره الجعرانة إنما فعلها صلى الله عليه وسلم ليلا سرا عن أكثر الصحابة، و لذا أنكرها بعضهم، و ذلك أنه بعد صلاة العشاء بأصحابه في الجعرانة دخل على أهله، فلما تفرق الناس لمضاجعهم خرج صلى الله عليه وسلم محرما بالعمرة، في نفر قليل إلى مكة، فقصى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٦٣

نسكه ثم رجع إلى أهله سرا أيضا، ثم عند صلاة الصبح خرج من عند أهله كبائت عندهم، فلم يعلم بتلك العمرة إلا بعض خواصه صلى الله عليه وسلم. انتهى كلامه.

فالناس يعتمدون من الجعرانة كثيرا في شهر رمضان، فتراها عامرة، في هذا الشهر، بالحجاج و أهل البلاد من كل جهة، و ماء الجعرانة أحلى و أعذب من ماء مكة، فهو يشبه ماء بئر عروة بالمدينة المنورة، من حيث عذوبة طعمها و سهولة مساعها. و لقد ذهبنا إلى الجعرانة من مكة عدة مرات، فرأينا في سنة ألف و ثلاثمائة و ست و سبعين للهجرة قبيل الوصول إليها صخرة كتب عليها ما يأتي:

من يتوكل على الله فالله حسبه.

و الله بالغ أمره، و قد جعل الله لكل شيء قدرا.

و كتبه أمية بن عبد الملك.

لسنة ثمان و تسعين هجرية.

و هو يسأل الله الجنة.

و بالجعرانة مسجد قديم تتكلم عنه كما يأتي:

أما مسجد الجعرانة فقد قال الغازي عنه في تاريخه: و من المساجد الماثورة مسجد الجعرانة، و هو الذي أحرم منه النبي صلى الله عليه وسلم بعمرة، حين مرجعه من الطائف، بعد فتح مكة، و موضع إحرامه من وراء الوادي، حيث الحجارة المنصوبة بالعدوة القصوى. أخرجه الأزرقى عن مجاهد، و كذا ذكره الواقدي أيضا. ذكره في الجامع اللطيف.

و قال الفاسي في «شفاء الغرام»: الجعرانة الموضع الذي أحرم منه النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف، بعد فتح مكة، هو



موضع مشهور بين الطائف و مكة، و هو إلى مكة أقرب بكثير، لأن بينه و بين مكة نحو ثمانية عشر ميلا على ما ذكره الباجي المالكي. روى الأزرقى، عن ابن جريج، قال: أخبرني زياد بن محمد بن طارق، أخبره أنه اعتمر مع مجاهد، من الجعرانة، فأحرم من وراء الوادى، حيث الحجارة المنصوبة، قال: و من هنا أحرم النبي صلى الله عليه و سلم، و إنى لأعرف أول من اتخذ المسجد على الأكمة، بناه رجل من قريش سماه و اشترى مالا عنده و نخلا. «و المال عند أهل البادية يطلق على النعم و المواشى كالإبل و الغنم. اه» (منجد). فبنى هذا التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٦٤

المسجد، و ذكر الواقدي أن النبي صلى الله عليه و سلم أحرم من المسجد الأقصى، التى تحت الوادى، بالعدوة القصوى من الجعرانة، و كان مصلى النبي صلى الله عليه و سلم إذ كان بالجعرانة به، فأما الأدنى فبناه رجل من قريش و اتخذ ذلك الحائط عنده «الحائط البستان جمعه حيطان و حياط. اه» (منجد). و لم يجز رسول الله صلى الله عليه و سلم الوادى إلا- محرما، و نقل ابن خليل، عن ابن جريج، أن الرجل الذى بنى المسجد الأدنى هو عبد الله بن خالد الخزاعى. انتهى.

قال الغازى: مسجد الجعرانة الموجود الآن جددته زوجته سالار الملك، الذى هو من أمراء حيدر أباد، فى سنة (١٢٦٣) ألف و مائتين و ثلاث و ستين من الهجرة، كما هو مكتوب على محراب المسجد. انتهى.

### مسجد نمره بعرفات

أما مسجد نمره بعرفات فقد تكلمنا عنه عند الكلام على عرفات فراجعه هناك حتى لا يتكرر الكلام هنا. هذه المساجد الأربعة المذكورة هى واقعة عند حدود الحرم تماما. و لم نذكر ما يوجد بمنى من المساجد و لا مسجد مزدلفه لأن كل ذلك واقع فى داخل الحرم.

### بدء بناء المساجد و الجوامع فى البلاد الإسلامية

#### إشارة

المسجد و الجامع بمعنى واحد، و كان أهل الزمن الأول يصفون المسجد أحيانا فيقولون «المسجد الجامع» و أحيانا يضيفونه إلى الصفة فيقولون «مسجد الجامع» و ذلك لاجتماع الناس فيه.

و فى زماننا هذا يطلق بعض أهل البلدان كلمة «الجامع» على المسجد الكبير الذى تقام فيه الجمعة، و يطلق بعض أهل البلدان كلمة «المسجد» على أى مسجد كان، كبيرا أو صغيرا، كما هى عادة أهل الحجاز، فإنهم لا يستعملون كلمة «الجامع» مطلقا.

و لقد أخذ بناء الجوامع و المساجد فى مصر، من القرن الخامس الهجرى تقريبا، طابعا آخر، بحيث يكون بناؤه صالحا لإقامة الصلوات و الشعائر الدينية، و صالحا لتدريس كافة أنواع العلوم و الفنون، بجانب إقامة الطلبة و التلاميذ فيه ليلا و نهارا،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٦٥

و يطلقون أحيانا على ما كان مبنيا بهذه الصفة كلمة «المدرسة» و قد يلحق ببعضها سبيل ماء لشرب المارة، و كتاب لتحفيظ القرآن و تعليم القراءة و الكتابة، و قد ذكروا أن الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب، مؤسس الدولة الكردية، هو أول من بنى دارا للحديث، و بنى فى كثير من البلدان مكاتب «كتاتيب» للأيتام و قرر، لهم و لمعلميهم، مراتب و افرة.

يقول الأستاذ محمد لبيب البتونى مؤلف «الرحلة الأندلسية» فيها ما يأتى:

إن المساجد كانت و لا تزال فى الدول الإسلامية تستعمل مدارس للعلوم المختلفة، كما هو الشأن، إلى الآن، فى الحرمين الشريفين بمكة و المدينة و الأزهر بمصر، و المسجد الجامع ببغداد، و المسجد الأموى بدمشق، و جامع الزيتون بتونس، و مسجد الكتبية

بمراكش، وجامعى السلطان أحمد و السلطان محمد بالآستانه، و مسجد عمر بالقدس. انتهى.

نقول: و قد أنشأ العثمانيون، حول المسجد الحرام، مدارس لتدرس فيها العلوم المختلفة، منذ القرن التاسع الهجرى، و جعلوا، لأساتذتها و طلبتها و موظفيها، مرتبات شهرية و أوقافات مرصودة سنوية، و لا تزال إلى اليوم هذه المدارس باقية، لكنها غير مخصصة للتدريس، بل بعضها تشغلها المحاكم، و بعضها فيها مكتبة الحرم المكى، و هى واقعة من جهة باب الزيادة إلى باب الدريه، و كذلك توجد مثلها فى جهة أخرى حول المسجد الحرام، لكنها شغلت بالسكن لا بالتدريس، و قد تكلم عنها مؤرخو مكة.

أما كيفية بناء المساجد: فهى تابعة للتطورات المدنية و التقدمات العمرانية و العادات القومية فى البلدان و الممالك، فقد كان بناء أساس مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم بالحجارة، و كان أساسه قريبا من ثلاثة أذرع، أما جداره فبنيت باللبن، و كانت أعمدته من جذوع النخل، و سقفه من الجريد، و كان صلى الله عليه و سلم يبنى مع المسلمين و ينقل اللبن و الحجارة، و يقول: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأتصار و المهاجرة».

فهذا المسجد النبوى الشريف، بنى فى ذلك الزمن، كعادة أهله فى بناء بيوتهم و منازلهم، ثم تطور الأمر حتى صار بناؤه اليوم كما نراه، فكيفية بناء المساجد تابعة للتطورات العمرانية، و هل يليق بنا، و نحن فى هذا العصر الحديث، عصر الآلات الميكانيكية و عصر الكهرباء، و عصر الذهب و الفضة، و عصر البناء فى الماء

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٦٦

و الطيران فى السماء، أن بنى بيوتنا و منازلنا و قصورنا بالمرمر و الرخام و البللور البراق، و تزيناها بالذهب و الفضة، و نخرقها بالنقوش البديعة، ثم بنى المساجد، بيوت الله الكبير المتعال، التى يذكر فيها اسمه، باللبن و الطين و الحجارة الصماء و جذوع النخل و الجريد، و أن نوقد فيه زيتا و فتيلاب بينما نضىء منازلنا بالأنوار الكهربائية؟ لا و الله لا يليق بنا ذلك، و إن كان الله، عز شأنه، غنى عن كل ذلك، و عن عبادتنا أيضا، فإنه تعالى ينظر إلى قلوبنا و لا ينظر إلى صورنا، ولكن ما أجمل طهارة الباطن و نظافة الظاهر، فالتجانس و التقارب، بين بناء بيوتنا و بناء بيوت الله، مطلوب معقول، بحسب التطورات فى كل عصر و عادات كل بلدة.

و هذا عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما لما احترقت الكعبة و ضعفت جدرانها، جمع وجوه الناس و أشرفهم فشاورهم فى هدم الكعبة، فأشار عليه بعضهم بهدمها، و أبى أكثر الناس هدمها، و كان أشدهم عليه إباء عبد الله بن عباس، رضى الله عنهما، و قال له: دعها على ما أقرها عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم فإنى أخشى أن يأتى بعدك من يهدمها، فلا تزال تهدم و تبني، فيتهاون الناس فى حرمتها و لكن أرقعها. فقال ابن الزبير: «و الله ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه و أمه فكيف أرقع بيت الله سبحانه و تعالى؟» ثم إنه هدمها و بناها أحسن البناء.

و مثل هذا أيضا، حينما احترقت الكعبة، زمن قريش، فأرادوا بناءها، لكنهم هابوا أن يهدموها، فقال لهم الوليد بن المغيرة: أتريدون بهدمها الإصلاح أم الإساءة؟ قالوا: بل نريد الإصلاح، قال: فإن الله لا يهلك المصلحين، ثم ارتقى الوليد، قبل قريش على الكعبة، و معه الفأس يهدمها، و يقول: اللهم لا نريد إلا الإصلاح. ثم تبعه قريش فهدموا معه.

فيؤخذ مما تقدم، أن إصلاح أى شىء و إتقان أى عمل، بنية حسنة، مطلوب شرعا، و لا حرج فى إدخال تحسينات على أمر لم تكن عليه من قبل، ما لم يكن هناك منع صريح فى ذلك، فالمظاهر لها حكم قوى، فكما يجب إصلاح الباطن يلزم تجميل الظاهر، فملك بدون مشاعر الملك لا يهاب، و إدارة حكومية بدون فخامة مظهرها لا تعتبر، و إنسان بدون أن يتجمل بالثياب لا يحترم و لا تكون له مكانة، و بالأخص فى زماننا هذا، نسأل الله السلامة عن خزي الدنيا و الآخرة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٦٧

فهذا معاوية بن أبى سفيان، رضى الله تعالى عنه، الصحابى الجليل، كاتب و حى رسول الله صلى الله عليه و سلم لما تولى الشام من قبل عمر، رضى الله عنه، قدم عليه عمر راكبا حمارا فتلقاه معاوية فى موكب عظيم، و نزل معاوية و سلم على عمر بالخلافة، فمضى

عمر في سبيله و لم يرد عليه سلامه، فقال له عبد الرحمن بن عوف: أتعبت الرجل يا أمير المؤمنين، فلو كلمته، فالتفت عمر إلى معاوية و سأله: إنك لصاحب الموكب الذي أرى؟ قال معاوية: نعم، قال عمر: مع شدة احتجابك و وقوف ذوى الحاجات ببابك؟ قال معاوية: نعم، قال: و لم ويحك؟ أجابه معاوية: «لأننا ببلاذ كثر فيها جواسيس العدو، فإن لم نتخذ العدة و العدد استخف بنا و هجم علينا، و أما الحجاب فإننا نخاف من البذلة جرأة الرعية.

و أنا بعد عاملك فإن استنقصتني نقصت، و إن استردتني زدت و إن استوقفتني وقفت» ... قال عمر، بعد أن سكت هنيهة: «ما سألتك عن شيء إلا خرجت منه، إن كنت صادقاً فإنه رأى لبيب، و إن كنت كاذباً فإنها خدعة أريب، لا أمرك و لا أنهاك».

انتهى نقلا عن صحيفة ٢٢٣ من كتاب «الفاروق عمر» للدكتور محمد حسين هيكل. و من هنا يعلم أن معاوية، رضى الله عنه، لم يتخذ له موكبا و حجابا بالشام إلا للمصلحة العامة، لا للهو و العبث و الركون إلى الدنيا، و هو الصحابي الجليل، الذى خدم رسول الله صلى الله عليه و سلم و له من السياسة و الدهاء و الفطنة و الحلم ما يضرب بها الأمثال. و إن من حكايته هذه لتستخرج جملة من المسائل، و عدة من الأمور المهمة، لو أردنا شرحها و بيانها لطال بنا الكلام، و لا يخفى ذلك على ذوى العقول و البصائر. فلو تتبعنا أحوال أهل الصدر الأول من الإسلام واقفينا آثارهم و طريقتهم، لكان اليوم للمسلمين شأن آخر غير ما نحن فيه، نسأل الله التفويق و الاعتصام بالدين و جمع شمل المسلمين و النصر على أعداء الدين آمين بفضل و رحمته إنه بعباده لطيف خبير.

هذا، و لقد كان ابتداء إصلاح العمارات و الأبنية، فى عهد الوليد بن عبد الملك، رحمه الله تعالى، حتى كان الناس إذا التقوا نساء لولا عن البناء و الصناعة، و هذه قبة صخرة المسجد الأقصى تدهش عقول الفنانين و أرباب الصنعة، بما فيه من النقوش الذهبية، و القيشانى و الفسيفساء «الموازيك»، كل هذه من عهد عبد الملك بن مروان و ابنه الوليد، ثم أتى من بعدهما من عمرها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٦٨

و أصلحها، ثم تقدم العمران و الأبنية فى عهد الدولة الطولونية بمصر سنة (٢٥٤-٢٩٢) هجرية، ثم فى عهد الدولة الفاطمية سنة (٣٥٨-٥٦٧) هجرية، فقد ترقى كثير من الصناعات فى عهدها و ارتفعت شأن العمارات الإسلامية، ثم فى عهد الدولة الأيوبية سنة (٥٦٧-٦٤٨) هجرية، فقد ازدهرت فى عهدها الفنون الإسلامية و أنشئت المدارس للمذاهب و الحديث الشريف، و ظهر الزجاج الملون، فى الشبايك، و الفسيفساء المذهبة فى المحاريب، و شاع استعمال الرخام فيها.

و لكن كل ذلك لم يصل إلى درجة الكمال، بسبب اشتغال مؤسس الدولة، صلاح الدين الأيوبي، بحرب الإفرنج، فكانت أيامه و أيام خلفائه فتحا و جهادا.

ثم جاءت دولة المماليك البحرية سنة (٦٤٨-٧٨٤) هجرية، و كذلك دولة المماليك الجراكسة سنة (٧٨٤-٩٢٣) هجرية، ففى هاتين الدولتين نهضت الصناعات نهضة بحق، فتركزت قواعد العمارات، و تطور بناء المساجد، و تنوعت أشكال القباب و المنارات، و تهذبت صناعة النجارة و التطعيم فى الخشب بالنحاس و غيره، و تلوين الجص المنقوش، و اتخذت مشكاوات لإضاءة المساجد، و استعمل القاشانى فى قمم المنارات و مدار القباب، و استحدث المنبر الرخامى، و اتخذ الحجر فى بناء القباب و المنارات بدلا من الطوب، و تنوعت تصميم واجهات المساجد و الجوامع، و انتشر الخط الكوفى المربع، و ظهرت الأبواب النحاسية و تكفيتها بالذهب و الفضة، و ازدادت منارات المساجد رشاقة و حسنا و جمالا، و القباب نقوشا و رسوما، و انتشرت المحاريب الحجرية و نقشها و تطعيمها بالرخام، و تعددت المنارات و القباب فى مسجد واحد، و غير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر.

و أخيرا جاءت الدولة العثمانية التركية، و بذلك أدخلت فى مصر من الزخارف و الأساليب التركىة على العمارات التى حدثت فيما بعد.

هذه نبذة قصيرة عن تطور بناء العمارات عامة، و المساجد الخاصة، بجميع أنواعها، ذكرناها لمناسبة ما لبعض تلك الدول من العمارات و المنشآت السابقة، فى الحرمين الشريفين، و إلى هنا انتهينا من كيفية بناء المساجد و تطور بناء العمارات بصورة مختصرة،

فلنذكر الآن مبدأ بناء المساجد فنقول وبالله التوفيق:

إن أول مسجد بنى في الإسلام مسجد قباء بالمدينة أي في الأيام الأولى من وصول النبي صلى الله عليه وسلم إليها، و بعد أن أقام بضعة أيام بقباء، تحول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فبنى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٦٩

مسجده الشريف بها، في موضع مبرك ناقته، و قباء في خارج المدينة بينهما نحو اثنين كيلو متر. جاء في كتاب «التراتب الإدارية» قال السهيلي في الروض: ذكر ابن قتيبة أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين أسس مسجد قباء، كان هو أول من وضع حجرا في قبلته، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى حجر أبي بكر، ثم أخذ الناس في البناء، فقال: هذا أول مسجد بنى في الإسلام اه.

قال الخضرى رحمه الله تعالى، في كتابه «نور اليقين» و الذى حققه المرحوم محمود باشا الفلكى: إن نزول النبي صلى الله عليه وسلم بقباء كان فى اليوم الثانى من ربيع الأول، الذى يوافق العشرين من سبتمبر سنة (٦٢٢)، قال الخضرى فى هامش الصحيفة: لما أراد المسلمون فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وضع التاريخ، جعلوا مبدأه من هذه الهجرة الشريفة، و لعدم المخالفة، بين مبدأ الهجرة و بدء السنة الهلالية، قدّموا ميعاد الهجرة شهرين و أياما، و جعلوا بدء الهجرة من محرم سنتها. اه.

و لا يخفى أن المساجد لم تكن موجودة فى الممالك و البلدان إلا بعد ظهور الإسلام و فتوح الأمصار، فقد جاء فى كتاب «حسن المحاضرة» للسيوطى رحمه الله ما ملخصه:

لما افتتح عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، البلدان كتب إلى أبى موسى، و هو على البصرة، يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة، و يتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة. و كتب إلى سعد بن أبى وقاص، و هو على الكوفة، بمثل ذلك. و كتب إلى عمرو بن العاص، و هو على مصر، بمثل ذلك. و كتب إلى أمراء أجناد الشام أن لا يتبددوا إلى القرى، و أن ينزلوا المدائن، و أن يتخذوا فى كل مدينة مسجدا واحدا، و لا يتخذوا القبائل مساجد، فكان الناس متمسكين بأمر عمر و عهده، و كانت صلاة الجمعة تؤدى فى المسجد الجامع.

انظر: صورة رقم ٢٠٣، جانب من الجامع العظيم فى كانتون بالصين

و لما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية و رجع منها إلى مصر و أقام بالفسطاط، بضم الفاء، المسمى اليوم «مصر القديمة»، بنى بها جامعته الشهير باسمه «جامع عمرو بن العاص»، و هو أول مسجد أنشئ بمصر، و ذلك سنة إحدى و عشرين هجرية، و هو الجامع العتيق المشهور بتاج الجوامع، و كان ما حوله حدائق و أعنابا،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٧٠

فصبوا الجبال حتى استقام لهم، و وضعوا أيديهم «أى قاموا بالبناء»، فلم يزل عمرو قائما حتى وضعوا القبلة، و اتخذوا فيه منبرا، فكتب إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: «أما بعد فإنه بلغنى أنك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين أما حسبك أن تقوم قائما و المسلمون تحت عقيبك فعزمت عليك إلا ما كسرته» اه. و يقال إنه وقف على إقامة قبلته مسجده ثمانون رجلا من الصحابة، منهم الزبير بن العوام، و المقداد بن الأسود، و عبادة بن الصامت، و الدرداء، و أبو ذر، و عقبه بن عامر، و غيرهم، رضى الله تعالى عنهم أجمعين. و كان الذى يؤذن له فى المسجد و يبخره أبو مسلم الياضى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم يكن لجامع عمرو محراب و لا مئذنة، حيث لا يعرفهما الناس، و إنما حدثا فى آخر المائة الأولى، و كان الجامع مفروشا بالحصباء، اتخذوا ذلك من تحصيب أرضية المسجد النبوى الذى كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم، إلى أن جاء مسلمة بن مخلد، أمير مصر، من قبل معاوية رضى الله عنه، ففرش مسجد عمرو بالحصير، بعد أن جدد بناءه و زاد فيه، و ذلك سنة ثلاث و خمسين من الهجرة.

فمنذ أن فتحت مصر لم يكن بها مسجد تقام فيه الجمعة سوى جامع عمرو بن العاص، قال القضاة: لم تكن الجمعة تقام في زمن عمرو بن العاص بشيء من أرض مصر إلا بجامع الفسطاط، قال ابن يونس: جاء نفر من غافق إلى عمرو بن العاص فقالوا: إنا نكون في الريف فنجتمع في العيدين الفطر والأضحى، و يؤمننا رجل منا، قال: نعم، قالوا: فالجمعة؟ قال: لا، ولا يصلى الجمعة بالناس إلا من أقام الحدود و أخذ بالذنوب و أعطى الحقوق. اه، و كما بنى عمرو بن العاص جامع الفسطاط بمصر بنى مسجدا في الاسكندرية، حينما فتحها مرة ثانية، عندما نقضوا العهد، و ذلك سنة خمس و عشرين، في خلافة عثمان، رضى الله عنهما، و يسمى مسجده هذا مسجد الرحمة، و ذلك حينما دخل الاسكندرية أمعن في قتلهم، فكلموه في ذلك، فرفع عنهم السيف، و بنى في هذا الموضع الذى رفع السيف عنهم هذا المسجد، فلذلك سمي بمسجد الرحمة، كما جاء في حسن المحاضرة.

فلما كان سنة (١٣٣) ثلاث و ثلاثين و مائة قدم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، من العراق، في طلبه مروان الحمار، فنزل عسكره في شمال الفسطاط،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٧١

و بنوا هنالك الأبنية، فسمى ذلك الموضع بالعسكر، و بنوا به جامعا يسمى «جامع العسكر» فصارت الجمعة تقام بهذا الجامع و بجامع عمرو.

فلما بنى السلطان أحمد بن طولون جامع، حين بنى مدينة القطائع بالقاهرة، أبطلت الجمعة من جامع العسكر و صارت تقام بجامع عمرو و بجامع ابن طولون، إلى أن قدم جوهر القائد و اختط القاهرة و بنى الجامع الأزهر في سنة (٣٦٠) ستين و ثلاثمائة، فصارت الجمعة تقام بالجوامع الثلاثة. فيكون الجامع الأزهر هو أول جامع أسس بالقاهرة.

ثم كثر بناء الجوامع و المساجد بمصر، حتى كان بها ستة و ثلاثون و ألف مسجدا، كما ذكره المقرئ، في خطه، و الله تعالى أعلم كم بها اليوم، و بجميع الممالك الإسلامية من المساجد و الجوامع، و لقد ذكر البتوني في كتابه «رحلة الأندلس» أنه كان بمدينة قرطبة بالأندلس ثلاثة آلاف و ثمانمائة و سبعة و ثلاثون مسجدا. اه.

اللهم انصر المسلمين و اجمع كلمتهم و شملهم و وفقهم للتمسك بشريعتك الغراء و دينك القويم، و اعف عنا و اغفر لنا و ارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين، و صلى الله و سلم على النبي الأمي و على آله و صحبه أجمعين.

## الفسطاط

قال في كتاب «قاموس الأمكنة و البقاع» عن الفسطاط ما يأتي:

قال ياقوت: هي مدينة اختطها المسلمون، عند فتح مصر، يطلق عليها اليوم اسم مصر، بين النيل و الجبل الشرقى، و كان موضعها قبل ذلك فضاء أرض، و بها محل مبنى يدعى بابليون، ينسب بناؤه إلى العجم، و سمي موضع منه بعد بقصر الشمع، و كان هذا القصر مقر أمراء الرومانيين و حصنا متينا، و كان ملجأ للروم، عند قدوم عمرو بن العاص لفتح مصر في سنة ٢٠ هجرية، فغلبهم فيه، و هربوا إلى جزيرة الروضة، فاخترت عمرو، في جوار هذا الحصن، جامع المشهور، و اجتمعت حوله قبائل العرب في سرادقاتهم، فتكونت المدينة، و أطلق عليها اسم «الفسطاط» و لما كثرت قبائل العرب ابتنوا فيها مساكنهم، و صار كل من تولى على مصر يجعلها مقر ولايته، حتى تضاعفت فيها العمارات، كثر عدد السكان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٧٢

و اتسعت أطرافها، ولكن القحط الشديد الذى أصاب مصر من سنة ٤٥٧ و استمر إلى سنة ٤٦٤، حتى بلغ فيه ثمن أردب القمح ثمانين دينارا، ثم عدم، و أكلت الناس بعضهم بعضا، جزّ إلى خراب هذه المدينة، و لم يكد بعد ذلك يتم إصلاحها، و بناء ما هدم منها،

حتى أحرقت في سنة ٥٦٤، خشية من وقوعها في يد الإفرنج، ثم أعيد بناؤها، ولكنها خربت في سنة ٦٠٦ بسبب الغلاء والوباء العظيم، الذي أصاب مصر في سلطنة العادل أبي بكر بن أيوب، ثم تحايت في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم خربت بسبب الغلاء والوباء أيضا سنة ٦٩٦، ثم أعيد بناؤها و خربت سنة ٧٤٩، ثم أعيد بناء ما حوالى الجامع العتيق، حتى أصاب مصر شرق و وباء بعد غلاء في سنة ٧٧٦، فخرّب عامرها إلى سنة ٧٩٠، وبقى الجزء المعروف الآن بمصر العتيقة التابع لمحافظة مصر، و به من السكان نحو الاثنتين و ثلاثين ألفا. انتهى من الكتاب المذكور.

### بدء بناء مآذن المساجد

المآذن و المنارات بمعنى واحد، و هو الموضع المرتفع المخصص للأذان، و هذه المآذن في المساجد لم تكن موجودة، في صدر الإسلام، و إنما حدثت فيما بعد، لذلك لما كان يوم فتح مكة، رقى بلال فأذن على ظهر الكعبة لصلاة الظهر، بأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم كان الأذان على سطح المساجد صيفا و شتاء في جميع المساجد حتى في المسجدين الحرامين. فلما جدّد مسلمة بن مخلّد، أمير مصر، من قبل أمير المؤمنين معاوية، رضى الله عنه، بناء جامع عمرو بن العاص، بعد هدمه، بنى فيه أربع صوامع، في أركانه الأربعة، برسم الأذان، قال في مختار الصحاح: «و ثريده مصمعة إذا دقت و حدّد رأسها و صومعة النصرى فوعلة من هذا لأنها دقيقة الرأس. اهـ». و قال في المنجد: «صومع الشيء جمعه، البناء علاه، الصومع و الصومع جبل أو مكان مرتفع يسكنه الراهب أو المتعبد قصد الانفراد، ثم أطلقت الكلمة على الدّير، الصومعة أيضا العقاب البرنس، أعلى كل جبل إذا كان مستدق الرأس. جمعه صوامع». انتهى كلامه.

و من هنا يعلم أن مسلمة بن مخلّد هو أول من بنى بمصر المآذن، (المنارات) في المسجد، و كانت مآذنه مرتفعة مستدقة الرأس و إن لم تكن بهذه الصفة، التي هي

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٧٣

عليها الآن و لا يبعد أن يكون مسلمة بن مخلّد أخذ بناء الصوامع المستدقة الرأس عن منارة الاسكندرية الشهيرة، التي بناها الاسكندر أو الملكة دلوكه بنت زبا، و كانت من عجائب بانيان العالم، و كان طولها ألف ذراع، و كانت آثارها باقية إلى أيام قلاوون، ثم أخذ الناس، عن مسلمة، بناء الصوامع على سطح المساجد، للأذان، و كانوا يسمونها الغرفة لعلوها أو المظلة، فقد جاء أنه في خلافة هارون الرشيد، عمل أمير مكة عبد الله بن محمد بن عمران الطلحي مظلة للمؤذنين على سطح المسجد ليؤذّنوا فيها يوم الجمعة، و كانوا يؤذّنون قبل ذلك في يومها على سطح المسجد صيفا و شتاء.

و جاء في كتاب «الترايب الإدارية» بصحيفة ٧٩، من الجزء الأول، في مبحث: على أى شيء كانوا يؤذّنون، ما نصّه:

في كتاب الجمعة من تصنيف السامع على قول الراوى الصحيح، فلما كان عثمان و كثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء و الزوراء قيل أنه مرتفع كالمنازة، و فى النزهة الثمينة فى أخبار المدينة لابن النحاس.

و روى ابن إسحاق أن امرأة من بنى النجار قالت: كان بيتى أطول بيت حذاء المسجد، و كان بلال يؤذّن عليه الفجر كل غداة، فأتى بالسحر فيجلس على البيت، فينتظر الفجر، فإذا رآه تمطى، ثم قال: اللهم أحمدك و أستعينك على قريش أن يقيموا دينك، قالت: ثم يؤذّن. و ذكر أهل السير أن بلالا كان يؤذّن على أسطوانة فى قبلة المسجد يرقى إليها بأقتاب فيها، و كانت خارجة من المسجد، و هى قائمة إلى الآن فى مسجد عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، و روى نافع، عن ابن عمر قال: كان بلال يؤذّن على المنارة، فى دار حفصة بنت عمر، التى تلى المسجد. قال: فكان يرقى على أقتاب فيها، و كانت خارجة من مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم لم تكن فيه و ليست فيه اليوم.

و فى غير النزهة، أنه لم يكن منار فى زمانه عليه السلام، و إنما هو من سنة الصحابة، و كانوا فى عهده يؤذّنون عند باب المسجد، لا

بين يدي الإمام، فإنما فعله هشام و ذلك مكروه، لأنه محدث، أحدثه هشام، كما نقل الذي كان بالزوراء إلى المسجد ه، و نحوه في الوفاء للسيد السهمودي، قائلًا: يظهر من سياق ما سبق له أن أول ما جعل المنار في المسجد كان في زيادة الوليد، ثم لما ذكر ما سبق من أن بلالا كان يؤذن على منارة في دار حفصة، قال: الظاهر أن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٧٤

الراوي تجوز في تسميته الأسطوانة منارة، على أن الراوي لذلك احترقت كتبه، فكان يروي من حفظه، فذكره، و الظاهر أن عمر و عثمان لم يتخذا منارة و إلا لنقل. اه، و في «البحر» من كتب الحنفية، لم تكن في زمنه عليه السلام مثذنة. اه.

و لما نقله الشمس بن عابدين في رد المختار قال إثره:

و في شرح الشيخ إسماعيل عن الأوائل للسيوطي أن المآذن بنيت بأمر معاوية و لم تكن قبل. ه منه.

(قلت): هذا مع ما نقله الزرقاني، على المواهب، عن الشيخ خليل في التوضيح، اختلف النقل، هل كان يؤذن بين يدي النبي صلى الله عليه و سلم أو على المنار، الذي نقله أصحابنا أنه على المنار، نقله عبد الرحمن بن القاسم في المجموعه، و في المرقاة عن ابن القاسم عن مالك أن الأذان في زمانه عليه السلام، كان على المنارة، و في المدخل لأبي عبد الله بن الحاج السينة في أذان الجمعة، إذا صعد الإمام على المنبر، أن يكون المؤذن على المنار، كذلك كان في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبي بكر و عمر ه، و في المدخل أيضا المنار عند السلف بناء بينونه على سطح المسجد ه.

انتهى من الكتاب المذكور.

قال الأزرقى في تاريخه: أول من عمل المظلة للمؤذنين، التي على سطح المسجد، يؤذن فيها المؤذنون يوم الجمعة و الإمام على المنبر عبد الله بن محمد بن عمران الطلحي، و هو أمير مكة في خلافة الرشيد هارون أمير المؤمنين، و كان المؤذنون يجلسون هناك يوم الجمعة، في الشمس، في الصيف و الشتاء، فلم تزل تلك المظلة على حالها حتى عمر المسجد الحرام، في خلافة جعفر المتوكل على الله، أمير المؤمنين، في سنة أربعين و مائتين، فهدمت تلك المظلة، و عمرت و زيد فيها، فهي قائمة إلى اليوم. انتهى كلام الأزرقى رحمه الله.

و لقد أنشأ الرشيد منائر على رؤوس الجبال تشرف على فجاج مكة، و رتب لها المؤذنين، فبنى على جبل أبي قبيس أربع منائر، و على رأس الجبل الأحمر (قعيقعان) منارة، و على الجبل المشرف على شعب عامر منارة، و منارة على كدى و غيرها، و بنى مولاه (بغا) منائر أخرى على غير ذلك من الجبال، و قد أهملت تلك المنائر فلم يبق لها من أثر، ثم تطور بناء المآذن تطورا سريعا و عجيبا، بحسب التطورات العمرانية، كما ذكرنا ذلك عند الكلام على بناء المساجد، فتنوعت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٧٥

أشكالها و صورها و أحجامها و قياساتها، و أخذ كل قطر منها طابعا خاصا، فمنها الطويلة الرشيقة، و منها الغليظة المريحة، و منها الثقيلة الراسية، و منها الباسقة الثابتة، و منها القصيرة القائمة، و منها ما هو طبقة واحدة، و منها طبقتان و منها ثلاث طبقات، و منها دائرية أسطوانية الشكل، و منها مربعة النوع، و منها برأس واحد مخروطي مستدق، و منها برأسين متفرعين من الأعلى، و منها ما درجها في بطنها و هو الغالب الكثير، و منها ما درجها من خارجها و هو نادر و قديم العهد كمنارة جامع طولون بالقاهرة، و منها منارة بدرجين أي (سلمين) فيما بين دورتيها أي (طبقتيها) الأولى و الثانية فلا يرى الصاعد في أحدهما الآخر و هذا من الفنون الدقيقة في العمارة الإسلامية، و هي المنارة التي أمر ببنائها السلطان قانصوه الغوري بالجامع الأزهر، إلى غير ذلك من الأشكال و الأنواع التي لا حصر لها. و في الديار المصرية اليوم كثير من أنواع المآذن القديمة و الحديثة، و كل منها تحفة رائعة قائمة بذاتها، لسنا بصدد ذكرها، و إليك بعض المآذن المختلفة.

انظر: الصور أرقام ٢٠٤ لمثذنة جامع المتوكل، و رقم ٢٠٥ للمؤذن و هو فوق المنارة، و رقم ٢٠٦ لأول مسجد في العالم.

و من أعجب المآذن و المنارات، ما رواه ابن بطوطة، في رحلته، التي كانت سنة (٧٢٥) خمس و عشرين و سبعمائة هجرية، بصحيفة ١١٦ من الجزء الأول:

فإنه لما دخل البصرة وجد أهلها يصلون الجمعة بمسجد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضى الله تعالى عنه، و هو على ميلين من البصرة، فإذا صلوا يقفلون المسجد، فلا يأتونه إلا في الجمعة الأخرى، و هذا المسجد من أحسن المساجد. قال ابن بطوطة: و لهذا المسجد سبع صوامع، أحدها الصومعة التي تتحرك بزعمهم عند ذكر علي ابن أبي طالب، رضى الله عنه، صعدت إليها من أعلى سطح المسجد، و معى بعض أهل البصرة، فوجدت في ركن من أركانها، مقبض خشب مسمر فيها، كأنه مقبض مملسة البناء، فجعل الرجل الذي كان معى يده في ذلك المقبض و قال: بحق رأس أمير المؤمنين علي، رضى الله عنه، تحركى، و هز المقبض، فتحركت الصومعة، فجعلت أنا يدي في المقبض، و قلت له، و أنا أقول: بحق رأس أبي بكر، خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم تحركى و هزرت المقبض فتحركت الصومعة، فعجبوا من ذلك، و أهل البصرة على مذهب السنة و الجماعة و لا يخاف من يفعل مثل فعلى عندهم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٧٦

ثم قال ابن بطوطة، بعد سطرين من هذا الكلام ما يأتى: قال ابن جزى: قد عاينت بمدينة برشانه، من وادى المنصورة من بلاد الأندلس، حاطها الله، صومعة تهتر من غير أن يذكر لها أحد الخلفاء أو سواهم، و فى صومعة المسجد الأعظم، و بناؤها ليس بالقديم، و هى كأحسن ما رأيت أنت من الصوامع، من حسن منظر، و اعتدال و ارتفاع لا ميل فيها و لا زيغ، صعدت إليها مرة، و معى جماعة من الناس، فأخذ بعض من كان معى بجوانب جامورها و هزوها فاهترت، حتى أشرت إليهم أن يكفوا فكفوا عن هزها. انتهى من رحلة ابن بطوطة.

و مثل الحكاية المتقدمة: أنه توجد إلى اليوم فى بلدة أصفهان الشهيرة، فى بلاد إيران، فى أحد مساجدها منارتان متقابلتان يرجع بناؤهما إلى بضع مئات السنين، تهتران معا إذا هز شخص إحداهما بعضا، فى المكان الذى يقف فيه المؤذن، و لا يعرف سر هاتين المنارتين أحد، من أهل أصفهان أو غيرهم، و هاتان المنارتان أعجب من المنارتين السابقتين، لأنهما تهتران معا إذا اهترت إحداهما، فهما متعلقتان ببعضهما فى الاهتزاز، مع أن كل واحدة منهما قائمة بذاتها فى البناء، و هذا من أدق فن المعمار، الذى لا يهتدى إلى عمل مثلهما كل فنان. فسبحان الذى علم الإنسان ما لم يعلم.

و قد ذكر ابن جبير فى رحلته، منارة القرون، لكنها ليست منارة مسجد يؤذن فيه بل هى كمنارة الاسكندرية، التى بناها الاسكندر أى عبارة عن عمود واقف كما يفهم من كلامه. و هذا نصه: ثم نزلنا ضحوه اليوم المذكور، بمنارة تعرف بمنارة القرون، و هى منارة فى بيدا من الأرض، لا بناء حولها، قد قامت فى الأرض كأنها عمود مخروط من الآجر، قد تداخل منها من الخواتيم الآجرية مثنى و مربعة أشكال بدية و من غريب أمرها أنها مجللة كلها قرون غزلان مثبتة فيها، فتلوح كظهر الشيهم، و للناس فيها خبر يمنع سنده من إثباته. انتهى كلامه.

و هذه المنارة واقعة قبل مدينة النجف بيوم واحد.

و عطفنا على ما تقدم نذكر هنا وصف منارة مسجد إشبيلية بالأندلس، ناقلين من كتاب «رحلة الأندلس» للأستاذ البتونى، و هو المسجد الذى كان بها قبل استيلاء سان فرديناند عليها فى سنة (١٢٤٨) ميلادية، و لم يبق منه الآن سوى صحنه و منارته، فقد جاء فيه ما نصه:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٧٧

أمر ببناء هذه المنارة السلطان المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن من الموحدين، و هو الرابع من ملوكهم، فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى، و كان فى أعلاها أربع تفافيح كبيرة من النحاس، غلفت بطبقة من الذهب بلغت نفقتها وحدها أكثر من مائة ألف دينار، فأزال القوم هذه التفافيح، بعد استيلائهم على المدينة، و بنوا مكانها على الدائرة، التى يدور عليها المؤذن، أبراجا للنواقيس،



وضعوا فوقها تمثالا ارتفاعه أبرعة أمتار وزنته ١٢٨٨ كيلو غرام، بحال يتحرك فيها مع الرياح حيث سارت، و منها أتت تسميتها بلفظ جيرالد «لعبة الهواء».

وهذه المنارة مربعة الشكل، و كل ضلع من أضلاعها من جهة القاعدة طوله ٦٠، ١٣ مترا، و بناؤها من الطوب الأحمر، و سمك حوائطها متران و نصف متر، و فيها إلى أعلى كثير من الفتحات، التي تسمح بنفاذ الهواء و النور إلى داخلها، و ارتفاعها ٧٠ مترا، و هو ما بقي من عمل العرب فيها، و يصعد إلى قمة المنارة، بطريق مائل في محيطها من الداخل، يسع فارسين يسيران أحدهما بجانب الآخر، و ترى من أعلاها منظرا جميلا للمدينة. انتهى.

و بمناسبة ذكر المنائر، حكى الزمخشري، في خالد بن عبد الله القسري، قال لما بلغ خالدا ما قاله رجل من موالى الأنصار:

ليتني في المؤذنين نهاري إنهم يبصرون ما في السطوح

فيشيرون أو تشير إليهم بالهوى كل ذات دلّ مليح

أمر خالد بهدم المنائر اه. و المذكور هو خالد بن عبد الله القسري، كان واليا على مكة، من قبل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان. نقول: لقد سمعنا منذ ثلاثين سنة عن بعض مشائخنا، في الجامع الأزهر الشريف، بالقاهرة، حينما كنا نطلب العلم به، أو قرأنا في بعض كتب التاريخ عن الجامع الأزهر (لا نتذكر ذلك تماما) أنه في وقت، من الزمن الماضي، كان المؤذنون بالجامع الأزهر عميانا، حتى لا يبصروا عورات الجيران.

فسبحان الكبير المتعال، الذي يغير الأحوال، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك و جوارحنا على طاعتك بفضلك و رحمتك يا رب العالمين آمين.

و الجامع الأزهر المذكور، هو أول جامع أسس بالقاهرة، أنشأه القائد جوهر الصقلي، مولى المعز لدين الله، لما اختط القاهرة، و ابتدأ بناؤه لست بقين من

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٧٨

جمادى الأولى سنة تسع و خمسين و ثلاثمائة و كمل بناؤه لسبع خلون من رمضان سنة (٣٦١) إحدى و ستين و ثلاثمائة، و كان به طلسم، لا يسكنه حمام و لا يمام و لا عصفور و كذا سائر الطيور، و هذا الجامع المبارك لا ينقطع تدريس العلم فيه على الدوام إلى اليوم، و كم تخرج فيه من فطاحل العلماء، و يحق لأهل مصر أن يفخروا به.

و قد سمعنا أنهم سيقيمون له عيداً ألفياً، بمناسبة مرور ألف عام عليه، و هو جدير به و بكل عناية و اهتمام، جعله الله عامراً بالعلم و العمل مدى السنين و الأعوام آمين.

و بمناسبة الكلام على المنارات تأتي بشيء من الملح، فنقول: إن الملك المؤيد لما بنى جامعه الشهير باسمه، الذي عند باب زويلة، في انتهاء شارع الغورية بالقاهرة و انتهى من عمارته سنة (٨١٩) تسع عشرة و ثمانمائة مالت منارته، التي بنيت على البرج الشمالي من باب زويلة، بعد سنة من بنائها، و كان الناظر على عمارة الجامع بهاء الدين بن البرجي. قال بعض الشعراء في ذلك من الأبيات البديعة المعنى، ما يأتي:

قال نجم الدين بن النبيه في ذلك:

يقولون في تلك المنار تواضع وعين و أقوال و عندي جليها

فلا البرج أخنى و الحجارة لم تعب ولكن عروس أثقلتها حليها

و قال أيضا:

بجامع مولانا المؤيد أنشئت عروس سمت ما خلت قط مثالها

و مذ علمت أن لا نظير لها انتت و أعجبها و العجب عنها أمالها

و قال الحافظ ابن حجر:

لجامع مولانا المؤيد رونق منارته بالحسن تزهو و بالزين  
تقول و قد مالت عن القصد أمهلوا فليس على جسمي أضرب من العين  
و قال العلامة العيني:

منارة كعروس الحسن إذ جليت و هدمها بقضاء الله و القدر  
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلظما أوجب الهدم إلا خسة الحجر  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٧٩

و لما بنى السلطان حسن بن الناصر بن قلاوون جامعته الشهير باسمه، و الذي هو بجوار القلعة سنة (٧٥٨) ثمان و خمسين و سبعمائة و  
بنى به ثلاث منارات، سقطت المنارة، التي على الباب، فهلك تحتها نحو ثلاثمائة نفس من الأيتام، الذين كانوا يحفظون القرآن  
الكريم بمكتب السبيل. قال الشيخ بهاء السبكي في ذلك أبياتا و هي:

أبشر فسعدك يا سلطان مصر آتى بشيره بمقال سار كالمثل  
إن المنارة لم تسقط لمنقصه لكن لرس خفي قد تبين لي

من تحتها قرئ القرآن فاستمعت فالوجد في الحال أداها إلى الميل  
لو أنزل الله قرآنا على جبل تصدعت رأسه من شدة الوجل

تلك الحجارة لم تنقض بل هبطت من خشية الله لا للضعف و الخلل  
و غاب سلطانها فاستوحشت فرمت بنفسها لجوى في القلب مشتعل

فالحمد لله خط العين زال بماقد كان قدره الرحمن في الأزل  
لا يعترى البؤس بعد اليوم مدرسة شيدت بينها للعلم و العمل

و دمت حتى ترى الدنيا بها امتلأت علما فليس بمصر غير مشغل  
لقد بنى جامع السلطان حسن المذكور لتدرس فيه سائر العلوم، مع إقامة الصلاة فيه، و هو مسجد عظيم الاتساع شاهق البنيان، يعد اليوم

من عجائب أبنية القاهرة في إحكام بنائه و جمال هندسته و نقوشه.

قال فيه المقرئ: لا يعرف اليوم بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحاكي هذه المدرسة «يقصد الجامع المذكور»، في كبر  
قالبها، و حسن هندامها، و ضخامة شكلها، أقامت العمارة فيها مدة ثلاث سنين، لا تبطل يوما واحدا، و أُرصد لعمارتها في كل يوم  
عشرون ألف درهم، حتى قال السلطان: لو لا أن يقال ملك مصر عجز عن إتمام ما بناه لتركت بناءها. انتهى.

كتبنا هذه النبذة لمناسبة ذكرنا جامع السلطان حسن، و لا نريد الكلام عن مساجد مصر لأننا لسنا في صدد ذلك، و هناك كتب مؤلفة  
عن مساجد مصر و القاهرة أحدثها و أجملها طبعا كتاب «تاريخ المساجد الأثرية» للأستاذ حسن عبد الوهاب، مفتش الآثار العربية، و  
هو يقع في جزئين مصورين تصويرا فنيا، مطبوع بمطبعة دار الكتب المصرية، و كتاب آخر أفخم و أحسن و أجمل اسمه «مجلد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٨٠

المساجد» و هو مطبوع بمصلحة المساحة المصرية، طبعا في غاية الفخامة و الضخامة و الفن البديع، يعد آية من آيات الطباعة و يقع  
في مجلدين كبيرين.

و نرجو أن يوفقنا الله تعالى بوضع كتاب خاص عن المسجدين الحرامين بمكة و المدينة فقط و أن يطبع بمثل طبع الكتاب المذكور،  
بل و أحسن منه، إن شاء الله تعالى، و لربما ألحقنا بهما المسجد الأقصى، ليكون الكتاب مشتملا على المساجد الثلاثة، التي لا تشد  
الرحال إلا إليها. و ما ذلك على الله بعزير و هو الفتح العليم واسع الفضل و الإحسان.

## مبدأ عمل محارِب المساجد

المحاريب جمع محراب بكسر الميم، قال في مختار الصحاح: المحراب صدر المجلس و منه محراب المسجد، و المحراب أيضا الغرفة، و قوله تعالى: فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ قِيلَ مِنَ الْمَسْجِدِ. انتهى.

و قال في القاموس: المحراب الغرفة و صدر البيت، و أكرم مواضعه، و مقام الإمام من المسجد، و الموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس، و محاريب بنى إسرائيل مساجدهم، التي كانوا يجلسون فيها. انتهى منه.

و المحراب، الذي نتكلم عنه هنا، هو محراب المساجد، الذي يقف فيه الإمام للصلاة، و هو يكون دائما بوسط جدار المسجد القبلي، و هو عبارة عن تجويف قائم بالجدار، طوله متران فأكثر، و أعلاه مستدير كنصف الدائرة، و أحيانا لا يعملونه مجوفا، لعدم معرفتهم، و إنما يكتفون برسم صورته في وسط الجدار، للدلالة على القبلة، و الحقيقة أن لمحراب المسجد فائدة عظيمة من حيث دلالته على القبلة، و لا يوضع المحراب إلا بعد التحري التام عن القبلة.

و الأصل في ذلك حديث الطبراني، في الأوسط، عن جابر بن أسامة الجهني، قال: لقيت رسول الله صلى الله عليه و سلم في أصحابه بالسوق فقلت: أين تريد يا رسول الله؟

قال: نريد أن نخط لقومك مسجدا، فأبيت و قد خط لهم مسجدا، و غرز في قبلته خشبة فأقامها قبله اه. فلا يبعد أن يكون هذا الحديث الشريف أصلا لإنشاء محاريب المساجد بيانا للقبلة، و الله تعالى أعلم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٨١

قالوا: و أول من أحدث المحراب المجوف عمر بن عبد العزيز، والى المدينة، في خلافة الوليد بن عبد الملك، و الله تعالى أعلم بصحة ذلك، و إن صح ذلك فما نزن أن عمر عمل محرابا مجوفا، و إنما وضع في صدر المسجد أي بوسط جداره القبلي علامة، للدلالة على القبلة، أخذنا من الحديث المتقدم. و الله تعالى أعلم.

و أول من اتخذ المحراب بمصر هو: قرّة بن شريك العبسي، الذي ولاه على ديار مصر أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك سنة تسعين من الهجرة، فأقام واليا بها إلى أن مات سنة ست و تسعين. فإن قرّة بن شريك أجرى بعض إصلاحات، في جامع عمرو بن العاص، الذي بمصر، بأمر الوليد، فبناه في سنة (٩٣) و نصب فيه المنير سنة (٩٤)، و عمل فيه المحراب المجوف، و لم يكن به محراب قبل ذلك، ثم بعد هذا انتشر عمل المحاريب في المساجد، أي كان انتشارها في أول المائة الثانية للهجرة.

و لم نطلع على ضبط اسم «قرّة بن شريك» و الظاهر أنه، بضم القاف و تشديد الراء المفتوحة بعدها تاء مربوطة، و هي كلمة عربية، و ليست ما يقرأها بعضهم: «قرّة» بفتحين ثم هاء ساكنة، فهذه كلمة تركية معنا «الأسود» و الله تعالى أعلم.

و اعلم أنه لم يكن في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم في زمنه، و لا في زمن الخلفاء الراشدين الأربعة، محراب قط، و إنما حدث المحراب في أول المائة الثانية، و فيه اليوم ستة محاريب، ذكرها صاحب «مرآة الحرمين».

أما عندنا، بمكة المشرفة، فلا يوجد بالمسجد الحرام محراب، و لماذا يكون به محراب و الكعبة المعظمة قائمة بوسطه، بجلال نورها، و عظمة بهائها، و إليها تتجه جميع محاريب المساجد في الدنيا.

و طبعا لم تكن المحاريب، عند أول حدوثها، بالصفة التي نراها اليوم في المساجد، و إنما تطورت أشكالها، و كثرت أنواعها، شيئا فشيئا، بحسب تطور العمران و تقدمه، كما ذكرنا ذلك عند الكلام على بناء المساجد، فمن جملة المحاريب المتنوعة: محراب مسجد قصر الحمراء بالأندلس، فقد ذكر بعض المؤرخين أنه كان بحائطه أحجار ياقوت مرصعة، في جملة ما نَمَقَ به من الذهب و الفضة، و محرابه من العاج و الإبنوس، و لقد ألف الإمام السيوطي، رحمه الله تعالى، رسالة في المحاريب تسمى «أعلام الأديب بحدوث بدعة

المحاريب» و هي

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٨٢

رسالة خطية توجد بدار الكتب العربية المصرية، نقلنا ما ذكرناه ملخصاً من كتاب «حسن المحاضرة» للسيوطي، و من كتاب «مرآة الحرمين» لإبراهيم رفعت باشا، رحمهما الله تعالى.

نقول: أول من طيب المحراب امرأة عثمان بن مظعون فقد روى الفاسي، في كتابه «شفاء الغرام»: أن عثمان بن مظعون تفل في المسجد، فأصبح مكتئباً فقالت له امرأته: مالي أراك مكتئباً؟ فقال: لا شيء، إلا أنني تفلت في القبلة، و أنا أصلي، فعمدت إلى القبلة فغسلتها ثم خلقتها، فكان أول من خلقت القبلة. انتهى.

فالمراد بالقبلة المحراب، و معنى خلقتها طيبتها بالخلوق، بفتح الخاء، و هو نوع من الطيب، و تطيب المسجد و تجميره مطلوب و المحراب جزء من المسجد، فأول من خلقت المسجد النبوي عثمان بن عفان، رضى الله تعالى عنه.

ثم لما حجت الخيزران أم موسى و هارون، في سنة سبعين و مائة أمرت بالمسجد أن يخلق، فتولت تخليقه جاريتها مؤنسة، فخلقته جميعه حتى الحجرة الشريفة جميعها، ذكره الفاسي «في شفاء الغرام».

و ذكر فيه أيضاً: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتى بمجمرة من فضة، فيها تماثيل من الشام، فكان يجمر بها المسجد، ثم توضع بين يديه. انتهى.

### وصف مسجد قرطبة و منارته و محرابه

قال الأستاذ محمد لبيب البتونى المصرى مؤلف "الرحلة الحجازية" فى كتابه "رحلة الأندلس" يصف مسجد قرطبة بالأندلس و منارته و محرابه، نختصره بما يأتى:

دخلنا المسجد من باب المنارة، و هو باب العمومى الكبير النحاسى، و يبلغ طوله ثمانية أمتار و ارتفاعه نحو عشرين متراً، و وجهه البناء من الرخام المنقوش بنقوش عربية عجيبة، أشبه شىء بالمخرم "الدنتلا" و فى وسطها و أعلاها كتابة عربية أم أستطع قراءتها، و يتكون هذا الباب، من ظاهره، من قطع نحاسية، طولها ١٥ سنتيمتراً فى عرض نصفها تقريباً، و هى مثنى الشكل، بعضها عمودى على الآخر، و قد رسم القوم، فى وسط القطعة القائمة، صلباناً، بعد استيلائهم على

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٨٣

المدينة، و تحويلهم المسجد إلى كنيسة، كما كان سابقاً قبل أن يبنيه مسجداً عبد الرحمن الداخل.

و المنارة فى الزاوية القبلىة الجنوبيه من المسجد، و هى مربعه الشكل، و طول كل ضلع منها ١٢ متراً و ارتفاعها ٩٣ متراً، و هى خمس طبقات، فى كل طبقه عدد كبير من الأجراس.

أما القبلة فهى شىء لا يصل إليه وصف الواصف و لا مبالغه الناعت، و يحيط بها الآن «درازين» من الحديد، ليمنع الناس عنها، و قد قدرتها بسبع أمتار طولاً فى اثنى عشر متراً ارتفاعاً، و فى وسطها المحراب، و كل هذه الوجهه صنعت من الفسيفساء الصغيره جدا و الدقيقه فى صناعتها، فهى من قطع رخامية من ألوان كثيرة يدخلها قطع صدفية و ذهبية، و قد صيغت بشكل ينشأ عنه صورة فذة فى بابها، إذا نظرت إليها من جهه اليمين رأيت مناظر غير التى تراها من جهه الشمال، و ذلك بسبب انعكاس الضوء فيها، بحال تستهوى الأبواب و تسلب العقول، بجلال هذه الصنعة العربية، و فى دائرة القبلة و المحراب كتابات كوفية قرآنية كثيرة، مما تراه عادة على أمثالها، و عن يمين القبلة و يسارها بابان لغرفتين صغيرتين، إحداهما لتعبد الإمام و الثانية لوضع لوازم المنبر، الذى لا يوجد له أثر الآن، و المحراب واسع من داخله، و تعلوه قطعة واحدة من الرخام المقعر تكون سقفه.

و طول المسجد من الشمال إلى الجنوب ١٧٥ متراً، و من الشرق إلى الغرب ١٣٤ متراً و ارتفاعه يصل إلى ٢٠ متراً، و قد كان بالمسجد

١٢٩٣ عموداً، كلها من الرخام، و تيجانها منقوشة بنقوش مختلفة، و كانت قبة قائمة على ٣٦٥ عموداً، و كان بالمسجد مصابيح من الفضة الخالصة، بقي إلى أوائل القرن الثامن عشر (من الميلاد) منها أربع مائة مصباح أخذها الفرنسيون، عند دخولهم قرطبة، في زمن نابليون الأول.

هذا، لقد ذكرنا هذه النبذة عن مسجد قرطبة، ليكون لدى الناس فكرة حسنة عن الغرب، فقد قال فيه بعضهم:

الغرب أحسن أرض ولى دليل عليه

البدر يرقب منه و الشمس تسعى إليه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٨٤

أما المساجد الشرقية العجيبة فكثير ما رآها رأى العين، على أننا لو أردنا الكتابة عن المساجد المهمة العظيمة في البلاد الإسلامية لاقتضى أن نطوف بها مدة من الزمن ثم نكتب عنها مجلدات.

### عدد منارات المسجد الحرام سابقاً

لم تكن المنارات في المساجد معروفة في صدر الإسلام، لبساطة بناء المساجد و المنازل، و كون سقوفها من الخشب أو جريد النخل، شأنها شأن المنابر، حيث كانوا يخطبون على الأرض قياماً، فكانوا يؤذنون للصلاة فوق سطح المساجد أو على أبوابها، و قد أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بلالاً أن يؤذن بالظهر، فوق ظهر الكعبة، يوم فتح مكة، و قرش فوق رؤوس الجبال. فإن المسجد كان يومئذ على قدر المطاف، و ليس له جدار يحيط به، و ليس فيه منارة أو منبر، ثم بمرور الزمن تطور الناس فاخترعوا المنارات الباسقات و المنابر الرشيقات، بل صاروا الآن يطيرون في الهواء و يجرون على الماء، و يريدون الوصول إلى كواكب السماء، و اخترعوا من الأمور ما لم يخطر في عقول الأمم السابقة.

و المنارات و المنابر تختلف أشكالها و صورها في جميع بلاد الإسلام، و بتطور الناس و تقدمهم في الصناعات تأخذ صورها في الإتقان و جمال الشكل و قوة البناء، كما هو ظاهر في عصرنا الحاضر، و كانت المنارات في قديم الزمان بسيطة البناء تمتاز فقط بعلوها و ارتفاعها عن المساجد لسمع الناس صوت المؤذن.

و لتكلم هنا أولاً- عن المنارات التي كانت في المسجد الحرام، زمن الإمام الأزرقى، الذي كان في أوائل القرن الثالث الهجرى، ثم لتكلم عن مناراته في عصرنا الحاضر قبل التوسعة السعودية، فنقول و بالله التوفيق و منه المعونة و السداد:

قال الأزرقى في تاريخه: و في المسجد الحرام أربع منارات، يؤذن فيها مؤذنون المسجد، و هي في زوايا المسجد على سطحه يرتقى إليها بدرج، و على كل منارة باب يعلق عليها شارع في المسجد الحرام، و على رؤوس المنارات شراف.

(١) فأولها المنارة، التي تلى باب بنى سهم، تشرف على دار عمرو بن العاص و فيها يؤذن صاحب الوقت بمكة.

(٢) و المنارة الثانية تلى أجياد، تشرف على الحزورة و سوق الخياطين، و فيها يسحر المؤذن في شهر رمضان.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٨٥

(٣) و المنارة الثالثة تشرف على دار بن عباد و دار السفينيين على سوق الليل، و يقال لها منارة المكيين.

(٤) و المنارة الرابعة، بين المشرق و الشام، و هي مطلة على دار الإمارة، و على الحدائين و الردم، و فيها يتعبد أبو الحجاج الخراسانى، و يكون فيها بالليل و النهار و يصلى الصلوات فيها، و لا ينحدر منها إلا من جمعة إلى جمعة، و كان رجلاً صالحاً فيما ذكروا. انتهى من الأزرقى.

هذه المنارات الأربعة هي التي كانت، بالمسجد الحرام، في عصر الإمام الأزرقى. و المسجد الحرام في وقته متسع، كما هو في وقتنا هذا للزيادة العظيمة، التي زادها فيه أمير المؤمنين محمد المهدي، رحمه الله تعالى رحمة واسعة و زاد في درجاته آمين.

أما في عصرنا الحاضر، قبل التوسعة السعودية، فإن للمسجد الحرام سبع منارات، و هي كما يأتي:

(١) منارة باب العمرة، أنشأها أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور، ثانی خلفاء بني العباس، حينما زاد في المسجد الحرام من الجانبين الشامي و الغربي، و فرغ منه سنة (١٤٠) أربعين و مائة. ثم سقطت سنة (٥٥١) فعمرها وزير صاحب الموصل محمد الجواد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني، ثم صارت عتيقة فجددها السلطان سليمان خان، بعد هدمها، و ذلك سنة (٩٣١) ثم جددها الشريف سرور في سنة (١٢٠١) كما هو مكتوب على باب خلوتها، و هي العمارة الرابعة لها، و لا تزال على هذا البناء إلى اليوم.

(٢) منارة باب السلام، أنشأها أمير المؤمنين محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، ثم هدمت سنة (٨١٦)، في زمن الناصر فرج بن برقوق الجركسي، ثم عمرت، ثم جددها السلطان مراد خان الثالث العثماني، و ذلك سنة (٩٨٣)، و هي العمارة الثالثة لها، ثم هدمت في عصرنا الحاضر في شهر رجب سنة (١٣٧٥) خمس و سبعين و ثلاثمائة و ألف، و ذلك في توسعة المسجد الحرام.

(٣) منارة باب علي، أنشأها أيضا أمير المؤمنين محمد المهدي، ثم آلت إلى الخراب، في عصر السلطان سليمان خان بن سليم خان، فجدد بناؤها بالحجر الأصفر الشميسي، و كان ذلك في حدود سنة (٩٧٠)، و هذه هي المرة الثانية لها، و كانت لا تزال باقية سليمة إلى اليوم، لكنها هدمت في منتصف

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٨٦

شهر رجب سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف، في توسعة المسجد الحرام التي حصلت في عصرنا الحاضر.

(٤) منارة باب الوداع، و قديما يسمى هذا الباب بباب الحزورة، أنشأها أيضا أمير المؤمنين محمد المهدي، ثم سقطت في زمن الملك الأشرف شعبان بن سلطان حسين سلطان مصر و ذلك سنة (٧٧١)، و سلم الله الناس من سقوطها، فأمر الملك الأشرف شعبان بتعميرها، ففرغوا من بنائها في آخر السنة المذكورة. و هذه هي المرة الثانية لها، و لا تزال باقية سليمة إلى اليوم.

و لم ينشئ محمد المهدي غير هذه الثلاث منارات فقط، بالمسجد الحرام، و الظاهر أنه رحمه الله تعالى أنشأ هذه المنارات في العمارة الثانية، التي تمت سنة سبع و ستين و مائة، و كان أمر بهذه العمارة في حجته الثانية سنة (١٦٤).

(٥) منارة قايتباي، و هي بين باب النبي و باب السلام، أنشأها الملك الأشرف السلطان قايتباي، ملك مصر، خلف مدرسته، التي بناها، و ذلك في حدود سنة (٨٨٠)، و كانت باقية حتى أزيلت في عصرنا الحالي في شهر رجب سنة (١٣٧٥)، و ذلك في توسعة المسجد الحرام.

(٦) منارة باب الزيارة، أنشأها المعتضد العباسي، فإنه لما زاد في توسعة المسجد الحرام، بإدخال دار الندوة إليه، أمر أن يعمر بأساطين و طاقات و أروقة مسقفة بالساج المزخرف، و أن تبنى عند هذه الزيادة منارة و ذلك في حدود سنة (٢٨٤) أربع و ثمانين و مائتين، ثم سقطت هذه المنارة و بناها الملك الأشرف برسباي ملك مصر سنة (٨٣٨) كما هو مكتوب في لوح من الحجر بجانب المئذنة، بواسطة الأمير سودون المحمدي، ثم عمرت حين وقع دورها سنة (١١١٣)، فهذه هي المرة الثالثة لها، و لا تزال باقية إلى اليوم، و تسمى هذه المنارة منارة باب سويقة.

(٧) منارة السلطان سليمان بن سليم خان، أنشأها السلطان المذكور فنسبت إليه، و هي واقعة بين مدارسه الأربعة، من الجانب الشمالي، أمام مدخل باب المحكمة الكبرى، الموصل إلى المسجد، قرب باب الزيادة، بواسطة قاسم أمين العمارة السلطانية و ذلك سنة (٩٧٣). و السلطان سليمان المذكور هو الذي أهدى للمسجد الحرام المنبر الرخام الذي يخطب عليه إلى اليوم. جزاه الله خير الجزاء.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٨٧

إلى هنا انتهينا من ذكر منارات المسجد الحرام السبعة، فلنذكر المنارات التي كانت بمكة المشرفة في غير المسجد الشريف، فنقول و بالله التوفيق:

جاء في التاريخ أنه كان للمسجد الحرام منائر أخرى، خلاف ما ذكرناه:

منها: منارة على باب إبراهيم، تشبه الصومعة، فهدمها بعض أمراء مكة.

ذكرها الفاسي.

و منها: منارة على باب الصفا، و هي أصغرهما، و كانت علما لباب الصفا و لا يصعد عليها لضيقها. ذكرها ابن جبير.

و منها: منارة على الميل الذي يهول عنده من يسعى بين الصفا و المروة.

ذكرها الفاكهي. قالوا: و هذه المنائر الثلاث كانت على المسجد الحرام و هدمت و لا يعلم من بناها و لا من هدمها. انتهى.

و رأينا في هذه الثلاث المنائر أنها بنيت لا على أن تكون منائر للأذان، و إنما بنيت لتكون علامات على بعض الأمور، كما هو ظاهر من سياق الكلام، و حيث أنها لم تكن مآذن بالمعنى المعروف لم يهتم أحد من ولاة المسلمين، بعد هدمها بالتعمير، كما لم يهتم أحد بمعرفة من أنشأها و لا متى هدمت. فلذلك نرى من الغلط قولهم: «أنه كان للمسجد الحرام منائر أخرى» و الأولى أن يقال:

أنه كان حول المسجد من الخارج أعلام تشبه المنائر الصغيرة وضعت لتدل على كذا و كذا، ثم هدمت.

أما المنارات، التي كانت بمكة المشرفة، غير ما في المسجد الحرام، فهي كما يلي:

كان عدد المنارات في فجاج مكة و شعابها و رؤوس جبالها نحو خمسين منارة، و كان يؤذن على كل منارة منها، و كان للمؤذنين أرزاق تجرى عليهم، و جامكية - أي رواتب - تصل إليهم من مصر، مع ما يصل لمؤذني المسجد الحرام و أرباب الوظائف به. قال الفاسي: و لم يبق شيء من هذه المنائر.

نقل الفاسي عن الفاكهي، أنه قال: و كان أهل مكة، فيما مضى من الزمان، لا يؤذنون على رؤوس الجبال. و إنما كان الأذان في المسجد الحرام وحده، فكان الناس تفوتهم الصلاة، ممن كان منهم في فجاج مكة و نائيا عن المسجد، حتى كان في زمن أمير المؤمنين هارون الرشيد بن محمد المهدي، فقدم عبد الله بن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٨٨

مالك، أو غيره من نظرائه مكة ففاته الصلاة، و لم يسمع الأذان، فأمر أن يتخذ على رؤوس الجبال منارات، لتشرف على فجاج مكة و شعابها، يؤذن فيها للصلاة، و أجرى على المؤذنين في ذلك أرزاقا. و لعبد الله بن مالك الخزاعي منائر، منها على جبل أبي قبيس أربع منائر، و على رأس الأحمم المقابل لمنارة، و على الجبل المشرف على شعب عامر منارة، و من ذلك منارة تشرف على المجزرة، و منارة على جبل التفاحة، و منارة على جبل خليفة بن عمر البكري و منارة على كدى، بضم الكاف، تشرف على وادي مكة. فهذه المنائر كلها تنسب إلى عبد الله بن مالك الخزاعي من خدام أمير المؤمنين هارون الرشيد.

و أما (بغا) الذي يكنى بأبي موسى، مولى أمير المؤمنين هارون فقد أمر بعمارة عدة منائر أيضا، من ذلك منارة على رأس الفلق، و منارة على الأحمم أيضا، و منارة على جبل خليفة بجانب منارة عبد الله الخزاعي، و منارة على جبل المقبرة، و منارة على جبل الحزورة، و منارتان على جبل عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، و لعله المسمى بالنوبي، و منارة على جبل الأنصاب الذي يلي أجياد، و منارة على ثنية أم الحارث، المشرفة على الحصاحص، و منارة على الجبل المشرف على الخرمانية، و منارة مشرفة على الخضير أو بئر ميمون، و منارة بمنى عند مسجد الكبش، فهذه كلها (لبغا) المذكور.

ثم قال الفاكهي: و كان لهذه المنائر، فيما مضى، أناس يؤذنون للصلاة، تجرى عليهم الأرزاق، في كل شهر، ثم قطع ذلك لتغير الأحوال و تطاول الأزمان، فترك ذلك بعضهم، و بقي منها منارات يؤذن عليها يجرى على من يؤذن فيها عبد العزيز بن عبد الله السهمي اليوم. انتهى.

قال الفاسي عقب ما تقدم ذكره: و قد ترك الأذان على جميع هذه المنارات في عصرنا، إلا أن في شهر رمضان يسخر جماعة من الناس على جبال مكة، في كل جبل إنسان، و يؤذن كل منهم في الجبل الذي يسخر عليه، و هي: جبل أبي قبيس و الجبل الذي على القرارة المعروف بلعلع، و في جبل الأحمم، و يقال له جبل الحارث نسبة إلى مؤذن كان يسخر فيه و يؤذن، و للمؤذنين على هذه

الجمال جامكية «رواتب» سيرة تصل من مصر مع ما يصل لمؤذني المسجد الحرام و أرباب الوظائف فيه. اه.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٨٩

نقول: هذا ما كان من المنارات سابقا، و لا أثر لوجود شيء منها الآن، و لقد ذكرنا عند الكلام على تأسيس أمانة العاصمة معرفة أهل العصور الأولى لأمر البناء و إصلاح الطرقات فراجعه إن شئت.

## ابتداء ظهور المحمل

### إشارة

المحمل هو نوع من الهودج، التي تحمل على الجمال، لكن المحمل اتخذ رمزا و شعارا لبعض أجناس الحجاج، كالمحمل المصرى و المحمل الشامى و المحمل العراقى و المحمل اليمنى و يكون للمحمل موكب خاص و رجال خاص، حين سفره من بلاده إلى الأرض الحجازية للحج و الزيارة، و لا يسافر المحمل إلا إلى الأراضى الحجازية فقط، فى موسم الحج، و لا يركب فى المحمل أحد مطلقا. أما الهودج و نحن كنا نسميه فى عرفنا بالحجاز الشقدف، بضم الشين المعجمة و سكون القاف و ضم الدال المهملة، فإنه يركبه الناس و يوضع الشقدف فوق ظهر الجمل و يكون له موضعان فى كل موضع يركب شخص واحد، و يسافر الناس فى الشقدف على الجمال فى كل وقت حيثما أرادوا، فالشقدف نوع خاص من الهودج كما أن المحمل أيضا نوع خاص منها. و يمتاز المحمل أنهم يلبسونه، حين سفره، بكسوة من الحرير الثمين المشغول بأسلاك الذهب و الفضة المسماة بالقصب، و مكتوب عليه آيات قرآنية. و المزخرف بنقوش جميلة بديعة، و المزين بعقود لؤلؤية. و هناك أنواع أخرى للهودج يختلف باختلاف أجناس العرب و عاداتهم.

انظر: صورة رقم ٢٠٧، المحمل المصرى

انظر: صورة رقم ٢٠٨، للمحمل المصرى و المحمل الشامى

قال الشيخ محمد لبيب البتونى المصرى فى كتابه «الرحلة الحجازية» ما نصّه:

ذهب بعض المؤرخين إلى أن المحمل يتدئ تاريخه من سنة (٦٤٥) ستمائة و خمس و أربعين هجرية، و قالوا: إنه هو الهودج الذى ركب فيه شجرة الدر ملكة مصر، فى حجها فى هذه السنة، و صار بعدها يسير سنويا أمام قافلة الحاج، و ليس فيه من أحد لأن مكان الملوك لا يجلس فيه غيرهم.

و الذى نراه أن المحمل قديم جدا ربّما كان من قبل الإسلام، و كان يطلق على الجمل الذى يحمل الهدايا إلى الكعبة المعظمة، و قد سیر رسول الله صلى الله عليه و سلم محملا إلى مكة بهداياه إلى البيت المعظم، و من ذلك ما نراه فى التواريخ من اسم المحمل

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٩٠

العراقى و المحمل اليمنى، و ما نشاهده الآن من محمل ابن الرشيد و كانوا يسمونه سبهان. و محمل ابن سعود و محمل ابن دينار و هذا يتوجه إلى الخرطوم و منها بالسكة الحديدية إلى بور سودان و منها يبحر إلى جدة. و كل ذلك ليس إلّا جمالا تحمل صرتهم إلى الحرمين، مغطاة بقطعة بسيطة من الجوخ، و كذلك محمل النظام ملك حيدر أباد بالهند، يأتى مكة، مع الحاجين من بلاده، حاملا هداياه إلى أهل الحرمين الشريفين. و لقد جاء فى الكلام على «دارفور» فى تاريخ السودان لنعوم بك شقير، تحت عنوان: صرة الحرمين، ما نصّه: «و كانت سلطنة الغور مستقلة عن دول الأرض كلها لا تدفع جزية لأحد، ما عدا الحرمين الشريفين، فإنها كانت تخرجهما بمحمل و صرة كل سنة، فكان موكب المحمل يأتى إلى مصر، و معه الريش و الصمغ و غيرها من خيرات البلاد، فيبيعهما و يتم بثمانها نقود الصرة، ثم يستطرد الحج إلى الحرمين مع الركب المصرى». و عليه فمحمل شجرة الدر إنما كان يسير أمامها، حاملا الهدايا، التى أخذتها معها للبيت المكرم، فى هودج مزين بأبهى زينة. و غاية ما هناك أنها عنيت به و رتبت له كثيرا من الخدم و



الحشم، و من صار عادة تقوم بها ملوك مصر كل سنة، و ما زالوا يبالغون في زينته من سنة لأخرى حتى صارت كسوته بحيث لا يستطيع الجمل حمل غيرها معها، (و كسوة المحمل الحالية مع هيكله الخشبي لا تقل عن ١٤ قنطاراً) و صار ما كان يحمل عليه من الهدايا، يحمل في صناديق على جمال أخرى، تسير مع الحملة.

و يعمل للمحمل يوم خروجه من مصر احتفال كبير من أيام الدولة الأيوبية. و هذا الاحتفال الآن له يوم مشهود بالقاهرة، تمشى فيه الجنود الراكبة و البيادة و حرس المحمل و ركبه و خدمته من ضوية و عكامة، يتقدمهم أمير الحج، الذي يعينه الجناب العالي الخديوى سنويا، و هو من الباشوات العسكريين فى الغالب، و بعد أن يدور المحمل دورته المعتادة فى ميدان القلعة يمر على المصطبة، و هى المكان المعد لجلوس الجناب العالي الخديوى، يوم هذا الاحتفال، و معه رجال حكومته السنوية من الوزراء الفقهاء و العلماء الأعلام و كبار ذوات العاصمة، و هنالك يأتى حضرة مأمور الكسوة الشريفة و بيده زمام جمل المحمل فيستلمه الجناب العالي منه و يسلمه إلى أمير الحاج، و عندها تضرب المدافع، و يسير الموكب، تتقدمه أشاير السادة الصوفية، ثم الجنود ثم جمل المحمل يتقدمه أمير الحاج، و يتلوه المحاملى و الجمال ثم الفريحية (الطبالون) على جمالهم، و يستمر هذا الموكب سائراً إلى المحجر، فالدرج الأحمر، و يمر من بوابة المؤيد فالغورية فالنحاسين فباب النصر فالعباسية، و هنالك

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٩١

يتفرق الموكب و ينزل ركب المحمل إلى خيامهم التى ضربت لهم فى فضاء العباسية، و ينصب المحمل فى وسط ساحتها ليزوره من يريد التبرك به، حتى إذا كان يوم السفر إلى السويس نقلوه مع أدواتهم و ذخائرهم إلى وابور المحمل. الذى يكون مهياً فى محطة العباسية، و بعد الشحنة يسير إلى السويس و منها يبحر إلى جدة، ثم يقصد مكة برا. و فى سنة (١٣٢٨)، سافر المحمل مع قوته على الإسكندرية و عمل له فيها احتفال عظيم يوم (١٠) نوفمبر سنة (١٩١٠) حضره الجناب العالي الخديوى و منها أبحر إلى يافا و ركب الوابور إلى المدينة المنورة، و بعد الزيارة، سافر إلى مكة، من الطريق الفرعى، و بعد أداء فريضة الحج عاد إلى جدة، و منها إلى الطور، ثم إلى السويس، ثم إلى القاهرة. و الحكومة الآن تهتم فى تقرير قاعدة لسيه فى الطريق الأقل كلفة و مشقة. و للمحمل المصرى كسوتان، كسوته اليومية و هى من القماش الأخضر، و كسوته المزركشة و لا يلبسها إلا فى المواكب الرسمية. و فى أيام وجوده بمكة يوضع فيما بين باب النبى و باب السلام بكسوته اليومية، فيكون هناك مزارا للناس على اختلاف أجناسهم، و لا ينقلونه من هذا المكان إلا فى مواكبه الرسمية، و عند السفر به إلى المدينة المنورة يسير إليها ركبه، إما بالبر من الطريق السلطانى أو الفرعى، أو الشرقى، و إما من طريق البحر من جدة إلى ينبع، و منها برا إلى المدينة أو إلى الوجه، و منه إلى محطة العلا، ثم يتوجه فى السكة الحديدية إلى المدينة. و المحمل الآن يسير فى هذا الطريق الأخير لتعت أعراب الطريق البرى من مكة و ينبع، و تشدهم فى طلباتهم و زيادة مرتباتهم.

و عند وصول المحمل إلى المدينة المنورة يدخلها باحتفال كبير من باب العنبرية، و هنالك يطلق له واحد و عشرون مدفعا، حتى إذا وصل إلى الباب المصرى ترجل كل من فى موكبه، إجلالا لمقام الرسول، صلوات الله عليه، فإذا وصلوا إلى باب السلام أتى شيخ الحرم و استلم زمام المحمل و أصعده على سلم الباب و أناخه على تلك الصدفة الواسعة، و هنالك يرفع المحمل و يوضع فى مكانه من الحرم، غربى المنبر الشريف، و ترفع كسوته المزركشة و يلبسونه الكسوة الخضراء، و يلبس أمير الحاج، و من معه من المستخدمين، لباس الخدمة فى الحجرة الشريفة (و هو عمامة و فرجية بيضاء مشدود عليها حزام أبيض)، ثم يحملون كسوة المحمل، بكل احترام، و يدخلونها فى الحجرة الشريفة من الباب الشامى، و يتركونها فى جانب من ساحة مقام السيدة فاطمة، رضى الله عنها. و لا تزال بالحجرة الشريفة حتى يخرجونها يوم سفر المحمل من المدينة المنورة، و يوكبون بها فى يوم خروجه من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٩٢

المدينة كما كانت الحال فى يوم دخوله. و عند عودة المحمل إلى مصر يحتفل بقدمه رسميا احتفال كبير يحضره الجناب العالي

الخدوي أو من ينيبه عنه. فيسير الموكب من العباسية إلى القلعة من الطريق، التي كان خرج منها، حتى إذا وصل إلى مكان الجنب العالى الخديوى فى المصطبة استلم سموه زمام الجمل من أمير الحاج و سلمه إلى حضرة مأمور تشغيل الكسوة، و عندها تطلق المدافع و يتم الاحتفال. و تحفظ كسوة المحمل بمخزن فى المالية، و هذه الكسوة تجدد كل عشرين سنة مرة، و تبلغ تكاليفها نحو ألف و خمسمائة جنيه مصرى. أما كسوته الخضراء فيكسى بها سنويا، بعد عودته، ضريح سيدى يونس السعدى (بجبانة باب النصر) و أظن أنه كانت له مدّة حياته خدمة فى سفريه المحمل. و إليك كشفا بيان ما يصرف من المالية سنويا فى تسفير المحمل، و المرتبات الجارى صرفها فى مكة و المدينة المنورة، حسب الوارد فى الميزانية الأخيرة.

ثم ذكر الشيخ البتونى، رحمه الله تعالى، فى رحلته المذكورة، جميع المصاريف التى كانت تصرف من المحمل لأهل الحرمين الشريفين، ثم ذكر بعد ذلك بيانا مفصلا عن المحمل، و نحن لم نقله هنا لطوله، ثم لعدم ورود المحامل إلى الحجاز من (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاثة و أربعين هجرية، أى من حين تولّى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله تعالى عليهما. فمن أراد الوقوف على ذلك فليراجع الكتاب المذكور أو غيره. وربما يأتى ذكر المصاريف للمحمل فى آخر هذا المبحث.

و اعلم بأن ما ذكره البتونى، رحمه الله تعالى، فى أوائل هذا المبحث، بأن رسول الله صلى الله عليه و سلم سَير محملا بهداياه إلى البيت المعظم، مراده بالمحمل هنا أنه صلى الله عليه و سلم أرسل رسولا يحمل هداياه إلى البيت المعظم، و ليس المراد من المحمل المذكور هذا المحمل المتعارف عندنا الذى هو الهودج المخصوص.

قال الغازى: و فى درر الفرائد المنظمة، و فى سنة (٧٢٠) عشرين و سبعمائة وقف بعرفة عالم عظيم من جميع البلاد، و كان مع العراقيين محمل عليه حلى من الجواهر و اللؤلؤ و الذهب ما قوم بمائتى ألف و خمسين ألف دينار من الذهب المصرى. ذكره الحافظ علم الدين البرزالي. اه.

و أول من اتخذ المحمل «شجرة الدر» حيث حجّت من مصر عن طريق عيذاب و القصير من صعيد مصر، فى ركب كبير من الحجاج، ثم صار المحمل

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٩٣

فيما بعد شعارا اتخذه بعض الممالك الإسلامية، كمصر و العراق و الشام و اليمن و الروم، و كان كل جهة، من هذه الجهات، ترسل مع المحمل الهدايا و الصدقات و ريع الأوقاف الخاصة بالحرمين الشريفين، كما تكون مع المحمل المصرى كسوة الكعبة المعظمة فى كل عام، و تكون أيضا أحيانا مع المحمل الرومى الآتى من البلاد التركية.

و قد انقطع ورود المحمل الرومى و اليمنى و العراقى إلى مكة من زمن بعيد، أما المحمل الشامى فقد انقطع منذ سنة (١٣٣٠) ألف و ثلاثمائة و ثلاثين من الهجرة، و أما المحمل المصرى فلم ينقطع إلا فى سنة (١٣٤٤) ألف و ثلاثمائة و أربع و أربعين من الهجرة، أى عندما تولّى جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله تعالى، على الحجاز، لأنه رأى أن سير المحامل، إلى مكة المشرفة، بدعة يترتب عليها أمور لا يقرها الشرع الحنيف، فإن العوام و الجهلة يتمسحون بالمحمل، و يتبركون به، و يقبلونه و ينظر إليه بعين الإجلال و الاحترام، و هذا أمر ليس من الدين مطلقا، و إنما جرت بذلك العادة من قديم الزمان. فعمل بحكمته السديدة، رحمه الله تعالى، على إبطال حضور المحمل إلى مكة وقت الحج، و اتفق مع الحكومة المصرية على أن ترسل، ما يخص الحرمين الشريفين، من الأوقاف و كسوة فى كل عام، مع أمير الحج، بدون أن يصحبه المحمل، فكان الأمر كذلك إلى يومنا هذا. فله الحمد على هذا التوفيق.

و إليك تفصيل هذه المحامل، التى لم يبق لها ذكر إلّا فى كتب التاريخ، نقله من تاريخ الغازى.

قال الغازى فى تاريخه عن المحامل ما نصّه: ذكر المحامل و تاريخها. المحمل أعواد من خشب، على شكل الهودج، شكله مربع ذو

سقف يأخذ في الارتفاع من الجوانب إلى الوسط، الذي فيه قائم ينتهي بهلال، و في العادة يسدل على ذلك الهيكل الخشبي كسوة قد تكون من الحرير، و قد تكون من غيره، و يوضع أثناء السفر على ظهر جمل.

و قد جاء في كتاب الكنز المدفون للسيوطي، أن أول من أحدث المحامل في طريق مكة، شرفها الله الحجاج بن يوسف الثقفي. و ذكر صاحب درر الفرائد، أن المحامل التي اعتادت أن ترد من الأقاليم إلى الحجاز أربعة: العراقي و المصري و الشامي و اليمنى، و هناك محمل خامس و هو

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٩٤

الرومي كما يأتي ذكره. و حج في بعض السنين الحلييون بمحمل. و حج آخرون بمحامل في سنين مختلفة.

### المحمل العراقي

كان المحمل العراقي أجل المحامل في وقته، لأن الخلافة الإسلامية كانت في مدينة بغداد، عاصمة العراق، و كان معول أقاليم الإسلام على ما يصدر منها و يرد إليها، و الولايات و الأمور الدينية و الدنيوية إنما تنشأ منها و يخبر بها عنها. و لقد اعتنى أبو سعيد بن خدابنده، بأمر حاج العراقي، عناية تامة، و غشى المحمل بالحرير و رصعه بالذهب و اللؤلؤ و الياقوت و أنواع الجواهر الأخرى، حتى بلغت قيمة الحلية ٢٥٠٠٠٠ دينار من الذهب المصري أو ١٢٥٠٠٠ جنيه، و جعل للمحمل خزا يسبل عليه إذا وضع.

و لما تقلص ظل الخلافة عن العراق، و آل أمره إلى الملوك و المتغلبين من الأمراء و الأعيان، ضعف شأن المحمل العراقي، فكان يستهتر بركبه العربان، و كثيرا ما اعتدوا عليه، ففي سنة (٦٣١) إحدى و ثلاثين و ستمائة رجع الحج العراقي، إذ طمّ عرب الأجاودة الآبار، و اختلف الحجاج من العربان حتى ضاق الوقت، فرجعوا من حيث أتوا. و في سنة (٦٣٣) و (٦٣٤) و (٦٣٥) و (٦٣٦) و (٦٣٩) لم يحج العراقيون لدخول التتر بغداد، ثم صار المحمل العراقي يجيء مرة و ينقطع أخرى إلى القرن التاسع الهجري.

### المحمل اليمني

قال العصامي في تاريخه: و في سنة تسعمائة و ثلاث و ستين كان ابتداء حدوث المحمل اليمني، و المحدث له الوزير مصطفى النشار، المتولى على اليمن، من جهة السلطان سليمان خان، فجعله كالمحملين و معه خلعة من جانب السلطنة، فبرز مولانا الشريف أبو نمى علاقات الخلعة إلى بركة الماجن، ثم وصل هو و الأمير و المحمل إلى أن حاذى الشريف داره فدخلها، و توجه الأمير و نزل عند سفح الجبل، الذي على يمين الداخل إلى مكة من ثنية الحجون، و لم يزل كذلك إلى أن بطلت الخلعة و المحمل من سنة تسع و أربعين و ألف، و ذلك بسبب وقوع الفتن القوية و اشتغال الدولة العثمانية بقتال أعداء الله و إعلاء كلمته العلية. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٩٥

### المحمل الرومي

قال في خلاصة الكلام: و في سنة (٩٢٣) ثلاث و عشرين و تسعمائة، أرسل الأمير مصلح بيك بمحمل رومي و كسوة للكعبة و صدقات، و لما أن قدم الأمير مصلح بيك بالمحمل الرومي، و الأمير العلائي بالمحمل المصري، خرج الشريف للقائهما هو و ابنه في عرضه من قومه، فالتقوا في الزاهر، و لبسا الخلعة و سارا مع الأمراء، و المحمل خلفهما إلى أن أوصلاهما إلى باب السلام، فأدخل المحملان الحرم و جعل أحدهما على يمين مدرسة الأشرف قايتباي، و الآخر على يسارها، و فرقت الصدقة الرومية على الفقراء و

المجاورين من أهل مكة، وقرر فيها لصاحب مكة خمسمائة دينار ثم فرقت الذخيرة، و هي صدقة كانت تخرج من خزينة مصر، تخرجها الجراكسة، فأبقاها السلطان سليم تفرق على العربان، أصحاب الإدراك، و فقراء أهل مكة، ثم فرقت صدقات الأوقاف المصرية، و يسمى الصر الحكمى، و لم يحج في تلك السنة المحمل الشامى. انتهى.

### المحمل الشامى

لم يعلم تاريخ حدوثه، و جاء في درر الفرائد ما يدل على أن سفره إلى الحجاز قبل سفر المحمل الرومى إليه، إذ في الدرر أنه في سنة (٩١٩) تسع عشرة و تسعمائة، تسابق المحمل الشامى و المصرى فسبق الشامى، فشق ذلك على المصريين فعقروا جمل المحمل الشامى، فجاء الأمير الأول للمحمل المصرى و قدم جملا حمل عليه الشامى، الذى قال أميره: «أنا ما بقيت أرجع بالمحمل خلوهم يرجعوا به»، و قد أصلح بين الركبين فى منى الشريف بركات.

و ما زال المحمل الشامى يرد إلى مكة و المدينة صحبة أميره و الحجاج و الجنود الشاهانية و الموسيقى السلطانية و الذخيرة الكافية، إلى أن قامت الحرب الكبرى فى سنة (١٣٣٣) ثلاث و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف هجرية، الموافق سنة (١٩١٤) أربع عشرة و تسعمائة و ألف، فإن الأتراك شغلوا عن إرساله منذ دخلوا فى الحرب بجانب دول الاتفاق، كذا فى «مرآة الحرمين».

و ذكر الشيخ الشيبى، فى كتاب «الإتمام على أعلام الأنام» ما نصّه: و أما المحمل الشامى فإنه يجىء بمرتبته من الآستانة العلية، و من الشام معه الصرة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٩٦

الهمايونية و الشمع الكبار و الصغار، التى تسرج داخل الكعبة و خارجها، و فى مقامات المسجد الحرام و المآثر الشريفه، و كذا طيب الكعبة المعظمة و بخورها، كعطر الورد و ماء الورد و العنبر و الند، و كذا الحبال التى تلزم لربط أستار الكعبة، و تسلم لشيخ السدنة، من طرف أمين الصرة الهمايونية بالحرم الشريف المكى. انتهى.

### المحمل المصرى

قالوا إن المحمل المصرى يرجع تاريخ إرساله للحجاز إلى عهد «شجرة الدر» سنة (٦٤٨) ثمان و أربعين و ستمائة، و أنه كان هودجا لها حين حجت، و قد زينته بخمائل الحرير و التطريز البديع، من فوقه الأحجار الكريمة، و كانت تحمل معها هدايا للكعبة و الحجرة الشريفة، ثم تتابع إرساله تلك الهدايا إلى يومنا هذا.

و المحمل المصرى من قديم الزمان تصحبه كسوة الكعبة، و ما يلزم الحرمين، و الصدقات، التى توزع على فقرائها، لذلك كان فى مقدمه المحامل، و كان أميره مقدما فى الرتبة و المنزلة، و أول سنة نقل فيها المحمل إلى السويس سنة (٩٥١) إحدى و خمسين و تسعمائة، و كان يقام للمحمل حفلتان بالقاهرة، كل سنة يدور فيهما فى شوارعها، التى تكون قد زينت له، و اكرت فى فيها الناس البيوت و الحوانيت و السطوح ليشاهدوا المحمل و حفلته، فالمرّة الأولى فى رجب، و الثانية فى نصف شوال، و بدأ ذلك من سنة (٧٠٠) سبعمائة.

و فى سنة (٨٤٨) ثمان و أربعين و ثمانمائة، أبطل السلطان الظاهر جقمق دوران المحمل، فشق ذلك على الناس، ثم رسم الأشرف أنيال بدورانه فى شهر رجب سنة (٨٥٨) ثمان و خمسين و ثمانمائة، و لعب الرماحة بين يدى السلطان، على عادة من تقدمه من الملوك فى السنين الخالية. و كان ذلك بطل من نحو عشر سنين، ثم أبطل الملك الأشرف قايتباى دورانه الرجى، و كذلك بطل فى

عصر خلفه الناصر الذي تولى سنة (٩٠١) إحدى و تسعمائة، و كان للمحمل عفاريت من الإنس، يأتون بألعاب يضحك منها الناظرون. ذكره في «مرآة الحرمين».

و قال الفاضل البتوني، في رحلته: يعمل للمحمل يوم خروجه من مصر احتفال كبير، من أيام الدولة الأيوبية، و للمحمل المصري كسوتان: كسوته اليومية، و هي من القماش الأخضر، و كسوته المزركشة، و لا يلبسها إلا في

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٩٧

المواكب الرسمية، و بعد رجوعه عن سفر الحج، تحفظ كسوة المحمل بمخزن في المالية، و هذه الكسوة تجدد بعد كل عشرين سنة مرة، و تبلغ تكاليفها نحو ألف و خمسمائة جنيه مصري، أما كسوته الخضراء فيكسى بها سنويا.

و إليك كشفا بيان ما يصرف من المالية سنويا في سفر المحمل و المرتبات الجارى صرفها في مكة و المدينة المنورة حسب الوارد في الميزانية الأخيرة:

جنيهاً // جنيهاً /

١٢٨٢ / مرتبات و تعيينات لأمر الحج و مستخدمى المحمل

٢٥١١ / العربان

١٤٩٣ / الأشراف بمكة المكرمة و المدينة المنورة

١٩٦١ / تكية مكة المكرمة

١٦٥٧ / تكية المدينة المنورة

٢٨٧٩ / أهالى مكة و المدينة

٣٠٠٠ / مكة و المدينة تصرف سنويا من أوقاف الحرمين و الأوقاف الخصوصية و الأهلية و الخيرية و من الخاصة الخديوية و المالية جنيهاً

٢٢٥٠٠ / ثمن و مصاريف قمح الصدقة بمكة و المدينة

١٦٢٩ / شمع و قناديل للحرمين

١٥٥ / خيام و قرب و خلافها

٤٢٤٨ / أجره منقولات برا و بحرا و أجره جمال

٦٤٢٠ / قيمة ما يرسل كل سنة إلى الحرمين الشريفين من الزيوت و الحصر و خلافها من ديوان الأوقاف

٢٦٥ / مصاريف نثرية

٥٠٠٠٠ / مجموع المنصرف سنويا

### مرتبات الأشراف و العربان و الأهالى من الحكومة المصرية

قال الفاضل إبراهيم رفعت باشا في «مرآة الحرمين»: جرت العادة من قديم أن تصرف الحكومة المصرية مرتبات الأشراف و العربان و الأهالى بمكة و المدينة، و كان المقرر فى ميزانية المحمل هذا العام أى عام (١٣٢٥) للأشراف (١٢٦٥) جنيها مصرى، و للعربان (٢٥١١) جنيها، و للأهالى (٢٨٧٩) جنيها، و للشيخ حذيفة، كبير قبيلة الأحامدة، مرتب سنوى ينيف على ٦٠٠ ريال، تصرف إليه نظير محافظته على ركب المحمل، أثناء مروره بالطريق السلطانى، الذى يقيم به

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٩٨

الشيخ حذيفة، و هذا المرتب يصرف عليه سنويا مر المحمل به أو لم يمر، اه. انتهى كل ذلك من تاريخ الغازى.

نقول: وجميع أنواع المحامل التي كانت تأتي إلى الحرمين الشريفين في موسم الحج قد انقطع حضورها إلى الحجاز منذ تولى الحكومة السعودية عليها أي ابتداء من سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعون هجرية، و ما زالت الحالة كذلك حتى الآن.

### سكان مكة المكرمة و عدد بيوتها و دكاينها

يقول إبراهيم رفعت باشا في كتابه «مرآة الحرمين»: إن سكان مكة يزيدون على مائة و عشرين ألفاً، كلهم مسلمون طبعاً. و يقول فيه أيضاً: «و بمكة ثلاثة آلاف دكان، و ستة آلاف و خمسمائة بيت مبنية بالحجص و الحجر الأصم». ثم يقول في هامش كتابه: إن تعداد الأماكن نقله عن التقويم التركي للبلاد الحجازية سنة (١٣٠٩) و هو مطبوع بمكة بالمطبعة الأميرية. هذا ما يقوله مؤلف الكتاب المذكور الذي حج سنة (١٣١٨) ه و حج أيضاً ثلاث مرات بعدها و هي سنة (١٣٢٠) و (٢١) و (٢٥) ثم بعد ذلك ألف كتابه المذكور.

أما تعداد سكان مكة في عهدنا الحاضر فإنه يبلغ نصف مليون نسمة من الأهالي و المقيمين بها، و هذا بحسب ظننا و تخميننا، و الله تعالى أعلم بالحقيقة. و أما بيوتها و دكاينها فشيء كثير لا يحصى، ففي كل جبل سكان، و بين كل جبلين سكان، فالرجل الغريب إذا نظر لمكة يظنها صغيرة لأنه لا يراها كلها، بل يرى جزءاً منها على جبل أو في شعب من شعابها، و لكنه لو تفقد شعابها، و مشى بين جبالها، لأخذ العجب، لهذا جاء المثل العربي «أهل مكة أدري بشعابها».

### الأغراب في مكة المشرفة

قال الغازي في الجزء الرابع، من تاريخه، عند الكلام على سكان مكة، بعد انتشار الإسلام، ما نصه: ذكر العلامة الشيخ جعفر بن أبي بكر بن جعفر لبنى،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ١٩٩

رحمه الله تعالى، في شرح الرسالة الجدية لابن زيدون، بعد ذكر أمر قريش و خزاعة و ما وقع بينهم ما نصه:

و قد علم من مجموع ما تقدم، أن سكان مكة في ذلك العهد كانوا قريشا و من جاورهم من خزاعة، لكن خزاعة لما ذهبت عنهم رئاسة مكة جاوروا أطرافها شام و يمن، و لهم بقايا إلى اليوم معروفون بين القبائل.

ثم لما جاء الإسلام، و انتشر الصحابة من المهاجرين و الأنصار و أبناؤهم في الجهاد، في سائر الجهات، و رأوا الأراضي المخصصة، و الأوفياء الباردة، و الظلال المتفيدة، و صارت للقوم فيها أملاك، رغب أكثرهم في الاستيطان ثمة، و تبعهم الجم الغفير يذهبون أرسالا إلى مصر و المغرب و الشام و العراق، ليعيشوا مع أبناء جلدتهم في الخصب و السعة و الرفاهية و الدعة و الظلال، فما مضى، بعد ظهور الإسلام نحو قرنين، إلّا و لم يبق في مكة و المدينة من أهلهما إلّا أقل القليل، مع من جاورهم من مسلمي الآفاق للتشرف بالجوار.

و كان من عادة ملوك مكة أن ينادى مناديتهم، بعد أداء مناسك الحج: «يا غريب بلادك». هي عادة اتخذت من زمن الفاروق، رضى الله عنه، فإنه كان يأمر أن ينادى يومئذ: «يا أهل الشام شامكم يا أهل اليمن يمنكم» و ذلك لئلا يكثر المجاورون، فيستأثرون، بما لهم من الثروة، بأرزاق أهل مكة فيضيعون، و قد تركت هذه العادة من مدة طويلة، و لم يبق من آثارها، إلّا أن عوام باعة الأرزاق، بعد أداء الحج، يلهجون بقولهم: «يا غريب بلادك»، و يزيد بعضهم: «شور الأمانة لا تبات الليلة» و قد كثر المجاورون، و زاحموا أهل مكة في جميع الوظائف و أسباب المعاش، أما الصرور و المرتبات، من حنطة الجراية و غيرها، و الخلاوى أى الحجر في الأربطة و المدارس، التي اتخذت في الأصل لطلبة العلم أو الفقراء الأهالي، بما هو مخصص لها من مرتبات، فقد كاد أن يستفرغه مجاوروا الأتراك لمناسباتهم، مع مأمورى الحكومة، و صار أهل مكة المتأثلون بها فقراء، و لا يكاد الواحد منهم أن يحصل على ما يقوم به أوده.

ثم ليعلم، أنه ليس مرادى بأهل مكة هنا الأصليين، الذين هم من ذرية قريش البطاح أو المهاجرين أو الأنصار، الذين تناسلوا و تعاقبوا

بمكة و المدينة من يومها إلى اليوم، فإنه ليس بمكة و لا- بالمدينة من يقطع أو يظن أنه من ذرية أولئك، بالمعنى المنوه به سوى الشيبين، فإن بقاء مفتاح الكعبة بأيدي هذه العائلة، خلفا عن التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٠٠

سلف، شاهد على ذلك، حتى من انتمى إلى البيت النبوي من الأشراف و السادة القاطنين بمكة أو المدينة، فإن أصولهم قد هاجروا إلى الآفاق و بقوا هنالك القرون، ثم قدم من ذريتهم، من قدم رغبة في الجوار أو لغاية أخرى، و لا شبهة في علو أقدارهم، و ارتفاع مراتبهم عن سواهم، و من سوى الأشراف و السادة لم يبق لهم مجد و لا فخر من حيث النسب، لكن بقدوم المحتد فمن تولد بمكة يفتخر على المجاور، و من له أبوان يفتخر على من له أب و هكذا، و القدماء منهم يسمون من سواهم آفاقيا، و هي كلمة كادت أن تكون سبة، و أعظم منها في هذا المعنى، قولهم: أتوى، بفتح الهمزة و التاء، و لعل أصله أتوى، قال الكسائي: الأتوى، بالفتح، الرجل الغريب الذي ليس في وطنه. انتهى من الغازي.

نقول: إن الشيخ عبد الله الغازي المتوفى سنة (١٣٦٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و ستين هجرية، يقول: إن الأجانب قد زاحموا أهل البلاد في جميع الوظائف و غيرها، فكيف لو رأى، رحمه الله تعالى، مزاحمة الأجانب لأهل البلاد في وقتنا الحاضر في الوظائف الحكومية و الأهلية و في جميع مرافق الحياة. فالأمر لله من قبل و من بعد، و رحم الله تعالى أحد شعراء مكة المشرفة، الذي كان في أوائل القرن الثاني عشر للهجرة، فإنه لما رأى بعض الولاة بمكة يساعد بعض الأعراب، و من لا قيمة لهم على أهل مكة، و يسند إليهم بعض الوظائف و الأعمال، قال ما يأتي:

وظائف الناس قد صارت مفرقة ما بين عبد و معتوق و آفاقي  
و أهل مكة قد غارت نجومهم فما ترى كوكبا يبدو بآفاق

### الحكمة في جعل سكان مكة خليطا من جميع الأجناس

لقد كان سكان مكة، في زمن الجاهلية، و في صدر الإسلام، من العرب الخالص، و في مقدمتهم قبيلة قريش، فلما انتشر الإسلام، في جميع أقطار الأرض و جهاتها، كثر الوافدون إلى بيت الله الحرام، من كل فج عميق، لأداء فريضة الحج، الذي هو الركن الخامس من أركان الإسلام، و لزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم ثم السلام على رسوله أفضل الصلاة و السلام عليه. و لما كانت مكة بلد الله الأمين و بلد رسوله النبي المكين، و من دخل حرمها كان آمنا، فقد أحب أكثر الناس، من أجناس المسلمين الوصول إليها، و الإقامة بها، و رغبوا في ذلك رغبة أكيدة، حتى أن بعضهم يأتي إليها وحده، تاركا أهله و أولاده في وطنه يلحقون

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٠١

به فيما بعد إذا أرادوا. و بذلك كثر فيها المهاجرون و المقيمون من مختلف أجناس العالم من المسلمين، و بذلك كثر سكان مكة المشرفة، و اختلط أهلها الأصليون العرب بالأعاجم الوافدين، فتزوجوا منهم و زوجوهم، و كل من الفريقين تعلم لسان الآخر، و بكثرته الخلطة و المعاشرة اندمج العرب و الأعاجم في بعضهم.

فما تقدم يعلم أنه لما كانت مكة المشرفة بلد الله الأمين و بلد رسوله النبي الكريم، عليه أفضل الصلاة و التسليم، لا غرابة أن يكون أهلها من جميع أجناس عباد الله المسلمين، فهي موطن كل مسلم و فيها تطمئن قلوبهم، و إلى بيت الله الحرام يولون و جوههم. اللهم زد بلدك الأمين أمنا و أمانا، و نعمة و رخاء و زد بيتك الحرام شرفا و تعظيما و مهابة و تكريما، و اغفر اللهم لنا و لجميع المؤمنين و المؤمنات و المسلمين و المسلمات الأحياء منهم و الأموات، وصل اللهم على سيدنا و نبينا «محمد» و على آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا، و الحمد لله رب العالمين.

جاء في آخر الجزء الثالث، من تاريخ الغازي، عند الكلام على ترجمة المشير الحاج محمد حسيب باشا، الذي تولى مكة من قبل الدولة العثمانية سنة (١٢٦٤) بعد ذكر ما عمله المذكور من الأعمال العمرانية وغيرها ما يأتي:

كان المذكور يعس بنفسه ليلا، و يدور مكة بزى أحد العساكر، و يختفى بالقهاوى، و يتفقد المحتاجين من ذوى البيوت، و أزال جملة من المنكرات.

و هو الذى رتب كركولانت «أى مراكز الشرطة» بطن مكة من العساكر النظامية، فجعل فى المسعى كركولا، و بالمدعا كركولا، و بسوق المعلا كركولا، و بالشبيكة عند المحجوب كركولا، و بالهجلة كركولا، و عند بيت الباشا كركولا. انتهى من الغازي.

### بناء القلاع و الأبراج و بعض القصور المهمة سابقا بمكة

#### إشارة

نذكر هنا القلاع و الأبراج و الدور المهمة سابقا بمكة و أطرافها، مما جاء ذكرها فى بعض كتب التاريخ الحديثة، لأن فى ذلك عبرة كبيرة للمتأمل اللبيب،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٠٢

و قد أمسكنا عن ذكر القصور و الدور و السرايات، التى وقعت عماراتها فى العهد السعودى، أى من بعد عام (١٣٥٨) ألف و ثلاثمائة و ثمانية و خمسين من الهجرة، إلى وقت تأليف هذا التاريخ، لأن فى هذا العهد نهضت البلاد نهضة كبرى، فى جميع مرافق الحياة، و شقت لنفسها طريقا واسعا خطت فيه بخطوات واسعة، و بذلك اتسعت مكة، شرفها الله تعالى، و امتلأت حاراتها و طرقاتها و شوارعها بالعمارات الشاهقة، و القصور العظيمة، و الدور الجميلة الفخمة، فلو أردنا أن نسجل كل ذلك لاحتجنا إلى مجلد خاص، فلنقتصر على القصور القديمة، لقلتها و لكونها صارت فى حكم الآثار، التى ينبغى أن تذكر و لا تهمل. فنقول و بالله نستعين، فهو حسبنا و نعم الوكيل و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم:

#### قلعة جبل أجياد

قلعة أجياد كانت أهم قلاع مكة، و كانت تضرب بها المدافع فى رمضان و فى غير رمضان إلى سنة (١٣٦٠) تقريبا. قال الغازي رحمه الله تعالى: و فى خلاصة الكلام: فى سنة ألف و مائة و ست و تسعين، شرع مولانا الشريف سرور بن مساعد فى عمارة القلعة، التى فى جياذ، بعد أن اشترى ما حولها من البيوت، و أنفق فى عمارتها مالا كثيرا، ثم نقض بعد سنتين كثيرا من بنائها و أعاده على أحسن إتقان. اه. قال الأستاذ السباعي: و كانت هذه القلعة تطل على داره، فى سفح الجبل، حيث تقوم اليوم إدارة البريد، بجوارها الخرائب الواسعة، التى كانت تمثل دوره الملحقة بالقصر. انتهى كلامه. نقول: إن إدارة البريد، التى ذكرها الأستاذ السباعي، قد انتقلت من محلها المذكور إلى سوق المعلا و ذلك سنة (١٣٧٧) هجرية، و معنى القلعة: الحصن، أى: البناء الخاص للمحاربة. انظر: صورة رقم ٢٠٩، قلعة أجياد بمكة

#### قلعة جبل هندي

قال الغازي: و فى خلاصة الكلام، و فى السابع و العشرين من رجب سنة (١٢٢١) ألف و مائتين و واحد و عشرين، أمر الشريف غالب أن يبنى له حصن، على رأس الجبل المسمى بجبل الهندى، و تم بناؤه فى عاشر رمضان فحصنه بالرجال و الذخائر. اه.



التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٠٣

و فى السالنامة الحجازية، أنه حصل فى هذه القلعة خراب، فعمرها و وسعها شيخ الحرم المكى، و والى ولاية الحجاز عثمان نورى باشا، و زينها و أحكم عمارتها و أتقنها و ذلك سنة ألف و ثلاثمائة. اه.

و جبل الهندى جزء من جبل قعيقان، و قد كان بهذه القلعة جنود الأتراك إلى سنة (١٣٣٤) هـ، ثم صارت مدرسة بعد ذلك إلى سنة (١٣٧٤) هـ تقريبا، ثم بقيت خالية إلى يومنا هذا.

انظر: صورة رقم ٢١٠، قلعة جبل هندى

### قلعة جبل لعلع بالفلق

و فى سنة ألف و مائتين و خمس عشرة، بنى الشريف غالب بن مساعد الأبراج، التى بأطراف مكة، و القلعة، التى على جبل لعلع المطل على العبادى، كذا فى السالنامة، و تسمى هذه القلعة بقلعة فلفل أى قلعة جبل فلفل، و هو لعلع.

و لما أعلن الشريف حسين بن على، ملك الحجاز، رحمه الله تعالى، الحرب على الأتراك، فى اليوم التاسع من شهر شعبان عام (١٣٣٤) من الهجرة، كان بهذه القلعة قليل من جنود الأتراك، لا يتجاوزون الخمسين، فتراموا بالبنادق مع جنود الشريف أقل من ثلاثة أيام، ثم استسلموا لعدم استعدادهم للحرب. أما قلعة أجياد فقد استسلمت بعد شهر واحد، و أما قشلة جروول فاستسلمت قبل قلعة أجياد، و أما قلعة جبل هندى فبعد بضعة أيام استسلمت أيضا، ثم هدمت هذه القلعة فى سنة (١٣٦٣) ثلاث و ستين و ثلاثمائة و ألف، و أقيمت مكانها فى السنة المذكورة عمارة جديدة خاصة بإدارة الأعمال اللاسلكية التى تتصل بعموم المراكز اللاسلكية، و بها اليوم أيضا مدرسة لاسلكية.

انظر: صورة رقم ٢١١، قلعة جبل لعلع

### قشلة جروول

قال الغازى: و فى سنة (١٣١٨)، بنى قشلة جروول بخارج مكة، و جرى الاحتفال بفتحها فى ١٥ ذى الحجة من السنة المذكورة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٠٤

قال العلامة إبراهيم رفعت باشا فى كتابه «مرآة الحرمين» ما ملخصه: و فى يوم الخميس ١٥ ذى الحجة احتفل بفتح المضيئة (المسافرخانه)، التى شيدها، لفقراء الحجاج، جلاله السلطان عبد الحميد من ماله الخاص. و قد أقيم بناؤها فى فضاء واسع جنوبى مكة الغربى، و هى بناء فخم، محكم البناء، جميل النظام، يحتوى على طبقتين مسقوفتين بالحديد، الذى يتخلله عقود بالأجر الأحمر الإفرنجى و البياض، متقن جدا فى نوعته، و الأرض مرصوفة بالبلاط و للمضيئة فناء واسع ... إلخ و قد بلغت مصاريف عمارة هذه القشلاق تسعين ألفا من الجنيهات الذهبية العثمانية، و كان للجنيه الواحد الذهب قيمة كبرى فى ذلك الوقت. اه.

و الذى نعلمه عن قشلة جروول أنها لم تستعمل مضيئة قط، و السبب، و الله تعالى أعلم، قيام الحرب العظمى، بعد بنائها بسنوات، و انشغال الحكومة التركية العثمانية بها، و كانت القشلة أهلة بجنود الأتراك، ثم بالجنود الهاشمية، زمن الشريف الحسين، رحمه الله تعالى، ثم بالجنود السعودية التابعين لوزارة الدفاع، و لا يزالون فيها إلى وقتنا الحاضر. و معنى القشلة: المكان الخاص بسكن الجنود و لا تصلح للمحاربة.

انظر: صورة رقم ٢١٢، قشلة جروول

انظر: صورة رقم ٢١٣، القشلة بجروول و التى بنيت فى عهد الأتراك سنة ١٣٠٠ هـ

## قلعة أجياد

قال الغازي: بنى الوزير عثمان نوري باشا، والي الحجاز، في حدود سنة ألف و ثلاثمائة، بيتا للطوبجية، في رحبة أجياد، و الطوبجية نسبة إلى المدفع، أى بنى ذلك البيت لجنود المدافع، و كان يسمى قلعة جيا، و كان عامرا بجنود الأتراك، في عهد العثمانيين، و لا زال كذلك في عهد الشريف حسين بن علي ملك الحجاز رحمه الله تعالى، و أما في العهد السعودي الآن فقد صار ذلك البيت مقرا لوزارة المالية بمكة المشرفة.

و الحق أن عثمان نوري باشا عمل أعمالا جلييلة بمكة، فبنى دار الحميدية، و دار المطبعة، و قلعة أجياد، و عمّر ما خرب من قلعة جبل هندی، و أجرى التلغراف من جدة إلى مكة و إلى الطائف، و عمل دارا للتلغراف بباب الوداع، بلصق المسجد الحرام، و عمل مستشفى بمنى و بازانا عند مسجد الخيف، و هو

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٠٥

الذى جلب الماء لجدة من الرغامه في مواسير. و قد تولى عثمان باشا ولاية الحجاز في عشرين من شعبان عام (١٢٩٩)، و كان قبل ذلك بالطائف قومندار العساكر.

انظر: صورة رقم ٢١٤، وزارة المالية اليوم

## قلعة المعابدة

هذه القلعة الصغيرة هي على رأس الجبل، الذى على يسار الذهاب إلى منى بالمعابدة، و هي أمام قصر الملك عبد العزيز آل سعود، رحمه الله تعالى، بنيت في زمنه في سنة (١٣٤٥) هجرية تقريبا، و ليس المقصود، في بناء هذه القلعة الصغيرة، الاستعداد للحرب، بعد هذا الأمان الشامل، و إنما بنيت على رأس الجبل المقابل للقصر الملكي كرمز عسكري، كما توضع جنود الحرس على أبواب القصر تكملة للمظاهر الحكومية.

انظر: صورة رقم ٢١٥، القلعة السعودية

## بناء الحصون على جبل أبي قبيس

لما كان جبل أبي قبيس مشرفا على المسجد الحرام، و هو بوسط مكة، شرفها الله تعالى، كان بعض أمرائها يتخذون حصونهم عليه، فمن تلك الحصون حصن مكتر بن عيسى، فقد بناه سنة (٥٧١) إحدى و سبعين و خمسمائة. و في هذه السنة نفسها، صدر الأمر من بغداد، إلى أمير الحج طاشتكين، أخى صلاح الدين الأيوبي، بإجلاء مكتر عن مكة و هدم حصنه، ثم بعد الحج من هذه السنة تحاربا، و لجأ مكتر إلى هذا الحصن، الذى بناه بأبي قبيس، فتنحصن فيه ثلاثة أيام، ثم سلم نفسه في اليوم الرابع لأمير الحج المذكور، و هذا قام بهدم الحصن.

و من تلك الحصون أيضا: بيت النار بجبل أبي قبيس، و هو دار واسعة بناها الشريف عبد الله بن سعيد ليتحصن بها عند الطوارئ و ذلك في سنة (١١٣٦) ست و ثلاثين و مائة و ألف، و وضع فيها المتاريس و سماها بيت النار و لم يسكنه أحد في زمنه و إنما كان مقفولا معدا للحصار. و لا تزال هذه الدار قائمة إلى اليوم، و قد كان بها طائفه من العجزة إلى سنة (١٣٦٠) ألف و ثلاثمائة و ستين هجرية، تحت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٠٦

إشراف مديرية الأمن العام، ثم نقلت العجزة إلى جهة أخرى، و الآن هذه الدار خالية و نظن أنها معروضة للبيع.

## القلاع التي كانت بين مكة وجدة

لا يخفى أن طريق الحج كان، في سابق الزمان، مخوفا غير آمن، و كانت مكة كذلك، فتقوم ثورة حربية فيها بين قبائل الأشراف، و أن البدو كانوا يقطعون الطرق على الحجاج، مهما كثروا، لذلك كله بنيت القلاع و الحصون في الحرمين الشريفين و الطرق، التي توصل إليهما، و لا نريد عد القلاع و حصرها في كل ذلك، و إنما نذكر القلاع، التي كانت موجودة بين مكة و جدة، و التي بنتها الحكومة العثمانية، على رؤوس التلال و الجبال، في مفترق الطرق، لحماية الحجاج. و هذه القلاع صغيرة بحيث يكون في كل واحد منها نحو ثلاثين جنديا.

فعدد القلاع أو الحصون أربع عشرة قلعة. قال البتونى في كتابه «الرحلة الحجازية»: و على طول الطريق «أى بين جدة و مكة» أربع عشرة قلعة، يوجد فيها الجند العثماني على الدوام، بعضها قديم من عمل الشريف غالب أو محمد على باشا والى مصر، و البعض من بناء الدولة العلية، من عهد ليس ببعيد، خصوصا بعدما كثر مجيء الحاج بحرا. انتهى.

نقول: إن ما ذكره البتونى هنا من عدد القلاع، بين مكة و جدة، قد خربت الآن، لعدم الحاجة إليها، حيث شمل الأمن جميع البقاع، و لله الحمد، فلم يبق منها إلا رسوم و أطلال لقلعة أو قلعتين فقط، و إليك صورة القلعة الباقية إلى اليوم في طريق جدة و قد هدمت من الجهة الخلفية.

انظر: صورة رقم ٢١٦، قلعة صغيرة في عهد الأتراك في طريق المعابدة

انظر: صورة رقم ٢١٧، لقلعة صغيرة فوق جبل عبادى التي تضرب منها المدافع

و توجد اليوم بمكة، بجهة محلة المعابدة، رسوم قلعتين من القلاع القديمة أيضا، و هما ظاهرتان على يسار الذهاب إلى منى، إحدهما مطلة على المعابدة، و الأخرى مطلة على شعب ذاخر، و قد هدمتا و خربتا فلم يبق منهما إلا أطلالهما، و إليك صورة إحدهما.

انظر: صورة رقم ٢١٨، قلعة صغيرة في عهد الأتراك في شعب أذاخر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٠٧

## بناء المطبعة الأميرية

أول مطبعة أسست في الحجاز، هي المطبعة الأميرية، التي سميت بمطبعة أم القرى، و تسمى الآن مطبعة الحكومة. بناها الوزير عثمان نورى باشا، الذى بنى الحميدية. و موقع المطبعة خلف الحميدية، بنيت هي و الحميدية فى سنة ألف و ثلاثمائة. و بعد عام من بنائها طبع بها تقويم الحجاز السنوى باللغة العربية و التركية، و قد جلب لها عثمان باشا المذكور ما كينه كبيرة و بعض الأدوات، و تسمى الآن «بمطبعة الحكومة».

## بناء الحميدية

فى سنة ألف و ثلاثمائة، بنى عثمان نورى باشا، والى ولاية الحجاز، و شيخ الحرم المكى، «الحميدية» نسبة للسلطان عبد الحميد الثانى، و موقعها قرب باب الوداع، عند المسجد الحرام، فى أول أجياد. و كان بناؤها فخما عظيم الشأن قوى البنيان، و بعد بناء الحميدية وجدوا أن الدار، التى أمامها، من جهة المسجد، التى بنيت فى موضع دار أم هانئ، شقيقة على بن أبى طالب، رضى الله عنه، تحول بين الحميدية و بين المسجد الحرام، و تمنع رؤية الكعبة المشرفة، فاشترها الوزير عثمان نورى باشا المذكور و هدمها. و قد بنيت الحميدية لتكون مقرا لوالى الحجاز، الذى يعين من قبل الدولة التركية، و كان بها جنود الشرطة، و أما مقر أمراء مكة من الأشراف ففى دار الإمارة، التى بالغزة، بعد سوق الليل، و هى التى بناها محمد على باشا والى مصر سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و

سبعين في شهر رجب، وكانت الحميدية، إلى أن هدمت، تحتوى على عدة دوائر حكومية: كإدارة الأمن العام، و مجلس الشورى، و إدارة الأوقاف و إدارة المعارف، و إدارة إحصاء النفوس، و كاتب عدل مكة، و المحكمة المستعجلة الأولى، و كان هدم الحميدية في السنة المذكورة، لإدخالها في توسعة المسجد الحرام، و كان مكتوبا على بابيها الشرقي و الغربي، بعض أبيات شعرية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٠٨

### بيت الحكم بالغزة

بنى محمد على باشا حاكم مصر في سنة (١٢٢٨) ألف و مائتين و ثمان و عشرين من الهجرة، «دار الإمارة» بمحلة الغزة، بعد سوق الليل على يمين الآتي من المسجد الحرام، و تسمى هذه الدار «بيت الحكم» بناها لتكون دارا لحكومة الحجاز، و مقر الحكم لأمير مكة، و لم تزل هذه الدار يشغلها حكام مكة إلى سنة (١٣٦٩) ألف و ثلاثمائة و تسع و ستين هجرية، ثم هدمت بعد ذلك توسعة للشوارع فلم يبق لها أثر الآن.

### بناء دار باناجه بالمسعى

بنى أحمد يكن باشا، بفتح الياء و الكاف، الذى كان واليا على الحجاز، من طرف محمد على باشا، حاكم مصر، دارا بالمسعى أمام باب على، و كانت دارا مهمة تطل على المسجد الحرام، ليس بينهما سوى بضعة أمتار.

ثم إن باناجه باشا، بسكون الهاء، اشترى هذه الدار، من ورثة أحمد يكن باشا، فى سنة (١٣٠١) إحدى و ثلاثمائة و ألف هجرية، فسميت هذه الدار «بدار باناجه»، و لما كان الطريق و الممر، بين هذه الدار و الدور، التى خلفها ضيقة، فقد اشترت الحكومة السعودية من آل باناجه هذه الدار فى سنة (١٣٦٨) ألف و ثلاثمائة و ثمان و ستين هجرية، فهدمتها توسعة للشوارع العام.

### بيت الجيلاني بالشامية

بيت الجيلاني دار فخمة عظيمة البناء، واقعة بمحلة الشامية، بجوار بازان الماء، و بجوار جريدة البلاد السعودية. و لم نقف على علة تسميته بيت الجيلاني، و الظاهر أن الذى بناها كان يلقب بالجيلاني، و كان غنيا واسع الثروة، لبنائه هذه الدار العظيمة الكبيرة، و قد جعلها وقفا على أمراء مكة، و الجيلاني هذا غير الجيلاني الشهير، صاحب الطريقة القادرية، فهذا من أهل القرن الخامس أو السادس.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٠٩

و قد ذكر الأستاذ السباعي فى تاريخه أن الشريف عون الرفيق ولد بهذه الدار، أى دار الجيلاني، فى أواخر ذى الحجة سنة (١٢٥٦) ست و خمسين و مائتين و ألف هـ، و هى اليوم مستودع للكتب المطبوعة، الخاصة باسم الحكومة، و الآن يسكنها آل السحيمي الذين بيدهم هذه الكتب، فعليه يكون بناؤها قبل السنة المذكورة، و بجوار هذه الدار دار أخرى تشغلها جريدة البلاد السعودية اليوم، و هى مسامة و مشابهة للتي بجوارها.

و الظاهر و الله تعالى أعلم، أن الدارين بنيتا فى سنة واحدة و بانيهما واحد، و يصح أن يطلق عليهما قصر الجيلاني لسعتهما و كثرة مرافقهما، و أن بعض سقوفها منقوشة بالألوان و الزخارف، و مكتوب فى أعلى بعض الجدران، مما يلي السقف، من الجهات الأربع، شىء من الأشعار، حسب ما كان متبعا عند الأقدمين.

### بيت الشريف ناصر باشا بالقرارة

بيوت أشراف مكة بمحلة القرارة بمكة من أفخم البيوت و أعظمها، و كان يسكنها الشريف ناصر ولي عهد إمارة مكة، و الذى بنى

هذه البيوت أو بعبارة أخرى هذه السرايات هو الشريف عبد المطلب بن غالب، الذي توفي بمكة في ربيع الثاني سنة (١٣٠٣) ثلاث و ثلاثمائة و ألف، وقد بلغ من العمر نحو مائة سنة، وقد شيع جنازته الشريف عون الرفيق و والى عثمان نوري باشا، و لم نعلم متى بناها الشريف عبد المطلب و كانت من الفخامة و عظمة البناء بحيث لا يوجد لها مثل بمكة. و لقد هدمت بيوت الأشراف بالقراره فلم يبق لها أثر في الوجود و ذلك سنة (١٣٨٢).

### الدار التي كانت عرفات

في سنة (١٢٠٠) مائتين و ألف من الهجرة، بنى أمير مكة الشريف سرور بن مساعد له بيتا في عرفات، على يسار المصلى بمسجد الصخرات، بأسفل جبل الرحمة، فقد أرسل ستين نفرا من المعلمين، غير أتباعهم لبناء البيت المذكور. و لم يسبق لغيره أن بنى بيتا له بعرفة، و الشريف سرور كان شابا يميل إلى البذخ و العظمة و يحب العمران، و كان شهما مقداما، ضرب على أيدي اللصوص التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢١٠

و قطاع الطرق، و فرض عليهم العقوبات الشديدة. حكم مكة نحو خمس و عشرين سنة، و توفي بعد بنائه لبيت عرفه بستين عن خمس و ثلاثين سنة تقريبا. و قد اندثر هذا البيت فلم يبق منه سوى جزء من جدار آيل للسقوط.

و بهذه المناسبة، نأتى بما ذكره ابن جبير، في رحلته، التي كانت سنة (٥٧٨) عن الدار، التي كانت بجبل عرفات، في زمانه. قال رحمه الله تعالى: «و في أسفل جبل الرحمة، عن يسار المستقبل للقبلة، دار عتيقة البنيان، في أعلاها غرف لها طيقان، تنسب إلى آدم، عليه الصلاة و السلام، و عن يسار هذه الدار في استقبال القبلة الصخرة التي كان عندها موقف النبي صلى الله عليه و سلم، و هي في جبل متطامن، و حول جبل الرحمة. و في الدار المذكورة صهاريج للماء و جباب، و عن يسار الدار أيضا على مقربة منها مسجد صغير». انتهى منه.

و قد ذكر أيضا، ابن بطوطة، في رحلته، التي كانت سنة (٧٢٥)، هذه الدار العتيقة، التي تنسب لآدم، عليه السلام، نقول: إن ما ذكره ابن جبير و ابن بطوطة، رحمهما الله تعالى، من نسبة الدار العتيقة إلى آدم، عليه الصلاة و السلام، أى أنه تعارف مع حواء بعد هبوطهما من الجنة في هذا المكان، ليس له أصل مطلقا، فمن الذى رأهما و رأى أحدهما في مكان هذه الدار حتى نثبتها إليه، و لم يكن في عرفات، في تلك العصور الغابرة غيرهما، ثم أليس جاء بعدهما طوفان نوح، عليه السلام، الذى عمّ الدنيا كلها حتى عرفات، فمن الذى اهتدى إلى هذا المحل، و قال إنه ملقى أينا آدم، عليه السلام، مع أمنا حواء، رحمها الله تعالى و رضى عنها، ثم من وقت الطوفان إلى ما قبل الإسلام، و إلى ما بعده، هل ذكر أحد من قريش أو أحد من الصحابة، رضى الله عنهم، أن ذلك المحل هو موضع تعارفهما و إقامتهما. كلا ثم كلا. إذن فهذا القول باطل لا أصل له، و خيال لا حقيقة له، و هو من طوفان الخرافات، التي امتلأت الدنيا بها، و يشبه هذه الخرافة نسبة أولية ضرب الدينار و الدرهم لآدم، عليه السلام، فقد جاء في كتاب «الترايب الإدارية» ما يأتى: أخرج ابن أبي شيبة، في مصنفه، عن كعب، أن أول من ضرب الدينار و الدرهم آدم عليه السلام، و ذكر في آخرها أثرا يرمى إلى قطع المسكوكات النقدية، و هو قوله: أخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن المسيب، قال: قرض الدرهم و الدينار من الفساد فى الأرض. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢١١

فانظر رحمك الله إلى هذا القول الواهى عقلا، فأدم عليه السلام لمن يضرب الدينار و الدرهم، و ليس على وجه الأرض في زمانه سوى نفر من بنيه، فإذا كان قابيل حينما قتل أخاه هابيل لم يعرف كيف يدفنه، حتى بعث الله غرابا، يبحث فى الأرض، ليريه كيف يوارى سواة أخيه، فكيف يضربون الدينار و الدرهم.

و الله تعالى أعلم.

و لقد كانت عرفات، فيما مضى من الزمان، مكانا عامرا، فيه المزارع و المباطخ و الخضره، و كان فيه دور حسنة لأهل مكة، و قد

ذكروا أن الصحابي الجليل عبد الله بن عامر بن كريز العبشمي، الذي فتح فارس، و خراسان و سجستان و كابل، كان قد اتخذ بعرفات حياضا و نخلا، كما اتخذ كذلك في بعض البلدان، لا ضرورة لذكرها هنا.

و عرفات اليوم قاحلة يابسة، ليس بها زرع سوى بستان صغير يسمى «بستان عرفة أو بستان عين زبيدة»، و هو قبل مسجد نمرة بقليل للذهاب إلى عرفات، كما أنه ليس بها شيء من البيوت و المنازل إلا منزلين مبنيان بالرضم، خلف مسجد الصخرات، و الجدار القديم الباقي من منزل الشريف سرور المذكور في أول الفصل، و بنايتين مبنيتين بالإسمنت برسم مستشفى الحجاج يوم الوقوف بعرفة، و بعض الأماكن المبنية بالإسمنت أيضا لمياه عين زبيدة. و كل ذلك قريب من جبل الرحمة.

### بناء درج الحجون و درج أبي لهب و المحك بطريق العمرة و مدرج منى

قال الغازي ص (٦٤٧): و في شهر رجب سنة (١١٣٢) ألف و مائة و اثنين و ثلاثين، عمّر الشيخ سالم بن عبد الله البصري، نيابة عن الأمير إسماعيل بيك بن إيواز بيك، المحك بطريق العمرة، فكسر أحجاره و جعله حجرا مفروشا، و كان يؤذى الماشي و الراكب، و دكه بالنورة، و كذلك درج الحجون، و كذلك درج ربيع أبي لهب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢١٢

و قال بصحيفة (٦٤٣): و في السنة (١٠٨٥) ألف و خمسين و ثمانين، شرع الشيخ محمد بن سليمان في إصلاح مدرج منى و بنى ظفيرتين من جانبي المدرج.

انتهى.

نقول: إن كل هذه المدرجات قد أزيلت في عهد الحكومة السعودية و سويت الأرض تسوية تامّة و فرشت بالإسفلت، و ذلك في سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف، بل في هذه السنة أزيل الجبل كله، الذي كان بظهر جمرة العقبة، و الذي كان عنده المدرج و الظفيرتان، و سويت الأرض و فرشت بالإسفلت، فصارت كل هذه الطرق صالحة للمشاة و الدواب و السيارات «الأوتوميلات» فسبحان مغير الأحوال نسأله تعالى، أن يغير حالنا إلى أحسن الأحوال بفضله و رحمته إنه بعباده لطيف خبير.

### بناء التكية المصرية «أو المبرة المصرية»

بنى التكية المصرية، التي بجوار الحميدية، محمد علي باشا والي مصر في سنة (١٢٣٨) ألف و مائتين و ثمان و ثلاثين هجرية، بناها لمساعدة الفقراء، فكان يصرف منها كل يوم للفقراء خبزا و شيئا مما يطبخ فيها، و مرتبات شهرية لبعض أهل مكة، و رصد عليها أوقافا كثيرة و مبرات كبيرة. قال الغازي، في تاريخه:

و أقيمت هذه التكية مكان دار السعادة، التي كانت سابقا محل حكومة بنى زيد من الأشراف، و دار السعادة بناها الشريف محمد بن بركات في سنة (٨٦٦) ست و ستين و ثمانمائة هجرية. و للتكية المصرية ناظر و معاون و كتبة و خدم يقومون بما يلزم من المصالح، و كان بها طبيب و صيدلية كاملة، و هي مجتمع فضلاء المصريين و أعيانهم خصوصا في أيام الحج.

ثم في شهر رجب سنة ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين هجرية هدمت هذه التكية، لإدخالها في توسعة المسجد الحرام، و قد أعطت الحكومة السعودية لوزارة الأوقاف المصرية مكانا ممتازا بمحلة أجياد لإقامة هذه التكية عليه، عوضا عن محلها القديم، فبنيت على حساب وزارة الأوقاف المصرية. و مما يجدر ذكره أنه بعد قيام الثورة المصرية، و إخراج أسرة محمد علي باشا من الحكم، استبدلت وزارة الأوقاف اسم التكية المصرية باسم «المبرة المصرية» و ذلك سنة (١٣٧٤) هجرية، و أبطلت الصدقات اليومية من خبز و طعام و عوضت أصحابها بمرتبات شهرية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢١٣

جاء في كتاب «مرآة الحرمين»، عن التكية المصرية بمكة، ما يأتي:

هي من الآثار الجليلة ذات الخيرات العميمة، و أنها نعمت صدقة جارئة لمسديها ثواب جزيل و أجر عظيم، و قد أنشأها ساكن الجنان محمد علي باشا رأس الأسرة الخديوية في سنة (١٢٣٨) ثمان و ثلاثين و مائتين و ألف هجرية. كما هو مسطور بدائر القبة التي بوسط التكية، تظل الصنابير (الحنفيات) التي يتوضأ منها الناس، و التكية بشارع أجياد أقيمت مكان دار السعادة، التي كانت محل حكومة بنى زيد من الأشراف، و يرد إليها الفقراء، في الصباح و المساء، فيتناول الفقير في كل مرة رغيفين و شيتا من «الشربة»، و ربما أعطى أكثر من ذلك إن كان فقره مدقعا، و كثير من نساء مكة و جواريتها الفقراء يتعيشن بما يأخذن، و يكتفين بذلك عن مسألة الناس، و يصرف يوميا من الخبز ما يقرب من (٤٠٠) إقه (حاصل ٣ أرادب من القمح) و (١٥٠) إقه من الرز، و في يوم الخميس تزداد كمية الأرز إلى (٤٢٠) إقه، و يصرف في هذا اليوم فقط مائة إقه من اللحم، و في كل أيام رمضان يكون المرتب كمرتب يوم الخميس و يزيد عليه (٥٠) إقه من الحمص و يصرف من السمن ما يكفي لطبخ هذه المقادير، و الفقراء يزداد عددهم حتى يبلغ (٤٠٠٠) شخص، و ذلك من شهر رمضان حتى آخر ذى الحجة، بورود كثير من الحجاج الفقراء من السودانين (التكارنة) و المغاربة و غيرهم، ثم يتناقص العدد بعد ذلك إلى (٤٠٠) شخص تقريبا.

و للتكية ناظر و معاون و كتبه، يقومون جميعا بخدمة الفقراء، و بها طاحونة يتناوب إدارتها أربعة بغال، تطحن القمح، و فيها مطبخ واسع به ثمانية أماكن يوضع عليها أوان ثمان من ذات الحجم الكبير (قزانات) و فيها مخبز ذو بايين يخبز به العيش، و مخزن و حجر للمستخدمين. و في مدة الحج يسكنها بعض عمال المحمل، كالطبيب و الصيدلي و كاتب القسم العسكري، و بعض الضوئية و العكامة و السقائين، و يوضع بها أمتعة الأمير و الأمين و بعض الموظفين، عند ذهابهم إلى عرفات.

و في التكية بيوت أدب و صنابير (حنفيات) ماء و مكان جميل مفروش، في وسطه بركة ماء صناعية (فسقية). و يجلس به أمير الحج و أمين الصرة و كتابها، حينما يصرفون المرتبات، و مكتوب على باب التكية بالخط الثلث الجميل البيتان الآتيان:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢١٤ لعباس مولانا الخديوي فضائل عليها دليل كل يوم مجدد رأيناه قد أحيا تكية جدة فقلنا أعباس بنى أو محمد

سنة (١٣١٩) و (١٢٣٨) هـ.

و لو سمعت الأدعية المتصاعدة من قلوب الفقراء لرب هذه النعمة لأكبرت هذا العمل و مسديه، و انساقت نفسك إلى أمثاله إن كان لديك سعة في المال و بسطة.

أما التكايا الأخرى فلم أزرها لأنه لا يأوى إليها فقير، و قد سطر بواجهه تكية السيدة فاطمة قوله تعالى: وَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا و أنها أنشئت في سنة (١٠٨٦) ست و ثمانين و ألف هجرية، زمن السلطان الغازي محمد خان الرابع كما أسلفنا. انتهى من الكتاب المذكور.

نقول: إن عمارة التكية المصرية بقيت على بنائها الأول، حتى إذا تولى عباس باشا حلمي الثاني، حكم مصر، قام بتجديدها في سنة (١٣١٩) ألف و ثلاثمائة و تسع عشرة هجرية.

فما زالت التكية على هذه العمارة، حتى هدمت بتاتا في سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين هجرية، و ذلك لأجل توسعة المسجد الحرام.

### بيت الشريف عبد الله بن محمد بالحلقة

بنى الشريف عبد الله بن محمد بن عون، الذي تزوج ابنة ملك الحجاز الأسبق الشريف الحسين بن علي، بيته الذي على الشارع العام، و مؤخره على حلقة الحطب، و كان ابتداء بنائه سنة (١٣٣٨) ثمان و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف، و قد سكن فيه سنة أو سنتين، و هي بناية

قوية جدا مبنية بالنورة البلدية البيضاء و الحجاره، ليس فيه شيء من النورة الإفريقية المسماة «بالإسمنت» فإن الإسمنت أول ما عرف في الحجاز من عام (١٣٥٠) تقريبا.  
أما المسجد الذي خلفه بالحلقه فإنه مبنى قبله بسنوات كثيرة.

### القصور الملكية السعودية

#### إشارة

القصر الملكي بالمعابده بمكة، هو أول قصر بنى بها لجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله تعالى، و أحسن إليه، بنى هذا القصر بعد توليه  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢١٥  
على الحجاز، و نظن أنه بنى حوالى عام (١٣٥٠) ألف و ثلاثمائة و خمسين من الهجرة.  
و القصر الملكي بجده بنى بعد القصر الذى بمكة بأعوام، و قد طبع الباب الرئيسى لقصر جده على الأوراق النقدية «البنكنوت» من فئة الريال الواحد، و هذا القصر من أبداع القصور الملكية.  
و نكتفى بذكر هذين القصرين لأن تاريخنا يبحث عن مكة، شرفها الله تعالى فقط، و ذكرنا قصر جده تبعا لقصر مكة.

### القصر السعودى بمنى

هذا القصر بنى فى أوائل عهد جلاله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله تعالى، أى فى نحو سنة (١٣٤٦) ألف و ثلاثمائة و ست و أربعين هجرية.  
بنى هذا القصر بمنى ليكون مقرا لجلالته فى أيام الحج، و فيه يستقبل الزوار و الضيوف مدة إقامة الحجاج بمنى، و لا يزال هذا القصر مقرا لملك المملكة العربية السعودية بمنى إلى الآن. و هو ليس بالقصر الكبير كما يتبادر إلى الذهن، و إنما هو بناء بطابقين، عديدة الغرف و سبعة الأرجاء، و لا يفرش إلا فى وقت الحج لنحو ثلاثة أيام، لكنه أوسع و أكبر بكثير من قصر مزدلفة الآتى بيانه.

### القصر السعودى بمزدلفة

هذا القصر بنى أيضا فى أوائل عهد جلاله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله تعالى، أى فى نحو سنة (١٣٤٦) ألف و ثلاثمائة و ست و أربعين هجرية، بنى هذا القصر بمزدلفة لينزل فيه جلالته ليلة المبيت بمزدلفة فى الحج، ثم بعد وفاة جلالته صار ينزل فيه تلك الليلة ابنه جلاله الملك «سعود» ثم صار ينزله والده جلالته فى الليلة المذكورة.  
ثم إن جلاله الملك «سعود»، حفظه الله تعالى، أمر ببناء قصر آخر عند الجبل خلف مسجد مزدلفة لهذا الغرض، و هو أوسع من القصر الأول بكثير، و كان بناؤه فى سنة (١٣٧٦) ألف و ثلاثمائة و ست و سبعين من الهجرة، و ليس بمزدلفة من البيوت غيرهما. و لا يعد هذا قصرا بمعنى الكلمة، و إنما هو عبارة عن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢١٦

عدة غرف أمامها حوش فسيح، ليس فيه فرش و لا رياش لأنه منزل مؤقت لليلة واحدة فقط.

### المسحراتية بمكة المكرمة



ولقد كان إيقاظ الناس، في وقت السحور، في شهر رمضان، أمر معروف من العصور الأولى في الإسلام، وذلك بواسطة بعض الرجال المختصين في هذه الصنعة، الذين نسميهم «المسحراتية» أو «المسحرين» وهؤلاء الطائفة كانوا يوظفون في هذه الصنعة بأوامر الخلفاء ويفرضون لهم أجرا على ذلك. والسبب أن الناس، في صدر الإسلام، إلى أوائل القرن الرابع عشر للهجرة، لم يكونوا يسهرون إلى نصف الليل أو أكثر، كما في زماننا هذا، بل كانوا ينامون بعد صلاة العشاء بنحو ساعة أو ساعتين على أكثر تقدير، لأن السهر في اللهو والمجون مكروه، فقد ورد في الحديث «إياك و السمر بعد هدأة الرجل فإنكم لا تدرن ما يأتي من الله تعالى في خلقه» رواه الحاكم في المستدرک، و السمر، بفتح السين و الميم، هو التحدث بعد هدأة الرجل، و في رواية بعد هدأة الليل. و ورد «لا سمر إلا لمصل أو مسافر» رواه الإمام أحمد. و ورد أيضا «نهى النبي صلى الله عليه و سلم عن النوم قبل العشاء و عن الحديث بعدها» رواه الطبراني.

قال العزیزی فی الجامع الصغير، قال العلقمی: النهی عن الحديث بعد صلاة العشاء، فيما لا مصلحة فيه في الدين، خوف السهر و غلبة النوم بعده، فيفوت قيام الليل أو الذكر فيه أو الصبح أو الكسل عن العمل بالنهار في مصالح الدنيا و حقوق الدين، أما ما فيه مصلحة في الدين كعلم و حكايات الصالحين و مؤانسة الضيف و العروس و الأمر بالمعروف فلا كراهية فيه. انتهى كلامه.

انظر: صورة رقم ٢١٩، فانوس يضاء بشمعتين

نقول: إن أهل القرون السابقة كانوا أهل خير و صلاح و قناعة، لم ينتشر الفساد فيهم، كما انتشر في زماننا هذا، و لم تكن لديهم دواعي اللهو و المجون، و لم تتوفر عندهم أسباب الفسق و الترف و الانغماس في الشهوات. و كان لديهم من الدين و الحياء ما يمنعهم من التظاهر بكل ذلك. و كان لأرباب الدين و العلماء السيطرة التامة عليهم، فكانوا يراعون حرمتهم، و يسمعون كلامهم، و يتبعون آداب الإسلام، فإن وجد فيهم من شذ عن عاداتهم و مألوفهم، فيكون ذلك نادرا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢١٧

و يكون في ستر و خفاء. و من أين لأولئك الأقوام أن يتخذوا السمر و السهر، في اللهو و الفساد، ديدنهم طول حياتهم، و هم يستضيئون بالشمع و الزيت في منازلهم و بيوتهم و شوارعهم و طرقاتهم، و الاستضاءة بهما لا يبعث في النفس النشاط و قوة الاستمرار في المرح.

لذلك كان دأبهم النوم المبكر بعد صلاة العشاء، و إن كان هناك داع للسهر فلا يتجاوز ربع الليل، ليتمكنوا من التهجد و القيام في الفجر، و الانتشار في الصباح الباكر إلى المعيشة، و هم على أتم ما يكون من النشاط و الصحة، لذلك ورد في الحديث: «اللهم بارك لأمتي في بكورها».

فمن كانت حياتهم، بهذه الوتيرة و الكيفية، فهم في احتياج إلى من يوقظهم من النوم للسحور في شهر رمضان، و لما لم تكن، في تلك القرون، المدافع المدوية و لا الصفارات الصارخة و لا المفترقات المزعجة، كان أبسط شيء هو قيام بعض الرجال، من بعد مضى نصف الليل تقريبا، ليدوروا في الشوارع و الأزقة و المنعطفات، فيطرقوا أبواب المنازل، و ينادوا أصحابها ليستعدوا للسحور، فهؤلاء الرجال هم الذين يطلق عليهم «المسحرون» أو «المسحراتية»، ثم تطور أمرهم إلى اتخاذ الطبول و الضرب عليها بدق منتظم، مع مناداة أصحاب البيوت من الرجال، و هذا بدلا عن الطرق على أبواب المنازل، ثم تطور الحال إلى إنشاد بعض الأشعار المناسبة لشهر رمضان، من البحور الخفيفة اللطيفة، كبحر الرجز، و تخصص بعضهم بإيقاظ الخلفاء و الأمراء و الأعيان و ينشدون لهم في جنح الليل بعض القصائد المستملحة.

المسحر أو المسحراتية، في زماننا هذا، لم يبق لهم إلا أثر بسيط لا يذكر في غالب الممالك، أما عندنا في الحجاز فإنه لم يبق لهم أثر مطلقا من عام (١٣٤٣) ثلاثة و أربعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، أي منذ تولّى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، رحمه الله تعالى، على الحجاز.

فإيقاظ الناس في المدن للسحور، في شهر رمضان، يكون بواسطة ضرب المدافع، وكذلك إعلامهم للإفطار في المغرب أو تنبيههم للإمساك قرب الفجر، يكون بواسطة إطلاق المدافع أيضاً، أما القرى البعيدة عن المدن فلا يسمع أهلها صوت المدافع، فإن أهلها يستيقظون في الليل بأنفسهم للسحور و لقله عددهم، ينادون بعضهم البعض للقيام للسحور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢١٨

و في المدن الكبيرة في الحجاز، كمكة و المدينة و جدة و الطائف، تشتغل الدوائر الحكومية في شهر رمضان في الليل، بدلا عن النهار، من بعد صلاة التراويح إلى نصف الليل، و كذلك الدكاكين و المتاجر. لذلك لم يبق لزوم، في عصرنا الحاضر، إلى صنف المسحراتية لإيقاظ الناس من النوم، فبطلت صناعتهم و هجروا قصائدهم اللطيفة، التي كانوا يترنمون بها في السحور.

ولنذكر هنا بعض القصائد المستملحة، التي كان قدماء المسحرين يوقظون بها الخلفاء، (فمنهم) ابن نقطة، و هو الذي كان يتولى إيقاظ الخليفة الناصر للسحور، و كان يستعمل في التسحير طريقة خاصة من إنشاد بعض القصائد من فن «الزجل»، و كان لابن نقطة ولد ماهر، في هذه الصنعة، فلما مات لم يجد ولده طريقة يصل بها إلى الخليفة ليقره في منصب أبيه، رئيسا على طائفة المسحرين، فصبر حتى دخل شهر رمضان، و جمع أتباع أبيه و ذهب بهم إلى مكان قريب يسمعه منه الخليفة و جعل ينشد:

يا سيد السادات لك بالكرام عادات

أنا ولد ابن نقطة تعيش أبويا مات

فسمعه الخليفة و أعجب به فدعاه إليه و قربه و أقره في مكان أبيه، و فرض له ضعف ما كان لأبيه في بيت الخلافة.

فمن قول بعض مشاهير طائفة المسحرين لإيقاظ بعض الخلفاء ما يأتي:

لا زلت سعدك جديد دائم وجدك سعيد

و لا برجت مهنا بكل صوم و عيد

في الدهر أنت الفريد و في صفاتك و حيد

و الخلق شعر منقح و أنت بيت القصيد

يا من جنابه شديد و لطف رأيه شديد

و من يلقى الشدائد بقلب مثل الحديد

لا زلت في تأيد في الصوم و في التعيد

و لا برحت ممتع بكل عام جديد

نحن لذلك نشيد بقولنا و النشيد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢١٩ و نبعث أوصاف مدحك على خيول البريد

ظلك علينا مديما فوق جودك مزيد

و كم غمرت بفضلك قربينا و البعيد

لا زلت في كل عيد تحظى بجد سعيد

عمرك طويل و قدرك وافر و ظلك مديد

و هذا الضرب فنّ من الزجل يسمى «القوما» قيل إن أول من اخترعه هو ابن نقطة المذكور، و قيل إنه مخترع من قبله، و إنما نسب إليه لأنه اشتهر به. و الله أعلم.

و من هذا الضرب قال صفي الدين الحلبي:

من كان يهوى البدورو وصل بيض الخدور  
 بالبيض و الصفير يسخو وقد جلس فى الصدور  
 من حب بيض الخدورو رام لزم الصدور  
 يسمح و إلا فيبقى من بينهم مهدور ... الخ  
 قال ابن جبير: و أول قاض بمصر خرج لرؤية الهلال عبد الله بن لهيعة. قال أبو عمر الكندى: و هو أول قاض ولى مصر عن خليفة.  
 وليها عن أبى جعفر المنصور فى أول سنة خمس و خمسين و مائة. اه.  
 انظر: صورة رقم ٢٢٠، مسحراتى لأحد البلاد العربية  
 انظر: صورة رقم ٢٢١، مدفع الافطار عند انطلاقه إيذانا بانتهاء يوم من أيام الصيام

## الثلج بمكة المكرمة

### إشارة

ليس الحجاز من البلاد التى تنزل فيها الثلوج، لذلك ما كان يوجد ثلج بمكة و لا بجدة و لا بالمدينة و لا غيرها، نعم قد ينزل بها أحيانا برد مع المطر. فكان الناس يبردون ماء الشرب، فى نحو الأزيار و الشراب، «بكسر الشين المعجمة»، جمع شربة بالفتح، و هى آنية من الطين يعمل بكل بلدة كمكة و المدينة و جدة و غيرها. و هى المسماة بمصر «بالقلل» بضم القاف، جمع قلة. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ٣-٥؛ ص ٢٢٠

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٢٠

و يضعون هذه الشراب فى أماكن معرضة للهواء لتبرد الماء حسب طبيعة الجو، و من الغريب أن الهواء الحار المسمى «بالسموم» بفتح السين المهملة، يبرد الماء فى الشراب إلى أقصى حد، لكن الناس ينفرون من هذا السموم و يقلون النوافذ التى تأتى به.  
 بقى الحجاز على هذا الحال الطبيعى، من تبريد الماء فى الشراب و الأزيار، من قديم الزمان إلى عصرنا هذا، الذى كثرت فيه الاختراعات و المصانع و الآلات الميكانيكية و الكهربائية، أى إلى سنة (١٣٣٢) اثنتين و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة تقريبا، فكان أول مصنع للثلج بمكة عمله رجل اسمه النويلاتى، من تجار أهل الشام المقيمين بالحجاز، و رجل آخر اسمه الحاج نسيم، و هو من الشام أيضا، و لا ندرى أيهما سبق الآخر فى عمل المصنع. ثم كثرت المصانع بمكة من بعد عام (١٣٥٠).  
 فالمصانع الموجودة الآن للثلج بمكة، أى سنة (١٣٧٧) هى كما يأتى:

(١) مصنع شركة الاقتصاد الوطنية، (٢) مصنع عبد الله باحمدين، (٣) مصنع عبد الله كعكى، (٤) مصنع عطا إلياس، (٥) مصنع طه خياط، (٦) مصنع الشيبى، (٧) مصنع خميس نصار، (٨) مصنع الإسعاف.

و مما يناسب هذا المقام ما ذكره الغازى فى تاريخه نقلا عن كتاب إتحاف الورى لابن فهد: و فى سنة (١٦٠)، حج ثالث خلفاء العباسيين، أبو عبد الله الملقب بالمهدى، ولد المنصور، فحمل له الأمير محمد ابن سليمان الثلج حتى وافى به مكة، و هذا شىء لم يتم لأحد قبله، و قسم المهدى فى الحرمين الشريفين أموالا عظيمة و هى ثلاثون ألف ألف درهم، وصل بها معه من العراق، و ثلاثمائة ألف دينار وصلت إليه من مصر، و مائتا ألف دينار وصلت إليه من اليمن، و مائة ألف ثوب و خمسون ألف ثوب، فرق جميع ذلك على أهل الحرمين. ذكره ابن فهد.

انتهى من الغازى.

و قال فى صبح الأعشى: أول من حمل إليه الثلج الحجاج بن يوسف. اه.

ذكر الغازي في الجزء الأول، من تاريخه، (ص ٦٩٧) ما خلاصته: أنه في سنة ست و ستين و ثلاثمائة حجت جميلة بنت ناصر الدولة، التي يضرب بها المثل في أفعال البر، و أنفقت في الحرمين أموالاً عظيمة، و الذي أنفقته في حجها ألف و خمسمائة ألف دينار، من ضرب أبيها و زوجها، و إنها زوجت بالحرمين التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٢١ كل علوى و علوية، و سقت أهل عرفة كلهم السويق و السكر و الثلج حملته معها، و حملت معها البقول مزروعة في مراكن الخشب ... إلى آخر ما ورد في تاريخه. انتهى.

و بمناسبة ما ذكرناه عن الثلج بمكة نذكر هنا ما كتبه القلقشندى، في مؤلفه «صبح الأعشى»، الذي فرغ من تأليفه سنة (٨١٤) أربع عشرة و ثمانمائة من الهجرة، عن نقل الثلج إلى البلاد التي ليس فيها ثلج. فقال في الجزء (١٤) ما يأتي: «الباب الثالث من الخاتمة، في ذكر هجن الثلج، و المراكب المعدة لحمل الثلج، الذي يحمل من الشام إلى الأبواب السلطانية بالديار المصرية. و فيه ثلاثة فصول:

### «الفصل الأول في نقل الثلج»:

اعلم أن ماء نيل مصر لما كان من الحلاوة و اللطافة على ما لا يساويه فيه نهر من الأنهار، على ما تقدم ذكره في الكلام على الديار المصرية في المقالة الثانية، مع شدة القيظ بها في زمن الصيف، و سخونة الهواء، الذي قد لا يتأتى معه تبريد الماء، و كان الثلج غير موجود بها، و كانت الملوك قد اعتادت الرفاهية، مع اقتدارها على تحصيل الأشياء العزيزة، و ولوعهم بجلبها من الأماكن البعيدة، إكمالاً لحال الرفاهية، و إظهاراً لأبهة الملك، دعاهم كمال الرفاهية و الأبهة إلى جلب الثلج من الشام إلى مصر، لتبريد الماء به، في زمن الحر. على أن ذلك كان في غيرهم من الملوك التي لا ثلج بحاضرتهم. و قد ذكر أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل» أن أول من حمل إليه الثلج الحجاج بن يوسف بالعراق. ثم لاعتناء ملوك مصر بالثلج قرروا له هجنا تحمله في البر و سفنا تحمله في البحر، حتى يصل إلى القلعة المحروسة.

### «الفصل الثاني»: «من الباب الثالث من الخاتمة، في المراكب المعدة لنقل الثلج من الشام»

قد ذكر في «التعريف» أنها كانت في أيام الملك الظاهر بيبرس، تغمده الله تعالى برحمته، ثلاثة مراكب في السنة لا تزيد على ذلك، قال: و دامت على أيام سلطاننا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٢٢

(يعنى الملك الناصر «محمد بن قلاوون») في السلطنة الثالثة، و بقيت صدرا منها، ثم أخذت في التزيد إلى أن بلغت أحد عشر مركبا في مملكتي الشام و طرابلس، و ربما زادت على ذلك. قال: و آخر عهدى بها من السبعة إلى الثمانية تطلب من الشام و لا تكلف طرابلس إلا المساعدة، و كل ذلك بحسب اختلاف الأوقات و دواعي الضرورات.

قال: و المراكب تأتي دمياط في البحر، ثم يخرج الثلج في النيل إلى ساحل بولاق، فينقل فيه على البغال السلطانية، و يحمل إلى الشرايخانة الشريفة، على ما تقدم ذكره.

و قد جرت العادة، أن المراكب، إذا سفرت سفر معها من يتدركها من ثلاثين لمداراتها. ثم الواصلون بها في البحر يعودون على البريد في البر.

## «الفصل الثالث»: «من الباب الثالث من الخاتمة في الهجن المعدة لنقل ذلك».

قد ذكر في «التعريف» أنه مما حدث، في الدولة الناصرية، «محمد بن قلاوون» واستمر. وقد كان قبل ذلك لا يحمل إلا في البحر خاصة. ثم ذكر أن هذه المراكز من دمشق إلى الصّينمين، ثم منها إلى بانياس، ثم منها إلى إربد، ثم منها إلى بيسان، ثم منها إلى جينين، ثم منها إلى قاقون، ثم منها إلى لّد، ثم منها إلى غزّة، ثم منها إلى العريش، ثم منها إلى الوّادة، ثم منها إلى المطيب، ثم منها إلى قطيا، ثم منها إلى القصير، ثم منها إلى الصالحية، ثم منها إلى بليس، ثم منها إلى القلعة.

قال: والمستقر في كل مركز ست هجن: خمسة للأحمال، و هجين للهجان، تكون كل نقله خمسة أحمال، وهذه الهجن من الشام إلى العريش على المملكة الشامية، خلا هجينين فإنها على صنف. و من الوّادة إلى القلعة هجن من المناخات السلطانية، و الكلفة على مال مصر. و لا تستقر هذه الهجن بهذه المراكز إلا أوان حمل الثلج، و هي حيران و تشرين الثاني. و عدة نقلاته إحدى و سبعون نقله، متقارب مدد ما بينها، ثم صار يزيد على ذلك. و يجهز مع كل نقله بریدی يتداركه، و يجهز معه ثلاث خبير بحمله و مداراته، يحمل على فرس بريد ثان.

قال: و استقر في وقت أن يحمل الثلج على خيل الولاية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٢٣

و اعلم أن الثلج إذا وصل على المراكب و الهجن حتى انتهى إلى القلعة، خزن بالشرابخانة السلطانية. قال في «التعريف»: و قد قرر أن يحمل من الثلج على الظهر ما يحمل، استقر منه خاص المشروب، لأنه يصل أنظف و آمن عاقبه، على أن المتسفرين يأخذون الجاشني منه، بحضور أمير مجلس و شاد الشرابخانة السلطانية و خزائنها. أما المنقول في البحر فلما عدا ذلك. قال و للمجهزين به من الخلع و رسوم الإنعام رسوم مستقرة، و عوائد مستمرة.

قلت: و قد جرت العادة أن واصل الثلج في كل نقله في البر و البحر تكتب به رجعة من ديوان الإنشاء. انتهى كل ذلك من كتاب صبح الأعشى.

## تأسيس أمانة العاصمة

## إشارة

نعني بأمانة العاصمة بلدية مكة المشرفة، فمكة هي عاصمة بلاد الحجاز، و هي كبرى مدنها و رئيس بلديتها يطلق عليه، في عصرنا الحاضر، أمين العاصمة.

و البلديات لم تكن معروفة في الحجاز، في سابق الأزمان، و ما عرفت إلا في عهد الشريف الحسين بن علي، رحمه الله تعالى، فإنه بعد أن أخرج الأتراك من الحجاز في سنة (١٣٣٤) هجرية، استقل بملك الحجاز، و كانت مكة المكرمة عاصمة ملكه، ففيها كانت إقامته الدائمة، فبعد أن استقل، و صار يلقب بملك الحجاز، قام ينظر إلى مصالح بلاده، و مصالح حياة رعيته الحجازيين، و لسنا هنا في صدد بيان كيفية استقلاله و محاربه للأتراك، فإن ذلك يعلم من المصادر التاريخية، و إنما نحن نبين هنا إنشاء أمانة العاصمة و تاريخ تأسيسها فنقول و بالله التوفيق:

إن الشريف الحسين بن علي، رحمه الله تعالى، لما تولى حكم الحجاز، من قبل الدولة التركية العثمانية، أمر بإنشاء البلدية بمكة المكرمة في سنة (١٣٣٢) ألف و ثلاثمائة و اثنتين و ثلاثين هجرية، و لم يكن، قبل عهده، بلديات بالحجاز، غير أنه كان في عهد الشريف عون، الذي كان واليا على الحجاز، من قبل الأتراك بوضع سنوات، رجل مهندس اسمه عبد الله أبو ليث، من أهل جباد بمكة، فإن هذا الرجل وحده كان يفسح للناس بناء البيوت و المنازل، و يقضى و يصلح بين المتخاصمين، فمن لم يرض بحكمه حوّله إلى

الشرع الشريف، و لذلك كانت بيوت مكة و منازلها قديما متداخلة، بعضها ببعض، و الحارات ضيقة، خصوصا و أن كل واحد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٢٤

منهم يجب أن يكون بيته بقرب المسجد الحرام، و لو على رؤوس الجبال، و ما كانوا يحبون البعد عن المسجد الحرام و السكنى فى أطراف مكة كعهدنا الحاضر.

فلما أمر الشريف الحسين بن على، رحمه الله تعالى، ملك الحجاز الأسبق، بإنشاء و تأسيس أمانة العاصمة فى السنة المذكورة (١٣٣٢) هـ، جعل الشيخ عبد القادر الشيبى رئيسا لها، و جعل معه الأعضاء و هم:

(١) الشيخ عبد الله أبو الخير.

(٢) الشيخ عبد الوهاب خوقير.

(٣) الشيخ ياسين العظمة.

(٤) لاشيخ محمد الزبيدى.

(٥) الشيخ سليمان التركى.

و هذا الأخير رجل مهندس، و لقد جمع هذا الرجل، فى إحدى المرات، المعلمين، من البنائين بمكة، و قال لهم: إذا سمعتم أهل العمارات يتخاصمون فيما بينهم على أرض أو بناء أخبرونا بذلك حتى نصلح بينهم، لأن لا يتعدى أحد على أحد، و تبه عليهم أن أى أحد من المعلمين البنائين يريد أن يبنى بيته، فزملاؤه، من أهل الصنعة، يخدمون فى البناء ثلاثة أيام مجانا، و البلدية تعطيه كوشان التعمير مجانا أيضا، و كانت البلدية تعطى كوشان التعمير لكافة الناس، بمقابل هلتين عن كل ذراع، أى فى مقابل نصف قرش فى ذلك الزمن، فانظر، رحمنا الله تعالى و إياك إلى حسن معاملة البلدية مع الأهالى و إلى قوانينهم اللطيفة.

ثم إن الشريف الحسين المذكور عزل الشيخ عبد القادر الشيبى من رئاسة البلدية، و وضع مكانه الشيخ يوسف قطان، الذى هو والد الشيخ عباس قطان، رحم الله تعالى الجميع، و لم يغير أحدا من الأعضاء. ثم نقل الشريف الحسين الشيخ يوسف قطان من رئاسة أمانة العاصمة و جعله وزيرا للنافعة، أى وزيرا للأوقاف الخيرية، التى ليس لها أحد، و لنوع من الصدقات و الخيرات، يقوم بها. و كان ذلك بعد إخراج الأتراك من الحجاز.

و جعل الشيخ عبد القادر عبده رئيسا لأمانة العاصمة، ثم عزله و جعل مكانه الشيخ عبد الله مشاط، من شعب عامر بمكة، ثم عزل جميع الأعضاء و أبدلهم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٢٥

بآخرين، ثم عزل المشاط و جعل مكانه الشيخ أحمد السبحى، من الشبيكة بمكة، ثم عزله و جعل مكانه الشيخ عبد الحى قرار.

ثم لما تولى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله تعالى، على الحجاز، جعل الشيخ عبد اللطيف عالم، بفتح اللام، المطوف رئيسا لأمانة العاصمة، ثم وضع مكانه الشريف محمود من شعب عامر بمكة، ثم وضع مكانه الشيخ عبد الرحمن بشناق من القشاشية بمكة، ثم وضع مكانه الشيخ عباس قطان و لبث فى رئاسة أمانة العاصمة مدة طويلة، ثم تولى بعده الشيخ عبد الرؤوف الصبان فمكث بها بضع سنوات، ثم تولى بعده الشيخ محمد صادق فى سنة (١٣٧٢) هـ، فمكث نحو سنتين فقط و هو و من سبقه من أهالى مكة المكرمة، ثم تولى بعده الشيخ عبد الله بن خثلان فى سنة (١٣٧٤)، و هو من أهالى نجد، ثم تولى بعده الأستاذ عبد الله عريف من أهالى مكة، و هو ما زال رئيسا لأمانة العاصمة إلى اليوم، فعمل من الأعمال المجيدة ما لم يعمله أحد من سلفه، و إن شاء الله تعالى، سنكتب عن أعماله بحثا وافية، و هنا نضع صور اثنين من رؤساء أمانة العاصمة المتأخرين تخليدا لذكراهم، نسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لخدمة هذا البلد الأمين، فيؤخذ مما تقدم أن جميع البلديات، فى المدن الحجازية الكبرى، قد أنشئت بعد بلدية مكة المكرمة فى ذلك الحين.

هذا ولقد استقيننا هذه المعلومات من أحد المعمرين بمكة من المعلمين البنائين الشهيرين، وهو جارنا العزيز الشيخ على هليكة، أدام الله تعالى عليه الصحة والعافية والنعم الوافية وستره وإيانا في الدنيا والآخرة و ختم أعمالنا و أعماله بالأعمال الصالحة على طهارة و نظافة و راحة تامة إنه سبحانه و تعالى سميع مجيب.

### ترجمة سعادة الأستاذ عبد الله عريف «أمين العاصمة»

هو من أهل مكة و من المتعلمين المثقفين، اشتغل بالأدب، في بادئ حياته، فأسندت إليه جريدة البلاد السعودية، التي تصدر بمكة المشرفة، فقام بإدارتها خير قيام، حتى صار من أبرز الصحفيين، اشتغل فيها زمنا طويلا، ثم في سنة التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٢٦ (١٣٧٩) ألف و ثلاثمائة و تسع و سبعين هجرية، أسندت إليه الحكومة السعودية رئاسة أمانة العاصمة. انظر: صورة رقم ٢٢٢، الأستاذ عبد الله عريف

لقد تولى سعادة الأستاذ عبد الله عريف أمانة العاصمة في السابع و العشرين رجب سنة (١٣٧٩)، بأمر رسمي من الجهات العليا من سمو نائب جلالة الملك المعظم و رئيس مجلس الوزراء، الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود الذي تولى الملك في (٢٧) جمادى الثانية سنة (١٣٨٤) هـ، و إليك نصّ الأمر الرسمي: حضرة المكرم الأستاذ عبد الله عريف

بناء على ما اقتضته المصلحة العامة فقد ارتأينا تعيينكم أمينا للعاصمة براتبها المقرر و قد أبلغنا وزارة الداخلية باعتماد ذلك لإجراء الدور و التسليم بينكم و بين سلفكم حسب الأصول. فيقتضى مباشرة عملكم بما نأمله فيكم من جد و نشاط متمنين لكم التوفيق و السداد،

في ٢٣ / ٧ / ١٣٧٩ هـ

التوقيع

فيصل

و الحق يقال أن تعيين الأستاذ عبد الله عريف أمينا للعاصمة قد صادف محله، فلقد قام بمشاريع عظيمة لم يسبق لأسلافه مثلها، و ما ذلك إلا بتوفيق العزيز الحكيم.

قام الأستاذ عبد الله عريف في أمانة العاصمة بخدمات كبيرة لم يسبقه إليها أحد، فوسّع الشوارع و الطرقات، و افتتح الميادين بمكة المشرفة، و غرس في الشوارع المهمة بعض الشجيرات، و أحسن مناظرها ببعض النباتات، و وضع في ميادينها أربع نافورات، لتجميل المناظر. فاتساع شوارع مكة و بناء بعض درج جبالها المسكونة لم تكن إلا في عهده أمدّه الله تعالى بالمعونة و التوفيق و أكثر من أمثاله الفضلاء آمين. و كان ساعده الأيمن في أعماله المجيدة و مشاريعه العديدة هو سعادة الشيخ عبد الله بن صديق و كيل أمانة العاصمة كما ستأتي ترجمته.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٢٧

انظر: الصورتين رقم ٢٢٣، لأحد الشوارع الحديثة عند مدخل مكة المكرمة، و رقم ٢٢٤ لمدخل مكة المكرمة الحديثة بعد حملة الإصلاح العمرانية فيها.

### ترجمة الشيخ عبد الله بن صديق و كيل أمانة العاصمة

هو شاب فاضل ذكي لبيب، اجتماعي نشيط، التحق بأمانة العاصمة و ما زال يتدرج و يترقى في الوظيفة، بجده و إخلاصه، حتى وصل إلى وظيفة وكيل أمانة العاصمة، و ذلك في أول سنة (١٣٨١) ألف و ثلاثمائة و إحدى و ثمانين هجرية، و في عهده حصلت توسعة الشوارع و تجميلها، كما سبقت الإشارة إلى بيانها، في ترجمة سعادة الأستاذ عبد الله عريف، فهو أيضا من بناء الإصلاح بعاصمة المسلمين «مكة المكرمة» تلك البلدة الطاهرة المقدسة.

انظر: الصورة رقم ٢٢٥، للأستاذ عبد الله بن صديق.

و إليك نبذة من ترجمته حياته الوظيفية كما كتبها لنا بنفسه و هي كما يأتي:

- (١) التحق بأول وظيفة بخدمة الحكومة السنية بتاريخ ١٦ / ٨ / ٦٦ إلى ٢ / ٧ / ٦٧ بوظيفة مأمور ملفات بأمانة العاصمة.
  - (٢) ثم تعين بوظيفة كاتب آله اعتبارا من ٣ / ٧ / ٦٧ إلى ٣٠ / ١٢ / ٦٧ في نفس الأمانة.
  - (٣) ترفع إلى وظيفة معقب و رئيسا للأرشيف العام اعتبارا من ١ / ١ / ٦٨ إلى ٣٠ / ٦ / ٧٠ بأمانة العاصمة.
  - (٤) ترفع إلى وظيفة محرر أول، و مشرف على إدارة التحرير اعتبارا من ١ / ٧ / ٧٠ إلى ٣٠ / ١٢ / ١٣٧٤ هـ.
  - (٥) ثم ترفع إلى وظيفة مدير إدارة التحريات و القيام بأعمال أمين العاصمة في حالة غيابه اعتبارا من ١ / ٦ / ٧٦ إلى ٣٠ / ١٢ / ١٣٨٠ هـ.
  - (٦) ترفع إلى وظيفة وكيل أمين العاصمة اعتبارا من ١ / ١ / ٨١ و ما زال بها إلى تاريخه.
  - (٧) ابتعث إلى القاهرة لحضور دورة معهد الإدارة العامة بالقاهرة و الأمم المتحدة في عام ٨١ تحصل على شهادة المعهد و تخصص في الأبحاث المتعلقة بالإدارة العامة و طرق التنظيم الإداري.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٢٨
- هذه نبذة من ترجمة الأستاذ عبد الله بن صديق، وفقه الله تعالى، و سدد خطاه آمين.

### معرفة أهل الصدر الأول بأمر البناء و إصلاح الطرقات

جاء في الجزء الأول من كتاب «الترايب الإدارية» بعنوان: معرفته عليه الصلاة و السلام، و أهل الصدر الأول، بأمر الهندسة و البناء و إصلاح الطرقات، ما نصه:

في طبقات ابن سعد لما أقطع، عليه السلام، الدور بالمدينة خط لعثمان بن عفان داره اليوم، و يقال إن الخوخة، التي في دار عثمان اليوم، و جاء باب النبي عليه السلام، الذي كان المصطفى، عليه السلام، يخرج منه، إذا دخل دار عثمان اليوم، و في أزهار الرياض للإمام أبي العباس المقرئ، نقلا عن خط أبي زيد عبد الرحمن الغرناطي، على هامش الشفا عند ذكر عياض، أنه عليه السلام قال:

و هو بموضع نعم، موضع الحمام هذا، ما نصه: هو داخل في معرفته صلى الله عليه و سلم بالهندسة و البناء، ذكره أبو نعيم في رياضته المتعلمين، و رواه عن أبي رافع قال: مر رسول الله صلى الله عليه و سلم على موضع فقال: نعم الحديث، قال: فبنى فيه الحمام. اه. و قال الخفاجي، في نسيم الرياض، على هذا المحل: فيه الإخبار بحال البناء و مهاب الأهوية. اه.

و سيأتي في باب المنادي، عن سنن أبي داود، أن النبي صلى الله عليه و سلم بعث أن ينادى في معسكره: أن من ضيق منزلا أو قطع طريقا فلا جهاد له، و ذلك لما ضيق الناس المنازل و قطعوا الطرق، فيؤخذ منه أنه عليه السلام كان يحب النظام، حتى في نصب الأخبية في السفر، فكيف لا يحب ذلك في محل الاستيطان و البناء المشيد، قال شارح السنن فيه أنه لا يجوز لأحد تضيق الطريق، التي يمر منها الناس، و نفى جهاد من فعل ذلك على طريق المبالغة في الزجر و التنفير، و كذلك لا يجوز تضيق المنازل لما في ذلك من الأضرار. اه.

و في سيرة عمر أنه لما أذن ببناء البصرة و الكوفة خطوا الشوارع على عرض عشرين ذراعا و طول أربعين ذراعا، و الأزقة تسعة أذرع، و القطائع ستين ذراعا، و بنوا المسجد الجامع بالوسط، بحيث تتفرع الشوارع، و ذلك بأمر عمر رضي الله عنه، و هذا يدل على نفاق



سوق الهندسة حتى في البناء في الزمن الأول سفرا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٢٩

و حفرا و تخطيطا، و في سيرة عمر أيضا أنه لما جاء الشام سنة ١٧ رتب الشواتي و الصوائف، أي: الجنود التي تغزو في الصيف، و الجنود التي تغزو في الشتاء، و سد فروج الشام و مساكنها و هي النقطة العسكرية و خطوط الدفاع.

و في فتوح البلدان، أن معاوية كتب إلى عمر، بعد موت أخيه يزيد، يصف له سوء حال الشام، فكتب إليه في حرمة حصونها، و ترتيب المقاتلة فيها، و إقامة الحرس على مناظيرها، و اتخاذ المواقيد لها، (و المناظير قباب مبنية على رؤوس الجبال العالية) بين كل بلد و آخر، بحيث يتقارب بعضها و يشرف بعضها على بعض، و يقام فيها حراس يوقدون النيران عند ما يرون إقبال العدو من جهتهم، فيوقد حراس المناظير الذين يلونهم كذلك، و هكذا حتى يصل الخبر إلى المدينة أو الثغر أو المسلحة في زمن قليل، فيسرعون لإمداد الجهة التي أقبل منها العدو، و هذا كذلك يدل على نفاق أسواق الهندسة في البناءات الحربية و المراكز العسكرية، و في فتوح البلدان أيضا أن عمر كان يشترط على أهل الذمة إصلاح الجسور و الطرق.

### بدء بناء البيوت بمكة

لم تكن معروفة منذ قديم الزمان، فأول من اكتشفها خليل الله إبراهيم، عليه الصلاة و السلام، و ذلك حينما أمره الله تعالى أن ينقل ابنه إسماعيل مع أمه هاجر إلى مكة، فأتى له بالبراق فركبوا عليه من الشام قاصدين مكة، يدللهم عليها و على معالم الحرم و موضع البيت جبريل عليه السلام، فقدموا مكة و ليس بها أحد من البشر، فلا بناء و لا ماء و لا شجر مشمر، اللهم إلا أشجار العضاة بكسر العين المهملة «بوزن كتاب» و هي أشجار عظيمة ذات شوكة، و هذه الأشجار لا تزال إلى اليوم موجودة في أراضي الحجاز و هي الأشجار الطبيعية، التي تنبت بنفسها، و تسمى شجر البادية، غير أنها كانت في تلك الأيام كثيرة وافر و ضخمة عظيمة لم تمتد إليها يد الإنسان بالقطع و الاحتطاب و رفعها من الطرقات و مواضع المساكن، أما بعد استيطان البشر بمكة، فقد نقصت هذه الأشجار الشوكية، بل تكاد أن لا يوجد منها شيء، في بطن مكة.

فلما أقام بمكة إسماعيل مع أمه، و أظهر الله تعالى لهما ماء زمزم، بفضل و كرمه، حسبما اقتضته الإرادة الأزلية، و ردت عليهما قبيلة من جرهم، فاستأذنوهما في النزول عندهما، ثم أرسلوا إلى أهليهم فقدموا إليهم، ثم عمرت

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٣٠

مكة بهم و بغيرهم من قبائل العرب، لكن كانوا يسكنون خارج مكة في أوديتها و شعابها تعظيما لبيت الله الحرام، فلم يكن في وسط مكة شيء من البيوت مطلقا إلا البيت الحرام إلى أن كان زمن قصي كما سيأتي.

يقول الأستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه «قصص الأنبياء» و لم بين بمكة شيء، بعد البيت، إلا في القرن الثاني قبل الإسلام، في عهد قصي بن كلاب، فإنه بنى دار الندوة، و تبعته قريش تبنى حول المسجد، و كان المسجد ساحة فبنوا حوله، و ذلك من نحو خمسين و مائة سنة قبل الإسلام. انتهى كلامه.

و لقد كانت القبائل، من جرهم و العمالقة و خزاعة و قريش و غيرهم، يسكنون بشعاب مكة و يقطعون بظاهرها، و لا يقيمون بها إلا نهارا و لا- يدخلونها على جنبه، فإذا أمسوا خرجوا إلى الحل، و يتركون حول الكعبة بدون بنیان، احتراما لها و تعظيما لشأنها، فلا يجترئ أحد أن يبنى بجوارها دارا و لا جدارا. فلما آل الأمر إلى قصي بن كلاب، الذي كان قبل الهجرة بنحو مائة و ثلاثين سنة، جمع قومه، بطون قريش، و أمرهم أن يبنوا حول الكعبة بيوتا من جهاتها الأربع، و قال لهم: إن سكنتم حول الكعبة هابتكم الناس و لم تستحل قتالكم و الهجوم عليكم، فبدأ هو أولا ببناء دار الندوة في الجانب الشمالي للكعبة، و هو فسحة باب الزيادة، فكانت دار الندوة أول دار بنيت بمكة قبل الإسلام بنحو قرن و نصف. ثم قسم قصي باقي الجهات، بين قبائل قريش، فبنوا بيوتهم حولها، فكان ذلك

أول بدء النبيان حول الكعبة، فكل من بنى بيتا من قبائل قريش حول الكعبة سمي: «قريش البواطن» و كانوا يبنون بيوتهم مدورة الشكل تعظيما للكعبة. فأول من بنى بيتا مربعا حميد بن زهير، وعندئذ قالت قريش: «ربّع حميد بيتا إما حياة و إما موتا» أى تخوفوا عليه من الإنتقام الإلهي، حيث خالف عادة العرب، فبنى بيتا مربعا فأشبهه تريبع الكعبة، قال الأزرقى: كانت دار حميد بن زهير اللاصقة فى ظهر الكعبة، كانت تفىء على الكعبة بالعشى، و تفىء عليها بالبكر. اه.

و لقد ذكر بعضهم أن أول دار بنيت بمكة هى دار العجلة. فهذا و هم منهم لا- أصل له مطلقا، و هم نقلوه عن غيرهم بدون تأمل و بحث، فالأصح أن دار الندوة هى أول دار بنيت بمكة، فى عهد قصي بن كلاب، قبل الإسلام بنحو مائة و خمسين سنة، و هذا مما لا شك فيه لدى المتأمل.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٣١

و دار العجلة ذكرها الإمام الأزرقى فى تاريخه، و الأزرقى حجة لدى الجميع، فهو كالمولود بمكة فى القرن الثانى للهجرة، و من علمائها الأعلام، و شيخ المؤرخين قاطبة، و فى المثل: «أهل مكة أدرى بشعابها» فقد قال رحمه الله تعالى، عن دار العجلة فى تاريخه ما يأتى: دار العجلة ابتاعها عبد الله بن الزبير من آل سمير بن موهبة السهميين، و إنما سميت دار العجلة لأن الزبير حين بناها عجل و بادر فى بنائها فكانت تبنى بالليل و النهار، حتى فرغ منها سرعيا، و قال بعض المكيين: إنما سميت دار العجلة لأن ابن الزبير كان ينقل حجارتها على عجلة اتخذها على البخت و البقر. انتهى كلام الأزرقى.

فدار العجلة ربما كانت موجودة قبل ابن الزبير، الذى قتل سنة ثلاث و سبعين من الهجرة بعدة سنوات. و الحكم بأنها أول دار بنيت بمكة غير صحيح مطلقا.

و الصحيح الذى لا شك فيه و هو المعتمد أن أول دار بنيت بمكة هى دار الندوة.

فعلم مما تقدم أن قصي بن كلاب، الجد الرابع للنبي صلى الله عليه و سلم هو الذى أمر قريشا أن تبنى بيوتها حول الكعبة بمكة، لا تهاونا بأمرها و إنما ملاذا بها حتى تهابهم الناس فلا يستحلون قتالهم و لا يهضمون حقوقهم، كما أنه هو أول من بنى دارا قبل قريش، و هى دار الندوة، لتقتدى قريش به فى بناء بيوتها، و انظر إلى حكمة قصي فى بدء بناء دار الندوة قبل بناء دار خاصة لنفسه، فدار الندوة هى عبارة فى عرفنا و نطلق عليها فى عصرنا هذا «قصر الحكم» أو «دار البرلمان» أو «دار مجلس الوزراء» أو «دار الإمارة» لأن دار الندوة كانت قريش لا تبرم أمرا إلّا فيها، و لا يقبل فيها من غير بنى قصي إلا من بلغ سن الأربعين، و يدخلها بنو قصي جميعا كبيرهم و صغيرهم، و غير ذلك من الشروط التى يجب أن تتوفر فيمن يكون عضوا فيها.

فالابتداء ببنائه هذه الدار التى هى فى مصلحة كل قبائل قريش، قبل بناء بيوتهم، بل حتى قبل بناء بيت لحاكم مكة، هو عين الصواب و الحكمة .. و لقد جعلنا لدار الندوة مبحثا خاصا فارجع إليه إن شئت.

و لم تكن فى صدر الإسلام، بيوت بمكة تكرر و لا تباع. قال الإمام الأزرقى فى تاريخه عن علقمة بن نضلة: كانت الدور و المساكن على عهد النبي صلى الله عليه و سلم و أبى بكر و عمر و عثمان، رضى الله تعالى عنهم، ما تكرر و لا تباع و لا تدعى إلا السوائب، من احتاج سكن و من استغنى أسكن.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٣٢

قال يحيى: قلت لعمر بن سعيد: فإنك تكرر؟ قال: قد أحل الله الميتة للمضطر إليها. و روى عن ابن جريج، قال: كان عطاء ينهى عن الكراء فى الحرم، و قال ابن جريج: أخبرنى عطاء أن عمر بن الخطاب كان ينهى أن تبوّب أبواب دور مكة. اه.

فأول دار بمكة عمل بها بابان هى دار هند بنت سهيل. و ذلك كما رواه الأزرقى، فى تاريخ مكة، أن هند بنت سهيل استأذنت عمر، رضى الله عنه، أن تجعل على دارها بابين، فأبى أن يأذن لها، و قال: إنما تريدون أن تغلقوا دوركم دون الحاج و المعتمرين، و كان الحاج و المعتمرون ينزلون فى عرصات دور مكة.

فقالته هند: و الله يا أمير المؤمنين ما أريد إلا- أن أحفظ على الحاج متاعهم، فأغلقها عليهم من السرقة، فأذن لها فبوتتها. انتهى من الأزرقى.

هذا ما كان من ابتداء البنيان و ظهور البيوت فى مكة المشرفة، و لا يخفى الفرق الكبير بين تلك البيوت البدائية العربية، و بين ما فيها الآن من القصور الفخمة و العمارات الضخمة، و البيوت العربية، و بين ما فيها الآن من القصور الفخمة و العمارات الضخمة، و البيوت المكلفة بالآلاف المؤلفة، نسال الله العزيز الكريم أن يوفقنا لشكر نعمائه ليزيدنا من فضله و إحسانه فى بلدته الطاهرة المطهرة، زادها الله شرفا و أمنا و رزقا و رخاء، و خيرا و عمراناً، و وفقنا فيها لصالح الأعمال حتى يتوفانا بها على الإيمان الكامل آمين و صلى الله على نبينا «محمد» أبى القاسم الأمين و على آله و أصحابه أجمعين.

### امتداد البيوت و العمارات بمكة

لم تكن مكة المشرفة معروفة مسكونة، إلا بعد إبراهيم الخليل، عليه الصلاة و السلام، فحينما جاء إليها، من أرض الشام، لأول مرة، بابنه إسماعيل و أمه هاجر، راكبين البراق، يدلهم عليها جبريل، عليه السلام، لم يكن بها إنس و لا بشر، فوضعهما فى مكان زمزم و مكان البيت و معهما جراب من تمر و سقاء من ماء، ثم رجع من حيث أتى، فلما نفذ الماء و أشرفا على الهلاك، جاء جبريل و ضرب بجناحه الأرض فخرج لهما ماء زمزم، و بعد أيام مرت بها قبيلة من جرهم، فاستأذنوا هاجر فى النزول عندها، فأذنت لهم، فدامت إقامتهم معها حتى كثروا، فلما كبر إسماعيل عليه السلام تزوج بامرأة منهم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٣٣

ثم أمر الله، عز شأنه، خليله إبراهيم أن يبنى بيته الحرام بمكة ليحج الناس، فأتى إليها و بناه هو و ابنه إسماعيل عليهما السلام بالرضم، أى بالحجارة فقط من غير طين، كما تقدم تفصيل ذلك، ثم كثر الناس و ازداد سكان مكة شيئاً فشيئاً من ذلك العصر إلى اليوم، و ما كانوا يسكنون عند البيت تعظيماً له، و إنما كانوا يبعدون عنه، فيتخذون منازلهم بين الشعاب و الجبال، حتى كان قصي بن كلاب، الجد الرابع لنبينا محمد صلى الله عليه و سلم، فجمع القبائل و أمرهم أن يبنوا حول البيت الحرام حتى تهابهم الناس، فما كانت تتجاوز منازلهم حول البيت.

ثم لما كثر الناس بعد الإسلام، و صار المهاجرون يفتدون إلى مكة و يقيمون بها، امتدت البيوت إلى أول المدعى و أول أجياد و أول الشبيكة و أول المسفلة، و هذا رسول الله صلى الله عليه و سلم، بعد أن سكن المدينة، كان إذا جاء مكة لم ينزل فى بيوتها، و إنما ينزل بأعلى مكة جهة الحجون و كانت تضرب قبة بالأبطح، و كان المحصب مناخ للركبان، و الأبطح و المحصب بأعلى مكة. قال الفاسى بصحيفة (١٣) فى كتابه «شفاء الغرام» ما ملخصه:

ذكر الفاكهى ما يقتضى أن الناس، فيما مضى، كانوا لا يتجاوزون فى السكنى البئر، التى عند المسجد، الذى عند الردم، بأعلى مكة، و يقال لها البئر العليا «أى بئر جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل». و هذه البئر لا زالت إلى اليوم موجودة و بها الماء، و هو على يمين الصاعد من المدعى إلى المعلى، فى الزقاق الضيق، الذى بين مسجد الراية و بين البيت المقابل له.

ثم قال الفاكهى: سمعت بعض أهل مكة من الفقهاء يقولون: كان الناس لا يتجاوزون فى السكنى من قديم الدهر هذا البئر، إنما كان الناس فيما دونها إلى المسجد، و ما فوق ذلك خال من الناس.

ثم قال أيضاً: و سمعت أبا يحيى بن أبى مسرة يقول: كان آخر البيوت عند الردم نحو من هذا الموضع، و احتج فى ذلك بقول عطاء: إذا جاوز الردم «يعنى الحاج» صنع ما شاء اه. و المقصود بالردم ردم عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، و هو برأس المدعى، و الفاكهى توفى سنة (٢٨٠) فىكون من أهل القرن الثالث. قال الفاسى، المتوفى سنة ٨٣٢ فى كتابه المذكور: و للناس اليوم منازل كثيرة مسكونة فوق هذا المسجد و البئر المشار إليها من جانبى الوادى، و هى من الجانب الذى يكون على يمين الصاعد من مكة المشرفة. اه.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٣٤

ثم ازداد سكان مكة، شرفها الله تعالى، فامتدت الدور و المساكن إلى ما فوق هذه الجهات، و كانت تبني بدون نظام و لا انسجام، و كانت متداخلة بعضها ببعض بشكل قد يحجب النور و الهواء عن غالبيها، و كانت الأزقة و الشوارع ضيقة جدا لتراحم البيوت في السهل و الجبل، و ذلك حتى لا يتعدوا كثيرا عن محيط البيت الحرام، ثم امتدت الدور و المساكن الآن، في أطراف هذا البلد الأمين، زاداها الله شرفا و خيرا و أمنا و أمانا، حتى كادت تصل إلى منتصف حدود الحرم في بعض الجهات.

و بمناسبة العمران القائم الآن، في عصرنا الحاضر، على قدم و ساق، في أنحاء المملكة العربية السعودية، أحببنا ذكر امتداد المنازل و البيوت في أطراف مكة المكرمة، بدون التعرض لامتدادها و كثرتها في بقية المدن، لأن كتابنا هذا خاص بتاريخ مكة، و لا بد من ذكر ما كانت مكة من العمران قديما، للمقارنة بين القديم و الحديث على هذا الامتداد في البيوت و العمران بمكة المشرفة قد وصل في بعض جهاتها إلى خمس كيلومترات و في بعض أكثر من ذلك، و قد سبق الكلام على أن مكة كانت مسورة، فنقول و بالله التوفيق:

جاء في تاريخ الغازي، نقلا عن الفاسي، الذي توفي سنة (٨٣٢) اثنين و ثلاثين و ثمانمائة، ما نصه:

و طول مكة من باب المعلاة إلى باب الماجن، يعني درب اليمن بالمسفلة، موضع السور الذي كان موجودا في زمانه، من طريق المدعى و المسعى و مسيل وادى ابراهيم، و السوق الذي يقال له الآن: سوق الصغير، مع ما فيه من دورات و لفتات ليست على الاستقامة، أربعة آلاف ذراع و اثنان و سبعون ذراعا، بتقديم السين، بذراع اليد، و هو ينقص ثمن ذراع عن ذراع الحديد المستعمل الآن، يعني الذراع الشرعي.

و طول مكة من باب المعلاة إلى باب الشبيكة، من طريق المدعى، ثم يعدل عنه إلى سويقه، ثم إلى الشبيكة أربعة آلاف ذراع و مائة ذراع و اثنان و سبعون ذراعا، بتقديم السين، بذراع اليد أيضا. انتهى من تاريخ الغازي.

نقول: أما عرض مكة فلم يذكره الغازي، لأن عرضها معروف فهو يمتد من الجبل إلى الجبل و الجبال على جانبي مكة متقاربة جدا، فإن أكثر بيوت مكة واقعة بين الشعاب و الجبال، فإذا قارنا مقدار امتداد العمران في طول مكة، أمكننا معرفة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٣٥

سريان العمران بين الجبال و الشعاب في جميع أنحاء مكة و ملتوياتها. و في المثل العربي: «أهل مكة أدرى بشعابها»، و إليك صورة بعض البيوت التي بين الجبال.

انظر: صورة رقم ٢٢٦، بعض البيوت التي بين جبال مكة المكرمة و بعضها مبني بالصنادق (الأخشاب الملبسة بصفائح التنك،

و لقد كانت المنازل و البيوت بمكة إلى رأس القرن الرابع عشر الهجري، أي إلى عام (١٣٠٠)، إلى حلقة المعلى، أي لا تصل إلى مقبرة المعلاة، بدليلين:

الأول: جرت العادة أن تكون حلقة البلدة في خارجها بعد العمران، «أي السوق العام الذي يباع فيه الخضروات و غيرها بالجملة في الصباح الباكر كل يوم».

و الثاني: ما أخبرنا به المعمرون في وقتنا الحاضر عن ذلك، و لقد ذكر الغازي في تاريخه في الجزء الأول، بصحيفة (٣١٦) أن سوق بيت الحطب كان بالمدعى في سنة (٩١٨) ثمان عشرة و تسعمائة، و هو كلام معقول جدا.

و ذكر القطبي في تاريخه و هو الذي توفي عام (٩٨٨) ثمان و ثمانين و تسعمائة هجرية، أن أحد الشيوخ المعمرين أخبره أنه شهد الظباء تنزل من جبل أبي قبيس إلى الصفا، و تدخل إلى المسجد لقله الناس. فهذه الحكاية ليست ببعيدة، فإن جهة جبل أبي قبيس و أجياد و المصافي لم تكن آهلة بالناس في ذلك العصر، أما اليوم فليس في تلك الجهات موضع متر إلا و هو عامر مسكون، و من وراء تلك الجهات من فوق الجبال يؤدي إلى جهة منى و هي عامرة بالسكان أيضا.

ثم إنه منذ سنة (١٣٦٠) ستين و ثلاثمائة بعد الألف تقريبا، سرى العمران في أطراف مكة كلها، بل في أنحاء جميع المملكة السعودية،

سيرا حثيثا، و مشى بخطى واسعة، فأصبحت العمارات الضخمة و المنازل الجميلة و القصور العظيمة على أحدث طراز بمكة المشرفة، تصل من أعلاها إلى طرف جبل حراء و إلى قرب منى، و تصل من أسفلها إلى قرب جبل ثور، و من ناحية الشبيكة تصل إلى منتهى جرول و الطندباوى، و إلى طريق جدة و إلى ناحية الزاهر و الشهداء إلى أن تصل بوادى التنعيم موضع إتيان العمرة.

و لم تكن فى تلك النواحي عمارات و لا سكن إلا ما ندر جدا، فما كانت البيوت تتعدى قشلة جرول، أما جهة الزاهر فإن أول من بنى فيه بيتا هو أحمد عزت باشا الأردنجانى، الذى تولى جدة من طرف الدولة العثمانية سنة (١٢٦٩)

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٣٦

تسع و ستين و مائتين و ألف، فبنى البيت بالزاهر بالقرب من شهداء فح، فى مدة ولايته هذه كما ذكره الغازى فى الجزء الثانى من تاريخه. و يرجع سبب امتداد العمران إلى خمسة أمور:

(الأول) كثرة النقود بأيدى الناس و زيادة الرفاهية.

(و الثانى) وصول الماء إلى جميع الجهات.

(و الثالث) الأمن و الأمان فى جميع المملكة.

(و الرابع) وجود المواصلات و كثرة السيارات (الأوتومبيلات) فى البلاد.

(و الخامس) كثرة سكان البلدة لكثرة النازحين إليها من جميع الممالك الإسلامية.

فانظر رحمك الله، كيف كانت مكة فى سابق العهد، ثم كيف صارت اليوم، فسبحان المتصرف فى الكون، و سبحان القائل فى كتابه العزيز فى سورة البقرة: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَ الْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.

و القائل فى سورة آل عمران: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ.

و القائل فى سورة يونس: إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ.

### تنظيف الشوارع و إصلاحها

تنظيف الشوارع و إصلاحها هو من خصائص البلديات «أمانة العاصمة» اليوم، لكن لو رجعنا إلى القرون السابقة لوجدنا أن ولاء الأمور كانوا يهتمون بأنفسهم به، بل كانوا ينظرون فى كل ما يهم المسلمين من صغيرة و كبيرة، مع ما كان لديهم من الرجال و الأعوان الموظفين فى شتى الدواوين و الإدارات.

روى الإمام الأزرقي فى تاريخه: أصعد عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، المعلاة فى بعض حاجته، فمر بأبى سفيان بن حرب يهن جملا له، فنظر إلى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٣٧

أحجار قد بناها أبو سفيان، شبه الدكان فى وجه داره، يجلس عليه فى فى الغداة، فقال له عمر: يا أبا سفيان ما هذا البناء الذى أحدثته فى طريق الحاج؟ فقال أبو سفيان: دكان نجلس عليه فى فى الغداة. فقال له عمر: لا أرجع من وجهى هذا حتى تقلعه و ترفعه. فبلغ عمر حاجته، فجاء و الدكان على حاله، فقال له عمر:

ألم أقل لك لا أرجع حتى تقلعه، قال أبو سفيان: انتظرت يا أمير المؤمنين أن يأتينا بعض أهل مهنتنا فيقلعه و يرفعه، فقال عمر، رضى الله عنه: عزمت عليك لتقلعه بيدك و لتقلنه على عنقك، فلم يراجع أبو سفيان حتى قلعه بيده و نقل الحجاره على عنقه و جعل يطرحها فى الدار، فخرجت إليه هند ابنة عتبة، فقالت:

يا عمر أمثل أبي سفيان تكلفه هذا و تعجله عن أن يأتيه بعض أهل مهنته؟ فظعن بمخصرة كانت في يده في خمارها، فقالت هند: و نفتحها بيدها إليك عنى يا ابن الخطاب، فلو في غير هذا اليوم تفعل هذا لاضطمت عليك الأخشاب، قال: فلما قلع أبو سفيان الحجارة و نقلها استقبال عمر القبلة، و قال: الحمد لله الذى أعز الإسلام و أهله، عمر بن الخطاب، رجل من بنى عدى بن كعب، يأمر أبا سفيان بن حرب، سيد بنى عبد مناف بمكة، فيطيعه، ثم ولى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، انتهى من الأزرقى.

و قال الغازى نقلا عن كتاب «بلوغ القرى» ما يأتى: و فى صبح يوم الأحد خامس عشر ذى القعدة سنة (٩١٥) خمس عشرة و تسعمائة، شق الأمير خير بك المعمار المسعى و غيره، و نادى بشيل القمائم من أمام البيوت، ثم مر على بيت الزمزمى فرأى أمام بيتهم بعض شىء من ذلك، فسأل عن أصحابه فحضر إليه ثابت بن حسن بن ثابت الزمزمى، فوشحه بعضا، ثم أمر به فوضع فى الأرض، فضربه تحت رجله، ثم مر على رباط السيد حسن بن عجلائن فرأى شيئا تحت جانبه مما يلى زقاق الحمام، فنادى شيخ الرباط فحضر إليه شيخه، و هو أحمد الفقيه بن عبد المعطى بن حسان فوضع الآخر و ضربه تحت رجله، ثم مر على أوقاف الجمالى ناظر الخاص فرأى شيئا من ذلك، فسأل عن المتكلم عن ذلك، فقيل محمد زمان، فحضر فضربه على رجله ضربا كثيرا و طيف به البلاد. فلما رأى الناس منه ذلك، بادروا بشيل ما تحت بيتهم، و أمر بقطع أماكن كانت ضرورية بشيلها، مثل زقاق التمر و الزقاق الذى يجنب بيت جانبك بالمدعى يعنى بقره، و توعد الناس كثيرا، و قيل عنه أنه قال: تفتح مكة فتحا جديدا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٣٨

و يقول صديقنا الأستاذ السباعى فى كتابه «تاريخ مكة»: و فى عام (١١٢٠) عشرين و مائة ألف من الهجرة، فكر رجال الحكومة فى مكة و على رأسهم الشريف عبد الكريم بن محمد بن يغلى فى توسعة الشوارع، فندبت لجنة لذلك، كانت تدور فى الأسواق، لتشرف على هدم الدكك الخارجة عن حدود الدكاكين و البيوت، و إزالة المباسط من الأسواق، و كذلك الأشرعة «الظلل» و قد استمر العمل على ذلك عشرة أيام. انتهى.

و قال الغازى: و فى ٢٥ صفر سنة (١٣٣٥)، صدرت الأوامر السنية لو كالة النافعة الجليلة، بتوسيع شارع سوق المدعا، و صرف ما يلزم للهدم و البناء و نقل الأنقاض و مشتري الأخشاب و نجارتها من صندوق و كالة النافعة. و فى ٢٥ ربيع الثانى انتهى إنشاء الشارع المذكور، و مجموع ما هدم و أعيد بناؤه من الدكاكين بعد توسيع الشارع ثلاثة و أربعون دكانا من الجهة الشرقية، مبتدأ من ركن دار الفتية إلى دكة المقسم، و إحدى و ثلاثون دكانا من الجهة الغربية مبتدأ من ربيع مغازل إلى دكة الشاذلى فى سوق الحريرية، و بلغ عرض الشارع بين عشرة أذرع و نصف و اثنى عشر ذراعا و نصف. انتهى.

## العلم الحجازى

العلم بفتح أوله و ثانيه، و اللواء بكسر اللام و المد، و الراية كلها بمعنى واحد و بعضهم فرق بينها، لكن التفرقة فيها عرفية، فقيل: اللواء ما يعقد فى طرف الرمح و يلوى عليه، و الراية: ما يعقد فيه و يترك حتى تصفقه الرياح، و قيل: اللواء دون الراية، و قيل: اللواء العلم الضخم، و العلم علامة لمحل الأمير، يدور معه حيث دار، و الراية يتولاها صاحب الحرب، فالعلم هو شعار الأمم و رمز الحكومات من قديم العصور و الأزمان، و جميع الشعوب الإسلامية و غير الإسلامية تجعل العلم فى أرفع مكانة. و إن الجنود، بمختلف فرقها، مشاء و ركباناً، تنظر إلى علمها نظر افتخار و احترام، و يؤدون له التحية فى أوقات خاصة، و يعتبرونه شرفهم الأسمى، لذلك إذا مشت الجنود إلى الحرب أو الطرقات تحمل كل فرقة منهم علما. و لقد كان لعقد اللواء بمكة شأن كبير فى زمن الجاهلية، فكان اللواء بيد بنى عبد الدار، و لقد كان المسلمون يوم فتح مكة، تحمل كل كتيبة راية، و كانت الكتيبة التى فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم، يحمل رايتها الزبير بن العوام، رضى الله تعالى عنه. ثم كان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٣٩

رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقد الرايات لأمراء البعوث و السرايا ففى الصحيحين لأعطينَ الرايةَ غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب لله ورسوله و يحب الله ورسوله، يعنى على بن أبى طالب، قال يوم خيبر، رواه سهل بن سعد، رضى الله تعالى عنه. و لقد جاء عن رايات رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تاريخ الخميس ما يأتى:

و أما راياته عليه السلام، فالعقاب، و كانت سوداء من صوف، من ستر باب عائشة. و قد مرّ فى غزوة خيبر، و كانت له ألوية بيضاء و ربما جعل فيها السوداء، و ربما جعلت من خمر نسائه. و للترمذى: رايته سوداء مربّعة من نمرّة، و لمحبي السنّة: لواؤه أبيض مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، و لأبى داود: رؤيت رايته صفراء. انتهى منه.

قال فى كتاب «التراتب الإداري» للحافظ المحدث الشهير السيد الكتانى فى الجزء الأول منه، عن من حمل رايته و لواءه صلى الله عليه وسلم ما نصّه: فمنهم أبو بكر، و عمر، و على، و الزبير بن العوام، و سعد بن معاذ، و سعد بن عبادة، و قيس بن سعد بن عبادة، و مصعب بن عمير و ذلك مفترق فى غزواته صلى الله عليه وسلم، أنظر سيرة ابن هشام و الروض و غيره. انتهى منه.

و قال فى كتاب «التراتب الإداري» المذكور، عن ألوان راياته صلى الله عليه وسلم ما نصّه:

قال ابن إسحاق: دفع صلى الله عليه وسلم اللواء يوم غزوة بدر الكبرى إلى مصعب بن عمير، و كان أبيضاً، و فى سنن النسائي و أبى داود، عن جابر، أنه كان لواؤه صلى الله عليه وسلم يوم دخول مكة أبيض الأصفر، و فى سنن أبى داود، عن سماك بن حرب، عن رجال من قومه، عن واحد منهم، قال: رأيت راية النبى صلى الله عليه وسلم صفراء الأغير. ذكر ابن جماعة، فى مختصر السير، فى باب: سلاح رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان إحداهما مع على بن أبى طالب و الأخرى مع بعض الأنصار، و ذكر عبد الله بن حيان الأصبهاني فى كتاب أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم عن الحسن: كانت راية النبى صلى الله عليه وسلم سوداء تسمى العقاب، و فى تاريخ البخارى، عن الحارث بن حسان، قال:

دخلت المسجد فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم قائماً على المنبر يخطب، و فلان قائم متقلد السيف، و إذا رايات سود تخفق، قلت: ما هذا؟ قالوا: عمرو بن العاص قدم من جيش ذات السلاسل. انتهى من كتاب التراتيب الإداري المذكور. و فى السنّة الثامنة من الهجرة فى شهر جمادى الأولى وقعت غزوة مؤتة، و قد جعل صلى الله عليه وسلم الأمير زيد بن حارثة، فكان بيده الراية، و قال، عليه الصلاة والسلام:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٤٠

إن أصيب فالأمير جعفر بن أبى طالب، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة. فقاتل زيد بن حارثة، رضى الله عنه، حتى استشهد، فأخذ الراية جعفر بن أبى طالب فقاتل، رضى الله تعالى عنه، حتى استشهد، فأخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل، رضى الله تعالى عنه، حتى استشهد.

ثم إن المسلمين اتفقوا على تأمير خالد بن الوليد، رضى الله تعالى عنه، فلما أخذ الراية قاتل يومه قتالا شديداً، و فى اليوم الثانى خالف ترتيب العسكر، فجعل الساقة مقدّمة و المقدّمة ساقه، و الميمنة ميسرة و الميسرة ميمنة، فظنّ الروم أنّ المدد جاء للمسلمين فأخذهم الخوف و الرعب، و مكث عدّة أيام يناوش الأعداء حتى تراجعوا و انقطع القتال.

و لقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس باستشهاد الثلاثة المذكورين، قبل أن يأتى خبرهم، فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب. و كانت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرّفان، ثم قال: حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم. انتهى.

و لنشر الأعلام و الرايات جاء ما نصّه: (تنبيه) فى تاريخ الوزير جودت باشا التركى الشهير نقلاً عن تاريخ واصف أفندى، مقالة يبيّن فيها ما كان للألوية من الاعتبار فى الدول، صدّرها بقوله:

إنّ السرّ فى إحداث السنجق و اللواء، هو أنه إذا اجتمع قوم تحت لواء واحد يجعل بينهم الاتحاد، بمعنى أن هذا اللواء يكون علامة

على اجتماع كلمتهم و دلالة على اتحاد قلوبهم، فيكونون كالجسم الواحد، و يألف بعضهم بعضا أشد من ائتلاف ذوى الأرحام، و إذا كانوا فى معركة القتال لا يأسون من الظفر ما دام لواؤهم منشورا، بل تقوى همتهم و يشتد عزمهم، فإذا سقط لواؤهم أخذوا من جانب العدو، و باتوا موضوعا للخوف و الرهبة، فيهزم بعضهم و يتبدد الآخر، بخلاف ما إذا كان علمهم مرفوعا خافقا مزدهيا تبتهج به نفوسهم، فتأخذهم شدة الفرح و البسالة، و تتسلط على أعدائهم هزمة الرعب فتأخذ بمجامع قلوبهم.

و كما أن الموسيقى العسكرية تنعش أرواحهم، و تحثهم على الإقدام و الشجاعة، كذلك مناظر الألوية و تموجها، فإنها تحدث فيهم دواعى العزة، و تجلب لأعدائهم الدهشة و الفتور. و كان لجميع الأمم السالفة و الدول الماضية،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٤١

آلات موسيقية و أعلام عديدة، و لم يكن فى زمن النبى صلى الله عليه و سلم موسيقى بل أعلام فقط .. الخ.

نقول: لقد كان استعمال الرايات فى العصور السابقة فى الجيش المقاتل فقط، أما فى عصرنا فإنها تستعمل فى الحرب، تأخذها الجيوش فى القتال، و تستعمل فى الأعياد، دينية كانت أو قومية، و تستعمل عند استقبال الملوك و كبار الأمراء، و ترفع على دوائر الحكومات و دواوينها لدى المسلمين فى كل يوم جمعة من كل أسبوع، و ترفع عليها فى كل يوم أحد لدى المسيحيين. و لكل حكومة و دولة رايتها بشكل خاص و لون معروف و رسم مختار.

### ترجمة خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه

جاء فى الجزء السادس من شرح زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم، عن ترجمة خالد بن الوليد، رضى الله تعالى عنه، عند حديث: «لا و لكن لم يكن بأرض قومي فأجدنى أعافه- يعنى الضب» ما يأتى:

و أما راوى الحديث، فهو خالد بن الوليد، سيف الله الشجاع المشهور، الذى يوزن بألف رجل فى الشجاعة، رضى الله تعالى عنه، و هو ابن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشى المخزومى، يكنى أبا سليمان، و أمه لبابة الصغرى بنت الحارث بن حرب الهلالية، و هى أخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب، و هما أختا ميمونة بنت الحارث زوج النبى صلى الله عليه و سلم، كان أحد أشرف قريش فى الجاهلية، و كان إليه أعنة الخيل فى الجاهلية، و شهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية، كما ثبت فى الصحيح أنه كان على خيل قريش طليعة، ثم أسلم فى سنة سبع بعد خيبر، و قيل قبلها، و وهم من زعم أنه أسلم سنة خمس، و قد شهد غزوة مؤتة مع زيد بن حارثة، فلما استشهد الأمير الثالث أخذ الراية فانحاز بالناس، و خطب النبى صلى الله عليه و سلم فأعلم الناس بذلك، كما ثبت فى الصحيح، و كان الفتح على يديه، و شهد مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فتح مكة فأبلى فيه، و جرى له مع بنى خزيمه ما جرى، ثم شهد حنين و الطائف فى هدم العزى، و له ثمانية عشر حديثا، اتفق البخارى و مسلم على حديث واحد منها، و هو هذا الحديث، و انفرد البخارى بحديث موقوف عليه، روى عنه ابن عباس و جابر و المقدم بن معدى كرب و قيس بن أبى حازم و علقمه بن قيس و آخرون.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٤٢

و أخرج الترمذى عن أبى هريرة، قال: نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم منزلا، فجعل الناس يمرون فيقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: من هذا؟

فأقول: فلان، حتى مر خالد، فقال: من هذا؟ قلت: خالد بن الوليد، فقال نعم، عبد الله هذا سيف من سيوف الله، رجاله ثقات، و أرسله النبى صلى الله عليه و سلم إلى أكيدر دومة، فأسره، فأتى به و حقن له دمه و صالحه النبى صلى الله عليه و سلم على الجزية.

و أرسله أبو بكر إلى قتال أهل الردة فأبلى فى قتالهم بلاء عظيما، ثم ولاه حرب فارس و الروم فأثر فيهم تأثيرا شديدا و افتتح دمشق. و عن عروة قال: لما فرغ خالد من اليمامة أمره أبو بكر بالمسير إلى الشام فسلك عين التمر، فسبى ابنه الجودى من دومة الجندل، و



مضى إلى الشام فهزم عدو الله، فاستخلفه أبو بكر على الشام، إلى أن عزله عمر. وقد روى البخارى فى تاريخه: أن عمر رضى الله تعالى عنه، خطب و اعتذر من عزل خالد، فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة: عزلت عاملا استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم، و وضعت ما رفعه رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال عمر: إنك قريب القرابة حديث السن مغضب لابن عمك. و أسند ابن أبى الدنيا إلى قتادة، قال: بعث النبى صلى الله عليه و آله و سلم، خالد بن الوليد إلى العزى فهدمها، و عقد أبو بكر، رضى الله عنه، لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة و قال: إنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه و آله و سلم، يقول: نعم عبد الله و أخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سلّه الله على الكفار. و قال أحمد: حدّثنا حسين بن على، عن زائدة، عن عبد الملك بن عمير، قال: استعمل عمر أبا عبيدة على الشام و عزل خالد بن الوليد، فقال خالد: بعث عليكم أمين هذه الأمة، سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقوله.

فقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: خالد سيف من سيوف الله نعم فتى العشيرة، و روى أبو يعلى عن ابن أبى أوفى رفعه: لا- تؤذوا خالدًا فإنه سيف من سيوف الله، صبّه الله على الكفار، و أخرج سعيد بن منصور أن خالد بن الوليد فقد قطنسوته يوم اليرموك، فقال: اطلبوها. فلم يجدوها، فلم يزل حتى وجدوها، فإذا هى خلفه، فسئل عن ذلك فقال: اعتمر النبى صلى الله عليه و آله و سلم فحلق رأسه، فابتدر الناس شعره، فسبقتهم إلى ناصيته، فجعلتها فى هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالا و هى معى إلا تبين لى النصر، و رواه أبو يعلى مختصرا، و قال فى آخره: فما وجهه إلا فتح لى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٤٣

و قال ابن عبد البر، فى خبر إسلامه: و كان خالد على خيل رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم الحديبية، و كانت الحديبية فى ذى القعدة سنة ست، و خير بعدها فى المحرم و صفر سنة سبع، و كانت هجرته مع عمرو بن العاص و عثمان بن طلحة، فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: رمتكم مكة بأفلاذ كبدها، و لم يزل، من حين أسلم، يوليه رسول الله صلى الله عليه و سلم أعتة الخيل، فيكون فى مقدمتها فى محاربة العرب، و جزم بأنه لا يصح لخالد بن الوليد مشهد مع رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل الفتح، و بعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الغميصا ماء من مياه جذيمة من بنى عامر، فقتل منهم ناسا لم يكن قتله لهم صوابا، فوداهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، و خبره بذلك من صحيح الأثر و لهم حديث، و أخرج ابن عبد البر بإسناده إلى الشعبى عن عبد الله بن أبى أوفى، قال: اشتكى عبد الرحمن بن عوف خالد بن الوليد للنبي، عليه الصلاة و السلام، فقال: يا خالد لم تؤذى رجلا من أهل بدر، لو أنفقت مثل أحد ذهبا لم تدرك عمله؟ قال: يا رسول الله إنهم يقعون بى فأرد عليهم، فقال: لا تؤذوا خالدًا فإنه سيف من سيوف الله صبّه الله على الكفار.

و أخرج ابن سعد بإسناده إلى زياد، مولى آل خالد، قال: قال خالد عند موته: ما كان فى الأرض من ليلة أحبّ إليّ من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو، فعليكم الجهاد، و روى أبو يعلى بإسناده قال: قال خالد: ما ليلة تهدى إليّ فيها عروس أنا محب أو أبشر فيها بغلام أحبّ إليّ من ليلة شديدة الجليد، فذكر نحوه، و من هذا الوجه عن خالد فقد شغلنى الجهاد عن تعلّم كثير من القرآن.

و كان سبب عزل عمر خالد ما ذكره الزبير بن بكار، قال: كان خالد إذا صار إليه المال قسّمه فى أهل الغنائم، و لم يرفع إلى أبى بكر حسابا، و كان فيه تقدّم على أبى بكر، يفعل أشياء لا يراها أبو بكر، و قد أقدم على قتل مالك بن نويرة، و نكح امرأته، فكره ذلك أبو بكر، و عرض الديّة على متمم بن نويرة، و أمر خالدًا بطلاق امرأة مالك، و لم ير أن يعزله، و كان عمر ينكر هذا و شبهه على خالد، و لما حضرت خالد بن الوليد الوفاة، قال: لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها و ما فى جسدى موضع شبر إلا فيه ضربة أو طعنة أو رمية، ثم ها أنا ذا أموت على فراشى كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٤٤

و توفي خالد بن الوليد بحمص، و قيل بل توفي بالمدينة سنة إحدى وعشرين، و قيل بل توفي بحمص و دفن بقريه على ميل من حمص سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين، في خلافة عمر بن الخطاب، و أوصى إلى عمر بن الخطاب، ثم قال: إذا أنا مت فانظروا في سلاحى و فرسى فاجعلوه عدة في سبيل الله تعالى، قال في الإصابة: فلما توفي خرج عمر إلى جنازته، فقال: ما على نساء آل الوليد أن يسفنن على خالد دموعهن، ما لم يكن نفع و لا لقلقه، قال الحافظ بن حجر و هذا يدل على أنه مات بالمدينة، و قوله: ما لم يكن نفع... الخ، النفع: بوزن النفع الغبار أى ما لم يقع مع البكاء جعل الغبار على الرأس، و ما لم تقع لقلقه و هى شدة الصوت كما قال أبو عبيد، و بالله تعالى التوفيق و هو الهادى إلى سواء الطريق.

انتهى من كتاب «زاد المسلم» من الجزء السادس.

نقول: لقد كان العلم المستعمل فى الحجاز هو العلم التركى، و هو علم رسم بوسطه صورة الهلال و بوسط الهلال نجمة واحدة. و كان هذا العلم مستعملا فى كافة البلدان التى تقع تحت حكم الدولة التركية العثمانية، و من ضمن هذه البلدان بلاد الحجاز، فلما زال حكم الأتراك عن الحجاز فى سنة (١٣٣٤) أربع و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، بسبب قيام الشريف الحسين بن على ملك الحجاز الأسبق بالنهضة المعروفة التى كانت فى شهر شعبان من السنة المذكورة، و صارت بلاد الحجاز مستقلة بنفسها، اتخذ الشريف الحسين المذكور، رحمه الله تعالى، علما خاصا لبلاد الحجاز و بعبارة أخرى علما خاصا لحكومته المسماة ب «الحكومة العربية الهاشمية» و شكل هذا العلم يتكون من أربعة ألوان، من الأبيض و الأسود و الأخضر و الأحمر.

و سبب اختيار هذه الألوان الأربعة لعلم الحكومة العربية الهاشمية، هو ما جاء بجريدة القبلة، التى صدرت بمكة المشرفة، فى عددها ٨٢ من السنة الأولى، و هذا نصه:

اللون الأسود رمز راية العقاب و هى راية النبى صلى الله عليه و سلم المشهورة، التى كان يتبرك كبار الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم، بحملها فى حروبهم، و هى التى أشار إليها أمير المؤمنين على، كرم الله تعالى وجهه، بقوله، عندما خاض حصين بن المنذر بهذه الراية المباركة:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٤٥ لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حصين تقدما

و يقدمها فى الموت حتى يزيها حياض المنايا تقطر الموت و الدما

و لقد اتخذت دولة بنى العباس السواد شعارا لها حتى عرفت به و عرف بها، و اللون الأخضر الذى بين السواد و البياض، هو الشعار الذى اشتهر عن أهل البيت، عليهم السلام منذ أحقاب طويلة، و البياض أيضا كان شعارا للعرب فى دور من أدوارهم.

و أما اللون الذى شمل هذه الرموز التاريخية الثلاثة بشكل «مثلث» فهو لون راية الأسرة المالكة الكريمة، من عهد جدّها ساكن الجنان الشريف أبى نمى إلى عهدنا هذا.

و على ذلك، فإن الراية الجديدة، التى صدرت الإرادة السنية الملوكية بأن تكون راية الحكومة العربية الهاشمية، قد لوحظ فيها أن تكون جامعة لرموز الاستقلال العربى فى كل أدواره التاريخية. اه.

انتهى من كتاب "تاريخ الحجاز" للأستاذ حسين نصيف.

ثم لما تولى جلاله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله تعالى، على البلاد الحجازية فى سنة (١٣٤٣) ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، صار للبلاد الحجازية، بل للملكة العربية السعودية، علم آخر غير العلم المتقدم ذكره، و هذا العلم السعودى بلون واحد فقط و هو اللون الأخضر، مكتوب عليه كلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فى سطر واحد و مرسوم تحتها صورة السيف، و هو شعار لطيف، فقد كان لواء النبى صلى الله عليه و سلم الأبيض مكتوبا عليه «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

حييت يا علما تحيي النفوس بهو العلم و العدل و المعروف و الهمم  
 خفقت فوق رؤوس الجيش منتصرا و شاهداك السيوف الحمر و الأمم  
 لا زلت في الحرب خفاقا تحن إلى تقبيل طياتك الأفواه و النسم  
 و لا برحت شعارا للعلا و لمن لا ذوا بظلك فخرا أيها العلم  
 يا لواء الأمان و النصر بل يامعقل العز و المعالي السنيه  
 زاحم النجم في المراتب و اغلب بثبات يد الزمان القويه  
 التاريخ القومي لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٤٦ يا لواء بك افتخرت اعتزازا و بجيش ذوى النفوس الحميه  
 نصرت يا علما تسمو البلاد بهو البيض و الحمر و القرطاس و القلم  
 تذلت لعلاك الصعب و انبجست منك المعارف أنت المفرد العلم  
 حياك حياك رب الناس من علم تهدي إليك رياح النصر و الخدم

### ما قيل في الرابئة:

أمن العيون و نورها صنعوك أم من شغاف قلوبهم نسجوك  
 وضعوك في مَرّ النسيم لتعلنى حريّة القوم الألى وضعوك  
 منك استمدوا المجد و الشرف الذى يتفاخرون به إذا نظروك  
 و إذا همو عرضوك فى سوق الوغى باعوا نفوسهم و ما باعوك  
 إن مات قوم فى سبيلك أيقنوا أن الخلود جزاء من نصروك  
 يتسابقون إلى القتال لعلمهم أن الهلاك عقاب من خذلك  
 انتهى.

و لنشر الأعلام و الرايات لدى الدول و الحكومات، اصطلاحات و نظام خاص فى الحفلات و الأعياد و المناسبات الشتى، من استقبال  
 و انتصار و وفاة العظماء و وصول البواخر و البوارج الحربية إلى الموانئ البحرية و إقلاعها عنها و غير ذلك.  
 و يعرف هذه الاصطلاحات المسؤولون و القائمون بالأعمال.

### إستعمال الطوابع البريدية فى الحجاز

كانت الطوابع، بجميع أنواعها، مستعملة فى الحجاز، منذ عهد الحكومة التركية، فلما استقلّ الحجاز بنهضة الشريف الحسين بن على،  
 ملك الحجاز الأسبق، رحمه الله تعالى، فى سنة (١٣٣٤) أربع و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، صدرت، فى هذا العهد الجديد،  
 أنواع الطوابع البريدية. و كانت تستعمل فى الرسائل البريدية و العرائض الشخصية و المسائل الرسمية.  
 انظر: صورة رقم ٢٢٧، بعض طوابع الحكومة التركية التى كانت تستعمل فى الحجاز إلى سنة ١٣٣٤ هـ  
 التاريخ القومي لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٤٧

ثم لما تولى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله تعالى، على الحجاز سنة (١٣٤٣) ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و  
 ألف من الهجرة، صدرت طوابع جديدة فى عهده بجميع أنواعها و بأثمان مختلفة.  
 انظر: صورة رقم ٢٢٨، بعض طوابع الحكومة السعودية التى تستعمل من عام ١٣٤٣ هـ إلى يومنا هذا  
 و لا تزال هذه الطوابع مستعملة، فى جميع المملكة العربية السعودية، حتى اليوم، و بين وقت و آخر تصدر بعض أنواع منها لمناسبات

مختلفة، ونحن قد اكتفينا هنا بعرض بعض الطوابع خوفا من التطويل، ومن أراد الاطلاع على جميع ما صدر من الطوابع في مملكتنا فعليه بالاتصال بهواة الطوابع وهم كثيرون في كل قطر ومملكة.

فممن اشتهر في مملكتنا بجدة بجمع الطوابع والاشتغال بها صديقنا المحترم الشيخ عبد الرحمن كتوعه. فله ذوق حسن و ترتيب مبتكر، فإنه يكتب بعض الآيات أو الأحاديث النبوية وبعض الحكم والأمثال على كرتون- ورق مقوى- أو على خشب. ثم يفرغ حروفها، ويلصق عليها أنواع الطوابع المختلفة، من جميع البلدان ومختلف الأثمان والألوان، فتخرج الكتابة وعليها مسحة من الجمال الفنى والابتكار البديع.

ولنتقل عن تاريخ الطوابع في المملكة العربية السعودية منذ قيام الحرب العالمية الأولى، وذلك من «مجلة الثقافة الإسلامية» الصادرة في ١١ شوال سنة ١٣٧٦ هـ الموافق ١١ مارس سنة ١٩٥٧ م. فى العدد الخاص بالمملكة العربية السعودية، بقلم الأستاذ صالح الحاج هادى التميمي، عضو جمعية هواة الطوابع العراقية، فقد جاء فيها ما نصه:

(١) صدرت أول مجموعة طوابع حجازية سنة ١٩١٦ ميلادية، وكانت سبعة طوابع تتراوح فئاتها بين (ثمان قرش و قرش واحد) مع العلم بأن هذه الطوابع تحمل كلمة «مكة المكرمة».

(٢) سنة ١٩١٧ ميلادية صدرت مجموعة أخرى من ستة طوابع، تحمل أشكالاً مختلفة، و تتراوح بين البارة الواحدة و القرشين.

(٣) سنة ١٩٢٢ ميلادية و شحت الطوابع الستة الماضية بكلمة (الحكومة العربية الهاشمية) و يظهر على طرف الطابع سنة ١٣٤٠ هجرية.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٤٨

(٤) سنة ١٩٢٢-٢٤ ميلادية صدرت مجموعة جديدة، ذات زخارف جميلة، تتراوح قيمتها بين (ثمان قرش و عشرة قروش) و كان عددها عشرة طوابع.

(٥) سنة ١٩٢٤ ميلادية و شحت الطوابع الماضية، عدا ثلاث فئات منها، بعبارة (تذكار الخلافة) و تحتها (شعبان) و ثم تاريخ السنة أى (١٣٤٢) هجرية.

و فى تلك السنة و شحت الطوابع العشرة الماضية بالكلمات (الحكومة الحجازية ٥ ربيع الأول (١٣٤٣).

(٦) سنة ١٩٢٥ ميلادية و شحت طوابع على بن الحسين على طرفي الطابع الكلمات (٥ ربيع الأول) و (١٣٤٣) فى داخل إطار، و بعدها صدرت بعض المجموعات كتب عليها مستحق (ضريبة).

و فى هذه السنة ظهرت طوابع فى هذه السنة تحمل الكلمات (تذكار الحج الأول ١٣٤٣ عهد السلطنة النجدية).

(٧) سنة ١٩٢٦ ميلادية صدرت طوابع (بريد الحجاز و نجد) و هى بزخارف جميلة و عددها ستة طوابع. و صدرت فى تلك السنة طوابع موشحة للطوابع الماضية، بمناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامى ٣ ذى القعدة سنة ١٣٤٣ هجرية.

(٨) سنة ٢٦-١٩٢٧ ميلادية صدرت ثمانية طوابع تحمل اسم المملكة العربية، و تتراوح بين فئات (ثمان قرش و عشرة قروش).

(٩) سنة ١٩٣٤ ميلادية صدرت أول مجموعة تحمل اسم المملكة العربية السعودية، و عددها اثني عشر طابعاً، و هى تذكارية، إذ تحمل الكلمات (ذكرى مبايعة ولاية العهد).

(١٠) صدرت طوابع للبريد سنة ١٩٣٤-٤٣ ميلادية و عددها ١١ طابعاً تتراوح فئاتها بين (ثمان قرش - ٢٠٠ قرش) و هى تستعمل لحد الآن.

(١١) سنة ١٩٤٦ ميلادية صدر طابع واحد تذكاري من فئة نصف قرش، و يحمل صورة خارطة المملكة العربية السعودية و المحميات (شبه جزيرة العرب).

و قد صدر بمناسبة (عودة جلاله الملك إلى عاصمة مملكته).

(١٢) سنة ١٩٤٩ ميلادية صدرت أول مجموعة للبريد الجوى، و تتكون من ستة طوابع تتراوح بين القرش و مئة قرش، و هى تحمل

صورة طائفة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٤٩

(١٣) سنة ١٩٥٠ ميلادية صدر طابعان بمناسبة زيارة ملك الأفغان للسعودية، و يحمل شعارى الأفغان و السعوديه. و هى من فئة نصف قرش و ثلاثة قروش. و هذه الطوابع تذكارية.

(١٤) سنة ١٩٥١ ميلادية صدر طابعان بمناسبة زيارة الملك عبد الله (ملك الأردن) للسعودية، و يحمل شعارى الأردن و السعوديه، و هى من فئات نصف قرش و ثلاثة قروش. و هذه الطوابع تذكارية.

(١٥) سنة ١٩٥٢ ميلادية صدرت خمسة طوابع للسكك، و تحمل صورة قطار و جمل، و تتراوح فئاتها بين نصف قرش و ٢٠ قرش، مع العلم بأنها صدرت بعض المجاميع للطوابع الحكومية (الرسمية) و طوابع للإسعاف و هذه تعتبر من الطوابع المالية لا البريدية، ولكن بعض الكتلوكات تأخذها على اعتبار بأنها بريدية. انتهى من المجلة المذكورة.

### طوابع البريد التى تحمل صورة الكعبة المعظمة

لأول مرة فى التاريخ، تطبع بمكة المكرمة الطوابع البريدية، التى تحمل صورة الكعبة المعظمة. إنها لرمز وحيد فريد مشرف. و كان طبعها فى سنة (١٣٨٤) ألف و ثلاثمائة و أربع و ثمانين هجرية، و هذه الطوابع، التى تحمل صورة الكعبة الشريفة، طبعت على ثلاثة أنواع، كل نوع منها بلون مغاير للآخر، فالنوع الأول من قيمة أربعة قروش، و النوع الثانى من قيمة ستة قروش، و النوع الثالث من قيمة عشرة قروش و ربما فى المستقبل تطبع منها بأثمان مختلفة.

و نقترح على المسؤولين أنهم إذا طبعوا هذه الطوابع مرة ثانية، أن يرسموا عليها أجمل صورة للكعبة، و لا بأس أن يظهر فيها صورة الميزاب و حجر إسماعيل. لأن الشئ يكون بحسن منظره. و الله الموفق.

### بدء استعمال طوابع البريد فى العالم

جاء فى مجلة اسمها «على كيفك» التى صدرت بمصر فى ١٥ فبراير عام ١٩٣٩ ميلادى، فى العدد العاشر، تحت عنوان «طوابع البريد قصة ميلادها- بدء هواية جمعها- الطابع الذى كان سببا فى حفر قناة باناما» ما يأتى:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٥٠

كان أول من فكر فى إصدار طوابع البريد عالم رياضى يدعى البروفسور رولند هيل، و قد أتته الفكرة فجأة حينما كان يقضى إجازته فى إحدى قرى اسكتلندة سنة (١٨٣٨) م.

و اتفق أنه كان واقفا فى الطريق، عندما وصلت عربته البريد، فرأى الغلام الموزع يسلم الخطابات و الرسائل لأصحابها الملتفين حوله، و هو قابع فى مكان الحوذى فى أعلى العربة، و كانت بين الجمهور فتاة جميلة، ذات شعر أحمر، تدعى ماري، جاءت هى الأخرى لترى هل من خطابات لها، فأعطاها ساعى البريد خطابا تلقفته بلهفة، و راحت تقلبه برهه بيدها أمام الحاضرين، ثم لدهشة الجميع ردته إليه و علامات الألم بادية على محياها و قالت: «يجب أن أعيدته إليك لأنى لا أملك نقودا». فرثى مستر رولند لحال الفتاة، و تطوع لدفع أجره البريد عنها، فتسلمت الرسالة من جديد بعد أن منعت طويلا فى قبول المساعدة.

و لما مضت العربة، قالت ماري للمحسن: «كان يجب عليك أن لا تدفع شيئا» فاستغرب رولند و سألتها: «ألا تريدان قراءة الخطاب؟» فأجابته: «بالطبع كلا، لأنى قرأته أمام الجميع». ثم فتحت الخطاب أمامه فإذا به يحوى قطعة من الورق بيضاء لا كتابه عليها، و فسرت الأمر قائلة: «خطيبى جندى يعمل فى معسكرات و يلز، و اعتاد أن يكتبنى أسبوعيا، و لذا وجب على أن أدفع عشرة قروش كل مرة، إذا أردت أن أحصل على الخطاب. و تصور يا سيدى أن هذه القيمة تعادل مرتبى الأسبوعى، فمن أين لى الحصول على مأكلى و مشربى

و ملبسى، لو ذهب هذا الراتب رسوما للبريد؟ و لذا استنبطنا نحن الاثنان نوعا من الاصطلاحات الجفرية، نضعها على الغلاف، و نتفاهم بها، فمثلا دائرة صغيرة حول الحروف الأولى من اسمى تعنى «أحبك» و إذا كان هناك خط تحت اسم المرسل، و هو خطيبى، فمعنى ذلك: «أن الأمور ليست على ما يرام» و صليب صغير فى الركن الأيسر من الغلاف يدل على عكس ذلك. و هكذا و بهذه الطريقة يمكننا تبادل الرسائل دون أن ندفع مليما واحدا. فحالما استلم الخطاب ألقه بيدي و أقرأ ما عليه من علامات، دون أن يفطن أحد، ثم أعيد إليه الخطاب متظاهرة بالحزن، لعدم إمكاني دفع القيمة، و أظنك رأيتنى و أنا أقوم بالدور فما رأيك؟» فقال هيل: «الفكرة شيطانية طريفة، ولكن عيبها أن الحكومة و أصحاب امتياز البريد يتحملون مصاريف خطاباتكما». و افترق هيل عن الفتاة، بعد أن قرر فى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٥١

نفسه أن يستخدم كل مواهبه العقلية لحل هذه المشكلة و قطع دابر التلاعب، و فكر فى أنه لو لم تكن أجره البريد، التى يدفعها المرسل إليه، باهظة جدا لما ارتكبت تلك الفتاة، بدافع الفقر، ذلك الأمر الشائن، و هو السرقة، و لما كان عدد من يستخدمون البريد فى توصيل رسائلهم ضئيلا جدا. و فكر طويلا فى هذه العقدة حتى توصل إلى حلها. فسارع و طلب الإذن فى مقابلة أحد الوزراء، فأجيب طلبه. و بعد أن شرح للوزير حكاية الفتاة، و ارتفاع أجور البريد، قال: أرى يا معالى الوزير أنه يجب ألا يزيد أجر الخطاب الواحد على ما يعادل أربع مليمات، ولكى نمنع التلاعب منعا باتا، يجب أن يدفع المرسل القيمة مقدما، و طريقة ذلك أن يشتري قطعة من الورق، على أحد وجهيها هذه العبارة: «قيمة البريد خالصة». أما الوجه الآخر فيغطى بالصمغ ليلصق على الغلاف، و ما على إدارة البريد، حالما تتسلم الخطاب، إلّا أن تلغى هذه الورقة، لثلا تستعمل مرة أخرى، ثم عرض على الوزير نموذجا من اختراعه لما يجب أن تكون عليه هذه الورقة.

و كان مربعا صغيرا من الورق، على أحد وجهيه رسم يشبه الملكة فكتوريا، أما الوجه الآخر فكان مغطى بالصمغ. و هنا اعتدل الوزير فى مجلسه، و سأل المخترع متهكما: «إن لم أخطئ فحضرتك أستاذ رياضيات؟» فقال هيل: «بالطبع، كما تقولون معاليكم». فقال الوزير له: «إذن يا سيدى يمكنك أن تقنع نفسك بحسبة بسيطة، و أنت فى منزلك، بعدم فائدة هذا الاختراع».

و لما رأى المخترع أن هذه المقابلة لم تثمر الثمرة المرجوة، قرّر أن يقوم بالدعاية لمشروعه، بنشر كتاب خاص عنه، مدعما بالإحصائيات. و استعان بطلبه على توزيع نسخ الكتاب. و من الغريب أن الحكومة البريطانية قبضت على بعضهم بتهمته توزيع الكتاب، و مع ذلك فإن المشروع وجد كثيرين من المحيذين و الأنصار، فانهاالت الرسائل على إدارة البريد، تطالبها بتقرير الطابع ذى الأربعة المليمات، و من الفئات التى اقترحها المخترع. و لم يقف الأمر عند هذا الحد بل قامت المظاهرات تطالب الحكومة بتنفيذ المشروع على وجه السرعة. و حدثت معارك فى الطرقات و الشوارع، و التحم البوليس بالأهالى، و كادت تحدث فتنة، لو لم يصل خبر الاختراع و ذبوله إلى مسامع الملكة فيكتوريا، فأرسلت تستدعى الأستاذ الشاب للتشرف بمقابلة جلالته، و ليعرض على مسامع الملكة تفاصيل اختراعه العجيب، الذى أقام الامبراطورية و أقعدها. و تشرف المخترع بالمقابلة.

و أظن فى شرح اختراعه أمام جلالته، و حدثها عن حلمه الجميل فى أن تكون

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٥٢

كافة أجزاء الامبراطورية البريطانية متصلة ببعضها برباط البريد الحى، نظير فئة واحدة، تكون فى متناول الجميع، و لا يعجز عنها الفقير. و استرسل فى تعداد ما ستفيده صناعة بريطانيا العظمى و تجارتها من هذا الاختراع الجليل الشأن، و ختم كلامه بأن عرض على جلالته مربعا صغيرا من الورق الأسود، يحمل صورتها بالحبر الأحمر. و كان هذا أول طابع فى العالم من فئة (البنس) أو الأربعة مليمات. و بعد أن فكرت جلالته طويلا، و المخترع أمامها لا يبدى حراكا، فى انتظار الحكم السامى، التفتت إليه، و قالت: «أظن أن مشروعك معقول و عملى معا.

و سأساعدك في مجلس الوزراء، ولكن هذه الصورة (مشيرة إلى صورتها بالحبر الأحمر) يجب أن تكون أجمل مما هي عليه الآن». و بهذا أثبتت جلالتها أنها امرأة كما أنها ملكة، و تحقق حلم هيل، و جاء اليوم الموعود في ٦ مايو سنة (١٨٤٠ م) الذي عرضت فيه الطوابع فئة أربعة مليمات للبيع، لأول مرة، و في أقل من شهرين تضاعف عدد الخطابات و الرسائل، حتى بعد عشر سنوات صارت عشرة أضعافها. و ازدادت إيرادات البريد البريطانية من (٧٠) ألفا من الجنيهات إلى (٧٠٠) ألف من الجنيهات. و ما حلت سنة ١٨٤٩ حتى كانت طوابع البريد انتشرت في كل مكان، و بدأت بمدنتي زوريخ و جنيف السويسريتين، و البرازيل ثم بافانيا و فرنسا و معظم أقطار أمريكا الشمالية. و لم تمض سنوات قلائل حتى كان هناك (٢٠٠) نوعا من طوابع البريد المستعملة.

و هنا ظهرت هواية جمع طوابع البريد، و تفنن الهواة في ابتكار الحيل الطريفة، للحصول عليها، و هنا ساقى المجلة المذكورة حكايتين: الأولى: تتلخص أن أحدهم نشر في جريدة التيمس الإنجليزية، في أحد أيام سنة (١٨٤١) أنه من هواة الطوابع، و أنه بلغ من العمر عتيا، و هو من كبار المثرين، قد هدد ابنته الشابة بأنها إن لم تأتته، في ظرف سنة واحدة، بخمسين ألفا من طوابع البريد المبصومة بالإمضاء، فسيزج بها في إحدى الأديرة النائبة، مدى الحياة. و كان من مفعول هذا الإعلان أن انهالت الطوابع المختومة بكثرة هائلة، من جميع أنحاء العالم، على ابنته، رحمة بها و مساعدة لها. و بهذه الحيلة جمع الرجل كمية هائلة من طوابع البريد من جميع أنحاء العالم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٥٣

الثانية: تتلخص أنه في سنة ١٩٠٢، كان البرلمان الأميركي (الكونجرس) يتناقش في مشروع حفر قناة في برزخ أميركا الوسطى. و قد انقسم الأعضاء إلى قسمين: قسم يريد أن تشق القناة في منطقة باناما، و الآخر في نيكاراغوا.

فالقسم الأول يزعم أن شق القناة في منطقة نيكاراغوا لا فائدة فيها، بل يذهب المشروع و التكاليف هباء، لأن الأرض بركانية فتثور بين حين و آخر، و القسم الثاني ينفي حدوث ثورة بركانية في تلك المنطقة، ثم إن أحد أعضاء القسم الأول عثر، في أحد حوانيت بيع طوابع البريد، على طابع بريد، مما تصدره جمهورية نيكاراغوا. و كان يمثل بركان (مونو تومبو) الواقع في الطريق المزمع شق قناة نيكاراغوا. و هذا الطريق معرض لخطر ثوران البركان، من حين لآخر، فكان العثور على هذا الطابع، و إطلاع أعضاء المجلس عليه مؤيدا لرأي القسم الأول، و هو شق القناة في منطقة باناما. و عليه وافق المجلس على هذا الرأي بالإجماع. انتهى ما ذكرته المجلة المذكورة.

### جمع خطوط التوقيعات و الإمضاءات

و بمناسبة ذكرنا للطوابع و هواتها، نذكر هنا هواة «الأتوجراف» بضم الهمزة و التاء الممدودتين و إسكان الجيم، و هي كلمة إفرنجية معناها جمع توقيعات و إمضاءات المشاهير من الرجال و النساء.

و أول بدء العناية بجمع الإمضاءات بخط يد أصحابها المشاهير، كان في فرنسا، في أواخر القرن الثامن عشر للميلاد، ثم انتشرت هواية الناس بجمعها، في أوائل القرن العشرين للميلاد، أي: عند ظهور السينما، فقد كان الغربيون يقبلون إقبالا عظيما على المشتغلات في السينما، ممن لهن شهرة واسعة و جمال رائع، حتى أن بعضهن، لما كثر الإقبال عليهن، صرن يعين إمضاءاتهن بمبالغ خيالية. فلقد اشترى بعضهم إمضاء النجمة «إيزادورا دنكان» ذات الشهرة الواسعة، التي أمضتها على تذكرة مسرح، بمبلغ ألف و خمسمائة جنيه. اشترىها تاجر فحوم من نيو كاسل بإنجلترا.

و كان النجم «رامون نوفارو» و النجمة «كلارا بو» من أشهر نجوم هوليوود منذ ربيع قرن، عاش كل منهما نصف حياته هدفا لهواة جمع التوقيعات بمبالغ طائلة، و لقد أصبح اليوم «بورصة» للتوقيعات و الإمضاءات تباع فيها و تشتري.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٥٤

أما البلدان العربية فقد سرت الرغبة عند بعض الناس لجمع توقيعات المشاهير، فيجمعون إمضاءات الملوك و رؤساء الدول و الوزراء و

الأمرء و كبار العلماء، و كذلك إمضاءات الفنانين و الفنانات على اختلاف طبقاتهم و تنوع فنونهم.

و نحن نرى أنه لا بأس بجمع خطوط و إمضاءات العظماء و المشاهير، في كل علم و فن، بل و صورهم و رسومهم أيضا، «فللناس فيما يعشقون مذاهب» إذ الواقع أننا لو عثرنا على كتاب أثري قديم يرجع تأليفه إلى نحو خمسمائة سنة أو أكثر، فإن ثمن الكتاب يكون بحسب قدمه أولا، ثم بحسب نوع المعلومات التي تكون فيه، فإذا كان هذا الكتاب بخط نفس مؤلفه كان ثمنه مضاعفا بدون شك. فجمع الإمضاءات في حد ذاته ليس فيه شيء مطلقا، فهو من قبيل اقتناء بعض الأمتعة النادرة و الأشياء الأثرية، أما إذا نظرنا إلى شراء الإمضاءات و التوقيعات بمبالغ كبيرة، فقد يكون ذلك من الإسراف الذي لا يقره الشرع الشريف. و لا نبالغ إذا قلنا أن ذلك من الجنون، و قد قيل في المثل: «الجنون فنون».

و لنا في هذا الموضوع اقتراح لطيف و هو:

إننا نحيد كثيرا أن يكون لدى كل أمه من الأمم، عربيّة أو غير عربيّة، سجلات رسمية خاصة، تجمع فيها صور ملوكها و عظمائها و مشاهيرها من العلماء و الفنانين و التجار و المخترعين، و أن يكون تحت كل صورة صحيفة واحدة بخط يد صاحبها، مع توقيع اسمه الصريح، و إمضاءه المشبك، الذي اعتاد توقيعه بشكل خاص في خطاباته الخاصة و معاملاته الرسمية، و أن يكتب تحت كل صورة ملخص تاريخ صاحبها. و أن يكون من هذه السجلات بعضها في مكاتب الملوك الخاصة، و بعضها في المكتبات العامة، ليسهل للباحثين و المؤرخين الاطلاع عليها. و يشبه هذا تقريبا بدفتر الزيارات، التي اصطلح الناس على استعماله في المتاحف و المكتبات و نحوهما. فتنفيذ هذا الاقتراح من الحكومات، بصفة رسمية، سيكون له نفع عظيم للأجيال القادمة و الأمم الآتية. و لئن كان هذا حديث عهد اليوم و أمر عادي عندنا، فإنه لرجال المستقبل أمر ذو بال، و أثر خالد يعترون به. و الله تعالى أعلم بما كان و ما يكون فإنه سبحانه علّام الغيوب، و غفّار الذنوب و ستّار العيوب، لا إله إلا هو العزيز الغفّار.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٥٥

### تاريخ النقود منذ صدر الإسلام

بمناسبة ظهور أول عملة و رقية سعودية في سنة (١٣٧٢) اثنين و سبعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، أحبينا وضع كتاب عن النقود العربية، ولكن أشغالنا الكثيرة حالت دون ذلك. فلما اشتغلنا الآن بتأليف كتاب عن تاريخ مكة، كان لزاما علينا أن نتناول الكلام على النقود المتداولة في الحجاز، في الوقت الحاضر، و النقود التي كانت في صدر الإسلام.

و قد ظهر من أنواع النقود الآن عدّة أنواع، من الذهب و الفضة و النيكل و النحاس و الورق، (بفتح الواو)، و إن شاء الله تعالى سنتكلم هنا بالتفصيل عن كل ذلك. و لنبدأ الآن في الكلام عن النقود في صدر الإسلام. فنقول و بالله التوفيق:

و أما النقود العربية في صدر الإسلام، فقد اختلف الكلام عنها، و نرى أن ما جاء في كتاب «التراتب الإدارية» للعلامة المحدث الشهير الشيخ الكتاني الفاسي كاف لكل من أحب الإلمام عن تاريخ النقود العربية، فقد أتى فيه من التفصيل ما فيه الكفاية. لذلك أحبينا أن نقل هنا ما جاء في الكتاب المذكور، عن النقود العربية ... و إليك نص كلامه عنها، بصحيفة (٤١٣) من الجزء الأول:

قال أبو محمد عبد الحق بن عطية، في جواب سئله في سنة (٦١٦)، قال أبو عبيد القاسم بن سلام، عن بعض شيوخه: «إن الدرهم كانت على عهده، عليه السلام، على نوعين: السوداء الدامية، وزن الدرهم منها ثمانية دوانق، و الطبرية، وزن الدرهم منها بأربعة دوانق». قال: و كان الناس يزكون بشطرين من الكبار و الصغار.

قال أبو العباس العزفي: قال أبو جعفر الداودي: و ذكر قول من قال: إن الدرهم لم يكن معلوما في زمن النبي صلى الله عليه و سلم، هذا قول فاسد، لم يكن القوم ليجهلوا أصلا من أصول الدين، فلا يعلمون فيه نسا و قد كان للنبي صلى الله عليه و سلم السعاة، فلا يجوز أن يظن بهم جهل مثل هذا، و لم يأت ما قاله من طريق صحيح. و قال أبو عمر ابن عبد البر و عياض. لا يجوز أن تكون الأوقية



على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجهولة المبلغ من الدراهم في الوزن ثم يوجب الزكاة عليها، وهو لا يعلم مبلغ وزنها، وتقع بها البيوعات والأنكحة، وهذا يبين أن قول من قال أن الدراهم لم تكن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٥٦

معلومة إلى زمن عبد الملك، حتى جمعها برأى الفقهاء وهم، وإنما معنى ذلك أنها لم تكن من ضرب أهل الإسلام، وعلى صفات لا تختلف، وإنما كانت مجموعات من ضرب فارس والروم، وصغار وكبار أو قطع فضة غير مضروبة ولا منقوشة، يمانية ومغربية، وبعد ذلك في أيام عبد الملك كرهوا الضرب الجارى من ضرب الروم فردوها إلى ضرب الإسلام.

(زقلت) قال النووى، فى شرح المهذب الصحيح: الذى يتعين اعتماده واعتقاده، أن الدراهم المطلقة فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت معروفة الوزن، معلومة المقدار، وهى السابقة إلى الإفهام وبها تتعلّق الزكاة، وغيرها من الحقوق والمقادير الشرعية، ولا يمنع من هذا كونه كان هناك دراهم أخرى، أقل أو أكثر من هذا المقدار، فإطلاق النبى صلى الله عليه وسلم الدراهم محمول على المفهوم من الإطلاق، وهو كل درهم ستة دوانق وكل عشرة سبعة مثاقيل. وأجمع أهل العصر الأول فمن بعدهم إلى يومنا هذا، ولا يجوز أن يجمع على خلاف ما كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين.

وأما مقدار الدرهم والدينار، فقال الحافظ أبو محمد عبد الحق بن عطية، فى كتاب «الأحكام»: قال ابن حزم: بحثت غاية البحث عن كل من وثقت بتمييزه، فكل اتفق على أن دينار الذهب بمكة وزنه مائتان وثمانية وعشرون درهما، بالدراهم المذكورة. هذا كلام ابن حزم. وكان النووى بعد إيرادها فى شرح المهذب، وقال غيره: هؤلاء وزن الرطل البغدادي مائة وثمانية وعشرون درهما وأربعة أسباع الدرهم، وهو تسعون مثقالا بواسطة «سبل الرشاد» للشامى.

وقال أبو السعود الفاسى، فى إملأته على الصحيح، على قوله فى كتاب النكاح: وزن نواة من ذهب، المراد بالنواة قيل: نواة التمر وقيل: اسم بمقدار من الوزن كان عندهم، كما هو عند غيرهم، ولم تكن سكة عند النبى صلى الله عليه وسلم ولا أبى بكر ولا عمر، ولم يضربوا سكة فى الإسلام حتى ضربها عبد الملك بن مروان، إلا أنهم كانوا يتعاملون بسكة فارس والروم، وكان لهم من ذلك درهما، فجمع عبد الملك نصف هذا مع نصف هذا وجعله درهما واحدا. اه.

وقال الحافظ السيوطى فى رسالته «قطع المجادلة فى تغيير المعاملة»، قال الخطابى: كان أهل المدينة يتعاملون بالدراهم، وقت قدوم النبى صلى الله عليه وسلم، ويدلّ عليه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٥٧

قول عائشة، فى قصة شرائها بريرة: إن شاء أهلك أن أعدّها لهم عدة واحدة، فعدت الدراهم، فأرشدهم النبى عليه السلام إلى الوزن، وجعل الوزن عيار أهل مكة. وكان الوزن جارى بينهم فى الدراهم ستة دوانق، وكانوا يتعاملون بها، وهو درهم الإسلام فى جميع البلدان. وأما الدنانير فكانت تحمل إليهم من بلاد الروم.

وقال ابن عبد البر فى «التمهيد»: كانت الدنانير فى الجاهلية وأول الإسلام بالشام وعند عرب الحجاز كلها رومية، تضرب ببلاد الروم، عليها صورة الملك واسم الذى ضربت فى أيامه مكتوبة بالرومية، وكانت الدراهم بأرض العراق وأرض المشرق كلها كسروية، عليها صورة كسرى واسمها فيها مكتوب بالفارسية. اه. وقال العزفى: قال الخطابى: كانت الدنانير تحمل إليهم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من بلاد الروم، فكانت العرب تسميها الهرقلية. (قلت): وهذه الدراهم، مع إثبات صور ملوك الروم عليها، كانوا فى صدر الإسلام يصلون بها ويحملونها معهم، ولا يتزهون عن ذلك. وقد كنت رأيت، فى سفرى لتطوان، عام (١٣٤١) درهما من هذه الدراهم الهرقلية منقوش عليها صورة هرقل، ثم اشتريت بعد ذلك درهما رسم عليه اسم قيصر وصورته، ولعله أحد القياصرة المعاصرين لأول الإسلام.

وفى فتاوى الشهاب الفقيه أحمد بن حجر الهيثمى، جماعة ذكروا جواز حمل الدنانير، التى تجلب من أرض الإفرنج، وعليها صورة

حيوان حقيقيه يقينا و استدلوا على ذلك بأنها كانت تجلب من عندهم فى زمن السلف، و لم ينهوا عن حملها فى العمامة و غيرها، لأن القصد منها النقد لا تلك الصور، و لتعدّر إزالتها أو تعسيره، قال: فإذا جاز هذا فى تلك الدنانير فجاز الكتابة فى الورق الإفرنجى أولا و إن تحقق أن فيه صورة حيوان. اهـ.

انظر: صورة رقم ٢٢٩، النقود الإسلامية القديمة

و فى فتاوى الشهاب أحمد الرملى الشافعى المصرى أنه سئل عن دنانير عليها صورة حيوان تامه، أيحرم حملها كحرمه الثياب المصورة، و يجوز الاستنجاء بها بناء على حرمة بالمضروبه أم لا؟ فأجاب بأنه لا يحرم حملها و لا الاستنجاء بها. فقد قال ابن العراقى: عندى أن الدراهم الروميه، التى عليها الصور، من القسم الذى لا ينكر لامتهانها بالإنفاق و المعامله. و قد كان السلف يتعاملون بها من غير

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٥٨

نكير، فلم تحدث الدراهم الإسلامية إلّا فى زمن عبد الملك بن مروان، كما هو معروف. اهـ منها.

تنبيه: سبق أنه لم يكن فى زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم سكه و لا- زمن أبى بكر و لا- عمر، و المعروف أن أول من ضرب السكه عبد الملك بن مروان. قال ابن سعد، فى الطبقات: حدّثنا محمد بن عمر الواقدى، حدّثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد، عن أبىه، قال: ضرب عبد الملك بن مروان الدنانير و الدراهم سنه خمس و سبعين، و هو أول من أحدث ضربها، و نقش عليها، و فى أوائل العسكرى أنه نقش عليها اسمه، و أخرج ابن عساكر عن المغيرة، أول من ضرب الدراهم الزيوف عبد الله بن زياد، و هو قاتل الحسين، نقله السيوطى فى أوائله و الشامى فى سيرته.

أقول: و ربما يعكر عليه و على ما سبق، من أن الدراهم فى الزمن النبوى لم تكن من ضرب أهل الإسلام، ما وقع فى سنن أبى داود و ابن ماجه من حديث علقمه بن عبد الله، عن أبىه، قال: نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن كسر سكه المسلمين الجائزه بينهم إلا من بأس. بؤب عليه ابن ماجه بقوله: باب النهى عن كسر الدراهم و الدنانير، و أبو داود بقوله: باب كسر الدراهم، و أخرجه أيضا أحمد و الحاكم فى المستدرک. قال الحافظ الشوكانى: فى نيل الأوطار، قوله: سكه، بكسر السين المهمله، أى: الدراهم المضروبه على سكه الحديد المنقوشه، التى تطبع عليها الدراهم و الدنانير، و قوله: الجائزه بينهم يعنى: النافقه فى معاملتهم، و قوله: إلّا من بأس كأن تكون زيوف. و فى معنى كسر الدراهم كسر الدنانير و الفلوس، التى عليها سكه الإمام، لا سيما إذا كان التعامل بذلك جاريا بين المسلمين كثيرا. اهـ.

و قال شيخ كبير من شيوخنا، محدث المدينة المنوره و مسندها، الشيخ عبد الغنى بن أبى سعيد الدهلوى، فى حاشيته على سنن ابن ماجه، المسماة «إنجاح الحاجه» فى الحديث: النهى عن الكسر بثلاثه شرائط: الأول: أن تكون سكه الإسلام، الثانى: أن تكون رائجه، و الثالث: أن لا يكون فيها بأس و ضرر على المسلمين. فلو أزال سكه الكفار لم يكن موردا للنهى و كذا لو أزال السكه غير الرائجه و المزيفه. اهـ. و نقله عنه الكنكوهى فى «التعليق المحمود على سنن أبى داود» و أقره، و هذا كما ترى كالصريح فى أنه كان للمسلمين فى الزمن النبوى سكه مضروبه، كانوا يتعاملون بها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٥٩

و لله در صاحب العلامه السيّد أحمد بن محمد الحسنى الشافعى المصرى، حيث قال فى ص (١٨١) من نهايه الأحكام فيما للتيه من الأحكام، بعد أن ذكر حديث أبى داود و نحوه: مقتضى هذا أن سكه المسلمين كانت معروفه و مستعمله فى زمنه عليه السلام، و ليس ما يخالفه من الأقوال الداله على أن سكه المسلمين لم تضرب إلّا فى عهد عمر أو فى عهد من بعده أولى بالقبول منه إلّا بمرجح و أين هو؟ اه بلفظه.

و في تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان ص (١٣٨): أما النقود، التي ضربت في عهد الخلفاء الراشدين، فكانت نحاسية و في غاية البساطة كما جرى في الشكل، و ليس عليها من الكتابة إلا صورة الشهادة بالحرف الكوفي. و لم تضرب النقود الفضية في الإسلام حتى أيام الخليفة عبد الملك ثم صور نقوده.

و قد انتقده الرحالة الشيخ محمد أمين بن الشيخ حسن الحلواني المدني، في رسالته «نشر الهذيان من تاريخ جر جي زيدان» بقوله: لم يثبت في الرواية الصحيحة أن أحدا من الخلفاء الأربعة ضرب سكة أصلا إلا على بن أبي طالب، فإنه ضرب الدراهم، على ما نقله صبحي باشا الموره لى، في رسالته له، و رسم فيها صورة ذلك الدرهم، و عزا ذلك إلى لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة، و أما هذه الثلاثة المسكوكات التي رسمها جر جي زيدان، فلا تثبت على فرض وجودها، لأنه لم تكن عليها تواريخ دالة على زمانها، و أكبر شيء فيها دال على كذبها على الخلفاء، كون أحدها فيه صورة شخص، و هذا مما تحرمه الديانة الإسلامية. فكيف يفعل ذلك الخلفاء و كون هذه المسكوكات مزورة غير بدع عن الإفرنج و بياعى الأنتيكات اه؟ أنظر ص (٥) منه طبع لكونا بالهند. فكان غاية جواب جر جي زيدان عن ذلك بأنه أخذ تلك الرسوم عن مؤلف فرنسي و أحال على ص (٢٦) من تاريخ مصر المارسا. أنظر رد رنان على نشر الهذيان.

و كأنهم لم يروه في المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية، للشيخ حمزة فتح الله المصري ص (١٥٢) ج (١) نقلا عن شرح العيني على البخارى، أنه نقل عن المرغيناني أن الدراهم كانت شبه النواة، و دورت على عهد عمر، لما بعث معقل بن يسار و حفر نهره، الذي قيل فيه: «إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل» ضرب حينئذ عمر الدراهم على نقش الكسروية، و شكلها بأعيانها، غير أنه زاد في التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٦٠

بعضها الحمد لله، و في بعضها محمد رسول الله، و في بعضها لا إله إلا الله وحده، على وجه و على الآخر عمر. فلما بويع لعثمان ضرب دراهم نقشها: الله أكبر، فلما اجتمع الأمر لمعاوية ضرب دنانير عليها تمثاله متقلدا سيفا. فلما قام عبد الله بن الزبير بمكة ضرب دراهم مدورة، ثم غيرها الحجاج، و لما استقر الأمر لعبد الملك بعد ابن الزبير ضرب الدنانير و الدراهم في سنة (٧٦) ست و سبعين من الهجرة. اه.

و لا ما في رسالته النقود الإسلامية للمؤرخ الشهير التقى المقرئى، فإن فيها نحو ما ذكر عن المواهب باللفظ. و زاد أن معاوية ضرب دنانير عليها تمثال، متقلدا سيفا، و ذكر أن عبد الملك بن مروان لما أمر الحجاج بضرب السكة ضربها، و قدمت مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم و بها بقايا الصحابة، فلم ينكروا منها شيئا سوى نقشها، فإن فيه صورة، و كان سعيد بن المسيب يبيع بها و يشتري و لا يعيب من أمرها شيئا اه أنظر ص (٥) منها، و نحوه في خطط مصر لوزير المعارف بمصر الشيخ على بن مبارك باشا أنظر ص (٦) من ج (٢٠) منها، و قد ساق كل كلام المقرئى المذكور محتجا به الشيخ عبد الغنى النابلسى، في شرحه على الطريقة المحمدية أنظر ص (٤٩٩) ج (٢).

و وقع في وفيات الأسلاف ص (٣٦١) ما نصه: و أقدم سكة في الإسلام فيما وجد ما ضرب في خلافة عثمان سنة ثمان و عشرين من الهجرة بقصبة هرتك، من بلاد طبرستان، و كتب فيها، بالخط الكوفي: بسم الله ربي. و في خلافة على سنة (٣٧) و كتب فيها: ولى الله. و في سنة (٣٨) و (٣٩): بسم الله ربي.

و في درهم بالخط الكوفي في جانب منها: «الله أحد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد» و في دورته: «محمد رسول الله أرسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون» و في الجانب الآخر «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» و في دورته: «ضرب هذا الدرهم بالبصرة سنة أربعين» و فيها ضرب بدر بيجرد سنة سبعين، و في يزد سنة إحدى و سبعين، بالخط الكوفي، بسم الله، و في الطرف الآخر بالخط البهلوى عبد الله بن الزبير أمير المؤمنين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٦١

وقيل: أول من ضرب النقود مصعب بن الزبير، سنة سبعين، بأمر أخيه عبد الله، ونقل سعيد بن المسيب و أبو الزناد: أن عبد الملك أمر الحجاج بضرب الدراهم، و تمييز المغشوش من الخالص سنة (٧٤)، و قال المدائني سنة (٧٥): ثم أمر بضربها في النواحي سنة (٧٦) هـ، و هذه الدراهم ما وقع نظري عليها و إنما نقلته عما نقله الثقات في هذا الشأن. اهـ.

ثم وجدته أخذ ذلك من تاريخ الوزير جودت باشا التركي الشهير، فإنه نقل كل ما ذكر عن تاريخ واصف أفندي، و فيه أيضا ذكر واصف أفندي أنه نقل عن التواريخ الموضوعة في أخبار سلاطين العرب، أن عمر بن الخطاب ضرب سكة في عام (١٨) على النقش الكبير و كتب على بعضها لا إله إلا الله محمد رسول الله.

و على بعضها: لا إله إلا الله و اسم عمر.

ثم قال: إنما أنه ثبت نقلا أن حضرة عمر لم يضرب سكة باسمه، و الرواية المذكورة يحتمل أن تكون غلطا حصل من السكة التي ضربها أحد الأتراک بطبرستان، المسمى عمر على المنوال السابق، فالظاهر أن تاريخها المكتوب بالخط البهلوي لم يتمكنوا من قراءته، و أسندت إلى حضرة عمر عندما قرئ اسم عمر، و كذلك السكة المنسوبة إلى عبد الله بن الزبير لم يطلع عليها أحد من أهل العلم. و من المسلم عند أهل العلم، أن الذي أحدث ابتداء ضرب السكة العربية هو الحجاج، ولكن ظهر خلاف ذلك عند وجود الكشف الجديد في هذا الفن سنة (١٢٧٦).

و ذلك أن رجلا إيرانيا اسمه جواد، أتى إلى دار السعادة، بسكة فضية عربية ضربت في البصرة سنة أربعين هجرية و أنا الفقير رأيته بين المسكوكات القديمة الإسلامية، عند صبحي باشا أفندي، مكتوب على أحد وجهيها بالخط الكوفي: «اللَّهُ الصَّمِيدُ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» و في دورتها: «محمد رسول الله أرسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون» و على الوجه الآخر: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» و في دورتها: «ضرب هذا الدرهم بالبصرة سنة أربعين».

و نقل عن بعض المؤرخين، أنه ضرب على السكة صورة معاوية و خالد بن الوليد مقلدين سيفيهما، و تابعهما واصف أفندي فأدرج ذلك في تاريخه. ولكن هذه الرواية المذكورة لم يصل نقلها إلى درجة الثبوت و الصحة، ولكن أنا الفقير التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٦٢

رأيت على وجه الترتيب جميع المسكوكات الأموية المخلفة، التي ضربت عندهم في دور الضرب، من الذهب و الفضة، في كل سنة على الترتيب السابق من سنة (٧٢) إلى تاريخ انقراض دولتهم سنة مائة و اثنين و ثلاثين هجرية، فلم يكن على أحدها اسم الخليفة اهـ. راجع مقدمة التاريخ المذكور ص (٢٧٤).

و وقع في رسالته لصديقنا الكاتب الكبير الأصيل السيد توفيق البكري الصديقي المصري، في الموافقة بين الأعراف الأوروبية و الأعراف العربية، منقولة في شرح كتابه صهاريج اللؤلؤ ص (٢٩٠) أن عمر بن الخطاب كان يستعمل الورق و الجلود مكان النقود للحاجة، و أنشد لأبي تمام:

لم ينتدب عمر للإبل يجعل من جلودها النقد حين عزه الذهب

أقول: و بمكتبتنا في قسم النقود دراهم مكتوبة بالكوفي عليها: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» و في آخر الكتابة اسم «على» يقطع الناظر المتأمل فيها و في كتابتها و نقشها القديم أنها لعلى بن أبي طالب، رضی الله عنه.

انتهى كل ذلك من كتاب «التراتب الإدارية» للحافظ المحدث الشهير السيد الكتاني، ثم ذكر بعد ما نقلناه جملة من الفوائد، لم نر نقلها خوف إطالة المبحث، فمن شاء فليرجع إلى الكتاب المذكور.

نقول: إن الكتب التي تبحث عن النقود العربية قليلة جدا، و أحسن ما ألف في ذلك و طبع في عصرنا الحاضر «كتاب النقود العربية و علم النميات» وضعه الأب أنستاس ماري الكرملي البغدادى عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية في القاهرة.

وقد طبع هذا الكتاب في المطبعة العصرية بمصر القاهرة سنة (١٩٣٩) ميلادية. و توجد مؤلفات أخرى في النقود الإسلامية، منها ما رأيناها بالمدينة المنورة، في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت، حين زيارتنا لها في محرم سنة (١٣٧٧) سبع و سبعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، من نسخة خطية اسمها «نبذة في النقود الإسلامية» و هي مقيدة في فهرست المكتبة تحت رقم (٦٣٦) قسم التاريخ، و قد كتبت بخط النسخ الجميل المذهب، و هي تحفة فنية في ذاتها، و عسى الله أن يوفقنا لنسخها و طبعها في المستقبل القريب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٦٣  
و إليك الكلام عن النقود المتداولة في عصرنا الحاضر.

### النقود المتداولة في الحجاز

كل أنواع النقود الخارجية أى المستعملة في جميع البلدان و الأقطار، هي تستعمل عندنا في الحجاز و مقبولة التعامل بها في جميع أيام السنة، و بالأخص في أوقات الحج، لأن الحجاج يأتون بنقود بلادهم للتعامل بها عندنا، و نحن هنا لا نريد الكلام عن أنواع النقود الخارجية، و إنما نحب أن نأتى بنبذة عن النقود الحجازية فقط فنقول و بالله تعالى التوفيق:

جاء في «تاريخ مكة» لصديقنا الفاضل الأستاذ أحمد السباعي، أن الشريف على بن عنان، لما كان بمصر، عقد له ملكها «برسباى» الولاية على مكة المشرفة، و ذلك في موسم عام (٨٢٧) سبع و عشرين و ثمانمائة هجرية فاصطحب الشريف على بن عنان معه إلى مكة مطبعة لضرب النقود، فضربت باسمه على أثر وصوله. انتهى من الكتاب المذكور.  
فعلى هذا تكون هذه المطبعة هي أول مطبعة للنقود في الحجاز.

جاء في تاريخ الغازى: و فى يوم الخميس رابع ربيع الأول سنة (٨٨٩) تسع و ثمانين و ثمانمائة من الهجرة خرجت السكة الجديدة سكة المساعيد، و زفت بالمغانى و المطبلين و المزمّرين و الجعيدية من بيت الشريف إلى الأسواق و الشوارع و إلى بيت الشريف أيضا، و عمل صرف الأشرفى ثلثمائة مسعودى، و المحلقة باثنى عشر مسعوديا. و كانت المسعودية العتيقة وصلت أربعة آلاف مسعودى و شىء، فإن المحلق أصرف بمائة و ستين، و كان صرف الأشرفى بالمحلقة خمسة و عشرين نصفاً بل و شيئاً أيضاً، و كان بها رفق للناس، و إن كان حصل لهم بها ضرر لعدم ضبطها بصرف واحد، و تضرّر الناس بالجديدة إذ التفاوت بين الأسعار فى الدراهم يسير.

انتهى من الغازى.

و مما يناسب ما تقدّم ما جاء فى تاريخ الغازى: إنه فى سنة (١١٠٠) مائة و ألف من الهجرة أمر مولانا الشريف أحمد بن غالب بأناس بلغه أنهم يسكّون الدراهم، فأمر بنهب بيوتهم، ففعل بهم ذلك، و أمهلوا نحو خمسة أيام، و أخرجوا من البلد، و أحضر آلات السكة بين يديه فصلحت المعاملة. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٦٤

هذا و لقد رأينا فى عصرنا الحاضر من النقود التى كانت تستعمل فى الحجاز ثلاثة أنواع. (الأول) ما كان مطبوعاً باسم الدولة العثمانية التركية من النقود و الطوابع، ثم زال استعمالها فى الحجاز، بعد الحرب العالمية العظمى، أى من بعد سنة (١٣٣٤) أربع و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف هجرية، بسبب استقلال الحجاز و زوال حكم الأتراك عنه.

فقد كانت العملة التركية، بجميع أنواعها من الذهب و الفضة و النيكل و النحاس، تستعمل فى جميع الممالك العثمانية، كالحجاز و مصر و الشام و اليمن و العراق و تركيا، لأنها كانت تضرب باسم خليفة المسلمين، الذى كان يحكم جميع البلاد الإسلامية، حتى قيام الحرب العالمية الأولى، ثم انتهى عهد الخلافة و زال حكم الأتراك عن أكثر بلاد الإسلام.

وقد كتب في وسط الوجه الأول من الجنيه العثماني الذهبي ما يأتي:

«عز نصره ضرب في قسطنطينية ١٣٢٧» مع شيء من الحلية و النقش.

و كتب في وسط الوجه الثاني منه ما يأتي: «اسم السلطان الغازي فلان» على شكل طغراء، مع شيء من الحلية و النقش و عدد من النجوم.

و كتب في وسط الوجه الأول من الريال الفضة ما يأتي:

«عز نصره ضرب في قسطنطينية سنة ١٣٢٧» و يحيط بدائره عدة من الهلال أيضا و في وسط كل هلال نجمة.

و كتب في وسط الوجه الثاني «اسم السلطان الغازي فلان»، و يحيط بدائره عدة من الهلال أيضا و في وسط كل هلال نجمة. و كان القرش الواحد التركي يساوي أربعين يارة.

ثم لما نهض الشريف حسين بن علي ملك الحجاز الأسبق، رحمه الله تعالى، نهضته المعروفة، و أجلى الأتراك عن الحجاز، و استقل فيه بالحكم، ضرب نقودا بمكة باسمه من الذهب و الفضة و النيكل و النحاس، فلقد كتب على الوجه الأول من الجنيه الذهب الدينار: «عبد و ابن عبده- الحسين بن علي- الناهض بالبلاد العربية» و في وسط الدينار كلمة «هاشمي».

و كتب على الوجه الثاني من الدينار الذهب: «ضرب بمكة المكرمة- عاصمة الحكومة العربية- سنة ١٣٣٤ و في وسطه كلمة «دينار».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٤٥

و كتب على الوجه الأول من الريال الفضة «أمر بتعامله عبده و ابن عبده الحسين بن علي سنة ١٣٣٤».

و كتب على الوجه الثاني من الريال «الحكومة العربية الهاشمية ضرب بمكة المكرمة» و كتب في وسط قطعة النقود النحاسية كلمة «قرش واحد» و كتب حولها «ضرب سنة ١٣٣٤ بمكة المكرمة عاصمة الحكومة العربية الهاشمية».

و كتب في وجهها الثاني «عبد و ابن عبده الحسين بن علي و فقه الله».

### أسعار المبيعات بالجملة بالنقود الهاشمية

ثم قال الغازي رحمه الله تعالى بعد ما تقدّم ما يأتي:

بيان أسعار الحاجيات طبق الأوراق البلدية المملوكة في الشوارع، و التي تضمّنها النداء الرسمي، و ها هي كما يأتي:

الرز البنوري/ الكيس بمائة و اثنين و ستين قرشا.

الرز الهورة/ الكيس بمائة و ثمانية و سبعين قرشا.

الرز المزة/ الكيس بمائة و تسعين قرشا.

الرز الراي/ الكيس بمائة و اثنين و خمسين قرشا.

العدس الهندي/ الكيس بمائة و اثنين و ثلاثين قرشا.

العدس الصعيدي/ الكيس بمائة و اثنين و ثمانين قرشا.

الحنطة الكراشي/ الكيس بمائة و اثنين و ثلاثين قرشا.

الحنطة السندية/ الكيس بمائة و اثنين و خمسين قرشا.

الحنطة البصراوي/ الكيس بمائة و سبعة و عشرين قرشا.

الدخن/ الكيس بمائة و اثنين و ثلاثين قرشا.

الشعير/ الكيس بمائة و قرشين.

الذرة الكيس بمائة و اثنين و أربعين قرشا.

الدقيق الخشن / العدلة بمائة و خمسة و ثمانين قرشا.

الدقيق الناعم / العدلة بمائة و ثمانية و تسعين قرشا.

السكر الدبارة / القنطار بمائة و ثمانية و تسعين قرشا.

القاز / الصندوق بمائة و سبعة قروش.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٦٦

السمن الحجازى / المن بمائتين و أربعة و أربعين قرشا.

السمن البحرى / المن بمائة و خمسة و تسعين قرشا.

الزيت السمسم / التنكة بمائة و اثنين و عشرين قرشا.

انتهى من تاريخ الغازى.

### أسعار المبيعات بالترفة

ثم ذكر الغازى أسعار المبيعات بالترفة، بالنقود الهاشمية، بما يأتى:

الرز المزة / الكيلة بتسعة قروش.

الرز البنورى / الكيلة بسبعة قروش.

الرز الهورة / الكيلة بثمانية قروش.

الرز الراى / الكيلة بستة قروش و نصف.

العدس الهندى / الكيلة بستة قروش و نصف.

العدس الصعدي / الكيلة بعشرة قروش.

الحنطة الكراشى / الكيلة بستة قروش.

الحنطة السندية / الكيلة بستة قروش و نصف.

الحنطة البصراوى / الكيلة بخمسة قروش و نصف.

الدخن / الكيلة بأربعة قروش.

الشعير / الكيلة بأربعة قروش و نصف.

القول الصعدي / الكيلة بأحد عشر قرشا.

القول المصوعى / الكيلة بثمانية قروش.

الدقيق الخشن / الكيلة بأربعة قروش و نصف.

الدقيق الناعم / الإقة بثلاثة قروش و نصف.

العدس أبو جبة / الكيلة بثمانية قروش.

الحمص المدشوش / الكيلة بعشرة قروش.

السكر الدبارة / الإقة بخمسة قروش و نصف.

القاز / الإقة بخمسة قروش و نصف.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٦٧

الشاهى الأسود / الإقة بثلاثين قرشا.

الشاهي الأخضر / الإقفة بخمسه و أربعين قرشا.

السمن الحجازي / الإقفة باثنين و عشرين قرشا.

السمن البحري / الإقفة بثمانية عشر قرشا.

الزيت السمسم / الإقفة بأحد عشر قرشا.

القرص العيش / بنصف قرش.

انتهى من تاريخ الغازي.

و الآن نبدأ الكلام عن النقود السعودية فنقول:

### ظهور النقود العربية السعودية

عندما تولى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله تعالى، على الحجاز، في سنة (١٣٤٣) ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، ضرب أول نقود في عهده، في السنة المذكورة، من النحاس من قطعة القرش و أجزاءه.

فلقد كتب على القطعة النحاسية من فئة النصف قرش، على وجه الأول، ما يأتي: «نصف قرش ضرب في أم القرى» و كتب على وجهها الثاني بالطغراء «عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل» سنة (١٣٣٤).

و مثل ذلك على ربع القرش. أما نفس القرش فلم يقع في أيدينا في الوقت الحاضر.

ثم في سنة (١٣٤٤) ألف و ثلاثمائة و أربع و أربعين هجرية، و هي السنة الثانية من تولى الملك عبد العزيز، رحمه الله تعالى، على الحجاز، صدر من النقود النيكل قطعة من فئة القرش الواحد، كتب على أحد وجهيها «قرش واحد ١٣٤٤» و كتب على الوجه الثاني «عبد العزيز السعود ملك الحجاز و سلطان نجد»، كما صدر أيضا نصف القرش و ربه.

و في سنة (١٣٤٦) أعيد طبع القرش الواحد، و كتب على الوجهين ما كتب على القرش السابق، غير أنه زيد في هذا كلمة «و ملحقاتها» عند جملة ملك الحجاز و نجد و ملحقاتها. كما أعيد طبع نصف القرش و ربه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٦٨

و في سنة (١٣٤٦) ست و أربعين و ثلاثمائة و ألف هجرية أيضا طبع لأول مرة في العهد السعودي، الريال الفضة، و كان حجمه كبيرا بالنسبة للريالات التي طبعت بعده، يعني أن هذا الريال الكبير بقدر الريال الصغير الذي طبع بعده بمرتين، فوزن الكبير سبعة دراهم و نصف درهم. و وزن الريال الصغير ثلاثة دراهم و نصف و قيراطان و نصف قيراط.

و قد كتب على وجهه الأول في الوسط «عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود» و بدائره «ملك الحجاز و نجد و ملحقاتها» مع الشعار الحكومي و هو سيفان متقاطعان، و عن يمينهما نخلة و عن شمالهما نخلة. و كتب على وجهه الثاني في الوسط «ضرب في مكة المكرمة سنة ١٣٤٦» و بدائره «ريال عربي سعودي واحد» مع كتابته رقم (١) و عن يمينه نخلة و عن يساره نخلة.

ثم أعيد طبعه في عام (١٣٤٨) و كتب على وجهيه ما كتب على الريال الأول المذكور.

و في سنة (١٣٤٨) أعيد طبع القرش الواحد أيضا، و كتب على وجهيه ما كتب على القرش الذي قبله مع ذكر السنة التي ضرب فيها. و في سنة (١٣٥٤) أعيد طبع الريال الفضة للمرة الثالثة، و كان حجمه نصف حجم الريال السابق، و قد كتب على وجهه الأول في الوسط «عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود» و كتب بدائره «ملك المملكة العربية السعودية» مع الشعار الحكومي و هو سيفان متقاطعان و عن يمينهما نخلة و عن شمالهما نخلة.

و كتب على الوجه الثاني في الوسط «ضرب في مكة المكرمة سنة (١٣٥٤)» و بدائره «ريال عربي سعودي واحد» مع كتابته رقم (١) و عن يمينه نخلة و عن يساره نخلة.



و طبع أيضا في السنة المذكورة نصف الريال و ربه.

و في سنة (١٣٥٦) أعيد طبع القرش الواحد أيضا، و كتب على أحد وجهيه (قرش واحد) مع ذكر سنة ضربه، و كتب على الوجه الثاني ما يأتي «عبد العزيز السعود ملك المملكة العربية السعودية».

و طبع معه أيضا نصف القرش و ربه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٦٩

ثم أعيد طبع الريال أيضا في سنة (١٣٦٧) للمرة الرابعة، و كتب على وجهيه ما كتب على الريال السابق، مع ذكر سنة ضربه.

ثم أعيد طبع الريال أيضا في سنة (١٣٧٠) للمرة الخامسة، و كتب على وجهيه ما كتب على الريال السابق، مع ذكر سنة ضربه.

و في سنة (١٣٧٠) سبعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة طبع لأول مرة في العهد السعودي الجنيه الذهب، و قد كتب على وجهه الأول في الوسط «عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود» و بدائره «ملك المملكة العربية السعودية» مع الشعار الحكومي، و هو سيفان متقاطعان، و عن يمينهما نخلة و عن يسارهما نخلة.

و كتب على وجهه الثاني في الوسط «ضرب في مكة المكرمة سنة (١٣٧٠)» و بدائره «جنيه عربي سعودي» مع كتابته رقم (١) و عن يمينه نخلة و عن شماله نخلة.

و كان وزن الجنيه الذهب درهمين و نصف درهم، مع العلم بأن الدرهم يساوي ستة عشر قيراطا.

انظر: صورة رقم ٢٣٠، بعض الصور للنقد السعودي

و كلمة (جنيه) ليست عربية، و معناها الدينار، و يطلق الجنيه في اصطلاح زماننا على العملة الذهبية أو ما يقوم مقامه من الأوراق النقدية، كالجنيه المصري، مثلا.

و لقد جاء عن معنى الجنيه الذهب، في مجلة الهلال المصرية في أربعين سنة، بتاريخ (١٩٣٢) ميلادية، ما يأتي:

الجنيه، هو مأخوذ من جينيا أو غينيا، بلاد واقعة على سواحل إفريقيا. و في سنة (١٥٨٨) ميلادية تألفت شركة تجارية إنجليزية سارت إليها للتجارة، و أخذت ترسل من محصولات تلك البلاد إلى إنجلترا، و في جملة ذلك معدن الذهب، فضربت الحكومة الإنجليزية من هذا الذهب دنانير سمّتها باسم تلك البلاد. و لم تكن ضربت الليرات الإنجليزية المتداولة، و أقدم تلك الجنيهات ضرب سنة (١٦٦٣)، و قد نقش عليها صورة الفيل، إشارة إلى أنه ذهب إفريقي. و في سنة (١٨١٧) م ضربت الليرة الإنجليزية، و أبطل ضرب الجنيهات المتقدم ذكرها.

انتهى من المجلة المذكورة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٧٠

ثم في سنة (١٣٧٤) أعيد طبع الريال للمرة السادسة و كتب على وجهيه ما كتب على الريال السابق مع ذكر سنة ضربه. و طبع في السنة المذكورة أيضا نصف الريال و ربه.

و في سنة (١٣٧٦) طبع من النقود النيكل قطعة من فئة القرش الواحد، كتب على أحد وجهيها «قرش واحد ١٣٧٦» و كتب على الوجه الثاني ما يأتي:

«سعود بن عبد العزيز السعود ملك المملكة العربية السعودية»، و جعل في وسطه شعار المملكة و هو نخلة و سيفان متقاطعان.

و في السنة المذكورة أي سنة (١٣٧٦) هجرية طبع من النقود النيكل قطعة من فئة القرشين، كتب على أحد وجهيها «قرشان ١٣٧٦». و كتب على الوجه الثاني ما يأتي: «سعود بن عبد العزيز السعود ملك المملكة العربية السعودية»، و جعل في وسطه شعار المملكة و هو نخلة و سيفان متقاطعان.

و في سنة (١٣٧٦) ه أيضا طبع من النقود النيكل قطعة من فئة أربعة قروش، كتب على أحد وجهيها «أربعة قروش» مع ذكر السنة التي

ضربت فيها. و كتب على الوجه الثاني ما كتب على قطعة القرشين السابقة.

### استعمال الأوراق النقدية في المملكة السعودية

لم يسبق للحكومات السابقة في الحجاز أن طبعت أوراقا نقدية للتعامل بها، فلما تولت الحكومة العربية السعودية عليها، أصدرت لأول مرة في سنة (١٣٧٢) ألف و ثلاثمائة و اثنتين و سبعين هجرية، ورقة من فئة «عشرة ريالات». طولها أربعة عشر سنتيمتر، و عرضها ستة سنتيمتر و نصف، كتب على وجهها الأول في أعلى الورقة: «مؤسسة النقد العربي السعودي»، و في الجانب الأيمن منها ما يأتي:

صدر هذا الإيصال من قبل المؤسسة لتيسير أداء حامله فريضة الحج، و ذلك بجعل حصوله على الريالات العربية، في متناول يده بسهولة و سرعة، أثناء إقامته في البلاد العربية السعودية، و بدون تكبده نفقة الصرافة.

و كتب في الجانب الأيسر منها ما يلي: نشهد بأن المؤسسة تقتنى في خزنتها بجدة مبلغ عشرة ريالات عربية تحت طلب حامل هذا الإيصال. و هو قابل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٧١

للصرف الكامل، و تدفع قيمته فور تقديمه من قبل حامله إلى أى مركز من مراكز المؤسسة. الإصدار الأول (١٣٧٢). و ذلك تحت توقيع نائب رئيس مجلس الإدارة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله السلیمان، و المحافظ المستر جورج بلاور، و نائب المحافظ راسم الخالدي.

و في وسط الورقة وضع الشعار السعودي، و في جميع أركانها الأربعة كتب رقم (١٠) بالعربي و الإنجليزي، و كتب في أسفل الورقة ما نصه: دس ريال، عشرة ريالات، ده ريال، سقوله ريال، مع بعض حروف أو كلمات إنجليزية.

و كتب على وجهها الثاني من أعلى الورقة أرقام متسلسلة و من أسفلها كلمات إنجليزية، و في جميع أركانها الأربعة رقم (١٠) بالعربي و الإنجليزي.

و في وسط الورقة كتب ما نصه: تحتفظ مؤسسة النقد العربي السعودي في خزائنها بمبلغ عشرة ريالات، تحت طلب حامل هذا الإيصال، و هو إيصال قابل للتحويل بدون قيد أو شرط.

ثم ترجمت بعد ذلك هذه العبارة إلى ثلاث لغات مختلفة.

ثم صدرت، في عام (١٣٧٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاثة و سبعين هجرية، ورقة نقدية من فئة «عشرة ريالات» طولها سبعة عشر سنتيمتر و عرضها ثمانية سنتيمتر.

كتب على وجهها الأول في أعلى الورقة «مؤسسة النقد العربي السعودي» ثم رقم متسلسل. و في الجانب الأيمن منها ما يأتي: «صدر هذا الإيصال من قبل المؤسسة لتيسير أداء حامله فريضة الحج، و ذلك بجعل حصوله على الريالات العربية في متناول يده، بسهولة و سرعة، أثناء إقامته في البلاد العربية السعودية، و بدون تكبده نفقة الصرافة» و تحت ذلك كتب «دس ريال، عشرة ريالات»، ثم كلمات إنجليزية، و تحتها رقم متسلسل. و كتب في الجانب الأيسر منها ما يلي:

«نشهد بأن المؤسسة تقتنى في خزنتها بجدة مبلغ عشرة ريالات عربية، تحت طلب حامل هذا الإيصال. و هو قابل للصراف الكامل و تدفع قيمته فور تقديمه من قبل حامله إلى أى مركز من مراكز المؤسسة» و كتب تحت ذلك «ده ريال، سقوله ريال» ثم كلمات إنجليزية، و بعدها مذکور عام صدورها و هو (١٣٧٣). و كل ذلك تحت توقيع نائب رئيس مجلس الإدارة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله السلیمان، و المحافظ المستر جورج بلاور، و نائب المحافظ راسم الخالدي.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٧٢

و في وسط الورقة وضع رسم لميناء جدة، و به السناييك، و في جميع أركانها الأربعة كتب رقم (١٠) بالعربي و الإنجليزي. و كتب في

أسفل الورقة كلمات إنجليزية.

و كتب على وجهها الثاني من أعلى الورقة «مؤسسة النقد العربي السعودي».

و في الجانب الأيمن و الأيسر منها وضع الشعار السعودي، و في وسطها كتب ما يلي: «تحتفظ مؤسسة النقد العربي السعودي في خزائنها بمبلغ عشرة ريالات تحت طلب حامل هذا الإيصال، و هو إيصال قابل للتحويل بدون قيد أو شرط» ثم ترجمت بعد ذلك إلى ثلاث لغات مختلفة، و وضع في وسط هذا الترجمة رقم (١٠).

و في جميع أركانها الأربعة رقم (١٠) بالعربي و الإنجليزي. و في أسفلها مكتوب «عشرة ريالات».

ثم في عام (١٣٧٣) ه أيضا صدرت ورقة نقدية من فئة «خمس ريالات» طولها خمسة عشر سنتيمتر و نصف و عرضها ستة سنتيمتر و نصف.

كتب على وجهها الأول في أعلى الورقة «مؤسسة النقد العربي السعودي» ثم رقم متسلسل. و في الجانب الأيمن منها ما يأتي: «صدر هذا الإيصال من قبل المؤسسة لتيسير أداء حامله فريضة الحج، و ذلك بجعل حصوله على الريالات العربية في متناول يده، بسهولة و سرعة، بمجرد وصوله إلى البلاد العربية السعودية، و بدون تكبده نفقة الصرافة». و تحت ذلك كتب «يخ ريال، بانج ريال» ثم كلمات إنجليزية، و تحتها كتب العام الذي صدرت فيه و هو عام (١٣٧٣) ه و بعد ذلك رقم متسلسل.

و كتب في الجانب الأيسر منها ما يلي: «نشهد بأن المؤسسة تقتنى في خزنتها بجدة مبلغ خمسة ريالات عربية تحت طلب حامل هذا الإيصال. و هو قابل للصرف الكامل و تدفع قيمته فور تقديمه من قبل حامله إلى أي مركز من مراكز المؤسسة» و كتب تحت ذلك «ليم ريال، خمسة ريالات» ثم كلمات إنجليزية.

و كل ذلك تحت توقيع نائب رئيس مجلس الإدارة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله السليمان، و المحافظ المستر جورج بلاور و نائب المحافظ راسم الخالدي.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٧٣

و في وسط الورقة وضع رسم لميناء جدة و به سنوك، و في جميع أركانها الأربعة كتب رقم (٥) بالعربي و الإنجليزي. و كتب في أسفل الورقة كلمات إنجليزية.

و كتب على وجهها الثاني من أعلى الورقة «تحتفظ مؤسسة النقد العربي السعودي في خزائنها بمبلغ خمسة ريالات تحت طلب حامل هذا الإيصال، و هو إيصال قابل للتحويل بدون قيد أو شرط».

و في الجانب الأيمن و الأيسر منها ترجمت هذه الكلمة إلى أربع لغات مختلفة.

و في وسط هذه الورقة وضع الشعار السعودي. و في جميع أركانها الأربعة رقم (٥) بالعربي و الإنجليزي. و كتب في أسفل الورقة كلمات إنجليزية.

ثم صدرت في عام (١٣٧٥) ورقة نقدية من فئة «ريال واحد» طولها ثلاثة عشر سنتيمترا و عرضها سبعة سنتيمتر.

كتب على وجهها الأول في أعلى الورقة «مؤسسة النقد العربي السعودي».

و في الجانب الأيمن منها ذكرت السنة التي صدرت فيها و هي سنة (١٣٧٥) هجرية، ثم كتب ما يأتي: «صدر هذا الإيصال، من قبل المؤسسة، لتيسير أداء حامله فريضة الحج، و ذلك بجعل حصوله على الريالات العربية في متناول يده، بسهولة و سرعة، أثناء إقامته في البلاد العربية السعودية، و بدون تكبده نفقة الصرافة» و تحت ذلك كتب «ريال واحد، ساتو ريال». ثم كلمات إنجليزية و تحتها رقم متسلسل.

و كتب في الجانب الأيسر منها رقم متسلسل، ثم «نشهد بأن المؤسسة تقتنى في خزنتها بجدة مبلغ ريال عربي واحد تحت طلب حامل هذا الإيصال، و هو قابل للصرف الكامل و تدفع قيمته فور تقديمه من قبل حامله إلى أي مركز من مراكز المؤسسة» و كتب تحت

ذلك «يك ريال، ايك ريال» ثم كلمات إنجليزية. و كل ذلك تحت توقيع رئيس مجلس الإدارة الشيخ محمد سرور الصبان و المحافظ المستر استندش.

و فى وسط الورقة رسم لجانبى الشارع المؤدى إلى القصر الملكى بجدة و قد ظهرت البوابة الرئيسة للقصر فى نهايته. و فى جميع أركانها الأربعة كتب رقم (١) بالعربى و الإنجليزى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٧٤

و كتب من أسفل الورقة كلمات إنجليزية.

و كتب على وجهها الثانى من أعلى الورقة «تحتفظ مؤسسة النقد العربى السعودى فى خزائنها بمبلغ ريال واحد تحت طلب حامل هذا الإيصال، و هو إيصال قابل للتحويل بدون قيد أو شرط.

و فى الجانب الأيمن منها و الأيسر ترجمة لهذه الكلمة بأربع لغات مختلفة. و فى وسط هذه الورقة وضع الشعار السعودى. و فى جميع أركانها الأربعة رقم (١) بالعربى و الإنجليزى.

هذا و فى أول عام (١٣٨٥) من الهجرة كنا طلبنا من سعادة محافظ مؤسسة النقد العربى السعودى بجدة، أن يتكرم فيفيدنا ببعض المعلومات الهامة عن النقد السعودى، فورد لنا منه الجواب الآتى، نذكره هنا بنصه، و هو هذا:

«فضيلة الأستاذ الجليل محمد طاهر كردى السليمان

مكة المكرمة

تحية طيبة و بعد،

تلبية لرغبة فضيلتكم برقيا برقم ٣٢ / ٢٣ فى ١١ / ١ / ٨٥ يسرنا أن نورد لكم أدناه المعلومات المطلوبة.

١- طرحت إيصالات الحجاج «فئة عشرة ريالات الطبعة الأولى» فى التداول يوم ١٨ / ١١ / ٣٧٢ هـ الموافق ٢٩ / ٧ / ١٩٥٣ م و استمر التعامل بها بجانب الريالات الفضية و الجنيهات الذهبية.

٢- و لقد ظهرت الطبعة الثانية من إيصالات الحجاج «فئة عشرة ريالات» فى التداول بتاريخ ١٥ / ٩ / ١٣٧٣ هـ الموافق ١٨ / ٥ / ١٩٥٤ م.

٣- أما فئة الخمسة ريالات من إيصالات الحجاج فقد ظهرت فى التداول بتاريخ ١٣ / ١٠ / ١٣٧٣ هـ الموافق ١٤ / ٦ / ١٩٥٤ م و فئة الريال الواحد يوم ٢٣ / ١١ / ١٣٧٥ هـ الموافق ٢ / ٧ / ١٩٥٦ م.

٤- و لقد حددت المادة الثانية من المرسوم الملكى رقم ٦ الصادر فى أول رجب ١٣٩٧ هـ قيمة الريال السعودى ب (١٩٧٤٨٢) ر. جرام من الذهب الخالص، و بصدر هذا المرسوم توقف التعامل بالريالات الفضية كعملة قانونية للبلاد.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٧٥

و ختاماً نرجوا من الله لكم التوفيق فى إنهاء مؤلف تاريخ مكة. و الله الموفق»

المحافظ: أنور على

و لقد ذكرنا فى كتابنا «تاريخ الخط العربى و أدبه» المطبوع على نفقة مكتبة الهلال بمصر، عن النقود الموجودة إلى اليوم، ما يأتى: و أما ما يوجد من النقود و الأوراق البردية المكتوبة فى دار الكتب العربية بمصر فنحو خمسة آلاف قطعة من النقود العربية من ذهبية و فضية و نيكل و برونز، من العهد القديم إلى الآن، أقدمها دينار عبد الملك بن مروان ضرب سنة (٧٧) هـ، و هو أول دينار ضرب فى الإسلام فى عهد بنى مروان. (و يوجد) فى متحف الاسكندرية نقود من عهد البطالسة (و توجد فى المتحف الأدبى (بفينا) عاصمة النمسا خطوط مكتوبة سنة ٢٤ هجرية، و قد رآها الشيخ محمد عبده، مفتى الديار المصرية رحمه الله تعالى بفينا، كما توجد فيها مجموعة قيمة من نقود ملوك حمير، فإنهم كانوا ينقشون عليها صورهم و أسماءهم و أسماء المدن التى ضربت فيها بالحرف المسند (الحروف الحميرية) و أحيانا ينقشون عليها صور الثور أو الصقر أو البومة. و هنا نضع صور بعض النقود الإسلامية القديمة. انتهى منه.

هذا ما ذكرناه في كتابنا المذكور عن النقود فقط، و ذكرنا فيه أيضا كثيرا مما يوجد اليوم في دور الآثار و المتاحف، من مختلف الأشياء و المخطوطات، لم نقلها هنا حتى لا يطول بنا الكلام.

و حينذا لو أن الحكومات الإسلامية كافة، من عرب و عجم، لو اتفقوا على استعمال نقود موحدة بجميع أنواعها و أجزاءها، بعد أن يتفقوا على وضع أسماء خاصة لها، بجميع أجزائها من ذهب أو فضة أو نيكل أو برونز أو صفيح. ففي هذا تيسير كبير للمسافرين بين البلدان الإسلامية قاطبة، و يسهل تعاملهم بين جميع الطبقات، حتى في مسائل التجارة، فلا يحتاجون إلى مقارنة الأسعار بين بلدتهم و البلدة التي سافروا إليها.

### أول استعمال عملة النقد و عملة الورق

جاء في مجلّة «الهِلال»، في الجزء الرابع من السنة الأربعين: إن أول من استعمل النقود المعدنية أهالي ليديا، بآسيا الصغرى، و أول قطعة سكّت كانت في سنة ٧١٦ قبل الميلاد. أما عملة الذهب فالمعروف أن أول من أمر بسكّها هو التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٧٦

قارون «كروسوس» ملك لسيدا حوالى سنة ٥٥٠ قبل الميلاد، و لا يعلم متى بدئ باستعمال ورق النقد على وجه التحقيق. و قد زعم بعض المؤرخين أن الصينيين أول من استعمل ورق النقد، ولكن هذا لم يثبت بعد، و الأرجح أن إنجلترا أول من استعمل البنكوت، بعد حرب نابليون، و يوجد الكلام على البنك و البنكوت في مجلّة «مصر الحديثة» المصورة بتاريخ ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٣٠.

### التعامل بالفلوس الورق

و قال ابن بطوطة في رحلته التي كانت سنة (٧٢٥) خمس و عشرين و سبعمائة من الهجرة، ما يأتي:  
و أهل الصين لا يتبايعون بدينار و لا درهم و جميع ما يتحصل ببلادهم من ذلك يسبكونه قطاعا، كما ذكرناه و إنما بيعهم و شراؤهم بقطع كاغد «الكاغد هو الورق بفتح الواو و الراء» كل قطعة منها بقدر الكف، مطبوعة بطبع السلطان، و تسمى الخمس و العشرين قطعة منها «بالشت» بياء موحدة و ألف و لام مكسورة و شين معجم مسكن و تاء معلوّة. و هى بمعنى الدينار عندنا، و إذا تمزقت تلك الكواغد «أى الأوراق»، فى يد إنسان حملها إلى دار كدار السكة عندنا، فأخذ عوضها جددا، و دفع تلك الكواغد، و لا يعطى على ذلك أجره و لا سواها، لأن الذين يتولون عملها لهم الأرزاق الجارية من قبل السلطان.  
و قد و كل بتلك الدار أمير من كبار الأمراء، و إذا مضى الإنسان إلى السوق بدرهم فضة أو دينار ذهب يريد شراء شىء، لم يؤخذ منه و لا يلتفت إليه حتى يصرفه ب «البالشت» و يشتري به ما أراد. انتهى من رحلة ابن بطوطة.

### النقود

جاء فى الجزء الثالث من كتاب «المطالعة الوافية» عن استعمال النقود و ذلك نقلا بتصرف من كتاب «موجز النقود و السياسة النقدية» تأليف زكريا مهران، ما يأتي:

عاش الإنسان أول أمره مع الحيوان محدود المطامع، فإن بدت له حاجة اغتصبها، فإن لم يستطع انصرف عنها عاجزا ثم اتخذ من الحجارة عددا يتقى بها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٧٧

الضواري، أو يصيدها، فيتخذ من لحومها طعاما، و من جلودها لباسا ثم لم يلبث أن وجد قضاء حاجاته فى المقايضة، فاجتاز مرحلة الحياة غصبا إلى مرحلة المقايضة طوعا.

و كانت الحاجات المتبادلة هي اللحوم و الجلود و العظام. و اللحوم سريعة العطب، فلم تصلح للتبادل، و بقيت الجلود و العظام. و لا تزال بعض قبائل الهنود في أمريكا، و الزنوج في أفريقية، تتعامل بعظام الحيوان.

ثم عرف الإنسان الزراعة، و استأنس الماشية، و عثر على النحاس، فاستخدمه في تقوية عدده الخشبية و الحجرية، و صنع منه آلات لأغراض مختلفة.

و في ذلك الوقت أدرك الإنسان معنى الرزق و الثروة، و تعامل بأنفس ما يملكه من عدد القتال، و أدوات الفلاحة، و الغلات الزراعية، و الماشية. و قد كان للثور شأن عظيم، في تاريخ المقايضة، فقد كان له من القيمة ما للذهب الآن، و لذلك رسمه قدماء المصريين على آثارهم جاثما في كفة ميزان، و في الكفة الأخرى حلقات المعادن المعروفة لعهدهم. و كذلك كان قدماء الإغريق، شأنهم في ذلك الوقت البعيد شأن قبائل خط الاستواء اليوم، إذ يقدرون الرقيق و الأسلحة و البارود بالثيران.

و الحقيقة أن العرف و العادة، في كل شعب، كانا يقضيان دائما بالتماس مادة نافعة أو ضرورة من المواد الموفرة لديه، يتبادل بها أفرادها فيما بينهم تبادل النقود، و يرضونها، تسهيلا لمعاملاتهم، أو تحقيقا لمنفعة.

ثم أدرك الإنسان أن تلك السلع، مرهقة في التبادل بها، فالماشية تحتاج إلى إطعام، و إيواء و رعاية، و قد تنفق أو تمرض. و الغلات قد يلحقها الفساد، إذا تقادم عليها العهد، و قد تلتهمها النيران أو الفيضان، أو تكسد سوقها، فلا بد إذن من الاعتماد على سلعة، تجمع بين النفاسة و السلامة و يسر الاستعمال. فأتخذ من المعادن وسيطا في التبادل، و تدرج فيها و في قيمها و أشكالها و حجومها و أوزانها و وجوه استخدامها على صور متعددة شتى.

ثم جاء دور إشراف الحكومات على العملة المعدنية، كي يأمن المتعاملون الغش و التزييف، و لا سيما إذا كانت من معدن نفيس كالذهب و الفضة، و سنت الدول القديمة كمصر و الإغريق القوانين، تنص على عقوبات صارمة لمن يغش أو يخدع.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٧٨

ثم قامت الحكومات نفسها بسك النقود التي تحتاج إليها، و طبعها بطابعها الرسمي، و حرمت على الأفراد أن يسكوها، كما حرمت عليهم استعمال المعادن النفيسة، إلا إذا كانت مختومة بخاتمها.

و أجمع الباحثون على أن الشعب المصري القديم، كان أول الشعوب التي سكت العملة المعدنية، فقد ثبت أن قدماء المصريين، قد تعاملوا و تعاقدوا، و قدروا قيم السلع بحلقات من المعادن، ذات أوزان ثابتة، أقدمها من النحاس، و ذلك قبل المسيح بأربعة آلاف سنة. أما حلقات الذهب، فقد اتخذوها عملة قبل المسيح بنحو ألف و مائتي سنة، و أما الفضة فقد كانت نادرة عندهم فاستعملوها بعد ذلك.

أما التعامل بقطع يضربها الحاكم باسمه، فالخلاف في ذلك، قائم بين الباحثين: فذهب بعضهم إلى أن الصينيين كانوا أول من فعل ذلك قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة، و ذهب «هيروdot» إلى أن الليديين كانوا أسبق منهم.

هذا و عرفت مصر قديما، سك النقود التي يصدرها الحاكم باسمه بعد الفتح المقدوني، فقد ضرب الاسكندر لنفسه عملة يخلد بها ذلك الفتح، و انتسابه لآمون بمعبد سيوة، فرسم صورته على تلك العملة، واضعا قرنين في رأسه، دلالة على انتسابه لآمون، الذي كان شعاره الكبش ذا القرنين، و لذلك سمى بالاسكندر ذي القرنين.

و لما آلت مصر إلى حكم البطالسة «بعد موت الاسكندر و تقسيم ملكه» سكت لنفسها نقودا، تعد من أرقى النقود و أجملها، في دار بنتها و استخدمت لها الفنانين من بلاد الإغريق، و قد راجت هذه النقود و انتشرت بين جميع أمم البحر المتوسط أيام كانت الاسكندرية وطن المال و العلوم.

انتهى من كتاب «المطالعة الوافية».

قال العلامة ابن خلدون المولود سنة (٧٣٢) سبعمائة واثنتين و ثلاثين هجرية و المتوفى سنة (٨٠٨) هجرية في مقدمته عن النقود عند الكلام على الخطط الدينية الخلافية، ما يأتي:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٧٩

و أما السكة فهي النظر بالنقود المتعامل بها بين الناس، و حفظها مما يداخلها من الغش أو النقص، إن كان يتعامل بها عددا أو ما يتعلق بذلك، و يوصل إليه من جميع الاعترافات، ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود، بالاستجادة و الخلوص، برسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد، اتخذ لذلك، و نقش فيه نقوش خاصة به، فيوضع على الدينار بعد أن يقدر و يضرب عليه بالمطرقة حتى ترسم فيه تلك النقوش، و تكون علامة على جودته، بحسب الغاية التي وقف عندها السبك و التخليص في متعارف أهل القطر، و مذاهب الدولة الحاكمة، فإن السبك و التخليص في النقود لا يقف عند غاية، و إنما ترجع غايته إلى الاجتهاد، فإذا وقف أهل أفق أو قطر على غاية من التخليص وقفوا عندها، و سموها إماما و عيارا يعتبرون به نقودهم و ينتقدونها، فإن نقص عن ذلك كان زيفا، و النظر في ذلك كله لصاحب هذه الوظيفة و هي دينية بهذا الاعتبار، فتندرج تحت الخلافة و قد كانت تندرج في عموم ولاية القاضي، ثم أفردت لهذا العهد كما وقع في الحسبة هذا آخر الكلام في الوظائف الخلافية. انتهى من مقدمة ابن خلدون.

ثم قال ابن خلدون في النقود أيضا، في موضع آخر، عند الكلام على شارات الملك و السلطان، ما يأتي: السكة: و هي الختم على الدينار و الدراهم المتعامل بهما بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة، و يضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة، بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى، و بعد تقدير أشخاص الدراهم و الدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه، فيكون التعامل بها عددا، أو إن لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزنا، و لفظ السكة كان اسما للطابع، و هي الحديثة المتخذة لذلك، ثم نقل إلى أثرها و هي النقوش الماثلة على الدنانير و الدراهم، ثم نقل إلى القيام على ذلك و النظر في استيفاء حاجاته و شروطه، و هي الوظيفة، فصار علما عليها في عرف الدول، و هي وظيفة ضرورية للملك، إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات، و يتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة، و كان ملوك العجم يتخذونها و ينقشون فيها تماثيل تكون مخصوصة بها، مثل تمثال السلطان لعهدا أو تمثيل حصن أو حيوان أو مصنوع أو غير ذلك، و لم يزل هذا الشأن عند العجم إلى آخر أمرهم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٨٠

و لما جاء الإسلام أغفل ذلك لبداءة العرب، و كانوا يتعاملون بالذهب و الفضة و زنا، و كانت دنانير الفرس و دراهمهم بين أيديهم، يردونها في معاملتهم إلى الوزن و يتصارفون بها بينهم، إلى أن تفاحش الغش في الدنانير و الدراهم لغفلة الدولة عن ذلك. و أمر عبد الملك الحجاج، على ما نقل سعيد بن المسيب و أبو الزناد، بضرب الدراهم و تمييز المغشوش من الخالص و ذلك سنة أربع و سبعين، و قال المدائني سنة خمس و سبعين: ثم أمر بصرفها في سائر النواحي سنة ست و سبعين، و كتب عليها «الله أحد الله الصمد»، ثم ولي ابن هبيرة العراق، أيام يزيد بن عبد الملك، فوجد السكة، ثم بالغ خالد القسري في تجويدها، ثم يوسف بن عمر بعده.

وقيل: أول من ضرب الدنانير و الدراهم مصعب بن الزبير بالعراق، سنة سبعين بأمر أخيه عبد الله، لما ولي الحجاز، و كتب عليها في أحد الوجهين «بركة الله» و في الآخر «اسم الله»، ثم غيرها الحجاج بعد ذلك بسنة و كتب عليها اسم الحجاج، و قدر وزنها على ما كانت استقرت أيام عمر، و ذلك أن الدرهم كان وزنه أول الإسلام ستة دوانق، و المثقال وزنه درهم و ثلاثة أسباع درهم، فتكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل.

و كان السبب في ذلك أن أوزان الدرهم أيام الفرس كانت مختلفة، و كان منها على وزن المثقال عشرون قيراطا و منها اثنا عشر و

منها عشرة، فلما احتيج إلى تقديره في الزكاة أخذ الوسط، وذلك اثنا عشر قيراطا. فكان المثلثال درهما و ثلاثة أسباع درهم، وقيل: كان منها البغلي بثمانية دوانق، و الطبرى أربعة دوانق، و المغربى ثمانية دوانق، و اليمنى ستة دوانق، فأمر عمر أن ينظر الأغلِب في التعامل، فكان البغلي و الطبرى و هما اثنا عشر دونقا، و كان الدرهم ستة دوانق، و إن زدت ثلاثة أسباعه كان مثقالا، و إذا نقصت ثلاثة أعشار المثلثال كان درهما، فلما رأى عبد الملك اتخاذ السكة لصيانة النقدين الجارين في معاملة المسلمين من الغش، فعين مقدارها على هذا الذى استقر لعهد عمر، رضى الله عنه، و اتخذ طابع الحديد و اتخذ فيه كلمات لا صورا. العرب كان الكلام و البلاغة أقرب مناجيهم و أظهرها، مع أن الشرع ينهى عن الصور، فلما فعل ذلك استمر بين الناس فى أيام الملة، و كان الدينار و الدرهم على شكلين مدورين، و الكتابة عليهما فى دوائر متوازية، يكتب فيها من أحد الوجهين أسماء الله تهليلا و تحميذا و صلاة التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٨١

على النبى و آله، و فى الوجه الثانى التاريخ و اسم الخليفة، و هكذا أيام العباسيين و العبيديين و الأمويين. و أما صنعها فلم يتخذوا سكة لآخر الأمر، اتخذها منصور صاحب بجاية، ذكر ذلك ابن حماد فى تاريخه، و لما جاءت دولة الموحدين، كان مما سن لهم المهدي إتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل، و أن يرسم فى دائرة الدينار شكل مربع فى وسطه، و يملأ من أحد الجانبين تهليلا و تحميذا، و من الجانب الآخر كتبا فى السطور باسمه و اسم الخلفاء من بعده، ففعل ذلك الموحدون، و كانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد. و لقد كان المهدي، فيما ينقل، ينعى قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع، نعته بذلك المتكلمون بالحدثان من قبله المخبرون فى ملاحمهم عن دولته، و أما أهل المشرق لهذا العهد فسكتهم غير مقدره، و إنما يتعاملون بالدنانير و الدراهم وزنا بالصنجات المقدره بعده منها، و لا يطبعون عليها بالسكة نقوش الكلمات بالتهليل و الصلاة، و اسم السلطان، كما يفعل أهل المغرب، ذلك تقدير العزيز العليم. انتهى من مقدمه ابن خلدون.

### مقدار الدينار و الدرهم الشرعيين

قال ابن خلدون فى مقدمته عن مقدار الدرهم و الدينار، عند الكلام على شارات الملك و السلطان ما يأتى: و لنختم الكلام فى السكة بذكر حقيقة الدرهم و الدينار الشرعيين و بيان حقيقة مقدارهما، و ذلك أن الدينار و الدرهم مختلفا السكة فى المقدار، و الموازين بالآفاق و الأمصار، و سائر الأعمال، و الشرع قد تعرض لذكرهما و علق كثيرا من الأحكام بهما، فى الزكاة و الأنكحة و الحدود و غيرهما، فلا بد لهما عنده من حقيقة و مقدار معين، فى تقدير تجرى عليهما أحكامه دون غير الشرعى منهما.

فاعلم أن الإجماع منعقد منذ صدر الإسلام و عهد الصحابة و التابعين، أن الدرهم الشرعى هو الذى تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب، و الأوقية منه أربعين درهما، و هو على هذا سبعة أعشار الدينار، و وزن المثلثال من الذهب اثنتان و سبعون حبة من الشعير، فالدرهم الذى هو سبعة أعشاره خمسون حبة و خمسا حبة، و هذه المقادير كلها ثابتة بالإجماع، فإن الدرهم الجاهلى كان بينهم على أنواع، أوجدها الطبرى و هو ثمانية دوانق، و البغلي و هو أربعة دوانق، فجعلوا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٨٢

الشرعى بينهما و هو ستة دوانق، فكانوا يوجبون الزكاة فى مائة درهم بغلية، و مائة طبرية، خمسة دراهم وسطا. و قد اختلف الناس هل كان ذلك من موضع عبد الملك، أو إجماع الناس بعد عليه كما ذكرناه، و ذكر ذلك الخطابى فى كتاب معالم السنن، و الماوردى فى الأحكام السلطانية، و أنكره المحققون من المتأخرين لما يلزم عليه أن يكون الدينار و الدرهم الشرعيان مجهولين، فى عهد الصحابة و من بعدهم، مع تعلق الحقوق الشرعية بهما فى الزكاة و الأنكحة و الحدود و غيرهما كما ذكرناه. و الحق أنهما كانا معلومى المقدار فى ذلك العصر، لجريان الأحكام يومئذ بما يتعلق بهما من الحقوق، و كان مقدارهما غير مشخص فى الخارج، و إنما كان متعارفا بينهما بالحكم الشرعى، على المقدار فى مقدارهما وزنتهما، حتى استفحل الإسلام و عظمت الدولة، و



دعت الحال إلى تشخيصهما في المقدار والوزن، كما هو عند الشرع، ليستريحوا من كلفة التقدير، وقرن ذلك أيام عبد الملك فشخص مقدارهما، وعينهما في الخارج كما هو في الدهن، ونقش عليهما السكة باسمه وتاريخه، إثر الشهادتين الإيمانيتين، وطرح النقود الجاهلية رأساً حتى خلصت، ونقش عليها سكة، وتلاشى وجودها.

فهذا هو الحق الذي لا محيد عنه، ومن بعد ذلك وقع اختيار أهل السكة على مخالفة المقدار الشرعي في الدينار والدرهم، واختلفت في كل الأقطار والآفاق، ورجع الناس إلى تصور مقاديرهما الشرعية ذهناً، كما كان في الصدر الأول، وصار أهل كل أقطار يستخرجون الحقوق الشرعية من سكتهم بمعرفة النسبة التي بينهما وبين مقاديرهما الشرعية.

وأما وزن الدينار باثنين وسبعين حبة من الشعير الوسط، فهو الذي نقله المحققون وعليه الإجماع، إلا ابن حزم خالف ذلك وزعم أن وزنه أربعة وثمانون حبة، نقل ذلك عنه القاضي عبد الحق وردّه المحققون وعدّه وهماً وغلطاً وهو الصحيح، والله يحق الحق بكلماته، وكذلك تعلم أن الأوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس، لأن المتفارقة مختلفة باختلاف الأقطار، والشرعية متحدة ذهناً، لا اختلاف فيها، والله خلق كل شيء فقدره تقديراً.

انتهى من مقدمة ابن خلدون.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٨٣

نقول: إنه يوجد بعض الكتب المؤلفة قديماً وحديثاً عن النقود الإسلامية منها كتاب مسكوكات إسلامية وهو باللغة التركية ومنها كتاب طبع بمصر نسينا اسمه.

و بمكتبة شيخ الإسلام حكمت عارف كتاب اسمه «نبذة في النقود الإسلامية» وهو بمره (٦٣٦).

## بعض آبار مكة المكرمة

### إشارة

مكة في سابق العصور والدهور، أي: قبل أن يأتي سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بابنه إسماعيل وأمه هاجر، كانت وادياً غير ذي زرع، ولم تكن بها طيور ولا ذات ضرع، بل كانت صحراء قاحلة ناشفة، مليئة بأشجار السلم، ذات الشوك التي تنبت بنفسها على مياه الأمطار فقط، فلم تكن بمكة في تلك العصور البعيدة أنهار ولا آبار مطلقاً، لذلك لم تكن مكة معروفة ولا مطروقة، فلا يمر بها بشر ولا طير ولا حيوان، لأنهم يحتاجون إلى الماء ولا ماء فيها.

فلما أذن الله تبارك وتعالى لخليله أبي الأنبياء، إبراهيم صلى الله عليه وسلم أن يذهب إلى مكة بابنه إسماعيل وأمه هاجر، عليهما الصلاة والسلام، ويسكنهما بمكة، ثم يعود وحده إلى فلسطين، عند زوجته الأولى سارة، رضى الله تعالى عنها، فامتثل أمر ربه عز وجل، وقام قاصداً مكة، يدلّه عليها جبريل، صاحب الأنبياء، عليه وعليهم الصلاة والسلام.

فلما وصل إليها وترك فيها ابنه الرضيع إسماعيل وأمه هاجر، ومعهما جراب من تمر وقربة من ماء، كما فصلنا ذلك في محله من هذا الكتاب، و نفذ ما عندهما من الماء القليل، عطش إسماعيل عليه الصلاة والسلام عطشاً شديداً حتى كاد يهلك، أغاثهما الله تعالى فأخرج لهما ماء زمزم فشربا منه، وبسبب وجود هذا الماء المبارك أقامت عندهما قبيلة جرهم، حتى عمرت مكة، شرفها الله تعالى، من ذلك الحين إلى عهدنا الحاضر.

فتكون بئر زمزم هي أول بئر وأقدم بئر عرفت بمكة المكرمة، ولم يكن بمكة قبلها بئر ولا ماء قط، ولا زالت عامرة سائغة واقية شافية إلى يوم القيامة بفضل الله تعالى ورحمته.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٨٤

الكلام على الآبار التي كانت موجودة بمكة شرفها الله تعالى قديما وحديثا، يطول شرحها ويعسر إحصاؤها؛ فبعضها قد طمرت قديما، أى قبل عصرنا الحاضر، وبعضها قد طمرت أيضا في عصرنا هذا، اعتمادا على وجود عين زبيدة، وهذا خطأ لا يقره الناس عليه، لأنه لو حصل خراب في عين زبيدة بسبب السيول أو غيرها، لتعب الناس أشد التعب في البحث عن الماء العذب، ولقد كتبنا مقالة مستفيضة في عام (١٣٧٥) هجريه، عن وجوب المحافظة على آبار مكة المشرفة، وذلك في بعض الجرائد المحلية التي كانت تصدر بمكة المشرفة ولا نبالغ إن قلنا إنه يوجد بمكة أكثر من مائة بئر صالحة للشرب و سقى الحدائق المنزلية، بالتحديد يوجد في محلة جرول وحدها نحو أربعين بئرا.

وها نحن نذكر الآن بعض آبار مكة المشرفة التي سمعنا عنها أو رأيناها وإليك بيان ذلك:

## الآبار التي كانت بمكة

### إشارة

من المعلوم أن مكة المشرفة لم يجعلها الله تعالى ذات عيون وأنهار، و مما لا شك فيه أنها حينما عمرت لابد و أن يكون فيها من المياه ما يكفي أهلها، فهذه المياه هي مياه الآبار، التي حفرت بها جاهلياً و إسلاماً، قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: لما انتشرت قريش بمكة و كثر ساكنها، قلت عليهم المياه و اشتدت المؤنة في الماء فحفروا بمكة آباراً. اهـ.

و لقد خصص الأزرقى مبحثاً للآبار التي بمكة قبل زمزم، و مبحثاً للآبار بعد زمزم في الجاهلية، و مبحثاً في الآبار الإسلامية، و مبحثاً للعيون التي أجريت في الحرم، و كل هذه المباحث قيمة، ولكن لو ذكرناها هنا لطلال بنا الكلام، فمن أحب الاطلاع عليها فليراجع الجزء الثاني من تاريخ الأزرقى.

و قول الأزرقى: الآبار التي كانت قبل زمزم ليس المقصود من القبليّة قبل خليل الله إبراهيم و ابنه إسماعيل عليهما الصلاة و السلام، لأنه لم تكن آبار بمكة قبل بئر زمزم مطلقاً، و التي كانت معجزة و كرامة لإسماعيل و أمه، و إنما المقصود بالقبليّة قبل حفر عبد المطلب بن هاشم موضع بئر زمزم، الذى كان قد درس مكانه و عفى أثره حينما استخفت جرهم بالحرم، و تهاونت بحرمه البيت و أكلت مال

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٨٥

الكعبة المعظمة، فلما أراد الله تعالى إكرام عبد المطلب بذلك بؤاه له، و عرفه موضعه، فقام بحفر مكان البئر حتى خرج له ماء زمزم ثانياً كما بينا قصّة ذلك.

و فى عصرنا هذا يوجد بمكة كثير من الآبار القديمة و الحديثه، مع أن ماء عين زبيدة و ماء عين العزيزية ملأتا أطراف مكة و لله الحمد، و ماء بعض هذه الآبار معدنية مهضمة نافع و لذيدة الطعم، خصوصاً إذا بردت فى الشراب و القلال و الأواني الفخارية كما جربناها بأنفسنا.

نسأل الله تعالى أن يديم نعمه على بلده الأمين، و أن يكثر ماءه و رزقه و خيره و أمنه و أمانه بفضلته و رحمته، إنه بعباده لطيف خبير.

### بئر زمزم

بئر زمزم هي أشرف آبار الدنيا على الإطلاق، و أول بئر خرجت فى مكة المشرفة لإسماعيل ابن خليل الله إبراهيم عليهما السلام، و قد

تقدم الكلام عليها بالتفصيل التام عند بنايات الكعبة المشرفة، فراجعه إن شئت فإنه مبحث نفيس.

### بئر ذى طوى

قال الغازى: أخرج الأزرقى عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذى طوى حين يعتمر، و فى حجته حين حج تحت سمره فى موضع المسجد. اه.

قال ابن الجوزى «فى المثير»: وقد بنته زبيدة «أى المسجد» كذا فى البحر العميق، قلت: وقد دثر هذا المسجد ولم يعرف الآن، كذا فى تحصيل المرام.

ثم قال الغازى ص ٣٩٣: قال الفاسى: هو الموضع الذى يستحب فيه الاغتسال للمحرم، هو على مقتضى ما ذكره الأزرقى فى الموضع الذى يقال له بين الحجونين، لأنه قال: بطن ذى طوى، ما بين مهبط ثنية المقبرة التى بالمعلاة، إلى الثنية القصوى التى يقال لها الخضراء، تهبط على قبور المهاجرين.

وقال النووى: إنه موضع أسفل مكة فى طريق العمرة المعتادة، و يعرف اليوم بآبار الزاهر، و استحباب الغسل بذى طوى للمحرم، هو مذهب الأئمة الأربعة، إلا أن أصحابنا لا يستحبونه للحائض و النفساء، لأنهما لا يؤمران بالطواف عند

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٨٦

قدومهما مكة، و الغسل إنما شرع لأجل الطواف، و الله تعالى أعلم، و إنما يطلب من المحرم الاغتسال إذا كان فى طريقه. انتهى. و جاء فى كتاب الغازى أيضا ما نصّه: قال السنجارى فى منائح الكرم: و فى سنة (١١٠١ هـ) أمر الصنجد محمد بيك ببناء بئر طوى، فبنى عليه طاجنا بقبة صغيرة، و بنى إلى جانبه مسقفا للباب و مطاهر و مسجدا، و جعل هناك صفة منتزه، و عين لها معلوما و جراية للخادم المقيم بها لوجه الماء جزاه الله خيرا.

انظر: الصور أرقام ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣ لباب و بئر ذى طوى، و يرى المؤلف و بعض أولاده على باب البئر التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم؛ ج ٣-٥؛ ص ٢٨٦

### بركة الماجن

جاء فى مختار الصحاح البركة بالكسر كالحوض، و الجمع البرك، قيل: سميت بذلك لإقامة الماء فيها، و كل شىء ثبت و أقام فقد برك. اه.

قال الغازى ص (٥٢١): بركة الماجن بالنون هى على طريق جبل ثور أسفل مكة، و شهيرة لدى العامة ببركة ماجد بالدال، و هى قديمة بئر غزيرة الماء مربعة الشكل تقريبا، يحيط بها سور بقدر قامه من الجهات الأربعة، و نحن فى ربيع الأول عام (١٣٧٦) ستة و سبعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، أخذنا قياس هذا السور فطول الجدار الذى يقابل الشمال و الذى فيه باب البركة واحد و ثلاثون مترا و ربع المتر، و مثله طول الجدار المقابل له، و طول الجدار الشرقى يقابل الجبل أربعون مترا، و مثله الجدار المقابل له. يقول الغازى عنها فى تاريخه ما يأتى:

أقول: هى الآن ملآنة، و بجانبها بستان للشريف على ابن المرحوم الشريف عبد الله يستقى منها، و قد رفع الشريف على جدرانها الأربع، بحيث لا يقدر أحد على النزول إليها، و كان الناس قبل ذلك ينزلون فيها و يغتسلون منها، و كثيرا منهم كانوا يغرقون و يعطبون فيها، و أما الآن فسلمت نفوسهم من العطب و الهلاك.

و الشريف على بن عبد الله المذكور، تولى أماره مكة بعد وفاة الشريف عون في عام (١٣٢٣) ثلاثة و عشرين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٨٧

قال الغازي: و قد عمرت و نظفت هذه البركة سنة (٨٤٨)، قال ابن فهد:

و في سنة ثمان و أربعين و ثمانمائة عمر السيد حسن ناظر الاسكندرية البركة بأسفل مكة، المعروفة ببركة الماجن، و أخرج ما كان فيها من التراب و رفع جدرانها الأربع. اه.

نقول: و قد سدوا سطح بركة ماجن في زماننا هذا سنة (١٣٨٠ هـ).

جاء في تاريخ الغازي نقلا عن تحصيل المرام، بعد الكلام على السيل الكبير الذي دخل المسجد الحرام سنة (١٢٧٨) ثمان و سبعين و مائتين و ألف ما يأتي:

و فيه أيضا في موضع آخر و في هذا السيل عثر مولانا الشريف عبد الله على عين ماء كشف عنها السيل أسفل مكة، تصب في (بركة ماجن)، فأمر بتبريح دبلها و تبعه بالحفر فأخذوا في الحفر، فمال بهم الدبل من البركة إلى قدام مولد سيدنا حمزة، ثم إلى مجرى السيل، من جهة جبل عمر، ثم مال بهم إلى الهجلة إلى السوق الصغير، ثم دخل من تحت باب إبراهيم، حتى خرج بهم من تحت منارة باب على، ثم أخذ على القشاشية، فوجدوا خرزة قدام بيت اليماني بجانب البئر من جهة سوق الليل، و أدركهم الحج و بطل العمل اه. انتهى من الغازي.

و الظاهر أن أول ما زرع عند بركة ماجن كان سنة (٨٥١) كما يفهم ذلك صريحا من عبارة ابن فهد، ثم كثر الزرع فيما بعد حتى صار الآن يطلق عليه بستان بركة ماجن.

انظر: صورة رقم ٢٣٤، بركة ماجن بالمسقلة بمكة سنة ١٣٧٦ هـ

و توجد في زماننا بعض آبار نذكر منها بئر الداوودية، و بئر الكحالية بالمعلا- و نظن أنها ردمت، و بئر جبير بن مطعم و هي بأول المدعا، أي عند الزقاق الملاصق لمسجد الراية بالجودية، و هي البئر التي بلصق جدار بيت الشريف الحسين بن علي ملك الحجاز الأسبق، رحمه الله تعالى.

قال الأزرقى عن هذه البئر: إن قصيا حفرها في الجاهلية، و بئر في بستان المنتزه التي في معمل الثلج بجهة مقبرة المعلا، و بئر في دار أبي سفيان بالمدعى، و التي تسمى اليوم بمستشفى القبان، و بئر في نفس المسجد الحرام عند باب إبراهيم، و هي بئر عظيمة جدا، و بئر في دار الأيتام التي بمحلة أجياد و هذه أيضا بئر عظيمة جدا، و هناك أبار أخرى بجهة الشبكية و بجهة أجياد و بجهة المعابدة و بجهة جرول.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٨٨

هذه الأبار موجودة إلى اليوم، و قد ذكر الإمام الأنزرقى، رحمه الله تعالى، في تاريخه بعض الآبار التي كانت في الجاهلية و بعد الإسلام بمكة المشرفة.

منى

إشارة

منى تكون أول منزل من منازل الحج، بعد مكة المشرفة، و تكون ثالث منزل من منازل الحج، لمن وقف بعرفات، أي هي آخر منازل الحج، بعد الوقوف بعرفات؛ فالعيد الأكبر للحجاج يكون في منى، يقضون فيها ثلاثة أيام بلياليها، ثم ينصرفون منها إلى مكة المشرفة،

ثم يرجعون إلى بلادهم.

والمسافة بين مكة والمشاعر المقدسة كما يأتي:

- (١) المسافة من المسجد الحرام إلى مسجد الخيف ٩ كيلو مترات.
- (٢) المسافة من مسجد الخيف إلى مسجد مزدلفه ٥ كيلو مترات.
- (٣) المسافة من مسجد مزدلفه إلى مسجد نمرة بعرفات ٧ كيلو مترات.
- (٤) المسافة من مسجد نمرة إلى مسجد الصخرات عند جبل الرحمة بعرفات ٣ كيلو مترات.

و يوجد بمنى مسجداً مهمان، أولهما مسجد الخيف و ثانيهما مسجد الكوثر.

انظر: صورة رقم ٢٣٥، خريطة منى في عهد الأتراك

انظر: صورة رقم ٢٣٦، جزء من منى في عهد الأتراك

انظر: صورة رقم ٢٣٧، سوق الجمال إلى المجزرة بمنى لذبحها في أيام الحج

### ذبح الهدايا بمنى

ذكر الغازي في تاريخه: نقلا عن تحصيل المرام ما يأتي:

إنه لما حصل الوباء بمكة، ثاني يوم النحر و استمر بمنى قبل السنة المذكورة بعام واحد، جاءت الأوامر، من الدولة العثمانية إلى مكة، في شهر شوال من السنة المذكورة، ببناء خمسمائة كنيف بمنى، و أن يجعلوا بها مكانا خاصا لذبح الحيوانات، و كانت قبل ذلك تذبح بها في كل مكان، انتهى منه.

راجع منظر ٣٠١، و هو صورة سوق الجمال إلى المجزرة بمنى لذبحها في أيام الحج.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٨٩

و في عصرنا الحاضر، خشية من حصول الأمراض و الوباء على الحجاج في منى، فقد أمرت الحكومة بتخصيص مكان في آخر منى تذبح فيه الحيوانات، على كافة أنواعها، و يسمى هذا المكان: (المجزرة) في عرف الحجازيين و بالمذبح في عرف المصريين. و هذا أمر مشكور مستحسن، ولكننا نقترح أن يجعل في أطراف منى عدة مذابح، ليسهل على الحجيج ذبح الأضحية و الفدية، و ما يأكلونه لأنفسهم، لأن مجزرة واحدة في منتهى منى يصعب على الحاج الذي في أول منى الوصول إليها، لذلك يضطر أن يذبح الحيوان في محل إقامته من خيمة أو تحت صخرة و إليك ما يأتي من التفاصيل:

لسنا نتكلم هنا عن حكم الذبائح و أنواعها و كيفية ذبحها و تفرقتها للمستحقين، و إنما نتكلم عن الأصل فيها من قديم الزمان، ناقلين كلام البتونوني في كتابه «الرحلة الحجازية» فإنه قال رحمه الله تعالى ما ملخصه: القربان شيء كان يتقرب به الناس من قديم الزمان إلى الله تعالى، و كان يختلف نوعه باختلاف الأزمنة و الأمكنة، و أول ما وصلنا من أمر القربان أن قابيل بن آدم قرب إلى الله شيئا من ثمرات أرضه، و قرب أخوه هابيل ذبيحة من أبقار غنمه، قال الله تعالى:

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ.

و بعد الطوفان بنى نوح مذبحا لله قرب إليه فيه كثيرا من الحيوانات، و كان يحرقها على المذبح، و كان إبراهيم يتقرب إلى الله تعالى بالخبز و الخمر، و قد أمره الله أن يذبح له عجله و عنزا و كبشا و حمامة و يمامة (انظر سفر التكوين آية ٩ و ١٧) كما أمره أن يفتدى ولده الذبيح بكبش يذبحه قربانا، و ذهبت على سنته العرب قبل الإسلام، ثم المسلمون من بعدهم في أضحياتهم، و كان بنو إبراهيم يقربون إلى الله الذبائح و يحرقونها، حتى أتى موسى فقسم الذبائح إلى دموى و غير دموى، و هذا القسم الأخير كان ينحصر في الماشية، التي كانوا يطلقونها في البرية لله تعالى، و منها أتت السائبة و البحيرة، و الحامى عند العرب: و هي التي كانوا يطلقونها

لأصنامهم، و ما زالت فيهم حتى حرمها الإسلام.

و معنى السائبة: الناقة إذا ولدت عشر إناث ليس بينها ذكر سيبت فلم يركب ظهرها و لم يشرب لبنها و لم يجر و برها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٩٠

و البحيرة، بكسر الحاء: هي بنت السائبة يخلى سبيلها مع أمها، و الحامى:

الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات، ليس بينها ذكر حمى و خلى فى إبله يضرب فيها فلا ينتفع به بغير ذلك، و العرب يلحقون بها الوصيلة، و هى الشاة التى أتامت عشر إناث متتابعات، فى خمسة أبطن ليس بينهن ذكر.

أما الذبائح الدموية فكانت تنقسم إلى ثلاثة أقسام: الذبيحة المحرقة، و ذبيحة التكفير عن الخطايا، و ذبيحة السلامة. و كانوا يحرقون الأولى و لا- يقون منها شيئاً إلا- جلدها فأخذه الكاهن. و الثانية كانوا يحرقون منها جانبا و الباقي يأكله الكهنة. أما الثالثة فكانت اختيارية و لحمها حل لهم. و كانوا يشترطون فى هذه الذبائح أن تكون خالية من العيوب. و إذا عجز الإنسان عن تقديم ذبيحة من ذوات الأربع كان يكتفى بتقديم ذبيحة من الطيور.

أما الذبيحة، عند المسيحيين، فهى محصورة فى لحم المسيح و دمه، اللذين يقدمهما الكاهن، فى صورة خبز و خمر للمتاولين منهما. فلما غشت عبادة الأوثان و الكواكب فى الناس كانوا يقدمون إليها شيئاً من نباتات حقولهم، و يحرقونها على هياكلهم، ثم آل أمرهم إلى استعمال النباتات العطرية كالند و العود و أمثالهما من الأصماغ ذات الروائح الحسنة. و فشا استعمالهما بعد ذلك فى الحفلات الدينية على اختلاف أنواعها.

و كان قدماء اليونان يدخلون الملح فى قربانهم، لأنه كان عندهم رمزا للصدقة، كما كان رمزا لحسن القرى. و كانوا يضعونه مع حب الشعير فى سلء، و يقدمون منه شيئاً إلى الحاضرين، و يظهر أن عادة بعض المصريين، من رش الملح فى مجتمعاتهم على رؤوس الناس مختلطا فى الغالب مع حب القمح، و كذلك ما يرشونه منه فى أسبوع المولود، إنما هى مستمدة من هذا الأصل.

أما الرومان فكانوا يقدمون الذبائح إلى آلهتهم بكثرة، و كان الحاضرون يأخذون من لحومها تبركا. و يفرقون منه جانبا على من لم يكن حاضره من ذويهم و أهليهم، و هى عادة باقية فى حجاج الهند و الجاوة المسلمين إلى الآن. و كانت كهنتهم وقت تقديم ذبائحهم يرشون على الحاضرين بواسطة غصن من شجر الغار عسلا و ماء.

و ترقى الناس فى ذلك حتى صاروا يرشون ماء الورد فى اجتماعاتهم، و لا تزال هذه العادة مستعملة فى الحفلات الدينية على اختلاف مذاهبها إلى الآن.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٩١

و لم تقتصر ذبائح القربان على الحيوانات، بل بالغ كثير من الأمم فيها حتى كانوا يقدمون ذبائحهم من البشر، كالفينيقيين و الكنعانيين و الصوريين و الفرس و الرومان و المصريين و غيرهم، و ما زالت هذه العادة الشنيعة فاشية، و على الخصوص فى أوروبا، حتى صدر قرار من مجلس الأعيان الرومانى بمنعها سنة ٦٥٧ ميلادية، و مع ذلك فقد استمرت فى بلاد الغال و بلاد الجرمان إلى ما بعد هذا التاريخ بمدة طويلة.

و كان المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء، ملك الحيرة، يقدم إلى معبوده العزى، الذبائح من البشر، و لا شك أنه أخذ هذه العادة عن وثنيى الفرس.

و قد كان قدماء المصريين يقدمون إلى النيل و كان من معبوداتهم فى يوم ١١ بؤونة من كل سنة، عادة من فتياتهم، و بعد أن يزينوها بأحسن زينة يغرقونها فيه استمطارا لرحمة ربهم. و ما زالت هذه العادة السخيفة حتى أبطلها عمرو بن العاص و وافقه عليها ابن الخطاب، رضى الله عنهما، كما هو مبسوط فى المقرئى، فى الكلام على مقاييس النيل و زيادته.

و كثير من العجائز المصريات إلى الآن، يعملن عروسه من الطين و يغرقنها فى إناء من الماء، فى هذه الليلة، التى يسمونها ليلة النقطة. و

يزعم أن ماء الإناء إذا زاد ثاني يوم عما كان عليه، كان النيل عالياً في سنته وإلا فلا. ولا شك أن هذه العادة صورة بسيطة من التي أبطلها عمرو.

ومن هذا ترى أن المسلمين كانوا أسبق الأمم في تحريم الذبائح البشرية. وهم يسوقون ذبائحهم إلى البيت الحرام بمكة، في حجهم، ويسمونها هدياً ومعناه الهدية. وهو إما من البدن الإبل أو البقر أو الغنم. والإبل أحسنها، ويشترط ألا يكون عمرها أقل من خمس سنوات، وألا يكون عمر البقر أقل من سنتين، والغنم أقل سنة.

وقد قسموا الهدى إلى واجب في دم الكفارات، و مندوب في دم الشكر. واشتروا أن يكون ذبح الهدى بمنى في أيام النحر وهو الأفضل، أو بمكة في غير أيام التشريق، وأن يفرق لحمه على الفقراء من عباد الله.

انتهى من الرحلة الحجازية.

انظر: صورة رقم ٢٣٨، جزء من مجزرة منى من الداخل

انظر: صورة رقم ٢٣٩، جزء من مجزرة منى من الداخل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٩٢

### رجم الجمرات الثلاث بمنى

لا نقصد من رجم الشياطين، حكم الرمي و كفيته، ولكن نتكلم هنا عن أصل الرجم قديماً، ناقلين كلام البتوني، رحمه الله تعالى، في كتابه «الرحلة الحجازية» فإنه قال ما ملخصه:

الرجم، في اصطلاح الحجيج: رمى غرض مخصوص في منى بسبع حصيات في حجم الفولة، وهذا الغرض يسمى جمرة، و الجمرات الثلاث: جمرة العقبة، و الجمرة الوسطى، و الجمرة الصغرى، و لكل جمرة مكان مخصوص، و رميها واجب باتفاق المذاهب.

و العرب كانوا يرمون هذه الجمرات الثلاث في حجهم قبل الإسلام، لأنهم كانوا يعتقدون أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم، و هو في تلك الجهة، بذبح ولده إسماعيل، فأخذه و سار ليصعد بأمر ربه فوسوس له الشيطان بأن لا يفعل، فأخذ حصيات و رماه بها، و كان ذلك في المكان الذي به الجمرة الأولى، فتركه و سار إلى هاجر، و أخذ يقبح لها عمل إبراهيم، فأخذت حجارة و رمته بها، و كان ذلك في مكان الجمرة الثانية، فذهب إلى إسماعيل يشنع له عمل أبيه، فأخذ قبضة من الحصى و رماه بها، و كان ذلك في مكان الجمرة الثالثة. لذلك كانت ترمي العرب هذه الأمكنة مشخصين ذلك الشيطان، و أقرهم عليه الإسلام.

و لا غرابة في ذلك لأن التاموس الطبيعي يقضى بأن يكون كل معنى من المعاني مصدره المادة، و عليه فهذا الرمي المادي يوصل بلا شك لمعنى دقيق جليل في ذاته، و هو تربية ملكة جديدة في شخص الرامي، و هي مخالفة شيطان النفس و الابتعاد عن مسالك الشرور. و الرجم أمر قديم في الأمم، قال الله تعالى في سورة الشعراء في إجابة قوم نوح على نصائحه لهم: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ و قال تعالى في سورة هود، في جواب أهل مدين على نصيحة نبيهم شعيب لهم: قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَ مَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ.

و ذكر الرجم في بني إسرائيل قال: «فأخذ يشوع عخان بن زارح و الفضة و الرداء و لسان الذهب و بنيه و بناته و بقره و حميره و غنمه و خيمته و كل ماله و جميع إسرائيل معه، و صعدوا بهم إلى وادي عجور، فقال يشوع: كيف كدرتنا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٩٣

يكدرك الرب في هذا اليوم، فرجمه جميع إسرائيل بالحجارة و أحرقوهم بالنار و رموهم بالحجارة». و النصارى يرمون مكان شجرة التين، التي لعنها المسيح، حينما أراد أن يأكل منها و لم يجد فيها ثمراً، و مكان هذه الشجرة على طريق الذهاب من بيت المقدس إلى

نهر الأردن، في الوادى الذى ينزل على يسار جبل الزيتون.

و العرب كانوا يرحمون فى الجاهلية من سخطوا عليه حيا أو ميتا، فكانوا يرحمون الزانى المحصن حيا لشناعه عمله، و أقرتهم عليه الشريعة الغراء، كما كانوا يرحمون قبور من ينقمون عليهم، و هم يرحمون من القرن الأول قبل الهجرة قبر أبى رغال فى المغمس بين مكة و الطائف، لأنه كان يقود جيش أبرهه إلى مكة «أى يدلهم عليها». فمات فى هذا المكان قبل وصوله إليها. و المسلمون يرمون قبر أبى لهب خارج مكة، و يرمون قبر أبى جهينه، فى طريق العمرة، لأنه كان من حكام مكة الظالمين.

و قد ورد فى قوله: «إن المسلمين يرمون قبر أبى لهب خارج مكة» هذا الكلام لا صحه له مطلقا، و إن كان ذلك شائعا إلى اليوم حتى عند أهل مكة، فقبر أبى لهب ليس فى هذا المكان، و إنما هنا قبر رجلين لطخا الكعبة المشرفة، فى دولة بنى العباس، فكان الناس يرحمونهما كما ذكر ذلك صاحب «إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون»، و قد نبهنا على هذا سعادة الأستاذ الكبير الشيخ أحمد إبراهيم الغزاوى، شاعر جلاله مليكنا المعظم و رئيس مجلس الشورى فى مقالاته الممتعة، التى يكتبها تحت عنوان «مطالعات و تعليقات» بجريدة البلاد السعوديه الغراء، فى الرقم المتسلسل (٥٦٣) أسبغ الله عليه نعمه و أدام توفيقه.

و ما ذكره البتونى هنا من عله رجم الجمرات، ذكره الإمام الأزرقى بروايه أخرى، عن مجاهد، أنه قال: لما قال إبراهيم عليه الصلاة و السلام "ربنا أرنا مناسكنا،" أمر أن يرفع القواعد من البيت ثم أرى الصفا و المروة، و قيل: هذا من شعائر الله. قال: ثم خرج به جبريل فلما مر بجمرة العقبة إذا بإبليس عليها فقال جبريل: كبر وارمه، ثم ارتفع إبليس إلى الجمره الوسطى، فقال له جبريل: كبر وارمه، ثم ارتفع إبليس إلى الجمره القصوى، فقال له جبريل: كبر وارمه، ثم انطلق به إلى المشعر الحرام «أى مزدلفه» ثم أتى به إلى عرفه فقال له جبريل: هل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٩٤

عرفت ما أريتك ثلاث مرات؟ قال: نعم، قال فأذن فى الناس بالحج ... الخ.

انتهى.

و الحكمة فى رمى الحجاره لا تعقل لأنه أمر تعبدى ليس للعقل فيه مجال، كما يفهم ذلك مما أخرجه سعيد ابن منصور أنه صلى الله عليه و سلم سئل عن رمى الجمار فقال: «اللّه ربكم تكبرون، و مله أبيكم إبراهيم تتبعون، و وجه الشيطان ترمون» انتهى. و لقد كان بظهر جمره العقبة جبل مستطيل، غير مرتفع سوى بضعة أمتار، و يبلغ طوله نحو مائه متر تقريبا، فأزالته الحكومه السعوديه سنه (١٣٧٨) ألف و ثلاثمائة و ثمانيه و سبعين هجرية.

### إزالة الجبل الذى بظهر جمره العقبة

جمره العقبة و هى التى ترمى فقط من مزدلفه يوم عيد الأضحى، ليس لها إلا وجه واحد، لأنها ملتصقه بالجبل و منه يكون الرمى، فإن النبى صلى الله عليه و سلم رمى من بطن الوادى فجعل مكة عن يساره و منى عن يمينه، و كذلك فعل الصحابه من بعده رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

أما الجمرتان الأولى و الوسطى فرميها يكون من جميع الأطراف، حيث يقعان بوسط الشارع لا يتصل بأحدهما شىء مطلقا. و بوسط كل جمره من الجمرات الثلاث علامه كالعمود مرتفعه نحو قامه مبنية بالحجاره إشارة إلى موضع الرمى، و هذه العلامات على الجمرات لم تكن فى صدر الإسلام و إنما أحدثت فيما بعد، و العلامه التى على جمره العقبة ملتصقه بالجبل كما ترى كل ذلك فى الصورة.

انظر: الصور أرقام ٢٤٠، ٢٤١ للجمره الوسطى، و الكبرى، و رقم ٢٤٢ للجمرات الثلاث.

ثم إنه فى القرن الثالث للهجرة كاد محل الرمى من جمره العقبة أن يختفى لكثرة الحصى المتجمع من رمى الناس، و لغفلتهم عن



إزالتها وإبعادها فبنى إسحاق بن سلمة الصائغ من وراء الجمره جدارا و رفعه عن أعلاها حتى لا يتمكن الناس من الرمي من أعلى جمره العقبة، بعد أن أزال الحصى المتجمعة عن محل الرمي، و كان ذلك في النصف من شعبان سنة (٢٤٢) اثنتين و أربعين و مائتين من الهجرة، بأمر

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٩٥

أمير المؤمنين المتوكل على الله، كما ذكره الإمام الأزرقى فى تاريخه و سنذكر عبارته. و إليك صورة جمره العقبة و الجدار المبنى وراءها ظاهر فيها، كما تظهر فيها العلامة المنصوبة لمحل الرمي.

انظر: صورة رقم ٢٤٣، جمره العقبة أثناء الإصلاحات الجديدة

و هذا الجدار الذى يظهر فى الصورة الفوتوغرافية، ليس هو نفس الجدار الذى بناه إسحاق بن سلمة الصائغ و لكن هذا موضعه، فإن هذا الجدار قد جدد بناؤه مرارا و تكرارا فى هذه السنين الطويلة التى مرت، و تعد بنحو (١١٣٤) سنة من تاريخ البناء الأول إلى تاريخ كتابة هذه السطور و الذى يظهر لنا من كلام الأزرقى الآتى أن هذا الجدار الذى بناه إسحاق هو أول جدار بنى على جمره العقبة. و الله تعالى أعلم.

و إليك عبارة الأزرقى بعد أن ذكر أن حجب الكعبة كتبوا إلى أمير المؤمنين المتوكل على الله بجعل جميع زوايا الكعبة من الذهب الخالص و عمل منطقة من الفضة توضع فوق إزار الكعبة تحيط بتربيعها من جميع الجهات، و تلبس كرسى مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام بالفضة، بدلا من الرصاص، إلى غير ذلك (قال): فأمر أمير المؤمنين بعمل كل الإصلاحات بغاية الإحكام و أمر بتوجيه إسحاق بن سلمة الصائغ إلى مكة المشرفة و هو من كبار أهل الصناعات و الحرف و له دراية واسعة و وجه معه من الصناع من اختارهم إسحاق بن سلمة المذكور، ممن لهم معرفة بشتى الصناعات من الصواغ و الرخامين و غيرهم فكانوا نيفا و ثلاثين رجلا فقدم إسحاق بمن معه من الرجال و الذهب و الفضة و الرخام و الآلات إلى مكة لليلة بقيت من رجب سنة (٢٤١) إحدى و أربعين و مائتين، و معه كتاب مختوم بخاتم أمير المؤمنين إلى عامل مكة لمساعدة إسحاق و تسهيل مهمته فباشر إسحاق بن سلمة عمله بمكة و بمنى فى شعبان من السنة المذكورة و انتهى من جميع الأعمال كلها فى النصف من شهر شعبان من السنة التالية أى سنة (٢٤٢) و بعد فراغه من الحج فى آخر السنة المذكورة انصرف إسحاق راجعا بعد أن سلم حجب الكعبة ما خلطه مما بقى من الجص الصناعى و ما قلع من أرض الكعبة من الرخام المتكسر، مما لا يصلح إعادته فى شىء من العمل و ثلاثه حقا من الذهب الرقيق و جراب فيه تراب مما قشر من جدار الكعبة و مسامير فضة صغار ترك إسحاق كل ذلك لدى الحجة لما عسى أن يحتاجوا إليه لها.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٩٦

هذا ما ذكره الأزرقى أتينا به تمهيدا لكلامه عن بناء الجدار الذى وراء جمره العقبة فقد قال رحمه الله تعالى عنه ما يأتى:  
و ابتداء إسحاق بن سلمة عمل الذهب و الفضة و الرخام فى الدار المعروفة بخالصة فى دار الخزانة عند الخياطين و صار إلى منى فأمر بعمل ضفيرة تتخذ ليرد سيل الجبل عن المسجد و دار الإمارة فاتخذ هناك ضفيرة عريضة مرتفعة السمك و أحكمها بالحجارة و النورة و الرماد، فصار ما ينحدر من السيل يتسرب فى أصل الضفيرة من خارجها، و يخرج إلى الشارع الأعظم بمنى، و لا يدخل المسجد و لا- دار الإمارة منه شىء و صار ما بين الضفيرة و المسجد و هو عن يسار الإمام رفقا للمسجد و زيادة فى سعته ثم هدم المسجد و ما كان من دار الإمارة مستهدما و أعاد بناءه ورم ما كان مسترما، و أحكم العقبة و جدرانها، و أصلح الطريق التى سلكها رسول الله صلى الله عليه و سلم من منى إلى الشعب و معه عباس بن عبد المطلب الذى يقال له شعب الأنصار الذى أخذ فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم البيعة على الأنصار و كانت هذه الطريق قد عفت و درست فكانت الجمره زائلة عن موضعها أزالها جهال الناس برميهم الحصى و غفل عنها حتى أزيحت عن موضعها شيئا يسيرا منها من فوقها فردها إلى موضعها الذى لم تزل عليه و بنى من ورائها جدارا أعلاه عليها و مسجدا متصلا بذلك الجدار لتلا يصل إليها من يريد الرمي من أعلاها و إنما السنة لمن أراد الرمي أن

يقف من تحتها من بطن الوادى فيجعل مكة عن يساره و منى عن يمينه و يرمى كما فعل رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه من بعده و فرغ من البرك و أحكم عملها، و عمل الفضة على كرسى المقام مكان الرصاص الذى عليه و اتخذ له قبة من خشب الساج مقبوة الرأس بضباب لها من حديد ملبسة الداخل بالأدم .. انتهى المراد من كلام الأزرقى.

فهذا هو تاريخ بناء الجدار الذى وراء جمرة العقبة الملتصق بالجبل الذى وراءه.

و لم نر أحدا من المؤرخين ذكر شيئا عن هذا الجدار غير الأزرقى.

انظر: صورة رقم ٢٤٤، جمرة العقبة بعد إزالة الجبل من ظهرها و فرش الأرض بالاسفلت

و أما الجبل الذى وراء جمرة العقبة فقد كان فى كل موسم حج يتخذ الناس حوله دكاكين للحلاقة و بيع المأكولات من قديم الزمان إلى عصرنا هذا أى إلى سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف حيث صدرت فتوى شرعية من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٩٧

الشيخ عبد الله بن عمر بن دهبش رئيس المحاكم الشرعية بمكة المكرمة بإزالة هذا الجبل لتوسيع المنطقة المحيطة بجمرة العقبة على أن لا يرمى من خلفها أى موضع الجدار و كانت هذه الفتوى صدرت من فضيلته بناء على طلب من سمو وزير الداخلية الأمير عبد الله الفيصل آنذاك فأزالت حكومتنا السعودية فى هذه السنة المذكورة هذا الجبل توسعه على الناس فقد كان بين هذا الجبل و الجبل المقابل له ممر ضيق يمر الناس عليه مشاء و ركباناً و بالسيارات (الأوتومبيلات) فلما أزيل الجبل المذكور الذى وراء العقبة تفسح الطريق و توسع فاستراح الناس بذلك و فى سبيل إزالة الجبل الذى كان بظهر جمرة العقبة و إصلاح الشارعين من العقبة إلى مكة و إصلاح مجر الكبش بمنى ضرب و أثير (٣٥٠) ثلاثمائة و خمسون طناً من الديناميت. و الطن هو / ١٠٠٠ كلغ.

أما جمرة العقبة بعد إزالة الجبل؛ فقد بنت الحكومة السعودية جداراً فى ظهر العلامة المنصوبة (الشاحص) كالجدار الذى كان فى قديم الزمان، حتى لا يرمى الجمرة أحد من وراء ظهرها بل يكون الرمي من بطن الوادى، كما كان سابقاً، و قد تم بناء هذا الجدار الذى بظهر جمرة العقبة فى النصف الأول من جمادى الأولى سنة (١٣٧٦) من الهجرة سنة ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف.

وصفة هذا الجدار الذى بنى جديداً لأول مرة عقب إزالة الجبل الذى كان بظهر جمرة العقبة هى أن الجدار المذكور عبارة عن بناء مربع لاصق بجمرة العقبة من الخلف طوله خمسة أمتار و ستون سنتيمتراً، و عرضه ثلاثة أمتار و ستون سنتيمتراً و ارتفاعه متران و عشرة سنتيمترات.

فكان رمى الناس فى حجهم جمرة العقبة لأول مرة بعد إزالة الجبل و بناء هذا الجدار المربع فى سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف و هى نفس السنة التى أزيل فيها الجبل و بنى فيها البناء المربع المذكور.

فإذا تأملنا نجد أن هذا الجبل الذى بظهر العقبة كان فى موضعه هذا منذ أن خلق الله الدنيا فى بدء الخلق إلى عصرنا هذا ثم إنه أزيل الجبل كله من وجه الأرض فى السنة المذكورة فسبحان من له البقاء و الدوام و سبحان من يغير و لا يتغير جل جلاله و عظمت قدرته و قد صدق من قال: (همم الرجال تزيل الجبال) اللهم ثبت قلوبنا على دينك و توفنا مسلمين آمين يا رب العالمين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٩٨

و اعلم أن ما بين جمرة العقبة و بين الجمرة الوسطى (١١٦) متراً و ما بين الجمرة الوسطى و بين الجمرة الصغرى (١٥٦) متراً. هكذا ذكره إبراهيم رفعت باشا رحمه الله تعالى فى كتابه «مرآة الحرمين».

### عمل مراحيض بمنى

فى منى يوجد كثير من بيوت الخلاء العامة «أى الطهائر» فى اصطلاح الحجازيين و يسمى بيت الخلاء بمصر الكنيف أو المرحاض، عملت لفضاء حاجة الإنسان فى مختلف جهات منى. فى كل جهة منها نحو عشرة مراحيض، مبنية كلها بالحجارة و النورة بينى أولاً

جدار طوله نحو عشرة أمتار وارتفاعه أقل من القامة ثم تقسم هذه الجدر إلى نحو عشرة مراحل يفصل بين كل واحدة منها جدار قصير و ليس لهذه المراحل ضمن سقف و بالضرورة هذه المراحل العامة لا تكون نظيفة أبدا.

و كان ابتداء عمل هذه المراحل سنة (١٢٨٢) اثنتين و ثمانين و مائتين و ألف، فقد ذكر الغازي في تاريخه نقلا عن كتاب «تحصيل المرام» أنه لما حصل الوباء بمكة، ثانی يوم النحر و استمر بمنى قبل السنة المذكورة بعام واحد جاءت الأوامر من الدولة العثمانية إلى مكة في شهر شوال من السنة المذكورة ببناء خمسمائة كنيف بمنى و أن يجعلوا بها مكانا خاصا لذبح الحيوانات و كانت قبل ذلك تذبح بها في كل مكان. اه.

انظر: صورة رقم ٢٤٥، خزانات المياه و أسفلها دورة المياه المراحل،

و لما قامت حكومتنا السعودية بحركة عمرانية واسعة بالحرمين الشريفين بل بأحاء المملكة كلها عملت بمنى عدة مراحل بالإسمنت و الحديد و كان ذلك سنة (١٣٧٥) خمس و سبعين و ثلاثمائة و ألف.

و الحقيقة أن كثرة بناء المراحل العامة في «منى» لقضاء الحاجة لها نفع كبير لعامة الحجاج من جهة راحتهم و من جهة نظافة منى فإنهم يمكنون بها ثلاثة أيام أو أربعة. و أما في عرفات و في مزدلفة فلا لزوم لعمل مراحل بهما لقلّة مكث الحجاج فيهما لأنهم يمكنون في عرفات يوما واحدا، و في مزدلفة ليلة واحدة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٩٩

و عرفات و مزدلفة صحراء واسعة لا بناء فيهما، و أما منى ففيها كثير من البيوت و المنازل.

و هذا لو بنت الحكومة مراحل كثيرة لا عدد لها في أوساط منى و أطرافها لكن أن تكون تحت سطح الأرض لعدم تشويه المنظر و تضيق الأمكنة.

### المفجر وراء منى

المفجر: موضع معروف من قديم الزمان إلى اليوم و هو يقع في أواخر منى على يمين الصاعد إلى مزدلفة من بطن منى من جهة مسجد الخيف، و يقع على يساره إن ذهب من وراء جبال منى، و هو موضع مشهور يمتد من سفح الجبل من بطن منى إلى سفح الجبل من الجهة المقابلة من وراء منى، و هذا الجبل مشقوق من وسطه، ممهد طريقه و مبلط بالحجارة المرصوفة من أول الشق إلى أن يتنزل الإنسان منحدرًا من الجبل إلى ما وراء منى، و هذا الطريق المرصوف بالحجارة واسع جدا، و في أسفل من وراء منى يوجد خزان كبير للماء تابع لعين زبيدة فإن بهذا المكان مجرى قناة عين زبيدة و قد أقيم عليه آلة بخارية رافعة لتوصيل الماء إلى قناة منى، و قد رصف هذا الطريق في عهد الأتراك لكن لا نعلم متى رصف و لماذا رصف.

و هذا المفجر يقال له بطحاء قريش كانوا في الجاهلية و أول الإسلام يتنزهون به و يخرجون إليه بالغداه و العشى.

ورد في تاريخ الأزرقى: أنه لما كان آخر أيام منى، أرسلت قضاة إلى خزاعة يسألونهم أن يسلموا إلى قصي بن كلاب «الجد الرابع للنبي صلى الله عليه و سلم» ما جعل له حليل «و هو ولاية البيت» و عظموا عليهم القتال في الحرم و حذروهم الظلم و البغي بمكة و ذكروهم ما كانت فيه جرهم و ما صارت إليه في حين الحدوا فيه بالظلم و البغي.

فأبت خزاعة أن تسلم ذلك، فاقتلوا بمفضي مأزى منى. قال: فسمى ذلك المكان «المفجر» لما فجر فيه و سفك من الدماء و انتهك من حرمة، و قد اقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى من الفريقين جميعا و فشت فيهم الجراحات و قد استكفى حاج العرب من مضر و اليمن بالنظر إلى قتالهم ثم تداعوا إلى الصلح

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٠٠

و دخلت قبائل العرب بينهم، و عظموا على الفريقين سفك الدماء و الفجور في الحرم فاصطلحوا ... إلى آخر ما جاء فيه.

وقد ذكرنا هذه القصة في محلها في مكان آخر. هذا هو أمر المفجر بمنى.

### بناء المدرجات بمنى و العمرة و غيرها سابقا

لا يخفى أن أرض مكة و ما يحيط بها أرض جبلية صخرية، فالمشى في بعض طرقاتها فيه بعض صعوبة لذلك قام بعض من وفقهم الله تعالى بإصلاح الطرقات العامة الواقعة بين جبلين متقاربين و ذلك بتكسير الصخور من الطريق ثم فرشها بالأحجار و النورة «الجص» و جعله على هيئة الدرج، يكون طولها بمقدار ما بين الجبلين و غالبا يكون نحو خمسة أمتار، و عرض كل درجة نحو متر واحد، و أما ارتفاعها فأقل من الشبر حتى يمكن المشى بسهولة للإنسان و الدواب، أى بصفه الأحجار المفروشة الباقية إلى اليوم، بأسفل جبل الرحمة بعرفات.

و هذه العملية أى فرش الطرق و كذلك داخل المساجد و المنازل بالأحجار المنحوتة بالنورة كان أمرا شائعا فيما سبق من الأزمان قبل أن يهتدوا إلى فرش الطرقات بالإسفلت «الزفت» فإنهم لم يهتدوا إلى هذا إلا منذ خمسين سنة تقريبا فكان مما فرشوه بالحجارة مدرج منى و هو الطريق الضيق الذى كان بين الجبل الذى بظهر جمرة العقبة و الجبل المقابل له فكانت قوافل الجمال المحملة فى أيام الحج تمر منها بسهولة تامة، و طريق العمرة إلى التنعيم، و كان طريقا ضيقا بين جبلين متقابلين بقرب التنعيم بعد الشهداء و كذلك طريق الحجون بالمعلا و كذلك الطريق الضيق بين الجبلين برىع أبى لهب و لا تزال آثار حجارة هذا الطريق باقية إلى اليوم.

و فرشوا أيضا أسفل جبل الرحمة بعرفات بالحجارة و النورة، و لا يزال هذا الفرش باقيا إلى اليوم على حاله بدون أن يحدث فيه خراب يذكر، كما لا يزال فرش الحجارة فوق جبل الرحمة على حاله أيضا إلى اليوم، و أما الدرج المبنية المؤدية إلى فوق الجبل فقد حدث فيها خراب.

و إليك ما ورد فى التاريخ عن فرش هذه الأماكن بالحجارة و النورة: فقد جاء فى تاريخ الغازى، نقلا عن السنجارى، فى حوادث سنة (١٠٨٥) خمس و ثمانين ألف: و فى شوال من هذه السنة شرع الشيخ محمد بن سليمان فى تنظيف الحجون، و أمر بجعل ظفيرتين من الجانيين رضما بلاطين، و كان ابتداء عمله يوم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٠١

السبت سادس شوال. و لما فرغ من ذلك شرع فى إصلاح مدرج منى، و تكرر ركوبه لذلك مرارا عديدة، فبرحه و بنى ظفيرتين أيضا من جانبى المدرج. انتهى.

و جاء فى الجزء الأول من تاريخ الغازى عن فرش طريق ريع أبى لهب و غيره بالحجارة لسهولة الممر و المشى فقال: و فى شهر رجب سنة (١١٣٢) اثنتين و ثلاثين و مائة و ألف عمّر بطريق النياية عن الأمير إسماعيل بك ابن إيواز بك، مولانا الشيخ سالم بن عبد الله البصرى المحكك بطريق العمرة، فكسر أحجاره و جعله حجرا مفروشا، و كان يؤذى الماشى و الراكب، و دكّه بالنورة و كذلك درج الحجون، و كذلك درج ريع أبى لهب.

### مسجد الخيف فى منى

قال فى مختار الصحاح: الخيف ما انحدر عن غلظ و ارتفع عن مسيل الماء و منه سمي مسجد الخيف بمنى. اه.

قال الأزرقى: اسم الجبل الذى مسجد الخيف بأصله الصابح، و اسم الجبل الذى فى وجاهه على يسارك إذا أتيت من مكة القابل و هو من الأثيرة. اه.

و مسجد الخيف بمنى، هو أوسع من مسجد مزدلفه و من مسجد نمره بعرفات، و لقد قمنا بذرع هذه المساجد الثلاثة فى آخر شعبان

سنة ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة. فطول مسجد الخيف مائة و خمسة و ثلاثون مترا، و عرضه مائة و أربع أمتار، و له من الجهة الشرقية ثلاثة أبواب، و من الجهة اليمانية «أى الجنوبية» باب واحد فقط. و قد ذكرنا قياس المسجدين الآخرين عند الكلام عليهما، و لقد زيد فى مسجد الخيف بمنى بعض زيادات فى التعمير الذى حصل فى سنة (١٣٨٣) هـ.

انظر: صورة رقم ٢٤٦، مسجد الخيف بمنى و تظهر بعض المنازل التى أنشئت عنده من جهة الجبل

انظر: صورة رقم ٢٤٧، الباب العمومى لمسجد الخيف بمنى و يرى المؤلف و ولده

فمسجد الخيف مشهور عظيم الفضل، ففى الجامع اللطيف: أخرج الطبرانى، فى معجم الكبير، عن ابن عباس، رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: "صلى فى مسجد الخيف سبعون نبيا منهم موسى." و كذا أخرجه الأزرقى أيضا، و فى رواية عن مجاهد خمسة و سبعون نبيا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٠٢

و أخرج الأزرقى عن ابن عباس قال: "صلى فى مسجد الخيف سبعون نبيا، كلهم مخطمون بالليف." قال مروان: يعنى رواحلهم، و ذكر العلامة صاحب القاموس، فى كتابه «الوصل و المنى فى بيان فضل منى» بسند جيد عن أبى هريرة، أنه كان يقول: "لو كنت من أهل مكة لأتيت مسجد منى كل سبت."

و أخرج الأزرقى، عن أبى هريرة بلفظ: "لو كنت من أهل مكة ما أتى على سبت حتى أتى مسجد الخيف فأصلى فيه." انتهى.

و ذكر المحب الطبرى فى القرى عن مجاهد قال: "حج البيت خمسة و سبعون نبيا كلهم قد طاف بالبيت، و صلى فى مسجد منى، فإن استطعت أن لا تفوتك الصلاة فيه فافعل." أخرجه الأزرقى و أبو سعد. انتهى.

و قال الأسدى فى أخبار الكرام: و مصلاه صلى الله عليه و سلم فيه، و هو محل محراب القبة الكبيرة التى فى وسط المسجد، كما قاله ابن ظهيرة. انتهى.

و قال فى تحصيل المرام، و فى الإعلام: و قد بنيت قبة على موضع مصلى رسول الله صلى الله عليه و سلم. و فى حاشية الشيخ يحيى الحباب: مصلاه صلى الله عليه و سلم هو فى المحراب الذى فى القبة الكبيرة، التى فى وسط مسجد الخيف. انتهى.

ثم قال القطب فى الإعلام: و هذه القبة، التى بصحن المسجد التى على موضع مصلاه صلى الله عليه و سلم بناها السلطان قايتباى و ذلك فى آخر سنة سبع و سبعين و ثمانمائة أو التى بعدها. انتهى.

قال الأزرقى: إن قبر آدم عليه السلام بقرب المنارة فيها، ذكره القرشى.

و قيل: قبره فى جبل أبى قبيس، و قيل: فى الهند، و قيل غير ذلك.

و قال العلامة المير غنى فى عدة الإنباء: و أما تعيين مصلى النبى صلى الله عليه و سلم منه فعند المحراب، الذى فى القبة التى فى وسط المسجد فإنه بنى فى موضع أحجار كانت هناك، و كان مصلاه صلى الله عليه و سلم عندها.

و القبة هى المسجد الأصلى. قيل: إنه محل الأنبياء و مصلى الأخيار، و فيه قبر آدم عليه السلام، و أما ما زاد على القبة فمن زيادة الأشرف قايتباى.

و أخرج الأزرقى عن خالد بن مضرّس أنه رأى أشياخا من الأنصار يتحرون مصلى رسول الله صلى الله عليه و سلم أمام المنارة قريبا منها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٠٣

قال جدى: الأحجار التى بين يدي المنارة و هى موضع مصلى النبى صلى الله عليه و سلم لم نزل نرى الناس و أهل العلم يصلون هنالك، و يقال له: مسجد العيشومة، و فيه عيشومة أبدا خضراء فى الجذب و الخصب بين حجرين من القبلة، و تلك العيشومة قديمة لم تزل ثم. انتهى، و لا وجود لها الآن. انتهى ما فى عدة الإنباء.

وقال ابن فهد في إتحاف الوري بأخبار أم القرى، في حوادث سنة أربعين و مائتين: إنه كتب والى مكة إلى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله أن ما على ظهر الكعبة من الكسوة أضر بجدرانها وإنما لو جردت أو خففت عنها بعض ما عليها من الكسوة، كان أصلح وأوفق وأن أمطار الخريف قد كثرت وتواترت بمكة و منى في هذا العام فهدمت منازل كثيرة و أن السيل حمل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم و إبراهيم نبي الله صلى الله عليه وسلم المعروف بمسجد الخيف فهدم شقوته و عامه جدرانه و ذهب بما فيه من الحصباء فأعراه و هدم من دار الإمارة بمنى و ما يليها جدران و عدة أبيات و هدم العقبة المعروفة بجمرة العقبة و بركة الياقوتة و برك المأزمين و الحياض المتصلة بها، و أن العمل في ذلك إن لم يتدارك و يتبادر بإصلاحه كان على سبيل زيادة. فوجه أمير المؤمنين المتوكل على الله في سنة إحدى و أربعين رجلا من صنّاعه يقال له إسحاق بن سلمة إلى مكة، فقدمها و بعد قدومه بأيام دخل الكعبة و معه العامل بمكة و صاحب البريد و جماعة من الحجة و ناس من أهل مكة فوجدوا الجدار كأصح ما يكون من البناء و أحكمه فقام إسحاق بن سلمة بين بابي الكعبة و أشرف على الناس قال: يا أيها الناس احمداوا الله سبحانه و تعالى على عمارة بيته، فإننا لم نجد به من الحدث ما كتب به إلى أمير المؤمنين بل وجدنا الكعبة و جدرانها أتقن ما يكون و سار إلى منى فأمر بعمل ضفيرة تتخذ لترد سيل الجبل عن المسجد و دار الإمارة فاتخذ هناك ضفيرة مرتفعة السمك، و أحكمها بالحجارة و النورة.

ثم هدم المسجد و ما كان من دار الإمارة مستهدما و أعاد بناءه و رمّ ما كان مسترماً، و أحكم العقبة و جدرانها و أصلح الطريق التي سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم من منى إلى الشعب و معه العباس بن عبد المطلب، و الذي يقال له شعب الأنصار الذي أخذ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة على الأنصار، و كانت هذه الطريق قد عفت و درست و كانت الجمرة زائلة عن موضعها أزالها جهال الناس برميهم الحصى و غفل عنها حتى أزيلت عن موضعها شيئا يسيرا منها من فوقها، فردها إلى التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٠٤

موضعها الذي لم تزل عليه و بنى من ورائها جدارا أعلاه عليها و مسجدا متصلا بذلك الجدار لثلا يصل إليها من يريد أن يمر من أعلاها و إنما السنة لمن أراد الرمي أن يقف من تحتها من بطن الوادي فيجعل مكة عن يساره و منى عن يمينه، كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه من بعده. و فرغ من البرك و أحكم عملها. انتهى.

انظر: صورة رقم ٢٤٨، لوسط مسجد الخيف بمنى و يرى المؤلف و ولده

انظر: صورة رقم ٢٤٩، لمحراب مسجد الخيف بمنى

وقال السنجاري: و في سنة خمسمائة و تسع و خمسين جدد الوزير محمد بن علي بن المنصور المعروف بالجواد الأصفهاني مسجد الخيف و الحجر بسكون الجيم، و زخرف الكعبة و بذل مالا لصاحب مكة حتى مكّنه من ذلك. و هو الذي بنى المسجد الذي على جبل عرفات، و عمل الدرج إلى الجبل، و عمل بعرفات مصانع الماء. انتهى.

انظر: صورة رقم ٢٥٠، منبر مسجد الخيف بمنى

انظر: صورة رقم ٢٥١، منازل مسجد الخيف بمنى و يرى المؤلف و ولده

وقال ابن فهد في حوادث سنة أربع و سبعين و ثمانمائة: و فيها في آخر السنة أخرج مسجد الخيف بمنى المعظم، و بنيت جدرانه المحيطة به بالحجر و النورة و الجص، و بنيت شراريف على دائرة جدره، و بنيت أربع بوابيك بالجهة القبليّة منه بقراقص سمان، يعلو البئر المذكورة كليخون قناطر، يعلو القناطر المذكورة مقالى مقببة بالطوب و النورة و الجص عدة القناطر المذكورة مائة و اثنتان و سبعون قنطرة، و عدة المقالي المذكورة إحدى و تسعون مقلاة، و بنى محرابا بصدر الجهة القبلة المذكورة بالرخام الأصفر المنحوت بيمنته و يسرته عمودان من رخام أصفر و علوه تاريخ مذهب، مكتوب فيه اسم السلطان، و على المحراب المذكور قبة عظيمة مرتفعة محكمة العمل، يعلوها هلال من نحاس مبيض معظم، و بنيت أيضا قبة عظيمة مثمّنة عالية على المحراب الشريف النبوي، الذي بوسط

المسجد الشريف أمام المنارة القديمة دور القبة المذكورة ستون ذراعا بالعمل، و ذرع بطنها من المنارة إلى المحراب الشريف النبوى خمسة عشر ذراعا بالعمل فى مثل ذلك. و ارتفاع القبة المذكورة عشرون ذراعا بالعمل، و بداير القبة المذكورة من أعلاها تاريخ مكتوب فيه اسم السلطان، و بأعلى القبة هلال كبير من نحاس مبيض، و بنيت بوابة عظيمة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٠٥

مرتفعة معقودة بالرخام الأصفر بطراز من رخام أبيض محيط بالبوابه مكتوب منقوش أعلاه بتاريخ مكتوب عليه اسم السلطان مطلى جميع ذلك بالذهب و اللازورد معرقا، و بنيت مثذنة علو البوابه المذكورة، محكمة العمل، مقرنصه حسنه الصنعه بثلاثة أدوار و بعنق و خوذة على ستة أعمدة، يعلو الخوذة المذكورة هلال كبير من نحاس مبيض، و بنيت بوابتان أيضا للمسجد المذكور شرقية و يمانية، و بنى سبيل ملاصق للمسجد على يمين الداخل من باب المسجد، بواجهه مبنية بالرخام الأصفر المنحوت المحكم العمل تحته صهريج كبير برسم الماء، و عمل بالسبيل المذكور طاقات من الرخام الصفر يتناول من الطاقات المذكورة الماء المعد للشرب، و بالسبيل أربعة شبابيك حديدا كبارا، من جهاته الأربع مفروشه أرض السبيل بالرخام الأصفر و به بياره يستقى منه المار من الصهريج المذكور على حوضه، و بالسبيل المذكور خزانه حاصل لآلات السبيل المذكور، و للسبيل المذكور بابان أحدهما من الطريق و الآخر من داخل المسجد، و استجد صهريج خارج المسجد و بنى دبل كبير له محكم مبنى بالنورة مدموك يتوصل من الماء إلى الصهريج القديم الذى هو داخل المسجد و حفرت بئر هناك كانت مطمومة مقابل باب المسجد بالقرب منه و مبيض جميع المسجد باطنا و ظاهرا و برق جميع سطحه بالنورة و نظف ذلك كله فى مدة أولها يوم الأحد سابع عشر ذى الحجة سنة ثلاث و سبعين و آخرها عشر ذى القعدة سنة أربع و سبعين، و جملة المصروف على ذلك ثلاثة آلاف و مائتان و تسعة و عشرون أشفريا و ثلثا أشفري انتهى.

و ذكر السيد أحمد دحلان فى سالنامته: بناء مسجد الخيف الموجود الآن هو بناء السلطان قايتباى سلطان مصر بناه سنة أربع و سبعين و ثمانمائة، و وسعه عما كان قبل ذلك، و جعل فى وسطه مصلى النبى صلى الله عليه و سلم، و بنى دارا على جانبه يسكنها أمير الحاج أيام منى، و جدد أعلام الحل من جهه عرفة. انتهى.

و فى مرآة الحرمين: مسجد الخيف بمنى فى الجهه الجنوبيه على يسار القادم من عرفات و يمين المقبل من مكة، و هو مسجد وسيع محكم البناء مستطيل الشكل، طول ضلعه البحريه ١٣٠ مترا و ضلعه الغريبه طولها ١٠٠ متر و بابه الأكبر فى واجهته البحريه و فوق هذا الباب مثذنه بنيت بالطوب الأحمر، ارتفاعها ١٤ مترا و على يسار الداخل منه مقابر تعلوها قباب أقيمت على عقود، و فى جهه المسجد الغريبه أربعة أروقه (بواكى)، كل رواق يمتد من شمالي المسجد إلى جنوبيه،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٠٦

و عرض الأربعة ٣٧ مترا؛ أى من صحن المسجد إلى جداره الغربى، و فى كل رواق ٢١ عقدا، أعنى فى كل جدار يمتد من الشمال إلى الجنوب، و الأروقه مسقوفه بقباب ظاهرة من الداخل فقط، أما سطح المسجد فمستو، و عرض الرواق الفضاء ٥، ٤ مترا، أما بالجدران فضعف ذلك، و سمك الجدر التى أقيمت عليها قباب الأروقه ٥٥، ١ مترا و فى وسط الرواق الملاصق للجدار الغربى منبر و محراب عليهما قبه فخمه، و فى صحن المسجد قريبا من جداره الشرقى قبه عظيمة، أقيمت على ثمانية عقود و بها محراب، و هى موضع خيمه النبى صلى الله عليه و سلم فى حجه الوداع، و قد صلى النبى صلى الله عليه و سلم بمكانها الأوقات الخمسه، و بالجهه الشرقيه من القبه مثذنه مبنية بالطوب الأحمر ارتفاعها ١٤، ٦٠ مترا، و لها باب صغير خارج القبه يصعد منه إليها، و درجها ثلاث و سبعون و ارتفاع الدرجة ٢٠ سنتيمترا، و بالمسجد أربعة صهاريج كبيرة متجاورة بين القبه و الضلع الشماليه أقيمت لحفظ مياه الأمطار بها و الشرب منها فى مواسم الحج.

و المسجد مكشوف ما عدا جهتيه الشماليه و الغريبه، و جدره لها دعامات من الداخل و الخارج، و ارتفاعها ٥ أمتار، و على الجدر من الأعلى شرافات، و له ثلاثة أبواب شمالي و غربى و شرقى، و بالجهه الشرقيه من المثذنه الشرقيه على علو أربعة أمتار مكتوب: (بسم

الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و سلم جدد لله الملك المعظم ملك الملوك الملك المنصور عمر بن على ابن رسول صاحب اليمن مسجد الخيف سنة (٦٧٤).

و على بابہ الشمالی مكتوب: عمّر مسجد الخيف السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي سنة ٨٩٤، و قد عمر هذا المسجد في زمن الخليفة المعتمد أحمد بن المتوكل العباسي سنة ٢٥٦، و جدده الوزير محمد بن على المعروف بالجواد الأصفهاني سنة ٥٥٩، و كذلك أم الخليفة العباسي الناصر لدين الله و أقام فيه عمارة الملك المظفر صاحب اليمن و هو الذي أقام المئذنة، التي بجوار القبة.

و في سنة ٧٢٠ أنفق عليه أحمد بن عمر المعروف بابن المرجاني التاجر الدمشقي ما يزيد على ٢٠٠٠٠٠ درهم. و في سنة ٨٢٠ عمر بمعرفة الشيخ على البغدادي، و لم يعرف من قام بنفقه هذه العمارة. و في سنة ٨٧٤ أمر الملك الأشرف قايتباي ببناء هذا المسجد، فبنى بناء محكما. و في سنة ١٠٧٢ عمّره السلطان محمد قزلار الآغا، و كان القائم بالعمارة والي جدة و شيخ الحرم سليمان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٠٧

بك. و في سنة ١٠٩٢ عمّره سليمان آغا مرسلا من قبل السلطان محمد خان. انتهى.

### موضع مصلى النبي صلى الله عليه و سلم بمسجد الخيف بمنى

ذكر الغازي في تاريخه ما نصّه: و قال الأسدي في أخبار الكرام: و مصلاه صلى الله عليه و سلم فيه، و هو محل محراب القبة الكبيرة التي في وسط المسجد، كما قاله ابن ظهير. انتهى.

و قال في تحصيل المرام: و في الإعلام: و قد بنى قبة على موضع مصلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و في حاشية الشيخ يحيى الحباب: مصلاه صلى الله عليه و سلم هو المحراب الذي في القبة الكبيرة التي في وسط مسجد الخيف. انتهى.

ثم قال القطب في الإعلام: و هذه القبة التي بصحن المسجد و التي على موضع مصلاه صلى الله عليه و سلم، بناها السلطان قايتباي، و ذلك في آخر سنة سبعة و سبعين و ثمانمائة أو التي بعدها، انتهى.

قال الأزرقى: إن قبر آدم عليه السلام بقرب المنارة فيها، ذكره القرشي.

وقيل: قبره في جبل أبي قبيس، و قيل: في الهند، و قيل: غير ذلك.

و قال العلامة الميرغني في عدة الإنابة: و أما تعيين مصلى النبي صلى الله عليه و سلم منه فعند المحراب الذي في القبة، التي في وسط المسجد، فإنه بنى في موضع أحجار كانت هناك، و كان مصلاه صلى الله عليه و سلم عندها.

و القبة هي المسجد الأصلي، قيل: إنه محل الأنبياء و مصلى الأخيار و فيه قبر آدم عليه السلام و أما ما زاد على القبة فمن زيادة الأشرف قايتباي. و أخرج الأزرقى عن خالد بن مضرّس أنه رأى أشياخا من الأنصار يتحرون مصلى رسول الله صلى الله عليه و سلم أمام المنارة قريبا منها.

قال جدى: الأحجار التي بين يدي المنارة و هي موضع مصلى النبي صلى الله عليه و سلم لم نزل نرى الناس و أهل العلم يصلون هنالك، و يقال له: مسجد العيشومة و فيه عيشومة أبدا خضراء في الجذب و الخصب بين حجرين من القبلة، و تلك العيشومة قديمة لم تزل ثم. انتهى، و لا وجود لها الآن. انتهى ما في عدة الإنابة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٠٨

نقول: مصلى النبي صلى الله عليه و سلم في وسط أرض مسجد الخيف أى بحوشه، و عليه قبة و بجوارها مئذنة صغيرة.



**مسجد المرسلات**

قال الغازي صحيفة (٣٥٨): ومنها مسجد لطيف، يمانى مسجد الخيف، فيه غار به أثر، يقال: إن أثر رأس رسول الله صلى الله عليه و سلم بلحف الجبل المشرف على مسجد الخيف، المسمى بالضب بمعجمتين و موحدة، نقله الصفاني و الصابح بمهملتين بينهما ألف و موحدة.

أخرج ابن جبير أن النبي صلى الله عليه و سلم جلس بهذا الغار مستظلاً فيه، فمس رأسه الكريم الحجر، فلان حتى أثر فيه تأثيراً بقدر دورة الرأس، فصار الناس يبادرون بوضع رؤوسهم فى هذا الموضع تبركا و استجارة لرؤوسهم بموضع مس الرأس الكريم ألا تمسه النار برحمة الله عز و جل. انتهى.

و يعرف بغار المرسلات و هو مشهور به إلى هذا الوقت، و فى صحيح البخارى فى باب ما يقتله المحرم من الدواب من رواية ابن مسعود أنه قال: بينما نحن مع النبي صلى الله عليه و سلم فى غار بمنى، إذ نزلت عليه: وَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا، و إنه ليتلوها و إنى لأتلقاها من فيه، و إن فاه لرتب بها إذ و ثبت علينا حية، فقال النبي صلى الله عليه و سلم اقتلوها، فابتدرناها فذهبت، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: وقيت شركم كما وقيت شرها.

قال القطب فى الإعلام: ... و فى مسجد الخيف على يمين الذهاب إلى عرفات و بجنبه غار فيه تجويف فى سقفه، يزعم العامة أنه لان لرأسه صلى الله عليه و سلم ... إلى أن قال: و لم أقف على خبر أعتمده فى ذلك إلا أن الأثر وارد بنزول سورة المرسلات. انتهى.

قال الغازي: هنا أقول: قد اندرس مسجد المرسلات الآن، و لم يبق أثر للمسجد و لا للغار.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٠٩

**مسجد الكبش بمنى**

مسجد الكبش هذا بمنى، و هو مكان معروف، قال عنه العلامة ابن ظهيرة القرشى فى كتابه الشهير "الجامع اللطيف فى فضل مكة و أهلها و بناء البيت الشريف" ما نصه: (و منها) مسجد يقال له مسجد الكبش على يسار الصاعد إلى عرفه بسفح ثبير، و هو مشهور، و المراد بالكبش هو الذى فدى به الذبيح إسماعيل أو إسحاق على خلاف فى ذلك.

و نقل الفارسى عن الفاكهى رحمهما الله تعالى ما يقتضى أن الكبش نحر فى غير هذا الموضع بين الجمرتين. و يؤيده ما أخرجه الطبرى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه و سلم نحر فى منحر الخليل عليه السلام الذى نحر فيه الكبش المفدى به، ثم بينه الطبرى فقال: و ذلك فى سفح الجبل المقابل له، يعنى ثبيراً، و أراد بذلك الموضع الذى عند مسجد النحر المتقدم آنفا و الله أعلم بالحقائق. انتهى منه.

نقول: إنه لم يبق اليوم لهذا المسجد من أثر و الله تعالى أعلم.

**مسجد البيعة بقرب منى**

مسجد البيعة واقع قبيل جمره العقبة على يسار الذهاب إلى منى، بينه و بين الجمره شىء قليل، و هو داخل فى شعب من الجبل، و هذا الشعب يسمى شعب الأنصار و شعب البيعة. قال الإمام الأزرقى فى تاريخه عن هذا المسجد ما نصه:

قال أبو الوليد: حدثنى جدى حدثنا داود بن عبد الرحمن العطار، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن أبى الزبير محمد بن مسلم أنه

حدثه جابر ابن عبد الله الأنصاري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث بمكة عشر سنين، يتبع الحاج من منازلهم في الموسم بمجنه و عكاظ، و منازلهم بمنى: «من يأويني و ينصرنى حتى أبلغ رسالات ربي و له الجنة» فلا يجد أحدا يأويه و لا ينصره، حتى إن الرجل يرحل صاحبه من مضر أو اليمن، فيأتيه قومه أو ذو رحمه فيقولون: احذر فتى قريش لا يفتنك، يمشى بين رجالهم، يدعوهم إلى الله عز و جل، يشيرون إليه بأصابعهم، حتى بعثنا الله عز و جل له من يثرب، فيأتيه الرجل منا فيؤمن به، و يقرئه القرآن فينقلب إلى التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣١٠

أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم تبق دار من دور يثرب إلا و فيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، ثم بعثنا الله عز و جل له فائتمنا و اجتمعنا سبعين رجلا منا فقلنا: حتى متى ندع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرد من جبال مكة و يخاف؟! فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم فتواعدنا شعب العقبة، و اجتمعنا فيه من رجل و رجلين، حتى توافينا عنده فقلنا: يا رسول الله على ما نباعك؟ قال: تبايعوني على السمع و الطاعة في النشاط و الكسل، و على التفقد في العسر و اليسر، و على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و على أن تقوموا في الله لا- تأخذكم في الله لومة لائم، و على أن تنصروني إذا قدمت عليكم يثرب، فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم و أبناءكم و أزواجكم و لكم الجنة، فقمنا إليه نبايعه، فأخذ بيده أسعد بن زرارة، و هو أصغر السبعين رجلا إلا أنا، فقال: رويدا يا أهل يثرب إنا لم نضرب إليه أكباد المطى إلا- و نحن نعلم أنه رسول الله، و إن إخراجة اليوم مفارقة العرب كافة و قتل خياركم و أن تعضّكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على عضّ السيوف إذا مستكم، و على قتل خياركم و مفارقة العرب كافة، فخذوه و أجركم على الله، و إما أنتم قوم تخافون على أنفسكم خيفة فذروه هو أعذر لكم عند الله. قالوا: أمط عنا يدك يا أسعد بن زرارة، لا نذر هذه البيعة و لا نستقبلها، فقمنا إليه رجلا رجلا يأخذ علينا شرطه و يعطينا على ذلك الجنة. انتهى من تاريخ الأزرقى.

قال الغازي في تاريخه عن مسجد البيعة: قال في الإعلام: هو مسجد على يسار الذهاب إلى منى، بينه و بين العقبة التي هي حد منى مقدار غلوة أو أكثر.

و قال في تحصيل المرام: و هذا المسجد في شعب، على يسار الذهاب إلى منى، قدام جبل الصراصر، بقرب عقبة منى الذي فيه الدرج، بينه و بين العقبة التي هي حد منى، مقدار غلوة سهم أو أكثر. انتهى.

قال القطب: و هو مسجد منهدم، فيه حجران مكتوب فيهما ما يدل على ذلك، في أحدهما: أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله تعالى ببناء هذا المسجد مسجد البيعة، التي كانت أول بيعة بويح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، عقد له العباس بن عبد المطلب، و أنه بنى في سنة أربع و أربعين و مائة و المشار إليه هو أبو جعفر المنصور العباسى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣١١  
و عمره أيضا المستنصر العباسى، كما في حجر آخر بناه في سنة تسع و عشرين و ستمائة، و تلك الأحجار ملقاة بذلك المسجد الخراب، يخشى عليهما الضياع فيندثر أثر هذا المسجد.

انظر: صورة رقم ٢٥٢، مسجد بيعة العقبة

و كان المرحوم إبراهيم دفتر دار مصر سابقا أمير عين عرفات رحمه الله تعالى شرع في تجديد هذا المسجد و أسسه، و بنى بعض طاقاته و جدرانها، و توفي قبل أن يتمه، و ما وفق أحد بعده إلى الآن إلى إتمامه، و هو من المساجد النبوية المأثورة، و هو الذى بايع النبي صلى الله عليه وسلم سبعون من الأنصار بحضرة عمه العباس بن عبد المطلب، فنادى أرب العقبة «و هو شيطان ذلك المكان»: معاشر قريش إن الأوس و الخزرج بايعوا محمدا على أن ينصروه، فأمسكت الأنصار بقوائم سيوفها و قالوا:

لنقاتل الأسود و الأحمر دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكفاهم الله تعالى ببركة نبيه صلى الله عليه وسلم شر ذلك الشيطان، ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم هو و أبو بكر رضى الله عنه إلى المدينة لما أذن لهما في الهجرة، و هذا مسجد شريف يستجاب فيه الدعاء، فرحم الله من يكون سببا في تجديده و عمارته. انتهى ما فى الإعلام.

وقال المحبى فى خلاصة الأثر: و من آثار السلطان أحمد بن محمد بن مراد خان عمارة مسجد البيعة، و هو بالقرب من عقبة منى على يسار الصاعد. انتهى.

و فى تحصيل المرام قلت: قد عمر هذا المسجد فى دولة السلطان عبد المجيد، فى سنة ألف و مائتين و نيف و خمسين، و هو رواق واحد من جهة القبلة، و فى صدره محراب، و قدام المحراب صحن كبير، و على الصحن حائط عال و الآن عمار. و طول هذا المسجد من محرابه إلى آخر الرحبة ثمانية و ثلاثون ذراعاً و سدس. انتهى من تاريخ الغازى.

نقول: إن مسجد البيعة هو قبيل جمره العقبة على يسار الذهاب من مكة إلى منى، و المسافة بين هذا المسجد و بين جمره العقبة بأول منى، هى كالمسافة بين الصفا و المروة أى نحو ثلاثمائة متر.

و لا يزال هذا المسجد عامراً غير منهدم، و فيه حجر واحد مكتوب بالخط الكوفى، و هو مثبت عند محرابه خارج المسجد لا من داخله، و لم تتمكن من قراءة ما هو مكتوب فيه.

انظر: صورة رقم ٢٥٣، انظر: صورة أخرى لمسجد بيعة العقبة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣١٢

كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقوم فى مواسم الحج، يدعو إلى توحيد الله تعالى و عبادته من أقبلى إلى مكة من العرب من سائر الأطراف، و لما كان الموسم الذى قبل هجرة النبى صلى الله عليه و سلم بنحو سنتين و بضعة أشهر، أقبلى من المدينة إلى مكة جماعة من الخزرج، فجاؤهم رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعوهم إلى الإسلام، و كانوا قد سمعوا به من يهود المدينة، فأسلموا ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم، و كانوا ستة نفر من الخزرج، فلما قدموا المدينة أخبروا قومهم بأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم، و دعواهم إلى الإسلام، حتى فشا فيهم و دخل فى جميع دور الأنصار.

فلما كان الموسم الثانى، أى: قبل الهجرة بسنة و ثلاثة أشهر، أتى من المدينة اثنا عشر رجلاً فاجتمعوا برسول الله صلى الله عليه و سلم و بايعوه على الإسلام، و بعد أن تمت هذه البيعة، بعث معهم مصعب بن عمير من بنى عبد الدار بن قصى، و أمره أن يقرئهم القرآن و يعلمهم الإسلام و يفقههم فى الدين. فكان إسلام هؤلاء النفر و ذهاب مصعب بن عمير معهم سبباً فى دخول أشرف أهل المدينة فى الإسلام، فما بقيت دار إلا و فيها رجال مسلمون و نساء مسلمات إلا بعض بطون قليلة.

فلما كان الموسم الأخير قدم مصعب بن عمير و خرج من المسلمين عدد كبير، و معهم حجاج من قومهم ممن لم يسلموا و ما زالوا على الشرك، فأرسل المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يواعدونه عند جمره العقبة للمقابلة من أوسط أيام التشريق.

قال الخضرى فى محاضراته «تاريخ الأمم الإسلامية» عند تكمله هذا المبحث:

فلما انتهى أمر الحج و مشاعره، و حان الموعد، خرج المسلمون من رحالهم بعد انقضاء ثلث الليل يتسللون تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعوا فى الشعب عند العقبة، و كانت عدتهم ثلاثة و سبعين رجلاً. و امرأتين هما: نسيبة بنت كعب من بنى مازن بن النجار الخزرجية، و أسماء بنت عمرو إحدى نساء بنى سلمة من الخزرج، و استمروا ينتظرون الرسول صلى الله عليه و سلم حتى جاءهم و معه عمه العباس بن عبد المطلب و هو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه و يتواتق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس فقال: يا معشر الخزرج إن محمداً منا حيث قد علمتم، و قد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو فى عز من قومه و منعه فى بلده، و إنه قد أبى إلا- الانحياز إليكم و للحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه و مانعوه ممن خالفه، فأنتم و ما تحملتم من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣١٣

ذلك، و إن كنتم ترون أنكم مسلموه و خاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه فإنه فى عز و منعه من قومه و بلده.

فقال المتكلم من الخزرج: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك و لربك ما أحببت.

فتكلم عليه السلام فتلا عليهم القرآن و دعا إلى الله و رغب فيه، ثم قال:

"أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم و أبناءكم" فأخذ سيدهم البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم و الذي بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فإننا و الله أهل الحروب، و أهل الحلقة و رثاها كإبراهيم عن كابر.

فقال أبو الهيثم بن التيهان: يا رسول الله إن بيننا و بين الرجال حبالا و إنا قاطعوها- يعنى يهود المدينة-، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك و تدعنا. قال: فتبسم الرسول صلى الله عليه و سلم ثم قال: الدم الدم و الهدم و الهدم؛ يعنى أنا منكم و أنتم منى، أحارب من حاربتهم و أسالم من سالمتم، ثم قال لهم: أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا؛ تسعة من الخزرج و ثلاثة من الأوس فقال لهم: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، و أنا كفيل على قومي. و ها هي أسماء النقباء.

(١) أسعد بن زرارة من بنى النجار ابن ثعلبة من الخزرج.

(٢) سعد بن الربيع من بنى مالك ابن امرئ القيس من الخزرج.

(٣) عبد الله بن رواحة من بنى عمرو ابن امرئ القيس من الخزرج.

(٤) رافع بن مالك من بنى زريق ابن عامر من الخزرج.

(٥) البراء بن معرور ابن بنى سلمة ابن سعد من الخزرج.

(٦) عبد الله بن عمرو من بنى سلمة ابن سعد من الخزرج.

(٧) عبادة بن الصامت من بنى غنم ابن سالم من الخزرج.

(٨) سعد بن عبادة من بنى ساعدة من الخزرج.

(٩) المنذر بن عمرو من الخزرج.

(١٠) أسيد بن حضير من بنى عبد الأشهل من الأوس.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣١٤

(١١) سعد بن خيثمة من بنى كعب ابن حارثة من الأوس.

(١٢) أبو الهيثم بن التيهان من بنى عبد الأشهل من الأوس.

و كان أول من ضرب بيده على يد رسول الله مبايعا البراء بن معرور، و بنو النجار يزعمون أن أول من بايع هو أسعد بن زرارة، و بنو عبد الأشهل يقولون:

إنه أبو الهيثم بن التيهان.

و القول الأول أثبت، لأن البراء بن معرور كان كبير القوم، و بعد أن انتهت المبايعه أمرهم رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يعودوا إلى رحالهم، فذهبوا إلى مضاجعهم فناموا.

و لما أصبحوا كان الخبر قد بلغ قريشا، فجاء رؤسائهم إلى منازل الأنصار و قالوا: يا معشر الخزرج قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا تستخرجونه من بين أظهرنا و تبايعونه على حربنا، و إنه و الله ما من حى من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا و بينهم منكم.

فانبعث من هناك من مشركيهم يحلفون بالله ما كان من هذا شيء و ما علمناه، و هم فى يمينهم صادقون لأنهم لم يعلموه، و قال لهم عبد الله بن أبى بن سلول و هو سيد من ساداتهم لم يسلم: إن هذا الأمر جسيم، ما كان قومي ليفتاتوا على بمثل هذا و ما علمته، فانصرفوا عنه.

نفر الناس من منى، و تحسست قريش الخبر فوجدوه قد كان لكن بعد أن فاتهم الأنصار، بعد ذلك أمر الرسول أصحابه بالخروج إلى

المدينة و الهجرة إليها، و اللقوق بإخوانهم من الأنصار و قال لهم: إن الله عز و جل قد جعل لكم إخوانا و دارا تأمنون بها فخرجوا أرسالا رجالا و نساء إلا من حيل بينهم و بين الهجرة من المستضعفين. انتهى من الكتاب المذكور.

انظر: الصور أرقام ٢٥٤ لشارع الجمرات بمنى، و ٢٥٥ لمقر إرشاد الحجاج بوزارة الحج و الأوقاف بمنى، و ٢٥٦ لأحد الأطباء و هو يقوم بالكشف على أحد الحجاج، و ٢٥٧ لخيام و سيارات الحجاج بمنى، و ٢٥٨ للقصر الملكي فى منى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣١٥

## مزدلفة

## إشارة

مزدلفة هى ثانى منزل من منازل الحج بعد مكة المشرفة أو بعد الوقوف بعرفات أيضا، يبيت فيها الحجاج ليلة العيد الأكبر فقط بعد الوقوف، ثم يذهبون منها إلى منى.

و مزدلفة هى المشعر الحرام، و المسافة بين مسجد الخيف بمنى و مسجد المزدلفة خمسة كيلو مترات، و بين مزدلفة و جبل عرفات عشرة كيلو مترات كما تقدم بيانها فى أول الكلام على منى، و تقع مزدلفة كلها فى الحرم، و لا يوجد بمزدلفة مسجد غير المسجد المذكور و الله الموفق.

## المشعر الحرام "مزدلفة"

قال الله عز شأنه فى سورة البقرة: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَ أذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ \* ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا.

و المشعر الحرام: هو جبل فى آخر المزدلفة من جهة منى يقال له «قرح» على وزن عمر، فى صحيح مسلم: «أن النبى صلى الله عليه و سلم وقف به يذكر الله و يدعو حتى أسفر جدا»، و المشعر من الشعار و هو العلامة، سمي به لأنه من معالم الحج، و وصف بالحرام لحرمة، فلا يفعل فيه شىء لم يؤذن فيه.

و عند ابن عباس و سعيد بن جبیر رضى الله عنهما، المشعر الحرام هو ما بين جبلى مزدلفة، قال فى روح المعانى للعلامة الألوسى: و المشهور أن المشعر مزدلفة كلها فقد أخرج وكيع و سفيان و ابن جرير و البيهقى و جماعة عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما، أنه سئل عن المشعر الحرام، فسكت حتى إذا هبطت أيدي الرواحل بالمزدلفة، قال: هذا المشعر الحرام.

نقول: الذى نفهمه نحن من قوله تعالى: فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ أن المراد بالمشعر الحرام جميع حدود مزدلفة التى ينزل بها الحجاج ليلة النحر بعد إفاضتهم من عرفات، ثم إن سنية الوقوف بعد صلاة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣١٦

الصباح إلى الإسفار بجبل قرح بمزدلفة للذكر و الدعاء مسألة أخرى، فمن دفع من مزدلفة إلى منى بعد صلاة الصبح و لم يقف بجبل قرح فلا شىء عليه مطلقا.

و يدل على هذا ما صح عن على رضى الله عنه، «أنه صلى الله عليه و سلم لما أصبح بجمع أتى قرح فوقف عليه و قال: هذا قرح و هو الموقف و جمع كلها موقف» و المراد بكلمة «جمع» بفتح الجيم و إسكان الميم مزدلفة.

و قرح بضم القاف و فتح الزاى، و يوافق ما فى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه «أنه صلى الله عليه و سلم لما صلى الصبح

بمزدلفه ركب ناقته القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة و دعا الله و هله و كبره، و لم يزل واقفا حتى أسفر جدا». فالوقوف و الدعاء بعد صلاة الصبح على جبل قرح أمر آخر، فمن تركه لا شىء عليه، و هو الوقوف الأصغر تشبيها بالوقوف الأكبر بعرفات، و توديعا لهذا المكان الحرام.

روى الإمام الأزرقى فى كتابه «أخبار مكة» قال ابن جريج: قال محمد بن المنكدر: أخبرنى من رأى أبا بكر الصديق رضى الله عنه واقفا على قرح، و قال ابن جريج: قلت لنافع مولى ابن عمر: أين كان يقف ابن عمر بجمع كلما حج؟ قال: على قرح نفسه، لا ينتهى حتى يتخلص فيقف عليه مع الإمام كلما حج. اه، فمن لم يتمكن من صعود الجبل وقف بجنبه. و ذكر الأزرقى فى الكتاب المذكور موضع نزول النبى صلى الله عليه و سلم بمزدلفة فقال: عن ابن جريج قال: قال لى عطاء: بلغنى أن النبى صلى الله عليه و سلم كان ينزل ليلة جمع فى منزل الأئمة، و ليلة جمع يعنى دار الإمارة التى فى قبلة مسجد مزدلفة. و يظهر من روايات الأزرقى عند ذكر المزدلفة و حدودها ... إلخ، أنه كان بمزدلفة قليل من الدور كدار الإمارة و بيوت ابن الزبير و الله أعلم.

أما مسجد مزدلفة و فيه المنارة فهو بوسط مزدلفة تقريبا، و ربما كان أقرب إلى جبل قرح، و هو مبنى على أرض مستوية فى الظاهر و الحقيقة أنه مبنى على ربوة صغيرة غير مرتفعة، و لذلك ارتفع جداره عن الأرض بنحو قامه، و ردم داخله بالحجارة و الأتربة ليستوى داخله فلا تظهر فيه نتوءات الربوة و انخفاضاتها، فصار المسجد بذلك مرتفعا عن وجه الأرض.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣١٧

أما إيقاد منارة المسجد سابقا بالقناديل و السرج و الأتاريك، و فى أيامنا هذه إيقادها بالكهرباء ليلة الثامن و التاسع و العاشر من ذى الحجة فليس ذلك بمستحدث، و إنما هو جريا على العادة القديمة من قبل الإسلام فى الإيقاد بمزدلفة كما سنتكلم عن ذلك فى غير هذا المحل بعنوان «الإيقاد بمزدلفة».

نقول: لقد اختلف الناس اليوم عامتهم و خاصتهم فى جبل قرح فلا أحد يعرفه بالضبط، فمنهم من يقول: هو موضع المسجد، و منهم من يقول: هو جبل آخر غير المسجد، و منهم من يقول: هو الجبل الصغير الواقع فى وسط المزدلفة.

و لقد بحثنا عن ذلك كثيرا و سألنا عنه كثيرا، فخرجنا من ذلك بنتيجتين هما إلى الصواب أقرب إن شاء الله تعالى و إليك رأينا: (النتيجة الأولى) أن موضع مسجد مزدلفة ليس هو جبل قرح بيقين، لأن المسجد ليس على جبل، و إنما هو مبنى على أرض صخرية مرتفعة، و لا يبعد أن يكون موضع المسجد هو مكان نزول النبى صلى الله عليه و سلم بمزدلفة و محل مبيته، فلما صلى الصبح فيه ركب ناقته و أتى إلى قرح فوقف عليه، فقد جاء فى تاريخ الأزرقى بصحيفة (١٥٥) عن عطاء قال: بلغنى أن النبى صلى الله عليه و سلم كان ينزل ليلة جمع فى منزل الأئمة- الآن ليلة جمع يعنى دار الإمارة- التى فى قبلة مسجد مزدلفة. انتهى كلامه.

و دليلنا على أن مسجد مزدلفة ليس على جبل قرح هو أن الإمام الأزرقى المولود بمكة فى القرن الثانى للهجرة، قال بصحيفة (١٥١) من الجزء الثانى فى تاريخه: و ذرع ما بين مؤخر مسجد مزدلفة من شقه الأيسر إلى قرح أربعمائة ذراع و عشرة أذرع، فقول الأزرقى صريح أن موضع المسجد غير موضع جبل قرح.

(و النتيجة الثانية) أن جبل قرح هو الجبل الصغير الواقع على يسار مسجد مزدلفة للمتوجه إلى مكة، و هذا الجبل سهل الطلوع للراجل و الراكب، لصغره و انخفاضه و بسطته، ليس فيه نتوءات و لا صخر و لا أحجار.

و دليلنا على أن جبل قرح هو على يسار مسجد مزدلفة للمتوجه إلى مكة ما ذكره الأزرقى فى تاريخه فى صحيفته (١٥١) من الجزء الثانى، حيث يقول فى عبارته المتقدمة: «و ذرع ما بين مؤخر مسجد المزدلفة من شقه الأيسر إلى قرح أربعمائة ذراع و عشرة أذرع» فيعلم من صريح هذه العبارة أن جبل قرح على

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣١٨

يسار المسجد، وقول الإمام الأزرقى أكبر حجة، لأنه من أهل القرن الثانى للهجرة، فهو قريب عهد بصدر الإسلام، كما يعلم من صريح قوله أن مسجد مزدلفة قديم العهد ليس بحديث وإن تعدد بناؤه وعمارته، وقد ذكر رحمه الله تعالى ذرع هذا المسجد ووصفه فى زمانه.

### البناء الذى كان على قرح

لما كان جبل قرح بالمزدلفة قد وقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنى الناس عليه بناية صغيرة من قديم الزمن للدلالة عليه، لكن مع الأسف الشديد ليس عليه فى زماننا هذا بناء ولا علامة، لذلك لم يعرف الناس موضعه. قال الإمام الأزرقى المولود بمكة فى القرن الثانى للهجرة فى تاريخه، فى صحيفة (١٥١) من الجزء الثانى ما نصه: «وقرح عليه أسطوانة من حجارة مدورة، تدوير حولها أربعة وعشرون ذراعاً، وطولها فى السماء اثنا عشر ذراعاً، فيها خمس وعشرون درجة، وهى على أكمة مرتفعة كان يوقد عليها فى خلافة هارون الرشيد بالشمع ليلة المزدلفة، وكانت قبل ذلك توقد عليها النار بالحطب ... إلخ». انتهى من الأزرقى.

وقال الحافظ الطبرى فى كتابه «القرى لقاصد أم القرى» فى صحيفة (٣٨٠) ما نصه: وقرح بضم القاف وفتح الزاى ثم حاء مهملة: موضع من المزدلفة، وهو موقف قريش فى الجاهلية، إذ كانت لا تقف بعرفة، وقال الجوهري: قرح اسم جبل بالمزدلفة. ثم قال الطبرانى: قلت: وقد بنى عليه بناء، فمن تمكن من الرقى عليه رقى، وإلا وقف عنده مستقبل القبلة، فيدعو ويكبر ويهلل ويوحى، ويكثر من التلبية إلى الإسفار، ويستحب أن يدعو بدعاء ابن عمر المتقدم فى فصل ركعتى الطواف و باب السعى. ولا ينبغى أن يفعل ما تطابق عليه الناس اليوم من النزول بعد الوقوف من درج فى وسطه ضيقة، يزدحم الناس على ذلك حتى يكاد يهلك بعضهم بعضاً، وهو بدعة شنيعة، بل يكون نزوله من حيث رقيه من الدرج الظاهرة الواسعة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣١٩

وقد ذكر ابن الصلاح فى منسكه: أن قرح جبل صغير فى آخر المزدلفة ثم قال بعد ذلك: وقد استبدل الناس بالوقوف على الموضع الذى ذكرناه، الوقوف على بناء مستحدث فى وسط المزدلفة ولا تتأدى به هذه السنة والله المستعان. هذا آخر كلامه، والظاهر أن البناء إنما هو على الجبل كما تقدم ذكره ولم أر ما ذكره لغيره. انتهى من كتاب القرى للطبرى.

واعلم أن الوقوف على جبل قرح بالمزدلفة أمر يرجع عهده إلى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، فقد روى الأزرقى فى تاريخه، فى صحيفة (١٣) من الجزء الأول، كيفية حج إبراهيم صلى الله عليه وسلم بانه إسماعيل ومن معه من مسلمى جرهم، فقال بعد أن ذكر ذلك: ثم بات بمزدلفة حتى إذا طلع الفجر صلى بهم صلاة الغداة، ثم وقف به على قرح من مزدلفة وبمن معه، وهو الموقف الذى يقف به الإمام، حتى إذا أسفر غير مشرق دفع به وبمن معه يريه ويعلمه كيف ترمى الجمار ... إلخ، انتهى من الأزرقى. وروى فيه أيضاً فى صحيفة (١٢٢) ما يأتى: ... فإذا جاؤا عرفة أقاموا بها يوم عرفة، فتقف الحلة على الموقف من عرفة عشية عرفة، وتقف الحمس على أنصاب الحرم من نمرة، فإذا دفع الناس من عرفة وأفاضوا أفاضت الحمس من أنصاب الحرم، وأفاضت الحلة من عرفة حتى يلتقوا بمزدلفة جميعاً، وكانوا يدفعون من عرفة إذا طلعت الشمس للغروب، وكانت على رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال فى وجوههم، فإذا كان هذا الوقت دفعت الحلة من عرفة، ودفعت معها الحمس من أنصاب الحرم، حتى يأتوا جميعاً بمزدلفة فيبيتون بها، حتى إذا كان فى الغلس وقفت الحلة والحمس على قرح، فلا يزالون عليه حتى إذا طلعت الشمس وصارت على رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال فى وجوههم، دفعوا من مزدلفة وكانوا يقولون: أشرق ثبير كيما نغير أى أشرق بالشمس حتى ندفع من المزدلفة.

فأنزل الله في الحمس: **ثُمَّ أُفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ** يعنى عرفه و الناس الذين كانوا يدفعون منها، أهل اليمن و ربيعة و تميم، فلما حج النبي صلى الله عليه و سلم خطب الناس بعرفة فقال: **"إن أهل الشرك و الأوثان كانوا يدفعون من عرفه إذا صارت الشمس على رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال فى وجوههم، و إنا لا ندفع من عرفه حتى تغرب الشمس، و يحل فطر الصائم، و ندفع من مزدلفة غدا إن شاء الله"**

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٢٠  
قبل طلوع الشمس، هدينا مخالف لهدى أهل الشرك و الأوثان. **"انتهى من تاريخ الأزرقى.**

### الإيقاد بمزدلفة

الإيقاد بمزدلفة أمر قديم، يرجع عهده إلى قصى بن كلاب، و كان الإيقاد بالحطب، لكن لم نر من تكلم عن سبب الإيقاد بمزدلفة دون عرفات، و الذى نراه و الله تعالى أعلم هو أن قريشا كانت تقف بالمزدلفة و لا تقف بعرفات، و ذلك ترفعا أن يقفوا مع القبائل التى تقف بعرفات.

و دليلنا على ذلك ما رواه البخارى و مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: كانت قريش و من دان دينها يقفون بالمزدلفة و كانوا يسمون الحمس، و كان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم أن يأتى عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها، فذلك قوله سبحانه و تعالى: **ثُمَّ أُفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ... الآية** و مكان إفاضة الناس عرفه لا مزدلفة. ذكر الإمام الأزرقى فى تاريخه عن عبد الله بن خارجه عن أبيه قال: لما أفضى سليمان ابن عبد الملك ابن مروان من المأزمين نظر إلى النار التى على قرح، فقال لخارجه بن زيد: يا أبا زيد، من أول من صنع هذه النار ههنا؟ قال خارجه: كانت فى الجاهلية و وضعتها قريش، و كانت لا تخرج من الحرم إلى عرفه، تقول: نحن أهل الله، قال خارجه: فأخبرنى رجال من قومي أنهم رأوها فى الجاهلية و كانوا يحجون منهم حسان بن ثابت، فى عدة من قومي قالوا: كان قصى بن كلاب قد أوقد بالمزدلفة نارا، حيث وقف بها حتى يراها من دفع من عرفه.

و ذكر الأزرقى أيضا عن نافع عن ابن عمر قال: **"كانت النار توقد على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبى بكر و عمر و عثمان رضى الله عنهم"**.

و ذكر أيضا عن غنيم بن كليب عن أبيه عن جده قال: **"رأيت النبي صلى الله عليه و سلم فى حجته و قد دفع من عرفه إلى جمع و النار توقد بالمزدلفة، و هو يؤمها حتى نزل قريبا منها"**، ثم كان يوقد عليها فى خلافة هارون الرشيد بالشمع ليله المزدلفة، و لما مات كانوا يضعون عليها مصابيح كبارا يسرج فيها بقتل جلال فكان ضوءها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٢١

يبلغ مكانا بعيدا، ثم صارت اليوم توقد عليها مصابيح صغار و قتل رفاق ليله المزدلفة. اه من الأزرقى.

ثم صار الإيقاد على المنارة بالقناديل بواسطة الزيت، ثم لما ظهر غاز الاستصباح استبدلت القناديل الزيتية بالأتاريك، و هى مصابيح غازية عظيمة الضوء جدا، و لا يزال الأمر كذلك إلى الآن فتوضع جملة أتاريك لىالى الحج على منارة مسجد الخيف بمنى و مسجد مزدلفة و مسجد نمرة بعرفات و على جبل الرحمة أيضا، و إن شاء الله عما قريب ستنار كلها بالكهرباء بل لقد وصلت الكهرباء إلى منى.

و الحقيقة أن إنارة المساجد الثلاثة فى منى و مزدلفة و عرفات لىالى الحج لها كثير من الفوائد، أهمها استبشار الحاج عند رؤيته لها من بعد و اطمئنانه بانتهاء رحلته و قرب استراحتة، أقام الله شعائر الإسلام و أدامها إلى يوم القيامة و أعز الإسلام و المسلمين آمين.



## مسجد مزدلفه

مسجد مزدلفه يقع على يمين الصاعد إلى عرفات من الطريق العام، و يقع جبل قرح على يسار هذا المسجد للمتوجه إلى مكة، بينهما أربعمائه ذراع و عشرة أذرع كما ذكره الأزرقى. و المسجد مبنى فى أرض مزدلفه فى بقعة مرتفعة صخرية، و بأخر المسجد محراب، و بوسطه منارة يؤذن عليها، و توقد عليها السرج ليلة المزدلفه، و بلصق المنارة بناء صغير ارتفاعه إلى نصفها، و مدخله من باب المنارة من محل ما يؤذن الإنسان، جعلت للصلاة و الجلوس، و يكفى لنحو عشرة أشخاص.

و لم يكن على هذا المسجد بناء محيط من قديم الزمان، لكن فى شهر ذى القعدة سنة (١٣٧٥) خمس و سبعين و ثلاثمائه و ألف، أحيط المسجد بجدران مرتفعة من جميع جهاته، و لهذا المسجد أربعة أبواب فقط، بابان من الجهة الشمالية التى على الطريق العام، و بابان من الجهة الجنوبية التى تواجه الجبل الذى وراءه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٢٢

و قد أخذنا قياس هذا المسجد فى آخر شعبان سنة ألف و ثلاثمائه و ست و سبعين، فكان طوله ستين مترا، و عرضه ثمانية و ثلاثين مترا، و ارتفاع جداره عن أرض الطريق نحو أربعة أمتار.

انظر: صورة رقم ٢٥٩، مسجد المزدلفه

انظر: صورة رقم ٢٦٠، جانب من مسجد المزدلفه

و مسجد مزدلفه قديم العهد، لكن يتجدد بناؤه و عمارته كلما احتاج إلى إصلاح، فقد ذكره الإمام الأزرقى فى تاريخه، المولود بمكة فى القرن الثانى للهجرة، و ذكر ذرعه و قياسه بصحيفة (١٥١) من الجزء الثانى بتفصيل تام، كما ذكر بهذه الصحيفة موقع جبل قرح بالنسبة لهذا المسجد، قال: و كان على هذا الجبل أسطوانة مبنية بالحجارة طولها اثنا عشر ذراعا، كان يوقد عليها ليلة المزدلفه.

و أما ما ذكره صاحب العقد الفريد كما سيأتى، من أن قصى بن كلاب هو الذى بنى المسجد بمزدلفه فليس بصحيح؛ فإن المساجد لم تكن معروفة قبل الإسلام، ولكن قصى بن كلاب كان يقف بمزدلفه بجبل قرح، و يوقد النار عليه ليراها الناس من بعد، و هو أول من أوقد بمزدلفه للناس، فربما أتى الوهم من هنا لصاحب العقد الفريد رحمه الله تعالى.

قال الغازى صحيفة (٣٧٨): قال الفاسى فى وصفه مزدلفه: و بها مسجد حول قرح و هو صغير مربع ليس بالطويل الحيطان، طوله إلى جهة القبلة كذا و كذا... إلخ ثم قال: و فى قبلته محراب فيه حجر مكتوب فيه «إن الأمير بلبغا الخاصكى جدّد هذا المكان بتاريخ ذى القعدة سنة ستين و سبعمائة». انتهى.

قال الغازى: و فى «مرآة الحرمين»: و فى سنة ٨٤٢ أمر السلطان جقمق الأمير سيدون بتعمير هذا المسجد، و فى سنة ٨٧٤ فى سلطنة قايتباى أمر أمير مكة الشريف محمد بن بركات بتبويضه، و فى سنة ١٠٧٢ عمّر سليمان بك والى جدة من قبل السلطان محمد. اه. قال المحب الطبرى فى شرح التنبيه: قرح، بقاف مضمومة ثم زاي مفتوحة ثم حاء مهملة، فى وسط مزدلفه و قد بنى عليه بناء من يمكنه الوقوف عليه وقف و إلا وقف عنده مستقبل القبلة، و يكثر من التلبية و يدعو.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٢٣

أما صفة البناء الذى على قرح الآن، فإنه بناء مربع يشبه المنارة... إلى آخر وصفه للبناء، ثم قال: و كان اعتبار ما ذكرناه من ذرعه و صفته فى ربيع الآخر سنة إحدى عشرة و ثمانمائه بحضورى، و صفته هذه تخالف صفته التى ذكرها الأزرقى، و اقتصرنا عليها لكونها أبلغ فى تعريفه، و ما عرفت متى بنى هكذا.

و بناه فى الجاهلية قصى بن كلاب جد النبى صلى الله عليه و سلم على ما ذكره ابن عبد ربه فى «العقد الفريد»، و أما خبر الوقيد عليه فإنهم كانوا يوقدون فيه بالشمع فى خلافة الرشيد، فلما مات كانوا يوقدون عليه بمصايح كبار، ثم صاروا يوقدون عليه بمصايح صغار،

و الأصل في استحباب الوقوف على قرح، ما روينا عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه "أن النبي صلى الله عليه و سلم لما أصبح بجمع أتى قرح فوقف عليه و قال: هذا قرح و هو الموقف و جمع كلها موقف." انتهى من تاريخ الغازي.  
هذا و لقد تكلمنا على جبل قرح و على المشعر الحرام و على الإيقاد بمزدلفة في هذا الكتاب، فراجعها إن شئت.  
انظر: صورة رقم ٢٦١، محراب مسجد مزدلفة

### اقتراحنا بشأن مسجد مزدلفة

مما لا شك فيه أن جميع المساجد تكون محاطة بالجدران، و لها باب أو أكثر يقفل و يفتح، و هذا للمحافظة على ما بداخلها من الأشياء و اللوازم، من فراش و أدوات و ضوء و قناديل و سرج و غير ذلك.  
أما إذا كان المسجد في صحراء، كمصلى الأعياد في خارج البلدة الذي لا يستعمل للصلاة إلا نادرا كصلاة العيد و الاستسقاء، و ليس بداخله شيء مطلقا يخشى من سرقة، فهذا لا داعي لتسويره و تبويبه و إحاطته بالجدران.  
لهذا نرى أنه من المستحسن إزالة ما تجدد من البناء بمسجد مزدلفة في عصرنا هذا، لأن هذا البناء المرتفع يحجب الناس و هذا الحجيج الأعظم على من كان داخل المسجد، فإن رؤية الناس بعضهم لبعض على صورة العبادة في فريضة الحج، على ما فيها من الروعة و الدهشة و الجلال، تبعث في النفس النشاط و الإقبال على التلبية و التكبير و التهليل، فلجماعة و الاجتماع نشوة و فرحة و راحة للنفس لا تكون في الحالة الفردية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٢٤

و أيضا أن وقت وجود الناس بمزدلفة هو ليلة واحدة في كل عام و هي ليلة عيد الأضحى، و ذلك بعد الدفع من عرفات، فلا يستحسن البناء المرتفع و تسوير مسجد مزدلفة بحيث يحجب الناس من كان بداخله، بل لا معنى لتسوير هذا المسجد بالذات من جميع جهاته، و الحال أنه واقع في الصحراء في خلاء مزدلفة، و ليس إلا رمال فقط فلا يخاف على شيء يسرق منه.  
فعسى أن يتنبه لهذه المسألة المهمة أولو الأمر، فيأمرون بإزالة السور المستحدث حول المسجد المذكور و إرجاعه إلى سابق عهده فيكون بدون تحليق، و في هذا من المصلحة ما لا يخفى، و الله تعالى الموفق للصواب و إليه المرجع و المآب.

انظر: صورة رقم ٢٦٢، القصر الملكي في مزدلفة

انظر: صورة رقم ٢٦٣، أحد صنابير المياه التي أعدتها الحكومة بمزدلفة لراحة الحجاج

### عرفات

### إشارة

عرفات تكون ثالث منزل من منازل الحج بعد مكة المشرفة، أو تكون هي أول منزل من منازل الحج باعتبار الوقوف بها.  
فالوقوف بعرفات يكون في الحل و لا يكون في الحرم مطلقا، و قد بينا حدود عرفات بالتفصيل في كتابنا «إرشاد الزمرة لمناسك الحج و العمرة» المطبوع بمصر بمطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده.  
و لا يوجد بعرفات غير مسجد نمرة و غير مسجد الصخرات.

### عرفة و الوقوف بها

قال الفاسي رحمه الله تعالى في كتابه «شفاء الغرام» ما نصه:

و أما تسميتها عرفه فلتعارف آدم و حواء فيها، لأن آدم أهبط بالهند و حواء بجدة فتعارفا بالموقف، قاله الضحاك.

وقيل: لأن جبريل عليه السلام، عرف الخليل عليه السلام فيه المناسك يوم عرفه.

وقيل: الناس يعترفون فيها بذنوبهم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٢٥

وقيل: غير ذلك من الأقوال التي ذكرناها في أصل هذا الكتاب و هي تسعة أقوال. و الله أعلم بالصواب.

و أما جمعها و صرفها فذكر جوازه جماعة من العلماء منهم النووي لأنه قال:

و جمعت على عرفات و إن كان موضعاً واحداً، لأن كل جزء منه يسمى عرفه، و لهذا كانت معروفة كقصبات، قال النحويون: و يجوز

ترك الصرف، كما يجوز ترك صرف غايات و أذرع، على أنها اسم مفرد لبقعة. اه. انتهى من شفاء الغرام.

نقول: إن ما ذكره العلامة الفاسي من الأقوال في تسمية عرفه، إنما هو بحسب الظاهر، و الحقيقة التي ينبغي الاعتراف بها، هي أن

الأسماء لا تعلق، فعرفه اسمها عرفه من قديم الأزمان.

و عرفات هي أشهر من نار على علم، و كل من حج لا بد له أن يقف بعرفة لخبر: «الحج عرفه» فمن أحرم بالحج و وقف بعرفة فقد

أدرك الحج و عليه إتمام بقیة الأعمال، و من فاته الوقوف بعرفة فقد فاته الحج، فلا يطالب بقیة الأعمال، و إنما يطالب بالتحلل كما

هو معروف في كتب الفقه.

و فضل يوم عرفه معروف فهو يوم عظيم فيه يتجلى الله تعالى على عباده الذين وقفوا به متجردين من الثياب و الزينة، يدعونه و يلبون و

يستغفرونه، يتجلى الله على هذا الجمع الغفير بالرحمة و الغفران و العتق و الإحسان، و إنه تعالى لياهي بهم الملائكة و هو الغني عن

العالمين، كل هؤلاء لا يرجون في ذلك اليوم إلا الله، و لا يدعون إلا إياه، نشيدهم الروحي «لييك اللهم لييك»، و شعارهم الديني «لا

إله إلا الله و لا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين و لو كره الكافرون»، قد تركوا أوطانهم و فارقوا أولادهم، و كشفوا رؤوسهم و نزعوا

ثيابهم و أبدلواها بالأحرام الأبيض كالأكفان، و وقفوا في صحراء عرفات و ميدانه امتثالاً لأمر الله و ابتغاء لمرضاته. و في يوم عرفه

نزلت الآية الكريمة: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا.

و يعقب يوم عرفه يوم العيد الأكبر، عيد الأضحى المبارك، و كم وقف و يقف بعرفات من الأمم الماضية و الآتية منذ وجود البيت

الحرام إلى قيام الساعة، و الحق أن يوم عرفه ليوم عظيم، فيه تسكب العبرات، و تقال العثرات، و ترتجى الطلبات، و يوم عرفه أعظم

المجامع على وجه الأرض، قد اختلط فيه الأبيض والأسود

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٢٦

و الصغير الكبير و الغني بالفقير و العالم بالجاهل و الأمير بالخامل يدعون ربهم خوفاً و طمعا.

و الحق يقال أن الناظر في يوم عرفه إلى تلك الجموع المحتشدة الذين أتوا من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم و يذكروا اسم الله

في أيام معلومات، ليندهش اندهاشا و يزداد إيمانا بالله الواحد القهار، الذي له ما في السموات و الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى.

و المسافة بين مكة و عرفات نحو عشرين كيلو متراً، و تقع في الحل لا في الحرم، و عرفه ميدان واسع، أرضه مستوية، يحيط بميدانه

سلسلة من الجبال الشامخة تشبه الدائرة، و يقع على شماله جبل الرحمة، و هو جبل صغير بالنسبة لما حوله من الجبال، و أعلى هذا

الجبل سطح مستو مبلط بالحجارة منذ قديم الزمن، و بوسط سطحه علم مبني بالحجارة طوله نحو ثلاثة أمتار أو أربعة، يعلق فيه ليلة

عرفه جملة مصايح.

و قد بنى الوزير الجواد الأصفهاني في منتصف القرن السادس للهجرة درجا من أسفل هذا الجبل إلى سطحه لسهولة الصعود، و لا

فضيلة للوقوف على هذا الجبل «جبل الرحمة» في يوم عرفه، فلا يسر الرقي عليه ذلك اليوم بل يكره، و من وقف عليه أجزاءه، فميدان

عرفة كله موقف، و جهلاء الحجاج يعتقدون أن الصعود على هذا الجبل واجب، فيلزم على حضرات المطوفين التنبيه عليهم بأن الرقى عليه بدعة لا ينبغي فعله، أما الصعود عليه بقصد النزاهة و ترويح النفس و حسن المنظر فلا بأس به شأنه شأن البقية الجبال. و في أسفل جبل الرحمة مسجد الصخرات، و هو مسجد صغير محاط بجدار قصير، و في مكان هذا المسجد وقف رسول الله صلى الله عليه و سلم عشية عرفة.

و بأسفل هذا الجبل مجرى عين زبيدة، و عليه شاخص مثبت فيه بعض الأحجار المكتوبة من قديم الزمن، و إن شاء الله تعالى سننقل نص الكتابات التي عليها عندما تسنح لنا الفرصة.

انظر: صورة رقم ٢٦٤، خريطة لعرفات في عهد الأتراك

قال صاحب كتاب «مرآة الحرمين» عن عرفة ما نصه:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٢٧

ميدان عرفة و جبالها على بعد (٢١٤٧٦) مترا من باب المعلا بمكة، تجد في طريق الطائف علمين هما حدود عرفة من جهة مكة و هما في الحل، بعد العلمين المنصوبين على حدود الحرم بمسيرة (٢٥) دقيقة، و عرفة ميدان واسع أرضه مستوية، يبلغ نحو ميلين طولاً في مثلها عرضاً، و تحيط به سلسلة جبال على شكل قوس كبير، و يمر بطرفي القوس من جهة الجنوب الطريق إلى الطائف، و في شماله جبل الرحمة المعروف عند الناس بجبل عرفات و إنما جبل عرفات ما أطاف بهذا الميدان، و جبل الرحمة أصغر جزء فيه، و يبلغ ارتفاع هذا الجزء ثلاثين متراً، و طوله نحو (٣٠٠) متر، و في متوسط ارتفاعه مستوى طوله (١٥) متراً في عرض (١٠) أمتار، به مسجد إبراهيم عليه السلام، كما يقولون، و في قمة الجبل مستو واسع مبلط في وسطه مصطبة، في ركنها الغربي علم مبنى كأعلام الحرم، يعلق به جملة مصابيح يهتدى بها الناس ليلاً إلى موطن الجبل، و قد تقدم تفصيل بعض ذلك في ص (٤٤) من الرحلة، و بهذا الميدان يخيم الحجاج أيام عرفة، و به جملة مساجد و عدة أحواض و سوق، و مجرى عين زبيدة يطيف بالميدان كما تطيف الجبال، و قد قدمنا لك ذكر الأحواض و وصفها بالتفصيل و مقاسها في الرسم (٧٧)، و في ص (٢٠٨ و ٢٠٩). و كذلك تكلمنا على مجرى عين زبيدة بعرفة، و ذكرنا الكتابات التي وجدناها بجبل الرحمة دالة على العمارات المختلفة في ص (٢١٤) و (٢١٥)، و ذكرنا أيضاً ما نقدناه هنالك من النظام و الأعمال فلا داعي لذكره، فارجع إليه إن شئت. اه من الكتاب المذكور.

لكن قوله: «و به جملة مساجد» غير صحيح، و هو سبق فلم من المؤلف رحمه الله تعالى، فليس في ميدان عرفة غير مسجدين: «مسجد الصخرات» و هو بأسفل جبل الرحمة، و محل هذا المسجد هو موقف رسول الله صلى الله عليه و سلم عشية عرفة.

و «مسجد نمره» و يسمى مسجد عرفة، و هو بأول الميدان للذهاب من مكة إلى عرفة، خارج عن حدودها بعيد عن جبل الرحمة، و هو الذي يصلى فيه الإمام بالناس يوم عرفة. فلا يوجد بعرفات غير هذين المسجدين من قديم الزمان، و مسجد نمره أقدم من مسجد الصخرات.

انظر: صورة رقم ٢٦٥، جانب من عرفات و يرى به جبل الرحمة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٢٨

### حدود عرفات

من أحسن ما كتب بالتفصيل عن حدود عرفات هو ما ذكره الإمام النووي رحمه الله تعالى في المجموع شرح المذهب بصحيفة (١٠٥) من الجزء الثامن، و هذا نصه:

و أما حد عرفات فقال الشافعي رحمه الله تعالى: هي ما جاوز وادي عرنة بعين مضمونة ثم راء مفتوحة ثم نون إلى الجبال القابلة مما يلي بساتين ابن عامر، هذا نص الشافعي و تابعه عليه الأصحاب.

و نقل الأزرقي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: حد عرفات من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى جبال عرفات إلى وصيق، بفتح الواو و كسر الصاد المهملة و آخره قاف، إلى ملتقى وصيق و وادى عرنة.

قال بعض أصحابنا: لعرفات أربع حدود:

(أحدها) ينتهى إلى جادة طريق المشرق.

(و الثانى) إلى حافات الجبل الذى وراء أرض عرفات.

(و الثالث) إلى البساتين، التى تلى قرية عرفات، و هذه القرية على يسار مستقبل الكعبة إذا وقف بأرض عرفات.

(و الرابع) ينتهى إلى وادى عرنة.

قال إمام الحرمين: و يطيف بمنعرجات عرفات جبال وجوهها المقابلة من عرفات.

اعلم أنه ليس من عرفات وادى عرنة و لا نمرة و لا المسجد المسمى مسجد إبراهيم و يقال له أيضا مسجد عرنة، بل هذه المواضع خارجة عن عرفات على طرفها الغربى مما يلى مزدلفة و منى و مكة، هذا الذى ذكرته من كون وادى عرنة ليس من عرفات، لا خلاف فيه، نص عليه الشافعى و اتفق عليه الأصحاب.

و أما نمرة فليست أيضا من عرفات بل بقربها، هذا هو الصواب الذى نص عليه الشافعى فى مختصر الحج الأوسط و فى غيره، و صرح به أبو على البندنجى و الأصحاب، و نقله الرافعى عن الأكثرين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٢٩

قال: و قال صاحب الشامل و طائفة: هى من عرفات، و هذا الذى نقله غريب ليس بمعروف و لا هو فى الشامل و لا هو صحيح بل إنكار للحس و لما تطابقت عليه كتب العلماء.

انظر: صورة رقم ٢٦٦، الحجاج تحت جبل عرفات يتهلون و يلون

و أما مسجد إبراهيم فقد نص الشافعى على أنه ليس من عرفات، و أن من وقف به لم يصح وقوفه، هذا نصه، و به قطع الماوردى و المتولى و صاحب البيان و جمهور العراقيين.

و قال جماعة من الخراسانيين منهم الشيخ أبو محمد الجوينى و القاضى حسين فى تعليقه، و إمام الحرمين الرافعى: مقدم هذا المسجد من طرف وادى عرنة لا فى عرفات، و آخره فى عرفات، قالوا: فمن وقف فى مقدمه لم يصح وقوفه، و من وقف فى آخره صح وقوفه. قالوا: و يتميز ذلك بصخرات كبار فرشت هناك.

قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح: وجه الجمع بين كلامهم و نص الشافعى أن يكون زيد فى المسجد بعد الشافعى هذا القدر الذى ذكره و الله أعلم.

قلت: قال الأزرقي: فى هذا المسجد ذرع سعة من مقدمه إلى مؤخره، مائة ذراع و ثلاثة و ستون ذراعا، قال: و من جانبه الأيمن إلى جانبه الأيسر من عرفة و الطريق مائة ذراع و ثلاثة عشر ذراعا، قال: و له مائة شرفة و ثلاث شرفات، و له عشرة أبواب. قال: و من حد الحرم إلى مسجد عرنة ألف ذراع و ستمائة و خمسة أذرع. قال: و من مسجد عرفات هذا إلى موقف النبى صلى الله عليه و سلم ميل و الله أعلم.

و اعلم أن عرنة و نمرة بين عرفات و الحرم ليستا من واحد منهما، و أما جبل الرحمة ففى وسط عرفات، فإذا علمت عرفات بحدودها، فقال الماوردى: قال الشافعى: حيث وقف الناس من عرفات، فى جوانبها و نواحيها و جبالها و سهلها و بطاها و أوديتها و سوقها المعروفة بذي المجاز أجزاءه، قال: فأما إن وقف بغير عرفات من ورائها أو دونها، عامدا أو ناسيا أو جاهلا بها فلا يجزئه، و قال مالك: يجزئه و عليه دم و الله أعلم.

انتهى من كتاب المجموع للنووى، و هو أحسن ما كتب فى حدود عرفات.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٣٠

قال ابن حجر في حاشيته على الإيضاح: قال التقى الفاسي: و حد عرفه من هذه الجهة الآن أى جهة مكة بين و هو علمان بعد العلمين اللذين هما حد الحرم إلى جهة عرفه، و كان ثمة ثلاثة أعلام فسقط واحد و بقى أثره مكتوبا عليه: إن الأمر بإنشائها بين منتهى أرض عرفه و وادى عرفه مظفر الدين صاحب إربل سنة خمس و ستمائة. انتهى من الحاشية المذكورة.

و إربل: بلدة شهيرة من بلاد الأكراد، و هى بلدة مؤلف هذا الكتاب و يقال لها إربيل، و عوام الأكراد يسمونها: هولير، بفتح الهاء و سكون الواو و كسر اللام و ياء بعدها، و صاحبها الملك مظفر الدين رحمه الله، أفرد له ابن خلكان ترجمة طويلة، و قال عنه: إنه كان له فى فعل الخيرات غرائب لم يسمع أن أحدا فعل ذلك ما فعله، و لم يكن فى الدنيا شىء أحب إليه من الصدقة، و كان يقيم فى كل سنة سبيلا للحاج، و يسير معه جميع ما تدعو حاجة المسافر إليه فى الطريق، و يسير صحبته أمينا معه خمسة أو ستة آلاف دينار ينفقها بالحرمين على المحاويع و أرباب الرواتب، و له بمكة حرسها الله تعالى آثار جميلة و بعضها باق إلى الآن، و هو أول من أجرى الماء إلى جبل عرفات ليللة الوقوف، و غرم عليه جملة كثيرة، و عمر بالجبل مصانع للماء، فإن الحجاج كانوا يتضررون من عدم الماء. توفى رحمه الله تعالى سنة ثلاثين و ستمائة. اهـ.

و قد ذكرنا هذه الجملة لمناسبتها للمقام، و من أراد الوقوف على معرفة أحوال الأكراد و ما لهم من مآثر و خدمات إسلامية، فليراجع كتاب "تاريخ الكرد و كردستان"، و كتاب "مشاهير الأكراد" و هما مطبوعان بمصر. انظر: صورة رقم ٢٦٧، خيام الحجاج بعرفات

### وصف ووقف الحجاج بعرفات

رأينا فى كتاب البتونى رحمه الله تعالى المسمى «بالرحلة الحجازية» وصف ووقف الحجاج بعرفة فى زمانه، و ما اقترحه من العمل فى عرفات، فأحبنا نقله هنا ليظهر الفرق الكبير بين ما كانت عليه عرفات سابقا و بين ما هى عليه اليوم، و قد كان مؤلف الكتاب المذكور حجج مع خديوى مصر «عباس حلمى باشا الثانى» فى سنة (١٣٢٧) هجرية ألف و ثلاثمائة و سبع و عشرين، و هذا نص ما جاء فى الرحلة الحجازية:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٣١

«الوقوف بعرفة» عند وصول الحجاج إلى هذا الوادى، ينزل ركب المحملين «أى المحمل المصرى و المحمل الشامى» بخيامهم قريبا من جبل الرحمة، يليهما مضارب الحجاج على اختلاف أجناسهم، و على سفح عرفه من عاليه إلى جبل الرحمة، ترى حجيج الأعراب محتشدين إلى جوف الجبل، بعضهم فوق بعض كالحجر المرصوص، أما باقى الحجيج فإنه ينصب الخيام فى بطن الوادى الذى يزدحم إليه الناس، حتى لا- تكاد ترى فيه مكانا خاليا من واقف أو قاعد، و جمالهم و حميرهم مربوطة بجوارهم، و ترى الكل فى صعيد واحد، حتى يتعذر على الإنسان السير إلى أى جهة أراد و لو لضرورة فى نفسه، و لو كان مولانا الشريف يأمر بتقسيم وادى عرفه إلى أحذية أفقية يقسمها شارع راس، و يخصص كل حذاء لسكنى جماعة من الحجيج و جمالهم من ورائهم، و توضع لذلك علامات من البناء لا- يتجاوزها الحجاج فى وضع مضاربهم، و لا الجمالة فى ربط جمالهم، و يعين لهذا النظام من يحفظه مع الدقة، لكان له شكر الله و الملائكة و الناس أجمعين، و فى سعة الوادى ما يضمن لدولته إقامة الكل على الراحة التامة، لأن هذا التراحم إنما سببه التقرب من مجرى الماء و من السوق الذى تراه بجوار مسجد الصخرات، (و يباع فيه بعض الأغذية الضرورية)، و ربما كان لتراحمهم سبب آخر و هو خوفهم من الأعراب الذين يكون لهم من سعة هذا الرحاب عون على النهب و السلب و بسبب هذا التراحم يضل الناس عن أمكنتهم إذا تركوها لأمر ما، و لذلك تراهم ينادون على بعضهم إما بأسمائهم أو بألفاظ اصطلاح عليها أهل كل جهة، حتى إذا سمعها واحد منهم أجابه بصوت عال و قصد مصدر الصوت و هذه الحركة لا تكاد تنقطع مدة الإقامة بعرفة.

انظر: صورة رقم ٢٦٨، جبل عرفات و بجانبه محطة المياه و مخططات تقسيم الأراضي للحجاج و المطوفين و يجدر بدولة مولانا الشريف إصدار أمره الكريم بالعناية التامة، بملاحظة فتحات مجرى عين زبيدة، و تعيين خدمة مخصوصين لها، لا يدعون أحدا من الحجاج يعث بها أو يغتسل فيها، و خصوصا أولئك المجذومين الذين يغتسلون في الحوض الذي يسمونه بحوض المجذومين، زاعمين أن فيه شفاءهم، و هم بعملهم هذا إنما يضررون إخوانهم المسلمين بنقل العدوى إليهم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٣٢

و لا- يغرب عن فكره السامى أن علماء البكتريولوجيا ذهبوا إلى أن الماء هو أكبر موصل للعدوى، و خصوصا في وباء الكوليرا، نسأله تعالى السلامة لعباده.

و يوم الوقوف هو التاسع من ذى الحجة مع قليل من ليلة العاشر باتفاق المسلمين، فإذا ثبت هذا اليوم عند القاضى بالصفة الشرعية، وقف جميع المسلمين على اختلافهم فى الجنسيات و المذاهب، من غير أن يكون للشك تأثير عليهم، إلا الشيعه من الأعجم، فإنهم لو حصل عندهم أدنى شك فى رؤيه هلال ذى الحجة، بمعنى أنه لم يشاهده منهم الجم الغفير، وقفوا يوم التاسع و العاشر احتياطا.

و فى عرفه ترى الناس مشتغلين كل بشأنه، و هم و إن انفصلوا فى هياكلهم، فإن قلوبهم مرتبطة ارتباط ذرات الجسم الواحد ببعضها، و بعد صلاة العصر يتحرك المحملان بحرسهما إلى منحدر جبل الرحمة، و ينهض خطيب عرفه (و هو فى الغالب قاضى مكة الذى يتعين من قبل السلطان) فيصعد بناقته من طريق حلزوني إلى صخرة فى صدر هذا الجبل، و يخطب نيابة عن خليفه رسول الله صلى الله عليه و سلم خطبة يعلم الناس مناسك الحج، و يكثر فيها من الدعاء و التلبية، و من دونه مبلغون، بأيديهم مناديل يشيرون بها فى كل تلبية إلى الواقفين دون الصخرة، فيقول الكل: «لييك اللهم لييك» بصوت يكاد يصعد بالأحشاء إلى عنان السماء، فى لها من ساعة ترى الناس فيها قد تجردوا بالمره عن أنفسهم، فلا يكادون يشعرون بما يحيط بهم من معالم الحياة، و قد تغلب وجدانهم على وجودهم، و ظهرت روحانيتهم على جسمانيتهم، حتى كأنهم فى لباسهم الأبيض الطاهر النقى، ملائكة لله فى هذا الوادى، الذى يردد أصواتهم و ابتهالاتهم إلى واجب الوجود، إلى الملك المعبود، إلى الواحد الأحد الفرد الصمد، الذى لم يلد و لم يولد، و لم يكن له كفوا أحد، فإذا تراجع إليهم صدى هذا الصوت، أحدث فى نفوسهم هزة، تدق لها قلوبهم، و تضطرب منها أفئدتهم، خشية من رب الأرباب و مالك الرقاب، هنالك تسوخ النفوس فى ظروفها، و تنكمش الجسوم على هياكلها، من رهوت هذا الملكوت، و حشاشات القلوب تتسبب من آماق عيونهم أسفا على ما اقترفوه من ذنوب و عيوب، و تتلاحق الأرواح إلى التعلق بأستار رحمت رحمانها، تائبة مستغفرة ضارعه إليه تعالى بقبولها فى ساحة غفرانه، مؤملة فى عظيم كرمه و إحسانه، و لا تلبث أن تتراجع، و هى على يقين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٣٣

من قبولها فى ساحة الرحيم الرحمن، و قد قر فى نفوس ذويها حب الفضيلة و بغض الرذيلة، و حسب الإنسان من فضيلة الحج هذه الحسنه الجميلة.

و يستمر الناس على هذه الحال، حتى إذا غابت الشمس فى الأفق أطلق صاروخ من قبل الخطيب إعلانا بتمام الموقف، عندها تتحرك المحامل بين ضروب المدافع و عزف الموسيقىات و أصوات الابتهالات و كثرة الدعوات و انهمال العبرات، و يكون كل حاج قبل ذلك قد حمل حموله و استعد للإفاضة، فينفر الناس مره واحده من عرفات مسرورين هاتفين بهتاف الفرح و الجور، حتى إذا وصلوا إلى ذينك العلمين خرجوا من بينهما، و هناك ترى الزحام لا يوصف و الناس فى حركة هائلة إلى المزدلفه، فإذا وصلوها نزلوا بها، و أقام بها الحنفية إلى ما بعد صلاة الصبح، و الشافعية إلى ما بعد نصف الليل، أما المالكية فحسبهم من الإقامة بها قدر ساعة، يجمعون فيها جمارهم من الحصى الموجود فى أرضية واديهما و هى تسع و أربعون حصاه فى قدر الفولة، يتناولها الحاج من رمال تلك الصحراء الواسعة، ليرجم بها فى منى التى ينزل إليها من ليلته.

انظر: الصور أرقام ٢٦٩ لأعلى جبل عرفات، و ٢٧٠ لأحد شوارع عرفات المؤدى إلى جبل الرحمة، و ٢٧١ لغار نمره بعرفات، و

المؤلف واقفا على بابه الكبير في (١٣٧٦ هـ)

و أغلب الحجاج يقلدون مالكا، و يسرعون في النزول إليها، حتى يجدوا لهم فيها مكانا يقيمون به على راحتهم و في صباح النحر و هو يوم العيد الأ-كبر، يكون عموم الحجاج وصلوا إلى منى، و يخيم المحمل المصري في شمال المصطبة، التي فيها مخيم الشريف، و المحمل الشامي إلى جوار مسجد الخيف، و هو مسجد كبير ذو فضاء واسع مربع، يحيط به سور متسع، و إلى حائطه الغربي رواق على طوله، قام سقفه على أعمدة من البناء.

و باب هذا المسجد إلى الشمال، و في وسط صحنه تجاه الباب قبة كبيرة أقيمت على مكان يصلى الناس فيه، و هو المكان الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم، و بجوار هذه القبة مئذنة صغيرة بناها السلطان قايتباي سنة ٨٧٤، و بنى بجانب هذا المسجد دارا كان ينزل إليها أمير الحاج المصري، فاندثرت و لكن المسجد باق على حاله، إلا أنه يحتاج من داخل سوره و خارجه إلى عناية ذوى الشأن، حتى يكون نظيفا بعيدا عن عبث العابثين، إن لم يكن لموجبات الدين فلموجبات

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٣٤

الصحة العمومية، و خصوصا في منى التي تكتب فيها صحيفة الحاج الصحية، و تساق على أجنحة البرق إلى جميع الأقطار المسكونة. و بمجرد وصول الحجاج إلى منى يقصدون من فورهم جمرة العقبة، فيرمونها و ينحرون و يحلقون أو يقصرون، ثم يلبسون ملابسهم: و عندها يحل لهم كل شيء ما عدا النساء و الطيب. و ذبائح القربان تذبح في شرقي منى، و تلقى في حفر تحفر هناك لهذا الغرض. و كلما امتلأت حفرة، بجثث القرايين، ردمت و حفرت غيرها. و هكذا و يكون لها بعد الحج، رائحة كريهة جدا، و لو كانت الحكومة تعتنى بجمع ما يتراكم فيها من العظام مع ما يتخلف منها حول مكة، و تبيعه لإحدى الشركات بجدة، و تصرف ثمنه في تحسين طرق الحجاج، و نظافة شوارع مكة، لكان فيه فائدة كبيرة.

و قد طلبت شركات كثيرة التزام ذلك من الحكومة السابقة فلم يقبل طلبها.

أما الحكومة الحالية فأظن أنها لا ترى مانعا في ذلك ما دام في مصلحة البلاد.

و يقيم الحجاج بمنى، إلى عصر اليوم الثالث عشر من ذي الحجة، ثم ينزلون إلى مكة لأداء الركن الباقي من أركان الحج، و هو طواف الإفاضة و السعى، لمن لم يكن سعى بعد طواف القدوم. و من الناس من ينزل إلى مكة أول يوم، بعد رمي جمرة العقبة، لاستكمال جميع مناسك الحج، ثم يرجعون من يومهم إلى منى، فيقيمون فيها مع إخوانهم ثاني و ثالث أيام التشريق، و يرجعون في كل يوم منها الجمرات الثلاث، و في عصر اليوم الثالث ينزلون إلى مكة. انتهى من الرحلة الحجازية.

انظر: الصور أرقام ٢٧٢، لجانب من خيام الحجاج بعرفات و خزانات المياه المتوفرة لراحة الحجاج، و ٢٧٣ لنجل المؤلف بملابس الإحرام بعرفات، و ٢٧٤ لعين سبيل الماء بعرفات بالقرب من مسجد نمره و المؤلف واقفا أمامه.

## الوقوف بعرفات

اعلم أن الوقوف بعرفات في الحج يشبه محشر يوم القيامة، كما أن النوم يشبه الموت و الاستيقاظ منه يشبه البعث و النشور و القيام من القبور. فالوقوف بعرفات هو المحشر الأصغر، و لقد كتبناه في كتابنا المطبوع المسمى "إرشاد الزمرة لمناسك الحج و العمرة." و نحن نقل ما كتبناه فيه هنا تكميلا للفائدة العامة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٣٥

أما دعاء يوم عرفة فقد ذكرناه في غير هذا المحل، و إليك ما جاء في كتابنا المذكور:

يسن للحاج أن يكثر بعرفه من الدعاء و الذكر و التلبية و قراءة القرآن و الاستغفار و التسبيح و التحميد و التكبير و التهليل، و أفضل الدعاء ما رواه الترمذى و غيره، عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: «أفضل الدعاء يوم عرفة، و أفضل ما قلت أنا و النبيون من



قلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير».

وفى كتاب الترمذى عن على، رضى الله عنه، قال: «أكثر ما دعا به صلى الله عليه وسلم يوم عرفه فى الموقف: اللهم لك الحمد كالذى نقول، وخيرا مما نقول، اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى وإليك ما بى ولك ربى تراثى، اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر وسوسة الصدر وشتات الأمر، اللهم انى أعوذ بك من شر ما تجىء به الريح». ولیدع لنفسه والديه وأقاربه وشيوخه وأصحابه وسائر من أحسن إليه، وسائر المسلمين الأحياء منهم والأموات، وليحذر من التقصير فى ذلك، فإن يوم عرفه يوم عظيم قد لا- يمكن تداركه، وفيه تسكب العبرات وتقال العثرات وترتجى الطلبات، فإنه لمجمع عظيم، بل إنه أعظم المجمع على وجه الأرض، كيف لا وقد اجتمع من المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها سائر الشعوب والأمم، من مختلف الأجناس واللغات، أتوا من كل فج عميق ووقفوا فى يوم واحد، فى مكان واحد، محرمين على هيئة واحدة، وفى لحظة واحدة، قد تركوا الأوطان والعمارات، ووقفوا بصحراء عرفات يسكبون العبرات، اختلط بعضهم ببعض، لا فرق بين الأمير والحقير، والغنى والفقير والمالك والمملوك، والأبيض والأسود، شعارهم «لييك اللهم لييك، لييك لا شريك لك لييك» كل واحد لا يرجو ذلك اليوم غير الله ولا يطلب إلا رحمة ورضاه، بخشوع وخضوع وذلة وافتقار، مخلص له الدين ولو كره الكافرون، حقا إنه لموقف عظيم ومحشر كبير برهان ساطع على عظمة الله تعالى وجلاله، وأن الملك والملكوت لله الواحد القهار، وأنه جل شأنه يتجلى على عباده ذلك اليوم بالمغفرة والرحمة والعتق من النار، ويباهى بهم الملائكة، ففى صحيح مسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله تعالى فيه عبدا من النار من يوم عرفه، وأن يباهى بهم الملائكة يقول: ما أراد هؤلاء؟».

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٣٦

وروى أحمد والطبرانى: أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى يباهى ملائكته عشية عرفه بأهل عرفه يقول: أنظروا إلى عبادى أتونى شعثا غربا» وقال عليه الصلاة والسلام: «ما روى الشيطان أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه فى يوم عرفه، وما ذاك إلا- أن الرحمة تنزل فيه فيتجاوز عن الذنوب العظام» سأل الله الحى القيوم أن يتقبل منا صالح الأعمال، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يتغمدنا برحمته فى الدنيا والآخرة، إنه بعباده لطيف خبير. اه.

انظر: صورة رقم ٢٧٥، أحد صنابير الماء بعرفات والحجاج يستقون ويغتسلون

### الحج و وصف الوقوف بعرفات

ذكرنا فى كتابنا المطبوع المسمى «إرشاد الزمرة لمناسك الحج والعمرة» أسرار الحج ومزاياه، ورأينا أن نذكر شيئا من ذلك هنا تكملة للفائدة، وإليك بعض ما جاء فيه:

يرتبط الحج بالكعبة المعظمة منذ بنائها الأول، فهو لذلك من الأمور الدينية القديمة العهد جدا، وقد حج كثير من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكان أهل الجاهلية يحجون ويقفون بعرفات ويبتون بمزدلفة ويمكنون بمنى، وكانوا يصنعون للحجاج طعاما أيام الموسم بمكة ومنى، ولما حج سيدنا يونس عليه السلام كان يؤثر عنه: «لييك كاشف الكرب لييك».

ولئن كان الحج خامس أركان الإسلام فى الترتيب كما جاء فى الحديث الشريف «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت» كما فى رواية ابن عمر فإنه جامع لمعانيها كلها، كذلك الإسلام فإنه أتى آخرها ولكنه جمع حقائق الأديان كلها، وهو الدين الذى ارتضاه الله لعباده، كما يقول فى كتابه العزيز:

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا وَيَقُول: وَمَنْ يَبْتَغِ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ.

وما كان الحج خامس الأركان ترتيبا إلا لكونه واجبا فى العمر مرة على المستطيع، بخلاف الصلاة والزكاة والصيام فإنها تتكرر على الدوام إما يوميا وإما سنويا، فالحج هو أكبر مؤتمر إسلامى دائر بدوران السنين والأعوام إلى يوم القيامة، وهو أوسع وأشرف مجمع

دينى و أعظم و أفخم ناد صحراوى يعقد بأمر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٣٧

إلهى و بوازع الإيمان القوى مرة كل عام، و أعضاء هذا المؤتمر الأكبر هم جميع المؤمنين على اختلاف طبقاتهم و تنوع شعوبهم و أممهم، لا- فرق بين الكبير و الصغير، و الأمير و الحقير، و الغنى و الفقير، و العالم و الجاهل و العامل و العاطل، و كل منهم يشعر بالوحدة العامة و يهدف إلى التمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها.

و لقد كان الإفرنج و الحكومات الأجنبية يتخوفون و يهابون الإسلام لأمرين خطيرين:

(الأول) الحج إلى بيت الله الحرام الذى هو بمثابة الوحدة الإسلامية التى تجمع كلمتهم و تقوى عزائمهم (و الثانى) الخلافة و هى التى يستندون إليها و يرتبطون بها و يستظلون تحت لوائها، فهى مركز سلطانتهم و مصدر نفوذهم.

و لقد بسط الكلام عن الحج و الخلافة بما يشفى الغليل (المستر لو ثروب سنودارد الأمريكى) فى الفصل الثانى بعنوان «الجماعة الإسلامية» من كتابه «حاضر العالم الإسلامى» بتعليقات أمير البيان الأمير شكيب أرسلان، فانظر إليه فإنه كتاب قيم جدا.

أما الخلافة فلا نتكلم عنها، و أما الحج فكيف لا يخافون منه و هو العامل الأكبر فى التعاون و التعاضد و الرابطة أليس يقول الله تعالى: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ فَأى منفعة أعظم و أكبر للمسلمين من تقوية الرابطة الدينية؟ و ربط الشعوب المختلفة بعضها ببعض الذين أتوا من كل فج عميق، ففى إطلاق لفظ المنافع فى الآية دليل واضح على تعميمها، فيدخل فيها كل ما له منفعة للمسلمين كالأموال الوطنية و العلمية و الثقافية و الاجتماعية و الإنسانية و التجارية و غير ذلك، و الحق يقال: إن الناظر فى يوم عرفة إلى تلك الجموع المحتشدة، و إلى ذلك البحر الزاخر من المسلمين الذين أتوا يوحدون الله و يلبون دعاءه من مشارق الأرض و مغاربها، و من مختلف الأجناس و اللغات، ليندهش اندهاشا و يستغرب عجا، و يزداد إيمانا بالله تعالى و بقدرته و عظمته «و ما راء كمن سمعا».

فلئن شرعت صلاة الاستسقاء باجتماع الناس بأطفالهم و دوابهم و حيواناتهم، لإنزال القطر و المطر، و لئن جعلت أيضا صلاة الجمعة فرضا لوعظ الناس و إرشادهم لأموال دينهم و دنياهم، فإن يوم عرفة لأعظم من الاستسقاء و الجمعة، و هو أفضل الأيام على الإطلاق، و لذلك كان صبيحة ليلتها هو العيد الأكبر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٣٨

للمسلمين فى جميع الأقطار، و كيف لا- يكون كذلك و الله عز شأنه يتجلى على هذا الجمع الغفير من الأمة المحمدية بالرحمة و الغفران و الفضل و الإحسان و العتق من النار، بل حتى يباهى بهم الملائكة، ذلك يوم اختلط فيه العربى بالعجمى و الأبيض بالأسود، و الحيوان بالبشر، و صار كل واحد يدعو الله مخلصا بقلبه، سائلا له بلسانه و لغته، ساكبا من العبرات و الدموع ما يبلغه أعلى مراتب الخضوع و الخشوع، كلهم فى ذلك اليوم لا- يرجون إلا- الله، و لا- يدعون إلا إياه، نشيدهم الروحى «لبيك اللهم لبيك» و شعارهم الدينى «لا إله إلا الله و لا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين و لو كره الكافرون»، قد تركوا أوطانهم و فارقوا أولادهم، و كشفوا رؤوسهم، و نزعوا ثيابهم و أبدلوها بالإحرام الأبيض كالأكفان، و وقفوا فى ذلك الفضاء الواسع، امتثالا لأمر الله و ابتغاء لمرضاة.

### مسجد نمره عرفات

مسجد نمره بفتح النون و كسر الميم و يجوز إسكان الميم مع فتح النون أو كسرها، هو مسجد معروف بعرفة، و فيه يستحب للإمام أو نائبه أن يخطب يوم عرفة فى وقت الظهر للناس يبين لهم كيفية الوقوف و شرطه و آدابه، و نمره موضع قرب عرفات و ليس منها، و مثلها وادى عرنه، و عرفات واقعة أمامهما.

قال النووى: نمره موضع معروف بقرب عرفات خارج الحرم، بين طرف الحرم و طرف عرفات.

و قال الفاسى: هو الموضع الذى يؤمر الحاج بنزوله إذا توجه من منى فى يوم عرفة، و هو بطن عرنه بالنون على ما ذكره ابن خليل فى

منسكه.

و عرنة بالنون قال الفاسي: و هو الموضع الذي يستحق للحاج التجنب فيه من الوقوف، و هو بين العلمين اللذين هما حد عرفه و العلمين اللذين هما حد الحرم من هذه الجهة، و قد اختلف فيه فقيل: إنها من الحرم، و هذا يروى عن ابن الحبيب المالكي. و قيل: إنها من عرفه، و مذهب الشافعي أنها ليست من عرفه.

اه.

و قد نص الشافعي على أن مسجد إبراهيم (مسجد نمرة) ليس من عرفات، و أن من وقف به لم يصح وقوفه و به قطع بعضهم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٣٩

و قال جماعة منهم الرافي: مقدم هذا المسجد من طرف وادي عرنة لا في عرفات، و آخره في عرفات، قالوا: فمن وقف في مقدمه لم يصح وقوفه، و من وقف في آخره صح وقوفه. انتهى.

و هناك أعلام لعرفات في الحد الغربي تفصل بينها و بين وادي عرنة و قفت عليها أنا و فضيلة الشيخ عبد الله بن عمر ابن دهيش رئيس المحاكم الشرعية بمكة المكرمة، و ابنه عبد الملك، و ابنه عبد اللطيف و صورتها، و فضيلة الشيخ واقف عندها. انظر الصورتين الآتيتين.

انظر: صورة رقم ٢٧٦، مسجد نمرة من الداخل

انظر: صورة رقم ٢٧٧، مسجد نمرة من الخارج

و مسجد نمرة يقال له مسجد عرنة بضم العين و فتح الراء، و مسجد إبراهيم أيضا نسبة إلى إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام، كما هو صريح كلام الأزرقى في غير موضع، و جزم به الرافي و النووى.

و إلى هذا جنح الفاسي في كتابه «شفاء الغرام» فإنه قال فيه ما نصه:

و يقال لهذا المسجد «أى مسجد عرفه» مسجد إبراهيم، و إبراهيم المنسوب إليه هذا المسجد هو الخليل عليه السلام كما يقتضيه كلام الأزرقى في غير موضع، و جزم به الرافي و النووى.

و أنكر ذلك القاضى عز الدين بن جماعة قال: و ليس لذلك أصل، و خطأ الشيخ جمال الدين الأستاذان الرافي و النووى فيما ذكره من نسبة هذا المسجد للخليل عليه السلام، و ذكر أن ابن سراقه سبقهما إلى هذا الخطأ في كتابه الإعداد.

و فيما ذكره الأسنوى و ابن جماعة نظر لمخالفته ما يقتضيه كلام الأزرقى و هو عمدة في هذا الشأن، كيف و قد وافقه عليه غير واحد من كبار العلماء و منهم ابن المنذر فيما نقله عنه سليمان بن خليل. و الله تعالى أعلم.

انتهى كلام الفاسي في نسبة المسجد إلى إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام.

نقول: إن كلا الفريقين لم يستدل على دعواه في نسبة المسجد إلى سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام أو عدمه، و نحن نذهب مع من قال أن مسجد إبراهيم نسبة إلى خليل الرحمن إبراهيم صلى الله عليه و سلم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٤٠

و نستدل على ذلك بما ذكره الأزرقى في تاريخه في الجزء الثانى عند الكلام على ذرع ما بين مزدلفة إلى عرفه و مأزميها و مسجدها؛ فإنه رحمه الله تعالى بعد أن ذكر قياس مسجد عرفه و وصفه قال في آخره ما نصه:

قال أبو الوليد «يعنى الأزرقى نفسه»: و من حد الحرم إلى مسجد عرفه ألف ذراع و ستمائة و خمسة أذرع، و من نمرة و هو الجبل الذى عليه أنصاب الحرم على يمينك إذا خرجت من مأزمى عرفه تريد الموقف، و تحت جبل نمرة غار أربعة أذرع فى خمسة أذرع، ذكروا أن النبى صلى الله عليه و سلم كان ينزله يوم عرفه حتى يروح إلى الموقف، و هو منزل الأئمة إلى اليوم.

و الغار داخل فى جدار دار الإمارة فى بيت الدار، و من الغار إلى مسجد عرفه ألفا ذراع و أحد عشر ذراعا، و من مسجد عرفه إلى

موقف الإمام عشية عرفة ميل. يكون الميل خلف الإمام إذا وقف و هو حيال جبل المشاة. انتهى كلام الأزرقى.

و جبل المشاة المذكور هنا، هو صخرة الال الذى فى بطن مسجد الصخرات التى بقرب جبل الرحمة، و هو الذى وقف عليه الصلاة و

السلام عنده على ناقته عشية عرفة، قال النويرى: الجبل بالحاء المهملة من أسماء الرمال و هو ما استرق من الرمل.

و قال الأزرقى فى موضع آخر فى تاريخه عن ابن جريج قال: سألت عطاء:

أين كان رسول الله صلى الله عليه و سلم ينزل يوم عرفة؟ قال: بنمرة منزل الخلفاء إلى الصخرة الساقطة بأصل الجبل عن يمينك و

أنت ذاهب إلى عرفة، يلقي عليها ثوب يستظل به صلى الله عليه و سلم. انتهى من الأزرقى.

انظر: صورة رقم ٢٧٨، مسجد نمرة بعرفات

فعلم من كلام الإمام الأزرقى هنا- و هو إمام أقواله معتمدة لقرب زمنه بعهد النبى صلى الله عليه و سلم لأنه مولود فى القرن الثانى من

الهجرة- أن النبى صلى الله عليه و سلم كان ينزل فى يوم عرفة فى الغار الذى تحت جبل نمرة الذى هو أربعة أذرع فى خمسة أذرع،

فتكون مساحته عشرين ذراعاً، ثم يذهب من هذا الغار إلى الموقف بعد أن تميل الشمس، و أن ذرع ما بين هذا الغار و مسجد عرفة

«أى مسجد إبراهيم» ألفا ذراع و أحد عشر ذراعاً أى نحو ألف متر.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٤١

إذا فهمنا ذلك علمنا فيما يظهر من نزول النبى صلى الله عليه و سلم فى هذا الغار، ثم خروجه إلى الموقف يوم عرفة، إنما هو اقتداء

بمن كان قبله من الأنبياء، و هم اقتداء بخليل الله إبراهيم عليهم الصلاة و السلام، حيث إنه هو الذى أمره الله عز شأنه أن يؤذن فى

الناس بالحج، و أراه جبريل عليه السلام المواقف و المشاعر كلها، حتى إن إبراهيم عليه السلام لما حج بابنه إسماعيل و بسكان الحرم

من جرهم و صل بهم إلى نمرة، حتى إذا مالت الشمس جمع بين الظهر و العصر هنالك، ثم راح بهم إلى الموقف بعرفة كما ذكره

الأزرقى.

و موقفه و موقف جميع الأنبياء عشية عرفة هو نفس موقف نبينا محمد صلى الله عليه و سلم و عليهم أجمعين، أى فى موضع مسجد

الصخرات بقرب جبل الرحمة.

فإن قيل: سلمنا أن إبراهيم الخليل أو نبينا محمدا عليهما الصلاة و السلام نزلا فى غار جبل نمرة، ولكن لم يكن هنالك فى زمنهما

مسجد حتى ينسب إلى إبراهيم الخليل؟

نقول: لا يخفى أن من السنة للحاج أن يخرج من مكة يوم التروية و هو ثامن ذى الحجة إلى منى، فيصلى بها الظهر و العصر و المغرب

و العشاء، و أن يبيت بها و يصلى الصبح فى اليوم التاسع و هو يوم عرفة، فإذا طلعت الشمس على جبل ثبير سار من منى إلى عرفات،

فإذا وصل إلى نمرة و هى بقرب عرفات و ليس منها «أى فى جهات مسجد نمرة و قبله بقليل» جلس بنمرة و صلى الظهر و العصر

مجموعتين، ثم يسير من نمرة إلى عرفات للوقوف بها، فكأن النزول فى وادى نمرة الذى هو قبيل عرفات إنما هو للاستراحة و أداء

صلاة الظهر و العصر فيه تأهباً و استعداداً للوقوف بعرفة.

فعليه لا يبعد أن إبراهيم أو نبينا محمد صلوات الله و سلامه عليهما صلى الظهر و العصر فى موضع مسجد نمرة بعد أن ضرب لكل

منهما قبة أو خيمة ليستظل تحتها، ثم سار بعد ذلك إلى عرفات للوقوف بها، فاتخذ الناس موضع مصلاه بنمرة مسجداً و الله تعالى

أعلم بالغيب.

و لم نقف على من بنى مسجد نمرة أول مرة، لكن قال الفاسى فى شفاء الغرام عن ذلك ما يأتى:

و لم يذكر الأزرقى الوقت الذى بنى فيه هذا، و ذكر ابن عبد البر أنه بنى هذا المسجد بعد مصير الأمر لبنى هاشم بعشر سنين، هكذا

نقله عن ابن عبد البر الشيخ

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٤٢

خليل، في توضيحه على مختصر ابن الحاجب، و به فسر قوله: و إنما حدث بعد بنى هاشم بعشر سنين، لأنه يوهم أنه حدث بعد انقراضهم، و على هذا يكون بنى هذا المسجد فى أوائل عشر الخمسين و مائة و الله تعالى أعلم. انتهى من شفاء الغرام للفاسى.

و قال ابن فهد فى حوادث سنة أربع و سبعين و ثمانمائة و فيها عمّر مسجد نمره بعرنه المعروف بمسجد إبراهيم و أنشئ له رواقان عظيمان بصدر القبلة برسم الظل للحاج .. ثم ذكر بالتفصيل التام عمارة المسجد، فانظر إن شئت فى تاريخ الغازى، و هذه العمارة من عمارة السلطان قايتباى. كما ذكره القطبى فى تاريخه بصحيفة (١٩٦).

و لقد حصلت عدة عمارات فى مسجد نمره بعرفات فى عصور مختلفة منذ نشأه بنائه لأول مرة فى حدود سنة مائة و خمسين من الهجرة كما مرّ، و لم نقف على عدد ما حصل فيه من العمارات و لكن ذكر المؤرخون أن الجواد الأصفهانى عمّره فى سنة (٥٥٩) تسع و خمسين و خمسمائة، و عمّره السلطان جقمق (٨٤٣) ثلاث و أربعين و ثمانمائة، على يد الأمير سيدون أو سودون، و عمّره السلطان قايتباى سنة (٨٧٤) أربع و سبعين و ثمانمائة، و عمّر فى زمن السلطان محمد سنة (١٠٧٢) اثنتين و سبعين و ألف على يد والى جدة سليمان بك.

نقول: و فى عصرنا هذا حصلت فى مسجد نمره ترميمات و إصلاحات، فإنه فى سنة (١٣٨٣ هـ) حصلت فى مسجد نمره عمارات و زيد فى مساحته، و لقد ذكر الإمام الأزرقى بصحيفة (١٥١) من الجزء الثانى من تاريخه، وصف هذا المسجد بالتفصيل كما ذكر وصفه أيضا الفاسى فى شفاء الغرام بصحيفة (٣٠٥) لم نقل ذلك الوصف حتى لا يطول بنا الكلام.

و نحن قد أخذنا قياس هذا المسجد فى آخر شعبان (١٣٧٦) ألف و ثلاثمائة و ست و سبعين من الهجرة فكان كالاتى: طول هذا المسجد مائة متر، و عرضه ثمانون مترا، و فيه باب واحد من جهة القبلة، و خمسة أبواب من الجهة الشرقية.

انظر: صورة رقم ٢٧٩، مسجد نمره بعرفات

انظر: صورة رقم ٢٨٠، مسجد الصخرات بعرفات

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٤٣

### مسجد الصخرات بعرفه

مسجد الصخرات بعرفه معروف و هو بأسفل جبل الرحمة، على يمين الصاعد إلى الجبل من الدرجات المبنية فيه. و هو مسجد مرتفع عن الأرض قليلا، و به محراب واحد، يحيط به جدار صغير جدا، و فيه صخرات كبار، و عند هذه الصخرات وقف رسول الله صلى الله عليه و سلم عشية عرفه على ناقته القصواء.

قال شيخنا، شارح «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» عند حديث: «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت .. الخ» ما نصه: (و قوله): ثم ركب القصواء، هى بفتح القاف و بالمد و خطأ القاضى عياض ضم القاف مع القصر، و القصواء هى ناقته صلى الله عليه و سلم التى كان لا يقدر على حمله حين نزول الوحي عليه سواها، و يقال لها الجدعاء و العضاء، قال فى قره الأبصار:

و كان لا يحمله إن نزل عليه و حى غيرها و نقلا

إن اسمها الجدعاء و العضاء فقد ترادفت لها الأسماء

و ترادف الأسماء لها، هو الذى تدل عليه الأحاديث خلاف ما قاله ابن قتيبة من عدم الترادف (قال النووى): قال محمد بن إبراهيم التيمى التابعى و غيره: و إن العضاء و القصواء و الجدعاء اسم لناقته واحدة كانت رسول الله صلى الله عليه و سلم. انتهى من الكتاب المذكور.

و مسجد الصخرات غير مسقوف، فى وسطه جدار يقسمه إلى قسمين بالعرض، يمتد من فتحه مدخله الذى على يمين مستقبل القبلة

إلى الفتحة المقابلة للأولى الذى على يسار المستقبل.

و أرض المسجد فيها عدة صخار لكن بعضها مطمور فى الرمل، و بعضها ظاهر. فالقسم الأول من المسجد أعلى بقليل من القسم الثانى، و فى هذا القسم يوجد المحراب، و فى كل من القسمين أربعة صخور ظاهرة.

و المسجد محاط بجدران قصيرة من الجهات الأربعة، فالجدار الذى فيه المحراب طوله ١٣ مترا و ربع المتر، و الجدار الذى على يمين مستقبل القبلة طوله ٨ أمتار، و مثله الجدر المقابل له على اليسار، أما الجدر مقابل للقبلة فى ظهر المسجد، فهو دائرى غير مستقيم، بمعنى أنه يدور على الصخرات البارزة من الأرض.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٤٤

قال الأزرقى: و موقف النبى صلى الله عليه و سلم عشية عرفة، بين الأجل النبعة و النبيعة و النبات، و موقفه منها على النبات و هى الطراب التى تكتنف موضع الإمام و النبات عند النشزة التى خلف موقف الإمام و موقفه صلى الله عليه و سلم على ضرس من الجبل النبات مضرس بين أحجار هنالك ناتئة فى الجبل، الذى يقال له ألال بعرفة على يسار طريق الطائف، و عن يمين الإمام و له يقول نابغة بنى ذبيان:

بمصطحبات من لصاق و ثبرة يزرن الالا سيرهن التدافع

اه.

قال فى القاموس: النبعة و النبيعة كجهينة موضعان بعرفات. و قال أيضا: ذات النبات موضع بعرفات قال فى معجم البلدان: ألال جبل عرفة نفسه.

قيل إنه سمي: الالا لأن الحجيج إذا راده الوأى اجتهد ليدركوا الموقف.

انتهى.

لصاف بوزن قطام، و ثبرة ماء إن بناحية الشواجن فى ديار ضبة. كذا فى معجم البلدان.

انظر: صورة رقم ٢٨١، المؤلف و هو على مسجد الصخرات بعرفات

و جاء فى تاريخ الخميس عند ذكر حجة الوداع، بعد أن ذكر خطبة النبى صلى الله عليه و سلم قال: ثم ركب حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرة و جعل جبل المشاة بين يديه، فوقف مستقبل القبلة، و كان يوم الجمعة، و كان واقفا إذ نزل عليه: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... الآية.** انتهى منه.

قوله: جبل المشاة هو صخرة ألال، قالوا: و الوقوف عند هذه الصحرات هو موقف جميع الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، قال النويرى

رحمه الله تعالى فى كتابه «نهاية الأرب فى فنون الأدب»: الجبل، بالحاء المهملة من أسماء الرمال و هو ما استرق من الرمل. اه.

يقول مؤلف هذا الكتاب محمد طاهر الكردي المكي الخطاط غفر الله تعالى له و لوالديه و لكافة المسلمين آمين: إن مسجد الصخرات لا بناء فيه غير ما يحيط به من جدار قصير، نحو نصف قامة من الأرض، و فيه محراب صغير و قد كبس المسجد بالرمل بقدر ارتفاعه عن الأرض لتساوى أرضه حيث فيها عدة صخار و لا تزال إلى اليوم ظاهرة فيه، غير أنه لا يعرف موقف النبى صلى الله عليه و سلم فيه بالضبط و ما ذكره الإمام الأزرقى كان يعرفه رجال زمانه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٤٥

و عرفة كلها موقف، و الوقوف فى موقف رسول الله صلى الله عليه و سلم أو ما حوله أولى و أفضل، و لم يقف عليه الصلاة و السلام فى هذا المكان إلا لقربه من جبل الرحمة، الذى بوسط عرفات تقريبا، و لسهولة الوقوف على هذه الصخرات الصغار، و ليرى من أمامه من المسلمين المؤمنين فتقر عينه بهم. و الله تعالى أعلم.

و لا- يطلب الصعود على جبل الرحمة و لا الوقوف عليه يوم عرفات، و إن ما اعتاده جهلاء الحجاج من التسابق فى الوقوف على هذا

الجبل هو خطأ لا مزية بينهم و بين من وقف فى فسيح الأرض، و ليس فيه إلا زيادة التعب عليهم، و إن من ظن أن الوقوف لا يصح بدون الرقى على جبل الرحمة فهو مخطئ و ظنه فى غير محله. فينبغى إفهام الحجاج ذلك و تعليمهم مسائل الحج على الوجه الصحيح، أما الصعود على جبل الرحمة للتزهر و الاستراحة و ترويحاً لنفس فليس فيه شىء مطلقاً. أما نسبة المسجد إلى الصخرات فهى معقولة لأن فيه صخرات عديدة.

و أما ما يقال أن النبى صلى الله عليه و سلم صلى فيه، فأعتقد أن هذا غير صحيح؛ لأنه صلى الله عليه و سلم كان قد حج بين صلاتى الظهر و العصر فى مسجد نمرة، ثم ذهب إلى عرفات و وقف على ناقته فى موضع هذا المسجد، عند جبل الرحمة، فلم يصل فيه صلاة أبداً بل دفع عند الغروب إلى مزدلفة فجمع فيها المغرب و العشاء.

كما أعتقد أن البناء الذى أحيط به ذلك المكان، فاتخذته الناس مسجداً إنما هو محدث بعد الثلاثة القرون الأولى الفاضلة، كما أعتقد أن الناس بعد ذلك أحاطوا موضع وقوفه صلى الله عليه و سلم بعرفات بجدار من الجهات الأربع و وضعوا فيه محراباً صغيراً إشارة للقبلة حفظاً و احتراماً لهذا الأثر الشريف و المحل المنيف و مرور الزمن سمي الناس هذا الموضع بمسجد الصخرات.

### كيفية الطلوع من مكة إلى عرفات

يطلع الناس من الحجاج و أهل البلاد من مكة إلى عرفات للحج بست وسائل:

(١) قسم منهم يطلعون مشاة على الأقدام، إما لفقرهم أو ابتغاء زيادة الثواب.

(٢) و قسم منهم يركبون الخيل و البغال و الحمير.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٤٦

(٣) و قسم منهم يركبون العربات ذات عجلتين تجرها البغال و هذا نادر و قد بطل الآن.

(٤) و قسم منهم يركبون النياق و تسمى بمصر «الهجن» جمع هجين، و يسمى بالحجاز «الركاب»، و «الدلائل».

(٥) و قسم منهم يركبون الجمال و عليها «الشقادف» و «الشبارى» و هى نوع من الهوداج. و بعضهم يركبون الجمال بدون الشقادف و الهوداج.

(٦) و قسم منهم يركبون أنواع السيارات «الأوتومبيلات».

و أما القسم الخامس و هم الذين يركبون الجمال المحملة بالشقادف فقد كان نصف الحجيج من أهل البلاد و الغرباء يطلعون من مكة إلى عرفات بهذه الوسيلة و كذلك كان الحجاج يأتون من جدة إلى مكة، و منها إلى المدينة بهذه الوسيلة أيضاً ثم بطلت بظهور السيارات التى ذكرناها فكنت ترى مكة من اليوم الخامس من ذى الحجة ممتلئة شوارعها و طرقاتها و أزقتها بالشقادف، كل واحد يخرج شقده أمام بيته و محله، فيصلحه و يستره و يزينه حتى إذا حان وقت الطلوع إلى عرفات جاءت الجمال مع البدو و العرب من كل حدب و صوب حتى لا ترى موضعاً خالياً بمكة من السهل و الجبل إلا و قد امتلأ من الشقادف و الجمال و الجمال، فسبحان مالك الملك ذو الجلال و الإكرام.

إن من رأى العهد الماضى و العهد الحاضر مثلنا ليعجب أشد العجب أين ذهبت تلك الجمال التى لا تعد و لا تحصى، و كيف كانت عين زبيدة تكفيها و تكفى هذا الحجيج العظيم مع أن الجمال تشرب أكثر من بنى آدم.

و الآن قد خلفت الجمال التى تسمى «سفينة الصحراء» هذه السيارات المختلفة الأحجام و الأشكال و الله سبحانه و تعالى أعلم ماذا سيكون فى المستقبل و ماذا يأتى به الزمان من العجائب. و ليس بعيد أن تحل سكة الحديد محل السيارات من مكة إلى عرفات فى الحج، أو يطلع الناس إلى عرفات بالطائرات أو القاذفات الصاروخية فيصلون إليها فى دقيقة واحدة أو فى لمح البصر، و من يكن فى الأزمان المقبلة سيتذكر قولنا هذا فالملك لله الواحد القهار.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٤٧

اللهم عمّر قلوبنا بنور الإيمان والمعرفة، وشرح صدورنا لطاعتك، و ارزقنا القوة للقيام بالأعمال الصالحات، و أصلح منا النيات، و اعف عنا و اغفر لنا و ارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين آمين يا رب العالمين.

و الشقادف هو نوع من الهودج، و هي مستعملة من قديم الزمان. قال عنها ابن جبير، في رحلته التي كانت سنة (٥٧٨) من الهجرة عند كلامه على وقوف الحجاج بعرفات، ما يأتي:

و لهم أيضا في مراكبهم على الإبل قباب تظلمهم، بديعة المنظر عجيبة الشكل، قد نصبت على محامل من الأعواد يسمونها الشقاوات، و هي كالتوايت المجوفة، هي لركابها من الرجال و النساء كالأمهدة للأطفال، تملأ بالفرش الوثيرة، و يقعد الراكب فيها مستريحا كأنه في مهادلين، فسيح، و بإزائه معادله أو معادلته في مثل ذلك من الشقة الأخرى، و القبة مضروبة عليهما، فيسار بهما و هما نائمان لا يشعران بشيء أو كيف ما أحبا، فعندما يصلان إلى المرحلة التي يحيطان بها، ضرب سرادقها للحين، إن كانا من أهل الترفة و التنعيم، فيدخل بهما إلى السرادق و هما راكبان، و ينصب لهما كرسي ينزلان عليه، فينقلان من ظل قبة المحمل إلى قبة المنزل دون واسطة هواء يلحقهما و لا خطفة شمس تصيبهما، و ناهيك من هذا الترفيه فهؤلاء لا يلقون لسفرهم و إن بعدت شقته نصبا، و لا يجدون على طول الحل و الترحال تعباً و دون هؤلاء في الراحة راكبو المحارات، و هي شبيهة الشقادف التي تقدم وصفها في ذكر صحراء عيذاب، لكن الشقادف أبسط و أوسع، و هذه أضمر و أضيقت و عليها أيضا ظلال تقي حر الشمس، و من قصرت حاله عنها في هذه الأسفار فقد حصل على نصب السفر الذي هو قطعة من العذاب. انتهى.

و قال ابن جبير أيضا في مكان آخر من رحلته: الشقاديف و هي أشباه المحامل، و أحسن أنواعها اليمانية، لأنها كالأشاكيز السفريّة، مجلدة متسعة يوصل منها الإثنان بالجمال الوثيقة و يوضع على البعير، و لها أذرع قد حفت بأركانها، يكون عليها مظلة فيكون الراكب فيها مع عديله من كن من لفح الهاجرة، و يقعد مستريحا في وطائه و متكته، و يتناول مع عديله ما يحتاج إليه من زاد و سواه، و يطالع متى شاء المطالعة في مصحف أو كتاب، و من شاء ممن يستجيز اللعب بالشطرنج أن يلعب عديله تفكها و إحجاما لنفس لآعبه، و بالجملة فإنها مريحة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٤٨

من نصب السفر و أكثر المسافرين يركبون الإبل على أحمالها، فيكابدون من مشقة سموم الحر عنتا و مشقة.

أما القسم السادس الأخير، يكاد يكون ثلاثة أرباع هذا الحجيج الأعظم و الربع الباقي يدخل فيه جميع الأقسام الخمسة المتقدمة لأن المملكة السعودية ما شاء الله قد امتلأت بالسيارات بكل أنواعها و لم تدخل هذه السيارات إلى البلاد إلا بعد أن تولى جلاله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى على الحجاز، و ذلك سنة (١٣٤٣) ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة و حين دخول السيارات للحجاز كانت الجمال التي تمشى في داخل البلدة أو خارجها سواء كان ليلا أو نهارا إذا رأتها جفلت منها و خرجت من صفوفها و هي محملة فهربت يمينا أو شمالا فما ألفتها إلا بعد مدة شيئا فشيئا.

أما قبل هذه السنة المذكورة فلم يكن ببلاد الحجاز كلها إلا سيارة واحدة فقط، و كانت ملكا لشريف مكة جلاله الملك الأسبق الشريف الحسين بن علي رحمه الله تعالى، و لم يكن يستعملها إلا نادرا في وقت نزوله إلى جدة و في غير ذلك كان يركب الخيل.

### اختراع السيارات و استعمالها

لما ظهر الأوتومبيل قامت حوله القيامة، و أجمع الكبير و الصغير على أنه خطر على المارة و الأمن و حدث أن الإمبراطور أورليان عندما دخل أنطاكية يحمل أكاليل الظفر لم يجرؤ على ركوب عربته خشية الرأي العام. و لقد ظل بعض كبار الأغنياء بمصر زمنا طويلا يترددون في استعمال العربات و الأوتومبيلات و داموا يمتطون ظهور الحمير البيضاء المقصوصة الشعر، المكسوة سرجها بالقطيفة



الحمراء، يخترقون شوارع المدينة الكبرى فيقف لهم الناس إجلالا على الجانيين، و يقولون: إن ظهر الدابة أكثر وجاهة و أعز جانبا و أرفع مقاما من متكآت العرب و مساند الأوتوموبيل، و إن خطورة الحمار الهادئة، و مشيته الوئيدة الناعمة أصح للمعدة و الأمعاء من رجة السيارة و سرعتها الخاطفة و صعودها و هبوطها و حركاتها البهلوانية الشيطانية و جموحها الذي لا يكبح.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٤٩

### درج جبل الرحمة بعرفات

الدرج التي عملت بجبل الرحمة بعرفات هي درج غير منتظمة يبلغ عددها نحو ٩٠ درجة، و يختلف ارتفاع الواحد منها عن الأخرى. و على يمين الصاعد منها على الجبل في منتصفه تقريبا، مسطح مستو، به مصلى ذو قبلة، هذا المصلى و الدرج بناهما الوزير محمد بن على المنصور المعروف بالجواد الأصفهاني سنة ٥٥٩هـ. ذكره الغازي في الجزء الأول بالصحيفة التابعة لصحيفة (٣٧٦) نقلا عن «مرآة الحرمين».

### العثور على بئر قديمة بعرفات

قال الغازي في الجزء الثالث من تاريخه: و في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٤٦ ست و أربعين و ثلاثمائة و ألف عثرت إدارة لجنة عين زبيدة على آثار بئر قديمة في جبل عرفات، فرغ العمال الأتربة و الحجارة الموجودة فيه، فظهر آثار ماء. و البئر المذكورة منقورة بين الصخور، و يقدر قطرها بسبعة أمتار، أما عمقه فثلاثة و عشرون مترا، و قد وجد بين الأتربة حجر منقوش عليه ما نصه:

لا إله إلا الله عز شأنه

بسم الله الرحمن الرحيم

أدام الله مولانا الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أمر الأمير الأصفهسلار الكبير مظفر الدين بن زين الدين، رضى الله عنه، بإبداع هذه البئر في موقف عرفه و مهبط الرحمة، منهلا لحاج بيت الله الحرام، و مسبلا محبسا على كافة المسلمين عامة، ابتغاء رضاه الله تعالى و طلبا للثواب، في أيام عدل مولانا الأمير الشريف أمير الحرمين عز الدين أبى عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسنى خلد الله ملكه، و المتولى على عمارة البئر العبد الفقير إلى الله تعالى عمر بن إبراهيم بن خلكان غفر الله له و عبد العزيز بن أبى بكر الأربلى و قمر الدين الحلبي في سنة سبعة و ستمائة. انتهى من الغازي.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٥٠

### عين زبيدة

### ماء مكة و عين زبيدة

لقد تكلم كثير من المؤرخين عن الماء في مكة، و قد أحببنا نقل ما ذكره المؤرخ العلامة الشيخ عبد الله الغازي المتوفى سنة (١٣٦٥) خمس و ستين و ثلاثمائة و ألف في تاريخه المسمى «إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام» فإنه ذكر في الجزء الأول من تاريخه في الباب السابع عند ذكر العيون و البرك و الآبار و السقاية ما نصه:

قال أبو الوليد الأرقى رحمه الله تعالى: كان معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه قد أجرى في الحرم عيوننا، و اتخذ لها أخيفا، فكانت

حوائط و فيها النخيل و الزرع.

(منها) حائط الحمام و له عين، و هو من حمام معاوية الذى هو بالمعلاة إلى موضع بركة أم جعفر، و ذلك الموضع الساعة يقال له حائط الحمام، و إنما سمي حائط الحمام لأن الحمام كان من أسفله، و كان له مشرع يرده الناس.

(و منها) حائط عوف موضعه من زقاق خشبة دار مبارك البركى و دار جعفر بن سليمان، و هما اليوم من حق أم جعفر، و دار مال الله و موضع الماجلين، ماجلى أمير المؤمنين هارون، الذى بأصل الحجون، فهذا كله موضع حائط عوف إلى الجبل. و كانت له عين تسقيه، و كان فيه النخل و كان له مشرع يرده الناس.

(و منها) حائط يقال له الصفى، موضع من دار زينب بنت سليمان، التى صارت لعمر و مسعدة، و الدار التى فوقها إلى دار العباس بن محمد، التى بأصل نزاعة الشوى، و كانت له عين و كان له مشرع يرده الناس. يقول فيه الشاعر:

سكنوا الجزع جزع بيت أبى موسى إلى النخل من صفى السباب

(و منها) حائط يقال له حائط مورش، و مورش كان قيما عليه فى موضع دار محمد بن سليمان بن على و دار لبابة بنت على و دار ابن قثم اللواتى بقم شعب الخوز. و كان فيه النخل، و كانت له عين و مشرع يرده الناس إلى اليوم. و كان فيه النخل و الزرع حديثا من الدهر على طريق منى و طريق العراق.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٥١

(و منها) حائط خرمان، و هو من ثنية أذاخر إلى بيوت جعفر العلقمى، و بيوت ابن أبى الرزام و ماجله قائم إلى اليوم. و كان فيه النخل و الزرع حديثا من الدهر، و كانت له عين و مشرع يردها الناس.

(و منها) حائط مقيصرة، و كان موضعه نحو بركتى سليمان بن جعفر إلى قصر أمير المؤمنين المنصور أبى جعفر. و كانت له عين و مشرع و كان فيه النخل.

(و منها) حائط حراء و ضفيرته قائمة إلى اليوم، و كان فيه النخل، و كان له مشرع يرده الناس.

(و منها) حائط ابن طارق بأسفل مكة، و كانت له عين تمر فى بطن وادى مكة تحت الأرض، و كانت له عين و مشرع، و كان فيه النخل.

(و منها) حائط فح و هو قائم إلى اليوم.

(و منها) حائط بلدح فهذه العيون العشرة أجزاها معاوية، رضى الله عنه و اتخذها بمكة و اتخذت بعد ذلك ببلدح عيون سواها، منها: عين سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص بلدح و هى قائمة إلى اليوم، و حائط سفيان و الخيف الذى أسفل منه و هما اليوم لأم جعفر. و كانت عيون معاوية تلك قد انقطعت و ذهبت، فأمر أمير المؤمنين الرشيد بعيون منها، فعملت و أحبيت و صرفت فى عين واحدة، يقال لها الرشاد، تسكب فى الماجلين، اللذين أحدهما لأمير المؤمنين الرشيد، بالمعلاة، ثم تسكب فى البركة التى عند المسجد الحرام ثم كان الناس بعد قطع هذه العيون، فى شدة من الماء.

و كان أهل مكة و الحاج يلقون من تلك المشقة، حتى أن الراوية لتبلغ فى الموسم عشرة دراهم و أكثر، فبلغ ذلك أم جعفر بنت أبى الفضل جعفر بن أمير المؤمنين المنصور، فأمرت فى سنة أربع و تسعين و مائة بعمل بركتها، التى بمكة، فأجرت لها عينا من الحرم، فجرت بماء قليل، لم يكن فيه رى لأهل مكة، و قد غرمت من ذلك غرما عظيما فبلغها، فأمرت جماعة من المهندسين أن يجروا لها عيونا من الحل، و كان الناس يقولون: إن ماء الحل لا يدخل الحرم، لأنه يمر على عقاب و جبال، فأرسلت بأموال عظام، ثم أمرت من يزن عينها الأولى، فوجدوا فيها فسادا، فأنشأت عينا أخرى إلى جانبها، و أبطلت تلك العيون، فعملت عينها هذه بأحكم ما يكون من العمل، و عظمت فى ذلك رغبتها، و حسنت نيتها، فلم تزل تعمل فيها حتى بلغت ثنية خل، فإذا الماء يظهر فى ذلك الجبل، فأمرت بالجبل

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٥٢

فضرب فيه، و أنفقت في ذلك من الأموال ما لم يكن تطيب بها نفس كثير من الناس، حتى أجراها الله عز و جل لها، و أجرت فيها عيوننا من الحل منها: عين من المشاش و اتخذت لها بركا تكون السيول إذا جاءت تجتمع فيها، ثم أجرت لها عيوننا في حنين، و اشترت حائط حنين، فصرفت عينه إلى البركة، و جعلت حائطه سدا يجتمع فيه السيل، فصارت لها مكرمه، لم تكن لأحد قبلها، و طابت نفسها بالنفقة فيها، بما لم تكن تطيب نفس أحد غيرها به، فأهل مكة و الحاج إنما يعيشون بها بعد الله عز و جل.

### البرك التي أمر بنائها أمير المؤمنين المأمون العباسي

ثم أمر أمير المؤمنين المأمون صالح بن العباس في سنة عشرة و مائتين أن يتخذ له بركا في السوق خمسا، لثلا يتعنا أهل أسفل مكة و الثنية و أجيادين و الوسط إلى بركة أم جعفر، فأجرى عينا من بركة أم جعفر من فضل مائها في عين تسكب في بركة البطحاء عند شعب ابن يوسف و وجه دار ابن يوسف، ثم يمضى إلى بركة عند الصفا، ثم يمضى إلى بركة عند الخياطين، ثم يمضى إلى بركة بفوهة سكة الثنية، دون دار أويس، ثم يمضى إلى بركة عند سوق الحطب بأسفل مكة، ثم يمضى في سرب ذلك إلى ماجل أبي صلاية، ثم إلى الماجلين الذين في حائط ابن طارق، بأسفل مكة، و كان صالح بن العباس لما فرغ منها، ركب بوجه الناس إليها، فوقف عليها، حين جرى فيها الماء، و نحر عند كل بركة جزورا و قسم لحمها على الناس. انتهى.

قال ابن فهد: و بلغ ذلك، أي أمر البرك، أم جعفر زبيدة، فأتاها أمير مكة صالح بن العباس، فسلم عليها، فلامته في أمر البرك، التي عملت في سنة عشر، و قالت: هلا- كتبت إلى حتى كنت أسأل أمير المؤمنين أن يجعل ذلك لي، فأنفق فيها كما أنفقت في البركة التي عملتها حتى أستتم ما نويت في أهل حرم الله. فاعتذر إليها صالح من ذلك. انتهى.

### أول من اتخذ الحياض بعرفات و أجرى إليها الماء

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم؛ ج ٣-٥؛ ص ٣٥٢

في تحصيل المرام، قال العلامة الحافظ ابن حجر في الإصابة، في ترجمه عبد الله بن عامر بن كريز: إنه من عام حجه جمع العيون و صرفها في عين

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٥٣

واحدة. و هو أول من اتخذ الحياض بعرفه، و أجرى إليها ماء العين، فبقى الناس براحة من جهة الماء في مكة و عرفه، زمن الحج، و استمر الحال كذلك زمنا طويلا ثم تخربت العيون، التي كانت تصب في العين الواحدة، التي صنعها عبد الله بن عامر، و انقطع الماء عن أهل مكة و كان ذلك في أواخر زمن من دولة بني أمية.

و أصاب الناس، بعد قطعها، شدة من قلة الماء، حتى رجعوا إلى الشرب من الآبار، فصاروا يحلبون الماء إلى مكة من الخارج، و استمروا كذلك في أوائل دولة بني العباس إلى أن وفق الله تعالى أمير المؤمنين هارون الرشيد فأمر بإصلاح بعض العيون، التي تخربت و انقطعت انتهى. ثم انقطعت هذه العيون، و كان الناس بعد قطعها في شدة من قلة الماء، و كان أهل مكة و الحجاج يرون من ذلك مشقة، حتى أنا لبدرة و هي القرية الصغيرة تبلغ عشرة دراهم أو أكثر ذكره القرشي.

### إيصال زبيدة رحمها الله تعالى عين حنين إلى مكة

قال العلامة القطبي: فلما بلغ ذلك أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور زوجة هارون الرشيد و اسمها أمه العزيز و كان جدها المنصور يرقصها و هي طفلة، و يقول: أنت زبيدة، فاشتهرت بها. و كانت من أهل الخيرات و لها مآثر عظيمة إلى الآن، منها: إجراء عين حنين إلى مكة المشرفة، و صرفت عليها خزائن أموال إلى أن جرت إلى مكة و هي واد قليل الأمطار، بين جبال سود عاليات خاليات من المياه و النبات و صنفها الله تعالى بأنها واد غير ذى زرع، فنقبت أم جعفر زبيدة الجبال إلى أن سلك الماء، من أرض الحل إلى أرض الحرم و أنفقت على عملها ألف ألف و سبعمائة ألف مثقال من الذهب فلما تم عملها اجتمع المباشرون و العمال لديها و أخرجوا دفاترهم لإخراج حساب ما صرفوه ليخرجوا من عهده ما تسلموه من خزائن الأموال.

و كانت في قصر عال مشرف على الدجلة فأخذت الدفاتر منهم و رمتها في بحر الفرات، و قالت: تركنا الحساب ليوم الحساب فمن بقي عنده شيء من بقية المال فهو له، و من بقي له شيء عندنا أعطناه و ألبستهم الخلع و التشاريف فخرجوا من عندها حامدين شاكرين و كانت هذه العين ترد إلى مكة و ينتفع الناس بها، و منبع هذه العين في ذيل جبل شامخ يقال له: طاد، بالطاء المهملة و الألف و بعدها دال مهملة، من جبال الثنية من طريق الطائف. و كان يجري الماء إلى أرض، يقال

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٥٤

لها حنين يسقى بها نخيل و مزارع مملوكة للناس، و إليها ينتهي جريان هذا الماء.

و كان يسمى حائط حنين، يعنى لبساتين حنين، و هو موضع غزا فيه النبي صلى الله عليه و سلم المشركين و خبرها مذكور في كتب سير النبي صلى الله عليه و سلم فاشترت زبيدة هذا الحائط و أبطلت تلك المزارع و النخيل و شقت له القناة في الجبال و جعلت لها الشحاحيد «أى البرك» في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند الأمطار، و جعلت فيه قناة متصلة إلى مجرى هذه العين في محاذاتها يحصل منه المدد لهذه العين فصار كل شحاذ عينا تساعد عين حنين: منها عين مشاش و عين ميمون و عين الزعفران و عين البرود و عين الطارقي و عين ثقبه و الخريبات، و كل مياه هذه العيون تنصب في دبل عين حنين و يبطل بعضها و يزيد بعضها و ينقص بحسب الأمطار الواقعة على أم إحدى هذه العيون أو على جميعها إلى أن وصلت على هذه الصورة إلى مكة المشرفة.

### إيصال زبيدة رحمها الله تعالى عين نعمان إلى عرفات

ثم إنها «أى زبيدة» أمرت بإجراء عين وادي نعمان إلى عرفة، و هي عين منبعها ذيل جبل كرا، و هو جبل شامخ جدا، أعلاه أرض الطائف، فينصب منه في قناة إلى موضع يقال له الأوجر من وادي نعمان، و تجري منه إلى موضع بين جبلين شاهقين، في علو أرض عرفات، فيها مزارع فعملت القنوات إلى أن جرى ماء عين نعمان إلى أرض عرفات، ثم أديرت القناة بجبل الرحمة، محل الموقف الشريف الأعظم في الحج، و جعلت منها الطرق إلى البرك التي في أرض عرفات، فتملى ماء يشرب منه الحجاج، في يوم عرفة، ثم استمر عمل القناة إلى أن خرجت من أرض عرفات إلى خلف جبل من وراء المأزمين على اليسار للعائد من عرفات يقال له: طريق ضاب، بالضاد المعجمة المفتوحة فالألف بعدها باء موحدة مشددة و تسمى الآن عند أهل مكة المظلمة بضم الميم ثم ظاء معجمة ساكنة فلام مكسورة ثم ميم مفتوحة ثم هاء التأنيث، ثم تصل منها إلى المزدلفة، ثم تصل إلى جبل خلف منى في قبلها، ثم تنصب في بئر عظيمة، مطوية بأحجار كبار جدا، تسمى هذه البئر بئر زبيدة، و إليه ينتهي عمل هذه القناة، و هي من الأبنية المهيلة مما يتوهم أنها من بناء الجن، و هو عمل زبيدة إلى هذه البئر، ثم تركتها. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٥٥

و القناة المذكورة قال عنها في «مرآة الحرمين» ما يأتي: و هذه القناة عرضها من الأعلى متر و قد تزيد، و فراغها من ٥٠ إلى ٦٠ سنتيمترا، و عمقها متر و نصف و ارتفاع الماء في قاعها ٧٠ سنتيمترا، و قد يزيد، و قد ينقص، و هي مغطاة بأبنية الحجارة، و بالغطاء فتحات لأخذ الماء منها، عرضها ستون سنتيمترا، و تنقص أو تزيد، و الفتحات يتباعد بعضها عن بعض بمسافات مختلفة حسب الحاجة

و سطح القنأة تارة يكون مساويا لسطح الأرض و تارة يرتفع عنها، و قد يصل الارتفاع إلى سبعة أمتار و تارة تسير في تخوم الأرض على مقربة من سطحها أو أبعد اه. مرآة الحرمين.

انظر: صورة رقم ٢٨٢، مجرى عين زبيدة مأخوذة من كتاب «مرآة الحرمين» لإبراهيم رفعت باشا

و قال العلامة الفاضل السيد عبد الله بن السيد محمد صالح الزواوي، في كتاب «بغية الراغبين و قره عين أهل البلد الأمين» فيما يتعلق بعين الجوهرة السيدة زبيدة أم الأمين، بعد ذكر قصة إجراء عين نعمان إلى أرض عرفه، ثم أديرت القنوات بجبل الرحمة محل الموقف الشريف الأعظم في الحج، و جعل فيها الطريق إلى البرك التي في أرض عرفات، فتمتلئ ماء يشرب منه الحجاج يوم عرفه، ثم استمر عمل القنوات متوجها إلى جهة الشام، و هناك بازان اسمها فقير الذئب الأعلى.

و المساحة من جبل الرحمة إليه ألف و ثلاثمائة و ثمانية و سبعون مترا، و بعده بازان فقير الذئب الثاني، و المساحة إليه أربعمئة و خمسة أمتار، ثم ينطف الدبل نحو المغرب داخلا في وادي المغمس، و ينتهي إلى حوض البقر، و المساحة بينهما ألف و أربعمئة و عشرون مترا، و فيه خمس و عشرون خرزة، و منه متوجها في باطن الجبل، و هو الموضع المسمى بالخاصرة، و يقرب منها أراضي زراعة يقال لها:

الهمدانية، ثم يرجع منه يمينا إلى بازان الحقابة، الذي على يسار الذهاب إلى عرفات، ثم يتوجه يمينا أيضا إلى بازان المعترضة و بعده يتعلق الدبل بسفح المأزمين، على يسار القادمين من عرفات، و يقال له: طريق صب، و هو المعروف الآن بالقناطر، ثم يصل منها إلى مزدلفة، ثم يتوجه من مزدلفة مارا بوادي النار، و هناك بازان عند رأس جبل على يسار الذهاب إلى مكة، يقال له: دقم الوبر، و منه يكون الدبل متعلقا في الجبل إلى المفجر، و هناك ماكينه الوابور، هي آله بخارية ترفع المياه من المجرى و توصلها في أنابيب حديدية إلى أماكن مخصوصة بمنى اه.

مرآة الحرمين. عند الربع الذي يرد منه أهل منى، و هذه الماكينة جعلت لإيصال

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٥٦

الماء في ماسورة إلى بعض أمكنة بمنى، يرد منها الحجاج، ثم يتوجه منحدرًا خلف جبل منى إلى فتحات موازية لمدرج منى، بجانبها مسجد و حوض لسقيا الدواب، يسمى: حوض البقر الثاني، و منه يكون الدبل تحت الأرض إلى بئر عظيمة مطوية بأحجار كبيرة جدا، تسمى: بئر زبيدة، إليها ينتهي عمل القنأة، و لعله كان في عزمهم إيصالها إلى مكة لتتصل بعين مكة، التي هي عين حنين، فوقف العمل إلى البئر المذكور «و المسافة بين هذا البئر و بين المنبع ٣٣٠٠٠ متر. اه. رحلة صادق باشا». و صارت عين نعمان خاصة بعرفة و منى، من ذلك الزمن قال: و كان الخلفاء و السلاطين عند انتظام سلطنتهم كلما بلغهم حدوث خراب في هذه العيون أو قنواتها يرسلون من يعمر ذلك على هذا المنوال.

### إجراء أمير المؤمنين المتوكل على الله جعفر بن عرفات إلى مكة

فممن عمرها المتوكل على الله جعفر بن المعتصم فإنه لما حصلت زلازل سنة إحدى و أربعين و مائتين و غارت عيون مكة أرسل إلى مكة مائة ألف دينار ذهبا لإجراء ماء عين عرفات إليها، فصرف فيها إلى أن جرت. ذكر ذلك السيوطي، في تاريخ الخلفاء، و ذكر الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في كتابه «إتحاف الوري بأخبار أم القرى» في حوادث سنة خمس و أربعين و مائتين، فيها غارت عين مشاش، و هي عين مكة، فبلغ ثمن القربة درهما فبعث المتوكل على الله جعفر بن المعتصم مالا فأنفق عليها حتى جرت، و كذا ذكره ابن الأثير في تاريخه.

و منهم صاحب إربل مظفر الدين كجك كوكبوري بن علي سنة أربع و تسعين و خمسمائة، ثم عمرها سنة خمس و ستمائة أيضا.

### تعمير المستنصر العباسي عين عرفات

ثم عمرها بعد ذلك أمير المؤمنين المستنصر بالله العباسي مرارا، منها: في سنة خمس و عشرين و ستمائة، ثم في سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة. قال القطب رحمه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٥٧

الله: هكذا وجدت ذلك مكتوبا في نصب حجارة مبنية قرب الموقف الشريف بعرفات. انتهى.

ثم عمرها الأمير جوبان نائب السلطان أبي سعيد ملك التتار بالعراقيين سنة ست و عشرين و سبعمائة. ذكره في كتاب المنتقى في أخبار أم القرى و هذا نص عبارته:

### تعمير الأمير جوبان عين عرفات

و في سنة ست و عشرين و سبعمائة عمر بازان رسول الأمير جوبان بن تلك بن تداون، نائب السلطنة بالعراقيين عن السلطان أبي سعيد بن خدا بنده، ملك التتار عين عرفة و كان الناس في جهد عظيم بسبب قلة الماء بمكة، فإن الراوية كانت تبلغ بها في الموسم عشرة دراهم مسعودية، و في غير الموسم من ستة دراهم إلى سبعة، فقصد الأمير جوبان عمل خير بمكة، فدل به بعض الناس على عين، كانت تجرى في القديم، تعطلت و ندب بعض ثقافته و أعطاه خمسين ألف دينار، و جهزه في موسم سنة خمس و عشرين، فلما قضى حجه تأخر بمكة و اشتهر أمره بها، فأعلم بعين في عرفة، فنادى بمكة من أراد العمل في العين فله ثلاثة دراهم في كل يوم، فهرع إليه العمال، و خرج بهم إلى العمل فلم يجبر أحدا منهم و لا- استحثه و إنما كانوا يعملون باختيارهم، فأتاه جمع كثير من العرب، و عمل حتى النساء إلى أن جرى الماء بمكة بين الصفا و المروة في ثاني عشر جمادى الأولى من هذه السنة، فكانت مدة العمل أربعة أشهر. و كثر النفع بهذه العين، و عم و عظم، و صرفه أهل مكة إلى مزارع الخضروات، فكان جملة ما أصرف عليها في هذه العمارة مائة ألف درهم و خمسون ألف درهم، فلما فرغ بازان من عمارة العين قدم إلى مصر، و اجتمع بالسلطان و عرفه خبر العين، فشق عليه ذلك و قال له على لسان النائب: من أذن لك في هذا و لم تشاورني؟ فقال للنائب: عرف السلطان أن جوبان ما فعل من الخير، و بقي الأمر للسلطان، إن شاء يخرب أو يعمر. فهذا شيء قد فعله من فعله، و خرج عنه الأمر إليكم. فلما سمع قوله السلطان سكت، و كان مباشر عمارة هذه العين الشيخ نجم الدين بن خليفة بن محمود الكتاني. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٥٨

### إجراء الملك الناصر محمد بن قلاوون عين ثقبه إلى مكة

و قال التقى الفاسي في «شفاء الغرام»: و من العيون التي أجريت بمكة عين أجراها الملك الناصر محمد بن قلاوون، صاحب مصر في سنة ثمان و عشرين و سبعمائة في مجرى عين بازان على ما ذكر البرزالي في تاريخه، نقلا عن كتاب العفيف المطري إليه، لأنه قال في ذكر أخبار هذه السنة: إنه ورد عليه كتاب من العفيف المطري، فيه أمور، منها: و أجريت عين أخرى كانت تعرف بعين جبل ثقبه، مما يلي جبل حراء على مجرى العين الجوبانية، و أنفق عليها قدر يسير قدر خمسة آلاف درهم، و وصلت إلى مكة، و خرجت من أسفلها، و كان ذلك على بن هلال الدولة مشرى المعماير، و تاريخ كتاب العفيف سلخ ربيع الأول من سنة ثمان و عشرين. انتهى. و منها عين أجراها الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة بمصر، في سنة خمس و أربعين و سبعمائة من منى إلى بركة السلم بطريق منى.

## تعمير عين بازان سنة ٨١١

قال الفاسي: و عمرت عين بازان، بعد ذلك، غير مرة، منها في سنة إحدى عشرة و ثمانمائة. و هذه العمارة من جهة السيد الشريف حسن بن عجلان نائب السلطنة بمكة و الأقطار الحجازية، أعلى الله قدره، و كان دخولها مكة في آخر العشر الأوسط من جمادى الأولى، و جرت جريا حسنا، بحيث امتلأت منها بركة الماجن بأسفل مكة، و تعدى الماء إلى غيرها، و كثر الدعاء له بسبب ذلك، لما حصل بها من عظيم النفع.

و بيعت منها الراوية بربع مسعودي، بعد أن كانت بدرهمن مسعوديين و أزيد، فله الحمد و الشكر، ثم حصل من جريانها قصور في آخر السنة، ثم انصلح حالها في أول سنة اثنتي عشرة و ثمانمائة، من غير عمل، ثم تغير حالها قليلا، ثم عمرت و انصلح حالها كثيرا، ثم تغير حالها كثيرا في آخر هذه السنة، ثم جرت جريا حسنا في العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشر و ثمانمائة، ثم بعد ذلك قل ماؤها و لقي الناس بمكة شدة بسبب ذلك، و عرف بهذا الأمر مولانا السلطان الأعظم الملك المؤيد أبو النصر شيخ صاحب الديار المصرية و الشامية و الحرمين، فتطوع بألفي دينار ذهباً لعمارة هذه العين. و ندب القائد علاء الدين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٥٩

لعمارة ذلك، فشرع في العمارة و التنظيف و الإصلاح، حتى وصل الماء بمكة المشرفة، و حصل به النفع، و كان حصول هذا لخير مكة في شعبان سنة إحدى و عشرين و ثمانمائة، و ابتدأ العمل فيه من جمادى الآخرة من السنة المذكورة، ثم قل جريان الماء من العين المذكورة، بعد قليل من جريانها الأول. و يسر الله دخول سيل فيها فجرت جريا أحسن من جريها الأول، و صرفت إلى بركتي المعلاة، اللتين على يمين الداخل إلى مكة، فامتلتا و حصل بها للحجاج نفع كثير، و لم يبق فيهما، بعد سفر الحاج، ما فيه كثير نفع، و غلا الماء كثيرا، و شق ذلك على الناس، فوفق الله تعالى القائد علاء الدين لعمارة العين، و بعث إليها عمالا و مهندسا، يعمرها فيها ما لم يعمرها في النوبة الأولى، و بعض ما عمّر فيها لتخر به السيل، و وصل الماء إلى مكة بعد ذلك في آخر صفر سنة اثنين و عشرين و ثمانمائة، و كان جريه قليلا، فزادوا في العمارة، حتى كثر جرى الماء، و عظم النفع به، بحيث بيعت الراوية بنصف مسعودي و بجائز و بدرهم، و هذا أكثر ما بيعت به الراوية، بعد عمارة العين في النوبة الثانية. و بلغنى أنها بيعت بجائز. و قد وصل الماء إلى ماء العين إلى البركة، التي بأسفل مكة، المعروف ببركة الماجن، خارج باب مكة، بعد تنظيف الطريق إليها. و كان جريانه القوي في العمارة الثانية، في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة. انتهى.

و في إتحاف فضلاء الزمن: و في سنة خمس و عشرين و ثمانمائة حصل بعض خراب في عين عرفه، فأشار سيدي الشيخ العرابي عمر، نفعنا الله به، على الشريف حسن بعمارة ذلك، فأعطاه بذلك خمسين ألف درهم، و صرفه في ذلك فخلصت و لم تسوق العمارة، فعرف الشريف فأعطاه خمسين ألف أيضا، و أقام على ذلك الصرف نائبه جابر الحراش، فقال له الحراش: ملوك الآفاق أقوى منك، و إذا علم بذلك صاحب مصر لنسبك إلى كثرة الأموال و طمع فيك، و استعاد الشريف الدراهم، فأرسل يقول له الشيخ العرابي: إن لم توف لنا و إلا- أجمع من أهل الخير ما أتم به عمارتها، فأجابه الشريف: بأن غيرنا أقوى منا. و جاء من أخبر الشيخ أن ذلك من الحراش، فتغير ظاهر الشيخ عليه، فقدر الله أن الشريف غضب على الحراش فشنقه. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٦٠

## تعمير عين حنين سنة ٨٣٥

قال الغازي: و قال ابن فهد في حوادث سنة خمسين و ثلاثين و ثمانمائة: و فيها عمّر الخواجه سراج الدين عمر بن محمد المزلق

الدمشقي، أحد التجار عين حنين المعروفة بعين بازان، فجرت في شهر رمضان ودخلت مكة، ومرت على سوق الليل إلى الصفا، و انتهت إلى باب إبراهيم إلى الماجن، فعم النفع بها و كثر الخير، لشدة احتياج الناس بمكة إلى الماء و قلة أحيانا و غلا سعره و كان مصروفه عليها خمسمائة دينار. و قال في حوادث سنة ثمانمائة و إحدى و خمسين: و فيها عمّر الناظر بيرم خواجة عين حنين و غيرها من أعين مكة، فجرى الماء جريا حسنا، حتى وصل إلى بركة الماجن، فزرعوا بقربها و عمّ انتفاع الناس بها. انتهى.

### تعمير عين حنين و عين عرفات سنة ٨٧٥

قال الغازي: و قال العلامة القطبي: ثم عمّر أيضا من ملوك الجراكسة الملك الأشرف قايتباي عين عرفات، فأجراها إلى أرض عرفات، و عمر عين حنين إلى أن جرت إلى مكة، في سنة ثمانمائة و خمس و سبعين انتهى.

و في إتحاف فضلاء الزمن جدد الملك الأشرف قايتباي عين عرفات، و ابتدأ المعمار العمل فيها من سفح جبل الرحمة إلى وادي نعمان، فوجد الماء بكثرة فاقصر على ذلك، و لم يصل إلى آخر العين. و كانت قد انقطعت منذ مائة و خمسين سنة. و كان الحجاج يقاسون يوم عرفه من قلة الماء ما لا يصبر عليه. ثم أصلح البركة و ملأها. انتهى.

و قال العلامة إبراهيم رفعت باشا في «مرآة الحرمين»: و في سنة ٨٥٢ عمّرت عين حنين، بمعرفة بيرم خواجة ناظر الحرمين الشريفين، ثم خربت العيون بعد ذلك، و أصاب الناس جهد جهيد، و بلغ ذلك الملك الأشرف قايتباي، فأمر بتعمير عين مكة و عين عرفات سنة ٨٧٥، و بدأت العمارة في عين عرفات من جبل الرحمة إلى وادي نعمان، حيث وجدوا الماء هنالك بكثرة، فخلوا سبيله إلى عرفه فوصلها بعد أن انقطع عنها مائة و خمسين سنة، كان الحجاج يقاسون فيها يوم عرفه الظم الشديد، و قد أصلح البرك التي بعرفات و ملأها بالماء، و كذلك عمّر عين حنين، حتى وصلت مياهها إلى مكة و عمّر أيضا عين خليص و أجراها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٦١

و بنى قبتها. و قد رأيت للملك الأشرف قايتباي خطبة، نقشبت في لوح من الحجر، وضع لجبل الرحمة على مقربة من القنّاء فنقلتها بالقلم الرصاص في ٩ ذى الحجة سنة ١٣١٨ في مدة أربع ساعات و ذلك لصعوبة قراءتها، و شدة الزحام، و لولا من يدفع عنى المزايمين جهده ما تمكنت من نقلها و هذا نصها.

### صورة الكتابة التي على الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم و به ثقّتي

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، و بمنه و فضله تكمل المبرات، و بتوفيقه تجرى الخيرات على يد من اختار من أهل السعادات، و صلى الله و سلم على سيدنا محمد الذي نبع الماء من بين أصابعه في الآيات، و فتح الله تعالى به أعينا عميا و آذانا صما و قلوبا غلقا، و ختم ببعثه الرسالات صلى الله عليه و آله و صحبه أولى البر و الصلات أذكى السلام و أفضل الصلاة و بعد: فإن عين عرفه المشرفة كانت قد محى اسمها و تعطل رسمها و عفى أثرها و لم يبق إلا خبرها، و همّ كثير من الملوك و السلاطين بعمارتها، فلم يساعدهم القدر على مقاومتها، و مضى على ذلك دهور و يئس منها، لما أتى عليها من العصور، فلما منّ الله على العباد بولايه من صلحت به الرعية و البلاد و انحسرت بوجوده مواد الجور و الفساد، هو مولانا السلطان الأعظم، مالك رقاب الأمم، حاوي فضيلتي السيف و القلم ظل الله الممدود على العالم، سلطان الإسلام و المسلمين، قانع الكفرة و المشركين، محيي مآثر الخلفاء الراشدين مالك البرين و البحرين، خادم الحرمين الشريفين السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي، نصره الله نصرا عزيزا و فتح له فتحا قريبا و عمّ أمره الشريف بإجرائها بتلك الأماكن المشرفة المباركة لوفد بيت الله تعالى و أضيافه المباهي بهم الملائكة رسل الله تعالى لا رياء فيها و لا



امتراء يجد ثوابها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، فجرت بحمد الله و توفيقه في أسرع مدة، يقارب إحصاؤها أشهر العدة مع تنظيف قعرها و بناء أساسها و بركها، و عمل شرعتها تنفع أهل الشريعة، و بناء قناتها المحيطة بجبل الرحمة رحمة الله الواسعة، فالله يجدد لمولانا و سلطاننا و كل محيطه عزا و نصراً، و يجري له على ما أجرى في الدارين إجراء و ذلك على يد الجنابيين العالين الأشرفين الكبيرين لسلطاننا الحالى الأشرف و شقيقه المباشر للعمل السيفى سنقر الجمالى الأشرفى، أجزل الله تعالى ثوابها التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٦٢

و أحيا مجدداً ابتداءها ربيع الآخر، و آخرها شهر رجب الفرد الحرام عام خمسة و سبعين و ثمانمائة سنة ٨٧٥ و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم.  
انتهى.

### تعمير عين حنين و عين عرفة سنة ٨٩٣

قال الغازى: و فى كتاب بلوغ القرى فى ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى للشيخ عبد العزيز بن نجم الدين عمر بن فهد: و فى شهر رمضان سنة ثمانمائة و اثنتين و تسعين أصرف الأمير سنقر المحتسب، مشد العماره السلطانية على عمال يشتغلون فى عين أبى رخم، فإن المطر لما وقع أمر بالكشف عنها و عن عين حنين و عن عين ثقبه. ف قيل له: إن الماء كثير فى عين أبى رخم و فى عين حنين، فأصرف على عمال كثير يتوجهون لعين حنين، و على جماعة بل لعلمهم نحو الثلاثين يتوجهون لعين أبى رخم، فتوجهوا، فلما كان يوم السبت سابع عشر شهر ذى القعدة من السنة المذكورة وصل الماء من عين أبى رخم إلى البازان، التى عند الصفا، فحصل للناس بها سرور عظيم، فالله يديمها على المسلمين، و يأتى بعين حنين على العادة فإن العمل فيها، و كان حصل للناس شدة عظيمة فى هذه السنة بل من العام الماضى و صار الناس ما يستقون الماء إلا من الأبيار. ثم إن كثيراً من الأبيار نشف و من الماء البحر (المالح) أيضاً فإن كثيراً من الآبار، التى بمكة نشفت و صارت الراوية الحلو تسوى قريب المحلق و البحر النصف من ذلك، فلما وصلت العين، رخص الماء.

و فى ليلة السبت فى آخر شهر رمضان سنة ثمانمائة و ثلاث و تسعين أصرف ابن أخى الخواجه الشمس بن الزمن على عمال يشتغلون فى العين، فاشتغلوا فيها فوجدوا ماء قليلاً فى أثناء العين فوصل إلى قرب مكة و إليها فى أوائل شوال ثم انقطع.

و فى ليلة الخميس ثانى عشرين شهر شوال سنة تسعمائة و اثنى عشر، أصرف أمير جدة الأمير حسين على العمال لعمل عين عرفة على يد القائد مفتاح البقيرى، فعملوا فلما ضاق شرع فى تبديل الآبار، التى بعرفة و مزدلفة، ثم بعد الحج عادوا لشغل عين عرفة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٦٣

و فى ثانى تاريخ ربيع الثانى سنة تسعمائة و ثلاث عشرة أصرف ناظر الخواص على عمال يعملون فى عين مكة كل عشرة أيام بأشرفى، و كان أرسل للقائد مفتاح البقيرى أن يحضر فحضر، و توجهها، و بعض جماعته إلى عرفة للكشف عن عينها فرأى ذلك، ثم جاء إلى عين حنين و عاد لمكة صبح يوم السبت خامس عشر من الشهر.

و فى يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر سنة تسعمائة و أربع عشرة توجه الشريف قايتباى و القضاة الثلاثة و الباش إلى عرفة لأجل نظر عين عرفة و الكلام فى ذلك و عادوا حتى يشاوروا الشريف بركات و قدم لهم القاضى الشافعى مأكولاً كثيراً هناك، ثم فى بيت الشريف بمنى، ثم نزلوا و جاؤوا إلى مكة يوم السبت. و فى يوم الأحد ثامن شهر ذى القعدة سنة تسعمائة و خمس عشرة وصل الأمير خير بك المعمار المرسل من طرف السلطان قانصوه الغورى، لأجل عمارة المسجد الحرام و عين حنين.

و فى ضحى يوم الجمعة سادس عشرين شهر ربيع الثانى سنة تسعمائة و ست عشرة قرئ مرسوم بالخطيم: واحد للسيد الشريف بركات بن محمد بن بركات، و الثانى للسيد قايتباى. و مما كان فيهما: إنكم تجتمعون و تنظرون فى أمر العين و غيرها من الأعين و

عين عرفه و الزعفران و أبيض رخم و الثقبه، فإن الغرباء الذين كانوا بمكة في العام الماضي قاسوا شدة من عدم الماء، و إن بعض أهل مكة لهم عبيد يبيعون الماء، و يعوقون العين و ما في قلوبهم رحمة و لا خوف من الله، و يكتب بذلك محضر و يكون بحضوره الباني الذي من جهتنا، و ينظر أيضا في الأعين، التي بوادي مّر و الجموم و المضيق، و إن كان شيء للناس فنشترى منهم، و تخبرونا كم المسافة أيضا حتى يجيئكم جوابنا، و لو كان الماء في أرض أو نخل لأحد فنشترى أيضا.

و في عصر يوم الاثنين عشرين جمادى الأولى سافر الباش خير بك و معه القاضيان الحنفى و الشافعى و التجار لأجل كشف عين مكة و الأعين التي ذكرها السلطان في مراسيمه، لأجل مكة، و توجه أيضا النورى على بن خالص و محبى الدين بن زقيط الناظران بجدة، و التجار شمس الدين القادري و شمس الدين الحموى و خير الدين بن سلامة و قاسم الشروانى و السيد عرار بن عجل و مفتاح البقيرى، فاناموا قريبا من مكة، ثم أصبحوا في البرود، فجلسوا به يوم الخميس و هم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٦٤

يكشفون عن الأعين. فقال لى المعلم على بن طنين، و كان معهم: أنهم رأوا عين مكة من أعلاها ثم يجى منها شيء، و إنما من عينين الماء قليل، و هو حنين و المشاش، و توجه القاضيان و السيد عرار و البقيرى و محبى الدين بن زقيط إلى وادى نخلة فصادفوا بها صبح الجمعة القاضيان المالكي و الحنبلى، و رأوا أعينها، و توجه الباش و من جاء معه لبلاد سوله، لرؤية عينها، و حمل له واحد من أشياخ وادى نخلة ضيافة كبيرة إلى سوله، فأكل و أصبح بمكة و هو و جميع من معه من القضاة و التجار.

ثم فى يوم الاثنين سابع عشرين الشهر توجه الباش و القاضيان الأولان معه و السيد هزاع و مفتاح البقيرى إلى وادى الجموم، لرؤية عينها و عادوا ليلة الثلاثاء ثامن عشرين الشهر، ثم عقد مجلسا بالقضاة و التجار عصر يوم الأربعاء تاسع عشرين الشهر، و تكلموا فى أمر عين الجموم و غيرها و إنهم يتوجهون و يقيسون حتى يجاوبوا السلطان بما يصلح ثم سافروا بقيه يومهم و الليلة التى تليه إلى وادى الجموم ثم عادوا ليلة الجمعة و قالوا: عين الجموم تصل بمكة، و إن مكة ما تعلق إلا بخمسة أذرع و إن بين الجموم و سبيل شميلى خارج درب الشبيكة خمسة و ثمانون ألف ذراع. و فى أول الجمعة من شهر جمادى الآخر سنة تسعمائة و ست عشرة توجه الأمير الباش خير بك المعمار إلى العين، و كان أرسل عمالا يصرفون عليها و أخذ معه عمالا أيضا، ثم أرسل جميع البنائين الذين معه و العمال، و أخذ نورة و جليا، قالوا: نحو مائة جمل، و ذكروا أن الماء بالعين، و إنما يحتاج الإصلاح.

و جلس هناك و معه مفتاح البقيرى و العمال و بناؤون و المنورون و يشتغلون، و كانوا أكثر من مائتين، و لما فرغ الشغل من أعلى العين عمل ثلاث برك بجانب حرف العين، تكون كالمصفاة للعين و كتب فى حجر نقرا: إنهم عمروا العين.

و جعل ذلك و عاد الأمير و الفعل إلى العلمين و أرسل بعض البناء و العمال يشتغلون فى الميضأة و ترك الباقين يشتغلون فى العين.

و فى عصر يوم الأربعاء ثانى عشر رجب وصلت عين حنين لبازان، و نودى بالزينة فى البلد فزين كثير من الناس على قدر حالهم.

و فى صبيحة يوم الخميس ثالث عشر الشهر برز القضاة و التجار إلى الأمير الباش خير بك المعمار و هو مخيم تحت جبل حراء فدخل مكة و هو معهم و معه النفط و المغانى من الدرب و المعمارية و خلع على المهندس ابن عصفور، و جماعة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٦٥

غيره من المعمارية، و ابتهج الناس بذلك كثيرا، ثم انقطع جريان العين فى هذا اليوم فقالوا: مسدودة. ثم جاءت آخر النهار، ثم انقطعت قبل المغرب.

و فى صبيحة يوم الجمعة رابع عشر الشهر توجه الأمير لإصلاح ما بقى، و قال: إنها تحتاج عمل ثلاثة أو أربعة أشهر، و أنها من يوم عمرت ما صلحت على ما ينبغى و ما يقال عن أهل مكة ليسدونها كذب فإنها تحتاج إلى عمل كثير و ما عمل فيها من العام الماضى من جهة الخواجا القارى و الخواجا ابن عباد الله فليل و ما نظفت كما ينبغى بل كانوا ينظفون شيئا من أعلى التراب و يتركون غالبه، و بعد ذلك دعا القضاة و التجار إليه و أراهم العمل، و أراد كتابة محضر بما عمل.

و في ليلة رابع عشرين الشهر وصل الأمير خير بك المعمار من عمارة العين، و دخلت العين مكة، و استمر ذلك أياما و الله يديمه، و اجتمع الأمير و القضاة و بعض الفقهاء و التجار في بيته، و أمر بكتابه محضر فشرع في ذلك، و في ليلة الخميس ثانی عشر شهر رمضان سنة تسعمائة و سبع عشرة حصل بمكة مطر قوى، و في يومه جاء البناء و العمال من عمل العين، و جاء السيل فدخل العين. و في يوم الجمعة أو فيما بعده توجه الباش خير بك المعمار إلى عرفه لرؤية العين بها، ثم أرسل البناء و العمال و المنورين و المنقلين فاشغلوا. انتهى ما في بلوغ القرى.

### انقطاع عين حنين و العيون عن مكة المشرفة

قال الغازي: قال العلامة قطب الدين رحمه الله تعالى: ثم انقطعت في أوائل الدولة العثمانية، بهذه الأقطار الحجازية، و بطلت العيون لقلّة الأمطار و تهدمت قنواتها، و انقطعت عين حنين عن مكة المشرفة، و صار أهل مكة يستقون من الآبار حول مكة من أبار يقال لها: العسيلات، من علو مكة، قريب من المنحنى و من آبار في أسفل مكة من مكان يقال لها: الزاهر، و يسمى الآن بالحوض، في طريق التنعيم، و كان الماء غاليا قليل الوجود، و كذلك انقطعت عين عرفات و تهدمت قنواتها و كان الحجاج يحملون الماء إلى عرفات من الأمكنة البعيدة، و صار فقراء الحجاج في يوم عرفه لا يطلبون شيئا غير الماء لعزته، و لا يطلبون الزاد و ربما جلبه بعض الأقوياء من الأماكن البعيدة للبيع، فيحصلون أموالا من ذلك

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٦٦

لغلو ثمنه، و إنى أذكر أن في سنة تسعمائة و ثلاثين قلّ الماء في الآبار البعيدة أيضا، فارتفع سعر الماء جدا في يوم عرفه، و كنت يومئذ مراهقا في خدمة والدي رحمه الله، و فرغ الماء الذي كنا حملناه من مكة إلى عرفات، و عطش أهلنا فتطلبت قليلا من الماء للشرب فشرت قربة ماء صغيرة جدا يحملها الإنسان بإصبعه بدينار ذهب، و الفقراء يصيحون من العطش يطلبون من الماء ما يبيل حلوقهم في ذلك اليوم، فشرب أهلنا بعض تلك القربة و تصدقوا بباقيه على بعض من كان مضطرا من الفقراء و عطشت عقبيه، و جاء وقت الوقوف الشريف و الناس عطاش يلهثون فأمطرت السماء و سالت السيول من فضل الله تعالى و رحمته و الناس واقفون تحت جبل الرحمة فصاروا يشربون من السيل من تحت أرجلهم و يسقون دوابهم، و حصل البكاء الشديد و الضجيج الكثير من الحجاج في وقت الوقوف لما رأوا من رحمة الله تعالى و لطفه بهم و إحسانه إليهم و تكرمه عليهم، و لا أزال أتذكر تلك الساعة و ما حصل بها من اللطف العظيم من كرم الله العميم.

### صدور الأوامر السلطانية بإصلاح عين حنين و عين عرفات

قال الغازي: و برزت الأوامر السلطانية بإصلاح عين حنين و عين عرفات و عين لها ناظرا اسمه مصلح الدين مصطفى من المجاورين بمكة، فبذل جهده في عمارتها و إصلاح قنواتها إلى أن جرت عين حنين إلى أسفل مكة تصب في بركة ماجن، و أصلح عين عرفات و أجراها إلى أن صارت تملأ البرك بعرفات، و ذلك في سنة تسعمائة و إحدى و ثلاثين، و صار الحجاج يروون من ذلك الماء العذب الفرات، بعد ذلك العطش الشديد في يوم عرفات، ثم اشترى ناظر العين عبيدا سودا من خزائن السلطنة الشريفة برسم خدمة العين لإخراج ترابها من الدبول و القنوات و هذه خدمتهم دائما.

قال القطبي: و هم باقون إلى الآن طبقة بعد طبقة لهذه الخدمة.

ثم توجه مصطفى ناظر العين إلى الأبواب السلطانية السلمانية و عرض في أمر العين أحوالا يجب عرضها، فأجيب إلى كل ما سأل و عاد مجبورا إلى مصر، ثم ركب من بندر السويس إلى مكة فغرق في بحر القلزم شهيدا. و كانت وفاته في سنة تسعمائة و سبع و

ثلاثين، واستمرت عين حنين جاريةً إلى مكة، لكنها تقل تارةً وتكثر أخرى، بحسب قلة الأمطار وكرتها، وعين عرفات تجري من نعمان

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٦٧

إلى عرفة إلى أن صارت عرفات فيها بساتين و صار بها الغروس، ثم قلت الأمطار إلى أن يبست العيون و نزلت الآبار في سنين متعددة من سنة تسعمائة و خمس و ستين و ما بعدها. و كانت سنوات تقارب سنين يوسف شدادا عجافا، و انقطعت العيون إلا عين عرفات فإنها لم تنقطع إلا أنها قل جريانها في تلك السنوات.

### صدور الأوامر السلطانية بإصلاح العيون

قال الغازي: فلما عرضت أحوال العين إلى الأبواب الشريفة السلطانية السلیمانية التفت الخاطر العاطر السلطاني إلى تدارك ذلك بأى وجه يكون، و أمر بالفحص على أحوال العيون و كيف يكون جريانها إلى بلد الله الأمين، فاجتمع المرحوم عبد الباقي بن على المغربي قاضى مكة، و الأمير خير الدين صنجقدار جدة و غيرهما من الأعيان و تفحصوا و داروا و تشاوروا فأجمع رأيهم على إن أقوى العيون عين عرفات، و طريقها ظاهر و دبولها مبنية إلى بئر زبيدة خلف منى، و إن الذى يغلب على الظن أن دبولها من بئر زبيدة إلى مكة مبنية أيضا، و أنها مخفية تحت الأرض و أنها تحتاج إلى الكشف عنها و الحفر إلى أن تظهر لأن زبيدة لما بنت الدبول من عرفات إلى بئر المشهور، جميعها ظاهر على وجه الأرض فالباقي من ذلك المحل أيضا مبنى إلا أنه خاف تحت الأرض، و استغنت عن عين عرفات بعين حنين، و تركت هذه و صارت نسيا منسيا. هكذا ظنوا و خمنوا، ثم إنهم تتبعوا عين عرفات من أولها، من الأوجر إلى نعمان ثم إلى عرفة ثم إلى المزدلفة ثم إلى بئر زبيدة و أصلحوا هذه الدبول الظاهرة و كشفوا عن الباقي، و بنوا ما وجدوا منها منهدما و رمموا الباقي احتاجوا إلى ثلاثين ألف دينار ذهبا و ذرعوه و قاسوه فكان من الأوجر إلى بطن مكة خمسة و أربعين ألف ذراع بذراع البنائين الآن، و هو أكبر من الذراع الشرعى بقدر ربعة، و هذا الذى تخيلوه من وجود بقية الدبل تحت الأرض لم يوجد فى كتب التواريخ و إنما أدهم إلى ذلك مجرد الظن بحسب القرائن و عرضوا ذلك على أبواب السلطنة فى أوائل سنة تسعمائة و تسع و ستين، فلما وصل علم ذلك إلى المسامع الشريفة السلطانية السلیمانية التمسّت صاحبة الخيرات كريمة مولانا السلطان سليمان خان حضرة خانم سلطان أن يأذن لها فى عمل هذا الخير، حيث كانت صاحبة الخير أولا أم جعفر زبيدة العباسية فناسب أن تكون هى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٦٨

صاحبة هذا الخير فأذن لها فى ذلك فاستشارت الحضرة السلیمانية وزراء ديوانها الشريف العالى فيمن يصلح لهذه الخدمة، فاتفقت آراؤهم على الأمير الكبير المعظم إبراهيم باشا دفتر دار مصر، فأعطته السلطنة خمسين ألف دينار ذهبا بزيادة عشرين ألف ذهب على ما خمنوه فتوجه من البر إلى مكة المشرفة و كان وصوله إلى جدة لثمان بقين من ذى القعدة سنة تسع و ستين و تسعمائة، ثم ركب منها إلى سيدنا مولانا الشريف محمد بن أبى نمى، و كان يومئذ نازلا بمر الظهران فقابلته بالإجلال و التعظيم و مد له سماطا و لطفه و آكله، و عرض على سيادته ما جاء بصدده فقبول بامثال الأمر الشريف السلطان، و بذلك الهمة و الجهد فى إتمام المهم المنيف الخاقاني، و أن يقوم بذلك بنفسه و ولده و أتباعه و خدمه، ثم قابله عند دخوله مكة سيدنا و مولانا الشريف حسن بن أبى نمى، صاحب مكة بالترحيب و الاحترام ثم جاء للسلام عليه شيخ الإسلام مولانا القاضى حسين الحسنى، ففرح به الأمير إبراهيم و قابله بالإجلال و التعظيم، و عرض عليه أموره و أحواله و استشاره فى سائر ما بدى له من أحواله فأشار إليه بالآراء الصائبة، و أعلمه بما ينبغى رعايته و ما يجب عليه ملاحظته من الأمور اللازمة.

فأول ما بدأ تنظيف بعض الآبار التى يستقى منها الناس و إخراج ترابها ثم بعد الفراغ منها توجه للكشف عنها إلى أعلى عرفات، و كثر تردده إليها و تفتنه لمجاريها و مثاقبها و مشاركها و الفحص عن أحوالها و شرع فى الكشف عن دبول عين عرفات و ضرب أوطاقه

فى الأوجر من وادى نعمان فى علو عرفات و شرع فى حفر قعرها و تنظيف دبولها و كانت مماليكه هم القائمون بهذه الخدمه و هم نحو الأربعمائه و أقام بهذا العمل من الأوجر إلى مزدلفه و كتب نحو ألف نفس من العمال و البنائين و الحجارين و القطاعين و النجارين و غيرهم ممن يحتاج إليهم، و أتى بالآلات العماره و صحبها معه من مصر، من مكاتل و مساحى و مجاريف و حديد و بولاد و نحاس و رصاص و غير ذلك و عين لكل طائفه قطعاً من الأرض لحفرها و تنظيف ما فيها من الدبول و كان يظن أنه يفرغ من هذا العمل الذى جاء بصدهه فيما دون عام و يرجع إلى الأبواب السلطانيه لينال المناصب العاليه و يظفر بالمراتب الساميه، و يأبى الله إلا ما أراد و استمر على هذا الجد و الاجتهاد إلى أن اتصل عمله بعمل زبيده إلى بئر التى انتهى عملها إليها، و لم يوجد بعده دبل و لا آثار عمل، و ضاق ذرعه بذلك و علم أن الخطب كبير و أن العمل خطير و تحقق أنا لقدر الباقي من هذا العمل إنما تركته زبيده اضطراراً بغير اختيار و عدلت عنه إلى عين

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٦٩

حين و تركت العمل من عند البئر لصلابه الحجر، و صعوبه إمكان قطعهُ و طول مسافه ما يجب قطعه فإنه يحتاج من بئر زبيده إلى دبل منقور تحت الأرض من الحجر الصوان، طوله ألفا ذراع بذراع البنائين حتى يتصل بدبل عين حنين، و ينصب فيه و يصل إلى مكة و لا يمكن نقب ذلك الحجر تحت الأرض فإنه يحتاج فى النزول إلى خمسين ذراعاً من العمق و صار لا يمكن ترك ذلك بعد الشروع فيه حفظاً لناموس السلطنه الشريفه فما وجد الأمير إبراهيم حيله غير أن يحفر وجه الأرض إلى أن يصل إلى الحجر الصوان، ثم يوقد عليه بالنار مقدار مائه حمل من الحطب الجزل ليله كامله فى مقدار سبعة أذرع فى عرض خمسة أذرع من وجه الأرض و النار لا تعمل إلا فى العلو و لكن تعمل عملاً يسيراً جداً من جانب السفلى فيلين الحجر من جانب السفلى مقدار قيراطين من أربعه و عشرين قيراطاً من ذراع فيكسر بالحديد إلى أن يصل إلى الحجر الصلب الشديد فيوقد عليه بالحطب الجزل ليله أخرى و هلم جرا إلى أن ينزل فى ذلك الحجر مقدار خمسين ذراعاً فى العمق فى عرض خمسة أذرع إلى أن يستوفى ألفى ذراع تقطع على هذا الحكم، و ذلك يحتاج إلى عمر نوح و مال قارون و صبر أيوب و ما رأى عن ذلك محيصاً فأقدم عليه إلى أن فرغ الحطب من جميع جبال مكة فصار يجلب من المسافات البعيده و غلا سعره و ضاق الناس بذلك و تعب الأمير إبراهيم لذلك و ذهبت أمواله و خدامه و أولاده و مماليكه، و هو يتجلد على ذلك إلى أن قطع من المسافه ألف ذراع و خمسمائه ذراع بالعمل و صار كلما فرغ المصروف أرسل و طلب مصروفاً آخر، إلى أن صرف أكثر من خمسمائه ألف دينار ذهباً من الخزائن العامره.

و توفى إبراهيم بيك ناظر العماره فى سنه تسعمائه و أربع و سبعين ثم أقيم بعده فى هذه الخدمه سنحج جدّه الأمير قاسم بك، بإقامه سيدنا و مولانا السيد حسن صاحب مكة أدام الله تعالى دولته و سعاده، و عرض ذلك إلى الباب العالى و أمره أن يباشر هذه الخدمه إلى أن يصل من تعينه السلطنه الشريفه لأداء هذه الخدمه و كانت السلطنه الشريفه العظمى قد انتقلت من المرحوم السلطان سليمان خان، إلى نجله الأسعد الأمجد السلطان سليم خان فتعين لها من الباب العالى دفتر دار مصر يومئذ محمد بك أكملك جى زاده، و كان من أعيان الأمراء و السناجق الكبراء له عقل تام و رأى ثاقب وصل إلى هذه الخدمه الشاقه و بذل فيها نفسه و ماله و أظهر تجمله و تحمله و احتماله، و ما بلغ التمام إلى أن وافاه الحمام، و انتقل إلى رحمه الله تعالى سنه تسعمائه و ست و سبعين.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٧٠

ثم أقيم فى خدمه عمل العين، الأمير قاسم بك المذكور سابقاً، سنحج جدّه المعموره أقامه فيها سيدنا و مولانا السيد حسن صاحب مكة، و أمره بمباشرة العمل و عرض ذلك على الأبواب الشريفه السليميه، فبرز الأمر الشريف السلطانى باستقرار قاسم بك المذكور فى خدمه العين أميناً على مصارفها أن يكون شيخ الإسلام قاضى القضاة و ناظر المسجد الحرام القاضى حسين الحسنى ناظراً على ما بقى من عمل عين عرفات إلى أن تصل إلى مكة المشرفه فاستمر الأمير قاسم مباشر التعاطى هذه الخدمه فما أراد الله تعالى أن يتم العمل الشريف على يد قاسم بك فطره الأجل و انتقل من دار الدنيا الفانيه إلى دار الآخرة الباقيه سنه تسع و سبعين و تسعمائه.

ثم توجه مولانا القاضي حسين توجهها تاما إلى تكميل ما بقى من عمل عين عرفات باعتبار ما بيده من النظر عليها حسب الأحكام الشريفة السلطانية و عرض على الأبواب الشريفة وفاة قاسم بك و عدم تعطيل العمل إلى أن يأتي أمين لإكمال العمل من الباب العالى فبرزت الأوامر الشريفة السلطانية بأن يكمل ذلك العمل مولانا شيخ الإسلام القاضي حسين، فأقدم بهمة العلية أتم إقدام إلى إكمال هذا العمل بالاهتمام التام فساعدته السعادة و الإقبال على الإتمام و الإكمال فكمّل العمل المبارك فيما دون خمسة. أشهر، بعد أن عجز عن إتمامه الأمراء المذكورون قريبا من عشرة أعوام و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم.

### وصول عين عرفات إلى مكة سنة ٩٧٩

قال الغازي: فجزت عين عرفات و انفجرت ينابيعها الجارية و وصل الماء هو يجر في الدبول و القنوات إلى أن دخل مكة لعشر بقين من ذى القعدة الحرام سنة تسع و سبعين و تسعمائة، و كان ذلك اليوم عيدا أكبر عند الناس و زال بوصول ذلك الماء إلى البلد كل هم و بأس و عمل ذلك اليوم مولانا المشار أسمطة عظيمة في الأبطح ببستانه العظيم الأفصح و جمع بين الأكاير و الأعيان في ذلك المكان و نصب لهم السراذقات و الصيوان و ذبح أكثر من مائة من الغنم و نحر عدة من الإبل و النعم، و قدم للناس على طبقاتهم أنواع الموائد و النعم، و خلع على أكثر من عشرة أنفس من المعلمين و البنائين و المهندسين حللا- فاخرة، و أحسن إلى باقيهم بالإنعامات الوافرة و تصدق على الفقراء و المساكين شكرا لهذه النعمة الجزيلة و حمدا على هذه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٧١

المنة الجليلة، حيث أنعم الله بها على عباده و أحيا و أخصب منها خير بلاده و كان يوما مشهودا و ساعة سعيدة و زمانا مسعودا، ثم جهز أحبار هذه البشائر العظمى إلى الباب الشريف العالى السلطاني السلطان سليم خان و إلى صاحبة الخيرات بلقيس الزمان حضرة خانم سلطان فأنعمت بالإنعامات الجزيلة على سائر المباشرين و المتعاطين هذه الخدمة الشريفة الجزيلة، و حصل لمولانا شيخ الإسلام المشار إليه ترقيات عظيمة و صارت هذه العين من جملة الآثار الباقية على صفحات الليالي و الأيام و الأعمال الصالحات الباقية التي لا يفنيها تكرر السنين و الأعوام. انتهى.

قال العلامة السنجاري في «منايح الكرم» و جملة ما صرف على ذلك كما رأيت به خط بعض الأفاضل خمسة لكوك و سبعة آلاف دينار، و ذلك غير ما صرف على إحضار أرباب الصناعات من الحدادين و الحجارين و القطاعين و غيرهم. انتهى. و انتهى من الغازي. نقول: ألك كلمة هندية معناها مائة ألف. فيكون جملة ما صرف خمسمائة ألف دينار و سبعة آلاف دينار.

### بناء بقية دبول عرفات من الأبطح إلى آخر المسفلة

قال الغازي: و في الإعلام و في سنة تسعمائة و تسع و سبعين برز الأمر الشريف من حضرة السلطان سليم خان بن سليمان خان ببناء المسجد الحرام جميعه على وجه الإتقان و الإحكام و عين بهذه الخدمة الشريفة فخر الأمراء العظام ذخر الكبراء ذوى الاحترام أحمد بك و أضيف إليه عمل بقية دبل عين عرفات من الأبطح إلى آخر المسفلة بمكة المشرفة فإن السلطنة الشريفة أمرت أن يبنى لها دبل مستقل و لا تجرى في دبل عين حنين فعينت هذه الخدمة أيضا للأمير أحمد المذكور و وردت الأوامر السلطانية لناظر المسجد الحرام، بدر الملة و الدين و القاضي حسين الحسنى أن يكون الناظر على هذه الخدمة الشريفة و المتكلم عنها من جانب السلطنة المنيفة ففرح بهذه الخدمة الشريفة الفرح التام، و قام في ذلك أحسن قيام و وصل لهذه العمارة الشريفة معمار دقيق الأنظار أجمع المهندسون على تقدمه في هذه الصناعة محمد جاوش الديوان العالى، فاتفق الناظر و الأمير و المعمار على الشروع في هدم ما يجب هدمه إلى أن يوصل إلى الأساس فشرع أولا في إكمال الدبل المستقل لإجراء عين عرفات و بنائه من جهة المدعا، ثم مر به في عرض خان قايتباي

إلى جهة المروة، ثم إلى جهة سويقه، ثم عطف به إلى السوق الصغير و أكمله إلى منتهاه،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٧٢

و بنى قبة في الأبطح جعل فيها مقسم ماء عرفات، و ركب في صدره بزاييز من النحاس يشرب منها الماء، ثم بنى مسجدا و سيلا و حوض ماء للدواب على يمين الصاعد إلى الأبطح في قبلي لبستان بيرم خواجه الصائر إلى المرحومة الخاصكية أم السلاطين، و بنى مسجدا آخر و سيلا و متوضاً في انتهاء سوق المعلاة على يسار الصاعد و عرض ذلك على أبواب السلطنة فأنعمت على الأمير المشار إليه بسبعين ألف عثمانى ترقيا في علوفته في مقابلة هذه الخدمة. انتهى.

### تعمير عيون مكة و آبارها سنة ٩٨٢

قال الغازي: و في كتاب «بغية الراغبين» و في سنة اثنتين و ثمانين و تسعمائة حصل تعمير في عيون مكة و آبارها، و بنى فيها دار الشفا و الحمامات و غير ذلك من الأعمال الصالحة، كل ذلك على يد وزير السلطان مراد خان و وزير أبيه السلطان سليم حضرة محمد باشا، و من خيراته الدائرة إجراء العيون و من أعظمها إجراء عين عرفات إلى مكة. انتهى.

### تعمير عين عرفات سنة ١٠٢٥

قال الغازي: و في «منايح الكرم» و في سنة ألف و خمس و عشرين عمرت عين عرفة على يد حسن باشا، و لما وصل الماء إلى مكة فرح به الناس فرحا شديدا لتعبهم بعده، و أرخ هذا التعمير الإمام على بن عبد القادر الطبري، بقوله:

كم مست الأكباد شغوله بحرقتي بؤس و بلواء

و كم غدا القلب بنار الظمافي جمرتي يبس و الظماء

حتى أغاث الله أم القرى بنعمتي فضل و نعماء

فقلت هذا العام تاريخه قرت عيون الناس بالماء

و قال الشيخ إبراهيم الرحال من أصحاب الباشا المعمار كان طبيبا له من قصيدة مدح بها الباشا حسن المعمار:

و ليدع بالخير للبشا الأنام على هذا و يثنى عليك السر و العلن

أكرم بها نعمة تاريخ أولها ووقفت للخير و الإحسان يا حسن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٧٣

و في «مرآة الحرمين» لإبراهيم رفعت باشا: و رأيت من لوحة هذه الكتابة أمر بتعمير عين عرفات مولانا السلطان الأعظم و الخاقان الأفخم خادم الحرمين الشريفين السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان، أيد الله سلطنته إلى آخر الزمان سنة ١٠٢٥ بمباشرة الفقير إليه سبحانه و تعالى حسن باشا عفى عنه. اه.

### انقطاع عين عرفات عن مكة سنة ١٠٦٦

قال الغازي: و في سنة ألف و ست و ستين انقطعت عين و عرفد و تعب الناس في أمر الماء فعين لعمارتها صاحب جدة محمد بك، فطلع إلى مكة و شرع في عمارتها و رمم ما انهدم من الدبول إلى أن سارت و دخلت مكة بعد أن كانت القرية تؤخذ بأربعين محلقا، و فرح الناس بورودها.

**تعمير عين عرفات سنة ١٠٨٤**

قال الغازي: و في ضحى يوم السبت الرابع من ذى القعدة سنة ألف و ثلاثة و ثمانين كان وصول على أغا الطون باشا معمارا على العين، و سبب وصوله عرض من الشيخ محمد بن سليمان إلى الأبواب، يذكر أن العين تحتاج إلى عمارة، و بعث به مع أحد الكشاف الذين كانوا بمكة من التجريدة التي كانت مع محمد جاويش حين رجع في رجب من السنة المذكورة و شرع المعمار في التأهب لعمارة العين و جمع المعلمين و الآلات و خرج إلى عرفات لتنظيف الدبول و خرج معه محمد جاويش ثم رجع محمد جاويش ليلة الأحد سادس عشرين محرم سنة ألف و أربعة و ثمانين.

و في يوم الثلاثاء خامس صفر خرج الشيخ محمد بن سليمان إلى عرفات للإشراف على العين، ثم عقبه مولانا الشريف بركات فطلع ليلة الأربعاء و نزل ليلة الجمعة و قبل يوم الجمعة، و في يوم الاثنين الثالث عشر من جمادى الأولى سنة ألف و أربع و ثمانين قطعت العين من مكة لقصد تعمير الدبول بعد أن ملئت البرك بالمعلاة و ملأ الناس صهاريجهم، ثم إن الله تعالى تداركهم بأمطار توات فجرت العين و لم يطل انقطاعها.

و في «مرآة الحرمين» و قد رأيت مكتوبا على حجر رخام ثبت بجبل الرحمة على يمين الصاعد إليه العبارة الآتية: يا محمد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٧٤

حق حمده على أفضاله و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و آله أمر حضرة السلطان الأعظم و الخاقان الأفخم، مولى ملوك العرب و العجم السلطان الغازي محمد خان ابن السلطان إبراهيم خان، عز نصره بإجراء عين عرفات و تعمير أبنيتها و اتصاله إلى الحرم المنيف بفضلته تعمرت سنة أربع و ثمانين و ألف (سنة ١٠٨٤) من هجرة من له العز و الشرف على يد عمدة أعيان الدولة الحاج على آغا بن مصلى قهوجى باشا السلطان، و كان الله له و وفقه لمرضاة الله (و فى الآخر كلمتان لم أعرفهما).

انتهى.

و في يوم الاثنين ثانى عشر ذى القعدة سنة ألف و تسع و ثمانين جاء ناظر العين و أخبر بأن سيلا جاء بالأوجر و أخرب نحو من عشر خرزات و دفنها، فبادر إلى هذه الخدمة الوزير عثمان حميدان و أصرف على العملة من عنده و شرعوا من يومهم فى التوجه إلى العمل و انقطعت العين من مكة بسبب هذا العمل إلى ثالث ذى الحجة فأطلقوها إلى مكة و حصل بورودها غاية السرور.

و فى شهر ذى الحجة الحرام سنة ألف و إحدى و تسعين غيمت السماء و أمطرت قبل صلاة الظهر و استمر المطر إلى العصر و كثر السيل و دخل الحرم، و حصل بذلك خراب عظيم فى العين.

**تعمير العين سنة ١٠٩١**

قال الغازي فى تاريخه نقلا- عن منائح الكرم، ما يأتى: و لما كان يوم الثلاثاء رابع شعبان المكرم ورد مكة سليمان آغا ميرياخور السلطان الأعظم الخاقان الأفخم السلطان محمد خان بمرسوم سلطاني و قفطان لمولانا الشريف سعيد بن بركات و مضمون المرسوم إرسال المذكور لتعمير العين و ما حدث فيها بموجب السيل الحادث فى شهر ذى الحجة الحرام من السنة الماضية، فأشرفوه على ما تحتاج إليه العين من العمارة و غيرها، و أمر مولانا الشريف بمساعدته و النظر إليه فأنزلوه دار الوزير عثمان حميدان، ثم شرع فى تنظيف البرك فى المعلاة و زاد فى طولها إلى السماء مقدار قامه لارتفاع الأرض، ثم صرف همه إلى العين، فركب و نزل بوادى نعمان، بعد جمع المعلمين و المهندسين من المكيين و المصريين فاتفق رأيهم على بناء سد ليمنع سيل ذلك الوادى من الوصول إلى قنوات العين، فإن أكثر خرابها إنما هو لانهيال التراب و دفن تلك الخرزات، فشرع فى بناء ذلك السد



التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٧٥

و بنى على رؤوس القنوات الحواجز المسماة بالخرزات فبنى نحو عشرين خرزة و أبان في مباشرته عن هممة عالية و لم يزل يجتهد بنفسه و عبيده و بسط يده للعمال مع حسن معاشرته لهم إلى أن أتم كل خلل و جده، ثم التفت إلى عين حنين فبعث من ينظر له فيها و عمّر بقيه الأماكن المأثورة بمكة كمسجد الخيف و قبة حراء، و زاد في درج أبواب الحرم من خارج زعم أنها تمنع السيل من الدخول ثم التفت إلى أسفل مكة، و هو المسفلة فجعل هناك قناة واسعة لفضالة السيل إلى بركة ماجن.

و في ضحى يوم السبت الثامن من ذى القعدة الحرام سنة ألف و تسع و تسعين وصل مكة آغاة القفطان السلطاني بالخلعة السلطانية لمولانا الشريف أحمد بن غالب وصل معه معمار للعين بسبب عرضه بعثه مولانا الشريف أحمد بن زيد، و في يوم السابع عشر من ذى القعدة طلع صاحب جدة و قاضى الشرع و معهم المعمار المذكور إلى نعمان للإشراف على العمارة التي عمّر صاحب جدة في السنة التي قبل هذه فأشرفوا و نزلوا.

### ما كسر من قناة العين سنة ١١٠٤

قال الغازى فى تاريخه نقلا عن «منايح الكرم» ما يأتى:

و فى يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الثانى سنة (١١٠٤) كسر من قناة العين نحوا من ثلاثين ذراعا، فجاء الخبر لمولانا الشريف سعد فبعث من وقته بالمهندسين فأشرفوا فاقتضى رأيهم أن يجعلوا دبلا من خشب يجرون فيه العين إلى أن يفرغوا من الشغل فى المنهدم فبعث إلى نائب جدة أحمد آغا، ناظر العين، فحضر من ليلته، و أوجد لهم الوزير عثمان حميدان بجميع ما يحتاجه من الخشب، فبذل الهمة التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٧٦

و صنعوه بمكة و طلعوا به رابع عشر الشهر، و ركبه و أجروا فيه الماء يوم الجمعة سابع عشر الشهر، و استمر الشغل فيها بغاية الصحة إلى أن تم بناء المهودوم و أجروا فيه الماء ثانى عشرين الشهر.

### تعمير عين عرفات سنة ١١٢٤

قال الغازى فى تاريخه نقلا عن «منايح الكرم» ما يأتى:

و فى يوم الجمعة ثالث عشرين شوال سنة (١١٢٣) ألف و مائة و ثلاث و عشرين وصل مكة المشرفة محمد بك بن حسين باشا المعين من طرف السلطان الغازى أحمد خان لعمارة عين مكة و هو الذى قد جاء سابقا سنة ألف و مائة و ثمانية بثمان غلال أهل الحرمين المنكسر، و كان وصوله صحبة المراكب إلى بندر جدة و معه مهمات ما تحتاج إليه العمارة من خشب و حديد و غير ذلك. و جاء بمعلمين من الآستانة، و أخذوا له جميع ما يحتاج إليه من مصر لأنه وصلها فى السنة التى قبل هذه و أقام بها و قضى منها مصالحة و أتى من جدة إلى مكة، و دخلها ليلة الجمعة.

و فى يوم الثلاثاء سابع عشرين الشهر المذكور عزم مولانا الشريف بعد الظهر هو و محمد بك بن حسين باشا المعمار و السيد يحيى بن بركات و جمع من السادة الأشراف و قاضى مكة المشرفة و المفتون و بعض العلماء و إبراهيم باشا متولى جدة و الشيخ محمد الشيبى و السيد أحمد أفندى نائب الحرم الشريف و المهندسون و أرباب الخبرة لأجل الكشف عن الخراب الذى بالعين، و ما تحتاج إليه من العمارة فوصلوا إلى عرفة، و قد كان حضرة الشريف أمر بنصب الصيوان و الخيام، و جعل السماط بها، و كذلك ما يحتاج إليه الأمر من عليف و كلف بحيث لا يتكلف أحد ممن تبعه من صغير و كبير إلى نقل طعام و لا غيره، منذ غيبتهم، و يأتون تلك الليلة بها، و فى الصبح قرئ الخط الشريف الوارد صحبة محمد بيك المعمار بسبب العمارة و مضمونه أننا قد عينا فخر الأماجد و الأعيان

محمد بيك بن حسين باشا، زيد مجده لعمارة عين مكة المشرفة و أصحابناه مائتي كيسا، منها خمسون كيسا مهمات و مائة و خمسون كيسا من النقد العين، و أمرنا بعد الكشف بنظر كم و نظر قاضى مكة و شيخ الحرم، متولى جدّه أن يعمر عمارة ماكنه بحيث تبقى زمنا طويلا و إذا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٧٧

احتاجت العمارة إلى مهمات و دراهم تعرفونا بسرعة نرسل جميع ما يحتاج إليه الأمر.

فبعد تمام القراءة توجه الجميع إلى وادي نعمان، و أشرفوا على الخراب الذى بالعين و تكلم المهندسون بأن الأمر يحتاج إلى إصلاح خمس من الخزرات، و إحداث عشر آخر مستجدة، و تصليح بقية الدبول من نعمان إلى مكة فتكلم حضرة الشريف مع محمد بيك فيما قاله المهندسون فأجاب بأنى مأمور بتعمير الخراب، و أما إحداث شىء من الزوائد فيحتاج رفع ذلك بعرض إلى السلطان نصره الرحمن، فاتفق الحاضرون جميعا أن الأمر يحتاج إلى ما قاله المهندسون من إحداث الخزرات، و عمارة الدبول و العرض بذلك فبات الجميع ليلة الخميس بنعمان على أجل إكرام و أكمل نظام، و صاروا منها يتبعون أثر العين و يكشفون ما بها من خراب و دمار إلى أن وصلوا المفجر، و باتوا فيه ليلة الجمعة على أحسن حال، و صبح يوم الجمعة سلخ شوال ركبوا و دخلوا مكة و اتفقوا فى الشروع للعمارة بعد توجه الحج الشريف؛ لأن الوقت قد ضاق و تم الأمر على هذا، و كتبوا محضرا إلى الدولة العلية بجميع ما وقع من الكشف، و طلب ما يحتاج إليه الأمر من الزوائد وغيره، بعد الحدس و التخمين اللائق بأهل الخبرة من المهندسين و الحاضرين، و قصدهم يرسلونه إلى الدولة العلية، و ضمن المهندسون أن قدر ما يصرف فيه من الدراهم على تعمير عمارة عين مكة على الوجه المطلوب، نحو من مائة ألف شريفى أحمر و مائتي و أربعين أحمر، فكتبوا بذلك دفترا و وضعوا عليه خطوط العلماء و الفقهاء و المشرفين على العمارة جميعهم. انتهى ما فى منائح الكرم.

و ذكر العلامة الطبرى رحمه الله، فى إتحاف فضلاء الزمن أيضا، هذه العمارة الأخيرة فى حوادث سنة ١١٢٣، ثم ذكر فى حوادث سنة ألف و مائة و خمس و عشرين، و فى هذه السنة تمت عمارة العين على أحسن شأن و أبهج رميم و ببيان، بنظر المعمار الأمين محمد بيك ابن حسن باشا، و قد طلب بعد التمام تاريخا من مولانا المفتى عبد القادر فأجابه لالتماسه سرىعا، و أباحه درا بديعا، ثم أطلعنى عليه فرأيت من الواجب تقرظه للمشار إليه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٧٨

### صورة ما كتبه الشيخ عبد القادر مفتى مكة

قال الغازى نقلا عن الطبرى فى إتحاف فضلاء الزمن: و هذا صورة ما كتبه الشيخ عبد القادر مفتى مكة عند الانتهاء من عمارة العين: الحمد لله الذى أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض، و بسطه فى بساط البسيطة و أقطارها المحيطة بالطول و العرض، و نحمده على أن جعل من الماء كل شىء حى، و نشكره، و هو الذى بيده ملكوت كل شىء، و نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تتبوءها من الجنة ما هو خير مقاما و أحسن مقبلا، و نرد بها عينا فيها تسمى سلسيلا، و نشهد أن سيدنا و مولانا محمدا عبده و رسوله المخصوص بالحوض المورد يوم العطش الأكبر القائل و هو الصادق الأمين أن فى كل كبد حرّى أجرا، الأول الذى كان نبيا و آدم بين الماء و الطين، الآخر الذى يكون تحت لوائه آدم فمن دونه صلى الله عليه و على سائر من انتسب إليه، خصوصا له مصابيح الدجى و صحبه مقاليد الهدى (و بعد) فقد أمر مولانا سلطان الإسلام و المسلمين، ظل الله الممدود على سائر العالمين، و الخليفة على الخليفة، الملك العدل حقيقه، خادم الحرمين الشريفين و المسجد الأقصى، حاكم المحليين المنيفين و المماليك التى لا تحصى، القائم بفرضية الجهاد، البازل فى إحياء كلمة التوحيد غاية الوسع و نهاية الاجتهاد، حضرة مولانا السلطان الغازى أحمد خان نصره الرحمن، و خلد ملكه، و أجرى فى مجارى السعادات فلكه، و أعز سلطانه، و جعل من الملائكة المقربين أنصاره و أعوانه،

بتجديد عمارة عين عرفات منبع الخير والفيض والبركات، وأرسل من عنده لمباشرة ذلك، وتمهيد أسباب هذه المسالك، أحد أمناء مملكته وكبراء دولته، عظيم الأمانة، مستقيم الديانة، مشكور الباطن والظاهر والسيره والمعتمد عليه في سائر الأمور الخطيرة، حضرة مولانا محمد بيك بن المرحوم حسين باشا، زاد الله به روح الوجود انتعاشا، فبذل في أداء هذه الخدمة الجليلة غاية الوسع والاجتهاد، قرن الله سائر حركاته فيها باليمن والتوفيق والسداد، فعمر من ابتداء عله مكة جدر بستان الخاصكى، وأتى في عمله على جميع القناطر بالمفجر وبازان و وادى المغمس و عرفات والكسار و سائر هذه المناظر، حتى أنشد الناظر يقول الشاعر (كم ترك الأول و للآخر) فجميع ما وجده من ذلك خرابا أو صائر إليه، عمره و جدده بغاية الإتقان والإحكام، وقام إليه إلى سلخ جدار أو ترميم أصلحه و أعاده على الوجه المستقيم، و ما هو قائم على أصله

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٧٩

لم يتعرض له بفعله، و جدد من الخزرات ما هو لازم العمل، و أزال بتنظيف الدبول من أرض نعمان إلى بركة ماجن أسفل مكة ما فيها من خلل، و عمّر جميع الموارد و شرح بفعله الحسن من كل أحد من سكان هذا المقام صدره، و هو في كل ذلك متلطف بالخدام و العمال، موصل إليهم أجورهم بالتمام و الكمال، فاستجلب بذلك مولانا السلطان قراءة الفواتح الشريف و التضرع و الابتهاج و صالح الدعوات المنيفة، فالله تعالى يديمه بهذه الصفات و يوفقه للباقيات الصالحات، و لما أن أتم الله هذا العمل و أكمله و أتقنه، و حسنه و جملة و وفقه لهذه الخدمة السنية الفاخرة و جعل هذا الخير العظيم على يده و يكفى ذلك سعادة في الدنيا و الآخرة، أرخه لسان الحال و أنشد بفصح المقال فقال:

فاق سلطان البرايا عربها ثم العجم  
بمزايا ليس تحصي و بها جف القلم  
خص أهل الله بالنعماو بالحسن عم  
إذ حبا جيران بيت الله ذا الفضل الأعم  
و لهم أجرى عيوننا غمضت عينا و فم  
ثم أضحت جاريات ساهرات لم تنم  
فلذا أضحوها جهازا بالدعاء المغتنم  
رب أيد ملكه كى يجتنى غرس النعم  
و أبقه ما دامت الدنيا على رؤوس الأمم  
و بذات التاريخ أضحي بيت شعر محتكم  
قد بنى السلطان أحمد و عمّر عين الحرم  
انتهى.

و فى الإتحاف أيضا: و فى شهر ربيع الثانى من سنة ست و ثلاثين و مائة و ألف تطبقت العين من جهة عرفه، فطلع إسماعيل باشا و القاضى، و أشرفوا عليها، و فى سابع عشرين الشهر المذكور، عينوا عمارة العين جملة معلمين فخرجوا لها و لا أمكن أن يتوجهوا و حدهم لأجل انقطاع الدرب حتى أرسلوا معهم بعض العساكر و عينوا لهم شريفا يقيم عندهم يقال له: السيد عبد المعين بن حسن و عملوا له كل يوم نصف قرش.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٨٠

و فى يوم الجمعة ثالث عشرين شهر ذى القعدة من سنة سبع و ثلاثين و مائة و ألف خرج إلى أشراف العين إلى نعمان باكير باشا و صحبته القاضى و الشيخ سالم البصرى و السيد أحمد بن مساعد نيابة عن حضرة الشريف و الأفندى يحيى ولد المفتى نيابة عن والده

الشيخ عبد القادر المفتي.

و في ليلة الأحد عند غروب الشمس عاد الباشا و من معه و قد أخبرني ثقة أنهم أشرفوا على أربع عشرة خرزة، و أنهم قدروها بمائة و خمسين كيسا و اتفقوا أن يعرضوا فيها للأبواب العلية.

و في رابع عشرين ذى القعدة من سنة ثمان و ثلاثين و مائة و ألف خرج للكشف عن العين باكير باشا و شريف مكة لينظروا ما فيها من الخراب لأنهما قد بلغهما ذلك.

و في سادس عشرين منه عاد حضرة الشريف و الباشا من العين.

و في أول ليلة من شهر ذى الحجة سنة تسع و ثلاثين و مائة و ألف توجه حضرة الباشا إلى النعمان للكشف عن العين و تصليح الخرزات و الدبول و في ثاني الحجة عاد الشريف و بعده عاد الباشا.

و في عاشر عاشوراء من سنة أربعين و مائة و ألف حصل في ماء العين خلل من عبيد العين، فنادى الباشا شيخ عبيد العين و الناظر، و هو عبد موسى آغا، فهرب، و شيخ العبيد قبض عليه الباشا و ضربه ثلاثمائة كراباج و حبسه فلما بلغ عبيد العين ذلك اجتمعوا و تسلحوا و جاؤوا إلى المعلا- و بها بعض جماعة الباشا فاهتوشوا و إياهم لكنهما سلما فلما بلغ الباشا ذلك التزم أنه يسفرهم و يقتل شيخهم فذهبوا و توجهوا بالشريف عبد الله فطيب خاطر الباشا عليهم و أطلق لهم شيخهم.

و في اثنين و عشرين ربيع الأول من سنة أربعين بعد المائة و الألف بعد صلاة العصر قصد حضرة باكير باشا نحو نعمان للكشف عن العين و في سبع و عشرين من الشهر المذكور عاد.

و في أول الشهر ربيع الثاني من السنة المذكورة توجه إلى العين حضرة باكير باشا لأنه فتح هناك خرزة و احتاج أمره أن يكون واقفا عليها و في هذه المدة كثر الماء في البرازيز و جميع الخرزات فجزى الله أرباب الحسنات خيرا و في ثمان من شهر ربيع الثاني عاد من العين باكير باشا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٨١

و في سابع شوال من السنة المذكورة ذهب إلى الكشف القاضي و المفتين و نائب الشريف سليم آغا و نائب الباشا ابن أخته أحمد بيك و أشرفوا على عين مكة فوجدوا بها خرابا كبيرا فأخبروا الشريف بذلك، فأمرهم بالعمارة و الباشا تمنع منها، و قال: بعد الحج و الله يلفظ بالمسلمين. انتهى.

و فيه أيضا في حوادث سنة أربعين و مائة ألف: و كانت الوقفة بالسبت و لم يحصل من المخالفات شيء و كانت الوقفة في غاية الأمن و إنما شاق على الناس قلته وجود الماء فقد بيعت القربة بثلاثين ديواني و البرازيز ناشفة و الآبار و الأعين كذلك فנסأل الله أن يفرج علينا و لا يؤاخذنا بسوء أعمالنا و أفعالنا.

و في يوم عشرين منه ترحل الحج الشامي و عرض الشريف في أمر العين للسلطنة، و أرسل عروضه صحبة الحج، و في سبع و عشرين ذى الحجة أراد الباشا النزول إلى جدة فمنعه الشريف عبد الله، و قال له: حتى نشرف على العين نحن و أنت و نعلم خرابها فمضى لذلك مائتين كيس و أنت كذلك تسلم مثلها فإذا جاء المعمار حاسبناه و أخذنا ما هو لنا.

و في هذا اليوم أرسل الشريف لجميع من له خدمة في العين و أمره أن ينوب نائبا و ينزل هو و نائبه إلى نعمان، فقالوا له: النواب فيهم الكفاية و نزولنا ليس بعادة. فقال: لا بد من نزولكم مع نوابكم تشرفون، فأكثر الناس عافوها و أخرجوا كشوفاتها مع الدلال يعرضوها للبيع و خرج إلى نعمان من لا مراد له في البيع مع نايبه صحبة عبيد العين ليكشفوا الخراب و ينظفوا. انتهى.

### انقطاع الماء عن مكة و تدمير العين سنة ١٢٤٢

قال الغازي في تاريخه نقلا عن كتاب «بغية الراغبين»: ثم إنه في سنة اثنتين و أربعين و ألف انقطع الماء عن مكة بالكلية لخراب حدث

بالدبول بأسباب السيول، و مكث الناس نحو شهر في ضيق عظيم، فأرسل والى مصر في ذلك الوقت محمد على باشا و أمر بتعميرها فعمرت و صرف على ذلك مبلغ وافر حتى صلحت.

ثم بعد ذلك بقيت هذه العين تارة تظل بقله الأمطار و تارة تزيد بزيادتها إلى سنه ثمان و سبعين و مائتين و ألف.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٨٢

و في هذه السنه حدث سيل عظيم، و تخربت منه بعض الدبول و شح الماء عن مكة أياما قلائل فعمر ما تخرب من الدبول و جرى الماء إلى مكة بأحسن حال، و استمر إلى سنه إحدى و تسعين و مائتين و ألف.

ثم قل الماء في العين، خصوصا في شهر شعبان و آل إلى الانقطاع و وصل إلى مكة الوزير الأعظم السيد محمد شروانى باشا، واليا على الأقطار الحجازية و حين رفع إليه خبرها، أمر الوزير المذكور فوراً بثلاثين ألف قرش من جيبه الخاص، و عين جماعة للقيام بغاية الاهتمام و قال: عمروا و اصرفوا، و لو زاد المصروف ما زاد، و لو لم تأمر الدولة بذلك، فأنا المكلف و المخاطب فبتلك الهمة رجع للعين رونقها الأول، و مات الوزير المذكور في الطائف، ثم بعد موته اجتمع جماعة من علماء مكة المكرمة بشريف أمير مكة ذلك الوقت دولة المرحوم سيدنا الشريف عبد الله باشا، و هم: الشيخ عبد الرحمن سراج مفتى مكة، و الشيخ عبد الله الشيبى فاتح بيت الله الحرام و الشيخ عبد الرحمن جمال و الشيخ عبد القادر خوقير و غيرهم، و عولوا على جمع المال، من أهل البر و الإحسان لإصلاح عين عرفات و إصلاح عين حنين و إجرائها لإعانة عين عرفات فوق الله معهم أصحاب الهمم العالية الراجين ثواب الله سبحانه، منهم: المرحوم الشيخ أحمد أفندى المشاط فإنه دفع من عنده مائة جنيه، و جمع من تجار الهند بجدة مبلغاً، و صادف وجود أشخاص كرام مثل الحاج عبد الواحد الشهير بوحدانة الميمن، و الحاج عبد الله عرب الميمن فساعدوا على هذا العمل الخيرى أحسن مساعده و عمروا ما تيسر لهم تعميره إلى أن جرى الماء بمكة و استراح الناس قليلا ولكنهم علموا و تحققوا أن آلامهم لا تنقطع و تحتاج العين إلى نفقات هائلة.

### أول جمعية لجمع الإعانات لتعمير عين مكة سنة ١٢٩٥

قال الغازى فى تاريخه: ثم فى سنه خمس و تسعين و مائتين و ألف، رغب الشهبان الكريمان المتقدم ذكرهما و هما الحاج عبد الواحد و حدانته، و الحاج عبد الله عرب و بعض جماعة معهما فى القيام بهذا العمل الخيرى و أن يقوموا به كل القيام و يجمعوا لذلك الإعانات من كل الجهات الإسلاميه فوصل الحاج عبد الواحد و الحاج عبد الله المذكوران و معهما أشخاص، يترجمون و يوضحون الكلام الميمن إلى دار دولة أمير مكة ذلك الوقت و هو المرحوم المبرور الشهيد سيدنا الشريف

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٨٣

الحسين باشا يستأذنه فى هذا العمل الخيرى فرحب بهم دولة الأمير و أظهر لهم الممنونيه من همتهم و رغبتهم فى هذا العمل الخيرى و المهم، غير أنه أخبرهم بأنه حيث أن الحكومه مرتبه سنويا ألف جنيه عثمانى لعين زبيده فربما أنها لا تأذن لأحد بالمداخلة فى هذا العمل و أن الأمر يحتاج إلى مذاكرة مع الولاية و كان الوالى فى ذلك الزمن هو دولة راشد باشا، و وعدهم بمذاكرته فخرجوا من لدى الأمير المشار إليه شاكرين لطفه و ذهبوا أيضا إلى الوالى و ذكروه فى هذا الأمر، ثم اجتمع بدولة الأمير و أخبره و تذاكر معه فاتفقوا على الاستئذان من الدولة العليه سويه، و استأذنا فعلا و تحصلوا على الإذن فصدر الأمر من المقامين العالين بتشكيل لجنة فيها من الأشراف و الأهالى و أفضل المجاورين كفضيله المرحوم الشيخ الهندي رحمه الله فتشكلت اللجنة و شرعوا فى الاكتاب فتبرع دولة الأمير الخطير المذكور بمبلغ سبعمائة و خمسين ريالاً مجيدياً، و تبرع دولة الوالى بمائتين و خمسين ريالاً مجيدياً، و تبرع جملة من التجار و الأهالى كل على قدر استطاعته و كتبوا إلى جميع الجهات الإسلاميه خصوصاً مصر و الأقطار الهنديه، و اهتموا بهذا الأمر كل الاهتمام و قاموا به أحسن قيام، و شرعوا فى العمل بهمة عاليه و سافر بعضهم إلى الهند لجمع الإعانات لهذا العمل الخيرى.

و نظموا اللجنة بمكة رئيسها مفتى الأحناف بمكة المكرمة، فضيلة المرحوم عبد الرحمن سراج رئيسا فخريا ليسوق المسلمين لهذا العمل الخيري.

و كتبوا الكتابات المشوقة لهذا العمل و أعلنوا ذلك في الجرائد لجملة من اللغات و يرأسهم بالنظر للعمل و الصرف المرحوم الحاج عبد الواحد وحدانه، فإنه كان أمين الصندوق و كانت مباشرة الأعمال بنظر الأفاضل الكرام بعد الاستشارة و المداولة في اللجنة المذكورة و لا يعملون عملا إلا بقرار منها فاجتمع في الصندوق مقدار عظيم و ساعدتهم الحكومة المحلية على هذا العمل الخيري أتم مساعده و لم تجعل لها عليهم يدا أصلا إلا بالمساعدة عند الاحتياج منهم إليها، و طلبوا من الهند مهندسين و صنعا و خرجوا بهم إلى عرفة و ذرعوا و قاسوا و حققوا أن المسافة بين مكة و بين منبع عين زبيدة من وادي نعمان تنوف على سبعة عشر ألفا من الأمتار و أن تقديم العمل من عين زبيدة من جهة عرفة أنفع فاجتهدوا في ذلك و شرعوا في الأعمال و حفروا و بحثوا من أسفل الدبل من بعد حدود عرفة إلى جهة وادي نعمان نحو ستمائة ذراع بنوا فيها عدة خزانات دفنوا بعضها و أبقوا البعض لسقيان العربان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٨٤

و كان شروعهم في العمل من مكة بتنظيف الدبول، و تعمیر ما تخرب منها، حتى وصلوا إلى المفجر و أوصلوا الماء إلى منى بالآلة النارية من المفجر و نحتوا لأجل ذلك بعض الجبال، و لم يزالوا في عملهم حتى وصلوا إلى عرفة و بنوا في عملهم هذا عدة خزانات في طريق مكة و بازانات بمكة منها بازان الشعب، و بازان سوق الليل و بازان القشاشية و بازان أجياد، و بازانين بحارة المسفلة، و بازان بحارة الباب، و بازان الشامية و بازان بسوق المعلا يسمى بازان التمارة، و عمروا ما كان خرابا و زادوا عدد موارد الماء بالبلدة و قطعوا الجبل الطويل الكائن بأول مكة و هو الريع المعترض وسط الطريق المشهور بريع الرسام و بنوا به دبلا طويلا يجري فيه الماء إلى حارة جرول، و بنوا في حارة جرول بازانا عظيما، يسقى الناس منه و كذلك أجروا عملا آخر من جهة العين الأصلية بمكة و هي عين حنين فإنهم اشتغلوا فيها و اجتهدوا في إصلاح عين الزعفرانة، و الشحايد المعينة لعين حنين. انتهى.

### صفة جريان عين زبيدة في الأرض

قال الغازي: و في كتاب «دليل الحج للوارد إلى مكة و المدينة من كل فج» لصداق باشا أمين الصرة: و قد صار إصلاح عين زبيدة في سنة ألف و مائتين و ست و تسعين، لأنه قد حصل فيها قبل أوان الحج بعض أهدام و جرى ترميمه في غاية الإتقان من أهل الخيرات حتى صار ماؤها يجري في قناة مبنية من المنبع إلى مكة كقناة الوابور عرضها من الأعلى مترا بل تارة يزيد، و فراغها من خمسين سанти إلى ستين، و عمقها متر و نصف و ارتفاع الماء عن قاعها سبعون سанти، مغطاة ببناء من الحجارة و بالغطاء فتحات بقدر خمسين سанти أو أكثر لأجل المك، منها و هذه الفتحات متباعدة عن بعضها بنحو العشرة أو العشرين مترا على حسب المواقع و بجانبها أحواض أخرى لشرب المارين، و أحواض أخرى لشرب الآدميين، و سطح القناة تارة يكون مساويا لسطح الأرض و تارة مرتفعا عنها إلى سبعة أمتار على حسب ارتفاع الأرض و انخفاضها كما شاهدت جميع ذلك بعرفات حيث تمر بجانب جبل الرحمة من الجهة الشرقية من عرفات متجهة إلى منى ثم إلى مكة و هناك نصب من جملة صهاريج متعددة و في سنة ألف و مائتين و سبع و تسعين أرسل من مصر إمدادا خمسة و عشرون ألف جنيه مع أحد معاوني الداخلية و برفقته أحد المهندسين المشهورين لمشاهدة العمارة الجارية بقناة العين مع كونها قد انتهت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٨٥

تقريبا، و شاهدت القناة مبنية بناء متينا من مكة إلى عرفات، و في عام آخر وجدت تعمیرها صار إتمامه حتى إن الماء كثر بمكة و جهاتها. انتهى.

قال العلامة الزواوي: و مكثت اللجنة التي كان رئيس عملها المرحوم الحاج عبد الواحد اليميني تعمل بعزم و همة نحو ثلاث سنين،

ثم حصل الضعف في عملهم شيئاً فشيئاً والماء جار بمكة أحسن جريان و كان صندوق عين زبيدة ذلك الزمان عامراً بالنقود المتواترة عليه بالإعانات دواما من جهة الهند وغيرها، واستمر كذلك إلى أن حدثت أمور طفيفة مخالفة لتعليمات اللجنة من أمين الصندوق ثم تداخلت الحكومة المحلية في أمر النقود الموجودة في صندوق عين زبيدة بتناول شيء منها احتاجوه و صرفوه في بعض التعميرات اللازمة لها فلما بلغ أهل الهند أخذ ذلك المبلغ من صندوق العين لغير أعمال العين وقفوا عن إرسال الإعانات و كان ذلك سببا لاستياء هيئة اللجنة حتى أوقفوا الأعمال، ثم استعفى الرئيس و أكثر أعضاء اللجنة و سافر الحاج و حدانهُ بعد ذلك بنحو عامين إلى الهند.

### تشكيل لجنة ثانية للعين

قال الغازي في تاريخه: و تشكلت لجنة جديدة كان الرئيس عليها و العامل فيها سعادة المرحوم صادق بك مرة و الرئيس الفخرى هو المرحوم الشريف حسين بن يحيى و استولى على ما بقى في صندوق العين، و كان ذلك مبلغا وافرا لأنه يقال: إنه كان الموجود في الصندوق عند الأخذ منه نحو سبعة و خمسين ألف جنيه و كان يصرف منه عليها.

ثم ترأس بعده المعلم الشقيرى و حجب و غيرهم، و بقى عملهم كذلك و الماء بمكة تارة يقل و تارة يكثر و عين عرفهُ كذلك دواما العمل و اجتهدوا زيادة في تنظيف دبول عين حنين، التي منها الزعفران و غيرها و كان أكبر عامل فيها هو المرحوم الفاضل الشيخ عبد القادر خوقير، بل كان يرجح العمل فيها على العمل في جهة نعمان و يصرح بأنها هي عين مكة الأصلية، و كان له جملة من المساعدين في فكرة ذلك و حصل النفع العظيم من أعمالهم، ثم انقطع العمل من الجهتين، و بقى جريان الماء على عادته، يزيد تارة مع توارد الأمطار و أخرى عند قلتها و قد حصل النقص الظاهر في سنة اثنتين و عشرين و ثلاثمائة و ألف في عين زبيدة من جهة وادى نعمان و انقطع من جهة وادى حنين، و كان ذلك بسبب قلة الأمطار فأمر أمير

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٨٦

مكة ذلك الوقت الشريف عون الرفيق باشا بإخراج صرفية، و كان الرئيس في ذلك الوقت على القمسيون، و هو المرحوم السيد سلطان الداغستاني، فخرجوا و بحثوا و تقدموا في دبل العين نحو أربعة عشر ذراعا و حصل من عملهم ذلك بعض فائدة أياما قلائل.

### جمع إعانات جبرية للعين

قال الغازي في تاريخه: ثم اشتد الحال و قل ماء العين في سنة أربع و عشرين و ثلاثمائة و ألف و كان أمير مكة ذلك الوقت دولة الشريف على باشا فأمر بتشكيل قومسيون تحت رئاسته بمكة و قومسيون بالطائف، و جمعوا إعانات جبرية من مكة و جدة و الطائف، و كتبوا إلى الآستانة العلية بطلب إعانة زبيدة من جميع الولايات و اجتمع عندهم بمكة نحو عشرة آلاف جنيه، على ما قيل و اجتمع بالآستانة العلية نحو ستة و ثلاثين ألف جنيه، و أخرجوا صرفيات لتنظيف الدبول و التقدم في وادى نعمان بالحفر و التعمير و وصل من الآستانة العلية مهندسون و هم: نشأت بك و توفيق بك و غيرهم و وصل معهم شيء مما اجتمع من الإعانات بالآستانة العلية يقال: إنه نحو عشرة آلاف جنيه فاشتغلوا بهمة قوية في وادى نعمان، و كانوا يخرجون في كل شهر نحو خمسة أو ستة أو سبعة رؤساء من المعلمين كل رئيس يترأس على جملة من المعلمين و العمال و أتباعهم و تكلف مصرف كل رئيس و أتباعه نحو مائتين إلى ثلاثمائة جنيه حتى تقدموا في نعمان إلى جهة أم العين التي هي منابعها الأصلية نحو سبعين ذراعا، و عمروا أيضا في نفس مكة عمارات كثيرة نقبوا فيها بعض دبول مكة و برّحوا جميع الدبول بمكة، و نظفوها و أصلحوا ما كان مهندما منها، و عمروا دبلا في الشامية من عند القصر المشنشن إلى المقسم الذي كان عند باب الزيادة و أصلحوا البازان الذي في الشامية، و أوجدوا خرزة بين الشامية و القرارة و

صرفوا في أعمالهم هذه مصاريف كبيرة.

ثم وصل في أول سنة ست و عشرين و ثلاثمائة و ألف مهندس و مفتش للبحث عن أحوال تعمير عين زبيدة و كيف صرفوا مبالغ الإعانات التي اجتمعت من مكة و جدة و الطائف و الذى وصلهم من إعانات الآستانة و خرج المفتش المذكور إلى وادى نعمان، و كان معيته الشاب النبيه السيد هاشم بن المرحوم السيد السلطان الدغستاني فوصلوا إلى شداد للكشف و رأى الأعمال العظيمة بنعمان، ثم وضع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٨٧

خريطة عظيمة من أم عين زبيدة بقرب بلاد السبجى من شداد إلى مكة و نظمها أحسن تنظيم و أبقاها في قومسيون عين زبيدة و أخذ نقلها معه إلى الآستانة العلية و يقال إنه ذرع المتخرب من عين زبيدة في وادى نعمان، من بعد شغل المرحوم الحاج و حدانته ثم الشقىرى إلى موضع أم عين زبيدة فوجده ثلاثة آلاف و خمسمائة و سبعين ذراعا.

### أحوال العين أيام تولية الشريف الحسين بن على ملك الحجاز الأسبق

قال الغازى فى تاريخه: ثم فى أواخر سنة ست و عشرين و ثلاثمائة و ألف تعين أمير على مكة المكرمة دولة الأمير الخطير الصالح العادل دولة سيدنا الشريف حسين بن المرحوم الشريف على بن محمد بن عون أدام الله دولته و خلد بالإقبال صولته و جعل الخير و البركة فى أعماله و أنجاله الكرام و لا- يزال مظهرا لكل خير و إحسان فإنه بمجرد وصوله إلى مكة المكرمة صرف أفكاره فى الإصلاحات و تفقد أحوال البلاد الطاهرة و اجتهد فى الاهتمام بكل ما فيه صلاح سكانها و راحتهم و ما ينفع للوافدين إليها من كل فج عميق فمما كان مهما عنده أمر إصلاح عين زبيدة من جهة وادى نعمان و من جهة حنين، و عنده العلم الوافى بما كان من أحوالها فى الأزمان السابقة و ما وقع من العناية بها أيام أعمامه الكرام خصوصا زمن عمه المرحوم الشهيد حسين باشا و هم الحاج و حدانته فإن دولته كان من العاملين فى ذلك القمسيون أحسن الأعمال و كان من أعضائه و عنده الاطلاع التام بما كان منه، و يعلم أنه لو استمر على حالته الأولى و تحسن بعض التحسين و لم يحصل عليه التعدى لكان نفعه دائما قويا مستمرا نافعا من غير تكليف على الدولة بشىء ما.

### تشكيل لجنة ثالثة للعين

قال الغازى فى تاريخه: فلذلك صمم «أى الشريف الحسين بن على على ملك الحجاز الأسبق» على تشكيل هيئة جديدة لهذا العمل الخيرى، و اتفق فى ذلك مع والى الولاية ذلك الوقت و هو دولة كاظم باشا و اجتمع رأيهم عليه، و أن التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٨٨

تكون اللجنة على حالها أول أمرها فى زمن الحاج و حدانته، متشكلة من الأفاضل من كل جنس و أن تكون هيئتها حرة مطلقه التصرف ليس للحكومة المحلية معارضتها و لا التداخل فيها و لا فى أحوالها و شؤونها بوجه ما، بل عليها مساعدتها و معاضدتها فشكل دولته اللجنة المذكورة فى أوائل شهر محرم الحرام سنة سبع و عشرين و ثلاثمائة و ألف فانتخبوا من العلماء و السادة و المجاورين من كل من هو مشهور بالعفاف و الاستقامة و الديانة، و كونه ذا معارف فى الجهات الإسلامية و مشهورا لديهم بالغنى و العفاف فتشكلت الهيئة المذكورة من عدة من أهالى مكة و المجاورين، و عدد من تجار الأتراك و عدد من علماء القازان، و من علماء بخارى و تجارهم و من علماء الهند و تجارهم و من علماء الجاوى و تجارهم و بعد أن عينتهم الحكومة رسميا أخذوا فى تحرير الكتب إلى الجهات، و استنهاض همم أولى الثروة و الخير، ليمدوا يد الأعانة و المساعدة فى ذلك بكل جهة، و نشروا المقالات على صفحات



الجراند فأخذت الإعانات تنهال و تأتي من ذوى الهمم العلية و النفوس الأبية، خصوصا من جهات الهند و مصر و الجاوى. دفت الهيئة الموقرة بتبدئ فى الأعمال، فشرعوا فى تبريح دبول مكة و الدبول المتقدمة إلى جهة عين حنين، و كلما تقدم التبريح زيادة فى المسافة حصلت الزيادة فى الماء و غزرت مادته و قوى جريه، حتى قطعوا من أول وقت شروعهم إلى غاية شهر ربيع الأول من العام الثلاثين و الثلاثمائة و الألف من زمام الشغل فى وادى حنين، الذى كان التبريح منتهيا إليه، بعد الأعمال المتقدمة زمن الحاج وحدانه و من عمل بعده، مقداراً زائده على أربعة آلاف ذراع بذراع العمل المعمارى و على ألف ذراع فى جهة وادى نعمان و أمثال ذلك فى البلدة، و كانت الخرزة التى انتهى عمل المتقدمين عندها تسمى الهاشمية و كان مدة عمل هذه اللجنة التى تيسر لها فيه هذا العمل العظيم من تبريح هذا المقدار فى نعمان و مثله من جهة حنين و أمثال أمثاله فى البلدة و منها إلى وادى نعمان و من الإصلاحات و التعميرات العظيمة النفع، كما سيذكر ذلك مفصلاً كله لا تتجاوز ثلاث سنوات.

ثم فى الثالث و العشرين من ذى الحجة الحرام آخر السنة المذكورة جاء سيل عظيم، و دخل الحرم الشريف و امتلأ المسجد بالماء و التراب و دخل سيل آخر أيضاً فى دبل عين زبيدة أعلى عرفات إلى قريب منى، و سد الدبل بالأتربة حتى انقطع الماء عن مكة المكرمة، ولكنه بحمده تعالى لم يضق الحال كثيراً على أهل بلد الله

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٨٩

الحرام و سكانه و الموجودين فيه من الحجاج و كان ذلك بأسباب تقدم حصول أمطار بمكة المكرمة و جبالها و وجود شىء من المياه فى حفر الجبال و المصافى و غيرها، و كون صهاريج البازانات و صهاريج البلدة ممتلئة بالماء و وجود قليل من الماء فى دبل عين الزعفران.

و كان الصندوق فى ذلك الوقت فيه مبلغ وافر من النقود، ففى الحال أخرجوا عملة بكثرة يبرحون الدبول من مواضع عديدة لم تمض مدة سبعة أيام إلا و الماء جار فى الدبول، و وصل إلى مكة المكرمة، و انتفع الناس به.

### خراب العين و انقطاع الماء عن مكة سنة ١٣٢٨

قال الغازى فى تاريخه: و فى الرابع و العشرين من ذى الحجة سنة ثمان و عشرين و ثلاثمائة و ألف جاء سيل عظيم من وادى رهجان، و هجم على وادى نعمان بقوة، و دخل فى دبل عين زبيدة و هدم عدة من الخرزات القديمة التى هى من أعمال هيئات لجان عين زبيدة المتقدمين، و انصب ماؤه فى نفس دبل العين، حتى اختلط بمائها و وصل إلى مكة بقوة نحو يومين، ثم وقف بالكلية لسبب انسداد كثير من الدبول فى عرفه و ما بعده إلى جهة مكة بالتراب فلما بلغ دولة أمير مكة ذلك خرج هو و أولاده و طناب خيامه فى وادى نعمان و أمر هيئة عين زبيدة بالاستعداد و أخرج الصريفات المتعددة و رأى الخراب الذى وقع و من سوء الخط كان صندوق عين زبيدة فى السنة المذكورة خاليا عن نقدية إلا الشىء اليسير الذى لا يجوز خلو الصندوق عنه، و لذلك تल्पف دولة الأمير الخطير حفظه الله بهيئة لجنة عين زبيدة، و صرح لهم بأن لا يهتموا من جهة المصرف و أنه متكفل بتدبير ذلك بأى طريق كان و ألزمهم العمل و الهمة بكل جهدهم فقاموا أحسن قيام و اجتهدوا كل الاجتهاد و أخرجوا عدة صريفات للتبريح و الشغل من كل جهة و حصلت نهضة من الأهالى و المجاورين فتبرعوا بالإعانات على قدر استطاعتهم و تبرع كل من الموسرين بقدر همته و استطاعته و اجتمعت إعانات جزئية بحسب البلدة و سكانها و استمر دولة الأمير فى وادى نعمان نحو عشرة أيام ثم رجع إلى مكة أياماً ثم عاد ثانياً حفظ الله بنفسه و استمر مدة قائماً على العمال و الأشغال و من المعلوم أن العمل بحضوره يتضاعف عما لو كان غائبا عنهم و كان دولته حفظه الله يأمر بذبح الذبائح من الإبل و البقر للعملة الذين يشتغلون فى التبريح

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٩٠

فالبعض من جيبه الخاص و البعض من طرف لجنة عين زبيدة بأمره و إشارته حتى كان العمل مستمراً ليلاً و نهاراً، و حين رأى الناس

عناية دولته حفظه الله و طول مكته في وادي نعمان و تحمله هو و أنجاله الكرام و الأشراف حرارة الشمس و المشتاق العظيمة لأجل راحتهم خرجوا أفواجا أفواجا للعمل و بذل العموم و الخصوص ما في وسعهم من مال و نفس و لم يرجع أخيرا حتى جرى الماء إلى مكة المشرفة و كان يوم وصول الماء إلى مكة عيدا عظيما على الناس و صارت السنة الأهالي و المجاورين و كل ساكني مكة تلهج بالدعاء لدولة الأمير من صميم الفؤاد و لهجت الصحف بالثناء على غيرته و حميته.

و في اليوم الثاني عشر من شهر محرم الحرام من عام الثلاثين و الثلاثمائة و الألف حدث مجيء سيل عظيم من وادي نعمان و رهجان و دخل الفرى الكبير الذي في باطنه عدة خرزات من آخر أعمال اللجنة التي كانت في زمن الحاج وحدائه و من أعمال من عمل بعده و كذا هذه اللجنة أيضا فإنها أحدثت قريبا منه عدة خرزات و بقيت حفرة هذه الفرى المذكور كبيرة متسلطة على جميع الخرزات فدخلها السيل و علا خرزة منها كانت منخفضة و منها سقاية الأشراف العبادلة سكان الهاوة و غيرهم حتى دخل في دبول عين زبيدة و سدّها بالتراب و منع جريان الماء إلى عرفه و انقطع الماء عن مكة بالكلية فحينئذ ركب أمير مكة حفظه الله بخيله و رجله و وصل إلى وادي نعمان و كشف على الخراب و رجع ثاني يوم إلى مكة، و أمر لجنة عين زبيدة بإخراج صرفية بعملة كثيرين للعمل المذكور و أن يهتموا به أعظم اهتمام فقاموا بذلك و اجتهدوا كل الاجتهاد حتى ما مضت عشرة أيام إلا و الماء جارى في الدبول و وصل إلى مكة و فرح الناس بوصوله و استقوا منه و لم يزل عملهم في التبريح و التعمير إلى أن رجعت الأشياء إلى مجاريها و كان ذلك بعد نحو شهر و زيادة.

ثم إن هيئة لجنة عين زبيدة لما رأت دوام البلاوى و المصائب على عين زبيدة و مجاريها بأسباب أفرية وادي نعمان المتقدم ذكرها و أن الكائنة تحت لا تزال السيول تدخلها و تخرب في الدبول و لا يزال الناس في تعب عظيم من ذلك استحسنت رفع الحال و إيضاحه إلى دولة الأمير و طلب رأيه العالى في طريق رفع هذه المضار و حرروا له مذكرة في هذا الخصوص فمن حين وقع نظره على المذكرة المذكورة اهتم لذلك فخرج دولة الأمير بنفسه و أولاده و جملة من الأشراف

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٩١

و العربان الذين يعتادون أمور العين و يعرفون أشغالها و خرج أيضا لجنة عين زبيدة و جملة من الأعضاء و خرج بمعيتهم المفاتيح المحترمين و جملة من الذوات و خرج جملة من المهندسين و المعلمين و كشفوا كشفا دقيقا و تحققوا به لزوم تقديم العمل في دفع الضرائر التي تتوارد على دبل عين زبيدة لسد الحفر و جميعها و السعى في عمل سد قوى مانع لضرر السيول عن دبول عين زبيدة و استحسنت العمل فيه بالبقر فاشترى دولته من جيبه الخاص عددا من البقر لشغل السد و ما يحتاجه و ساعد بجميع الأعمال من جيبه الخاص تبرعا منه لهذا العمل الخيري العظيم مدة خمسة عشر يوما حتى يتحصل لصندوق عين زبيدة شئ من النقديّة يكفيهم للعمل المذكور فأشار بجمع إعانة طفيفة من أهالي البدلة و أمر بدفع ما كان قد اجتمع عنده إعانة من أهالي البلدة الطاهرة، برسم المدرسة الخيرية إلى صندوق عين زبيدة ليصرف ذلك لهذا العمل المهم، و أمر اللجنة بالشروع في العمل المذكورة مقدمين الأهم فالأهم و أن يديموا عملهم في تبريح الدبول بما يتوارد إليهم من أهل الخير بنفس البلدة الطاهرة التي أشار دولته بجمعه و بما يصلهم من الخارج و أخرجت العملة للدفن في الأفرية ثم لتبريح الدبول أيضا في زمام الشغل و هكذا.

و قد تقدم عملهم الذي وقفوا عنده من جهة عين مكة الأصلية التي هي عين حنين و توضيحه أن اللجنة من أول أمرها لما رأت انقطاع الماء عن مكة من جهة عين حنين بأسباب و قوف الأعمال فيها مدة طويلة و توارد السيول على الدبول و مجارى الماء فيها حتى أخرجتها و ملأت دبولها بالأتربة الكثيرة و حصل الهجوم في دبل الزعفرانة الكائنة عند مدرج الغويرات فاندك الدبل بالتراب و انقطع دبل المعيصم و انحبس ماؤه في أعلاه عند أول خرزة وراء السد حتى صارت موردا لقريش استحسنت هيئة اللجنة المذكورة عند أول شروعاتها في الأعمال في أول سنة سبع و عشرين و ثلاثمائة و ألف تبريح طريق دبل الزعفرانة الذي كان اشتغل فيه المرحوم الشيخ عبد القادر خوقير و من كان معه، ثم ترك العمل فيه بالكلية فعزموا و عينوا من يعتدون صدقه و أمانته و همته و هو الشيخ خليفة بن نبهان

على شغل العين جهة حنين و أرسلوا معه العمال و الصناع و استمر عمله ذلك إلى آخر سنة ثمان و عشرين و ثلاثمائة و ألف و جرى الماء في دبل الزعفران، و عمروا دبل المعيصم حتى اتصل بالزعفران عند خرزة تقابل جبل القويرات و استمر الماء منحدرًا إلى دبل عين عرفة يصل ماء الزعفران إلى خرزة جديدة بنيت في بطن البستان الشهير ببستان بنونه الذي هو قبال دكة المنحنى ثم منها يجتمع في خرزة أيضا في البستان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٩٢

المذكور و هي قديمة يجتمع فيها ماء عرفة و ماء حنين، و ينحدر الجميع في مجرى واحد إلى البلدة في التشمه المعمره قديما في حارة المعابدة، فجرى عمل الشيخ خليفة و من معه بهمة عظيمة.

### اكتشاف دبول بعض العيون و مساحة ما بين بعضها

قال الغازي في تاريخه: و وجدوا في أعمالهم «أى الشيخ خليفة و من معه» عدة دبول لعدة عيون شحايد مبنية بالبناء الملوكي الجيد، و الكل منه دفن بالأتربة و قد قطعها السيول فبرحوا و عمروا منها، في هذا العمل و هذه المدة القصيرة ثلاثة دبول: دبل الزعفران و دبل المعيصم و دبل ثقبه و مساحة ما تبرح و أصلح من دبل عين الزعفران من بستان بنونه إلى آخر الخرزة الظاهرة الكائنة في الخريق تنوف على أربعة آلاف متر، و الخرزة التي هي في الخريق بعدها بنحو سبع خرزات تحت الأرض هي لدبل الزعفران و مساحة ما تبرح من محل اجتماع المعيصم بالزعفران إلى نهاية خرزة وراء السد، التي هي مورد لقريش ألفان و مائة و خمسة و سبعون مترا و قد كشفوا إلى جهة الأمية أربعين خرزة في باطن الأرض و مساحة ما تبرح من دبل ثقبه، من محل اجتماعه بالزعفران إلى آخر الحفريات الظاهرة خلف السد الصغير تسعمائة و خمسة و عشرون مترا و بنوا في جهة حنين حين عملهم ذلك سبع خرزات مجددة ظاهرة أحدها مكتوب عليها اسم بنهاني و ذلك غير إصلاح و ترميم خرزات أخر فجملة ما تعمر من الخرزات الظاهرة جهة حنين نحو اثنتي عشرة خرزة.

و أما الخرزات المعمره في الدبول و لم تظهر على وجه الأرض فتتوف على المائة خرزة ثم وقفوا العمل في جهة حنين على نية العود إليه عند السعة، و قدموا العمل من جهة وادى نعمان لكون منابع الماء في وادى نعمان أكثر و العمل فيه أولا أصلح و تقدموا أيضا في أعمالهم جهة الوادى المذكور نحو ألف ذراع بنوا فيها ثمانى عشرة خرزة و المسافة بين الخرزات متفاوتة ما بين عشرين ذراعا إلى ثلاثين و أربعين إلى سبعين ذراعا، و كل ذلك بحسب الاقتضاء و ذلك غير الخرزتين العظيمتين التي فزع في حفر فريها و تعمير بعضهما، بعض أهالى البلدة بنظر دولة الأمير حفظه الله و هما على منفذ واحد في السفلى و كان ذلك الموضع ضيقا شديدا، يصعب العمل فيه على العملة صعوبه شديدة، و ذلك لزم الحال فيه إلى حفر فرى عظيم واسع طول

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٩٣

خمس و أربعين مترا في عرض سبعة و ثلاثين مترا يكون مربع ذلك ألفا و ستمائة و خمسة و ستين مترا و لم يزل يتناقص على حسب عادة الحفريات كلما نزلوا مقدار ذراعين فصلوا منه دكة بمقدار ذراع لوقوف العملة عليها يسمى ذلك ركازا إلى أن وصل في أسفله إلى عرض سبعة عشر ذراعا و أما الطول فهو على حاله خمسة و أربعين ذراعا و ذلك متصل بأسفل الدبل عند منابع الماء و عمقه في باطن الأرض يزيد على ثلاثة و عشرين مترا، و بنوا فيه الخرزتين اللتين طلع بهما كالمنارتين على وجه الأرض و قد صرف في هذه الحفريات و بناء القصبات ما ينوف على ألف جنيه و ذلك غير عمل أهل البلدة المتبرع به منهم مجانا و غير ما صرفه دولة الأمير من جيبه الخاص. انتهى ما فى بغية الراغبين بحذف و اختصار.

كان إيصال المياه، في الأزمان السابقة، من مجارى الماء إلى داخل البلدة، بواسطة شق الأرض و بناء القنوات و الدبول و المجارى فيها و في عصرنا هذا أى فى العهد السعودى من سنة (١٣٧٠) ألف و ثلاثمائة و سبعين تقريبا شاع استعمال مواسير المياه لإيصال ماء عين زبيدة فى شوارع مكة و أزقتها إلى داخل البيوت و طبقات المنازل كما هو الحال فى الممالك و الأقطار الأخرى.

و يعتقد الناس أن عمل المواسير هو من اختراع الإفرنج فقط فى هذا العصر و هو كذلك فى ظاهر الأمر و لكن الحقيقة اختراع المواسير هو من عمل العرب فقط، ثم تركوا هذا الأمر و اهدى إليه الإفرنج فى هذا العصر، و شاع استعمالها شيوعا ذائعا. و دليلنا على أنا العرب هم الذين استعملوا مواسير المياه قديما هو ما ذكره الإمام الأزرقى فى تاريخه، فقد قال فى الجزء الثانى عند ذكر ما عمل فى المسجد من البرك و السقايات ما نصه:

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى قال: حدثنا عبد الرحمن بن حسن ابن القاسم بن عقبه بن الأزرق عن أبيه قال: كتب سليمان بن عبد الملك بن مروان إلى خالد بن عبد الله القسرى أن أجر لى عينا تخرج من الثقبه من مائها العذب الزلال حتى تظهر بين زمزم و الركن الأسود و يضاهى بها رغم ماء زمزم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٩٤

قال: فعمل خالد بن عبد الله القسرى البركة التى بقم الثقبه يقال لها: بركة القسرى، و يقال لها أيضا بركة البردى «بفتح أوله و ثانيه» بيثر ميمون، و هى قائمه إلى اليوم بأصل ثبير فعلها بحجارة منقوشة طوال و أحكمها و أنبط ماءها فى ذلك الموضع ثم شق لها عينا تسكب فيها من الثقبه و بنى سد الثقبه و أحكمه.

و الثقبه شعب يفرع فيه وجه ثبير ثم شق من هذه البركة عينا تجرى إلى المسجد الحرام، فأجراها فى قصب من رصاص حتى أظهرها فى فواره تسكب فى فسقية من رخام بين زمزم و الركن و المقام فلما أن جرت و ظهر ماؤها أمر القسرى بجزر فنحرت بمكة و قسمت بين الناس و عمل طعاما فدعا عليه الناس، ثم أمر صائحا فصاح: «الصلاة جامع» ثم أمر بالمنبر فوضع فى وجه الكعبة، ثم صعد فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: أيها الناس احمداوا الله تبارك و تعالى و ادعوا لأمر المؤمنين الذى سقاكم الماء العذب الزلال النقاخ، بعد الماء المالح الأجاج، الماء الذى لا يشرب إلا صبورا «يعنى زمزم».

قال: ثم تفرغ تلك الفسقية فى سرب من رصاص يخرج إلى وضوء كان عند باب المسجد باب الصفا فى بركة كانت فى السوق قال: فكان الناس لا يقفون على تلك الفسقية و لا يكاد أحد يأتيها و كانوا على شرب ماء زمزم أرغب ما كانوا فيه.

قال: فلما رأى ذلك القسرى صعد المنبر فتكلم بكلام يؤنب فيه أهل مكة فلم تزل تلك البركة على حالها حتى قدم داود بنعلى ابن عبد الله بن عباس مكة حين أفضت الخلافة إلى بنى هاشم فكان أول من أحدث بمكة هدمها و رفع الفسقية و كسرهما و صرف العين إلى بركة كانت بباب المسجد. قال: فسر الناس بذلك سرورا عظيما حين هدمت. انتهى من الأزرقى.

ثم جاء فى هامش الأزرقى عند هذا الكلام ما نصه:

و زاد الفاكهى فيما ذكر الأزرقى قال: فكان ذلك السرب الرصاص على حاله حتى قدم بشر الخادم مولى أمير المؤمنين فى سنة ست و خمسين و مائتين فعمل القبة التى إلى جانب بيت الشراب و أخرج قصب خالد هذه التى من رصاص التى كان عملها سليمان بن عبد الملك فأصلحه و جعله فى سرب الفواره التى يخرج منها الماء من حياض زمزم تصب فى هذه البركة التى بباب المسجد انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٩٥

فعلم مما تقدم أن مواسير الرصاص لمجرى الماء كانت معروفة عند العرب قبل عصرنا هذا بثلاثة عشر قرنا أى من منذ ألف و ثلاثمائة سنة.

نقول: ولد كان ابتداء استعمال مواسير المياه بمكة المشرفة في سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين تقريبا، فتمتد هذه المواسير من مجارى عين زبيدة إلى المنازل في مختلف الحارات و الشوارع و تصل هذه المواسير الممتدة في تحت الأرض إلى أعلى طبقات الدور و المنازل كما أنها تمتد من باطن الأرض إلى أعلى جبال مكة، ليأخذ سكان هذه الجبال الماء من هذه المواسير، و لقد ارتاحت الناس بهذه الحالة أشد الارتياح فجزى الله تعالى العاملين و المخلصين خير الجزاء.

### أنابيب الماء و التدفئة

لما أدخلت نظم التدفئة و أنابيب الماء و شيدت المنازل العالية ذات الأدوار العديدة في رومه استشاط سفيكا الحكيم الرومانى غيظا و نقم عليها و أعلن سخطه على رؤوس الملائق قائلا: إنها خطر و تهجم على الأخلاق و تهديم للفضيلة و تحسر على الماضى، و أبان كيف أن الأقدمين كانوا يعيشون أحرارا نبلاء تحت سقوف من القش، في حين أن العصرين عبيد أرقاء تستر زلتهم قصور عمادها المرمر و الرخام و جدرانها المنقوشة بالذهب الوهاج. اه.

انظر: الصور ٢٨٣ لسقاء يحمل تنكتين من الماء- يستقى بالزفة، و ٢٨٤ لسقاء آخر يحمل قرية من الماء، و ٢٨٥ لبعض السقاؤون يستقون من بازان سوق الليل، و ٢٨٦ لسقاء و حماره يحمل أربع تنكات من الماء.

### الاستقاء بالقرب و بصفائح التنك

جاء في كتاب التراتيب الإدارية في الجزء الثانى ما نصه: في سنن النسائى عنا بن مسعود كان النبى صلى الله عليه و سلم يأمرنا بالصدقة فما يجد أحدنا ما يتصدق به حتى ينطلق إلى السوق فيحمل على ظهره فيجىء ... الحديث.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٩٦

ثم صدر أمر رسمى بمكة المشرفة في أول محرم ١٣٨٢ بعدم السقاية بالقرب في جميع البازانات بمكة المكرمة، بل على كل سقاء أن يستقى بالزفة و هى أن يحمل الماء في برميل أو تنكتين يجعل بينهما عودا ثم يحملها على كتفه و يذهب بهما إلى البيوت بعد أن يملأها بالماء و بذلك بطل الاستقاء بالقرب و الاستقاء بالقرب معمول به من آلاف السنين في جميع بلدان العالم فسبحان مغير الأحوال.

### بازان القاضى

بازان القاضى الواقع في درب منى على يمين الداى إلى منى على يمين جبل الرخم عمقه نحو (٣٠) مترا و يشمل على نحو (٧٠) درجة و يتراوح ارتفاع الدرجات في ما بين (٢٥)، (٣٠) سنتيمترا و محاط بسور عرضه (٦) أمتار و طوله (١٥) مترا و عشرين سنتيمترا و ارتفاعه متران و له باب من جهة الغرب و تحته مجرى ماء عين زبيدة تجرى فيها الماء إلى داخل مكة حتى اليوم و وسطه و أسفله مبنى يعقود و كذلك بعض جداريه ليحفظ تساقط الحجارة و الصخور الرخوة من الوقوع في المجرى لعدم استيرادها و قد حفر على الصخر الصماء منذ عام (٩٦٩) هجرية و هذا البازان عمل على نفقة ابنه السلطان سليمان و سقف البازان مكشوف و الماء يجرى من باطن الأرض إلى ذلك البازان.

انظر: صورة رقم ٢٨٧، المؤلف يصعد من بازان القاضى مجرى عين زبيدة تحت الأرض، قبيل منى ١٣٧٦، ه

انظر: صورة رقم ٢٨٨، المؤلف عند بازان القاضى مجرى عين زبيدة تحت الأرض، قبيل منى سنة ١٣٧٦ ه

**بازان حبس الجن**

ثم بعد حوالي (٥٠٠) مترا على ما يقابل البازان المذكور، على اليمين أيضا، من طريق الإسفلت، توجد بركة قديمة كبيرة الوسع، تعرف بحبس الجن، يقارب عملها بازان القاضى المذكور محاط بسور، و بازان حبس الجن هذا مبنى بوسطها من مقر البركة إلى أعلى بترتان أى حائطان مصلعان عرض كل منها نحو ثلاثة أمتار و عرضه أكثر من متر بين الحائطين و بين جدرانها من الجهات الأربع قطع من الحجارات الضخمة لحول كل حجر نحو مترين و أكثر و العجيب من هذه البركة و من حجاراتها التى بنيت لها عظمة جدا لا يقدر على حمل الواحدة منها عشرة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٩٧

رجال بل فى نظرنا يستحيل رفعها بواسطة الرجال و الله تعالى أعلم. إننا لنقف مندهشين من بنائه و سقف البازان مكشوف و الماء يجرى من باطن الأرض إلى ذلك البازان.

و هناك بركة أخرى مثل بازان القاضى و هى قبله و إنها لبركة عجيبة أيضا يعلم من كل ذلك، ما كان الأقدمون يكلفون أنفسهم فى سبيل توفير المياه و الراحة بسكان بلد الله الحرام.

انظر: صورة رقم ٢٨٩، المؤلف ينظر إلى البركة العظيمة التى يرجع عهدها إلى نحو ألف عام و معه بعض الناس قبيل منى و فى ظهرها انظر: صورة رقم ٢٩٠، بئر الجن كما يقوله العوام و هو فى طريق منى على يمين الصاعد إليها انظر: صورة رقم ٢٩١، فوهة البازان قبيل منى مجرى عين زبيدة، سنة ١٣٧٦ هـ

**ما عملته هيئة عين زبيدة سنة ١٣٣٥ بمكة المكرمة**

قال الغازى فى تاريخه: و فى أوائل سنة خمس و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف شرعت هيئة عين زبيدة فى إخراج الصرفيات اللازمة إلى وادى نعمان، و التقدم فى تنظيف القناة إلى الأمام و بناء الخزرات التى ظهرت فانتهدت من بناء خرزتين بالأحجار و النورة يبلغ طول الخرزة الواحدة من ظهر القناة المدفونة تحت الأرض إلى وجه الأرض ثلاثين مترا و أتمت بناء خرزتين أيضا بقيتا من العام الذى قبله و اتخذوا لها الاحتياطات اللازمة من البناء حولها خوفا من السيل الذى يمر من بين الخزرات فى بطن الوادى من دخوله فى بطن القناة و سده و شرعوا فى تخطيط موضع لجعله أنهارا للوزام الصرفيات التى تخرج إلى نعمان و مأوى للعمال يأوون فيه من شدة الحر و البرد لأن أنهارها القديمة أصبحت بعيدة جدا عن موضع الاستقبال الآن، نظرا للتقدم إلى الأمام سنويا و أجروا بناء البعض منه و سيتم إن شاء الله تعالى تدريجا حسب الظروف.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٩٨

**صدور أمر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بتعمير العين سنة ١٣٤٤**

قال الغازى فى تاريخه: و فى السادس عشر من ربيع الأول سنة أربع و أربعين و ثلاثمائة و ألف دهم السيل فى وادى نعمان قناة عين زبيدة و دخل فيها و خرب منها ثلاث خرزات و انقطع الماء عن الوصول إلى مكة المكرمة زهاء ثلاثة شهور فأصدر جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود بتعمير ما خرب من جيبه الخاص و حض أعضاء هيئة عين زبيدة على التشمير عن ساعد الجد، و بذل الهمة فى إجراء العمل فشرعوا العمارة بجد و اجتهاد و همة و نشاط إلى أن سهل البارى بتعمير ما خرب و وصلت المياه إلى البلدة الطاهرة و سقت العموم و ذلك فى شهر جمادى الثانية سنة أربع و أربعين و ثلاثمائة و ألف و مجموع ما صرف فى هذا التعمير ألفين و ثلاثة و عشرين جنيها إنكليزيا و هذا عدا ما صرف على جند الإخوان الذين قاموا بالمساعدة الفعلية فى وادى نعمان طوال مدة

التعمير من الأرزاق و العطية لكل واحد منهم ريالاً مجيدياً في كل يوم و كان يبلغ مائة و خمسين كذا في «الخلاصة المفيدة لأحوال عين زبيدة» للفاضل الأديب الشيخ عبد القادر ملا قلندر أمين صندوق عين زبيدة- و فيها أيضاً- المبلغ الموجود بصندوق عين زبيدة لغاية سنة ١٣٤٥ مائة و أربعة و عشرون ألف و ثمانية و سبعون قرشاً أميرياً و اثنتا عشرة بارة و نصف أميرى لا غير. اه. انتهى من الغازى.

### البرك الواقعة بمكة و ما حولها

قال الغازى رحمه الله تعالى فى تاريخه ما نصه: الفصل الثانى فى البرك الواقعة بمكة المكرمة، قال فى تحصيل المرام فى ذكر البرك: و أما البرك ففياها أى بمكة عدة برك:

(منها) بركتان عند باب المعلا متلاصقتان على يسار الخارج من مكة إلى المعلا جددنا فى زمن الناصر حسن صاحب مصر فى سنة سبعمائة و تسع و أربعين ذكره القرشى. قلت: لم يبق لهما أثر و قد أدركنا واحدة منها معطلة يسمونها بركة المصرى و الآن مدفونة و كانت فى مقابلة بركة الشامى و بينهما الطريق.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٣٩٩

(و منها) بركتان على يمين الخارج إلى المعلا أحدهما بلصق سور باب المعلا ببستان الصارم و كانتا معطلتين فعمرت إحداها سنة ثمانمائة و ثلاث عشرة و ملئت من العين ذكره القرشى. قلت: هى الآن عمار موجودة تسمى الآن بركة الشامى و البستان اسمه الكمالية بجانبها. انتهى.

أقول: لم يبق لها أثر و قد أدركناها معطلة و الآن مدفونة.

(و منها) بركتان عند مولد النبى صلى الله عليه و سلم بسوق الليل ببستان المسلمانى على ما ذكر و لا وجود لهما الآن.

(و منها) بأسفل مكة بركة يقال لها بركة الماجن. انتهى.

أقول: هى الآن عمار ملاءة و بجانبها بستان للشرىف على بن المرحوم مولانا الشرىف عبد الله يستقى منها، و قد رفع الشرىف على جدارتها الأربع فى سنة (٨٤٨) بحيث لا يقدر أحد على النزول إليها. و كان الناس قبل ذلك ينزلون فيها و يغتسلون منها، و كثيرا منهم كانوا يغرقون و يعطبون فيها، و أما الآن فسلمت نفوس الناس عن العطب و الهلاك.

و قد عمرت و نظفت هذه البركة فى سنة ثمان و أربعين و ثمانمائة (قال ابن فهد): و فى سنة ثمان و أربعين و ثمانمائة عمر السيد حسن ناظر الاسكندرية البركة بأسفل مكة المعروفة ببركة الماجن و أخرج ما كان فيها من التراب، و رفع جداراتها الأربع. انتهى.

و فى تحصيل المرام قال القرشى: و بحرم مكة مما يلى منى و عرفه عدة برك (منها) البركة المعروفة ببركة السلم، و لم يعرف من أنشأها، و جددها الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة بمصر، و عمّر العين التى يصل إليها الماء منها، و هذه العين مجراها من منى و ذلك فى سنة سبعمائة و خمس و أربعين (يقول) مؤلف هذا الكتاب محمد طاهر الكردى: إن بركة السلم رأيناها فى عام (١٣٧٧ هـ) و كانت جافة ليس فيها قطرة ماء، و هى واقعة على يسار الذهاب إلى منى قبيل مسجد البيعة.

و بطريق منى مما يلى المزدلفة فى طريق عرفه عدة برك معطلة عمّر بعضها نائب السلطنة فى دولة الملك أشرف شعبان صاحب مصر و بعضها عمّرها إقبال الدين المستنصر العباسى فى سنة ستمائة و ثلاث و ثلاثين. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٠٠

و قال الفاسى فى شفاء الغرام: و بعرفه عدة برك و غالبها الآن ممتلىء بالتراب، حتى صار ذلك مساويا للأرض بعضها من عمارة العجوز والدة المقتدر، و ذلك خمس برك و تاريخ عمارتها سنة خمس عشرة و ثلاثمائة و بعضها عمّرها المظفر صاحب إربل فى سنة أربع و تسعين و خمسمائة و فيما بعدها و بعضها عمّرها إقبال الشرابى المستنصرى العباسى فى سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة و

عمار تهما للبرك المكتنفه بعين عرفه أيضا و اسم إقبال باق في بعض البرك التي حول جبل الرحمة، و عمر بعضها الملك نائب السلطنة بمصر، ثم عمر بعضها في دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر. انتهى.  
و أول من اتخذ الحياض بعرفه، و أجرى عليها العين عبد الله بن عامر بن كرز.  
كذا في أسد الغابة، و قد جددها السلطان سليمان و جددت بعده مرارا و هي الآن عمار مملوءة من عين عرفه. ذكره في تحصيل المرام. انتهى من الغازي.

### الآبار التي بمكة و ما حولها

قال الغازي في تاريخه: الفصل الثالث في ذكر الآبار التي بمكة قال الشيخ محمد الصباغ المكي في «تحصيل المرام»: قال القرشي في «البحر العميق»: ذكر الأزرقى شيئا من خبر آبار الجاهلية و الإسلامية بمكة و حرماها، و ليس يعرف الآن مما ذكره إلا النادر و جملة ما احتوى عليه سور مكة من الآبار ثمانية و خمسون بئرا، و من الآبار المعروفة التي ذكرها الأزرقى البئر التي برباط السدره حفرها هاشم بن عبد مناف و قيل قصي.

قلت: رباط السدره كان من باب السلام إلى باب النبي، ثم قال القرشي:

و كانت هذه البئر شارعه على المسعى.

و منها بئر بالمدرسة الأفضلية، و بئر بالميضأة الصرغتمشية و برباط الخليفة و برباط الفعالية و بالمدرسة المنصورية و عند باب الحزورة، حفرها المهدي و في دار الملاعبة و بمدرسة المجاهدية و برباط كلاله بالمسعى و بالمطهرة الناصرية، عند باب بني شيبه و بمطهرة الأشرف شعبان بالمسعى و منها عند حمام سوق الليل، لعلها بئر عبد شمس و بقربها بئر لأبي مغامس و عندها مسجد و بقرب ذلك أيضا بئر، و بئران بالمعلا بشعب عامر أحدهما في بستان هذا الشعب و الآخر بقم الشعب، و بئر في البستان الذي عند باب المعلا، و بئر أم الفاغية عند سبيل ابن ظهيرة، و بئر عند

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٠١

مسجد الرابية و هي بئر جبير بن مطعم. انتهى من شفاء الغرام للفاسي. ثم قال الفاسي: و بأجساد عدة آبار ثم سردها، ثم من جملة الآبار التي بأسفل مكة، بئر يقال لها: بئر النبي و الناس يستشفون بماء هذا البئر. قال الفاسي: و لعلها البئر السنبلة بئر خلف بن وهب الجمحي الذي ذكرها الأزرقى، و قال: إن النبي صلى الله عليه و سلم بصق فيها و إن ماءها جيد يشفى من الصداع.

و منها بمسيل وادي إبراهيم بئر عند باب إبراهيم، و بئر برباط الموقق، و بئر في وسط السويقة، يقال: إنها من عمارة عبد الله بن الزبير، و بئر آخر بالسويقة بقعيقعان، و أما الآبار التي بين باب المعلا و منى، فستة عشر بئرا فمنها قرب باب المعلا لأم سليمان عند تربتها و تنسب أيضا للملك المسعودي صاحب مكة و بئر الطواشي عند طرف المقبرة من أعلاها و بئر بالبستان الذي أنشأه القائد سعد الدين، و بئر في البستان الذي أمامه جهة منى، و بئر بين هذين البستانين إلى جهة شعب البياضية، و بالمعابدة بئر آدم عليه السلام، على يمين الذهاب إلى منى و ليست على جادة الطريق، و بئر يقال لها البياضية، و البئر المعروف ببئر ميمون بن الحضرمي و هي التي الآن بالسبيل المعروف بسبيل الست، بطريق منى، قال الأزرقى: و كانت آخر بئر حفرتها الجاهلية قال: و عن مجاهد في قوله تعالى: فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ قالوا: زمزم و بئر ميمون ابن الحضرمي.

و منها البئر المعروفة بصلاصل، قال الأزرقى: و هي البئر التي بقم شعب البيعة عند العقبة أي عقبه منى، و الناس يسمون هذه البئر بئر مسهر، و يسمونها بصلاصل و هي قريبة من العقبة. و ذكر الأزرقى أنها من الآبار الإسلامية و سميت بصلاصل بن أوس بن محاسن. رواه الفاكهي.

قال الفاسي: و أما الآبار التي بمنى فهي خمسة عشر، و قال الأزرقى: و أما الآبار التي بالمزدلفة فتلاثة، و أما الآبار التي بعرفه فهي آبار



كثيرة، قال القرشى و التي فيها الماء الآن ثلاثة، و أما الآبار، التي بظاهر مكة من أعلاها فيما بين بئر ميمون الحضرمي و الأعلام، التي هي حد الحرم، في طريق وادي نخلة، فهي خمسة عشر بئرا.

و أما الآبار التي بأسفل مكة من جهة التنعيم فهي ثلاثة و عشرون بئرا بجادة الطريق، منها: بئر الملك المنصور صاحب اليمن عند سبيله تعرف بالزكية، و منها الآبار المعروفة بآبار الزاهر الكبير، و بعض هذه الآبار من عمارة المقتدر العباسي،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٠٢

و بقرب الشبيكة آبار آخر في الزاهر الصغير، و هي ثلاثة آبار، و بقرب هذه الآبار بئر بطن ذي طوى، على ما ذكره الأزرقى في تعريف ذي طوى. انتهى. و قد عمّر هذا البئر في سنة ألف و مائة و واحد.

قال السنجاري في «منايح الكرم»: و في سنة (١١٠١) أمر الصنجق محمد بيك ببناء بئر طوى، فبنى عليه طاجن بقبة صغيرة، و بنى إلى جانبه مسقفا للباب و مطاهر و مسجدا، و جعل هناك صفة منتزه، و عين لها معلوما و جرایه للخادم المقيم بها لجهه الماء جزاه الله خيرا. انتهى.

و بأسفل مكة أيضا بئر يقال لها: الطندباوى، و بأسفل مكة مما يلي باب الماجن عدة آبار ذكر هذا القرشى. انتهى ما في تحصيل المرام.

و ذكر العلامة السيد الزواوى في بغية الراغبين أن الآبار التي بنفس مكة المكرمة داخل البلدة الطاهرة أى الموجودة الآن تزيد على خمسين بئرا و التي منها حوالى المسجد الحرام سبعة آبار: واحدة عند باب السلام الكبير، و واحدة عند باب السلام الصغير، و واحدة عند باب القطبي، و واحدة فى المحكمة الشرعية، و واحدة عند باب الدريئة، و واحدة فى زاوية السمان، و واحدة عند باب الزيادة، بقرب دكان القزاز، ادخلوه فى وقف عبد الشكور، و دفنوها، و صارت دكانا يؤجر، و فى حارة جروم ستة آبار: واحد أمام مسجد جروم، و واحد ذوقبة و هي بئر طوى الشهيرة المأثورة، و واحدة عند الإنشاءات، و واحدة بئر الهندى، و بئر العتبة، و بئر عند بيت الجنيد، الذى بجروم. و فى حارة الباب ثلاثة آبار: واحد عند مسجد سيدنا خالد، رضى الله عنه الشهير بمسجد الراية، و واحد عند بيت قمرى، و بئر فى الخندريسة، و بحارة الشبيكة خمسة آبار: بئر المظعون، و بئر عند القبور، و بئر عند باب الداودية، و بئر بحوش الأغاوات بسوق الصغير، و بئر فى الهجلة عند الحلقة، و بحارة الشامية عند المدرسة السلیمانية. أقول: و بحارة الشامية قريب البازان عند الفرن بئر و ماؤه بغاية الملوحة، و بحارة المسفلة عشرة آبار: بئر فى حوش ناظرين، و بئر فى بيت بكرى أحمدوه، و بئر فى زاوية سيدنا أبى بكر الصديق، و بئر عند بيت أبى خطمة، و بئر بحوش الغزة، و بئر فى حوش المداح، و بئر عند باب السيد كوشك، و بئر وراء بيت السيد كوشك، و بئر فى زاوية المغاربة، و يقال له: رباط سيدنا عثمان، رضى الله عنه، و بئر عند بركة ماجن، و بحارة أجياد سبعة آبار: بئر تسمى بئر الحمام، و بئر فى المصافى، و بئر عند بازان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٠٣

أجياد، و بئر فى فرن الميرى، و بئر الغسالة، و بئر بليلة، و بئر الطبجية. و بحارة القشاشية أربعة آبار: بئر فى زقاق الحجر، و بئر فى زقاق محرم، و بئر عند بيت البو، و بئر فى زقاق بحرة، و بحارة الغزة ثلاثة آبار: بئر فى سوق الليل، و بئر خلف بيت الإمارة الجليلية، و بئر قدام بيت المحلاوى، و بحارة شعب عامر بئرين: بئر غيلما، و بئر بالبرحة، و بحارة السلیمانية ثلاثة آبار: بئر عند المسجد، و بئر عند بركة الشامى، و بئر فى الشرشورة، و ذلك خلاف الآبار الموجودة خارج البلدة، و هي كثيرة. انتهى من الغازى.

ثم قال الغازى: و فى العدد (١٣٠) من جريدة «أم القرى» التي تصدر بمكة، ذكر بعض آبار مكة نقلها هنا بنصه و هو:

عدد/ (الآبار التي على يمين الصاعد إلى عرفات)

١/ بئر غيلمه، عن يمين الصاعد إلى عرفات أمام المعلا.

١/ بئر العواجى، الكائنة بالبستان عند حوض أبى طالب.

٢/ بئران بداخل البياضية، أحدهما عن يمين الداخل إلى الديوان، و الآخر في المقابل.

٣/ ثلاثة أبار فرع البياضية، أحدهم بواجهة البستان عن يمين الصاعد، و الثاني في مقابله، و الثالث في واجهة البستان.

١/ بئر عند المهدي، و لها درج ينزل عليها إلى الماء و هي متسعة جدا.

الآبار التي في داخل منى)

١/ بئر عند جمرة العقبة، معدة لسقيا العموم.

١/ بئر بداخل شعبة حرب، و هي غزيرة المياه.

١/ بئر عند مجر الكبش عليها مزرعة.

١/ بئر في بستان حامد القرشي.

١/ بئر في وسط سوق العرب على يمين الصاعد و هي كثيرة الاستعمال للحجاج.

الآبار التي على يسار الصاعد إلى عرفات

١/ بئر الشرشورة و هي ملاصقة للمعلا.

١/ بئر في الجعفريه في داخل الحوش.

٢/ بئران في بستان الجبرتي.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٠٤

١/ بئر في الشيبية.

١/ بئران في بستان بنونه منهما سقيا البستان.

١/ الغساله متسعة مشهورة بهذا الاسم.

١/ الزبيديه بجوار بئر الغساله.

١/ الجرفانية و هي من بلاد الشيخ يوسف قطان.

١/ بئر عند المحامل بطريق منى.

١/ بئر مقابل المهدي و هي بدرج متسعة.

١/ بئر عند مسجد العشرة في زوايا الجبل.

الآبار على يسار الصاعد إلى مزدلفه

١/ بئر خلف الصهريج العمومي عند البستان.

١/ بئر خلف السيل المصري في شعبة حرب.

١/ بئر مقابل الخرابه مقابل محطة المصري.

٢/ بئران بشعبة المعيصم بالقرب من وادي محسر بآخر منى.

آبار مزدلفه

٤/ أربعة آبار خلف بازان عين زبيده مقابل المشعر الحرام.

١/ بئر أمام دكاكين الحلوانية و لها بئر ظاهرة.

١/ بئر عرفات تحت جبل الرحمة عند بركة المصري مشهورة.

انتهى من الغازي.

## العيون التي بأطراف مكة

و يختم الغازي في تاريخه كلامه عن عين زبيدة و حنين بذكر العيون التي بجهات مكة، شرفها الله تعالى، فيقول: و في الأرج المسكى و التاريخ المكي للعلامة على بن عبد القادر الطبري، و في زماننا بجهات مكة عيون كثيرة بنيت من قرب، فمنها بالقرب من عين عرفات: عين المحمدية، و عين العابدية، و عين اليونسية (فالأولى) منها منسوبة لمولانا السيد محمد بن عبد المطلب بن حسن (و الثانية) منسوبة لمولانا السيد فضل بن مسعود (و الثالثة) منسوبة إلى القائد أحمد بن يونس وزير مكة المشرفة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٠٥

و منها عين الأحمدية، و برود، و هما بالقرب من الجعرانة (الأولى منهما) منسوبة لمولانا السيد أحمد بن عبد اللطيف (و الثانية) تنسب لمولانا السيد فضل بن مسعود.

و منها الحسينية، و هي مما يحاذي آخر مكة، و هي منسوبة لمولانا السيد حسين بن حسن.

و في حدود الثلاثين بعد الألف ظهرت عين مقابل بستان القاضي حسين المالكي بأرض المعابدة، فأصلحها القائد ريحان بن سالم، وزير مكة و حاكمها، و كان ماؤها تغلب عليه الملوحة، و استمرت مدة، و يقال إنها لحقت بعين عرفة و حنين. انتهى.

و في الرحلة اليمانية: و بوادي نعمان عين اسمها «سمار» للأشرف، و عين اسمها «الشرايع» شرقي مكة، و في وادي نعمان أيضا من جهة جنوب بمكة عينان، إحداهما الحسينية و الثانية العابدية للأشرف، و عينان بوادي ملكان للأشرف أيضا. انتهى من الرحلة.

نقول: إن كل ما تقدم من أول مبحث عين زبيدة و غيرها إلى هنا، نقلناه من تاريخ الغازي رحمه الله تعالى، الذي لم يطبع إلى الآن، و قد نقلناه بترتيب كتابه حرفا حرفا بدون تصرف فيه، ما عدا عناوين المباحث، فقد وضعناها من عندنا لسهولة المطالعة و الفهم، و قد آثرنا نقل هذا المبحث القيم من تاريخ الغازي دون غيره، لأن تاريخه لأن تاريخه حاو لما في جميع التواريخ في غالب المباحث و الله الموفق للصواب و إليه المرجع و المآب.

## الخلاصة المفيدة عن عين زبيدة

### إشارة

لقد أتينا فيما تقدم بالتفصيلات التامة الوافية عن عين زبيدة، حتى لم يبق موضع للمزيد من الكلام. بقي علينا أن نذكر هنا خلاصة وافية و زبده نافعة كافية عما تقدم، بحيث يسهل على القارئ الكريم فهم تاريخ عين زبيدة، و بحيث يمكن له أن يتخيل و يتصور كيفية مجرى هذه العين المباركة، من منبعها إلى أن تصل مكة، شرفها الله تعالى و غفر لزبيدة و رحمها رحمة الأبرار، و أسكنها فردوس جنته، و سقاها من حوض النبي صلى الله عليه و سلم، و نحن معها إن شاء الله تعالى بمحض فضله و رحمته جل جلاله و لا إله غيره. فنقول و بالله التوفيق:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٠٦

اعلم: أن عين زبيدة تطلق على عينين: (الأولى) عين نعمان و هي على يمين عرفات بينهما نحو ... كيلو متر تقريبا، و بعضهم يسميها «عين عرفات» لأنها تأتي من طريقها فنسبت عليها، فعين نعمان تنبع من ذيل جبل «كرا» بفتح للكاف و الراء المهملة، في منتهى وادي نعمان فتصب في قناة إلى موضع يقال له «الأوجر» من وادي نعمان (و الثانية) عين حنين و هي على يسار عرفات إلى جهة الطائف، أي إلى ما فوق الشرائع بنحو ... كيلو متر تقريبا. و كانت عين حنين أول ما أجزتها زبيدة رحمها الله تعالى، فلما وصلت إلى مكة قامت بإجراء عين نعمان بعرفات. و عين حنين تنبع من جبل عال يقال له «طاد» بقرب الشرائع جهة الطائف.

و هاتان العينان النضاختان أتت بهما زبيدة رحمها الله تعالى و جزاها عن الإسلام و المسلمين خير الجزاء إلى مكة المكرمة من منابعها الأصلية، في سنة (١٧٤) أربع و سبعين و مائة من الهجرة، و زبيدة هي بنت جعفر ابن المنصور زوجة هارون الرشيد و اسمها أمه العزيز و ستأتى ترجمتها. و لا يعرف أحد مقدار التعب و الصعوبات التي تكبدوها في سبيل إيصال الماء إلى «مكة» بلد الله الأمين، و لا المصاريف و النفقات العظيمة التي لا تحصر إلا من ذهب بنفسه إلى وادي نعمان، و وصل إلى موضع حنين، و عاين ارتفاعات الأرض و انخفاضها و رأى الجبال و الصخور التي أجروا الماء من بينها، و عملوا في حفرها و تكسيرها بالأدوات اليدوية من غير أن تكون لديهم آلات ميكانيكية، و أدوات حديثة فنية، و مفرقات و دناميات فما كانوا يعتمدون إلا على الله تعالى و إلى قوة إيمانهم و إخلاصهم و تقواهم، «و إنما الأعمال بالنيات» و قد قال الأقدمون في أمثالهم:

«همة الرجال تعلق الجبال». و لشعراء العرب بعض أقوال في وادي نعمان كقولهم:

أيا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها

فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت على كبد حرا تجلت همومها

و لنذكر من أعمالهم الجبارة العظيمة الخالدة شيئين على سبيل المثال لا الحصر، ليتصور القارئ الكريم الصعوبات التي لاقوها حتى وصل الماء إلى مكة المشرفة:

(الشيء الأول) بئر زبيدة، و يسميها العام بـ «حبس الجن» لكون النزول إليها مخوف لعمقها و التعاريج التي فيها و هذه البئر واقعة على يمين الذهاب من مكة إلى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٠٧

منى من جهة خط الإسفلت الذي خلف منى بينها و بين الجبل الغربى الذى عندها أقل من خمسين مترا.

و عمق هذه البئر من وجه الأرض إلى الماء ثلاثة و عشرون مترا، أى يقرب من خمسين ذراعا، و ينزل إليها بدرج طويل عددها ثلاث و سبعون درجة.

فزبيدة رحمها الله تعالى قد أوصلت عين نعمان من فوق عرفات إلى هذه البئر أى إلى قرب مكة فكان الناس يستقون من هذه البئر.

أما عين حنين فقد أوصلتها زبيدة إلى داخل مكة فكانت جارية بوسطها دائما.

و السبب الذى أوقفت زبيدة عين نعمان إلى هذه البئر التى وراء منى بقرب مكة هو تعذر وصولها إلى نفس البلدة بسبب أن الماء يجرى تحت الأرض بعمق ثلاثة و عشرين مترا، أى نحو خمسين ذراعا و الأرض كلها صخرية جبلية يتعذر حفرها فاكتفت بإيصال عين نعمان إلى هذا المكان مع جريان عين حنين إلى داخل مكة.

ثم لما قل جريان عين نعمان و يبست العيون و الآبار و حصلت شدة بمكة بسبب الماء، عرض ذلك على خليفته المسلمين السلطان سليمان خان، فسمعت بهذا الخبر ابنته المسماء «فاطمة خانم سلطان» فالتمست من أبيها السلطان سليمان المذكور أن يأذن لها فى إيصال الماء من بئر زبيدة التى بأعلى مكة خلف منى على نفقتها الخاصة اقتداء بزبيدة رحمها الله تعالى فأذن لها بالقيام بهذا العمل الخيرى الجليل باسمها الخاص و نفقتها الخاصة فأسندت أمر القيام بهذه الخدمة إلى أشهر الرجال البارزين من الأمراء فقدموا إلى مكة شرفها الله تعالى بالمال و الرجال و الأدوات و أحضروا المهندسين و البنائين و الحفارين و الحدادين و الحجارين و القطاعين و العمال من الآستانة و مصر و الشام و حلب و اليمن و غيرها، و ذلك فى أواخر ذى القعدة سنة (٩٦٩) تسعمائة و تسع و ستين من الهجرة.

فأول ما عملوه تنظيف الآبار و إخراج الأتربة منها و حفرها ليكثر ماؤها، و كذلك تنظيف دبول و مجارى عين نعمان من فوق عرفات إلى أن وصلوا بئر زبيدة التى خلف منى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٠٨

ثم رأوا أن إيصال الماء، من هذه البئر إلى مجرى عين حنين عند بستان بنونة الواقع بالشيبية يحتاج إلى حفر ألفى ذراع بذراع البنائين

أى إلى حفر كيلو متر واحد تقريبا و هذا عمل ليس بالهين لأنه يحتاج أن ينزلوا فى حفر الأرض إلى عمق خمسين ذراعا و الحفر لا يكون إلا فى الجبال الصلب الصخرية القوية جدا فأرادوا أن يتراجعوا و يصرفوا النظر عن إيصال الماء إلى مكة من بئر زبيدة لو لا أنهم رأوا أن تركهم العمل لا يليق باسم السلطان خليفة المسلمين.

فشمروا عن ساعد الجد، و توكلوا على الله بخلوص النية، و قاموا بهذا العمل الجبار فكانوا يحفرون وجه الأرض إلى أن يصلوا إلى الحجر الصوان و الصخر الصلب ثم يوقدون عليه النار بالحطب بمقدار مائة حمل منه ليلة كاملة، ثم يكسرون الصخور و الحجارة العظام بالحديد و لكن لا ينكسر منه إلا القليل بسبب أن قوة النار تكون من فوق لا من تحت و هكذا كانوا يكسرون الجبال و الصخور و الحجر الصوان إلى أن وصلوا بالماء إلى بئر القاضى المسمى ببازان القاضى.

و هذا البازان هو (الشيء الثانى) الذى نذكره على سبيل المثال كما قلنا فيما تقدم. و هذا البازان المسمى ببازان القاضى هو يشبه تقريبا بئر زبيدة المسمى ب «حبس الجن» المتقدم ذكرها و الظاهر و الله تعالى أعلم أن قاضى مكة شيخ الإسلام القاضى السيد حسين الحسينى ناظر المسجد الحرام، الذى صدر الأمر السلطانى بأن يكون ناظرا و مشرفا على مشروع إيصال الماء، لما قام بإكمال عمل إيصال الماء إلى مكة بعد موت رئيس و مدير العمل الأصلي الذى كان بيده تنفيذ المشروع و العمل نسب إليه هذا البازان فقيل له: «بازان القاضى».

و هذا البازان واقع عند قهوة الششة «بشنيين معجمتين مشددتين بعدهما تاء مربوطة» و هو واقع على يسار الساعد إلى منى قبل بئر زبيدة فإذا استقبل الإنسان من البازان جهة عرفات أى الشرق كان جبل حراء على شماله و جبل الصدر فى الشرق و بين البازان و جبل حراء نحو كيلو متر واحد و نصف كيلو متر و بينه و بين الجبل الذى أمامه فى جهة الشرق نحو مائتى متر.

و عمق هذا البازان من وجه الأرض إلى الماء كعمق بئر زبيدة التى تقدم الكلام عليها أى نحو ثلاثة و عشرين مترا أى ما يقرب من خمسين ذراعا، و ينزل إليه بدرج طويل عددها ثلاث و سبعون درجة أى أن عدد درجاته كعدد درجات بئر زبيدة أيضا و بين هذه البئر و بين بازان القاضى المذكور كيلو متر واحد أو أقل.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٠٩

ثم أوصلوا الماء من هذا البازان إلى أعلى مكة أى إلى جهة بستان بنونة المذكور، و هنا التقى هذا الماء الوارد من عين نعمان من عرفات بالماء الوارد من عين حنين فصارا يجريان معا من مكان بستان بنونة فى قناة واحدة و مجرى واحد حتى يدخلوا إلى بطن مكة المشرفة أكثر الله خيرها و بركاتها.

فكان وصول الماء إلى مكة من بئر زبيدة فى أواخر ذى القعدة سنة (٩٧٩) تسع و سبعين و تسعمائة هجرية، أى أن هذا العمل الجبار و شق الجبال و الصخور و الأحجار دام عشر سنوات تماما و كان ذلك اليوم يوما مشهودا و عيدا عظيما و قد عمل قاضى القضاة السيد حسين الحسينى المذكور احتفالا كبيرا و وليمة عظيمة فى بستانه فى الأبطح دعا فيه خلقا كثيرا من العلماء و الأعيان و الأكابر و غيرهم و ذبح من الغنم و الإبل و الشياه عددا و فيرا و تصدق كثيرا على الفقراء و المساكين.

ثم أرسل البشائر العظمى إلى السلطان و إلى «فاطمة خانم سلطان» فأنعمت عليه و على غيره الإنعامات الوافرة و عملت خيرات و صدقات كثيرة شكرها على ما أنعم الله تعالى عليها، من إيصال هذه العين إلى البلدة الطاهرة «مكة» على نفقتها الخاصة.

قال العلامة القطبى فى تاريخه عن مكة، و كان رحمه الله تعالى حاضرا وقت عمل إيصال الماء: إن الأمير إبراهيم الذى كان قائما بأمر العين، صرف مقدار خمسمائة ألف دينار ذهبيا تقريبا حتى حفر و قطع ألف ذراع. اه.

فعليه تكون النفقات التى صرفت فى إيصال الماء من بئر زبيدة إلى أن وصل إلى بستان بنونة أى إلى أن اتصل ماء نعمان بماء حنين نحو واحد مليون دينار ذهبيا و ليس ذلك بقليل.

كما أن شق الجبال و الصخور القوية و حفر الأرض إلى عمق خمسين ذراعا لمسافة أكثر من كيلو واحدة ليس من السهولة و اليسر فى

زمن ليس فيه أدوات كهربائية و لا آلات ميكانيكية، بل كان تكسير الجبال و الصخور بطريقة بدائية، بإيقاد الحطب ليلا و نهارا حتى لقد ذكر الإمام القطبي في تاريخ مكة أنهم ثابروا على إيقاد الحطب على الجبال و الصخور لشق طريق للماء إلى أن فرغ الحطب من جبال مكة فصار يجلب من المسافات البعيدة و غلا سعره و ضاق الناس بذلك. اه. و قد قدمنا تفصيل كل ذلك في أوائل المبحث فراجع إن شئت.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤١٠

فانظر رحمك الله إلى قوة إيمانهم و يقينهم و على إخلاصهم في إتقان العمل و إلى حبهم العظيم في خدمة بلد الله الأمين مكة المشرفة و العمل على راحة أهلها و حاجتها و بذلك خلد الله أسماءهم و يترحم عليهم العباد و دام ثوابهم بهذه الصدقة الجارية فلا ينقطع إلى يوم المعاد فرحمهم الله تعالى رحمة واسعة و جزاهم عن المسلمين خير الجزاء فلا نعمة تعدل وجود الماء و لا يعرف نعمة ذلك إلا من فقد الماء، لهذا قال الله عز شأنه في آخر سورة الملك: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ. نعم يأتينا به الله تعالى بفضله و رحمته و بره و إحسانه إنه بعباده لطيف خبير.

و اعلم: أن عين نعمان و عين حنين، تجرى كل واحدة منهما على حدة في القنوات من منبعهما حتى تصلا إلى أعلى مكة فوق محلة المعابدة أى إلى بستان بنونه «بضم النون الأولى و تشديدها» المسمى قديما بستان القاضى، و هو المعروف الآن «بالشيبه» الذى فيه قصر سمو ولى العهد المعظم الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود فإذا وصلت إلى أعلى مكة في المحل المذكور اجتمعتا في مجرى واحد و دخلتا معا إلى نفس البلدة ثم توزعان بواسطة القنوات المبنية و المواسير الرصاصية أو الحديدية في أطراف البلدة ليصل الماء إلى كل محلة و حارة و هذه المواسير الرصاصية لم تستعمل في مكة إلا في العهد السعودى فقط، أى فى سنة (١٣٧٠) سبعين و ثلاثمائة و ألف هجرية تقريبا.

و لعين حنين فروع كثيرة تمدها بالماء كالزعران و البرود و الثقبه و غيرها كما سيأتى بيانها أما عين نعمان فليس لها فروع. و هنا يجب علينا أن «نعطى القوس باريها» فنترك المجال لصديقنا العزيز الأستاذ محمد نور قمر على، رئيس قسم توزيع المياه بمكة المشرفة ليتكلم بقلمه عن خلاصة عين زبيدة لأنه الرجل الوحيد الذى يعلم مسالك و مجارى العين فى داخل البلدة و خارجها حق العلم و يعرفها حق المعرفة قال أمد الله تعالى فى حياته:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الفاضل الأستاذ الشيخ طاهر كردى الخطاط الموقر.

بعد التحية و الاحترام لقد طلب منى فضيلتكم أن أكتب لكم تعريفا مختصرا حول عين زبيدة فعليه أفيدكم حسب اطلاعى فى بعض النسخ من تواريخ مكة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤١١

المكرمة و من استمرارى فى عمل توزيع مياه عين زبيدة لمدة سبعة و عشرين عاما متواصلا أقول: فى أوائل دولة بنى العباس بلغت زبيدة، زوجة الرشيد عن خراب عيون مكة المكرمة فاستأذنت الرشيد و أمرت بإجراء عين حنين إلى مكة و منبع هذا العين ذيل جبل طاد فى طريق الطائف يجرى ماؤه إلى أرض حنين التى وقع فيها القتال بين النبى صلى الله عليه و سلم و بين بنى هوازن و هو بقرب وادى يدعان من أودية عرفة فاشترت زبيدة حائط حنين و أبطلت المزارع و النخيل الموجودة بها و بنت القنوات و شقت الجبال و جعلت لها الشحاحيد فى كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند هطول الأمطار و جعلت له القنوات متصلة إلى مجرى عين حنين ليحصل منها المدد للعين و صار بعد هذا التعمير كل شحاذ منها عينا لها اسم خاص كعين (مشاش) و عين (ميمونة) و عين (الزعران) و عين (البرود) و عين (الصرفة) و عين (ثقبه) و عين (الخريبات) و سميت هذه العيون كلها بعين حنين التى أوردتها السيدة زبيدة إلى مكة المكرمة و هى عين زبيدة الأصلية لمكة ثم أمرت بعد إيصال عين حنين إلى مكة بإجراء عين وادى نعمان إلى عرفة و منبع هذه

العين بذيل جبل كرا و ينصب من ذيل جبل كرا في قناة له إلى الأوجر من وادي نعمان فعملت منها القنوات إلى عرفات و أدبرت القنوات بجبل الرحمة محل الموقف الشريف و جعلت منها المجارى إلى البرك التي بأرض عرفات، ثم توجه عمل القنوات من عرفة إلى مكة من الطريق الخلفى لمنى إلى بئر زبيدة المعروفة عند أهل مكة بحبس الجن و إلى هذا الموقع ينتهى عمل السيدة زبيدة لعين نعمان؛ حيث لم تتمكن من إيصال عين نعمان بعين حنين لصلابة الحجر و صعوبة إمكان قطعه لطول مسافته التي يبلغ ألفى ذراع من الذراع المعمارى و عرضه خمسة أذرع و عمقه خمسين ذراعا حتى يصل إلى منسوب ماء عين نعمان و لهذا تركت العمل إلى بئرها المشهور ببئر زبيدة و بقيت كذلك عين نعمان لعرفة و مزدلفه و منى، و عين حنين لمكة، و فى أوائل عام ٩٤٩ هجرى اجتمع القاضى عبد الباقي المرحوم، قاضى مكة يومئذ و الأمير خير الدين سنجق و عرض أمر إيصال ماء عين نعمان إلى عين حنين، إلى مسامع السلطان سليمان خان، فسمعت فاطمة هانم كريمة السلطان المشار إليه بذلك الخبر فالتمست من السلطان أن يأذن لها فى ذلك العمل الخيرى فأذن لها بذلك فحملت السلطانة هذا الأمر دفتر دار ديوان مصر، الأمير إبراهيم بن تكز، و وصل المذكور فى اثنين و عشرين من شهر ذى القعدة عام ٩٦٩ و اتصل بأمر مكة فى ذلك الوقت الشريف حسين بن ندى كما اتصل بشيخ الإسلام مولانا القاضى التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤١٢

حسين الحسنى و قام بمباشرة عمل التنظيف أولا حسب الاستشارة، ثم بدأ فى عمل قطع القطعة الباقى من بئر زبيدة إلى دبل عين حنين، الواقع ببستان بنونة و المعروف الآن ببستان سمو سيدى الأمير فيصل ولى العهد بالشيبية و ذلك فى نهاية عام ٩٧٠، و كان عمله شاقا جدا كما ينبئنا بذلك نفس العمل، و قد قام بهذا العمل الجبار إلى أن توفاه الله فى الثالث من شهر رجب من عام ٩٧٤ ثم تولى العمل الأمير قاسم بيك تحت إشراف قاضى القضاء حسين الحسنى المذكور و استمر فى مباشرة العمل إلى أن توفاه الله فى أول رجب من عام ٩٧٩ ثم تولى مباشرة العمل مولانا شيخ الإسلام القاضى حسين الحسنى، و أتم عملها فى عشرين من ذى القعدة من عام ٩٧٩، و وصل ماء عين نعمان للسيدة زبيدة إلى مجرى ماء عين حنين التى هى عين مكة الأصلية للسيدة زبيدة رحمها الله و أسكنها الفردوس الأعلى إنه مجيب الدعاء، و أما من أمر ماء عين حنين قد توقف مأوها من زمن بعيد بسبب السيول التى دمرتها و سدت مجاريها، و كان آخر إصلاح جرى فيه عام ١٣٢٨، و الآن لا يصلنا من ماء عين حنين أو فروعها شىء سوى جزء يسير من أحد فروعها، و هى الزعفرانة و أحيط فضيلتكم أن معالم هذه المجارى موجودة كلها، و البعض منها استغلتها الأيادى الجبارة التى لا تخشى الله، هذا مع تقديم عجزى و قصورى لكثرة أعمالى التى لا يخفاكم فأرجو المعذرة إذا لم يوفى غرضكم المنشود و الله يحفظكم سيدى. حرر فى ١٣٧٧ / ٥ / ٢٤.

رئيس قسم توزيع المياه بمكة

محمد نور قمر على

انتهى ما كتبه الشيخ محمد نور قمر على سلمه الله تعالى آمين.

(و اعلم) أن بعض الناس يظن أن عين زبيدة بمكة آتية من بغداد، عن طريق البر لكن ليس الأمر كذلك فهذا بعيد الاحتمال جدا. و الذى جعلهم يظنون هذا الظن هو أن زبيدة زوج هارون الرشيد رحمها الله تعالى قد بنت فى طريق الحج فى زمنها من بغداد إلى مكة كثيرا من البرك و الآبار

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤١٣

و المصانع و المنازل، تملأ كل هذا من ماء المطر و غيره للحجاج، و أهل تلك الأماكن لهذا يقولون أن زبيدة أتت بالماء من بغداد إلى مكة.

فهنيئا لزبيدة هذه الصدقات الجارية من وقتها إلى ما شاء الله أحسن الله إليها و أسكنها فسيح جناته بفضلته و رحمته.

## ترجمة زبيدة

هي أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور و هي زوجة هارون الرشيد و ابنة عمه، و أم الأيمن محمد بن هارون الرشيد، و في ابن خلكان: قال الطبري في تاريخه: أعرس بها هارون الرشيد في سنة خمس و ستين و مائة و كانت وفاتها سنة ست عشرة و مائتين في جمادى الأولى ببغداد رحمها الله تعالى و توفي أبوها جعفر بن المنصور في سنة ست و ثمانين و مائة رحمه الله تعالى انتهى من ابن خلكان

و زبيدة هي صاحبة عين الماء بمكة الشهيرة باسمها «عين زبيدة» و هي التي أمرت بحفر الآبار و عمل البرك و الصهاريج العظيمة في طريق الحج من بغداد إلى مكة المشرفة.

و قد ذكرنا الكلام على عين زبيدة تلك العين التي خلدت ذكرها إلى اليوم و صار الناس يترحمون عليها ما شرب الماء شارب بمكة. جاء في تاريخ القطبي عنها ما ملخصه: زبيدة اسمها «أمه العزيز» كان جدها المنصور يرقصها و هي طويلة و يقول: «أنت زبيدة» فاشتهرت بها، و كانت من أهل الخير و لها مآثر عظيمة إلى الآن، منها: إجراء عين حنين إلى مكة المشرفة، و أصرفت عليها خزائن الأموال إلى أن جرت إلى مكة المشرفة، و هي واد قليل الأمطار بين جبال سود عاليات خاليات من المياه و النبات و صفها الله تعالى بأنها واد غير ذي زرع فنقبت «أم جعفر زبيدة» الجبال إلى أن سلك الماء من أرض الحل إلى أرض الحرم، و أنفقت على عملها ألف ألف و سبعمائة ألف مثقال من الذهب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤١٤

فلما تم عملها اجتمع المباشرون و العمال لديها و أخرجوا دفترهم لإخراج حساب ما أصرفوه من عهده ما تسلموه من خزائن الأموال، و كانت في قصر عال مطل على الدجلة فأخذت الدفاتر و رمتها في بحر الفرات و قالت: تركنا الحساب ليوم الحساب فمن بقى عنده شيء من بقية المال فهو له، و من بقى له شيء عندنا أعطينا ثم ألبستهم الخلع و التشاريف فخرجوا من عندها حامدين شاكرين و بقى لها هذا الأثر العظيم في العاملين رحمها الله تعالى و أسكنها الفردوس في أعلى عليين. انتهى.

و لقد ذكرنا عن عين زبيدة فصلا خاصا فيما تقدم و لا نريد هنا إعادة الكلام.

و الحقيقة أن عملها هذا كان عظيما جارا، يذكره الناس لها إلى ما شاء الله، و ما تعاقب الحجيج إلى بلد الله الأمين عاما بعد عام و كثير من الناس يعتقد أن عين زبيدة بمكة متصل ببغداد بالفرات، ولكن لا صحة لذلك مطلقا بل و غير معقول ذلك، و إنما جاء هذا الوهم مما عملت أيضا في طريق الحج من بغداد إلى مكة من الآبار و الصهاريج و البرك، فكانوا يقولون: إن زبيدة أوصلت الماء من بغداد إلى مكة و من هنا جاء الوهم فظن بعضهم أن الماء وصلت في قنوات و مجارى تحت الأرض من بغداد إلى مكة. و الحقيقة هي كما ذكرنا.

جاء في تاريخ ابن خلكان ما نصه: قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في «كتاب الألقاب»: أنها «أى زبيدة» سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الرواية عندهم بدينار، و أنها أسالت الماء عشرة أميال بحط الجبال و نحت الصخر حتى غلغلته من الحل إلى الحرم، و عملت عقبه البستان، فقال لها و كيلها: تلزمك نفقة كثيرة. فقالت: اعملها، و لو كانت ضربة فأس بدينار و إنه كان لها مائة جارية يحفظن القرآن و لكل واحدة ورد عشر القرآن، و كان يسمع في قصرها كدوى النحل من قراءة القرآن، و إن اسمها أمه العزيز، و لقبها جدها أبو جعفر المنصور «زبيدة» لبضاظتها و نصارتها، انتهى منه.

قال ابن كثير في تاريخه: كان لزبيدة من الجمال و المال و الخير و الديانة و الصدقة و البر شيء كثير، و روى الخطيب أنها حجت فبلغت نفقتها في ستين يوما أربعة و خمسين ألف ألف درهم. توفيت زبيدة ببغداد في جمادى الأولى سنة ست عشر و مائتين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤١٥



ثم روى البغدادي عن عبد الله بن المبارك، أنه قال: رأيت زبيدة في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقالت: غفر لي في أول معول ضرب في طريق مكة.

قلت: فما هذه الصفرة؟ قالت: دفن بين ظهرانينا رجل يقال له بشر المريسي، زفرت عليه جهنم زفرة فاقشعر لها جسدی، فهذه الصفرة من تلك الزفرة.

وورد أنها رؤيت في المنام، فسئلت عما كانت تصنعه من المعروف والصدقات، وما عملته في طريق الحج، فقالت: ذهب ثواب ذلك كله إلى أهله، وما نفعنا إلا ركعات كنت أركعها في المسجد. انتهى من تاريخ ابن كثير رحمهما الله تعالى.

ويذكر القطبي في تاريخه أن زبيدة رحمها الله تعالى بنت بمكة دارين جهة باب إبراهيم وذلك سنة (٢٠٨) ثمان و مائتين من الهجرة.

### وصف الخراساني لزبيدة رحمها الله تعالى

روى المسعودي و هو من أهل القرن الثالث الهجري، في أواخر الجزء الثاني من تاريخه عند ذكر خلافة القاهر بالله عن العلامة بأخبار بني العباس محمد بن علي العبدلي الخراساني الأبخاري، أنه قال: خلا بي القاهر فقال: أصدقني أو هذه وأشار إلى بالحربة فرأيت و الله الموت عيانا بيني و بينه، فقلت: أصدقك يا أمير المؤمنين. فقال لي: أنظر يقولها ثلاثا، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: عما أسألك عنه و لا تغيب عني شيئا، و لا تحسن القصّة و لا تسجع فيها و لا تسقط منها شيئا، قلت: نعم يا أمير المؤمنين قال: أنت علامة بأخبار بني العباس من أخلاقهم و شيمهم من أبي العباس فمن دونه فقلت: علي أن لي الأمان يا أمير المؤمنين، قال: ذلك لك. قلت: أما أبو العباس السفاح، فكان سريعا إلى سفك الدماء و اتبعه عماله في الشرق و الغرب من فعله و استنوا بسيرته .. إلى آخر ما ذكره في وصف أمراء المؤمنين حتى جاء في وصف زبيدة، فقال عنها ما يأتي:

كان أحسن الناس في أيام الرشيد فعلا أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور لما أحدثه من بناء دور السبيل بمكة، و اتخاذ المصانع و البرك و الآبار بمكة و طريقها المعروف إلى هذه الغاية، و ما أحدثته من الدور للتسييل بالثغر الشامي و طرسوس و ما أوقفت على ذلك من الوقوف.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤١٦

ثم قال المذكور عن زبيدة أيضا بعد بضعة أسطر ما يأتي:

و كان من فعلها و حسن سيرتها في الجد و الهزل، ما برزت فيه على غيره، فأما الجد و الآثار الجميلة التي لم يكن في الإسلام مثلها. مثل حفرها العين المعروفة بعين المشاش بالحجاز، فإنها حفرتها و مهدت الطريق لمائها في كل خفض و رفع و سهل و جبل و وعر، حتى أخرجتها من مسافة اثني عشر ميلا إلى مكة، فكان جملة ما أنفق عليها مما ذكر و أحصى ألف ألف و سبعمائة ألف دينار، و ما قدمت ذكره من المصانع و الدور و البرك و الآبار بالحجاز و الثغور، و إنفاقها الألوفا على ذلك، دون ما كان في وقتها من البذل و ما عم أهل الفاقة من المعروف و الخصب.

و أما الوجه الثاني مما تتباهى به الملوك في أعمالهم و ينعمون به في أيامهم، و يصنونون به دولهم، و يدون في أفعالهم و سيرهم: فهو أنها أول من اتخذ الآلة من الذهب و الفضة المكلفة بالجواهر، و صنع لها الرفع من الوشى، حتى بلغ الثوب من الوشى الذي اتخذ لها خمسين ألف دينار، و هي أول من اتخذ الشاكرية من الخدم و الجوارى، يختلفون على الدواب في جهاتها، و يذهبون في حوائجها برسائلها و كتبها، و أول من اتخذ القباب الفضة و الآبنوس و الصندل، و كلاليتها من الذهب و الفضة ملبسة بالوشى، و السمور و الديباج و أنواع الحرير من الأحمر و الأصفر و الأخضر و الأزرق، و اتخذت الخفاف المرصعة بالجواهر و شمع العنبر، و تشبه الناس في

سائر أفعالهم بأم جعفر. انتهى من الكتاب المذكور.

### ترجمة الوزير الجواد الأصفهاني

الوزير الجواد الأصفهاني هو: جمال الدين أبو جعفر بن علي بن أبي منصور، وزير صاحب الموصل أتابك زنكي بن آق سنقر، في الثلث الأول من القرن السادس للهجرة، فلما قتل الملك المذكور استوزره سيف الدين غازي بن أتابك زنكي، و فوض إليه الأمور و تدبير الدولة.

قال ابن خلكان: فظهر حينئذ جود الوزير المذكور، و انبسطت يده، و لم يزل يعطى و يبذل الأموال، و يبالح في الإنفاق حتى عرف بالجواد و صار ذلك كالعلم عليه، حتى لا يقال: إلا جمال الدين الجواد، ثم قال: و أثر آثار جميلة، و أجرى الماء إلى عرفات أيام الموسم، من مكان بعيد، و عمل الدرج من أسفل الجبل إلى أعلاه، و بنى سور مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم و ما كان خرب من مسجده، و كان يحمل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤١٧

في كل سنة إلى مكة شرفها الله تعالى و إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة و السلام من الأموال و الكسوات للفقراء و المنقطعين ما يقوم بهم مدة سنة كاملة.

### إيصال عين العزيزة بعين زبيدة

و في زماننا هذا قد ازداد سكان مكة المكرمة زيادة عظيمة عن ذي قبل، بسبب كثرة الوافدين و المقيمين بها من الأقطار الإسلامية و بسبب ازدياد العمران و بناء البيوت حول مكة المشرفة على الطراز الحديث، و هذا يقتضى إقامة الحدائق في بعض البيوت المستلزمة لتوفير المياه لها، فرأى ملك المملكة السعودية عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله تعالى، أن يمد عين زبيدة بعين أخرى ضمنا لأهل هذه البلدة المقدسة في سقيهم و سقيا حدائقهم. و في أواخر سنة (١٣٧١) ألف و ثلاثمائة و إحدى و سبعين هجرية وصل الماء من عين العزيزة إلى مكة المشرفة و اختلطت بعين زبيدة.

و لما كان صديقنا الفاضل الشيخ محمد نور قمر على رئيس قسامي عين زبيدة بمكة المشرفة هو أدرى بمثل هذه الأمور و خيرا بمياه مكة المكرمة، فقد طلبنا منه كتابه نبذة عن هذه العين الجديدة التي وصلت إلى مكة المشرفة في السنة المذكورة، التي تسمى بعين العزيزة نسبة للملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله تعالى و أحسن جزاءه فكتب الشيخ محمد نور المذكور هذه النبذة الآتية عن العين العزيزة. و إليك نص كتابته حيث يقول حفظه الله تعالى:

### عين العزيزة بمكة

في المبحث المتقدم تكلمنا عن عين زبيدة بما فيه الكفاية، و الآن نريد أن نتحدث عن عين العزيزة فنقول و بالله تعالى التوفيق: إن ازدياد السكان بمكة المشرفة و كثرة المهاجرين عليها من كافة الأقطار، و ورود الألوف المؤلفة من حجاج بيت الله الحرام في موسم حج كل عام، جعل مكة المطهرة تشعر بنقص في الماء خصوصا في وقت الحج.

فعند ذلك أحس جلالة الملك المرحوم عبد العزيز آل سعود بحاجة البلدة الطاهرة إلى عين جديدة تساعد عين زبيدة في مد مكة بما تحتاجه من المياه العذبة الصافية، و تساعد أيضا في ازدهار حركة العمران فيها. ففي أوائل عام (١٣٧٠)

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤١٨

هجريه أصدر أمره الكريم بالبحث عن عين قريبه من مكة المكرمة، تكون مياهها حلوه صافية فوق الله تعالى رجاله المخلصين إلى شراء عين تسمى: العين الجديدة، و تقع في الجانب الشمالي من مسيل السيل المنحدر من وادي النخلة الشاميه، و الذي يمر من وادي المضيق إليها و هي تبعد عن مكة المكرمة بمسافة ستة و أربعين كيلو مترا.

و لم يمض شيء من الوقت حتى صدر أمر جلالته المطاع إلى معالي الشيخ محمد بن لادن، مدير الإنشاءات الحكوميه، بإيصال ماء عين الجديدة إلى مكة المكرمة.

و في اليوم التاسع و العشرين من شهر شوال عام (١٣٧١) هجريه وصل الماء إلى مكة المكرمة، و جرى لوصوله احتفال عظيم حضره معالي الشيخ محمد بن لادن، و مدير إدارة عين زبيده، و جمع غفير من الموظفين و الأهالي.

فعمت البشرى جميع الأهالي، و حصل السرور العظيم لكافة سكان هذه البلده و الوافدين إليها، فأخذت الألسن تلهج بالدعاء الصالح لفاعل هذا الخير العظيم مولانا جلاله الملك المعظم.

و من شدة سرورهم لهذا العمل الخالد تقدموا إلى المسؤولين باقتراح يقضى بأن تحمل هذه العين اسم جلاله الملك المعظم تخليدا لذكرى هذا العمل النبيل الذي أسداه إلى شعبه الوفي، و على الوافدين إلى هذه الديار المقدسه فما كان من المسؤولين إلا أن استجابوا لهذا الطلب، فسميت بالعين العزيزيه و ستبقى إن شاء الله حامله هذا الاسم الكريم إلى ما شاء الله، فجزى الله المليك خير الجزاء و أسكنه فسيح جناته إنه سميع مجيب الدعاء.

### نبذة حول عين العزيزيه بمكة المكرمة

إن عين العزيزيه قبل سلخ ملكيته باسم مولاى المرحوم جلاله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل السعود كانت تسمى بعين الجديدة، و إن مشرعه هذه العين و مزرعته واقعته في الجانب الشمالي من مسيل السيل المنحدر من وادي النخلة الشاميه، و التي تمر من وادي المضيق إليها، و عند صدور أمر مولاى المرحوم جلاله الملك على سعادة الشيخ محمد بن لادن بإيصال ماء عين الجديدة إلى مكة المكرمة من مسافة ستة و أربعين كيلو مترا بدأ سعادته العمل فيها باذلا جهده العظيم لتحقيق رغبة المليك المفدى في عام ١٣٧٠.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤١٩

و في شوال من عام ١٣٧١ وصل الماء إلى مكة المكرمة و على أثره صدر الأمر السامى إلى إدارة عين زبيده بأخذ الماء الكافى من العين الجديدة و على أثر ذلك وردت إلى مذكوره برقم ١٣٨٤ / ١٣٧١ / ٢٨ / ١٠ للاتصال مع سعادة الشيخ محمد بن لادن لأخذ الماء الكافى من العين الجديدة، و بعد الاتصال تقرر الحضور فى عصر اليوم الثانى لفتح الماء. و يوم ١٣٧١ / ١٠ / ٢٩ فى الساعة الحاديه عشره حضر رئيس إدارة عين زبيده الشيخ عابدين خوجه، و سعادة الشيخ محمد بن لادن و بعض الموظفين من كلا الطرفين لمشاهده فتح الماء و أمر سعادة الشيخ محمد بن لادن بفتح الماء إلى خرزة دبل عين زبيده الواقعة فى المعابده بقرب القصر الملكى، و بذلك حصل السرور العظيم لجميع سكان هذه البلده و الوافدين إليها فى ذلك الوقت و لهجت ألسنة الجميع بالدعاء الصالح لرائد هذا الخير العظيم مولانا جلاله الملك المعظم.

و من السرور الذى وصل إلى قلوب أفراد الشعب فى ذلك الوقت هتفوا قائلين للمسؤولين: إن هذا العين لا بد من أن يحمل اسم جلاله الملك عبد العزيز تخليدا لذكرى هذا العمل النبيل الذى أسداه إلى شعبه، و إلى الوافدين إلى هذه الديار المقدسه فما كان من المسؤولين إلى أن يجيبوا هذا الطلب و سميت فى ذلك الوقت بعين العزيزيه و ستبقى حامله اسم هذا الملك العظيم إلى أبد الأبدان إن شاء الله، فجزاه الله عنا خير الجزاء و أن يسكنه فى جنات النعيم. اه.

تعريف موجز عن إيصال ماء عين العزيزيه بمكة المكرمة مع بيان المسافات.

أولاً: إنشاء خزان نمرة ١ على جانب مزرعة الجديدة و تسليط مياه العين على الخزان المذكور، ثم سحب المياه من الخزان بواسطة أنابيب مقاس اثنا عشرة بوصة ١٢ إلى خزان نمرة ٢ الذى أنشئ برقع الوزراء و المسافة من خزان نمرة ١ إلى خزان نمرة ٢ خمسة عشر كيلومترا، ثم سحب المياه من خزان نمرة ٢ إلى سد العدل بمكة، بواسطة الأنابيب المشار إليها أعلاه، و المسافة من خزان ٢ إلى سد العدل ثلاثين كيلو مترا و من سد العدل إلى الحديقة التى أمام باب القصر الملكى بالمعابدة من الناحية العليا، و المسافة من سد العدل إلى الحديقة كيلو مترا واحدا تقريبا، ثم إخراج فرع بوصة ١٢ من الحديقة إلى خزنة دبل عين زبيدة بجوار خزنة موردة البرج بقرب الحديقة، و فيها يختلط ماء عين العزيزية بماء عين زبيدة هذا من ناحية، و من ناحية أخرى تتصل بعض أنابيب الماء لداخل البلدة بخط بوصة ستة الممتد من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٢٠

الحديقة إلى قرب مركز شرطة الحجون، و بذلك تعمم ماء عين العزيزية فى داخل البلدة، و خصوصا فى الأماكن المرتفعة التى كانت لم تصلها الماء من عين زبيدة لانخفاض منسوبها كما أخرج فرع آخر من المرفق الذى يبعد من سد العدل بخمسة كيلو مترات تقريبا متجها إلى خزان المعيصم الكبير الذى يغذى منى و مزدلفة منها. و المسافة من المرفق إلى خزان المعيصم ثلاثة كيلو مترات. و خزان المعيصم أنشئ من ضمن هذا المشروع، ثم سحب خط بوصة ١٢ من خزان المعيصم متجها إلى منى، و منه إلى الجمره الوسطى، و المسافة من خزان المعيصم إلى الجمره الوسطى خمسة كيلو مترات، و بذلك قد تعمم الماء فى جميع النواحي، من منى و مزدلفة كما أنشئ خزان من ضمن هذا المشروع بمنى، تحت الخزان الجبلى الكبير و أخذت له فرع خط بوصة من الخط الرئيسى من منى. اه.

#### مسافة عين حنين، العين الأصلية لمكة من منبعها إلى درجة الصفا:

المسافة من ذيل جبل طاد إلى الخنقة ستة عشر كيلو مترا.  
المسافة من الخنقة إلى القهوة التى أمام مشرعه عين الشرائع ثمانية كيلو مترا.  
المسافة من القهوة التى أمام مشرعه عين الشرائع إلى درجة الصفا بمكة، اثنان و ثلاثون كيلو مترا (٣٢).

#### مسافة عين نعمان من منبعها بذيبل جبل كرا من جهة شعب العشرة إلى درجة الصفا:

المسافة من داخل البلدة من درج الصفاء إلى قهوة الطائف بعرفة بقرب موردة الكسار اثنان و عشرون كيلو مترا (٢٢).  
المسافة من قهوة الطائف بعرفة بقرب الكسار إلى العنبر الجديد (المستودع) بنعمان ستة كيلو مترات (٦).  
المسافة من العنبر الجديد بوادى نعمان إلى بئر آل الحسن الكبكى الواقعة بأول وادى نعمان من جهة ذيل جبل كرا ستة عشر كيلو مترا (١٦).

المسافة من بئر آل الحسن الكبكى إلى ذيل جبل كراء التى بها شعب العشرة ثلاثة كيلو مترات (٣).  
انتهى جميع ما ذكره الشيخ محمد نور قمر على عن العين العزيزية بمكة. فله منا مزيد الشكر و الثناء.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٢١

#### القضاء و الإفتاء بمكة

لا نريد في هذا الفصل سرد أسماء قضاة مكة و مفاتيها، منذ بدء الإسلام إلى اليوم، و إنما نذكر نبذة صغيرة عن جهة تعيينهم، و مما لا يخفى أن ولاية الأمور هم الذين يعينون القضاة في البلدان من عهد الخلفاء الراشدين و من بعدهم إلى يومنا هذا، و كان سلاطين آل عثمان يرسلون قضاة لمكة من استامبول.

فقد قال الغازي في تاريخه ما نصه:

و في سنة ٩٤٣ (تسعمائة و ثلاث و أربعين) ورد أول قاض لمكة من الروم (أى من قبل سلطان الترك) و لم يزل القاضى يصل من الروم إلى زمننا هذا، و كان قبل ذلك قضاة مكة منها، كبيت آل الطبرى و الظهيريين و النوريين. ذكره الطبرى في الإتحاف اه.

ثم ما زال الأمر كذلك حتى زوال حكم الأتراك من الحجاز سنة (١٣٣٤) و قيام حكم الشريف حسين بن على، رحمه الله تعالى في هذه السنة فكان تولى القضاء على مكة بأمر الشريف المذكور، ثم بعد زوال حكمه و تولى آل سعود على الحجاز، صار تولى قضاء مكة بأمر ملك المملكة العربية السعودية.

و من أشهر المحاكم بمكة و أقدمها المحكمة الشرعية الكبرى و مقرها باب الزيادة، و بها ثلاثة قضاة غير رئيسهم الذى هو رئيس المحكمة و جميع المحاكم مرجعها ديوان واحد يسمى «ديوان رئاسة القضاة».

قال الأستاذ أحمد السباعى في كتابه تاريخ مكة: أما القضاء فكان يتولى منصبه فى مكة علماء الأتراك الذين تنتدبهم الدولة التركىة و كانت أحكامهم مرتبطة بمشيخة الإسلام فى الآستانة فكان القاضى يمثل سلطة الأتراك الدينية و يرأس الحفلات التى ينصب فيها أمراء مكة، و يعقد المراسيم الخاصة بذلك، و يتولى تقديم الخلع السلطانية إلى الأمير. اه.

و قد ذكر الأستاذ السباعى فى كتابه المذكور البيوت الشهيرة بالعلم من أهل مكة.

و أما وظيفة الإفتاء فقد ذكر فى كتابه المذكور أيضا ما ملخصه:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٢٢

كانت أمور الفتوى، فى هذا العهد، أى «عهد العثمانيين الأول» تسند إلى بيوت العلم من المكيين بتأييد من الدولة العثمانية بخلاف وظيفة القضاء، فقد اختص العثمانيون أنفسهم بها، فكان الناس إذا لم يقتنعوا بحكم القاضى التركى لجأوا إلى استفتاء المفتى فى قضاياهم، فإذا أفتى فى صالحهم استندوا على فتواه و رجعوا بها إلى مجلس القاضى، و كان لكل مذهب من المذاهب الأربعة مفتى مختص و يرأسهم مفتى الحنفية، لأن السلطان على مذهب أبى حنيفة، و أول من تولى رئاسة الفتوى فى عهد العثمانيين هو الشيخ قطب الدين الحنفى المكى.

و مما يناسب هذا المقام ما ذكره القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى:

إن أول قاض كان فى الإسلام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، استقضاه أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه، فى خلافته فمكث سنة لا يأتية أحد فى قضية. انتهى.

و هذا لا- يستغرب فى عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فلقد تغلغل الدين و التقوى فى نفوسهم، و سرى العدل و الإنصاف فيهم سريان الدم فى الشرايين و الأوردة، و فى المثل «لو أنصف الناس استراح القاضى».

و من أحسن الحكم و الوصايا ما كتبه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى القضاء لأبى موسى الأشعرى رضى الله عنه و هو ما ذكره صاحب كتاب جواهر الأدب و هذا نصه:

«أما بعد» فإن القضاء فريضة محكمة، و سنة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس بين الناس فى وجهك و عدلك و مجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك و لا ييأس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعى و اليمين على من أنكر و الصلح جائز بين المسلمين إلا- صلحا أحل حراما أو حرم حلالا- إلا- يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك، و هديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم و مراجعة الحق خير من التماضى فى الباطل. الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس

فى كتاب و لا سنه ثم اعرف الأشباه و الأمثال فقس الأمور عند ذلك، و اعمد إلى أقربها إلى الله، و أشبهها بالحق. و اجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينه أمدا ينتهى إليه، فإذا أحضر بينته أخذت له بحقه، و إلا استحللت عليه القضية، فإنه أنفى للشك و أجلى للعمى.

المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء أو نسب

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٢٣

فإن الله تولى منكم السرائر و درأ بالبينات و الأيمان و إياك و القلق و الضجر و التأذى بالخصوم و التنكر عند الخصومات فإن الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر، و يحسن به الذخر فمن صحت نيته و أقبل على نفسه كفاه الله ما بينه و بين الناس، و من تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله، فما ظنك بثواب غير الله عز و جل فى عاجل رزقه و خزائن رحمته، و السلام.

و لقد جاء فى كتاب صبح الأعشى للقلقشندى بالجزء الثانى عشر بصحيفة (٢٤٠) صورة المرسوم السلطانى لأحد العلماء بتولية قضاء مكة المشرفة، أحببنا نقلها هنا لما فيها من الفوائد الجمه، و الظاهر أنه مرسوم صادر عن سلاطين مصر قبل حكم الأتراك.

قال القلقشندى رحمه الله تعالى عن صورة المرسوم ما نصه:

و هذه نسخة توقيع بقضاء مكة المشرفة:

الحمد لله الذى أنفذ الأحكام بالبلد الحرام و أيد كلمه الشرع فى بلده و منشئه بيد الركن و المقام، و جعل الإنصاف الجزيل حول حجر إسماعيل متسق النظام.

نحمده حمدا حسن الدوام، و نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد قائم بحقها أحسن القيام، و نشهد أن سيدنا محمدا عبده و رسوله السامى من ولد سام، و الذى قام لله حتى و رمت منه الأقدام، و أسرى به من مكة إلى السماء مرتين: فى اليقظة و المنام، صلى الله عليه و على آله و صحبه، أئمة الصلاة و الصيام و سلم تسليمًا.

و بعد: فإن وظيفة القضاء بمكة المعظمة هى أجل منصب بتلك الأباطح و نورها فى الجبين لائح، فإن الشرع نشأ منها و الوحي أنزل فيها، فزهيت البطائح و ظهرت النصائح، و أطربت الصوادح، و أسكتت النوائح و غمرت المنايح و انتشرت المصالح فمن ولى الحكم بها و عدل فذلك هو العدل الصالح، و كيف لا و ماء زمزم شرابه و أستار البيت تمسها أثوابه، و على الله أجره و ثوابه، و فى ذلك الجناب الشريف كرم جنابه و إذا دعا الله عند الملتزم جاءه من القبول جوابه.

و لما كان فلان هو فرع الدوحة المثمرة، و محصل من العلوم الشرعية المادة الموفرة و له البحوث التى (هى) عن أحسن الفوائد و غرر الفرائد مسفرة و رضى أهل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٢٤

الحرم، لما جبل عليه من خير و كرم (تمسك) بالعروة الوثقى و القوى الأتقى فلا جرم.

فلذلك رسم ... لا زال ...

فليكن فى أم القرى كالوالد المشفق على الورى و ليمسك من التقوى بأوثق العرا، و ليخش رب هذا البيت إنه سميع يسمع و يرى و وفد الله قطعوا إليه المراحل فى السرى ليصافحوا كفه المضمخ عنبرا، و ليقض بين الخصوم بالحق فمثله من درأ الباطل قد جعله الله جار بيت عالى الذرا، و فى أرض شرف الله جبالها و قدس غيرانها، فمنها: غار ثور و غار حرا، لأن النبى صلى الله عليه و سلم كان يتعبد فى غار حرا، و أوى إلى غار ثور لما هاجر مؤيدا مظفرا، و الوصايا كثيرة و ملاكها تقوى الله، فليتمسك بها من أمام و ورا، و الله تعالى يجعل نهاره منورا و ليله مقمرا بمنه و كرمه. انتهى من صبح الأعشى.

فانظر رحمك الله إلى المراسيم السلطانية لتعيين القضاء سابقا و إلى المراسيم لتعيينهم فى عصرنا الحاضر، تجد فرقا كبيرا فى الصورة و الإنشاء فسبحان من بيده ملكوت السموات و الأرض.

و على سبيل الاستطراد نقول: إن ابن بطوطة ذكر فى رحلته التى كانت سنة (٧٢٥) أن قاضى الاسكندرية عماد الدين الكندى، و هو

إمام من أئمة علم اللسان كان يعتم بعمامة خرقت المعتاد للعمائم قال: لم أر فى مشارق الأرض و مغاربها عمامة أعظم منها، رأيتها يوما قاعدا فى صدر محراب و قد كادت عمامته أن تملأ المحراب. انتهى.

قال العلامة ابن خلدون فى مقدمته عن القضاء عند الكلام على الخطط الدينية الخلفية، ما يأتى: و أما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لأنه منصب الفصل بين الناس فى الخصومات حسما للتداعى و قطعاً للتنازع إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب و السنة، فكان لذلك من وظائف الخلافة و مندرجا فى عمومها، و كان الخلفاء فى صدر الإسلام يباشرونه بأنفسهم و لا يجعلون القضاء إلى من سواهم و أول من دفعه إلى أميره و فوضه فيه عمر رضى الله عنه فولى أبا الدرداء معه بالمدينة و ولى شريحا بالبصرة و ولى أبا موسى الأشعري بالكوفة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٢٥

و إنما كانوا يقلدون القضاء لغيرهم، و إن كان مما يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة العامة، و كثرة أشغالها، من الجهاد و الفتوحات و سد الثغور و حماية البيضة و لم يكن ذلك مما يقوم به غيرهم لعظم العناية، فاستحقوا القضاء فى الواقع بين الناس و استخلفوا فيه من يقوم به تخفيفا على أنفسهم، و كانوا مع ذلك إنما يقلدونه أهل عصبيتهم بالنسب أو الولاء و لا يقلدونه لمن بعد عنهم فى ذلك.

و أما أحكام هذا المنصب و شروطه فمعروفة فى كتب الفقه، و خصوصا كتب الأحكام السلطانية، إلا أن القاضى إنما كان له فى عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط، ثم دفع لهم بعد ذلك أمور أخرى على التدرج بحسب اشتغال الخلفاء و الملوك بالسياسة الكبرى. و استقر منصب القضاء آخر الأمر على أنه يجمع مع الفصل بين الخصوم، استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر فى أموال المحجور عليهم من المجانين و اليتامى و المفلسين و أهل السفه، و فى وصايا المسلمين و أوقافهم و تزويج الأيامى عند فقد الأولياء على رأى من رآه و النظر فى مصالح الطرقات و الأبنية و تصفح الشهود و الأمناء و النواب و استيفاء العلم و الخبرة فيهم بالعدالة و الجرح ليصل له الوثوق بهم، و صارت هذه كلها من تعلقات وظيفته و توابع ولايته.

و قد كان الخلفاء من قبل يجعلون للقاضى النظر فى المظالم، و هى وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة و نصفه القضاء، و تحتاج إلى علو يد و عظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين و تزجر المتعدى، و كأنه يمضى ما عجز القضاء أو غيرهم عن إمضائه، و يكون نظره فى البيئات و التقرير و اعتماد الإمارات و القرائن، و تأخير الحكم إلى استجلاء الحق، و حمل الخصمين على الصلح و استخلاف الشهود، و ذلك أوسع من نظر القاضى.

و كان الخلفاء الأولون يباشرون بها بأنفسهم، إلى أيام المهتدى من بنى العباس، و ربما كانوا يجعلونها لقضائهم، كما فعل عمر رضى الله عنه مع قاضيه أبى إدريس الخولانى و كما فعله المأمون ليحيى بن أكثم و المعتصم لأحمد بن أبى داود، و ربما كانوا يجعلون للقاضى قيادة الجهاد فى عساكر الطوائف، و كان يحيى بن أكثم يخرج أيام المأمون بالطائفة إلى أرض الروم، و كذا منذر بن سعيد قاضى عبد الرحمن الناصر من بنى أمية بالأندلس.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٢٦

فكانت تولية هذه الوظائف إنما تكون للخلفاء أو من يجعلون ذلك له، من وزير مفوض أو سلطان متغلب، و كان أيضا النظر فى الجرائم و إقامة الحدود، فى الدولة العباسية و الأموية بالأندلس، و العبيدين بمصر و المغرب راجعا إلى صاحب الشرطة و هى وظيفة أخرى دينية كانت من الوظائف الشرعية فى تلك الدول توسع النظر فيها عن أحكام القضاء قليلا، فيجعل التهمة فى الحكم مجالا، و يفرد العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم، و يقيم الحدود الثابتة فى محالها، و يحكم فى القود و القصاص، و يقيم التعزير و التأديب فى حق من لم ينته من الجريمة، ثم تنوسى شأن هاتين الوظيفتين فى الدول، التى تنوسى فيها أمر الخلافة، فصار أمر المظالم راجعا إلى السلطان، كان له تفويض من الخليفة أو لم يكن، و انقسمت وظيفة الشرطة قسمين منها: وظيفة التهمة على الجرائم و إقامة حدودها، و مباشرة القطع و القصاص حيث يتعين، و نصب لذلك فى هذه الدول حاكم يحكم فيها بموجب السياسة دون مراجعة الأحكام

الشرعية، و يسمى تارة باسم الوالى و تارة باسم الشرطة، وبقى قسم التعازير و إقامة الحدود فى الجرائم الثابتة شرعا، فجمع ذلك للقاضى مع ما تقدم، و صار ذلك من توابع وظيفته و ولايته، و استقر الأمر لهذا العهد على ذلك، و خرجت هذه الوظيفة عن أهل عصبية الدولة، لأن الأمر لما كان خلافة دينية، و هذه الخطة من مراسم الدين فكانوا لا يولون فيها إلا من أهل عصبته من العرب و مواليهم بالحلف أو بالرق أو بالاصطناع ممن يوثق بكفائته أو غنائه فيما يدفع إليه.

و لقد كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأبى موسى الأشعري الذى ولاه القضاء بالكوفة كتابا قيما تدور عليه أحكام القضاء، و فيه يقول:

أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة و سنة متبعة، فافهم إذا أدى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، و آس بين الناس فى وجهك و مجلسك و عدلك، حتى لا يطمع شريف فى حيفك، و لا يبأس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعى و اليمين على من أنكر و الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا، و لا يمنعك قضاء قضيته أمس فراجعت اليوم فيه عقلك، و هديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، و مراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل، الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب و لا سنة، ثم اعرف

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٢٧

الأمثال و الأشباه و قس الأمور بنظائرها و اجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهى إليه، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه و إلا استحللت القضية عليه، فإن ذلك أنقى للشك و أجلى للعلماء، المسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا مجلودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زورا و ظنينا فى نسب أو ولاء فإن الله سبحانه عفا عن الأيمان و درأ بالبينات، و إياك و القلق و الضجر و التأفف بالخصوم، فإن استقرار الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر و يحسن به الذكر، و السلام. انتهى كتاب عمر.

انتهى كل ذلك من مقدمة ابن خلدون.

### القاضى يحكم بحسب الظاهر

أحكام القضاء فى جميع المسائل الدينية من نحو الأموال و المناكحات راجعة إلى نفس القاضى، و هو أدرى بما يجب عليه و ما يلزمه و نحن إنما نعقد هذا المبحث لبيان معنى حديث مروى فى الصحيحين يتعلق بالمحاكمة، و هو هذا:

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إنكم تختصمون إلى و لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار». رواه البخارى و مسلم عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها.

و معنى الحديث: لعل وصف بعضكم ألحن أى أبلغ فى تقرير مقصوده من بعض من لا يقدر على إظهار حجته لسوء منطقه و عجزه، فمن حكم له من حق أخيه بشىء فلا يأخذه، فالنبي صلى الله عليه و سلم إنما يحكم بالظاهر و بحسب ما يسمع، لذلك قال فى مسألة أخرى: «إنى لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس و لا أشق بطونهم». رواه أحمد و البخارى.

و نحن كم رأينا بعض الناس ممن لهم حق واضح إذا جلس أمام القاضى أو الحاكم لا يقدر على إظهار ما فى نفسه، بل يعجز عن إثبات حقه، بينما خصمه يغلبه بجرأة جناه و طلاقة لسانه، و هو ظالم لا حق له فى شىء.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٢٢٨

إن بعض الناس أوتى ذرابة اللسان، و قوة الجنان، و إن لم يكن متعلما، و بعضهم أوتى ضعفا فى المنطق و عيا فى اللسان، و حياء زائدا فى المجالس و المجتمعات، و خوفا و رهبة فى التحاكم.

و صريح هذا الحديث: أن بعضهم يأخذ ما لا حق له فيه، من طلاقة لسانه، و حسن تقريره فمن أخذ شيئا لا يستحقه حاسبه الله عليه،



فليتق الله ربه.

## إنشاء المحكمة الشرعية الكبرى

المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة لم نعلم متى أنشئت و ظهرت في الوجود، و قد كانت موجودة في عصر الحكومة العثمانية التركية، و الذي يظهر لنا و الله تعالى أعلم بغيبه أنها أنشئت منذ ثلاثة قرون تقريباً، أي منذ كثرت الدعاوى و الشكاوى و قلت الأمانة في الناس، فرأت الدولة التركية العثمانية لا بد من إنشاء محكمة رسمية تدون فيه المحاكمات، و لا يبعد أنها أنشئت في زمن إنشاء جميع المحاكم في جميع البلاد الإسلامية تبعاً للتطور. و الله تعالى أعلم.

## رؤساء المحكمة الشرعية الكبرى بمكة

من سنة (١٢٠٥) هجرية إلى سنة (١٣٨٤) هجرية.

لقد كتبنا خطاباً في غرة شهر شعبان سنة (١٣٨٤) هجرية لحضرة صاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ سليمان بن عبيد رئيس المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة، نسأله عن تاريخ إنشاء هذه المحكمة، و عن أسماء قضاتها في العصور السابقة، فورد لنا منه، حفظه الله تعالى و أدام توفيقه، الجواب الآتي نذكره بنصه، و هو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد طاهر الكردي المحترم،

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته و بعد: إشارة إلى خطابكم المؤرخ في ١٣٨٤ / ٨ / ١ هـ و الذي ترغبون فيه الإفادة عن تاريخ تنظيم المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة و عن أسماء قضاتها من ذلك التاريخ و عن مدة من تولى رئاستها لكي تكتبوا عن ذلك في تاريخكم المزمع إبرازه إلى حيز الوجود، و نحيط

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٢٩

فضيلتكم أننا لم نجد إلى ذلك سيلاً، فيما قبل عام ١٢٠٤ هـ، أما بعد ذلك فإليكم ما وصل إليه معلومنا نحو طلبكم.

من عام ١٢٠٥ إلى عام ١٢٠٧ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد أفندي.

من عام ١٢٢٨ إلى عام ١٢٣٠ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد تقى الدين.

من عام ١٢٣٠ إلى عام ١٢٣١ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ حافظ محمد حامد.

في عام ١٢٣٢ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ عمر أفندي زاده.

في عام ١٢٣٣ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد قدسى.

من عام ١٢٣٣ إلى عام ١٢٣٥ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ درى زاده الحاج محمد عابد.

من عام ١٢٣٦ إلى عام ١٢٣٨ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ حمد الله بن عزت زاده.

من عام ١٢٣٨ إلى ١٢٣٩ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ عثمان لطفى أفندي.

من عام ١٢٣٩ إلى عام ١٢٤٥ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد صادق أفندي.

من عام ١٢٥١ إلى عام ١٢٥٣ تولى رئاسة المحكمة فضيلة السيد إبراهيم خليل.

من عام ١٢٥٤ إلى عام ١٢٥٥ تولى رئاسة المحكمة فضيلة السيد محمد حسين أفندي.

في عام ١٢٥٦ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ يحيى توفيق أفندي.

- من عام ١٢٥٧ إلى عام ١٢٥٨ تولى رئاسة المحكمة فضيلة السيد مصطفى عاصم.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٣٠
- من عام ١٢٥٩ إلى عام ١٢٦٠ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد سعيد أفندي.
- من عام ١٢٦٠ إلى عام ١٢٦١ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد طاهر أفندي.
- من عام ١٢٦٢ إلى عام ١٢٦٣ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ مصطفى نوري.
- من عام ١٢٦٣ إلى عام ١٢٦٤ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ مصطفى حامد.
- في عام ١٢٦٥ تولى رئاسة المحكمة فضيلة السيد محمد عماد الدين.
- في عام ١٢٦٦ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ أحمد توحيد.
- في عام ١٢٦٧ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ إبراهيم أدهم.
- في عام ١٢٦٨ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد سعد الله.
- في عام ١٢٧٠ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ مصطفى حمدي.
- في عام ١٢٧١ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ علي رضا.
- في عام ١٢٧٢ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد شمس الدين.
- في عام ١٢٧٣ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد رشدي.
- في عام ١٢٧٤ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ أحمد عزت.
- في عام ١٢٧٥ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ سيروز حسن.
- في عام ١٢٧٦ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد شمعي.
- في عام ١٢٧٧ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد شمس الدين.
- في عام ١٢٧٨ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد قدرى.
- في عام ١٢٧٩ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ حافظ محمد.
- في عام ١٢٨٠ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد توفيق.
- في عام ١٢٨١ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد خالد.
- في عام ١٢٨٢ تولى رئاسة المحكمة فضيلة السيد محمد أمين بيك الحرزوي.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٣١
- في عام ١٢٨٣ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد أمين أفندي.
- في عام ١٢٨٤ إلى عام ١٢٨٥ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمود بيك ثم مصطفى نظمي.
- في عام ١٢٨٦ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ مصطفى نظمي.
- من عام ١٢٨٧ إلى عام ١٢٨٩ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد سعيد أفندي.
- في عام ١٢٩٠ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ عزت زاده محمد حفيد محمد رضا.
- في عام ١٢٩١ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد عفيف أفندي.
- في عام ١٢٩٢ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد نوري أفندي.
- في عام ١٢٩٣ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ إبراهيم أدهم أفندي.
- في عام ١٢٩٤ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ حسن صبرى أفندي.

- في عام ١٢٩٥ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد ثروت أفندي.  
 في عام ١٢٩٦ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ مصطفى فائق أفندي.  
 في عام ١٢٩٧ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ كرام الدين.  
 في عام ١٢٩٨ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد أمين أفندي.  
 في عام ١٢٩٩ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ مصطفى رشدي.  
 في عام ١٣٠٠ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ عمر فهمي أفندي.  
 في عام ١٣٠١ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ مصطفى النيب.  
 في عام ١٣٠٢ تولى رئاسة المحكمة فضيلة السيد محمد أمين.  
 في عام ١٣٠٣ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ بغدادى زاده عبد الرحيم.  
 في عام ١٣٠٤ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد سعيد أفندي.  
 في عام ١٣٠٥ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ يونس وهبى أفندي.  
 في عام ١٣٠٦ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد أحمد عطا الله شكرى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٣٢

- في عام ١٣٠٧ تولى رئاسة المحكمة فضيلة السيد محمد شكرى. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٣-٥ ؛ ص ٤٣٢  
 عام ١٣٠٨ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ حسين رشدي.  
 في عام ١٣٠٩ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد ضياء الدين.  
 في عام ١٣١٠ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ عبد الله صائب أفندي.  
 في عام ١٣١١ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ أحمد عاصم أفندي.  
 في عام ١٣١٢ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد سالم أفندي.  
 في عام ١٣١٣ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ كمال الدين أفندي.  
 في عام ١٣١٤ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ أحمد نظيف أفندي.  
 في عام ١٣١٥ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ عبد الكريم أفندي.  
 في عام ١٣١٦ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد عارف أفندي.  
 في عام ١٣١٧ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد فؤاد أفندي.  
 في عام ١٣١٨ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ مصطفى نعيم أفندي.  
 في عام ١٣١٩ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد هاشم بن عثمان.  
 في عام ١٣٢٠ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد هاشم أفندي.  
 في عام ١٣٢١ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ عبد الله كمال الدين أفندي.  
 في عام ١٣٢٢ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ إبراهيم حقى أفندي.  
 في عام ١٣٢٣ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد جمال الدين.  
 في عام ١٣٢٤ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد رفعت أفندي.  
 في عام ١٣٢٥ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ مفتى زاده أحمد نظيف.  
 في عام ١٣٢٦ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ حسين فهمي أفندي.

في عام ١٣٢٧ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ حافظ عثمان نوري.

في عام ١٣٢٨ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ مصطفى زين الدين الآلوسي.

في عام ١٣٢٩ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ عمر خلوص.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٣٣

في عام ١٣٣٠ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ علي رضا.

من عام ١٣٣١ إلى عام ١٣٣٢ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ أسعد شكرى ثم عمر فخر الدين.

من عام ١٣٣٢ إلى عام ١٣٣٣ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ سليمان رشدي.

من عام ١٣٣٣ إلى عام ١٣٣٤ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ أحمد حلمي.

من عام ١٣٣٤ إلى عام ١٣٣٦ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ صالح صدقي.

من عام ١٣٣٦ إلى عام ١٣٤٠ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ أسعد دهان.

من عام ١٣٤١ إلى عام ١٣٤٣ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ عبد الله أبو الخير ميرداد.

من عام ١٣٤٣ إلى عام ١٣٤٩ تولى رئاسة المحكمة فضيلة السيد محمد المرزوقي.

من عام ١٣٤٩ إلى عام ١٣٥٠ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ أحمد كماخي.

من عام ١٣٥١ إلى عام ١٣٥٧ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ أحمد قاري.

من عام ١٣٥٧ إلى عام ١٣٦٥ تولى رئاسة المحكمة فضيلة السيد محمد زكي البرزنجي.

من عام ١٣٦٥ إلى عام ١٣٦٦ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد يحيى أمان.

في عام ١٣٦٧ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ سالم شفي.

من عام ١٣٦٧ إلى عام ١٣٧١ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ عبد الحميد حديدي.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٣٤

من عام ١٣٧١ إلى عام ١٣٨٣ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ عبد الله بن دهيش.

في عام ١٣٨٣ إلى عام ١٤٠١ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ سليمان بن عبيد.

هذا و من عام ١٣٨٣ ه تولى رئاسة هذه المحكمة، و تتكون في الوقت الحاضر من رئيس و مساعد و خمسة أعضاء و ملازمين و

أرجو الله تعالى أن يجعلني من الذين يقولون بالحق و به يعدلون و أن يعافيني من هذا العمل العظيم الخطر، و أن بيدلني بمن هو أكفأ

مني في الوقت القريب العاجل إنه سميع مجيب و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم.

في ١٧/١٠/١٣٨٤ ه

رئيس المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة

سليمان بن عبيد

هذا هو نص مذكرة فضيلة الشيخ سليمان بن عبيد رئيس المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة في وقتنا الحاضر و هو من أفاضل

علماء نجد من أهل الدين و الاستقامة كما أن سلفه فضيلة الشيخ عبد الله بن دهيش من أفاضل علماء نجد أيضا و قد تولى ابنه الشيخ

عبد الملك بن دهيش رئيسا مساعدا لمحاكمة مكة المكرمة من عام ١٣٨٢ ه إلى عام ١٤٠٣ ه. و إن من يتأمل الأسماء الواردة في هذه

المذكرة يجد أن غالبهم من الأتراك تعينهم الدولة العثمانية التركية رؤساء للمحاكمة الشرقية بمكة، ثم من بعد زوال حكم الأتراك

من الحجاز و غيرها من البلدان العربية أي من سنة ١٣٣٤ هجرية نجد أن رؤساء المحكمة الشرعية بمكة المشرفة كلهم من أهلها، كما

هو ظاهر من هذه المذكرة القيمة المعبرة.

## إنشاء المحاكم المستعجلة

أما المحاكم المستعجلة فقد كان أول تأسيسها وإنشائها في عهد الشريف الحسين بن علي بعد أن استقل بالحجاز فإنه رحمه الله تعالى أصدر أمره بتأسيس محكمة جديدة بمكة تسمى: «محكمة المواد المستعجلة» وذلك في السابع عشر من رجب سنة (١٣٣٦) ست و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف هجرية، و انتخب لرئاستها التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٣٥

المرحوم الشيخ سالم شفي. ثم في شهر صفر سنة (١٣٣٧) صدر أمره أيضا بتأسيس محكمة مستعجلة بجدة، و انتخب لرئاستها السيد عبد الله خيار.

و قد وضع في قانون و نظام المحاكم المستعجلة إحدى عشرة مادة للسير بمقتضاها ذكر كل ذلك الشيخ عبد الله الغازي رحمه الله تعالى في الجزء الثالث من تاريخه و نحن لم نقله منه حتى لا يطول الكلام.

و يوجد الآن في هذا العصر بمكة المكرمة ثلاث محاكم مستعجلة.

و اعلم بأن الإفتاء من الوظائف الشرعية يجب المحافظة عليها. و إليك نص المذكرة التي رفعها إلى الحكومة المصرية العلامة الكبير و العلم الشهير في جميع الأقطار الإسلامية فضيلة الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية سابقا المتوفى في عصرنا الحاضر، رحمه الله تعالى و هذه المذكرة طبعت بالقاهرة بالمطبعة السلفية في سنة (١٣٤٦) و لما كانت في حجم رسالة صغيرة أحببنا نقلها هنا زيادة في الفائدة و هي هذه:

مذكرة:

من حضرة مولانا الأستاذ الأكبر صاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية سابقا رحمه الله تعالى مقدمة لمجلس الشيوخ المصري ببيان أن وظيفة الإفتاء وظيفة شرعية دينية يجب على ولي الأمر أن يوظف فيها من يليق لها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

حضرة صاحب العزة و كيل مجلس الشيوخ.

أرجو عرض ما يأتي على نظر مجلس الشيوخ الموقر:

إنه تقدم باقتراح طلب إلغاء وظيفة الإفتاء بالديار المصرية، و لما لإقرار هذا الاقتراح من المضار الكثيرة، أردت أن أعرض للمجلس أن وظيفة الإفتاء كوظيفة القضاء من أهم مصالح المسلمين و تعد في شريعة الإسلام من الفرائض الدينية التي يجب على ولي الأمر مراعاتها، و نصب من يقوم بها ممن هو أهل لها من العلماء و إن لم يقوم ولي الأمر بذلك كان آثما.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٣٦

و الأصل في ذلك أن جميع الخطط الدينية كانت للنبي صلى الله عليه و سلم وحده فلما كثر المسلمون أقام من ينوب عنه في تلك الخطط فجعل من قبله ولاة و أمراء و قضاة و مفتيين، و غير ذلك مما اقتضاه نظام الحكم في عصره صلى الله عليه و سلم، ثم تبعه في ذلك الخلفاء الراشدون و استمر العمل على ذلك إلى يومنا هذا.

و كل وال يملك في ملكه جباية الخراج، و تعيين الحكام و غير ذلك تكون تلك الخطط في مملكته من وظائفه يعين فيها من ينوب عنه في كل منها. و لذلك لما ذكر ابن خلدون الخطط الدينية المختصة بالخلافة، و ترجع إلى الخطط الملوكية السلطانية عدّ منها الفتيا و جعلها من مصالح المسلمين و جعل مراعاتها من الواجبات على ولي الأمر (انظر ص ١٨٢ من مقدمته).

و قال الجلال الدواني في شرحه العقائد العصرية، ص ٦٨: يجب على الكفاية تفصيل الدلائل ليتمكن معه من إزالته و إلزام المعاندين

و إرشاد المسترشدين، و قد ذكر الفقهاء أنه لا بد أن يكون في كل حد مسافة القصر شخص متصف بهذه الصفة، و يسمى «المنسوب للذنب و المنع» و يحرم على الإمام إخلاء مسافة القصر عن مثل هذا الشخص، كما يحرم عليه إخلاء مسافة العدو عن العالم بظواهر الشريعة و الأحكام التي تحتاج إليها العامة. اهـ.

و هذا هو المسمى بالمفتى الآن. قال في الحواشي الجديدة: مسافة العدو التظلم إلى القاضى لأجل عدم حضور الخصم لبعده و حكم الشرع في هذه المسألة أن الخصم إذا كان في موضع أو ابتكر إليه يحضر مجلس القضاء، و يجب خصمه و يبيت في منزله، فالقاضى يحضره بخط الإحضار، فالمقصود ههنا أنه يجب على الإمام نصب من هو عالم بظواهر الشريعة و الأحكام ليرجع إليه الناس في حوائجهم الشرعية في هذه المسافة بأن يذهب الناس إليه بكره و يرجعون إلى منازلهم مساء اهـ. و قال صاحب النهر: و الأصح أن الإفتاء غير مكروهه لمن كان أهلا، و على ولى الأمر أن يبحث عن من يصلح للفتوى، و يمنع من لا يصلح، و نقل عن بعض الشافعية أنه إن لم يكن غيره عليه و إلا فهو فرض كفاية. اهـ.

و ليس من ضروريات إقامة ولى الأمر مفتيا و توظيفه شرعا، أن يكون لهذا المفتى مرتب من بيت المال «المالية» بل المفتى عامل للمسلمين، قد حبس نفسه لعملهم، فيجب أجره من مالهم فإن أخذه من بيت المال فليس له أن يأخذ من الناس شيئا، و إن لم يكن له مرتب أخذ أجره ممن يستفتيه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٣٧

و على ذلك لا يلزم من إلغاء مرتبه و حذفه من ميزانية الدولة إلغاء الوظيفة التي يجب على ولى الأمر أن يقيم فيها من يليق لها، و أنا لا أظن أن المجلس يوافق على أن المفتى يأخذ أجره ممن يستفتيه، و يرى المجلس الموقر أنى لا- أذاع عن راتب الوظيفة و درجه في الميزانية أو حذفه منها، و إنما أنا أبين حكم الشريعة في وظيفة الفتيا ذاتها، كإحدى الخطط الدينية التي يجب على ولى الأمر أن ينصب فيها من يقوم بها نيابة عنه.

### أهمية وظيفة الإفتاء:

إن وظيفة الإفتاء من أهم الوظائف التي يلزم أن تكون قائمة دائمة، بالديار المصرية لوجوه:  
أولا: أن جميع وزارات الحكومة و توابعها، كالمحافظة و نحوها، يرجعون إليه، فيما يتعلق بالمسائل الشرعية، لأن فتواه باعتباره موظفا يكون لها الصبغة الرسمية، فيصح للحكومة أن تعتمد عليها، و ترجع فيها فيما يتعلق بتلك المسائل إليها.

ثانيا: أن كثيرا من القضايا المدنية التي تنظر بالمحاكم الأهلية تحتاج المحكمة التي تنظر بها القضية إلى أن تنتور في حكمها بفتوى شرعية، ولكنها لا- تطلب ذلك بصفته رسمية، فحينئذ يلجأ الخصوم إلى الحصول على فتوى شرعية بما ذكر، و يقدمونها لتلك المحكمة كمستند، فلو لم يكن بالديار المصرية مفت موظف يمكن أن يأتي كل واحد من الخصمين بفتوى شرعية تؤيد طلباته، و لا بعدم وجود مفت يكون بحرا في ذمته يعطيه ما يطلبه، فوجود مفت موظف يعطى لفتواه الصبغة الرسمية ترفع الإشكال و يمكن للمحكمة التي تنظر بالقضية أن تعتمد عليها و تستنير بما فيها.

ثالثا: أن المفتى الذى يقيمه ولى الأمر فى مصر ليس مرجعا فى الفتاوى للمسلمين فقط، بل لغيرهم من الملل الأخرى، يرجعون إليه فى فتاواه، و يعملون بها فيما يتعلق بالمواريث و الأوقاف.

رابعا: أن المواد التي يقع فيها الخلاف بين الأسر ذوات الشرف و العماد بالقطر المصري، لا يريدون أن يلجأوا فيها إلى القضاء، شرعا كان أو أهليا، حفظا لكيان تلك الأسرة، فيلجأون إلى فتوى المفتى الموظف بمصر و الخلاف الذى يحسم على هذا الوجه أكثر بكثير مما يحسم أمام الجهات القضائية خصوصا فى قضايا الأوقاف و الموارىث، فضلا على أن أكثر الخصومات أمام جهات القضاء يطول

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٣٨

مداها، وربما يموت الخصمان فتقوم ورثتهما مقامهما، ولا تنتهي تلك الخصومة، وإن انتهت بعد اللتيا والتي، فلا تنتهي إلا بعد أن يخسر كل من الخصمين كل شيء حتى الجلد والسقط، ويعلم ذلك لمن يرجع إلى فتاوى المفتين السابقين.

خامسا: أن مفتى الديار المصرية ليس مرجعا للمصريين فقط في فتاواه، بل هو مربع لمختلف الأقطار، لا فرق بين البعيد منها كالهند والقرىب كالشام، فإن أكثر هذه الأقطار ترجع فيما يشكل عليها من الأحكام الشرعية أو فيما يختلف فيه علماؤها إلى فتوى مفتى الديار المصرية، ويكون قوله الفصل في ذلك، وهذا مما يجعل لمصر فخرا و شرفا على سائر الأقطار الأخرى، ويجعل المجلس حريصا كل الحرص على إيجاد وظيفة الفتوى، لو لم تكن موجودة فكيف لا يحرص على إبقائها حيث كانت موجودة؟ فالغاء وظيفته هدم لمرجع عامل منظور إليه بعين الاحترام من سائر المسلمين.

سادسا: أن مفتى الديار المصرية بمقتضى وظيفته وعمله هو شيخ لعلماء الحنفية، ومعين ناظرا أصليا على أوقاف كثيرة و ناظرا حسيا كذلك و مرتبط به وظائف كثيرة في مصالح الأزهر و أوقافه. ففي إلغاء وظيفته الفتوى تعطيل لكل هذه المصالح، وهذا لا يلتزم مع المصلحة العامة و موجب للارتباك بلا مبرر.

النتيجة: يعلم مما أوضحنا أن وظيفة الإفتاء وظيفه من الوظائف الدينية، التي يجب على ولي الأمر أن ينصب فيها من يقوم بها، كوظيفة القضاء. و قد جعلتها الشريعة الإسلامية من الفرائض الدينية، و من أهم المصالح الإسلامية، و أنها وظيفه لها الأهمية الكبرى على الوجه الذي فصلنا.

و ما أظن أن المجلس بعد الذي أوضحناه يوافق على إلغائها، و يخالف ما قضت به الشريعة الإسلامية، خصوصا مع ما لهذه الوظيفة من الأهمية و شرف المنزلة.

و الذي أرجوه من المجلس أن يسن قانونا، يحتم فيه مراعاة توفر الشروط الشرعية، فيمن يوظف في تلك الوظيفة، و يقطع عرق المحسوبة و الأغراض، التي تؤدي إلى أن يوظف فيها، من لا يليق لها و لا تليق له، و يحط من كرامتها و يضع احترامها، و لكل عالم سيرة و سيرته بنزاهة أو غيرها.

و مهما تكن عند امرئ من خليقة و إن خالها تخفى على الناس تعلم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٣٩

كما إنى أرجو أن يلغى بالنظر إلى وظيفة الإفتاء، تقييد الموظف فيها بسن مخصوص، فإن من شرط المفتى إن لم يكن مجتهدا أن يكون قادرا على استنباط الأحكام في الحوادث المتجددة، من أصول الشريعة و أدلتها الأربعة، و كلما كان الموظف فيها أكبر سنا و أغزر علما و أوسع اطلاعا كان أوفر عقلا و أكثر وقارا و حلما. و إنى مع ثقتى بنظر المجلس الموقر لهذا الأمر الخطير بما يليق به من كامل العناية أقدم لعزتكم وافر شكرى و احترامى وفقنا الله لما فيه السداد و الرشاد إنه هو الرؤوف بالعباد.

### القضاء فى عهد الخلفاء الراشدين

قال الخضرى رحمه الله تعالى فى محاضراته «تاريخ الأمم الإسلامية» عن القضاء، فى عهد الخلفاء الراشدين ما يأتى:  
كان القضاء معتبرا من عمل الخليفة؛ لأن معناه فصل الخصومات و المنازعات، على حسب القانون الشرعى المأخوذ من الكتاب و السنة، فكان الخلفاء يباشرون هذا العمل بأنفسهم، و يستفتون فى الحكم، إن كانت هناك حاجة إلى الاستفتاء، و لما كثرت المشاغل و اتسعت الفتوح و اضطر الخلفاء للاشتغال بالجيش و تدبيرها، فوضوا هذا العمل إلى من فى مكنتهم الاستنباط و لكنهم لم يتسموا باسم القضاء إلا من عهد عمر بن الخطاب فإنه بعث قضاء إلى الأمصار، و وضعه لهم أنموذجا يسرون عليه، و استمر الحال على ذلك إلى آخر عهد الخلفاء الراشدين.

و من أعظم ما كان لأولئك القضاء من الفخر شرفهم و استقلالهم فى الحكم، فلم يعرف عن أحد منهم، فى ذلك العصر ميل إلى

الدنيا و اغترار بزخرفها يعدل بهم عن قول الحق و الحكم به، و كان سواء فى نظرهم الشريف و الوضيع و الخليفة و الرعية، و لم يكن لأمرء الأمصار سلطان عليهم فى قضائهم، فكان تعيينهم من الخليفة رأساً، و أحيانا يكتب الخليفة إلى الأمير أن يولى فلانا قضاء بلده، و على الحالين التعيين صادر من الخليفة، و كان للقضاء رزق من بيت المال لما يلزمهم من الانقطاع لهذا العمل و ترك ما يرتزون منه.

و من أحسن ما رأينا فى أمر القضاء ما كتبه على بن أبى طالب إلى أحد عماله: «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته فى نفسك، ممن لا تضيق به

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٤٠

الأمر و لا- تمحكه الخصوم و لا يتمادى فى الزلة و لا يحصر من الفىء إلى الحق إذا عرفه، و لا يشرف نفسه على طمع و لا يكتفى بأدنى فهم إلى أقصاه أوقفهم فى الشبهات و آخذهم بالحجج، و أقلهم تبرما بمراجعة الخصم، و أخبرهم على تكشف الأمور و أصرمهم عند اتضاح الحكم، ممن لا يزدنيه إطراء، و لا يستميله إغراء، و أولئك قليل، ثم أكثر تعاهد قضائه، و أفسح له فى البذل ما يزيل عليه، و تقل معه حاجته إلى الناس و أعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك».

و كان فى كل مصر جماعة اشتهروا بالفقه و استنباط الأحكام كان يستعين بهم القاضى و يستفتيهم إذا أشكل عليه أمر، و أهم ما كان يدعوهم إلى ذلك أن سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم لم تكن مجموعة فى كتاب، بل كانت فى صدور الناس يحفظ منها أحدهم جزءا و الثانى جزءا، و قد لا يحفظ أحدهم ما يحفظه الآخر، فربما عرضت للقاضى مسألة فلا يرى فيها نصا و يكون النص و هو الحديث عنده غيره، و بذلك كانوا يسألون هل عندكم شىء فى هذا من سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لم يجمعوا هذه الفتاوى و لا الأفضية فى كتاب خاص يرجع إليه من بعدهم و كان ما ذكرناه من أمر السنة سببا كبيرا من أسباب اختلافهم فى الفتاوى و الأفضية.

لم يكن القاضى فى أحكامه موكولا- إلى الاجتهاد الصرف، كما يظن بعض الباحثين، و يجعل ذلك من عيوب القضاء، و إنما كان موكولا إلى الاجتهاد فى فهم القانون الشرعى و تطبيقه على الحوادث و الوقائع، حقيقة أن ذلك القانون لم يعتن بالتفصيل التام بل اهتم بالقواعد الكلية، و ليس هذا عيبا فى القوانين التى يراد منها الابقاء بل هو مما يحسنها و يجعلها صالحة لكل زمان و مكان. الاجتهاد للقاضى، و الحال ما ذكرنا أمر لا بد منه، و لذلك أعده المتقدمون من الشروط المتحتمة. لم يكن تعيين القضاء مانعا للخلفاء من نظر أى خصومة تعرض عليهم، و قد حصل ذلك من الخلفاء، فى آتات كثيرة، فكان القضاء كانوا نوابا للخلفاء.

و ليس عندنا دليل على وجود سجلات يضبط فيها ما يصدر من الأحكام و لا أن صور الأحكام كانت تعطى للمحكوم له، لأن ذلك لم يكن ما يدعو إليه ما دام التنفيذ فى يد القاضى فهو الذى يقضى و هو الذى ينفذ الحكم، و يظهر لنا مما

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٤١

قرأنا من أخبارهم أنهم قلما كانوا يحتاجون للتنفيذ، لأن من حكم عليه كان يبادر بتنفيذ ما قضى عليه به من الحقوق فكان المتنازعون أقرب إلى كونهم مستفتين.

و يظهر لنا أن قضاء القضاء فى عهد الخلفاء الراشدين كان قاصرا على فصل الخصومات المدنية، أما القصاص و الحدود فكانت ترجع إلى الخلفاء و ولاء الأمصار لأننا رأينا قضايا حكم فيها الخلفاء و الأمراء بقتل قصاصا أو جلد بسكر و لم يبلغنا أن قاضيا ليس أميرا قضى بعقوبة منها أو نفذها، و كانت العقوبات التأديبية كالحبس لا يأمر بها إلا الخليفة أو عامله فكانت الدائرة القضائية ضيقة و لم يبلغنا أيضا أن قضاء الأمصار كانوا ينيون عنهم قضاء فى غير الحواضر الكبرى، و ذلك كله دليل على قلة القضايا و الخصومات. انتهى من الكتاب المذكور.



## القضاء في عهد الأمويين

جاء في أواخر الجزء الثاني من كتاب «محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية» للشيخ محمد الخضرى رحمه الله تعالى: لم يزل القضاء فى عهد هذه الدولة (أى الدولة الأموية) على بساطته التى كان عليها فى عهد الخلفاء الراشدين إلا أن تناكر الخصوم أرشدهم إلى تسجيل الأحكام. قال محمد بن يوسف الكندى فى كتاب الذين ولّوا مصر ص (١٠): اختصم إلى سليم بن عنز- قاضى مصر من قبل معاوية بن أبى سفيان- فى ميراث فقضى بين الورثة، ثم تناكروا فعادوا إليه فقضى بينهم و كتب كتابا بقضائه، و أشهد فيه شيوخ الجند. قال: فكان أول القضاء بمصر سجل سجلا بقضائه.

و لم يكن القضاء يتقيدون برأى فى أحكامهم إذ لم تدون إذ ذاك أحكام فقهية يقر عليها الخلفاء، و يحتمون العمل على مقتضاه، فكان الأمر راجعا إلى القضاء أنفسهم أو إلى ما يشير به المفتون من كبار المجتهدين فى أمصارهم. كان توبة بن نمر لا يملك شيئا إلا وهبه و وصل به إخوانه و أفضل به عليهم فلما ولّى القضاء بمصر فى عهد هشام بن عبد الملك كان يرى أن يحجر على السفية و المبذر، فرفع إليه غلام من حمير لا تحوى يده شيئا إلا وهبه و بذره، فقال توبة: أرى أن أحجر عليك يا بنى. قال: فمن يحجر عليك أيها القاضى؟ و الله ما نبلغ فى أمالنا عشر معشار من تذكيرك فسكت توبة و لم يحجر على سفية بعد.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٤٢

فهذا الخبر يدل على مقدار ما كان للقضاء من الحرية فى اختيار الآراء التى يقضون بها، و أحيانا يطلبون من الخلفاء بيان آرائهم فى الحوادث المختلفة إذا اشتبه عليهم الأمر فيها، كما كتب عياض بن عبيد الله الأزدي قاضى مصر من قبل عمر بن عبد العزيز إليه يسأله فى أمر الشفعة و أن سلفه كانوا يقضون فيها للأول فالأول من الحيران فكتب إليه أن يجعلها للشريك وحده. و قال: فإذا وقعت الحدود بين أهل الشرك فى الميراث أو غيره، و ضربت مداخل الناس التى يدخلون منها دورهم و أرضهم فقد انقضت الشفعة. و بذلك كانت الأحكام تخالف بعضها بعضا فى الأمصار المختلفة لأن المجتهدين لم يكونوا على رأى واحد و لم تلتفت الدولة إلى التفكير فيما يجمع كلمة المجتهدين على شىء يقضى به قضاتهم، أو يحمل مجتهدى كل مصر على عمل ما يصلح لذلك المصر، مستمدين من أصول الدين لم يفعلوا هذا و لا ذاك بل تركوا لكل قاض تمام حرته فى الحكم بما يراه. و كان يضاف إلى القضاء مراقبة أموال اليتامى، و أول قاض نظر فيها عبد الرحمن بن معاوية بن خديج قاضى مصر من قبل عبد العزيز بن مروان فإنه ضمن عريف كل قوم أموال يتامى تلك القبيلة و كتب بذلك كتابا، و كان عنده و قال الكندى: فجرى الأمر على ذلك.

و كانوا يتولون الأحباس، و أول قاض بمصر وضع يده على الأحباس توبة بن نمر فى زمن هشام بن عبد الملك و إنما كانت الأحباس فى أيدي أهلها و فى أيدي أوصيائهم فلما كان توبة قال: ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء و المساكين، فأرى أن أضع يدي عليها، حفظا لها من التواء و التوارث فلم يمت توبة حتى صار الأحباس ديوانا عظيما، و كان ذلك سنة (١١٨) أول إنشاء ديوان الأوقاف بمصر فذلك كان اختيار القضاء يرجع غالبا إلى أمراء الأمصار، فهم الذى يعينون من يقوم بالقضاء بين الناس، و أحيانا كانوا يولون من قبل الخلفاء أنفسهم، و قاضى حاضرة الخلافة يختاره الخليفة، و ليس له أدنى امتياز عن سائر القضاء و لا أرى فى اختيارهم و يظهر أن مراتب القضاء لم تكن مما يحوجهم إلى مد الأيدي إلى السحت.

رأيت أن عبد الرحمن بن مجيرة كان يتولى القضاء بمصر، و معه القصص و بيت المال فكان رزقه فى السنة من القضاء مئتي دينار، و من القصص مئتي دينار و رزقه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٤٣

في بيت المال مئتي دينار، و كان عطاؤه مئتي دينار، و كانت جائزته مئتي دينار، فكان يأخذ ألف دينار في السنة.

و رأيت في الكندي أمرا بصرف مرتب قاض، في عهد مروان الثاني، هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عيسى بن أبي عطاء إلى خزان بيت المال، أعطوا عبد الرحمن بن سالم القاضي رزقه أشهر ربيع الأول و ربيع الآخر سنة (١٣١) عشرين دينارا و اكتبوا بذلك البراءة و كتب يوم الأربعاء ليلته خلت من ربيع الأول سنة (١٣١) و بذلك يظهر أن الأرزاق كانت تصرف مقدما».

انتهى من محاضرات الخضري.

### القضاء في العهد العباسي

جاء في كتاب «مثل عليا من قضاء الإسلام» تأليف الأستاذ محمود الباجي، ما نصه: أحرز القضاء في العهد العباسي على استقلاله الكامل، و خرج عن نفوذ الخلافة و سلطان الملك، و لمعت في عاصمة المملكة الإسلامية، و في عواصم البلاد التابعة لها أسماء كثيرة من أئمة القضاء و شيوخ الحكم و سجل المؤرخون صفحات لامعة من صنوف العدالة و أنواع الإنصاف و نقل رواد الأمم الغربية حوادث عن سير المحاكم الإسلامية تعتبر- لو لا التعصب الأعمى- من بين الشواهد الكثيرة على الأمجاد الإسلامية في كل نواحيها.

و في خلافة الرشيد، تعددت الدوائر القضائية ببغداد و أعطى لأبي يوسف لقب «قاضي القضاء» لأول مرة في الإسلام، و منح السلطات المطلقة لانتخاب قضاء أقسام العاصمة، و مدن الأقاليم، و فرض أبو يوسف زيا خاصا يرتديه رجال الحكم، و ارتفعت جراية القاضي إلى (٢٧٠) دينارا في السنة يساوي سعر اليوم (مليون و نصف مليون) و كانت في العهد الأموي ألف دينار في السنة.

و قد تردد القضاء في عهد المنصور بين أبي حنيفة و أبي يوسف و محمد الشيباني، و هم من أئمة الدين الأعلام و عبد الله بن وهب و سفيان الثوري و الغوث بن سليمان.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٤٤

تداخل القاضي أبو يوسف لما قلّد قضاء الجماعة، لإصلاح نظم السجن، و الترفيه عن حاله نزلته فوجه رسالته إلى الخليفة الرشيد جاء فيها:

«فمر بالتقدير لهم ما يقوتهم في طعامهم و أدمهم، و صير ذلك دراهم تجرى عليهم في كل شهر، فإنك إن أجريت عليهم الخبر ذهب به ولاة السجن .. و ول ذلك رجلا من أهل الخير، يثبت أسماء من في السجن، ممن تجرى عليهم الصدقة شهرا فشهر. و يقعد و يدعو باسم رجل، رجل، و يدفع ذلك إليه في يده ..

و كسوتهم في الشتاء قميص و كساء، و في الصيف قميص و إزار، و يجرى على النساء مثل ذلك، و كسوتهم في الشتاء قميص و مقنعة و كساء، و في الصيف قميص و إزار و مقنعة. و أنهوا عن غل السجن، إلا إذا خيف فراره، و عن ضربه إلا إذا أقيم عليه حد. و أذنوا له، إذا كان عليه ديون، أن يخرج فيخاصم».

لقد بلغ القضاء في أحكامه و مؤسساته و نظام ترافعه، و وسائل تنفيذه في العهد العباسي، شأوا بعيدا في الرقي و الازدهار. و بلغ من نفوذ القضاء ما رواه أسد بن الفرات من أن «أبا يوسف كان ينظر بين خصمين بحضرة هارون الرشيد، فتوجه القضاء على أحدهما فجثا الرشيد و أقبل ببصره نحو أبي يوسف حتى أنفذ القضاء».

ثم قال: «هكذا أفعل أنا و سائر من معي حتى قضاء أبي يوسف» و لا غرابة فيما أخذته بعض المحاكم الغربية اليوم عن هذا التقليد الإسلامي، من الوقوف و رفع الأسلحة عند الشروع في النطق القضائي.

و لئن كان الإجلال يصدر في محاكم الغرب، عن الجيش و العامة فهو في محاكم الإسلام يصدر عن الخليفة الإمام و عن خاصته من الوزراء و الكبراء.

كان من نتائج استقلال القضاء و تنظيمه أن استطاع الجمهور من شعوب الخلافة الإسلامية بسط رقابته الشديدة على أداة الحكم و أنواع الأحكام، و أصبح الرأى العام يعلق على الأفضية التى تصدر و لو كان متعلقها جرء ماء تحطمها امرأة. و قد روى الحسن بن زياد: قال: «كنا يوما بباب أبى يوسف و نحن ننتظره إذ أقبل من دار الرشيد و هو يتسم فقال: حدثت مسألة فى دار أمير المؤمنين اليوم، رفع إليه أن قاضيا بأرمينية اختصم إليه جاريتان فى جرتين و قد استقيا ماء من بعض المواضع، فوضعتا جرتيهما لتستريحا، فسقطت جرء كل واحدة على جرء صاحبتها فانكسرتا فاختصمتا إلى القاضى فقالت كل واحدة منهما: سقطت جرء هذه على جرتى فانكسرت. فجعل القاضى ينظر إليهما، لا يعرف المدعية منهما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٤٥

من المدعى عليها، فقال للقيم: «أخرهما عنى، فأخرهما ثم صاحتا فأدناهما ثم أذن بتأخيرهما ثم قال للقيم: اذهب و اشتر لهما جرتين و أرحنى منهما، و علق الجمهور الأرمينى على الحكم: بأن القاضى لم يحسن أن يحكم فى جرتين حتى غرهما .. و قال القاضى: سبحان الله، أولا يرضى الجمهور أن أحكم فيما أحسن، و أغرم فيما لا أحسن. و بلغت القضية إلى أمير المؤمنين ببغداد.

قال الحسن بن زياد: فقلنا لأبى يوسف: كيف الجواب فى هذه المسألة؟

قال: «إن كانت الجاريتان وضعتا الجرء فى مستراح للمسلمين، فكل واحدة منهما جاعلة جرتها فى حقها، غير جانية على صاحبتها و إن كانتا وضعتا الجرتين فى غير مستراح المسلمين، فكل واحدة جانية على صاحبتها، و على كل واحدة قيمة جرء صاحبتها».

و إن كانت إحداهما فى مستراح و الأخرى فى غير مستراح، فالتى فى غير المستراح جانية على التى فى المستراح.

بلغ من نفوذ القضاء، فى العهد العراقى الشأو الذى يحكيه الحسن بن أبى مالك، إذ يقول: «سمعت أبى يوسف فى مرضه الذى مات فيه يقول: و الله ما زنت قط، و و الله ما جرت فى حكم قط، و لا أخاف على نفسى إلا من شىء كان منى. فقلت له: ما هو؟ قال: كان هارون الرشيد يأمرنى أن آخذ قصص الناس فأقرأها ثم أوقع لهم فيها بمحضره. فكنت آخذها قبل ذلك بيوم فأتصفحها، فجمعتها مرة فتصفحها فإذا فيها قصة لنصرانى ظلم من هارون الرشيد، أمير المؤمنين فى ضيعة فى يده يزعم أنه غصبه إياها فدعوته فقلت له: هذه الضيعة فى يد من هى؟ قال: فى يد أمير المؤمنين. فأردت تقرب الأمر عليه، فقلت له: من يبيع ثمارها؟ قال: أمير المؤمنين قلت: و من يجمع غلاتها؟ قال:

أمير المؤمنين. و جعلت كلما أردت منه أن يذكر خصما غير أمير المؤمنين رد الخصومة فيها إلى أمير المؤمنين فجعلت قصته مع قصص الناس، فلما كان يوم المجلس جعلت أدعو بالناس رجلا رجلا، حتى وقعت قصة النصرانى بيدي، فدعوته فدخل فقرأت قصته على أمير المؤمنين، فقال: هذه الضيعة لنا و رثناها عن المنصور فقلت للنصرانى: قد سمعت الذى قال، أ فلك بينه على ما تدعى؟ قال:

لا، و لكن خذ لى بيمينه، قال: فقلت لهارون: أتحلف يا أمير المؤمنين؟ قال:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٤٦

نعم. فحلف، و انصرف النصرانى. قال أبو يوسف: «فما أخاف على نفسى إلا من هذا».

قال الحسن: فقلت: و أى خوف فى هذا؟ و قد فعلت الذى فعلت. فقال:

من تركى أن أقعده معه فى مجلس الخصم.

فهذا المقياس الصغير لنفوذ القضاء، نستطيع أن نقيس عليه المدى البعيد، الذى وصل إليه الاستقرار الحكمى، و خضوع الناس جميعهم إلى القضاء المستقل عن جميع السلطات ملكا و حكومة و شعبا.

و يستطرد المؤرخ الصيمرى، فى سرد ذبول هذه القصة الرائعة، فيقول: «و قد أدبر الشيخ النصرانى قائلا: استفه كشرية سويق .. و تريد وجه أمير المؤمنين، حين قول خصمه، حتى قال أبو يوسف: هلكت و هلكت الرجل، ولكن الخليفة أطرق قليلا ثم قال: «سبحان الله و لا

بد من الإنصاف».

توسع قضاء هذا العصر في الاجتهاد المطلق، و على رأسهم القاضى أبو يوسف، و قد قال يحيى بن خالد: «لا يكون بلوغ مثل أبى يوسف لدرجة الاجتهاد المطلق موضع تردد، و لم يتخلف عن درجة أبى يوسف أفذاذ المجمع الفقهي، و سورة بن الحكم، و أبو العباس الطوسى، و القاضى عبد الله غانم الرعنى، و الفضل بن حاتم، و الفضيل بن عياض، و يحيى بن معين. و من رأى أبى يوسف فى الأخذ بالإقرار قوله:

«من ظن به أو توهم عليه سرقة، أو غير ذلك، فلا ينبغي أن يعزر بالضرب و التوعد و التخويف، فإن من أقر بسرقة أو بحد أو بقتل و قد فعل ذلك به فليس إقراره ذلك بشيء و لا- يحل قطعه و لا أخذه بما أقر به. و عن عمر أنه قال: ليس الرجل بمأمون على نفسه إن أجمته، أو أخفته، أو حبسته أن يقر على نفسه.

و كذلك لا يعتبر إقرار الرجل عما وجب عليه فيه الحد، ما لم يردده، ثم يسأل عنه، هل به لمم، هل به جنون، هل فى عقله شيء ينكر، فإن لم يكن فى عقله شيء من ذلك وجب عليه الحد».

فهل يختلف رأى أبى يوسف عن أحدث رأى جنائى، يحسبه الجاهل من نعم العصر الحاضر؟ و هل فى عرض قضاء البحث اليوم المجرم على الاختبار العقلى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٤٧

لمعرفة مدى مسؤوليته بالجريمة، إلا أخذ بالإجراء الذى قرره أبو يوسف، فى السنة الثانية للهجرة؟ توفى عام (١٨٢). و من رأيه: عدم قبول شهادة كبار الدولة.

و قد رد يوما من الأيام شهادة الفضل بن الربيع، وزير الخليفة الرشيد، فعاتبه الخليفة فى ذلك يسأله: لم رددت شهادته؟ فقال أبو يوسف: «سمعت يقول لك:

أنا عبدك، فإن كان صادقا فلا شهادة للعبد. و إن كان كاذبا فكذلك...».

انتهى من الكتاب المذكور.

### تقسيم سحنون القضاء إلى درجات

جاء فى كتاب «مثل عليا من قضاء الإسلام» تأليف محمود الباجى، المطبوع بتونس سنة (١٣٧٦) هجرية ما يأتى:

كان القضاء قبل ولاية سحنون خاضعا لمبدأ التوحيد و التجمع، و كان يجرى فى محكمة وحيدة يديرها القاضى بمعاضدة كاتبه و عدليه. و استمر الأمر كذلك إلى عام (٢٣٤) أربع و ثلاثون و مائتين من الهجرة، الذى انتخب فيه سحنون للقضاء.

و قد أصبح هذا النظام ملائما لحالة البلاد، و امتداد العمران فى أطرافها، و تزايد عدد السكان و انتشار الحضارة، و تلاشى سلطة المحكمين من رؤساء القبائل و كبراء العشائر، و شعور الشعب بقوة و استقلال قضائه، و نزاهة و نفوذ حكّامه، و اكتظت المحكمة بالقضايا و امتلأت رحابها بالمتقاضين، و تنوعت الأفضية بما حدث من النشاط فى الحركة التجارية و التبادل الاقتصادى بين عاصمة البلاد و بين ما افتتحه العرب و الأفريقيون من الجهات و الأقاليم. و كان لزاما أن يتناسب جهاز القضاء مع الوضع الذى أصبحت عليه مملكة فتية تخطو نحو الرقى و الازدهار.

فلما ولى سحنون القضاء، وجد نفسه تجاه هذه الحالة الجديدة، و شاء أن يساير حركة التنظيم التى تناولت النواحي الإدارية و العسكرية و المالية، و لم تبق إلا الناحية القضائية تنتظر المصلح الجرىء و العالم المجتهد كما أدرك أن خصومه من الرجعيين الذين يتوقع منهم مقاومة عنيفة لبرامجه الإصلاحية و مناهضة جارة لانقلابه الخطير، قد تشتت شملهم، و ضعفت قوتهم، و بذلك أقدم غير هتّاب و لا متردد، و أعلن سلسلة برامجه الإصلاحية.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٤٨

قسم سحنون القضاء إلى ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: درجة القضاء الفوري (أو دائرة صاحب المظالم) وهذا النوع من القضاء عهد إلى دائرة حكيمية يرجع لنظرها من حيث الموضوع كل القضايا التي لا تزيد أهميتها المالية على عشرين ديناراً في خصوص المادة المدنية.

و يرأس هذه الدائرة قاض له خبرة خاصة بالأحوال التجارية والصناعية وبما اعتاده الناس في معاملتهم وتعارفوه في صفقاتهم كما له حذق زائد ومهارة واسعة في التوفيق وإصلاح ذات البين وله احترام في نفوس الناس.

وتقضى هذه الدائرة قارة ومنتقلة فهي تتبع الخصومة، وتتصب في أشهر أسواق العاصمة وأكثرها حركة ونشاطاً، فهي غير مقيدة الاختصاص بالنسبة لمرجعي النظر الترابي والشخصي والقضايا التي تتجاوز أهمية موضوعها المالي العشرين ديناراً ترفع إلى الدائرة العليا... وقد تلقى هذه الأحداث بمزيد من الغبطة والابتهاج وحمد الناس لسحنون ابتكاره العظيم وأقبلوا على التقاضي لدى دائرة الفور حيث وجدوا فيها السرعة التي يشدونها والقرب الذي يريده.

وجاء من بعد سحنون كثير من القضاء فأقروا الدائرة الفورية وسعوا في مشمولات أنظارها الحكمية، فأصبحت على عهد عيسى بن مسكين قاضي القيروان تنظر في القضايا التي تبلغ أهميتها المالية مائة دينار. وكانت في ذلك العهد مسندة إلى لياقه القاضي سليمان بن سالم الكندي.

أما في عهد سحنون فقد أسند قضاء الدائرة الفورية إلى كفاءة الفقيه الكبير حبيب بن نصر التميمي الذي توفرت فيه شروط الحنكة والدراية والنشاط.

ولا تنظر دائرة القضاء الفوري في المخالفات والجناح التي تستوجب التعزير ولا في الجنايات التي تستوجب إقامة الحدود.

الدرجة الثانية: درجة القضاء البلدي (أو دائرة صاحب الحسبة) وهذه الدائرة ترجع لنظرها كل المخالفات التي ترتكب ضد المصالح العامة، والصحة العامة والنظافة والطرق العامة والمؤسسات ذات الصبغة العمومية كالمساجد والمعابد والمعاهد، وضد الأخلاق الفاضلة وحقوق التجاور والتساكن كما يرجع لنظرها إجراء الرقابة على المكاييل والموازين ومعرضات الأسواق من أطمعة وأشربة وعلى نظام العرض والطلب وعلى راحة السكان وأمنهم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٤٩

وقد كانت هذه الدائرة قبل عهد سحنون خارجة عن أنظار كبير قضاء المملكة ويتولاها قضاء يقع تعيينهم من الأمير ويكونون مسؤولين إليه وحده وهو الذي يجري رقابته عليهم ويأمر بعزلهم.

فلما أسند القضاء إلى سحنون رأى أن في خروج القضاء البلدي عن نظره مساساً باستقلال القضاء عن الإدارة والإمارة وسبباً لحدوث ارتباكات لا تتلاءم مع مذهبه القضائي فبادر بالمطالبة بضم هذا النوع من القضاء إلى سلطته الخاصة ومشمولات أنظاره وتم له ذلك، فأحرز القضاء بهذا الانتصار على كمال استقلاله وعظيم نفوذه.

و أمكن للإمام أن يحدد مرجع نظر هذه الدائرة بغاية الدقة وأن يرتب لها أعوانها ويقرر لكل عون منطقتة نفوذه الترابية وماله من حقوق وامتيازات وما عليه من تكاليف واجبات واستطاع أن يستبدل الأقدمين من رجال تلك الدائرة بآخرين محرزين على الثقة والنزاهة ورضى العموم والخصوص.

وبهذا أدت دائرة القضاء البلدي واجبها الخطير على أكمل وجه وساد بفضلها النظام والأمن بين المتساكنين وأصبحت البلاد الإفريقية التي تعج بمختلف العناصر والأجناس تنافس العواصم الشرقية (و لا أقول الغربية) في ازدهارها وعمرانها ونظافتها وأمنها.

ولقضاء وأعوان هذه الدائرة وقائع وحوادث لا تكفي لتسجيلها المؤلفات الضخمة.

الدرجة الثالثة: درجة القضاء العالي (أو محكمة قاضي القضاء) وتنظر دائرة القضاء العالي أصالة في الجناح المستوجبة للتغيير، وفي

الجنايات المستوجبة للحدود، و تنظر أيضا فيما هو خارج عن اختصاصات دائرتي المظالم و الحسبة. و يتولى أمر هذه الدائرة القاضى الذى ينتخبه رجال العلم و يعينه الأمير الشرعى، و يتساوى فى التقاضى أمامها الملك و الراعى و الجاهل و العالم و العظيم و الحقير.

و قد أصبح لهذه الدائرة فى عهد سحنون من الجلال الرائع و العظمة الهائلة ما أخضع لها حملة التيجان و أربب أولى المكانة و الشأن و غدت الأقدام تثبت أمام العروش المذهبة و تتزلزل أمام بيت القاضى و حول سدته الترابية الخشنة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٥٠

و شاء سحنون أن يتخذ بيت قضائه فى احضان المسجد الجامع و بين أحد أجنحته الخارجية فخلع عليه بذلك المهابة و الإكبار و أفاض عليه من روحانية العبادة و جلال التجرد و النسك ما جعله يتعد عن المادة و يقترب من الناموس الأعظم حتى أدى ذلك إلى تشجيع الصعلوك على مقاضاة الأسياد و الكبراء، و مجالستهم الجنب بالجنب و مجادلتهم الكلمة بالكلمة.

و قد ابتكر سحنون خطة الكتابة العامة لدائرة القضاء العالى، و أسندها إلى مزاحمه العلامة القاضى سليمان بن عمران زعيم الكوفيين و المرشح الثانى لولاية القضاء الأفريقى، و قصد سحنون أن يصيب بذلك التعيين ثلاثة أهداف:

الأول: إرضاء أتباع المذهب الكوفى فى شخص زعيمهم.

الثانى: الاستفادة من مواهب سليمان و غزير علمه.

الثالث: تمرينه على القضاء (و فعلا فقد انتخب بعد ذلك فى منصب القاضى الأكبر).

و لم يتردد سليمان فى قبول ما عرضه عليه سحنون حرصا على زيادة الارتواء من منهله الذى لا ينضب، و معينه الذى لا يغور، و رغبة فى ممارسة ما عرف عن سحنون من شدة التحرى و قوة البداهة و براعة الاستنتاج.

كما أحدث سحنون ديوان التسجيل و أناطه بعهدة عالين فقيهين يتوليان تسجيل الأحكام و الاعترافات و الشهادات فى مجلس القاضى و بين يديه.

أحدث سحنون نظامى الاستقدام الشخصى كتابة و مشافهة، و الاستقدام الجبرى (و لو أنه لم يضطر كثيرا لاستعماله).

و كان إذا استدعى كبير فى المثل بين يدي القاضى يأمر عون المحكمة بسحبه و وضع حبل فى عنقه إن اقتضى الحال ذلك و عمد ذات مرة إلى إذاعة منشور فى أطراف المملكة يستنفر فيه جيشا من الفتيان و الشبان ليقدموا عليه و ينفذوا أمره.

كما أحدث طريقة على الغائب (و هى التى جرى عليها فى الظروف الأخيرة، عمل المحاكم التونسية).

كما أحدث الجدول اليومى المعد لضبط أسماء المتقاضين بحسب أسبقيتهم فى الحضور و أوجب أن لا يخرق نظام الأسبقية إلا إذا حضر مضطر أو ملهوف فيكون له حق الأولوية، و كما قرر أن يجرى القضاء فى بيت المحكمة بمحضر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٥١

الكاتب و شاهدى التسجيل و الخصوم و نوابهم (باستثناء أمراء بنى الأغلب الذين كان لا يقبل عنهم نوابا).

لم يكن سحنون بتقاضى أى راتب أو جراية، فى مقابلة قيامه بمأمورية القضاء و كان يتفق من إيراداته الخاصة التى تبلغ غلاتها السنوية خمسمائة دينار و كان الأعوان و الكتّاب يتقاضون رواتبهم من مال الجزية.

و قد نجم عن زهد الإمام فى الجرايات و عطاءات الدولة و الملوك أن صرّح يوما أمير القيروان تصريحاً سجله التاريخ بمداد الفخر، حيث قال:

«إن سحنون لم يركب منا دابة و لم يأخذ منا رزقا و لم يتعرض لنا بسداد حاجته فلم يخافنا..».

و من إصلاحات سحنون تحجير إيداع الأمانات بدار القضاء، و تسمية أمناء توضع تحت أيديهم الأمانات على نظام و احتياطات خاصة و بشروط معينة.

يمكن أن نقارن بين مذاهب سحنون الأفريقية في الإصلاح القضائي و مذاهب الإمام أبي يوسف يعقوب العراقية، و أن نفاخر بما أقدم عليه قاضينا العظيم و من جاء بعده من التغييرات الجوهرية التي جعلت أداة الحكم هنا و هناك تساير إلى أبعد حد ما بلغته المملكة الإسلامية من رقى و حضارة و اتساع و امتداد.

و قد رأينا كيف كانت القيروان تنافس دار الخلافة الإسلامية في أزهر عصورها و أقوى عهدوها في ابتكار المناهج الحكيمية و إقامة القضاء الأعلام و منح السلطات الكاملة للمؤسسات القضائية و تأليف المصنفات الضخمة عن فقه القضاء علما و عملا و عن الوقائع و الحوادث و قد تعددت المحاكم في عاصمة القيروان كما حدث ذلك ببغداد و امتازت القيروان، بأنها عقدت لرجالها لواء قيادة الجيوش، و ولاية القضاء في شخص رجل واحد و هو: القائد القاضي أسد بن الفرات فاتح صقلية و صاحب الآراء الفذة في الكتاب و السنة و المجتهد الموفق. انتهى من الكتاب المذكور.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٥٢

### صور ما كتبه الخلفاء و السلاطين لمن يولونه القضاء

#### صورة ما كتبه عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في القضاء

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعري:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: فإن القضاء فريضة محكمة و سنه متبعة، فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم يحق لا نفاذ له آس بين الناس في مجلسك و وجهك حتى لا- يطمع شريف في حيفك و لا يخاف ضعيف من جورك و البينة على من ادعى و اليمين على من أنكر، و الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما، و لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك، و هديت فيه لرشدك أن ترجع عنه فإن الحق قديم و مراجعة الحق خير من التماذى في الباطل.

الفهم الفهم عندما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله و في سنة النبي صلى الله عليه و سلم اعرف الأمثال و الأشباه و قس الأمور عند ذلك ثم اعمد إلى أحبها إلى الله و أشبهها بالحق فيما ترى، و اجعل للمدعى حقا غائبا أو بينه أمدا ينتهي إليه، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه و إلا وجهت عليه القضاء فإن ذلك أنفى للشك و أجلى للعمى و أبلغ في العذر.

المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا في حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو قرابة فإن الله قد تولى منكم السرائر، و درأ عنكم الشبهات، ثم إياك و القلق و الضجر و التأذى بالناس، و التنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر و يحسن بها الذخر فإنه من يخلص نيته فيما بينه و بين الله تبارك و تعالى و لو على نفسه يكفه الله ما بينه و بين الناس و من تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه، هتك الله ستره و أبدى فعله و السلام عليك. انتهى من كتاب البيان و التبيين.

### ما كان يكتبه ولاء الأمور عند تولية أحد القضاء

جاء في الجزء الرابع عشر من كتاب «صبح الأعشى» للقلقشندي الذي فرغ من تأليفه سنة (٨١٤) أربع عشرة و ثمانمائة من الهجرة، ما يأتي:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٥٣

«و هذه نسخة تقليد»

الحمد لله الولي الحميد الفعال لما يريد نحمده على ما أولانا من إحسانه فهو المولى و نحن العبيد، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

شريك له، شهادة توصلنا إلى جنه نعيمها مقيم، و تقينا من نار عذابها شديد أليم و أشهد أن محمدا عبده و رسوله النبي الكريم صلى الله عليه و على آله و أصحابه المشتملين على الطاعة و القلب السليم، و سلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد فإن مرتبة الحكم لا تعطى إلا لأهلها و الأفضية لا ينتصب لها إلا من هو كفاء لها، و من هو متصف بصفات الأمانة و الصيانة و العفة و الديانة، فمن هذه صفته استحق أن يوجه و يستخدم، و يترقى و يتقدم.

و لما علمنا من حال فلان الفلاني الأوصاف الحميدة و الأفعال السديده فإنه قد حوى المعرفة و العلوم و الاصطلاح و الرسوم و جمعت فيه خصال حملتنا على استنابه و قوتنا على نيابته استخرنا الله تعالى و فوضنا إليه كذا و كذا.

فليباشر ذلك متمسكا بجبل الله المتين إنه من يثق و يصير فبان الله لا يضيع أجر المحسنين و ليجتهد في إقامة الدين و فصل الخصومات، و في النظر في ذوى العدالات و التلبس بالشهادات و إقامة البيئات، فمن كان من أهل العدالة نرها و إلى الحق متوجهها، فليراعه و يقدمه على أقرانه، و من كان منهم خلاف ذلك فليقصه و يطالعنا بحاله و لينظر في أمر الجوامع و المساجد، و يفعل في ذلك الأفعال المرضية، و من أموال الأيتام يصرف منها اللوازم الشرعية فمن بلغ منهم رشيدا أسلم إليه ما عساه يفضل له منها، و يقرر الفروض، و يزوج الخاليات من الأزواج و العدد و الأولياء من الأزواج الأكفاء و يندب لذلك من يعلم ديانتته و يتحقق أمانته و يتخير لكتابة الصكوك من لا يرتاب بصحته و لا يشك في ديانتته و خبرته، و ينظر في أمر المتصرفين و من عنده من المستخدمين، فمن كان منهم على الطريقة الحميدة فليجره على عادته و ليقه على خدمته و من كان منهم بخلاف ذلك فليستبدل به و ليقصه.

هذا عهدى إليك و حجتي غدا عند الله عليك فاعلم هذا و اعمل به.

و كتب ذلك عن الإذن الكريم الفلاني و هو في محل ولايته و حكمه و قضائه، و هو نافذ القضاء و الحكم ما فيها في التاريخ الفلاني (ثم يكتب الحاكم علامته و التاريخ) و حسبنا الله و نعم الوكيل. انتهى من صبح الأعشى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٥٤

ثم ذكر صاحب الكتاب المذكور بضعة نسخ لتقاليد الولاة لم نذكرها اكتفاء بما قدمناه.

### صورة ما كتبه الملك الأفضل على ابن السلطان صلاح الدين بن أيوب ملك مصر

للشيخ زين الدين بن بندار يوليه القضاء و ذلك سنة خمس و تسعين و أربعمائه هجرية و الكتابة من إنشاء صاحب ابن الأثير الجزرى بسم الله الرحمن الرحيم رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.

من السنة أن تفتح صدور التقليدات بدعاء يعم بفضلها و يكون وزانا للنعمه الشامله من قبله و خير الأدعية ما أجراه الله على لسان نبي من أنبيائه أو رسول من رسله، و كذلك جعلنا من هذا التقليد الذى أمضى الله قلمنا فى كتابه و صرف أمرنا فى اختيار أربابه، ثم صلينا على رسوله «محمد» الصادع بخطابه، الساطع بشهابه الذى جعلت الملائكة من أحزابه و ضرب له المثل بقاب قوسين فى اقترابه و على آله و صحبه الذين منهم من خلفه فى محرابه، و منهم من كملت به عدة الأربعين من أصحابه، و منهم من جعل أثواب الحياء من أثوابه، و منهم من بشر أنه من أحبائه الله و أحبائه.

(أما بعد) فإن منصب القضاء فى المناصب بمنزلة المصباح الذى به يستضاء، أو بمنزلة العين التى عليها تعتمد الأعضاء و هو خير ما رقمت به الدول مسطور كتابها و أجزلت به مدخور ثوابها و جعلته بعد الإعجاب كلمه باقية فى أعقابها، و قد جعله الله ثانى النبوة حكما و أورثها علما و القائم بتنفيذ شرعها ما دام الإسلام يسمى لا يستصلح له إلا الواحد الذى يعد محفلا فى محفله و إذا جاءت الدنيا بأسرها خفت على أنملته.

و قد أجلنا النظر مجتهدين و عولنا على توفيق الله معتضدين و قدمنا قبل ذلك صلاة الاستخاره و هى سنة متبوعه و بركة فى الأعمال



موضوعه لا جرم إن أرشدنا في أثرها إلى من صرح الرشد فيه بأثره وقال الناس: هذا هو الذي جاء على فترة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٥٥

من وجود أنظاره و هو أنت أيها القاضى (فلان) مهد الله لجنبك و جعل التوفيق من صحبك و أنزل الحكمة على يدك و لسانك و قلبك، و قد قلدناك هذا المنصب بمدينة مصر و أعمالها و هى مصر من الأمصار تجمع وجوها و أعيانها، و قد رسم بأنه كرسى مملكته عزا و تبيانا، و عظمت سلطانا، و لما قلدناك هو علمنا أنه سيعود و هو بك غض طرى، و أن ولايته نيظت منك بكفو فهى بك حريه و أتت بها حرى، فمن طلبها من الناس فإنها لم تكن عندك مطلوبة، و من انتسب فى وجاهته إليها فليست وجاهتك إليها منسوبة و ما أردت بها شيئا سوى تحمل الأثقال و بيع الراحة بالتعب فى الأشغال، و تعريض النفس لمضاضة الضيم و الحيف، و الوقوف على الصراط الذى هو أدق من الشعرة و أحد من السيف ولكنك فى خلال ذلك تشتري الجنة بساعة من ساعاتك و إذا رعيت مقام ربك فقد أرسدته لمراعاتك و ليس فى الأعمال الصالحة أقوم من إحياء حق وضع فى لحدته أو رد حق مطلت الأيام برده فاستخر الله تعالى و تول ما وليناك بعزيمة لأنك بها شامة و لا تأخذها فى الله ملامه و هذا زمان قد تلاشت فيه العلوم و عفت رسوم الشريعة حتى صارت كالرسوم و مشت الأمة المطيطا و خلفها أبناء فارس و الروم، و إذا نظر إلى دين الله وجد و قد خلط أمره خطأ و تخطى رقاب الناس من هو جدير بأن يخطا و آذنت الساعة بالاقتراب حتى كاد أن يستوى ما بين السبابة و الوسطى و المتصدى لحفظه يعد نقله بنقلين، و فضله بفضلين و يؤتبه الله من رحمته كفلين و حق له أن يتقدم على السلف الصالح الذى كان كثيرا رشده، حسنا هديه و قصده و كان قريبا برسول الله صلى الله عليه و سلم فإن أولئك لم يؤتوا من جهالة و لا حرموا من مقالة و لا حدث فى زمانهم بدعه و كل بدعه ضلالة و نحن نرجو أن يكون ذلك الرجل الذى وزن بالناس فرجح وزنه و سبق القرون الأولى و إن تأخر قرنه و لقد ألبسنا الله بك لباسا يبقى جديدا و يسرنا للعمل الذى يكون محضرا لا للعمل الذى نود لو أن بيننا و بينه أمدا بعيدا و إياك ثم إياك أن تقف معنا موقف الاعتذار و ما نخشى عليك إلا- الشيطان الناقل للطباع فى تقاليد الأطوار و لطالما أقام عابدا من مصلاه و غره بانتساک حيله و دلاه و لمكانتك عندنا أضربنا عن وصيتك صفحا و توسمنا أن صدرك قد شرحه الله فلم نرده شرحا، و الذى تضمنه تقليد غيرك من الوصايا لم يسفر إلا عن نقاب خطى الأقلام، و قصر أقوالها عن المماثلة من مراتب أولى التعليم و بين العلماء الأعلام و لا- يفتقر إلى ذلك إلا- من ثقل منصب القضاء على كاهله و قضى جهله بتحريمه عليه و فرق بين عالم أمر و جاهله، و أما أنت فإن علم القضاء

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٥٦

بعض مناقبك و هو من أوانسك لا من غرائبك لكن عندنا أربع من الوصايا لا بد من الوقوف فيها على سنن التوقيف و إبرازها إلى الأسماع فى لباس التحذير و التخويف.

فالأولى منهن و هى المهم الذى زاغت عنه الأبصار و هلك من هلك فيه من الأبرار و لربما سمعت هذا القول فظننته مما تجوز فى مثله القائلون و ليس كذلك بل هو نبأ عظيم أنتم عنه غافلون، و سنقصه عليك كما فوضناه إليك و ذلك هو التسوية فى الحكم بين أقوالك و أفعالك و الأخذ من صديقك لعدوك و من يمينك لشمالك و قد علمت أنه لم تخل دولة من الدول من قوم يعرفون بطيش الحلوم، و يغترون بقرب السلطان و هو ظل عليهم لا- يدوم و إذا دعوا لمجلس الحكم حملهم البطر و الأشر على الامتناع عن مساواة الخصوم و لا يفرق بين هؤلاء و بين ضعيف لا يرفع يدا و لا طرفا و لا يملك عدلا و لا صرفا و نحن نبرأ من مخالفة الدرجات فى حكم العزيز الحكيم و لعن الله الذين نسخوا آية الرجم بما أحدثوه من التجبئة و التحميم، و قد بسطنا يدك بسطا ليس له انقباض، و لا عليه اعتراض، و أنت القاضى الذى لا يكون اسمك منقوصا فيقال فيه أنك قاض.

و إذا استقلت بهذه الوصية فانظر فيما يليها من أمر الوكلاء القائمين بمجلس الحكم الذى لا ترد أحدا منهم إلا خليا لويأ أو خادعا خلويا، و إذا اعتبرت أحوالهم وجدو عذابا على الناس مصبوبا و لا يتم لهم إلا فى ستر القضايا و نعيمها و لا ينحون فى شىء منها إلا

نحو إمالتها و ترخيمها فأرح الناس من هذه الطائفة المعروفة بنصب الحباله، التي تأكل الرشاء و تخرجها في مخرج الجعالة و طهر منها مجلسك الذى ليس بمجلس ظلم و زور و إنما هو مجلس عدل و عدالة، و من العدل أن يخلى بين الخصوم حتى يكافح بعضهم بعضا، و المهل فى مثل هذا المقام لرعى الرعايه لما يقضى، و إن كان أحدهم ألحن بحجته فكله إلى عالم الأسرار و إذا حكمت له بشيء من حق أخيه فلا تبال أن يقطع له قطعاً من النار.

و كذلك فانظر فى الوصيه المختصه بالشهداء فإنهم قد تكاثرت أعدادهم و أهمل انتقادهم، و صار منصب الشهاده يسأله و سؤاله من الحرام لا من الحلال، و أصبح و هو يورث عن الآباء و الأولاد و الوراثه تكون فى الأموال. و الشاهد دليل يمشى القضاء على منهاجه، و يستقيم باستقامته و يعود باعوجاجه، فانف كل من التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٥٧

شانتك منه شانيه أو رابتك منه راييه، و عليك منهم بما تخلق بخلق الحياء و الورع و أخذ بالقول الذى على مثلها فاشهد أو فذع. و أما الوصيه الرابعه فإنها مقصوره على كاتب الحكم الذى إليه الإيراد و الإصدار و هو المهيمن على النقض و الإمرار، و ينبغى أن يكون عارفا بالحلى و الوسوم و الحدود و الرسوم و أن يكون فقيها فى البيوع و المعاملات و الدعاوى و البيئات و من أدنى صفاته أن يكون قلمه سائحا، و خطه واضحا و إذا استكمل ذلك فلا يستصلح حتى يكون العفاف شعاره و الأمانه عياره و الحفظ و العلم سوره و سواره و هذا الرجل إن خلوت به فامض يده فيما يقول و يفعل و استتم إليه استتمامه الوثائق الذى لا يخجل و الله يختار لنا ذلك فيما بينه من المراشدن و يجعل أقوالنا ثمارا يانعاً إذا كانت الأقوال من الحصائد.

و بعد أن بوأناك هذه المكانه و حملناك هذه الأمانه فقد رأينا أن نجمع لك من تنفيذ الأحكام و حفظ أصولها و أن لا نخليك من النظر فى دليلها و مدلولها فإن الترك يوحش العلوم من معهود أماكنها و يذهب بها من تحت أفعال خزائنها و منصب التدريس كمنصب القضاء أخ يشأ من عضده و يكثر من عدده فتولى المدرسه الفلانيه عالما إنك قد جمعت بين سبعين فى قراب و سلكت ياسين إلى تحصيل الثواب و ركبت أعز مكان و هو تنفيذ الحكم و جالست خير جليس و هو الكتاب.

و نحن نوصيك بطلبة العلم وصيتين، إحداهما أعظم من الأخرى و كلتاهما ينبغى أن تصرف إليهما من اهتمامك شطرا! فالأولى: أن تتخولهم فى أوقات الاشتغال و تكون لهم كالرائض الذى لا يبسط لهم بساط الراحة و لا يكلفهم مشقه الكلال، و الثانيه: أن تذر عليهم أرزاقهم ذرار المسامح و تنزلهم فيها على قدر الإفهام و القرايح و عند ذلك لا تعدم منهم منع فى كل حين، و يسر فى حالته من دنيا و دين و الله يتولاك فيما ينويه صالحه و يوفقك للعمل بها لا لأن يكون فى قلبك سائحه.

و قد فرضنا لك فى بيت المال قسما طيبا مكسبه هنيئا مأكله و مشربه لا تعاقب غدا على كثيره و إن حوسبت على فتيله و نقيره و المفروض فى هذا المال ينبغى أن يكون على قدر الكفاف لا على نسبة الأقدار و رب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله و مال رسوله ليس له فى الآخرة إلا- النار و الدنيا حلوه خضرة تلعب بدوى الأبواب و علاقاتها بتجدد الأيام فلا تنتهى الآراب منها إلا إلى آراب و من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٥٨

أراد الله به خيرا لم يسلك إليها و إن سلك كان كمن استظل بظل بشجره ثم راح و تركها و نحن نخلص الضراعه و المسلمه فى السلامه من تباعتها و أن نوفق لرعى ولاية العدل و الإحسان إذ جعلنا من رعاتها و هذا التقليد ينبغى أن يقرأ فى المسجد الجامع بعد أن يجمع له الناس على اختلاف المراتب ما بين الأبعد و الأقارب و العراقيب و الذوائب و الأشائب و غير الأشائب وليكن قراءته بلسان الخطيب و على منبره و ليقل هذا يوم رسم بجميل صيته و اغتضاض محضره ثم بعد ذلك فانت مأخوذ بتصفح مطلوبه على الأيام و إثباته فى قلبك بالعلم الذى لا يمحي سطره إذا محيت سطور الأقلام.

و اعلم أنا غدا و إياك بين يدى الحكم العدل الذى تكف لديه الألسنه عن خطابها، و تسنطق الجوارح بالشهادة على أربابها و لا ينجو

منه حينئذ إلا- من أتى بقلب سليم، و أشفق من قول نبيه: لا تأمرن على اثنين و لا تولين مال يتيم، و الله يأخذ بناصية كل منا إليه، و يخرج من هذه الدنيا كفافاً لا له و لا عليه، و السلام.

انتهى من كتاب حسن المحاضرة للسيوطي.

فانظر رحمك الله تعالى إلى ما كان يكتبه ولاء الأمور للقضاء عند توليتهم فإذا تأملت هذا الكتاب الملكي للقاضي تجد أنه يحتوي على عدة مسائل و هي:

(١) افتتاح المكاتب بدعاء من القرآن الكريم شامل للحمد و الشكر و الثناء على الله تعالى.

(٢) ثم الصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه و سلم و على آله و أصحابه الطاهرين.

(٣) ثم كيفية انتخاب القاضي بعد الاستخارة الشرعية كما هو السنة في كل الأمور.

(٤) ثم نصيحة القاضي بمراعاة منصب القضاء و أداء الأمانة الملقاة على عنقه.

(٥) ثم توصية القاضي بأربع وصايا كل منهم أهم من أختها:

فالأولى: مختصة بنفس القاضي في تسوية الحكم بين الناس.

و الثانية: مختصة بتطهير الحواشي ممن يلازمون مجلس القضاء، حتى لا يعاملون الناس بالخدعة و الحيل و أخذ الرشوة.

و الثالثة: مختصة بانتقاء و اختيار الشهود الذين بهم يظهر الحق من الباطل فلا يقبل شهادة من يتوسم فيهم الشك و الريبة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٥٩

و الرابعة: مختصة بكاتب القاضي نفسه و هو ما نسميه اليوم بكاتب الضبط فيجب أن يكون من أهل العلم فقيها حسن الخط جيد الإنشاء أميناً عفيفاً.

(٦) ثم يتضمن هذا الكتاب الملكي للقاضي توليته القضاء مع إسناد تدريس العلم إليه، ليجتمع له تنفيذ الأحكام مع مذاكرة العلوم فإن آفة العلم ترك الاشتغال به فانظر رحمك الله إلى هذه الحكمة الدقيقة من ولاء الأمور مع قضاتهم.

(٧) ثم توصيته بطلبة العلم بوصيتين:

الأولى: النظر في أمر تعليمهم بسهولة و راحة بحيث لا يتطرق إليهم السأم و الملل.

و الثانية: إجراء الأرزاق عليهم ليرتاح بهم عن الاشتغال بأمور المعيشة حتى يتفرغوا لطلب العلم.

(٨) ثم تخصيص راتب طيب من الحلال للقاضي على حسب ما يكفيه بدون تقتير و لا تبذير حتى يتفرغ للقيام بأداء وظيفته فيرتاح قلبه من الانشغال بأمور المعيشة.

(٩) ثم الأمر بقراءة الكتاب الملكي بهذا التقليد على الناس في المساجد و الجوامع ليظهر علنا ما عهد به الملك للقاضي فيعرف الناس ما لهم و ما عليهم.

(١٠) ثم تحذير القاضي من مخالفة الشرع و تذكيره بأنه سيقف بين يدي أحكم الحاكمين يوم القيامة و يسأله عن الصغيرة و الكبيرة، ثم الختام بالدعاء و التوفيق و السداد، و أن يأخذ الله بناصيتهم لطريق الخير و الرشاد.

هذا هو ما يتضمن المرسوم الملكي لقضاء زمانهم في ذلك العصر الأنور في القرن الخامس الهجري.

فانظر الفرق العظيم في تقليد القضاء بين عصرهم و عصرنا و كتابتهم و كتابتنا و صيغتهم مرسومهم و صيغتهم مرسومنا، و الفرق بين أحوالهم و أحوالنا و معاملاتهم و معاملاتنا.

اللهم عفوك و مغفرتك و فضلك و إحسانك فلا قدرة لنا على اتباع صراطك المستقيم إلا بتوفيقك و إحسانك و فضلك فلا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٦٠

## صورة ما كتبه ملك الأندلس للعلامة محمد بن سليم بولاية القضاء

جاء في كتاب «مثل عليا من قضاء الإسلام» تأليف الأستاذ محمود الباجي، ما يأتي: في فجر اليوم الخامس عشر من شعبان عام ثلاثمائة وخمسة وخمسين خرج أمير المؤمنين الحكم المنتصر بالله، ملك الأندلس إلى ديوانه لتصريف الشؤون اليومية، ودخل عليه والي قرطبة لتلاوة تقريره الليلي. وجاء في التقرير أن قاضي المملكة منذر بن سعيد في حالة احتضار. وارتبك الأمير واستوى واقفا وجعل يضرع إلى الله أن يوفقه إلى اختيار خلف يطمئن إليه في إقرار الحق وإقامة العدل ثم أمر باستدعاء شيوخ الشريعة ورجال العلم. ولما اكتمل الجمع أعلمهم بأنه دعاهم ليأخذ رأيهم في اختيار من يخلف منذر بن سعيد. وفيما هم يعددون خصاله و يذكرون مجالسه وأخباره، إذ ورد الإعلام بموته فاتفق المجتمعون على انتخاب محمد بن السليم لما هو معروف به من الفضل والعلم والفهم، وحسن النظر في الأمور، وجميل الخلق.

أمر الأمير بتحرير عهد الولاية لمحمد بن إسحاق بن السليم ليتلى في جامع قرطبة وينهى للقاضي المنتخب فكتب العهد على الصورة الآتية:

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب أمر به أمير المؤمنين الحكم المنتصر بالله لمحمد بن إسحاق بن السليم، ولاه خطه القضاء، واختاره للحكم بين جميع المسلمين، ورفع إلى أعلى المراتب عنده في تنفيذ الأحكام غير ملطق يده إلا بالحق ولسانه إلا بالعدل». و رسم له في كتابه رسوما بدأ فيه بأمانة الله عز وجل إليه وجعل الله الشهيد بها عليه أمره بتقوى الله العظيم الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور وأن يجعل كتاب الله أمامه ينظر فيه نظر المتفكر المعبر. فإنه عهد الله الذي بعث به نبيه صلى الله عليه وسلم فأحل حلاله وحرم حرامه وأمضى أحكامه وفارق الأئمة على أنهم لن يضلوا ما اتبعوه فهو العروة الوثقى والطريق المثلى، والنهج المنير، ودين الله القويم.

وأمره أمير المؤمنين أن يقتدى بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي بها عملت الأئمة وعليها اتفقت الأمة. فالحق معروف والباطل مكشوف، وبينهما مشتبهات فيها يحمد التوقف، وعندها يشكر التثبيت ففي كتاب الله تعالى اسمه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٦١

أصل الدين وفرعه ودليله وتأويله ومن يرد الله به خيرا يوفقه للافتاء بهما، والاقْتباس منهما.

وأمره أن يصلح سريره فيها يصلح الله علانيته وأن يبرأ من الهوى فإنه مضلة عن طريق الحق، وأن يجعل الناس في نفسه سواء إذا جلس للحكم بينهم، حتى لا يطمع فيه الشريف ولا ييأس منه الضعيف وأمره أن يعتبر أمره وما قلده، فيعلم أنه راكب طريقا منتهاها إلى الجنة أو إلى النار، ليس عن أحدهما مصرف ولا من بينها موقف. فحق لمن أراد النجاة أن يستكثر من الحسنات، ويمنع دينه ممن أراد أن يؤنسه في الشبهات. ويعلم أنه حاكم في ظاهره محكوم عليه في باطنه تطوى كل يوم صحيفته على ما أودعها حتى ينظر فيها غدا بين يدي الله عز وجهه يوم تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ فمن حاسب نفسه في الدنيا كان أيسر حسابا في الآخرة.

وأمره أن يتحفظ في حين وقوع الشهادات عنده، فلا يقضى بين المسلمين منها إلا بما أقامه به التحقيق على السنة العدول ذوى القبول وإن استراب من شهادة أحدهم وقتا ما أن يبحث عنها فإن ثبت أنه ارتشى، أو شهد بالهوى فعليه أن يسقط شهادته ويخل عدالته تنكيلا له، وتشديدا لمن خلفه وأن يحمل على الناس معاريض الكلاء على الخصومات و يطرح أهل اللدد الظاهر منهم، ولا يحمل فضل حجاجهم عن لا يقوم بهم.

وأمره أن يحترس بأموال اليتامى ولا يولى عليهم إلى أهل العفاف عنها، وحسن النظر فيها وأن يجدد الكشف والامتحان عن أموال

الناس و الأعباس و اليتامى و يمتنع من قبالتها إلا على وجوها، مما لا بد منه من التنفيذ فيها، و طلب الزيادة عند ذوى الرغبة فى قبالتها.

و أمره أن يختبر كاتبه و حاجبه و خدمته و يتفقد عليهم أحوالهم إذا غابوا عن بصره.

و أمره أن لا- يعجل فى أحكامه فمع العجل لا يؤمن الزلل و أن يرفع إلى أمير المؤمنين ما أشكل عليه الفصل فيه ليصدر من رأيه ما يعتمد عليه إن شاء الله و الله يسأل أمير المؤمنين التوفيق بمنه و فضله.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٦٢

و كتب يوم الاثنين النصف من شعبان سنة (٣٥٣).

التوقيع

الحاكم المستنصر بالله

انتهى من الكتاب المذكور.

### نبذة عن بعض قضاة المسلمين فى العصور المتقدمة

لما كان أمر القضاء صعبا خطيرا فإن كبار العلماء فى العصور المتقدمة كانوا ينفرون من تولى القضاء نفورا تاما و ذلك خوفا من عدم إقامة العدل بين الخصمين كما يرضى الله و رسوله فإنه لا بد أن يميل الإنسان على أحد الخصمين أو أن يميزه بشيء أو أن يقبل فيه توصية بعض الحكام و الوزراء مثلا، أو أن يقبل رشوة أو هدية أو يساوم فى نجاح القضية بنفسه أو بواسطة بعض الكتبة خصوصا فى آخر الزمان الذى يكون فيه من العجائب ما يكون إلا من عصمه الله تعالى عن الخطأ و الزلل و قليل ما هم. و من هنا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «قاضيان فى النار و قاض فى الجنة، قاض عرف الحق ففضى به فهو فى الجنة، و قاض عرف الحق فجار معتمرا أو قضى بغير علم فهما فى النار». رواه الحاكم.

و أيضا لا بد للمحكوم عليه أن يكون خصما للقاضى، خصوصا فى هذه الأزمنة و ذلك من الجهل بالأحكام و قلة الإذعان للحق و إلى هذا يشير الشاعر بقوله:

إن نصف الناس أعداء لمن ولى الأحكام هذا إن عدل

ولكن هناك طائفة من فحول العلماء و كبار الزاهدين الأتقياء ممن ينطبق قول الله تعالى: **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** قد تولوا القضاء فقضوا بين الناس بما أنزل الله فلتتشرف بذكر نبذة يسيرة من سيرتهم الحميدة بين الناس للعطء و الاعتبار و لنقل شيئا من عدلهم و نصرتهم للحق و شدة ورعهم و زهدهم من كتاب «مثل عليا من قضاء الإسلام» تأليف الأستاذ محمود الباجى و المطبوع سنة (١٣٧٦) من الهجرة فقد جاء فيه ما ملخصه:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٦٣

### سيرة القاضى حماس بن مروان رحمه الله تعالى

لم يترك الأمير زيادة الله وسيلة من وسائل الإذاعة إلا اتخذها لإشعار العموم بأنه اختار لقضاء الجماعة بالقيروان العالم الزاهد الورع أبا القاسم حماس بن مروان بن سماك الهمداني خلفا عن محمد بن أسود الصدينى الظالم المستبد و أقيمت الأفراح فى كل النواحي ابتهاجا بزوال عهد بغض و استهلال عهد عدل و استقرار، و بالغ بعض الكبراء فى إظهار السرور فذبح الذبائح و مد الولايم و أطعم الفقراء.

بينما كان الشعب القيرواني في أعياده و ولائمه كان القاضي حماس في بيته يتحدث إلى خادمته قائلاً: أى شىء يا أمة الله نأكله الليلة .. و ترد عليه الخادمة بأن البيت لا يحتوى على أى شىء من الطعام بارداً أو طيبخاً، و أن دقيق الشعير نغد، و نغد كذلك التمر و الرغيف. و يستدعى القاضي ابنه سالما، و يأمره بأن يحمل الفأس و يسعى فى بيعه و يشتري بثمانه خبزا و زيتا، و يذهب الابن و يبيع فأس المنزل و يشتري الخبز و الزيت طعاما لأهل البيت و تفرغ الأسرة من صلاة العشاء و يقبل كل فرد منها على نوافل الليل، فينهمك فى العبادة و الصلاة، و حتى جوهره الخادمة الصالحة تأوى إلى ركنها تصلى و تبكى و تدعو إلى طلوع الفجر، و ينتهى حماس من صلاته و يطوف على أهله فإذا ابنه سالم يتهدج فى بيته، لنواحه دوى، و إذ ابنه محمد يتلو قرآن الفجر فى صوت غالبة الخشوع و التأثر، و العجوز أمهما مستغرقة فى تسيح و تكبير، و الخادمة جوهره تبتهل و تدعو.

و يرفع حماس يديه إلى السماء يحمد الله و يصرخ قائلاً: «يا آل حماس ألا هكذا فكونوا».

لم تترك مشاكل القضاء لحماس الوقت الكافى ليدبر موارد عيشه، فكان يضطر لنسخ الكتب بالليل، و يبيعها للإنفاق من أثمانها، لأنه أصر على أن لا يأخذ من خزينة الملك و لا من بيت المال أى مبلغ أو عطاء فى مقابلة قيامه بالقضاء. و اضطرتة قلبه ذات اليد لفصل خادمته الفاضلة عن المنزل، خشية عليها من الجوع و الاحتياج، و بكت جوهره على فراق سيدها، و ذهبت عند سيد آخر، و أقبل الليل فرأت أهله يسرعون إلى النوم دون أن يقوم بعضهم بصلاة الليل، و فرت تحت جناح الظلام عائدة إلى بيت سيدها حماس، و لما سألها عن سبب عودتها أجابته بأنه سلمها إلى قوم كفره، فأنكر عليها هذا الادعاء لأنه إنما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٦٤

أسلمها إلى قوم مسلمين وردت عليه بأنه لا يقومون الليل معتقدة أن من لا يقوم الليل كافر.

رغم أن حماسا رتب ديوانه على أحكم صورة، و عهد إلى موسى بن القطان بالقضاء المركزى يعضده أبو عبد الله الضراب، و عهد إلى العلامة عبد الرحمن الورقة بقضاء المظالم، و أبى العباس إسحاق بن إبراهيم الأزدى بقضاء التخوم، و رغم انتصابه لفصل القضايا كامل النهار فقد أعلن أنه يقبل التقاضى فى أى مكان و على آية حاله، و فى بيته و فى المسجد الجامع لا يغلق بابه دون أى متظلم و لم يستطع الليل أن يقيم ستارا بينه و بين المتقاضين لأن بيته يبيت فى يقظة مستمرة، و لأن ابنه سالما لا يغمض عينه، كامل الليل، و يجيب كل طارق أقبل على المنزل.

و عرض عليه ابن الصايغ أن يبعث له بنفقة و مركوبة و خادمة و حاجب، فأبى و هدد بالاستقالة و ألح عليه بوصفه كبير وزراء المملكة أن يريح نفسه من نسخ الكتب ليلا- و يوفر ذلك الوقت للناس و يأخذ كفافه من المال، فأصر على الامتناع قائلاً: إنى لا أرتفع عن أكون خديم المسلمين إلى درجة أن أكون مأجورا على خدمتهم.

حاول رجل من أهل درب ابن الربيع أن يبنى دكانه لصق باب داره ليجلس عليها فى الأمسية منتظرا عودة مواشيه من المزرعة و بقراته من المرعى. و منعه جاره بحجة أن الطريق لعموم الناس، و ليس له أن يستأثر بمكان منه لخاصة نفسه.

و اشتدت المناقشة بين الجارين، و قررا أن يحتكما للقاضى و كانا لا يعرفان حماسا و لم يجتمعا أو يتداعيا لديه و تحركا إلى مجلس القضاء، و فيما هما يسألان عنه، إذ لقيهما شيخ وقور يحمل قلبه ماء فسألاه فقال: ما تريدان؟ قالوا: نتحاكم فى مسألة. قال: تحاكما فثالثكما هو القاضى. قال له المدعى: و لم لم تضع قلتك على الأرض؟ قال: لأن الأرض مملوكة للمارة، فلا أضيح عليهم. فقال له المدعى: قد قضيت فى خلافنا، و قال فى نفسه: إذا كان القاضى لم تسمح نفسه بوضع قلبه بالطريق فكيف يحكم لى بأن أبنى دكانه فى الطريق؟ و انصرف و رجع عن محاولة و اعتذر لجاره.

هذا الحكم يرويه عن القاضى حماس أبو الفضل البرزلى و ينقله عنه المؤرخون و نقله نحن عن هؤلاء، و فيه عبرة و موعظة، و فيه ورع و عدالة و هو لعمر الحق صورة حية لما كان عليه القاضى حماس من التربية الكاملة، و لما كان يعطيه من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٦٥

المثل السامية على حسن السلوك وكمال الاستقامة راهب بالليل و قائم بالعدل فى النهار، و فيما بين ذلك ناسخ للكتب ينقلها و يببها للناس، لياكل من ثمنها و يتحرى حقوق المسلمين فى البيت و فى الطريق و فى نفسه و أهل بيته و مع ذلك يطاوله الوزير ابن الصايغ لحمله على أن يقدمه على نفسه فى الرسائل الرسمية فىأبى حماس و يرفض أن يتوج كتبه بذكر اسم الوزير و يصر على أن يقول: «من قاضى القضاء حماس بن مروان إلى الوزير ابن الصايغ سلام الله و بركاته و يليه الخ ..».

و هنا ينقلب التواضع إلى ثورة و شمم و تحدى صوتا لنا موس القضاء و ذودا عن كرامته و حرمانه.  
هذا هو القاضى الإفريقى الأتزه حماس بن مروان الذى وجد أحد زائريه قطعة نقد فضية فى سقيفته، فسلمها إليه فأرجعها إليه حماس قائلا: ما يملك حماس و لا آل حماس صفرا و لا بيضا.

و هذا هو الذى ميز بعض كتبه و وضعها فى مكان خاص و قال لابنيه سالم و محمد: «إذا مت فيبعا هذه الكتب و جهازانى منها، لأنى نسختها بخطى، و أبقيت عليها ليوم موتى».

و هو تلميذ سحنون و عن مدرسته تخرج فى العلم و أخذ الزهد و السلوك عن جبله بن حمود و مدرسته.  
و بصفه منشور الولاية الذى أصدره زبادة الله بن الأغلب، بأنه «أولاه القضاء لرأفته و رحمته و علمه بالكتاب و السنه».  
رحمه الله و أعظم أجره و رفعه إلى مقام الصديقين و الشهداء و الصالحين و ألهمنا الاقتداء بصلابته و ورعه.  
و أن نتحمس لما كان عليه حماس من خلال و سجايا فنكون أهلا لميراث أمجاده و استقبال إحياءاته و إمداده. إنه سميع مجيب.  
انتهى من الكتاب المذكور.

### سيرة القاضى سحنون رحمه الله تعالى

و جاء فى الكتاب المذكور ما يأتى: قال القاضى عياض يروى هذا المجلس التاريخى: دخل على سحنون أحد رجاله و هو فى مجلس قضائه و أعلمه بأن القائد ابن الربيع قائد جيوش الأقاليم الجنوبية، جاء تعلقو هامته أكاليل النصر، و تدق من حوله الطبول و الجيش يهتف باسمه هتافا يصم الأذان، و الغنائم و التحف النادرة  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٦٦  
تتقدم موكبه الحافل و قد أمر الخليفة محمد بن الأغلب أن تقام أقواس النصر للقائد المنتصر، و يخرج الناس للقائه و إنه كان فيما جاء به حرائر من النساء قد أخذهن أسيرات.

و اضطرب القاضى، و قال: «أيعمد ابن الربيع إلى تأسير الحرائر من النساء، إن ذلك لا يقع و أنا قاضى المسلمين و ولى الضعفاء».  
و دخل ابنه محمد و أدرك ما عليه أبوه من الغضب و الثورة، فقال: ما عساک تصنع يا أبى و السلطة التنفيذية تحمى ظهر ابن الربيع و الملك لا يجاهره بالمقاومة و قد عاد من ساحة القتال يجرّ ذبول الانتصار؟

فكر الإمام سحنون فى الأمر، ثم دعا أعوان ديوانه و أمرهم بأن يركبوا حالا و يذهبوا إلى أطراف البلاد و ينفروا إليه و بأمره ألف شاب من الفتيان الأقوياء الأشداء، و يتجهز كل فتى بسلاحه و صدع الأعوان بالأمر و توغلو فى دواخل البلاد، لتجنيد كتائب العدل و السير بها إليه. و اجتمع الرجال و وضعوا أنفسهم أجسما و أرواحا تحت أمره، على أن يموتوا إذا اقتضى الحال، فى سبيل الطاعة الواجبة للحاكم بأمر الله، و الحامى لحمى شريعته و بعد أن استعرضهم اختار منهم مائة رجل و أبقى الآخرين جندا احتياطيا ثم أمر المائة المختارين أن يبقوا تحت طلبه إلى الليل و أقبل الليل و هم لا يعلمون شيئا عن المأمورية التى ستناط بعهدتهم.

فرغ سحنون من صلاة المغرب بمسجد عقبه الجامع و أحاط به الرجال المنتخبون، و أفضى إليهم بالأمر الآتى:  
«إنى قياما بالواجب الشرعى آمركم بأن تمضوا حالا إلى دار القائد ابن الربيع و تضربوها عليه فإذا فتح الأبواب أبلغوه سلامى و إنى عزمت عليه أن يخرج الحرائر اللواتى سباهن، و إياكم أن تمكنوه من غلق الأبواب فى وجوههم فيجتمع هو و حراسه و من معه من

الرجال، و يدافعوكم و يمضى الأمر إلى إراقة الدماء و إن هو لاطفكم و مانعكم و تمرد على إذنى، فاشتغلوه حتى يلج من شيوخكم، فإذا انتهوا إلى الباب الأوسط نادوا: «أيها الحرائر المسيبات اللاتى أتى بهن إن القاضى يأمركن بالخروج إليه» فإذا خرج الحرائر عن آخرهن فإنكم تحضرونهن إلى مجلسى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٦٧

ذهبت كتيبة القاضى جماعات و أحاط رجالها بدار القائد و طرقتوا الباب و أبلغوه أمر القاضى فتعاصى و حاول المقاومة فقبضوا عليه و دخل الرجال السبعة و استخرجوا السبايا و حملوهن إلى سحنون فأمر بإيداعهن بدار الحفظ.

ركب ابن الربيع لفوره و قصد قصر الأمير بركادة فوجد الأبواب مغلقة و قضى ليله تحت جدران القصر حتى أصبح و دخل إلى محمد بن الأغل و قد شق ثيابه و استسلم للبكاء و سأله الأمير خبره، فأعلمه بما حدث و توسل إليه أن يحميه من الإهانة التى لقيها من سحنون و أن يأمره برد سباياه و أجاره الأمير، و وجه رساله مستعجلة إلى سحنون يأمره فيها برد ما أخذ للقائد ابن الربيع و ما إن تلى سحنون رساله الأمير، حتى ثار غضبه و قال: «و الله لا إله إلا هو إن أخرجت من دارى حتى أعزل عن القضاء، و يعلم الله أن لا نظر لى على رجلين من المسلمين، ثم دعا ولده محمدا و كتب له رساله نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم و يا قوم ما لى أدعوكم إلى النجاة و تدعوننى إلى النار\* تدعوننى لأكفر بالله و أشرك به ما لى به علم و أنا أدعوكم إلى العزيز الغفار\* لا جرم أنما تدعوننى إليه لى لى له دعوته فى الدنيا و لا فى الآخرة و أن مردنا إلى الله و أن المسيرفين هم أصحاب النار ثم سلم الرساله و سجل ولايته إلى ابنه و أمره بأن يرفعهما إلى الأمير و يقول له:

جعل الله ابن الربيع شفيحك يوم القيامة.

كان الأمير ينتظر عوده مبعوثه إلى القاضى، على أحر من الجمر و كان رجال سحنون يتوقعون على إثر تحرير رساله الرضى و اتصال الأمير بها مع التصريح الشفوى الذى نقله إليه محمد بن سحنون و سجل الولاية المشعر بالاستقالة أن الأمير سيمضى فى الانتصار لقائده إلى أبعد حد، و أنه ربما يأمر بعزل سحنون و إلقاء القبض عليه، و إيداعه السجن.

و كان سحنون يقوم بتصفية أوراقه و تحرير وصاياه و إعطاء التعليمات الأخيرة لابنته خديجة فيما يخص الأمور العائلية و كان النسوة المسيبات ينتظرن ساعة الخلاص و الرجوع إلى أهلن و بيوتهن و قد أصبحن تحت سلطة ممثل الشريعة، و قاضى المسلمين و لا حول لأحد و لا طول عليهن و اتجه الناس بأنظارهم إلى رقادته يترقبون ما تصدر به الأوامر فى هذه المعركة الرهيبة التى يصطدم فيها العدل و رجله الفذ و القوة فى شخص القائد المنتصر، و يقع الأمير فى مأزق غير نافذ فهو إذا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٦٨

أغضب قائده فقد أغضب الجيش و عرض عرشه لحركة تمرد و انتفاض، و إذا أغضب قاضيه فقد أغضب الله و خشى سخط الشعب. وصل وفد القاضى إلى الأمير و أبلغه محمد بن سحنون الرساله و عزم الاستقالة و سجل الأحكام و أبلغه نطق والده فقرأ الرساله ثم دخل إلى بيته و بعد ثلاثة أيام قضاها فى مغالبة نفسه و التدبير فى الموقف و بقى فيها محمد بن سحنون و القائد ابن الربيع فى انتظار القرار الأخير و تطلع فيها شعب القيروان و من ورائه قاضيه لما تسفر عنه الحالة من أحداث.

خرج أبو العباس بعد احتجاجه و استدعى القائد ابن الربيع و عرض عليه أن يطلب منه ما شاء غير رد النسوة إليه و مطاوله سحنون و رضى القائد بذلك.

و استدعى بعد ذلك محمد بن سحنون، و قال له:

«اقرأ على أبيك السلام و قل له جازاك الله عن نفسك و عن المسلمين خيرا فى عام ١٣٠٨ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ حسين رشدى.

فى عام ١٣٠٩ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ محمد ضياء الدين.



في عام ١٣١٠ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ عبد الله صائب أفندي.

في عام ١٣١١ تولى رئاسة المحكمة فضيلة الشيخ أحمد عاصم أفندي.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٦٩

انتهى من كتاب «مثل عليا من قضاء الإسلام» وقد تقدم في مبحث «القضاء في العهد العباسي» أن القاضي سحنون رحمه الله تعالى هو الذي نظم القضاء وقسمه إلى درجات، فارجع إليه إن شئت.

### سيره القاضي عيسى بن مسكين رحمه الله تعالى

وجاء في الكتاب المذكور ما يأتي: اعتمادا على الصلاحيات الواسعة، و النفوذ الخارق للعادة الى تمتع به القاضي عيسى بن مسكين، و اعتبرها شرطا في قبوله خطة القضاء، و أوجب إبراهيم بن الأغلب قبولها و التسليم بها ألف القاضي ديوانه على الصورة الآتية:

القاضي المركزي، عبد الله بن محمد بن المفرج المعروف بابن البناء.

قضاء الحسبة، أبو القاسم الطوزي.

القضاء المستعجل، سليمان بن سالم و إبراهيم بن خشاب.

الأوقاف و التركات، أبو بكر بن اللباد.

الوثائق و السجلات، ابن زرياب.

و كان شديدا على أعضاده حريصا على الإخلاص للعمل و الموطبة و تأمين راحة المتقاضين و لم يكن ابن زرياب قد أدرك صلابه رئيسه في الحق، و أنه يخفي وراء وداعته و بساطه حركاته، و زهد نفسه و تواضعه العجيب شدة لا تعرف الهوادة في الواجب و قوة لا تلين أمام المقاومات.

انصرف الناس من صلاة الصبح و أقبل على بيت القضاء الشيخ عيسى بن مسكين قاضي القضاء، و القاضي المركزي و قاضي الحسبة، و القاضي الفوري و الكتبة، و تخلف كاتب السجلات ابن زرياب و حضر الخصوم و امتلأت الرحاب و ارتفعت الشمس، و تكرر سؤال عيسى مستعلما عن حضور ابن زرياب و فتح السجلات و أمر بالنظر في القضايا و تصريف الشؤون الحكيمه دون إطالة أو تثاقل، ثم طلب من رجال الديوان أن يراجعوا سوابق قضية الشيخ أبي سعيد التميمي الذي حضر مبكرا رغم شيخوخته و أجابه الرجال بأنهم لا يعرفون نظام السجل و لا يقدرين في غير محضر ابن زرياب أن يهتدوا إلى مراجعته و أطرق القاضي و قد ظهر عليه الغضب و عبس و قطب و كثر تطلعه إلى باب المحكمة، ثم استدعى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٧٠

الشيخ أبا سعيد، ليعتذر له عن تأخير البت في قضيته فوجده انصرف متبوعا بأبنائه و شهوده كما انصرف خصومه.

بعد انتظار طويل حضر ابن زرياب و كان مرتديا أفخر ثيابه و يسبقه عقب ماء الورد و الياسمين و حالا دعاه القاضي و استجوبه عن سبب تأخيره إلى ذلك الحين فاعتذر بأنه ذهب ليشهد عقد نكاح عند أبي القاسم محمد بن عبدوس نظرا لما تربطه به من علائق متينة و صداقة متينة.

و أجاب ابن زرياب مؤكدا أن حضور عقد النكاح هو السبب الوحيد الذي قضى عليه بالتخلف.

وقف زملاء ابن زرياب القضاء يتابعون المناقشة الدائرة بينه و بين القاضي ابن مسكين و تم الإعدار للمتخلف فاقصر على الاعتذار بحق ابن عبدوس عليه، و اضطراره إلى إجابته دعوته و الحضور بمنزله.

و ارتفع بعد ذلك صوت القاضي مقررا أن ابن زرياب في إجارة المسلمين و أنه عطل ما استؤجر عليه، و اشتغل بحضور عقود الأنكحة، و هو بذلك قد أخل بالأمانة التي في عنقه و استحق السجن التأديبي، ثم أمر باقتياده إلى السجن و نفذ الأعوان أمر القاضي و

أودعوا ابن زرياب السجن.

وبعد صلاة العصر حضر حارس السجن يحمل رسالة إلى القاضى استغفر فيها ابن زرياب من ذنبه و أعطى عهدا بأن لا يتخلف عن واجبه مهما كانت الدواعى و تقدم الشيخان ابن البناء و ابن اللباد يطلبان الصّفح عن زميلهما، و الاكتفاء بما ناله من تأديب و أمر القاضى بأن يفرج عنه بعد صلاة العشاء.

و من ذلك اليوم إلى أن استعفى ابن مسكين من خطّة القضاء لم يتخلف واحد من رجال الدواوين القضائية عن عمله إلا بعذر قاهر. قال ابن اللباد لرئيسه عيسى بن مسكين: إنه كان يخشى أن يتداخل إبراهيم بن الأغلب فى صالح بن زرياب نظرا لما لهذا الأخير من الحظوة فى البلاط الأغلبى و ضحك عيسى ورد عليه بأنه لم يقبل القضاء إلا بعد أن قدم للأمير شروطا قبلها و حرر بشأنها عهد كتابى و هذه الشروط تتضمن أن للقاضى حق تقديم استقالته مرة فى كل شهر، و أنه يحمل الأمير و بنى عمه و جنده و بطانته و فقراء المسلمين فى الحق فى درجة واحدة و أنه يكوم معنى من الدعوات الخاصة للحضور بمجلس

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٧١

الأمير أو لتقديم التهاني و التعازى، أو للتوديع و الاقتبال، و أن الأمير لو تداخل لفائدة محسوبة ابن زرياب لكان ذلك داعيا لمراجعة وثيقة العهد، و الوقوف عند منطوقها و إذا ما أصر رغم ذلك على التداخل فإن القاضى يضطر لتقديم استقالته مع الإصرار على عدم الرجوع فى ذلك.

جلس ابن اللباد و ابن البناء و ابن زرياب بعد الفراغ من الصلاة يتحدثون عن رئيسهم عيسى بن مسكين بمناسبة عزمه على الاستعفاء من مهام القضاء فقال ابن البناء: إن أمر هذا الرجل غريب. فهو لم يأخذ درهما من بيت المال و لا من خزينة الأمير، منذ أن تقلد القضاء، و لا يعيش إلا- من دقيق الشعير الذى يأتيه من منزله بالساحل يخبزه بنفسه، و من بقل و خضر تأتيه من البادية و ربما بقى اليومين و الثلاث بلا طعام فى انتظار دقيقه و بقوله. و إنى أعرفه و قد أقام بقرادة تسع سنين لم يأكل التين إلا مرة واحدة، و لم يأكل البطيخ إلا مرة أخرى، و إنى ذهبت لمنزله فلم أجد فيه من المدخرات سوى آنية زيت و آنية خل. و رأيت فى كوة البيت قارورة مختومة من نوع القوارير المستعملة فى البلاط الأغلبى فسألته عنها و تجاهل السؤال، ثم ألححت عليه فأجابنى بأنه كان فى مجلس الأمير إبراهيم و أصابته رياح فى جوفه، و أدرك الأمير ألمه فأعطاه تلك القارورة و فيها الدواء الشافى، ولكنه فرغ إلى الله أن يغنيه عن استعمالها فلم تعاوده الرياح و لا الألم. و من هذا الزهد استمد ابن مسكين قوته و استحق احترام الأمير و رجال الدولة و قوادها.

و تساءل ابن زرياب عن سبب استعفائه، و هو لا يخشى مضايقة و لا يشكو حرجا، فقال ابن اللباد: إن عيسى يريد أن يتفرغ للعبادة و العلم، و قد كبر سنه و حن إلى مسقط رأسه ليستأنف حياته تحت زيتونته المباركة، و فى ظلها الوارف، منصرفا للصلاة و تلاوة القرآن و قراءة الحديث، كما كان شأنه قبل أن يكرهه الأمير على قبول القضاء و يستقدمه إلى القيروان.

و قال ابن زرياب: كأنى أنظر إليه يوم أن استقدمه الأمير إلى القيروان جلس بجانب حمديس الأشعري، و سأله الأمير قائلا:

ما رأى الشيخ فى رجل جمع خلال الخير و أراد الأمير أن يوليه القضاء و يلم به شعث الأمة فامتنع من القبول؟

و قال عيسى: يلزمه أن يلبنى.

و قال الأمير: فإن أصر على الامتناع؟

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٧٢

و أجاب عيسى: يجبر على ذلك: و إذا اشتد فى الامتناع يجلد حتى يقبل.

و قال الأمير ضاحكا: قم يا عيسى فأنت هو.

و كأنى أنظر إلى الأمير و قد قرب سيفه من نحر عيسى لحمله على القبول، و ابتعد حمديس الأشعري لكى لا يصيبه دم الشيخ.

و لعل من المناسب أن نعلق على محادثة أعضاء ابن مسكين، بما رواه عونه ابن دبوس، قال: جئته يوم جمعة لإيناسه حيث يتفرغ ذلك

اليوم من مهام القضاء، فقرعت عليه الباب ففتح منه مصراعا، و وقفت فإذا هو مؤتزر بكسائه يغسل جبته، فقال لى: يا أخى، ما جاء بك؟ قلت: أردت إيناسك، و أراك مشغولا، فاتركنى أستقى لك الماء و تغسل أنت أو تستقى و أغسل أنا. فقال: يا أخى، أعددت بلا شغل. ورد الباب، و رجع إلى عمله و انصرفت.

فهل أدركنا مصدر قوة مواطننا ابن مسكين، و صلابته فى الحق و الواجب ...، و نحن القضاء المساكين ليت لنا الشىء القليل من نفسه و خلال ابن مسكين.

انتهى من الكتاب المذكور.

### سيره القاضى أحمد بن القاضى أبى محرز

و جاء فى الكتاب المذكور ما يأتى: و لما توفى أبو محرز الكتانى الذى استقل بقضاء الجماعة، بعد وفاة زميله أسد بن الفرات، كبر على الأمير زيادة الله بن الأغلب أن يختار خلفه و أن يجد الرجل الذى يسد فراغ القاضيين أى محرز الكتانى و أبى عبد الله أسد بن الفرات، لذلك التجأ إلى استشارة شيوخ العلم و قادة الرأى، و عقد لذلك مؤتمرا ساميا دعا إليه الكثير من هؤلاء و أولئك، و عرض عليهم الأمر فوقعوا فى الحيرة التى وقع فيها الأمير نفسه، و أصروا على عدم تعيين من يتولى قضاء المملكة، أو تقديم التوصيات التى تسمح بتعيينه، و تخرج الأمير من موقف المؤتمرين، و أمر بأنه لا يسمح لأحد منهم بالانصراف إلا إذا تم اختيار القاضى، و رغم هذا الملكى الحازم فقد أصر المؤتمرين على مواقفهم.

و انسحب الأمير إلى مجلسه الخاص. و بقى المؤتمرين فى أماكنهم و دخل وقت الصلاة و أجمع الحاضرون على تقديم العلامة أحمد بن القاضى أبى محرز للصلاة بهم و كان الأمير ينتظر ذلك و عندما علم من حراسه و حجابيه بإمامة أحمد بن أبى محرز دخل على القوم و خطب فيهم قائلا:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٧٣

«يا وجوه البلاد و أعيان المملكة: إنى رضيت لدينى من رضيتم أنتم لدينكم و إنى أعلن انتخاب إمامكم أحمد بن أبى محرز لولاية القضاء الإفريقي».

و قام الإمام أحمد و اعترض اختياره للقضاء و اعتذر عن ذلك بأنه لم تتوفر فيه الكفاءة المطلوبة. و تمسك الأمير برأيه فاشترط ابن أبى محرز على الأمير أن لا يقبل أى تدخل فى شؤون القضاء من جانب رجال البلاط الأغلبى و أن لا يعتمد أى وكيل يستمد وكالته من سلطة الإمارة و صرح الأمير بأنه قبل شروط ابن محرز، و سجل ذلك على نفسه أمام المؤتمرين علانية. و بعد حين أفضى الأمير لرجال الدولة ببيان خطير، معلقا به على ولاية ابن محرز قال فيه:

«لا أبالى ما أقدمت عليه يوم القيامة. و قد قدمت عليه بأربعة:

(١) بنائى المسجد الجامع بالقيروان.

(٢) و بنائى قنطرة باب أبى الربيع.

(٣) و بنائى حصن سوسة.

(٤) و توليتى أحمد بن أبى محرز قضاء أفريقيا».

تخاصم واحد من أهل القيروان مع رجل يهتم به كبير وزراء الدولة على بن حميد فى دار من دور مدينة القيروان بالسماط الأعظم، فلما نشبت الخصومة رأى القاضى أحمد أن يعلقها حتى يتم القضاء فى أصل النزاع فطبع على الرجل الذى يعنى به الوزير.

و مضى الرجل إلى الوزير مستنجدا به، ليفك عنه العقل و فزع المطبوع له إلى القاضى، و هو جالس فى مجلس قضاائه بجامع القيروان و أخبره بذلك و ثار القاضى لهذا التحدى و ضم ديوانه، و مضى إلى داره و أحل سجل ولايته، و مضى إلى القصر القديم الذى

يسكنه الأمير زيادة الله بعد الزوال، و كان الأمير نائما و طلب القاضى من كبير الحجاب (مسرور) أن يستأذنه عليه، و اعتذر الحاجب بأن الوقت لا يسمح له بالاستئذان ورد عليه القاضى بأنه يعتبره قد منعه من باب الأمير.

و أجابه الحاجب بأنه يرجوه أن لا يلجئه للمنع و لا للاستئذان، و اضطر القاضى لقرع باب القصر.

و خرجت والدة زيادة الله فازعه فقال لها: «القاضى أحمد يستأذن على الأمير لأمر دهمه ..».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٧٤

و ذهبت والدة إلى مقصورة زيادة الله، و هو نائم على سريره فحركت حلقه الباب. فقال زيادة الله: من هذا؟

قالت: «الوالدة».

قال: «و ما جاء بك؟».

قالت: «القاضى بالباب، ذكر أنه أتى فى أمر دهمه».

فأذن له بالدخول عليه و سلم القاضى على الأمير و قص عليه القصة، ثم قال:

«هذا سجلك فإن أردت أن تعافينى فإن الله تعالى يجزئ مثوبتك» و تطف مع الأمير و أمره بالانتظار، ثم اغتسل و لبس ثيابه و

ركب و تبعه القاضى، فركب دابته و تسائرا حتى دخلا من باب أبى الربيع، و وقفا بالقرب من الجامع، و سأل الأمير عن دار النزاع التى

طبعها القاضى، و لما أرشد إليها ختم على بابها بطابعه الملكى، ثم التفت للقاضى و قال: «هل أرضيناك أيها القاضى العادل؟ ...».

و استأذنه إثر ذلك فى العودة. و عاد إلى قصره.

و سمع كبير وزراء ابن حميد بما فعل الأمير فخشى، و ندم على ما صدر منه، و ود أنه مات قبل أن يتخرج مركزه عند الأمير.

و شاع الأمر بين أهل القيروان فازداد احترامهم للقاضى و تعظيمهم له.

انتهى من الكتاب المذكور.

### سيرة القاضى سليمان الغافقى رحمه الله تعالى

و جاء فى الكتاب المذكور ما يأتى: عهد أمير المؤمنين عبد الرحمن ملك الأندلس إلى سليمان بن الأسود الغافقى بقضاء ماردة و

منحه من النفوذ ما شجعه على قبول القضاء. و ذات يوم أقبل أحد التجار الإسرائيليين و ادعى لدى سليمان أنه عرض الجارية للبيع، و

رغبها الأمير محمد بن أمير المؤمنين، و اشتط عليه فى الثمن فلم يكن من الأمير إلا- أن دس بعض غلمانه ففروا بالجارية، و أحضر

القاضى بعض من عاين الحادثة من الجمهور و تلقى شهاداتهم ثم استقدم الأمير و سأله رد الجارية، فأنكر الأمير و لجّ القاضى فى الأمر

بالرد، و لجّ الأمير فى الإنكار، و أقسم القاضى لئن لم يقع إحضار الجارية ليركب إلى الخليفة و يستعفيه من قضائه. و فعلا ركب

القاضى دابته متوجها إلى قرطبة، فخشى الأمير عاقبة الأمر و وجه يعلم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٧٥

القاضى بوجود الجارية عند بعض فتيان، و لم يكن يعرف ذلك، و حضرت الجارية و سلمها القاضى إلى صاحبها.

مات عبد الرحمن و ولى الخلافة من بعده ابنه محمد، و حضر قاضى ماردة يهنئه بالخلافة. و ما إن سلم عليه، حتى تذكر الخليفة

موقف القاضى منه، فى قضية الجارية، و ما أظهره من الصلابة فى الحق، و الإنصاف فى الحكومة فاختاره لقضاء الجماعة بقرطبة، و

سماه قاضى القضاء، و كان ولاية القصر قد أسندت إلى (بدرون الصقلبي) الأثير لدى الخليفة، و مستودع سره، و صاحب الرأى الأخير

فى استشاراته.

تقدمت امرأة عجوز، بين يدي القاضى سليمان تطالب الوالى بدرون برفع يده عن دار تملكها فكتب لها أمرا بالحضور، و ختم عليه و

أشار على المرأة بتسليمه إلى الوالى، ففعل لها بدرون بأنه فى خدمة الخليفة و لا يستطيع مواجهتها يومئذ فأمر القاضى بالقبض عيه و

اقتياده إلى مجلس القضاء، و لم يبرح المجلس إلا بعد إنصاف المرأة.

ها هو هاشم بن عبد العزيز يصف لنا دخول الوالي على الخليفة بعد انصرافه من مجلس القاضى، قال هاشم: «إنى لقاعد يوما بين يدي الأمير إذ دخل بدرون الصقلبي باكيا. فقال له: ما دهاك؟ فقال له: يا مولاي عرض لى الساعة مع القاضى ما لم يعرض لى مثله قط، و لوددت أن الأرض انضمت على، و لم أقف بين يديه. قال: و ما ذاك؟ قال: دسّت علىّ امرأة تطالبنى فى دار فى يدي، فأغفل ما كنت إذ جاءتنى بطابع القاضى و كنت أنت أمرتنى بما تعلمه فاعتذرت إليها، و قلت: «أنا اليوم مشغول بشغل الأمير أعزه الله، و سأكتب إلى القاضى، و أستعلم ما يريد» ثم إنى أقبلت إلى القصر، و قد أتيت باب القنطرة، فإذا برسول من أعوان القاضى بادر إلى فضرب على عاتقى، و صرفنى عن طريقى إليه، فدخلت عليه فى المسجد الجامع، فوجدته غضبان فنهرنى و قال: «عصيتنى و لم تأخذ طابعى». فقلت له: «لم أفعل، و قد عرفت المرأة بوجه تأخيرى»، فقال لى: «و رب هذا البيت لو صح عندى عصيانك لأدبتك». ثم قال لى: «أنصف هذه المرأة». فقلت: «أو كل من يخاصمها عنى» فأبى على إلا أن أتكلم، فلما رأيت صعوبة مقامى، أعطيتها بدعواها، و نجوت بنفسى، أفيحسن عندك يا مولاي أن يركب منى قاضيك هذا المركب، و مكانى من خدمتك مكانى؟».

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٧٦

ورد عليه الخليفة يقول: «اخفض عليك يا بدرون، فمحللك منى معلوم، و سل به حوائجك نجبك إليها، ما خلا معارضة القاضى فى شىء من أحكامه.

فإن هذا باب قد أغلقناه، فلا نجيب إليه أحدا من أبنائنا و لا من إخواننا و لا من أبناء عمنا فضلا عن غيرهم. و القاضى أدرى بما فعل، و لست أحميد عن الشعار الذى اتخذته والدى، و المبدأ الذى قامت عليه دولته، و اطمأن له الشعب، و منح الاطمئنان و الثقة إلى النفوس» و مسح بدرون عينيه و انصرف. انتهى من الكتاب المذكور.

### سيره القاضى محمد بن السليم رحمه الله تعالى

فى فجر اليوم الخامس عشر من شعبان عام ثلاثمائة و خمسة و خمسين خرج أمير المؤمنين، الحكم المنتصر بالله، ملك الأندلس إلى ديوانه لتصريف الشؤون اليومية، و دخل عليه والى قرطبة لتلاوة تقريره الليلى. و جاء فى التقرير أن قاضى المملكة منذر بن سعيد فى حالة احتضار. و ارتبك الأمير، و استوى واقفا، و جعل يضرع إلى الله أن يوفقه إلى اختيار خلف يطمئن إليه، فى إقرار الحق، و إقامة العدل. ثم أمر باستدعاء شيوخ الشريعة و رجال العلم. و لما اكتمل الجمع أعلمهم بأنه دعاهم ليأخذ رأيهم فى اختيار من يخلف منذر بن سعيد. و فيما هم يعددون خصاله، و يذكرون مجالسه و أخباره، إذ ورد الإعلام بموته فاتفق المجتمعون على انتخاب محمد بن السليم لما هو معروف به من الفضل و العلم و الفهم، و حسن النظر فى الأمور و جميل الخلق.

فأمر الأمير بتحرير عهد الولاية لمحمد بن إسحاق بن السليم، ليتلى فى جامع قرطبة، و ينهى للقاضى المنتخب فكتب العهد على الصورة الآتية: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب أمر به أمير المؤمنين، الحكم المنتصر بالله، محمد بن إسحاق بن السليم، و لاه خطة القضاء و اختاره للحكم بين جميع المسلمين ..» إلى آخره.

و لقد ذكر نص هذا الكتاب فى أوائل المبحث فراجعه إن شئت.

ثم جاء فى الكتاب المذكور بعد نص الكتاب بولاية القضاء، ما نصه: ليس من السهل أن يملأ القاضى الجديد الفراغ العظيم، الذى تركه سلفه منذر بن سعيد، فالشعب القرطبى قد تعود مفاجآت عجيبة فى المذاهب الحكيمية و أسانيد

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٧٧

القضاء، و وسائل الإقناع، و الصلابة فى الحق و النفوذ الخارق للعادة. و تندر فى مجالسه و أسماره و أسواقه بوقائع المنذر و خطبه و

أجوبته، و دخل ذلك في نطاق الحياة العامة. و أصبح جزءا منها، و كان المنذر حتى في صلاة الاستسقاء، و مواقف التذلل و الخشوع و الاستكانة، يأتي بالجديد المبتكر فيبكي الجماهير، و يحرك المشاعر، و يهيمن على القلوب ناهيك أنه وقف يوما يخطب للاستسقاء فتوجه للجماهير و قال: سلام عليكم، ثم التفت إلى الناحية الأخرى من موقفه، و قال: سلام عليكم، ثم سكت كالذي أرتج عليه، ثم اندفع يقول: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. و انهل يقرع الأسماع بزواجر وعظه إلى أن هاج الناس بالبكاء، و ضجوا بالاستغفار، و قالت السماء كأفواه القرب.

إن هذا الفراغ الذي تركه المنذر ليس من اليسير أن يملأه ابن السليم في زمن قصير و مع ذلك فقد استطاع أن يحرز على ثقة الناس و احترامهم. و حدث أن حضر الأمير الحكم يوما إلى مجلس القضاء متنكرا، فوجد رجلا يرتعد و لا ينهض من كبوة إلا ليقع في أخرى فسأله عن شأنه فذكر له أنه جاء يستعدى على خصم له، و استهول الوقوف بين يدي القاضي، و لو كان مدعيا بحق. فقال له الأمير: أو يعزى ما تجده في نفسك من خوف لسوء أخلاق القاضي و فضاخته و غلظ قلبه؟ قال: لا، ولكن لمهابتة و قوة فراسته، قال الأمير: و كيف ذلك؟ قال الرجل: إن الناس يتحدثون أنه يدرك المحق و المبطل، من مجرد عرض الدعوى و الإدلاء بالجواب. فقال الأمير: و أنت ألك و ثوق بحقك؟ قال الرجل: في بعض المدعى فيه، و شجعه الأمير على الإدعاء بكامل ما في نفسه، فتمثل بين يدي القاضي، و بسط دعواه، و الأمير يستمع من قريب فأطرق القاضي ثم خاطب الشاكي، يضايقه يضايقه بالتحريير و الأسئلة، حتى ألجأه إلى تعديل الدعوى، و صرفه ليمعن في تحرير دعواه، ثم يرجع إليه. و هكذا انصرف الأمير متعجبا من فراسة قاضية ابن السليم و كثيرا ما صرح الحكم المنتصر بالله بأن أكبر مصيبة تحدث في المملكة هي أقل خطرا من مصابها بموت قاضى القضاء. و إن وفاة القواد و الوزراء لا تتأثر لها الحياة العمومية تأثرها بفقد القاضي العادل.

و يذكر المؤرخون أن عهدي المنذر بن سعيد و محمد بن السليم سادهما شعور بالانصاف، و تشجيع على المطالبة بالحق قبل أى كان تعلقه. و قد أمكن الفصل

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٧٨

في عدة قضايا، كان الحكم نفسه طرفا فيها أو أهله، من عائلة الخلافة و بطانة الدولة أطرافا فيها.

إنه لم يتفق فيما أعلم أن شهدت الدنيا عهدا، كهذه العهود الإسلامية المباركة، فخليفة المسلمين ينسل في الهزيع الأخير من الليل يضرع إلى الله، و يفرع إليه ليوفقه في اختيار قاضى المسلمين، ثم يجمع مجلس المشورة من غده، و يستشيرهم في أمر ذلك الاختيار و لا يصدر إلا عن رأى أجمعوا عليه، ثم يحرر عهد الولاية فإذا هو دستور قويم، يضع أسمى المبادئ و يسن أجل المناهج، ثم يقف متنكرا مع أفراد الرعيه متطلعا إلى ما يجرى حول مجلس القاضي، و ما يقوله الخصماء عنه، ثم يبكي بين يديه أقرب الناس منه و أشدهم سلطانا عليه، يشكو أمر القاضي فيسترضيه بكل شىء عدا مصادمة القاضي أو نقض ما أبرمه أو التداخل في أوامره و أحكامه. إنها عهود زاهرة فتحتها الإسلام و ارتفعت بها البشرية إلى أسمى المقامات و عرف بها الإنسان حقه في الحياة، و واجبه فيها، و تقياً جميع الأحياء ظلال الأمن و الطمأنينة و شعروا بالعرزة من وراء الإنصاف و الكرامة من وراء العدل و الازدهار نتيجة النظام المطلق، و رقابة الضمائر الطاهرة، و القلوب النقية.

ثم و هل تعود تلك العهود الزاهرة؟ و هل يرجع القضاء في كل أطراف الدنيا استقلاله و نفوذه و طهارته و جلاله؟ و هل يتاح لخصماء اليوم أن يهيمن على نزاعاتهم قضاء قوى لا هوادة فيه و لا جور، و لا تلكؤ و لا استعجال و قضاء مقسطون تحميم ملائكة الحق، و يخافون يوما يرجعون فيه إلى الله، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون؟ إن أمم العالم سائرهما ترجو ذلك و تتمناه، و إنه لا سبيل لإدراك تلك العهود، إلا بالتضحية العامة، تضحية أصحاب السلطة بنفوذهم لفائدة نفوذ القضاء، و تضحية القاضي بشهوته و أعوانه و ميوله و رفايته، لفائدة الحق، و تضحية الخصماء بكبريائهم و غرورهم و شرهم لفائدة الإنصاف. و تكون نتيجة هذه التضحيات حتما الطمأنينة للجميع. و العمران و الأمن للكافة.

انتهى كل ما تقدم من الكتاب المذكور.

وجاء في الجزء الثاني، من كتاب «حسن المحاضرة» للإمام السيوطي، رحمه الله تعالى، في ذكر قضاة مصر، كثيرا من أسماء القضاة و أحوالهم، ونحن نلخص شيئا يسيرا حتى لا يطول بنا المقام، وهو كما يلي:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٧٩

لقد ولي القضاء في أيام معاوية بن أبي سفيان رضى الله تعالى عنه، سليم بن عنز التجيبى و جعل إليه القصص و القضاء جميعا. و كان سليم بن عنز أحد العباد المجتهدين، و كان يقوم في ليلة فيبتدئ القرآن حتى يختمه، ثم يأتى أهله، ثم يقوم فيغتسل، ثم يقرأ فيختم، ثم يأتى أهله ثم يقوم فيغتسل، ثم يقرأ فيختم ثم يأتى أهله، و ربما فعل ذلك في الليلة مرات، فلما مات قالت امرأته: رحمك الله، فو الله لقد كنت ترضى ربك و تسر أهلك.

جاء في كتاب «حسن المحاضرة» للسيوطي، ما يأتى:

لما تولى القضاء الشيخ عز الدين بن عبد السلام في حدود سنة (٦٣٩) تسع و ثلاثين و ستمائة هجرية، تصدى لبيع أمراء الدولة من الأتراك، و ذكر أنه لم يثبت عنده أنهم أحرار، و أن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، فبلغهم ذلك، فعظم الخطب عندهم، و اجترم الأمر و الشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعا و لا شراء و لا نكاحا، و تعطلت مصالحهم لذلك، و كان من جملةهم نائب السلطنة، فاستثار غضبا فاجتمعوا و أرسلوا إليه، فقال: يعقد لكم مجلسا، و نادى عليكم لبيت مال المسلمين فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه فلم يرجع، فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة فلم يقد فيه، فانزعج النائب، و قال: كيف ينادى علينا هذا الشيخ و يبيعنا و نحن ملوك الأرض، و الله لأضربنه بسيفى هذا. فركب بنفسه فى جماعته، و جاء إلى بيت الشيخ و السيف مسلول فى يده، فطرق الباب فخرج ولد الشيخ فرأى من نائب السلطنة ما رأى، و شرح له الحال فما اكرث لذلك، و قال: يا ولدى أبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله، ثم خرج، فحين وقع بصره على النائب بيست يد النائب و سقط السيف منها، و أرعدت مفاصله، فبكى و سأل الشيخ أن يدعو له و قال: يا سيدى إيش تعمل؟ قال: أنادى عليكم و أبيعكم. قال: ففيم تصرف ثمننا؟ قال: فى مصالح المسلمين قال: من يقبضه؟ قال: أنا فتم ما أراد و نادى على الأمراء واحدا واحدا، و غالى فى ثمنهم، و لم يبيعهم إلا بالثمن الوافى، و قبضه و صرفه فى وجوه الخير. و اتفق له فى ولايته القضاء عجائب و غرائب.

انتهى من الكتاب المذكور.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٨٠

فرحم الله القضاة السابقين، و العلماء العاملين و أئمة الدين، و لو أردنا أن نذكر أمثال من تقدمت سيرهم و أحوالهم لاحتجنا إلى مجلدات، لأن بطون الكتب مشحونة بتراجمهم، و فى القدر الذى ذكرنا كفاية للمتأمل اللبيب.

فالناظر إلى أحوالهم الحسنة و سيرهم العطرة، و إلى أحوالنا السيئة و سيرتنا المعوجة، لرأى فرقا عظيما، كالفرق بين السماء و الأرض أو كالفرق بين الخل و العسل. و لقد كان بعض فضلاء القضاة يتمثل بهذين البيتين:

وليت القضاء و ليت القضاء لم يك شيئا توليته

و قد ساقنى للقضاء القضاء ما كنت يوما تمنيته

نسأل الله اللطيف الخبير و العفو الحليم أن يعاملنا بعفوه و حلمه و فضله، و أن يحول حالنا إلى أحسن الأحوال، و أن يوفقنا لما يحبه و يرضاه آمين، و صلى الله و سلم على عبده و رسوله «محمد» و على آله و صحبه أجمعين.

تاريخ فرمانات السلطنة و صورها

و بمناسبة ذكر فرمانات السلطانية نقول:

بدأت فرمانات الشاهانية العثمانية من عام (١٠١٧) هجرى الموافق لعام (١٥٩٧) ميلادى، واستمرت فى الصدور لغاية عام (١٣٢٤) هجرى الموافق لعام (١٩٠٤) ميلادى وربما بعد هذا التاريخ بنحو خمسة أعوام لزوال حكم الأتراك عن جميع البلدان العربية، وذلك بعد الحرب العظمى الأولى.

و هذه فرمانات عبارة عن أوامر سلطانية، كانت تصدر من الدولة العلية العثمانية للممالك العربية، من تولية الولاة و الأمراء و القضاة و تعيين الوزراء، و غير ذلك من مختلف الشؤون المهمة، و بعد زوال حكم الأتراك صارت ولائاً مصر تصدر الأوامر تارة باسم خديوى مصر (فلان) أو باسم سلطان مصر (فلان) ثم باسم ملك مصر (فلان) بحسب ألقاب ولايتها فى كل زمن.

و هذه فرمانات هى التى تسمى فى عرفنا «بالمراسيم الملكية» و هى تكتب بخطوط عربية ممتازة، و بإنشاء و عبارات خاصة، و فى قالب جميل جداً، و تكتب و تنقش بالذهب الخالص، على ورق ثمين ممتاز فى قطع كبير، و توضع فى ظروف خاصة مذهبة، و يقوم بكل ذلك أشهر الخطاطين و مهرة الرسامين و المساعدين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٨١

لهم. و هذه فرمانات تكون فى الغالب مكتوبة باللغة التركية، و ربما وضعوا بجوارها عن يمين الكتابة خطاً عمودياً مقسماً هندسياً بديعاً، يبين مساحة فرمان بالسنتيمتر المربع، لأن بعضها قد يبلغ أحياناً عدة أمتار فى عرض يتناسب مع طولها، و للأتراك عناية خاصة و ذوق ممتاز بالخطوط العربية، و تقدير كتابها حتى تقدم عندهم الخط العربى بجميع أنواعه تقدماً مطرداً فبلغ أقصى درجات الكامل و منتهى البهاء و الجمال، و كذلك فى النقش و الرسم و التذهيب و كل صناعة دقيقة. ثم لما استقلت كل مملكة بذاتها و انتشرت الآلات الكاتبة صارت المراسيم الملكية غالباً تكتب بها بالحروف العادية بدون الاستعانة بالخطاطين، و بذلك قضى على الخط العربى الجميل فى بعض البلدان، حتى كاد أن ينقرض فلم يحتفظ إلا بالاسم و الهيكل المتداعى، و هذا مما يؤسف له أشد الأسف.

و تحتفظ دار الكتب العربية بمصر على جملة ألواح بروازية مذهبة للفرمانات الثمينه العثمانية، كما تحتفظ لديها بألاف الخطوط العربية الجميلة بمختلف أنواعها، و كذلك تحتفظ «دار المحفوظات» بمصر كثيراً من مثل ذلك، و من الوثائق السريه و المستندات التاريخية.

و إليك صورة بعض فرمانات الشاهانية التركية:

### صورة فرمان الإمارة من الدولة العثمانية للشيخ حسين بن على أمير مكة

نذكر هنا صورة فرمان (أى المرسوم الملكى) الوارد من الدولة العثمانية للشيخ حسين بن على، لتوليته إمارة مكة المكرمة، و كان ذلك فى شوال سنة (١٣٢٦) ست و عشرين و ثلاثمائة و ألف هجرية، ثم فى سنة (١٣٣٤) حارب الشيخ حسين المذكور الدولة العثمانية، و استقل بالحجاز، ثم صار ملكاً على البلاد. و بهذا انتهى حكم الأتراك على الحجاز و البلدان العربية، و ذهبت الخلافة منهم، كما انتهى بالشيخ الحسين المذكور، آخر أمير لمكة من طرف الدولة العثمانية، و به أيضاً انتهى حكم الأشراف عن الحجاز حيث أن الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود حارب الشيخ الحسين المذكور، و تم ضم الحجاز سنة (١٣٤٣) هجرية فصار ملكاً على البلاد العربية السعودية رحمهما الله تعالى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٨٢

و نحن نذكر هنا صورة فرمان لإمارة مكة للشيخ الحسين بن على المذكور، آخر أمراء مكة من الأشراف، و آخر فرمان من الأتراك للعهدة و الاعتبار، و لمعرفة كيفية عاداتهم فى كتابة فرمانات السلطانية و إليك صورة فرمان:



فقد جاء في الجزء الثالث من تاريخ الغازي نص عن فرمان المذكور ما يأتي:

إنه لما تجلى صاحب القدرة الأزلية، القائل سبحانه للشيء كن فكان، ناظم أمور الكون و المكان، تحيرت عن إدراك أسرار حكمته عقول الخلائق و الأذهان، الذي جعل عتبه مرحمتنا مرجع المحتاجين، و باب خلافة سلطنتنا متكأ لأصحاب العز و الشأن، و زين طغراء مناشير إجلالنا الهمايوني بوجوب الطاعة و الانقياد لأجل أحكام الشرع المتين، و دوام معالم الدين المبين، و مكن الحق المعين أوامرنا العلية غاية التمكين، و جعل مناقب دولتنا العلية و مفاخر لسلطنتنا السنية حماية للدين المبين، و إعلاء للواء شرع سيد المرسلين، و لا سيما بالخدمة الشريفة للبلدين المنيفتين، منزل أنوار الوحي المبين، و مهبط جناب جبريل الأمين المتضمنة الآية الكريمة بسم الله الرحمن الرحيم و آتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم فشكرا بهذه النعم، تحتم على إحسان مكرمتنا الشاهانية، إناله أمانى و آمال كافة رعية سلطنتنا الملوكانية، و خصوصا تلطيف و تسرير الأشراف الكرام، و السادة ذوى الاحترام، المتصل نسبهم إلى العرق الأطهر، الحائزين أعلى المناقب و المفاخر، و بناء على ذلك، و لوقوع انفصال أمير مكة الشريف على باشا اقتضى الحال إلى إحالة الإمارة الشريفة المذكورة لذات من الأشراف، ذوى الاحترام، و من حيث أن وزيرى سفير السيادة، الحائز النيشان العثماني و المجيدى المرصعين رافع توقيعى رفيع الشأن الملوكاني، و ناقل أمرى بليغ الآمال السلطاني، حناب إمارة مآب سعادة اكتساب، سيادة انتساب ذو النسب الطاهر، و الحسب الظاهر، مستجمع جميع المعالى و المفاخر كابرا عن كابر، جمال السلالة الهاشمية، فرع الشجرة الزكية النبوية، طراز العصاة العلية المصطفوية، عمدة آل الرسول، قره عين الزهراء البتول، المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى، الشريف حسين باشا، أدام الله تعالى إجلاله، و أدام سعده و إقباله، علم لدينا أنه اتصف بالأوصاف الحسنه الممدوحه، و أبرز روابط خالص وجدانه لطرف أشرف خلافتنا، و استحق لياقه للإمارة الشريفة المذكورة، تلالأت أمواج بحر مكرمتنا الذى ليس له نهاية نحو ذاته

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٨٣

الهاشمية، فأحلنا و فوضنا الإمارة الشريفة المذكورة إلى عهده أهليته، و أعطيناه منشورنا فائض السرور، المشتمل على كمال البهجة و الحبور، و حسب شرائط الإمارة و بموجب رضائنا و نخبة أفكارنا الشاهانية أمرنا المشار إليه أن يستقبل الحجاج ذوى الابتهاج المتوجهين من سائر ممالكنا الشاهانية، و يوصلهم إلى مكة المكرمة سالمين آمنين، و بعد أدائهم مناسك الحج الشريف على الوجه اللائق أيضا يشيعهم و يستكمل أسباب عزيمتهم بكل اعتناء و دقة إلى الشام، و أن يكون الناظر على توزيع و تقسيم الصرة الهمايونية، المرسله من طرف سلطنتنا السنية إلى أربابها بواسطة المأمورين بموجب الدفاتر الموجودة، و أن يستجلب من العموم الدعوات الخيرية لجانبا الشاهانى، و أن يهتم فى توفيق الأمور و المصالح الواقعة و الجارية بالعدل و الحقايق، متحدا مع وزيرنا سفير المعالى الحامل للنيشان المرصع العثماني و المرصع المجيدى، أحد ياوراتنا الكرام الشاهانية، والى ولاية الحجاز و قومندان فرقنا الهمايونية، كاظم باشا، أدام الله تعالى إجلاله، و يشمر عن ساعد الجد فى حسن إيافتها و تسويتها، و أن لا يمكن تعدى فرد من الأفراد على أحد، بما يخالف الشرع الشريف، و أن تكون حركته دائما وفق الشرع القويم، فيلزم على كل من الأشراف الكرام و السادات ذوى الاحترام و العلماء و الصلحاء و الأئمة و الخطباء و سائر من يأتى من كل فج عميق لزيارة البيت العتيق، و الأهالى و الصغير و الكبير و الوضيع و الرفيع، و أن يعرفوا أن سيادة الشريف المشار إليه، هو أمير مكة المكرمة و أن يحترموه و يوقروه، و أيضا يلزم على سيادة المشار إليه أن يعتنى مزيد الاعتناء لرعاية أصحاب السداد و الصواب بحسب درجاتهم، و أن يداوم فى الغدو و الأصال بالدعاء لدوام دولتنا العلية، و ارتقاء شوكتنا الملوكانية، فاعلموا هذا و اعتمدوا على علامتنا الشريفة. تحريرا فى اليوم السادس من شهر شوال المكرم لسنة ست و عشرين و ثلاثمائة و ألف، اه من جريدة الحجاز. انتهى من الغازي.

و هذه صورة أخرى من الإنشاء ننقلها من الجزء الثاني من تاريخ الغازي رحمه الله تعالى فقد قال فيه ما نصه: و في ١١ ذى الحجة سنة ١٣٢٢ قرئ بمنى فرمان الإمارة المرسله من قبل السلطنة العلية للشريف عون، كما هي العادة كل سنة في التاريخ المذكور، و هذا نص فرمان السلطاني:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٨٤

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي جعل سره البطحاء صدف درة البيضاء، و حلّى بها أجياد عرائس المصنوعات من الثرى إلى سدره المنتهى، و صير أم القرى محتد نبيه المجتبى و صفيه المرتضى، و أوحى إلى خليله إبراهيم أن يرفع القواعد من البيت، و أمرنا أن نتخذ من مقامه مصلى، و توجهت الوفود المتوشحون و شاح الهدى، و رفعوا أصواتهم بالتهليل و التلبية و قصدوا نحو المنى، فطوبى لمن سعى بين الصفا و المروة، و صلى بمقام إبراهيم بخضوع القلب، و انتهج نهج القربى و الزلقى، و الصلاة و السلام على من بعث رحمة للورى، و على آله و صحبه الطيبين الذين طهروا الكعبة العليا من أدناس الأوثان، و أحكموا بنين الشريعة المصطفوية بإقامة أحكام القرآن، ما حنت الحمائم بتسييح الله تعالى و تقدسه جل و علا- أما بعد: فهذا خطابنا الخاقاني، و كتابنا المنيف السلطاني، النافذ حكمه بعناية الله المعين، في أقطار الأرضين، مطاعا لأساطين الملوك و السلاطين، لا زال ناشرا فوائح العدل و الأمان، و ما برح زاهرا بين حدائق البر و الإحسان، ما سجت الطيور و رعت الغزلان، أصدرناه منظويا بفرائد التحيات الرائعة، و محتويا على قلائد التسليمات الفائقة، مظهرا عرف رياحين المحبة و الاستئناس، و ممهدا لمباني المودة المحفوظة عن الانداس على جناب الأمير الأُمجد الأجل الأوحد المقتفى آثار أسلافه الأشراف من آبائه الغر، صناديد آل عبد مناف و أجداده الحميدى السير، الجميلى الأوصاف، فرع الشجرة الزكية النبوية، طراز العصاة المصطفوية، المنتمى إلى أشرف جرثومة على عنصرها، و المنتسب إلى أنفس أرومة غلا جوهرها، زبده سلاله الزهراء البتول، عمدة آل بيت الرسول، المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى، من أعظم وزراء سلطنتها السنية، الحامل النيشان الامتياز و المرصع الافتخار و العثماني و المجيدى وزيرى سميع الفطانة، أمير مكة المكرمة الشريف عون الرفيق باشا، لا زالت العناية الربانية له ملاحظة و الكلاء الصمدانية عليه حافظة، نهى إلى نادى الشريف أن الله جل شأنه و عز برهانه اصطفانا من بين عباده خليفة الأنام، و أعطانا سيف الجهاد، و أمرنا بتأسيس ركن الاسلام، و شرفنا على الملوك لسدانة بيت الله الحرام، و الركن و المقام، و زين منشور سلطنتنا بخدمة روضة نبينا و شفيعنا، عليه أسنى التحية و أزكى السلام، فحمد الله على ذلك بأتم الشكر و أكمل المحامد، و تحلى ترائب عرائس هذه النعم من جواهر الأثنية، بأعلق القلائد و أنفس الفرائد، فلا جرم إن وجهنا وجهه النهمة الواسعة، و نخبة الهمة الشائعة، لرفع رايات الشكر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٨٥

فوق القمة الشاسعة، و صرفنا أزمة صرمتنا الجليلة إلى طريق إبقاء ما وهبنا الله من المواهب الجزيلة، و امتطينا صهوة مطايا الإقدام فى تنفيذ مصالح الشريعة، جاريا مجارى الجد و الاهتمام لا سيما مهام الأوقاف المشروطة لفقراء الحرمين المحترمين، و الأرزاق المعينة المضبوطة للشرفاء، شرفهم الله تعالى فى الدارين، و للعباد العاكفين فى المقامين المكرمين، و أرسلنا من شامل عناياتنا على الرسم القديم، فى العام السابق، و هو عام إحدى و عشرين و ثلثمائة و ألف من الهجرة، من أسس قواعد الإسلام، صبّت على ضريحه سجال التحية و السلام، كافة الأموال المحصلة من ريع الأوقاف الموقوفة المربوطة، و النقود المعروفة و الوظائف المضبوطة، التى خصصت بلائذى الحرم و يثرب ممن سكن فيهما. و اخترنا الجوار من حيث المشارق و المغارب و جملتها مثبتة و أعدادها مفصلة و مقررة، كما هو المسطور و المرقوم فى الدفتر المعلوم و المختوم، جميعها الدنانير النضار الخالصة الصافية من النقود الرائجة فى عامة البلاد الدانية و القاصية البلاد الدانية و القاصية، و سلمنا تلك الصور إثر ما وضع فى الأكياس الموسومة بختنا الشريف، وفق للالتباس إلى يد حامل ذلك المنشور السلطاني، و ناقل هذا المثل الخاقاني المنتسب لسدتنا السنية عن خدام عتبقنا العلية الخاقانية رئيس خدمة طيور السراى السلطانية، الحامل النيشان العثماني من رتبة الرابعة و المجيدى من رتبة الخامسة افتخار الأكاير و الأكارم عثمان أفندى زيد علوه و

عمدة أصحاب التحرير و التقرير، كاتب الدفتر زيد قدره بعدما قلدها تلك الخدمة الجليله و أعطيناها دفترًا مختوما بختنا المبارك السلطاني لا زال عنوانا على صحائف مناشير الأمانى مخبرا عن المصاريف المعينه متضمنا بالمواهب المقننه فأمرناهما إيصال تلك الصرر إلى خزانه المديرية المأمورة بالسعى مع الاهتمام على جرى الأصول المؤسسة فى سوالف الأيام فى صرف الصرر المقررة فى مصارفها المحررة المقدره على ما صرح و نص عليه فى الجريدة التى هى فى جيد الأمانة فريده امتثالا لعموم قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا و اعترافا من مشارب الأجور الجزيله قراح عذبتها و نهلها و توزيعها إلى مستحقيها من السادات و العلماء و الضعفاء ساكنى مكة المكرمه و قاطنى المدينة المعظمه المتمسكين بأذيال سرادقات بيت الله الحرام و المتشرفين بجوار نبينا شفيع الأنام، عليه أفضل الصلاة و السلام و رسمنا أن لا- يفض ختام أكياس هذه المبره، و لا توزع على أصحابها إلا بمعرفة المأمورين الذين وجبت حضورهم و لا يستنسخ دفتر مستقل غير هذا الدفتر بل يعلم على اسم كل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٨٦

من وصل إليه نصيبه بالمداد الأحمر فإن غاب واحد منهم أو قضى نجه، و لم يوجد مسميات بعض الأسماء يعلم على اسمه بالدفتر حسبما يظهر و يحفظ حصصهم و نصيبهم مفرزة محررة كى لا يحتال أحد لأخذ الصرة المقررة، بأن يؤدى نصيب من توفى أو غاب للأشخاص توافق أسماؤهم و ألقابهم و نسبهم، و تشابهت الأسماء و الألقاب و النسب و الأنساب. هذا و قد أهدينا إلى جنابكم العالى، مغرس شجرة المفاجر و المعالى، صحبه حامل كتابنا اللطيف و خطابنا المنيف، خلعة تشريفاتنا البهيه و إكساءاتنا السيه تجديدا لمراسم المواليه و تأكيدا بمعاقد المصافاة فلا- بد من استقبالها بتقديم مراسم الإ-كرام و التعظيم و التزيين و الاكتساء بها عواتق الاحترام و التكريم، و بذلك القدره الكامله و النهمة الشامله، فى رعايه الرعيه و صيانه الحجاج و المجاورين و المسافرين و المقيمين من العنت و الشقاوه لإفاضه الأمن و الراحة و حراسه تلك الطرق و المسالك على ما يجب لأمرء الأقطار و الممالك، و إصلاح الصحبه و حسن جريانها كما هو المطلوب بعنايه الصمدانيه لمحافظة الصحه العموميه و استجلاب الأدعيه الصالحه من العلماء العاملين و السادات المهديين و الفقراء الصالحين، و المواظبه على الدعوات بمزيد التضرع و الابتهاج لإعلاء أعلام دولتنا العليه و ثبات أركان سلطنتنا السنيه، إنه سبحانه لجدير بجدير بالسؤال و قدير على تبليغ الأعمال، تعالت ذاته عن المضاهى، و جل جوده عن التناهى و فضله حسب ما بجنابه لاذ، و طوله كفايه من به استعاذ و صلى الله على سيدنا محمد الذى تأسس قواعد شريعته البيضاء بأركان المواهب الربانيه، ناشرا ظللال شدتها فوق الشرى، و استهل بأرجاز لغوته الملائكه المقربون على العرش سربا فسربا، على آله و عترته الذين فتحوا بسيوفهم البلاد شرقا و غربا، و لمن تبعهم من أمته إلى يوم الدين، عجما و عربا رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. تحريراً فى ١٥ شعبان ١٣٢٢ هجرى. انتهى من تاريخ الغازى.

### بعض ما كان يكتبه السلاطين فى تقليد إمارة مكة

يستحسن بنا أن نذكر شيئا مما كان يكتبه الملوك و السلاطين فى تقليد إمارة مكة المكرمه للأشرف، و ذلك للإحاطه به و لمعرفة نوع الإنشاء الذى يوضع فى قالب خاص من الألفاظ المنمقه فإن لك عصر صيغته الخاصه من الأدب و الإنشاء، فنقول:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٨٧

ذكر الشيخ عبد الله الغازى رحمه الله تعالى فى الجزء الثانى من تاريخه ناقلا عن «صبح الأعشى» للقلقشندى عند ذكر ما يكتب لأرباب الوظائف بالمملكه الحجازيه صوره تقليد الإمارة التى كتبها الملك الناصر محمد بن قلاوون للشريف رميئه بن أبى نمى فى سنه (٧٣١) إحدى و ثلاثين و سبعمائه و هى:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الحكيم، فالشريف من اتبع أوامره العظيم، فالسعيد من اتقى غضبه بأعماله الزاكية و نياته الطاهرة الكريمة، فالفائز من سلك مرضيه فى الدنيا ليأمن فى الآخرة، و من أخاف عاكف حرم الله و باديه فقد باء بالأفعال الخاسره، و من

عظم شعائر الله فقد رفل في حلال الإقبال الفاخرة، نحمده على أطفاه الباطنة والظاهرة، ونشكره ونرجوه وما زال ينجح راجيه ويزيد شاكره، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من اتخذ الحق ناصره وأودع إخلاصها ضمائره، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي بعثه الله من الحرم فألف القلوب النافرة وفتح مكة فظهرها من الزمرة الكافرة، وقال في ذلك اليوم: من أغلق عليه بابه فقد آمن، فأسى أهلها ونفوسهم بالأمن ظافرة، صلى الله عليه وعلى آله بنى الزهراء العترة الزاهرة، وعلى صحبه النجوم السافرة وسلم تسليما كثيرا، أما بعد، فإن الحكم بالعدل شعارنا، وباللّه اقتداؤنا واقتدارنا وفي الإحسان رغبتنا، وفي كل عنق منتنا نصفح ونمنح، ونرعى من أمسى قديم الهجرة في ولايتنا وأصبح، ونقيم من أهل البيت لحفظ ذلك البيت الأصحح فالأصلح ونقدم من لم يزل مقدما وإلى صواب الصواب ينجح فينجح، وننجي من الهلكة من لاح له منهج الخير فسلكه فأفلح، وكانت مكة المعظمة هي أم القرى وبلد الأمين المجزل فيه القرى، نشأ الإسلام في بطحائها، وحرّمها الله فلا ينفر صيدها ولا يعضد شجرها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد، تأكيدا لتشريفها وإعلانها، وطلعت شمس النبوة من شعابها، وغسلت الذنوب بوابل سحبها، فيها زمزم وكزة جبريل، وفيها بدا الوحي والتنزيل، وإليها أعنت الركاب، ففي كل أبطح للمطى مسير ومسيل، فكم أتى إليها من سائر الناس سائر، وكم أتى إليه الناس رجلا وعلى كل ضامر، فالرحمة مستقرة بين نواحيها، والعيون تتملى بأنوار تلك الأستار حتى تجتليها، والشفاة تتشرف بتقبيل ذلك الحجر الذي يشهد لها في غد ويقيها، فطوبى لمتقيها، وسحقا لمن أخاف وفد الله فيها، ونحن قد بصرنا الله بخدمة بيتها المحرم، وحرّمها المعظم، وكرر إليها حجنا وكرمه، فله الحمد أن كرر حجنا وكرمه، وما برحنا نقيم في إمارتها من العترة النبوية كل

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٨٨

شريف النسب، وكل من يكتسب فيها رضا الله تعالى، وكل امرئ وما اكتسب، فمن أصلح منهم أقمناه، ومن حاد عن الطاعة وجدد النعمة أزلناه، ومن أخاف فيه السبيل لم نجعل له إلى الخير سيلا، ومن استقام على الطريقة توكلنا على الله وولينا، وكفى بالله وكيلا، وكان فلانا هو الذي ما زالت خواطرا الشريفة تقدمه على بنى أبيه، وتختاره أميرا وتجتبيه، وربما سلفت من بيته هنات صفحنا عنها الصفح الجميل، وما قابلناهم إلا بما يليق بمجدهم الحسنى الحسن الأصيل، والإمرة، وإن كانت بيد غيره هذه المدة، فما كان في الحقيقة أمير عندنا سواه لأنه كبير بيته المشكور من سائر الأفواه، والآن قد اقتضت آراؤنا الشريفة أن نقيمه في بلده، أميرا مفردا إليه يشار، وأن نصطفيه وأنه عندنا لمن المصطفين الأخيار، وأن نجعل الكلمة واحدة، ليأمن النزول والجار، ومتى تجاذب الأمر كلمتان فسد نظامه، ومتى أفرد الحكم حسنت أحكامه، ومتى توحد الأمر زال الاختلاف وزاد الائتلاف وأقبلت أيامه، فذلك رسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه إمرة مكة المشرفة، على عادة والده، فليقلد ما فوضناه من الإمرة والنيابة بمكة المعظمة، شاكر ما أنعم الله به عليه من مراضينا، التي هي نجاه لمن لم ينل منها نصيبا موفورا، ولا فوز لمن لم يدرك منها حظا كبيرا، وليشرع في تمهيد البلاد من إزالة المظلمة، وليطهرها من كل مجترئ على الله تعالى في البقعة المحرمة، ولا يقرب من في قلبه مرض فيعديه، ولا يرجع لمن فيه شقاق ظاهر في صفحات وجهه وفتلات فيه، وليعلم أن هذا بلد حرام، حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض، وصير حج بيته على مستطيعه من الفرض، وجعله للناس معادا ومعادا، وقال صلى الله عليه وسلم يوم عرفه: إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، فليمنع الدماء من أن تراق، والأموال من أن تؤخذ بغير استحقاق، والظلم في البلد الحرام حرام، وبنو حسن أحق بالتباعد سنة الإسلام، واتق الله لتلقاه بالوجه الأبيض والعمل الأغر، واتبع سنة جدك فعلى اتباعها حث وأمر، والحق وفد الله في البر والبحر بالحسنى فهم أضيافه، وأمن الحج ليطم نسكه وطوافه. هذا تقليدنا لك أيها الشريف فطب نفسا بمرضينا، وصفحنا عما مضى، ومنحنا الرضى حقا يقينا، لأننا نتحقق أن الإحسان يحرسنا ويقينا إن شاء الله تعالى.

انتهى من تاريخ الغازى.

ونحن قد وقفنا على صورة هذا المرسوم الملكى المذكور، فى نفس كتاب «صبح الأعشى» للقلقشندي، فى الجزء الثانى عشر،

بصحيفة ٢٣٣. وقد ذكر

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٨٩

أيضا القلقشندی، رحمه الله تعالى فيه صورة أخرى لتقليد إمرة مكة المكرمة لأحد الأشراف، كما ذكر صورة وصية ملكية لأحد أمراء مكة، و صورة لتقليد قضاء مكة المشرفة لأحد العلماء. و ذكر أيضا مثل ذلك لتقليد إمارة المدينة المنورة وقضاها، و أن الإنسان ليأخذ العجب من هذا الإنشاء اللطيف و الكلام البليغ، و لو لا الخوف من إطالة البحث لنقلنا كل ذلك هنا. فسبحان مغير الأحوال، ففرق كبير في المراسيم الملكية في الأزمان السابقة و المراسيم الملكية في زماننا هذا.

### الاحتفال بتلاوة الأمر السلطاني بتقليد إمارة مكة

حيث ذكرنا، فيما تقدم، صورة الأمر السلطاني لإسناد إمارة مكة لأحد أشرافها، نذكر الآن كيفية الاحتفال بتلاوة هذا الأمر الكريم، الذي كانوا يسمونه «الفرمان»، و هي كلمة تركية معناها «المرسوم الملكي».

وقد ذكر كيفية الاحتفال به الأستاذ البتونوني في كتابه «الرحلة الحجازية» و هي كما يأتي:

ما بزعت شمس يوم الجمعة ١١ ذى الحجة سنة (١٣٢٧) سبع و عشرين و ثلاثمائة و ألف بمنى، حتى التفت الجنود التركية و المصرية حول المصطبة الكبرى، التي كانت عليها سرادقات سمو خديونا المعظم (أى عباس باشا حلمى الثانى) خديوى مصر، و دولة الشريف (أى الشريف حسين بن على) و سعادة و كيل الولاية، يتقدم كل فرقة موسيقية، استعدادا للتشريفات بحفلة تلاوة فرمان دولة الشريف. و فى الساعة الثانية العربية نهرا، اصطفت رجال المعية السنية، فى الجهة اليمنى من الصيوان الكبير، المعد للجناب العالى الخديوى، و كان دولة الشريف أرسل بعض حاشيته، لمقابلة الوفد الحامل للفرمان و الخلعة السنية، ثم سار إلى صيوان الجناب العالى، و جلسا يتجاذبان أطراف الحديث، حتى إذا وصل الوفد إلى سلم المصطبة، خفّ الجناب العالى و معه مولانا الشريف نحو السلم، و استقبلا فرمان بتقبيله، ثم قصد الكل الصيوان الخديوى و جنابه العالى فى مقدمتهم. و لا يخفاك ما فى هذا الترتيب من المعنى الدقيق اللطيف، الذى يشير إلى علو مكانة جنابه الرفيع، و أن مقامه هنا هو المقام الأول، و منزله هو المنزل فجلس، حفظه الله، فى صدر المكان، و عن يساره دولة الشريف، ثم نائب الوالى، ثم أنجال الشريف، ثم عليه الأشراف، و من خلفهم مشايخ القبائل العربية، و صاحبها

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٩٠

الفضيلة مفتى و قاضى مكة، و كثير من علمائها و أعيانها، ثم رجال العسكرية العثمانية، و فى مقدمتهم سعادة ناظم باشا قومندان قوة الحجاز، و جلس على يمين الجناب العالى دولة البرنس كمال الدين باشا، ثم أصحاب السعادة: شفيق باشا و عزت باشا و خيرى باشا، ثم موظفوا المعية السنية، يليهم مستخدموا قوة المحمل الشريف المصرى.

و هنالك توسط ساحة الصيوان عزتوا مكتوبجى الولاية، و أخذ فى تلاوة فرمان، الذى كان يمسك بطرفيه اثنان من التشريفاتية، فتلاه بالتركية، و عندما أتى على لفظة الخلعة السنية التى قدمها جلاله السلطان «محمد الخامس» إلى دولة الشريف فكها أحد المهندارين فى غلافها الأطلس، و ألبسه إياها. و بعد تلاوة فرمان قام كاتب الشريف و تلا ترجمته المرسله معه بالعربية، و فحواها: إن مولانا السلطان، حفظه الله لما يعلمه فى دولة الشريف من أصالة الرأى و علو الكعب فى حسن الإدارة و كمال الدراية و محاسن الأخلاق، واسع المعرفة و كريم السجايا، و محامد الخصال، و معالى الفضائل، و جّه لدولته مركز الشرافة العظمى، و هو يرجوه على الدوام مساعدة حجاج بيت الله الحرام، و القيام بكل ما فيه راحتهم و صحتهم، مع تأمين الطرق و تسهيل المواصلات و الضرب على أيدي الخارجين من الأعراب عن الصراط السوى المستقيم. و لفت نظره إلى الدقة فى صرف المرتبات، و توزيع الصدقات على أربابها بكل ضبط، مع مساعدة لمأمورى الدولة من عسكريين و ملكيين على أداء وظائفهم. و كان كلما ذكر اسم واحد منهم ألبسوه كركا،

حتى إذا أتمت الحفلة أمر الجناب العالى، فأديرت أكواب الشربات على الجميع، و بعد شرب القهوة انصرف الشريف مودعا من الجناب السامى بكل تجلته واحترام.

و مما يجمل بنا ذكره تلك الألقاب التى وردت فى هذا الفرمان، موجهة من قبل صاحب الخلافة العظمى إلى دولة الشريف حتى تعرف مكانته السامية جناب الأمين الأمجد، الأجل الأوحى المقتفى آثار أسلافه الأشراف من آبائه الغر صناديد آل عبد مناف، و أجداده الحميدى السير الجميلى الأوصاف، فرع الشجرة الزكية النبوية طراز العصبه العلوية المصطفوية المنتهى إلى أشرف جرثومة علا- عنصرها، و المنتسب إلى أنفس أرومة غلا- جوهرها، زبدة سلالة الزهراء البتول، عمدة آل بيت الرسول، المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى فى أعظم وزراء سلطنتنا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٩١

السنية الحامل لنيشانى الافتخار المرصع العثمانى و المجيدى، وزيرى سمير الفطانة أمير مكة المكرمة الخ، و على هذا يجدر بنا أن نسوق إليك شيئا من الألقاب التى كان يكتب بها إلى أمير مكة فى عهد الدولة الجركسية، فقد ورد فى «صبح الأعشى» فى رسم المكاتبه إلى أميرها هذه العبارة: أدام الله تعالى نعمه المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، العالى، العادلى، المؤيدى، العضدى، النصيرى، الذخرى، العونى، المقدمى، الأوحى، الظهيرى، الزعمى، الكافى، الشريفى، الحسى، النسبى، الأصلى، الفلانى (الحسنى مثلا) عز الإسلام و المسلمين، سعد الأمراء فى العالمين، جلال العترة الطاهرة كوكب الأسرة الزاهرة، فرع الشجرة الزكية، طراز العصابة العلوية، طهير الملوك و السلاطين، نسيب أمير المؤمنين، لا- زال حرمة أميننا و مكانه مكينا، و شرفه يبض له بمجاورة الحجر الأسود عند الله و جها و يضىء جبيننا صدرت هذه المكاتبه من المجلس العالى تحمل إليه سلاما تحيل إليه الركائب الخ انتهى.

ذكرنا هذا ليحيط القارئ الكريم بعادات أهل العصور السابقة، فيقارن ما نحن عليه بما كانوا عليه، تذكره لأولى الأبصار. قال الله تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ.

### ترجمة الفرمان السلطاني لتولية المشير كاظم باشا على الحجاز

لقد ذكرنا فيما تقدم ترجمة بعض الفرمانات السلطانية، لتولية الأشراف إمارة مكة المشرفة، و لنذكر هنا بعض الفرمانات عن تولية ولاية الأتراك فى الحجاز، فإن الوالى التركى و شريف مكة يشتركان فى الحكم و إدارة الأمور. و قد ذكر إبراهيم رفعت باشا، مؤلف كتاب «مرآة الحرمين» رحمه الله تعالى، ترجمة فرمان تولية كاظم باشا، الوالى التركى على الحجاز، الذى تم إنشاء السكة الحديدية بالمدينة المنورة على يديه، و جميع الفرمانات الصادرة بولاية الحجاز كانت على النمط الآتى، و إليك ترجمة فرمان المشير كاظم باشا:

الدستور المكرم و المشير المفخّم نظام العالم، مدير أمور الجمهور بالفكر الثاقب، متم مهام الأنام بالرأى الصائب، ممهد بنیان الدولة و الإقبال، مشيد أركان السعادة و الإجلال، المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى «ياورنا» الأكرم أحد مشيرى سلطنتنا السنية المعظم، سمير الدولة ناظر إنشاء السكة الحديدية

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٩٢

الحجازية، الذى أسندت إليه ولاية الحجاز و رئاسة فرقتها، الحائز لوسام الافتخار المرصع، و الوسامين العثمانى و المجيدى المرصعين «كاظم باشا» أدام الله تعالى إجلاله.

عند وصول التوقيع الشاهانى الرفيع الشأن، يكون معلوما أن أخص آمالنا الملكية و أغراضنا الشاهانية، حسن انضباط الولاية الحجازية، و الحدق فى إدارتها و المحافظة على حقوق الأهالى و المساواة بينهم، و إدامه الأمن و الراحة لهم، و بما أنك أيها المشير ذو دراية و خبرة، و بصير بشؤون الحجاز، و عرفنا صدقك فى خدماتك السابقة، و جّهت أحاسن توجهاتى و غاية مكارمى الملكية، و فوّضت إلى عهد حصافتك ولاية الحجاز و رئاسة فرقتك، فى اليوم الثانى من شهر شعبان المعظم لسنة ألف و ثلاثمائة و ستة و عشرين، بموجب

إرادتنا السنية الصادرة من ذاتنا الملكية، و بمقتضى ذلك أصدرنا و منحناك من ديواننا الهمايوني، فرماننا هذا المتضمن لتلك الأمورية.

فيلزمك جلبا لرضانا و تحقيقا لقصدا الشاهاني، أن تبذل مزيد العناية و الإقدام باستكمال تأمين حقوق الأهالي و مجاوري الحرمين الشريفين، خصوصا كل ما تحصل به راحة الحجاج إلى بلد الله الحرام، و زوار مدينة نبيه عليه الصلاة و السلام، من التدابير الحسنة، و تصرف في ذلك كل الجهد لاستجلاب الدعوات الخيرية لذاتنا الشاهانية من كافة الناس، و ذلك بالتمسك بالشرعية المحمدية الغراء، و ابذل وسعك في تحسين الأحوال المالية و الخزينه النبويه، و حافظ على جباية الأعشار و «الويركو» الذي كلفت به القبائل المختلفة، و عونك في هذا مأمورهم الموظفون، و إن ذاتنا الشاهانية لتنتظر حميتك و جدك في تسيير الأمور، و تحقيق المصالح العامة، و عرض الأشياء اللازمة على أستانتنا العلية، تحريرا في رابع ذي القعدة الشريفة سنة ١٣٢٦ هـ. انتهى من الكتاب المذكور.

## أمراء مكة قبل الإسلام وبعده إلى اليوم

### إشارة

قال في كتاب تاريخ العرب و آدابهم، تأليف إدورد فاندريك و قسطنطين فيليبس، المطبوع بالمطبعة الأميرية ببولاق بمصر سنة ١٣١٠ هجرية، ما نصه:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٩٣

أما أمراء الحجاز الذين تولوا أمر البلاد، بعد ملوك قضاة، فهم من نسل إسماعيل بن إبراهيم، و أول أمير منهم هو عدنان الذي ينتهي نسبه إلى إسماعيل، و هذه أسماؤهم مع تاريخ التملك:

العدد/ الاسم/ تاريخ التملك

١/ عدنان/ ولى الإمارة سنة ١٢٢ قبل الميلاد.

٢/ معد/ ولى الإمارة سنة ٨٩ قبل الميلاد.

٣/ نزار/ ولى الإمارة سنة ٥٦ قبل الميلاد.

٤/ مضر/ ولى الإمارة سنة ٢٣ قبل الميلاد.

٥/ إلياس/ ولى الإمارة سنة ١٠ بعد الميلاد.

٦/ مدركة/ ولى الإمارة سنة ٤٣ بعد الميلاد.

٧/ خزيمه/ ولى الإمارة سنة ٧٦ بعد الميلاد.

٨/ كنانة/ ولى الإمارة سنة ١٠٩ بعد الميلاد.

٩/ النضر/ ولى الإمارة سنة ١٤٢ بعد الميلاد.

١٠/ مالك/ ولى الإمارة سنة ١٧٥ بعد الميلاد.

١١/ فهر و هو قريش/ ولى الإمارة سنة ٢٠٨ بعد الميلاد.

١٢/ غالب/ ولى الإمارة سنة ٢٤١ بعد الميلاد.

١٣/ لؤى/ ولى الإمارة سنة ٢٧٤ بعد الميلاد.

١٤/ كعب/ ولى الإمارة سنة ٣٠٧ بعد الميلاد.

١٥/ مرة/ ولى الإمارة سنة ٣٤٠ بعد الميلاد.

- ١٦/ كلاب/ ولى الإمارة سنة ٣٧٣ بعد الميلاد.  
 ١٧/ قصي/ ولى الإمارة سنة ٤٠٦ بعد الميلاد.  
 ١٨/ عبد مناف/ ولى الإمارة سنة ٤٣٩ بعد الميلاد.  
 ١٩/ هاشم/ ولى الإمارة سنة ٤٧٢ بعد الميلاد.  
 ٢٠/ عبد المطلب/ ولى الإمارة سنة ٥٠٥ بعد الميلاد.  
 ٢١/ عبد الله و هو والد النبي عليه السلام/ ولى الإمارة سنة ٥٣٨ بعد الميلاد.  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٩٤

### أمراء مكة قبل الإسلام وبعده إلى اليوم

و نذكر هنا نبذة عن أمراء مكة، زادها الله شرفاً و أمناً و رخاء، قبل الإسلام، من «صبح الأعشى» باختصار، و نذكر بعد الإسلام الجدول المبين فيه أسماء أمرائها من «الرحلة الحجازية» للبتونى.  
 قال القلقشندى فى كتابه «صبح الأعشى» ما نصه: اعلم أن مكة بعد الطوفان كان ملكها فى عاد، و كان بها منهم معاوية بن بكر بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، و كان مع معاوية بن بكر (و هو عاد الآخرة فيما يقال) يعرب ثم غلبهم العمالقة عليها، فلما غلب ابن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سلم بن نوح عاداً على اليمن و فرق ملك اليمن فى إخوته، استولى على الحجاز و أخرج العمالقة منه و ولى أخاه جرههم بن قحطان على الحجاز، فبقى به حتى مات. فملك بعده ابنه عبد ياليل، ثم ملك من بعده ابنه جرههم، ثم ملك بعده ابنه عبد المدان، ثم ملك بعده ابنه ببيعة، ثم ملك بعده ابنه عبد المسيح، ثم ملك بعده ابنه مضاض، ثم ملك بعده ابنه الحارث، ثم ملك بعده ابنه عمرو، ثم ملك بعده أخوه بشر بن الحارث، ثم ملك بعده مضاض بن عمرو بن مضاض.  
 قال ابن سعيد: و جرههم هذه هم الذين بعث إليهم إسماعيل عليه السلام، و تزوج فيهم و كانت قبلهم جرههم أخرى مع عاد. قال فى «الروض المعطار»:

و فى ذلك يقول عمرو بن الحارث بن مضاض، و هو التاسع من ملوك جرههم المتقدم ذكرهم:  
 و صاهرنا من أكرم الناس والداً فابناؤه منا و نحن الأصاهر

قال صاحب حماة فى «تاريخه»: و قد اختلف المؤرخون فى أمر الملك على الحجاز بين جرههم و بين إسماعيل، فبعضهم يقول: كان الملك فى جرههم و مفاتيح الكعبة و سدانتها فى يد ولد إسماعيل، و بعضهم يقول: أن قيذار بن إسماعيل توجهت أخواله من جرههم و عقدوا له الملك عليهم بالحجاز.

و أما سدانة البيت و مفاتيحه فكانت مع بنى إسماعيل بلا خلاف، حتى انتهى ذلك إلى نابت من ولد إسماعيل، فصارت السدانة بعده لجرهم و يدل على ذلك قول عمرو بن الحارث:

و كنا ولاة البيت من بعد نابت نظوف بذاك البيت و الأمر ظاهر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٩٥

و ذكر فى «الروض المعطار» أنه كان مع جرههم بمكة قطورا، و جرههم و قطورا أخوان، و كان منزل جرههم أعلى مكة بقعيقعان فما حاز، و منزل قطورا أسفل مكة بأجياد فما حاز، و انتهت رئاسة قطورا فى زمن مضاض بن عبد المسيح المتقدم ذكره إلى السמידع. و كان مضاض يعيش من دخل مكة من أعلاها، و السמידع يعيش من دخلها من أسفلها، ثم بغى بعضهم على بعض و تنافسوا الملك و اقتتلوا فقتل السמידع، و استقل مضاض بالأمر، و بقيت جرههم ولاة البيت نحو ثلاثمائة سنة، فأكلوا مال الكعبة الذى يهدى إليها، و استحلوا حرمها، و بلغ من أمرهم أن الرجل إذا لم يجد مكاناً يزنى فيه أتى الكعبة فزنى فيها، و لم يتناهاها حتى يقال أن إساف بن



سهيل زنى بنائلة بنت عمرو بن ذؤيب فى جوف الكعبة فمسحوا حجرين، و نصب ماء زمزم لكثرة البغى، و درست معالمها، ثم جاء عمرو بن لحي فغير دين إبراهيم عليه السلام، و بدله و بعث العرب على عبادة التماثيل، و عمّر ثلاثمائة سنة و خمسا و أربعين سنة و بلغ من الولد و ولد الولد ألفين ... إلخ كلامه. انتهى من صبح الأعشى.

أما أمراء مكة بعد الإسلام: فقد أورد ذكرهم بإسهاب الأستاذ البتونى فى كتابه «الرحلة الحجازية» نكتفى منه بذكر الجدول الذى وضع فيه أسماء من تولى مكة من بعد أن فتحها رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى اليوم، و هو قد نقلها من السالنامة الحجازية المطبوعة بمكة سنة (١٣٠٦) بتصرف قليل، كما صرح بذلك فى كتابه المذكور بصحيفة (٨٢) و هذا هو نص الجدول:

تاريخ التولية بالسنة الهجرية أسماء أمراء مكة ٨/ عتاب بن أسيد

١٣/ المحرز بن حارثة قنغد بن عمير بن جدعان نافع بن الحارث الخزاعى خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة

تاريخ التولية بالسنة الهجرية/ أسماء أمراء مكة

أحمد بن خالد طارق بن المرتفع الحارث بن نوفل القرشى

٢٤/ على بن عدى بن ربيعة

الحارث بن نوفل القرشى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٩٦

تاريخ التولية بالسنة الهجرية/ أسماء أمراء مكة عبد الله بن خالد بن أسيد

خالد بن العاص بن هشام

عبد الله بن عامر الحضرمى

نافع بن الحارث الخزاعى

٣٦/ أبو قتادة الأنصارى القثم بن العباس

٣٩/ عتبة بن أبى سفيان مروان بن الحكم سعيد بن العاص عمرو بن سعيد المعروف بن سعيد المعروف بالأشدق

٣٩/ خالد بن العاص المخزومى عبد الله بن خالد بن أسيد

٦١/ عمر بن سعيد الأشدق الوليد بن عتبة بن أبى سفيان عثمان بن محمد بن أبى سفيان الحارث بن خالد المخزومى

تاريخ التولية بالسنة الهجرية/ أسماء أمراء مكة عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب

٦٤/ يحيى بن حكيم

٦٤/ عبد الله بن الزبير بن العوام (تولى الخلافة فى مكة من سنة ٦٤ إلى سنة ٧٣)

٧٣/ الحجاج بن يوسف الثقفى

٧٥/ مسلمة بن عبد الملك بن مروان الحارث بن خالد المخزومى

٧٥/ خالد بن عبد الله القسرى نافع بن علقمة الكنانى يحيى بن الحكم بن أبى العاص

٨٧/ عمر بن عبد العزيز بن مروان خالد بن عبد الله القسرى

٩٧/ طلحة بن داود

٩٧/ عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد محمد بن طلحة بن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٩٧

تاريخ التولية بالسنة الهجرية/ أسماء أمراء مكة

عبد الله بن عبد الرحمن عروة بن عياض عبد الله بن قيس بن مخزومة عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن سراقه

- ١٠١/ عبد العزيز بن عبد الله بن خالد
- ١٠١/ عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس عبد الواحد بن عبد الله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي نافع بن عبد الله الكناني
- ١٢٥/ يوسف بن محمد الثقفي
- ١٢٦/ عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك أبو حمزة الخارجي عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى تاريخ التولية بالسنة الهجرية / أسماء أمراء مكة
- مروان بن محمد بن الوليد الوليد بن عروة السعدى محمد بن عبد الملك بن مروان
- ١٣٢/ داود بن علي بن عبد الله بن عباس عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن
- ١٣٦/ العباس بن عبد الله بن معبد زياد بن عبد الله الحارثي الهيثم بن معاوية العتكي الخراساني
- ١٤٣/ السرى بن عبد الله بن الحارث
- ١٤٥/ محمد الحسن بن معاوية السرى بن عبد الله
- ١٤٦/ عبد الصمد بن علي بن عبد الله
- ١٤٧/ محمد بن إبراهيم الإمام
- ١٥٨/ إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي
- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٩٨
- تاريخ التولية بالسنة الهجرية / أسماء أمراء مكة
- جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله
- ١٦٦/ عبيد الله بن القثم بن العباس الحسين بن علي
- ١٦٩/ أحمد بن إسماعيل حماد البربري سليمان بن جعفر
- ١٨٧/ الفضل بن العباس بن محمد بن علي محمد بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة عباس بن موسى عباس بن محمد الإمام عبد الله بن القثم علي بن موسى موسى بن عيسى بن محمد بن علي
- ١٩١/ داود بن عيسى بن موسى بن علي الحسين بن الحسن بن علي الأصغر علي بن محمد بن جعفر الصادق عيسى بن يزيد الجلودي
- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ؛ ج ٣-٥ ؛ ص ٤٩٨
- ٢/ هارون بن المسيب تاريخ التولية بالسنة الهجرية / أسماء أمراء مكة
- حمدون بن علي يزيد بن حنظلة
- ٢٠٣/ إبراهيم بن موسى الكاظم عبيد الله بن الحسن بن عبد الله صالح بن العباس بن محمد سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي محمد بن سليمان المذكور الحسن بن سهل عبيد الله بن عبد الله بن الحسن
- ٢١٨/ صالح بن العباس بن محمد أشاس الجركسى محمد بن داود بن عيسى
- ٢٣٢/ علي بن عيسى بن جعفر
- ٢٣٩/ عبد الله بن محمد بن داود محمد بن سليمان بن عبد الله محمد بن المنتصر
- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٤٩٩
- تاريخ التولية بالسنة الهجرية / أسماء أمراء مكة
- إيتاح التركي

٢٤٧/ عبد الصمد بن موسى جعفر بن الفضل إسماعيل بن يوسف

٢٥٢/ عباس بن المستعين محمد بن طاهر بن الحسين

٢٥٢/ عيسى بن أحمد بن المنصور محمد بن أحمد بن عيسى بن الحسن الهاشمي

٢٥٦/ الموفق طلحة بن المتوكل إبراهيم بن محمد بن إسماعيل العباس أبو المغيرة محمد بن أحمد بن عيسى أبو عيسى بن محمد

الفضل بن العباس بن الحسين هارون بن محمد بن إسحاق أحمد بن طولون محمد بن أبي الساج

٢٧٩/ عج بن محلب تاريخ التولية بالسنة الهجرية/ أسماء أمراء مكة

أبي المهلب مؤنس الخادم

٣٠١/ ابن محارب

٣١٧/ حافظ أبو الفضل أبو طاهر القرمطي القاضي الشريف أبو جعفر محمد عيسى بن أبي جعفر أبو الفتوح الحسين بن جعفر

٣٨٥/ حسن بن جعفر أبو الطيب بن داود

٤٣٠/ الشريف محمد بن حسن بن جعفر

٤٥٥/ الشريف محمد بن جعفر بن محمد

٤٨٤/ الشريف القاسم بن محمد

٥١٨/ الشريف فليته بن القاسم

٥٢٧/ الشريف هاشم بن فليته

٥٤٩/ الشريف القاسم الملقب بعمدة الدين

٥٩٧/ الشريف عيسى الملقب بقطب الدين

٥٧٠/ الشريف مالك بن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٠٠

تاريخ التولية بالسنة الهجرية/ أسماء أمراء مكة

فليته الشريف القاسم الشريف قطب الدين عيسى

٥٧٠/ الشريف داود بن عيسى

٥٧١/ الشريف مكثر بن عيسى الشريف القاسم بن مهنا

٥٨٧/ الشريف مكثر بن عيسى الشريف القاسم بن مهنا الشريف بكر بن عيسى الشريف محمد بن مكثر

٥٩٧/ الشريف قتادة بن إدريس عبد الله بن محمد الثائر بن موسى المثنى بن الحسن

٦١٧/ الشريف الحسن بن قتادة

٦١٩/ نور الدين علي بن عمر بن رسول

تاريخ التولية بالسنة الهجرية/ أسماء أمراء مكة

٦٢٦/ صارم الدين ياقوت بن مسعود

٦٣٠-٦٥٢/ طغتكين التركي و راجح بن قتادة (تداولوا الإمارة جملة مرات مكان بعضهما)

٦٥٢/ الشريف الحسن بن علي بن قتادة

٦٥٢/ الشريف جماز بن حسن بن قتادة

٦٥٢/ الشريف غانم بن راجح بن قتادة

- الشريف أبو نمى على بن قتادة
- ٦٨٨/ الشريف جماز بن شيخة الحسينى الشريف أبو نمى على بن قتادة
- ٧٠١/ حميضة ورميثة و عطيفة و أبو الغيث (تداولوا الولاية جملة مرات بالاتحاد و الانفراد)
- ٧٤٠/ ثقبه و عجلان ابنا رميثة (تداولوا الإمارة
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٠١
- تاريخ التولية بالسنة الهجرية/ أسماء أمراء مكة  
جملة مرات)
- ٧٦٤/ الشريف سند بن رميثة و محمد بن عطيفة
- ٧٦٥/ الشريف أحمد بن عجلان الشريف عنان بن مغامس الشريف عنان و أحمد و عقيل
- ٧٨٩/ الشريف على بن عجلان
- ٧٩٧/ الشريف محمد بن عجلان
- ٨٠٩/ الشريف الحسن بن عجلان
- ٨١٨/ الشريف رميثة بن محمد بن عجلان
- ٨٢١/ الشريف الحسن بن عجلان
- ٨٢١/ الشريف بركات بن حسن
- ٨٢٧/ الشريف على بن عنان بن مغامس
- ٨٢٨/ الشريف الحسن بن عجلان
- ٨٤٥/ الشريف على بن تاريخ التولية بالسنة الهجرية/ أسماء أمراء مكة  
الحسن بن عجلان
- ٨٤٧/ الشريف أبو القاسم بن الحسن
- ٨٥١/ الشريف بركات بن الحسن بن عجلان
- ٨٥٩/ الشريف محمد بن بركات الشريف بركات بن محمد و أخوه الشريف هزاع بن محمد بن بركات الشريف أحمد بن محمد بن بركات الشريف بركات بن محمد الشريف حميضة بن محمد
- ٩١٠/ الشريف بركات بن محمد و أخوه الشريف بركات و معه ابنه محمد الشريف بركات بن محمد و ولداه
- ٩٣١/ الشريف أبو نمى بن محمد بن بركات
- ١٠٠٣/ الشريف حسن بن أبى نمى
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٠٢
- تاريخ التولية بالسنة الهجرية/ أسماء أمراء مكة
- ١٠١٠/ الشريف أبو طالب بن حسن
- ١٠١٢/ الشريف إدريس بن حسن
- ١٠٣٤/ الشريف محسن بن أخى إدريس
- ١٠٣٧/ الشريف أحمد بن عبد المطلب
- ١٠٣٩/ الشريف مسعود بن إدريس

- ١٠٤٠/ الشريف عبد الله بن حسن  
 ١٠٤١/ الشريف محمد بن عبد الله مع زيد  
 ١٠٤١/ الشريف نامى بن عبد المطلب  
 ١٠٤٢/ الشريف زيد بن محسن  
 ١٠٧٧/ الشريف سعد بن زيد  
 ١٠٨٣/ الشريف بركات بن محمد  
 ١٠٩٤/ الشريف سعيد بن بركات  
 ١٠٩٥/ الشريف أحمد بن زيد  
 ١٠٩٩/ الشريف سعيد بن سعد بن زيد  
 ١٠٩٩/ الشريف أحمد بن تاريخ التولية بالسنة الهجرية/ أسماء أمراء مكة  
 غالب

- ١١٠١/ الشريف محسن بن حسين  
 ١١٠٣/ الشريف سعيد بن سعد  
 ١١١٣/ الشريف عبد المحسن بن أحمد  
 ١١١٣/ الشريف عبد الكريم بن محمد  
 ١١١٣/ الشريف سعد بن زيد  
 ١١١٣/ الشريف عبد الكريم بن محمد  
 ١١١٦/ الشريف سعيد بن سعد  
 ١١١٧/ الشريف عبد الكريم بن محمد  
 ١١٢٣/ الشريف سعيد بن سعد  
 ١١٢٩/ الشريف عبد الله بن سعيد  
 ١١٣٠/ الشريف يحيى بن بركات  
 ١١٣٢/ الشريف مبارك بن أحمد  
 ١١٤١/ الشريف عبد الله بن سعيد  
 ١١٤٣/ الشريف محمد بن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٠٣  
 تاريخ التولية بالسنة الهجرية/ أسماء أمراء مكة  
 عبد الله

- ١١٤٥/ الشريف مسعود بن سعيد  
 ١١٤٥/ الشريف محمد بن عبد الله  
 ١١٤٦/ الشريف مسعود بن سعيد  
 ١١٦٥/ الشريف مساعد بن سعيد  
 ١١٧٢/ الشريف جعفر بن سعيد

- ١١٧٣/ الشريف مساعد بن سعيد  
 ١١٨٤/ الشريف عبد الله بن سعيد  
 ١١٨٤/ الشريف أحمد بن سعيد  
 ١١٨٤/ الشريف عبد الله بن حسن  
 ١١٨٤/ الشريف أحمد بن سعيد  
 ١١٨٤/ الشريف سرور بن مساعد  
 تاريخ التولية بالسنة الهجرية/ أسماء أمراء مكة  
 ١٢٠٢/ الشريف غالب بن مساعد  
 ١٢١٨- /الإمام سعود بن  
 ١٢٢٩/ عبد العزيز بن محمد آل سعود  
 ١٢٢٩/ الشريف يحيى بن سرور  
 ١٢٤٢/ الشريف محمد بن عبد المعين  
 ١٢٤٧/ الشريف عبد المطلب بن غالب  
 ١٢٧٢/ الشريف محمد بن عبد المعين  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٠٤  
 تاريخ التولية بالسنة الهجرية/ أسماء أمراء مكة  
 ١٢٧٤/ الشريف عبد الله باشا بن محمد بن عون  
 ١٢٩٤/ الشريف حسين باشا  
 ١٢٩٧/ الشريف عبد المطلب بن غالب  
 ١٢٩٩/ الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون  
 تاريخ التولية بالسنة الهجرية/ أسماء أمراء مكة  
 ١٣٢٣/ الشريف علي باشا بن عبد الله  
 ١٣٢٧/ الشريف عبد الإله باشا بن محمد بن عون  
 ١٣٢٧/ الشريف حسين باشا بن علي بن محمد بن عون

انتهى الجدول و بعض ما فيه يخالف لما جاء بكتاب مرآة الحرمين و غيره من التواريخ.

هذا هو نص أسماء أمراء مكة الموجود في كتاب الرحلة الحجازية للبتوني.

و أسماء أمراء مكة مذكورة أيضا في تاريخ الغازي و في الجامع اللطيف لابن ظهيرة و في غير ذلك من التواريخ.

و لقد كنا نحب أن نذكر لكل أمير من أمراء مكة المدّة التي مكثها في الحكم، و نكتب نبذة عن ترجمته، لكن ذلك يحتاج منا إلى بحث كثير و وقت طويل، و ليس عندنا من الفراغ ما نشغله في هذه المسألة.

هذا و قد علمت في نهاية أسماء أمراء مكة، التي نقلناها هنا من الرحلة الحجازية، أن الشريف حسين باشا بن علي بن محمد بن عون، هو آخر الأسماء في الكتاب المذكور، حيث أن مؤلفه قد حج في أيامه، ثم توفي بعد ذلك و لم يعلم ما حدث فيما بعد، و نحن تكلمة للموضوع و بيانا للحقيقة التاريخية نذكر ما يأتي باختصار:

إن الشريف حسين بن علي باشا المذكور، صار بعد أن أجلي الأتراك من البلاد الحجازية، و استتب له الأمر ملكا على الحجاز، ثم

تنازل عن الملك لابنه الشريف علي بن الحسين في أثناء محاربه مع جلاله الملك عبد العزيز آل سعود، فبويح لابنه الشريف علي، و كان بجدة ملكا على الحجاز، في الخامس من ربيع الأول سنة (١٣٤٣) سنة ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية. فعاد الملك على التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٠٥

بن الحسين، في اليوم التالي إلى مكة و هي عاصمته ملكه و محل إقامته و حكمه.

و بهذا يكون الشريف علي بن الحسين آخر حكام مكة و أمرائها من الأشراف.

و لم يلبث في الملك إلا قليلا، ثم حكم جلاله الملك عبد العزيز آل سعود مكة و كان دخوله لها في ١٥ ربيع الأول من السنة المذكورة، و بذلك يكون الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود حاكم مكة المكرمة و أميرها، رحم الله الجميع رحمة واسعة.

فلما استقرت الأمور للملك عبد العزيز المذكور صار ينتقل ما بين مكة و محل موطنه الرياض، فأناج عنه في الحكم على الحجاز ابنه صاحب السمو الملكي «الأمير فيصل»، و كان محل إقامته و حكمه مكة، فبذلك صار أيضا من حكام مكة و أمرائها.

ثم كثرت أشغال سمو الأمير فيصل «ولى العهد الآن» و أنيطت إليه مهام الأعمال فكثرت أسفاره، فأناج عنه في الحكم على الحجاز ابنه صاحب السمو الملكي «الأمير عبد الله» وزير الداخلية سابقا، و كانت إقامته و محل حكمه مكة، فبذلك صار أيضا من حكام مكة و أمرائها و مكث كذلك إلى سنة (١٣٧٧).

ثم تولى بعده إمارة مكة سمو الأمير متعب بن عبد العزيز آل سعود، و ذلك في العاشر من ذى القعدة سنة (١٣٧٨) هجرية، ثم تولى بعده إمارة مكة سمو الأمير عبد الله بن سعود آل سعود و ذلك في اليوم التاسع عشر من شعبان سنة (١٣٨٠) هجرية. ثم تولى بعده إمارة مكة سمو الأمير مشعل بن عبد العزيز آل سعود في الحادى عشر من شهر رمضان سنة (١٣٨٢)، ثم تعين بعده سمو الأمير فواز بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة، و وكيله أخوه سمو الأمير أحمد بن عبد العزيز .

انظر: صورة رقم ٢٩٢، الملك عبد العزيز رحمه الله يوم تسلمه مدينة جدة من الحاج عبد الله على رضا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٠٦

## ولاء مكة من الأتراك

تقدم ذكر أمراء مكة من العرب و الأشراف منذ عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الآن. و هنا نذكر ولاء مكة من الأتراك من قبل الدولة العلية العثمانية التي حكمت الحجاز و البلدان الإسلامية ثم زال حكمها عنها بعد الحرب العظمى التي انتهت في سنة (١٣٣٤) أربع و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة.

فأمير مكة من الأشراف و إليها التركي من قبل الدولة العثمانية كانا يحكمان مكة و الحجاز، كل منهما في ما يتعلق باختصاصه، و ذلك في العهد العثماني، فلما استقل الحجاز أصبح لمكة حاكم واحد فقط، يتصرف في جميع شؤونها و شؤون غيرها من البلدان الحجازية.

و لم نر أحدا من المؤرخين ذكر ولاء مكة من الأتراك سوى المؤرخ الشيخ عبد الله الغازي، فإنه ذكر أسماءهم في آخر الجزء الثالث من تاريخه المسمى «إفاداة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام» و إليك نص كلامه:

قال الغازي رحمه الله تعالى: (الفصل الثانى فى ذكر ولاء مكة المشرفة من طرف الدولة العثمانية) ...

إعلم أنى تتبعت كثيرا ذكر ولاء مكة المشرفة من طرف الدولة العثمانية، من بعد ما فتح السلطان سليم مصر، فما وجدت أحدا ذكره مستوعبا غير ما ذكر صاحب «السالنامة الحجازية» أسماء الولاة فقط مع ذكر تاريخ ولايتهم إلى سنة (١٣٠٤) أربع و ثلاثمائة و ألف هجرية.

و ذكر العلامة الحضراوى فى تاريخه، الولاة الذين تولوا ولاية مكة بعد خروج الدولة المصرية من الحجاز إلى سنة (١٣٠٠) ثلاثمائة و ألف من الهجرة، فذكر أولا ما فى (السالنامه) ثم ما ذكره الحضراوى، ثم ما وجدناه من تحريرات بعض المعاصرين فى ذكر الولاة إلى سنة (١٣٣٤) أربع و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف، و هذه السنة هى سنة انتهاء ولايتهم. و إليك جدولا بأسماء ولاة مكة المشرفة:

عدد/ اسم الوالى التركى / سنة الولاية الهجرية/ ملحوظات

١/ ترك حسين بك/ ٩٢٣/ كان الحجاز ملحقا بمصر

٢/ على بك/ ٩٣٢/ كان الحجاز ملحقا بمصر

٣/ أوز دمّر باشا/ ٩٦٢/ كان الحجاز ملحقا بمصر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٠٧

عدد/ اسم الوالى التركى / سنة الولاية الهجرية/ ملحوظات

٤/ خوش كلدى بك/ ٩٦٧/ كان الحجاز ملحقا بمصر

٥/ عثمان باشا بن أوز/ دمر باشا/ ٩٧٣/ كان الحجاز ملحقا بمصر

٦/ قاسم بك/ ٩٩٦/ كان الحجاز ملحقا بمصر

٧/ محمود بك/ ١٠١٢/ كان الحجاز ملحقا بمصر

٨/ محمد بك/ ١٠٢٠/ كان الحجاز ملحقا بمصر

٩/ حسين باشا/ ١٠٢٠/ كان الحجاز ملحقا بمصر

١٠/ محمود باشا/ ١٠٣٣/ كان الحجاز ملحقا بمصر

١١/ كورجى محمد باشا/ ١٠٣٥/ كان الحجاز ملحقا بمصر

١٢/ آيدى باشا/ ١٠٣٨/ كان الحجاز ملحقا بمصر

١٣/ مصطفى بك/ ١٠٤٠/ كان الحجاز ملحقا بمصر

١٤/ دلاور بك/ ١٠٤٦/ كان الحجاز ملحقا بمصر

١٥/ مصطفى بك/ ١٠٥٢

١٦/ قيطاس بك/ ١٠٦٠

١٧/ محمد بك/ ١٠٦٦

١٨/ مصطفى باشا/ ١٠٦٦/ كان مقره سواكن

١٩/ سليمان بك/ ١٠٦٧

٢٠/ عماد الدين أفندى/ ١٠٧٥

٢١/ يوسف بك/ ١٠٧٧

٢٢/ محمد بك/ ١٠٧٨

٢٣/ حسين باشا/ ١٠٧٩

٢٤/ محمد سعيد باشا/ ١٠٨٢

٢٥/ أحمد باشا/ ١٠٩٥

٢٦/ تبردار سليمان باشا/ ١٠٩٦

٢٧/ كئخدا إسماعيل باشا/ ١٠٩٦/ لم يصل



- ٢٨/ ايكنجى دفعة/ ١٠٩٧  
 / سليمان باشا/ ١٠٩٧  
 ٢٩/ محمد بك/ ١٠٩٨  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٠٨  
 عدد/ اسم الوالى التركى / سنه الولاية الهجرية/ ملحوظات  
 ٣٠/ أحمد بك/ ١١٠٣  
 ٣١/ بيقلى باشا/ ١١٠٤  
 ٣٢/ مصرلى أحمد بك/ ١١٠٧  
 ٣٣/ سليمان باشا/ ١١١١  
 ٣٤/ حسن باشا/ ١١١٩  
 ٣٥/ محمد محسن باشا/ ١١٢٠/ مدفون بجدة  
 ٣٦/ خزينة دار إسماعيل آغا/ ١١٢٢  
 ٣٧/ إبراهيم باشا/ ١١٢٢  
 ٣٨/ كتخدا خليل باشا/ ١١٢٦  
 ٣٩/ حسن باشا/ ١١٢٦  
 ٤٠/ وزير على باشا/ ١١٣٤/ مدفون بجدة  
 ٤١/ جاوش باشى بكر باشا/ ١١٣٤  
 ٤٢/ إسماعيل باشا/ ١١٣٦  
 ٤٣/ إيكنجى دفعة بكر باشا/ ١١٣٧  
 ٤٤/ صدر أسبق محمد باشا/ ١١٤٠  
 ٤٥/ وزير أبو بكر باشا/ ١١٥٨  
 ٤٦/ يكن مصطفى باشا/ ١١٥٩  
 ٤٧/ وزير عثمان باشا/ ١١٥٩  
 ٤٨/ صدر أسبق محمد باشا/ ١١٦٣/ لم يصل  
 ٤٩/ إيكنجى دفعة عثمان باشا/ ١١٦٣/ مدفون بجدة  
 ٥٠/ كتخدا مصطفى آغا/ ١١٦٣  
 ٥١/ أبو بكر باشا/ ١١٦٥/ لم يصل  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٠٩  
 عدد/ اسم الوالى التركى / سنه الولاية الهجرية/ ملحوظات  
 ٥٢/ صدر أسبق سيد محمد باشا/ ١١٦٥/ مدفون بجدة  
 ٥٣/ صدر أسبق عبد الله نائلى / ١١٧١/ مدفون بالمعلاة  
 ٥٤/ وزير سعد الدين باشا/ ١١٧٢  
 ٥٥/ مصطفى باشا/ ١١٧٣

- ٥٦/ صالح باشا/ ١١٧٥
- ٥٧/ سيد أحمد باشا/ ١١٧٩
- ٥٨/ وزير محمد راقم باشا/ ١١٨١
- ٥٩/ صدر أسبق حمزة باشا/ ١١٨٣
- ٦٠/ خليل باشا/ ١١٨٨/ مدفون بجدة
- ٦١/ دفتر دار عثمان باشا/ ١١٨٩
- ٦٢/ بابلسى أحمد باشا/ ١١٩١
- ٦٣/ مصطفى باشا/ ١١٩٩
- ٦٤/ أغريبوزى محمد باشا/ ١٢٠٠/ مدفون بعرفات
- ٦٥/ بوليلى أحمد باشا/ ١٢٠٠
- ٦٦/ محمد عزت باشا/ ١٢٠٣
- ٦٧/ صدر أسبق قوجه يوسف/ ١٢٠٧/ مدفون بالمدينة
- ٦٨/ شيخ زاده إبراهيم باشا/ ١٢١٥
- ٦٩/ محمد طوسون باشا/ ١٢١٦/ مدفون بجدة
- ٧٠/ محمد شريف باشا/ ١٢١٧/ مدفون بجدة
- ٧١/ أبو مراق محمد باشا/ ١٢١٨
- ٧٢/ جلبى أحمد باشا عثمان/ ١٢٢١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥١٠
- عدد/ اسم الوالى التركى / سنه الولاية الهجرية/ ملحوظات
- ٧٣/ مصرلى طوسون باشا/ ١٢٢٧
- ٧٤/ مصرلى إبراهيم باشا/ ١٢٣٢
- ٧٥/ لاز على باشا/ ١٢٥٦/ لم يصل
- ٧٨/ تاتار عثمان باشا/ ١٢٥٧/ مدفون بجدة
- ٧٩/ شريف باشا/ ١٢٦١
- ٨٠/ حسيب باشا/ ١٢٦٥
- ٨١/ أكاه باشا/ ١٢٦٧
- ٨٢/ دلتلو عزت باشا/ ١٢٦٩
- ٨٣/ كامل باشا/ ١٢٧٠
- ٨٤/ محمود باشا/ ١٢٧٣
- ٨٥/ دلتلو نامق باشا/ ١٢٧٤
- ٨٦/ كوتاهية لى على باشا/ ١٢٧٥
- ٨٧/ حقى باشا زاده عزت باشا/ ١٢٧٨
- ٨٨/ وجيهى باشا/ ١٢٨١/ مدفون بالطائف

٨٩/ معمر باشا/ ١٢٨٤

٩٠/ خورشيد باشا/ ١٢٨٧

٩١/ فريق قاسم باشا/ ١٢٨٨

٩٢/ محمد رشيد باشا/ ١٢٨٩

٩٣/ شروانى رشدى باشا/ ١٢٩١

٩٤/ دولتو تقى الدين باشا/ ١٢٩١

٩٥/ حالت باشا/ ١٢٩٤

٩٦/ ناشد باشا/ ١٢٩٦

٩٧/ صفوت باشا/ ١٢٩٧

٩٨/ عزت باشا/ ١٢٩٨

٩٩/ عثمان باشا/ ١٢٩٩

١٠٠/ جميل باشا/ ١٣٠٤

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥١١

عدد/ اسم الوالى التركى / سنة الولاية الهجرية/ ملحوظات

١٠١/ دولتو صوت باشا/ ١٣٠٤

إلى هنا انتهى الجدول بأسماء ولاية الأتراك، ثم قال الغازى، رحمه الله تعالى، بعد انتهاء هذا الجدول ما نصه:

وقال العلامة الحضراوى رحمه الله تعالى، فى تاج تواريخ البشر فى ذكر ولاية مكة و جدة من الباشوات، من طرف الدولة العثمانية بعد

خروج الدولة المصرية و انقضاء مدتهم من الحجاز، ما يأتى:

أول من سمى بوالى جدة هو «الحاج عثمان باشا» و كان أصله من أهل القرم، فساس الناس و سكن جدة، و سیر أمره لتعمير المآثر، و

انتظام خدمته الحرم المكى حتى أنه أمر بعمارة مسجد الحبر عبد الله بن عباس بالطائف، و جدد قبته بعد تخريبها سنة (١٢٦٠) هجرية،

و بنى قبة السيدة خديجة، و أمر بتريخ المسجد الحرام، و بنى قبة أمنا حواء و قبرها، و عمّر قلعة الطائف و قلعة رابع، و بنى سور

المعلاة المحيط بالمقبرة و عمّر سور جدة و جملة مآثر.

و كان ابتداء ولاية هذا الباشا سنة (١٢٥٧) فمكث يسوس الناس، و يتألف أهل مكة و يكرمهم، إلى أن توفى سنة (١٢٦٠) بجدة و دفن

بها.

ثم تولى بعده «الحاج محمد شريف باشا» كان سابقا شيخ الحرم النبوى بالمدينة المنورة، فجاءته الأوامر السلطانية بالتوجه إلى مكة

المشرفة، و كان رجلا جيدا صالحا خيرا يحب الفقراء و العلماء.

ثم ذكر الحضراوى فى تاريخه المذكور، نبذة عما فعله الوالى الحاج محمد شريف باشا، و ذكر أيضا عما قام به من الأعمال كل وال

تركى تولى مكة فردا فردا. و لقد أردنا أن ننقل هنا نص كلامه، لكن رأينا أن نقتصر كلامه و نلخصه فى جدول كالجدول السابق

الذى فى تاريخ الغازى، فإن ذلك أجمل فى المنظر و أكثر فائدة للقارئ الكريم، فالتطويل مما يوجب السآمة و الملل، و من أراد

الوقوف على زيادة البيان فعليه بمطالعة التاريخ المذكور.

و إليك الجدول الذى رتبنا فيه خلاصة كلام الحضراوى رحمه الله تعالى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥١٢

## جدول بأسماء ولاة مكة و جدة من الأتراك

- ملخصا كل ذلك من تاريخ العلامة الحضراوى المسمى «تاج تواريخ البشر» الذى هو مذكور فى الجزء الثالث من تاريخ الغازى:
- عدد/ اسم الوالى التركى / نبذة صغيرة عما قام به من الأعمال
- ١/ الحاج عثمان باشا/ تولى سنة (١٢٥٧) و بقى واليا إلى أن توفى بجدة سنة (١٢٦٠) و هو أول من سمي بوالى جدة، و كان يسوس الناس سياسة حسنة.
- ٢/ الحاج محمد شريف باشا/ تولى سنة وفاة المذكور، و بقى واليا حتى توفى ببيع سنة (١٢٦٤) عن ثمانين سنة، و كان رجلا فاضلا صالحا يحب الفقراء و العلماء.
- ٣/ الحاج محمد حسيب باشا/ تولى بعد وفاة المذكور، ثم عزل سنة (١٢٦٦) فتوجه إلى الآستانة و قد قام بأعمال جليئة بمكة، و كان أحيانا يدور بنفسه فى شوارعها لتفقد الأحوال.
- ٤/ أكاه محمد باشا/ قدم مكة و تولاها بعد المذكور سنة (١٢٦٦) و قد بنى مع الشريف عبد المطلب القلاع التى فى طريق المدينة، ثم عزلته الدولة العثمانية.
- ٥/ أحمد عزت باشا/ الأزرقلى تولى آخر سنة (١٢٦٦) و مكث واليا إلى أوائل سنة (١٢٧١) ثم عزلته الدولة العثمانية لعدم اتفاقه مع أمير مكة الشريف عبد المطلب.
- ٦/ كامل باشا/ تولى بعد المذكور، كان من دهاة الرجال لكنه لم يكن متفقا مع أمير مكة الشريف عبد المطلب فعزلته الدولة فى أواخر سنة (١٢٧٣).
- ٧/ المشير محمود باشا/ تولى بعد المذكور، و كان من قبل واليا للأقطار اليمنية فلما جاء مكة قضى حوائج أهلها و صرف لهم جراياتهم، ثم عزل فى سنة (١٢٧٤).
- ٨/ محمد نامق باشا/ قدم مكة فى السنة المذكورة، و فى أيامه وضع دائرا للقناديل بأروقة المسجد الحرام، و فى مدته حصلت التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥١٣
- عدد/ اسم الوالى التركى / نبذة صغيرة عما قام به من الأعمال
- الفتنة بين أهل جدة و من فيها من النصارى.
- ٩/ على باشا الكتهيلى/ قدم مكة سنة (١٢٧٦) و كان كثير الطواف، و كان يحب توفير المال للخزينة و لذلك ثار عليه بعض الجند فهجموا على مدرسته، عزل سنة (١٢٧٨).
- ١٠/ عزت باشا/ تولى بعد المذكور، و كان يلقب بالموسوس فإنه كان يتوضأ بخمسة أباريق، و فى مدته غلت الأسعار و حصل الوباء، عزل سنة (١٢٨١).
- ١١/ محمد وجيهى باشا/ تولى بعد المذكور، كان يحب تعمير القلاع فعمر قلعة مكة و قلعة الطائف و الأبراج، توفى بالطائف سنة (١٢٨٣) عن ثمانين سنة.
- ١٢/ محمد معمر باشا/ قدم مكة فى السنة المذكورة، كان كثير التواضع يطوف وحده كآحاد الناس، و كان لا يعرف أن يسوس الأمور لذلك قدم استقالته للدولة فولته على أنقرة.
- ١٣/ خورشيد باشا/ قدم مكة فى أوائل شهر شوال سنة (١٢٨٧)، كان عالما فاضلا يحب أهل العلم، عمر قلعة الطائف و جعل فيها مسجدا عزل سنة (١٢٨٨).
- ١٤/ قاسم باشا/ دخل مكة فى السنة المذكورة بموكب جميل و ضربت له المدافع، كان فاضلا يعاقب أهل الرشوة و الغش و انتبه

للأسعار فرخصت في مدته الأسعار جدا عزل سنة (١٢٨٩).

١٥/ محمد رشيد باشا/ قدم مكة في شعبان من السنة المذكورة، و في أيامه غلت بعض أسعار الحاجيات، و هو الذي جدد سور مقبرة المعلا عزل عن مكة سنة (١٢٩١).

١٦/ محمد رشدي باشا الشيرواني/ قدم مكة في آخر جمادى الثانية من السنة المذكورة، و هو داغستاني الأصل، كان يحب العلماء و أهل الخير، توجه إلى الطائف و توفي هنالك في السنة المذكورة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥١٤

عدد/ اسم الوالى التركى / نبذة صغيرة عما قام به من الأعمال

١٧/ محمد تقى الدين باشا/ قدم مكة في أواخر شوال سنة (١٢١٩) كان من أهل حلب و كان عالما تولى هنالك الإفتاء، ثم حصل منه طمع في أهل مكة فعزل سنة (١٢٩٤).

١٨/ محمد حالت باشا/ قدم مكة في أواخر شهر القعدة من السنة المذكورة، كان فاضلا دينيا يحب أهل العلم و يكرم أهل الفضل، توفي بجدة سنة (١٢٩٤).

١٩/ محمد ناشد باشا/ تولى بعد المذكور فأقام أكثر من سنة واحدة ثم طلب الإقالة حيث لم يتفق مع أمير مكة فأعفته الدولة سنة (١٢٩٧).

٢٠/ محمد صفوت باشا/ تولى بعد المذكور و حج سنة (١٢٩٨) و كان عاقلا و حازما، و لما لم يتفق مع شريف مكة عزلته الدولة العثمانية.

٢١/ أحمد عزت باشا/ و قد سبق ذكره حين تولى لأول مرة و هذه المرة الثانية لولايته مكة، قدم إليها في أواخر شهر ذى الحجة سنة (١٢٩٨) ثم طلب بنفسه الإقالة من الدولة.

٢٢/ عثمان نورى باشا/ كان أولا بالطائف ثم ولته الدولة على مكة فعرف كيف يدير الولاية بعزمه و حزمه، و قد سبق ترجمته في فصل مستقل، ثم عزلته الدولة سنة (١٣٠٤).

٢٣/ حسين جميل باشا/ و هو ابن نامق باشا، وصل مكة في أوائل سنة (١٣٠٥)، مكث بمكة نحو أربعة أشهر ثم عزلته الدولة.

٢٤/ صفوت باشا/ و قد تقدم ذكره عند توليته للمرة الأولى على الحجاز و هذه هي المرة الثانية، مكث قليلا ثم عزلته الدولة.

٢٥/ نافذ باشا/ قدم مكة سنة (١٣٠٦) و كان فاضلا محبا للخيرات و قد أزال كثيرا من المنكرات و المكوس و غير ذلك، ثم عزلته الدولة.

٢٦/ إسماعيل حقى باشا/ و يعرف بصاحب الذقن الطويلة، و في مدته حصل بعض الفتن بسبب مسألة الرقيق، فعزلته الدولة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥١٥

عدد/ اسم الوالى التركى / نبذة صغيرة عما قام به من الأعمال

العلية.

٢٧/ عثمان نورى باشا/ المتقدم ذكره، كان بحلب فوصل مكة بعد تعيينه واليا عليها سنة (١٣٠٩) و قد كتبنا ترجمته في فصل خاص، ثم عزلته الدولة أيضا.

٢٨/ أحمد راتب باشا تولى و مكث بمكة سنة و شيئا ثم عزل سنة (١٣١١).

٢٩/ حسن حلمى باشا/ وصل مكة سنة (١٣١٢) و بقى بها نحو سنة و شيئا ثم عزلته الدولة.

٣٠/ كاظم باشا/ قدم مكة مستهل رمضان سنة (١٣٢٦) و كان المذكور قومندان فرقة الحجاز العثمانى، ثم إنه في سنة (١٣٢٧) عزلته الدولة.

٣١/ فؤاد باشا/ تولى بعد المذكور ثم عزلته الدولة.

٣٢/ كامل باشا/ وصل مكة من اليمن في جمادى الآخرة سنة (١٣٢٨) ثم إنه طلب الإقالة من وظيفته فأقالته الدولة سنة (١٣٢٩).

٣٣/ حازم بك/ وصل مكة في النصف من ربيع الثاني سنة (١٣٢٩) و كان قد خرج لاستقباله أمير مكة و أعيانها ثم في سنة (١٣٣٠) عزلته الدولة.

٣٤/ مصطفى ذهني باشا/ تولى مكة بعد المذكور فوصلها و قد استقبلوه استقبالا حافلا، ثم عزلته الدولة.

٣٥/ رشيد باشا/ كان واليا بالموصل، ثم وصل إلى مكة في اليوم الثاني من ذي الحجة سنة (١٣٣٠) ثم عزلته الدولة.

٣٦/ أحمد نديم باشا/ قدم مكة في شعبان سنة (١٣٣١) ثم عزلته الدولة في عام (١٣٣٢)، و قد كان قبل توليته مكة واليا ببغداد.

٣٧/ وهيب باشا/ تولى في السنة المذكورة، و كان مير ألابي أركان حرب، و قد عمل بعض إصلاحات خفيفة بمكة و جدة و الطائف و الليث ثم في محرم سنة (١٣٣٣)

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥١٦

عدد/ اسم الوالي التركي / نبذة صغيرة عما قام به من الأعمال

صدرت إليه الأوامر السنوية بالتوجه مع المجاهدين، من أهل الحرمين، الذين اجتمعوا لحرب الكفار، إلى قناة السويس، فتوجه مع من معه إلى هنالك (و هذا أيام الحرب العظمى).

٣٨/ غالب باشا/ تعين واليا على الحجاز فوصل من الآستانة إلى المدينة المنورة بطريق السكة الحديدية الحجازية، و كان معه نحو خمسة آلاف من الجند التركي النظامي، و ذلك في إمارة الشريف حسين بن علي، الذي قام على الأتراك فيما بعد و استقل بالحجاز، فخشى الشريف الحسين نفوذ غالب باشا و سلطته بجيشه النظامي، فحرض العربان على القيام بالفتنة و قطع الطريق، فبقى غالب باشا بالمدينة المنورة نحو شهرين، ثم جاء إلى مكة صحبة الشريف علي بن الحسين، و كان غالب باشا يتوجس خيفة من الشريف الحسين، و أنه سيقوم ضد الأتراك، فما كان من الشريف الحسين إلا أن حلف له أنه من المخلصين في حب الدولة العثمانية، فصدّق الوالي غالب باشا، ثم طلع إلى الطائف مع جند الحجاز، و بقي هنالك إلى أن قام الشريف الحسين بالثورة ضد الأتراك في التاسع من شعبان سنة أربع و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف، و قد حاصر الطائف الشريف الأمير عبد الله بن الشريف الحسين أربعة أشهر حتى نفذت الأطمعة، فسلم البلدة غالب باشا إلى الشريف عبد الله، فهذا أرسله مع الجنود الأتراك أسراء إلى والده الشريف الحسين بمكة، فأرسلهم الشريف الحسين من مكة إلى جدة و سلمهم إلى الحكومة الإنكليزية، و هي أرسلتهم إلى مصر. فيكون غالب باشا المذكور هو آخر ولاة الحجاز، من طرف الدولة العثمانية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥١٧

انتهى كل ما ذكرناه من آخر الجزء الثالث من تاريخ الغازي.

نقول: إنه ينتهي بالوالي غالب باشا المذكور حكم الأتراك من الحجاز بل من كافة البلدان الإسلامية، كما ينتهي حكم الأشراف من الحجاز بالشريف الحسين بن علي، رحمه الله تعالى، ملك الحجاز الأسبق، حيث حكم الحجاز الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله تعالى، سنة (١٣٤٣) ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و ألف هجرية. فالأمر لله من قبل و من بعد.

و تفسير كلمة «باشا» و كلمة «بك» مع الأسماء المذكورة، كالاسم «غالب باشا» و الاسم «أحمد بك»، هما كلمتان من الألقاب الحكومية التركية، تعطيه لبعض الرجال الأكبر و الوزراء، و كلمة باشا أكبر من كلمة بك، و هذه الكلمة بكسر الباء و سكون الكاف. و هاتان الكلمتان مشهورتان في زماننا و من قبل زماننا لا تحتاجان إلى تفسير، و إنما نحن فسرنا معناهما ليعرفهما أهل الأجيال المقبلة.

## إشارة

نذكر هنا نبذة صغيرة عن أمور التعليم بمكة المكرمة، في الزمن الحاضر، أي منذ أوائل سنة (١٣٠٠) ألف و ثلاثمائة هجرية، أما ما قبل هذا التاريخ فنحن لم ندرکه، و لم نر شيئاً من المؤلفات في ذلك، مع اعتقادنا أنه لا- يخلو زمن من الأزمان عن التعليم في جميع البلدان، فنقول و بالله تعالى التوفيق: إن سكان مكة المكرمة لم يكن يتجاوز عددهم خمسين ألفاً، مع الأعراب المجاورين فيها، و ربما كان أقل من العدد المذكور، و ذلك من سنة (١٣٠٠) من الهجرة و ما قبلها.

و كان حدود السكن في مكة المشرفة و امتداد البيوت فيها كما يأتي: تمتد البيوت من المسجد الحرام إلى المعلا فقط أي إلى مقبرة المعلا، و قليل من العرب يسكنون فوق ذلك أي في محله المعابدة. و تمتد البيوت من المسجد الحرام أيضا إلى المسفلة، أي إلى بركة ماجن فقط، و تمتد البيوت أيضا من المسجد الحرام، عن طريق الشبيكة، إلى حارة الباب و إلى ريع الرسام إلى (بستان) الشريف عون التي بعد هذا الريع بقليل، و يتفرع من ريع الرسام طريق إلى جرول، و هذا مسكن التكارنة بينون العشاش و يسكنون فيها، و بعضهم بينون عشاشهم بجهة المسفلة و يسكنون فيها مع بعض فقراء الهنود، و بعضهم يتخذ مسكنهم من الصندفة، و هي عبارة عن التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥١٨

اتخاذ أعواد الخشب، ثم يسمرون فيها صفائح التنك بعد فتحها و إصلاحها، فيجعلون من الصندفة جدران بيوتهم و سقوفها، و يفتحون فيها الشباييك و يجعلون فيها الأبواب، كل ذلك من التنك و أعواد الخشب، ثم يطنونها من الداخل بالحصير المسمى عندنا (الخسف).

و تمتد البيوت أيضا من المسجد الحرام إلى أجياد. و من هنا يعلم أن رقعة مكة و مساحة المسكون منها كانت قليلة صغيرة، و ما اتسعت إلا بعد سنة (١٣٦٠ هـ).

و كان التعليم في سنة ألف و ثلاثمائة و ما قبلها في الحرمين الشريفين و ما جاورهما من المدن و القرى ضعيفا جدا، و ذلك في عهد الأتراك العثمانيين، فكان في مكة المكرمة، التي هي أعظم مدن الحجاز، المدرسة الرشدية و هي أحسن مدرسة في وقتها، و كان التعليم فيها باللغة التركية و قليل باللغة العربية. و لقد دامت هذه المدرسة بمكة إلى سنة (١٣٣٤) هجرية، و هي السنة التي انتهى فيها حكم الأتراك في الممالك العربية، حيث في هذه السنة أخرج الشريف الحسين بن علي، رحمه الله تعالى الأتراك من الحجاز، و تولى هو حكم الحجاز و نودي به ملكا عليها، و كان مع المدرسة الرشدية التركية بعض المدارس الأخرى الابتدائية، أنشئت بعد سنة (١٣٠٠). كما كانت بمكة بعض الكتابات الصغيرة لتعليم القرآن الكريم و حفظه و لتعليم القراءة و الكتابة و لتعليم مبادئ الإملاء و الحساب.

و من هنا يعلم أن الناس كانوا في جهالة إلا القليل، و هم الذين يشغلون الوظائف الحكومية و الأعمال التجارية. و كان جميع الأشراف بمكة و المتعلمون من أهل البلاد، يعرفون اللغة التركية قراءة و كتابة، و ما زالت البقية الباقية منهم يعرفونها إلى يومنا هذا، و كانوا في الوظائف الحكومية و أعمالهم التجارية، يستعملون أقلام القصب أي البوص، و يكتبون بالحبر الأسود فقط، و كانت عندهم الدوايات المختلفة و أدوات الكتابة، و كانوا ينشّفون الحبر، من فوق الأوراق و الدفاتر برمل ملون أحمر و أزرق و أصفر، يأتي خاصا لهذا الأمر من الخارج، ثم لما اخترعوا الورق النشاف، كانوا ينشّفون الأوراق بهذا الورق النشاف، فلما ظهرت في الأسواق أقلام الريش، بفتح الياء التحتانية جمع ريشة، و هي من بعض المعادن صاروا يستعملونها، و تركوا استعمال أقلام القصب.

و داموا على هذا الحال إلى سنة (١٣٤٢) هجرية، فلما شاع استعمال أقلام الجيب

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥١٩

بعد هذه السنة المذكورة، ترك الناس استعمال أقلام القصب و أقلام الريش و استعاضوا عنها بأقلام الجيب و الحبر الأزرق، و هذا من

سنة الكون في التطورات. وإليك المدارس التي كانت موجودة في ذلك الوقت:

(١) المدرسة الخيرية للشيخ محمد بن حسين الخياط، وهو من علماء مكة المشرفة. وقد توفي ببلاد جاوه سنة (١٣٣٢) هجرية، وكان رحمه الله تعالى، عالما فاضلا يحب نشر العلم والمعارف، ولم تقف متى أسس مدرسته المذكورة، والذي يظهر لنا أنه أسسها حوالي سنة (١٣١٥) هجرية، والله تعالى أعلم، وهذه المدرسة هي التي حولها الشريف الحسين بن علي، بعد أن استقل بالملك، فسمها المدرسة الراقية.

(٢) والمدرسة الفجرية.

(٣) ومدرسة الزراعة، وهي التي أنشأها الشريف الحسين وأحضر لها أساتذة من بيروت، ولكنها لم تدم.

(٤) والمدرسة الصولتية.

(٥) ومدرسة الفلاح. ويأتي بعد هذه المدارس الكتابية التي كانت موجودة إلى آخر عهد الشريف الحسين بن علي رحمه الله تعالى.

(٦) أما المدرسة الأندونيسية الموجودة في وقتنا الحاضر والتي مقرها الآن بمحلة القرارة، فهي مدرسة أهلية حديثة فقد تأسست في سنة (١٣٤٦) هجرية ورجو لها دوام التوفيق. وها نحن نتكلم عن الكتابية أولا، ثم عن مدرستي الفلاح بمكة وجدة، لعظيم نفعهما للبلاد، إلى يومنا هذا، فنقول والله تعالى التوفيق ومنه نستمد العون والسادد، إنه هو الفتح العليم والعزير الحكيم.

### أسباب انتشار الكتابية في الزمن السابق

والذي نراه في كثرة انتشار الكتابية، لتعليم الصبيان مبادئ القراءة والكتابة، في مكة وفي غيرها منذ قرن مضى، سببها راجع لأربعة أمور:

الأول: قلة السكان وعدم انتشار التعليم العالي في البلاد.

والثاني: قلة مصاريف الكتابية ونفقاتها، إذ يكفي للكتاب الواحد أستاذ أو أستاذين، ولا يحتاج لخدم، لأن التلامذة في الزمن السابق كانوا يقومون بالخدمة،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٢٠

كما كان أجودهم في القراءة والكتابة يساعد أستاذهم بتعليم إخوانه، وكانوا يسمونه العريف أو ريس الفرقة.

والثالث: وهذا أمر مهم جدا، لم يكن في الزمن السابق تأخذ الحكومة من الغريب الذي يريد الإقامة في بلد رسما سنويا على إقامته، بل كان الغريب إذا أراد الإقامة بأحد الحرمين الشريفين لا يمنع من ذلك، ولا تطالبه الحكومة بدفع رسم على إقامته. ومن هنا كان بعض فضلاء الأعراب، كالمصريين والسودانيين والمغاربة يقيمون في مكة أو في المدينة ويفتحون الكتابية لتعليم أبناء البلاد القراءة والكتابة، وتحفيظ القرآن الكريم، وبعض علمائهم يرغب في التدريس بالمسجدين الحرامين بمكة والمدينة، فيحضر في دروسهم كثير من الناس حلقات حلقات فينتفعون بعلمهم.

والرابع: وهذا أمر مهم أيضا، إذا أراد فتح كتاب أو فتح مدرسة لا يحتاج إلى استئذان من الحكومة، بل إنه يجد من جميع أهل البلاد مساعدة وإقبالا وتقديرا.

وكان منذ صدر الإسلام كتابية لتعليم الصبيان القراءة والكتابة والقرآن الكريم والخط والإملاء والحساب بمكة المكرمة. ونذكر بعض الكتابية وأسماء أصحابها ممن وقفنا عليهم أي من أول سنة (١٣٠٠) ألف و ثلاثمائة هجرية تقريبا، وهي كما يأتي:

(١) كتاب الشيخ سليمان النوري رحمه الله تعالى.

(٢) كتاب الشيخ سليمان فرج الغزاوي الخطاط رحمه الله تعالى، فلما فتحت مدرسة الفلاح بمكة، توظف فيها خطاطا، وبقي فيها حتى



مماته.

(٣) كتاب الشيخ عبد الله حمدوه السنارى، رحمه الله تعالى، فلما فتحت مدرسه الفلاح بمكة انتقل إليها فكان فيها مديرا حتى مات.  
(٤) كتاب الشيخ حسن السنارى و هو ابن خاله الشيخ عبد الله حمدوه السنارى المذكور، فلما فتحت مدرسه الفلاح بمكة انتقل إليها، فكان رئيس قسم تحفيظ القرآن الكريم، و لم نر قط من هو أشد حزما و صرامه و قسوة على تلامذته، مع عظيم صلاحه و تقواه، و حفظ القرآن العظيم لا يصلح إلا عند مثله، فإنه لا يعرف المزاح و لا اللعب رحمه الله تعالى رحمة الأبرار.

(٥) كتاب الشيخ فرج بن عبد الله السودانى رحمه الله تعالى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٢١

(٦) كتاب الشيخ إبراهيم خلوصى الحلوانى، كان محله فى باب الزيادة، و كان يعلم الخط و الإملاء و الحساب، و كانت له معرفة تامة بعلم الحساب، حتى ألف فيه رسالتين فريدتين، و فقه الله تعالى، أمين.

هذا و كان بمكة كثير من الكتاتيب فى محله المسفل و فى محله جرول لبعض أهل السودان و التكارنة، كما كان فى المسجد الحرام بعض الكتاتيب أيضا، أما العلوم الأخرى فكان فيه كثير من كبار العلماء من أهل مكة و غيرها، و حلقات دروسهم كانت عامرة مليئة، نسأل الله تعالى أن يصلح أحوالنا بفضل و رحمته.

و جميع البلاد الإسلامية على اختلاف أسنة أهلها و ألوانهم كانت عامرة بالكتاتيب منذ صدر الإسلام إلى اليوم و بالأخص البلاد المصرية و البلاد المغربية.

و هنا نبدأ بذكر شىء عن وجود الكتاتيب منذ صدر الإسلام، و ذكر بعض المدارس الأهلية الشهيرة بمكة المكرمة فى زماننا فنقول و بالله التوفيق:

### التعليم فى المسجد الحرام و علماءه

لما كان المسجد الحرام هو المنتدى العام بمكة المكرمة للعبادة و التعليم، لا بد لنا أن نذكر ما كان له من الأثر العظيم فى انتشار العلوم الشرعية و العلوم العربية فى عصرنا الحاضر، و ما أدركناه و عرفناه فيه منذ طفولتنا و نشأتنا. أما ما كان له من الأثر فى العبادة، و ما كان فيه من أهل الصلاح و التقوى و الولاية بالمعنى الصحيح، فهذا أمر لا يختلف فيه اثنان و لله الحمد، و لا تزال العبادة فيه قائمة منذ بدء الإسلام إلى يوم القيامة.

أما من الناحية التعليمية فيه، فنقول و بالله تعالى التوفيق، و هو حسبنا و نعم الوكيل، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم:

المسجد الحرام أخرج من رجال الدين و العلم و الصلاح، منذ ظهور الإسلام إلى يومنا هذا، الشىء الكثير الوفير، و كان لهم من الشأن و البروز ما لو أطلقنا القلم لطلال بنا البحث، ولكن لا بد من ذكر نبذة هنا، إننا قدمنا أن الأطفال كانوا يتعلمون فى المسجد الحرام القراءة و الكتابة و الخط و الحساب، ثم منعوا من ذلك صيانة للمسجد الحرام من لعبهم، و هم أطفال صغار لا يعرفون حرمة التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٢٢

المساجد تمام المعرفة، و اعتمادا على ما ظهر فى أطراف المسجد الحرام من الكتاتيب و بعض المدارس.

أما تعليم العلوم الدينية و العربية من التفسير و الحديث و الفقه، على المذاهب الأربعة، و علوم البلاغة و النحو و الصرف و غير ذلك، فقد كان المسجد الحرام هو محط الآمال فى ذلك و منبع العلوم و العرفان، إذ لم يكن بمكة المشرفة مدارس و معاهد للعلم غيره إلى أن ظهرت مدرسة الصولتية بحارة الباب و مدرسة الفلاح بالقشاشية و غيرها، و ذلك من بعد سنة (١٣١٥) ألف و ثلاثمائة و خمس عشرة هجرية. و لقد كانت حلقات الدروس فى المسجد الحرام كثيرة، و يبدأ التدريس فيه من بعد صلاة الفجر و انفلاق نور الصباح إلى بعد صلاة العشاء، و لا يقل طلاب كل حلقة من الدروس عن أربعين طالبا، و بعض الحلقات يبلغ طلابها مائة نفس.

و كان فيه من دروس المشايخ ما يأتى و نذكرهم بدون ترتيب:

- (١) درس السيد زينى دحلان.
- (٢) درس السيد عبد الله زاوى.
- (٣) درس الشيخ عمر باجنيد.
- (٤) درس الشيخ سعيد يمانى.
- (٥) درس الشيخ على مالكى.
- (٦) درس السيد صالح شطا.
- (٧) درس شيخنا الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى.
- (٨) درس شيخنا الشيخ زيدان الشنقيطى.
- (٩) درس الشيخ عمر حمدان.
- (١٠) درس الشيخ محمد العربى الجزائرى.
- (١١) درس الشيخ عباس مالكى.
- (١٢) درس الشيخ جمال مالكى.
- (١٣) درس شيخنا الشيخ عيسى رواس.
- (١٤) درس شيخنا الشيخ أحمد ناشرين.
- (١٥) درس السيد علوى مالكى.
- (١٦) درس السيد أمين كتيبى.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٢٣
- (١٧) درس الشيخ حسن مشاط.
- (١٨) درس الشيخ عبد الله خياط.
- (١٩) درس الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش رئيس المحاكم الشرعية بمكة المكرمة.
- (٢٠) درس الشيخ يحيى أمان.
- (٢١) درس الشيخ سالم شفى (بفتح أوله و كسر ثانيه).
- (٢٢) درس الشيخ محمد نور سيف.
- (٢٣) درس الشيخ أحمد قارى.
- (٢٤) درس الشيخ حسن يمانى.
- (٢٥) درس الشيخ محمد أمين فودة.
- (٢٦) درس الشيخ محمد الطيب المراكشى.
- (٢٧) درس السيد بكر حبشى.
- (٢٨) درس السيد إبراهيم النورى.
- (٢٩) درس الشيخ عبد الحميد حديدى.
- (٣٠) درس الشيخ عبد الله حداوى (بكسر الحاء المهملة).
- (٣١) درس السيد محمد المرزوقى أبو حسين.

(٣٢) درس الشيخ بكر بابصيل.

(٣٣) درس الشيخ محمد نور فطاني.

(٣٤) درس الشيخ سراج ششّة، بكسر الشين المعجمة الأولى وفتح الثانية و تشديدها.

(٣٥) درس السيد محمد حامد المصري، و كان هذا أول مدير لمدرسة الفلاح بمكة المكرمة عند بدء تأسيسها.

فبعض هؤلاء المشايخ أحياء، وفقهم الله تعالى للخيرات، و بعضهم قد ماتوا، رحمهم الله تعالى رحمه الأبرار، فقد أدركنا أكثرهم، و هم من علماء مكة الفضلاء، الذين قد نفع الله بعلمهم المسلمين، و لا نريد ذكر من سبقونا بالإيمان، منذ سنين طويلة، من علماء مكة المكرمة من القرون السابقة، فإن ذلك مما يطول شرحه، و ربما ننسى بعضهم، فنكون بذلك نسيء إليهم من غير قصد. الحاصل جزى الله تعالى أمرتنا خير الجزاء، و بارك في حياة من بقى و زادهم توفيقا و إحسانا آمين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٢٤

و لكل من هؤلاء العلماء عدة مؤلفات من علوم شتى و إن منهم من تخصص بص بالتدريس في المسجد الحرام، و منهم من كان يدرّس فيه و في المدارس و المعاهد، و منهم من كان يشغل القضاء، جزاهم الله تعالى خير الجزاء.

فالمسجد الحرام كان و لا يزال منبع الدين و العلم و التقوى و الصلاح، و كان عامرا حقا بدروس العلماء الأعلام ليلا و نهارا منذ قديم الأزمان، كانوا يفدون إلينا من جميع الأقطار الإسلامية، كمصر و الشام و اليمن و العراق و حضرموت و المغرب و بلاد شنقيط، حتى في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي حكم الحجاز في سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية. و قد خصصت الحكومة السعودية مراتب للمدرسين في المسجد الحرام، فهذا المسجد الشريف لا يخلو في كل وقت من نشر العلم فيه إلى اليوم و إلى قيام الساعة، و لو أنه في وقتنا يعدّ التدريس فيه قليلا بالنسبة للأزمان السابقة، التي رأيناها. و يوجد لبعض علمائنا تأليف خاصة في ذكر علماء مكة المشرفة و تراجمهم.

هذا ما تذكّرناه من علماء مكة المشرفة، من أول قرننا هذا، الرابع عشر الهجري إلى اليوم، أما العلماء الذين تقدموا قبل هذا القرن فقد ذكرهم غيرنا في بعض المؤلفات رحمهم الله تعالى، و هناك اليوم بعض العلماء ممن لا يحبون الظهور و لا التدريس كالشيخ عبد الله غازي صاحب تاريخ مكة المخطوط رحمه الله تعالى، و السيد محمد أحمد شطا، و السيد عبد الرحمن حمزة المرزوقي، و الشيخ عبد الملك بن عبد الله بن دهبش، و الشيخ صالح جمال الحريري، و الشيخ عبد الله دردوم، و الشيخ علي يمانى و غيرهم، وفق الله تعالى الجميع للخيرات و الأعمال الصالحة آمين.

### أول بعثة تعليمية حكومية بمكة

لم يكن إرسال البعث من الطلبة إلى الخارج، للتعليم في شتى أنواع العلوم و الفنون و الصناعات، معروفا عندنا قط، بل كان بعضهم إذا سافر إلى مصر أو غيرها، يأخذ معه ولده الناشئ الذي قد تعلم مبادئ العلوم، و بعد أن يكون له من العمر فوق الخمس عشرة سنة، و كان هذا يقع نادرا جدا، فممن سافروا مصر للتعليم السيد طاهر الدباغ رحمه الله تعالى فقد تعلم في مدارس الاسكندرية، ثم حضر إلى مكة المكرمة في سنة (١٣٢٨) ألف و ثلاثمائة و ثمان و عشرين هجرية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٢٥

و الشيخ أحمد زهر الليالى، فإنه كان في الأزهر الشريف بالقاهرة في سنة (١٣٤٠) ألف و ثلاثمائة و أربعين هجرية، و كذلك مؤلف هذا الكتاب محمد طاهر الكردى الخطاط فقد أخذه والده رحمه الله تعالى، إلى مصر، و ذلك في سنة (١٣٤٠) ألف و ثلاثمائة و أربعين هجرية بعد أن تخرج من مدرسة الفلاح بمكة المكرمة، أخذه فجعله في الأزهر الشريف بالقاهرة. و لا نتذكر الآن غير هؤلاء الثلاثة و لا يبعد أن يكون هناك غيرهم. إن الناس عندنا ما كانوا قد اعتادوا مفارقة أبنائهم و إرسالهم إلى الخارج للتعليم، ثم اعتادوا

ذلك بالتدريج شيئاً فشيئاً بعد سنوات، حتى إن بعضهم اليوم يرسل أطفالهم إلى الخارج للتعليم، ولكن نحن لا نستحسن إرسال الأولاد إلى الخارج إلا بعد نشأتهم في أوطانهم، و أخذ الشهادة الابتدائية على الأقل، و ذلك حتى لا ينسوا عاداتهم القومية. فأول بعثة حكومية سافرت من مكة المكرمة إلى مصر للتعليم، و كانت في سنة (١٣٤٦) ألف و ثلاثمائة و ست و أربعين هجرية، و ذلك في أوائل عهد الحكومة السعودية. و نحن كنا قبل هذه السنة بسنوات في مصر نتعلم في الأزهر الشريف، و كانت هذه البعثة مؤلفة من أهل مكة و من غيرهم، و حيث أنها أول بعثة من عندنا، فلا بد من ذكر أسمائهم، و هم كما يأتي:

عدد/ الأسماء/ البلدة

١/ السيد محمد شطا/ مكة

٢/ عبد الله باحنشل/ مكة

٣/ محمد باحنشل/ مكة

٤/ جميل داود/ مكة

٥/ فؤاد وفا/ مكة

٦/ عمر قاضي/ مكة

٧/ محمد رضا/ مكة

٨/ صادق دحلان/ مكة

٩/ عبد الله باخظمة/ مكة

١٠/ حسين الخطيب/ مكة

١١/ عبد الله الفضل/ مكة

١٢/ السيد أحمد العربي/ المدينة

عدد/ الأسماء/ البلدة

١٣/ السيد ولي الدين/ أسعد/ المدينة

١٤/ حمزة نايل/ المدينة

١٥/ إبراهيم محي الدين برادة/ المدينة

١٦/ محمد سعيد الدفتردار/ المدينة

١٧/ عمر نصيف/ جدة

١٨/ جميل متولي/ جدة

١٩/ محمد عبد الرواف/ جدة

٢٠/ عبد الرحمن البسام/ جدة

٢١/ عبد القادر محتسب/ جدة

٢٢/ عبد الله ناظر/ جدة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٢٦

عدد/ الأسماء/ البلدة

٢٣/ يوسف الهاجري/ نجد

٢٤/ مهنا المعبيد/ نجد

- ٢٥/ إبراهيم الهاجري / نجد  
 ٢٦/ عبد العزيز المعمر / نجد  
 عدد/ الأسماء / البلدة  
 ٢٧/ عبد الله المعمر / نجد  
 ٢٨/ حمد العبدلي / نجد  
 ٢٩/ عبد الملحق / نجد  
 ٣٠/ عبد الله الطريقي / نجد

هذه الأسماء و الشخصيات المحترمة، هي أول بعثة سعودية أرسلت من مكة المشرفة إلى مصر المحروسة و معذرة إن نسينا بعضهم لمرور سنوات طويلة على ذلك، ثم تقاطرت البعثات من عندنا إلى بعض البلاد العربية و الإفريقية، و ما زالت البعثات من مملكتنا ترسل إلى الخارج إلى يومنا هذا، و لو لا خوفنا من تطويل الكلام لطلبنا من وزارة المعارف إعطاءنا أسماء أعضاء جميع البعث مع صورهم و شيئاً من تراجمهم، ولكن هذا الأمر يحتاج إلى بذل جهود و تخصيص وقت و نحن و لا نملك ذلك.

و لصديقنا العزيز الأستاذ صالح جمال الحريري رسالة خاصة في هذا الموضوع اسمها (من وحى البعثات السعودية) قد أتى على بعض البعثات و أسماء أعضائها إلى سنة (١٣٦٨) ألف و ثلاثمائة و ثمان و ستين هجرية، مع تسجيل صور أعضائها، فعسى أن وزارة المعارف تقدره و تشجعه و تمدّه بأخبار البعثات فيما بعد، مع بيان أسمائهم و إعطاء صورهم الفوتوغرافية ليعمل الأستاذ جمال الحريري رسالة ثانية للبعثات تكون ملحقه بالرسالة الأولى. و الله الموفق للصواب.

### أول بعثة تعليمية أهلية بمكة

لقد ذكرنا فيما تقدم أن المحسن الكبير الحاج محمد علي زينل، هو مؤسس مدارس الفلاح أدام الله عليه النعم و الصحة و العافية و أمده بالتوفيقات و الأعمال الصالحات. هذا الرجل، رضى الله تعالى عنه و عنا لم يغفل يوماً واحداً عن مدارسه، التي أسسها منذ نشأتها إلى يومنا هذا، و إنه حفظه الله تعالى، و أمده بالخيرات، يحب مسaire التطورات الحديثة، الممدوحة في كل وقت و حين. إنه غفر الله لنا و له، و بارك لنا في حياته الغالية، لم يكتف بمسائل التعليم في مدارسه فقط، بل أراد أن يضرب للأمة بأسرها المثل الأعلى في التضحية و الإنفاق على تعليم الدين و العلوم العربية و الفنون النافعة، فأمر حفظه الله تعالى، القائمين بأمر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٢٧

مدرسة الفلاح بمكة المكرمة في سنة (١٣٤٨) ألف و ثلاثمائة و ثمان و أربعين هجرية أن ينتخبوا بضعة أشخاص من طلبتها المتخرجين منها فيرسلوهم إليه، إلى مقر عمله التجاري في بومباي بالهند، كبعثة أولى على نفقته الخاصة، فأرسلوهم إلى الهند في السنة المذكورة، و كان ذلك في عهد الشيخ عبد الله حمدوه السنارى، رحمه الله تعالى.

فكان من أعضاء هذه البعثة الأهلية: السيد إسحاق عزوز، السيد حسن كتيبى، السيد سامى كتيبى، الشيخ حمزة عجاج، الشيخ محمد عبد الماجد، و غيرهم ممن لا نتذكرهم الآن، و لا زالت هذه المدرسة ترسل إلى اليوم في كل عام، بعثة من متخرجيها إلى معاهد العلم في الخارج، فجزى الله تعالى الحاج محمد علي زينل مؤسس مدارس الفلاح عن نشر العلم خير الجزاء، و أسبغ نعمه ظاهرة و باطنة، و جعله في الدنيا و الآخرة من أهل الفوز و السعادة و الفلاح آمين.

### ذكر الأطباء من أبناء مكة المكرمة

لم يتعلم أحد من أبناء مكة المكرمة ولا من أبناء الحجاز فن الطب، في الأزمان المتقدمة، فلم يكن أحد منهم طبيبا في البلاد الحجازية ولا في غيرها، وكان الأطباء في الحرمين الشريفين في العهود السابقة، إما من الأتراك أو من المصريين أو من السوريين فقط، فلما تولى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى على الحجاز، وانتشر التعليم في جميع المملكة العربية السعودية، وأرسلت البعث إلى خارج المملكة للتعليم تخصص بعض أبناء البلاد في فن الطب والجراحة في مختلف الأمراض، فتخرج كثير من أبناء البلاد في فن الطب ومارسوا أعمالهم في نفس مملكتنا.

لقد كنا طلبنا من سعادة وكيل وزارة الصحة أن يخبرنا بأسماء الأطباء السعوديين في عصرنا الحاضر، فأرسل لنا مشكورا كشفا بأسمائهم وهو كما يأتي:

الإسم / الجنسية / المؤهلات

صاحب المعالي الدكتور يوسف الهاجري / سعودي / بكالوريوس طب و جراحة من جامعة القاهرة

صاحب السعادة الدكتور يوسف الحميدان / سعودي / بكالوريوس طب و جراحة من جامعة القاهرة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٢٨

الإسم / الجنسية / المؤهلات

الدكتور هاشم صالح الدباغ / سعودي / دبلوم أمراض المناطق الحارة من لندن.

الدكتور أحمد مدحت الجابي / سعودي بالتجنس / أخصائي أسنان من جامعة دمشق.

الدكتور سيف الدين الشيككلي / سعودي بالتجنس / دكتور في الطب كلية الطب سوريا (دمشق).

الدكتور محمد أمين مقيم / سعودي بالتجنس / بكالوريوس طب و جراحة من جامعة فؤاد الأول.

الدكتور سميح الحق / سعودي بالتجنس (الهند) / بكالوريوس طب و جراحة من باكستان.

الدكتور سليمان عبد القادر فقيه / سعودي (مكة) / دبلوم الأمراض الباطنية العامة من جامعة عين شمس.

الدكتور محمد فرج الله ونرنه / سعودي (مكة) / بكالوريوس في الطب و الجراحة جامعة الإسكندرية.

الدكتور عبد العزيز كامل كردى / سعودي / بكالوريوس في الطب و الجراحة من جامعة القاهرة.

الدكتور عبد الستار العلمي / سعودي / دكتور في طب الأسنان.

الدكتور هشام سلمى / سعودي بالتجنس / دبلوم في الطب من الجامعة الأمريكية.

الدكتور أحمد شاهد الطباع / سعودي بالتجنس / دكتور في الطب من المعهد الطبي العربى السورى.

الدكتور واصل رسلان / سعودي بالتجنس / اختصاصى الطب من جامعة برلين بألمانيا.

الدكتور أحمد عارف الشلبى / سعودي بالتجنس / دكتوراه في الطب من الجامعة السورية بدمشق.

الدكتور بشير صقر / سعودي بالتجنس / دكتوراه في الطب من الجامعة السورية بدمشق.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٢٩

الإسم / الجنسية / المؤهلات

الدكتور حيدر الحجار / سعودي بالتجنس / دبلوم طب و جراحة من جامعة فؤاد الأول.

الدكتور حسين محمد شوكل / سعودي / أخصائي أمراض النساء و الولادة من جامعة عين شمس.

الدكتور محمد عبد اللطيف ملك / سعودي بالتجنس / دبلوم جراحة و طب بكالوريوس معاينة بجامعة لاهور.

الدكتور سعيد عبد الله رباح / سعودي بالتجنس (دمشق) / دكتور في الطب الجامعة السورية.

الدكتور هانى الحمصى / سعودي بالتجنس / شهادة دكتور في طب الأسنان و جراحتها المعهد الطبي العربى السورى.

- الدكتور محمد شريف كبد الدين الخيري / سعودي بالتجنس / أخصائي أنف و حنجرة من جامعة لندن.
- الدكتور محمد عبد العزيز نمير طاشكندي / سعودي / دبلوم مخصص في العيون من جامعة الإسكندرية.
- الدكتور رمضان سعد البدري / سعودي بالتجنس / بكالوريوس طب و جراحة و بكالوريوس علوم.
- الدكتور سعد الطوخي / سعودي بالتجنس / دبلوم تخصص في العيون من جامعة القاهرة.
- الدكتور أحمد عبد العزيز داغستاني / سعودي / بكالوريوس طب و جراحة من مصر.
- الدكتور سعيد سبع مجاهد / سعودي بالتجنس / أخصائي الطب من جامعة تولوز و دبلوم الصحة من نفس الجامعة.
- الدكتور عبد القادر حسان / سعودي / أخصائي طب و جراحة من جامعة القاهرة.
- الدكتور محمد محسن خان / سعودي بالتجنس / أخصائي أمراض صدرية من لندن.
- الدكتور محمد شفيق أبو لبن / سعودي / بكالوريوس صيدلة من جامعة القاهرة.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٣٠
- الإسم / الجنسية / المؤهلات
- الدكتور أحمد إبراهيم زاهر / سعودي بالتجنس / أخصائي أمراض نساء و ولادة من الإسكندرية.
- الدكتور محمد مهدي الباجي / سعودي / أخصائي جراحة من جامعة عين شمس.
- الدكتور توفيق التميمي / سعودي بالتجنس / خريج كلية علوم على درجة بكالوريوس في الطب و الجراحة من جامعة عين شمس.
- الدكتور محمد إبراهيم العمارة / سعودي / أخصائي أمراض باطنية من جامعة الإسكندرية.
- الدكتور صالح زكي مصطفى / سعودي بالتجنس / بكالوريوس طب و جراحة من جامعة فؤاد الأول بمصر.
- الدكتور سراج صالح ملائكة / سعودي / بكالوريوس طب و جراحة من جامعة القاهرة.
- الدكتورة ملك رويحي / سعودية / شهادة في الطب و دبلوم في الصيدلة.
- الدكتور هشام بشير الرومي / سعودي / بكالوريوس طب و جراحة من جامعة القاهرة.
- الدكتور محمد عطاء الله صديقي.
- / سعودي بالتجنس / M .B .B .S من جامعة الكهونر
- الدكتور أحمد على عبد العزيز الباكستاني / سعودي / أخصائي جراحة من جامعة الإسكندرية.
- الدكتور محمود عمر فطاني / سعودي / بكالوريوس طب و جراحة من جامعة عين شمس.
- الدكتور جلال محمد آشي / سعودي / بكالوريوس طب و جراحة من جامعة عين شمس و دبلوم في المناطق الحارة.
- الدكتور شيخ زين العابدين / سعودي / أخصائي جراحة.
- الدكتور عبد الله عبد الكريم أركوبه / سعودي / أخصائي أشعة.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٣١
- الإسم / الجنسية / المؤهلات
- الدكتور حسن بهاء الدين قرملة / سعودي / طب و جراحة من مصر.
- الدكتورة لطيفة مسعود / سعودية بالتجنس / دبلوم أمراض النساء و الولادة من دبلن بإنجلترا.
- الدكتور أسامة محمد الراضي / سعودي / بكالوريوس الطب و الجراحة من الجامعة المصرية.
- الدكتور محمد سعيد الشوري / سعودي / بكالوريوس طب و جراحة من جامعة القاهرة.
- الدكتور عبد الله سلتي مناع / سعودي / أخصائي أسنان من جامعة الإسكندرية.

الدكتور عبد اللطيف كامل كردى / سعودى / بكالوريوس الطب و الجراحة من جامعة القاهرة.  
 الدكتور محمود على الرفاعى / سعودى / بكالوريوس طب و جراحة من جامعة عين شمس.  
 الدكتور عصام محمد على خوقير / سعودى / أخصائى أسنان.  
 الدكتور أحمد هاشم الدين المدنى / سعودى / خريج كلية طب أسنان من جامعة بغداد.  
 الدكتور محمد سعيد مصطفى بدر الدين / سعودى / خريج كلية الطب بالقصر العينى.  
 الدكتور أمين عبد الله سراج / سعودى / أخصائى أنف و أذن و حنجرة من جامعة عين شمس.  
 الدكتور محمد أحمد العيشى / سعودى / بكالوريوس طب و جراحة جامعة عين شمس.  
 الدكتور صديق محمد الخولاخ / سعودى / بكالوريوس الطب و الجراحة من جامعة الإسكندرية.  
 الدكتور جميل محمود خطاب / سعودى / بكالوريوس فى الطب و الجراحة من جامعة القاهرة. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛

ج ٣-٥؛ ص ٥٣١

دكتور محمد عبد الوهاب / سعودى / طب و جراحة اختصاص عيون من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٣٢

الإسم / الجنسية / المؤهلات

مجاوى. / جامعة عين شمس.

الدكتور عباس أحمد قزاز / سعودى / متخصص طب و جراحة من جامعة الإسكندرية.

الدكتور عبد الله إسحاق الهاجرى. / سعودى / طب و جراحة من جامعة القاهرة.

الدكتور عبد الهادى قارى عبد الله طاشكندى. / سعودى / بكالوريوس طب من جامعة استنبول تركيا.

الدكتور غلام قادر فريشى / سعودى بالجنس / خريج كلية الطب الأميرية بينجاب باكستان.

الدكتور سندی ياسين بخيت. / سعودى بالجنس / دكتور طب و جراحة الأسنان من الجامعة السورية.

عمر أسعد / من المدينة المنورة / هذا الإسم لم يذكر فى كشف أسماء الأطباء الذى ورد إلينا من وزارة الصحة لكن نحن ذكرناه.

الدكتور حسن نصيف / من مكة المكرمة / هذا الإسم لم يذكر فى كشف أسماء الأطباء الذى ورد إلينا من وزارة الصحة لكن نحن ذكرناه.

الدكتور حامد هرسانى / من مكة المكرمة / هذا الإسم لم يذكر فى كشف أسماء الأطباء الذى ورد إلينا من وزارة الصحة لكن نحن ذكرناه.

الدكتور عبد اللطيف صلاح مجموع. / من جدة / هذا الإسم لم يذكر فى كشف أسماء الأطباء الذى ورد إلينا من وزارة الصحة لكن نحن ذكرناه.

الدكتور عبد الرحمن كشميرى. / من مكة / هذا الإسم لم يذكر فى كشف أسماء الأطباء الذى ورد إلينا من وزارة الصحة لكن نحن ذكرناه.

الدكتور عبد الرحمن النجاوى. / من جدة / هذا الإسم لم يذكر فى كشف أسماء الأطباء الذى ورد إلينا من وزارة الصحة لكن نحن ذكرناه.

الدكتور رشاد كلكتاوى / من مكة / هذا الإسم لم يذكر فى كشف أسماء الأطباء الذى ورد إلينا من وزارة الصحة لكن نحن ذكرناه.

الدكتور سلطان زمزمى / من مكة / هذا الإسم لم يذكر فى كشف أسماء الأطباء الذى ورد إلينا من وزارة الصحة لكن نحن ذكرناه.

الدكتور عبد الكريم بخشى / من مكة / هذا الإسم لم يذكر فى كشف أسماء الأطباء الذى ورد إلينا من وزارة الصحة لكن نحن ذكرناه.



التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٣٣

هذه الأسماء التسع الأخيرة سقطت سهوا من كشف وزارة الصحة، و نحن وضعناها فيه.

لقد ذكرنا أسماء أطبائنا الذين تخرجوا من كليات الطب و يزاولون هذه المهنة الشريفة النافعة، و الآن أحببنا أن نذكر هنا أيضا من يدرس الطب من أبناء بلدتنا الطاهرة المقدسة، و لم يكملوا إلى اليوم دراساتهم، فهم أطباء المستقبل، إن شاء الله تعالى، و إليك أسماءهم في هذا الجدول:

عدد/ الأسماء/ ملحوظات

١/ على محمد شطا/ من مكة المكرمة، يدرس الطب الآن في القاهرة

٢/ رشاد حكيم/ من مكة المكرمة، يدرس الطب الآن في القاهرة

٣/ صافي عقيل جفري/ من مكة المكرمة، يدرس الطب الآن في القاهرة

٤/ يحيى عبد الله حجازي/ من مكة المكرمة، يدرس الطب الآن في القاهرة

٥/ عصام قدسي/ من مكة المكرمة، يدرس الطب الآن في القاهرة

٦/ عبد العزيز مظهر/ من مكة المكرمة، يدرس الطب الآن في القاهرة

٧/ مسعود سجينى/ من مكة المكرمة، يدرس الطب الآن في القاهرة

٨/ خديجة الفردوس/ من مكة المكرمة، تدرس الطب الآن في القاهرة

٩/ ممدوح بديع/ من مكة المكرمة، يدرس الطب الآن في باكستان

١٠/ حسن حسين عبد الغنى/ من مكة المكرمة، يدرس الطب الآن في باكستان

١١/ أحمد فهمى بكير/ من مكة المكرمة، يدرس الطب الآن في باكستان

١٢/ صديق محمد سندي/ من مكة المكرمة، يدرس الطب الآن في باكستان

١٣/ نوال محبوب شيخ/ من مكة المكرمة، يدرس الطب الآن في باكستان

١٤/ صالح سبحي/ من مكة المكرمة، يدرس الطب الآن في ألمانيا

١٥/ طلال بخش/ من مكة المكرمة، يدرس الطب الآن في ألمانيا

هذا ما بلغنا عن يدرسون الطب من أبنائنا الآن فى الخارج، نرجو لهم حياة طيبة، و مستقبلا زاهرا، و خدمة موفقة لبلادهم، و ربما كان هناك غيرهم لكن لم يبلغنا عنهم شىء حتى نذكرهم هنا، فنرجو منهم المعذرة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٣٤

### الدكتور عبد القادر عبد المجيد

الدكتور عبد القادر عبد المجيد، هو مصرى فاضل، يشتغل عندنا بمكة المكرمة بمستشفى الزاهر، و هو وكيل لمدير المستشفى. إنه طبيب نطاسى ماهر، يحمل شهادة بكالوريوس الطب و الجراحة، يقصده الكثير من المرضى لمهارته و إخلاصه و دماثة أخلاقه، و نحن نذكره هنا رغم أنه ليس من أطباء بلادنا، عرفانا بجميله و تقديرا لخدماته لنا خاصة، و خدماته لمكة المكرمة عامة. لقد حدث علينا مرض قوى مفاجئ فى منتصف سنة (١٣٨٣) هجرية بتصلب فى شرايين المخ، مع مرض السكر، بصورة قوية، فأحضره إلينا بعض أصحابنا، فقام بمعالجتنا بإخلاص و أمانة مدة سنتين، و ما زال يعالجننا إلى وقتنا الحاضر، أى إلى سنة (١٣٨٥) ه من نفس المرضين المذكورين حتى من الله تعالى علينا بالشفاء، بفضل و رحمته مع تكرار سؤاله عنا بالتليفون إن لم يحضر بنفسه.

فنحن اعترافا و تقديرا لخدماته و استقامته التامة، نسجل اسمه الكريم مع شكرنا له، سائلين الله عز و جل أن يديم عليه الصحة و العافية

و النعم الوافية، و أن يوفقه لخدمته الناس عامة، و أهل الحرمين خاصة، و أن يسعده و ذريته في الدارين، إنه سميع مجيب. كما نشكر صديقنا الفاضل الدكتور عباس كرازة المصرى طبيب الأسنان فى عنايته التامة بمعالجة أسناننا، و خدمته لنا بإخلاص تام، أكثر الله تعالى من أمثالهما، و أدام عليهما نعمه و رضاه، آمين.

### أسماء بعض مؤلفات علماء مكة المكرمة و أدبائها فى وقتنا الحاضر

أحببنا أن نذكر هنا بعض المؤلفات المطبوعة و غير المطبوعة للعلماء و الأدباء من أهل مكة المكرمة فى وقتنا الحاضر فقط. و ليس ذكر هذا المؤلفات من قبيل الحصر، لأن حصر المؤلفات لحضراتهم تحتاج إلى الإتصال بهم جميعا، و ليس فى قدرتنا ذلك الآن لمرضنا، و إنما أحببنا ذكر هذه المؤلفات للعلم بها فى الجملة، من باب ما لا يدرك كنهه لا يترك جله، فعسى أن تلحقنا دعوة من أصحاب هذه المؤلفات القيمة، فنسعد بها فى حياتنا و بعد مماتنا- فنقول و بالله التوفيق- إليك جدولاً فيه بعض أسماء المؤلفات الحجازية و أصحابها، من غير مراعاة فى الترتيب:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٣٥

عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذى ألفه

١/ فضيلة شيخنا العلامة المحدث الشهير الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى توفى بالقاهرة بمصر، رحمه الله تعالى، فى سنة (١٣٦٣) هجرية.

أما أخوه الشيخ محمد الخضر الشنقيطى، فقد توفى رحمه الله تعالى، بالمدينة المنورة فى سنة (١٣٥٤) هجرية.

/ كان رحمه الله تعالى مدرسا بالمسجد الحرام ردحا من الزمن، ثم انتقل من سنة (١٣٤٣) هجرية من مكة المكرمة إلى مصر القاهرة، فاختارته مشيخة الأزهر المعمور مدرسا فى معاهدها، و فى مسجد سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه، فكانت حلقات دروسه عامرة بالطلبة و الفضلاء، و له كثير من المؤلفات القيمة:

منها: «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم».

و منها: «إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام».

و منها: «شرحه لموطأ الإمام مالك».

و منها: «نظمه فى أمراء المؤمنين فى الحديث».

و منها: «نظمه فى علم المعانى و البيان و البديع و كل ذلك مطبوع بمصر».

و منها: «هداية الرحمن لما ثبت فى الدعاء المستعمل فى ليلة النصف من شعبان» و هو مطبوع.

و منها: «منظومة دليل المسالك على موطأ مالك» و هو مطبوع.

و منها: «إبراز الدر المصون على جوهر المكنون، فى علم البلاغة».

و منها: «أنوار النفحات شرح نظم الورقات، فى الأصول».

و منها: «شرح نفيس على منظومة فى علم السيرة».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٣٦

عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذى ألفه و منها: «زبد المسالك للإجازة فى روايات موطأ مالك».

و منها: «التحفة المحازة منظومة فى أحكام الإجازة، مع شرحه لها».

و منها: «كنز المطالع فى شرح ألفاظ الدرر اللوامع».

و منها: «الجواب المحزّر فى أخبار عيسى و المهدي المنتظر».

و منها: «شرح على سلم الأخرى فى المنطق».  
 و منها: «إكمال السنة باتصال سند المصافحة المدخلة للجنة» و هو مطبوع.  
 و منها: «فتح القدير المالک فى شرح ألفاظ موطأ مالک» غير تام.  
 و منها: «البهجة المرضية على شرح الألفية للسيوطى» غير تام.  
 و منها: «سواطع الجمان فى علم التصريف» غير تام.  
 و منها: «مرتقى الوصول إلى علم الأصول» غير تام.  
 و لشيخنا المذكور رحمه الله تعالى رحمة الأبرار، مؤلفات عديدة، غير ما ذكر، و ديوان قيم لم يشتهر، فجزاه الله تعالى عن المسلمين خير جزاء. و له غير ذلك من المؤلفات التى لا أحفظ اسمها الآن.  
 و كان له أخ أكبر منه و أخ أصغر منه: فأخوه الكبير اسمه الشيخ محمد الخضر، و كان مفتى المدينة المنورة ردحا من الزمن، رحل عن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٣٧

عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذى ألفه

المدينة المنورة إلى الأردن، فمكث هناك بضع سنوات، ثم رأى رؤيا يأمره رسول الله صلى الله عليه و سلم فى المنام بالرجوع إلى المدينة المنورة مرة ثانية، و أنه يموت بها بعد وصوله إليها بقليل، كما حكى لنا ذلك بنفسه، و قد كان فإنه بعد وصوله إلى المدينة بعدة أشهر توفى و دفن هناك، رحمه الله تعالى. و كان علامة زمانه، له من المؤلفات القيمة: «استحالة المعية بالذات» و هو كتاب عظيم فى التوحيد، و له كتاب «لزوم الطلاق الثلاث دفعة» و هما مطبوعان بمصر. و له غير ذلك.  
 لا نتذكر منها إلا ما يأتى:

- شرح على متن البخارى، توفى رحمه الله تعالى و لم يكمله.

- شرح على متن خليل الفقهى على المذاهب الأربعة، توفى رحمه الله تعالى و لم يكمله.

- رسالة فى الاجتهاد و التقليد المسماة: قمع أهل الزيغ و العناد. و هى مطبوعة.

- رسالة فى الطلاق البدعى. و هى مطبوعة.

أما أخوه الثالث فاسمه الشيخ محمد العاقب له عدة مؤلفات، منها منظومته القيمة المسماة «كشف العمى».

و كلهم كانوا يحفظون القرآن الكريم بالقراءات، رحمهم الله تعالى جميعا.

٢/ فضيلة الشيخ على مالکى

٣/ فضيلة السيد علوى مالکى / ١) مجلد كبير فى الفتاوى.

٢) ديوانه الشعرى الكبير.

٣) الدروس المنطقية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٣٨

عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذى ألفه

٤) الدروس البلاغية.

٥) الإبانة عن أصول الكهانة.

٦) رسالة فى العمل بالمذاهب الأربعة.

٧) رسالة فى الشطحات الصوفية.

- (٨) ثبت الأسانيد و المسلسلات.
- (٩) اللواء المفقود في إثبات وحدة الوجود.
- (١٠) السفينة العلوية.
- (١١) مواعظ دينية و توجيهات نبوية و دروس أخلاقية.
- (١٢) المنهل اللطيف في أقسام الحديث الضعيف.
- (١٣) نيل المرام شرح أحاديث عمدة الأحكام.
- (١٤) إبانة الأحكام شرح بلوغ المرام من أحاديث الأحكام.
- (١٥) تعليق على رياض الصالحين.
- (١٦) رسالة من نفحات رمضان.
- (١٧) العقد المنظم في أقسام الوحي المعظم.
- (١٨) فيض الخير و خلاصة التقرير على شرح منظومة أصول التفسير.
- (١٩) فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب و الترهيب.
- هذه المؤلفات أخبرنا بها ابن المؤلف، حفظهما الله تعالى، فبعضها مطبوع و بعضها غير مطبوع.
- ٤/ فضيلة الشيخ عبد الله خياط إمام و خطيب المسجد الحرام. / ١) التفسير الميسر، للثلاثة أجزاء الأخيرة من القرآن العظيم.
- (٢) مبادئ السيرة النبوية للمدارس الابتدائية.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٣٩
- عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذي ألفه
- (٣) اعتقاد السلف.
- (٤) مقرر التوحيد للمدارس الابتدائية.
- (٥) أركان الإسلام الخمسة مع قسم من العبادات.
- (٦) الخطب في المسجد الحرام. و هي ثلاث حلقات.
- (٧) دليل المسلم.
- كل هذه المؤلفات مطبوعه، و ما يأتي غير مطبوع هو:
- (٨) الوصايا العشر.
- (٩) مواقف حاسمة.
- (١٠) نحو مجتمع أفضل.
- (١١) الإصلاح الديني في القرن الثاني عشر للهجرة.
- ٥/ فضيلة السيد محمد أمين كتبي
- ٦/ السيد عبد الحميد الخطيب / ١) تفسير الخطيب المكي، مطبوع.
- (٢) رسالة جوهر الدين.
- (٣) مناجاة الله، مجلدان.
- (٤) محاضرات الخطيب.
- (٥) إلى عموم المسلمين.

- (٦) أسمى الرسالات.
- (٧) الإمام العادل، مجلدان.
- ٧/ فضيلة الشيخ حسن مشاط./ هو من مكة المكرمة، و له من المؤلفات ما يأتي:
- (١) إسعاف أهل الإيمان بوظائف شهر رمضان. ط.
- (٢) إسعاف أهل الإسلام بوظائف الحج
- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٤٠
- عدد/ اسم المؤلف/ اسم الكتاب الذي ألفه
- و الإحرام. ط.
- (٣) رفع الأستار في مصطلح الحديث. ط.
- (٤) التقريرات الستية شرح البيقونية. ط.
- (٥) إنارة الدجى في مغازى أهل الورى. شرح منظومة الإمام البدوى الشنقيطى. و هى مطبوعة.
- (٦) الجواهر الثمينه فى أدله عالم المدينه فى الأصول. و هذا الكتاب لم يطبع .
- (٧) بغية المسترشدين فى حياة الأئمة الأربعة المجتهدين. و هذا الكتاب مصدر بمقدمه فى الاجتهاد و التقليد و ما يلزم الإنسان المكلف فى هذا العصر أن يفعله. و هذا الكتاب لم يطبع.
- (٨) الفرائد البهية فى الحدود المنطقية. و هذا الكتاب لم يطبع.
- (٩) رساله فى الفرائض تسمى (التحفة الستية فى الأحوال الأربعينية). و هى رساله مطبوعه.
- (١٠) رساله ثبت صغير يسمى الإرشاد فى علم الإسناد. و هى رساله مطبوعه.
- ٨/ فضيلة الشيخ حسين باسلامه/ ١) تاريخ الكعبة المعظمة، مجلد واحد.
- (٢) تاريخ المسجد الحرام، مجلد واحد.
- (٣) حياة سيد العرب صلى الله عليه و سلم، أربع مجلدات
- ٩/ فضيلة السيد أحمد بن أبى بكر شطا توفى سنه (١٣٢٧هـ) رحمه الله تعالى./ هو من مكة المكرمة، و هو والد السيد محمد شطا و السيد عبد الله شطا. لا ندرى هل له مؤلفات أم لا.
- ١٠/ فضيلة السيد صالح بن/ هو من مكة المكرمة- و كان يدرس فى
- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٤١
- عدد/ اسم المؤلف/ اسم الكتاب الذى ألفه
- / بكرى شطا توفى عام (١٣٦٩هـ) رحمه الله تعالى./ المسجد الحرام جهة باب الزيادة- لا ندرى هل له مؤلفات أم لا.
- ١١/ فضيلة الشيخ أحمد القارى.
- توفى سنه (١٣٦٩هـ) رحمه الله تعالى./ هو من مكة المكرمة، اشتغل بالقضاء بعد التدريس، لا ندرى هل له مؤلفات أم لا.
- / ١٢ فضيلة الشيخ أسعد الدهان. توفى سنه (١٣٣٨هـ) رحمه الله تعالى./ هو من مكة المكرمة. لا نعلم هل له مؤلفات أم لا.
- ١٣/ فضيلة الشيخ درويش العجيمى. توفى عام (١٣٤٦هـ) رحمه الله تعالى./ هو من مكة المكرمة. لا ندرى هل له مؤلفات أم لا.
- ١٤/ فضيلة الشيخ سعيد اليمانى. توفى عام (١٣٥٢هـ) رحمه الله تعالى./ هو من مكة المكرمة. لا ندرى هل له مؤلفات أم لا، و هو والد الشيخ حسن يمانى، و الشيخ على يمانى.
- ١٥/ فضيلة السيد عبد الله بن محمد صالح الزواوى. توفى سنه (١٣٤٣هـ) رحمه الله تعالى مفتى الشافعية./ هو من مكة المكرمة، له

رسالة لطيفة مطبوعة عن تاريخ عين زبيده، و لا ندرى هل له غيرها من المؤلفات أم لا.

١٦/ فضيلة الشيخ عبد الرحمن سراج رحمه الله تعالى. / هو من مكة المكرمة. لم نطلع على مؤلفاته و لا على تاريخ وفاته.

١٧/ فضيلة الشيخ يحيى أمان.

زاده الله تعالى توفيقا و علما. / هو من مكة، و له من المؤلفات ما يأتي:

(١) شرح متن الإسقاطى من الفقه الحنفى.

(٢) نزهة المشتاق، شرح لمع الشيخ أبى إسحاق الشيرازى فى أصول الفقه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٤٢

عدد/ اسم المؤلف/ اسم الكتاب الذى ألفه

(٣) التيسير شرح منظومة التفسير للشيخ عبد العزيز الزمزمى المكى.

(٤) تهذيب الترغيب.

١٨/ فضيلة الشيخ عبد الرحمن الدهان توفى سنة (١٣٣٧ هـ) رحمه الله تعالى. / هو من مكة المكرمة. تولى القضاء عليها فى عهد

الشرىف الحسين بن على ملك الحجاز الأسبق رحمه الله تعالى، لا ندرى هل له مؤلفات أم لا.

١٩/ فضيلة الشيخ محمد على بن حسين المالكى المتوفى سنة (١٣٦٨ هـ) رحمه الله تعالى.

/ هو من مكة المكرمة. و له من المؤلفات ما يأتي:

(١) تحفة الخلان فى علم البيان، و هى حاشية فى جزء كبير.

(٢) الحواشى النقية على كتاب البلاغة للشيخ محمد طوموم و زملائه.

(٣) فرائد النحو الوسيمة شرح الدرّة اليتيمة.

(٤) تدريب الطلاب فى قواعد الإعراب على طريقة السؤال و الجواب.

(٥) حاشية على كتاب التلطف شرح التعرّف فى علم الأصول و التصوّف.

(٦) تهذيب الفروق و القواعد السنية فى الأسرار الفقهية. و هو اختصار كتاب الفروق للعلامة القرافى.

(٧) شمس الإشراف فى حكم التعامل بالأوراق.

(٨) انتصار الإعتصام بمعتمد كل مذهب من مذاهب الأئمة الأعلام.

(٩) ردع الجهلة و أهل الغرّة فى اتباع قول من يرد المطلقة ثلاثا فى مرة.

(١٠) توضيح أحسن ما يقتضى و به تحليل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٤٣

عدد/ اسم المؤلف/ اسم الكتاب الذى ألفه المبتوتة يكتفى.

(١١) أنوار الشروق فى أحكام الصندوق.

(١٢) تحذير المسلمين من لبس البرنيطة و زى الكافرين.

(١٣) طواع الهدى و الفضل بتحذير المسلمين عن الإعلام وقت الصلاة بضرب الناقوس و الطبل.

(١٤) القواطع البرهانية فى بيان إفك غلام أحمد و أتباعه القاديانية.

(١٥) الحواشى السنية على قوانين ابن جزى.

(١٦) حواشى على الأشباه و النظائر.

(١٧) تفريرات على همع الهوامع شرح جمع الجوامع.

١٨) تقريرات على شرح المحلى لجمع الجوامع فى الأصول.

١٩) تقريرات على شرح الخضرى على الألفية.

٢٠) الجواهر السنية فى تنميح حكمه الدين العلية.

٢١) الكياسه فى علم الفراسه.

٢٢) التنقيح فى حكم التلقيح.

٢٣) المقال فى رد سنیه الصلاة بالنعال.

٢٤) فتاوى النوازل العصرية.

٢٠/ فضيلة السيد عباس بن عبد العزيز المالكي. المتوفى سنة (١٣٥٣ هـ) رحمه الله تعالى. / هو من مكة المكرمة، و له من المؤلفات ما يأتي:

(١) تحفه الإخوان فى علم البيان.

(٢) الدر النضيد فى علم الوضع المفيد.

(٣) منسك إرشاد أهل الخبرة فى مناسك الحج

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٤٤

عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذى ألفه و العمرة.

(٤) شرح على متن العروسى.

(٥) تقريرات على حاشية الجفرى.

(٦) ديوان خطب منبرية ألقاها أيام الجمعة فى المسجد الحرام.

٢١/ فضيلة الشيخ محمد العربى التبانى الجزائرى زاده الله توفيقا و علما. / هو من مكة، و له من المؤلفات ما يأتي:

(١) تحذير العبقرى من محاضرات الخضرى و هو جزءان.

(٢) إتحاف ذوى النجابه بما فى القرآن و السنه من فضائل الصحابه.

(٣) محادثة أهل الأدب، بأخبار و أنساب جاهلية العرب.

(٤) مجموع ثلاث رسائل فى القراءة عن الأموات.

(٥) نزهة الفتیان فى تراجم الشجعان.

(٦) تنبيه الباحث السرى إلى ما فى رسائل و تعاليق الكوثرى.

(٧) إسعاف المسلمين و المسلمات بجواز القراءة و وصول ثوابها إلى الأموات.

(٨) اعتقاد أهل الإيمان بالقرآن بنزول المسيح ابن مريم آخر الزمان.

(٩) خلاصة الكلام فيما هو المراد بالمسجد الحرام.

(١٠) إفادة الأخبار ببراءة سيد الأبرار.

٢٢/ فضيلة الشيخ عمر باجنيد.

توفى عام (١٣٥٤ هـ) رحمه الله تعالى. / هو من مكة المكرمة. لا ندرى هل له مؤلفات أم لا.

٢٣/ فضيلة الشيخ عابد بن / هو من مكة المكرمة. لا ندرى هل له

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٤٥

عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذى ألفه حسين. مفتى المالكية، توفى سنة (١٣٤١ هـ) رحمه الله تعالى. / مؤلفات أم لا.

- ٢٤/ فضيلة الشيخ عبد الحميد قدس. توفى عام (١٣٣٤ هـ) رحمه الله تعالى. / هو من مكة المكرمة، له بعض المؤلفات لم نطلع عليها.
- ٢٥/ فضيلة الشيخ عمر بن حمدان المغربي. / لا ندرى هل له مؤلفات أم لا.
- ٢٦/ فضيلة الشيخ عيدروس البار. توفى عام (١٣٦٧ هـ) رحمه الله تعالى.  
لا ندرى هل له مؤلفات أم لا.
- ٢٧/ فضيلة الشيخ جعفر بن بكر لبنى. توفى سنة (١٣٤٢ هـ) رحمه الله تعالى. / هو من مكة المكرمة. و له من المؤلفات ما يأتي:  
(١) تاريخ عوائل مكة.  
(٢) رسالة فى جواز الإحرام من جدة.  
(٣) العقود المتلائمة، شرح أرجوزة ابن شحنة فى المعانى و البيان و البديع.
- ٢٨/ فضيلة الشيخ جمال المالكي. توفى سنة (١٣٤٩ هـ) رحمه الله تعالى. / هو من مكة المكرمة. لا ندرى هل له مؤلفات أم لا.
- ٢٩/ فضيلة الشيخ بكر صباغ.  
توفى سنة (١٣٣٧ هـ) رحمه الله تعالى. / هو من مكة المكرمة. لا ندرى هل له مؤلفات أم لا.
- ٣٠/ السيد حسين الحبشى (بكسر الحاء و سكون الباء). توفى سنة / هو من مكة المكرمة. لا ندرى هل له مؤلفات أم لا.  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٤٦  
عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذى ألفه  
(١٣٣٠ هـ) رحمه الله تعالى.
- ٣١/ فضيلة الشيخ عبد الله حدّاوى. توفى عام (١٣٧٠ هـ) رحمه الله تعالى. / هو من مكة المكرمة. لا ندرى هل له مؤلفات أم لا.
- ٣٢/ فضيلة الشيخ محمد سعيد أبو الخير. توفى عام (١٣٥٣ هـ) رحمه الله تعالى. / هو من مكة المكرمة. لا ندرى هل له مؤلفات أم لا.
- ٣٣/ فضيلة الشيخ محمد المرزوقى أبو حسين. توفى عام (١٣٦٥ هـ) رحمه الله تعالى. / هو من مكة المكرمة. و كان رئيسا للمحكمة الشرعية الكبرى.
- ٣٤/ فضيلة الشيخ محمد نور فطانى. توفى سنة (١٣٦٣ هـ) رحمه الله تعالى. / هو من مكة المكرمة، و كان تولى القضاء فيها.
- ٣٥/ فضيلة الشيخ عيسى رؤّاس. توفى رحمه الله تعالى فى سنة (١٣٦٥ هـ) هجرية. / هو من مكة المكرمة، و قد قرأنا عليه رحمه الله تعالى و كان من كبار الصالحين، و لا ندرى هل له مؤلفات أم لا.
- ٣٦/ فضيلة الشيخ أحمد ناشرين. توفى رحمه الله تعالى فى سنة (١٣٧٠ هـ) هجرية. / هو من مكة المكرمة. و قد قرأنا عليه، رحمه الله تعالى، و تولى القضاء، و لا ندرى هل له مؤلفات أم لا.  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٤٧  
عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذى ألفه
- ٣٧/ فضيلة السيد محمد أحمد شطا. / هو من مكة المكرمة، و له من المؤلفات ما يأتي:  
(١) كتاب الوقف الأهلى و شرعيته.  
(٢) كتاب أبو مسلم الخراسانى و أثره فى نشوء الدولة العباسية.
- هذا ما تذكرناه من علماء المسجد الحرام فى عصرنا الحاضر، فنرجو المعذرة ممن نسينا اسمه و لم نذكره هنا، فالنسيان من الأعدار الشرعية، فرحم الله تعالى من مضوا إلى الدار الآخرة من العلماء الأمجاد، و بارك فى حياة من بقى منهم و زادهم توفيقا و علما آمين. و لنختم هذا المبحث بالقصيدة اللطيفة التى قالها فضيلة صديقنا العلامة السيد علوى مالكي، المدرس بالمسجد الحرام اليوم، أدام الله تعالى عليه توفيقاته، و أدام عليه الصحة و العافية و النعم الوافية آمين، و هى هذه:



فله آباء مضوا نحو ربهم وقد خلفوا ذكرا جليلا مؤبدا  
تحلوا بأخلاق الكتاب و سارعوا إلى المجد بينون الفخار مشيدا  
لقد جاهدوا في الله حق جهاده و قد سلكوا سبل المكارم و الهدى  
دعاة إلى الدين الحنيفى قادة بهم يقتدى من رام مجدا و سؤدا  
فسل مكة الغراء عنهم فإنها تسجل فى تاريخها الفضل مسندا  
و سل عنهم البيت الحرام فكم إلى دروسهم هن حوله حن منشدا  
و سل زمما و الركن و الحجر و الصفا عن القوم كم باتوا يثنون سجدا  
و كم طوفوا بالبيت ييكون حوله و كم وقفوا بالبيت كم رفعوا يدا  
و كم عبدوا خلف المقام و شاهدوا من السر نور الله يسطع مرشدا  
لقد خصهم مولا همو بجواره ففازوا بتضعيف المثوبة سرمدا  
جزى الله من أجيالنا ذكر مجدهم و لا زال موفور الكمال مؤيدا  
و صلى على المختار و الآل من سمو إلى الفخر ما طير الحدائق غردا  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٤٩  
انتهى بعون الله تعالى الجزء الخامس و يتلوه الجزء السادس، و أوله:  
بعض الأدباء و الشعراء بمكة فى عصرنا الحاضر  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٥١

## المحتويات

الموضوع / رقم الصفحة
صيغة الدعاء بالمسجد الحرام لملك الحجاز سابقا / ٥
النوم فى المسجد الحرام / ٥
الشحاذة فى المسجد الحرام / ٦
الإيقاد فى المسجدين الحرمين / ١٠
إيقاد الشموع فى المدينة على عهد صلى الله عليه و سلم / ١٠
إيقاد المساجد بالزيت فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم / ١١
المصاييح فى المسجد الحرام و إضاءتها بالزيت / ١٢
تدرج الإنسان فى الإضاءة / ١٥
استعمال غاز الاستصباح / ٢١
بعض ما جاء من الوصف فى آلات السرج و الإيقاد / ٢٢
مفاخرة بين القنديل و الشمعدان / ٢٧
إضاءة المسجد الحرام بالقناديل الزيتية / ٣١
إضاءة المسجد الحرام بالأتاريك و الكهرباء / ٣٤
الحرائق فى المسجد الحرام / ٣٧

عمارة المسجد الحرام بالقباب بشكله الحاضر في زماننا / ٤١

ما كتب على جدار المسجد الحرام من الخارج من جهة المسعى / ٥٢

مقدار ما صرف في تجديد عمارة المسجد الحرام بالقباب / ٥٤

عدد أساطين المسجد الحرام و قبابه و عقوده / ٥٥

الحريق الثانى بقرب المسجد الحرام / ٥٦

الحريق الثالث / ٥٨

إطفاء الحرائق قديما و حديثا / ٥٨

تحية المسجد الحرام: الطواف / ٦٢

تحية المسجد الحرام و ما يطلب في دخوله / ٦٢

إدارة المسجد الحرام / ٦٤

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٥٢

الموضوع / رقم الصفحة

مراقبة المسجد الحرام / ٦٨

شرطة المسجد الحرام / ٦٨

صورة بعض ما كتب على جدران أروقة المسجد الحرام / ٦٩

بناء درج أبواب المسجد الحرام قبل عصرنا الحاضر / ٧١

المساجد التى بمكة / ٧٦

مسجد الراية / ٧٧

مسجد خالد بن الوليد رضى الله عنه / ٨١

مسجد الجن / ٨١

مسجد أبى قبيس / ٨٢

بيان بمساجد مكة المكرمة / ٨٥

المقامات الأربع التى كانت فى المسجد الحرام / ٩١

كيفية صلاة الأئمة فى المقامات الأربعة التى كانت سابقا / ٩٥

حكم صلاة الأئمة المتعددة فى المقامات / ٩٦

هدم المقامات الأربعة التى كانت بالمسجد الحرام / ٩٨

المزاويل و الساعات فى المسجد الحرام / ٩٩

الساعات الكبيرة و ساعة الجيب / ١٠٥

وضع المزولة فى مكانها الجديد / ١١٢

ما قيل فى وصف آلات التوقيت / ١١٢

المسعى و ما يتعلق به / ١١٥

أصل السعى و حكمته / ١١٩

بناء العقدين بالصفاء و المروءة / ١٢١

- هدم درج الصفا القديمة و ما كتب على عقده / ١٢٣
- درج الصفا و المروة / ١٢٤
- ترجمة عبد الصمد بن علي / ١٢٤
- الميلان الأخضران بالمسعى / ١٣٠
- تسوية أرض المسعى و تعبيدها / ١٣٢
- عزم الوالى التركى سابقا على توسعه المسعى / ١٣٤
- وصف الصفا و المروة / ١٣٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٥٣
- الموضوع / رقم الصفحة
- ذرع ما بين الصفا و المروة / ١٣٨
- تسقيف المسعى و فرشها بالحجارة أو تبليطها بالحجارة / ١٤١
- عرض المسعى / ١٤٣
- حالة المسعى قبل التوسعة السعودية / ١٤٥
- الحلاقون بالمروة / ١٤٦
- موضع الشق بالمسعى / ١٤٧
- حالة المسعى / ١٤٨
- تقسيم المسعى طولا إلى قسمين / ١٥٢
- المساجد التى فى حدود الحرم / ١٥٢
- مسجد عائشة بالتنعيم / ١٥٣
- الشميسى و مسجده / ١٥٥
- بحرة و مسجدها / ١٥٨
- الجعرانة و مسجدها / ١٦١
- مسجد نمره بعرفات / ١٦٤
- بدء بناء المساجد و الجوامع فى البلاد الإسلامية / ١٦٤
- الفسطاط / ١٧١
- بدء بناء مآذن المساجد / ١٧٢
- مبدأ عمل محاريب المساجد / ١٨٠
- وصف مسجد قرطبة و منارته و محرابه / ١٨٢
- عدد منارات المسجد الحرام سابقا / ١٨٤
- ابتداء ظهور المحمل / ١٨٩
- المحمل العراقى / ١٩٤
- المحمل اليمنى / ١٩٤
- المحمل الرومى / ١٩٥

- المحمل الشامي / ١٩٥
- المحمل المصري / ١٩٦
- مراتب الأشراف و العربان و الأهالي من الحكومة المصرية / ١٩٧
- سكان مكة المكرمة و عدد بيوتها و دكاكينها / ١٩٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٥٤
- الموضوع / رقم الصفحة
- الأغراب في مكة المشرفة / ١٩٨
- الحكمة في جعل سكان مكة خليطا من جميع الأجناس / ٢٠٠
- بناء مراكز الشرطة بمكة / ٢٠١
- بناء القلاع و الأبراج و بعض القصور المهمة سابقا بمكة / ٢٠١
- قلعة جبل أجياد / ٢٠٢
- قلعة جبل هندی / ٢٠٢
- قلعة جبل لعلع بالفلق / ٢٠٣
- قشلة جرول / ٢٠٣
- قشلة أجياد / ٢٠٤
- قلعة المعابدة / ٢٠٥
- بناء الحصون على جبل أبي قبيس / ٢٠٥
- القلاع التي كانت بين مكة وجدة / ٢٠٦
- بناء المطبعة الأميرية / ٢٠٧
- بناء الحميدية / ٢٠٧
- بيت الحكم بالغزة / ٢٠٨
- بناء دار باناجه بالمسعى / ٢٠٨
- بيت الجيلاني بالشامية / ٢٠٨
- بيت الشريف ناصر باشا بالقرارة / ٢٠٩
- الدار التي كانت بعرفات / ٢٠٩
- بناء درج الحجون و درج أبي لهب و المحك بطريق العمرة و مدرج منى / ٢١١
- بناء التكية المصرية «أو المبرة المصرية» / ٢١٢
- بيت الشريف عبد الله بن محمد بالحلقة / ٢١٤
- القصور الملكية السعودية / ٢١٤
- القصر السعودي بمنى / ٢١٥
- القصر السعودي بمزدلفة / ٢١٥
- المسحراتية بمكة المكرمة / ٢١٦
- الثلج بمكة المكرمة / ٢١٩

- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٥٥  
الموضوع / رقم الصفحة  
تأسيس أمانة العاصمة / ٢٢٣  
ترجمة سعادة الأستاذ عبد الله عريف «أمين العاصمة» / ٢٢٥  
ترجمة الشيخ عبد الله بن صديق وكيل أمانة العاصمة / ٢٢٧  
معرفة أهل الصدر الأول بأمر البناء و إصلاح الطرقات / ٢٢٨  
بدء بناء البيوت بمكة / ٢٢٩  
امتداد البيوت و العمارات بمكة / ٢٣٢  
تنظيف الشوارع و إصلاحها / ٢٣٦  
العلم الحجازي / ٢٣٨  
ترجمة خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه / ٢٤١  
إستعمال الطوابع البريدية فى الحجاز / ٢٤٦  
طوابع البريد التى تحمل صورة الكعبة المعظمة / ٢٤٩  
بدء استعمال طوابع البريد فى العالم / ٢٤٩  
جمع خطوط التوقيعات و الإمضاءات / ٢٥٣  
تاريخ النقود منذ صدر الإسلام / ٢٥٥  
النقود المتداولة فى الحجاز / ٢٦٣  
أسعار المبيعات بالجملة بالنقود الهاشمية / ٢٦٥  
أسعار المبيعات بالتفرقة / ٢٦٦  
ظهور النقود العربية السعودية / ٢٦٧  
استعمال الأوراق النقدية فى المملكة السعودية / ٢٧٠  
أول استعمال عملة النقد و عملة الورق / ٢٧٥  
التعامل بالفلوس الورق / ٢٧٦  
النقود / ٢٧٦  
كلام ابن خلدون عن النقود / ٢٧٨  
مقدار الدينار و الدرهم الشرعيين / ٢٨١  
بعض آبار مكة المكرمة / ٢٨٣  
الآبار التى كانت بمكة / ٢٨٤  
بئر زمزم / ٢٨٥  
بئر ذى طوى / ٢٨٥  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٥٦  
الموضوع / رقم الصفحة  
بركة الماجن / ٢٨٦

منى / ٢٨٨

ذبح الهدايا بمنى / ٢٨٨

رجم الجمرات الثلاث بمنى / ٢٩٢

إزالة الجبل الذى يظهر جمره العقبة / ٢٩٤

عمل مراحل بمنى / ٢٩٨

المفجر وراء منى / ٢٩٩

بناء المدرجات بمنى و العمرة و غيرهما سابقا / ٣٠٠

مسجد الخيف فى منى / ٣٠١

موضع مصلى النبى صلى الله عليه و سلم بمسجد الخيف بمنى / ٣٠٧

مسجد المرسلات / ٣٠٨

مسجد الكبش بمنى / ٣٠٩

مسجد البيعة بقرب منى / ٣٠٩

مزدلفة / ٣١٥

المشعر الحرام "مزدلفة" / ٣١٥

البناء الذى كان على قرح / ٣١٨

الإيقاد بمزدلفة / ٣٢٠

مسجد مزدلفة / ٣٢١

اقتراحنا بشأن مسجد مزدلفة / ٣٢٣

عرفات / ٣٢٤

عرفة و الوقوف بها / ٣٢٤

حدود عرفات / ٣٢٨

وصف و قوف الحجاج بعرفات / ٣٣٠

الوقوف بعرفات / ٣٣٤

الحج و وصف الوقوف بعرفات / ٣٣٦

مسجد نمرة بعرفات / ٣٣٨

مسجد الصخرات بعرفة / ٣٤٣

كيفية الطلوع من مكة إلى عرفات / ٣٤٥

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٥٧

الموضوع / رقم الصفحة

اختراع السيارات و استعمالها / ٣٤٨

درج جبل الرحمة بعرفات / ٣٤٩

العثور على بئر قديمة بعرفات / ٣٤٩

عين زبيدة / ٣٥٠

- ماء مكة و عين زبيدة / ٣٥٠
- البرك التي أمر ببنائها أمير المؤمنين المأمون العباسي / ٣٥٢
- أول من اتخذ الحياض بعرفات و أجرى إليها الماء / ٣٥٢
- إيصال زبيدة رحمها الله تعالى عين حنين إلى مكة / ٣٥٣
- إيصال زبيدة رحمها الله تعالى عين نعمان إلى عرفات / ٣٥٤
- إجراء أمير المؤمنين المتوكل على الله جعفر عين عرفات إلى مكة / ٣٥٤
- تعمير مظفر الدين صاحب إربل عين عرفات / ٣٥٤
- تعمير المستنصر العباسي عين عرفات / ٣٥٤
- تعمير الأمير جوبان عين عرفات / ٣٥٧
- إجراء الملك الناصر محمد بن قلاوون عين ثقبه إلى مكة / ٣٥٨
- تعمير عين بازان سنة ٨١١ / ٣٥٨
- تعمير عين حنين سنة ٨٣٥ / ٣٦٠
- تعمير عين حنين و عين عرفات سنة ٨٧٥ / ٣٦٠
- صورة الكتابة التي على الحجر / ٣٦١
- تعمير عين حنين و عين عرفة سنة ٨٩٣ / ٣٦٢
- انقطاع عين حنين و العيون عن مكة المشرفة / ٣٦٥
- صدور الأوامر السلطانية بإصلاح عين حنين و عين عرفات / ٣٦٦
- صدور الأوامر السلطانية بإصلاح العيون / ٣٦٧
- وصول عين عرفات إلى مكة سنة ٩٧٩ / ٣٧٠
- بناء بقية دبول عرفات من الأبطح إلى آخر المسفلة / ٣٧١
- تعمير عيون مكة و آبارها سنة ٩٨٢ / ٣٧٢
- تعمير عين عرفات سنة ١٠٢٥ / ٣٧٢
- انقطاع عين عرفات عن مكة سنة ١٠٦٦ / ٣٧٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٥٨
- الموضوع / رقم الصفحة
- تعمير عين عرفات سنة ١٠٨٤ / ٣٧٣
- تعمير العين سنة ١٠٩١ / ٣٧٤
- ما كسر من قناة العين سنة ١١٠٤ / ٣٧٥
- تعمير عين عرفات سنة ١١٢٤ / ٣٧٦
- صورة ما كتبه الشيخ عبد القادر مفتي مكة / ٣٧٨
- انقطاع الماء عن مكة و تعمير العين سنة ١٢٤٢ / ٣٨١
- أول جمعية لجمع الإعانات لتعمير عين مكة سنة ١٢٩٥ / ٣٨٢
- صفة جريان عين زبيدة في الأرض / ٣٨٤

- تشكيل لجنة ثانية للعين / ٣٨٥
- جمع إعانات جبرية للعين / ٣٨٦
- أحوال العين أيام تولية الشريف الحسين بن علي / ٣٨٧
- ملك الحجاز الأسبق / ٣٨٧
- تشكيل لجنة ثالثة للعين / ٣٨٧
- خراب العين و انقطاع الماء عن مكة سنة ١٣٢٨ / ٣٨٩
- اكتشاف دبول بعض العيون و مساحة ما بين بعضها / ٣٩٢
- استعمال العرب لمواسير المياه / ٣٩٣
- استعمال أنابيب المياه بمكة المشرفة / ٣٩٥
- أنابيب الماء و التدفئة / ٣٩٥
- الاستقاء بالقرب و بصفائح التنك / ٣٩٥
- بازان القاضي / ٣٩٦
- بازان حبس الجن / ٣٩٦
- ما عملته هيئة عين زبيدة سنة ١٣٣٥ بمكة المكرمة / ٣٩٧
- صدور أمر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بتعمير العين سنة ١٣٤٤ / ٣٩٨
- البرك الواقعة بمكة و ما حولها / ٣٩٨
- الآبار التي بمكة و ما حولها / ٤٠٠
- العيون التي بأطراف مكة / ٤٠٤
- الخلاصة المفيدة عن عين زبيدة / ٤٠٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٥٩
- الموضوع / رقم الصفحة
- ترجمة زبيدة / ٤١٣
- وصف الخراساني لزبيدة رحمها الله تعالى / ٤١٥
- ترجمة الوزير الجواد الأصفهاني / ٤١٦
- إيصال عين العزيزية بعين زبيدة / ٤١٧
- القضاء و الإفتاء بمكة / ٤٢١
- القاضي يحكم بحسب الظاهر / ٤٢٧
- إنشاء المحكمة الشرعية الكبرى / ٤٢٨
- رؤساء المحكمة الشرعية الكبرى بمكة / ٤٢٨
- إنشاء المحاكم المستعجلة / ٤٣٤
- القضاء في عهد الخلفاء الراشدين / ٤٣٩
- القضاء في عهد الأمويين / ٤٤١
- القضاء في العهد العباسي / ٤٤٣



- تقسيم سحنون القضاء إلى درجات / ٤٤٧
- صور ما كتبه الخلفاء و السلاطين لمن يولونه القضاء / ٤٥٢
- ما كان يكتبه ولاة الأمور عند تولية أحد القضاء / ٤٥٢
- صورة ما كتبه الملك الأفضل على ابن السلطان صلاح الدين بن أيوب ملك مصر / ٤٥٤
- صورة ما كتبه ملك الأندلس للعلامة محمد بن سليم بولاية القضاء / ٤٦٠
- نبذة عن بعض قضاء المسلمين في العصور المتقدمة / ٤٦٢
- تاريخ فرمانات السلطانية و صورها / ٤٨٠
- صورة فرمان الإمارة من الدولة العثمانية للشريف حسين بن علي أمير مكة / ٤٨١
- صورة فرمان السلطاني للشريف عون / ٤٨٣
- بعض ما كان يكتبه السلاطين للشريف عون / ٤٨٣
- بعض ما كان يكتبه السلاطين في تقليد إمارة مكة / ٤٨٦
- الاحتفال بتلاوة الأمر السلطاني بتقليد إمارة مكة / ٤٨٩
- ترجمة فرمان السلطاني لتولية المشير كاظم باشا على الحجاز / ٤٩١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٥، ص: ٥٦٠
- الموضوع / رقم الصفحة
- أمراء مكة قبل الإسلام و بعده إلى اليوم / ٤٩٢
- ولاية مكة من الأتراك / ٥٠٦
- التعليم في مكة المكرمة / ٥١٧
- أسباب انتشار الكتابات في الزمن السابق / ٥١٩
- التعليم في المسجد الحرام و علماءه / ٥٢١
- أول بعثة تعليمية حكومية بمكة / ٥٢٤
- أول بعثة تعليمية أهلية بمكة / ٥٢٦
- ذكر الأطباء من أبناء مكة المكرمة / ٥٢٧
- الدكتور عبد القادر عبد المجيد / ٥٣٤
- أسماء بعض مؤلفات علماء مكة المكرمة و أدبائها في وقتنا الحاضر / ٥٣٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣

## [الجزء السادس]

## إشارة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم تأليف محمّد طاهر الكردي المكي الجزء السادس طبع على نفقة معالي الدكتور عبد الملك بن دهيش التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ٣-٦؛ ص ٤

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥

### بعض الأدباء و الشعراء بمكة في عصرنا الحاضر

الشعراء و الأدباء تقريبا بمنزلة واحدة لكن مع الفارق، فالشاعر البليغ لا بد أن يكون أديبا بطبيعة الحال، أما الأديب فمهما كان أديبا ممتازا فإنه قد لا يكون شاعرا، و من هنا نقول: كل شاعر أديب و ليس العكس، فكما أن الشعراء في كل واد يهيمون، كذلك الأدباء عن كل حالة يكتبون. و كل من الشعراء و الأدباء يمكن لهم قيادة الناس، إن صلحت أحوالهم و كانوا على أخلاق نبيلة، ببلاغتهم و حسن أسلوبهم.

ففي الحديث الصحيح: «إن من البيان لسحرا» رواه البخارى في كتاب الطب. و روى أيضا في كتاب الأدب «إن من الشعر حكمة». فهذان حديثان رواهما البخارى في موضعين من صحيحه. فمن هنا يعلم تأثير الشعر و الأدب في توجيه الناس.

و الأدباء و الشعراء بمكة من قريش معروفون، من عصر الجاهلية و من عصر الإسلام، و لقد تأثروا كثيرا بدين الإسلام القويم، لأن الدين الإسلامى جامع لمكارم الأخلاق، فشعراؤنا و أدباؤنا معروفون في كل عصر و زمان، لأن البلاغة و البيان و الشعر و الأدب من طبائع العرب، و لقد ذكرت دواوينهم و أسماءهم في بطون الكتب و الأسفار، و في كتاب سلافة العصر طائفة من أقوالهم و أشعارهم، و قد ألفت بعض المعاصرين لنا شيئا في تراجم بعض الموجودين اليوم. لكن نحن هنا، لسنا في صدد سرد أسمائهم و أقوالهم، وإنما نحب أن نذكر ما يأتى فى بالنا من أسمائهم، من المعاصرين لنا من أهل مكة و من استوطنها من المدينة المنورة أو من جدة فقط، دون التعرض لذكر غيرهم من الفضلاء، لأن هذا التاريخ خاص بتاريخ مكة المكرمة و المدينة المنورة ثانيا الحرمين و مدينة جدة باب الحرمين.

فإليك جدولاً فيه أسماء من يأتى فى بالنا من الأدباء و الشعراء و الخطباء، من أهل مكة المشرفة، بدون مراعاة للترتيب فى الوظائف و كبر السن:

عدد/ الاسم/ بعض الأوصاف و الملحوظات

١/ الشيخ أحمد بن أمين بيت المال/ كان من الأدباء و الشعراء، و لا ندرى متى توفى، و نظن أنه توفى بعد سنة (١٣٠٠) هجرية و هو من مكة المكرمة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦

عدد/ الاسم/ بعض الأوصاف و الملحوظات

٢/ الشيخ محمد سرور الصبان/ بدأ حياته الأدبية كاتباً و شاعراً، و له كتاب اسمه (أدب الحجاز) جمع فيه بعض المواد الأدبية لمعاصريه، و هو أحد وزراء المالية السابقين، و له خدمات جلية، و هو من جدة.

٣/ الأستاذ محمد عمر عرب/ كان أديبا نشيطا، منذ أن كان تلميذا بمدرسة الفلاح بمكة فى عهدنا و قد توفى فى سنة (١٣٧٥) هجرية تقريبا رحمه الله تعالى و هو من مكة المكرمة.

٤/ الأستاذ فؤاد شاكر/ إنه أديب كبير و شاعر بليغ و خطيب رائع، اشتغل بالأدب منذ شبابه، و كان يصدر بالقاهرة مجلته المسماة (مجلة الحرم) و ذلك منذ سنة (١٣٤٥) هجرية تقريبا، و هو من مكة المكرمة.

٥/ الأستاذ أحمد إبراهيم الغزوى/ إنه شاعر كبير و أديب شهير و خطيب بليغ، و يلقب عندنا بشاعر الملك و هو من مكة.

٦/ السيد عبد الحميد الخطيب/ أديب و عالم و مؤلف كبير. ألف كتبا كثيرة، وضع تفسيراً قيماً للقرآن العظيم فى أخريات حياته. مات

سنة (١٣٧٩) هجرية تقريبا، و هو من مكة.

٧/ الأستاذ محمد سعيد العامودي / أديب كبير و كاتب شهير، و له ذوق كبير في الشعر، و له قصائد شعرية، و في النادر يقوم خطيبا في المجتمعات، و هو من مكة، و له مؤلفات عديدة.

٨/ السيد محمد أحمد شطا/ إنه عالم فاضل و أديب نابغ، و هو من أهل الفطنه و الذكاء. إنه إذا كتب في موضوع يسرك أن تقرأ ما كتب و إذا خطب استمعت إليه بكليتك، و هو مع هذا لا يقول الشعر و هو من مكة.

٩/ الأستاذ حامد كعكي / عالم فاضل و كاتب بارع، توفي رحمه الله سنة (١٣٧٦ هـ) تقريبا. و هو من مكة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧

عدد/ الاسم/ بعض الأوصاف و الملحوظات

١٠/ الأستاذ محمد البياري / أديب مارس الكتابة في صدر شبابه، و هو من مكة.

١١/ السيد حسن كتبي / أديب كبير، له أسلوب بارع متميز، و له عناية بالدراسات الإسلامية، و هو من مكة.

١٢/ الأستاذ حسين سرحان/ أديب شهير و شاعر كبير، و هو من مكة، و له مؤلفات لم نطلع عليها.

١٣/ الأستاذ أحمد السباعي / أديب كبير و كاتب اجتماعي شهير، و هو قلمًا يقول الشعر، و قلمًا يخطب في المجتمعات، و هو صريح في آرائه، يتكلم بحرية، و كان يصدر مجلة قريش يطبعها بمطبعته، و له مؤلفات كثيرة منها:

(تاريخ مكة).

١٤/ الأستاذ عبد الله عريف/ أديب شهير و كاتب كبير، كان يتولى إصدار جريدة البلاد السعودية، ثم اشتغل الآن بإدارة أمانة العاصمة.

١٥/ الأستاذ عبد العزيز الرفاعي / إنه أديب ممتاز و كاتب كبير ثقة، إذا كتب يكتب بحساب و أمانة، إنه زينة الأدباء و الكتاب و هو من مكة، و له بعض المؤلفات.

١٦/ الأستاذ حسين عرب/ إنه شاعر كاتب كبير و أديب شهير، و له بعض المؤلفات، و هو من مكة.

١٧/ الأستاذ أحمد محمد جمال/ كاتب معروف و أديب كبير، يغار على الدين الإسلامي، و يناضل عن الشريعة الغراء، و له مواقف شريفة في بعض الأمور و آراء قيمة في بعض المسائل. إنه أديب ممتاز يقربه الجميع، كما له بعض مؤلفات نافعة، و هو من مكة المكرمة.

١٨/ الأستاذ صالح محمد جمال/ إنه شقيق الأستاذ أحمد محمد جمال المتقدم ذكره، و هو أيضا أديب كبير و كاتب شهير، و له مواقف مشرفة حاسمة. كان يصدر جريدة الندوة بمكة، و له مؤلفات قيمة و آراء صائبة، و هو من مكة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٨

عدد/ الاسم/ بعض الأوصاف و الملحوظات

١٩/ الأستاذ محمد فدا/ إنه أديب فاضل، يتذوق الشعر و يقوله، و إذا خطب في المجتمعات يخطب بقوة و انطلاق. إنه قائم بإدارة مدرسة الثغر النموذجية بجدة، و له في تربيته النشء طريقه ممتازة، و هو من مكة.

٢٠/ الأستاذ عبد الله عبد الجبار/ أديب معروف، إذا كتب تغريك كتابته، و إذا خطب في المجتمعات كانت خطبته مؤثرة، و هو يتذوق الشعر و يقوله و هو من مكة.

٢١/ الأستاذ إبراهيم جدع/ أديب و شاعر معروف له بعض المؤلفات، و هو من جدة.

٢٢/ الأستاذ محمد سعيد باعشن/ أديب و كاتب معروف يتوقد ذكاء و قد اشتغل في بعض الصحف، و هو من جدة.

٢٣/ الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود/ إنه كاتب معروف، و له نشاط كبير في فن الأدب، توفي رحمه الله تعالى في سنة (١٣٦٤ هـ)

تقريباً. و هو ممن ألف كتاب (وحى الصحراء) المطبوع منذ سنوات، و هو من مكة.

٢٤/ السيد عبد الله شطا/ أديب فاضل، و خطيب منشئ بارع، و هو من مكة.

٢٥/ السيد علوى شطا/ إنه من حفظة القرآن، و أديب و كاتب، قلما يخطب فى المجتمعات، و هو من مكة.

٢٦/ الأستاذ أحمد على / عميد كلية الشريعة، و هو كاتب إسلامى و له مباحث أدبية و جغرافية و كثيرا ما يكتب عن الرحلات المفيدة، و هو من مكة.

٢٧/ الأستاذ إبراهيم فطانى / عالم فاضل، و أديب شاعر معروف، و هو من مكة.

٢٨/ الأستاذ حسين فطانى / أديب شاعر، قوى الأسلوب، و هو من مكة.

٢٩/ الأستاذ سراج خراز/ أديب كبير و شاعر متمكن، قوى البيان، و هو من مكة.

٣٠/ الأستاذ ياسين طه/ كاتب معروف، و له مشاركة فى كتابة القصة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٩

عدد/ الاسم/ بعض الأوصاف و الملحوظات

القصيرة، و هو من مكة.

٣١/ الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار/ كاتب و أديب معروف، يصدر جريدة عكاظ بجدة، له فى بعض المسائل آراء صريحة و أفكار طليقة.

٣٢/ الأستاذ على حسن فدعق/ إنه كاتب معروف و أديب كبير، يتذوق الشعر، و يقوله.

٣٣/ الأستاذ عبد الله بغدادى/ أديب قوى البيان، و له كتاب مطبوع اسمه (المسامرات الأدبية)، و هو من مكة.

٣٤/ الأستاذ محسن باروم/ كاتب واسع الثقافة، متمكن من مادته، و أديب شهير، و هو من مكة.

٣٥/ الأستاذ عبد القادر عثمان/ أديب معروف و خطيب فى المجتمعات، و هو من مكة.

٣٦/ الأستاذ عبد الوهاب آشى/ أديب كبير و شاعر شهير، و هو معروف بذلك منذ نشأته، و هو من مكة.

٣٧/ الأستاذ عبد الله بلخير/ إنه أديب و شاعر كبير، و هو ممن ألف كتاب (وحى الصحراء) المطبوع منذ سنوات، و هو من مكة.

٣٨/ الأستاذ حسن عبد الله القرشى/ شاعر غزير الشعر رقيقه، له عدة دواوين، بعضها مطبوع و بعضها غير مطبوع، و هو من مكة.

٣٩/ الأستاذ حامد دمنهورى/ أديب مترن واسع المعرفة، مارس كتابة القصة الطويلة، و أصدر بعض رواياته، و هو من مكة.

٤٠/ السيد هاشم زاوى/ أديب شهير، مارس عمل الصحافة ردحا من الزمن، و هو من مكة.

٤١/ الأستاذ عبد الغنى قستى/ أديب معروف و شاعر رقيق، و هو الآن يمارس عمل الصحافة، و هو من مكة.

٤٢/ الأستاذ طاهر زمخشري/ إنه أديب معروف و كاتب شهير، و له مقدرة تامة فى فنون الشعر، و له عدة دواوين، و هو من مكة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٠

عدد/ الاسم/ بعض الأوصاف و الملحوظات

مكة.

٤٣/ الدكتور عصام خوقير/ أديب كبير و كاتب شهير، يتذوق الشعر و يعرفه، و لو لا أنه اشتغل بطب الأسنان لما سكت صوته و ما وقف قلمه، و هو من مكة.

٤٤/ الأستاذ محمد على مغربى/ كاتب و أديب، له بعض المؤلفات، و هو من جدة.

٤٥/ الأستاذ مصطفى عطار/ كاتب و أديب له كتاب (دليل المؤلفات السعودية) و هو من مكة.

٤٦/ الأستاذ أحمد زكى يمانى/ كاتب قدير و أديب شهير و خطيب مصقع يتذوق الشعر و لا يقوله، و لو لا أنه وزير للبتروك لكانت له

مؤلفات عديدة، و هو من مكة.

٤٧/ الأستاذ صالح جمال حريرى / أديب ذواقه، و هو خريج كلية الشريعة بالقاهرة، عنى بنشر أدب البعثات العلميه، و هو صاحب كتاب (من وحى البعثات) و لو لا اشتغاله بالوظائف لكان له إنتاج أدبى كثير، و هو من مكة المكرمة.

٤٨/ الأستاذ محمد حسين زيدان / أديب كبير سيال القلم، غزير العلم و المعرفة، و له عناية بالأدب و التاريخ. و هو من المدينة المنورة.

٤٩/ الأستاذ إبراهيم أمين فودة / شاعر رقيق و أديب معروف، و كاتب واسع الاطلاع، و هو من مكة.

٥٠/ الأستاذ محمد حسن فقى / كاتب و أديب و شاعر كبير مبدع، و هو من مكة.

٥١/ الأستاذ عبد السلام الساسى / أديب معروف و كاتب شهير، و له أكثر من مؤلف، و هو من مكة.

٥٢/ الأستاذ عبد الله أبو العينين / كاتب و أديب معروف، له عناية ببعض الأبحاث.

٥٣/ الأستاذ محمد عبد القادر فقيه / كاتب اجتماعى و شاعر رقيق الشعر، و هو من مكة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١١

عدد/ الاسم / بعض الأوصاف و الملحوظات

٥٤/ الأستاذ أحمد عبد الجبار / شاعر رقيق عذب الشعر، و كاتب مبدع، له ديوان غير مطبوع، اسمه (واحة العبير)، و هو من مكة.

٥٥/ الأستاذ حسين سراج / أديب معروف و كاتب قدير، و هو من مكة.

٥٦/ الشيخ عبد الجليل برادة المدنى / عالم فاضل و أديب معروف، يتذوق الشعر و يقوله، توفى رحمه الله تعالى سنة (١٣٢٥ هـ) و هو من المدينة المنورة.

٥٧/ الشيخ على بن عبد الله الطيب المدنى / عالم فاضل و شاعر أديب، له أبيات رقيقة لطيفة، و هو من المدينة المنورة.

٥٨/ الأستاذ محمد عمر توفيق / أديب معروف و كاتب شهير، رشيق العبارة، سلس الألفاظ، له أبحاث قيمة فى مواضيع شتى، يتذوق الشعر و يقوله، و له بعض المؤلفات و لو لا أنه وزير للمواصلات و وزير الحج و الأوقاف بالنيابة لبرز فى عالم الأدب أكثر، و هو من المدينة المنورة.

٥٩/ الأستاذ عبد القدوس الأنصارى / أديب و كاتب معروف، و يعنى بالآثار الإسلامية و آثار المدينة المنورة و تاريخها، و له مؤلفات عديدة. و هو أول من أصدر فى المدينة المنورة مجلة (المنهل) الشهيرة، و هو من المدينة المنورة.

٦٠/ الأستاذ ضياء الدين رجب / عالم فاضل و كاتب أديب و شاعر غزير المادة، و هو من المدينة المنورة.

٦١/ السيد أحمد العربى / أديب و شاعر و خطيب واسع الثقافة و الاطلاع، و هو من المدينة المنورة.

٦٢/ الأستاذ على حسن غسال / كاتب و أديب معروف، و له بعض المؤلفات، و هو من مكة.

٦٣/ السيد على حافظ

٦٤/ السيد عثمان حافظ / هما شقيقان من المدينة المنورة، و هما أديبان معروفان، لهما فى عالم الصحافة و الأدب نشاط

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٢

عدد/ الاسم / بعض الأوصاف و الملحوظات كبير و هما يصدران جريدة المدينة المنورة. و قد أسسا مدرسة الصحراء بين المدينة و بدر، و لهما أبحاث قيمة فى مختلف النواحي.

٦٥/ الأستاذ عبد العزيز الربيع / كاتب و أديب معروف، و هو من المدينة المنورة.

٦٦/ الأستاذ محمد حسن عواد / أديب و كاتب قدير واسع الاطلاع و الثقافة، يتوقد ذكاء و فطنة، و عشق الأدب منذ نشأته، و له بعض المؤلفات، و هو من جدة.

٦٧/ الأستاذ أحمد قنديل / أديب و كاتب معروف و شاعر غزير المعنى، له بعض المؤلفات من الدواوين و غيره، و هو من جدة.

- ٦٨/ الأستاذ حمزة شحاته/ أديب و كاتب معروف يتذوق الشعر و يقوله، له بعض المؤلفات من الدواوين و غيرها لم تطبع بعد، و هو من جدة.
- ٦٩/ الأستاذ محمود عارف/ أديب و كاتب معروف، يتذوق الشعر و يقوله، له ديوان مطبوع، و هو يعمل بجريدة عكاظ، و هو من جدة.
- ٧٠/ الأستاذ عبد الوهاب نشار/ عالم فاضل و أديب شاعر، اشتغل بالتدريس ردحا من الزمن، ثم تركه و اشتغل الآن بالتجارة، و هو من جدة.
- ٧١/ الأستاذ عبد المجيد شبكشى/ كاتب و أديب معروف، عشق الكتابة منذ أول شبابه، و هو اليوم يشتغل فى الصحافة و الأدب، و هو من أهل جدة.
- ٧٢/ الدكتور حسن نصيف/ علاوة على أنه طبيب شهير ماهر إنه أديب كبير و شاعر. و أكثر شعره من الزجل، إنه كثير النشاط خفيف الروح، و له بعض المؤلفات، و هو من جدة.
- ٧٣/ الشيخ عبد الحق نقشبندى/ هو من المدينة المنورة. أديب و كاتب شهير.  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٣  
عدد/ الاسم/ بعض الأوصاف و الملحوظات
- ٧٤/ السيد أحمد ياسين الخيارى/ هو من المدينة المنورة. عالم فاضل و أديب معروف.
- ٧٥/ السيد هاشم رشيد/ هو من المدينة المنورة. و كاتب معروف.
- ٧٦/ الأستاذ حسن الصيرفى/ هو من المدينة المنورة. كاتب معروف.
- ٧٧/ الشيخ محمد عمر برى/ هو من المدينة المنورة رحمه الله تعالى، أديب معروف.
- ٧٨/ الشيخ محمد العمرى/ هو من المدينة المنورة. و كاتب معروف.
- ٧٩/ الشيخ محمد عبيد الله المدنى/ هو من المدينة المنورة. كاتب معروف رحمه الله تعالى.
- ٨٠/ الأستاذ محمد سعيد الدفتردار/ هو من المدينة المنورة. عالم فاضل و أديب معروف.
- ٨١/ الأستاذ هاشم الدفتردار/ هو من المدينة المنورة. أديب معروف.
- ٨٢/ الأستاذ ضياء الدين رجب، زاده الله تعالى توفيقا و علما./ إنه عالم فاضل و أديب و كاتب ماهر، رأينا له مقالات كثيرة فى الصحف و لا ندرى هل له مؤلفات أم لا. و هو من المدينة المنورة.
- ٨٣/ السيد عبيد مدنى/ إنه أديب و كاتب شهير اشتغل فى بعض الصحف مدة، و كان يكتب فيها المقالات القيمة و هو من المدينة المنورة.
- هذا ما تذكرناه من أدباء مكة المشرفة، سواء من كان من مواليدها أو ممن نشأ بها أو استوطنها من المدينة المنورة أو من جدده، وضعناهم هنا بدون ترتيب، فترجو المعذرة ممن غاب عنا أسماؤهم، و قد وضعنا أمام كل اسم جملة صغيرة للتنبؤ به، و لم نذكر شيئا عن تراجمهم و لا- عن مؤلفاتهم، فإن ذلك يطول شرحه و يحتاج إلى مؤلف خاص، مع العلم بأن هناك كثيرا من الأدباء البارزين، فى جميع بلدان مملكتنا لم نذكر أسماءهم هنا، لأن هذا الكتاب خاص بتاريخ مكة المشرفة و أهلها، لا يتناول غيرها و لا غير أهلها، فمعذرة إلى الجميع. على أن بعض أدبائنا قد طبعوا بعض الرسائل فى عصرنا الحاضر عن الأدب و الأدباء جزاهم الله خير الجزاء عن خدمة بلادهم، و ذلك ككتاب «وحى الصحراء» و كتاب «أدب الحجاز» و كتاب «نفثات بأقلام الشباب» و غيرها.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٤
- و نعتقد لو تفرغ أدباؤنا لخدمة الشعر و الأدب و الكتابة لكانت إنتاجاتهم عظيمة، لكنهم اشتغلوا بمطالب الحياة فى الوظائف و

الأعمال.

و كثير ممن ذكرناهم هنا، هم من زملائنا منذ الصغر في عهد الدراسة بمدرسة الفلاح بمكة المشرفة، و بعضهم من زملائنا في عهد الأستاذة بمدرسة الفلاح بجدة، و بعضهم لهم صفة و صداقة معنا.

هذا و إننا نعتقد أن صناعة الأدب و الشعر في وقتنا الحاضر ستبلغ منتهى الجودة و الكمال، لأن منابع العلم و معاهده عندنا كثيرة، و جميع الشبان عندنا طموحون نشيطون في جميع الميادين. كما أننا نعتقد أن هناك كثيرا من الأدباء الفضلاء لا يرغبون في الكتابة في الصحف و المجالات حياء و ضعفا منهم، فهم يتوهمون أنهم إذا نشروا مقالا أو بحثا من الأبحاث يكونون هدفا للاعتراضات و النقد، و هذه النظرية منهم غير مقبولة و لا ممدوحة، لأنهم يطمرون أنفسهم بأنفسهم، فالفارس لا يكون فارسا إلا بعد أن يقع و يسقط مرارا، فالشباب يجب عليه أن يقدم على العلم و الأدب و على الأمور المحمودة بشجاعة و قوة جنان، و قديما قال الشاعر:

من راقب الناس مات غما و فاز باللذة الجسور

و إننا نوصي إخواننا الأدباء الفضلاء أن يرفقوا بالناهضين بالأدب من المتجددين، و أن يغمضوا أعينهم عن بعض الأخطاء، و لا يرشقوهم بالنقد اللاذع حتى تقوى أقلام الشبان المستجدين في فن الأدب، و حتى تنمو فيهم روح النهوض و الإقدام و الشجاعة، و بذلك تقوى فيهم ملكة الشعر و الأدب، و روح الإقدام و الشجاعة فيروج سوق الأدب و الكتاب و الشعر، و الله الموفق للصواب. نسأل الله تعالى لنا و لهم العفو و العافية و النعم الوافية و السعادة التامة في الدارين بفضلته و رحمته أمين.

### أسماء بعض مؤلفات علماء مكة المكرمة و أدبائها في وقتنا الحاضر

عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذي ألفه

١/ الأستاذ أحمد السباعي / ١) تاريخ مكة، و هو كتاب قيم جدا.

٢) فلسفة الجن.

٣) مطوفون و حجاج.

و له كثير من المؤلفات قد ذكرناها في أول

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٥

عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذي ألفه

كتابنا هذا عند ترجمته. فراجعها إن شئت.

٢/ الأستاذ فؤاد شاكر / ١) رحلة الربيع.

٢) وحي الفؤاد.

٣/ الأستاذ محمد سرور الصبان / ١) آراء في اللغة.

٢) المعرض.

٣) أدب الحجاز.

٤/ الأستاذ أحمد علي أسد الله / ١) آل سعود.

٥/ الأستاذ عبد الله جفري / ١) حياة جائعة.

٢) كيف نعيش.

٦/ الأستاذ عبد الله عريف / ١) رجل و عمل.

٧/ الأستاذ عبد الله متاع / ١) لمسات.

- (٢) سأذهب.
- ٨/ الأستاذ محمد مليبارى / ١) مع الحظ.
- ٩/ الأستاذ صالح محمد جمال / ١) دليل الحاج على المذاهب الأربعة.
- (٢) أخبار مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم.
- (٣) من أجل بلدى.
- ١٠/ الأستاذ أحمد محمد جمال / ١) ما وراء الآيات.
- (٢) دين و دولة.
- (٣) مع المفسرين و الكتاب.
- (٤) مبادئ و مثل.
- (٥) مكانك تحمدى.
- (٦) سلسلة على مائدة القرآن، ٤ أجزاء.
- (٧) إستعمار و كفاح.
- (٨) الطلائع، ديوان شعر.
- (٩) ماذا فى الحجاز، تراجم أدبية.
- (١٠) سعد قال لى، مجموعة قصص.
- (١١) نحو سياسة عربية صريحة.
- (١٢) الإسلام أولاً.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٦  
عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذى ألفه
- (١٣) رفقا بالقوارير.
- (١٤) تاريخ البلد الحرام، له و للأستاذ عبد العزيز الرفاعى.
- ١١/ الأستاذ حسن عبد الله القرشى / ١) فارس بنى عبس.
- (٢) شوك و ورد.
- (٣) البسمات الملونة.
- (٤) مواكب الذكريات.
- (٥) الأمس الضائع.
- (٦) انتحار الألمان.
- (٧) سوزان.
- (٨) نداء الدماء.
- (٩) أنا الساقية.
- (١٠) ثنيات الوداع.
- (١١) خطوات فى الشعر و النقد.
- (١٢) شوقى عبقرية خالدة.



- (١٣) شخصيات أدبية.
- ١٢/ السيد حسن كتبي / (١) الأدب الفني.
- (٢) رجال في حياة.
- (٣) قصة حياتي.
- (٤) المدرسة الفاضلة.
- (٥) السياسة علم و فن و أدب.
- ١٣/ الأستاذ حسين فطاني / (١) بور سعيد الباسلة.
- ١٤/ الأستاذ عبد العزيز الرفاعي / (١) تاريخ البلد الحرام، له و للأستاذ أحمد محمد جمال. و له مؤلفات أخرى في الأدب و الإجتماع و التاريخ غير مطبوعة.
- ١٥/ الأستاذ حسين سرحان / (١) ديوان السرحان.
- ١٦/ الأستاذ حسين عرب / (١) ديوان العرب.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٧  
عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذي ألفه
- ١٧/ الأستاذ أحمد إبراهيم الغزاوي / (١) ديوان الغزاوي.
- ١٨/ الأستاذ حمزة شحاته / (١) الرجولة عماد الخلق الفاضل.
- ١٩/ الأستاذ عبد السلام الساسي / (١) نظرات جديدة في الأدب المقارن.
- (٢) في ظلال الصراحة.
- (٣) نثبات من أقلام الشباب الحجازي، له و للسيد هاشم زواوي، و للأستاذ علي فدعق.
- (٤) شعراء الحجاز.
- (٥) الشعراء الثلاثة في الحجاز.
- (٦) مهدي المصلح.
- (٧) الحجاز في عصر النور.
- (٨) رسائل في الأدب العصري.
- ٢٠/ الأستاذ علي فدعق / (١) أيام في الشرق الأقصى.
- ٢١/ الأستاذ عبد الله عبد الجبار / (١) التيارات الحديثة.
- (٢) قصة الأدب في الحجاز، له و للأستاذ عبد المنعم خفاجة.
- (٣) أمي.
- (٤) الشياطين الخرس.
- (٥) العم سحتوت.
- (٦) الأسكوبي شاعر المدينة.
- ٢٢/ الأستاذ إبراهيم علاف / (١) البعث.
- (٢) أشواق و آهات.
- ٢٣/ الأستاذ محمود عارف / (١) المزامير.

- ٢٤/ الأستاذ علي حسن غسال / ١) الفجر الجديد.  
 (٢) زهر و شوكة.  
 (٣) عبيد الأسي.  
 (٤) الزحف المقدس.  
 التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٨  
 عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذي ألفه  
 ٢٥/ الأستاذ محمد علي مغربي / ١) البعث.  
 (٢) الذكريات.  
 (٣) مكة.  
 (٤) الحديث المعاد.  
 (٥) أقاصيص.  
 ٢٦/ الأستاذ حامد دمنهوري / ١) ثمن التضحية.  
 (٢) و مرت الأيام.  
 ٢٧/ الأستاذ محمد سعيد العامودي / ١) من تاريخنا.  
 (٢) خاطرات.  
 (٣) مقالات و كلمات.  
 (٤) شعراء حجازيون.  
 (٥) كتاب أعلام المكين، و هو قاموس عظيم لتراجم أعلام مكة من الأمراء و العلماء و الأدباء، و هو يبدأ من عصر الرسول، عليه صلوات الله و سلامه، حتى هذا القرن الرابع عشر الهجري.  
 ٢٨/ الأستاذ عبد الكريم الخطيب / ١) من زوايا التاريخ.  
 (٢) من أعلام الإسلام.  
 ٢٩/ الأستاذ محمد عمر توفيق / ١) طه حسين و الشيخان.  
 (٢) ستة و أربعون يوماً في المستشفى.  
 ٣٠/ الأستاذ أحمد طاشكندی / ١) أرامكو و امتياز الزيت.  
 ٣١/ الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود / ١) من وحي الصحراء، له و للأستاذ عبد الله بلخير.  
 ٣٢/ الأستاذ طاهر زمخشري / ١) أحلام الربيع.  
 (٢) أنفاس الربيع.  
 (٣) المهرجان.  
 (٤) أصدااء الرابية.  
 (٥) همسات.  
 التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٩  
 عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذي ألفه  
 (٦) أغاريد الصحراء.

- (٧) ألحان مغترب.
- (٨) على ضفاف النيل.
- ٣٣/ الأستاذ عبد الغنى قستى / ١) أحزان قلب.
- ٣٤/ الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار / ١) الإسلام طريقنا للحياة.
- (٢) الشيوعية و الإسلام.
- (٣) الصحاح و مدارس المعجمات العربية.
- (٤) لبس فى كلام العرب، من تحقيقاته.
- (٥) الفصحى و العامية.
- (٦) وفاء العربية بحاجة العصر الحديث.
- (٧) صقر الجزيرة.
- (٨) محمد بن عبد الوهاب.
- (٩) الخرج و الشرائع.
- (١٠) كتابى.
- (١١) البيان.
- (١٢) المقالات.
- (١٣) كلام فى الأدب.
- (١٤) قطرة من يراع.
- (١٥) المكتبات.
- (١٦) الهوى و الشباب.
- ٣٥/ الأستاذ عبد القدوس الأنصارى زاده الله تعالى توفيقا و علما/ هو صاحب مجلة المنهل. هو من المدينة المنورة، و له من المؤلفات المطبوعة ما يأتى:
- (١) التوأمان، رواية إجتماعية إسلامية.
- (٢) اصطلاحات فى لغة الكتابة و الأدب.
- (٣) آثار المدينة المنورة.
- (٤) السيد أحمد فيض أبادى.
- (٥) تحقيق أمكنة مجهولة من الحجاز و تهامة.
- (٦) المنهل الفضى.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٠
- عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذى ألفه
- (٧) تاريخ مدينة جدة.
- (٨) التحقيق المدعم عن مسجد الراية و بئر جبير بن مطعم بمكة.
- و هذا الكتاب الأخير مخطوط غير مطبوع.
- ٣٦/ الأستاذ محمد إبراهيم جدع/ هو من جدة و له من المؤلفات ما يأتى:

- (١) وحى الشاطيء، و هو ديوان شعر و هو مطبوع.
- (٢) الإلياذة الإسلامية الجديدة، و هو ديوان شعر و هو مطبوع.
- (٣) نبع الصفا، و هو ديوان شعر و هو غير مطبوع.
- (٤) كتاب دراسات أدبية (أدب البهاء زهير) و هو غير مطبوع.
- (٥) كتاب أثر الفتوحات الإسلامية.
- ٣٧/ الأستاذ أحمد قنديل / هو من جدء و له من المؤلفات ما يأتي:
- (١) كتاب كما رأيتها، و هو تسجيل رحلته إلى مصر و هو كتاب مطبوع.
- (٢) أصدقاء، و هو ديوان شعر و هو كتاب مطبوع.
- (٣) أغاريد، و هو ديوان شعر و هو كتاب مطبوع.
- (٤) الأبراج، و هو ديوان شعر و هو كتاب مطبوع.
- (٥) المركز، و هو كتاب فى جزئين أشعار فكاھية، و هو كتاب مطبوع.
- (٦) الزوايا، و هى أبحاث إجتماعية، غير مطبوع.
- (٧) مع التيار، و هو معالجة الأدب و قضاياها فى التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢١ عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذى ألفه بلادنا، غير مطبوع.
- (٨) اللوحات، و هى ديوان شعر، غير مطبوع.
- (٩) ديوان آخر لم يوضع له اسم، غير مطبوع.
- (١٠) قالوا و قلت، و هو رباعيات شعرية، غير مطبوع.
- ٣٨/ الأستاذ محمد حسن عواد زاده الله تعالى توفيقا و علما/ ولد بمكة، و نشأ و تعلم بجدء. و له من المؤلفات المطبوعة ما يأتي:
- (١) خواطر مصرحة، و هى مقالات و طوبيات و أفكار حرة نائرة، ترجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية و الفرنسية.
- (٢) آماس و أطلاس، ديوان شعر من سن (١١) إلى (١٥) سنة.
- (٣) البراعم أو بقايا الأماس، ديوان شعر الصبا من سن (١٦) إلى سن (٢٠) سنة.
- (٤) تأملات فى الأدب و الحياة، و هو أبحاث و مقالات فى الأدب و النقد و الاجتماع.
- (٥) من وحى الحياة العامة، و هو مقالات قصار و شذرات.
- (٦) نحو كيان جديد. و هو ديوان شعر الشباب من سن (٢٠) إلى سن (٣٠) سنة.
- (٧) فى الأفق الملتهب، و هو ديوان شعر من سن (٣٠) إلى سن (٤٠) سنة.
- (٨) رؤى أبولون، ديوان شعر حر من سن (٣٠) إلى سن (٤٠) سنة.
- (٩) محرر الرقيق، ترجمه و تحليل لشخصية سليمان بن عبد الملك الأموى، و مقارنه بينه التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٢ عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذى ألفه و بين إبرهام لنكولن فى قضية التحرير، ترجم إلى الإنجليزية.
- (١٠) الساحر العظيم، أو يد الفن تحطم الأصنام، ملحمة شعرية ناقدة ساخرة.

أما مؤلفاته غير المطبوعة فهي كما يأتي:

- (١) طريق الخلود، قصة إجتماعية طويلة.
- (٢) تلخيص إلياذة هوميروس.
- (٣) المحتقب، معجم صغير لغوي على طريقه مبتكرة.
- (٤) الأوكاس، قصائد هجاء هدامه كاشفه لكثير من مخازي أدياء الأدب المكارين.
- (٥) معركة العناصر، مجموعة قصائد شعريه تناولت بالنقد الفني إنتاج جماعة معينه من الأدياء المحليين الإبتاعيين.
- (٦) ديوان شعر لم يسم بعد و يتضمن شعر ما بعد الأربعين.
- (٧) المنجع الفسيح، نظريه إجتماعية مبسطة عن الوطن العربي.
- (٨) الأدب الإنكليزي، ملخصات عن الأمهات، و عن التوريد في الأدب الإنكليزي.
- (٩) رحلة إلى نجد.
- (١٠) رحلة إلى القنفذه.

(١١) أفكار ذاتية جديدة، مقالات و آراء و أبحاث و منافسات نشر أكثرها في صحف مختلفه.

(١٢) في رحاب الخلود، خواطر حول العقاد و مذهبه و إنتاجه بمناسبة وفاته.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٣

عدد/ اسم المؤلف / اسم الكتاب الذي ألفه

٣٩٩/ السيد هاشم الزواوي زاده الله تعالى توفيقا و علما/ هو من مكة المكرمة، أديب فاضل و كاتب لبق، اشتغل بجريدة أم القرى ثم أسندت إليه إدارة مجلة الحج، ثم أسندت إليه بعض الوظائف.

هذا ما أمكن لنا جمعه من المؤلفات الحجازية، و أصحابها من العلماء العظام و الأدياء الكرام، وفقهم الله تعالى لخدمة العباد و البلاد، فبعض هذه المؤلفات مطبوعة و بعضها غير مطبوع، فترجوا المعذرة ممن غاب عنا أسماؤهم، كما نرجوا المعذرة من علماء و أدياء مملكتنا السعودية، من غير منطقة مكة المكرمة، فإن ذكرهم يحتاج إلى وقت غير قليل و إلى فراغ البال و الفكر، كما يحتاج إلى إقرار مؤلف خاص و إلى طبعه، فنحن نوكل هذه إلى أديباتنا الكرام، وفق الله تعالى جميع العاملين لخدمة دينهم و أوطانهم آمين.

### خاتمة ما تقدم

هذا ما تذكرناه من أسماء علمائنا و أديباتنا الذين هم من أهل قرنتنا و نرجوا المعذرة ممن نسينا وضع اسمه و ذكره. و العذر عند كرام الناس مقبول.

و لنختتم هذين المبحثين بما يأتي:

إن العلم بلا عمل و العلم بلا عقل خسران مبين و إن الأديب بلا أدب و الشاعر بلا شعور و ذوق، غرور و وبال، إنه يجب على العالم أن يتحلى بعلمه و على الأديب أن يتزين بأدبه و على الشاعر أن يكون ذا شعور و إحساس ليتنفع الناس بعلمهم و أقوالهم. و هناك طائفة دخلاء عليهم ليسوا من أهل العلم و لا- من أهل الأدب و لا من الشعراء و مع ذلك يدعون أنهم منهم. و ما أحلى قول بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى في هذا المعنى:

إننا في زمان لو أن فيه أعلم الناس لم يكذبوا يتكلم

قد قضى العمر و هو غرّ جهول ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

و قال بعض مشايخنا من العلماء الأعلام رحمهم الله تعالى يقسم أنواع الشعراء:

الشعراء فاعلمنّ أربعة فشاغر يجرى و لا يجرى معه  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٤ و شاعر يخوض وسط المعمععه و شاعر لا تشتهي أن تسمعه  
 و شاعر لا تستحي أن تصفعه و نحن نقول أيضا على وزن هذه الأبيات من الأدباء ما يأتي:  
 الأدباء فاعلمنّ أربعة فكاتب يجرى و لا يجرى معه  
 و كاتب يخوض وسط المعمععه و كاتب لا تشتهي أن تسمعه  
 و كاتب لا تستحي أن تصفعه و نقول مثلها أيضا في العلماء ما يأتي:  
 العلماء فاعلمنّ أربعة فعالم يجرى و لا يجرى معه  
 و عالم يخوض وسط المعمععه و عالم لا تشتهي أن تسمعه  
 و عالم لا تستحي أن تصفعه فالنوع الثالث الذي لا تشتهي أن تسمعه سببه ركاكة أقواله و ضعفها، و النوع الرابع الذي لا تستحي أن  
 تصفعه سببه جهله و زيفه و فساده و ضلاله، نسأل الله تعالى أن يرزقنا علما نافعا و أدبا عاليا و قبولاً حسنا و رزقا واسعا آمين.

### كتايب الصبيان في صدر الإسلام

لا يعقل أن لا يكون لأي أمه من الأمم مهما بلغت من الضعف و الجهل و القلمه محلات خاصة للتعليم غير أن هذه المحلات تكثر و  
 تقل بحسب استعدادهم الفطري لقابلية التعليم.

و هذه المحلات المختصة للتعليم كانت تسمى قديما و إلى الآن «الكتّاب» بضم الكاف و تشديد التاء نسبة إلى الكتّاب، و بعبارة أخرى  
 نسبة إلى موضع الكتّاب و مثله في هذا المعنى «المكتب» بفتح الميم و كسر التاء، و جمع الكتّاب الكتاتيب و جمع المكتب المكاتب. و  
 أما كلمة «المكتب» بضم الميم و كسر التاء فهو الذي يعلم الكتّاب، و الكتّاب بضم الكاف أيضا جمع كاتب و مثله الكتبة بفتحتين.  
 أنظر مختار الصحاح.

و بمرور القرون و تطور الناس في المدينة أطلقوا على الكتّاب إسم «المدرسة» نسبة إلى موضع الدرس أو التدريس فإذا كان الطلاب  
 في مراحلهم العالية أطلقوا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٥

على المدرسة إسم «الكلية أو المعهد» و هكذا تتغير الأسماء بحسب تطوّر المدينة و برامج الدراسة في كل عصر و زمان.  
 و إليك الدليل على وجود الكتاتيب لتعليم الصبيان في صدر الإسلام، فقد ذكرنا في كتابنا «تاريخ الخط العربي و آدابه» المطبوع سنة  
 (١٣٥٨) هجرية بمصر على نفقة مكتبة الهلال بشارع الفجالة كثيرا من الأدلة على وجود التعليم في الكتاتيب في الجاهلية و الإسلام  
 نقتطف منه ما يأتي:

لقد ذكروا أن ورقة بن نوفل ابن عم أم المؤمنين خديجة رضى الله تعالى عنهما كان يكتب بالعبرانية فكان يكتب من الإنجيل ما شاء  
 الله أن يكتب، و لا بد أنه تعلم في صغره الكتّاب في الكتاتيب.

و ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم دخل المدينة و كان فيها يهودى من يهود ماسكة يعلم الصبيان الكتّاب و كان فيها بضعة  
 عشر رجلا يعرفونها، منهم زيد بن ثابت رضى الله عنه، و كان يكتب الكتاتيب العربية و العبرانية و هو من جملة كتّاب النبي صلى الله  
 عليه و سلم فقد تعلم هو و جماعة من غلمان الأنصار من أسارى غزوة بدر.

و كان الأوس و الخزرج مشهورين في الكتّاب و كذلك ثقيف. و ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم  
 أمر عبد الله بن سعيد بن العاص أن يعلم الناس الكتّاب بالمدينة و كان كاتباً محسناً. و في سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت قال:  
 علمت ناساً من أهل الصفة الكتّاب و القرآن، و الصفة دكة في ظهر المسجد النبوى كان يأوى إليها المساكين و إليها ينسب أهل

الصفحة.

والذى يظهر لنا أن الكتابة والقراءة كانت منتشرة بالمدينة أكثر من مكة، وقد اهتم المسلمون في المدينة بتعليم القراءة والكتابة، ففي غزوة بدر لما أسر المسلمون جماعة من قريش وكانوا أكثر من سبعين رجلا أراد هؤلاء فداء أنفسهم بالمال فقبلت الفدية من الأميين وجعلت فدية الكاتب منهم تعليم عشرة من صبيان المدينة.

قال في كتاب «الترايب الإدارية»: أخرج ابن عساكر عن ابن ثعلبة قال:

لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله ادفنى إلى رجل حسن التعليم فدفنى إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم قال: دفنتك إلى رجل يحسن تعليمك وأدبك. أنظر فضائل أبي ثعلبة الخشني من «كنز العمال» «زقلت» اه. انتهى من الكتاب المذكور.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٦

وجاء في الجزء الثاني من كتاب «الترايب الإدارية» أيضا ما نصه: باب في المكاتب لقراءة الصبيان في كتاب «الدييات» من صحيح البخارى: أن أم سلمة بعثت إلى معلم الكتاب أن ابعث إلى غلمانا، و ترجم البخارى في الأدب المفرد:

باب السلام على الصبيان فأسند إلى ابن عمر أنه كان يسلم على الصبيان في المكتب.

وسئل الأستاذ الكبير الشيخ المختار الكتبي عن الأصل في ترك المعلم للصبي قراءة الخميس والأربعاء والجمعة فأجاب بأن الصحابة كانوا قبل ولاية عمر إنما يقرئ الرجل ابنته وأخاه الصغير ويأخذ الكبير عن الكبير مفاهمة لسيلان أذهانهم فلما كثرت الفتوحات وأسلمت الأعاجم وأهل البوادي وكثر الولدان أمر عمر ببناء بيوت المكاتب ونصب الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم وكانوا يسرمدون القراءة في الأسبوع كله.

فلما فتح عمر الشام ورجع قافلا للمدينة تلقاه أهلها ومعهم الصبيان وكان اليوم الذى لا قوه فيه يوم الأربعاء فظلوا معه عشية الأربعاء والخميس وصدر يوم الجمعة فجعل ذلك لصبيان المكاتب وأوجب لهم سنة للإستراحة ودعا على من عطل هذه السنة ثم اقتدى به السلف في الاستراحات المشروعة إلى يومنا هذا وهى يوم النحر وثلاثة بعده، ويوم الاثنين سرورا بمولد المصطفى عليه السلام وثلاثة قبل المولد وثلاثة أيام بعده، ويوم المولد كانوا يسمونها التجميمات اه. انتهى من الكتاب المذكور.

و كانت العادة في كتابات التعليم أن الأطفال الذين يذهبون إلى الكتابات للتعليم كانوا يكتبون ويقرأون فى ألواح خشبية طول كل لوح نحو ثلاثين سنتيمترا فى عرض عشرين سنتيمترا تقريبا ويخرفون رأس اللوحة على شكل مثلث، واللوحة تكون قطعة واحدة من الخشب، فكان الأستاذ يكتب على لوح الطفل بضعة أحرف هجائية فى سطر واحد فإذا حفظها الطفل غسل لوحه بالماء فيكتب له الأستاذ فيه حروفا أخرى وهكذا الحال حتى يجيد الطفل القراءة والكتابة، فإذا أجادهما أمره الأستاذ بكتابة بعض الآيات القرآنية من السور القصار ليحفظها، فإذا حفظها أمره الأستاذ بكتابة آيات أخرى وهكذا حتى يتم الطفل حفظ جزء (عم يتساءلون) وبعد ذلك يبدأ الطفل بالقراءة فى كتب المطالعة والعلوم ويبدأ يتعلم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٧

الخط والإملاء والحساب فى الدفاتر والأوراق. وكانت جميع كتاباتهم بالحبر الأسود وأقلام القصب أى البوص.

و كان الأطفال بعد أن يغسلوا ألواحهم بالماء يمسحونها بشيء اسمه «المضر» بفتح أوله وثانيه، وهو مثل المضير فى الشكل ونظنه كان يأتى من الخارج فإذا مسحوها به ظهرت منه رغوثة ثخينه كالصابون فيمسحون بهذه الرغوثة وجه اللوحة فإذا جفت بعد دقائق صارت بيضاء اللون صالحة للكتابة. هكذا كانت حالة الكتابات عندنا وفى جميع البلدان ثم تطور الأمر وبطلت الألواح الخشبية وصار الأطفال يتعلمون فى الدفاتر والأوراق بعد ظهورها وكثرتها.

و مما تقدم يتلخص الكلام على التعليم بمكة المشرفة في أنه مرّت عليه ثلاث حالات:

الأولى: من بعد سنة (١٣٠٠) ألف و ثلاثمائة هجرية كان قليل من الناس يعرفون القراءة و الكتابة.

و الثانية: من بعد سنة (١٣٢٠) أي من بعد تأسيس المدرسة الصولتية و مدرسة الفلاح بمكة و جدّه انتشر التعليم أكثر من قبل و لم يكن أحد يعرف اللغات الإفرنجية كالإنكليزية و الفرنسية و نحوهما لكنهم كانوا يعرفون اللغة التركية لتدريسها في بعض المدارس كالمدرسة الرشديّة بمكة.

و الثالثة من بعد سنة (١٣٥٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و خمسين هجرية إلى وقتنا الحاضر، أي في العهد السعودي، فالتعليم انتشر في جميع البلاد و المملكة و كثرت المدارس كثرة فائقة و تطورت أمور التعليم تطورا عجيبا في جميع مراحل و تقرر تدريس اللغات الإفرنجية في جميع المدارس رسميا حكومية كانت أو أهلية، فصار الناس يتكلمون الإنكليزية و الفرنسية و غيرهما بطلاقة و مهارة، يتكلمونها و يكتبونها و يقرؤونها.

فهذه ثلاث حالات مرّت على أمور التعليم بمكة المكرمة من بعد سنة (١٣٠٠) هجرية إلى وقتنا هذا. أما ما قبل هذا التاريخ فقد كان

التعليم في مكة في المسجد الحرام و في كتاتيب الصبيان و في حالة غير منظمة كالتعليم في بقية البلاد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٨

الإسلامية سابقا و لاحقا. فسبحان مقلب الأمور و مغتير الأحوال لا إله إلا هو الكبير المتعال.

### عدد كتاب رسول الله صلى الله عليه و سلم

بمناسبة ذكرنا للكتاتيب التي كانت في العصر الأول من الإسلام نذكر هنا استطرادا عدد كتّاب النبي صلى الله عليه و سلم.

فلقد اختلفوا في عدد كتّاب رسول الله صلى الله عليه و سلم. قال في كتاب «التراتب الإدارية»: و أوصلهم الشبراملسي في كتاب «القضاء» من حاشيته على المنهج في فقه الشافعية إلى أربعين، و أوصلهم العراقي إلى اثنين و أربعين فقال:

كتّابه اثنان و أربعون يزيد بن ثابت و كان حيناً

كاتبه و بعده معاوية بن أبي سفيان كان و اعيه

كذا أبو بكر كذا عليّ عمر عثمان كذا أبي

و ابن سعيد خالد و حنظله كذا شريحيل بخط حسنه

و عامر و ثابت بن قيس كذا ابن أرقم بغير لبس

و اقتصر المرزّي مع عبد الغني منهم على ذا العدد المبيّن

و زدت من مفترقات السير جمعا كثيرا فاضبطنه و احصر

طلحة و الزبير و ابن الحضرمي و ابن رواحة و جهما فاضم

و ابن الوليد خالدا و حاطباهو ابن عمرو و كذا حويطبا

حذيفة بريدة أبان ابن سعيد و أبا سفيان

كذا ابنه يزيد بعض مسلمة الفتح مع محمد بن مسلمة

عمرو هو ابن العاص مع مغيرة كذا السجل مع أبي سلمة

كذا أبو أيوب الأنصاريّ كذا معيقب هو الدوسيّ

و ابن أبي الأرقم فيهم أعدد كذا ك ابن سلول المهتدي

كذا ابن زيد اسمه عبد الله و الجدّ عبد ربه فلا اشتباه



و اعدد جهيما و العلا ابن عتبة كذا حصين ابن نمير أثبت  
و ذكروا ثلاثة قد كتبوا و ارتد كل منهم و انقلبوا  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٩ ابن أبي سرح مع ابن خطل و آخر أبهم لم يسم لي  
و لم يعد منهم إلى الدين سوى ابن أبي سرح و باقيهم غوى  
انتهى من الكتاب المذكور.

### الخط العربي و مكانته

بمناسبة ما ذكرناه عن أمور التعليم في الحجاز يجب أن نأتي هنا بشيء عن الخط العربي و مكانته السامية في نفوس العالم الإسلامي و ما له من الجمال و الحسن مما يستحوذ على الألباب لأننا من المنتسبين إليه و من أنصاره و دعائه.  
فالخط العربي محفوظ ما دام القرآن الكريم محفوظا، و القرآن محفوظ بأمر الله سبحانه و تعالى إلى قيام الساعة كما قال عز شأنه: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.

و لقد خدم الحروف العربية علماء المسلمين خدمة جليئة بحيث لا يتطرق إليه أي خلل و لا يطرأ عليها أي تغيير، فعلماء القراءات الأجلاء لم يكتفوا بقراءة القرآن بمجرد النظر إلى صور الحروف العربية فقط بل وضعوا لقراءتها قواعد تحفظ اللسان من الخطأ في نطق الحروف و ألفوا في ذلك كتباً قيمة تسمى «علم التجويد» بينوا فيها مخارج الحروف و ألقابها و صفاتها و ما يفخم منها و ما يرقق و ما يدغم منها و ما يظهر ... إلخ. و لم يكتفوا بهذا أيضا بل اشتروا في قراءة القرآن التلقى و الأخذ عن أفواه المشايخ المحققين ليكون النطق بالأحرف صحيحا كما أنزل.

و جاء علماء النحو فخدموا اللغة العربية خدمة لا ترححها عواصف الأجيال و لا ممر السنين و العصور من حيث سلامة النطق بالكلمات صحيحة مستقيمة متمشية على نطق العرب الفصحاء في الأزمان الغابرة حتى لا تشوبها لكنة الأعاجم و لا يطرأ عليها غلطات الألسنة على مرور الزمن و ألفوا في ذلك كتباً جليئة تسمى «علم النحو أو علم القواعد العربية» فمن درس هذه الكتب عصم من الوقوع في الخطأ.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٠  
فبعلم التجويد يحفظ اللسان من الخطأ في جوهر الحروف العربية و ذات الكلمة من حيث مطلق النطق من مخارجها، و بعلم النحو و الصرف يحفظ اللسان من الخطأ في صفات الحروف و الكلمات من حيث الحركات الإعرابية في أواخرها و النطق بها صحيحة على حسب أصلها و أوزان مصادر الأفعال.

فهل نجد لأي أمه من الأمم أنه اجتمع لحفظ لغتها ما اجتمع للغة العربية الكريمة التي هي أفضل الأمم و أشرفها على الإطلاق؟  
ثم جاء بعد هؤلاء العلماء الأجلاء علماء الخط و الفنون الجميلة فبدلوا جهودا جبارة في قرون عديدة حتى جعلوا للحروف العربية حسنا و جمالا يعجز القلم عن التعبير عنه و ألبسوها من ثياب الوشى و الزخرفة ما يستهوى الأفتدة و يخطف الأبصار.

و للدين الإسلامي الحنيف أعظم الفضل في نشر الخط العربي في الأقطار، و ظهور الخط العربي كان من الحجاز بعد أن وصل إليه من الحيرة و الأنبار، و هما من مدن العراق وصل إليهما من اليمن بواسطة كنده و النبط. و وصول الخط إلى الحجاز كان بواسطة عبد الله بن جدعان و بشر بن عبد الملك كما بينا ذلك مفصلا في كتابنا «تاريخ الخط العربي و آدابه».

و اختلفوا في أول من أدخل الكتابة إلى الحجاز ف قيل حرب بن أمية القرشي جد معاوية بن أبي سفيان رضى الله تعالى عنه و قيل سفيان بن أمية و قيل أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة و قيل غير ذلك.

و الاختلاف صوري لا يضر فقد يكون أحدهم أدخلها في بلدة من بلدان الحجاز بينما يكون الآخر أدخلها في بلدة أخرى، و على هذا

يمكن تعدد الأوليئة ونسبتها إلى كل منهم.

أما دخول الكتابة إلى مكة المكرمة فقد أجمع المؤرخون على أن أول من حمل الكتابة إليها حرب بن أمية ابن عبد شمس و كان قد تعلمها في أسفاره من عدة أشخاص منهم بشر بن عبد الملك.

و أما دخولها إلى المدينة المنورة فقد ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلها و كان فيها يهودى من يهود ما سكة يعلم الصبيان الكتابة و كان فيها بضعة عشر من الرجال يعرفونها منهم: زيد بن ثابت الأنصارى و فيها اهتم المسلمون بتعليمها

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣١

و نشرها فإنه لما كانت غزوة بدر الكبرى أسر المسلمون جماعة من قريش و كانوا أكثر من سبعين رجلا فأرادوا فداء أنفسهم بالمال فقبلت الفدية من الأثمين و جعلت فدية الكاتب منهم تعليم عشرة من صبيان المدينة.

ثم تدرج الناس في تحسين الخط العربى شيئا فشيئا حتى وصلوا به إلى هذا الشكل البديع و الجمال الرائع، و لا يظن أن له بعد هذا الجمال جمال. و الله تعالى أعلم بالغيب.

و لقد فصلنا الكلام على الخط العربى في كتابنا «تاريخ الخط العربى و آدابه» الذى يقع فى نحو خمسمائة صحيفة، فمن أراد الوقوف على أصل الخط العربى و نشأته و تطوره فعليه بكتابنا المذكور. و إليك صورة بعض الخطوط العربية من كتابة مؤلف هذا التاريخ.

و إليك صورة الصحيفة الأولى من «تحفة الحرمين» فى بدائع الخطوط العربية لمحمد طاهر الكردى مؤلف هذا التاريخ عفا الله تعالى عنه و غفر له و لوالديه و للمسلمين آمين.

و مما يجب علينا ذكره و التنبيه عليه: هو أن الخط العربى قد ضعفت العناية بتعليمه فى بعض البلدان العربية ما عدا مصر فإنها نهضت به إلى أوج الكمال نهضة تشكر عليها، ففيها مدرستان خاصتان لتعليم الخط العربى و ما يتبعه من النقش و الزخرفة و التذهيب.

أما الخط العربى فى مملكتنا السعودية فقد كاد أن يقضى عليه فى مدارسنا، فالنظر إليه نظرة قصيرة ثانوية، فلا يعتنى به بتاتا و لقد اقترحنا مرارا على المسؤولين فى الالتفات إليه و العناية به و فتح مدرسة خاصة لتعليمه على اختلاف أنواعه حتى أننا قدمنا لهم برنامجا و نظاما خاصا لهذه المدرسة و لكن لم يحن الأوان لقبول هذه الإقتراحات النافعة. و إننا نكرر هنا اليوم إقتراحنا بفتح مدرسة لتعليم الخط العربى و تخصيص مكافآت شهرية للطلاب خصوصا و أن عدد المدارس قد كثرت فى بلدان المملكة و لا بد أن يكون لكل مدرسة من خطاط موظف بها لا ينتقل إلى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٢

غيرها، و لم يدفعا إلى تكرار هذا الإقتراح فى هذا الكتاب إلا إخلاصنا فى تقديم الخدمات التى تتعلق بالصالح العام.

"إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب!"

### التعليم فى الحجاز قبل سنة ١٢٦٤ هجرية

لم نر من تكلم من المؤرخين عن التعليم قبل سنة (١٢٦٤) أربع و ستين و مائتين و ألف من الهجرة، و المعقول أن يكون التعليم فى الأزمان الماضية فى المساجد فى جميع الممالك الإسلامية كجامع الأزهر الشريف بمصر و جامع الزيتون بالمغرب.

و ليس المسجد الحرام بمكة بأقل نصيبا منهما، فقد ذكر الغازى رحمه الله تعالى فى آخر الجزء الثالث من تاريخه ناقلا عن العلامة الحضراوى فى كتابه «تاج تواريخ البشر» فى ذكر ولاء مكة المشرفة و جدء من الباشوات من طرف الدولة العثمانية بعد خروج الدولة المصرية و انقضاء مدتهم من الحجاز عند ترجمه المشير «الحاج محمد حسيب باشا» الذى تولى مكة فى السنة المذكورة سنة (١٢٦٤ هـ) ثم عزل عنها بعد سنتين من توليته ما نصه: «الحاج محمد حسيب باشا هو الذى أخرج مكاتب الصبيان من المسجد الحرام و فرقه فى الزوايا و رتب لكل فقيه مائة غرش بالخزينة العامرة...» ثم ذكر نبذة كبيرة مما قام المذكور بعمله بمكة شرفها الله تعالى مدة توليته

عليها لم ننقل كل ذلك لعدم الحاجة إليه هنا. ومعنى كلمة مكاتب الصبيان: أى الكتاتيب الخاصة بتعليم الصبيان. فاستنتجنا من هذه العبارة التاريخية المهمة أن تعليم الصبيان القراءة و الكتابة و بعض العلوم الأولية كان فى نفس المسجد الحرام، فعند كل فقيه جملة من التلاميذ يعلمهم. وقد دام هذا الحال فى العصور السابقة إلى زمن والى مكة التركى الحاج محمد حسيب باشا المذكور، ثم إن هذا رأى أن الصبيان الصغار قد يلوثون المسجد الحرام و لا يراعون حرمة فأخرجهم منه إلى بعض الزوايا القريبة من المسجد فى السنة المذكورة أو فى التى بعدها.

و هذا الحال كان بالضبط فى الجامع الأزهر الشريف فى القاهرة من قديم الزمان فإنه كان بداخله كثير من مكاتب الصبيان و لكل مكتب فقيه خاص

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٣

يعلمهم القراءة و الكتابة و تحفيظ القرآن، و لهؤلاء جميعا أوقاف و خيرات تصرف إليهم شهريا و سنويا فى الأعياد.

ثم إنه فى سنة (١٣٤٣) ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة أو فى السنة التى بعدها رأت الحكومة المصرية نقل مكاتب الصبيان من داخل الجامع الأزهر إلى أماكن خصصتها لهم مع حفظ حقوقهم فى سائر ما يستحقونه من الأوقاف و الخيرات و الإعانات و كان هذا الحال أيام وجودنا بالأزهر الشريف لطلب العلم.

ثم كان المسجد الحرام مركزا لطلاب العلوم و الفنون من قديم الأزمان، فإذا أتقن الصبى القراءة و الكتابة و حفظ بعض المتون تقدم للدرس فى حلقات العلم بالمسجد الحرام أو التحق ببعض المدارس التى بنيت حول المسجد الحرام لطلب العلم على المذاهب الأربعة التى بنتها السلاطين و الملوك و خصصوا لطلبها و مدرسيها أوقافا سنوية و رواتب شهرية كمدرسة الملك الأفضل عباس بن الملك المجاهد صاحب اليمن التى وقفت لفقهاء الشافعية سنة (٧٧٠) سبعين و سبعمائة، و كمدرسة دار العجلة و كان يدرّس بها الفقه الحنفى قبل السنة المذكورة، و كمدرسة غياث الدين أعظم شاه صاحب بنغالة التى وقفها على أهل المذاهب الأربعة فى سنة (٨١٣) ثلاث عشر و ثمانمائة و غير ذلك مما لسنا فى صدد سردها و حصرها.

هذا ما كان فى الحجاز من كيفية التعليم و لم تعرف الدراسة بالمدارس و المعاهد على الصفة التى عليها اليوم إلا من بعد سنة (١٣٣٠) ألف و ثلاثمائة و ثلاثين هجرية تقريبا.

نسأل الله التوفيق و السداد و العمل بما علمناه آمين.

### أول من جمع الصبيان فى المكاتب

و بمناسبة ما تقدم نقول: إن أول من جمع الأولاد فى المكاتب للتعليم هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقد جاء فى كتاب «عنوان البيان» أن أول من جمع الأولاد فى المكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه و أمر عامر بن عبد الله الخزاعى أن يلازمهم للتعليم و جعل رزقه من بيت المال و أمره أن يكتب للبلد فى اللوح و يلقن الفهيم من غير كتب. و سأله تخفيف التعليم فأمر المعلم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٤

بالجلوس بعد صلاة الصبح إلى الضحى العالى، و من صلاة الظهر إلى صلاة العصر و يستريحون بقية النهار.

و لما خرج رضى الله عنه إلى الشام عام فتحها و مكث شهرا ثم رجع إلى المدينة و قد استوحش الناس منه فخرجوا للقاءه تلقاه الصغار على مسيرة يوم.

و كان ذلك يوم الخميس فباتوا معه و رجع بهم يوم الجمعة فنعبوا فى خروجهم و رجوعهم فشرع لهم الإستراحة فى اليومين المذكورين فصار ذلك سنة متبعة، و دعا بالخير لمن أحيا هذه السنة.

انظر الفواكه الدوانى على رسالة أبى زيدان القيروانى. انتهى من كتاب «عنوان البيان».

و من اللطائف المناسبة لهذا المقام ما يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه لقي أعرابيا فسأله: هل تحسن القراءة؟ قال: نعم. فقال: اقرأ بأمر القرآن، فقال الأعرابي: والله ما أحسن البنات فكيف الأم، فضربه عمر بالدرة، بكسر الدال المهملة و تشديد الراء، و هى السوط و أسلمه إلى الكتاب ليتعلم فمكث فيه حيناً ثم هرب، فلما رجع لأهله أنشدهم:

أتيت مهاجرين فعلموني ثلاثة أسطر متتابعات  
كتاب الله فى رقب صحيح و آيات القرآن مفضلات  
و خطوا لى أبا جاد و قالوا تعلم سعفا و قریشات  
و ما أنا و الكتابة و التهجي و ما خط البنين مع البنات

### التعليم بالحجاز من بعد سنة ١٣٠٠

كان التعليم فى الحجاز ضعيفا فى عهد الدولة العثمانية و كان ممزوجا باللغة التركية قراءة و كتابة، و ذلك فيما بعد سنة (١٣٠٠ هـ) ثلاثمائة و ألف. و لم يكن بمكة إلا عدد قليل من المدارس، فمنها: - المدرسة الرشدية و كان مقرها أولا بأجناد ثم انتقلت إلى المعلاة فى بيت المكاتب الذى بناه ثم باعه و هو على يمين الصاعد إلى المقبرة و قبيلها، فلما انقضى حكم الأتراك عن الحجاز لا زالت المدرسة بمقرها أيضا و سميت «بالمدرسة السعودية» أى فى عهد حكومتنا السعودية إلى سنة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٥

(١٣٧٥ هـ) ثم صارت الآن مقرا «للمدرسة الرحمانية الثانوية» و لا يزال إلى اليوم بعض من تعلم من أهل الحجاز فى المدرسة الرشدية على قيد الحياة.

و منها: مدرسة برهان اتحاد، و منها: مدرسة الشيخ محمد خياط، و منها:

المدرسة الفخرية العثمانية. و كل هذه المدارس لم يبق لها أثر بعد الأتراك.

و من أقدم المدارس بمكة المدرسة الصولتية «بالصاد» الواقعة بحارة الباب بزقاق الخندريسة، فقد أسسها الشيخ محمد رحمه الله ابن خليل الله المولود ببلدة «كيرانه» من توابع دهلى عاصمة الهند سنة (١٢٩١) هجرية، و قد اشتغل بالعلم حتى صار من العلماء الذين يشار إليهم بالبنان ثم رحل من الهند إلى مكة فاشتغل بالتدريس فى المسجد الحرام مدة طويلة.

و فى سنة (١٢٩٢) اثنتين و تسعين و مائتين و ألف من الهجرة جاءت إلى مكة للحج امرأة من أثرياء بلدة كلكتة بالهند تدعى: «صولت النساء بيكم» فاتصل بها الشيخ محمد رحمه الله، المذكور و رغبها فى إنشاء مدرسة بمكة المشرفة للتعليم فوافقت على ذلك و فوضته بإنشائها و فتحها، و أعطته النفقات اللازمة لإخراج هذه المدرسة إلى حيز الوجود، فبنى الشيخ محمد رحمه الله بحارة الباب المدرسة و سماها «المدرسة الصولتية» نسبة إلى منشئها المذكورة «صولت النساء بيكم» رحمهما الله تعالى.

و قد ابتدئ بالتعليم فيها من شعبان سنة (١٢٩٣ هـ). و قد تخرج منها كثير من أبناء مكة، و صاروا من العلماء الأعلام، و تولوا مناصب كبيرة بها. و الحمد لله لا تزال هذه المدرسة التى هى أول مدرسة أسست بمكة، مفتوحة الأبواب إلى يومنا هذا. و يتولى إدارتها الآن حفيد مؤسسها الشيخ محمد سليم رحمه الله فجزى الله مؤسسها و منشئها و القائمين بها خير الجزاء.

ثم أنشئت «مدرسة الفلاح» بمكة فى سنة (١٣٢٩) تسع و عشرين و ثلاثمائة و ألف هجرية، و قد أنشئت قبلها بجدة فى سنة (١٣٢٠) عشرين و ثلاثمائة و ألف «مدرسة الفلاح» أيضا و الذى أنشأهما المحسن الكبير الحاج محمد على زينل حفظه الله تعالى بمؤازرة نخبة من أعيان جدة و فضلائها كالشيخ عبد الرؤوف جمجوم و أخيه الشيخ محمد صالح جمجوم رحمهما الله تعالى، كما أنشأ الحاج محمد على زينل أيضا مدرسة أخرى فى دى فى الخليج الفارسى و مدرسة رابعة فى بومباى بالهند. و سمى كل واحدة منهما «مدرسة

الفلاح» أيضا. فسبحان الموفق

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٦

للخيرات. ولقد قامت مدارس الفلاح بتعليم أبناء مكة على أكمل وجه فتخرج كثيرون منها و صاروا من العلماء و تبوؤا مناصب كبيرة في الحكومة، و لا زالت إلى اليوم مفتحة الأبواب لطلاب العلم و الأدب فجزى الله القائمين بها خير الجزاء و بارك الله في حياة مؤسسها الحاج محمد على زينل التاجر الشهير بتجارة اللؤلؤ بالهند.

ثم ذكر الغازي برامج التعليم في عهد الشريف الحسين ما رأينا نقله خوفا من التطويل.

أما التعليم في عهد حكومتنا السعودية وفقها الله تعالى فقد كثرت المدارس بالمملكة حتى صارت تعدد بالمئات بمختلف أنواعها و ذلك لازدياد عدد سكانها و رغبة من حكومتنا في نشر التعليم و الثقافة في أنحاء البلاد. و لا ننسى ما يبذله حضرة صاحب السمو الملكي «الأمير فهد بن عبد العزيز» الذي هو أول وزير للمعارف، من الجهد و العناية بالتعليم من جميع نواحيه زاده الله تعالى توفيقا لكل خير آمين، و قد أردنا أن نكتب عن جهود وزارة المعارف و جميع أسماء المدارس و برامج التعليم بالمملكة و لكن ذلك يقتضى إطالة الكلام و يكفى في تاريخنا هذا الإلمام بالشىء.

و مما يجب ذكره لحكومتنا السعودية من ناحية التعليم إيفاد البعث إلى الخارج فكانت أول بعثة أرسلت من هذه البلاد المقدسة إلى مصر في سنة (١٣٤٦) ألف و ثلاثمائة و ست و أربعين هجرية، أى في السنة الثالثة من حكم جلاله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى على الحجاز، و كان مدير المعارف إذ ذاك الشيخ ماجد الكردي رحمه الله، فقد أرسلوا أربعة عشر طالبا إلى مصر القاهرة بالأزهر الشريف و دار العلوم.

أما مؤلف هذا الكتاب «محمد طاهر بن عبد القادر الكردي» فقد كان والده رحمه الله تعالى و أسكنه الجنة أخذه بعد أن تخرج من مدرسة الفلاح بمكة إلى مصر و أدخله الجامع الأزهر الشريف لطلب العلم قبل حكم جلاله الملك عبد العزيز على الحجاز بثلاث سنوات، أى في أول سنة (١٣٤٠) أربعين و ثلاثمائة و ألف.

ثم بعد ذلك توالى إرسال البعث إلى الخارج حتى اليوم ليرتشفوا من مناهل العلوم المختلفة و الفنون المتنوعة في معاهد العلوم الدينية و غيرها: كالطب و الهندسة و الكيمياء و الكليات الحربية و البحرية و مدارس الصناعات و الطيران و غيرها.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٧

و لو لا خوف التطويل لذكرنا جميع المبتعثين من ابتداء الأمر إلى الآن. و الحقيقة أن مسألة الإبتعاث لخطوة أساسية مهمة تذكر لحكومتنا السنية بالشكر و الثناء العاطر.

نسأل الله التوفيق لما فيه صلاح العباد و البلاد آمين.

قال أمير الشعراء شوقي بك رحمه الله تعالى في الحث على طلب العلم:

هل علمتم أمة في جهلها ظهرت في المجد حسناء الرداء

باطن الأمة من ظاهرها إنما السائل من لون الإناء

فخذوا العلم على أعلامه و اطلبوا الحكمة عند الحكماء

و اقرأوا تاريخكم و احتفظوا بصيغ جاءكم من فصحاء

و احكموا الدنيا بسلطان فما خلقت نصرتها للضعفاء

و اطلبوا المجد على الأرض فإن هي ضاقت فاطلبوه في السماء

انتهى من المطالعة العربية.

نذكر هنا ما جرت عليه المدارس من إطلاق بعض الأسماء منذ العهد التركي إلى اليوم.

فقد كانوا يطلقون على الفصول: الصف، ثم الصنف، ثم تغير هذا فصاروا يقولون الآن: الفصل، مثلاً فصل: «أ» و فصل «ب» و فصل «ج».

و كانوا يطلقون على سنوات الدراسة هكذا: السنة الأولى، و السنة الثانية، و السنة الثالثة، و الرابعة و الخامسة و السادسة و السابعة، و هلم جزاً.

و الآن يطلقون على مراحل التعليم كما يأتي: المرحلة الابتدائية و مراحلها ست سنوات، و الثانوية مثلها، و العالية و لها سنوات مقررة. ثم كانوا يطلقون على المدرّس هذه الألقاب: «خوجه» و هي لفظة تركية معناها المدرّس، ثم صاروا يقولون عليه: «معلم»، ثم صاروا يقولون: «شيخ»، ثم صاروا يقولون «مدرّس» ثم الآن يقولون: «أستاذ».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٨

و هكذا سرى تجديد الألقاب حتى على المدرّسين و الله تعالى أعلم ما ذا يقولون في المستقبل.

### مدارس البنات بمكة المشرفة

تقدم أن ذكرنا أنه لم يكن في الحجاز مدارس قبل سنة (١٢٩٠) ألف و مائتين و تسعين هجرية غير كتابية صغيرة لتعليم القراءة و الكتابة و الخط و الحساب، ثم أول ما أنشئت في مكة من المدارس بعد السنة المذكورة مدرسة الصولتية «بالصاد المهملة» ثم مدرسة الفلاح التي تأسست في سنة (١٣٢٩) ألف و ثلاثمائة و تسع و عشرين هجرية. ثم بعد ذلك تأسست مدرستان أو ثلاثة كل ذلك لتعليم البنين فقط.

أما تعليم البنات فلم يكن شائعاً لدينا أبداً اللهم إلا أنه كان تعليم البنات في بيتها عند أبيها أو أخيها أو عمها أو خالها و هذا في النادر، و لقد بقي تعليم البنات كذلك إلى سنة (١٣٥٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و خمسين من الهجرة فرأى بعض فضلاء جدة و أثريائها أن يعلم بناته الصغار مع بنات جيرانه فجعل لهن غرفة خاصة في منزله أشبه بالكتاب و خصص لهن معلماً من أهل الديانة كبير السن، فكان يعلمهن القراءة و الكتابة من الضحى إلى الظهر فتسامع الناس بذلك و أتوا ببناتهم الصغار إلى هذا المنزل للتعليم و حصل مثل ذلك في مكة المشرفة أيضاً. ثم صدر الأمر الرسمي بفتح مدارس في جميع المملكة العربية السعودية لتعليم البنات و كان ذلك في سنة (١٣٧٩) ألف و ثلاثمائة و تسع و سبعين هجرية، و من ذلك الحين انتشرت مدارس البنات في جميع المملكة العربية السعودية فكان الإقبال عليها كثيراً. و لقد أحضرت الحكومة نساء متعلّمات من الخارج لتعليم البنات في هذه المدارس. نسأل الله تعالى أن يجعل العاقبة خيراً.

إن تعليم البنات أمور دينهن واجب كتعليم الأولاد و لكن بمقدار محدود أي يكفي في تعليمهن مسائل الدين الحنيف و أمور الحياة المنزلية مع التريّة و الآداب المطلوبة.

و نسأل الله تعالى أن يحفظ علينا ديننا و آدابنا و عاداتنا الإسلامية العربية و أن يجنبنا الفساد و الفتن ما ظهر منها و ما بطن آمين إنه سبحانه و تعالى سميع مجيب الدعوات.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٩

و كان أول رئيس لتعليم البنات الشيخ عبد العزيز بن رشيد، ثم الشيخ ناصر بن حمد الراشد، ثم الشيخ راشد بن صالح بن خنين، ثم الشيخ محمد بن عبد الله بن عوده، ثم الشيخ عبد العزيز المسند متدباً لمدة عام، ثم الشيخ عبد الملك بن عبد الله بن دهيش.

### التريّة و التأديب في المدارس

لقد كان في عهدنا الأول أى من سنة (١٣٣٢) ألف و ثلاثمائة و اثنتين و ثلاثين و ما بعدها إلى سنة (١٣٥٠) ألف و ثلاثمائة و خمسين تقريبا التربية و التأديب في المدارس بالغان إلى أقصى حد في الكمال. و كان هناك نوع من القسوة الشديدة في التأديب إذا اقتضى الأمر و وقع خطأ كبير من التلميذ. و هذه القسوة التي تقع أحيانا على طلبة المدارس كانت برضاء أولياء أمورهم فلقد كان والد التلميذ يأتي إلى المدرسة و يقول لحضرات الأساتذة: لقد وضعت ابني بين يديكم لتعليمه و تربيته فلکم اللحم و لى العظم. و معنى هذا الكلام لكم الخيار في ضربه على لحمه بحيث لا يحصل عليه جرح و لا كسر، و لقد كان أهل الطالب و والده يخوفونه بشكايته إلى المدرسة فكان يخاف من ذلك أشد الخوف و يرتدع عن شيطنته، و لقد كان في العهد السابق إذا لم يحفظ التلميذ دروسه أو صار يلعب كثيرا فقد يضربه أستاذه نحو خمسة عشر عصا و إذا حصل منه ذنب كبير فيضربه الأستاذ نحو ثلاثين عصاية و لذلك كان بعض أشقياء الطلبة يمشى بعض الظهر في اشتداد الحر في وسط المسجد الحرام و يقف بعض الوقت على الحجارة و الرخام التي في الشمس ليدبغ جلده أسفل رجليه حتى لا يؤثر فيه الضرب كثيرا. و لقد كان الضرب على القدمين يوضعان في الفلقة و هي عبارة عن عصا غليظة غلط الساعد يربط فيها قماش أو حبل من الطرفين فيضع التلميذ قدميه في داخل القماش بعد أن يمسك بالعصا تلميذان قويان كل واحد منهما من أحد طرفيها ثم يلفان على رجليه تلك العصا حتى يضيق الحبل على رجليه ثم يرفعان رجليه أمام أستاذه فيضربه هذا كما يشاء. هكذا كان الضرب في مدارسنا في عهدنا الحاضر فلذلك كان الأستاذ مرهوب الجانب محترما لدى كافة الطلبة، و الويل لمن يراه أستاذه يلعب في الطرقات.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٠

ثم جاء العهد السعودي فصدر قرار من مديرية المعارف العامة سابقا بمنع الضرب في جميع المدارس منعا باتا.

### الكلام على مدارس الفلاح و تأسيسها بالحجاز

الحاج محمد على زينل هو أشهر من نار على علم عندنا بالحجاز و في الخارج خصوصا في باكستان و هندستان و البحرين و عمان فهو تاجر شهير في المجوهرات و اللآلئ و غيرها من قديم الزمن، لذلك اتخذ إقامته في الهند مدينة بمبي بالهند مع احتفاظه باللباس الحجازي و العمامة المكية التي لا تفارقه أبدا، و يبلغ الآن من العمر ٨٧ (سبعة و ثمانون سنة) هجرية. و لمحلته التجاري في بمبي مكانة مرموقة و لشخصه الكريم ثقة تامة في جميع أنحاء الهند. يقصده كبار الأعيان و الشخصيات البارزة يشاورونه و يأخذون بآرائه السديدة. و لا غرابة في ذلك فبيت زينل بجدة و الهند معروف مشهور من قديم الزمن في عهد الأتراك و في عهد الشريف الحسين رحمه الله تعالى و في العهد السعودي، فبيتهم بيت تجارة و هم وكلاء لكثير من الشركات الأجنبية. و الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود لم يستلم جدة حين حكم الحجاز إلا من عميد آل زينل بجدة الحاج عبد الله على رضا الذي كان قائم مقام جدة، أى حاكمها منذ زمن الأتراك و الأشراف و السعوديين رحمهما الله تعالى رحمه واسعة، و قد وضعنا صورتها في هذا الكتاب في غير هذا المحل، فعائلة بيت زينل من أشرف العائلات بالحجاز و بالهند.

انظر: صورة رقم ٢٩٣، الحاج محمد على زينل مؤسس مدارس الفلاح بمكة و جدة

نعود إلى الكلام على مؤسس مدارس الفلاح الحاج محمد على زينل فنقول:

إن بيت زينل هم من أهل جدة كما أسلفنا القول و كلهم أهل خير و استقامة و ديانة، فرأى الحاج محمد على زينل على رضا أن الجهل ضارب أطنابه في ربوع الحجاز و أن أفضل عمل يقدمه لهم المحسنون و أهل الخير هو فتح المدارس لهم لتعليمهم العلوم الدينية و العصرية فاستشار فضلاء المواطنين من أهل جدة فحبذوا رأيه و ناصروه و آزره و تعاونوا معه على البر و التقوى، و ما أسرع ما يبادر أهل جدة إلى عمل البر و الخيرات، و كان ذلك بعد سنة (١٣٢٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و عشرين هجرية، فما مرت سنتان أو ثلاثة إلا و قد استعد الحاج محمد على زينل

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤١

لفتح مدرسة بجدة لأنها موطنهم، يساعده في ذلك بعض فضلاء جدة و في مقدمتهم الشيخ عبد الرؤوف جمجوم رحمه الله تعالى فافتتح بالفعل بجدة مدرسة و سماها «مدرسة الفلاح» بتخفيف اللام. و كان قبل هذه المدرسة بجدة مدرسة أخرى تسمى «المدرسة الرشدية» و ذلك في عهد الأتراك، و كان يدرّس فيها اللغة التركية. و قد أسندت إدارة مدرسة الفلاح إلى العلامة الشيخ حسين مطر من أهل مصر و من علماء الأزهر الشريف فقام بإدارتها خير قيام و بقي في إدارتها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في ٢٧ محرم سنة (١٣٦٠) ألف و ثلاثمائة و ستين هجرية و إليك صورة الشيخ حسين مطر رحمه الله تعالى، و كان وكيله فيها الشيخ عمر بكر حفنى من أهل جدة المتوفى في ربيع الثانى سنة (١٣٨٤) ألف و ثلاثمائة و أربع و ثمانين هجرية. و إليك صورتها مع جميع أساتذة مدرسة الفلاح أخذت لهم في سنة (١٣٥٨). و قد رقم لمدير المدرسة الشيخ حسين مطر برقم واحد و لو كيله الشيخ عمر حفنى برقم ٣ و يرى مؤلف الكتاب محمد طاهر الكردي الخطاط بينهما في الوسط و قد رقم له برقم ٢.

انظر: صورة رقم ٢٩٤، الشيخ حسين مطر مدير مدرسة الفلاح بجدة

انظر: صورة رقم ٢٩٥، أساتذة مدرسة الفلاح بجدة ١٣٥٨ هـ،

و لقد بنى الحاج محمد على زينل أمد الله تعالى في عمره بناية جميلة خاصة لتكون مقرا لمدرسة الفلاح بجدة بناها في الطرف الشمالى لجدة في أواخر عمرها عند سورها بجهة باب مكة فلما امتد العمران و اتسعت جدة أصبحت هذه المدرسة كأنها في وسط جدة و هى ظاهرة معروفة إلى اليوم و عليها قبة جميلة و إليك صورتها.

انظر: صورة رقم ٢٩٦، مدرسة الفلاح بجدة

و لا نبالغ إن قلنا أن أكثر أهل جدة قد تعلموا فيها و تخرجوا منها، و بعد وفاة الشيخ عبد الرؤوف جمجوم التى كانت في سنة (١٣٣٨) أصبح أخوه الشيخ محمد صالح جمجوم وكيلا لمدارس الفلاح بجدة و مكة بعد أن اتخذ الحاج محمد على زينل مدينة بمبى مقر إقامته و محل تجارته، و كان يعاون الشيخ محمد صالح جمجوم في تجارته و أعماله الأخرى أخوه الشيخ صلاح جمجوم، و إليك صورتها:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٢

انظر: صورة رقم ٢٩٧، الشيخ محمد صالح جمجوم من أهالى جدة ت ١٣٦٣ هـ،

انظر: صورة رقم ٢٩٨، الشيخ صلاح جمجوم من أهالى جدة ت ١٣٦٥ هـ،

و لقد بقى الشيخ محمد صالح جمجوم وكيلا لمدارس الفلاح بمكة و جدة إلى أن مات رحمه الله تعالى في السنة المذكورة، و ستأتى ترجمته وافية إن شاء الله تعالى في أواخر الكتاب عند الكلام على مدينة جدة. فانظرها هناك فإنها ترجمة لا مثيل لها في البلاد.

ثم بعد تأسيس مدرسة الفلاح بجدة رأى الحاج محمد على زينل بثاقب فكره و حسن نيته و قوى عزيمته أن يفتح مدرسة أخرى بأمر القرى «مكة المكرمة» مهبط الوحي الأمين فافتتح حفظه الله تعالى و أثابه على أعماله المجيدة هذه المدرسة بمكة المشرفة و سماها أيضا «مدرسة الفلاح» فجعل مديرها السيد محمد حامد من أهل جدة فمكث يديرها سنوات قليلة ثم لا ندرى هل مات بعد ذلك أم ذهب إلى جدة يقيم بها. فتولى إدارة المدرسة بعده الحاج محمد عطاء الله الهندي و هو متعلم مثقف و ذلك سنة (١٣٣٢ هـ) فمكث بها سنوات ثم سافر إلى الهند فتولى إدارة المدرسة السيد محمد طاهر الدباغ. و بعد سنوات أخذه الشريف الحسين ملك الحجاز الأسبق و جعله وزيرا للمالية فتولى إدارة المدرسة بعده الشيخ عبد الله حمدوه السنارى و كان من كبار الصالحين الأتقياء حازما عاقلا حكيما فكان فيها إلى أن توفي سنة (١٣٥٥ هـ) رحمه الله تعالى ثم تولى بعده إدارة المدرسة السيد بكر الحبشى، بكسر أوله و سكون ثانيه فمكث بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى، ثم تولى بعده إدارة المدرسة الشيخ محمد الطيب المراكشى و هو من العلماء



الصالحين فمكث بها حتى توفي في الخامس والعشرين من شهر صفر سنة (١٣٦٤) رحمه الله تعالى و أحسن جزاءه.

انظر: صورة رقم ٢٩٩، الشيخ محمد الطيب المراكشي ت ١٣٦٤ هـ،

و هذا الرجل من الأساتذة القدماء في المدرسة و ممن يعول عليهم. ثم تولى بعده إدارة المدرسة السيد إسحاق عزوز فمكث بها سنوات ثم تنحى عنها فخلفه السيد محمد رضوان و هو شاب عاقل فاضل دين، فقام يديرها بهمة و نشاط و عزم و إخلاص و ما زال بها إلى الآن أمد الله تعالى في حياته و كلل أعماله بالنجاح.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٣

لقد كان الحاج محمد على زينل مؤسس مدارس الفلاح مخلصا في جميع أعماله خصوصا لمدارس الفلاح التي أنشأها بماله، فكان لا يبخل عليها بقليل و لا كثير و كان إذا سمع برجل من العلماء الفضلاء يتصل به و يرغبه في الإشتغال في مدارس الفلاح سواء كان في مكة أو في جدة بشتى الوسائل، و بذلك كان في مدارس الفلاح كثير من العلماء الفضلاء. و لقد كان التعليم فيها بلغ قمة المجد فكانوا يعلمون الطلاب و التلامذة بجد و إخلاص و يرشدونهم إلى التربية العالية و الأخلاق الشريفة. و كان يدرس فيها جميع العلوم الدينية و العصرية بمختلف أنواعها، و كان فيها قسم خاص بتحفيظ القرآن الكريم تحفيظا جيدا لم يعهد مثله و لا يوجد اليوم مثله فلقد كان بعض أولياء التلامذة يدخلون أبناءهم في قسم تحفيظ القرآن برغبة شديدة ابتغاء رضوان الله تعالى من غير نظر إلى مكافآت أو معونات. و كان جميع الطلبة يحفظون كثيرا من المتون و القطع الأدبية من النثر و النظم، و كانت أوقات الدراسة فيها من الصباح إلى أذان الظهر ثم يذهب الجميع إلى بيوتهم للغداء و بعد ساعة و نصف يحضرون إلى المدرسة مرة ثانية ليواصلوا الدراسة إلى أذان العصر.

و كان بعض الأساتذة إذا رأى من الطلبة تقصيرا في عدم إتمام المقررات يأمرهم بالجلوس بعد صلاة العصر بالمدرسة فيدرسه نحو ساعة في بعض المسائل ابتغاء وجه الله تعالى لا يتطلبون من المدرسة مكافأة و لا من أوليائهم شيئا. و بذلك أنتجت مدارس الفلاح بمكة و جدة إنتاجا عظيما و أخرجت للبلاد رجالا ممتازين في الديانة و العلم و الأدب.

إن مدارس الفلاح كان يدرّس فيها جميع العلوم و الفنون و يحفظ فيها الطلبة غالب المتون من نظم و نثر. إن التعليم فيها كان في منتهى الإخلاص و الإتقان حتى تعليم الهجاء للأطفال الصغار فإننا ما زلنا إلى اليوم نتذكر أن الهجائية تنقسم إلى ثلاثة أقسام: (١) هجائية (٢) هجائية القراءة (٣) قراءة. فمثلا كلمة «إستغفر» فإنها تقرأ بالهجائية هكذا: ألف تحتها كسرة إ، س فوقها سكون إس، ت فوقها فتحة ت، غ فوقها سكون إغ، ف تحتها كسرة ف، ر فوقها سكون أر، - أما هجائية القراءة- فهكذا: إس، ت، إس ت غ، إس ت غ، إس ت غ ف ر، - و أما القراءة- فهكذا: إستغفر، تقرأ دفعه واحدة. هكذا كان تعليم الهجاء لنا في مدرسة الفلاح بمكة المشرفة، و اليوم لا عناية عندنا بتعليم الهجاء و لا عناية لنا بتعليم العلوم، نسأل الله الصلاح و الفلاح.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٤

و لقد تقدم الكلام أن العطلة الدراسية في المدرسة في نهاية كل عام لا تتعدى الشهرين مطلقا فإنها كانت بعد انتهاء الإختبار العمومي في المدرسة و ظهور نتيجة الإختبار تفضل أبوابها فتبدأ العطلة من أواخر شهر القعدة و تنتهي إلى العاشر من محرّم في كل عام.

و الخلاصة أن أساتذة مدارس الفلاح كانوا ممتازين في العلم و الأدب و الأخلاق و كانوا يساعدون بعضهم و يحبون بعضهم. و مما يسجل التاريخ لمدرسة الفلاح أنه عند حصول الأزمة المالية في الحجاز في أوائل العهد السعودي أي في سنة (١٣٥٠) ألف و ثلاثمائة و خمسين للهجرة تقريبا فكّر بعضهم الاستغناء عن بعض المدرّسين فيها لقلّة مواردها ثم أجمعوا بالاتفاق على أن لا يخرج من عندهم أي أستاذ و أن جميعهم راضون بنقصان رواتبهم الشهرية و بذلك ضربوا المثل الأعلى للمحبة و الإخلاص لبعضهم. و تمتاز مدارس الفلاح بأمر في غاية من التعقل و الحكمة و هو: أنها لا تحيل أحدا من المدرّسين فيها للتقاعد لكبر سنّه بل إن كل واحد منهم يشتغل بالمدرسة إلى أن يموت أو ينتقل إلى وظيفة أخرى في غير المدرسة باختياره التام. و تمتاز المدرسة أيضا بصفة كريمة و هي: أنه إذا

غضب أحد الأساتذة من المدرسة لأمر من الأمور وانقطع عن الحضور إليها أياما فإن بعض الأساتذة يذهبون إليه، وقد يذهب مدير المدرسة إليه فيأخذون بخاطره و يطيبون قلبه حتى يرضى تمام الرضى فيعود إلى المدرسة معززا مكرما فرحا مسرورا. وهذا الأمر لا وجود له في زماننا الحاضر في أى مدرسة أو دائرة حكومية مع أنه أمر مهم للغاية ففيه روح المحبة والإخلاص والتعاون.

انظر: صورة رقم ٣٠٠، المؤلف على باب مدرسة الفلاح بجدة سنة ١٣٥٢ هـ

ولا يفوتنا هنا أن نذكر بعض كبار أساتذتها الفضلاء من أهل العلم والصلاح والاستقامة في العهد السابق. فممن كان في مدرسة الفلاح بمكة:

(١) الشيخ عبد الله حمدوه السنارى، وهو مدير المدرسة إلى أن توفى في سنة (١٣٥٠ هـ).

(٢) و الشيخ حسن السنارى، وهو رئيس قسم تحفيظ القرآن بالمدرسة و توفى في السودان.

(٣) و الشيخ محمد أمين فودة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٥

(٤) و الشيخ عيسى رواس، المتوفى سنة (١٣٦٥ هـ).

(٥) و الشيخ أحمد ناضرين، المتوفى سنة (١٣٧٠ هـ).

(٦) و الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى، المتوفى سنة (١٣٦٣ هـ).

(٧) و الشيخ زيدان الشنقيطى، المتوفى بمصر سنة (١٣٥٧ هـ).

(٨) و الشيخ محمد الطيب المراكشى.

(٩) و الشيخ محمد العربى الجزائرى.

(١٠) السيد محمد طاهر الدباغ.

(١١) و الشيخ عمر حمدان المغربى توفى سنة (١٣٦٨ هـ).

(١٢) و الشيخ سليمان الغزاوى خطاط المدرسة منذ بدايتها إلى وفاته و قد بلغ الثمانين، توفى سنة (١٣٥٩ هـ).

هذا ما تذكرناه من قدماء الأساتذة فرحمهم الله تعالى رحمة واسعة و بارك في حياة الباقيين خصوصا من أهل وقتنا الحاضر الفضلاء الأخيار.

و ممن كان في مدرسة الفلاح بجدة من أهل العلم والخير والاستقامة.

(١) السيد محمد حامد المصرى و هو من علماء الأزهر.

(٢) الشيخ حسين مطر، و هو مدير المدرسة إلى أن توفى.

(٣) الشيخ سرحان.

(٤) الشيخ عمر حفىنى.

(٥) الشيخ عبد العزيز فتح الله.

(٦) الشيخ فتح الله الصاوى.

(٧) السيد محمد المرزوقى.

(٨) الشيخ عبد الوهاب نشار.

(٩) و محمد طاهر الكردى مؤلف هذا الكتاب فلقد خدمها نحو خمسة عشر عاما و إليك صورته و هو على باب المدرسة أخذت له في سنة (١٣٥٢ هـ).

هذا ما تذكرناه من أساتذتها القدماء فرحم الله تعالى من مات منهم و بارك في حياة الباقيين خصوصا من أهل وقتنا الحاضر الفضلاء

الأخبار.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٦

و نرى من الواجب أن نضع صورة مدير مدرسة الفلاح بمكة المكرمة في وقتنا الحالي و هو السيد محمد رضوان، و هذه صورته:

انظر: صورة رقم ٣٠١، السيد محمد رضوان مدير مدرسة الفلاح بمكة المكرمة

و المذكور شاب من أهل الدين و الإستقامة و الشهامة و المروءة، و هذه صفات آل رضوان بمكة المكرمة. و الحقيقة التي لا حظناها أن مدارس الفلاح لها التوفيق التام في اختيار مديريها و أساتذتها في كل وقت و حين. و لا يفوتنا أن نقول: إن التعليم في مدارس الفلاح بمكة و جدّه كان مجاناً منذ تأسيسها إلى اليوم، و إذا نظرنا إلى أن الحاج محمد علي زينل رضا رئيسها الموفق العزيز يصرف وحده على هذه المدارس سنوات طويلة أكثر من نصف قرن منذ تأسيسها إلى اليوم أكبرنا من هذه الهمة العلية و الإخلاص العظيمين و أكبرنا أيضاً فيه هذا التوفيق العظيم من الله العزيز العليم. عامله الله تعالى بلطفه و رحمته و فضله و إحسانه و أجزل له الثواب يوم القيامة، و نظن أنه افتتح مدرسة ثالثة في دبي بالخليج الفارسي و مدرسة رابعة في بمبي بالهند.

هذه نبذة عن مدارس الفلاح بالحجاز و لولا- خوفنا من إطالة الكلام لكتبنا كثيرا عن أساتذتها الممتازين قديما و حديثا و عن تلامذتها البارزين الذين تولوا مناصب ممتازة في جميع مرافق البلاد و الذين يشار إليهم بالبنان إلى اليوم. أسعدهم الله تعالى و أسعد بلادهم الطاهرة و بارك في حياة مؤسسها و أسخ عليه نعمة ظاهرة و باطنة آمين.

هذا و قد تطورت أمور التعليم في العهد السعودي خصوصا في السنوات الأخيرة هذه فقد اتسعت رقعتها و امتدت ميادينها حيث قد انتشرت المدارس في كل مدينة و في كل قرية في المملكة السعودية. ففي مكة و حدها توجد من المدارس الحكومية البيان الآتي:

عدد المدارس الإبتدائية (٥١) إحدى و خمسون مدرسة.

و عدد المدارس المتوسطة (٧) سبع مدارس.

و عدد المدارس الثانوية (٢) اثنتان.

و عدد المعاهد (٣) ثلاثة معاهد.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٧

مع العلم بأن مدارس الفلاح قد تطور برنامجها فأصبح فيها الإبتدائي و المتوسط و الثانوي.

و لو لا أنى مريض حال كتابه هذه السطور لأسهبت في الكلام على مدارس مكة و جهود وزارة المعارف في رفع مستوى التعليم بها، و بالمملكة السعودية نسأل الله تعالى التوفيق و السداد و إصلاح الحال و الأحوال آمين.

### نظرة تأمل في مدارس الفلاح

لقد كانت مدارس الفلاح بمكة و جدّه و بمبي بالهند و دبي، بضم الدال المهملة و فتح الباء الموحدة و سكون الياء المثناة في منتهى التقدم الدراسي في جميع مراحلها من السنة الأولى الهجائية إلى آخر السنة التكميلية. و بما أننى من خريجي مدرسة الفلاح بمكة المكرمة سنة (١٣٣٩) ألف و ثلاثمائة و تسع و ثلاثين هجرية ثم من أساتذة مدرسة الفلاح بجدّه من أول سنة (١٣٤٩) هجرية فإنه يجب أن أكتب عن هاتين المدرستين نبذة صغيرة غير ما تقدم هنا عن مشاهداتي و خبرتي الشخصية فأقول و بالله التوفيق:

إن أساتذة تلك المدرستين بمكة و جدّه هم من خيرة الأساتذة و إن مدير مدرسة مكة الشيخ عبد الله حمدوه السنارى هو من خير الناس، و كان من أهل العلم و الصلاح التام، كانت له أحوال حسنة في تربية التلامذة و تهذيبهم و تعليمهم رحمه الله تعالى رحمة واسعة، و كان من أساتذتها الشهيرين الشيخ حسن السنارى و كان هذا رئيس قسم تحفيظ القرآن الكريم بالمدرسة، و كانت له قوة خارقة و شدة صارمة في تحفيظ القرآن، و لم يكن بمكة أحفظ منه للقرآن العظيم، و ما حفظ عنده أحد القرآن و نسيه أبدا إلا النادر

جدا ممن كتب الله تعالى عليه ذلك، وما زال كثير منهم عندنا على قيد الحياة. وكان للشيخ حسن السنارى رحمه الله تعالى و أحسن إليه، طريقة خاصة فريدة فى تحفيظ القرآن الكريم للطلبة و هى أخذهم بالشدة و الصرامة و عدم الضحك و الانبساط معهم، إنه ما كان أحد منهم يقدر أمامه فى غرفة الدراسة على التكلم مع زميله أو المزاح معه قط، و ما كان أحد منهم يقدر على التساهل فى حفظ ما خصصه له الأستاذ، و كان رحمه الله تعالى لا يقبل من أحد غلطة واحدة، و الويل لمن لم يحفظ لوحه و سورته. إن من وجد عليه غلطات فى القرآن الكريم يضربه ثم يوقفه فى الغرفة و وجهه على الجدار ليحفظ

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٨

لوحه من جديد، و بعد ساعة أو أكثر يستمع له بنفسه، إنه لا يقدر أحد من الطلبة أن يتنفس أمامه من شدة خوفه و هيئته منه. إنه رحمه الله تعالى ما روى فى غرفته الدراسية ضاحكا أو مبتسما قط، إنه إذا أراد ضرب أحد الطلبة بالعصا فى رجليه يضع المنديل على فمه و لا يظهر منه إلا عينيه المفزعتين.

إنه رحمه الله تعالى كان فى ليالى رمضان فى صلاة التراويح مع المدرسة بالمسجد الحرام يمر على جميع أئمة التراويح من طلبته ليستمع قراءتهم، و كان يصلى التراويح وراء الصفوف حتى لا يراه أحد من طلبته فيفزع منه فيغلط فى القراءة. كان رحمه الله تعالى هذا دينه مع عظيم ديانته و صلاحه و تقواه.

و كان رحمه الله تعالى من شدة حفظه للقرآن الكريم حفظا جيدا يستمع لثلاثة من الطلبة فى آن واحد و فى سور مختلفة، يضعهم أمامه و كل واحد منهم يقرأ لوحه، فإذا غلط أحد منهم يردّ عليه فى ساعته و هذه الحالة نادرة جدا لا يقدر عليه إلا من فتح الله قلبه و نور بصيرته، ففى القرآن الكريم: **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ لَكِنَّ لِلَّهِ خِرْقَ الْعَوَائِدِ وَ الْيَوْمِ لَا- يَوْجِدُ أَحَدَ مِثْلِهِ قَطْ لَا فِي الْحِجَازِ وَ لَا فِي غَيْرِهَا.**

و الحق يقال إن تحفيظ القرآن الكريم لا يصلح له إلا مثل هذا الرجل فإن تحفيظ القرآن لا يصلح له التساهل و اللين بل لا بد من الشدة و الصرامة.

و هناك من الأساتذة من أهل الصلاح و التقوى و الفضل و الاستقامة كثيرون و كلهم و الله كانوا من الأخيار و لو شئنا أن نكتب عن فضائلهم لطال بنا المقام، و أما مدير مدرسة الفلاح بمكة الشيخ عبد الله حمدوه السنارى و مدير مدرسة الفلاح بجدة الشيخ حسين مطر فإنهما من الفضل و العلم و التقوى و الحكمة و السياسة بمكان عظيم، إنه لم يأت بعدهما أحد مثلهما، و إن كنا نعتز بفضيل الجميع و نحترمهم. فمن علامة آخر الزمان أنه لا- يأتى زمن إلا- و الذى قبله خير منه، و إن من ينظر إلى التعليم و التربية فى وقتنا الحاضر و من ينظر إليه فى الزمن الماضى يدرك الفرق العظيم بينهما و يشهد لهذا كل المعمرين الفضلاء من زملائنا الكرام بارك الله تعالى فى حياتهم الغالية، و ليس فى هذا أدنى ريب و من لم يعترف بهذا فهو من المكابرين الجهلاء.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٩

نقول هذا بيانا للحقيقة و تسجيلا للواقع فى هذا التاريخ المبارك تاريخ «بلد الله الأمين» و نسأل الله تعالى أن يحفظنا من الخطأ و الزلل و الأمراض و العلل بفضله و رحمته و أن يجزى عنا مؤسس مدارس الفلاح و مؤسس جميع المدارس و المعاهد العلمية خير الجزاء إنه تعالى على ما يشاء قدير و بإجابة دعوات عباده الفقراء الضعفاء لجدير فهو أكرم الأكرمين و أرحم الراحمين، و صلى الله و سلم على نبينا الحبيب «محمد» و على آله و أزواجه و ذريته و صحابته آمين. و الحمد لله رب العالمين.

### نظرة تأمل فى المؤلفات المدرسية قديما و حديثا

يمكن لنا أن نقسم الأزمان بعد انتشار العلوم و الفنون من بعد الإسلام بنحو ثلاثة قرون أو خمسة إلى قسمين تقريبا:  
(١) القسم الأول، عهد الأئمة و العلماء الأعلام الكبار الذين أناروا للأمة الإسلامية الكريمة طريق الهداية و الرشاد فهؤلاء لهم من

المؤلفات العظيمة ما لا يحصر ولا يعد، وما زالت الأمم الإسلامية بعدهم تتبع مناهجهم و تسير على خطاهم. و هذه المكتبات العامة في البلاد الإسلامية و في البلاد الأوروبية مليئة بكتبهم و مؤلفاتهم. أما ما قبل هذه القرون الأوائل فقد كان العلم و المعرفة و الإيمان تملأ قلوبهم، و كان الله تعالى يقذف في قلوبهم نور العلم و التقوى بدون حساب و بدون الاشتغال في الأسباب، كما أنه لم تكن وسائل الكتابة من الأوراق و الأقلام و الحبر منتشرة في تلك القرون انتشارها اليوم. فلقد كانوا يكتبون على الأخشاب و العظام و الجلود و صفائح الأحجار كما بيّنا ذلك في كتابنا المطبوع (تاريخ الخط العربي و آدابه) و كانوا إذا قرأوا شيئاً أو سمعوا حديثاً أو قصيدة مرة واحدة حفظوه عن ظهر قلب من غير أن يغلطوا فيه بحرف واحد، و الحكايات في ذلك كثيرة.

و من نظر إلى حديث: (من يبسط ثوبه) أو (أيكم يبسط ثوبه) إلى آخر الحديث كما جاء في صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة في باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضى الله تعالى عنه ما لفظه: عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال يوماً: (أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا ثم يجمعه إلى صدره فإنه لم ينس شيئاً سمعه، فبسطت برده على حتى فرغ من حديثه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٠

ثم جمعها إلى صدرى فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً). هذا الحديث ربما جاء مثله في صحيح البخارى أيضاً.

إن من ينظر إلى هذا الحديث الشريف يعلم علم اليقين أن الله تبارك و تعالى قد خلق لنشر هذا الدين الحنيف رجالاً و فتح لهم أعين قلوبهم و نور بصائرهم و قذف في بواطنهم نور العلم و العرفان و اليقين و الإيمان و أمدهم بالأسرار الإلهية و الكنوز الخفية الصمدانية. (٢) و القسم الثانى، من بعد القرون الأولى الثلاثة أو الخمسة إلى نهاية القرن الثالث عشر، أى إلى سنة (١٣٠٠) ألف و ثلاثمائة للهجرة، في هذه القرون أيضاً نجد العلوم و الفنون على ميدان أوسع و بتطورات جديدة و فى ازدهار تام بما يشفى الفؤاد و ينعشها فى جميع البلاد الإسلامية مع ظهور بعض المطابع و المكتبات و الجرائد و الصحف فى القرن الأخير، كما لا يخفى على المطلعين و أهل الثقافة.

لقد كنا نتعلم فى مدرسة الفلاح بمكة المكرمة منذ سنة ألف و ثلاثمائة و اثنتين و ثلاثين هجرية (١٣٣٢ هـ) فى كتب مؤلفه تأتينا من مصر، و هى و إن كانت كتباً مدرسية مؤلفة للطلبة و الناشئين إلا أنها معدودة من الكتب القيمة القوية جداً، و كان التلامذة يتلقونها بقوة و فهم مع الإخلاص العظيم فى مشايخنا و أساتذتنا، فلقد كنا نحفظ المتون فى مختلف العلوم كألفية ابن مالك فى النحو و متن التصريف و الأمثلة المختلفة و منظومات فى الفقه و منظومات فى الإملاء و فيما يكتب بالواو أو بالياء، و كان هناك كتاب الدروس النحوية بأجزائها الثلاثة و علم البلاغة كنا نحفظ هذه الكتب كلها غيباً كما نحفظ كتاب الترتيب و الترهيب لنخبة من علماء مدرسة الفلاح، و كنا نشترى كتاب مجموع المتون و نشترى كتب اللغة كمختار الصحاح، و فقه اللغة و جواهر الأدب و أسلوب الحكيم، و المفرد العلم و الدرر البهية فى علم الحساب لمحمد إدريس بك و كتاب الهندسة له أيضاً رحمه الله تعالى، و كتاب نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضرى، و كتاب تاريخ الخياط و كتاب لباب الخيار فى التاريخ أيضاً، و كتاب التريية و الآداب الشرعية و كتباً أخرى فى الفقه و الحديث و التفسير و علم الفرائض و غير ذلك.

كل هذا و نحن تلامذة فى المدارس و كان هذا شأن الطلبة سواء كانوا بمدرسة الفلاح بمكة أو بمدرسة الفلاح بجده أو بمدارس أخرى من الحرمين الشريفين أو فى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥١

غيرهما من مدن الحجاز كما هو معروف لدى المعمرين من زملائنا و إخواننا الفضلاء أمد الله تعالى فى حياتهم و وفقهم للخيرات.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ؛ ج ٣-٦ ؛ ص ٥١

ل الغازى فى تاريخه: و فى مرآة الحرمين أول من أرسل صرة النقود إلى الحرمين المقتدر بالله العباسى سنة (٣٢٠) ثم تبعه الأمراء و الخلفاء يزيد كل منهم على سلفه ما يليق بكرم نفسه، و كان أول من جهزها إلى مكة من سلاطين آل عثمان السلطان محمد خان ابن السلطان يلدرم خان كان يرسلها من بلاد الروم إذ لم تكن بلاد العرب فى ذلك الحين دخلت حوزة آل عثمان و كانت من أجل ذلك تسمى الصدقة الرومية، و اقتفى أثره ولده و خلفه السلطان مراد خان، و كان يرسل أضعاف ما أرسله أبوه ثم السلطان بايزيد خان ضاعف الصدقة، و لما آل الأمر إلى السلطان سليم خان أرسل الصدقات الرومية أضعاف ما كان يرسله أبوه و جعل له دفترًا لتسجيل فيه العطايا و قرر لجماعة من المجاورين بالحرمين مائة دينار لكل شخص تدفع إليهم من خزينة مصر، فكان يقوم بإرسالها الجراكسة و سمي هذا مال الذخيرة، و كذلك رتب الأمير مصلح بك لثلاثين شخصًا يقرأون القرآن كل يوم اثنا عشر دينارًا لكل منهم فى السنة و سجل ذلك فى الدفاتر الرومية، و كذلك تطلق الذخيرة على صدقة كانت تخرجها الجراكسة من خزينة مصر و أبقاها السلطان سليم بعد افتتاحه بلاد العرب و أخذه الأقاليم مصر و الشام و حلب تفرق على العربان أصحاب الإدراك أو المدارك و على فقراء أهالى مكة، و مما يتصل بهذه الخيرات المرتبات التى خصصتها مصر لأهل الحرمين و لعربان الطرق و ما تقوم به تكيئا مكة و المدينة من إطعام الفقراء و المساكين، و هاتان التكيئا من آثار محمد على باشا جد الأسرة المالكة لمصر، و جميع نفقاتهما و مرتبات موظفيها من قبل الحكومة المصرية. اه. انتهى من تاريخ الغازى.

### مقدار ما كان يحمل إلى بيت المال أيام المأمون

ذكر ابن خلدون فى مقدمته رحمه الله تعالى عند الكلام على آثار الدولة على نسبة قوتها فى أصلها ما يأتى: و كذلك وجد بخط أحمد بن محمد بن عبد الحميد

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٢

عمل ما يحمل إلى بيت المال ببغداد أيام المأمون فى جميع النواحي نقلته من جراب الدولة:

عدد/البلدة/مقدار ما يحمل من الغلة

١/ غلاة السواد/ سبع و عشرون ألف درهم مرتين و ثمانمائة ألف

درهم و من الحلل النجرانية مئتا حلة و من طين الختم مائتان و أربعون رطلا.

٢/ كسكر/ أحد عشر ألف درهم مرتين و ستمائة ألف درهم.

٣/ كور دجلة/ عشرون ألف درهم مرتين و ثمانية دراهم.

٤/ حلوان/ أربعة آلاف درهم مرتين و ثمانمائة ألف درهم.

٥/ الأهواز/ خمسة و عشرون ألف درهم مرة و من السكر ثلاثون ألف رطل.

٦/ فارس/ سبعة و عشرون ألف درهم و من ماء الورد

ثلاثون ألف قارورة و من الزيت الأسود عشرون ألف رطل.

٧/ كرمان/ أربعة آلاف درهم مرتين و مئتا ألف درهم

و من المتاع اليماني خمسمائة ثوب و من التمر عشرون ألف رطل.

٨/ مكران/ أربعمائة ألف درهم مرة.

٩/ السند و ما يليه/ أحد عشر ألف درهم مرتين و خمسمائة ألف درهم و من العود الهندى مائة و خمسون رطلا.

١٠/ سجستان/ أربعة آلاف ألف درهم مرتين و من الثياب المعينة

- ثلاثمائة ثوب و من الفانيذ عشرون رطلا.
- ١١/ خراسان/ ثمانية و عشرون ألف درهم مرتين و من نقر  
الفضة ألفا نقره و من البراذين أربعة آلاف و من الرقيق ألف رأس و من المتاع عشرون ألف ثوب و من الإهليلج ثلاثون ألف رطل.
- ١٢/ جرجان/ اثني عشر ألف درهم مرتين و من الإبريسم ألف شقة.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٣  
عدد/ البلدة/ مقدار ما يحمل من الغلة
- ١٣/ قومس/ ألف ألف درهم مرتين و خمسمائة ألف من نقر الفضة.
- ١٤/ طبرستان و الروبان و نهاوند/ ستة آلاف ألف درهم مرتين و ثلاثمائة ألف، و من الفرش الطبرى ستمائة قطعة، و من الأكسية  
مائتان و من الثياب خمسمائة ثوب، و من المناديل ثلاثمائة، و من الجامات ثلاثمائة.
- ١٥/ الرى/ اثني عشر ألف درهم مرتين، و من العسل عشرون ألف رطل.
- ١٦/ همدان/ أحد عشر ألف درهم مرتين و ثلاثمائة ألف، و من رب الرمانين ألف رطل، و من العسل اثني عشر ألف رطل.
- ١٧/ ما بين البصرة و الكوفة/ عشرة آلاف ألف درهم مرتين و سبعمائة ألف درهم.
- ١٨/ ما سبذان و الدينور/ أربعة آلاف ألف درهم مرتين.
- ١٩/ شهرزور/ ستة آلاف ألف درهم مرتين و سبعمائة ألف درهم.
- ٢٠/ الموصل و ما إليها/ أربعة و عشرون ألف درهم مرتين، و من العسل الأبيض عشرون ألف رطل.
- ٢١/ أذربيجان/ أربعة آلاف ألف درهم مرتين.
- ٢٢/ الجزيرة و ما يليها من أعمال الفرات/ أربعة و ثلاثون ألف درهم مرتين، و من الرقيق ألف رأس، و من العسل اثني عشر ألف  
زق و من البزاب عشرة، و من الأكسية عشرون.
- ٢٣/ أرمينية/ ثلاثة عشر ألف ألف درهم مرتين، و من القسط المحفور عشرون، و من الزق خمسمائة و ثلاثون رطل، و من المسايح  
السور ما هي عشرة آلاف رطل و من الصويخ عشرة آلاف رطل، و من البغال مائتان و من المهرة ثلاثون.
- ٢٤/ قنسرين/ أربعمائة ألف دينار و من الزيت ألف حمل.
- ٢٥/ دمشق/ أربعمائة ألف دينار و عشرون ألف دينار.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٤  
عدد/ البلدة/ مقدار ما يحمل من الغلة
- ٢٦/ الأردن/ سبعة و تسعون ألف دينار.
- ٢٧/ فلسطين/ ثلاثمائة ألف دينار و عشرة آلاف دينار و من الزيت ثلاثمائة ألف رطل.
- ٢٨/ مصر/ ألف ألف دينار و تسعمائة ألف دينار و عشرون ألف دينار.
- ٢٩/ برقة/ ألف ألف درهم مرتين.
- ٣٠/ أفريقية/ ثلاثة عشر ألف ألف درهم مرتين، و من البسط مائة و عشرون.
- ٣١/ اليمن/ ثلاثمائة ألف دينار و سبعون ألف دينار سوى المتاع.
- ٣٢/ الحجاز/ ثلاثمائة ألف دينار.
- ٣٣/ و أما الأندلس/ فالذى ذكره الثقات من مؤرخيها أن عبد الرحمن الناصر خلف في بيوت أمواله خمسة آلاف ألف دينار  
مكررة ثلاث مرات، يكون جعلتها بالقناطير خمسمائة ألف قنطار.

قال: و رأيت في بعض تواريخ الرشيد أن المحمول إلى بيت المال في أيامه سبعة آلاف قنطار و خمسمائة قنطار في كل سنة، فاعتبر ذلك في نسب الدول بعضها من بعض، و لا تنكرون ما ليس بمعهود عندك و لا في عصرك شيء من أمثاله فتضيق حوصلتك عند ملتقط الممكنات، فكثير من الخواص إذا سمعوا أمثال هذه الأخبار عن الدول السالفة بادر بالانكدار و ليس ذلك من الصواب فإن أحوال الوجود و العمران متفاوتة. انتهى من مقدمة ابن خلدون.

### كيف كان القدماء يؤرخون الحوادث و الأزمان

جاء في كتاب «فصول مختارة من كتب التاريخ» من الجزء الأول بالعنوان المذكور ما نصه: ليس أمه من الأمم من الشرقيين و غيرهم ممن سلف أو خلفها إلا و لها تاريخ ترجع إليه و تعول عليه في أكثر أمورها ينقل ذلك خلف عن سلف و باق عن ماض إذ كان به تعرف الحوادث العظام و الكوائن الجسام و ما كان في الأزمان التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٥

الماضية و الدهور الخالية. و لو لا ضبط ذلك و تقييده لانقطعت الأخبار و درست الآثار و جهلت الأنساب.

و كانت العرب قبل ظهور الإسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة، فأما حمير و كهلان ابنا سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان بأرض اليمن فإنهم كانوا يؤرخون بملوكهم السالفة من التبابعة و غيرهم كملك تبع الأ-كبر و تبع الأصغر و تبع ذى الأذعار، و تبع ذى المنار، و أرخوا بملك ذى نواس، و ملك جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم الدوسى، و ملك آل أبى شمر من غسان بالشام، و أرخوا بعام السيل و هو سيل العرم الذى ذكره الله عز و جل فى القرآن، و خروج عمرو مزقياء بن عامر ماء السماء من مأرب فى قومه من الأزد و غيرهم من كهلان و حمير و تفرقهم فى البلاد. ثم أرخوا بظهور الحبشة على اليمن، ثم غلبه الفرس على اليمن و إزالة الحبشة إلى أن جاء الله بالإسلام.

فأما تاريخ ولد معد بن عدنان فإنهم كانوا يؤرخون بغلبة جرهم العماليق و إخراجهم إياهم عن الحرم، ثم أرخوا بهلاك جرهم فى الحرم، ثم أرخوا بعد ذلك بعام التفرق و هو العام الذى افترق فيه ولد نزار بن معد بن عدنان من ربيعة و مضر و إياد و أنمار، ثم أرخوا بعد ذلك بعام الفساد و هو عام وقع فيه بين أحياء العرب و قبائلها التنازع و الحروب فاستبدلوا الديار و تنقلوا فى المساكن. و أرخوا بحجة الغدر و كانت قبل الإسلام بنحو من مائة و خمسين سنة و كان سببها أن أوسا و حصبة ابني أزنم بن عبيد خرجا فى عدة من قومهما حجاجا فلقوا بأنصاب الحرم أناسا من اليمن معهم كسوة للكعبة و مال للسدنة حمل ذلك بعض ملوكهم، فقتلوهم و أخذوا ما كان معهم و دخلوا مكة فلما كان فى أيام منى فشا الخبر بالناس فوثبوا بهم و تحزب معهم قوم فانتهبت الناس بعضهم بعضا فسميت حجة الغدر.

و أرخوا بالحرب بين ابني وائل: بكر و تغلب المعروفة بحرب البسوس، و كان الذى هاجها قتل جساس بن مرّة بن ذهل بن شيان كليباً لقتل كليب ناقه يقال لها سراب لجار لخالة جساس، و هى البسوس بنت المنقذ التميمية. و أرخوا بحرب ابني بغيض بن ريث بن غطفان المعروفة بحرب داحس و الغبراء و ذلك قبل البعث بنحو من ستين سنة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٦

و بحرب الأوس و الخزرج ابني حارثة بن ثعلبة و هو العنقاء، و إنما سمي العنقاء لطول عنقه، و هما أخوان لأب و لأم نسبا إلى أمهما قتيلة. و أرخوا بعام الخنان و هو عام شمل أكثر الناس فيه الخنان، قال النابغة الجعدى:

فمن يك سائلا عنى فإنى من الفتیان فى عام الخنان

و كانت كل قبيلة من قبائل العرب تؤرخ بيوم من أيامها المشهورة فى حروبها.

فكانت بكر و تغلب أبناء وائل تؤرخ بعام التحالق من حرب البسوس أيام حروبهم المنسوبات.



و بنو عامر بن صعصعة يؤرّخون بيوم شعب جبلة و كان قبل الإسلام بنيف و أربعين سنة بين بنى عامر و أحلافها من عبس و بين من سار إليهم من تميم و عليهم حاجب و لقيط ابنا زرارة بن عدس و من عاضدهما من اليمن مع ابني الجون الكنديين. و إياد تؤرّخ بخروجها عن تهامة و حروبها مع فارس، الحرب المعروفة بوقعة دير الجماجم، و بتلك الموقعة سمي الدير لكثرة الجماجم و ذلك في ملك سابورا ذي الأكتاف ملك فارس.

ثم أرخوا بعام الانتقال من ديارهم إلى بلد الروم، و آخر من دخل منهم إلى هناك في أرض الجزيرة و الموصل في خلافة عمر بن الخطاب نحو من أربعين ألفا كانوا على النصرانية و أنفوا من الجزيرة حين أخذوا بها.

و تميم تؤرّخ بعام الكلاب و هي الحرب التي كانت بين ربيعة و تميم. و الأوس و الخزرج ابنا حارثة تؤرّخ بعام الآطام- لما تحاربوا على الآطام- و هي الحصون و القصور، و كانت الأوس و الخزرج تتمتع بها فأخرجت في أيام عثمان بن عفان.

و طيء و جديلة تؤرّخ بعام الفساد و هي الحرب التي كانت بين الغوث بن طيء و جديلة بن سعد بجبلى طيء أجا و سلمى و ما يلي ذلك من السهل.

و لم يزل من وصفنا من قبائل العرب يؤرخون بالأعمور المشهورة من موت رؤسائهم و وقائع و حروب كانت بينهم إلى أن جاء الله بالإسلام فأجمع المسلمون على التاريخ من الهجرة. ذهب قوم من أصحاب السير و الآثار إلى أن آدم لما هبط من الجنة و انتشر ولده أرخ بنوه من هبوطه فكان ذلك هو التاريخ حتى بعث الله نوحا فأرخوا من مبعثه حتى كان الطوفان فكان التاريخ منه إلى نار إبراهيم، فلما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٧

كثر ولد إبراهيم افترقوا، فأرخ بنو إسحاق من نار إبراهيم إلى يوسف، و من يوسف إلى مبعث موسى و من مبعث موسى إلى ملك داود و سليمان، و ما كان بعد ذلك من الكوائن و الأحداث.

و أرخ بنو إسماعيل من بناء البيت حين بناه إبراهيم و إسماعيل فلم يزالوا يؤرخون بذلك حتى تفرقت معد، و كان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بمخرجهم، و من بقى من بنى إسماعيل يؤرخون بخروج آخر من خرج منها من قضاة و هم سعد و نهد و جهينة بنو زيد بن ليث حتى مات كعب بن لؤى فأرخوا من موته إلى الفيل، و منهم من كان يؤرخ بيوم الفجار بين قريش و سائر كنانة بن لؤى و بين قيس بن عيلان. و منهم من كان يؤرخ بحلف الفضول و كان بعد منصرفهم من الفجار و إنما سمي الفجار؛ لأنهم تفاجروا فيها و اقتتلوا في الأشهر الحرم.

و بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم و قريش تؤرخ بموت هشام بن المغيرة المخزومي و الفيل.

و قد ذكر للإبراهيميين تواريخ كثيرة منها التاريخ بوفاء إبراهيم ثم بوفاء إسحاق.

و في الإسماعيليين من كان يؤرخ بوفاء إسماعيل و غير ذلك. انتهى من الكتاب المذكور.

نقول و ما زال الناس إلى عصرنا هذا و إلى أن تقوم الساعة يؤرخون أمورهم بالمسائل المعروفة لديهم، فمثلا الذي يولد في يوم الجمعة يسمونه جمعة و من ولد في شهر محرم يسمونه محرم و من ولد في رجب يسمونه رجب و من ولد في شعبان يسمونه شعبان و من ولد في رمضان يسمونه رمضان أو غير ذلك من الأسماء و تعليقاتها.

### مبدأ وضع التاريخ الهجري و غيره

قال القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ما ملخصه: اختلف في أصل لفظ التاريخ فذهب قوم إلى أنه عربي و أن معناه نهاية الشيء و آخره، يقال فلان تاريخ قومه إذا انتهى إليه شرفهم. و ذهب آخرون إلى أنه فارسي و أن أصله «ماء زور» فعرب مؤرخ ثم جعل اسمه التاريخ، و يقال منه أرخت و ورخت بالهمزة و الواو لغتان، و لذلك قالوا في مصدره تأريخ و تورخ كما يقال تأكيد و توكيد فأرخت

لغة قيس وورّخت لغة تميم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٨

والمعروف عند العلماء أن ابتداء التاريخ بالهجرة كان في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه و اختلف في السبب الموجب لذلك فذكر النحاس أن السبب فيه عامل عمر بن الخطاب رضى الله عنه باليمن قدم عليه فقال: أما تؤرّخون كتبكم فاتخذوا التاريخ، و ذكر أبو هلال العسكري في كتابه الأوائل أن السبب فيه أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندرى على أيها نعمل. قد قرأنا كتابا منها محله شعبان فما ندرى في أي الشعبانين الماضى أو الآتى، فأحدث عمر التاريخ، و ذكر صاحب حماة في تاريخه أنه رفع إلى عمر رضى الله عنه صك محله شعبان فقال:

أي شعبان لا ندرى الذى نحن فيه أم الذى هو آت؟ ثم جمع وجوه الصحابة و قال: إن الأموال قد كثرت و ما قسمناه منها غير مؤقت فكيف التوصل إلى ما يضبط به ذلك؟ فقالوا: يجب أن نعرف ذلك من أمور الفرس، فاستحضر الهرمزان و سأله فقال: إن لنا حسابا نسمة «ماء زور» و معناه حساب الشهور و الأيام فعمل عمر التاريخ.

و قال في «ذخيرة الكتاب»: لما أراد عمر التاريخ جمع الناس للمشورة فقال بعضهم: تؤرّخ بمبعث النبى صلى الله عليه و سلم، و قال بعضهم: بل بوفاته، و قال بعضهم: بل بهجرته من مكة إلى المدينة لأنها أول ظهور الإسلام و قوته، فصوبه عمر و اجتمع رأيهم عليه. ثم بعد اتفاقهم على التاريخ من الهجرة اختلفوا فى الشهر الذى تقع البداية به فأشار بعضهم بالبداية بربضان لشرفه و عظمه، فقال عمر: بل بالمحرّم لأنه منصرف الناس من حجهم، فرجعوا القهقرى ثمانية و ستين يوما و هى القدر الذى مضى من أول المحرم إلى ذلك الوقت و استقر تاريخ الإسلام من الهجرة. قال القضاعى فى «عيون المعارف» و كان ذلك فى سنة تسع عشرة أو ثمانى عشرة من الهجرة.

قال القلقشندى: و استقرت تواريخ الأمم على أربعة تواريخ ابتداء بعضها مقدّم على ابتداء بعض:

أولها: غلبة الاسكندرية على الفرس و عليه تاريخ السريان و الروم إلى زماننا.

و الثانى: ملك دقلطيانوس ملك الروم على القبط و عليه تاريخ القبط إلى زماننا.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٩

و الثالث: الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و التسليم و عليها مدار التاريخ الإسلامى.

و الرابع: هلاك يزدجرد آخر ملوك الفرس و به تؤرّخ الفرس إلى زماننا، و كان هلاكه بعد الهجرة بعشر سنين و ثمانية و سبعين يوما. انتهى الكلام باختصار على وضع التاريخ الهجرى من كتاب «صبح الأعشى». و حيث تكلمنا عن التاريخ الهجرى نرى تكمله للبحث و الفائدة أن نذكر أيضا ما أورده القلقشندى فى كتابه «صبح الأعشى» عن بقية التواريخ و بيان أصولها و هو مبحث مهم مفيد.

قال رحمه الله تعالى فى كتابه المذكور بصحيفة ٢٣٥ من الجزء السادس ما نصه:

قال القضاعى فى «عيون المعارف فى تاريخ الخلائف» كانت الأمم السالفة تؤرّخ بالحوادث العظام و بملك الملوك، فكان التاريخ بهبوط آدم عليه السلام ثم بمبعث نوح ثم بالطوفان ثم بنار إبراهيم عليه السلام، ثم تفرق بنو إبراهيم فأرّخ بنو إسحاق بنار إبراهيم إلى يوسف، و من يوسف إلى مبعث موسى عليه السلام، و من موسى إلى ملك سليمان عليه السلام، ثم بما كان من الكوائن، و منهم من أرّخ بوفاء يعقوب عليه السلام ثم بخروج موسى من مصر بنى إسرائيل، ثم بخراب بيت المقدس. و أما بنو إسماعيل فأرّخوا ببناء الكعبة و لم يزالوا يؤرّخون بذلك حتى تفرقت بنو معد، و كان كلما خرج قوم من تهامة أرّخوا بخروجهم. ثم أرّخوا بيوم الفجار ثم بعام الفيل. و كان بنو معد بن عدنان يؤرّخون بغلبة جرهم العماليق و إخراجهم إياهم من الحرم ثم أرّخوا بأيام الحروب: كحرب بنى وائل و حرب البسوس و حرب داحس.

و كانت حمير و كهلان تؤرّخان بملوكهما التبابعة و بنار ضرار: و هى نار ظهرت ببعض خراب اليمن، و بسيل العرم، ثم أرّخوا بظهور

الحبشة على اليمن.

و أما اليونان و الروم فكانوا يؤرّخون بملك بختنصر ثم أرخوا بملك دقلطيانوس القبطي.

و أما الفرس فكانوا يؤرّخون بآدم عليه السلام ثم أرخوا بقتل دارا و ظهور الاسكندر عليه ثم بملك يزدجرد. و الذى ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماه فى تاريخه فى دائرة اتصال التواريخ القديمة بالهجرة عشرون تاريخا ذكر ما بينها و بين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٠

الهجرة من السنين إلا أنه لم يراع الترتيب فى بعضها و أهمل منها تأريخ يزدجرد لوقوعه بعد الهجرة.

و بالجملة فالتواريخ على قسمين:

القسم الأول: ما قبل الهجرة و قد أوردت منه تسعة عشر تأريخا:

الأول: من هبوط آدم عليه السلام. و قد اختلف فيما بينه و بين الهجرة اختلافا كبيرا: فمقتضى ما فى التوراة اليونانية على اختيار المؤرخين أن بينهما ستة آلاف سنة و مائتين و ست عشرة سنة، و على اختيار المنجمين أن بينهما خمسة آلاف و سبعمائة و تسع و ستين سنة.

و مقتضى ما فى التوراة السامرية على اختيار المؤرخين خمسة آلاف و مائة و سبع و ثلاثون سنة، و على اختيار المنجمين ينقص عن ذلك.

و مقتضى ما فى التوراة العبرانية على اختيار المؤرخين أن بينهما أربعة آلاف و سبعمائة و إحدى و أربعين سنة، و على اختيار المنجمين ينقص مائتين و تسع و أربعين سنة.

الثانى: من الطوفان. و بينه و بين الهجرة ثلاثة آلاف و تسعمائة و أربع و تسعون سنة على اختيار المؤرخين، و على اختيار المنجمين ثلاثة آلاف و سبعمائة و خمس و عشرون سنة و ثلثمائة و ستة أيام.

الثالث: من تبليل الألسن. و بينه و بين الهجرة على اختيار المؤرخين ثلاثة آلاف و ثلثمائة و أربع و ستون سنة، و على اختيار المنجمين ينقص عن ذلك مائتين و تسع و أربعين سنة.

الرابع: من مولد إبراهيم عليه السلام. و بينه و بين الهجرة على اختيار المؤرخين ألفان و ثمانمائة و ثلاث و تسعون سنة، و على اختيار المنجمين ينقص عن ذلك مائتين و تسع و أربعين سنة.

الخامس: من بناء إبراهيم الكعبة. و بينه و بين الهجرة ألفان و سبعمائة و ثلاث و سبعون سنة.

السادس: من وفاة موسى عليه السلام. و بينه و بين الهجرة على اختيار المؤرخين ألفان و ثلثمائة و ثمان و أربعون سنة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦١

السابع: من عمارة سليمان عليه السلام بيت المقدس. و بينه و بين الهجرة ألف و ثمانمائة و ستون سنة.

الثامن: من ابتداء ملك بختنصر. و بينه و بين الهجرة ألف و ثلثمائة و تسع و ستون سنة. قال صاحب حماه: بلا خلاف.

التاسع: من تخريب بختنصر بيت المقدس. و بينه و بين الهجرة ألف و ثلاثمائة و خمسون سنة.

العاشر: من ملك فيلبس أبى الاسكندر. و بينه و بين الهجرة تسعمائة و خمس و أربعون سنة و مائة و سبعة عشر يوما.

الحادى عشر: من غلبة الاسكندر على ملك فارس و قتل دارا ملك الفرس، و بينه و بين الهجرة تسعمائة و اثنتان و ثلاثون سنة و مائتان و تسعون يوما.

الثانى عشر: من مولد المسيح عليه السلام. و بينه و بين الهجرة ستمائة و إحدى و ثلاثون سنة.

الثالث عشر: من ملك أرديا لونس. و بينه و بين الهجرة خمسمائة و تسع و ستون سنة.

الرابع عشر: من ملك أرد شير أول ملوك الأكاسرة من الفرس، و بينه و بين الهجرة ثلثمائة و ست و أربعون سنة.

الخامس عشر: من خراب بيت المقدس المرة الثانية. و بينه و بين الهجرة ثلثمائة و ست و أربعون سنة.

السادس عشر: من ملك دقلطيانوس آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم على القبط، و بينه و بين الهجرة ثلثمائة و سبع و ثلاثون سنة و واحد و عشرون يوما.

السابع عشر: من غلبة أغسطش ملك الروم على قلوبطرا ملكة اليونان و مصر. و بينه و بين الهجرة مائتان و خمسون سنة و مائتان و ستة و أربعون يوما.

الثامن عشر: من عام الفيل، و هو العام الذى ولد فيه النبى صلى الله عليه و سلم. و بينه و بين الهجرة ثلاث و خمسون سنة و شهران و ثمانية أيام.

التاسع عشر: من مبعث النبى صلى الله عليه و سلم. و بينه و بين الهجرة ثلاث عشرة سنة و شهران و ثمانية أيام.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٢

القسم الثانى: ما بعد الهجرة

و فيه تاريخ واحد و هو من هلاكك يزدجرد آخر ملوك الفرس و كان بعد الهجرة بعشر سنين و ثمانية و سبعين يوما. انتهى من صبح الأعشى، و هو كما لا يخفى مبحث نفيس عن وضع التاريخ، و قد تراه مطولا لكنه مفيد و يحتاج إليه.

و ما أحلى كلام أمير الشعراء أحمد شوقى بك رحمه الله تعالى فى «التاريخ» فى كتابه دول العرب و عظماء الإسلام حيث يقول:

من سخر الصخر الأصم للقلم حتى جرى نورا عليه فى الظلم

يضيئ أثناء الصفا و طور اينجد كهفا بالسنى و غورا

لكل شىء عنصر و منحت و ما أبو الأقلام إلا المنحت

كم دمية مما جلا مخلقه مغنية ما أغنت المعلقة

قديمة تعرف الحديثا حادثه فى الدهر أو حديثا

قد نشأ التاريخ فى حجر الحجرو شب ما بين الكهوف و الحجر

أليس فى الصخر و فى الأديم جلّ حديث العالم القديم

ثم قال أمير الشعراء بعد خمسة أبيات منها:

سبحانه قص حديث آدم على تنائى العهد و التقادم

و رفع التاريخ أعلى منزلة بنصه فى كتبه المنزلة

بين الأناجيل علت أصوله و فى الحواميم غلت فصوله

ألم يك التاريخ ظل العالم و أقدم الأعلام و المعالم

توهم الخلد به الأوائل و ظن أن نال البقاء الزائل

و طلب الصيت به قديما و الذكر فوق الأرض مستديما

و النفس ترجو هممة الخلود فى العلم و البنيان و المولود

توهم الحياة بعد موت و تزعم الوجدان بعد فوت

ضاقت على النوايغ الآجال فكان فى الذكر لهم مجال

فى كل ذى روح هوى الحياة أودعه مصرف الآيات

فكن إذا أحببتها فخم الهوى لا تك و الشاة على حد سوا

أنظر إلى الآباء كيف هاموا بالخلد و احتالت له الأفهام

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٣

ثم قال أيضا بعد أربعة أسطر:

من درس التاريخ أو من درسه يمضى الزمان و هما فى المدرسه

لا يبلغان فى الكتاب غايته و لا الكتاب بالغ النهايه

ذاك كتاب الناس و الأيام من آدم الجد إلى القيام

تأنق الدهر به ما شاء و أتقن التأليف و الإنشاء

أنفق فيه زمن الشباب و ما أتم فيه غير باب

يكبر أن يطويه السجل و عن نوائب البلى يجلب

عال على كف المغير الماحى و لو مشت عليه بالرماح

مستهزئ بالغاشم البلدتهازؤ المصحف بالوليد

لا يمحي من الجميل ما رسم و لا يزول فى القبيح ما وسم

فإن وجدت خاطرا مطالبوا نازعا من الطباع غالبا

فقف على آثار أعيان الزمن و اغش الطلول و تنقل فى الدمن

و عالج النجوى و الادكارا يهيئا للحكمة الأفكارا

فالروح فى التاريخ الاعتبارو حكمه تودعها الأخبار

و خذه من محقق أمين و ميّز الغث من الثمين

إياك و المتوخ المقصاما كل من قصّ فقد تقصّى

و قدّم المعبر الميّناتجده فى مظلمه ميّنا

و تلق منه جوهرًا أو صائغاو تسق فى الفضه عذبا سائغا

فمن كريم الشعر و البيان عينان فى التاريخ تجريان

لو لا أوابد من البوادى مشت على أيامها العوادى

الشعر بعد موتها أحيها فى شعرها تمثلت دنياها

و إن ملكت مره أن تصنعه فاخش بأن تخلقه و تصنعه

و هبه لم يأمن عوادى العبث أليس كالكبير الذى ينفى الخبث

ما أقبح الكذب على الرفات و الكذب من أراذل الصفات

من غشّ نفسا جمع المظالمماذا ترى فيمن يغشّ عالما

انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٤

### كيفية ثبوت هلال ذى الحجة فى عصر ابن جبير

لم تكن فى العصور السابقه اخترعت وسائل الاتصال السريعه بين البلدان من تليفونات و تلغرافات و راديووات و نحوها كما هو الشأن فى عصرنا هذا، لذلك يتشوف الإنسان إلى كيفية ثبوت هلال ذى الحجة أو ثبوت هلال رمضان أو شوال لما يترتب على ثبوته الحج و الصوم و الفطر.

و لقد وصف ابن جبير في رحلته الشهيرة باسمه كيفية ثبوت هلال ذى الحجة عام وجوده بمكة المشرفة و هو عام (٥٧٩) تسع و سبعين و خمسمائة من الهجرة فقال رحمه الله تعالى:

استهل هلال ذى الحجة ليلة الخميس بموافقة الخامسة عشر من مارس، و كان للناس في ارتقابه أمر عجيب و شأن من بهتان غريب و نطق من الزور كان يعارضه من الجماد فضلا عن غيره رد و تكذيب، و ذلك أنهم ارتقبوه ليلة الخميس الموفى ثلاثين و الأثني و الأثني قد تكاثف نوره و تراكم غيمه إلى أن علت مع المغيب بعض حمرة من الشفق قطع الناس في فرجة من الغيم لعل الأبصار تلتقطه فيها. فبينما كذلك أن كبر أحدهم فكبر الجم الغفير لتكبيره و مثلوا قياما ينتظرون ما لا يبصرون و يشيرون إلى ما يتخيلون حرصا منهم على أن تكون الوقفة بعرفات يوم الجمعة كأن الحج لا يرتبط إلا بهذا اليوم بعينه، فاختلفوا شهادات زوریه و مشت منهم طائفة من المغاربة أصلح الله أحوالهم و من أهل مصر و أربابها فشهدوا عند القاضي برؤيته فردهم أقبح ردّ و جرح شهاداتهم أسوأ تجريح و فضحهم من تزيف أقوالهم أخزى فضيحة و قال: يا للعجب لو أن أحدهم يشهد برؤية الشمس تحت ذلك الغيم الكثيف النسج لما قبلته فكيف برؤية هلال هو ابن تسع و عشرين ليلة؟

و كان أيضا مما حكى من قوله: تشوشت المغارب، تعرضت شعرة من الحاجب فأبصروا خيالا ظنوه هلالا. و كان لهذا القاضي جمال الدين في أمر هذه الشهادة الزوریه مقام من التوقف و التحرى حمده له أهل التحصيل و شكره عليه ذوى العقول و حق لهم ذلك فإنها مناسك الحج للمسلمين عظيمة أتوا لها من كل فج عميق فلو تسومح فيها بطل السعى و قال الرأى و الله يرفع الالتباس و البأس عنه، فلما كانت ليلة الجمعة المذكورة ظهر الهلال أثناء فرج السحاب و قد اكتسى نورا من الثلاثين ليلة فرعقت العامة زعقات هائلة و تنادت بوقفه الجمعة و قالت الحمد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٥

لله الذى لم يخيب سعينا و لا ضيع قصدنا كأنهم قد صح عندهم أن الوقفة إذا لم تكن توافق يوم الجمعة ليست مقبولة و لا الرحمة فيها من الله مرجوة مأمولة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ثم إنهم يوم الجمعة المذكور اجتمعوا إلى القاضي فأدوا شهادات بصحة الرؤية تبكى الحق و تضحك الباطل فردها و قال يا قوم حتى م هذا التمادى فى الشهوة و إلى م تستنون فى طريق الهفوة؟ و اعلمهم أنه قد استأذن الأمير مكثرا فى أن يكون الصعود إلى عرفات صبيحة يوم الجمعة فيقفوا عشية بها ثم يقفوا صبيحة يوم السبت بعده و يبيتوا ليلة الأحد بمزدلفة، فإن كانت الوقفة يوم الجمعة فما عليهم فى تأخير المبيت بمزدلفة بأس إذ هو جائز عند أئمة المسلمين، و إن كانت يوم السبت فيها و نعمت و إما أن يقع القطع بها يوم الجمعة فتغير بالمسلمين و إفساد لمناسكهم لأن الوقفة يوم التروية عند الأئمة غير جائزة كما أنها عندهم جائزة يوم النحر. فشكر جميع من حضر للقاضى هذا المنزع من التحقيق و دعوا له و أظهر من العامة الرضى بذلك و انصرفوا عن سلام و الحمد لله على ذلك. انتهى من رحلة ابن جبير.

### بدء ظهور المطابع

و جاء عن اختراع الطباعة و تاريخها تفصيلات مهمة أحببنا ذكرها لما لها من الفوائد المتعددة و المعلومات القيمة و ذلك فى الجزء الأول من كتاب «كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب» المطبوع سنة (١٢٨٨) ثمان و ثمانين و مائتين و ألف من الهجرة بالأستانة و هذا نصها:

قد اختلفت الروايات فى اختراع المطبعة، فبعض المؤرخين نسبها إلى مدينة متر و بعضهم إلى استراسبورغ و هارلم و بعضهم إلى فينيسيا و رومية و بعضهم إلى فلورانس و باسيل، و فى رواية أوريان جونيوس أن مخترع المطبعة هو يوحنا كستار من هارلم، أول كتاب طبعه كان على وجه واحد و ذلك فى سنة (١٤٤٢) ميلادية. و قال آخر: لا شك أن الطبع على قطع الخشب كان معروفا عند أهل الصين قبل الميلاد بأحقاب عديدة، و كان أيضا معروفا فى بلاد أوروبا عند الرهبان فكانوا ينقلون الكلام من ورقة إلى أخرى

على الخشب إلا أن ذلك كان نادرا، أما استعمال هذه الحروف مصفوفة واحد بعد واحد فلم يعرف إلا في متأخر الزمن، أعنى فى القرن الرابع عشر للميلاد.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٦

وقال بعضهم: أصل اختراع هذه الحروف أن شابا كان اسمه يوحنا غانسفليس و يعرف بفاننبورغ سافر مرة إلى استراسبورغ و كانت مشهورة يومئذ بأنها سوق الكتب فأخذ يفكر فى إحداث طريقة لتكثيرها فخطر بباله تركيب حروف و تحليلها، ثم اجتمع برجل آخر فسبكاها و ذلك فى سنة (١٤٤٠ م) ثم أنشأ مطبعة و تفرق بعض من كان فيها فساروا إلى إيطاليا فاشتهرت هذه الصناعة فيها و ذلك سنة (١٤٦٥ م) و بعد أربع سنين اشتهرت فى باريس، و بعد سنة واحدة اشتهرت فى أسبانيا، و بعد خمسين سنة عمّت فى أوروبا، و فى سنة (١٦٣٧ م) صدر أمر من ديوان الإنكليز بأن لا يزيد عدد الطباعين على أربعة نفر و أنه بعد موت أحدهم لا يقوم آخر فى محله إلا بإذن مطران كنتربورى، إلا أن هذا الحكم نسخ عند إثبات حقوق الأهلين و ذلك سنة (١٦٩٣ م). و كانت الكتب تمتحن عندهم و ينظر فيها و تنتقد و فى سنة (١٧٩٥ م) بطلت هذه العادة أيضا و أمر بأن تطبع أسماء الطباعين فى أوائل الكتب و أواخرها.

فأما طبع الجوائب أى الأخبار الطارئة فأول ما اشتهر منها كان فى أكسفورد و ذلك سنة (١٦٦٥ م) و كان ديوان الملك هناك لأجل الطاعون الذى وقع بلندرة، فلما عاد الملك إلى المدينة المذكورة سمي ذلك الجرنال «كازتة» و بقى هذا الإسم خاصا بجرنال الدولة فهو بمنزلة المونيتور فى باريس، و أصل إسم الكازتة منقول عن قطعة من الفلوس تعرف بهذا الإسم فى فينيسيا و ذلك أنه طبع فيها صحيفة تشتمل على أخبار مختلفة و كانت تباع بتلك القطعة فلزمها هذا الإسم.

و معنى الجرنال باللغة الفرنسية يومى أو يومية، و كان اشتهاره فى فرنسا سنة (١٦٣١ م) و فى جرمانيا سنة (١٧١٥ م). و أول ما يصح أن يسمى بجرنال فى بلاد الإنجليز من حيث اشتماله على أخبار عمومية هو ما طبع فى سنة (١٦٦٣ م). و فى سنة (١٨٥١ م) بلغ عدد الجرنالات المطبوعة فى لندرة مائة و تسعة و خمسين اشتملت على (٨٩١٥٦٠) إعلانا، و بلغ عدد جرنالات إنكلترة كلها مائتين و اثنين و عشرين اشتملت من الإعلانات على أقل من تلك، و كان فى سكوتلاندا مائة و عشرة اشتملت على (٢٤٩١٤١) إعلانا، و فى إرلاندا مائة جرنال اشتملت على (٢٣٦١٢٨) إعلانا، و الأداء على كل إعلان فى جرنالات إنكلترة و سكوتلاندا شلين و نصف يدفعها صاحب الجرنال للميرى، و فى إرلاندا شلين واحد و على كل جرنال طابع ميرى ثمنه ينى واحد. ففى سنة (١٨٥٠ م) بلغ عدد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٧

الطوابع بإنكلترة (٦٥٧٤١٢٧١) و فى سكوتلاندا (٧٢٤٣٠٤٥) بسعر ينى و (٢٤١٢٦٤) بسعر نصف ينى و فى إرلاندا (٦٣٠٢٧٢٨) بسعر ينى و (٤٣٣٥٨) بسعر نصف ينى.

و وزن ما يطبع فى إنكلترة من الجرنالات اليومية و الأسبوعية يبلغ نحو مائة و خمسين طنا، و فى باريس فيها نحو ما فى لندرة، و فى أمريكا ثمانمائة جرنال منها خمسون تطبع فى كل يوم، و أول جرنال اشتهر فيها كان فى سنة (١٧١٩ م) و أول طبع بالآلات البخار ظهر فى مطبعة التمس و ذلك سنة (١٨١٤ م) و كانت الآلة المفردة تطبع على وجه واحد فى كل ساعة ألفا و أربعمائة صحيفة و على الوجهين نحو تسعمائة، ثم اخترع مستر لثل آله مزدوجة فكان يطبع بها فى الساعة نحو اثنى عشر ألف صحيفة. و فى بلاد أمريكا آله تطبع فى الساعة عشرين ألف صحيفة ما بين جرنال و غيره، انتهى المنقول. و أنا أقول: إن جرنال دولة الإنكليز حين اشتهاره لم يكن يطبع فيه إلا- أمور قليلة الجدوى كالتبض على بعض السراق، و قصاص بعض المذنبين، و نصب بعض المتوظفين مما لا يحتاج إلى أعمال الفكر فى معان بديعة و عبارات بليغة و لا سيما أن السجع فى جميع اللغات الإفرنجية غير معروف فى المنشور و هو و إن لم يكن قد زاد اليوم تحسينا و تنظيما إلا- أنه لا- يحسب من الجرنالات التى يتكلم فيها على السياسيات على وجه التعليل و المناظرة و ذلك كالتميز، و الستاندرد، و الهيرالد، و الدلى نيوز، و المورنن بوسط، و الستار و الصن و نحوها فإن هذه بلغت إلى أعلى درجات البراعة و البلاغة.

و من العادة عند هؤلاء المنشئين أن كل واحد منهم ينشئ مقالة أو أكثر على الأحوال الواقعة و يبنى عليها قواعد تثبتها في المستقبل و يستشهد لها بالماضى و يسأل فيها و يجيب و يستحسن و يستقبح و ينصح و يشير حتى تخاله واعظا خطيبا أو شاعرا أديبا أو مؤرخا ليبيا حتى إن الجرنالات العامية لا بد و أن يكون فيها شيء من ذلك قلّ أو كثر، و بغير هذا لا يكون مجرد النقل عن آخرين جرنالا فإن مجرد النقل و إن يكن دليلا على الذوق فغير دليل على البراعة. نعم إذا تميّز الجرنال بصفه تخصصه من تحرى النقل و من الترجمة من لغات شتى كجرنال غالنيانى مثلا فإن ذلك يكون شافعا في ترويجه شفاعه الإنشاء و البراعة غير أن الحكم في الغالب هو أن يكون صاحب الجرنال منشئا و ناقلا لا ناقلا فقط.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٨

و في الجملة فينبغى أن تفر بفضل جوائبي الإنكليز على غيرهم من جميع الجوائبيين و سبب ذلك ثلاثة أمور: أحدها: أنه لا تحريج عليهم فيما يرتأونه من الأمور السياسية و الأحكامية و غيرها، و ذلك من بعض قوانين بلادهم. و الثانى: أن عندهم من يبلغهم الأخبار من جميع أطراف الدنيا، فصاحب التيمس عنده كتاب في كل مدينة مشهورة من مدن أوروبا و غيرها و كلهم مهرة في الكتابة و السياسة.

و الثالث: أن جوائب الإنكليز أفضل طبعا و ورقا من غيرها، أما جوائب الفرنسيين فإنهم و إن يكونوا من أصحاب البلاغة و البراعة إلا أن باعهم في السياسيات قصير بالنسبة إلى أولئك و ليس عندهم أيضا مبلغون للأخبار مثلهم، و لهذا جرت العادة عندهم بأن يجعلوا نصف الجرنال لحكايات و قصص من كتب مشهورة، و مثل هذا عند الإنكليز منكر و أنا أيضا أنكره فإن الجرنال غالبا ما يكون في ورق أكبر من ورق الكتب فلا يحسن أن يجعل منه كتاب و لا سيما أن ورق الجرنالات الفرنسية غير جيد فإذا علم هذا علم أيضا سبب إثارنا النقل من جوائب الإنكليز على ما سواها و لا سيما الفصول الطويلة التي تنبئ عن علائق الدول بعضها ببعض و عما يمكن الحدس فيه في المستقبل بالنظر إلى دوام صلتها و ارتفاعها و انخفاضها و ما بها من الداء و ما لها من الدواء فإن كثيرا من هؤلاء الكتاب من أهل السياسة فضلا عن كونهم من أهل الدراية و الكياسة، و هذه الحوادث هي التي تعنونها بالحوادث الخارجية و هي في الحقيقة الأخبار السياسية و إن يكن حسبها بعض جهلة العرب من قبيل التاريخ لظنه أن الأخبار لا بد و أن تكون مؤداة بعبارة كان، و حدث، و جرى، و وقع و اتفق و نحو ذلك:

و كم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

فأما الحوادث التي لا حدس فيها و لا أعمال نظير و هي من قبيل كان و صار و أخواتهما فهي التي اصطلاحنا على تسميتها بحوادث شتى و لعلها تعجب من لا يتعمل لدقائق المعانى و تبحر الأفكار أكثر إلا أن نسبتها إلى تلك كنسبة فلك صغير إلى بارجه حيث مرفأ التحقيق عن راكمه في قاموس اليم سحيق و بزّ اليقين و التعويل محجوب عن عين إدراكه بغياهب التقليل من التعليل. انتهى من الكتاب المذكور.

و هنا نذكر بعض المطابع الموجودة بمكة المشرفة فقط:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٩

فمنها: مطبعة الحكومة و كان أول تأسيسها في عهد الأتراك سنة (١٣٠٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاثة تقريبا، و منها: المطبعة الماجدية، و منها: مطبعة الندوة، و منها: مطبعة قريش؛ و راجع ما ذكرناه عن المطابع في كتابنا «تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه» و في وقتنا هذا قد كثرت المطابع في المملكة العربية السعودية.

### منع دخول الكفار الحرمين الشريفين

قال الله تعالى في سورة التوبة: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً



فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً» رواه مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، وفي صحيح مسلم في كتاب الجهاد والسير في باب إجلاء اليهود من الحجاز أن النبي صلى الله عليه وسلم أجلى اليهود من المدينة لم نذكر هنا خوف التطويل.

نزلت هذه الآية بل سورة التوبة كلها عام تسعة من الهجرة و كان على بن أبي طالب رضى الله عنه ينادى في الموسم الذى أعقب نزول هذه الآية الشريفة التى هى القانون المعتبر الصارم والأمر المطاع الحازم: «ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك». وكان المراد بذلك منع المشركين من الحج وعدم دخولهم البلد الحرام لأنه لا تؤمن غوائلهم من إيقاعهم الفتنة والشقاق بين قبائل العرب المسلمين، ولا شك أن هذه سياسة نبوية فى غاية الحكمة ونظرة دينية فى غاية الدقة نرى فوائدها إلى يومنا هذا وقد مضى على ابتداء هذا المنع الشرعى أربعة عشر قرناً.

فقوله تعالى: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ بَفْتَحِ النُّونَ وَالجِيمَ فى القراءة السبعية و فيه لغات أخرى ككتف و عضد و المعنى أنهم نجس نجاسة معنوية لا حسيّة، قال ابن عباس رضى الله عنهما أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير، وقال الحسن رحمه الله تعالى من صافح مشركاً توفراً، لكن أهل المذاهب على خلاف هذين القولين فإنهم طاهرون لدخولهم فى آية و لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٠

وقوله تعالى: فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا نَهَى للمسلمين عن تمكين المشركين من دخول الحرم، قال العلماء: و جملة بلاد الإسلام فى حق الكفار على قسمين:

أحدها: الحرم فلا يجوز للكافر أن يدخله بحال، ذمياً كان أو مستأمناً لظاهر هذه الآية و إذا جاء رسول من دار الكفر إلى الإمام و الإمام فى الحرم لا يأذن له فى دخول الحرم بل يخرج إليه الإمام أو يبعث إليه من يسمع رسالته خارج الحرم و جوز أبو حنيفة و أهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم.

و القسم الثانى: سائر بلاد الإسلام فيجوز للكافر أن يقيم فيها بدمه أو أمان لكن لا يدخل المساجد إلا بإذن مسل لحاجة. انتهى.

و فى صحيح مسلم فى آخر كتاب الوصية عند حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال: اتنوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدى فتنازعوا و ما ينبغي عند نبي تنازع و قالوا: ما شأنه اهجر، استفهموه. قال:

دعوني فالذى أنا فيه خير، أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب و أجزوا الوفد بنحو ما كنت أجزهم، قال: و سكت عن الثالثة أو قال فأنسيتها.

قال أبو إسحاق إبراهيم حدثنا الحسن بن بشر قال حدثنا سفيان بهذا الحديث.

انتهى.

### أسماء من دخل مكة المشرفة من الإفرنج

قال صاحب كتاب الرحلة الحجازية: لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فى أطراف الجزيرة بعد عشرة أيام من بيعه أبى بكر رضى الله عنه و ذلك بتأثير المشركين منهم حتى بلغ من أمر هؤلاء أن ادعى النبوة منهم طليحة فى الشمال، و لهيعة فى اليمن، و مسيلمة الكذاب باليمامة، و قام غيرهم بالدعوة لنفسه فى وسط البلاد. هنالك استنفر أبو بكر المسلمين إلى قتال أهل الردة و بعث إليهم أحد عشر لواء و أمرهم أن يحاربوهم و لا يقبلوا منهم غير الإسلام فساروا و أبلوا فى قتالهم بلاء حسناً و خصوصاً جيش خالد بن الوليد الذى كان له الفضل الأكبر فى رجوع الناس إلى الإسلام.

و بعد وفاة أبى بكر سار عمر على طريقه فى تطهير بلاد العرب ممن كان على غير دين الإسلام و سار على سننه من أتى بعده من

الخلفاء إلى اليوم لذلك ترى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧١

الآن أهل الحرمين أنفسهم يبالغون في مراقبة الأجانب الذين يفدون إلى بلادهم فلا يتعدى جدة و ينبع و صنعاء جنوبا و محطة العلا شمالا- أحد من الأجانب بالمرء و إن فعل فما هو إلا مورط نفسه إلى حتفه من أهل البلاد و لذلك فإن الأجانب من عمال السكة الحديدية ما كانوا يغادرون هذه المحطة لجهة الجنوب و لو لضرورة.

أما أفراد الفرنجة الذين قصدوا مكة أو المدينة في أزمته مختلفه و كتبوا عنهما ما كتبوا على حسب نزعاتهم سياسية أو دينية أو عمرانية أو جغرافية إنما كانوا يترتبون بزى المسلمين بعد أن يعرفوا اللغة العربية و يدعون أنهم على الدين الإسلامي و نخص بالذكر منهم بوركات السويسرى و بورتون الإنكليزى و هورجرج الهولاندى و كورتلمون الفرنساوى اه. و قال صاحب الكتاب المذكور فى موضع آخر: و فى سنة (١٣١١) ساق الإنكليز مراكبهم مرة أخرى إلى مياه نجر جدة عندما قتل الأعراب و كيل القنصل الإنكليزى و جرحوا و كيلي القنصل الفرنساوى و الروسى و كانوا تجاوزوا الحد المضروب لهم خارج البلد، و كلهم مسلمون من الأهالى الذين لم يحسنوا سيرتهم مع إخوانهم من مواطنيهم ارتكازا على الحماية الأجنبية فحضر الشريف عون من مكة لهذا الأمر الذى انتهى بالصلح و سفر المراكب من غير ضرب اه.

قال الغازى فى تاريخه: و فى سنة ألف و ثمان و تسعين أعطيت ولاية جدة و مشيخة الحرم لمحمد بيك و ذلك بعد عزل أحمد باشا، ففى السادس و العشرين من شعبان وصل جدة فدخل مكة و استمر إلى أوائل رمضان ثم نزل جدة و كان من أحسن ما فعل النداء بجدة أن لا يسكنها نصرانى و كان بها عدة منهم فخرجوا منها و شدد فى التفتيش عليهم حتى أسلم بعضهم و سافر الآخرون إلى ينبع و هذه غير إسلامية، فإن دخولهم جزيرة العرب مما ابتليت به هذه الأمة بسبب أحمد باشا، ذكره فى منائح الكرم اه. و فيه أيضا أنه فى سنة (٥٧٨) ثمان و سبعين و خمسمائة نحر بمنى كما تنحر الإبل رجالان من الإفرنج و هما من الإفرنج الذين توجهوا إلى المدينة النبوية اه.

و جاء فيه أيضا نقلا عن الجامع اللطيف: يروى أن رجلا يهوديا أو نصرانيا كان بمكة يقال له جريج فأسلم، فقد مقام إبراهيم ذات ليلة فوجد عنده أراد أن يخرج به إلى ملك الروم فأخذ منه و قتل اه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٢

و جاء فى تاريخ الغازى أيضا عن سيل الجحاف الذى كان فى سنة ثمانين للهجرة فى خلافة عبد الملك بن مروان و الذى دخل المسجد الحرام و أحاط بالكعبة و جاءه دفعة واحدة و هدم الدور الشارعه على الوادى و دخل الوادى و قتل الهدم ناسا كثيرا و رقى الناس فى الجبال و اعتصموا بها فسمى بذلك سيل الجحاف، فكتبوا فى ذلك إلى عبد الملك بن مروان ففرغ لذلك و بعث بمال عظيم إلى عامله على مكة عبد الله بن سفيان المخزومى، و يقال: بل كان عامله الحارث بن خالد المخزومى يأمره بعمل ضفاير للدور الشارعه على الوادى للناس من المال الذى بعث به و عمل ردم على أفواه السكك يحصن بها دور الناس من السيول.

و بعث رجلا نصرانيا مهندسا فى عمل ضفاير المسجد الحرام و ضفاير الدور فى جنبتي الوادى، قال: فأمر عامله بالصخر العظام فنقلت على العجل و حفر الأرباض دون دور الناس فبناها و أحكمها من المال الذى بعث به، قالوا: و كانت الإبل و الثيران تجر تلك العجل حتى ربما أنفق فى المسكن الصغير لبعض الناس مثل ثمنه مرارا. اه.

و بمناسبة أن عبد الملك بن مروان بعث إلى مكة المشرفة رجلا نصرانيا مهندسا لعمل ضفاير المسجد الحرام، أورد الغازى فى تاريخه ذكر من أتى إلى مكة و المدينة من الإفرنج ناقلا عن أحمد زكى باشا الملقب «بشيخ العروبة» فقال: و رأيت مقالة الشيخ أحمد زكى باشا سكرتير مجلس الوزراء (أى المصرى) فى ذكر من زار مكة و المدينة من نصارى الإفرنج و لا بأس بذكرها هنا لمناسبة المقام و هذا نصها: قد تمكن أفراد طائفة من الإفرنج من دخول الحجاز بل من زيارة البقاع المقدسة و الأماكن المطهرة ولكنهم لم يكتبوا عنها

بالمرة أو إن كانوا كتبوا فمن باب الاستطراد. و من هذه الفئة:

أولاً: الثلاثة النصارى الذين رأهم نيبور في مكة فقد روى أن ملاحاً إنجليزياً توجه إليها في عام (١١٧٥) هجرية قاصداً أوروبا عن طريق القسطنطينية، و أن رجلاً آخر أتى اليمن عن طريق مكة و ركب البحر سرا إلى بلاد الهند، و أن جراحاً فرنسياً ذهب إلى مكة لمعالجة أمير الحج بعد أن أعطاه القوم الأمان على نفسه و على دينه ولكنهم اضطروه في أثناء الطريق إلى الدخول في الإسلام.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٣

ثانياً: توماس كيب و هو عسكري أسكتلندي أسره المصريون في محاربة الإنجليز مع محمد على الأكبر بمدينة الإسكندرية (١٢٣٢) ثم أسلم و انتهى أمره أن صار والياً على المدينة المنورة ثم قتل في محاربة الوهابيين.

ثالثاً: طبال إنجليزي في الجيش الذي حارب محمد على بالإسكندرية أيضاً فقد أسره المصريون و دخل في الإسلام باسم عثمان و تمكن بدائه من الاستحواذ على كل أموال سيده المسلم، و كان يجتهد في التوفيق بين التوراة و الإنجيل و القرآن.

رابعاً: الكابتن جورج فورستر سادليز ذهب إلى المدينة في (١٢٣٥) رسولا إلى إبراهيم باشا القائد المصري، و امتاز على كل ما عده من الأوروبيين الذين دخلوا الحجاز بأنه بقي محافظاً على زيّه الإفرنجي ولكنه لم يقترب من أسوار المدينة، أرسلته شركة الهند الشرقية ليهني البطل المصري على انتصاراته و يعرض عليه مساعدة المراكب الإنجليزية، ثم عاد عن ينيع و هو أول أوروبي اجتاز شبه جزيرة العرب من الشرق إلى الغرب.

خامساً: برتو لوتش الذي كان قنصلاً بمصر لدولة السويد فقد ذكر يشار برتنى أنه أول أوروبي زار مكة دون أن يرتد عن دينه ولكنه عندما وصلها تملكه الجزع و الهلع فلم يملك من الدرس و البحث.

سادساً: الإنجليزي تنث الذي قال ملتزان عنه أنه ذهب إلى مكة (١٢٢٨) هجرى باسم الحاج عبد الواحد.

سابعاً: فراتى الطلياني الذي لقي في سفره من الأهوال ما لا يوصف و في آخر الأمر ادعى الإسلام و تردد كثيراً بين مكة و المدينة و جمع له المسلمون إعانة تاجر بها فأصبح من ذوى اليسار و مشاهير التجار.

ثامناً: دوتى الإنجليزي فقد كتب رحلته في الحجاز و ما لاقاه من المشاق و لم يزر أحد الحرمين بل سيق إلى الطائف و إلى جدة في خطب طويل.

تاسعاً: في سنة (١٣٠٠) هجرية تمكن الدكتور المورسلى الفرنسى من الحج و قد كان مقيماً في الجزائر و هو من الأوروبيين الذين تمكنوا كل التمكّن من زيارة الكعبة المعظمة و هو قد أسلم إسلاماً خالصاً لا يعتوره أدنى ريب.

عاشراً: و لا ننسى شارل هوبر فقد اقترب كثيراً من مكة عند عودته من الحائل (١٣٠٢) و شاهد الحرم و جباله عن بعد ثم تمكن بفضل مساعى خادمه من النجاة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٤

إلى جدة و هو مدفون بها و قبره موجود إلى الآن في جبانته و قد صوره كور تلمون بالفتوغرافية و طبعه في رحلته.

قال: و هناك طائفة أخرى من الإفرنج المستقلين المتظاهرين بالإسلام قد كتبوا كثيراً أو قليلاً عن الحرمين الشريفين و دونوا ما شاهدوه في موسم الحج و ما وصلوا إليه من المعلومات الصادقة أو البعيدة عن الحق، و إليك بيانهم بحسب ترتيبهم التاريخي دون الشرح و التفصيل:

فأولهم: حامل رايتهم هو الطلياني باريتما فهو فاتح هذا الباب لكل من أتى بعده من الأفراد و كانت زيارته للحرمين في سنة (٩٠٨) هجرى في أيام السلطان قانصوه الغورى و تسمى باسم يونس.

الثانى: الفرنسى فنان بلان في (٩٦٨).

الثالث: الألماني بوهان و يلد في سنة (١٠١٦هـ).

الرابع: الإنجليزي جوزيف بتس في سنة (١٠١٩) هجرى.

الخامس: الإسباني باديا إلى ليش في (١٢٢٢ هـ) باسم على بك العباسي و تحصل على شهادة بأنه من الأشراف و سلالة العباسيين.

السادس: الألماني أولريخ جاسبار سيتزن في (١٢٢٧) هجرى.

السابع: السويسري جون سود ويچ بركرت في (١٢٣٠) باسم الشيخ حاج إبراهيم. و ذكر الريحاني أيضا في تاريخ نجد دخول هؤلاء الثلاثة (أى باديا و أولريخ و بركرت) فقال: إن ثلاثة من العلماء المستشرقين المستعربين دخلوا مكة يوم كان الوهابيون مستولين عليها، أول هؤلاء رجل إسباني اسمه دو منقوبا ديا أى لبلخ، انتحل إسما و نسا و دينا عربيا و جاء من قادش عن طريق الجزائر إلى الحجاز هو على بك العباسي الأمير المكرّم و العالم المحترم رسول بونا برت إلى البلاد العربية.

أجل قد جاء حاجا مستكشفا فنزل في جدة تحف به الخدم و الحشم و سار إلى مكة المكرمة محرما مثل من جاءها من أهل نجد فدخلها في ٢٣ يناير (١٨٠٧) ١٤ ذى القعدة (١٢٢١) و قد شاهد جموع الوهابيين و حج معهم و اعتمر و كان في ظاهره عربيا قحا و مسلما حقا لا تعيبه كلمه بقوله و لا تخوز فعلة أو إشارة فما شك أحد في دينه أو في نسبه. و قد اجتمع على بك بالشريف غالب فقال إنه في العقد الرابع من العمر و أنه على جهله ذو حصافة و دهاء. رآه لأول مرة و هو يدخن النارجيلة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٥

التي كانت محجوبة خوفا من الوهابيين فلم ير السائح الأوروبي غير النبريج الذي كان يتصل من خرق في الحائط بالنارجيلة وراه في الغرفة المجاورة للمجلس، و العباسي كان هذا عالما يحمل في حقائبه أدوات للرصد و المساحة فاستخدمها في مكة و جوارها دون أن يعترضه أحد من الناس بل كان محترما من الجميع. و قد حاز فوق ذلك شرفا لم يحزه سواه من المستشرقين و لا يحوزه إلا الأفراد القلائل من المسلمين ألا و هو شرف كناسة الكعبة ولكنه على ما يظهر لم يفلح حتى النهاية في تنكره، فعندما قصد إلى المدينة زائرا صدّه الوهابيون فعاد إلى ينبع و منها إلى مصر فباريس حيث اجتمع بنابليون و عيّن في حاشية أخيه يوسف بونا برت. و قد عاد على بك إلى الشرق في سنة (١٨١٨) ميلادية فسافر من دمشق ليرحل رحلة ثانية في البلاد العربية ولكنه و هو لا يزال في أول الطريق أصيب بالدوزنطارية فمات في المزاريب.

و من هؤلاء العالم الألماني أولريخ زتسن الذي قضى عشرين سنة يدرس و يتأهب لرحلته في الشرق فجاء سوريا سنة (١٨٠٥) ميلادية و أقام في الشرق الأدنى بضع سنين ثم سافر إلى الحجاز في زى درويش اسمه الحاج موسى فدخل مكة حاجا (١٨١٠) ميلادية و ارتحل منها إلى اليمن فزار صنعاء و نزل إلى عدن.

قد كان في نية زتسن أن يجتاز شبه الجزيرة إلى الخليج ليسوح في الشرق الأوسط، فعاد من عدن و وجهته الجبال و لكن عند مروره بتعز اعترضه بعض الناس و قد أراهم أمره فقتلوه.

الثالث: من المستشرقين الذين ساحوا في الحجاز السويسري المشهور بركهارت المسمى بالحاج عبد الله جاء الحجاز عندما كان محمد على باشا هناك فنزل في جدة في ١٥ تموز (١٨١٤) ميلادية و سار منها إلى الطائف ثم دخل مكة المكرمة في ١٩ رمضان (١٢٣٠) هجرى، ٤ أغسطس (١٨١٤) ميلادية بعد استئذان صديقه العظيم و هو يومئذ سيد الحرمين فحج مع من حجوا في ذاك العام و أقام في مكة ثلاثة أشهر ثم سافر إلى المدينة فأدى الزيارة في أبريل (١٨١٥) ميلادية يوم كان محمد على باشا هناك ولكنه مرض في المدينة فعاد إلى القاهرة في ربيع ذاك العام و توفي فيها. كان بركهارت في قيافته و في إسلامه محترما موقرا يصف نعمه يتبجح لها: (ما شعرت في مكان آخر بمثل الطمأنينة التي كنت أشعر بها و أنا في مكة) قاله الشيخ أحمد زكى باشا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٦

الثامن: الطلياني جوفاني فيناني في (١٢٣٠) هجرى باسم الحاج محمد.

التاسع: ليون روش في (١٢٥٧ هـ) باسم الحاج عمر.

العاشر: الفرنسي ده كوريه في (١٢٥٧) هجرى باسم الحاج عبد الحميد بك.  
 الحادى عشر: الفنلندى جورج أغسطوس والين في (١٢٦١) هجرى باسم ولى الدين.  
 الثانى عشر: الإنجليزى سير ريشار برتن في (١٢٦٩) هجرى باسم الحاج عبد الله.  
 الثالث عشر: الألمانى هنريش فريهرفون مالتزان في (١٢٧٦) هجرى باسم سيدى عبد الرحمن.  
 الرابع عشر: الإنجليزى هرمان بيكنل في (١٢٧٨) هجرى باسم الحاج عبد الواحد.  
 الخامس عشر: الإنجليزى جون و يركين في (١٢٩٤) باسم الحاج محمد أمين.  
 السادس عشر: الهولندى كرستان سنوك هرجونجى في (١٣٠٣) باسم عبد الغفار، و هو صديقى و من كبار المستشرقين و لا يزال موجودا إلى الآن.

السابع عشر: الفرنسي خرفى كور تلمون في (١٣١١) هجرى باسم الحاج عبد الله، و قد تعرف بى عند رجوعه إلى القاهرة و تفاوضنا الحديث كثيرا و لا يزال بقيد الحياة.

الثامن عشر: السويسرى الدكتور هيس في (١٣٢٨) هجرى، و لا يزال باقيا إلى الآن ينفع بعلمه الواسع خصوصا فيما يتعلق ببلاد العرب و أهلها، و هو من أعز أصدقائى و من كبار المستشرقين و هو آخر من دخل الحجاز من الإفرنج. انتهى ما ذكره الشيخ أحمد زكى باشا. و فى الرحلة الحجازية لمحمد لبيب: أما أفراد الفرنجة الذين قصدوا مكة أو المدينة فى أزمته مختلفه و كتبوا على حسب نزعاتهم سياسيه أو دينيه أو عمرانيه أو جغرافيه إنما كانوا يتربون بزى المسلمين بعد أن يعرفوا اللغه العربيه و يدعون أنهم على الدين الإسلامى و نخص بالذكر منهم بوركات السويسرى، و بورتون الإنكليزى، و هور جريج الهولندى، و كورتلون الفرنساوى، و أولهم هو أسبقهم إلى التورط بنفسه فى بلاد العرب و بوركات

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٧

سويسرى الجنس بوزانى المولد وفد إلى مصر و دخل الأزهر بعد أن ادعى الإسلاميه و سمي نفسه إبراهيم المهدي و تعلم فيه العربيه ثم سافر إلى بلاد العرب و أقام بها نحو سبع سنين و كتب عنها كتابه الذى هو أحسن ما كتبه الفرنجة خصوصا فى صفة بلاد العرب و قبائلها. و مات فى مصر على زيه الإسلامى.

و فى المجلد الأول من مجله المنار فى صفحه (٧٨٣) و فى (١٨٠٩) ميلاديه تمكن الفرنساوى روش و كان مترجما عند الأمير عبد القادر الجزائرى من الدخول بصفه زى عربى إلى مكة المكرمة حيث حظى بلقيا و حفاوة شريفها سيدى محمد بن عون و أعلمه أنه وافد من قبل الأمير ليحصل على التصديق من علماء العرب على فتوى أفتاها علماء مصر و القيروان. و سافر من مكة للطائف، ولدى عودته إلى مكة حضر جمع الحج الشريف و لكن دل عليه بعض الحجاج الجزائريين فكشفوا خبره و فضحوا أمره و قبضوا عليه و ساقوه إلى السجن و الناس حوله تحاول الفتك به فسلمه شريف مكة كتاب أمان و بعض نقود يستعين بها على سفره، و أشخصه إلى جدة. و فى (١٨١٣ م أو ١٨١٥) احتال السائح السويسرى بورك هادو حتى دخل مكة و المدينة و رجع مستمدا ببعض معلومات عن حالة البلاد الجغرافيه و عن أهاليها و تظاهر فى آخر أمره بالإسلام و عليه مات و قبره بمصر و اسمه عليه هكذا:

(عبد الله بوركهارد) و مشهور عند العامة باسم الشيخ بركات. انتهى كل ذلك من تاريخ الغازى.

و منهم: السويسرى يوهان لودفيج بوركهارت المولود فى لوزان و هو من فضلاء المستشرقين و قد طاف بكثير من البلدان العربيه و قد أسلم بإخلاص و أتى مكة للحج و زار المدينة المنوره و قضى بالحجاز شهورا و ألف كثيرا من الكتب المهمه ثم أقام فى القاهرة من سنه (١٨١٤) ميلاديه و مات و دفن بها، و قد ذكره الجبرتى باسم الشيخ إبراهيم الإنجليزى.

و منهم: المسيو «إتيان دينه» الإفرنسى فلقد أسلم بإخلاص و حسن إسلامه و حج فى سنه (١٣٤٧ هـ) ألف و ثلاثمائه و سبع و أربعين هجرية، و ألف كتابا قيما عن حجته إلى البيت الحرام و كتابا آخر عن حياة النبى صلى الله عليه و سلم أجاد فيه و أبدع بقوة حجته، و

من بدائع تأليفه كتابه المسمى «إنك لفي واد و أنا لفي واد» رد فيه على من تنقص الإسلام و الرسول صلى الله عليه و سلم كأمثال لامنس اليسوعى و غيره، فلقد بين فساد طريقه هؤلاء الأوروبيين الذين حاولوا أن يحلوا السيرة المحمدية و تاريخ ظهور التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٨

الإسلام بحسب العقلية الأوروبية فضلوا بذلك ضلالا بعيدا لأن هذا غير هذا و لأن المنطق الأوروبي لا يمكن أن يأتى بنتائج صحيحة فى تاريخ الأنبياء الشرقيين عليهم الصلاة و السلام، إلى آخر ما ذكر عن المسيو «اتيان دينه» الإفرنسى الأمير شكيب أرسلان رحمه الله تعالى فى تعليقاته و حواشيه على الكتاب القيم الفريد «حاضر العالم الإسلامى».

و منهم: المستر عبد الله فلبى الإنجليزية حضر من بلاده فى زمن الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بعدما حكم الحجاز رحمه الله تعالى سنة (١٣٤٣ هـ) فلزم عبد الله فلبى جلاله الملك عبد العزيز و أظهر له ولاءه و خدماته كما أظهر إسلامه و أتى الحرمين و أقام بمكة كثيرا و ساح فى أطراف المملكة السعودية، ثم ظهرت منه بوادر الخيانة و المكر فأخرجه الملك عبد العزيز من المملكة فسافر إلى بلاده إنكلترا و ارتد عن الإسلام و ألف كتبا عن أحوال المملكة السعودية.

و إن شاء الله تعالى نكتب نبذة صغيرة فى أول الفصل و نقول: إن المستشرقين لا يقصدون من الوصول إلى الأماكن المقدسة إلا للوقوف على عادات أهلها و النيل من كرامة الدين الإسلامى الحنيف بالكذب و الزور و ليخدموا بلادهم و حكوماتهم الإفرنجية ليستولوا على خيرات البلاد الإسلامية ... إلخ.

فمن وصلوا إلى مكة المكرمة: العالم السويسرى ليدريكك بركهارد فإنه سمي نفسه إبراهيم عبد الله و تزيا بزى المسلمين و دخل مكة و المدينة و وصف موسم الحج و صفا بارعا و كتب مؤلفه (فى البلاد العربية) و نشره فى لندن و ألمانيا عام (١٨٢٩) ميلادى. و منهم: الرحالة الألمانى فون مالترن، فلقد وصل إلى الحرمين و تزيا بزى الحجاج المغاربة و طبع رحلته فى ليبسك بألمانيا سنة (١٨٦٥) ميلادية.

و منهم: السير ريشارد برتن، فقد زار الحرمين و تزيا بزى المسلمين و سمي نفسه عبد الله و كتب مؤلفا سماه (مكة و المدينة) نشره فى لندن سنة (١٨٥٧) ميلادية فى مجلدين مصورين.

و منهم: سنوك هرغرونيه الهولندى فقد وصل الحرمين و وصف الحياة فى الحجاز و موسم الحج فى سنة (١٨٨٥) ميلادية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٩

و منهم: سائح إسبانى تظاهر بالإسلام و سمي نفسه على بك العباسى و دخل الكعبة المشرفة.

و منهم: المستشرق النمساوى الذى أعلن إسلامه فى سنة (١٩٢٦) ميلادية و سمي نفسه محمد أسد، فقد أتى الحجاز و زار البيت الحرام و درس القرآن الكريم و قضى فى الحجاز خمس سنوات و ألف كتابا اسمه: «الطريق إلى مكة» و كتابا آخر اسمه: «الإسلام على مفترق الطرق»، و هذا الرجل ربما أسلم عن يقين و حسن إسلامه.

هذا و لم نبحت فى وقتنا الحاضر عن دخول من الكفار و الإفرنج إلى الحرمين الشريفين لكن سمعنا أن بعضهم قد أظهر الإسلام و أظهره فى بعض المحاكم الشرعية بالمملكة العربية السعودية و الله تعالى أعلم بنياتهم هل هى حسنة أم خديعة.

### بعض الكفار الذين دخلوا مكة للعمل بها بإذن الحاكم الشرعى

ذكرنا فى هذا الكتاب حكم دخول الكفار إلى الحرم و مكة و ما جاء هنا فى هذا الفصل من دخول بعضهم إلى مكة كالنصرانى الذى بعثه عبد الملك بن مروان لعمل الضفاير لرد السيل، و كأبى بحر المجوسى النجار الذس استقدمه عيسى بن على بن عبد الله بن عباس، و كالعلمة من الفرس الذين استحضرهم ابن الزبير رضى الله عنهما لبناء الكعبة «إن صحت الرواية».

إنما كان دخول هؤلاء إلى مكة بإذن من ولى الأمر و لضرورة المصلحة التى اقتضت ذلك و قد فوض الشرع الشريف لولى الأمر فقط

في بعض الأمور التصرف فيها حسبما تقتضيه المصلحة، فأحيانا تكون بعض الأمور الممنوعة جائزة عند الضرورة و مقتضيات الأحوال، ففرق بين دخول الكافر إلى مكة و الحرم بإذن الحاكم و للقيام بمصلحة خاصة ليس في المسلمين من يمكنه القيام بها و بين دخوله بدون إذن و بدون مصلحة مبررة، و إليك قصة بعض من دخل مكة للعمل بها بإذن ولي الأمر:

قال البتوني في كتابه «الرحلة الحجازية» بصحيفة (١٠٥): ورد في كتاب الأغاني من أن ابن سريح سئل عن تعلم الغناء على القاعدة التي كان يغنى عليها

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٨٠

مع أنها ما كانت معروفة عند العرب. فقال: إنه تعلمها من عملة من الفرس، كان ابن الزبير استحضرهم لبناء الكعبة و كانوا يتغنون بأغنية لطيفة فأخذها عنهم و أضاف نغماتها على النغمات العربية و غنى بها. انتهى من الرحلة الحجازية للبتوني.

نقول: لم نر هذا الخبر بأن ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما استحضر عملة من الفرس لبناء الكعبة سنة (٦٤) من الهجرة في غير كتاب الرحلة الحجازية من التواريخ، فإن كان هذا الخبر له أصل من الصحة في كتاب الأغاني أو غيره فإننا نفسر معنى ذلك أن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما إنما استحضر من عملة الفرس من كان مسلما أو أنه لم يجد من يقوم لبناء الكعبة على الوجه الأكمل غيرهم و الضرورات تبيح المحظورات و الله تعالى أعلم.

و جاء في تاريخ الإمام الأزرقى عند الكلام على «سيل الجحاف» الذى كان بمكة في سنة ثمانين من الهجرة في خلافة عبد الملك بن مروان، و قد جاء صبح يوم التروية، أى ثامن ذى الحجة بالغيش قبل صلاة الصبح و قد كان الحجاج آمنين نزلوا في وادى مكة فذهب بهم و بمتاعهم و دخل المسجد الحرام و أحاط بالكعبة و جاء دفعه واحدة و هدم الدور و الشوارع على الوادى، و قتل الهدم ناسا كثيرا و رقى الناس في الجبال و اعتصموا بها فكتبوا ذلك إلى عبد الملك بن مروان ففرغ لذلك و بعث بمال عظيم و كتب إلى عامله يأمره بعمل ضفاير للدور الشارعة على الوادى للناس من المال الذى بعث به و بعمل ردم على أفواه السكك لتحصين دور الناس من السيول، و بعث رجلا نصرانيا مهندسا في عمل ذلك. و عمل ضفاير المسجد الحرام و ضفاير الدور في جنبتي الوادى. انتهى باختصار من الأزرقى.

و معنى الضفاير البناء بالحجارة بدون طين و لا نورة أى ما يشبه الرضم لكن على صفة مخصوصة لرد السيول على الدور و المسجد الحرام.

و قال الغازى في تاريخه في الجزء الأول بصحيفة (٦٢٧) ما نصه:

و في سنة مائة و ستين هجرية قدم عيسى بن على بن عبد الله بن عباس من العراق إلى مكة بأبى بحر المجوسى النجار فعمل له سقوفا في داره التى عند المروة و باب داره التى يقال له دار مخرمة، فعمل أبو بحر قبة ساج خارجها أخضر و داخلها أصفر. انتهى من الغازى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٨١

نقول: إن ما ذكره الغازى من أن عيسى بن على بن عبد الله بن عباس جاء بأبى بحر المجوسى النجار لعمل أبواب داره التى عند المروة و عمل سقوفها قد ذكره أيضا الإمام الأزرقى في تاريخه عند الكلام على «صفة قبة زمزم و حوضها و ذرعها» فإنه رحمه الله تعالى بعد أن ذكر ذرعها و حوضها قال: و حول هذا الحوض اثنتا عشرة أسطوانة ساج طول كل أسطوانة أربعة أذرع و ما بين حد الأساطين و وجه زمزم أربعة عشر ذراعا و فوق الأساطين حجرة ساج طولها في السماء ذراعان، و على الحجرة قبة ساج خارجها أخضر و داخلها أصفر و طول القبة من وسطها من داخل أربعة عشر ذراعا، و كانت هذه القبة عملها المهدي في خلافته سنة (١٦٠) ستين و مائة، عملها أبو بحر المجوسى النجار الذى كان جاء به عيسى بن على بن عبد الله بن عباس من العراق يعمل أبواب داره التى على المروة يقال لها دار مخرمة و يعمل سقوفها في سنة ستين و مائة ... إلخ. انتهى من الأزرقى.

و لقد سمعنا سماعا متواترا: أنه في موسم حج سنة (١٣٨٤) ألف و ثلاثمائة و أربع و ثمانين هجرية قدم إلى مكة المكرمة للحج أربعة

من الإفرنج كانوا قد دخلوا في دين الإسلام و نزلوا في الفنادق بمكة المشرفة أحدهم من إنكلترا، و الثاني من فرنسا، و الثالث من ألمانيا، و الرابع من سويسرا و الله تعالى أعلم هل هم صادقون في إسلامهم أم إنهم يتظاهرون بذلك لرؤية الحرمين الشريفين و الكتابة عنهما. على كل حال نحن لنا الظاهر و الله يتولى السرائر.

لطيفة و من اللطائف المناسبة لهذا المبحث الطريف: ما حكاها لنا صديقنا العزيز سعادة السيد أحمد هاشم مجاهد وكيل وزارة الحج و الأوقاف بمكة المكرمة.

فلقد أخبرنا أنه لما كان في جدة في شهر ذي القعدة عام (١٣٨٤ هـ) حضر إلى مكتبه أحد محرري الصحف الأجنبية من الإفرنج لأخذ بعض المعلومات من سعادته عن الحج و الحجاج، فلما انتهى الصحفي الإفرنجي من مهمته قال لسعادته:

لا أدري لماذا يمنع المسلمون الإفرنج من دخول مكة المكرمة أو المدينة المنورة، إن هذا لتعصب شديد، بينما المسيحيون لا يمنعون المسلمين من دخولهم في الكنائس؟

فأجاب سعادة السيد أحمد مجاهد: إن ذلك يرجع لأمرين أساسيين:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٨٢

الأول: أن المسلمين يؤمنون بسيدنا موسى و سيدنا عيسى عليهما الصلاة السلام و يحبونهما و يحترمونهما كباقي الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين فلا- معنى إذن من منعهم دخول كنائسهم لرؤيتها، و أما اليهود و النصارى من الإفرنج فإنهم لا يؤمنون بنبينا و سيدنا «محمد» صلى الله عليه و سلم فلا معنى إذن أن يدخلوا إلى الحرمين الشريفين الطاهرين المقدسين لأن مكة المكرمة هي بلد الله الأمين و أن المدينة المنورة هي بلد رسوله صلى الله عليه و سلم فلا يدخل فيهما إلا من كان يؤمن بالله و ملائكته و بجميع كتبه و رسله.

و الثاني: أن منع دخول الكفار إلى الحرم لم يكن من تعصب المسلمين بل هو من أمر الله عز و جل و من أمر نبينا «محمد» صلى الله عليه و سلم منذ ظهور الإسلام فلذلك لا يمكن لجميع المسلمين أن يتساهلوا في هذا الأمر مطلقاً، مع العلم بأن الكفار ليسوا ممنوعين من دخول المسجد الحرام بمكة أو المسجد النبوي بالمدينة فقط و إنما هم ممنوعون أيضاً من الاقتراب من نفس البلديتين الطاهرتين، أى إذا وصلوا إلى حدود الحرم منهما منعوا من الوصول إلى أطراف الحرم، و المسافة بين أول حد الحرم و نفس البلدة نحو عشرين كيلومتراً تقريباً. هذا هو السبب الأساسى لمنع الكفار من دخول الحرمين الشريفين.

### كيفية استقاء الماء قديماً و حديثاً

هذا المبحث نكتبه لبيان كيفية استقاء الناس الماء قديماً و حديثاً. أما الاستقاء من نحو البئر أى من كل ما هو بعيد الغور فإنه يكون بمختلف الوسائل كالدلاء التخذ من الجلد و أنواع المواعين و كالمسطل المسمى بمصر «الجردل» و التنكة المسماة بمصر «الصفيحة».

فيدلى مثل هذه الأشياء بالرشاء «بكسر الراء» و هو الجبل و جمعه أرشبة إلى نحو البئر ثم يجذب منها و قد امتلأ بالماء، و الجذب يكون إما باليد و إما بالبكرة المثبتة على خشبة معترضة فوق البئر، و قد تجذب الدلاء بالبكرة بواسطة البقر أو الإبل إذا كانت كبيرة لا يحتمل جذبها الإنسان.

أما إذا كان الماء في مستوى الأرض كالنهر و الحوض الممتلئ فإنه يؤخذ بالمواعين كالقدور و الكيزان و الصفائح.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٨٣

هذه الحالة معروفة من قديم الأزمان و لا تزال إلى الآن و هي الحالة الطبيعية المعقولة قبل أن تتبكر الآلات الرافعة للماء.

و أما حمل الماء إلى المنازل و البيوت فقد كان ذلك بواسطة القرب الجلدية في جميع الأقطار و البلدان من قديم الأزمان، و في القرب أيضاً كان يوضع السمن و العسل و نحوهما لأنها متخذة من جلد الحيوانات و هي حالة بدائية طبيعية.



ثم إن حمل قرب الماء إلى الدور كان إما بواسطة الإنسان يحمل قربه على ظهره فيفرغها حيث يشاء كما هو الحال بالحجاز و مصر و غيرهما إلى اليوم، و قد ورد ذلك في سنن النسائي عن ابن مسعود: كان النبي صلى الله عليه و سلم يأمرنا بالصدقة فما يجد أحدنا ما يتصدق به حتى ينطلق إلى السوق فيحمل على ظهره فيجىء ... الحديث.

و في صحيح البخارى روى أن عائشة بنت أبى بكر و أم سليم لمشمرتان يرى خدم سوقهما ينقلان القرب على متونهما يفرغان فى أفواه القوم، و فيه أيضا عن عمر بن الخطاب أن أم سليط و هى من نساء الأنصار بايعت رسول الله صلى الله عليه و سلم كانت تزفر لنا القرب يوم أحد.

و عن عائشة رضى الله عنها قالت: لما اشتد وجعه صلى الله عليه و سلم قال: صبوا على من سيع قرب لم تحلل أو كيتهن لعلى أستريح فأعهد إلى الناس. قالت عائشة:

فأجلسناه فى مخضب لحفصه من نحاس و سكبنا عليه الماء حتى طفق يشير إلينا أن قد فعلت ... إلخ.

أو كان حمل القرب بواسطة الحيوانات كالبغال و الحمير، فكانوا يحملونها قرب الماء و يذهبون بها إلى بيوتهم و لا يزال اليوم بمكة يحمل بعضهم على حماره أربع تنكات «أى صفائح» يمشى به حيث يشاء.

و إلى الآن يحمل بعضهم بمكة القرية الممتلئة بالماء على ظهره و بعضهم يحمل الماء فى تنكتين «أى صفيحتين» بواسطة عود يضعه على منكبه و يربط كل تنكة فى طرف العود فيمشى بهما حيث أراد، و يطلق عندنا بالحجاز على من حمل تنكتين من الماء أنه حامل للزفة، بتشديد الزاى و الفاء و فتحهما، و بعضهم يحمل تنكة واحدة فقط فوق رأسه كما تحمل النساء الفلاحات بمصر الماء من نهر النيل فى جرة يضعنها فوق رؤوسهن فيذهبن إلى بيوتهن.

و إليك بعض الصور الفتوغرافية لحمل الماء.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٨٤

انظر: صورة رقم ٣٠٢، سقاء يحمل قربه من الماء

انظر: صورة رقم ٣٠٣، سقاء يستقى بالزفة و هى حمل تنكتين من الماء

و إن شاء الله سيظل حمل الماء فى القرية و التنكة فى الحجاز قريبا عندما يعم مشروع مجارى المياه فى المواسير كما هو فى البلدان الأخرى.

هذا و قد عمت مكة المكرمة و المشاعر المقدسة شبكة المياه الحلوة و شبكه للمجارى كما عم ذلك جميع مدن المملكة العربية السعودية.

### تنظيف طريق الحج من مكة إلى عرفات

قال الغازى فى تاريخه: و فى تاريخ السنجارى فى حوادث سنة (١٠٨٥) خمس و ثمانين و ألف من الهجرة و فى شوال من هذه السنة شرع الشيخ محمد بن سليمان فى تنظيف الحجون و أمر بجعل ظفيرتين من الجانبين رضما بلاطين. و كان ابتداء عمله يوم السبت سادس شوال، و لما فرغ من ذلك شرع فى إصلاح مدرج منى و تكرر ركوبه لذلك مرارا عديدة فبرحه و بنى ظفيرتين أيضا من جانبى المدرج.

انتهى.

و قال الغازى أيضا: و فى شهر رجب سنة ألف و مائة و اثنتين و ثلاثين من الهجرة عمّر بطريق النيابة عن الأمير إسماعيل بك بن إيواز بك مولانا الشيخ سالم بن عبد الله البصرى المحكك بطريقة العمرة، فكسر أحجاره و جعله حجرا مفروشا، و كان يؤذى الماشى و الراكب و دكه بالنورة و كذلك درج الحجون و كذلك درج ريع أبى لهب.

بمناسبة قيام الحكومة السعودية بإصلاح جميع مرافق الحج وإصلاح طرقه أحيينا أن نكتب عن هذا فصلا خاصا نوه عن إصلاح طريق الحج من قديم الزمان إلى اليوم فنقول: جاء في تاريخ الإمام الأزرقى ما خلاصته: إن أمير المؤمنين المتوكل على الله لما بعث إلى مكة إسحاق بن سلمة الصايغ وهو شيخ له معرفة بكثير من الصناعات وبعث معه أكثر من ثلاثين رجلا أصحاب صناعات شتى لإصلاح كل ما يحتاج إلى إصلاحه فوصلوا مكة في ليلة بقيت من رجب سنة (٢٤١) إحدى وأربعين ومائتين فقاموا بإصلاح وضع الذهب في زاوية الكعبة المشرفة من داخلها وعمل منطقة من فضة ركبوها فوق إزار الكعبة في تربيعها وغير ذلك.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٨٥

ثم صاروا إلى منى وعملوا ضفيرة لرد سيل الجبل عن المسجد ودار الإمارة وأصلحو الطريق التي سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم من منى إلى الشعب ومعهم العباس بن عبد المطلب الذي يقال له: «شعب الأنصار» الذي أخذ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة على الأنصار. وكانت هذه الطريق قد عفت ودرست، وعملوا كثيرا من الإصلاحات التي لا تتعلق بهذا الفصل لذلك لم نذكرها هنا.

وجاء في تاريخ الغازي عند ذكر الحجون وكداء «بالفتح والمد» وهو الثنية التي بأعلى مكة التي يهبط الإنسان منها إلى المقبرة ويقال لها: الحجون الثاني، ما يأتي:

وفي سنة (٨١١) ثمانمائة وإحدى عشرة سهّل بعض المجاورين بمكة موضعا مستعبعا في رأسه و سهّل أيضا غيره من المجاورين في النصف الثاني من سنة (٨١٧) سبع عشرة و ثمانمائة طريقا في هذه الثنية غير الطريق المعتادة، وهذه الطريق تكون على يسار الهابط من هذه الثنية إلى المقبرة والأبطح، وكانت خربة ضيقة جدا فتحت ما يليها من الجبل بالمعاول حتى اتسعت فصارت تسع أربع مقاطر من الجمال محملة وكانت قبل ذلك لا تسع إلا واحدا وسهلت أرضها بتراب ردم فيها حتى استوت وصار الناس يسلكونها أكثر من الطريق المعتادة وجعل بينهما حاجز حجارة مرصوفة وكان في بعض هذه الطريق قبور فأخفى أثرها ثم جعل مشد العمائر بالمسجد الحرام سودون المحمدي في سنة سبع وثلاثين و ثمانمائة هذين الطريقين طريقا واحدة حسنة تسع عدة من المقاطر من الجمال المحملة. انتهى من تاريخ الغازي.

وجاء في تاريخ القطبي المسمى: «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» ما خلاصته: أن الملك الظاهر جقمق أول ما ولى التفت إلى مكة المشرفة فأرسل الأمير سودون المحمدي إلى مكة ليقيم بها ويقوم بجميع العمائر وذلك سنة (٨٤٣) ثلاث وأربعين و ثمانمائة فأجرى الإصلاحات الكثيرة بالكعبة المشرفة والمسجد الحرام والمواضع المأثورة بمنى ومزلفة وعرفات وقطع جميع أشجار السلم والشوك الذي كان بين المارين في طريق عرفه، وكانت تمزق كسوة الشقائف والمحابر عند مزاحمة جمال الحاج في ذلك المحمل، وكانت الحرامية تكمن تحت الأشجار وتنهب جميع ما تظفر به من الحجاج وتخطف منهم جميع ما تقدر عليه، فقطع الأمير سودون جميع تلك الأشجار وأزال الصخار الكبار ونظف الطريق وسعها فشكره

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٨٦

الحجاج على ذلك ودعوا له حيث كانت تضر المسلمين وإلا فشجر الحرم لا يعضد ولا يقطع فرحمه الله تعالى وأثابه الحسنى. اه. وجاء فيه أيضا: أن الأمير خوش كلدى نائب جدة في حدود سنة (٩٥٠) خمسين وتسعمائة قطع أشجار السلم ما بين المأزمين وكسر الأحجار في سفح الجبلين ومهد وسع الطريق للحجاج ودفع بذلك عنهم شر السراق الذين كانوا يكمنون خلف تلك الأحجار، و شكره الناس أثابه الله تعالى. اه.

وفي تاريخ الغازي نقلا عن تاريخ السنجاري أن الشيخ محمد بن سليمان شرع في تنظيف الحجون بمكة وذلك في شوال من سنة (١٠٨٥) خمس وثمانين وألف. وأمر بجعل ظفيرتين من الجانبين رضما بلاطين، ولما فرغ من ذلك شرع في إصلاح مدرج منى وتنظيفه وبني ظفيرتين من جانبي المدرج. انتهى.

وجاء فيه أيضا: ثم في سنة (١٣٤٠) أربعين و ثلاثمائة و ألف أصلح طريق الحجون و وسّعه جلاله الملك الشريف حسين بن علي بحيث تسير فيه المحامل و الهودج و السيارات بسهولة تامه، و قد بنى على إحدى حافتي الجبل بهذه الطريق جدارا يفصل الطريق الجديدة عن بقية الطريق القديمة و يقي المارة في القديمة من الوقوع في الجديدة. و أصبحت المحامل و الهودج و السيارات تسير في الطريق الجديدة و المشاة و الركبان على الخيل و غيرها و الجمال غير المحملة تسير في الطريق القديمة. انتهى كل ذلك من الغازي.

و في عصرنا هذا قامت الحكومة السعودية بإصلاح طريق الحج كله و تنظيفه من النواتي و الأحجار و الصخور بل و تكسير بعض الجبال، فتم كل ذلك في عام (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف فصارت الطرقات واسعة سهلة السير للرجال و راكب الدواب و السيارات «الأوتومبيلات».

انظر: صورة رقم ٣٠٤، لبعض الحجاج و الخيام و السيارات في منى

انظر: صورة رقم ٣٠٥، شارع الاسفلت في الطريق ما بين منى و مزدلفه

و مما يلحق بهذا الفصل تكسير عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما جبل الفلق بمكة الذي هو فوق محلة القارة كما ذكره الغازي في تاريخه حيث يقول:

جبل الفلق بفتح الفاء و سكون اللام، سمي بالفلق لأن ابن الزبير رضى الله تعالى عنه و عن أبيه ضربه حتى فلقه فسهل الطريق بالجبل، لأن المال كان يأتي من العراق فيدخل به مكة فيعلم به الناس فكره ذلك فسهل طريق الفلق و درّجه فكان إذا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٨٧

جاء المال دخل به ليلا ثم ليسلك به المعلاة في الفلق حتى يخرج به على دوره بقعيقان فيدخل ذلك المال و لا يدرى به أحد و على رأس الفلق موضع يقال له رجا الرياح كان عولج فيه موضع رجا الرياح حديثا من الدهر فلم يستقم و هو موضع قل ما تفارقه الرياح. انتهى من تاريخ الغازي، و رأينا هذا الكلام أيضا في تاريخ الأزرقى.

و قد روى الأزرقى أيضا في تاريخه: أن يحيى بن خالد بن برمك هو الذي ضرب و سهّل جبل الحزنه و هو الثنية التي تلاصق شعب أبي لهب بين ذى طوى و الزاهر الكبير، قال و هي ثنية قد ضرب فيها و فلق الجبل فصار فلقا في الجبل يسلك فيه إلى الممادر و الممدرة بذي طوى عند بئر بكار ينقل منها الطين الذي يبني به أهل مكة. اه.

فيعلم مما تقدم أن تكسير الجبال و تمهيد الطرق كان معروفا في الأزمنة السابقة غير أن وسائل العمل و كفيته كانت مختلفة، ففي تلك الأزمان كانوا يكسرون الجبال الصلبة بإيقاد الحطب عدة ليالي كما ذكرنا ذلك عند إصلاح الأمير إبراهيم المهمندار عين حنين و عرفات على حساب بنت السلطان سليمان خان. و أما في زماننا عصر القوة الكهربائية فإنهم يثقبون في الجبل عدة ثقوب ثم يضعون فيها الديناميت و يشعلون الفتيل المتصل به فيثور بعد بضع دقائق فيتكسر الجبل قطعا قطعا.

## دخول الفيل إلى مكة

بلاد الحجاز خالية من الحيوانات المفترسة الكبيرة ما عدا ما يتسلط على بعض المواشى كالذئب و ابن آوى «أبو الحصين» و الجعير الذي يأكل الحمير و يندر أن يرى بها صنف الأسد، أما الفيل فلا يوجد منه شيء أصلا اللهم إلا ما يجلب إليها من الخارج كما نذكر من ذلك أربع قصص وقفنا عليها في التاريخ و هي:

(الأولى) قصة أصحاب الفيل و هي شهيرة، و خلاصتها أن أبرهة الحبشى سار بجيشه و معه الفيل يريد مكة لهدم بيت الله الحرام، فلما كانوا بالمغمس «بفتح الميم الثانية و تشديدها» و هو واقع بين الجعرانة و الشرائع في طريق السيل إلى الطائف كما في هامش تاريخ الأزرقى و تهاؤوا لدخول مكة و وجّهوا الفيل الأبيض العظيم الذى معهم و اسمه محمود إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب الخثعمي فقام

إلى جنب

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٨٨

الفيل و التقم أذنه فقال: أبرك محمود و ارجع راشدا من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك محمود و خرج نفيل بن حبيب يشتد حتى صعد في الجبل و ضربوا الفيل ليقوم فأبى، فوجهوه إلى اليمن راجعا إلى المشرق ففعل مثل ذلك فوجهوه إلى مكة فبرك فأرسل الله تعالى عز شأنه عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول. قيل كان مع أبرهه فيل واحد عظيم، و قيل اثنا عشر فيلا، و قيل ثمانية أفيال، و قيل كان معه ألف فيل و الأصح كان معه فيل واحد و الله تعالى أعلم. فلم يدخل فيل أبرهه مكة المشرفة المحروسة، و ما جاء في الرحلة الحجازية للبنونى رحمه الله تعالى بأنه يقال: إن الفيل دفن بمكانه المشهور بباب جروم بمكة الذى يخيم عنده المحمل المصرى، و كانت له قبة كسرهما الشريف عون الرفيق فهذا القول لا صحة له مطلقا لأن الفيل لم يدخل مكة فكيف يدفن فيها؟ بل لم يدخل الحرم كما قال ابن الأثير و تبعه الفاسى و جزم المحب الطبرى و شيخه ابن خليل أن الفيل وقف عن السير إلى مكة فى وادى محسير «بضم الميم و فتح الحاء و كسر الشين المشددة» و هو واد بين منى و مزدلفة و هو من الحرم كما هو مذكور فى حاشية ابن حجر على الإيضاح. قال الأزرقى فى تاريخه: و ذرع منى من جمرة العقبة إلى وادى محسير (٧٢٠٠) مائتين و سبعة آلاف ذراع. و فى هذه الحاشية لكن نظر الفاسى بقول ابن الأثير أن الفيل لم يدخل الحرم، و يقال لوادى محسير وادى النار قيل لأن رجلا اصطاد فيه فنزلت نار فأحرقته، و قيل لأن بعض الأنبياء عليهم الصلاة و السلام رأى اثنين على فاحشة فيه فدعا عليهما فنزلت نار فأحرقتهما. انتهى من حاشية الإيضاح.

نقول: و نحن نذهب مع قول القائل أن الفيل لم يدخل الحرم مطلقا و أن الله تعالى قد أهلك أصحاب الفيل فى الحل بالمغمس عند عرفات كما يأتى هنا بيان موقع المغمس و الله تعالى أعلم بالغيب. هذه خلاصة يسيرة و نبذة صغيرة عن أصحاب الفيل و القصة كاملة مذكورة فى أوائل الكتاب فى سيرة النبى صلى الله عليه و سلم، قال صاحب كتاب «مرآة الحرمين»:

و كانت واقعة الفيل سنة (٥٧١) ميلادية، و كانت ولادة النبى صلى الله عليه و سلم عام الفيل.

نقول: المغمس الذى أهلك الله فيه أبرهه و قومه المذكور فى القصة هنا هو مكان معروف واقع على يسار مستقبل القبلة بعرفات، فمن وقف تحت منارة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٨٩

(مسجد نمرة) مستقبلا جبل الرحمة بعرفات يكون المغمس على يساره و المغمس واد متسع جدا و منه يظهر بوضوح تام منظر عرفات و جبل الرحمة و الشاخص الذى عليه، فبين المغمس و هذا الجبل أقل من اثنين كيلو متر يعنى أن المغمس يقع من بعد حدود الواقف بعرفات و بين المغمس و بين مسجد نمرة أقل من اثنين كيلو متر أيضا، فعليه يكون من المحقق أن أبرهه و قومه أهلكهم الله تعالى فى الحل لا فى الحرم فلم يدخل أحد منهم أرض الحرم مطلقا أى لم يصل إلى جهة مسجد نمرة لأن هذا المسجد واقع عند حدود الحل من الحرم. هذا ما حققناه و لم نجد من فصل ذلك أحد من المؤرخين فالحمد لله على التوفيق.

و الثانية: ما ذكره الفاسى فى الجزء الثانى من كتابه «شفاء الغرام» ما يأتى:

و منها: أنه فى سنة (٧٣٠) ثلاثين و سبعمائة أيضا حج الركب العراقى و معهم فيل و ما عرفت مقصد أبى سعيد خدابنده ملك التتار بإرساله، و قد ذكر خبره البرزالى نقلا عن العفيف المطرى لأنه قال بعد ما سبق ذكره من خبر الفتنة: و كان الركب العراقى ركبا صغيرا و وصل معهم فيل وقفوا به المواقف كلها و تفاعل الناس منذ رأوه شرا و كنا خائفين أن يقع بسببه شر إذا وصل إلى المدينة المنورة فوصل إلى أن بلغ الفرش الصغير قبيل البيداء التى ينزل منها إلى بئر الحرم من ذى الحليفة فجعل كلما أراد أن يقدم رجلا تأخر مرة

بعد مرة فضره و طردوه و كل ذلك يأبى إلا الرجوع إلى القهقري إلى أن سقط إلى الأرض ميتا في يوم الأحد الرابع و العشرين من ذى الحجة و ذلك من معجزات النبي صلى الله عليه و سلم و هذا من غرائب العجائب و الحمد لله على ذلك.

و قد ذكر خبره النويرى فى تاريخه بمعنى ما ذكره المطرى و قال: قيل إنه انصرف عليه من وقت خروجه من العراق إلى أن مات زيادة على ثلاثين ألف درهم و ما علم مقصد أبى سعيد فى إرساله ذلك. اه. انتهى ما ذكره الفاسى فى شفاء الغرام.

و الثالثة: ما ذكره الغازى فى تاريخه أيضا نقلا عن كتاب «إتحاف فضلاء الزمن» ما نصه:

و فى غرة شعبان ورد إلى مكة الوزير محمد باشا متولى اليمن من البر و أثقاله من البحر و جاء ثقله فى سفينة من الحديد حملتها فيل برسم الهدية لمولانا السلطان الأعظم عثمان خان فأخرج الفيل المذكور من السفينة إلى أم قرين، بالتصغير

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٩٠

موضع على مرحلة من مكة و حاولوا على أن يدخلوه مكة فما أطاع فكانت أوفى كرامته و خرج جماعة من مكة للفرجة عليه و رؤيته و ذهبوا به من هناك إلى جدة و ظهر شؤمه و حصل جذب و فناء و توفى الوزير الذى أتى به سادس عشر شوال من السنة المذكورة و دفن بالمعلا. انتهى من تاريخ الغازى.

نقول: لم نسمع أن بين مكة و جدة موضع على مرحلة منهما يقال له «أم قرين» و الظاهر أن المراد بأم قرين هو «بحرة» إذ بينها و بين مكة أو جدة مرحلة واحدة، فبحرة تقع فى منتصفهما و قد جاء ذكر «القرين» بالتصغير فى رحلة ابن جبير الذى كان فى القرن السادس الهجرى و من وصفه للقرين عرفنا أنه أراد به الموضع الذى يقال اليوم «بحرة» بفتح الباء و سكون الحاء، فعلم مما تقدم أنه إذا أطلق القرين أو أم القرين بين مكة و جدة فالمراد به نفس «بحرة» بدون شك و قد يطلق على جبل الرحمة بعرفات قرين بالتصغير أيضا، فافهم ذلك فإنه لا يوجد فى كتاب. و قول الغازى "سادس عشر شوال من السنة المذكورة" لم يذكر السنة فى هذه القصة لكن تقدمتها قصة أخرى كانت سنة (٩٩٩) تسع و تسعين و تسعمائة فإن كان يشير إلى هذه السنة فهل كان فى حوالها سلطان اسمه عثمان خان؟ الله تعالى أعلم بذلك.

و لقد رأينا فى التاريخ أن السلطان عثمان الأول توفى سنة (٧٢٦) و السلطان عثمان الثانى تولى سنة (١٠٢٧) و السلطان عثمان الثالث تولى سنة (١١٦٨) من الهجرة.

و الظاهر أنه أراد الراوى بالسلطان عثمان خان السلطان عثمان الثانى و الله تعالى أعلم بالمراد و إليه المرجع و المعاد. و أيضا هذا الفيل المذكور لم يدخل مكة.

(و الرابعة) ما ذكره الغازى أيضا فى تاريخه نقلا عن أبى الفيض أنه قال: و فى سنة (١٣١٨) ثمانى عشرة و ثلاثمائة و ألف أهدى إلى أمير مكة و شريفها عون الرفيق بن الشريف محمد بن عبد المعين فيلا- من أغنياء السادة فورد الفيل مكة، و كان الأمير يشهد به المشاهد كلها و يمشى فى شوارع مكة و يطلع به الطائف و بقى على ذلك إلى أن قتله بعض الأشراف فى أوائل عام الرابع و العشرين بعد الثلاثمائة و الألف، ذكره أبو الفيض. انتهى كل ذلك من تاريخ الغازى.

انظر: صورة رقم ٣٠٦، الشريف عون الرفيق حاكم مكة المشرفة و أميرها المتوفى بعد عام ١٣٢٠ هـ

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٩١

فظهر مما تقدم أن الفيل فى القصة الأولى و فى القصة الثالثة لم يدخل مكة و دخلها فى القصة الثانية و الرابعة.

و لم نر فى التاريخ عن دخول الفيل مكة غير ما تقدم.

و ما ذكره الغازى عن أبى الفيض أن الفيل قتله بعض الأشراف فى أوائل عام الرابع و العشرين بعد الثلاثمائة و الألف و هم منه، و الأصح أن قتل الفيل كان فى أوائل عام الثالث و العشرين حيث قتله كان قبل وفاة الشريف عون الرفيق أمير مكة، و الشريف المذكور توفى بالطائف فى جمادى الأولى سنة (١٣٢٣) ثلاث و عشرين و ثلاثمائة و ألف كما ذكره الغازى فى الجزء الثانى من تاريخه.

نقول: بما أن الشريف عون الرفيق صاحب الفيل المذكور هو من أهل عصرنا و إن مات قبل ولادتنا بستتين فقد اتصلنا في اليوم السادس من شهر رجب عام (١٣٧٦) بالشيخ حسن عشي بكسر الشين المشددة، رئيس الطباخين بمكة لأنه كان كثير الاتصال و الاجتماع بالشريف عون الرفيق المذكور بل إن الشريف المذكور ربى الشيخ حسن العشي منذ صغره و اتخذه كابنه و اعتنى بترتيبه حتى صار رئيسا للطباخين فكان يثق به ثقة عظيمة و لا يأكل إلا ما يقدمه له بنفسه. و الشيخ حسن المذكور ولد في عام (١٢٩٧) و هو مع كبر سنه تراه فاضلا محترما، نظيف الملبس، مرفوع القامة، حاضر الذهن، لطيف الخلق، و مع شيخوخته تراه في صحة جيدة و عافية تامة عليه الهدوء و الوقار و سيماء الخير و الطيب.

فحينما اجتمعنا به طلبنا منه أن يخبرنا بقصة فيل الشريف عون الرفيق فقال ختم الله لنا و له بخير و راحة تامة على الإيمان الكامل ببلده الأمين آمين:

في عام (١٣١٥ هـ) أرسل السيد محمد السقاف الكبير الذي كان ببلاد جاوى فيلا صغيرا من الهند هدية للشريف عون الرفيق حيث كان صديقه و أرسل مع الفيل سايسا هنديا يتولى شؤونه فكان السايس يكلم الفيل باللغة الهندية و الفيل يفهم كلامه، فعند وصول الفيل إلى مكة صاروا يقدمون له كل يوم أرزا مطبوخا باللبن الحليب و السكر لمدة خمسة عشر يوما ثم صاروا يقدمون له أنواع المأكولات كالقصب السكر.

قال الشيخ حسن المذكور: و من عجيب ما رأيت من أمر الفيل أنه دخل علينا في مطبخ الشريف عون بعتة فكسر الصحون و قلب القدور و أكل ما وجدته، و كان

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٩٢

في المطبخ رجل هندي اسمه "فيروزدين" فضربه بطرف خرطومه فانفلج نصفه الأسفل.

قال: و كان الفيل يمشى في الأسواق و يضرب للناس السلام بزومته "خرطومه" إذا أمره السايس، و كان في كل عام يطلع معنا إلى الطائف و في يوم من الأيام اعتدى على أحد الشحاتين فجذبه بخرطومه و غرز نابه في فخذ الرجل فمات، فلما بلغ الخبر الشريف عون أمر بقطع نابه و أمر سايسه أن يكلمه بالهندية في ذلك جزاء له على ما فعل فرضخ الفيل لقص نابه و نام على الأرض فجاء النجار و قص الناب بالمنشار، قال: و أنا أنظر قص نابه.

قال الشيخ حسن: و قد لبث الفيل حتى سنه (١٣٢٣) ثم قتل بالطائف و دفنوه تحت باب الحزم. و الذي قتله الشريف زيد بن فواز أمير الطائف فإنه أمر أربعة من العبيد بقتله فضربوه بست رصاصات بالبندق المارتيني، فلما سمع بذلك الشريف عون غضب غضبا شديدا فخاف الشريف زيد و هرب منه ثم مات الشريف عون بعد ذلك في السنة المذكورة. غفر الله لنا و له.

هذا ما أخبرنا به الشيخ حسن العشي حفظه الله تعالى عن قصة فيل الشريف عون الرفيق.

### ما ذكره بعض المفسرين عن وجود صور الأنبياء عليهم الصلاة و السلام في التابوت

ذكر بعض المفسرين أن صور الأنبياء عليهم الصلاة و السلام كانت موجودة في تابوت بنى إسرائيل من صورة آدم إلى صورة نبينا «محمد» صلى الله عليه و سلم كانت مصورة من الأزل، قالوا كان فيه حتى صور بيوت المرسلين مع صورة بيت محمد صلى الله عليه و سلم، و كانت صورته في ياقوته حمراء مع صورة وقوفه و هو يصلى و حوله أصحابه فكان التابوت عند آدم عليه السلام ثم توارثه ذريته حتى وصل لموسى عليه الصلاة و السلام فكان يضع فيه التوراة و رضاض الألواح و كان إذا قاتل قَدَّمه فكانت تسكن نفوس بنى إسرائيل و لا يفرون ثم لما مات موسى و مات هارون وضعوا في التابوت بقیه مما تركاه مع التوراة و قطع الألواح كعصا موسى و نعلاه و عمامة هارون و قفيز من المن الذي كان ينزل عليهم. و التابوت هو صندوق من الخشب

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٩٣

طوله ثلاثة أذرع و عرضه ذراعا مموه بالذهب. هذا ما ذكره بعض المفسرين و الله تعالى أعلم بما فيه فهو علم الغيوب.

### صور الأنبياء التي كانت عند ملك الروم

و نذكر هنا ما جاء في «تاريخ الخميس» من حفظ صور الأنبياء و رسومهم عليهم الصلاة و السلام لدى «هرقل» ملك الروم. و لقد ورد في صحيح البخارى أنه كان في الكعبة المشرفة من الأصنام و الصور و من ضمنها صورة إبراهيم و إسماعيل عليهما الصلاة و السلام فأمر صلى الله عليه و سلم بإزالة تلك الصور و محوها و ذلك يوم الفتح، و لذلك لا نستبعد وجود صور الأنبياء لدى ملك الروم. و هنا نحب أن نذكر نقطة دقيقة و هي: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما نظر إلى صورة إبراهيم و إسماعيل في أيديهما من الأزام قال: قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط فلم يقل عليه الصلاة و السلام أين رأوهما حتى يرسموا صورتها- فتأمل- قال في مختار الصحاح: الأزام هي السهام التي كانت أهل الجاهلية يستقسمون بها. انتهى.

و هذا نص ما جاء في تاريخ الخميس عن صور الأنبياء عليهم الصلاة و السلام:

عن هشام بن العاص قال: بعثني أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه و رجلا من قريش إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام فلما وصلنا إليه أمر لنا بمنزل حسن و نزلنا فأقمنا ثلاثا فأرسل إلينا فدخلنا عليه فدعا بشيء كالربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح بيتا فاستخرج حريرة سوداء فنشرها فإذا فيها صورة حمراء و إذا فيها رجل ضخم العينين عظيم الإلتيين لم أر مثل طول عنقه و إذا ليس له لحيه و إذا له ظفيران أحسن ما خلق الله تعالى فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا آدم عليه الصلاة و السلام و إذا هو أكثر الناس شعرا، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فإذا فيها صورة بيضاء و إذا رجل له شعر قطط أحمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال:

هذا نوح عليه الصلاة و السلام، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فإذا فيها رجل شديد البياض حسن العينين صلب الجبين طويل الخد شارع الأنف أبيض اللحية كأنه يتبسم قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا إبراهيم عليه الصلاة و السلام، ثم فتح بابا آخر فإذا فيه صورة بيضاء و إذا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٩٤

هل تعرفون هذا؟ قلنا نعم، إنه محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم و بكينا، قال: و الله يعلم أنه هو. ثم قام قائما ثم جلس و قال: الله بدينكم إنه لهو. قلنا: نعم إنه هو كما نظر إليه فأمسك ساعة ينظر إلينا ثم قال: أما إنه كان آخر الصور هو و لكن عجلته لكم لأنظر ما عندكم، ثم عاد ففتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فإذا فيها صورة آدماء سحماء فإذا رجل جعد قطط غائر العينين حديد النظر عابس متراكب الأسنان مقلص الشفتين كأنه غضبان قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا موسى بن عمران عليه الصلاة و السلام، و إلى جانبه صورة تشبهه إلا أنه مدهان الرأس عريض الجبين فى عينيه قبل قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا هارون بن عمران عليه الصلاة و السلام، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل آدم سبط ربعة كأنه غضبان حسن الوجه قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا لوط عليه الصلاة و السلام، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة رجل أبيض مشرب بحمرة أخفى خفيف العارضين حسن الوجه قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا إسحاق عليه الصلاة و السلام، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة تشبه صورة إسحاق إلا أن على شفته السفلى خالا قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا.

قال: هذا يعقوب عليه الصلاة و السلام، ثم فتح آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة رجل أبيض حسن الوجه أقنى الأنف حسن القامة يعلو وجهه النور يعرف فى وجهه الخشوع يضرب إلى الحمرة فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا.

قال: هذا إسماعيل جد نبيكم صلى الله عليه و سلم، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة كأنها صورة آدم كأن وجهه الشمس قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا.

قال: هذا يوسف عليه الصلاة والسلام، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة رجل أحمر أحمر الساقين أخفش العينين ضخم البطن ربعة متقلد سيفاً قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا داود عليه الصلاة والسلام، ثم طواها فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة رجل ضخم الإليتين طويل الرجلين راكب على فرس فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء وإذا رجل شاب شديد سواد اللحية كثير الشعر حسن العينين حسن الوجه قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٩٥

قلنا: من أين لك هذه الصور فإننا نعلم أنها على ما صورت عليها الأنبياء لأننا رأينا صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثله؟ فقال: إن آدم سأل ربه عز وجل أن يريه الأنبياء من ولده فأنزله صورهم وكانت في خزانه آدم عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعت إلى دانيال في خرقة من حرير فهذه بأعيانها الصور التي صورها دانيال ثم قال: والله إن نفسى طابت، وفي غير هذه الرواية لوددت الخروج عن ملكي وأن أكون عبداً لسرير ملكه حتى أموت، ثم أجازنا وسرحنا، فلما قدمنا على أبي بكر رضى الله عنه حدثنا بما رأيناه وبما قال لنا وبما أخبرنا فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال: مسكين لو أراد الله به خيراً لفعل. قال: أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم واليهود يجدون نعت النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل. روى هذا الحديث أبو بكر القفال الشاشي عن الحسن صاحب الشافى عن إبراهيم بن الهيثم كذا في المنتقى. وعن كعب الأخبار أنه لما أدرك إبراهيم الوفاة جمع أولاده وهم يومئذ ستة ودعا بتابوت ففتحها وقال: أيها الأولاد انظروا إلى هذا التابوت فنظروا إلى ذلك التابوت فرأوا بيوتاً بعدد الأنبياء كلهم وآخر بيوت الأنبياء بيت محمد صلى الله عليه وسلم من ياقوته حمراء فإذا هو قائم يصلى وعن يمينه الكهل المطيع أبو بكر الصديق رضى الله عنه مكتوب على جبينه: هذا أول من يتبعه من أمته، وعن يساره الفاروق عمر بن الخطاب مكتوب على جبينه: ثالث الخلفاء، ومن بين يديه على بن أبي طالب شاهر سيفه على عاتقه مكتوب على جبينه: هذا أخوه وابن عمه المؤيد بنصر الله.

انتهى ما ذكره صاحب «تاريخ الخميس» ولا ندري هل هذه الصور للأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا زالت موجودة في المتاحف الإفريقية أو في القصور الملكية في بعض الجهات أم أنها فقدت لا يعلم ماذا جرى في أمرها. الله تعالى أعلم بالغيب. جاء في تاريخ الأزرقى في أول الجزء الثانى: وعن العلاء المكي عن جابر بن ساج الجزرى قال: جلس كعب الأخبار أو سلمان الفارسى ببناء البيت فقال:

شكت الكعبة إلى ربها عز وجل ما نصب حولها من الأصنام وما استقسم به من الأزلام فأوحى الله تعالى إليها أنى منزل نورا وخالق بشرا يحنون إليك حنين

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٩٦

الحمام إلى بيضه و يدفون إليك ديف النور، فقال له قائل: وهل لها لسان؟ قال: نعم و أذنان و شفتان. اه.

### صور العرب التي كانت في بيت الملوك بالأندلس

و مما يناسب ما تقدم من ذكر صور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام التي كانت عند هرقل ملك الروم ورآها هشام بن العاص و صاحبه حينما بعثهما أبو بكر الصديق رضى الله عنه ليدعوا إلى الإسلام ما جاء في كتاب «الإمامة و السياسة» أن موسى بن نصير بعد أن افتتح قرطبة و ما يليها من الحصون و القلاع و المدائن و افتتح طليطلة التي تسمى «بمدينة الملوك» وجد فيها بيتا يقال له بيت الملوك، و



في هذا البيت وجد أربعة وعشرين تاجا، تاج كل ملك ولى الأندلس، كان كلما هلك ملك جعل تاجه في ذلك البيت و كتب على التاج اسم صاحبه و ابن كم هو و يوم مات و يوم ولى، و وجد في ذلك البيت أيضا مائدة عليها اسم سليمان بن داود عليه السلام و مائدة من جزع، فعمد موسى إلى التيجان و الآنية و الموائد فقطع عليها الأغشية و جعل عليها الأمانه ليس منها شيء يدري ما قيمته. فأما الذهب و الفضة متاع فلم يكن يحصيه أحد. اهـ.

ثم جاء في الكتاب المذكور عند ذكر ما وجد موسى بن نصير في البيت الذي وجد فيه المائدة مع صور العرب ما نصه: قال: و ذكروا أن هرم بن عياض حدثهم عن رجل من أهل العلم أنه كان مع موسى بالأندلس حين فتح البيت الذي كانت فيه المائدة التي ذكروا أنها كانت لسليمان بن داود عليه السلام فقال: كان بيتا عليه أربعة و عشرون قفلا كان كلما تولى ملك جعل عليه قفلا اقتداء منه بفعل من كان قبله حتى إذا كانت ولاية لذريق القرطبي الذي افتتحت الأندلس على يديه و في ملكه قال: و الله لا أموت بقم هذا البيت و لأفتحنه حتى أعلم ما فيه، فاجتمعت إليه النصرانية و الأساقفة و الشامسة و كل منهم معظم له. فقالوا له: ما تريد بفتح هذا البيت؟ فقال: و الله لا أموت بقمه و لأعلمن ما فيه. فقالوا: أصلحك الله. إنه لا خير في مخالفة السلف الصالح و ترك الاقتداء بالأولوية فافتد بمن كان قبلك و وضع عليه قفلا كما صنع غيرك و لا يحملك الحرص على ما لم يحملهم عليه فإنهم أولى بالصواب منا و منك فأبى إلا فتحه. فقالوا له: أنظر ما ظننت أن فيه من المال و الجواهر و ما خطر على

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٩٧

قلبك فإننا ندفعه إليك و لا تحدث علينا حدثا لم يحدثه فيه من كان قبلك من ملوكنا و إنهم كانوا أهل معرفة و علم. فأبى إلا فتحه ففتحه فوجد فيه تصاوير العرب و وجد كتابا فيه: إذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء الذين هيئاتهم هكذا هذه البلاد فملكوها. فكان دخول المسلمين من العرب إليه في ذلك العام. انتهى من كتاب الإمامة و السياسة.

### مجزرة مكة

المجزرة: هي موضع نحر الإبل و البقر و الغنم و تسمى المذبح أو السلخانة عند أهل مصر، و قد جرت العادة من قديم العهد أن تكون المجزرة و المقبرة خارج عمران البلدة محافظة على النظافة.

و العادة أن تكون المجزرة في بلدة أهله بالسكان، أما مواطن البدو و العربان الذين يألفون السكن في الجبال و الوديان و الذين خدورهم و منازلهم متباعدة بعضها عن بعض فإنه ليس لديهم موضع خاص للمذبح فإنهم يذبحون حيثما اتفق لهم بجوار خدورهم و خبائهم أو في سفح جبل أو تحت شجرة أو فوق صخرة و ليس في ذلك أدنى ضرر عليهم، لأن الهواء الطلق في الصحراء و انبساط الشمس في البداء يذهبان الرائحة و ينشfan الفضلات من الروث و الدم فلا يبقيان للمكروبات من أثر.

إذا علمنا هذا يمكننا أن نجزم بأن المجزرة لم تكن معروفة بمكة المشرفة قبيل الإسلام لقله سكانها و تباعد البيوت فيها، و كانت حالتهم حالة بداءة فلما جاء الله بالإسلام و دخل الناس فيه أفواجا أفواجا من كل حدب و صوب ازداد السكان بالنسبة لما قبله فكثرت ذبح الأنعام تبعا لأصول الدين الحنيف كذبح الأضحية أو الفدية أو التصديق باللحوم و ولائم العرس فكان من الضروري أن يكون هناك موضع خاص للمذبح.

و لما كانت المروة بمكة هي مكان تحلل المعتمر كان أفضل بقعة لذبح المعتمر المروة لذلك قالوا يستحب الذبح بالمروة للمعتمر، لكن هذا الاستحباب يكون بالنسبة لصدر الإسلام لأن مكة لا زالت على فطرتها الأولى تقريبا فلم يكن بها العمران إلا قليلا و في قلب البلدة و لم يكن العمران كما في وقتنا هذا من العمارات الضخمة و القصور الشاهقة، فما كانت بجهة المروة بيوت و منازل حتى تتأذى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٩٨

بالدماء السائلة من الذبائح بل كانت الجبال و ما بينها من المنعطفات و المتعرجات ظاهرة واضحة بشكلها الطبيعي، فكانت الشمس و

الهواء يذهب بالروائح و ينشفان الدماء و الفضلات. أما الآن و قد ازدحمت المروة بالبيوت و السكان فلا يستحب الذبح بالمروة بل يحرم لتحقيق حصول الإيذاء للمقيمين حول المروة.

فعلى هذا يمكن لنا أن نقول كانت مجزرة مكة في صدر الإسلام بالمروة، لكن ليس في مكان السعى و الطريق العام و إنما في نواحي جبل المروة إلى جهة المدعى و إلى جهة القرارة و لذلك كانت المواشى تباع بالمدعى عند "مسجد الغنم" اليوم ذلك المسجد الصغير جدا الذى على رأس الزقاق بآخر المدعى و أول الجودرية، فقد ذكر الأزرقى بصحيفة ١٩٢ من الجزء الثانى من تاريخه أن بهذه الجهة سوق الجزائر و بها أيضا سوق الغنم كما جاء بصحيفة ١٦٣ و موقف الغنم كما جاء بصحيفة ٢١٨.

ثم لما وصل العمران إلى المدعى و كثر الناس عما قبل انتقلت المجزرة من الموضع إلى شعب أبى دب كما ذكره الأزرقى بعدة مواضع، و قال فى صحيفة ١٧٠ من الجزء الثانى و شعب أبى دب الذى يعمل فيه الجزائريون بمكة بالمعلاة، و قال فى صحيفة ١٨٢ "شعب أبى دب بالحجون" و الأزرقى توفى فى منتصف القرن الثالث للهجرة.

فعلم من كلام الأزرقى أن المجزرة كانت بالحجون بالمعلاة لكن لا نعرف بالضبط فى أية بقعة كانت فما زالت المجزرة فى موضعها بالحجون من ذلك الزمن إلى عصرنا الحاضر أى إلى سنة (١٣٦١) إحدى و ستين و ثلاثمائة و ألف، لكن فى عصرنا كان موضعها بالضبط وراء جبل مقبرة المعلاة من الجهة المؤدية إلى جبول لعدم وجود العمران هنالك فى ذلك الوقت. و قد سمي الأزرقى هذا الموضع الأحداب و ذات أعاصير كما جاء ذلك بصحيفة ٢٣١ من الجزء الثانى.

ثم إنه فى السنة المذكورة أى سنة (١٣٦١) نقلت هذه المجزرة القديمة العهد إلى جهة بئر العتيبة لأن العمران اتصل إلى جهة هذه المجزرة بالمعلاة.

ثم إنه فى سنة (١٣٧٧) سبع و سبعين و ثلاثمائة و ألف فى زماننا هذا نقلت هذه المجزرة أيضا من العتيبة إلى جهة العشر "بضم العين و فتح الشين" و خريق العشر واقع بآخر المعابدة بعد ثنية أذاخر. و لقد بنيت هذه المجزرة الجديدة بناية جميلة على الطراز الحديث فى أول سنة (١٣٧٦) و استعملت للذبح بعد بنايتها بسنة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٩٩

واحدة بعد أن أصلح الطريق الواقع بين الجبال المؤدى إليها و عبّد بالأسفلت ليكون سالكا سهلا للسيارات و المشاة. و إليك صورة المجزرة الجديدة بخريق العشر.

انظر: صورة رقم ٣٠٧، المجزرة الجديدة فى ربيع أذاخر بخريق العشر

انظر: صورة رقم ٣٠٨، مجزرة ربيع أذاخر من الداخل بخريق العشر

و الله تعالى أعلم هل تقوم القيامة و المجزرة الجديدة فى موضعها الحالى أم تنتقل مئات المرات إلى مواضع مختلفة نائية تبعا لامتداد العمران بمكة إلى ما شاء الله؟

ذلك علمه عند ربي فهو علم الغيوب بيده ملك السموات و الأرض و هو يطعم و لا يطعم لا إله إلا هو العزيز الغفار.

ثم نقلت المجزرة إلى مسفلة مكة غرب جبل السرد و لا تزال به حتى الآن.

## تجارة العرب

### إشارة

لما كان العرب يتصفون بالشجاعة و النخوة و الشهامة و عزة النفس و علو الهممة فقد كانوا يكرهون البطالة و الكسل و يحبون التجارة و العمل و الاكتساب من الوجهة الحلال الشريف.

و لقد كان المهاجرون و الأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين يشتغلون بالتجارة و البيع و الشراء، فقد جاء في أوائل صحيح البخارى فى كتاب العلم فى باب «حفظ العلم» عن أبى هريرة قال: إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة و لولا آيتان فى كتاب الله ما حدثت حديثا ثم يتلو: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ... إلى قوله:- الرَّحِيمِ إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق و إن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل فى أموالهم و إن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه و سلم بشبع بطنه و يحضر ما لا يحضرون و يحفظ ما لا يحفظون.

انتهى.

نقول: هكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فإنهم مع قيامهم بالحروب و نصره الدين الحنيف لتكون كلمة الله العليا لا ينسون أخذ نصيبهم من الدنيا بدون أن يركنوا إليها فقد كانوا يعطون حقوق الله تعالى فى أموالهم و يعطون حقوق الضيف و حقوق الجار و حقوق الفقير و يواسون بعضهم و يؤثرون على أنفسهم فأين أولئك الرجال الذين لهم سابقة الفضل فى الخيرات من زماننا هذا زمان الفتن و الفساد. نسأل الله السلامة و العافية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٠٠

و جاء فى صحيح البخارى أيضا عن أنس بن مالك قال: قدم عبد الرحمن بن عوف فأخى النبى صلى الله عليه و سلم بينه و بين سعد بن الربيع الأنصارى و عند الأنصارى امرأتان فعرض عليه أن ينصفه أهله و ماله. فقال: بارك الله لك فى أهلك و مالك دلونى على السوق. فأتى السوق فربح شيئا من أقط و شيئا من سمن، فراه النبى صلى الله عليه و سلم بعد أيام و عليه و ضر من صفرة فقال: مهيم يا عبد الرحمن؟ فقال: تزوجت أنصاريه، قال: فما سقت؟ قال: وزن نواه من ذهب، قال: أولم و لو بشاء. اه.

فانظر رحمك الله كيف كان الأنصار يؤثرون المهاجرين على أنفسهم و انظر إلى تضحياتهم العظيمة فى سبيل الأخوة الإسلامية و الحب فى الله و لقد أثنى الله تعالى عليهم فى سورة الحشر بقوله: وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. فرضى الله عن المهاجرين و الأنصار فهم السابقون المختارون الأبرار فأين ذلك العصر الزاهر الأنوار من عصرنا هذا المظلم الأبتى، نسأل الله تعالى السلامة و العافية.

ثم انظر إلى شهامة عبد الرحمن بن عوف و عزة نفسه فإنه رضى الله تعالى عنه لم يرض أن يقاسمه سعد الأنصارى الكريم أهله و ماله، و إنما طلب أن يدلوه على السوق ليتاجر فيه فيأكل من كسب يده، و بالفعل فقد نزل إلى السوق و ربح فيه و جمع مالا فتزوج من ماله الخاص ثم صار فيما بعد من كبار الأغنياء المعدودين.

و تجارة العرب كانت من منتوجات بلادهم كالغزل و بعض الأعشاب و النبات و الفواكه و الألبان و الجلود و بعض المحصولات، فكانوا يتاجرون بمحصولات البلاد فى أسواقهم و فى خارج بلادهم إذا سافروا إلى جهة الشام أو اليمن ثم يأتون من هنالك بالبضائع المرغوبة فى بلادهم للتجارة أيضا.

و كان من أشهر تجارهم: أمية بن خلف، و عبد الله بن جدعان، و خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، و العباس بن عبد المطلب، و أبو سفيان بن حرب و غيرهم.

قال الشيخ حسين بن عبد الله باسلامه رحمه الله تعالى فى الجزء الأول من كتابه «حياة سيد العرب» عن تجار العرب و تجارتهم ما نصه:

و كان من تجار قريش فى العصر النبوى من يملك الملايين. روى الحافظ الذهبي فى تاريخه أن ثروة الزبير بن العوام رضى الله عنه قدرت بعد وفاته بأربعين ألف

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٠١

ألف درهم، أى أربعون مليون درهم. و كانت كل عشرة دراهم تقدر بدينار.

و قدرت ثروة طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه بثلاثين ألف درهم، أى ثلاثون مليون درهم، و كذلك قدرت ثروة عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بعد وفاته فكانت أعظم من ثروتى الزبير و طلحة، و أيضا صفوان بن أمية رضى الله عنه تقدر ثروته مثلهم أو يفوق عنهم.

و لم يكن أحد هؤلاء اكتسب درهما واحدا من غير طريق التجارة، لأنه لم يحدثنا التاريخ أن أحدا من هؤلاء تقلد أماره أو قاد جيشا فى الفتوحات الإسلامية أو صار خليفة للمؤمنين، بل حدثنا التاريخ بصد ذلك، إن قواد الجيوش و أمراء المؤمنين فى الصدر الأول من الخلافة ماتوا فقراء لم يورثوا درهما و لا دينارا بل لما حضرت أبا بكر الصديق رضى الله عنه الوفاة جاءته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقالت له: يا أبتاه إنك كنت ذا مال و تجارة فدلنا على مالك، فأجابها: إني كنت ذا مال و تجارة و قد أنفقت مالى على رسول الله صلى الله عليه و سلم و فى سبيل الله فإذا أنا مت فاطوى فراشى هذا و أودعيه بيت مال المسلمين.

و كذلك عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان و على رضى الله عنهم مثل سلفهم و كذلك سعد بن أبى وقاص و خالد بن الوليد و أبو عبيدة رضى الله عنهم فإنهم أعظم القواد الذين فتحوا فارس و الروم فى عصر الخلفيتين، لم يحدثنا التاريخ عن عظم ثروتهم بل ماتوا فقراء و لو أن طلحة و الزبير و عبد الرحمن بن عوف تأمروا على قيادة الجيش أو صاروا من أمراء المؤمنين لأصبحوا فقراء مثل إخوانهم حيث لم تأت ثروتهم إلا عن طريق التجارة فلو اشتغلوا بالأماره لكانوا مثلهم.

فهكذا كانت قريش أغنى العرب بواسطة التجارة. انتهى من الكتاب المذكور.

### أسواق مكة فى الجاهلية و الإسلام

جاء فى الجزء الثانى من كتاب «شفاء الغرام» للفاسى ما يأتى: رويانا فى تاريخ الأزرقى خبرا فيه حج الجاهلية و مواسمهم و أسماء الشهور بسنده إلى الكلبى قال فيه: فإذا كان الحج فى الشهر الذى يسموه ذى الحجة خرج الناس إلى مواسمهم فيصبحون بعكاظ يوم هلال ذى القعدة فيقيمون به عشرين ليلة يقوم فيها أسواقهم بعكاظ و الناس على مراعيهم و راياتهم منحازين فى المنازل، يضبط كل التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٠٢

قبيلة أشرافها و قادتها و يدخل بعضهم فى بعض للبيع و الشراء فيجتمعون فى بطن السوق فإذا مضت العشرون انصرفوا إلى مجنّه فأقاموا بها ثمان ليال أسواقهم قائمة ثم يخرجون لذى المجاز فيقيمون بها إلى يوم التروية و يخرجون يوم التروية من ذى المجاز إلى عرفة فيتروون ذلك اليوم من الماء بذى المجاز، و إنما سمى يوم التروية لترويههم فى الماء بذى المجاز ينادى بعضهم بعضا، يتروون من الماء لأنه لا ماء بعرفة و لا بالمزدلفة يومئذ، و كان يوم التروية آخر أسواقهم. و إنما يحضر هذه المواسم بعكاظ و مجنّه و ذى المجاز التجار و من كان يريد التجارة و من لم يكن له تجارة و لا- بيع فإنه يخرج من أهله متى أراد و من كان من أهل مكة ممن لا يريد التجارة خرج من مكة يوم التروية فيتروون من الماء فينزل الحمس أطراف المسجد الحرام من غرة يوم عرفة و ينزل الحلة عرفة، و كان النبى صلى الله عليه و سلم فى سنه التى دعا فيها بمكة قبل الهجرة لا- يقف مع قريش و الحمس فى طرف الحرم و كان يقف مع الناس بعرفة.

ثم قال: و كانوا لا- يتبايعون فى يوم عرفة و لا- أيام منى فلما أن جاء الله تعالى بالإسلام أحل الله ذلك لهم فأنزل الله عز و جل فى كتابه: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ. و فى قراءة أبى ابن كعب: فى مواسم الحج، يعنى منى و عرفة و عكاظ و مجنّه و ذى المجاز فهذه مواسم الحج.

ثم قال الكلبى: و كانت هذه الأسواق بعكاظ و مجنّه و ذى المجاز قائمة فى الإسلام حتى كان حديثا من الدهر.

فأما عكاظ فإنما تركت عام خرج الحرورى بمكة مع أبى حمزة المختار بن عوف الأزدى الأباضى فى سنة تسع و عشرين و مائة خاف

الناس أن ينتهبوا و خافوا الفتنة فتركت حتى الآن.

ثم تركت المجنة و ذو المجاز بعد ذلك و استغنوا بالأسواق بمكة و بمنى و عرفة.

و قال أبو الوليد الأزرقى: و عكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة على طريق صنعاء فى عمل الطائف على بريد منها و هى سوق لقيس عيلان و ثقيف و أرضها لنصره، و مجنة سوق بأسفل مكة على بريد منها و هى سوق لكنانة و أرضها من أرض كنانة، و هى التى يقول فيها بلال رضى الله عنه:

ألا ليت شعرى هل أبيتنَّ ليلةً بفخ و حولى إذخر و جليل

و هل أردن يوماً مياه مجنة و هل تبدو لى شامة و طفيل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٠٣

و شامة و طفيل: جبلان مشرفان على مجنة، و ذو المجاز سوق لهذيل عن يمين الموقف من عرفة قريب من كبكب على فرسخ من عرفة، و حباشة سوق الأزدي و هى فى ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا و حلى بناحية اليمن و هى من مكة على ست ليال و هى آخر سوق خربت من أسواق الجاهلية. و كان والى مكة يستعمل عليها رجلا يخرج معه بجند فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول شهر رجب متواليه حتى قتلت الأزدي واليا كان عليها بعثه داود بن عيسى بن موسى فى سنة سبع و تسعين و مائة، فأشار فقهاء أهل مكة على داود بن عيسى بتخريبها فخرَّبها و تركت إلى اليوم.

و إنما ترك ذكر حباشة مع هذه الأسواق لأنها لم تكن فى مواسم الحج و لا فى أشهره و إنما كانت فى رجب. اه باختصار. انتهى من الكتاب المذكور.

نقول: سوق المجاز يطلق عليه اليوم بئر المجاز و هو واقع بين عرفات و الشرائع عند جبل كبكب.

و سوق عكاظ واقع بالطائف بوادى المبعوث بين عشيرة و الأضاخر شرق مطار الطائف، و بين عكاظ و الطائف ليلة واحدة بمسير الإبل و بينه و بين مكة ثلاثة أميال.

## تاريخ إبطال أسواق العرب

قال الأزرقى فى تاريخه: قال الكلبي: و كانت هذه الأسواق بعكاظ و مجنة و ذى المجاز قائمة فى الإسلام حتى كان حديثاً من الدهر، فأما عكاظ فإنما تركت عام خرجت الحرورية بمكة مع أبى حمزة المختار ابن عوف الأزدي الأباضى فى سنة تسع و عشرين و مائة خاف الناس أن ينتهبوا و خافوا الفتنة فتركت حتى الآن ثم تركت مجنة و ذو المجاز بعد ذلك و استغنوا بالأسواق بمكة و بمنى و بعرفة.

قال أبو الوليد: و عكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة على طريق صنعاء فى عمل الطائف على بريد منها، و هى سوق لقيس عيلان و ثقيف و أرضها لنصر.

و مجنة سوق بأسفل مكة على بريد منها و هى سوق لكنانة و أرضها من أرض كنانة، و هى التى يقول فيها بلال:

ألا ليت شعرى هل أبيتنَّ ليلةً بفخ و حولى إذخر و جليل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٠٤ و هل أردن يوماً مياه مجنة و هل يبدو لى شامة و طفيل

و شامة و طفيل جبلان مشرفان على مجنة.

و ذو المجاز: سوق لهذيل عن يمين الموقف من عرفة قريب من كبكب على فرسخ من عرفة. و حباشة: سوق الأزدي و هى فى ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا و حلى من ناحية اليمن و هى من مكة على ست ليال و هى آخر سوق خربت من أسواق الجاهلية. و كان والى مكة يستعمل عليها رجلا يخرج بجند فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول شهر رجب متواليه، حتى قتلت الأزدي واليا كان عليها

بعثه داود بن عيسى بن موسى فى سنة سبع و تسعين و مائة، فأشار فقهاء مكة على داود ابن عيسى بتخريبها فخرّبها و تركت إلى اليوم. انتهى من الأزرقى.

### ما جاء عن أسواق العرب فى كتاب حياة سيد العرب

و جاء فى كتاب «حياة سيد العرب» عن أسواق العرب ما نصه:

كان للعرب أسواق فى الجاهلية يقيمونها فى شهور السنة و ينتقلون من بعضها إلى بعض و يحضرها سائر قبائل العرب من بعد منهم و من قرب فكانوا ينزلون «دومة الجندل» و هو المسمى اليوم «بالجوف» و هو واقع شمال الجزيرة قريب من الشام أول يوم من ربيع الأول فيقيمون أسواقها بالبيع و الشراء و الأخذ و العطاء فيقوم بعشائهم رؤساء آل بدر فى دومة الجندل و إذا غلب على السوق بنو كلب يقوم بعض رؤساء كلب بعشائهم فتقوم أسواقها إلى آخر الشهر ثم ينتقلون إلى سوق «حجة» و هو المشهور فى ربيع الآخر فتقوم أسواقهم بها و كان يقوم بطعامهم المنذر بن ساوى أحد بنى عبد الله بن دارم ثم يرتحلون نحو عمان بالبحرين فتقوم سوقهم بها ثم يرتحلون فينزلون إرم و قرى الشحر فتقوم أسواقهم بها أياما ثم يرتحلون فينزلون (عدن) من اليمن فيشترون منها (اللطائم) و هى الأقمشة و أنواع الطيب ثم يرتحلون فينزلون الرابية من حضرموت و منهم من يجوزها إلى صنعاء ثم تقوم أسواقهم بها و يجلبون منها الخرز و الأدم و البرد، و كانت تجلب إليها من معافر ثم يرتحلون إلى عكاظ فى أول شهر شوال. و كان سوق عكاظ بمثابة المؤتمر العام و المعرض العام لعموم قبائل العرب قاطبة فكان يجتمع فيه فحول الشعراء و الخطباء و الملوك و الأمراء و كانت تجرى بينهم مسابقة فى الشعر و الخطابة و الشجاعة و غير ذلك، فتقوم أسواقهم بعكاظ و يناشدون الأشعار و يتحاجون و من له أسير سعى فى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٠٥

فدائه و من له حكومة ارتفع إلى الذى يقوم بأمر الحكومة فيها من بنى تيم و كان أحدهم الأقرع بن حابس ثم ينتقلون منها فى نهاية شهر شوال فينزلون مر الظهران و هو (وادي فاطمة) فى أول ذى القعدة فتقوم أسواقهم فيه طيلة الشهر، و هذا الوادى واقع شمال مكة و يبعد عنها من ٢٥ ميلا إلى ٣٠ ميلا، و هو واد خصب كان به فى الأزمان السالفة نحو ثلاثمائة عين ماء، فلعدم وجود الأيدي العاملة دمرت و لم يبق منها الآن سوى أربعة و أربعين عين ماء بخيولها ثم ذكر مؤلف الكتاب المذكور أسماء هذه العيون لا داعى لأن نسردها نحن ثم يرتحلون إلى الحج و الوقوف بعرفة، فإذا قضوا مناسكهم نزلوا مكة للطواف بالبيت و السعى بين الصفا و المروة فكانت قريش تقوم بضيافتهم بمكة حتى يرتحلوا.

و كانت لقريش اليد الطولى فى التجارة فكانت لهم رحلتان: رحلة فى الشتاء و رحلة فى الصيف.

و كانت رحلة الشتاء إلى اليمن و رحلة الصيف إلى الشام فإذا جاء الشتاء ذهبوا إلى اليمن ببضائع الحجاز و ما يتبقى من بضائع الشام فيبيعونها، ثم يشترون من اليمن الأقمشة اليمانية و أنواع الطيب و يأتون بها إلى مكة ثم يرتحلون فى الصيف إلى الشام ببعض أدم الحجاز و بضائع اليمن و بعد تصريفها يشترون من الشام ما يصلح لأسواقهم من البضائع و يأتون بها إلى مكة. و كان فيهم من أصحاب رؤوس الأموال العظيمة مثل أمية بن خلف و عبد الله بن جدعان و خديجة بنت خويلد و العباس بن عبد المطلب و أبو سفيان بن حرب و غيرهم. و كان منهم من يستطيع أن يحمل من التجارة على ألف بغير لشخصه برأس ماله فكانت تنفق هذه البضائع فى أسواقهم: عكاظ، و مر الظهران، و ذى المجاز و بمكة و منى و غيرها.

و كانت قريش لا تعرف الأسفار إلى الشام قبل هاشم بن عبد مناف بن قصى جد النبى صلى الله عليه و سلم فكان هاشم هو الذى أخذ لهم (الإيلاف) من قبل قيصر ملك الروم بالشام، و من عموم القبائل القاطنة بين الشام و مكة و ذلك أنه لما سافر من مكة إلى الشام و تعرّف بقيصر ملك الروم وجد نفسه قادرا على التكلم معه فقال له: أيها الملك إن لى قوما و هم تجار العرب فإنى رأيت أن تكتب لى كتابا تؤمنهم و تؤمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يستظرف من أدم الحجاز و ثيابها فيمكنوا من بيعه عندكم فهو أرخص

عليكم فكتب له كتابا فيه أمان لمن أتى منهم فأقبل هاشم بالكتاب فجعل كلما يمر بحى من العرب على طريق الشام أخذ من أشرفهم التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٠٦

(إيلافا) و الإيلاف هو أن يأمنوا عندهم و فى طريقهم و أرضهم بغير حلف و إنما هو أمان الطريق. فأخذ هاشم الإيلاف فيمن بينه و بين الشام حتى قدم مكة فأعطاهم الكتاب فكان ذلك أعظم بركة على قريش فى تجارتهم فخرج تجار قريش بتجارة عظيمة و معهم هاشم بحوزهم، فلم يبرح يجمع بين قومه و بين العرب و يؤيد إيلافهم حتى ورد الشام فباع قريش تجارتهم و اشترت من الشام بضائع شتى و عادت إلى مكة. و منها صارت فى كل صيف ترحل إلى الشام.

و أخذ لهم عبد شمس «حبالا» من النجاشى الأكبر فارتحلوا بسبب ذلك إلى أرض الحبشة، و الحبل هو العهد و الأمان. و أخذ لهم نوفل حبالا من الأكاسرة ملوك فارس فارتحلوا للتجارة إلى العراق و أرض فارس. و أخذ لهم عبد المطلب حبالا من ملوك اليمن «حمير» فارتحلوا بسبب ذلك رحلة الشتاء إلى اليمن.

ثم قال صاحب الكتاب المذكور فى هامشه عن موضع عكاظ ما يأتى:

عكاظ قال الأصمعى: عكاظ نخل فى واد بينه و بين الطائف ليله و بينه و بين مكة ثلاث ليال و به كانت تقام سوق العرب بموضع منه يقال له الأتيداء. و قال ابن دريد: و كانت تجتمع فيها قبائل العرب فيتعاكظون- أى يتفاخرون و يتناشدون-

و فى المصباح المنير: عكاظ على وزن غراب، سوق من أعظم أسواق الجاهلية وراء قرن المنازل بمرحلة من عمل الطائف على طريق اليمن. و أصح الأخبار فى ذلك و الذى ينطبق على الواقع هو قول أبى عبيد: هى صحراء مستوية لا جبل فيها و لا علم و هى بين نجد و الطائف.

و هذا الموضع الذى تحدد بقول الأصمعى أن بينه و بين الطائف ليله و بينه و بين مكة ثلاث ليال و الذى تبين شكل موضعه بقول أبى عبيد هى صحراء مستوية لا جبل بها و لا علم و هى بين نجد و الطائف يدل دلالة قطعية أنها ركبة و بتدئ ركبة من عشيرة غربا و تنتهى بحره مران شرقا، و من عشيرة إلى الطائف ليله بحساب سير الإبل و بينها و بين مكة ثلاث ليال، و هذه ركبة هى الصحراء التى لا جبل بها و لا علم و هى بين نجد و الطائف و هى التى تسع جموع قبائل العرب قاطبة. و من عادة العرب أنهم لا يختلطون فى المناهل و المنازل كاختلاط الحجاج بعرفه بل كل قبيلة تنحاز عن الأخرى فى مكان منفرد متباين عن القبائل الأخرين و ذلك لما بين القبائل فى الجاهلية مع بعضها البعض من الدماء و الثارات و طالما وقعت بينها الحروب

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٠٧

بسوق عكاظ و لذلك لا يوجد مكان بهذه الصفة غير ركبة لأنها هى المكان الفسيح الواسع الذى يمكن اجتماع عموم قبائل العرب فيه. و أما من قال باحتمال أن يكون «السيلى الكبير» فهو لا ينطبق عليه الوصف لأنه أولا لم يكن فيه سعة تتحمل عشر تلك القبائل، و ثانيا المسافة بينه و بين مكة ليلتان. فهذا ما ظهر لى بعد البحث و التنقيب فى التاريخ و الأمكنة المذكورة. انتهى من الكتاب المذكور بتصرف و اختصار.

### حضور النبى صلى الله عليه و سلم إلى سوق عكاظ

جاء فى صحيح البخارى فى كتاب «الصلاة فى باب الجهر بقراءة صلاة الفجر» عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: انطلق النبى صلى الله عليه و سلم فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ و قد حيل بين الشياطين و بين خبر السماء و أرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا و بين خبر السماء و أرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم و بين خبر السماء إلا شىء حدث فاضربوا مشارق الأرض و مغاربها فانظروا ما هذا الذى حال بينكم و بين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبى صلى الله عليه و سلم و هو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ و هو يصلى بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا

القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهناك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجَباً\* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ وَإِنَّمَا أُوْحَى إِلَيْهِ قَوْلُ الْجَنِّ. انتهى.

وجاء في صحيح البخارى أيضا عن أسواق العرب فى كتاب «اليوع» فى باب الأسواق التى كانت فى الجاهلية فتبايع بها الناس فى الإسلام: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كانت عكاظ و مجنة و ذو المجاز أسواقا فى الجاهلية، فلما كان الإسلام تأثمتوا من التجارة فيها فأنزل الله ليس عليكم جناح فى مواسم الحج قرأ ابن عباس كذا. انتهى.

نقول: و معنى ما تقدم من اجتماع العرب فى أسواق مكة كعكاظ و ذى المجاز و مجنة و غيرها للبيع و الشراء، هو كالعادة الجارية إلى اليوم فى بعض البلدان و القرى من اجتماع الناس و العرب و البدو فى أسواق خاصة لبيع البضائع و السلع و لا يزال التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٠٨

فى المحطات الواقعة على طريق المدينة المنورة كالصفراء و الحمراء يفتح السوق فى يوم خاص من كل أسبوع يحضر إليه من هو ساكن فى بطون الجبال و الأودية من البدو و العرب يشترون منه ما يلزمهم من لحم و سمن و زبدة و تمر و جبن و دقيق و حبوب و قماش و غير ذلك بما يكفيهم أسبوعا واحدا حتى يأتى يوم افتتاح السوق فى الأسبوع التالى و هكذا.

و كذلك يقع مثل هذا الأمر فى الممالك الأخرى كمصر و العراق و الشام و اليمن، ففى الأرياف و الفلاحين و القرى تفتح الأسواق يوما واحدا من كل أسبوع و هذا أمر طبيعى لاحتياج الناس إلى بعض اللوازم و لعدم قدرتهم إلى الارتحال إلى المدن الكبيرة ف يأخذون ما يحتاجون من أسواق القرى و المحطات المجاورة لمحللاتهم و سكنهم.

ثم الآن بطلت أسواق العرب القديمة المذكورة التى كانت فى الجاهلية و صدر الإسلام لاتساع رقعة البلاد و كثرة الناس و انتشارهم فى كل محل و مكان حتى اتصلت هذه المواقع المذكورة بعضها ببعض خصوصا بعد اختراع السيارات و أسباب المواصلات، فصار جميع العرب يأخذون ما يحتاجون إليه من نفس مكة، و أما الأسواق التى تكون اليوم بمنى و مزدلفة و عرفات فى أيام موسم الحج فهى كالأسواق العادية التى تكون بمكة و المدينة و جدة و الطائف و نحوها، و هى أسواق كثيرة متعددة عامرة لذلك ليست لها ميزة تذكر.

و أما الأسواق الأسبوعية الأخرى فهى لا زالت إلى اليوم تفتح فى القرى و المحطات البعيدة عن المدن فى كل الممالك و الأقطار.

### أسماء بعض الأسواق

هذا و قد كان بمكة كثير من الأسواق المتنوعة لبيع جميع ما يلزم للإنسان من الضروريات و الكماليات، و لقد ذكر الإمام الأزرقى المولود فى القرن الثانى من الهجرة فى كتابه تاريخ مكة من الأسواق ما يأتى:

عدد/ اسم السوق / محل السوق

١/ سوق البرازين / هو بجهة سوق الليل تقريبا.

٢/ سوق العطارين / كان بقرب المسجد الحرام جهة باب بنى شيبه.

٣/ سوق الفاكهة / و هو بسوق الليل.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٠٩

عدد/ اسم السوق / محل السوق

٤/ سوق الصيارفة / و هو بأول أجياد.

٥/ سوق الغزالين / و هو بأول أجياد أيضا.



- ٦/ سوق الرطب/ و هو بسوق الليل.
- ٧/ سوق الغنم/ و هو بالجودية عند المدعى.
- ٨/ سوق الصغير/ و هو بموضعه المعروف اليوم.
- ٩/ سوق ساعة/ بالمعلا عند أول شعب عامر.
- ١٠/ سوق الرقيق/ و هو عند جبل أبي قبيس.
- ١١/ سوق اللبانيين/ و هو بجهة سوق الليل.
- ١٢/ سوق الخياطين/ و هو عند دار أم هانئ بالحزورة.
- ١٣/ سوق الخلقان/ و هو بالمسعى.
- ١٤/ سوق الحطب/ و هو عند الشبيكة جهة الهجلة.
- ١٥/ سوق الحمامين/ ثم سمي بسوق الكراع، و هو عند المدعى.
- ١٦/ سوق العلافين/ و هو أمام باب أجياد.
- ١٧/ سوق الحواتين/ و هو بأجياد الكبير.
- ١٨/ سوق القواسين/ و هو بجهة حراء، الظاهر يقصد به صانعو الأقواس.
- ١٩/ سوق البقالين/ و هو بجهة باب أم هانئ عند باب الوداع.
- ٢٠/ سوق البرامين/ و هو بجهة المروءة.
- ٢١/ سوق الحدادين/ و هو بجهة سوق الليل.
- ٢٢/ سوق الحجامين/ و هو عند المروءة كما هو في عصرنا هذا.
- ٢٣/ سوق الحدائين/ و هو ما بين الصفا و المروءة.
- ٢٤/ سوق الليل/ و هو بموضعه المعروف اليوم.
- ٢٥/ سوق الوراقين/ بأسفل مكة.
- ٢٦/ سوق الدقاقين و المزوقين/ و هو بجهة القبان عند المروءة.
- ٢٧/ سوق الحبوب و السمن و العسل/ و هو بجهة القبان عند المروءة أيضا.
- ٢٨/ سوق الخياطين/ عند باب إبراهيم جهة السوق الصغير اليوم.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١١٠
- عدد/ اسم السوق/ محل السوق
- ٢٩/ سوق الجزارين/ و هو بالمدعى.
- ٣٠/ سوق التجارين/ و هو بجهة سوق الليل.

انتهى ما ذكر من الأسواق المذكورة في كتاب الأزرقي و نحن قد وضعناها على هذا الترتيب و قد أخذنا محلات هذه الأسواق من نفس كتاب الأزرقي أيضا بعد المراجعة التامة فيه في كثير من الصحائف، فالحمد لله على توفيقاته.

### مباسط الحراج بمكة في الجاهلية

قد يظن بعضهم أن الحراج و يسمى بمصر «سوق الكانتو» أمر مستحدث، ولكنه أمر معمول به من قديم الزمن، و هذا معقول لأن الحراج مكان يبيع الإنسان فيه ما يحتاج إلى بيعه، و قد يبسط أمتعته و خردواته نهارا فوق فراش أمامه إن كانت من القطع الصغيرة ثم

يرفعها إذا أقبل الليل في سناديق يقرها و يمضى إلى منزله حتى إذا أصبح ذهب إلى مكان الحراج و أخرج ما فى الصندوق و بسطها أمامه للبيع، و هذه السناديق خاصة لأهل الحراج لا تنقل و إنما تكون بلصق جدار البيوت التى فى جوانب الحراج، و هذه عادة جارية إلى اليوم كالسناديق الموجودة بحراج الحلقة بالمعلا، و قد ذكر الإمام الأزرقى الحراج فى الجاهلية بهذه الكيفية فى تاريخه فى الجزء الثانى عند الكلام على رباح بن عدى بن كعب حيث يقول:

و كانت للخطاب بن نفيل دار صارت لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كانت بين دار مخرمة بن نوفل التى صارت لعيسى بن على و بين دار الوليد بن عتبة بين الصفا و المروة و كان لها و جهان: وجه على ما بين الصفا و المروة، و وجه على فح بين الدارين فهدمها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته و جعلها رحبة و مناخا للحاج تصدق بها على المسلمين و قد بقيت منها حوانيت فيها أصحاب الأدم.

فسمعت جدى أحمد بن محمد يذكر أن تلك الحوانيت كانت أيضا رحبة من هذه الرحبة، ثم كانت مقاعد يكون فيها قوم يبيعون فى مقاعدهم و فى المقاعد سناديق يكون فيها متاعهم بالليل، و كانت السناديق بلصق الجدار ثم صارت تلك المقاعد خياما بالجريد و السعف فلبثت تلك الخيام ما شاء الله و جعلوا بينونها باللبن النىء و كسار الأجر حتى صارت بيوتا صغارا يكرونها من أصحاب المقاعد فى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١١١

الموسم من أصحاب الأدم بالدنانير الكثيرة، فجاءهم قوم من ولد عمر بن الخطاب من المدينة فخاصموا أولئك القوم فيها إلى قاض من قضاة مكة ففضى بها للعمرين و أعطى أصحاب المقاعد قيمة بعض ما بنوا فصارت حوانيت تكرر من أصحاب الأدم و هى فى أيدي ولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى اليوم. انتهى من الأزرقى.

### موضع الحراج أى المزاد

بمكة عدة مواضع للحراج «بفتح الحاء» أى المزاد لبيع السلع و الأمتعة قديمة كانت أو جديدة، و بها أيضا حراج للغنم و المواشى و حراج للحطب و الفحم و حراج لبيع السيارات و نحوها. و للحراج شيخ و نظام خاص و يبدأ البيع فى بعضها من ارتفاع الشمس ضحوه النهار إلى الظهر و فى بعضها من بعد صلاة العصر إلى قرب المغرب.

و أكبر حراج بمكة للأمتعة هو حراج سوق الليل و ذلك من قديم الزمان، و حراج الجفالى بالغة. فحراج سوق الليل هو من قديم الزمان بسوق الليل، ثم إنه فى سنة (١٣٦١) إحدى و ستين و ثلاثمائة و ألف انتقل هذا الحراج من محله القديم إلى زقاق البيض جهة المسعى ثم انتقل أيضا من زقاق البيض إلى محله القديم بسوق الليل فى سنة (١٣٧٦) ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف بسبب توسعه المسجد الحرام و الشوارع.

و من العجيب أن الحراج الكبير دائر بين سوق الليل و بين المسعى من قديم الزمن، فقد جاء فى تاريخ الغازى فى الجزء الأول أن الأمير بيسق الذى كان نائبا فى الحكم بمكة عن الشريف حسن بن عجلان حال سفره إلى أطراف مكة أمر فى شهر ربيع الآخر سنة (٨٠٤) أربع و ثمانمائة بنقل السوق من المسعى إلى سوق الليل، فلما رجع الشريف حسن بن عجلان إلى مكة أمر بإعادته إلى المسعى و ذلك فى عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة.

و فى العصر الجاهلى أو فى صدر الإسلام كانت الرحبة التى بين دار أبى سفيان و دار حنظلة بن أبى سفيان بجهة المسعى من الناحية الشرقية حراجا أو موضعا لبيع ما تحمله العير من السراة و الطائف و غير ذلك من الحنطة و الحبوب و السمن و العسل، كما ذكره الأزرقى. و كان سوق الغنم بالمذعى بأول الجودرية عند

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١١٢

مسجد الغنم كما ذكره الأزرقى. و لقد روى الغازى فى تاريخه أن سوق بيع الحطب كان بالمدعى و ذلك سنة (٩١٨) ثمان عشرة و تسعمائة نقول: و فى عصرنا الحاضر يباع الحطب و الفحم بالحلقة بالمعلا بل صار يباع أيضا جهة جبل حراء، فسبحان مغير الأحوال و مقلب الليل و النهار.

### سوق المسعى قبل التوسعة السعودية

كان المسعى سوقا عاما يباع فيه الحاجيات من الأطعمة و المشروبات الثلجة و الأقمشة و الألبسة و المجوهرات و العطورات و الخردوات و المكتبات و جميع ما يلزم للإنسان من الكماليات و الضروريات. و كان سوق المسعى من أهم الأسواق بمكة يقع على جانبى المسعى، و السعى يكون فى وسط السوق و كل دكان فيه يختص ببيع نوع من الحاجيات. و سوق المسعى ليس بحديث و إنما هو فى هذا المكان من قديم الزمان كما كانت الحزورة «عند باب الوداع» التى كان فيها دار أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها سوق مكة فى الجاهلية.

### معرفة حكم البيع و الشراء

و يجب على من يتعاطى البيع و الشراء فى الأسواق أن يعرف أحكام البيوع و ما يتعلق بها من المسائل حتى لا يقع فى محذور. فقد جاء فى أوائل الجزء الثانى من كتاب «الترايب الإدارية» للعلامة المحدث الشهير الشيخ عبد الحى الكتانى الفاسى ما يأتى:  
و فى الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة لأبى الحسن على بن يوسف الحكيم الفاسى قال عمر: لا يدخل الأعاجم سوقنا حتى يتفقها فى الدين. يريد و الله أعلم فقه ما يلزمه فى خاصة نفسه. قلت: أى من أحكام البيوع و أصل ذلك من فعله عليه السلام فإنه كان يعلم كل من يتعاطى عملا أحكامه و تكاليفه.

و قال المجاجى فى شرح مختصر ابن أبى جمرة قال علماؤنا: لا يجوز أن يتولى البيع و الشراء و يجلس فى السوق لذلك إلا من هو عالم بأحكام البيوع و الشراء و أن تعلم ذلك لمن أراده فرض واجب متعين عليه و حكى على هذا الإجماع.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١١٣

و بهذا قال مالك فى كتاب «القراض» و فى المدونة: و لا أحب مقارضة من يستحل الحرام و من لا يعرف الحلال من الحرام و إن كان مسلما. و قد روى أن عمر بعث من يقيم من الأسواق من ليس بفقهاء. اه.

و نحوه لابن رشد فى المقدمات و فى الشبرخيتى على المختصر قال القباب: لا يجوز للإنسان أن يجلس فى السوق حتى يعلم أحكام البيع و الشراء. و بعث عمر من يقيم من الأسواق من ليس بفقهاء. اه.

و فى المدخل لأبى عبد الله بن الحاج قد كان عمر بن الخطاب يضرب بالدره من يقعد فى السوق و هو لا يعرف الأحكام و يقول: لا يقعد فى سوقنا من لا يعرف الربا أو كما يقول.

و قد أمر مالك بقيام من لا يعرف الأحكام من السوق لثلا يطعم الناس الربا، سمعت سيدى أبى محمد يذكر أنه أدرك المحتسب يمشى فى الأسواق و يقف على الدكان و يسأل صاحبه على الأحكام التى تلزمه فى سلعته من أين يدخل عليه الربا فيها و كيف يحترز منها فإن أجابه أبقاه فى الدكان و إن جهل شيئا من ذلك أقامه من الدكان و يقول: لا يمكنك أن تقعد فى سوق المسلمين تطعم الناس الربا و ما لا يجوز. اه.

و فى نهج البلاغة أن عليا عليه السلام قال: من اتجر بغير فقه فقد ارتطح (ارتبك) فى الربا. قال ابن أبى الحديد فى شرحه، لأن مسائل الدين مشتبهة بمسائل البيع و لا يفرق بينهما إلا الفقيه. اه منه ص (٤٧٩) من المجلد الرابع.

و في قوت القلوب لأبى طالب المكى: كان عمر رضى الله عنه يطوف بالأسواق و يضرب بعض التجار بالدره و يقول: لا يبيع فى سوقنا إلا من تفقه و إلا أكل الربا أو أبى. اه.

و عزى بعض المتأخرين إلى الترمذى مرفوعا «لا يبيع فى سوقنا إلا من تفقه فى الدين» و لم أجده فى كتاب البيوع من الجامع و لا فى الجامعين للسيوطى ثم وجدته فى كتر العمال معزوا له. انظر ص (٢١٨) من ج ١.

و فى تنبيه المغترين كان مالك يأمر الأمراء فيجمعون التجار و السوقه و يعرضونهم عليه فإذا وجد أحدا منهم لا يفقه أحكام المعاملات و لا يعرف الحلال

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١١٤

من الحرام أقامه من السوق و قال له: تعلم أحكام البيع و الشراء ثم اجلس فى السوق فإن من لم يكن فقيها أكل الربا. و قال الزرقانى فى شرح المختصر عند قوله: «و تجارة لأرض حرب» عن مالك أنه لا تجوز شهادة التجار فى شىء من الأشياء إلا أن يتعلموا أحكام البيع و الشراء. اه.

و فى البريقه المحمودية فى شرح الطريقة المحمدية للشيخ أبى سعيد الخادمى الحنفى على التاجر أن يتعلم أحكام البيوع صحه و فسادا و بطلانا حلا و حرمة و ربا و غيرها، قال فى التارخانية عن السراجية: لا ينبغى للرجل أن يشتغل بالتجارة ما لم يعلم أحكام البيع و الشراء ما يجوز و ما لا يجوز.

و عن البزازیة لا يحل لأحد أن يشتغل بالتجارة ما لم يحفظ كتاب «البيوع».

و كان التجار فى القديم إذا سافروا استصحبا معهم فقيها يرجعون إليه فى أمورهم، و عن أئمة خوارج أنه لا بد للتاجر من فقيه صديق. اه.

و انظر شرح الشيخ أبى سالم العياشى على نظمه فى «البيوع» لدى قوله فيه:

لا تجلسن فى السوق حتى تعلمما حل من بيع و ما قد حرما

و فى الشرا أيضا و ذاك واجب أيضا على جميع من يسبب

لنفسه أو غيره ما يعرف حكم الذى فى فعله تصرف

و دفعك المال لمن لا يعلم حكم البياعات قراضا يحرم

و انظر أيضا قول أبى زيد التلمسانى فى نظمه لبيوع ابن جماعة التونسي:

و لم يحل جلوسه فى الشرع حتى يكون عارفا بالبيع

أعنى به فى سائر الأسواق و ذاك معلوم بالاتفاق

و هكذا فى كل علم يجهله فى نفسه فى كل شىء يفعله

لا سيما القاضى مع اليهود و عممّن و احذر من الوعيد

و لم يجز أن تدفع الأموال للرجل لا يعرف الحلالا

و ذلك فى القراض و البيوع و جملة الأحكام فى المشروع

قلت: و هذا هو الأصل فى المدينة العصرية لعلم إمساك الدفاتر و التخريج فى المدارس التجارية و التحصيل على إجازاتها بعد المبارة فى التحصيل على درجاتها «زقلت». انتهى من كتاب «التراتب الإدارية».

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١١٥

جاء فى كتاب «التراتب الإدارية» نقلا- عن كتاب «مناقب عمر» لابن الجوزى ما يأتى: قال الحسن قال عمر: من اتجر فى شىء ثلاث مرات فلم يصب فيه شيئا فليتحول إلى غيره، و فيه عن الأكيدر العارضى قال، قال عمر: تعلموا المهنة فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم

إلى مهنة، و في كنت العمال معزوا إلى عمر لو لا هذه البيوع صرتم عالء على الناس، و في المناقب عن بكر بن عبد الله قال: قال عمر: مكسبة فيها بعض دناءة خير من مسألة الناس، و فيه عن ذكوان قال: قال عمر: إذا اشترى أحدكم جملا فليشتره عظيما سمينا فإن أخطأه خيره لم يخطئه سوقه.

و خرج ابن الجوزى فى تلبس إبليس و مناقب عمر عن خوات التميمى قال:

قال عمر: يا معشر الفقراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات و لا تكونوا عالء على المسلمين. و فى «العقد الفريد» قال عمر بن الخطاب: لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق و يقول اللهم ارزقنى، و قد علم أن السماء لا تمطر ذهباً و لا فضةً و أن الله إنما يرزق الناس بعضهم من بعض و تلا قوله تعالى: فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

و فيه قال عمر: حسب الرجل ماله و كرمه دينه و مروءته خلقه، و أخرج ابن ماجه من طريق عبد الملك بن عمير عن عمرو بن حريث عن أخيه سعد بن حريث قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من باع عقارا أو دارا و لم يجعل ثمنها فى مثلها لم يبارك له"، زقلت.

و عن محمد بن عاصم قال: بلغنى أن عمر بن الخطاب كان إذا رأى غلاما فأعجبه سأل هل له حرفه فإن قيل: لا، قال: سقط من عينى، (زقلت). انتهى من الكتاب المذكور.

### ما يوجد من المهن و السماسرة و المصارفة فى زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم

كان الناس من عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم يتجرون فى جميع ما يلزم للإنسان من البرّ- القماش- و العطورات و الأسلحة و العقاقير- الأدوية- و الدباغة و الخرازة و النسيج

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١١٦

و الخياطة و النجارة و غير ذلك، و كان فى سوقهم وزان و كيال و صراف و سماسرة- أى دلالين-

فقد جاء ذكر كل ذلك فى كتاب التراتيب الإدارية، و لو لا خوف التطويل لنقلنا منه كثيرا، فمن أراد الوقوف على ذلك فليرجع إلى الكتاب المذكور فإنه كتاب مهم جدا لكن لا بأس أن نقل منه ما جاء عن الصرافين و السماسرة من الكتاب المذكور، ليعلم أن هاتين الصنعتين كانتا موجودتين من قبل الإسلام كما يفهم مما يأتى، فقد جاء فى الكتاب المشار إليه فى الجزء الثانى منه ما نصه:

«باب فى الصراف» ذكر من كان يتجر فى الصرف على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم: فى الصحيح عن أبى المنهال قال: كنت أتجر فى الصرف فسألت زيد بن أرقم رضى الله عنه و البراء بن عازب عن الصرف فقالا: كنا تاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم فسألنا رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الصرف فقال: إن كان يدا بيد فلا بأس و إن كان نسيئا فلا يصلح- و الصرف: بيع الذهب بالفضة، و النساء: التأخير- انتهى من الكتاب المذكور.

و جاء فى الكتاب المذكور أيضا عن السماسرة ما نصه:

«الدلال و هو السمسار» فى الصحيحين عن طاووس عن ابن عباس قال:

نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يتلقى الركبان و أن يبيع حاضر لباد، و فى البخارى عن طاووس عن أبيه، سألت ابن عباس ما معنى قوله: لا يبيع حاضر لباد؟ قال: لا يكون له سمسارا.

[زقلت] قال شيخنا فى الفجر الساطع: المراد بالسمسار هنا هو المتولى العقد بين البائع و المشتري بأجر كالسماسرة القاعدين بالحوانيت، و ليس المراد بالدلال كما سبق اه.

و فى فتح البارى: السماسرة، بمهملتين، هو فى الأصل القيم بالأمر و الحافظ له ثم استعمل فى متولى البيع و الشراء لغيره. اه.

و في القاموس: السمسار، بالكسر: المتوسط بين البائع والمشتري، قال الشمس ابن الطيب الفاسي في حواشيه: قلت هو الذي يسميه الناس الدلال فإنه يدل المشتري على البائع، وهو لفظ أعجمي كما قاله الخطابي في معالم السنن التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١١٧ وغيره وأغفل المصنف ذلك، اه. وقد ألف في مسألة السمسار و أحكامهم أبو العباس الأيباني التونسي. انتهى من كتاب التراتيب الإدارية.

### حكم بيع بيوت مكة و إجارتها

لما كانت «مكة» شرفها الله تعالى بلد الله الأمين و في هذه البلدة المقدسة بيت الله المعظم و فيها تؤدى فريضة الحج و العمرة و هما من أركان الإسلام و فيها مولد رسوله العزيز المكرم صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم صار لبيع دورها و كرائتها حكم خاص منذ ظهور الإسلام.

و هذه البلدة المطهرة قد دخلها رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم الفتح الأعظم في السنة الثامنة من الهجرة صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان فتحها بدون قتال يذكر فعليه صارت كلها ملكا لرسول الله صلى الله عليه و سلم و لقد اختلف العلماء في هذا الفتح فبعضهم يقول: إن مكة فتحت عنوة، و بعضهم يقول: إنها فتحت صلحا.

و اختلفوا أيضا هل رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد فتح مكة من بها على أهلها فيجوز بيع دورها و كرائتها أو أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أقرها و فرقها للمسلمين، فلا يجوز البيع و الكراء لدورها. لهذا نعقد هذا المبحث لبيان حكم بيع دورها و إجارتها و نقل حكم ذلك من تاريخين مهمين: الأول من تاريخ الإمام الأزرقى، و الثانى من تاريخ الغازى فمن اطلع عليهما استغنى عن غيرهما.

### ما جاء فى تاريخ الأزرقى عن بيع و إيجار دور مكة

قال الإمام الأزرقى رحمه الله تعالى عند الكلام على من كرى بيوت مكة و ما جاء فى بيع رباعها ... إلخ ما نصه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى حدثنا يحيى بن سليم قال: حدثنى عمر بن سعيد بن أبى حسين قال: حدثنى عثمان بن أبى سليمان عن علقمة بن نضلة قال:

كانت الدور و المساكن على عهد النبى صلى الله عليه و سلم و أبى بكر و عمر و عثمان رضى الله عنهم ما تكرى و لا تباع و لا تدعى إلا السوائب، من احتاج سكن و من استغنى أسكن، قال يحيى: قلت لعمر بن سعيد: فإنك تكرى، قال: قد أحل الله الميتة للمضطر إليها.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١١٨

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى حدثنا مسلم بن خالد الزنجى عن عبيد الله بن أبى زياد عن ابن أبى نجيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: من أكل كراء بيوت مكة فإنما يأكل فى بطنه نارا. التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم؛ ج ٣-٦؛ ص ١١٨ ثنا أبو الوليد حدثنى قال جدى: حدثنا يحيى بن سليم حدثنا عبد الله بن صفوان الوهطى قال: سمعت أبى يقول: بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: كان ساكن مكة حيا من العرب فكانوا يكرون الظلال و يبيعون الماء فأبدلها الله تعالى بهم قريشا فكانوا يظلون الظلال و يسقون الماء.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى عن حماد بن شعيب الكوفى عن الأعمش عن مجاهد قال: نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن بيع رباع مكة و عن أجر بيوتها. حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن ابن جريج قال: كان عطاء ينهى عن

الكراء فى الحرم، قال ابن جريج: قرأت كتابا من عمر بن عبد العزيز إلى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد و هو عامله على مكة يأمره أن لا يكرى بمكة شىء، قال ابن جريج: أخبرنى عطاء أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان ينهى أن تبوب أبواب دور مكة. حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى أحمد بن ميسرة حدثنا عبد المجيد بن أبى رواد عن أبىه قال: بلغنى أن مجاهدا كان يقول: الكراء بمكة نار، فقال أبى: سمعت عبد الكريم بن أبى المخارق يقول: لا تباع تربتها و لا يكرى ظلها، يعنى مكة، و قال: إنى قدمت مكة سنة مائه و عليها عبد العزيز بن عبد الله أميرا فقدم عليه كتاب من عمر بن عبد العزيز ينهى عن كراء بيوت مكة و يأمره بتسوية منى، قال: فجعل الناس يدسون إليهم الكراء سرا و يسكنون، قال: و قال أبى: حدثنى إسماعيل بن أمية عن رجل من قريش أنه قال: لقد أدركت الناس و إن الركبان يقدمون فيبتدروهم من شاء الله من أهل مكة أيهم ينزلهم، ثم نحن اليوم نبتدروهم أينما يكرهم. حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى حدثنا مسلم بن خالد عن إسماعيل بن أمية أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخرج الرقيق و الدواب من مكة و لم يدع أحدا يبوب داره بمكة حتى استأذنته هند بنت سهيل و قالت: إنما أريد بذلك إحراز متاع الحاج و ظهرهم، فأذن لها فعملت بابين على دارها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١١٩

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى حدثنا سفيان عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس أن ابن صفوان قال له: كيف وجدتم إمارة الأحلاف فيكم؟

قال: التى قبلها خير منها. قال: فقال ابن صفوان: فإن عمر قال كذا لشىء لم يذكره سفيان، قال ابن عباس: أسنة عمر تريد، هيهات هيهات تركت و الله سنة عمر شرقا و مغربا قضى عمر أن أسفل الوادى و أعلاه مناخ للحاج و أن أجياد و قيعقان للمريحين و الذاهب و اتخذتها أنت و صاحبك دورا و قصورا. انتهى من التاريخ المذكور.

و قال الإمام الأزرقى أيضا عند الكلام على من لم ير بكراء بيوت مكة و بيع رباعها بأسا ما نصه:

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى و إبراهيم بن محمد الشافعى قالوا: أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن ابن القاسم بن عقبه الأزرقى عن إبراهيم عن علقمة بن نضلة قال: وقف أبو سفيان بن حرب على ردم الحذائين فضرب برجله فقال: سنام الأرض، إن لها سناما يزعم ابن فرقد، يعنى عتبة بن فرقد السلمى، إنى لا أعرف حقى من حقه له سواد المروة ولى بياضها ولى ما بين مقامى هذا إلى تجنى، و تجنى ثنية قريب من الطائف، قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: إن أبا سفيان لقديم الظلم ليس لأحد حق إلا ما أحاطت عليه جدراثة.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طاووس قال: قيل لصفوان بن أمية و هو بأعلى مكة: إنه لا دين لمن لم يهاجر، فقال: لا أصل إلى منزلى حتى آتى المدينة، فقدم المدينة فنزل على العباس رضى الله عنه ثم أتى المسجد فنام و وضع خميصه له تحت رأسه فأتاه سارق فسرقها فأخذه فجاء به إلى نبي الله صلى الله عليه و سلم فأمر به أن تقطع يده، فقال: يا رسول الله هى له، قال:

فهل لا كان ذلك قبل أن تأتىنى به؟ فقال: ما جاء بك، قال قيل: إنه لا دين لمن لم يهاجر، قال: ارجع أبا و هب إلى أباطح مكة فقروا على سكاتكم فقد انقطعت الهجرة و لكن جهاد و نية و إذا استنفرتم فانفروا.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد الرحمن بن فروخ أن نافع بن عبد الحارث ابتاع من صفوان بن أمية دار السجن و هى دار أم وائل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه بأربعة آلاف درهم فإن رضى عمر فاليق له و إن لم يرض فلصفوان أربعمائة درهم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٢٠

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن ابن جريج أخبرنى هشام بن فجير عن طاووس قال: الله يعلم أنى سألته عن

مسكن لى فقال: كل كراه يعنى مكه، قال ابن جريج: و كان عمرو ابن دينار لا يرى به بأسا، قال:  
و كيف يكون به بأس و الربيع يباع و يوكل ثمنه و قد ابتاع عمر رضى الله عنه دار السجن بأربعة آلاف درهم و أعربوا فيها أربعمائه  
عمرو القايل.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثني أحمد بن ميسرة عن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن أبيه قال: بلغني أن طاووسا و عمرو بن  
دينار كانا لا يريان بكراء بيوت مكة بأسا، قال عبد العزيز بن أبي رواد: و ذكر لعمرو بن دينار قول عبد الكريم بن أبي المخارق: لا  
تباع تربتها و لا يكرى ظلها فقال: جاءوا به يا خراساني على الروى. انتهى من الأزرقى.

### ما جاء فى تاريخ الغازى عن حكم بيع و إيجار بيوت مكة

أما الغازى رحمه الله تعالى فقد ذكر فى الجزء الأول من تاريخه عند الكلام على حكم بيع دور مكة و إيجارها ما نصه:  
قال الفاسى فى شفاء الغرام: اختلف العلماء رحمهم الله تعالى فى حكم بيع دور مكة و إيجارها، فحكى الشيخ أبو جعفر الأبهري عن  
الإمام مالك أنه كره بيعها و كراها، و ذكر اللخمي بن رشد فى مقدماته أنه لم يختلف قول مالك و أصحابه فى أن مكة افتتحت عنوة  
و أنهم اختلفوا هل من بها على أهلها فلم تقسم لما عظم الله من حرمتها أو أقرت للمسلمين، قال: و على هذا الاختلاف فى كراء  
بيوتها. انتهى. و حراز البيوع و الكراء فى دور مكة ينبى على القول: بالمنّ بها على أهلها و منع ذلك ينبى على القول بأنها فرقت  
للمسلمين، قلت: و رجح الفاسى القول بالمنّ و أطال الكلام فى ذلك. و حاصل ما ذكر أن عمل علماء الصحابة و خلفائهم يرجح  
القول بالمنّ، و ذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان و عبد الله ابن الزبير رضى الله عنهم اشتروا دورا بمكة و  
وسّعوا بها المسجد الحرام و كذلك اشترى أمير المؤمنين معاوية دار الندوة و دار أم المؤمنين خديجة بنت خويلد و غير ذلك من  
دورها، و اشترى لعمر رضى الله عنه عامله على مكة نافع بن عبد الحارث دارا للسجن له من صفوان بن أمية بأربعة آلاف درهم، و لا  
ريب فى أن من ذكروا من الصحابة رضى الله عنهم أعلم ممن بعدهم بما يصلح

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٢١

فى أرض مكة و أنه لو كان عندهم علم عن النبى صلى الله عليه و سلم بأنها أقرت لما أقدموا على ما فعلوا، و يبعد جدا أن يصح  
ذلك عن النبى صلى الله عليه و سلم و يخفى عليهم و على غيرهم من علماء الصحابة رضى الله عنهم فإنه لم يحفظ عن غيرهم أنه  
أنكر على أحد منهم ما فعل و لو كان عندهم علم بخلاف ما فعل المشار إليهم لما سكتوا عن الإنكار عليهم، قال: و فى شراء عمر و  
من ذكر معه دلالة واضحة على أن مكة مملوكة لأهلها إما لمن النبى صلى الله عليه و سلم بها على أهلها كما هو أحد القولين عند  
القائلين بأنها فتحت عنوة أو لأنها فتحت صلحا، قال: و اختلف مذهب الإمام أبى حنيفة فى أرض مكة فروى عنه كراهة بيعها فقليل  
مراده لا يجوز البيوع، و ذكر قاضى خان أنه ظاهر الرواية، و قيل يجوز مع الكراهة و أجاز ذلك صاحبه أبو يوسف و محمد بن الحسن  
و عليه الفتوى على ما قال الصدر الشهيد الحنفى و به جزم حافظ الدين الحنفى.

و اختلف مذهب أبى حنيفة أيضا فى إيجار أرضها، فروى عنه و عن محمد بن الحسن عدم جواز ذلك، و روى عنهما جواز ذلك مع  
الكراهة.

و اختلف فى ذلك أيضا مذهب الإمام أحمد بن حنبل، فروى عنه جواز ذلك و منعه، و ذكر الموق ابن قدامة الحنبلى أن رواية  
الجواز أظهر فى الحجّة، و ذكر ابن المنجا من الحنابلة رواية المنع على المذهب و لم يختلف مذهب الشافعى فى جواز بيع دور مكة و  
إيجارها. اه. انتهى من تاريخ الغازى.

ثم قال الغازى فى تاريخه ما نصه: و قال العلامة قطب الدين المكى رحمه الله تعالى، و أما حكم بيع دور مكة فقد ذكر الإمام قاضى  
خان أنه لا يجوز بيع دورها عند أبى حنيفة رحمه الله فى ظاهر الرواية و قيل يجوز مع الكراهة و هو قول محمد و أبى يوسف، قال



صاحب الواقعات و عليه الفتوى.

و روى الحسن عن أبي حنيفة أن بيع دور مكة جائز و فيها الشفعة و هو قول أبي يوسف و عليه الفتوى، ذكره في عيون المسائل قال قوام الدين في شرح الهداية:

بيع بناء مكة جائز اتفاقاً لأن بناءها ملك الذي بناه، ألا ترى أن من بنى في أرض الوقف جاز أن يبيع بناءه فكذا هذا. و أما بيع أرض مكة فلا يجوز عند أبي حنيفة رحمه الله و هو ظاهر الرواية عنه و هو قول محمد، و عند أبي يوسف يجوز، و رجح الطحاوي قول أبي يوسف و قال:

رأينا المسجد الذي كان للناس سواء العاكف فيه و الباد لا ملك لأحد فيه و رأينا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٢٢

مكة على غير ذلك فقد أجزى البناء فيه، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم دخلها: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن و من أغلق عليه بابه فهو آمن» فلما كانت مما يغلق عليه الأبواب و يبنى فيها المنازل كان صفتها صفة المواضع التي يجرى فيها الأملاك و يقع فيها التوارث، و لا يجوز احتجاج المخالف بقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ لَأَن الْمَرَادِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لَا جَمِيعِ أَرْضِ مَكَّةَ. انتهى ملخصاً.

و أما إجارة دور مكة فقد ذكر صاحب التقریب قال: روى هشام عن أبي حنيفة أنه كره إجارة بيوت مكة و قال لهم أن ينزلوا عليهم في دورهم إذا كان فيها فضل و إن لم يكن فلا، و هو قول محمد رحمه الله. انتهى.

و روى محمد في الآثار عن أبي حنيفة عن عبد الله بن زياد عن أبي نجيح عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: «من أكل من أجور بيوت مكة شيئاً فإنما أكل ناراً» أخرجه الدارقطني بإسناد ضعيف، و قال: الصحيح أنه موقوف، و روى أنه كره إجارتها لأهل الموسم و لم يكره للمقيم، لأن أهل الموسم لهم ضرورة إلى النزول و المقيم لا ضرورة له. و عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه نهى أن يغلق بمكة باب دون الحاج فإنهم ينزلون كل موضع رأوه فارغاً، و كتب عمر بن عبد العزيز في خلافته إلى أمير مكة أن لا يدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجراً فإنه لا يحل لهم، و كانوا يأخذون ذلك خفية و مساترة.

و هذا مبنى على أصل و هو أن فتح مكة هل كان عنوة فتكون مقسومة مغنومة و لم يقسمها النبي صلى الله عليه و سلم و أقرها على ذلك فتبقى على ذلك لا تباع و لا تكرى و من سبق على موضع فهو أولى به، و بهذا قال أبو حنيفة و مالك و الأوزاعي رضى الله عنهم، أو كان فتحاً صلحاً فتبقى ديارهم بأيديهم يتصرفون في أحوالهم كيف شاءوا سكنوا و إسكانا و بيعا و إجارة و غير ذلك. و به قال الإمام الشافعي و أحمد و طائفة من المجتهدين رحمهم الله تعالى، و على ذلك عمل الناس قديماً و حديثاً. انتهى.

و في كتاب «بلوغ الأرب في أحوال العرب» للعلامة السيد محمود شكرى الآلوسى البغدادي اختلف الفقهاء في بيع دور مكة و إجارتها، فمنع أبو حنيفة من بيعها و أجاز إجارتها في غير أيام الحج و منع منهما في أيام الحج لرواية الأعمش عن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٢٣

مجاهد أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: مكة حرام لا يحل بيع رباها و لا أجور بيوتها، و ذهب الشافعي رحمه الله تعالى إلى جواز بيعها و إجارتها لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم أقرهم عليها بعد الإسلام على ما كانت عليه قبله و نم لغنمها و لم يعارضهم فيها و كذلك بعده.

هذه دار الندوة و هي أول دار بنيت بمكة صارت بعد قصى لعبد الدار بن قصى و ابتاعها معاوية في الإسلام من عكرمة بن عامر بن هشام بن عبد الدار بن قصى و جعلها دار الإمارة و كانت من أشهر دار ابتيعت ذكراً و أنشراها في الناس خبراً، فما أنكر بيعها أحد من

الصحابة.

و ابتاع عمر و عثمان رضى الله عنهما ما زاداه فى المسجد من دور مكة و تملك أهلها أثمانها، و لو حرّم ذلك لما بدلاه من أموال المسلمين ثم جرى به العمل إلى وقتنا هذا فكان إجماعا متبوعا، و تحمل رواية مجاهد مع إرسالها على أنه لا يحل بيع رباها على أهلها تنبيها على أنها لم تنغم فتملك عليهم، فلذلك لم تبع و كذلك حكم الإجارة. انتهى. انتهى كل ذلك من تاريخ الغازى. إلى هنا انتهينا من ذكر ما ورد عن حكم بيع و إيجار دور مكة و بيوتها، فلنذكر الآن عمل الناس فى ذلك و ما سنّه حكام مكة و ولايتها من النظام و القرارات فى مسألة إيجارات بيوت مكة فى قرننا هذا الرابع عشر للهجرة، أما ما كان قبل ذلك فلا نقدر أن نتوصل إليه لعدم ورود شىء فى التاريخ.

### تشكيل هيئة خاصة للنظر فى مشاكل الإيجارات و سن قانون لها

لما كانت قضايا الناس لا تنقضى و مشاكلهم لا تحصر فى جميع مرافقهم الحيوية كان من الواجب على الحكومة جعل هيئة خاصة تنظر فى مصالحهم و تعمل على تسوية أمورهم و تقضى بينهم بالعدل و الإنصاف. و لهذا رأت الحكومة الهاشمية السابقة تشكيل هيئة للنظر فى المعاملات العامة و المسائل المتنوعة التى تقع بين الناس من إيجارات العقار و الدكاكين و القهاوى و غير ذلك. و لقد سنّت لذلك أنظمة و قوانين تكفل راحة الناس و تحفظ حقوقهم و لا تجعل أحد الطرفين متعديا و ظالما للطرف الثانى.

و لنذكر هنا عن هذه الهيئة و أنظمتها نقلا من الجزء الثالث من تاريخ الغازى فقد جاء فيه ما نصه:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٢٤

و فى الثامن و العشرين من ذى الحجة سنة (١٣٤٠) أربعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة نشرت الحكومة الهاشمية و أذاعت للعموم قانون هيئة المعاملات العمومية و هذا نصه:

بما أن لهيئة المعاملات العمومية دائرة رسمية حائزة أهمية كبرى بالنظر للقضايا التى تراها المتعلقة بمسائل الإيجارات و الديون و الكشفيات و نحوها رؤى من الضرورى تأسيس مواد لها تكون دستورا لكافة أعمالها، و هى كما يلي:

### هيئة المعاملات العمومية

#### إشارة

المادة الأولى: تشكل من رئيس و أعضاء من أربعة إلى ستة أشخاص من أهل اللياقة و المعرفة.

المادة الثانية: عند غياب الرئيس ينوب منابه أحد الأعضاء فى فصل الدعاوى و المطالبات مشتركا مع بقية أعضاء الهيئة.

#### وظائف الرئيس

المادة الثالثة: النظر و التأمل فى القضايا التى ترفع إليه من أربابها و حسمها بموجب المواد المدونة بهذا القانون.

المادة الرابعة: يجب عليه محافظة الحقوق العمومية بحيث أنه يسوى بين أرباب الدعاوى بدون تفاضل.

المادة الخامسة: عند اقتضاء المصلحة يتتدب بعض أعضائه للأماكن التى يراد الكشف عليها لتقدير إيجارتها و ما هو فى معنى ذلك.

## وظائف الهيئة

المادة السادسة: الاشتراك مع الرئيس فى المسائل المرفوعة من ذويها إلى الهيئة و مطالعة القرارات و التوقيع على مسوداتها.

المادة السابعة: إنقيادها بما يكلفها به رئيسها من الذهاب إلى المواضيع التى يراد الكشف عليها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٢٥

المادة الثامنة: ينبغى مواظبتها على الحضور بدائرتها.

المادة التاسعة: كاتب للهيئة لإدارة أمورها التحريرية و فراشى أسوة بالدوائر الرسمية.

المادة العاشرة: عند احتياج الدائرة إلى نفر أو نفرين من أفراد الشرطة لجلب الأشخاص المدعى عليهم، يجب مساعدة مديرية الشرطة.

المادة الحادية عشرة: المسائل المتعلقة بإيجار العقارات و مستوى فى ذلك الدور و الحوانيت و الأفران و الطواحين و طلب إخلاء الساكن يتبع فيها ما يأتى:

المادة الثانية عشرة: إذا تعدد الشركاء المستحقون فى أحد الدور أو الدكاكين و رغب أحدهم السكنى بها فعليه أن يدفع على كل عشرة واحدا زائدا لصاحب الاستحقاق الآخر إرضاء لخاطره، و إذا أراد كل واحد منهم السكنى و كان الموضوع غير محتمل القسمة فيؤجر على الغير و يعطى كل على قدر حصته.

المادة الثالثة عشرة: بطلب أحد الملاكين إخلاء داره أو حانوته أو ما هو فى معناهما المؤجرة على أحد الناس ينظر فيه، فإن كان له دار أخرى ساكنها بها و كانت ملكا له لا يلتفت إلى طلبه، و إذا تبين أنه بدار يقطنها بالإجارة فهو أحق من الغير بعد أن يحرر على نفسه سند بأنه لو أجزها فى غضون مدة الإيجار يكون مجبورا بردها لصاحبها القديم و يجازى من قبل الحكومة.

المادة الرابعة عشرة: من علم أن ناظرا على وقف يطلب إخلاء أحد السكان بدار أو دكان و نحوه لإسكان من يستحق الربع فى ذلك الوقف و تحقق أمره لدى الهيئة بمطابقته للواقع، يروج طلبه بعد إجراء حكم المادة (١٣) من تحرير السند إلخ.

المادة الخامسة عشرة: من يدعى بخس الأجرة تكشف عليه الهيئة مع بعض أعضاء البلدية و تحقق مدعاه، فإن رأت زيادة الأجرة أو بقاءها على الحالة الأصلية تقرر ذلك و يصير إنفاذه.

المادة السادسة عشرة: بإسكان شخص فى جزء دار مثلا لمدة معينة فعند انقضائها إذا وجد المالك راغبا لها من بابها و كان الساكن يريد البقاء فى محله فقط الذى هو جزء من تلك الدار يجرى الكشف عليها من قبل الهيئة لتقسيم المحل الذى يسكنه إن أمكنت القسمة بحيث يصلح لسكنى كل واحد منهما بدون ضرر على أحدهما.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٢٦

المادة السابعة عشرة: إذا رغب المستحقون فى وقف أن يكون بينهم بالمهاياة فلا بأس من ذلك على أن تكون باعتبار السنين لا الأشهر.

المادة الثامنة عشرة: الساكن إذا امتنع عن دفع الإيجار المقرر أو الإخلاء، فبعد إحضاره و إلقاء التنبيهات الأكيدة عليه يجرى بحقه حكم المادة التالية.

المادة التاسعة عشرة: بامتناع المقرر عليه الإخلاء أو دفع الإجارة يحبس حتى يذعن و يخضع لأوامر الحكومة، و إذا طلب إمهاله إلى مدة زهيدة و أعطى الكفالة اللازمة لذلك يرخص له.

المادة العشرون: الذين يتخلفون عن الحضور عند طلب الهيئة لهم لسماع الدعوى المقامة عليهم و تكرر الطلب بشأنهم يجازون بالحبس من ثلاثة إلى عشرة أيام.

المادة الحادية والعشرون: الدعوى التي تقام على أنثى بخصوص الإيجارات أو نحوها من الكشف على دار سكنها لتقدير إيجارتها و تمتع عن إجابة داعى الحكومة بواسطة ذويها أو شيخ المحلة يجرى الكشف و تجبر لسماع الدعوى أو تقييم و كيلا عنها، و إذا لم تمثل فبمعرفة البلدية و شيخ المحلة ترمى حوائجها و ترغم على الخروج من تلك الدار.

المادة الثانية والعشرون: المستأجر لشيء إذا أجر بعضه أو كله على الغير لمدة سنة مثلا و انقضت مدة الإجارة و أراد ذلك المستأجر أن يكون بذاته فى الموضع المؤجر عليه فله ذلك و يخرج المستأجر من باطنه حيث لم يكن هو المستأجر الأصلي.

المادة الثالثة والعشرون: عند حصول التناكر بين أرباب الحقوق فى شيء من الإجارة و الديون القديمة، أى العائدة لسنة (١٣٣٤) يرفع الأمر إلى المحكمة الشرعية لثبوتها بالوجه الشرعى.

المادة الرابعة والعشرون: إذا غاب المستأجر عن البلاد بحيث كان مسافرا و انتهت مدة إيجارته، فإن كان سفره إلى الأقطار الخارجية و لم يكن بإحدى الجهات التابعة للحكومة العربية الهاشمية و لا يوجد وكيل عنه بدفع الإجارة أو أهل ساكنون بالموضع المؤجر عليه يؤذن للمؤجر بالتأجير على غيره.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٢٧

المادة الخامسة والعشرون: بوجود أشياء للغائب فى مستأجراته فبمضى أجل الإجارة تستلم تلك الأشياء المحكمة الشرعية بمعرفة الضابط و الهيئة المختصة لمثل هذا لديها، و إذا عاد صاحبها ترد إليه بعد حسم مصاريف النقل و خلافه و ذلك عند مطابقه غيابه لما جاء بالمادة (٢٤).

المادة السادسة والعشرون: بتحقيق سفر المستأجر إلى أحد الثغور العربية و انتهاء مدة إيجارته تخابر الحكومة المحلية بتلك الجهة فى تحصيل الأجرة أو التكليف بتوكيل من يقوم بالإحلاء عند عدم الرغبة و المحاسبة للمدة المشغل لها موقع الإجارة.

المادة السابعة والعشرون: بامتناع المؤجر عن قبض الإجارة المقررة يؤمر الساكن بإيفائه و يكلف المؤجر باستلام الأجرة فإن أبى تسلّم إلى المحكمة الشرعية لحفظها إلى أن يراجع فى استلامها.

المادة الثامنة والعشرون: المستحركات حكمها كحكم الإيجارات، فإذا ادعى أربابها بخس الأجرة و كانت وقفا أو معدا للاستغلال تنظر فيها الهيئة كغيرها و تجرى التحقيقات اللازمة و بمقتضى ما يثبت لديها تعطى القرار.

المادة التاسعة والعشرون: إذا تعهد المؤجر للمستأجر بإجراء التعمير الضرورى فى مستأجراته ثم تخلف، فبموجب الشروط يحال التعمير لعهد البلدية لإجرائه بنظرها و صرف المصاريف من صندوق دائرتها ثم تتحصل من المؤجر أو من الإجارة فيما بعد و على البلدية أن لا تهمل أمر التعمير.

المادة الثلاثون: لو أسكن أرباب العقارات أحدا فى مساكنهم ابتغاء مرضاء الله، أى مجانا ثم أرادوا إخراجهم فلهيئة مساعدتهم.

المادة الحادية و الثلاثون: بموت المستأجر فى أثناء المدة المؤجرة عليه تبقى الأجرة على حالتها باسم الورثة بدون فسخ و هو أحق بالسكنى من الغير.

المادة الثانية و الثلاثون: المتخلف من الإيجارات القديمة بطرف المستأجرين من قبل سنة (١٣٣٥) تحال إلى المحكمة الشرعية لفصلها بالوجه الشرعى.

المادة الثالثة و الثلاثون: إذا أجر المستأجر عموم الأماكن المؤجرة عليه للغير سواء كانت دورا أو حوانيت و تضرر المؤجر الأصلي من وضع المستأجر لما يوهن البناء أو يضر به كعمل فرن أو طاحون فإنه يؤمر بإزالته و إن لم يمثل يخرج الساكن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٢٨

دفعاً لما ينشأ من الضرر، و إن كان المتضرر منه كالحشيش و نحوه فيخبر المؤجر الحكومة و هى تجبره على إخراجه.

المادة الرابعة و الثلاثون: مستغلات العقار سواء كانت ملكا أو وقفا عند إرادة أرباب الإستحقاق محاسبة ناظرها أو ما أشبه ذلك ترى

بمحاكم البلاد الشرعية لتطبيقها على ما يقتضيه الإيجاب الشرعى.

المادة الخامسة و الثلاثون: كل ما كان من متعلقات العقار فى مسائل الإجارة و صادف أن الخصم من المتسربلين بسلك العسكرية الجليئة يصير النظر فيها من قبل الهيئة على أن طلب الخصم يكون بواسطة المرجع الإيجابى.

المادة السادسة و الثلاثون: رضاء الخصمين بقبول حكم الهيئة عليهما فى إحدى القضايا المشروحة آنفا المنطبقة على القانون ثم طلبهما نقض الحكم أو رؤيته بجهة أخرى لا بأس من إحالتها إلى مقام حجة الأمة قاضى القضاء للنظر فيها فإذا ظهر ما يوجب الخلاف يعطى الإيضاح عنه شرعا و بموجبه يجرى اللازم.

المادة السابعة و الثلاثون: الديونات بكافة أنواعها إذا صدر فيها حكم من المحكمة الشرعية ليس من صلاحية الهيئة نقضه أو الاعتراض عليه أو التدخل فيه قطعيا.

المادة الثامنة و الثلاثون: الخراجات التى بالحوانيت الكائنة بالشوارع العمومية، عند ما ترى البلدة إزالتها و يجرى ذلك فعلا ليس للمستأجر حق فى مراجعة المؤجر لإرجاع أجرته إليه بل يمكنه مستمرا على قبولها نهاية مدة الإجارة. و هذا إذا لم يمس شرف المكان فإذا مسه يجرى الكشف عليه و يعطى له ما يستحقه من مقدار النقص و إذا تحسن يستحصل منه الزيادة بقدر ما يستحق ذلك التحسين.

المادة التاسعة و الثلاثون: فى أثناء مدة الإجارة إذا حصل خراب ضرورى تعميره بإحدى الدور أو الدكاكين لا حق للمؤجر بطلب الزيادة من المستأجر.

المادة الأربعون: الدكاكين و البيوت و الأفران و ما شابه ذلك إذا تغيرت عن حالتها الأصلية بأن جرت فيها إصلاحات متعددة أوجبت صرف مبالغ طائلة فعلى موجب التحسين الذى صار فيها يزداد فى أجرتها بما تستحقه من الكشف و التقدير.

المادة الحادية و الأربعون: الوكيل كالأصيل فى التأجير و مجرياته، و أما المستأجر فإذا كان وكيلا عن شخص غائب و من عائلة الموكل الساكنة بالدار و تحقق ذلك

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٢٩

بصورة واضحة أو كان بها بضاعة أو خلافه فهم أحق بالإجارة و إن كان بالعكس فيجبر على الخروج و المالك أحق بتأجيرها على الغير.

المادة الثانية و الأربعون: الساكن بالدار أو الدكان باستئجار من المؤجر عليه أولى بالإجارة من الغير عند عدم رغبة المستأجر الأصلى لعقد الإجارة.

المادة الثالثة و الأربعون: كل دعوى من متفرعات مسائل الإيجارات لم تكن داخلية بضمن مواد هذا القانون تقرر فيها الهيئة بحسب اجتهادها بما يظهر لها مع مراعاة حفظ حقوق الطرفين ثم ترفعها لمرجعها للنظر فيها و إيفاء ما يرى نحوه.

المادة الرابعة و الأربعون: عموم قرارات الهيئة ترفعها لمرجعها- مقام رئاسة الوكلاء الفخيمة- لإجراء ما يجب فيها.

المادة الخامسة و الأربعون: تحضر هذه الهيئة أمام قاضى القضاء لتحليفها اليمين اللازم على أنها تنظر فى دعوى الخصمين بدون مراعاة أحدهما عن الآخر.

المادة السادسة و الأربعون: لا تكون هذه المواد مرعية الإجراء و نافذة المفعول إلا بعد عرضها على السدة الملوكية و اقترانها بالتصديق العالى الملوكى (٢٨) ذى الحجة سنة (١٣٤٠).

إيضاحات تقرر بمجلس الوكلاء الفخام فى (٢٩) ذى الحجة سنة (١٣٤٠) هجرية بعدد (٤٧) التصديق على مندرجات هذا القانون و صدرت الإرادة السنوية الهاشمية فى المحرم سنة (١٣٤١) هجرية بصدده بإنفاذ مقتضاه، و للبيان جرى تحريره فى (٤) المحرم سنة (١٣٤١) هجرية. انتهى من الغازى.

**قرار الحكومة الهاشمية بشأن إيجار العقارات**

نذكر هنا صورتين فقط من القرارات التي كانت تصدرها الحكومة الهاشمية السابقة بشأن الإيجارات لتعطينا فكرة عامة للناس على ما درجوا عليه من سالف الأزمان في الإيجارات السنوية، وقد نقلنا نص الصورتين من الجزء الثالث من تاريخ الغازي، فالصورة الأولى لعام (١٣٣٨ هـ) وهذا نصها:

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٣٠

و في ٢٩ ذى الحجة سنة (١٣٣٧) هجرية قررت الهيئة المشكله من وكيل النافعة و نائب وكيل الداخلية و أعضاء مجلس الشيوخ و رئيسه و هيئة المعاملات و أعضاء البلديات الثلاث تحت رئاسة قاضى القضاء و نائب رئيس الوكلاء بالنظر للظروف الحاضرة بأن يجعل الإيجار للبيوت على معدل إسقاط الثلث من الأجرة بالنسبة لمبلغها سنة (١٣٣٣) و الدكاكين على معدل إسقاط الربع و ذلك بالنسبة لمبلغها سنة (١٣٣٣) و أن ثلثي مبلغ أجرة الدور و ثلاثة أرباع أجرة الدكاكين يعطى منها النصف فى الحال و النصف الآخر إلى مدة نصف زمن الإجارة المعقودة و بموجه جرى النداء، و من أراد أداء الإجارة دفعة أو أراد أن يتفق الآجر و المستأجر على كيفية مخصوصة فلهم ذلك.

و الصورة الثانية لعام (١٣٤٣) و هذا نصها:

و في ٢٩ ذى الحجة سنة (١٣٤٢) أعلن إعلانا رسميا من مقام نيابة رئاسة الوكلاء ليعلم كافة المستأجرين و أرباب العقارات أنه قد تقرر أن تكون الإيجارات فى عام (١٣٤٣) القادم باعتبار إجارة العام الماضى تماما على أن إيجار القهاوى و الدكاكين و الأفران و الطواحين يسلم دفعة واحدة، و أما البيوت فيدفع إيجارها الثلثان مقدما و الثلث الباقى فى شهر رجب سنة (١٣٤٣) و لا يمكن إخراج ساكن من مسكنه، و أما الدفع فيكون الثلاثة الأرباع منه ذهباً و الربع الباقى فضة كالمعتاد، و من لم يتبع هذه الأوامر المشروحة آنفا سيجرى بحقه الجزاء بموجب القانون المخصوص لعقوبة من يخالف أوامر الحكومة و لإعلان العموم بذلك صار الإعلان.

انتهى من الغازي.

**قرار الحكومة السعودية بشأن إيجار العقارات**

نذكر هنا صورتين فقط من القرارات التي كانت تصدرها حكومتنا السعودية بشأن الإيجارات لتعطينا فكرة عامة للناس على ما درجوا عليه من سالف الأزمان في الإيجارات السنوية، وقد نقلنا نص الصورتين من الجزء الثالث من تاريخ الغازي. فالصورة الأولى لعام (١٣٤٤) هـ و هذا نصها:

قرر مجلس الشورى الأهلى إيجار عام (١٣٤٤) بهذه الصورة:

(١) يعتبر مقدار أجرة عموم العقارات فى عام (٤٤) كعام (٤٣).

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٣١

(٢) إيجارات الدور و القهاوى و الحكورات يسقط نصفها فى عام (٤٤) و يدفع ربعها حالا و الربع الباقى يؤجل إلى غرة شعبان سنة (١٣٤٤).

(٣) يسقط الثلث من كامل أجرة الدكاكين و الأفران و الطواحين و يدفع الثلث من كاملها حالا و يؤجل الباقى إلى غرة شعبان سنة (١٣٤٤).

(٤) الدور و الدكاكين و سائر الأماكن المشغولة بأمته الغائبين يجرى فيه الإيجار الشرعى لدى الحاكم الشرعى.

(٥) إذا امتنع المستأجر عن دفع الأجرة المقررة أعلاه يجبر بالإخلاء.

٦) يقتضى تشكيل لجنة بعنوان «مجلس العقار» مؤلفة من خمسة أنفار، واحد من أعضاء مجلس الشورى الأهلى، و واحد من دائرة الأوقاف، و واحد من هيئة البلدية، و واحد من التجار، و واحد من أرباب العقار لتكون مرجعا للنظر فى الدعاوى المتعلقة بالعقارات. و عند وقوع اختلاف بين المؤجر و المستأجر تقرر ما يلزم إجراؤه فى ذلك بموجب المواد المشروحة أعلاه ثم ترفع الكيفية إلى مرجع التنفيذ و يعين لها غرفة مخصوصة بدائرة الحكومة لاجتماعها يوميا (٢٨) ذى الحجة سنة (١٣٤٣).

و الصورة الثانية لعام (١٣٤٩) و هذا نصها:

صدر الأمر السامى بالموافقة على قرار اللجنة الخاصة المتعلق بإيجار العقارات لعام (١٣٤٩ هـ) و هو:

لدى اجتماعنا و تداول الآراء نحو إيجارات الدور و الدكاكين و القهاوى و الطواحين و كافة المستملكات تقرر أن تكون إيجاراتها على حسب ما كان فى العام الماضى أى عام (١٣٤٨) غير تقسيط الأجرة فإنه يدفع على ثلاث دفعات و تكون فى الدور خاصة، فأول قسط منها و هو النصف يدفع فى أول محرم، و النصف الثانى قسط منه يدفع فى أول شعبان و الثانى فى آخر ذى القعدة، و أما القهاوى و الطواحين و ما شاكلها تكون على قسطين طبق ما أجر فى العام الماضى فى دفع الأقساط، و على الهيئة المنتخبة تطبيق هذا النظام على المؤجرين و المستأجرين على حسب ما كان فى العام الماضى، و على ذلك جرى القرار متفقا. انتهى من الغازى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٣٢

### أجور العقار لعام (١٣٦٨ هـ)

جاء فى جريدة البلاد السعودية التى صدرت بمكة المشرفة بتاريخ اليوم الحادى و العشرين من شهر ذى الحجة سنة ألف و ثلاثمائة و سبع و ستين هجرية بعدد (٧٦٢) عن أجور العقارات للعام المذكور ما نصه:

جاءنا من أمانة العاصمة ما يأتى:

تبلغنا من المقام السامى أنه قد صدرت الإرادة الملكية الكريمة بأن يكون إيجار العقار فى عام (١٣٦٨) حرا على أساس التراضى بين المالك و المستأجر. انتهى من الجريدة المذكورة.

فلما صدر هذا المرسوم الملكى تشوش الناس و حصل اضطراب بينهم، لأن الأكثرية لا يملكون عقارات، فالتمسوا من جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى النظر فى المصلحة العامة للأمم و عدم حرية الإيجارات حتى لا يتحكم بعض أرباب العقارات فيهم تحكما قاسيا بل يزداد فى الإيجارات نسبة مئوية معلومة.

فوافق رحمه الله تعالى على زيادة الإيجارات بنسبة عشرين أو خمس و عشرين فى المائة، و مشى الناس على هذا المنوال حتى نهاية سنة (١٣٧٣) ثلاث و سبعين و ثلاثمائة و ألف و هى السنة التى توفى فيها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله تعالى و أسكنه الجنة و ذلك فى اليوم الثانى من شهر ربيع الأول. فتولى بعده ابنه جلالة الملك سعود بن عبد العزيز أدام الله توفيقه و نصره.

### أجور العقار لعام ١٣٧٤ هـ

جاء فى جريدة البلاد السعودية التى صدرت بمكة المشرفة بتاريخ اليوم الخامس من شهر صفر سنة ألف و ثلاثمائة و أربع و سبعين هجرية بعدد (١٦٥٩) عن أجور العقارات للعام المذكور ما نصه:

جاءنا من وزارة الداخلية ما يلى:

تبلغنا من صاحب السمو الملكى رئيس مجلس الوزراء المعظم بعدد ٤٥١ و تاريخ ١٧٤ / ٢ / ٢ الأمر الصادر من جلالة مولاي الملك المعظم الذى يقضى بأن

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٣٣

يكون تأجير العقار على اختلاف أنواعه في المملكة للعام الحالي حرا بطريق التراضي بين المالك والمستأجر، وإذا حصل اختلاف بينهما فللساكن مهلة شهرين فقط من تاريخ إخطار المالك له بالإخلاء يدبر فيها أمره فاعتمدوا موجب الأمر الملكي الكريم و أعلنوه للناس. انتهى من الجريدة المذكورة.

فجرى الناس على هذا القرار الملكي من عام صدوره المذكور إلى عامنا هذا الذي نحن فيه و هو عام (١٤٠٦ هـ).

### خلاصة ما تقدم عن دور مكة وإيجاراتها

يعلم من كل ما تقدم أنه قد مر على عقارات مكة وبيوتها ثلاثة أدوار:

الدور الأول: كانت البيوت والمسكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبي بكر و عمر و عثمان رضي الله تعالى عنهم ما تكري و لا تباع و لا تدعى إلا السوائب، قال عبد الله بن صفوان الوهطي: سمعت أبي يقول: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال: كان ساكن مكة حيا من العرب فكانوا يكرون الظلال و يبيعون الماء فأبدلها الله تعالى بهم قريشا فكانوا يظنون في الظلال و يسقون الماء.

قال ابن جريح: كان عطاء ينهى عن الكراء في الحرم، و قال أيضا: قرأت كتابا من عمر بن عبد العزيز إلى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد و هو عامله على مكة يأمره أن لا يكرى بمكة شيء. و قال أيضا: أخبرني عطاء أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ينهى أن تبوب أبواب دور مكة.

و الدور الثاني: جواز بيع بيوت مكة و كرائها و هذا على القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة من بها على أهلها. قال العلامة قوام الدين في شرح الهداية: بيع بناء مكة جائزا اتفاقا لأن بناءها ملك الذي بناه، ألا ترى أن من بنى في أرض الوقف جاز أن يبيع بناءه فكذا هذا، اهـ.

و من منع بيع دور مكة و كراءها يستند على القول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة عنوة فتكون مغنومة مقسومة للمسلمين، فمن سبق على موضع فهو أولى به و أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقسم مكة على المسلمين حين فتحها لما لها من الحرم و التعظيم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٣٤

فعلى جواز بيع بيوت مكة و كرائها مشى المسلمون إلى اليوم.

الدور الثالث: الاستغلال التام في إيجارات بيوت مكة شرفها الله تعالى و زادها أمنا و رخاء و بركة، و ذلك بسبب كثرة ورود الحجاج إليها و الطمع في هذه الدنيا الفانية الخسيسة فارتفعت أجور العقارات ارتفاعا فاحشا أدى إلى تدخل ولاة الأمور في ذلك، فكانوا يصدرون في أول كل عام قرارا يضمن مصالح الطرفين المالك و المستأجر إلى نهاية سنة (١٣٧٣) ثم صدر قرار ملكي يجعل الإيجارات في مطلق الحرية بين المالك و المستأجر، كما تقدم بيان ذلك بالتفصيل.

و رب سائل يقول متى بدأ الاستغلال في إيجارات دور مكة و ما سبب ذلك؟

فنقول: لا يمكن تحديد بدء الاستغلال لعدم ذكره في التاريخ و لكن نقول عن طريق الاستنتاج: كان بدء الاستغلال من منتصف القرن الثالث عشر للهجرة، ثم زاد الجشع في أواخر حكم الأتراك للحجاز و لا يزال في ازدياد إلى عامنا هذا حيث تمكن الحرص و البخل في قلوب الناس، أما قبل ذلك فقد كان الناس في حالة مرضية من القناعة و الكرم و الإيثار و الرحمة، نسأل الله السلامة و العافية من كل ما لا يرضى الله عز و جل.



أما سبب الاستغلال فشيئان: الأول: الطمع الكثير و الحرص الشديد. و الثاني، أن المستأجر بمكة إذا استأجر دارا لعام واحد بثلاثة آلاف ريال مثلا- فإنه في موسم الحج قد يؤجرها للحجاج بأربعة آلاف ريال أو أكثر لمدة قد تكون أقل من شهر واحد فيكون المستأجر كأنه ساكن في الدار بدون أجره، بل إنه ربح جزءا أيضا، و هناك من يؤجرها بنحو نصف إيجارها و منهم من لا يؤجر داره في الموسم.

و العادة الجارية عندنا بمكة أن الإيجارات تكون سنوية لا شهرية بخلاف العادة في جميع الممالك حيث أن المتبع في الخارج أن تكون الإيجارات شهرية و أن الساكن بالأجره في محل لا يتمكن من تأجير محله على غيره. لذلك يطلب مالك العقار بمكة من المستأجر زيادة الأجره في كل عام.

ثم إن العادة الجارية عندنا أن المستأجر للدار إذا شغل جزءا منها لا يؤجر الجزء الخالي لغيره من أهل البلاد بل يبقى خاليا إلى أن يأتي موسم الحج فيؤجره للحجاج فقط لإقامتهم بمكة مدة يسيرة جدا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٣٥

و هناك فرق عظيم بيننا و بين أهل مصر في الإيجارات، فعندنا بالحجاز إيجارات العقار و الدكاكين و نحوها لا تكون إلا لعام كامل دفعة واحدة، و في مصر تكون الإيجارات شهرية.

و عندنا أيضا لا تكون في الدار الواحدة مهما كانت كبيرة إلا عائلة واحدة و يندر جدا أن يسكن أكثر من عائلة في دار واحدة، أما في مصر ففي كل دار عدة من العائلات.

و عندنا أيضا كان يصدر قرار حكومي في أول كل عام لتحديد أجره السكن للمالك و المستأجر منذ العهود السابقة التي فصلنا بيانها فيما تقدم حتى نهاية سنة (١٣٧٣) ثلاث و سبعين و ثلاثمائة و ألف هجرية، ثم إنه من بعد هذه السنة المذكورة صدر قرار حكومي أن يكون الاتفاق بين المالك و المستأجر بالحرية التامة في تقدير الأجره، أي لا تتدخل الحكومة بينهما و لا تزال الحالة كذلك إلى عامنا هذا.

أما في مصر فإن حكومتها تصدر قرارا خاصا في إيجارات الدور و الدكاكين و القهاوى و نحوها في كل عشرة أعوام مرة واحدة أو كل خمسة عشر عاما لا ندرى، و نحن نعتقد أن تدخل الحكومة بين أرباب الأملاك و المستأجرين من الواجب الضروري و جبدا لو تشكلت لجنة خاصة بالحجاز و سنت نظاما دقيقا في صالح الطرفين يسيرون بموجبه في كل عام على الدوام.

و من جملة الأضرار البليغة التي تلحق المستأجرين إذا كانت إيجارات العقارات حرة و لم يكن هناك قانون و نظام في مصلحة الطرفين «المالك و المستأجر» ما نذكره هنا من الحكاية الآتية على سبيل المثال و هي:

استأجر رجل دارا لكامل عام واحد حسب العادة الجارية بمكة ثم حصل فيها خراب يقتضى إصلاحه، فطلب المستأجر من المالك إصلاح الخراب فامتنع من ذلك بتاتا مع أن الشرع و العرف يحكمان على المالك بإجراء الإصلاح على نفقته.

فما ذا يفعل المستأجر معه في حالة امتناعه عن الإصلاح؟

فلو رفع الأمر إلى الحكومة لتجبر المالك بإصلاح ما خرب من الدار فقام هذا بالإصلاح رغم أنفه، فمما لا شك فيه أنه بعد انتهاء مدة الإجارة لن يجدد المالك عقد الإيجار للعام المقبل بل إنه يطلب من المستأجر إخلاء الدار فإن امتنع من ذلك طلب المالك من الحكومة الأمر عليه بالخروج من الدار فتجبره الحكومة بالإخلاء

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٣٦

بموجب قانون حرية العقار فيتشتت أمره لصعوبة العثور على المساكن في هذه الأوقات.

و إن قام المستأجر بإجراء إصلاح الخراب الواقع بالدار على نفقته الخاصة ليزيل الضرر عنه ثم طالب بعد ذلك المالك بدفع نفقة الإصلاح فإن المالك لن يدفع له شيئا مطلقا بحجة أنه لم يأمره بإجراء الإصلاح.

فعلية تكون نتيجة كل ذلك وصول الضرر البالغ للمستأجر و وقوع المالك في الحرمة من جهة أكل أموال الناس بالباطل و ليس ذلك مما ترضى به شريعتنا السمحاء البيضاء النقية.

إذن أفلا يكون من الأفضل وضع قانون للإيجارات يكفل مصلحة الطرفين «المالك و المستأجر»؟ فمن أصحاب الأملاك من لا يراعى حقوق الضعفاء و المضطرين، و من الضعفاء من يأكل الحرام و الحلال و ينكر فضل المحسنين، نسأل الله التوفيق و السداد لما فيه نفع العباد و البلاد، كما نسأله السلامة من الفتن ما ظهر منها و ما بطن، كما نسأله الستر في الدنيا و الآخرة بفضل و رحمته.

## أول هيئة للأمر بالمعروف بمكة

### إشارة

قال الغازي في الجزء الثالث من تاريخه: صدر الأمر السامي في أواخر صفر سنة (١٣٤٥) خمس و أربعين و ثلاثمائة و ألف بتعيين هيئة تقوم بمهمة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و أن تكون أعمالها تتبع الأمور من جهة المعاملات و العادات فما وافق الشرع منها تقره و ما خالفه تزيله.

و أن تمنع البذاءة اللسانية التي تعودتها السوق، و أن تحث الناس على أداء الصلوات الخمس جماعة، و أن تراقب المساجد من جهة أئمتها و مؤذنيها و مواظبتهم و حضور الناس بها و غير ذلك من دواعي الإصلاح، و أن تتخذ في سبيل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر الوسائل الموصلة إلى ذلك بالحكمة، و إذا أعيها أمر من الأمور رفعت فيه إلى أولى الأمر لإجرائه.

فعين رئيس تلك الهيئة الشيخ عبد الله الشيبى، و نائبه السيد حسين نائب الحرم، و كاتب الهيئة الشيخ عباس عبد الجبار.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٣٧

و أعضاء الهيئة من أهل مكة: محمد عقيل، محمد شروانى، عبد الرحمن بشناق، عمر جان، عمر فقيه، عبد الرحمن الزواوى، حسين باسلامة.

و من أهل نجد: محمد بن مضيان، على المنصور آل هديان، أحمد بن ركيان، عبد الله السليمان آل مهنا.

و تعين مركزها بمدرسة السيد أحمد عيد بباب الصفا.

## نظام و تعليمات لهيئة الأمر بالمعروف بمكة

قال الغازي في الجزء الثالث من تاريخه: و في ١٨ صفر سنة (١٣٤٦) ست و أربعين و ثلاثمائة و ألف صدر البلاغ بتعليمات هيئة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر هذا نصه:

صدر الأمر الملكى السامى بالمصادقة على التعليمات التالية:

أولاً: تنشأ هيئات تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر، و تكون مراكزها في مكة و جدة و المدينة و ينبع و الطائف و بقية الملحقات.

ثانياً: يكون عدد أعضاء كل هذه الهيئات على قدر اللزوم.

ثالثاً: يشترط في أعضاء هيئات الأمر بالمعروف أن يكونوا من أرباب العلم بالشريعة و من ذوى الأخلاق الطيبة و الصفات الحسنة.

رابعاً: يعين لكل هيئة من الهيئات عدد كاف من الجنود للقيام بالواجبات الملقاة على عاتق الهيئة، على أن يكون هؤلاء الجنود من المتصفين بالتقوى و المعاملة بالحسنى.

خامساً: تجتمع هذه الهيئة مرتين في الأسبوع.

سادساً: الأمور التي تنظر فيها هيئات الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر هي:

- (١) تنبيه الناس إلى أوقات الصلاة و سوق المتخلفين منهم إليها بالحسنى إلى أقرب مسجد.
  - (٢) مراقبة المحلات التي تجرى فيها أمور مخلة بالشرع والآداب.
  - (٣) دعوة الناس بالحسنى إلى ترك المعاصي و المخازي و البدع و الخرافات و الإلحاد.
  - (٤) منع البدع في المآتم و الأفراح.
  - (٥) منع العوام عن السباب و الشتائم.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٣٨
- (٦) الأخذ بيد الضعيف و الرفق بالأرامل و العجزة في أخذهم و عطائهم.
  - (٧) الرفق بالحيوان.

- (٨) تقوم هيئة الأمر بالمعروف بإزالة كل ما هو مجمع عليه من المعروف و ترجع فيما هو مختلف فيه إلى هيئة مراقبة القضاء.
  - (٩) يقتضى تشكيل فرعين لهيئة الأمر بالمعروف المركزيه بمكة: فرع في حارة المعلا و فرع في حارة الباب.
  - (١٠) يشدد على جنود الهيئة في الامتناع عن استعمال العنف و الشدة مع أفراد الناس الذين يجلبون إلى الهيئات.
- و في التاريخ المذكور من السنة المذكورة صدر أيضا بلاغ بتعيين أعضاء هيئة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر هذا نصه:
- نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، بعد الاطلاع على أمرنا الصادر في ١٦ صفر سنة (١٣٤٦) ست و أربعين و ثلاثمائة و ألف هجرية بشأن تشكيل هيئات الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر قد أصدرنا أمرنا بما هو آت:
- المادة الأولى: قد عينا كلا من الآتية أسماؤهم بعد أعضاء في هيئة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر: الشيخ عبد الرحمن بشناق رئيسا، عمر فقيه، محمد نور كتبي، محمد شرواني، أسعد مشفع، عبد الله بن عمار، عبد الله بن مطلق، سليمان الصنيع، محمد الخضري، محمد عبد الرحمن العقل و هؤلاء كلهم أعضاء.
- المادة الثانية: على نائبنا العام تنفيذ أمرنا هذا.
- صدر بأمرنا في ١٨ صفر سنة ١٣٤٦. انتهى من التاريخ المذكور.
- نقول: لقد تطورت هيئة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في المملكة العربية السعودية و تغير الأعضاء الذين ذكرهم الشيخ الغازي رحمه الله تعالى و كلها تابعة لفضيلة الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ، و هو رجل عاقل متزن لا يعامل الناس بالعنف و الشدة بل يقدم لهم النصائح و الإرشادات. نسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لمرضاته و أن يرحمنا بواسع رحمته آمين.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٣٩

### حكم الدولة التركية العثمانية في الحجاز

كان الحجاز مع جميع الممالك الإسلامية تحت حكم الدولة التركية العثمانية. و العثمانية نسبة إلى ملكهم الأول السلطان الغازي عثمان بن أرطغرل بك المتوفى سنة (٧٢٦) سبعمائة و ست و عشرين هجرية رحمه الله تعالى، و هو المؤسس الأول للدولة التركية المدفون في مدينة (بورصة). و كانت تركته عبارة عن بعض خيول و ثلاثة قطعان من الغنم و جبة و سيف، كما جاء ذلك في كتاب «تلخيص التاريخ العثماني». و معنى الغازي الذي يغزو الكفار. فلقد كان غالب سلاطين الأتراك العثمانيين يغزون من حولهم من الإفرنج، فمن غزا منهم يلقب بالسلطان (الغازي).

### خدمة الأتراك للخط العربي و محافظتهم على الآثار الإسلامية

و الحق يقال أيضا أن الدولة التركية العثمانية قامت بتعمير جميع الأماكن الأثرية الإسلامية في كافة البلدان و الأقطار خصوصا

بالحرمين الشريفين و مسجديهما الحرمين، قامت بتعميرها على أكمل وجه و أجمل صورة مع القوة و المتانة في البناء حيث صارت كل عمارة في غاية من الروعة و الجمال، و ما زال كل ذلك موجودا في جميع الأقطار الإسلامية، و ما نؤاخذ تركيا الجديدة التي كان يرأسها مصطفى كمال باشا رحمه الله تعالى منقذ تركيا من براثن الأعداء إلا- بمسألة تطوير تركيا من التعليم الديني إلى التعليم العصري المتحرر و بمسألة استبدال كتاباتهم التي كانت بالحروف العربية منذ القرون الأولى القديمة بالحروف اللاتينية، فلم يبق أحد في بلاد الأتراك اليوم من يعرف القراءة و الكتابة التركية بالحروف العربية اللهم إلا القليل النادر من المعمرين منهم. و بذلك انقطعت صلة الأتراك اليوم بجميع مؤلفاتهم المكتوبة من قديم العصور بالحروف العربية الجميلة في أنواع العلوم و الفنون. إن الخط العربي اليوم ما وصل إلى هذا الحسن و الجمال إلا بسبب خدمة الأتراك القدماء له، فلقد خدموه حتى أوصلوه إلى السموات ثم تركوه اليوم و نبذوه بتاتا لا يعرفون كتابته و لا قراءته.

فنترح على الحكومة التركية اليوم أن يجعلوا التعليم في بلادهم على نوعين، التعليم بالحروف العربية كما كانوا سابقا و ذلك محافظة منهم على تراثهم العلمي العظيم، و التعليم باللاتينية أيضا مجازة للعصر الحديث حيث قد ألقوه. نقول هذا التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٤٠

مخلصين غيرة منا على الآلاف المؤلفه من الكتب العلمية و الفنية و التاريخية بلغتهم التركية و التي كتبت و ألفت بالحروف العربية ففيها من المؤلفات القيمة الثمينه النادرة ما لا يوصف. فإنه يستحيل ترجمة كل ذلك إلى اللاتينية. و الله الهادي إلى سواء السبيل.

### تأليف أول وزارة حجازية بعد عهد الأتراك

لقد ذكرنا فيما تقدم حكم الدولة التركية العثمانية على الحجاز.

و إليك الكلام على تأليف الوزارة الحجازية:

قال الغازي رحمه الله تعالى في تاريخه «إفاده الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام» ما يأتي:

لما استقل الشريف الحسين بن علي رحمه الله تعالى بالحجاز في سنة (١٣٣٤) أربع و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف هجرية أصدر أمره بتأليف وزارة حجازية و ذلك في سابع ذى الحجة من السنة المذكورة، و إليك صورة الإرادة السنية الصادرة نقلا من الجزء الثالث من تاريخ الغازي.

حضرة العالم الكامل الشيخ عبد الله سراج إنه لما كانت مصالح الرعايا و انتظام شؤون المجتمع و توفر أسباب العمران لا بد لها من دواوين يتوزع عليها النظر في الحكومة و ما هو في معنى ذلك من المصالح العامة و الخاصة و يتعين لها أسباب الوظائف التي تبنى عليها المسؤولية و تكوين حكومة لبلادنا المحروسة، و بالنظر إلى ما تحققنا فيكم من الكفاءة و الاستقامة عزمنا بعد الاستعانة بالله عز و جل على توجيه منصب قاضى القضاة بعهدكم و تعيينكم و كيلا- عن رئيس الوكلاء العظام، و قد اخترنا لبقية الوكالات حضرات الذوات الآتية أسماؤهم و هم:

(١) ولدنا عبد الله بن الحسين: لوكالة الخارجية، و يكون أيضا و كيلا عن وكيل الداخلية.

(٢) و عبد العزيز بن علي: رئيس أركان حرب، و وكيل رئاسة الجند مع ترفيع درجته عن رتبته الحاضرة.

(٣) و الشيخ علي المالكي: و كيلا للمعارف.

(٤) و الشيخ يوسف بن سالم: رئيس البلدية سابقا و كيلا للمنافع العمومية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٤١

(٥) و الشيخ محمد أمين: مدير الحرم الشريف سابقا و كيلا للأوقاف مع بقائه في نظارة أمور الحرم، و كلما يتعلق بوظيفته الشريفة.

(٦) و الشيخ أحمد بن عبد الرحمن باناجه: و كيلا للمالية.

و ذلك لما توسمناه من درايتهم و استعدادهم للسهر على مصالح البلاد و أهلها على ما يرضى الله. و إننا ننتظر منكم المبادرة إلى تأسيس الدوائر و الدواوين الرسمية و تعيين العمال و الموظفين لها، و أرجو الله سبحانه أن يجعلنا مظهر توفيقه فهده في كل ما يحبه و يرضاه.

في ٧/ ذى الحجة الحرام سنة (١٣٣٤) هجرية، انتهى من الغازي.

شريف مكة و أميرها

الحسين بن علي

### تأليف مجلس الشورى لأول مرة في الحجاز في عهد الحكومة السعودية

#### إشارة

لما حكم جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى الحجاز في سنة (١٣٤٣) ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و ألف هجرية صدرت إرادته السنية بتأليف مجلس شورى لتداول الآراء، و وضع الأنظمة و القوانين رعاية لحقوق الأمة و مصالحها، فقد جاء في الجزء الثالث من تاريخ الغازي عن هذا الأمر ما يأتي:

و في آخر شوال سنة (١٣٤٤) هجرية صدر بلاغ رسمي هذا نصه:

امثالاً- لأمر الله تعالى في استشارة أهل الرأي و الخبرة و الرجوع إلى آرائهم فيما يهم من الأمور و رعاية لحقوق الأمة و أداء الأمانة التي حملنا إياها أمرنا بما هو آت.

(١) يؤلف مجلس استشاري في كل من مكة و المدينة و جدة و ينبع و الطائف للنظر في المسائل الهامة المحلية، و تكون هذه المجالس بالانتخاب بدرجة واحدة.

(٢) يؤلف مجلس مكة من عشرة أعضاء سوى الرئيس الذي تختاره الحكومة، و مجلس المدينة من ستة أنفار سوى الرئيس، و مجلس ينبع من أربعة أعضاء سوى الرئيس، و مجلس الطائف من أربعة أعضاء سوى الرئيس.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٤٢

(٣) يؤلف مجلس عام يدعى بمجلس الشورى العام ينتخب أعضاؤه من قبل المجالس الاستشارية المحلية، و يؤلف أعضاؤه من ثلاثة عشر عضواً، أربعة من مكة و اثنان من المدينة و اثنان من جدة و آخرين من ينبع و واحد من الطائف و ثلاثة من رؤساء العشائر.

(٤) الذين لهم حق الانتخاب هم طوائف العلماء و أعيان البلاد و التجار و رؤساء الحرف و المهن.

(٥) الأعضاء المنتخبون يجب أن تتوفر فيهم الشروط الآتية و هي: إجادة القراءة و الكتابة، و حسن السيرة، و عدم صدور أحكام مخلة بالدين و الشرف.

(٦) مدة عضوية هذه المجالس سنة واحدة.

(٧) على نائبا العام تنفيذ أمرنا هذا.

ملك الحجاز و سلطان نجد و ملحقاتها

عبد العزيز

#### مجلس الشورى

قد انتخب بمجلس الشورى من أهل مكة حضرات الأفاضل: الشريف شرف عدنان، و عبد الله الشيبى، و حسين باسلامة، و ماجد

الكردي، و محمد الألفي، و عبد الرحمن الزواوي، و عبد الوهاب عطار. و من أهل المدينة: الشيخ عبد الجليل مدني، و الشيخ سعيد ديشيشة. و من أهل جدة: عبد الله الفضل و سليمان قابل، و قد صدر الأمر الملكي بإسناد رئاسة المجلس للشريف شرف عدنان. اه. نقول: هذا ما ذكره الغازي رحمه الله تعالى في تاريخه عن أول وزارة حجازية و عن أول مجلس للشورى في الحجاز، أي بعد زوال حكم الدولة التركية العثمانية عن الحجاز و غيرها من البلاد الإسلامية و ذلك بعد الحرب العالمية الأولى التي كانت في سنة (١٩١٤) ميلادية. ثم بعد زوال عهد الأشراف من الحجاز في سنة (١٣٤٣) هجرية و بروز العهد السعودي في الحجاز بقي مجلس الشورى معمولاً به إلى يومنا هذا و إن تغير أعضاؤه بحسب الأزمنة و تطور الأحوال.

قال الشاعر المصري الكبير محمد حافظ إبراهيم بك المتوفى في سنة (١٣٥١ هـ) عن وصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين وفاته بجعل الخلافة شورى ما يأتي:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٤٣ يا رافعا راية الشورى و حارسها جزاك ربك خيرا عن محبيها  
لم يلهك النزع عن تأييد دولتها و للمنية آلام تعانيتها  
لم أنس أمرك للمقداد بحملة إلى الجماعة إنذارا و تنبيها  
إن ظل بعد ثلاث رايها شعبا فجرد السيف و اضرب في هواديتها  
فاعجب لقوة نفس ليس يصرفها طعم المنية مرا من مراميتها  
درى عميد بنى الشورى بموضعها فعاش ما عاش يبنيتها و يعليها  
و ما استبد برأى في حكومتها إن الحكومة تغرى مستبديها  
رأى الجماعة لا تشقى البلاد به رغم الخلاف و رأى الفرد يشقيها

### تأليف أول وزارة سعودية

لما حكم جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى الحجاز في أوائل سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية لم يكن هناك وزراء بالمعنى المتعارف عليه، فكان يحكم البلاد وحده أو من ينوب عنه و هو ابنه سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود، فكان هذا نائبه على الحجاز و كان رئيس الشعبة السياسية في ديوان جلالتة هو الشيخ يوسف ياسين رحمه الله تعالى و كان وزير المالية هو صاحب المعالي الشيخ عبد الله بن سليمان، و كان هذا الرجل هو اليد اليمنى لجلالة الملك عبد العزيز و هو الوزير الأوحده في المملكة لا يلقب أحد بالوزير غيره، و جميع دوائر الحكومة السعودية كان يطلق عليها مديريات فيقال مثلا: مدير الأوقاف، مدير الصحة... إلخ، و كان الملك عبد العزيز قد أوصى في حياته أن يكون ابنه الأكبر سمو الأمير سعود بن عبد العزيز ملكا على المملكة العربية السعودية بعد وفاته و أن يكون ابنه الثاني سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز وليا للعهد بعد أخيه سمو الأمير سعود.

ثم لما توفي الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله تعالى في شهر ربيع سنة (١٣٧٣) هجرية و صار الملك سعود بن عبد العزيز ملكا على المملكة العربية السعودية يؤازره و يعضده أخوه سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز ولي العهد رأيا و معهما الأسرة المالكة إخوانهما الأمراء تأليف وزارات للمملكة تمشيا مع سنة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٤٤

لتطور و مجاراة لجميع الممالك في أقطار الأرض، فصدر أمر جلالة الملك سعود بن عبد العزيز بتشكيل الوزارات، فتألفت أول وزارة سعودية في المملكة كما يأتي:

١) صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود وزيرا للخارجية و رئيسا لمجلس الوزراء.

- ٢) صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز آل سعود وزيراً للمعارف.
- ٣) صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن عبد العزيز آل سعود وزيراً للدفاع.
- ٤) صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود وزيراً للزراعة.
- ٥) صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبد العزيز وزيراً للمواصلات.
- ٦) صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن فيصل وزيراً للدخلية والصحة.
- ٧) صاحب المعالي الشيخ عبد الله السليمان و كان من قبل وزيراً للمالية أيضاً.

هذه أول وزارة سعودية تألفت في المملكة، ثم تغير أعضاء الوزارات بحسب المصلحة، ولسنا في صدد بيانهم والكلام عنهم لأننا لا نتكلم عن جميع أحوال المملكة بل نتكلم عن تاريخ مكة المكرمة فقط، فليعذرنا القارئ الكريم على هذا الإيجاز.

### أول وزارة للحج والأوقاف

لم تكن عندنا قبل سنة (١٣٨١) ألف و ثلاثمائة و إحدى و ثمانين من الهجرة وزارة خاصة للحج والأوقاف، وإنما كان منذ كان رئيس المطوفين بمكة المكرمة و وكلاء المطوفين بجدة هم الذين ينظرون في مسائل الحجاج و ما يتعلق بهم، و كانت الأوقاف العامة مديريه فيقال لرئيسها مدير الأوقاف العامة، هكذا كان الحال منذ قديم الزمن.

فلما كانت السنة المذكورة (١٣٨١) عملت الحكومة السعودية (أول وزارة للحج والأوقاف) و مقرها مكة المكرمة و مهمة هذه الوزارة تتلخص بالنظر لمصالح الحجاج بتوسع عظيم و النظر إلى كافة أوقاف الحرمين بصفة عامة. فكان من أعمال هذه الوزارة النظر في مدينة الحجاج التي بنيت منذ سنوات فأدخلت فيها تعديلات كثيرة، و سيكون في المستقبل القريب النظر إليها أكثر، كما أنها قامت في سنة (١٣٨٤) ه بإنشاء مدينة للحجاج في مدينة ينبع فنزل الحجاج فيها في العام المذكور بعد رسو البواخر فيها ثم منها يسافرون بالسيارات إلى المدينة المنورة كما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٤٥

هو الشأن في مدينة جدة. و قد كان الحجاج ينزلون في مدينة ينبع و منها إلى المدينة بالجمال في عهد الأتراك و في عهد الأشراف، فلما كانت سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية بطل و قوف البواخر في مدينة ينبع، فكانت تقف كلها في مدينة جدة، و بذلك انقطعت عن ينبع مصالح الحجاج من السنة المذكورة إلى سنة (١٣٨٤) ألف و ثلاثمائة و أربع و ثمانين هجرية، ففكرت وزارة الحج و الأوقاف في تسيير خط الحجاج من مدينة ينبع وقت الحج كالعهد السابق فإذا وقفت البواخر في ينبع سافر منها الحجاج إلى المدينة المنورة بالسيارات مع بقاء و قوف البواخر في مدينة جدة كما هو الحال في جميع العصور. و إن شاء الله تعالى ستنظر وزارة الحج و الأوقاف إلى ميناء ينبع و إلى مصالح الحجاج في المستقبل أكثر مما مضى.

فأول وزير للحج و الأوقاف هو معالي الأستاذ حسين عرب، فلما استقال من منصبه لأسباب صحية خلفه بالنيابة معالي الأستاذ محمد عمر توفيق زيادة على مهام منصبه الأصلي حيث إنه وزير للمواصلات فقام بأعمال الوزارتين خير قيام و إن كان في ذلك تعب كما لا يخفى. أما أول و كيل لوزارة الحج و الأوقاف فهو سعادة السيد أحمد هاشم مجاهد في العهدين المذكورين و ما زال و كيلاً لها إلى اليوم و إنه لجدير بها و بأكبر منها لمعرفة و إخلاصه و مثابته على الأعمال بصبر و جلد و هو الذي تقدم من حبه لبلده المقدس «مكة المكرمة» بطبع هذا التاريخ على نفقته الخاصة جزاه الله تعالى خير الجزاء.

هذا و لقد طلبنا من وزارة الحج و الأوقاف إعطاءنا نبذة صغيرة عن مهمة أعمال وزارة الحج و الأوقاف فورد إلينا البيان الآتي للعلم بها في الجملة:

## نبذة عن أعمال الحج والأوقاف

لقد طلبنا من وزارة الحج والأوقاف أن تكتب لنا نبذة مختصرة عن أعمال هذه الوزارة للعلم بها فأرسلت لنا هذه النبذة و هي على اختصارها مفيدة وافيه بالغرض و إليك نص ما جاءنا:

في شوال عام (١٣٨١) هجرية تكونت وزارة الحج والأوقاف من المديرية العامة للحج و المديرية العامة للأوقاف و مصلحة المساجد. و شكّل الديوان العام للوزارة و انتظم العمل بها حسب الرغبة السامية، فمن أعمال هذه الوزارة:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٤٦

أولاً: إنشاء المساجد في كافة المملكة العربية السعودية و تعيين الأئمة و المؤذنين و خدام المساجد حتى تؤدي الصلوات المفروضة بها حسب الشرع. و كذلك إصلاح ما كان من المساجد يحتاج إلى إصلاح و فرشها و عمل المطهرات اللازمة للمصلين و مراقبة كل ذلك بالموظفين اللازمين. و قد قامت الوزارة بإنشاء ما يزيد عن مائة مسجد و إصلاح عدد كبير من المساجد. و لا تزال تعمل لذلك و لديها الإدارة الفنية المزودة بالمهندسين الأكفاء. و قد بلغ عدد المساجد التي تحت إدارة هذه الوزارة في جميع الولايات في المملكة (أحد عشر ألف مسجد) و الموظفين الذين يعملون في هذا الحقل (خمسة عشر ألف موظف).

ثانياً: و أيضاً تقوم الوزارة بحفظ و صيانة جميع الأوقاف الخيرية و تنفيذها شرط واقفيها و من هذه الأوقاف ما هو موقوف على الحرمين الشريفين و فقرائه و ما هو موقوف على صالح المساجد و ما هو موقوف لميراث خيرية معينة بالمقدار و محددة بالزمن، و لكل وقف من هذه الأوقاف سجل خاص يحصر فيه إيراد الوقف و مصروفاته. و قد أنشأت الوزارة عدة أوقاف على أحدث طراز بدلا من التي هدمت للصالح العام و تقوم بإدارتها بواسطة مديري الأوقاف و الأجهزة الخاصة بذلك في كافة مدن المملكة. و للحرمين الشريفين و ما يتعلق بهما أوقاف في كافة البلدان الإسلامية تسعى الوزارة بأن يصل ريع هذه الأوقاف إليها لصرفها حسب شرط واقفيها. و لدى الوزارة سجلات بها إحصاءات هذه الأوقاف، نسأل الله أن يوفق ولاة الأمور في جميع البلدان الإسلامية بتسهيل مهمة الوزارة حتى يصل الحق لأهله.

ثالثاً: تقع في إدارة هذه الوزارة جميع المكتبات العامة في المملكة، فهي تشرف على هذه المكتبات و تسهل أمر المراجعين في الكتب و المطبوعات، و تعين في هذه المكتبات العامة الموظفين الأكفاء من المتعلمين و أهل الدراية، كما تعين لهم الخدم و الفراشين حسبما يحتاجون إليه، و تضع في هذه المكتبات العامة جميع اللوازم و الأدوات المحتاجين إليها و تحضر لهم الأثاث اللازم لكل غرفة من الفراش و الكراسي و الأنوار و المراوح الكهربائية و المكيفات و الدواليب اللازمة لصيانة الكتب و حفظها و دفاتر السجلات لقيد أسمائها فيها حتى يشعر المراجعون بطمأنينة و راحة تامة إلى غير ذلك من لوازم المكتبات العامة.

رابعا أعمال الوزارة في شؤون الحج هي كما يأتي:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٤٧

إن حرص الحكومة السعودية على راحة الحجاج جعلها تخصص المبالغ الطائلة و تجنّد الموظفين الأكفاء لهذا الغرض حتى أن الحاج يشعر عند وصوله إلى الأراضي المقدسة أنه يؤدي نسك أحد أركان الإسلام الخمس. فعندما يصل الحاج إلى أحد موانئ المملكة سواء عن طريق الجو أو البحر أو البر يجد الموظفين الذين يستقبلونه و يرشدونه إلى كافة الإجراءات الواجبة عليه و ذلك بواسطة المذيع و مكاتب الاستعلامات التي بها من الموظفين المترجمين لعدة لغات ما فيه الكفاية. و بالوزارة المذكورة مديرية خاصة بأعمال الحج بها عدة إدارات و أقسام و هي: الإحصاء و التسجيل، و قضايا المطوفين، و حسابات الطوائف، و الاستعلامات، و إدارة الحج بمكة و إدارة الحج بالمدينة المنورة و إدارة الحج بربيع و إدارة الحج ببجدة و إدارة المستودعات.

و عند ما يصل الحاج إلى الميناء يجد في استقباله موظفي الوزارة ثم نقيب المطوفين الذي يوصله إلى وكيل مطوفه و هذا الوكيل يقوم بكافة ما يلزم الحاج من إحضار السيارة التي تقله إلى البلدين الشريفين مكة و المدينة، فإذا وصل مكة يجد في استقباله موظفي



الوزارة و نقيب المطوفين الذى يبعث معه من يوصله إلى دار مطوفه الذى يقوم بإرشاده لأداء النسك و إسكانه فى دار مناسبة ثم إذا حان الوقت للصعود إلى عرفات أجرى كل ما يلزم له لأداء الحج و من ثم عودته إلى بلاده ..

فترى الحاج مغتبطاً مستأنساً مما يجده من عناية و إكرام و إن قصد الحاج المدينة المنورة يجد الدليل بالمدينة يقوم بجميع الواجبات التى من شأنها شعور الحاج بأنه فى بلده و بين أهله كل ذلك مقابل مبالغ بسيطة معروفة و وضعتها الحكومة السعودية تؤخذ من الحاج عند قدومه و توزع بواسطة الوزارة على كل من يقوم بخدمة الحجاج و هم: المطوفون و الوكلاء و النقباء و الزمامة (الذين يسقون الحاج الزمام) و الحمال و ما إلى ذلك.

و خلاصة القول فإن أعمال الوزارة كثيرة فى هذا الحقل و يشترك فى هذا المضمار جميع رجالات الحكومة و على رأسهم جلالة الملك فيصل و الوزارات جميعها. انتهى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٤٨

### أول رابطة للعالم الإسلامى بمكة المكرمة

تأسست رابطة العالم الإسلامى منتجةً للمؤتمر الإسلامى فى دورته الأولى المنعقدة بمكة المكرمة من ١٤-١٦ ذى الحجة ١٣٨١ الموافق ١٨-٢٠ مايو ١٩٦٢. و هى هيئة إسلامية مقرها «مكة المكرمة» و هدفها أداء فريضة الله علينا فى تبليغ دعوة الإسلام و شرح مبادئها و تعاليمها و دحض الشبهات عنها و مجاهدة المؤامرات الخطيرة التى يريد بها أعداء الإسلام فتنه المسلمين عن دينهم و تمزيق وحدتهم و إخوتهم و النظر فى القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين و آمالهم و حل مشاكلهم و لتحقيق هذا الهدف نتخذ الوسائل التالية:

١- دعوة عدد من كبار دعاة الإسلام المرموقين فى العالم الإسلامى كله لتبادل الرأى و تنسيق الجهود و تطوير وسائل الدعوة و التبليغ على أساس من تجاربهم جميعاً.

٢- الاستفادة من منافع الحج و ذلك عن طريق:

أ- انتقاء صفوة من أقوى الدعاة بمختلف اللغات كى يوجهوا الحجيج أثناء الموسم و يذكروا مشاعرهم و يذكرونهم بالأمانة فى أعناقهم بعد أن يعودوا إلى بلادهم.

ب- عقد ندوة كبيرة تضم قادة الرأى و التوجيه فى الحقل الإسلامى.

ج- تنظيم مجالات التعارف بين وفود الحجيج.

٣- دعم أجهزة الإذاعة بالرجال و البرامج بعدة لغات حتى يبلغ صوت الدعوة آذان أكبر عدد من المسلمين.

٤- رفع مستوى النشر عن طريق الصحافة و الكتب و بجميع اللغات و العمل على إنشاء دار للنشر الإسلامى فى مكة (عاصمة الإسلام).

٥- إنشاء مكاتب يقوم عليها رجال ذوو دين و كفايات و أخلاق فاضلة تكون بمثابة مراكز دائمة النشاط تنشر دعوة الإسلام، و يشرف عليها مكتب مركزى تحت إشراف الأمين العام.

٦- العمل على أن يكون الحكم بالإسلام فى البلاد الإسلامية.

٧- إنشاء هيئة تؤلف من علماء جديرين بالإفتاء.

٨- نشر اللغة العربية بين الشعوب الإسلامية.

٩- تنظيم جولات للدعاة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٤٩

و تتألف رابطة العالم الإسلامى من:

١- المجلس التأسيسي و هو اليد العليا التي ترسم سياسة الرابطة و تشرف على اتجاهها و سير كافة أعمالها في سبيل تحقيق أهدافها. و تجتمع اجتماعا دوريا خلال العام بدعوة من الأمين العام و رئيس المجلس سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المفتي الأكبر في المملكة.

٢- ينتخب الأمين العام انتخابا مباشرا و يتولى العمل مدة خمس سنوات قابلة للتجديد، و قد انتخب معالي الشيخ محمد سرور الصبان أمينا عاما و هو الممثل الرسمي لدى سائر المراجع الحكومية و الشعبية.

أما عدد أعضاء المجلس التأسيسي فيبلغ حوالي (٤٥) عضوا من سائر أمصار العالم الإسلامي و من أفاضل علمائه. و الرابطة تعقد في كل خمس سنوات مؤتمرا إسلاميا كبيرا لتدارس شؤون الإسلام و المسلمين.  
انظر: صورة رقم ٣٠٩، الشيخ محمد سرور الصبان- وزير المالية و أمين عام الرابطة الإسلامية الأسبق

## التطويف أو الطواف

لا ندري متى تخصص طائفة من أهل مكة و من المجاورين بها في تطويف الناس بالبيت الحرام و تلقينهم دعاء الطواف المأثور و غير المأثور كالمرشدين لهم في كيفية أداء واجبات الحج و العمرة و سننهما، فإن الحاج الغريب مهما كان عالما و متعلما فإنه قد يقع في خطأ و هو يؤدي مناسكه من حيث لا يدري و لا يشعر، كيف لا و هو في بلد لم يشاهدها و في أماكن العبادة و أداء المناسك لم ير مثلها في أى البلاد، فإذا ن لا- بد للقادم من دليل يعرفه المشاعر العظام و مرشد يرشده إلى كيفية أداء المناسك خصوصا إذا كان القادمون من العوام.

و هؤلاء الأدلاء و المرشدون نسميهم عندنا بمكة (المطوفين) و بالمدينة المنورة (الأدلاء). أما متى تخصص طائفة لذلك فلا ندري و لكن نعتمد في هذا المبحث على صديقنا المطوف الفاضل و المؤرخ البحاث الأستاذ أحمد السباعي المكي مؤلف كتاب (تاريخ مكة) فإنه قال في صحيفه (٢٣٣) من مؤلفه المذكور ما نصه: و لعل صناعة التطويف ابتدعت في هذا العهد لأن الشراكسة بحكم جهلهم اللغة العربية و ميلهم إلى الأبهه و البذل كانوا يفضلون أن يعتمدوا على من يخدمهم و يدلهم على التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٥٠

مشاعر الحج و يتلوا أمامهم أذعته، و قد ذكروا أن السلطان قايتباي حج في عام (٨٨٤) و لم يحج من ملوك الشراكسة غيره و أن القاضي إبراهيم ابن ظهيرة تقدم لتطويفه و تلقينه الأذعية، و لم يذكر المؤرخون مطوفا قبل القاضي كان يلحق الحجاج بمكة، فيما قرأته من تواريخ مكة. انتهى كلامه.

نقول: لا ندري بالضبط متى ابتدئ عهد الشراكسة فربما كان في القرن الثامن للهجرة، و يقول الأستاذ السباعي أيضا في صحيفه (٣٢٩) من كتابه المذكور ما نصه:

و يبدو أن مهنة الطواف التي ذكرنا أنها ابتدعت في عهد الشراكسة اتسع نطاقها قليلا في أوائل العهد العثماني لأن أمراء الأتراك و رؤساءهم كان لا بد لهم من أشخاص يطوفونهم، فإذا كان أول مطوف عرفناه في عهد الشراكسة كان قاضيا في مكة فالذي يظهر أن الطواف في العهد العثماني خرجت من سلك القضاء قليلا إلى بعض الأعيان في مكة، و قد تقدم بنا في حوادث عام (١٠٣٩) قصة محمد الميلاس الذي كان يطوف أمير التركي و استطاع أن يحتال له في القبض على أمير مكة بعد أن أغرى أمير مكة بالوصول إلى منازل أمير الترك خارج البلاد حتى تيسر القبض عليه.

و محمد الميلاس لم يرد اسمه بين قضاء مكة أو علمائها ولكنه تبين من اعتماد أمير الترك عليه في إغراء أمير مكة أنه من وجهائها، و بذلك بدا لنا أن مهنة الطواف انتقلت من القضاء إلى الأعيان في مكة و لا بد أنهم كانوا من المتفقهين. انتهى كلامه.

و يقول الأستاذ السباعي أيضا في صحيفه (٣٩٣) من كتابه المذكور ما نصه:

و في عام (١٣١٨) ثمانى عشرة و ثلاثمائة و ألف قسم الشريف عون طوافه بلاد مصر و جاوه و الهند و المغرب و بلاد الأناضول و غيرها أقساما تسابق المطوفون إلى شرائها لذلك ألغى سؤال الحاج عن مطوفه و ألزم بتبعيه المطوف الذى اشترى حقوق الطوافه للبلاد التى يتبعها ذلك الحاج، و يقول إبراهيم رفعت باشا فى كتابه «مرآة الحرمين»:

إن جميل باشا جاء إلى مكة فأبطل تقسيم بلاد الجاوه ثم عادت التقسمات فى عهد راتب باشا. انتهى كلامه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٥١

و قال الأستاذ السباعى أيضا فى صحيفه (٤١١) من كتابه المذكور ما نصه:

و اتسع نطاق الطوافه فى هذا العهد «يقصد عهد الشريف الحسين بن على رحمه الله تعالى الذى نهض بثورته المشهوره عام (١٣٣٤)». و زاد عد المطوفين بعض الشىء و كان أمراء مكة يخصصون بعض المطوفين لطوافه جهات خاصه من الآفاق، و أقدم تقرير فى الطوافه علمت به هو تقرير يملكه آل جاد الله بتوقيع الشريف غالب رحمه الله فى عام (١٢٠٥). و لعل بعض الأسر من المطوفين يحوزون أقدم من هذا التقرير و توسع الشريف عون الرفيق فى توزيع البلاد الإسلاميه إلى أقسام تقرر لها مطوفون فكان كل مطوف مسؤولا عن البلد التى خصصت له، و شرع بعد هذا يقرر على الحجاج رسوما للمطوف. و فى سنه (١٣٢٦) صدر قرار مجلس الإدارة بتعريفه الحجاج و نشرته جريدة الحجاز و هو كما يأتى:

عدد

١/ جنيه عثمانى أجره مسكن بمكة للجاويين.

٢/ جنيه عثمانى إكراميه مطوف و ضيافه فى عرفه و منى (و من توفى قبل الوقوف بعرفه فعليه نصف المقرر).

١٠/ روبيات هندی إكراميه المطوف لعموم أجناس الهند.

٢/ جنيه عثمانى على الداغستاني إكراميه مطوف و أجره خيمه فى عرفه و منى و بيت مكة.

٥/ ريال مجيدى على حجاج مصر و الشام و المغرب إكراميه المطوف.

٢/ ريال مجيدى على حجاج الصعيد و غزه و العراق و أولاد على و الأكراد، و على كل حاج عدا من ذكر أن يدفع لمطوفه إكراميه جنيه واحد للميسور و نصف جنيه لمتوسط الحال.

انتهى كل ما ذكره الأستاذ السباعى فى كتابه عن الطوافه، و للأستاذ المذكور كتيب لطيف الأسلوب طريف الموضوع اسمه «مطوفون و حجاج» و هو مطبوع بباع.

هذا و قد ذكر الغازى فى تاريخه فى الجزء الثانى نقلا عن «مرآة الحرمين» لإبراهيم رفعت باشا تقسيم الشريف عون الجهات و بيعها للمطوفين مفصلا. و لقد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٥٢

لخصه الأستاذ السباعى بما هو مذکور هنا فلا داعى لتكرار ذكره، و قد توفى الشريف عون بالطائف سنه (١٣٢٣).

و ذكر الغازى أيضا فى الجزء الثانى من تاريخه أن مجلس الإدارة قرر إكراميه لسائر المطوفين فى سنه (١٣٢٦) و نشر ذلك فى جريدة الحجاز، و ساق الغازى رحمه الله تعالى نص القرار الذى نشرته الجريدة أضربنا عن ذكره هنا خوف التطويل.

و جاء فى «الرحله الحجازيه» لمحمد نبيل البتونى بصحيفه (١٢٣) و ما بعدها عن المطاف و المطوفين و كيفيه الطواف، لكن ما جاء فيها لا يتعلق بما نحن بصددده هنا.

فعلم مما تقدم أن التطويف لم يذكر فى التاريخ إلا من عهد الشراكسه «أى من أول القرن الثامن الهجرى تقريبا» ثم ما زال يتسع نطاقه حتى وصل إلى عهدنا الحاضر، و هو له أنظمه و قوانين و له مشيخه و نقباء.

و الذى يتبادر إلى ذهننا و الله تعالى أعلم أن التطويف كان معروفا من قبل الشراكسه بكثير و ربما كان من القرن الأول للهجره و كان

معروفا عمليا من غير أن يطلق عليه اسم «التطويف» و اسم «المطوفين» فإنه لما انتشر الإسلام في أقطار الأرض و أتى المسلمون من كل فج عميق إلى مكة لأداء فريضة الحج كان من الضروري أن يرشدهم أهل مكة إلى كيفية الطواف لبيت الله الحرام و أماكن المشاعر و طريق الحج فإن الغريب في أى بلدة كان فهو يحتاج إلى مرشد و رفيق يرشده إلى معالمها، و أما في مكة من أماكن العبادة و المشاعر و أداء واجبات الحج و العمرة أولى بالإرشاد و المرافقة للغريب القادم لأن الوقوع في الخطأ في الواجبات و الأركان يؤدي إلى وقوع الجزاء و إخراج الفدية، و الغريب القادم أحرص الناس على أداء ما يجب عليه في مناسك الحج و العمرة، فلا بد له إذن من مرشد من أهل مكة يرشده إلى كيفية ما يطلب منه شرعا على الوجه الصحيح.

فعليه لا يستغنى الغريب القادم من القرن الأول للإسلام إلى يوم القيامة من المرشد و الدليل يرشده إلى ما يجب اتباعه و يجنبه عما يكره عمله، و هذا المرشد و الدليل هو المسمى في عرفنا اليوم (بالمطوف) و إن كان في العصور الأولى السابقة لم يطلق عليه هذا الاسم، و المتبادر إلى الذهن أن أهل مكة في ذلك الوقت كانوا يرون من الواجب عليهم أن يرشدوا الغريب إلى المناسك و العبادة مدفوعين بعامل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٥٣

التعاون إلى البر و التقوى و عمل الخير و التعليم لأداء نسك الحج لوجه الله تعالى لا يريدون من الحجاج جزاء و لا شكورا. و هذا أهل الجاهلية كانوا يكرمون الحجاج و يطعمونهم الطعام و يستقونهم الماء العذب الموضوع فيه التمر و الزبيب و هو المسمى عندهم بالسقاية و الرفاضة، و كانت مستمرة أيام الخلفاء و من بعدهم من الملوك و السلاطين، قال الغازي في تاريخه:

قال السيد التقى الفاسي رحمه الله: إن الرفاضة كانت أيام الجاهلية و صدر الإسلام و استمرت إلى أيامنا. قال و هو طعام يصنع بأمر السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج، قال القطب: و أما في زماننا فلا يفعل شيء من ذلك و لا أدري متى انقطع. اه.

و في تاريخ الأزرقى أن عمرو بن لحي أول من أطعم الحاج بمكة سدايف الإبل و لحمانها على الثريد و أنعم في تلك السنة جميع حاج العرب بثلاثة أثواب من برود اليمن، و كان قد ذهب شرفه في العرب كل مذهب و كان قوله فيهم دينا متبعلا لا يخالف ... إلخ، اه. و السدايف جمع سديفة و هي الناقة السمينه و السديف شحم السنام، قاله في المنجد. روى الأزرقى في تاريخه أن قصي بن كلاب قال لقريش: يا معشر قريش إنكم جيران الله و أهل الحرم و إن الحجاج ضيفان الله و زوار بيته و هم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما و شرابا أيام هذا الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا تخرجه قريش في كل موسم من أموالهم فيدفعونه إلى قصي فيصنعه طعاما للحجاج أيام الموسم بمكة و منى فجرى من أمره في الجاهلية على قومه و هي الرفاضة حتى قام الإسلام و هو في الإسلام إلى يومك هذا و هو الطعام الذي يصنعه السلطان بمكة و منى للناس حتى ينقضى الحاج. اه.

و روى فيه أيضا: أن هاشم بن عبد مناف كان يقول لقريش إذا حضر الحج:

يا معشر قريش إنكم جيران الله و أهل بيته خصكم الله بذلك و أكرمكم به ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره فأكرموا أضيافه و زوار بيته يأتونكم شعنا غبرا من كل بلد. و كانت قريش ترافد على ذلك حتى أن كان أهل البيت ليرسلون بالشىء اليسير رغبة في ذلك فيقبل منهم لما يرجي لهم من منفعة. انتهى من الأزرقى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٥٤

على هذا المنوال كان يعامل الحجاج قبل الإسلام و بعده إلى أيام التقى الفاسي، ثم لما تقادم العهد و تيسر طريق الحج امتلأت بيوت مكة و طرقاتها من الحجاج من مختلف الأجناس و اللغات فكان لزاما تخصيص أدلاء و مرشدين (و هم المطوفون) يقومون بخدمة هؤلاء الحجاج و فود بيت الله الحرام من كافة الوجوه بصورة منظمة و أصول رسمية مرعية، و لهم في مقابل خدمتهم أجر معلوم على كل حاج.

و نرى أنه لو وضع نظام دقيق و قوانين محكمة للمطوفين بواسطة العقلاء و الفضلاء منهم و باشتراك رجال تنظيم السياحة و الاجتماعيين و ذوى الخبرة و المهارة من خارج المملكة لكان لهذا الحج و الحجيج نتيجة باهرة كبيرة و عاد ذلك للبلدة الطاهرة بالخير العميم و النفع العظيم. نسأل الله صلاح الحال و الحال و المآل آمين.

قال البتوني الذى حج فى سنة (١٣٢٧) فى كتابه «الرحلة الحجازية» مقترحا بتعليم المطوفين ما نصه: و لو كان مولانا الأمير «يعنى أمير مكة الشريف الحسين رحمه الله تعالى» يقضى بأن يتخرج المطوفون من مدرسة مخصوصة يدرسون فيها ما هو خاص بوظيفتهم لكان فى ذلك أكبر خدمة دينية لأن جل الموجود منهم الآن يجهل مأموريته الكبرى و لیت بعضهم يقف عند هذا الحد بل يلقى فى ذهن الحاج ما ليس من الدين فى شىء كمسألة الكنفانى و الزلبانى مثلا و هما حجران فى طريق جدة إلى بحرة يزعمون أن واحدا منهما كان كنفانيا و الآخر زلبانيا و كانا يغشان الحجاج فمسخهما الله حجرين!!

و مسألة الناقة و الحجام و الحجامه بجبل عمر: ذلك أن هناك صخرة تشبه ناقه باركة و إلى جوارها حجران يزعمون أن النبى صلى الله عليه و سلم كان بهذا المكان بناقته فأتى رجل حجام مع امرأته و أمسكا بالناقة التى لم تنهض برسول الله صلى الله عليه و سلم فمسخهما الله معهما على هذه الصورة!!

و مسألة سارق الصندوق و هو صخرة إلى جهة جبل النور تقرب من صورة رجل يحمل صندوقا يزعمون أنه كان سارقا له فمسخه الله عليها!! و أمثال هذا كثير مما تجب العناية بإزالته خدمة للدين المتين.

و الأدهى من ذلك أنهم يحرفون ألفاظ القرآن الكريم عمدا أثناء الطواف بتفخيمهم ما لا يجوز تفخيمه أو تزيينهم ما لا يصح تزيينه، بل منهم من يقبل الحرف بآخر لتقريبه إلى نطق السامع إن كان تركيا أو هنديا أو فارسيا فيقولون

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٥٥

مثلا: (و كنا عذاب النار) فى قوله تعالى: وَ قَنَا عَذَابَ النَّارِ (مهد رسول الله) فى محمد رسول الله و (يا أرحم الراحمين) فى اللهم (فى اللهم) و نحو ذلك مما لا يجوز شرعا و لا اجتماعا. انتهى من الرحلة الحجازية.

نقول: إن البتوني رحمه الله قال الكلام المذكور منذ خمسين عاما فأكثر و كلامه هذا صحيح بالنسبة لزمانه و السنة التى حج فيها حيث كان التعليم ضعيفا بمكة و لم تكن بها من مدارس سوى مدرستين «المدرسة الصولتية» و «مدرسة الخياط» و كانتا حديثى عهد و يدرّس بهما مبادئ العلوم الأولية ثم بعد ذلك فتحت مدرسة الفلاح بمكة و مدرسة الفلاح بجدة فزاد الإقبال على التعليم سواء فى المدارس أو فى المسجد الحرام.

ثم الآن فى العهد السعودى الزاهر كثرت المدارس الابتدائية و الثانوية و العالية فى جميع أنحاء المملكة و توجد منها بمكة فقط نحو عشرين مدرسة يدرس فيها جميع العلوم و بفضلها صار غالب أهل مكة من مطوفين و غيرهم من أهل العلم و الفضل بل يوجد منهم من يضرب بهم المثل فى العلم و الأدب و الشهامة و الأخلاق و قليل منهم من لم يكن له حظ فى التعليم.

أما مسألة الخرافات التى ذكرها البتوني فقد انمحت من البلاد هى و غيرها و لله الحمد بسبب تمسك حكومتنا السنية بالشريعة الغراء و قيام رجال الدين و الأمرين بالمعروف بالقضاء على جميع أنواع الخرافات و كل ما ليس له أصل فى الدين.

و أما تحريف بعض الألفاظ فى الأدعية و الغلط فيها فهذا يحدث من خدمة المطوفين و من صغار المتعششين من الطواف و السعى و من لغة بعض حجاج الأعاجم الجهلاء و ربما كان لبعض هؤلاء عذر قهري طبيعى كعدم استطاعتهم لنطق الأحرف العربية على الوجه الصحيح. و هذا شىء لا يؤخذون به شرعا.

لكن بقى علينا أن ننبه بعض جهلاء المطوفين للحجاج الأعاجم الذين لا يعرفون اللغة العربية أن يتوقفوا بحجاجهم و أن يرحموا غربتهم و ذلهم و انكسارهم و أنهم وفد الله و ضيوف بيته الحرام و قد حلوا بمكة التى يأمن فيها الوحش و الطير، فكم رأينا من هؤلاء الحجاج من يلقون من مطوفيهم كثيرا من العنت و الجور و هم حجاج أغراب لا يعرفون أين يرفعون ظلامتهم و لا كيف يراجعون و

هم لا يفهمون من اللغة العربية شيئاً بينما فيهم الأذكياء و المفكرون و الفلاسفة و قد يرجع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٥٦

بعضهم ساخطا مشتمزا مما رأى و سمع فيكتب عنا بما لا نحب و يكون دعاية سوء لهذه البلاد المقدسة، اللهم اصلح أحوالنا و نور أبصارنا واحى قلوبنا و اغفر لنا و ارحمنا و لا- تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا و اهدهم معنا إلى الصراط المستقيم آمين بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين.

### اقتراحنا فى الطوافه

لما كانت الطوافه و الزيارة من الأمور الهامه جدا بالنسبه للحرمين الشريفين و بالأخص مكه شرفها الله تعالى التى يقع فيها أعمال الحج و هو الركن الخامس للإسلام فإنه يجب تنظيم الطوافه تنظيماً دقيقاً لحضرات المطوفين من ناحية القيام بواجباتهم الدينيه و الاجتماعيه نحو حجاج بيت الله الحرام الذين أتوا من كل فج عميق للوقوف بالمشاعر العظام امتثالاً لأمر الله عز شأنه.

و لسنا نقصد وضع قانون للمطوفين من جهه مصالحهم الشخصيه فهذا أمر راجع إليهم و قد قام فريق من فضلائهم فى هذه السنوات يدعون إلى تنظيم أمر المطوفين و هذه الدعوه يشكرون عليها.

و إنما نحن ندعو هنا إلى ما يكفل لهم مصالحهم و مصالح الحجاج من حيث قيامهم بتعليم جهلاء الحجاج أحكام الحج و الطواف و السعى و الوقوف و الرمي و الذبح و غير ذلك من أعمال الحج و إلى تنبيههم إلى آداب المسجد الحرام و المسجد النبوى و كيفيه الزيارة الشرعيه.

ثم رعايتهم لمصالح الحجاج و معاملتهم باللطف و الحسنى فإننا نسمع من كثير الحجاج الشكوى المريره من بعض مطوفيههم و بالأخص الحجاج الذين لا يعرفون اللغة العربيه.

و خلاصه القول: إننا نحب أن لا- يلاقى حجاج بيت الله فى هذه البلده الطاهره إلا كل إكرام و رعايه لتكون ألسنتهم تلهج بالثناء العاطر على الجميع إن شاء الله تعالى.

و هذه مصر و لبنان و غيرهما يعملون من الدعايات الواسعه للسياحه و الاصطياف فى كل عام و يصرفون على ذلك مبالغ طائله مع تنظيم أمر المرشدين و الأدلاء إلى معالم المدينه و آثارها مما يكفل لهم أكبر عدد من الزوار و السواح.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٥٧

و جدير بنا و قد جعل الله لبلادنا المقدسه موسماً سنوياً يفد إليها المسلمون من جميع الأطراف من مشارق الأرض و مغاربها طوع اختيارهم بدعايه إلهيه و بوازع ديني، و نحن إنما نحتاج إلى دعايه لمصالح أنفسنا من حسن المعامله و الخلق الكريم لا سيما و نحن أهل الحرمين الشريفين، فالعالم الإسلامى ينظر إلينا نظره خاصه فيجب علينا أن نظهر بالمظهر اللائق بنا و ببلادنا الشريفه. نسأل الله التوفيق لأعمال البر و الخير آمين.

### نبذه عن أعمال المطوفين فى خدمه الحجاج

لقد قدمنا الكلام على المطوفين و حاله العرب فى خدمه الحجيج زوار بيت الله الحرام. و الآن نحب أن نذكر نبذه عنهم و عن خدماتهم للحجاج الكرام فى كل عام بمكة المكرمه، لقد طلبنا من الفاضل الكريم الشيخ عبد الرحمن مظهر رئيس مطوفى حجاج الهند و الباكستانيين أن يكتب لنا نبذه عن أعمالهم و أن يخبرنا عن أسماء الهنود فأرسل لنا أسماءهم و نبذه عن أعمالهم فنحن لم نكتب أسماءهم الكريمه لأنهم بلغوا أربعمائنه نفس من مطوفى الهنود و الباكستانيين فقط و لو كتبنا أسماءهم لاضطررنا إلى كتابه جميع أسماء مطوفى العرب و الجاويين و أهل السودان و الصينيين و غيرهم و هؤلاء قد يزيدون على أربعه آلاف مطوف عندنا،

فذكرهم جميعا مما يطول بيانه و يحتاج إلى مؤلف خاص، لذلك نعتذر لحضرات جميع المطوفين عن حصرهم و ذكر أسمائهم الكريمة. ولكن لا بأس أن نذكر هنا ما جاءنا عن رئيس مطوفى الهند و الباكستانيين الشيخ عبد الرحمن مظهر حفظه الله تعالى عن نبذة من أعمالهم و إليك بيان ذلك و هو:

نبذة من أعمال مطوفى الباكستان و الهند فى خدمة حجاج بيت الله الحرام:

١- استقبال الحجاج بواسطة و كلائهم بجدة و المدينة القادمين بحرا و جوا و برا و تسجيل جوازاتهم لدى الجهات المختصة و تنظيم بياناتهم و تقديمها إلى النقباء لإرسالها إلى الرؤساء بمكة المكرمة.

٢- استقبالهم فى مكة و القيام بأداء مناسكهم ثم تقديم الضيافة المناسبة لهم و تأمين راحتهم ثم استئجار الدور القريبة من المسجد الحرام لسكنائهم مدة إقامتهم بمكة و تعيين الزمى التابع لهم بإرسال دوارق الزمزم إلى بيوتهم مدة إقامتهم بمكة المكرمة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٥٨

٣- استلام الأجور المقررة لسياراتهم إلى المدينة المنورة أو إلى عرفات أو إلى جدة و تسليمها إلى رئاسة النقباء العامة للسيارات و استلام الاعتمادات إلى الشركات المختصة بإركابهم و مراجعة القراجات لحصول سياراتهم ثم تحميل عفشهم و ترحيلهم إلى الجهة التى يقصدونها.

٤- القيام بتصعيدهم إلى منى و عرفات و تأمين الخيام اللازمة لهم أيام الحج فى منى و عرفات.

٥- ملاحظة راحتهم و أداء المناسك فى مشاعر الحج منى و عرفات و مزدلفه بموجب السنة المطهرة.

٦- عمل الكشوف اللازمة بأسمائهم و أرقام جوازاتهم و أخذ التصاريح الرسمية لتسهيل عودتهم بعد انتهائهم من أداء فريضة الحج.

٧- يقوم و كلائهم فى جدة بإكمال إجراءات سفرهم إلى بلادهم حسب ترتيب قدوم أفواجهم أولا فأول.

٨- إذا مرض أحد الحجاج يقوم المطوف بإحضار الطبيب له و يشرف على علاجه حتى شفائه، و عند اللزوم يقوم بإدخاله المستشفى.

٩- إذا توفى أحد الحجاج يقوم المطوف بما يجب نحو غسله و تكفينه و تجهيزه و دفنه ثم إدخال تركته إلى بيت المال بمكة لإرسالها إلى ذويه فى بلاده.

و الخلاصة أن المطوف هو الشخص الوحيد بالنسبة للحاج الغريب كمضيف و أخ و صديق و ملاحظ و مسؤول أمام الحكومة السنية من حين قدومه إلى مغادرته البلاد المقدسة شرفها الله و أدام خادمها المحبوب الملك فيصل بن الإمام عبد العزيز آل سعود مؤيدا منصورا. انتهى ما ذكره الشيخ عبد الرحمن مظهر وفقه الله تعالى و أدام عليه الصحة و العافية و هذه الأعمال هى لكافة المطوفين لجميع الأجناس.

### تطوير حالة الطواف و المطوفين

كانت حالة الطواف و شؤون المطوفين تراعى فيها التقارير و المراسيم الصادرة فى الأزمنة الماضية من عهد الدولة التركية و عهد الأشراف، ثم رأت الحكومة السعودية تطوير حالتهم و وضع أنظمة تضمن مصلحة المطوفين و الأدلاء و الزمازمة و مصلحة الحجاج الكرام و فود بيت الله الحرام فأصدر جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية المرسوم الآتى المنشور بجريدة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٥٩

«الندوة» بمكة المكرمة بتاريخ يوم الأربعاء ١٢ جمادى الأولى سنة (١٣٨٥) هجرية الموافق ٨ سبتمبر سنة (١٩٦٥) ميلادية و هذا نص المرسوم المذكور:

مرسوم ملكى رقم ١٢ بتاريخ ١٢/٩/١٣٨٥ هجرية:

بعون الله تعالى نحن فيصل بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية:

بناء على المادتين ١٩ و ٢٠ من نظام مجلس الوزراء الصادر بالمرسوم الملكي رقم ٣٨ و تاريخ ٢٢ شوال (١٣٧٧ هـ) و بعد الاطلاع على نظام المطوفين العام الذى صدر الأمر بالموافقة عليه و إنفاذه برقم ٩٢٦٧ و تاريخ ٣-١١-١٣٦٧ هـ و على الأوامر المعدلة له، و على نظام و كلاء المطوفين و مشائخ الجاوه الذى صدر الأمر بالموافقة عليه و إنفاذه برقم (١٤٥١٨) و تاريخ ٢١-١٠-١٣٦٥ هـ و على نظام هيئة الأدلاء بالمدينة المنورة الذى صدر الأمر بالموافقة عليه و تنفيذه برقم ١٤-١-١٤٥ و تاريخ ٢٥/١٢/١٣٥٦ هـ.

و بناء على قرار مجلس الوزراء رقم ٥٤ و تاريخ (٢٧/١٢/١٣٨٣ هـ) حول إصلاح و تطوير طوائف و خدمات الحجاج.

و بناء على قرار مجلس الوزراء رقم ١٥٩ و تاريخ ١٧/٣/١٣٨٥ هـ رسمنا بما هو آت:

(١) يقفل باب المعلمانية و باب الانفصال بين الشركاء اعتباراً من تاريخ العمل بهذا المرسوم و لمجلس الوزراء أن يضع قواعد جديدة للمهنة تتمشى و مقتضى المصلحة العامة.

(٢) يكون لكل حاج الحرية المطلقة فى السؤال عن المطوف و الدليل الذى يريده و يكون للمطوف الحرية المطلقة فى اختيار الوكيل و الزمى الذى يريده و تلغى كافة التقارير و التخصيص التى بأيدى المطوفين و الأدلاء و الزمامة.

(٣) يحق للمطوف خدمة الحجاج الذين يسألون عنه و ذلك دون تحديد لعددهم على أن تراعى وزارة الحج و الأوقاف عند محاسبته كل مطوف على مصلحته أن تصرفها له كاملة عن المائتى حاج الأول و نصفها عن المائتين التاليتين و ربعها عما يزيد عن ذلك من الحجاج.

(٤) يكون الدليل حراً فى قبول التعامل مع المطوفين على أن تراعى وزارة الحج و الأوقاف عند محاسبته كل و كيل على مصلحته نفس الحكم المنصوص عليه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٦٠

بالمادة ٣ من هذا المرسوم و ذلك بالنسبة لكل مطوف على حدة و من يتعاملون معهم.

(٥) يكون الزمى حراً فى قبول التعامل مع المطوفين على أن تراعى وزارة الحج و الأوقاف عند محاسبته كل زمى على مصلحته أن تصرفها له كاملة عن الثلاثة آلاف حاج الأول و ثلثيه عما يزيد على ذلك من الحجاج.

(٦) تحدد خدمة الأدلاء بالمدينة المنورة بواقع عشرة ريالاً عن كل حاج تستوفى ممن يرغب الزيارة مع العوائد المقررة و يحق للدليل خدمة الحجاج الذين يسألون عنه و ذلك دون تحديد لعددهم على أن تراعى وزارة الحج و الأوقاف عند محاسبته كل دليل على مصلحته أن تصرفها له كاملة عن الألف حاج الأول و نصفها عن الألف حاج التالين و ربعها عما يزيد على ذلك من الحجاج.

(٧) الحجاج الذين لم يسألوا عن مطوف أو دليل يعين المطوفون و الأدلاء لهم من أفراد الطائفة الذين لم يحصلوا على الحد الأدنى للمصلحة الكاملة مع مراعاة إمكانية كل مطوف و وفقاً للترتيبات و اللوائح المشار إليها فى المادة ١٣ مع مراعاة أحكام المادتين ٣ و ٦ من هذا المرسوم.

(٨) تلغى رئاسات و هيئات المطوفين الثلاث و رئاسات و هيئات الأدلاء و الوكلاء و الزمامة و الأمانة و الجمعيات العمومية و النقباء و تناط مهماتها بوزارة الحج و الأوقاف مع الاستفادة من الموظفين الحاليين فى الهيئات المذكورة طبقاً للمصلحة و النظام.

(٩) يظل مجموع التعرفة السابقة كما هو فيما عدا مقرر الدليل المحدد فى المادة ٦ لمن يرغب الزيارة و تعتمد تفاصيلها بعد الإلغاءات المشار إليها فى المادة ٨ كالتالى:

خدمات المطوف بمكة ٥٠ ريالاً.

خدمات للوكيل بجدة سبعة ريالاً.

خدمات للزمى بمكة ثلاثة ريالاً و ٣٠ هللة.



أجور نقل الحجاج و أمتعتهم إلى مدينة الحجاج من الباخرة أو الطائرة ذهابا و إيابا ستة ريالات.

نفقات طائفة للحجاج ٧ ريالات و ٧٠ هلة.

مقرر الدليل لمن يرغب الزيارة عشرة ريالات.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٦١

المجموع الكلى: ٨٤ ريالا.

المجموع: ٧٤ ريالا.

١٠) يفتح حساب مستقل لدى مؤسسة النقد العربي السعودي و تورده إليه المبالغ المستحصلة بمقتضى المادة ٩ و تمسك وزارة الحج و الأوقاف حسابا خاصا لكل طائفة ترحل إليه الوفورات الخاصة بها بعد إنفاذ أحكام المواد ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و يصرف من ذلك الحساب الخاص على تنظيم أمور الطائفة المعنية و على مساعدة أفرادها بمقتضى المادة الثانية كما تمسك حسابا خاصا لما عدا ذلك من التفرقة مما هو مقرر لتأدية نفقات الخدمات المعلومة التى تؤدى للحجاج بواسطة وزارة الحج و الأوقاف و ترحل إليه وفوراتها بنفس أغراضها و لأية خدمات اضطرارية للحجاج و يتم الصرف بمقتضى لائحة مالية تعدها وزارة الحج و الأوقاف و يقرها مجلس الوزراء و تكون الحسابات المذكورة خاضعة للتفتيش و المراقبة.

١١) تصرف وزارة الحج و الأوقاف من وفورات حساب كل طائفة من الطوائف المشار إليها فى مساعدة المحتاجين من أفراد الطائفة صاحبة الشأن و يكون ذلك وفقا للقواعد الآتية:

أولاً: تكون المساعدة بحد أعلى خمسة آلاف ريال لكل فرد منهم أو بما يكمل مصلحته إلى الحد المذكور.

ثانياً: يراعى فى تحديد قدر المساعدات التى تصرف لأفراد كل طائفة أن تكون فى حدود حصيلة الرصيد الخاص بها عن كل موسم مع تحقيق المساواة فيما بينهم فى نطاق القاعدة المشار إليها فى البند الأول السابق.

١٢) على الرؤساء و الهيئات و النقباء المشار إليها فى المادة الثامنة من هذا المرسوم تسليم كافة ما بعهدتهم من سجلات و وثائق و مستندات إلى وزارة الحج و الأوقاف لتنظيمها و الرجوع إليها عند الاقتضاء.

١٣) على وزارة الحج و الأوقاف أن تباشر مهماتها بمقتضى الترتيبات و اللوائح التى تضعها لذلك و يقرها مجلس الوزراء.

١٤) يلغى كل ما يتعارض مع أحكام هذا المرسوم من أنظمة و أوامر و قرارات و لوائح و تعليمات سابقة عليه و يعمل به من تاريخ نشره.

التوقيع

فيصل

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٦٢

هذا المرسوم الملكى يصدر لأول مرة من هذا النوع فى شؤون المطوفين و الطواف. و الله تعالى أعلم ما ذا يخرج من الأنظمة و الترتيبات عن إصلاح حالة الطواف و المطوفين بما يتفق مع مصلحتهم و مصلحة الحجاج الكرام وفود بيت الله الحرام. و حيث أننا لسنا من طائفة المطوفين فإننا لا- نقدر أن نكتب هنا شيئاً عنهم فيما مضى أو فيما يأتى و الله تعالى هو مدبر أمور خلقه فى السموات و الأرض لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

### إحصاء البلدان التى يحضر منها الحجاج فى كل عام

و هنا لا بد لنا أن نذكر جميع البلدان من أقطار الأرض التى يحضر منها الحجاج إلى الحرمين الشريفين «مكة و المدينة» فى كل عام منذ بدء ظهور الإسلام إلى قيام الساعة، و إليك هذه البلدان فى الجدول الآتى:

عدد/ اسم البلدة

- ١/ مصر: بجميع جهاتها و مديرياتها
- ٢/ و الشام: بجميع أطرافها و ما حولها من البلدان
- ٣/ و اليمن: بجميع أطرافها
- ٤/ و العراق: بما يتبعها من جنس الأكراد
- ٥/ و نجد: بجميع ما فيها من البلدان
- ٦/ و الكويت
- ٧/ و قطر " بفتحتين "
- ٨/ و البحرين
- ٩/ و عمان
- ١٠/ و إمارات الخليج
- ١١/ و حضرموت: بجميع ما يتبعها من المدن

عدد/ اسم البلدة

- ١٢/ و عدن - بفتحتين -
  - ١٣/ و لبنان
  - ١٤/ و الأردن
  - ١٥/ و فلسطين: بجميع أطرافها
  - ١٦/ و السودان: من أقصاها إلى أقصاها
  - ١٧/ و ليبيا
  - ١٨/ و تونس
  - ١٩/ و الجزائر
  - ٢٠/ و مراکش
  - ٢١/ و بلاد شنقيط: بجميع مدنها و قراها
  - ٢٢/ و موريتانيا
  - ٢٣/ و نيجيريا
  - ٢٤/ و النيجر
  - ٢٥/ و السنغال: بجميع أطرافها
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٦٣

عدد/ اسم البلدة

- ٢٦/ و فولتا العليا
- ٢٧/ و الصومال: بجميع أطرافها
- ٢٨/ و الحبشة
- ٢٩/ و الكاميرون

- ٣٠/ و أنجولا  
 ٣١/ و غانا  
 ٣٢/ و غينيا  
 ٣٣/ و مالي  
 ٣٤/ و تشاد  
 ٣٥/ و الكونغو  
 ٣٦/ و توجو  
 ٣٧/ و داهومي  
 ٣٨/ و ليبيريا  
 ٣٩/ و تانجانيقا  
 ٤٠/ و زنجبار  
 ٤١/ و أوغندا  
 ٤٢/ و بلاد جنوب أفريقيا  
 ٤٣/ و كينيا  
 ٤٤/ و كديفور  
 ٤٥/ و غامبيا  
 ٤٦/ و مالاكاسي  
 ٤٧/ و جزر موريسيا  
 ٤٨/ و مالديف  
 ٤٩/ و بلاد إيران: بما فيها من الأكراد  
 ٥٠/ و بلاد تركيا: بجميع مدنها و أطرافها  
 ٥١/ و أفغانستان: بجميع مدنها  
 عدد/ اسم البلدة  
 ٥٢/ و باكستان: بجميع مدنها  
 ٥٣/ و بلاد الهند: بجميع أطرافها  
 ٥٤/ و بلاد الصين  
 ٥٥/ و اليابان  
 ٥٦/ و سيلان  
 ٥٧/ و بعض بلاد روسيا  
 ٥٨/ و بلاد بخارى  
 ٥٩/ و بورما  
 ٦٠/ و كامبوديا  
 ٦١/ و فيتنام

٦٢/ و بلاد جاوه: بجميع أطرافها

٦٣/ و أندونيسيا: بجميع مدنها

٦٤/ و ماليسيا

٦٥/ و تايلند

٦٦/ و فيليبين

٦٧/ و كوريا

٦٨/ و كيتون

٦٩/ و اليونان

٧٠/ و قبرص

٧١/ و يوغوسلافيا

٧٢/ و البرتغال

٧٣/ و هولندا

٧٤/ و أسبانيا

٧٥/ و إيرلنده

٧٦/ و المسلمين من إيطاليا

٧٧/ و المسلمين من ألمانيا

٧٨/ و المسلمين من الولايات المتحدة "أمريكا"

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٦٤

عدد/ اسم البلدة

٧٩/ و المسلمين من كندا

٨٠/ و المسلمين من أستراليا

٨١/ و المسلمين من الأرجنتين

٨٢/ و المسلمين من الدانمارك

٨٣/ و المسلمين من بنما

٨٤/ و المسلمين من بورندي

٨٥/ و المسلمين من روديسيا

٨٦/ و المسلمين من سويسرا

٨٧/ و المسلمين من فرنسا

٨٨/ و المسلمين من نيبال

عدد/ اسم البلدة

٨٩/ و المسلمين من ساحل العاج

٩٠/ و المسلمين من نيوزيلندا

٩١/ و المسلمين من هونغ كونغ

٩٢/ و المسلمين من يوغسلافيا

٩٣/ و المسلمين من كشمير

٩٤/ و المسلمين من جيوتى

٩٥/ و المسلمين من بلاد التكرور

٩٦/ و المسلمين من بلاد السند

٩٧/ و المسلمين من بلاد الداغستان

هذا ما تذكرناه من الممالك و البلدان التى يأتى منها الحجاج فى كل عام منذ بدء الإسلام إلى يوم القيامة، و لم نذكر ما يأتى إلى الحج من بلاد الحجاز لأن مكة المشرفة هى عاصمة الحجاز فهم أهلها و ذوها و لقد صدق الله تبارك و تعالى حيث يقول فى سورة الحج: وَ أَدْنَىٰ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، نعم و الله إنه يأتى إلينا الحجاج من كل فج عميق و من كل مكان سحيق من أطراف المعمورة و من أقطار الأرض كلها، إنهم يأتون إلى حج بيت الله الحرام و زيارة نبيه عليه الصلاة و السلام بكل شوق و بكل رغبة فرحين مستبشرين ثم يرجعون إلى بلادهم سالمين غانمين و كل واحد منهم يقول: الحمد لله رب العالمين.

### المقابر الشهيرة بمكة

المقابر الشهيرة بمكة سبعة:

الأولى: مقبرة المعلا بالحجون، بفتح الميم و اللام و سكون العين ضد المسفلة و هى أقدمها و أشهرها و أفضل مقابر المسلمين بعد البقيع بالمدينة و يقال لها المعلى بلام و ياء كما ذكره الفاسى، قال العلامة على القارى رحمه الله تعالى فى منسكه المعلا بفتح الميم و اللام ضد المسفلة و اشتهر بين العامة بضم الميم و تشديد اللام

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٦٥

المفتوحة، و له وجه فى القواعد العربية. اه. و قد جاء عنها فى تاريخ الغازى ما نصه:

الفصل السابع فى ذكر مقابر مكة و فضلها و ذكر بعض من دفن بها و من دفن بغيرها بمكة- فمنها المعلاة- و يقال المعلى بلام و ياء، ذكره الفاسى قال العلامة الشيخ على القارى فى منسكه: المعلا بفتح الميم و اللام ضد المسفلة و اشتهر بين العامة بضم الميم و تشديد اللام المفتوحة و له وجه فى القواعد العربية. انتهى. أخرج الأزرقى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: نعم المقبرة هذه مقبرة أهل مكة، و عن يحيى بن محمد بن عبد الله بن صيفى أنه قال: من قبر فى هذه المقبرة بعث آمننا يوم القيامة، يعنى مقبرة أهل مكة. انتهى.

و ذكر الفاسى فى شفاء الغرام هذا الحديث أيضا من رواية الجندى و نصه:

قال الجندى فيما روينا عنه فى فضائل مكة له حدثنا عبد الله بن غسان قال:

حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمى عن شقيق ابن سلمة بن وريث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: وقف رسول الله صلى الله عليه و سلم على الثنية إلى آخر الحديث، ثم قال الفاسى: و هذا الإسناد فيه سقط بين عبد الرحيم و شقيق. انتهى.

وفى «تحصيل المرام» عن ابن مسعود قال: وقف رسول الله صلى الله عليه و سلم على الثنية، ثنية المقبرة و ليس بها يومئذ مقبرة فقال: يبعث الله عز و جل من هذه البقعة أو من هذا الحرم سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألف و جوههم كالقمر ليلة البدر، فقال أبو بكر الصديق: من هم يا رسول الله؟

قال: الغرباء. أخرجه الملا فى سيرته، قال السيد عبد الله الميرغنى فى كتاب العدة:

قوله الغرباء يحتمل حملة على الحقيقة أو على من تحقق بقوله صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا كأنك غريب وهم صالحوها وهم غير محصورين لأنها معدن الأولياء وبرزخ الأصفياء. ويقال عن أهل مكة أن هذه البقعة هي الشعبة التي فيها الشيخ عبد الوهاب الكبير المشهور و يسمونها شعبة النور، وقيل هي التي فيها السيدة خديجة وفضل و غيرهما و الله أعلم بصحة ذلك. انتهى.

وعن حاطب بن بلتعنة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة من الآمنين. أخرجه الدارقطني و أبو داود و الطيالسي، و عن ابن عمر: إن من قبر بمكة مسلما بعث آمنا يوم القيامة. أخرجه أبو الفرج. انتهى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٦٦

قال الأزرقى: قال جدى: لا نعلم بمكة شعبا يستقبل ناحية من الكعبة ليس فيه انحراف إلا شعب المقبرة فإنه يستقبل وجه الكعبة كله مستقيما. قال: و كان أهل الجاهلية و فى صدر الإسلام يدفنون موتاهم فى شعب أبى دب و من الحجون إلى شعب الصفى صفى السباب، و فى الشعب الملاصقة لثنية المدنيين التى بها اليوم مقبرة أهل مكة، ثم تمضى المقبرة مصعدة لاصفة بالجبل إلى ثنية أذاخر بحائط خرمان. قال الفاسى: حائط خرمان هذا الموضع الذى يقال عنه الخرمانية و هو بالمعابدة بظاهر مكة و ثنية أذاخر فوق هذا المكان و هى ثنية مشهورة و كانت تنتهى المقبرة إليها فى الجاهلية. انتهى.

و كان يدفن فى المقبرة التى عند ثنية أذاخر آل أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس و آل سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. و قال الأزرقى فى محل آخر فكان أهل مكة يدفنون موتاهم فى جنبتي الوادى يمنة و شامة فى الجاهلية و فى صدر الإسلام ثم حوّل الناس جميعا فى قبورهم فى الشعب الأيسر لما جاء من الرواية فيه و لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم الشعب و نعم المقبرة. قال ابن ظهيرة فى «الجامع اللطيف»: المراد باليمن هو شعب أبى دب المعروف الآن بشعب العفارىت- و بعضهم يقول له شعب العقارب- و فيه كان يدفن فى الجاهلية و صدر الإسلام. و أبو دب رجل من بنى سواة بين عامر سكنه فسمى به.

و يقال إن قبر آمنه بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم فى شعب أبى دب. هذا و إنه صلى الله عليه وسلم جاء إليها و زارها و قيل فى غير هذا المحل من المعلاة. و قيل بالأبواء و هو المشهور، و المراد بالشام هو شعب الصفى بتشديد التحتية المسمى قديما بصفى السباب و هو الذى عند أذاخر و الخرمانية فى طرف المحصب و يسمى المحصب شعب الصفى و هو خيف بنى كنانة و إنما سمى شعب الصفى لأن ناسا فى الجاهلية اختاروا هذا المكان و اصطفوه لمفاخرتهم إذا فرغوا من مناسكهم و نزلوا المحصب المذكور و وقفوا بقم هذا الشعب و تفاخروا بالأبواء و الأيام و الوقائع فى الجاهلية ثم يظهر أن صدور هذا الأمر يعنى هذا التفاخر إنما كان يقع من شبانهم ليظهر وجه التسمية. انتهى.

انظر: الصور أرقام ٣١٠ للمعلا- من جهة أم المؤمنين خديجة رضى الله تعالى عنها، و رقم ٣١١، ٣١٢، ٣١٣ لقبور المعلا و أخرى لجانب منها. التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم؛ ج ٣-٦؛ ص ١٦٦

تهى كل هذا من تاريخ الغازى، ثم ذكر أيضا فى تاريخه أسماء من دفن بمقبرة المعلاة من الصحابة و التابعين و العلماء و الصالحين لم ننقل ذلك حتى لا يطول بنا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٦٧

الكلام، نسأل الله تعالى أن يمتتنا ببلده الحرام و أن يجعل قبرنا فى مقبرة المعلا- و أن يعفو عنا و يغفر لنا و لهم و لكافة أموات المسلمين و المسلمات من مشارق الأرض و مغاربها إنه غفور رحيم و بعباده لطيف خبير أمين.

و لقد بنى سور على مقبرة المعلا فى قسمها القسم الذى يلى الجبل و فيه باب واحد، و القسم الذى يلى جهة البلدة و فيه بابان، و قد ذكر الغازى رحمه الله تعالى فى تاريخه نقلا عن تاريخ السنجارى عن سور المقبرة ما يأتى:

و فى سنة ثمان و تسعين و ألف (١٠٩٨ هـ) ابتدئ بعمل حائط على مقبرة مكة المشرفة و ذلك لما أنهى إلى الوزير سليمان أمير ياخور

الذى ولى الوزارة سنة (١٠٩٧) ما يحدث من التلوين و النجاسة فى القبور بالحج حيث نزول الحجاج و نصبهم خيامهم عليها و طبخهم قدور الطعام فيها فانتدب لعمارها الشلبى عثمان حميدان وزير مكة فقسم المقبرة قسمين و جعل لكل واحد منهما سورا بأبواب. انتهى منه.

نقول: لقد جدد بناء سور المقبرة مرارا و كان آخر مرة فى عصرنا سنة (١٣٧٣) بواسطة بلدية مكة- أمانة العاصمة-.

و الثانية: مقبرة الشبيكة. قال ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف: نقل الفاسى رحمه الله تعالى عن الفاكهى أن مقبرة المطيين قديما كانت بأعلى مكة و مقبرة الأحلاف بأسفل مكة، ثم قال: و الظاهر أن مقبرة الأحلاف هى هذه المقبرة يعنى بذلك الشبيكة لأنه لا يعرف بأسفل مكة مقبرة سواها و دفن الناس بها إلى الآن مشعر بذلك، ثم قال: و المطيون بنو عبد مناف بن قصى و بنو أسد بن عبد العزى و بنو زهرة بن كلاب و بنو تيم بن مرة و بنو الحارث بن فهر و الأحلاف بنو عبد الدار بن قصى و بنو مخزوم و بنو سهم و بنو جمح و بنو عدى بن كعب. انتهى.

قال ابن ظهيرة (فائدة): و فى سبب تسميتهم بالمطيين و الأحلاف نقل عن ابن إسحاق أن قصيا لما هلك قام بنوه بعده بأمر الرئاسة و اقتسموا مآثره كما تقدم ثم إن بنى عبد مناف بن قصى و هم عبد شمس و نوفل و هاشم و المطلب أجمعوا أن يأخذوا ما فى أيدى بنى عبد الدار بن قصى مما كان قصى قد جعله إلى بنى عبد الدار من الحجابة و اللواء و السقاية و الرفادة و رأوا أنهم أحق بذلك منهم لشرفهم عليهم فافترت قریش فرقتين: فكانت طائفة منهم مع بنى عبد مناف على رأيهم و طائفة مع بنى عبد الدار يرون ألا ينزع منهم ما جعله قصى إليهم، ثم أخرج

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٦٨

بعض نساء عبد مناف جفنه مملوءة طيبا فغمس القوم أيديهم فيها و تعاهدوا و تعاهدوا أن لا يتخاذلوا فسموا المطيين، و تعاهد بنو عبد الدار و تعاهدوا عند الكعبة أن لا يسلم بعضهم بعضا فسموا الأحلاف، ثم اصطلحو على أن تكون السقاية و الرفادة و القيادة لبنى عبد مناف و أن تكون الحجابة و اللواء و الندوة لبنى عبد الدار كما كانت ففعلوا و لم يزالوا على ذلك حتى جاء الله بالإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ما كان من حلف فى الجاهلية فإن الإسلام لم يزد إلا شدة. انتهى من «الجامع اللطيف».

و لقد كانت مقبرة الشبيكة مسورة و الذى بنى عليها السور الشيخ على الشحومى المغربى سنة (١٢٧٤) أربع و سبعين و مائتين و ألف، و بنى بها محلا- يغسل فيه الموتى و بنى أمامها رباطا لفقراء نساء أهل مكة كما ذكره الغازى فى تاريخه، ثم هدم هذا السور و بقى بعض آثاره بمرور الزمن و عدم العناية به ثم إنه بنى على هذه المقبرة سور جديد فى سنة (١٣٧٤) أى بعد مرور مائة سنة على بناء السور الذى قبله.

و الثالثة: مقبرة الشيخ محمود بآخر ريع الرسام و أول جرول للخارج من مكة، و الشيخ محمود المذكور هو ابن إبراهيم بن أدهم و قد بنى سور هذه المقبرة الشيخ على الشحومى المغربى سنة (١٢٧٥) خمس و سبعين و مائتين و ألف، و الشحومى هو الذى بنى أيضا سور مقبرة الشبيكة قبل هذه المقبرة بعام واحد كما ذكره الغازى فى تاريخه نقلا عن كتاب «تنزيل الرحمات على من مات» قال: و دفن بهذه المقبرة العباس بن مرداس السلمى رضى الله عنه حامل الراية يوم فتح مكة قال: و دفن خلفه العباس بن عبد الله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سنة ثمانين من الهجرة، و قبرهما معروف. اه.

و الرابعة: مقبرة المهاجرين بالحصحاء (أى مقبرة الزاهر) قال ابن ظهيرة فى «الجامع اللطيف»: و هو ما بين فخ و الجبل المسمى بالمقلع و بالبكاء أو الزاهر كما هو مقتضى كلام الأزرقى و الفاسى فتكون المقبرة المذكورة فى المحل المعروف الآن بالمختلج الذى يبيت به أمير الحاج عند قدومه ثم يصبح و يدخل مكة، قال: و سبب تسميتها بمقبرة المهاجرين أن جندع بن أبى ضمرة بن أبى العاص اشتكى و هو بمكة فخاف على نفسه فخرج يريد الهجرة إلى المدينة فأدركه الموت و هو بهذا المحل فدفن فيه فأنزل الله

تعالى: وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٦٩

يُذْرِكُهُ الْمَوْتُ فَصَدَّ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا فسميت مقبرة المهاجرين به، أخرجه الأزرقى و وقع مثل ذلك لغير جندع أيضا، قال: و ممن دفن بهذا المحل جماعة من العلويين قتلوا فيه فى حرب وقعت بينهم و بين عسكر موسى الهادى فى سنة (١٩٩) تسع و تسعين و مائة، و يسمى هذا المحل أيضا بإضاءة بنى غفار و هى التى قال النبى صلى الله عليه و سلم: أتانى جبريل و أنا بإضاءة بنى غفار فقال: يا محمد إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف فقلت: أسأل الله المعافاة إلخ، انتهى من «الجامع اللطيف» باختصار.

الخامسة: مقبرة العدل هى بأعلى مكة فى طريق منى و هى حدثت قريبا فى عهد الحكومة السعودية من سنة (١٣٤٥) تقريبا سنة خمس و أربعين و ثلاثمائة و ألف تقريبا.

و السادسة: مقبرة الخرامية و هى واقعة بمحلة المعابدة أمام مدخل شعب أذاخر عند القصر الملكى و هى مقبرة صغيرة مثلثة الشكل على يمين الصاعد إلى منى من الشارع العام.

هذه المقبرة قديمة يرجع عهدا إلى أيام الجاهلية، و يقال دفن بها بعض الصحابة منهم عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنهم أجمعين و قد كانت مقبرة لآل العيص و آل المخزومى و كان الناس فى هذه الجهة لا يزالون يدفنون موتاهم إلى عهد قريب. و لما كانت هذه المقبرة صغيرة جدا و قد ضاقت بالأموات جعل عليها سور مرتفع أحاط بها من جميع الجهات و لم يجعل لها باب و لا منفذ لمنع الناس من الدفن فيها بتاتا.

انظر: صورة رقم ٣١٤، جدار مقبرة المهاجرين من الخارج

انظر: صورة رقم ٣١٥، مقبرة المهاجرين

و قد ذكر الإمام الأزرقى هذه المقبرة فى تاريخه بما ملخصه:

كان يدفن فى المقبرة التى عند ثنية أذاخر آل أسيد بن أبى العيص بن أبى أمية بن عبد شمس، و فيها دفن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما و مات بمكة فى سنة أربع و سبعين و قد أتت له أربع و ثمانون، و كان نازلا على عبد الله بن خالد بن أسيد فى داره و كان صديقا له فلما حضرته الوفاة أوصاه أن لا يصلى عليه الحجاج، و كان الحجاج بمكة واليا بعد مقتل ابن الزبير فصلّى عليه

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٧٠

عبد الله بن خالد بن أسيد ليلا على ردم آل عبد الله عند باب دارهم و دفنه فى مقبرته هذه عند ثنية أذاخر بحائط خرمان، و يدفن فى هذه المقبرة مع آل أسيد آل سفيان ابن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم و هم يدفنون فيها جميعا إلى اليوم. انتهى من الأزرقى.

و السابعة: المقبرة التى بين قهوة الششة و الشيبية قبل السد الجديد بالمعابدة.

و الثامنة: مقبرة ريع المسكين فى الملاوى بالمعابدة أيضا.

و قد توجد بأطراف مكة بعض المقابر الحديثة بحسب امتداد العمران فيها فى عصرنا هذا أضربنا عن ذكرها لعدم مسيس الحاجة إليها مكتفين بالمقابر القديمة المشهورة.

### عدم معرفة مقابر من دفن بمكة من الصحابة و التابعين

و بمناسبة الكلام على مقابر مكة شرفها الله تعالى نقول: إن ما اشتهر لدى الناس عن تعيين القبور بأن هذا قبر فلان و هذا قبر فلان لا



أصل له من الصحة و خبر غير موثوق به، فقد تغيرت معالم المقابر و تبعثرت الأحجار المكتوبة على قبور أصحابها من الصحابة و التابعين مرارا و تكرارا منذ بدء الإسلام إلى اليوم و نستدل على ذلك بدليلين:

الأول: ما نراه الآن في عصرنا الحاضر في قبور المعلا- من اندثار معالمها و اختلاط بعضها ببعض و تفرق أحجارها المكتوبة- شواهدا- المكتوبة منذ مئات السنين بمختلف الخطوط العربية في أنحاء المقبرة و ما نرى من عمل دافنى الموتى الجهلاء من التصرف الخاطى بوضع بعض تلك الأحجار القديمة في أى قبر حديث أو قديم يفتحونه ثم يضعونها في داخله كغطاء له أو يضعونها فوقه مع بعض الأحجار كعلامة على أنه قبر.

الثانى: و هو أقوى من الدليل الأول ما ذكره العلماء في هذا المعنى، و إليك ما وقفنا على بعض نصوصهم، فقد قال ابن جبير في رحلته التى كانت سنة (٥٧٨) عن مقبرة المعلا ما نصه:

«و بالجبانة المذكورة مدفن جماعة من الصحابة و التابعين و الأولياء و الصالحين قد دثرت مشاهدهم و ذهب عن أهل البلد أسماؤهم»  
اه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٧١

و فى تاريخ الغازى: قال العلامة على القارى فى منسكه: و لا يعرف أى معرفة معينة بمكة قبر صحابى و لا صحابية إلا أنه رأى بعض الصالحين فى المنام قبر خديجة الكبرى رضى الله عنها بقرب قبر فضيل بن عياض رحمه الله تعالى فبنى قبة هناك و لا ينبغى تعيينه إلى تعيين قبرها على الأمر المجهول كما قال المرجانى و القبر المنسوب لابن عمر غير صحيح أى لا يعرف موضع قبره به أيضا مع الاتفاق على موته بمكة و كذلك قبر عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما لا يصح كونه فى موضعه المعروف عند قبور السادة الصوفية و لعله كان موضع صلبه. انتهى من الغازى.

نقول: إن الإمام الأزرقى ذكر فى تاريخه أن عبد الله بن عمر المذكور مدفون فى مقبرة الخرمانية و هى التى عند شعب أذاخر كما سبق الكلام عليها.

و فى كتاب «الجامع اللطيف» لابن ظهيرة قال الفاسى رحمه الله تعالى: و لا أعلم فى مكة و لا فيها قرب منها قبور أحد ممن صحب رسول الله صلى الله عليه و سلم سوى هذا القبر (أى قبر أم المؤمنين ميمونة زوجة النبى عليه الصلاة و السلام الذى بخارج بمكة) لأن الخلف يآثره عن السلف و موضع قبرها هو الذى بنى بها فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم حين تزوجها. اه. انتهى من الكتاب المذكور.

و جاء فى شرح «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» فى صحيفة ١٥٨ فى الجزء الثانى: و فى كتاب «المدخل» لابن الحاج و ليس ثم موضع نبى مقطوع به بعد موضع نبينا محمد صلى الله عليه و سلم إلا موضع الخليل عليه الصلاة و السلام أى أنه مدفون بيقين فى المغارة التى بحبرون و التى تسمى بمدينة الخليل، و الذى أدار على قبره الخليل البناء هو نبى الله سليمان عليه الصلاة و السلام، و إلى ما ذكر أشار ابن حجر الهيتمى فى قصيدته اللامية فى مدح خير البرية حيث يقول:

و لم تعلم مقابرهم بأرض يقيننا غير ما سكن الرسول

و فى حبرون أيضا ثم غاربه رسل كرام و الخليل

ففى داخل هذا البناء قبر الخليل و إسحاق و يعقوب و يوسف عليهما الصلاة و السلام و كذلك قبر سارة. انتهى منه. و قد تقدم الكلام على موضع قبر الخليل عليه الصلاة و السلام عند ترجمته.

هذا ما وقفنا على بعض نصوص العلماء و هى كما تراها معقولة لا سبيل إلى إنكارها مع الاعتراف بأن بعض الصحابة و التابعين و من بعدهم من كبار العلماء

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٧٢

و الصالحين و من يشار إليهم بالبنان مدفونون بمقبرة مكة لكن لا نقدر أن نحكم على تعيين قبورهم على الوجه الصحيح. و لا يترتب شىء على معرفتنا لقبورهم أو عدم معرفتنا و دعاؤنا و استغفارنا يصل إليهم أينما كنا و كانوا فى مشارق الأرض و مغاربها إن شاء الله تعالى.

اللهم اغفر لنا و لوالدينا و لمشايخنا و لإخواننا فى الله و للمؤمنين و المؤمنات و المسلمين و المسلمات الأحياء منهم و الأموات و المنقطعين و المنقطعات من أمه محمد صلى الله عليه و سلم الذين لا ذاك لهم و لا زائر لهم بفضلك و رحمتك يا عزيز يا غفور آمين.

### فضل الموت بالأراضى المقدسة

مما لا شك فيه أن بعض البلدان أجمل من بعض و أن الإنسان يتمتع و يرتاح فى أحسنها و أجملها و لا بد أن يكون مثل ذلك أيضا المقابر فى بعض البلدان تكون أشرف و أفضل من بعضها كمكة و المدينة و بيت المقدس.

إن البقاع إذا نظرت رأيتها تشقى كما تشقى الرجال و تسعد

أخرج الأزرقى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى e أنه قال: «نعم المقبرة هذه مقبرة أهل مكة».

و عن حاطب بن بلتعنة عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة من الآمين» أخرجه الدارقطنى وغيره. و عن ابن عمر: «إن من قبر بمكة مسلما بعث آمنا يوم القيامة». و عن محمد بن قيس ابن مخزوم عن النبى صلى الله عليه و سلم قال:

«من مات بمكة بعثه الله فى الآمين يوم القيامة». و عن سلمان الفارسى عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: «من مات فى أحد الحرمين استوجب شفاعتى و كان يوم القيامة من الآمين» أخرجه ابن جماعة.

و عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «أنا أول من تنشق الأرض عنه فأكون أول من يبعث فأخرج أنا و أبو بكر و عمر إلى أهل البقيع فيبعثون ثم يبعث أهل مكة فأحشر بين أهل الحرمين». و عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإن مات بالمدينة شفعت له يوم القيامة» و روى الطبرانى حديث: «أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف» و أخرجه الترمذى بالواو بدل ثم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٧٣

نقول: لقد رغب كثير من الأنبياء و العلماء و الصالحين فى الموت بالأراضى المقدسة و لقد كان النبى فيما تقدم إذا آمن به نفر من قومه يترك قومه ببلده و يأتى إلى مكة بمن آمن به يعبد الله تعالى حتى يأتىه اليقين و لذلك دفن حول الكعبة كثير من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، فقد روى سفيان الثورى عن عطاء بن السائب عن أبى سابط أنه قال: بين الركن و المقام و زمزم قبر تسعة و تسعين نبيا و أن قبر هود و شعيب و صالح و إسماعيل عليهم السلام فى تلك البقعة. اه. و الله تعالى أعلم بذلك.

فإن قيل: لماذا لا يذهبون إلى المدينة أيضا للتعبد و هى ثانى الحرمين؟

نقول: إن المدينة المنورة لم تكن معروفة قبل «نبينا محمد» صلى الله عليه و سلم و ما اشتهر فضلها إلا بعد أن هاجر إليها رسول الله صلى الله عليه و سلم و دفن بها، أما مكة فهى معروفة من قديم الأزمان لوجود بيت الله فيها.

و على سبيل الاستدلال: نذكر ما ورد فى طلب الموت بالأراضى المقدسة فنقول و بالله التوفيق و عليه التكلان:

جاء فى كتاب الأذكار للإمام النووى رحمه الله تعالى ما يأتى: رويانا فى صحيح البخارى عن أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضى الله عنهما قالت: قال عمر رضى الله عنه: اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك و اجعل موتى فى بلد رسولك صلى الله عليه و سلم. فقلت: أنى يكون هذا؟ قال: يأتينى الله به إذا شاء. انتهى.

نقول: وقد استجاب الله تعالى دعاء عمر رضى الله عنه فرزقه الشهادة حيث قتل وهو فى صلاة الصبح وجعل موته فى بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فى المدينة حيث دفن بجوار صاحبيه، وهل يوجد جوار أفضل من هذا الجوار؟ نقول: وليس ببعيد على كرم الله تعالى أن يبعث من قبر بمكة آمنًا يوم القيامة لأنه تعالى يقول فى كتابه العزيز: وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا فَإِذَا كَانَ الدَّخَلُ إِلَى الْحَرَمِ يَكُونُ آمِنًا مِنْ كُلِّ مَا يَخَافُهُ وَهُوَ حَى يَرْزُقُ.

وهذه الميزة خاصة بالحرمين الشريفين بل حتى بيت المقدس ولهذا طلب كل من موسى عليه الصلاة والسلام من ربه عز وجل حين الموت أن يدنيه من الأرض المقدسة ولو برميء حجر، فقد جاء فى صحيح البخارى فى كتاب الجمعة فى باب الجنائز فى باب من أحب الدفن فى الأرض المقدسة أو نحوها عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما الصلاة والسلام، فلما جاء

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٧٤

صكه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتنى إلى عبد لا- يريد الموت، فردّ الله عليه عينه وقال: ارجع فقل له يضع على متن ثور فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنه، قال: أى ربّ ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر. انتهى.

نقول: إذا كان نبي الله و كل من موسى عليه السلام يطلب الموت بقرب الأرض المقدسة زيادة فى التقرب إلى رحمة الله تعالى فى الأماكن المقدسة فنحن أولى أن نطلب ذلك فى الموت فى الأراضى المقدسة ونحن المذنبون الخاطئون رجاء عفو الله تعالى وغفرانه، وأيضا إذا كانت الأرض المقدسة لها هذه الميزة فمن باب أولى أن تكون هذه الميزة للحرمين الشريفين مكة والمدينة حفظهما الله تعالى من كل سوء وأدام رخاءهما وأمنهما وعمرانهما.

اللهم أمتنى فى أحب البقاع إليك وأنت عنى راض وفى أبرك الأوقات وعلى طهارة تامة ونظافة حسنة بدون تعب ولا مشقة لا على ولا- على أهلى وأولادى يا أرحم الراحمين يا من لطفه فى الورى يسرى فى كل وقت وحين آمين آمين آمين، وصلى الله وسلم على أبى القاسم الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

### بعض عادات أهل مكة والأجناس التى فيها

من عجائب صنع الله تعالى الذى هو جدير بالعظمة والاعتبار أنه لما كانت مكة بلده الأمين والكعبة قبله لعموم المسلمين والعباد عباده و خلقه جعل سكان بلده «مكة» خليطا من جميع الأجناس ومن كافة الأنواع تهوى إليها الناس من عموم أطراف المعمورة وهذا طبعا بعد انتشار الإسلام وتيسير طرق الانتقال وسبل المعيشة، لذلك صارت لأهل مكة عوائد مشكّلة مأخوذة عن عوائد جميع الأجناس المختلفة التى تفد إليها فتقيم بها، وقد لفتت تلك العوائد أنظار المؤرخين. ونحن نذكر هنا ما سجله بعضهم فى كتابه فقد قال ابن بطوطة رحمه الله تعالى فى رحلته التى كانت سنة (٧٢٥) خمس وعشرين وسبعمئة عن عادات أهل مكة وفضائلهم نذكر هنا كما ذكرنا ما جاء برحلة ابن جبير، قال ابن بطوطة: ولأهل مكة الأفعال الجميلة والمكارم التامة والأخلاق الحسنه والإيثار إلى الضعفاء والمنقطعين وحسن الجوار للغرباء. ومن مكارمهم أنهم متى صنع أحدهم وليمة يبدأ فيها

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٧٥

ياطعام الفقراء المنقطعين المجاورين ويستدعيهم بتلطف ورفق وحسن خلق ثم يطعمهم، وأكثر المساكين المنقطعين يكونون بالأفران حيث يطبخ الناس أخبازهم فإذا طبخ أحدهم خبزه واحتمله إلى منزله فيتبعه المساكين فيعطى لكل واحد منهم ما قسم له ولا يردهم خائبين ولو كانت له خبزة واحدة فإنه يعطى ثلثها أو نصفها طيب النفس بذلك من غير ضجر. ومن أفعالهم الحسنه أن الصغار يقعدون بالسوق ومع كل واحد منهم قفتان: كبرى وصغرى وهم يسمون القفة مكتلا فيأتى الرجل من أهل مكة إلى السوق فيشتري

الحبوب و اللحم و الخضر و يعطى ذلك للصبى فيجعل الحبوب فى إحدى قفتيه و اللحم و الخضر فى الأخرى و يوصل ذلك إلى دار الرجل ليهيا له طعامه منها و يذهب الرجل إلى طوافه و حاجته، فلا يذكر أن أحدا من الصبيان خان الأمانة فى ذلك قط بل يؤدي ما حمل على أتم الوجوه و لهم على ذلك أجره معلومة من فلوس. و أهل مكة لهم ظرف و نظافة فى الملابس و أكثر لباسهم البياض فترى ثيابهم أبدا ناصعة ساطعة، و يستعملون الطيب كثيرا و يكتحلون و يكترون السواك بعيدان الأراك الأخضر، و نساء مكة فائقات الحسن بارعات الجمال ذوات صلاح و عفاف و هن يكثرن التطيب حتى أن إحداهن لتبيت طاوية و تشتري بقوتها طيبا، و هن يقصدن الطواف بالبيت فى كل ليلة جمعة فيأتين فى أحسن زى و تغلب على الحرم رائحة طيهن و تذهب المرأة منهن فيبقى أثر الطيب بعد ذهابها عبقا، و لأهل مكة عوائد حسنة و غيرها سنذكرها إن شاء الله تعالى إذا فرغنا من ذكر فضائلها و مجاوريتها.

ثم قال ابن بطوطة بعد صحيفه واحدة: و أهل مكة لا يأكلون فى اليوم إلا مرة واحدة بعد العصر و يقتصرون عليها إلى مثل ذلك الوقت. و من أراد الأكل فى سائر النهار أكل التمر و لذلك صحت أبدانهم و قلت فيهم الأمراض و العاهات. انتهى من رحلة ابن بطوطة.

و قال البتوني الذى حج سنة (١٣٢٧) فى كتابه «الرحلة الحجازية» ما نصه:

و يقصد مكة زمن الحج أنواع العالم الإسلامى من جميع أطراف المسكونة فترى بها الأزياء المتباينة و السحن المختلفة حتى ليجدر بها أن تسمى بالمعرض الإسلامى. و لقد رأيت فيها رجلا يابانيا من كبار قواد اليابان قد أسلم و قدم إليها لتأدية فريضة الحج.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٧٦

و قد اعتاد الشام و المغاربة سكنى الجهة الشمالية من مكة زمن الموسم، و الأفغان و السلیمانية (أهالى قندهار) فى الجهة الشمالية الشرقية، و الهند و الجاوه فى الجهة الشمالية الغربية، و اليمن و التركستان و الداغستان فى المسفلة و العجم فى شعب على، و ما سوى ذلك فى وسط المدينة. و أهالى مكة يبلغ عددهم على وجه التقريب نحو ١٥٠ ألف شخص منهم خمسون ألفا من الأهالى و الباقون من الأعراب كما تراه فى الجدول الآتى:

(٥٠) ألف أهالى، (٢٥) ألف أعراب و غالبهم حجازيون و يمنيون و حضارم- من سكان حضرموت- (٢٠) ألف بخاريون، (١٢) ألف هنود، (١٥) ألف جاوه، (١٠) آلاف سلیمانية و أفغان، (٥) آلاف شوام، (٥) آلاف مغاربة، (٨) آلاف أجناس مختلفة، المجموع: (١٥٠) ألف.

و أغلب هؤلاء الأعراب يشتغلون بالأمر المالية و خصوصا التجارية لذلك تبه أمرهم و أصبحت مالية البلاد فى أيديهم.

ثم قال البتوني بعد أن ذكر البيوتات القديمة ما نصه: و من اختلاط هذه الأجناس بعضهم ببعض بالمصاهرة أو المعاشرة صار سواد أهل مكة خليطا فى خلقهم فتراهم قد جمعوا إلى طبائعهم و داعه الأناضولى و عظمة التركى و استكانة الجاوى و كبرياء الفارسى و لين المصرى و صلابه الشركسى و سكون الصينى و حدة المغربى و بساطة الهندى و مكر اليمنى و حركة السورى و كسل الزنجى و لون الحبشى، بل تراهم جمعوا بين رفة الحضارة و قشف البداوة: فبينما ترى الرجل منهم قد آنسك برقة حديثه معك و وضعته بين يديك إذ هو قد استوحش منك و أغلظ فى كلامه حتى كأن طبيعة البداوة تغلبت فيه على طبيعة الحضارة فلم يطق ما تكلفه فى حضرته.

و قد وصل هذا الخلط فى أزيائهم التى تراها مجموعة مختلطة من أزياء البلاد الإسلامية: عمامه هندية، و قفطان مصرى، و جبه شامية، و منطقة تركية فيها خنجر تراه على الخصوص فى حزام الأشراف مفضضا أو مذهبا بشكل جميل جدا، و كثيرا ما يكون مرضعا بالأحجار الكريمة. و مع هذا فقد ترى الرجل الصانع الفقير يلبس القميص و على ياقته الظرافة المشغولة بالحرير و على رجل سراويله شىء يشبه الركامه و هو حافى الرجل - مثلا - غير أنك تلاحظ ذلك فى طبقة الأشراف التى ترفعت عن هذا الخليط فلم يدخل فى مادتهم غريب و لم يتغلب عليهم خلق جديد

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٧٧

بل خلقهم هو بعينه العربي البحت الذى ورثوه عن أجدادهم و أفوه بما فطروا عليه من كريم العنصر و ذكاء المحتد. و على العموم فأخلاق أهل مكة غاية فى الكمال و خصوصا فى الطبقة العالية منهم رضى الله عنهم، و لا يؤخذ على مجموعهم حسة بعض السوقه فيهم.

ثم بعد أن ذكر البتونى بعض الألفاظ العامية التى فى لهجات أهل مكة قال و غالب أهلها يتكلمون بالتركية، و من المطوفين من يتكلم بلغات مختلفة كالهندية و الأوردية و الجاوية و الفارسية و الصينية. أما أهل البادية فلتغتهم عربية صرفة فلا نكاد نفهمها إذا سمعناهم يتكلمون بها و لكل قوم منهم لغة مخصوصة تختلف فى لفظها باختلاف القبائل.

ثم قال: و من عوائد أشرف مكة أن كبراءهم يرسلون أولادهم و هم فى نعومة أظفارهم إلى البادية و خصوصا إلى قبيلة عدوان التى توجد فى شرق الطائف و هى قريبة من سعد التى أوضع فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم فينشأون فيها على البداوة التامة مع الأمية الصرفة حتى إذا ترعرعوا عادوا إلى مكة و قد تعلموا بعض لغات القبائل و حفظوا من أشعارهم و أخذوا من عوائدهم و طباعهم. و أحسن ما تراه فيهم الفروسية و الحرية فى القول و الفعل و هذه العادة قديمة جدا فى القوم، و مما يذكر عن الرشيد أنه رأى ولده المعتمد و هو صبي يتأفف من الذهاب إلى الكتّاب فمنعه منه و أرسل به إلى البادية فما زال بها حتى عاد منها عارفا بلغتها عالما بأخبارها حافظا لكثير من أشعارها، و قد ولى الخلافة و هو على أميته. و من عادة شريف مكة أن يجلس للحكم فى دار الإمارة كل يوم من الساعة الخامسة نهارا إلى قبيل العصر فتعرض عليه المسائل الهامة و هنالك يستعد إلى التوجه إلى الحرم فى ركة بسيطة فيصلى العصر و كثيرا ما يجلس بالحرم حتى يصلى المغرب ثم يعود إلى قصره فيتناول العشاء مع من يريد من بنيه و خاصته و ضيوفه. و من عاداته أنه يجلس صباح يوم الجمعة فى دار الإمارة للمقابلات فيفد عليه الوالى و كبار الموظفين ثم أعيان مكة و وجوهها و بعد السلام عليه يذهبون إلى السلام على الوالى.

و من عاداته: أنه يصلى الجمعة فى الحرم حتى إذا كان فى الطائف ينزل منها فى موكبه فيصلبها فيه و بعد العصر يعود إلى مصيفه. قال: و من عادات أهل مكة التأتق فى المأكّل و المشرب و اللباس و تكثر فى لباسهم الألوان الزاهية الباهية و خصوصا الأحمر و الأخضر و الأزرق و الوردى.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٧٨

و ترى فى مساكنهم كثيرا من أدوات الزخرف و الزينة و الرياش الثمينة و خصوصا البسط العجمية النادرة المثال. و من عاداتهم: تقديم الشاي فى أى وقت تحية للقادم عليهم و إقامة المآدب فى حفلة يسمونها قيلة- لعلها آتية من القيلولة- و يتفاخرون بكثرة صنوف الطعام المتغايرة فى شكلها و طعمها. و ليس لأطعمتهم نظام مخصوص فمنها الهندى و العربى و الشامى و المصرى و التركى. و يقعد المدعوون فى هذه اللوائم على سماء يمدّ على الأرض و تخدم عليهم الألوان لونا بعد آخر، و بعد فراغهم من الطعام يجلسون للسمر أو سماع بعض الأغاني و آلايت الطرب كالعود أو القانون أو الرباب ثم ينصرفون. و غالبا تكون هذه الحفلات فى ضواحي مكة كالزاهر و الشهداء و هنالك يبكرون إليها و يقضون يومهم فى سرور و حبور و ألعاب رياضية كالمسابقة بالجرى أو لعب الكرة أو النرد أو الشطرنج مثلا.

و لأهل كل حارة من حارات مكة عادة مع أميرها: ذلك أن يجتمعوا و يدعوا الشريف إلى وليمة يقيمونها له كل سنة فى أحد منتزهاتهم خارج مكة، فإذا قبل منهم ذلك عين يوم الولاية و فيه يذهب مع خاصته الذين يدعوهم للتوجه معه فى موكب فخيم تجرى أمامه خيالة الأعراب و البيشة و الناس يهتفون له بقولهم دائما- يعيش- حتى إذا وصل مكان الدعوة جلس مع من أراد. و فى وقت الغداء تمدّ الموائد على النظام الإفرنكى و التركى و العربى و يجلس الشريف و يدعو خاصته للأكل معه و بعد الطعام تلعب الأعراب بألعاب الفروسية: تارة بالخناجر و أخرى بالسيوف إلى آخر النهار. و بعد فترة من الليل يعود الشريف فى موكبه إلى مكة.

و من عوائد أهل مكة أنهم يأكلون مرتين في اليوم: واحدة في نحو الساعة التاسعة صباحا- على حساب الساعة الإفرنجية فتوافق التاسعة الإفرنجية عندنا بمكة الساعة الثانية والنصف بالعربي تقريبا- والأخرى بعد صلاة العصر. وهم يميلون إلى الأبهه والفخفة كثيرا و يقلد صغيرهم كبيرهم في التظاهر بالكرم والشجاعة خصوصا في شهر رمضان. وقد كانوا يفطرون في الحرم بعد صلاة المغرب فيمدون الموائد هنا وهناك ولا سيما في زمن الحر ولكن الشريف عون الرفيق أبطل هذه العادة- وخيرا فعل- لأن فضلات الأكل كانت توسخ المسجد فتكثر فيه الحشرات والقطف وغيرها. و من عوائد كثير منهم أنهم يشربون وجبات صبيانهم ثلاث شرط في كل جهة و نساؤهم يدخن بالترجيله و الزار يفشو فيهن كثيرا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٧٩

و بعضهن يخرجن إلى الأسواق بملاءة واسعة سوداء في الغالب و برقع كثيف فيه تقبان صغيران فيما يقابل العينين و في أرجلهن أخفاف ضخمة لونها أصفر غالبا و أفراحهم و ماتمهم غاية في البساطة. و من عواندهم في زواجهم أنهم يدعون الأهل و المحبين نساء و رجالا فتأتي الرجال و يجلسون في الأماكن المعدة لهم خارج البيت و وقت العشاء يمد لهم سباط مستطيل يجلسون عليه جميعا مرة واحدة فيأكلون ثم ينصرفون. أما النساء فيدخلن البيت فيجدن على باب قاعة الجلوس قصعة كبيرة مملوءة بمعجون الحناء فتحنى المرأة يدا من يديها ثم تدخل إلى المكان، و بعد السلام تجلس على هذا الحال مع باقي النسوة و لا يزلن يتجادبن أطراف الحديث إلى منتصف الليل و هناك يزفون العروس إلى بعلها ثم يعدن إلى بيوتهن بعد أن يضعن في عنقها عقودا كثيرة من زهر الفل أو ثمر التفاح و هو في قدر البندق.

و النقود التي تستعمل في مكة هي النقود التركية و المصرية فضية أو ذهبية و الروبية و القروش الهندية و الريال الشينكو و أبو طيرة و الريال البرم- الجاوي- و هو على أشكال مختلفة و الجنيه الإنجليزي و الفرنساوي و الروسي. و ليس لهذه النقود قيمة ثابتة هناك بل تراهم يستعملونها على الدوام في مصلحتهم فأخذونها منك بأقل من قيمتها و يعطونها لك بأكثر مما تساوى و هذا عيب كبير من عيوب المعاملات!! و لعل أرباب الأمر و النهى يجتهدون في إزالته قريبا. و الريال أبو طيرة هو أكثر النقود استعمالا عند الأعراب و قيمته عندهم كالريال الشينكو أو المصري.

و أسواق مكة كثيرة: منها سوق الشامية في شمال الحرم و هي أشبه شىء بالأسواق التركية و لها سقف من الخشب على مثال الخان الخليلى بمصر لو لا أن شوارعها أضيق و هذه السوق تضيق بالمارين خصوصا عند مرور الجمال بها. و فيها يبيعون السبح و الأقمشة الهندية و غيرها و فيها كثير من الفصوص الفيروز و الياقوت و العقيق الذي يبيعه على الخصوص حجاج اليمن في شوارع المدينة بأثمان رخيصة جدا.

ثم السوق الصغير و هو تجاه باب إبراهيم و أغلب ما فيه للغذاء كالخبز و اللحوم و البقول الجافة و الخضر التي يؤتى بها من الأودية المحيطة بمكة كوادى فاطمة شمالا و وادى الليمون شرقا و وادى العبيدية- العابدية- و الحسينية جنوبا. و كثير من هذه الخضر يأتي مع الفاكهة من جهة الطائف و جبال كرا و في هذه السوق دكاكين كثيرة يبيعون فيها الأسماك المقلية التي يؤتى بها من جدة و هي في الغالب مضره جدا

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٨٠

بالصحة لتعنفها من الحرارة و طول زمن النقل. و في شرق المسجد سوق الليل و هي سوق كبيرة مختلطة فيها جميع احتياجات الحاج، و في كل هذه الأسواق ترى مدة الموسم حركة لا تنقطع يأتي من ورائها ربح عظيم لأهل البلد، و مدار حركة الأشغال الشاقة في مكة على العبيد فمنهم الحمالون و الحطابون و الحمارون و الجمالون و السقاؤون و الخدامون. و لقد كان للرقيق بمكة سوق كبيرة أخذ أمرها ينمحي شيئا فشيئا حتى كان لا يكون له أثر بالمره. و كانوا يسمون المكان الذي يبيعونه فيه بالدكة لأنه كان في حوشه دكة يجلسون عليها ما يراد بيعه منه.

انتهى كل ذلك من كتاب «الرحلة الحجازية». وقد نقل عنه هذا الكلام المرحوم إبراهيم باشا رفعت في كتابه «مرآة الحرمين» كما هو صريح عبارته الواردة بصحيفة (٢٠١) من الكتاب المذكور.

و نحن نقول أنه ينبغي لأهل أم القرى و جيران بيت الله الحرام أن يكونوا قدوةً صالحةً للعالم الإسلامي في القول و العمل فعسى الله أن يوفقنا لذلك توفيقاً تاماً و عسى أن ينظر إلينا بعين الرحمة فنسعد في الدارين.

اللهم يا رحمن يا رحيم يا من لطفه سار في الورى و خيراته عيمه في البلدان و القرى ارحمنا رحمة الأبرار و أنظمننا في سلك عبادك الأخيار و أصلح أحوالنا و أحوال و لاتنا و أنزل علينا من بركات السماء و أخرج لنا من بركات الأرض و اجعلنا لرضائك و عفوك و فضلك أهلاً و لا تجعل دعانا رداً و لا عيشنا كداً فنحن جيران بيتك المعظم و أهل بلدك الأمين و قد قلت و قولك الحق: وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا و قلت: فَلْيُعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ \* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ أَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ فَأَمَّنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي بِلَادِنَا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْجُوعِ وَ الْغَلَاءِ وَ الظُّلْمِ وَ الْجُورِ وَ الْفُسْقِ وَ الْعِصْيَانِ وَ آمَنَّا فِي الْآخِرَةِ مِنْ كُلِّ فِرْعٍ وَ خَوْفٍ وَ أَدْخَلْنَا جَنَّاتِكَ وَ أَحْشَرْنَا مَعَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسَنَ أَوْلَادِكَ رَفِيقًا بِفَضْلِكَ وَ رَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين آمين.

### بعض الأمور المستحسنة التي كانت بمكة المشرفة

ذكر الأمير شكيب أرسلان رحمه الله تعالى في حاشيته و تعليقاته على كتاب «حاضر العالم الإسلامي» في أوائل الجزء الثاني منه أنه كان بمكة وقف مخصوص لمنع الكلاب من دخول مكة و كان بمكة أيضا وقف آخر تستعار منه أدوات السفر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٨١

و المفروشات للولائم و الوضائم. اه. و الولايم: الأطعمه التي تعمل في الأفراح، و الوضائم: الأطعمه التي تعمل في الأحران.

\* و من عاداتهم أنهم كانوا يتعاملون بينهم في الأسواق و البيع و الشراء و صرف الرواتب و المعاشات الشهرية بالذهب و الفضة، أى بالجنيهات الذهبية و الريالات الفضية و لا- يعرفون التعامل بالأوراق النقدية البنكنوت إلى أن ظهرت قريبا كما بينا ذلك في الكلام على النقود.

لقد كانوا يتعاملون بالذهب و الفضة منذ قديم العصور بل و في عهد الدولة التركية العثمانية و في عهد الشريف الحسين بن على ملك الحجاز الأسبق ثم في أوائل العهد السعودي أيضا فكل عهد من هذه العهود كانت فيه نقود من الذهب و يسمى بالجنيه بكسر النون و مدها، و من الفضة و يسمى بالريال مع وجود أجزاءها من النصف و الربع، كما كانوا يتعاملون بالقروش و هى من النيكل و هو معدن أبيض أعلى من النحاس.

ثم لما ظهرت الأوراق النقدية أمهات العشر الريالات و الخمس الريالات و الريال الواحد في العهد السعودي أى بعد ظهورها بزمن يسير من السنوات صار التعامل عند جميع الناس بهذه الأوراق المالية بل و صارت جميع رواتب الموظفين في الحكومة تصرف بهذه الأوراق المالية.

\* و من عاداتهم أنهم كانوا يضعون نقودهم الذهبية و الفضية و النيكل و النحاس أى من الجنيهات الذهبية و الريالات الفضية و أجزاءها من النصف و الربع و كذلك القروش النيكل و أجزاءها النحاسية النصف و الربع كانوا يضعون كل ذلك في كيس و يحملونه معهم أينما ذهبوا، فبعضهم يضع تلك النقود في جيبه إذا كانت قليلة و أكثرهم يضعونها في كيس خاص من القماش خصوصا أهل الحارات و أهل الأسواق، و كانت هذه عاداتهم و عادات غيرهم أيضا من قديم العصور إلى أن ظهرت الأوراق النقدية في المملكة العربية السعودية التي عاصمتها «مكة المكرمة» و ذلك سنة (١٣٦٨) ألف و ثلاثمائة و ثمان و ستين هجرية أو قبلها أو بعدها بسنة فإنه في هذا التاريخ ظهرت في الأسواق الأوراق النقدية ذات العشرة الريالات ثم ظهرت بعد ذلك ذوات الخمسة الريالات

و ذوات الريال الواحد كما ظهرت الأوراق النقدية ذوات المائة الريال و ذوات الخمسين الريال و أعيد طبع ذوات العشرة الريالات بصفة أخرى غير الأولى كما بينا تفصيل ذلك في مبحث آخر.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٨٢

بظهور هذه الأوراق النقدية اختفت الجنيهات الذهبية و الريالات الفضية و أجزاء كل ذلك. أما القروش النيكل و أجزاءها فما زالت موجودة بالأسواق بدون تبديلها بالأوراق، فمنذ ظهور هذه الأوراق النقدية ترك الناس وضع النقود بكيس القماش و صاروا يضعون في جيوبهم هذه الأوراق النقدية، و يمكن للإنسان أن يحمل آلاف الريالات من هذه الأوراق النقدية. فسبحان مغير الأحوال لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

\* و من عادات أهل مكة وجود الصيارفة في أسواقها في كل وقت خصوصا في موسم الحج و ذلك لصرف العملة الذهبية و الفضية و قطع القروش و البنكنوت الورقية. و هذه عادة جارية من قديم الزمن إلى اليوم، فالجميع من حجاج و غيرهم يقدررون أن يصرفوا ما لديهم من النقود النقدية أو الورقية عند الصيارفة في زمن الحج و غيره. و الصيارفة بأسواق مكة كثيرون و بهذا تمتاز مكة المشرفة عن سائر البلاد الإسلامية و غيرها فتجد العملة الأجنبية ماشية بها على أحسن وجه كالعملة المصرية و العملة الشامية و العملة العراقية و العملة اليمنية و العملة المغربية و العملة الإيرانية و العملة الهندية و العملة الإنكليزية و العملة الأمريكية و غيرها، فمن حمل من الحجاج و غيرهم شيئا من هذه العملة و أراد صرفها بمكة يذهب إلى أى صيرفي بأسواق مكة فيصرفها له حالا بدون تأخير و لا يحتاج الأمر إلى أن يذهب إلى أحد البنوك بمكة ليصرفها و هذه المسألة فيها يسر عظيم لجميع الناس.

\* و من عاداتهم أن المؤذنين بالمسجد الحرام كانوا يصعدون إلى المنائر و المآذن في كل ليلة بعد ثلثي الليل، أى قبل الفجر بنحو ساعتين يدعون الله تعالى و يسبحونه و يطلبون منه عز شأنه العفو و الغفران و الرحمة و الرضوان بأعلى أصواتهم و يسمونه «الترحيم و التذكير» فمن دعواتهم و أقوالهم: يا أرحم الراحمين ارحمنا يا أرحم الراحمين ارحمنا يا أرحم الراحمين ارحمنا و عافنا و اعف عنا و على طاعتك و شكرك أعنا. يا حى يا قيوم برحمتك نستغيث فأعثنا يا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله الملك المعبود، لا إله إلا الله الواحد الأحد، لا إله إلا الله الفرد الصمد الذى لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد. سبحان الملك القدوس، سبحان الملك القدوس، سبحان الملك القدوس، سبحان من له الملك و الملكوت، لا إله إلا هو العزيز الحكيم. اللهم صل على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٨٣

هذا ما نحفظه مما كان يقول أهل مكة في منارات المسجد الحرام وقت السحر قبيل الفجر بنحو ساعة و هذا يقولون له الترحيم، ثم بعد انتهاء الترحيم بنحو نصف ساعة يؤذنون أذان الفجر.

\* و من عاداتهم أنهم كانوا يبنون بيوتهم و منازلهم و مساجدهم بحجارات مكة الصماء المأخوذة من الصخور و الجبال، و كانوا يكسرونها قطعا قطعا كبيرة أو صغيرة بحسب احتياجهم إليه، فمن الحجارة ما يكون من طول متر واحد أو أكثر و مثل هذا يضعونه في أساس البنيان و فى الدرج و واجهة الأبواب الكبيرة، و منها ما يكون أصغر من المتر الواحد، و قد يكون طولها ربع المتر و يكون العرض مناسبا لطوله، و يبنون منازلهم أيضا بالطوب الأحمر و يسمونه «الآجور» و هو الآجر فى اللغة العربية و هو يتخذ من تراب بعض جهات مكة ثم يوقدون عليه فى المصنع بالنار حتى يحمرّ و يستوى بعد أن يعجنونه و يجعلونه فى القوالب كانوا يبنون بيوتهم بهذه الحجارات الصماء القوية و الآجور الأحمر و يجعلون منازلهم من طبقتين إلى أربع طبقات فقط و يسقفون غرفها و أسطحها بالأخشاب و القنادل و خشب العرعر، و أكثر ما يجعلون هذا الخشب على سقف الدرجات و السلالم، و خشب العرعر من أقوى الأخشاب، و بعضهم يجعلون بناء الطبقة الأولى من منازلهم بالغمس و هو بناء الحجارة و الآجور كالعقود و القباب الصغيرة الواطئة بدون أن يكون فيه شىء من الخشب و هذا الغمس، بضم الغين المعجمة و سكون الميم، هو أقوى بناء على الإطلاق، و فى عمارة المسجد الحرام



القديم كثير من بناء الغمس، وفيها أيضا جميع درجات المسجد الداخلة و الخارجة كلها من الحجارات الصماء القوية الجبلية و طول بعضها متران و بعضها ثلاثة أمتار و أربعة. لكن مع الأسف قد أزيلت هذه الدرجات الصخرية كلها و استبدلت بالإسمنت و ذلك في العمارة السعودية التي حصلت في وقتنا الحاضر، و مع الأسف لا ندرى أين ذهبت تلك الدرجات الصخرية و كان الواجب حفظها في مكان خاص كأثر من آثار العمارات القديمة في هذه البلدة المقدسة الطاهرة.

و ما كانوا يعرفون البناء بالإسمنت و الحديد إلا من بعد سنة (١٣٦٠) ألف و ثلاثمائة و ستين هجرية ثم صاروا بعد هذه السنة المذكورة يكثرون من البناء بالإسمنت المسلح بالحديد و يجعلون بيوتهم و منازلهم من خمس طبقات إلى عشر طبقات بل أكثر. فسبحان مغير الأحوال و العادات لا إله إلا هو العزيز الغفار.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٨٤

\* و من عاداتهم أى من عادات الجهلاء من أهل الحارات حتى شيوخ الحارات أنهم إذا اجتمعوا في مكان في القهاوى أو غيرها في الأعياد و في مناسبات الأفراح يغنون مجتمعين من ثلاثة فأكثر أغنية الصَّهبة، بفتح أوله و سكون ثانيه و فتح ثالثة و سكون رابعه، و هى أغنية خاصة بتوقيع خاص يصحبها تصفيق باليدين بترتيب مناسب للغناء و ينشدون باللغة العامية قصائد خاصة للصَّهبة يحفظونها. و غناء الصَّهبة غناء خاص لأهل مكة لا يعرفها غيرهم في البلدان و الممالك الأخرى.

و كان غناء الصَّهبة شائعا بينهم و كثيرا ما يغنون بها و لكن منذ سنوات قلَّ اجتماعهم لها في القهاوى و قلَّ من يحفظ قصائدها الآن لتطور الزمن و كثرة الغناء في الإذاعات و الراديو، و هى إلى الانقراض أقرب. لذلك لم نكثرث بنقل قصائدها و إثباتها هنا. فسبحان مغير الأحوال و إليه الأمر كله.

\* و من عادات أهل مكة أنهم كانوا يكثرون إقامة الولائم في منازلهم كل واحد بحسب حاله في كل عام في مناسبات شتى كأول السنة في شهر محرم و في مولد النبي صلى الله عليه و سلم في شهرى الربيعين عدة مرات و في شهر رجب و في شهر شعبان و في شهر رمضان و يكثرون فيه الولائم و الدعوات إلى الطعام و في شهر شوال، و تقلَّ الولائم في شهرى القعدة و الحجَّة لاشتغالهم بالحجاج، و عند حضور أحدهم من السفر و عند حصول ولادة و عند نجاح أولادهم في امتحان المدارس و عند شفاء مريض عزيز و عند انتهاء أولادهم من حفظ القرآن الكريم بالغيب و غير ذلك من المناسبات. و كانوا يخرجون جماعات جماعات إلى أواخر مكة في بعض الأيام كبستان الشريف عون بجرول عندما كان عامرا مزدهرا بالأشجار و كبستان المسفلة لوجود الخضروات فيه إلى اليوم و إلى المصافى بأجياد، و يخرجون أيضا إلى منى و عرفات و الهدا و إلى الشهداء في طريق التنعيم فيمكنون يوما كاملا يأكلون و يمرحون رجالا و أطفالا فقط بدون النساء، ثم يعودون في المساء إلى بيوتهم و منازلهم.

و كانت الولائم تقام دائما في المناسبات كما قلنا في كل حارة و كان الناس من الجيران و الأصحاب و الفقراء و الأغنياء يجتمعون مع بعضهم فتنتش حالة الفقراء، و كان الطعام الذى يقدم لهم هو الرز و اللحم و السلطة- بفتحات- المتخذة من القثاء و الخيار و الباذنجان الأحمر و البقدونس، أو من القثاء و الطحينه فقط و أحيانا تقدم سلطات جاوية كالكجَّب، بكسر الكاف و الجيم مع تشديدها، و بعد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٨٥

الطعام كان يقدم للمدعوين الشاى الأسود و الأخضر بدون تقديم القهوة و ما كانوا يقدمون الفواكه مطلقا لقلتها و غلائها و الناس أحوالهم بالبركة، كانت هذه الحالة و العادة جارية لديهم من سنة (١٣٤٢ هـ) فما قبلها و هى عادة حسنة لمواصلة الناس بعضهم ببعض و لتألفهم و تزاورهم و تعاونهم و لكون الفقراء يشبعون في تلك الأيام عند إخوانهم و جيرانهم، و هذه الولائم يخالطها و يزينها تلاوة القرآن مع الذكر و التسيحات و التهليلات و الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و سلم يجتمع الناس في ذلك العصر اجتماعا بريئا طاهرا بأدب و احتشام ليس عندهم شىء من المنكرات و آلات اللهو و لم يكن الراديو و الميكروفونات قد ظهر في عهدهم. و من

اللطائف:

أن بعض البخاريين من سكان مكة المشرفة قد أوقف لله تعالى ما يملكه بمكة و هو بستان البخارى المشهور بمحلة المسفلة لعمل اللواتم لكل من أراد ذلك، و لقد جعل فيه من أدوات الطبخ و لوازمه من القدور و التباسى و الصوانى و الصحون و الملاعق و غيرها شيئا كثيرا و ذلك من بعد سنة (١٢٠٠) هجرية توالى على هذا البستان بعض النظار إلى يومنا هذا و بسبب سوء تصرف بعضهم نقص من أدوات الطبخ و لوازمه شىء كثير، و البستان ما زال فى محله معروفا إلى اليوم. ثم من بعد سنة (١٣٦٥) هجرية تغيرت الأحوال شيئا فشيئا و كثرت الأموال و آلات الملاهى بمكة المكرمة و كثرت اللواتم فى وقتنا هذا كثرة عظيمة لكن بدون نفع و لا بركة و لا تقام لوجه الله تعالى كسابق العهد و إنما تقام اللواتم و الحفلات لأناس مخصوصين من أهل الوجاهة و أرباب الوظائف الكبيرة نفاقا و رياء كالوزراء و الأمراء و الرؤساء و المديرين لا يدعى إليها الفقراء و طلاب العلم، و كل حفلة تبلغ تكاليفها آلاف الريالات و يقدم فيها أنواع الأطعمة الفاخرة و الفواكه اللذيذة الخارجية. فسبحان الكبير المتعال مغير الحال و الأحوال.

\* و من عاداتهم أنهم يصنعون المطبق، بفتح الباء الموحدة و تشديدها، و هو الذى يسمونه بمصر الفطير لكن فارق عظيم بينها فالمطبق يصنعونه بفتح العجين بالسمن حتى يكون رقيقا كالورقة ثم يفتحون عجينة أخرى أيضا و يضعونها فوق الأولى ثم يفتح عجينة ثالثة و يضعونها فوق الثانية ثم يكسرون المقدار الذى يريدونه من البيض و الكرات فى وسطه ثم يجمعون أطراف العجينة على البيض ثم يضعونه فوق الساج و يضعونه على نار هادئة حتى يستوى. و منهم من يخلط مع البيض سكرا و منهم من يضع على العجين السكر فقط و منهم من يضع بدل البيض موزا مع السكر، و لا بد من رش السمن على العجين فوق الساج فيكون بعد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٨٦

استوائه فطيرا فى غاية اللذة. و لا يتقن صنعه هذا الفطير سوى أهل الحجاز و لهم فى فتح العجين حتى يكون رقيقا كالورقة مهارة فائقة جدا فإنهم يفتحونه بأيديهم فقط بدون آلة من الخشب أو غيره. و يصنعون أيضا من هذا العجين الرقيق الذى هو عججين المطبق السمبوسك بأن يقطعوا هذا العجين الرقيق شرائح مستطيلة فى طول خمسة عشر سنتى و عرض ثمان سنتى ثم يضعون عليه اللحم المفروم بالبصل و البهارات ثم يلفونه على هيئة الحجاب أى بشكل مثلث ثم يقلونه بالسمن أو بالزيت و يكون لذيذا جدا. و هذا السمبوسك يصنع فى جميع اللواتم و يصنع فى شهر رمضان خاصة للإفطار، و هذا السمبوسك يشبه ما يسمونه فى مصر «البوريك».

\* و من عاداتهم أيضا صناعة اللحم الحنيد و يسمى عندنا «الندى» بكسر الدال المهملة، و هو أن يأتوا بالخروف المذبوح المسلوخ النظيف فيضعونه بكامله فى المنداء و هى زير كبير مدفون فى الأرض قد أوقد عليه فى جوفه بالحطب حتى صار جمرا فيعلقون الخروف على رأس الزير ثم يغطونه و يكمرونه جيدا حتى يستوى و ينضج بعد ساعات معلومة عندهم ثم يخرجونه و يقدمونه للأكل. و مثل ذلك يعملون رؤوس الخرفان و الغنم فقط و يبيعونه فى السوق وقت الظهر و هو لذيذ أيضا، و لم نسمع فى البلدان الأخرى يعملون مثل هذا.

\* و من عاداتهم أنهم يأكلون صباح كل يوم على الدوام صيفا شتاء الفول المدمس. و طريقتهم فى طبخ الفول المدمس غير طريقة أهل مصر. و الفول المدمس يؤكل كثيرا فى البلاد العربية كالحجاز و نجد و اليمن و مصر و الشام. و فى مصر يؤكل الفول المدمس ليلا و نهارا على الدوام و بالأخص فى الإفطار فى أيام شهر رمضان و فيه يقول الشاعر من الموال:

قالوا تحب المدمس، قلت بالزيت حارو الفول الأخضر تحبوا، قلت بالقنطار

و تاكل الطرشى جنبو، و البصل و خيارو العيش الأسمر تحبو قلت يا ستار

و العدس الأحمر تحبوا، قلت مين ينساهو نابت الفول تاكل، قلت إى و الله

و الشاى الأسود بسكر، قلت ذا أنواع التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٨٧ و الشاى الأخضر تحبوا، قلت بالنعناع فالقول المدمس أكلة شعبية رئيسية بمصر، و الحق يقال أنها أكلة لذيذة مغذية نافعة يجتمع عليه الفقراء و الأغنياء و يأكلون معه

الطرشى بأنواعه و السلطات أيضا، بفتح أوله و ثانيه، و كان من سنة (١٣٤١) هجرية فما فوقها يعتنون بمحلات بيع الفول و أدواته اعتناء تاما. و كان يباع الفول بالمسعى فى محلات متعددة. و إليك صورة محل لبيع الفول بمكة المكرمة.

و الفول معروف من العصور الأولى القديمة و كان حجم الحبوب و الفواكه كبيرا فيها ثم ما زال كل شىء ينقص حتى ابن آدم إلى أن وصلنا اليوم إلى هذه الحالة. قال العلامة المقرئى فى شرحه على «الجامع الصغير» فى آخر الجزء الأول: (فائدة): ذكر المقرئى أن بعض الثقات أخبره: أنه سار فى بلاد الصعيد بمصر على حائط العجوز و معه رفقة فاقطلع أحدهم منها لبنه فإذا هى كبيرة جدا فسقطت فانفلقت عن حبة فول فى غاية الكبر و كسروها فوجدوها سالمة من السوس كأنها كما حصدت فأكل كل منهم قطعة و كأنها ادخرت لهم من زمن فرعون فإن حائط العجوز بنيت عقب غرقه فلن تموت نفس حتى تستوفى رزقها.

\* و من عاداتهم أنهم يأكلون أيضا صباح كل يوم صيفا و شتاء الهريسة، و هى عبارة عن طبخ الحنطة المقشورة الممزوجة بلحم التيس و يطبخ كثيرا حتى تمتزج الحنطة باللحم و يذوب فيها و تبقى هذه الهريسة فوق النار أكثر من خمس عشرة ساعة، و يدقونها بخشبة غليظة لمتزج مع بعض و يضعون فيها قليلا من الفلفل الأسود و القرفة، و يتقن الحضارمة، أى أهل حضرموت صنع الهريسة إتقاناً تاماً و هى أكلة قوية نافعة، و هذه الهريسة لا تعمل إلا عندنا فى الحجاز أو باليمن و حضرموت.

\* و من عاداتهم أنهم يحبون أطيب الطعام و المأكولات، فمن أشهرها أكلة الرز البخارى و أكلة المبشور، أما الرز البخارى فهو عبارة عن الرز المزة يطبخ باللحم مع البهارات من القرفة و القرنفل و الهيل و قليل من الفلفل الأسود مصححا و شىء من الكمون المدقوق. و يكون فيه تقليد البصل و الثوم و الباذنجان الأحمر و هو ما يسمونه بمصر «القوطة» يطبخ كل ذلك طبخاً متقناً و بعضهم يضع فيه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٨٨

سفر جلا يطبخ بالمرقة و الأرز. و هذه الأكلة لذيدة إذا كان الصانع ماهراً و هى أكلة شائعة تعمل غالب الأوقات.

و أما أكلة المبشور: فهى عبارة عن إحضار كمية من اللحم الأحمر الخالص و يجرد من العظام و العروق و الشحوم ثم يدق بالساطر دقا ناعماً و يخلط به الثوم و شىء من الكمون مع الفلفل الأسود ثم يخلط الجميع خلطاً جيداً و يعجن باليد ثم يوضع فى الأسياخ على شكل كرات صغيرة أصغر من الليمون ثم توضع الأسياخ على نار هادئة و يشوى، ثم يطبخ أرز أبيض من غير لحم فيغرف الرز فى الصحون و يزين وجه الأرز بحبات المبشور و يقدم للأكل حاراً ساخناً مع أنواع السلطات و الفواكه. و بعضهم يضع من هذا المبشور فى صحن و يضع فوقه جزءاً من اللبن و يقدم كل ذلك مع أنواع السلطة و الفواكه ... و هذه الأكلة ألد المأكولات و أصحها، و هذا المبشور يشبه الكفتة فى مصر. و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها و غالباً تؤكل هذه الأكلة بعد الظهر.

\* و من عاداتهم أنهم يأكلون التدى، بفتح النون و كسر الدال و يأكلون أيضا الكوزى، بضم الكاف و كسر الزاى فالتدى هو خروف يوضع بأكمله بعد سلخه فى التنور المحمى بنار الحطب ثم يغطى فم التنور جيداً و بعد عدة ساعات يخرج منه الخروف و قد استوى و نضج نضوجاً تاماً فيوضع فوقه تسمى و يقدم للأكل ساخناً و هو لذيد جداً ألد من اللحم المشوى على النار.

و أما الكوزى فهو خروف أيضاً لكنه يوضع بعد سلخه و تنظيفه فى قدر كبير بأكمله بعد أن يضعوا فى القدر السمن و الصلصة و البهارات و الملح و يوقدون تحته النار و يقبلونه بين آونة و أخرى على جوانبه إلى أن يستوى و ينضج ثم يقدمونه للأكل ساخناً. و معنى «الكوزى»: نظن أنه باللغة التركية و قد كان الحجاز كما لا يخفى تحت حكم الأتراك و هم يطلقون على الخروف اسم «القوزى» بضم القاف و كسر الزاى، و من هنا أطلق الحجازيون على هذه الأكلة اسم الكوزى.

\* و من عاداتهم أيضاً أنهم يأكلون السليق و هو عبارة عن اللحم المسلوقة بالماء و الملح فقط فإذا استوى اللحم جعلوا فوقه الأرز و بعد أن يطبخ يجعلون عليه السمن، و هذا السليق لا يوضع فيه شىء من البصل و الثوم و لا من الأباير كالقرفة و الهيل و هذه الأكلة شائعة عندهم، و بعضهم يجعل السليق بلحم الدجاج فيكون ألد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٨٩

من اللحم الضانى، و السليق لا بد أن يكون ماؤه زائدا قليلا على طبخ الرز العادى و لا يعرف هذا السليق إلا فى الحجاز و هى أكلة خفيفة لطيفة.

\* و من عاداتهم أنهم يأكلون المعدوس و هو عبارة عن خلط العدس بالأرز بعد تنقيتهما و غسلهما ثم يعمل تقليبة بالبصل و الثوم، فإذا بدأ البصل فى الاصفرار وضعوا عليه الماء و بعد أن تفور قليلا يضعون عليه العدس و الرز المخلوط المغسول و يجعلون فيه قليلا من الكمون و الأباير فإذا نضج الطعام أنزلوا القدر من فوق النار و وضعوا فيه السمن بالمقدار المطلوب و لا يطبخون المعدوس باللحم أبدا، و أكلة المعدوس شائعة عندنا و فى الغالب يصنعونه فى أيام الشتاء و عند نزول الأمطار.

هذه بعض الأطعمة الشائعة عندنا بمكة مع العلم بأن أهل مكة يعرفون جميع المأكولات و الأطعمة التى تعمل فى الأقطار الإسلامية لأنهم خليطون بجميع الأجناس من الحجاج الواردين إليهم فى كل عام. و بعض هؤلاء لا يرجعون إلى بلادهم بل يقيمون بمكة سنوات طويلة فيصرون من أهلها لذلك أهل مكة يعرفون جميع اللغات و يحسنون جميع الأطعمة، نسأل الله تعالى أن يكثر عليهم النعم و يبارك فى حياتهم و يجعلهم من السعداء آمين.

\* و من عاداتهم أنهم كانوا يخبزون أقراص العيش فى الأفران الموجودة فى كل حارة فكان كل بيت يعجن أهله الدقيق و يجعلونه أقراصا يضعونها فوق الألواح الخشبية فإذا اختمرت الأقراص أرسلوها إلى الأفران لخبزها، و كل بيت يخبز كل يوم و بعضها يخبز يوما بعد يوم و كانت الأفران جميعها توقد و تحمى بالحطب، و كل بيت يخبز من أقراص العيش ما يكفيه، أما الفقراء من العمال و أهل الأسواق فإنهم يشترون الخبز من السوق و بذلك كانت الحبوب من الحنطة و الدخن و الذرة تستورد من مصر و اليمن بكثرة، و كانت المطاحن كثيرة و تدار بواسطة الحمير و لم تكن بمكة غير ماكينه واحده فقط بمحله الفلق و باستعمال الخبز فى البيوت و طحن الحبوب فى المطاحن و الرحى الحجرى كان يكثر نخل الدقيق و استخراج النخاله منه أى قشر الحبوب، و كان الناس ممن يبيعون اللبن و الحليب يطلبون النخاله و يشترونها من البيوت لأكل الأنعام من البقر و الغنم فكان خدمهم يحملون كيسا من الخيش و ينادون فى الشوارع و الحارات بأعلى أصواتهم (نخال. نخال) أى نشترى النخال، فمن جمع شيئا من نخاله الدقيق ينادونهم و يبيعونها لهم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٩٠

هكذا كانت الحال بمكة إلى سنة (١٣٤٣) هجرية، ثم تغيرت الحالة شيئا فشيئا حتى لم يبق للنخاله من أثر لعدم طحن الناس الحبوب بالمطاحن و لعدم خبزهم العيش فى البيوت بل صار جميع الناس يشترون خبزهم من السوق و صار أصحاب الأفران يستوردون الدقيق من الخارج بالآلاف الأكياس، فسبحان مغير الأحوال.

\* و من عاداتهم أنهم كانوا يخبزون الفطير فى الأفران و هو عبارة أنهم يعجنون الدقيق و يضعون فيه السمن أو زيت السمسم ثم يرسلونه إلى الفرن لخبزه سريعا بدون تخميره بضع ساعات و غالبا يضعون هذا الفطير صباحا للإفطار به ثم بطلت هذه العادة فلا يعملونه اليوم إلا بعض أفراد من النادر.

\* و من عاداتهم أيضا أنهم كانوا يصنعون العريكة و يفطرون بها فى الصباح فى أيام الشتاء، و هى عبارة أنهم يعجنون دقيق الدخن و يرسلونه إلى الفرن، و بعد خبزه يعجنونه بالسمن مع التمر اللين، و هذه العريكة لذيذة جدا و من أكلها لا يجوع سريعا ثم بطلت هذه العادة.

\* و من عاداتهم أيضا أنهم كانوا يخبزون العيش أبو اللحم و هو عبارة أنهم يعجنون الدقيق و يجعلونه أقراصا فوق لوح خشبى ثم يأتون باللحم الضانى و يفرمونه ثم يضعونه فوق النار حتى ينضج ثم يخلطونه بالكرات و الطحينه ثم يضعون من هذا الخليط بعد تمليحه مقدارا منه فوق كل قرص من أقراص العيش ثم يرسلونه إلى الفرن و يأكلونه فى الغالب فى الغداء بعد الظهر، و قد قلّ صناعة العيش أبو اللحم فى الوقت الحاضر.

\* و من عاداتهم أنهم كانوا إذا أرادوا فرم اللحم أن يفرموه بأيديهم و ذلك أنه كان يوجد فى سوق الجزائر رجال صناعتهم فرم

للحم لا بالمكائن بل بأيديهم فإنهم كانوا يجزّدون اللحم من العظام ثم يضعونه فوق خشبة قوية و يمسك الواحد منهم بالساطور و يدق به اللحم دقا متواصلًا سريعًا بينما يده اليسرى تقلب اللحم فوق الخشبة بسرعة عظيمة فهو في آن واحد يدق بيده اليمنى بالساطور اللحم و بيده اليسرى يقلب اللحم في سرعة عجيبة و مهارة فائقة لم نجده في البلدان الأخرى، و كان قبل سنة (١٣٤١) هجرية ثم بطل فرم اللحم بهذه الكيفية بعد انتشار مكائن فرم اللحم فصاروا الآن يفرمونه في البيوت بالمكينات.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٩١

\* و من عاداتهم أنهم كانوا فيما مضى من الزمان، أي قبل سنة (١٣٥٠) ألف و ثلاثمائة و خمسين هجرية يكثر من أكل السمن الجيد العال حتى إن الشخص الواحد إذا اشترى الفول المدمس صباحًا لنفسه فقط يضع فوقه ثمن أقه من السمن البلدي الجيد، و ثمن الأقه يساوي خمسين درهما و كانوا في بيوتهم يطبخون أنواع الأطعمة كل يوم فإذا طبخوا أكثروا في طبخهم من السمن الجيد العال بل لقد كان بعضهم إذا اقتنى حمارًا أصيلا يطعمه التمر في كل أسبوع مرة و يسقيه أقه من السمن الجيد في كل شهر مرة. لقد كان السمن الجيد العال متوفرًا بكثرة في مكة المكرمة يأتي إليها من أطرافها، و كانت محلة المدعى تمتلئ بقرب السمن البلدي الجيد و ما كانوا يعرفون السمن الصناعي قط.

ثم من بعد السنة المذكورة ارتفعت قيمة السمن و ذهب الرخص و جاء الغلاء شيئًا فشيئًا فصار يأتي السمن الصناعي و غيره من خارج بلادنا، إننا نتذكر أن أقه السمن البلدي الجيد كانت قيمتها في سنة (١٣٣٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و ثلاثين هجرية بعشرة قروش أي بنصف ريال، و الآن و نحن في سنة (١٣٨٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و ثمانين هجرية بلغ قيمة السمن البلدي خمسة عشر ريالًا، و من النادر أن يجد الإنسان عندنا سمنا جيدًا خالصًا و صار اليوم جميع الناس يستعملون السمن الصناعي. فسبحان الكبير المتعال مغير الحال و الأحوال.

\* و من عاداتهم أنهم يشربون الشاهي، أي الشاي بكثرة ليلا و نهارًا و ذلك من قديم الزمن، و الاجتماعات إذا لم يشرب فيها الشاهي لا تكون ذات رونق و بهجة و جميع دوائر الحكومة و المدارس يكون فيها الشاهي. و لهم عناية تامة بأدوات الشاهي كالسموار و البراد، بتشديد الرء، و الفناجين و التباسي و الملاعق و علب السكر و الشاي و بعضهم يعمل لهذه الأدوات دولابًا خاصًا و كرسيا خاصًا مزينا بالنقوش. و شرب الشاي عادة شائعة في بلاد الحجاز كلها خصوصا بمكة و جدة و المدينة حتى قال بعض شعرائها و هو الشيخ أحمد بن أمين بيت المال المكي رحمه الله تعالى:

إذا زار من تهواه يوما مؤدّهو قد أيقنت بالودّ منك نفوسه

فإن رمت أن تحظى بلطف حديثه و بادرت بالشاهي يطول جلوسه

و إن تسقه الشربات يا صاح إنه يقوم إذا دارت عليه كؤوسه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٩٢

و يشربون الشاهي الأسود و الأخضر و بعضهم يضع فيه النعناع الأخضر أو اليابس، و بعضهم يضع فيه الدوش المسمى بمصر البردقوش، أما قهوة البنّ فهم يشربونها و لكن بقلّة يشربون القهوة التركية و المصرية و النجدية لكن العمدة على شرب الشاي في جميع الأماكن و المنتديات حتى في القهاوى.

و أما شراب الكاكولا المثلجة و نحوها فما كان معروفًا في الحجاز إلا من سنة (١٣٧٠) ألف و ثلاثمائة و سبعين هجرية تقريبًا. و الشاي أمره معروف في جميع البلدان و الممالك الإسلامية و غيرها. و لنا رسالة مطبوعة في ذلك اسمها «أدبيات الشاي و القهوة و الدخان». و قال الشيخ عبد الجليل بزّادة المدني المتوفى في عام (١٣٢٥ هـ) تقريبًا في الشاي:

أرى كل ما تحوى مجالس أنسناجنودا لدفع الهم سلطانها الشاهي

و ليس لها أمر يتم بدونه و هل تم أمر للجنود بلا شاه

و قد خمّس هذين البيتين بعض أفاضل أهل المدينة فقال:

أدر كأس شاهي شهّي و اسقناو فرج به هما بنا قد تمكنا  
فإني لعمرى دائما طول دهرنا أرى كل ما تحوى مجالس أنسنا  
جنودا لدفع الهم سلطانها الشاهي تراه على كرسيه فى صحونه  
مليكا عليه تاجه فى حصونه مجالسنا تزهو بلطف فنونه  
و ليس له أمر يتم بدونه و هل تم أمر للجنود بلا شاه  
و قال السيد عبد الله بن عقيل:

منك النبات و منى النار أضرمها و الماء منى و منك الشاي و اللبن  
كذا أواني يا هذا تحضرها و الغسل منى إذا ما مسحها الدرن  
و الصب منى و منى الشرب أجمعه و الشكر منى إذا أوليت يا فطن  
منى القبول لما يسخو بأخضره لكن أسوده عندي هو الحسن  
ما أحسن الشاي إذا فاحت لوزيته كذاك نعاغه و العنبر اللدن  
باهت به الشاي أقوام له شربوا منه و قد طربوا ما مسهم حزن  
فيه الفوائد من تهضيم ما كلنا كذاك قلب شجى ناله و سن  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٩٣  
و قال بعض أدباء أهل جدة:

إذا من شاه الحسن يوما بزوره و رمت امتداد المكث قدم له الشاهي  
و لا تسقه الشرابات من خوف أنه يقوم فنبقى حائرين بلا شاه  
و قال الشيخ محمد غزال من علماء دمنهور البحيرة بمصر:  
نصاب الشاي يعقد من ثلاث فعول يا أخا العليا عليه  
و منه اشرب ثلاثا فى ثلاث فإن الوتر مندوب إليه

ذكرنا هذه الأبيات الأدبية تنعشا للنفس و ترويحاً لها، و من أراد الإطلاع على مثل هذا فعليه بكتابنا «أدبيات الشاي و القهوة و الدخان»  
و هو مطبوع بمصر.

\* و من عاداتهم أيضا الإعتناء التام بأزيار الشرب الصغيرة و الكبيرة، و بالشراب، بكسر الشين المعجمة و هى جمع شراب، بالكسر أيضا  
و هى القلمة، بضم القاف فينظفونها و يبخرونها بالمصطلى و القفل، بفتحيتين و هو نوع من الحطب رائحته لطيفة صالحة لبخور الشراب  
فإذا شرب منها الإنسان كان الماء لذيذا سائغا أو يضعون فى الشراب ماء، ماء الكادى و ماء الورد و كانوا يتفننون فى صنع الشراب و  
يزخرفونها ببعض النقوش و بعضهم يصنع لها كراسى جميلة يضعها فوقها، فلما ظهر الثلج و كثرت الثلجات الكهربائية قل استعمال  
الشراب فى المنازل و الدكاكين و شراب المدينة المنورة تمتاز بجودة طينها و بياضها لذلك تبرد الماء فيها بسرعة، و ما زال الناس  
يأتون بها من المدينة للهدايا مع تمر المدينة المشهور بلذته وجودته و كذلك يفعلون بماء زمزم كما تقدم فيكون له طعم لذيذ جدا  
خصوصا إذا وضع فيه المصطلى أو ماء الكادى. و إليك صورة الشراب.

انظر: صورة رقم ٣١٦، للشراب - بكسر الشين المعجمة - بوضع الماء فيها لتبريده

\* و من عاداتهم أنهم يبخرون ماء الشرب و ماء زمزم أيضا فيبخرون الشراب، بكسر الشين المعجمة و هى ما يسمى بمصر بالقلل و  
يبخرون دوارق زمزم أيضا يبخرونها إما بالمصطلى أو بالقفل، بفتح القاف و الفاء فتكون رائحة الماء عطرية مقبولة، و القفل بفتحيتين

نوع من الحطب البرى الخاص و هو قليل الوجود.

و بعضهم يضع فى الماء ماء الكادى أو ماء الورد و بعضهم يضع فيه ماء الزهر و هذا يأتى من مصر فيكون بذلك طعم الماء لذيذا سائغا. و نظن أن وضع الروائح

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٩٤

فى ماء الشرب خاص بالبلاد الإسلامية غير معروف لدى الإفرنج. و الله تعالى أعلم.

\* و من عاداتهم فى شهر رمضان المبارك أنهم يفطرون فى المسجد الحرام عند أذان المغرب، إنه خير إفطار و أجمل إفطار على وجه الأرض فى هذه البقعة المباركة فإن الناس قبيل المغرب يجلسون آلافا مؤلفة فى المسجد الحرام حول الكعبة المشرفة يحيطون بها إحاطة السوار بالمعصم من جهاتها الأربع فى انتظار مدفع الإفطار و هم مشغولون بالذكر و التسبيح ناظرين إلى بيت الله الحرام و الطائفين حوله فى إيمان و اطمئنان و خشوع و خضوع أمام كل واحد منهم دورق ملئ بماء زمزم المعطر المبخر مع قليل من التمر فإذا ضرب مدفع الإفطار تناولوا التمر و شربوا من ماء زمزم ثم تقام الصلاة فيصلون جماعة متوجهين إلى الكعبة المشرفة قبله المسلمين، و بعد الصلاة ينتشرون فى الأرض فيذهب كل واحد منهم إلى منزله ليفطر مع أهله و أولاده. هذا المنظر البديع للإفطار فى المسجد الحرام عند الكعبة المشرفة هو منظر وحيد فريد لا مثيل له فى الدنيا، فالحمد لله الذى جعلنا من أهل بيته الحرام و من أمه نبيه سيدنا «محمد» عليه الصلاة و السلام.

\* و من عاداتهم فى شهر رمضان أنهم كانوا يصلون التراويح فى المسجد الحرام جماعات جماعات كل طائفة بإمام خاص و كل طائفة يتفقون فى صلاتهم التراويح إما بقراءة جزء واحد كل ليلة و إما بقراءة أكثر من جزء أو أقل منه و بعضهم يكتفى بقراءة السور القصار فى التراويح فيقرأ الإمام من سورة التكاثر إلى آخر القرآن، و عدد هذه السور ثلاث عشرة سورة تقرأ فى التراويح عشر سور منها و تقرأ الثلاثة السور فى ركعات الوتر الثلاث يعنى يقرأ فى كل ركعة فردية بعد الفاتحة سورة كالركمة الأولى و الثالثة و الخامسة و هكذا، و يقرأ فى كل ركعة زوجية سورة الإخلاص كالركمة الثانية و الرابعة و السادسة و هلم جرا و بعض الناس يختم القرآن فى التراويح فى كل ثلاث ليال مرة و بعضهم يختمه فى كل أسبوع مرة.

الحاصل كانوا يصلون التراويح فى المسجد الحرام بجماعات كثيرة كل جماعة تتفق على قراءة قسم من القرآن و كان طلبة المدارس يصلون مع بعضهم فكانت كل مدرسة تصلى بتلامذتها و أساتذتها و يؤمهم أحد الطلبة ممن يحفظ القرآن الكريم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٩٥

و كانت العادة أن يوضع فانوسان مسرجان بالشمع أو الكاز كل فانوس فوق كرسى خاص أحدهما عن يمين الإمام و ثانيهما عن يساره و توضع أمام صفوف المصلين دوارق الزمزم و كانوا يعتنون بصنع هذه الفوانيس اعتناء تاما من التجميل و الزخرفة و الزجاجات الملونة لعدم وجود الكهرباء فى ذلك الوقت و كانت هذه العادة مستمرة إلى آخر أيام حكم الأشراف على الحجاز. فلما حكم جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود الحجاز فى سنة (١٣٤٣) ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة بطلت هذه العادة فصاروا يصلون التراويح فى المسجد الحرام كلهم بإمام واحد.

\* و من عاداتهم فى شهر رمضان دوران المسحراتية فى كل ليلة من ليالى رمضان فيدور المسحراتى و معه فانوس و طبله صغيرة أى «الدف» فى الأزقة و الحوارى بعد مضى نصف الليل و يقف تحت كل منزل ينادى الساكنين به فردا فردا الرجال و الأطفال الذكور فقط ليقوموا للسحور و يضرب طبلته لدى كل اسم ثلاث ضربات لطاف بتوقيع خاص بعصا صغيرة طولها نحو ثلاثين سنتيمترا، و من الغريب أن المسحراتى يحفظ جميع أسماء الذكور فى البيوت الواقعة فى محلته و حارته و كان يقول فى دورانه على البيوت: «أبرك الليلى و الأيام عليك يا سيدى فلان» ثم يضرب على طبلته بعصاه الخاصة و يستهل أمام منازل الأعيان بعض الأبيات المناسبة كقوله:

تصبحك السعادة كل يوم بأفراح على رغم الحسود

و كقوله:

متى بإكرام الحى عينى تراكمو و تسمع من تلكك الديار نداكمو  
أمر على الأبواب من غير حاجة لعلى أراكم أو أرى من يراكمو

و نحو ذلك: كما أنه يقول الحديث الشريف «تسحروا فإن فى السحور بركة» ثم بعد انقضاء شهر رمضان يدور المسحراتى بطلته على كل بيت و منزل يهنتهم بالعيد، و سكان المنازل يهدونه شيئا من النقود أو الحبوب و غيرها. ثم بطلت هذه العادة أيضا بعد انتهاء حكم الأشراف على الحجاز فى السنة المذكورة، و الظاهر أن هذه عادة قديمة جدا فى بلاد الإسلام حتى يستيقظ الناس من نومهم للسحور فما كانوا يسهرون فى الليل كأيامنا هذه حيث لم يكن لديهم من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٩٦

مغريات و مسليات و أنوار كاشفة كهربائية تجعل الليل كالنهار و ما كان فى زمنهم من الروادى و الصحف و المجلات و القصص المنتشرة الآن فى وقتنا هذا.

و إلى اليوم لا يزال المسحراتية يزاولون أعمالهم فى بعض البلدان كمصر و غيرها من البلدان.

\* و من عاداتهم أنهم كانوا فى شهر رمضان يكثرون الذهاب إلى التنعيم لإتيان العمرة ليلا أو نهارا و بالليل أكثر. و كانوا يذهبون إلى التنعيم على ظهور الحمير قبل وجود السيارات، و كانت الحمير تقف فى قهوة الحمامة التى كانت فى باب العمرة فى أول محلة الشبيكة، و المسافة بين المسجد الحرام و مسجد السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها بالتنعيم نحو ساعة واحدة تقريبا. لقد كانوا يكثرون الذهاب إلى التنعيم للعمرة فى هذا الشهر الكريم شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن يكثرون الذهاب إليها مع الحاضرين بمكة المشرفة من الحجاج من أهل جاوة و من غيرهم. فبعضهم يذهب للعمرة فى ليلة كل الجمعة و بعضهم يذهب فى ليلتى الاثنين و الجمعة و بعضهم يذهب للعمرة فى الشهر المذكور خمس عشرة مرة أى ليلة بعد ليلة و بعضهم يذهب فى كل ليلة مرة و لقد رأينا بعض أصحابنا يذهب إليها فى كل ليلة ثلاث مرات رحمهم الله تعالى و جزاهم خير الجزاء. و لا يخفى ما فى ذلك من التعب لأنهم يحرمون من التنعيم فإذا رجعوا إلى مكة يطوفون بالبيت الحرام ثم يسعون بين الصفا و المروة فى كل مرة ثم يحلقون و يتحللون من الإحرام و بذلك يتعب الإنسان كثيرا إذا ذهب للعمرة فى ليلة واحدة ولكن قوة الإيمان و حب الطاعات يمسحان بالتعب و المشقة.

كان الذهاب إلى العمرة بالحمير إلى سنة (١٣٥٠) ألف و ثلاثمائة و خمسين هجرية ثم بعد هذه السنة تقريبا بطل ركوب الحمير و كثرت السيارات و لا يزال الناس يكثرون الذهاب إلى العمرة فى شهر رمضان إلى اليوم و لكن بالسيارات لا بالحمير.

\* و من عاداتهم أيضا أن الدوائر الحكومية تفتح أبوابها و تدور فيها الأعمال بالليل فى جميع شهر رمضان ابتداء من بعد صلاة التراويح إلى أول وقت السحور عندما يضرب المدفع للسحور و هذه العادة متبعة من قديم الزمان، و تفتح فى ليالى رمضان جميع الدكاكين و الأسواق تكون عامرة لكن المدارس تفتح أبوابها فى النهار و بعد الظهر يرجع التلامذة منها إلى منازلهم. ثم إنه فى سنة (١٣٨٣) ألف

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٩٧

و ثلاثمائة و ثلاث و ثمانين هجرية صدرت أوامر الحكومة العربية السعودية بإبطال تلك العادة و أن تفتح الدوائر الحكومية أبوابها بالنهار فاتبع الناس هذه الأوامر و بطلت تلك العادة من أول السنة المذكورة. ثم فى سنة (١٣٨٤) أصدرت الحكومة السعودية أمرا بأن تفتح الدوائر الحكومية أبوابها بالليل فى شهر رمضان كالعادة السابقة حيث أن الناس قد تعبوا من العمل بالنهار مع الصيام و حسنا فعلت الحكومة رحمة بالناس و طلبا لراحتهم.

\* و من عاداتهم أيضا أن أكثر الناس من متوسطى الحال كانوا يجعلون فى دهاليز بيوتهم التكارنة و الحجز كحراس للبيوت فهؤلاء



يسكنون في دهليز البيوت مع أهلهم و أولادهم بدون أجر و كانت هذه العادة متبعة بمكة منذ قديم الزمان ثم بطلت من سنة (١٣٣٨) ألف و ثلاثمائة و ثمان و ثلاثين هجرية فلم يبق لهذه العادة من أثر فسبحان مغير الحال و الأحوال إنه جل جلاله هو مدير أمور الكائنات، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

\* و كان من عاداتهم اتخاذ ساعات الجيب الصغيرة و ربطها بسلسلة جميلة من المعدن النظيف يسمونها «الأستيك» بضم أوله و سكنون ثانيه و كسر ثالثة و بعضهم يتخذ هذا الأستيك من الحرير أو القيطان و يربط الساعة فيه، و قليل جدا من يتخذ الأستيك من الفضة. ثم اتخذ الناس من بعد سنة (١٣٦٥) ه ساعات اليد بالتدرج فصاروا يضعونها على معصمهم، و أستيك ساعات اليد تشبه السوار تماما و هو على أنواع شتى من الجلد و المعادن المختلفة. و قد انتشرت في البلاد ساعات اليد و كثر استعمالها حتى كادت ساعات الجيب أن تفقد و يبطل استعمالها و من النادر أن تجد رجلا يحمل معه ساعة الجيب. فسبحان مغير الأحوال.

\* و من عاداتهم أنهم كانوا جميعا يلبسون النعال البلدية في أرجلهم، و لهم في صنعها مهارة فائقة و هي قوية و جميلة جدا، و لنعال أهل الحجاز شكل خاص و هيئة معروفة لا يشابهها نعال البلدان الأخرى غير أن نعال أهل المدينة المنورة غير نعال أهل مكة، و يطلقون على النعل المداس و كانت قيمة الجوز الواحد من النعل تبلغ جنيها ذهبا إنجليزيا بل أكثر و هذا النوع هو أعلى النعال لكنه مع جماله و حسنه الممتاز يمكن في مدة الاستعمال نحو عام واحد من غير أن يحصل عليه تلف أو تقطيع، و هناك أنواع أخرى أرخص من القيمة المذكورة و هذه النعال كان يلبسها في رجله الكبير و الصغير و الشريف و الوضيع و العالم و الجاهل، و لعرب البادية نعال

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٩٨

خاص يستعملونها، و ما كان أهل الحجاز يرغبون لبس «الجزم» بكسر الجيم و فتح الزاي و يسمونها «الكنادر» بكسر الدال المهملة، ثم صاروا يلبسونها من سنة (١٣٤٥) إلى اليوم. أما النعال التي تأتينا من الخارج التي تسمى بالشباشب و هي أنواع شتى من اللستك المطبوخ ببعض الأجزاء و ربما كانت من الكاوتش.

فإنها لم تعرف إلا من سنة (١٣٧٢) هجرية. و قد شاع لبس هذه الشباشب الخارجية في جميع البلاد لرخصتها و قلّة ثمنها و بذلك قلّ لبس النعال الحجازية بل كادت أن تندثر. و لبس النعال معروف من قديم العصور لأن صنعها سهل ميسور، قال تعالى يخاطب نبيه و كلمه موسى عليه الصلاة و السلام في سورة «طه»: «فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى». و كان نبينا محمد صلى الله عليه و سلم يلبس النعال السبئية كما جاء ذلك في الصحيحين و السبئية، بكسر السين المهملة نسبة إلى السبت و هو القطع أي المدبوغة التي حلق شعرها كما قاله العريزي في شرحه على «الجامع الصغير». و جميع الصحابة و التابعين و من بعدهم كانوا يلبسون النعال، و لقد تكلمنا عن نعل رسول الله صلى الله عليه و سلم بالتفصيل في رسالة خاصة.

\* و من عاداتهم أنهم جميعا يحبون الاجتماع مع أصحابهم و أصدقائهم فترى أن أحدهم يدعو أصدقاءه في كل أسبوع مرة و يعمل لهم طعاما لطيفا يجتمعون عنده غالبا يوم الجمعة بعد الصلاة و بعضهم يدعو أصدقاءه في غير يوم الجمعة أيضا بمناسبة أو بغير مناسبة، الغرض من ذلك اجتماعهم مع بعضهم على الطعام و بعضهم يحبون الاجتماع ليلا فيسمرون و يتحدثون ثم بعد الطعام ينصرف كل واحد إلى منزله. و هذا يحدث كثيرا و لا يشدّ عنهم إلا الشحيح البخيل.

\* و من عاداتهم لعب الكرة و ما كان يلعبها سوى الأطفال في الشوارع و الأزقة و كان لعبها بدائيا، لكن بترتيب و نظام اصطلاحوا عليه، و كانوا يلعبونها بالأيدى فقط فكان أحدهم يمسك الكرة بيده اليسرى ثم يقذفها في الهواء بارتفاع قليل عن رأسه ثم يضربها بيده اليمنى بقوة فترتفع في الهواء و تمشى إلى الأمام فيتلقفها بعضهم، و ينقسم اللعب إلى أشواط و يسمون كل شوط باسم خاص، و في آخر الشوط يعلم الغالب من المغلوب، و يمكن لعب الكرة من شخصين أو من فرقتين. بقيت هذه اللعبة إلى سنة (١٣٥٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و خمسين هجرية تقريبا ثم تطور لعبها بتطور التعليم عندنا بعد السنة المذكورة حتى أصبح اليوم يلعبها التلامذة الكبار و الرجال و لهم نوادي لذلك في بعض البلدان و يتدربون على

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ١٩٩

كبار أساتذة لعب الكرة العالمية و يعملون بينهم مباريات يجتمع عليها من أهل البلاد و بعض رجال الحكومة في ذلك اليوم و يحضر في هذه المباريات آلاف الناس و الفائز من الفرق يأخذ جائزة تذكارية كالمعتاد عند جميع الأمم، و توجد نوادي رياضية في جميع أنحاء المملكة السعودية نذكر منها فقط ما يكون بمكة المشرفة و بالمدينة المنورة و بجدة و بالطائف فقط للعلم به في الجملة:

ففي مكة المكرمة: فريق الوحدة، و فريق العلمين، و فريق الشباب، و فريق الشرق الوطني، و فريق التعاون.

و في مدينة جدة: فريق الإتحاد، و فريق الهلال، و الفريق الأهلي، و فريق السلام، و فريق التسامي، و فريق رضوى.

و في المدينة المنورة: فريق أحد، و فريق العقيق.

و في مدينة الطائف: فريق التضامن، و فريق ثقيف.

و يكون اللعب في حالات المباريات: في ملعب إسلام بمكة و في ملعب الصبان بجدة و في ملعب التربية بالطائف.

و لعب الكرة معروف من قديم الزمان، و فيه يقول الشاعر العربي:

كرة طرحت بصوالجئة فتلقفها رجل رجل

و الصوالجئة، بكسر اللام جمع صولجان و هو المحجن بوزن مقود و هو كل عود معطوف الرأس. و صنع الكرة في بدء الأمر كان من الخرق و القطن يجمعونها ثم يلفونها بخيوط كثيرة حتى تكون دائرة متساوية الأطراف و الجهات و بعضهم كانوا يزخرفونها بالحريز الملون من أحمر و أخضر و أصفر و أزرق و غيرها و يعملون عليها نقوشا جميلة و ذلك من فوق الخيط الملفوف عليها، و كان هذا الحال قبل سنة (١٣٠٠) ألف و ثلاثمائة هجرية، ثم بعد ذلك تطور صنعها تدريجيا إلى أن أصبح الآن تصنع من الجلود و الكاوتش صنعا جميلا متقنا.

### لبس العمامة و العقال في الحجاز

يختلف لباس الرأس لدى جميع الأمم و الشعوب لأن كل أمة تتزيا بزى خاص بما يتفق مع طبيعة جو بلادهم، فلباس الرأس في مصر اليوم الطربوش و كان هو لباس الأتراك سابقا و لباس أهل العراق و أهل الشام، و لباس المغرب الطربوش المغربي التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٠٠

و لباس الإفرنج البرنيطة. و في عصرنا هذا يمشى غالب شباب الإفرنج و بعض شبان المسلمين المتعلمين في أوروبا عراه الرأس تماما لكن بعد عنايتهم التامة بشعر الرأس و تمشيطة و دهنه و تعطيره حتى يكون في قالب بديع جميل و يسمى هذا لديهم ب «التواليت». و نرى أن أصحاب التواليت لهم نوع عذر في جعل رؤوسهم عارية لأن وضع عمامة أو طربوش أو نحوهما على رأس من يستعمل «التواليت» يشوه المنظر و يخرب نظام الشعر و تسريحته.

أما لباس أهل الحجاز فإنهم كانوا يلبسون على رؤوسهم عمام خاصة، و لهذه العمام رجال يتقنون صنعها العجيب و رجال يتقنون لف القماش عليها لفا محكما لا يعرفه غيرهم، و كان لها سوق رائجة و مقدار ما يلف عليها من القماش الشاش الأبيض الخفيف الجيد نحو عشرين ذراعا و قسم منها يلف على رأسه عمامة عادية من القماش الأبيض أو الملون لا يتجاوز الذراعين يلفها بنفسه على رأسه في كل مرة و هي كالعمامة التي على رأس مؤلف هذا الكتاب كما هي ظاهرة في صورته و يلبسون فوق الثياب الجبة - بضم الجيم المعجمة - كان هذا لباس أهل الحجاز إلى أوائل عهد جلاله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى، ثم صدرت إرادته السنية على جميع موظفي الحكومة بلبس المشلح و هو العباءة، و لبس العقال المسمى بالشطافة على الرأس، و الشطافة بضم الشين و تشديد الطاء و هي القماش الذي تحت العقال و تسمى ب «الغتر» بضم الغين و التاء المعجمتين، و صدور الإرادة كان في سنة (١٣٥٠) خمسين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة أو قبلها بسنة، فمن هذا التاريخ شاع في جميع المملكة العربية السعودية استعمال

الزى المذكور و بطل استعمال العمائم فى الحجاز فلا يوجد له اليوم إلا أثر لا يذكر.

ورد فى الحديث: «العمائم تيجان العرب و الاحتباء حيطانها و جلوس المؤمن فى المسجد رباطه» رواه الديلمى فى مسند الفردوس و إسناده ضعيف كما قاله العزيزى، و روى الديلمى أيضا: «العمائم تيجان العرب فإذا وضعوا العمائم وضعوا عزهم» و إسناده ضعيف أيضا و ورد أيضا: «العمامة على القلنسة فصل ما بيننا و بين المشركين يغطى يوم القيامة بكل كورة يدورها على رأسه نورا».

قال العزيزى فى شرحه على «الجامع الصغير» عند هذين الحديثين: القلنسة، بفتح القاف و سكون النون و ضم السين المهملة و فتح الواو و قد تبدل ياء مثناة من تحت و قد تبدل ألفا فتفتح السين فيقال: قلنساء، غشاء مبطن يستر به الرأس و قال التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٠١

بعضهم: هى التى يغطى بها العمائم و تستر من الشمس و المطر كأنها عقدة رأس البرنس. انتهى.

و قال الحنفى فى حاشيته على «الجامع الصغير»: القلنسة أى شىء يستر به الرأس. انتهى.

روى الترمذى و النسائى و غيرهما عن عبد الرحمن بن حرير عن أبيه عن جده قال: لكأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و عليه عمامة سوداء قد أرخى بين كتفيه من الجهة اليسرى مقدار أربع أصابع. و عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: كان النبى صلى الله عليه و سلم يسبل عمامته من خلف ظهره إلى الجهة اليسرى مقدار أربع أصابع.

و عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما لما بعث النبى صلى الله عليه و سلم على بن أبى طالب إلى خيبر عممه بعمامة سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه من الجهة اليسرى مقدار أربع أصابع.

و عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: كنت عند النبى صلى الله عليه و سلم و أصبح عثمان رضى الله عنه و قد اعتّم بعمامة بيضاء فأدناه رسول الله صلى الله عليه و سلم فنقضها ثم عممه بعمامة سوداء قد أرخى بين كتفيه من الجهة اليسرى مقدار أربع أصابع. و عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: عليكم بالعمائم فإنها سيماء الملائكة و تيجان العرب و أرخوها من خلف ظهوركم إلى الجهة اليسرى مقدار أربع أصابع.

و عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: كانت عمامة رسول الله صلى الله عليه و سلم فى سفره بيضاء طولها سبعة أذرع فى عرض ذراع و أن العذبة من غير العمامة، و فى الحضر كانت عمامته صلى الله عليه و سلم سوداء من صوف طولها سبع و عرضها ذراع و العذبة من العمامة.

و عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه قال: نزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه و سلم و عليه عمامة قد أرخى كرايتها من خلف ظهره من الجهة اليسرى مقدار أربع أصابع.

جاء فى تاريخ الخميس عند قتال الملائكة يوم غزوة بدر الكبرى ما ملخصه:

قال ابن عباس: كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمام بيضاء قد أرسلوها فى ظهورهم و يوم حنين عمام حمراء. و عن ابن هشام عن على فى سيماء الملائكة يوم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٠٢

بدر مثل ما قال ابن عباس إلا جبريل فإن فى حديث على أنه كانت عليه عمامة صفراء. و فى أنوار التنزيل: و كانت سيماء الملائكة يوم بدر أنهم على صورة الرجال عليهم ثياب بيض و عمام قد أرخوا أذناها بين أكتافهم خضر و صفر و حمر و بيض، و فى الحديث أن النبى صلى الله عليه و سلم قال لأصحابه يوم بدر: تسوّموا فإن الملائكة قد تسوّمت بالصوف الأبيض فى قلانسهم و مغافرهم. كذا فى معالم التنزيل. انتهى من تاريخ الخميس باختصار.

و مما يناسب هذا المبحث ما ذكره ابن بطوطة فى أول رحلته التى كانت سنة (٧٢٥) خمس و عشرين و سبعمائة من الهجرة و هو كما يأتى: فإنه عند ما وصل إلى الإسكندرية ذكر بعض علمائها فقال: فمنهم قاضيها عماد الدين الكندى إمام من أئمة علم اللسان و كان

يعتم بعمامة خرقت المعتاد للعمائم لم أر في مشارق الأرض و مغاربها عمامة أعظم منها، رأيته يوما قاعدا في صدر محراب و قد كادت عمامته أن تملأ المحراب، و منهم فخر الدين بن الريغي و هو أيضا من القضاة بالإسكندرية فاضل من أهل العلم. انتهى من رحله ابن بطوطة.

نقول: إن العمامة هي شعار العلماء و الطلبة من قديم العصور إلى يومنا هذا و تختلف أنواعها و أشكالها بحسب عادات أجناس الأمم و البلدان. فالعمامة لا زالت مستعملة في الحجاز و في مصر و في اليمن و في الشام و في العراق و في إيران و في أفغانستان و في باكستان و في الهند و في السند بل في جميع البلدان الإسلامية تستعمل العمامة كما تستعمل فيها غير العمامة من لباس الرأس من الكوفية و الطربوش و الطواقى القماشية و الخيزرانية و اللبده و ما يشبه البرنيطة و غير ذلك من كل ما تخترعه الأمم بما يوافق مزاجها من لباس الرأس، و بعضهم لا يلبس شيئا في رأسه مطلقا لحسن منظر شعره الممشط المعطر و المسرح بشكل جميل جذاب الذى يسمى «بالتواليت» مما لا يتفق حسن منظره مع عمل التواليت المعروف في زماننا. نسأل الله أن يجعل بواطننا بنور الإيمان و العلم و المعرفة و أن يجعل ظواهرنا بأنواع النعم من الرزق الحلال بفضله الواسع و إحسانه العميم آمين.

\* و من عادات أهل مكة في عيد الفطر أنهم يتزاورون في أيام الأعياد كما هي العادة لدى جميع الأمم غير أن أهل مكة يمتازون عنهم بشيء واحد و هو أن هذه الزيارات أيام العيد تكون بغاية الترتيب و النظام و ذلك كما يأتي:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٠٣

اليوم الأول من عيد الفطر لزيارة حاكم مكة و أميرها و لتزاور الأهل و الأقرباء خاصة و قد يفطرون صباحا عند بعضهم و يتغدون ظهرا عند بعضهم.

اليوم الثانى تكون المعايدات و الزيارات في محلة النقا و القرارة و سوق الليل و شعب على و شعب عامر.

و اليوم الثالث تكون المعايدات و الزيارات في محلة الشامية و أجياد و القشاشية و السليمانية و المعابدة.

و اليوم الرابع تكون المعايدات و الزيارات في محلة الشبيكة و المسفلة و حارة الباب و جرول.

و يعبرون عن هذا اليوم الرابع «بدفن العيد» فلذلك يخرج بعضهم إلى خارج مكة أى إلى حوايلها للفسحة و تسمى ليلة ثانى يوم العيد بالليله اليتيمة. و بهذا اليوم الرابع تنتهى المعايدات الرسمية بين الناس و قد تكون الزيارات أيضا في اليوم الخامس كملحق بأيام العيد الأربعة و ذلك لمن فاتته المعايدة و الاجتماع مع بعض أصدقائه لعذر من الإعدار. و قد كانت العادة أنهم يطلقون المدافع بمكة عند ثبوت ليلة عيد الفطر و يضربون من المدافع إحدى و عشرين طلقة في كل وقت من أوقات الصلوات المفروضة من حين ثبوت هلال شوال إلى عصر اليوم الثالث من أيام العيد، و لإطلاق المدافع في جميع المناسبات «في وقت السلم و الحرب و فى الأعياد و تحية البواخر عند رسوها فى الموائى و إقلاعها عنها» إصطلاح خاص يعرفه المختصون. و الحقيقة أن تنظيم المعايدة و ترتيب الزيارات من أفضل العادات القومية و أجملها لضمان اجتماع المرء مع أصدقائه و إخوانه، و لم تختلف هذه العادة فى مكة إلا من بعد سنة (١٣٦٢) اثنتين و ستين و ثلاثمائة و ألف هجرية تقريبا و سببه ازدياد السكان المهاجرين من مختلف الأقطار و امتداد العمران فيها إلى مسافات بعيدة فى جميع جهاتها.

نسأل الله تعالى أن يجمع كلمتنا و شملنا و أن يوفقنا لخدمة بعضنا البعض بصدق و إخلاص آمين.

و كان للعيد فرحة كبيرة بمكة كان المسجد الحرام يمتلئ بالناس و كل واحد منهم يلبس أحسن ما عنده من الثياب الجديدة و بالأخص الأطفال الذين يتزينون بألوان الثياب المزركشة و كل منهم يشتري ما يحلو له من أنواع اللعب و أشكال المسليات و الأسواق و الدكاكين مقفولة ما عدا مباسط اللعب و مباسط الحلويات

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٠٤

و المشببك الذى يعمل خاصة للعيد، و المشببك «بضم أوله و فتح ثانيه و ثالثه مع تشديد الموحدة» هو عجيب سائل من الدقيق يوضع

منه قليلا قليلا في ظرف خاص ثم يقلى بالزيت على شكل دوائر صغيرة فإذا احمرت في الزيت أخرجت و طرحت «في الشيرة» بكسر الشين و فتح الرء و هي السكر المعقود في النار ثم يرفع و يوضع في التباسى الواسعة و يباع بالأفة.

و فرحة العيد بمكة تظهر بأجلى معانيها في الأربعة الأيام الأولى من شهر شوال لصغر مكة و لعدم كثرة وجود الأجانب من المسلمين من كافة البلدان ليختلطوا بأهلها فكان أهلها محتفظين بعاداتهم القديمة من كل الوجوه. أما اليوم لما كثر سكان مكة كثرة عظيمة و اتسعت رقعتها لكثرة من أقام بها من جميع الأقطار الإسلامية و استوطنها فإن عادات أهلها كادت أن تندثر لاختلاطهم بالأجانب المقيمين بينهم لأن كل جنس منهم يحتفظ بعادات بلاده، فالاختلاط و الامتزاج يوجب تقليد بعضهم لبعض في كافة نواحي الحياة.

أما عيد الأضحى و هو العيد الكبير فليس له مظهر عندنا بمكة بسبب أن جميع الناس موجودون في منى بعد نزولهم من عرفات و كلهم هنالك يقيمون شعائر الحج و مشغولون بأعماله بل مشغولون بخدمة الحجاج من قبل طلوعهم إلى عرفات إلى أن يسافروا و يرجعوا إلى بلادهم. و كفى عندنا بالحج و الحجاج و ذبح الأضاحى و تفرقة لحومها مظهرا بعيد الأضحى المبارك و فرحة بالعيد الأكبر، فيا له من مظهر و يا له من فرحة لا يشاركونا في مظهره و منظره قطر من الأقطار الإسلامية، و هذه الحالة دائمة فينا بفضل الله تعالى في كل عام إلى يوم القيامة. فالحمد لله رب العالمين.

\* و من عاداتهم في الأعياد و المناسبات العظيمة أن يعملوا «مزمارا»، «بكسر الميم الأولى» في كل محللة و حارة صباحا و مساء، و المزمار عبارة عن إيقاد النار بالحطب في أرض الحارة فإذا ما اشتعلت دار أهل الحارة من العوام حول النار بوقع خاص و على حركات منتظمة لا تشبه الرقص يلعبون بالعصى يمسك الواحد منهم العصا بيده فيديرها بين أصابعه مع المرح و السرور، و ربما ضرب بها أحدهم من يقابله حول النار فيتلقفها الثانى بعصاته من غير أن يحصل من ذلك ضرر إلا إذا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٠٥

أخطأ الضارب بالعصا و لم يتمكن الثانى من الاتقاء و لا بد لكل لاعب في المزمار أن يحمل معه عصا غليظة بطول القامة يعتنون بتشذيبها و نظافتها و يسمونها «الشون» بضم الشين و يصحب المزمار عادة طبل يضربون عليه ضربا منتظما خاصا، و عند إقامة المزمار لا يستعملون شيئا من آلات الزمر مطلقا، و ليس المقصود من إيقاد النار التدفئة من البرد فإنهم يوقدونها و لو في الصيف و إنما هي عادة قديمة درجوا عليها من سالف الأزمان و المقصود من عمل الطبل و المزمار التسلية و إدخال السرور عليهم و جلب النشاط.

و لقد جاء ذكر المزمار في تاريخ الإمام الأزرقى في الجزء الأول عند ذكر الفيل حين ساقته الحبشة في قصة هدم العباس بن الربيع أمير اليمن من قبل أبى جعفر المنصور كنيسة القليس، بناها أبرهه بصنعاء للنجاشى ملك الحبشة و ذلك قبل ولادة رسول الله صلى الله عليه و سلم، فروى الأزرقى في تاريخه ما ملخصه: أنهم ذكروا للعباس بن الربيع ما فى القليس من الذهب و الفضة و عظم ذلك عنده و قيل له إنك تصيب فيه مالا كثيرا و كتر فتاقت نفسه إلى هدمه و أخذ ما فيه فبعث إلى ابن وهب بن منبه فاستشاره فى هدمه و قال: إن غير واحد من أهل اليمن قد أشاروا على أن لا أهدمه و عظم على أمر كعيب و ذكر أن أهل الجاهلية كانوا يتبركون به و أنه كان يكلمهم و يخبرهم بأشياء مما يحبون و يكرهون.

قال ابن وهب: كل ما بلغك باطل و إنما كعيب صنم من أصنام الجاهلية فتنوا به فمر بالدهل - و هو الطبل - و بمزمار فليكونا قريبا ثم أعل الهدامين ثم مرهم بالهدم فإن الدهل و المزمار أنشطهم و أطيب لأنفسهم و أنت مصيب من نقضه مالا عظيما مع أنك تثاب من الفسقة الذين حرقوا غمدان و تكون قد محوت عن قومك اسم بناء الحبش و قطعت ذكرهم.

و كان بصنعاء يهودى عالم قال: فجاء قبل ذلك إلى العباس بن الربيع يتقرب إليه فقال له: إن ملكا يهدم القليس يلى اليمن أربعين سنة، قال: فلما اجتمع له قول اليهودى و مشورة ابن وهب بن منبه أجمع على هدمه، قال أبو الوليد: فحدثنى الثقة، قال: شهدت العباس و هو يهدمه فأصاب منه مالا عظيما ... إلخ القصة.

انتهى ما جاء فى الأزرقى.

نقول: علم مما جاء في تاريخ الأزرقى أن الطبل و المزمار عادة قديمة جاهلية غير أن المزمار في عرف ذلك العصر الغابر الآلة التي يزم فيها بالنفخ في القصب و نحوه،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٠٦

و أما المزمار في عرف زماننا فهو نفس اجتماعهم حول النار بالطل و اللب بالعصى بكيفية خاصة.

و لم يزل المزمار موجودا بالحجاز إلى أن تولى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى على الحجاز و ذلك سنة (١٣٤٣) ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة فبطل إقامة المزمار من الحارات و المحلات كما بطل كثير من الخرافات التي لا تتفق مع الشرع الشريف الحنيف.

\* و من عاداتهم عمل الهوشات- بضم الهاء- جمع هوشة و هي عبارة عن حدود خصام بين حارتين «محلّتين» متجاورتين بسبب تعدى إحداهما على حدود الأخرى فتقام بينهما «الهوشة» حتى تغلب إحداهما على الأخرى و ذلك بأن يتراموا في أرض الشارع بالحجارة حتى تتفقر إحدى الحارتين إلى الورا و يظهر عليها الانهزام، و في النادر جدا أن يقع في الهوشة استخدام السلاح كالسكين و المسدس، و تكون الهوشة عادة من العوام باشتراك بعض الصبيان و الغلمان.

و الهوشة يمكن أن نقول عنها إنها ناشئة عن نخوة و شهامة فلا يقبل أهل حارة أن يدخل أهل حارة أخرى إلا بالاستئذان من كبار رجالها، على كل حال هي عادة غير مستحسنة لحصول الضرر و الأذى بسببها و لقد بطلت هذه العادة بعد حكم جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى الحجاز و ذلك سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية.

\* و من عاداتهم أنهم يقيمون جميع الصلوات بالمسجد الحرام من الصلوات المكتوبة في الخمسة الأوقات و من صلاة العيدين و صلاتي الخسوف و الكسوف و الصلاة على الجنائز و صلاة الجمعة و صلاة الاستسقاء. فما أروع كل هذه الصلوات تقام في هذا المسجد العظيم أمام بيت الله الحرام و ما أوقع منظر هذه الجموع الغفيرة من المؤمنين في قلوبهم و هم يجتمعون لعبادة الله تبارك و تعالي ملتفون دائرون من الجهات الأربع حول الكعبة المعظمة بإيمان و إخلاص، إنه منظر فريد لا ثاني له على وجه الأرض. فالحمد لله ميز بلده الحرام على جميع بقاع الدنيا و فضل أهل بيته الكرام على جميع أجناس الأنام فالحمد لله على ذلك و الحمد لله أن جعلنا منهم بفضله و رحمته.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٠٧

إن المسجد الحرام كما يمتاز بوجود الكعبة المعظمة بوسطه يمتاز أيضا باستمرار الطواف و التسبيح خصوصا في مواسم الحج، فالطواف و العبادة لا- ينقطعان فيه آناء الليل و أطراف النهار فهو لذلك لا يقفل أبوابه لا ليلا و لا نهارا. فهو بذلك يمتاز عن جميع مساجد الدنيا بأجمعها حتى عن المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة.

نسأل الله تعالى التوفيق للعبادة و أنواع الخيرات بفضله و رحمته آمين.

ذكرنا هنا ما يمتاز به المسجد الحرام بمكة المكرمة باستمرار الأذكار و الأدعية عند الطواف حول الكعبة المعظمة، أما ما يمتاز به المسجد النبوي بالمدينة المنورة فبغاية الأدب و الاحترام خصوصا حول قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم و ذلك تأدبا معه صلى الله عليه و سلم فحرمته حيا أو ميتا على حد سواء. قال الله تعالى في أول سورة الحجرات: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ\* إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ.

جاء في تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى عند هاتين الآيتين الكريمتين ما نصه:

وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي صلى الله عليه و سلم و قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: من أين أنتما؟ قالان: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل المدينة

لأوجعتكما ضربا، ثم قال ابن كثير: وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لأنه محترم حيا وفي قبره صلى الله عليه وسلم دائما... إلخ كلامه. اه منه.

فانظر رحمتنا الله تبارك وتعالى إلى هذا الأدب الرفيع العالى من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وبعض الناس في زماننا لا يعرفون آداب زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم نسأل الله تعالى السلامة من الفتن ما ظهر منها وما بطن آمين.

\* ومن عاداتهم أنه كان إذا ولد لأحدهم مولود ذكرًا كان أو أنثى ذهبت والدته بعد انقضاء أربعين يوما من ولادته مع بعض النسوة بهذا المولود بعد وضعه في فراش صغير جميل نظيف إلى المسجد الحرام من بعد صلاة العصر فتدعو أحد أغوات المسجد الحرام ليذهب بمولودها فيضعه على عتبة باب الكعبة المعظمة نحو

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٠٨

عشر دقائق وذلك تبركا و تيمنا بهذا الوضع الشريف اللطيف ثم بعد ذلك يرجعه إلى أمه وقد قرت عينها و انشرح صدرها بلبثه عند باب بيت الله الحرام.

كانت هذه عاداتهم مع كل مولود يولد بمكة المشرفة حتى ولو كان من الغرباء من قديم العصور والأزمان إلى أول العهد السعودي أى إلى سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية ثم من بعد هذه السنة المذكورة بطلت هذه العادة و لم يبق لها أثر. فله الأمر من قبل و من بعد.

\* و من عاداتهم أيضا أنهم كانوا لا يزالون يصلون على أمواتهم عند الكعبة المعظمة بالمسجد الحرام فهنيئا لهم بهذه المتعة التي لا يشاركهم فيها المسلمون في البلدان الأخرى و الله تعالى غفور رحيم كريم حلیم يدخل من يشاء في رحمته في أى بقعة كانوا.

\* و من عاداتهم أن غالبهم إذا زاروا مرضا لا بد أن يحملوا معهم شيئا من الفاكهة كهدية للمريض، و غالبا تكون هديتهم من فاكهتين نحو أقتين من العنب و أقتين من التفاح أو برتقال و رمان أو تين و مشمش و أحيانا تكون كمية الفاكهة أكثر من أقتين و أحيانا أقل، كل واحد يقدم بحسب قدرته، غالب الزوار يقدم هذه الفاكهة للمريض سواء كان في بيته أو في المستشفى و سواء أكلها أو لم يأكلها.

و لا- شك أن هذه عادة جميلة طيبة فيها رضاء الله تعالى و فيها جبر خاطر المريض الذى هو فى أمس الحاجة إلى مواساة إخوانه و أقاربه، و قد ورد فى الحديث ما معناه: تهادوا تحابوا فإن الهدية تذهب و غر الصدر، أى تذهب غيظه و كراهيته، فالهدية بإخلاص و إن قلت تذهب غيظ الصدر و تمشح العداوة مسحا. إن الهدية للمريض تنعش نفسه و تدخل الفرح فى قلبه لا لاحتياجه إليها فربما أن الطبيب منعه من أكل الفاكهة و إنما هو يقدر للمهدى هديته، فإن كانت بينهما خصومة محيت و إن كانت بينهما محبة ازدادت.

\* و من عاداتهم أنهم كانوا يحملون بأيديهم المسابح فإن الإنسان إذا بلغ نحو الأربعين حمل فى يده سبحة حتى النساء كن يحملن فى أيديهن المسبحة.

هكذا كانت عادة أهل مكة يحملون المسابح فى أيديهم منذ قرون عديدة إلى سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية، فمنذ هذه السنة بطلت عندهم عادة حمل المسابح إلى اليوم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٠٩

هذا و لقد كانت للمسابح أسواق رائجة فى مكة المكرمة و كانت لها دكاكين خاصة معروفة و كان الإقبال عليها فى مواسم الحج عظيما جدا، و للمسابح أنواع كثيرة منها الرخيص و منها الغالى، فمن أنواعها: اليسر و المرجان و الكهرمان و الصندل و العود و العظم و غير ذلك. فسبحان مغير الأحوال.

\* و من عاداتهم أن نساءهم إذا خرجن لزيارة منازل الأقارب و الجيران فعند وصولهن إلى البيت يصعدن قليلا من الدرجات و السلالم ثم يصفقن بأيديهن لإشعار أهل البيت بحضورهن فلا ينادونهن بالأسماء و لا يدخلن الدار بدون تصفيق و إشعار. و إذا أرادت امرأة

فى بيتها أن تنادى أحد أولادها و هو بعيد عنها فى طبقه أو غرفه أخرى صفقت بيديها أيضا فيسمعها فيجيبها. الحاصل التصفيق عندنا خاص بالنساء حتى فى الصلاة كما هو معروف فى كتب الفقه، و هذه عادة طيبة حسنة جرى عليها أهل البلاد من قديم الزمان إلى يومنا هذا.

\* و من عاداتهم أنهم ما كانوا يسمرون بعد صلاة العشاء أكثر من ساعتين فقط، أى أن أكثر أهل مكة كانوا ينامون من الساعة الثالثة أو الرابعة ليلا و يقومون صباحا قبل شروق الشمس بساعتين تقريبا و يكونون قد شعوا من النوم و ارتاحت أجسامهم من عناء النهار كانت هذه عاداتهم من قديم الزمن إلى سنة (١٣٦٠) ألف و ثلاثمائة و ستين هجرية تقريبا ثم تغيرت هذه العادة بالتدريج حتى صاروا يسمرون إلى ما بعد منتصف الليل بل بعضهم لا ينام قبل الساعة السابعة ليلا و لا يقومون صباحا إلا بعد شروق الشمس بنحو ساعتين أو أكثر و صارت تفوتهم صلاة الصبح فلا يصلونها إلا قضاء، هذه عادة غالب الناس فى وقتنا الحاضر فى سنة (١٣٨٤ هـ) و ما ذلك إلا بسبب وجود الكهرباء الذى يجعل الليل كالنهار و بسبب وجود أسباب اللهو و اللعب من ورق اللعب «الكوتشينه» و الراديو و الأسطوانات الغنائية و بسبب كثرة وجود الأعراب و الأجانب المعاشرين لأهل البلده، و هؤلاء قد ألفوا السهر طول الليل و تمضية الساعات فى دور الملاهى و السينما و القهاوى و البارات، و الله تعالى أعلم ماذا يكون فى المستقبل نسأل الله تعالى الحفظ من الآفات و الآثام.

و بهذه المناسبة نقول: إن السهر إلى ساعة متأخرة من الليل حرام إذا أدى ذلك إلى ضياع صلاة الصبح، حرام إذا لم يكن هناك عذر شرعى يبرر السهر كالقلق و اضطراب النفس من الهم و الحزن و المرض أو السهر على مريض للعناية براحته أو

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢١٠

السهر على خائف لمحافظةه مما يخاف و يحذر أو السهر فى معسكر المسلمين لمحافظةهم من مباغته الأعداء و نحو ذلك من كل ما فيه مصلحة عامة أو خاصة، و لقد ورد النهى عن السمر و السهر فى غير الطاعات، فقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لا- سمر إلا- لمصل أو مسافر» رواه الإمام أحمد عن ابن مسعود بإسناد صحيح، و السمر بفتح أوله و ثانيه هو من المسامرة و هو الحديث بالليل، فالسمر و السهر إذا أدى إلى ضياع الفريضة حرم ذلك و إلا يكره لما فيه من إضاعة الوقت فى القيل و القال و اللهو و العبث، و فى الأمثال العامة من سهر الليل نام النهار، و السهر علاوة على ما جاء من النهى عنه فإنه يضر بصحة الإنسان فنوم ساعتين من الليل أفضل و أصح من نوم خمس ساعات فى النهار، و الله الموفق للصواب و إليه المرجع و المآب.

\* و من عاداتهم أن مشايخ الحارات يعنى العمدة كانوا إذا حصل خصام أو مضاربة أو تعدى بعضهم على بعض يحكمون بينهم قبل أن يتصلوا بالمحاكم أو الشرطة، و قد يحكم العمدة على المتعدى بغرامة مالية مع تقديم حروف أو خروفين أو أكثر مع ما يتبع ذلك من الرز و السمن للمظلوم فيعملون بذلك دعوة خاصة للطرفين و أقاربهما و أصدقائهما مع وجود شيخ الحارة و نقيبها فيقع الصلح بينهم و يزول كل خلاف من غير لجوء إلى المحاكم أو البوليس، و فى المثل عندنا فى هذا الموضوع قولهم «الذى يعمله الحاكم يعمله الرجال». و ربما كان شيخ الحارة يحبس المعتدى بحسب جرمه ثم يطلقه، كان هذا فيما مضى من الزمان من عهد الأتراك. و كان الناس يحترمون مشايخ الحارات لتدخلهم فى المخاصمات و فضهم للمنازعات بين الناس بالإحسان. و اليوم لم تبق لهم من السلطة إلا التدخل بالحسنى بين المتخاصمين، فمن لم يقبل حكمهم فعليه بمراجعة دوائر الشرطة و فى هذا من تطويل المحاكمة ما لا يخفى.

\* و من عاداتهم أن الرجل منهم كان يلبس كوتا، بضم الكاف و هو الذى يسمى بمصر جاكته، و يكون الكوت عادة من نوع قماش الثوب إن كان صوفيا أو قطنا أو حريرا ثم يلبس إن أراد الخروج من البيت فوق الكوت الجية و كانت هذه العادة جارية من قديم الزمان إلى سنة (١٣٦٠) ألف و ثلاثمائة و ستين هجرية تقريبا، ثم لما كثر الأجانب من المسلمين بمكة بطلت هذه العادة تدريجيا فصاروا الآن لا يلبسون غير الثياب و من فوقها المشلح، بسكون الشين المعجمة و هو العباءة

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢١١



و بطل استعمال الكوت إلا عند القليل منهم. و نظن أنهم أخذوا لبس الكوت من أهل جاوه و من أهل الهند و الله تعالى أعلم. و كان لبس الكوت لأهل العلم و الموظفين، أما العوام من أهل السوق فيلبسون الثوب فقط و يتحزّمون في وسطه من غير جبة و لا مشلح.

\* و من عاداتهم إقامة حفلات الزواج و إحياء ليالي الدخلة بالغناء و ببالغون في ذلك و يتباهون به و يصرفون في هذا مبالغ طائلة و يدعون فيها جميع أقربائهم و أصدقائهم و جيرانهم، و ليس في إقامة الحفلات من بأس لو كانت خالية من الإسراف في البذل و المصروفات و خالية من المبالغة في إحياء الليل كله في الغناء و هذا ما لا تقرّه شريعتنا الغراء. إن هذه المبالغ لو جمعت في صالح العروسين لكان أفضل و أولى. و العادة الجارية أن تأتي العروسة في دار زوجها ليلة الدخلة بعد منتصف الليل أو بعد طلوع الفجر و في هذا إرهاق عظيم على العروسة و العريس و على أهلها و أقاربها.

فحبذا لو غيروا هذه العادة و أحضروا العروسة إلى دار زوجها بعد صلاة العشاء بساعة واحدة ثم تنقضى بعد ذلك ساعتان أيضا في الاستقبال و الفرح ثم يأخذ العروسان راحتها و يأويان إلى فراشهما في منتصف الليل تقريبا و كذلك يفعل الحاضرون فيذهب كل واحد إلى بيته يأوي إلى فراشه و يستريح، فتكون إقامة الحفلات بهذه الكيفية في هناء و راحة للجميع بدون تعب و لا إرهاق. و الله الموفق للصواب و إليه المرجع و المآب.

\* و من عاداتهم أنه إذا تزوج أحدهم أو زوج ابنه أو زوج ابنته فإن جميع أصدقائه و أقاربه و جيرانه يبادرون بمساعدته بمجرد وصول بطاقة دعوة الزفاف إليهم. فمنهم من يرسل إليه كيسا من الرز أو كيسا من الدقيق أو كيسا من السكر أو صفيحة من السمن أو خروفا أو خروفين، و منهم من يرسل أكثر من ذلك بحسب حالته و منهم من يبعث إليه بنقود مع وقوف بعض أصدقائه للخدمة و المباشرة و استقبال المدعوين ليلا أو نهارا. و الذي يرسله الناس لأهل الزواج من المساعدات يسمى عندنا رفا و هي تسمية صحيحة، قال في المصباح المنير رفا رفا من باب ضرب أعطاه أو أعانته، و الرفا بالكسر اسم منه و أرفده بالألف مثله و ترافدوا تعاونوا. اه. إنه و الله لعادة طيبة و هي على حد قوله تعالى وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى. و هذه العادة على عظيم أجرها و عظيم نفعها و عونها فإن التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢١٢

تلك المساعدات يعتبرها الناس كدين يجب على من تقبلها ردّها على أصحابها عند اللزوم إذا جاء وقتها في إقامة حفلات الزواج لدى أصحابها. و مهما يكن الأمر فإن هذه العادة من العادات الحسنة و المساعدة على البر و التعاون على فعل الخير ففيها الأجر و الثواب كما فيها برّ الأصحاب و حسن الوفاء بعهدهم و صداقتهم و المرء كثير بأصحابه عزيز بإخوانه، و قديما قال الشاعر العربي:

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه لا يذهب العرف بين الله و الناس

هذا و بمناسبة ذكرنا عاداتنا في الزوجات نقول ما يأتي:

و من العادة الجارية أيضا في الزوجات أنهم يرسلون المعاشر و هي عبارة عن صحن من الرز مع توابعه من السمبوسك و الطرمبة و الزلطة، يضعون كل ذلك في طبلية مستديرة كالصينية، و يغطونها بغطاء من القماش على هيئة القبة يرسلون هذه المعشرة، بكسر الميم لكل من قدم إليهم رفا. يرسلونها إلى بيوتهم سواء كانت قريبة أو بعيدة، فنحن نرى لو بطلت عادة إرسال المعاشر إلى أصحاب الرفود لكان أحسن و أولى لما في إرسال المعاشر من التكلف و التعب الزائد، و لا بأس أن ترسل المعاشر إلى البيوت القريبة من الجيران.

\* و من عاداتهم أنهم كانوا من قديم الزمن يحبون اقتناء الزروع المختلفة الألوان و الروائح العطرية كالورود و الزهور و الرياحين يزرعون ذلك في الأواني الطينية كالفخار و الأزارير الصغار و المراكن الخاصة بذلك يزينون بها مجالسهم لسهولة نقلها من مكان إلى مكان، و قليل منهم من يزرع تلك الزهور و الرياحين في فسحة من داره إن كانت لديه أرض وحوش يزرعون تلك الزهور و الرياحين في الأواني لقلّة المياه.

أما في وقتنا الحاضر بعد امتداد البيوت و العمارات إلى مسافات كبيرة من المسجد الحرام و بعد انتشار بناء العمارات و المساكن على الطراز العصري بالإسمنت المسلح و بعد وصول مياه بعض العيون إلى مكة المشرفة فتجد في كل بيت من هذه البيوت الجديدة زروعا خاصة بتجميل المناظر و قد تكون هذه الزروع في أرض المنزل من الداخل من جهة واحدة فقط و قد تكون محيطة بأطراف المنزل و تزرع في أرض المنزل لا في الأواني كحديقته صغيرة جميلة.

فسبحان الكبير المتعال مغير الحال و الأحوال لا إله إلا هو العزيز الغفار.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢١٣

و بمناسبة الكلام على الرياحين و الزهور نقول: إننا رأينا بعض البخاريين في مدينة جدة جعل في أرض له مكانا خاصا لزروع الزهور و وجدنا عنده أربعين نوعا من نبات الريحان فقط. فسبحان الخلاق العظيم القادر على كل شيء.

\* و من عاداتهم أنهم يألفون و يؤلفون و يختلطون بالأغراب من جميع أجناس المسلمين الذين يفدون إلى مكة المشرفة في موسم الحج من كل عام. إن الغريب لا يجد نفسه غريبا بينهم، إن كل جنس من الحجاج يرى جنسه من أهل مكة و يخاطبهم بلغته فهو يختلط بهم و يندمج معهم كأنه جالس في بلده، فالحاج المصري و الحاج الشامي و الحاج اليمنى و الحاج العراقي و الحاج الجاوى و الحاج الهندى و الحاج الباكستاني و الحاج الأندونيسى و الحاج الصينى حتى الحاج العجمى كل هؤلاء الأجناس و غيرهم يجدون في أهل مكة المكرمة مثل أجناسهم و يجدون منهم الحب و الإكرام و التآلف العجيب، و جميع أهل مكة يشتغلون في موسم الحج من كل عام بأمور الحجاج فالمطوفون و من في معيهم قائمون بخدمة الحجاج و النظر في راحتهم و أهل الدور و المساكن يؤجرون منازلهم و بيوتهم للحجاج مدة إقامتهم بمكة و شركات النقل و السيارات تحب خدمتهم و أهل البيع و الشراء يزيتون دكاكينهم بأنواع البضائع و الحاجيات اللازمة للحجاج، و العمال و الحمال كل واحد منهم مستعد لخدمة الحجاج.

و الحاصل لا توجد بلدة من بلاد العالم في أقطار الأرض مثل مكة المكرمة و المدينة المنورة في استقبال الوافدين لبيت الله الحرام و لزيارة نبيه الكريم عليه الصلاة و السلام في كل عام من الأعوام منذ بدء الإسلام إلى قيام الساعة. فسبحان مدبر أمور الخلائق أجمعين من أهل السموات و الأرضين لا إله إلا هو الخلاق العظيم.

\* و من عاداتهم أنهم كانوا في المولد و الحفلات الخاصة كعقد النكاح و يوم الختان و ختم أولادهم للقرآن العظيم، أنهم كانوا يعطون الحاضرين في الحفلة الحلاوة الحمصية أو حلاوة اللدو، بفتح اللام المشددة و ضم الدال المشددة أيضا، و هما من صناعة مكة يصنعها الهنود فيها و كانوا أيضا يعطون الحاضرين بماء الورد المصنوع بمكة أو بالطائف، و ما كانوا يعرفون من الحلويات سوى الحلاوة الحمصية و حلاوة اللدو و هى تصنع من دقيق الحمص الممزوج بالسمن و السكر و حلاوة الهريسة و هى تصنع من اللوز المطحون و السمن و السكر و حلاوة طبطاب الجنة و هى تصنع من السكر و قليل من الدقيق و قليل من القرفة أو الزنجبيل و تصب في

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢١٤

صينية حتى تجمد و يوضع عليها قليل من البوية الحمراء لتغيير لونها كما أنهم يعملون أيام الأعياد و المناسبات حلاوة المشبك، بضم الميم و فتح الشين المعجمة مع تشديد الباء الموحدة و فتحها و هى تصنع من الدقيق الأبيض حتى تكون في قوام العسل ثم يوضع زيت في مقلى كبير ثم بعد تحميطه جيدا يصب فيه من العجين المذكور بعد وضع كمية منه في ماعون به خرق واحد بقدر أنملة البنصر ثم يصب من هذا الماعون من خرقة فوق الزيت الحامى على شكل حلقات مدورة متداخلة بعضها في بعض فإذا نضجت الحلقات و احمرت في الزيت يخرجونها ثم بعد تصفية الزيت منها يرمونها في السكر المعقود و يسمونه الشيرة، بكسر الشين و هى في قوام العسل ثم بعد برهه يخرجونها من الشيرة و توضع في صينية كبيرة لبيعها بالأفة.

و يصنعون أيضا الحلاوة اللبئية و هى من اللبن الحليب الخالص مع السكر المذاب فيه ثم يضعونه فوق النار حتى يذهب ماء الحليب و يعقد حتى يكون كالعجين ثم يعرض للبيع. و يصنعون أيضا الحلاوة السمسامية و هى من السكر و السمسم فقط كما هو معروف. و

يصنعون أيضا الكنافه و القطايف و يتقنون صنعها و غير ذلك من الحلويات و أنواع المهليات.

كانت هذه الحلويات هي الشائعه عند أهل مكة من قديم الزمن حتى سنة (١٣٥٥) هجرية تقريبا و كانوا أيضا يصنعون دجاج البر، بفتح الباء الموحدة و هو مثل المشبك المذكور إلا أن خيوطه المتداخلة في بعضها رفيعة و أنه بعد قليها في الزيت لا يوضع في شيرة السكر لأن عجنته مملحة و فيها من الفلفل الأسود المدقوق، و يأكلون الحمص المملح و حبوب البطيخ المسمى عندنا بالفصص، بكسر الفاءين و فصفص الدبا أيضا و هذان يسميان بمصر باللب الأسمر و اللب الأبيض و كذلك يأكلون اللوز البجلي و هو كثير بالطائف و بعضهم بعد أن يخرجوه من القشر يقلونه بالسمن ثم يضعون عليه الملح و يأكلونه كما أنهم يأكلون لوز التكارنة بعد تمليحها و تحميصه و هذا يسمى بمصر الفول السوداني.

هكذا كانت عادة أهل مكة بالنسبة للحلويات إلى السنة المذكورة ثم من بعد هذه السنة المذكورة خصوصا من بعد عام (١٣٦٥) هجرية إلى الآن غزت الحلويات الإفريقية المتنوعة التي في العلب و الصفائح جميع الأسواق بمكة بل و بالمملكة كلها فترك الناس الحلويات البلدية و اتجهوا نحو الحلويات الإفريقية.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢١٥

و هكذا تغيرت الأحوال في جميع نواحي الحياة المعيشية، فسبحان من له الأمر كله لا إله إلا هو الواحد القهار.

\* و من عاداتهم أنهم كانوا يلبسون السراويلات الطويلة التي تصل إلى الكعبين، هكذا كانت الحالة عند الرجال و النساء على السواء، فالرجال يتخذون السراويلات من قماش البفته البيضاء و النساء يتخذنها من القماش المصري المقلم الملون و هو قماش قطنى متين غير خفيف و هو من أنواع القماش القطنى الذى يتخذ منه المصريون «القفطان» بضم القاف و سكون الميم، و كان الرجال و النساء يتخذون تكه السراويلات من القماش الخفيف المسمى بالشاش و يزينون طرفيها بشغل خفيف من الحرير خصوصا النساء و ما كانوا قط يعرفون السراويلات التي تأتي من الخارج جاهزة مخيطة أو منسوجة كالفانيالات.

ثم من بعد هذا التطور أو المدنية المزيفة الذى عم وجه الأرض صار بعض الرجال و بعض النساء يلبسون السراويلات القصار التي أقصر من الركبة بل أقصر من ذلك أيضا تقليدا للأجانب الموجودين عندنا بكثرة من الرجال و النساء و ذلك منذ سنة (١٣٧٠) ألف و ثلاثمائة و سبعين هجرية تقريبا، أما قبل ذلك فكانت لحالة لديهم كما ذكرناه.

و الحق يقال أن لبس السراويلات الطويلة بما يستر الركبة و لا يبرز الفخذ من لرجال و النساء واجب لقوله صلى الله عليه و سلم: «رحم الله المتسرولات من النساء» رواه الدارقطنى و غيره، و لقوله أيضا: «لا تبرز فخذك و لا تنظر إلى فخذ حى و لا ميت» رواه أبو داود و غيره. و نحن هنا لا نريد الإطالة في هذه المسألة فالشرح الشريف لا غبار عليه، قال في مختار الصحاح: السراويل معروف يذكر و يؤنث و الجمع السراويلات و سروله ألبسه السراويل فسرول، و حمامة مسرولة في رجليها ريش. انتهى منه باختصار.

\* و من عاداتهم أن بعض أشرف مكة الكبار كانوا إذا جلسوا للأكل مع بعضهم للغداء أو العشاء بدون دعوة لغيرهم وضعوا تبنى الأكل خاليا في وسطهم فوق كرسى و هم جلوس على الأرض ثم يحضر الخادم للرجال أو الخادمة للنساء أصناف الأكل صنفا صنفا فمثلا يضع فوق التبنى صحن الباميا فيأكل كل واحد منها لقمتين أو ثلاثة ثم يأتى بصحن الملوخية فيأكل منهم لقمتين أو ثلاثة ثم يرفع هذا الصحن و يأتى بغيره و هكذا الحال إلى أن ينتهى الأكل. و هذه الكيفية من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢١٦

الأكل كانوا يسمونها باللغثة التركية «قالدر قوى» أى «إرفع وضع» و باللغثة العامية «شيل و حط» و هذه الكيفية في الأكل بطلت حتى من الأتراك منذ مدة طويلة أى منذ سنة (١٣٣٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و ثلاثين هجرية فلم يبق لها ذكر اليوم في جميع الممالك و صار جميع الناس يمدون سفره الأكل و يضعون عليها جميع الأطعمة فيأكلون ما شاؤوا و هذا أهنا و أبرك.

\* و من عاداتهم أنهم كانوا يذهبون في أول شهر رجب من كل عام إلى المدينة المنورة للزيارة و يستعدون لذلك قبل الموعد بمدة

كافية و كانوا يذهبون بصورة فيها كثير من المرح و الفرح و السرور و النشوة فكان في كل حارة من حارات مكة يجتمع من أراد السفر إلى المدينة المنورة للتشاور فيما يفعلونه و بماذا يستعدون من أدوات السفر و كانوا في هذه الرحلة الرجبية يسافرون على النياق و الدلائل و على الحمير الجيدة الأصيلة حيث لم تكن السيارات موجودة، و كانوا يطلقون على جمعيتهم التي تسافر إلى المدينة «الركب» بفتح الراء و سكون الكاف فيقال سافر الركب و رجع الركب.

و قبيل موعد سفرهم بأيام يقوم في كل محلة و حارة من يغنى القصائد المهيجة و المشوقة للزيارة و من ينشد المدائح النبوية لاستنهاض همم الناس لزيارة رسول الله صلى الله عليه و سلم فلا يأتي اليوم الموعود للسفر إلا و قد اجتمع طائفة من الناس في كل حارة للسفر و مع كل حارة راية خاصة و حاد خاص يحدو فيهم فيخرجون من مكة على الحمير المحملة بالأرزاق و الفرش قبل السفر بيوم واحد إلى جهة الشهداء و معهم المنشدون ينشدوهم القصائد و المدائح بصوت رخيم مشج مثير للشوق فإذا تكامل جمعهم في محلة الشهداء و هي على طريق عمرة التنعيم تحركوا بكامل جمعهم للسفر إلى المدينة، و طول الطريق يسمعون النشيد و القصائد بما يخفف عنهم مشقة الطريق و وعشاء السفر فتكون الحمير في المقدمة و تكون الركائب و النياق في المؤخرة فيقطعون ما بين مكة و المدينة في ثمانية أيام أو تسعة و يذهبون من الطريق السلطاني عن طريق وادي فاطمة فعسفان. و المسافة بين مكة و المدينة بالجمال العادية اثني عشر يوما، فالنياق و الحمير يكون مشيها أسرع من الجمال التي تمشي على هون.

و من عادة الركب سواء سافروا على الحمير أو على الجمال أن يمشوا قبيل المغرب ساعة إلى أن يصلوا إلى محطة من محطات الطريق فينزلون فيها و يأكلون و يشربون

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢١٧

و يستريحون و ينامون قليلا- ثم يقبلون فيها إلى قبل المغرب بنحو ساعة ثم يستأنفون سفرهم فلا يمشون بالنهار مطلقا لشدة حرارة الشمس.

فإذا وصل الركب إلى قرب المدينة المنورة ينشدهم المنشد القصائد و المدائح بصوت عذب ينسيهم المشقة و التعب، فإذا حطوا رحالهم في المدينة فذلك اليوم هو يوم عيدهم الأكبر و يستقبلهم أهل المدينة بالفرح و السرور فيمكثون بها بضعة أيام ثم يعودون إلى مكة المشرفة على حسب ترتيبهم و نظامهم عند خروجهم منها فيرجعون و قد أشرفت وجوههم بالألوان المحمدية فيستقبلهم الأهل و الأقارب و الأصحاب بالفرح و الترحاب.

كانت هذه عادة أهل مكة من قديم الزمان إلى سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية أي إلى سنة حكم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الحجاز، فمن هذا العام بطلت هذه العادة عندهم و لم تقم لها قائمة إلى اليوم لأنها عادة لم تكن شرعية أو معروفة عند الخلفاء الراشدين و من بعدهم.

\* و من عاداتهم أنهم كانوا يخرجون لزيارة أم المؤمنين ميمونة رضى الله تعالى عنها و قبرها واقع قبل وادي فاطمة على يسار الذهاب من مكة إلى الوادي، و أم المؤمنين ميمونة رضى الله عنها هي بنت الحارث الهلالية تزوجها رسول الله صلى الله عليه و سلم بمكة و هو حلال عندما ذهب إليها من المدينة في عمرة القضاء في أواخر السنة السابعة للهجرة في شهر ذي القعدة، و الله تعالى أعلم. تزوج رسول الله صلى الله عليه و سلم ميمونة رضى الله تعالى عنها بمكة في السنة المذكورة لكنه لم يدخل بها بمكة فلما خرج منها و وصل إلى مكان يقال له سرف، بفتح السين المهملة و كسر الراء دخل بها و في هذا المكان قبرها رضى الله تعالى عنها بينه و بين مكة أربعة عشر كيلو أو خمسة عشر كيلو، ثم أخذها صلى الله عليه و سلم معه إلى المدينة، قيل: ماتت سنة ثلاث و ستين من الهجرة و قيل: سنة إحدى و خمسين و الله تعالى أعلم. و قد انتقلت قبل وفاتها إلى مكة فاعتلت بها و قالت: أخرجوني من مكة لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم أخبرني أني لا أموت بها فحملوها حتى أتوا بها سرف إلى المحل الذي بنى بها رسول الله صلى الله عليه و سلم حينما تزوجها، و كان في هذا المحل شجرة و سقاية و قبرها إلى اليوم معروف مشهور و كانت ميمونة رضى الله تعالى عنها آخر امرأة

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم و آخر من توفيت من أزواجه رضى الله تعالى عنهن أجمعين، و من عجيب أمرها

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢١٨

أنه كان الدخول بها و وفاتها و دفنها فى مكان واحد و هو سرف رضى الله تعالى عنها.

فأهل مكة كانوا يخرجون لزيارة أم المؤمنين ميمونة رضى الله تعالى عنها.

و بعد انتهاء زيارتها يعودون إلى محلة الشهداء لزيارة عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما حيث قبره فى الشهداء حيث بينه و بين

مكة نحو أربعة كيلومترا.

فكانت هذه عاداتهم من قديم الزمان إلى سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية حيث حكم الملك عبد العزيز بن عبد

الرحمن آل سعود الحجاز فى السنة المذكورة فبطلت هذه العادة إلى اليوم.

\* و من عاداتهم التألق و التجميل و إظهار الجمال و الكمال فى المأكل و الملبس و المسكن، إنهم يحبون شدة النظافة حتى فى حالة

سفرهم و لقد كان لهم عظيم الذوق فى عمل الشاي و تقديمه للضيوف و كذلك تقديمهم لكاسات الشربات، و لهم فى اقتناء أدوات

الشاهى عظيم الذوق من شراء السماوارات المعدنية المسكوفية و البراريد الصينية الفاخرة و الفناجين الأصلية التى لا توجد اليوم فيها

إلا قليلا و نادرا. و لبعض شعراء أهل الحجاز قصائد ظريفه فى الشاهى ذكرناها فى رسالتنا المطبوعة «أديبات الشاي و القهوة» نعم إنهم

يحبون التألق و النظافة و تجميل الأشياء.

\* و من عاداتهم أنه كان رجالهم و أولادهم فى الزمن الماضى يحلقون رؤوسهم بالموسى و لا تزال هذه العادة جارية بينهم إلى اليوم

لكن عند بعض كبارهم فقط دون أولادهم، أى القليل منهم يحلقون رؤوسهم بالموسى اليوم و غالب الناس و أكثرهم يحلقون

بالمكينه، أما أولادهم فهم يربون شعورهم و يستعملون التواليت فى قصها و إصلاحها كما هو الحال فى الخارج. و كان الحلاقون فى

الماضى قليلين و كلهم من أهل مكة أو من الهنود المقيمين بها، أما اليوم فقد كثر الحلاقون بمكة من مختلف الأجناس: من مصر و من

سوريا و من الأردن و من فلسطين و من اليمن و من التكارنة.

\* و من عاداتهم أنهم كانوا يستعملون فى موازينهم الأقة و أجزاءها، و هى بضم الهمزة و تشديد القاف المفتوحة و مقدارها أربعمئة

درهم و الأقة كانت تستعمل فى جميع الممالك الإسلامية منذ عهد طويل من أيام الدولة التركية العثمانية، فلما ذهبت عنهم الخلافة

الإسلامية من سنة (١٣٣٤) ألف و ثلاثمائة و أربع و ثلاثين

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢١٩

هجرية أبدلوا الأقة بالكيلو و هو أصغر و أقل من الأقة تبعا و تقليدا للبلاد الأوروبية و لكن بقى الحجاز على استعمال الأقة و أجزاءها

من النصف و الربع و الثمن و الوقية.

فلما كان أول محرم سنة (١٣٨٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و ثمانين هجرية أمرت الحكومة السعودية بإبطال الأقة و أجزاءها و استعمال

الكيلو و أجزاءها فاستعمل أهل مكة المكرمة فى موازينهم الكيلو من أول العام المذكور و كذلك فعلت بقية البلاد السعودية.

كما صدر الأمر من الحكومة السعودية باستعمال المتر المعتبر فى جميع دول العالم و السعودية بدلا بالهنداسة فى ذرع الأقمشة و

مشتقاتها.

\* و من عاداتهم أن النساء عندنا كنّ يلبسن الشرشف و الملايات الطويلة التى تستر من الرأس إلى الأقدام و كانت هذه الشرشف و

الملايات كلها من قماش واحد خاص و بشكل واحد و بلون واحد و هو الأسود يتخلله خطوط رمادية عريضة عرضها خمس

سنتيمترات. و كنّ يلبسن البراقع البيضاء كل برقع متر واحد و عرضه أربعون سنتيمترا يستر الوجه و الصدر تماما و تلتف الملاية و

الشرشف فوق البرقع، و فى أعلى كل برقع خرقان صغيران بقدر العينين فقط للنظر منهما.

و كنّ يلبسن فى أرجلهن أخفافا صفرا على هيئة الجورب كل خف يستر القدم إلى نصف الساق ثم يلبسن بعد الأخفاف الشباشب

الصفرة أيضا وهي جمع شبشب و يسمى بالبابوج و هذا البابوج لا كعب له مطلقا، إنه يشبه الشبشب و المداس من حيث عدم وجود الكعب فيهما، و الخفّ و البابوج من الجلد الأصفر فقط ليس لهما لون غيره و جلدة البابوج من الأمام يستر وجه ثلث القدم تماما ليس فيه زخرفة و لا أخراق، أى يشبه وجهه وجه الجزمة المعروفة التي قطع منها جانبيه.

و هذه الشراف و الملايات و البراقع و الأخفاف الصفرة كلها كانت تأتي من الأستانة من تركيا، كانت قيمة الخفين و البابوج بجنيه واحد من الذهب لا ينقص منه شيء فكانت هذه العادة عند النساء من قديم الزمن إلى سنة (١٣٥٠) ثم بطلت هذه العادة تدريجيا حتى لم يبق لها أثر اليوم مطلقا و صارت النساء عندنا يقلدن في لبسهن نساء الأعراب المقيمين عندنا من المصريين و الشام و الفلسطينيين و غيرهم و سرت فيهم عادات هذا العصر العجيب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٢٠

\* و من عاداتهم أن جميع طلبة العلم سواء كانوا في المدارس أو كانوا يطلبون العلم في المسجد الحرام و كذلك جميع العلماء و المدرسين على اختلاف طبقاتهم كلهم كانوا يضعون كتبهم و أوراقهم و دفاترهم في محافظ من الجلد و ما كانوا يعرفون هذه الشنط التي يستعملونها اليوم، لقد كان كل واحد منهم يضع كتبه و أوراقه و دفاتره في المحفظة و يلفّ عليها سجادته و يذهب إلى محل دراسته بغاية من الكمال و الأدب، و المحفظة عبارة عن الجلد السميك الملون باللون البني أو الأحمر فقط طولها ثمانون سنتيمترا و عرضها خمسون سنتيمترا يطوى هذا الجلد مرة واحدة فيكون بمثابة غلاف الكتب و الدفاتر ثم يعمل لكل جانب من جانبي المحفظة رباط على هيئة أزرار من الجلد لثلا يقع منهما شيء من الكتب ثم ينقش وجهي المحفظة نقشا بسيطا جميلا على هيئة النجوم الصغيرة، و كان يصنع هذه المحافظ أهل مكة و محل صنعها باب السلام الكبير أحد أبواب المسجد الحرام، و الحق يقال: كان حمل هذه المحافظ العلمية تكسب حاملها الهيبة و الوقار و الأدب و الكمال.

هكذا كانت عادة العلماء و الطلاب بمكة يحملون كتبهم و أوراقهم في هذه المحافظ من قديم الأزمان إلى سنة (١٣٥٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و خمسين هجرية، ثم من بعد العام المذكور وردت الشنط الخاصة لوضع الكتب المدرسية و كثر أنواعها المختلفة الجميلة اللطيفة فألف الناس استعمالها في الحرمين الشريفين و غيرهما، و هكذا تتبدل العادات و الأحوال بتقدم المدنية و العمران إلى أن يأتي وعد الله.

\* و من عاداتهم أنهم كانوا يضعون ثيابهم في صناديق السيسم، بكسر السين المهملة الأولى و فتح السين الثانية و هي صناديق سوداء مستطيلة في طول متر واحد و منها ما هو أكبر يتخذ من خشب السيسم القوي المتين لا يأكله الدود و لا العث، إنه من أغلى الأخشاب الثمينة. كانت هذه الصناديق تأتي من الهند إلى سنة (١٣٦٠) ألف و ثلاثمائة و ستين هجرية، ثم انصرف الناس عن هذه الصناديق الممتازة و اتخذوا دواليب المويليات التي أتت من الخارج بعد السنة المذكورة، و ما زال العرب في البادية و القرى يشترون الصناديق البلدية المتخذة من الأخشاب العادية و المزخرفة بالصفائح الملونة و المرايات الصغيرة ليضعوا فيها ثيابهم و حوائجهم، و نظن أن هذه العادة قديمة حتى في الخارج فإن أهل الأرياف و القرى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٢١

البيدين من المدن ما زالوا يستعملون هذه الصناديق البلدية المزخرفة. و هذه سنة التطور في الكون.

\* و من عاداتهم أنهم يستأجرون الدكاكين و الدور و المنازل سنويا و يستأجرون كامل الدار لا نصفها و لا ربعها و لا يعرفون السكنى في الشقق «بضم أوله و فتح ثانيه» جمع شقة و هي جانب من الدار يحتوى على بعض الغرف في وضع مستقل بذاته أى أن الشقة عبارة عن مسكن شرعى منعزل في المعنى عن بقية الدار. فإذا قفل الإنسان مدخل الشقة و هو الباب الأول أصبح منعزلا عن بقية سكان الدار.

هذه العادة كانت متبعة قديما إلى سنة (١٣٧٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و سبعين هجرية، ثم من بعد هذه السنة المذكورة كثرت

العمارات الحديثة بمكة المشرفة و أصبحت الدور و المنازل طبقات عديدة حتى أن بعضها أصبح أكثر من عشر طبقات و صارت كل طبقة تحتوى على عدة شقق و كل هذه الشقق و العمارات مزودة بالكهرباء و مواسير المياه و بالآلات التدفئة و التهوية و التبريد من المراوح الكهربائية و الكونديشاشات. و هذه الشقق بعضها تؤجر سنويا و بعضها تؤجر بالشهر و بعض أهل مكة إلى اليوم لا يرغبون فى السكنى فى الشقق بل يرغبون فى استئجار الدار كاملة سنويا. و من استأجر دارا كاملة سنويا لا يرغب أن يسكن أحد معه فيها بل يؤجرها فى موسم الحج للحجاج. و كان من عاداتهم أن يدفعوا الإيجارات السنوية فى العاشر من شهر محرم فى كل عام و لكن من بعد سنة (١٣٥٠) هجرية تغيرت هذه العادة فصاروا يدفعونها فى أول يوم من شهر محرم من كل عام.

\* و من عاداتهم أن الناس إذا حضروا للجزاء ما كانوا يجلسون على الكراسى و يشربون القهوة ثم يقومون لجزاء أهل الميت كما هو حاصل اليوم بل كانوا إذا حضروا للجزاء و دخلوا البيت جلسوا فى المجلس ثم يأخذ كل واحد منهم جزءا من القرآن من صندوق الربعة الذى فيه الأجزاء ليقرا فيه فإذا أكمل قراءة الجزء وضعه فى الصندوق و قام للجزاء و خرج و قد دعا للميت بما أحب من العفو و المغفرة و الرحمة.

و عند حمل الجنازة إلى مقرها الأخير فإن الواجب علينا أن نعتبر و نتعظ فهذا أخونا سبقنا إلى الدار الآخرة و نحن على إثره ذاهبون و لاحقون به، اللهم اغفر لنا و ارحمنا و تجاوز عنا بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين و يا أكرم الأكرمين يا حى يا قيوم يا الله.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٢٢

و إن العزاء بقراءة القرآن من الربعة ما زال جاريا إلى اليوم فى بلاد اليمن و حضرموت، و الربعة بفتح الراء نسبة إلى صندوق مربع يوضع أجزاء القرآن لكريم فيه ثلاثون جزءا، و لهذا الأمر جلسوا كل جزء من القرآن العظيم وحده فجلا منه جزءا جزءا حتى يتكامل ثلاثين جزءا فيضعونه فى صندوق صغير مربع.

\* و من عاداتهم أن جميعهم يشتغلون فى مواسم الحج و أيامه من كل عام بخدمة الحجاج، فالعلماء يرشدون الحجاج إلى مسائل الحج و العمرة و يعلمونهم أحكامها على المذاهب الأربعة و المطوفون و خدمهم يقومون بخدمة الحجاج و توفير أسباب الراحة لهم و أرباب البضائع يعرضون بضائعهم على الحجاج فى دكاكينهم و أسواقهم بل فى مواسم الحج تجد فى الدكاكين و الأسواق أجود البضائع و أحسن أصنافها، و الذين يبيعون البضائع المناسبة للحجاج فى الأسواق و الشوارع المتسعة و الميادين يفرشون على الأرض و يعرضون ما لديهم على الحجاج خصوصا فى أسواق عرفات و منى و مزدلفة.

إن جميع الناس عندنا يشتغلون فى مواسم الحج فى كل عام بخدمة الحجاج و راحتهم فالمطوفون و خدمهم لهم أعمال خاصة و المرشدون لهم أعمال خاصة فتجد جميع الناس فى أيام الحج فى حركة دائبة و عمل غير منقطع ليلا و نهارا حتى حكومتنا تبذل أقصى جهدها فى اتخاذ أسباب الراحة للحجاج و تأمين مصالحهم و نشر الجنود فى جميع مواضع الحجاج حتى لا يتعدى أحد عليهم بسرقة أو خصام، و مراكز الشرطة مفتوحة ليل نهار. إن مواسم الحج و خدمة الحجاج أمر واسع لا يكفى وصفه فى هذه الأسطر القليلة، إن مواسم الحج فى كل عام و سهر الناس و الوقوف على راحة الحجاج ليس بالأمر الهين و مواسم الحج ليست كمواسم السياحات فى الأقطار إن السواح فى الأقطار لا يحتاجون إلا على كثرة الفنادق و الأوتيلات و المرشدون إلى أماكن الزيارة و الآثار و من نسى شيئا من ذلك فلا حرج عليه بخلاف مواسم الحج و أعماله و أشغال الحجاج و مصالحه الدينية و الدنيوية مع العلم بأن عدد السواح بضعة آلاف سائح أما عدد الحجاج فى الحرمين الشريفين فى كل عام فآلاف مؤلفة و لا نبالغ إن قلنا أن عدد الواقفين بعرفات يبلغ نصف مليون من المسلمين الذين هم على دين واحد و هو دين الإسلام الحنيف و قد يزيدون أحيانا على هذا العدد. و لو لا لطف الله تعالى و رحمته و خيراته و إحسانه لما كفاهم الخبز و الماء ففضل الله تعالى و رحمته واسع عظيم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٢٣

يشمل أهل الحرمين و الحجاج و كافة عباده فى جميع أقطار الأرض. إن حالة الحج و الحجاج ليعجز القلم عن وصفه و لا يمكن أن

يعرفها إلا من شاهدها بعيني رأسه (و ما راء كمن سمعا) فسبحان الكبير المتعال الذى يدبر شؤون خلقه فى السموات و الأرض لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

\* و من عاداتهم أنهم ما كانوا يعرفون الدروس الخصوصية فى البيوت قط، فالتعليم كله يكون فى المدارس، فالأساتذة ما كانوا يذهبون إلى بيوت تلاميذهم قط لا بالأجرة و لا مجانا. غاية الأمر أن الأستاذ إذا رأى من تلاميذه قصورا فى بعض الدروس خصص لجميعهم وقتا فى نفس المدرسة إما قبل موعد الدراسة فى الصباح أو بعد العصر و أحيانا فى النادر يعلمهم ما يحتاجون بعد المغرب فى المسجد الحرام مجانا لله تعالى من غير أن يتقاضى على ذلك أجرا فقد كان رائدهم الإخلاص فى جميع أمورهم، و لذلك كان التعليم فى السابق فيه بركة و كان الخير فى الأساتذة و الطلبة معا.

و ما عرفت البلاد الدروس الخصوصية إلا من بعد سنة (١٣٦٠) ألف و ثلاثمائة و ستين هجرية و ما زالت الدروس الخصوصية تكثر تدريجيا حتى انتشرت اليوم فى جميع البلاد فىأتى ولي الطالب بأستاذ لولده يعلمه فى البيت إما بعد العصر أو بعد المغرب بأجر معين.

\* و من عاداتهم أنهم ما كانوا يتركون أولادهم يخرجون إلى الأسواق و الشوارع بعد المغرب بل حتى الكبار من الرجال و النساء ما كانوا يخرجون من بيوتهم بعد المغرب إلا إلى المسجد الحرام أو لأمر ضرورى و ذلك اتباعا لأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم حيث يقول: «إذا كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم و أغلقوا الأبواب و اذكروا اسم الله فإن الشيطان لا- يفتح بابا مغلقا و أوكؤا قربكم و اذكروا اسم الله و ختموا آنتيكم و اذكروا اسم الله و لو أن تعرضوا عليه شيئا و أطفئوا مصابيحكم».

إن الأولاد بمكة المشرفة ما تعودوا فى الأزمان السابقة على الخروج من بيوتهم ليلا، غاية الأمر أنهم يعودون إلى بيوتهم مع آبائهم بعد صلاة العشاء فى المسجد الحرام، و أصحاب الدكاكين كانوا يقفلون دكاكينهم فى المغرب أو بعد صلاة العشاء على الأكثر، و لا توجد فى الأسواق ليلا إلا دكاكين بيع الخبز و الأطعمة خصوصا و أن الشوارع و الأسواق كانت مظلمة ليس فيها سوى ضوء القمر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٢٤

و النجوم فى العصور الأولى، ثم وضعت فيها الفوانيس التى بداخلها اللمبات التى تنار بالكاز ثم استبدلت هذه الفوانيس بالأتاريك ثم صارت اليوم تنار جميع الشوارع و الأسواق و الأزقة و البيوت بالأنوار الكهربائية حتى صار الليل كالنهار.

\* و من عاداتهم أن الإعلانات المهمة الحكومية الصادرة للجمهور كانت تذاع و تنشر بمكة المكرمة بواسطة النداء فيمشى المنادى فى الشوارع و الأسواق و قد يكون راكبا على الحمار فينادى بأعلى صوته فى الناس و يبلغهم ما صدر من الأوامر الرسمية، و أحيانا تكون بيده ورقة مكتوبة فيقرأها عليهم. و كذلك كانت الحال فى جدة و كان ينادى المنادى بها حتى على سفر البواخر فيها و مرورها على بعض البلدان، و يسمون الباخرة بالبابور فكان المنادى فى جدة يقول بأعلى صوته فى الأسواق و المجمعات: بابور يسافر إلى أسمره و مصوع و عدن و الحديدة و الهند ...

إلى آخر الإعلان، و كان هذا الحال متبعا إلى سنة (١٣٤٥) هجرية.

ثم لما كثرت الجرائد فى البلاد و انتشر وجود الراديو بها بطلت تلك العادة القديمة حيث أن الأوامر الرسمية و المسائل المهمة تنشر فى الجرائد و المجالات و تذاع بواسطة الإذاعة فيعلم جميع الناس فى كل مكان. فكل حالة لا بد لها من زوال.

### الألعاب التى كانت شائعة لدى الأطفال بمكة

الألعاب التى كانت شائعة عندنا بمكة لدى الأطفال من قبل سنة (١٣٤٣) ألف و ثلاثمائة و ثلاث و أربعين هجرية، أى من قبل العهد السعودى هى كما يأتى:

١) لعبة الطيارات، و كانوا يعملونها من الورق و عود البمب الجاوى. و لهم فى صنعها مهارة فائقة فإنها إذا اختلف عملها و لم يكن



ميزان خيطها مضبوطا لم ترتفع فى الهواء و كانوا يربطونها بخيط قوى طويل جدا لترتفع إلى أبعد حد فى الهواء و بعضهم يدق القزاز ناعما ثم يخلطه بالغراء و يمسحون بهذا الخليط خيط الطائرة و بعد أن ييبس و ينشف على الخيط يلفونه فى علبه فارغه كعلبه الأناس ثم يربطون الطائرة بهذا الخيط و يطلقونها فى الهواء حتى إذا وقعت طائرة أخرى فى الهواء أطلقوا لها هذا الخيط المفترز لتحز خيط الطائرة الأخرى، فكانوا يلعبون بهذه الطائرات فى بعض فصول السنة.

(٢) لعبة البرجون، بفتح أوله و ثانيه و ضم الجيم و يسمونها بمصر أبل بكسر اللام، و البرجون عبارة عن كرة صغيرة أصغر من الليمونة تامه التدوير و يصنعون

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٢٥

هذا من الخارج من الزجاج الملون الجميل و هى إلى اليوم موجودة فى جميع البلدان و لكن الأطفال عندنا كانوا يصنعون البرجون من الحجارة الجبلية الصماء يصنعونه بأيديهم و بعضهم يصنعونه من الحجارة الصفراء التى تسمى «بالقحوط» و عند اللعب كانوا يحفرون ثلاث حفر صغار كل حفرة بقدر التفاحة و ما بين الحفرة و الأخرى نحو ثلاثة أمتار ثم يلعبون به بالكيفية التى يعرفونها.

(٣) و من عاداتهم أن أطفالهم و أولادهم كانوا يلعبون الكبوش بضم الكاف و الباء الموحدة، و ليس المراد به هو الحيوان المعروف و إنما الكبش فى متعارف الأولاد عندنا هو عظمة صغيرة بمقدار اثنين سنتى و هو يكون فى عرقوب كل حيوان كالأغنام بمثابة المفصل فعند ذبحها يأخذون من أرجلها الكبوش ثم تنظيفها مما لصق بها من اللحم أو الدهن ثم يحكّون سطحها على الحجر حتى يكون الكبش ناعما ظريفا و بعضهم يصبغونها بالألوان لجمال منظرها ثم يجتمعون على اللعب بها فى أرض ترابية و ذلك بأن يجعلوا كل كبش بجانب كبش حتى يكون عدد الكبوش نحو عشرين أو ثلاثين أو أقل و كلها فى صف واحد مستقيم ثم يحيطون هذا الصف من الكبوش بدائرة على التراب و يكون اللاعبون اثنين أو ثلاثة أو أكثر فيلعبون بالترتيب واحد بعد واحد و ذلك بأن يتعدوا عن الدائرة بنحو ثلاثة أمتار أو أربعة و يكون كل واحد منهم ممسكا فى يده بكبش آخر ثقيل نظيف فيضرب به من البعد تلك الكبوش فإذا أصابها و خرج كبش منها عن الدائرة أخذها و ما يزال يضربها و كلما خرج منها كبش منها عن الدائرة أخذها فإذا ضربها و لم يصب شيئا منها أو أصابها و لم يخرج كبش منها عن الدائرة تنحى عن اللعب و أتى لاعب آخر يلعب مثله حتى تنتهى بهذه الكيفية جميع الكبوش فلا يبقى شىء منها فى الدائرة فعندئذ يستأنفون اللعب من جديد و بعضهم يضع رصاصا فى الكبش الذى فى يده يلعب به حتى يكون ثقيلًا فيخرج معه الكبوش التى فى داخل الدائرة سريعا.

و هذا اللعب بالكبوش قد بطل الآن فلا ذكر له و ذلك من سنة (١٣٤٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و أربعين هجرية تقريبا.

(٤) لعبة المدوان، بكسر أوله و سكون ثانيه و هى نوعان: «النوع الأول» و هو مخروطى الشكل يضعون فى رأسه المحدد مسمارا ثم يلفون على قعره الغليظ خيطا متينا إلى نحو ثلثيه ثم يرمونه على الأرض و يجرون الخيط عند رمية

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٢٦

بكيفية خاصة بحيث يدور المدوان على نفسه دورانا قويا منظما على رأس المسمار المذكور. «و النوع الثانى» هو المدوان المتخذ من نوى تمر الدوم و هى تكون فى حجم الليمون و باطن هذا النوى أبيض كباطن النارجين إلا أنه قوى جدا. كانوا يتقبون هذا النوى من طرفيه الأعلى و الأسفل فيدخلون فى هذا الثقب عودا قويا حتى يخرج رأسه من الثقب الآخر فيدور المدوان على هذا الرأس ثم يتقبون من عرضه ثقبين متقابلين ثم يلفون خيطا على العود الثابت فيه ثم يرمونه فى الأرض و يجرون الخيط بكيفية خاصة فيدور المدوان على رأس العمود الثابت فيه و يخرج منه صوت مده دورانه لتخلل الهواء فى باطنه من الثقبين الموجودين فى جانبيه.

(٥) لعبة السيقطة، بضم السين المهملة و تشديد القاف و كسرها و بعضهم يبدل السين بالزاي، و هى لعبة مكوّنة من خمسة أحجار صغار كأحجار حصى الجمار فترمى أمام اللاعب ثم يلقطها واحدة فواحدة بكيفية خاصة حتى يلقط جميع الحصى.

(٦) لعبة الطّرة، بضم الطاء و تشديد الراء المهملة و هى عبارة أن يضع أحد عمامته من رأسه ثم يمسكها من وسطها ثم يلف طرفيها

بعضها و يربطها ثم يقعد بضعة أشخاص من ثلاثة فأكثر ثم يأتون بريال و نصف ريال و كان سابقا يكتب على أحد وجهيه اسم السلطان بخط الطرّة و على الوجه الآخر ضرب في القسطنطينية سنة كذا أو يأتون بكيش من الكبوش السالف الذكر فيرمون الريال أو الكبش أمامهم فإذا ظهرت الطرّة ضربوا الذي عليه الدور بضع ضربات بالطرّة التي عملوها من عمامتهم، و لهذه اللعبة كيفية مخصوصة نسيناها اليوم.

(٧) لعبة الكبت، بفتح أوله و ثانيه و هي لعبة يشترك فيها بضعة أشخاص و ينقسمون إلى طائفتين و يكونان متقابلين بينهما نحو عشرة أمتار و يخطون في وسط الفضاء بينهم خطا في التراب إشارة إلى أن هذا الخط هو الحدّ الفاصل بينهما. فيخرج واحد من إحدى الطائفتين إلى الطائفة الأخرى و يمد يده إليهم باحتراس فإذا لمس أحدهم و هرب و لم يمسكوه فتعتبر طائفته هي الغالبة و إن أمسكوه فتعتبر طائفته هي المغلوبة.

(٨) لعبة الكورة و هي لعبة خاصة غير لعبتها الشائعة اليوم فإنهم كانوا يلعبونها بأيديهم عدة أدوار و كانوا يسمون كل دور باسم خاص، و هذه اللعبة تتكون

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٢٧

أيضا من عدة أشخاص و ينقسمون إلى طائفتين أيضا و لهم في لعبتها كيفية خاصة. و انظر إلى كتاب الفاكهي حيث ذكر هذه اللعبة و أنها من العصور الأولى في الإسلام.

(٩) لعبة المزمارة، بضم الميم و سكون الزاي و هي لعبة خاصة برجال أهل الحارة و هذه اللعبة يتخذونها في أيام الأعياد و الأفراح الخاصة و العامة. و كان أهل كل حارة يقيمون لعبة المزمارة في حارتهم في مكان فسيح، و لا بد في اللعبة من إيقاد النار و ضرب الطبول و رقص الرجال حول النار بكيفية خاصة ليس فيه رقص خليع و لا ميوعة و لا بد كل واحد من رجال الحارة أن يمسك بيده عصا غليظة يرقص بها و يمشى بها و يسمونها «بالشون» بضم الشين، و لا بد أن يتحرّم كل واحد منهم بحزام من الأحاريم في وسطه، و قد تقدم قريبا ذكر المزمارة .

(١٠) الهوشة، بضم الهاء الممدودة و فتح الشين المعجمة و هي ليست لعبة و إنما هي تشبه المحاربة بين طائفتين فإذا أراد أهل حارة التحرش بأهل حارة أخرى و معاكستهم و معاندتهم ذهبوا إلى حارتهم و رموهم بالحجارة فيخرج إليهم أهل تلك الحارة و يهجمون عليهم برميهم بالحجارة و أهل كلتا الحارتين بأيديهم العصا الغليظة التي يسمونها «الشوم» فيترامون بالحجارة حتى تغلب إحدى الطائفتين، و قد تقدم ذكر الهوشات قريبا.

و هذه ليست لعبة و إنما ألحقناها بها ذكرا لعادة أهل مكة. و قد بطلت هذه العادة المستهجنة القبيحة و لله الحمد كما بطلت جميع الألعاب المذكورة. و قد ظهرت منذ سنوات في مكة و غيرها لعبة الكورة بكيفية مخترعة و قد انتهى الناس بها و بألعاب أخرى من ركوب البسكليتات التي كانت تسمى سابقا بحمار الشيطان كما التهوا بسماع الأغاني الخليعة من الإذاعات و بأمر أخرى لا داعي لذكرها و بيانها و الله الهادي إلى سواء السبيل.

(١١) المصتكي و الكجل. كان الأطفال في الزمن السابق يتسلّون كثيرا بهذه اللعبة اللطيفة النظيفة، فالمصتكي معروف لدى جميع الناس تستعمل بخورا و تستعمل مضغا كاللبان، و أما الكجل بكسر أوله و ثانيه فهي مادة بنية اللون تشبه جلد اللستك أو مساحه قلم الرصاص و لا ندري هل هي مادة تطبخ

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٢٨

بالأدوية أم هي مادة تستخرج من بعض الحيوانات و هذه المادة يأتي الطفل فيأخذ من المصتكي مقدارا بحسب رغبته فيمضغه ثم يأخذ مقدارا صغيرا جدا كحبة العدس من الكحل فيمضغه مع المصتكي مضغا جيدا حتى يختلط بها ثم يأخذ هذه اللبنة بيد فيمدها و يسطحها و يجعلها بقدر الريال الفضة ثم يطويها قليلا و يضع طرف لسانه بينها ثم ينزل أسنانه عليها من فوق و من أسفل فتكون اللبنة

بين أسنانه و بين لسانه ثم ينفخ في اللبنة قليلا قليلا و يمطها بيده فتنتفخ هذه اللبنة بقدر البطيخة الصغيرة ثم تنخرق فتنتفخ ثم يمضغها ثانيا ثم ينفخها مرة أخرى. و هكذا يتسلى بنفخها و مضغها حتى تطيب نفسه.

هذه اللعبة كانت تسلية عامة للأطفال يعرفها المعمرون ثم بطلت هذه اللعبة من قبل سنة (١٣٤٠) ألف و ثلاثمائة و أربعين من الهجرة لعدم ورود هذه المادة إلى الحجاز، و من تلك السنة لم نجد أحدا يستعملها أبدا. و أما المصطفى فهي موجودة في جميع البلدان.

و هنا وقف بنا جواد القلم فلم يجر خطوة ثانية عما كتبه من عادات أهل مكة رعاها الله تعالى بالطف و الإكرام و الله تعالى أعلم بما كان من عاداتهم في سالف الأعوام و ما سيكون منها في مستقبل الأيام، نسأل الله تعالى أن يكثر عليهم الخيرات و البركات و أن يوفقهم للأعمال الصالحات و أن يسترهم في الدارين و يحفظهم من الآفات و يديم عليهم الأمن و الأمان و الطمأنينة و الرخاء بفضلته و رحمته إنه سميع مجيب الدعوات و إنه بعباده لطيف خبير.

### عادات الجاهلية

\* و من عادات أهل الجاهلية و أد البنات: قال الله تعالى في سورة التكويد:

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ\* وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ\* وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ\* وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ\* وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ\* وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ\* وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ\* وَإِذَا الْمَوْؤَدَةُ سُئِلَتْ\* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ.

فوأد البنات كان من عادة بعض بطون العرب في الجاهلية، فكانت العرب تئد البنات مخافة لحوق العار بهم من أجلهن، و معنى الوأد دفن البنت حية. فكان الرجل منهم إذا أراد قتل ابنته تركها حتى إذا كانت سداسية يقول لأُمها: طيبها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٢٩

و زينيتها حتى أذهب بها إلى أحمانها و قد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها و يهيل عليها التراب حتى تستوى البئر بالأرض ...

فوأد البنات جناية عظيمة فلما جاء الإسلام حرّم ذلك كما حرّم قتل الأولاد خشية الإملاق. فتركت هذه العادة السيئة الوحشية و لله الحمد.

\* و من عادات أهل الجاهلية: أن المرأة إذا توفى عنها زوجها دخلت حفشا «و هو البيت الصغير» و لبست شر ثيابها و لم تمس طيبا و لا شيئا حتى تمر بها سنة ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طير فتفتض به «أى تمسح به جلدها» ثم تخرج فتعطي بعة فترمي بها ثم تراجع بعدما شاءت من طيب أو غيره. هكذا قالت زينب بنت أبي سلمة.

و إلى هذه العادة يصرح رسول الله صلى الله عليه و سلم كما في الصحيحين حين استأذنه في كحل امرأة توفى زوجها فخافوا على عينها بقوله:

«لا تكتحل، قد كانت إحداكن تمكث في شر أحلاسها أو شر بيتها فإذا كان حول فمّر كلب رمت ببعرة فلا حتى تمضي أربعة أشهر و عشر».

فكانت المرأة ترمي البعرة إلى الكلب بعد مرور حول على وفاة زوجها إشارة إلى انتهاء عدتها لوفاء زوجها، و أما في الشريعة المحمدية فالعدة أربعة أشهر و عشر ليال.

\* و من عادات الجاهلية ما ذكره البخارى في صحيحه في كتاب التفسير في سورة البقرة: عن أبي إسحاق عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره. فأنزل الله و لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا. انتهى.

نذكر هنا قليلا من بعض أحوال العرب و عاداتهم و ما يمتازون به و يتلخص فيما يأتي:

(١) كان العرب يتاجرون و كانت لهم أسواق شهيرة يجتمعون في بعضها في مواسم الحج يحضرون إليها من كل الأطراف، حتى كان النعمان بن المنذر ملك العرب بالحيرة، و هي بلدة غرب الفرات يرسل تجارته كل عام إلى سوق عكاظ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٤، ص: ٢٣٠

لتباع له. و كانت لقريش رحلتان تجاريتان رحلة الشتاء إلى جهة اليمن و رحلة الصيف إلى جهة الشام و كانوا يتعاملون بنقود الفرس و الروم.

(٢) كان العرب على بساطة عيشهم يكرمون الضيف إكراما زائدا بدون تكلف ما أقام لديهم و قد تستقبل المرأة الضيف و تقدم له ما لديها من أطيب الطعام و زوجها غائب، فإكرام الضيف عادة طبيعية فيهم و يندر فيهم الرجل البخيل و لبعض الكرماء الممتازين منهم نوادر و حكايات تستحق أن تكتب بماء الذهب.

(٣) كان العرب يمتازون عن الأجناس الأخرى بمكارم الأخلاق و الصفات النبيلة و الغيرة العجيبة و الشهامة و البسالة. و كانوا يعرفون حرمة مكة و البيت الحرام و مكة المشرفة كما كانوا يحترمون الأشهر الحرم و من ذلك كانوا ينصرون المظلوم بمكة و يأخذون حقه من الظالم.

و واقعة حلف الفضول شهيرة في التاريخ و ذلك أنه عند ما رجعت قريش من حرب الفجار تداعوا لحلف الفضول فتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان أحد رؤساء قريش، تحالفوا و تعاهدوا أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه حتى ترد إليه مظلمته، و لقد حضر هذا الحلف رسول الله صلى الله عليه و سلم مع أعمامه قبل بعثته لأن هذا الحلف مما يقره الإسلام و يدعو إليه. و هذا هو التعاون على البر و في هذا الحلف يقول النبي صلى الله عليه و سلم بعد أن بعثه الله إلى الناس كافة: «لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبد الله بن جدعان ما أحب لى به حمر النعم و لو دعيت به في الإسلام لأجبت».

فانظر رحمك الله هذا قريش يجتمعون في الجاهلية فيتعاقدون أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو من غير أهلها من سائر الناس إلا نصروه و قاموا معه حتى ترد إليه مظلمته، و نحن الآن ندعى الإسلام و نتلوا كتاب الله و نحفظ أحاديث رسول الله ثم نرى الرجل يحيق به الظلم و المهانة و يغمط حقه جهارا نهارا فلا يقوم أحد منا لنصرته و لا للأخذ بيده فلا حول و لا قوة إلا بالله.

(٤) و كانت للعرب نخوة و شهامة و مروءة و اعتزاز و لسان صدق و وفاء بالوعد و سماحة و إغضاء و لا يرضى أحد منهم بالظلم و الضيم، فإن كان قويا أخذ حقه بنفسه و إن كان ضعيفا رحل من مكانه إلى جهة أخرى فأرض الله واسعها، و في هذا المعنى يقول بعض أهل الجاهلية و هو الشنفرى في أول قصيدته التي تسمى «بلامية العرب».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٤، ص: ٢٣١ أقيموا بنى أمى صدور مطيكم فإنى إلى قوم سواكم لأميل

فقد حمت الحاجات و الليل مقمر و شدت لطيات المطايا و أرحل

و فى الأرض منأى للكريم عن الأذى و فيها لمن خاف القلى متحول ... إلخ

و العربى يعتز بحماية جاره و من ينتمى إليه و فى هذا يقول السموأل الذى كان فى عصر الجاهلية:

و ما ضرنا أنا قليل و جارنا عزيز و جار الأكثرين ذليل

(٥) و كانت العرب تحرم زواج البنت و الأخت و العممة و الخالة و كانوا يحبون أولادهم و يعاملونهم بكثير من الشفقة و الحنان، قيل لأعرابى أى أولادك أحب إليك؟ فقال: صغيرهم حتى يكبر و مريضهم حتى يصح و غائبهم حتى يقدم. و قال بعضهم فى إشفاقه على ولده:

لا تعجبني يامى من سوادى و من قميص هم بانقداد

كلفنى تعسف البلاد و قللة النوم على الوساد

مخافة الفقر على أولاد و قال أبو تمام بن أوس الطائى:

و إنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض  
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض  
(٦) و كان بعض العرب عنده عدة زوجات و كان الطلاق بيد الرجل و إذا كانت المرأة تمتاز بشرف قومها اشترطت حين الزواج أن يكون الطلاق بيدها.

و كانت المرأة عند العربي محترمة مكرمة و يلقبها بخير الألقاب، و انظر إلى قول بعضهم و هو يخاطب زوجته:

يا رب البيت قومي غير صاغرة ضمي إليك رحال القوم و القربا

و يخطئ من يقول: أن العرب كانوا يعاملون نساءهم بالإهانة و الغلظة و ينظرون إليهن نظرة حقارة و استخفاف فإن من يقرأ التاريخ يعرف مكانة النساء عند العرب و يعرف ما كان لهن من الخدمات الإنسانية و الشهامة القومية و هي إذا شاءت أشعلت الحرب بين الأحياء بكلمة تخرج من فيها و إذا أرادت السلام و إطفاء الفتنة تكفى الإشارة بطرف بناتها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٣٢

(٧) كانت العادة عند العرب أن لا يزوجوا بناتهم إلا بعد أن يستشيروهن و يرضخوا لإرادتهن لأن ذلك أجبر لقلوبهم و أخرى بدوام العشرة مع أزواجهن فإن إجبارهن على الزواج بدون رغبتهم مما ينفرهن عن الزوج فيكرهن حتى أهله و أهلها. و ليس ذلك من الحكمة في شيء.

و ما أحلى الحكاية الآتية التي نقلها من كتاب «محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية» للخضري رحمه الله تعالى و هي:

قال الحارث بن عوف المري لخارجه بن سنان في أبان الحرب بين عبس و ذبيان: أتراني أخطب إلى أحد فيردني؟ قال: نعم، أوس بن حارثة بن أم الطائي.

قال الحارث لغلامه: هيء لي مركبا ثم ركب هو و غلامه و معهما خارجه حتى أتيا أوسا فوجداه في داره، فلما رأى الحارث ركب به و سأله عن مجيئه فقال:

جئتك خاطبا، فقال أوس: لست هناك. فانصرف و لم يكلمه.

ثم دخل أوس على امرأته مغضبا و كانت من عبس فقالت: من رجل وقف عليك فلم تطل و لم تكلمه؟ قال: ذاك سيد العرب الحارث بن عوف، قالت: فما لك لم تستنزله؟ قال: إنه استحمق جاءني خاطبا، قالت: أفتريد أن تزوج بناتك؟ قال: نعم. قالت: فإذا لم تزوج سيد العرب فمن؟ قال: قد كان ذلك، قالت:

فتدارك ما كان منك فالحق و قل له: إنك لقيتني مغضبا بأمر لم تقدم مني فيه قولا فلم يكن عندي من الجواب إلا ما سمعت فانصرف و لك عندي كل ما أحببت.

فإنه سيفعل.

ففعل ذلك أوس ورد حارثه فلما وصلوا إلى بيت أوس قال أوس لزوجته:

ادعى فلانة لكبرى بناته فأنته فقال: يا بنية هذا الحارث بن عوف سيد سادات العرب و قد جاءني طالبا خاطبا و قد أردت أن أزوجهك منه. فقالت: لا- تفعل لأني امرأة في وجهي ردة و في خلقي بعض العهدة و لست بابنة عمه فيرعى رحمي و ليس بجارك في البلد فيستحي منك و لا- آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون على في ذلك ما فيه. قال: قومي بارك الله فيك. ثم دعى الوسطى فأجابته بمثل جوابها و قالت: إني خرقاء و ليس بيدي صناعة و لا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون على في ذلك ما تعلم. ثم دعا الثالثة و هي بهيئة صغراهن فلما عرض عليها قالت: أنت و ذاك. فأخبرها بإباء أختها فقالت: لكني و الله الجميلة و جها الصانع يدا الرفيعة خلقا الحسيبة أبا فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٣٣

فزوجها الحارث و هيئت إليه في بيت أبيها، فلما خلا بها و أراد أن يمد يده إليها قالت له: أعند أبي و إخوتي؟ هذا و الله ما لا يكون فارتحل بها حتى إذا كان ببعض الطريق و أراد قربانها فقالت: أكما يفعل بالأمة الجليبة أو السبيئة الأخيذة لا و الله حتى تنحر الجزر و تذبح الغنم و تدعو العرب و تعمل ما يعمل لمثلي، فرحل حتى إذا وصل ديار قومه أعد لها ما يعد لمثلها، فلما أراد قربانها قالت له أتفرغ لنكاح النساء و العرب تقتل بعضها؟ أخرج إلى هؤلاء القوم فاصلح بينهم ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك، فخرج الحارث مع خارجه بن سنان فأصلح بين القوم و حملا الديات، و كانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين. انتهى من محاضرات الخضرى.

فانظر رحمك الله إلى هذه الحكاية الطريفة نظر تدقيق و إمعان فإنه يستنتج منها أمور كثيرة سواء من ناحية الزوج أو الزوجة أو أبيها أو أمها، و نحن هنا لا نريد ذكر ذلك حتى لا يطول بنا المقام. و الله الهادي إلى سواء الطريق.

### تغير الأحوال المعنوية في الحجاز

لقد كانت الأحوال المعنوية في الحرمين الشريفين طيبة جدا و على غاية من الاستقامة و حسن السيرة، و لنضرب لذلك الأمثال الآتية: أولاً: لقد كان الناس على ديانة و استقامة تامتين و كان يعرف ذلك من سيماء و جوههم و حسن سمتهم و جميل هيأتهم و كانوا يكثر من الصلوات المفروضات و المسنونات و مثل ذلك أداء الزكاة و صيام رمضان، و كان لهم في قيام لياليها بصلاة التراويح بالمسجد الحرام نظام خاص و حالة جميلة مشرفة.

و ثانياً: لقد كانت أنفسهم زكية طيبة مشبعة بحب الخير و أفعال البر و الحسنات و كان كل واحد منهم في الغالب يمسك في يده مسبحة يسبح الله تعالى بها و يهلله و يستغفره، و كانوا على الدوام يكثر من الصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه و سلم و كانوا يحفظون كثيرا من القصائد و الأشعار النافعة و التي ترغب في أعمال البر و الخير و تنهى عن الشر و الفساد.

و ثالثاً: كانوا أهل شهامة و مروءة و كرم و شجاعة فكانوا يسارعون في مساعدة بعضهم بشتى الوسائل و يسألون عن من غاب من أصحابهم و أصدقائهم و يعودون مرضاهم و ينفسون عن مكروبهم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٣٤

و رابعاً: و كانوا يقيمون الموائد و الولائم ممن كان ميسور الحال فيقيمون في الشهر الواحد في كل حارة و في كل محلة أكثر من عشرين و ليمة يدعون فيها أصحابهم و جيرانهم و أقاربهم و الفقراء من الناس، يقدمون لهم الطعام المألوف لديهم و هو الرز المطبوخ باللحم مع بعض ما يتبعه من الصحون المشهية و يختمون طعامهم بالشاهي الأحمر و الشاهي الأخضر و يضع في الشاي الأخضر شيئا من النعناع لتكون رائحته عطرية، و بمثل هذه الدعوات و الولائم يتنفع الفقراء و المساكين و يجدون في معيشتهم بعض المعونات. خامساً: لقد كان يحصل في كل من الحرمين الشريفين مساعدات مالية و صدقات عامة منها ما يكون سنويا و منها ما يكون شهريا، فكان لبعضهم مرتبات شهرية تأتيهم من جهات الهند و أطراف البلدان الإسلامية تصرف إليهم بواسطة و كلائهم من التجار و غيرهم، و أحيانا تصرف إليهم بعض الغلال من الحبوب كالأرز و العدس و الحنطة و نحوها.

و سادساً: لقد كان في مكة المكرمة و في المدينة المنورة بعض التكايا كالتكية المصرية فيهما فكانت التكية المصرية بمكة و التكية المصرية بالمدينة تصرف لبعض أهل الحرمين رواتب شهرية و سنوية تأتيهم من الأوقاف المصرية فتصرف لبعضهم خمسة جنيهاً مصرية و لبعضهم عشرة جنيهاً مصرية و قد يكون لبعضهم أكثر و لبعضهم أقل و كانت كل تكية منهما في مكة و المدينة تفرق صباح كل يوم من بعد صلاة الفجر إلى بعد الشروق شوربة الرز المطبوخة باللحم و في كل خميس يطبخون الأرز باللحم فقط و يفرقون أيضا مع هذا لكل واحد عددا من الأرز فبعضهم يأخذ رغيفين و بعضهم أربعة و بعضهم عشرة ببطاقات خاصة و نظام دقيق كل واحد بحسب فقره و عدد عياله. و من الحسنات الممدوحة في التكية المصرية في موسم الحج أن كثيرا من أغنياء الحجاج و أعيانهم يدفعون صدقاتهم و ذبائحهم من الفدية و غيرها إلى التكية المصرية لتفرقها على الفقراء و المحتاجين لمعرفتها.

و سابقا: لقد كانت لهم عادات حسنة و أخلاق كريمة، الصغير منهم يوقر الكبير و الكبير منهم يرحم الصغير و المخطئ المذنب يردونه و يردعونهم و العالم و الصالح منهم يحترمون و يعظمون، عاداتهم و دينهم الإصلاح و المبادرة إلى فعل الخيرات.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٣٥

و ثامنا: و مما كانوا يمتازون به حقا المبادرة إلى طلب العلم، فالمسجد الحرام يشهد لهم بحلقات الدروس في جميع الأوقات من ليل أو نهار و المدارس ممتلئة بأبنائهم يشتغلون بالعلوم الدينية أولا ثم بالعلوم الحديثة خصوصا بتجويد القرآن الكريم و حفظه و تلاوته، و كان التعليم في جميع أنواع العلوم قويا متينا خالصا مخلصا لا ضعف فيه و لا تهاون و كم برع من أبناء هذه البلاد المقدسة في العلوم و الفنون من غير ابتعاث إلى الخارج و كم وجدنا من المحسنين و الأغنياء و الفضلاء من يساعدون طلاب العلم و يقدمون لهم المعونات الفعالة. و يشهد لكل ذلك من بقي من أهل جيلنا القديم.

و تاسعا: إن أهل هذه البلدة الطاهرة كانوا جميعا كأنهم أسرة واحدة فإذا رأى أحدهم ابن جاره أو ابن صاحبه و قد فعل خطأ أو مشى في السوق بغير أدب خاصمه و غضب عليه كما يغضب على ابنه من صلبه و الولد يخجل من نفسه و يغض نظره طاعة و حياء.

و عاشرا: كانت المعاملات بينهم في غاية من الأمانة و الوفاء و إن لم يكن بينهم شهود و لا سندات و كان بعضهم من أهل الدكاكين يدفع بعض الزبائن إلى جيرانه في الصباح الباكر ليشتري منهم و يقول لهم أننى قد بعت و استفتحت أما جارى فلان فإنه لم يستفتح فاذهبوا إليه لتستفتحوا لبعضكم خيرا إلى غير ذلك من الأمور المستحسنة الشريفة و هذا بالنسبة للغالب أما النادر الشاذ منهم فلا عبرة به.

هكذا كانت أحوال أهل الحرمين و المدن القريبة منهم إلى سنة (١٣٥٥) ألف و ثلاثمائة و خمس و خمسين هجرية تقريبا ثم اختلف أحوالهم و رجعوا القهقرا من بعد هذه السنة المذكورة تدريجيا شيئا فشيئا و تطوروا تطورا عظيما و صاروا يقلدون الأجانب بسرعة فائقة و تحرروا من العادات القومية الطيبة و تهاونوا بأمور الدين و السبب في ذلك و الله تعالى أعلم إقبال الدنيا عليهم إقبالا عظيما فكثرت أسفارهم إلى الخارج و كثر اختلاطهم بالأجانب و هاجر إليهم كثير من مختلف الأجناس و أقاموا بينهم و عاشروهم، نعم هناك بعضهم محافظون على ديانتهم و أخلاقهم و عاداتهم الشريفة و لكنهم قليلون.

فإذا تغيرت عاداتنا و أحوالنا و نحن أهل الحرمين الشريفين فإن البلاد الإسلامية الأخرى قد تغيرت أحوالهم و عاداتهم تغيرا عظيما شنيعا بل لقد تغيرت الدنيا كلها في هذا الزمن العجيب. و هذا مصداق قوله صلى الله عليه و سلم: «ما من عام إلا ينقص الخير فيه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٣٦

و يزيد الشر» رواه الطبراني، و لا شك أن كل ذلك من علامات اقتراب الساعة، نسأل الله تعالى السلامة و العافية من الفتن ما ظهر منها و ما بطن كما نسأله أن يعاملنا بفضله و رحمته و إحسانه و منته إنه حلیم كريم رب العرش العظيم.

## جو مكة و هوائها

لا نبالغ إن قلنا أن جو مكة حار في أغلب أيام السنة و أن هواءها يتقلب و يتغير في كل ساعة، إن الفصول الأربعة من الصيف و الشتاء و الخريف و الربيع، لا تظهر في وقتها سريعا، كما تظهر في جميع البلدان، بل إن الغالب في مكة المشرفة أن جوها حار في أغلب أيام السنة، و في فصل الصيف تشتد فيها الحرارة، و في أيام خاصة يكثر فيها السموم، و السموم حار لافح و أيامه أشد الأيام حرارة، و أفضل وسيلة لتخفيف حرارة السموم ألا يتعرض الإنسان للهواء بل عليه أن يقفل الشباييك و الأبواب، و من عجيب الأمر أن الماء ليبرد في السموم في الأزيار و القلل و القرب و الزمزيات التي من القماش أشد البرودة. فحرارة مكة قديمة منذ خلقها الله تعالى، فلقد روى الإمام الأزرقي، رحمه الله تعالى و رضى عنه، في تاريخه عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: شكا إسماعيل عليه الصلاة و السلام إلى ربه عز و جل حر مكة فأوحى الله تعالى أنى أفتح لك بابا من الجنة في الحجر يجرى عليك منه الروح إلى يوم القيامة و في ذلك

الموضع توفي. قال خالد: فيرون أن ذلك الموضع ما بين الميزاب إلى باب الحجر الغربي فيه قبره. انتهى منه. إن الهواء بمكة حار لا- يقاس عليه، و هو مع ذلك صحى إلى أقصى حد، فالأمراض بها فى وقت الصيف تقل، كأن الحرارة تقتل المكروبات، و من عجب الأمر أن أهل جدة، و هم على ساحل البحر الأحمر، ينفرون من حر مكة و من سموها أشد النفور، لأن جو جدة و هواءها فى الصيف رطب مندى، كما أن أهل مكة ينفرون من رطوبة جدة و نداها الذى يكثر فى فصل الصيف فيها. إن الهواء بمكة ليس له نظام و لا- ترتيب إنه ليتغير فى اليوم أكثر من خمس عشرة مرة، يظهر ذلك للمتأمل المترقب. و فى كل مرة يكون الهواء غير سابقه، و هذا فى الحقيقة من عظيم رحمة الله تعالى بأهل بلده الأمين، فأحيانا يتغير الهواء فى الصيف من الحرارة إلى نوع من البرودة، تستروح النفس بذلك، بل إن الهواء يكون باردا لطيفا فى بعض ليالى الصيف، بحيث يتغطى الناس عند النوم، و قد يكون الهواء فى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٣٧

أيام الشتاء حارا لطيفا بحيث يخلع الناس ثيابهم الثقيلة. هذا هو جو مكة و هذا هواؤها، و فيه كثير من الألفاظ الربانية. إن كثيرا من الناس يظنون أنه لا يوجد بلد حار كحرارة مكة، و هذا ظن فى غير محله، فإنه يوجد كثير من البلدان أشد حرارة من مكة، شرفها الله تعالى، كبعض البلدان من الصعيد بمصر، و كبعض البلدان فى العراق، بل فى نفس بغداد يوجد من الحرارة ما لا يطاق. و لقد أخبرنا بعض المسافرين أنه يوجد فى الصين بعض الأماكن لا تطاق حرارتها، حتى أن أهلها ليسكنون فى أيام الصيف فى المغارات و الكهوف و إنهم يقطرون من العرق من شدة الحرارة، فنحن إذا قسنا حرارة مكة المشرفة بحرارة بعض البلدان الأخرى نجد أن حرارتها معتدلة صحية، و لو لا أن الله تبارك و تعالى جعل بلده الأمين واديا غير ذى زرع، يكتنفها الجبال من جميع الجهات، و جعل أرضها جبلية صخرية لا يتخللها الأنهار و المياه، لكانت مكة المكرمة أجمل البلدان منظرا و أحسنها زروعا و ثمارا و هواء، و مع ذلك و الله إنها لأجمل البلدان منظرا مع وجود صخورها و جبالها و أكثر البلدان خيرا و نعما، مع أنها فى واد غير ذى زرع، و أنها أيضا لأبرك البلدان و أشرف البلدان بوجود بيت الله الحرام. إن أهلها أينما ذهبوا و أينما أقاموا ليحنون إليها حنين الوالدة إلى ولدها، و إن كل مؤمن ليعترف بهذا الكلام و يؤمن به. نسأل الله تعالى أن يزيد بلده الأمين أمانا و خيرا و رخاء و أن يوفق أهلها لصالح الأعمال، إنه بعباده لطيف خبير.

فجو مكة، حرسها الله تعالى، و زادها أمانا و أمانا و خيرا و رخاء، جاف كثير الحرارة، و قد تزداد درجتها فى بعض أيام الصيف حتى يكون الإنسان يتصب عرقا، و أشدها على الإنسان أيام السموم فى الصيف، لكن من فوائد السموم أنه يبرد الماء فى الأزيار و الشراب «القلل» و القرب، حتى فى أيام السموم المياه باردة كالثلج ليلا و نهارا.

و الهواء الحار مفيد، فإنه ينضج بعض الثمار كالرطب، و من يمعن النظر فى حرارة جو مكة يجدها نافعة للإنسان من الناحية الصحية، فالأمراض تقل فى وقت الصيف، فكأن الحرارة تقتل كثيرا من ميكروبات الأمراض، و قد يختلف هواء مكة فى اليوم الواحد مرارا عديدة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٣٨

و من عجائب صنع الله سبحانه و تعالى أنه أحيانا يعتدل جو مكة فى الصيف فيميل إلى البرودة حتى يضطر الإنسان إلى استعمال الغطاء فى الليل، و أنه أحيانا يعتدل جوها فى الشتاء بما يقرب إلى الحرارة المتحملة فلا يشكو الإنسان من البرد. و هذا لا شك من رحمة الله تعالى بنا حتى نجد متنفسا و راحة فى الصيف و الشتاء، فلا نسأم منهما، و ليس كذلك فى بقية بلدان العالم.

ففى جميع البلدان الصيف صيف و الشتاء شتاء، بل إن الفصول الأربعة تظهر فيها بوضوح فى أوقاتها المعلومة بدون أى اختلاف، بخلافها فى مكة، و لقد سألتنا بعض فضلاء المصريين، حينما كنا بمصر فى إحدى المرات عن البرد بمكة فى الشتاء فقلنا له: «البرد



بمكة هو أن لا يشعر الإنسان بالحر» ففي البلدان الأخرى يستعدون للشتاء بكثير من الثياب الصوف و الفرش الغليظة و التدفئة بالحطب و الفحم أو بالوسائل الكهربائية، و أما في مكة فالإستعداد للشتاء لا يكاد يذكر بالنسبة للبلدان الأخرى. و من عجيب ما لاحظناه على الأجنبي، الذى يأتى من بلاده بقصد المجاورة و الإقامة بها، هو أنه إذا مرت عليه سنة أو سنتان فإن جسمه و دمه يتلطف و ينطبع بشكل غير الشكل الذى حضر عليه من بلاده، و الظاهر أن ذلك من تأثير هواء مكة و مائها عليه، فسبحان الذى جعل لأهل كل بلدة شكلا خاصا و ميزة يعرفون بها.

هذا و إن حرارة الجو بمكة و إن كانت هكذا من أصل الخلقه، فهى تزداد بازدحام السكان و ازدحام البيوت بعضها فوق بعض، و عدم بناياتها على ما يطابق القواعد الصحية، من كثرة الشوارع و الحارات الواسعة و الفتحات الكثيرة، و ابتعاد المنازل و البيوت بعضها عن بعض، بما يجعل الهواء يتخللها، و لكن إن شاء الله تعالى ستكون مكة عروسه ممالك الإسلام بسبب هذه التوسعة العظيمة التى وقعت فى عصرنا الحاضر، بمهمة حكومتنا السنية وفقها الله تعالى.

و من حكم الله الدقيقة: عدم نزول الثلج بمكة من السماء فى وقت الشتاء، كما هو الشأن فى البلدان الباردة و لقد تفكرنا فى هذا الأمر فخرجا منه بثلاث نتائج:

الأولى: أن أجسام أهل مكة ضعيفة رقيقة لا تحتمل نزول الثلج الذى يستلزم منه شدة البرد.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٣٩

الثانية: لو نزل الثلج فى الشتاء، كبعض البلدان، لغطى الكعبة المعظمة و المسجد الحرام، فيتعذر الطواف حول الكعبة كما تتعذر الصلاة فى المسجد الحرام، و كما يتعذر السعى للمحرم أيضا.

الثالثة: لو صادف وقت الحج فى أيام نزول الثلج، لتعطلت مشاعر الحج و تعذر على الناس أدائه. نعم أحيانا ينزل البرد مع المطر، و لا تكبر حباته عن الفول و قد تصغر، و من النادر جدا نزوله كبارا و ما كان فى مكة من حرارة أو برودة يكون فيما حولها. و أما مدينة جدة فهى كمكة، و قد يكون الهواء فيها أطف من مكة بسبب البحر الأحمر، و فى هوائها رطوبة بسبب البحر أيضا. و أما الطائف فهوؤها بارد جدا فى الشتاء، و فى هوائها بيبس و جفاف، و هو مصيف أهل مكة من قديم الزمان. و قد يثور بمكة فى كل عام مرة أو مرتين فى الصيف، هواء شديد مزعج يحمل معه كثيرا من الأتربة و الغبار، فيغير الجو بحيث لا يرى الإنسان ما بعد عنه قليلا، و غالبا يعقب هذا الهواء مطر يصلح الأرض و يلطف الجو فتنتعش النفوس من ذلك و من الحكم الدقيقة أنه مهما ثار الغبار بمكة و المدينة فلا يضر الناس ذلك بخلاف غيرهما من البلدان فالناس يحترسون منه كثير الاحتراس. هذا و أما الأمطار بمكة المشرفة فنادرة الوقوع، و إن نزلت الأمطار بمكة فإنها تكون خفيفة جدا كالرشاش، و قد تمر سنتان أو ثلاثة بدون أن تنزل الأمطار فيها بوجه يذكر، و قد تنزل الأمطار بغزارة بعد بضع سنين، و إذا مضت سنوات كثيرة نحو عشرين سنة فأكثر قد ينزل فيها مطر كثير غزير و يجرى فيها سيل كبير لا ينسأه الناس.

هذا هو واقع الحال فى جو مكة المشرفة و هوائها، و كثير من الناس يشكون من حرها و يظنون أنها لا توجد بلدة تمتثلها فى الحرارة، لكن بلغنا عن الفضلاء الثقات أن بعض الجهات النائية بمصر أشد حرارة من مكة كأسوان و جهات الصعيد، و كذلك أن بغداد و بعض الجهات بالعراق أشد حرارة أيضا من مكة.

و ذكر ابن بطوطة بصحيفة (٥) من رحلته أن حر مدينة سيوستان بالسند شديد جدا. قال: فكان أصحابى يقعدون عريانيين، يجعل أحدهم فوطه على وسطه و فوطه على كتفيه مبلولة بالماء فما يمضى اليسير من الزمان حتى تيبس تلك الفوطه فيبلىها مرة أخرى و هكذا أبدا. انتهى كلامه. و الله أعلم بما هنالك من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٤٠

البلدان التى حرها أشد من مكة أضعافا مضاعفة، فإذا علمنا ذلك هانت علينا حرارة مكة.

ورد في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائة عام». وجاء في تاريخ الأزرقى: أن المبارك بن حسان الأنماطى، قال: رأيت عمر بن عبد العزيز فى الحجر فسمعته يقول: شكك إسماعيل، عليه السلام إلى ربه عز وجل حر مكة فأوحى الله تعالى إليه أنى أفتح لك بابا من الجنة فى الحجر يجرى عليك منه الروح إلى يوم القيامة. وفى ذلك الموضوع توفى. قال خالد: فيرون أن ذلك لموضع ما بين الميزاب إلى باب الحجر الغربى فيه قبره. انتهى. و الروح بفتح الراء، لنسيم وهو الريح الطيبة.

اللهم أمتنا على دين الإسلام فى بلدك الأمين، و آمننا فيه من كل فرع و خوف و جوع و ظلم و مرض فى الدنيا و الآخرة و ألحقنا بالصالحين بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين.

هذا و قبل أن نختم كلامنا نتقدم بثلاثة اقتراحات نافعة فى تلطيف جو مكة حرسها الله تعالى:

فالأول: عدم السماح فى بناء بيوت جديدة فوق الجبال، من بعد الآن، و أن كل بيت قديم انهدم فى الجبل لا يؤذن بإصلاحه، بل تدفع الحكومة لصاحبه تعويضا ليبنى له منزلا على أرض مستوية، و على النظام الصحى. و بذلك تتمحى آثار البيوت من الجبال بعد أقل من قرن.

و الثانى: طمر ما بين الجبال المحيطة بالمسجد الحرام، بالتراب و البطحاء و الحجارات الزائدة، و زرعها بأنواع الأشجار و النباتات، التى من شأنها تلطيف الجو و الهواء، و يمكن سقيها بصورة فنية من مياه الأمطار و السيول و الآبار. و إذا أحيطت بالجبال بجدران فنية و تزرع بينها على صورة مدرجات فإنها ستكون أفضل منتزه و أحسن مجمع لأهل البلاد.

و الثالث: فرش جميع الشوارع و الأزقة و الحارات بالإسفلت و البلاط، فإن ذلك مما لا يجعل للتراب و الغبار عند ما يثور الهواء أثرا مطلقا، فتسلم مخازن الطعام

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٤١

فى الدكاكين، و أثاث الفرش و الثياب فى البيوت و دواليب الكتب من الأتربة التى تتلف كل ذلك و تشوه مناظرها. هذه الاقتراحات قد يرى بعض الناس صعوبة فى تنفيذها، و لكن هى أهون شىء بعد أن رأينا فى هذه التوسعة التى حصلت بمكة من تكسير الصخور و إزالة الجبال و البيوت. اللهم كما أصلحت دينا فأنصلح آخرتنا، و كما فتحت علينا كنوز الأرض و أريتنا بريق المال افتح لنا مغاليق قلوبنا و املاها إيماننا و حكمته، و اشرح صدورنا و املاها نورا و علما، و اطلق أعضاءنا لعبادتك و وفقنا لصالح الأعمال بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين يا الله.

هذا ما كتبنا نحن عن جو مكة بلد الله الأمين. و إليك ما كتبه غيرنا عنه كصاحب «مرآة الحرمين» و صاحب «الرحلة الحجازية»، للإحاطة بكلام كل منهما أيضا، فإن فى كل كتاب فائدة، و لى كل مؤلف كلاما نافعا.

قال إبراهيم رفعت باشا رحمه الله تعالى، فى كتابه «مرآة الحرمين» عن جو مكة، ما نصه: جو مكة جاف و حار و تختلف درجة الحرارة فى بعض الشهور عن بعض، ففى يناير تكون ١٨، و فى فبراير ٢٠، و فى مارس ٢٣، و فى إبريل ٢٤، و فى مايو ٢٧، و فى يونيو ٢٩، و كذلك فى يوليو، و فى أغسطس ٣٠، و فى سبتمبر ٢٨، و فى أكتوبر ٢٥، و فى نوفمبر ٢٤، و فى ديسمبر ٢٠، هذا هو الجو الإعتيادى و قد تصل الحرارة إلى ٣٩. (الدائرة التى فوق الأرقام إشارة إلى لفظ درجة). و الأمطار بها قليلة، و قد تنحدر إليها سيول عظيمة تحول مكة إلى بحيرات، و تأتى من الأمطار التى تنزل بالجبال المطيفة بالطائف، و قد وصفنا لك السيل الذى كان فى سنة (١٣٢٥) هجرية، و الرياح فى مكة مختلفة المهاب، فتارة تهب من الشمال و أخرى من الغرب، و ثالثة من الجنوب و رابعة من الشرق، و منشأ ذلك أن الجبال تطيف بمكة، و الهواء يعمل فيما بينها شبه دوامات الماء، فتأتى الرياح من جميع الجهات، و أطف الأهوية عندهم ما جاء من جهة البحر الأحمر، ثم من جهة الشام أما ما يهب من الشرق أو الجنوب فحار. انتهى كلامه.

و قال البتونى فى كتابه «الرحلة الحجازية» عن جو مكة ما نصه: و جو مكة كثير الحرارة قليل الأمطار، و مع ذلك فقد تحصل فيه

سيول كثيرة من الأمطار التي تنزل بكثرة في الجبال العالية المحيطة بالطائف. وقد كان عمر ابن الخطاب رضى

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٤٢

الله عنه، عمل في شمال مكة قناطر لحجز مياه هذه السيول عن هذه المدينة، وانصرافها من الجهة الشرقية نحو المسفلة إلى خزان كبير في الجهة الجنوبية يسمونه بركة الماجن، وهناك تستعمل للأعمال الزراعية. ولا تزال لهذه السيول أضرار جسيمة بمكة و مبانها. وأهواء مكة تختلف في هبوبها جملة مرات في الساعة الواحدة. ولهذا يقول المكيون: «إن الله خلق سبعين هواء جعل منها في مكة تسعا وستين وفي العالم كله هواء واحد»: ذلك لأن الهواء يدور في جو المدينة بين جبالها المحدقة بها كما تدور الدوامه على سطح الماء، فبينما تراه يدخل إلى المساكن من النوافذ الغربية إذا به انقطع عنها ودخل من الشرقية أو الشمالية أو الجنوبية وهكذا، ولذا تجد مساكنهم كثيرة النوافذ، وغالبها إلى الجهات الأربع حتى لا تحرم من الهواء من أى جهة كانت. والهواء البحرى عندهم، وهو الغربى أحسنها وألطفها لأنه يأتي من جهة البحر، ثم هواء الشام و يسمونه الشمال والشمال، أما الجنوب والشرقى فهما حاران. و يفسد هواء مكة في أيام الحج لكثرة الساكنين فيها وعدم العناية بنظافتها وتكثر فيها زمن الشتاء أمراض الصدر، ويندر فيها التدرن الرئوى، وفي زمن الصيف تكثر الاحتقانات الدماغية، و ضربات الشمس و أمراض العين والكبد والجهاز الهضمى والدوستتاريا، خصوصا بين الأطفال، و يسببها عندهم أكل السمك العفن والفواكه غير الناضجة، وفي زمن الحر تكثر فيه الحميات لا سيما عند فساد مياه الشرب، و يكثر فيهم مرض الجدري، ويموت بسببه سنويا أكثر من اثنين في الألف. ومما يجدر بنا ذكره أن الكوليرا لم تظهر في مكة إلا سنة ستة وأربعين ومائتين وألف هجرية أى في نحو سنة (١٨٢٥) ميلادية، وفدت إليها مع حجاج الهند، ولا تزال تفد إليها معهم. ولو كانت الحكومة تعتنى بشدة الحجز على حجاج الهند و الجاوه في جزيرة قمران، قبل دخولهم إلى جدة بزمن، لأمكنها الحيلولة بين حجاج بيت الله الحرام وهذا الداء الوبيل. والأوبئة الكبيرة التي حصلت بمكة في زمن الحج وفتكت بالحجاج فتكا ذريعا كانت في سنة ١٨٩٠ م، و سنة ١٨٩٢ م، و سنة ١٨٩٣ م، و سنة ١٨٩٥ م، و في سنة ١٩٠٢ م. انتهى من الرحلة الحجازية، و قبل أن تكمل هذا الفصل نقول: إن الحجاج كثيرا ما يشكون من حر مكة في موسم الحج، فلو اهتموا بتنظيف ملابسهم وأجسادهم، بكثرة الاستحمام و الاغتسال، لهانت عليهم مشقة الحر، و لوجدوا في أنفسهم خفة

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٤٣

و نشاط، و لكن غالبهم استولى عليهم البخل و الشح، فلا يجوبون بذل الدراهم لشراء الماء و لتوفير راحتهم في مساكنهم.

### حدوث الفصول الأربعة من دوران الأرض

و اعلم أن الأرض كروية الشكل، و لها حركتان:

الأولى: تدور حول نفسها أمام الشمس يوميا، أى تدور مرة واحدة في كل أربع و عشرين ساعة تقريبا، و لذلك تختلف مواعيد شروق الشمس و مواعيد غروبها باختلاف مواقع الأقطار و البلدان على سطح الأرض.

و الثانية: تدور الأرض مرة واحدة في كل عام، و هذه الدورة تسمى بالدورة السنوية للأرض، و ينتج عن هذه الدورة حدوث الفصول الأربعة التي هي:

الصيف، و الشتاء، و الخريف، و الربيع.

فالصيف: ترتفع فيه درجة الحرارة، و يطول النهار و يقصر الليل.

و الشتاء: تنخفض فيه درجة الحرارة، و يطول الليل و يقصر النهار.

و الخريف: تعادل فيه درجة الحرارة عن الصيف.

و الربيع: تعادل فيه درجة الحرارة مرة أخرى بحيث تكون ألطف من حرارة الخريف.

فسبحان مكور الليل على النهار و مكور النهار على الليل، و الذى بيده ملكوت كل شىء و إليه ترجعون.

### سبب زيادة حرارة الجو

و مما يناسب ما تقدم، نذكر ما جاء فى مجلة الهلال، التى تصدر بمصر، فى العدد الذى هو بتاريخ ١٣ ذى القعدة سنة (١٣٧٧) هجرية، و أول يونيو سنة (١٩٥٨) ميلادية، عن سبب ارتفاع الحرارة، و إليك ما جاء فيها:

يقول جيروم نامياس، رئيس مصلحة الأرصاد الجوية بالولايات المتحدة: إنه رغم شدة القر و الصقيع خلال بعض أيام شهر فبراير فليس هناك من الدلائل ما يثبت أن فصول الشتاء تزداد برودة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٤٤

و الواقع أن هناك دلائل على أن متوسط درجة الحرارة قد ازداد أكثر قليلا من درجتين، منذ ابتداء القرن العشرين «للميلاد» فما هو السبب فى ازدياد حرارة العالم، و خاصة فى نصف الكرة الشمالى.

إن السبب فى الواقع غير معروف، غير أن هناك ثلاث نظريات لكل منها ما يدعمها من البراهين.

(١) النظرية الأولى تقول أن تدفق ثانى أو كسيد الكربون إلى الجو من المصانع يمكن أن يكون سببا فى زيادة درجة الحرارة، فمنذ عام ١٩٠٠ قد احترق أكثر من مائة بليون إن من الفحم و البترول و معنى هذا أن الإنسان هو الذى أحدث هذا التغيير فى الجو.

(٢) و النظرية الثانية تقول أن ازدياد درجة الحرارة يرجع إلى التغيرات الحادثة فى الإشعاع الشمسى، لردح طويل من الزمن. و قال بعضهم: إن هناك دورة بضع شمسية ظلت مدة ٨٠ عاما كانت الشمس خلالها ترسل شواظا من أشعتها و من نشاطها المتدفق الذى يعلو إلى القمة ثم يهبط ثم يعلو مرة أخرى إلى الذروة.

(٣) و النظرية الثالثة تقول أن الغبار و الرماد اللذين أرسلنا إلى طبقات عليا فى الجو من جراء تفجر البراكين قد بقيا فى الطبقات الجوية العليا ليدورا حول العالم و يقوما كغطاء يحجب الإشعاع الشمسى، و هذا الحجب يحدث أثرا معكوسا لأنه يزيد من ارتفاع درجة الحرارة. انتهى من مجلة الهلال المذكورة.

فانظر أيها القارئ الكريم إلى دقة هذه المعلومات المعقولة، حول ازدياد الحرارة فى العالم، و لكن فى حقيقة الأمر أن الحر و البرد و التوسط بينهما راجع إلى أمر الله عز شأنه، و هو الذى خلق الكون و دبر الأمور كما شاء بنظام دقيق لا يختلف على كر السنين و مر الدهور، و لو أن احتراق الفحم و البترول و الغبار و الرماد من جراء تفجر البراكين، لكننا نرى آثار ذلك من الذرات المتراكمة فى طبقات الهواء من الأعوام العديدة نازلا علينا من الجو شيئا فشيئا، و لكان المعقول أن تكون البلاد الحجازية أخف حرارة و أكثر بردا من بلاد روسيا و إنجلترا و أمريكا و فرنسا و إيطاليا، لعدم وجود البراكين عندنا، و قلة المصانع و البواخر و القطارات لدينا، التى تسبب الدخان و الغبار، لكثرة احتراق الفحم الحجرى و البترول، على أن هذه الدنيا واسعة عظيمة و أن ربها أرض يابسة و ليست كلها أهلة بالسكان، و ثلاثة أرباعها ماء غير قابل للسكن، ثم ما الذى يملأ هذا الفضاء اللانهائى من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٤٥

الدخان أو الغبار أو غيرهما و كما لا يعلم جنود ربك إلا هو، لا يعلم بحقيقة هذا الكون و سر تدبيره إلا الخلاق العظيم الذى بيده مقاليد السموات و الأرض، و أن التفكير فى قدرة الخالق جل و علا و عظيم تدبير حكمته، يؤدى إلى زيادة الإيمان بالله سبحانه و تعالى، نسأله التوفيق و زيادة اليقين و القوة فى البصر و البصيرة.

الحاصل: أن هواء مكة المكرمة يميل إلى الحرارة غالب السنة، أما وقت الشتاء فيكون البرد فيه غير شديد يمكن تحمله بدون أدنى ضرر، و من النادر أن يكون البرد شديدا فى مكة و إن صار شديدا فلا يدوم أكثر من أيام قلائل فقط، فأجسام أهل مكة المشرفة لا تتحمل البرد مطلقا، أما فى الطائف فالبرد فيه شديد جدا و يكون كذلك مدة الشتاء و كذلك الحال فى المدينة المنورة. أما البرد فى

الرياض و نجد فبرد عظيم شديد بحيث لا- يقدر على تحمله الحجازيون لأن المياه عندهم تتجمد في المواعين و القرب بل أحيانا يموت بعضهم و تموت الأغنام من شدة البرد فلا يوجد أبداً أعدل من هواء مكة و أطيب من صيفها و شتائها فالحمد لله رب العالمين حيث ميز بلده الأمين بكثير من الأمور.

## تراجم مختلفة

### ترجمة أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها

جاء في الجزء الخامس من شرح «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» عن ترجمة أم المؤمنين، أم سلمة، ما يأتى:  
و أما أم المؤمنين أم سلمة، رضى الله تعالى عنها، فهى هند بنت أبى أمية، الملقب بزاد الركب، ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية، زوج رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و كانت قبل النبى صلى الله عليه و سلم عند أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى، فولدت له سلمة و عمر و درة و زينب، و توفى فخلف عليها بعده رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كانت من المهاجرات إلى الحبشة و إلى المدينة، و قيل: إنها أول ظعينة هاجرت إلى المدينة، و قصة هجرتها ذكرها ابن الأثير فى أسد الغابة فى ترجمتها.

و كانت صفة تزوج رسول الله صلى الله عليه و سلم بها أنه لما انقضت عدتها، بعث إليها أبو بكر يخطبها عليه فلم تزوجه، فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه و سلم عمر بن الخطاب يخطبها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٤٦

عليه، فقالت: أخبر رسول الله أنى امرأة غيرى، و أنى امرأة مصيبة، و ليس أحد من أوليائى شاهد، فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكر ذلك له، فقال: ارجع إليها فقل لها: أما قولك إنى امرأة غيرى، فسأدعو الله فيذهب غيرتك، و أما قولك إنى امرأة مصيبة فستكفين صيبانك، و أما قولك ليس أحد من أوليائى شاهد، فليس أحد من أوليائك شاهد و لا غائب يكره ذلك. فقالت لابنها عمر: قم فزوج رسول الله صلى الله عليه و سلم، فزوجه - مختصراً -.

و من مناقبها ما روى عنها أنها قالت: فى بيتى نزلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قالت: فأرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى فاطمة و على و الحسن و الحسين، فقال: هؤلاء أهل بيتى، قالت: فقلت يا رسول الله أنا من أهل البيت؟ قال: بلى إن شاء الله.

و لها ثلاثمائة و ثمانية و سبعون حديثاً، اتفق البخارى و مسلم على ثلاثة عشر منها، و انفرد البخارى بثلاثة و مسلم بمثلها، و روى عنها نافع و ابن المسيب و أبو عثمان النهدي و خلق، و ممن روى عنها ابناها عمر و زينب و أخوها عامر و ابن أخيها مصعب و غيرهم. و كانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع و العقل البالغ و الرأى الصائب، و إشارتها على النبى صلى الله عليه و سلم يوم الحديبية تدل على وفور عقلها و صواب رأياها.

قال الواقدي: ماتت فى شوال سنة تسع و خمسين، و صلى عليها أبو هريرة، و قال ابن حبان: ماتت فى آخر سنة إحدى و ستين، بعدما جاءها نعى الحسين بن على، و قال ابن أبى خيثمة: توفيت فى خلافة يزيد بن معاوية، قال الحافظ ابن حجر: و كانت خلافته فى أواخر سنة ستين، و قال أبو نعيم: ماتت سنة اثنتين و ستين، و هى من آخر أمهات المؤمنين موتاً، قال الحافظ ابن حجر: بل هى آخرهن موتاً، و ثبت مثل ذلك عن الحافظ الذهبى أيضاً، فقد جزم بأنها آخر أمهات المؤمنين وفاةً، و بالله تعالى التوفيق، و هو الهادى إلى سواء الطريق.

انتهى من الكتاب المذكور.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٤٧

### ترجمة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه

جاء فى الجزء السادس من شرح «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» عن ترجمة عثمان بن عفان، رضى الله تعالى عنه، عند حديث «لا نورث ما تركنا صدقة» ما يأتى:

فأما عثمان، فهو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس القرشى الأموى، أمير المؤمنين أبو عبد الله و أبو عمر إمام العابدين. أمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، أسلمت و أمها البيضاء بنت عبد المطلب، عمه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و قد ولد بعد الفيل بست سنين على الصحيح، و كان ربعة، حسن الوجه، رقيق البشرة، عظيم اللحية بعيد ما بين المنكبين، و قد أسلم قديما على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

قال ابن إسحاق: كان أبو بكر مؤلفا لقومه، فجعل يدعو إلى الإسلام من يثق به، فأسلم على يده فيما بلغنى: الزبير، و طلحة، و عثمان، و زوجته النبى صلى الله عليه و آله و صحبه و سلم ابنته رقية، رضى الله تعالى عنها، و ماتت عنده أيام بدر، فزوجه بعدها أختها أم كلثوم، فلذلك كان يلقب: ذا النورين.

و جاء من أوجه متواترة أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بشره بالجنة و عدّه من أهلها، و شهد له بالشهادة، و روى خيشمة فى فضائل الصحابة من طريق الضحاك، عن النزال بن سبرة، قلنا لعلنا: حدثنا عن عثمان قال: ذلك امرؤ يدعى فى الملاء الأعلى ذا النورين، و روى الترمذى من طريق الحارث بن عبد الرحمن عن طلحة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: لكل نبى رفيق، و رفيقى فى الجنة عثمان. و جاء من طرق كثيرة شهيرة صحيحة عن عثمان لما أن حضره انتشد الصحابة فى أشياء، منها تجهيزه جيش العسرة، و منها مبايعة النبى صلى الله عليه و آله و سلم تحت الشجرة، لما أرسله إلى مكة، و منها شراء بئر رومة و غير ذلك، و هو أول من هاجر إلى الحبشة و معه زوجته رقية، و تخلف عن بدر لتمريضها، فكتب له النبى صلى الله عليه و سلم بسهمه و أجره، و تخلف عن بيعة الرضوان لأن النبى صلى الله عليه و آله و سلم كان بعثه إلى مكة، فأشيع أنهم قتلوه، فكان ذلك سبب البيعة، فضرب إحدى يديه على الأخرى، و قال: هذه عن عثمان، و قال ابن مسعود: لما بويع بايعنا خيرنا و لم يسأل، و قال على: كان عثمان أوصلنا التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٤٨

للرحم، و كذا قالت عائشة، لما بلغها قتله: قتلوه و إنه لأوصلهم للرحم، و أتقاهم للرب. و قال ابن المبارك فى الزهد: أنبأنا الزبير بن عبد الله أن جدته أخبرته و كانت خادما لعثمان و قالت: كان عثمان لا يوقظ نائما من أهله إلا أن يجده يقظان، فيدعوه فيناوله و ضوءه، و كان يصوم الدهر. و له من الحديث مائة و ستة و أربعون حديثا، اتفق البخارى و مسلم على ثلاثة منها، و انفرد البخارى بثمانية، و مسلم بخمسة. و قد روى عن النبى صلى الله عليه و سلم و عن أبى بكر و عمر، و روى عنه أولاده عمرو و أبان و سعيد، و ابن عمه مروان بن الحكم بن أبى العاص، الذى هو سبب إثارة الفتنة عليه و على غيره، و من الصحابة ابن مسعود و ابن عمر و ابن عباس و ابن الزبير و زيد بن ثابت و عمران بن الحصين و أبو هريرة و غيره، و من التابعين الأحنف، و عبد الرحمن بن أبى ضمرة، و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، و سعيد بن المسيب، و أبو وائل، و أبو عبد الرحمن السلمى، و محمد ابن الحنفية و آخرون.

قال ابن عمر رضى الله عنهما: كنا نقول على عهد النبى صلى الله عليه و سلم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، و قال ابن سيرين: كان يحيى الليل كله بركعة، و قال عبد الله بن سلام: لقد فتح الناس على أنفسهم بقتل عثمان باب فتنة لا يغلق إلى يوم القيامة.

ثم ذكر الشارح رحمه الله تعالى سبب قتل عثمان رضى الله عنه، ثم قال بعد ورقة واحدة، ما يأتى:

و من مناقب عثمان الظاهرة رضى الله تعالى عنه، ما أخرجه مسلم فى صحيحه أن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم مضطجعا فى بيته، كاشفا عن فخذه أو ساقه، فاستأذن أبو بكر فأذن له و هو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له و هو

كذلك، فتحدث ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله صلى الله عليه و سلم و سوى ثيابه، قال محمد: و لا أقول ذلك في يوم واحد فدخل فتحدث.

فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له و لم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له و لم تباله، ثم دخل عثمان فجلست و سويت ثيابك؟ فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة. و قد روى البخارى في قصة قتل عمر، أنه عهد إلى سته و أمرهم أن يختاروا رجلا ففعلوا الاختيار إلى عبد الرحمن بن عوف فاختر عثمان، فبايعوه، و يقال كان ذلك يوم السبت غرة المحرم سنة أربع و عشرين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٤٩

و قال ابن إسحاق: قتل على رأس إحدى عشرة سنة و أحد عشر شهرا و اثنين و عشرين يوما من خلافته، فيكون ذلك في ثاني و عشرين ذى الحجة سنة خمس و ثلاثين، و قال غيره: قتل لسبع عشرة، و قيل: لثمان عشرة. رواه أحمد عن إسحاق بن الطباع عن أبي معشر، و قال الزبير بن بكار: بويح يوم الاثنين لليلة بقيت من ذى الحجة سنة ثلاث و عشرين، و قتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذى الحجة بعد العصر، و دفن ليلة السبت بين المغرب و العشاء، في مكان كان عثمان اشتراه فوسع به البقيع، فهو اليوم في طرف البقيع، و بعده بعض مقابر أهل البقيع، و قد قتل و هو ابن اثنتين و ثمانين سنة و أشهر على الصحيح المشهور، و قيل دون ذلك، و زعم أبو محمد بن حزم أنه لم يبلغ الثمانين، رضى الله تعالى عنه و أرضاه. انتهى من كتاب زاد المسلم من الجزء السادس.

### ترجمة و فضل عثمان بن عفان رضى الله عنه

و لقد جاءت أحاديث صحيحة كثيرة في فضل عثمان بن عفان، رضى الله عنه، في الصحيحين و غيرهما تقتصر على بعضها على سبيل التبرك لا على سبيل الحصر و التعداد.

جاء في صحيح البخارى، في باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم في باب مناقب ابن عفان رضى الله عنه: عن أبي موسى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم دخل حائطا و أمرنى بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن، فقال: ائذن له و بشره بالجنة، فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن، فقال: ائذن له و بشره بالجنة، فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن، فسكت هنيهة ثم قال: ائذن له و بشره بالجنة على بلوى ستصيبه، فإذا عثمان ابن عفان، قال حماد: و حدثنا عاصم الأحوال و على بن الحكم، سمعا أبا عثمان يحدث عن أبي موسى بنحوه، و زاد فيه عاصم أن النبي صلى الله عليه و سلم كان قاعدا في مكان فيه ماء قد انكشف عن ركبتيه أو ركبته فلما دخل عثمان غطاها.

و جاء فيه أيضا: حدثنا أبو عوانة، حدثنا عثمان هو ابن موهب، قال: جاء رجل من أهل مصر، حج البيت، فرأى قوما جلوسا، فقال: من هؤلاء القوم؟

قال: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال: يا ابن عمر: إني سائلك عن شىء فحدثنى، هل تعلم أن عثمان فرّ يوم أحد؟ قال:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٥٠

نعم، فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر و لم يشهد؟ قال: نعم، قال: تعلم أنه تغيب عن بيعه الرضوان فلم يشهد؟ قال: نعم، قال: الله أكبر، قال ابن عمر: تعال أبين لك. أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه و غفر له، و أما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم و كانت مريضة، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا و سهمه. و أما تغيبه عن بيعه الرضوان، فلو كان أحد أعز بطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم عثمان و كانت بيعه الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم بيده اليمنى:

هذه يد عثمان، فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان، فقال له ابن عمر:

اذهب بها الآن معك.

وجاء فيه أيضا: عن قتادة أن أنسا رضى الله عنه حدثهم، قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم أحدا، و معه أبو بكر و عمر و عثمان فرجف، و قال: اسكن أحد أظنه ضربه برجله، فليس عليك إلا نبى و صديق و شهيدان. قصة البيعة و الاتفاق على عثمان بن عفان رضى الله عنه. انتهى من البخارى.

و نكتفى بهذا القدر ففضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم معروف، و ما من مسلم إلا و هو يحبهم محبة عظيمة أكثر من نفسه و أولاده، كيف و هم قد فازوا بمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم و سعدوا بخدمته و خدمة هذا الدين السمع الحنيف. اللهم صل على عبدك و نبيك «محمد» و على آله الأطهار و صحابته الأخيار، و أزواجه المصونات الطاهرات أمهات المؤمنين و سلم تسليمًا كثيرًا.

### ترجمة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

جاء فى الجزء الخامس من شرح «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» عن ترجمة على بن أبى طالب، كرم الله وجهه، عند حديث «يا سعد إرم فداك أبى و أمى» ما يأتى:

و أما راوى الحديث فهو على بن أبى طالب، كرم الله وجهه، و مناقبه رضى الله تعالى عنه جملة لا يسعها إلا مجلد ضخمة، و قد ألفت فى مناقبه جزءا تحريت فيه ما صح منها، و خرّجت فيه جميع ما اشتمل عليه من الأحاديث، و سميته «كفاية الطالب لمناقب على بن أبى طالب» و قد طبع و لله الحمد و فيه كفاية.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٥١

و لتبرك بذكر نبذة من مناقبه هنا، فأقول: إن عليا كرم الله وجهه هو أقرب العشرة المبشرين بالجنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن أبا طالب الذى هو والده، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ابن عبد المطلب، الجد الأول لرسول الله عليه الصلاة و السلام، و يكنى على أبا الحسن، و هو زوج فاطمة الزهراء، و كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، قال الحافظ فى تقريب التهذيب المرجح أنه أول من أسلم، و التحقيق أنه هو أول من أسلم من الصبيان جمعا بين الأقوال، و قد حررت ذلك فى كفاية الطالب، و يكنى أيضا أبا تراب، و أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، و هى أول هاشمية ولدت هاشميا، و أول هاشمية ولدت خليفة.

له من الأحاديث خمسمائة حديث و ستة و ثمانون حديثا، اتفق البخارى و مسلم على عشرين منها، و انفرد البخارى بتسعة، و مسلم بخمسة عشر، شهد بدرًا و المشاهد كلها، روى عنه أولاده: الحسن و الحسين و محمد و فاطمة و عمر و ابن عباس و الأحنف، و قال له النبى صلى الله عليه وسلم: أنت منى بمنزلة هارون من موسى، قال أبو جعفر: و كان شديد الأدمة ربعة إلى القصر، و قد بعته النبى صلى الله عليه وسلم إلى اليمن و هو شاب ليقضى بينهم، فقال: يا رسول الله إني لا أدري ما القضاء، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره بيده و قال: اللهم اهد قلبه و سدّد لسانه، قال على: فو الله ما شككت بعدها فى قضاء بين اثنين.

و من درر حكمه كرم الله وجهه ما فى كتاب ابن أبى يعقوب: أن الحارث بن حوط قال لعلى: ترانى أظن أن طلحة و الزبير و عائشة خرجوا على باطل، فقال له على: يا حارث أنت ملبوس عليك، إن الحق و الباطل لا يعرفان بالناس، ولكن اعرف الباطل تعرف من أتاه. اه.

و قد استشهد رضى الله عنه آخر ليلة الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت أو خلت من رمضان سنة أربعين، و هو حينئذ أفضل الأحياء من بنى آدم على وجه الأرض، بإجماع أهل السنة، و له ثلاث و ستون سنة على الأرجح، مثل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفاته على الراجح، و بالله تعالى التوفيق. و هو الهادى إلى سواء الطريق. انتهى من كتاب زاد المسلم من الجزء الخامس.



و جاء أيضا في الجزء السادس من شرح «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» عن ترجمة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه عند حديث: «لا

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٥٢

تكذبوا على، فإنه من كذب على فليلج النار» ما يأتى، نذكره تكملة لترجمته كرم الله تعالى وجهه:

و أما راوى الحديث فهو أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه، و قد تقدمت ترجمته فى حرف الياء، و لا- بأس بالتبرك بنبذة منها أيضا هنا فأقول، متبركا بتكرار بعض ترجمة زوج البتول.

على كرم الله وجهه، هو ابن أبى طالب بن عبد المطلب، يجتمع مع النبى صلى الله عليه و سلم فى جده الأول ابن هاشم بن عبد مناف إلى آخر النسب الشريف، و كفاه بذلك شرفا و اسم أبيه عبد مناف على المشهور، و اسم أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، و هى أول هاشمية ولدت هاشميا، و أول هاشمية ولدت خليفه، و قد أسلمت و هاجرت إلى المدينة، و توفيت بها فى حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و صلى عليها رسول الله، عليه الصلاة و السلام، و نزل فى قبرها و اتكأ فيه و دعا لها، فلذلك سلمت من ضمة القبر كما بسطناه فى غير هذا المحل.

و كنية على أبا الحسن، و كناه رسول الله صلى الله عليه و سلم أبا تراب، و أكرمه بالمؤاخاة، و قال له: أنت أخى فى الدنيا و الآخرة، و هو أبو السبطين، و أول خليفة من بنى هاشم، و هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، و أحد الستة أصحاب الشورى، الذين توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو عنهم راض، و أحد الخلفاء الراشدين، و أحد العلماء الربانيين، و أشجع الشجعان المشهورين، و أزهدهم الزهاد المعروفين و أحد السابقين إلى الإسلام، و قد شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا تبوك، إذ قد استخلفه على المدينة المنورة حين غزا إليها، و أصابته يوم أحد ست عشرة ضربة، و قد أعطاه عليه الصلاة و السلام الراية يوم خيبر، و أخبر أن الله و رسوله يحبانه، و أن الفتح يكون على يديه، و أحواله فى الشجاعة مشهورة، و مناقبه جمه مأثورة، و قد أفردتها فى جزء نافع سميته «كفاية الطالب لمناقب على بن أبى طالب» و تقدم ذكرى له لما تعرضت لترجمته فى حرف الياء، و ذكرت هناك أن له من الأحاديث خمسمائة حديث و ست و ثمانين حديثا، اتفق البخارى و مسلم على عشرين منها، و انفرد البخارى بتسعة و مسلم بخمسة عشر، و علمه و توفيقه فى القضاء أمران مشهوران، و فى الحديث: «أفضاكم على».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٥٣

و قد روى عنه أولاده الحسن و الحسين و محمد بن الحنفية و فاطمة الزهراء و عمر و ابن عباس و الأحنف و غيرهم، و لى الخلافة خمس سنين، و قيل إلا شهرا، بويج بعد عثمان رضى الله تعالى عنه، لكونه أفضل الصحابة حينئذ إجماعا.

و قد ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادى الحميرى بسيف مسموم أوصله إلى دماغه، «عامله الله على ذلك بما يستحقه»، و كان ذلك فى ليلة الجمعة بالكوفة فمات بها ليلة الأحد تاسع عشر من رمضان سنة أربعين، عن ثلاث و ستين سنة على الأرجح.

و كان آدم اللون أصلع ربعة، أبيض الرأس و اللحية، و ربما خضب لحيته رضى الله تعالى عنه، و كانت له لحية كثة طويلة، حسن الوجه كأنه القمر ليلة البدر، ضحوك السنن، و قبره بالكوفة، لكن أخفى خوفا عليه من الخوارج «أخزاهم الله تعالى» و ليس فى الصحابة من اسمه على بن أبى طالب غيره، و فى الرواية غير الصحابة على بن أبى طالب ثمانية، و بالله تعالى التوفيق و هو الهادى إلى سواء الطريق. انتهى من كتاب زاد المسلم من الجزء السادس.

### ترجمة و فضل على بن أبى طالب رضى الله عنه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٣-٦ ؛ ص ٢٥٣

لقد جاءت أحاديث صحيحة كثيرة فى فضل على بن أبى طالب رضى الله عنه، فى الصحيحين و غيرهما، نفتصر على بعضها على سبيل

التبرك لا على سبيل الحصر و التعداد.

جاء في صحيح البخارى فى باب فضائل أصحاب صلى الله عليه و سلم، فى باب مناقب على بن أبى طالب رضى الله عنه: عن عبد العزيز بن أبى حازم عن أبىه: أن رجلا جاء إلى سهل بن سعد فقال: هذا فلان لأمير المدينة يدعو عليا عند المنبر، قال: فيقول ماذا؟ قال: يقول له أبو تراب. فضحك قال: و الله ما سماه إلا-النبى صلى الله عليه و سلم و ما كان له اسم أحب إليه منه، فاستطعمت الحديث سهلا، و قلت: يا أبا عباس كيف؟

قال: دخل على فاطمة ثم خرج فاضطجع فى المسجد؟ فقال النبى صلى الله عليه و سلم: أين ابن عمك؟ قالت: فى المسجد. فخرج إليه، فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، و خلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول: اجلس يا أبا تراب مرتين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٥٤

و جاء فيه أيضا عن الحكم سمعت ابن أبى ليلى قال: حدثنا على أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحا، فأتى النبى صلى الله عليه و سلم سبى فانطلقت فلم تجده، فوجدت عائشة فأخبرتها. فلما جاء النبى صلى الله عليه و سلم أخبرته عائشة بمجىء فاطمة، فجاء النبى صلى الله عليه و سلم إلينا، و قد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لأقوم، فقال:

على مكانكما، فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدرى، و قال: ألا أعلمكما خيرا مما سألتمانى، إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعين و ثلاثين، و تسبعا ثلاثا و ثلاثين، و تحمدا ثلاثه و ثلاثين، فهو خير لكما من خادم. و جاء فيه أيضا عن إبراهيم بن سعد عن أبىه قال: قال النبى صلى الله عليه و سلم لعلى: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟

و جاء فيه أيضا عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:

لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه. قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين على بن أبى طالب؟ فقالوا: يشتكى عينيه يا رسول الله قال: فأرسلوا إليه فأتونى به، فلما جاء بصق فى عينيه و دعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال على: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال:

انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، و أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فو الله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم.

و جاء فيه أيضا عن سلمة قال: كان على قد تخلف عن النبى صلى الله عليه و سلم فى خبير، و كان به رمد، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ فخرج على فلحق بالنبى صلى الله عليه و سلم، فلما كان مساء الليلة التى فتحها الله فى صباحها، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

لأعطين الراية أو ليأخذن الراية غدا رجلا- يحبه الله و رسوله، أو قال يحب الله و رسوله، يفتح الله عليه فإذا نحن بعلى و ما نرجوه، فقالوا: هذا على فأعطاه رسول الله صلى الله عليه و سلم ففتح الله عليه. انتهى من البخارى.

و نكتفى بهذا القدر ففضل أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم معروف، و ما من مسلم إلا و هو يحبهم محبة عظيمة أكثر من نفسه و أولاده، كيف و هم قد فازوا بمشاهدة رسول الله صلى الله عليه و سلم و سعدوا بخدمته و خدمة هذا الدين السمح الحنيف.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٥٥

اللهم صل على عبدك و نبيك «محمد» و على آله الأطهار و صحابته الأخيار، و أزواجه المصونات الطاهرات أمهات المؤمنين و سلم تسليمًا كثيرًا.

**ترجمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما**

جاء فى الجزء الرابع من شرح «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» عند حديث: «من وضع هذا "يعنى وضوءاً" فأخبر، فقال: اللهم فقهه فى الدين.

يعنى الواضع ابن عباس» ما نصه:

أما فضائل ابن عباس رضى الله عنهما، المعنى فى حديث المتن بقوله عليه الصلاة و السلام: اللهم فقهه فى الدين، فهى كثيرة مذكورة فى ترجمته فى الكتب الجامعة لتراجم الصحابة كأسد الغابة لابن الأثير، و الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر، و الإصابة للحافظ ابن حجر. و لنقتصر على ما نقله الأيبى عن القرطبى منها فأقول: قال الأيبى ناقلاً عن القرطبى: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، يكنى أبا العباس، ولد فى الشعب و بنو هاشم محصورون فيه قبل خروجهم منه بيسير، و ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، و اختلف فى سنه قبل موت النبى صلى الله عليه و سلم فقبل عشر سنين و قيل خمس عشرة، رواه عنه ابن جبير و قيل كان ابن ثلاث عشرة، و عن ابن عباس أنه كان فى حجة الوداع قد ناهز الاحتلام، و مات بالطائف سنة ثمان و ستين فى أيام ابن الزبير، لأنه أخرجه من مكة. و توفى و هو ابن سبعين سنة رضى الله عنه و رحمه، و قيل ابن إحدى و سبعين، و قيل ابن أربع و سبعين سنة، و صلى عليه محمد بن الحنفية، و قال: اليوم مات ربانى هذه الأمة، و ضرب على قبره فسطاطاً. و يروى عن مجاهد أنه قال: رأيت جبريل عند النبى صلى الله عليه و سلم مرتين، و دعا لى رسول الله صلى الله عليه و سلم بالحكمة مرتين. و قال ابن مسعود فيه: نعم ترجمان القرآن ابن عباس. و كان ابن عمر يقول: ابن عباس فتى الكهول، له لسان سئول، و قلب عقول، و قال مسروق: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت:

أجمل الناس، و إذا تكلم قلت: أفصح الناس، و إذا تحدثت قلت: أعلم الناس، و كان يسمى الحبر لغزارة علمه، و البحر لاتساع حفظه و نفوذ فهمه. و كان عمر يقربه و يدنيه لجودة فهمه و حسن تأنيه. و جملة ما روى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ألف حديث و ستمائة و ستون فى الصحيحين، منها مائتان و أربعة و ثلاثون، قال الأيبى:

و قبلت دعوات رسول الله صلى الله عليه و سلم فيه، و ظهرت بر كاتها عليه، فاشتهرت علومه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٥٦

و فضائله، فارتحل طلاب العلم إليه، و ازدحموا عليه و رجعوا عند اختلافهم لقوله، و عولوا على نظره و رأيه، قال يزيد بن الأصم: خرج معاوية حاجاً مع ابن عباس، فكان لمعاوية موكب و لابن عباس موكب ممن يطلب العلم، و قال عمرو بن دينار: ما رأيت مجلساً أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس، الحلال و الحرام و العربية و الأنساب و الشعر، و قال عبيد الله بن عبد الله: ما رأيت أعلم بالسنه و لا أجل رأياً و لا أثقب نظراً من ابن عباس، و لقد كان عمر يعده للمعضلات مع اجتهاد عمر و نظره للمسلمين، و كان قد عمى فى آخر عمره، فأنشد فى ذلك:

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففى لسانى و قلبى منهما نور

قلبى ذكى و عقلى غير ذى خلل و فى فمى صارم كالسيف مأثور

و روى أن طائراً أبيض خرج من قبره فتألوله: أن علمه خرج إلى الناس، و يقال:

بل دخل قبره طائر أبيض، فقيل: إنه بصره فى التأويل. قال أبو الزبير: مات ابن عباس بالطائف، فجاء طائر أبيض فدخل فى نعشه حين حمل ما رؤى خارجاً منه. و فضائله أكثر من أن تحصى. اهـ.

و هذا الحديث كما أخرجه الشيخان فى صحيحيهما أخرجه النسائى فى المناقب من سننه و أخرجه غيره و بالله تعالى التوفيق و هو الهادى إلى سواء الطريق.

**ترجمة عبد الله بن عمر رضى الله عنهما**

جاء في شرح «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» عن ترجمته ما نصه: و أما ترجمة عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فترجمته شهيرة و هو أحد المكثرين من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قد ثبت عنه أنه كان له يوم بدر ثلاث عشرة سنة، و بدر كانت فى السنة الثانية، و قد أسلم مع أبيه و هاجر، و عرض على النبي صلى الله عليه و سلم ببدر فاستصغره ثم بأحد فكذلك، ثم فى الخندق فأجازته و هو يومئذ ابن خمس عشرة سنة كما ثبت فى الصحيح.

و أخرج البغوى فى ترجمته من طريق على بن زيد عن أنس و سعيد بن المسيب قالوا: شهد ابن عمر بدرا و يؤيد هذه الرواية كونه روى حديث المتن جازما به كالحاضر له المشاهد، فهو متصل من روايته فيما يظهر لا مرسل صحابى فقط.

و المعروف أنه شهد الخندق و بيعة الرضوان و ما بعد ذلك. له ألف و ستمائة حديث

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٥٧

و ثلاثون حديثا، اتفق البخارى و مسلم على مائة و سبعين منها و انفرد البخارى بأحد و ثمانين و مسلم بأحد و ثلاثين.

روى عنه بنوه سالم و حمزة و عبيد الله و ابن المسيب و مولاة نافع و خلق كثير، كان إماما متينا واسع العلم، كثير الاتباع للسنة وافر النسك كبير القدر، متين الديانة عظيم الحرمه ذكر للخلافه يوم التحكيم، و خوطب فى ذلك فقال: على أن لا يجرى فيها دم. و قد تقدمت ترجمته بإطناب واسع فى أواخر الجزء الرابع من كتابنا هذا عند حديث: نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى فى الليل. مات رضى الله عنه سنة أربع و سبعين كما قاله أبو نعيم و به جزم الحافظ فى فتح البارى فقال:

مات فى أوائل سنة أربع و سبعين، و زعم الحافظ ابن عبد البر أنه مات سنة ثلاث و سبعين بلا خلاف. و قد علمت مما ذكرناه هنا و فى محل ترجمته السابق أنه خلاف الواقع فضلا عن أن يكون لا-خلاف فيه، لكن الجمع بينه و بين قول الحافظ ابن حجر مات فى أوائل سنة أربع و سبعين ممكن، بحمل كلام ابن عبد البر على آخر سنة ثلاث و سبعين، بحيث لم يبلغ السنة الرابعة و حمل كلام الحافظ ابن حجر على أنه بلغها و الله أعلم بالواقع.

جاء فى الجزء الرابع من شرح «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» عند الكلام على حديث «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل» ما يأتى:

و سبب هذا الحديث كما فى الصحيحين و اللفظ للبخارى عن ابن عمر رضى الله عنه قال: كان الرجل فى حياة النبي صلى الله عليه و سلم إذا رأى رؤيا قصها على النبي صلى الله عليه و سلم، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي صلى الله عليه و سلم، و كنت غلاما أعزب و كنت أنام فى المسجد على عهد النبي صلى الله عليه و سلم فرأيت فى المنام كأن ملكين أخذانى فذهبا بى إلى النار، فإذا هى مطوية كطى البئر، و إذا لها قرنان كقرنى البئر، و إذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، فلقيهما ملك آخر فقال لى: لن ترع. فقصصتها على حفصة فقصصتها حفصة على النبي صلى الله عليه و سلم فقال: نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل. قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلا. و قوله لن ترع كذا بالجزم بلن فى لفظ البخارى، قال ابن التين: هى لغة قليلة، يعنى الجزم بلن، قال القزاز: و لا-أحفظ له شاهدا، قال الحافظ ابن حجر: و روى الأ-كثر بلفظ: لن ترع، و هى الوجه. اه. و قول

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٥٨

القزاز: لا أحفظ له شاهدا، تعقب بقول الشاعر فى مدح سيدنا الحسن السبط، رضى الله عنه:

لن يخب الآن من رجائك من حرك من دون بابك الحلقة

قال القرطبي: إنما فسر الشارع من رؤيا عبد الله بما هو ممدوح، لأنه عرض على النار، ثم عوفى منها، و قيل له: لا روع عليك، و ذلك لصلاحه غير أنه لم يكن يقوم من الليل، فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما تتقى به النار و الدنو منها، أعادنا الله تعالى منها، فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك.

و أشار المهلب إلى أن السر في ذلك كون عبد الله بن عمر كان ينام في المسجد، و من حق المسجد أن يتعبد فيه، فنيه على ذلك بالتخويف بالنار. و حديث المتن من مسند عبد الله بن عمر لا من مسند حفصة رضي الله عنها، فالذي هو من مسند حفصة هو ما أخرجه البخارى في كتاب فضائل الصحابة في مناقب عبد الله بن عمر بعد حديث المتن، و هو قوله صلى الله عليه و سلم: إن عبد الله رجل صالح، و أعظم بها من شهادة منه صلى الله عليه و سلم فهي من أعظم مناقبه، رضى الله عنه، و لنذكر بعض مناقبه تبركا بها و إن كان لا يسعها إلا تأليف مستقل فأقول: هو أحد العبادلة، و فقهاء الصحابة، و أحد المكثرين منهم من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم المجموعين في قول صاحب طلعة الأنوار: و المكثرون بحرهم و أنس عائشة و جابر المقدس صاحب دوس و كذا ابن عمر ارب قنى بالمكثرين الضررا - و أمه زينب- و يقال رائطة بنت مطعون أخت عثمان و قدامة ابني مطعون.

للجميع صحبة، و كان مولده في السنة الثانية أو الثالثة من المبعث، لأنه ثبت أنه كان يوم بدر ابن ثلاث عشرة سنة، و كانت بدر بعد البعثة بخمس عشرة سنة، كذا في فتح البارى، و قال في الإصابة: ولد سنة ثلاث من المبعث النبوى فيما جزم به الزبير بن بكار قال: هاجر و هو ابن عشر سنين، و كذا قال الواقدى حيث قال:

مات سنة أربع و ثمانين، و قال ابن منده: كان ابن إحدى عشرة و نصف و نقل الهيثم بن عدى عن مالك أنه مات و له سبع و ثمانون سنة. فعلى هذا كان له في الهجرة ثلاث عشرة، و قد ثبت عنه أنه كان له يوم بدر ثلاث عشرة، و بدر كانت في السنة الثانية، و أسلم مع أبيه و هاجر و عرض على النبى صلى الله عليه و آله و سلم ببدر فاستصغره، ثم بأحد فكذلك، ثم في الخندق فأجازه، و هو التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٥٩

يومئذ ابن خمس عشرة سنة كما ثبت في الصحيح، و أخرج البغوى في ترجمته من طريق على بن زيد عن أنس و سعيد بن المسيب قالوا: شهد ابن عمر بدرا، و من طريق مطرف عن ابن إسحاق عن البراء: عرضت أنا و ابن عمر يوم بدر فرددنا، و حفظ وقت إسلام أبيه كما أخرج البخارى من طريق عبد الله، و قال البغوى:

أسلم مع أبيه لم يكن بلغ يومئذ. و أخرج من طريق أبى إسحاق: رأيت ابن عمر في السعى بين الصفا و المروة، فإذا رجل ضخم آدم و هو من المكثرين عن النبى صلى الله عليه و سلم، و روى أيضا عن أبى بكر و عمر و عثمان و أبى ذر و معاذ و عائشة و غيرهم.

و روى عنه من الصحابة جابر و ابن عباس و غيرهما. و بنوه: سالم و عبد الله و حمزة و بلال و زيد، و ابن أخيه حفص بن عامر. و من كبار التابعين سعيد بن المسيب، و أسلم مولى عمر و علقمة بن أبى وقاص و أبى عبد الرحمن النهدى، و مسروق و جبير بن نفير و عبد الرحمن بن أبى ليلى في آخرين. و ممن بعدهم موالاهم عبد الله بن دينار و نافع و زيد و خالد بن أسلم و من غيرهم مصعب بن سعد و موسى بن طلحة و عروة بن الزبير و بشر بن سعيد و عطاء و طارق و مجاهد و ابن سيرين و الحسن و صفوان بن محرز و آخرون. اه. و من مناقبه ما قاله فيه عبد الله بن مسعود: أن أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر، و أخرج أبو الطاهر و الذهلى في فوائده عن ابن مسعود أيضا: لقد رأيتنا و نحن متوافرون فما بيننا شاب هو أملك لنفسه من عبد الله بن عمر. و عن جابر: ما منا من أحد أدرك الدنيا إلا- مالت به و مال بها غير عبد الله بن عمر، و في تاريخ أبى العباس السراج بسند حسن عن السدى: رأيت نفرا من الصحابة كانوا يرون أنه ليس أحد فيهم على الحالة التى فارق عليها النبى صلى الله عليه و سلم إلا ابن عمر، و فى الشعب للبيهقى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: مات ابن عمر و هو مثل عمر فى الفضل. و من وجه آخر عن أبى سلمة: كان عمر فى زمان له فيه نظراء، و كان ابن عمر فى زمان ليس له فيه نظير، و فى معجم البغوى بسند حسن عن سعيد بن المسيب: لو شهدت لأحد من أهل الجنة لشهدت لابن عمر.

و من وجه صحيح: كان ابن عمر حين مات خيرا من بقى. و أخرج السراج فى تاريخه و أبو نعيم من طريقه بسند صحيح عن ميمون بن

مهران قال: مر أصحاب نجدة الحرورى يابل لابن عمر فاستاقوها، فجاء الراعى فقال: يا أبا عبد الرحمن احتسب الإبل و أخبره الخبر قال: فكيف تركوك؟ قال: انفلت منهم، لأنك

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٦٠

أحب إلى منهم فاستحلفه فحلف، فقال: إني أحتسبك معها فأعتقه، فقيل له بعد ذلك: هل لك فى ناقتك الفلانية تباع فى السوق؟ فأراد أن يذهب إليها، قد كنت احتسبت الإبل فلأى معنى أطلب الناقة؟

و من طريق عبد الله بن أبى عثمان قال: أعتق عبد الله بن عمر جاريه له يقال لها رمثه كان يحبها و قال: سمعت الله تعالى يقول: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ و قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن الزهرى عن سالم قال: ما لعن ابن عمر خادما قط إلا واحدا فأعتقه. و عن نافع أن ابن عمر اشتكى فاشترى له عنقودا بدرهم، فأتاه مسكين فقال: أعطوه إياه. فخالف إنسان فاشتراه منه بدرهم، ثم جاء به إليه فجاءه السائل فقال: أعطوه إياه. فخالف إنسان آخر فاشتراه بدرهم، ثم أراد أن يرجع فمنع و لو علم ابن عمر بذلك لما ذاقه.

و فى الزهد للبيهقى بسند صحيح عن عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر سمعت أبى يقول: ما ذكر ابن عمر رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا بكى، و لا مر على ربعم إلا غمض عينيه. و أخرج ابن المبارك فى الزهد عن عقبه بن مسلم أن ابن عمر سئل عن شىء فقال: لا أدرى، ثم قال: تريدون أن تجعلوا ظهورنا جسورا فى جهنم تقولون أفتانا بهذا ابن عمر؟ و قال الزبير بن بكار: كان ابن عمر يحفظ ما سمع من رسول الله صلى الله عليه و سلم و يسأل من حضر إذا غاب عن قوله و فعله. و كان يتبع آثاره فى كل مسجد صلى فيه، و كان يعترض براحلته فى طريق رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم عرض ناقتة فيه، و كان لا يترك الحج، و كان إذا وقف بعرفة يقف فى الموقف الذى وقف فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم. و فى تاريخ أبى العباس بسند جيد عن نافع كان ابن عمر إذا قرأ هذه الآية: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ يَبْكِي حَتَّى يَغْلِبَهُ الْبُكَاءُ. و عند ابن سعد بسند صحيح قيل لناعف: ما كان ابن عمر يصنع فى منزله؟ قال: الوضوء لكل صلاة و المصحف فيما بينهما. و عند الطبرانى و هو فى الحلية بسند جيد عن نافع أن ابن عمر كان يحيى الليل صلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا. فيقول: لا، فيعاود فإذا قال نعم قعد يستغفر الله حتى يصبح.

و من طريق أخرى عن نافع قال: كانت لابن عمر جارية معجبة فاشتد عجبها بها فأعتقها و زوجها مولى له، فأتت منه بولد فكان ابن عمر يأخذ الصبى فيقبله ثم يقول: واهما لريح فلانة. و عند البيهقى من طريق زيد بن أسلم: مر ابن عمر براع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٦١

فقال: هل من جزرة؟ قال: ليس ههنا ربها. قال: تقول له: إن الذئب أكلها.

قال: فاتق الله. فاشترى ابن عمر الراعى و الغنم و أعتقه و وهبها له. قال البخارى فى التاريخ: حدثنى الأويسى حدثنى مالك أن ابن عمر بلغ سبعا و ثمانين سنة. و قال غير مالك: عاش أربعا و ثمانين، و الأول أثبت، و قال ضمرة بن ربيعة فى تاريخه:

مات سنة اثنتين أو ثلاث و سبعين و جزم مرة بثلاث و كذا أبو نعيم و يحيى بن بكير و الجمهور، و زاد بعضهم فى ذى الحجة، و قال الفلاس مرة سنة أربع و به جزم خليفة و سعيد بن جبير و ابن زبر. اه ملخصا من الإصابة. (قال مقيده وفقه الله تعالى): و جزم الحافظ فى فتح البارى بأنه مات أوائل سنة أربع و سبعين، و كانت وفاته رضى الله عنه بسبب من دسه عليه الحجاج بن يوسف الأمير الفاسق، فمس رجله بحربة مسمومة فمرض بها إلى أن مات. روى ابن وهب عن مالك قال: بلغ عبد الله بن عمر ستا و ثمانين سنة، و أفتى فى الإسلام ستين سنة، و نشر نافع عنه علما جما. و قال ابن عبد البر فى الاستيعاب بإسناده: أن مروان بن الحكم دخل فى نفر على عبد الله بن عمر بعد ما قتل عثمان رضى الله عنه فعرضوا عليه أن يبايعوا له، قال: و كيف لى بالناس؟ قال: تقاتلهم و نقاتلهم معك، فقال: و الله لو اجتمع على أهل الأرض إلا أهل فذك ما قاتلتهم. قال: فخرجوا من عنده و مروان يقول: و الملك بعد أبى ليلى لمن غلبا.

قال أبو عمر رضى الله عنه: مات عبد الله بن عمر بمكة سنة ثلاث و سبعين لا يختلفون فى ذلك بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر أو نحوها، و قيل لسته أشهر، و قوله لا يختلفون فى ذلك هو من قبيل إجماعاته التى حذروا من اعتقاد صحتها، لكن قالوا: إن أقلها قول

الجمهور كما هو الواقع هنا، و كان أوصى أن يدفن في الحل فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، و دفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين. و كان الحجاج قد أمر رجلا فسم زج رمح و زحمة في الطريق، و وضع الزج في ظهر قدمه. و من أسباب ذلك أنه كان يتقدم في المواقع بعرفة و غيرها إلى المواضع التي كان النبي صلى الله عليه و سلم وقف بها، فكان ذلك يعز على الحجاج ففعل ما فعله به، عامله الله بما يستحق. و لما مرض دخل عليه الحجاج يعوده فقال له: من فعل بك يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: و ما تصنع به؟ قال: قتلني الله إن لم أقتله. قال: ما أراك فاعلا، أنت الذي أمرت الذي نخسني بالحرية. فقال: لا تقل يا أبا عبد الرحمن. و خرج عنه. اه ملخصا من الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر. انتهى كل ذلك من شرح «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٦٢

### ترجمة أبى هريرة رضى الله عنه

جاء فى شرح «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» عن ترجمته ما نصه: أما راوى الحديث أبو هريرة فهو فى قول الأكثر عبد الرحمن بن صخر الدوسى، و هو حافظ الصحابة. و قد اختلف فى اسمه و اسم أبيه على نحو عشرين قولاً أو أزيد ذكرها الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب ثم قال: و اختلف فى أيها أرجح، فذهب الأكثرون إلى الأول يعنى عبد الرحمن بن صخر، و ذهب جمع من النسابين إلى عمرو بن عامر، و هو أحفظ المكثرين من الحديث، له خمسة آلاف و ثلاثمائة و أربعة و سبعون حديثاً، اتفق البخارى و مسلم على ثلاثمائة و خمسة و عشرين منها، و انفرد البخارى بتسعة و سبعين و مسلم بثلاثة و تسعين.

روى عنه إبراهيم بن حنبل و أنس و بسر بن سعيد و سالم و ابن المسيب و تمام ثمانمائة نفس ثقة، قال ابن سعد: كان يسبح كل يوم اثنتى عشرة ألف تسيحة.

مات سنة سبع أو ثمان أو تسع و خمسين، و هو ابن ثمان و سبعين سنة. و قد تقدم بسط ترجمته فى هذا الشرح فى أواخر الجزء الرابع عند حديث: من يبسط رداءه حتى أفضى مقالتي إلخ، فليرجع لها من شاء الوقوف على فضله و سر إكثاره من حديث رسول الله صلى الله عليه و آله و أصحابه و سلم، و بالله تعالى التوفيق و هو الهادى إلى سواء الطريق.

انتهى من الجزء الخامس من شرح زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم.

و جاء فى الجزء الرابع من كتاب زاد المسلم المذكور عن ترجمة أبى هريرة رضى الله عنه عند حديث: «من يبسط رداءه حتى أفضى مقالتي ثم يقبضه فلن ينسى شيئاً سمعه منى. قال أبو هريرة: فبسطت بردة كانت على فوالذى بعته بالحق ما نسيت شيئاً سمعته منه» ... ما نصه:

و اعلم أن حفظ أبى هريرة رضى الله عنه للسنة و تميزه به عن الصحابة المكثرين، أحرى غير المكثرين أمر مشهور معلوم عند علماء الشريعة، و لا غرابة فيه إلا عند الجهلة بهذا الشأن، لأن أبى هريرة نال ذلك الحفظ الذى يتميز به عن سائر الصحابة بدعاء النبي صلى الله عليه و سلم الذى دل عليه حديث المتن عندنا. و فى ذكر سببه عن أبى هريرة ما يزيل كل استغراب يقع للناس من كثرة حفظه، و قد تميز كثير من أكابر الصحابة بأمر معلوم كان سببها دعاء النبي صلى الله عليه و سلم لهم بها كدعائه لسعد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٦٣

بن أبى وقاص بقوله: اللهم سدد رميته و أجب دعوته، فكان لا يرمى شيئاً إلا أصابه و لا يدعو بشيء أو على أحد إلا أجاب الله دعاءه، و أمره فى ذلك مشهور و كابن عباس حيث دعا له بقوله: اللهم فقهه فى الدين و فى روايته، و علمه التأويل فكان نابغة فى الفقه و تأويل كتاب الله العزيز حتى نال من ذلك المنزلة المشهورة و رجع إليه أكابر الصحابة رضوان الله عليهم فى المعضلات و أراد نافع بن الأزرق تعجيزه فعجز عن ذلك فكان يسأله عن غريب القرآن، و إذا أجابه على البديهية يقول: و هل تعرف العرب ذلك؟ فيقول له ابن عباس: نعم، أما سمعت قول فلان كذا و كذا كسؤاله له عن قول الله تعالى عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ فقال ابن عباس: العزون

حلق الرفاق، فقال نافع بن الأزرق: و هل تعرف العرب ذلك؟

قال ابن عباس: نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص و هو يقول:

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

و هكذا كان يسأله عن دقائق غريب القرآن فيجيبه ابن عباس على البديهة، فيقول له نافع بن الأزرق: و هل تعرف العرب ذلك؟ فيقول ابن عباس: نعم أما سمعت قول فلان كذا و ينشده بيت شعر للعرب، فينتقل لسؤاله عن مسألة أخرى من هذا النوع فيجيبه بنحو ما سبق و هكذا، حتى أيس من تعجيزه، و قد سرد الجلال السيوطي في النوع السادس و الثلاثين في معرفة غريب القرآن من كتابه الإتيان أسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس و أجوبته له نثرا و شعرا بطولها، فليراجعها من شاء العجب من معرفة ابن عباس لغريب القرآن و ضبطه لشعر العرب. و كان عمر يقدم ابن عباس على معاصريه و يستشيريه و يستحسن فهمه.

و كدعائه لأنس بن مالك بكثره العلم و المال و الولد و طول العمر فأجاب الله دعاءه في ذلك كله، فكثير ماله حتى فاض على جيرانه، و كثر أبنائه حتى دفن منهم ما ينيف على المائة، و كثر علمه حتى عد من المكثرين، و طال عمره كما هو معلوم. و من ذلك دعاؤه لعلي كرم الله وجهه في سيفه فكان لا يبارز أحدا إلا سبقه للضرب و قتله، حتى بلغ في ذلك وصفا صار سببا لإفراط الرافضة فيه، و ضلالهم الخارج عن حد التعظيم الشرعي، و كدعائه له بمعرفة القضاء، فكان أفضى الصحابة كما بسطته في رسالتي في مناقبه المسماة «كفاية الطالب لمناقب علي بن أبي طالب» و ربما شكى له صلى الله عليه و سلم بعض الصحابة من شيء فدعا له أو علمه دعاء أو

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٦٤

ركعات يصلّيها، و يدعو بمراده فيحصل مراده كائنا ما كان كشكوى على رضى الله عنه له من تفلت القرآن منه، فعلمه ركعات و دعاء لحفظه ففعل ذلك، فسهل الله عليه حفظ القرآن بعد خمس ليال أو سبع، فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله إني قد كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات و نحوهن، فإذا قرأتهن على نفسي تفلتن و أنا أتعلم اليوم أربعين آية و نحوها فإذا قرأتها على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني، و لقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلت، فأنا اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أخرج منها حرفا فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم عند ذلك: مؤمن و رب الكعبة أبا الحسن. رواه الترمذي في سننه و بوب له بقول:

باب في دعاء الحفظ، و أخرجه الحاكم و البيهقي في الدعوات عن ابن عباس رضى الله عنهما.

و من ذلك تعليمه الأعمى حديث التوسل به صلى الله عليه و سلم الصحيح فدعا به فأزال الله عنه العمى، كما أخرجه الحفاظ و قد استوعبت ذكر من أخرجه في منظومتي المسماة بما نصه:

سميتها بحجج التوسل و نصره الحق بنصر الرسل

إلى غير ذلك ممن دعا له النبي صلى الله عليه و سلم بأمر فنال بركة دعائه صلى الله عليه و سلم، و كل ذلك راجع لمعجزات النبي صلى الله عليه و سلم، فلا يستغرب حفظ أبي هريرة و يستعظمه إلا من لم يعرف سببه لجهله بأحاديث السنة و سير الصحابة و تراجمهم أو من كان ملحدا في معجزات رسول الله صلى الله عليه و سلم غير معترف بما خص الله به الصحابة عليهم الصلاة و السلام الذين زكاهم الله في كتابه العزيز بقوله تعالى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا إِلَى آخِرِ مَا أَتَى بِهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ.

فحفظ أبي هريرة لا غرابة فيه عند الصحابة و لا عند سلف الأمة المطلعين على سببه، كما اطلعوا على سبب ما اختص به كل صحابي دعا له النبي صلى الله عليه و سلم بشيء، فسبب حفظ أبي هريرة بينه هو رضى الله تعالى عنه قبل ذكر هذا الحديث بقوله كما في الصحيحين و اللفظ للبخاري: إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث على رسول الله صلى الله عليه و سلم، و الله الموعد إنى كنت



امرءا مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطنى، و كان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، و كانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، فشهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم و قال: من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٦٥

يبسط رداءه حتى أقضى مقالتي إلخ. حديث المتن بلفظه، و لما تبرز على غيره من الصحابة استعظم الصحابة ذلك أولاً، و اختبروه مرارا فما وجدوه روى حديثا إلا وجدوا له ما يصدق من شهادة صحابي آخر أو وفاق ظاهر آية، فاعترفوا له بالحفظ و فهموا ظهور معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، حيث قال: من يبسط رداءه حتى أقضى مقالتي ثم يقبضه، و فى روايه يجمعه، فلن ينسى شيئا سمعه منى، ثم رجع له بعد النزاع من خالفه منهم لوجود من يشهد له من الصحابة على ما رواه، فمن ذلك ما أخرجه مسلم فى صحيحه بإسناده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص أنه كان قاعدا عند عبد الله بن عمر إذ طلع خباب صاحب المقصورة فقال:

يا عبد الله بن عمر ألا تسمع ما يقول أبو هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من خرج مع جنازة من بيتها و صلى عليها ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر كل قيراط مثل أحد، و من صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد، فأرسل ابن عمر خبابا إلى عائشة يسألها عن قول أبي هريرة ثم يرجع إليه فيخبره ما قالت. و أخذ ابن عمر قبضة من حصباء المسجد يقلبها فى يده حتى رجع إليه الرسول فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة. فضرب ابن عمر بالحصى الذى كان فى يده الأرض ثم قال: لقد فرطنا فى قراريط كثيرة. اه فحسبك برجوع ابن عمر له مع كثرة حفظه و شدة احتياطه، فلما شهدت له عائشة رضى الله عنها رجع له و اعترف بتفوقه عليه فى الحفظ و قال: لقد فرطنا فى قراريط كثيرة، و قد ورد أنه كان بعد ذلك لا يترك العمل بمقتضى حديث أبي هريرة هذا. فهذا كله يعلم ضرورة أنه لا وجه للتعجب من كثرة روايه أبي هريرة مع قلّة مدّة صحبتها، لأنه أسلم حين قسم غنائم خيبر، و كثير من الصحابة كان أقدم منه صحبة، لأن حفظه كان بسبب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له به كما تقدم، و ذلك يرجع لمعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر، و حينئذ فلا غرابه فيه و لا استبعاد عند المؤمنين، و قولى فى المتن و اللفظ له أى للبخارى: أما مسلم فلفظه: من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئا سمعه منى، فبسطت ثوبى حتى قضى حديثه، ثم ضمته إلى فما نسيت شيئا سمعته منه. و لتترك بذكر شىء من ترجمة أبي هريرة الذى ورد هذا الحديث فى فضله و بيان حفظه للسنة فأقول: قال الأبي: قال القرطبي: اختلف فى اسمه و اسم أبيه اختلافا كثيرا بلغ إلى ثمانية عشر قولاً و أشبه ما فيها أن يقال: كان له فى الجاهلية

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٦٦

اسمان: عبد شمس و عبد عمرو، و فى الإسلام عبد الله و عبد الرحمن بن صخر، و قد اشتهر بكنيته حتى كأنه ليس له اسم غيرها. و كنى بأبي هريرة لأنه وجد هرة فى صغره فحملها فى كفه فكنى بها و غلب ذلك عليه. و قيل: إن الذى كناه بذلك حين رآه يحملها النبي صلى الله عليه وسلم عام خيبر و شهدها «أى شهد وقت غنائمها و قسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها» ثم لازم النبي صلى الله عليه وسلم و واطبه رغبة فى العلم، راضيا بشعب بطنه، فكانت يده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، و يدور معه حيث دار، و يحضر ما لم يحضره غيره. ثم اتفق أن حصلت له بركة النبي صلى الله عليه وسلم فى الذى أعطاه، و ضمه إلى صدره فكان يحفظ كل ما سمعه و لا ينساه.

فلا جرم حفظ له فى الحديث ما لم يحفظ لغيره من الصحابة و ذلك خمسة آلاف حديث و ثلاثمائة و أربعة و سبعون حديثا فى الصحيحين منها ستمائة و تسعة أحاديث، قال البخارى: روى عنه أكثر من ثلاثمائة رجل من صحابى و تابعى، قال أبو عمر: استعمله عمر على البحرين ثم عزله ثم أراد رده على العمل، فأبى، و لم يزل يسكن المدينة و بها توفى سنة سبع و خمسين، و قيل سنة ثمان و قيل سنة تسع و قيل توفى بالعقيق، و صلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان و كان أميراً على المدينة و مروان معزول. و كان من علماء الصحابة و فضلائهم ناشرا للعلم، شديد التواضع و العبادة عارفا بنعم الله تعالى، شاكرا مجتهدا فى العبادة. كان هو و امرأته و خادمه يعتقبون الليل أثلاثا، يصلى هذا ثم يوقظ هذا. و كان يقول:

نشأت يتيما، وهاجرت مسكينا، و كنت أجيرا لسيرة بنت غزوان بطعام بطني، فكنت أخدم إذا نزلوا، و أخدم إذا ركبوا، فزوجنيها الله فالحمد لله الذي جعل الدين قواما. اه.

و من مناقبه و علو همته أنه كان يدعو أمه للإسلام فتمتنع، فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يبكي، فقال: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: اللهم اهد أم أبي هريرة فخرجت مستبشرا بدعوة النبي صلى الله عليه و سلم إلى آخر الحديث الذي رواه مسلم و فيه أنها أسلمت. ثم سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يدعو الله له أن يحبه هو و أمه إلى عباده المؤمنين و يحبهم إليهما. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: اللهم حب عبيدك هذا يعني أبا هريرة و أمه إلى عبادك المؤمنين و حب إليهم المؤمنين فما خلق مؤمن يسمع بي و لا يراني إلا أحبني، فمن هذا الحديث التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٦٧

يعلم أن من كان مؤمنا حقا لا بد أن يحب أبا هريرة رضى الله عنه لاستجابة دعاء النبي صلى الله عليه و سلم بمحبة المؤمنين له و عليه فمن أبغضه و كره حديثه أو زعم أنه يتقول على رسول الله صلى الله عليه و سلم فهو غير مؤمن حقا فليصحح توبته من ذلك كله لعل الله تعالى يرزقه قبول التوبة و محبة هذا الصحابي الجليل. و هذا الحديث كما أخرجه الشيخان، أخرجه النسائي في العلم من سننه، و أخرجه ابن ماجه في السنة من سننه، و بالله تعالى التوفيق و هو الهادي إلى سواء الطريق.

### ترجمة أبي ذر الغفاري رضى الله عنه

جاء في شرح «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» عن ترجمته ما نصه: و راوى الحديث هو أبو ذر الغفاري رضى الله عنه، أحد النجباء من الصحابة، و فى اسمه أقوال أشهرها و أصحها أن اسمه جندب بن جنادة، و قيل بربر، بموحدة مكبرا و مصغرا و كان من السابقين إلى الإسلام. و قصة إسلامه فى الصحيحين على صفتين بينهما اختلاف ظاهر، كما قاله الحافظ ابن حجر و هو واضح لمن تأمل فيهما، و قد ذكرت فى أوائل الجزء الثالث من هذا الشرح لفظ البخارى فى أول إسلامه و قصته عند حديث ما أحب أن أجد لى ذهابا إلخ. و فى صحيح مسلم من طريق عبد الله بن الصامت عن أبي ذر فى قصة إسلامه و فى أوله صليت قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه و سلم حيث وجهنى الله و كنا نزالا- مع أمنا على خال لنا، فأتاه رجل فقال له: إن أنيسا يخلفك فى أهلك. فبلغ أخى، فقال: الله لا أساكنك فارتحلنا، فانطلق أخى فأتى مكة ثم قال لى: أتيت مكة فرأيت رجلا يسميه الناس الصابئ، هو أشبه الناس بك إلخ ما ذكره. فراجع إن شئت. و مناقبه رضى الله عنه كثيرة جدا و مع تقدم إسلامه قد تأخرت هجرته فلم يشهد بدرًا، قال أبو إسحاق السبيعي عن هانئ بن هانئ عن على: أبو ذر وعاء ملء علما ثم أوكئ عليه. أخرجه أبو داود بسند جيد، و أخرج أبو داود أيضا و أحمد عن عبد الله بن عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ما أقلت الغبراء و لا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبى ذر. و حسنه الترمذى، و مع كونه لم يشهد بدرًا ألحقه عمر بهم، و كان يوازى ابن مسعود فى العلم. و فى السيرة النبوية لابن إسحاق عن ابن مسعود قال: كان لا يزال يتخلف الرجل فى تبوك فيقولون: يا رسول الله تخلف فلان فيقول: دعوه فإن يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم، و إن يكن غير ذلك فقد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٦٨

أراحكم الله، فتلوم أبو ذر على بغيره فأبطأ عليه، فأخذ متاعه على ظهره ثم خرج ماشيا فنظر ناظر من المسلمين فقال: إن هذا الرجل يمشى على الطريق. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: كن أبا ذر. فلما تأملت القوم قالوا: يا رسول الله هو و الله أبو ذر. فقال: يرحم الله أبا ذر يعيش وحده و يموت وحده و يحشر وحده، له رضى الله عنه مائتا حديث و أحد و ثمانون حديثا، اتفق البخارى و مسلم على اثني عشر منها، و انفرد البخارى بحديثين منها و مسلم بتسعة عشر. روى عنه ابن عباس و أنس و الأحنف بن قيس و أبو

عثمان النهدي وخلق. قال الحافظ في الإصابة:

و كانت وفاته بالربذة سنة إحدى و ثلاثين و قيل في التي بعدها و عليه الأكثر. و جزم في تقريب التهذيب بما قال في الإصابة أن عليه الأكثر و هو الذي عزاه صاحب الخلاصة لابن المدائني. و كانت وفاته في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه، و يقال أنه صلى عليه عبد الله بن مسعود في قصة رويت بسند لا بأس به. و قال المدائني: إنه صلى عليه ابن مسعود بالربذة، ثم قدم المدينة فمات بعده بقليل.

و بالله تعالى التوفيق و هو الهادي إلى سواء الطريق.

### ترجمة أنس بن مالك رضى الله عنه

جاء في شرح «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» عن ترجمته ما نصه: و أما أنس رضى الله عنه فهو ابن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار الأنصارى الخزرجى، خادم رسول الله صلى الله عليه و سلم، خدمه عشر سنين، و هو أحد المكثرين من حديثه المجموعين في قول صاحب طلعة الأنوار:

و المكثرون بحرهم و أنس عائشة و جابر المقدس

صاحب دوس و كذا ابن عمرارب قنى بالمكثرين الضررا

و قد صح عنه أنه قال: قدم النبي صلى الله عليه و سلم و أنا ابن عشر سنين، و أن أمه أم سليم أتت به النبي صلى الله عليه و سلم لما قدم فقالت له: هذا أنس غلام يخدمك فقبله، و أن النبي صلى الله عليه و سلم كناه أبا حمزة ببغلة كان يجتنيها، و مازحه النبي صلى الله عليه و سلم فقال له:

يا ذا الأذنين. و قال محمد بن عبد الله الأنصارى: خرج أنس مع رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى بدر و هو غلام يخدمه، أخبرني أبى عن مولى لأنس أنه قال لأنس: أشهدت بدرا؟ قال: و أين أغيب عن بدر لا أم لك؟ قال ابن حجر في الإصابة: و إنما لم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٦٩

يذكروه في البدرين لأنه لم يكن في سن من يقاتل. و أخرج الترمذى أنه خدم رسول الله صلى الله عليه و سلم عشر سنين و دعا له، و كان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين و كان فيه ريحان و يجيء منه ريح المسك. و كانت إقامته بعد النبي صلى الله عليه و سلم آله و سلم بالمدينة ثم شهد الفتوح، ثم قطن البصرة و مات بها. قال على بن المدينى: كان آخر الصحابة موتا بالبصرة. قال ابن عبد البر: و ما أعلم أحدا مات بعده ممن رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا أبا الطفيل. قلت: و أبو الطفيل هو عامر بن واثلة و هو آخر الصحابة موتا بلا نزاع كما جزم به صاحب نظم عمود النسب بقوله:

أبو الطفيل عامر بن واثلة آخر من مات من الأصحاب له

قال ابن عبد البر: و يقال إن أنس بن مالك قدم من صلبه من ولده و ولد ولده نحو من مائة قبل موته، و ذلك لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم دعا له فقال: اللهم ارزقه مالا و ولدا و بارك له فقال أنس رضى الله عنه: فإنى لمن أكثر الأنصار مالا و ولدا و يقال: إنه ولد لأنس بن مالك ثمانون ولدا، منهم ثمانية و سبعون ذكرا و ابنتان:

واحدة تسمى حفصة، و الثانية تكنى أم عمر.

و روى البخارى بإسناده عن موسى بن أنس: أن أنسا غزى مع النبي صلى الله عليه و سلم ثمان غزوات. و روى ابن السكن من طريق صفوان بن هبيرة عن أبيه قال: قال ثابت البنانى: قال لى أنس بن مالك: هذه شعرة من شعر رسول الله صلى الله عليه و سلم - فضعها تحت لسانى - قال: فوضعها تحت لسانه فدفن و هى تحت لسانه.

و قال معمر عن أبيه: سمعت أنس بن مالك يقول: لم يبق أحد صلى القبلتين غيرى. و ذكر ابن سعد أنه شهد بدرا. له رضى الله عنه

ألف و مائتا حديث و ستة و ثمانون حديثا، اتفق البخارى و مسلم على مائة و ثمانية و ستين منها، و انفرد البخارى بثلاثة و ثمانين و مسلم بأحد و سبعين، روى أنس أيضا عن طائفة من الصحابة، و روى عنه بنوه موسى و النضر و أبو بكر و الحسن البصرى و ثابت البنانى و سليمان التيمى و خلق لا يحصون، قال العجلي: كان به وضوح. و روى الطبرانى بإسناده عن أنس قال: قالت أم سليم: يا رسول الله ادع الله لأنس فقال:

اللهم أكثر ماله و ولده و بارك له فيه. قال أنس: لقد دفنت من صلبى سوى ولد و لى مائة و خمسة و عشرين و إن أرضى لتثمر فى السنة مرتين. و اختلف فى وقت وفاته فقيل: سنة إحدى و تسعين هذا قول الواقدى، و قيل: سنة اثنتين و تسعين، قيل: سنة ثلاث و تسعين قاله خليفة بن خياط و غيره.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٧٠

قال خليفة: و مات و هو ابن مائة سنة و ثلاث سنين، و قيل: كانت سنه إذ مات مائة سنة و عشر سنين، و قيل ابن مائة سنة و سبع سنين، و قيل أنه مات و هو ابن بضع و تسعين سنة. قال الحافظ ابن عبد البر: و أصح ما حدثنا به عبد الله بن محمد قال: حدثنا أحمد بن سلمان، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنى أبى، حدثنا معتمر عن حميد: أن أنس بن مالك عمّ مائة سنة إلا سنة. قال ابن عبد البر قال الحسن ابن عثمان: مات أنس بن مالك فى قصره بالطرف على فرسخين من البصرة سنة إحدى و تسعين و دفن هناك رحمه الله و رضى عنه، و بالله تعالى التوفيق و هو الهادى إلى سواء الطريق.

### عمر بن عبد العزيز فى أول توليته

#### إشارة

جاء فى كتاب «مثل عليا من قضاء الإسلام» للأستاذ محمود الباجى ما نصه:

جلس شيوخ بنى أمية و كبراء الدولة الإسلامية فى انتظار خروج الخليفة عمر بن عبد العزيز و قد عقدت المهابة ألسنتهم و غمرهم و قال خاشع و أقبل عبد العزيز ولد الخليفة، فهمس بعض الحاضرين يسأله عن أبيه فقال: «إن أبى منذ أن عقدت له البيعة و هو فى خلوة مع نفسه يصلى و يبكى. و سرح كل من فى بيته من الجوارى و الخدم. و قد دخلت عليه أمى فاطمة الليلة البارحة فوجدته يبكى فقالت تسأله و هو فى مصلاه و دموعه تسيل على لحيته: أتبكى لأمر حدث؟ قال: «يا فاطمة إنى تقلدت من أمر أمه محمد أسودها و أحمرها فتفكرت فى الفقير الجائع، و المريض الضائع، و العادى المجهود، و المظلوم المقهور، و الغريب الأسير، و الشيخ الكبير، و ذى العيال الكثير و المال القليل، و أشابهم فى أقطار الأرض و أطراف البلاد فعلمت أن ربى سائلنى عنهم يوم القيامة فخشيت أن لا تثبت لى حجة فبكت».

و لقد خرج بالليل فوجد على الحرس خالدا، و هو الشديد القوى فقال: يا خالد ضع هذا السيف عنك، و قال: «اللهم إنى قد وضعت لك خالدا فلا ترفعه أبدا» ثم نظر فى وجوه الحراس فدعا عمرو بن مهاجر الأنصارى و قال: يا عمرو و الله لتعلمن أنه ما بينى و بينك قرابة إلا قرابة الإسلام، ولكن سمعتك تكثر تلاوة القرآن و رأيتك تصلى فى موضع تظن أن لا يراك أحد فرأيتك تحسن الصلاة و أنت رجل من الأنصار، خذ هذا السيف فقد وليتك حرسى».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٧١

دخل الخليفة مجلسه الأول فى ثيابه الاعتيادية و بعد أن أطرق و حمد الله و استغفروه و أثنى عليه قال لأهله من بنى أمية: يا قومى كانت لكم أعطية و أرزاق و لن يتسع مالى لكم، و أما هذا المال فإنما حققكم فيه كحق رجل بأقصى برك الغماد.

و لما رأى تأثر بنى أمية مما قرره فى شأن أرزاقهم قال: «إن رسول الله صلى الله عليه و سلم كانت له (فدك) ينفق منها و يعول منها على صغير بنى هاشم و يزوج منها أيهمم.

و إن فاطمة سألته أن يجعلها لها فأبى، فكانت كذلك حياة أبى بكر و عمر، ثم أقطعها مروان، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز و إن غلاتها لتبلغ أربعة آلاف دينار، و قد رأيت أمرا منعه رسول الله فاطمة ليس لى بحق و إنى أشهدكم أنى قد رددتها على ما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم».

و التفت أحد الحاضرين إلى الخليفة يسأله: أو هذا أول حكم حكمته على نفسك و على أهل بيتك يا أمير المؤمنين؟ ... فقال عمر: و لهذا الحكم بقية!

ثم دخل على فاطمة زوجته بنت عبد الملك بن مروان و كانت تملك من الجواهر و الأعلاق و الذهب التى أهداها إليها أبوها عبد الملك بن مروان فقال: يا فاطمة اختارى ... إما أن تردى حليك إلى بيت المال، و إما أن تأذنى لى فى فراقك فإنى أكره أن أكون أنا و أنت و هو فى بيت واحد.

قالت: «لا، بل أختارك عليه و على أضعافه»، فأمر به فحمل حتى وضع فى بيت مال المسلمين. و رجع عمر إلى مجلسه و لم يزل شيوخ بنى أمية فى انتظاره.

و دعا صاحب بيت المال و سأله: «كم كانت نفقة من سبقنى من الخلفاء فى اليوم؟

فقال: عشرة آلاف درهم، فتمعر وجه عمر و سأل أصحابه: و كم ترون يحل لى من النفقة؟ فقالوا: إن شاء أمير المؤمنين نصف هذا العدد، فضحك عمر و قال:

لقد حكمت بأن لا- تتجاوز نفقة بيتى درهمين فى اليوم. ثم دعا الحراس و كانوا ثلاثمائة حارس، و ثلاثمائة شرطى، و كانت لهم أعطية و أرزاق تجل عن الحصر فقال: يا هؤلاء إن لى عنكم بالقدر حاجزا و بالأجل حارسا من أقام منكم فله عشرة دنانير، و من شاء فليلحق بأهله».

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٧٢

و هكذا لم ينفذ المجلس الأول إلا و قد أجرى عمر على نفسه و آل بيته حركة تطهير متسعة النطاق، و فرّ بها لبيت مال المسلمين ما كان يجرى لقصر الخلافة و أقارب الخليفة و حراسه و شرطته من أرزاق و عطايا. و شاع أمر هذه الحركة المباركة و هذه الأحكام العادلة التى أصدرها عمر بن عبد العزيز فى الناس، فغير ولاء الأقاليم سلوكهم و أقبلوا على التقشف و الإعراض عن التبذير، و توفير الأموال للفتح و الصالح العام.

و ناهيك بما رواه عمر بن أسيد من أن عمر بن عبد العزيز لم يمت حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون فما يبرح حتى يرجع بماله كله. و قد أغنى عمر الناس.

و هذه الشهادة الخطيرة من هذا الرجل العظيم تدل على نمو الثروة العامة و الثروة الخاصة بفضل ما اتخذته الخليفة من التدابير و ما منعه من وسائل التبديد و التبذير. فقد زادت مدخرات المواطنين على حاجاتهم و ظلوا يعرضون الأموال العريضة على بيت المال و على مصارف الجمهور ما لا تتسع هذه و تلك لقبولها.

و بينما يعرض المواطنون ثرواتهم العريضة على الدولة كان الخليفة صاحب الأمر و النهى كما يرويه عون ابن المعمر يدخل على امرأته فيقول: يا فاطمة «عندك درهم أشتري به عنبا؟ فتقول: لا، و أنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم تشتري به عنبا؟ قال: هذا أهون علينا من معالجة الأغلال غدا فى جهنم».

و يدخل غلامه أبو أمية فتقدم له مولاته غداءه عدسا و يقول لها: كل يوم عدس يا أماه ...؛ فتقول: يا بنى هذا طعام مولاك أمير المؤمنين.

و يجتمع بنو مروان إلى باب الخليفة و يقولون لابنه عبد الملك: قل لأبيك أن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا و يعرف لنا مواضعنا، و إن أباك قد حرمتنا ما فى يديه، فدخل على أبيه فأخبره فقال لهم: إن أبى يقول لكم: «إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم».

أفلا يحق للتاريخ الإنسانى أن يسجل للعدل الإسلامى و الطهارة فى الحكم و التجرد فى السلوك هذه السير اللامعة و الأمثلة الرفيعة؟ ثم أفلا يحق للمسلمين أن يفاخروا الأمم و الشعوب بعمر بن عبد العزيز و أمثال عمر بن عبد العزيز فى الاستقامة و الإنصاف و حسن الإدارة؟ ...

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٧٣

لقد ورث عمر بن عبد العزيز امبراطورية لا تغيب عن ممالكها الشمس، و لقد تهيأ له من البذخ و الرفاهية و أبهة الملك ما أبدع عبد الملك بن مروان و أبنائه:

الوليد و هشام و سليمان فى إعداده و تنميته، و لكنه عزف عن كل ذلك و رجع بالأمه إلى البساطة الأولى شأنها على عهد أبى بكر و عمر و عثمان و على مع الاحتفاظ بصولة الدولة، و قوة الجيش، و طهارة الإدارة الحكيمه، و نقاوة النفوس، و نبذ أسباب الخلاف. و كان يعطى المثل من نفسه، فإمر بإطفاء المصابيح التى تسرج من ميزان الدولة بعد أن يفرغ من تصريف شؤون الناس، و يوقد مصباح بيته الخافت الأضواء هرباً من أن يسرف فى استعمال ما هو مرصود للمصالح العامة لحساب منفعته الخاصة. و الحق أن سلوك عمر بن عبد العزيز يجب أن يتخذ دستوراً أممياً فى التصرف الإدارى، و العدل فى أموال الرعية، و حمل رؤساء الجيوش و المصالح العامة على نبذ البطر و التبذير. انتهى من الكتاب المذكور.

### بعض شمائل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

جاء فى الجزء الثالث من كتاب «المطالعة الوافية» شىء من ترجمة و حياة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه الذى يلحقه بعض الأئمة بالخلفاء الراشدين ما يأتى:

عهد سليمان بن عبد الملك بالخلافة إلى عمر بن عبد العزيز الرجل الصالح كما نعته فى عهده و وصيته فاستفتح ولايته برد المظالم و قال: «لا أبدأ بأولى من نفسى» فنظر إلى ما فى يديه من أرض أو متاع فخرج منها، و باع أموال سليمان و رباعه و كسوته و جميع ما كان يملكه.

و دخل على زوجه فاطمة بنت عبد الملك فأخذ منها الثوب النفيس الذى كان قد عمله لها أبوها منسوجاً بالذهب، منظوماً بالدر و الياقوت و قال لها: «إن اخترتني فإننى آخذ الثوب فأجعله فى بيت مال المسلمين و إن اخترت الثوب فلست لك بصاحب» فقالت: «أعوذ بالله يا أمير المؤمنين من فراقك، بل أختارك عليه و على أضعافه لو كان لى، لا حاجة لى بالثوب فخذة إلى بيت المال». و دخل عليه ابن له و عليه قميص قد تقطع فقال: «رقع قميصك يا بنى، فو الله ما كنت قط بأحوج إليه منك اليوم».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٧٤

بهذه النزاهة و الصيانة و الورع و الزهد استفتح عمر بن عبد العزيز ولايته أمر المسلمين سنة تسع و تسعين هجرية. ولد بخلوان مصر سنة إحدى و ستين للهجرة، و ما إن وليّ الخلافة حتى أدرك أعباءها فقال: «يا ليت بيننا و بين الخلافة بعد المشرقين» و قال: «إنى نظرت فوجدتني قد وليت أمر هذه الأمة صغیرها و كبيرها، أسودها و أحمرها، ثم ذكرت الفقير الجائع، و المريض الضائع، و العانى المجهود، و المظلوم المقهور، و الغريب الأسير، و الشيخ الكبير، و ذا المال القليل و العيال الكثير، و هم فى أقطار الأرض و أطراف البلاد و علمت أن الله سألنى عنهم، و أن رسول الله حجيجى فيهم، فخفت ألا يثبت لى عند الله عذر، و لا

تقوم لى مع رسوله حجة، فرحمت و الله نفسى رحمة دمعت لها عيني، و وجع لها قلبى، و كلما ازدددت لها ذكرا ازدددت منها خوفا» و قال: «إنه ليس من أمه محمد فى مشرق و لا مغرب أحد إلا له قبلى حق يحق على أداءه غير كاتب إلى فيه و لا طالبه منى». استهل رحمه الله خلافته بدستوره: «من أطاع الله و جبت طاعته، و من عصى الله فلا طاعة له، أطيعونى ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم».

كان عمر محبا للعدل، لا يرى أفضل منه، كتب إلى عامله يقول: «الأمر ثلاثة: أمر استبان رشده فاتبعه، و أمر استبان ضره فاجتنبه، و أمر أشكل عليك فرده إلى الله» و قال: «الأكباد الجائعة أولى بالصدقات من البيت الحرام».

و كتب إليه أحد ولاته: «أما بعد، أصلح الله أمير المؤمنين، فإن قبلى أناسا من العمال قد اقتطعوا من الله عز و جل مالا عظيما لست أقدر على استخراجهم من أيديهم إلا أن أمسسهم بشىء من العذاب فإن رأى أمير المؤمنين أصلحه الله أن يأذن لى فى ذلك أفعل». فكتب إليه عمر: «أما بعد، فالعجب كل العجب من استئذائك إياى فى عذاب البشر كأنى لك جنه من عذاب الله و كأن رضائى عنك ينجيك من سخط الله عز و جل فانظر من قامت عليه بينة عدول فخذها بما قامت عليه به البينة، و من أقر لك بشىء فخذها بما أقر به و من أنكر فاستحلفه بالله العظيم و خل سبيله و أيم الله لأن يلقوا الله بخياناتهم أحب إلى من ألقى الله بدمائهم و السلام».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٧٥

و أتى أعرابى إلى عمر فقال: «رجل من البادية، ساقته إليك الحاجة، و بلغت به الغاية، و الله سائلك عن مقامى هذا بين يديك» فقال عمر: «ما سمعت أبلغ من قائل و لا أوعظ لمقول له من كلامك هذا» و قضى حاجته.

و كتب عمر إلى عامله على العراق «إذا أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق القادر عليك، و اعلم أن ما لك عند الله أكبر مما لك عند الناس».

كان عمر واسع الصدر حلما، يقبل العثرة، و يتغاضى عن الهفوة، أسمعته رجل بعض ما يكره، فقال عمر: «لا عليك إنما أردت أن يستفزنى الشيطان بعزة السلطان فأنال منك اليوم ما تناله منى غدا، انصرف إذا شئت».

و كان لعمر غلام يقال له درهم فسأله: «ما يقول الناس يا درهم؟» قال:

«الناس كلهم بخير إلا أنا و أنت» قال: «و كيف ذلك؟» قال: «إنى عهدتك قبل الخلافة عطرًا، كباسا، فاره المركب، طيب الطعام، فلما وليت رجوت أن أستريح فزاد عملى شدة و صرت أنت فى بلاء» قال: «فأنت حر فاذهب عنى و دعنى و ما أنا فيه حتى يجعل الله لى منه مخرجا». و خرج عمر ليله و معه حرسى فدخل المسجد فمر فى الظلمة برجل نائم فعثر به فرفع رأسه إليه و قال: «أمجنون أنت؟» قال: «لا» فهّم به الحرسى فقال له عمر: «إنما سألتنى أمجنون أنت، فقلت لا».

كان عمر متفقا فى الدين، يحب الوعظ و يتقبله، قال مجاهد: «أتينا عمر نعلمه، فما برحنا حتى تعلمنا منه»، و قال ميمون بن مهران: كانت العلماء عند عمر تلاميذ، و هو معلم العلماء».

و عن أنس بن مالك، خادم رسول الله قال: «ما صليت وراء إمام بعد رسول الله أشبه صلاة بصلاة الرسول من هذا الفتى حين كان على المدينة، كان يتم الركوع و السجود، و يخفف القيام و القراءة».

و قال عمر: «إن الله فرض فرائض و سن سننا من أخذ بها لحق، و من تركها محق و من أراد أن يصحبنا فليصحبنا بخمس: يوصل إلينا حاجة من لا تصل إلينا حاجته، و يدلنا من العدل إلى ما لا نهتدى إليه، و يكون عوننا لنا على الحق، و يؤدى الأمانة إلينا و إلى الناس، و لا يغتاب عندنا أحدا، و من لم يفعل ذلك فهو فى حرج من صحبتنا و الدخول علينا».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٧٦

كان عمر حكيما فى قوله و فعله، سأله رجل: «متى أتكلم؟ فقال: إذا اشتهيت أن تصمت، قال: فمتى أصمت؟ قال: إذا اشتهيت أن تتكلم».

وقال: «إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كمل: علم بما كان قبله، ونزاهة عن الطمع، وحلم على الخصم، واقتداء بالأئمة، ومشاورة أهل العلم والرأى».

وقال: «إذا أمكنني الرجل من نفسه حتى أضع معروفى عنده فيده عندي أعظم من يدي عنده».

وقال: «إذا أتاك الخصم وقد فقئت عينه، فلا تحكم له حتى يأتي خصمه، فلعله قد فقئت عينه جميعا».

وقال: «ادروا الحدود ما استطعتم في كل شبهة، فإن الوالى إذا أخطأ فى العفو، خير من أن يتعدى العقوبة».

وقال: «اعمل لديناك على قدر مقامك فيها، و اعمل لآخرتك على قدر مقامك فيها».

وقال: «إذا استطعت أن تجيء يوم القيامة لا يبتغيك أحد بمظلمة فافعل».

وقال لجلسائه: «أخبروني من أحق الناس؟» قالوا: «رجل باع آخرته بدنياه» فقال عمر: «ألا أنبئكم بأحق منه؟» قالوا: «بلى»، قال: «رجل باع آخرته بدنياه غيره».

وقال عن الخليفة: «إنه الأم فرشت و أنامت». وقال: «اتق الله فإن التقوى هي التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثاب إلا عليها، وإن الواعظين بها كثير، وإن العاملين بها قليل».

كان عمر رحمه الله زاهدا، ورعا، متوكلا، يستشعر خشية الله، ويخاف عذابه. دخل مسلمة بن عبد الملك عليه في المرضة التي مات فيها فقال له: «يا أمير المؤمنين إنك أفقرت أفواه ولدك من هذا المال فتركتهم عالمة ولا بد لهم من شيء يصلحهم فلو أوصيت بهم إلى أو إلى نظرائك فى أهل بيتك لكفيتك مؤنتهم إن شاء الله» فقال عمر: «أجلسوني»، فأجلسوه فقال: «الحمد لله، أ بالفقر تخوفنى يا مسلمة، أما ما ذكرت من أنى أفقرت أفواه ولدى من هذا المال و تركتهم عالمة، فإنى لم أمنعهم حقا هو لهم، و لم أعطهم حقا هو لغيرهم، و أما ما

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٧٧

سألت من الوصاة إليك أو إلى نظرائك من أهل بيتى فإن وصيتى بهم إلى الله الذى نزل الكتاب و هو يتولى الصالحين. وإنما بنو عمر أحد رجلين، رجل اتقى الله فجعل الله له من أمره يسرا، و رزقه من حيث لا يحتسب، و رجل غير و فجر فلا يكون عمر أول من أعانه على ارتكابه...» قال مسلمة: «فما احتاج أحد من أولاد عمر و لا افتقر».

كان رحمه الله فيه رقة و أدب، قال رجاء بن حيوة لعبد العزيز بن عمر: «ما رأيت أكرم أدبا و أكرم عشرة من أبيك. سمعت عنده ليلة فيينا نحن كذلك إذ عشى المصباح و نام الغلام، فقلت: يا أمير المؤمنين قد عشى المصباح و نام الغلام فلو أذنت لى أصلحته» فقال: «ليس من مروءة الرجل أن يستخدم ضيفه»، ثم حط رداءه عن منكبيه و صب الزيت فى المصباح و أشخص الفتيلة، ثم رجع و أخذ رداءه و قال: «و ما ضرني قمت و أنا عمر و رجعت و أنا عمر».

و دخل رجل عليه يعود فى مرضه فسأله عن علته فلما أخبره قال: «من هذه العلة مات فلان و فلان»، فقال له عمر: «يا أخى إذا عدت المرضى فلا تنع إليهم الموتى، و إذا خرجت من عندنا فلا تعد إلينا». و كان عمر إذا بدا له أن ينفرد بنفسه و أراد أن يقيم الناس الذين عنده، قال: «نعم إذا شئتم، رحمكم الله».

كان عمر صابرا، لم يجد الجزع إلى قلبه سبيلا: لما احتضر ابنه عبد الملك قال له: «كيف تجدك يا بنى؟» قال «أجدنى فى الموت فاحتسبى، فإن ثواب الله خير لك منى» فقال عمر: «و الله يا بنى لأن تكون فى ميزانى أحب إلي من أن أكون فى ميزانك» فقال عبد الملك: «و أنا و الله لأن يكون ما يحب أحب إلي من أن يكون ما أحب». و لما وقف على قبره قال: «رحمك الله يا بنى فلقد كنت سارا مولودا، بارا ناشئا».

كان عمر يعتصم بالكتاب و السنة: قال: «سن رسول الله صلى الله عليه و سلم و ولاة الأمور من بعده سننا الأخذ بها اعتصام بكتاب الله، و قوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها و لا- تغييرها، و لا- النظر فى أمر خالفها، فمن اهتدى بها فهو مهتد، و من استنصر بها فهو



منصور، و من تركها و اتبع غير سبيل المؤمنين و لاه الله ما تولى و أصلاه جهنم و ساءت مصيرا»، و قال: «إنه ليس بعد نبيكم نبي، و ليس بعد الكتاب الذى أنزل عليكم كتاب، فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة، و ما حرم الله على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة، ألا إنى لست

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٧٨

بقاض و إنما أنا منفذ، و لست بمبتدع و لكنى متبع، لست بخيركم و إنما أنا رجل منكم، ألا و إنى أثقلكم حملا و إن أفضل العبادة أداء الفرائض و اجتناب المحارم».

كان عمر يرجع إلى الحق و يذعن له: دخل عليه ابنه عبد الملك و هو ينام نومة الضحى فقال: «يا أبت، أتنام و أصحاب الحوائج باباك؟» قال: «يا بنى إن نفسى مطيتى، فإن أضنيته قطعتهما، و من قطع المطى لم يبلغ الحاجة». و ذهب عمر يتبوأ مقبلا فأتاه ابنه فقال: «يا أمير المؤمنين، ماذا تريد أن تصنع؟» قال:

«أى بنى أقيـل» قال: «تقيـل و لا- ترد المظالم؟» قال: «فإذا صليت الظهر رددت المظالم» قال: «يا أمير المؤمنين، من لك أن تعيش إلى الظهر؟» قال: «إدن منى يا بنى» فدنا منه فالتزمه و قبله بين عينيه و قال: «الحمد لله الذى أخرج من صلبى من يعيننى على دينى» و خرج و لم يقل، و جلس لرد المظالم.

كان عمر متواضعا يقول لجليسه: «إذا رأيتنى قد ملت عن الحق فضع يدك فى تلايىبى، ثم هزنى ثم قل لى: ماذا تصنع؟» و لما استخلف قال: «انظروا رجلين من أفضل من تجدون» فجىء برجلين، فكان إذا جلس مجلس الإمارة أمر فألقى لهما و سادة قبالتة، فقال لهما: «إنه مجلس شر و فتنه، فلا يكن لكما عمل إلا النظر إلى فإذا رأيتما منى شيئا لا يوافق الحق فخوفانى و ذكرانى الله عز و جل». و أطرى رجل عمر فى وجهه فقال عمر: «لو عرفت من نفسى ما أعرف عنها ما نظرت فى وجهى».

كان عمر متعبدا و يخاف الله و يخشى عذابه، قالت فاطمة زوج عمر: «قد يكون فى الناس من هو أكثر صلاة و صياما من عمر، و ما رأيت أحدا قط كان أشد فرقا و خوفا منه» و قال أحد الصالحين: «ما رأيت أحدا، كان الخوف على وجهه أبين منه على وجه عمر، و ما رأيت أخوف من الحسن و عمر، كأن النار لم تخلق إلا لهما».

و كتب الحسن إلى عمر: «يا أمير المؤمنين لو أن لك عمر نوح و ملك سليمان و يقين إبراهيم و حكمة لقمان ما كان لك بد أن تقتحم العقبة و من وراء العقبة الجنة و النار، من أخطأته هذه دخل هذه». فلما أتاه الكتاب أخذه فوضعه على عينيه ثم بكى و قال: «من لى بعمر نوح و يقين إبراهيم و سلطان سليمان و حكمة لقمان و لو نلت ذلك لم يكن بد من أن أشرب بكأس الأولين».

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٧٩

و سئل عمر يوما ما يبكيك؟ فقال: «تلومنى أن أبكى، و لو أن سخلة هلكت على شاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة». كان عمر يناجى ربه و يدعو فيقول: «اللهم إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغنى، فإن رحمتك وسعت كل شىء، و أنا شىء فلتسعنى رحمتك يا أرحم الراحمين». و كان رحمه الله يقول: «اللهم إنى أعطتكم فى أحب الأشياء إليكم و هو التوحيد و لم أعصك فى أبغض الأشياء إليكم و هو الشرك، فاعفرو لى ما بينهما».

و كان يدعو: «اللهم رضنى بقضائك، و بارك لى فى قدرك حتى لا أحب تعجيل شىء آخرته، و لا تأخير شىء عجلته».

خطب الناس فقال: «أحمد الله و أثنى عليه» ثم قال: «أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا، و لم تتركوا سدى، و إن لكم معادا يحكم الله بينكم فيه، فخاب و خسر من خرج من رحمه الله التى وسعت كل شىء و حرم جنه عرضها السموات و الأرض، و اعلموا أن الأمان غدا لمن يخاف اليوم و باع قليلا بكثير و فانيا بباق، ثم إنكم فى كل يوم تشيعون غاديا و رائحا إلى الله قد قضى نجه و بلغ أجله، ثم تغيبونه فى صدع من الأرض ثم تدعون غير موسى و لا ممد، قد خلج الأسباب، و فارق الأحباب، و سكن التراب، و واجه الحساب، غنيا عما ترك، فقيرا إلى ما قدم، و ايم الله إنى لأقول لكم هذه القالة و ما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى، فاستغفر

الله لى و لكم و ما تبلغنا حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سدناها، و لا أحد منكم إلا وددت أن يده مع يدي حتى يستوى عيشنا و عيشكم...» ثم بكى فتلقى دموع عينيه بردائه و نزل. و كانت هذه آخر خطبة له فى السنة الأولى الهجرية بعد المائة.

و تضاربت الأقوال فى موت عمر: فليل إن بنى أمية عاجلوه، لأنه لا يعهد بعهد إلا لمن يصلح الأمر، و قيل إن مولاة دس له سما فى طعام أو شراب لقاء ألف دينار فمرض و أخبر أنه مسموم، ثم استدعى مولاة و قال له «ما حملك على ما صنعت؟» قال: «ألف دينار» فقال: «هاتها»، فأحضرها و وضعها عمر فى بيت المال و قال لمولاة: «اذهب فلا يراك أحد».

قال سفيان الثورى: الخلفاء خمسة: «أبو بكر و عمر و عثمان و على و عمر بن عبد العزيز، رضى الله عنهم».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٨٠

كان عمر رحمه الله غضيض الطرف، جوادا بماله، بخيلا-بدينه، ما كان مزاحا، و لا عيانا، و لا بهاتا، و لا مغتابا، كان العالم الورع، الزاهد الخاشع، الدين اللين، السهل القريب، الذى ملأ الأرض عدلا، و كانت الآخرة عنده فى كفة و الدنيا فى كفة يأخذ من هذه لتلك و يزرع فى دنياه ما يجنيه فى أخراه، رضى الله عنه و أرضاه. انتهى من كتاب المطالعة الوافية.

### ترجمة عطاء ابن أبي رباح

كثيرا ما يأتى اسم «عطاء» فى تاريخ الأزرقى و فى غيره، و كثيرا ما ينقلون عنه مسائل شتى مهمة. فلا بد للقارئ أن يعرف عنه شيئا، و لقد بحثنا عن ترجمته حتى اهتدينا لكتابه ما يأتى:

جاء فى كتاب «خلاصة تذهيب الكمال فى أسماء الرجال» عنه ما نصه:

(ع) عطاء بن أبي رباح القرشى مولاهم أبو محمد الجندى اليمانى نزىل مكة و أحد الفقهاء و الأئمة، عن عثمان و عتاب بن أسيد مرسلا، و عن أسامة بن زيد و عائشة و أبي هريرة و أم سلمة و عروة بن الزبير و طائفة، و عنه أيوب و حبيب بن أبى ثابت و جعفر بن محمد و جرير بن حازم و خلق.

قال ابن سعد: كان ثقة عالما كثير الحديث، انتهت إليه الفتوى بمكة، و قال أبو حنيفة: ما لقيت أفضل من عطاء، و قال ابن عباس و قد سئل عن شىء: يا أهل مكة تجتمعون على و عندكم عطاء؟ و قيل: إنه حج أكثر من سبعين حجة، قال حماد بن سلمة حججت سنة مات عطاء سنة أربع عشرة و مائة. انتهى من الكتاب المذكور.

قال ابن خلكان فى كتابه «وفيات الأعيان» عند ترجمة عطاء بن أبى رباح ما خلاصته: كان عطاء من أجلاء الفقهاء و تابعى مكة و زهادها، سمع جابر بن عبد الله الأنصارى و عبد الله بن عباس و عبد الله بن الزبير و خلقا كثيرا من الصحابة رضوان الله عليهم، و روى عنه عمرو بن دينار، و الزهرى و قتادة و مالك ابن دينار و الأعمش و الأوزاعى و خلق كثير، رحمهم الله تعالى و إليه و إلى مجاهد انتهت فتوى مكة فى زمانهما.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٨١

قال قتادة: أعلم الناس بالمناسك عطاء، و قال إبراهيم بن عمرو بن كيسان:

أذكرهم فى زمان بنى أمية يأمرؤن فى الحج صائحا يصيح لا يفتى الناس إلا عطاء بن أبى رباح. توفى سنة خمس عشرة و مائة، و قيل أربع عشرة و مائة و عمره ثمان و ثمانون سنة رضى الله عنه، قال ابن أبى ليلى: حج عطاء سبعين حجة و عاش مائة سنة، و الله تعالى أعلم. انتهى ملخصا من الكتاب المذكور.

### ترجمة جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه

جاء في الجزء السادس من شرح زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم عن ترجمة جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه عند حديث «لا يدخل الجنة قاطع رحم» ما يأتى:

و أما راوى الحديث فهو جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشى النوفلى، و أمه أم حبيب بنت سعيد، و قيل أم جميل بنت سعيد بن عبد الله بن أبى قيس من بنى عامر ابن لؤى. كان من أكابر قريش و علماء النسب، قال ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة: كان جبير بن مطعم من أنسب قريش لقريش و للعرب قاطبة و كان يقول إنما أخذت النسب عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه، و كان أبو بكر من أنسب العرب.

قدم جبير بن مطعم على رسول الله صلى الله عليه و سلم فى فداء أسارى بدر فسمعه يقرأ سورة الطور قال: فكان ذلك أول ما دخل الإيمان فى قلبى. روى ذلك البخارى فى صحيحه و قال له النبى صلى الله عليه و سلم: لو كان أبوك حيا و كلمنى فيهم لو هبتهم له، و روى عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتيت النبى صلى الله عليه و سلم لأكلمه فى أسارى بدر فوافقته و هو يصلى بأصحابه المغرب أو العشاء فسمعتة و هو يقرأ و قد خرج صوته من المسجد «إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع» قال: فكأنما صدع قلبى، و بعض أصحاب الزهرى يقول عنه فى هذا الخبر:

فسمعتة يقرأ أم خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أم هُمْ الْخَالِقُونَ \* أم خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ فكاد قلبى يطير، فلما فرغ من صلاته كلمته فى أسارى بدر فقال: لو كان الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم شفعا، و قال بعضهم فيه: لو أن أباك كان حيا أو لو أن المطعم بن عدى كان حيا ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى لأطلقتهم له، قال: و كانت له عند رسول الله صلى الله عليه و سلم يد، أى للمطعم بن عدى التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٨٢

والد جبير، و إنما كان هذا القول من رسول الله عليه الصلاة و السلام فى المطعم بن عدى لأنه الذى كان أجاز رسول الله صلى الله عليه و سلم حين قدم من الطائف من دعاء ثقيف، و كان أحد الذين قاموا فى شأن الصحيفة التى كتبها قريش على بنى هاشم.

و قد أسلم جبير بن مطعم بين الحديبية و الفتح و قيل فى الفتح، و قال البغوى:

أسلم قبل فتح مكة و مات فى خلافة معاوية، و كان حليما وقورا عارفا بالنسب، و قد ذكر ابن إسحاق أن النبى صلى الله عليه و سلم أعطاه مائة من الإبل، و كان من حلما قريش و ساداتهم و كان يكنى أبا محمد و قيل أبا عدى و ذكره بعضهم فى المؤلفة قلوبهم و فيمن حسن إسلامه منهم. و يقال إنه أول من لبس طيلسانا بالمدينة و له ستون حديثا اتفق البخارى و مسلم على ستة منها، و انفرد البخارى بحديث و مسلم بآخر، و روى عنه من الصحابة سليمان بن صرد و عبد الرحمن بن أزهر، و روى عنه ابنه محمد و نافع و ابن المسيب و طائفة، و قد روى عنه ابن المسيب أنه أتى النبى صلى الله عليه و آله و سلم هو و عثمان فسألاه أن يقسم لهم كما قسم لبنى هاشم و المطلب، و قالوا: إن قرابتنا واحدة أى أن هاشما و المطلب و نوفلا جد جبير و عبد شمس جد عثمان أخوة فأبى و قال إنما بنو هاشم و بنو المطلب شىء واحد اه.

و قد مات جبير بن مطعم رضى الله عنه بالمدينة سنة سبع و خمسين، و قيل سنة ثمان أو تسع و خمسين فى خلافة معاوية، و كانت وفاة والده المطعم بن عدى فى صفر سنة اثنتين من الهجرة قبل بدر بنحو سبعة أشهر كما قال الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب، و بالله تعالى التوفيق. و هو الهادى إلى سواء الطريق.

انتهى من كتاب زاد المسلم من الجزء السادس.

### ترجمة عبد الله ابن عامر بن كريز

ذكر المؤرخون: أن عبد الله بن عامر بن كريز جمع عام حجة العيون و صرفها فى عين واحدة، و هو أول من اتخذ الحياض بعرفات، و أجرى إليها ماء العين، و أنشأ حوائط أى بساتين، و كان لعبد الله بن عامر بساتين بجهة عرنة بقرب مسجد إبراهيم المسمى بمسجد

عرنة.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٨٣

و بأجساد بمكة شعب ينسب لعبد الله بن عامر بن كرز، و بهذا الشعب وضع تبع خيله حين قدم مكة، و كانت مطابخه فى شعب عبد الله بن عامر كما أنه وضع سلاحه بقعيقعان، و ليس معنى هذا أن ابن عامر كان قبل تبع بل بالعكس.

### قصة ثروة عبد الله بن جدعان

جاء فى «تاريخ الخميس» عن قصته ما يأتى:

و أما سبب ثروة عبد الله بن جدعان فإنه كان فى ابتداء أمره صعلوكا ترب اليدىن، و كان مع ذلك شريرا فاتكا لا يزال يجنى الجنايات فيعقل عنه أبوه و قومه حتى أبغضته عشيرته و نفاه أبوه و حلف أن لا يؤويه أبدا، فخرج فى شعاب مكة حائرا ماثرا يتمنى الموت أن ينزل به فرأى شقا فى جبل فظن أن فيه حية فتعرض للشق يرجو أن يكون فيه ما يقتله فيستريح فلم ير شيئا فدخل فيه، فإذا فيه ثعبان عظيم له عينان يتقدان كالسراج فحمل عليه الثعبان فتقدم فأفرج إليه فانساب إليه مستديرا بداره عند بيت ثم خطا خطوة أخرى فصفر به الثعبان فأقبل إليه كالسهم فأفرج له فانساب عنه فوقف ينظر و يتفكر فى أمره، فوقع فى نفسه أنه مصنوع فأمسكه بيده فإذا هو مصنوع من ذهب و عيناها ياقوتتان. فكسره و أخذ عينيه و دخل البيت، فإذا جث طوال على سرير لم ير مثلهم طولاً و لا عظما، و عند رؤوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم، فإذا هم رجال من ملوك حمير و آخريهم موتا الحارث بن مضاى صاحب العذبة الطويلة، فإذا عليهم ثياب من وشى لا يمس منها شىء إلا انثر كالهباء من طول الزمان مكتوب فى اللوح عطات.

قال ابن هشام: كان اللوح من رخام و كان فيه أنا نفيلىة بن عبد المدان بن حشرم بن عبد يا ليل بن جرهم بن قحطان بن نبي الله هود، عشت خمسمائة عام و قطعت غور الأرض باطنها و ظاهرها فى طلب الثروة و المجد و الملك، فلم يكن ذلك ينجينى من الموت و ذا فى وسط البيت كوم عظيم من الياقوت و اللؤلؤ و الذهب و الفضة و الزبرجد، فأخذ منه ما أخذ ثم علم الشق بعلامه و أغلق بابه بالحجارة، و أرسل إلى أبيه بالمال الذى خرج به منه يسترضيه و يستعطفه. و وصل عشيرته كلهم فسادهم، و جعل ينفق من ذلك الكتز و يطعم الناس و يفعل المعروف، و كانت جفنه يأكل منها الراكب على البعير، و سقط فيها صبي فغرق و مات.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٨٤

و من غريب الحديث لابن قتيبة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: كنت أستظل بجفنه عبد الله بن جدعان صكة عمى، يعنى فى الهاجرة، و سميت الهاجرة صكة عمى لخبر ذكره أبو خسفة، و هو أن عميا رجل من عدوان و قيل من إباد و كان فقيه العرب فى الجاهلية فقدم فى قوم معتمرا أو حاجا فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه و هم فى وسط الظهرية: من أتى مكة غدا فى مثل هذا الوقت كانت له أجر عمرتين، فصكوا الإبل صكة شديدة حتى أتوا مكة من الغد، و عمى تصغير أعمى على الترخيم و حذف الزائدة، فسميت الظهرية صكة عمى و عبد الله بن جدعان تيمى، يكنى أبا زهير و هو ابن عم عائشة أم المؤمنين، قالت عائشة رضى الله عنها: يا رسول الله إنه كان يطعم الطعام، و يقرى الضيف، و يفعل المعروف، هل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ قال صلى الله عليه و سلم: إنه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين، كذا قاله السهيلي فى الروض الأنف.

و فى كتاب رى العاطش و أنس الواحش، لأحمد بن عمار، أن ابن جدعان ممن حرّم الخمر فى الجاهلية بعد أن كان بها مغرى، و ذلك أنه سكر ليلة فصار يمد يده و يقبض على ضوء القمر ليأخذه فضحك منه جلساؤه، فأخبر بذلك حين صحا فحلف أن لا يشربها أبدا. فلما كبر و هرم أراد بنو تيم أن يمنعه من تبذير ماله و لاموه فى العطاء فكان يدعو الرجل فيدنو فإذا دنا منه لطمه لطمه خفيفة ثم يقول له: قم فانشد لطمتك و اطلب ديتها، فإذا فعل ذلك أعطته بنو تيم من مال ابن جدعان كذا فى حياة الحيوان. انتهى من تاريخ الخميس.

## ترجمة شيخنا الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي

هو شيخنا العلامة المحدث الشهير الشيخ محمد حبيب الله بن ما يأبى الشنقيطي الجكنى مؤلف كتاب «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم»، و إننا نكتب ترجمته هنا بمناسبة ما نقلنا عنه بعض الأبحاث فى كتابنا هذا فنقول و بالله العون و التوفيق:  
ولد شيخنا المذكور رحمه الله تعالى سنة (١٢٩٥) خمس و تسعين و مائتين و ألف من الهجرة فى بلاد شنقيط فحفظ القرآن الكريم و تعلم رسمه و تجويده، و أتقن علم القراءات خصوصا قراءة نافع، ثم أقبل على فقه مذهب مالك و غيره التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٨٥

من الفنون و العلوم حتى صار متبحرا فى كل علم و فن، و اشتهر أخيرا بفن التفسير و الحديث. و لقد هاجر شيخنا من بلاده مع أخيه العلامة المتبحر الشيخ محمد الخضر، الذى كان مفتيا بالمدينة المنورة، يلاحظ سبل العربات لعدم التشويش عندما دخلتها الحكومة الفرنسية، فوصلوا مراكش و فاس فاشتغل هناك بقراءة علم المنطق، و درس علم الحديث و الأصول مع الإقبال على التأليف ما بين منظوم و مثنو.

ثم حصل بينه و بين سلطان المغرب فى ذلك الوقت السلطان عبد الحفيظ معرفة و صحبة فطلب منه السلطان الإقامة معه ببلدة طنجة، رغبة فى أخذ العلم عنه فأقام بها مدة، ثم هاجر منها إلى المدينة المنورة فتوطنها، ثم إن السلطان المذكور قدم إلى الحجاز للحج سنة (١٣٣١) هجرية فرافقه شيخنا فى حجه و زيارته، ثم سافر معه إلى القدس و الخليل، ثم رجع السلطان و بقى شيخنا بعد ذلك فى المدينة المنورة عدة سنين، ثم حضر إلى مكة المشرفة و أقام بها سنين عديدة يدرس بالمسجد الحرام.

ثم إنه فى عام (١٣٤٤) أربع و أربعين و ثلاثمائة بعد الألف، انتقل من مكة المكرمة إلى مصر القاهرة، فتعرف عليه الناس و صاروا يقصدونه من جميع الطبقات العلماء و غير العلماء، ثم انتخب مدرسا بالأزهر الشريف، بكلية أصول الدين و بمسجد سيدنا الحسين، فكان مدرسا بهما إلى أن توفى بمصر فى اليوم الثامن من شهر صفر سنة (١٣٦٣) ثلاث و ستين و ثلاثمائة و ألف، رحمه الله رحمة واسعة.

و لقد كان شيخنا المذكور معتكفا فى تأليف الكتب النافعة فمن مؤلفاته ما يأتى:

(١) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم. و قد شرحه شرحا وافيا مع تخريجه لجميع الأحاديث الواردة فيه، و عدد أحاديث هذا الكتاب (١٣٦٨) حديثا، متصله الإسناد اتفق عليها البخارى و مسلم فى صحيحهما، فىكون هذا الكتاب هو أصح كتاب فى الحديث يوجد اليوم.

و سنتكلم عن هذا الكتاب أيضا فى آخر كلامنا هنا قبل الشروع فى تأليفه.

(٢) دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك، و هو منظوم.

(٣) هداية المغيث فى أمراء المؤمنين فى الحديث.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٨٦

(٤) الجواب المقنع المحرر فى أخبار عيسى و المهدي المنتظر.

(٥) الخلاصة النافعة العلية المؤيدة بحديث الرحمة المسلسل بالأولية.

(٦) إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام.

(٧) شرح منظومة الشيخ عبد العزيز الزمزمى المكي فى علوم التفسير.

(٨) إبراز الدر المصون على الجوهر المكنون.

(٩) السبك البديع المحكم فى شرح نظم السلم.

(١٠) أنوار النفحات في شرح نظم الورقات.

(١١) شرح منظومة خاله محمد بن أحمد، في علم السيرة.

إلى غير ذلك من المؤلفات النافعة.

و كان أول معرفتي بشيخنا المذكور رحمه الله تعالى بعد قدومه من مكة إلى مصر القاهرة بعام واحد أي في سنة (١٣٤٥ هـ) حصلت المعرفة بيننا، ثم قرأت عليه بعض العلوم، ثم اشتدت الألفة بيننا إلى درجة أنه اتخذني كولدته، فكنت معه في بيته غالب الأوقات، و لم يكن له أولاد سوى بنت واحدة فقط في تلك الأيام لا تتجاوز السادسة من عمرها.

و هنا أسوق قصة تأليفه كتابه العظيم «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري و مسلم» فإنه قبل أن يبدأ في تأليفه طلبني في بيته فقال لي: يا محمد طاهر إنني نويت أن أولف كتابا في الحديث بشرط أن يتفق عليه البخاري و مسلم، فيكون أصح كتاب في الحديث، و أحب أن تساعدني في إخراج هذا الكتاب بالكتابة و المراجعة، فباركت له نيته و وضعت نفسي تحت أمره و خدمته حتى أتم رحمه الله تعالى «متن كتابه المذكور» أي أتممتنا جمع الأحاديث التي اتفق عليهما الشخان.

ثم قال لي: إنني أحب أن أضع عليه شرحا موجزا مختصرا، و أنت الذي تكتب لي هذا الشرح، فوافقته على ذلك، و اشتغلت معه بالكتابة و المراجعة، و كنت آخذ ما أكتبه له بعد المراجعة و التصحيح إلى المطبعة لطبعه أولا فأولا كلما أتممتنا شيئا سلمناه للمطبعة، و هي «مطبعة دار إحياء الكتب العربية» لأصحابها عيسى البابي الحلبي و شركاه بمصر القاهرة إلى أن تم الجزء الأول و الجزء الثاني و شيئا من الجزء الثالث. ثم إنني نويت الرجوع إلى مكة المشرفة، فقد طالت غيبتى عنها، فقد مضى عليّ و أنا بمصر ثماني سنوات متتالية، فلما عزمتم عزا ما أكيدا على السفر صعب على شيخنا المذكور فراقى، فسافرت سنة (١٣٤٨)، و بعد سفري

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٨٧

توسع في شرحه لكتابه المذكور حتى جعله في ستة أجزاء و قد كان تمام تأليفه و تمام طبعه في أواخر شهر جمادى الأولى سنة (١٣٥٩) تسع و خمسين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة. و بعد إتمامه أرسل إليّ و أنا بمكة جميع الأجزاء تامة كاملة هدية منه. فرحمه الله رحمة واسعة و جزاه على الإسلام و المسلمين خير الجزاء آمين.

و لقد كان رحمه الله تعالى على فقره سخيا كريما، يقصده الناس خصوصا من أهل شنقيط، فكان بيته مفتوحا على الدوام، و كان يسعى في قضاء حوائج الغرباء، و كان يحب الصالحين و أهل العلم، و كان مستقيما جدا لا يترك التهجد ليلا، يمثل العلماء العاملين، و كان له الباع الطويل في الشعر، فكم من الأبحاث العلمية و الفصول نظمها في قصائد فريدة بل له مؤلفات بالنظم.

هذا و من لطائف ما وقع بيننا و كنت موضع سره يأتيني في جميع أموره: أنه وقع في نفسه يوما أن يتزوج مصرية على زوجته الشنقيطية التي أتت معه إلى مصر، و له منها بنت فقط، فأخبرني بما في نفسه فلم أستحسن ذلك منه، و كنت معه إذ ذاك في بيته، ثم إنني بعد يومين سافرت من القاهرة إلى الإسكندرية لأقيم بها مدة طويلة، و يريد الله أن أكتب له خطابا بالبريد، و كررت له أني لا أشير عليه بالزواج على زوجته التي معه، و أثبتت عليها كثيرا، و بالأمر المقدر وقع هذا الخطاب في يد زوجته فاطلت عليه «و كانت قارئه كاتبه» فقامت بينهما مشاجرة و مخاصمة على ذلك، و إذا الشيخ رحمه الله يكتب لي جوابا مملوءا بالعتاب و الغضب و يقول: أنت السبب في كل ما وقع بيني و بين زوجتي.

و بينما أنا أهم برد الجواب و الاعتذار منه و أخذ رضائه، إذا بجواب آخر منه يأتيني و قد وضع في داخله نقودا هدية منه إليّ إرضاء لي و يقول: إن زوجتي عرفت بأنني كتبت إليك في حالة الغضب، فأمرتني أن أتحنك بهدية و نطلب منك أن تبادر بالحضور إلينا في القاهرة في أسرع وقت لتقيم عندنا ثلاثة أيام، ثم ترجع إلى الإسكندرية. فسررت من ذلك جدا و ذهبت لزيارته و ضحكنا مما وقع. كانت هذه الحكاية في سفري من الحجاز إلى مصر للمرة الثانية، أي في سنة (١٣٥٤) هجرية. ثم رجعت في السنة التي بعدها إلى مكة شرفها الله تعالى، و بلغني أن زوجة الشيخ توفيت إلى رحمة الله تعالى و تركت له بنتا واحدة فقط، و أن الشيخ قد تزوج بعدها

بمصرية، وبلغنى أنه رزق منها بولد فقط، ثم توفى الشيخ بعد أن زوج ابنته فى التاريخ الذى ذكرناه آنفا، رحمهما الله تعالى و عفا عنا وعنهما.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٨٨

ذكرنا هذه الحكايات عن شيخنا المذكور بيانا لفضله، و للذكرى و الترحم عليه «و الذكريات صدى السنين الحاكي» فإن ألد أيام حياتنا ما قضيناها بمصر حول الأزهر الشريف مع الطلبة الأبرار و العلماء الأخيار. فتلك أيام الخير و البركة و أيام السعد و الهناء و كان الرخص ضاربا أطنا به حول جميع البلدان.

نسأل الله الكريم الحليم أن يجعل ما بقى من حياتنا فى هناء و سعادة و توفيق للخير و العبادة مقرونا بالصحة و العافية إنه سميع مجيب و بعباده لطيف خبير.

### ترجمة صاحب كتاب تاريخ الخميس

مؤلف كتاب «تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس» هو العالم العلامة الشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى الكردى. لم نبعث عن ترجمته حتى نكتب عنه كثيرا، و إنما نكتب هذه الأسطر استنباطا من كتابه المذكور.

يؤخذ من كتابه أنه كان عالما علامة و مؤرخا بحاته، إذا كتب عن مسألة استوفى الكلام عنها أو ذكر مبحثا تاريخيا أشبعه تحقيقا من جميع الوجوه، لذلك كان كتابه المذكور «تاريخ الخميس» من الكتب المهمة المعتمدة أتى فيه بشيء كثير من الفوائد و الفرائد. و قد ذكر أحوال العالم من بدء التكوين و أتى من سيرة النبى صلى الله عليه و سلم بما يشفى الغليل. استخلص تاريخه من شتى كتب التفسير و الحديث و التاريخ و الأدب كما صرح بذلك فى المقدمة مع بيان أسماء الكتب القيمة التى نقل عنها و تبلغ نحو مائة و عشرين كتابا. و قد طبع كتابه المذكور مرتين، و هو يقع فى جزءين كبيرين، و تاريخه اليوم نادر الوجود.

لم نقف على تاريخ ولادته و وفاته، و لكنه كان موجودا فى سنة تسعمائة و إحدى و ثلاثين من الهجرة، حيث إنه قام بنفسه بذرع أركان الكعبة و عرض الملتزم و الشاذروان و حجر إسماعيل، و ذلك فى السنة المذكورة كما هو صريح كلامه. و من هنا نستدل أنه جاء إلى مكة لكن لا ندرى هل جاء إليها حاجا أو مقيما، ثم رأينا فى تاريخه المذكور بصحيفة ١٢٦ من الجزء الثانى أنه أتى إلى مكة للإقامة و المجاورة بها حبا فيها لما خصها الله تعالى من الفضائل.

و قد مدح تاريخه بعضهم فى أربعة عشر بيتا، منها قوله:

فى طبع حسن أسفرت أضواؤه عن حسن طبع للخميس الأوحده

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٨٩ سعة اطلاع مؤلف حبر لناث الحوادث بالحديث المسند

فكان مرآة الزمان أمامه رسمت أشعة ذهنه المتوقد

فأتى بتاريخ العصور مرتبالقديمها بالسبق و المتجدد ... إلخ

رحمه الله تعالى رحمة واسعة و أحسن جزاءه آمين.

### ترجمة العلامة تقي الدين الفاسى المكى صاحب شفاء الغرام

هو العلامة المؤرخ الشهير أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن على الفاسى المكى المالكى، ولد بمكة ليلة الجمعة عشرين من ربيع الأول سنة (٧٧٥) خمس و سبعين و سبعمائة. نشأ بمكة و قرأ على علمائها و عنى بالحديث، و قد أجازته كثير من العلماء الأعلام، كالعلامة قاضى مكة جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيره القرشى،

و العلامة جده لأمه قاضى مكة و خطيبها محمد بن أحمد النويرى الشافعى، و العلامة ابن جده لأمه أى خاله قاضى الحرمين محب الدين النويرى، و العلامة أبو المعالى عبد الله بن عمر الصوفى،  
و العلامة قاضى اليمن مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى الفيروز آبادى صاحب القاموس المحيط،  
و العلامة المفتى كمال الدين محمد الدميرى المصرى،  
و العلامة إبراهيم بن محمد الدمشقى الصوفى المعروف بالبرهان،  
و الإمام المؤرخ الشهير ابن خلدون صاحب المقدمة. و غيرهم رحمهم الله تعالى جميعا.  
و قد كان الفاسى قاضى قضاء المالكية بمكة المشرفة، و كان يدرس الفقه و الحديث و التفسير و غيرها. و للفاسى جملة مؤلفات، منها:

- ١- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، و قد طبع لأول مرة سنة (١٣٧٦) هجرية.
  - ٢- تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام، و يسمى أيضا «تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام» و هو مختصر كتابه شفاء الغرام.
  - ٣- التاريخ الكبير المسمى ب «العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين».
  - التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٩٠
  - ٤- هادى ذوى الأفهام إلى تاريخ البلد الحرام، و هو مختصر كتابه تحفة الكرام.
  - ٥- الزهور المقتطفة فى تاريخ مكة المشرفة، و هو مختصر كتابه هادى ذوى الأفهام.
  - ٦- عجاله القرى للراغب فى تاريخ أم القرى.
  - ٧- الجواهر السنية فى السيرة النبوية.
- توفى الفاسى ليلة الأربعاء ثالث و عشرين من شوال سنة (٨٣٢) اثنتين و ثلاثين و ثمانمائة بمكة المكرمة رحمه الله تعالى.

### ترجمة العلامة قطب الدين الحنفى

هو الإمام العلامة قطب الدين بن علاء الدين النهروالى المكى الحنفى، و النهروالى «باللام» نسبة لنهرواله بلدة فى توابع كجرات الهند، أما نهروان «بالنون» فهو كورة واسعة بين بغداد و واسط و النسبة إليها نهروانى.  
كان صاحب الترجمة رحمه الله تعالى عالما فاضلا يدرّس بالمسجد الحرام الفقه و التفسير و سائر العلوم، و كان بليغا فصيحاً، لذلك كان يكتب الإنشاء لأشراف مكة، و كان له منزلة عند الأتراك فلا يحج أحد من كبرائهم إلا و هو يطوف به و لا يرتضون بغيره، و كانوا يعطونه العطاء الواسع، و كان رحمه الله تعالى سخيا كريما كثير التزوهات فى البساتين، و كثيرا ما كان يخرج إلى الطائف «مصيف مكة»، و كان يستصحب معه جماعة من العلماء و الأدباء و يقوم بكفائتهم.  
و للإمام القطبى تاريخه الشهير المسمى «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» فى تاريخ مكة المشرفة، و كتابه المسمى «البرق اليمانى فى الفتح العثمانى» و قد توفى المذكور فى سنة (٩٨٨) ثمان و ثمانين و تسعمائة، و قيل توفى فى السادس و العشرين من ربيع الثانى سنة (٩٩٠) تسعين و تسعمائة. غفر الله لنا و له.

انتهى من المقدمة التى كتبها فى تاريخه المذكور عند طبعه العلامة الجليل صديقنا العزيز السيد محمد أمين كتيبى المكى أطل الله حياته و أدام عليه رضاه و توفيقه.

و قال الغازى فى ترجمة القطبى صاحب تاريخ مكة المسمى «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» ما يأتى:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٩١

هو العلامة الفاضل مفتى مكة الشيخ قطب الدين الحنفى المكى النهروالى، نسبة إلى نهرواله من أعمال الهند، كان من الأعيان



المذكورين و الفضلاء المشهورين، مجللاً محترماً، له تواليف في عدة فنون، منها: تأليفه الجامع في علم الحديث جمع الكتب الستة بأحسن جمع و أشمل ترتيب و تهذيب، و منها: طبقات الحنفية في أربع مجلدات، و منها: تاريخ مكة المسمى ب «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام». و كان يعرف الألسنة الكثيرة و يتكلم بها، و ينظم نظماً بليغاً و ينشئ إنشاءً حسناً، و من شعره هذه القصيدة، كما في وفيات الأَكابر:

سيف الحجى عند اهتزاز النوائب تقلدت فاستغنيت عن كل قاضب  
و جردت من رأسى الشديد عزائماً أفل بها حد السيوف القواضب  
ولى هممة أسمو بصارم عزمها إذا السيف أعبى فى صدور الكتائب  
و ما فاتنى فضل أردت اقتناءه على و ما عزت صعاب المطالب  
و كم خطب العلياء غيرى و لم ينل و نلت لأنى كنت أكرم خاطب  
و لو شئت أدنت لى رقاب كثيرة و لكن رأيت الدهر أغدر صاحب  
فما الدهر إلا مقبل إثر ساعه و لا العمر مع طول المدى غير ناهب  
و ما الناس إلا حاسد و معاندو ما الدهر إلا راجع فى المواهب  
و ما شاد بنیان العلى متهورو لا ساد من لم يفتكر فى العواقب  
أخالط أخوان الزمان بعقلهم لأنظر ما بيدى به من عجائب  
و أظهر أنى مثلهم تستميلنى عذاب الثنايا سود شعر الذوائب  
و إن أليم الهجر مما يسوءنى و إن لذيد الوصل أسنى ما ربى  
و ما علموا أن الهوى دون رتبتى و أن مقامى فوقه بمراتب  
ألا فى سبيل المجد قوم عهدتهم يرون اكتساب الفضل أزرى المكاسب  
و ما عندهم فضل سوى كثرة الغنى و لا المجد إلا أخذ بعض المناصب  
فضائلهم محشوة فى ثيابهم و أورادهم إتقان هز المناكب  
و من نظمه أيضا ما يأتى:

إلى متى يا عين هذا الرقادما آن أن تكتحلى بالسهاد  
تنهى من رقده و انظرى ما فات من خير على ذى الرقاد  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٩٢ يا أيها الغافل فى نومه قم لترى لطف الكريم الجواد  
مولاك يدعوك إلى بابه و أنت فى النوم شبيه الجواد  
و يبسط الكفين هل تائب من ذنبه و هل له من مراد  
و أنت من جنب إلى جانب تدور فى الفرش للين المهاد  
يدعوك مولاك إلى قربه و أنت تختار الجفا و البعاد  
ما هكذا التسوية فى غفلة ليس على العمر العزيز اعتماد  
لقد مضى ليل الصبا مسرعاً و سر صبح الشيب فود الفؤاد  
أفق فإن الله سبحانه رحمة عمت جميع العباد

توفى المذكور كما فى تاريخ الجنابى، عن نحو ثمانين سنة فى أوائل سنة تسعين و تسعمائة، و دفن بالمعلا. انتهى من تاريخ الغازى.  
فانظر رحمتنا الله تعالى و إياك إلى بلاغة الشيخ قطب الدين فى نظمه و إلى غزارة معانيه، و انظر إلى همته العليا و نزاهته التامة و عقله

الناصح و فكره الثاقب، و إن المتأمل في هاتين القصيدتين يعلم تمام العلم أن القطب رحمه الله تعالى كان من العلماء العاملين لا تستهويه الدنيا و لا تغره زخارفها.

اللهم رحمتك نرجو و عذابك نخاف، و ظننا بك حسن و أملنا فيك عظيم فانشر علينا سحائب رحمتك و رضائك و برك، و ابسط لنا بساط أنسك و نعمائك و خيراتك، و أغرقنا في بحار فضلك و إحسانك و عفوك و عافيتك، و ارزقنا من فضلك العميم رزقا حلالا و اسعا عظيما مقرونا بالتوفيق التام و عدم الطغيان، و استرنا بسترِكَ الذي لا ينكشف في الدنيا و الآخرة آمين. و صلى الله و سلم على محمد أبي القاسم الأمين و على آله و صحبه أجمعين.

### ترجمة أيوب صبري باشا صاحب كتاب مرآة الحرمين الذي باللغة التركية

و قد ألف كتابا عن تاريخ الحرمين الشريفين «مكة المكرمة و المدينة المنورة»، و هو يقع في مجلدين ضخمين باللغة التركية نعتقد أنه جمع فأوعى خصوصا من العمارات التي حصلت من قبل سلاطين الأتراك العثمانيين كما نعتقد أن إبراهيم التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٩٣

رفعت باشا المصري صاحب كتاب «مرآة الحرمين» الآتي ذكره نقل عن المذكور كثيرا لأنه كان يعرف اللغة التركية، و أنه ما سمي كتابه المذكور «مرآة الحرمين» إلا تقليدا له و خيرا ما فعل، فرحم الله تعالى الجميع و رحمنا معهم آمين.

هو اللواء البحري العثماني التركي أيوب صبري باشا رحمه الله تعالى لا ندري متى بدأ في تأليف كتابه المذكور «مرآة مكة و مرآة المدينة» و يسمى أيضا «مرآة الحرمين»، و لكن ذكر مؤلفه في آخر جزء الكتاب بصحيفة ١٣٤٣ ما يأتي:

فرغت من ترتيب هذا الكتاب بعون الله الملك الوهاب في اليوم المبارك الرابع و العشرين من ربيع الأول سنة تسع و تسعين و مائتين بعد الألف من أعوام صاحب أكمل الوصف، و حسبنا الله و نعم الوكيل، و صلى الله على سيدنا و سيد العالمين محمد و على آله و صحبه و على جميع الأنبياء و المرسلين و آل كل أجمعين، و الحمد لله رب العالمين.

و الظاهر و الله تعالى أعلم أن مؤلف الكتاب المذكور بعد أن فرغ من تأليفه في السنة المذكورة و هي سنة (١٢٩٩) شرع حالا في مباشرة طبعه بدليل أن الجزء الرابع من الكتاب ابتدئ في طبعه سنة (١٣٠١). و تم طبع هذا الجزء في السنة التي بعدها.

و الكتاب المذكور يقع في بضعة أجزاء كبار، و كان طبعه بالأستانة و لم نقف على ترجمة المؤلف و لا- عن سنة وفاته و هل له مؤلفات أخرى أم لا- و الحق يقال أنه كتاب فريد في بابيه، و حيد من نوعه، و هو مؤلف باللغة التركية، و مطبوع بنفس هذه اللغة بأحرف عربية لا بالحروف اللاتينية، و إنه لكتاب مشحون بالفوائد و المعلومات التاريخية الوثيقة، و حبذا لو ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية ثم يطبع و ينشر، لأنه كتاب خاص بتاريخ الحرمين فقط.

و نعتقد أن المرحوم إبراهيم رفعت باشا أخذ اسم هذا الكتاب و وضعه على كتابه «مرآة الحرمين» الذي ألفه باللغة العربية، لأنه أحيانا ينقل في كتابه عن هذا الكتاب، و لأنه ألف و طبع قبل كتابه، و لو أن المؤرخين في عصرنا كانوا يعرفون القراءة و الكتابة باللغة التركية لنقلوا من هذا الكتاب أبحاثا كثيرة و مواضيع شتى نافعة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٩٤

هذا و عندما انتهى أيوب صبري باشا من كتابه المذكور «مرآة الحرمين» بادر كثير من العلماء و الأدباء الأتراك في تقريظه و الثناء عليه باللغة التركية، ما عدا تقريظ واحد فهو باللغة العربية نظما بقلم الأديب الكبير «نجيب نادر أفندي» أحيينا نقله هنا و هو هذا:

طالما طالعت أطايب المطولات، و تفرست في أفخر المفصلات: قصد الوصول لأصدق التفاصيل متوقيا الوقوع بسقطات الأقاويل: حتى حان الحين و حلت الحان، ورق يراع مرآة الحرمين الرنان، و هتف هاتف التهليل بسبل السلسيل و خل الدخيل و واصل الأصيل، فافترت فرصة التفرس و استرقت ساعة التجسس فإذا بذوات الذوايل و منهومات النهي و ناعمات الأنامل يحتجب المحاسن حياء

يتوارين من أنوار المرأة الوراء، فراعتنى يراعتها و بهرتنى براعتها و قلت إن هذه:

تمثال أجيال مضت و سراة حلت محل الحال بعد فوات  
 صور من الأيام جسّمها النهى فبدت من الآثار فى مشكاة  
 فكأنها تمثال دهر قائم كى ينشر الماضى و يحيى الآتى  
 قامت معانيها لدينا صورة لتذكر الأحياء بالأموات  
 فأدر لحاظك فى حدائق طرسه و تغنّ من ذكراك بالنعمة  
 و انظر إلى كرة العوالم جمعت فى أسطر تجلى على اللحظات  
 و أجل بصيرتك الدقيقة بينما أمضى القضا فى المحو و الإثبات  
 و اسمع أحاديث الزمان و أهله فرب ذكر ضم بعد شتات  
 نبأ عظيم عن سبأ حكم أتى يغنيك عن بلقيس بالآيات  
 و محافل و جحافل ضاقت بها الأقطار و اجتمعت إلى ميقات  
 و مواكب و كتائب غص الفضاء منها و ها هى عرضة الخطرات  
 و قرون دهر طالما طالت بها أيامها و قصرن عن غايات  
 جمعت فحلت فى كتاب قيم كحلول روح الراح فى الوجنات  
 قامت صحائفه حدائق عبرة ماست غصون سطورها بسمات  
 نطقت عن الدنيا بفضل سكوتها فأقامت المعنى مقام الذات  
 لله أى يراعه و براعة جمعت به الأعمار فى هالات

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٩٥ ينبوع فضل فجرته حكمه فجرى بأكرم حاله و سمات

و بدا كبرهان جلى ساطع عن عصر من هو أس كل حياة  
 ذاك الذى آماله و شعاره نشر المعارف فى دجى و غداة  
 سلطان حق مالِك البرين و البحرين محى العدل بعد ممت  
 حامى حمى الحرمين ظل الله بل غازى الألداء رابع ...  
 (عبد الحميد) ابن المجيد ابن الأولى راياتهم تنجى من ...  
 سطعت أشعه عصره و تلالأت وسطت على شمس الضحى ...  
 لو قام قيصر مع بنى كسرى نعم سجدوا لما يوتيه قبل ...  
 خضعت له الأفلاك بل لعيده جاءت مناهى ...

قم صاح و استطلع صباحا رائقا و اعجب من المرقاة فى المرأة  
 مرآة نور الله زينتها التقى تحكى حمى الفردوس فى نعمة  
 أهدي بها الأيام (أيوب) فماتنك تشكر منه فيض هبات  
 شهيم جلى بكر العلوم و لم يزل بعوان كل ملائح و صفات  
 ملء الملا بعبير طيب ثنائه ملئت أفاصى البحر و الواحات  
 يشنى اليراع على معالى فكره و السيف يحمده على العزمات  
 و العلم يشهد أنه بحر له بر يجلى عوائد و صلوات

أفنى الليالي ليس يثنى عزمه عن نيل عين الخلد في الظلمات  
أحیی لنا الأعیان فی آثاره و لتلك أكبر حکمة و ثبات  
سبحان من أولاه ما هو أهله و یزیده فی رفعة الدرجات  
فلقد أفر عیون كل ذوی الحجاما بین ماض فی الزمان و آت  
و غدا له الحر (النجیب) مؤرخا «قد حصل الحرمین فی مرآت»  
انتهی التقریظ و الشطر الأخير فی الأبیات، هو تاریخ انتهاء طبع الجزء الرابع من الكتاب المذكور و هو یوافق سنة (١٣٠٢) هجرية.  
التاریخ القویم لمكة و بیت الله الکریم، ج ٣-٦، ص: ٢٩٦

### ترجمة مؤلف كتاب مرآة الحرمين إبراهيم رفعت باشا

نلخص هنا من ترجمته المذكورة في كتابه: «مرآة الحرمين» ما يتعرف به القارئ الكريم، و هو هذا:

هو إبراهيم بن الشريف سويفى التاجر بن عبد الجواد، ولد بمدينة أسيوط بمصر يوم ١٨ جمادى الأولى سنة (١٢٧٣) هجرية، و توفي والده فى السنة المذكورة و أمه حامل به و لما أدرك سن التمييز أدخلته أمه مكتبا ليتعلم القراءة و الكتابة فحفظ القرآن الكريم، و لما ظهرت نجابته أدخله بعض الوجهاء مدرسة أسيوط الأميرية الابتدائية فمكث بها ثلاث سنوات كان فيها مثال الجد و النشاط، ثم دخل المدرسة التجهيزية بالقاهرة سنة (١٢٩٠)، و لم يكد يتم بها نصف عام حتى اختبرته نظارة الحربية مع بعض المتقدمين ليكون من طلبة المدرسة الحربية، فمكث بها ثلاث سنوات منح فى آخرها رتبة الملازم الثانى، ثم أحيل الضابط إبراهيم رفعت مع كثير من الضباط إلى الاستيداع، ففى هذه المدة كان المذكور يتردد على الجامع الأزهر ماشيا على قدميه ليتلقى العلوم الدينية، ثم ألحق بعد مدة الاستيداع بفصيلىة الفرسان فى سوهاج، ثم نقل إلى القاهرة، ثم نقل منها إلى سواكن، ثم نقل إلى القاهرة، ثم انتقل إلى بعض الجهات مرارا و تعين فى كثير من الوظائف، و فى ١٢ رجب سنة (١٣١٨) ترقى إلى رتبة (القائمقام). و فى ٤ رمضان من السنة المذكورة عين رئيسا لحرس المحمل، ثم فى ١٥ شوال سنة (١٣١٩) منح رتبة (الميرالاي) ثم عين أميرا للحج فى الثلاث السنوات الآتية (١٣٢٠ و ١٣٢١ و ١٣٢٥) هجرية، ثم بعد إحالته للمعاش عين فى بعض الوظائف الهامة. و بالجملة فالمذكور كان عصاميا عالما فاضلا شجاعا كريم الأخلاق. و قد طبع فى حياته كتابه المذكور لأول مرة سنة (١٣٤٤) هجرية بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، و لم نعلم متى توفي المذكور و لكن نعتقد أنه بلغ الثمانين رحمه الله تعالى رحمه الأبرار و جزاه خيرا جزيلا بتأليفه هذا الكتاب القيم آمين.

انظر: صورة رقم ١٧. ٣، إبراهيم رفعت باشا بلحيته الجميلة و لباسه الرسمى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الکریم، ج ٣-٦، ص: ٢٩٧

### ترجمة الأستاذ محمد لبيب البتونى

الأستاذ محمد لبيب بك البتونى المصرى هو أستاذ عالم فاضل و منشئ كاتب بليغ، يحمل لقب «البكوية» لم نطلع على شىء من ترجمته فى مؤلفاته و لم يكتب عنه أحد لأنه من أهل عصرنا، و لا ندرى متى ولد و متى توفي، لكن نظن و الله تعالى أعلم بالغيب أنه توفي من بعد سنة (١٣٥٠) خمسين و ثلاثمائة و ألف هجرية.

و لا ندرى فى أى ديوان كان يشتغل بالقاهرة، و نظن أنه كان فى الديوان العالى لخدوى مصر «عباس باشا حلمى الثانى» بدليل أنه أصدر إرادته السنية بتعيين الأستاذ محمد لبيب فى السفر بمعينه إلى الأقطار الحجازية للحج كما هو مذكور فى كتابه «الرحلة الحجازية».

فسافر من مصر الأستاذ لبيب المذكور في معية عباس حلمي الثاني خديوي مصر في يوم ٢٩ ذى القعدة سنة (١٣٢٧) هجرية الموافق ١٢ ديسمبر سنة (١٩٠٩) ميلادية.

و بعد أداء فريضة الحج و زيارة المدينة المنورة رجعوا إلى مصر، و عندئذ قام الأستاذ محمد لبيب بك البتونى بتأليف كتابه القيم «الرحلة الحجازية» و قد طبعه مرتين. و كانت الطبعة الثانية سنة (١٣٢٩) هجرية بمطبعة الجمالية الكائنة بحارة الروم بمصر.

و تأليفه لهذا الكتاب كان قبل تأليف كتاب «مرآة الحرمين» لإبراهيم باشا رفعت بدليل أن هذا أحيانا ينقل من كتاب البتونى، و كان كلاهما صديقين و من البلاد المصرية و كتاب كل منهما يعد من أهم المراجع التاريخية للحرمين الشريفين.

و للأستاذ البتونى مؤلف آخر مطبوع اسمه «رحلة الأندلسى» و هو كتاب قيم فى تاريخ الأندلس و كانت رحلته إلى أسبانيا فى سنة (١٩٢٦) ميلادية و لا نعلم هل له مؤلفات أخرى أم لا، و نعتقد أنه لا يسلم من ذلك لما له من النشاط الأدبى.

و بالجملة فالأستاذ البتونى أستاذ عالم فاضل و أديب بليغ و مؤرخ محقق رحمه الله تعالى و جزاه عن خدماته العلمية خير الجزاء. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٩٨

### ترجمة ابن جبير صاحب الرحلة الشهيرة

جاء فى مقدمة رحلته المطبوعة لأول مرة بمصر ترجمة ابن جبير المذكور نقلا من كتاب «الإحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة» و من تاريخ مصر الكبير المقفى للشيخ تقى الدين أحمد المقرىزى، و من كتاب نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للشيخ أحمد المقرى. و قد جاءت ترجمته و ذكر بعض قصائده و أقواله الحكيمه فى ٢٥ صحيفة فى مقدمة رحلته منقولة عن هذه الكتب الثلاثة. و نحن نلخص هنا من تلك الصحائف نبذة صغيرة عن سيرته العطرة رحمه الله تعالى فنقول:

هو محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد الكنانى الأندلسى، كان عالما أديبا بارعا شاعرا مجيدا سنيا فاضلا صالحا زاهدا، نزيه الهمة، كريم الأخلاق. رحل من الأندلس إلى المشرق ثلاث مرات، و حج فى كل واحدة منها، خرج من غرناطة أول ساعة من يوم الخميس لثمان خلون من شوال سنة (٥٧٨) ثمان و سبعين و خمسمائة، ثم عاد إلى وطنه غرناطة لثمان بقين من محرم عام (٥٨١). و صنف رحلته المشهورة و هو كتاب أنيس ممتع، و لما شاع الخبر بفتح بيت المقدس على يد السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، قوى عزمه على الرحلة الثانية فتحرك إليها من غرناطة يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الأول من سنة (٥٨٥)، ثم آب إلى غرناطة يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة (٥٨٧). و سكن غرناطة ثم مالقة ثم سبتة ثم فاس، ثم رحل الثالثة من سبتة بعد موت زوجته عاتكة أم المجد بنت الوزير أبى جعفر الوقشى، و كان كلفه بها عظيما، فوصل مكة و جاور بها طويلا، ثم بيت المقدس ثم تحول إلى مصر ثم الإسكندرية، فأقام يحدث و يؤخذ عنه إلى أن لحق بربه و دفن بها فى التاسع و العشرين من شعبان سنة (٦١٤) أربع عشرة و ستمائة رحمه الله تعالى. و كان مولده ببلنسية سنة (٥٣٩) و قيل بشاطبة سنة (٥٤٠) هجرية.

و قد دخل ابن جبير المذكور الحرمين الشريفين و الشام و العراق و مصر و الجزيرة و بيت المقدس و غيرها، كان من علماء الأندلس بالفقه و الحديث و القراءات، و عنى بالأدب فبلغ الغاية فيه و تقدم فى صناعة القريض و الكتابة، و قد جرت بينه و بين

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٢٩٩

طائفة من أدياء عصره مخاطبات و مكاتبات ظهرت فيها براعته و إجادته، فنظمه لطيف فائق، و نثره بديع رائق، و رحلته نسيجة وحدها طارت كل مطار.

(و من تصانيفه): نظمه الذى سماه: «وجد الجوانح فى تأبين القرين الصالح» فى مراثى زوجته أم المجد، و كتاب: «نظم الجمان فى التشكى من إخوان الزمان»، و كتاب: «رحلته» الشهيرة، و له غير ذلك.

و إليك بعض قطع من نظمه (فمنها) حينما وصل مكة المشرفة سنة (٥٧٩) يخاطب نفسه:

بلغت المنى و حللت الحرم فعاد شبابك بعد الهرم  
فأهلا بمكة أهلا بهاو شكرا لمن شكره يلتزم  
و هي طويلة و منها:

قد أحدث الناس أمورا فلاتعمل بها إنى امرؤ ناصح  
فما جماع الخير إلا الذى كان عليه السلف الصالح  
و منها قصيدة جاء فى آخرها:

و شاهدت فى الأسفار كل عجيبة فلم أر من قد نال جدا بجده  
فكن ذا اقتصاد فى أمورك كلها فأحسن أحوال الفتى حسن قصده  
و ما يحرم الإنسان رزقا لعجزه كما لا ينال الرزق يوما بكده  
حظوظ الفتى من شقوة و سعادة جرت بقضاء لا سبيل لرده  
و منها:

لى صديق خسرت فيه و دادى حين صارت سلامتى منه ربحا  
حسن القول سىء الفعل كالجزأرسى و أتبع القول ذبحا  
و منها:

يا وحشة الإسلام من فرقة شاغلة أنفسها بالسفه  
قد نبذت دين الهدى خلفها و ادعت الحكمة و الفلسفه

و منها مشيرا إلى المساجد الثلاث المسجدين الحرامين و بيت المقدس، و قد قاله فى أول رحلته:

طال شوقى إلى بقاء ثلاث لا تشد الرحال إلا إليها  
إن للنفس فى سماء الأمانى طائر لا يحوم إلا عليها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٠٠ قصص منه الجناح فهو مهيب كل يوم يرجو الوقوع لديها  
و منها:

إذا بلغ امرؤ أرض الحجاز فقد نال أفضل ما أمّ له  
و إن زار قبر نبى الهدى فقد أكمل الله ما أمّله  
و منها:

هنيئا لمن حج بيت الهدى و حطّ عن النفس أوزارها  
و إن السعادة مضمونة لمن حج طيبة أو زارها  
و قال لما رأى البيت الحرام زاده الله شرفا:

بدت لى أعلام بيت الهدى بمكة و النور باد عليه  
فأحرمت شوقا له بالهوى و أهديت قلبى هديا إليه  
و قال فى تفضيل المشرق:

لا يستوى شرق البلاد و غربها الشرق حاز الفضل باستحقاق  
أنظر لعين الشمس و عند طلوعها زهوا بعجب بهجة الأشواق  
و انظر لها عند الغروب كهيئة صفراء تعقب ظلمة الآفاق

و كفى بيوم طلوعها من غربها أن تأذن الدنيا بعزم فراق

و ههنا نقف عن الاسترسال في ترجمة ابن جبير وقصائده، و هذه النبذة كفاية للتعريف بفضلته و علمه و أدبه فرحمه الله رحمة واسعة و غفر لنا و له بفضلته و رحمته أمين. و ولادة ابن جبير كانت سابقة لولادة ابن بطوطة و بينهما مائة و ثلاث و ستون سنة.

### ترجمة ابن بطوطة صاحب الرحلة الشهيرة

جاء في أول رحلته ما ملخصه: هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي ثم الطنجي المعروف بابن بطوطة، ولد رحمه الله تعالى بطنجة يوم الاثنين السابع عشر من شهر رجب سنة ثلاث و سبعمائة، و كان خروجه من طنجة للحج و الزيارة و السياحة في اليوم الثاني من شهر رجب سنة خمس و عشرين و سبعمائة و عمره يومئذ اثنتان و عشرون سنة، و والده بقيد الحياة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٠١

كان ابن بطوطة عالما فاضلا كثير السياحة، طوى الأمصار و طاف بكثير من الأقطار من بلاد العرب و العجم، و أورد في رحلته بكثير من الحكايات و الأخبار، و قيد فيها عادات بعض الأقوام و أسماء بعض الرجال و البلدان بعد شرح ما يشكل منها و ضبطها بوضع الحركات ليكون النطق بها صحيحا، و قد سمي رحلته الشهيرة: «تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار» و قد فرغ من تقييدها و تبييضها في ثالث ذى الحجة عام ست و خمسين و سبعمائة من الهجرة النبوية. انتهى من نفس رحلته المطبوعة. و ولادة ابن بطوطة كانت بعد ولادة ابن جبير و بينهما مائة و ثلاث و ستون سنة.

و لقد كتبت عنه «مجلة الطالب» التي تصدر بالقاهرة في العدد ٦٥ من السنة الثالثة، يتلخص فيما يأتي: رحلات ابن بطوطة ثلاثة، فزار خلالها مراکش و الجزائر و تونس و طرابلس الغرب «أي لوبيا» و مصر و عيذاب و هي «ميناء على البحر الأحمر» و بلاد الصعيد و الفسطاط و فلسطين و لبنان و سوريا و الحجاز و مكة و المدينة و اليمن و العراق و إيران و الأناضول و الخليج الفارسي و عمان و البحرين و الأحساء و الهند و السند و خوارزم و خراسان و تركستان و أفغانستان و بلاد السودان و غير ذلك، و قد ولاه السلطان الهندي محمد شاه القضاء في دهلي على المذهب المالكي و أرسله مع وفده إلى ملك الصين.

و قالت المجلة المذكورة: و هو أول رحالة كتب عن مجاهل أفريقيا الوسطى، و قد ترجمت رحلاته إلى جميع اللغات و أفردت لها الجامعات مكانا عليا للدراسة و البحث. انتهى من المجلة.

فانظر رحمك الله تعالى كيف يعتنى الإفرنج بدراسة المؤلفات الإسلامية التي لا تتعلق بهم و لا ببلادهم، و كانت نتيجة أبحاثهم الاستيلاء على بعض الأمم و الشعوب عن طريق دراسة عاداتهم و عقليتهم.

نسأل الله أن ينور بصائر المسلمين و عقولهم لينظروا إلى ما فيه صلاحهم و يعتصموا بحبل الله جميعا و لا يتفرقوا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٠٢

### ترجمة الوزير عثمان باشا نوري

تولى الوزير عثمان باشا نوري ولاية الحجاز في عشرين من شهر شعبان سنة (١٢٩٩) تسع و تسعين و مائتين و ألف من الهجرة بعد سلفه أحمد عزت باشا الأردنجاني من قبل الدولة التركية العثمانية و ذلك في أواخر إمارة الشريف عبد المطلب بن غالب و أوائل إمارة الشريف عون الرفيق، و كان قبل توليته قومنداننا للعساكر العثمانية بالطائف، و كلمة «باشا» كلمة تركية و هي من الألقاب الحكومية تعطى للحكومات للرجال الممتازين من الأعيان، و هي أكبر لقب حكومي، و بعدها كلمة «بك» و هي لقب دون «الباشا» و لكنها لا تقرأ بالكاف بل تكتب بها و تقرأ بالهاء هكذا «بيه» بكسر الباء و سكون الهاء، و كانت الحكومة التركية و الحكومة المصرية

تمنح هذين اللقبين للرجال العظام البارزين، ثم أبطلتهما الحكومتان المذكورتان في زماننا. أبطلتهما الحكومة التركية أولاً ثم بعدها بسنوات مصر.

فالوزير عثمان باشا نوري كان عاقلاً فاضلاً، و كان رجل الأعمال والإصلاح مقداماً على كل خير مما ينفع العباد والبلاد كما يظهر ذلك من أعماله الآتية:

فقد بنى بمكة المشرفة دار المطبعة الأميرية «أى مطبعة الحكومة» التي بأول أجياد و جلب لها المكائن والأدوات اللازمة حتى كانت تطبع فيها باللغتين العربية والتركية.

و بنى بها أيضاً دار الحميدية «أى دار الحكومة» نسبةً للسلطان عبد الحميد الثاني لتكون مقراً للحكم لولاية الحجاز الذين يعينون من قبل الدولة، تلك الدار العظيمة الفخمة التي لم يكن مثلها بمكة في ذلك الزمن، و بنى بها أيضاً داراً للتلغراف بباب الوداع بلبق المسجد الحرام.

و بنى بها أيضاً قشلة أجياد «أى مقر وزارة المالية الآن» و قد جعلها مقراً لجنود المدافع، و هى على يسار الذهاب إلى أجياد، و عمّر بها أيضاً ما خرب من قلعة جبل هندی و قد أحضر للمسجد الحرام ساعتين كبيرتين طول كل واحدة منهما نحو مترين و وضعهما مع ساعات المسجد.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٠٣

و بنى مستشفى بمنى و بازانا للماء بمسجد الخيف بها، و هو الذى أجرى الماء فى مواسير من الرغامة إلى جدة و هو المسمى بعين الوزيرية نسبةً إلى الوزير عثمان باشا المذكور، و هو الذى أصلح طريق الصعود إلى غار جبل ثور بمكة.

و استمرت هذه العين تسقى أهل جدة إلى سنوات كثيرة. و قد عمل الوزير عثمان باشا المذكور كثيراً من الأعمال الجليلة غير ما ذكر على أنه لم يمكث فى وظيفته إلا نحو خمس سنوات، فجزاه الله خير الجزاء و رحمه رحمة واسعة.

و هكذا ينبغى أن يكون الوزراء و الأمراء و نواب الملوك و السلاطين يشمرون عن ساعد الجد فيعملون لخدمة البلاد و العباد بإخلاص و أمانة، فهم المسؤولون أمام الله و أمام ولاة الأمور، نسأل الله التوفيق لكل ما فيه الخير و الصالح العام آمين.

انظر: صورة رقم ٣١٨، المشير عثمان باشا نوري

هذا و قد ذكر المرحوم إبراهيم رفعت باشا صاحب مرآة الحرمين أن الوزير العادل عثمان نوري باشا المذكور هو أول من أنشأ بستاناً بمكة جهة جرو و أباحه لأهلها يتزهون فيه و يستظلون بوارف ظله، و أنفق عليه آلاف الجنيهات فما كان من الشريف عون إلا أن سعى به لدى الخليفة فعزله و أمر بإزالته بستانه.

ثم قال فى هامش كتابه المذكور ما يأتى: ولى عثمان نوري باشا أمر الحجاز لأول مرة سنة (١٢٩٩)، و هو رجل ذكى شهم، سياسى تحيل فى القبض على الشريف عبد المطلب الذى هم بالخروج على الدولة فعزلته من إمارة مكة و ولت مكانه الشريف عون الرفيق، و قد وشى هذا بعثمان نوري باشا لما أن غلّ يده من المكوس و المظالم التى كان يتقاضاها من العربان و الحجاج فعزل بالوشاية بعد

خمس سنوات، و عين والياً على اليمن ثم أعيد إلى ولاية الحجاز و قد أصلح مجرى عين زبيدة و عمل فيها صنابير «حنفيات أو بازانات» و هو الذى أنشأ ديوان الحميدية و دار البريد و الثكنات العسكرية بمكة و جدة و أنشأ سور ينبع، و قد أنشأ الحديقة

المذكورة فى ولايته الثانية و لم يكن موضعها مقبرة، و إنما كان فضاء واسعاً، و لما امتلأت نفس عون منه خرج إلى المدينة فى جمع من علماء مكة و أشرفها و ضم إليه علماء المدينة و أشرفها و كتبوا إلى السلطان يطعنون فى الوالى، و أنه يكره الأشراف و يسبهم و يهينهم و يحتقرهم، و أنه حوّل مقبرة المسلمين إلى متزه. فما كان من السلطان إلا- أن عزل العادل المصلح، و كان خليفاً بأمير

المؤمنين أن يتبين فى قول

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٠٤



الشريف كما أمر الله تعالى في كتابه، و أن لا يحكم على متهم إلا بعد استجوابه و استماع قوله. انتهى منه.

## نبذة عن تاريخ جدة

### إشارة

تبعد جدة عن مكة المكرمة بنحو خمسة و سبعين كيلو مترا، و قد جاء في كتاب المملكة العربية السعودية المطبوع سنة (١٩٥٥) ميلادية تأليف مستر توتشل الذي كان بها حوالى سنة (١٣٥٥) هجرية، أن عدد سكان جدة يبلغ (١١٢٠٠٠) نسمة نقول: أما اليوم و قد تغيرت الأحوال و كثر الأجانب بالمملكة فإن عدد سكان جدة قد يزيد عن هذا العدد.

والذى نراه و الله تعالى أعلم أن جدة لم تكن معروفة و لا مسكونة في زمن الجاهلية، و إنما هي ممر للمسافرين من البدو الرحالة من أهل الجمال، و قد أتى إليها الصيادون للحوت و السمك بزوارقهم الصغيرة كجزء من ساحل البحر، فلم تكن معروفة في زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم، لذلك كان عليه الصلاة و السلام و أصحابه إذا هاجروا إلى المدينة و أتوا منها إلى مكة كانوا يمرون بالقرب من الحديبية المسمى اليوم بالشميسى، و منها إلى عسفان، و منها إلى الجحفة فالمدينة، و كانوا يذهبون إلى عسفان من جهة التنعيم.

و لما هاجر الصحابة السابقون الأولون للإسلام رضى الله تعالى عنهم إلى الحبشة ساروا من مكة إلى الشعيبة، و منها ركبوا البحر في سفن شراعية حتى وصلوا إلى الحبشة، و عندما رجعوا منها إلى مكة كان طريقهم هو الطريق الأول.

و مما لا شك فيه أنه كان في ذلك العهد ملاحون يعرفون السفر في البحر بمراكبهم.

فلما كان في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه اكتشف بعضهم طريق جدة إذ هو طريق مستقيم إلى جهة الغرب، و رأوا أنها أقرب إلى مكة من الشعيبة فسكن بعضهم فيها تدريجيا، و بمرور الزمن كثر الناس فيها و ساروا على ساحلها شمالا نحو رابع فالمدينة المنورة، كما ساروا بالمراكب في بحرها نحو السودان و الحبشة و ما جاورهما. و هذه سنة الله تعالى في الكون يظهر بعض الأشياء فجأة و يختفى بعضها فجأة. و الله تعالى أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٠٥

### الكلام على مدينة جدة

لما كانت جدة أهم ميناء الحجاز من قديم الزمان إلى الآن، فإنها تعد باب الحرمين الشريفين لورود غالب الحجاج و أكثر الأرزاق عن طريقها من جهة البحر الأحمر و هو المسمى قديما ب «بحر القلزم». لذلك كان من الواجب علينا أن نذكر شيئا من تاريخ جدة مع العلم بأنه لم نر لجدة مؤلفات عن تاريخها غير أننا وقفنا على بعض أسماء الكتب و هي كالاتى: الجواهر المعدة في فضائل جدة، تأليف أحمد الحضراوى، و كتاب السلاح و العدة في تاريخ جدة للخطيب، و كتاب تاريخ جدة للأستاذ عبد القدوس الأنصارى، و هو مطبوع سنة (١٣٨٣ هـ) و لكن لم نطلع على شىء من الكتب المذكورة لأننا ما ظننا أنه يأتي يوم نكتب عن جدة شيئا.

فنقول: إن جدة ما عرفت إلا- في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه، فقد كانت في بادئ أمرها قرية صغيرة يسكنها قضاة قبل الإسلام، و كان الميناء المعروف في ذلك الوقت «الشعيبة» فاشتكى الناس إلى عثمان رضى الله تعالى عنه ما يلاقونه من التعب في هذا الميناء، لكثرة ما فيها من الشعاب التى تعيق سير السفن، و طلبوا منه أن يجعل «جدة» ثغرا لمكة بدلا من الشعيبة. فأمر رضى الله عنه بجعل جدة ميناء لمكة كما سيأتى تفصيله، فمن ذلك اليوم عرفت جدة و اشتهرت لدى الناس.

و مما يذكر أن عثمان رضى الله عنه عند قدومه إلى جدة أنه نزل إلى البحر فاغتسل و أمر قومه بالاغتسال فيه كذلك و أن يتخذوا

المتر عليهم.

و الشعبية بضم الشين و كسر العين واقعة في جنوب جدة، و تبعد عنها بمقدار مرحلتين، و هي قرية من الرأس الأسود و معروفة إلى اليوم كما ذكره الشيخ رشدي ملحق رحمه الله تعالى في تعليقه على تاريخ الأزرقى.

و يقال إن بالشعبية بقايا أساطين الرخام التي جلبها أمير المؤمنين محمد المهدي رحمه الله تعالى من مصر و الشام لعمارة المسجد الحرام، و قد دفنها الريح بالرمل و الله تعالى أعلم بحقيقته ذلك.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٠٦

فجدة اليوم أصبحت أهم ميناء في المملكة العربية السعودية، و قد صار عدد سكانها و عدد منازلها أضعاف أضعاف ما كان عليه في الزمن السابق كما سيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى.

قال ابن جريج: سمعت عطاء يقول: إنما جدة خزائن مكة، و إن ما يؤتى به إلى مكة لا يخرج به منها، اه.

نقول: و هذا كلام صحيح لا ريب فيه، فما سمعنا أن بعض التجار و المزارعين في وقتنا هذا أيضا ينوي بشيء من بضاعته أو ثمار زرعه باسم مكة فلا يبيعه في غيرها و لو أعطى ضعف الثمن.

### ما قاله الرحالة ابن جبير عن جدة

قال ابن جبير الأندلسي في رحلته التي كانت سنة (٥٧٨) ثمان و سبعين و خمسمائة يصف مدينة جدة حينما وصل إليها في اليوم الرابع من ربيع الثاني من السنة المذكورة ما يأتي:

و جدة هذه قرية على ساحل البحر أكثر بيوتها أخصاص «هي جمع خصص بالضم، البيت من القصب»، و فيها فنادق مبنية بالحجارة و الطين و في أعلاها بيوت من الأخصاص كالغرف و لها سطوح يستراح فيها بالليل من أذى الحر، و بهذه القرية آثار قديمة تدل على أنها كانت مدينة قديمة و أثر سورها المحدق بها باق إلى اليوم، و بها موضع فيه قبة مشيدة عتيقة يذكر أنه كان منزل حواء أم البشر صلى الله عليها و سلم عند توجهها إلى مكة فبنى ذلك المبنى عليه تشهيرا لبركته و فضله، و الله أعلم بذلك. و فيها مسجد مبارك منسوب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و مسجد آخر له ساريتان من خشب الأبنوس ينتسب أيضا إليه رضى الله عنه، و منهم من ينسبه إلى هارون الرشيد رضى الله عنه، و أكثر سكان هذه البلدة مع ما فيها من الصحراء و الجبال أشراف و علويون و حسنيون و حسينيون و جعفريون رضى الله عن سلفهم الكريم، و هم من شطف العيش بحال يتصدع له الجماد إشفافا. و يستخدمون أنفسهم في كل مهنة من المهن من إكراء جمال إن كان له أو مبيع لبن أو ماء إلى غير ذلك من تمر يتلقطونه أو حطب يحتطبونه، و ربما تناولوا ذلك نسائم الشريقات بأنفسهن، فسبحانه المقدر لما يشاء. و لا شك أنهم أهل بيت ارتضى الله لهم الآخرة، و لم يرتض لهم الدنيا،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٠٧

جعلنا الله مما يدين بحب أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا. و بخارج هذه البلدة مصانع قديمة تدل على قدم اختطاطها.

و يذكر أنها كانت من مدن الفرس، و بها جباب منقورة في الحجر الصلد تتصل بعضها ببعض تفوت الإحصاء كثرة، هي داخل البلد و خارجه حتى أنهم يزعمون أن التي خارج البلد ثلثمائة و ستون جبا و مثل ذلك داخل البلد. و عاينا نحن جملة كثيرة لا يأخذها الإحصاء و عجائب الموضوعات كثيرة فسبحان المحيط علما بها. انتهى من رحلة ابن جبير.

انظر: صورة رقم ٣١٩، باب مكة في جده من الخارج

و قال الغازي في الجزء الرابع من تاريخه عن جدة ما يأتي:

الباب السابع في ذكر نبذة من أخبار جدة و فيه ثلاثة فصول: «الفصل الأول» في وصف جدة ما ورد في فضلها: قال الشيخ عبد القادر

بن أحمد بن محمد بن فرج الشافعي الخطيب بجدة في كتابه: «السلاح و العدة في تاريخ جدة» نقل العلامة المحدث جار الله بن فهد عن الحافظ عز الدين بن الأثير في النهاية: الجدة بالضم ساحل البحر، و الجدة أيضا و به سميت المدينة التي عند مكة جدة. انتهى.

و ذكر العلامة الشيخ أحمد الحضراوي في كتاب «الجواهر المعدة في فضائل جدة» قال الميرغني رحمه الله تعالى في عدة الإنابة: جدة بضم الجيم المعجمة و تشديد الدال و سكنون الهاء و قيل بالكسر، و هي أسكلة مكة بينهما مرحلتان، و يقال لها جديدة أيضا بكسر الدال المهملة و فتح ما قبلها بعدها ياء ساكنة و دال مهملة مفتوح و هاء ساكنة. انتهى.

قال الشيخ محمد ليب البتونوني في رحلته، قال البكري في معجمه: جدة بضم أوله ساحل مكة. يسمى بذلك لأنها حاضرة البحر، و الجدة من البحر و النهر ما يلي البر، و أصل الجدة الطريق الممتد، و أهل البلاد و يسمونها الآن جدة بكسر الجيم و يسميها المصريون جدة بفتحها، و هي واقعة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر على (٣٩) درجة و عشر دقائق من الطول الشرقي و على (٢١) درجة و (٣٨) دقيقة من العرض الشمالي. و قد كانت قرية صغيرة في بادئ أمرها يسكنها و ما حولها قضاة قبل الإسلام، فلما كانت سنة ست و عشرين للهجرة في خلافة سيدنا عثمان رضی الله عنه اشتكى الناس له الشدة التي يعانونها في ميناء الشعبي بضم الشين المعجمة، لكثرة ما فيها من الشعاب التي كانت تعوق سير

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٠٨

السفن بها و قالوا له: إن في شمالها خيرا منها، فذهب عثمان إليه في جمع من قومه ليعاينه بنفسه فوجده حقيقة أحسن من الأولى، فأمر بجعله ثغرا لمكة سموه جدة، و الشعبي الآن قرية صغيرة على مسافة ٢٠ كيلومترا من جنوب جدة. ساحل جدة كله شعاب صخرية يتخللها شعب مرجانية حمراء أو سوداء. انتهى.

و في الجامع اللطيف: و لعل من جعل جدة ساحلا لمكة عثمان بن عفان رضی الله عنه، و في سنة ست و عشرين من الهجرة، و كانت الشعبي ساحل مكة قبل ذلك، و قال ابن جبير في رحلته: جدة قرية على ساحل البحر و بها آثار قديمة تدل على أنها كانت مدينة قديمة، و بخارج هذه البلدة مصانع قديمة تدل على قدم اختطاطها. و يذكر أنها كانت مدينة من مدن الفرس و بها جباب منقورة في الحجر الصلد تتصل بعضها ببعض، تفوت الإحصاء كثرة هي داخل البلد و خارجه، حتى أنهم يزعمون أن التي خارج البلد ثلاثمائة و ستون جبا و مثل ذلك داخل البلد و عاينا نحن جملة كثيرة لا يأخذها الإحصاء. انتهى.

و في كتاب السلاح و العدة قال الشيخ جار الله ابن فهد رحمه الله، إن بجدة أثر رسوم قديمة تدل على قدم اختطاطها، و أنها كانت مدينة كبيرة، و أنها كانت في زمن الفرس، و هم الذين بنوا سورها الأول، و أنهم لما بنوه و أتقنوا بناه جعلوا عرض الحائط عشرة أشبار و جعلوا فيه أربعة أبواب: أحدها: باب الدومة في جهة الشام، (٢) و باب المربعة في جهة اليمن، و كان عليه حجر أخضر فيه طلسم إذا سرق من البلاد شيء وجد اسم السارق مكتوبا في الحجر، (٣) و باب مكة في جهة القبلة، (٤) و باب الفرضة مما يلي البحر. و حفروا حوالى البلد خندقا عظيما في الوسع و العمق، و كان يدور ماء البحر حول البلد و هي يومئذ جزيرة في وسط لجة البحر فلما حصن الفرس البلد غاية التحصين و خافوا من ضيقة الماء عملوا ثمانية و ثمانين صهريجا داخل البلد و مثلها خارجا و قيل: ثلاثمائة داخلها و ثلاثمائة خارجها، ثم إن الفرس خرجوا منها و اندرست و بقيت خاوية على عروشها.

و كان سبب خروجهم فيما ذكره القاضي صلاح الدين بن ظهيرة الشافعي قاضي جدة حينئذ في تاريخه بجدة، أن والي مكة الشريف داود بن هاشم و قيل شكر بن هاشم الحسين و كان يجيء إليه خراج جدة في كل عام من قضبان الحديد و النحاس، ففي بعض السنين غلط الخزندار و بعث الخراج حملا من قضبان الذهب فسكت الشريف إلى العام القابل و بعثوا إليه حملا من الحديد على حكم العادة فلم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٠٩

يقبله الشريف ورده و قال: ما آخذ منكم إلا ذهابا مثل العام، فتفقدوا خزائنهم فوجدوا خزندارهم غلط و بعثوا إليه ذهابا و تعبوا لذلك،

فجمع كبيرهم أعيان دولته و أكابرهم و أشار عليهم بالخروج منها لكونهم يعجزون عن ذلك في كل سنة و يعجزون عن محاربتة و جعل لهم مثلاً و هو، أنه أحضر لهم ثلاثة طيور أحدها صحيح سليم، و الثاني منتوف الجناح، و الثالث مذبوح و قال لهم: إن خرجتم الآن فأنتم مثل هذا الطير الحى السليم، لا يقدر عليكم و أرسله فى الجو، و إن قعدتم إلى العام القابل تكونون مثل هذا المنتوف الجناح إن طردته أمسكته، و إن قعدتم إلى العام الثالث فأنتم مثل هذا المذبوح و ألقاه بين أيديهم، فاستصوبوا رأيه و أخذوا منها ما عز عليهم و يمكنهم حملة و سافروا فى سفنهم بحرا و تفرقوا فى البلدان يمنا و شاما و سواكن و دنكك، فلما خلت من سكانها استوطنها الأعراب من كل مكان من جميع الجهات. انتهى.

انظر: صورة رقم ٣٢٠، باب مكة من الخارج و سوق البدو

انظر: صورة رقم ٣٢١، الباب الشمالى المخصص لعبور السيارات بجدة

و فى الرحلة اليمانية: بندر جدة الواقعة على البحر الأحمر هى أسكلة عظيمة، و بها جمرك و ثكنات للعساكر و محجر صحى، و هى أعظم أسكلة فى ولاية الحجاز و هى مدينة عظيمة شاهقة المباني أهله بالسكان يبلغ عدد سكانها خمسين ألفا، و بها أعظم تجار الولاية و مخازنهم بها. و ميناء جدة من أعظم الموانئ الموجودة على البحر الأحمر، و يمتاز بحر جدة بوجود شجر اليسر بقاعه و اللؤلؤ، و يوجد به أعظم أصناف السمك و أعظم الآثار، و بجدة أيضا سفراء الدول. و المسافة ما بين جدة و مكة ثمانون كيلو مترا. و بجدة قبر أم البشر السيدة حواء رضى الله عنها. انتهى.

انتهى من تاريخ الغازى.

ثم ذكر الغازى رحمه الله تعالى مساجد جدة و أسواقها و أحواشها، لكن نحن ما رأينا نقلها حتى لا يطول بنا الكلام ثم ختم كلامه بقوله: و جملة أحواشها تنوف على مائة حوش مشتملة على قصور و بيوت مرونفة، و الكشاك على البحر من أنفسها كشك حوش الشرايى.

و أما الخانات فمنها: الخان الكبير الشهير بقصبه الهنود، و هو تجار الأقمشة، و منها خان الدالين قريب من سوق البنط، و خان العطارين و غير ذلك. و أما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣١٠

الحوانيت و نحوها فتتوف عن أربعة آلاف دكان، و أما القهاوى فهو نحو المائة.

انتهى ما فى الجواهر المعدة. انتهى من الغازى.

و قد ظهر فى وقتنا الحاضر كتاب عن مدينة جدة «تاريخ جدة» للأستاذ عبد القدوس الأنصارى. و قد طبع سنة (١٣٨٤ هـ) أو فى التى قبلها.

### الطائرات العربية السعودية بجدة

قال الغازى فى تاريخه: و فى ٢١ ربيع الثانى سنة تسع و أربعين و ثلاثمائة و ألف، وصلت إلى جدة الطائرات العربية الأربعة التى هى قسم من قوة الطيران لحكومة جلاله الملك قادمة من جزيرة دارين عن طريق البصرة. و قد كان فى استقبالها جماهير كبيرة من موظفى الحكومة و الأهلى على اختلاف طبقاتهم فى جانب المطار المعد لتزولها فى خارج السور بجدة.

انظر: صورة رقم ٣٢٢، لطائرات الحجاج بجدة

انظر: صورة رقم ٣٢٣، الحجاج عند وصولهم جدة بالطائرات

انظر: صورة رقم ٣٢٤، سفر الحجاج من جدة إلى مكة بالسيارات

## وصول الطائرات العربية إلى الطائف

قال الغازي في الجزء الثالث من تاريخه: وفي الساعة التاسعة من مساء يوم الخميس ٣ جمادى الأولى سنة (١٣٤٩) تسع و أربعين و ثلاثمائة و ألف. غادرت جدة ثلاث طيارات من قوة الطيران العربية قاصدة الطائف عن طريق جدة، بحرة، وادي فاطمة، وادي الليمون، الطائف. و بعد مضي ساعة و نصف، أي في الساعة العاشرة و النصف وصلت الطيارات المذكورة إلى الطائف. و قد كان أعد لها مكان نزولها خلف الثكنة العسكرية، فبكر الأهلون لاستقبالها من المكان المذكور و أحاطت بأطرافه الأربعة ثلثة من القوات العسكرية للمحافظة على النظام، و أعد سرادق فخم لجلوس المستقبلين. و لما ظهرت الطيارات في الأفق شرف صاحب الجلالة الملك المعظم و الأمراء الكرام إلى المطار حيث استقبله الأهلون استقبالا فخما، و أدت الجند التحية لجلالته، و بعد أن نزلت الطيارات إلى الأرض تشرف ضباطها بمقابلة جلاله الملك في السرادق الخاص، ثم شرف جلالته إلى مكان الطيارات حيث تفقدها و اطع على ترتيباتها، و في اليوم التالي ركب كل من

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣١١

أنجال جلالته الأمير سعود و الأمير فيصل و الأمير محمد و الأمير خالد طائرة حلقت بهم في أفق الطائف مدة طويلة من الزمن. و في يوم الأحد عادت الطيارات المذكورة إلى مطارها في جدة. انتهى من الغازي.

## أول قنصل إنجليزي بجدة

جاء في الجزء الرابع من تاريخ الغازي نقلا عن خلاصته أو نقلا عن الجواهر المعدة ما يأتي: و فيه أيضا و في سنة (١٢٥٢) اثنتين و خمسين و مائتين و ألف من الهجرة، كان أول وصول قنصل الإنكليز بجدة و توطنه بها، و نصب بها بنديرة لهم أي بيرقا، و هي أول بنديرة نصبت بجدة، و لم يعهد توطنهم بها قبل ذلك و لله الأمر من قبل و من بعد. اه. انتهى من الغازي. و يقول صديقنا الكريم الأستاذ أحمد السباعي في كتابه «تاريخ مكة» عن التمثيل الأجنبي ما يأتي: و في أواخر هذا العهد عرفت البلاد التمثيل السياحي الأجنبي، فقد وصل أول قنصل إنكليزي إلى جدة في عام (١٢١٦) لمباشرة أعمال القنصلية فيها، فاتخذ دارا خاصة بذلك رفع فوقها راية البريطانيين لأول مرة في تاريخ التمثيل السياسي الأجنبي. و لم يكتمل القرن حتى تعدد التمثيل في جدة و أصبح للفرنسيين و الروسيين قناصل في جدة. انتهى منه.

## ذكر سبب قتل القنصل الإنجليزي بجدة سنة ١٢٧٤ هـ

جاء في الجزء الأول من تاريخ الغازي عند ذكر فتنه جدة في سنة أربع و سبعين و مائتين و ألف ما نصه: و ملخص هذه الفتنه إجمالا أن صالح جوهر أحد التجار بجدة كان له مركب منشور فيه بنديرة الإنكليز، و البنديرة هي البيرق فأراد أن يغيرها و يجعل فيها بنديرات الدولة العلية فسمع بذلك قنصل الإنكليز فمنعه من ذلك فلم يمتنع، و أخذ رخصة من نامق باشا فأذن له بوضع بنديرة الدولة العلية، و كتب له منشورا بذلك فوضعها و نشرها و أزال بنديرة الإنكليز فطلع قنصل الإنكليز البحر و دخل المركب المذكور و أنزل بنديرة الدولة التي نشرت و نشر بنديرة الإنكليز. و شاع أنه لما أنزل بنديرة الدولة و طنّها برجله و تكلم بكلام غير لائق، فغضب بذلك المسلمون الذين في جدة فهاجوا هيجة عظيمة، و قصدوا دار القنصل و قتلوه، و ثار من ذلك فتنه

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣١٢

عظيمة قتلوا فيها غيره من القناصل الموجودين و من كان بجدة من النصاري و نهبوا أموالهم و أرادوا أن يقتلوا فرج يسر أحد التجار المشهورين بجدة، لكونه كان محاميا عن قنصل الإنكليز و معدودا من رعيّتهم فاخْتَفَى، فأراد عوام الناس أن ينهبوا داره فمنعهم من

ذلك عبد الله نصيف وكيل مولانا الشريف محمد بن عون بجدة.

و كان نامق باشا بمكة و الشريف على باشا القائم مقام الإمارة كان قد توجه إلى المدينة المنورة لمقابلة الحج، فلما جاء خبر هذه الفتنة لنامق باشا اهتم لذلك، ثم توجه إلى جدة و سكن الفتنة، و قبض على بعض الناس الذين نسب لهم القتل و النهب و وضعهم في السجن و أرسل إلى الدولة العلية يخبرهم بما وقع في هذه الفتنة، و طلع إلى مكة لأداء الحج، فلما كان الثالث من أيام التشريق و الناس بمنى جاء الخبر من جدة بأنه جاءهم مركب حربي للإنكليز و صار يرمى بالمدافع المحشوة بالقلل على جدة، فخرج كثير من الناس من جدة هارين بنسائهم و أولادهم و أموالهم ركبانا و مشاة، فانزعج الناس من ذلك انزعاجا شديدا. فلما فرغ الناس من أداء مناسك الحج و نزلوا من منى عقد نامق باشا في مكة مجلسا في ديوان الحكومة أحضر فيه كثيرا من العلماء و التجار و أعيان الناس، و أحضر كثيرا من تجار جدة الذين قدموا مكة لأداء الحج و كانوا حضروا وقوع الفتنة حين وقعت بجدة، و أخبرهم بمجيء المركب الحربي الذي جاء من الإنكليز و بضره القلل على جدة، و بخروج كثير من الناس منها. و قال لهم: القصد المشاورة معكم فيما يحصل به تسكين هذا الأمر، فقال كثير من الحاضرين: إن الإسلام و الحمد لله قوى و أهله كثيرون، و ذكروا له عدد قبائل الحجاز مثل هذيل و ثقيف و حرب و غامد و زهران و عسير و أنكم لو تعطون الناس رخصة ينفرون نفيرا عاما فيجتمع من ذلك الأيلوف بل اللكوك فيدفعون تعدى الإنكليز و لا يرضون أن يقع عليهم هذا الذل.

فقال لهم نامق باشا: هذا العدد الذي ذكرتموه لقبائل العرب صحيح، بل يوجد مثله أضعافا مضاعفة، لكن إذا اجتمعت هذه القبائل غاية ما يقدرون عليه أنهم يصلون إلى مكة و جدة، و بعد ذلك يدفعون هذا المركب عن جدة فيحصل من الإنكليز و غيرهم من النصارى تسلط على بقية مدائن الإسلام، لأنه ليس عندهم مراكب يعبرون فيها و لا ذخائر و لا جيخانات و لا مدافع و لا شيء مما يحتاجون إليه، و أيضا مرادنا دفع هذا الضرر الآن، و لا يجتمع هؤلاء القبائل إلا بعد مدة طويلة، فلا بد من التدبير الآن في دفع هذا الضرر بالسرعة.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣١٣

فقال بعض التجار الحاضرين: يأذن أفندينا في تغريق هذا المركب الذي جاء يرمى بالمدافع المشحونة بالقلل على جدة فإن كثيرا من أهل البحر الموجودين تحت أيدينا لهم معرفة و صناعة بتغريق المراكب يأتونها من تحت الماء، و يغرقونها ببرامات يجعلونها في المراكب؟

فقال لهم: ليس هذا صوابا فإنكم إذا أغرقتم مركبا يأتكم بعده عشرة مراكب، فإذا أغرقتم العشرة يأتكم مائة و هكذا فيتسلسل الأمر و لا يزول الضرر و أيضا ربما يتركون جدة و يتوجهون إلى إضرار بقية مدائن الإسلام، و إنما الأحسن في تدبير هذا الأمر أن نتداركه باللطف و حسن السياسة بأن نتوجه إلى جدة أنا و كثير من أعيانكم و نجتمع بقبطان هذا المركب و نعقد معه أمرا يندفع به الضرر فاستحسنوا رأيه، فتوجهوا إلى جدة و أخذوا معه رئيس العلماء الشيخ جمال و معه من العلماء الشيخ صديق كمال، و الشيخ إبراهيم الفته، و الشيخ محمد جاد الله، و شيخ السادة السيد محمد بن إسحاق بن عقيل، و تجار جدة الذين كانوا جاءوا للحج، فلما وصلوا إلى جدة صار اجتماعهم بالقبطان المذكور و عقدوا مجلسا صار القرار فيه على أنه يصير تحقيق هذه القضية و يحصل الانتقام ممن وقع التعدى في هذه الفتنة و يكون ذلك بعد رفع الأمر إلى الدولة العلية و انتظار الجواب منها بما يأمر به. و رضى الجميع بذلك و كتبوا به مضبطة و ختموها بأختامهم، فلما كان أواخر شهر محرم من سنة خمس و سبعين وصل إلى جدة مأمورون من طرف الدولة و معهم أناس من كبار الإنكليز و الفرنسيين، و كان نامق باشا بجدة فعقدوا مجلسا معه و اتفقوا على أنهم يحضرون المتهمين في إحداث هذه الفتنة و يقررونهم و يستنطقونهم كل واحد وحده حتى يقفوا على حقيقة الأمر و يعرفوا الذين قتلوا و الذين هجموا. فلما تم قرارهم على ذلك صاروا يعقدون مجالس لا يحضر فيها نامق باشا، و إنما يحضر هؤلاء المرخصون الذين جاءوا مرسلين من الدولة و من الإنكليز و الفرنسيين، و صاروا يقبضون على كل من صارت عليه تهمة و يجسونه في موضع لوحده ثم يحضرون كل واحد منهم

وحده و يسألونه و يستنطقونه بغاية التلطف و التعظيم و التبجيل و يحتالون عليهم بكل حيلة و يكتبون كل ما يقول.

فكان ملخص تلك الاستنطاقات أن أهل جدة الذين هاجوا في الفتنة و حصل منهم القتل و النهب قالوا: إنما كان ذلك منا بأمر من التجار و قاضى جدة الشيخ عبد القادر شيخ و الأعيان و سمو أناسا منهم، و قال الحضارم: أمرنا بذلك شيخ السادة السيد عبد الله باهارون، و كبير الحضارم الشيخ سعيد العامودى. و قال

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣١٤

شيخ السادة، و سعيد العامودى، و قاضى جدة و بقيه التجار و الأعيان: إنما كان ذلك منا بأمر من إبراهيم آغا القائم مقام نامق باشا. هذا ملخص استنطاقاتهم فإنها تتضمن الاعتراف بما وقع و الاعتراف بأنهم تسبوا لذلك إلا أنهم أسندوا ذلك لسعيد العامودى و عبد الله المحتسب و القائم مقام نامق باشا. و كان نامق باشا و هو بجدة يرسل إليهم سرا و يقول لهم: الحذر أن تقروا بشيء من ذلك فإنه يصير عليكم ضرر كثير، فلم يمثلوا ذلك بل أقروا بذلك و سببه أن المرخصين الذين حضروا من الدولة و الإنكليز و الفرنسيين كانوا يتلطفون بهم و يعظمونهم و يحتالون عليهم بكل حيلة و يقولون لهم: أخبرونا بالواقع و لا- يحصل لكم ضرر، و يسألون كل واحد وحده فإذا نطق بشيء مخالف للواقع يقولون له: إن فلانا و فلانا أخبرا بما هو كذا و كذا، و ذلك يخالف ما تقول و لا يزالون به حتى يطابق كلامه كلام غيره.

فلما انتهت الأسانيد كلها إلى إبراهيم آغا القائم مقام نامق باشا أحضره و سأله فأنكر جميع ما نسبوه له و كذبهم و لم يقر بشيء، فاحتالوا عليه بكل حيلة فلم يقر بشيء، فحبسوه في موضع وحده ثم حكموا عليه بالنفى مؤبدا، ثم بحثوا أيضا عن الأشخاص الذين حصل منهم القتل و النهب فعرفهم و حبسهم، ثم تشاور هؤلاء المرخصون المرسلون من الدولة العلية و من الإنكليز و الفرنسيين فيما بينهم، و اتفقوا على أنه يقتل عبد الله المحتسب و سعيد العامودى و نحو اثني عشر نفسا من عوام الناس الذين وقع منهم القتل، و أنه ينفى من جدة شيخ السادة و قاضى جدة و بعض التجار بعضهم مؤبدا و بعضهم إلى مدة مؤقتة و يحبس كثير من الذين وقع منهم النهب بعد أن أحضروا كثيرا مما أخذوه، و أن ما بقى من الأموال المنهوبة يأخذون قيمته من الدولة العلية. فلما تم قرار مجلسهم على ذلك كتبوا به مضبطة و ختموها بأختامهم و أعطوها لنامق باشا و طلبوا منه تنفيذ ذلك على ما جاؤوه به من الأمر بالدولة فإنهم جاؤوه بأوامر فيها الأمر له بتنفيذ ما يتفقون عليه فنذره فأخرجوا عبد الله المحتسب و سعيد العامودى من الحبس فقتلوهما في سوق جدة على رؤوس الأشهاد و قتلوا الإثنى عشر الذين من عوام الناس خارج جدة.

و كان ذلك اليوم يوما مهولا في جدة اشتد فيه الكرب على جميع المسلمين، ثم نفوا من حكموا عليه بالنفى، فمنهم من قضى السنين التي وقتوها له و رجعوا إلى جدة، و منهم من مات و لم يرجع إليها. فمن الذين رجعوا: الشيخ عبد القادر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣١٥

شيخ قاضى جدة، و الشيخ عمر بادرب، و الشيخ سعيد باغلف، و من الذين لم يرجعوا و توفوا و هم منفيون: السيد عبد الله باهارون، و الشيخ عبد الغفار و الشيخ يوسف باناجه رحمه الله تعالى، و قبضوا من الدولة العلية قيمة بقيه الأموال المنهوبة و كان شيئا كثيرا. هذا ملخص تلك الفتنة باختصار، و لا- حول و لا قوة إلا بالله، فإن هذه القضية كانت من أعظم المصائب على الإسلام. انتهى ما ذكره العلامة السيد أحمد دحلان في خلاصة الكلام.

و في سنة (١٣١١) ألف و ثلاثمائة و إحدى عشرة ساق الإنكليز مراتبهم مرة أخرى إلى جدة عندما قتل الأعراب و كيل القنصل الإنكليزى و جرحوا و كيلي القنصل الفرنسي و الروسى. و كانوا تجاوزوا الحد المضروب لهم خارج البلد و كلهم مسلمون من الأهالى الذين لم يحسنوا سيرتهم مع إخوانهم من مواطنيهم، ارتكابا على الحماية الأجنبية، فحضر الشريف عون من مكة لهذا الأمر الذى انتهى بالصلح و سفر المراكب من غير ضرب. ذكره في الرحلة الحجازية.

و في سنة ألف و مائتين و ست عشرة جدد أمير مكة سيدنا الشريف غالب ما تهدم من سور جدة و أتقنه إتقاننا زائدا و مكن أبراجه، و

بنى من جهة البحر كشكا له مشرفا على المرسى و غيرها. انتهى ما ذكره فى الجواهر المعدة. انتهى من الغازى.

### قتال الشريف أبى نمى الإفرنج حين قصدوا جدة

جاء فى الجزء الرابع من تاريخ الغازى ما نصه: قال العلامة السنجارى رحمه الله تعالى فى «منايح الكرم» نقلا من «الإتحاف» للسمرقندى المدنى أنه فى أواخر سنة (٩٤٨) تسعمائة و ثمان و أربعين هجرية، دخلت طائفة عظيمة من الإفرنج و خربت غالب البنادر، فلما قصدوا جدة المعمورة نزلوا المرسى المعروف بأبى الدوائر فى خمسة و ثمانين برشة مشحونة بالرجال و السلاح، فقاتلهم الشريف أبى نمى بنفسه و ترك الحج، و شخص ابنه معه و نزل إلى جدة فى جيش عظيم بعد أن أمر بالنداء فى نواحي مكة من صحبنا فله أجر الجهاد و علينا السلاح و النفقة، فبلغ أهل الجهاد مبلغا عظيما و نفقة مولانا الشريف شاملة للجميع و عيون الكفار تدور عليهم كل حين فتشاهداهم يزيدون عددا و عددا و عيشا رغدا و خدام مولانا المشار إليه يتوجهون إلى أطراف البلاد و يحضرون بأنواع الطعام بأعلى ثمن حتى فرغت

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣١٦

الحبوب و كادت تعدم فدخروها للخيل، و أقبلوا على نحر الإبل، فكان مولانا الشريف يأمر بأن ينحر لكل مائة نفس بدنة ناقة أو بعير، و استمر ذلك مدة فقال له بعض الناس: إن هذا الفعل يستأصل ما عندك من الإبل. فأجابه بأنى نويت أن أنحر ما أملكه و يملكه أولادى و أحفادى فإذا نفذت الإبل نحرت الخيل، ثم كل حيوان يجوز أكله. فلما قرب زمن الحج برز أمره إلى ابنه الشريف أحمد بن أبى نمى أن يقابل الأمراء و يلبس الخلع الواردة و يحج بالناس على عادة أجدادى. فلما وصل أمراء الحج توجهوا للقاء مولانا الشريف أبى نمى بجدة لإلباسه الخلع فلاقاهم و هو شاكى السلاح لابسا درعه فى هيئة المقاتل. و لما أن قرب الأمراء أمر بطلق المدافع فأطلقت لمقابلتهم نحو ثلثمائة مدفع، فألبسوه الخلع الواردة صحبتهم و انصرفوا راجعين. و لما رأى الكفار صبره و حصاره انقلبوا خاسئين، و لما بلغ حضرة مولانا السلطان سليمان خان ذلك زاد فى إكرام المشار إليه و سمح له بنصف معلوم جدة إلى غير ذلك من الإنعامات التى لا تحصى اه. انتهى من الغازى.

انظر: صورة رقم ٣٢٥، مركز الشرطة بين جدة و مكة

انظر: صورة رقم ٣٢٦، مركز الشرطة بين جدة و مكة

### بناء سور جدة

جاء فى الجزء الرابع من تاريخ الغازى ما نصه:

قال الشيخ عبد القادر الخطيب فى السلاح و العدة: و سبب عمارة السور الموجود بواقه الآن، أنه لما حصل بمكة و جدة المحروسة خلف و نهب و سفك و فتك من بعض عربانها البغاء و بدوانها الطغاة و هم بنو إبراهيم من أهل ينبع و زبيد و من تبعهم من أهل الفساد و الزيغ و العناد خرجوا من الطاعة و خالفوا من أوامره و نواهيه و نهبوا مكة و جدة و معهم طائفة من عصاة الشراكسة يسموا العادلية. و لم يكن حينئذ على جدة سور، و أخرجوا الخواجه محمد يوسف القارى من بيته و حملوه على فرسه و وصلوا به إلى زبيد طائفة مالك ابن رومى، و لم يفكوه إلا بجعل من المال. و بلغ ذلك السلطان الغورى، فبعث الأمير غيث المرجى فى طائفة من العسكر نحو ألف فارس غير الرماة و المشاة و ذلك فى سنة (٩٠٨) لقتال العربان المذكورين و هم يومئذ يبنعهم متحصنون بها و أميرهم السيد هزاع بن محمد بن بركات. و لما بلغ المذكورين وصول الأمير غيث المرجى بعسكره، خرجوا من ينبع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣١٧



هاريين و انقلبوا على أعقابهم ناكسين ثم كاتبوا الأمير غيث بالعهود و الموائيق و أنهم يرجعون عن الفساد و يسمعوا و يطيعوا من غير مخالفة و لا عناد، فتوجه العسكر إلى مكة المشرفة و قضاوا مناسكهم و كتبوا للسلطان الغورى صورة العهود و الموائيق و أقاموا بمكة إلى أن جاءهم الجواب بأنهم يحلفونهم بالإيمان المغلظة فحلفوهم، و كان ذلك فى بطن وادى على أنهم يستمروا على الطاعة. و توجه العسكر إلى الديار المصرية، ثم إن البغاة المذكورين نكثوا العهد و الموائيق و لم يفوا بالعهود و لم يستمروا إلا على الطغيان و نهبوا مكة المشرفة و جدء، و أظهروا فيها الفساد. و كان بمكة حينئذ شرذمة من عسكر الغورى فساروا إليهم و قتلوهم فى ينبع قتلا فظيعا و هتكوهم هتكا بليغا، و غنموا منهم الغنائم و أدخلوا حينئذ السيد بركات و أخوه السيد قايتباي إلى مكة لحراستها و حمايتها، و وجدوا طائفة من البغاة المذكورين جاءوا إلى جدء مكسورين و أرادوا نهبها و بها حينئذ الخواجه محمد يوسف القارى، فاستعد لقتالهم بمن فى جدء من التجار و غيرهم. و حين بلغ البغاة وصول السيدين الشريفين المشار إليهما آنفا خرجوا هارين و انقلبوا خاسرين. و بلغ السلطان الغورى ذلك فجهز الأمير حسين و من معه من العسكر و الأمير على السلاتى و معه عسكر و الجميع من أغربء، و جاءوا إلى ينبع و فرقوا شمل العدو و قتلوا من بغا منهم، و حرقوا البلاد بالنار و وصلوا إلى جدء و شرع الأمير حسين فى عمارة السور فتمت عمارتها فى تسعة من الشهور بأبراجه، و دار النيابة و مصلى العيد، و ذلك فى سنة تسعمائة و إحدى عشر. و كان طول أساس السور المذكور فى الأرض اثنا عشر ذراعا و طول المحيط بالبلد من جهة القبلة و اليمن و الشام ثلاثة آلاف ذراع من غير الأبراج، هكذا مذكور فى كتاب السلاح و العدة. و فى كتاب تبسم الزهور فى ثغر جدء المعمور للشيخ نجم الدين بن على بن يعقوب المدنى ثم المكى ثلاثة آلاف ذراع و مائة و سبعة عشر ذراعا بذراع العمل من غير الأبراج. انتهى. و هى ستة أبراج دور كل برج منها ستة عشر ذراعا بجدرانه، و عرض جدار السور أربعة أذرع. و أما الأبراج فطول الشامى و اليمانى من على وجه الأرض خمسة عشر ذراعا و البرجان القبليان الملاصقان لباب البلد المسمى أحدهما باب الفتوح و هو الأيمن، و الآخر باب النصر و هو الأيسر. و فى كتاب تبسم الزهور: و أما البرجان البحريان فقد نزل بهما الغواصون فى البحر اثنا عشر ذراعا بالعمل، و طولهما أيضا كذلك. انتهى. و جميع ما ذكرناه من الأذرع فبذراع العمل، و هو ذراع و نصف بذراع الحداد، و جملة ما أصرف على السور

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣١٨

المذكور و توابعه من الأبراج و دار النيابة المعروفة بفرضة السلطان و جامعها الموجود بها الآن و مصلى العيد و حفر الخندق حول البلد مائة ألف دينار غورى. و كان صرف الدينار حينئذ ثلاثين محلقا كبيرا فى المعاملة. انتهى.

و فى الإعلام: من آثار الأشرف الغورى بناء سور جدء فإنها كانت غير مسورة، و كانت العربان فى أيام الفتنة تهجم على جدء تنهبها، و أسرت عربان زييد فى أيام الفتن الخواجه محمد القارى، و كان من أعيان التجار من أهل الاعتبار فهجموا إلى بيته و أنزلوه من السطح و أركبوه معهم على ظهر فرس ارتدفة واحد من أهل زييد و أخذوه إلى أماكنهم و هو قرب عقبه السوق من درب المدينة الشريفة عندهم إلى أن اشترى نفسه بثلاثين ألف درهم فردوه إلى مكة بعد أن استوفوا هذا القدر منه، و نهبت جدء مرارا فى الفتن التى وقعت بأرض الحجاز بعد وفاة المرحوم الشريف محمد بن بركات بين أولاده. و جرت أحوال يطول شرحها فأرسل السلطان الغورى أحد أمراء المقدمين و هو الأمير حسين الكردى، و جهز معه عسكرا من الترك و المغاربة و اللون نحو خمسين ضرابا لدفع ضرر الغرغال فى بحر الهند، و كان مبادى ظهورهم و أمره بدفع الفتن الواقعة إذ ذاك فى جدء و جعلها له إقطاعا، فلما وصل الأمير حسين الكردى إلى جدء بنى عليها سورا فى سنة سبع عشرة و تسعمائة و هو الباقي إلى الآن. انتهى من الغازى.

ثم قال الغازى: و فى سنة ألف و مائتين و ست عشرة جدد أمير مكة سيدنا الشريف غالب ما تهدم من سور جدء و أتقنه إتقاناً زائداً و مكّن أبراجه، و بنى من جهة البحر كشكا له مشرفا على المرسى و غيرها. انتهى ذكره فى الجواهر المعدة.

انتهى من الغازى.

## هدم سور جدة

لقد هدم سور جدة في أوقات متفرقة، و كان الهدم العمومي في عام (١٣٦٧ هـ)، حيث تم هدم السور من جميع جهاته الأربع و لم يبق منه شيء، و كانت للسور ثلاثة أبواب: باب شرقي و يسمى «باب مكة» و باب شمالي و يسمى «باب جديد» و باب جنوبي و يسمى «باب شريف» و كان لكل باب منها برجان عن يمين الباب و عن شماله، و للأبراج نوافذ كبار لوضع المدافع و ثقوب صغار لرمى الرصاص من البنادق، و في أعلى البروج متارس لوقوف الجنود عند

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣١٩

الحاجة. و كان هناك خندق خارج السور يحيط به من جميع الجهات، و رأس الخندق متصل بالبحر الأحمر من الجهة الشمالية لذلك يمكنهم ملؤه بالماء في بضع ساعات، و بذلك يصعب للعدو الاستيلاء على جدة. و مما يجب ذكره أنه لما صار السفر في عهدنا الحاضر من جدة إلى مكة بل إلى جميع جهات المملكة بالسيارات بدلا عن الجمال، فقد عملت الحكومة السعودية طريقا خاصا لها معبد بالإسفلت و ذلك سنة (١٣٥٧) ألف و ثلاثمائة و سبع و خمسين من الهجرة، و قد حدث هذا لأول مرة في التاريخ.

## عدد منازل جدة و سكانها قديما و ماؤها و تجارتها و قبر أمنا حواء

قال الغازي: و في الرحلة الحجازية «و مؤلفها البتونى الذى حج في عام (١٣٢٧ هـ) ألف و ثلاثمائة و سبع و عشرين من الهجرة» و تحتوى جدة على نحو (٣٥٠٠) منزلا مبنية بالحجر الجبلى الذى يأتون به من الجبال القريبة أو الحجر المائى الذى يقطعونه من شعاب البحر، و هو خفيف جدا إلا أن خطره جسيم، و ضرره عظيم، لأنه قابل للإلتهاب بسرعة لما يحتويه من المادة الفسفورية التى توجد فيه بكثرة. و لمحمد على باشا فى هذه المدينة مبان كثيرة منها: دار الولاية و دار البلدية و ثكنات العساكر و غيرها. و ماء الشرب فيها من الصهاريج القديمة التى تملأ من ماء المطر أو العيون الموجودة خارج المدينة. و كلما قربت تلك العيون من البحر كانت مياهها مالحة غير صالحة للشرب، و فيها مواسير كان وضعها عثمان باشا نورى سنة (١٣٠٢) و سير الماء فيها من عين الرغامى التى تبعد عن المدينة شرقا بنحو عشرة كيلو مترات، و هى الآن منهدمة. و قد اهتمت بلدية المدينة بإصلاحها و لكن يظهر أن الحكومة لا يمكنها عمارتها إلا- بمعونة الأهالى و هم لا- يساعدون على ذلك لأن لهم مصلحة فى بيع مياه صهاريجهم على الحجاج بأثمان باهظة، و فى هذه المدينة كنداسة لبعض الفرنجة لتكرير مياه البحر و بيعها للناس.

و جدة مركز تجارى كبير، و يمكنك أن تقول أنها الثغر العمومى للحجاز، فمنها صادراته و إليها وارداته، و تجارتها تكاد تنحصر فى أصداف اللؤلؤ و المرجان و اليسر و السبح و الأقمشة الحريرية و العطر و العطاره و البقاله الجافه و القرب و الجلود و السجاجيد و جميع ما يهيم الحاج. و تعداد أهل هذه المدينة لم يحصل بصفة رسمية

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٢٠

و هو يبلغون خمسين ألفا على أضبط تقدير، منهم عشرة آلاف من الأجانب المسلمين بين فرس و حضارم و هنود و بخاريين، أما الفرنجة فيبلغ عددهم مائة أو يزيدون قليلا، و أغلبهم من الأروام. و يوجد خارج هذه المدينة من جهة الجنوب مدفن للنصارى محاط بسور عال و عليه خفير من الأعراب لا يدع أحدا يدخل فيه من غير ذويه.

أما مدافن المسلمين فإنها فى الجهة الشرقية على مسافة نحو كيلو متر من بابها الشرقى الذى يسمونه باب مكة. و عليها سور يفتح بابه للغرب، فإذا دخلت من هذا الباب وجدت أمامك رأس قبر طويل ضارب إلى الشمال بمسافة مائة و خمسين مترا على ارتفاع متر و فى عرض نحو ثلاثة أمتار، و هو ما يسمونه قبر أمنا حواء، و هو أشبه شئ بقناة مسدودة من طرفها الجنوبى بثلاث حوائط من مربع ينقصه الحائط الشمالى الذى هو من جهة القبر. و طول كل حائط أربعة أمتار فى ارتفاع مثلها، و فى كل منها شباك تخرج منه فروع عوسجة

كبيرة تكاد تسد فراغ هذا المربع الذى هو مكان الرأس عندهم، و فى نهاية هذا المستطيل من جهة الشمال حائط يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار فى وسطه من أعلاه شرفة تحتها شباك يطل على القبر من جهة القدمين، و فى نحو ثلثى طوله من جهة الرأس فيه يفتح بابها إلى الغرب، و فيها شباك كان يشرفان على جهتي القبر، و فى وسطها مقصورة من الخشب عليها ستر من الجوخ فيها باب مقابل لباب القبّة يقولون: هذا مكان السرّة الشريفه فيه حجر من الصوان يبلغ طوله نحو متر محفور من وسطه.

و لما قصد الشريف عون الرفيق هدم قبته فيما هدم من القباب بمكة قام فى وجهه قنصل الدولة و حالوا بينه و بينها بدعوى أنها ليست أم المسلمين و حدهم اه. أقول قد هدمت هذه القبّة فى سنة (١٣٤٤). انتهى من الغازى.

انظر: الصور أرقام ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩ لمركز الشرطة بين مكة و جدة.

يقول المرحوم أمير اللواء البحرى أيوب صبرى باشا فى الجزء الثالث من كتابه «مرآة الحرمين» الذى ألفه باللغة التركية سنة (١٢٨٠ هـ) ألف و مائتين و ثمانين هجرية تقريبا. و طبع بالقسطنطينية سنة (١٣٠٦) هجرية أنه كان لسور جدة ستة أبواب: (١) باب مكة، و يقع شرق جدة، (٢) و باب المدينة، و يقع فى شمال جدة، (٣) و باب الشريف، و يقع فى جهة اليمن، (٤) و باب الشهداء، و يقع

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٢١

جهة البحر، (٥) و باب المغاربة، و يقع جهة البحر أيضا، (٦) و باب البحر، و يقع جهة الغرب. و لسور جدة برجان أحدهما «برج ليلى» و ثانيهما «برج مجنون ليلى».

ثم ذكر أيوب صبرى باشا رحمه الله تعالى فى كتابه المذكور بعض مرافق جدة، كما يأتى:

عدد/ المرفق

١/ قشلة للجنود.

١/ محل للحبس.

٥/ جوامع.

٣٠/ مسجد.

١/ دائرة حكومية.

١/ دائرة للجمرك.

٧/ مدافن.

٢/ برج.

٣٠٠/ صهريج للماء.

١/ حمام.

٩٠٠/ دكان.

٤٠/ قهوة.

٤٧/ فرن.

١/ فابريقة للدقيق «أى طحن الحبوب بآلة الماكينة».

٤٧/ طاحونة حجر للحبوب تديرها الحيوانات.

١٠/ دكاكين طبخة.

١/ دكان لبيع البويات.

٢/ لو كاندّه «فندق».

٣٠/ خان «أى محلات عامه للمبيت».

عدد/ المرفق

١/ محل لبيع الحوت «السمك».

١/ مستشفى.

١/ أجزاخانة «صيدلية».

١/ فابريقه للصدف.

١/ مدرسه رشديه.

١٠/ كتابيب للصبيان.

١/ دائره كرتينه.

١/ دائره للتلغراف «للبرقيات».

١/ مجزرة «سلخانة».

٢/ محل للنوره.

١/ محل لبيع الغاز.

٤/ أحواض.

٩/ حنفيات للماء عموميه «أى بزاييز ماء».

١/ قلعه.

١/ دائره بلديه.

٦/ قره أو لخانه «لم نفهم معناها».

١/ سفائن؛ صودبوسى «أى مستودع الماء للسفن».

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٢٢

انتهى مترجما من كتاب «مرآة الحرمين» الذى باللغة التركيه لأيوب صبرى باشا. أما الآن فقد أصبحت جدّه مدينة عظيمة، و بها من المرافق و الدكاكين ما لا يعد و لا يحصى، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء.

### عمران جدّه بعد سنة ١٣٣٤ هجرية

جاء فى تاريخ الغازى، نقلا عن جريدة القبلة، التى كانت تصدر بمكة، ما يأتى: من ابتداء النهضة «أى نهضة الشريف الحسين بن على ملك الحجاز الأسبق، رحمه الله تعالى، و هى كانت سنة أربع و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة إلى شهر صفر سنة ١٣٣٧ هـ»، أصلحت فى جدّه ثكنتها العسكرية، و عمرت باب النافعة، و أنشئت دائره رئيس هيئه المراقبة، و دائره البريد و البرق، و دائره رئيس المرفأ، و عمّر تحت الدائرتين الأخيرتين باب الصبة، و مخفر الشرطة، و عمّر فى دائره الجمرك ثلاث مخازن كبيرة عند الميناء تستوعب مائة ألف كيس.

و أنشئ مخزن الذخائر الحربيه، و أصلحت المخازن القديمه، و أحدث تعديل فى شارع الاسكله، و عمّر باب مكة بمداخله الثلاثه، و أحدث باب المغاربه من جديد و أصلحت الأسوار و زينت كل الدوائر الرسميه بالأمرة العربيه الجديده. و آخر ما أقامته الحكومه من معالم العمران فى جدّه افتتاحها الشارع الجديد الذى سمى الشارع القبلى، و هو يتدئ من باب الصبة و ينتهى بمسجد المعمار و ينفذ منه إلى باب مكة إلا أن هذا الشارع يتدئ بدائره الجمرك و البحر و ينتهى بباب مكة، و سيفتح من هذا الشارع منفذ إلى سوق

الحراج فيتصل الشارعان بشكل متعارض. وقد أنشئت فوق دكاكين الشارع الجديد غرف جميلة تكون مكاتب لأصحاب تلك الدكاكين. انتهى ذكره في جريدة القبلة. انتهى من الغازي.

### ازدياد العمران و السكان بجدة

كانت جميع منازل جدة، قبل هدم سورها سنة ألف و ثلاثمائة و سبع و ستين من الهجرة في داخل سورها إلا بضعة بيوت تعد على الأصابع كانت خارجة عن سورها. و كانت بيوتها من حجارة صخور جدة المائيه، و هي حجارة بها ثقوب كثيرة صغيرة من فعل ماء البحر و الرطوبة يقال عنها أنها إذا لم تستتر هذه الحجارة بعد بناء البيوت بها بالنورة فإن ثقوبها تزداد اتساعا فتتلف سريعا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٢٣

و لما كانت طبيعة جدة رطبة ندية انطبعت بيوتها و منازلها بشكل خاص فإن لون خشب منازلها من الأبواب و الشبابيك و غيرها يضرب إلى لون الرماد.

و لما أنعم الله عز و جل على أهل البلاد بالمال و الغنى، و كثر الماء بجدة بفضل عناية جلاله مليكنا الراحل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى انتعش أهل البلاد و اهتموا بناحية العمران و التجارة اهتماما زائدا، فبلغت جدة أضعاف أضعاف ما كانت عليه من عدد سكانها و ازدياد مبانيها و عماراتها. تلك العمارات التي بنيت على الطراز العصري الحديث بالإسمنت المسلح بالحديد و بالطوب العربي و الافرنجي حتى صارت تضاهي البلاد الخارجية.

و لقد امتد العمران بجدة في زماننا هذا من جميع جهاتها، ما عدا الجهة البحرية طبعاً، فمن جهة المدينة امتد نحو أربعة عشر كيلو متراً، و من جهة مكة نحو عشرة كيلو مترات، و من جهة اليمن أي الجنوب نحو خمسة كيلو مترات.

أما سكانها الآن فلا تتجاوز ربع مليون نسمة على وجه التقريب بعد أن كانت إلى سنة (١٣٦٠) لا تتجاوز العشرين ألف. و الأسباب الداعية إلى ازدياد السكان بجدة كثرة توفر المياه بها و الأمن الشامل و ازدهار العمران بها، و فتح باب الهجرة إليها بسبب حرب فلسطين و غيرها و كثرة الأعمال بها.

انظر: صورة رقم ٣٣٠، أحد الشوارع القديمة بجدة قبل سنة ١٣٦٥ هـ

انظر: صورة رقم ٣٣١، بعض المنازل بجدة

انظر: صورة رقم ٣٣٢، بعض المنازل بجدة

انظر: صورة رقم ٣٣٣، شارع الملك عبد العزيز رحمه الله بجدة

### ضواحي جدة قديما و حديثا

نقصد بالضواحي الأحياء المحيطة بجدة، و هذه النواحي كانت مفصولة عن جدة إلى سنة (١٣٥٥) خمس و خمسين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، فلما كثر سكان جدة و امتد عمرانها إلى جميع جهاتها اتصلت هذه الضواحي و النواحي بالمنازل الحديثة المتصلة هذه بالمنازل القديمة فأصبح الجميع بلدة واحدة.

فإذا تكلمنا عن الضواحي القديمة فيكون باعتبار ما قبل السنة المذكورة و هي سبعة ضواحي كما يأتي:

(١) النزلة اليمانية: و تبعد عن مدينة جدة بمسافة ساعة بالقدم تقريبا.

(٢) بني مالك أو النزلة الشمالية: و تبعد عن المدينة مسافة ساعتين بالقدم تقريبا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٢٤

- (٣) الرويس بالتصغير بقسميه التحتاني و الفوقاني: و هي بجهة الشمال قريب من الساحل. و تبعد عن جدة بنحو ساعتين بالقدم تقريبا.
- (٤) الكندرة: بفتح الكاف و سكون النون، و تبعد عن المدينة بمسافة ساعة سير بالقدم.
- (٥) البغدادية: و تبعد عن المدينة مسافة ساعة بالقدم.
- (٦) الشرفية: بفتح الشين و الراء، و هي بين الكندرة و البغدادية.
- (٧) السيل: كان يسمى رأس القائم و كان بناؤه حوالي سنة (١٣٠٥) خمس و ثلاثمائة و ألف، و يسمى السيل أيضا «القبه».
- انظر: صورة رقم ٣٣٤، لمسجد في طريق جدة
- و أما الضواحي الحديثة التي أنشئت بعد السنة المذكورة فهي أربعة ضواحي كما سيأتي:
- (١) العمّارية: و هي قريبة من جدة.
- (٢) الهنداوية: و تبعد عن جدة بنحو أربعين دقيقة.
- (٣) النزلة الجنوبية أو الثعالبه: و تبعد عن جدة مسافة ساعتين بالقدم.
- (٤) مدينة الحجاج: و تبعد عن جدة بنحو ساعة بالقدم تقريبا و قد تأسست في عام (١٣٦٩ هـ) و تم بناؤها في عام (١٣٧٣ هـ).
- و كل هذه الضواحي القديمة و الحديثة في وقتنا الحاضر تعتبر من نفس مدينة جدة، و كلها أهله بالسكان و العمران، و بها مباني فخمة و عمارات بالإسمنت المسلح مزودة بالكهرباء و أنابيب المياه. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٣-٦ ؛ ص ٣٢٤

### أنواع المياه التي كانت بجدة

كانت جدة تعاني أزمة كبيرة في الماء، و كان بها ثلاثة أنواع من المياه:

«أولها» تسمى «ماء الكنداسة» و الكنداسة عبارة عن ما كينة خاصة لتكرير ماء البحر المالح فيعود عذبا صافيا كما سيأتي الكلام عنها، و هذا الماء يشربه الأغنياء و الأعيان و سفراء الدول الخارجية فيستعملونه فقط للشرب و الطبخ و الشاي و القهوة، «و ثانيها» ماء الآبار و الصهاريج و الحفر التي تتجمع فيها مياه الأمطار.

و هذا الماء يستعمل أيضا في الشرب و الطبخ و الشاي و القهوة و نحوها، و أحيانا إذا كثرت الأمطار يحملون الجمال بالماء من الآبار التي في بعض نواحي جدة كبر

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٢٥

بريمان و بئر عسيلة و نيسان و يأتون بها إلى جدة فيبيعونها، و ماء هذه الآبار عذبة.

«و ثالثها» ماء الرديخ و هي الماء المستخرج بواسطة الدلاء من الآبار المحفورة في وسط البلدة القديمة، و هي مالحة غير صالحة لنحو الشرب، و إنما تستعمل في الاستنجاء و غسل بيوت الخلاء و رش الأرض و نحو ذلك، و كلما حفرت بئر قريب من البحر كلما زادت ملوحتها.

### الكنداسة

الكنداسة: آلة ميكانيكية تتركب بجانب البحر فتكرر الماء و تقطرها كالبخار، فالماء الحلو المقطر يذهب إلى مواضع خاصة لاستعمال الناس، و الماء المالح المنفصل من الآلة يجري إلى البحر ثانيا.

جلبت الحكومة التركية كنداسة صغيرة لبلدة جدة في عام (١٣٢٧ هـ)، و كان موقعها في موقع بناية خفر السواحل الحالي، و استمرت تلك الكنداسة في العمل إلى عام (١٣٣٣ هـ)، ثم استحضرت الحكومة التركية كنداسة كبيرة التي كان موقعها في محل الكنداسة

الحالي خلف بيت البغدادي من الجهة الغربية. و في تلك السنة احتفلت الحكومة التركية احتفالاً بهيجاً بمجيء الكنداسة الكبيرة و مجيء مكائن الثلج في ذلك الوقت و كان الناس في تعب شديد بسبب المياه.

### تشكيل هيئة من أهالي جدة للبحث عن منابع الماء سنة (١٣٢٧)

قال الغازي: في أول الجزء الثالث من تاريخه عند الكلام على تولية الشريف الحسين بن علي أميراً على مكة من قبل الدولة العثمانية «أى ملك الحجاز الأسبق فيما بعد» ما يأتي:

فعند وصول الشريف حسين بن علي من الأستانة إلى جدة و ذلك في ٩ ذى القعدة سنة (١٣٢٦) ست و عشرين و ثلاثمائة و ألف هجرية، استقبل دولته من أهالي جدة و من أهالي مكة الذين حضروا لاستقباله، فاستقبلهم باللطف و البشاشة، ثم ارتجل خطبةً بليغةً موجزةً.

و بعد أن ذكر الغازي نص خطبته في تاريخه قال ما يأتي:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٢٦

و قد تشكلت هيئة من خيرة الأهالي بجدة بقصد البحث و التنقيب عن منابع المياه التي تكون بقرب جدة رفعا للضرورة الشديدة المستمرة بها من جراء فقدان الماء الصالح للشرب، و قد كانت هذه الهيئة تبدل كل مجهودها في تشكيل شركة وطنية يناط بها جلب ما يظهر من الماء الصالح للشرب إلى جدة و أنها استحضرت مهندسا لهذه الغاية.

و لما وصل سمع الأمير الكريم و هو بجدة هذه الهيئة الرشيدة سر كثيرا بها و بأعمالها المهمة الوطنية، و في الوقت ذاته تبرع بالقسط الذي يخص دولته من رسم التخريجية و هو قرشان «على كل جمل» بأمل تسهيل أمر هذه الهيئة و الوصول إلى الغرض المطلوب بما أمكن من السرعة.

و مجموع ما يتحصل من هذا المقدار في السنة يبلغ نحو ثلاثة آلاف من الجنيهاً، فتبرع أميرنا الجليل بمثل هذا المبلغ المهم لمثل هذه الغاية الشريفة، هو من الأريحيات العربية العالمية التي تعهدتها الأمة و يعهدتها تاريخها في بيت النبوة الكريم. انتهى من الغازي.

قال الغازي في الجزء الثالث من تاريخه: و في سنة (١٣٣٩) تسع و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة، أمرت الحكومة الهاشمية بمباشرة العمل لجلب المياه إلى جدة، و استحسنت بحث آبار الوزيرية للاستفادة بالمجرى الذي تأسس لمياهها منذ العهد المعلوم فباشروا العمل فيها بجهد و اجتهاد، و بعد ما مضى شهرين تفجرت ينابيع الماء بها و جرى إيصاله إلى جدة بواسطة محرك بخاري، و هو ماء في غاية الحلاوة و العذوبة، و قد أ برق متولى رئاسة ذلك العمل رئيس المحاجر العمومية إلى جلاله الملك هذا نصها: توجهت اليوم صباحاً إلى الوزيرية و أتممت العمل و مشت المياه بكل سهولة بمته و توفيقه و رضاه جلاله مولانا المعظم فإذا امتلأ بالماء غدا البازان الكائن بداخل البلدة سيجرى فتحه للعموم، و ذلك حرصاً على صفاء الماء خشيةً مما يحدث عند جريانه في المجرى المذكور لانقطاعه عن الماء تلك المدة الطويلة، و لذا أسرعنا بالعرض لأعتابكم الملوكية، أطال الله بقاءكم. انتهى. جاء الخبر بعد ذلك أنه تأخر امتلاء البازان المذكور عن الموعد المقرر بسبب أن القسم المعمول بالبرابخ من مجرى الماء المذكور تفزّر عند مرور الماء به، و أن التعمير جار فيه بهمة و نشاط.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٢٧

و في تاسع محرم الحرام سنة (١٣٤٠) تم إصلاح مجرى ماء الوزيرية و وصلت مياهها إلى جدة و افتتح بازانها المخصوص بالبلدة للاستقاء منه، ثم حصل خراب من جراء السيل الذي مر بها، فبادرت الحكومة بإصلاح ما اعترها من آثار السيل، و تم إصلاحها و جرى ماؤها و امتلأ بازان جدة منها. و في عشرين شعبان من السنة المذكورة استقى الجمهور منه حتى بقي به ما زاد عن حاجتهم، و

ظل الماء يجري بكثرة و يصب في البازان المذكور. انتهى من الغازى.

### وصول عين الوزيرية إلى جدة

جاء فى الجزء الرابع من تاريخ الغازى ما نصه: و قال العلامة الطبرى فى إتحاف فضلاء الزمن فى ذكر حوادث سنة (١١٣٥) ألف و مائة و خمس و ثلاثين هجرية، بلغنا أن على باشا اقتضى رأيه على أن يدخل العين إلى جدة، و سرح معلمين ليحفروا عن العين، و أرسل إلى الشيخ سالم البصرى يطلبه برباخ بثمانى ليمشى بها العين، فأرسل إليهم فوق مائتين برباخ من الكبار، و هذه العين فى السبيل بقرب جدة، و كان أدخلها إلى جدة فى حدود سنة تسعين و ألف معمار يقال له أحمد كردو، عمّر حماما بجدة و دارا و حوشا كبيرا وصل إليه العين المذكورة جزّها برباخ حتى دخلها، لأنها كانت ضعيفة جدا. و كان يحصل عندها صياح و خصام فسّدها سليمان باشا. و لما جاء هذا الباشا استقرى هذا العين فوجد أصلها فوق السبيل فسرح لها كما ذكرنا عمالا. انتهى.

و السبيل المذكور هنا: هو مكان قريب من جدة بينهما نحو ساعتين أو أقل سيرا بالقدم، و يطلق عليه القبة، كما يطلق عليه رأس القائم. قال الغازى بعد ما تقدم: و فى كتاب دليل الحج لصادق باشا أن عثمان نورى باشا فى سنة (١٣٠٢) اثنتين و ثلاثمائة و ألف، وضع مجارى تحت الأرض لإيصال عين الرغامه إلى جدة، فأوصلت الماء إلى حوض كبير كمخزن لخارج البلد و منه توزعت بواسطة مواسير متفرقة إلى داخل البلد لسبعة حيضان بحفريات كافية لشرب أهالى البلد و زيادة حتى استغنى عن شرب ماء الصهاريج رغما عن تشكى أصحاب الصهاريج للآستانه بتعطيلها لمنفعتهم. و اعتنى بتنظيف الشوارع و صارت الصحة للغاية، و سميت هذه العين بالحميدية لظهورها فى عصر مولانا السلطان عبد الحميد خان، اه. انتهى من الغازى.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٢٨

نقول: إن هذه العين التى جلبها الوزير عثمان نورى باشا إلى جدة، و التى سموها فى وقتها «عين الحميدية» هى التى اشتهرت فيما بعد إلى اليوم «بعين الوزيرية»، نسبة لجالبها الوزير عثمان المذكور، و استمرت هذه العين جارية فى جدة إلى آخر سنة (١٣١٨ هـ)، ثم حصل فيها خراب، ثم قامت بلدية جدة بإصلاحها و إيصال العين إلى البلدة سنة (١٣٢٧ هـ) بمساعدة أمير مكة الشريف الحسين رحمه الله تعالى عند أول توليته الإمارة حتى وصل الماء من جهة الرغامه إلى السبيل قرب جدة، ثم وصل منه إليها إلى بازان العيدروس و إلى بقية البازانات التى أصلحت، و مع ذلك كانت هذه العين لا تكفى جدة، فكانوا يعتمدون على الآبار و الصهاريج حتى جاءت العين العزيزية فاستغنى عن كل ذلك كما سيأتى بيانه.

و قد تولى الشيخ محمد صالح جمجوم رحمه الله تعالى رئاسة عين الوزيرية و بقى فيها إلى أن توفى، ثم تولى بعده الشيخ عبد الله الصّغير، بتشديد الياء و بقى فيها إلى أن توفى، رحمه الله تعالى.

### وصول العين العزيزية إلى جدة

لما رأى جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى و غفر لنا و له ما يعانىه أهل جدة من ناحية الماء أمر بجلب الماء من العيون القريبة من جدة فوصلت الماء إلى جدة فى شهر ذى الحجة سنة (١٣٦٧) سبع و ستين و ثلاثمائة و ألف هجرية. و لقد عمل احتفال كبير بجدة لوصول عين العزيزية إليها و ذلك فى أوائل محرم الحرام عام (١٣٦٨ هـ). و قد عملت مجارى و بازانات جديدة لعين العزيزية و هجرت العين الوزيرية السابقة مع بازاناتها، كما هجرت الصهاريج القديمة و الحفر الراكدة التى كانت موبوءة بالقدارة و الأوساخ، فنسبت هذه العين إلى جالبها الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله تعالى، فقيل لها (عين العزيزية).

و عين العزيزية تأتى من بعض العيون بوادى فاطمة، كأبى شعيب و الجموم و المهنية و الخلاص و بعض الآبار المحفورة بوادى فاطمة.



و رئيس هذه العين فى الوقت الحاضر هو الشيخ عثمان باشا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٢٩

و بوصول هذه العين - عين العزيزية - إلى البلدة ازدهرت جدة و كثر سكانها و امتد عمرانها إلى جميع الأطراف و صارت منازلها التى بنيت حديثا خارج السور محاطة بالأشجار و زروع الزينة و الرياحين. فسبحان المتصرف فى الكون.

و لا شك أن جلب المياه للناس من الصدقات الجارية، فجزى الله جالبها الملك عبد العزيز آل سعود خير الجزاء و أسكنه فسيح جنته و تجاوز عن سيئاتنا و سيئاته بفضلته و منته و رحمته آمين و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين، اللهم آمين.

انظر: صورة رقم ٣٣٥، البيوت بين جدة و مكة

انظر: صورة رقم ٣٣٦، مسجد عكاش بجدة و يظهر فيها بعض البيوت و المباني

انظر: صورة رقم ٣٣٧، مرفأ جدة قديما

### ميناء جدة قديما و حديثا

كانت البواخر و المراكب الكبيرة تقف من شاطئ جدة على بعد ثلاثة أميال تقريبا، لأن ميناءها غير عميقة و بها شعاب و نواتئ تستحيل دخول البواخر فيها، أما السناييك و الهوارى و اللنشات و الزوارق البخارية فتمشى و تجرى إلى أن ترسى على البر بدون خوف و لا حرج لخفتها.

انظر: صورة رقم ٣٣٨، مرفأ جدة حديثا

انظر: صورة رقم ٣٣٩، لبواخر الحجاج قرب وصولها جدة

انظر: صورة رقم ٣٤٠، لنزول الحجاج من الباخرة فى جدة

انظر: صورة رقم ٣٤١، للحجاج الأندونوسيين و هم ينزلون من الباخرة فى جدة

انظر: صورة رقم ٣٤٢، لبعض الحجاج على سطح إحدى البواخر

### بناء جرك جدة فى الزمن القديم

جاء فى الجزء الثانى من تاريخ الغازى نقلا عن الخلاصة ما يأتى: و فى سنة (٨٠٦) ست و ثمانمائة، استخدم الشريف حسن بن عجلان بجدة جابر الحراشى و فوض إليه الأمر فى جميع ما يصل إليها من جهة الشام و اليمن، فنهض بخدمته نهوضا لم ينهض لمثله أحد من خدامه فيما مضى، و عمّر الحراشى الموضع الذى يقال له «الفرضة بجدة» ليحاكى بها فرضة عدن، و قرر لبنى حسن الرسوم التى

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٣٠

يتناولونها الآن و جعلها لهم فى ثلاث حالات، و أبطل رسومهم السابقة، و كانت تؤخذ من التجار سبيلا فأراح الناس من مطالبتهم. انتهى.

قال فى مختار الصحاح: و فرضة البحر محط السفن. اه.

و لقد حصلت بعد نهضة الشريف الحسين رحمه الله تعالى التى كانت سنة ألف و ثلاثمائة و أربع و ثلاثين هجرية بعض عمارات فى جدة منها عمارة بعض النواحي فى الجمرک.

ثم فى عهد الحكومة السعودية حدث عمارات عظيمة جدا فى الجمرک بل إنه لما أنشئ الميناء الجديد على البحر أنشئ جمرک كبير جديد يناسب التطور الجديد الذى حدث فى المملكة السعودية. أدام الله علينا نعمه و توفيقه.

انظر: صورة رقم ٣٤٣، بعض الأشجار في طريق جدة

## أهل جدة وعاداتهم

لقد مكثنا بجدة نحو خمس عشرة سنة فعرفنا أهلها الفضلاء، و عرفنا عاداتهم الحسنة، فلئن تكلمنا عنهم هنا فإنما نتكلم عن خبرة و دراية، و إن قررنا عنهم شيئاً فإنما نقرر الحقيقة الواقعية فنقول و بالله التوفيق:

إن أهل جدة يغلب عليهم الطيب و الوداعة و حسن النية و سلامة الضمير، و هم أهل شهامة و نخوة، يحبون الخير، و يكرمون الغريب، و يواسون المكروب، و يتعاونون على أعمال البر و الإحسان، الغالب عليهم الاشتغال بالتجارة و التكسب بالمال، و بعضهم يشتغل بصيد الحوت و السمك من البحر الأحمر و لن تجد منهم متسولاً أو شحاذاً في الأسواق و إن وجد فهو من الغرباء.

و تجارهم يخرجون زكاة أموالهم عند وجوبها عليهم سرا و جهرا، و ذلك بعد النصف من شهر رمضان في كل عام، و يعطون النعمة حقها، لا تجد فيهم بخيلاً يقتر على نفسه أو على عائلته و أولاده، و كلهم يراعون حقوق الجار، و الصغير منهم يوقر الكبير، و الأولاد قد لا يجلسون في مجالس أبيهم.

و من عاداتهم الحسنة المبادرة للأعمال الخيرية و مواسة المحتاجين و المنكوبين فإذا حدث أمر ما بادروا بالاكنتاب لجمع الإعانات، و يقوم بعضهم بالقيام لهذه الخدمة فيدور عليهم لجمع الدراهم.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٣١

و من أحسن عاداتهم اجتماعهم للتزاور فبعض الأصدقاء ممن تتفق مشاربهم ينظمون زياراتهم لبعض بالدورية، بمعنى كل جماعة تجتمع لدى أحدهم في ليلة مخصوصة، فهم يدورون على بعضهم دوران أيام الأسابيع، ففي كل يوم يجتمعون عند شخص منهم للسمر و الحديث.

و من عاداتهم المحمودة: أن غالب أغنيائهم إذا كانت عائلة أحدهم كبيرة، فإن الرجال يأكلون على مائدة خاصة، و النساء يأكلن على مائدة خاصة، و قد يكون مع الرجال بعض الضيوف و مع النساء مثل ذلك، و هذه خصلة يغبطون عليها.

و من عاداتهم الممدوحة: أنه إذا حصلت مخاصمات و اختلافات بين بعضهم فإنهم يحلون مشاكلهم فيما بينهم، و قلما يتصلون بالمحاكم، و إن في أهل جدة بعض أشخاص ممن يتصفون بالأوصاف التي ذكرناها و فيهم من الفضل و الذكاء و الوجيهة و الوقار و العلم و الصلاح و الدين و الدنيا معا يقصدون في المهمات لا نحب ذكرهم خوفاً من أن ننسى بعضهم سهواً فنسى إليهم، لكن لا بد لنا من ذكر ثلاثة رجال فضلاء ممن نتصل بهم بصداقة قوية و نعرفهم حق المعرفة للاستشهاد و العظة و الاعتبار:

فالرجل الأول هو الشيخ: محمد صالح جمجوم رحمه الله تعالى، المتوفى سنة (١٣٦٣ هـ) ثلاث و ستين و ثلاثمائة و ألف، و هو الشقيق الثاني للشيخ عبد الرؤوف جمجوم المتوفى سنة (١٣٣٨ هـ) هجرية، فالشيخ محمد صالح جمجوم هو فريد عصره و وحيد زمانه، و كان عميد بيت الجمجوم بعد أخيه، و كان أكبرهم سناً و مقاماً، و كان معه من إخوانه الأشقاء ثلاثة: (١) الشيخ عبد الرؤوف، و هذا توفي سنة (١٣٣٨)، (٢) الشيخ محمد، و قد توفي سنة (١٣٥٢) أو في السنة التي بعدها، (٣) الشيخ حسن، و هذا توفي سنة (١٣٦٦) تقريباً، (٤) الشيخ صلاح، و قد توفي سنة (١٣٦٥ هـ)، (٥) و الشيخ عبد المجيد، (٦) و الشيخ مرشد، و هذان توفيا بعد الشيخ عبد الرؤوف جمجوم المذكور.

و لكل من هؤلاء عدة أولاد ذكورا و إناثاً، بل الشيخ صلاح له من الأولاد اثنا عشر ولداً و كلهم فضلاء محترمون أهل دين و استقامة، و أكبر أولاده هو الشيخ محمد نور جمجوم، و غالب هؤلاء يشتغل بالتجارة.

لذلك كان آل الجمجوم بجدة من العائلات الكبيرة يزيد عددهم على ثمانين شخصاً، و كان الشيخ محمد صالح جمجوم رحمه الله تعالى يتولى شؤون الجميع،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٣٢

وإن أبناء إخوانه كلهم من صغير و كبير لا يراجعون آباءهم في شيء مطلقاً، وإنما يرجعون إلى عمهم الأكبر محمد صالح المذكور، وليس لهذا سوى بنت واحدة لم يخلف ولداً ذكراً.

وكان من عادة الشيخ محمد صالح أنه يتولى صرف النفقات على جميع العائلة من المأكل والمشرب والملبس والثياب وغير ذلك. وكان الرجال والأولاد يأكلون وحدهم على مائدة خاصة تمت لهم بعد الظهر في أسفل الدار، والنساء لهم مائدة خاصة، أما أكلهم في إفتار الصباح أو بعد المغرب في العشاء فكل عائلة منهم يأكلون وحدهم مع أطفالهم، وكان يذبح لهم يومياً شاة واحدة أو شاتان. وكان هذا هو دأبهم ونظامهم ومعيشتهم لم يختلف يوماً واحداً مع عميد العائلة الشيخ محمد صالح جمجوم، إلى أن توفي رحمه الله تعالى، وبعد وفاته اختلف الأمر واستقلت كل عائلة بنفسها، و نعتقد أن هذه الحالة في هذه العائلة لم يكن لها مثيل بجدة بل لا مثيل لها في المملكة كلها.

ولقد كان الشيخ محمد صالح جمجوم علاوة على اشتغاله بالتجارة الواسعة، كان يشغل عدة وظائف حكومية فخرية أي بدون راتب شهري، فكان مديراً على الأوقاف، ورئيساً على عين الوزيرية، ووكيلاً عاماً على مدرستي الفلاح بجدة ومكة، وكان يقصد لفض المشكلات والمنازعات، فكان رحمه الله تعالى يقوم بأداء هذه المهمات بنفسه، ومع كثرة أشغاله لا تراه إلا ضاحك السن بشوش الوجه يقابل الناس باللطف والاحترام كل واحد بحسب درجته، لذلك كان محبوباً من جميع الناس، وكانت له مكانة مرموقة من الحكومة وكان جلاله الملك عبد العزيز آل سعود يحبه كثيراً، رحمهما الله تعالى رحمه الأبرار.

وكان الشيخ محمد صالح جمجوم قبل كثرة انتشار السيارات بالبلاد يمشى في شوارع جدة وأسواقها على رجله لفض المصالح فيسلم عليه الفضلاء ويستوقفه ضعفاء الناس وفقراءهم، وأساتذة مدرسة الفلاح وأولياء الطلبة، وإذا غضب أحدهم فانقطع عن المدرسة كان يذهب إليه بنفسه يسترضيه، وربما استوقفته امرأة من الأراذل تفضي إليه بحاجتها، فيقف مع كل منهم بغاية الرضا بدون أن يتبرم أو يضيق منهم.

وكان رحمه الله تعالى للغرباء خير ملجأ فيقصدون بيته للضيافة ولتسهيل أمور سفرهم فيقوم بتسفيرهم تحت ضمانته وكفالاته في الشرطة، وكان يحب أهل الدين

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٣٣

وأهل العلم ويكرمهم، وكان الرجل في نفسه صالحاً مستقيماً كريم النفس مرحاً لطيفاً أنيساً متواضعاً عظيم الأمل في الله سبحانه وتعالى حسن الظن به.

والحاصل مهما أطنبنا في مدحه لا نفى بحقه، ويكفي أنه نادرة الزمان فإننا لم نجد مثله في جميع البلاد، فرحمه الله رحمةً واسعة وأسكنه فسيح جنته وجزاء خير الجزاء بفضله وإحسانه فإنه تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

انظر: صورة رقم ٣٤٤، الشيخ محمد صالح جمجوم ت ١٣٦٣ هـ،

انظر: صورة رقم ٣٤٥، الشيخ صلاح جمجوم ت ١٣٦٥ هـ،

أما الرجل الثاني فهو الشيخ: محمد صالح بن علي باعشن التاجر الشهير بجدة حفظه الله تعالى، هذا الرجل كبير آل باعشن ومفخرتهم بجدة، يبلغ من العمر تسعين سنة وعلى قدر ما هو ضعيف في جسمه فهو قوى الذاكرة كبير العقل عظيم الفضل، لقد ذهب بصره في الثلاثين من عمره تقريباً لكن الله عز وجل قد عوضه بتتوير بصيرته و غزارة عقله. وله مكانة عالية لدى أهل البلدة فيزورونه ويستشيرونه في كثير من المسائل، وأنه يفض المشكلات والمنازعات التي تقع بين بعضهم وأنهم يحبونه ويسمعون كلامه لأنه خير مجرب و ناصح، ولأنه يمتاز بالوقار والتأني في عواقب الأمور، كما يمتاز وهو في كبر سنه بأدب بالغ وحشمة عظيمة وشعور رقيق، يعطى كل جليس ما يستحقه من الإكرام على حسب مقامه، ويصبر على جلسه المكروه الثقيل فلا يكسر بخاطره حتى ينصرف، وأنه

على ما فيه من ضعف وكبر يجب مجالسة الناس ولا يسأم من مخالطتهم على اختلاف طبقاتهم، ويقابل الضيف بكل بشاشة وتودد، ويجب أن يتغدى الناس معه مهما كثروا ولو على غير ميعاد، ومن عادته أن ينتظر ولديه كل يوم في وقت الغداء فإذا حضرا من محل تجارتهم نزلت المائدة إلى الطبقة الأولى من الدار فيأكلون مع من حضر من الضيوف سويا وهذا دأبهم يوميا، وفي الدار محل خاص للزوار والضيوف وهو الطبقة الأولى من الدار مستقلة بجميع منافعها حتى درجتها و سلالمتها فلا يتطرقها النساء مطلقا حتى يأخذ الضيف كامل راحته وحرته.

وفي مدخل الدار فسحة كبيرة اتخذت مجلسا للسمر في ليالي الصيف كما اتخذت مصلى أيضا، لأن الشيخ محمد صالح باعشن رحمه الله تعالى لا يخرج عن داره لكبر سنّه فاتخذ هذا المكان مصلى له يصلى فيه الفروض مع من حضر عنده، وفي شهر رمضان يتخذ له إماما راتبا يصلى بهم التراويح بعد صلاة العشاء ويحضر التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٣٤

في هذا المصلى كثير من أصدقائهم وجيرانهم فيتكون منهم في مصلى بيته في التراويح في كل ليلة من شهر رمضان نحو ثلاثة صفوف.

ومما يجب ذكره: أن الشيخ محمد صالح باعشن مع ذهاب بصره له ذوق دقيق في جمع بعض الآثار والأنتيكات، بل إنه رحمه الله تعالى إذا أنشأ عمارة «و كثيرا ما هو يشتغل بالعمارات» هو الذي يضع اللبائن تصميم بنائها ويرشدهم إلى الشكل الذي يريده ويعجبه، كما أنه يرشد النجارين في كيفية وضع الأبواب والشبابيك، بل حتى الألوان والزخرفة والأماكن التي تحتاج إلى كتابتها هو الذي ينبههم عليها فإنه قد ذهب بصره بعد أن بلغ من العمر نحو ثلاثين سنة.

كما أنه وهو في سن التسعين هو الذي يتولى الإنفاق على أهل منزله والجميع يأترون بأمره لا يخالفون له أمرا، وأمره موافق للمصلحة ورأيه صائب للغاية، توفي رحمه الله تعالى في العشرين من جمادى الثانية سنة (١٣٨١ هـ).

ومما يجب ذكره أيضا: أن الشيخ محمد صالح باعشن له أربعة أولاد فقط، اثنتان من الإناث واثنتان من الذكور وهما: الشيخ أحمد وهو الأكبر والشيخ عبد القادر وهو أصغر من أخيه ببضع سنوات، وهما اللذان يشتغلان بالتجارة باسم والدهما، وهما يأخذان رأي والدهما في كل شيء ويطيعانه طاعة عمياء، والحب العميق متبادل بينهما وبين والدهما والله الحمد، فكلا الطرفين يحب الآخر حبا جما إلى أقصى حد، لذلك فقد بارك الله في حياتهم ومعيشتهم وتجارتهم فإنهم من التجار المعدودين من قديم الزمن.

ومما يلفت النظر أن الأخوين الفاضلين المذكورين الشيخ أحمد والشيخ عبد القادر لم ينطبعوا بطابع هذا العصر الحديث ولم يتغيرا قط عن العادات التي درجوا عليها وألفوها من الصغر، فهما يخرجان من البيت صباحا ويذهبان إلى محل تجارتهما ثم يحضران إلى البيت بعد الظهر ثم يخرجان أيضا إلى محل التجارة بعد العصر ثم يأتيان إلى البيت في وقت العشاء كل عند عائلته وأولاده لا يحبون السمر مع الناس، ولا الاختلاط المؤدى إلى القيل والقال وضياع الوقت، وبهذا استراحت أنفسهم وكملت راحتهم. وهم يؤدون فرائض الله على الوجه الأكمل. فنعمت هذه الحالة ونعم الوالد والأولاد، وقد توفي الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى في ١٩ من شهر محرم سنة (١٣٨٥) هجرية، وختم الله لنا ولهم

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٣٥

بالإيمان الكامل والعمل الصالح، و ثبتنا وإياهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة آمين يا رب العالمين. وإليك صورة الشيخ محمد صالح.

انظر: صورة رقم ٣٤٦، الشيخ محمد صالح باعشن - أحد وجهاء جدة وتجارها

وأما الرجل الثالث فهو الشيخ: إبراهيم سلامة الربان، بضم الراء، وهو لقب على من يقود السفن والبواخر في البحر، هذا الرجل هو أشهر ربان بجدة، ولا نبالغ إن قلنا أنه الوحيد الذي لا يوجد مثله بجدة. يعتمد عليه أصحاب البواخر وقادتها من الإفرنج اعتمادا كليا

لما يعتقدون فيه من تمام المعرفة و إتقان الصنعة، يتلقى البواخر في البحر فيدخلها إلى ميناء جدة ثم يخرجها منها بعد انتهاء عملها، و لقد أمضى عمره كله في البحر و لم يحدث له أى حادثه.

انظر: صورة رقم ٣٤٧، الشيخ إبراهيم سلامة الربان

كان الشيخ إبراهيم سلامة أمياً لا يقرأ و لا يكتب و قد تعلم الصنعة من أبيه و جده، لا يعرف المكر و لا الخداع و لا الجبن و لا البخل، لا يهاب أحدا و لا يدهن أحدا، سليم النية حسن الطوية لا يداخل الناس مطلقا و لا يجلس فى القهاوى أبدا، يذهب من بيته إلى البحر و يأتي منه إلى البيت، كان نظاميا فى عمله مرتبا لأشغاله، نظيفا جدا فى مأكله و مشربه و ملبسه و فى بيته، و كان كريما مبسوط اليد واسع النفقات على أهله و أولاده، و كان شهما نبيليا يحب أهل العلم و الصلاح، و مع أنه كان أميا فهو شديد الديانة عظيم المروءة و الغيرة لا يعرف الفسق و لا الفجور و لا السباب، و كان قوى الجسم و العضلات جهورى الصوت، و كان صريح الرأى يجهر بما فى ضميره قانعا بما آتاه الله من الرزق الحلال من كسب يده و عمله لا يعرف الحسد و لا الكذب و يقول الحق و لو على نفسه، و كان يكره التكلف فى القول و الفعل بل و لا يعرفه.

كان رحمه الله تعالى مع كونه أميا قوى الإيمان بالله كبير الأمل فى فضله و رحمته حسن الظن به، لم نر مثله فى قوة إيمانه و حسن الظن بربه، و كان إذا اطمان إلى أحد من فضلاء العلماء أكثر من سؤاله فى أمور دينه، و كان يحفظ كثيرا من الآيات القرآنية يتحصن بها إذا خرج من بيته إلى عمله.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٣٦

كان محافظا لعادات البلاد القديمة و يربى أولاده أحسن تربية، كان له ثلاثة من البنات و ولد واحد فقط و اسمه الشيخ «محمد»، و قد زوجه و زوج بناته، و كان يواسى جميع بناته و أزواجهن فى جميع المناسبات فى الأعياد و غير الأعياد. و كان يسكن معه فى منزله ولده الشيخ «محمد» المذكور، و مع أن ولده متزوج و له أطفال فإنه لا يقدر أن يجلس مع والده فى غرفة واحدة، فإن كان لديه ضيف فإن ولده يجلس فى مكان آخر قريبا من غرفة والده للخدمة. و قد علم ولده الشيخ «محمد» الصنعة فكان يخرج مع أبيه إلى البحر لتلقى البواخر و السفن. و إليك صورة الشيخ إبراهيم سلامة قبيل وفاته.

انظر: صورة رقم ٣٤٨، محمد إبراهيم سلامه و معه قائد الباخرة

مات الشيخ إبراهيم سلامة سنة (١٣٦٩) من الهجرة عن سبعين سنة، فإنه خرج يوم وفاته من بيته إلى البحر مع ولده المذكور صحيحا معافى لا يشكو من شىء، و بعد طلوعه إلى الباخرة أتاه الأمر المحتوم و هو يقرأ هذه الآية: وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ.

فأنزلوه من الباخرة و أوصلوه إلى البيت و دفنوه بجدة. رحمه الله رحمة واسعة و ألحقنا به على الإيمان الكامل بمنه و فضله.

فاستلم ولده الشيخ «محمد» المذكور عمل والده و قد صار من أشهر ربائين البواخر بجدة و يعتمد عليه أكثر الشركات، و هو مع ما له من معرفة بطرف من القراءة و الكتابة فإن عاداته كعادته والده سليم النية محبا للخير كريم النفس شهما نبيليا حسن الأخلاق دينا مستقيما لا يعرف للمال حسابا فى وجوه الخير. حفظه الله تعالى و أبقاه و أدام عليه نعمه آمين.

ولا يفوتنا أن نذكر أشهر بيت فى جدة و هو بيت «آل زينل» و هو بيت عريق فى الفضل، كبير فى الشهرة واسع فى التجارة و الغنى لهم من مكارم الأخلاق و الآداب الرفيعة و الأمانة البليغة و الفضل و الحسب ما يعجز القلم عن حصرها.

و يكفى أن الحاج محمد على زينل ذلك المحسن الكبير أن قام بتأسيس مدارس الفلاح بجدة أولا ثم بمكة ثم بالهند ثم بالبحرين. هذه المدارس التى أدت من الخدمات العلمية لأبناء مكة و جدة و غيرهم ما لا يخفى على أحد فى وقت كان الجهل بالقراءة و الكتابة ضاربا أطنابه على البلاد.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٣٧

كما يكفي أن الحاج عبد الله على رضا زينل ذلك الرجل العظيم الوقور المهيب الطلعة كان قائمقام مدينة جدة في عهد الشريف الحسين بن علي ملك الحجاز الأسبق، وفي عهد جلاله الملك عبد العزيز آل سعود بعد توليه الحجاز رحمهم الله تعالى جميعا، وقد بقي الحاج عبد الله في مركزه إلى أن توفي سنة ألف و ثلاثمائة وخمسين هجرية.

انظر: صورة رقم ٣٤٩، الحاج عبد الله زينل قائمقام جدة وأميرها ت ١٣٥١ هـ،

### وفاء الحاج محمد علي زينل "مؤسس مدارس الفلاح"

لقد تكلمنا بإسهاب في هذا الكتاب عن مدارس الفلاح و مؤسسها الحاج محمد علي زينل، و عما قام به من الأعمال الجليلة في سبيل نشر العلم بمكة المكرمة و بجدة في زمن كان الجهل و عدم تفتح الوعي مستوليان على الناس، فالمتعلمون منهم قليلون ثم بسبب مدارس هذا الرجل النبيل و المدارس الأخرى كالمدرسة الصولتية الهندية و المدرسة الرشدية التركية، انتشر التعليم في بلاد الحجاز انتشارا ملموسا محسوسا.

و الآن نذكر بكل أسف و حزن أن الحاج محمد علي زينل مؤسس مدارس الفلاح المذكور قد انتقل إلى رحمته تعالى في أول شهر شعبان سنة (١٣٨٩) ألف و ثلاثمائة و تسع و ثمانين هجرية، تغمده الله تعالى برحمته و أدخله فسيح جنته و جزاه عن أعماله الخيرية من البر و الإحسان خير الجزاء و أكثر الله تعالى من أمثاله في المسلمين آمين.

و من أشهر رجالات جدة الوجه المفضل الشيخ محمد نصيف، فإنه حفظه الله تعالى من رجال العلم و الأدب، و له مكتبة قيمة في منزله بها مئات الكتب المهمة، و لا يسمع بطبع كتاب إلا طلبه و اشتراه، فمكتبته من أشهر المكاتب بالحجاز و هي مرتبة و نظيفة للغاية موضوعه في دوايب بديعة جميلة و أنه بنفسه يعتنى بحفظها و تنظيفها.

و يلقبه الناس «بالأفندي نصيف» لأن بيت نصيف بيت كبير بجدة، و الشيخ محمد نصيف أبا عن جد من أعيان جدة، و هو في نحو الستين من عمره محتفظ بنشاطه و مرحة ضاحك السن بشوش الوجه كريم مضياف، و يقصده كثير من

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٣٨

الواردين إلى جدة في أيام الحج و غيرها من العلماء و الفضلاء فيتلقاهم بما عهد عنه من مكارم الأخلاق و حسن الاستقبال و لا يضيق بالزائرين مطلقا بل يفرح بهم.

أكثر الله من أمثاله و بارك لنا في حياته آمين.

### الشيخ حسين أبو زيد

و من فضلاء أهل جدة و وجهائهم الشيخ حسين أبو زيد رحمه الله تعالى رحمه الأبرار، لقد كان رجلا شهما كريما نبيلًا، كان هو الوكيل العام لجميع المطوفين بمكة، و كانوا يثقون فيه للغاية و يقصدونه في أمورهم، و كان دائما بشوش الوجه مضيافا و بيته الكبير مفتوح للخاص و العام، و مائدته ممدودة، و إنني لن أنسى حسن مقابلته لي عند رجوعي من مصر لأول مرة في حياتي، فلقد تلقاني بالبشاشة و الترحيب، و أرسل برقية إلى والدي بمكة يخبره فيها بوصولي من مصر و ذلك في سنة (١٣٤٧ هـ)، إنه رحمه الله تعالى كان يعطي النعمة حقها، و كان يعرف منازل الناس و يقوم بإكرام كل واحد منهم بحسب منزلته و مكانته. و إليك صورته الكريمة فإنها تنبئ عن فضله و كريم محتده.

انظر: صورة رقم ٣٥٠، الشيخ حسين أبو زيد

توفي الشيخ حسين أبو زيد رحمه الله تعالى في اليوم الثاني من ربيع الأول سنة (١٣٧٠ هـ) وكان له ولد واحد وهو الشيخ صالح لكنه توفي سريعا بعد والده بعام واحد رحمه الله تعالى وذلك في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الثاني سنة (١٣٧١ هـ)، وقد خلف الشيخ صالح كثيرا من الأولاد وكلهم فضلاء نجباء محفظين بكرامة بيتهم، حفظهم الله تعالى وجعلهم من سعداء الدارين آمين.

هذا ما وفقنا الله تعالى للكتابة عن جدة وأهلها على وجه الاختصار، وإن شاء الله تعالى إن وجدنا فرصة وضعنا تأليفا خاصا عن جدة وعن العائلات الكريمة التي بها وعن عاداتهم الممدوحة وأخلاقهم الحميدة. وهنا نرجو منهم أن يعذرونا عن عدم التفصيل فإن المقام يقتضى الإيجاز، وكان الله في عون الجميع وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٣٩

### "قبر أمنا حواء" بجدة

اشتهر لدى الناس أن قبر أمنا حواء بجدة في الجبنة المعروفة، وكانت عليه قبة مشيدة من قديم الزمان، واشتهار قبرها لا يستند إلى دليل شرعى قاطع، ولا إلى تاريخ صحيح ثابت ونحن نعتقد أن هذا كذب اختلقه المرتزقة منذ قرون مضت فرسخ ذلك في أذهان العامة. وستكلم عليه بما يشفى الغليل إن شاء الله تعالى.

قال البتونى: فى كتابه «الرحلة الحجازية» عن قبر أمنا حواء ما نصه:

أما مدافن المسلمين فإنها فى جهة جدة الشرقية على مسافة نحو كيلو متر من بابها الشرقى الذى يسمونه «باب مكة» وعليها سور يفتح بابه للغرب، ترى فى مدخله زمن الحج كثيرا من الشحاذين صغارا وكبارا من الأعراب والأعراب، فإذا دخلت من هذا الباب وجدت أمامك رأس قبر طويل ضارب إلى الشمال بمسافة مائة وخمسين مترا على ارتفاع متر وفى عرض نحو ثلاثة أمتار، وهو ما يسمونه: قبر أمنا حواء، وهو أشبه شئ بقناه مسدودة من طرفها الجنوبى بثلاث حوائط من مربع ينقصه الحائط الشمالى الذى هو من جهة القبر، وطول كل حائط أربعة أمتار فى ارتفاع مثلها، وفى كل منها شباك تخرج منه فروع عوسج كبرى تكاد تسد فراغ هذا المربع الذى هو مكان الرأس عندهم. وفى نهاية هذا المستطيل من جهة الشمال حائط يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار وفى وسطه من أعلاه شرفة تحتها شباك يطل على القبر من جهة القدمين، وعند نهايتى القبر ترى أناسا متطوعين لإرشادك عن مكان الرأس أو القدم وأيديهم ممدودة للسؤال، وفى نحو ثلثى طوله من جهة الرأس قبة يفتح بابها إلى الغرب، وفيها شباك يشرفان على جهتي القبر، وفى وسطها مقصورة من الخشب عليها ستر من الجوخ فيها باب مقابل لباب القبة فتحة لنا خادم المقصورة قائلا: «هذا مكان الصرة الشريفه» فنظرت فوجدت فيه حجرا من الصوان يبلغ طوله نحو متر محفورا من وسطه.

ثم قال البتونى بعد صحيفه واحده: ولا يبعد أن قبر حواء كان من الهياكل المقدسة فى الجاهلية، فلما جاء الإسلام ومحا أثر الشرك من هذه البلاد ودالت به دولة الوثنية وهدمت هياكلها التى كان من ضمنها بالطبع هذا الهيكل بقى أثره فى نفوس القوم بزا بحق الأوممة وأقاموا له قبة - لا ندرى متى كان تشييدها - لتكون

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٤٠

مزارا للناس، كما كانوا يقيمون المزارات لآل بيت النبوة عليهم وعلى جدتهم الصلاة والسلام.

ولقد ذكر هذه القبة ابن بطوطة فى رحلته المشهورة فى القرن السابع للهجرة، ولم يذكر شيئا عن القبر، ومن أكبر الأدلة على أن هذا القبر حادث لا محالة ما ذكره ابن جبير فى رحلته التى عملها سنة (٥٨٧) للهجرة قال رحمه الله: «و بها - بجدة - موضع فيه قبة مشيدة عتيقه يذكر أنه كان منزلا لحواء أم البشر عند توجهها إلى مكة فبنى ذلك المبنى عليه تشهيرا لبركته وفضله والله أعلم». انتهى من الرحلة الحجازية.

و رأينا فى قبر أمانا حواء بجده و الله تعالى أعلم بالغيب: أن وجود هذا القبر و بناء القبة عليه حادث لا محالة و أنه كذب مفتعل احتال على عمله بعض الدجالين المرتزقة لجمع الصدقات من الجهلة الذين تجوز عليهم الخرافات، و بمرور الزمن الطويل على ذلك و لعدم إجراء تحقيق عليه صار عامة الناس يعتقدون أن فى هذا القبر دفنت أمانا حواء.

و نستدل على هذا بأنه لما اشتكى الناس إلى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه الشدة التى يعانونها فى ميناء الشعبيّة، لما فيها من الشعاب و طلبوا منه نقل هذا الميناء إلى جده، ذهب رضى الله عنه فى جمع من الصحابة لمعاينة مكان جده فوجده أحسن من الشعبيّة فأمر بجعله ثغرا لمكة و سموه «جده» حيث لم تكن معروفة بهذا الإسم من قبل، و لم ينقل عنه و لا عن أحد من الصحابة عن معرفتهم لقبر حواء بجده و عثورهم عليه، فلو كان قبرها الطويل العريض معروفا لديهم لنقله التاريخ عنهم.

نعم ذكر بعضهم أن إبليس هبط بأيلة و هبطت حواء بجده و هبط آدم بسر نديب من أرض الهند على جبل يقال له نود، و هو بأعلى الهند نحو الصين جبل عال يراه البحرىون من مسافة أيام، و فيه أثر قدم آدم عليه السلام مغموسة فى الحجر. و هذا الكلام الله أعلم بصحته.

و هل كانت جده معروفة فى تلك الأيام، كلا فجده لم تسكن إلا فى زمن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه، فهو الذى جعلها ميناء بدلا عن الشعبيّة كما هو معروف.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٤١

ثم إن ما بين هبوط آدم و حواء عليهما السلام و بين زماننا هذا لا ندرى كم مضى من السنين. و إن ما يقوله بعضهم بأن عمر الأرض مائة مليون سنة و ألف مليون سنة أو أكثر أو أقل مردود غير مقبول لا يقبله عاقل و لا يصدقه باحث محقق إذ لا يستند إلى دليل قوى من كتاب أو سنة، فما هو إلا- رجم بالغيب و تخمينات و همية و تخيلات ظلالية نشأت من انعكافهم على دراسة الآثار القديمة و قياسات بعض الأشياء على بعض، قال بعض علماء الشناقطة:

و كل ما ورد مما حدّ الهذه الدنيا يرد ردا

إذ لم يرد حدّ عن المعصوم فى خبر بسند قويم

فلا يعلم كل ذلك إلا الخلاق العظيم الذى بيده ملكوت السموات و الأرض، فهو جل جلاله يعلم وحده مبدأ الكائنات و يعلم منتهاها، فعليه من الذى أخبرنا بأن قبر حواء فى ذلك الموضع بجده و على أى دليل يستند، ثم أليس الطوفان الذى عم الدنيا مسح عن الأرض كل أثر و غير كثيرا من الأمور عن مواقعها و أمكنتها، فلم يبق على وجه الأرض من يتنفس إلا من كان فى سفينة نوح عليه الصلاة و السلام، فلا يمكن أن نصدق مثل هذه الأمور إلا إذا ورد شىء عن الصادق المعصوم صلى الله عليه و سلم.

هذا و قد تقدم الكلام عن مقدار طول آدم عليه الصلاة و السلام فى أوائل الكتاب عند الكلام على بناء آدم عليه السلام للكعبة المشرفة فراجعه فإنه مبحث نفيس.

## نبذة عن تاريخ المدينة المنورة

### إشارة

هنا نحب أن نتشرف بذكر نبذة صغيرة عن المدينة المنورة، للجمع بين الحرمين الشريفين، و لا نقدر أن نتوسع بذكر تاريخها تفصيلا، فهذا يحتاج إلى وقت طويل، فإن كان لنا عمر و أمدنا الله تعالى بتوفيقاته فلا بد أن نضع تاريخا عظيما لمدينة الرسول صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم.

فليعذرنا القارئ الكريم على هذه النبذة القصيرة، فإننا لم نذكرها إلا تبركا بآثار رسولنا الأعظم نبينا «محمد» صلى الله عليه و سلم



فنقول و بالله تعالى التوفيق:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٤٢

ترتفع المدينة المنورة عن سطح البحر بنحو (٦١٩) مترا، و هي واقعة على طول (٣٩) درجة و (٥٥) دقيقة شرقا و على عرض (٢٤) درجة و (١٥) دقيقة من شمال خط الاستواء (أعنى على عرض خط دراو التي توجد بين أسنا و أسوان).

انظر: صورة رقم ٣٥١، خريطة الحرم الشريف

انظر: صورة رقم ٣٥٢، خريطة المدينة المنورة

قال العلامة ابن خلدون في مقدمته عن المدينة المنورة عند الكلام على المساجد و البيوت العظيمة في العالم ما يأتي:

و أما المدينة و هي المسماء «يثرب» فهي من بناء يثرب بن مهلايل من العمالق، و ملكها بنو إسرائيل من أيديهم فيما ملكوه من أرض الحجاز، ثم جاورهم بنو قيلة من غسان و غلبوهم عليها و على حصونها، ثم أمر النبي صلى الله عليه و سلم بالهجرة إليها لما سبق من عناية الله بها فهاجر إليها و معه أبو بكر و تبعه أصحابه و نزل بها و بنى مسجده و بيوته في الموضع الذي كان الله قد أعده لذلك و شرفه في سابق أزله و آواه أبناء قيلة و نصره. فلذلك سمو الأنصار و تمت كلمة الإسلام من المدينة حتى علت على الكلمات و غلب على قومه و فتح مكة و ملكها، و ظن الأنصار أنه يتحول عنهم إلى بلده فأهمهم ذلك، فخاطبهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و أخبرهم أنه غير متحول حتى إذا قبض صلى الله عليه و سلم كان ملحده الشريف بها، و جاء في فضلها من الأحاديث الصحيحة ما لا يخفى به، و وقع الخلاف بين العلماء في تفضيلها على مكة، و به قال مالك رحمه الله لما ثبت عنده في ذلك من النص الصريح عن رافع بن خديج أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: المدينة خير من مكة، نقل ذلك عن عبد الوهاب في المعونة إلى أحاديث أخرى تدل بظاهرها على ذلك، و خالف أبو حنيفة و الشافعي و أصبحت على كل حال ثانياً المسجد الحرام و جنح إليها الأمم بأفئدتهم من كل أواب، فانظر كيف تدرجت الفضيلة في هذه المساجد المعظمة لما سبق من عناية الله لها و تفهم سر الله في الكون و تدرجه على ترتيب محكم في أمور الدين و الدنيا. انتهى من مقدمته ابن خلدون.

انظر: صورة رقم ٣٥٣، القبة النبوية الشريفة

و قال القلقشندي في كتابه صبح الأعشى في الجزء الرابع بصحيفة ٤٨٥ عنها ما نصه:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٤٣

المدينة ضبطها معروف، و هو اسم غلب عليها و به نطق القرآن الكريم في قوله تعالى: يَقُولُونَ لِنُنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنَ الْأَرْضِ وَقَوْلُهُ: وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. و اسمها القديم يثرب، و به نطق القرآن في قوله تعالى: يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ.

قال الزجاجي: و هو يثرب بن قانية بن مهلايل بن إرم بن عييل بن عوص بن إرم بن سام بن نوح هو الذي بناها، و ورد ذكره في الحديث أيضا. قال الشيخ عماد الدين بن كثير في «تفسيره» و حديث النهي عن تسميتها بذلك ضعيف، و سماها الله تعالى الدار بقوله: وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ و سماها النبي صلى الله عليه و سلم طيبة - بفتح الطاء المهملة و سكون الياء و فتح الباء الموحدة بعدها هاء - و طابة بإبدال الباء بعد الطاء بألف، قال النووي: و هما من الطيب و هو الرائحة الحسنة، و قيل من الطيب خلاف الرديء، و قيل من الطيب بمعنى الطاهر، و قيل من طيب العيش، و زاد السهيلي في أسمائها الجابرة، بالجيم و الباء الموحدة، و المحبة، و المحبوبة، و القاصمة، و المجبورة، و العذراء، و المرحومة، و كانت تدعى في الجاهلية غلبة، لأن اليهود غلبوا عليها العماليق، و الأوس و الخزرج غلبوا عليها اليهود. قال صاحب حماة: و هي من الحجاز، و قيل من نجد و موقعها قريب من وسط الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة. قال في كتاب «الأطوال»: و طولها خمس و ستون درجة و ثلث، و عرضها إحدى و عشرون درجة. و قال في «القانون»: طولها سبع و ستون درجة و نصف، و عرضها إحدى و عشرون درجة و ثلث. و قال ابن سعيد: طولها خمس و ستون درجة و ثلث و

عرضها خمس و عشرون درجة و إحدى و ثلاثون دقيقة. و قال فى «رسم المعمور»: طولها خمس و ستون درجة و عشرون دقيقة و عرضها خمس و عشرون درجة ... إلخ كلامه.

انظر: صورة رقم ٣٥٤، الحرم النبوى الشريف من داخل الصحن و الحجره الشريفه و بستان السيدة فاطمه رضى الله عنها

### حدود حرم المدينة المنورة

إن مكة و المدينة صنوان، تبنى الأولى أبو الأنبياء «إبراهيم الخليل» عليه الصلاة و السلام، فحرمها و دعا لأهلها، و تبنى الثانية خاتم الأنبياء نبينا «محمد» صلى الله عليه و سلم فحرمها و دعا لصاعها و مدها. فقد قال عليه الصلاة و السلام: «إن إبراهيم التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٤٤

حرم مكة، و إنى حرمت المدينة ما بين لابتها لا يقطع عضاهها و لا يصاد صيدها». اللابتان تشبه لابتة، و هى أرض ذات حجارة سود و هما شرقى المدينة و غربيهما فحرمها ما بينهما عرضا و ما بين جبليةا غير و أحد طولا، و عضاهها، بهائين جمع عضاهة أى شجرها، و هو بكسر العين بوزن كتاب كما فى المصباح.

جاء فى كتاب «شفاء الغرام» فى أواخر الجزء الثانى منه فى الباب الخامس ما يأتى: فى الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال:

«إن إبراهيم حرم مكة و دعا لأهلها، و إنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، و إنى دعوت فى صاعها و مدها بمثل ما دعا إبراهيم لأهل مكة».

و ذكر أبو داود السجستاني فى السنن من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «المدينة حرام ما بين غير إلى ثور فمن أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا، لا يختلى خلاها و لا ينفرد صيدها و لا تلتقط لقطتها إلا لمن أنشدها، و لا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال و لا يصلح أن تقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بغيره».

و فى الصحيحين عن على أيضا عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: «المدينة حرم ما بين غير إلى ثور فمن أحدث فيها أو آوى محدثا فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا و لا عدلا».

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: غير و ثور جبلان و أهل المدينة لا يعرفون بها جبلا يقال له ثور إنما ثور بمكة فترى أن الحديث أصله ما بين غير إلى أحد.

قلت: بل يعرف أهل المدينة جبل ثور و هو جبل صغير وراء أحد و لا ينكرونه.

و فى السنن لأبى داود من حديث عدى بن زيد قال: حمى رسول الله صلى الله عليه و سلم كل ناحية من المدينة بريدا بريدا لا يخبث شجرها و لا يعضد إلا ما يساق به الجمل. و فيها أن سعد بن أبى وقاص أخذ رجلا تصيد فى حرم المدينة الذى حرم رسول الله صلى الله عليه و سلم فسلبه ثيابه، فجاءوا إليه فكلموه فيه فقال: (إن رسول الله صلى الله عليه و سلم حرم هذا الحرم و قال: من أخذ الصيد فيه فليسلبه ثيابه) فلا أرد عليكم طعمة أطمعنيها رسول الله صلى الله عليه و سلم و لكن إن شئتم دفعت إليكم ثمنه.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٤٥

و فيها عن جابر بن عبد الله أنه قال: لا يخبث شجرها و لا يعضد و لكن يهش هشاً رقيقاً.

أخبرنا يحيى بن أبى الفضل الفقيه أخبرنا عبد الله بن رفاعه أنبأنا على بن الحسن الشافعى أخبرنا شعيب بن عبد الله حدثنا أحمد بن الحسن الرازى حدثنا أبو الزنباغ حدثنا عمر بن خالد حدثنا بكر بن مضر عن أبى الهاد عن أبى بكر بن محمد عن عبد الله بن عمر عن رافع بن خديج أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول و ذكر مكة فقال: «إن إبراهيم حرم مكة و إنى أحرم ما بين لابتها» يريد

المدينة.

و في صحيح البخارى فى حديث الهجرة أن النبى صلى الله عليه و سلم قال للمسلمين: إنى رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين و هما الحرتان.

أبنا القاسم بن على قال: أبنا محمد بن إبراهيم أبنا سهل بن بشير أبنا على بن منير أبنا الذهلى أبنا موسى بن هارون حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا عبد العزيز بن أبى ثابت حدثنى أبو بكر ابن النعمانى بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن جده عن كعب بن مالك قال: حرم رسول الله صلى الله عليه و سلم الشجر بالمدينة بريدا فى بريد و أرسلنى فأعلمت على الحرم على شرف ذات الجيش و على مشرف و على أشرف المجتهر و على يتم.

قلت: و اختلف العلماء فى صيد حرم المدينة و شجره فقال مالك و الشافعى و أحمد: إنه محرم. و قال أبو حنيفة: ليس بمحرم و اختلفت الرواية عن أحمد هل يضمن صيدها و شجرها بالجزاء، فروى عنه أنه لا- جزاء فيه و به قال مالك، و روى أنه يضمن، و للشافعى قولان كالروايتين و إذا قلنا بضمانه فجزاؤه سلب القاتل بملكه الذى يسلبه و من أدخل إليها صيدا لم يجب عليه رفع يديه عنه و يجوز له ذبحه و أكله و يجوز أن يؤخذ من شجرها ما تدعو الحاجة إليه للرحل و الوسائد و من حشيشها ما يحتاج إليه للعلف بخلاف مكة. انتهى من كتاب شفاء الغرام للفاسى.

انظر: صورة رقم ٣٥٥، المسجد النبوى الشريف- عمارة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله

نقول: لقد أتينا فى كتابنا «إرشاد الزمرة لمناسك الحج و العمرة» المطبوع بمطبعة مصطفى البابى الحلبي و أولاده بمصر حكم قطع شجر حرم مكة و نباته و حكم صيده بتفصيل تام. و ربما نأتى بحكم كل ذلك فى تاريخنا هذا أيضا.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٤٦

و لنذكر هنا نبذة صغيرة مما يتعلق بالمدينة و هى: أن حرمة قطع الشجر و الحشيش تكون فى حرم مكة و حرم المدينة، أما ضمان ذلك و جزاؤه فهو مختص بحرم مكة فقط عند الأئمة الأربعة، و كالحرم المدنى فى ذلك وادى «وج» بالطائف.

فحرم المدينة و «وج» الطائف كمكة فى حرمة الصيد و الشجر و النبات و نحو التراب دون الضمان، لأنهما ليسا محلا للنسك، فكل ما حرم الله بمكة حرم بالمدينة و وج الطائف غير أنه لا ضمان فيهما.

و أما النقيع «بفتح النون و كسر القاف» و هو موضع يبعد عن المدينة بنحو مرحلة إلى جهة الجنوب، فإنه ليس بمحرم، لكنه يحرم إتلاف شجره و حشيشه، فإن أتلفه أحد فالأصح أن تلزمه القيمة، و لا يحرم صيده بالاتفاق.

و النقيع المذكور هو الحمى الذى حماه رسول الله صلى الله عليه و سلم لنعم الصدقة و الجزية، قالوا: و هو أخصب موضع هناك فيه كثير من الأشجار بحيث يغيب فيه الراكب.

### بناء بيوت أزواج النبى صلى الله عليه و سلم

جاء فى كتاب «الدرة الثمينه فى تاريخ المدينة» لابن النجار المطبوع بآخر الجزء الثانى من كتاب «شفاء الغرام» بعنوان ذكر حجر أزواج النبى صلى الله عليه و سلم ما نصه:

لما بنى رسول الله صلى الله عليه و سلم مسجده بنى بيتين لزوجته عائشة و سودة رضى الله عنهما على نعت بناء المسجد من لبن و جريد النخل، و كان لبيت عائشة رضى الله عنها مصراع واحد من عرعر أو ساج.

و لما تزوج رسول الله صلى الله عليه و سلم نساءه بنى لهن حجرا و هى تسعة أبيات، و هى ما بين بيت عائشة رضى الله عنها إلى الباب الذى يلى باب النبى صلى الله عليه و سلم. قال أهل السير: ضرب النبى صلى الله عليه و سلم الحجرات ما بينه و بين القبلة و الشرق إلى الشامى، و لم يضربها فى غريبه، و كانت خارجة من المسجد مديرة به إلا من المغرب، و كانت أبوابها شارعة فى المسجد،

قال عمر بن أبي أنس: كان منها أربعة أبيات بلبن لها حجر من جريد، و كانت خمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر لها على أبوابها مسوح الشعر و ذرعت الستر فوجدته ثلاثة أذرع في ذراع.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٤٧

قال مالك بن أنس: و حدثني الثقة عندي أن الناس كانوا يدخلون حجرات أزواج النبي صلى الله عليه و سلم بعد وفاته يصلون فيها يوم الجمعة، قال مالك: و كان المسجد يضيق على أهله و حجر النبي صلى الله عليه و سلم ليست من المسجد و لكن أبوابها شارعة في المسجد، قالت عائشة رضی الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا اعتكف يديني إلى رأسه فأرجله، و كان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان.

أخبرنا صالح بن أبي الحسن الخريمي، أنبأنا محمد بن عبد الباقي الأنصاري، أخبرنا أبو الحسن بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن سعد، أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا عبد الله بن يزيد الهذلي قال: رأيت بيوت أزواج النبي صلى الله عليه و سلم حين هدمها عمر بن عبد العزيز، كانت بيوتا باللبن و لها حجر من جريد و رأيت بيت أم سلمة و حجرتها من لبن فسألت ابن ابنها فقال: لما غزا رسول الله صلى الله عليه و سلم دومة، بنت أم سلمة بلبن حجرتها فلما قدم نظر إلى اللبن فقال:

ما هذا البناء؟ فقالت: أردت أن أكف أبصار الناس، فقال: يا أم سلمة إن شر ما ذهب فيه مال المسلم البنيان، و قال عطاء الخراساني: أدركت حجر أزواج النبي صلى الله عليه و سلم من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ يأمر بإدخال حجر النبي صلى الله عليه و سلم في مسجده، فما رأيت باكيا أكثر من ذلك اليوم.

و سمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ: و الله لو دددت أنهم لو تركوها على حالها ينشأ ناس من أهل المدينة و يقدم القادم من الأقب فیری ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه و سلم في حياته فيكون ذلك مما يزهده الناس في التكاثر و الفخر، و قال عمران بن أبي أنس: لقد رأيتني في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم و فيه نفر من أصحابه أبو سلمة بن عبد الرحمن و أبو أمامة بن سهل و خارجه بن زيد يعني لما نقضت حجر أزواجه عليه السلام و هم يبكون حتى اخضلت لحاهم من الدمع، و قال يومئذ أبو أمامة: ليتها تركت حتى يقصر الناس من البنيان و يروا ما رضی الله عز و جل لنيبه صلى الله عليه و سلم و مفاتيح الدنيا بيده.

ذكر بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم رضی الله عنها كان خلف بيت النبي صلى الله عليه و سلم عن يسار المصلى إلى الكعبة، و كان فيه خوخة إلى بيت النبي صلى الله عليه و سلم، كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا قام من الليل إلى المخرج اطلع منها يعلم خبرهم، و كان يأتي

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٤٨

بابها كل صباح فيأخذ بعضادتيه و يقول: الصلاة الصلاة إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا. و قال محمد بن قيس: كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا قدم من سفر أتى فاطمة رضی الله عنها فدخل عليها و أطال عندها المكث، فخرج مرة في سفر فصنعت فاطمة مسكتين من ورق «فضة» و قرطين و ستر لباب بيتها لقدم أبيها و زوجها، فلما قدم عليه السلام و دخل إليها وقف أصحابه على الباب فخرج و قد عرف الغضب في وجهه ففطنت فاطمة إنما فعل ذلك لما رأى المسكتين و القلادتين و الستر فنزعت قرطبيها و قلادتيها و مسكتيها و نزعت الستر و أنفذت به إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و قالت للرسول: قل له تقرأ عليك ابنتك السلام و تقول لك: اجعل هذا في سبيل الله، فلما أتاه قال: فعلت فداها أبوها، ثلاث مرات ليست الدنيا من محمد و لا من آل محمد، و لو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء، ثم قام فدخل عليها.

و قال محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضی الله عنه: لما أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم الستر من فاطمة شقه لكل إنسان من أصحابه ذراعين ذراعين.

و قال ابن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا قدم من سفر قبل رأس فاطمة رضی الله عنها.

انظر: صورة رقم ٣٥٦، رسم وصفى تقريبي لمنزل النبي صلى الله عليه و سلم بالمدينة المنورة  
 أنبأنا أبو القاسم التاجر عن أبي علي الحداد عن أبي نعيم الحافظ عن أبي محمد الخواص قال: أخبرنا أبو يزيد المخزومي حدثنا الزبير  
 بن بكار حدثنا محمد بن الحسن حدثني محمد بن إبراهيم بن عبد الله ابن جعفر بن محمد كان يقول: قبر فاطمة رضي الله عنها في  
 بيتها الذي أدخله عمر بن عبد العزيز في المسجد، قلت:

و بيتها اليوم حوله مقصورة و فيه محراب و هو خلف حجرة النبي عليه السلام.

ثم قال المؤلف المذكور عند ذكر مصلى النبي صلى الله عليه و سلم بالليل: روى عيسى بن عبد الله عن أبيه قال: كان رسول الله صلى  
 الله عليه و سلم يطرح حصيرا كل ليلة إذا انكف الناس و رأيت عليا كرم الله وجهه ثم يصلى صلاة الليل، قال عيسى: و ذلك موضع  
 الأسطوان الذي على طريق النبي صلى الله عليه و سلم مما يلي الدور.

و روى عن سعيد بن عبد الله بن فضيل قال: مرّ بي محمد بن علي بن الحنفية رضي الله عنه و أنا أصلى إليها، قال لي: أراك تلزم هذه  
 الأسطوانة هل جاءك فيها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٤٩

أثر؟ قلت: لا، قال: فالزمها كانت مصلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بالليل، قلت: و هذه الأسطوانة وراء بيت فاطمة رضي الله عنها  
 و فيها محراب إذا توجه الرجل كان يساره إلى باب عثمان رضي الله عنه. انتهى من الكتاب المذكور.

انظر: صورة رقم ٣٥٧، مسجد قباء بالمدينة المنورة

### المزارات بالمسجد النبوي:

سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، سيدنا عمر رضي الله عنه، دعاء القبلة المحراب المحمدي، الروضة  
 المطهرة المنبر الشريف.

### مزارات البقيع:

### إشارة

عثمان بن عفان رضي الله عنه، أبو سعيد الخدري، فاطمة بنت أسد أم علي، حليمة مرضعة المصطفى صلى الله عليه و سلم.

### شهداء البقيع رضي الله عنهم:

إبراهيم بن المصطفى صلى الله عليه و سلم، نافع شيخ القراء، مالك إمام المذهب، عقيل بن أبي طالب، سفيان بن الحارث، عبد الله  
 بن جعفر الطيار رضي الله عنهم.

### أزواج النبي صلى الله عليه و سلم:

سودة، حفصة، صفية، أم حبيبة، عائشة، أم سلمة، جويرية، زينب بنت جحش، زينب بنت خزيمة.

**بنات المصطفى:**

أم كلثوم، رقية، زينب. فاطمة الزهراء.

**عماته صلى الله عليه وسلم:**

عاتكة، صفيئة، فاطمة أم البنين.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٥٠

**الروضة النبوية المطهرة وفضلها**

جاء في الجزء الثاني من كتاب «وفاء الوفا» للعلامة السمهودي رحمه الله تعالى في الفصل السادس في فضل المنبر المنيف والروضة الشريفة ما يأتي: روي في الصحيحين حديث عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة». زاد البخاري من حديث أبي هريرة: «ومنبري على حوضي».

وروي أحمد وأبو يعلى والبزار وفيه علي بن زيد وقد وثق عن جابر بن عبد الله مرفوعاً «ما بين بيتي إلى منبري روضة من رياض الجنة، وإن منبري على ترعة من ترع الجنة».

وروي أحمد برجال الصحيح عن سهل بن سعد مرفوعاً «منبري على ترعة من ترع الجنة» وفيه تفسير الترع بالباب وقيل: الترع الروضة تكون على المكان المرتفع خاصة وقيل: الدرجة.

ورواه يحيى عن أبي هريرة وغيره بلفظ «على ترعة من ترع الجنة» وكذا هو في رواية لرزين وظنه بعضهم تصحيحاً فكتب في هامشه «صوابه ترعة» وليس كذلك، بل معناه صحيح إذ الرتع الاتساع في الخصب، والترعة - بسكون التاء وفتحها - الاتساع في الخصب، وكل مخصب مرتع.

وفي الحديث: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» وروي البزار عن معاذ بن الحارث نحوه.

وفي الكبير للطبراني من طريق يحيى الحماني وهو ضعيف عن أبي واقد الليثي مرفوعاً: «قوائم منبري رواتب في الجنة» ورواه ابن عساكر وابن النجار ويحيى عن أم سلمة، وقال المجد: أخرجه عنها النسائي، وفي رواية لابن عساكر:

«وضعت منبري هذا على ترعة من ترع الجنة».

وأسند يحيى عن أبي المعلى الأنصاري، وكانت له صحبة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر: «إن قدمي على ترعة من ترع الجنة».

وعن أبي سعيد الخدري: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو قائم على منبره:

«أنا قائم الساعة على عقر حوضي» وفي رواية له: «إني على الحوض الآن».

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٥١

وأسند ابن زبالة عن نافع بن جبير عن أبيه حديث «أحد شقي المنبر على عقر الحوض فمن حلف عنده على يمين فاجرة يقتطع بها حق امرئ مسلم فليتبوأ مقعده من النار» قال: وعقر الحوض من حيث يصب الماء في الحوض.

وفي سنن أبي داود من حديث جابر مرفوعاً «لا يحلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمة ولو على سواك أخضر إلا تبوأ مقعده

من النار، أو وجبت له النار» ورواه ابن خزيمة و ابن حبان و الحاكم و صحوه.  
و روى النسائي برجال ثقات عن أبي أمامة بن ثعلبة مرفوعاً «من حلف عند منبري هذا يمينا كاذبة استحل بها مال امرئ مسلم فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً و لا عدلاً».  
و في الأوسط للطبراني و فيه ابن لهيعة عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً «منبري على ترعة من ترع الجنة، و ما بين المنبر و بيت عائشة روضة من رياض الجنة».

و في الصحيحين حديث ابن عمر «ما بين قبرى و منبري روضة من رياض الجنة».  
و روى أحمد برجال الصحيح عن أبي هريرة و أبي سعيد حديث «ما بين بيتي و منبري روضة من رياض الجنة و منبري على حوضي».  
و روى البزار برجال ثقات عن سعد بن أبي وقاص حديث «ما بين بيتي و منبري أو قبرى و منبري روضة من رياض الجنة» و في الأوسط للطبراني و فيه متروك عن أنس بن مالك حديث «ما بين حجرتي و مصلاي روضة من رياض الجنة» و في رواية لابن زبالة من طريق عائشة بنت سعد عن أبيها «ما بين منبري و المصلي» و في رواية «ما بين مسجدي إلى المصلي روضة من رياض الجنة» و رواه أبو طاهر بن المخلص في انتقائه و يحيى في أخبار المدينة بلفظ «ما بين بيتي و مصلاي روضة من رياض الجنة» قال جماعة: المراد به مصلي العيد، و قال آخرون: مصلاه الذي يصلى فيه في المسجد كذا قاله الخطابي.

قلت: و يؤيد الأول أن في النسخة التي رواها طاهر بن يحيى عن أبيه يحيى عقب الحديث المذكور ما لفظه: قال أبي: سمعت غير واحد يقولون: إن سعدا لما سمع هذا الحديث من النبي صلى الله عليه و سلم بنى داره فيما بين المسجد و المصلي و كذا ما سيأتي في مصلي العيد من رواية ابن شبة عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٥٢

قلت: و هو شاهد لما سيأتي من عموم الروضة لجميع مسجد النبي صلى الله عليه و سلم، و لما زيد فيه من جهة المغرب.  
و روى عبد الله بن أحمد في زوائد المسند برجال الصحيح إلا أن فيهم فليحا.  
و قد روى له الجماعة و قال الحاكم: اتفاق الشيخين عليه يقوى أمره، و قال الساجي: ذكره ابن حبان في الثقات، و قال الدار قطنى: فليح يختلفون فيه، و قال بعضهم: إنه كثير الخطأ. عن عبد الله بن زيد المازنى قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ما بين هذه البيوت - يعنى بيوته - إلى منبري روضة من رياض الجنة و المنبر على ترعة من ترع الجنة». انتهى من وفاء الوفا للسمهودى.  
انظر: صورة رقم ٣٥٨، الحجرة الشريفة بالمدينة المنورة

### ما جاء في شرح زاد المسلم عن الروضة

نحب أن نذكر هنا معنى الأحاديث السابقة نقلاً عن الشرح المذكور:  
قال شيخنا العلامة المحدث الشهير الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى رحمه الله تعالى في شرحه على كتابه «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم» عند هذين الحديثين: «ما بين بيتي و منبري روضة من رياض الجنة» و حديث: «ما بين بيتي و منبري روضة من رياض الجنة و منبري على حوضي» و كلاهما في الصحيحين ما ملخصه: «ما بين بيتي و منبري» أى المكان الذى بين بيتي و منبري.  
و المراد بقوله: بيتي أحد بيوته الذى هو بيت عائشة و هو الذى فيه قبره الشريف فيوافق رواية ابن عساكر «ما بين قبرى و منبري ... إلخ» و قيل: المراد بالبيت مسكنه، قال الطبرى: و القولان متفقان، لأن قبره صلى الله عليه و سلم فى بيته.

قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ما نصه: وقع فى حديث سعد بن أبى وقاص عند البزار بسند رجاله ثقاه و عند الطبرانى من حديث ابن عمر بلفظ القبر، فعلى هذا المراد بالبيت فى قوله بيتي أحد بيوته لا كلها و هو بيت عائشة الذى صار فيه قبره. و قد ورد الحديث بلفظ ما بين المنبر و بيت عائشة روضة من رياض الجنة. أخرجه الطبرانى فى الأوسط. اه بلفظه. و اختلف فى معنى قوله روضة من

رياض الجنة فقيل: إن هذه البقعة منقولة منها كالحجر الأسود أو تنقل بعينها إليها كالجدع الذي حن إليه صلى الله عليه و سلم أو معناه أنها توصل المتعبد فيها إلى الجنة، فهو مجاز

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٥٣

باعتبار المآل كقوله: الجنة تحت ظلال السيوف أى الجهاد مآله الجنة أو تشبيهه بليخ كزبد بحر، لأن زوار قبره الشريف من الملائكة و الإنس و الجن لا يزالون فى تلك البقعة مكبين على ذكر الله و عبادته. فهذه البقعة المقدسة روضة من رياض الجنة الآن، و تعود إليها و يكون للعامل فيها روضة فى الجنة.

و معنى: «و منبرى على حوضى» أنه يوضع بعينه على حوضه يوم القيامة و قدرة الله تعالى سالحة لذلك. قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى: قال الأكثر: المراد منبره بعينه الذى قال هذه المقالة و هو فوقه، و قيل: المراد المنبر الذى يوضع له يوم القيامة و الأول أظهر. قال: و قد رواه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى واقد الليثى رفعه «أن قوائم منبرى رواتب فى الجنة» و قيل: معناه أن قصد منبره و الحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد صاحبه إلى الحوض و يقتضى شربه منه و الله أعلم.

قال الأبي: كان شيخنا أبو عبد الله «يعنى ابن عرفه» يقول: لا يمتنع أن يكون من الجنة حقيقة و هذا أمر جائز أخبر الشرع بوقوعه فلا مانع، فقيل له المانع أنه ليس على صفات الجنة المذكورة فى الأحاديث فقال: يجوز أن تكون كذلك و لا ندركها، قيل له فقد قال الحكماء لو قال أحد أن بين يدينا بحارا و جبالا لا ندركها لكان هوسا من القول فقال لو أخبر الشارع أن بين أيدينا تلك الأشياء لوجب الإيمان به و قد قال صلى الله عليه و سلم: أريت الجنة و النار فى عرض هذا الحائط و قد قيل إن ذلك حقيقة. اه.

و نقل ابن زباله: أن ذرع ما بين المنبر و البيت الذى فيه القبر الآن ثلاث و خمسون ذراعا، و قيل: أربع و خمسون و سدس، و قيل: خمسون إلا- ثلثى ذراع و هو الآن كذلك فكأنه نقص لما أدخل من الحجرة فى الجدار. انتهى من شرح زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم.

نقول: إن كلام العلامة ابن عرفه المتقدم من أنه لو أخبر الشارع أن بين أيدينا تلك الأشياء لوجب الإيمان به. قوله هذا حق لا شك فيه فهو يشبه وجوب الإيمان بسؤال القبر و ضمته و نعيمه و عذابه و امتداد سعته للرجل الصالح مع أننا لو جعلنا القبر مكشوبا عند دفن الميت و أقمنا عنده مدة طويلة نظر إليه لما شاهدنا و ما سمعنا أى شىء. فمثل هذا من الإيمان بالغيب.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٥٤

و أما قوله صلى الله عليه و سلم: «... و منبرى على حوضى» فلا- يبعد أن يكون المعنى أن منبره صلى الله عليه و سلم مسامت على حوضه بحيث لو نزل المنبر و حرق الأرض و السماء على خط مستقيم لوقع فى موضعه المخصص له من الحوض. و هذا نظير قول ابن عباس رضى الله عنهما فى البيت المعمور أنه حيال الكعبة بحيث لو سقط سقط عليها.

و لقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم فى حال حياته يرى الجنة و يرى موضع روضته و منبره منها، و لقد كان يحدث عليه الصلاة و السلام أصحابه بذلك. ففى صحيح البخارى فى باب علامات النبوة فى الإسلام: عن عقبه بن عامر أن النبى صلى الله عليه و سلم خرج يوما فصلى على أهل أحد صلواته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال: إني فرطكم و أنا شهيد عليكم، إني و الله لأنظر إلى حوضى الآن و إني قد أعطيت خزائن مفاتيح الأرض، و إني و الله ما أخاف بعدى أن تشركوا و لكن أخاف أن تنافسوا فيها. انتهى.

و فيه أيضا فى كتاب الصلاة فى باب وقت الظهر عند الزوال عن الزهرى قال:

أخبرنى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه و سلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر أن فيها أمورا عظاما ثم قال: من أحب أن يسأل عن شىء فليسأل فلا تسألونى عن شىء إلا أخبرتكم ما دمت فى مقامى هذا فأكثر الناس فى البكاء و أكثر أن يقول سلونى فقام عبد الله بن حذافة السهمى فقال: من أبى؟ قال: أبوك حذافة، ثم أكثر أن يقول سلونى



فبرك عمر على ركبته فقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا فسكت ثم قال: عرضت على الجنة والنار أنفا في عرض هذا الحائط فلم أر كالحير والشر. انتهى.

ولا- يبعد أيضا أن تكون نفس قطعة الروضة التي ما بين بيته صلى الله عليه وسلم ومنبره في الجنة يوم القيامة، أي تعاد الروضة المطهرة إلى الجنة كما يعاد إليها جذع النخلة الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب عليه و كما يعاد أيضا إليها الركن الأسود ومقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

و كل ذلك دليل على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ربه عز وجل، والله تعالى على كل شيء قدير يحيى العظام وهي رميم.

و نقول أيضا: إننا ذهبنا من مكة إلى المدينة زادهما الله تعالى شرفا وأمنا و رخاء في النصف الثاني من شهر محرم الحرام سنة (١٣٧٧) سبع و سبعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة للتحقق من مساحة الروضة المشرفة و معرفة طولها و عرضها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٥٥

فلما وصلنا إلى الأعتاب النبوية الشريفة و صلينا في هذه الروضة المباركة المطهرة العامرة بالركع السجود قمنا بأخذ مساحة الروضة، لكن لم تظهر لنا حقيقتها تماما على صغر رقعتها فإننا عرفنا طولها من جهة البيت النبوي الشريف إلى المنبر المنيف، أما عرضها فلم نعرفه و لن نتمكن من معرفته مطلقا، لأنها تحتاج إلى رؤية بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذي فيه قبره الشريف الأنور و هي مستحيلة، لأن قبره عليه الصلاة والسلام و قبري صاحبيه أبي بكر و عمر رضى الله تعالى عنهما محجوبة بالستائر الكثيفة في داخل المقصورة النحاسية يكتنفها الحرمه و الهيبة صلى الله عليه و على آله و أزواجه و ذريته و أصحابه و سلم تسليما كثيرا.

و هذا الذي ذكرناه من عدم معرفتنا لمقدار عرض الروضة وافقنا عليه جميع العلماء المتقدمين فقد جاء في الكتاب القيم «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» صلى الله عليه وسلم للعلامة السهودي ما نصه: و لهذا قال المجد في الباب الأول في فصل الزيارة من كتابه ما لفظه «ثم يأتي الزائر إلى الروضة المقدسة و هي ما بين القبر و المنبر طولا و لم أر من تعرض له عرضا» اه.

و جاء أيضا عن بعض العلماء الأقدمين كابن زباله بيان ذرع طول الروضة المطهرة فقط بدون التعرض لعرضها، و السبب في عدم ذكرهم لعرضها هو نفس السبب الذي ذكرناه آنفا.

و هنا نذكر أيضا ما جاء في كتاب «وفاء الوفا» المذكور عن المراد من الروضة المطهرة، لأنه كلام نفيس و إليك ما جاء فيه.

انظر: صورة رقم ٣٥٩، القبلة النبوية بالروضة الشريفة

### خلاصة الأقوال في الروضة المطهرة

جاء في كتاب «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكر مؤلفه العلامة السهودي عن معنى أن الروضة من رياض الجنة ما نصه:

قلت فتلخص من ذلك ثلاثة آراء:

الأول: أنها المسجد الموجود في زمنه صلى الله عليه وسلم.

و الثاني: أنها ما سامت المنبر و الحجره فقط «سامت الشيء الشيء قابله و وازاه» فتتسع من جهة الحجره و تضيق من جهة المنبر لما تقدم في مقداره، و تكون

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٥٦

منحرفة الأضلاع لتقدم المنبر في جهة القبلة و تأخر الحجره في جهة الشام، فتكون كشكل مثلث ينطبق ضلعا على قدر المنبر.

و الثالث: أنها ما سامت كلا من طرفي الحدين فتشمل ما سامت المنبر من مقدم المسجد في جهة القبلة و إن لم يسامت الحجره و

يشمل ما سامت الحجرة من جهة الشمال و إن لم يسامت المنبر فتكون مربعة، و هي الأروقة الثلاثة: رواق المصلى الشريف، و الرواقان بعده و ذلك هو مسقف مقدم المسجد فى زمنه صلى الله عليه و سلم لأنه قد تحرر لنا فى هذه العمارة التى أدركناها أن صف أسطوان الوفود- و هى التى كانت إلى رحبة المسجد كما سيأتى- واقع خلف الحجرة سواء، حتى إن الأسطوانة التى تلى مربعة القبر فى صفها الداخلة فى الزور بعضها داخل فى جدار الحجرة الشامى كما سيأتى بيانه.

انظر: صورة رقم ٣٦٠، محراب النبى صلى الله عليه و سلم بالمسجد النبوى

و أما أدلة هذه الأقوال فقد استدل الريمى (للأول) بأشياء غالبها ضعيف مبناه على أن إطلاق الروضة من قبيل المجاز لما فى ذلك من المضاعفة و نحوه و أحسنها ما أشار إليه الخطيب ابن حمله و أيده الريمى بأشياء فقال: قوله «بيتى» من قوله: «ما بين بيتى» مفرد مضاف فيفيد العموم فى سائر بيوته صلى الله عليه و سلم، و قد كانت بيوته مطيعة بالمسجد من القبلة و المشرق- و فيه بيت عائشة- و الشام كما سيأتى عن ابن النجار و غيره و لم يكن منها فى جهة المغرب شىء فعرف الحد من تلك الجهة بالمنبر الشريف فإنه كان فى آخر جهة المغرب بينه و بين الجدار يسير، لأن آخره من تلك الجهة الأسطوانة التى تلى المنبر، و المنبر على ترعه من ترع الجنة فقد حدد الروضة بحدود المسجد كلها.

قلت: و هو مفرع على ما ذكره ابن النجار فى تحديد المسجد من جهة الغرب و قد مشيت عليه فى توألفى قبل أن أقف على ما قدمته فى حد المسجد و قد مشى على ذلك الزين المراغى فقال: ينبغى اعتقاد كون الروضة لا تختص بما هو معروف الآن بل تتسع إلى حد بيوته صلى الله عليه و سلم من ناحية الشام و هو آخر المسجد فى زمنه صلى الله عليه و سلم فيكون كله روضة، و هذا إذا فرعنا على أن المفرد المضاف للعموم، و قد رجحه فى كتب الأصول جماعة ثم ذكر ما تقدم.

قلت: وفاتهم الجميع الاستدلال بحديث زوائد مسند أحمد المتقدم بلفظ «ما بين هذه البيوت» يعنى بيوته «إلى منبرى روضة من رياض الجنة» و العجب أن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٥٧

المعتنين بأمر الروضة لم يذكروه مع أن فيه غنية عن التمسك بكون المفرد المضاف يفيد العموم فقد ناقش الصفى الكازرونى فى ذلك بأشياء، منها: أن رواية «ما بين قبرى و منبرى» بينت المراد من البيت المضاف. قلت: ليته قال رواية «ما بين المنبر و بيت عائشة» لأنه يلزم عليه أن يكون الروضة بعرض القبر فقط، و التخصيص بذلك بعيد و من قال: «إن المراد من البيت القبر» ليس مراده و الله أعلم، إلا أن رواية القبر لعدم إبهامها تعين البيت و لعله مراد الصفى و لهذا قال الطبرى: و إذا كان قبره صلى الله عليه و سلم فى بيته اتفقت معانى الروايات و لم يكن بينها خلاف انتهى. و لك أن تقول: رواية «قبرى» و رواية «حجرة عائشة» من قبيل أفراد فرد من العام و ذكره بحكم العام و هو لا- يقتضى التخصيص على الأصح بل يقتضى الاهتمام بشأن ذلك الفرد على أن القرطبى قال: الرواية الصحيحة «بيتى» و يروى «قبرى» و كأنه بالمعنى، و الله أعلم.

و منها: أن القرافى حمل إطلاق عموم اسم الجنس على ما يقع منه على القليل و الكثير كالماء و المال بخلاف ما لا يصدق إلا على الواحد كالعبد و البيت و الزوجة فلا يعم، و لهذا لو قال عبدى حر أو امرأتى طالق لا يعم سائر عبيده و نساءه قال:

و لم أره منقولاً. قلت: قال التاج السبكى: خالف بعض الأئمة فى تعميم اسم الجنس المعروف و المضاف و الصحيح خلافه، و فصل قوم بين أن يصدق على القليل و الكثير فيعم أو [لا] فلا و اختاره ابن دقيق العيد، انتهى.

فقد جعل ما بحثه القرافى وجها ثالثاً مفصلاً و ذلك يأبى حمل إطلاق المطلقين عليه فما بحثه منقول لكن الصحيح خلافه و ما استدل به من عدم عموم عبدى حر و امرأتى طالق جوابه من أوجه ذكرناها فى دفع التعرض و أحسنها ما أشار إليه الأسنوى من أن عدم العموم فى ذلك لكونه من باب الأيمان و الأيمان يسلك فيها مسلك العرف، انتهى. و نقل الأزرقى فى نفائسه عن ابن عبد السلام أنه قال:

الذى تبين لى طلاق الجميع و عتق الجميع، و فى كتب الحنابلة نص أحمد على أنه لو قال من له زوجتان أو عبيد «زوجتى طالق أو عبدى حر» و لم ينو مقينا وقع الطلاق و العتق على الجميع تمسكا بالقاعدة المذكورة، فقد جرى ابن عبد السلام و الحنابلة على مقتضى ذلك، فهذه الطرق من أحسن الأدلة و لكن على شمول الروضة لما بين المنبر و البيوت الشريفة فهو رأى آخر، و قد قدمنا من الحديث ما يصرح به و يؤيده ما أشار إليه الريمى من أن المقتضى لكون ذلك روضة كثرة تردده

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٥٨

صلى الله عليه و سلم فيه، و كان يصلى قبل تحويل القبلة من طرفه الذى يلى الشام و متجهده كما سيأتى فى جهة المشرق إلى الشام أيضا و منبره الشريف فى نهاية الموضع المحدود من جهة المغرب و مصلاه الشريف بمقدمه و به الأساطين الآتية ذوات الفضل.

(و أما رأى الثانى) فدليلة التمسك بظاهر لفظ البنية الحقيقية و حمل البيت على حجرة عائشة رضى الله عنها و يضعفه أن مقدم المصلى الشريف يلزم خروجه عن اسم الروضة حينئذ لخروجه عن موازاة طرفى المنبر و الحجرة مع أن الظاهر أن معظم السبب فى كون ذلك روضة تشرفه بجبهته الشريفة على أنى لم أر هذا القول لأحد و إنما أخذته من تردد الخطيب ابن حملة المتقدم.

(و أما رأى الثالث) فهو ظاهر ما عليه غالب العلماء و عامة الناس و وجهه حمل البيت على ما فى الرواية الأخرى من ذكر حجرة عائشة و جعل ما تقدم فى أمر خروج مقدم المصلى الشريف دليلا على أن المراد من البنية ما حاذى واحدا من الطرفين و أن المراد مقدم المسجد المنتهى من جهة مؤخر الحجرة الشريفة لصف أسطوان الوفود كما قدمناه، و فى كلام الأفشهرى إشارة له و هذا إنما علمناه فى العمارة التى سنذكرها و لم يكن معلوما قبل ذلك، و لهذا قال المجد فى الباب الأول فى فصل الزيارة من كتابه ما لفظه: ثم يأتى - يعنى الزائر - إلى الروضة المقدسة و هى ما بين القبر و المنبر طولاً - و لم أر من تعرض له عرضاً، و الذى عليه غلبة الظنون أنه من المحراب إلى الأسطوانة التى تجاهه، و أنا لا - أوافق على ذلك و قد بينته فى موضعه من هذا الكتاب و ذكرت أن الظاهر من لفظ الحديث يقتضى أن يكون أكثر من ذلك، لأن بيت النبى صلى الله عليه و سلم بجميع مرافق الدار كان أكثر من هذا المقدار، انتهى.

و لم يذكر فى الموضع الذى أحال عليه شيئا و قوله: «من المحراب إلى الأسطوانة التى تجاهه» كأنه يريد به الأسطوانة المخلق و ما حاذها فتكون الروضة على ذلك التقدير الرواق الأول منها فقط، و هو غلط لأن الحجرة الشريفة متأخرة عن ذلك لجهة الشام، و صفّ الأسطوان المذكور محاذ لطرف جدارها القبلى.

و قال ابن جماعة: قد تحرر لى طول الروضة و لم يتحرر لى عرضها، يريد أن طولها من المنبر إلى الحجرة و هو كما قال ابن زبالة ثلاثة و خمسون ذراعا و شبرا، و قال فى موضع آخر: أربعة و خمسون ذراعا و سدس.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٥٩

قلت: و ما ذكره أولا أقرب إلى الصواب كما اختبرناه فإنى زرعت بحبل من صفحة المنبر القبلى إلى طرف صفحة الحجرة القبلى فكان ثلاثة و خمسين ذراعا.

و ذكر ابن جماعة ذراعا أقل من هذا و كأنه ذرع على الإستقامة و لم يعتبر الذرع من الطرفين المذكورين فقال: و زرعت ما بين الجدار الذى حول الحجرة الشريفة و بين المنبر فكان أربعة و ثلاثين ذراعا و قيراطا بذراع العمل. قلت: و ذلك نحو اثنين و خمسين ذراعا بذراع اليد الذى قدمنا تحريره، و أما قول من قال: (إن طول الروضة اليوم ينقص عن خمسين ذراعا بثلاثى ذراع) فلا وجه له إلا أن يكون اعتبر بذراع اليد المفرط الطول و الله أعلم.

و أما نهاية الحجرة فلم تكن معلومة لابن جماعة و غيره، و عليها يتوقف بيان العرض و لهذا قال الريمى: لا ندرى الحجرة فى وسط البناء المحيط بها أم لا؟ و لا ندرى إلى أين ينتهى امتدادها؟ و غالب الناس يعتقدون أن نهايتها فى محاذاة أسطوان على رضى الله عنه، و لهذا جعلوا الدرازين الذى بين الأساطين ينتهى إلى صفها و اتخذوا الفرش لذلك فقط و الصواب ما قدمناه فقد انجلى الأمر و لله الحمد.

انتهى من كتاب «وفاء الوفا» للعلامة السهمودي.

و ابن زبالة المذكور كما جاء في كتاب «وفاء الوفا» هو محمد بن الحسن أحد أصحاب الإمام مالك و هو الذي ألف كتابه في تاريخ المدينة في شهر صفر سنة تسع و تسعين و مائة. و لقد كان مغرماً بتتبع آثار النبي صلى الله عليه و سلم و التحقق من ذرع قياساتها كما يظهر ذلك من كتاب «وفاء الوفا» فإنه رحمه الله تعالى أخذ ذرع طول الروضة من المنبر إلى الحجرة و أخذ ذرع منبر النبي صلى الله عليه و سلم طولاً و عرضاً و ارتفاعاً و وصفه و صفها دقيقاً و نقل الاختلاف في الذي عمل المنبر و الاختلاف في موضع دفن الجذع، و أخذ ذرع ما بين المنبر و مصلى النبي صلى الله عليه و سلم و ذرع ما بين مصلاه إلى أسطوان التوبة، و ذرع مسجد النبي عليه الصلاة و السلام الذي كان في زمنه و ذكر وصفه و غير ذلك. و الله تعالى أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب.

### وحي صلاة الجمعة في المسجد النبوي

و انظر رحمك الله تعالى ما يستلهمه بعض العلماء و الفضلاء و قادة الفكر من صلاة الجمعة في المسجدين الحرامين من الأمور الدقيقة المهمة المتصلة بصميم حالة المسلمين اليوم. فهذا هو الدكتور المصري محمد حسين هيكال رحمه الله تعالى التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٦٠

يقول في أخريات كتابه «في منزل الوحي» و هو جالس بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة ينتظر صلاة الجمعة ما نصه: و ذكرت و أنا جالس أنتظر الأذان و الصلاة أول جمعة صليتها في المسجد الحرام بمكة ذكرت عشرات الألوف الذين أحاطوا بالكعبة من جهاتها الأربع و ما أثارته في نفسي موازنتهم بالمسلمين الأولين الذين جاءوا مع رسول الله في حجة الوداع و ما بدا لي من فرق عظيم بين هؤلاء و أولئك في تصور الحياة.

كان المسلمون الأولون يقبلون على صلاة الجماعة يدعوهم إليها «روح» مبعثه الإيمان «و نظام» قوامه الأخوة. و كانت الحياة لذلك عندهم فكرة يستهينون في سبيلها بالموت و يروونه استشهاداً في سبيل الله. و كانوا يدركون إدراكاً عميقاً معنى كلمتين هما أبلغ و أقوى ما عرفت الإنسانية مذ وجدت: «الله أكبر».

و كانت صلاتهم لذلك ابتهالاً- خالصاً لله جل شأنه و توجهها إلى ما ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى و يسمو بالنفس على غرور الحياة الدنيا.

أما اليوم فقد غاض الروح من هذا المجتمع و صار الإيمان فيه تقليدياً يكتفى صاحبه بأن يقول ألقاها الإيمان و إن لم يؤمن بها بشيء، ثم يحسب بعد ذلك أنه أرضى الله و رسوله فإذا طمع في مزيد من الرضا خيل إليه أنه بالغ من ذلك مطعمه بألوان من الزلفى لا تتصل بالعمل الصالح في شيء و ليس فيها من حب المؤمن إخوانه و إثاره إياهم على نفسه كثير و لا قليل. بل إن كثرة المصلين اليوم لا يفكر أحدهم في أخيه و لا- يحب إلا- نفسه. و هو إنما يحضر صلاة الجماعة ابتغاء المغفرة لنفسه و الثواب لنفسه دون تفكير في المؤمن ممن حوله.

و هذه الأثره التي فتكت بالجماعات الإسلامية هي التي جعلتها تتعلق بالحياة لذاتها و لا تعرف المثل الأعلى فيها و تدعن لذلك خاضعة لكل سلطان يملك عليها أسباب المادة في الحياة. و هذه الأثره هي التي أبقته في غيابات الجهل لأن كبراءها و سادتها أمسكتهم الأثره في دنيا مراتب الحياة فحجبوا عن إخوانه نور العلم و ما يدعو إليه العلم من إيمان حق و بذلك أضلوه السبيل.

ذكرت ما ساورني من هذا التفكير بحرم مكة و أنا بمجلسي من المسجد النبوي أنتظر الأذان و الصلاة، و أجلت طرفي في هذه الجموع الجالسة حولي فحز مرآها في نفسي. فهذه الجموع تمثل العالم الإسلامي بمئات ملايين المنتشرة في أطراف العالم كله، و هي على ضخامة عددها كمية مهملة أو في حكم المهملة. مصر، بلاد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٦١

المغرب كلها، بلاد العرب، العراق، مسلمو الهند، مسلمو الملايا، مسلمو الصين، المسلمون في أوربا، أى أثر لهؤلاء جميعا في عالمنا الحاضر؟!.

أرقام ضخمة لا تعدو أن تكون أرقاما و اليهود لا يزيدون في العالم كله على خمسة عشر مليوناً. مع ذلك يتلفت العالم إذا ذكروا يريد أن يعرف ما يريدون، تهتز لمطالبهم جوانب البرلمان البريطاني و أرجاء عالم المال في أمريكا و تقوم عصبة الأمم لمطالبهم و تقعد. و كان العالم أشد تلفتا لما يريده المسلمون في عهدهم الأول حين لم يكونوا يبلغون ثلاثة الملايين عدا. أما اليوم فمئات الملايين من المسلمين أرقام لا يقام لها وزن و لا يحسب لها حساب. و إذا قيل العالم الإسلامى سخر الناس و قالوا: ما يزالون متعصبين، يحسبون الأديان وحدة تقيم أمه أو أمما. فإذا قيل: شعب صهيون أو قيل بنو إسرائيل سمعت الأصداء تتجاوب من أنحاء العالم: شعب مضطهد يجب على العالم أن يبحث له عن وطن يلجأ إليه احتفاء من مضطهديه. أى شىء يحز في كبد المسلم ما يحز هذا الجمع الذى أراه أمامى في المسجد النبوى يمثل المسلمين جميعا و هم يعانون الذل و الهوان صابرين! و قد كان المسلمون الذين يحضرون الصلاة في هذا المسجد أيام بساطته الأولى حين كان قائما من اللبن و جذوع النخل يهز العالم كله، لفته منهم ترزع العروش فإذا تنادوا «الله أكبر» تفرعت الأفلاك و التفت الدهر. انتهى من كتاب «منزل الوحي».

### زيارة رسول الله صلى الله عليه و سلم

الحقيقة أن حالات العلماء و الفضلاء و المثقفين و المفكرين تختلف جدا في زيارة رسول الله صلى الله عليه و سلم في كل وقت عن حالات الجهلاء و أهل الغفلة. و ما أحلى ما استحضره أحد أعلام المصريين و هو الدكتور محمد حسين هيكل رحمه الله تعالى عندما وقف في المواجهة الشريفة نذكره هنا و نقله من كتابه «في منزل الوحي» للذكرى و الاعتبار فإنه رحمه الله بعد أن أدى صلاة الجمعة بالمسجد النبوى و بدأ الناس ينصرفون من المسجد قال ما نصه:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٦٢

و أقمت مكاني حتى إذا خلت أروقة المسجد أو كادت ذهبت أودى للحجرة النبوية و لقبر الرسول زيارة الوداع. و وقفت أمام شباك التوبة و رفعت صوتى قائلا: «السلام عليك يا رسول الله و رحمه الله و بركاته. أشهد أن نبى الله و رسوله قد بلغ رسالته ربه و جاهد في سبيله حتى أتم الله النصر لدينه و أنه وفى بوعده و أمر ألا نعبد إلا الله وحده لا شريك له». و مكثت هنيهة واقفا أحرق في هذه الحجرة و أذكر من تحوى قبورها رفاتهم:

محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء و المرسلين، و أبا بكر الصديق صفى النبى و خليله، و عمر الفاروق من أعز الله به الإسلام يوم أسلم و من نشر لواء الإسلام في الخافقين أيام خلافته.

و أذكر ما حدث بعدهم بين المسلمين من حروب أهلية و ما تطورت إليه العقلية الإسلامية بعد ذلك حتى هوت إلى درك الإنحلال فأصبحت مقلدة تنفر من الاجتهاد و تحاربه، أثره لا تعرف أخوة المؤمنين و تنزوى لذلك أمام كل قوة.

و إنى لأقلب في صحف نفسى و أنا حسير الطرف كسير القلب حياء و خجلا إذا انفرجت شفتاى عن هذه النجوى: «السلام عليك يا رسول الله و رحمه الله و بركاته، أشهد أنك رسول الله الواحد الأحد حقا و صدقا، و أنه بعثك للناس كافة بالهدى و دين الحق. هديتهم بأمره ألا يعبدوا إلا إياه مخلصين له الدين حنفاء، و ألا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله».

سماك ربك عبده قبل أن يسميك رسوله حتى لا يضل قوم فيحرفوا كلام الله عن مواضعه فيؤلهوك أو يعبدوك كما أنه رسل من قبلك و عبدوا، و بلغتنا من وحي ربك أنك بشر مثلنا يوحى إليك أنما إلهنا إله واحد ليعلم الناس أن الله يصطفى لرسالاته من يشاء من عباده فيظل من اصطفاه عبده و أن فضله على الناس إذ جعل بعضهم فوق بعض درجات.

والله وحده جل شأنه لا شريك له هو الذي تجب على الناس جميعا عبادته.

لذلك خلقهم وإليه مرجعهم وعليه حسابهم. فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، و من يعمل مثقال ذرة شرا يره.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٦٣

«أشهد أنك رسول الله بعثك بالهدى ودين الحق. علمتنا بأمره ووحيه أن عبادة الله ليست ذلا وليست خضوعا، أفما هي إسلام لله عن إيمان صادق ابتغاء رضاه عن صالح ما نعمل والتماسا لعفوه عما نضل فيه السبيل أو تحدثنا به النفس الأمارة بالسوء.

فمن أسلم لدعوتك مدعنا غير مؤمن لم يدرك ما تدعونا إليه، و من أسلم وجهه لله و هو مؤمن فأولئك الذين رضى الله عنهم و رضوا عنه و الذين يخشون ربهم بالغداة والعشي، فإذا ذكر الله و جلت قلوبهم و إذا رأوا آياته زادتهم إيمانا.

ينظرون في خلقه يريدون أن يعرفوا من طريق العلم سنته و يسعون في مناكب الأرض ليزدادوا علما و ليزدادوا إيمانا».

«أشهد أنك رسول الله حقا و صدقا. علمتنا أن المرء لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه و أن المؤمنين إخوة حق عليهم أن يتحابوا بنور الله بينهم و أن نور وجهه الذي أشرقت له الظلمات و صلح عليه أمر الدنيا و الآخرة هادينا إلى البر و الرضا، و أن الحياة محبة أساسها الإيثار على النفس و قوامها إنكار الذات و غرضها المثل الأعلى و وسيلتها الأسوة الحسنة، خير رداء فيها الصبر و خير سلاح فيها العلم و خير شفيع فيها الصدق و خير كنز فيها الثقة بالنفس و خير أنيس فيها ذكر الله».

«أشهد أنك رسول الله القوى الأمين. علمتنا المثل الأعلى لله، و أن الجهاد في سبيل الله سبيلنا إليه و أن الاستهانة بالموت من خلق الجهاد و أن ما في الحياة الدنيا مما دون المثل الأعلى لن يبلغ أن يصد عنه أو يقف دونه و أن الخوالب و القواعد دون الجهاد هم الذين يبتغون بإيمانهم ثمنا قليلا، يؤثرون العاجلة و إن هانت و يرضون من أجلها أن يبيعوا آخرتهم بدنياهم. أولئك نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أما الذين جاهدوا في سبيله فقتلوا فليسوا أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون».

«أشهد أنك رسول الله أوحى إليك الكتاب بالحق لا ريب فيه هدى للمتقين. فيه آيات بينات يذكر بها الذين آمنوا و تزيدهم إيمانا، هو يهدى للتي هي أقوم و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا، فيه شفاء و نور للذين آمنوا يدعوهم إلى الله بالحكمة و الموعدة الحسنة و يجادل الذين ارتابوا بالتي

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٦٤

هي أحسن و ينذر الظالمين و المعاندين عذابا عظيما. نزله عليك ربك بالحق فبلغت رسالته و كنت فيها الأسوة الحسنة للذين يريدون وجه ربهم مخلصين».

«و أشهد أن لا إله إلا الله لا نشرك به شيئا و لا نعبد من دونه أحدا، و أن محمدا رسول الله بلغ رسالات ربه و جاهد في سبيله حتى أتم الله النصر لدينه صلى الله عليه و سلم».

«السلام عليك يا رسول الله! السلام عليك يا أبا بكر! السلام عليك يا عمر!».

أتممت نجواى و بقيت مكاني مأخوذا يهتر قلبي و تضطرب مشاعري و يضىء بصيرتى نور أحسه في أعماق نفسى فأراني أسمو فوق ما ألفت و أذكر موقفى من حراء و يتمثل أمامى كرة أخرى يوم الوحي الأول في سناه و بهائه، ثم أذكر موقفى من غار ثور و تتمثل لى هجرة النبى إلى هذه المدينة التى أقف الآن بها أمام قبره.

و تمثلت أمامى غزواته و حياته و أصحابه و كأنما تتابع هذه المواقف جميعا أمام بصيرتى مليئة بالحياة مضيئة بالإيمان و بما يدفع الإيمان إليه من جهاد في سبيله.

و انقضت فترة آن للنفس فيها أن تهدأ فانسحبت من موقفى أمام الحجر فى إكبار و إجلال و سرت خافض الرأس حتى بلغت منبر رسول الله فى الروضة فصليت ركعتين و استغفرت الله لى و للمؤمنين و انصرفت من المسجد راضيا عن نفسى طامعا فى مغفرة الغفور الرحيم ذنبى هو غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب.

ثم عدت إلى الدار و تناولت طعامي و أتممت عدة سفري. انتهى من كتاب «في منزل الوحي» للدكتور محمد حسين هيكل رحمه الله تعالى.

فانظر أيها القارئ الكريم إلى هذه المناجاة اللطيفة المملوءة بالحكمة و الموعظة و التي تهدي القارئ إلى حقيقة الإيمان و إلى حقيقة الإسلام و إلى هذا الدين الذي جاء به نبينا «محمد» صلى الله عليه و سلم، فما أحلى استعراض مثل هذا الموقف من علماء المسلمين و قاداتهم و ذوى الشأن منهم لأن التفكير فى مثل هذه الأمور المهمة و المسائل الدقيقة العميقة مما يغير حال المسلمين إلى أحسن الأحوال و مما يؤدي بهم إلى نهضة حقيقية فى الإصلاحات الشاملة و الأحوال العامة.

اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالين، و نور سمعنا و بصرنا و قلوبنا و أبصارنا حتى نرى مصالح ديننا و ديانا بفضلك و رحمتك يا أرحم الراحمين.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٦٥

و صل اللهم على نبينا نبي الرحمة و شفيع الأمة «محمد» أبى القاسم الأمين و على آله و صحبه أجمعين و سلم تسليما كثيرا. آمين.  
انظر: الصور أرقام ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧ لبعض الأجزاء من عمارة الملك عبد العزيز آل سعود- رحمه الله- للمسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة، و صورة لأحد أبواب المسجد النبوى الشريف، و صورة أخرى للمسجد النبوى الشريف و العمل جار فى منارته الجديدة أثناء عمارة و توسعه الملك عبد العزيز آل سعود- رحمه الله- للمسجد النبوى الشريف.

### فضل المدينة المنورة

لقد وردت فى فضل المدينة المنورة أحاديث كثيرة جدا، و كيف لا تكون كذلك و هى محل هجرة رسول الله صلى الله عليه و سلم و موضع مدفنه و موضع نزول القرآن الكريم؟ إن المدينة فيها أنوارا معنوية و أسرارا غير خفية، كل ذلك ببركة هذا الرسول الأعظم نبينا «محمد» صلى الله عليه و سلم فهنيئا لأهلها الكرام فلقد سعدوا فى الدنيا و الآخرة بالخيرات و البركات وفقنا الله تعالى فيها بالاستقامة و الآداب المرعية فلقد كان الناس يعرفون فضلها فى قديم العصور أكثر منا، و هذا الإمام مالك إمام دار الهجرة رضى الله تعالى عنه كان لا يركب فى المدينة مع ضعفه و كبر سنه و يقول لا أركب فى مدينة فيها جثة رسول الله صلى الله عليه و سلم مدفونة، كما جاء ذلك فى ترجمته فى أول موطأه. نعم و الله له الحق فى ذلك و لكن مثل هذا الأدب لا يكون إلا من أئمة الدين و أهل التقوى و الصلاح من المسلمين. وفقنا الله تعالى لما يحبه و يرضاه آمين.

### يهود المدينة

يقول الأستاذ محمد الخضرى فى كتابه «نور اليقين عن يهود المدينة المنورة» ما نصه: هذا و كما ابتلى الله المسلمين فى مكة بمشركى قريش ابتلاهم بيهودها، و هم بنو قينقاع و قريظة و النضير. فإنهم أظهروا العداوة و البغضاء حسدا من عند التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٦٦

أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق. و كانوا قبل مجيء الرسول يستفتحون على المشركين من العرب إذا شبت الحرب بين الفريقين بنبي يبعث قد قرب زمانه. فلما جاءهم ما عرفوا استعظم رؤسائهم أن تكون النبوة فى ولد إسماعيل فكفروا بما أنزل الله بغيا مع أنهم يرون أن رسول الله محمدا لم يأت إلا مصدقا لما بين يديه من كتب الله التى أنزلها على من سبقه من المرسلين مبينا ما أفسده التأويل منها.

و لكنهم نبذوه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. و مما عابوه على الإسلام نسخ الأحكام و ما دروا أن القادر العليم يعلم ما يحتاج إليه

الإنسان أكثر منهم فإنه ميال بطبعه للترقى، و الرسول عليه السلام وجد بادئ بدء بين جماعة من العرب أميين ليسوا على شىء من الاعتقادات الإلهية فكانت الحكمة داعية لأن يكون التشريع لهم على التدريج لأنه لو حرم الله عليهم شرب الخمر و أكل الربا و أمرهم بالصلاة و الزكاة و هكذا إلى آخر الأوامر و المناهى التى جاء بها الشرع الإسلامى لما أجابه أحد من هؤلاء النافرة قلوبهم المختلفة أهواؤهم الذين كانوا منغمسين فى كثير من الأضاليل فجاءهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بالأمر شيئا فشيئا حتى روضت عقولهم و هذبت نفوسهم.

و كانت الأحكام لا ينزلها الله عليه إلا عقب الحوادث التى تقتضيها ليكون التأثير فى النفوس أشد. و لكن اليهود أرادوا على يد القدرة على أن تفعل إلا- ما يشتهون، و قد حجهم القرآن الشريف بما يدل على أنهم يعلمون فى نفوسهم البعد عن الحق فقال فى سورة البقرة: قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، ثم ختم جل ذكره عدم إجابتهم بقوله: وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ. فلو كانوا يعلمون من أنفسهم أنهم على الحق لما تأخروا عما طلب منهم مع سهولته و حرصهم على تكذيب أنهم على الحق لما تأخروا عما طلب منهم مع سهولته و حرصهم على تكذيب الصادق الأمين، و لم ينقل لنا عن أحد منهم أنه تمنى ذلك و لو نطقا باللسان.

و قد تبين الهدى لأحد رؤساء بنى قينقاع و هو عبد الله بن سلام فترك هواه و أسلم بعد أن سمع القرآن، و بعد أن كان اليهود يعدونه من رؤسائهم عدوه من سفهائهم حينما بلغهم إسلامه. بِسْمِ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. و لما استحكمت فى قلوبهم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٦٧

عداوة الإسلام صاروا يجهدون أنفسهم فى إطفاء نوره و يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

## المنافقون

و كان يساعدهم على مقاصدهم جماعة من عرب المدينة أعمى الله بصائرهم فأخفوا كفرهم خوفا على حياتهم و كان يرأس هذه الجماعة عبد الله بن أبى سلول الخزرجى الذى كان مرشحا لرئاسة أهل المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لا شك أن ضرر المنافقين أشد على المسلمين من ضرر الكفار لأن أولئك يدخلون بين المسلمين فيعلمون أسرارهم و يشيعونها بين الأعداء من اليهود و غيرهم كما حصل ذلك مرارا.

و الأساس الذى كان عليه رسول الله أن يقبل ما ظهر و يترك لله ما بطن، و لكنه عليه السلام مع ذلك كان لا يأمنهم فى عمل ما، فكثيرا ما كان يتغيب عن المدينة و يولى عليها بعض الأنصار و لكن لم يعهد أنه ولى رجلا ممن عهد عليه النفاق لأنه عليه السلام يعلم ما يكون منهم لو وُلوا عملا.

فإنهم بلا شك يتخذون ذلك فرصة لإضرار المسلمين، و هذا درس مهم لرؤساء الإسلام يعلمهم أنهم لا يثقون فى الأعمال المهمة إلا بمن لم تظهر عليهم شبهة النفاق أو إظهار ما يخالف ما فى الفؤاد.

## سكنى اليهود فى الحجاز

رأينا كتابا مطبوعا اسمه «تاريخ اليهود فى بلاد العرب» تأليف إسرائيل و لفسون أبو ذؤيب أستاذ اللغة السامية بدار العلوم و حيث أننا لم نطالعه جيدا فقد اكتفينا بما ذكره الفاسى فى تاريخه «شفاء الغرام» عند ذكر سكنى اليهود فى الحجاز و هذا نصه:

و إنما كان سكنى اليهود بالحجاز أن موسى عليه الصلاة و السلام لما أظهره الله على فرعون و أهلكته و جنوده و طغى الشام و أهلكت



من بها و بعث بعثا من اليهود إلى الحجاز و أمرهم ألا يستبقوا من العماليق أحدا بلغ الحلم، فقدموا عليهم فقتلوهم و قتلوا ملكهم «نبنما» و كان يقال له الأرقم بن أبي الأرقم و أصابوا ابنا له

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٦٨

شابا من أحسن الناس فضنوا به عن القتل و قالوا: نستحيه حتى نقدم به على موسى فيرى فيه رأيه، فأقبلوا و هو معهم. و قبض الله موسى قبل قدومهم فلما سمع الناس بقدومهم تلقوهم فسألوهم عن أمرهم فأخبروهم بفتح الله عليهم و قالوا: لم نستبق منهم أحدا إلا هذا الفتى فإننا لم نر شابا أحسن منه فاستبقيناه حتى نقدم به على موسى فيرى فيه رأيه. فقالت لهم بنو إسرائيل: إن هذه لمعصية لمخالفتكم نبيكم. لا- و الله لا يدخلوا علينا بلادنا فحالوا بينهم و بين الشام فقال الجيش: ما بلد إذ منعتم بلدكم خير من البلد الذي خرجتم منه. قال: و كانت الحجاز أكثر بلاد الله شجرا و أظهره ماء. قالوا: و كان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق- و هم يجدون في التوراة أن نبيا يهاجر من العرب إلى بلد فيه نخل بين حرتين- فأقبلوا من الشام يطلبون صفة البلد، فنزل طائفة تيماء و توطنوا نخلا و مضى طائفة فلما رأوا خبير ظنوا أنها البلدة التي يهاجر إليها فأقام بعضهم بها و مضى أكثرهم و أشرفهم فلما رأوا يثرب سبخة و حره و نخلا- قالوا: هذا البلد الذي يكون له مهاجر النبي إليها فنزلوه، فنزل النضير بمن معه بطحان فنزلوا منها حيث شاءوا و كان جميعهم بزهره و هي محل بين الحره و السافله مما يلي القف، و كانت لهم الأموال بالسافله و نزل جمهورهم بمكان يقال له يثرب بمجتمع السيول: سيل بطحان و العقيق و سيل قناه ما يلي رغاية، قال: و خرجت قريظة و إخوانهم بنو هذل و هذل و عمرو أبناء الخزرج بن الصريح بن التوم بن السبط بن اليسع بن العتين بن عيد بن خبير بن النجار بن ناحوم بن علر ابن هارون بن عمران، و النصر بن النجار بن الخزرج بن الصريح بعد هؤلاء فتبعوا آثارهم فنزلوا بالعليه على واديين يقال لهما مذيئيب و مهزور فنزلت بنو النضير على مذيئيب و اتخذوا عليه الأموال و نزل قريظة و هذل على مهزور و اتخذوا عليه الأموال. و كانوا أول من احتفر بها الآبار و اغتسروا الأموال و ابتنوا الآطام و المنازل، قالوا: فجميع ما بنى اليهود بالمدينة تسعة و خمسون أطما.

قال عبد العزيز بن عمران: و قد نزل المدينة قبل الأوس و الخزرج أحياء من العرب منهم أهل التهمة تفرقوا جانب بلقيز إلى المدينة فنزلت بين مسجد الفتح إلى يثرب في الوطا و جعلت الجبل بينهما و بين المدينة فأبرت الآبار و المزارع. انتهى من تاريخ الفاسي.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٦٩

### سبب هجرة اليهود من فلسطين إلى الحجاز

قال الأستاذ عبد الوهاب النجار رحمه الله تعالى في كتابه «قصص الأنبياء» عن سبب هجرة اليهود إلى الحجاز ما يأتي:

بمناسبة هذه الآية الكريمة عرض لي أن أسائل نفسي سؤالين و هما:

الأول: أن التواريخ قد دلت على أن اليهود قد احتلوا جهات من الحجاز كتيماء و وادي القرى و فدك و خيبر و مدينة يثرب و اتخذوا تلك الأمكنة مقاما و جعلوها دار قرارهم و آثاروها و عمروها و بنوا فيها المصانع و الآطام العظيمة و الحصون المنيعه و استقر من قبائلهم هناك: بنو قينقاع و بنو النضير و بنو قريظة فما الذي أزعجهم عن فلسطين تلك الأرض التي إذا تكلموا عنها قالوا أنها تفيض لبنا و عسلا؟

الثاني: و لم كان اتجاههم إلى تلكم الأرض القليلة الريف و أرض الله واسعة أمامهم فهذه مصر متاخمة لأرضهم و الشام من شمالهم و العراق مهاجرهم الأول.

فلم اتجه هؤلاء الناس إلى تلك الناحية؟

(ج- ١) أما السؤال الأول فجوابه فيما اعتقد أن بنى إسرائيل إنما أزعجهم من فلسطين التي كانوا يحبونها حبا جما إغارة «يطس» الروماني على بلادهم و إيقاعه بهم و تخريبه بيتهم المقدس و هيكلمهم الذي كانوا يفاخرون به كل الأمم و يباهون بضخامة بنيانه و ما

فيه من آنية الذهب والفضة وذلك سنة (٧١) بعد الميلاد.

(ج-٢) و أما جواب الاستفهام الثانى: فإن بنى إسرائيل قد وعدوا بنى يقوم من بين إخوانهم وهم العرب الإسماعيليون وأنه سيكون ظهوره وإعلان أمره فى مدينة يثرب. فلما ضاقت أنفسهم مما أنزله بهم الرومان رجوا أن يأتيهم الفرج ويعود لهم العز بمظاهرة هذا النبى الذى وصف لهم فى كتب الأنبياء فجاءوا إلى مكان ظهوره انتظارا لمقدمه و على الطريق بين البلد الذى يظهر منه و بين فلسطين. جاء فى إنجيل «أشعيا» (١٠) غنوا للرب أغنية جديدة تسيحه من أقصى الأرض أيها المنحدرون فى البحر و مأوه و الجزائر و سكانها.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٧٠

١١- لترفع البرية و مدنها صوتها. الديار التى سكنها قيذار. لترنم سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا.

١٢- ليعطوا الرب مجدا و يخبروا بتسيحه فى الجزائر.

١٣- الرب كالجبار يخرج كرجل حرب ينهض غيرته، يهتف و يصرخ و يقوى على أعدائه. اه.

فسالع هذه التى يدعوها أشعيا للابتهاج ليست سوى «جبل سلع» إذ الوادى الذى به المدينة المنورة يكتنفه جبلان: أحدهما شرقى و هو «جبل أحد» و ثانيهما غربى و هو «جبل سلع».

و الأغنية الجديدة إنما هى الدين الجديد الذى يعلن توحيد الله و إفراده بالعبادة و يكون حربا للأصنام التى تعبد من دون الله تعالى كما فى قول أشعيا «ص ٤٢» قد ارتدوا إلى الوراء يخزى خزيا المتكلمون على المنحوتات. القائلون للمسبوكات: أنتن آلهتنا.

لم يأتى نبى بعد أشعيا كان حربا على الأصنام و عبادتها و أعلن ثورته عليها حتى أبادها من بلاده سوى «محمد» صلى الله عليه و سلم، لهذا السبب جاء اليهود إلى «يثرب» بلصق «سلع» التى دعاها أشعيا إلى الابتهاج بشريعة الله الجديدة و النبى القائم بها. و قد يكون قد هجس لبعض اليهود أن يكون منهم النبى الذى يقوم من سالع و تبتهج به، فنزلوا فى تلك الديار رجاء أن يبعث ذلك النبى منهم و تكون لبقيتهم العزة به. انتهى من الكتاب المذكور.

### نزول أحياء من العرب على اليهود

و ذكر الفاسى فى تاريخه أيضا بعد ما تقدم عن ذكر نزول أحياء من العرب على اليهود ما نصه:

قالوا: و كان بالمدينة قرى و أسواق من يهود بنى إسرائيل و كان قد نزلها عليهم أحياء من العرب فكانوا معهم و ابتنوا الآطام و المنازل قبل نزول الأوس و الخزرج و هم بنو أنيف حى من بلى و يقال أنهم من بقية العماليق و بنو مريد حى من بلى و بنو معاوية بن الحارث بن بهنه بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفه بن قيس

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٧١

بن عيلان و بنو الجذما حى من اليمن. قالوا: و كانت الآطام عز أهل المدينة و منعتهم التى يتحصنون فيها من عدوهم، فكان منها ما يعرف اسمه، و منها ما لا يعرف اسمه، و منها ما يعرف باسم سيده، و منها ما لا يدرى لمن كان، و منها ما ذكر فى الشعر و منها ما لا يذكر. و كان ما بنى من الآطام للعرب بالمدينة ثلاثة عشر أطما.

### نزول الأوس و الخزرج بالمدينة

ذكر الفاسى فى تاريخه أيضا بعد ما تقدم عن ذكر نزول الأوس و الخزرج بالمدينة ما نصه:

قالوا: فلم تزل اليهود العالية بها الظاهرة عليها حتى كان من سيل العرم ما كان و ما قص الله فى كتابه أن أهل مأرب و هى أرض سبأ

كانوا آمنين في بلادهم تخرج المرأة بمغزلها لا- تتزود شيئا، تبيت في قرية و تقيل في أخرى حتى تأتي الشام فقالوا: «ربنا باعد بين أسفارنا» فسلط الله عليهم العرم، و هو جرد فنقب عليهم حتى دخل السيل عليهم فأهلكهم و تمزق من سلم منهم في البلاد، و كان السد فرسخا في فرسخ كان بناه لقمان الأ-كبر العادي، بناه للدهر على زعمه. و كان يجتمع إليه مياه أهل اليمن من مسيرة شهر فكان تمزيقهم. و يروى أن طريفة بنت ربيعة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزدي الغوث قالت: أتيت في المنام فقيل لي: رب أسير ذاب شديد الذهاب بعيد الإياب من واد إلى واد و بلاد إلى بلاد كدأب ثمود و عاد ثم مكثت ثم قالت: أتيت الليلة فقيل لي شيخ هرم و جعل لزم و رجل قرم و دهر أزم و شر لزم يا ويح أهل العرم ثم قالت: أتيت الليلة فقيل لي يا طريفة لكل اجتماع فراق فلا رجوع و لا تلاق من أفق إلى آفاق ثم قالت: أتيت الليلة في النوم فقيل لي رب ألب موالب و صامت و خاطب بعد هلاك مآرب، قالت: ثم أتيت في النوم فقيل لي: لكل شيء سبب إلا غبش ذو الذنب الأشعر الأزب، فنقب بين المقر و القرب ليس من كاس الذهب. فخرج عمرو و امرأته طريفة فيدخلان العرم فإذا هما بجرذ يحفر في أصله و يقلب بيديه و رجله الصخرة ما يقبلها خمسون رجلا- فقال: هذا و الله البيان و كتم أمره و ما يريد و قال لابن أخيه وداعة بن عمرو: إنى سأشتمك في المجلس فالطمني فطمه، فقال عمرو: و الله لا أسكن بلدا لطمت فيه أبدا من يشتري منى أموالى؟

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٧٢

قال: فوثبوا و اغتصموا غضبته و تزايدوا في ماله فباعه فلما أراد الظعن قالت طريفة:

من كان يريد حمرا و حميرا و برا و شعيرا و ذهبا و حريرا و سديرا فليتنزل بطوى، و من أراد الراسيات في الوحل المطاعم في المحل فليلج يثرب ذات النخل، قال:

فلحقت بنو عمرو بن ثعلبة و هم الأوس و الخزرج ابنا هوارثة بن عمرو بن ثعلبة بن عمرو بن عامر يثرب و هي المدينة، قالوا: و كان ممن بقى بالمدينة من اليهود حين نزلت عليهم الأوس و الخزرج بنو قريظة و بنو النضير و بنو محم و بنو زعورا و بنو قينقاع و بنو ثعلبة و أهل زهرة و أهل زباله و أهل يثرب و بنو القصيصة و بنو فاعصة و بنو ماسكة و بنو القمعة و بنو زيد اللات و هم رهط عبد الله و بنو عكوة و بنو مرانة، قالوا: فأقامت الأوس و الخزرج بالمدينة و وجدوا الأموال و الآطام و النخل في أيدي اليهود و وجدوا العدد و القوة معهم فسكنت الأوس و الخزرج معهم ما شاء الله ثم إنهم سألوهم أن يعقدوا بينهم و بينهم جوارا و حلفا يأمن به بعضهم من بعض و يمنعون به من سواهم فتعاقدوا و تحالفوا و اشتركوا و تعاملوا فلم يزالوا على ذلك زمنا طويلا و أثرت الأوس و الخزرج و صار لهم مال و عدد، فلما رأت قريظة و النضير حالتهم خافوهم أن يغلبوهم على دورهم و أموالهم فتنمروا لهم حتى قطعوا الحلف الذي كان بينهم. و كانت قريظة و النضير أعدوا و أكثروا فأقامت الأوس و الخزرج في منازلهم و هم خائفون أن تحتلهم يهود حتى نجم منهم مالك بن العجلان أخو بني سالم بن عوف بن الخزرج.

### استيلاء الأوس و الخزرج على المدينة

ذكر الفاسي في تاريخه أيضا بعد ما تقدم عن ذكر قتل اليهود و استيلاء الخزرج على المدينة ما نصه:

قالوا: و لما نجم مالك بن العجلان سوده الحيان عليهما فبعث هو و قومه إلى من وقع بالشام من قومهم يخبرونهم حالهم و يشكون إليهم غلبة اليهود عليهم.

و كان رسولهم الدمق بن زيد بن امرئ القيس أحد بني سالم ابن عوف بن الخزرج و كان قبيحا دميما شاعرا بليغا فمضى حتى قدم الشام على ملك من ملوك غسان الذين ساروا من يثرب إلى الشام يقال له أبو جيلة من ولد حفنة بن عمرو بن عامر و قيل كان أحد بني جشم بن الخزرج و كان قد أصاب ملكا بالشام و شرفا فشكى إليه الدمق حالهم و غلبة اليهود عليهم و ما يتخوفون منهم و أنهم يخشون أن

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٧٣

يخرجونهم فأقبل أبو جيبلة في جمع كبير لنصرة الأوس و الخزرج و عاهد الله لا- يبرح حتى يخرج من بها من اليهود أو يذلهم و يصيرهم تحت يد الأوس و الخزرج فسار و أظهر أنه يريد اليمن حتى قدم المدينة و هي يومئذ يثرب فلقية الأوس و الخزرج و أعلمهم ما جاء به فقالوا: إن علم القوم ما تريد تحصنوا في آطامهم فلم نقدر عليهم و لكن تدعوهم للقائك و تتلطف بهم حتى يأمنوك و يطمئنا فتمكن منهم، فصنع لهم طعاما و أرسل إلى وجوههم و رؤسائهم فلم يبق من وجوههم أحد إلا أتاه و جعل الرجل منهم يأتي بخاصته و حشمه رجاء أن يحبوهم الملك. و قد كان بنى لهم حيزا و جعل فيه قوما و أمرهم من دخل عليهم منهم أن يقتلوه حتى أتى على وجوههم و رؤسائهم فلما فعل ذلك عزت الأوس و الخزرج في المدينة و اتخذوا الديار و الأموال و انصرف أبو جيبلة راجعا إلى الشام و تفرقت الأوس و الخزرج في عالية المدينة و سافلتها و بعضهم جاء إلى عفا من الأرض لا ساكن فيه فنزله، و منهم من لجأ إلى قرية من قراها و اتخذوا الأموال و الآطام فكان ما ابتنوا من الآطام مائة و سبعة و عشرين أطما و أقاموا كلمتهم و أمرهم مجتمع، ثم دخلت بينهم حروب عظام و كانت لهم أيام و مواطن و أشعار فلم تزل الحروب بينهم إلى أن بعث الله نبيه صلى الله عليه و سلم و أكرمهم باتباعه. انتهى منه.

إلى هنا نكتفي بهذه النبذة الصغيرة عن المدينة المنورة أدام الله خيرها و بركتها، و لو ذكرنا تاريخها بالتفصيل لاحتجنا إلى مجلدات، و قد ذكرنا في أوائل هذا الكتاب تاريخ هجرة رسول الله صلى الله عليه و سلم من مكة إلى المدينة زادها الله تعالى من الخيرات و البركات.

## نبذة عن تاريخ المسجد الأقصى

### إشارة

هنا نحب أن نتشرف بذكر نبذة صغيرة عن المسجد الأقصى للجمع بين المساجد الثلاثة: المسجدين الحرامين و هذا المسجد الأقصى، و لا نقدر أن نتوسع بذكر تاريخه حيث لم نذهب إليه و ما أقمنا في تلك البلدة المشرفة و لكن اطلعنا على كتابين مطبوعين صدرا عنه في زماننا الحاضر «الأول» اسمه كتاب «تاريخ الحرم القدسي». و «الثاني» اسمه كتاب «تاريخ القدس» و كلاهما تأليف عارف باشا العارف.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٧٤

فليعدرنا القارئ الكريم على هذه النبذة القصيرة عن المسجد الأقصى فإننا لم نذكرها إلا تبركا بذكر المساجد الثلاثة الواردة في الحديث الصحيح في كتابنا هذا فنقول و بالله التوفيق:

### بيت المقدس

قال العلامة ابن خلدون في مقدمته عن بيت المقدس عند الكلام على المساجد و البيوت العظيمة في العالم ما يأتي:  
و أما بيت المقدس و هو المسجد الأقصى فكان أول أمره أيام الصابئة موضع الزهرة، و كانوا يقربون إليه الزيت فيما يقربونه يصبونه على الصخرة التي هناك ثم دثر ذلك الهيكل و اتخذها بنو إسرائيل حين ملكوها قبله لصلاتهم و ذلك أن موسى صلوات الله عليه لما خرج ببني إسرائيل من مصر لتمليكهم بيت المقدس كما وعد الله أباهم إسرائيل و أباه إسحاق من قبله و أقاموا بأرض التيه أمره الله باتخاذ قبة من خشب السنط عين بالوحى مقدارها و صفاتها و هياكلها و تماثيلها و أن يكون فيها التابوت و مائدة بصحافها و منارة بقناديلها و أن يصنع مذبحا للقران و وصف ذلك كله في التوراة أكمل و وصف فصنع القبة و وضع فيها تابوت العهد و هو التابوت الذي

فيه الألواح المصنوعة عوضاً عن الألواح المنزلة بالكلمات العشر لما تكسرت و وضع المذبح عندها و عهد الله إلى موسى بأن يكون هارون صاحب القربان و نصبوا تلك القبّة بين خيامهم في التيه يصلون إليها و يتقربون في المذبح أمامها و يتعرضون للوحى عندها و لما ملكوا الشام و بقيت تلك القبّة قبلتهم و وضعوها على الصخرة بيت المقدس و أراد داود عليه السلام بناء مسجده على الصخرة مكانها فلم يتم له ذلك و عهد به إلى ابنه سليمان فبناه لأربع سنين من ملكه و لخمسمائة سنة من وفاة موسى عليه السلام و اتخذ عمده من الصفر و جعل به صرح الزجاج و غشى أبوابه و حيطانه بالذهب و صاغ هياكله و تماثيله و أوعيته و منارته و مفتاحه من الذهب و جعل في ظهره قبراً ليضع فيه تابوت العهد و هو التابوت الذي فيه الألواح و جاء به من صهيون بلد أبيه داود تحمله الأسياد و الكهونية حتى وضعه في القبر و وضعت القبّة و الأوعية و المذبح كل واحد حيث أعد له من المسجد و أقام كذلك ما شاء الله ثم خربه بختنصر بعد ثمانمائة سنة من بنائه و أحرق التوراة و العصا و صاغ الهياكل و نثر الأحجار ثم لما أعادهم ملوك الفرس بناه عزيز نبى التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٧٥

إسرائيل لعهد ياعانه بهم ملك الفرس الذى كانت الولادة لبني إسرائيل عليه من سبى بختنصر و حد لهم في بنائه حدوداً دون بناء سليمان ابن داود عليهما السلام فلم يتجاوزوها ثم تداولتهم ملوك يونان و الفرس و الروم و استفحل الملك لبني إسرائيل في هذه المدة ثم لبني خمسان من كهنتهم ثم لصهرهم هيرودوس و لبنيه من بعده.

و بنى هيرودوس بيت المقدس على بناء سليمان عليه السلام و تأتق فيه حتى أكمله في ست سنين فلما جاء طيطش من ملوك الروم و غلبهم و ملك أمرهم، خرب بيت المقدس و مسجدها و أمر أن يزرع مكانه ثم أخذ الروم بدين المسيح عليه السلام و دانوا بتعظيمه ثم اختلف حال ملوك الروم في الأخذ بدين النصرارى تارة و تركه أخرى إلى أن جاء قسطنطين و تنصرت أمه هيلانة و ارتحلت إلى المقدس في طلب الخشبة التى صلب عليها المسيح بزعمهم فأخبرها القساوسة بأنه رمى بخشبته على الأرض و ألقى عليها القمامات و القاذورات فاستخرجت الخشبة و بنت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة كأنها على قبره بزعمهم و خرجت ما وجدت من عمارة البيت و أمرت بطرح الزبل و القمامات على الصخرة حتى غطاها و خفى مكانها جزاء بزعمها لما فعلوه بقبر المسيح ثم بنوا بإزاء القمامة بيت لحم و هو البيت الذى ولد فيه عيسى عليه السلام. و بقى الأمر كذلك إلى أن جاء الإسلام و حضر عمر لفتح بيت المقدس و سأل عن الصخرة فأرى مكانها و قد علاها الزبل و التراب فكشف عنها و بنى عليها مسجداً على طريق البداوة و أعظم من شأنه ما أذن الله من تعظيمه و ما سبق من أم الكتاب في فضله حسبما ثبت.

ثم احتفل الوليد بن عبد الملك في تشييد مسجده على سنن مساجد الإسلام بما شاء الله من الاحتفال كما فعل في المسجد الحرام و في مسجد النبى صلى الله عليه و سلم بالمدينة و في مسجد دمشق و كانت العرب تسميه بلاط الوليد و ألزم ملك الروم أن يبعث الفعلة و المال لبناء هذه المساجد و أن ينمقوها بالفسيفساء فأطاع لذلك و تم بناؤها على ما اقترحه، ثم لما ضعف أمر الخلافة أعوام الخمسمائة من الهجرة في آخرها و كانت في ملكة العبيديين خلفاء القاهرة من الشيعة و اختل أمرهم زحف الفرنجة إلى بيت المقدس فملكوه و ملكوا معه عامة ثغور الشام و بنوا على الصخرة المقدسة منه كنيسة كانوا يعظمونها و يفتخرون ببنائها حتى إذا استقل صلاح الدين بن أيوب الكردى بملك مصر و الشام و محا أثر العبيديين و بدعهم زحف إلى الشام و جاهد من كان به من الفرنجة حتى غلبهم على بيت المقدس و على ما كانوا ملكوه من ثغور

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٧٦

الشام و ذلك لنحو ثمانين و خمسمائة من الهجرة، و هدم تلك الكنيسة و أظهر الصخرة و بنى المسجد على النحو الذى هو عليه اليوم لهذا العهد. و لا يعرض لك الأشكال المعروفة في الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه و سلم سئل عن أول بيت وضع فقال:

مكة، قيل: ثم أى؟ قال: بيت المقدس، قيل: فكم بينهما؟ قال: أربعون سنة فإن هذه المدة بين بناء مكة و بين بناء بيت المقدس بمقدار ما بين إبراهيم و سليمان لأن سليمان بانيه و هو ينيف على الألف بكثير. و اعلم أن المراد بالوضع في الحديث ليس البناء وإنما المراد

أول بيت عتین للعبادة و لا یبعد أن یكون عتین للعبادة قبل بناء سليمان بمثل هذه المدة، و قد نقل أن الصابئة بنوا على الصخرة هیکل الزهرة فلعل ذلك أنها كانت مكانا للعبادة كما كانت الجاهلية تضع الأصنام و التماثيل حوالی الكعبة و فی جوفها، و الصابئة الذين بنوا هیکل الزهرة كانوا على عهد إبراهيم عليه السلام فلا تبعد مدة الأربعين سنة بين وضع مكة للعبادة و وضع بيت المقدس و إن لم یكن هناك بناء كما هو معروف و أن أول من بنى بيت المقدس سليمان عليه السلام فتفهمه ففیه حل هذا الإشكال. انتهى من مقدمه ابن خلدون.

و ما أحلى قول بعض الفضلاء حيث یقول:

إذا كنت فی القدس الشریف تشوقت إلى مكة نفسی لحج و عمره

و لو كنت فیها قالت النفس طيبة أعیش بها فی ظل روح النبوة

و لو كنت فیها زاد للأهل شوقها فمن لی بأهلی و البلاد الشریفه

انظر: صورة رقم ٣٦٨، قبة المسجد الأقصى

### المسجد الأقصى

و قال الأستاذ محمد لیب البتونى رحمه الله تعالى فی كتابه «الرحلة الحجازية» ما نصه:

المسجد الأقصى هو ثالث المساجد المقدسة عند المسلمين، لقوله عليه الصلاة و السلام: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد: المسجد الحرام و مسجدى هذا و المسجد الأقصى» و هو مسجد الصخرة بيت المقدس. و كثير من المسلمين يزورونه بعد زيارة قبر النبى صلى الله عليه و سلم و یقولون لمن زاره فلان قدس - بصیغه الماضى - و ليس لزيارتهم له وقت مخصوص و لا شروط مخصوصه مثل ما فی الحج. و لكنها زيارة بسيطة يؤدونها فی أى زمن شاؤوا و اختیارهم فی موسم شم النسيم إنما هو

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٧٧

للحاق مولد سيدنا موسى عليه السلام. و أهل تلك الجهة يحتفلون بهذا المولد احتفالاً عظيماً جداً، ذلك أنهم بعد صلاة الجمعة التى قبل سبت النور یذهب المتصرف و القاضى و المفتى و مشايخ الحرم الشریف و أرباب الطرق و أرباب الدولة من ملكيين و عسكريين فی آلاف من الناس من عرب و اهلین و حاجين و یجتمعون حول شجرة الزيتون التى فی حوش الحرم بين مصطبة الصخرة و المسجد الأقصى، و هذه الشجرة ينسبونها إلى النبى صلى الله عليه و سلم و یقولون أنه هو الذى غرسها بمكانها هذا.

و هنا لك ينشرون جملة أعلام یسمون بعضها بعلم النبى و بعضها بعلم داود و بعضها بعلم موسى و بعضها بأعلام الصخرة. و یسير الموكب من الحرم الشریف إلى مشهد موسى عليه السلام و هو على مسافة ست ساعات من بيت المقدس فی الجهة الشرقية الجنوبية، و هناك ينتهى الاحتفال الذى یبدأ به المولد و یستمر خمسة عشر يوماً فی الجبل و تقام فی الأسواق لبيع ما یلزم للأعراب القاطنين بتلك الجهات.

أما الصخرة الشریفه فقد كانت قبله للمسلمين بعد ما فرضت الصلاة مدة ستة عشر شهراً حتى أمرهم الله تعالى بتوجيه وجوههم إلى الكعبة المكرمة فی السنة الثانية للهجرة و هى صخرة كبيرة ضربت علیها قبة عظيمة جداً فیها من أعمال القيشانى و الفسيفساء - الموزاييك - و النقوش الذهبية و غيرها ما یدهش الفكر و یحار له العقل. و هذه الأعمال من عهد عبد الملك بن مروان و ابنه الوليد، و للمأمون فیها أثر عمارة تشكر. و قد أصلح الحاكم بأمر الله قبتها و ضرب علیها قبة أخرى من الخشب لتحفظها من عبث الأمطار و تأثير الأجواء، و ارتفاع الأولى منهما و هى السفلى ٥٠، ١١ متراً و قطرها عشرون متراً. أما الثانية - العليا - فارتفاعها ثلاثون متراً. و لقد عمّرها صلاح الدين الأيوبي بعد أن عبث الصليبيون بها و حولوها إلى كنيسة و جعلوا هیکلها فوق الصخرة، ثم عمّرها السلطان سليمان القانونى. و هذه القبة الآن آیه من آیات الصناعة الرومية و العربية القديمتين مما يستعصى على عمال زمننا الحاضر إصلاح ما اعتل

منها و هي قائمة على قاعدة مثنى الشكل طول كل ضلع منها ٤٠، ٢٠ مترا و حوائطها مكسوة بألواح كبيرة من المرمر فيها نقوش طبيعية جميلة جدا و متناسبة مع بعضها تناسباً غريباً حتى ليتخيل للإنسان أنها مرسومة بيد الرسامين الماهرين لا بيد هذه الطبيعة المتواضعة التي لا تريد أن تعلن عن نفسها بأى حال من الأحوال. و أرضية القبّة من الداخل مفروشة بالرخام المجزع و حوله أعمال الموزاييك المرمرية من ألوان مختلفة. أما

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٧٨

حوائطها من الخارج فكلها بالقيشاني الغريب في بابها و القديم منه ثمين جدا حتى أن القيشاني الذي رمت به مدّة عمارة السلطان سليمان القانوني أقل منه في قيمته، و على كل حال فهذا و ذاك لا يمكننا أن نعوض به يد الضياع منهما و لوفقه ذلك حمايتها و خادموها لما تجرؤوا على اغتيالها و بيعها من الفرنجة السائحين بثمن بخس لا يسمن و لا يغنى من جوع، و في وسط هذه القبّة ترى الصخرة الشريفة:

و هي من الجرانيت الأسود و حولها دربين من الخشب على شكل مربع طوله من الشرق إلى الغرب ٧٠، ١٧ مترا و عرضه ٥٠، ١٣ مترا و يبلغ ارتفاعه نحو مترين، و في زواياه جملة محاريب إلى القبلة يسمون واحدا منها بمحراب إبراهيم و آخر بمحراب داود و آخر بمحراب على رضى الله عنه و لا أدري معنى هذه التسمية الأخيرة لأنه لم يعرف عن على رضى الله عنه أنه قدم بيت المقدس.

و يبرز من الصخرة لسان إلى جهة القبلة يميل إلى الشرق لهم فيه أقوال كثيرة منها: أنه سلم على النبي صلى الله عليه و سلم ليلة الإسراء، و سلم على عمر رضى الله عنه عند قدومه لفتح المقدس، و تحت هذا اللسان مغارة صغيرة ينزل إليها بنحو ١٥ درجة ضيقة و هي لا تزيد عن أربعة أمتار طولاً في ثلاثة أمتار عرضاً و الحوائط التي بنيت في محيطها تجعل شكلها مربعا تقريبا.

و في سقف هذه المغارة فوهة تنفذ إلى ظهر الصخرة كانت مكان القرابين التي كان يقدمها إبراهيم و خلفاؤه إلى الله تعالى، و منها أتى تقديس هذه الصخرة.

و في قبالة هذه الفوهة بلاطة من أرضية المغارة تغطى بثرأ يسمونها جب الأرواح.

و للقوم فيها حكايات كثيرة أشبه شىء بالخرافات. و لعل لهذه التسمية أصلاً أخذوه من دماء القرابين التي كانت تنزل إليها و ربما كان القوم يلقون فيها الهدايا النفيسة التي كانوا يقدمونها إلى الصخرة كما كان الشأن في البئر التي كانت في جوف الكعبة. و على ظهر الصخرة من جهة الشرق آثار اثني عشر قدما كان النصرارى في القرون الوسطى ينسبونها إلى عيسى عليه السلام، فلما تغلب المسلمون على بيت المقدس قالوا: إنها آثار قدمى رسول الله صلى الله عليه و سلم حين سار عليها ليلة الإسراء، و مع ما هي عليه من عدم النظام و أنها على خط مستقيم تقريبا و هو ما لا يمكن السير عليها لفتحها ما بين الرجلين فإنها يكاد يكون شكلها واحدا و هو ما لا ينطبق على شكل القدمين خصوصا و أنها أصغر بكثير من الأقدام المنسوبة له صلى الله عليه و سلم مما ذكرناه في صفحة ١٢٥ من هذا الكتاب. و من هذا و ذاك ترى أنها كلها

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٧٩

موضوعه لا أثر لها من الصحة يؤيد ذلك أنه لم يرد في ديننا الحنيف ما يشير إلى شىء من ذلك بالمرّة. و بجوار هذه الأقدام أثر قدم آخر ينسبونه إلى إدريس عليه السلام، و يوجد بجانب الصخرة من الجهة الغربية بجوار الدرابزين خزانه من الفضة فيها قطعة من الحجر عليها أثر قدم ينسبونه أيضا إلى نبينا صلوات الله عليه، و فيها أيضا بعض شعرات من لحيته الشريفة. و يزعمون أن هذه الصخرة معلقة في الهواء و إنما بنيت تحتها هذه الحوائط حتى لا يفتتن الناس بها. و أظن أن فكرة تعليق الصخرة مأخوذة عن اليهود و ربما كان لهم شبه حق في ذلك لكثرة الفضاء الذى حولها كالصهاريج و غيرها من السرايب و المغاير على أنه لا يبعد أن الصخرة الشريفة لا تتصل نقطتها المركزية بالجبل إلا في النقطة الصخرية التي تشاهد في الجهة الغربية الشمالية من أرضية حوش الحرم، و على ذلك تكون كأنها ممتدة في الفضاء على مسافة ستين أو سبعين مترا ما بين رأسها و قاعدتها و كأن بناء هذه المصطبة حولها إنما كان دعامة لها من

جهة و لسهولة الوصول إلى رأسها الذي كان مكان القرابين من جهة أخرى.

و لقبه الصخرة أربعة أبواب: واحد في شمالها و الثاني في جنوبها و الثالث في شريقها و الرابع في غربها، و الأول منها يسمى باب الجنة و في الأضلاع التي ليست بها أبواب توجد شبايك كبيرة فيها أشكال كثيرة من الزجاج الملون غاية في حسن الصناعة و خصوصا في تنسيق الألوان المختلفة التي بانعكاسها على جدر القبة تعطى أشكالا بديعة جدا تزيد في رونقها لا سيما إذا كانت الأبواب مقللة.

و يحيط بالقبة من الخارج فناء كبير أرضه مفروشة بالرخام يسمونه مصطبة الصخرة. و طول هذه المصطبة من الشرق إلى الغرب لا يقل عن مائة و ثمانين مترا و عرضها يزيد عن مائة متر. و ترى بها هنا و هناك حول قبة الصخرة قباب صغيرة يسمون واحدة منها بقبة المعراج يعنى أنها ضربت على المكان الذي عزج منه النبي صلى الله عليه و سلم، و الثانية يسمونها قبة الخضر، و الثالثة قبة الأرواح. إلخ ... و غالبها في الجهة الغربية من قبة الصخرة. أما الشريقية ففيها قبة السلسلة و هو شكل مصغر لقبه الصخرة إلا أنها قامت على عمد من المرمر، و يزعمون أنها كانت محل حكومه داود عليه السلام و يقولون إنه كان بجوارها سلسله تنزل من السماء إذا أمسك الشخص بها و حلف عليها كذبا انفصلت عنها حلقة فتصعقه لوقته.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٨٠

و هذه المصطبة ترتفع عن أرضية الحرم بنحو ثلاثة أمتار و نصف و يصعد إليها بثمانية سلالم في كل جهاتها منها ثلاثة في الغرب، و سلمان في الشمال، و سلمان في الجنوب و سلم واحد في جهة الشرق و سعة الدرجة الواحدة من هذه السلالم لا تقل عن عشرين مترا. و يقوم على طول الدرجة العليا من جميعها خمسة أعمدة قامت عليها أربعة أقواس لا يقل ارتفاعها عن عشرة أمتار، و هي أشبه شيء بمدخل المعابد الرومانية. و ربما كانت من أعمال هيرودوس ملك اليهود حين بنائه للهيكل سنة ١٩ قبل المسيح. و يسمون هذه الأقواس بالموازين يعنى التي ترن أعمال الخلق يوم القيامة. كما يزعمون أن الصخرة تكون عرش الله في ذلك اليوم.

و مسلموا القدس يشتركون في هذه الأفكار مع اليهود، و إذا فأصلها يهودى صرف. و حول مصطبة الصخرة يوجد حوش الحرم القدسى و هو على هيئة مستطيل غير منتظم من الشمال إلى الجنوب و طول ضلعه الغربى ٤٩٠ مترا و الشرقى ٤٧٤ مترا و الشمالى ٣٢١ مترا و الجنوبى ٢٨٣ مترا. و فى الجهة الشرقية و بعض القبلىة سور به مزاغل ارتفاعه ٨ أمتار تقريبا و هو قديم جدا رماه السلطان صلاح الدين الأيوبي، و السلطان سليمان القانونى. و هاتان الجهتان تشرفان على وادى سدون- وادى مريم- و بعضهم يسميه وادى جهنم و اليهود يسمونه يوسفات، و قد ورد ذكره فى التوراة بلفظ يوشافاط. و يزعمون أنه به يحشر الناس يوم القيامة و هنالك يتسع فئاؤه و تنفسح أرجاؤه. و هذا الوادى يفصل بين جبل الزيتون و جبل صهيون الذى بنيت عليه مدينة المقدس. أما الجهتان الأخريان (الغربية و الشمالية) ففيهما جملة مدارس على محيط الحرم أشهرها مدرسة قايتباى فى الجهة الغربية، و يسكنها الناس الآن، و أما التى فى الجهة الشمالية ففيها قشلاق للعسكر. و فى حوش الحرم جملة مصاطب صغيرة يصلون فيها و فى كل واحدة محراب إلى القبلة. و فى الجهة الغربية قبة جميلة جدا أقيمت على سبيل للأشرف قايتباى. أما الجهة القبلىة ففيها مسجد كبير فخيم يسمونه بالمسجد الأقصى، و ليس هو المراد بما ذكر فى القرآن الكريم لأنه كان كنيسة بناها الإمبراطور جوستينيان فى منتصف القرن السادس للمسيح و حولت إلى مسجد إسلامى بعد الفتح و إنما كان المراد به المسجد الذى حول الصخرة نفسها كما تقدم. و لما حضر سيدنا عمر رضى الله عنه إلى بيت المقدس صلى فى الجانب الشرقى الجنوبى للمسجد الأقصى. و ترى مصلاة إلى الآن على بساطة تامة فى بنائه بجوار الفخامة التى عليها باقى المسجد. و باب هذا المسجد إلى الشمال فيما يقابل مسجد

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٨١

الصخرة و طوله من الشمال إلى الجنوب ٨٠ مترا، و من الشرق إلى الغرب ٥٥ مترا من غير الزيادات التى أضيفت عليه شرقا و غربا و جميعه مسقوف و يحمل سقفه أعمدة عظيمة من الرخام المرمر الجميل و من ضمنها عمودان بجوار بعضهم إلى جهة القبلة من الشرق



عليهما دريزين من الحديد ليمنع الناس من الولوج بينهما بدعوى أن من يمر بينهما يكون سعيدا وإلا- كان شقيا (كما يقال عن العمودين اللذين بمسجد عمرو بن العاص بفسطاط مصر).

و في هذا المسجد منبر جميل جدا من خشب الأبنوس المطعم بالسن و الصدف أهدها إليه نور الدين الشهيد محمود بن زنكى، و إلى جواره من الغرب محراب صغير فى أرضيته حجر به أثر قدم ينسبونه إلى عيسى عليه السلام. و يوجد فى حوش الحرم و خصوصا فى الجهة الغربية القبليّة صهاريج كثيرة و أبواب توصل إلى كهوف تحت الأرض واحد منها بجوار المسجد الأقصى من جهة الشرق و ينزل إليه بجملة درجات من الحجر توصل إلى مكان واسع مربع الشكل فى وسطه عمودان كبيران من الحجر الصلد يحملان قبابا يستند عليها سقف المكان و فى جوانبه حوائط بها فتحات مسدودة. و أهم هذه الكهوف ما يسمونه باصطبلات سليمان، و توجد فى الزاوية القبليّة الشرقية للحرم و ينزل إليها بواسطة سلالم صغيرة بجوار السور الشرقى، و ترى فى وسطها صدفة كبيرة بجانبها دخلة فيها إناء كبير من الرخام و يزعمون أنه مهد مريم أو محراب مريم و يقولون أن زكرياء كان يأتيها بالطعام هناك. و هذه السلالم توصل إلى فناء رحيب يحمل عرشه اثنا عشر صفا من العمد الكبيرة و يكون مجموعها ٨٨ عمودا ارتفاع متوسطها ثمانية أمتار أو أكثر. و كل هذه العمد تحمل أقواسا عليها قباب تدعم أرضية الحرم و حول هذا الفناء حوائط من البناء العتيق، و فى الجهة القبليّة منه باب مسدود ينفذ على وادى سدرون، و فى الجهة الشماليّة و الغربية فتحات مسدودة بعضها صغير و بعضها كبير ربما كانت توصل إلى مثل هذا المكان مما جعل بعضه فيما بعد صهاريج لخزن مياه الأمطار معروفة بأسماء من اتخذها لهذا الغرض. و قد رأيت فى زيارتى للقدس سنة ١٩١٠ م، أمام بعض هذه الفتحات آثار حفر قديم.

و من هذا يتضح لك أن أرضية الحرم كلها معلقة على مثل هذه العمد مما يدل على أن هذا كله إنما هو الهيكل الذى بناه سليمان أو خلفاؤه و سماه الصليبيون باصطبلات سليمان. و لا يبعد أن اليهود استعملت جانبا من هذا المكان وقت

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٨٢

الكوارث التى حلت بهم زمن سنحاريب و بختنصر و طيطوس و دفنوا فيه دفائنهم الثمينه التى أكثرت الجرائد أخيرا من ذكر العثور عليها أو على بعضها و خبّطت فى شأنها و وصفها كثيرا سواء بحق أو بغير حق و اهتمت الدولة بها اهتماما عظيما.

و للحرم الشريف عشرة أبواب: سبعة منها فى الجهة الغربية أهمها: باب السلسلة فى الوسط ثم باب المغاربة إلى جنوبه و باب القطنين إلى شماله. و فى الجهة الشماليّة باب شرف الأنبياء و هو الذى دخل منه عمر إلى المسجد ثم باب الأسباط يسمونه باب حطّة، و يزعمون أنه هو الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى فى سورة البقرة: **وَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً** و يوجد فى جهة الشرق باب الظاهريّة و ينزل إليه بسلالم توصل إلى دهليز يحيط به ببناء مربع فيه أعمدة من الرخام من جوانبه الغربى و الشمالى و الجنوبي يقوم عليها سقف المكان.

و قد أحيطت هذه الأعمدة بدريزين من الحديد عليه قطع كثيرة من الخرق البالية يضعها العامة تذكارا لزيارتهم له و يقولون: إن هذا المكان كان محل حكومة سليمان عليه السلام، و به إلى الآن عمودان من السماق (نوع جميل جدا من المرمر يندر وجوده الآن) يقولون: إنهما أرسلتا إلى سليمان هدية من بلقيس ملكة سبأ، و بجوار هذا المكان باب له منفذان مغلقتان على وادى سدرون القبلى منهما يسمى باب التوبة و الشمالى باب الرحمة. و هذا الباب كان يسمى مدة العمارة التى قام بها هيرودوس فى الهيكل باب سوزان و هو الذى دخل منه هرقل إلى بيت المقدس سنة ٦٣٩ ميلادية، و من ثم سمي بالباب الذهبى، و مفاتيح المسجد الأقصى و الصخرة من مدة مديدة فى يد عائلة الخالدى الشهيرة، و كذلك فى يدهم مفاتيح كنيسة القيامة لعدم اتفاق طوائف النصارى عليها.

أما المدينة فهى واقعة فى درجة ٣١ و ٢٧ دقيقة من خطوط العرض الشمالي، و درجة ٣٢ و ٥٤ دقيقة و ٤٥ ثانية من خطوط الطول الشرقى و متوسط ارتفاعها عن سطح البحر ٧٧٠ مترا و هى مبنية على هضبتين عاليتين إحداهما على جبل صهيون و الثانية على جبل عكره، و تنحدر مبانيها نحو الشرق إلى وادى سدرون و نحو الجنوب الغربى إلى وادى هنوم، و عدد سكانها الآن سبعون ألفا منهم

عشرة آلاف من المسلمين و خمسة و أربعون ألفا من اليهود و خمسة عشر ألفا من النصارى من أجناس مختلفه و أغلبهم من الأروام. و لمدينة القدس طريق حديدى ضيق من يافا طوله نحو ٨٠ كيلو مترا و هو لشركة فرنساوية قامت بعمله فى منتصف القرن التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٨٣

الماضى. و لقد كانت هذه المدينة فى منتصف القرن الخامس عشر قبل المسيح عامرة و كانت تسمى ييوس و كان سكانها يسمون اليبوسيين. و فى مبدأ القرن العاشر قبل الميلاد استولى عليها داود ملك بنى إسرائيل و كان ملكه فى حبرون، و أتى إليها بتابوت العهد و عمّر فيها كثيرا و سماها أورشليم و بنى فى غربها الجنوبي مدينته التى سماها باسمه و قبره موجود فيها على جبل موريا و خلفه ابنه سليمان فزاد فى عمارتها و بنى على الصخرة الهيكل المقدس. و لما تقسمت مملكة فلسطين بين أسباط بنى إسرائيل وقعت مدينة أورشليم فى نصيب يهودا. و فى مدة بنيه حاصرها سنحاريب ملك بابل سنة ٧١٢ ق م، و رجع عنها بعد أن هدم جانبها منها و نهب شيئا من أمتعه هيكلها ثم استولى عليها بختنصر ثلاث دفعات سنة ٦٠٦ و ٥٩٦ و ٥٨٨ قبل الميلاد، و بعد أن نهبها و استولى على كل ما عثر عليه من ذخائرها أمر بها فهدمت و لم يتركها إلا بعد أن جعل عاليها سافلها. و فى سنة ٥٣٦ ق م، استولى عليها قيروش ملك العجم و أمر بها فبنيت و جدد بناء هيكلها سنة ٥١٦ ق م، و أعاد إليه جميع ذخائره التى نهبها الأشوريون. و ما زالت أورشليم عامرة حتى استولى عليها الرومانيون مدة الملك بومبيوس سنة ٦٤ ق م. و فى مدة حكم الرومان ظهر فيها المسيح عليه السلام، و لما استولى عليها الملك طيطوس سنة ٧٠ م أحرق هيكلها و هدم المدينة بعد أن طرد اليهود منها، و ما زالت حتى عمرها الملك أدريان و سماها إيليا و منع اليهود من أن يطأوا أرضها و جعل الديانة الرسمية فيها المسيحية و بنى فيها كنيسة القيامة سنة ١٣٨ م. و ما زالت مدينة القدس فى يد الرومانيين حتى استولى عليها العرب فى سنة ٦٣٦ م، و كانوا يسمونها بيت المقدس و أتى إليها سيدنا عمر بن الخطاب بنفسه لفتحها و أطلق الحرية المطلقة للنصارى و اليهود فى مزاولة دياناتهم و التصرف فى أموالهم و منحهم كثيرا من فضله فى عهده الذى كتبه لهم مما يدل على منتهى التسامح الإسلامى الذى كثيرا ما ينساه أو يتناساه أعداؤه و خصوصا فى هذه الأيام. و فى سنة ٩٦٩ م، تغلب الفاطميون على هذه المدينة ثم استولى عليها السلجوقيون فى سنة ١٠٨٦ م ثم أخذها الصليبيون فى سنة ١٠٩٩ م، و أقاموا فيها مملكة سموها مملكة القدس مكثت فى أيديهم كل مدة الحروب الصليبية الأولى. و أحسن ملوكها هو الذى كانت تسميه العرب البردويل و ما زالت هذه المملكة فى يد الصليبيين حتى غلبهم صلاح الدين الأيوبي فى سنة ١١٨٦ م. و بقيت فى حكم ملوك مصر حتى استولى عليها الأتراك سنة ١٥١٧ م، و هى باقية بأيديهم إلى الآن. و للسلطان سليمان القانوني

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٨٤

فى هذه البلاد آثار كثيرة تذكر له بالشكر و لكن أهلها اختلط عليهم الأمر فينسبون كل إصلاح له إلى سليمان بن داود عليه السلام. و لتتمه الكلام على بيت المقدس نقول لك: إنه يوجد فيه مزارات كثيرة منها وراء سور المدينة فى الجهة الغربية القبليه، فى قمة جبل صهيون مسجد فيه قبر سيدنا داود عليه السلام، و يقول بعضهم: إن سليمان ولده مدفون معه، و يقول آخرون: بل هو مدفون فى مصطبة الصخرة، و بعضهم يقول: إنه داخلها تحت البلاطة السوداء. و يوجد تحت سور المدينة من جهة الشرق قبر سيدنا شداد بن أوس الأنصارى و إلى ناحية من هناك المغارة التى فيها قبر السيدة مريم، و فى جبل طور زيتا قبر سيدنا سلمان الفارسى الصحابى و السيدة رابعة العدوية و قبة صعود سيدنا عيسى عليه السلام و قبر الشيخ حسن الراعى و قبر العزيز عليه السلام، و على بعد ست ساعات بالعربة من جنوب بيت المقدس مدينة الخليل و يسميها اليهود حبرون و فيها مسجد مرتفع عن الأرض بنحو عشرة أمتار و بها قبر إبراهيم و سارة و إسحاق و يعقوب و يوسف عليهم السلام. و هذه القبور كلها فى مغارة تحت أرضية المسجد و هى مغارة المكفيلة التى اشتراها إبراهيم ليدفن بها، و لها مزارات على سطحها فى أرض المسجد. و عدد سكان هذه المدينة عشرون ألفا منهم: ١٥ ألفا من اليهود و الباقي من المسلمين.

و فى الطريق بين الخليل و بيت المقدس مدينة بيت لحم و فيها كنيسة فخرية أقيمت على المكان الذى ولد فيه المسيح ترى فى داخلها

على الدوام عسكرياً من الجند العثماني لحفظ النظام الذي كثيراً ما يعيث به تشاحن بعض الطوائف المسيحية مع بعضهم.  
 انظر: صورة رقم ٣٦٩، لقبة الصخرة و بجانبها قبة السلسلة  
 انظر: صورة رقم ٣٧٠، خارطة للمسجد الأقصى  
 انظر: صورة رقم ٣٧١، الباب الذهبي للمسجد الأقصى  
 انظر: صورة رقم ٣٧٢، لوحة خطية للخطاط التركي الشيهر السيد محمد عبد العزيز الرفاعي  
 انظر: صورة رقم ٣٧٣، شهادة الخط التي كانت تمنحها مدرسة الفلاح بجدة لطلابها المتفوقين في الخط  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٨٥

## الفهارس العامة

### إشارة

فهرس لأعلام الناس و الأمكنة و سواها ٣٨٧  
 فهرس الموضوعات لكامل الكتاب ٥١٥  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٨٧

### فهرس لأعلام الناس و الأمكنة و ما سواها

آبار الزاهر الكبير ٥: ٤٠١  
 آبار عثمان ٢: ٣٣٥  
 آبار على ٢: ٣١١  
 الآثار الباقية ١: ٢٦٢  
 آثار المدينة المنورة ٦: ١٩  
 آخر الشرفة ٢: ٣١٨  
 آخر القاع الصغير ٢: ٣١٩  
 آخر المشرق ٣: ٤٨١  
 آخر وادي النور ٢: ٣١٩  
 آدم ١: ٣٨١. ٢: ٤٢٤. ٣: ٣٨٣. ٤: ٢٧٠، ٢٧١  
 آراء في اللغة ٦: ١٥  
 الآستانة ١: ٥١٨. ٢: ١٨٣. ٥: ١٠٤، ١٦٥  
 الآغا رضوان بيك ٣: ١٣٣  
 الآغا محمد كزلاز السلطان ٣: ٣٥٤  
 آل الجفالي ٥: ٣٧  
 آل سعود ٦: ١٥  
 آلان سير تشارس ٢: ٢٠٠

- الآلوسی ١: ٢٦٠
- آماس و أطلاس ٦: ٢١
- آمنة بنت وهب ١: ١٠٢، ١١١، ١١٥، ١١٦، ١٢٠، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٩، ١٤٧.
- ٢: ٤٨٨، ٥٠٤
- آيدین باشا ٥: ٥٠٧
- أبان بن عثمان بن عفان ٣: ٤٨٢، ٤٨٦.
- ٤: ٢٧٦
- الابراج ٦: ٢٠
- أبرهه الحبشي ١: ١٣٢، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٣.
- ٦: ٨٧
- الأبطح ٥: ٤٦
- أبها ١: ٧٢
- أبو أحمد الموفق بالله الناصر لدين الله ٣: ٤٨٠، ٤: ٤٤٦
- أبو أحمد الموفق بالله ٣: ٤٧١
- أبو أحمد بن جحش الأسدي ٢: ٤٦
- أبو أحيحة سعيد بن العاصي ٣: ٣٥
- أبو أمية بن المغيرة ٣: ٣٣
- أبو أمية ١: ٥٧٠
- أبو أمية ٦: ٢٧٢
- أبو أيوب الأنصاري ١: ١٢٧، ١٩٤، ٤٢٥، ٤٢٧
- أبو إدريس الخولاني ٥: ٤٢٥
- أبو إسحاق المعتصم بالله ٢: ٥٥٣
- أبو إسحاق المعتصم بالله ٥: ١٨
- أبو إهاب بن عزيز ابن قيس ٢: ١٣٦
- أبو الأرقم عبد مناف بن أبو جندب ٢: ٨٤
- أبو الأنبياء إبراهيم الخليل ٢: ٤٥٩
- أبو البختری ابن هشام الأسدي ١: ١٦٢
- أبو البراد ٥: ١٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٨٨
- أبو البقاء ابن الضياء ٥: ٩٣
- أبو الجهم بن حذيفة ١: ٣٣٠
- أبو الحجاج الخراساني ٥: ١٨٥
- أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوي ٣: ٥٥٦

- أبو الحسن الخزاعي ٢: ٧٠  
أبو الحسن الشاذلي ٢: ٣٢٧  
أبو الحسن بن البراء ١: ٤٠٣  
أبو الحسن بن مقرئ ١: ٤٢٣  
أبو الحسن جعفر ٣: ٥٥٥  
أبو الحسن علي ابن الحسين المسعودي ٤: ٢٧٤  
أبو الحسن علي الهادي ابن محمد ٤: ٥٥٣  
أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ١: ٣٨٧  
أبو الحسن علي بن يوسف الحكيم الفاسي ٦:  
١١٢  
أبو الدرداء ٥: ٤٢٤  
أبو الربيع الكلاعي ٢: ٢١٦  
أبو الربيع ٥: ٤٦٨  
أبو الريحان البيروني ١: ٢٦٢  
أبو سرايا الأصفر بن الأصفر ٤: ٨، ٩، ٦٠  
أبو السرور العجيمي ٣: ١٥٣  
أبو السعود ابن علي الزين المالكي ٢: ٥٦٨، ٥٦٥  
أبو السعود الفاسي ٥: ٢٥٦  
أبو السعود بن ظهيرة ٤: ٥٤٤، ٥٦٢  
أبو السعود بن عبد العزيز المالكي ٢: ٥٦٦  
أبو السعود بن علي الزمزمي المالكي ٢: ٥٦٤  
أبو السعود ٢: ٥٦٨  
أبو الشيخ ٥: ١٠٠  
أبو الصلت الثقفي ١: ٣٠٣  
أبو الطفيل عامر بن واثلة ٦: ٢٦٩  
أبو الطيب بن داود ٥: ٤٩٩  
أبو الطيب تقى الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي المالكي ٦: ٢٨٩  
أبو العالية الرباحي ٣: ٥٣٥  
أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ٣: ١٢  
أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الموفق طلحة بن المعتصم ٤: ٤٧٣  
أبو العباس أحمد سنية ٥: ٧٧  
أبو العباس إسحاق بن إبراهيم الأزدي ٥: ٤٦٤  
أبو العباس السفاح ٥: ٤١٥

- أبو العباس الطوسي ٥: ٤٤٤
- أبو العباس العزفي ٥: ٢٥٥
- أبو العباس المعتضد بالله ابن أبي أحمد ٢: ٦٩
- أبو العباس المقرئ ٥: ٢٢٨
- أبو العباس عبد الله بن محمد بن داود ٢: ٥٧٧
- أبو العباس ٥: ٤٦٨
- أبو العتاهية ٤: ٥١٠
- أبو الغيث ٤: ٢٢. ٥: ٥٠٠
- أبو الغيط ٤: ٢٢
- أبو الفتح أحمد بن أبي الفتح الزمزمي ٢: ٥٢٧
- أبو الفتح سيف الدين خطر الظاهري ٢: ٢٢٣
- أبو الفتح كشاجم ٥: ٢٣، ١١٣
- أبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوي ٣: ٢٦٥، ٤٩٦. ٥: ٤٩٩
- أبو الفتوح ٣: ٩١
- أبو الفرج ابن الجوزي ٤: ٢٤١. ٥: ٩٧، ٤١٤
- أبو الفرج الأصبهاني ٤: ٢٠٧
- أبو الفرج ٥: ١١٢ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٣-٦ ؛ ص ٣٨٨
- و الفرس ٤: ٣٤٨
- أبو الفضل ١: ٣٨٤
- أبو الفوارس ٣: ٢٧٢
- أبو الفيض ٦: ٩٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٨٩
- أبو القاسم إبراهيم بن الحسين الفارسي ٤: ١٦٩. ٥: ٣٧، ٣٨
- أبو القاسم ابن زاذان الكوفي ٣: ٢٨٣
- أبو القاسم الدهقان ٣: ٥٥٧
- أبو القاسم الطوزي ٥: ٤٦٩
- أبو القاسم المسناني ٣: ٢٦٢
- أبو القاسم المطرّز ٥: ٢٦
- أبو القاسم حماس بن مروان بن سماك الهمداني ٥: ٤٦٣
- أبو القاسم رامشيت ٣: ٥٥٧
- أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الحباب المالكي ٥: ٩٤، ٩٦
- أبو القاسم محمد بن عبدوس ٥: ٤٧٠
- أبو القاسم ٣: ٢٧٢

- أبو المحاسن يوسف ٤: ٤٨١
- أبو المظفر ٥: ٩٧
- أبو المعالي عبد الله بن عمر الصوفى ٦: ٢٨٩
- أبو المغيرة محمد بن أحمد بن عيسى ٥: ٤٩٩
- أبو المهلب ٥: ٤٩٩
- أبو النجيب ٥: ٩٧
- أبو النصر الاسترأبادى ٣: ٥٥٧
- أبو النصر برسبأى ٣: ١٩٤، ٤٤٣
- أبو النصر قانصوه الغورى ٣: ١٣، ١٤، ٣٤٣
- أبو النصر قايتباى ٣: ١٩٠، ٤٤٤. ٥: ٣٠٦، ٣٥٨، ٣٦١
- أبو النعم ٢: ٣٤٠
- أبو الهياج عميرة بن حيان الأسدى ٢: ٦٩.
- ٤: ٤٤٩
- أبو الهيثم بن التيهان ٥: ٣١٣، ٣١٤
- أبو الوفا نصر الهورىنى ٥: ٦
- أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى ٤: ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٤
- أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الأزرقى ١: ٥٠. ٢: ٢١، ٤٢٦. ٤: ٢٢٢، ٤٣٩. ٥: ٣٥٠. ٦: ١٠٢
- أبو الوليد ١: ٢٨٦، ٢٨٨. ٥: ٣٤٠
- أبو اليمن ٢: ٤٥٧
- أبو بحر المجوسى النجار ٢: ٥٥٨. ٦: ٧٩
- أبو بردة ١: ١٧٣
- أبو بكر الطرسوسى ٥: ٩٧
- أبو بكر باشا ٥: ٥٠٨
- أبو بكر بن أبى قحافة الصديق ١: ١٥٩، ١٧١، ١٩٧، ٢٠١، ٣٥٧، ٤٠٨، ٤١٤، ٤٤٧، ٤٥٠. ٢: ٨٧. ٣: ١٠٤. ٤: ٢٧٤، ٢٨٨.
- ٥: ٢٣٩، ٢٧٩. ٦: ٤٢٢.
- أبو بكر بن أيوب ٥: ١٧٢
- أبو بكر بن العربى ١: ١٠٥
- أبو بكر بن اللباد ٥: ٤٦٩
- أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ٤: ٢٦٦
- أبو بكر بن عبد الله بن العربى ٤: ٣٨١
- أبو بكر عبد الله بن يوسف ٤: ٤٤٩
- أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ٤: ٢٧٧
- أبو بكر ١: ٣٩٩. ٣: ٥٥٠

- أبو تمام بن أوس الطائي ٦: ٢٣١  
أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن عبد بن فقيم ٤: ٢٦٤، ٢٦١  
أبو جبيلة ٦: ٣٧٢  
أبو جرير ١: ١٣٨  
أبو جعفر الأبهري ٦: ١٢٠  
أبو جعفر البني ٥: ٣٢  
أبو جعفر الداودي ٥: ٢٥٥  
أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي العباسي ١: ٢٩٧، ٢: ٤٨٥، ٣: ٥، ١٨٩،  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٩٠  
١٩١، ٤٤٣، ٤٤١، ٤٠: ٣٠، ٣١، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٩، ٤٣٤، ٤٤٠، ٤٥٣، ٤٦٢، ٤٦٧، ٤٨٢، ٤٨٤، ٥٤٢، ٥: ٤١، ٧٣، ١٢١، ١٢٤، ١٢٩، ١٨٥،  
٢١٩، ٣١٠.  
٦: ٢٠٥  
أبو جعفر عبد الله ابن الإمام القادر بالله ٣: ٤٧٧، ٤: ٣٤٢  
أبو جعفر محمد بن الوليد بن كعب الخزاعي ٤: ١٨٥  
أبو جعفر هارون الرشيد ٢: ٥٢٦  
أبو جعفر ٢: ٥٣٤، ٥٥٣، ٥٥٨  
أبو جعفر ٣: ٤٧٢  
أبو جعفر ٤: ٤٨٧  
أبو جهل ١: ٤٠٨  
أبو جهم بن حذيفة القرشي ٢: ٤٣٣، ٣: ٣١٣  
أبو حامد الإسفرائيني ٣: ٢٩٣  
أبو حامد النجاري ٤: ٤٠٥  
أبو حذيفة بن المغيرة ٣: ٢٩، ٣٤  
أبو حمزة الخارجي ٥: ٤٩٧  
أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي الأباضي ٦:  
١٠٢  
أبو حنيفة ٥: ٤٤٣  
أبو ذر الغفاري ١: ١٥٩، ٣٨٧، ٦: ٢٦٧  
أبو ذر الهروي ٤: ٢٣٨  
أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ٣: ٥٤٨  
أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ٣: ٥٤٩  
أبو رغال ١: ٢٩٩  
أبو رهم كلثوم بن حصين ١: ٤٤١



- أبو زامل ١: ٦٠  
أبو زكريا التبريزي ٣: ٤٧٨  
أبو زمعة بن الأسود ٣: ٢٩  
أبو زيد التلمساني ٦: ١١٤  
أبو زيد عبد الرحمن الغرناطي ٥: ٢٢٨  
أبو سالم العياشي ٦: ١١٤  
أبو سعد ٣: ٤٧٩  
أبو سعيد الجنابي ٣: ٢٦٢، ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٨٣  
أبو سعيد الحسن بن بهرام ٣: ٢٧١  
أبو سعيد الخادمي الحنفي ٦: ١١٤  
أبو سعيد الخدري ٦: ٣٤٩  
أبو سعيد بن خدابنده ٣: ٤٧٣. ٥: ٣٥٧  
أبو سعيد بن خدابنده ٥: ١٩٤  
أبو سعيد خوش قدم ٣: ٥٦١  
أبو سعيد سنجر الجاولي ٢: ٤٥٨  
أبو سعيد ٥: ٣٥٧  
أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ١: ٤٦١  
أبو سفيان بن حرب بن أمية ١: ١٩٧، ٣٣١، ٤٦٢، ٤٧٣. ٢: ٦٥، ٧٨. ٤: ١٢٤. ٦:  
١٠٥، ١٠٠  
أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي ٣: ٥٤٧  
أبو سلمة بن عبد الأسد ١: ١١٤  
أبو سيارة العدواني ٤: ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٧  
أبو صفية بنت شيبه ٤: ١٨٩  
أبو ضباع أو أم ضباع ٢: ٣١١  
أبو طاقة ٢: ٣٣٩  
أبو طالب المأموني ٥: ٢٥، ١١٣  
أبو طالب المكي ٦: ١١٣  
أبو طالب عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز بن عبد الله بن العباس بن محمد ٤: ٢٨٧  
أبو طالب ١: ١١١، ١١٣، ١١٧، ١٤٨، ١٦١، ١٦٦، ٣٢٠، ٣٢٣. ٢: ٤٨٩،  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٩١  
٥٢٩. ٣: ٢٤٠، ٣٠٨، ٣١٦، ٣٦٩، ٣٧٠، ٤٧٩.
- أبو طاهر السلفي ٥: ٩٧  
أبو طاهر بن عوف بن الزهري ٥: ٩٧

- أبو طاهر سليمان الجنابي بن أبي سعيد الحسن الجنابي ٣: ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨٣، ٢٩٥، ٤: ٣٤١، ٤٨٠، ٥: ٤٩٩
- أبو طاهر ٤: ٢٤٠
- أبو طلحة عبد الله بن عبد العزى ٣: ٣٠
- أبو طلحة عبد الله بن عبد العزى ٤: ١٩٦
- أبو عبد الرحمن النهدي ٦: ٢٥٩
- أبو عبد الله التلمساني ٤: ٤٤
- أبو عبد الله الحسين ٤: ١١، ١٣
- أبو عبد الله الحطاب الرعيني المكي المالكي ٣: ٥٣٥
- أبو عبد الله الشيعي ٣: ٢٨٣
- أبو عبد الله بن الحاج ٦: ١١٣
- أبو عبد الله علوان ٢: ٢٢٠
- أبو عبد الله محمد الغرناطي المعروف بالتراس ٤: ٣٤
- أبو عبد الله محمد بن أبو الخصال ٥: ٢٤
- أبو عبد الله محمد بن أحمد ٢: ٤٥٥
- أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي ٤: ٤٤٧
- أبو عبد الله محمد بن الحاج المالكي ٤: ٨٦
- أبو عبد الله محمد بن عايد الدمشقي ٣: ٢٠
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطبري الشافعي ٢: ٥٦٢
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن داود بن عيسى بن موسى ٤: ٢٨٦
- أبو عبد الله ٤: ٤٤، ٦: ٣٥٣
- أبو عبيد البكري ٣: ٢٥٦، ٥: ١٢٥، ١٣٥
- أبو عبيد القاسم بن سلام ٥: ٢٥٥، ٦: ٣٤٤
- أبو عبيد الله البكري ٣: ٤٩٦
- أبو عبيد ١: ٤٩٧
- أبو عبيد ٣: ٣٣٢
- أبو عبيدة بن الجراح ١: ٤٦٥، ٤٦٨، ٦: ١٠١
- أبو عبيدة بن الجراح ٣: ٣٢٩
- أبو عريش ١: ٧٢
- أبو عزيز قتادة بن إدريس الحسنى ٢: ٥٩، ٦١
- أبو علي البنديجي ٥: ٣٢٨
- أبو علي حسن بن بلقاسم ١: ٢٣٣
- أبو علي محمد بن إلياس ٤: ٢٦٧
- أبو عمر الكندي ٥: ٢١٩

- أبو عمر بن عبد البر ٣: ٥٢٧  
أبو عمرو الكندي ٥: ١٠٠  
أبو عمرو بن الصلاح ٥: ٣٢٩  
أبو عمرو بن صيفى بن هاشم ١: ٤٥٩  
أبو عمرو ٥: ٦٨  
أبو عيسى بن الرشيد ٤: ٢٨٣  
أبو عيسى بن محمد ٥: ٤٩٩  
أبو غبشان الملكانى ٤: ١٨٦  
أبو غبشان ٤: ١٨٦  
أبو قبيس ٢: ٣٧٨  
أبو قتادة الأنصارى ٥: ٤٩٦  
أبو قرّة موسى بن طارق ٤: ١٢٨  
أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة ٦: ٣٠  
أبو كبشة الحارث بن عبد العزى السعدى ١: ١٢٢  
أبو لهب ١: ١١٣، ١٢٠، ٣: ٤٦٩  
أبو ليلي ٣: ٥٤٥  
أبو محذورة أوس ٤: ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠  
أبو محرز الكتانى ٥: ٤٧٢  
أبو محمد الجندى اليمانى ٦: ٢٨٠  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٩٢  
أبو محمد الجوينى ٤: ٢٤٤، ٥: ٣٢٩  
أبو محمد الحسين بن محمد البغوى ٢: ٤٧٣  
أبو محمد الخزاعى ٢: ٦٨، ٥٥٨، ٥٧٧  
أبو محمد المرجانى ١: ٥٠٥  
أبو محمد بن العرضى القروى المقرئ ٥: ٩٧  
أبو محمد عبد الحق بن عطية ٥: ٢٥٥، ٢٥٦  
أبو محمد عبد الله بن محمد ٢: ٢٦  
أبو محمد عبد الله بن يوسف ٤: ٥١٠  
أبو محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى ٢: ٣٩١  
أبو محمد مكى بن أبى طالب ٤: ٨٦  
أبو محمد ٢: ٧٠  
أبو مراق محمد باشا ٥: ٥٠٩  
أبو مروان بن أبى الخصال ٥: ٢٥

- أبو مريم الخصى ٤: ٣٠
- أبو مسلم الخراساني و أثره فى نشوء الدولة العباسية ٥: ٥٤٧
- أبو مسلم الخراساني ٤: ٤٨٥
- أبو مسلم سالم بن عامر ٥: ١٠٠
- أبو مسهر ٤: ٥٥٠
- أبو معبد ١: ٤١٠
- أبو معتز ٣: ٥٦
- أبو منصور ٥: ٦
- أبو موسى الأشعري ٥: ١٦٩، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٥٢.
- أبو مويهبة ١: ١٧٩
- أبو نعيم الأصبهاني ١: ١٠٥، ١١٩، ١٢٢، ٣٩٥، ٢: ٢٩٦، ٣: ٢٠٣، ٤: ٤١٠، ٤١٣، ٦: ٢٤٦، ٢٥٧.
- أبو نواس ٤: ٩٣
- أبو هاشم محمد بن جعفر ٣: ٤٩٦
- أبو هريرة ١: ١٧٠، ٣٨٧
- أبو هلال العسكري ٥: ٢٢١
- أبو هود سعيد بن يربوع المخزومي ٢: ٩٤
- أبو وهب بن عمرو بن عائذ ٣: ٢٩، ٣٦، ٤١، ٨٣
- أبو يعلى ٤: ٤١٥
- أبو يوسف ٥: ١٤٤، ٤٤٦، ٦: ١٢١
- أبو يوسف ٥: ٤٤٣
- الأبواء ١: ١٢٨، ١٢٩، ١٣٨، ١٣٩
- أبي بن سالم ٣: ٤٥٢
- الأبى ٢: ٤١٩، ٤: ١٣١، ٦: ٢٥٥، ٢٦٥، ٣٥٣
- أتابك زنكى بن آق سنقر ٥: ٤١٦
- الأتيلات ٢: ٣١٨
- أثر الفتوحات الإسلامية ٦: ٢٠
- أثينا ٢: ٤٩
- أجباد الصغير ٢: ١٢، ٣: ٤٩٤
- أجباد الكبير ٢: ١٢
- أجباد ٢: ٢١٦، ٥٥٨، ٣: ٥٤٧، ٤: ٥٦٣.
- ٥: ٤٠١، ٦: ٣٤
- الأحاديث النبوية فى الآداب الدينية و التربية الإسلامية ١: ٢٩
- أحزان قلب ٦: ١٩

الأحساء ٢: ٣٤٢. ٣: ٢٧٣، ٢٨٣، ٥٦٩. ٦:

٣٠١

الأحكام السلطانية ٢: ١٠٧. ٤: ٤٣٨

الأحكام ٥: ٢٥٦

أحلام الربيع ٦: ١٨

أحمد آغا ٥: ٣٧٥

أحمد أفندي المشاط ٥: ٣٧٦، ٣٨٢

أحمد إبراهيم الغزاوي ٢: ٧٣، ١٨٩. ٤: ١٩٢.

٥: ٢٩٣. ٦: ١٧، ٦

أحمد إبراهيم زاهر ٥: ٥٣٠

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٩٣

أحمد الأسدي ٣: ١٣١

أحمد الأول ابن محمد العثماني ٢: ٩٤، ١٠٠

أحمد الثالث ٢: ١٨٣. ٣: ١٠٩

أحمد الحضراوي ١: ٥٢. ٦: ٣٠٥، ٣٠٧

أحمد الرملي الشافعي المصري ٥: ٢٥٧

أحمد السباعي المكي ١: ٥٠، ٥٩، ٦٠. ٢: ١٨٤، ١٨٩، ٣٢٢، ٣٢٥. ٤: ٣٦، ٢٤٠، ٣٨٤. ٥: ٢٦٣، ٤٢١. ٦: ٧، ١٤، ١٤٩، ٣١١

أحمد السبحي ٥: ٢٢٥

أحمد الشماع ٣: ١٧٥، ٤٢٥

أحمد الطيب ٤: ١٩٨

أحمد العربي ٢: ٤١٣. ٥: ٥٢٥. ٦: ١١

أحمد الفقيه بن عبد المعطي بن حسان ٥: ٢٣٧

أحمد القاري ٥: ٥٤١

أحمد القبوري ٤: ٣٥٦

أحمد المدرس ٣: ١٥٠

أحمد المعتضد بالله بن طلحة بن المتوكل ٣: ١٩٨

أحمد المقرئ المصري ١: ٣٧٨

أحمد المقرئ ٦: ٢٩٨

أحمد النابلسي ١: ٢٥

أحمد الناصر لدين الله ٣: ٥٥٧

أحمد بابا التنبكتي ٢: ٥٦٧

أحمد باشا ٢: ٣٣٤. ٣: ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٤٤.

٤: ١٤١. ٥: ٥٠٧. ٦: ٧١

أحمد بك ٣: ٤٤٤. ٥: ٤٥، ٧٥، ٧٦، ٣٧١، ٥٠٨

أحمد بكرى ٢: ١٦٠

أحمد بن أبي الحوارى ٣: ١٢٠

أحمد بن أبي بكر شطا ٥: ٥٤٠

أحمد بن أبي دؤاد ٤: ٥٥٢. ٥: ٤٢٥

أحمد بن أبي نمى ٤: ٢٠٢، ٣٥٠. ٥: ٢٤٥.

٣١٦: ٦

أحمد بن أمين بيت المال المكى ٢: ١٦٥. ٦: ٥، ١٩١

أحمد بن إسماعيل بن على ٣: ٤٨٥

أحمد بن إسماعيل ٥: ٤٩٨

أحمد بن السلطان محمد الثالث ٢: ٥٣٣

أحمد بن السلطان محمد الرابع ٣: ٥٦٢، ٥٦٤

أحمد بن السلطان محمد بن مراد ٣: ١٣١

أحمد بن السلطان محمد ٤: ٦٧

أحمد بن العباس بن محمد بن عيسى بن سليمان بن محمد بن إبراهيم الإمام ٤: ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧

أحمد بن القاضى أبى محرز ٥: ٤٧٢

أحمد بن المتوكل العباسى ٥: ٣٠٦

أحمد بن المقتدر الراضى ٥: ١٥٤

أحمد بن جعفر الرومى ٣: ١٥٣، ١٦٣

أحمد بن جعفر الواعظ ٣: ١٤٩،

أحمد بن حجر الهيثمى ٣: ١٣٣. ٥: ٢٥٧

أحمد بن حنبل ١: ٣٨٧

أحمد بن خالد ٤: ٥٥٢. ٥: ٤٩٥

أحمد بن ركيان ٦: ١٣٧

أحمد بن زينى دحلان ١: ٥١. ٢: ٣٧٩، ٥٢٨، ٥٦٧. ٣: ١٣١، ١٧٥. ٤: ١٥٠، ١٥٩.

٥: ٨٢، ١٠٤، ١٥٧، ٣٠٥. ٦: ٣١٥.

أحمد بن سعيد بن زيد ٤: ٣٤. ٥: ٣٧٥

أحمد بن طريف ٣: ٩

أحمد بن طغر بك ١: ٣١٥

أحمد بن طولون ٥: ١٧١، ٤٩٩

أحمد بن عبد اللطيف ٥: ٤٠٥

أحمد بن عبد الرحمن باناجه ٦: ١٤١

أحمد بن عبد العزيز ٥: ٥٠٥

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٩٤

أحمد بن عبد المطلب ٣: ١٤٦

أحمد بن عبد الواحد الشيبى ٤: ١٧٩

أحمد بن عبيد الله بن عابد ١: ١٤٣

أحمد بن عجلان ٢: ٥٩، ٦٠

أحمد بن على القباني ٣: ١٤٣

أحمد بن عمار ٦: ٢٨٤

أحمد بن عمر ٥: ٣٠٦

أحمد بن عيسى المرشدى الحنفى ٣: ١٣٢، ١٤٩

أحمد بن غالب ٥: ٣٧٥

أحمد بن محمد آق شمس الدين ٣: ١٣٥، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٩

أحمد بن محمد ابن شمس الدين المكي ٢: ٤٩١، ٥١٠، ٥١٨

أحمد بن محمد البغدادى ١: ١٥٧

أحمد بن محمد الجازانى ٤: ٣٤١

أحمد بن محمد الحسنى الشافعى المصرى ٥: ٢٥٩

أحمد بن محمد الحضراوى ١: ٥٠٢

أحمد بن محمد الخطيب الحضرمى الشافعى ٣: ١٦٣

أحمد بن محمد العباسى ٢: ٥٢٧

أحمد بن محمد بن سليمان ١: ٢٥

أحمد بن محمد بن عبد الحميد ٦: ٥١

أحمد بن محمد بن عيسى العباس ٢: ٥٢٤

أحمد بن محمد بن مراد خان ٥: ٣١١

أحمد بن محمد ٣: ١٦١. ٤: ٥٤٤. ٥: ٦٥

أحمد بن مساعد ٥: ٣٨٠

أحمد بن موسى بن العجيل ٣: ٥٣٦

أحمد بن يحيى البلاذرى ١: ٤٢٦. ٤: ١٢٩

أحمد بن يونس ٥: ٤٠٤

أحمد بيك ٣: ١٩١. ٤: ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٨

٥: ٣٨١

أحمد توحيد ٥: ٤٣٠

أحمد جادوش ٣: ١٣٣

أحمد جمال أفندى ٢: ١٨٦

أحمد جمل الليل المدنى ٢: ٥٦٧

- أحمد حريري ٣: ٣٩٨
- أحمد حسنين ٢: ٣٧٠
- أحمد حليبي ٤: ٢٤٦، ٥٤٤
- أحمد حلمي ٥: ٤٣٣
- أحمد خان ابن السلطان محمد خان ٥: ٣٧٣
- أحمد خان الأول ابن السلطان محمد الثالث ٤: ١٧٠
- أحمد خان الثالث ٣: ١٩٦. ٤: ١٧٤
- أحمد خان بن السلطان محمد الرابع ٣: ٥٨٢
- أحمد خان ١: ٨٦. ٢: ٥٥٥. ٣: ١٣١، ١٥٠، ١٦٨، ٤٠٥. ٤: ٤٠٥. ٥: ٣٧٦، ٣٧٨
- أحمد داغستاني ٢: ١٦٠
- أحمد راتب باشا ٤: ٣٧. ٥: ٥١٥
- أحمد رزق ٢: ١٦٠
- أحمد زكي باشا ٤: ٣٢. ٦: ٧٢، ٧٥، ٧٦ أحمد زكي بك ٤: ١٣
- أحمد زكي يمانى ٦: ١٠
- أحمد زكي ٤: ٤٢
- أحمد زهر الليالى ١: ٦٠. ٥: ٥٢٥
- أحمد سعيد حلوانى ٢: ١٥٨
- أحمد شاکر الکرمی ٢: ١٨٩
- أحمد شاهد الطباع ٥: ٥٢٨
- أحمد شفيق بك المصرى ٤: ٤٢
- أحمد شوقى بك المصرى ٢: ٤٩. ٣: ١٠١، ٤٤٥، ٤٤٧
- أحمد صالح فقيها ٢: ١٤٨
- أحمد طاشكندى ٦: ١٨
- أحمد عابدين ٥: ١٠٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٩٥
- أحمد عارف الشلبى ٥: ٥٢٨
- أحمد عاصم أفندى ٥: ٤٣٢
- أحمد عبد الجبار ٦: ١١
- أحمد عبد العزيز داغستاني ٥: ٥٢٩
- أحمد عبد الغفور عطار ٦: ٩، ١٩
- أحمد عبد الله أبو رويس ٢: ١٤٨
- أحمد عبيد الله الأنصارى ١: ١٤٥
- أحمد عزت باشا الأردنجانى ٥: ٢٣٥. ٦: ٣٠٢



أحمد عزت باشا ٣: ٣٧٣. ٤: ٥٣١، ٥٧٢.

٥: ٤٣٠، ٥١٢، ٥١٤

أحمد على أسد الله ٦: ١٥

أحمد على عبد العزيز الباكستاني ٥: ٥٣٠

أحمد على ٤: ٤١٧. ٦: ٨

أحمد فهمى بكير ٥: ٥٣٣

أحمد فيض أبادى ٦: ١٩

أحمد قارى ٥: ٤٣٣، ٥٢٣

أحمد قنديل ٦: ١٢، ٢٠

أحمد كردو ٦: ٣٢٧

أحمد كسوره ٢: ١٦٠

أحمد كعكى ٢: ١٦٠

أحمد كماخى ٥: ٤٣٣

أحمد مجاهد ١: ١٧، ١٩. ٤: ٧، ٢٧

أحمد محمد العدنى ٢: ١٦٢

أحمد محمد جمال ٦: ٧، ١٥، ١٦

أحمد مدحت الجابى ٥: ٥٢٨

أحمد مده ٣: ٣٩٨

أحمد مشيع الغامدى ٢: ١٦٠

أحمد مصطفى بن مصطفى ٤: ١١

أحمد مكى ٢: ١٦٠

أحمد موسى المصرى ٥: ١٠٠

أحمد ناضرين ٥: ٥٢٢، ٥٤٦. ٦: ٤٥

أحمد نحاس ٢: ١٤٨، ١٥٩، ١٦٠

أحمد نديم باشا ٥: ٥١٥

أحمد نظيف أفندى ٥: ٤٣٢

أحمد هاشم الدين المدنى ٥: ٥٣١

أحمد هاشم مجاهد ٦: ٨١، ١٤٥

أحمد ياسين الخيارى ٦: ١٣

أحمد يكن باشا ٥: ٢٠٨

أحمد ٣: ١١١، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٨. ٤: ١٩٩، ٢٠٤، ٣٥٠، ٣٥٣. ٥: ٥٠١. ٦: ٣٣٤ أحمر باسا ١: ٤٧٧

أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول ٤: ٥٥٤

أخبار الزمان ١: ٥٧١

- أخبار الصناديد ٤: ١٤٢
- أخبار الكرام ٥: ١٥٣، ٣٠٢، ٣٠٧
- أخبار مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم ٦: ١٥
- أخبار مكة ١: ٥٤، ٥٥، ٥٧. ٢: ١٠، ٥٠، ١١١، ٤٧٥، ٤٨١. ٢: ٤٢٣، ٤٢٦.
- ٣: ٩١، ١٨٢، ٢٠٩، ٢٩٧، ٣٠٦، ٣٥٤، ٥٤٧. ٤: ٨. ٥: ١٢٤، ٣١٦
- أخزم بن العاص بن عمرو بن مازن بن الأسد ٤: ٣٠
- الأخضر ٢: ٣٣٩
- الأدب الإنكليزي ٦: ٢١، ٢٢
- الأدب الجديد ٣: ٥٧
- أدب الحجاز ٦: ١٣، ١٥
- الأدب الفنى ٦: ١٦
- أدبيات الشاى و القهوة و الدخان ١: ٢٩.
- ٢: ١٧٩. ٦: ١٩٢، ١٩٣، ٢١٨
- الأدجاني ٥: ٢٦
- أديان ٦: ٣٨٣
- الأدعية المختارة ١: ٢٩
- أديب هراوى ٢: ١٨٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٩٦
- أذاخر ١: ٥٢٤. ٢: ٤٥
- أذربيجان ٤: ٢٦٧. ٦: ٥٣
- أذرع ٢: ٣٣٨
- الأذكار ٤: ١٣٣، ١٦٦
- الأذكياء ١: ٢٣٣
- أرامكو و امتياز الزيت ٦: ١٨
- الأربعين النووية ٤: ٢٣٤
- أربيل ١: ٢٦
- الأرج المسكى ١: ١٠٥. ٢: ٥٣٦. ٣: ١٣٣، ١٧٤. ٥: ٣٣، ١٠٣، ٤٠٤
- الأرجنتين ٦: ١٦٤
- الأردن ٢: ١٦٩. ٦: ٥٤، ١٦٢
- أرسلان الفساسيرى ٣: ٤٧٧، ٤٧٩. ٤: ٣٤٢
- أرغون الناصرى ٢: ٣١٧
- الأرقم ابن أبى الأرقم ١: ١٥٩. ٦: ٣٦٧
- أركان الإسلام الخمسة مع قسم من العبادات ٥: ٥٣٨، ٥٣٩



- أسامة محمد الراضى ٥: ٥٣١  
 أسبانيا ٢: ٢٩٢. ٦: ٤٦٦، ١٦٣، ٢٩٧  
 أستراليا ٦: ١٦٤  
 أسد الغابة ١: ٢٣٤، ٤١٣، ٤٤٨. ٣: ٧٤، ٩٧. ٥: ٤٠٠. ٦: ٢٤٥، ٢٥٥  
 أسد بن الفرات ٥: ٤٥١، ٤٧٢  
 أسد بن عبد العزى ٥: ١٦٢  
 أسد بن عمرو ٣: ٤٨٢  
 الأسد ٥: ١٠٤  
 الأسدى ١: ١٤٦. ٣: ٥٤٧. ٥: ١٥٣، ٣٠٢  
 أسروسنة ٢: ٣٤٣  
 أسعد أفندى ٤: ٢٤٧، ٥٦٨  
 أسعد البهتى ٥: ٩٧  
 أسعد الحميرى ٢: ٤٦٨. ٣: ٢١١، ٥٤٣. ٤: ٧، ١٧٣، ١٧٥  
 أسعد الدهان ٥: ٥٤١  
 أسعد بن جعفر ١: ٥٧٠  
 أسعد بن زرارة ١: ٤٢٢، ٤٢٦. ٥: ٣١٣، ٣١٤  
 أسعد بن عبد السلام الرئيس ٤: ١٣٩  
 أسعد حسين الرئيس ٥: ١٠٤  
 أسعد دهان ٥: ٤٣٣  
 أسعد شكرى ٥: ٤٣٣  
 أسعد قفق ٢: ٢٠٣  
 أسعد مشفع ٦: ١٣٨  
 الأسكوبى شاعر المدينة ٦: ١٧  
 أسلوب الحكيم ٦: ٥٠  
 أسماء بنت أبى بكر الصديق ١: ٣٩٣، ٤١٤.  
 ٣: ٩٧، ٢٠٨  
 أسماء بنت عمرو ٥: ٣١٢  
 أسماء بنت عميس ٤: ٣٠٠  
 أسمى الرسائل ٥: ٥٣٩  
 أسنا ٢: ١٣٤  
 الأسنوى ٥: ٣٣٩  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٩٨  
 أسنى ٢: ٣٤٣

- أسواق الذهب ٣: ٤٤٥، ٤٤٦  
 أسوان ٢: ١٣٤، ٣٢٦  
 الأسود بن مقصود ١: ٢٩٩  
 أسيد بن حضير ٥: ٣١٣  
 أسيوط ٦: ٢٩٦  
 الأسيوطى ٤: ٤٠٨  
 أشاس الجر كسى ٥: ٤٩٨  
 أشيلية ٢: ٣٤٣  
 الأشرف أبو النصر برسباى ٤: ٣٣، ٤٢٥، ٥٤٣  
 الأشرف شعبان ٣: ١٦، ٢٠٠، ٢٤٥، ٤٠٤، ٥: ٣٩٩، ٤٠٠  
 الأشرف قايتباى الظاهر ٣: ١٧٣، ٤: ٤٠٤  
 أشواق و آهات ٦: ١٧  
 أصبهان ٢: ١٣٥، ٣: ٤٨٠  
 أصداء الراية ٦: ١٨، ٢٠  
 أصفهان ٢: ٣٤٢  
 الأصمعى ٦: ١٠٦  
 أطرار ٢: ٣٤٢  
 الأطوال ٦: ٣٤٣  
 الأعشى ميمون بن قيس بن جندل ٣: ٤٧٨، ٤: ٢٥٤  
 أعظم إبراهيم باشا ٤: ٣٥٣  
 أعظم توفيق ٤: ٤٢  
 أعلام الأديب بحدوث بدعة المحارب ٥: ١٨١  
 أعلام المكين ٦: ١٨  
 الأعلام ٢: ٥٨  
 أغاريد الصحراء ٦: ١٨، ١٩، ٢٠  
 الأغانى ٣: ٤٤١، ٥٤٨، ٦: ٧٩  
 أغريوزى محمد باشا ٥: ٥٠٩  
 أفريقية ٦: ٥٤  
 أفغانستان ٦: ٣٠١  
 أفكار ذاتية جديدة ٦: ٢١، ٢٢  
 أفلج ١: ٦٦  
 أفلج ١: ٤٢٥

أقاصيص ٦: ١٨

الأقوال المعلمة في وقوع الكعبة المعظمة ٣: ١٤١

أكام العقيان في أحكام الخصيان و التوصية بهم ٤: ٢٩

أكاه محمد باشا ٥: ٥١٠، ٥١٢

أكنم بن صيفى ١: ٩٧، ٩٨

أكر ٢: ٣١٩

أكسفورد ٦: ٦٦

الأكيدم ٢: ١٣٤

ألحان مغترب ٦: ١٨، ١٩

ألف باء ٣: ٥٥٦

ألفية السيرة عن الإسراء و تكذيب قريش ١: ٣٣٨

الألقاب ٥: ٤١٤

ألماس آغا ٤: ٣٤

ألمانيا ١: ٥٥. ٢: ١٨٢، ٢٨٠. ٣: ٥٦٥، ٥٦٧. ٥: ١١٠. ٦: ٧٨، ١٦٣

أم أيمن بركة الحبشية ١: ١١٢، ١٢١، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٩، ١٤٥، ١٥٩، ٢٠٣. التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ٣-٦؛ ص ٣٩٨

٤٨٩

أم الخير بنت صخر بن مالك ١: ٤٤٨

أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية ١: ١٥٩

أم القرى ١: ٦٣

أم المؤمنين ميمونة ٥: ١٥٣. ٦: ٢١٧

أم الهدى بنت القاضى نور الدين على ابن بركات بن ظهيرة القلاشى ٤: ٣٥٣

أم بشر بن البراء بن معرور ٣: ٥٤١

أم بكر الكلبية ١: ٤٤٩

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٣٩٩

أم جعفر زبيدة بنت أبى الفضل جعفر بن أمير المؤمنين المنصور ٢: ٥٣٦. ٤: ٥٢١، ٥٢٢.

٥: ٣٥١، ٣٥٣، ٣٦٧، ٤٠٦، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٥

أم جعفر ٥: ٣٥٠

أم جميل بنت حرب بن أمية ٣: ٥١٦

أم جميل بنت سعيد بن عبد الله بن أبى قيس ٦:

٢٨١

أم جميل بنت عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ٤: ١٩٦

أم حبيب بنت سعيد ٦: ٢٨١

أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان ١: ١٥٣. ٦:

٣٤٩

أم حرز ٢: ٣٣٥

أم رومان ١: ٤١٤

أم سعد أرنب ١: ٤٨٦

أم سلمة بنت أبي أمية ١: ١٥٢

أم سلمة ١: ٤٥٥، ٦: ٢٤٥، ٣٤٩

أم عمر ٦: ٢٦٩

أم قرين ٦: ٩٠

أم كلثوم ابنة أبي بكر ٤: ١٧٧

أم كلثوم ١: ١٥٣، ١٧١، ٦: ٢٤٧، ٣٤٩

أم محمد بنت صالح المسكين ٤: ٥٢٢

أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية ١: ٤٠٨، ٤١١

أم نهشل ٢: ٢٤٣

أم هانئ بنت أبي طالب ١: ٣٢٠، ٣٢٣، ٤٦٨

أمة العزيز أم ولد موسى الهادي ٤: ٥٢٢

أمة العزيز ٥: ٤١٣

أمج ٣: ٥٤٧

أمريكا ٢: ١٦٣

أمريكا ٢: ١٩٩، ٢٣٩، ٣: ١٠٨، ١١٠.

٥: ١١٠، ٦: ٢٤٤.

الأمس الضائع ٦: ١٦

أملج ١: ٦٨

الأموى ٣: ٢٤

أمى ٦: ١٧

أمية بن خلف الجمحي ٤: ١٢٥

أمية بن خلف ٢: ٤٥، ٦: ١٠٠، ١٠٥

أمية بن عبد شمس ١: ٣٠٣، ٣٠٦

أمير بقطر ٣: ١٠٥، ١١٣

الأمير حسين ٥: ٣٦٢

الأمير سودون ٤: ٦٠

الأمير عبد الله ٥: ٥٠٥

أمير على ١: ٢٧٧

الأمير فيصل ٤: ٢٠٤، ٥: ٥٠٥

- أميمة ١: ١١٤
- أمين أفندي أمصيلي ٤: ١٥٦، ١٥٨
- أمين بن عبد الله الشيبى ٤: ٢٠٢
- أمين سامى باشا ٣: ١١٣
- أمين عبد الله سراج ٥: ٥٣١
- أمين كتيبى ٥: ٥٢٢
- الأمين محمد بن هارون الرشيد ٣: ١٩٨
- أمين محمود الشريف ١: ٢٧٣، ٢٨٢
- أمين ١: ٢٨٧. ٤: ٢٠٣
- أنا الساقية ٦: ١٦
- الأناضول ٦: ١٥٠، ٣٠١
- أنباء المؤيد الجليل مراد بيناء بيت الوهاب الجواد ٣: ٢٤٥
- الأنبار ٣: ٢٧٣. ٦: ٣٠
- أنجولا ٦: ١٦٣
- الأندلس ٢: ١٣٤. ٦: ٥٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٠٠
- أنس بن السلطان العادل كتبغا المنصورى ٤: ٢٨٩
- أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم ١: ١٥٤، ٤٢٣. ٦: ٢٦٨
- أنستاس مارى الكرملى البغدادى ٥: ٢٦٢
- أنعم ١: ٥٤٧
- أنفاس الربيع ٦: ١٨
- أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب ١: ٢٢٢
- أنوار التنزيل ١: ٥٤٨، ٥٤٩. ٢: ٤٣٣، ٤٩٧
- أنوار الشروق فى أحكام الصندوق ٥: ٥٤٢، ٥٤٣
- الأنوار المحمدية ١: ١٩٤
- أنوار النفحات فى شرح نظم الورقات ٥: ٥٣٥.
- ٦: ٢٨٦
- أنور على ٥: ٢٧٥
- أنيس ١: ٣٠٠
- أنيسة ١: ١١٤
- أهل جرش ١: ٥٤٧
- الأهواز ٢: ١٣٥. ٣: ٤٨٠. ٦: ٥٢.
- الأوائل ٤: ٣٩٩. ٥: ١٢٤، ١٧٤، ٢٢١



- الأوجر ٥: ٤٠٦  
أوجين ٢: ٢٧٩  
أورشليم ٦: ٣٨٣  
أوريان جونيوس ٦: ٦٥  
أوريغانس ٤: ٣٢، ٣٣  
أوز دمر باشا ٥: ٥٠٦  
أوس الجمحي المكي ٤: ١٢٧  
أوس بن خولى الأنصارى ١: ١٩٠  
أوس ٦: ٥٥  
أوسط المغرب ٢: ١٣٦  
أوسط بلاد بربر ٢: ١٣٦  
الأوسط ٦: ٣٥١  
أوغندا ٦: ١٦٣  
أوقات ٢: ٣٤٤  
الأوكاس ٦: ٢١، ٢٢  
أول تيه بنى إسرائيل ٢: ٣١٨  
أولريخ جاسبار سيتزن ٦: ٧٤، ٧٥  
أونوجور ابن الإخشيد ٣: ٤٦٧  
أويتنج ١: ٨٢  
أويش الحجر ٤: ٢٢  
أيام فى الشرق الأقصى ٦: ١٧  
أيلة ٢: ٣٢٤، ٤٤٠  
أيوب صبرى باشا التركى ١: ٥١، ٥٠٨. ٢:  
٢٤٨، ٢٥١، ٥٣٠. ٣: ١٢٦، ١٣٥، ١٣٧، ١٨٢. ٤: ٢١. ٥: ٣١. ٦: ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢  
إبانة الأحكام شرح بلوغ المرام من أحاديث الأحكام ٥: ٥٣٧، ٥٣٨  
الإبانة عن أصول الكهانة ٥: ٥٣٧، ٥٣٨  
إبراز الدر المصون على جوهر المكنون ٥: ٥٣٥.  
٢٨٦: ٦  
إبراهيم أدهم أفندى ٥: ٤٣٠، ٤٣١  
إبراهيم أدهم ٢: ١٨٧.  
إبراهيم أمين فودة ٦: ١٠  
إبراهيم الأغا ٤: ٢٦  
إبراهيم الجفالى ٥: ١٥

- إبراهيم الخليل أبو الأنبياء ٢: ٤٥٠  
 إبراهيم الخليل ١: ٧٤، ٢: ٤٤٤، ٥٦٧.  
 ٣: ٤٦٨، ٥٣٢  
 إبراهيم الرحال ٥: ٣٧٢  
 إبراهيم الفتة ٦: ٣١٣  
 إبراهيم المهندار ٦: ٨٧  
 إبراهيم النجار ٤: ٤٠٧  
 إبراهيم النورى ١: ١٠، ٢٣، ٥: ٥٢٣  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٠١  
 إبراهيم الهاجرى ٥: ٥٢٦  
 إبراهيم باجلان ١: ٣٠  
 إبراهيم باشا ٢: ٣٢٨، ٤: ١٤١، ٥: ٣٦٨، ٣٧٦، ٥٠٨، ٦: ٧٣، ١٨٠، ٢٩٧  
 إبراهيم بن الأغب ٥: ٤٦٩، ٤٧٠  
 إبراهيم بن الحسين الفاسى ٥: ٣٧  
 إبراهيم بن الشريف سويفى التاجر بن عبد الجواد ٦: ٢٩٦  
 إبراهيم بن العباس الصولى ٤: ٥٥٢  
 إبراهيم بن المصطفى ٣٤٩: ٦  
 إبراهيم بن المهدي ٤: ٢٨٢  
 إبراهيم بن تسارخ بن ناحور ٢: ٤٤٥  
 إبراهيم بن تغرى بردى المهندار ٤: ٥٢٣، ٥٥٥  
 إبراهيم بن تكز ٥: ٤١١  
 إبراهيم بن جعفر بن أبى جعفر ٤: ٢٨١  
 إبراهيم بن خشاب ٥: ٤٦٩  
 إبراهيم بن عبد الرحمن بن نبيه الحجبي ٣: ٤٨٦  
 إبراهيم بن عبد الله الحجبي ٣: ٤٨٦  
 إبراهيم بن عبيد الله الحجبي ٤: ٢٨٣  
 إبراهيم بن عمرو بن كيسان ٦: ٢٨١  
 إبراهيم بن محمد الدمشقى الصوفى المعروف بالبرهان ٦: ٢٨٩  
 إبراهيم بن محمد بن إسماعيل العباس ٥: ٤٩٩  
 إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن على بن بويه ٤: ٢٨٦  
 إبراهيم بن محمد بن طلحة ٣: ١٢١  
 إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن الحسين بن على بن أبى طالب الكاظم ٣: ٤٧٢، ٤٩٥، ٤: ٢٨٣، ٥: ٤٩٨  
 إبراهيم بن هرمه ٥: ٢٥

إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي ٤: ٢٧٨. ٥: ٤٩٧

إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي ٤: ٢٨١.

٥: ٤٩٧

إبراهيم بيك ٢: ٨٦. ٣: ٣٤١، ٣٥٥. ٤:

٥٤٥، ٥٧٠. ٥: ٨١، ٣٦٩

إبراهيم جدع ٦: ٨

إبراهيم حقي أفندي ٥: ٤٣٢

إبراهيم خليل الله ٣: ٤٨٩

إبراهيم خليل ٥: ٤٢٩

إبراهيم دفتردار ٥: ٣١١

إبراهيم رفعت باشا المصري ١: ٥٠، ٥١، ١٦٦. ٢: ٨٧، ٩٧، ١٠٢، ٢٣١، ٢٥٠، ٢٥٦، ٢٧٠، ٢٧١، ٣٠٥، ٣٤١، ٣٩٥، ٤١٢، ٥٢٣، ٥٥٤،

٥٧٣، ٥٧٦.

٣: ١٥، ٢٤، ٣٥، ٢٩٧، ٤٢٦، ٤٣٤، ٤٣٥. ٤: ١٣، ٢٦، ٢٥٣، ٢٩٨، ٣٩١.

٥: ٤٥، ٤٦، ٩٥، ١٣٥، ١٦٠، ١٨٢، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٤، ٢٩٨، ٣٦٠، ٣٧٣، ٤٩١.

٦: ١٥٠، ١٥١، ٢٤١، ٢٩٣، ٣٠٣

إبراهيم رفعت ٢: ٩٨. ٦: ٢٩٦

إبراهيم زاده أفندي ٣: ١٨٠

إبراهيم سلامة الربان ٦: ٣٣٥، ٣٣٦

إبراهيم عبد القادر المازني ٢: ٢١٣. ٣: ٥٢٣

إبراهيم عبد الله ٦: ٧٨

إبراهيم عبد الهادي باشا ١: ١٠

إبراهيم علاف ٦: ١٧

إبراهيم عليه السلام ٢: ٤٤٥. ٣: ٢١١

إبراهيم فرحات ٢: ١٩٢

إبراهيم فطاني ٦: ٨

إبراهيم مجلد ٣: ٣٩٨

إبراهيم محي الدين برادة ٥: ٥٢٥

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٠٢

إبراهيم نياس الكاولخي ٣: ٣٦٣

إبراهيم ١: ١٥٣، ١٧٠، ١٧١، ٣٦٤، ٥٤٣.

٢: ٩٧، ٩٩، ١٢٥، ١٢٧، ٤٢٤، ٤٤٨، ٤٦٣. ٤: ٢٠٣، ٢٧٢. ٥: ٣٦٨، ٣٦٩، ٤٠٩

إتحاف الوري بأخبار أم القرى ١: ٥١.

٢: ٢٢٣، ٢٢٦. ٣: ٩٠، ٢٦٤. ٤: ٣٤١، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٦٠، ٤٥١، ٥٠١.

٥: ٢٢٠، ٣٠٣، ٣٥٦

إتحاف ذوى النجابه بما فى القرآن و السنه من فضائل الصحابه ٥: ٥٤٤

إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية ابن الحسن ١: ٥١. ٢: ٥٣٢. ٣: ٣٤١. ٤: ٣١، ١٤١، ١٧٩، ٥٣١، ٥٧٠. ٥: ٨١، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٧٧، ٣٧٨.

٦: ٨٩، ٣٢٧

الإتحاف ٣: ١٤١، ٤٧٥. ٤: ٦٤، ١٤١، ١٥٤، ٣٥٣، ٣٥٥، ٥٧١. ٥: ٣٧٩، ٤٢١. ٦: ٣١٥

إتعاض الحنفاء ٣: ٤٦٤، ٤٦٧، ٤٧٥

الإتمام على أعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام ٣: ٥٨٠. ٤: ١٦٢. ٥: ١٩٥

إتيان دينه ٦: ٧٧

إثارة الشجون لزيارة الحجون ١: ٥١

الإحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة ٦: ٢٩٨

الإحاطة ٥: ٢٥٩

إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ١: ٥١

الإخشيدى ١: ٥٢١

إدريس عليه السلام ٣: ٣٨٣

إدوارد فانديك ١: ٧٥. ٥: ٤٩٢

إربد ٥: ٢٢٢

إربل ٢: ٥٩، ٦١، ٩٤، ٩٨. ٥: ٣٣٠، ٣٥٦، ٤٠٠

إرشاد الزمرة لمناسك الحج و العمرة ١: ٢٩، ٣٧. ٢: ١١٣. ٣: ٢٠٦، ٢٤٧. ٤: ٧٩، ٨٠، ٨٣، ٩٤، ٩٦، ١٠٣، ١١٢، ٢١٧، ٢١٩، ٣٢١، ٣٣٢، ٣٣٦.

٣٣٦.

٥: ٣٢٤، ٣٣٤، ٣٣٦. ٦: ٣٤٥

إرشاد القاصد ٣: ٥٧

إرلاند ٦: ٦٦

إساف بن بغاء ١: ٥٤٧، ٥٥٠. ٣: ٥٠٣

إساف بن سهيل ٥: ٤٩٥

إساف بن عمرو ١: ٥٥٢. ٤: ٣٤٠

إستعمار و كفاح ٦: ١٥

إسحاق أفندى ٤: ١٧٧، ٣٤١

إسحاق بن أحمد ٤: ١٨٥

إسحاق بن العباس بن محمد بن علي ٤: ٢٨٤

إسحاق بن سلمة الصايغ ٣: ١٩٨، ٤٢٤.

٥: ٢٩٥

إسحاق بن سلمة ٣: ٤٢٤

إسحاق بن عباس بن عباد ابن محمد ٣: ٤٧٠، ٤٩٥

- إسحاق بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد الله ٤: ٢٨٧
- إسحاق بن علي ٤: ٤٩٢
- إسحاق بن عيسى بن علي ٣: ٤٨٥
- إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي ٤: ٢٨٣
- إسحاق بن موسى ٣: ٤٨٥
- إسحاق عزوز ٥: ٥٢٧. ٦: ٤٢
- إسحاق ٣: ١٩٨. ٤: ٢٧٢
- الإسحاقى ٤: ٥٥٤
- إسرائيل و لفسون أبو ذؤيب ٦: ٣٦٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٠٣
- إسرائيل ١: ١٥٨
- إسعاف أهل الإسلام بوظائف الحج و الإحرام ٥: ٥٣٩، ٥٤٠
- إسعاف أهل الإيمان بوظائف شهر رمضان ٥: ٥٣٩
- إسعاف المسلمين و المسلمات بجواز القراءة و وصول ثوابها إلى الأموات ٥: ٥٤٤
- الإسفراننى المكى ١: ٥٥
- الإسكندرية ٢: ١٣٤، ٢٣٠. ٤: ٣٢، ٣٣.
- ٥: ١٦٩، ٣٩٩، ٥٢٤.
- الإسلام أولاً ٦: ١٥
- الإسلام طريقنا للحياة ٦: ١٩
- الإسلام على مفترق الطرق ٦: ٧٩
- الإسلام فى نظر أعلام الغرب ١: ٥٧
- إسماعيل آغا ٣: ١٣٢. ٥: ٥٠٨
- إسماعيل الزهدى أدرنوى خوجه ٣: ٣١٠
- إسماعيل باشا ٣: ١١، ٥٧٥. ٤: ٣٤، ٣٥، ٣٦. ٥: ٣٧٩، ٥٠٨
- إسماعيل بك ابن إيواز بك ٤: ١٥٥. ٥: ٢١١، ٣٠١. ٦: ٨٤
- إسماعيل بك ٤: ١١
- إسماعيل بن إبراهيم ١: ٨٦. ٤: ٨، ١٩٣.
- ٥: ٤٩٣
- إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ٣: ٥٥٨. ٤: ٢٥
- إسماعيل بن جعفر الصادق ٣: ٢٧٠، ٢٨٢
- إسماعيل بن ضبيح ٣: ٤٨٦
- إسماعيل بن عباد ١: ٢٥٧
- إسماعيل بن عبد الرحمن بن نبيه الحجبى ٣: ٤٨٦

- إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس ٤: ٢٧٩، ٢٨٠
- إسماعيل بن يوسف العلوي ٣: ٣٤٢. ٤: ٢٨٥
- إسماعيل بن يوسف ٥: ٤٩٩
- إسماعيل جمال ٤: ٧٥
- إسماعيل حقي باشا ٢: ٣٩٦. ٥: ٥١٤
- إسماعيل صبرى ٥: ١١٤
- إسماعيل عليه السلام ٣: ٤٥٤، ٤٤٢
- إسماعيل ١: ٧٤، ٤٥٢. ٢: ١٢٦، ٤٥٦، ٤٨٧. ٣: ١٣٢. ٤: ٢٧٢. ٥: ١٧٤
- الإشاعة فى أشراف الساعة ٢: ٣٤٩. ٣: ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٦٨، ٢٦٧
- الإصابة فى تمييز الصحابة ١: ١١٤، ١٢٤، ٢٠٣، ٢٣٥، ٣٣٠، ٣٩٤، ٤٤٦، ٤٤٩، ٤٧٨، ٤٩٨. ٢: ٤٦، ٩٥، ١٣٦.
- ٣: ٩٨، ٣٢٦، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٣٨، ٥١٥. ٤: ٢٩، ٣٠، ١٢٨، ١٩٦، ٤٠٧.
- ٥: ١٢، ٣٥٢. ٦: ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٨
- الإصلاح الدينى فى القرن الثانى عشر للهجرة ٥: ٥٣٨، ٥٣٩
- الإطفاء و الإنقاذ ٥: ٦٠
- إعجاز القرآن ١: ٢٢٩، ٢٣٠
- إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام ١: ٥١
- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ١: ٥٠.
- ٢: ٢٥٧، ٤٠٢. ٣: ٤٤٠، ٥١١. ٥: ٩٢.
- ٦: ٨٥، ٢٩٠، ٢٩١
- الإعلام بتاريخ بيت الله الحرام ٥: ٤٣
- الإعلام ٢: ٨٥، ٢٢٣، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٩١، ٥٧٨. ٣: ١٨، ٢٤، ٢٥، ٢٧٢، ٢٧٥، ٤٤٣، ٥٥٧، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢.
- ٤: ١٤، ١٥، ٥٧، ١٨٦، ١٨٧، ٢٤٥، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥١، ٤٣٣، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٥، ٥٦٧.
- ٥: ٣٩، ٤١، ٧٧، ٨١، ١١٥، ١١٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٠٤
- ١٥٣، ٣٠٢، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١١، ٣٧١.
- ٦: ٣١٨
- إفادة الأخبار ببراءة سيد الأبرار ٥: ٥٤٤
- إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام ١: ٥٠، ٥٨. ٢: ٣٦، ٥٩، ٢٨٢، ٣٠٢.
- ٣: ١٢٩. ٤: ٢٨٨، ٣٣٩، ٤٢٤، ٤٣٦، ٥٧٤. ٥: ٨٤، ١٢٤، ٣٥٠، ٥٠٦. ٦: ١٤٠
- إقبال الدين المستنصر العباسى ٥: ٣٩٩، ٤٠٠
- الإقناع على أبى شجاع ٢: ٥٨٤
- الإكليل ١: ٤١٦

- إكمال السنة باتصال سند المصافحة المدخلة للجنة ٥: ٥٣٥، ٥٣٦
- إلى عموم المسلمين ٥: ٥٣٩
- الإلياذة الإسلامية الجديدة ٦: ٢٠
- إلياس ٥: ٤٩٣
- إليزابيت ٥: ١٠٧
- إمارات الخليج ٦: ١٦٢
- الإمام العادل ٥: ٥٣٩
- الإمام النووي ٣: ٤٩١، ٥١١
- الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد آل سعود ٥: ٥٠٣
- الإمامة و السياسة ٣: ٥٤، ٥٥، ١٢٣، ٤: ٤٨، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٤، ٥٢٨، ٦: ٩٦، ٩٧
- إنارة الدجى فى مغازى أهل الورى ٥: ٥٣٩، ٥٤٠
- إنتحار الألحان ٦: ١٦
- إنجاح الحاجة ٥: ٢٥٨
- إنجلترا ٢: ١٤٥، ١٨٢، ٢٠٢، ٢٣٩.
- ٣: ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ٥٦٥، ٤: ١٣٤.
- ٥: ٢٦٩، ٢٧٦، ١٥، ١١٠، ٦: ٢٤٤، ٧٨، ٦٦.
- إندونيسيا ٢: ١٩٩
- إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون ٥: ٢٩٣
- الإنعام على أعلام الأنام ١: ٥١
- إنك لفى واد و أنا لفى واد ٦: ٧٧
- إهداء اللطائف من أخبار الطائف ١: ٥٢
- إياس بن معاوية ٣: ١١٩
- إيتاح التركى ٥: ٤٩٩
- إيران ٢: ٣٢١، ٦: ٣٠١
- إيرلنده ٦: ١٦٣
- إيزادورا دنكان ٥: ٢٥٣
- الإيضاح فى هذا المقام ٢: ٥٧٤
- الإيضاح ٢: ١٠٧، ٥: ١٢٨، ١٣٠، ٣٣٠
- إيطاليا ٢: ١٨٢، ١٨٣، ٢٣٩، ٢٩٢، ٦:
- ٢٤٤، ١٦٣، ٦٦.
- إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام ٥: ٥٣٥، ٦: ٢٨٦
- ابن أبزى ١: ٥١١
- ابن أبى الحديد ٦: ١١٣

ابن أبي الحمراء ٢: ٤٤

ابن أبي الدنيا ٥: ٢٤٢

ابن أبي الرزام ٥: ٣٥١

ابن أبي تجراه ٣: ٣٣

ابن أبي جمرة ٦: ١١٢

ابن أبي حاتم ١: ١٣٨

ابن أبي خيثمة ٦: ٢٤٦

ابن أبي سالم ٣: ٤٥٢

ابن أبي ليلي ٦: ٢٨١

ابن أبي مليكة ٣: ٣٢١

ابن أشته ٣: ٣٤٧

ابن أم كلثوم ٢: ٥١

ابن أم مكتوم ٤: ١٢٧

ابن أمشت الفارسي ٣: ٤٧٣

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٠٥

ابن أيوب ٥: ٢٣

ابن إسحاق ١: ١١٨، ٤٠٤، ٤١٣، ٤١٥، ٤١٦، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٦، ٤٦٠، ٨٧: ٢

٢٤٦، ٢٤٩، ٢٤٧، ٣١٩، ٢٧١، ٢٦٣، ٤: ٥٣٧، ٣٨، ٣٧، ٣٦، ٢٤، ٢٦٧

ابن إلياس ١: ١٠٤

ابن إياس ٣: ٥٦١

ابن الأبوع ١: ٤٧٧

ابن الأثير ١: ١٠٦، ٢٣٤، ٤٤٨، ٢: ٢٩٦

٢٥٥، ٢٤٥، ٨٨، ٦: ٣٥٦، ٥: ٥١٣، ٤: ٥٥٧، ٣٢٣، ٣٢٢، ٢٤٤، ٢٥٦، ٩٧، ٥٧، ٣: ٢٥٥

ابن الأفضس العلوي ٤: ٢٨٣

ابن الأكفاني ٣: ٥٧

ابن التين ٦: ٢٥٧

ابن الجزائر ١: ٤١٦

ابن الجوزي ١: ٢٣٣، ٤٠٩، ٤١٢، ٤١٥

٣: ١٨٨، ٣٠٧، ٥: ٢٨٥، ٦: ١١٥

ابن الحاج المالكي ٤: ٣٢٧

ابن الحاج ٣: ٥٢٠، ٤: ٨٤، ٦: ١٧١

ابن الحاجب ٣: ٢٩٤، ٤: ٢٥١

ابن الحارث ٥: ٤٦٨



- ابن الدغنة ٢: ٣٨٦  
 ابن الربيع محمد بن عبد الله الحجبي ٣: ٤٨٨  
 ابن الربيع ٥: ٤٦٥، ٤٦٨  
 ابن الرهين العبدري ٢: ٦٧، ٦٨  
 ابن الرومي ٥: ٢٥  
 ابن الزبير ٢: ٥٣٦، ٥٧٣، ٥٨١. ٣: ٨١، ٩٤، ٩٩، ١١٦، ٢٠٨، ٥٦٣  
 ابن الزين ٤: ٣٥٢  
 ابن السكن ٤: ١٩٦  
 ابن السكيت ٢: ١٠١. ٣: ٤٣٩  
 ابن السلطان أحمد خان بن السلطان محمد خان ٣: ١٩٤  
 ابن الصايغ ٥: ٤٦٥  
 ابن الصلاح ٣: ٢٩٣، ٥١١. ٤: ٨٦، ٢٤٤.  
 ٥: ٣١٩  
 ابن الضحاك ١: ٣٢٤  
 ابن العراقي ١: ٤٢٤  
 ابن العربي ٢: ٥٤٠  
 ابن الفراء ٤: ٤٧٨  
 ابن القيم ١: ٤٢٤. ٤: ٢٩٨  
 ابن الكلبي ١: ٤١٣، ٤١٥  
 ابن اللباد ٥: ٤٧٠  
 ابن المبارك ٦: ٢٤٨  
 ابن المختار الجكني الشنقيطي ١: ١٥٧  
 ابن المدائني ٦: ٢٦٨  
 ابن المعتز ٤: ٤٧٤  
 ابن الناجي ٤: ٣٥١  
 ابن النجار ١: ٤٣٠. ٣: ٥٥١. ٦: ٣٤٦  
 ابن النحاس ٥: ١٧٣  
 ابن النضر ١: ١٠٤  
 ابن النقاش ٣: ٥٠٥  
 ابن النقيب المقدسي ١: ٤٧١. ٤: ١٢١  
 ابن الوردى ٣: ٢٠٠  
 ابن بشر ٣: ٣٥٥  
 ابن بشكوال ٤: ٤٠٦

ابن بشير ٤: ٢٥١

ابن بطال ٥: ١١

ابن بطوطة ٢: ٢١٠، ٣٢٧، ٤٣٦، ٣: ٢٥٣، ٣٨٠، ٤٦٦، ٤٦٨، ٤: ٣٢، ٣٤، ٥٥، ٨٩، ٢٤٤، ٥٠٦، ٥٣٠، ٥: ٨٤، ٩٣، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٧٥، ١٧٦

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٠٦

٢١٠، ٢٧٦، ٤٢٤، ٦: ١٧٤، ١٧٥، ٢٠٢، ٢٣٩، ٣٠١، ٣٤٠.

ابن تيمية ١: ٩٠

ابن ثعلبة ٣: ٥٠٢

ابن جبير الأندلسي ١: ٥٣٩، ٢: ٨٥، ٢١٠، ٢٢١، ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٩٠، ٤٤٠، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٦٠، ٥٨٣، ٣: ٨، ١١، ١٣، ٢٣٧، ٢٤٣، ٣٠٧، ٣٢١، ٣٤٣، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٨٣، ٤٥٤، ٤٥٧، ٤٥٧، ٤٥٧، ٤٥٧، ٤: ٩، ٩، ٣٢، ٥٤، ٨٧، ٨٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٥، ١٨٠، ٢٠٤، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٣٩٩، ٥٣٠، ٥: ٨٣، ٩١، ٩٤، ٩٥، ١٠٩، ١٢٢، ١٢٩، ١٥٩، ١٧٦، ١٨٧، ٢١٠، ٢١٩، ٣٠٨، ٦:

٦٤، ٦٥، ٩٠، ١٧٠، ١٧٤، ٢٥٥، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨

ابن جريج ٣: ٦٨، ٦: ١٣٣، ٣٠٦

ابن جرير ٢: ٤٤٥، ٣: ٧٤، ٣٢٢

ابن حبان ٦: ٢٤٦

ابن حبيب ٣: ٥٢٠، ٤: ١٢٧

ابن حجر العسقلاني ٣: ٣٠٧، ٣١٤، ٣١٥

٤: ٢٧، ١٩١

ابن حجر الهيثمي المكي ١: ١٠٥، ١٣٤.

٢: ١٠٥، ١٠٧، ٥: ١١، ١٥٠، ١٦٢، ٦: ١٧١

ابن حجر ١: ١١٤، ٢٩٢، ٣٩٤، ٤١٦، ٤٣٣، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٩٦، ٤٩٨، ٥٢١.

٢: ٤٨٥، ٥٢٦، ٥٦٢، ٥٦٤، ٣: ٤٩١، ٥٠٥، ٥٤٩، ٥٦٣، ٤: ١٩٦، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٣٣، ٥: ١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٥٠، ١٧٨، ٣٣٠، ٣٥٢، ٦: ٨٨

٢٤٦، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٦٨، ٣٥٢

ابن حزم ٤: ١٩٧، ٥: ٢٩٩، ٢٥٦

ابن حمدون ٣: ٣٢٢

ابن حوقل ١: ٧٣

ابن حيان ١: ٤١٦، ٥٣٥

ابن خرداذبة ٤: ٢٤٢

ابن خزيمة ١: ١٠٤

ابن خلدون ١: ٢٥٩، ٣: ٢٨٩، ٢٩٠، ٤٦٨، ٤٧٧، ٥: ٢٧٨، ٢٨١، ٢٢٤، ٢٢٧، ٤٣٦، ٦: ٥١، ٥٤، ٢٨٩، ٣٤٢، ٣٧٤، ٣٧٦

ابن خلكان ٣: ١١٩، ٤: ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨.

٥: ٣٣٠، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٦، ٦: ٢٨٠

ابن خليل ٣: ٢٤٤، ٣٤٤، ٤: ٢٩٧، ٦: ٨٨

- ابن دبوس ٥: ٤٧٢  
 ابن دريد ٦: ١٠٦  
 ابن دقيق العيد ٦: ٣٥٧  
 ابن رامشيت الفارسي ٣: ٥٥٧  
 ابن ربيعه ٣: ٥٥٨  
 ابن رشد ٤: ٢٨، ٤٠٦، ٤٠٦: ٦: ١١٣  
 ابن رقيش ١: ٤١٨  
 ابن زباله ١: ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨: ٦:  
 ٣٥٩، ٣٥٣  
 ابن زرياب ٥: ٤٦٩  
 ابن زكرويه ٣: ٢٧٢  
 ابن زولاق ٣: ٤٦٥، ٤٧٥  
 ابن زيد ٤: ٤٤٧  
 ابن زيدون ٢: ٥٥، ٤: ٥٣٦، ٥: ١٩٩  
 ابن زين ٣: ١٤٧، ١٤٩، ١٥٧، ١٦٩  
 ابن سراقه ٣: ٣٢١  
 ابن سريح ٣: ٤٤١  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٠٧  
 ابن سعد ١: ١٩٢، ٤٦٢، ٤٧٤، ٤٩٨.  
 ٣: ٣٣٢، ٥٤١: ٤: ١٨٨، ١٩٥.  
 ٥: ٢٤٣، ٦: ٢٨٠  
 ابن سعود ١: ٢٤٦  
 ابن سعيد ٥: ٤٩٤  
 ابن سنان ٢: ٥٨١  
 ابن سيرين ٦: ٢٥٩  
 ابن شاش ٣: ٢٩٤  
 ابن شعبان ٢: ٥٤١  
 ابن شمس الدين ٣: ١٤٤، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٤  
 ابن شميل ٣: ٤٣٨  
 ابن شهاب ١: ٣٢٨، ٣٩٦، ٣٩٧: ٢: ٤٧  
 ابن صفوان ٣: ٥٦  
 ابن طرخان ٢: ٢٩٦  
 ابن عائشه ١: ٤٢٣

ابن عابدين ٢: ٥٦٤

ابن عادل ٢: ٤١٧

ابن عباد الله ٤: ٢٤٦. ٥: ٤٤، ٣٦٥

ابن عباس ١: ١٥٨، ٣٨٧، ٣٩٥. ٣: ٦٩.

٥: ١٢٠

ابن عبد البر ١: ٣٢٧، ٣٧٠، ٤٠٩، ٤٢٧، ٤٣٧، ٥٠٧. ٤: ١٨٩، ١٩٦، ١٩٧، ٤١٣، ٤١٤. ٥: ٢٤٣، ٢٥٧. ٦: ٢٥، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٩،

٢٧٠

ابن عبد ربه الأندلسي ٥: ٩١

ابن عبد ربه ١: ٥٢. ٣: ١١٩، ٤٧٧. ٥: ٣٢٣

ابن عبد مناف ١: ١٠٣

ابن عبد الله ١: ١٠٢

ابن عبد المطلب ١: ١٠٣

ابن عبدوس ٤: ٣٨٣

ابن عدنان ١: ١٠٤

ابن عرفة ٦: ٣٥٣

ابن عساكر ٤: ٤٧٢. ٥: ١٠٠، ٢٥٨

ابن عقبه ١: ٤٧٠

ابن علان الصديقي الشافعي ٢: ٥٦٧.

٣: ١٣٠، ١٣٣، ١٤٠، ١٤٢، ١٧٤، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٨

ابن عمر ٣: ٥٧٠

ابن عيينة ٣: ٢٥. ٤: ٣١٣

ابن غازي ٣: ٤٣٩

ابن غالب ١: ١٠٣

ابن فارس ٤: ٤٤

ابن فتحون قبيصة المخزومي ٤: ٤٠٦

ابن فضل الله العمري ٤: ١٥٩. ٥: ١٣٩

ابن فهد ٢: ٨٤، ٩٧، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٦٨، ٢٧٣، ٣٨١، ٣٩١، ٥٢٤، ٥٣٦.

٣: ٦، ٩١، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٩٥. ٤: ١٧٥، ١٩٧، ٢٤٥، ٢٤٩، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٧٢، ٤٨١، ٤٩١، ٥٠١،

٥١٣، ٥٣٠، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٧٥.

٥: ١٣، ٧٤، ١١٨، ١٣١، ١٤٧، ٢٢٠، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٤٢، ٣٥٢، ٣٦٠، ٣٩٩

ابن فهر ١: ١٠٣

ابن قتيبة ٢: ٤٦٧. ٣: ٤٥٢. ٤: ٤٣١.

٥: ١٦٩

- ابن قحطان بن عابر ٥: ٤٩٤  
 ابن قصي ١: ١٠٣  
 ابن قلاوون ٢: ٣١٦  
 ابن كثير ١: ١٦٨، ١٩١، ٣٦٩، ٢: ٨٤، ٨٩، ٩٠، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٦١، ٤٩٤، ٤٩٥.  
 ٣: ٣٥، ٣٨، ٩٩، ١٠٠، ١١٩، ١٢٠، ٣٠١، ٣١٤، ٥٣٧، ٤: ٨٤، ٩٠، ١٨٨،  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٠٨.  
 ١٩٠، ٣٤٠، ٤٩٤، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٠٠، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٦، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١.  
 ٥: ٤١٤، ٦: ٢٠٧  
 ابن كعب ١: ١٠٣  
 ابن كلاب ١: ١٠٣  
 ابن كنانة ١: ١٠٤  
 ابن لؤي ١: ١٠٣  
 ابن مالك ١: ١٠٤  
 ابن مبارك الطبري ٤: ٥٥  
 ابن محارب ٤: ٤٨٠، ٥: ٤٩٩  
 ابن مدركة ١: ١٠٤  
 ابن مرة ١: ١٠٣  
 ابن مردويه ٣: ٣١٤، ٤: ٣٢٩  
 ابن مسعود ١: ٣٨٧  
 ابن مضر ١: ١٠٤  
 ابن معد ١: ١٠٤  
 ابن منده ٤: ٣٠، ٦: ٢٥٨  
 ابن منعة ٣: ٥٥٨  
 ابن ميسر ٣: ٤٦٨  
 ابن ميمون ٣: ٢٨٢  
 ابن نزار ١: ١٠٤، ٣٦٢  
 ابن نقطة ٥: ٢١٨  
 ابن نويرة ٢: ٩١  
 ابن هاشم ١: ١٠٣  
 ابن هبيرة ٥: ٢٨٠  
 ابن هشام ١: ١٨٢، ٤٠٠، ٤٠٤، ٤٦٨، ٤٧١، ٥٦٧، ٢: ٢٥، ٤٤٢، ٣: ٢٥، ٥٧.  
 ٤: ١٢٠، ٣١٨، ٦: ٢٨٣  
 ابن هلال الدولة ٣: ٣٥٤

- ابن وهب بن منبه ١: ٢٩٨. ٦: ٢٠٥
- ابن يونس الفقهى ٤: ١٢٧
- ابن يونس ٥: ١٧٠
- اتنيوخوس ١: ٨٥
- الارتسامات اللطاف فى خاطر الحاج إلى أقدس مطاف ١: ٥٢
- استامبول ٢: ١٧٢. ٥: ٦٢ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٣-٦ ؛ ص ٤٠٨
- تحالة المعية بالذات ٥: ٥٣٥، ٥٣٧
- الاستحسان فى وضع علامات الترقيم فى القرآن ١: ٣٠
- استراسبورغ ٦: ٦٥، ٦٦
- استندش ٥: ٢٧٣
- الاستيعاب ١: ٣٢٧، ٣٣٩، ٤٠١، ٤٠٩، ٤١٦، ٤٢٧، ٤٤٦. ٣: ٣٣٨، ٤٧٩.
- ٤: ١٩٦، ٢٩٢، ٤١٤. ٥: ١١. ٦: ٢٥، ٢٥٥، ٢٦١
- استرابون ١: ٨٠
- اسفيجاب ٢: ٣٤٢
- اسكتلنדה ٥: ٢٥٠
- اسكندر باشا الجركسى ٥: ٤٥
- الاسكندر ٥: ١٧٣
- اصطبل عنتر ٢: ٣٣٢، ٣٤٠
- اصطلاحات فى لغة الكتابة و الأدب ٦: ١٩
- اعتقاد أهل الإيمان بالقرآن بنزول المسيح ابن مريم آخر الزمان ٥: ٥٤٤
- اعتقاد السلف ٥: ٥٣٨، ٥٣٩
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ١: ٩٠
- الاكتفاء ١: ٤٠٨، ٤٥٦، ٤٦٤، ٤٦٦، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٦، ٤٧٧. ٢: ٢١٦، ٤٧٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨. ٤: ١٢١
- امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر ٣: ٤٧٧
- انتصار الاعتصام بمعتمد كل مذهب من مذاهب الأئمة الأعلام ٥: ٥٤٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٠٩
- بئر آدم عليه السلام ٥: ٤٠١
- بئر أبى مغامس ٥: ٤٠٠
- بئر أم الفاغية ٥: ٤٠٠
- بئر أم عباس ٢: ٣٣١
- البئر الأخسف ٣: ٤٦٨
- بئر الانكليز ٢: ٣٢٩
- بئر البارود ٢: ٣١٣

- بئر الحمام ٢: ٢٧٨. ٥: ٤٠٢
- بئر الشرشورة ٥: ٤٠٣
- بئر الشيخ ٢: ٣١٠
- بئر الشيدية ٢: ٣٤٠
- بئر الطبجية ٥: ٤٠٣
- بئر الطواشى ٥: ٤٠١
- بئر العتبه ٥: ٤٠٢
- بئر العتيبيه ٦: ٩٨
- بئر العجول ١: ٣٥٩. ٢: ٢٠. ٣: ٢٤.
- بئر العواجى ٥: ٤٠٣
- بئر الغساله ٥: ٤٠٣
- بئر القاضى ٥: ٤٠٨
- بئر الماشى ٢: ٣١٢
- بئر المظعون ٥: ٤٠٢
- بئر النبى ٥: ٤٠١
- بئر الهندى ٢: ٣٣٢. ٥: ٤٠٢
- بئر بالبرحه ٥: ٤٠٣
- بئر بليله ٢: ١٢. ٥: ٤٠٣
- بئر جبير بن مطعم ٢: ٢٠. ٥: ٧٧، ٧٨، ٢٨٧، ٤٠١
- بئر خلف بن وهب الجمحى ٥: ٤٠١
- بئر درويش ٢: ٣١١
- بئر ذى طوى ٥: ٢٨٥
- بئر زبيده ٥: ٤٠٦، ٤١٢
- بئر زمزم ٢: ٥٠٩. ٥: ٢٨٣، ٢٨٥
- بئر طوى ٥: ٤٠٢
- بئر عباس ٢: ٣١١
- بئر عبد شمس ٥: ٤٠٠
- بئر عنبر ٢: ٣٢٨
- بئر غدق ١: ٤١٤
- بئر غرس ١: ٤١٤
- بئر غيلمه ٥: ٤٠٣، ٤٠٣
- بئر قريص ٢: ٣٣١
- بئر ميمون بن الحضرمى ٥: ٤٠١

بئر هرماس ٢: ٣٣٩

باب أجياد ٢: ١٢. ٤: ٤٢٢

باب أم هانئ ٤: ٤٢٣، ٤٥٥، ٥٧٣

باب إبراهيم ٤: ٤٢٣، ٤٤٢، ٤٥١، ٥٦٣.

٤: ٤٠١.

باب الباسطية ٤: ٣٤٢، ٤٢٣.

باب البحر ٦: ٣٢١

باب البغلة ٤: ٤٢٢

باب البقالين ١: ٣٥٩

باب التكية ٤: ٤٢٢

باب التوبة ٦: ٣٨٢

باب الجنائز ٤: ٥٦٢

باب الحزورة ٤: ٤٥١. ٥: ٣٧، ١٨٦، ٤٠٠

باب الحميدية ٢: ٢٠

باب الحنطين ١: ٣٥٩

باب الخياطين ٤: ٤٤٢، ٤٥١، ٥٥٨

باب الداودية ٤: ٤٢٣. ٥: ٤٠٢.

باب الدريبة ١: ٦٠. ٢: ١٢. ٥: ٤٠٢.

باب الدومة ٦: ٣٠٨

الباب الذهبي ٦: ٣٨٢

باب الرحمة ٤: ٤٢٢، ٥٦٣. ٦: ٣٨٢.

باب الزمامية ٤: ٤٢٣

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤١٠

باب الزيادة ٢: ١٢. ٤: ٤٢٣، ٤٤٧، ٥٦٣.

٥: ٤٠٢، ٤٢١.

باب السلام الصغير ٥: ٤٠٢

باب السلام الكبير ٥: ٤٠٢

باب السلام ٤: ٤٢٢

باب السيد كوشك ٥: ٤٠٢

باب الشريف ٦: ٣٢٠

باب الشهداء ٦: ٣٢٠

باب الصفا ٤: ٤٢٢. ٦: ١٣٧

باب العباس ٤: ٤٢٢، ٥٦٢



- باب العتيق ٤: ٣٤٢، ٤٢٣.
- باب العجلة ٤: ٥٦٢، ٥٦٤.
- باب العمرة ٤: ٤٢٣، ٤٤٢.
- باب الفرضة ٦: ٣٠٨.
- باب الفهود ٤: ٤٤٧.
- باب القطبي ٤: ٤٢٣، ٤٤٧. ٥: ٤٠٢.
- باب الماجن ٥: ٤٠٢.
- باب المدينة ٦: ٣٢٠.
- باب المربعة ٦: ٣٠٨.
- باب المغاربة ٦: ٣٢١.
- باب النبي ٢: ١٠. ٤: ٤٢٢.
- باب الوداع ٢: ١٣، ٢٠. ٤: ٤٢٣، ٥٧٣.
- باب بازان ٤: ٤٢٢.
- باب بني جمح ٤: ٤٥١.
- باب بني حكيم ١: ٣٥٩.
- باب بني شيبه ٢: ١١.
- باب بني شيبه ٤: ٣٨٩. ٥: ٦٣.
- باب بني هاشم ٤: ٤٤٣.
- باب جديد ٦: ٣١٨.
- باب دار عباد بن جعفر ٥: ١١٥.
- باب سوزان ٦: ٣٨٢.
- باب سويقه ٤: ٤٢٣.
- باب شريف ٦: ٣١٨.
- باب صغير ٤: ٤٢٣.
- باب عزوره ٤: ٤٤٣.
- باب على ٤: ٤٢٢، ٤٤٣، ٥٦٢، ٥٧٣.
- باب قايتباي ٤: ٤٢٢.
- باب مكة ٦: ٣٠٨، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٣٩.
- بابك بن عبد الكريم الحرمي ٣: ٢٧٠.
- بابل ٢: ٤٤٢.
- بابلسي أحمد باشا ٥: ٥٠٩.
- الباجوري ٢: ٣٢١.
- الباجي ١: ٤٣٨.

- باديا إلى ليش ٦: ٧٤  
باريتما ٦: ٧٤  
باريس ١: ٥٥. ٢: ٢٨٠، ٢٩٢، ٢٩٩.  
٣: ١١٢، ٤٦٨. ٦: ٧٥.  
بازان أجياد ٥: ٤٠٣  
بازان القاضي ٥: ٤٠٨. ٥: ٣٩٦.  
بازان حبس الجن ٥: ٣٩٦  
بازان ٥: ٣٥٧  
باسوس ٤: ٢١  
باسيل ٦: ٦٥  
باش آغا ٤: ٣٤  
باش خير الدين بك المعمار ٢: ٢٦٢، ٢٦٣  
الباش خير بك المعمار ٥: ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥  
الباشا عبد الله المصري ٤: ٣٤١  
الباغوني ٢: ٥٤٤  
بافاريا ٥: ٢٥٢  
باقوم الرومي ٣: ٢٥، ٢٧، ٤٤، ٢١٤  
باكستان الشرقية ٢: ٣٢١  
الباكستان ٢: ١٩٩. ٦: ٤٠.  
باكير باشا أحمد الشيبى ٤: ١٧٩  
باكير باشا ٥: ٣٨٠  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤١١  
باناجه باشا ٥: ٢٠٨  
باناما ٥: ٢٥٣  
بانياس ٥: ٢٢٢  
بايزيد خان ٦: ٥١  
بتالى ٤: ٢٢  
البتري الجديد ٢: ٣٤٠  
البتونى ١: ٦٣، ٢٤٣، ٢٤٧. ٢: ٨٥، ٨٦، ٢٢٣، ٢٦٩، ٣١٠، ٣١٣، ٣١٦، ٣٣٣، ٤٢٣، ٤٣٩. ٣: ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٨٩، ٤٤٤، ٤٩٩. ٤: ٨، ٩. ٥:  
١٧١، ١٧٦، ١٩٢، ١٩٦، ٢٠٦، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٣٠، ٤٨٩، ٤٩٤، ٤٩٥، ٥٠٤. ٦:  
٧٩، ٨٨، ١٥٤، ١٥٥، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ٢٤١، ٣١٩، ٣٣٩  
البيجة ٢: ١٣٦  
بجام ٤: ١٩، ٢٢

- بجيرا ٣: ٥٤٨
- البجيرى ٣: ٢٤٨، ٤: ٢١٨
- البجيرى ٢: ٥٧٠
- البحث و التحقيق فى معرفة معنى الصديق ١: ٣٠
- بحج بن حاج ٢: ٦٩
- بحر العلوم ٤: ٢٩٦
- البحر العميق ١: ٤٦٩، ٢: ٨٤، ٥٣٥، ٥٦٧.
- ٣: ٩٤، ٤: ٢٩٢، ٥: ٢٨٥، ٤٠٠.
- بحر القلزم ٥: ٣٦٦، ٦: ٣٠٥.
- البحر المحيط ٢: ١٣٦
- بحرة الرغاء ٥: ١٥٨، ١٦٠.
- بحرة الرغاء ٥: ١٦٠
- بحرة ٦: ٣١٠
- البحرين ٢: ١٣٥، ١٨٠، ٣: ٢٧٢، ٢٨٣، ٣٥٦، ٤: ٤٧٣، ٥: ٧، ٦: ٤٠، ١٦٢، ٣٠١.
- بجيرا ١: ١٤٨، ٢٨٤
- بحيرة ساوة ١: ١١٨، ٢٥٥
- بخارى ٢: ٣٢١، ٣٤٣، ٦: ١٦٣.
- بختنصر ٣: ٥٤٥، ٦: ٦١، ٣٧٤
- بدائع الشعر و لطائف الفن ١: ٢٩
- البدائع فى تفصيل مملكة الإسلام ٢: ٤٥٥
- البداية و النهاية ٢: ٨٢، ٤٦١، ٤٩٤
- البدائع ٢: ٣٤٠
- بدخشان ٢: ٣٤٣
- بدر الدين أحمد بن محمد المصرى ٢: ٥١٠
- بدر الدين الزركشى ١: ٢٩٣
- بدر الدين حسن بن عجلان الحسنى ٢: ٦٠
- بدر الدين ٤: ٣٨٨
- بدوى عساس ٢: ١٤٨
- بديع الزمان ابن الضياء الحنفى ٥: ٩٣
- بديل بن ورقاء ١: ٤٦٢، ٤٦٤
- البراء بن معرور ٥: ٣١٣، ٣١٤
- البرازيل ٥: ٢٥٢
- البراعم أو بقايا الأماس ٦: ٢١

بربر ٦: ٢٦٧

بزة بنت عبد المطلب ١: ١١٤

البرتغال ٢: ٢٩٢. ٦: ١٦٣.

برتو لوتش ٦: ٧٣

برج إيفل ٣: ١١٢

برج ليلي ٦: ٣٢١

برج مجنون ليلي ٦: ٣٢١

بردبك ٤: ٥٤٣

البرزالي ٥: ٣٥٨

البرزالي ٦: ٨٩

البرزنجي ٢: ٣٤٩

برسبائي ٢: ٢٢٤

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤١٢

برسبای ٣: ٥٦٠، ٥٨٤. ٤: ١٤٧، ١٥٣، ١٥٣، ٥٥٣، ٥٦٢. ٥: ١٨٦، ٢٦٣

البرق اليماني في الفتح العثماني ٦: ٢٩٠

برقة ٢: ١٣٤. ٦: ٥٤.

برقوق ٣: ٥، ٦، ١٦. ٤: ٢٥. ٥: ١٢٢.

بركات السيد بن محمد الظريف التونسي ٥: ١٠٤

بركات المغربي ٥: ١٠٣

بركات بن حسن عجلان ٤: ٥٢٨

بركات ٢: ٢٢٦. ٥: ١٩٥. ٦: ٣١٧

بركة أم جعفر ٥: ٣٥٢

بركة البردي ١: ٥٢٢. ٥: ٣٩٤.

بركة الحاج ٢: ٣٣٠

بركة السلم ٥: ٣٩٩

بركة الشامي ٥: ٤٠٣

بركة الصارم ٢: ٦٠

بركة القسري ١: ٥٢٢. ٢: ٢٦٢. ٥: ٣٩٤.

بركة الماجن ٢: ٢٦٧، ٢٥٦. ٥: ٢٨٦، ٣٦٠، ٣٧٥، ٣٩٩، ٤٠٢.

بركة المسلح ٢: ٣١٣

بركة خالد القسري ٢: ٢٧٣

بركة سمرة ٢: ٣١٣

البركة ٢: ٣١٧

بركة ٣: ٥، ١٦

بركرت ٦: ٧٤

بركهارت ٦: ٧٥

برمنكهام ٥: ٢١

برهان الدين ابن ظهيره القرشى الشافعى الحنفى ١: ٥٠، ٦٣، ٥٠٦، ٥١٢، ٥١٢، ٩١، ١١٢، ١٣٤، ١٣٤، ١٣٦، ٣٧٩، ٣٩٥، ٤٠١، ٥٨٢، ٥٨٢، ٢٤٤، ٣٥٦، ٤٩٠، ٤٩١، ٥٠٦، ٥١٢، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٣٥، ٥٣٧، ٥٤٣، ٥٤٥، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥٦، ٥٥٦، ٥٦١، ٥٦١، ١٤، ١٤، ١٤٧، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٨٩، ٤١، ٤١، ٩٤، ٣٠٧، ٣٠٩، ٥٠٤، ٥٦٤، ٥٦٤، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧١

برهان الدين الشافعى ٢: ٢٢٦، ٢٢٧

برهان الدين المحلى ٢: ٢٢٣

برود ٥: ٤٠٥

بريده بن الخصيب الأسلمى ١: ٤١٢

بريره بنت الحارث ١: ١٦٩، ١٧٠

البريقه المحموديه فى شرح الطريقه المحمديه ٦:

١١٤

بزم عالم ٢: ٨٠

بس ١: ٣٠٨

بستان الشريف عون الرفيق ٢: ٢٦٨، ٥١٧، ٥١٧

بستان الشريف مسعود بن إدريس ٢: ٢٦٧

بستان الشهداء ٢: ٢٦٨

بستان الشيخ عبد الله الكعكى ٢: ٢٦٩

بستان العواجى ٢: ٢٦٧

بستان القاضى حسين المالكى ٥: ٤٠٥

بستان الوزير عثمان نورى باشا ٢: ٢٦٨

بستان بركه ماجن ٢: ٢٦٧

بستان بنونه ٥: ٤١٠، ٤١٢

بستان خوجه قينى محمد ٢: ٢٦٦

بستان شيخ الساده ٢: ٢٦٧

بستان عثمان حميدان ٢: ٢٦٧

بستان عرفه ٤: ٣٢٢

بستان معالى الشيخ محمد سرور الصبان ٢: ٢٦٩

بستان معالى الشيخ عبد الله السليمان ٢: ٢٦٩

البسمات الملونه ٦: ١٦

بسيونى جمعه ٢: ٤٩

- بشر بن أبي حازم الأسدي ١: ٥٥١
- بشر بن الحارث ٥: ٤٩٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤١٣
- بشر بن سعيد ٦: ٢٥٩
- بشر بن عبد الملك ٦: ٣٠
- بشر بن مروان ٣: ٥٦
- بشير آغا ٤: ٣٦
- بشير صقر ٥: ٥٢٨
- البصرة ٢: ١٣٥، ٢٣٠، ٣٤٢، ٤٤٢، ٤: ٤١.
- ٥: ١٦٩، ٤٢٤، ٦: ٥٣.
- بصرى ١: ١٤٨
- بطاليا ٤: ١٩، ٢٢
- بطرا ١: ٨٠، ٨١
- بطليموس فيلادلفوس ١: ٨٠، ٢: ٧، ٣٢٨
- بطن الفول ٢: ٣٤٠
- بطن مر ٢: ٣٢٠
- البعث ٦: ١٧، ١٨
- بغا ٥: ١٨٨
- بغداد ٢: ١٣٥، ٣٤١، ٣: ٢٧٣، ٤٨٠، ٤: ٤١، ٥: ٥٢١، ٣٢، ١٦٥.
- بغدادى زاده عبد الرحيم ٥: ٤٣١
- البغدادية ٦: ٣٢٤
- البغوى ١: ٣٥٨، ٤٠٩، ٦: ٢٥٦، ٢٥٩
- بغية الرائد فيما فى حديث أم زرع من الفوائد ١: ٢٣٨
- بغية الراغبين و قره عين أهل البلد الأمين ٥: ٣٥٥، ٣٧٢، ٣٨١، ٣٩٣، ٤٠٢
- بغية المسترشدين فى حياة الأئمة الأربعة المجتهدين ٥: ٥٣٩، ٥٤٠
- بغض بن عامر ٣: ٤٧٩
- بقيلة ٥: ٤٩٤
- بكه ١: ٦٣
- بكر الحبشى ٦: ٤٢
- بكر بابصيل ٥: ٥٢٣
- بكر باشا ٥: ٥٠٨
- بكر تونسى ٢: ١٥٧، ١٦٦
- بكر حبشى ٥: ٥٢٣

بكر صباغ ٥: ٥٤٥

البكرى ٢: ٣٩٤، ٤: ١٥٤، ٥: ١٢٢، ١٣٥.

٣٠٧: ٦

بكوثى ٢: ٤٤٢

بلاد البلين ٢: ١٣٦

بلاد التكرور ٢: ١٣٦

بلاد المغرب ٢: ١٧٢

بلاد شقيط ٥: ٥٢٤

بلاد صاعون ٢: ٣٤٢

بلال آغا ٤: ٣٥

بلال بن رباح ١: ١٩٠، ٢٠٣، ٤: ١٢٧

بلال ٤: ١٢٧، ١٢٨، ١٣٨، ٦: ٢٥٩

بلييس ٢: ١٣٤

بليتيمور ٢: ٢٠١

بلخ ٢: ٣٤٢، ٣: ٤٧٢.

بلخير على ٢: ٣٦٢

البلد الأمين ١: ٦٣

البلغار ٢: ٣٤٣

البلقاء ١: ٥٦٩، ٢: ٣٤٢.

بلنسية ٦: ٢٩٨

بلوجستان ٢: ٣٢١

بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ١: ٩٢.

١٢٢: ٦

بلوغ القرى فى ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى ١: ٥١، ٢: ٥٢٥، ٢: ٢٦٢، ٤:

٥٣٢، ٥٦٤، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥: ٢٣٧، ٣٦٢، ٣٦٥.

بلونت ١: ٨٢

بلى ١: ٨٢

بليس ٥: ٢٢٢

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤١٤

بمبى ٦: ٤٠، ٤١، ٤٦، ٤٧

بنه ٥: ٣٢

بندر آشى ٣: ٤٥٠، ٤٧٥

بندر جدّه ٦: ٣٠٩

- البندقية ٢: ١٨٣  
 بنسلفانيا ٢: ١٦٣  
 بنما ٦: ١٦٤  
 بنى جمع ٢: ٢٤٢  
 بهاء الدين زهير بن محمد ١: ٢٥  
 بهاء السيكي ٥: ١٧٩  
 البهجة المرضية على شرح الألفية ٥: ٥٣٥، ٥٣٦  
 بهرام آغا ٤: ٣٥، ٣٩  
 بهو بال ٤: ٢٩٠  
 بوليلي أحمد باشا ٥: ٥٠٩  
 بواط ٢: ٣٤١  
 بور سعيد الباسلة ٦: ١٦  
 بور سعيد ٢: ٢٣٠  
 بورتون الإنكليزي ٦: ٧١، ٧٦  
 بورك هادو ٦: ٧٧  
 بورك هارت ١: ٨٢  
 بوركات السويسري ٦: ٧١، ٧٦  
 بورما ٦: ١٦٣  
 بورندي ٦: ١٦٤  
 بوستن ٢: ٢٠٠، ٢٠٢  
 بوستة ٢: ٢٣٠  
 بوطيفار "قطفور" ٤: ٣٢، ٣٣  
 بولاق ١: ٧٥  
 بولاق ٥: ٤٩٢  
 بومباي ٥: ٥٢٧، ٣٥: ٦  
 بوميوس ٦: ٣٨٣  
 بونابرت ٢: ١٨٤  
 بوهان ويلد ٦: ٧٤  
 البويب ٢: ٣١٧  
 البياضية ٥: ٤٠١  
 البيان ٦: ١٩  
 بيبرس البندقداري ٢: ٣٢٨  
 بيت أبي خطمة ٥: ٤٠٢



- بيت أم هانئ ١: ٣٣٩  
 بيت البغدادي ٦: ٣٢٥  
 بيت ابو ٥: ٤٠٣  
 بيت الجيلاني ٥: ٢٠٨  
 بيت الحكم ٥: ٢٠٨  
 بيت الشريف ناصر ٥: ٢٠٩  
 بيت العباس ٢: ١٠  
 بيت المحلاوي ٥: ٤٠٣  
 البيت المعمور ١: ٣٤٩، ٣٧٩  
 بيت المقدس ٣: ٥٤٠. ٦: ٣٧٤، ٣٨٣.  
 بيت الملوك ٦: ٩٦  
 بيت النار ٥: ٢٠٥  
 بيت بكرى أحمدوه ٥: ٤٠٢  
 بيت خديجة ٢: ١١  
 بيت سعد بن خيثمة ١: ٤١٤  
 بيت قمرى ٥: ٤٠٢  
 بيتر هتلن ٥: ١١٠  
 البيجرمى ٤: ٣٣٦  
 بيدسو ٢: ٣٤٤  
 بير بيدرا ٢: ٣١٨  
 بيرم خواجة ٣: ٢٠٠. ٤: ٥٤٣، ٥٦٤.  
 ٥: ٣٦٠، ٣٧٢  
 بيرنيس ٢: ٣٢٨  
 بيروت ٢: ١٨٣. ٣: ٣٧١.  
 بيسان ٥: ٢٢٢  
 بيسق الظاهرى ٤: ٥٤٣، ٥٦٠. ٥: ٣٩  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤١٥  
 بيسق ٤: ٤٢٣. ٦: ١١١  
 بيسوس ٤: ٢١  
 بيشة ١: ٧٢  
 بيضا ٢: ٥٢٩  
 البيضاء ١: ١١٤  
 بيعه الرضوان ٥: ١٥٦

بيقلی باشا ٥: ٥٠٨

تأملات فی الأدب و الحياة ٦: ٢١

تابت بن إسماعیل الزمزی ٢: ٥٢٧

تاتار عثمان باشا ٥: ٥١٠

تاج الدين المالکی ٣: ١٣٣، ١٤٩، ١٦٣، ١٧٥

تاج الدين النقشبندی ٣: ١٦٣، ٤٢٥

تاج الدين بن أحمد ٢: ٦٥

تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ٥: ٢٧

تاج الدين علي بن محمد الكازروني المؤذن ٤: ٣٦٢

التاج السبکی ٦: ٣٥٧

تاج تواريخ البشر و تتمه جمع السير ٢: ٢٩٧، ٣٠٢، ٥٢٧، ٥٣٢، ٥٣٤، ٥٥٦

٤: ٣٤٥، ٥: ٥١١، ٥١٢، ٦: ٣٢

تاريخ آداب اللغة العربية ٢: ١٨٥

تاريخ الأعوات ٤: ٢٦

تاريخ الأمم الإسلامية ٥: ٣١٢، ٤٣٩

تاريخ البشر ٤: ٣٥٤

تاريخ البلد الحرام ٦: ١٥، ١٦

تاريخ الحجاز ٥: ٢٤٥

تاريخ الحرم القدسي ٦: ٣٧٣

تاريخ الخط العربي و آدابه ١: ٣٠، ٦٢

٢: ١٨١، ٥٧٦، ٣: ١٨٠، ٥: ٢٧٥، ٦: ٢٥

٢٥، ٣٠، ٣١، ٤٩

تاريخ الخلفاء ٥: ٣٥٦

تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ١: ١٠٦، ١١١، ١١٨، ١١٩، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٦، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٥، ٢٠١

٢٠٣، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٨٥، ٢٩١، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١

٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٧، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٣، ٤١٣، ٤١٥، ٤١٩، ٤٢٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٧، ٤٩٤، ٤٩٧، ٤٩٧، ٥٥٠

٢: ٦٧، ٢٢٩، ٢٤١، ٣٨٤، ٣٩٢، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٤، ٤٧٤، ٤٩٦، ٤٩٨، ٥٠٥، ٥٦٧، ٣: ٧٤، ٨٣، ٨٧، ٩٣، ٩٤، ٩٧، ١٠٠، ١٠١

٢٥٣، ٢٧٠، ٢٧٥، ٤٦٩، ٤٧٣، ٤٧٨، ٤٧٩، ٥٠٧، ٥٥٧، ٤: ٣٠، ٣٣، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٣، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٨، ٤٠٨

٤١٠، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٩، ٤٨١، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩٣، ٥٤٦، ٥٥٠، ٥٥١

٥: ٦٨، ٢٣٩، ٣٤٤، ٦: ٩٣، ٩٥، ٢٠١، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٨

تاريخ الخياط ٦: ٥٠

تاريخ الطباعة في الشرق العربي ٢: ١٨٥

تاريخ العرب و آدابهم ١: ٧٥، ٨٢، ٨٤، ٨٥

٥: ٤٩٢.

تاريخ القدس ٦: ٣٧٣

تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه ١: ٢٩، ٣٦، ٤٧، ٤٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٩، ٢١٩، ٢: ١٨٢، ٣: ١٠٤، ٣٤٧، ٦: ٦٩

التاريخ القطبي ١: ٥٠

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤١٦

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ١: ٣، ٣٠، ٤٣، ٥٠، ٦٢، ١٤٠

تاريخ الكرد و كردستان ٥: ٣٣٠

تاريخ الكعبة المعظمة ١: ٥٠، ٥٧، ٢: ٤٦١.

٣: ٢٠، ٢٦، ٧٤، ٨١، ١١٧، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٩، ٢١٢، ٢٤٤، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٩٧، ٤٦٩، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٦، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٥١٠، ٥٢٩

٥٥٨، ٥٦٦، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٨٣، ٤: ٨، ٩، ١٠، ١٥، ١٦، ٤٤، ٤٥، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٣، ١٧١، ١٨٠،

١٨٩، ١٩٨، ٣٤٠، ٥: ٥٤٠.

تاريخ المسجد الحرام ٢: ١٠٥، ٣: ٣٨١، ٥٤٠.

٥: ٣٢، ٣٥، ٤٣، ٤٩، ١٧٩، ٥٤٠.

التاريخ المكي ٥: ٤٠٤

تاريخ اليهود في بلاد العرب ٦: ٣٦٧

تاريخ جدة ١: ٥٢، ٦: ٣٠٥، ٣١٠.

تاريخ عمارة المسجد الحرام ١: ٥٠، ٢: ١٠٢، ١٠٤، ٥٣٣، ٥٣٧، ٥٣٩، ٣: ٣٠٧، ٣١٥، ٥٣٩، ٤: ٤٢٨، ٥٤٨، ٥٧٤.

٥: ١٤، ٣١، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٥٥، ٤٦، ٤٨، ٧٠، ٩١، ٩٤، ١٢١، ١٢٤، ١٤٠.

تاريخ عوائل مكة ٥: ٥٤٥

تاريخ مدينة جدة ٦: ١٩، ٢٠

تاريخ مصر الكبير المقفى ٦: ٢٩٨

تاريخ مصر ٣: ٤٦٨، ٥: ٢٥٩.

تاريخ مكة ١: ٤٦، ٥٠، ٥٤، ٥٥، ٥٩، ٤٧٦، ٥١١، ٥٢٢، ٢: ٦، ٢٢، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣١٨، ٥١٨، ٥٨٤، ٣: ٢٥٦، ٢٦٤، ٢٦٥، ٤٢٧، ٥٦٢، ٥٧٢،

٥٨٤.

٤: ٣٦، ٣٧، ٤٥، ١٤٠، ٢٠٧، ٢١٤، ٢٤٠، ٣٨٤، ٣٩١، ٤٥٠، ٤٦٢، ٥٥٧.

٥: ٢٣٨، ٢٥٥، ٢٦٣، ٤٢١، ٥٢٤، ٦: ٥٢٤.

١٤، ١٠٨، ١٤٩، ٣١١.

تامبزيه ١: ٨٢

تانه ٢: ٣٤٣

تاجانيقا ٦: ١٦٣

التاودي ابن سودة ٤: ١٢٩

تايلند ٦: ١٦٣

تبردار سليمان باشا ٥: ٥٠٧

- تبرك الصحابة بآثار رسول الله ٢٩: ١: e
- تبسم الزهور في ثغر جدة المعمور ٦: ٣١٧
- تبع الأصغر ٦: ٥٥
- تبع الأكبر ٦: ٥٥
- تبع الأول حمير بن وردع ٣: ٥٤٢، ٥٤٥، ٥٧٠. ٤: ٥٧، ١٨٣
- تبع ذى الأذعار ٦: ٥٥
- تبع ذى المنار ٦: ٥٥
- تبع ٣: ٥٤٣
- تبوك ١: ٦٧، ٤٢٤. ٢: ١٨٠، ٣٣٩.
- التتار ٢: ١٣٥
- التجريد ٥: ١٢
- تحذير العبرى من محاضرات الخضرى ٥: ٥٤٤
- تحذير المسلمين من لبس البرنيطة وزي الكافرين ٥: ٥٤٢، ٥٤٣
- تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام و المشاعر العظام ١: ٥١. ٢: ٢٢١، ٢٦٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٣، ٣٩٠، ٥٠٨، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٥٤، ٥٨١. ٣: ٧، ٢٦، ٨٣، ١٣٣، ١٧٤، ٢٩٥. ٤: ٩، ٢٤، ٢٥، ١٦٩، ١٧١، ٢٤٩، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥٣، ٤٠٥، ٤٥١، ٥٦٢، ٥٦٣.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤١٧
- ٥٦٦، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٥. ٥: ١٣، ٣٣، ٧٧، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٧، ٣١٠، ٣١١، ٣٥٢، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٢. ٦: ١٦٥، ٢٨٩.
- تحفة الإخوان فى علم البيان ٥: ٥٤٣
- التحفة البهية و الطرفة الشهية ١: ٢٩٣
- تحفة الحرمين فى بدائع الخطوط العربية ٦: ٣١
- تحفة الخطاطين ١: ٢٥. ٣: ١٨٠.
- تحفة الخلان فى علم البيان ٥: ٥٤٢
- التحفة السنية فى الأحوال الأربعة ٥: ٥٣٩، ٥٤٠
- تحفة العباد فى حقوق الزوجين و الوالدين و الأولاد ١: ٢٩، ٣٧، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٦
- تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام ٦: ٢٨٩، ٢٩٠.
- تحفة اللطائف فى فضائل الجد ابن عباس و الطائف ١: ٥٢
- التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة ٤: ٢٩
- التحفة المحازة منظومة فى أحكام الإجازة، مع شرحه لها ٥: ٥٣٥، ٥٣٦
- تحفة المحبين للمحبوب فى تنزيه مسجد الرسول من كل خصى و محبوب ٤: ٢٩
- تحفة المحبين و الأحباب فيما للمذنبين من الأنساب ٤: ٢٩
- تحفة النظر فى غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ٦: ٣٠١
- تحقيق أمكنة مجهولة من الحجاز و تهامة ٦: ١٩

التحقيق المدعم عن مسجد الراية و بئر جبير بن مطعم بمكة ٦: ١٩، ٢٠

تدريب الطلاب فى قواعد الإعراب على طريقة السؤال و الجواب ٥: ٥٤٢

تذكار الحجاز ٤: ١٤٩

الترتيب الإدارية ١: ٢٣٣، ٢٣٧. ٢: ٢١٤، ٢١٥، ٢٩٥. ٣: ٥٧، ٥٨، ٢٠١، ٥٣٥ .. ٤: ٢٨، ٢٩، ٤٤، ١٢٧، ١٣٠، ١٩٧، ٤٠٦. ٥: ١٠، ١١، ١٢،

١٠٠، ١٦٩، ١٧٣، ٢١٠، ٢٢٨، ٢٣٩، ٢٥٥، ٢٦٢، ٣٩٥. ٦: ٢٥، ٢٦، ٢٨، ١١٢، ١١٤، ١١٦، ١١٧.

تراجم العلماء من المكيين و غيرهم من الذين ماتوا بمكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر ١: ٥٨

تراجم من له قوة الحافظة ١: ٣٠

تربة ١: ٧٢

التربية و الآداب الشرعية ٦: ٥٠

الترغيب و الترهيب ٦: ٥٠

ترك حسين بك ٥: ٥٠٦

الترك ٢: ٣٢١

تركستان ٦: ٣٠١

تركيا ٢: ٢٩٢. ٣: ١٠٩.

ترمز ٢: ٣٤٣

تسكانيا ٢: ٢٩٢

تشاد ٦: ١٦٣

تطهير الجنان و اللسان ٥: ١٦٢

التعريف ٥: ٢٢٣

تعز ٢: ٣٤٢

تعليق على رياض الصالحين ٥: ٥٣٧، ٥٣٨

التعليم فى مصر ٣: ١١٣

تغرى برمش التركمانى ٢: ٣٩١، ٣٩٥

تفسير الخطيب المكي ٥: ٥٣٩

تفسير الطبرى ١: ٢٥٩

التفسير المكي ١: ٢٩، ٤٧، ٦٢. ٣: ٢٣٦

التفسير الميسر ٥: ٥٣٨

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤١٨

تفسير روح المعانى ١: ٢٦٠

تقريب التهذيب ٦: ٢٥١، ٢٦٨

التقريرات الستية شرح البيقونية ٥: ٥٣٩، ٥٤٠

تقريرات على حاشية الجفرى ٥: ٥٤٣، ٥٤٤

نقريرات على شرح الخضرى على الألفية ٥: ٥٤٢، ٥٤٣ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٣-٦ ؛ ص ٤١٨

- ريرات على شرح المحلى لجمع الجوامع فى الأصول ٥: ٥٤٢، ٥٤٣
- تقريرات على همع الهوامع شرح جمع الجوامع ٥: ٥٤٢، ٥٤٣
- تقى الدين أحمد المقريزى ٦: ٢٩٨
- تقى الدين الفاسى ١: ٥٠
- تقى الدين بن أبى الصيف اليمنى ٤: ٣٨٦
- التقى الفاسى ٢: ٥٨، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ٣٧٩، ٥٣٦، ٥٥٥. ٣: ٢٦٦، ٢٩٥، ٣٠٧، ٣٤٢، ٣٤٣، ٤٩١، ٤٩٥، ٥٨٣.
- ٤: ٩، ١٥، ٢٥، ١٦٢، ٣٩١، ٤٥٢.
- ٥: ٣٢، ٤١، ١٢٥، ٣٣٠، ٣٥٨. ٦:
- ١٥٣، ١٥٤
- التقى المقريزى ٥: ١٠٠، ٢٦٠
- التكرور ٢: ٣٢١. ٦: ١٦٤.
- تكية السيدة فاطمة ١: ٢٨٩
- التكية المصرية ٥: ٢١٢
- تل الشحم ٢: ٣٤٠
- تلخيص إياذة هوميروس ٦: ٢١، ٢٢
- تلخيص التاريخ العثمانى ٣: ١٨٠. ٦: ١٣٩.
- تلمسان ٢: ٣٤٣
- تمام ١: ٣٢٨
- تمد الحصا ٢: ٣١٨
- التمهيد ١: ٥٠٧. ٥: ٢٥٧.
- تميم الدارى ٤: ٤٠٧
- تميم بن أسد الخزاعى ١: ٤٧١، ٥٦٧. ٤: ١٢١
- تنبيه الباحث السرى إلى ما فى رسائل و تعاليق الكوثرى ٥: ٥٤٤
- تنبيه ذوى النهى و الحجر على فضائل و أعمال الحجر ٣: ١٧٠
- تنث ٦: ٧٣
- تنزيل الرحمات على من مات ٦: ١٦٨
- التنعيم ٢: ٣٣٣. ٥: ١٥٣.
- التنقيح فى حكم التلقيح ٥: ٥٤٢، ٥٤٣
- تنلة ١: ٣٢٨
- تم ٣: ٦. ٤: ٥٦٣
- تنوير الحوالك فى شرح موطأ الإمام مالك ١: ١٩١، ٣٧١، ٤٣٧.
- تنيس ٣: ٥٥٥
- تنيلة بنت جناب بن كلب ١: ٣٢٤، ٣٢٨

- تهامة ١: ٦٦، ٨٠
- التهائم ٢: ١٣٥
- تهذيب الأسماء و اللغات ٣: ٢٩٦، ٥: ١٦١.
- تهذيب الترغيب ٥: ٥٤١، ٥٤٢
- تهذيب الفروق و القواعد الستية في الأسرار الفقهية ٥: ٥٤٢
- التوأمان ٦: ١٩
- توبة بن نمر ٥: ٤٤١، ٤٤٢
- توجو ٦: ١٦٣
- توريز ٢: ٣٤٢
- توضيح أحسن ما يقتضى و به تحليل المبتوتة يكتفى ٥: ٥٤٢، ٥٤٣
- التوضيح ٥: ١٧٤
- توفيق البكرى الصديقى المصرى ٥: ٢٦٢
- توفيق التميمى ٥: ٥٣٠
- توفيق باشا ٤: ٣٤، ٣٦
- توفيق بك ٥: ٣٨٦
- توماس كيب ٦: ٧٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤١٩
- تونة ٤: ٨
- تونس ٢: ٣٤٤، ٥: ١٦٥، ٤٤٧، ٦: ١٦٢، ٣٠١.
- التيارات الحديثة ٦: ١٧
- تيسن ٢: ٢٠٠
- التيسير شرح منظومة التفسير للشيخ عبد العزيز الزمزمى المكى ٥: ٥٤١، ٥٤٢
- ثابت البنانى ٣: ٩٩
- ثابت بن حسن بن ثابت الزمزمى ٥: ٢٣٧
- ثابت ٢: ٣٨٥
- ثبت الأسانيد و المسلسلات ٥: ٥٣٧، ٥٣٨
- ثبير الأثر ٢: ٤٠٠
- ثبير الأحذب ٢: ٤٠٠، ٤٠١
- ثبير الأخضر ٢: ٤٠١
- ثبير الأعرج ٢: ٤٠٠
- ثبير الخضراء ٢: ٤٠٠
- ثبير الزنج ٢: ٤٠١
- ثبير النصح ٢: ٤٠٠، ٤٠١

- ثبير غينا ٢: ٤٠٠  
 ثبير غيناء و ثبير الأعرج ٢: ٤٠٠  
 الثعالبه ٦: ٣٢٤  
 الثعالبي ١: ٣٤٦، ٢: ٤٤٢، ٣: ١٨٤  
 ثعلبه بن مالك ٤: ٢٦٤، ٢٦٠  
 ثقبه بن رميئه ٥: ٥٠٠  
 الثقبه ١: ٥٢٣، ٢: ٢٦٢.  
 ثلاث رسائل في المناسك و دعاء عرفه و الأدعيه المكيه ١: ٢٩  
 ثمن التضحيه ٦: ١٨  
 ثنيات الوداع ٦: ١٦  
 ثنيه أذاخر ٢: ٤٥، ٥٥  
 ثنيه الحجون ٢: ١١  
 ثنيه المشلل ٣: ٩٥  
 ثنيه الوداع ١: ٤٢٣  
 ثنيه خل ٢: ١٠٢  
 ثنيه كداء ٢: ٤٠٥، ٤: ٤٣٧.  
 ثنيه كدى ٤: ٣٥١  
 ثنيه كدى ٢: ٤٠٦  
 ثنيه هرشى ٣: ٩٥  
 ثوبان ٤: ١٢٩  
 الثور ٥: ١٠٤  
 ثوبيه الأسلميه ١: ١١٢، ١١٤، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢  
 ج- ل بيرد ٢: ٣٦٦  
 جابر الحراشى ٥: ٣٥٩، ٦: ٣٢٩  
 جابر بن عبد الله الأنصارى ١: ٧٣، ١٥٨.  
 ٣: ١٠٣، ٦٩، ٦٥  
 جار الله بن فهد ٦: ٣٠٧، ٣٠٨  
 جاليليو جاليلى ٥: ١٠٧  
 جامع ابن طولون ١: ٥٢١، ٥: ١٧١.  
 الجامع الأزهر ١: ٥٢١، ٥: ٧٢، ٦: ٣٢.  
 جامع الزيتون ٥: ١٦٥، ٦: ٣٢.  
 جامع السلطان حسن ٥: ١٧٩  
 الجامع الصغير ٢: ٤٢٣، ٤٣٦، ٥: ٢١٦، ٦:



١٨٧، ١٩٨، ٢٠٠.

جامع العسكر ٥: ١٧١

جامع الفسطاط ٥: ١٧٠

الجامع اللطيف في فضل مكة و أهلها و بناء البيت الشريف ١: ٥٠، ٦٣، ٦٤، ٥٠٦، ٥٠٨، ٥١٢، ٢: ٢٨، ١١٢، ١٣٤، ١٣٦، ٣٧٩، ٣٩٥،

٤٠٩، ٥٨٢، ٣: ٢٥، ٨١، ٢٤٠، ٢٤٤، ٣٥٦، ٤٩٠، ٤٩١، ٥٠٦، ٥١٢، ٥٢٥، ٥٣٥، ٥٣٧، ٥٤٣، ٥٤٥، ٥٤٩، ٥٥٠، ٤: ١٤، ١٤٧، ٣٨٦، ٣٨٨،

٣٨٩، ٥: ١٦٣، ٥: ٣٠٩، ٥٠٤.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٢٠

٦: ٧١، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧١، ٣٠٨.

جامع عمرو بن العاص ٥: ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٨١

الجامع في علم الحديث ٦: ٢٩١

جاوش باشى بكر باشا ٥: ٥٠٨

جاوه ٥: ٥١٩، ٦: ١٥٠.

جباب ٢: ٣٣٨

جبال فاران ٢: ٤٩٤

الجبرتي ٣: ٥٧٥، ٥٧٦، ٦: ٧٧

جبريل ١: ١٧١

جبل أبى قبيس ١: ٥٢٣، ٢: ٣٧٦، ٣٧٧.

٣: ٨٢، ٥: ٨٣.

جبل أحد ٦: ٣٧٠

جبل الأحمر ٢: ٣٨٢، ٣: ٨٢.

جبل الديلم ٢: ١١

جبل الرحمة ٣: ٢٠٦، ٥: ٣٢٦.

جبل الرخم ٢: ٤٠٠

جبل الصفا ٥: ١٣٥

جبل الفلق ٦: ٨٦

جبل ثبير ٢: ٢٧٣، ٣٧٦، ٣٩٩، ٤: ٢٠٥.

جبل ثور ١: ٣٩٣، ٢: ٣٧٦، ٣٨٤، ٣٩٠.

٥: ٢٣٥، ٦: ٣٤٤.

جبل حراء ٢: ٤٦، ٣٧٦، ٤٠٨

جبل خندمة ٢: ٣٧٦، ٤٠٢، ٤٠٤

جبل رضوى ٢: ٤٠٠

جبل سرنديب ٣: ٣٨٠، ٣٨٣

جبل سلع ٦: ٣٧٠

- جبل عبد الله بن عمر ٢: ٥٨  
 جبل عمر ٢: ٣٧٦، ٣٨٣  
 جبل قرح ٥: ٣١٧  
 جبل قعيقعان ١: ٥٢٣. ٢: ٣٧٦، ٣٨١.  
 ٤: ٤٤٨، ٤٦٩.  
 جبل كرا ٢: ٣٦٠. ٤: ٢٠٠. ٥: ٤٠٦.  
 جبل هندی ١: ٥٩، ٦٠  
 جبیر بن شیبۀ بن عثمان ٣: ٦٧  
 جبیر بن مطعم بن عدی بن نوفل بن عبد مناف ٣: ٢٤. ٦: ٢٨١. ٥: ٧٨  
 جبیر بن نفیر ٦: ٢٥٩  
 جثامۀ بن مساحق ٣: ٢٠٣  
 الجحفۀ ١: ٤٤٥  
 الجحفۀ ٤: ٩٥  
 جداعة ٢: ٣٤٠  
 الجداول المرضیة ٤: ٣٨  
 جدۀ ١: ٤١، ٤٢، ٤٦، ٤٨، ٤٠، ٧٠، ١٤٠، ٢٩٠. ٢: ١٣٦، ١٧٠، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ٢٠٢، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٩٨، ٤٤٠.  
 ٣: ٧، ١٤٤، ٣٩٠، ٤٠٣. ٤: ٤٥، ١٤١، ١٥٠، ٣٦٢، ٥٦٩. ٥: ٤٢، ٦٠، ٧٢، ٢٣٥، ٣٦٧، ٣٨٦، ٥١٥. ٦: ٣٥، ٤٢، ٤٧، ٧٣، ٧٥، ١٣٧، ١٩٩،  
 ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣١٠، ٣٢٤، ٣٤٠.  
 الجدی ٥: ١٠٤  
 الجديدة ٢: ٣١١  
 جذیمۀ بن مالک بن فهم بن غنم الدوسی ٦:  
 ٥٥  
 جرجان ٣: ٤٨٠. ٤: ٢٦٧، ٥٠٦. ٦: ٥٢.  
 جرجی زیدان ٥: ٢٥٩  
 جرش ٣: ٥٨  
 الجرشیة بنت عبد الله العثمانیة ٤: ٥٢٢  
 الجرفانیة ٥: ٤٠٤  
 جرهـم بن قحطان ٥: ٤٩٤  
 جرهـم ١: ٨٥. ٢: ٤٢٤. ٥: ٤٩٤.  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٢١  
 جروف الدراویش ٢: ٣٤٠  
 جـرول ٢: ٢١٦. ٥: ٢٣٥، ٤٠٢، ٥١٧.  
 جریج ٦: ٧١

- الجريد ٢: ١٣٦  
 جريدة حراء ١: ٦١  
 جرير ٤: ٢٦٧  
 جزائر فرسان ٢: ١٣٥  
 الجزائر ٦: ٧٤، ١٦٢، ٣٠١  
 جزر موريسيا ٦: ١٦٣  
 جزمى ٢: ٣٤٤  
 جزيرة خارك ٣: ٢٧١  
 الجزيرة ٢: ١٣٥، ٣: ٤٨٠، ٦: ٥٣.  
 جسد الحى ٢: ٣١٨  
 الجعرانة ١: ٤٠٧، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤: ٢٦٥.  
 ٥: ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ٤٠٥.  
 جعفر أمير المؤمنين المعتمد على الله ٣: ٤٧١  
 جعفر الأصغر ٤: ٤٩٢  
 جعفر الأكبر ٤: ٤٩٢  
 جعفر البرمكى ٤: ٤٤١  
 جعفر الصادق ١: ٢٩١  
 جعفر العلقمى ٥: ٣٥١  
 جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد ٣: ٣: ٤٦٤، ٤٧٥، ٥٥٤، ٣٤١، ٤: ٤٨٤، ٥٥١، ٥: ١٣٤.  
 جعفر المقتدر بالله ٢: ٧٠  
 جعفر بن أبى بكر بن جعفر ٥: ١٩٨  
 جعفر بن أبى سفيان ١: ٤٦١  
 جعفر بن الفضل بن موسى بن عيسى بن موسى ٣: ٣٤٢، ٤: ٢٨٥، ٥: ٤٩٩.  
 جعفر بن بكر لبنى ٥: ٥٤٥  
 جعفر بن جعفر ٣: ٤٨٢، ٤٨٥  
 جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله ٢: ٧٨.  
 ٥: ٤٩٨  
 جعفر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الشيبى ٤: ٢٠١  
 جعفر بن على بن سليمان العباسى ٢: ٥٢٤.  
 ٤: ٢٨٨.  
 جعفر بن موسى ٣: ٤٨٢، ٤٨٥  
 جعفر بن ورقاء الشيبانى ٣: ٢٧٣

- جعفر بن يحيى ٣: ٤٨٢، ٤٨٥
- جعفر ١: ٣٢٠. ٢: ٥٥. ٤: ١٩٩، ٤٤٧.
- جقمق الجر كسى ٢: ٥٧٨. ٣: ٤، ١٦، ٥٦١، ٥٨٤. ٤: ٥٦٣. ٥: ٣٢٢، ٣٤٢.
- جقمق العاشر ٤: ٥٢٨
- الجلال الدواني ٥: ٤٣٦
- جلال الدين السيوطى ١: ١٣٦، ٢٢٢، ٢٩٣.
- ٢: ٥٢٦. ٣: ٣٠٤، ٣٢٤. ٤: ٢٦٣.
- جلال محمد آشى ٥: ٥٣٠
- جلبى أحمد باشا عثمان ٥: ٥٠٩
- جلهمة بن ربيعة ٤: ١٩٣
- جلهمة بنو ربيعة بن حرام ٤: ١٨٤
- جليل ٢: ٤٥، ٤٦
- جماز بن هبة ١: ٢٤٦
- جمال الحريرى ٥: ٥٢٦
- جمال الدين أبو السعود بن ظهيرة ٤: ٢٤٦، ٥٦٤. ٥: ٢٨٩.
- جمال الدين أبو جعفر بن على بن أبى منصور ٥: ٤١٦
- جمال الدين الاستادار ٢: ٣٣٠
- جمال الدين الجواد ٣: ٥، ١٩٢. ٤: ١٥٣.
- ٥: ١٠٣.
- جمال الدين القاسمى ٥: ٩٥
- جمال الدين القطان ٤: ٢٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٢٢
- جمال الدين بن قاسم الشيبى الحجيبى ٣: ١٣٠
- جمال الدين شرف الإسلام ٢: ٨٦
- جمال الدين محمد أبو البقاء ٢: ٢٦٤
- جمال الدين يوسف ٤: ٥٥٣، ٥٦٢
- جمال الدين ٢: ٣٢٤. ٣: ١٦، ١٩٩. ٤: ١٧٣.
- ٥: ٣٣٩
- جمال المالكي ٥: ٨١، ٥٢٢، ٥٤٥.
- جمال عبد الناصر ٤: ٦
- جمال فارسى ٣: ٣٩٨
- جمال ٤: ٣٥٥
- جمانة بنت فليته ٤: ٨٧

جمانة ١: ٣٢٠

جمع بن عمرو بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ٢: ٢٦٤. ٤: ٤٣٧

جميس ٢: ٣٣٩

جميل باشا ٥: ٥١٠. ٦: ١٥٠

جميل بغدادى ٢: ١٤٨

جميل بوشناق ٢: ١٦١

جميل خوقير ٢: ١٥٧

جميل داود ٥: ٥٢٥

جميل متولى ٥: ٥٢٥

جميل محمود خطاب ٥: ٥٣١

جنابه ٣: ٢٧١

جنادل حسن ٢: ٣٣١

جندب بن جنادة ٦: ٢٦٧

جندع بن أبى ضمرة بن أبى العاص ٦: ١٦٨

الجندي ٥: ١٦٢

جنوب أسوان ٢: ١٣٦

جنوب أفريقيا ٦: ١٦٣

جنوب بلاد الصين ٢: ١٣٥

جنيف ٥: ٢٥٢

جهان بيكم ٤: ٢٩٠

جهر ٣: ٢٦٣

جهينة ٦: ٥٧

الجواب الشافى فى التصوير الفتوغرافى ٢: ١٦٢

الجواب المستقيم فى جواز نقل مقام إبراهيم ٣: ٣٦٣

الجواب المقنع المحرر فى أخبار عيسى و المهدي المنتظر ٥: ٥٣٥، ٥٣٦. ٦: ٢٨٦.

الجواد الأصفهاني ٥: ٣٢٦

الجواد ٢: ٨٦

جواد ٥: ٢٦١

جواهر الأدب ١: ٩٣. ٥: ٤٢٢. ٦: ٥٠.

الجواهر الثمينة فى أدلة عالم المدينة فى الأصول ٥: ٥٣٩، ٥٤٠

الجواهر السنية فى السيرة النبوية ٦: ٢٩٠

الجواهر السنية فى تنميح حكمه الدين العلية ٥: ٥٤٢، ٥٤٣

الجواهر المعدة فى فضائل جدّه ١: ٥٢. ٦: ٦:

- ٣٠٥، ٣٠٧، ٣١٠، ٣١١، ٣١٥، ٣١٨.
- جويان بن تلك بن تداون ٥: ٣٥٧
- جودت باشا التركي ٣: ٢٠٣. ٥: ٢٤٠، ٢٤١
- الجودي ٣: ١٨٤
- جورج أغسطوس والين ٦: ٧٦
- جورج بلاور ٥: ٢٧١، ٢٧٢
- جورج فورستر سادليير ٦: ٧٣
- جورجي فورستر زيدان ٢: ١٨٥
- الجوزاء ٥: ١٠٤
- جوزيف بتس ٦: ٧٤
- جوستاف إيغل ٣: ١١٢
- الجوف ٦: ١٠٤
- جوفاني فيناني ٦: ٧٦
- جون سود ويج بر كرت ٦: ٧٤
- جون ويركين ٦: ٧٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٢٣
- جوهر آغا ٤: ٣٤
- جوهر الصقلي ٥: ١٧٧
- جوهر القائد ٥: ١٧١
- الجوهر اللماع ١: ٥٧
- الجوهر المنظم في فضائل ماء زمزم ٢: ٥١٠، ٥١٨، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠.
- جويرية بنت أبي جهل ٤: ١٢٤
- جويرية بنت الحارث ١: ١٥٢
- جويرية ٦: ٣٤٩
- جيبوتي ٦: ١٦٤
- جيبون ١: ٢٧٧
- جيروم نامياس ٦: ٢٤٣
- جيزان ١: ٧٢
- الجيزة ٢: ٣٣٩
- جيمي ٢: ٣٤٤
- جينين ٥: ٢٢٢
- جيورجوس ١: ٢٥٦
- حائط ابن طارق ٥: ٣٥١

- حائط الحمام ٥: ٣٥٠  
حائط الصفي ٥: ٣٥٠  
حائط بلدح ٥: ٣٥١  
حائط حراء ٥: ٣٥١  
حائط خرمان ٥: ٣٥١  
حائط عوف ٥: ٣٥٠  
حائط فخ ٥: ٣٥١  
حائط مقيصرة ٥: ٣٥١  
حائط مورش ٥: ٣٥٠  
الحائط ١: ٦٧  
حائل ٢: ١٨٠، ٣٢١  
حاتم بن إسماعيل ٣: ٣٠١  
حاج إبراهيم ٦: ٧٤  
الحاج رضا باشا ٤: ١٧١  
الحاج عبد الواحد ٦: ٧٦  
الحاج عبد الله ٦: ٧٥، ٧٦  
الحاج عثمان باشا ٥: ٥١١، ٥١٢  
الحاج عمر ٦: ٧٦  
الحاج محمد حسيب باشا ٥: ٥١٠، ٥١٢. ٦:  
.٣٢  
الحاج محمد شريف باشا ٥: ٥١١، ٥١٢  
الحاج محمد علي زينل ٦: ٣٥، ٣٦  
الحاج محمد ٦: ٧٦  
الحاج موسى ٦: ٧٥  
الحاج نسيم ٥: ٢٢٠  
الحاجب ٣: ١٩٩  
حارة أجياد ٥: ٤٠٢  
حارة الباب ١: ٥٧. ٢: ٢١٦. ٥: ٤٠٢، ٥١٧، ٥٢٢. ٦: ٣٥.  
حارة السليمانية ٥: ٤٠٣  
حارة الشامية ٥: ٤٠٢  
حارة الشبيكة ٥: ٤٠٢  
حارة الغزة ٥: ٤٠٣  
حارة القشاشية ٥: ٤٠٣

- حارة المسفلة ٥: ٤٠٢
- حارة شعب عامر ٥: ٤٠٣
- الحارث بن العزى ١: ١١٤
- الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد بن عبد الله ٣: ٤٧٨
- الحارث بن خالد المخزومي ٥: ٤٩٦. ٦: ٧٢
- الحارث بن خالد ٢: ١٤
- حارث بن طلائفة ١: ٤٨٤
- الحارث بن عبد العزى ١: ١٢٥
- الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ٣:
- ٧٥، ١١٥، ٢١٧
- الحارث بن عوف المري ٦: ٢٣٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٢٤
- الحارث بن كلدة ١: ٤٥٠
- الحارث بن مضااض الأصغر ٣: ١٨
- الحارث بن مضااض ٦: ٢٨٣
- الحارث بن نوفل القرشي ٥: ٤٩٥
- الحارث بن هشام ١: ١٥٦، ٤٦٨، ٤٧٣.
- ١٢٤: ٤
- الحارث ١: ١١٣، ١١٦، ٣٢٨. ٣: ١٩٧، ٤٨٢، ٤٨٦. ٥: ٤٩٤
- حازم بك ٥: ٥١٥
- حاشية الإيضاح ٤: ٣٣٣. ٥: ١٥٠.
- حاشية على كتاب التلطف شرح التعرف في علم الأصول و التصوف ٥: ٥٤٢
- حاضر العالم الإسلامي ٢: ٢٣٨. ٤: ٥٤، ٨١.
- ٥: ٣٣٧. ٦: ٧٨، ١٨٠.
- حاطب بن أبي بلتعة ١: ٤٥٩. ٢: ٩
- حافظ أبو الفضل ٥: ٤٩٩
- الحافظ ابن رجب ١: ١٨٠
- حافظ الدين الحنفى ٦: ١٢١
- حافظ عثمان نوري ٥: ٤٣٢
- حافظ محمد ٥: ٤٣٠
- الحاكم العبيدى ٣: ٩١، ٥٥٦
- الحاكم المستنصر بالله ٥: ٤٦٢
- الحاكم بأمر الله الفاطمي ٣: ٢٦٥، ٤٩٦. ٦:



٣٧٧

الحاكم ١: ٤٠٢، ٤١٦، ٢: ٨٣، ٣: ٢٨٢.

١٦٦: ٤

حالات عمار ٢: ٣٣٨

حالت باشا ٥: ٥١٠

حامد القرشي ٥: ٤٠٣

حامد بن العباس ٤: ٤٨١

حامد دمنهوري ٦: ٩، ١٨

حامد كعكي ٦: ٦

حامد محمد خوجه ٢: ١٤٨

حامد هرساني ٥: ٥٣٢

حباشه ٦: ١٠٣

حبري ٢: ٤٥٥

حبس الجن ٥: ٤٠٦

الحبشه ٢: ١٧، ١٣٥، ٦: ١٦٣.

حبشيه بن سلول بن كعب الخزاعي ٤: ٣٠، ٢٥٩، ٢٦٧

حبي ٤: ١٨٣، ١٨٦، ١٩٣

حبيب الله فضائلي ١: ٣٠

حبيب بن إساف ١: ٤١٤

حبيب جاماتي ٤: ٥٠٢

الحجاج بن يوسف الثقفي ١: ٢٤٤، ٢٨٦.

٢: ٤٢٤، ٥٧٣، ٣: ٣٨، ٥٥، ٧٥، ٩٧، ١١٤، ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢٦، ١٣٠، ٢٠٨، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٩١، ٤٢٧، ٤٤٤، ٥٠٦، ٥٥٢، ٥٦٣، ٤: ٤٩٦

١٤٣، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٥، ٢٦٧، ٢٧٦، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥: ١٩٣، ٢٢٠، ٢٢١، ٤٩٦

الحجاز في عصر النور ٦: ١٧

الحجاز ١: ٦٦، ٨٠، ٣: ٥٦٤، ٤: ١٠، ٤٤٦.

٥: ٥، ٣٣، ٣٥، ٦٥، ٦٧، ٩٥، ٦: ٣٠، ٥٤، ٧٤، ١٣٩، ٣٠١

حجر إسماعيل ٢: ٥٦٩، ٥٧١، ٥٧٦.

الحجر الأسود ٣: ٢٣٦

الحجرية ٢: ٣١٣

حجل ١: ١١٤

الحجون ٦: ٨٥

حجي عباسي البخاري ٢: ١٦٠

الحديث المعاد ٦: ١٨

- حذافة بن غانم الجمحي ٢: ١٢٦. ٤: ١٨٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٢٥
- حذافة ١: ١١٤، ١٢٤
- حذيفة بن فقيم بن عامر بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمه ٤: ٢٦٣
- حذيفة ٥: ١٩٧
- حران ٢: ١٣٥
- حرب الكرمانى ١: ٩٢
- حرب بن أمية ابن عبد شمس ٢: ٥٧٥.
- ٤: ٢٤٣. ٦: ٣٠.
- حريث بن مسعود ٣: ٢٧٤
- الحزورة ١: ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٥٠٢، ٥٠٧.
- ٢: ٤٤.
- الحسا ٢: ١٨٠، ٣٤٠. ٥: ٧.
- حسان النبطى ٤: ٢٠٨
- حسان بن ثابت ١: ١٩٧، ٣٢٢، ٣٢٧، ٤١١
- حسان بن عطية ٣: ٤٩٨
- حسن أبو نمي ٤: ٥٥٦
- حسن أفندى ٢: ٥٣٤. ٥: ٨١
- حسن إسماعيل ٣: ٣٩٨
- حسن الأعور ١: ١٠
- حسن البساط فى ديوان محمد طاهر الكردى الخطاط ١: ٣٠
- الحسن البصرى ٣: ٥٢١. ٤: ٢٦٧
- حسن الدعابة فيما ورد فى الخط و أدوات الكتابة ١: ٣٧
- حسن الراعى ٦: ٣٨٤
- حسن السنارى ٦: ٤٤، ٤٧
- حسن الشربتلى ١: ٢٩٠. ٤: ٥٣٠
- حسن الشيبى ٣: ٥٨٠
- حسن الصيرفى ٦: ١٣
- حسن الطويل ٣: ٥٦١
- حسن العشى ٢: ٢٧٠. ٦: ٩١، ٩٢
- حسن الفقى ٢: ١٨٩
- حسن المحاضرة فى أخبار مصر و القاهرة ١: ٥٢١. ٢: ٢٤٦، ٣٠١، ٣١٦، ٣١٧.
- ٣: ٥٠٥. ٤: ٦٠، ٣٤٦، ٥٢٩. ٥: ١٦٩، ١٨٢، ٤٥٨، ٤٧٨، ٤٧٩.

- حسن المعمار ٥: ٣٧٢
- حسن باشا ٣: ١٣١. ٥: ١٠٤، ٣٧٢، ٥٠٨
- حسن بن أبي نمي ٥: ٣٦٨
- الحسن بن إبراهيم ٤: ٤٩٦
- الحسن بن الفضل ١: ٤٠١. ٢: ٣٩٤
- حسن بن الناصر بن قلاوون ٥: ١٧٩
- حسن بن جعفر ٥: ٤٩٩
- حسن بن زبير المنصوري ١: ٢٤٦
- الحسن بن زياد ٥: ٤٤٤، ٤٤٥
- حسن بن سليمان بن أحمد ٥: ٦٥
- الحسن بن سهل ٥: ٤٩٨
- الحسن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ٤: ٢٨٧، ٢٨٨
- حسن بن عبد القادر بن علي الشيبى ١: ٥١.
- ٤: ١٦٢، ٢٠١
- حسن بن عجلان ٢: ٦٠، ٢٢٣. ٤: ١٧٦، ٤٢٣، ٥٦١. ٥: ٤١، ٢٣٧. ٦: ١١١، ٣٢٩
- حسن بن علي العجمي المكي ١: ٥٢
- الحسن بن علي بن أبي طالب ١: ١٦٩. ٣: ٥٦.
- ٤: ٢٦٦
- الحسن بن فيرزان ٤: ٢٦٧
- الحسن بن محمد الخامس ٣: ٣٨٦، ٣٨٨، ٤١٥، ٤٨٠
- حسن بن محمد بن قلاوون ٢: ٢٢١. ٣: ٥٦٠، ٥٨٤
- حسن بن مراد ٣: ١٥٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٢٦
- الحسن بن مهران ٣: ٢٨٣
- حسن بهاء الدين قرملة ٥: ٥٣١
- حسن حسين عبد الغنى ٥: ٥٣٣
- حسن حكيمى ٢: ١٤٩
- حسن حلمى باشا ٥: ٥١٥
- حسن حموده ٢: ١٦٠
- حسن صبرى أفندى ٥: ٤٣١
- حسن عبد الله القرشى ٦: ٩، ١٦
- حسن عبد الوهاب ٣: ٣٨١. ٥: ١٧٩
- حسن كتيبى ٥: ٥٢٧. ٦: ٧، ١٦

- حسن محمد ملطاني ٢: ١٤٩  
 حسن مشاط ٥: ٥٢٣، ٥٣٩  
 حسن ناظر ٢: ٢٦٨. ٥: ٣٩٩  
 حسن نصيف ٥: ٥٣٢. ٦: ١٢  
 حسن وهبو ٢: ١٦٠  
 حسن يمانى ٥: ٥٢٣، ٥٤١  
 الحسن ١: ٣٨٧. ٤: ٢٠. ٦: ٢٥٨، ٢٥٩  
 حسن ٢: ٥٩، ٦١. ٣: ٥٨٣. ٤: ١٨٤، ٢٠٣.  
 ٥: ٣٧٠. ٦: ٣٣١  
 حسنين الحسين ٤: ٥٣٦  
 حسين آغا الشاوش ٣: ١٣٢، ١٣٣  
 حسين أبو زيد ٦: ٣٣٨  
 حسين أفندى ٣: ١٤٧  
 حسين الحبشى ٢: ٥٥٦. ٥: ٥٤٥  
 حسين الحسنى ٥: ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧١، ٤١٢  
 حسين الحسينى المالكي ٤: ٥٣٤  
 حسين الحسينى ٥: ٤٦، ٥١، ٦٩، ٤٠٨  
 حسين الخطيب ٥: ٥٢٥  
 حسين الشهير بمتولى زاده ٣: ١٤٩  
 حسين الكردي ٦: ٣١٨.  
 حسين باشا ٥: ٣٨٣، ٣٨٧، ٥٠٧  
 الحسين بن الحسن العلوى ٣: ٤٧٠، ٤٩٥  
 الحسين بن الحسن بن على الأصغر ٥: ٤٩٨  
 حسين بن حسن الأفتس الطالبى ٣: ٥٥٤  
 حسين بن حسن ٥: ٤٠٥  
 حسين بن عبد الله باسلامة المكي ١: ٥٠، ٥٧.  
 ٢: ١٠٤، ٥٣٧. ٣: ٢١، ١٩٣، ١٩٧، ١٩٩، ٢٦٤، ٢٩٥، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٧٣، ٤٧٦، ٥١٠، ٥٢٩، ٥٣٩، ٥٦٦، ٥٧١. ٤: ١٥، ١٥٠، ١٥٨، ١٧١  
 ١٧٤، ١٨٩، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٣٤٠، ٣٩٩، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٤٨، ٥٧٤.  
 ٥: ١٤، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٥٥، ٦٦، ٦٩، ٩١، ٩٤، ١٠٥، ١٢١، ١٤٠، ١٤٠. ٦:  
 ١٠٠، ١٣٧، ١٤٢  
 الحسين بن على بن محمد بن عبد المعين بن عون ٣: ٥٦٧. ٤: ١٥٦. ٥: ١٤١، ٣٨٧  
 الحسين بن على ١: ١٦٩، ٢٨٧. ٢: ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٧٣، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٧٠، ٢٨٧، ٣٠٥. ٣: ٦، ٧، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٨١. ٤: ١٥، ١٦، ١٥١،  
 ١٥٦، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٧٧، ٣٧٨، ٤٠١، ٤٤٥، ٥٧٣. ٥: ٣٥، ٦٧، ١٤١، ٢١٤، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٤٤، ٢٨٧، ٣٤٨، ٣٤٨، ٤٣٤، ٤٨٢، ٤٩٨

١٥١٧، ١٥١٩، ١٥٤٢: ٦.

١٤٠، ١٤١، ١٥١، ١٨١، ٢٤٦، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣٧

حسين بن علي ١: ٢٨٧. ٣: ٥٦٥. ٤: ١٥٧.

٥: ٥، ٦٨، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٦٤، ٢٦١، ٢٨١، ٢٨٩، ٥٠٤. ٦: ٨٦، ٣٢٥.

الحسين بن علي ٥: ٥١٨

الحسين بن محمد ابن عون ٤: ١٥، ٣٤٥

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٢٧

حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى الكردى ١: ١٣٦. ٤: ٢٤١. ٦: ٢٨٨

حسين بن نمى ٥: ٤١١

حسين بن يحيى ٥: ٣٨٥

حسين جميل باشا ٥: ٥١٤

حسين حميدان ٤: ١٤١

حسين رشدى ٥: ٤٣٢

حسين سراج ٦: ١١

حسين سرحان ٦: ٧، ١٦

حسين شايب ٢: ١٤٨

حسين عجاج ٣: ٣٨٣

حسين عرب ٦: ٧، ١٦، ١٤٥

حسين عشى ٢: ١٤٨

حسين غيث الأردننى ٢: ٢٠٥

حسين فطانى ٦: ٨، ١٦ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٣-٦؛ ص ٤٢٧

ين فهمى أفندى ٥: ٤٣٢

حسين كامل ٣: ٥٦٧

حسين محمد سعيد جستنیه ٢: ١٤٤، ١٤٦

حسين محمد شوكل ٥: ٥٢٩

حسين محمد نصيف ٤: ٧

حسين مطر ٦: ٤١، ٤٥

حسين نصيف ٥: ٢٤٥

حسين ٣: ٧، ١٦١، ١٦٣، ١٧٣، ٤٢٥.

٢٠٣: ٤

الحسين ٦: ٣٣٠

الحسينیه ٥: ٤٠٥

حصبة ٦: ٥٥

- حصن مكث بن عيسى ٥: ٢٠٥  
 حصوة باب السلام ٢: ١٠  
 حصوة باب علي ٢: ١٠  
 حصين بن المنذر ٥: ٢٤٤  
 الحصين بن نمير السكوني ٣: ٥٤، ٥٨، ٦٢، ٩٤، ٩٥  
 الحضراوى ١: ٥٢٤. ٢: ٢٩٧، ٣٠٢، ٥٢٧، ٥٣٢، ٥٣٩، ٥٥٦. ٤: ٢٣٨، ٣٤٥.  
 ٥: ٥٠٦، ٥١١. ٦: ٣٢.  
 حضرموت ١: ٨٠. ٢: ١٣٥. ٤: ٤٣٣.  
 ٥: ٥٢٤.  
 الخطاب المالكي ٢: ٥٦٥، ٥٦٧. ٣: ٥٣٥  
 الحطيم ٢: ٢٢٦. ٣: ١٥، ٤٤٨، ٥٠٣.  
 الحفاير ٢: ٣١٣  
 حفص بن عامر ٦: ٢٥٩  
 حفصة بنت عمر بن الخطاب ١: ١٥، ١٥٢  
 حفصة ٦: ٢٦٩، ٣٤٩  
 حفن ٢: ٣١٨  
 الحفنى ٤: ١٦٦، ٣٨٠. ٦: ٢٠١  
 الحفيرة ٢: ٣٤١  
 حقل ١: ٦٧  
 حقى باشا زاده عزت باشا ٥: ٥١٠  
 الحكم المنتصر بالله ٤: ٤٤. ٥: ٤٦٠، ٤٧٦  
 الحكم بن أبى العاص ٤: ١٢٤  
 الحكم بن عبيد ٤: ٨  
 حكمت عارف ٥: ٢٨٣  
 حكيم بن حزام ١: ١٧٠، ٣٣١، ٤٦٢، ٤٦٤.  
 ٢: ٦٧. ٤: ٣٣٧  
 حلب ٢: ١٣٥، ١٨٣. ٣: ٥٦٢. ٦: ٥١.  
 الحلبي ٤: ٧٠  
 حلوان ٢: ١٣٥. ٣: ٤٨٠. ٦: ٥٢، ٢٧٤.  
 حلى ١: ٧٢  
 الحلية ٣: ٢٠٣  
 حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي ٣: ٢٢، ٤: ١٨٣، ١٩٣  
 حليل ٤: ١٨٦

- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٢٨  
 حليلة السعدية بنت أبي ذؤيب ١: ١١٤، ١٢١، ١٢٢. ٢: ٤٨٨. ٦: ٣٤٩  
 الحلیمی ١: ٢٢٤  
 حماء ٢: ١٣٥، ٤٥٦. ٥: ٤٩٤.  
 حماد البربری ٤: ٤٤٢. ٥: ٤٩٨  
 حماس أبو الفضل البرزلی ٥: ٤٦٤  
 حماس أبي قيس بن خالد ١: ٤٦٦  
 حماس بن مروان ٥: ٤٦٥  
 حمام موسى ٢: ٣٣٧  
 حمامة ٤: ١٢٧  
 حمد الجاسر ٢: ١٩١  
 حمد العبدلی ٥: ٥٢٦  
 حمد الله بن عزت زاده ٥: ٤٢٩  
 حمدان قرمطة ٣: ٢٧٠  
 حمدون بن علی ٥: ٤٩٨  
 حمديس الأشعري ٥: ٤٧١  
 الحمراء ٢: ٣١١  
 حمزة بن عبد المطلب ١: ١١٣، ١١٤، ١٦٩.  
 ٢: ٨٧، ٦: ٢٥٩  
 حمزة شحاته ٦: ١٢، ١٧  
 حمزة عجاج ٥: ٥٢٧  
 حمزة فتح الله المصري ٥: ٢٥٩  
 حمزة نايل ٥: ٥٢٥  
 حمص ٢: ١٣٥. ٣: ٣٢٨.  
 الحمل ٥: ١٠٤  
 حميد بن زهير ٢: ٩، ٧٦. ٣: ٢١٣، ٥٠٤.  
 ٥: ٢٣٠  
 الحميدية ٥: ٢٠٧  
 حمير ٣: ٥٤٣  
 حميضة ٤: ١٦٩، ٣٤١. ٥: ٥٠٠  
 الحميمة ٤: ٤٨٢  
 حن بن ربيعة ٤: ١٩٣  
 حنطة الحميري ١: ٢٩٩، ٣٠١

- الحناكية ١: ٦٧، ٦٨
- حنفى زاده ٤: ١٥٤
- الحنك ٢: ٣٣٢
- حنين ٥: ٤٠٤
- الحواشى السنية على قوانين ابن جزى ٥: ٥٤٢، ٥٤٣
- الحواشى النقية على كتاب البلاغة ٥: ٥٤٢
- حواشى على الأشباه و النظائر ٥: ٥٤٢، ٥٤٣
- الحوت ٥: ١٠٤
- الحوراء ٢: ٣١٩، ٣٣٢
- حوران ٣: ٥٠٢
- حوش الغزة ٥: ٤٠٢
- حوش المداح ٥: ٤٠٢
- حوض البقر ٢: ٢١٧
- حوض بقمص ٤: ٢٢
- حوض بقيس ٤: ٢٢
- حويرث بن نقيد بن وهب بن عبد قصى ١: ٤٨٠
- الحويط ١: ٦٧
- حويطب بن عبد العزى ٢: ٩٤، ٣: ٥٠٣
- حياة الحيوان ١: ٣٤٥، ٣٥٨، ٣: ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٤: ٢٩٧، ٤٧٢، ٦: ٢٨٤
- حياة جائعة ٦: ١٥
- حياة سيد العرب ١: ٥٧، ٣: ٢١، ٢٤.
- ٥: ٥٤٠، ٦: ١٠٠، ١٠٤.
- حيدر آباد ٥: ١٦٤
- حيدر الحجار ٥: ٥٢٩
- الحيرة ٦: ٣٠، ٢٢٩
- حيوان ١: ٥٤٧
- خ. كمال الدين ١: ٢٧٣
- خاتم سلطان ٤: ٥٢٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٢٩
- خارجة بن زيد بن أبى زهير ١: ٤١٤
- خارجة بن سنان ٦: ٢٣٢
- خاصكى سلطان ٢: ٢٦٦
- خاطرات ٦: ١٨



- خالد البرمكى ٢: ١٤
- خالد البصرى المالكى ٣: ١٣٢
- خالد بن أحمد بن محمد المالكى ٣: ١٣٤، ١٣٥، ١٣٨، ١٤٩
- خالد بن أسلم ٦: ٢٥٩
- خالد بن أسيد ٣: ٤٩٣. ٤: ١٢٤
- خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي ٥: ٤٩٥، ٤٩٦
- خالد بن الوليد ١: ١٧٠، ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٧٥، ٥٤٨. ٢: ٥١، ٥٤. ٤: ١٨٨، ١٩٥.
- ٥: ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٤. ٦: ١٠١
- خالد بن برمك ١: ٣٠٨، ٥٦٩. ٣: ١٨٩
- خالد بن جعفر بن كلاب ٣: ٥٤٩
- خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ١: ١٥٩، ١٧٠
- خالد بن عبد الله القسرى ١: ٥٢٢. ٢: ١٣٦، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٧٤، ٣٩٩، ٥٥٨.
- ٣: ٥٣٨، ٥٣٩. ٤: ٧٧، ١٦٨، ١٩٧، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٤٨، ٤٣٩، ٤٧١، ٤٧٢.
- ٥: ١٣، ٣١، ١٧٧، ٢٨٠، ٣٩٤، ٤٩٦
- خالد بن عبد الملك ابن الحارث ٤: ٢٦٧، ٢٧٨
- خالد بن عبد الملك بن أمية ٤: ٢٧٨
- خالد بن عبد الله بن يزيد البجلي ٤: ٢٠٧
- خالد بن مضر ١: ٤٨٩
- خالد ٢: ٥٨٣. ٣: ١٦٣، ٤٨٦، ٥٦٣. ٤: ٢٠٣
- خان الدالين ٦: ٣٠٩
- خان العطارين ٦: ٣٠٩
- خان بالق ٢: ٣٤٣
- خان زيب ٢: ٣٣٩
- الخانسة ٢: ٢١٧
- خباب بن الأرت ٢: ٨٧
- خبب ٢: ٣٣٨
- خبيب بن عدى الأوسى الأنصارى ٥: ١٥٤
- الخدهار ٢: ١٣٥
- خديجة الفردوس ٥: ٥٣٣
- خديجة بنت خويلد الأسيدي ١: ١١٥، ١٤٩، ١٥٢، ٢٨٨. ٢: ١٤٠. ٣: ٩٨، ١٣٤.
- ٦: ١٠٠، ١٠٥.
- خديجة ١: ١٣٤، ١٥١، ١٥٩
- الخدويوى عباس باشا حلمى ٣: ٤٧٤

خراسان ٢: ١٣٥. ٣: ٤٨٠. ٥: ٢١١. ٦:

٥٢، ٣٠١.

خراش بن أمية الخزاعي ١: ٤٧٧

خراش بن أمية بن ربيعة الكلبي ٤: ٢٩٧

خرية السمراء ٢: ٣٣٩

خرية الغزاة ٢: ٣٣٨

الخرج و الشرائع ٦: ١٩

الخرشي ٤: ٩١

خرفي كور تلمون ٦: ٧٦

الخرمة ١: ٦٦

خريبة ١: ١٤٣

خريق العشر ٦: ٩٨

الخزاعي ٢: ٥٥٧

الخزرجي ١: ٣٩٥

خزيمة بن حازم ٣: ٤٨٥

خزيمة ٥: ٤٩٣

خشم صنعاء ٢: ٣٣٩

الخضري ١: ١١٩، ١٦١، ١٦٢، ١٨٥، ٥١٠. ٣: ٢٧٠. ٤: ٤٧٤، ٤٩٥، ٥٠٨،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٣٠

٥٠٩، ٥١١، ٥١٣. ٥: ١٦٩، ٣١٢، ٤٣٩. ٦: ٢٣٢.

الخضيره ٢: ٣٣٢

الخطاب بن سلمه ٤: ٨

خطاب بن نفيل العدوي ٢: ٣٨٢

الخطاب بن نفيل ٦: ١١٠

الخطابي ٢: ٢٩٦. ٥: ٢٥٦، ٢٥٧. ٦: ٣٥١.

الخطب في المسجد الحرام ٥: ٥٣٨، ٥٣٩

خطط الشام ٢: ٣٣٤

خطط المقریزی ٤: ١٢٩

الخطط ١: ٢٥٩. ٣: ٤٤٠.

خطوات في الشعر و النقد ٦: ١٦

الخطيب البغدادي ٤: ٤٧٨، ٤٨٩

الخطيب الشافعي ٢: ٥٨٤

الخطيب ١: ٣٥٨. ٣: ٢٣٩. ٤: ٣٣٦. ٦:

٣٠٥

الخفاجي ٣: ٥٧. ٥: ٢٢٨

خلاصة الأثر ٣: ١٨٠. ٥: ٣١١.

خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ١: ٥١

خلاصة الكلام فيما هو المراد بالمسجد الحرام ٥: ٥٤٤

خلاصة الكلام ٤: ٣٤٥، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥.

٥: ١٩٥، ٢٠٢. ٦: ٣١٥.

الخلاصة المفيدة لأحوال عين زبيدة ١: ٥١.

٥: ٣٩٨.

الخلاصة النافعة العلية المؤيدة بحديث الرحمة المسلسل بالأولية ٦: ٢٨٦

خلاصة الوفا ١: ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٤، ٤٢٠، ٤٢٣، ٤٢٦. ٢: ٢١٥. ٣: ٨٧. ٤: ٤١١.

خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال ٦:

٢٨٠

الخلاصة ١: ٣٩٥. ٦: ٢٦٨.

الخليج الفارسي ٦: ٣٠١

خليص ٢: ١٧٩، ٣١٠، ٣٢٠، ٣٣٢.

٣: ٥٤٧. ٥: ١٦١.

خليفة بن أبي الفوز ٢: ٥٥٧

خليفة بن خياط ٦: ٢٦٩

خليفة بن فرج بن محمد الزمزمي البيضاوي ١: ٥٢. ٢: ٥٢٨، ٥٦٢

خليفة بن نبهان ٥: ٣٩١

خليفة ٤: ٤٨٥

خليل آغا ٤: ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦

خليل الله إبراهيم ٣: ٢٢٠، ٣٨٨، ٤١٥.

٤: ١٦٧

خليل باشا ٥: ٥٠٩

خليل بن عبد الرحمن بن محمد المالكي ٢: ٥٦٧

خليل حسن رفيع ٢: ١٤٨

خليل صابات ٢: ١٨٥

خليل ٣: ٢٩٤. ٥: ١٧٤

خمارويه بن أحمد بن طولون ٣: ٢٧٢

خميس مشيط ١: ٧٢

ختمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ٣: ٣٢٣

- الخنديسة ٥: ٤٠٢
- الخنسا ٢: ٣٤٣
- خنيس بن خالد بن الأشقر ١: ٤٦٧
- خوات بن جبير ١: ٢٣٧
- خوارزم ٦: ٣٠١
- خواطر مصرحة ٦: ٢١
- الخوثة ٢: ٣٣٥
- خورشيد باشا ٥: ٥١٠، ٥١٣
- خوش كلدى بك ٥: ٥٠٧، ٦: ٨٦
- خوشكلدى ٢: ٥٣٢
- خويلد ابن وائلة الهذلي ١: ٣٠١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٣١
- خويلد بن أسد ١: ٣٠٣
- خبير ١: ٦٦، ٦٧، ٦٨
- خيثمة ٦: ٢٤٧
- خير البشر بأذان خير البشر ٤: ١٢٨
- خير الدين بن سلامة ٥: ٣٦٣، ٣٦٧
- خير الدين سنجق ٥: ٤١١
- خير بك العلائي ٣: ١٤
- خير بك المعمار ٤: ٥٦٦، ٥: ٢٣٧، ٣٦٣، ٣٦٥
- خيرى باشا ٥: ٤٩٠
- الخيزران ١: ٢٤٤، ٢٨٦، ٢: ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٨٩، ٤: ٥٠٣.
- دار أبى أيوب الأنصارى ٢: ٣٥٥، ٣: ٥٤٥.
- دار أبى سفيان بن حرب ٢: ٧٨، ٦: ١١١.
- دار أبى طلحة عبد الله بن عبد العزى ٣: ٤٤٩
- دار أسد بن عبد العزى ٤: ٣٣٢
- دار أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ٣: ١٧٠، ٦: ١٢٠.
- دار أم هانئ بنت أبى طالب ١: ٣٤٢، ٣٥٩.
- ٣: ٢٤، ٥: ١١٧، ٢٠٧، ٦: ١١٢.
- دار ابن سباع ٣: ٣٣٥
- دار ابن عباد ٥: ١١٨
- دار ابن قثم ٥: ٣٥٠

- دار ابن يوسف ٥: ٣٥٢  
 دار الأرقم بن أبي الأرقم ٢: ٨٧  
 دار الأرقم ١: ١٥٩. ٢: ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٣٧٧.  
 ٤: ٤٥٨.  
 دار الإمارة ٥: ١٨٥، ٢٠٨  
 دار البخاتي ٢: ٣٨٢  
 دار البقر ٢: ٣١٩  
 دار البلدية ٦: ٣١٩  
 الدار البيضاء ٢: ٣٣٠  
 دار الحج ٢: ٣٣٩  
 دار الحدادين ٢: ٨١  
 دار الحشني ٢: ٣٨٢  
 دار الحكم بن خزام ٢: ١١  
 دار الحكومة ٤: ٤٣١  
 دار الحمراء ١: ٦٧. ٢: ٣٣٩.  
 دار الحميدية ٥: ٢٠٤. ٦: ٣٠٢.  
 دار الخيزران ٢: ٨٢، ٨٣، ٨٤  
 دار الرقطاء ٤: ٤١٨  
 دار الزنج ٢: ٣٨٢  
 دار السعادة ٥: ٢١٢  
 دار السفيايين ٥: ١٨٥  
 دار العاص ٢: ١١  
 دار العباس بن عبد المطلب ٢: ٧٧  
 دار العباس بن محمد ٥: ٣٥٠  
 دار العباس ٢: ٧٨. ٥: ١٣١.  
 دار العجلة ٢: ٧٤، ٣٨٢. ٣: ٤٨٢. ٥: ٢٣٠.  
 دار المطبعة الأميرية ٥: ٢٠٤. ٦: ٣٠٢.  
 دار الملاعبة ٥: ٤٠٠  
 دار النابغة ١: ١١٦  
 دار الندوة ٢: ٢٠، ٦٦، ٧١، ٧٤، ١٢٦، ٥٥٧. ٣: ٣١٠، ٣٤٠، ٣٥٣، ٤٤٩، ٥١٠، ٥١٦. ٤: ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٦٢.  
 ٥: ٢٣٠. ٦: ١٢٠، ١٢٣.  
 دار الولاية ٦: ٣١٩  
 دار الوليد بن عتبة ٦: ١١٠

- دار باناجه ٥: ٢٠٨
- دار بن عباد ٥: ١٨٥
- دار بيت المال ٢: ١١
- دار جبير بن مطعم ٢: ١٠
- دار جعفر بن سليمان ٥: ٣٥٠
- دار حجير بن أبي إهاب ٢: ٢٦٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٣٢
- دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف ٢: ٢١٥
- دار حنظلة بن أبي سفيان ٢: ٧٨. ٦: ١١١
- دار حويطب ٢: ٨١
- دار خزاعة الكعبة ٢: ١١
- دار خطاب بن نفيل ٢: ١١
- دار ريطة بنت أبي العباس ٢: ٧٨
- دار زبيدة بنت أبي جعفر المنصور ٤: ٥٥٨
- دار زينب بنت سليمان ٥: ٣٥٠
- دار شيبه بن عثمان ٢: ١١
- دار شيبه بن عثمان ٣: ٦٧، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٧٢
- دار صاحب البريد ٢: ١١
- دار عباد بن جعفر ٥: ١٣١
- دار عبد الكريم القطبي ٣: ١٣٢
- دار عبد الله بن جدعان ٢: ١٣. ٦: ٢٣٠.
- دار عمر بن عبد العزيز ٢: ٦٤
- دار عمرو بن العاص ١: ٤١٤
- دار كلثوم بن الهدم ١: ٤١٤
- دار لبابة بنت علي ٥: ٣٥٠
- دار مال الله ٢: ١٠، ٨١
- دار مبارك البركي ٥: ٣٥٠
- دار محمد بن سليمان بن علي ٥: ٣٥٠
- دار محمد بن طاهر ٤: ٤٨٠
- دار محمد بن عباد بن جعفر العبادي ٤: ٤٤٢
- دار مخرمه بن نوفل ٦: ١١٠
- دار هند بنت سهيل ٢: ٧٧
- الداغستان ٦: ١٦٤

- الدانمارك ٦: ١٦٤
- داهومي ٦: ١٦٣
- داود أتبأ ٥: ٣٦
- داود بن سليمان بن جعفر ٣: ٤٨٥
- داود بن علي بن عبد الملك بن العباس بن عبد المطلب ٤: ٢٧٩
- داود بن علي بن عبد الله بن عباس ٥: ٤٩٧
- داود بن عيسى بن فليته الحسنى ٣: ٢٦٤، ٢٨٥، ٤٩٦
- داود بن عيسى بن موسى بن علي ٥: ٤٩٨
- داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي ٤: ٢٨٢
- داود بن عيسى بن موسى ٢: ٣٦، ٣: ٤٨٥.
- ٤: ٢٨٢، ٦: ١٠٣، ١٠٤
- داود بن هاشم ٦: ٣٠٨
- داود وصفى ٢: ١٤٨
- داود ١: ٣٥٨، ٦: ٣٨٣
- الداودي ١: ٣٩٩، ٤٤٣، ٢: ٤١٩
- دبل عين حنين ٥: ٤١٢
- الدينور ٣: ٤٨٠
- دبي ٦: ٣٥، ٤٦، ٤٧
- دبي ٦: ٤٦، ٤٧
- الدحلان ٢: ٥٣٣، ٣: ٢٥٦، ٤: ٣٨٤
- الدر المنظم فى فضائل ماء زمزم ٢: ٥٦٤
- الدر النضيد فى علم الوضع المفيد ٥: ٥٤٣
- دراسات أدبية أدب البهاء زهير ٦: ٢٠
- درب الحناطين ٢: ١٣
- الدرة الثمينة فى تاريخ المدينة ٣: ٥٥١، ٦:
- ٣٤٦.
- الدرر البهية فى علم الحساب ٦: ٥٠.
- درر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج و طريق مكة المعظمة ١: ٥١، ٢: ٢٢٢، ٢٢٥، ٣٤٤.
- ٣: ٩١، ٤: ٢٤٤، ٢٤٩، ٣٤٧، ٣٥٠، ٥١٣، ٥٦٦، ٥٧٥، ٥: ١٣، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥.
- الدرعا ٢: ٣٣٨
- درويش آغا ٤: ٣٤
- درويش العجيمى ٥: ٥٤١
- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٣٣

درى زاده الحاج محمد عابد ٥: ٤٢٩

دريبه ٤: ٤٢٣

دشبتلوت ٢: ٣٢١

دعاء عرفه ١: ٢٩

دعونا نمشى ١: ٦٠

دفتر دار عثمان باشا ٥: ٥٠٩

دقاقه بن عبد العزيز العيسى ٣: ٤٨٥

دكان القزاز ٥: ٤٠٢

دلائل النبوه ١: ٤٠٠، ٤٠٣، ٣٩٣.

الدلائل ١: ٤٢٣، ٢: ٣٨٥.

دلاور بك ٥: ٥٠٧

دتلو عزت باشا ٥: ٥١٠

دتلو نامق باشا ٥: ٥١٠

الدلو ٥: ١٠٤

دلوكة بنت زبا ٥: ١٧٣

دليل الحاج ٤: ١١١، ٦: ١٥.

دليل الحج للوارد إلى مكة و المدينة من كل فج ١: ٥١، ٥: ٣٨٤، ٦: ٣٢٧.

دليل السالك إلى موطن الإمام مالك ٦: ٢٨٥

دليل المسلم ٥: ٥٣٨، ٥٣٩

دليل الناسك لأداء المناسك ٢: ٢٨٥

دمشق ٢: ١٣٥، ١٨٦، ٣٤١، ٥: ١٦٥، ٢٢٢، ٦: ٥٣.

الدمق بن زيد بن امرئ القيس ٦: ٣٧٢

دمياط ٢: ١٣٤، ٢٨٠، ٣: ٥٥٥.

الدميرى ٤: ٣٣٣

دنسمور ٢: ١٦٣

ده كوريه ٦: ٧٦

دهلك ٢: ١٣٦

دهلى ٦: ٣٥

الدوانى ١: ٢٨٥

دوتى ٦: ٧٣

الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة ٦:

١١٢

دوكر ٥: ١٥



- دول الإسلام ٣: ٩٣، ٤: ٤٧١.
- دول العرب و عظماء الإسلام فى البيت الحرام ٢: ٤٩، ٣: ٤١٤، ٤: ٤٤٧، ٥: ١٠١، ٦: ٦٢.
- الدولابى ١: ٤٢٥
- دولتو تقى الدين باشا ٥: ٥١٠
- دولتو صوت باشا ٥: ٥١١
- دومة الجندل ٦: ١٠٤
- دومنقوبا ديا أى لبلخ ٦: ٧٤
- دويك ٣: ٣٦
- دى يسعد ٢: ٣٣٩
- ديار بكر ٢: ١٣٥
- ديار بنى حصانى ٢: ٣١١
- ديار ناصف ٢: ٣٤١
- دير على ٢: ٣٣٨
- ديفريمرى ٣: ٤٦٨
- دين و دوله ٦: ١٥
- الدينور ٦: ٥٣
- ديوان السرحان ٦: ١٦
- ديوان العرب ٦: ١٦
- ديوان الغزاوى ٦: ١٧
- ديوان خطب منبرية ألقاها أيام الجمعة فى المسجد الحرام ٥: ٥٤٣، ٥٤٤
- ذات الحاج ١: ٦٧، ٢: ٣٣٨.
- ذات الرخيم ٢: ٣١٨.
- ذات عرق ٤: ٩٥
- الذخائر و التحف ٣: ٤٦٥، ٤٧٥
- ذخيرة الكتاب ٦: ٥٨
- الذكريات ٦: ١٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٣٤
- الذهبي ٢: ٣٧٨، ٤: ٤٨١، ٥: ٥٦٠، ٥: ١٢، ٦:
- ١٠٠.
- ذو الحليفة ٤: ٩٥
- ذو القرنين ٣: ٥٤٥
- ذو الكلاع ١: ٥٤٧
- ذو المجاز ٦: ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥

- ذو نفر ١: ٢٩٩، ٣٠٩
- ذى المجاز ٦: ١٠٥
- ذى نواس ٦: ٥٥
- ذيل تاريخ دمشق ٣: ٤٧٩، ٤٨٠
- ذيل دول الإسلام ٥: ٣٩
- الذيل ٥: ٦
- رأس السبع و عرات ٢: ٣١٩
- رأس القاع الصغير ٢: ٣١٩
- رأس قاع البزوة ٢: ٣٢٠
- رأس وادى بدر ٢: ٣٢٠
- رؤى أبولون ٦: ٢١
- رائطة بنت مظعون ٦: ٢٥٨
- رابعة العدوية ٦: ٣٨٤
- راغب ١: ٦٦. ٢: ١٧٠، ١٧٨، ٣١٠، ٣٢٠، ٣٣٢. ٣: ٥٦٨. ٥: ١٦١.
- راتب باشا ٦: ١٥٠
- راجح بن قتادة ٤: ٢١٤. ٥: ٥٠٠
- راسم الخالدي ٥: ٢٧١، ٢٧٢
- راشبووتا ٢: ٣٢١
- راشد باشا ٥: ٣٨٣
- راشد بن صالح بن خنين ٦: ٣٩
- الراضى بالله العباسى ٢: ٩٤، ١٠٠
- راغب مصطفى توكل ٢: ١٨٦
- رافع بن مالك ٥: ٣١٣
- الرافعى ٤: ٣٣٢. ٥: ٣٢٩، ٣٣٩
- رامشت ٣: ٥٥٧. ٥: ٣٧، ٣٨
- رامفور ٤: ١٤٢
- رامون نوفارو ٥: ٢٥٣
- رانكون ٥: ١٤، ٣٦
- رايطة بنت كعب ٥: ١٦٢
- رباط الخليفة ٥: ٤٠٠
- رباط الداودية ٢: ١٧٥
- رباط السليمانية ٢: ١٧٥
- رباط العباس ٥: ١٣١

- رباط الفعالية ٥: ٤٠٠
- رباط رامشت ٤: ٤٥١. ٥: ٣٧، ٥٦، ٥٧، ٤١.
- رباط سيدنا عثمان ٥: ٤٠٢
- رباط قايتباي ٤: ٣٥٢
- رباط كلاله ٥: ٤٠٠
- رباط محمد باشا ١: ٥٧. ٢: ١٧٥.
- الرايذة ٦: ٢٦٨
- ربيع الأبرار ١: ٣٠٨، ٤١١
- الربيع الحاجب ٤: ٤٩٤
- الربيع بن عبد الله الحارثي ٣: ٤٨٥
- ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ٣: ٥٠٣
- ربيعة ١: ٥٧٠
- رجاء بن حيوة ٦: ٢٧٧
- رجال في حياة ٦: ١٦
- رجل و عمل ٦: ١٥
- الرجولة عماد الخلق الفاضل ٦: ١٧
- رحلة إلى القنفذة ٦: ٢١، ٢٢
- رحلة إلى نجد ٦: ٢١، ٢٢
- رحلة ابن بطوطة ٥: ١٧٦، ٢٧٦
- رحلة ابن جبير الأندلسي ٥: ١٥٩
- رحلة الأندلس ٥: ١٧١، ١٧٦، ١٨٢
- رحلة الأندلسي ٦: ٢٩٧
- الرحلة الأندلسية ٥: ١٦٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٣٥
- الرحلة الحجازية ١: ٥١، ٢٤٣، ٢٤٧. ٢: ٨٥، ٨٦، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٦٩، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٩١، ٣١٠، ٣١٣، ٣١٦، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٤١
٢٠٨. ٥: ١٦١، ١٨٢، ١٨٩، ٢٠٦، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٣٠، ٣٣٤، ٤٨٩، ٤٩٤، ٤٩٥، ٥٠٤. ٦:
- ٧٠، ٧٦، ٧٩، ٨٨، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٧٥، ١٨٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٩٧، ٣١٥، ٣١٩، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٧٦.
- رحلة الربيع ٦: ١٥
- الرحلة اليمانية ٥: ٤٠٥. ٦: ٣٠٩.
- رد رنان على نشر الهديان ٥: ٢٥٩
- ردع الجهلة و أهل الغزة في اتباع قول من يرد المطلقة ثلاثا في مرة ٥: ٥٤٢
- ردم آل عبد الله ٢: ١١

- ردم عمر بن الخطاب ٢: ٢٦٤
- رزاح بن ربيعة ٤: ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٣
- رزين ١: ٤١٠، ٤١٤
- رسائل في الأدب العصري ٦: ١٧
- رسالة الجوهر المنظم في فضائل ماء زمزم ٢: ٤٩١
- رسالة ثبت صغير يسمى الإرشاد في علم الإسناد ٥: ٥٣٩، ٥٤٠
- رسالة جوهر الدين ٥: ٥٣٩
- رسالة حفظ التنزيل من التغيير و التبديل ١: ٢٩
- رسالة ذيل الدرر ١: ٥٨
- رسالة في الفرائض ١: ٥٨
- رسالة في جواز الإحرام من جدة ٥: ٥٤٥
- رسالة في ذم اللعب و الملاهي ١: ٥٨
- رسالة في فضائل ابن عباس و الطائف ١: ٥٢
- رسالة من نفحات رمضان ٥: ٥٣٧، ٥٣٨
- رستم باشا ٢: ٢٦٦
- رستم ٣: ٥٦١
- رسل الملوك ٤: ٤٧٨
- رسم المعمور ٦: ٣٤٣
- رشاد حكيم ٥: ٥٣٣
- رشاد خان الخامس ٤: ١٦
- رشاد زبيدي ٢: ٢٠٣
- رشاد كلكتاوى ٥: ٥٣٢
- رشدى ملحس ١: ٥٥. ٢: ١٨٦، ١٨٩.
- ٣: ٥٦٣، ٥٦٦. ٦: ٣٠٥
- رشف الزلال في وصف الهلال ١: ٢٩٣
- رشيد باشا ٥: ٥١٥
- رشيد رضا ٤: ٥٣
- رصف اللال في وصف الهلال ١: ٢٩٣
- الرصيفة ٢: ٢١٧
- رضوان آغا ٣: ١٣٥، ١٣٧، ١٤٣
- رضوان بن عبد السلام الرئيس ٤: ١٣٩
- رضوان بن محمد الخراساني ٥: ١٠١
- رضوان بيك ٣: ١٣٤. ٤: ١٥٤

- رضوان على ٣: ١٤٧
- رضوان ٣: ١٤٤، ١٤٩، ١٥٢، ١٦١، ١٦٣، ١٦٨، ٢٤٥
- الرضى بن خليل المكي ٥: ١٣٣ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٣-٦ ؛ ص ٤٣٥
- له بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ٢: ٤٦٥
- رفع الأستار فى مصطلح الحديث ٥: ٥٣٩، ٥٤٠
- رفعت آغا ٤: ٣٥
- رفعت باشا ٢: ٢٢٩
- رفقا بالقوارير ٦: ١٥، ١٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٣٦
- الرق فى الإسلام ٤: ٣٢، ٣٣، ٤٢، ٤٤
- الرقعة ٣: ٤٨١
- الرقمتين ١: ٥٢٤
- رقية ١: ١٥٣. ٦: ٣٤٩
- الركن الأسود ٣: ٤٥٢
- الركن الشامى ٣: ٤٥٢
- الركن العراقى ٣: ٤٥٢
- الركن اليمانى ٣: ٤٥٢
- رلى ٢: ٣٤٢
- رمضان سعد البدرى ٥: ٥٢٩
- رملة بنت أبى سفيان ١: ١٧٠
- رملة بنت عبد الله بن عبد الملك ٢: ٦٤
- الرملة ٢: ١٣٥، ٣٤٠
- رمنجتون ٢: ١٦٣
- رميثة بن أبى نمى ٣: ٤٧٤. ٥: ٤٨٧، ٥٠٠
- رميثة بن محمد بن عجلان ٢: ٥٩، ٦٠
- الرها ٢: ١٣٥
- الرهونى ٤: ١٢٩
- الروادنى ٤: ٤٠٨
- الروبان ٦: ٥٣
- روبين بارترديج ٥: ١٥
- روح الإسلام ١: ٢٧٧
- روح بن زنباع الجذامى ٣: ٩٤، ١١٩
- روديسيا ٦: ١٦٤

- روسيا ٢: ٢٩٢. ٦: ١٦٣، ٢٤٤.
- روش ٦: ٧٧
- روض الأنف ٢: ٤٦١. ٣: ٥٢٧. ٦: ٢٨٤.
- الروض الجامع ٢: ٥٣٦
- الروض المعطار ٥: ٤٩٤، ٤٩٥
- الروض ٥: ١٦٩، ٢٣٩.
- روضه الأجاب ١: ٤١٦، ٤٧٥
- الروضه الشريفه ١: ٢٤٧. ٢: ٢١٧.
- روضه خاخ ١: ٤٦٠
- الروضه ٤: ١٣١
- رولند هيل ٥: ٢٥٠
- روما ٣: ١٠٧
- روميه ٢: ٣٤٤. ٦: ٦٥.
- رونالدز ٢: ١٩٩
- الرويس ٦: ٣٢٤
- رى العاطش و أنس الواحش ٦: ٢٨٤
- الرى ٢: ١٣٥. ٣: ٤٨٠. ٦: ٥٣.
- رياض الجنه ٤: ٤٠٧
- رياض الصالحين ٥: ١٥٥
- الرياض النضرة ١: ٤٠٠، ٤٢٣، ٤٧٢.
- ٢: ٣٩٣، ٣٩٤. ٣: ٩٣، ٩٤، ٩٧، ١٠٠، ١٠١. ٤: ١٢٢.
- الرياض ١: ٦٦. ٢: ٣١٢. ٣: ٣٨٦، ٤٠١.
- ٥: ٦٠. ٦: ٢٤٥.
- ريتشرد برتن ١: ٨٢
- ريحان بن سالم ٥: ٤٠٥
- ريحانه القرظيه ١: ١٥٣
- الريحاني ٦: ٧٤
- ريد ٢: ٤٢٢
- ريشارد برتن ٦: ٧٨
- ريطه بنت أبى العباس السفاح ٤: ٤٩٣
- ريع الرسام ٢: ٥٥، ٢١٦. ٥: ٥١٧. ٦: ١٦٨.
- ريع الكحل ٢: ١٥

ربيع اللصوص ٢: ٥٤

الربيع ٢: ٥٤

زابلستان ١: ٥٦٨

زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم ١:

١٠٥، ١١٠، ١٦٣، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٣٧

٣٧٠، ٣٨١، ٣٨٩، ٣٩٣، ٣٩٩، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٤٢، ٤٤٧، ٤٥٠، ٤٩٥، ٤٩٨، ٤٩٨: ٢، ٣٨٥، ٣٩٠، ٤١٨، ٤٤٢، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٧: ٣، ٣١، ٩٢،

١١٥، ١٨٨، ٢٥٥، ٣٠٤، ٣٢٣، ٥٤١.

٤: ٢٧، ١٣٠، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٥، ٥٠٨، ٥: ٨، ٩، ٢٤١، ٢٤٤، ٣٤٣، ٥٣٥، ٦: ١٧١، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧،

٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٣٥٢، ٣٥٣.

زاد المعاد فى هدى خير العباد ٤: ٢٩٨، ٣٠٠.

٥: ١٦٠.

الزاهر ٢: ٢١٧، ٣٣٣، ٥: ٢٣٥، ٣٦٥.

زاوية السمان ٥: ٤٠٢

زاوية المغاربة ٥: ٤٠٢

زاوية سيدنا أبى بكر الصديق ٥: ٤٠٢

زبدة الأعمال و خلاصة الأفعال ١: ٥٥

زبدة المسالك للإجازة فى روايات موطأ مالك ٥: ٥٣٥، ٥٣٦

زبيد ٦: ٣١٦

زبيدة ٢: ٣٤٢

الزبيدية ٥: ٤٠٤

الزبير ابن العوام ١: ١٥٩، ٣٩٤، ٤٦٤.

٢: ٥٤، ٣: ٩٧، ٥: ٢٣٩، ٦: ١٠٠

الزبير بن بكار ١: ٢٣٥، ٣: ٢٠، ٥: ٦٨، ٦: ٢٥٨

٢٥٨

الزبير بن عبد المطلب ٣: ٢٦، ٣٧

الزبير ١: ١١٣، ٣٢١، ٤٦٨، ٢: ١٦٢

الزجاجى ٦: ٣٤٣

الزحف المقدس ٦: ١٧

زر بن حبيش ٣: ٣٢٤

الزرقاء ٢: ٣٣٩

الزرقانى ٣: ٥٣٥، ٤: ١٢٩، ٥: ٢٣٩، ٥: ١٧٤.

٦: ١١٤

- الزركشى ٣: ٤٩١، ٥٣٩  
 زروق ٥: ١٠٠  
 زقاق الحجر ٥: ٤٠٣  
 زقاق الخندريسة ٦: ٣٥  
 زقاق بحرة ٥: ٤٠٣  
 زقاق محرم ٥: ٤٠٣  
 زكروية القرمطى ٣: ٤٦٥  
 زكرويه بن مهرويه ٣: ٢٧٢  
 زكريا مهران ٥: ٢٧٦  
 زكى باشا ٤: ٣٩  
 الزكية ٥: ٤٠١  
 الزمخشري ١: ٣٠٨، ٤١١، ٤: ٢٠٥، ٥: ١١، ١٧٧  
 زمرد ٢: ٣٤٠  
 زمعة بن الأسود الأسدى ١: ١٦٢  
 الزنج ٢: ١٣٥  
 زنجان ٣: ٤٨٠  
 زنجبار ٦: ١٦٣  
 الزنجى ٣: ٥٠٣  
 زهر و شوكة ٦: ١٧  
 زهرة التفاسير ١: ٢٩  
 الزهور المقتطفة فى تاريخ مكة المشرفة ٦: ٢٩٠  
 زهير بن أبى أمية المخزومى ١: ١٦٢  
 زهير بن أبى سلمى ربيعة بن رباح المزنى ٣: ٤٧٨  
 زهير بن أمية بن المغيرة ١: ٤٦٨  
 زهير بن جناب الكلبي ١: ٣٠٨  
 زهير ٤: ٢٠٣  
 الزواوى ٥: ٣٨٥، ٤٠٢  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٣٨  
 الزوايا ٦: ٢٠  
 زوربخ ٥: ٢٥٢  
 زياد بن الحارث الصدائى ٤: ١٢٨  
 زياد بن عبد الله الحارثى ٤: ٢٧٩، ٤٤٠، ٤٦٢، ٥: ٤٩٧  
 زياد بن عبيد الله الحارثى ٣: ٥، ١٦



زيادة الله ٥: ٤٦٣

الزيتون ٢: ٣٤٣

زيد بن ثابت ٣: ١٠٤. ٦: ٢٥

زيد بن حارثة ١: ١٢٢، ١٥٩. ٥: ٢٣٩، ٢٤١

زيد بن عمرو بن نفيل ١: ١٣٤

زيد بن فواز ٦: ٩٢

زيد بن محمد ١: ١٥٩

زيد ١: ١٥٩. ٥: ٥٠٢. ٦: ٢٥٩

زيدان الشنقيطي ٥: ٥٢٢. ٦: ٤٥

زيلع ٢: ١٣٥

زين الدين العراقي ١: ٤٢٤

زين الدين بن بNDAR ٥: ٤٥٤

زين الدين ٣: ٦

زين العابدين بن عبد القادر الحسيني ٣: ١٣٦، ١٣٧

زين العابدين بن عبد الله بن محمد الشيبني ٤: ٢٠١

زين العابدين بن محمد بن عبد المعطي ٤: ١٩٨

زين العابدين ٤: ٢٠٣

الزين العراقي ٢: ٨٥

الزين المراغي ٤: ٢٥

زين مقبل القديري ٣: ١٦

زينب بن خزيمه ١: ١٦٩

زينب بنت أبي سلمه ٦: ٢٢٩

زينب بنت جحش ١ ون: ١٥٢، ١٦٩. ٢: ٤٦.

٣٤٩: ٦

زينب بنت خزيمه الهالبيه ١: ١٥٢، ١٦٩. ٦:

٣٤٩

زينب ١: ١٥٣، ١٧٠. ٦: ٢٥٨، ٣٤٩

زيني دحلان ٥: ٥٢٢

زيني ٤: ٢٠٣

سأذهب ٦: ١٥

ساجستان ١: ٥٦٨

الساحر العظيم ٦: ٢١، ٢٢

ساحل العاج ٦: ١٦٤

ساحل المغرب ٢: ١٣٤

سادليه ١: ٨٢

ساره ١: ٨٦، ٤٥٩، ٤٨٥، ٤٨٦. ٢: ٤٤٥، ٤٦٢، ٤٦٣

ساسان بن بابك ٣: ٤٦٩

ساعة بيح بن ٥: ١١٠

سالار ٥: ١٦٤

سالم البصرى ٥: ٣٨٠. ٦: ٣٢٧

سالم بن الجراح ٢: ٥٥٢، ٥٥٦. ٤: ٥٠٧

سالم بن عبد الله البصرى ٥: ٢١١، ٣٠١. ٦:

٨٤

سالم بن عبود ٤: ٦٦

سالم بن ياقوت المؤذن ٢: ٥٢٩

سالم شفى ٥: ٤٣٣، ٤٣٥، ٥٢٣

سالم ٥: ٤٦٥. ٦: ٢٥٩

السالنامه الحجازية ٢: ٥٢٦، ٥٣٣. ٣: ١٣١، ٢٠٩. ٥: ٨٢، ١٠٤، ٢٠٣، ٥٠٦.

سام بن نوح ١: ٧٣

سامى كتبي ٥: ٥٢٧

سانت البانس ٥: ١٠٦

سانجيتنى ٣: ٤٦٨

سبأ ١: ٥٧٠

سبأ ٢: ١٣٥

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٣٩

السباعى ٢: ٩، ٢٢، ٢٤. ٣: ٢٥٦، ٢٦٥، ٥٨٤. ٤: ٣٧، ٤٥، ٢١٤. ٥: ٢٠٢، ٢٠٩، ٢٣٨. ٦: ١٥٠، ١٥١

سبتة ٢: ٣٤٣

سبتة ٦: ٢٩٨

السببک البدیع المحکم فی شرح نظم السلم ٦:

٢٨٦

السبکی ١: ٢٢٤. ٢: ٥٦٢

سبل الرشاد ٥: ٢٥٦

سبيعة بنت الحارث ١: ٤٤٦

سبيل ابن ظهيرة ٥: ٤٠٠

سبيل الخاصكية ٢: ٥٣٦

سبيل السلام فى إبقاء المقام ٣: ٣٦٣

سبيل الهدى و الرشاد فى سيرة خير العباد ٣: ٢٤

السبيل ٦: ٣٢٤

سته و أربعون يوما فى المستشفى ٦: ١٨

ستسن ١: ٨٢

ستوكتن ٥: ١٥

سجستان ٢: ١٣٥، ٣: ٤٨٠، ٤: ٤٤٦

٥: ٢١١، ٦: ٥٢

سحرة الرهاوى ٤: ٢٧٥

سحنون ٥: ٤٤٧، ٤٦٥

السخاوى ٤: ٢٩، ١٩٢، ٥٦٠، ٥: ٣٩

سد أجياد ٢: ٢٦٣

سد ابن الزبير ٢: ٢٦٠

سد الحجاج بن يوسف ٢: ٢٦١

سد خالد بن عبد الله القسرى ٢: ٢٦١

سد خزاعة ٢: ٢٥٩

سد عبد الملك بن مروان ٢: ٢٦١

سد عمر ٢: ٢٥٩

سد معاوية بن أبى سفيان ٢: ٢٦٠

السد ٢: ١٢، ١٣٥

السدى ١: ١٥٨

سر محمد مزمل الله خان بهادر ٥: ٣٦

سراج الخراز ٣: ٤٤٦

سراج الدين عمر بن محمد المزلق الدمشقى ٥: ٣٦٠

سراج الدين عمر ٢: ٥٢٨

سراج الشيبى ٤: ٢٠٣

سراج بنون ٣: ٣٩٨

سراج خراز ٢: ٣٦٣، ٦: ٨

سراج ششنة ٥: ٥٢٣

سراج صالح ملائكة ٥: ٥٣٠

سراج كعكى ٢: ١٦٠، ١٦٤، ١٦٦

سراج يحيى دواس ٢: ١٤٨

سراج ٥: ١١

سرافة بن مالك ١: ٤٠٨

- السراى ٢: ٣٤٣
- سرحان ٦: ٤٥
- سردينية ٢: ٢٩٢
- السرطان ٥: ١٠٤
- سرف ١: ١٧٠
- سرنديب ٢: ٣٤٣، ٤٤٠
- سرو بحجة ٤: ٢٢
- السرو ٤: ٢٢
- السروجى ٤: ٤٨١
- سرور بن مساعد ٢: ٥٣٣. ٥: ٢٠٢
- سرور ٥: ١٨٥
- السرى بن عبد الله بن الحارث ٥: ٤٩٧
- السرى ابن الحكم ٣: ٥٥٣
- السرى الرقاء ٥: ٢٣، ٢٥
- السرى بن الحكم ٤: ٨
- السرى بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب ٤: ٢٨٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٤٠
- سطح العقبة ٢: ٣١٨
- سعد الأنصارى ٦: ١٠٠
- سعد الدين إبراهيم القبطى الفوى المصرى ٤: ٥٦٢
- سعد الدين إبراهيم ٢: ٢٢٤
- سعد الدين الإسفرائينى ٢: ٨٤
- سعد الدين الفوى المصرى ٤: ٥٣٠
- سعد الدين باشا ٥: ٥٠٩
- سعد الدين ٥: ٤٠١
- سعد الطوخى ٥: ٥٢٩
- سعد الغامدى ٢: ١٦١
- سعد القرظ ٤: ١٢٧، ١٢٨
- سعد بن أبى وقاص ١: ١٥٩. ٥: ١٦٩. ٦:
- ١٠١
- سعد بن الربيع ٥: ٣١٣
- سعد بن خولة ١: ٤٤٣، ٤٤٥
- سعد بن خيثمة ١: ٤١٤. ٥: ٣١٤

- سعد بن زرارة ٢: ٣٥٥
- سعد بن ظالم الغطفاني ١: ٥٤٨
- سعد بن عبادة ١: ١٤٠، ٤٦٤، ٥: ٢٣٩، ٣١٣
- سعد بن عمر السهمي ٢: ٩
- سعد بن معاذ ٥: ٢٣٩
- سعد قال لي ٦: ١٥
- سعد محمد ربيقان ٢: ١٤٩
- سعد ٢: ٢٦٧، ٦: ٥٧
- سعود الكبير بن عبد العزيز آل سعود ٣: ٥٦٤
- سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ١: ٢٩٠، ٢: ٨٢، ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ٢٥٧، ٢٩٨، ٣: ٢٢٠، ٢٨٦، ٣٠٨، ٣٨٣، ٣٨٦، ٤٠١، ٤٠٢، ٤: ٤٠١
- ٦٣، ١٤٢، ١٦٢، ١٦٤، ٢٥٠، ٣٥٧، ٤٣٤، ٤٦٠، ٤٦٤، ٤٦٩، ٥٤٥، ٥٧٥.
- ٥: ١٤٣، ٦: ١٣٢، ١٤٣
- سعود عاشور ٢: ١٤٧
- سعود عبد العزيز ٣: ٣٥٥
- سعود ٢: ٣٦٢، ٤: ٩، ٢٠٣، ٤٦٠، ٥: ٢١٥
- سعيد العامودي ٦: ٣١٣، ٣١٤
- سعيد الغامدي ٢: ١٤٩
- سعيد المنوفى ٤: ١٧٩
- سعيد اليماني ٥: ٥٤١
- سعيد باشا ١: ٢٤٦، ٢: ٢٩٣، ٤: ٣٣
- سعيد باغلف ٦: ٣١٥
- سعيد بامحفوظ ٢: ٢٠٥
- سعيد بن السيب ٤: ٢٦٧
- سعيد بن العاص ٤: ٢٧٥، ٥: ٤٩٦
- سعيد بن العدوي القرشي ١: ١٥٩
- سعيد بن المسيب ٤: ٥٤٦، ٦: ٢٥٩
- سعيد بن جبير ١: ١٥٨، ٣٨٧، ٢: ٤٦٦
- ٣: ٥١١، ٤: ٢٦٧
- سعيد بن زيد بن ثابت ٤: ٢٦٧
- سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ٢: ٨٧
- سعيد بن زيد ٣: ٣٢٦
- سعيد بن سعد ٤: ٣٤

- سعيد بن عبد العزيز ٤: ٥٥٠  
سعيد بن مسلم ٤: ٤٩٨  
سعيد حمزة ٢: ٢٠٣  
سعيد درويش ٣: ٣٩٨  
سعيد ديشيشة ٦: ١٤٢  
سعيد سبع مجاهد ٥: ٥٢٩  
سعيد شاورلى ٢: ١٦٢  
سعيد عبد الله رباح ٥: ٥٢٩  
سعيد عجب نور ٢: ١٦١  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٤١  
سعيد قطب ٢: ١٥٧  
سعيد نتو ٣: ٣٩٨  
سعيد يمانى ٥: ٥٢٢  
سعيد ٤: ٣٣  
سعيدى باشا ٤: ٣٤  
سفيان الثورى ٥: ٤٤٣. ٦: ٢٧٩  
سفيان بن أمية ٦: ٣٠  
سفيان بن الحارث ٦: ٣٤٩  
سفيكا الحكيم ٣: ١٠٧  
السفينه العلوية ٥: ٥٣٧، ٥٣٨  
سفينه ٢: ٣١٣  
السقيفة ٢: ٣٣٢  
السكرتورى ٣: ٣٨٣  
سكندر بيكم ٤: ٢٩٠  
سكوتلاندا ٢: ٢٠٢. ٦: ٦٦.  
السلح و العده فى تاريخ جدّه ١: ٥٢. ٦:  
٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٦، ٣١٧.  
سلافه ١: ٤٧٤  
سلامه ٤: ٤٨٢  
سلسله سلم القراءه ١: ٥٩  
سلسله على مائده القرآن ٦: ١٥  
السلطان أبى سعيد ٤: ٣٥٠  
السلطان أحمد الأول ٤: ١٥٤

السلطان أحمد خان بن السلطان محمد بن مراد ٣: ١٨٢، ٢٠٩، ٤٤٢

السلطان أحمد خان الأول بن السلطان محمد ٣:

١٨٠، ١٨١

السلطان أحمد ٣: ١٣١، ٤٢٥، ٤٤٢. ٥: ١٦٥

سلطان الداغستاني ٥: ٣٨٦

سلطان بركي ٣: ٢٥٣

السلطان بن السلطان محمد خان ٣: ١٩٤، ٤٤٣

السلطان بن السلطان مراد خان ابن السلطان أحمد خان ٣: ١٩٤، ٤٤٤

سلطان بن عبد العزيز آل سعود ٦: ١٤٤

سلطان زمزمي ٥: ٥٣٢

السلطان سليم خان الثاني بن السلطان سليمان ٣: ١٨١

السلطان سليم ٣: ٥٦١. ٥: ٥٠، ٥١، ٧٠

السلطان سليمان خان الأول بن السلطان سليم ٣: ١٨١

السلطان سليمان ٤: ١٥٣، ٥٧٥. ٥: ٤٠٠

السلطان عبد الحميد خان الأول بن السلطان أحمد ٣: ١٨١

السلطان عبد العزيز ٣: ٣٥٥

السلطان عبد المجيد ٣: ٤٤٢

السلطان عبد الحميد خان الثاني بن السلطان عبد المجيد ٣: ١٨١

السلطان عبد الحميد خان بن السلطان محمود ٣: ١٨١

السلطان عبد الحميد ٤: ٣٥

السلطان عبد العزيز خان بن السلطان محمود ٣: ١٨١، ١٨٢

السلطان قايتباي ٤: ٢٩٠، ٤٥٣. ٥: ١٨٦

السلطان محمد الخامس خان ابن السلطان عبد المجيد خان ٤: ٥

السلطان محمد خان الثالث بن السلطان مراد خان ٣: ١٨١.

السلطان محمد رشاد خان الخامس ٣: ١٨١

السلطان محمد ٥: ١٦٥

السلطان محمود خان الثاني بن السلطان عبد الحميد ٣: ١٨١

السلطان محمود ٣: ١٠٩

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٤٢

السلطان مراد الرابع ٣: ١١٦، ١٢٧، ١٥٢، ١٧٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٥٦، ٢٦٥، ٢٨٨، ٢٩٥، ٤٢٥، ٤٧٤. ٤: ٣٦، ٦٣، ١٥٢

السلطان مراد خان الثالث بن السلطان سليم ٣: ١٧٢، ١٨١

السلطان مراد خان الرابع بن السلطان أحمد ٣:

١٨١، ٢٢٠، ٢٢١. ٤: ١٥٤

السلطان مصطفى خان الثاني بن السلطان محمد ٣: ١٨١

السلطانية ٢: ٣٤٢

سلحه كان ٤: ١٩

سلحه ٤: ٢٢

سلم القراءه العرييه ١: ٦٢

سلمان الفارسي ١: ١٦٩. ٣: ٥٧. ٦: ٣٨٤

سلمه بن الميلاء الجهني ١: ٤٦٧

سلمه بنت عقيل ٥: ١٣١

سلمي (كفاهه) ٢: ٣٣٢

سلمي ١: ٤٤٨

سلمي ٢: ٣١٨

سلميه ٢: ١٣٥. ٣: ٢٨٢، ٢٨٣.

السلوك في معرفه دول الملوك ٣: ٤٦٧، ٤٦٨.

سليم آغا ٥: ٣٨١

سليم ابن السلطان مراد الثالث ٥: ٥٥

سليم بن السلطان سليمان ٥: ٥٣

سليم بن جعفر بن سليمان ٣: ٤٨٥

سليم بن سليمان ٤: ٥٤٤

سليم بن عمرو بن لؤي بن ملكان ٤: ١٨٦

سليم بن عنز التجيبي ٥: ٤٧٩

سليم بن عنز ٥: ٤٤١

سليم خان بن السلطان بايزيد خان ٣: ٣٤٣

سليم خان ابن السلطان سليمان خان ٥: ٤٣، ٤٤

سليم خان الأول ٥: ٦٧

سليم خان بن سليمان خان ٥: ٣٧١

سليم خان ١: ٥٢٠. ٤: ٤٥٣، ٥٣٣، ٥٣٥.

٥: ٤٤، ٥٤، ٩٢، ٣٧١. ٦: ٥١

سليم هبو ٣: ٣٩٨

سليم ٥: ٣٧٢

سليمان آغا ميرياخور ٢: ٢٦٢، ٢٦٣.

٥: ٣٧٤

سليمان آغا ٥: ٧٤، ٣٠٧

سليمان أمير ياخور ٦: ١٦٧



سليمان التركي ٥: ٢٢٤

سليمان الرئيس ٤: ٣٥٣

سليمان الصحراوي المصري ٣: ١٤٧

سليمان الصنيع ٦: ١٣٨

سليمان العثماني ٤: ٢٤٩. ٥: ١٣

سليمان الغزاوي ٦: ٤٥

سليمان القانوني ٣: ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٧٤.

٤: ١٦٩، ١٧٠. ٦: ٣٧٨. ٦: ٣٧٧

سليمان النجار ٣: ١٥٧

سليمان باشا ٤: ١٤١. ٥: ٥٠٧، ٥٠٨. ٦:

٣٢٧

سليمان بك ٣: ٣٤٣. ٤: ٦٤. ٥: ٣٠٧، ٣٢٢، ٣٤٢، ٥٠٧

سليمان بن أبي جعفر ٣: ٤٨٢

سليمان بن أبي جعفر المنصور ٤: ٢٨١

سليمان بن أمير المؤمنين المنصور ٣: ٤٨٥

سليمان بن الأسود الغافقي ٥: ٤٧٤

سليمان بن الحسن ٤: ٢٨٧

سليمان بن السلطان سليم خان ٤: ٥٢٢

سليمان بن المنصور ٤: ٥٢٢

سليمان بن جعفر بن سليمان ٣: ٤٨١

سليمان بن جعفر ٥: ٤٩٨

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٤٣

سليمان بن خليل ٢: ٤٠٥. ٤: ٢٤٢، ٢٤٣.

٥: ١٣٠

سليمان بن داود ٤: ٤٧١. ٦: ٩٦، ٣٨٤

سليمان بن سالم الكندي ٥: ٤٤٨

سليمان بن سالم ٥: ٤٦٩

سليمان بن سليم خان ٤: ٤٠٥

سليمان بن عبد الله بن الأصب ٣: ٤٨٥

سليمان بن عبد الملك بن مروان ١: ٥٢٢. ٢:

٨٩، ٢٦١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٤٠٠، ٥٥٨.

٤: ٣٠، ١٩٧، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٩.

٥: ٣١. ٦: ٢١

- سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان ٣: ٣٦٣
- سليمان بن عبد الله بن جعفر بن سليمان بن علي ٤: ٢٨٣
- سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي ٥: ٤٩٨
- سليمان بن عبد الله بن علي ٤: ٢٨٤
- سليمان بن عبيد ٥: ٤٢٨، ٤٣٤
- سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ٤: ٢٧٩
- سليمان بن علي بن عبد الله ٢: ٥٥٨
- سليمان بن عمران ٥: ٤٥٠
- سليمان بن هشام بن عبد الملك ٤: ٢٧٨
- سليمان بيك ٤: ٢٤٧، ٥٦٩
- سليمان حمزة جلال ٣: ٣٩٨
- سليمان خان ابن السلطان سليم خان ٣: ٣٥٤.
- ٤: ١٧، ٤٠٤
- سليمان خان القانوني ٣: ٢٠١. ٤: ١٧٣
- سليمان خان بن سليم خان ٥: ١٨٥
- سليمان خان ٣: ٦. ٤: ٢٤٦، ٤٥٣، ٥٢٤، ٥٤٤، ٥٥٥، ٥٧٥. ٥: ٤٤، ١٨٥، ١٩٤، ٣٦٧، ٣٦٩، ٤٠٧، ٤١١. ٦:
- ٨٧، ٣١٦
- سليمان رشدی ٥: ٤٣٣
- سليمان شاه ابن السلطان سليم خان ٤: ١٨
- سليمان عبد القادر فقيه ٥: ٥٢٨
- سليمان عليه السلام ٣: ٢٠٣
- سليمان غباشی ٢: ١٤٨، ١٦٠
- سليمان قابل ٦: ١٤٢
- سليمان كسار ٢: ١٦١
- سليمان لبان ٣: ٣٩٨
- سليمان ١: ١٣٨، ٣٥٨. ٢: ٥٣٢، ٥٥٥.
- ٣: ١٦، ١٦١، ١٦٩، ٥٤٥. ٤: ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٤، ٤٩٢، ٥٣٣. ٦: ٣٨٣
- السليمانية ٢: ٢١٦
- السمؤال ٢: ٣٧٥. ٦: ٢٣١
- سمار ٥: ٤٠٥
- سمرقند ٢: ٣٤٣
- السمرقندی المدني ٦: ٣١٥
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ١: ٥١

السمهودى ١: ١٨٠، ٢٤٦، ٢٢٩: ٢. ٢١٥، ٢٤٨: ٣. ٨٤، ٥٤٧، ٥٥٨: ٤. ٢٥.

١٧٣: ٥. ٣٥٩، ٣٥٥، ٣٥٢، ٣٥٠: ٦.

سميح الحق ٥: ٥٢٨

سميدع ٢: ٢١٩

السميدع ٣: ٥٠٢. ٥: ٤٩٥

سمير بن ثعلبة بن الحارث ١: ٢٥٩

سميشاط ٢: ١٣٥

سنان باشا ٤: ٢٤٦، ٥٣٣، ٥٤٤. ٥: ٤٥، ١٥٤

سنبز بن الحسن القرمطى ٣: ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٨٥، ٢٩٦

السنبله ٥: ١٠٤

سنجار ٢: ١٣٥

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٤٤

السنجارى ١: ٣٠٨. ٢: ٢٢٤، ٢٦٢، ٥٣٥، ٥٤٤. ٣: ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٧، ١٧٥، ٢٠١، ٢٩٦، ٥٣٩. ٤: ١٤١، ١٥٤، ١٦٢، ١٧٤، ١٨٠،

٣١٥، ٣٤٤، ٣٨٥، ٥١٣. ٥: ٧٤، ١٠٣، ١٥٣، ٢٨٦، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٧١، ٤٠٢. ٦: ٨٤، ١٦٧، ٣١٥

السنح ١: ١٧٣، ١٨٣، ٤٥٢

السنخ ١: ٤١٤

السند ١: ٥٦٨. ٢: ٢٣٩. ٣: ٤٨٠. ٤: ٤٤٦.

٦: ٥٢، ١٦٤، ٢٣٩.

سندوساب ١: ٥٦٩

سندى ياسين بخيت ٥: ٥٣٢

السنغال ٢: ٣٢١

سنقر الجمالى الأشرفى ٤: ٥٤٣. ٥: ٣٦١

سنقر المحتسب ٥: ٣٦٢

سنوك هرغرونيه ٦: ٧٨

سهل المطران ٢: ٣٤٠

سهيل بن عمرو ١: ٤٦٦

السهيلي ٢: ٤٦١، ٤٦٧. ٣: ٥١١، ٥٢٧.

٥: ١٦٩. ٦: ٢٨٤، ٣٤٣

سواحل الروم ٢: ١٣٥

السواد ٣: ٤٨٠

سواطع الجمان فى علم التصريف ٥: ٥٣٥، ٥٣٦

سواق ٢: ٣٤٠

سواكن ٢: ١٣٦. ٦: ٢٩٦.

- السودان ٢: ١٣٥، ٣٢١: ٦: ٣٠١.
- سودة بنت زمعة ١: ١٥٢
- سودة ١: ٢٣٣، ٤١٤: ٦: ٣٤٩
- سودون المحمدي ٣: ٦، ٢٩٥: ٤: ١٤٧، ٥٢٨، ٥٦٣: ٥: ١٣٢، ١٨٦، ٣٤٢: ٦: ٨٥
- سور باب الشبيكة ٢: ٥٩
- سور باب الماجن ٢: ٥٩
- سور باب المعلاة ٢: ٥٩
- سور باب اليمن ٢: ٥٩
- سورة بن الحكم ٥: ٤٤٦
- سوريا ٢: ١٦٩، ١٨٩: ٣: ٥٥٥: ٦: ٧٥، ٣٠١.
- سوزان ٦: ١٦
- السوس ٢: ٤٤٢
- سوق البرامين ٦: ١٠٩
- سوق البزازين ٦: ١٠٨
- سوق البقالين ٦: ١٠٩
- سوق البنط ٦: ٣٠٩
- سوق الجزارين ٦: ١١٠
- سوق الحبوب و السمن و العسل ٦: ١٠٩
- سوق الحجامين ٦: ١٠٩
- سوق الحدادين ٦: ١٠٩
- سوق الحدائين ٦: ١٠٩ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٣-٦ ؛ ص ٤٤٤
- ق الحزورة ٢: ١٣
- سوق الحطب ٦: ١٠٩
- سوق الحمامين ٦: ١٠٩
- سوق الحواتين ٦: ١٠٩
- سوق الخلقان ٦: ١٠٩
- سوق الخياطين ٦: ١٠٩
- سوق الدقاقين و المزوقين ٦: ١٠٩
- سوق الرطب ٢: ١٠: ٦: ١٠٩.
- سوق الرقيق ٦: ١٠٩
- سوق الصغير ٥: ٤٠٢: ٦: ١٠٩
- سوق الصيارفة ٦: ١٠٩
- سوق العطارين ٦: ١٠٨

- سوق العلافين ٦: ١٠٩  
سوق الغزالين ٦: ١٠٩  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٤٥  
سوق الغنم ٦: ١٠٩  
سوق الفاكهة ٢: ١٠. ٦: ١٠٨.  
سوق القواسين ٦: ١٠٩  
سوق الكانتو ٦: ١١٠  
سوق اللبانيين ٦: ١٠٩  
سوق الليل ٢: ١٠، ١٠، ٨١، ٢١٦. ٥: ٤٠٣. ٦: ١٠٩.  
سوق النجارين ٦: ١١٠  
سوق الوراقين ٦: ١٠٩  
سوق حجة ٦: ١٠٤  
سوق ساعة ٦: ١٠٩  
سوهاج ٦: ٢٩٦  
سويبط حرمله العبدري ١: ٢٣٣  
السويرجية ٢: ٣١٣  
السويس ٢: ٢٣٠، ٣٣٦  
سويسرا ٢: ١٥٦. ٥: ٦١، ١١٠. ٦: ١٦٤.  
سويقه ٢: ١٢  
السياسة علم و فن و أدب ٦: ١٦  
سيد أحمد باشا ٥: ٥٠٩  
سيد الأنام ١: ١١٨  
السيد البدوي ٣: ٣٨٢  
السيد حسن ٥: ٣٦٩  
السيد عبد القادر ٥: ٦٥  
السيد على حسن معتوق ٢: ١٤٨  
السيد هاشم ٥: ٦٥  
سيدون ٥: ٣٢٢، ٣٤٢  
سيدي عبد الرحمن ٦: ٧٦  
سير ريشار برتن ٦: ٧٦  
سيرة ابن هشام ٥: ٢٣٩  
السيرة الحلبية ٥: ١١

- السيرة النبوية ٦: ٢٦٧  
 سيرة مغلطاي ١: ١٢٢، ٣٢٠، ٣٣٩  
 السيرة ٤: ٣٤٠  
 سيرو بجنجه ٤: ١٩  
 سيروز حسن ٥: ٤٣٠  
 سيرين ١: ١٧٠  
 سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ٤: ١٧٩  
 سيف الدولة ابن حمدان ٤: ٢٦٧  
 سيف الدين ألدمر بن عبد الله الناصري ٤: ٣٥٠  
 سيف الدين الشيككلي ٥: ٥٢٨  
 سيف الدين المشد ٥: ٢٣  
 سيف الدين خاصي ٤: ٣٥٠  
 سيف الدين غازي بن أتابك زنكي ٥: ٤١٦  
 سيف بن ذي يزن ١: ٣٠٣، ٥٧٠  
 سيف بنى مروان الحجاج الثقفي ٣: ١٢١  
 سيل أبو قرنين ٢: ٢٥٢  
 سيل أم نهشل ٢: ٢٤٣، ٢٥٩. ٣: ٣٢١، ٣٢٢، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٤٥، ٣٤٩، ٤٥٥.  
 ٤: ٤٣٧، ٤٦١.  
 سيل ابن حنظلة ٢: ٢٤٤  
 سيل الإنكليزي ١: ٨٦  
 سيل الجحاف ٢: ٢٤٣، ٢٦١. ٦: ٧٢، ٨٠.  
 سيل الخديوي ٢: ٢٥٣  
 سيل الربوع ٢: ٢٥٤  
 سيل الست ٥: ٤٠١  
 سيل القناديل ٢: ٢٤٨  
 سيل المخبل ٢: ٢٤٣  
 سيل بطحان ٦: ٣٦٨  
 سيل فارة ٢: ٢٤٣، ٢٥٩. ٣: ١٩.  
 سيلان ٦: ١٦٣  
 سيليرا ٥: ١٠٦  
 سيمز ٢: ٤٢١  
 سيوستان ٦: ٢٣٩

- السيوطي ١: ٢٣٥، ٣٧١، ٤٣٧، ٥٢١.
- ٢: ٣٠١، ٣١٦، ٥٧، ٥٠٥. ٤: ٢٩، ٤٠، ٤٠٧، ٥١٥، ٥٢٩. ٥: ١١، ١٠٠، ١٦٩، ١٧٤، ١٨١، ١٨٢، ١٩٣، ٢٥٦، ٢٥٨، ٣٥٦، ٤٥٨، ٤٧٨، ٤٧٩
- الشاذروان ٣: ٢٨٨
- شارع المنصور ٢: ٢١٧
- شارل الخامس ٥: ١٠٩
- شارل داوتي ١: ٨٢
- شارلمان ٥: ١٠٨
- الشاش ٢: ١٣٥
- شاطبة ٦: ٢٩٨
- الشافعي ١: ٥٧، ١٩١
- الشافعي ٤: ١٣١
- شاكسير ٥: ١٠٧
- الشام ٢: ١٧، ١٩، ١٣٥، ١٧٢، ١٩٧، ٢٩٤، ٣٢١، ٣. ٣: ٢٧٢، ٤٨٠، ٥٠٣.
- ٤: ٤١، ٥. ٥: ٤١، ٤٢، ٥٢٤. ٦: ٥١، ١٦٢.
- شامة ٦: ١٠٤
- الشامي ٥: ٢٥٦
- الشامية ٢: ٢١٦
- شاه رخ مرزا ٣: ٥٦٠، ٥٦١
- شاه رخ مرزاي ٣: ٥٨٤
- شاه ولي الله الدهلوي ٤: ١٠٦
- شاهين العثماني ٤: ٥٣٠، ٥٤٣، ٥٦٢. ٥: ٧٤
- الشبراملسي ٦: ٢٨
- شبل غلام أحمد بن محمد الطائي ٣: ٢٧٢
- الشيكة ٢: ٢١٦. ٥: ٢٣٥، ٥١٧.
- شجرة الدر ٥: ١٩٢
- الشجوي ٢: ٣٣٥
- شحر ١: ٨٠. ٢: ١٣٥.
- شخصيات أدبية ٦: ١٦
- شداد بن الأسود بن شعوب ١: ٤٤٩
- شداد بن المقدم ٥: ٩٦
- الشرائع ٢: ١٧٩. ٥: ٤٠٥.
- شرح الإيضاح ٢: ١٠٥

- شرح التنبيه ٥: ١٢٨، ٣٢٢
- شرح الجامع الصغير ٢: ٤٣٨
- شرح الرسالة الجديّة ٥: ١٩٩
- شرح السنّة ١: ٤١٠
- شرح العيني على البخارى ٥: ٢٥٩
- شرح اللباب ٢: ٣٧٩
- شرح المشكاة ١: ٣٤٤
- شرح المنهج ٤: ٢٨
- شرح المهذب الصحيح ٥: ٢٥٦
- شرح الهداية ٦: ١٢١، ١٣٣
- شرح رياض الصالحين ٣: ٢٤٥
- شرح عامود النسب ٣: ١٨٤
- شرح على سلم الأخضرى فى المنطق ٥: ٥٣٥، ٥٣٦
- شرح على متن العروسى ٥: ٥٤٣، ٥٤٤
- شرح كتاب الأذكار ٣: ٢٤٦
- شرح متن الإسقاطى من الفقه الحنفى ٥: ٥٤١.
- شرح مناسك الإيضاح ٢: ١٠٧
- شرح منظومة الشيخ عبد العزيز الزمزمى المكى فى علوم التفسير ٦: ٢٨٦
- شرح منظومة خاله محمد بن أحمد، فى علم السيرة ٦: ٢٨٦
- شرح نظم عمود النسب ١: ١٣٤
- شرح نفيس على منظومة فى علم السيرة ٥: ٥٣٥
- شرح حبيب بن عامر ٥: ١٠٠
- الشرشورة ٥: ٤٠٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٤٧
- شرف المصطفى ١: ٤١٢، ٤١٥، ٤٢٢
- شرف عدنان ٦: ١٤٢
- الشرفا ٢: ٣٣١
- الشرفية ٦: ٣٢٤
- شروانى رشدى باشا ٥: ٥١٠
- شريح ٥: ٤٢٤
- شريس بن ضمرة المزنى ٢: ٤٠٠
- الشريسي ٢: ٥٣٢
- الشريف أبو القاسم بن الحسن ٥: ٥٠١



- الشريف أبو طالب بن حسن ٥: ٥٠٢
- الشريف أبو نمى بن محمد بن بركات ٥: ٥٠١
- الشريف أبو نمى بن قتادة ٥: ٥٠٠
- الشريف أبو نمى ٥: ١٩٤
- الشريف أحمد بن زيد ٥: ٥٠٢
- الشريف أحمد بن سعيد ٥: ٥٠٣
- الشريف أحمد بن عبد المطلب ٥: ٥٠٢
- الشريف أحمد بن عجلان ٥: ٥٠١
- الشريف أحمد بن غالب ٥: ٥٠٢
- الشريف أحمد بن محمد بن بركات ٥: ٥٠١
- الشريف إدريس بن حسن ٥: ٥٠٢
- الشريف الحسن بن عجلان ٥: ٥٠١
- الشريف الحسن بن علي بن قتادة ٥: ٥٠٠
- الشريف الحسن بن قتادة ٥: ٥٠٠
- الشريف الحسين بن علي ١: ٦٠: ٢: ٢٠٩
- الشريف الحسين ٣: ٥١٠: ٤: ٥٧٣: ٥: ١٤.
- ٤٠: ٦
- الشريف الحسين ٥: ٥١٩
- الشريف الفزنوى ٥: ٩٧
- الشريف القاسم الملقب بعمدة الدين ٥: ٤٩٩، ٥٠٠
- الشريف القاسم بن محمد ٥: ٤٩٩
- الشريف القاسم بن مهنا ٥: ٥٠٠
- شريف باشا ٤: ٥٧١: ٥: ٥١٠
- الشريف بركات بن الحسن بن عجلان ٥: ٥٠١
- الشريف بركات بن محمد ٥: ٣٦٣، ٥٠١، ٥٠٢
- الشريف بركات ٥: ٣٦٣، ٣٧٣، ٥٠١
- الشريف بكر بن عيسى ٥: ٥٠٠
- الشريف جعفر بن سعيد ٥: ٥٠٣
- الشريف جمار بن حسن بن قتادة ٥: ٥٠٠
- الشريف جمار بن شيخه الحسينى ٥: ٥٠٠
- الشريف حسن بن أبى نمى ٥: ٥٠١
- الشريف حسن ٥: ٣٥٩
- الشريف حسين باشا بن علي بن محمد بن عون ٥: ٥٠٤

- الشريف حميضة بن محمد ٥: ٥٠١
- الشريف داود بن عيسى ٥: ٥٠٠
- الشريف راجح بن قتادة ٥: ٥٠٠
- الشريف رميثة ابن أبي نمى ٣: ٤٩٦
- الشريف رميثة بن محمد بن عجلان ٥: ٥٠١
- الشريف رميثة ٤: ١٦٩
- الشريف زيد بن محسن ٥: ٥٠٢
- الشريف زيد ٤: ٣٦
- الشريف سرور بن مساعد ٥: ٢٠٩، ٥٠٣
- الشريف سرور ٣: ١٣٣، ٤: ١٥٠، ١٥٥
- الشريف سعد بن زيد ٥: ٥٠٢
- الشريف سعد ٤: ٣٨، ٢٩٠، ٥: ٣٧٥
- الشريف سعيد بن بركات ٣: ٤٧٥، ٥: ٥٠٢
- الشريف سعيد بن سعد بن زيد ٥: ٥٠٢
- الشريف سعيد ٤: ٣٨
- الشريف سند بن رميثة ٥: ٥٠١
- الشريف عبد الإله باشا بن محمد بن عون ٥: ٥٠٤
- الشريف عبد الكريم بن محمد ٥: ٥٠٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٤٨
- الشريف عبد المحسن بن أحمد ٥: ٥٠٢
- الشريف عبد المطلب بن غالب ٥: ٢٠٩
- الشريف عبد الكريم بن محمد ٥: ٥٠٢
- الشريف عبد الكريم ٤: ٣٥٥
- الشريف عبد الله باشا بن محمد بن عون ٥: ٥٠٤
- الشريف عبد الله بن حسن ٥: ٥٠٢، ٥٠٣
- الشريف عبد الله بن سعيد ٥: ٥٠٢، ٥٠٣
- الشريف عبد المطلب بن غالب ٥: ٥٠٣، ٥٠٤
- الشريف عطيفة ٤: ٣٥٠، ٣٥١
- الشريف على باشا بن عبد الله ٥: ٥٠٤
- الشريف على بن الحسن بن عجلان ٥: ٥٠١
- الشريف على بن عجلان ٥: ٥٠١
- الشريف على بن عنان بن مغامس ٥: ٥٠١
- الشريف عنان بن مغامس ٥: ٥٠١

- الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون ٢: ٢٦٩. ٥: ٢٨٦، ٥٠٤. ٦: ٧١، ٨٨
- الشريف عيسى الملقب بقطب الدين ٥: ٤٩٩
- الشريف غالب بن مساعد ٤: ٣٤٥. ٥: ٢٠٢، ٢٠٦، ٥٠٣. ٦: ٧٤، ١٥١، ٣١٨
- الشريف غانم بن راجح بن قتادة ٥: ٥٠٠
- الشريف فليته بن القاسم ٥: ٤٩٩
- الشريف قتادة بن إدريس ٥: ٥٠٠
- الشريف قطب الدين عيسى ٥: ٥٠٠
- الشريف مالك بن فليته ٥: ٤٩٩، ٥٠٠
- الشريف مبارك بن أحمد ٥: ٥٠٢
- الشريف محسن بن أخى إدريس ٥: ٥٠٢
- الشريف محسن بن حسين ٥: ٥٠٢
- الشريف محمد بن بركات ٥: ٥٠١
- الشريف محمد بن جعفر بن محمد ٥: ٤٩٩
- الشريف محمد بن حسن بن جعفر ٥: ٤٩٩
- الشريف محمد بن عبد الله ٥: ٥٠٢، ٥٠٣
- الشريف محمد بن عبد المعين ٥: ٥٠٣
- الشريف محمد بن عجلان ٥: ٥٠١
- الشريف محمد بن مكث ٥: ٥٠٠
- الشريف مساعد بن سعيد ٥: ٥٠٣
- الشريف مسعود بن إدريس ٥: ٥٠٢
- الشريف مسعود بن سعيد ٥: ٥٠٣
- الشريف مسعود ٣: ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤.
- ٤: ٣٤٥
- الشريف مكث بن عيسى ٥: ٥٠٠
- الشريف نامى بن عبد المطلب ٥: ٥٠٢
- الشريف هاشم بن فليته ٥: ٤٩٩
- الشريف هزاع بن محمد بن بركات ٥: ٥٠١
- الشريف يحيى بن بركات ٥: ٥٠٢
- الشريف يحيى بن سرور ٥: ٥٠٣
- الشَّشَّة ٢: ٢١٧
- شعب أبى دب ٢: ١١. ٦: ٩٨، ١٦٦.
- شعب أبى ذئب ١: ١٣٠
- شعب ابن يوسف ٢: ١١. ٥: ٣٥٢.

- شعب الأنصار ٦: ٨٥
- شعب الصفا ٢: ١١
- شعب العفاريت ٦: ١٦٦
- شعب بنى عامر ٢: ١١
- شعب خم ٢: ١٤
- شعب عامر ٢: ٢١٦
- شعب على ٢: ١١، ٢١٦
- شعبان الآتارى ٥: ١٤٧
- شعبان بن حسن ٢: ٢٢٢
- شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ٤: ٢٩٠
- شعبان بن حسين ٤: ٣٦٢، ٣٦٣
- شعبان بن سلطان حسين ٥: ١٨٦
- شعبان ٢: ٢٢٣. ٤: ٥٤٣
- شعبة الجن ٢: ١١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٤٩
- الشعبى ١: ١٥٧
- الشعراء الثلاثة فى الحجاز ٦: ١٧
- شعراء الحجاز ٦: ١٧
- شعراء حجازيون ٦: ١٨
- الشعبية ٦: ٣٠٥
- الشفاء أم عبد الرحمن ابن عوف ١: ١١١، ١١٩
- شفاء الغرام ١: ٥٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٤٥٩، ٤٦٧، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٩٩، ٥٠٨، ٥٧١.
- ٢: ٢٩، ٣٦، ٥٩، ٦٢، ٨٤، ٩١، ١٠٣، ٣٩٠، ٣٩٥، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٣٣، ٤٧٤، ٤٩٩، ٥٠٨، ٥٧١.
- ٣: ٩٤، ٩٥، ١٧٤، ١٩٢، ١٩٨، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٦، ٢٩٣، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣١٧، ٣٢٢، ٣٥٣، ٣٣٦، ٣٣٧، ٤٥٢، ٤٥٨، ٤٩٥، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٧، ٥٣٠، ٥٣٢، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٥١، ٥٥٨.
- ٤: ٢٥، ١٤٠، ١٧٨، ٢١٩، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥١، ٢٩٧، ٣٩١، ٤٥٢، ٤٨٥، ٥٧٥. ٥: ٣٧، ٣٨، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٠، ١٦١، ١٦٣، ١٨٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٣٢٥، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٥٨، ٤٠٠، ٤٠١. ٦: ٨٩، ١٠١، ١٢٠، ١٦٥، ٢٨٩، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٦٧.
- شفاء الغليل ٥: ٦
- شفاء المرام ٢: ٨٤
- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ١: ٣٨٢
- الشفاء بنت عبد الله العدوية ١: ١٥
- الشفاء ١: ٣٧٨، ٣٨٧. ٣: ٢٦٠. ٤: ٤١١.

شفرة ٢: ٣٣٨

شفيق باشا ٥: ٤٩٠

شقران ١: ١٩٠

الشقيرى ٥: ٣٨٧

شكر بن هاشم الحسين ٦: ٣٠٨

شكرى نجوم ٢: ١٦٠

شكيب أرسلان ١: ٥٢. ٥: ٣٣٧. ٦: ٧٨، ١٨٠

الشلبى حميدان ٤: ١٧٩

الشلبى عثمان حميدان ٦: ١٦٧

الشمائى ١: ٤٢٣

شمال بلاد الصين ٢: ١٣٥

شمس الإشراق فى حكم التعامل بالأوراق ٥:

٥٤٢.

الشمس ابن الطيب الفاسى ٦: ١١٦

شمس الدين ابن زين الدين ٤: ٥٦٧

شمس الدين الحموى ٥: ٣٦٣

شمس الدين القادرى ٥: ٣٦٣

شمس الدين سامى ٣: ١٨٠

شمس الدين عتاق ٣: ١٤٥، ١٤٧

شمس الدين عتاقى ٣: ١٤٩

شمس الدين محمد بن عبد الملك بن محمد ٤: ٣٤٩

الشمس بن الزمن ٥: ٣٦٢

الشمس بن عابدين ٥: ١٧٤

الشمس محمد الرضى المصرى المالكى ٤: ١٢٨

شمكير بن زياد ٤: ٢٦٧

الشميسى ٤: ٩٦. ٥: ١٥٥، ١٦٠.

شنقيط ١: ٤٣٩

شهاب أحمد ٢: ٢٢٣

الشهاب الخفاجى ٥: ٦

شهاب الدين أبو الفضل ١: ٢٥

شهاب الدين أحمد بن حسن ٢: ٥٢٤

شهاب الدين أحمد بن سعد بن أحمد الحنفى ٤: ٤٢٥

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٥٠

- شهاب الدين أحمد بن شمس الدين ٣: ١٦٣
- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى ٥: ٢٧
- شهاب الدين أحمد بن علان الصديقى ٣: ١٣١
- شهاب الدين غازى ١: ٤٢٥
- شهاب الدين ٢: ٣٣٠
- الشهداء ٢: ١٤٥ . ٥: ٢٣٥
- شهرزور ٦: ٥٣
- شواهد النبوة ٤: ١٢٢
- الشوق و الرغبة فى معرفة ما حصل فى الكعبة فى العهد السعودى ١: ٣٠
- شوقى بك ٢: ٤١٤ . ٦: ٣٧
- شوقى عبقرية خالدة ٦: ١٦
- شوك وورد ٦: ١٦
- الشوكانى ٥: ٢٥٨
- الشياطين الخرس ٦: ١٧
- شبية الحمد عبد المطلب بن هاشم ٢: ٦٣
- شبية بن ربيعة ٢: ٤٥
- شبية بن عثمان بن أبى طلحة الحجبي ٤: ٥٧
- شبية بن عثمان بن أبى طلحة ١: ٤٧٦ . ٣: ٣٨
- ٤: ١٨٩ ، ١٩٤
- شبية بن عثمان بن عبد الدار بن قصى القرشى العبدري الحجبي المكي ٤: ١٩٦
- شبية بن عثمان ٢: ٦٧ . ٣: ٤٨٩ ، ٥٠٤ ، ٥٠٩
- ٤: ١٣ ، ١٧٧ ، ٢٧٥
- الشيبي ٥: ١٩٥
- الشيبي ٥: ٤١٠
- شيث ٢: ٤٢٤ ، ٤٦١
- شيخ أويس بغداد ٣: ٤٧٤ ، ٤٩٦
- شيخ زاده إبراهيم باشا ٥: ٥٠٩
- شيخ زين العابدين ٥: ٥٣٠
- الشييش ١: ٦٠
- الشيما بنت الحارث بن عبد العزى ١: ١٢٤
- الشيوعية و الإسلام ٦: ١٩
- الصاحب بن عباد ٥: ٢٤
- صادق باشا ٥: ٣٨٤ . ٦: ٣٢٧

- صادق بك ٥: ٣٨٥
- صادق دحلان ٥: ٥٢٥
- صادق سعيد بازرعة ١: ٨
- صادوق ٢: ٤٦٧
- صارم الدين ياقوت بن مسعود ٥: ٥٠٠
- صافى عقيل جفرى ٥: ٥٣٣
- صالح الباز ٢: ١٥٨
- صالح الحاج هادى التميمى ٥: ٢٤٧
- صالح المسكين ٤: ٤٩٢
- صالح باخطمه ٣: ٣٠٩، ٣٧٦، ٤: ٧٥
- صالح باشا ٥: ٥٠٩
- صالح بن أبى جعفر ٤: ٢٨١
- صالح بن الرشيد ٤: ٢٨٣
- صالح بن العباس بن محمد ٤: ٢٨٤، ٥: ٣٥٢، ٤٩٨
- صالح بن بكرى شطا ٥: ٥٤٠، ٥٤١
- صالح بن زرياب ٥: ٤٧٠
- صالح بن على ٤: ٢٨٠
- صالح جمال الحريرى ٢: ١٩٢، ٥: ٢٠٣، ٥: ٥٢٤، ٥: ٥٢٦، ٦: ١٠
- صالح جمال ١: ٦١
- صالح جودت ٤: ١١٩
- صالح جوهر ٦: ٣١١
- صالح زكى مصطفى ٥: ٥٣٠
- صالح سبحى ٥: ٥٣٣
- صالح شطا ٥: ٥٢٢
- صالح صدقى ٥: ٤٣٣
- صالح عبد الرحمن أبو الريش ٢: ١٤٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٥١
- صالح كسار ٢: ١٦١
- صالح محمد جمال ٢: ١٥٨، ١٨٤، ٦: ٧، ١٥
- صالح ناقور ٢: ١٦٠
- صالح ١: ٥٨، ٤: ٥٢٢
- الصالحية ٥: ٢٢٢
- صامويل سول ٢: ١٦٣

- صامويل ف. ب. مورس ٢: ١٩٩  
صامويل مورس ٢: ٢٠٠  
صباح ٤: ٤٠٦  
الصباغ ٤: ٢٥٠، ٥: ٣٣  
صبح الأعشى ١: ٧٣، ٧٤، ١٠٢، ٢٦١.  
٢: ٩٦، ٣١٧، ٣٢٠، ٣: ٤٥٢، ٤٥٣، ٥٥٥، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٧١، ٤: ٢٥، ٣٩، ٤١، ١٩٧، ٤٠٧، ٥: ١٥، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤،  
٤٥٢، ٤٥٣، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩١، ٤٩٤، ٤٩٥، ٦: ٥٧، ٥٩، ٦٢، ٣٤٢.  
صبح الأعشى ٢: ١٣٦  
صبحى باشا أفندى ٥: ٢٦١  
صبحى بن طه الحلبي ٥: ١٤٢  
صبرى بوشناق ٢: ١٦١  
صبيا ١: ٧٢  
الصحابة ٥: ١٢  
صحاح الجوهرى ٢: ١٨٣  
الصحاح و مدارس المعجمات العربية ٦: ١٩  
صحراء ليبيا ٢: ٣٧٠  
صحيح البخارى ١: ٢٠٢، ٢٠٤  
صحيح مسلم ١: ٧٣  
صحيفة السوابق ١: ٦٠  
صدر أسبق حمزة باشا ٥: ٥٠٩  
صدر أسبق سيد محمد باشا ٥: ٥٠٨، ٥٠٩  
صدر أسبق عبد الله نائلى ٥: ٥٠٩  
صدر أسبق قوجه يوسف ٥: ٥٠٩  
صدقة أمين وزان ٢: ١٤٨  
صدقة كعكى ٢: ٢١٣  
صدقة ٢: ١٦٠، ١٦٤، ١٦٦  
صديق كمال ٦: ٣١٣  
صديق محمد الخولاخ ٥: ٥٣١  
صديق محمد سندی ٥: ٥٣٣  
صديق نجوم ٢: ١٦٠  
صعده ٢: ١٣٥  
الصعيد ٦: ٣٠١



الصغير ١: ٤٢٣

الصفاء ٤: ٥٦٣، ٥: ١٣٥.

صفحات من تاريخ الكويت ٣: ١١١

صفد ٢: ١٣٤

الصفراء ١: ٦٧

صفوان بن أمية ١: ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٨٢، ٥٥٥.

١٠١، ١٢٠: ٦

صفوان بن محرز ٦: ٢٥٩

الصفوة ١: ٤٠٢، ٤١٠، ٤١٥، ٤٢٥.

٢: ٤٦٠، ٤: ١٢٧.

صفوت باشا ٥: ٥١٠، ٥١٤

صفي الدين الحلبي ٥: ٢١٩

الصفى الكازروني ٦: ٣٥٧

صفيّة بنت حبي ١: ١٥٣، ١٧٠

صفيّة بنت شيبه ١: ٣٩٥

صفيّة ١: ١١٤، ٣: ٩٨، ٦: ٣٤٩

صقر الجزيرة ٦: ١٩

صقلية ٥: ٤٥١

صلاح الدين أبي المظفر محمد بن قندو ٤: ٣٣

صلاح الدين الأيوبي ٢: ٢٢٠، ٢٢١، ٢٨٠، ٣٢٧، ٣: ٥٧٠، ٤: ٢٩، ١٧٩، ٣٤٩.

٢٠٥، ٦: ٣٧٧، ٣٨٣، ٥:

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٥٢

صلاح الدين الصفدي ١: ٢٩٣

صلاح الدين بن أيوب ٢: ١٩٦، ٢٢١.

١٦٥: ٥

صلاح الدين بن ظهيرة الشافعي ٦: ٣٠٨

صلاح الدين خليل بن كليكلندي ٤: ١٤

صلاح الدين يوسف بن أيوب ٢: ٤٥٨، ٦:

٢٩٨

صلاح مجموع ٦: ٤١

صلاح ٦: ٣٣١

صلاصل بن أوس بن محاسن ٥: ٤٠١

صلاصل ٥: ٤٠١

الصليحي ٣: ٥٥٦

صنعاء ١: ٨١، ٢٩٦، ٥٧٠، ٢: ١٣٥، ٦:  
٧٥.

الصنمين ٥: ٢٢٢

صهاريج اللؤلؤ ٥: ٢٦٢

صهيب الرومي ١: ١٥٩

الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع و الزندقة ٥: ١٦٢

صوفة بن أخزم بن العاص ٤: ٢٥٩، ٢٦٧

صوفة ٤: ٣٠

صولت النساء بيبكم ٦: ٣٥

الصولي ٤: ٤٨١، ٤٨٥

صيدا ٢: ١٣٥

الصيمري ٥: ٤٤٦

الصين ٢: ٢٣٩، ٦: ١٦٣.

ضبا ١: ٦٧

ضباعه بنت عامر بن قرط القشيرية ٣: ٥١٥

الضبعة ٢: ٣٣٩

الضحاك بن قيس الفهري ٣: ٩٤

الضحاك ١: ٥٤٨، ٥٧٠، ٢: ٤١٧

ضرار بن الخطاب ٣: ١٦

ضرار ١: ١١٤، ٤: ٤٧٣

الضعين ٢: ٣٣٥

الضوء اللامع ٤: ١٩٢

ضياء التأويل ١: ٤٣٨

ضياء الدين رجب ٦: ١١، ١٣

الطائف ١: ٥٧، ٦٦، ٦٨، ٧١، ١٢١، ٢٩٩، ٣١٠، ٣٣٩، ٤٧٨، ٤٨٢، ٤٨٣، ٥٣٦، ٥٤١، ٢: ١٥، ١٩، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ٢٠٢، ٣٤٢،  
٣٥٢، ٣٥٩.

٣: ٥٥، ٥٨، ٩٧، ٢٦٦، ٣٨١، ٤٨٩.

٤: ١٦، ٢٠١، ٢٦٥، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٧١، ٥: ٦٠، ١٦٠، ٣٨٦، ٤٠٦، ٥١١، ٥١٥، ٦: ٧٣، ٧٥، ٩٢، ١٣٧، ١٥٢، ١٩٩، ٢٤٥، ٢٩٠،  
٣٠٢، ٣١٠.

طارق الشواف ٣: ٣٨٣

طارق بن المرتفع ٥: ٤٩٥

طارق ٦: ٢٥٩

طالب ١: ٣٢٠، ٤٩٦

طاليا ٤: ٢٢

الطاهر إسماعيل المنصور ٣: ٢٨٢

طاهر الدباغ ٥: ٥٢٤

طاهر الكردي ١: ١٩، ٥: ٥٩

طاهر بك ٢: ٢٩٢

طاهر بن الحسين ٣: ٥٥٣

طاهر بن يحيى ١: ٤١٤

طاهر زمخشري ٦: ٩، ١٨

طاهر لنقا ٢: ١٤٩

الطبراني ١: ١٧٤، ٣٢٣، ٤: ٣٢٩، ٥: ٣١٨.

٦: ٣٥٠، ٣٥١

طبرستان ٣: ٤٨٠، ٤: ٢٦٧، ٤٤٦، ٤٩٣، ٦:

٥٣.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٥٣

الطبرى المكي ٤: ١٥٤

الطبرى ١: ٥٢، ٢٨٨، ٢٢٣، ٢: ٢٨٤، ٥٧٣، ٣: ٨٦، ١٤١، ٢٦٨، ٤٧٥، ٤٨٠، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥١١، ٥٤١، ٤: ٢٩، ٦٤، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ١٤١، ٢٠٧،

٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٨٩، ٣٣٧، ٣٨٥، ٥: ١٢٤، ٣١٨، ٣١٩، ٣٧٧، ٣٧٨، ٤١٣، ٤٢١.

٦: ٣٢٧، ٣٥٧

طبقات ابن سعد ٥: ٢٢٨

طبقات الحنفية ٦: ٢٩١

الطبقات ١: ٤٧٤، ٤: ١٨٨، ١٩٥.

الطحاوى ١: ٣٥٨

طرايزون ٢: ٣٤٣

طرابلس ٢: ١٣٤، ٦: ٣٠١.

طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك ٣: ٤٧٨

طريفه بنت ربيعة الكاهنة ٦: ٣٧١

الطريق إلى مكة ٦: ٧٩

طريق الخلود ٦: ٢١، ٢٢

طريق الغاير ٢: ٣١٢

طريق المأزمين ٤: ٣٢٢

طريق خراسان ٣: ٤٨٠

طريق ضب ٤: ٣٢٢

طريق كداء ٢: ٥٤

طريق كدى ٢: ٥٥

طريق مكة ٣: ٤٨٠

طغتكين التركي ٥: ٥٠٠

طغتكين بن أيوب ٤: ١٨٠

طغج بن جف ٣: ٢٧٢

طفيل ٦: ١٠٤

الطلائع ٦: ١٥

طلال بخش ٥: ٥٣٣ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٣-٦ ؛ ص ٤٥٣

ل بن عبد العزيز ٦: ١٤٤

طلال ٤: ٢٠٤

طلحة الشيبى ٣: ٤٠٣

طلحة بن المتوكل على الله ٤: ٤٤٦

طلحة بن حسن الشيبى ٤: ١٩٢، ٢٠٣

طلحة بن داود ٥: ٤٩٦

طلحة بن عبد الله بن شيبه ٤: ٢٠٦

طلحة بن عبيد الله ١: ١٥٩، ٤٧٠، ٤٩٢، ٤٩٢

١٠١: ٦

طلعت حرب باشا ٢: ٢٨٩

الطليحات ٢: ٣١٧

طليطلة ٦: ٩٦

الطنندباوى ٢: ٢١٧، ٥: ٢٣٥، ٤٠٢، ٤٠٢

طنطا ٣: ٣٨٢

طه الشيبى ٤: ٢٠٣

طه القرملى ٣: ٣٨٣

طه حسين و الشيخان ٦: ١٨

طه حسين ١: ٢٤٩، ٢٦٤، ٣٠٨، ٥٥٤

٥٤، ٥٣: ٣

طه خياط ٢: ١٦٤

طهمورث ١: ٥٦٨

طوالع الهدى و الفضل بتحذير المسلمين عن الإعلام وقت الصلاة بضرب الناقوس و الطبل ٥: ٥٤٢، ٥٤٣

طور تيناء ٣: ١٨٤

طور زيتاء ٣: ١٨٤

- طور سيناء ٣: ١٨٤  
الطور ٢: ٣٣٧، ٣٤٢  
طوسون باشا ١: ٢٤٦  
الطوية ٢: ٣٤٠  
الطبيي ١: ٣٤٤  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٥٤  
طيّطس الروماني ٦: ٣٦٩  
طيّطوس ٦: ٣٨٣  
ظالم بن أسعد ١: ٣٠٨  
ظالم بن سعد ٣: ١٨٩  
الظاهر برقوق ٣: ١٣، ١٦، ٤: ٤٠٤، ٥: ١٢١  
الظاهر بيبرس البندقداري ٣: ٥٥٨، ٥٧٢.  
٤: ١٧٦، ٢٨٩، ٥: ٢٢١  
الظاهر جقمق ٣: ١٣، ٤: ٥٤٣، ٥: ١٩٦، ٦:  
٨٥  
الظاهر لإعزاز دين الله ٣: ٥٥٥  
الظاهر ٣: ٢٨٢  
ظفار ٢: ١٣٥  
ظهر العقبة ٢: ٣١٨  
ظهر حمار ٢: ٣٣١  
الظهران ١: ٥٨، ١: ٤٦٢، ٥: ١٠٧، ٣٦٨.  
عائد بن عمران بن مخزوم ٣: ٢٥  
عائشة بنت أبي بكر ١: ١٥٢، ٢٠١، ٢٠٧، ٣٨٧، ٤١٤، ٦: ٣٤٩  
عابد بن حسين ٥: ٥٤٤، ٥٤٥  
العابدية ٥: ٤٠٥  
عابدين خوجه ٥: ٤١٩  
عاتكة أم المجد بنت الوزير أبي جعفر الوقشي ٦:  
٢٩٨  
عاتكة بنت عبد المطلب ١: ١٩٧، ٤٦١  
عاتكة ١: ١١٤، ٦: ٣٤٩  
عادل ٤: ٢٠٣  
عادل سلطان بنت السلطان محمود ١: ٢٤٥  
عارف باشا العارف ٦: ٣٧٣

- عاصم الشيبى ٤: ٢٠٣
- العاصى بن وائل ٣: ٢٩
- العالية ٤: ٤٩٢
- عام السيل ٦: ٥٥
- عامر ابني هاشم بن عبد مناف ٢: ٦٨
- عامر بن ربيعة ١: ٤٧٠
- عامر بن عبد الله الخزاعي ٦: ٣٣
- عامر بن فهيرة ١: ٤٠٨، ٢: ٣٨٩
- عامر بن هاشم بن عبد مناف ٢: ٦٧
- عامور بن بعويل بن يافث ١: ٥٧١
- عايض الغامدى ٢: ١٦٠
- العباب ٤: ٣٣٣
- عباد بن حمزة بن عبد الله ١: ٣٩٥
- عباد بن عبد الله ١: ٣٩٥
- عباد بن عبد الله ابن الزبير ٣: ٦٧
- عبادة بن الصامت ١: ١٥٥، ٥: ٣١٣
- عباس أحمد الباز ٢: ١٥٨
- عباس أحمد قزاز ٥: ٥٣٢
- عباس باشا الأول ١: ٢٤٦، ٢: ٢٨٠، ٢٩٢، ٣٣٠، ٣٣١
- عباس باشا حلمى الثانى ٤: ٣٤، ٥: ٢١٤، ٤٨٩، ٦: ٢٩٧
- عباس باشا ٤: ٣٣، ٣٤
- العباس بن الربيع الحارثى ٣: ١٨٩
- العباس بن الربيع ١: ٢٩٧، ٢٩٨، ٦: ٢٠٥
- العباس بن الفضل ابن الربيع ٣: ٤٨٥
- عباس بن المستعين ٥: ٤٩٩
- العباس بن الوليد بن عبد الملك ٤: ٢٧٦
- العباس بن عبد المطلب ١: ٣٢٤، ٣٢٨، ٤٦٢، ٤٧٠، ٢: ٧٧، ٣: ٢٨، ٢٩، ٨٣، ٤٦٩
- ٤: ٣١٣، ٤٠٦، ٥: ٦٨، ٢٤١، ٣١١، ٣١٢، ٦: ١٠٠، ١٠٥
- عباس بن عبد العزيز المالكي ٥: ٥٤٣
- العباس بن عبد الله بن معبد ٥: ٤٩٧
- العباس بن عبيد الله بن جعفر بن أبى جعفر المنصور ٤: ٢٨٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٥٥
- عباس بن محمد الإمام ٥: ٤٩٨

- العباس بن محمد المهدي ٢٨٢: ٤
- العباس بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس ٥٠٤: ٣
- العباس بن محمد بن علي ٤: ٢٨٠، ٢٨١، ٤٩٢
- العباس بن مرداس السلمى ١: ٥٢٤. ٦: ١٦٨
- عباس بن مرداس ٤: ٢٩٧
- العباس بن موسى بن عيسى بن محمد بن علي ٤: ٢٨٢، ٢٨٣
- عباس بن موسى ٥: ٤٩٨
- عباس بن يوسف القطان ١: ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩
- عباس حلمى الثانى ٦: ٢٩٧
- عباس حلمى باشا الثانى ٢: ٢٥٣. ٣: ٥٨١.
- ٤: ٢٠٩، ٢٩٠
- عباس رشوان ٢: ١٦١
- عباس عبد الجبار ٦: ١٣٦
- عباس فائق الغزاوى ٣: ٣٨٧، ٤١٣، ٤١٤
- عباس قطان ٥: ٢٢٤، ٢٢٥
- عباس كرامة المصرى ٥: ٥٣٤
- عباس مالكى ٥: ٥٢٢
- العباس ١: ١١٣، ٢٠٢
- عباس ٤: ٣٣
- العباسة ٤: ٥٢٢
- عبد الإله ٢: ٥٢٦
- عبد الباسط ٣: ٥٦٠
- عبد الباقي الزرقانى ٢: ٥٦٨
- عبد الباقي بن علي المغربى ٥: ٣٦٧
- عبد الباقي ٥: ٤١١
- عبد الجليل بزادة المدنى ٦: ١٩٢
- عبد الجليل مدنى ٦: ١٤٢
- عبد الحفيظ ٦: ٢٨٥
- عبد الحميد الأول ٢: ٥٣٣. ٤: ١٥٠
- عبد الحميد الثانى ٥: ١٢٤، ٢٠٧. ٦: ٣٠٢
- عبد الحميد بك ٦: ٧٦
- عبد الحميد حديدى ٥: ٤٣٣، ٥٢٣
- عبد الحميد خان ٢: ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٥٥، ٥٥٦. ٤: ١٧٦. ٦: ٣٢٧

- عبد الحميد شكرى ١: ٢٥٤
- عبد الحميد قطان ٢: ١٤٩
- عبد الحميد ٢: ٢٨١
- عبد الحى الكتبانى الفاسى ٣: ٢٠١. ٦: ١١٢
- عبد الحى قرار ٥: ٢٢٥
- عبد الدار بن قصى ٦: ١٢٣
- عبد الدار ٣: ٣٨. ٤: ١٨٣، ١٨٧
- عبد الرؤوف الصبان ٥: ٢٢٥
- عبد الرؤوف مجموع ٦: ٣٥، ٤١
- عبد الرؤوف ٦: ٣٣١
- عبد الرحمن الشيبى ٤: ١٩٩
- عبد الرحمن بن عوف ١: ١١٩. ٤: ٢٧٤
- عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد الحنفى ٢: ٥٦٣
- عبد الرحمن على ٣: ٣٩٨
- عبد الرحيم ملاه ٢: ١٨٥
- عبد الستار العلمى ٥: ٥٢٨
- عبد السلام بن أبى بكر الزمزمى ٢: ٥٢٨
- عبد السلام بن عتيق ٥: ٩٦
- عبد الشكور فدا ٢: ١٥٩
- عبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس ٥: ١٢١، ١٢٤، ١٢٩، ٤٩٧
- عبد العزى ٣: ٣٨. ٤: ١٨٣
- عبد العزيز آل سعود ٤: ٤٢٩، ٤٥٤، ٥٣١.
- ٥: ٣٣، ٧٧، ١٠٥، ١٣٤
- عبد العزيز الشيبى ٤: ٢٠٤
- عبد العزيز بن الأصم البرماوى ٤: ١٢٨، ١٢٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٥٦
- عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ٤:
- ١٦٤، ١٧٤، ٢٠٠، ٢٠٢، ٣٥٨، ٤٠٢، ٤٢٦، ٤٢٨، ٥٧٣. ٥: ١٤، ٣٦، ٦٥، ٧٨، ٩٥، ٩٦، ١٤١، ١٤٢
- عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العاص بن أمية ٤: ٢٧٧
- عبد العزيز بن عبد الله بن شافع ٤: ٤٤٠
- عبد العزيز بن عمر بن تقى الدين ابن فهد المكى ٤: ٥٦٤
- عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ٤: ٢٧٩
- عبد العزيز بن محمد الزمزمى الشافعى ٢: ٥٦٣.



٣: ١٣٩

عبد العزيز بن مروان ٤: ٥٤٦

عبد العزيز خان ٣: ٢٨٦، ٣٧٣، ٥٨٣.

٤: ١٧٢، ٥٣١، ٥٧١

عبد العزيز صبرى ٤: ١٤٩

عبد العزيز مدرس ٢: ٢٨٨

عبد العزيز مراد ٢: ١٩٢. ٥: ٦٠

عبد العزيز ٢: ٢٨٩. ٤: ٥٧٤

عبد الغفار ٦: ٧٦، ٣١٥

عبد الغنى النابلسى ٥: ٢٦٠

عبد الغنى بن أبى سعيد الدهلوى ٥: ٢٥٨

عبد الغنى بن ياسين اللبدي النابلسى الحنبلى ٢: ٢٨٥

عبد الغنى قستى ٦: ١٩

عبد الفتاح آغا ٤: ٣٧

عبد القادر الجزائرى ٦: ٧٧

عبد القادر الخطيب ٦: ٣١٦

عبد القادر الشيبى ٤: ١٤١

عبد القادر الطبرى المكى ٤: ٢٩

عبد القادر الكردى ١: ٤٨

عبد القادر بن أحمد بن محمد بن فرج الشافعى الخطيب ٦: ٣٠٧

عبد القادر حسان ٥: ٥٢٩

عبد القادر شيخ ٦: ٣١٣، ٣١٥

عبد القادر صعذر ٢: ١٦٠

عبد القادر عبد المجيد ٥: ٥٣٤

عبد القادر محتسب ٥: ٥٢٥

عبد القادر ٦: ٣٣٤

عبد القدوس الأنصارى ٦: ٣٠٥

عبد الكريم أفندى ٥: ٤٣٢

عبد الكريم بن محمد بن يغلى ٥: ٢٣٨

عبد الكريم مرزا ٢: ١٩٢. ٥: ٦٠

عبد اللطيف كامل كردى ٥: ٥٣١

عبد الله أبو الخير ٥: ٢٢٤

عبد الله أبو ليه ٥: ٢٢٣

- عبد الله الغازى ٣: ٤٢٥. ٥: ٢٠٠
- عبد الله بن المهدي محمد ٤: ٨
- عبد الله بن الزبير ١: ٤١٤. ٣: ٥٤، ٥٧، ٦١، ٩٣، ١١٤، ٢٢٠، ٢٨٦. ٥: ٧٣، ١٦٦، ٢٣١، ٢٦٠
- عبد الله بن جدعان ٦: ٢٨٤
- عبد الله بن خالد الخزاعي ٥: ١٦٤
- عبد الله بن خثلان ٥: ٢٢٥
- عبد الله بن خطل ١: ٤٨٥
- عبد الله بن زياد ٥: ٢٥٨
- عبد الله بن شعيب الحجبي ٣: ٤٨٦
- عبد الله بن صديق ٥: ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨
- عبد الله بن عامر بن كريز العبشمي ٥: ٢١١
- عبد الله بن عباس ٤: ٥٤٦. ٥: ١٦٦
- عبد الله بن عقيل ٥: ١٣٥
- عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ٥: ١٧٠
- عبد الله بن كيسان ١: ٣٩٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٥٧
- عبد الله بن لهيعة ٥: ٢١٩
- عبد الله بن مالك الخزاعي ٥: ١٨٨
- عبد الله بن محمد بن عمران الطلحي ٥: ١٧٣، ١٧٤
- عبد الله بن محمد بن عون ٥: ٢١٤
- عبد الله بن وهب ٥: ١٦١
- عبد الله عبد الرحمن طيب ٢: ١٩٨
- عبد الله عرب ٥: ٣٨٢
- عبد الله عريف ٥: ٢٢٥، ٢٢٦
- عبد الله غازى ٥: ٨٤
- عبد الله مشاط ٥: ٢٢٤
- عبد الله هارون ٣: ٤٨٦
- عبد الله ١: ١٥٣
- عبد المجيد بن السلطان محمود خان ٥: ١٥٧
- عبد المجيد خان ٢: ٥٣٢. ٣: ٧، ٢٨٥، ٢٨٧
- عبد المجيد خان ٤: ١٧٢، ٥٣١. ٥: ١٠٤
- عبد المجيد شبكشى ٦: ١٢
- عبد المجيد ٢: ٥٢٦. ٦: ٣٣١

- عبد المدان ٥: ٤٩٤
- عبد المسيح بن دارس بن عدى ١: ٨١
- عبد المسيح ٥: ٤٩٤
- عبد المطلب بن غالب ٦: ٣٠٢
- عبد المطلب بن هاشم ١: ٢٩٩، ٢: ٥٢٩، ٥٥٩، ٣: ١٩٧
- عبد المطلب ١: ١٠٧، ١٠٨، ١١٢، ٣١٠، ٣٢٠، ٢: ٥٠٣، ٥: ٤٩٣، ٦: ٣٠٣
- عبد المعين بن حسن ٥: ٣٧٩
- عبد الملحوق ٥: ٥٢٦
- عبد الملك بن أحمد الأنصاري الأرماني ١: ٥٥
- عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ ٦: ١٣٨
- عبد الملك بن الفضل الحاجب ٤: ٥١٩
- عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ٦: ٣٩
- عبد الملك بن مروان الأموي ٢: ٩٤، ٣: ٥٥، ١١٤، ٤: ٢٠٤، ٢٤٨، ٢٧٦، ٤٣٩، ٤٥٣، ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٤٧، ٤٤٨، ٥: ١٣، ٦: ٧٢، ٧٩، ٨٠، ٣٧٧
- عبد الملك ٤: ٢٧٩
- عبد الواحد الميمنى ٥: ٣٨٥
- عبد الواحد بن عبد الله ٥: ٤٩٧
- عبد الواحد خوج ٢: ٢٠٣
- عبد الواحد وحدانة ٥: ٣٨٢
- عبد الواحد ٥: ٣٨٢، ٦: ٧٣
- عبد الوهاب القزاز ٥: ١٤١
- عبد الوهاب النجار ٥: ٢٣٠، ٦: ٣٦٩
- عبد الوهاب خوقير ٥: ٢٢٤
- عبد الوهاب عطار ٦: ١٤٢
- عبد الوهاب نشار ٦: ٤٥
- عبد بن قصي ٤: ١٨٣
- عبد شمس ٢: ٦٥، ٦: ٢٦٦
- عبد عمرو ٦: ٢٦٦
- عبد مناف ٢: ٦٥، ٣: ٣٨، ٤: ١٨٣، ٥: ٤٩٣، ٦: ٢٥٢
- عبد ياليل ٥: ٤٩٤
- عبد الباقي الحنبلي الأثرى ٤: ٤٠٧
- عبد الجبار بن عبد الرحمن ٤: ٤٩٣

- عبد الجبار منشى ٣: ٣٩٨  
عبد الجليل برادة المدني ٦: ١١  
عبد الجليل عصلوب ٣: ٣٩٨  
عبد الحق نقشبندی ٦: ١٢  
عبد الحميد الأول ٢: ١٨٣، ٣: ١٠٩، ٤: ١٥٥  
عبد الحميد الثاني ٢: ٣٣٥  
عبد الحميد الخطيب ٥: ٥٣٩، ٦: ٦  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٥٨  
عبد الحميد خان العثماني بن عبد المجيد خان ٢: ٥٢٧، ٤: ٣٨، ١٥٩، ١٧٦، ١٩٩، ٥٤٥، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥: ٣٤  
عبد الحميد فدا ٢: ١٥٨  
عبد الحميد قدس ٥: ٥٤٥  
عبد الحميد ٤: ٣٩  
عبد الدار ٤: ١٩٤  
عبد الرؤوف المنادي ٢: ٥٢٦  
عبد الرحمن ابن أبي السمراء الغساني ٣: ٤٨٥  
عبد الرحمن ابن عيسى المرشدي ٤: ٥٦٨  
عبد الرحمن البسام ٥: ٥٢٥  
عبد الرحمن الجزيري ٣: ٢٩٣، ٥٢٦  
عبد الرحمن الداخلى ٥: ١٨٣  
عبد الرحمن الدهان ٥: ٥٤٢  
عبد الرحمن الريس ٤: ٣٦٨  
عبد الرحمن الزواوى ٦: ١٣٧، ١٤٢  
عبد الرحمن الشيبى ٤: ٢٠٠  
عبد الرحمن العمادى ٢: ٤٢  
عبد الرحمن الكردي ١: ١٤١، ٣: ٢٢٠  
عبد الرحمن المحجوب ٤: ٣٦  
عبد الرحمن المدني ٢: ١٥٧  
عبد الرحمن المرشدي ٣: ١٣٢، ٤: ٥٦٨، ٥٦٩  
عبد الرحمن المصرى ٣: ١٧٠  
عبد الرحمن الناصر ٥: ٤٢٥  
عبد الرحمن النجاوى ٥: ٥٣٢  
عبد الرحمن الورقة ٥: ٤٦٤  
عبد الرحمن بخشى ٢: ١٥٧

- عبد الرحمن بشناق ٥: ٢٢٥. ٦: ١٣٧، ١٣٨  
عبد الرحمن بن أبي حرمى ٢: ٦١.  
عبد الرحمن بن أبي ليلي ٦: ٢٥٩  
عبد الرحمن بن الأشعث ٣: ١٢٣  
عبد الرحمن بن الضحاك الفهرى ٤: ٢٧٧.  
٥: ٤٩٧  
عبد الرحمن بن حرمى المكى ١: ٢٥  
عبد الرحمن بن ربيعة بن الحارث ٣: ١٢٣  
عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ٥: ٤٩٦  
عبد الرحمن بن زين ٣: ١٥٣، ١٥٥  
عبد الرحمن بن سالم القاضى ٥: ٤٤٣  
عبد الرحمن بن صخر الدوسى ٦: ٢٦٢، ٢٦٦  
عبد الرحمن بن عبد الله الشيبى ٤: ١٩٩، ٢٠٠  
عبد الرحمن بن عوف ١: ١٥٩. ٢: ٢١٥.  
٤: ٢٧٤، ٢٨٨. ٦: ١٠٠، ١٠١  
عبد الرحمن بن عيسى المرشدى ٤: ٥٣٢  
عبد الرحمن بن مجيرة ٥: ٤٤٢  
عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ٣: ١٢٣  
عبد الرحمن بن معاوية ٥: ٤٤٢  
عبد الرحمن بن ملجم المرادى الحميرى ٦: ٢٥٣  
عبد الرحمن بن هشام ٢: ٤٧  
عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى ٣: ٣٦٣  
عبد الرحمن بن يعقوب ٢: ٥٤٨  
عبد الرحمن جمال ٥: ٣٨٢  
عبد الرحمن حمزة المرزوقى ٥: ٥٢٤  
عبد الرحمن سراج ٥: ٣٨٢، ٣٨٣، ٥٤١  
عبد الرحمن كتوعه ٥: ٢٤٧  
عبد الرحمن كشميرى ٥: ٥٣٢  
عبد الرحمن مظهر ٦: ١٥٧، ١٥٨  
عبد الرحمن ١: ٥٧، ٣٢٨. ٣: ١٣٤، ١٦٨، ٤٠١. ٤: ٢٠٣  
عبد الرحمن الساعاتى ٢: ١٥٧  
عبد الرزاق حميدة ٣: ١٢١  
عبد السلام الحرشى ٤: ٣٤٥

- عبد السلام الساسى ٦: ١٠، ١٧  
عبد السلام خيمى ٣: ٣٩٨  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٥٩  
عبد الشكور خيمى ٣: ٣٩٨  
عبد الشكور فدا ٢: ١٥٨  
عبد الصمد بن على ٢: ٤٨٥، ٤: ٢٨٠، ٢٨١  
عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ٤: ٢٨٥  
عبد الصمد بن موسى ٥: ٤٩٩  
عبد العزيز آل فيصل آل سعود ١: ٢٨٧، ٣:  
٥٦٥، ٥٨٢، ٤: ٧، ١٠، ١٦، ٢٠٢، ٥٤٥، ٥: ٣٣، ٢٠٥، ٤١٧، ٥٠٤، ٦:  
٣٣٢، ٣٣٧  
عبد العزيز الربيع ٦: ١٢  
عبد العزيز الرفاعى التركى ١: ٢٠، ٢٧، ٦: ٧، ١٥، ١٦  
عبد العزيز الزمزمى ٢: ٥٦٦، ٣: ١٣٤، ١٤٠، ١٤٩، ١٥٠  
عبد العزيز السعود ٥: ٦٨  
عبد العزيز العقيلى ٣: ٣٠٩  
عبد العزيز المسند ٦: ٣٩  
عبد العزيز المعمر ٥: ٥٢٦  
عبد العزيز بن أبى بكر الأربلى ٥: ٣٤٩  
عبد العزيز بن الأصم ٤: ١٢٨  
عبد العزيز بن السلطان محمود الثانى ٣: ٥٦٢، ٥٦٤  
عبد العزيز بن الوزير الجرومى ٤: ٨  
عبد العزيز بن الوزير الجروى ٣: ٥٥٣  
عبد العزيز بن رشيد ٦: ٣٩  
عبد العزيز بن صالح ٢: ٣٥٦  
عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ٣: ٢٦٦  
عبد العزيز بن عبد الله السليمان ٥: ٢٧١، ٢٧٢  
عبد العزيز بن عبد الله السهمى ٥: ١٨٨  
عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ١: ٨٧، ٢: ١٦٣، ١٧٣، ٢١٢، ٢١٦، ٣٠٥، ٣٠٦، ٥٣٦، ٥٣٨، ٣: ٢٠١، ٥٦٣، ٥٦٨، ٥٦٩، ٤:  
١٠، ١٥، ٥:  
٦٧، ١٩٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧، ٢٢٥، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٦٧، ٣٤٨، ٣٩٨، ٤١٧، ٤١٨، ٤٨١، ٥١٧، ٥٢٤، ٥٢٧، ٦:  
٣٦، ٤٠، ١٣٢، ١٣٨، ١٤١، ١٤٣، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢١٧، ٢١٨، ٣٢٨  
عبد العزيز بن عبد الرحمن ٦: ٧٨

- عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ٥: ٤٩٦  
عبد العزيز بن عبد الله بن خالد ٥: ٤٩٧  
عبد العزيز بن علي ريس ٢: ٥٣٨  
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ٥: ٤٩٧  
عبد العزيز بن عمر بن فهد المكي ١: ٥١  
عبد العزيز بن عمر ٦: ٢٧٧  
عبد العزيز بن فهد ٤: ٥٦٦  
عبد العزيز بن محمد الزمزمي الشافعي ٣: ١٣٨  
عبد العزيز بن مروان ٣: ٤٤٠  
عبد العزيز بن نجم الدين عمر بن فهد ٥: ٣٦٢  
عبد العزيز خان العثماني ٢: ٥٧٩  
عبد العزيز خان ابن السلطان محمود الثاني ٣: ٦، ٧، ٢٨٧، ٣٧٤، ٥٨٢، ٥٨٣.  
٤: ٥٤٥. ٥: ٣٣  
عبد العزيز فتح الله ٦: ٤٥  
عبد العزيز كامل كردى ٥: ٥٢٨  
عبد العزيز مرزا ٢: ١٥٨  
عبد العزيز مظهر ٥: ٥٣٣  
عبد العزيز ٣: ١٦٣، ٣٠٨، ٣٧٣. ٤: ٤٥٩.  
٥: ٢٦٧  
عبد الغنى بن عبد الله بن محمد الشيبى ٤: ٢٠١  
عبد الغنى قستى ٦: ٩  
عبد الفتاح آغا ٤: ٣٥  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٦٠  
عبد الفتاح فدا ٢: ١٥٨  
عبد القادر أحمد الخطيب ١: ٥٢  
عبد القادر الأنصارى ١: ١٤٥  
عبد القادر الشيبى ٤: ١٧٩، ١٩٩. ٥: ٢٢٤  
عبد القادر المفتى ٤: ٣٧٦. ٥: ٣٨٠  
عبد القادر بن عبد المعطى الشيبى ٤: ١٧٩  
عبد القادر بن علي بن محمد بن زين العابدين ٤: ١٩٨، ٢٠١  
عبد القادر بن علي بن محمد الشيبى ٤: ٢٠٠  
عبد القادر بن محمد الأنصارى الجزائرى ١: ٥١  
عبد القادر بن محمد ٤: ١٩٩

- عبد القادر بن محمود الكردي ١: ٢٦
- عبد القادر خوقير ٥: ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٩١
- عبد القادر عبده ٥: ٢٢٤
- عبد القادر عثمان ٦: ٩
- عبد القادر مجلد ٣: ٣٩٨
- عبد القادر ملا قلندر ١: ٥١، ٥: ٣٩٨
- عبد القادر وزيره ٢: ١٤٨
- عبد القادر ٣: ٣٨٥، ٤: ١٩٩، ٢٠٣، ٥: ٣٧٧، ٣٧٨
- عبد القدوس الأنصاري ١: ٥٢، ٢: ١٨٩، ١٩٠، ٦: ١١، ١٩، ٣١٠
- عبد الكريم الخطيب ٦: ١٨
- عبد الكريم القطبي ٤: ٤٢٣، ٥٦٧
- عبد الكريم بخشي ٥: ٥٣٢
- عبد الكريم بشاوري ٢: ٢٠٣
- عبد الكريم بن إدريس ٣: ١٣٤
- عبد الكريم بن شعيب الحجبي ٣: ٤٨٦
- عبد الكريم مجلد ٣: ٣٩٨
- عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش ١: ٣٣
- عبد اللطيف صلاح جمجوم ٥: ٥٣٢
- عبد اللطيف عالم ٥: ٢٢٥
- عبد اللطيف ١: ٥٨، ٤: ٢٠٣
- عبد الله أبو الخير ميرداد ٥: ٤٣٣
- عبد الله أبو العينين ٦: ١٠
- عبد الله أبو عبيدة ٣: ٣٩٨
- عبد الله أفندي باشا ٣: ٥٨٣
- عبد الله أفندي ٢: ١٨٣، ٣: ١٠٩
- عبد الله إسحاق الهاجري ٥: ٥٣٢
- عبد الله ابن أبي بن سلول ١: ٣٢٨
- عبد الله ابن أم مكتوم ٤: ١٢٨
- عبد الله ابن الزبير ٦: ١٢٠
- عبد الله ابن الشيخ أحمد الباز ٣: ٣٠٩
- عبد الله ابن المرحوم السيد محمد علي الدباغ ٣: ٣٠٩
- عبد الله ابن المرحوم الشريف محمد بن عون ٤: ٥٣١
- عبد الله ابن المرحوم الشيخ أمين ميرداد ٣: ٣٠٩



- عبد الله ابن المرحوم الشيخ عبد القادر الشيبى ٣: ٣٠٨  
عبد الله البصرى ٣: ١٧٥، ٤٢٥  
عبد الله الحنبلى ٣: ١٥٠  
عبد الله الدهلوى ٢: ٥٣٨  
عبد الله الزهدى ٤: ١٧١  
عبد الله السلیمان آل مهنا ٦: ١٣٧  
عبد الله السلیمان الحمدان ٣: ٥٦٩. ٤: ٤٢٩  
عبد الله السلیمان ١: ٩. ٤: ٤٢٩. ٦: ١٤٤  
عبد الله الشيبى ٣: ٣٠٩. ٥: ٣٨٢. ٦: ١٣٦، ١٤٢  
عبد الله الصغیر ٦: ٣٢٨  
عبد الله الطریقى ٥: ٥٢٦  
عبد الله العفیف الكازرونى المکى ٢: ٥٦٥  
عبد الله العقلا ٤: ٧٥  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٦١  
عبد الله الغازى الهندى المکى ١: ٥٠. ٢: ٤٧٣.  
٣: ١٢٧، ١٢٩، ٢١٨، ٢٩٣. ٤: ٢٤، ٢٨٨، ٣٥٩، ٥٧٤. ٥: ٣٥٠، ٤٣٥، ٤٨٧، ٥٠٦.  
عبد الله الفضل ٥: ٥٢٥. ٦: ١٤٢  
عبد الله الفيصل ٥: ٢٩٧  
عبد الله اللبثى ١: ٤٠٨  
عبد الله المأمون ٣: ٤٧٢، ٤٨٠، ٤٨١. ٤: ٥١٨، ٥٢٢  
عبد الله المحتسب ٦: ٣١٤  
عبد الله المعمر ٥: ٥٢٦  
عبد الله المقرئ ٢: ٥٦٧  
عبد الله المهدي محمد ٣: ٥٥٢. ٤: ٨  
عبد الله باحمدین ١: ٦. ٢: ١٦٤  
عبد الله باحنشل ٥: ٥٢٥  
عبد الله باخطمه ٥: ٥٢٥  
عبد الله باشا ٣: ٣٧٣. ٥: ٣٨٢  
عبد الله باهارون ٦: ٣١٣، ٣١٥  
عبد الله برديسى ٢: ١٤٨  
عبد الله بغدادى ٦: ٩  
عبد الله بك زهدى ٣: ٥٧٥  
عبد الله بلخير ٦: ١٨

عبد الله بلخير ٦: ٩

عبد الله بن أبي بكر بن ظهيرة القرشي الحنبلي ٣: ١٣٢، ١٤٠

عبد الله بن أبي بن سلول ٥: ٣١٤

عبد الله بن أحمد أبي الخير ١: ٥٢

عبد الله بن أم كلثوم ١: ٤٦١

عبد الله بن أنيس ١: ٢٠٢

عبد الله بن الحسين ٦: ١٤٠

عبد الله بن الربيع ٣: ٤٨٥

عبد الله بن الزبعرى ١: ٤٨٥

عبد الله بن الزبير بن العوام ٢: ٧٢، ٧٤، ٤٢٤.

٣: ٦٠، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٧٩، ٨٢، ٩٧، ١٠٠، ١٩٧، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٥، ٢٨٤، ٢٩٥، ٣٥٣، ٣٨٥، ٤١٠، ٤٢٧، ٤٤٣، ٤٥٣، ٥٠٨، ٥٥١. ٤: ٧٣،

١٤٨، ١٤٩، ١٥٦، ١٥٩، ١٧٣، ١٧٥، ٢٧٦، ٢٨٩، ٣٣٢، ٤٣٤، ٤٣٩، ٤٥٣، ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٧٤. ٥: ٤٩٦

عبد الله بن السائب بن أبي السائب العابدی ٣:

٣٣٦، ٣٣٧

عبد الله بن السائب ٣: ٥٣٦

عبد الله بن السيد محمد صالح الزواوى ٢: ٥٦٦.

٥: ٣٥٥

عبد الله بن الشريف محمد بن عون ٢: ٥٢٧

عبد الله بن العباس بن علي ٤: ٢٨٢

عبد الله بن العباس ٢: ٥٣٦

عبد الله بن القاضى يوسف ٤: ٤٤٩

عبد الله بن القثم ٥: ٤٩٨

عبد الله بن المبارك ٢: ٥٤٠

عبد الله بن المعتز ٤: ٤٨٠. ٥: ٢٣

عبد الله بن المنلا ٣: ٣٤٤

عبد الله بن المهدي ٣: ٤٨٥

عبد الله بن جابر ٣: ٣٨٣

عبد الله بن جدعان ٣: ٥١٥. ٦: ٣٠، ١٠٠، ١٠٥، ٢٨٣

عبد الله بن جعفر الطيار ٦: ٣٤٩

عبد الله بن حراس ٣: ٥٧

عبد الله بن حسن ٣: ١٣٧، ١٤٠

عبد الله بن حسين بن نمى ٣: ١٣٤

عبد الله بن حمدون ٤: ٤٧٥

عبد الله بن حنظلة ٣: ٩٥

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٦٢

عبد الله بن خالد بن أسيد ٤: ٤٣٧. ٥: ٤٩٦.

١٦٩: ٦

عبد الله بن خثلان ٣: ٤١١، ٤٦١

عبد الله بن خطل ١: ٤٧٩

عبد الله بن دينار ٦: ٢٥٩

عبد الله بن رواحة ١: ١١٨. ٥: ٣١٣

عبد الله بن زيد الأنصاري ٤: ١٢٨، ١٣٠، ١٣٧، ١٣٨

عبد الله بن سعد بن أبي سرح ١: ٤٧٩

عبد الله بن سعود آل سعود ٥: ٥٠٥

عبد الله بن سعيد ٣: ٣٨٥، ٣٨٧، ٤١١، ٤٦١. ٤: ٦٣، ١٧٩

عبد الله بن سفيان المخزومي ٦: ٧٢

عبد الله بن سليمان ٦: ١٤٣

عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري ٤: ١٢٦

عبد الله بن صفوان الوهطي ٦: ١٣٣

عبد الله بن صفوان بن أمية ٣: ٥٦، ٦٥، ١٠٣

عبد الله بن صفوان ٢: ٥٨١. ٤: ٤٠٥

عبد الله بن عامر الحضرمي ٥: ٤٩٦

عبد الله بن عامر بن كرز ٥: ٣٥٢، ٤٠٠. ٦:

٢٨٢

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ٦:

٢٥٥

عبد الله بن عباس ١: ٣٢٨. ٢: ٥٣٦. ٣: ٦٥، ١٣٦، ٢٠٨. ٤: ٢٥٤، ٢٧٥

عبد الله بن عبد الأسد ١: ١١٤

عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي ٤: ١٨٨، ١٩٤ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ٣-٦؛ ص ٤٦٢

د الله بن عبد القادر بن علي بن محمد بن زين العابدين الشيبلي ٤: ٢٠١

عبد الله بن عبد المطلب ١: ١١١، ١١٢، ١١٥، ١١٦. ٢: ٥٠٤

عبد الله بن عبد الرحمن سراج الحنفي ٢: ٥٦٥

عبد الله بن عبد القادر بن علي ٤: ٢٠٢

عبد الله بن عبد المطلب ١: ١٢٦، ٢٨٥، ٤٨٦.

٧٨: ٢

عبد الله بن عبيد الله ٣: ٩. ٤: ٢٨٤

- عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد ٢٨٧: ٤
- عبد الله بن عبيد الله بن سليمان بن محمد الأكبر ٢٨٧: ٤
- عبد الله بن عثمان بن إبراهيم الحجبي ٣٤٠: ٣
- عبد الله بن عثمان ٥٨١: ٢
- عبد الله بن عدوان ٤٣٠: ٤
- عبد الله بن عروة ٣٩٥: ١
- عبد الله بن عقيل ١٩٢: ٦
- عبد الله بن عمار ١٣٨: ٦
- عبد الله بن عمر بن الخطاب ٣: ١٨٤، ٥٥٠.
- ٦: ١٦٩، ١٧١، ٢١٨، ٢٥٦.
- عبد الله بن عمر بن دهيش ٣: ٤٦١، ٤: ٥٧٦.
- ٥: ٤٣٤، ٥٢٣
- عبد الله بن عمرو بن العاص ٢: ٣٥٠، ٣: ٥٥
- عبد الله بن عمرو ٣١٣: ٥
- عبد الله بن فيصل ١٤٤: ٦
- عبد الله بن قيس بن مخزوم ٥: ٤٩٧
- عبد الله بن كعب بن عمير بن سبيع ابن عوف بن نصر بن معاوية النضري ٤: ٢٧٧، ٢٧٨
- عبد الله بن محمد الثائر بن موسى ٥: ٥٠٠
- عبد الله بن محمد الغازي ١: ٥٧
- عبد الله بن محمد بن المفرج ٥: ٤٦٩
- عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن عباس ٤: ٢٨٤، ٢٨٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٦٣
- عبد الله بن محمد بن داود ٥: ٤٩٨
- عبد الله بن محمد بن سليمان بن عبد الله الرس ٤: ٢٨٥
- عبد الله بن محمد بن عون ٣: ٧، ٤: ٥٤٥
- عبد الله بن محمد صالح الزواوي ٥: ٥٤١
- عبد الله بن محمد عبد المعين بن عون ٤: ١٧١
- عبد الله بن محمد ٤: ١٧١
- عبد الله بن مسعود ١: ١٣٨، ١٥٩، ٦: ٢٦٨
- عبد الله بن مطلق ٦: ١٣٨
- عبد الله بن مطيع العدوي ٢: ٤٢٦، ٣: ٦٧، ٨٣
- عبد الله بن مطيع ٤: ٦٨
- عبد الله بن ميمون القداح ٣: ٢٨١

- عبد الله بن ناصر ٤: ٣٥٥
- عبد الله بن وهب ٥: ٤٤٣
- عبد الله بن يزيد المازني ٣: ٩٥
- عبد الله بن يوسف ١: ١٥٦. ٢: ٦٩
- عبد الله جفري ٦: ١٥
- عبد الله حداوي ٥: ٥٢٣، ٥٤٦
- عبد الله حريري ٣: ٣٩٨
- عبد الله حمدوه السناري ٥: ٥٢٠، ٥٢٧. ٦:
- ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥٠
- عبد الله خوجه ١: ٢٩٠
- عبد الله خيار ٥: ٤٣٥
- عبد الله خياط ٥: ٥٢٣، ٥٣٨
- عبد الله دردوم ٥: ٥٢٤
- عبد الله ذا الجادين المزني ٤: ١٣٣
- عبد الله زاوي ٥: ٥٢٢
- عبد الله سراج ٦: ١٤٠
- عبد الله سلتى مناع ٥: ٥٣١
- عبد الله شطا ٥: ٥٤٠. ٦: ٨
- عبد الله صائب أفندي ٥: ٤٣٢
- عبد الله عبد الجبار ٦: ٨، ١٧
- عبد الله عبد الرحمن طيب ٢: ١٩٩
- عبد الله عبد الكريم أركوبه ٥: ٥٣٠
- عبد الله عرابي ٢: ١٥٨
- عبد الله عرب ٥: ٣٨٢
- عبد الله عريف ٢: ١٤٧، ١٩٠. ٥: ٢٢٥، ٢٢٧. ٦: ٧، ١٥
- عبد الله على رضا زينل ٦: ٤٠، ٣٣٧
- عبد الله غازي ١: ٥٨. ٤: ١٥٥، ٤٠٣.
- ٥: ٥٢٤
- عبد الله غانم الرعيني ٥: ٤٤٦
- عبد الله فائق بك ٤: ١١
- عبد الله فليبي ٦: ٧٨
- عبد الله كعكي ٢: ١٤٩، ١٦١، ١٦٤، ١٦٧، ١٦٨
- عبد الله كمال الدين أفندي ٥: ٤٣٢

- عبد الله كوير ٢: ١٦٨  
عبد الله مناع ٦: ١٥  
عبد الله ناظر ٥: ٥٢٥  
عبد الله نصيف ٦: ٣١٢  
عبد الله هارون ٣: ٤٨٣. ٤: ٨  
عبد الله ١: ١١٤، ١٤٧، ١٥٩، ٢٣٣، ٣١٦، ٣٩٥. ٢: ٢٦٧، ٤٨٨. ٣: ١٢، ٤٧٣. ٤: ١٩٩، ٢٠٣. ٥: ٤٩٣. ٦: ٢٥٩، ٢٦٦  
عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان ١: ٢٤٥. ٢: ٨٠. ٣: ٦، ٤٠٤، ٥٨٣. ٤: ١٧١، ٢٥٠، ٥٣٣، ٥٤٥، ٥٧١.  
٥: ٣٣  
عبد المجيد محمود خان ٤: ٢١١  
عبد المجيد ٢: ٥٢٧  
عبد المحسن بن أحمد بن زيد ٤: ١٧٩  
عبد المحسن ٤: ٢٠٣  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٦٤  
عبد المطلب بن هاشم ١: ٣٠٣. ٢: ٤٩٥.  
٣: ٤٣، ٤٦٩  
عبد المطلب عبد الله ٣: ٣٩٨  
عبد المطلب ١: ١١٧، ١٢٠، ١٢٩، ١٣٢، ١٤٨. ٢: ٧٨، ٤٨٨، ٥٠٠، ٥٧٥. ٤: ١٥  
عبد الملك بن إبراهيم ٣: ٣٨٣  
عبد الملك بن حسين العصامي ١: ٥١  
عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ٥: ٤٣٤، ٥٢٤  
عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي ٥: ٤٩٧  
عبد الملك بن مروان ٢: ٩٨، ٩٩، ٢٤٣، ٢٦١، ٣٨٢. ٣: ٩٤، ٩٧، ١١٤، ١١٦، ١١٩، ١٩٧، ٢٠٨، ٢١٦، ٢١٧، ٤٦٤، ٤٧٢، ٥٠٧، ٥٣٨،  
٥٥٢. ٤: ٢٩، ٧٧، ٢٨٩، ٥٤٦. ٥: ١٧٧، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٧٥  
عبد الملك ١: ٤١٠. ٤: ٢٠٣. ٥: ٢٥٩  
عبد المنعم خفاجة ٦: ١٧  
عبد الهادي قارى عبد الله طاشكندی ٥: ٥٣٢  
عبد الواحد الشيبى ٤: ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠  
عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان ٢: ٦٤. ٤: ٢٧٩. ٥: ٤٩٧  
عبد الواحد بن عبد الله الحجبي ٣: ٤٨٦  
عبد الواحد بن محمد الشيبى الحجبي ٤: ٣٤٢  
عبد الوهاب آشى ٢: ١٨٩. ٦: ٩  
عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ١: ٣١  
عبد الوهاب النجار ١: ٣٦٦. ٢: ٧٥، ١٢٢

- عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي بن علي بن عبد الله بن العباس ٤: ٢٨٠
- عبد الوهاب خيمي ٣: ٣٩٨
- عبد الوهاب مؤمنة ٢: ١٤٩
- عبد الوهاب نشار ٦: ١٢
- عبد الوهاب ٤: ٢٠٣
- عبد قاسم ٢: ١٤٨
- العبر ١: ٢٥٩
- عبيد الأسي ٦: ١٧
- عبيد الله الأنصاري ١: ١٤٥
- عبيد الله المهدي ٣: ٢٨٣
- عبيد الله بن القثم بن العباس ٥: ٤٩٨
- عبيد الله بن زياد ٣: ٩٤
- عبيد الله بن سليمان بن ذهب ٢: ٦٩
- عبيد الله بن عابد الأنصاري ١: ١٤٠، ١٤٣، ١٤٥
- عبيد الله بن عبد الله ٦: ٢٥٦
- عبيد الله ١: ٣٢٨
- عبيد المدني ٥: ٢٣
- عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم ٣: ٤٧٨
- عبيد بن عبد الله العدواني ٢: ٥٣
- عبيد بن عمير ٣: ٦٥، ٦٩، ١٠٣
- عبيد بن ميمون ٣: ٢٨٣
- عبيد بن يقطين ٣: ٤٨٢
- عبيد مدني ٦: ١٣
- عبيد ٣: ٢٨٢
- عبيد الله بن الحسن بن عبد الله ٥: ٤٩٨
- عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله ٤: ٢٨٣
- عبيد الله بن سليمان بن وهب ٤: ٤٤٨
- عبيد الله بن عباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ٥: ٧٧
- عبيد الله بن عبد الله بن الحسن ٥: ٤٩٨
- عبيد الله بن عبد الله ٤: ٢٨٤
- عبيد الله بن عثمان بن إبراهيم الحجبي ٣: ٣١١
- عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ١: ١٥٩
- عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ١: ٤٧٣، ٤٧٨، ٢: ٢٥، ٣: ٤٩٣.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٦٥

٤: ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧٤، ٣٢٨.

٥: ٤٩٥

عتاقي زاده ٣: ١٦٣، ٤٢٥

عتبه بن أبي سفيان ٤: ٢٧٥، ٢٧٦. ٥: ٤٩٦

عتبه بن ربيعة ٢: ٤٥. ٣: ٢٩

العتيبة ٢: ٢١٧

عتيق بن عائذ المخزومي ١: ١٥١

عثمان باشا أبو طوق ٤: ١٧٩

عثمان باشا بن أوز دمر باشا ٥: ٥٠٧

عثمان باشا نوري ٢: ١٨٤، ٢٦٨، ٣٩٦. ٦:

٣٠٢

عثمان باشا ٢: ٥٢٧. ٣: ٧. ٥: ١٠٥، ٢٠٥، ٥٠٨، ٥١٠. ٦: ٣٠٣، ٣٢٨

عثمان بن أبي سعيد ٤: ٢٧٦

عثمان بن أبي طلحة ٤: ١٨٨، ١٩٦

عثمان بن الوليد بن عبد الملك ٤: ٢٧٧

عثمان بن طلحة بن أبي طلحة الحجبي ٤: ١٨٨، ١٩٠، ١٩٤

عثمان بن طلحة ١: ٤٧٥

عثمان بن طلحة ١: ٤٧٦. ٣: ٣٨، ٤٤. ٤: ١٩٤، ١٩٥. ٥: ٢٤٣

عثمان بن عامر بن عمرو ١: ٤٤٧

عثمان بن عبد الدار ٤: ١٨٧

عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن سراقه ٥: ٤٩٧

عثمان بن عفان ١: ١٥٣، ١٥٩، ١٧٣، ٢٠٢، ٢٠٩، ٥٧٠. ٢: ٧٢، ٩٧. ٤: ٢٠، ٢٧٥، ٢٨٩، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٥٣، ٤٦٢، ٤٦٦، ٥٠٢، ٥٤٢.

٥: ١٥٦، ١٨٢. ٦: ١٠١، ١٢٠، ٢٤٧، ٢٦٨، ٣٠٤، ٣٤٩

عثمان بن محمد بن أبي سفيان ٣: ٩٤. ٥: ٤٩٦

عثمان بن مظعون الجمحي القرشي ١: ١٥٩، ١٩٦. ٥: ١٨٢

عثمان حافظ ٢: ١٩٠. ٦: ١١

عثمان حميدان ٢: ٢٦٧. ٥: ٣٧٤، ٣٧٥

عثمان خان ٦: ٨٩، ٩٠

عثمان لطفى أفندي ٥: ٤٢٩

عثمان نوري باشا ٢: ٢٦٨، ٥٢٨. ٤: ١٩٩.

٥: ١٠٤، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٩، ٥١٤، ٥١٥. ٦: ٣٠٣، ٣٢٧، ٣٢٨

عثمان ٣: ٥٥٠. ٤: ٢٠٣. ٦: ٢٥٨، ٢٧٩، ٣٠٥



- عج بن حاج ٤: ٤٤٨
- عج بن محلب ٥: ٤٩٩
- عجائب المخلوقات من خواص جبل أبي قبيس ٢: ٣٨٠، ٥٥٣. ٤: ٣١
- عجائب ما رواه التاريخ ١: ٣٠
- عجالة القرى للراغب في تاريخ أم القرى ٦:
- ٢٩٠
- عجروود ٢: ٣١٨، ٣٣٠
- عجلان بن رميثة ٣: ٤٧٤، ٤٩٦. ٥: ٥٠٠
- عجلان ٢: ٢٢٢
- العجلة ٤: ٥٦٣
- العجول ١: ٣٦١، ٣٦٣
- عدة الإنابة ٥: ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٧. ٦: ٣٠٧.
- عدلى عزيز ٢: ٤٩
- عدن ٦: ٧٥، ١٠٤، ١٦٢
- عدنان أمين الشيبى ٤: ٢٠٢
- عدنان بن أد ٢: ٩٧
- عدنان بن أدد ٣: ٥٤٢
- عدنان ٥: ٤٩٣
- عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضر ٤: ٢٦٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٦٦
- عدوان بن عمرو ٤: ٢٦٠
- عدى ٣: ٣٨
- العذرى ١: ٣٢٤
- العرابى عمر ٥: ٣٥٩
- عرار بن عجل ٥: ٣٦٣
- العراق ٢: ١٧، ١٧٢، ١٨٦، ١٩٧، ٥٥٨
- العراق ٣: ٢٧٢، ٤٨٠، ٥٠٣. ٤: ٣٤. ٥: ٦٢، ١٧٠، ٢٢١، ٢٨٠، ٥٢٤. ٦: ٣٠، ٢٧٥، ٣٠١.
- العراق ٣: ٥٥
- العراقى ١: ٣٣٨. ٦: ٢٨
- عران ٣: ٥٤٧
- عرب البجاه ٢: ٣٢٣
- عربى مغربى ٢: ١٦٠
- عرف العنبر فى وصف المنبر ٤: ٤٠٨

عرفات ٢: ٣٢٠. ٥: ٣٢٤.

عرنة ٤: ٣٠٩. ٥: ٣٣٨.

عروة بن الزبير ٤: ٢٦٧، ٢٧١، ٥٤٦. ٦:

٢٥٩

عروة بن عياض ٥: ٤٩٧

عروة بن محمد بن عطية السعدي ٤: ٢٧٩

عروة ١: ٣٩٥، ٤١٦. ٣: ٥٦

العريش ٥: ٢٢٢

عز الدين أبي عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسنى ٥: ٣٤٩

عز الدين ابن جماعة ٢: ١٣٤. ٣: ٢٤٤، ٢٩٤، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٤٢، ٤٥٨، ٥٢٨، ٥٣٧. ٤: ٢٤٩. ٥: ١٣، ١٢٣، ٣٣٩.

٦: ٣٥٩

عز الدين المستنجد بأمر الله ٢: ٥٢٦

عز الدين بن الأثير ٦: ٣٠٧

عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ٣: ٥٣٦. ٥:

١٢٣، ٤٧٩

عزت العطار ٣: ٢٨٤

عزت باشا ٥: ٤٩٠، ٥١٠، ٥١٣

عزت زاده محمد ٥: ٤٣١

العزفى ٥: ٢٥٧

العزير عليه السلام ٦: ٣٨٤

العزير ٣: ٢٨٢

العزيرى ٢: ٤٢٣، ٤٣٦. ٣: ٣٨١. ٤: ١٦٦، ٤٢٨. ٥: ٢١٦. ٦: ١٩٨، ٢٠٠

العزيرى ٢: ٢١٧

عسفان ١: ٤٥٥، ٥١١. ٢: ١٧٩، ٣١٠، ٣٢٠، ٣٣٢. ٣: ٥٤٧. ٥: ١٦١.

عسكر موسى الهادى ٦: ١٦٩

العسكرى ٥: ٢٣

عسير ١: ٧١

العسيلات ٥: ٣٦٥

عش الغراب ٢: ٣١٨

العشر ٦: ٩٨

عصام خوقير ٦: ١٠

عصام قدسى ٥: ٥٣٣

عصام محمد على خوقير ٥: ٥٣١

- العصامي ٣: ١٢٩. ٥: ١٠٣، ١٩٤  
 عطا إلياس ٢: ١٦٦  
 عطاء الخراساني ١: ٢٤٩  
 عطاء بن أبي رباح القرشي ٦: ٢٨٠  
 عطاء بن السائب ٣: ٥٠٦  
 عطاء بن يسار ٤: ٢٦٧  
 عطاء ٣: ٥٢١. ٦: ٢٥٩  
 عطية الأسود ١: ١٥٨  
 عطيفة بن أبي نمى ٢: ٣٢٧. ٤: ٣٥٠  
 عطيفة ٤: ١٦٩. ٥: ٥٠٠  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٦٧  
 العفيف المطري ٥: ٣٥٨  
 العفيف المطري ٦: ٨٩  
 العقائد العضدية ٥: ٤٣٦  
 عقبه السويق ٢: ٣٢٠  
 عقبه بن أبي معيط ٣: ٥٣٧  
 عقبه بن الأزرق بن عمرو الغساني ٤: ٢٤٨  
 عقبه بن الأزرق ٥: ١٣  
 العقبة ٢: ٣٣١  
 عقبه ٢: ٣٤٠  
 العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ١: ٥٢، ٥٠٢، ٥٠٦. ٢: ٥٢٤، ٥٣٩، ٥٤٢، ٥٤٨، ٥٤٩. ٤: ٢٣٨. ٥: ١٦١. ٦: ٢٨٩.  
 عقد الجيد فى أحكام الاجتهاد و التقليد ٤: ١٠٦  
 العقد الفريد ٢: ٣٨١. ٣: ٤٣. ٥: ٩١، ٣٢٢، ٣٢٣.  
 العقد المنظم فى أقسام الوحي المعظم ٥: ٥٣٧، ٥٣٨  
 العقرب ٥: ١٠٤  
 العقود المتألهة، شرح أرجوزة ابن شحنة فى المعانى و البيان و البديع ٥: ٥٤٥  
 العقيق ٢: ٣١٩. ٦: ٣٦٨.  
 عقيل بن أبى طالب ١: ٢٨٦، ٣٢٤، ٣٢٥، ٤٩٨. ٤: ٢٠. ٦: ٣٦٩.  
 عقيل ١: ٣٢٠، ٣٢٤، ٤٩٦  
 عكا ٢: ١٣٥  
 عكاظ ٦: ١٠٢، ١٠٥  
 عكرة ٢: ٣٣٢

- عكرمة بن أبي جهل ١: ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٨٠، ٥٥٢
- عكرمة بن خالد ٢: ٥٥٠
- عكرمة بن عامر بن هشام بن عبد الدار بن قصي ٦: ١٢٣
- عكرمة ٣: ٢٣٧
- العلاء ١: ٦٧، ٦٨، ٢: ٣٣٩.
- علاء الدين أبو النجا ٢: ١٤٨
- علاء الدين ٣: ٦، ٥: ٣٥٨، ٣٥٩
- العلاء بن سلمة الرواسي ٤: ٤٠٧
- العلائى ١: ٣٥١
- علامات النبوة ١: ٣٩٨
- علقمة بن أبي وقاص ٦: ٢٥٩
- علقمة بن مرثد ١: ١٣٨
- العلقمي ٥: ٢١٦
- علم الدين البرزالي ٥: ١٩٢
- علم الدين سنجر الجادلي ٤: ٣٥٠
- علم الساعات و العمل بها ٥: ١٠١
- علوان الأسدي الحلبي ٢: ٢٢٠
- علوان ٢: ٢٢١
- العلوة ٢: ٣٣١
- علوى بن عباس المالكي ٣: ٣٨٣
- علوى شطا ٦: ٨
- علوى مالكي ٥: ٥٢٢، ٥٣٧، ٥٤٧
- على ابن السلطان صلاح الدين بن أيوب ٥: ٤٥٤
- على جاوش ٤: ٣٥٤
- على ربيعة بن حرام القضاعي ٣: ٢١
- على ضفاف النيل ٦: ١٨، ١٩
- على عبد القادر ٤: ١٧٩
- على هامش السيرة ١: ٢٥٥، ٢٦٤، ٢٧٣.
- ٣٠٨، ٣١٣، ٥٥٤. ٣: ٤٥.
- على آغا بن مصلى قهوجي ٥: ٣٧٤
- على أحمد الباز ٢: ١٤٨
- على آغا الطون باشا ٥: ٣٧٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٦٨

- على الباز ٢: ١٥٨
- على السنجاري ١: ٥٢
- على الشحومي المغربي ٦: ١٦٨
- على القاري ٢: ٥٨. ٦: ١٦٤، ١٦٥، ١٧١
- على المالكي ٦: ١٤٠
- على المنصور آل هديان ٦: ١٣٧
- على الموصلى ١: ٢٧
- على باشا الكتهيلي ٥: ٥١٣
- على باشا ٥: ٥٠٨. ٦: ٣١٢
- على بدرى ١: ٢٧
- على بك العباسي ٦: ٧٤، ٧٩
- على بك ١: ٨٢. ٥: ٥٠٦
- على بن أبي طالب ١: ١٥٣، ١٥٩، ١٩٠، ٢٠٢، ٢٠٩، ٢٣٢، ٢٩٠، ٣٥٩، ٤٦٤، ٤٨٤. ٢: ٨٧. ٣: ١٨. ٥٥٠. ٤: ١٩٦، ٢٨٩، ٢٩٣. ٥: ٢٥٩. ٦: ٢٥٠، ٢٥٢
- على بن الحسن العباسي ٣: ٣٤٢
- على بن الحسن الهاشمي ٥: ٤٩٩
- على بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي ٤: ٢٨٥، ٢٨٦
- على بن الحسين الهاشمي ٤: ٧٨
- على بن الحسين زين العابدين ٤: ٢٦٦
- على بن الحسين ٣: ٥٦٩. ٥: ٥٠٤
- على بن الرشيد ٤: ٢٨٢
- على بن المدني ٦: ٢٦٩
- على بن المرحوم مولانا الشريف عبد الله ٥: ٣٩٩
- على بن المهدي ٤: ٢٨١
- على بن بركات ٣: ١٤٨، ١٥٥، ١٥٨
- على بن حميد ٥: ٤٧٣
- على بن خالد ٣: ١٦٣
- على بن شعبان ٣: ٥
- على بن شمس الدين المكي ٣: ١٣٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٢
- على بن شمس الدين المهندس ٣: ١٤٤
- على بن طنين ٥: ٣٦٤
- على بن عبد القادر الطبري ٣: ١٣٤، ١٤١، ١٧٤. ٥: ٣٧٢، ٤٠٤
- على بن عبد الله الطيب المدني ٦: ١١

علي بن عبد الله ٢: ٥٢٦. ٤: ١٥، ١٦.

٢٨٦: ٥

علي بن عدى بن ربيعة ٥: ٤٩٥

علي بن عنان ٥: ٢٦٣

علي بن عيسى بن الجراح ٤: ٤٨١

علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور ٤: ٢٨٤

علي بن عيسى بن جعفر ٥: ٤٩٨

علي بن عيسى ٣: ٢٧٣

علي بن فضل الجدني اليماني ٣: ٢٨٢، ٢٨٣

علي بن مايويه ٤: ٣٤١

علي بن مبارك باشا ٥: ٢٦٠

علي بن محمد البيضاوي ٢: ٥٢٩

علي بن محمد المهدي ٤: ٢٨١

علي بن محمد بن أبي بكر الشبي ٤: ١٩٢

علي بن محمد بن جعفر الصادق ٥: ٤٩٨

علي بن محمد بن داود البيضاوي ٢: ٥٢٦

علي بن محمد بن عبد الكريم الجيلاني ٢: ٥٥٥

علي بن محمد بن علي أبو كامل الصليحي ٣: ٥٥٦

علي بن محمد ٤: ١٩٩

علي بن موسى الجراح ١: ٥٧٠

علي بن موسى ٥: ٤٩٨

علي بن هلال الدولة ٥: ٣٥٨

علي بن هيزع ٣: ١٤٣

علي بهجت ٢: ٣٢٣. ٣: ٤٣٨

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٦٩

علي بوصي ٢: ١٤٩

علي بيك ٤: ٣٥٤

علي حافظ ٦: ١١

علي حسن رواس ٢: ١٤٨

علي حسن غسال ٦: ١١، ١٧

علي حسن فدعق ٦: ٩

علي حسين البشي ٢: ١٤٨

علي حيدر باشا ٣: ٥٦٥

- على درويش زيدان ٢: ١٤٩  
 على رضا ٥: ٤٣٠، ٤٣٣  
 على شاه ٣: ٤٧٣، ٤٩٦  
 على شريف ٢: ١٤٩  
 على علوش ٢: ١٦٠  
 على عوض ٢: ١٩٢  
 على عويضة ٥: ٦٠  
 على فدعق ٦: ١٧  
 على مالكي ٥: ٥٢٢، ٥٣٧  
 على محمد شطا ٥: ٥٣٣  
 على مصلح صبغة ٢: ١٤٨  
 على هزاع ٢: ١٦٢  
 على يمانى ٥: ٥٢٤، ٥٤١  
 على ١: ٣٢٠. ٢: ١٩٠. ٤: ١٩٩، ٥٢١.  
 ٥: ٢٣٩. ٦: ١٠١، ٢٧٩  
 العم سحتوت ٦: ١٧  
 عماد الدين أفندى ٥: ٥٠٧  
 عماد الدين الكندى ٦: ٢٠٢  
 عماد الدين بن كثير ٢: ٨٤. ٣: ٣١٤. ٦:  
 ٣٤٣  
 العماد بن كثير ١: ٢٩٣  
 عمار بن ياسر ١: ١٥٩  
 عمارة الكعبة ٣: ٥٠٩  
 عمارة المسجد الحرام ١: ٥٧. ٤: ٣٩٩.  
 ٥: ١٠٥.  
 عمارة بن عمرو بن حزم ٣: ٥٦  
 العمارة ٦: ٣٢٤  
 العمالقة ٢: ٤٢٤  
 عمان ١: ٨٠. ٢: ١٣٥، ٣٣٩. ٣: ٥٠٢. ٦:  
 ٤٠، ١٦٢، ٣٠١.  
 عمدة الأبرار ٤: ٣٣٦  
 عمدة الأحكام ٤: ١٠٦  
 العمدة ١: ٤٧٥. ٤: ٤٤.

عمر أسعد ٥: ٥٣٢

عمر أفندي زاده ٥: ٤٢٩

عمر المقدسي ٥: ٩٧

عمر باجنيد ٥: ٥٢٢، ٥٤٤

عمر بادرب ٦: ٣١٥

عمر بكر حفنى ٦: ٤١

عمر بن أسيد ٦: ٢٧٢

عمر بن إبراهيم بن خلكان ٥: ٣٤٩

عمر بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمى ٤: ٢٨٨، ٢٨٧

عمر بن الحسن ٢: ٥٢٤

عمر بن الخطاب ١: ١٥٩، ١٧٣، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٩، ٢٩١، ٥١١، ٥٤٣. ٢: ٩، ٧٢، ١٤، ١٧، ٩٧، ٩٩، ٢٩٤.

٣: ١٠٤، ٢١٠، ٣٠٤، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٤٥، ٣٥٣، ٤٦١، ٤٦٣، ٤٧١، ٥٠٤، ٥٥٠. ٤: ١٣، ٥٧، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٥٠، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٧٤، ٢٨٨،

٤٣٤، ٤٣٦، ٤٥٣، ٤٦١، ٤٦٦، ٥٢٩، ٥٤٢.

٥: ١٦٩، ١٨٢، ٢٦١، ٢٦٢، ٤٢٢، ٤٢٦، ٤٥٢. ٦: ٣٣، ٥٨، ١٠١، ١٢٠، ١٤٢، ٣٠٦، ٣٨٣

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٧٠

عمر بن جعفر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الشيبى ٤: ٢٠٣

عمر بن جعفر ٤: ١٩٩

عمر بن حمدان المغربي ٥: ٥٤٥

عمر بن ربيعة ١: ٢٥٧

عمر بن سعيد الأشدق ٥: ٤٩٦

عمر بن سعيد ١: ١٥٩

عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن ٥: ٤٩٧

عمر بن عبد العزيز بن مروان ٤: ٢٧٦.

٥: ٤٩٦

عمر بن عبد العزيز ١: ٢٤٤. ٢: ٢٤٣، ٥٨١، ٥٨٤. ٣: ١٢٠. ٤: ١٣٨، ٢٧٦، ٢٧٧، ٤٧١، ٥٤٩. ٥: ١٨١. ٦: ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٩

عمر بن عبد الله بن عبد الملك ٤: ٢٧٨

عمر بن عقيل ٣: ٧

عمر بن على بن رسول الله ٣: ٤٧٣. ٥: ٣٠٦

عمر بن فرج الرخجى ٢: ٥٥٣. ٤: ٥٥١

عمر بن فرج ٤: ٥٥٢

عمر بن فهد ٤: ٤٣٨، ٤٣٩، ٥٦٢

عمر بن ماهان ٢: ٥٥٢، ٥٥٦

عمر بن نفاثة بن عدى بن الذيل ١: ٣٠١



- عمر جان ٦: ١٣٧  
عمر حفنى ٦: ٤٥  
عمر حمدان المغربى ٦: ٤٥  
عمر حمدان ٥: ٥٢٢  
عمر خلوص ٥: ٤٣٢  
عمر خوقير ٢: ١٦١  
عمر شاكر ٢: ١٨٩  
عمر عبد الجبار ٣: ٣٠٩  
عمر عراقى ٢: ٢٠٢  
عمر فخر الدين ٥: ٤٣٣  
عمر فقيه ٦: ١٣٧، ١٣٨  
عمر فهمى أفندى ٥: ٤٣١  
عمر قاضى ٥: ٥٢٥  
عمر نصيف ٥: ٥٢٥  
عمر ١: ١٩٧، ٢٨٠، ٢٠٣، ٤٣٨، ٤٣٩، ٢٣٩، ٤٢٤، ٦: ٢٧٩، ٣٤٩  
عمره بن عبسه ١: ١٣٤  
عمر بن أسد ١: ١٥٠  
عمر بن أم مكتوم ٤: ١٢٦  
عمر بن الحارث بن مضاى الجرهى ٣: ٥٤٧، ٥: ٤٩٤  
عمر بن العاص السهمى ١: ١٧٠  
عمر بن العاص ١: ٤٧٥، ٥٤٨، ٤: ٢٩، ٣٣، ١٨٨، ١٩٥، ٥: ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ٢٤٣  
عمر بن ربيعه ١: ٢٦٢  
عمر بن سعيد المعروف بالأشدرق ٥: ٤٩٦  
عمر بن سعيد بن العاص ٤: ٢٧٦  
عمر بن شعيب ٥: ١٦٠  
عمر بن عامر الخزاعى ٤: ٢٦٢  
عمر بن كلثوم بن مالك بن عتاب ٣: ٤٧٨  
عمر بن لحي بن حارثه بن عمرو بن عامر الخزاعى ١: ١٣٣، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٥٠، ٥٦٩، ٢: ١٥، ٤٦٨، ٣: ٣٠، ٤: ٢٥٨، ٢٦٢، ٥: ٤٩٥، ٦: ١٥٣  
عمر بن مضاى الجرهى ٢: ٥٥٩، ٣٧٨  
عمر مزقياء بن عامر ماء السماء ٦: ٥٥  
عمر ٥: ٤٩٤

العمري ٣: ٣١٥، ٤: ٥٤٨، ٥: ٤٢

العمل المفرد في فضل و تاريخ الحجر الأسود ٣: ٢٤٥

عمير أبي مصعب ٢: ٦٨

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٧١

عمير بن حبيب الجهني ١: ١٣٤

عمير بن سعد ٣: ٣٢٨

عنان بن مغامس بن رميثة ٢: ٥٩، ٦٠

العنبيجة ٢: ٣٢٩

عنتره بن شداد ٣: ٤٧٨

عنزة ٢: ٣٤٠

العنق ٢: ٣١٨

عنوان البيان ٦: ٣٣، ٣٤

عوارف المعارف ١: ٥٠٥

عوض رميثة ٢: ٥٩

عوف ٣: ١٢٠

عون الرفيق باشا ٥: ٤٨٤

عون الرفيق بن الشريف محمد بن عبد المعين ٦:

٩٠

عون الرفيق بن محمد بن عبد المعين بن عون ٤: ١٩٩

عون الرفيق ٢: ٢٣٠، ٢٦٨، ٢٦٩، ٣٩٥

٤: ١٥، ١٦، ١٥٩، ٥: ٢٠٩، ٦: ٩١، ٩٢، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٢٠

عون بن الشريف محمد بن عون ٢: ٥٢٧، ٥٢٨، ٥: ١٠٤

عون ١: ٣٢٨، ٢: ١٨٠، ٢٦٨، ٢٧١

العويرض ١: ٦٦

عياض بن عبيد الله الأزدي ٥: ٤٤٢

عياض بن موسى اليحصبي ٤: ٣٨١

عياض ١: ٢٣٨، ٢٤١، ٣٥٨، ٣٧٨، ٣٨٢، ٣٨٦، ٣٨٧، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٤٥

٢: ٤١٩، ٤: ١٢٧، ٤١٠، ٤١١

٥: ٢٢٨

عيدروس البار ٥: ٥٤٥

عيزاب ٢: ١٣٦، ٢٢٠، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٤٢

٦: ٣٠١

عيساباد ٤: ٥٠١

- عيسى أبو عبود ٣: ١١١  
 عيسى ابن جعفر ٣: ٤٨٢  
 عيسى البابی الحلبي ٦: ٢٨٦  
 عيسى بن أبي جعفر ٥: ٤٩٩  
 عيسى بن أبي عطاء ٥: ٤٤٣  
 عيسى بن أحمد بن المنصور ٥: ٤٩٩  
 عيسى بن العادل بن أبي بكر بن أيوب ٤: ٢٨٩  
 عيسى بن جعفر ٣: ٤٨٢، ٤٨٥  
 عيسى بن صالح بن علي ٣: ٤٨٥  
 عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس ٦: ٧٩، ٨٠  
 عيسى بن علي بن عبد الله ٢: ٥٥٨  
 عيسى بن علي ٦: ١١٠ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٣-٦ ؛ ص ٤٧١  
 سي بن مسكين ٥: ٤٤٨، ٤٦٩، ٤٧٠  
 عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ٤: ٢٧٩  
 عيسى بن موسى ٣: ٢٧٤. ٤: ٤٩٢، ٤٩٣  
 عيسى بن يزيد الجلودي ٥: ٤٩٨  
 عيسى رواس ٥: ٥٢٢، ٥٤٦. ٦: ٤٥  
 عيسى عليه السلام ٣: ٣٨٢. ٤: ٢٧٢. ٦:  
 ٣٨٤  
 عيسى ٢: ٤٨٨. ٤: ٤٩٢  
 عين أبي رخم ٥: ٣٦٢  
 عين الأحمدية ٥: ٤٠٥  
 عين البرود ٥: ٤١١  
 العين الجديدة ٥: ٤١٨  
 عين الحميدية ٦: ٣٢٧، ٣٢٨  
 عين الخريبات ٥: ٤١١  
 عين الزعفران ٥: ٤١١  
 عين الصرفة ٥: ٤١١  
 عين العابدية ٥: ٤٠٤  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٧٢  
 عين العزيزية ١: ٥٣٨. ٥: ٤١٧، ٤١٨. ٦:  
 ٣٢٨.  
 عين المحمدية ٥: ٤٠٤

- عين الوزيرية ٦: ٣٠٣، ٣٢٨  
 عين اليونسية ٥: ٤٠٤  
 عين بازان ٥: ٣٥٨  
 عين ثقبه ٥: ٤١١  
 عين حنين ٥: ٣٥٣، ٣٦٠، ٤٠٦  
 عين زبيدة ١: ٥٣٨، ٤: ٥٢٣، ٥: ٤٠٤، ٤٠٥، ٤١٣  
 عين سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ٥: ٣٥١  
 عين عرفات ٥: ٣٦٠، ٤٠٤، ٤٠٦  
 عين مشاش ٥: ٤١١  
 عين ميمونه ٥: ٤١١  
 عين نعمان ٥: ٤٠٦  
 عين وادي نعمان ٥: ٣٥٤  
 العيني ١: ١٥٦، ٤٣٣، ٥: ١٧٨  
 عيون القصب ٢: ٣١٨، ٣٣١  
 عيون المسائل ٦: ١٢١  
 عيون المعارف في تاريخ الخلائف ٦: ٥٨، ٥٩  
 غار المرسلات ٥: ٣٠٨  
 غار ثور ١: ٤٠١، ٥: ٤٢٤  
 غار حراء ١: ١٣٤، ٣: ٢٠٦، ٥: ٤٢٤  
 الغازي أحمد مختار باشا ١: ٢٥٩، ٢٦١  
 الغازي عبد المجيد خان ٣: ٤٠٥
- الغازي ١: ٣٠٨، ٥٢٤، ٢: ٥٥، ٨٠، ٨٦، ٩٧، ٢٢٠، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٩٧، ٣٣٥، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٥، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥٢٤، ٥٢٩، ٥٣٢، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥٤، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٦٢، ٥٦٤، ٥٦٤، ٥٨١
- ٣: ٥، ٧، ٨، ١٣، ١٤، ١٨، ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٨٣، ٨٤، ٩٠، ٩١، ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٢٩، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٩، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٩٥، ٣٤٤، ٤٢٥، ٤٦٣، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٥، ٤٩٤، ٥١٠، ٥١٠، ٥٦٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣
- ٤: ٥، ٢٤، ٢٥، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٨، ٧٠، ٧٧، ٧٨، ٨٩، ٩٠، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٩، ١٧١، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٦، ١٩٧، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٧٠، ٢٩٠، ٣٣٢، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٦، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٨٥، ٣٩٠، ٤٠٥، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥



غينيا ٦: ١٦٣

الغيومي ٣: ٤٤٠

فؤاد الخطيب ٢: ١٨٨. ٥: ١٤٢

فؤاد باشا ٥: ٥١٥

فؤاد سعيد المصري ٣: ٤٢٧

فؤاد شاكر ٦: ١٥، ٦

فؤاد وفا ٥: ٥٢٥

فاخته بنت زهير بن الحارث ٤: ٣٣٨

فارة ٢: ٢٤٣، ٢٥٩. ٣: ١٩، ٢٩١

فارس الدين ٤: ٢٤٩، ٣٦٢، ٥٤٣. ٥: ١٣

فارس بنى عيس ٦: ١٦

فارس ٢: ١٧، ١٣٥. ٣: ٤٨٠. ٤: ٤٤٦.

٥: ٢١١. ٦: ٥٢.

الفارسي ٥: ٧٧، ٣٠٩

الفرارعة بنت همام بن عروة ٣: ١١٨

فاروق الأول ٣: ٥٧٥. ٤: ١٠

الفاروق عمر ٥: ١٦٧

فاس ٢: ٣٤٣. ٦: ٢٩٨.

الفاسي ١: ٣٦١، ٣٦٢. ٢: ٥٩، ٨٤، ٩١، ٩٧، ٩٨، ١٠٤، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٩٢، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٩٩، ٥٠٨، ٥٢٤، ٥٥٠.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٧٤

٥٧١. ٣: ٢٠، ١٧٤، ١٩٢، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٥٦، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣١٧، ٣٤١، ٣٥٣، ٤٣٦، ٤٦٩

٤٧٣، ٥١١، ٥٢٠، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٨، ٥٣٠، ٥٣٢، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٥٨. ٤: ٢٥، ١٤٠، ١٧٢، ٢١٩، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٩، ٣٩١،

٥٦٠، ٥٧٥.

٥: ٣٧، ٣٩، ٥٦، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ١٠٣، ١٢٥، ١٣١، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٥٧، ١٦١، ١٦٣، ١٨٢، ١٨٧، ١٨٨، ٢٣٤، ٢٨٥، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٥

٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٥٨، ٤٠٠، ٤٠١. ٦: ٨٨، ٨٩، ١٠١، ١٢٠، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧١، ٢٨٩، ٣٤٥، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧١

٣٧٢

فاطمة الزهراء ١: ١٧١، ٢٤٥، ٢٨٨، ٢٨٩.

٢: ٨١. ٦: ٣٤٩

فاطمة بنت أسد أم علي ٦: ٣٤٩

فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ٦:

٢٥٢

فاطمة بنت أسد بن هاشم ١: ٣٢٠. ٦: ٢٥١

فاطمة بنت أسد ١: ٣٢٤. ٤: ٢٠

فاطمة بنت الخطاب ١: ١٥٩. ٢: ٨٧. ٣: ٣٢٦

فاطمة بنت المنذر بن الزبير ١: ٣٩٥

فاطمة بنت سعد بن سيل ٣: ٢١

فاطمة بنت عبد الملك ٦: ٢٧٣

فاطمة بنت عمرو ١: ١١٧، ٣٢١

فاطمة بنت محمد ٤: ٤٩٢

فاطمة بنت مرة الخثعمية ١: ١٣٢

فاطمة خانم سلطان ٥: ٤٠٧، ٤٠٩

فاطمة هانم ٥: ٤١١

فاطمة ١: ١٥٣، ٢٠٠. ٢: ١٥٤. ٦: ٣٤٩

الفاطميون في مصر ٣: ٤٦٥، ٤٦٧

الفاكهاني ١: ٤٧٤

الفاكهى ٢: ٤٠٢، ٤٠٥، ٤٣٦، ٤٥١، ٤٥٠، ٤٥٤، ٥٧١. ٣: ١٨، ١١، ٩١، ٣٢١، ٣٤١، ٤٧١، ٤٧٩، ٤٥٢، ٥٥٣.

٤: ٨، ١٣٩، ١٦٢، ٢٤٥. ٥: ٣٢، ١٦٢، ١٨٨، ٢٣٣، ٣٠٩، ٣٩٤، ٤٠١.

٦: ١٦٧

فالح الطباطى ٣: ١٧٠

فالح ٣: ١٧٤

فايز العوفى ٥: ٥٩، ٦٠، ٦١

الفتاوى الحديثية ٥: ١١

فتاوى النوازل العصرية ٥: ٥٤٢، ٥٤٣

فتح البارى ١: ٣٧١، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٨٦. ٣: ٣٠٧، ٣١٤، ٥٤٩. ٤: ٢٨، ١٩١. ٦: ١١٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٣٥٢.

فتح التقدير المالك فى شرح ألقاظ موطأ مالك ٥: ٥٣٥، ٥٣٦

فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب و الترهيب ٥: ٥٣٧، ٥٣٨

فتح الله الصاوى ٦: ٤٥

فتح الله الكردى ٤: ٤٢٥

الفتح بن خاقان ٤: ٥٥١

فتح ٤: ٣٤

فتوح البلدان ٥: ٢٢٩

الفتوح ٣: ٤٣٨

الفتوحات الربانية ١: ٥٠٥

الفتوحات الكوازية ٣: ٥٨٢

الفجر الجديد ٦: ١٧

فخ ٢: ٤٥

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٧٥

فخر الدين بن الريعى ٢٠٢: ٦

فخر الدين ١٤: ٤

فدك ١: ٦٧

الفرائد البهية فى الحدود المنطقية ٥: ٥٣٩، ٥٤٠

فرائد الفكر فى شرح مختصر السير ١: ٢٣٣

فرائد النحو الوسيمة شرح الدرّة اليتيمة ٥: ٥٤٢

فراى ٦: ٧٣

الفربى ٤: ٣٥٤

فرج ٤: ٢٥

فرجينيا ٣: ١٠٩

الفردوس ٢: ٤١٧

فردينان و ستنفيلد ١: ٥٥

الفرزدق ٤: ١٩٧، ٢٦٧

فرعون ٢: ٤٨٧

فرغانة ١: ٥٧٠، ٢: ١٣٥، ٣٤٢.

الفرما ٣: ٥٥٥

فرن الميرى ٥: ١٤، ٥: ٤٠٣.

فرنسا ٢: ١٥٦، ١٨٢، ٢٣٩، ٢٨٠، ٢٩٢.

٣: ١١٢، ٥: ٢٥٢، ٦: ٦٦، ١٦٤، ٢٤٤.

فرنسل ١: ٨٢

فريد توفيق ٢: ٢٠٣

فريد وجدى ١: ٢٥٩

فريفرة ٢: ٣٤٠

فريق قاسم باشا ٥: ٥١٠

الفسطاط ٢: ١٣٤، ٣٤١، ٤: ٥٢٩، ٥: ١٧٠، ١٧١، ٦: ٣٠١.

الفصحى و العامية ٦: ١٩

فصول مختارة من كتب التاريخ ٦: ٥٤

فضائل مكة ٥: ١٦٢

فضالة بن عمير بن الملوح اللبى ١: ٥٥١

فضل الطبرى ٣: ١٧٦

الفضل بن الربيع ٣: ٤٨٢، ٤٨٥، ٥٥٣، ٤: ٨، ٥١٤

الفضل بن العباس بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن على ٤: ٢٨٦



- الفضل بن العباس بن الحسين ٥: ٤٩٩
- الفضل بن العباس بن عبد المطلب ٣: ٣٠، ٥٠١
- الفضل بن العباس بن محمد بن علي ٥: ٤٩٨
- الفضل بن حاتم ٥: ٤٤٦
- الفضل بن سهل ذي الرياستين ٣: ٥٥٣. ٤: ٨
- الفضل بن سهل ٣: ٥٥٣. ٤: ٤٨٥
- الفضل بن صالح بن علي ٤: ٢٧٩
- الفضل بن عباس بن عتبة ١: ٣٢٧
- الفضل بن عباس ١: ١٩٠. ٣: ٤٧١
- الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد بن علي ٤: ٢٨٦
- فضل بن مسعود ٥: ٤٠٤، ٤٠٥
- الفضل بن يحيى ٣: ٤٨٥
- الفضل ١: ٣٢٨
- الفضيل بن عياض ٥: ٤٤٦. ٦: ١٧١
- الفقارات ٢: ٣٣٥
- فقه اللغة ٦: ٥٠
- الفقه على المذاهب الأربعة ٣: ٢٩٣، ٥٢٦
- الفقير ٢: ٣٣٥
- فكرة ١: ٦٠
- فلسطين ٢: ١٩، ١٣٥، ١٦٩، ١٨٦.
- ٣: ٥٥٥. ٦: ٥٤، ٣٠١.
- فلسفة الجن ١: ٥٩. ٦: ١٤.
- الفلق ٢: ٢١٦
- فلورانس ٦: ٦٥
- فليته ٢: ٥٣٠
- فنان لبنان ٦: ٧٤
- فهد بن عبد العزيز آل سعود ٦: ٣٦، ١٤٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٧٦
- فهد ٤: ٢٠٣
- فهر ٥: ٤٩٣
- فوائد الدرر ١: ٢٣٣
- فوائد في أداء نسك الحج و العمرة ٤: ٣٢١
- فواز بن عبد العزيز ٥: ٥٠٥

الفواكه الدواني على رسالة أبي زيدان القيرواني ٦: ٣٤

فوزى سالم عفيفى ١: ٣٠

فولتا العليا ٦: ١٦٣

فون فريد ١: ٨٢

فون مالترن ٦: ٧٨

فى الأفق الملتهب ٦: ٢١

فى رحاب الخلود ٦: ٢١، ٢٢

فى ظلال الصراحة ٦: ١٧

فيتنام ٦: ١٦٣

فيد ٣: ٤٦٥

الفيروز آبادى ١: ٥١

فيروز بن كيك ١: ٥٦٨

فيروزدين ٦: ٩٢

فيصل أمين الشيبى ٤: ٢٠٢

فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ٢: ٢٨٩، ٣٥٩، ٣٧٥، ٣: ٣٨٦، ٤١٣.

٥: ٢٢٦، ٤١٠، ٦: ١٤٣، ١٤٤، ١٥٨

فيصل ٣: ٣٨٧، ٣٨٨، ٤١٥، ٤: ٤٥٩

فيض الخبير و خلاصة التقرير على شرح منظومة أصول التفسير ٥: ٥٣٧، ٥٣٨

فيليبين ٦: ١٦٣

فيينا ٥: ١٥، ٢٧٥

فينيسيا ٢: ٢٩١، ٦: ٦٥.

القائم بأمر الله أبا جعفر عبد الله بن الإمام القادر بالله ٣: ٤٧٩

القائم ٣: ٢٨٢

القادسية ٢: ١٣٥

قادش ٦: ٧٤

قارون ٥: ٢٧٥

القارى ٥: ٣٦٥

قاسم أمين ٤: ٥٤٠

قاسم الشروانى ٥: ٣٦٣

القاسم المؤتمن ٤: ٥٢٢

قاسم باشا ٥: ٥١٣

قاسم بك ٥: ٣٦٩، ٣٧٠، ٥٠٧

القاسم بن ربيع ٣: ٤٨٥

- قاسم بيك ٥: ٤١٢
- القاسم ١: ١٥٣
- قاسم ٤: ٥٢٤
- القاضي أبو البقاء ابن الضياء الحنفى ١: ٦٣
- القاضي أحمد ٣: ١٣٢
- القاضي ابن باديس ٤: ٤٤
- القاضي الشريف أبو جعفر محمد ٥: ٤٩٩
- القاضي المنقارى المقدسى ٣: ١٣٢
- القاضي تاج الدين بن أحمد ١: ٥٢٩
- القاضي حسين ٥: ٣٢٩
- القاضي شمس الدين السروجى ٣: ٢٩٤
- القاضي عياض ٣: ٢٦٠، ٤: ١٣١، ٥: ٤٦٥
- قاعة الشفا ٢: ٢١٦
- قافه ٢: ٣٤٤
- قاقون ٥: ٢٢٢
- قالوا و قلت ٦: ٢٠، ٢١
- قاموس الأمكنه و البقاع ٢: ١٠١، ٣٢٣، ٣٢٤.
- ٥: ٣٢، ١٧١.
- القاموس المحيط ١: ٥٧، ٦: ٢٨٩.
- القاموس ١: ٥٤٩، ٥: ٣٤٤.
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٧٧
- قانسوه الغورى ٢: ٢٦٢، ٣: ٦، ١٤٥، ١٧٠، ٣٥٤، ٥٦١، ٥٦٢، ٤: ٥٤٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥: ١٧٥، ٣٦٣، ٦: ٧٤
- القانون ٦: ٣٤٣
- القاهر بالله أبى منصور محمد ٤: ٤٩٧، ٤٨٠.
- ٥: ٤١٥
- القاهرة ١: ٦٢، ٢: ١٨٣، ٣: ١٧، ٥: ٥٩، ٧٢، ١٧١، ٦: ٢٩٦.
- قايتباى ٢: ٢٢٣، ٢٢٦، ٥٢٥، ٣: ٦، ١٦، ٣٨١، ٥٠٩، ٥٨٤، ٤: ٣٦٤، ٤٤٢، ٥٤٣، ٥: ١٣٤، ١٩٦، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٢٢، ٣٣٣، ٣٤٢، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٧١، ٦: ١٥٠، ٣١٧
- قايتباى المحمودى ٤: ٥٥٤
- قبا ١: ٣٩٤، ٤١٤، ٤١٦، ٤٢٩، ٤٣١.
- قبائل البجاه ٢: ٣٢٦
- القبان ١: ٥٩، ٦٠، ٢: ٨٠.
- قبر أحمد الأعرج الدليل ٢: ٣١٩

قبر القروي ٢: ٣١٩

قبرص ٦: ١٦٣

قبيصة بن ذؤيب ٤: ٥٤٦

قتادة ٢: ٦٢، ٤: ٢٠٢، ٦: ٢٨١، ١: ٣٩٤

قتيلة بنت عبد العزى ١: ٣٩٤

قثم بن عباس ١: ١٩٠، ٤: ٢٧٥، ٥: ٤٩٦

قثم ١: ١١٤، ٣٢٨، ٤: ٥٤٣

قدامة ابن مظعون ٦: ٢٥٨

قدامة ١: ٨٠، ١٥٩

القدس ٢: ٣٤١، ٣: ٣٨١، ٥: ١٦٥

القدس ٢: ٤٨٨

قدم شريف ٢: ٣٣٨

قديد ١: ٤٠٩، ٤٥٥، ٢: ١٥، ٣: ٣٢٠، ٥٤

القديم ٢: ٣١٠

القراءة الرشيدة ٥: ١٩

قراجا عتيق الدوادار الكبير جاني بك ٢: ٢٢٦

قرارة المدحا ٢: ٣٨٢

القرارة ٢: ١١، ٥٨، ٢١٦

القرافي ٥: ٥٤٢، ٦: ٣٥٧

قراقم ٢: ٣٤٣

القرامطة ٣: ٢٦٣

قرّة بن شريك العبسي ٥: ١٨١

القرشي ١: ٥٠٥، ٢: ٣٧٩، ٥٣٥، ٥٤٢، ٥٦٧، ٤: ٢٤٩، ٥: ١٣، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢

قرطبة ٦: ٩٦

القرطبي ١: ٤٣٤، ٤٣٤، ٢: ٣٨٥، ٤١٧، ٥٠٩، ٣: ٩٦، ٤: ٢٨، ٨٣، ٣١٥، ٦:

٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٥

القرم ٢: ٣٤٣

قرمط البقار ٣: ٢٨٢

القرمطي ٣: ٢٣٧

قرن ٤: ٩٥

قرنيطة ٢: ٣٤٣

القرى لقاصد أم القرى ١: ٥٢، ٢٨٨

٢: ٥٧٣، ٢٨٤، ٣: ١٨، ٨٦، ٢٥٧، ٢٦٨، ٣١٨، ٤٩١، ٤٩٧، ٥١١، ٥٣٥، ٤: ٨٤، ٨٥، ٨٦، ١٧٨، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٧١، ٢٧٣

٣٣٧، ٥٤٦. ٥: ٣٠٢، ٥: ٣١٨، ٣١٩.

قرية ١: ٤٨٥

قرية ابن مسعود ٢: ٣٦٠

قرية الأبواء ٢: ١٥٢

قرية الأعمق ٢: ٣٥٩

قرية البني ٢: ٣٦٠

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٧٨

قرية الحجران ٢: ٣٦٠

قرية الحصيان ٢: ٣٦٠

قرية الخولة ٢: ٣٦٠

قرية الذراوة ٢: ٣٥٩

قرية الشنبان ٢: ٣٦٠

قرية الغربية ٢: ٣٦٠

قرية العشامرة ٢: ٣٥٩

قرية القصران ٢: ٣٥٩

قرية الكمل ٢: ٣٥٩

قرية اللمضة ٢: ٣٦٠

قرية المطرة ٢: ٣٦٠

قرية المغاربة ٢: ٣٦٠

قرية بني صخر ٢: ٣٥٩، ٣٦٠

قرية الحجر ٤: ١٩، ٢٢

قرية ١: ٦١

القرين ٥: ١٥٩

القزاز ٦: ٢٥٨

قزوني ٣: ٤٨٠

القزويني ٢: ٣٨٠، ٥٥٣. ٤: ٣١

قس بن ساعدة الإيادي ١: ٨١، ١٣١، ١٣٤

القسطلاني ١: ٤٤٠. ٤: ١٩٥

قسطنطين فيليبس ١: ٧٥. ٥: ٤٩٢

القسطنطينية ٢: ٣٤٤. ٣: ٣٨١. ٤: ١٧١.

قسطورا ٢: ٢١٩

القشاشية ٢: ١٠، ٢١٦. ٥: ٥٢٢.

قشلة أجياد ٥: ٢٠٤. ٦: ٣٠٢.

قشلة جروول ٥: ٢٠٣

القصائد العشر الطوال ٣: ٤٧٨

قصة الأدب في الحجاز ٦: ١٧

قصة حياتي ٦: ١٦

قصر يلدز ٤: ٣٨، ٣٥

القصر ٢: ٣٣٩

قصص الأنبياء ١: ٣٦٦، ٢: ٧٥، ٥: ٢٣٠، ٦:

٣٦٩

قصي بن كلاب بن مرة ١: ٣٤٢، ٣٦٣

٢: ٦٢، ٦٤، ٧١، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٩٩، ١٢٦، ٣: ١٩، ٢٠، ٢١، ٤٣، ٢١٣، ٥٠٣، ٥٤٥، ٤: ١٤٣، ١٦٧، ١٨٣، ١٨٧، ١٩٣، ٢٦٠، ٣٤٠، ٤٥٢،

٥: ١٦، ٢٩٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٣٢٣، ٦:

١٥٣

قصي ٢: ٢٠، ٦٧، ٧١، ٤٢٤، ٣: ٢١، ٢٣

٤: ١٨٥، ٥: ٧٨، ٤٩٣، ٦: ١٢٣

القصير ٢: ٣٢٢، ٣٢٩، ٥: ٢٢٢

القضاعي ٥: ١٧٠، ٦: ٥٨، ٥٩

القضية ٢: ٣١٠، ٣٣٢، ٥: ١٦١

القطائع ٥: ١٧١

القطب الحنفي ٣: ٤٩٧

قطب الدين بن علاء الدين الحنفي المكي النهروالي ١: ٥٠، ٢: ٢٦٥، ٤: ٣٣٠

٥: ٤١، ٤٣، ٤٢٢، ٦: ١٢١، ٢٩٠، ٢٩١

قطب الدين بن علاء الدين خوارزم شاه ٤: ٣٨

قطب الدين ٢: ٢٥٧، ٤: ٤٣٦، ٥٣٣، ٥٣٩، ٥٦٥، ٥: ٣٦٥، ٦: ٢٩٢

القطب ٢: ٥٧٨، ٤: ١٤، ١٥، ٤٤٦، ٤٥١

٥: ٣٠٢، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٠، ٦: ١٥٣

القطبي المكي ٢: ٥٢، ٧١، ٣: ٤٤٠، ٤٧٥، ٥٠٩، ٥١٢، ٥٤٣، ٤: ٦٠، ١٨٦، ١٨٧، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٤٧، ٣٣١، ٤٣٢، ٥١٢، ٥١٥، ٥٢٢، ٥٢٤،

٥٢٨، ٥٥٤، ٥٧٥، ٥: ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٧٤، ٧٦، ٩٢، ٩٣، ١١٥، ١١٨، ١١٩، ١٣٢، ١٤٣، ١٤٤،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٧٩

٢٣٥، ٣٤٢، ٣٥٣، ٣٦٠، ٣٦٦، ٤٠٩، ٤١٣، ٤١٥، ٦: ٨٥، ٢٩٠

قطر ٦: ١٦٢

قطرانة ٢: ٣٤٠

قطرة من يراع ٦: ١٩

قطع المجادلة في تغيير المعاملة ٥: ٢٥٦

قطبك الحسامي ٥: ٧٧

قطورا ٣: ٥٠٢

قطيا ٥: ٢٢٢

القطيف ٣: ٢٧٢، ٢٧٣. ٥: ٧.

قعيقان ٢: ١٢. ٣: ٥٤٧.

قلاوون ٥: ١٧٣

قلعة أجياد ٤: ٣٥٨. ٥: ٢٠٢.

قلعة المعابدة ٥: ٢٠٥

قلعة جبل لعلع ٥: ٢٠٣

قلعة جبل هندي ٤: ٣٥٨. ٥: ٢٠٢.

قلعة فلفل ٤: ٣٥٨

القلعة ٥: ٢٢٢

القلقشندي ١: ٧٣. ٢: ٩٦، ١٣٦، ٣١٧.

٣: ٤٥٣، ٥٧١. ٤: ٣٩، ٤١، ١٩٧.

٥: ٢٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٥٢، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٤. ٦: ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٣٤٢

قم ٣: ٤٨٠

قمر الدين الحلبي ٥: ٣٤٩

قمصون ٢: ٣٤٣

قنسرين ٦: ٥٣

قنفذ بن عمير بن جدعان ٥: ٤٩٥

القنية ٤: ١٠٦

القواطع البرهانية في بيان إفك غلام أحمد و أتباعه القاديانية ٥: ٥٤٢، ٥٤٣

قوام الدين ٦: ١٢١، ١٣٣

قوت القلوب ٦: ١١٣

القوس ٥: ١٠٤

قوص ١: ٥٥. ٢: ١٣٤.

القوقاز ٢: ٣٢١

القول الحق و النقل الصريح بجواز أن يقرأ في جوف الكعبة الحديث الصحيح ٣: ٢٤٥، ٤٢٥

قومس ٦: ٥٣

قونية ٢: ٣٤٤

قيدار بن إسماعيل ٥: ٤٩٤

القيروان ٥: ٤٤٨

قيروش ٦: ٣٨٣

- قيس بن سعد ٥: ٢٣٩
- قيس عيلان ٦: ١٠٢
- قيسارية ٢: ٣٤٣
- قيطاس بك ٥: ٥٠٧
- قيماز الأرجواني ٤: ٣٤٨
- كابل ٢: ١٣٥، ٣٤٢. ٥: ٢١١.
- كاتالونيا ٢: ٢٩١
- كارل نيوبرت ٢: ٤٢٢
- الكازروني الحنفي ٢: ٥٦٧. ٤: ١٩٧
- كاشغر ٢: ٣٤٢
- كاظم آغا ٤: ٣٤
- كاظم باشا ٥: ٣٨٧، ٤٩١، ٥١٥
- كافور الإخشيدى ٤: ٣٤، ٢٦٧
- كامبل سوينتون ٢: ٣٦٦
- كامبوديا ٦: ١٦٣
- كامدن ٢: ٢٠٠
- الكامل الأيوبي ٤: ٢١٤
- كامل باشا ٤: ٤٥، ٣٥٥. ٥: ٥١٠، ٥١٢، ٥١٥
- كامل بن ماجد الكردي ١: ٢٨٧
- الكامل حسين ٣: ٥٦٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٨٠
- الكامل ٣: ٥٧، ٢٠٣
- الكاميرون ٦: ١٦٣
- كاوس ١: ٥٧٠
- كاوسان ١: ٥٧٠
- الكبير ١: ٤١٧. ٦: ٣٥٠.
- كتاب الشيخ إبراهيم خلوى الحلواني ٥: ٥٢١
- كتاب الشيخ حسن السنارى ٥: ٥٢٠
- كتاب الشيخ سليمان النورى ٥: ٥٢٠
- كتاب الشيخ سليمان فرج الغزاوى الخطاط ٥: ٥٢٠
- كتاب الشيخ عبد الله حمدوه السنارى ٥: ٥٢٠
- كتاب الشيخ فرج بن عبد الله السودانى ٥: ٥٢٠
- كتايبى ٦: ١٩



- الكتانى الفاسى ٥: ٢٥٥  
الكتانى ٢: ٢٩٥. ٥: ٢٦٢  
الكتبخانه ٤: ٤٢٣  
كتخدا إسماعيل باشا ٥: ٥٠٧  
كتخدا خليل باشا ٥: ٥٠٨  
كتخدا مصطفى آغا ٥: ٥٠٨  
كترمير ٣: ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨  
كثير ١: ٣٢٨  
كحيل بن رباح ٤: ١٢٥  
كداء ٦: ٨٥  
كدى ٢: ٤٠٧  
الكديد ١: ٤٦١  
كديفور ٦: ١٦٣  
كرام الدين ٥: ٤٣١  
الكرج ٣: ٤٨٠  
كرز بن جابر الفهرى ١: ٤٦٧  
كرز بن علقمة ٢: ٩٥  
كرستان سنوك هرجونجى ٦: ٧٦  
كرستوفر لاثام شولز ٢: ١٦٣  
كر كاج ٢: ٣٤٣  
كرمان ١: ٥٦٨  
كرمان ٢: ١٣٥. ٣: ٤٨٠. ٦: ٥٢.  
الكرمانى المصرى ١: ٥٥  
الكرمانى ٤: ٢٩٤، ٢٩٧  
كرميته ٣: ٢٧١  
كريستان هوجنز ٥: ١١٠  
كزمر ٣: ٥٨  
الكسائى ٥: ٢٠٠  
كسرى أنوشروان ١: ٩٣  
كسطمونية ٢: ٣٤٣  
كسكر ٣: ٤٨٠  
الكسندر جراهام بل ٢: ٢٠٢  
كسوة ٢: ٣٣٨

- الكشاف ١: ٣٤٨، ٣٥٠، ٢: ٤٧٥، ٤٩٧.
- ٤: ١٢٦.
- كشف أسرار الباطنية و أخبار القرامطة ٣: ٢٧٦، ٢٨٤.
- كشف الزور و البهتان من صنعة بنى ساسان ٥: ٦
- كشف العمى ٥: ٥٣٥، ٥٣٧
- كشف القناع ٤: ١٠٢
- كشف ما يجب من اللهو و اللعب ١: ٥٨
- كشمير ٦: ١٦٤
- كعب الأخبار ٢: ٤٢٣
- كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر بن المنصور ٤: ٢٨٥، ٢٨٦
- كعب بن زهير ١: ٤٨٤
- كعب بن لؤى ٦: ٥٧
- كعب ٥: ٤٩٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٨١
- كفاية الطالب لمناقب علي بن أبي طالب ٦:
- ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٦٣.
- كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى القرشى ٣: ٤٦٩
- كلاب ٥: ٤٩٣
- كلاتون ٥: ٢١
- كلارابو ٥: ٢٥٣
- كلام فى الأدب ٦: ١٩
- كلب بن وبرة ١: ٥٤٧
- كلب بن وبرة ٣: ٢٧٢
- كلب عليخان ٤: ١٤٢
- الكلبي ١: ٤٧٣
- الكلبي ٤: ٢٦٣، ١٠٢، ١٠٣
- كلثوم ابن الهدم ١: ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧
- كلخا ٢: ٣١٩
- كلكته ٢: ٦٠، ٦: ٣٥.
- الكلمات الطيبات فى المأثور على الإسراء و المعراج من الروايات ١: ٣٤١، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥١
- كلوت بك ٣: ١١٣
- كليتون ٥: ٢١
- كما رأيتها ٦: ٢٠

- كمال الدين أفندي ٥: ٤٣٢
- كمال الدين الظاهر شاه بندر ٤: ٥٦٤
- كمال الدين باشا ٥: ٤٩٠
- كمال الدين عمر بن العديم ٢: ٢٢٠
- كمال الدين محمد الدميرى المصرى ٦: ٢٨٩
- كمال الدين ٢: ٢٢٦
- كمران ٢: ٢٩٩
- كنانة ٥: ٤٩٣
- كنايت ٢: ٣٤٣
- كندا ٢: ٢٠٢. ٦: ١٦٤.
- الكندره ٦: ٣٢٤
- الكندوانى ٢: ٣٠٥ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٣-٦ ؛ ص ٤٨١
- كندى ٥: ٤٤٢
- كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب ٤: ٤٥، ٤٨. ٥: ٢١. ٦: ٦٥.
- كنز العمال ٤: ١٢٩
- الكنز المدفون ٥: ١٩٣
- كنز المطالع فى شرح ألفاظ الدرر اللوامع ٥: ٥٣٥، ٥٣٦
- كنكر ٦: ٥٢
- كنيسة القليس ١: ٢٩٦. ٦: ٢٠٥.
- كوارامى ١: ٨٢
- كوتاهية لى على باشا ٥: ٥١٠
- كور تلمون ٦: ٧٤، ٧٦
- كور دجلة ٣: ٤٨٠. ٦: ٥٢.
- كور تلمون الفرنساوى ٦: ٧١
- كورجى محمد باشا ٥: ٥٠٧
- كورنول ٥: ٢١
- كوريا ٦: ١٦٣
- الكوفة ٢: ١٣٥، ٣٤٢، ٤٤٢. ٣: ٢٨١، ٢٨٣، ٤٨٠. ٥: ١٦٩، ٤٢٤. ٦: ٥٣.
- الكولم ٢: ٣٤٣
- الكونغو ٦: ١٦٣
- كونيتكت ٥: ٦٠
- الكويت ٢: ١٨٠. ٥: ٧. ٦: ١٦٢.
- الكياسة فى علم الفراسة ٥: ٥٤٢، ٥٤٣

- كيتون ٦: ١٦٣  
 كيرانه ٦: ٣٥  
 كيف نعيش ٦: ١٥  
 كين ١: ٨٢  
 كينيا ٦: ١٦٣  
 لؤلؤ ٣: ١٩٩  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٨٢  
 لوى ٥: ٤٩٣  
 اللابتين ٤: ٣٣٣  
 لاز على باشا ٥: ٥١٠  
 لباب الخيار ٦: ٥٠  
 لبابة الصغرى بنت الحارث بن حرب الهلالية ٥: ٢٤١  
 لبس فى كلام العرب ٦: ١٩  
 لبنان ٢: ١٨٦. ٣: ١٨٤. ٦: ١٦٢، ٣٠١.  
 اللبني ٤: ٥٣٦  
 ليبد بن ربيعة بن عامر بن مالك ٣: ٤٧٨  
 لد ٥: ٢٢٢  
 لزوم الطلاق الثلاث دفعه ٥: ٥٣٥، ٥٣٧  
 لسان الدين بن الخطيب ٥: ٢٥٩  
 لسيدا ٥: ٢٧٦  
 لطيفة مسعود ٥: ٥٣١  
 لمسات ٦: ١٥  
 لندرة ٦: ٦٦  
 لندن ١: ٥٥. ٢: ١٩٩. ٦: ٧٨.  
 لنفر ١: ٨٢  
 اللواء المفقود فى إثبات وحدة الوجود ٥: ٥٣٧، ٥٣٨  
 لو ثروب ستودارد الأمريكى ٤: ٨١، ٥: ٣٣٧  
 اللوحات ٦: ٢٠، ٢١  
 لوحة فنية ١: ٢٩  
 لوحة قدمى سيدنا إبراهيم عليه السلام ١: ٢٩  
 لوط بن هاران بن آزر ٢: ٤٤٥  
 لويس التاسع ٢: ٢٨٠  
 لوين ٢: ٣٣٩

- ليسك ١: ٥٣، ٥٥. ٦: ٧٨.
- لييا ٦: ١٦٢
- لييريا ٦: ١٦٣
- الليث ١: ٦٨. ٢: ١٧٠. ٥: ٥١٥.
- الليث ٢: ٦٥
- ليديركك بر كهارد ٦: ٧٨
- ليدن ١: ٨٠
- الليط ٢: ١٤
- ليون روش ٦: ٧٦
- ليوناردو دي فينشي ٥: ١٠٩
- مأبور ١: ١٧٠
- مأرب ١: ٥٧٠
- المأمون بن هارون الرشيد العباسي ٣: ٥٥٣.
- ٥: ١٢٤
- المأمون صالح بن العباس ٥: ٣٥٢
- المأمون عبد الله ٣: ٤٨٢
- المأمون ٢: ٢٤٤. ٣: ٤٥٠، ٤٧٠، ٥٧٠.
- ٤: ٨. ٤٨٤. ٥: ١٢٩، ١٣٤، ٤٢٥. ٦:
- ٣٧٧
- مؤنس الخادم ٥: ٤٩٩
- مؤنس المظفرى ٤: ٣٤
- ما انبهم من الأسماء ٤: ٤٠٦
- ما وراء الآيات ٦: ١٥
- ما وراء الدنيا ٢: ٤٢٠
- مابور القبطى ٤: ٢٩، ٣٣
- ماتسونى ١: ٨٢
- ماجد الكردي ٦: ٣٦، ١٤٢
- ما ذا فى الحجاز ٦: ١٥
- مارس ١: ٥٦٩
- مارى ٥: ٢٢
- مارية القبطية ١: ١٥٣، ١٧٠، ١٧١. ٤: ٢٩، ٣٣
- المازرى ١: ٢٤٢
- ماسبذان ٦: ٥٣

ماسندان ٤: ٥٠٦

مالاقاسى ٦: ١٦٣

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٨٣

مالتان ١: ٨٢

مالطة ٢: ١٨٣

مالقة ٦: ٢٩٨

مالك بن أنس ٢: ٤٦٠، ٣: ٢٠٩، ٦: ٣٤٧

مالك بن العجلان ٦: ٣٧٢

مالك بن كنانة ٤: ٢٦٠، ٢٦٣

مالك ١: ١٥٦، ٣: ٢٩٤، ٥: ٤٩٣، ٦: ٣٤٩

مالى ٦: ١٦٣

ماليديف ٦: ١٦٣

ماليسيا ٦: ١٦٣

ماه بيكر ٣: ١٨٠

الماوردى ١: ٣٨٣، ٢: ١٠٧، ٣: ٤١٧، ٢٠، ٤٩١، ٥٥٢، ٤: ٤٣٨، ٥: ٣٢٩

مبادئ السيرة النبوية للمدارس الابتدائية ٥: ٥٣٨

مبادئ و مثل ٦: ١٥

مبارق الأزهار فى شرح مشارق الأنوار ١: ٣٣١، ٢: ٢٢٨

مبارك ابن عطيفة ٤: ٣٥٠

مبارك الطبرى ٥: ١٢٤، ١٢٩

المبارك بن حسان الأنماطى ٢: ٥٨١، ٥٨٤، ٦:

٢٤٠

مبارك بن رميثة ٤: ٣٥١

مبارك بن سليمان ١: ١٤١

مبارك بن عطيفة ٤: ٣٥١

مبارك ٤: ٣٧

المبرد ٣: ٢٠٣

متر ٦: ٦٥

متعب بن عبد العزيز آل سعود ٢: ٢٦٨

٥: ٥٠٥

متعب بن عبد العزيز ٢: ٢٧١

المتنبى ٤: ٢٦٧

المتوكل العباسى جعفر بن المعتصم بن الرشيد ٣: ٥، ١٦، ١٩٨

المتوكل على الله جعفر بن المعتصم ٢: ٥٢٨، ٥٧٧. ٣: ٤٢٤، ٤٦٧. ٤: ٥٥٠.

٥: ٢٩٥، ٣٥٦. ٦: ٨٤

المتوكل ٣: ٣٤٢

المثل الأعلى في الأنبياء ١: ٢٧٣، ٢٨٢

مثل عليا من قضاء الإسلام ٤: ٣٨٠، ٤١٩.

٥: ٤٤٣، ٤٤٧، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٦٩.

٦: ٢٧٠.

المثنى بن الحسن ٥: ٥٠٠

مثير الغرام ٣: ٤٩٧. ٤: ٢٤١. ٥: ٢٨٥.

المجاجي ٦: ١١٢

مجاهد ٢: ٤٢٣، ٤٩٧. ٦: ٢٥٩

مجبر الدين طاشتكين ٤: ٣٤٩

مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي ٢: ٤٠٢. ٦: ٢٨٩

المجزرة ٦: ٩٧

مجلد المساجد ٥: ١٨٠

مجمع بن يعقوب ١: ٤١٤، ٤١٥

مجموع الأفكار من أحاديث النبي المختار ١: ٥٨

مجموع المتون ٦: ٥٠

مجموع ثلاث رسائل في القراءة عن الأموات ٥: ٥٤٤

المجموع شرح المهذب ٥: ٣٢٨

المجموع ٥: ٣٢٩

مجموعه الحرمين ١: ٣٧

محادثة أهل الأدب، بأخبار و أنساب جاهلية العرب ٥: ٥٤٤

محاضرات الخضرى ٢: ٨٩. ٣: ٢٧٠، ٢٧٥.

٤: ٤٧٣، ٤٨٢، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٩، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٦، ٥٠٠، ٥٠٦.

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٨٤

٥١١، ٥١٢، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٥١، ٥٥٣.

٥: ٤٤٣. ٦: ٢٣٣.

محاضرات الخطيب ٥: ٥٣٩

محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ٥: ٤٤١. ٦:

٢٣٢.

المحاضرات ٤: ٤٨٦، ٤٩١، ٥١٢، ٥١٤، ٥٥٢

محاضرة الأوائل ٣: ٣٨٣

- المحاطب في الوعر ٢: ٣٢٠  
المحاطب ٢: ٣١٩  
محايل ١: ٧٢  
محب الدين الخطيب ٢: ١٨٩  
محب الدين الطبري ٣: ٢٥٧، ٥١١، ٤: ١٧٨، ٥٤٦، ٥: ١٣٦  
محب الدين النويري ٦: ٢٨٩  
المحب الطبري ٢: ٤٠٥، ٥٦٢، ٥٨٢، ٣: ١٨، ٣١٣، ٣١٨، ٤٩٠، ٤٩١، ٥٢٨، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٤: ٢١٩، ٢٩٧، ٥: ٧٧، ١٢١، ١٢٢، ١٢٨، ٣٠٢، ٣٢٢، ٦:  
٨٨  
المحبي ٥: ٣١١  
المحترس ٤: ١٨٦  
المحتقب ٦: ٢١، ٢٢  
محجة ٢: ٣٣٨  
محجر جدة ٢: ٢٩٩  
محجر جزيرة كمران ٢: ٢٩٩  
محراب ابن العباس ٤: ٢٠  
محرر الرقيق ٦: ٢١  
المحرز بن حارثة ٥: ٤٩٥  
محسر ٤: ٣٠٩  
محسن باروم ٦: ٩  
المحطب ٢: ٣٣٩  
محطة أبي الحلو ٢: ٣٣٥  
محطة قدم ٣: ٣٨٣  
المحفوظات الأدبية المختارة عن وصف الفنوغراف ١: ٣٠، ٢: ٣٦٥.  
المحكمة الشرعية الكبرى ٥: ٤٢١  
المحكمة ٤: ٤٢٣  
محلة المسفلة ٥: ٥٢١  
محلة جروول ٥: ٥٢١  
المحلة ٢: ١٣٤  
محمد آغا ٤: ٥٧٠  
محمد أبو أحمد ٤: ٥٢٢  
محمد أبو العباس ٤: ٥٢٢  
محمد أبو سليمان ٤: ٥٢٢



- محمد أبو علي ٤: ٥٢٢
- محمد أبو عيسى ٤: ٥٢٢
- محمد أبو يعقوب ٤: ٥٢٢
- محمد أحمد البوقري ٢: ١٤٢
- محمد أحمد العيشي ٥: ٥٣١
- محمد أحمد المحاملي ٤: ١١
- محمد أحمد بوقري ٢: ١٤٥، ١٤٦
- محمد أحمد شطا ٥: ٥٢٤، ٥٤٧. ٦: ٦
- محمد أحمد عطا الله شكرى ٥: ٤٣١
- محمد أسد ٦: ٧٩
- محمد أفندى المعمار ٣: ٣٥٤. ٤: ٥٤٥
- محمد أفندى ٣: ١٣٤، ١٤٠، ١٤٦. ٤: ٥٣١.
- ٥: ٤٢٩
- محمد أمين أفندى إمصيلي ٤: ٥٧٣. ٥: ٤٣١
- محمد أمين بن الشيخ حسن الحلوانى المدنى ٥: ٢٥٩
- محمد أمين بيك الحريزو ٥: ٤٣٠
- محمد أمين فودة ٥: ٥٢٣. ٦: ٤٤
- محمد أمين كتبي المكي ٥: ٥٣٩. ٦: ٢٩٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٨٥
- محمد أمين مقيم ٥: ٥٢٨
- محمد أمين ٥: ٤٣١. ٦: ٧٦، ١٤١
- محمد إبراهيم الأفندى ١: ٢٧
- محمد إبراهيم العمارة ٥: ٥٣٠
- محمد إبراهيم جدع ٦: ٢٠
- محمد إدريس بك ٦: ٥٠
- محمد ابن الشيخ محمد صالح بن أحمد الشيبى ٤: ٣٧
- محمد الألفى ٦: ١٤٢
- محمد الأمين بن هارون الرشيد ٤: ٣٩٩
- محمد الأمين ٣: ٤٨٠. ٤: ٣٩٩، ٥١٨، ٥٢١
- محمد الأوقص بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي ٤: ٤٤١
- محمد البيارى ٦: ٧
- محمد الجواد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني ٥: ١٨٥
- محمد الحجيج ٤: ٣٥٠

- محمد الحسن بن معاوية ٥: ٤٩٧
- محمد الحسين الأنقورى ٣: ١٤٩
- محمد الخامس ٤: ٢٠٩. ٥: ٤٩٠
- محمد الخضر الشنقيطى ٥: ٥٣٥
- محمد الخضر ٥: ٥٣٥، ٥٣٦. ٦: ٢٨٥
- محمد الخضرى ٤: ١٢٣. ٥: ٤٤١. ٦: ٥٠، ١٣٨، ٣٦٥
- محمد الخياط ١: ٥٩
- محمد الرابع ٣: ٦
- محمد الزيدى ٥: ٢٢٤
- محمد السقاف الكبير ٦: ٩١
- محمد الشيبانى ٥: ٤٤٣
- محمد الشيبى ٣: ١٧٣. ٤: ١٥٥. ٥: ٣٧٦
- محمد الصالحى ٣: ٢٤
- محمد الصباغ المكى ٥: ٤٠٠
- محمد الطيب المراكشى ٥: ٥٢٣. ٦: ٤٢، ٤٥
- محمد العاقب ١: ٤٣٨. ٥: ٥٣٥، ٥٣٧
- محمد العربى التبانى الجزائرى ٥: ٥٤٤
- محمد العربى الجزائرى ٥: ٥٢٢. ٦: ٤٥
- محمد العمرى ٦: ١٣
- محمد القارى ٦: ٣١٨
- محمد المرزوقى أبو حسين ٥: ٤٣٣، ٥٢٣، ٥٤٦. ٦: ٤٥
- محمد المستنصر بالله ٣: ٣٥٤
- محمد المعتصم ٤: ٥٢٢
- محمد المنتصر ٤: ٢٨٤
- محمد المهدي ابن المنصور ٤: ٤٩٣
- محمد المهدي العباسى ١: ٣٤٢. ٢: ٧٢، ٨٢، ٥٧٩. ٣: ٣٤٠. ٤: ٤٣٤، ٤٤٥، ٤٥٣، ٤٦٣، ٤٦٨. ٥: ٣٢، ٤١
- محمد المهدي بن أبى جعفر المنصور ٥: ١٨٥
- محمد المهدي بن المنصور ٤: ٢٨٩
- محمد المهدي ٢: ٧٣. ٣: ٥٥٢. ٤: ٤٦٤، ٥٤٢، ٥٥٩. ٥: ٤٢، ٤٣، ٧٣، ١٣٣، ١٨٥، ١٨٦
- محمد المياس ٦: ١٥٠
- محمد الناظر ٣: ١٤٥، ١٦٩
- محمد الهادى بن علوى عقيل ٣: ٥١٢
- محمد الهادى عقيل ٤: ٧٥

- محمد باحنشل ٥: ٥٢٥
- محمد باشا المعمار ٤: ١٤١
- محمد باشا باى ٢: ١٨٣
- محمد باشا صادق ١: ٥١
- محمد باشا ١: ٥٧. ٣: ١٣٢. ٥: ٣٧٢. ٦: ٨٩
- محمد بخيت المطيعى ١: ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٥١.
- ٢: ١٦٢. ٥: ٤٣٥
- محمد بك أكمك جى زاده ٥: ٣٦٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٨٦
- محمد بك بن حسين باشا المعمار ٥: ٣٧٦
- محمد بك ٤: ١٥٤. ٥: ١٥٣، ٣٧٣، ٥٠٧
- محمد بن آمنه الزهرية بنت وهب ١: ١٠٢
- محمد بن أبى الثابت ٥: ٢٥
- محمد بن أبى الساج ٥: ٤٩٩
- محمد بن أبى المجالد ١: ١٥٨
- محمد بن أبى بكر الأشخر اليمنى ٢: ٥٦٤
- محمد بن أبى نمى ٥: ٣٦٨
- محمد بن أبى هاشم ٤: ٣٤٧
- محمد بن أحمد الصباغ المكى ١: ٥١
- محمد بن أحمد النويرى الشافعى ٦: ٢٨٩
- محمد بن أحمد الهمذانى ٢: ٥٥٣
- محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد الكنانى الأندلسى ٦: ٢٩٨
- محمد بن أحمد بن عبد المجيد الحمودى العبدلى ٤: ٣٥٦
- محمد بن أحمد بن عبد الله المقدمى ٢: ٦٩
- محمد بن أحمد بن عجلان ٢: ٥٩، ٦٠
- محمد بن أحمد بن عيسى بن منصور ٥: ٣٢
- محمد بن أحمد بن عيسى ٥: ٤٩٩
- محمد بن أحمد ٥: ١٠٤
- محمد بن أسود الصدينى ٥: ٤٦٣
- محمد بن إبراهيم آل الشيخ ٣: ٣٦٣. ٦: ١٤٩
- محمد بن إبراهيم الإمام ٤: ٢٨٠. ٥: ٤٩٧
- محمد بن إبراهيم التيمى ٥: ٣٤٣
- محمد بن إبراهيم بن محمد بن على ٤: ٢٨٠، ٢٨١

- محمد بن إبراهيم ٣: ٣٧٣
- محمد بن إسحاق الصنعاني ١: ٩١
- محمد بن إسحاق الفاكهي ٤: ٤٥٠
- محمد بن إسحاق بن السليم ٥: ٤٦٠، ٤٧٦
- محمد بن إسحاق بن عقيل ٦: ٣١٣
- محمد بن إسحاق بن يسار ٣: ٣٥
- محمد بن إسحاق ١: ٥٥٤، ٣: ٥٤٢، ٤: ١٢٧، ٢٧٢
- محمد بن إسماعيل المكي ١: ٢٥
- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الحجبي ٤: ٥٩
- محمد بن إسماعيل ٣: ٥٧٣
- محمد بن الأغلب ٥: ٤٦٦
- محمد بن الحسن ٥: ١٤٤، ٦: ١٢١، ٣٥٩
- محمد بن الحنفية ٣: ٢٦٣، ١: ٤٧٠
- محمد بن الربيع الجيزي ٤: ٢٩
- محمد بن الرشيد ٢: ٥٥٢، ٣: ٤٨٧، ٤: ٥٠٧
- محمد بن السليم ٥: ٤٦٠، ٤٧٦
- محمد بن السيد محمد الحسين الأنقوري ٣: ١٧٢
- محمد بن السيد محمود الحسين ٣: ١٤٦
- محمد بن السيد مصطفى القناوي ٢: ٥٣٤
- محمد بن الشريف عبد الله ٣: ١٤٠
- محمد بن الضحاك ٢: ٥٥٣
- محمد بن العلاء الخادم ٤: ٥٥١
- محمد بن المنتصر ٥: ٤٩٨
- محمد بن الواثق ٤: ٥٥٢
- محمد بن بركات ٢: ٢٢٦، ٥: ٢١٢، ٣٢٢، ٣١٨: ٦
- محمد بن جاثم ٣: ٣٤٢
- محمد بن جعفر الطائي ٥: ٩٧
- محمد بن جعفر بن محمد ٣: ٤٥٠، ٤٧٠، ٤٩٥
- محمد بن جعفر ٣: ٤٩٥
- محمد بن حبيب الله الشنقيطي ١: ٢٤٠
- محمد بن حسين الخياط ٥: ٥١٩
- محمد بن خالد ٣: ٤٨٢

محمد بن خليل الله ٦: ٣٥

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٨٧

محمد بن داود بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ٤: ٢٤٨، ٢٨٣، ٢٨٤. ٥: ٤٩٨

محمد بن زكريا ٣: ٢٨٣

محمد بن زين العابدين بن محمد بن عبد المعطى الشيبى ٤: ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠

محمد بن سحنون ٥: ٤٦٨

محمد بن سراقه العامري ٣: ٣٢٠

محمد بن سعد الدين ٣: ١٣١، ١٨٢، ٢٠٩

محمد بن سعد بن أبي وقاص ٣: ١٢٣

محمد بن سعد ١: ٤٠٣

محمد بن سعد ٢: ٤٤٢

محمد بن سعود ٤: ٤٣١

محمد بن سليم ٥: ٤٦٠

محمد بن سليمان المغربي ٥: ١٠٣

محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام ٤: ٢٨٥

محمد بن سليمان بن عبد الله ٥: ٤٩٨

محمد بن سليمان بن علي ٤: ٤٩٢

محمد بن سليمان ٢: ٨٩. ٣: ٥٥٢. ٤: ٨. ٤٩٧. ٥: ١٣، ٢١٢، ٣٠٠، ٣٧٣، ٤٩٨. ٦: ٨٦

محمد بن سوقه ٢: ٥٧٥

محمد بن سيرين ٤: ٢٦٧

محمد بن طاهر بن الحسين ٥: ٤٩٩

محمد بن طغج الإخشيدى ٥: ١٥

محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ٥: ٤٩٦، ٤٩٧

محمد بن عباد الله الرومى ٤: ٥٦٥

محمد بن عباد الله ٤: ٥٤٤

محمد بن عبد المعين بن عون ٣: ٧

محمد بن عبد الملك الوزير ٤: ٥٥٢

محمد بن عبد الملك بن مروان ٤: ٢٧٩

محمد بن عبد الملك ٤: ٥٥٢

محمد بن عبد الوهاب ٦: ١٩

محمد بن عبد الرحمن المخزومى ٣: ٤٨٢

محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ١: ٤٥٣

محمد بن عبد الرحمن ٣: ٤٨٥

محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ٣: ٢٧٠  
 محمد بن عبد الكريم القنوي ١: ٥٢  
 محمد بن عبد الله الرومي ٣: ٣٥٤  
 محمد بن عبد الله الطبري ٢: ٥٦٢  
 محمد بن عبد الله المقدسي ٤: ٤٤٨  
 محمد بن عبد الله المهدي ٤: ٥٠٥  
 محمد بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة ٥: ٤٩٨  
 محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ١: ١١٥، ١٥٠  
 محمد بن عبد الله بن عثمان الحجبي ٣: ٤٨٦  
 محمد بن عبد الله بن عوده ٦: ٣٩  
 محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي ٦:  
 ٣٠٠

محمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ٣: ٢٧٢  
 محمد بن عبد الله ٢: ٤٢. ٣: ٤٨١  
 محمد بن عبد المطلب بن حسن ٥: ٤٠٤  
 محمد بن عبد المعين بن عون ٤: ٤٥  
 محمد بن عبد الملك الزيات ٤: ٥٥٢  
 محمد بن عبد الملك بن مروان ٥: ٤٩٧  
 محمد بن عراق ٤: ٣٥٤  
 محمد بن عطيفة ٥: ٥٠١  
 محمد بن علان الصديقي المكي ٢: ٥٤٤، ٥٦٤.  
 ٣: ١٢٨، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٤، ١٧٥، ٢٤٥، ٢٢٥  
 محمد بن علي الحرکان ٣: ٣٨٣  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٨٨  
 محمد بن علي العبدلي الخراساني الأخباري ٥: ٤١٥  
 محمد بن علي بن المنصور ٥: ٣٠٤، ٣٤٩  
 محمد بن علي ٤: ١٩٨. ٥: ٣٠٦  
 محمد بن عمر بن محمد العبدري الشيبني ٤: ١٩٢  
 محمد بن عوض بن لادن الحضرمي ٣: ٣٨٣  
 محمد بن عون ٤: ٣٥٥، ٥٧١، ٥٧٢. ٦:  
 ٣١٢، ٧٧

محمد بن فضل الطبري ١: ٥١

محمد بن فلان ٣: ٢٧٣

- محمد بن قطب الدين محمد القاضي ٤: ١٧  
 محمد بن قلاوون ٢: ٣٢٧. ٣: ٥. ٣٤٣.  
 ٥: ٢٢٢، ٣٥٨، ٤٨٧  
 محمد بن لادن ٣: ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٨٧. ٤: ٤٣، ٤٣١، ٤٣٣. ٥: ٤١٨، ٤١٩  
 محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني ٣: ٢٧٦  
 محمد بن مالك ٣: ٢٧٦، ٢٨١  
 محمد بن محمد صالح بن أحمد بن محمد بن زين العابدين الشيبلي ٤: ١٦٤، ١٥٧، ١٧٧، ٢٠١، ٢٠٢  
 محمد بن مضيان ٦: ١٣٧  
 محمد بن معاذ ١: ٤١٥  
 محمد بن معروف باجمال ٢: ١٥٧  
 محمد بن منصور ٣: ٤٨٦  
 محمد بن موسى الخوارزمي ١: ٤٠٢. ٢: ٧٠.  
 ٤: ٤٥١  
 محمد بن موسى القليوبي المكي ٤: ٣٤٤  
 محمد بن ناصر الدين الدمشقي ٤: ٤٠٨  
 محمد بن نافع الخزاعي ٣: ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٦٧  
 محمد بن هارون بن العباس بن إبراهيم بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ٣: ٤٨٣، ٤: ٢٨٦، ٥٠٧  
 محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي ٢: ٦٤.  
 ٤: ١٩٧، ٢٠٦، ٢٧٨. ٥: ٤٩٧  
 محمد بن هشام بن إسماعيل بن الوليد بن المغيرة ٤: ٢٧٨  
 محمد بن يوسف الحكاك ٣: ١٥٦  
 محمد بن يوسف الدمشقي ٣: ٣٨١  
 محمد بن يوسف الكندي ٥: ٤٤١  
 محمد بن يوسف ١: ٢٨٦، ٤٩٦  
 محمد بيري الحنفي ٣: ١٦٣  
 محمد بيك ابن حسن باشا ٥: ٣٧٧  
 محمد بيك بن المرحوم حسين باشا ٥: ٣٧٨  
 محمد بيك ٣: ١٣٢، ٣٥٤. ٥: ٣٧٧، ٤٠٢.  
 ٦: ٧١  
 محمد تاج جلال ٢: ١٤٨  
 محمد تقي الدين ٥: ٤٢٩، ٥: ٥١٤  
 محمد توفيق مكي ٢: ١٨٧. ٥: ٤٣٠  
 محمد ثروت أفندي ٥: ٤٣١

- محمد جاد الله ٦: ٣١٣
- محمد جار الدين بن فهد ١: ٥٢
- محمد جاويش ٤: ٥٣٤. ٥: ٤٦، ٣٧٣
- محمد جمال الدين ١: ٦١. ٥: ٤٣٢
- محمد حافظ إبراهيم بك ٦: ١٤٢
- محمد حالت باشا ٥: ٥١٤
- محمد حامد الفقى المصرى ٢: ١٨٩. ٥: ٥٢٣.
- ٤٥، ٤٢: ٦
- محمد حبيب الجوهرجى ٢: ١٥٧
- محمد حبيب الله بن ما يابى الشنقيطى الجكنى ١: ٣٣٦، ٣٧٠، ٣٨٩، ٤٣٢، ٤٥٣، ٤٨٩، ٤٩٥، ٤٩٨. ٢: ٣٨٥، ٤١٨،  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٨٩
- ٤٤٩، ٤٦٦. ٣: ٣١، ١٨٨، ٥٤١.
- ٤: ١٣٠. ٥: ٨، ٥٢٢، ٥٣٥. ٦: ٤٥، ٢٨٤، ٣٥٢.
- محمد حسن عواد ٢: ١٨٩. ٦: ١٢، ٢١
- محمد حسن فقى ٦: ١٠
- محمد حسنى عبد الحميد ٢: ٤٥٠
- محمد حسنين مخلوف ٤: ١١١
- محمد حسيب باشا ١: ٢٨٩. ٢: ٨٠. ٥: ١٣٤، ٢٠١
- محمد حسين أفندى ٥: ٤٢٩
- محمد حسين زيدان ٦: ١٠
- محمد حسين هيكل ٤: ٣٩١، ٣٩٢. ٥: ١٤٥، ١٦٧. ٦: ٣٦١، ٣٦٤
- محمد حنفى ٣: ٣٩٨
- محمد خالد ٥: ٤٣٠
- محمد خان ابن السلطان إبراهيم خان ٥: ٣٧٤
- محمد خان ابن السلطان يلدرم خان ٦: ٥١
- محمد خان ٢: ٢٦٢، ٢٦٣. ٣: ١٤، ١٦.
- ٤: ٢٤٧، ٢٤٤، ٥٦٨، ٥٦٩. ٥: ٣٠٧، ٣٧٤
- محمد راقم باشا ٥: ٥٠٩
- محمد رشاد الخامس العثمانى ٤: ١٠
- محمد رشاد خان ٣: ٢٨٦، ٢٨٧، ٥٦٧.
- ٤: ٥٧٣، ٥٤٥
- محمد رشدى باشا الشيروانى ٥: ٥١٣
- محمد رشدى ٥: ٤٣٠



- محمد رشيد باشا ٥: ٥١٠، ٥١٣
- محمد رشيد رضا ٢: ٢٣٠. ٥: ٤٣١، ٥٢٥
- محمد رضوان ١: ٢٧. ٦: ٤٢، ٤٦
- محمد رفعت أفندي ٥: ٤٣٢
- محمد رفيع ٣: ٣٩٨
- محمد رمزي بك ٤: ٢١
- محمد زكي البرزنجي ٥: ٤٣٣
- محمد زين ٣: ١٤٧
- محمد سالم أفندي ٥: ٤٣٢
- محمد سرور الصبان ١: ٦، ٦١. ٥: ٢٧٣. ٦:
- ١٤٩، ١٥، ٦
- محمد سعد الدين الحنفي ٥: ٦٥
- محمد سعد الله ٥: ٤٣٠
- محمد سعيد أبو الخير ٥: ٥٤٦
- محمد سعيد أخضر ٢: ١٦١
- محمد سعيد أفندي ٥: ٤٣٠، ٤٣١
- محمد سعيد الدفتردار ٥: ٥٢٥. ٦: ١٣
- محمد سعيد الشورى ٥: ٥٣١
- محمد سعيد العامودي ٢: ١٨٥، ١٨٩. ٦: ١٨، ٦
- محمد سعيد باشا ٥: ٥٠٧
- محمد سعيد باعشن ٦: ٨
- محمد سعيد بن عبد الله بن محمد الشيبى ٤: ٢٠١
- محمد سعيد عبد المقصود ٢: ١٨٩. ٦: ١٨، ٨
- محمد سعيد مصطفى بدر الدين ٥: ٥٣١
- محمد سعيد ٤: ١١، ٢٠٣
- محمد سليم ١: ٥١. ٦: ٣٥
- محمد سليمان الكثيرى ٢: ١٦٢
- محمد شاه ٦: ٣٠١
- محمد شروانى باشا ٥: ٣٨٢. ٦: ١٣٧، ١٣٨
- محمد شريف باشا ٢: ٨٠. ٥: ٥٠٩
- محمد شريف كبد الدين الخيرى ٥: ٥٢٩
- محمد شطا ١: ٢٣. ٥: ٥٢٥، ٥٤٠
- محمد شفيق أبو لبن ٥: ٥٢٩، ٥٣٠

- محمد شكرى ٥: ٤٣٢
- محمد شمس الدين ٥: ٤٣٠
- محمد شمعى ٥: ٤٣٠
- محمد صابور ٣: ٣٩٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٩٠
- محمد صادق أفندى ٥: ٤٢٩
- محمد صادق المجددى ٢: ١٥٧
- محمد صادق ٥: ٢٢٥
- محمد صالح القزاز ٣: ٣٠٩، ٣٨٣، ٣٨٧، ٤١١، ٤: ٤٣١، ٤٣٣، ٥: ١٤١
- محمد صالح بن أحمد بن محمد الشيبى ١: ٥١.
- ٤: ١٥١، ١٥٦، ١٥٧، ٣: ٣٠٧.
- ٤: ٢٠٠
- محمد صالح بن عبد الله باخطمة ٣: ٣: ٣٨٥، ٣٨٧، ٤١١
- محمد صالح بن على باعشن ٦: ٣٣٣، ٣٣٤
- محمد صالح جمجوم ٦: ٣٥، ٤١، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٢
- محمد صالح نصيف ٢: ١٨٤، ١٨٩
- محمد صالح ١: ٢٧، ٤: ٢٠٣
- محمد صديق كابللى ٣: ٣٧٣
- محمد صفوت باشا ٥: ٥١٤
- محمد ضياء الدين ٥: ٤٣٢
- محمد طائفى ٢: ١٦٠
- محمد طاهر أفندى ٥: ٤٣٠
- محمد طاهر الدباغ ٦: ٤٢، ٤٥
- محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط ١: ٣، ٥، ٢٥، ٢٦، ٣١، ٣٦، ٥٠، ٥٢، ١٣٨، ٥١٥، ٢: ٢٦، ١٠٠، ١٤٧، ٢٠٥، ٢١١، ٢٥٤، ٥٢٠، ٣: ٨٩، ١٩٦، ٢٠٥، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٣٦، ٢٨٦، ٣٠٩، ٣٨٥، ٣٨٧، ٤٠١، ٤٠٣، ٤١٠، ٤١١، ٤١٤، ٤١٦، ٤٦١، ٤: ٩٨، ١٠١، ١٧٤، ٢٣٢، ٤٣٠، ٥: ٢٧٤، ٣٤٤، ٣٩٩، ٤١٠، ٤٢٨، ٥٢٥، ٦: ٣١، ٣٦، ٤١، ٤٥.
- محمد طاهر سنبل ٢: ٥٣٣
- محمد طاهر ١: ٢٦
- محمد طوموم ٥: ٥٤٢ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ٣-٦؛ ص ٤٩٠
- مد طوسون باشا ٥: ٥٠٩
- محمد عابد بن حسين ٢: ٥٦٨
- محمد عارف أفندى ٥: ٤٣٢
- محمد عارف مصطفى شكرى ٢: ٨١

- محمد عبد الرواف ٥: ٥٢٥  
 محمد عبد الواحد ٢: ١٦٠  
 محمد عبد الرحمن العقل ٦: ١٣٨  
 محمد عبد الرحمن ٣: ٣٩٨  
 محمد عبد العزيز نمير طاشكندی ٥: ٥٢٩  
 محمد عبد القادر فقيه ٦: ١٠  
 محمد عبد اللطيف ملك ٥: ٥٢٩  
 محمد عبد الله الموسوي ١: ٥٢٠  
 محمد عبد الماجد ٥: ٥٢٧  
 محمد عبد الوهاب مجراوى ٥: ٥٣١، ٥٣٢  
 محمد عبده ٥: ٢٧٥  
 محمد عبيد الله المدني ٦: ١٣  
 محمد عرفة ١: ٩  
 محمد عزت باشا ٤: ٢٥٠، ٥: ٥٠٩  
 محمد عطاء الله الهندي ٦: ٤٢  
 محمد عطاء الله صديقي ٥: ٥٣٠  
 محمد عفيف أفندي ٥: ٤٣١  
 محمد عقيل ٦: ١٣٧  
 محمد على ابن علان الصديقي الشافعي ٢: ٢٨٢  
 محمد على الأكبر ٦: ٧٣  
 محمد على الضباع ١: ٩  
 محمد على باشا ٢: ١٨٤، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩.  
 ٥: ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٣، ٦:  
 ٥١، ٧٥  
 محمد على بن حسن ٢: ١٤٨  
 محمد على بن حسين المالكي ٥: ٥٤٢  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٩١  
 محمد على بن زين الدين ٣: ١٣٤  
 محمد على بن علان الصديقي الشافعي ٣: ١٤٢، ١٧٥، ٢٤٤، ٤٢٥، ٤: ٥٦٨  
 محمد على رضا ٢: ١٨٩  
 محمد على زينل رضا ٥: ٥٢٦، ٥: ٥٢٧، ٦:  
 ٣٥، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٦، ٣٣٦، ٣٣٧  
 محمد على فارسي ٢: ١٤٨

- محمد علي مغربي ٢: ١٨٩. ٦: ١٠، ١٨
- محمد علي ٢: ٢٩٢. ٤: ٢٠٣
- محمد عماد الدين ٥: ٤٣٠
- محمد عمر أفندي الكاتب ٤: ١٣
- محمد عمر بزي ٦: ١٣
- محمد عمر توفيق ٢: ١٩٣. ٦: ١١، ١٨، ١٤٥
- محمد عمر سعيد عيد ٢: ١٦٤
- محمد عمر عرب ٦: ٦
- محمد عوض بن لادن ٣: ٢٢٠، ٤١١
- محمد غريب العربي ١: ٢٧
- محمد غزال ٦: ١٩٣
- محمد فؤاد أفندي ٥: ٤٣٢
- محمد فدا ٦: ٨
- محمد فرج الله ونرنه ٥: ٥٢٨
- محمد فرحات ٥: ٦٠
- محمد قدرى ٥: ٤٣٠
- محمد قدسى ٥: ٤٢٩
- محمد قزلار الآغا ٥: ٣٠٦
- محمد كاظم ٢: ٢٠٣
- محمد كدوان ٢: ١٤٧
- محمد كرد علي ٢: ٣٣٤
- محمد كزلار ٣: ٣٤٣
- محمد كعكى ٢: ١٦٠
- محمد لبيب بك البتونى المصرى ٢: ٢٧٧، ٢٩١، ٣٢٢، ٣٣٥. ٣: ٢٨٩، ٣٥٧، ٤٤١، ٤٧٤. ٤: ١١٥. ٥: ١٦٥، ١٨٢، ١٨٩. ٦: ٧٦، ٢٩٧، ٣٧٦، ٣٠٧
- محمد ماجد الكردى ٢: ١٨٤
- محمد محسن باشا ٥: ٥٠٨
- محمد محسن خان ٥: ٥٢٩
- محمد مصطفى أفندي الكاتب ٤: ١١
- محمد معمر باشا ٥: ٥١٣
- محمد مليبارى ٦: ١٥
- محمد منور خان ٤: ١٤١
- محمد مهدي الباجى ٥: ٥٣٠



- محمود الهندي ٣: ١٧١، ١٧٢
- محمود باشا الفلكي ١: ١١١، ١١٩، ٢٥٩
- محمود باشا ٥: ١٦٩، ٥٠٧، ٥١٠
- محمود بك ٥: ١٥٣، ٥٠٧
- محمود بن إبراهيم بن أدهم ٦: ١٦٨
- محمود بن ربيعة ٤: ١٩٣
- محمود بن زنكي ٦: ٣٨١
- محمود بن سبكتكين ٣: ٥٥٧
- محمود بن محمد عيد ٤: ١٧٧
- محمود بيرم التونسي ٥: ١٨
- محمود بيك ٥: ٤٣١
- محمود حسن غباشي ٢: ١٥٧
- محمود خان ابن عبد الحميد خان ٣: ٣١٠، ٤٠٥، ٥: ١٥٦، ١٥٧
- محمود شفيق ٢: ١٦١
- محمود شكري الآلوسي البغدادي ١: ٩٢، ٩٣
- ١٢٢
- محمود صابر ٣: ٣٩٨
- محمود عارف ٦: ١٢، ١٧
- محمود علي الرفاعي ٥: ٥٣١
- محمود عمر فطاني ٥: ٥٣٠
- محمود موسى ٢: ١٦٠
- محمود ناجي ١: ٢٥٩
- محمود نتو ٤: ٧٥
- محمود ٣: ١٧٧، ٤: ١٨٤
- المحناظة ٢: ١١
- المحيط ٢: ١٣٦، ٣٤١
- محيي الدين الدرويش ١: ٣١٦، ٢: ٥٠٥
- محيي الدين الصواف ٢: ١٩٢، ٥: ٥٩، ٦١
- محيي الدين النووي ٣: ٥٢٧
- محيي الدين بن زقيط ٥: ٣٦٣
- المختار ابن أبي عبيد ٤: ٦٨
- مختار الصحاح ١: ٥٢٤، ٢: ٦٥، ٦٦، ١٧٠، ١٩٤، ٤٢٣، ٥١٨، ٣: ١٨٤، ٣٢٢، ٣٣٢، ٣٩٧، ٥٥١، ٤: ١٤٧، ٣٢٢، ٣٧٤، ٥: ١٨، ١٧٢، ١٨٠، ٢٨٦، ٣٠١، ٦: ٢٤، ٥٠، ٩٣، ٢١٥، ٣٣٠.

- المختار الكتبي ٦: ٢٦
- المختار بن بون الشنقيطي ١: ٣٨٠
- المخترعات وليدة المصادفات ٥: ١٠٥
- مختصر الإعلام ٤: ٥٦٧
- مختصر المصباح و المختار في اللغة ١: ٣٠
- المختصر ٤: ١٣١، ٥٤٦
- مخرمة بن نوفل ١: ٤٧٠، ٢: ٩٤، ٩٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٩٣
- مخطط مصر ٥: ١٠٠
- مدائن صالح ١: ٦٧، ٢: ٣٣٩
- المدائن ١: ٧٣، ٤: ٤١٣، ٥: ٢٦١
- مدارس مكة ٣: ٣٥٢
- المدارك ١: ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٧٦، ٥٤٨، ٥٤٩
- المدخل ٦: ١١٣، ١٧١
- مدرج على ٢: ٣٢٠
- المدرج ٢: ٣١٨، ٣٤٠
- مدرسة أم هانئ ٥: ١٤، ٣٥
- مدرسة الأشرف قايتباي ٥: ١٩٥
- المدرسة الأفضلية ٥: ٤٤، ٤٠٠
- مدرسة الأندونيسيا ٥: ٥١٩
- مدرسة الخياط ٦: ١٥٥
- المدرسة الخيرية ٥: ٥١٩
- مدرسة الداودية ٥: ٥١
- المدرسة الراقية ٥: ٥١٩
- المدرسة الرحمانية الثانوية ٦: ٣٥
- المدرسة الرشدية التركية ٥: ٥١٨، ٦: ٢٧، ٣٤، ٤١، ٣٣٧
- مدرسة الزراعة ٥: ٥١٩
- المدرسة السعودية ٦: ٣٤
- مدرسة السلطان قايتباي ٥: ٤٤
- المدرسة السليمانية ٥: ٥١، ٤٠٢
- مدرسة السيد أحمد عيد ٦: ١٣٧
- المدرسة الشهاية ١: ٤٢٥
- مدرسة الشيخ محمد خياط ٦: ٣٥

المدرسة الصولتية الهندية ٥: ٥١٩، ٥٢٢. ٦:

٢٧، ٣٥، ٣٨، ١٥٥، ٣٣٧.

المدرسة الفاضلة ٦: ١٦

المدرسة الفجرية ٥: ٥١٩

المدرسة الفخرية العثمانية ٦: ٣٥

مدرسة الفلاح ١: ٢٦. ٥: ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٥. ٦: ٢٧، ٣٥، ٤١، ٤٢.

مدرسة الفلاح ١: ٦٢. ٦: ٤٠

مدرسة المجاهدية ٥: ٤٠٠

مدرسة المعهد السعودي ٥: ٣٥

مدرسة الملك الأفضل عباس بن الملك المجاهد ٦:

٣٣

المدرسة المنصورية ٥: ٤٠٠

مدرسة النجاح الليلية ١: ٢٩٠

مدرسة برهان اتحاد ٦: ٣٥

مدرسة خليل آغا ٤: ٣٦

مدرسة دار العجلة ٦: ٣٣

مدرسة غياث الدين أعظم شاه ٦: ٣٣

مدرسة محمد باشا ٥: ٥١

مدرسة ٥: ٤٩٣

المدعة ٢: ٢٦٤

المدني ٢: ٥٦٤

المدورة ٢: ٣٤٠

مدينة الحجاج ٦: ٣٢٤

المدينة المنورة ١: ٦٧، ٦٨، ٦٩، ١١١، ٢١٠، ٤٠١، ٤٠٨، ٤١٤، ٤٣١، ٥١٤. ٢:

١٣٥، ١٤٦، ١٧٨، ١٨٠، ٢١٣، ٣١٠، ٣٢١، ٣٣٥، ٣٤١. ٣: ٩٨، ١٣٤، ٣٩١، ٤٨٠، ٥٠٣. ٤: ١٧، ٢٦، ١٣٦. ٥: ٥١، ٦٠، ٦٢، ٧٢، ١٦٥،

٢٥٨، ٥٣٥، ٥٣٦. ٦: ١٣٧، ١٤٤، ١٩٩، ٢٤٥، ٢٨٥، ٣٠١، ٣٤٢، ٣٦٥.

مر الظهران ١: ٤٦٢، ٤٦٤. ٢: ٥١. ٦:

١٠٥.

مرآة الحرمين ١: ٥٠، ١٦٦، ١٦٨، ٢٩٤، ٥٠٨، ٥١١. ٢: ٨٧، ٨٩، ٩٧، ٩٨، ١٠٢، ١٠٣، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٩٤

٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٧١، ٣٠٥، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٩٥، ٣٩٧، ٤١٢، ٥٠٩، ٥٢٣، ٥٥٤، ٥٥٦، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٦.

٣: ١٤، ١٥، ٢٤، ٣٥، ١٢٦، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٠، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٦، ٤٣٤، ٥٥٣، ٥٥٧، ٥٧٧، ٥٨٠.

٤: ١١، ٢١، ٢٦، ٣٠، ٣١، ١٥٣، ٢٠٨، ٢٥٣، ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٩١، ٢٩٨، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٩١. ٥: ٣١، ٦٥، ٦٦، ٩٥، ١٣٥، ١٥٤، ١٥٧.



- ١٦٠، ١٨١، ١٨٢، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٤، ٢١٣، ٢٩٨، ٣٠٥، ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٧٣، ٤٩١، ٥٠٤.
- ٦: ٥١، ٨٨، ١٥٠، ١٥١، ١٨٠، ٢٤١، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٣، ٣٢٠، ٣٢٢.
- مرآة الزمان ٥: ٩٧
- مرآة مكة و مرآة المدينة ٣: ١٨٢. ٤: ٢١. ٦:
- ٢٩٣.
- مراد آغا ٣: ١٥٣
- مراد ابن السلطان أحمد ٢: ٤٢٤
- مراد الثالث العثماني ١: ٢٤٧
- مراد الثالث بن السلطان سليم خان ٣: ٤٧٥
- مراد الرابع ابن السلطان أحمد ١: ٢٤٥. ٣: ٦، ٧٦، ١٢٦، ١٢٨، ١٧٩، ٢١٨، ٢٤٤، ٢٩٩، ٤٠٨، ٤١١، ٤٢٥. ٤: ١٤٣.
- مراد بن أحمد خان ٣: ٣٥٤
- مراد بن سليم ٤: ٥٤٤. ٥: ٥٠
- مراد خان الثالث العثماني ٥: ١٨٥
- مراد خان الرابع ابن السلطان أحمد خان ٢: ٥٧٩. ٣: ١٧٨، ٢٠١، ٣٨٨، ٤٩٣.
- ٤: ٤٦٧، ١٧٣، ١٧٤، ٥٤٤
- مراد خان بن سليمان خان ٤: ٤٥٠
- مراد خان ٢: ٨٦. ٣: ١٣٠، ١٣٣. ٤: ١٥٤، ٤٥٣. ٥: ٥٤، ٣٧٢. ٦: ٥١
- مراد ٥: ٥١، ٥٢، ٧٠
- مراكش و فاس ٣: ٤٦٨
- مراكش ٢: ٣٤٣. ٥: ١٦٥. ٦: ١٦٢، ٣٠١.
- المراكشي ٢: ٥٣٦
- مراكم موسى ٢: ٣١٨
- مره ٥: ٤٩٣
- مرتقى الوصول إلى علم الأصول ٥: ٥٣٥، ٥٣٦
- مرجان ٥: ٩٧
- المرجاني ٢: ٣٩١، ٤١٣. ٦: ١٧١
- المرجم ٢: ٣٣٩
- مردوخ ٥: ٢١
- مرسلها ٢: ٢٩٢
- المرشد إلى الحج و الزيارة ١: ٥٩
- مرشد ٦: ٣٣١
- المركز ٦: ٢٠
- مرهف ٣: ٥٦١

مرو الشاهجان ٢: ٣٤٢

مرو ٢: ١٣٥. ٣: ٤٧٢.

مروان الثاني ٥: ٤٤٣

مروان الحمار ٥: ١٧٠

مروان بن أبي حفصة ٤: ٥٠١، ٥١١

مروان بن الحكم ٤: ٢٧٥، ٢٧٦. ٥: ٤٩٦

مروان بن محمد الأموي ٤: ٢٧٩، ٥٠٥

مروان بن محمد بن الوليد ٥: ٤٩٧

المروة ٥: ١٣٥

مروج الذهب في أخبار الفرس ٣: ٤٦٩

مروج الذهب و معادن الجواهر ١: ٥٦٧.

٢: ١٣٢. ٤: ٢٧٣، ٤١٦.

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٩٥

مروج الذهب ٣: ١٨، ١١٨

مريم ٢: ٤٨٨

المزامير ٦: ١٧

مزدلفة ٥: ٣١٥

مزل الحرج في رد ما عند من أسقط الهجرة من الحجج ١: ٤٤١

مزنة ٤: ٥٠٤

مزيل الخفاء ١: ٣٥٨، ٥٤٩.

مزينه ٢: ٤٠٠

مساعد بن سعيد ٥: ٦٥

مسافر بن أبي عمرو بن أمية ٢: ٥٠٣

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٣: ٢٥٦، ٣١٥، ٤٩٦. ٤: ١٥٩، ٣٣١، ٥٤٨.

٥: ٤٢، ١٢٤، ١٣٩.

مسامرة السموع في ضوء الشموع ٥: ١١

المسبحي ٣: ٥٥٥

مستبقة ٢: ٣٣٩

المستجاب ٣: ٢٦٠

المستدرك ٢: ٨٣. ٤: ١٦٦.

مستشفى أجياد ٢: ٢٨٨

مستشفى الزاهر ٢: ٢٨٨. ٥: ٥٣٤.

مستشفى القبان ٢: ٧٩، ٨٠، ٨٢

المستضىء بالله ٥: ١٣١

المستغفرى ٥: ١٢

المستنصر العباسى ٢: ٨٦، ٣: ٥، ١٦: ٤، ٢٤٥

المستنصر العبيدى ٣: ٤٩٦، ٥٥٦

المستنصر بالله العباسى ٣: ١٩١، ٤٤٣، ٤٦١.

٣٥٦: ٥

مستورة ١: ١٤٠، ١٤١: ٢، ٣١٠، ٣٣٢.

١٦١: ٥

مسجد أبو ترابة ٥: ٨٨

مسجد أبو دافع بالشعبة ٥: ٨٧

مسجد أبو سودان ٥: ٩٠

مسجد أبو شدادين ٥: ٨٩

مسجد أبو عويس ٥: ٨٧

مسجد أبو مدافع ٥: ٨٧

مسجد أبو وادى ٥: ٨٥

مسجد أبى قبيس ٥: ٨٢

مسجد أم الحاضر ٥: ٨٩

مسجد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ٥: ١٧٥

مسجد إبراهيم السلیمان ٥: ٩٠

مسجد إبراهيم القيسى ٥: ٨٣

مسجد إبراهيم ٥: ٨٣

مسجد ابن رشد الهمزاني ٢: ٣٥٧

المسجد الأقصى ٦: ٣٧٦

المسجد الأموى ٥: ١٦٥

مسجد الأمير بندر بن عبد العزيز ٥: ٨٥

مسجد الأمير بندر ٢: ٣٥٧

مسجد الأمير تركى العبد الله ٥: ٨٦

مسجد الأمير عبد الله بن سعود ٥: ٨٦

مسجد الأمير متعب ٥: ٨٧

مسجد الأميرة حصه ٢: ٣٥٧

مسجد الأميرة شاهة ٥: ٨٦

مسجد الأميرة منيرة ٥: ٨٦

مسجد الإجابة ٥: ٨٦

- مسجد البخارية ٥: ٨٧  
 مسجد البدرى ٥: ٨٨  
 مسجد البدوى ٢: ٣٥٧. ٥: ٨٩.  
 مسجد البيعة ٥: ٣٠٩  
 مسجد التكارنة ٥: ٨٧  
 مسجد التنعيم ٥: ١٥٢  
 المسجد الجامع ٥: ١٦٥  
 مسجد الجبرت ٥: ٨٨  
 مسجد الجعدة ٥: ٨٥  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٩٦  
 مسجد الجعرانة ٥: ١٥٢، ١٦٣  
 مسجد الجميزة ٢: ٣٥٧. ٥: ٨٦  
 مسجد الجن ٢: ٣٥٧. ٥: ٨١، ٨٩.  
 مسجد الجندراوى ٥: ٨٩  
 مسجد الجهنى ٥: ٨٦  
 مسجد الجيلانى ٥: ٨٩  
 مسجد الحبر عبد الله بن عباس ٥: ٥١١  
 مسجد الحبشى ٥: ٨٦  
 مسجد الحجلة ٥: ٨٧  
 مسجد الحديبية ٥: ١٥٧  
 المسجد الحسينى ٥: ٧٢  
 مسجد الحفائر ٥: ٨٨  
 مسجد الحلقة ٥: ٨٨  
 مسجد الحوازم ٥: ٩٠  
 مسجد الخانسة ٥: ٨٥  
 مسجد الخريجي ٢: ٣٥٦  
 مسجد الخليفى ٥: ٨٥  
 مسجد الخيف ٥: ٩٠، ٣٠١  
 مسجد الدهسة ٥: ٨٥  
 مسجد الدهلوى بالحفائر ٥: ٨٨  
 مسجد الديثانى بخندمة ٥: ٨٨  
 مسجد الراجحى ٥: ٨٥  
 مسجد الراية ٢: ٢٠، ٥٨. ٥: ٧٧، ٧٨، ٨٨، ٤٠١، ٤٠٢.

- مسجد الرحلة ٥: ٩٠  
 مسجد الرفاعي ٥: ٧٢  
 مسجد الزاهر ٥: ٨٦  
 مسجد الزهيري ٥: ٨٦  
 المسجد الزينبي ٥: ٧٢  
 مسجد السبت ٢: ٣٥٦  
 مسجد السبع الأيبار ٥: ٨٩  
 مسجد السد بأجباد ٥: ٨٩  
 مسجد السد ٥: ٨٧  
 مسجد السنوسي ٥: ٨٥  
 مسجد الشافعي ٥: ٧٢  
 مسجد الشميسي ٥: ١٥٢، ١٥٥  
 مسجد الشهداء ٥: ٨٥، ٨٧  
 مسجد الشيخ محمود ٥: ٨٦  
 مسجد الصخرات ٤: ٣٢٣. ٥: ٩٠، ٣٢٦، ٣٤٣.  
 مسجد الصواعد ٥: ٨٦  
 مسجد الطييشي ٢: ٣٥٧. ٥: ٨٧.  
 مسجد الطندباوي ٥: ٨٧  
 مسجد العدل ٥: ٨٦  
 مسجد العرفاء ٥: ٨٧  
 مسجد العيوني ٥: ٨٧  
 مسجد الغنم ٦: ٩٨  
 مسجد الغوري ٥: ٧٢  
 مسجد الفلق ٥: ٨٨  
 مسجد القصر العالي ٥: ٨٦  
 مسجد الكائن خلف القشلة ٥: ٨٧  
 مسجد الكبش ٥: ٣٠٩  
 مسجد الكتبية ٥: ١٦٥  
 مسجد الكعكي ٢: ٣٥٧. ٥: ٨٩.  
 مسجد الكمالية ٥: ٩٠  
 مسجد الكوثر ٥: ٩٠  
 مسجد الكويتي ٢: ٣٥٧  
 مسجد المؤيد ٥: ٧٢

- مسجد المبراز عبد الله السلطان ٥: ٨٧
- مسجد المجزرة ٥: ٨٧
- مسجد المحجوب ٥: ٨٩
- مسجد المدابغة ٥: ٨٨
- مسجد المراغنة ٥: ٨٩
- مسجد المرسلات ٥: ٣٠٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٩٧
- مسجد المصافي بأجباد ٥: ٨٩
- مسجد المصلي ٢: ٣٥٦
- مسجد المصموم ٥: ٨٥
- مسجد المعمار ٥: ٧٢
- مسجد المغاربة ٥: ٩٠
- مسجد الملاوي ٥: ٨٦
- مسجد الملك عبد العزيز ٢: ٣٥٧. ٥: ٨٧
- مسجد الموارد ٥: ٨٩
- مسجد النافع ٥: ٨٦
- المسجد النبوي ٥: ٧٢
- مسجد النقا ٥: ٨٨
- مسجد النهاري ٥: ٩٠
- مسجد الهليلجة ٥: ١٥٣
- مسجد الهمزاني ٥: ٨٦
- مسجد الهندي ٥: ٨٩
- مسجد الوذائين ٥: ٨٦
- مسجد بئر الحمام ٢: ٣٥٧. ٥: ٨٨
- مسجد بئر الغسال بأجباد ٥: ٨٩
- مسجد بئر سعيدة ٥: ٨٩
- مسجد باحويرث ٥: ٩٠
- مسجد بحرة ٥: ١٦٠
- مسجد بركة الشامي ٥: ٨٨
- مسجد بصير ٥: ٨٩
- مسجد بن سليم ٥: ٨٨
- مسجد بن سويلم ٥: ٨٦
- مسجد بن شليويح ٥: ٨٦

- مسجد بن عبيد ٥: ٨٦  
 مسجد بن معتق ٥: ٩٠  
 مسجد بن مليس ٥: ٩٠  
 مسجد بن ناجي ٥: ٩٠  
 مسجد بن نمشان ٥: ٨٧  
 مسجد بني عامر ٥: ٨٦  
 مسجد جامع شارع المنصور ٥: ٨٩  
 مسجد جبل أبي قيس ٥: ٨٩  
 مسجد جبل العبادي ٥: ٨٨  
 مسجد جبل جحيشة (الكعكي) ٥: ٨٨  
 مسجد جبل عمر ٥: ٨٩  
 مسجد جرول ٥: ٤٠٢  
 مسجد جعفر ميرك ٥: ٨٩  
 مسجد حارة بيشر ٥: ٨٥  
 مسجد حسن آل الشيخ ٢: ٣٥٧  
 مسجد حمدان الفرج ٢: ٣٥٧. ٥: ٨٨  
 مسجد حمزة ٥: ٨٩  
 مسجد حوض أبو طالب ٥: ٩٠  
 مسجد حي التوفيق ٢: ٣٥٧. ٥: ٩٠  
 مسجد خالد بن الوليد ٥: ٨١، ٨٩  
 مسجد خندمة على حجازي ٥: ٨٥  
 مسجد دحلة الرشد ٥: ٨٩  
 مسجد دحلة حرب ٥: ٨٧، ٨٨  
 مسجد رباط السليمانية ٥: ٨٩  
 مسجد ريع الحجون ٥: ٨٦، ٨٨  
 مسجد ريع الكحل ٥: ٨٦، ٨٧، ٨٨  
 مسجد ريع اللصوص ٥: ٨٦  
 مسجد ريع المسكين ٥: ٨٥  
 مسجد ريع ذاخر ٥: ٨٥  
 مسجد زاوية الجيلاني ٥: ٨٨  
 مسجد سعد الجودي ٥: ٨٦  
 مسجد سعد بن سويلم ٥: ٩٠  
 مسجد سعد بن مستور ٥: ٨٩

- مسجد سوق البرنو الجديد ٥: ٨٨
- مسجد سيدنا الحسين ٥: ٥٣٥
- مسجد سيدنا خالد ٥: ٤٠٢
- مسجد سيف بن غانم ٥: ٨٦
- مسجد شعبة النور ٥: ٨٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٩٨
- مسجد صالح بوقري ٥: ٨٧
- مسجد طلبة البخارى ٥: ٩٠
- مسجد طويرق ٥: ٨٨
- مسجد عائشة ٥: ١٥٣
- مسجد عباد بن ناشئ ٥: ٩٠
- مسجد عبد الباقي بخارى ٥: ٨٩
- مسجد عبد المحسن ٥: ٨٧
- مسجد عبد ربه إلياس ٥: ٩٠
- مسجد عبيد الله بن عبد الله ٥: ١٧٣
- مسجد عجلان ٥: ٨٦
- مسجد عكاش ٥: ٧٢
- مسجد على بن ستر ٥: ٨٥
- مسجد على جميل ٥: ٨٧
- مسجد على حجازى ٥: ٩٠
- مسجد عمر ٥: ١٦٥
- مسجد عمرو بن العاص ٤: ٥٣٠
- مسجد عودة المرديسى ٥: ٨٥
- مسجد عيد بن محمد ٥: ٨٧
- مسجد غندورة ٥: ٨٩
- مسجد قباء ١: ١٢٧، ٤٣٠، ٥: ١٦٨.
- مسجد قرطبة ٥: ١٨٢
- مسجد مؤمنه ٥: ٨٥
- مسجد محطة الزاهر ٥: ٨٧
- مسجد مزدلفه ٥: ٩٠، ٣١٦، ٣٢١
- مسجد ملقيه العليا ٥: ٨٧
- مسجد منصور قرب النافورة ٥: ٨٨
- مسجد نمره بعرفات ٥: ٩٠، ١٥٢، ٣٢٧، ٣٣٨، ٦: ٨٩.



مسجد ٢: ٣٣٨

مسروح ١: ١١٤، ١٢٢

مسرور البلخي ٣: ٤٨٠

مسرور ٣: ٤٨٢. ٥: ٤٧٣

مسروق بن أبرهه ١: ٣٠٣

مسروق ٦: ٢٥٩

مسعود بن أحمد ٢: ٦١

مسعود بن إدريس بن حسن ٣: ١٣٠

مسعود بن معتب ١: ٢٩٩

مسعود سجيني ٥: ٥٣٣

المسعود ٣: ٣٤٣. ٤: ٢١٤

المسعودي ١: ٥٦٧، ٥٧٠. ٢: ١٣٢، ٥٥٣.

٣: ١١٨. ٤: ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٨٨، ٤١٦، ٤٧٣، ٤٩٧، ٥٠٨، ٥٥٢.

٥: ٤١٥

المسقلة ٢: ١٣، ١٦٤، ٢١٦، ٢٥٨. ٥: ٤٦.

مسلم ابن أبي خليفه المذحجي ٣: ٦١

مسلم بن خالد ٣: ٣٩، ١٨٦

مسلم بن عقبه المري ٣: ٥٤، ٩٤، ٩٥

مسلمة الفتح ٣: ٣٣٢

مسلمة بن عبد الملك ٤: ٢٧٧

مسلمة بن عبد الملك بن مروان ٥: ٤٩٦

مسلمة بن مخلد ٤: ٥٢٩. ٥: ١٧٠، ١٧٢

مسلمة بن هشام ٤: ٢٧٨

المسور بن مخزومه ٣: ٩٥. ٤: ٦٨

المسور بن مساور ٤: ٥٠٠

مشاهير الأكراد ٥: ٣٣٠

المشرق ٣: ٤٨٠. ٤: ٤٤٦.

المشعر الحرام المزدلفة ٢: ٣٢٠. ٥: ٣١٥.

مشعل بن عبد العزيز آل سعود ٥: ٥٠٥. ٦:

١٤٤

المشعلية ٢: ٢١٧

المشكاة ١: ٤٠٨، ٥٠٤. ٤: ٢٩٥، ٢٩٧.

المشلل ١: ٤٠٨، ٥٥٠.

مشهد ٢: ٣٤٠

المشير محمود باشا ٥: ٥١٢

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٤٩٩

المصافي ٥: ٤٠٢

مصانع الحجاز للصاح ٢: ١٤٤

المصباح المنير ١: ٥١٠. ٢: ١٩٤، ٥٧١. ٣:

٨٣، ٢٨٨، ٤٤٠، ٤٥٤، ٥٥٠. ٤: ٤٢، ١٠٨، ٣٣٣. ٦: ١٠٦.

مصر ١: ٥٥، ٦٢، ٥١٨، ٥٤٣. ٢: ١٧، ١٧٢، ١٨٤، ١٩٧، ١٩٩، ٢١٣، ٤٨٨، ٥٧٦. ٣: ١٨٤، ٣٦٧، ٣٧١، ٤٢٦، ٤٤٩، ٤٥٦، ٤٦٥، ٥٥٠،

٥٦٤. ٤: ٣٤، ٣٦، ٨٠، ٥٥٤. ٥: ٤٢، ٦٢، ٧٢، ١٦٥، ١٦٩، ٣٥٨، ٣٦٦، ٤٩٢، ٥٢٤، ٥٣٥. ٦: ٣٢، ٣٦، ٥١، ٥٤، ٧٥، ١٥٠، ١٦٢، ١٦٣،

٢٨٦، ٣٠١.

مصرلى أحمد بك ٥: ٥٠٨

مصرلى إبراهيم باشا ٥: ٥١٠

مصرلى طوسون باشا ٥: ٥١٠

مصطفى أندرقيرى ٢: ١٩٠

مصطفى النشار ٥: ١٩٤

مصطفى النيب ٥: ٤٣١

مصطفى باشا ٥: ٥٠٧، ٥٠٩

مصطفى بك ٥: ٥٠٧ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ٣-٦؛ ص ٤٩٩

طفى بن سنان ٤: ٤٠٥

مصطفى حامد ٥: ٤٣٠

مصطفى حمدى ٥: ٤٣٠

مصطفى خان ابن السلطان محمد خان ٣: ٣١٢

مصطفى ذهنى باشا ٥: ٥١٥

مصطفى رشدى ٥: ٤٣١

مصطفى زين الدين الألوسى ٥: ٤٣٢

مصطفى صادق الرافعى المصرى ١: ٢٢٩، ٢٣٠

مصطفى عاصم ٥: ٤٢٩

مصطفى عطار ٦: ١٠

مصطفى فائق أفندى ٥: ٤٣١

مصطفى كتحدا الباشا ٣: ٥٧٦

مصطفى كمال باشا ٦: ١٣٩

مصطفى كمال ١: ١٤

مصطفى ميرو ٢: ١٥٨

- مصطفى نظمی ٥: ٤٣١
- مصطفى نعيم أفندی ٥: ٤٣٢
- مصطفى نوری ٥: ٤٣٠
- مصطفى ٤: ٢٠٣. ٥: ٣٦٦
- مصعب بن الزبير ٣: ٥٥. ٥: ٢٦١
- مصعب بن سعد ٦: ٢٥٩
- مصعب بن عبد الرحمن ابن عوف ٤: ٦٨
- مصعب بن عمير ٤: ١٩٦. ٥: ٢٣٩، ٣١٢
- مصلح الدين بك ٣: ٥٦١. ٥: ٩٢
- مصلح الدين مصطفى ٤: ٥٢٣. ٥: ٣٦٦
- مصلح الدين ٥: ٩٢، ٩٣
- مصلح بيك ٥: ١٩٥. ٦: ٥١
- مصلح ٢: ٨٦
- مصنع الإسعاف ٥: ٢٢٠
- مصنع الشيبی ٥: ٢٢٠
- مصنع العاقول ٣: ٣٩١
- مصنع حلويات الحرمين ٢: ١٦٧
- مصنع خميس نصار ٥: ٢٢٠
- مصنع شركة الاقتصاد الوطنية ٥: ٢٢٠
- مصنع طه خياط ٥: ٢٢٠
- مصنع عبد الله باحمدین ٥: ٢٢٠
- مصنع عبد الله كعكى ٥: ٢٢٠
- مصنع عطا إلیاس ٥: ٢٢٠
- مضاض بن عبد المسيح ٥: ٤٩٤، ٤٩٥
- مضاض بن عمرو الجرهمی ٢: ٢١٩. ٣: ٤٨٩
- مضاض بن عمرو بن الحارث ٢: ٤٨. ٣: ٥٠٢
- مضاض بن عمرو بن مضاض ٥: ٤٩٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٠٠
- مضاض بن عمرو ٣: ٥٠١
- مضر ٥: ٤٩٣
- مطابع دار الأصفهانی و شركاه ٣: ٤٠٣
- المطاف ٤: ٢٤٤
- مطالع الأنوار ٥: ١٦١

- المطالعة العربية ٢: ٣٧٠
- المطالعة الوافية ٢: ٣٧٤، ٤: ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٢، ٤٨٤، ٥: ٢٧٦، ٢٧٨، ٦: ٢٧٣، ٢٨٠.
- المطبعة الأميرية ٢: ١٨٤، ٥: ٢٠٧.
- مطبعة الجوائب ٢: ١٨٣
- مطبعة الحرم ١: ٦١
- مطبعة الحكومة ٢: ١٨٤، ٥: ٢٠٧، ٦: ٦٩.
- مطبعة الحملة الفرنسية ٢: ١٨٤
- المطبعة السلفية ٢: ١٨٤
- مطبعة الشوير ٢: ١٨٣
- المطبعة العربية ٢: ١٨٤
- مطبعة القديس جاورجيوس ٢: ١٨٣
- المطبعة الماجدية ٦: ٦٩
- مطبعة الندوة ٦: ٦٩
- مطبعة الوفاء المحمدية ٢: ١٨٥
- مطبعة بولاق ٢: ١٨٤
- مطبعة دار إحياء الكتب العربية ٦: ٢٨٦
- مطبعة عبد الله الكردي ٢: ١٨٥
- مطبعة قريش ٢: ١٨٤، ٦: ٦٩.
- مطبعة قزحيا ٢: ١٨٣
- مطبعة مصحف مكة المكرمة ٢: ١٨٤
- مطبعة مصطفى البابي الحلبي ٣: ٣٦٧، ٤٥٦.
- ٤: ١١٢، ٥: ٣٢٤، ٦: ٣٤٥
- مطر ٢: ٣٣٥
- مطرق الحمامات ٢: ٣٢٩
- مطرق الكافر ٢: ٣٢٩
- مطرق جيف العجول ٢: ٣٢٩
- مطرق جيف الكلاب ٢: ٣٢٩
- المطرى ١: ٤١٤
- المطعم بن عدى النوفلى ١: ١٦٢
- المطلب بن أبي وداعة السهمي ٣: ٣٢١، ٣٢٢، ٣٣٢، ٣٤٥، ٥٣٦
- المطلع ٢: ٣٣٩
- مطوفون و حجاج ١: ٥٩، ٦: ١٤.
- المطيع العباسي ٣: ٤٧٣

- المطيع لله الفضل بن المقتدر ٣: ٣٥٦  
المطيلب ٥: ٢٢٢  
المظفر أحمد ٤: ٣٣  
مظفر الدين بن زين الدين ٥: ٣٤٩  
مظفر الدين كجك كوكبوري بن علي ٥: ٣٥٦  
مظفر الدين ٥: ٣٣٠  
المظفر ٢: ٩٤، ٩٨، ١٠٠  
مع التيار ٦: ٢٠  
مع الحظ ٦: ١٥  
مع المفسرين و الكتاب ٦: ١٥  
المعابدة ٢: ١١، ٢١٦، ٥: ٤١٠  
معاذ بن جبل ٣: ٣٢٩  
معالم التنزيل ١: ٣٥٨، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٧٥، ٤٧٨، ٤٨٢، ٤٨٣، ٥٤٨، ٥٤٩، ٢: ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٧٣، ٤٧٥، ٤٩٦، ٤: ١٢٦.  
معالم تاريخ الجزيرة العربية ٣: ٥٧٠  
معان ١: ٦٧، ٢: ٣٤٠  
معاوية بن أبي سفيان ٢: ٦٨، ١٩٤، ٥٥٧، ٥٧٦، ٣: ٥٥١، ٥٧٠، ٤: ٢٧٥، ٢٨٩، ٤٠٣، ٤١١، ٤١٦، ٥٥٠، ٥: ١٢، ١٨، ٣١، ١٦٧، ٤٤١، ٤٧٩، ٦: ٣٠  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٠١  
معاوية بن بكر بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ٥: ٤٩٤  
معاوية بن ثور الكندي ٤: ٢٦٣  
معاوية ١: ١٠٢، ٢: ٦٧، ٩٧، ٩٩، ٣: ٢٠٣، ٥٠٩، ٥١٠، ٥٦٣، ٦: ١٢٠، ١٢٣  
معبد ١: ٣٢٨  
المعتصم بالله العباسي ٤: ١٧٥  
المعتصم بالله ١: ٥٧١  
المعتصم بن إسحاق ٤: ٢٨٣  
المعتصم ٥: ٤٢٥  
المعتضد بالله أبو العباس أحمد ٤: ٤٧٣  
المعتضد بالله العباسي ٢: ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٥٧٧، ٣: ٥، ١٦، ٢٧٢، ٤٩٥، ٤: ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٤٨، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٤٣، ٥: ٧٢، ١٨٦  
المعتضد ٣: ٢٧٢، ٤٦٧، ٤: ٤٤٧  
المعتمد أحمد بن المتوكل العباسي ٢: ٥٢٤  
المعتمد بالله العباسي ٣: ٣٤٢، ٤: ٤٥٣  
المعتمد بالله بن المتوكل بن المعتصم ٣: ٢٧١

المعتمد على الله ٣: ٤٦٤، ٤٧١: ٤: ٤٤٦

معتوق خياط ٣: ٣٩٨

معجم البلدان ٣: ٤٣٨

معجم ما استعجم ١: ٤٠٨: ٣: ٩٥.

معد المستنصر بن الظاهر ابن الحاكم ابن العزيز ٢٨٢، ٢٨٣: ٣

معد بن عدنان ٦: ٥٥

معد يكرب بن سيف ١: ٥٧٠

معد ٥: ٤٩٣

المعرض ٦: ١٥

معركة العناصر ٦: ٢١، ٢٢

معروف الرصافي ٥: ١١٤

معز الدولة ابن بويه ٤: ٢٦٧

المعز لدين الله ٣: ٤٦٥، ٤٧٥: ٥: ١٧٧

المعز ٣: ٢٨٢، ٤٦٨

المعظم ٢: ٣٣٩

معقل الأشجعي ٣: ٩٥

معقل بن يسار ٥: ٢٥٩

المعلا ٢: ٥٨، ٢٥٨: ٦: ٣٤.

معمر باشا ٥: ٥١٠

معمر بن عبد الله العدوي ٤: ٢٩٧

معن ابن زائدة الشيباني ٤: ٤٨٩

المعيار ١: ٤٣٩

مغارة شعيب ٢: ٣١٨، ٣٣١.

مغارة نبط ٢: ٣١٩

المغازي ١: ١١٨

المغرب ٢: ٣٢١: ٣: ٤٨٠: ٤: ٤١: ٥: ٥٢٤.

٦: ٣٢، ١٥٠.

المغل ٢: ١٣٥

مغلباي ٢: ٥٢٩

مغلطاي ١: ٤٥٩: ٣: ٩٤: ٤: ٤٨٥، ٥٥١

المغمس ١: ٢٩٩: ٦: ٨٧، ٨٨

المغيرة بن شعبة ٣: ١١٩

المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث ١: ٤٢٥

- مفتاح البقيرى ٥: ٣٦٢، ٣٦٣  
 مفتى زاده أحمد نظيف ٥: ٤٣٢  
 المفجر ٥: ٢٩٩  
 المفرد العلم ٦: ٥٠  
 المفرق ٢: ٣٣٩  
 المفوض إلى الله ٣: ٤٨٠  
 المقارنة بين خط المصحف العثماني و اصطلاحنا في الإملاء ١: ٣٠  
 المقال في رد سنية الصلاة بالنعال ٥: ٥٤٢، ٥٤٣  
 مقالات و كلمات ٦: ١٨  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٠٢  
 المقالات ٦: ١٩  
 مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام ١: ٣٧، ٣٦٢. ٢: ٤١، ٧٢، ٤٦١، ٤٦٦، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٥٨٢. ٣: ١٨، ٣٨، ٧٩، ١١٦، ١٨٣، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٧٤، ٤٢٦، ٤٤٠، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٦.  
 مقام إبراهيم ٢: ١٢٨. ٣: ٣٥٠، ٣٤١، ٣٥٠.  
 مقبرة الخرامية ٦: ١٦٩  
 مقبرة الشبيكة ٦: ١٦٧  
 مقبرة الشيخ محمود ٦: ١٦٨  
 مقبرة العدل ٦: ١٦٩  
 مقبرة المعلا ٦: ١٦٤  
 مقبرة المهاجرين ٦: ١٦٨  
 مقبرة ريع المسكين ٦: ١٧٠  
 مقبل القديدي ٣: ٦. ٤: ٥٤٣، ٥٥٣، ٥٦٢  
 المقتدر أبو محمد على المقتدر بالله بن المعتضد ٣: ١٩٩  
 المقتدر العباسي ٣: ٢٦٢. ٤: ٤٥٢، ٤٧٨.  
 ٥: ٤٠١  
 المقتدر بالله أبو الفضل جعفر ٤: ٤٧٩  
 المقتدر بالله العباسي ٢: ٩٤، ١٠٠. ٤: ٤٠٤، ٤٣٤، ٤٥٣، ٤٦٤، ٤٦٩، ٥٤٣. ٦:  
 ٥١  
 المقتدر بالله بن المعتضد ٣: ٢٧٣  
 المقتدر بالله ٢: ٦٢. ٣: ٢٧٠، ٢٧٣. ٤: ٣٣، ٤٥١  
 المقتدر ٣: ٢٧٤  
 المقتفي العباسي ٥: ٩٧  
 المقتفي بالله أبو عبد الله محمد بن أحمد العباسي ٤: ١٦٩

المقتفى لأمر الله ٤: ١٧٣

المقدس ٢: ١٣٥

المقدسى ١: ٨٠

المقدمات ٤: ٤٠٦

مقدمة ابن خلدون ٥: ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٢

مقرر التوحيد للمدارس الابتدائية ٥: ٥٣٨، ٥٣٩

المقرى ٣: ٤٦٨

المقرىزى ١: ٢٥٩، ٢: ٣٢٣، ٣: ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٧٥، ٥٥٣، ٥٥٥، ٥: ١٧٩، ٦: ١٨٧

مقسم ١: ١٥٨

مقنا ١: ٦٧

المقوم ١: ١١٤

المقيس بن صباغة الكندى ١: ٤٨١

مكانك تحمدى ٦: ١٥

مكة المكرمة ١: ٣، ٦٣، ٦٧، ٦٨، ٨١، ٩٩، ٢١٠، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩١، ٤٠٨، ٥١٤، ٥٢٤، ٥٣٠، ٢: ٧، ٥٢، ٥٩، ١٤١، ١٤٦، ١٧٨، ٢٠٢،

٢٥٨، ٣٠٥، ٣١٠، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٣٣، ٥٥٨، ٣: ٩٨، ١٨٤، ٢٠٥، ٢١٨، ٢٦٦، ٣٧٦، ٣٧٧، ٤٠١، ٤٠٨، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٩٣، ٤٩٥، ٥٦٣، ٥٦٧،

٥٦٨، ٥٨١، ٤: ١٠، ١٧، ٩٨، ١٢٧، ١٣٦، ١٦٣، ٢٠٠، ٣٥٧، ٣٦٢، ٥٧٦.

٥: ٤١، ٦٠، ٧٤، ١٦٥، ٢٧٤، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩٨، ٤٠٦، ٤٠٩، ٤١١، ٥١٥، ٤١٨، ٥٠٥، ٥١٨، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٣٤، ٥٣٥، ٦: ٤٢،

٤٧، ٧٥، ٧٧، ١٠٥، ١٣٧، ١٤٥، ١٤٨، ١٨١، ١٩٩، ٣٠١، ٣٠٤.

مكة و المدينة ٦: ٧٨

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٠٣

مكة ٦: ١٨

المكتبات ٦: ١٩

مكتبة الحرم المكى ٢: ١٧٤

مكتبة مكة المكرمة ٢: ١٧٤

المكتفى ٣: ٢٧٢

المكتفى ٣: ٤٦٥

مكثر بن عيسى ٢: ٢٢٠، ٣٢٧، ٥٣٠.

٤: ١٧٩.

مكحول ١: ٢٧٠

مكران ٦: ٥٢

مكرم عبيد باشا ١: ١٠

مكشيشا ١: ٦٣

مكى طاشكندى ٢: ١٤٨



- الملتان ٢: ٣٤٢
- الملتزم ٣: ٢٦٠
- ملطية ٢: ١٣٥
- الملك الناصر خوش قدم ٤: ٤٠٤
- ملك رويحي ٥: ٥٣٠
- الملك سعود ١: ٧١. ٤: ٥٧٦
- الملك شعبان ٤: ٥٧٥
- الملك فيصل ٤: ٤٥٧
- ملهي الليسيوم بلندرة ٥: ٢١
- المليح ٢: ٣٣٥
- المماليك في مصر ٣: ٤٦٧
- ممدوح بديع ٥: ٥٣٣
- ممدوح ٤: ٢٠٣
- المملكة العربية السعودية ١: ١٧، ٤٦، ٥١، ١٠٧.
- المملكة المتحدة ٥: ٢١
- المملكة المغربية ٣: ٣٨٦
- من أجل بلدي ٦: ١٥
- من أعلام الإسلام ٦: ١٨
- من تاريخنا ٦: ١٨
- من زوايا التاريخ ٦: ١٨
- من وحي البعثات السعودية ٢: ١٩٢
- من وحي الحياة العامة ٦: ٢١
- من وحي الصحراء ٦: ١٨
- مناح الكرم بأخبار مكة و ولاية الحرم ١: ٥٢.
- ٢: ٥٣٥، ٤٣، ١٣٠، ١٧٥، ٢٦٥، ٣٤٤، ٤: ٤٦، ١٤١، ١٥٤، ١٦٢، ١٨٠، ١٨٦، ٣٤٤، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٧٤، ٥١٣، ٥٣٢، ٥٤٤، ٥٤٨، ٥٦٩.
- ٥: ١٥٣، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٤٠٢، ٦: ٧١، ٣١٥.
- مناجاة الله ٥: ٥٣٩
- منارة أبي شامة ٥: ٧٧
- منارة السلطان سليمان بن سليم خان ٥: ١٨٦
- منارة باب الزيارة ٥: ١٨٦
- منارة باب السلام ٥: ١٨٥
- منارة باب العمرة ٥: ١٨٥
- منارة باب الوداع ٥: ١٨٦

منارة باب سويقة ٥: ١٨٦

منارة باب على ٥: ١٨٥

منارة قايتباي ٥: ١٨٦

المناسك ١: ٥٠٥

المناهل العذبة في إصلاح ما و هي من الكعبة ٣: ١٣٣

منايل و كوم رحان ٤: ١٩، ٢٢

المنايل ٤: ٢٢

منبج ٢: ١٣٥. ٣: ٤٨١.

المنتصر بن المتوكل العباسي ٤: ٤٠٤، ٥٧٥

المنتقى في أخبار أم القرى ١: ٣٢٠، ٤٠٦، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٥٦، ٤٦١، ٤٦٥،

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٠٤

٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧٥، ٥٤٨. ٢: ٥٩، ٢٢٢. ٣: ٤٧٩. ٤: ١٢٥. ٥: ٣٥٧.

المنتقى ١: ١٢٤

المنجد ٣: ٩١. ٤: ٢٦، ١٥١. ٥: ١٨، ١٧٢.

٦: ١٥٣.

المنجج الفسيح ٦: ٢١، ٢٢

المنجور ٤: ٢٨

المنحني ١: ٥٢٤

المنذر بن الزبير ٤: ٦٨

المنذر بن امرئ القيس ابن ماء السماء ٥: ٢٩١

المنذر بن سعيد ٥: ٤٢٥، ٤٦٠، ٤٧٦

المنذر بن عمرو ٥: ٣١٣

منزل أبي جهل بن هشام ٢: ١٣

منزل أم ملخان ٢: ٥٠٧

منزل الوحي ٤: ٣٩١. ٣٩٢. ٥: ١٤٥.

منزل الوحي ٤: ٣٩٢. ٥: ١٤٦. ٦: ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٤.

منزل ٢: ٣٤٠.

منسك إرشاد أهل الخبرة في مناسك الحج و العمرة ٥: ٥٤٣، ٥٤٤

منشستر ٥: ٢١

المنصرف ٢: ٣١٨

المنصور أبي جعفر ٢: ٥٢٦. ٥: ٣٥١

منصور الديلمي ٥: ٤٦٨

المنصور العباسي ٢: ٥٧٠. ٣: ١٦

- منصور بن الشريف يحيى بن سرور ٤: ٣٥٥
- منصور بن المهدي ٤: ٢٨٢
- منصور بن ربيعة ٣: ٥٥٧، ٥٥٨
- منصور بن عبد الرحمن الحجبي ٣: ٢٤٥
- منصور بن عكرمة بن هشام ٣: ٤٧٩
- منصور بن منعة البغدادي ٣: ٥٥٨
- المنصور صاحب اليمن ٣: ٤٧٣
- المنصور على بن شعبان ٣: ١٣
- المنصور لاجين المنصوري ٤: ٢٤٥
- المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ٥: ١٧٧
- المنصور ٣: ٢٠٩، ٢٨٢، ٤: ٤٨٦، ٥: ٤٤٣
- المنصوري ٢: ٣١٦
- منظومة دليل المسالك على موطأ مالك ٥: ٥٣٥
- منظومة في التعاريف الفقهية ١: ٣٠
- منظومة في بناء الكعبة المشرفة ١: ٣٧
- المنفرح ٢: ٣١٨
- المنلا على القاري ٢: ٣٧٩
- المنهاج ٤: ٨٦
- المنهل الأصفى ٤: ٤٠٨
- المنهل العذب المفرد ٤: ٥٦٩
- المنهل العذب ٤: ٥٦٨
- المنهل الفضى ٦: ١٩
- المنهل اللطيف في أقسام الحديث الضعيف ٥: ٥٣٧، ٥٣٨
- منويل الخصي ٤: ٣٣
- منى ٢: ٣٢٠، ٥: ٢٨٨، ٦: ١٠٥.
- منية النصارى ٤: ١٩، ٢٢
- منية النصر ٤: ٢٢
- المهتدي بن الواثق ٤: ٧٨، ٥: ٤٢٥
- المهدي أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور ٤: ٤٩٣
- المهدي العباسي ٢: ٩٨، ١٠٠، ٣: ٥، ٣٤٢، ٥١٠، ٤: ٤٤١
- مهدي المصلح ٦: ١٧
- المهدي بالله ٤: ٥٠٢
- المهدي بن عبد الله محمد ٢: ٥٢٦

المهدي محمد بن عبد الله بن محمد بن علي ٤: ٢٨٠

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٠٥

المهدي ٢: ٥٣٦، ٥٥٣، ٥٥٦، ٥٥٨. ٣: ٥، ١٦، ٢٠٩، ٢٨٢، ٣١٠، ٣٤٠. ٤: ٤٩٢.

٥: ١١٨، ٤٠٠

المهديان ٢: ١٣٥

مهرة ١: ٨٠. ٢: ٣٤٢

مهرجا نقذق ٣: ٤٨٠

المهرجان ٢: ١٣٥

المهرجان ٦: ١٨

المهلب بن أبي صفرة ١: ٣٩٩. ٤: ٢٧. ٦:

٢٥٨

مهنا المعيد ٥: ٥٢٦

مواقف حاسمة ٥: ٥٣٨، ٥٣٩

مواكب الذكريات ٦: ١٦

المواهب اللدنية ١: ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٣٩، ٣٥٨، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٦١، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٤،

٤٧٥، ٤٧٧.

٣: ٨٣، ٤٧٨، ٤٧٩. ٤: ١٢١، ١٩٥، ٢٩٣. ٥: ١٧٤

موجز النقود و السياسة النقدية ٥: ٢٧٦

مودود بن زنكي ٣: ١٩٩

مورد اللطافة ٣: ٩٣

المورسلي ٦: ٧٣

موريتانيا ٦: ١٦٢

موسى آغا ٥: ٣٨٠

موسى بن أبي بكر ٤: ٢٩٠

موسى بن القطان ٥: ٤٦٤

موسى بن بغا ٣: ٤٨٠

موسى بن جعفر العلوي ٤: ٥٠٠

موسى بن طلحة ٦: ٢٥٩

موسى بن عبيد ٤: ١٢٨

موسى بن عقبه ٢: ٤٠٨. ٣: ٣١٨

موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي ٤: ٢٨٢. ٥: ٤٩٨

موسى بن نصير ٦: ٩٦

موسى عليه السلام ١: ٣٦٦. ٣: ٣٨٣.

٢٧٢ :٤

موسى ١: ٣٥٥، ٣٦٤. ٢: ٤٨٧.

الموصل ٢: ١٣٥، ٣٤٢. ٣: ٤٨٠. ٦: ٥٣.

الموطأ ١: ١٩٠. ٢: ٤٦٠.

الموعظة الحسنة فى عدم اليأس و فى الصبر و التفويض ١: ٣٠، ٣٧.

الموفق طلحة بن المتوكل ٥: ٤٩٩

الموفق على ٢: ٥٢٤

موكشيشانا ١: ٦٣

المويلح ١: ٦٦، ٦٧. ٢: ٣٣٢.

المويلحة ٢: ٣١٨

ميافارقين ٢: ١٣٥

ميه ٢: ٣٧٨

ميرخور سليمان ٥: ٧٤

الميرغنى ٥: ٣٠٢. ٥: ٣٠٧. ٦: ٣٠٧.

الميزاب ٣: ١٢

ميزان القبان ٢: ٢٦٦

الميزان ٣: ٥٧

الميزان ٥: ١٠٤

ميمون القداح ٣: ٢٨٣

ميمون النجار ٤: ٤٠٦

ميمونة بنت الحارث الهلالية ١: ١٥٢، ١٧٠.

٥: ٢٤١.

ميمونة ١: ٤٥٥. ٢: ٣٣٣

نائلة بنت ديك ١: ٥٤٧

نائلة بنت سهيل ١: ٥٥٢. ٤: ٣٤٠

نائلة بنت عمرو بن ذؤيب ١: ٥٥٠. ٥: ٤٩٥

نائلة ٣: ٥٠٣

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٠٦

نابت بن إسماعيل ٢: ٤٦٥

نابت ٥: ٤٩٤

النابعة الذيبانى زياد بن معاوية بن ضباب بن جناب بن يربوع ٣: ٤٧٨

نابليون بونايرت ٢: ١٨٦. ٥: ٢٧٦

ناجى معروف البغدادي ٣: ٣٥٢

نادر آغا ٤: ٣٥، ٣٨

نارسييس ٤: ٣٢، ٣٣

ناشد باشا ٥: ٥١٠

الناصر العباسي ٣: ٥، ١٦

ناصر بن حمد الراشد ٦: ٣٩

ناصر جاوش ٣: ٢٦٥

الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ٣: ٢٠٠.

١٧٣: ٤

الناصر حسن ٥: ٣٩٨

الناصر زين الدين أبي السعادات فرج برقوق ابن قانسوة الشركسي ٤: ٤٥٣

الناصر زين الدين أبي السعادات فرج بن برقوق بن آنص الجركسي ٥: ٤١

الناصر فرج بن برقوق الجركسي ٣: ٥٥٩.

١٨٥، ١٢٤، ٤٨، ٥٥٩، ٥٤٣، ٣٧٣، ٢٥: ٤

الناصر فرج ٣: ٣٤٣. ٥: ٩٦

الناصر لدين الله أبو العباس أحمد العباسي ٢: ٥٢٤. ٣: ٥٥٧. ٤: ١٦٩

الناصر لدين الله ٥: ٣٠٦

الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور خان ٢: ٥٣٣

الناصر محمد بن قلاوون ٣: ٥، ١٣، ١٦، ٢٠٠. ٤: ١٧٣، ٢٩٠

ناصر ٤: ٢٠٣

ناصرى خسرو ٣: ٥٥٥، ٥٥٦

الناطور ٢: ٣٣١

ناظم باشا ٥: ٤٩٠

نافد باشا ٥: ٥١٤

نافع بن الأزرق ٦: ٢٦٣

نافع بن الحارث الخزاعي ٥: ٤٩٥، ٤٩٦

نافع بن الحارث ١: ٥١١

نافع بن عبد الحارث ٦: ١٢٠

نافع بن عبد الله الكتاني ٥: ٩٧

نافع بن علقمة الكتاني ٥: ٤٩٦

نافع ٦: ٢٥٩، ٣٤٩

نامق باشا ٦: ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤

النباش ١: ١٥١

نبدة في النقود الإسلامية ٥: ٢٦٢، ٢٨٣.

- نبع الصفا ٦: ٢٠  
 نبيل مصطفى الباز ٢: ١٥٨  
 نتائج الإفهام ١: ٢٥٩  
 نتيلة بنت حبان ٣: ٥٤٩، ٥٤٣  
 النجار مينا ٤: ٤٠٦  
 نجد ١: ٨٠، ٣: ٤٨٩، ٦: ٢٤٥  
 نجران ١: ٨٠، ٨١  
 النجف ٢: ٣٢١  
 نجم الدين أيوب ٥: ١٧٢  
 نجم الدين الطرسوسى ٤: ١٤  
 نجم الدين الغزى الشافعى ٤: ٤٠٧  
 نجم الدين المالكى ٣: ١٣٢  
 نجم الدين بن النبيه ٥: ١٧٨  
 نجم الدين بن خليفة بن محمود الكتانى ٥: ٣٥٧  
 نجم الدين بن على بن يعقوب المدنى ٦: ٣١٧  
 نجم الدين عمر بن فهد ١: ٥١، ٤: ٤٤٣، ٥: ٤٥١، ١١٦، ٣٥٦  
 نجم الغنى بن عبد الغنى ٤: ١٤٢  
 النجوم الزاهرة ٣: ٥٥٧  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٠٧  
 نجيب نادر أفندى ٦: ٢٩٤  
 نحو سياسة عربية صريحة ٦: ١٥  
 نحو كيان جديد ٦: ٢١  
 نحو مجتمع أفضل ٥: ٥٣٨، ٥٣٩  
 نخل ٢: ٣١٨، ٣٣١  
 نداء الدماء ٦: ١٦  
 الندوة ١: ٦١  
 الندوة ٤: ٥٦٣  
 نزار بن معد بن عدنان ٦: ٥٥  
 نزار ٥: ٤٩٣  
 النزلة الجنوبية ٦: ٣٢٤  
 النزلة الشمالية ٦: ٣٢٣  
 النزلة اليمانية ٦: ٣٢٣  
 النزهة الثمينه فى أخبار المدينة ٥: ١٧٣

- نزهة الفتیان فی تراجم الشجعان ٥: ٥٤٤
- نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث و العبر ١: ٥٢٤. ٢: ٥٠٩، ٥٣٦، ٥٥٧.
- ٤: ٣٤٥.
- نزهة المجالس ٣: ١٧٥
- نزهة المشتاق، شرح لمع الشيخ أبي إسحاق الشيرازى فى أصول الفقه ٥: ٥٤١
- النزهة ٢: ٢١٧
- نسا ٢: ١٣٥
- نسطورا ١: ١٤٩
- نسيبة بنت كعب ٥: ٣١٢
- نسيم الرياض ٣: ٥٧. ٥: ٢٢٨.
- نسيم الشامى ٢: ١٣٧، ١٦٤
- نشأة السلافة فى شأن الخلافة ٤: ٢٩
- نشأت بك ٥: ٣٨٦
- نشر الآس فى فضائل زمزم و سقاية العباس ١: ٥٢. ٢: ٥٢٨، ٥٥٧، ٥٦٢، ٥٦٨.
- نشر اللطائف فى قطر الطائف ١: ٥٢
- نشر النور و الزهور فى تراجم أهل مكة المشرفة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر ١: ٥٢
- نشر الهديان من تاريخ جرجى زيدان ٥: ٢٥٩
- نصر بن عاصم الليثى ٣: ١١٩
- نصيب ٢: ٣٣٩
- نصيحة الإخوان ببيان بعض ما فى نقض المبانى لابن حمدان من الخبط و الخلط و الجهل و البهتان ٣: ٣٦٣
- نصير بن إبراهيم الأعجمى ٣: ٤٧٢
- النضر بن كنانة ٣: ٤٣
- النضر ٥: ٤٩٣
- النطق المفهوم من أهل الصمت المعلوم ١: ٣١٣.
- ٣: ٨٥.
- نظرات جديدة فى الأدب المقارن ٦: ١٧
- نظم الجمان فى التشكى من إخوان الزمان ٦:
- ٢٩٩
- نظم الدرر السنية فى سيرة خير البرية ٢: ٨٥
- نظم القرآن ٣: ٩٧
- نظم تاريخ مكة للأزرقى فى أرجوزة ١: ٥٥
- نظمه فى أمراء المؤمنين فى الحديث ٥: ٥٣٥
- نظمه فى علم المعانى و البيان و البديع ٥: ٥٣٥



- نعمان باكير باشا ٥: ٣٨٠
- النعمان بن المنذر ١: ٩٣، ٦: ٢٢٩
- نعوم بك شقير ٥: ١٩٠
- نعيمان بن عمرو بن رفاعه الأنصاري ١: ٢٣٤
- نفثات من أقلام الشباب الحجازي ٦: ١٣، ١٧.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٣: ٤٦٦، ٤٦٨، ٦: ٢٩٨
- نفة الحدائق و الخمائل في الابتداء و الاختراع للأوائل ٣: ٥٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٠٨
- نفيسه بنت منبه ١: ١٥٠
- نقيل بن حبيب الخنعمي ١: ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٧، ٣١٠، ٦: ٨٧
- نقيل بن حبيب يشند ١: ٣٠٢
- النقا ٢: ٢١٦
- نقد التواريخ باللغة التركية ٣: ١٨٠
- نقد المباني من فتوى اليماني و تحقيق المرام فيما يتعلق بالمقام ٣: ٣٦٣
- نقفور ٤: ٢٦٧
- النقود العربية و علم النميات ٥: ٢٦٢
- النقيج ٤: ٣٣٢، ٦: ٣٤٦.
- نمرود بن كنعان ٢: ٤٤٢
- نمرود ٣: ٥٤٥
- النمسا ٢: ٢٩٢، ٣: ٥٦٧، ٥: ١٥.
- نهاوند ٦: ٥٣
- نهاية الأحكام فيما للتيه من الأحكام ٥: ٢٥٩
- نهاية الأرب في فنون الأدب ٢: ٣٧٤، ٣٧٥.
- ٣: ١٨٤، ٤: ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٦٧.
- ٥: ٢٢، ٢٤، ٢٧، ٣١، ١١٣، ١١٤، ٣٤٤.
- النهاية ٦: ٣٠٧
- نهد ٦: ٥٧
- نهر واله ٦: ٢٩٠
- نهر وان ٦: ٢٩٠
- النوار بنت مالك بن صرمة أم زيد ابن ثابت ١: ٤٢٦، ٣: ٥٤٨
- نوال محجوب شيخ ٥: ٥٣٣
- النوبة ٢: ١٣٦
- نوبهار بلخ ١: ٣٠٨



نيو برت ٢: ٤٢٢

نيوزيلندا ٦: ١٦٤

نيوكاسل ٥: ٢٥٣

نيوهافن ٥: ٦٠

نيويورك ٢: ١٦٣

نيويورك ٢: ٢٠٠

هاجر ٢: ٤٦٢، ٤٦٤، ٥٠٩

هاجر ٥: ١١٩

هادى المستجلش ٣: ٩١

الهادى بن موسى بن المهدي ٤: ٢٨١

هادى ذوى الأفهام إلى تاريخ البلد الحرام ٦:

٢٩٠

الهادى ٢: ٨٩

هارلم ٦: ٦٥

هارون الرشيد بن المهدي ٤: ٢٨٩

هارون الرشيد بن محمد المهدي ٤: ٥٠٦.

١٨٧: ٥

هارون الرشيد ٢: ٦٨، ٩٠، ٥٥٦. ٥: ١٧٤.

٣: ١١٧، ٢٠٩، ٢٦٢، ٢٨٥، ٣٤١، ٤٧٣، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٧، ٥٥٣. ٤: ٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٤٠٤، ٥٠٧، ٥٠٩.

٥: ١٧، ١٠٨، ١٧٣، ٤١٢. ٦: ٣٠٦

هارون الواثق بالله ٤: ٢٤٨

هارون بن المسيب ٥: ٤٩٨

هارون بن غريب ٣: ٢٧٤

هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى ٤: ٢٨٦، ٤٤٦، ٥٥٨.

٥: ٤٩٩

هارون ١: ٣٦٦

هاشم إبراهيم ناقر ٢: ١٥٧

هاشم الدفتردار ٦: ١٣

هاشم الزواوى ٦: ١٧، ٢٣

هاشم بن المرحوم السيد السلطان الدغستاني ٥: ٣٨٦

هاشم بن سليمان بن أحمد ٥: ٦٧

هاشم بن شرف العبدلى ٢: ٢٩٨، ٣٠٢

هاشم بن عبد مناف بن قصي ٢: ٦٤، ٦٨، ١٤٠. ٦: ١٠٥، ١٥٣

هاشم بن عبد العزيز ٥: ٤٧٥

هاشم بن فليته ٤: ٣٤٨

هاشم رشيد ٦: ١٣

هاشم زواوى ٦: ٩

هاشم صالح الدباغ ٥: ٥٢٨

هاشم علوانى ٢: ١٤٨

هاشم نحاس ٤: ٣٢١

هاشم ٣: ٣٠٩، ٥: ٤٩٣

هالفى ١: ٨٢

هامش السيرة ١: ٥٤٧

هانريون ٢: ٤٣٥

هانى الحمصى ٥: ٥٢٩

هبار بن الأسود ١: ٤٨٢

هبيرة بن أبى وهب المخزومى ١: ٣٢٣، ٤٦٨

هبيرة بن وهب ٣: ٣٥

هجر ١: ٣٣٥

هجر ٣: ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٣٥٦، ٤: ٤٨١.

الهجلة ٢: ٢١٦، ٣٨٣، ٥: ٤٠٢.

الهدا ٤: ٢٠٠

هد البرج ٢: ٢٠٠

هداية الرحمن لما ثبت فى الدعاء المستعمل فى ليلة النصف من شعبان ٥: ٥٣٥

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥١٠

هداية المغيـث فى أمراء المؤمنين فى الحديث ٦:

٢٨٥

هدورام ١: ٨٥

الهدى النبوى ١: ٤٢٤

هدية ٢: ٣٤٠

هذيل بن مدركة بن إلباس بن مضر ١: ٥٤٧

هراة ٢: ٣٤٢

هرثمة بن أعين ٣: ٤٨٥

هرسك ٢: ٢٣٠

هرقل ٦: ٩٣

هرم بن عياض ٦: ٩٦

- هرمان بيكنل ٦: ٧٦
- هرمز ٢: ٣٤٢
- هزاع بن محمد بن بركات ٦: ٣١٦
- هزاع ٥: ٣٦٤
- هست ٣: ٤٦٨
- هشام بشير الرومي ٥: ٥٣٠
- هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن مغيرة المخزومي ٤: ٢٧٦
- هشام بن المغيرة المخزومي ٦: ٥٧
- هشام بن المغيرة ٣: ٥١٥
- هشام بن عبد الملك مروان ٢: ٦٤، ٢٤٣.
- ٣: ٥٥٢. ٤: ٢٦٧، ٢٧٨، ٢٨٩، ٤٩٧.
- ٥: ٤٤١
- هشام بن عروة ١: ١٥٦، ٣٩٥. ٣: ١٠٠
- هشام بن عمرو بن الحارث العامري ١: ١٦٢
- هشام بن محمد الكلبي ٣: ٣٣٨
- هشام سلمى ٥: ٥٢٨
- هشام ٣: ٤٣٩. ٤: ٢٠٤
- الهضم ٢: ٣٣٩
- همبرج ٢: ١٨٢، ١٨٣
- الهمداني ١: ٨٠
- همدان ٢: ١٣٥. ٦: ٥٣. ٣: ٤٨١.
- همسات ٦: ١٨
- هند بنت أبي أمية ٦: ٢٤٥
- هند بنت سهيل ٢: ٩، ٧٧. ٥: ٢٣٢
- هند بنت عتبة ١: ٤٨٥
- الهند ١: ٥١٨، ٥٦٨. ٢: ١٧، ١٣٥، ١٩٩، ٢٣٩، ٣٢١. ٣: ٣٨٠، ٤٠٨. ٤: ١٤١.
- ٥: ٥٢٧. ٦: ٩١، ١٥٠، ٣٠١.
- الهنداوية ٢: ٢١٧. ٦: ٣٢٤.
- الهندسة المدرسية ١: ٢٩
- الهندسة ٦: ٥٠
- هندستان ٢: ١٧٢. ٦: ٤٠.
- هنري فيك ٥: ١٠٩
- هنريش فريهرفون مالتزان ٦: ٧٦

- هوير ١: ٨٢
- هورجرنج الهولاندى ٦: ٧١، ٧٦
- هولندا ٦: ١٦٣
- هونغ كونغ ٦: ١٦٤
- الهوى و الشباب ٦: ١٩
- الهيثم بن عدى ٦: ٢٥٨
- الهيثم بن معاوية العتكى الخراسانى ٥: ٤٩٧
- الهيثم ٤: ٤٨٥
- هيروودوس ٦: ٣٧٥، ٣٨٢
- هيزع ٣: ١٣٣
- هيس ٦: ٧٦
- الواثق بالله العباسى ٤: ٤٠٤
- واحة فدك ٢: ٨
- وادى إبراهيم ١: ٥٢٤. ٢: ٢٦٥. ٤: ٤٥٨.
- وادى الأثيل ٢: ٣٣٩
- وادى الأزرق ٣: ٥٤٧
- وادى الجردون ٢: ٣٤٠
- وادى الجموم ٥: ٣٦٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥١١
- وادى الرتم ٢: ٣٤٠
- وادى الريان ٢: ٣١٢
- وادى الزيمه ٢: ١٧٩
- وادى العقيق ٤: ٣٣٣
- وادى القباب ٢: ٣١٨
- وادى الليمون ٢: ٣١٣. ٦: ٣١٠.
- وادى المعظم ٢: ٣١٢
- وادى النار ٢: ١١١
- وادى النور ٢: ٣١٩
- وادى بيشه ١: ٧٢
- وادى حرشان ٢: ٣١١
- وادى رانية ١: ٧٢
- وادى سدرون ٦: ٣٨٢
- وادى شهران ١: ٧٢

- وادی طوی ٢: ١٥  
وادی عرنه ١: ٤٩٠  
وادی عفان ٢: ٣١٨  
وادی عقیق ١: ٧٢  
وادی عنتر ٢: ٣١٩  
وادی فاطمه ١: ٤٧، ٤٥٥، ٢: ٥١، ١٧٩، ٣١٠، ٥: ١٥٦، ١٦٠، ١٦١، ٦: ١٠٥، ٣١٠، ٣٢٨.  
وادی فح ٢: ١٥  
وادی محسر ٢: ١١١  
وادی مر ٢: ٣٣٣  
وادی نخله ٢: ١٥  
وادی نعمان ٢: ٢٥٣، ٥: ٤٠٥.  
وادی وج ٤: ٣٣٢، ٣٣٣، ٦: ٣٤٦.  
وادی ودان ١: ١٤٠  
واسط ٣: ١٢٠، ٤٧٢  
واشنجتن ایرفنج ١: ٢٧٦  
واشنجتون ٢: ٢٠١  
واشنطن ٥: ٦٠  
واصف أفندی التركي ٣: ٢٠٣  
واصف أفندی ٥: ٢٤٠، ٢٦١  
واصل رسلان ٥: ٥٢٨  
الواقدی ١: ١٥٧، ٤٢٢، ٤٦٠، ٥٥٢، ٥٥٣.  
٢: ٥٤٩، ٣: ٣٣٢، ٣٣٨، ٥٤١، ٤: ٨٦، ١٢٩، ١٩٠، ٢٩٣، ٥: ١٦٣، ١٦٤، ٦:  
٢٤٦  
والین ١: ٨٢  
وبلتکرف ١: ٨٢  
وبلینیوس ١: ٨٠  
وتس ستاین ١: ٨٢  
وج بن عبد الحی ٤: ٣٣٣  
وجد الجوانح فی تأیین القرین الصالح ٦: ٢٩٩  
وجدی طحلاوی ٢: ٢٠٣  
الوجه ١: ٦٦، ٦٨، ٢: ٣١٩، ٣٣٢، ٣٣٦.  
الوجیز فی فقه الإمام الشافعی ٤: ١٣٨  
وجیهی باشا ٥: ٥١٠

- وحدانة ٥: ٣٨٧
- وحشى بن حرب ١: ٤٨٤
- وحى الشاطئ ٦: ٢٠
- وحى الصحراء ٦: ١٣
- وحى الفؤاد ٦: ١٥
- ودان ١: ١٤٢
- الوزادة ٥: ٢٢٢
- ورقة بن نوفل بن أسد ١: ١٣٤، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٦، ٢٥٦، ٢٥٦: ٢٥
- الوزير الجواد الأصفهاني ٥: ٤١٦
- وسط بلاد الصين ٢: ١٣٥
- وسط قاع البروة ٢: ٣٢٠
- الوصايا العشر ٥: ٥٣٨، ٥٣٩
- الوصل و المنى فى فضل منى ٢: ٤٠٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥١٢
- وصيفا ٣: ٤٦٥
- وضاح بن مسلمة القرشى ٤: ٤١٩
- وفاء العربية بحاجه العصر الحديث ٦: ١٩
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ١: ١٤٦، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٥٩، ٤٥٩: ٣، ٨٤، ٨٥، ٥٥٨.
- ٤: ٣٣٢، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٥٩.
- وفاء الوفا ١: ١٨٠
- الوفاء ١: ٤٠٩، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٧، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٤: ٣، ٩٥.
- وفيات الأسلاف ٥: ٢٦٠.
- وفيات الأعيان ٦: ٢٨٠
- الوقف الأهلى و شرعيته ٥: ٥٤٧
- وقف عبد الشكور ٥: ٤٠٢
- وكيع بن سلمة ١: ٣٦٢
- ولا ننسى شارل هوبر ٦: ٧٣
- الولايات المتحدة ٥: ٢١، ٦٠، ٦٠: ٦، ١٦٣، ٢٤٣.
- ولستد ١: ٨٢
- ولى الدين أسعد ٥: ٥٢٥
- ولى الدين ٦: ٧٦
- وليد الأعظمى ١: ٣٠
- الوليد بن المغيرة ٣: ٢٥، ٢٨، ٣٣، ٤١، ٨٣، ٢١٠، ٥٠٦، ٢٥٧: ٤



الوليد بن عبد الملك بن مروان ١: ٢٠٥.

٢: ٢٧٤، ٢٩٤. ٣: ١٩٧، ٤٤٩.

٤: ١٥٣، ١٦٨، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٩، ٤٣٤، ٤٤٠، ٤٤٣، ٤٥٣، ٤٦٢، ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٩٥، ٥٠٧، ٥٤٢، ٥٥٨.

٥: ٤١، ٧٣، ١٦٧، ١٨١.

الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ٤: ٢٧٦. ٥: ٤٩٦

الوليد بن عروة السعدي ٥: ٤٩٧

الوليد بن يزيد بن عبد الملك ٤: ٢٧٨، ٢٨٩

الوليد بن يزيد ٣: ٤٧٢

الوليد ٣: ٥٠٤

وليم فوز ٢: ١٩٩

و مرت الأيام ٦: ١٨

الوهابي ١: ٢٤٦

وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ٢: ٥٠٤

وهب بن عبد مناف ١: ١١٥

وهب بن عثمان ١: ٤٧٦

وهب بن منبه ٢: ٣٧٨، ٤٣٢، ٤٦١.

٤: ١٧٨، ٢٧١

وهيب باشا ٥: ٥١٥

وهيب بن الورد ٣: ٨٦

اليابان ٢: ١٥٦. ٦: ١٦٣.

يارح ١: ٨٥

ياسين العظمة ٥: ٢٢٤

ياسين طه ٦: ٨

اليافعي ٢: ٥٤٨

ياقوت الحموي ١: ٨٠

ياقوت ٢: ٣٢٣. ٣: ٤٣٨. ٥: ١٧١

بيق ٣: ٦

يبوس ٦: ٣٨٣

يثرب بن قانية بن مهلائيل ٦: ٣٤٣

يثرب ٦: ٣٤٢

يحيى أمان ٥: ٥٢٣، ٥٤١

يحيى الزياتي ٥: ٩٧

يحيى المؤذن ٥: ٧٧

- يحيى بن أكتثم ٤: ٥١٦. ٥: ٤٢٥
- يحيى بن الحسين الحسنى ١: ٥٧٠
- يحيى بن الحكم بن أبى العاص ٥: ٤٩٦
- يحيى بن اليمان ٣: ٥٥٥
- يحيى بن بركات ٥: ٣٧٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥١٣
- يحيى بن حكيم بن أبى العاص ٣: ٥٧
- يحيى بن حكيم ٥: ٤٩٦
- يحيى بن خالد بن برمك ٦: ٨٧
- يحيى بن خالد ٣: ٤٨٢، ٤٨٥. ٥: ٤٤٦
- يحيى بن سرور ٤: ١٥
- يحيى بن عبيدة بن حمزة ٤: ١٩٨
- يحيى بن عيسى بن موسى ٣: ٤٨٥
- يحيى بن معين ٥: ٤٤٦
- يحيى بن وثاب ٣: ٩٩
- يحيى بن يعمر العدوانى ٣: ١١٩
- يحيى توفيق أفندى ٥: ٤٢٩
- يحيى عبد الجبار ٢: ٢٠٣
- يحيى عبد الشكور ٣: ٣٩٨
- يحيى عبد الله حجازى ٥: ٥٣٣
- يحيى ١: ١٤٣. ٣: ٢٧٢. ٥: ٣٨٠
- يزدجرد ٦: ٥٩
- يزيد بن حبيب ١: ٤٠٢
- يزيد بن حنظلة ٥: ٤٩٨
- يزيد بن عبد الله ابن وهب ١: ١١٨
- يزيد بن عبد الملك ٥: ٢٨٠
- يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى ٤: ٤٨٩
- يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومى ٢: ٢٤٤.
- ٣: ٤٧٢، ٤٩٥. ٤: ٢٨٣
- يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ١: ٤٢٨.
- ٣: ٥٥، ٩٤، ١٠٠، ٥٥٢. ٤: ٢٦، ٣٠، ٣٤، ٥٦. ٦: ٢٤٦
- يزيد بن منصور بن عبد الله بن شهر بن يزيد بن مثوب الحميرى ٤: ٢٨١
- يزيد ٣: ٦٤، ٥٦٣

يعرب ١: ٨٥

يعقوب المقتدر بأمر الله ٢: ٥٢٦

يعقوب بن يوسف شاکر ٤: ١٣٩

يعقوب ٤: ٤٩٢

يعلى بن أمية ١: ١٥٥

يعمر بن عوف بن كعب بن عامر ٣: ٢٣.

١٨٤: ٤

اليعمري ١: ٣٢٠، ٣: ٤٧٩، ٤: ٢٩٤، ٢٩٥

يقطين بن موسى ٢: ٣٨٢

يكسوم بن أبرهه ١: ٣٠٣

يكن مصطفى باشا ٥: ٥٠٨

يلملم ٤: ٩٥

اليمامة ١: ٨١، ٣: ٢٨٣.

اليمن ١: ٨٠، ٢: ٢٩٧، ١٧، ١٣٥، ١٧٩، ١٨٦، ٣: ١٨٩، ٤٨٠، ٤٩٥، ٤: ٤٤٦.

٥: ٥٢٤، ٦: ٣٠، ٥٤، ٧٥، ٣٠١.

الينابيع ٤: ٢٩٣

ينبع البحر ١: ٦٨

ينبع النخل ١: ٦٨

ينبع ١: ٦٦، ٢: ١٧٠، ١٧٨، ٣١٩، ٣٣٢، ٣٣٦، ٤: ٣٤، ٦: ٧١، ٧٣، ٧٥، ١٣٧، ١٤٤، ٣١٦.

يوحنا غانسفيلش ٦: ٦٦

يوحنا كستار ٦: ٦٥

يوداسف ١: ٥٦٨

يوسف أحمد الخطاط الكوفي ٣: ١٩٩

يوسف أحمد ٣: ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦٨، ٢٦٩، ٤٦٤، ٤٦٧، ٤٧٧، ٤: ٢١، ١٦٩

يوسف ابن كاتب حكيم ٤: ٥٦٦

يوسف الحميدان ٥: ٥٢٧

يوسف الدمشقي ٥: ٩٧

يوسف الهاجري ٥: ٥٢٦، ٥٢٧

يوسف باناجه ٦: ٣١٥

يوسف بك ٥: ٥٠٧

يوسف بن أبي الحجاج بن يوسف ٤: ٢٧٨

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥١٤

يوسف بن أبي عقيل الثقفي ٣: ١١٩

- يوسف بن سالم ٦: ١٤٠  
يوسف بن عطية أبو جلى ١: ١٤٥  
يوسف بن عمر بن على رسول ٣: ١٩١، ٤٤٣  
يوسف بن عمر ٤: ٢٠٨  
يوسف بن عمر ٥: ٢٨٠  
يوسف بن عيسى القناعى ٣: ١١١  
يوسف بن ماهك ٣: ٢٦٧، ٥٠٤  
يوسف بن محمد الثقفى ٥: ٤٩٧  
يوسف بن يعقوب ٢: ٦٩، ٤٤٨، ٤٤٦، ٥٥٨  
يوسف ذنون ١: ٢٥  
يوسف طهبوب ٢: ٤٥٣  
يوسف عليه السلام ٣: ٢٠٣  
يوسف قطان ١: ٢٨٧، ٥: ٢٢٤  
يوسف ياسين ٢: ١٨٩، ٦: ١٤٣  
يوشع بن نون ١: ٣٥٨  
يوغوسلافيا ٦: ١٦٣، ١٦٤  
يوكابد بنت لاوى ١: ٣٦٦  
يوميات ابن علان المكى عن بناء الكعبة ٣: ١٢٩  
يوميات مجنون ١: ٦٠  
اليونان ٢: ٢٩٢، ٦: ١٦٣  
يونس السعدى ٥: ١٩٢  
يونس عليه السلام ٤: ٢٧٢  
يونس وهبى أفندى ٥: ٤٣١  
يونس ٦: ٧٤  
يوهان لودفيج بوركهارت ٦: ٧٧  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥١٥

### فهرس الموضوعات لكامل الكتاب

الجزء الأول

الموضوع / رقم الصفحة

مقدمة الطبعة الثانية / ٣

التعريف بالمؤلف / ٥

تقديم الكتاب / ٤١

## خطبة الكتاب / ٤٢

- بعض أسماء الكتب التي ألفت في تاريخ مكة / ٥٠  
 تراجم مؤرخي مكة المشرفة في عصرنا الحاضر / ٥٤  
 ترجمة الإمام الأزرقى المكي / ٥٤  
 ترجمة حسين بن عبد الله باسلامة المكي الحضرمي / ٥٧  
 ترجمة الشيخ عبد الله الغازي المكي / ٥٧  
 ترجمة الأستاذ أحمد السباعي المكي / ٥٩  
 ترجمة محمد طاهر الكردي المكي الخطاط / ٦٢  
 ذكر أسماء مكة المكرمة / ٦٣  
 جدول بيان قياسات بعض جبال مكة و بعض أماكنها / ٦٤  
 قياسات بعض الأماكن بمكة / ٦٤  
 المسافات بين بعض المساجد / ٦٤  
 مقدمة الكتاب / ٦٦  
 بلاد الحجاز / ٦٦  
 طبيعة الحجاز / ٦٦  
 جو الحجاز / ٦٧  
 أهم مدن الحجاز / ٦٨  
 فضل الحجاز / ٧٣  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥١٦  
 الموضوع / رقم الصفحة  
 جغرافية بلاد العرب / ٧٥  
 منظومة فريدة في علم الجغرافيا / ٧٦  
 تاريخ الاكتشاف الجغرافي لبلاد العرب / ٧٩  
 العصر القديم / ٨٠  
 العصر الإسلامي / ٨٠  
 العصر الأوروبي / ٨١  
 تقسيم بلاد العرب من حيث الأخلاق و العادات / ٨٢  
 تاريخ العرب قبل الإسلام / ٨٤  
 تقسيم العرب إلى عاربة و مستعربة / ٨٥  
 العرب العاربة / ٨٥  
 العرب المستعربة / ٨٦  
 أول تسمية للبلاد العربية السعودية / ٨٧  
 فضل العرب على سائر الأجناس / ٨٨

- مكانة العرب بين الأمم الإسلامية / ٨٩
- مناظرة بين النعمان بن المنذر و كسرى أنوشروان في شأن العرب / ٩٣
- نبذة من سيرة النبي صلى الله عليه و سلم / ٩٩
- نسب رسول الله صلى الله عليه و سلم / ١٠١
- [توحيد آبائه صلى الله عليه و سلم] / ١٠٥
- ترجمة عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه و سلم / ١٠٨
- نبذة يسيرة عن أحوال رسول الله صلى الله عليه و سلم / ١١١
- وفاة والده صلى الله عليه و سلم / ١١١
- تاريخ ولادته صلى الله عليه و سلم / ١١١
- نجاه عبد الله أب النبي صلى الله عليه و سلم من الذبح / ١١٢
- تزوج عبد الله بن عبد المطلب / ١١٤
- موت عبد الله بن عبد المطلب أب النبي صلى الله عليه و سلم / ١١٦
- ولادة النبي صلى الله عليه و سلم / ١١٧
- محل ولادته صلى الله عليه و سلم و تسميته يوم السابع / ١١٩
- رضاعته صلى الله عليه و سلم و مرضعته / ١٢١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥١٧
- الموضوع / رقم الصفحة
- قصة رضاعة حلیمة السعدية له صلى الله عليه و سلم / ١٢٢
- قصة شق صدره صلى الله عليه و سلم / ١٢٤
- موت أمه صلى الله عليه و سلم بالأبواء / ١٢٦
- محل مدفن أم النبي صلى الله عليه و سلم / ١٣٠
- نجاه أبوي النبي صلى الله عليه و سلم / ١٣١
- الاستدلال على نجاتهما / ١٣٣
- الحديث الصحيح الوارد في زيارته صلى الله عليه و سلم لأمه / ١٣٦
- الكلام على قرية الأبواء و قرية مستورة / ١٣٩
- كفالة عمه له صلى الله عليه و سلم / ١٤٨
- رحلته مع عمه صلى الله عليه و سلم إلى الشام للمرة الأولى / ١٤٨
- سفره صلى الله عليه و سلم إلى الشام للمرة الثانية / ١٤٩
- تزوجه صلى الله عليه و سلم بخديجة / ١٤٩
- محبته خديجة لرسول الله صلى الله عليه و سلم و محبته لها / ١٥١
- عدد أزواجه و سراريه صلى الله عليه و سلم / ١٥٢
- عدد أولاده صلى الله عليه و سلم / ١٥٣
- كيفية بدء الوحي / ١٥٤

- كيفية نزول الوحي و نزول القرآن / ١٥٥
- دعوة النبي صلى الله عليه و سلم لعبادة الله تعالى سرا / ١٥٩
- الجهر بالدعوة / ١٦٠
- حصار النبي صلى الله عليه و سلم بشعب على بسوق الليل بمكة / ١٦١
- نقض الصحيفة التي كتبها كفار قريش / ١٦٢
- بعض ما لقيه رسول الله صلى الله عليه و سلم من التعب و المشقة في سبيل الدعوة إلى الله تعالى / ١٦٤
- القصيدة الشعبية / ١٦٦
- جدول الحوادث الواقعة في سنوات الهجرة / ١٦٩
- ابتداء مرضه صلى الله عليه و سلم / ١٧١
- وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم / ١٧٣
- سورة النصر و نزولها بمنى في حجة الوداع / ١٧٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥١٨
- الموضوع / رقم الصفحة
- فصل في وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم / ١٧٦
- ابتداء مرضه صلى الله عليه و سلم الذي قبض فيه / ١٧٨
- [حالة الصحابة حينما سمعوا بموت رسول الله صلى الله عليه و سلم] / ١٨٦
- [اشتغال الناس بإقامة خليفته ثم بغسل رسول الله صلى الله عليه و سلم و دفنه] / ١٨٨
- حكمة دفنه صلى الله عليه و سلم في اللحد / ١٩٣
- [بعض ما قاله الصحابة رضی الله تعالى عنهم في رثائه صلى الله عليه و سلم] / ١٩٦
- رثاء عمر بن الخطاب رضی الله عنه لرسول الله صلى الله عليه و سلم / ١٩٨
- حزن الصحابة رضی الله تعالى عنهم / ١٩٩
- ما يؤخذ من مرضه و وفاته صلى الله عليه و سلم من الأمور / ٢٠٦
- حكمة تأخير دفنه صلى الله عليه و سلم / ٢٠٩
- نبذة عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه و سلم العظيمة و سيرته العطرة / ٢١٠
- ما يمتاز به نبينا محمد صلى الله عليه و سلم عن باقي الأنبياء / ٢١٣
- معجزاته صلى الله عليه و سلم / ٢١٨
- نبذة من أخلاقه صلى الله عليه و سلم / ٢١٩
- ذكر شيء مما اختص به رسول الله صلى الله عليه و سلم / ٢٢٢
- نبذة من صفاته و شمائله صلى الله عليه و سلم / ٢٢٦
- ما قاله الأستاذ الرافعي في صفته صلى الله عليه و سلم / ٢٢٩
- ما قاله الأستاذ الرافعي في بلاغته صلى الله عليه و سلم / ٢٣٠
- تواضع النبي صلى الله عليه و سلم في مزاحه مع أصحابه / ٢٣٢
- حسن معاشرته النبي صلى الله عليه و سلم لأهله / ٢٣٨

- مقصورة قبر النبي صلى الله عليه و سلم / ٢٤٣  
الروضة الشريفة / ٢٤٧  
صفه بيته صلى الله عليه و سلم / ٢٤٧  
إشراق الدنيا بولادته صلى الله عليه و سلم / ٢٤٩  
تحقيق ميلاد النبي صلى الله عليه و سلم / ٢٥٦  
وصف رضاعته صلى الله عليه و سلم / ٢٦٤  
محمد صلى الله عليه و سلم المثل الأعلى في الأنبياء / ٢٧٣  
تعبد النبي صلى الله عليه و سلم قبل البعث / ٢٨٢  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥١٩  
الموضوع / رقم الصفحة  
موضع ولادة النبي صلى الله عليه و سلم / ٢٨٥  
ترجمة الشيخ عباس القطان / ٢٨٧  
موضع ولادة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم بمكة / ٢٨٨  
تكية السيدة فاطمة رضي الله عنها / ٢٨٩  
موضع ولادة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه / ٢٩٠  
انشقاق القمر / ٢٩١  
قصة أصحاب الفيل / ٢٩٤  
صفه بناء كنيسة القليس / ٢٩٦  
خروج أبرهة بالفيل لهدم الكعبة / ٢٩٨  
بيت برمك / ٣٠٨  
بيت غطفان / ٣٠٨  
وصف قصة الفيل / ٣٠٨  
نطق فيل أبرهة لعبد المطلب / ٣١٣  
مسرحية شعريه في هلاك أصحاب الفيل / ٣١٦  
تراجم بعض من تقدم ذكرهم / ٣٢٠  
وفاة عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه و سلم / ٣٢٠  
ترجمة أبي طالب و أولاده / ٣٢٠  
كفالة أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه و سلم / ٣٢١  
وفاة أبي طالب / ٣٢٣  
ترجمة أم هانئ بنت أبي طالب / ٣٢٣  
ترجمة عقيل بن أبي طالب / ٣٢٤  
ترجمة العباس بن عبد المطلب / ٣٢٤  
ترجمة أبي جهم بن حذيفة القرشي / ٣٣٠



- ترجمة حكيم بن حزام / ٣٣١
- الإسراء و المعراج / ٣٣٣
- قصة الإسراء و المعراج / ٣٣٩
- عام الإسراء / ٣٤٠
- شهر الإسراء و يومه و ليلته / ٣٤٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٢٠
- الموضوع / رقم الصفحة
- الموضع الذي كان منه الإسراء / ٣٤١
- الاختلاف في الإسراء هل كان بالروح أو بالجسد / ٣٤٢
- شق صدر النبي صلى الله عليه و سلم / ٣٤٤
- وصف البراق الذي ركب عليه و سلم ليلة الإسراء / ٣٤٥
- ركوب النبي صلى الله عليه و سلم البراق و وصوله بيت المقدس / ٣٤٦
- عروج النبي صلى الله عليه و سلم إلى السماء / ٣٤٨
- وصول النبي صلى الله عليه و سلم إلى البيت المعمور / ٣٤٩
- وصول النبي صلى الله عليه و سلم إلى الحجاب / ٣٥٠
- [عدد مراكبه صلى الله عليه و سلم ليلة الإسراء] / ٣٥١
- مناجاة الله تعالى مع عبده و رسوله / ٣٥٢
- رؤية النبي صلى الله عليه و سلم ربه تعالى عز و جل / ٣٥٣
- مراجعة موسى لنبينا محمد عليهما الصلاة و السلام بشأن الصلوات التي فرضت / ٣٥٤
- مقدار مدة غيابه صلى الله عليه و سلم في الإسراء و المعراج / ٣٥٦
- إنكار المشركين للإسراء و المعراج / ٣٥٦
- سؤال قريش النبي صلى الله عليه و سلم عما رآه في طريق الإسراء / ٣٥٧
- تحقيق موضع دار أم هانئ بمكة / ٣٥٩
- فضل سيدنا إبراهيم و سيدنا موسى على الأمة المحمدية / ٣٦٣ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٣-٦ ؛ ص ٥٢٠
- جمعة خليل الله إبراهيم عليه الصلاة و السلام / ٣٦٥
- ترجمة موسى عليه الصلاة و السلام / ٣٦٦
- ما بين موسى عليه السلام و فرعون / ٣٦٧
- ذكر حج موسى عليه الصلاة و السلام / ٣٦٩
- معرفة كيفية الصلوات الخمس / ٣٧٠
- الاستنتاج من قصة الإسراء و المعراج / ٣٧٢
- الكلام على رؤية النبي صلى الله عليه و سلم ربه عز و جل / ٣٨٢
- خلاصة ما ورد في كتاب الشفاء من الأقوال في الرؤية / ٣٨٧
- هجرة النبي صلى الله عليه و سلم من مكة إلى المدينة / ٣٨٨

- ترجمة أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها / ٣٩٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٢١
- الموضوع / رقم الصفحة
- ما لقيه رسول الله صلى الله عليه و سلم من التعب فى طريقه إلى الغار / ٤٠٠
- وقت الخروج من الغار و السفر إلى المدينة / ٤٠١
- خروج النبي صلى الله عليه و سلم و أبي بكر من الغار / ٤٠٣
- [قصتهما مع أم معبد] / ٤٠٨
- استقبال أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم / ٤١٣
- تاريخ الهجرة / ٤١٥
- انتقاله صلى الله عليه و سلم من قباء إلى داخل المدينة / ٤١٩
- [نزوله صلى الله عليه و سلم فى دار أبي أيوب الأنصارى] / ٤٢٥
- ترجمة أبي أيوب الأنصارى رضى الله عنه / ٤٢٧
- إتيان رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى مسجد قباء / ٤٢٩
- أحكام الهجرة / ٤٣٢
- حكم إقامة المهاجر بمكة بعد انقضاء النسك / ٤٤٢
- ترجمة أبي بكر الصديق رضى الله عنه / ٤٤٧
- فضل أبي بكر رضى الله عنه / ٤٥٠
- فتح مكة المكرمة / ٤٥٥
- ترجمة عتاب بن أسيد رضى الله عنه / ٤٧٨
- ذكر من أهدر النبي صلى الله عليه و سلم دمهم يوم الفتح / ٤٧٩
- منزل النبي صلى الله عليه و سلم بمكة عام الفتح بعد الهجرة / ٤٨٦
- موضع نزول النبي صلى الله عليه و سلم بمكة و منى و مزدلفة و عرفات / ٤٨٨
- معنى حديث: «و هل ترك لنا عقيل منزلاً» / ٤٩٤
- ترجمة عقيل بن أبي طالب / ٤٩٨
- فضل مكة المشرفة / ٤٩٩
- امتياز مكة عن سائر البلدان / ٥٠٠
- الآيات و الأخبار الواردة فى فضل مكة / ٥٠٢
- أهل مكة أدرى بشعابها / ٥٠٨
- أهل مكة أهل الله عز شأنه / ٥١٠
- فضل مكة المكرمة على المدينة المنورة / ٥١٣
- فضل مكة لمؤلف هذا الكتاب / ٥١٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٢٢
- الموضوع / رقم الصفحة

- مكانة أهل مكة بين جميع الأمم / ٥١٧
- مكانة المساجد الثلاثة لدى المسلمين / ٥١٩
- بعض ما قيل في المساجد الثلاثة / ٥٢٠
- أول من لقب بخادم الحرمين / ٥٢٠
- عادة العرب في إصلاح ذات البين في الحجاز / ٥٢١
- أول من عمل مواسير المياه من العرب بمكة المكرمة / ٥٢٢
- معنى مكة و معنى بكة / ٥٢٣
- المراد بوادي إبراهيم / ٥٢٤
- بيان فضل أهل مكة من الآية الآتية / ٥٣٠
- حكيمه جعل مكة كثيرة الألبان و اللحم / ٥٣١
- دعاء إبراهيم عليه الصلاة و السلام لأهل مكة بالرزق / ٥٣٤
- مكة و ما فيها من الخيرات / ٥٣٩
- ما يزرع في الحجاز / ٥٤١
- لماذا لم تكن مكة من أجمل البلدان و أغناها / ٥٤٣
- نشأة عبادة الأصنام بمكة / ٥٤٤
- مسخ إساف و نائلة في الكعبة و عبادتهما / ٥٥٠
- أول من نصب الأصنام في الكعبة / ٥٥٣
- الكلام على أصنام قريش التي كانت حول الكعبة / ٥٥٤
- عبادة الأصنام و بيوتها لدى بعض الأمم / ٥٦٧
- الجزء الثاني مكة في عهد إبراهيم عليه الصلاة و السلام / ٥
- مكة في الجاهلية و الإسلام / ٦
- مكة في عهد قريش / ٩
- مكة في عهد النبي صلى الله عليه و سلم / ٢٢
- النواحي العامة بمكة في العهد النبوي / ٢٤
- بعض ما قيل في حق مكة و المشاعر / ٢٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٢٣
- الموضوع / رقم الصفحة
- تذكر النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه مكة بعد الهجرة / ٤٢
- الوطن، لشوقي بك / ٤٢
- مدخل مكة المشرفة / ٥٠
- سور مكة قديما / ٥٨
- تقسيم قصي أمور مكة / ٦٢
- دار الندوة / ٦٦

- بناء دار الندوة/ ٦٦
- التحقيق عن موضع دار الندوة/ ٧١
- أول دار بنيت بمكة/ ٧٣
- بدء بناء البيوت بمكة/ ٧٥
- دار العباس بن عبد المطلب/ ٧٧
- دار أبي سفيان بمكة/ ٧٨
- اتخاذ دار أبي سفيان مستشفى/ ٨٠
- دار الأرقم/ ٨٢
- [قصة إسلام عمر]/ ٨٧
- ترجمة الخيزران أم الرشيد/ ٨٩
- حرم مكة و أنصابه/ ٩١
- وضع أنصاب الحرم/ ٩٥
- أسماء من وضع أنصاب الحرم و أعلامها/ ٩٧
- جدول بأسماء من جدد أنصاب الحرم/ ٩٩
- أعلام حدود الحرم/ ١٠١
- المسافات بين المسجد الحرام و أنصاب الحرم/ ١٠١
- فضل الحرم و خصائصه و تعظيمه/ ١٠٩
- تعظيم الحرم الشريف/ ١١٤
- بعض ما ورد في القرآن الكريم في فضل المسجد الحرام/ ١٢٠
- الكلام على قوله تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ... الآية/ ١٢٣
- زيادة التأمل/ ١٢٧
- فائدة مهمة/ ١٢٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٢٤
- الموضوع/ رقم الصفحة
- مواقيت الصلاة/ ١٣٠
- علة تسمية الجهات الأربعة/ ١٣٢
- جهات المصلين إلى القبلة في جميع البلدان/ ١٣٤
- أول ظهور بعض الأشياء بمكة المكرمة/ ١٣٦
- تجارة قريش في الجاهلية و صدر الإسلام/ ١٣٩
- النهوض بالصناعات بمكة المكرمة/ ١٤١
- الحياة الاقتصادية لمكة المكرمة/ ١٤٢
- مصانع الحجاز للصاج/ ١٤٤
- مصنع البوقري للبلاستيك/ ١٤٥

- صناعات أخرى / ١٤٥
- الغرفة التجارية / ١٤٦
- الحرف و الصناعات بمكة المكرمة / ١٤٦
- صناعة التجارة الفنية بمكة / ١٥٠
- صناعة التنجيد بمكة / ١٥١
- صناعة الحصر و الزنايل و المراوح الخوص بمكة / ١٥٢
- صناعة الشراب أى القلل / ١٥٢
- صناعة الحلاوة الطحينية بمكة / ١٥٣
- استخراج زيت السمسم بمكة / ١٥٣
- طحن الحبوب بالرحى بمكة / ١٥٣
- وجود الأفران لعمل الخبز بمكة / ١٥٤
- صناعة القدور و الأواني النحاسية بمكة / ١٥٥
- تجار الساعات بمكة المكرمة / ١٥٦
- الكتيبة بمكة المكرمة / ١٥٨
- منجر الأخشاب بمكة المكرمة / ١٥٩
- المصوراتية بمكة المكرمة / ١٦١
- الآلات الكاتبة بمكة المكرمة / ١٦٣
- مصانع الثلج بمكة المكرمة / ١٦٤
- الكاكولا بمكة المكرمة / ١٦٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٢٥
- الموضوع / رقم الصفحة
- مصنع الحلويات بمكة المكرمة / ١٦٦
- الصياغة بمكة المكرمة / ١٦٧
- مزارع الدواجن بمكة المكرمة / ١٦٨
- زيت المازولا بمكة المكرمة / ١٦٨
- صالونات الحلاقة بمكة المكرمة / ١٦٩
- الدجاج الخارجى بمكة المكرمة / ١٦٩
- الحوت و السمك الطرى بمكة المكرمة / ١٧٠
- كثرة الأسفار إلى خارج بلادنا / ١٧٢
- المكتبات العامة بمكة المكرمة / ١٧٤
- الأربطة بمكة المكرمة / ١٧٥
- الحمامات بمكة المكرمة / ١٧٥
- القهواى التى بمكة / ١٧٦

- نقل الحلقة التي بالمعلا إلى جهة جروول / ١٧٩
- بدء ظهور المطابع / ١٨١
- الجرائد و المجلات بمكة المكرمة / ١٨٥
- إنارة مكة المكرمة بالكهرباء / ١٩١
- ظهور بوليس النجدة بمكة المكرمة / ١٩٢
- الإطفاء بمكة المكرمة / ١٩٢
- البريد و التلغراف و التليفون بمكة المكرمة / ١٩٢
- البريد و تطوره بمكة المكرمة / ١٩٤
- البريد في مكة / ١٩٨
- التلغراف بمكة المكرمة / ١٩٩
- التليفونات بمكة المكرمة / ٢٠٢
- عدد التليفونات بمكة المكرمة / ٢٠٣
- البنوك بمكة المكرمة / ٢٠٤
- عدد نزول المطر في سنة ١٣٨٥ بمكة / ٢٠٦
- الأمطار بمكة في سنة ١٣٨٦ هجرية / ٢٠٧
- جوازات السفر و رخص الإقامات و إحصاء النفوس بمكة المكرمة / ٢٠٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٢٦
- الموضوع / رقم الصفحة
- استعمال الحطب و الفحم و غيرهما بمكة / ٢١٠
- أول مصحف يطبع بمكة المكرمة / ٢١١
- الفنادق في الحجاز / ٢١٢
- الفنادق بمكة المكرمة / ٢١٣
- أسماء الحارات و المحلات بمكة قديما و حديثا / ٢١٦
- استعمال أقلام الجيب في الحجاز / ٢١٧
- استعمال الآلات الكاتبة في الحجاز / ٢١٨
- أول من فرض العشور بمكة / ٢١٩
- ذكر المكوس و العشور و إبطالها / ٢٢٠
- إحصاء الحجاج القادمين إلى مكة المشرفة في بعض الأعوام / ٢٢٧
- إحصاء الحجاج لعام ١٣١٥ هـ / ٢٣٠
- إحصاء الحجاج لعام ١٣١٦ هـ / ٢٣٠
- إحصاء الحجاج في سنة (١٣٧٣) هجرية / ٢٣٦
- أسباب قلة الحجاج و كثرتهم / ٢٣٧
- إقامة المظلات و القهاوى في طريق الحج / ٢٤١

- سيول مكة العظيمة / ٢٤٢
- مجرى السيل بمكة / ٢٥٦
- عمل السدود بمكة / ٢٥٨
- المدعا و فيه ردم عمر بن الخطاب رضى الله عنه / ٢٦٤
- ذكر بعض البساتين الموجودة بمكة المكرمة / ٢٦٦
- وصف بستان الشريف عون بمكة / ٢٦٩
- الحجارات الطوال التي كانت بباب السلام سابقا / ٢٧٢
- حمام الحرم / ٢٧٥
- وقوع الحمام على الكعبة المعظمة / ٢٨١
- تنظيف المسجد الحرام من الحمام / ٢٨٢
- رمز الحمام / ٢٨٥
- عدد المستشفيات بمكة المكرمة / ٢٨٧
- جمعية الإسعاف بمكة المكرمة / ٢٨٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٢٧
- الموضوع / رقم الصفحة
- نبذة تاريخية / ٢٨٩
- المحجر الصحى و الكورتينات / ٢٩١
- أول ظهور الجدرى و الحصبة بأرض الحجاز / ٣٠٠
- التقارير الصحية بنظافة الحج / ٣٠١
- الجمال و السيارات بمكة المكرمة / ٣٠٣
- المشقات التي كانت تعترض الحجاج سابقا / ٣٠٧
- الطريق من مكة إلى المدينة سابقا / ٣٠٩
- الطريق الفرعى / ٣١١
- طريق الغاير / ٣١٢
- الطريق الشرقى / ٣١٢
- نظام القوافل / ٣١٣
- الطريق المسلوكة من مصر إلى مكة / ٣١٦
- معرفة مراحل الحجاز الموصلة إلى مكة المشرفة و المدينة النبوية / ٣١٧
- على ساكنها سيدنا محمد أفضل الصلاة و السلام و التحية و الإكرام، إذا كانت من تنمة الطرق الموصلة إلى بعض أقطار المملكة / ٣١٧
- الطريق من مصر إلى الحرمين قديما و حديثا / ٣٢١
- كيفية مسير الحجاج من الشام إلى مكة قبل إنشاء الخط الحديدى / ٣٣٣

- سفر الحجيج من المدينة المنورة إلى مصر / ٣٣٥
- المسافات بين مكة و المدن الإسلامية الكبرى / ٣٤١
- بناء البيوت و المقاولات عليها بمكة / ٣٤٥
- بناء الصنادق و العشاش بمكة / ٣٤٨
- من علامات الساعة ظهور بناء البيوت على الجبال / ٣٤٩
- نحت الحجارات من جبال مكة لبناء المنازل / ٣٥٠
- منجم النورة البلدية بمكة المكرمة / ٣٥١
- صناعة الآجر و مراكن الزرع بمكة / ٣٥٢
- إنارة شوارع مكة بالكهرباء / ٣٥٢
- عدم مرور الطائرات من هواء مكة / ٣٥٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٢٨
- الموضوع / رقم الصفحة
- مكة المكرمة و ما فيها من النعم و البضائع / ٣٥٣
- صلاة الجمعة في المسجد الحرام / ٣٥٤
- الصلاة في الطابق الأعلى من المسجد الحرام / ٣٥٨
- افتتاح طريق الطائف من جبل كرا / ٣٥٩
- تاريخ الإذاعة السعودية / ٣٦٢
- قصيدة في تحية دار الإذاعة / ٣٦٤
- وصف الحاكي أي "الفنوغراف" / ٣٦٥
- ظهور التلفزيون / ٣٦٦
- الميكرفون في المسجد الحرام / ٣٦٧
- الجبال و فوائدها و ألوانها / ٣٦٨
- وصف الصحراء / ٣٧٠
- ذكر بعض أشهر جبال مكة / ٣٧٤
- جبل أبي قبيس و ارتفاعه ٤٢٠ مترا / ٣٧٦
- جبل قعيقعان (أى جبل هندی) / ٣٨١
- الدور التي بقعيقعان لابن الزبير / ٣٨٢
- جبل عمر / ٣٨٣
- جبل ثور / ٣٨٤
- باب غار ثور و توسيعه / ٣٩٤
- جبل ثبير / ٣٩٩
- جبل خندمة / ٤٠٢
- ثنية كداء / ٤٠٥



- ثنية كدى / ٤٠٦
- جبل حراء / ٤٠٨
- عدد السماوات و الأرضين / ٤١٦
- خلق موضع الكعبة / ٤٢٣
- بنايات الكعبة المعظمة / ٤٢٤
- الدليل على بناء الكعبة قبل إبراهيم عليه الصلاة و السلام / ٤٢٤
- البنائة الأولى: بناء الملائكة عليهم السلام الكعبة / ٤٢٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٢٩
- الموضوع / رقم الصفحة
- البنائة الثانية: بناء آدم عليه السلام الكعبة / ٤٢٨
- ما جاء فى حج آدم عليه الصلاة و السلام / ٤٣٤
- مقدار طول آدم عليه السلام / ٤٣٥
- قبر أمنا حواء بجدة / ٤٣٩
- أمر الكعبة بين نوح و إبراهيم عليهما الصلاة و السلام / ٤٤١
- نبذة عن ترجمة إبراهيم خليل الله / ٤٤٣
- عليه الصلاة و السلام / ٤٤٣
- فضل إبراهيم الخليل على الأمة المحمدية / ٤٤٤
- نسب إبراهيم عليه السلام و موطنه / ٤٤٥
- البنائة الثالثة: بناء شيث عليه الصلاة و السلام الكعبة / ٤٦٠
- البنائة الرابعة: بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة / ٤٦١
- هجرة إبراهيم إلى مكة لأول مرة / ٤٦٢
- إكرام إبراهيم عليه السلام لزوجته سارة / ٤٦٣
- قصة إبراهيم عليه الصلاة و السلام و بناء الكعبة / ٤٧٠
- دعاء إبراهيم لأهل مكة بالأمن و الرزق / ٤٧٩
- ذكر حج إبراهيم عليه الصلاة و السلام / ٤٨١
- الخلاصة فى كيفية بناء إبراهيم عليه السلام / ٤٨٢
- ارتفاع أرض مكة عما كانت عليه قديما / ٤٨٤
- مميزات بناء إبراهيم الكعبة / ٤٨٥
- ذكر الأنبياء الذين ربتهم أمهاتهم / ٤٨٦
- الكلام على زمزم و خروجه لإسماعيل و أمه / ٤٩١
- الكلام على بئر زمزم / ٤٩٤
- حفر عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه و سلم زمزم / ٤٩٩
- مسرحية شعرية تمثيلية / ٥٠٥

- العيون التي في قعر زمزم / ٥٠٨
- فضل ماء زمزم و ميزته / ٥٠٩
- ما جاء في تاريخ الأزرقى عن زمزم / ٥١١
- ماء زمزم لا تؤثر فيه الجراثيم و الميكروبات / ٥١٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٣٠
- الموضوع / رقم الصفحة
- التضلع من ماء زمزم / ٥١٨
- بقاء ماء زمزم إلى يوم القيامة / ٥٢٣
- تحريم العباس رضى الله تعالى عنه الاغتسال بماء زمزم / ٥٢٣
- سقاية العباس / ٥٢٣
- أول من عمل بابا لزمزم و أعطى مفتاحه لبيت الرئيس / ٥٢٨
- خلاصة أمر السقاية / ٥٢٩
- بناء تنور بئر زمزم / ٥٣٠
- تعمير فم البئر و وضع شباك في داخلها / ٥٣٢
- أول من عمل الرخام في زمزم / ٥٣٤
- قبة بئر زمزم / ٥٣٥
- الغرفة التي بجوار زمزم / ٥٣٦
- وصف بئر زمزم في عصرنا / ٥٣٧
- ما جاء من الأحاديث في زمزم / ٥٣٩
- طعم ماء زمزم / ٥٤٣
- كيفية شرب النبي صلى الله عليه و سلم من ماء زمزم / ٥٤٤
- ميزة ماء زمزم / ٥٤٧
- الحكايات الواردة عن بعض الناس عن شربهم لماء زمزم / ٥٤٧
- إهداء ماء زمزم / ٥٥٠
- أسماء زمزم / ٥٥١
- غور زمزم و قياس ذرعه / ٥٥٢
- ذرع بئر زمزم / ٥٥٤
- الحفر في قعر زمزم إذا قل ماؤها / ٥٥٦
- حوض زمزم في عهد ابن عباس / ٥٥٧
- حلاوة زمزم / ٥٥٨
- عدم فيض زمزم ليلة نصف شعبان / ٥٦٠
- حكم بئر زمزم و حریمها هل هي من المسجد الحرام أم لا / ٥٦٢
- جواب الشيخ محمد بن عبد الله الطبرى الشافعى / ٥٦٢

- جواب الشيخ عبد العزيز الزمزمي الشافعي / ٥٦٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٣١
- الموضوع / رقم الصفحة
- جواب الشيخ عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد الحنفي / ٥٦٣
- جواب الشيخ أبي السعود بن علي الزمزمي المالكي / ٥٦٣
- جواب مفتي الأحناف الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن سراج / ٥٦٤
- جواب مفتي الشافعية السيد عبد الله بن السيد محمد صالح الزواوي / ٥٦٥
- جواب مفتي المالكية الشيخ عابد بن حسين المالكي / ٥٦٧
- حجر إسماعيل عليه الصلاة و السلام / ٥٦٩
- حكم حجر إسماعيل في الطواف / ٥٧٤
- الجلوس في الحجر و في المطاف / ٥٧٥
- قياس حجر إسماعيل بالأمتار / ٥٧٦
- قياس حجر إسماعيل بالأذرع / ٥٧٦
- كسوة حجر إسماعيل / ٥٧٨
- فرش حجر إسماعيل بالبلاط / ٥٧٨
- المدفونون في حجر إسماعيل / ٥٧٩
- مكان الدفن في الحجر / ٥٨١
- قبر إسماعيل عليه الصلاة و السلام في الحجر / ٥٨٣
- الجزء الثالث عمارات حجر إسماعيل / ٥
- الرخامة الخضراء التي بالحجر / ٨
- نقش أرضية حجر إسماعيل / ١١
- الكتابة التي في أعلى جدار الحجر / ١٣
- الحطيم و حجر إسماعيل و ما كتب عليه / ١٥
- بيان جبهة بيت المقدس / ١٦
- الرخامات الصفرة التي على الشاذروان / ١٧
- البنائة الخامسة و السادسة: بناء جرهم و العمالقة الكعبة / ١٨
- الكعبة في عهد خزاعة / ١٩
- البنائة السابعة: بناء قصي بن كلاب الكعبة / ٢٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٣٢
- الموضوع / رقم الصفحة
- ترجمة قصي بن كلاب / ٢١
- البنائة الثامنة: بناء قريش الكعبة / ٢٤
- وضع رسول الله صلى الله عليه و سلم الحجر الأسود بيده في محلة الكعبة / ٣٣

- الخلاصة في كيفية بناء قريش / ٣٨
- مميزات بناء قريش / ٣٩
- ترجمة الوليد بن المغيرة المخزومي / ٤١
- ترجمة قريش / ٤٣
- ترجمة باقوم الرومي / ٤٤
- البنائة التاسعة: بناء عبد الله بن الزبير الكعبة / ٥٤
- حرب ابن الزبير رضى الله عنه / ٥٤
- حرب ابن الزبير و قتله / ٥٥
- الحرب بالمنجنيق / ٥٧
- الحرب بالدبابات / ٥٨
- بناء ابن الزبير الكعبة / ٥٨
- بكاء عبد الله بن عمرو بن العاص على احتراق الكعبة / ٦٣
- سبب بناء ابن الزبير الكعبة على قواعد إبراهيم / ٧١
- ما جاء في صحيح مسلم عن بناء ابن الزبير و الحجاج الكعبة / ٧٢
- ابتداء هدم الكعبة و انتهاء بنائها في عهد ابن الزبير / ٧٤
- باب الكعبة الغربى / ٧٤
- حكم استقبال القبلة عند هدم الكعبة المشرفة / ٧٨
- الخلاصة في كيفية بناء ابن الزبير / ٧٩
- مميزات بناء ابن الزبير / ٨١
- أنين الكعبة من ضرب المنجنيق / ٨٢
- ترجمة عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما / ٩٣
- اختلاف العلماء في بعض المسائل الدينية / ١٠٢
- اختلاف الناس في بعض الأمور الحيوية / ١٠٥
- الاختلاف في استعمال السكة الحديدية / ١٠٦
- الاختلاف في استعمال البخار في الأسطول / ١٠٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٣٣
- الموضوع / رقم الصفحة
- الاختلاف في استعمال التدفئة و أنابيب الماء و تشييد المنازل العالية / ١٠٧
- الاختلاف في استعمال الشوكة و السكين فى الأكل / ١٠٧
- الاختلاف فى لبس البنطلونات / ١٠٨
- الاختلاف فى استعمال النظارات / ١٠٨
- الاختلاف فى استعمال أحواض الاغتسال / ١٠٨
- الاختلاف فى استعمال المطابع / ١٠٩

- الاختلاف فى أكل الملح و الموز و البطاطس و الطماطم / ١٠٩
- الاختلاف فى قبول البنات فى المدارس / ١١٠
- الاختلاف فى استعمال الكهرباء / ١١٠
- الاختلاف فى استعمال السيارات و العربات / ١١٠
- الاختلاف فى استعمال الشمسية / ١١١
- الاختلاف فى استعمال الصابون / ١١١
- الاختلاف فى بناء برج إيفل بباريس / ١١٢
- الاختلاف فى الانتقال من الأحياء القديمة / ١١٢
- الاختلاف فى تعليم البنات / ١١٣
- البنية العاشرة: بناء الحجاج الثقفى الكعبة / ١١٤
- سبب بناء الحجاج الكعبة / ١١٤
- الخلاصة فى كيفية بناء الحجاج الثقفى / ١١٦
- ما كان من العمارة فى الجدار الذى بناه الحجاج / ١١٧
- وجوب الطواف من وراء جدار الحجر / ١١٧
- مميزات بناء الحجاج / ١١٨
- ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفى / ١١٨
- حكاية الحجاج مع الأعرابى / ١٢١
- نقل الحجاج إلى العراق / ١٢١
- حكاية الحجاج مع الغضبان / ١٢٣
- البنية الحادية عشرة: بناء السلطان مراد الرابع الكعبة / ١٢٦
- الخلاصة فى كيفية بناء السلطان مراد الرابع / ١٢٦
- مميزات بناء السلطان مراد / ١٢٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٣٤
- الموضوع / رقم الصفحة
- التفصيلات الوافية عن بناء السلطان مراد الرابع للكعبة / ١٢٨
- حزام الكعبة الذى أرسله السلطان أحمد خان / ١٣١
- صورة الاستفتاء الذى قدمه رضوان آغا لعلماء مكة الأعلام / ١٣٥
- جواب الشيخ أحمد بن محمد آق شمس الدين المدرس الحنفى / ١٣٥
- جواب الشيخ خالد بن أحمد المالكى / ١٣٥
- جواب السيد زين العابدين بن عبد القادر الطبرى الشافعى / ١٣٦
- صورة الاستفتاء الذى قدمه رضوان آغا لعلماء مكة / ١٣٧
- جواب الشيخ خالد بن أحمد المالكى / ١٣٨
- جواب الشيخ عبد العزيز بن محمد الزمزمى الشافعى / ١٣٨

جواب الشيخ أحمد بن محمد آق المدرس / ١٣٩

جواب الشيخ عبد الله بن أبي بكر بن ظهيرة القرشي / ١٤٠

عدد حجارات الكعبة الظاهرة في هذا البناء / ١٧٦

قوة بناية السلطان مراد الرابع للكعبة / ١٧٨

ترجمة السلطان مراد الرابع / ١٧٩

بيان بأسماء السلاطين من آل عثمان الذين قاموا بتعمير الحرمين الشريفين / ١٨١

رفع الراية على قلاع الحرمين / ١٨٢

الزمن الذي بين بنايات الكعبة / ١٨٣

الجبال التي أخذت منها الحجارة لبناء الكعبة / ١٨٤

بقاء الكعبة إلى قيام الساعة / ١٨٧

الحجارات الرخام المكتوبة داخل الكعبة / ١٩٠

الكتابة الموجودة على عقد باب الكعبة / ١٩٥

تحلية الكعبة / ١٩٦

الكراسي التي كانت موجودة في الكعبة / ٢٠١

الكعبة المشرفة و هندستها / ٢٠٣

اختلاف بنايات الكعبة و تعميرها / ٢٠٧

صفة أشهر بنايات الكعبة المعظمة / ٢١١

كيفية بناء قريش / ٢١٣

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٣٥

الموضوع / رقم الصفحة

كيفية بناء ابن الزبير / ٢١٤

كيفية بناء الحجاج الثقفي / ٢١٦

سبب بناء الحجاج الكعبة / ٢١٧

كيفية عمارة السلطان مراد الرابع / ٢١٨

منظومة في صفة أشهر بنايات الكعبة / ٢٢٢

الحجر الأسود / ٢٣٦

أصل الحجر الأسود من الجنة / ٢٣٨

لون الحجر الأسود / ٢٤٣

علة تسمية الركن بالحجر الأسود / ٢٤٦

تقويل الأيدي عند استلام الركن / ٢٤٦

بقاء الحجر الأسود إلى يوم القيامة / ٢٤٨

الرد على من يقول بأن الحجر الأسود من النيازك / ٢٤٩

الزحام على تقويل الحجر الأسود / ٢٥٣

- الترغيب فى استلام الركنين / ٢٥٥
- ما يقال عند استلام الحجر الأسود / ٢٥٧
- فضل الملتزم و الدعاء فيه / ٢٦٠
- الحوادث التى مرت على الحجر الأسود / ٢٦١
- الرد على من يقول أن القرامطة استبدلوا الحجر الأسود / ٢٦٦
- أصل القرامطة و مذهبهم / ٢٧٠
- المقالة فى أصل هذه الدعوة الملعونة و مبدئها / ٢٨١
- وضع الأطواق على الحجر الأسود / ٢٨٤
- تطويق الحجر الأسود بالذهب و الفضة / ٢٨٦
- المحافظة التامة على قطع الحجر الأسود إن كسر منه شىء شاذروان الكعبة / ٢٨٨
- حكم الشاذروان بالنسبة للطواف / ٢٩٣
- عدد مرات بناء الشاذروان و إصلاحه / ٢٩٥
- مقاس الشاذروان و عدد حجراته و عدد الحلقات به / ٢٩٦
- الرخامات الصفر التى بالشاذروان / ٢٩٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٣٦
- الموضوع / رقم الصفحة
- منظومة السيوطى فى موافقات عمر رضى الله عنه / ٣٠٤
- ذرع ما بين مقام إبراهيم و بين الكعبة و ما حولها / ٣٠٥
- صفة المقام / ٣٠٦
- وصفنا لمقام إبراهيم / ٣٠٨
- موضع المقام / ٣١٣
- أرجح الأقوال فى موضع المقام / ٣١٥
- ما ورد فى كتاب شفاء الغرام عن موضع المقام فى الجاهلية و الإسلام / ٣١٧
- وضع المقام فى مكانه الحالى / ٣٢٢
- ترجمة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه / ٣٢٣
- فضل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه / ٣٢٦
- عمر بن الخطاب و بعض أعماله / ٣٢٨
- قتل عمر رضى الله عنه و ما قاله عند موته / ٣٢٩
- ترجمة المطلب بن أبى وداعة السهمى رضى الله تعالى عنه / ٣٣٢
- اهتمام عمر رضى الله عنه بأمر المقام / ٣٣٣
- ترجمة عبد الله بن السائب العابدى رضى الله عنه / ٣٣٧
- ذرع مقام إبراهيم / ٣٣٩
- الذهب الذى على مقام إبراهيم / ٣٤٠

- تطويق المقام بالذهب و الفضة / ٣٤٠
- ما ذكره إبراهيم رفعت باشا فى كتابه مرآة الحرمين عن مقام إبراهيم / ٣٤١
- الأحجار الأثرية المفروشة خلف مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام / ٣٤٤
- التحقيق التام عن موضع المقام / ٣٤٥
- كسوة المقام / ٣٥١
- الكسوة العراقية للكعبة / ٣٥٢
- وجوب صون المقام / ٣٥٣
- وضع المقام فى مقصورة / ٣٥٣
- فوائد وضع المقام فى مقصورة / ٣٥٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٣٧
- الموضوع / رقم الصفحة
- الرد على من يقول: أن المقام كان مدفونا / ٣٥٧
- اقترح المؤلف فى مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام / ٣٥٨
- الأحجار الثلاثة التى صارت معجزة لرسول الله الثلاثة / ٣٥٩
- أول تفكير فى تاريخ الإسلام لنقل مقام إبراهيم / ٣٦٢
- وضع زجاج على مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام / ٣٦٤
- تجديد مقصورة مقام إبراهيم عليه الصلاة و السلام / ٣٦٧
- المصلّى الجديد بالمسجد الحرام / ٣٧٩
- قدم أينا آدم عليه السلام / ٣٨٠
- أقدام إدريس و عيسى عليهما الصلاة و السلام / ٣٨٢
- تغيير سقف الكعبة و ترميمها فى العهد السعودى / ٣٨٣
- خلاصة الأمر الملكى للإصلاح / ٣٨٤
- الأخذ فى الأسباب لإصلاح الكعبة / ٣٨٤
- فتح الكعبة لأخذ القياسات / ٣٨٥
- البدء فى تجديد السقف الأعلى للكعبة / ٣٨٦
- استبدال المرايب الخشبية التى بسطح الكعبة بالحديد / ٣٩١
- وضع الرخام على سطح الكعبة / ٣٩٣
- صب الرصاص بين رخام سطح الكعبة / ٣٩٣
- وضع الرخام فى طنفس السطح / ٣٩٤
- إصلاح فتحة باب الدرج الذى بالسطح / ٣٩٥
- تجديد السقف الثانى للكعبة مما يلى الأرض / ٣٩٥
- دهن ما بين السقف بالبوية / ٣٩٧
- تنقيل جدران الكعبة من الخارج / ٣٩٧



- العمل فى داخل الكعبة و ترميمها/ ٣٩٩
- حضور جلاله الملك السابق سعود إلى الكعبة المشرفة/ ٤٠١
- إصلاح ميزاب الكعبة/ ٤٠٤
- إصلاح جانبى جدار باب الكعبة و عتبتها/ ٤٠٦
- إصلاح درج الكعبة التى فى داخلها/ ٤٠٦
- دهن أعمدة ابن الزبير التى بجوف الكعبة و وصفها/ ٤٠٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٣٨
- الموضوع/ رقم الصفحة
- فرش أرض الكعبة بالرخام/ ٤٠٩
- الانتهاء التام من عمارة الكعبة/ ٤٠٩
- نقل ما فى حجر إسماعيل من الأحجار و الأتربة و الأخشاب/ ٤١٠
- أسماء المشرفين على العمل و حضورهم يوميا فى الكعبة/ ٤١١
- العمال الذين اشتغلوا فى عمارة الكعبة/ ٤١٢
- كلمة ختام/ ٤١٣ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم؛ ج ٣-٦؛ ص ٥٣٨
- ذاعة تؤدى واجبها من فوق سطح الكعبة المشرفة/ ٤١٣
- الإذاعة السعودية تسأل مؤلف هذا الكتاب/ ٤١٤
- دعاء مؤلف هذا الكتاب المذاع من فوق سطح الكعبة/ ٤١٦
- بعض الآيات و التكميرات التى أذاعها مؤلف هذا الكتاب/ ٤٢١
- قراءة القرآن و الحديث فى جوف الكعبة/ ٤٢٣
- مقاييس الكعبة المشرفة/ ٤٢٦
- قياسات الكعبة المعظمة/ ٤٣٨
- مقدار الذراع و الميل و الفرسخ و نحوها/ ٤٣٨
- سبب تسمية الميل بالميل/ ٤٣٩
- ابتكارات الرسوم الأربع للكعبة/ ٤٤٠
- شكل الكعبة من الخارج و الداخلى/ ٤٤١
- وصف الكعبة و المسجد الحرام/ ٤٤٥
- قصيدة أمير الشعراء فى البيت الحرام/ ٤٤٧
- موضع الحطيم/ ٤٤٨
- موضع خزانه الكعبة/ ٤٤٩
- أركان الكعبة المعظمة/ ٤٥١
- أركان الكعبة الأربعة/ ٤٥٣
- الحفرة التى عند باب الكعبة المشرفة/ ٤٥٤
- سد الحفرة و ردمها/ ٤٦٠

- الحجر المكتوب الذى فى داخل الحفرة / ٤٦١
- لماذا لم تكن الكعبة قطعة من الجوهر / ٤٦٢
- تسمية البيت الحرام بالكعبة / ٤٦٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٣٩
- الموضوع / رقم الصفحة
- الشمسيات التى كانت توضع على الكعبة / ٤٦٣
- هدايا الكعبة و معاليقها و أموالها / ٤٦٨
- ما علق من الصحائف فى الكعبة / ٤٧٧
- نص الكتاب الذى كتبه محمد بن أمير المؤمنين هارون الرشيد / ٤٨٣
- نص الكتاب الذى كتبه عبد الله بن أمير المؤمنين هارون الرشيد / ٤٨٦
- عقاب المعتدى على مال الكعبة / ٤٨٨
- حكم التصرف فى مال الكعبة / ٤٩٠
- التعدى على أموال الكعبة و هداياها / ٤٩٣
- فضل النظر إلى الكعبة / ٤٩٧
- فضل الطواف بالبيت الحرام / ٤٩٨
- هيبة الكعبة و ما يقال عند النظر إليها / ٤٩٩
- تعظيم الكعبة فى الجاهلية / ٥٠٠
- تطيب الكعبة / ٥٠٨
- عدم خلو الكعبة من الطائفين / ٥١١
- الطواف فى الجاهلية / ٥١٤
- الجلوس فى الحجر و المطاف فى الجاهلية / ٥١٦
- استحباب الدخول فى الكعبة / ٥١٧
- فضل دخول الكعبة المعظمة / ٥٢٠
- آداب دخول الكعبة / ٥٢١
- الصلاة فى داخل الكعبة / ٥٢٥
- صلاة النبى صلى الله عليه و سلم فى الكعبة / ٥٢٧
- عدد دخول النبى صلى الله عليه و سلم الكعبة بعد الهجرة / ٥٢٩
- منع بعض الناس عن دخول الكعبة / ٥٣٢
- أخذ الأجرة على دخول الكعبة / ٥٣٤
- المواضع التى صلى فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم حول الكعبة / ٥٣٥
- أول من أدار الصفوف حول الكعبة / ٥٣٨
- مدة صلاة النبى صلى الله عليه و سلم إلى بيت المقدس / ٥٤٠
- أمر الكسوة الخارجية للكعبة المعظمة / ٥٤١

- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٤٠  
الموضوع/ رقم الصفحة
- القسم الأول: كسوة الكعبة في العصر الجاهلي / ٥٤٢  
ترجمة تبع و هو أسعد الحميري / ٥٤٣
- القسم الثاني: كسوة الكعبة في الإسلام / ٥٤٩
- القسم الثالث: كسوة الكعبة في عصر بني أمية / ٥٥١
- القسم الرابع: كسوة الكعبة في عصر العباسيين / ٥٥٢
- القسم الخامس: كسوة الكعبة في عصر المماليك البحرية و الشراكسة / ٥٥٨
- القسم السادس: كسوة الكعبة في عهد الدولة العثمانية / ٥٦١  
كسوة الشريف الحسين بن علي / ٥٦٦  
بيان الأيام التي كانت تكسى فيها الكعبة المعظمة / ٥٧٠  
خاتمة مسألة الكسوة / ٥٧١
- وصف ابن جبير كسوة الكعبة و عدد قطعها / ٥٧٢  
وصف صاحب كتاب "المحمل و الحج" كسوة الكعبة المشرفة / ٥٧٥  
الاحتفال بوصول كسوة الكعبة من الآستانة إلى مصر القاهرة / ٥٧٥  
وصف صاحب كتاب (المحمل و الحج) للاحتفال بمرور الكسوة في شوارع القاهرة / ٥٧٦  
وصف صاحب كتاب (مرآة الحرمين) للاحتفال بالكسوة في شوارع القاهرة / ٥٧٧  
الاحتفال بدخول كسوة الكعبة إلى مكة المشرفة / ٥٨٠  
الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة / ٥٨١  
الجزء الرابع الآيات المكتوبة على حزام الكعبة المشرفة / ٥  
كتابة أسماء الملوك في كسوة الكعبة / ٧  
الإشهاد الشرعي بتسليم كسوة الكعبة / ١١  
حكم التصرف في كسوة الكعبة / ١٣  
صورة وافية السلطان خان على كسوة الكعبة / ١٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٤١  
الموضوع/ رقم الصفحة
- كيفية تركيب كسوة الكعبة عليها / ٢٢  
برقع الكعبة المعظمة أى ستارة بابها / ٢٤  
خدم الكعبة و أغوات المسجد الحرام / ٢٦  
أغوات المسجد الحرام في عصرنا هذا / ٤١  
مبدأ الرق و الاسترقاق / ٤٢  
صورة عقد عتق أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم / ٤٤  
اقتناء الجوارى / ٤٥

- بيع الرقيق فى الآستانة / ٤٨  
الاسترقاق / ٥٣  
إحرام الكعبة فى موسم الحج / ٥٤  
تجريد الكعبة من كسوتها عند تجديدها / ٥٧  
الكلام على من يهدم الكعبة فى آخر الزمان / ٦١  
ستر الكعبة المشرفة بالأخشاب / ٦٢  
مقدار ما استعمل من الأخشاب و العواميد لستر الكعبة / ٦٥  
عمل نطاق للكعبة المشرفة / ٦٦  
ستر الكعبة فى حرب ابن الزبير / ٦٧  
ما وجد فى الكعبة من الكتابات القديمة / ٧٠  
فرش أرض الكعبة بالرخام / ٧١  
صفة المسامير التى كانت فى الكعبة / ٧٢  
صفة باب الكعبة فى عهد الأزرقى / ٧٢  
وجود سقفين للكعبة / ٧٣  
كيفية وضع الكسوة على الكعبة الشريفة / ٧٤  
تفرقة الرجال عن النساء فى الطواف و فى المسجد الحرام / ٧٧  
الترغيب فى الحج و العمرة / ٧٨  
أسرار الحج و مزاياه / ٨٠  
فضل العمرة / ٨٤  
إتيان العمرة فى شهر رجب / ٨٤  
العمرة الرجبية / ٨٧  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٤٢  
الموضوع / رقم الصفحة  
الزيارة الرجبية / ٩٠  
وجوب الحج و العمرة / ٩١  
سنن الحج و العمرة فى المذهب الشافعى / ٩٢  
قصيدة أبى نواس فى التلبية / ٩٣  
[الميقات الزمانى و المكانى] / ٩٤  
خطب الحج / ٩٤  
دعاء عرفة / ٩٧  
أنواع النسك / ١٠٢  
بعض فوائد فى المناسك على المذهب الشافعى / ١٠٣  
اقتراح لمؤلف هذا التاريخ / ١٠٥

- بعض أحكام الحج و العمرة على المذهب الشافعي / ١٠٧
- معنى الحج لدى الطوائف المختلفة / ١١٢
- لباس الإحرام فى الحج و العمرة / ١١٥
- الحكمة فى لباس الإحرام بالحج أو بالعمرة / ١١٦
- الأصنام التى كانت فى الكعبة أيام الجاهلية / ١٢٠
- مشروعية الأذان و كيفيته / ١٢٣
- أذان بلال فوق الكعبة يوم فتح مكة / ١٢٤
- أذان بلال بعد موت النبى صلى الله عليه و سلم / ١٢٥
- عدد المؤذنين لرسول الله صلى الله عليه و سلم / ١٢٦
- تحسين الصوت بالأذان / ١٣٠
- الأذان الشرعى / ١٣٣
- قصة الأذان / ١٣٦
- المؤذنون و المؤقتون فى المسجد الحرام اليوم / ١٣٩
- الكعبة المشرفة / ١٤٠
- درج الكعبة الخارجية الموصلة إلى بطنها / ١٤٠
- درج الكعبة الداخلية الموصلة إلى سطحها / ١٤٣
- عدد درج الكعبة التى بداخلها / ١٤٥
- وصف درج الكعبة فى عصرنا / ١٤٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٤٣
- الموضوع / رقم الصفحة
- روازن الضوء فى سطح الكعبة / ١٤٧
- الأعمدة الثلاثة التى بداخل الكعبة / ١٤٨
- عدد أعواد سقف الكعبة / ١٥٢
- الإصلاحات و الترميمات فى الكعبة المشرفة / ١٥٣
- سطح الكعبة و أرضها من الداخل / ١٥٨
- وصف رخام الكعبة فى عصر ابن جبير / ١٦٠
- غسل الكعبة المشرفة / ١٦١
- تلقى الناس لماء المطر تحت ميزاب الكعبة / ١٦٥
- ميزاب الكعبة و عدده / ١٦٧
- عمل باب الكعبة المشرفة / ١٧٢
- عمل قفل و مفتاح لباب الكعبة / ١٧٥
- الكتابة التى بأعلى باب الكعبة / ١٨٠
- انتقال مفتاح الكعبة من شخص لآخر قبل الإسلام / ١٨٣

- ترجمة شيبه بن عثمان و عثمان بن طلحة / ١٨٩
- تاريخ سدانه الكعبه المشرفه / ١٩٢
- السدانه قبل الإسلام / ١٩٣
- قصي بن كلاب / ١٩٣
- عبد الدار / ١٩٤
- السدانه في الإسلام / ١٩٤
- عثمان بن طلحة / ١٩٥
- شيبه بن عثمان بن أبي طلحة / ١٩٦
- عبد الله بن شيبه الأعجم / ١٩٧
- شجرة النسب / ١٩٨
- محمد بن زين العابدين / ١٩٨
- عاداتهم / ٢٠٤
- ترجمة خالد بن عبد الله القسري / ٢٠٤
- كيس مفتاح الكعبه و الكراسي التي كانت في داخلها / ٢٠٨
- وصف الكرسي الذي في الكعبه في وقتنا الحاضر / ٢١١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٤٤
- الموضوع / رقم الصفحة
- مواعيد فتح الكعبه في الجاهليه و الإسلام / ٢١١
- وصف فتح الكعبه و دخول الناس فيها / ٢١٤
- الطواف و آدابه و شروطه / ٢١٧
- إباحه بعض الأمور في الطواف / ٢٢١
- ذكر الله و قراءة القرآن في الطواف / ٢٢٣
- الدعاء و آدابه / ٢٢٤
- بعض القصائد في التضرع / ٢٣٠
- الطواف راكبا و دخول المواشي و الدواب المسجد الحرام / ٢٣٧
- قياس طوفه واحده حول الكعبه / ٢٤١
- عمارة المطاف و فرشته / ٢٤٣
- حدود المطاف بالأعمده و الأساطين ثم إزالتها بتاتا في عصرنا / ٢٤٨
- توسعه المطاف لأول مره في التاريخ / ٢٥٠
- مقدار المطافين القديم و الجديد و شكلهما / ٢٥٢
- الحج / ٢٥٣
- إنساء الشهور / ٢٦٠
- معنى النسيء / ٢٦٢

- ذكر السنين التي يضرب بها المثل / ٢٦٦
- أمر الإفاضة في الجاهلية و الإسلام / ٢٦٧
- ذكر من حج من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام / ٢٦٨
- ذكر من حج بالناس من عام فتح مكة إلى عام ثلاثمائة و خمس و ثلاثين من الهجرة / ٢٧٣
- ذكر بعض من حج من الخلفاء و الملوك / ٢٨٨
- حجة الوداع نقلا عن تاريخ الخميس / ٢٩١
- حجة الوداع نقلا عن كتاب مرآة الحرمين / ٢٩٨
- ما في حجة الوداع من المعاني الجليلة / ٣١٥
- خطبة حجة الوداع / ٣١٧
- وقفه الجمعة بعرفات / ٣٢٠
- ذهاب النبي صلى الله عليه و سلم من منى إلى عرفات عن طريق ضب ثم رجوعه / ٣٢٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٤٥
- الموضوع / رقم الصفحة
- منها من طريق المأزمين
- نزول النبي صلى الله عليه و سلم في غار جبل نمره في الحج / ٣٢٣
- تنظيف طريق الحج من أشجار الشوك / ٣٣٠
- حكم قطع شجر الحرم و نباته / ٣٣١
- حكم نقل تراب الحرم و أحجاره / ٣٣٦
- الحوادث الواقعة في الكعبة و المطاف / ٣٣٧
- الطواف بالبيت عراه / ٣٣٩
- دخول السيارات إلى المسجد الحرام في زماننا / ٣٤٢
- ذكر بعض الحوادث المتفرقة / ٣٤٤
- بعض ما حصل بمكة و ما حولها من القتال و النهب / ٣٤٦
- الأمن و الأمان في العهد السعودي / ٣٥٧
- بعض الأمور العجيبة التي وقعت بمكة / ٣٥٩
- ما وقع بمكة من الرخاء و الغلاء و القحط و الوباء / ٣٧٠
- التسعيرة و مقاومة الاحتكار / ٣٨٠
- إبطال المكوس و الجمارك / ٣٨٤
- المراد بالمسجد الحرام و فضل الصلاة فيه / ٣٨٥
- مقدار فضل الصلاة في المسجد الحرام بالحساب / ٣٨٨
- هل تتضاعف السيئات بالحرم أم لا؟ / ٣٨٩
- باب بني شيبه / ٣٨٩
- صلاة الجمعة في المسجد الحرام / ٣٩١

- وحي صلاة الجمعة في المسجد الحرام / ٣٩٢
- كيفية الخطبة في المسجد الحرام / ٣٩٨
- منبر المسجد الحرام / ٤٠٢
- اتخاذ المنبر لرسول الله صلى الله عليه و سلم / ٤٠٦
- حنين الجذع / ٤١٠
- ترجمة معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه / ٤١١
- نبذة عن عادات معاوية رضى الله تعالى عنه و هو خليفة / ٤١٦
- بعض أعمال معاوية رضى الله تعالى عنه بمكة / ٤١٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٤٦
- الموضوع / رقم الصفحة
- عدل معاوية و قوة سلطانه / ٤١٩
- أبواب المسجد الحرام قبل توسعته في زماننا / ٤٢١
- بوابو المسجد الحرام / ٤٢٤
- نصب الخيام في المسجد الحرام / ٤٢٦
- وجود المظلات في المسجد الحرام / ٤٢٨
- اللجنة التنفيذية لتوسعة المسجد الحرام / ٤٣٠
- وضع الحجر الأساسى لتوسعة المسجد الحرام / ٤٣٠
- مكتب توسعة المسجد الحرام / ٤٣٣
- توسعة المسجد الحرام فى العهد السعودى / ٤٣٣
- الزيادات فى المسجد الحرام / ٤٣٤
- الزيادة الأولى: زيادة عمر فى المسجد الحرام / ٤٣٦
- الزيادة الثانية: زيادة عثمان فى المسجد الحرام / ٤٣٧
- الزيادة الثالثة: زيادة عبد الله بن الزبير فى المسجد الحرام / ٤٣٩
- الزيادة الرابعة: زيادة الوليد بن عبد الملك بن مروان / ٤٣٩
- الزيادة الخامسة: زيادة أبى جعفر المنصور / ٤٤٠
- الزيادة السادسة: زيادة محمد المهدي العباسى / ٤٤١
- سبب وجود سقفين للمسجد الحرام فى عمارة المهدي / ٤٤٥
- ذكر الترميم بالمسجد الحرام فى عهد أمير المؤمنين / ٤٤٦
- المتوكل على الله / ٤٤٦
- الزيادة السابعة: زيادة المعتضد بالله / ٤٤٧
- الزيادة الثامنة: زيادة المقتدر بالله / ٤٥١
- المسجد الحرام و ما أجرى فيه من زيادات / ٤٥٢
- البناء حول البيت / ٤٥٢



- بيت الله بعد ظهور الإسلام و توالى الزيادات / ٤٥٢  
المسعى قديما / ٤٥٤  
التوسعة الكبرى فى العهد السعودى الزاهر / ٤٥٤  
مجرى السيل / ٤٥٥  
وضع الحجر الأساسى للعمارة الجديدة / ٤٥٥  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٤٧  
الموضوع / رقم الصفحة  
تفاصيل المسعى / ٤٥٥  
قبة الصفا و الأبواب و المنارات / ٤٥٥  
تكسيه جدار العمارة بالمرمر و الحجر الصناعى / ٤٥٦  
المتبقى من المبنى القديم / ٤٥٦  
مساحة المسجد الحرام بعد التوسعة و ما صرف عليه / ٤٥٦  
المطاف / ٤٥٧  
مقام سيدنا إبراهيم الخليل / ٤٥٧  
الميادين حول الحرم الشريف / ٤٥٧  
دورات المياه (المیضاءات) / ٤٥٨  
مجارى السيل و نفق وادى إبراهيم / ٤٥٨  
نزع الملكيات و هدمها و تعويض أصحابها من أجل التوسعة / ٤٥٨  
مكتبة الحرم الشريف / ٤٥٩  
إنارة المسجد الحرام / ٤٥٩  
الجسور / ٤٥٩  
الزيادة التاسعة: زيادة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود / ٤٦٠  
خلاصة ما تقدم من الزيادات فى المسجد الحرام / ٤٦١  
بيان مساحة الزيادات فى المسجد الحرام / ٤٦٥  
بيان مساحة الزيادات فى المسجد الحرام / ٤٧٠  
ترجمة الوليد بن عبد الملك / ٤٧٠  
ترجمة المعتضد بالله / ٤٧٣  
سياسة المعتضد بالله العباسى فى الحكم / ٤٧٤  
وصف قصر الخليفة المقتدر بالله العباسى / ٤٧٨  
ترجمة المقتدر بالله / ٤٧٩  
ترجمة أبى جعفر المنصور / ٤٨٢  
تقدير المنصور للعلماء العاملين و الوعاظ / ٤٨٢  
اقتصاد المنصور / ٤٨٥

- اهتمام المنصور بعماله / ٤٨٦  
 حاضرة الخلافة / ٤٨٧  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٤٨  
 الموضوع / رقم الصفحة  
 حكاية المنصور مع معن بن زائدة / ٤٨٩  
 صفات المنصور و أخلاقه / ٤٩١  
 كيف كان يقضى وقته / ٤٩١  
 وفاة المنصور / ٤٩٢  
 ترجمة أمير المؤمنين محمد المهدي / ٤٩٣  
 بيعه المهدي / ٤٩٥  
 بين المهدي و معن بن زائدة / ٤٩٨  
 شيء من خطب المهدي / ٤٩٩  
 من كرم المهدي / ٥٠١  
 شيء من مروءة المهدي و فضله / ٥٠٢  
 أول صندوق للبريد / ٥٠٢  
 وفاة المهدي / ٥٠٦  
 ترجمة هارون الرشيد / ٥٠٦  
 حضارة بغداد في عهد الرشيد / ٥١١  
 حج الرشيد و حبه للوعظ / ٥١٣  
 عهد الرشيد بالولاية لابنه المأمون / ٥١٨  
 حكاية هارون الرشيد مع الأعرابي / ٥١٩  
 وفاة هارون الرشيد / ٥٢١  
 ترجمة السلطان سليمان خان / ٥٢٢  
 حكاية سليمان بن عبد الملك مع أبي حازم / ٥٢٤  
 ترجمة الأمير سودون المحمدي / ٥٢٨  
 فرش و تعمير المسجد الحرام / ٥٢٩  
 فرش المسجد الحرام بالبطحاء و غيرها / ٥٢٩  
 وضع الحصى و البطحاء فى المسجد الحرام / ٥٣٠  
 فرش المسجد الحرام بالطباطب و الحجارة و الرخام / ٥٣١  
 دكة باب الزيادة / ٥٣٢  
 المماشى التى بالمسجد الحرام / ٥٣٢  
 تعمير المسجد الحرام فى الدولة العثمانية / ٥٣٣  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٤٩

- الموضوع / رقم الصفحة
- ذكر أساطين المسجد الحرام و قببه و شرفاته و أبوابه و منائره / ٥٣٩
- جدول عام في ذكر أسماء من عمّر المسجد الحرام / ٥٤٢
- ترجمة عبد الملك بن مروان / ٥٤٦
- ترجمة المتوكل على الله / ٥٥٠
- ترجمة الأمير مفضل القديدي / ٥٥٣
- ترجمة قايتباي ملك مصر / ٥٥٤
- ترجمة الأمير إبراهيم المهندي / ٥٥٥
- وجود سقفين للمسجد الحرام قديما / ٥٥٦
- التعميرات و الترميمات الواقعة في المسجد الحرام / ٥٥٧
- التعميرات الواقعة في نفس المطاف / ٥٧٤
- الجزء الخامس صيغة الدعاء بالمسجد الحرام لملك الحجاز سابقا / ٥
- النوم في المسجد الحرام / ٥
- الشحاذة في المسجد الحرام / ٦
- الإيقاد في المسجدين الحرمين / ١٠
- إيقاد الشموع في المدينة على عهد صلى الله عليه و سلم / ١٠
- إيقاد المساجد بالزيت في عهد النبي صلى الله عليه و سلم / ١١
- المصابيح في المسجد الحرام و إضاءتها بالزيت / ١٢
- تدرج الإنسان في الإضاءة / ١٥
- استعمال غاز الاستصباح / ٢١
- بعض ما جاء من الوصف في آلات السرج و الإيقاد / ٢٢
- مفاخرة بين القنديل و الشمعدان / ٢٧
- إضاءة المسجد الحرام بالقناديل الزيتية / ٣١
- إضاءة المسجد الحرام بالأتاريك و الكهرباء / ٣٤
- الحرائق في المسجد الحرام / ٣٧
- عمارة المسجد الحرام بالقباب بشكله الحاضر في زماننا / ٤١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٥٠
- الموضوع / رقم الصفحة
- ما كتب على جدار المسجد الحرام من الخارج من جهة المسعى / ٥٢
- مقدار ما صرف في تجديد عمارة المسجد الحرام بالقباب / ٥٤
- عدد أساطين المسجد الحرام و قبابه و عقوده / ٥٥
- الحريق الثاني بقرب المسجد الحرام / ٥٦
- الحريق الثالث / ٥٨

- إطفاء الحرائق قديما و حديثا / ٥٨
- تحية المسجد الحرام: الطواف / ٦٢
- تحية المسجد الحرام و ما يطلب في دخوله / ٦٢
- إدارة المسجد الحرام / ٦٤
- مراقبة المسجد الحرام / ٦٨
- شرطة المسجد الحرام / ٦٨
- صورة بعض ما كتب على جدران أروقة المسجد الحرام / ٦٩
- بناء درج أبواب المسجد الحرام قبل عصرنا الحاضر / ٧١
- المساجد التي بمكة / ٧٦
- مسجد الراية / ٧٧
- مسجد خالد بن الوليد رضى الله عنه / ٨١
- مسجد الجن / ٨١
- مسجد أبي قبيس / ٨٢
- بيان بمساجد مكة المكرمة / ٨٥
- المقامات الأربع التي كانت في المسجد الحرام / ٩١
- كيفية صلاة الأئمة في المقامات الأربعة التي كانت سابقا / ٩٥
- حكم صلاة الأئمة المتعددة في المقامات / ٩٦
- هدم المقامات الأربعة التي كانت بالمسجد الحرام / ٩٨
- المزاويل و الساعات في المسجد الحرام / ٩٩
- الساعات الكبيرة و ساعة الجيب / ١٠٥
- وضع المزولة في مكانها الجديد / ١١٢
- ما قيل في وصف آلات التوقيت / ١١٢
- المسعى و ما يتعلق به / ١١٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٥١
- الموضوع / رقم الصفحة
- أصل السعى و حكمته / ١١٩
- بناء العقدين بالصفاء و المروة / ١٢١
- هدم درج الصفا القديمة و ما كتب على عقده / ١٢٣
- درج الصفا و المروة / ١٢٤
- ترجمة عبد الصمد بن علي / ١٢٤
- الميلان الأخضران بالمسعى / ١٣٠
- تسوية أرض المسعى و تعبيدها / ١٣٢
- عزم الوالى التركي سابقا على توسعه المسعى / ١٣٤

- وصف الصفا و المروة / ١٣٥
- ذرع ما بين الصفا و المروة / ١٣٨
- تسقيف المسعى و فرشها بالحجارة أو تبليطها بالحجارة / ١٤١
- عرض المسعى / ١٤٣
- حالة المسعى قبل التوسعة السعودية / ١٤٥
- الحلاقون بالمروة / ١٤٦
- موضع الشق بالمسعى / ١٤٧
- حالة المسعى / ١٤٨
- تقسيم المسعى طولاً إلى قسمين / ١٥٢
- المساجد التي في حدود الحرم / ١٥٢
- مسجد عائشة بالتنعيم / ١٥٣
- الشميسى و مسجده / ١٥٥
- بحرة و مسجدها / ١٥٨
- الجعرانة و مسجدها / ١٦١
- مسجد نمره بعرفات / ١٦٤
- بدء بناء المساجد و الجوامع في البلاد الإسلامية / ١٦٤
- الفسطاط / ١٧١
- بدء بناء مآذن المساجد / ١٧٢
- مبدأ عمل محاريب المساجد / ١٨٠
- وصف مسجد قرطبة و منارته و محرابه / ١٨٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٥٢
- الموضوع / رقم الصفحة
- عدد منارات المسجد الحرام سابقا / ١٨٤
- ابتداء ظهور المحمل / ١٨٩
- المحمل العراقي / ١٩٤
- المحمل اليمنى / ١٩٤
- المحمل الرومى / ١٩٥
- المحمل الشامى / ١٩٥
- المحمل المصرى / ١٩٦
- مراتب الأشراف و العربان و الأهالى من الحكومة المصرية / ١٩٧
- سكان مكة المكرمة و عدد بيوتها و دكاكينها / ١٩٨
- الأغراب في مكة المشرفة / ١٩٨
- الحكمة في جعل سكان مكة خليطاً من جميع الأجناس / ٢٠٠

- بناء مراكز الشرطة بمكة / ٢٠١
- بناء القلاع و الأبراج و بعض القصور المهمة سابقا بمكة / ٢٠١
- قلعة جبل أجياد / ٢٠٢
- قلعة جبل هندی / ٢٠٢
- قلعة جبل لعلع بالفلق / ٢٠٣
- قشلة جروول / ٢٠٣
- قشلة أجياد / ٢٠٤
- قلعة المعابدة / ٢٠٥
- بناء الحصون على جبل أبي قبيس / ٢٠٥
- القلاع التي كانت بين مكة و جدة / ٢٠٦
- بناء المطبعة الأميرية / ٢٠٧
- بناء الحميدية / ٢٠٧
- بيت الحكم بالغزة / ٢٠٨
- بناء دار باناجه بالمسعى / ٢٠٨
- بيت الجيلاني بالشامية / ٢٠٨
- بيت الشريف ناصر باشا بالقرارة / ٢٠٩
- الدار التي كانت بعرفات / ٢٠٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٥٣
- الموضوع / رقم الصفحة
- بناء درج الحجون و درج أبي لهب و المحك بطريق العمرة و مدرج منى / ٢١١
- بناء التكية المصرية «أو المبرة المصرية» / ٢١٢
- بيت الشريف عبد الله بن محمد بالحلقة / ٢١٤
- القصور الملكية السعودية / ٢١٤
- القصر السعودي بمنى / ٢١٥
- القصر السعودي بمزدلفة / ٢١٥
- المسحراتية بمكة المكرمة / ٢١٦
- الثلج بمكة المكرمة / ٢١٩
- تأسيس أمانة العاصمة / ٢٢٣
- ترجمة سعادة الأستاذ عبد الله عريف «أمين العاصمة» / ٢٢٥
- ترجمة الشيخ عبد الله بن صديق و كيل أمانة العاصمة / ٢٢٧
- معرفة أهل الصدر الأول بأموال البناء و إصلاح الطرقات / ٢٢٨
- بدء بناء البيوت بمكة / ٢٢٩
- امتداد البيوت و العمارات بمكة / ٢٣٢

- تنظيف الشوارع و إصلاحها / ٢٣٦
- العلم الحجازى / ٢٣٨
- ترجمة خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه / ٢٤١
- إستعمال الطوابع البريدية فى الحجاز / ٢٤٦
- طوابع البريد التى تحمل صورة الكعبة المعظمة / ٢٤٩
- بدء استعمال طوابع البريد فى العالم / ٢٤٩
- جمع خطوط التوقيعات و الإمضاءات / ٢٥٣
- تاريخ النقود منذ صدر الإسلام / ٢٥٥
- النقود المتداولة فى الحجاز / ٢٦٣
- أسعار المبيعات بالجملة بالنقود الهاشمية / ٢٦٥
- أسعار المبيعات بالتفرقة / ٢٦٦
- ظهور النقود العربية السعودية / ٢٦٧
- استعمال الأوراق النقدية فى المملكة السعودية / ٢٧٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٥٤
- الموضوع / رقم الصفحة
- أول استعمال عملة النقد و عملة الورق / ٢٧٥
- التعامل بالفلوس الورق / ٢٧٦
- النقود / ٢٧٦
- كلام ابن خلدون عن النقود / ٢٧٨
- مقدار الدينار و الدرهم الشرعيين / ٢٨١
- بعض آبار مكة المكرمة / ٢٨٣
- الآبار التى كانت بمكة / ٢٨٤
- بئر زمزم / ٢٨٥
- بئر ذى طوى / ٢٨٥
- بركة الماجن / ٢٨٦
- منى / ٢٨٨
- ذبح الهدايا بمنى / ٢٨٨
- رجم الجمرات الثلاث بمنى / ٢٩٢
- إزالة الجبل الذى بظهر جمرة العقبة / ٢٩٤
- عمل مراحيض بمنى / ٢٩٨
- المفجر وراء منى / ٢٩٩
- بناء المدرجات بمنى و العمرة و غيرها سابقا / ٣٠٠
- مسجد الخيف فى منى / ٣٠١

- موضع مصلى النبي صلى الله عليه و سلم بمسجد الخيف بمنى / ٣٠٧
- مسجد المرسلات / ٣٠٨
- مسجد الكبش بمنى / ٣٠٩
- مسجد البيعة بقرب منى / ٣٠٩
- مزدلفة / ٣١٥
- المشعر الحرام "مزدلفة" / ٣١٥
- البناء الذى كان على قزح / ٣١٨
- الإيقاد بمزدلفة / ٣٢٠
- مسجد مزدلفة / ٣٢١
- اقتراحنا بشأن مسجد مزدلفة / ٣٢٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٥٥
- الموضوع / رقم الصفحة
- عرفات / ٣٢٤
- عرفة و الوقوف بها / ٣٢٤
- حدود عرفات / ٣٢٨
- وصف وقوف الحجاج بعرفات / ٣٣٠
- الوقوف بعرفات / ٣٣٤
- الحج و وصف الوقوف بعرفات / ٣٣٦
- مسجد نمرة بعرفات / ٣٣٨
- مسجد الصخرات بعرفة / ٣٤٣
- كيفية الطلوع من مكة إلى عرفات / ٣٤٥
- اختراع السيارات و استعمالها / ٣٤٨
- درج جبل الرحمة بعرفات / ٣٤٩
- العثور على بئر قديمة بعرفات / ٣٤٩
- عين زبيدة / ٣٥٠
- ماء مكة و عين زبيدة / ٣٥٠
- البرك التى أمر ببنائها أمير المؤمنين المأمون العباسى / ٣٥٢
- أول من اتخذ الحياض بعرفات و أجرى إليها الماء / ٣٥٢
- إيصال زبيدة رحمها الله تعالى عين حنين إلى مكة / ٣٥٣
- إيصال زبيدة رحمها الله تعالى عين نعمان إلى عرفات / ٣٥٤
- إجراء أمير المؤمنين المتوكل على الله جعفر عين عرفات إلى مكة / ٣٥٦
- تعمير مظفر الدين صاحب إربل عين عرفات / ٣٥٦
- تعمير المستنصر العباسى عين عرفات / ٣٥٦



- تعمير الأمير جوبان عين عرفات / ٣٥٧
- إجراء الملك الناصر محمد بن قلاوون عين ثقبه إلى مكة / ٣٥٨
- تعمير عين بازان سنة ٨١١ / ٣٥٨ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٣-٦ ؛ ص ٥٥٥
- مير عين حنين سنة ٨٣٥ / ٣٦٠
- تعمير عين حنين و عين عرفات سنة ٨٧٥ / ٣٦٠
- صورة الكتابة التي على الحجر / ٣٦١
- تعمير عين حنين و عين عرفه سنة ٨٩٣ / ٣٦٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٥٦
- الموضوع / رقم الصفحة
- انقطاع عين حنين و العيون عن مكة المشرفة / ٣٦٥
- صدور الأوامر السلطانية بإصلاح عين حنين و عين عرفات / ٣٦٦
- صدور الأوامر السلطانية بإصلاح العيون / ٣٦٧
- وصول عين عرفات إلى مكة سنة ٩٧٩ / ٣٧٠
- بناء بقيه دبول عرفات من الأبطح إلى آخر المسفلة / ٣٧١
- تعمير عيون مكة و آبارها سنة ٩٨٢ / ٣٧٢
- تعمير عين عرفات سنة ١٠٢٥ / ٣٧٢
- انقطاع عين عرفات عن مكة سنة ١٠٦٦ / ٣٧٣
- تعمير عين عرفات سنة ١٠٨٤ / ٣٧٣
- تعمير العين سنة ١٠٩١ / ٣٧٤
- ما كسر من قناة العين سنة ١١٠٤ / ٣٧٥
- تعمير عين عرفات سنة ١١٢٤ / ٣٧٦
- صورة ما كتبه الشيخ عبد القادر مفتي مكة / ٣٧٨
- انقطاع الماء عن مكة و تعمير العين سنة ١٢٤٢ / ٣٨١
- أول جمعية لجمع الإعانات لتعمير عين مكة سنة ١٢٩٥ / ٣٨٢
- صفه جريان عين زبيده في الأرض / ٣٨٤
- تشكيل لجنة ثانية للعين / ٣٨٥
- جمع إعانات جبرية للعين / ٣٨٦
- أحوال العين أيام تولية الشريف الحسين بن علي / ٣٨٧
- ملك الحجاز الأسبق / ٣٨٧
- تشكيل لجنة ثالثة للعين / ٣٨٧
- خراب العين و انقطاع الماء عن مكة سنة ١٣٢٨ / ٣٨٩
- اكتشاف دبول بعض العيون و مساحة ما بين بعضها / ٣٩٢
- استعمال العرب لمواسير المياه / ٣٩٣

- استعمال أنابيب المياه بمكة المشرفة / ٣٩٥  
 أنابيب الماء و التدفئة / ٣٩٥  
 الاستقاء بالقرب و بصفائح التنك / ٣٩٥  
 بازان القاضي / ٣٩٦  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٥٧  
 الموضوع / رقم الصفحة  
 بازان حبس الجن / ٣٩٦  
 ما عملته هيئة عين زبيدة سنة ١٣٣٥ بمكة المكرمة / ٣٩٧  
 صدور أمر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بتعمير العين سنة ١٣٤٤ / ٣٩٨  
 البرك الواقعة بمكة و ما حولها / ٣٩٨  
 الآبار التي بمكة و ما حولها / ٤٠٠  
 العيون التي بأطراف مكة / ٤٠٤  
 الخلاصة المفيدة عن عين زبيدة / ٤٠٥  
 ترجمة زبيدة / ٤١٣  
 وصف الخراساني لزبيدة رحمها الله تعالى / ٤١٥  
 ترجمة الوزير الجواد الأصفهاني / ٤١٦  
 إيصال عين العزيزية بعين زبيدة / ٤١٧  
 القضاء و الإفتاء بمكة / ٤٢١  
 القاضي يحكم بحسب الظاهر / ٤٢٧  
 إنشاء المحكمة الشرعية الكبرى / ٤٢٨  
 رؤساء المحكمة الشرعية الكبرى بمكة / ٤٢٨  
 إنشاء المحاكم المستعجلة / ٤٣٤  
 القضاء في عهد الخلفاء الراشدين / ٤٣٩  
 القضاء في عهد الأمويين / ٤٤١  
 القضاء في العهد العباسي / ٤٤٣  
 تقسيم سحنون القضاء إلى درجات / ٤٤٧  
 صور ما كتبه الخلفاء و السلاطين لمن يولونه القضاء / ٤٥٢  
 ما كان يكتبه ولاة الأمور عند تولية أحد القضاء / ٤٥٢  
 صورة ما كتبه الملك الأفضل على ابن السلطان صلاح الدين بن  
 أيوب ملك مصر / ٤٥٤  
 صورة ما كتبه ملك الأندلس للعلامة محمد بن سليم بولاية القضاء / ٤٦٠  
 نبذة عن بعض قضاة المسلمين في العصور المتقدمة / ٤٦٢  
 تاريخ فرمانات السلطانية و صورها / ٤٨٠

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٥٨

الموضوع / رقم الصفحة

صورة فرمان الإمارة من الدولة العثمانية للشريف حسين بن علي أمير مكة / ٤٨١

صورة فرمان السلطاني للشريف عون / ٤٨٣

بعض ما كان يكتبه السلاطين في تقليد إمارة مكة / ٤٨٦

الاحتفال بتلاوة الأمر السلطاني بتقليد إمارة مكة / ٤٨٩

ترجمة فرمان السلطاني لتولية المشير كاظم باشا على الحجاز / ٤٩١

أمراء مكة قبل الإسلام و بعده إلى اليوم / ٤٩٢

ولاية مكة من الأتراك / ٥٠٦

التعليم في مكة المكرمة / ٥١٧

أسباب انتشار الكتابات في الزمن السابق / ٥١٩

التعليم في المسجد الحرام و علماءه / ٥٢١

أول بعثة تعليمية حكومية بمكة / ٥٢٤

أول بعثة تعليمية أهلية بمكة / ٥٢٦

ذكر الأطباء من أبناء مكة المكرمة / ٥٢٧

الدكتور عبد القادر عبد المجيد / ٥٣٤

أسماء بعض مؤلفات علماء مكة المكرمة و أدبائها في وقتنا الحاضر / ٥٣٤

الجزء السادس بعض الأدباء و الشعراء بمكة في عصرنا الحاضر / ٥

أسماء بعض مؤلفات علماء مكة المكرمة و أدبائها في وقتنا الحاضر / ١٤

خاتمة ما تقدم / ٢٣

كتاتيب الصبيان في صدر الإسلام / ٢٤

خلاصة الكلام على التعليم بمكة المكرمة / ٢٧

عدد كتاب رسول الله صلى الله عليه و سلم / ٢٨

الخط العربي و مكانته / ٢٩

التعليم في الحجاز قبل سنة ١٢٦٤ هجرية / ٣٢

أول من جمع الصبيان في المكاتب / ٣٣

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٥٩

الموضوع / رقم الصفحة

التعليم بالحجاز من بعد سنة ١٣٠٠ / ٣٤

بعض العادات في المدارس سابقا / ٣٧

مدارس البنات بمكة المشرفة / ٣٨

التربية و التأديب في المدارس / ٣٩

الكلام على مدارس الفلاح و تأسيسها بالحجاز / ٤٠

- نظرة تأمل فى مدارس الفلاح / ٤٧
- نظرة تأمل فى المؤلفات المدرسية قديما و حديثا / ٤٩
- أول من أرسل المساعدات النقدية للحرمين / ٥١
- مقدار ما كان يحمل إلى بيت المال أيام المؤمن / ٥١
- كيف كان القدماء يؤرخون الحوادث و الأزمان / ٥٤
- مبدأ وضع التاريخ الهجرى و غيره / ٥٧
- كيفية ثبوت هلال ذى الحجة فى عصر ابن جبير / ٦٤
- بدء ظهور المطابع / ٦٥
- منع دخول الكفار الحرمين الشريفين / ٦٩
- أسماء من دخل مكة المشرفة من الإفرنج / ٧٠
- بعض الكفار الذين دخلوا مكة للعمل بها بإذن الحاكم الشرعى / ٧٩
- لطيفة / ٨١
- كيفية استقاء الماء قديما و حديثا / ٨٢
- تنظيف طريق الحج من مكة إلى عرفات / ٨٤
- دخول الفيل إلى مكة / ٨٧
- ما ذكره بعض المفسرين عن وجود صور الأنبياء عليهم الصلاة و السلام فى التابوت / ٩٢
- صور الأنبياء التى كانت عند ملك الروم / ٩٣
- صور العرب التى كانت فى بيت الملوك بالأندلس / ٩٦
- مجزرة مكة / ٩٧
- تجارة العرب / ٩٩
- أسواق مكة فى الجاهلية و الإسلام / ١٠١
- تاريخ إبطال أسواق العرب / ١٠٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٦٠
- الموضوع / رقم الصفحة
- ما جاء عن أسواق العرب فى كتاب حياة سيد العرب / ١٠٤
- حضور النبى صلى الله عليه و سلم إلى سوق عكاظ / ١٠٧
- أسماء بعض الأسواق / ١٠٨
- مباسط الحراج بمكة فى الجاهلية / ١١٠
- موضع الحراج أى المزاد / ١١١
- سوق المسعى قبل التوسعة السعودية / ١١٢
- معرفة حكم البيع و الشراء / ١١٢
- ما يوجد من المهن و السماسرة و الصيارفة فى زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم / ١١٥
- حكم بيع بيوت مكة و أجاتها / ١١٧

- ما جاء فى تاريخ الأزرقى عن بيع و إيجار دور مكة/ ١١٧
- ما جاء فى تاريخ الغازى عن حكم بيع و إيجار بيوت مكة/ ١٢٠
- تشكيل هيئة خاصة للنظر فى مشاكل الإيجارات و سنّ قانون لها/ ١٢٣
- هيئة المعاملات العمومية/ ١٢٤
- وظائف الرئيس/ ١٢٤
- وظائف الهيئة/ ١٢٤
- إيضاحات/ ١٢٩
- قرار الحكومة الهاشمية بشأن إيجار العقارات/ ١٢٩
- قرار الحكومة السعودية بشأن إيجار العقارات/ ١٣٠
- أجور العقار لعام (١٣٦٨ هـ)/ ١٣٢
- أجور العقار لعام ١٣٧٤ هـ/ ١٣٢
- خلاصة ما تقدم عن دور مكة و إيجاراتها/ ١٣٣
- أول هيئة للأمر بالمعروف بمكة/ ١٣٦
- نظام و تعليمات لهيئة الأمر بالمعروف بمكة/ ١٣٧
- حكم الدولة التركية العثمانية فى الحجاز/ ١٣٩
- خدمة الأتراك للخط العربى و محافظتهم على الآثار الإسلامية/ ١٣٩
- تأليف أول وزارة حجازية بعد عهد الأتراك/ ١٤٠
- تأليف مجلس الشورى لأول مرة فى الحجاز فى عهد الحكومة/ ١٤١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٦١
- الموضوع/ رقم الصفحة
- السعودية
- مجلس الشورى/ ١٤٢
- تأليف أول وزارة سعودية/ ١٤٣
- أول وزارة للحج و الأوقاف/ ١٤٤
- نبذة عن أعمال الحج و الأوقاف/ ١٤٥
- أول رابطة للعالم الإسلامى بمكة المكرمة/ ١٤٨
- التطويق أو الطواف/ ١٤٩
- اقتراحنا فى الطوافه/ ١٥٦
- نبذة عن أعمال المطوفين فى خدمة الحجاج/ ١٥٧
- تطوير حالة الطوافه و المطوفين/ ١٥٨
- إحصاء البلدان التى يحضر منها الحجاج فى كل عام/ ١٦٢
- المقابر الشهيرة بمكة/ ١٦٤
- عدم معرفة مقابر من دفن بمكة من الصحابة و التابعين/ ١٧٠

- فضل الموت بالأراضى المقدسة / ١٧٢
- بعض عادات أهل مكة و الأجناس التى فيها / ١٧٤
- بعض الأمور المستحسنه التى كانت بمكة المشرفة / ١٨٠
- لبس العمامة و العقال فى الحجاز / ١٩٩
- الألعاب التى كانت شائعة لدى الأطفال بمكة / ٢٢٤
- عادات الجاهلية / ٢٢٨
- تغير الأحوال المعنوية فى الحجاز / ٢٣٣
- جو مكة و هوائها / ٢٣٦
- حدوث الفصول الأربعة من دوران الأرض / ٢٤٣
- سبب زيادة حرارة الجو / ٢٤٣
- ترجمة أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها / ٢٤٥
- ترجمة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه / ٢٤٧
- ترجمة و فضل عثمان بن عفان رضى الله عنه / ٢٤٩
- ترجمة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه / ٢٥٠
- ترجمة و فضل على بن أبى طالب رضى الله عنه / ٢٥٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٦٢
- الموضوع / رقم الصفحة
- ترجمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما / ٢٥٥
- ترجمة عبد الله بن عمر رضى الله عنهما / ٢٥٦
- ترجمة أبى هريرة رضى الله عنه / ٢٦٢
- ترجمة أبى ذر الغفارى رضى الله عنه / ٢٦٧
- ترجمة أنس بن مالك رضى الله عنه / ٢٦٨
- عمر بن عبد العزيز فى أول توليته / ٢٧٠
- بعض شمائل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه / ٢٧٣
- ترجمة عطاء ابن أبى رباح / ٢٨٠
- ترجمة جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه / ٢٨١
- ترجمة عبد الله ابن عامر بن كريز / ٢٨٢
- قصة ثروة عبد الله بن جدعان / ٢٨٣
- ترجمة شيخنا الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى / ٢٨٤
- ترجمة صاحب كتاب تاريخ الخميس / ٢٨٨
- ترجمة العلامة تقى الدين الفاسى المكى صاحب شفاء الغرام / ٢٨٩
- ترجمة العلامة قطب الدين الحنفى / ٢٩٠
- ترجمة أيوب صبرى باشا صاحب كتاب مرآة الحرمين الذى باللغة التركية / ٢٩٢

- ترجمة مؤلف كتاب مرآة الحرمين إبراهيم رفعت باشا/ ٢٩٦
- ترجمة الأستاذ محمد لبيب البتنوني/ ٢٩٧
- ترجمة ابن جبير صاحب الرحلة الشهيرة/ ٢٩٨
- ترجمة ابن بطوطة صاحب الرحلة الشهيرة/ ٣٠٠
- ترجمة الوزير عثمان باشا نوري/ ٣٠٢
- نبذة عن تاريخ جدة/ ٣٠٤
- الكلام على مدينة جدة/ ٣٠٥
- ما قاله الرحالة ابن جبير عن جدة/ ٣٠٦
- الطائرات العربية السعودية بجدة/ ٣١٠
- وصول الطائرات العربية إلى الطائف/ ٣١٠
- أول قنصل إنجليزي بجدة/ ٣١١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٦٣
- الموضوع/ رقم الصفحة
- ذكر سبب قتل القنصل الإنجليزي بجدة سنة ١٢٧٤ هـ / ٣١١
- قتال الشريف أبي ندى الإفرنج حين قصدوا جدة/ ٣١٥
- بناء سور جدة/ ٣١٦
- هدم سور جدة/ ٣١٨
- عدد منازل جدة و سكانها قديما و ماؤها و تجارتها و قبر أمنا حواء/ ٣١٩
- عمران جدة بعد سنة ١٣٣٤ هجرية/ ٣٢٢
- ازدياد العمران و السكان بجدة/ ٣٢٢
- ضواحي جدة قديما و حديثا/ ٣٢٣
- أنواع المياه التي كانت بجدة/ ٣٢٤
- الكنداسة/ ٣٢٥
- تشكيل هيئة من أهالي جدة للبحث عن منابع الماء سنة (١٣٢٧)/ ٣٢٥
- وصول عين الوزيرية إلى جدة/ ٣٢٧
- وصول العين العزيزية إلى جدة/ ٣٢٨
- ميناء جدة قديما و حديثا/ ٣٢٩
- بناء جمر ك جدة في الزمن القديم/ ٣٢٩
- أهل جدة و عاداتهم/ ٣٣٠
- وفاء الحاج محمد علي زينل "مؤسس مدارس الفلاح" / ٣٣٧
- الشيخ حسين أبو زيد/ ٣٣٨
- "قبر أمنا حواء" بجدة/ ٣٣٩
- نبذة عن تاريخ المدينة المنورة/ ٣٤١

- حدود حرم المدينة المنورة / ٣٤٣
- بناء بيوت أزواج النبي صلى الله عليه و سلم / ٣٤٦
- الروضة النبوية المطهرة و فضلها / ٣٥٠
- ما جاء فى شرح زاد المسلم عن الروضة / ٣٥٢
- خلاصة الأقوال فى الروضة المطهرة / ٣٥٥
- وحى صلاة الجمعة فى المسجد النبوى / ٣٥٩
- زيارة رسول الله صلى الله عليه و سلم / ٣٦١
- فضل المدينة المنورة / ٣٦٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٦٤
- الموضوع / رقم الصفحة
- يهود المدينة / ٣٦٥
- المنافقون / ٣٦٧
- سكنى اليهود فى الحجاز / ٣٦٧
- سبب هجرة اليهود من فلسطين إلى الحجاز / ٣٦٩
- نزول أحياء من العرب على اليهود / ٣٧٠
- نزول الأوس و الخزرج بالمدينة / ٣٧١
- استيلاء الأوس و الخزرج على المدينة / ٣٧٢
- نبذة عن تاريخ المسجد الأقصى / ٣٧٣
- بيت المقدس / ٣٧٤
- المسجد الأقصى / ٣٧٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٦٥

## المحتويات

- الموضوع / رقم الصفحة
- بعض الأدباء و الشعراء بمكة فى عصرنا الحاضر / ٥
- أسماء بعض مؤلفات علماء مكة المكرمة و أدبائها فى وقتنا الحاضر / ١٤
- خاتمة ما تقدم / ٢٣
- كتاتيب الصبيان فى صدر الإسلام / ٢٤
- خلاصة الكلام على التعليم بمكة المكرمة / ٢٧
- عدد كتاب رسول الله صلى الله عليه و سلم / ٢٨
- الخط العربى و مكانته / ٢٩
- التعليم فى الحجاز قبل سنة ١٢٦٤ هجرية / ٣٢
- أول من جمع الصبيان فى المكاتب / ٣٣



- التعليم بالحجاز من بعد سنة ١٣٠٠ / ٣٤
- بعض العادات فى المدارس سابقا / ٣٧
- مدارس البنات بمكة المشرفة / ٣٨
- التربية و التأديب فى المدارس / ٣٩
- الكلام على مدارس الفلاح و تأسيسها بالحجاز / ٤٠
- نظرة تأمل فى مدارس الفلاح / ٤٧
- نظرة تأمل فى المؤلفات المدرسية قديما و حديثا / ٤٩
- أول من أرسل المساعدات النقدية للحرمين / ٥١
- مقدار ما كان يحمل إلى بيت المال أيام المأمون / ٥١
- كيف كان القدماء يؤرخون الحوادث و الأزمان / ٥٤
- مبدأ وضع التاريخ الهجرى و غيره / ٥٧
- كيفية ثبوت هلال ذى الحجة فى عصر ابن جبير / ٦٤
- بدء ظهور المطابع / ٦٥
- منع دخول الكفار الحرمين الشريفين / ٦٩
- أسماء من دخل مكة المشرفة من الإفرنج / ٧٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٦٦
- الموضوع / رقم الصفحة
- بعض الكفار الذين دخلوا مكة للعمل بها بإذن الحاكم الشرعى / ٧٩
- لطيفة / ٨١
- كيفية استقاء الماء قديما و حديثا / ٨٢
- تنظيف طريق الحج من مكة إلى عرفات / ٨٤
- دخول الفيل إلى مكة / ٨٧
- ما ذكره بعض المفسرين عن وجود صور الأنبياء عليهم الصلاة و السلام فى التابوت / ٩٢
- صور الأنبياء التى كانت عند ملك الروم / ٩٣
- صور العرب التى كانت فى بيت الملوك بالأندلس / ٩٦
- مجزرة مكة / ٩٧
- تجارة العرب / ٩٩
- أسواق مكة فى الجاهلية و الإسلام / ١٠١
- تاريخ إبطال أسواق العرب / ١٠٣
- ما جاء عن أسواق العرب فى كتاب حياة سيد العرب / ١٠٤
- حضور النبى صلى الله عليه و سلم إلى سوق عكاظ / ١٠٧
- أسماء بعض الأسواق / ١٠٨
- مباسط الحراج بمكة فى الجاهلية / ١١٠

- موضع الحراج أى المزاد/ ١١١
- سوق المسعى قبل التوسعة السعودية/ ١١٢
- معرفة حكم البيع و الشراء/ ١١٢
- ما يوجد من المهن و السماسر و الصيارفة فى زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم/ ١١٥
- حكم بيع بيوت مكة و أيجارها/ ١١٧
- ما جاء فى تاريخ الأزرقى عن بيع و إيجار دور مكة/ ١١٧
- ما جاء فى تاريخ الغازى عن حكم بيع و إيجار بيوت مكة/ ١٢٠
- تشكيل هيئة خاصة للنظر فى مشاكل الإيجارات و سنّ قانون لها/ ١٢٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٦٧
- الموضوع/ رقم الصفحة
- هيئة المعاملات العمومية/ ١٢٤
- وظائف الرئيس/ ١٢٤
- وظائف الهيئة/ ١٢٤
- إيضاحات/ ١٢٩
- قرار الحكومة الهاشمية بشأن إيجار العقارات/ ١٢٩
- قرار الحكومة السعودية بشأن إيجار العقارات/ ١٣٠
- أجور العقار لعام (١٣٦٨ هـ)/ ١٣٢
- أجور العقار لعام ١٣٧٤ هـ/ ١٣٢
- خلاصة ما تقدم عن دور مكة و إيجاراتها/ ١٣٣
- أول هيئة للأمر بالمعروف بمكة/ ١٣٦
- نظام و تعليمات لهيئة الأمر بالمعروف بمكة/ ١٣٧
- حكم الدولة التركية العثمانية فى الحجاز/ ١٣٩
- خدمة الأتراك للخط العربى و محافظتهم على الآثار الإسلامية/ ١٣٩
- تأليف أول وزارة حجازية بعد عهد الأتراك/ ١٤٠
- تأليف مجلس الشورى لأول مرة فى الحجاز فى عهد الحكومة السعودية/ ١٤١
- مجلس الشورى/ ١٤٢
- تأليف أول وزارة سعودية/ ١٤٣
- أول وزارة للحج و الأوقاف/ ١٤٤
- نبذة عن أعمال الحج و الأوقاف/ ١٤٥
- أول رابطة للعالم الإسلامى بمكة المكرمة/ ١٤٨
- التطويق أو الطواف/ ١٤٩
- اقتراحنا فى الطواف/ ١٥٦
- نبذة عن أعمال المطوفين فى خدمة الحجاج/ ١٥٧

- تطوير حالة الطوافه و المطوفين / ١٥٨
- إحصاء البلدان التي يحضر منها الحجاج في كل عام / ١٦٢
- المقابر الشهيرة بمكة / ١٦٤
- عدم معرفة مقابر من دفن بمكة من الصحابة و التابعين / ١٧٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٦٨
- الموضوع / رقم الصفحة
- فضل الموت بالأراضى المقدسة / ١٧٢
- بعض عادات أهل مكة و الأجناس التي فيها / ١٧٤
- بعض الأمور المستحسنة التي كانت بمكة المشرفة / ١٨٠
- لبس العمامة و العقال في الحجاز / ١٩٩
- الألعاب التي كانت شائعة لدى الأطفال بمكة / ٢٢٤
- عادات الجاهلية / ٢٢٨
- تغير الأحوال المعنوية في الحجاز / ٢٣٣
- جو مكة و هوائها / ٢٣٦
- حدوث الفصول الأربعة من دوران الأرض / ٢٤٣
- سبب زيادة حرارة الجو / ٢٤٣
- ترجمة أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها / ٢٤٥
- ترجمة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه / ٢٤٧
- ترجمة و فضل عثمان بن عفان رضى الله عنه / ٢٤٩
- ترجمة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه / ٢٥٠
- ترجمة و فضل على بن أبى طالب رضى الله عنه / ٢٥٣
- ترجمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما / ٢٥٥
- ترجمة عبد الله بن عمر رضى الله عنهما / ٢٥٦
- ترجمة أبى هريرة رضى الله عنه / ٢٦٢
- ترجمة أبى ذر الغفارى رضى الله عنه / ٢٦٧
- ترجمة أنس بن مالك رضى الله عنه / ٢٦٨
- عمر بن عبد العزيز فى أول توليته / ٢٧٠
- بعض شمائل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه / ٢٧٣
- ترجمة عطاء ابن أبى رباح / ٢٨٠
- ترجمة جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه / ٢٨١
- ترجمة عبد الله ابن عامر بن كرز / ٢٨٢
- قصة ثروة عبد الله بن جدعان / ٢٨٣
- ترجمة شيخنا الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى / ٢٨٤

- ترجمة صاحب كتاب تاريخ الخميس / ٢٨٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٦٩
- الموضوع / رقم الصفحة
- ترجمة العلامة تقي الدين الفاسي المكي صاحب شفاء الغرام / ٢٨٩
- ترجمة العلامة قطب الدين الحنفي / ٢٩٠
- ترجمة أيوب صبري باشا صاحب كتاب مرآة الحرمين الذي باللغة التركية / ٢٩٢
- ترجمة مؤلف كتاب مرآة الحرمين إبراهيم رفعت باشا / ٢٩٦
- ترجمة الأستاذ محمد لبيب البتنوني / ٢٩٧
- ترجمة ابن جبير صاحب الرحلة الشهيرة / ٢٩٨
- ترجمة ابن بطوطة صاحب الرحلة الشهيرة / ٣٠٠
- ترجمة الوزير عثمان باشا نوري / ٣٠٢
- نبذة عن تاريخ جدة / ٣٠٤
- الكلام على مدينة جدة / ٣٠٥
- ما قاله الرحالة ابن جبير عن جدة / ٣٠٦
- الطائرات العربية السعودية بجدة / ٣١٠
- وصول الطائرات العربية إلى الطائف / ٣١٠
- أول قنصل إنجليزي بجدة / ٣١١
- ذكر سبب قتل القنصل الإنجليزي بجدة سنة ١٢٧٤ هـ / ٣١١
- قتال الشريف أبي ندى الإفرنج حين قصدوا جدة / ٣١٥
- بناء سور جدة / ٣١٦
- هدم سور جدة / ٣١٨
- عدد منازل جدة و سكانها قديما و ماؤها و تجارتها و قبر أمنا حواء / ٣١٩
- عمران جدة بعد سنة ١٣٣٤ هجرية / ٣٢٢
- ازدياد العمران و السكان بجدة / ٣٢٢
- ضواحي جدة قديما و حديثا / ٣٢٣
- أنواع المياه التي كانت بجدة / ٣٢٤
- الكنداسة / ٣٢٥
- تشكيل هيئة من أهالي جدة للبحث عن منابع الماء سنة (١٣٢٧) / ٣٢٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٧٠
- الموضوع / رقم الصفحة
- وصول عين الوزيرية إلى جدة / ٣٢٧
- وصول العين العزيزية إلى جدة / ٣٢٨
- ميناء جدة قديما و حديثا / ٣٢٩

- بناء جمر ك جدء فى الزمن القديم / ٣٢٩  
 أهل جدء و عاداتهم / ٣٣٠  
 وفاة الحاج محمد على زينل " مؤسس مدارس الفلاح / ٣٣٧  
 الشيخ حسين أبو زيد / ٣٣٨  
 "قبر أمنا حواء" بجدء / ٣٣٩  
 نبذة عن تاريخ المدينة المنورة / ٣٤١  
 حدود حرم المدينة المنورة / ٣٤٣  
 بناء بيوت أزواج النبى صلى الله عليه و سلم / ٣٤٦  
 الروضة النبوية المطهرة و فضلها / ٣٥٠  
 ما جاء فى شرح زاد المسلم عن الروضة / ٣٥٢  
 خلاصة الأقوال فى الروضة المطهرة / ٣٥٥  
 وحي صلاة الجمعة فى المسجد النبوى / ٣٥٩  
 زيارة رسول الله صلى الله عليه و سلم / ٣٦١  
 فضل المدينة المنورة / ٣٦٥  
 يهود المدينة / ٣٦٥  
 المنافقون / ٣٦٧  
 سكنى اليهود فى الحجاز / ٣٦٧  
 سبب هجرة اليهود من فلسطين إلى الحجاز / ٣٦٩  
 نزول أحياء من العرب على اليهود / ٣٧٠  
 نزول الأوس و الخزرج بالمدينة / ٣٧١  
 استيلاء الأوس و الخزرج على المدينة / ٣٧٢  
 نبذة عن تاريخ المسجد الأقصى / ٣٧٣  
 بيت المقدس / ٣٧٤  
 المسجد الأقصى / ٣٧٦  
 الفهارس العامة / ٣٨٥  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٧١  
 الموضوع / رقم الصفحة  
 فهرس لأعلام الناس و الأمكنة و سواها / ٣٨٧  
 فهرس الموضوعات لكامل الكتاب / ٥١٥  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٧٣

## ملحق الصور

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٧٥

- صورة رقم ١٤٠ صورة رقم ١٤١ صورة رقم ١٤٢ صورة رقم ١٤٣ صورة رقم ١٤٤  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٧٦  
 صورة رقم ١٤٥ صورة رقم ١٤٦  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٧٧  
 صورة رقم ١٤٧  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٧٨  
 صورة رقم ١٤٨  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٧٩  
 صورة رقم ١٤٩  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٨٠  
 صورة رقم ١٥٠  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٨١  
 صورة رقم ١٥١  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٨٢  
 صورة رقم ١٥٢ صورة رقم ١٥٣  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٨٣  
 صورة رقم ١٥٤  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٨٤  
 صورة رقم ١٥٥ صورة رقم ١٥٦  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٨٥  
 صورة رقم ١٥٧ صورة رقم ١٥٨  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٨٦  
 صورة رقم ١٥٩ صورة رقم ١٦٠  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٨٧  
 صورة رقم ١٦١  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٨٨  
 صورة رقم ١٦٣ صورة رقم ١٦٤  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٨٩  
 صورة رقم ١٦٥  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٩٠  
 صورة رقم ١٦٦  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٩١  
 صورة رقم ١٦٧ صورة رقم ١٦٨

- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٩٢  
صورة رقم ١٦٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٩٣  
صورة رقم ١٧٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٩٤  
صورة رقم ١٧١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٩٥  
صورة رقم ١٧٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٩٦  
صورة رقم ١٧٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٩٧  
صورة رقم ١٧٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٩٨  
صورة رقم ١٧٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٥٩٩  
صورة رقم ١٧٥ صورة رقم ١٧٦ صورة رقم ١٧٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٠٠  
صورة رقم ١٧٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٠١  
صورة رقم ١٧٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٠٢  
صورة رقم ١٨٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٠٤  
صورة رقم ١٨٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٠٥  
صورة رقم ١٨٤ صورة رقم ١٨٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٠٦  
صورة رقم ١٨٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٠٧  
صورة رقم ١٨٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٠٨  
صورة رقم ١٨٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٠٩

- صورة رقم ١٨٨  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦١٠
- صورة رقم ١٨٩  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦١١
- صورة رقم ١٩٠  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦١٢
- صورة رقم ١٩٠  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦١٣
- صورة رقم ١٩١  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦١٤
- صورة رقم ١٩٢  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦١٥
- صورة رقم ١٩٣  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦١٦
- صورة رقم ١٩٢  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦١٧
- صورة رقم ١٩٣  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦١٨
- صورة رقم ١٩٤  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦١٩
- صورة رقم ١٩٥  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٢٠
- صورة رقم ١٩٦  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٢١
- صورة رقم ١٩٧ صورة رقم ١٩٥  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٢٢
- صورة رقم ١٩٦  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٢٣
- صورة رقم ١٩٧ صورة رقم ١٩٨  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٢٤
- صورة رقم ١٩٩ صورة رقم ٢٠٠  
التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٢٥
- صورة رقم ٢٠١



- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٢٦  
صورة رقم ٢٠٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٢٧  
صورة رقم ٢٠١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٢٨  
صورة رقم ٢٠٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٢٩  
صورة رقم ٢٠٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٣٠  
صورة رقم ٢٠٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٣١  
صورة رقم ٢٠٥ ٢٠٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٣٣  
صورة رقم ٢٠٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٣٤  
صورة رقم ٢٠٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٣٥  
صورة رقم ٢٠٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٣٦  
صورة رقم ٢٠٨ ٢٠٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٣٨  
صورة رقم ٢١٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٣٩  
صورة رقم ٢١١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٤٠  
صورة رقم ٢١٢ صورة رقم ٢١٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٤١  
صورة رقم
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٤٢  
صورة رقم ٢١٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٤٣  
صورة رقم ٢١٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٤٤

- صورة رقم ٢١٦ صورة رقم ٢١٧  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٤٥  
 صورة رقم ٢١٨  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٤٦  
 صورة رقم ٢١٩  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٤٧  
 صورة رقم ٢٢٠  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٤٨  
 صورة رقم ٢٢١  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٤٩  
 صورة رقم ٢٢٢  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٥٠  
 صورة رقم ٢٢٣  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٥١  
 صورة رقم ٢٢٤  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٥٢  
 صورة رقم ٢٢٥  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٥٣  
 صورة رقم ٢٢٦  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٥٤  
 صورة رقم ٢٢٧  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٥٥  
 صورة رقم ٢٢٨  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٥٦  
 صورة رقم ٢٢٩  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٥٧  
 صورة رقم  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٥٨  
 صورة رقم ٢٣٠  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٥٩  
 صورة رقم ٢٣١  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٦٠  
 صورة رقم ٢٣٢

- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٦١  
صورة رقم ٢٣٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٦٢  
صورة رقم ٢٣٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٦٣  
صورة رقم ٦٣٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٦٤  
صورة رقم ٦٣٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٦٥  
صورة رقم ٢٣٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٦٦  
صورة رقم ٢٣٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٦٧  
صورة رقم ٢٣٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٦٨  
صورة رقم ٢٤٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٦٩  
صورة رقم ٢٤١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٧٠  
صورة رقم ٢٤٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٧١  
صورة رقم ٢٤٣ التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم ؛ ج ٣-٦ ؛ ص ٦٧٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٧٢  
صورة رقم ٢٤٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٧٣  
صورة رقم ٢٤٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٧٤  
صورة رقم ٢٤٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٧٥  
صورة رقم ٢٤٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٧٦  
صورة رقم ٢٤٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٧٧

صورة رقم ٢٤٩

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٧٨

صورة رقم

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٧٩

صورة رقم ٢٥١

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٨٠

صورة رقم ٢٥٢

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٨١

صورة رقم ٢٥٣

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٨٢

صورة رقم ٢٥٤ صورة رقم ٢٥٥ صورة رقم ٢٥٦ صورة رقم ٢٥٧

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٨٣

صورة رقم ٢٥٨

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٨٤

صورة رقم ٢٥٩

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٨٥

صورة رقم ٢٦٠

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٨٦

صورة رقم ٢٦٠

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٨٧

صورة رقم ٢٦١

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٨٨

صورة رقم ٢٦٢

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٨٩

صورة رقم ٢٦٣

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٩٠

صورة رقم ٢٦٤

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٩١

صورة رقم ٢٦٥

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٩٢

صورة رقم ٢٦٦

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٩٣

صورة رقم ٢٦٧

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٩٤

صورة رقم ٢٦٨

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٩٥

صورة رقم ٢٦٩

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٩٦

صورة رقم ٢٧٠

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٩٧

صورة رقم ٢٧١

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٩٨

صورة رقم ٢٧٢

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٦٩٩

صورة رقم ٢٧٣ صورة رقم ٢٧٤

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٠٠

صورة رقم ٢٧٥

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٠١

صورة رقم ٢٧٦

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٠٢

صورة رقم ٢٧٧

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٠٣

صورة رقم ٢٧٨

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٠٤

صورة رقم ٢٧٩

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٠٥

صورة رقم ٢٨٠

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٠٦

صورة رقم ٢٨١

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٠٧

صورة رقم ٢٨٢

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٠٨

صورة رقم ٢٨٣ صورة رقم ٢٨٤ صورة رقم ٢٨٥ صورة رقم ٢٨٦

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٠٩

صورة رقم ٢٨٧ صورة رقم ٢٨٨

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧١٠

- صورة رقم ٢٨٩ صورة رقم ٢٩٠ صورة رقم ٢٩١  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧١١  
 صورة رقم ٢٩٢  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧١٢  
 صورة رقم ٢٩٣ صورة رقم ٢٩٤ صورة رقم ٢٩٥  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧١٣  
 صورة رقم ٢٩٦ صورة رقم ٢٩٧ صورة رقم ٢٩٨  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧١٤  
 صورة رقم ٢٩٩  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧١٥  
 صورة رقم ٣٠٠  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧١٦  
 صورة رقم ٣٠١  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧١٧  
 صورة رقم ٣٠٢  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧١٨  
 صورة رقم ٣٠٣  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧١٩  
 صورة رقم ٣٠٤  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٢٠  
 صورة رقم ٣٠٥  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٢١  
 صورة رقم ٣٠٦  
 صورة رقم ٣٠٧ صورة رقم ٣٠٨  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٢٣  
 صورة رقم ٣٠٩  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٢٤  
 صورة رقم ٣١٠ صورة رقم ٣١١  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٢٥  
 صورة رقم ٣١٢ صورة رقم ٣١٣  
 التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٢٦  
 صورة رقم ٣١٤

- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٢٧  
صورة رقم ٣١٥ ٣١٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٢٩  
صورة رقم ٣١٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٣٠  
صورة رقم ٣١٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٣١  
صورة رقم ٣١٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٣٢  
صورة رقم ٣٢٠ صورة رقم ٣٢١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٣٣  
صورة رقم ٣٢٢ صورة رقم ٣٢٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٣٤  
صورة رقم ٣٢٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٣٥  
صورة رقم ٣٢٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٣٦  
صورة رقم ٣٢٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٣٧  
صورة رقم ٣٢٧ صورة رقم ٣٢٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٣٨  
صورة رقم ٣٢٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٣٩  
صورة رقم ٣٣٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٤٠  
صورة رقم ٣٣١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٤١  
صورة رقم ٣٣٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٤٢  
صورة رقم ٣٣٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٤٣  
صورة رقم ٣٣٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٤٤

صورة رقم ٣٣٥

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٤٥

صورة رقم ٣٣٦

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٤٦

صورة رقم ٣٣٧

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٤٧

صورة رقم ٣٣٨

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٤٨

صورة رقم ٣٣٩

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٤٩

صورة رقم ٣٤٠

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٥٠

صورة رقم ٣٤١

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٥١

صورة رقم ٣٤٢

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٥٢

صورة رقم ٣٤٣

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٥٣

صورة رقم ٣٤٤ صورة رقم ٣٤٥

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٥٤

صورة رقم ٣٤٦

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٥٥

صورة رقم ٣٤٧ صورة رقم ٣٤٨

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٥٦

صورة رقم ٣٤٩

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٥٧

صورة رقم ٣٥٠

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٥٨

صورة رقم ٣٥١

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٥٩

صورة رقم ٣٥٢

التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٦٠

صورة رقم ٣٥٣



- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٦١  
صورة رقم ٣٥٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٦٢  
صورة رقم ٣٥٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٦٣  
صورة رقم ٣٥٥
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٦٤  
صورة رقم ٣٥٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٦٥  
صورة رقم ٣٥٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٦٦  
صورة رقم ٣٥٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٦٧  
صورة رقم ٣٥٩
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٦٨  
صورة رقم ٣٦٠
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٦٩  
صورة رقم ٣٦١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٧٠  
صورة رقم ٣٦٢ صورة رقم ٣٦٣
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٧١  
صورة رقم ٣٦٤
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٧٢  
صورة رقم ٣٦٥ صورة رقم ٣٦٦
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٧٣  
صورة رقم ٣٦٧
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٧٤  
صورة رقم ٣٦٨
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٧٥  
صورة رقم ٣٦٩ صورة رقم ٣٧٠ صورة رقم ٣٧١
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٧٦  
صورة رقم ٣٧٢
- التاريخ القويم لمكة و بيت الله الكريم، ج ٣-٦، ص: ٧٧٧

## تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهاذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفيء مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسايل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المبتدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواره برامج العلوم الإسلاميه، إناله منابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعه، و... - منها العداله الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافه الإسلاميه و الإيرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى. - من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربيه المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" ومفترق "وفائي" / "بناية" القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الإلكتروني: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية والمبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد والمتسع للامور الدينية والعلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

